

2020

8.1.2020

عَافِيَةٌ بِحَاوِي



أَوَّلُ الشَّعْرِ

عَصَا الشَّعْرِ الْجَاهِلِيَّةِ

وَالْإِسْلَامِيَّةِ وَالْأُمِّيَّةِ

الْمَشْرِقُ

أَوَّلُ الشَّعْرِ

عُصَاةُ الشَّعْرِ الْجَاهِلِيَّ وَالْإِسْلَامِيِّ وَالْأُمَوِيِّ

الطبعة الثانية

عارف حجاوي



أَوَّلُ الشَّعْرِ

الفهرسة أثناء النشر - إعداد دار المشرق

حجاوي، عارف
أَوَّل الشعر: عُصارة الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي/
عارف حجاوي.
٦٨٨ ص.
١. شعر. أ. العنوان.

892

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر
بالضرورة عن وجهة نظر دار المشرق»

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار المشرق
الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٦
الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠١٨

دار المشرق

القاهرة - المعادي - شارع المعراج
almashriq.books@gmail.com

أبواب الكتاب

٧	مقدمة
١٥	امرؤ القيس
٣٧	زهير بن أبي سلمى
٥٩	النابعة الذبياني
٨٥	الأعشى
١٢٣	حسان بن ثابت
١٥٩	الأخطل
٢١٥	الفرزدق
٢٩١	جرير
٣٦٣	عمر بن أبي ربيعة
٤١٣	جميل بثينة
٤٣٩	بقية المعلقات
٤٦٣	المفضليات
٤٩٣	الأصمعيات
٥٠٥	الحماسة
٦٢٣	الوحشيات
٦٤٥	قصائد مشهورات
٦٦٩	فهرس القوافي العام

مقدمة

عندما فرغت من ركن هذا الكتاب وتشكيله وتصحيحه وتنضيد فهراس قوافيه على الحاسوب، طبعته حتى أقرأه قرأةً أخيرة من على الورق. ومع كل دفقة ورق كانت ترميها الناسخة كان يزيد في قلبي الشك في أن أجرؤ على دفع مثل هذا الشيء إلى المطبعة.

أخجلني حجم الكتاب.

حملت كومة الورق، وانصرفت إلى منزلي مغموماً، وألقيتها في ركن. وقعدت أفكر في أن أنصرف عن الأمر كله. من ذا الذي يريد كومة الورق هذه كتاباً؟

ثم فكرت في أن أختصر الكتاب فأنشر نصفه أو ثلثيه. ثم عادت تنتابني عاصفة خجل من فعلتي هذه التي فعلتها بكتابة شيء كبير كهذا، وعن موضوع كهذا. ولبثت في هذه الحالة حتى انتصف الليل. هوّمت تهوية قصيرة لعلها لم تدم سوى خمس دقائق، وقمت متثاقلاً.

تناولت بغير قليل من الغضب، وبكثير من الاشمئزاز، الصفحة الأولى. قرأت. فرحت أن لم أجد خطأ مطبعياً. تحمست للصفحة الثانية فالثالثة. وقرأت ما اخترته من معلقة امرئ القيس مع الشرح الذي شرحت، ووقفت وقفة مع نفسي. فكرت في الشروح الكثيرة التي مرت بي لديوان امرئ القيس. شروح قديمة وحديثة، ولكنها كلها عتيقة. كلها يناقش مسائل في اللغة، وكلها - كلها بلا استثناء - يغضي عن بعض دقائق المعنى. وطالت رقبتني. وبدأت أغفر لنفسي كثيراً مما كنت أخذته عليها.

أشعر بأنني أكتب هذا الكلام فور الفراغ من قراءتي تلك الغافرة؟ هو ذاك.

عندما كنت حملت كومة الورق إلى منزلي اشمأززت أيضاً لأنني أعالج موضوعاً لا يريده أحد، ولا تحتاج إليه نهضتنا في بلاد العرب. خجلت من أنني قاعد أمضغ الشعر الجاهلي والأموي بينما العربي في أمس الحاجة إلى أن يخلع ملابسه ثم يخلع جلده ثم يريق دمه ويستبدل به دماً جديداً. . دماً فيه فكر لا غوغائية، وفيه إحساس بالواقع.

العربي محتاج ليس حتى إلى اكتساب العلم. . هذه نكتة قديمة. لا، العربي محتاج إلى أن يتخلق بأخلاق جديدة. محتاج إلى منظومة (طاهرة) من الأفكار. و«طاهرة» بين قوسين لأن هذا مستحيل. هو في الواقع محتاج إلى كثير من الواقعية وكثير من العزم، وإلى أن يفهم حالته. فإن كنت فهمت من كلمة «طاهرة» أنني أدعونا إلى خلع ماضينا فقد فهمت نصف ما أريد.

أريدنا أن نتجدد، لا أن نتزيف. وهنا تفريق كمي أحب أن أعرضه عليك: لو كنا - نحن العرب - مئة ألف إنسان يسكنون بلداً صغيراً، ولو نشأت بيننا دعوة إلى التخلي عن لغتنا وعاداتنا وتراثنا والالتحاق بأمة كبيرة أخرى، فربما كان الأمر محتماً للنقاش الجاد. بعض الجماهير الصغيرة ذابت، وهي ما فتئت تذوب في كل سنة في شعوب كبيرة، فاقدة لغتها وقسطاً كبيراً من تاريخها، ومندثرة من حيث هي جماهير مستقلة. الشعوب تنام، والشعوب تنهض، والشعوب أيضاً تندثر. لكننا نحن العرب كتلة كبيرة. وكانت لدينا دولة وحضارة: أكبر من بعض الدول والحضارات، وأصغر من بعض الدول والحضارات. وما تراه الآن من تشلُّق الأثرياء بالثقافات الأجنبية، ومن إرسالهم أولادهم إلى مدارس أجنبية ليس بداية ذوبان ولا اضمحلال. نحن أكبر من ذلك. هو فقط لعق رخيص لنعل الأجنبي كي يأتي لينهب خيراتنا ويعطي فئة السماسرة الفتات.

نهضتنا لا بد أن تكون من الداخل. والبداية أن نطلب الحرية، وأن نطالب أنفسنا بالمثابرة، وأن نرفض إعطاء زمامنا لفئة السماسرة. هذه الفئة هي مثل الولد الأكبر لأسرة مات عائلها، وهذا الولد يحمل بين الفينة والفينة سجادة من البيت ويبيعها في سوق الدلالين ليُسكّر بشمئها، وحتى تسهل عليه المهمة فقد تعلم من لغة الدلالين «على أونه على دوي على تري».

فئة السماسرة تعلم أبناءها القشور من اللغات الأجنبية لكي تفتح مكاتب الاستيراد فتستورد للبلد السيارات، ولكي تبيع حقوق التنقيب على المعادن والنفط وحقوق الصيد وحقوق استخدام الموقع الاستراتيجي للأجنبي.

لا علاقة مباشرة لهذا بالشعر الجاهلي والأموي. لكن ثمة علاقة، قد أنجح في توضيحها في الأسطر المقبلة.

خلّصت من قراءتي لصفحات من كتابي هذا إلى أنني مثابر. فأنيت على نفسي. ورأيت شيئاً آخر. رأيته لا أتناول موضوعي بالتقديس، ولا بالتبجيل، ولا بلهجة المعلم الصارم، بل بكثير من العيب والأريحية. رأيته أعرض لك تراثاً دون أن أومئ، ولو إيماء، إلى أنه إرث متفوق على أروث أقوام آخرين. ثمة رسالة كامنة في ثنايا هذا الكتاب الذي أخرجتني ضخامته: لا للتشدد، الدنيا حلوة بتنوعها.

لن نحتاج إلى كتاب «أول الشعر» في بناء نهضتنا، لكننا لن نخلع ملابسنا، ولا جلدنا، ولن نريق دمنا. وسنعود لتتصالح مع ماضينا، لكن مع فهم حقيقي له. ولنا بالشعر الجاهلي والأموي صلة، وفي أعماقنا كثير من أحداث تاريخنا. في دماننا القادسية، وفيها أيضاً صفين، وفيها مدح الحاكم والتذلل له، وفيها الغضبات المضرية، وفيها أخلاق الكرم والغدر والظلم والسماحة.

وقبل أن أروي لك قصتي مع هذا الكتاب سأروي لك ملاحظة لاحظتها مؤخراً. قرأت من أقل من سنة كتاباً عن تاريخ فرنسا منذ ثورتها الكبرى حتى اليوم؛ كتاباً كبيراً يقترب من حجم هذا الذي بين يديك. ولكن عقلي الشيخوخي لم يُلْقَ منه أي معلومة. تبخر الكتاب كله من رأسي. وبقيت عبرة. الكتاب تفصيلي جداً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. الآن العبارة: كل حدث في فرنسا يرتبط بما قبله. الثورة الفرنسية الكبرى ظلت حتى اليوم فاعلة.. هي في دم الفرنسيين. لقد أراني ذلك الكتاب أحداث ١٨٤٨م، وأراني تسلط نابليون الثالث، وأحداث ١٨٧٠م، والحربين العالميتين.. إلخ، أذهلني في هذا الشريط كله ما يوجد من ترابط فيما بين أحداثه. قفز إلى ذهني «سائقو التاكسي في لندن»، وجلهم من أهل لندن الأصليين، ومن الأحياء العتيقة. وكنت ركبت تكسيات لندن بضع مئات من المرات عندما كنت أعمل هناك. أدهشت نفسي عندما لاحظت أن خير وصف لأولئك السائقين: لنفسياتهم، لنظرتهم للحياة، لعفويتهم، لوقاحتهم، لشهامتهم، إنما هو ما كتبه قبل مئتي سنة تشارلز ديكنز. ألم يتغير الإنجليز في هاتين المئتي سنة؟ قليلاً.

ونحن؟ نحن تغيرنا في الألف والخمسمئة سنة التي مضت منذ أن بدأ الشعر العربي مسيرته العجيبة. لكننا لم نخلع جلودنا. الأثر الفارسي موجود،

والبربري موجود، والكردى، والنوبى، والهلينى أيضاً، ولكن العقل العربى أيضاً موجود. لا أقول إن كل عربى يشبه كل عربى آخر، ولكننا كتلة كبيرة، ولها ذاكرتها.

تأتى على الأمم مفاصل تشعر فيها بأن عليها أن تخرج من جلدها. اليابانيون مروا بهذا المفصل فيما تلا عام ١٨٦٨م، فهل خرجوا فعلاً من جلدهم؟ قد تغيروا كثيراً، ونهضوا، لكنهم احتفظوا بلغتهم وفنونهم ونفسياتهم.. وكل ذلك تطور تطوراً بطيئاً رغم المفصل الحاد. لعلى أوضحت بعض الإيضاح التناقض الظاهري بين مطالبتى إيانا بالخروج من الجلد وبين عدولي عن هذه المطالبة. نحن بحاجة إلى المرور بمفصل تاريخى حاد. لكنه لن يشطب ثقافتنا القديمة.

أكتب هذه الكلمات وأشعر من جديد بأننى إنما أزيد هذا الكتاب المخجل ضخامة. فعلى من الآن فصاعداً أن أقتصد فى الكلام.

هذا الكتاب يعرض تراثاً شعرياً قديماً، ويعرضه بطريقة جديدة وخاصة جداً.. يعرضه عرضاً متخففاً من الصرامة الأكاديمية المضحكة، ويعرضه بالمفروق لا بالجملة، فصاحب الكتاب لم ينسخ لك القصيدة بغثا وسمينها، بل انتقى البديع الجميل من أبياتها، وسعى إلى إحكام الربط فيما بين الأبيات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، والقصيدة العربية مفككة خلقة. نعم، قد بحثت طويلاً، ونبشت الدواوين وكتب القدماء والمحدثين نبشاً ذريعاً، وقد تعاملت عليك فى مقدماتي، وأخبرتكم عن كثير من البحث «الكامن» وراء ما أقدمه لك من أشعار ومن شروح.. لكن البحث بقى «كامناً». فلم أسمح للقدماء بأن يدخلوا حرمنى. فهمت كلامهم ووعيته فى حماطة جُلْجُلاني، لكننى لم أسمح لهم بالتسلل إلى لساني. شرحت لك بلسان معاصر حيناً، متفاح حيناً. وكلما أخذت من شارح قديم أو معاصر عبارة، ولو كانت من كلمتين، أشرت إليه. هذه الأشعار اخترتها ثم شرحتها منطلقاً من منصة ليبرالية. وافهم من كلمة ليبرالية كل ما يمكن أن يفهم من هذه الكلمة، فإن تحيرت فاعلم أننى عندما أترك التواضع جانباً فإننى أصف نفسى بأننى «مفكر حر».. هذه أحسن من ليبرالية.

ليبع هذا الكتاب مئة نسخة، ولتبق النسخ التسعمئة الأخرى فى المخازن. قد عزمت، وقد توكلت على الله.

قصة هذا الكتاب:

هذا الكتاب هو أول الغيث، وستأتي بعده كتب تروي قصة الشعر العمودي في كل العصور حتى نصل إلى إيليا أبو ماضي. والمشروع كله يستمد قوته الدافعة من الغريزة النملية. فمند نحو خمس وثلاثين سنة بدأت أكتب الأبيات الجميلة التي تمر بي في دفتر، وسرعان ما صار الدفتر عشرة دفاتر. وسافرت إلى لندن للعمل واصطحبت دفاتري. وانتقلت في العمل من قلم المترجم إلى لسان المذيع، وأخذت أذيع الكثير من هذه الأبيات الجميلة في برامج شتى، وكنت أحليها بقصص لها بها ارتباط أو ليس لها. أذعت هذا من محطة لندن التي يسمونها الآن البي بي سي، وكنا في زمننا نصر على تسميتها هيئة الإذاعة البريطانية، فهذه التسمية تملأ الفم أكثر. وانتقلت في تلك الإذاعة إلى عمل إداري، وظللت أثبت الأبيات والقصص. ثم عدت إلى فلسطين حيث عملت في التدريس الجامعي والتدريب الإعلامي سبع سنين طالما وصفتها بأنها أجمل سني حياتي. وفي هذه السنين السمان اشتغلت بالنحو العربي فهذبته وقربته للإعلاميين، وكتبت كتباً لطلبتي نال بعضها نصيباً من الذبوع المحلي.

ومضيت أختار الشعر الجميل. وزدت على دفاتري العشرة دفتريين كبيرين.

ثم انتقلت إلى قطر للعمل في قناة الجزيرة. وقضيت ست سنين، لا هنّ بالسمان ولا العجاف. على أنني فيهنّ كتبت ونشرت كتابين عن أحمد شوقي والمتنبي. وبدأت أدخل حرم الشعر القديم. واستقلت من الجزيرة، وعملت في الصحافة في بلدي فلسطين، ثم رجعت إلى الجزيرة كي أكتب كتاباً في اللغة.

سميت الكتاب «اللغة العالية»، وهو معجم لما يحتاجه الإعلامي من اللغة. ورغم أن وضع الكتاب كان جزءاً من وظيفتي، فإنني أقبلت عليه بعزم مضاعف لحاجة عميقة في نفسي. كنت محتاجاً إلى الغوص في المعاجم، وإلى دراسة اللغة القديمة درساً منظماً. كأنني كنت أستعد لخوض غمار الشعر القديم. فكان تأليف كتاب «اللغة العالية» مساقاً دراسياً عقدهت لنفسي.

والآن، بعد سنتين من صدور «اللغة العالية»، أشعر بأن اللغة القديمة طبقات فوق طبقات، وأن المعاجم تسعفك في أشياء وتخذلك في معظم الأشياء.

ما جعلني أمضي في لملمة الأبيات الجميلة من عشرات الكتب والدواوين

هو غريزة النملة. وفي البشر من يشبه النملة كثيراً، وفيهم من يشبهها قليلاً. أنا.. كثيراً.

لم أرتب الأشعار في هذا الكتاب بطريقة معينة. قد التزمت في الغالب الترتيب الذي في الدواوين، لكنني صنعت لك فهارس بالقوافي. وجعلت لكل باب مقدمة تطول أو تقصر بحسب ما يواتيني من مزاج للكتابة. فهذا الكتاب ليس فقط عن الشعر القديم، بل هو عني وعن تذوقي لهذا الشعر، وهو - في تلك المقدمات التي أكتبها - كتاب يُعنى بموضوع «الكتابة الحرة»؛ حرة بمعنيين: أولاً أنها ليست مقيدة بقيد الالتزام بالموضوع، وثانياً أنها نابذة للرواسم، أي الكليشيهات. هذه الكتابة التي اصطنتعتها، والتي أبشر بها تبشيراً، هي الكتابة التي تشبه الكلام. هي الكتابة الإذاعية. فمئذ أن عملت في الإذاعة وأنا أغمس سن قلمي في لساني مستمداً ريق الكلام، ساعياً عن وعي إلى أن أحدثك وكأنك جالس بجانبني، ومنصرفاً انصرفاً عن رصف الكلمات بمثل ما رصفها كثيرون قبلي.

طالما تحذلق أساتذة الإعلام بأن للصحافة لغتها وللإذاعة لغتها وللكتاب لغته. ونقول: الكلام أسبق من القلم والورقة، ولغة الإذاعة هي أقرب شيء إلى ما هو طبيعي. وخير ما يصنعه الكاتب أن يحاكي نفسه وهو يتحدث. مقدماتي لأبواب الكتاب مقصودة لذاتها.

يحلو للمرء - كي يبرز محاسن نفسه - أن يقع في الآخرين، فيصب على رؤوسهم أوساخ لسانه. وقد فعلت بعض ذلك في مقدماتي لأبواب هذا الكتاب، غير أنني سترت أسماء من أهجوهم، وسترْتُ وُسعي ما يمكن أن يقود إليها.

ملأت مقدماتي بقوارع الكلم التي وجهتها إلى الأكاديميين المزيفين. قد بلَّغتهم الصاب تبليغاً، ولعبت بهم لعباً بليغاً. وصارحتك أكثر من مرة، بأنني لا أصنع ذلك أملاً في إصلاح؛ أصنعه كي أنسلِّي، وأسليكَ، وصنعتة تعالماً. سبحان من خلقتني.

ليس في كتابي هذا من القصص إلا القليل. لم أستطع أن أمنع نفسي من سرد قصة امرئ القيس عندما أخرج النسوة من الغدير عاريات، ولا قصة جرير عندما دَمَعَ نُميراً بقصيدة فأخزأها. على أن الكتاب كتاب شعر.

في هذا الكتاب زبدة الشعر العربي في الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي. قد انتقيت لك أجمل وأقوى الأبيات لأهم شعراء ذلك الزمن. ولاحقت لك الشعراء المغمورين بلا كلال، ناخلاً كتب الشعر القديم نخلاً. وكانت تلك مهمة سهلة. فأما المهمة الصعبة فكانت الشرح. وقد شرحت شرحاً أصفه فقط بأنه شرح حقيقي، ذلك الشرح الذي لا يغشك بتفسير الكلمة السهلة دون الصعبة.

كنت أعرض شيئاً من عملي، وأنا في الخضم، على بعض الأصدقاء، وكلهم ألحَّ عليَّ بأن أشرح أكثر. وكنت أستجيب. غير أن اللغة القديمة عسرة، وهي تصبح، فوق عسرها، ملتوية إذ يقصرها الشاعر على أن تقعد في قالب أسمتي هو الوزن، مغطى بغطاء من الحديد السَّكَبِ هو القافية. ثم إن الشاعر القديم يعطيك نصف المعنى تاركاً النصف الآخر لخياالك. شرحت بما فتح الله علي، وما استعنت بشرح شارح قديم أو معاصر إلا ذكرت ذلك في المقدمة.

لاحاني الصديق اللغوي المدقق أحمد عبد الرحيم في اللغة ملاحاةً، وناكفني في الشرح: في طريقتي فيه، وفي فهمي لبعض الأبيات، فإن رأيتني أشرح متخذاً الأقواس حيناً، متخذاً الفواصل حيناً فهذا أثر صاحبي فيّ. وقد كظم غيظه من منهجي المتحرر ما استطاع إلى الكظم سبيلاً. وسقط الصديق الشاعر عمران القفيني على كثير من أغلاطي النحوية والمطبعية سقوط الندى، فكان يستحسن الفقرة أولاً ثم يشير برفق إلى علة فيها؛ يمسح الممرض عضدك بالوفة مسحاً لطيفاً ثم يهَيءُ سن الإبرة. قرأ عمران الكتاب كله، وخلصه من عشرات أغلاط النحو والتواء الأسلوب، علاوة على الأخطاء المطبعية التي التقطها ببراعة، أنفق في إصلاح ما اعوج من هذا الكتاب ساعات طويلة، وبتذوقه النادر والذكي للشعر شد أذري. وشجعني مثلاً يشجع المعلم تلميذه. وكانت عينا الصديق الإعلامي عبد الرحمن عثمان تحدّثان فيّ طول الوقت؛ كنت أكتب ما أكتب مستذكراً تصحيحاته الكثيرة على ما سبق من عملي. وبقيت من الأغلاط بقية سأنوء بها، أنا المتسقط عيوب الأكاديميين المدمن تفرعهم.

الشعر عزيز على قليل الموهبة. ومن قَطَّ قلمه قَطَّة نثر التوى عليه الشعر، وقلَّ نائرُ قضى حياته في النثر فأفلح في الشعر. كأنهما ضدان. والناثر الذي ينثر على مسامعك هذه الكلمات كان قد نثر كلامه في سني عمره في تقارير صحفية وبرامج إذاعية وتلفزية، وفي شرح وفي تعليم، فعز عليه الشعر. اشتاق

بعض الشوق إلى أن يقول الشعر، ولكنه لم يشق بما يكفي. والشاعر الشاعر لا يرى الدنيا ولا يعيش الحياة إلا بالشعر. يقول صاحب هذه السطور واصفاً حالته وهو قاعد يختار لقارئه قلائد شعر الشعراء، ومخاطباً «القصيدة»:

أراوغها كي تستقيم قوافيها	أخاشنها طوراً وطوراً أداريها
يخادعني منها الذي لا أريده	ويجلس كالملسوع فوق كراسيها
أعالجها لم أذخر أي حيلة	وفالجها استعصى على من يداويها
تضاحكُ مثل البكر سقت لأشيب	تظن مزاحاً ما ترى ليس يعنيها
فما انفضَّ عنها العرس حتى اختلى بها	وضاقت عليها حفرة وقعت فيها
بكت فَرَقاً، والبعل عجزاً وُعْتَةً	فليس الذي يبكيه ما راح يبكيها
تقول له: دعني، وفي سره لها	يقول: دعيني، تاه من قد غوى تيهها
ملكْتُ دنائيراً وثُقتُ إلى الصبا	وعجزي عن العذراء مني يحميها
أتيت بقاموسي وألفيتي إلى الـ	قصيدة أبغيها، وأخشى تعاليها
فألفيتها تهوى البريء ولو به	جنون، بل المجنون أقصى أمانها
فيا شعرُ، يا ولأد، يا خَلْقُ، فُتْنِي	لأنَّ علومِي شوهتني تشويها
أعاقِرْ نشراً نارُ قلبي به خَبَثُ	ولكنَّ شوقي للقصيدة يُذكيها
وأقطف شعر الآخرين فواكهاً	محرمّة، لكنْ لغيري أجنبيها
جلست على سور الحديقة وانجلي	لعينيَّ حفل راقص في مغانيها
أراهم وكل اثنين كفأً بخصرها	وخداً على خدٍ مشوا في نواحيها
سفينة نوح ذي، وربُّك راعيها	وما كنتُ، حتى لو دُعيت، بآتيها
ذروني والطوفانُ، لست بمشفق	ففي النفس طوفان وفيها الذي فيها
وما اعتزل النساءُ إلا لأنهم	سفينتهم فيهم، وفيهم موانئها
توارى شراع العمر في الموج وانقضت	حياتي، وفي نفسي أمور أوارىها

عارف حجاوي

الدوحة ٢٢ نيسان/ أبريل ٢٠١٦

١٥ رجب ١٤٣٧

امْرُؤُ القَيْسِ بنِ حُجْرٍ (١٢٠ ق هـ - ٨٠ ق هـ)

قالوا قال امرؤ القيس:

(وَقَبَّلْتُهَا تَسْعاً وَتَسْعِينَ قُبْلَةً وواحدةً أُخْرَى، وَكُنْتُ عَلَى عَجَلٍ)

فإن صدقت أن هذا الشعر لامرئ القيس، فلن تكذبني عندما أقول لك
إنني شاهدت الفيل يطير بأذنيه مثلما يطير العصفور بجناحيه

ما قاله المستشرقون ونقادنا القدامى عن نحل الشعر، وما ساقه الفريقان
من قرائن على أن كثيراً من شعر الجاهلية إنما قيل في عصور متأخرة يقع في
أذني موقع الصدق، بينما تقع في أذني تلك الحملات الضارية التي شنّها
المحافظون على هذا النهج موقع الأئين الكريه.

ولست أقول إن كل بيت جاهلي منحول. ولكنني وجدت الشعر مفككاً
حيناً، أو مصقولاً صقلاً مدهشاً حيناً. ففي الحالة الأولى رأيت أن لهذا الشعر،
المفكك، أصلاً قديماً عبث به الرواة كل العبث. وفي الحالة الثانية، حالة
الشعر المصقول، رأيت أصابع الوضاعين.

على أن كل ما وصلنا من الشعر القديم تراثنا. لهذا نسوقه ونشرحه ونحفظ
بعض أبياته نتندر بها في المجالس؛ ونتمتع بهذا الشعر القديم، ونستدل به على
طرائق حياة أسلافنا. فحتى الموضوع منه فإنه ينبئ عن تفكير وطريقة حياة
المكذوب عليهم. فقبيلة تغلب التي وقعت بأيديها قصيدة عمرو بن كلثوم التغلبي
الجاهلي كانت تحفظها وتزيد فيها وتبالغ في تهذيبها كي تظل راية فخر ترفعها
تغلب. فإذا جاء شويعر تغلبي وأضاف إلى القصيدة بيتاً لا يشبه الشعر
الجاهلي، جاء آخر أدري منه بالشعر القديم وأصلح البيت أو نفاه، حتى تظل

القصيدة جاهلية في أسلوبها. وليس بعيداً أن ينشد الخمسون شاعراً تغلياً الذين كانوا يجتمعون إلى الأخطل - فيما زعم جرير - ويساعدونه في الشعر، أبيات ابن كلثوم بعد أن يستبد بهم السكر، وليس بعيداً أن يغيروا في تلك الأبيات الكثير. ولعلهم كانوا خمسة شعراء لا خمسين، هل وصلت الفكرة؟

أما بجاهلية الشعر الجاهلي أم لم نؤمن، هو تراثنا. وهو يقص علينا قصص الجاهلية، وينقل إلينا قيمها.

وبعد أن بيناً لك موقفنا صريحاً من معركة الشعر الجاهلي، نضع السلاح. فلا شأن لنا بمعركة وقعت في النصف الأول من القرن العشرين وكانت ذخيرتها السباب.

حياة امرئ القيس

قد بنى أصحاب الأخبار حياة امرئ القيس من السقف إلى الأساس، لا العكس. فقد جمعت لديهم كومة من الأشعار، وكومة من الأخبار. وكومة الأشعار أثنى من كومة الأخبار، فجعلوا الشعر منطلقهم وركبوا عليه لامرئ القيس حياة. والأشعار والأخبار كلاهما اختلاقات، ولكن لا تنس أن هذه الأساطير وتلك الأشعار قد جعلتها العرب أساساً بنت عليه شعرها، وشكلت بها الذائقة الأدبية لأجيال متعاقبة من أبنائها. نحن في أسر هذه الأسطورة التي اسمها امرؤ القيس. ومن كومة الأشعار اخترنا لك ما هو طريف وجميل، ومن كومة الأخبار - وما أشد ما هي متضاربة - لفقنا لك صورة متسقة.

ولد شاعرنا سنة ١٢٠ قبل الهجرة - منظرنا مضحك ونحن نحدد تاريخاً دقيقاً لميلاده، وكأننا شهدنا هذا الميلاد في مستشفى القصر العيني -، وكان جده ملكاً كبيراً، وزَّع نفوذه بين أولاده الخمسة. فعلى هذا كان أبو امرئ القيس، واسمه حُجر، ملكاً صغيراً على بني أسد. والملك في العربية القديمة تعني السيد أو الوالي المتصرف في منطقة أو في مجموعة قبائل. وكان حُجر قاسياً قتلًا للناس.

ولكنه لم يسيطر على ابنه، فكان شاعرنا يلهو بالخيل، وبالنساء، ويشرب الخمر. ويفاخر بكل ذلك، وإن رأى الدارسون أنه كان مفركاً، أي تكرهه النساء. ولا عجب فالنساء يكرهن الشهواني، الذي لا يريد منهن إلا ذلك الشيء، ويحببن الرجل الذي يكتر من الغزل الناعم، ولا تظهر في عينيه شرارات الشهوة إلا لماماً. فالمرأة مخلوق طبيعي يريد من الشهوة أن تؤدي غرضاً في حفظ النوع، والرجل مخلوق مريض بعِلَّتِي الغلظة والتسلط.

ولأن حُجْرَ الأب متسلط قاس قتلته بنو أسد. لم تقتله لأنه من قبائل اليمن، من كندة، فهذا لم يكن في اعتبارهم، فقبائل اليمن قد استوطنت الشمال منذ مئات السنين، فحكم العراق المناذرة وهم يمن، وحكم الشام الغساسنة وهم يمن، وعمرت يثرب الأوس والخزرج وكلتاها يمن. ثم إن الملك حجر متزوج من ربيعة، فأم امرئ القيس ربيعة لا يمانية.

عندما ورد الخبر بقتل حُجْر كان ولده الشاعر جالساً يلعب النرد ويشرب الخمر. قال لصاحبه: ارم، لا أفسدُ عليك دستك. وعندما اكتمل دست النرد، انبرى امرؤ القيس وقال عن أبيه: «صَبَّغَنِي صَغِيرًا وَحَمَّلَنِي دَمَهُ كَبِيرًا، لَا صَحْوَ الْيَوْمِ، وَلَا سَكْرَ غَدًا. الْيَوْمَ خَمْرٌ وَغَدًا أَمْرٌ». وبدأ شاعرنا رحلة العذاب والقلق.. رحلة الأخذ بالثأر.

وأصاب في أسد مقتلة، ولكنها لم تشف غليله. فتوجه نحو الروم يطلب النجدة، تاركاً أسلحته عند السموأل بن عادياء في حصنه الأبلق بتيماء في شمال الجزيرة العربية. وأخذ معه صاحباً، قيل هو الشاعر عمرو بن قميئة. ورحب به ملك الروم، وقيل إن امرأ القيس أساء الأدب في بلاط سيد بيزنطة، أليس عاهراً يعبت مع النساء؟ فبعث إليه الملك ثوباً مسموماً، فلبسه امرؤ القيس، فأخذ جلده يتقرح. وما وصل أنقرة حتى مات، وبأنقرة دفن. ومن هنا لقب امرئ القيس: ذو القروح.

أشهر شعر امرئ القيس معلقته. وله سوى ذلك قليل من القصائد المشهورة، وبضعة أبيات سائرة، وله قصيدة لا يصدق عاقل أنها قيلت في ذلك الزمن أصلاً، ولكنها منسوبة إليه ومشهورة، وقد أوردنا منها قطعة صالحة.

١ قفا نيك (المعلقة)

قصة القصيدة: بَيَّنَّا امرؤ القيس يسير راكباً ناقته إذ سمع أصواتاً من ناحية الغدير، فمال إليه فإذا فتيات قد خلعن ملابسهن وجعلنهن ناحية، ونزلن في الغدير يبتردن. فنزل عن ناقته وجلس على ملابسهن. وحلف لا ينصرف أو يخرجن إليه واحدة واحدة فتأخذ كل فتاة ثوبها. فخرجت إليه «أوقهجن»، - وأوقهجن هذه أتذكُّرها من شرح الزوزني -، فأخذت ثوبها، ثم تلتها أخرى فأخرى. وبقيت، ساترةً جسمها في الماء، ابنة عمه عنيزة (أو فاطمة). ثم خرجت. فرأها مقبلة ثم مدبرة. ثم أعطها ثوبها. - ومقبلة ومدبرة هذه من الزوزني، والقصة عموماً رواها الفرزدق، وعنه بإسناد نقلها صاحب الأغاني، ولعلها من بنات خيال الفرزدق الداصر -، وقلن له: يا امرأ القيس، نحن

جائعات. فأضرم ناراً وعقر ناقته وشوى لهن لحمها. وقال لي صبحي الموريتانيون إن لحم الناقة - ولم أذقه قط - طري. وأخذت الفتيات يأكلن ويتضاحكن. وآن أن ينصرفن، فقال لهن امرؤ القيس: فلتحملني عزيزة على ناقته، فعزمن عليها فحملته، فأخذ يدخل رأسه حيناً بعد حين في هودجها فيقبلها. وقال قصيدته:

قِفَا نَبِكَ مِنْ ذُكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمِلٍ
يخاطب صديقه: قفا ناقتكما (أوقاهما) كي نبكي على أطلال الحبيب وتذكره هنا في «سقط اللوى» بين ذينك الموضعين.

فَتُوضِحَ فَالْمِقْرَاءَ لَمْ يَعْفَ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ
وثمة مواضع أخرى منها «توضح» و«المقراة». ولم يعف رسمها ولا اتحنى لأن الريح كانت كأنها تنسج نسيجاً، فريح الشمال تغطي المكان بالرمل وتأتي ريح الجنوب فتبعد الرمل عنه، فلا يتراكم عليه الرمل ويبقى مكشوفاً.

تَرَى بَعَرَ الْأَرَامِ فِي عَرَصَاتِهَا وَقِيعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبٌّ فَلْفَلٍ
تري بعر الآرام (الظباء) في عرصات (ساحات) ديار المحبوبة وقيعانها (سهولها) كأنه حب الفلفل.

كَأَنِّي عِدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا لَدَى سَمُرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفٌ حَنْظَلٍ
يوم الفراق عندما حملوا أمتعتهم ورحلوا كنت واقفاً عند شجرات الطلع، وهي السمرات، أبكي وكأنني ناقف حنظل، أي الذي يشق الحنظل بظفره فيتطاير منه رذاذ فيسيل دمه.

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيبُهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ
يقف أصحابي نياقهم، أي يوقفونها، عليّ، أي من أجلي، ويقولون لا تهلك أَسَى وتجمل (اصبر).

وإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ
وشفائي مما بي من لوعة دمة سائلة؛ ولكن، هل هناك فائدة من الوقوف على رسم محوٍ.

كَذَايْكَ مِنْ أُمِّ الْحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أُمُّ الرَّبَابِ بِمَاسَلٍ
يخاطب نفسه: هذا شأنك يا امرأ القيس مع حبيبتين سابقتين في موضعين آخرين:

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمَسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيًّا الْقَرْنُفَلِ
إذا وقفت هاتان الحبيبتان وتحركتا فاح منهما المسك، كأن رائحته رائحة القرنفل جاءت بها ريح الصبا

فَفَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً عَلَى النَّخْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِي مَحْمَلِي
تفيض دموعي صباباً وعشقا فتصل إلى أعلى صدري حتى لتبل محملي، أي علاقة سيفي.

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ وَلَا سَيِّئًا يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلْجُلٍ
رب يوم غير محزن خلافاً ليوم وقوفك بالأطلال، كان لك معهن، وخصوصاً يوم دارة جلجل،
التي فيها لقيت الفتيات المبتدرات.

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِئَتِي فَيَا عَجَباً مِنْ رَحْلِهَا الْمُتَحَمِّلِ
يومها ذبحت ناقتي للعذارى، فيا عجباً من رحل ناقتي ومتاعي كيف بقي ملقى بينما ذهبت الناقة.

فَظَلَّ الْعَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا وَشَحْمُ كَهْدَابِ الدِّمْقَسِ الْمُفْتَلِ
صرن من لهوهن يتراشقن بلحم الناقة، وبالشحم الذي يسيل على معاصمهن خيوطاً خيوطاً كأنه
خيوط الحرير المفتولة.

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخِذْرَ خِذْرَ عُنْبِزَةٍ فَقَالَتْ لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجَلِي
وفي ذلك اليوم دخلت خدر عنبرة، أي هودجها، فكانت تقول: ويلك، سترميني عن الناقة.

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيطُ بِنَا مَعاً: عَقَرْتُ بَعِيرِي يَا امْرَأَ الْقَبَسِ، فَاَنْزِلِ
ويميل الهودج بنا فتقول: تكاد تجعل بعيري يبرك على قوائمه، فانزل:

فَقُلْتُ لَهَا: سِيرِي وَأَرْخِي زِمَامَهُ وَلَا تُبْعِدِينَا مِنْ جَنَّاكِ الْمُعَلِّ
قلت لها: سيرِي وأرخي مقود البعير، ولا تبعديني عن قطف قبلااتك الممتعة التي أتعلى بها وأستأنس.

فَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَفْتُ وَمُرْضِعٍ قَالَتْ هَيْئُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُحَوِّلِ
ولي غراميات، فقبلك ربّ امرأةٍ حبلى أتيتها ليلاً، فجعلتها تنشغل عن طفل رضيع محول، عمره
حوّل أي سنة، قد علقت بعنقه قلادة التمام (الحفظه من الشر):

إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفْتُ لَهُ بِشِيقٍ وَنَحْنِي شِيقُهَا لَمْ يُحَوِّلِ
وكانت كلما بكى طفلها مالت بجسمها إليه، ونصفها الآخر ما زال تحتي.

أَفَاطِمُ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلِّ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَرْمَعْتَ صَرْمِي فَأَجْمَلِي
يا فاطمة، لا تكثري من الدلال، وإن كنت ناوية أن تهجريني فاعلمي ذلك برفق.

وَإِنْ كُنْتَ قَدْ سَاءَتْكَ مِنِّي خَلِيقَةٌ فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسُلِ
إن ساءك مني طبع، فلتفترق مثلاً بيتعد جسمك عن جسمي وينسحب ثوبي عن ملامسة ثوبك

أَغْرَكَ مِنِّي أَنَّ حُبَّكَ قَاتِلِي وَأَنَّكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ؟
هل انخدعت لأنك رأيت حبك قاتلي؟ ولأن قلبي يطاوعك في كل ما تأمرين؟

وَأَنْتِ قَسَمْتَ الْفُؤَادَ فَنَصُفُهُ قَتِيلٌ، وَنُصْفٌ فِي حَدِيدٍ مُكَبَّلٍ

ولأنك جعلت فؤادي نصفين: نصفاً مات عشقاً، ونصفاً ظل مأسوراً

وَمَا ذَرَقْتُ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبَنِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلٍ

وما تنزل دموعك إلا كي تضربي سهمي عينيك في قلبي القليل. وفسروا السهمين بسهمي الميسر، المعلى والرقيب، اللذين ينالان عشرة أنصباء من الناقة سبعة للأول وثلاثة للثاني

وَبَيْضَةَ خَيْلٍ لَا يُرَامُ خَبَاؤُهَا تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرِ مُعْجَلٍ

رب فناة ناعمة بيضاء في خلدوها، وراء سترها. وخبأؤها، أي خيمتها، لا سبيل لأحد عليه لأنها بنت قوم أقوىاء، وهذه الفتاة أتيتها وتمتعت باللهو معها على راحتي

تَجَاوَزْتُ أَحْرَاساً إِلَيْهَا وَمَعَشِراً عَلَيَّ حِرَاصاً لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي

وقد جتتها بعد أن خاتلت الحراس والقوم الحريصين على قتلي لو أنهم يستطيعونه سراً

فَقَالَتْ: يَمِينَ اللَّهِ مَا لَكَ حِيلَةً وَمَا إِنِّي أَرَى عَنْكَ الْعَمَايَةَ تَنْجَلِي

قالت: والله، لا حيلة لي فيك، ولا أرى أن ضلالك يزول

خَرَجْتُ بِهَا أَمْشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَا عَلَى أَثَرَيْنَا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحَّلٍ

خرجت مع فتاتي، وهي تجر وراءنا ذيل ثوبها الموشى لتعفيه وإزالة الأثر

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى بِنَا بَطْنُ حَبْتٍ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلٍ ..

فلما قطعنا ساحة القوم، وأخذنا ناحية بعيدة في بطن الخبت، أي وراء الكتيب ذي الرمل المتصلب المتعقد ..

هَضَرْتُ بِفُؤُودِي رَأْسَهَا فَتَمَايَلَتْ عَلَيَّ، هَضِيمَ الْكَشْحِ رِيًّا الْمُخْلَخَلِ

ثبتت رأسها بفؤودي بجانب رأسي، في عناق، فتمايلت علي، وهي ذات خصر ممشوق، وساقين ممتلئتين، والمخلخل موضع الخلخال من الساق. وأحب العرب، وغير العرب، المرأة ذات الساق المتينة، وكرهوا الساق الحُمَشَة الدقيقة في رجل وفي امرأة. وكان معيار الجمال الفطري هو أن يكون الشريك قوياً، والساق الغليظة دليل قوة

مُهْفَهْفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنَجَلِ

هيفاء دقيقة الخصر، بيضاء، غير مكترشة البطن، وترائبها (أعلى صدرها) مصقولة كالسجنجل (المرأة)

وَجِدِّ كَجِدِّ الرُّثْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ تَصَنَّتْهُ وَلَا بِمُعْطَلٍ

لها عنق كعنق الظبي ليس بالغ الطول عندما تمده، فهو ليس في طول عنق الظبي تماماً، وليس معطلاً أي خالياً من الحلي

وَلَيْلِ كَمْوَجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي

رب ليل كأنه موج البحر، وقد أرخى أمتاره علي، ومعها نزلت الهموم لتبتليني

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَزْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءً بِكُلِّكَ لِي:

قلت لليل لما مد ظهره فوقي، ولما وضع أعجازه أيضاً أي قوائمه الخلفية، وناء بكلكله أي وضع صدره... يشبه الليل ببعير يرك فوقه بكل جسمه فكان ثقيلاً ثقيلاً..

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِ بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْتَلٍ

انصرف أيها الليل، وليأت بعدك الصباح، ولو أن الصبح ليس أفضل منك حالاً

فَبَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارٍ الْقَتْلِ شُدَّتْ بِبِذْبُلٍ

أنت باق لا تنصرف أيها الليل فكان نجومك مربوطة إلى جبل يذبَل بحبال قوية أجيد قتلها

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِيهَا بِأَمْرَاسٍ كَثَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ

وكان نجوم الثريا معلقة في موضعها بحبال كتان، ومشدودة إلى صخر أصم

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَبْدِ الْأَوَابِدِ مَبْكَلٍ

إنني لأخرج باكراً، والطير بعد في أعشاشها، على حصان قصير الشعر، سريع إلى درجة أنه يوازي الظباء والسباع في سرعته فكانه يقيدها تقييداً، وهو هيكَل أي ضخم

مِكْرٌ مِقْرٌ مُقْبِلٌ مُذْبِرٌ مَعَاً كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عِلٍ

حصاني يتحرك بنشاط يكر ويفر ويقبل ويذير بسرعة كأنه يفعل كل هذا في الوقت نفسه، وهو سريع سرعة صخرة هوت منحدرة من الأعالي مع سيل جارف

لَهُ أَيْطَلَا ظَلْبِي وَسَاقًا نَعَامَةً وَإِرْخَاءً سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَشْفُلٍ

لحصاني خاصرتان دقيقتان كخاصرتي الطي، وساقان كساقِي النعامة، وله إرخاء، أي ركض ذو إيقاع منظم، كركض الذئب، وله تقريب، أي قفز بوضع الرجلين موضع اليدين، كتقريب الثعلب

أَصَاحَ تَرَى بَرْقاً أُرِيكَ وَمِیْضَهُ كَلَمْعِ الْبَيْدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلٍ

يا صاحبي هل ترى البرق؟ دعني أريك وميضه، وعلى ضوئه ترى يديك تلمعان في الغنمة وسط الغيم الكثيف

كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَانِيْنٍ وَبَلِيٍّ كَبِيرٍ أَنَاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ

الغيم يكلل جبل ثبير، فكان الجبل وسط الغيم الماطر شيخ قبيلة متلفع بثوبه

كَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ الْمُجَيِّمِ غُدُوَّةٌ مِنَ السَّيْلِ وَالْعُثَاءِ فَلَكَّةٌ مِغْرَلٍ

كان أعالي جبل المجيم صباحاً، من السيول وما تحمله من أغصان، المغزل المدبب الرأس الذي تسدل عليه الخيوط

كَأَنَّ مَكَائِيَّ الْجَوَاءِ غُدِيَّةً صُبِحْنَ سُلَافاً مِنْ رَحِيقِ مُقْلَقَلٍ

كان طيور الوادي في الصباح، وهي تطير مضطربة بسبب المطر، سكرانة قد شربت خمراً

كَأَنَّ السَّبَاعَ فِيهِ غَرَقَى عَشِيَّةً بِأَرْجَائِهِ الْقُضْوَى أَنَابِيَشُ عُنْضَلٍ

تبدو الحيوانات النافقة الغرقى في السيول - ونراها من بعيد - مثل البصل البري المنبوش من الأرض نصفه في التراب ونصف فوقه كيف كنا نستمتع بهذه القصيدة؟ كنا نحفظها ونرددناها، لا غير. ولو نظرت في شروح الشراح الكثر، وفي اضطرابهم الشديد في شرح كل بيت من أبياتها، لقلت لنفسك: فعلاً هذا كلام يمكن لكل امرئ أن يفهمه كما يريد. عموماً، كنا ونحن صبية نحفظها ولا نكلف النفس بفهمها. هي ذلك القلب الذي صب فيه الشعر العربي نفسه. هذه هي أم الشعر العربي. والمعنى العام مفهوم على كل حال

٢ صبور غير فرار

فَلَا وَأَبِيكَ ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ- لَا يَدْعِي الْقَوْمُ أَنِّي أَفَرٌّ

قسماً بأبيك يا ابنة العامري، لا يزعمن القوم أنني أفر من القتال

تَمِيمُ بْنُ مُرٍّ وَأَشْيَاعُهَا وَكِنْدَةُ حَوْلِي جَمِيعاً صُبُرٌ

ف قبيلة تميم ومن والاها، وكذا كندة، ينصرونني ويصبرون معي

وَأَرْكَبُ فِي الرَّوْعِ خَيْفَانَةً كَسَا وَجْهَهَا سَعَفٌ مُنْتَشِرٌ

وأركب في الروع، أي الحرب، خيفانة، أي فرساً سريعة، ينزل شعر رأسها على وجهها كأنه سعف النخل. وسلق قدماء النقاد امرأ القيس سلقاً على هذا البيت، فالفرس الأصلية لا توصف بأن شعرها يكسو وجهها. . ولعله يرد عليهم ويقول: تلك فرسي وأنا حر

٣ الطلل البالي

أَلَا عِمَّ صَبَاحاً أَبْهَا الطَّلُّ الْبَالِي وَهَلْ يَعْمَنُ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي؟

صباح الخير أبها الطلل الخرب حيث كان ينزل قوم الحبيبة، وأي صباح وأي خير لمن كان يتسبب إلى العُصر الخالي، أي الزمن القديم!

وَهَلْ يَعْمَنُ إِلَّا سَعِيدٌ مُخَلَّدٌ قَلِيلُ الْهُمُومِ، مَا يَبِيتُ بِأَوْجَالٍ

وما الخير إلا للسعيد الذي أدخل إلى الراحة بلا هموم ولا مخاوف

وَهَلْ يَعْمَنُ مَنْ كَانَ أَحَدْتُ عَهْدِهِ ثَلَاثِينَ شَهْراً فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ

وهل الخير لمن كان آخر عهده بالناس ثلاثين شهراً، أو نحو ثلاث سنين، ومنذ ذلك الحين حل به الخراب، كهذا الطلل البالي؟

دِيَارُ لِسْلَمَى عَافِيَاتُ بِنْدِي خَالٍ أَلَحَّ عَلَيْهَا كُلُّ أَسْحَمَ مَطَّالٍ

هذه ديار سلمى العافيات، الممحو أثرهن، في موضع «ذي خال»، وقد زاد في محو الأثر السحاب الأسود الهطال

لِيَالِي سَلَمَى إِذْ تُرِيكَ مُقْصَبًا وَجِيدًا كَجِيدِ الرُّمِّ لَيْسَ بِمِعْطَالٍ

في تلك الليالي كان يبدو من سلمى شعرها ذو الخصل وعقها الذي كعق الغزال، غير أن عقها تميز بأنه ليس معطالاً بل محلى بالقلائد

أَلَا زَعَمْتَ بَسْبَاسَةَ الْيَوْمِ أَنَّنِي كَبِرْتُ، وَأَنْ لَا يُحْسِنُ اللَّهُ أَمْثَالِي

زعمت «بسباسة»، هذه الحبيبة الأخرى، أنني كبرت ولم يعد لاثقاً بي اللهو

كَذَبْتُ، لَقَدْ أَضْبِي عَلَى الْمَرْءِ عِزَّهُ وَأَمْنَعُ عِرْسِي أَنْ يُزْنَ بِهَا الْخَالِي

كذبت يا بسباسة، فأنا أغوي الزوجة عن بعليها، وأمنع زوجتي أن يُزْنَ بها، يزني بها، رجل أعزب

وَيَا رَبِّ يَوْمٍ قَدْ لَهَوْتُ وَلَيْلَةٍ بِأَنَسَةٍ كَأَنَّهَا خَطٌّ ثَمَالٍ

ما أكثر ما لهوت بفتاة جسمها كأنه الثمال

يُضْيِئُ الْفِرَاشَ وَجْهَهَا لِضَجِيعِهَا كَمَصْبَاحٍ رَزِيَتْ فِي قَنَادِيلِ دُبَالٍ

ووجهها يضيء فراش من ينام بجانبها، فكان وجهها مصباح فيه زيت وله ذبالة، أي فتيل

إِذَا مَا الضَّجِيعُ ابْتَزَّهَا مِنْ ثِيَابِهَا تَعْمِلُ عَلَيْهِ هَوْنَةً غَيْرَ مِجْبَالٍ

إذا أخرجها الضجيع من ثيابها، مثلما يخرج المرء البيضة المسلوقة من قشرتها، فإنها تعمل عليه بدلال، وليست مجبالاً ولا خشة الطباع

لَطِيفَةٌ طَيِّ الْكَشْحِ غَيْرُ مُفَاضَةٍ إِذَا انْفَلَتَتْ مُرْتَجَّةٌ غَيْرَ مِثْقَالٍ

دقيقة الخصر، غير سميئة، وإذا انفلتت وتحركت فهي مرتجة الكفل، وهي غير رديئة الرائحة

تَنَوَّرَتْهَا مِنْ أَذْرَعَاتٍ وَأَهْلُهَا يَبْثُرُ أَذْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالٍ

رأيت نار قوم الحبيبة وأنا في أذرعَات (لعلها درعا بجنوب سوريا)، وقومها يبرث؛

مع أن المكان الذي يمكن منه رؤية نارهم هو النظر العالي (والنظر العالي: أقصى ما

يحصله البصر من رأس جبل)، فأنا رأيته بإحساسي لا بنظري

نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لِقَفَالٍ

كانت النجوم لامعة كأنها المصابيح التي يضيئها الرهبان لهداية القوافل، ولعل القوافل كانت تلجأ إلى الأديرة في سفرها فيشرب الشاربون ويأكل الآكلون . . ويدفنون

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَمَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُوَ حَبَابِ الْمَاءِ خَالًا عَلَى خَالٍ

صعدت إلى المحبوبة بعد أن نام أهلها، مثلما تصعد الفقاقيع إلى وجه الكأس

فَقَالَتْ: سَبَاكَ اللَّهُ، إِنَّكَ فَاضِحِي أَلَسْتَ تَرَى السَّمَارَ وَالنَّاسَ أَخَوَالِي

قالت: سبابك الله، أي بعداً لك، مستفضحني، ألا ترى الساهرين والناس حولنا؟

فَقُلْتُ: يَمِينِ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي

قلت: والله لن أبرح مكاني، ولو قتلوني وأنا عندك

حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ حَلْفَةً فَاجِرٍ لَنَامُوا، فَمَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالٍ

حلفت لها كاذباً أن القوم ناموا، وليس هناك صوت حديث ولا هناك من يصطلي بالنار استدفاعاً

فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْمَحْتُ هَمَصْتُ بِغُصْنٍ ذِي شَمَارِيخٍ مَبَالٍ

لما تبادلنا الحديث، وأسمحت ولانت، همصت، أي عطفت جسمها ومالت بشعرها ذي الشماريخ الذي كأنه عذق نخلة، ولعلها كانت تشغل أطراف الخصل بالخرز فعل فتيات إفريقيا

وَصِرْنَا إِلَى الْخُسْنَى، وَرَقٌ كَلَامُنَا وَرُضْتُ، فَذَلْتُ صَعْبَةً أَيْ إِذْلالٍ

وانسجم الجو بيننا، ورق الكلام، وأصبحت هينة بعد ترويض كالناقة الصعبة التي يذلها ويروضها صاحبها

فَأَصْبَحْتُ مَعشُوقًا، وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا عَلَيْهِ الْقَتَامُ سَيِّءُ الظَّنِّ وَالْبَالِ

وعشقتني، وأما بعلمها لعنة الله عليه، فكان سيء ظن بها

يَعُظُّ غَطِيطَ الْبَكْرِ شُدَّ خِنَافُهُ لِيَقْتُلَنِي وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِقَتَالٍ

نام زوجها وهو يشخر شخير البعير إذا شد خنقه بالجل، ويحلف أنه سيقتلني ولكنه جبان لا طاقة له بالقتل

أَيَقْتُلَنِي وَالْمَشْرِفِي مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرُقٌ كَأَنْيَابِ أَعْوَالٍ

وكيف يقتلني وبجانبي السيف، وممي رماح ذات أسنة زرق كأنها أنياب الغول

وَقَدْ عَلِمْتُ سَلَمِي، وَإِنْ كَانَ بَعْلُهَا بِأَنَّ الْفَتَى يَهْذِي وَلَيْسَ بِفَعَالٍ

وقد علمت سلمى - حتى وإن كان هذا الرجل بعلمها الذي من حقه أن يغار عليها - بأنه يهذي بالكلام فقط، وليس فعلاً لما يقول

وَبَيْتِ عَذَارَى يَوْمَ دَجْنٍ وَلَجْنُهُ يَطْفُنَ بِجَمَاءِ الْمَرَافِقِ مِكْسَالٍ

ورب بيت للعذارى - ما أراه إلا ماخور مومسات لا عذارى - دخلته يوم دجن، أي في يوم غائم، والفتيات يتحلقن حول فتاة مدللة كسلانة ممتلئة الجسم، حتى إن مراقفها لا تبين لأنها مكسوة بالشحم

صَرَفْتُ الْهَوَى عَنْهُمْ مِنْ خَشْيَةِ الرَّدَى وَلَسْتُ بِمَقْلِي الْخِلَالِ وَلَا قَالٍ

ابتعدت عنهم خشية الموت، لا لأنني مقلي الخلال، مكروه الطباع، ولا لأنني كاره لهم

كَأَنِّي لَمْ أَزْكَبْ جَوَادًا لِّلنَّعَةِ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَامِعًا ذَاتَ خُلْخَالٍ

كأنني لم أركب حصاني لمجرد متعة الركوب، وكأنني لم ألتصق بطناً لبطن بكاعب، فتاة نهد صدرها، ذات خلخال

وَلَمْ أَسْبِلِ الرِّزْقَ الرَّوِّيَّ، وَلَمْ أَقْلُ لِحْيَلِي كُرِّيَّ كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالٍ

وكانني لم أشر زق الخمر الممتلئ، ولم أقل لخليي كروي في المعركة بعد أن أجفلت

وَقَدْ أَغْتَدِي، وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا، لِعَيْنِي مِنَ الْوَسْمِيِّ رَائِدُهُ خَالٍ

كثيراً ما كنت أبكر والطير بعد في أعشاشها، مرتاداً لقومي مكان المطر حيث لم يصل رائد قبلي

كَأَنِّي بِفَتْخَاءِ الْجَنَاحَيْنِ لِقْوَةَ صَيُودٍ مِنَ الْعُقْبَانِ طَاطَأْتُ شِمْلَالِي

كأنني، إذ أطأطي رأسي فوق فرسي وهي تعدو، راكب عقاباً سريعة ذات جناحين

تَخَطَّفُ خِرَازَانَ الشَّرْبَةِ بِالضُّحَى وَقَدْ حَجَرَتْ مِنْهَا ثَعَالِبُ أَوْرَالٍ

كان هذه العقاب تحلق ثم تنقض على الخزان، أي الأراب، في موضع الشربة، والثعالب في موضع أورال قد اختبأت خوفاً من العقاب

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكُرِّهَا الْمُتَابِ وَالْحَشْفُ الْبَالِي

وفي وكر العقاب قلوب الطيور المتخلقة بعد اقتراسها، فمن هذه القلوب ما هو رطب محمر كثر الغناب، ومنها اليابس الذي يشبه الثمر الجاف

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْمَى لِأَذْنِي مَعِيشَةً كَفَانِي، وَلَمْ أَطْلُبْ، قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ

لو أنني أسعى لتحقيق العيش المتواضع لكفاني - دون أن أتجشم الطلب والسعي - مال قليل

وَلَكِنَّمَا أَسْمَى لِمَجْدٍ مُؤْتَلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤْتَلُ أُنْثَالِي

لكنني أسعى للمجد المؤتل، العريق، ومثلي من سعى لهذا وأدركه

٤ أم جندب

خَلِيلِي مَرًّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبٍ نُقِضَ لِبَائِنَاتِ الْفُؤَادِ الْمُعَذِّبِ

هيا لنمر يا صاحبي على «أم جندب» كي تقضي حاجات الفؤاد المعذب

أَلَمْ تَرِيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وَإِنْ لَمْ تَطِيبْ

كلما جئتها ليلاً وجدت لها رائحة طيبة وإن لم تطيب بمسك أو نحوه

وَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ، وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ

مشكلة أن يفخر عليك شخص ليس لديه ما يفخر به، وأن يغلبك شخص يكون دائماً مغلوباً مع غيرك، والمرأة مخلوق ضعيف ولكنه يغلبني

إِذَا مَا رَكِبْنَا قَالَ وَلَدَانُ أَهْلِنَا تَعَالَوْا، إِلَى أَنْ يَأْتِيَ الصَّيْدُ، نَحْطِبِ

نركب للصيد ويقول الفتية اليافعون: هيا لنحطب ريشا يأتي الرجال بالصيد

فَقَطَلْ لَنَا يَوْمَ لَذِيذُ بِنْعَمَةٍ فَقُلْ فِي مَقِيلٍ نَحْسُهُ مُتَغَيِّبِ

ظللنا ناعمين في يومنا، فقل ما تشاء في هذا المقيل، نوم الظهيرة، حيث غاب النحس

نَمْشُ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفَنَا إِذَا نَحْنُ قُمْنَا عَنْ شِوَاءٍ مُضْهَبِ

نمش أهدينا بالشعر الذي على أعناق الخيل بعد أن نقوم عن الشواء المضهَّب، الذي شوي بعض شيء

فَلِلْسَاقِ أَلْهُوبٌ وَلِلْسَوِّطِ دَرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعٌ أَهْوَجِ مِنْعَبِ

ساق الفرس لها ألْهُوبٌ، أي تثير الغبار عندما أهمزها بمهمازي، ومن وقع سوطي يدر جريها ويزيد، وعندما أزجر الفرس وأصرخ بها يقع ذلك منها موقعه من الأمواج الصخاب فتسرع وتجن جنونا

كَأَنَّ عُيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا وَأَرْحُلِنَا، الْجَرْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبِ

عيون الوحش، الحيوانات غير الداجنة من ظباء وبقر وحشي، التي نراها حول خيمتنا ومتاعنا تشبه الخرز غير المثقوب

٥ في الطريق إلى قيصر

قال وهو في طريقه إلى بيزنطة للقاء ملك الروم:

تَقَطَّعْ أَسْبَابُ اللَّبَانَةِ وَالْهَوَى عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حِمَاةَ وَشِيرَا

تقطع جبال الحاجات والهوى بيتنا وبين بلادنا عندما نتجاوز بلدي حماة وشير شمالاً نحو الروم

نَشِيمُ بُرُوقَ الْمُزْنِ، أَيْنَ مَصَابُهُ وَلَا شَيْءَ يَشْفِي مِنْكَ يَا ابْنَةَ عَفْرَا

نراقب البرق بين السحاب، وتتوقع المكان الذي سيزل فيه المطر، ولكن هذا لا يشغلنا عن المحبوبة فلا شيء ينسينا إياها

مِنْ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحَوَّلٌ مِنْ الدَّرِّ فَوْقَ الْإِنْبِ مِنْهَا لِأَثَرَا

هذه امرأة تغض بصرها خجلاً، وهي ناعمة لو دب نمل صغير فوق إبتها، أي ثوبها المنزلي الذي بلا كُمَيْنَ، لأثر ديبه في جلدها لنعومتها

فَدَعُ ذَا، وَسَلَّ الهمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ دَمُولٍ، إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّرَا

فاترك هذا الأمر، وتسَلَّ عن الهم بجسرة، أي ناقة ضخمة، دمول سريعة، إذا ما صام النهار، أي ارفع، وكانت الظهيرة

تُقَطَّعُ غِيْطَانًا كَأَنَّ مُتُونَهَا إِذَا أَظْهَرْتَ تُكْسَى مُلَاءٌ مُنْشَرًّا

تقطع هذه الناقة السهول. ومتون السهول، أي ما يتخللها من ربي، تصبح كأنها مكسوة برداء مفروش إذا أظهرت، أي دخلت عليها الظهيرة

كَأَنَّ الْحَصَى مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا إِذَا نَجَلْتَهُ رَجُلُهَا حَذَفَ أَغْسَرًا

تسير الناقة وترمي برجليها الحصى يميناً وشمالاً مع سرعة السير فكأنها تحذفها وترشقها حذف رجل أعرس يعمل بشماله

كَأَنَّ صَلِيلَ الْمَرَوْ حِينَ تُشِذُّهُ صَلِيلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَدْنَ بِعَبْقَرَا

يشبه صليل المرو، أي صوت الحجارة، حين تفرقها الناقة، بصوت الدراهم الزائفة التي يتقدمها الصراف بأصابعه فاحصاً إياها في مكان «عبر»، وعبر بلد الجن، وما كنت أعلم من قبل أن فيه محلات صرافة

عَلَيْهَا فَتَى لَمْ تَحْمِلِ الْأَرْضُ مِثْلَهُ أَبَرَّ بِمِيتَانِي وَأَوْفَى وَأَضْبَرَا

فوقها فتى ليس في الدنيا مثله من حيث الوفاء بالعهد ومن حيث وفرة الصبر. . فوق هذه الناقة أنا

وَلَوْ شَاءَ كَانَ الْعَزُؤُ مِنْ أَرْضِ حِمِيرٍ وَلَكِنَّهُ عَمْدًا إِلَى الرُّومِ أَنْفَرَا

لو شاء هذا الفتى جاء بجيش من أرض اليمن، ولكنه اختار أن ينفر إلى بلد الروم

إِذَا نَحْنُ سِرْنَا خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَرَاءَ الْحِسَاءِ مِنْ مَدَافِعٍ قَيْصَرَا

إذا تجاوزنا منطقة الحساء، الأرض المطننة السهلية من مدافع، أي حمى وبلاد، قيصر بخمس عشرة ليلة. .

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرَبَ دُونَهُ وَأَيَّقَنَ أَنَا لِاحِقَانٍ بِقَيْصَرَا

عندما رأى صاحبي الدرب، الطريق الجبلي المؤدي إلى بلاد الروم، بكى، وتيقن من أننا ذاهبان فعلاً إلى قيصر. كان امرؤ القيس قد اصطحب شاعراً جاهلياً عتيقاً هو عمرو بن قميئة إلى أرض الروم. وقصدها امرؤ القيس يطلب المدد حتى يستعيد ملك أبيه المقتول

فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَبْكُ حَبِيبُكَ، إِنَّمَا نَحْوِلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتُ فَنُغْدَرَا

قلت له: لا تبك، فنحن نسعى وراء ملك، وإن متنا فغدرنا واضح إذ لم نقصر في محاولة استرداد الحق

إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيْتُهُ وَقَرَّتْ بِهِ الْعَيْنَانِ بُدِّلْتُ آخَرَا

كلما قلت هذا صاحب قد رضى به ذهب وجاءني غيره

كَذَلِكَ جَدِّي، مَا أَصَاحِبُ صَاحِبًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَانَنِي وَتَغَيَّرَا

كذا حظي، لا أصاحب أحداً إلا خانني وتغير علي

وَنَشْرَبُ حَتَّى نَحْسَبَ الْحَيْلَ حَوْلَنَا نِقَادًا، وَحَتَّى نَحْسَبَ الْجَوْنَ أَشْقَرًا
ونجلس نشرب الخمر ونسكر حتى لنظن الخيل التي حولنا غنماً، وحتى نحسب اللون الأسود أشقرَ
(والجون كلمة تعني أسود وتعني أبيض، هي من الأضداد)

٦ عتاب حنظلة

قال يهجو بني حنظلة بعد إذ خذلوه:

أَحْنُظَلْ، لَوْ حَامَيْتُمْ وَصَبَرْتُمْ لَأَتْنَيْتُ خَيْرًا صَالِحًا وَلَا رُضَانِي
يا قبيلة حنظلة، لو دافعتم وصبرتم لأتيت عليكم ورضيت

٧ أعد الحصى

أَعْنِي عَلَى التَّهْمَامِ وَالذُّكْرَاتِ يَبِثْنَ عَلَى ذِي الْهَمِّ مُعْتَكِرَاتِ
ساعدي أيها الصديق وأنا أعاني الهموم، وأعالج ذكريات باتت تتراكم وتعتكر على صاحب الهم
ظَلِلْتُ رِدَائِي فَوْقَ رَأْسِي قَاعِدًا أَعُدُّ الْحَصَى، مَا تَنْقُضِي عِبْرَاتِي
ظلتت جالساً واضعاً ردائي فوق رأسي أداري دموعي، وأنا حائر أعبت بالحصى

٨ الدنيا فانية

لِمَنْ طَلَلْ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَحَظِّ الزَّبُورِ فِي الْعَسِيبِ الْيَمَانِي
لمن هذا الطلل الذي يبعث الحزن في قلبي، وهو يشبه حظ الزبور، أي القلم، المرقوم على سعف
النخل اليماني

لِيَالِي يَذْعُونِي الْهَوَى فَأُجِيبُهُ وَأُعِينُ مَنْ أَهْوَى إِلَيَّ رَوَانِ
في تلك الأيام الخوالي كان الحب يدعوني فأجيبه، وكانت الحبيبة تنو إلي بعينها
تَمَتَّعَ مِنَ الدُّنْيَا فَلِئَلَّكَ فَإِنْ مِنَ النِّسْوَاتِ وَالنِّسَاءِ الْحَسَانِ
تمتع بالنشوات، بشرب الخمر، وبالنساء فالدنيا فانية

٩ تخفق أكفاني

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَعِرْقَانِ وَرَسَمَ عَفَتْ آيَاتُهُ مِنْذُ أَرْمَانِ
قفا يا صاحبي نبكي ذكرى الحبيب وقد عرفنا مكان أطلال دياره، ونبكي هذا الرسم، هذا الأثر
الممحو، الذي عفت وأمحت آياته، أي علاماته، منذ زمن بعيد

أَتَتْ حِجَجٌ بَعْدِي عَلَيْهَا فَأَصْبَحَتْ كَخَطِّ زَبُورٍ فِي مَصَاحِفِ رُهْبَانٍ

مرت سنين بعد عهدي بهذه الديار، فأصبحت كخط الزبور، أي القلم، في أوراق الرهبان

ذَكَرْتُ بِهَا الْحَيَّ الْجَمِيعَ، فَهَيَّجَتْ عَقَابِيلَ سَقَمٍ مِنْ ضَمِيرٍ وَأَشْجَانٍ

ذكرت عند هذه الأطلال القوم أيام هم مجتمعون لم يفرقوا؛ فهيجت الذكرى في قلبي عقابيل، أي بقايا، مرض وبقايا أحزان

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ يَخْزَانٍ

إن لم يحفظ الإنسان لسانه فلن يحفظ لا شرفاً ولا سراً

فَلَمَّا تَرَيْنِي فِي رِحَالَةِ جَابِرٍ عَلَى حَرَجٍ كَالْقَرِّ تَخْفِقُ أَكْفَانِي

إن تريني أيتها الحبيبة متمدداً على خشبة مع صاحبي جابر والريح تهب بثيابي التي فيها سادفت فهي أيضاً أكفاني..

فَبَا رَبِّ مَكْرُوبٍ كَرَزْتُ وَرَاءَهُ وَعَانٍ فَكَكْتُ الْغِلَّ عَنْهُ فَفَدَّانِي

فلقد طالما اندفعت وراء شخص مكروب اجتمع عليه الأعداء في المعركة كي أنقذ عنه، وطالما فككت القيد عن العاني، أي الأسير، فقال لي: فذاك أبي

وَعَيْثُ كَأَلْوَانِ الْفَنَاءِ قَدْ هَبَطَتْهُ تَعَاوَرَ فِيهِ كُلُّ أَوْطَفَ حَنَانٍ

رب سهل مروى بالغيث قد نزلت فيه، وهو عامر بالأزهار الحمراء التي تشبه حب الفناء، وكانت تتوالى على السهل الغيوم بأقطارها ذات الصوت الناعم

عَلَى هَيْكَلٍ يُعْطِيكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ أَفَانِينَ جَرِيٍّ غَيْرِ كَزٍّ وَلَا وَانٍ

وكنت أكون على فرس كبير الجرم، يعطي فارسه أنواعاً من الجري دون حاجة لحث، فالفرس نشيط ولعوب، وهو غير متقبض ولا واثق، أي غير كسول. والفرس إذا كان ذكراً فهو هو، وإن كانت أنثى فهي هي

كَتَيْسِ الطَّبَاءِ الْأَغْفَرِ انْفَرَجَتْ لَهُ عُقَابٌ تَدَلَّتْ مِنْ شَمَارِيخِ ثَهْلَانٍ

فرسي كغزال فحل أعفر اللون، أبيض محمر، بدت له في الجو عقاب هبطت من قمم جبل ثهلان، فهو يركض هارباً منها

وَحَزَقِي كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفَرٍ مَضِلَّةٍ قَطَعْتُ بِسَامِ سَاهِمِ الْوَجْهِ حَسَانٍ

ورب خرق، صحراء، مقفر مثل صحراء «جوف العير» يضل فيه المرء، قطعت بهيئة ساهم الوجه، في وجهه قلق، ولكنه حسن يعجب الرائيين

يُدَافِعُ أَعْطَافَ الْمَطَايَا بِرُكْنِهِ كَمَا مَالَ عُصْنٌ نَاعِمٌ بَيْنَ أَعْصَانٍ

هذا الحصان يكون وسط الإبل فيدفعها بجانبه ويميل عليها مثلما ويميل العنص الناعم بين الأغصان

١٠ الحُرْقة

قال يهجو خالد بن سدوس:

وَأَعْجَبَنِي مَشْيُ الْحُرْقَةِ خَالِدٍ كَمْشِي أَتَانِ حُلْتُتْ فِي الْمَنَاهِلِ
ما أعجب مشي خالد الحُرقة، القصير، فهو يمشي متردداً كأنشى حمار حلت، منعت من
ورود الماء

١١ رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ

أَرَانَا مُوْضِعِينَ لِحَتْمِ غَيْبٍ وَنُسَحَرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ
نحن موضعون، مسرعون، في اتجاه أمر غامض لكنه محتوم، ونشغل بتحصيل أكلنا وشرابنا
عَصَافِيرٌ وَذِبَّانٌ وَدُودٌ وَأَجْرًا مِنْ مُجْلَحَةِ الذُّنَابِ
نحن كبقية المخلوقات الدنية، ولكننا نصرف بجرأة كالذئاب الهاجمة

فَبَغَضَ اللَّوْمِ عَاذِلَتِي فَإِنِّي سَتَكْفِينِي التَّجَارِبُ وَانْتِسَابِي
خفني من لومك يا عاذلة، فإنني تكفيني تجاربي ونسبي الوقوع في الحماقات. وفسروا البيت بغير
ذلك، ناظرين إلى ما بعده

إِلَى عِرْقِ الثَّرَى وَشَجَتْ عُرُوقِي وَهَذَا الْمَوْتُ يَسْلُبُنِي شَبَابِي
أصلي من التراب، وسوف يسلبني الموت شبابي

وَنَفْسِي سَوْفَ يَسْلُبُهَا وَجْرَمِي فَيُلْحِقُنِي وَشِيكًا بِالشَّرَابِ
وسيلبني الموت نفسي وجسمي، وسأدفن سريعاً في التراب

وَقَدْ طَوَّفْتُ فِي الْأَفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ
سافرت كثيراً، ورضيت ألا أحصل على أي غنيمة سوى العودة سالماً

١٢ نَفْسٌ تَسَاقَطُ أَنْفَسَا

تَأَوَّبَنِي دَائِي الْقَدِيمُ فَعَلَّسَا أَحَاذِرُ أَنْ يَرْتَدَّ دَائِي فَأَنْكَسَا
عاد إليّ مرضي القديم في الغلس، في الظلمة قبيل الفجر، وأخشى أن تكون هذه انتكاسة فيعود
إلي المرض

فَلَمَّا تَرَيْتَنِي لَا أَعْمَضُ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ أُكَبَّ فَأَنْعَسَا
إن كنتِ ترينني ساهراً لا أكاد أنام إلا من تكية قليلة، أي تهويم ونعاس خفيف..

فَبَا رَبِّ مَكْرُوبٍ كَرَزْتُ وَرَاءَهُ وَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ حَتَّى تَنْفَسَا
فكثيراً ما كنت أندفع وراء المكروب من صحي، المزنوق في المعركة، فأطعن الخيل المحيطة به
وأنفس كربه

وَبَا رَبِّ يَوْمٍ قَدْ أَرُوحُ مُرَجَّلًا حَبِيبًا إِلَى الْبَيْضِ الْكَوَاعِبِ أَمَلَسَا
وكثيراً ما كنت أنصرف وشعري مشعر من أجل حسن أملكس، وأنا محبوب من الفتيات البيض الشابات
أَرَاهُنَّ لَا يُخْبِئْنَ مَنْ قُلَّ مَالُهُ وَلَا مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ فِيهِ، وَقَوَّسَا
النساء لا يخبين الفقير، ولا ذا الشيب، ولا المقوس الظهر... شكرأ على المعلومة

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ جَمِيعَةً وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقُطُ أَنْفُسَا
لو أن نفسي تموت موة مفاجئة لكان ذلك أهون، ولكنها تتساقط شيئاً بعد شيء

وَبُدِّلْتُ قَرْحًا دَامِيًا بَعْدَ صِحَّةٍ لَعَلَّ مَنَايَاَنَا نَحَوَّلْنَ أَبْوَسَا
وبعد صحة أصبحت ذا قروح دامية بجسمي، فالموت قد تحول من فناء سريع إلى معاناة طويلة

١٣ الآن أشرب

يهجو بطوناً من بني أسد لخذلانهم إياه:

قُولَا لِدُودَانَ عَبِيدِ الْعَصَا مَا عَرَّكُم بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ
قولا يا صاحبي لقبيلة دودان، العبيد الذين يضربون بالعصا، ما الذي جرأكم على الأسد الباسل،
والباسل: المتجهم

قَدْ قَرَّرْتُ الْعَبْنَانِ مِنْ مَالِكٍ وَمِنْ بَنِي عَمْرِوٍ وَمِنْ كَاهِلٍ
لقد رضيت بما أوقعته بتلك القبائل الأخرى

نَطَعْنُهُمْ سُلُكًى وَمَخْلُوجَةً كَرَّكَ لِأَمِينٍ عَلَى نَابِلٍ
كنا نطعنهم سلكى، طعناً مستقيماً، ومخلوجة، طعناً من الجنب، بسرعة عجيبة كما يناول المرء
راشق السهام سهمين متوالين بأسرع من قدرته على التسديد

حَلَّتْ لِي الْخَمْرُ وَكُنْتُ امْرَأً عَنْ شُرْبِهَا فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ
بعد انتصاري عليهم تحللت من يميني بالآ أشرب الخمر، وكنت أصلاً مشغولاً عن الخمر بقتال أعدائي

فَالْيَوْمَ أَشْرَبْتُ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ إِثْمًا مِنَ اللَّهْ وَلَا وَاعِلٍ
فالآن أشرب الخمر غير مستحقب إثمًا، غير واضع في حقيتي إثمًا، وأشربها مفضلًا لا واغلاً
متطفلاً على القوم. وجعلوا «أسقى» بدل «أشرب» ليستقيم الإعراب

١٤ قَسَم

تَاللَّهِ لَا يَذْهَبُ شَيْخِي بِإِطْلَا
أَقْسَمُ أَلَا يَذْهَبُ دَمُ أَبِي هَدْرًا

حَتَّى أُبِيرَ مَالِكًا وَكَاهِلًا
حَتَّى أُبِيرَ، أَيْ أُبِيدَ، هَاتَيْنِ الْقَبِيلَتَيْنِ

الْقَاتِلَيْنِ الْمَلِكَ الْحُلَاحِلَا
اللتين قتلنا الملك السيد الشجاع

١٥ وحسبك من غنى شيع وري

سُرْتُ إِبِلَ امْرِئِ الْقَيْسِ وَهُوَ فِي كَنْفِ بَنِي نِهَانَ، فَأَعْطَوْهُ مَعْرَى تَقْوَتِهِ، فَقَالَ:

أَلَا إِلَّا تَكُنْ إِبِلٌ فَمَعْرَى كَأَنَّ قُرُونًا جِلَّتْهَا الْعِصَى

لِئَن لَّمْ يَبْقَ عِنْدِي إِبِلٌ فَهَا هِيَ الْغَنَمُ الَّتِي كَانَتْ قُرُونُ جِلَّتْهَا، أَيْ كِبَارُهَا، الْعِصَى

إِذَا مُشَتْ حَوَالِبُهَا أَرَأَيْتَ كَأَنَّ الْحَيَّ صَبَّحَهُمْ نَمِي

إِذَا عَصَرَ الْحَالِبَ حِلْمَانَهَا صَدَرَ مِنْهَا صَوْتُ لَدَى ارْتِطَامِ الْحَلِيبِ بِالْعَلْبَةِ الْخَشْبِ، يَشْبُهُ صَوْتَ أَتْنِ
النَّاسِ إِذَا أَصْبَحُوا وَقَدْ مَاتَ لَهُمْ مِيتَ

نَرُوحُ كَأَنَّهَا وَمَا أَصَابَتْ مُعَلَّقَةً بِأَخْفِئِهَا الدَّلِي

تَعُودُ الْغَنَمُ مِنَ الْمَرَعَى وَقَدْ أَصَابَتْ الْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَصَارَتْ ضُرُوعُهَا مُعَلَّقَةٌ بِجَانِبَيْهَا كَأَنَّهَا الدَّلَاءُ،
جَمَعَ دَلَوُ

فَنُوسِغُ أَهْلِهَا أَقْطَا وَسَمْنَا وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَيْعٍ وَرِي

فَنُفَضِّلُ عَلَى أَصْحَابِهَا أَقْطَا، جَبْنًا، وَسَمْنَا، وَفِي هَذَيْنِ مَا يَكْفِي، وَيَكْفِيكَ مِنَ الْغِنَى أَنْ تَشْبِعَ وَتُرَوِّ

١٦ مدح المعلی

قَالَ يَمْدَحُ الْمَعْلَى مِنْ نَيْمِ بْنِ ثَعْلَبَةَ مِنْ طِيءٍ، وَقَدْ أَجَارَهُ:

كَأَنِّي إِذْ نَزَلْتُ عَلَى الْمُعْلَى نَزَلْتُ عَلَى الْبَوَاذِخِ مِنْ شَمَامٍ

كَأَنِّي إِذْ نَزَلْتُ ضَيْفًا عَلَى الْمَعْلَى نَزَلْتُ بِقَمِّ جَبَلِ شَمَامٍ

فَمَا مَلِكُ الْعِرَاقِ عَلَى الْمُعْلَى بِمُقْتَدِرٍ، وَلَا الْمَلِكُ الشَّامِي

وَهُوَ سَيِّدٌ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مَلِكُ الْعِرَاقِ وَلَا مَلِكُ الشَّامِ

أَقَرَّ حَسًا أَمْرِي الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ بَنُو تَيْمٍ مَصَابِيحُ الظَّلَامِ
بنو تيم أقرؤا حشاي، وسكنوا مخاوفي

١٧ وكل غريب للغريب نسيب

قال وهو عليل في بلاد الروم يخاطب قبر امرأة في سفح جبل عسب:

أَجَارَتْنَا إِنَّ الْخُطُوبَ تَنْوُبُ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ
أيتها المجاورة لنا إن المصائب تتوالى، ويبدو أنني سأقيم هنا ولا أبرح مثلما لا يبرح جبل عسب
أَجَارَتْنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ
نحن غريبان ههنا، والغربة تجمع بيننا كما يجمع النسب بين الناس

أَجَارَتْنَا مَا فَاتَ لَيْسَ بِتُؤُوبٍ وَمَا هُوَ آتٍ فِي الزَّمَانِ قَرِيبُ
ما ذهب لا رجعة له، والذي سيأتي حتماً فهو قريب مهما طال به الزمن
وَلَيْسَ غَرِيباً مَنْ تَنَاءَتْ دِيَارُهُ وَلَكِنَّ مَنْ وَارَى الثَّرَابَ غَرِيبُ
من بُعد عن أهله ليس غريباً، الغريب حقاً هو الميت الذي واره التراب

١٨ ذائد القوافي

قال في صباه:

أَذُودُ الْقَوَافِي عَنِّي ذِيَادَا ذِيَادَ غُلَامٍ جَرِيٍّ جَوَادَا
أدفع القوافي عني دفعاً وهي تنهال علي، فأنا كالغلام الجريء الذي يروض جواداً
فَلَمَّا كُتِرْنَ وَأَعْيَبْنَهُ تَخَيَّرَ مِنْهُنَّ سِتًّا جِيَادَا
لما تكاثرت علي القوافي تخيرت منها ستة جيدة
فَأَعَزِلْ مُرْجَانَهَا جَانِباً وَأَخْذُ مِنْ دُرِّهَا الْمُسْتَجَادَا
وأنا أبعد المرجان، صفار اللؤلؤ، وأخذ اللآلئ الكبيرة فقط

١٩ هجو حنظلة

أَحْنُظِلَ لَوْ كُنْتُمْ كِرَاماً صَبَرْتُمْ وَحُطِّتُمْ، وَلَا يُلْفَى التَّمِيمِي صَابِراً
يا قبيلة حنظلة، لو كنتم كراماً لصبرتم ولحميتم، ولكن قبائل تميم لا صبر لها على الحرب

٢٠ أتانِي حَدِيثُ فَكَذَبْتُهُ

وقال بعد أن بلغه مقتل أبيه:

أَرِقْتُ لِبَرْقِ بَلَلِيلِ أَهْلٍ يُضِيءُ سَنَاهُ بِأَعْلَى الْجَبَلِ
أرقت وأنا أرقب البرق الذي يضيء سناه، لمعانه، عند أعلى الجبل

أَتَانِي حَدِيثٌ فَكَذَّبْتُهُ بِأَمْرِ تَزَعَزَعُ مِنْهُ الْقُلُلُ
جاءني خبر كذبه عن أمر تتزعزع منه قمم الجبال

بِقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ رِيَّهُمْ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ خَلَاءُ جَلَلٍ
بأن بني أسد قتلوا وبهم، سيدهم، وكل شيء سوى ذلك جلل، أي هين بسيط

فَأَيْنَ رَبِيعَةٌ عَنْ رَبِّهَا وَأَيْنَ تَمِيمٌ وَأَيْنَ الْخَوْلُ
فأين أخوالي من قبائل ربيعة كي تنتقم لسيدها، وأين تميم وأين الخول، العبيد

أَلَا يَحْضُرُونَ لَدَى بَابِهِ كَمَا يَحْضُرُونَ إِذَا مَا اسْتَهَلَّ؟
هلاً حضر هؤلاء جميعاً للانتقام له، كما كانوا يحضرون إذا ما استهل وبدأ يوزع الأرزاق؟

٢١ تَعْلُقُ قَلْبِي طِفْلةً عَرَبِيَّةً

تَعْلُقُ قَلْبِي طِفْلةً عَرَبِيَّةً تَنَعَّمُ فِي الدِّيْبَاجِ وَالْحَلِيِّ وَالْحُلِيِّ
تعلق قلبي بفتاة عربية تنعم في الحرير والثياب والزينة

لَهَا مُقْلَةٌ لَوْ أَنَّهَا نَظَرَتْ بِهَا إِلَى رَاهِبٍ قَدْ صَامَ لِلَّهِ وَابْتَهَلَ..
لو نظرت بعينها لراهب يصوم ويبتهل..

لَأَصْبَحَ مَفْتُونًا مُعْنَى بِحُبِّهَا كَأَنَّ لَمْ يَصُمْ لِلَّهِ يَوْمًا وَلَمْ يُصَلِّ
لأصبح مفتوناً بها وكأنه لم يصم ولم يصل

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ قَدْ لَهَوْتُ بِدَلَّهَا إِذَا مَا أَبُوهَا لَيْلَةً غَابَ أَوْ غَفَلَ
لهوت بدلالها ذات يوم وقد غاب أبوها، أو غفل عنا

حِجَازِيَّةُ الْعَيْنَيْنِ مَكِّيَّةُ الْحَشَا عِرَاقِيَّةُ الْأَطْرَافِ رُومِيَّةُ الْكَفَلِ
الحشا: البطن

وَلَا عَبْتُهَا الشَّطْرُنَجَ خَيْلِي تَرَادَفَتْ وَرُخِّي عَلَيْهَا دَارَ بِالشَّاءِ بِالْعَجَلِ
يبدو أنه بحصانه وبفيله في لعبة الشطرنج أكل شاهها وغلبها

وَقَدْ كَانَ لَعْبِي كُلُّ دَسْتٍ بِقُبْلَةٍ أَقْبَلُ تُغْرَأُ كَالْهَلَالِ إِذَا أَقْبَلُ

وكان شرطنا أن تكون بعد كل دس، لعبة، من الشطرنج قبلة للغالب، وكنت أقبل
تغرها الذي يشبه هلالاً في أواخر لياليه، ومن الشفاء الرقاق ما يعجب، ولا عليك
بالتقلية الحاضرة - ونكتب في أواخر سنة ٢٠١٥ - التي تمجد الشفاء الغلاظ

فَقَبَلْتُهَا تَسْعًا وَتَسْعِينَ قُبْلَةً وَوَاحِدَةً أُخْرَى وَكُنْتُ عَلَى عَجَلٍ
وَعَانَقْتُهَا حَتَّى تَقَطَّعَ عِقْدُهَا وَحَتَّى فُصُوصُ الطُّوقِ مِنْ جِيدِهَا انْفَصَلَ

لا بد من كلمة نصح أخيرة: اسمع هذه القصيدة من هيام يونس أو من طلال المداح، والعن معي
التسجيل على تراكات الذي فيه يصبح المغنى آلة من الآلات تسير على خطى المترونوم الرتبة

٢٢ ألا يا عين

قال يبكي إخوته وقتلهم المنذر بن ماء السماء:

أَلَا يَا عَيْنُ بَكِّي لِي شَنِينَا وَبَكِّي لِي الْمُلُوكَ الذَّاهِبِينَ
ابكي يا عيني شنيناً، بدمع مصبوب، وابكي الملوك الذين مضوا

مُلُوكاً مِنْ بَنِي حُجْرٍ بَنِي عَمْرِو يُسَاقُونَ الْعَشِيَّةَ يُقْتَلُونَ
ملوك من بني أبي حُجْر، سيقوا للقتل

فَلَوْ فِي يَوْمٍ مَفْرَكَةٍ أَصِيبُوا وَلَكِنْ فِي دِيَارِ بَنِي مَرِينَا
لو قتلوا في المعركة لهان، ولكنهم قتلوا صبراً وإعداماً عند بني مرين بالحيرة

فَلَمْ تُغْسَلْ جَمَاجِمُهُمْ بِغُسْلٍ وَلَكِنْ بِالذَّمَاءِ مُرْمَلِينَ
فلم تغسل رؤوسهم بالطيب، ولكنها تركت ملطخة بدمائها

نَظَّلَ الطَّيْرُ عَاكِفَةً عَلَيْهِمْ وَتَنَزَّعَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا
وألقي بهم في البر، فالطيور مجتمعة عليهم تنتزع حواجيبهم وعيونهم

٢٣ الكريم غير منان

أَفْسَدَتْ بِالْمَنْ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ لَيْسَ الْكَرِيمُ إِذَا أَسْدَى بِمَنَانٍ
أفسدت إحسانك بالمن، التذكير بالنعمة، والكريم لا يعن إذا أسدى معروفاً

٢٤ نار بلا دخان

حَمَلْتُ رُذَيْنِيًّا كَأَنَّ سِنَانَهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانٍ
حملت رمحاً كأن سنانه اللامع ضوء لهب لكن من غير دخان

امروء القيس فهرس القوافي (القافية فرقم القطعة)

١٠	الْمَنَاهِلِ	١٧	عَسِيبُ
١	فَحَوْمَلِ	٤	الْمُعَذِّبِ
٢٠	الْجَبَلِ	١١	وَبِالشَّرَابِ
٢١	وَالْحُلَلِ	٧	مُعْتَكِرَاتِ
١٦	شَمَامِ	١٨	جَوَادَا
٢٢	الذَّاهِبِينَا	١٩	صَابِرَا
٩	أَزْمَانِ	٥	وَشَيْرَزَا
٨	الْيَمَانِي	٢	أَفْرِ
٢٤	بِدُخَانِ	١٢	فَأُنْكَسَا
٢٣	بِمَنَانِ	١٤	بَاطِلَا
٦	وَلَأَزْضَانِي	١٣	الْبَاسِلِ
١٥	الْعِصْيِ	٣	الْحَالِي

زهير بن أبي سُلمى

(١٠٠ ق هـ — ١٠ ق هـ)

قال البكري في «التنبيه» إنه ليس في العرب «سُلمى» بضم السين إلا أختُ زهير.

أُشرح لك الشعر الجاهلي وبجاني ما تيسر من شروح القدماء، فهذا تفسير من الأصمعي، وذاك تعليق من ثعلب، وهذا شرح مستفيض من الأعلام الشنتمري، أو من صاحب الأغاني الذي كان يشرح بعض ما يورد من قديم الشعر. وأنظرُ فيما سرقه المحققون المحدثون من شروح القدماء وذيلوا به الأبيات، وأرى بعضهم يضيف وهماً هنا، وتفسيراً قاموسياً هناك، وقلماً أجد سارقاً عَنَى نفسه بفهم البيت، وكلف قلمه كتابة شرح حقيقي له.

ثم إنني أنظر في بعض ما يعنُ من كتب مدرسية وجامعية، أفعل ذلك كي أوقد تنور الشرِّ تحت مرجل قلبي. فأجد عند هؤلاء المدرسين الرُّقَّاء عبارات تشير اشمزازي: «المقدمة الطللية» و«الصورة الفنية»، وقد يجرب بعضهم حظه في حقل الخاطرة الرومنسية فيكتب «يقف الشاعر وقفة محزون، يندب محبوبته، ويسأل طللها أن يخبره أين ذهبت، و..» ويصعد بخار الاشمزاز إلى رأسي فأكتب لك في مثل هذه المقدمات أهجيات أعجم بها رؤوس أولئك المدرسين. وأنت تعرف أنني أفعل ذلك للتسلية.

قد جبلنا على تسقط أخطاء الآخرين. لا أرى نفسي مقنَّعك بأن شرحي خير شرح إلا بعد أشتَم الشارحين الآخرين.

وقد تستعجل فتظن أنني أسب الأكاديميين لأنني لم أفلح في أن أكون منهم. ولك مسوغ. فأنا لم أحمل من تلك الشهادات الرقيقة سوى الشهادة الجامعية الأولى، وما نلتها إلا بالضغط الشديد من والدي رحمهُ اللهُ، فقد لاحقني

تسع سنين، من جامعة إلى جامعة، ومن بلد بعد بلد، وهو يحثني على نيل تلك الشهادة. وكان على حق في جانب؛ فلولا هي، أقصد لولا تلك الورقة التافهة، لما وجدت وظيفة مريحة أتمكن على هامشها من متابعة مطالعاتي. على أنك لست محقاً في الظن بأنني حاقداً على الأكاديميين لأنني لست منهم. أنا لست منهم ولكنني عرفتهم عن قرب وعملت معهم. قد كنت محاضراً في جامعة - هي أفضل جامعة في بلدي، جامعة بيرزيت - سبع سنين وخمسة أشهر، كنت فيها مديراً لمعهد متميز، وكان مرتبي يصل إلى ضعف مرتب حامل الدكتوراه في معظم تلك السنين. كان ذلك ببركة ما اكتسبت من خبرة في حقل الإعلام. وإنني أذكر ذلك لسبب فرعي وسبب أساسي. فأما السبب الفرعي فهو إزجاء مديح إلى تلك الجامعة لأنها لم تقيد نفسها بتلك القيود التي لا تكاد تخلو منها كلية في كل جامعات العالم العربي، تلك القيود التي تجعل تقييم الأستاذ مستنداً إلى عنصر واحد فقط هو ما يحمله من أوراق تافهة، وقد صرت تعرف الآن ما أعني بالأوراق التافهة. (استطرد: بعض الجامعات العربية تقيم الأستاذ أيضاً بما ينشر من بحوث، وليتها لا تفعل، فالإنتاج المعرفي في جامعاتنا رديء). والسبب الأساسي لحديثي عن عملي في الجامعة هو أن أقنعك بأنني لا أشتم الأكاديميين حسداً، ولا حتى سعياً لإصلاحهم. أما قلت لك إنني أفعل ذلك لوجه التسلية! كأنك تنسى بسرعة.

أشتم فيهم الكسل، والاستسهال، والاستعباط.

عندما كان الاحتلال الجاثم على صدر بلادي يغلق الجامعات أسابيع أو حتى أشهراً، كان الأكاديميون يولولون ويحملون همماً: كيف سيحضر الطلبة الدروس، وكيف سينتهي الفصل الدراسي، وكيف ستم «تغطية» المادة. وكان الطلبة في فترات الإغلاق تلك يتعلمون أكثر: اللاهي العايب منهم يتعلم أشياء عن مجتمعه، والجاد منهم يقرأ قراءة حرة، أو يقعد في بيته يتأمل، أو يسافر إن كان أهله من ذوي اليسار، أو يلهو لهواً بريئاً أو غير بريء. و«كل» أولئك خير «لكل» طالب من «كل» ما يلقيه عليه الأكاديميون من محاضرات.

أريد قبل أن أدخل معك إلى عالم زهير بن أبي سلمى، أن أعذر عن مقالات لي سبقت، ومقالات لا شك ستأتي. فإن كنت ممن يعرفني وجاهياً فلاعتذار مضاعف. أعذر عن توهجات الحماسة التي تصدر عني كلما قرأت

كتاباً جيداً، فلا أعفي معارفي ولا قرائي من الحديث المستفيض والتمجيد الكبير لهذا الذي قرأته. حتى لقد صار بعضهم يسألني: ما أخبار صاحبك فلان مؤلف الكتاب الفلاني؟

أدرك أن القارئ بغير لغته يدخل عليه من الانبهار بما يقرأ نصيب يزيد أو ينقص بقدر ما في نفسه من انبهار بالآخر، وبقدر ما عنده من ميل إلى جلد الذات، وبقدر ما يحس به من استكانة أمام اللغة الأجنبية التي يقرأ بها. على أنني أرى في هذه الدنيا الواسعة إنتاجاً معرفياً طيباً يغيظني.. يؤلمني غياب المترجمين الفحول، ويؤلمني أننا نترجم الروايات كثيراً ولا نلتفت إلى كتب التاريخ والعلم.

وأشتاق أن أترجم شيئاً مفيداً، ولكنني غارق في هذا الشعر العتيق الذي فرضته على نفسي، ويقيدني أن معرفتي باللغة الأجنبية ليست بالقدر الكافي للتصدي للترجمة إلا ببذل جهد إضافي.

على أنني أعيش في الأوان الأخير حمى قرائية. عندما ينتصف الكتاب الذي بيدي أبدأ أشعر بالخطر.. وأخذ في ارتياد المكتبات بحثاً عن الكتاب المقبل. وعندي الآن بحمد الله كتاب بقيت منه صفحات قليلة، وآخر كبير ينتظر، فلا خطر.

أمّا الكتاب الذي ينتظر فلا سبيل إلى كيل المديح له. هو بطيخة مقفلة. فأما الذي بين يدي الآن فهو - طبعاً - أعظم كتاب قرأته حتى الآن. هذا طبعي الطفولي.. آخر كتاب هو الأعظم، والأجمل. سبحان من خلقي.

سأذهب عنك الآن كي أكمل كتابي. وعندما أعود إليك يكون قد خرج من رأسي، فلا أصدع رأسك بما فيه.

زهير بن أبي سلمى

اشتغل بشعر زهير الأصمعي وأبو عمرو والمفضل، وشرحه ثعلب، والأعلم الشنتمري، وطبع شرح ثعلب في مصر عام ١٩٤٤، وطبع شرح الأعلم قبل ذلك بأربعين سنة، وقبل ذلك بعشرين سنة كان قد طبع في ليدن. ولم يكن الشارحون القدامى متأكدين من معنى كل بيت، فكانوا يسددون ويقاربون. وتبعناهم وسدنا وقاربنا، واجتهدنا أن يكون ذلك بلغة معاصرة. فإن أخذنا من كلماتهم عبارة - حتى لو كانت كلمتين أو ثلاثاً - فنحن ننسب

ذلك إليهم، فنحن لا نحب أن تتسلط السنة القدامى على لساننا. وقد رأينا السارقين المحدثين يأخذون الشرح كله، ويختصرون، ولا يشيرون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

ولد زهير قبل الهجرة بمئة عام وتوفي قبل الهجرة بعشرة أعوام.. هذا على وجه التقريب. وحضر الإسلام ابنه كعب وبجير وأسلما، ومدح ابنه كعب النبي بقصيدة «بانت سعاد» المشهورة. وكان لزهير أختان شاعرتان، وحفظ الرواة لأبيه شعراً، فأما خاله بشامة بن الغدير فشاعر جاهلي معروف. مات بشامة وقال لزهير وهو يجود بنفسه: قد ورثت الشعر.

عاش زهير طفولته يتيم الأب، وبعد وفاة أبيه تزوجت أمه شاعراً معروفاً هو أوس بن حجر. وأصبح زهير راوية لأوس، ويرى عمر فروخ في «تاريخ الأدب العربي» أن في شعر زهير الكثير من صفات شعر أوس.

وزهير أستاذ الحطيئة في الشعر. وكان الحطيئة يلوذ بكعب بن زهير ويحفظ له الود. فزهير بن أبي سلمى، على هذا، عاش في شعر من سبقوه ومن عاصروه، وأعاش جيلاً من الناس على شعره وشعر أولاده. وفي هذه الثريا من الشعراء زهير هو النجم الأسطع.

زهير من مَزَيْنَةَ، وهي قبيلة مضرية صغيرة، وقد التصق والده «ربيعة»، المعروف بكنيته أبي سلمى، بقبيلة غطفان في قصة طويلة. وعاش زهير في أجواء النزاعات القبلية رجلاً حكيماً غنياً. فقد قيل إنه ملك في زمنه ألف جمل. على أنه مدح سيدين من قبيلة مرة في الصلح الذي عقده بين عبس وذبيان ونال عطاياهما.

تزوج زهير «أم أوفى» فولدت له أولاداً ماتوا صغاراً، فتزوج «كبشة» فولدت له كعباً وبُجَيْراً.

أحسن شعر زهير المعلقة، فها قد قلنا لك إنه من شعراء المعلقات. ونقول أيضاً إنه اشتهر بتنقيح شعره، وزعموا أنه كان يترك القصيدة حولاً كريئاً، أي سنة كاملة، قبل أن يذيعها في الناس، وهو في أثناء ذلك يتقحها ويهذبها. وجعل المتفهبون من الأكاديميين هذا الصنيع «مدرسة شعرية»، وأجهدوا أنفسهم في إثبات أن الحطيئة من أتباعها. وهذا كله هراء نقدي، وجدناه عند القدماء وأتبعهم، بغير إحسان، جوقة الأكاديميين البغيضة.

١ ومهما تكن عند امرئ من خليفة.. (المعلقة)

تدخل هرم بن سنان والحارث بن عوف للإصلاح بين عيس وذبيان في سياق حرب داحس والغبراء، وبذلا المال الكثير في الدِّيَّات، قيل ثلاثة آلاف بعير، إلا أن رجلاً من ذُبْيَان، اسمه الحصين بن ضمضم، تخلف عن مجلس الصلح، لأمر في نفسه. واختلى يوماً بعبيّ فقتله انتقاماً لرجل من أقاربه. وتدارك الحارث بن عوف الأمر بأن أرسل إلى عيس مئة من الإبل ومعها ولذ له. وقال لعيس: هذا ابني تقتلون بأخيكم، أم الإبل أحب إليكم؟ فأخذوا الإبل، وسلم الولد، ودام الصلح. فقال زهير بن أبي سلمى يمدح الحارث وهرماً:

أَمِنْ أَمْ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانِيَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَنَلِّمِ
أهذا الطلل الذي لا يتكلم فيجيب عن سؤالنا هو طلل «أم أوفى»؟ وسَمَى مواضع بعينها

وَدَارٍ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَا جِيعٌ وَشَمٌ فِي نَوَاشِرٍ مَعْصَمِ
رب دار لأم أوفى في الرقمتين، وقد رحلت عنها فبدت آثارها مفرقة كأنها الوشم المكرر الذي أعيد رسمه على عروق المعصم

بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِيْنَ خِلْفَةً وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْتَمِ
هناك أرى العين، البقر الوحشي ذا العيون الواسعة - فما قد تبين لك معنى العين في تعبير «الحدور العين»، فأما الحدور فمن صفا سواد أعينهن في صفاء بياضها - وأرى الأرام، أي الطباء، تمشي خلفه، سرباً خلف سرب، والأطلاء، صغار الطباء، ينهضن من المراضى، ليلحقن بأماتهن

وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً فَلَأَبَا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمِ
وقفت بأطلالها بعد عشرين سنة، فبطء عرفت الدار، وبعد كثير من الظنون

أَنَافِي سُعْفًا فِي مُعَرَّسٍ مِرْجَلٍ وَنُؤْيَا كَجِذْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَنَلِّمْ
رأيت أنافي سعفاً، حجارة قُدِّرَ مسوَّدة، في مكان نصب القدر، ورأيت نُؤْيَا، قناة كانت تحفر حول الخيمة درءاً لماء المطر أن يدخل الخيمة، وهذه القناة مثل أصل حوض الماء، فكأن سداً من الرمل المتيسر يكتنف القناة وما زال يبدو للعين لم يتسلم

فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا أَلَا أَنْعَمَ صَبَاحاً أَبُهَا الرَّبْعُ وَاسْلَمِ
فلما تأكدت وعرفت أن هذا هو منزلها أَلْقَيْتُ عليه التحية

تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ طَعَائِنِ تَحْمَلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمِ
يتنقل بخياله إلى ما قبل عشرين سنة. . انظر يا صاحبي أترى النساء الراحلات على الإبل تسير على الهضبة التي تعلو نبع «جرثوم»؟

جَعَلَنَّ «الْقَنَان» عَنْ يَمِينٍ وَحَزَنَهُ وَكَمْ بِالْقَنَانِ مِنْ مُجَلٍّ وَمُخْرِمٍ
جعلت الراحلات جبل القنان وحزنه، سفوحه الوعرة، عن اليمين. . وما أكثر ما بهذا الموضع من
قاصد بيت الله ومن مقيم لا يقصده

عَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وَكَلَّةٍ وَرَادٍ حَوَاشِيهَا مُشَاكِهَةَ الدِّمِ
ركبت النساء جمالهن المجللة بقماش مخطط، وعلى الهوداج الكلل، أي الستور، وحواشيها مودة
بالحمرة القانية التي تشابهه، أي تشابه، في لونها الدم

وَوَرَّكْنَ فِي «السُّوبَانِ» يَعْلُونَ مَتْنَهُ عَلَيْهِنَّ ذُلُّ النَّاعِمِ الْمُتَنَعِّمِ
ركبن أوراكن الإبل في مرتفع «السوبان»، وهن نسوة ناعمات مدلات

بَكَّرْنَ بُكُوراً وَاسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ فَهِنَّ وَوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ
رحلن باكراً ومضين في وقت السحر قبيل الفجر، يقصدن وادي الرس، وقد قصدنه قصد عارف
بموضعه فلا يخطئه مثلما لا تخطئ يد الأكل موضع فمه

كَأَنَّ فُتَاتَ الْعِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحَظِّمْ
كأن فتات العهن، الصوف المصبوغ، في كل مكان نزلن فيه للاستراحة، حب الفناء، ثمر أحمر،
لم يُفْعَضْ ولم يُرْهَصْ ولم يُرْضَخْ، فهو إذا فُعِصَ زال لونه

فَلَمَّا وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرُقاً جِمَامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَحَيِّمِ
لما وردن الماء الصافي، الذي يبدو صفاؤه في الأحواض العميقة، ووضعن عصي الحاضر المتحيم
ونصبن الخيام

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ . .
أقسمت بالكعبة التي طاف بها الرجال الذين بنوها من قريش وجرهم . .

يَمِيناً لِنِعْمِ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمٍ
أنتما خير سيدين سواء في حال السحيل أو المبرم، فالسحيل الجبل غير المحكم القتل، والمبرم
المحكم القتل، كناية عن حالي الرخاء والشدّة

تَدَارَكْتُمَا عَبَساً وَذُبْيَاناً بَعْدَمَا تَفَانَا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمٍ
أنفدتما قبيلتي عبس وذبيان بعد أن كادوا يتفانون، أي يفني بعضهم بعضاً، وبعد أن دقوا بينهم عطر
منشم، وقيل إن منشم هذه كانت امرأة تبع العطر، يتعطر عندها الرجال قبل المضي إلى الحرب.
(ذكر الأعلام الشنمري أربع قصص لطيفة تفسر «عطر منشم»، واختارنا منها الأشهر)

وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدِرِكِ السَّلْمَ وَإِسْعَاءَ بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسْلِمِ
وحاولتما تحقيق السلم ببذل المال وإرضاء المتحاربين من الطرفين

فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْتِمٍ

فوفقتما إلى خير موضع .. إلى موضع ابتعدتم فيه عن العقوق والإثم

تَعَفَّى الْكُلُومُ بِالْمِثْنِ فَأَصْبَحَتْ يُنَجِّمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمٍ
تتعفى الكلوم، أي تتمحي الجراح، ببذل مئآت النياق، وقد أصبح ينجم هذه النياق، أي يعطيها
دفعاً وراء دفعه، من لم يرتكب أي جرم، ولم يكن طرفاً في الحرب

فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ مَغَايِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ «الْمُرْزَمِ»
أصبح يجري في القوم المتحاربين الخير الكثير من مالكم الموروث، من تلك الإفال، أي النياق
الصغيرة، من نسل الفحل المعروف باسم المزنم

أَلَا أَبْلِغِ الْأَحْلَافَ عَنِّي رِسَالَةً وَذُبْيَانًا، هَلْ أَقْسَمْتُمْ كُلُّ مُقْسِمٍ
أبلغ ذبيان والأحلاف رسالتي: هل أقسمتم على القتال وتعاهدتم على رفض الصلح؟

فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نَفُوسِكُمْ لِيَخْفَى، وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللَّهُ يَعْلَمِ
فلا تكتموا في نفوسكم حقداً، بعد الصلح، فالله يعلم ما في الصدور

يُؤَخَّرُ فَبِوَضْعٍ فِي كِتَابٍ قَبْدُخَرٍ لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلُ فَبِنَقَمٍ
وكتمان الحقد والتنطح للثأر لاحقاً، أمر يوضع في حسابكم عند الله لعقاب آجل، أو عقاب عاجل

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرْجَمِ
وأنتم تعلمون حقيقة الحرب وقد ذقتموها، وليس الحديث عنها حديث ظنون وأوهام

مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا دَمِيمَةً وَتَضُرُّ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضُرُّ
إذا بدأتُم بالحرب فهي ذميمة يقع عليكم الذم بها، وإذا ضربتُموها، وأضعلتموها شاملة، فهي تصبح
ضاربة مفترسة، وتشعل ناراً

فَتَعْرُكُكُمْ عَرَكُ الرَّحَى بِثِفَالِهَا وَتَلْقَحُ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتِجُ فُتْنَتِمِ

تطحنكم الحرب مثلما تطحن الرحى القمح وتحتها ثفالها، الجلد الذي يوضع ليقط
عليه الجريش، والحرب تكبر وتعاظم فهي كالشاة التي تلقى اللقاح مرتين في العام،
ثم تلد التوائم. (راجعتم نحو خمسة عشر كتاباً من طبقات شتى لديوان زهير ولشروح
المعلقات، وكلها يرفع «تعرككم»، غير منتبهِ إلى وجوب الجزم إلا محمد علي
الهاشمي في تحقيقه جمهرة القرشي، ومحمد علي طه الدرة في إعراب المعلقات)

فَتُنْتِجُ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ، كُلَّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ، ثُمَّ تُزْضِعُ فَنَفْطِمِ

ونتيجة الحرب - بما أننا نتحدث عن الولادة - هي غلمان شؤم مثل أحمر عاد، قُدَّار
المشؤوم الذي عقر ناقة صالح فسبب لقومه الهلاك. يولد فيكم أبناء شؤم في الحرب،
يرضعون حرباً ويفطمون على حرب، ويكبرون ويطلبون الثأر، فهي دائرة شر لا تنتهي

فَتُغْلِلُ لَكُمْ مَا لَا تُغِلُّ لِأَهْلِهَا قُرِئَ بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَزَرْهَمٍ

يقول ساخرأ: تكون غلة الحرب وحصادها مثل حصاد قري العراق التي تكال بالقفيز وتوزن بالدرهم، فحصادكم كثير لكنه حصاد قتلى وجرحى

لَعَمْرِي لِنَعْمَ الْحَيِّ جَرٌّ عَلَيْهِمْ بِمَا لَا يُؤَاتِيهِمْ حُصَيْنٌ بِنُ ضَمْضَمٍ

القوم طيبون ولكن حصيناً هذا جر عليهم البلاء الذي لا يقوم بمصلحتهم، فهو قد غاب عن مجلس الصلح مضمرأ شراً، ثم انتقم لأخيه وقتل رجلاً من عبس

فَسَدَّ فَلَمْ يُفْزَعْ بُيُوتاً كَثِيرَةً لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قُشْعَمٍ

لقد شد شدة وهاجم غريمه دون أن يتعرض لغيره، ووجده في المكان الذي ألقت فيه رحلها «أم قشعم» كناية عن الموت. أي أنه قتله

سَمِثْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشُ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَالَكَ يَسَامٍ

سممت شدائد العيش، ولا غرابة في أن يسام من يعيش ثمانين سنة

وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدٍ عَمٍ

خبرتي جعلني أعرف تفاصيل ما جرى أمس وما يجري اليوم، ولكنني عم، جاهل، عما سيأتي به الغيب

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشَوَاءَ مَنْ تُصِيبُ تُمِثُّهُ وَمَنْ تُخْطِئُ يُعَمَّرُ فَيَهْرَمُ

الموت كخبط الناقة العشواء، التي لا تبصر في الظلام فهي تدوس كل شيء، وكذا الموت فهو يصيب الناس عشوائياً، فمن أصابه مات، ومن تركه عاش وشاخ

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضَرَّرَنَّ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأَ بِمَنْسِمٍ

ومن لم يجامل الناس يقضوه بأسنانهم ويؤذوه، ويدوسوه كما يدوس البعير الشيء بمناسمه، أي بأخفافه

وَمَنْ يَجْعَلَ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ يَفْرُهُ، وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّنْمَ يُشْتَمُ

من يحمي شرفه بتقديم المعروف للناس فإنه يفره، أي يتركه وافرأ غير مقوص، ومن لا يجعل لنفسه وقاية من الشتم فالناس تشتمه

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلُ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَفْنَنَ عَنْهُ وَيُذَمُّ

الغني الذي لا يبذل لقومه من ماله يستغني عنه قومه فيصبح منبوذاً، ويذمونه

وَمَنْ يُوفِ لَا يُذَمَّمْ، وَمَنْ يَهْدِ قَلْبُهُ إِلَى مُطْمَئِنِّ الْبِرِّ لَا يَتَجَمَّعُ

من وفى بالحق لم يلحقه الذم، ومن يهتد إلى فعل الخير لا يتجمع

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَتَلْتَنُهُ وَإِنْ يَزِقَّ أَسْبَابَ السَّمَاءِ يَسْلُتُ
الهاب من أسباب الموت، أي حباله، لا بد له من أن يموت حتى لو صعد إلى أسباب السماء،
أي أبوابها، بسلم

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَكُنْ حَمْدُهُ ذِمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدِمَ
من يحسن إلى من لا يستحق الإحسان يتقلب الحمد المرتقب إلى ذم، ويندم المحسن

وَمَنْ يَعْصِي أَطْرَافَ الرِّجَاجِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكْبَتٌ كُلُّ لَهْدَمٍ
من تمرّد على الرُّج، الحديدية التي في ذيل الرمح، فسيأتي عليه يوم يطيع فيه الرماح
العوالي التي ركبت فيها الأسنة المدببة. وكان المتحاربون في القديم إذ يتقابل
الجمعان يصوب كل جمع إلى الخصوم ذيول الرماح، فيسعى الساعون في الصلح،
فإن لم ينجح الصلح قلب المتحاربون الرماح وتطاعنوا بالأسنة

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يُهْدَمَ، وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمَ
من لم يدافع عن حوضه الذي يجمع فيه الماء لسقي إبله بسلاحه فسوف يهدم الأعداء حوضه،
ومن لم يظلم الناس فهم يبادرون إلى ظلمه

وَمَنْ يَغْتَرِبَ يَحْسَبَ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لَمْ يُكْرَمْ نَفْسُهُ لَمْ يُكْرَمْ
المغترب غشيم يحسب العدو صديقاً، ومن لم يترفع عن الدنيا سقط في أعين الناس

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ
والمرء لا يستطيع إخفاء خلائقه أي طباعه، فالناس ترى سريره في وجهه

وَكَايُنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ
كثيراً ما يعجبك الرجل الصامت، ولكن حقيقته تبدو عندما يتكلم

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ
منطق الإنسان نصف قيمته، والنصف الثاني ضميره، وسوى ذلك مجرد لحم ودم

وَإِنَّ سِفَاهَ الشَّيْخِ لَا حِلْمَ بَعْدَهُ وَإِنَّ الْفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمُ
إذا رأيت الشيخ أحق فلا أمل في أن يصبح عاقلاً، وأما الفتى فقد يصبح عاقلاً بعد إذ كان سفهاً

سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ وَعُدْنَا فَعُدْتُمْ وَمَنْ أَكْثَرَ التَّسْأَلِ يَوْمًا سُبُحْرَمٍ
قد سألناكم من معروفكم مرة فأعطيتم، وكررنا السؤال وكررتم العطاء، لكنني أعلم أن من يكثر من
السؤال سيلقى الحرمان

٢ آخر موعد

فَلَوْ كَانَ حَمْدٌ يُخْلِدُ النَّاسَ لَمْ تَمُتْ وَلَكِنَّ حَمْدَ النَّاسِ لَيْسَ بِمُخْلِدٍ
لو كان الحمد يجعل الناس تخلد لما أُنك الموت، فالكل لك حامد شاكر، ولكن الحمد لا يخلد أحداً
وَلَكِنَّ مِنْهُ بَاقِيَاتٍ وَرَائَهُ فَأَوْرِثَ بَنِيكَ بَعْضَهَا وَتَزَوَّدْ
غير أن الحمد يبقى بعد موت الإنسان ويره الأبناء، فليتزود الإنسان من الأفعال الحسنة كي ينعم
بشكر الناس، وينعم أبناؤه بالسمعة الطيبة

تَزَوَّدْ إِلَى يَوْمِ الْمَمَاتِ فَإِنَّهُ، وَلَوْ كَرِهَتْهُ النَّفْسُ، آخِرُ مَوْعِدٍ
ولفظ المرء حريصاً على التزود من المكارم حتى يوم مماته، فيوم الممات هو
الموعد الأخير. وبعد زهير جاء الإسلام فأصبح الممات الموعد قبل الأخير، إذ يأتي
بعده يوم حساب، ولعل زهيراً تأثر في زمنه بيهود يثرب، وكان قومه يسكنون على
أطرافها، وإن كان أبو زهير انتقل للسكنى في شرق جزيرة العرب، ولم يكن مفهوم
يوم الحساب متبلوراً عند اليهود، على أن زهيراً يذكر يوم الحساب في معلقته

٣ فوق الشمس

قال يمدح هرم بن سنان وإخوته:

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ لِأَوَّلِهِمْ يَوْمًا إِذَنْ قَعَدُوا
لو كان قوم يقعدون فوق الشمس بسبب أولهم، أي بسبب أمجاد أجدادهم، لقعد هؤلاء إذن، لأن
أجدادهم أعظم الأجداد

قَوْمٌ أَبُوهُمْ سِنَانٌ حِينَ تَنْسُبُهُمْ طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
أبوهم، أي جدهم، سنان. وأصلهم طيب وفرعهم طيب أيضاً

جِنَّ إِذَا فَزِعُوا، إِنْسٌ إِذَا أُمِنُوا مُمَرَّدُونَ بِهَالِيلٍ إِذَا جَهَدُوا
إذا أَلَم بهم فزع، من هجوم أو نحوه، فهم شجعان كأنهم الجن، ولكنهم أنيسون في وقت الأمن
والدعة، وهم مرددون، أي شامخون، وبهاليل، أي سادة كرام إذا جهدوا، أي قل ما بأيديهم من
مال، فالفقر لا يقدّمهم الشموخ والسيادة

لَوْ يُعْدَلُونَ بِوَزْنٍ أَوْ مُكَائِلَةٍ مَالُوا بِرِضْوَى، وَلَمْ يُعْدَلْ بِهِمْ أَحَدٌ
لو كان يمكن مقارنتهم بوزن أو بكيل لكانوا أثقل وأكبر من جبل رضوى، ولا أحد في الناس
يعادلهم

مُحَسَّدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نِعَمٍ لَا يَنْزِعُ اللَّهُ مِنْهُمْ مَا بِهِ حُسِدُوا
يحسدهم الناس على ما نالهم من نعمة وشرف، وليبق الله لهم هذا الشرف الذي عليه حُسدوا

٤ أنت تخلق وتُفري

قال يمدح هَرم بن سنان:

لِمَنِ الدِّيارُ بِقُنَّةِ الحَجَرِ أَقْوَنَ مِنْ حَجَجٍ وَمِنْ دَهْرٍ
لَمَن هَذِهِ الدِّيارُ فِي ذَلِكَ المَوْضِعِ؟ لَقَدْ أَقوت، خَلْتُ وَأَقُوت، مِنْذُ سَتِين، بَلْ مِنْذُ دَهْرٍ
دَعَا وَعَدَّ القَوْلَ فِي هَرمٍ خَيْرِ البُدَاةِ وَسَيِّدِ الحَضَرِ
دَعَا، أَتَرَكَ هَذَا المَوْضِعَ، وَانْقَلَبَ الكَلَامُ إِلَى هَرم بن سنان، فَهُوَ خَيْرٌ مِنْ سَكَنِ البَادِيَةِ، وَسَيِّدٌ
مِنْ سَكَنِ القُرَى

وَلَنِعَمَ حَشَوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيتَ نَزَالٍ وَلُجَّ فِي الدُّعْرِ
أَنْتَ أَحْسَنُ حَشَوُ الدَّرْعِ، أَيُّ أَنْتَ أَحْسَنُ مِقَاتِلٍ، إِذَا قِيلَ «نَزَالٌ» أَيُّ هِيَ لِلْمَنَازِلَةِ، وَإِذَا أَزْدَادَ
الخَوْفِ لَوْقُوعِ هُجُومٍ أَوْ غَزْوٍ

جَلْدٍ يَحُثُّ عَلَى الجَمِيعِ إِذَا كَرِهَ الظُّنُونُ جَوَامِيعَ الأَمْرِ
هُوَ جَلْدٌ صَبُورٌ، وَيَحُثُّ عَلَى «الجَمِيعِ» أَيُّ التَّكَاتُفِ وَالاجْتِمَاعِ، فِي حِينٍ يَكْرَهُ الشَّخْصُ الظُّنُونُ
الْمُتَرَدِّدَ التَّأَلُّفَ

فَلَأَنْتَ تُفْرِى مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ ضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِى
أَنْتَ تُفْرِى، أَيُّ تَقْصُرُ، مَا خَلَقْتَ، مَا خَطَطْتَ.. وَبَعْضُ النَّاسِ يَصْنَعُ خَطُوطاً عَلَى الجِلْدِ، وَلَكِنَّهُ
لَا يَنْتَجِرُ فَيَقْصُصُ الجِلْدَ. الْمَعْنَى: أَنْتَ تَخْطُطُ وَتَنْفِذُ، وَبَعْضُهُمْ يَخْطُطُ، وَيَجْبُنُ عَنِ التَّنْفِيزِ
لَوْ كُنْتَ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ كُنْتَ الْمُتَوَرِّعَ لَيْلَةَ البَدْرِ
لَوْلَا أَنَّكَ بَشَرٌ لَكُنْتَ بِدَرِ السَّمَاءِ

٥ أنتم إلى الصلح أفقر

قال زهير لبني سُلَيم، وَبَلَّغَهُ أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ الإِغَارَةَ عَلَى غُطْفَانَ:

رَأَيْتُ بَنِي آلِ امْرِئِ القَيْسِ أَصْفَقُوا عَلَيْنَا، وَقَالُوا: إِنَّنَا نَحْنُ أَكْثَرُ
رَأَيْتُ بَنِي امْرِئِ القَيْسِ (وَهُمْ هَوَازِنُ وَسُلَيمُ) اجْتَمَعُوا عَلَيْنَا وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ أَكْثَرُ عِدْداً مِنَّا
خُذُوا حَظَّكُمْ مِنْ وَدُنَّا، إِنَّ قُرْبَنَا إِذَا ضَرَسَتْنا الحَرْبُ، نَارٌ تَسْعَرُ
أَنْصَحُكُمْ بِالْوَدِّ بَدَلَ العِدَاوَةِ، فَتَحْنُ إِذَا عَضَّتْنا الحَرْبُ بِأَضْرَاسِهَا كَالنَّارِ الْمُسْتَعْرَةِ

وَأَنَا وَإِيَّاكُمْ إِلَى مَا نَسُومُكُمْ لِمِثْلَانِ، أَوْ أَنْتُمْ إِلَى الصُّلْحِ أَفْقَرُ
وَحَالُنَا مَعَكُمْ فِي هَذَا الَّذِي نَسُومُكُمْ، وَنَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، حَالٌ مُتَقَابِرَةٌ، أَيُّ أَنَّا أُنْدَادُ، لَا بَلْ أَنْتُمْ
أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى الصُّلْحِ

٦ أقيمي أم كعب

قال زهير لأم كعب ولده كعب:

وَقَالَتْ أُمُّ كَعْبٍ: لَا تَزُرْنِي فَلَا وَاللَّهِ مَا لَكَ مِنْ مَزَارٍ

صدت عنه زوجته أم كعب وفركته ونشزت عليه، ونفرت منه

رَأَيْتُكَ عِبْتَنِي وَصَدَدْتَ عَنِّي وَكَيْفَ عَلَيْكَ صَبْرِي وَاضْطِبَارِي

وهي تقول له إنه يذكر لها عيوباً، ويصد عنها، فلا طاقة لها بالصبر على ذلك ولا بالاصطبار، أي تكلف الصبر

فَلَمْ أَفْسِدْ بَنِيكَ، وَلَمْ أُقْرُبْ إِلَيْكَ مِنَ الْمُلِمَّاتِ الْكِبَارِ

تواصل كلامها: لم أفسد بنيك، ولعلها تقصد أنها لم تشحنهم بالبغض لأبيهم كما يفعلن ويفعلون في الخصومات العائلية، ولم أرتكب شيئاً من الخيانة الكبيرة

أَقِيمِي أُمُّ كَعْبٍ وَاطْمَئِنِّي فَإِنَّكَ مَا أَقَمْتِ بِخَيْرٍ دَارٍ

يقول لها: امكثي معي يا أم كعب، واطمئني

٧ - يشقُّون إليه الطرق

قال يمدح هرم بن سنان وأباه وإخوته:

إِنَّ الْخَلِيْطَ أَجَدَّ الْبَيْنَ فَأَنْفَرَقَا وَعُلَّتِ الْقَلْبُ مِنْ أَسْمَاءَ مَا عَلِقَا

جدد الخليط، الجيران، الفراق فرحلوا مرة أخرى.. ولكن القلب تعلق به من حب أسماء ما تعلق

وَفَارَقْتُكَ بِرَهْنٍ لَا فَكَاكَ لَهُ يَوْمَ الْوَدَاعِ، فَأَمْسَى الرَّهْنُ قَدْ عَلِقَا

يخاطب نفسه: فارقتك وقد ارتهنت قلبك ارتهاناً لا فكاك له، فقد غلق الرهن، أي مضى وقته المعلوم وأصبح المرتهن ملكاً ثابتاً للمالك الثاني

قَدْ جَعَلَ الْمُبْتُونُ الْخَيْرَ فِي هَرَمٍ وَالسَّائِلُونَ، إِلَى أَبْوَابِهِ طُرُقَا

غير الموضوع: الطالبون المعروف من هرم بن سنان ظلوا يأتون إليه حتى لقد شقوا طرقاً جديدة من وقع أقدامهم تنتهي إلى أبوابه، وهم يأتون من أماكن عدة فالطرق التي شقوها كثيرة. وهذا البيت أعجب القدماء كثيراً، قال الأصمعي هو «بيت القصيدة»

إِنْ تَلَقَّ يَوْمًا عَلَى عَلَاتِهِ هَرِمًا تَلَقَّ السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالتَّدَى خُلُقَا

إذا لقيت هرم بن سنان، حتى في علاته أي وهو يعاني الضيق، فإنك ستجد السماحة والتدنى، أي السخاء، من طباعه

لَيْتُ بَعَثَرَ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا مَا كَذَّبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقَا

هو أيضاً لَيْثٌ من لِيُوثٍ مَأْسَدَةٍ «عَثَرَ»، فهو شجاع يصطاد الرجال. فإن كَذَّبَ اللَّيْثُ ما يرتجى منه في لقاء أقرانه فإن هَرَمًا يصدق ويأتي بما كان متوقعاً منه

يَطْعَنُهُمْ مَا أُرْتَمَوْا، حَتَّى إِذَا طَعَنُوا ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا اعْتَنَقَا

يطعن بالرمح عندما يتعد الخصوم ويرمون بالسهام عن بعد، فإذا طعن الأعداء بالرمح فهو يقترب أكثر ويضاربهم بالسيف، فإذا استعملوا السيوف، فهو أشجع منهم ويقترب أكثر ويعتق الخصم اعتناقاً كي يرميه أرضاً، فهو دوماً يسبق الخصم درجةً في الشجاعة والجرأة

هَذَا وَلَيْسَ كَمَنْ يَغْيَا بِخُطَّتِهِ وَسَطَ النَّدْيِ إِذَا مَا نَاطِقٌ نَطَقَا

وهو فصيح لا يعجز عن بيان رأيه وسط متدى القوم عندما يكون هناك تبادل للرأي

٨ لا تمعك بعرضك

كان الحارث بن ورقاء الصيداوي من بني أسد أغار على قوم من غطفان، فاستاق إبلاً لزهير، وأسر راعيَه يَسَاراً، فقال زهير:

ارْزُدْ يَسَاراً وَلَا تَعْنُفْ عَلَيْهِ، وَلَا تَمْعَكَ بِعَرْضِكَ، إِنَّ الْغَادِرَ الْمِعْكَ

رَدُّ عَلَيَّ خَادِمِي يَسَاراً، وَلَا تَعَامَلْ بِخَشُونَةٍ، وَلَا تَمْعَكَ بِعَرْضِكَ، تَمْرُغُ الْغَادِرَ مِعْكَ مِمَارٍ

وَلَا تَكُونَنَّ كَأَقْوَامٍ عَلِمَتْهُمْ يَلُوُونَ مَا عِنْدَهُمْ حَتَّى إِذَا نُهِكُوا . .

لا تكن مثل أولئك الذين يلوون ما عندهم، يمتنعون من أداء الحق، حتى إذا نُهِكُوا، أي شتموا . .

طَابَتْ نَفْسُهُمْ عَنْ حَقِّ خَصْمِهِمْ مَخَافَةَ السَّرِّ فَارْتَدُّوا لِمَا تَرَكَوا

عندئذٍ تسمح نفوسهم بما في أيديهم الذي هو حق لخصمهم، فهم يخافون العواقب فيردون الحق لصاحبه خوفاً لا حباً للعدل

٩ ولكن، أم أوفى لا تبالي

قال في زوجته أم أوفى، وكانت ولدت له أولاداً فماتوا، فزوج أخرى ولدت له كعباً وبجيراً، فأذنته الأولى، أم أوفى، فطلقها فندم:

لَعَمْرُكَ وَالْخُطُوبُ مُغَيَّرَاتٌ وَفِي طُولِ الْمَعَاشِرَةِ التَّقَالِي

المصائب تغير المرء، وطول العشرة يفضي إلى التقالي، أي التباغض وتبادل الكراهية

لَقَدْ بَالَيْتُ مَظْعَنَ أُمِّ أَوْفَى وَلَكِنْ، أُمُّ أَوْفَى لَا تُبَالِي

لقد أصابني هم لمظعن، ورحيل، أم أوفى، ولكنها هي لم تبال بذلك

فَأَمَّا إِذْ نَأَيْتَ فَلَا تَقُولِي لِذِي صَهْرٍ أَذَلْتُ، وَلَمْ تُذَالِي
والآن وقد فارقيني فلا تقولي لأصهاري، أهلك، إنني أهلك، فانت لم تُهاني
أَصَبْتُ بَنِيَّ مِنْكَ، وَنَلَيْتَ مِنِّي مِنَ اللَّذَّاتِ وَالْحُلَلِ الْعَوَالِي
أنا حصلت منك على أبناء، وانت حصلت على عيشة رخيّة، وعلى ثياب غالية. وقيل مات أولاده
منها صغاراً

١٠ وهل ينبت الخطي إلا وشيجه!

قال يمدح سنان بن أبي حارثة المري:

وَفِيهِمْ مَقَامَاتُ حِسَانٍ وَجُوهُهُمْ وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ
تجد في مجالس القوم الوجوه الطيبة الحسنة، وتجد مجالس فيها قول وفعل، فهم يعدون
بالمعروف ويفعلونه أيضاً

عَلَى مُكْثَرِيهِمْ رِزْقٌ مَنْ يَعْتَرِبُهُمْ وَعِنْدَ الْمُقْلِبِينَ السَّمَاخَةُ وَالْبَذَلُ
يتكفل أغنيائهم برزق من يعتريهم فقر، وحتى المقلّون منهم، الأقفر حالاً، فعندهم سماخة، أي
سخاء، وبذل للمال

وَأِنْ جِئْتَهُمْ أَلْفَيْتَ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ مَجَالِسَ قَدْ يُشْفَى بِأَحْلَامِهَا الْجَهْلُ
مجالسهم فيها أحلام، أي عقول، تمنع الجهل، والجهل هو التهور واللجوء إلى العنف بغير روية
وَأِنْ قَامَ فِيهِمْ حَامِلٌ قَالَ قَاعِدٌ: رَشَدْتُ، فَلَا غُرْمَ عَلَيْكَ وَلَا خَذَلُ
إذا قام في المجلس رجل حامل، لديه حمالة أي عليه دية يجب دفعها، فالقاعد يقول له: لا تحمل
هماً ولا غرم عليك، لا تبعة مالية، ولن نخذلك

وَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فِلَانًا تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ
والخير الذي يفعلونه ليس جديداً، بل قد ورثوه عن آبائهم وأجدادهم

وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيَّ إِلَّا وَشِيْجُهُ وَتُغْرَسُ، إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا، النُّخْلُ
هل ينبت الخطي، أي الرمح، إلا الوشيج، أي الغصن القوي، وهل تغرس النخلة إلا في المنبت
الملائم؟ يقصد أن الكرم يوجد في الأسرة الكريمة

١١ - كأنك تعطيه الذي أنت سائله

قال يمدح حصن بن حذيفة بن بدر:

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الضُّبَا وَرَوَّاحِلُهُ
هدأ القلب وسلا عن سلمى، وكف عن اللهو والتصابي، وسكنت خيول اللهو ونياقه فتعرت من
سروجها ولم تعد تسافر في طريق اللهو

وَقَالَ الْعَذَارَى: إِنَّمَا أَنْتَ عَمْنَا وَكَانَ الشَّبَابُ كَالْخَلِيطِ نُرَايِلُهُ
الآن صارت العذاري يناديني: يا عمنا، وقد رحلنا عن الشباب مثلما نرحل عن الخليط، الجيران
إِذَا مَا عَدُونَا نَبْتَغِي الصَّيْدَ مَرَّةً مَتَى نَرَهُ فَلِنُنَا لَا نُخَاتِلُهُ
عندنا خيول سريعة، فإذا رأينا الغزال مثلاً فلا نتحایل عليه بل نسرع إليه ونصطاده
فَبَيْنَا نُبْغِي الصَّيْدَ جَاءَ غُلَامُنَا يَدِبُّ وَيُخْفِي شَخْصَهُ وَيُضَائِلُهُ
ونحن نصطاد جاء غلامنا يتسلل ويخني رأسه، ويكاد يخفي شخصه، وهو يرقب الغزال البعيد
وَقُلْتُ: تَعْلَمُ أَنَّ لِلصَّيْدِ غَرَّةً وَالْأُ تَضِيْعُهَا فَلِنَّكَ قَاتِلُهُ
قلت له: اعلم أن للصيد غرة، لحظة فاصلة تنال فيها الفريسة، فإن لم تضع هذه اللحظة فقد
أصبقت مقلتها
وَأَبْيَضَ فَيَاضٍ يَدَاهُ عَمَامَةٌ عَلَى مُعْتَفِيهِ مَا تُغِيبُ قَوَاضِلُهُ
يغير الموضوع: رب سيد أبيض الوجه فياض، سخي، يده كالسحابة تعطي المعتفين، القاصدين
معروفه، ولا تنقطع عطاياه
بَكَرْتُ عَلَيْهِ عُذْوَةً فَرَأَيْتُهُ قُعوداً لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَازِلُهُ
جئت مبكراً فرأيت قاعداً على الرمل وحواليه العاذلات اللانمات
يُفْدِيْنُهُ طَوْرًا، وَطَوْرًا يَلْمَنُهُ وَأَعْيَا، فَمَا يَذَرِيْنَ أَيْنَ مَخَاتِلُهُ
يتحايِلن عليه، ولعلهن أخواته وعماته، فأحياناً يقرن له: فديناك، وأحياناً يلمنه على سخائه، وقد
أعجزهن فما يدرين أين مخاتله، مواضع النفاذ إلى قناعاته لتغييرها
فَأَقْصَرَنَ مِنْهُ عَنْ كَرِيمٍ مُرَزِّيٍّ عَزُومَ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ فَاعِلُهُ
فانصرفن عن هذا الكريم المرزئ، الذي يهين ماله، والعزوم الذي لا يغير من إصراره على
فعل ما يريد
أَخِي ثِقَةٍ لَا تُثْلِفُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالَ نَائِلُهُ
وهو صاحب ثقة لا يفتق ماله في الخمر، ولكن ماله قد يهلك لكثرة ما يعطي الناس
نَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
إذا جئت تطلب رأيته مستبشراً فكأنك أنت الذي تعطي لا العكس
وَذِي نَسَبٍ بَعِيدٍ وَصَلَتْهُ بِمَالٍ، وَمَا يَذَرِي بِأَنَّكَ وَاصِلُهُ
ورب رجل بعيد النسب عنك قد أعطيته المال دون أن يدرى بأن هذا المال منك، ذلك أن مالك
الذي تعطيته للناس وفير فالناس يعطون الآخرين مما ينالون منك

وَذِي نِعْمَةٍ تَمَمَّتْهَا وَشَكَرْتُهَا وَخَصِمَ يَكَادُ يَغْلِبُ الْحَقُّ بَاطِلُهُ
 رب رجل أنعمت عليه فتسببت بذلك أن نلت منه شكراً على النعمة فكانك أنت شكرتها، ورب
 خصم يكاد باطله يتغلب على الحق

دَفَعَتْ بِمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ صَائِبٍ إِذَا مَا أَضَلَّ النَّاطِقِينَ مَفَاصِلُهُ
 دفعت هذا الخصم المكابر بقول حسن صائب، في حين لا يهتدي الناطقون إلى الرأي السديد،
 مثلما لا يهتدي الغشيم إلى موضع الفصل وهو يقطع أوصال الذبيحة

وَذِي خَطَلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ، فَمَا يُلِمُّ بِهِ فَهُوَ قَائِلُهُ
 ورب أحمق يحسب نفسه مصيباً في كلامه، وهو من أولئك الذين يقولون أول ما يعن على بالهم
 دون روية

عَبَاتٌ لَهُ حِلْمًا، وَأَكْرَمَتْ غَيْرَهُ وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ، وَهُوَ بَادٍ مَقَاتِلُهُ
 وقد أعددت لهذا حلماً، صبراً وأناة، وأنت بصبرك عليه تكرم قومه إذ لا تعاقب أخاهم السفیه،
 وأنت تعرض عنه مع أن مواضع العيب فيه بادية للعيان

حُذِيفَةُ يَنْمِيهِ، وَبَذَرٌ كِلَاهُمَا إِلَى بَادِخٍ يَغْلُو عَلَى مَنْ يُطَاوِلُهُ
 يصف الممدوح: هو ابن حذيفة بن بدر، وأبوه وجده كلاهما في جبل عالٍ من الشرف لا يستطيعه
 من يحاول الوصول إليه

وَمَنْ مِثْلُ حِصْنٍ فِي الْحُرُوبِ، وَمِثْلُهُ لِإِنْكَارِ ضَيْمٍ أَوْ لِأَمْرِ يُحَاوِلُهُ
 و«حصن بن حذيفة بن بدر» الممدوح لا يوجد مثله في الحروب، ولا في إنكار الظلم، ولا في
 إنجاز ما يسعى لإنجازه

١٢ ليتق الله سائله

تَرَى الْجُنْدَ وَالْأَعْرَابَ يَغْشَوْنَ بَابَهُ كَمَا وَرَدَتْ مَاءَ «الْكَلَابِ» هَوَامِلُهُ
 يغشى، يأتي، الجند والأعراب باب الممدوح فكانهم الإبل الضالة التي ترد ماء «الكلاب» لتشرب
 فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ نَفْسِهِ لَجَادَ بِهَا، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهُ
 لو لم يبق في يديه سوى روحه لأعطاها للناس، فليتنق الله من يسأله ولا يكثر في الطلب

١٣ هجاء بالغلط

نزل رجل ببني عُلَيْمٍ فأكرموه، ولكنه ظل يُقَامِر، وظلوا يحسنون إليه، ويرُدُّون عليه
 ماله، وفي النهاية أخرجوه عنهم، وحبسوا المال الذي خسره. فأتى زهيراً فشكا إليه ما
 صنعوا به. فهجاهم زهير، غير عارف بسوء صنيع المقامر الشاكي. ثم ندم زهير أشد

الندم على هذا الهجاء. وما هو هجاؤه لهم، (ولعل بني حصن وبني مصاد، المذكورين في القصيدة، من فروع أو من أصول بني عليم، ولعل القبيلة التي تضم كل هذا هي «كلب» كما ذكر الأعلام الشتمري):

وَقَدْ أَغْدُو عَلَى شَرْبِ كِرَامٍ نَشَاوَى وَاجِدِينَ لِمَا نَشَاءُ
قد أذهب باكراً على شَرْبِ، أي جماعة جالسين يشربون الخمر. وهم كرام، يقدمون لنا ما نطلب من خمر وطعام

يَجْرُونَ الْبُرُودَ وَقَدْ تَمَشَّتْ حُمَيَّا الْكَاسِ فِيهِمْ وَالْغِنَاءُ
يقوم الواحد منهم يتمايل لأن حميّا الكاس، أي مفعول الخمر، ونشوة الطرب قد سريا في جسمه
تَمَشَّى بَيْنَ قَتْلَى قَدْ أَصِيبَتْ نَفُوسُهُمْ وَلَمْ تُهْرَقْ دِمَاءُ
تسري هذه النشوة في قوم أصيبت نفوسهم منها لكن دون إراقة دماء

وَمَا أَذْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَذْرِي أَقَوْمَ آلِ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءِ
يهزأ بهم: لست أدري أهؤلاء رجال أم نساء؟ ومن هذا البيت استنتج اللغويون أن كلمة قوم تعني الرجال دون النساء

فَإِنْ قَالُوا النِّسَاءُ مُخَبَّاتٌ فَحَقٌّ لِكُلِّ مُحْصَنَةٍ هَذَا
يستمر في السخرية: إن كانوا من النساء المخبات في خدورهن، فالتوقع لكل أنثى محصنة، مصونة، أن تهدي، أي تزف، إلى زوج

وَأَمَّا أَنْ يَقُولَ بَنُو مَصَادٍ: إِلَيْكُمْ، إِنَّا قَوْمٌ بَرَاءُ
على بني مصاد، وهم من بني حصن، إمّا أن يتبرأوا من تلك الفعلة بأن يحلفوا بأنهم لم يفعلوها
وَأَمَّا أَنْ يَقُولُوا: قَدْ وَفَيْنَا بِذِمَّتِنَا، فَعَادَتْنَا الْوَفَاءُ
وإما الوفاء فيعيدون للرجل ماله

وَأَمَّا أَنْ يَقُولُوا: قَدْ أَبَيْنَا فَشَرُّ مَوَاطِنِ الْحَسْبِ الْإِبَاءُ
وإما الاعتراف بأنهم يرفضون تأدية ما عليهم، وهذا الخيار شر لاحق بالشر

وَأَنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ: يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جِلَاءُ
وتلخيص القاعدة القانونية: الحق يتم بأن يحلف المرء يميناً، أو بأن يكون هناك نفار، أي احتكام، أو يكون جلاء أي انكشاف للأمر. وكان عمر بن الخطاب معجباً بهذا البيت

فَذَلِكُمْ مَقَاطِعُ كُلِّ حَقٍّ، ثَلَاثٌ كُلُّهُنَّ لَكُمْ شِفَاءُ
هذه وسائل بيان الحق

وَجَارٍ سَارَ مُعْتَمِداً إِلَيْكُمْ أَجَاءَتْهُ الْمَخَافَةُ وَالرَّجَاءُ
هذا الرجل استجار بكم ونزل عندكم، وقد جاء به الخوف من خصومه، والرجاء في الحصول
على حمايتكم

فَجَاوَزَ مُكْرَمًا، حَتَّى إِذَا مَا دَعَاهُ الصَّيْفُ وَانْقَطَعَ الشِّتَاءُ .
فأكرمتموه في الشتاء، وهو وقت الشدة والقحط، وعندما حل الصيف .

صَمِئْتُمْ مَالَهُ، وَغَدَا جَمِيعًا عَلَيْكُمْ نَقْضُهُ وَلَهُ النَّمَاءُ
أخذتم ماله، أي إبله، لذا فكل ما نقض منها يجب أن يكون عليكم أداؤه، وكل زيادة فيها فهي
من نصيبه

فَإِنْ تَدَعُوا السَّوَاءَ فَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ بَنِي حُضْنٍ بَقَاءُ
فيا بني حصن! إن تركوا العدل فلا بقاء للمودة بيني وبينكم

وَيَبْقَى بَيْنَنَا قَذَعٌ، وَتُلْفَوُا إِذَنْ قَوْمًا بِأَنفُسِهِمْ أَسَاءُوا
ويحل محل المودة القذع، أي الشتم، وما تسيئون إلا إلى أنفسكم

١٤ الجواد على علاته

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ، وَلَكِنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمٌ
البخيل يلحقه اللوم في كل مكان، ولا كذلك هرم بن سنان فهو سخي على علاته، أي عندما
يكون مضيئاً عليه في الرزق

هُوَ الْجَوَادُ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفْوَاً، وَيُظْلِمُ أَحْيَاناً فَيَظْلِمُ
سخي يعطيك النائل، المال، عفواً، بسهولة، وقد يغبنه بعضهم فيتحمل الغبن كرمياً منه

وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ يَقُولُ: لَا غَائِبَ مَالِي وَلَا حَرَمٌ
إن جاءه صاحب يسأله لم يقل له إن مالي، أي إيلي، غائبة، ولا ممنوعة عنك

١٥ عود قومه عليه

وَعُودَ قَوْمِهِ هَرِمٌ عَلَيْهِ وَمِنْ عَادَاتِهِ الْخُلُقُ الْكَرِيمُ
عودهم على كرمه

كَمَا قَدْ كَانَ عُودَهُمْ أَبُوهُ إِذَا أَرَمَتْهُمْ يَوْمًا أَرْوَمٌ
وكان أبوه قد عود القوم على الكرم وقت الأزمات

كَذَلِكَ خِيَمُهُمْ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ إِذَا مَسَّتْهُمْ الضَّرَاءُ خِيَمٌ
كَذَلِكَ خِيَمِهِمْ، وطبع الأصيل لكل قوم يتجلى في وقت الضراء، أي الشدة

١٦ نسيان الموت

أَرَانَا مُوَضِّعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ وَنُسَحَّرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ
أَرَانَا مُوَضِّعِينَ، أي مسرعين، لأمر هو في الغيب، ولكننا نهتم بطعامنا وشرابنا غير عارفين المصير
بعد الموت

كَمَا سُحِرَتْ بِهِ إِدْمٌ وَعَادٌ فَأَضَحُوا مِثْلَ أَحْلَامِ النَّيَامِ
كذا اهتمت إرم وعاد بأمر معاشهما فبادتا

١٧ بيوتنا حصوننا

بلغ زهيراً أن بني تميم يحشدون لغزو غطفان، فقال:

أَلَا أُبْلِغُ لَدَيْكَ بَنِي تَمِيمٍ وَقَدْ يَأْتِيكَ بِالْخَبَرِ الظَّنُونُ
أبلغ قبيلة تميم، وأقول قولي هذا عارفاً أن الخبر قد يأتي به شخص ظنون غير ثقة؛ ولكن، بما أنه
وردنا الخبر فلا بد من التحذير

بِأَنَّ بَيْوتَنَا بِمَحَلِّ حَجَرٍ بِكُلِّ قَرَارَةٍ مِنْهَا نَكُونُ
أبلغ تميمياً بأن بيوتنا في حجر عامرة بأهلها الساكنين وديانها

بِأُودِيَةِ أَسَافِلُهُنَّ رَوْضٌ وَأَعْلَاهَا إِذَا خِفْنَا حُصُونُ
فالوديان رياض، والهضاب حصون نلجأ إليها عند الخوف، أي وقت حدوث تهديد

فَقَرِيٍّ فِي بِلَادِكِ، إِنَّ قَوْمًا مَتَى يَدْعُوا بِلَادَهُمْ يَهْوُونَا
فقرى يا قبيلة تميم في بلادك - بشرق الجزيرة - فالقوم الذين يفارقون ديارهم لتحققهم المذلة والهوان

١٨ بعد التسعين

كَأَنِّي وَقَدْ خَلَفْتُ تِسْعِينَ حِجَّةً خَلَعْتُ بِهَا عَنْ مَنَكِبَيَّ رِدَائِيَا
كأنني بعد بلوغ التسعين قد أصبحت متعباً للنهاية كمن يخلع رداءه متعباً للنوم مثلاً

إِلَى حُفْرَةٍ أَهْدَى إِلَيْهَا مُقِيمَةً يَحُثُّ إِلَيْهَا سَائِقٌ مِنْ وَرَائِيَا
مصري حفرة يحثني نحوها سائق يدفعني من ورائي

أَرَانِي إِذَا مَا شِئْتُ لَأَقِيْتُ آيَةً تُذَكِّرُنِي بِعُضِّ الَّذِي كُنْتُ نَاسِيًا
أَلَا فِي عِلَامَاتٍ تُذَكِّرُنِي بِعُضِّ مَا كُنْتُ نَسِيْتُهُ ، فَقَدْ أَرَى أَثَارَ قَوْمٍ ذَهَبُوا فَأَتَذَكَّرُ أَنَّنِي أَنَا ذَاهِبٌ أَيْضًا
أَلَا لَا أَرَى عَلَى الْحَوَادِثِ بَاقِيَا وَلَا خَالِدًا إِلَّا الْجِبَالَ الرَّوَاسِيَا
كَلْنَا ذَاهِبٌ إِلَّا هَذِهِ الْجِبَالُ الرَّاسِخَةُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَهْلَكَ تُبْعًا وَأَهْلَكَ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ وَعَادِيَا؟
وَقَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ تَبْعًا مَلِكُ الْيَمَنِ ، وَلُقْمَانُ بْنُ عَادٍ الْحَكِيمُ ، رَغِمَ طَوْلُ عَمْرِهِ ، وَ«عَادِيَا» أَبَا السَّمَوَالِ
صَاحِبَ الْحَصَنِ الْمَنِيعِ

زهير بن أبي سلمى
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

١٠	وَالْفِعْلُ	١٣	نَشَاءُ
٩	التَّقَالِي	١٦	وَبِالشَّرَابِ
١٢	هَوَامِلُهُ	٣	قَعَدُوا
١١	وَرَوَّاحِلُهُ	٢	بِمُخْلِدٍ
١٥	الكَرِيمُ	٥	أَكْثَرُ
١٤	هَرِمُ	٤	ذَهْرٍ
١	فَالْمُتَشَلِّمُ	٦	مَزَارٍ
١٧	الظُّنُونُ	٧	عَلِقَا
١٨	رِدَائِنَا	٨	الْمَعِكَ

النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيّ

(١١٠ ق هـ - ٨ ق هـ)

ما الذي أقدمه لك أيها القارئ، وما الذي يقدمه لك الآخرون؟

يقدمون لك ديوان النابغة محققاً تحقيقاً حسناً مقابلاً على نسخ كثيرة. .
يتعبون في ذلك أشهراً. وأنا أتكلم عن نسخة محمد أبو الفضل إبراهيم الممتازة
التي جمع فيها جهوداً طيبة لمستشرقين صنعوا شروحاتاً بديعة للأعلام الشنمري
والأصمعي، ويعقوب بن السكيت والبطلوسي. هذا موجود، ويقع في نحو
ثلاثمئة صفحة فيها تدقيق كثير وضبط، ولكن الشرح للأقدمين، وما وجد بغير
شرح ترك غير مشروح، لكنه قليل.

ويقدم لك بعضهم قصائد للنابغة غير مشروحة؛ هذا تجده في كتب
المختارات، وتجده في الإنترنت. فكل شعر النابغة موجود في الشبكة. ثمة
نسخ مشكولة شكلاً جيداً ونسخ غير مشكولة. ولم أجد في كل ما ذكرت -
سواء الديوان المحقق تحقيقاً ممتازاً أم القصائد المنتشرة في الكتب - شرحاً
جديداً بلغة معاصرة.

وما أقدمه لك ليس ثمرة شقاء أشهر ولا سنين. بل هو ثمرة شغل أسبوعين،
بل ثلاثة. أقدم لك ذوقي الخاص في الاختيار، وشرحي الخاص المستفيض
المعاصر. وأقدم لك النابغة في نحو خمس وعشرين صفحة أو نحو ذلك. وأقول
لك: يا ابن أخي.. هذا هو النابغة. هذا هو في أبداع أشعاره. وأروي لك ما
صح عندي من وقائع حياته، وقد نخلت ذلك نخلًا شديداً من كتب الأقدمين.

النابغة الذبياني الذي تراه في الصفحات المقبلة شاعر يحسن صوغ الكلام
وتأليفه وتكثيفه. وقد اخترت لك ما وجدته بديعاً، واخترت أيضاً ما وجدته
أجيال متعاقبة من المتأدبين بديعاً. فما أكثر الأبيات التي قالها شاعرنا وسارت

سير المثل. أقدم لك، ليس شعر النابغة الذي أحبه أنا فقط، بل شعر النابغة الذي رددته العصور أيضاً.

لأنني لا أجد في المختارات التي تملأ السوق شيئاً شبيهاً بمختاراتي: بطريقة اختيارها، وبطريقة شرحها، فإنني أمضي في تعقب كبار الشعراء بالاختيار والشرح. وصدقني، أن لدي من المشاغل ما هو أعود عليّ بالمال من ذلك. لا بل إنني - في أغلب الظن - سأدفع من جيبي الكثير عندما يحين وقت دفع هذا العمل إلى المطبعة.

لن أنسى ما حييت - ولم يبق لي كثير - صديقاً عزيزاً زارني يوماً وقد انتهت لتوي من تأليف كتاب يقع في أزيد من أربعمئة صفحة، وقد حملت الكتاب حمل بغير من معارفي وتجاربي الإعلامية واللغوية، فرأى الكتاب، فسأل ما هذا؟ فقلت له ما هذا. فأمسكه بإصبعين من طرف غلافه، وهو بعد نسخة ورقية لم يذهب إلى المطبعة، ورفع بكثير من الاشمزاز. ونظر فيه نظرة، والتقط فقرة، وزم شففيه، ثم ألقاه من يده.

وتسألني: كيف أدعو هذا الصديق «عزيزاً»، فأجيبك من شعر النابغة: «أي الرجال المهذب؟» وتمة القصة أنني طبعت ذلك الكتاب وأسميته «اللغة العالية»، ونال قدراً من الاستحسان.

أقول ذلك، كي أفهمك أن المؤلف رجل مسكين. فاذرف بعض الدموع عليّ، وعلى ما ألاقى.

النابغة صاحب فلائد. له أبيات كثيرة تصلح أن تكون أمثالاً تضرب. وضربت.

أخبار النابغة مبسوبة في الأغاني وفي الشعر والشعراء. ونثق بكثير من شعره لأنه شعر حضري، شهد بلاطات الملوك، وحفظه الناس لما أحاط به من هالة الملك.

حياة النابغة

عاصر النابغة زهيراً، تقارباً في سنة الميلاد وسنة الوفاة، ولكننا لا نجدهما، على قرب الدار، قد التقيا، إلا في حادثة واحدة سبقت بسند ضعيف. فلن نستطيع أن ننسج لك قصة نصف خرافية عن علاقة بين هذين

الشاعرين. كان زهير بيتوتياً قاعداً في قومه بني مزينة لاصقاً بيثرب، وقبيلته الصغيرة لاصقة ببني مرة، أو لعله كان يعيش مع غطفان. وأدار شعره على مدح سيدين من بني مرة سَعياً في الصلح بين قبائل غطفان المحتربة، وعلى نزاعات صغيرة في محيطه الضيق. ولعل زهيراً لم يكن يرد عكاظ كما كان يردها الشعراء. ولعله كان يأنف أن يأتي الخيمة الكبيرة التي يجلس فيها النابغة في عكاظ يسمع الشعراء ويحكم بينهم.

ولن نستطيع أن نصنع شيئاً من ذلك عن النابغة والأعشى، وإن كانا التقيا في سوق عكاظ حيث امتدح النابغة شعر الأعشى الذي يصغره بنحو ربع قرن. فلم ترد عنهما معاً أخبار تكفي لتحجير افتراء.

ولن نستطيع أن نزيد كثيراً على قصتين جمعنا النابغة بحسان بن ثابت. وقصة صغيرة امتدح فيها شعر الخنساء.

كان النابغة سياسياً، ثم شاعراً.. وكان كل أولئك شعراء لا غير.. فإذا جاء الإسلام خاض حسان في السياسة، وكان للخنساء موقف، وكان للأعشى موقف مبتور. فأما النابغة فقد مات قبل الهجرة وقبل البعثة.

فالقصة التي يمكن نسجها، حتى تكون عمود حياة النابغة، قصة سياسية تقوم على كونه سيداً من كبار سادة قبيلته ذبيان، والقبيلة الكبرى غطفان.

اشتغل زياد بن معاوية، وهذا اسمه، بالسياسة. فكان سفير قومه إلى دولة الغسانيين في الشمال، ومديراً للخصومات فيما بين عشائر غطفان. وكانت عشائر من غطفان تسكن شمال يثرب. وغطفان قبيلة عدنانية من عرب الشمال. ولعله بلغ مبلغ السيادة وهو شاب، ولكننا لا نجد شاهداً على هذه الفترة من شعره، فقد قال الشعر كبيراً.. قيل بعد الأربعين، وقيل إن هذا هو سبب تلقيه بالنابغة. فقد نبغ، أي نبغ، منه الشعر في سن ما كان يتوقع أن يصلها شاعر إلا وقد قال شعراً كثيراً.

عاشت غطفان (ومنها ذبيان، ومرة، وأشجع، وفزارة، وثعلبة، وعبس، وأنمار) عيشة بدو رحل. غير أنه كان لبعضهم نخل، ولم يكونوا يتجاوزون في ترحالهم منطقتهم في شمال الحجاز والأطراف الغربية لنجد. وإلى الشمال منهم كانت دولة الغساسنة التي كانت تقوم للروم بمثل ما يقوم به بعض العرب لأميركا في أيامنا. على أنها كانت أيضاً دولة تخمًا.. دولة فاصلة. فكما

أقامت إسرائيل في جنوب لبنان في السبعينات دولة فاصلة تدرأ عنها هجمات المقاومة أقام الروم في حوران والجولان دولة فاصلة تكفيهم هجمات القبائل العربية. وكانت قبيلة غسان عماد هذه الدولة.

ولم يكتف الغساسنة برد القبائل العربية، بل كانوا يدخلون حماها بين الحين والحين، وكان لا بد من قنوات اتصال بين الغساسنة وبين القبائل. وكان زياد بن معاوية، النابغة الذبياني، قناة اتصال. وفي إحدى توغلات الغساسنة في حمى ذبيان نفسها أسروا ابنة للنابغة، وسرعان ما أطلقوها وأطلقوا معها بقية الأسرى إكراماً لصديقهم النابغة.

كان الوضع بشكل عام فيما بن القبائل ودولة الغساسنة وضع سلم. وكان النابغة يزور ملوك الغساسنة في جلق، قرب دمشق، وفي الجابية بالجولان زيارات ودية. وعندما اكتهل قال الشعر فمدح ملوكهم، وأخذ أعطياتهم.

وأما التوتر المستمر والحروب الكثيرة فكانت فيما بين الغساسنة والمناذرة. كان المناذرة يحكمون جنوب العراق، وعاصمتهم الحيرة، قرب كوفة اليوم. وكانوا لدولة الفرس ما كانه الغساسنة لدولة الروم. كانوا يدرون عن ملك الأكاسرة غزوات عرب شرق نجد، تميم وربيعة.

يلفت النظر أن المناذرة والغساسنة كليهما من عرب اليمن، بينما كانت القبائل البدوية التي يراد درء زحفها عدنانية من عرب الشمال. وقد شهدت سوريا حروباً طاحنة بين الدولتين العربيتين في موازاة الحروب بين الدولتين الكبيرين: فارس والروم. ولم تنقض الثارات بين دولتي العرب إلا بالإسلام.

قصد النابغة الذبياني النعمان بن المنذر ملك المناذرة في الحيرة. ومدحه ونال أعطياته، مثلما كان ينال أعطيات الحارث الغساني.

وعاد إلى الغساسنة ومدح عمرأ الذي تولى بعد أبيه الحارث. وأعطاه عمرو بن الحارث، فشكره. وغضب النعمان بن المنذر. فاعتذر إليه النابغة بقصائد من أشهر ما قال. ورضي عنه النعمان بن المنذر.

قالوا غضب عليه النعمان بن المنذر (ونذكر اسمه كاملاً كل مرة لأن الغساسنة كان عندهم نعمان آخر)، لأن النابغة وصف زوجته وتغزل بها، وقالوا بل غضب عليه لأنه هجاه، وقالوا بل غضب عليه لأنه لم يستطع أن يجعله خالصته.

ظل النابغة سيداً في قومه، وعاش طويلاً. على أن قوله الشعر واستعطاءه

الملوك غرض من مكانته السياسية، ونزل به عن كونه السفير الذي يربأ بنفسه عن مدح من يسفر إليهم. وهذا يشبه وضع الصحفي الذي يزداد التصاقه بالسياسي فينزل في عين مهنة الصحافة، وإن ارتفع رصيده المصرفي.

قضى النابغة السنوات الأخيرة من شيخوخته في قومه بني ذبيان رجلاً ثرياً، له من السيادة نصيب.

ولن نطيل الحديث عن شعر النابغة، فقد انتخبنا قلائده، وهي بين يديك. وقد عده القدماء أحد أهم ثلاثة شعراء جاهليين، والآخرون زهير بن أبي سلمى، وامرؤ القيس.

١ يا دار مية (المعلقة)

قال يمدح النعمان بن المنذر، ويعتذر إليه. وكان النعمان وجد عليه إذ بلغه أن النابغة وصف «المتجرده» زوجة النعمان:

يا دارَ مِيَّةٍ بِالعِلياءِ فَالسَّنَدِ أَقْوَتْ، وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبَدِ

خاطب الأطلال فقال: يا دار المحبوبة «مية» في هذين الموضعين، العلياء فالسند، ثم «التفت» فصار يخاطبنا نحن ويقول: قد أقوت، أي أقفرت وخلت من أهلها، وطال عليها سالف الأبد (والأبد هو الدهر) وهي خاوية

وَقَفْتُ فِيهَا أَصِيلَاناً أَسْأَلُهَا عَيْتَ جَوَاباً، وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدٍ

وقفت وسط أطلال هذه الدار أصيلاناً، أي ذات أصيل قبيل الغروب، أسألها عن أهلها، فعمزت عن الجواب، والجواب معروف.. فليس في المكان أحد وأمله رحلوا

أَمَسْتُ خَلَاءً، وَأَمْسَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ

أمست الدار خالية من الناس، وأهلها حملوا أمتعتهم وغادروها، وقد أخنى عليها، أي خربها، الزمن الذي كان أخنى على «لبد»، ولبد هو النسر السابع من نسور لقمان. وكانت الصفة أن يعيش لقمان قدر عمر سبعة أنسر، يموت نسر فيؤتى بفرخ نسر مكانه، وكان آخرها النسر «لبد» وعاش طويلاً، لكنه في النهاية مات، ومات بموته لقمان. وقالوا عاش هذا النسر السابع أربعمئة عام. ليقولوا ما شاءوا فلا نحن حضرنا حياته وموته، ولا العقل حضر في رؤوس أصحاب الأساطير. ما يغيظ المرء أن بعض الباحثين المحدثين ينقل هذه الخرافات دون أدنى إشارة إلى أنها محض أساطير. وهذا اقتراح لبعض أدبائنا: مثلما صنع يوهان غوته الألماني قبل مئتي عام فأخذ خرافة أوروبية عن فاوست الذي اشتهى المعرفة وأراد أن يلتهمها التهاماً فباع روحه للشيطان مقابل سنين، يمكن لنا أن نطور قصة لقمان ونسوره، فللقمان كان يطلب الحكمة. ونالها، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢].

فَعَدَّ عَمَّا تَرَى إِذْ لَا ارْتِجَاعَ لَهُ وَانْمِ الْقُتُودَ عَلَى عَيْرَانَةٍ أُجِدِ

اترك هذا الذي تراه، فلا رجعة لما مضى، وانم القتود، أي ارفع السرج والمتاع، على ناقة ضخمة متينة تشبه الغَيْر، أي حمار الوحش في النشاط، وهي أجد أي قوية

مَقْدُوفَةٌ بِدَخِيسِ النَّحْضِ، بَازِلُهَا لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفٌ الْقَعْوِ بِالْمَسِدِ

هذه الناقة كأنها قذفت قذفاً بدخيس النحض، أي باللحم المتكاثف؛ وبازلها، أي نابها، له صوت إذ تحك أسنانها، كصوت القعو، أي البكرة وعليها المسد، أي الجبل عند البشر

كَأَنَّ رَحْلِي، وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا يَوْمَ الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحِدِ

كأنني أضع سرجي، وقد انتصف النهار وبدأ وقت الزوال وأنا وسط شجر الجليل، وهو الشام، كأنني أضع السرج على ثور وحشي مستأنس، أي متجنب للإنس، ومتوحد منفرد.. وسيبدأ في وصف الثور الوحشي الآن..

مِنْ وَحْشٍ وَحْجَةٍ مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ طَاوِي الْمَصِيرِ، كَسَيْفِ الصَّبْلِ الْفَرْدِ

هذا الثور من وحش موضع «وحجة»، وقوائمه مرقطة موشاة، وهو طاوي المصير، أي جائع المصران، يعني ضامر البطن، وجلده يلمع كأنه السيف المفرد بغير غمده وقد خرج من يد الصيقل، أي صانع السيوف

أَسْرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجُوزَاءِ سَارِيَّةٌ تُزْجِي الشَّمَالُ عَلَيْهِ جَامِدَ الْبَرْدِ

أمطرت على الثور غيمة سارية، أي سائرة ليلاً، سببها نوء الجوزاء، وكانوا يعرفون مواسم المطر بمواقع النجوم، وقد ساقط عليه ريح الشمال البرد الصلب

فَارْتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَابٍ، فَبَاتَ لَهُ طَوَعَ الشَّوَامِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرَدِ

خاف الثور من صوت صيادٍ صاحب كلاب، فأصبح من خوفه ومن صرده، أي مما به من شدة البرد، طوع الشوامت، مثاراً لفرح الشامتين

فَبَثُّهُنَّ عَلَيْهِ، وَاسْتَمَرَّ بِهِ صُمَعَ الْكُعُوبِ بَرِيثَاتٍ مِنَ الْحَرَدِ

فأطلق الصياد الكلاب على الثور؛ واستمر بالثور، أي أنهضه، قوائم صمع الكعوب أي شديدة لبس فيها حرد ولا استرخاء

وَكَانَ «ضُمْرَانُ» مِنْهُ حَيْثُ يُوزَعُهُ طَعَنَ الْمُعَارِكُ عِنْدَ الْمُحْجَرِ النَّجْدِ

المعنى الملموح: كان الكلب «ضمران» قد اقترب فصار من الثور بحيث استطاع الثور أن يطعنه بقرنه طعنة محارب شجاع

شَكَ الْفَرِيصَةَ بِالْمِدْرَى فَأَنْفَذَهَا طَعَنَ الْمُبَيْطِرِ إِذْ يَشْفِي مِنَ الْعَصْدِ

شك الثور فريضة الكلب، وهي عضلة الكتف، وهي مقتل؛ شكها بالمدرى، بالقرن، مثلما يشك طبيب الإبل الجمل كي يشفيه من داء في عضده. ما الذي يجبرنا على فك كل هذه الألغاز! إن وصف الثور عند النابغة مما قلده فيه الشعراء من بعد.. فاصبر له

كَأَنَّهُ، خَارِجاً مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِهِ، سَفُودُ شَرِبِ نَسُوهُ عِنْدَ مُفْتَأَدٍ
كَأَن قَرْنَ الثَّوْرِ وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ جَنْبِ الْكَلْبِ سَفُودُ شَرِبِ، سَيْخُ شَوَاءٍ لِقَوْمِ شَارِبِينَ، تَرَكُوهُ عِنْدَ الْمُفْتَأَدِ،
وَهُوَ مَكَانُ شَيْءٍ اللَّحْمِ. فَالْقَرْنَ مَدْمَى مِنْ طَرَفِهِ الْمَدْبَبِ وَقَدْ عُلِقَ فِيهِ الْكَلْبُ كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ لَحْمٍ

فَطَلَّ يَعْجُمُ أَعْلَى الرَّوْقِ مُنْقَبِضاً فِي حَالِكِ اللَّوْنِ صَدَقٍ غَيْرِ ذِي أَوْدٍ
ظَلَّ الْكَلْبُ يَمْضِغُ أَعْلَى الْقَرْنَ، وَجَسْمُهُ يَتَقَبَّضُ أَلْمَأَ، وَالْقَرْنَ مَسْوَدُ اللَّوْنِ، صَدَقٌ، أَيْ صَلْبٌ، غَيْرِ
ذِي اعْوَجَاجٍ

لَمَّا رَأَى «وَأَشَقُّ» إِقْعَاصَ صَاحِبِهِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى عَقْلٍ وَلَا قَوْدٍ
رَأَى الْكَلْبُ الْآخَرَ وَاسْمُهُ - عَلَى ذِمَّةِ النَّابِغَةِ - «وَأَشَقُّ» إِقْعَاصُ، أَيْ طَعْنُ، صَاحِبُهُ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى
عَقْلٍ، أَيْ دِيَّةٍ، وَلَا قَوْدٍ، أَيْ أَخَذَ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ. هَذِهِ نَفْهَمُهَا عَلَى أَنَّهَا فَكَاهَةٌ مِنَ النَّابِغَةِ.
فَكَاهَاتُ الْجَاهِلِيَّةِ دَلَعُ الْعَجَائِزِ، وَكُلُّ شَيْءٍ جَائِزٍ حَتَّى..

قَالَتْ لَهُ النَّفْسُ: إِنِّي لَا أَرَى طَمَعاً وَإِنَّ مَوْلَاكَ لَمْ يَسْلَمْ وَلَمْ يَصِدْ
حَدَّثَ الْكَلْبُ الثَّانِي نَفْسَهُ قَاتِلاً: لَا أَرَى مَطْعِماً فِي هَذَا الثَّوْرِ، وَمَوْلَايَ، أَيْ رَئِيسِي، أَيْ الْكَلْبِ
الْأَوَّلِ، لَمْ يَسْلَمْ وَلَمْ يَصِدْ، فَعَلَامٌ أَخَاطَرَ بِنَفْسِي

فَتِلْكَ تُبْلِغُنِي التَّعْمَانَ، إِنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى النَّاسِ فِي الْأَذْنَى وَفِي الْبَعْدِ
هَذِهِ النَّاقَةُ، الَّتِي شَبَّهْتُهَا بِالثَّوْرِ الْوَحْشِيِّ، سَتُبْلَغُنِي التَّعْمَانَ، وَلَهُ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ: الْقَرِيبُ مِنْهُمْ وَالْبَعِيدُ

وَلَا أَرَى فَاعِلاً فِي النَّاسِ يُشَبِّهُهُ وَلَا أَحَاشِي مِنَ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدٍ
لَا أَرَى فَاعِلاً لِلْخَيْرِ يُشَبِّهُهُ، وَلَا أَسْتَنِي أَحَدًا

إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ لَهُ قُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ فَاحْذُذْهَا عَنِ الْفَنَدِ
إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ أَمَرَهُ اللَّهُ بِأَنْ يَقُومَ فِي النَّاسِ وَيَمْنَعَهُمْ مِنَ الْفَنَدِ، أَيْ الْخَطَا

وَحَيْسِ الْجِنِّ، إِنِّي قَدْ أَذْنْتُ لَهُمْ
وَقَالَ لَهُ اللَّهُ: حَيْسِ الْجِنِّ، ذَلَّلْتُهُمْ، فَقَدْ أَذْنْتُ لَهُمْ بِنَاءَ تَدْمَرٍ بِالصَّفْحَاحِ، الْحِجَارَةِ
الْمَبْسُطَةِ، وَالْأَعْمَدَةِ. وَالْيَوْمَ، بَعْدَ أَرْبَعَةِ آلَافِ سَنَةٍ مِنْ بِنَاءِ تَدْمَرٍ، كَانَتْ مِنْ بِنَاهَا مِنْ
كَانَ، سَعَى فِي تَدْمِيرِ آثَارِهَا الْمُتَشَدِّدُونَ الَّذِينَ احْتَلَوْهَا، يَعْنِيهِمْ فِي ذَلِكَ طَيْرَانُ الْحُكُومَةِ،
حَدَّثَ وَيَحْدُثُ هَذَا الْآنَ، وَنَكْتُبُ فِي آخِرِ نَوْفَمْبَرٍ/ تَشْرِينِ الثَّانِي مِنْ عَامِ ٢٠١٥

فَمَنْ أَطَاعَكَ فَانْقَعَهُ بِطَاعَتِهِ كَمَا أَطَاعَكَ، وَادَّلَهُ عَلَى الرَّشْدِ
وَيَأْمُرُ اللَّهُ سُلَيْمَانَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ أَطَاعَهُ جِزَاءَ طَاعَتِهِ

وَمَنْ عَصَاكَ فَعَاقِبْهُ مُعَاقِبَةً تَنْهَى الظُّلُومَ، وَلَا تَقْعُدْ عَلَى ضَمَدٍ
وَأَمَّا الْعَاصِي فَلَهُ عِقَابٌ يَرُدُّعُ الظَّالِمِينَ. وَلَا تَقْعُدْ يَا سُلَيْمَانُ مَكْتَفِياً بِالضَّمَدِ، أَيْ الْحَقْدِ عَلَى
الظَّالِمِ، بَلْ ارْدَعْهُ رَدْعاً

فَلَا لَعْمُرُ الَّذِي مَسَّحَتْ كَعْبَتَهُ وَمَا هَرِيقٌ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدٍ

يحلف النابغة بالله الذي مسح كعبته، أي طاف بها، ويحلف بما هريق، أي أريق على الأنصاب، حجارة النبح، من جسد، أي دم...

وَالْمُؤْمِنِ الْعَائِذَاتِ الطَّيْرِ يَمَسُّهَا رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسَّعْدِ

ويحلف بالله الذي يضمن الأمان للطير العائذة بالحرم التي يمسحها، أي يمر بها، قُصَاد مكة الكائنة بين مائي الغيل والسعد

مَا قُلْتُ مِنْ سَيِّئٍ مِمَّا أَتَيْتَ بِهِ إِذَنْ فَلَا رَفَعْتُ سَوْطِي إِلَيَّ يَدِي

ما قلت شيئاً سيئاً من هذا الذي جاءك به الواشون، ولو قلت فلتنزل يدي، ولا استطاعت الإمساك بالسوط على خفته

إِلَّا مَقَالَةً أَقْوَامَ شَقِيتُ بِهَا كَانَتْ مَقَالَتُهُمْ قَرَعًا عَلَى الْكَبِدِ

إن هي إلا أقوال ناس ابتليت بهم، وكان قولهم مثل الدق على كبدي

أُنَبِّئُ أَنْ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي لَا قَرَارَ عَلَى زَأْرِ مِنَ الْأَسَدِ

لقد بلغني أن أبا قابوس، أوعدني، تهددني، فلا اطمئنان لي، تهديده إيائي مثل زئير الأسد

مَهْلًا، فِدَاءَ لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمْ وَمَا أُنْمَرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدٍ

تمهل، يفديك الناس كلهم، ويفديك أولادي وما أجمع لهم من مال

لَا تَقْذِفْنِي بِرُكْنٍ لَا كِفَاءَ لَهُ وَإِنْ تَأْتَفَكَ الْأَعْدَاءُ بِالرَّفْدِ

لا تقذفني بركن ضخم، هو أنت، لا يوجد من يقوم له ويوازيه، حتى لو تأتفك، وتحلق حولك، أعدائي يرفدونك بالأكاذيب

فَمَا الْفُرَاتُ إِذَا هَبَّ الرِّيحُ لَهُ تَرْمِي غَوَارِبُهُ الْعَبْرَيْنِ بِالزَّبْدِ

فليس نهر الفرات إذا عصفت الرياح وأخذت غواربه، أمواجه، ترمي الشاطئين بالزبد... بداية تشبيه جديد...

يَمُدُّهُ كُلُّ وَادٍ مُشْرِعٍ لِحَبِّ فِيهِ رُكَّامٌ مِنَ الْيَنْبُوتِ وَالْخَضَدِ

ويرفد الفرات وديان مترعة بالماء ولها خريز عالٍ لحب، وفي كل وادٍ ركام من أغصان شجر الينبوت، وهو الخروب، ومن الخضد، الفروع المقصوفة

يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَّاحُ مُعْتَصِمًا بِالْخَيْرُزَانَةِ بَعْدَ الْأَيْنِ وَالتَّجْدِ

ويظل الملاح فيه متشبثاً بالخيزرانة، بعضاً يوازن بها القارب، أو لعلها الدفة، وهو يعاني الأين، التعب، والتجد، العرق

يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ سَبَبَ نَافِلَةٍ وَلَا يَحُولُ عَطَاءُ الْيَوْمِ دُونَ غَدٍ

هذا الفرات الزاخر ليس أجود من النعمان سبب نافلة، أي عطاء. وعطاؤه اليوم لا يمنعه من تكراره غداً

هَذَا الثَّنَاءُ فَإِنْ تَسَمَّعَ بِهِ حَسَنًا فَلَمْ أُعَرِّضْ - أَبَيَّتِ اللَّعْنُ - بِالصَّفَدِ

هذا ثنائي عليك، تراه حسناً، ولكنني لم ألتج فيه تلميحاً بقصد طلب الصَّفَدِ، أي العطاء، بل هو مديح خالص

هَإِنْ ذِي عِذْرَةٍ، إِلَّا تَكُنْ نَفَعْتُ فَإِنَّ صَاحِبَهَا مُشَارِكُ النَّكَدِ

هذا اعتذاري، فإن لم يجد في نفسك موقفاً، فما أشد نكدي وحزني

٢ فإنك كالليل

قال يمدح النعمان، ويعتذر إليه، ويقول إن ما بلغه عنه إنما هو وشاية:

عَفَا ذُو حُسَى مِنْ «فَرْتَنِي»، فَالْقَوَارِعُ فَجَنَّبَا أَرِيكَ، فَالتَّلَاعُ الدَّوَافِعُ

خلا «ذو حُسى»، هذا الموضع من الحبيبة فرتني، وكذا خلت كل المواقع المذكورة، فالحبيبة رحلت عنها كلها، ويبدو أن هذه المواقع كانت «منازل» لأولئك القوم وهم يرتحلون في اتجاه معين

كَأَنَّ مَجَرَّ الرَّامِسَاتِ ذُبُولَهَا عَلَيْهِ حَصِيرٌ نَمَقَتْهُ الصَّوَانِعُ

في هذا الموقع، ذي حُسى، أرى أن مكان جر الرياح الرامسة، الطامسة، ذبُولَهَا صار يشبه الحصير المنمق صنعه النسوة

فَكَفَّكَفْتُ مِنِّْي عَبْرَةً فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّحْرِ، مِنْهَا مُسْتَهْلٌ وَدَامِعٌ

كفكفت دمعتي، أي دموعي، التي سقطت على أعلى صدري، ومن الدموع ما كان يسيل ومنها ما كان يترقق في العين

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبَا وَقُلْتُ: أَلَمَّا أَضْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعٌ؟

هذا في وقت كنت فيه أعاتب نفسي، وأنا كبير لحق بي المشيب، على الصبا، أي العشق، وأقول: ألا تكف يا رجل، ألا يَزَعُكَ، يردعك، الشيب؟

وَقَدْ حَالَ هَمٌّ دُونَ ذَلِكَ شَاغِلٌ مَكَانَ الشَّغَافِ تَبَتَّغِيهِ الْأَصَابِعُ

حال دون سكينه النفس هم شاغل كأنه يغلف القلب بدلاً من غلافه الذي هو «الشغاف»، وهذا القلب تجسه أصابع الطيب وهو يريد معرفة ما بي من سقم

وَعَبْدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ أَتَانِي وَدُونِي رَاكِبٌ فَالضَّوَاجِعُ

والهم هو تهديد النعمان، أبي قابوس، القائم على غير كنه، حقيقة؛ وقد جاءني هذا الوعيد وأنا قريب من ذنك المكانين

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتُنِي ضَمِيلَةً مِنْ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ

بتُّ كأنما هاجمتني حية ضميلة، والضميلة في الأناعي سامة خبيثة، وهي مرقشة وفي أنيابها سم راسخ كامن

يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ الثَّمَامِ سَلِيمُهَا لِحَلْيِ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ

والسليم، أي الملسوس - ويسمونه سليماً تيمناً بسلامته - يُجبر على السهر، ويعلقون به حلّي النساء التي تقعقع لمنعه من النوم خوف سريان السم في جسمه

أَتَانِي - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - أَتَكَ لُمْتَنِي وَتِلْكَ الَّتِي تَسْتَكُّ مِنْهَا الْمَسَامِعُ

أتاني أنك لمتني وهذا أمر تستك، تُضرب ضرباً، به الآذان لهوله

لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَيَّ بِهِيْنِ لَقَدْ نَطَقْتُ بُظْلًا عَلَيَّ الْأَقَارُعُ

أنسم بحياتي، وليست حياتي بهينة عليّ، أن ما قاله عني «الأقارُع» إنما هو وشاية باطلة

حَلَفْتُ، فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِبَةً وَهَلْ يَأْتَمَنُ ذُو إِمَّةٍ وَهُوَ طَائِعُ

قد حلفت لك، وأملّي أن يكون في ذلك زوال شكوكك، وهل يحلف أئماً كاذباً رجل له إمة، أي خلق مستقيم

لَكَلَّفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ، وَتَرَكْتَهُ كَذِي الْعُرِّ يُكْوِي غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعُ

لقد كلفتني حمل ذنب غيري وتركت المذنب؛ وهذا كفعلهم في الإبل إذ يكونو الجمل السليم ويتركون ذا العر، المتفرح جلده، راتعاً. وقيل كان بعضهم يفعل ذلك بالإبل

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُتَنَائِي عَنْكَ وَاسِعُ

أنت كالليل الذي لا مهرب منه، مهما ظنه المرء بعيداً

خَطَاطِيفُ حُجْنٍ فِي حِبَالٍ مَتِينَةٍ تَمُدُّ بِهَا أَيْدِي إِلَيْكَ نَوَازِعُ

وسطوتك كبيرة فكأن ثمة خطاطيف، حداثد معقوفة، مربوطة بحبال، وتمسكها الأيدي وتشدها نحوك. أي أن يدك طائلة ولا يفلت منك أحد

أَتَوَعَّدُ عَبْدًا لَمْ يَخُنْكَ أَمَانَةٌ وَتَتَرُكُ عَبْدًا ظَالِمًا وَهُوَ ضَالِعُ؟

أنهدد أميناً وترك ظالماً ضالماً، أي مائلاً عن الحق؟

٣ راعي النجوم وراعي الهموم

وقال النابغة يمدح عمرو بن الحارث الغساني، حين لجأ النابغة إلى الشام لما خاف ملك المناذرة النعمان:

كَلِّبْنِي لَهْمٍ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

دعيني يا أميمة لهم متعب انتابني، ولليل طويل أقاسيه كأن كواكبه بطيئة الحركة لا تزول. ورووا «أميمة» بالفتح، وتعبوا في تعليلها. عللها الخليل بأن العرب درجت على ترخيم المؤنث، فهو أراد أن يقول «يا أميم» فألجأه الوزن إلى «يا أميمة» فأبقى الفتح

تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ: لَيْسَ بِمُنْقَضٍ وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بِآبٍ

طال ليلي حتى ظننته لن ينقضي ويزول، وحتى ظننت أن الراعي الذي يرعى الكواكب - فكأنها الإبل السارحة - لن يؤوب بها. يشبه النجوم بالإبل وهو ينتظر رجوعها إلى مباركها وخلو السماء من النجوم بطلوع الصباح، ولكن راعي الإبل لا يعود بإبله، والصباح لا يطلع.. انتظر تشبيهاً عظيماً في البيت التالي:

وَصَدْرٍ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبٍ هَمٍّ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

تفسير كلمتين: أراح (أرجع الإبل إلى مباركها مساءً)، العازب (الراعي الباث في المرعى بعيداً عن أهله). شرح: لئن كان راعي النجوم، في البيت السابق، لم يرجع بنجومه وظلت تتلألأ، فإن العازب (أي الراعي الذي بات في المرعى ولم يعد إلى أهله) قد أراحه الليل (أرجعه) إلى صدري، وهو عازب الهم، أي هو الهم العازب. شرح أخصر: هموم صدري العازبة أرجعها الليل إلى صدري

عَلَيَّ لِعَمْرٍو نِعْمَةٌ - بَعْدَ نِعْمَةٍ لِوَالِدِيهِ - لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبٍ

لعمري بن الحارث عليّ نعمة - وهي تأتي بعد نعمة كان والده أسداها إليّ - وهي نعمة خالصة بغير عقارب، أي لا يتبعها من وتكدير

وَوَثِقْتُ لَهُ بِالنَّصْرِ إِذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ كَنَائِبُ مِنْ غَسَّانَ غَيْرُ أَشَائِبٍ

ووثقت أنه سينصر إذ غزت كتائب قبيلة غسان التي ليس فيها أشائب (أخلاق من قبائل أخرى)

إِذَا مَا غَزَوْا فِي الْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

عندما يغزون تحلق فوقهم أسراب من الطيور تهتدي بأسراب قبلها فتلحق بها

يُصَاحِبُنَهُمْ حَتَّى يُغِيرْنَ مَعَارَهُمْ مِنَ الضَّارِيَاتِ بِالدِّمَاءِ الدَّوَارِبِ

تصاحب الطيور المقاتلين حتى تغير مثلهم وتأكّل من الجثث، وهي طيور من الضاريات والدواريات (المتعودة عليه)

تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ خُزْراً عُيُونُهَا جُلُومَ الشُّيُوخِ فِي ثِيَابِ الْمَرَانِبِ

وقبل الالتحام بين المقاتلين ترى الطيور، وهي النسر في الغالب، خلف المقاتلين جالسة جلوس الشيوخ اللابسين المranib (الأكسية الغليظة). وانظر إلى النسر في صورة من صور الإنترنت جاثماً على الأرض، فهو بحق كما صورته النابغة

جَوَانِحَ قَدْ أَبْقَنَ أَنْ قَبِيلَهُ إِذَا مَا التَّقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلَ حَالِبٍ

الطيور الجوانح (أي المنقضة كاسرة أجنحتها) أيقنت أن قوم عمرو بن الحارث سيغلبون أعداءهم. قال ابن قتيبة: «الطير قد تتبع العساكر للقتلى، ولكنها لا تعلم أيهما يغلب» ورد عليه محقق «الشعر والشعراء» أحمد شاکر ببعض غضب: «اعتراض غير جيد. وقد فسر الوزير أبو بكر البيت على وجهه، قال: «يريد أنها اعتادت بمصاحبتهن أن تقع على قتلى من يعاديهن، فهذا هو يقينها، لا أنها تعلم الغيب.»»

لَهْنٌ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَهَا إِذَا عُرِضَ الْخَطِيُّ فَوْقَ الْكَوَائِبِ
فالطيور متعوده على ما يفعل هؤلاء القوم عندما يُعرض الخطي (ينصب الرمح) فوق كواب الخيل (الكائبة مكان قريب من عنق الفرس)

وَلَا عِيبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سِيُوفَهُمْ يَهْنُ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَنَائِبِ
سيوفهم لا عيب فيها سوى أنها مثلمة لكثرة المضاربة مع كئاب الأعداء. المعنى: ليس للورد عيب سوى أنه أحمر الخدين

تُورَثُنَ مِنْ أَزْمَانٍ يَوْمِ حَلِيمَةٍ إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرُبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ
ورثوا سيوفهم من زمن معركة يوم حليلة المشهورة، ومنذ ذلك العهد والسيوف تخوض المعارك. وقد أغضب هذا البيت النعمان ملك المناذرة لأن يوم حليلة كان المعركة التي انتصر فيها الغساسنة وقتلوا ملك المناذرة جد النعمان

مَحَلَّتُهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ، وَدِينُهُمْ قَوْمٌ فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ الْعَوَاقِبِ
مكان الغساسنة هو «ذات الإله» أي القدس فهم مسيحيون، ودينهم متين فلا يرتقبون إلا نتائج أعمالهم الخيرة

رَقَاقُ النَّعَالِ طَيِّبٌ حُجْزَاتُهُمْ يُحَيُّونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ
نعالهم رفيقة - ونعل كل سيد رفيقة لأنه غير مضطر للسعي، فهو مخدوم - وحجراتهم، أي ثيابهم، طيبة كناية عن عفافهم. وهم سادة يحييهم الناس بالرياحين في يوم السباسب (عيد السعائين/الشعائين)

وَلَا يَحْسَبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ وَلَا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةً لَازِبٍ
وهم عاقلون لا يركنون إلى الرخاء بل يتحسبون أن يأتي بعده ضيق، ولا يحسبون ضيق المعيشة أو كل شر ضربة لازب (أمراً محتماً)

حَبُوتُ بِهَا غَسَّانٌ إِذْ كُنْتُ لِاحِقًا بِقَوْمِي، وَإِذْ أَغَيْتُ عَلَيَّ مَذَاهِبِي
 حبوت، أي منحت، قبيلة غسان هذه القصيدة وأنا متجه نحو قومي في وقت لم أكن فيه عارفاً أين
 أذهب، فالتعمان غاضب علي، وأنا مرتقب شراً من جانبه

٤ المتألف والملاهي

قالت: أَرَاكَ أَخَا رَحْلٍ وَرَاحِلَةٍ تَغْشَى مَتَالِفَ لَنْ يُنْظِرَنَّكَ الْهَرَمَا
 قالت: أراك صاحب متاع ومطية، وتغشى، أي تأتي، أماكن خطيرة فيها التلف، وهذا سيميتك ولن
 يرجئك لكي ترى الشيخوخة. وهذه امرأة لاهية تدعوه إلى نفسها

حَبَاكَ رَبِّي فَإِنَّا لَا يَحِلُّ لَنَا لَهْوُ النِّسَاءِ، وَإِنَّ الدِّينَ قَدْ عَزَمَا
 قال لها: حياك الله، لكن لا يحل لنا اللهو مع النساء، وقد دعانا الدين إلى الحج.. فهو ذاهب
 في طريقه إلى مكة ليحج حج الجاهلية

٥ أنا والهموم

قال، وذكر له أن التعمان عليل:

كَتَمْتُكَ لَيْلًا بِالْجُمُومِينَ سَاهِرًا وَهَمَّيْنِ: هَمًّا مُسْتَكِنًّا وَظَاهِرًا
 كتمت عنك خبر ليل قضيته ساهراً بموضع «الجمومين»، وكتمتك هَمَّين من همومي: أحدهما دفين
 مستكن، والآخر ظاهر

أَحَادِيثَ نَفْسٍ تَشْتَكِي مَا يَرِيْبُهَا وَوَرْدَ هُمُومٍ لَنْ يَجِدَنَّ مَصَادِرًا
 كتمتك هواجس نفسي التي تشتكي ما يقلقها، وورود الهموم التي لا تجد لها مصادر، أي
 طرق انصراف

تُكَلِّفُنِي أَنْ يُغْفَلَ الدَّهْرُ هَمَّهَا وَهَلْ وَجَدْتُ قَبْلِي عَلَى الدَّهْرِ قَادِرًا؟
 نفسي تحثي على الاقتناع بأن الدهر سيفعل عنها ولا يصيها بالهموم، وهل قدر أحد قبلي على
 مصائب الدهر؟

٦ أي الرجال المهذب؟

قال يمدح التعمان ويعتذر إليه:

أَتَانِي - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - أَنَّكَ لُمْتَنِي وَتِلْكَ الَّتِي أَهْتَمُّ مِنْهَا وَأَنْصَبُ
 جاءني أنك لمتني، وهذا ما أهتم منه، يصيبيني الهم منه، وأنصب، أي أتعب

فَبِتُّ كَأَنَّ الْعَانِدَاتِ فَرَشَنِي هَرَأَساً، بِهِ يُعْلَى فِرَاشِي وَيُقَشَّبُ
بت مهموماً كان زائراتي فرشني لي هراساً، أي شوكاً، يعلو فراشي، وكلما قَدُمَ به العهد فهو
يقشِب، أي يجدد

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ
حلفت لك أنني لم أقل شيئاً مما ذكره الوشاة، وليس هناك بعد الحلف بالله ما يمكن فعله
لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لَمُبْلَغُكَ الْوَاشِي أَعْشُ وَأَكْذِبُ
من بَلَغَكَ عني أنني خنت عهدك كاذب

وَلَكِنِّي كُنْتُ امْرَأً لِي جَانِبٌ مِّنَ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ
كل ما في الأمر أنه كان لي موضع من البلاد لي فيه مستراد، مكان ورود واستقاء، فكنت
أذهب إليه

مُلُوكٌ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَا أَتَيْتُهُمْ أَحْكَمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَقْرَبُ
أولئك ملوك وإخوان - يقصد الغاسنة - كانوا يقربوني ويحكموني في أموالهم أطلب ما أشاء
كَفَعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَأَاكَ اصْطَنَعْتَهُمْ فَلَمْ تَرَهُمْ فِي شُكْرِ ذَلِكَ أَذْنُبُوا
وهذا ما تفعله أنت مع قوم اصطنعتهم، أي اتخذتهم صنائع أي مقربين تحسن إليهم، وأنت لم
ترهم قد أذنبوا إذ شكروا صنيعك

فَلَا تَتْرُكْنِي بِالْوَعِيدِ كَأَنَّنِي إِلَى النَّاسِ مَطْلِي بِهِ الْقَارُ أَجْرَبُ
فلا تجعلني بين الناس - بتهديدك لي - كالبعير الأجرَب المطلي بالقار يتجنبه الجميع
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سَوْرَةً تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَّبُ
لك سورة، وثبة، ويتذبذب ويضطرب بسببها كل الملوك

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعْتَ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوْكَبُ
أنت كالشمس تخفي ببهاك كل الملوك الذين هم كالكواكب

وَلَسْتَ بِمُسْتَبَقٍ أَحَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثٍ، أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبُ؟
لا يحتفظ المرء بأخ، أي بصديق، إلا كان عليه أن يلم شعثه، أي يجمع ما تفرق من طباعه قابلاً
الحسن منها والردىء. وهل في الرجال من هو مهذب كامل؟

فَإِنْ أَكُ مَظْلُوماً فَعَبْدٌ ظَلَمْتَهُ وَإِنْ تَكُ ذَا عُتْبَى، فَمِثْلُكَ يُعْتَبُ
إن كنتَ مظلوماً فأنا عبدك، وإن كنتَ ذا عفو، فمثلك من يعفو

٧ سقط النصف

وقال النابغة يصف «المتجردة» زوجة النعمان، وكانت، في بعض دخلاته على النعمان، قد فاجأته وفاجأها فسقط نصيفها عنها، والنصيف نصف ثوب، كأنه فستان بلا أكمام معلق بشريط على كتف واحدة - كفساتين نجمات هوليوود - فإن انزلق هذا الشريط انزلق كل شيء. فعندما انزلق غطت وجهها بمعصمها، فقال النابغة:

أَمِنْ إِلِ مَيَّةَ رَائِحٍ أَوْ مُنْتَدٍ عَجْلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوِّدٍ

أأنت مرتحل لاحق بأهل المحبوبة صباحاً أو مساءً؟ أكان رحيلك على عجل متزوداً ب زاد الرحلة أم غير متزود؟ المعنى الملموح: أهل المحبوبة على وشك الرحيل، على أي وجه من الوجوه

رَعِمَ الْغُرَابُ بِأَنَّ رِحْلَتَنَا غَدًا وَكَذَلِكَ تَنْعَابُ الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ

الغراب أئذني بالرحيل غداً، وكذا نعب الغراب الأسود، فهو يأتي منذراً بالرحيل

لَا مَرَحِبًا بِغَدٍ، وَلَا أَهْلًا بِهِ إِنْ كَانَ تَفْرِيقُ الْأَحِبَّةِ فِي غَدٍ

حَانَ الرَّحِيلُ وَلَمْ تُودَّعْ مَهْدَدًا وَالصُّبْحُ وَالْإِمْسَاءُ مِنْهَا مَوْعِدِي

حان الرحيل، ولم تودع «مهدد» - غير اسم محبوبته على عادة الشعراء - وموعدي معها مثل موعدي مع الصبح والمساء، أي أنني سأذكرها طول الدهر وإن لم يكن لقاء

فِي إِثْرِ غَانِيَةٍ رَمَتْكَ بِسَهْمِهَا فَأَصَابَ قَلْبَكَ، غَيْرَ أَنْ لَمْ تُقْصِدِ

سرحل إثر غانية جميلة رمتك بسهمها فأصاب قلبك غير أنها لم تقصد، لم تقتل

نَظَرْتُ بِمُقْلَةٍ شَادِنٍ مُتَرَبِّبٍ أَخَوَى أَحَمَّ الْمُقْلَتَيْنِ مُقْلَدٍ

عينها عين الشادن، الظبي الصغير، المتربب، الذي في رعاية أمه، الأخوى، ذي الخطين الأسودين على جنبيه، الأحم المقلتين، الأسودهما، المتقلد، الذي في جيده قلادة

وَالْبَطْنُ ذُو عُكْنٍ لَطِيفٌ طَيْهٌ وَالنَّحْرُ تَنْفُجُهُ بِشَذِيٍّ مُقْعَدٍ

بطنها ضامر وفيه عكن، ثنيات... ولو كانت متكثرة لما كان في بطنها تلك الثنيات، ونحراها قد نفجته، رفعته، بشذي قاعد في مكانه ليس متديلاً

مَخْطُوطَةٌ الْمَتْنَيْنِ غَيْرُ مُقَابَضَةٍ رِيًّا الرُّوَادِفِ بَضَّةُ الْمُتَجَرِّدِ

كأنها تلبس ما فيه خطان على الجانبين، وهي غير سمينة، وأردافها ممثلة، ومعراها بين عن بضاضة، أي طراوة. ونساء بلدي كن يصفن بعض الفتيات بحسن «المعري» إذ يرينها عارية في حمام ونحوه، فأما نحن الرجال فلا نراها إلا وهي متلففة في الثياب فلسنا نستعمل كلمة «معري»

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا نَظَرَ السَّقِيمِ إِلَى وَجْهِ الْمَوَدِّ

نظرت تلك المحبوبة إليك، يا نابغة، وفي عينها حاجة لم تقضها، وتلك الحاجة هي الحديث، ففي ساعة الوداع صعب عليها أن تحدثك وسط قومها، وكانت نظرتها نظرة حزن واستجداء كنظرة المريض في وجوه زائريه

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ فَتَنَّاوَلْتَهُ، وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ

ههنا وصف لموقف آخر: فقد سقط النصف، وهو ثوب يغطي نصف الجسم، أو كفاً دون أخرى، ولم تسقطه عمدًا، فتناولته واتقت نظراتنا بيدها. لعلها دفعت بكفها في وجوههم كما يفعل المشاهير في ساعة الفضيحة إذ يدفعون بالأكف في وجه كاميرات المصورين

بِمُخَضَّبٍ رَخِصٍ كَأَنَّ بَنَانَهُ عَنَمَ يَكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يُعْقَدُ

اتقتنا بكف فيها خضاب، أي حناء، وكان بنانها، أي أطراف أصابعها، ثمر العنم المحمر من رؤوسه، وأصابعها دقيقة تكاد لدقتها أن تعقد عقدًا في أنشوطه. وكانت الملكة إليزابيث الأولى مشهورة بجمال يديها ودقة أصابعها، وتفنن الرسامون في إبراز ذلك منها. وفي القافية إقواء فดาล «يعقد» حقها الكسر

زَعَمَ الْهُمَامُ بِأَنَّ فَاهَا بَارِدٌ عَذَبَ مُقَبِّلُهُ شَهِيَّ الْمَوَرِدِ

زعم النعمان بأن ثغرها بارد عذب على التقبيل، شهى الرضاب، أي الريق

زَعَمَ الْهُمَامُ - وَلَمْ أَذُقْهُ - أَنَّهُ عَذَبَ إِذَا مَا ذُقْتَهُ قُلْتُ: أَرَدُوْ

وزعم - ولم أذق ذلك - بأن فاهها عذب

زَعَمَ الْهُمَامُ - وَلَمْ أَذُقْهُ - أَنَّهُ يُشْفَى بِرِيًّا رِيقِهَا الْعَطَشُ الصَّدِي

وبأن ريقها يروي العطشان

أَخَذَ الْعَذَارَى عَقْدَهُ فَتَنَظَّمَنَّهُ مِنْ لَوْلُوٍ مُتَتَابِعٍ مُتَسَرِّدٍ

كان ثغرها عقد نظمته الفتيات من لولوٍ متتابع متسردٍ

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ عَبْدَ الْإِلَهِ صَرُورَةٍ مُتَعَبِّدٍ..

لو أنها بدت لراهب أشمط، قد اختلط بياض شعره بسواده، صرورة، أي معتكف في صومعته بعدد الله..

لَرَنَّا لِرُؤْيَيْتِهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا وَلِخَالِهِ رَشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُدِ

لانتبه لها ولحسن حديثها، ولظن ذلك أمرًا حسنًا، وإن كانت فيه غواية

بِتَكَلُّمٍ لَوْ تَسْتَطِيعُ كَلَامَهُ لَدَنَتْ لَهُ أَرْوَى الْهَضَابِ الصُّخَدِ

وهي تحدث بكلام لو يستطيع المرء ترديده، لأغوى به وعول الهضاب الصخذ، الصخرية الملساء، فنزلت من هضابها

وَيَفَاجِمُ رَجُلٍ أَثِيثٌ نَبْتُهُ كَالكَرْمِ مَالَ عَلَى الدَّعَامِ الْمُسْنَدِ

ولها شعر أسود كثيف كأنه عناقيد العنب التي تميل بثقلها على الدعامات

وَإِذَا لَمَسْتَ لَمَسْتَ أَجْثَمَ جَائِمًا مُتَحَيِّزًا بِمَكَانِهِ مِلْءَ يَدٍ

وإذا لمست ذلك الموضع منها وجدته ذا حجم، متحيزاً، أي مالئاً حيزه، جائماً كالطير، يكاد يملأ كفك

وَإِذَا طَعَنْتَ طَعَنْتَ فِي مُسْتَهْدِفٍ رَابِيِ الْمَجَسَّةِ بِالْعَبِيرِ مُقْرَمِدٍ

فإن طعنت في ذلك الموضع من المرأة، فإنما تطعن في عضو مستهدف، مرتفع مشرب، رابي المجسة، سمين إذ تجسه، ومطلي بالزعفران

وَإِذَا نَزَعْتَ نَزَعْتَ عَنْ مُسْتَحْصِفٍ نَزَعَ الْحَزْوَرُ بِالرَّشَاءِ الْمُخَصَّدِ

فإن نزعت ذلك الشيء في الرجل، فأنت تنزعه من عضو مستحصف، ضيق، كما ينزع الحزور، الشاب، الرشاء، الحبل المقتول من البئر

وَإِذَا يَعْضُ تَشُدُّهُ أَعْضَاؤُهُ عَضَّ الْكَبِيرِ مِنَ الرُّجَالِ الْأَدْرَدِ

وذلك العضو يعض كما يعض الشيخ الأدرد الذاهب الأسنان

٨ الاستقاء بالأعجاز

قال يصف نخلات:

مَنْ الْوَارِدَاتِ الْمَاءَ بِالْقَاعِ تَسْتَقِي بِأَعْجَازِهَا قَبْلَ اسْتِقَاءِ الْحَنَاجِرِ

ترد هذه النخلات الماء بالقاع، السهل، وتستقي بأعجازها، بجذورها لا بأفواها كما تستقي البهائم

٩ ما وراءك يا عصام

كان النعمان قد حجب النابغة لما بلغه عنه من أنه تغزل بزوجه، فكان النابغة إذا أراد الدخول على النعمان جعل عصام حاجب النعمان يخبره أنه عليل، فقال النابغة لعصام:

أَلَمْ أَقْسَمْ عَلَيْكَ لَتُخْبِرَنِي أَمَحْمُولٌ عَلَى النَّفْسِ الْهُمَامِ

أما كنت حلفت عليك أن تخبرني إن كان الزعيم الهمام، أي المقدام، مريضاً مرض موت؟

فإِنِّي لَا أَلَامُ عَلَى دُخُولٍ وَلَكِنْ، مَا وَرَاءَكَ يَا عِصَامُ

لا يلومني أحد على ترك الزيارة لأنني محجوب أصلاً، ولكن.. أخبرني ما عندك بشأن الزعيم؟

فَإِنْ يَهْلِكْ أَبُو قَابُوسَ يَهْلِكْ رَبِيعُ النَّاسِ وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ
 إن مات النعمان، أبو قابوس، مات ربيع الناس، أي رزقهم، والشهر الحرام، أي الأمان..
 فالناس في زمن الملك يحترمون الأشهر الحرم ولا يقتلون فيها، ولو مات لدبت الفتنة واحتربوا
 وَنُفْسِكَ بَعْدَهُ بِذُنَابِ عَيْشٍ أَجَبَ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ
 وإن مات فسوف يصبح عيشنا صعباً، كأننا نمسك بناقة من ذيلها، وكان هذه الناقة مقطوعة الظهر
 بلا سنام، والناقة يضمحل سنامها في زمن قلة العشب

١٠ مظنة الجهل الشباب

قال عامر بن الطفيل للنابغة في قصة: (أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي زِيَاداً غَدَاةَ الْقَاعِ، إِذْ
 أَرَفَ الضَّرَابُ) وزياد هو اسم النابغة. فلما بلغ هذا الشعر شعراء بني ذبيان أرادوا
 هجاءه، واثتمروا له، فقال لهم النابغة: إن عامراً له نجدة وشعر، ولسنا بقادرين على
 الانتصار منه، ولكن دعوني أجبه، وأصغر إليه نفسه، وأفضل عليه أباه وعمه، فإنه يرى
 أنه أفضل منهما، وأعيره بالجهل، فقال:

فَإِنْ يَكْ عَامِرٌ قَدْ قَالَ جَهْلًا فَإِنْ مَظْنَّةَ الْجَهْلِ الشَّبَابُ
 لئن قال جهلاً، قولاً فيه رعونة، فإن مظنة، أي موضع، الرعونة هو سن الشباب

فَكُنْ كَأَبِيكَ، أَوْ كَأَبِي بَرَاءٍ تُوَافِقُكَ الْحُكُومَةُ وَالصُّوَابُ
 ليتك كنت كأبيك، أو كأبي براء - وهو عم عامر بن الطفيل - فعندئذ تصح حكومتك، أي حكمك
 على الأمور

وَلَا تَذْهَبْ بِجِلْمِكَ طَامِيَاتٍ مِّنَ الْخِيَلِ لَيْسَ لَهُنَّ بَابُ
 ولا تدع الأمواج الطامية المرفوعة من الخيلاء والتكبر تذهب بعقلك، فهذه الأمور ليس لها باب
 يغلق فتنتهي..

فَإِنَّكَ سَوْفَ تَحْلُمُ أَوْ تَنَاهَى إِذَا مَا شَبَبْتَ، أَوْ شَابَ الْغُرَابُ
 وسوف تصبح عاقلاً، أو على الأقل تنتهي وتمتنع عن الرعونة إذا لحق بك الشيب.. ولعلك لن
 تصل إلى هذا أبداً حتى لو شاب الغراب

١١ رياح ومناخل

قال في وقعة عمرو بن الحارث الغساني ببني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان:

أَهَاجَكَ مِنْ أَسْمَاءِ رَسْمِ الْمَنَازِلِ بِرَوْضَةِ نُعْمِي قَدَاتِ الْأَجَاوِلِ
 هل أهاج مشاعرك بقايا مواضع كانت تنزل بها أسماء.. وذكر هذه المواضع

أَرَبْتُ بِهَا الْأَزْوَاحَ، حَتَّى كَانَمَا تَهَادَيْنَ أَعْلَى تُرْبِهَا بِالْمَنَاخِلِ

أربت، أي مكثت، الرياح بتلك المنازل، تروح عليها وتجيء وكأنها تتناوب الرمل وتنخله بالمناخل.. هذه صورة طيبة جداً: الرياح يهدي بعضها إلى بعض تلك الرمال.. ووسيلة استقبال الرمال هي المناخل.. وينزل بعض الرمل في هذه اللعبة على الأرض منخولاً ناعماً.. وكذا وجه الأرض الرملية التي مرت بها الرياح السافية

تَرَى كُلَّ ذَبَالٍ يُعَارِضُ رَبِّرَبًّا عَلَى كُلِّ رَجَافٍ مِنَ الرَّمْلِ هَائِلٍ
ترى هناك كل ثور طويل الذيل يتصدى للريب، القطيع، على كتيب الرمل الرجاف، المتقلقل، الهائل، أي الذي يهيل وتنساقط رماله عن جوانبه

يُثِرْنَ الْحَصَى حَتَّى يُبَاشِرْنَ بَرْدَهُ إِذَا الشَّمْسُ مَجَتْ رِيقَهَا بِالْكَلاكِيلِ
تثير أبقار الوحش الحصى ويحفرون الأرض لكي يصلن إلى التراب البارد تحت، هذا والشمس تمج، تبصق، ريقها على الكلاكل، أي الصدور.. وملاحظة الأعلام الشتمري التي نقلها عن الأصمعي بارعة، يقول: «ريق الشمس شيء تراه بالهاجرة، إذا اشتد الحر، كأنه يسيل»

نَصَحْتُ بَنِي عَوْفٍ فَلَمْ يَتَقَبَّلُوا وَصَاتِي، وَلَمْ تَنْجَحْ لَدَيْهِمْ وَسَائِلِي
نصحت بني عوف ولم يقبلوا نصحي..

فَخَلُّوا لَهُ بَيْنَ الْجَنَابِ وَعَالِجٍ فِرَاقَ الْخَلِيطِ ذِي الْأَذَاةِ الْمُزَايِلِ
قلت لهم: اتركوا للملك الغساني هذه المنطقة بين الجنب وعالج، وفارقوه كما يفارق الخليط، القوم، من هو ذو أذى

وَلَا أَعْرِفْتِي بَعْدَ مَا قَدْ نَهَيْتُكُمْ أَجَادِلْ يَوْمًا فِي شَوِيٍّ وَجَامِلٍ
لن تروني بعد إذ نهيتكم أفأوض في رد الشوي والجميل، الشياه والجمال التي ستؤخذ منكم

وَبَيْضِ غَرِيرَاتٍ تَفِيضُ دُمُوعُهَا بِمُسْتَكْرِهِ يَذْرِيْنَهُ بِالْأَنَامِلِ
ولن أفأوض في رد نساتكم البيض الغريرات، فتيات غير مجربات، الباكيات بدمع يستخرجنه من أعينهن استخراجاً للتخفيف عما بهن من ألم السبي، ثم يذرينه بالأنامل، يمسحنه بأطراف الأصابع

وَقَدْ خِفْتُ حَتَّى قَدْ تَزِيدُ مَخَافَتِي عَلَى وَعَلٍ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ
قد خفت خوف وعل عاقل، متخذ مقلداً، في موضع ذي المطارة، فالوعل شديد الخوف يفر لأدنى حركة ويعتصم بالقمم

مَخَافَةً عَمَرُوا أَنْ تَكُونَ جِيَادُهُ يُقَدِّنَ إِلَيْنَا بَيْنَ حَافٍ وَنَاعِلٍ
خفت عمراً أن يقود خيله إلينا، ما بحوافره نعال وما ليس بحوافره نعال، أي جميع ما عنده من خيل.. وفسروا أيضاً أن الناعل الفرس، والحافي الجممل

١٢ قصة الحية

وقال فيما كان بينه وبين يزيد بن سنان المري:

أَلَا أُبْلِغَا ذُبْيَانَ عَنِّي رِسَالَةً فَقَدْ أَصْبَحَتْ عَنْ مَنْهَجِ الْحَقِّ جَائِرَةً
يا صاحبيّ أبلغا بني ذبيان، قبيلتي، رسالة، فقد انحرفت عن طريق الحق

أَجِدْكُمْ، لَا تَزْجُرُوا عَنْ ظُلَامَةٍ سَفِيهَاً، وَلَنْ تَرْعَوْا لِذِي الْوُدِّ أَصْرَةً
أجدكم، أهذا معقول! أنكم لا تزجرون السفيه الذي ظلم غيره، ولا ترعون لأصدقائكم
أصرة، علاقة

وَإِنِّي لَأَلْقَى مِنْ ذَوِي الضُّغْنِ مِنْهُمْ كَمَا أَصْبَحَتْ تَشْكُو مِنَ الْوَجْدِ سَاهِرَةً
أنا ألقى من ذوي الحقد من بني مرة، وهم من ذبيان ولكنهم كانوا على خلاف مع عشيرة النابغة،
ما تلقاه امرأة ساهرة من الحزن

كَمَا لَقَيْتُ ذَاتُ الصِّفَا مِنْ حَلِيفِهَا وَمَا انْفَكَّتِ الْأَمْثَالُ فِي النَّاسِ سَائِرَةً
وكما لقيت ذات الصفا، الأفعى الملازمة للصفا وهو الصخر، من حليفها، أي المجاور لها، وهذا
أمر سارت به الأمثال..

فَقَالَتْ لَهُ: أَدْعُوكَ لِلْعَقْلِ وَافِيَاً وَلَا تَغْشَيْنِي مِنْكَ بِالظُّلْمِ بَادِرَةً
قالت الحية لجارها: لأنني لدغت أخاك وقتلته فأنا أدعوك لقبول الدية، شرط ألا تأتي عليّ منك
بادرة ظلم

فَوَائِقَهَا بِاللَّهِ حِينَ تَرْضَايَا فَكَانَتْ تَدِيرُ الْمَالَ غَبًّا وَظَاهِرَةً
فحلف لها بالله، فكانت تعطيه الدية بالمال غباً، أي يوماً بعد يوم، وظاهرة، أي كل يوم.. فهي
تعطيه الدنانير الذهبية باستمرار.. وإن ليس بانتظام

فَلَمَّا تَوَقَّى الْعَقْلَ إِلَّا أَقْلَهُ وَجَارَتْ بِهِ نَفْسٌ عَنِ الْحَقِّ جَائِرَةً
لما كاد أن يستوفي العقل، وبقي القليل، انحرفت به نفسه عن الحق

أَكْبَّ عَلَى فَاسٍ يُحَدُّ غُرَابَهَا مُذْكَرَةً مِنَ الْمَعَاوِلِ بَاتِرَةً
عكف على فأس، وأخذ يشحذ غرابها، أي حدها، وهي من المعاول المذكرة، القوية، الباترة

فَقَامَ لَهَا مِنْ فَوْقِ جُحْرِ مُشِيدٍ لِيَقْتُلَهَا أَوْ تُحْطِئَ الْكَفُّ بَادِرَةً
قام للحية عند جحرها، فحاول قتلها، طمعاً ليأخذ كل الدنانير الذهبية، فاختطأتها كفه

فَلَمَّا وَقَّاهَا اللَّهُ ضَرْبَةً فَاسِهِ، وَلِلْبِرِّ عَيْنٌ لَا تُغْمَضُ نَاطِرَةً

لما وقَّاه الله ضربة فأسه، وعين الحق لا تنام

فَقَالَ: تَعَالَيْ نَجْعَلِ اللَّهَ بَيْنَنَا عَلَى مَا لَنَا، أَوْ تُنْجِزِي لِي آخِرَةَ

قال للحية: تعالي نحلف بالله على الوفاء، وتكملي لي ما بقي من الدية

فَقَالَتْ: يَمِينَ اللَّهِ أَفْعَلُ إِنَّنِي رَأَيْتُكَ مَسْحُورًا يَمِينُكَ فَاجِرَةٌ

حلفت له الحية أنها لن ترضى بذلك، لأن يمينه فاجرة، أي كاذبة، ولأنه مسحور، أي غير عاقل

أَبَى لِي قَبْرٌ لَا يَزَالُ مُقَابِلِي وَضَرْبَةُ فَاسٍ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرَةٌ

وقالت الحية: أبى القبر الذي أراه مقابلي ودفنت فيه أخاك الملدوغ، وأبت لي ضربة الفأس الفاقرة، التاركة أثرًا، أن أثق بعهدك أو أن تغفر لي

١٣ الغازي الحنون

ونسب للناطقة في هجاء النعمان بن المنذر. لكن، قال ابن الأعرابي: هذا

لعبد القيس بن خفاف البرجمي:

يَجْمَعُ الْجِيشَ ذَا الْأَلُوفِ فَيَغْزُو ثُمَّ لَا يَزِرُّ الْعَدُوَّ فَنِيْلًا

يجمع جيشاً كبيراً ويغزو، ولكنه لا يلحق أي ضرر بعده

١٤ في وصف طنجرة

وقال الناطقة يمدح النعمان بن الجلاح الكلبي:

لَهُ بِفَنَاءِ الْبَيْتِ دَهْمَاءُ جَوْنَةٌ تَلْقُمُ أَوْصَالَ الْجَزُورِ الْغُرَائِرِ

له في ساحة البيت قدر ضخمة سوداء، يلقمونها أجزاء الجزور، أي الجمل المذبوح، الغرائر، الضخم، فتسع لها

بَقِيَّةُ قَدَرٍ مِنْ قُدُورٍ تَوَرَّتْ لِآلِ الْجُلَاحِ كَابِرًا بَعْدَ كَابِرٍ

هذه القدر بقية من قدور موروثه في آل الجلاح أباً عن جد

يَظْلُ الْإِمَاءُ يَبْتَدِرُنَ قَدِيحَهَا كَمَا ابْتَدَرَتْ كَلْبُ مِيَاءِ قُرَاقِرِ

الجواري يسارعن إلى قديح القدر، ما اغترف منها من لحم ومرق، مثلما تغترف قبيلة كلب بدلائها الماء من نبع قراقر

١٥ هذا عليها، وهذا تحتها

وقال النابغة يرثي أخاه لأمه، وأمه عاتكة بنت أنيس الأشجعي. وكان أخوه ذهب يطلب إبلاً له فمات:

لَا يَهْنِي النَّاسَ مَا يَزْعُونَ مِنْ كَلَالٍ وَمَا يَسُوقُونَ مِنْ أَهْلِ وَمِنْ مَالٍ
لَا وَجَدَ النَّاسَ الْهَنَاءَ بِمَا تَرْتَعِي إِبْلَهُمْ مِنْ عَشْبٍ فَتَفِضُ عَلَيْهِمْ لَبَنًا وَلَحْمًا، وَلَا وَجَدُوا هَنَاءً فِي
أَهْلِهِمْ وَلَا فِي مَالِهِمْ..

بعد ابن عاتكة الثاوي لدى أبوي أمسى ببلدة لا عم ولا خال
.. بعد موت ابن عاتكة الثاوي، الراقد، في موضع «أبوي» البعيد، وقد أمسى غريباً ليس معه
لا عم ولا خال

حَسْبُ الْخَلِيلَيْنِ نَأْيُ الْأَرْضِ بَيْنَهُمَا هَذَا عَلَيْهَا، وَهَذَا تَحْتَهَا بِالِ
يكفي الصديقين من البعد أن تكون الأرض هي مسافة البعد بينهما، إذ أحدهما فوقها والآخر تحتها
دفتياً بالي الجثمان

١٦ دار نعم

عُوجُوا فَحَيُّوا لِنُعْمٍ دِمْنَةَ الدَّارِ مَاذَا تَحْيَوْنَ مِنْ نُؤْيٍ وَأَحْجَارٍ
ميلوا بنا لنحي داراً كانت تنزل بها الحبيبة نعم، ولكن ما الذي نحيه: مجرد نؤي، أي قناة حول
خيمة لمنع ماء المطر من دخول الخيمة، وبضعة أحجاراً

فَاسْتَفْجَمَتْ دَارٌ نُعْمَ مَا تَكَلَّمْنَا وَالِدَارُ لَوْ كَلَّمْتَنَا ذَاتُ أَخْبَارٍ
دار نعم عجماء خرساء لا تكلمنا، ولو كلمتنا لقصت علينا أخبار الحبيبة

فَمَا وَجَدْتُ بِهَا شَيْئاً أَغُوجُ بِهِ إِلَّا الثُّمَامَ وَإِلَّا مَوْقِدَ النَّارِ
لم أجد ما أميل إليه، سوى نبات الثمام، وموقد النار

وَقَدْ أَرَانِي وَنُعْمًا لَاهِيَيْنِ مَعًا فِي الدَّهْرِ، وَالْعِيشُ لَمْ يَهْمُمْ بِإِمْرَارٍ
كنت ألهو مع نعم، قبل أن يشتد العيش ويقسو

أَيَّامَ تُخْبِرُنِي نُعْمٌ وَأُخْبِرُهَا مَا أَكْتُمُ النَّاسَ مِنْ حَاجِي وَأَسْرَارِي
لولا حبايل من نعم علققت بها لأقصر القلب عنها أي إقصار
لولا ما تعلق بي من حب لها لنسيها القلب

أُنِثْتُ نُعْمًا عَلَى الْهَجْرَانِ عَاتِيَةً سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِذَاكَ الْعَاتِبِ الزَّارِي

تعبت علي لطول الهجر، وما لدي سوى التحسر على أيام هذه المحبوبة العاتبة الزارية، اللاتمة.
هذا شيء يشبه كلام عمر بن أبي ربيعة

رَأَيْتُ نُعْمًا وَأَصْحَابِي عَلَى عَجَلٍ وَالْعَيْسُ لِلْبَيْنِ قَدْ شُدَّتْ بِأَكْوَارِ

رأيتها وكنت في جمع من أصحابي، وكانت الجمال تشد عليها الأكوار، أي الرحال وخشبها،
استعداداً للرحيل

بَيْضَاءَ كَالشَّمْسِ وَاقَتْ يَوْمَ أَسْعُدِهَا لَمْ تُؤْذِ أَهْلًا وَلَمْ تُفْجِشْ عَلَى جَارِ

كانت بيضاء كأنها الشمس، وهي فتاة لطيفة لا تؤذي أحداً

يَلَاثُ، بَعْدَ افْتِضَالِ الدَّرْعِ، مِنْطَقُهَا لَوْنًا عَلَى مِثْلِ دَعَصِ الرَّمْلَةِ الْهَارِي

بعد أن تفتضل درعها، أي تخلع ثوبها الداخلي، يلاث، أي يُلث، منطقتها، شالها، على ردفين
كأنهما دعص هارٍ، أي كتيب رمل يهيل

وَالطَّبِيبُ يَزْدَادُ طَيِّبًا أَنْ يَكُونَ بِهَا فِي جِيدٍ وَاضِحَةِ الْخَدَيْنِ مِعْطَارِ

المسك ونحوه من صنوف الطيب تصبح رائحة إذا كانت على عنق هذه الفتاة البيضاء الخدين
المحبة للعطر

تَسْقِي الضَّجِيعَ إِذَا اسْتَسْقَى بِذِي أَشْرِ عَذِبِ الْمَذَاقَةِ بَعْدَ النَّوْمِ مُحْمَارِ

تسقي ضجيعها إن طلب السقي بغيرها ذي الأسنان ذات الأشر أي المحززة، وكذا أسنان الفتيات
الصغيرات، وريقها عذب، وهو كالخمر، حتى لو كانت قد أفادت من نومها.. فنحن - البشر -
العاديين - يكون ريقنا ذا رائحة رديئة عند الاستيقاظ، ولا كذلك صاحبة النابغة

كَأَنَّ مَشْمُولَ صِرْفٍ عَلَّ رِيقَتَهَا مِنْ بَعْدِ رَفْدَتِهَا، أَوْ شَهِدَ مُشْتَارِ

كان ثغرها، إذ تقوم من النوم، قد شرب من خمر مشمولة، باردة ضربتها ريح الشمال، وصافية؛
أو كأن في ثغرها عسل المشتار، جامع العسل

أَقُولُ وَالنَّجْمُ قَدْ مَالَتْ أَوَاجِرُهُ إِلَى الْمَغِيبِ تَبَيَّنَ نَظْرَةُ حَارِ

أقول وقد بدا النجم يتجه للمغيب، وبدا الصبح يطلع، دق النظر يا حار، حارث

أَلْمَحَةُ مِنْ سَنَا بَرْقٍ رَأَى بَصْرِي أَمْ وَجْهَ نُعْمٍ بَدَا لِي أَمْ سَنَا نَارِ؟

أهذا الذي نراه ضوء برق، أم هو وجه نعم، أم هو ضوء نار؟

بَلْ وَجْهَ نُعْمٍ بَدَا وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ فَلَاحَ مِنْ بَيْنِ أَبْوَابٍ وَأَسْتَارِ

لا، بل هو وجه نعم. وقد بدا وسط الليل المعتكر، الدامس، فبدا لنا واخترق الأستار والأبواب

١٧ جئتكَ على خوف

أَتَانِي أَنْ ذَاهِيَةً نَادَى عَلَى شَحِطِ أَتَاكَ بِهَا مَيُونُ
جاءني أن هناك مصيبة نآدى، كبيرة، وقد أتى بها على شحط، وأنت بعيد، رجل ميون، كاذب

فَبِئْتُ كَأَنْتَنِي حَرَجٌ لَعِينٌ نَقَاهُ النَّاسُ أَوْ دَنِفَ طَعِينُ
قضيت الليل وكأنني ملعون، منبوذ، أو كأنني مريض مطعون جريح

أَغِيرَكَ مَغْفِلاً أَبْغِي وَحِصْناً فَأَغَيْتَنِي الْمَعَاوِلُ وَالْحُصُونُ
كيف لي أن أبغي غيرك أيها الملك حصناً؟ لقد أتعبتني الحصون، فلا حصن غيرك، ولا أمان
إلا عندك

فَجِئْتُكَ عَارِيّاً خَلَقاً ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِي الظُّنُونُ
جئتكَ معتذراً مشعث الثياب كأنني عارٍ، وخائفاً، وموضع شبهات

فَأَلْفَيْتُ الْأَمَانَةَ لَمْ تَخْنَهَا كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ
فرايتك لم تخن العهد، وكنت كالنبي نوح في حفظه للأمانة

١٨ أكل.. وشرب

سَأَلْتَنِي عَنْ أَنْاسٍ هَلَكُوا أَكَلِ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَشَرِبِ

١٩ مخالب الدهر

مَنْ يَطْلُبُ الدَّهْرَ تُدْرِكُهُ مَخَالِبُهُ وَالْدَّهْرُ بِالْوَثْرِ نَاجٍ غَيْرُ مَطْلُوبٍ
من أراد الانتقام من الدهر، فراح يطالبه بثأر، تأذى من مخالب الدهر. فالدهر ينجو
ولا يُطْلَبُ بثأر

مَا مِنْ أَنْاسٍ ذَوِي مَجْدٍ وَمَكْرَمَةٍ إِلَّا يَشُدُّ عَلَيْهِمْ شَدَّةَ الذِّبِ
وكل أهل المجد والقوة سيهجم عليهم الزمن هجمة الذئب المفترس

٢٠ سخيٌّ وناره

مَتَى تَأْتِيهِ تَعْمُشُوا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَحْذُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدٍ

إذا أتيت هذا الرجل الكريم وأنت تتبين بعينين أرهقتهما الظلمة ضوء ناره، فستجد أفضل نار عندها
أفضل من يوقد النار

٢١ المصير

الْمَرْءُ يَأْمُلُ أَنْ يَمِيدَ شَنْ، وَطُولُ عَيْشٍ قَدْ يَضُرُّهُ
تَفْنَى بَشَاشَتُهُ، وَيَبُذَّ قَى بَعْدَ حُلُوِّ الْعَيْشِ مُرُّهُ
وَتَخُونُهُ الْأَيَّامُ حَتَّى- سَى لَا يَرَى شَيْئاً يَسُرُّهُ
كَمْ شَامِتٍ بِي إِنْ هَلَكْتُ تْ، وَقَائِلٍ لِّلْهِ دَرُّهُ

٢٢ عصام

قال في عصام، حاجب النعمان، وكان من أصل ضعيف وصعد بكده، ومن هنا قيل لكل مجتهد رفع نفسه عصامي:

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامَا
وَعَلَّمَنَّهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا
وَصَبَّرَتْهُ مَلِكاً هُمَامَا
حَتَّى عَلَا وَجَاوَزَ الْأَقْوَامَا

٢٣ لكل حامله تمام

وَلَسْتُ بِدَاخِرٍ أَبَدًا طَعَامًا حِذَارَ عَدٍ، لِكُلِّ عَدٍ طَعَامُ
لَنْ أَذْخِرَ مَالًا لِلْغَدِ، فَكُلْ يَوْمَ لَهُ رِزْقُهُ

تَمَخَّضَتِ الْمُنُونُ لَهُ يَوْمَ أَتَى، وَلِكُلِّ حَامِلَةٍ تَمَامُ
المنون، أي الموت، كالمرأة الحبلى، تكون في مخاضها، ثم لا بد لها من إتمام حملها.. وكذا الموت لا بد أن يزور المرء يوماً

٢٤ ممتاز، لكنه ممتاز

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا
فتى فيه كل الفضائل التي تسر الصديق وتسوء العدو

فَتَى كَمَلَتْ أَخْلَاقُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا
أخلاقه كاملة، لكنه سخي فلا يقي على ماله.. وهذه فضيلة أخرى ساقها الشاعر وكأنه يستثني. ومثل هذا قوله، وأوردناه سابقاً: وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ، غَيْرَ أَنَّ سِيَوْفَهُمْ/بِهِنَّ قُلُوبٌ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَابِ

النابعة الذبياني
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

١٢	جَائِرَةٌ	١٠	الضَّرَابُ
٢١	يَضْرُهُ	٦	وَأَنْصَبُ
٢	الدَّوَائِعُ	٣	الكَوَائِبِ
١٣	قَتِيلًا	١٩	مَطْلُوبِ
١١	الْأَجَاوِلِ	١٨	وَشَرِبِ
١٥	مَالِ	١	الْأَبْدِ
٤	الْهَرَمَا	٧	مُزَوِّدِ
٢٢	عِصَامَا	٢٠	مُوقِدِ
٩	الْهُمَامُ	٥	وِظَاهِرَا
٢٣	طَعَامُ	٨	الْحَنَاجِرِ
١٧	مَيُونُ	١٦	وَأَحْجَارِ
٢٤	الْأَعَادِيَا	١٤	الْعُرَاعِرِ

الأعشى الكبير

(٧٠ ق هـ - ٧٧ هـ)

أحدثكم عن آخر شعراء الجاهلية: الأعشى ميمون بن قيس.

سمع بالإسلام وكاد يُسلم، ولم يسلم. ومات سنة سبع للهجرة.

سكير ولا كأبي نواس، وداعر ولا كامرئ القيس، مذهبه في الحياة طلب اللذة أيا ن وجدت.

كنتُ أضربتُ في هذه المختارات عن اقتباس أبيات تداعر فيها ما شاء. كأنما أدركتني غيرةٌ وأنا أقرأ الديوان قراءةً اقتباس وتنخيل؛ على أنني عدت وأثبتتها، فابحث عنها في هذه المختارات، ولن أقول لك على أي روي هي حتى لا تترك هذه المقدمة وتنطلق إلى تلك الأبيات. وإنما رجعتُ عن رأيي الأول متأسياً بابن قتيبة في «الشعر والشعراء»، فهذا القاضي الدِّين استحسن للأعشى ثلاثة تُنفّ، وشاء أن تكونَ اثنتانٍ منهنَّ في الخمر. وهكذا كان أولونا: يكون أحدهم صاحب ورع وتقوى ثم يروي الشعر المتهتك ويستجيده، فكأن للشعر معياراً غير معيار الأخلاق والدين، معياران يتوازيان ولا يلتقيان أبداً. تلك مدرسة الفن للفن.

فماذا صنع الفقهاء بشعر رُميت فيه المحصنات؟ كيف صنعوا بشعر جرير الذي زنى فيه نسوة سماهن بأسمائهن؟ لم يصنعوا شيئاً، روي كل ذلك واستشهدوه على قاعدة نحوية أو على لفظة وردت في حديث أو حتى في قرآن. ذلك كان منهجهم. ولعل بعض معاصرينا - من دِّين وغير دِّين - يشمئز من هذا المنهج، ويقول إنه يجب أن يكون للشعر رسالة. ونحن في عملنا نعرض الشعر العربي كما كان، ونستريحه إلى معدة تقبل ألواناً كثيرة.

وفي الشعر، سوى المعنى، جرس، وفيه شيء خفي يميزه عن النثر، ولقد يمر بك شعر أجمع النقاد على أنه قليل «الفائدة»، يعنون أن معناه سطحي، ثم تجدهم يقتبسونه مرة ومرة في كتبهم، وتجده جارياً على كل لسان سائراً إلى كل مكان.

الشعر صورة كما يقول أهل زمننا من النقاد. هو صورة نعم، وليس هذا بالأمر الذي يحتاج إلى برهان، ولا إلى طويل كلام. وقد أغنى أساتيد الجامعات نفوسنا وهم يشرحون لطلابهم في الصفحات الكثيرة كيف أن الشعر صورة، فيفسرون الأبيات و«يستخرجون» ما فيها من «صور».

لكن الشعر شيء آخر أيضاً.

الشعر كلمة تجاور كلمة فيكون لهما من الأثر ما يحرك في النفس شيئاً.

وهو وزن وقافية.

سنطرفك بأبيات للأعشى طالما تغنى بها المغنون، فهو صناجة العرب. ولكننا سنكتب لك أسطراً عن الرجل.

ولد «ميمون» في الرياض عاصمة السعودية، قبل أن يكون هناك رياض أو سعودية. فإن ذهبنا إلى الرياض اليوم، فاقصد حي منفوحة الملاصق للدائري الجنوبي. هناك ولد الأعشى. هذه المنطقة هي منطقة اليمامة التي كانت تسكن قراها في أواخر الجاهلية وأوائل الإسلام قبائل حنيفة، وقيس بن ثعلبة، ويربوع. وفيها كان مسيلمة الكذاب وبعض حروب الردة، وفيها عاش جرير شاعر يربوع التميمية.

في الجاهلية سكنت اليمامة قبيلة حنيفة وكانوا أهل زراعة، وسكنتها قيس بن ثعلبة وكانوا أهل رعي، وحرب. ويغلب على أهل الرعي أن يكونوا أهل حرب. ويبدو أن العلاقة بين القبيلتين كانت مبنية على تبادل المنافع، وكلتا القبيلتين تنتسبان إلى بكر بن وائل، التي هي فرع من ربيعة. ولعل القارئ يريد خريطة مبسطة لقبائل العرب:

عرب الجنوب منهم طيء وكندة والأوس والخزرج، وغيرها كثير. وهم نصف العرب. ليس لدينا إحصاء، ولكننا نعرف أن نصف المشاهير من شعراء العرب كانوا من اليمانية. ومعظم قبائل الجنوب كانت تسكن في الشمال، في الشام والحجاز والعراق. هاجرت إلى الشمال قبل الإسلام بعشرات السنين.

وكانوا سألوا نَسَابَةً أيهم أكثر عرب الشمال أم عرب الجنوب؟ فأجاب: إن تمعددت قضاة، أي انتسبت إلى معدّ أبي عرب الشمال، فنزار أكثر، وإن تيمنت فاليمن أكثر.

وعرب الشمال قسمان: مضر، ومنهم تميم وقريش. وربيعة، ومنهم تغلب وبكر. ومن بكر فرع قيس بن ثعلبة.

ومن قيس بن ثعلبة كان الأعشى ميمون بن قيس بن جندل.

مات أبوه جوعاً في كهف انسد بصخرة عظيمة، فلقبه الناس قتيل الجوع. ولقب الناس ابنه ميموناً أبا بصير، تيمناً لأنه كان أعشى، لا يبصر في العتمة. ولعل ميموناً أحب اللقب فاكنتى به، وسمّى ولده بصيراً. وهو في شعره يزجي النصح لـ«بصير»، ولكننا لسنا على ثقة من أن هذا الشعر شعره. ولا نحن على ثقة بأن أي شعر جاهلي هو للجاهليين. تلك قضية نفرض منها يديه بعض الدارسين، وجادل فيها بعضهم. وفي قصائد كثيرة للأعشى شكك القدماء والمحدثون.

صحة نسبة شعره إليه

كان القدماء يشكون في الشعر الجاهلي، ولكنهم كانوا يحبون هذا الشعر القديم حب تقديس. فهو الأصل، وهو الوعاء الذي يحمل اللغة الصحيحة «الأصلية». فكل ما يتكلمون به في عصرهم العباسي ذاك خليط، وكل أساليبهم في التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم أساليب محدثة دخلها الفساد و«العجمة». كانت نظرتهم إلى اللغة نظرتهم إلى النص المقدس. حتى لقد زعم كثيرون منهم أن اللغة العربية بكلماتها وأساليبها مخلوقة مع آدم.

هؤلاء القدماء شككوا في الشعر الجاهلي، وقدسوه في الوقت نفسه، وبحثوا بإخلاص عن أي مفتاح يعينهم على تخليص ما وصلهم منه من الفاسد الموضوع.

ورأس المشككين من المحدثين المستشرقون الذين استقر في ثقافتهم في بلادهم أن اللغة كائن متغير، وقد عالجوا الشعر الجاهلي بمبضع جراح غير ماهر - فأما لماذا غير ماهر، فلأن هؤلاء المستشرقين لا يتذوقون الشعر العربي كأهله - على أنهم بقوة المنطق والعلم، شككوا. وجاء طه حسين فاتبعهم بعض اتباع، واقتنع كبير اقتناع. وثار عليه مقدسو اللغة من المحدثين. وأكثر ما

أخاف المحدثين - المستمسكين بصحة الشعر الجاهلي كأنه أعراض أمهاتهم - أن التشكيك في نص الشعر الجاهلي سيعرض النص المقدس للشك. والأكثر تضرراً من منهج التشكيك الحديث النبوي. فقد روي رواية، ولم يكتب إلا بعد أكثر من مئة سنة من وفاة الرسول.

وقامت معركة الشك في الشعر الجاهلي، وأحسبها لا تزال قائمة. ولا أقف موقفاً وسطاً.

رأيت الناس ينشدون الشعر النبطي الذي قاله شعراء البادية قبل مئة سنة وميتين. فمنهم من ينشد البيتين والثلاثة من القصيدة، يستشهد على حادثة أو على فكرة. ومنهم من هو أحسن حفظاً وأذلق لساناً فتراه ينشد القصيدة كلها، ويأتي آخر فينشد القصيدة نفسها برواية مختلفة تتغير فيها مواضع الأبيات، وتبدل عشرات الكلمات، وتنقص القصيدة أو تزيد. ذلك أن الرجلين كليهما تلقيا القصيدة شفاهاً، وكلاهما متقن لهذه اللهجة وقادر أن يصلح ما وصله مختلاً. وبعد عدة أجيال من الرواة يبقى من القصيدة وزنها وقافيتها، وبعض كلماتها. ولعله يبقى أيضاً شيء غير قليل من روحها. ولعل النسخة الحديثة منها أن تكون أضبط ضبطاً وأحلى حلاوة من النسخة الأصلية. ولعل قصائد نبطية كثيرة منسوبة إلى شاعر بعينه لا تكون من شعره أساساً، بل هي لشاعر آخر أحدث منه أو أقدم.

ونقول إن الشعر النبطي القديم الذي يرويه الناس في مضافاتهم، أو ديوانياتهم، في أيامنا هذه يمثل بمجموعه تراث حقبة معينة، ويحمل روحها سواء بأبياته الأصلية أم بأبياته التي دخلها التبديل الكثير أو حتى الوضع والنحل.

وشعرنا الجاهلي مجموعة من القصائد تمثل روح تلك الحقبة، وتشكل أساساً فنياً بنى عليه الشعراء الأمويون والعباسيون شعرهم، واتخذوه نبزاً، وظلوا يحاولون الاقتراب من مبانى - وأحياناً من معانيه - في صوغهم شعرهم. حتى المجدد الذي كسر القوالب عارفاً بما يصنع، كأبي نواس وأبي تمام، فقد كان يسعى جاهداً لتخير مفرداته وأساليبه بحيث تكون صحيحة جاهلياً. وهذا موجود في زمننا، فترى المرء إذا أورد كلمة عامية في شعر له أو نثر فزع إلى علامتي تنصيص يضع بينهما الكلمة العامية طالباً من القارئ المعذرة.

ديوان الأعشى

طبع المستشرق ردولف غاير شعر الأعشى سنة ١٩٢٨، ثم رتب هذه الطبعة وزاد عليها شروحاً وفهارس محمد محمد حسين سنة ١٩٥٠، وجاءت طبعته غاية في الوضوح والأناقة والصحة والالتزام بطبعة غاير. لا بل لقد كلف سيّدة بترجمة المقدمة الألمانية فجاءت ترجمتها مرآة للأصل لم تنحرف عنه قيد شعرة. وقد عارضتُ طبعة غاير على طبعة محمد حسين بيتاً بيتاً فعجبت من الرجلين. هذا الألماني يصدر ديوان الأعشى في نشرة علمية بديعة خالية من الخطأ وهو مصاب بالفالج، وهذا المصري يعيد طبعتها طباعة أنيقة ويزينها بشتى الشروح، ولا يكاد يتسلل إلى طبعته خطأ مطبعي، فإن تسلل، وقليلاً ما تسلل، ضبطه بجريدة للخطأ وصوابه في ذيل الكتاب. وصنع جدولاً طريفاً آخر بالكلمات التي بدّلها في الطبعة الأوروبية. هذا إلى فهارس أخرى عديدة.

ليت محمد حسين اشتغل بتحقيق الدواوين القديمة أو حتى بضبط التحقيقات القديمة لها، لكنه انصرف فيما يبدو لي إلى تأليف الكتب لتلامذته في الجامعة قبل وبعد عمله في ديوان الأعشى. جزاه الله خيراً.

أقول: ذلك المحقق المصري كان - كما يبدو من كتبه الأخرى - عربياً مستمسكاً بعري الدين، ناعياً على طه حسين تشكيكه في الشعر الجاهلي تشكيكاً ساحقاً. ومع ذلك نراه في الموضوع بعد الموضوع من طبعته لديوان الأعشى يشكك في العشرات من القصائد، ولا يرى أنه سَلِمَ لنا من ديوان الأعشى سوى بضع وثلاثين قصيدة. فتأمل.

حياة الأعشى

أراه رجلاً قصيراً، على شيء من البدانة، يلبس في أصابع يديه الخواتم: فهذا خاتم عقيق من اليمن، وهذا خاتم ذهب من أمير اليمامة هُوْذَة بن علي، وهذا خاتم فضة اشتراه بماله في شبابه، ولم ينزعه من إصبعه لكثرة ما لمس هذا الخاتم من أجساد الحسان اللائي يفتخر الأعشى بأنه عاشرهن.

وكل هذه المعلومات محض افتراء، وما سيلي ليس صافياً كل الصفاء.

كان كثير الأسفار. ونبغ في الشعر شاباً، وصار مشهوراً، ومخشي معرفة اللسان. يسافر مع قبائل التجار.

هو هكذا.. يحب السفر.

لي صديق أتعجب منه كثيراً. يقول لي: أعشق السفر، ولا أسأل عن هدف الرحلة ولا عن تفصيلاتها، فما إن تناح الرحلة حتى أعد حقيبتي. أتعجب منه لأنني أنا لست كذلك. فإذا عرضت لي سفرة حملت همها وتمنيت في أعماقي أن تلغى لأي سبب. فإذا سمعت أنها ألغيت فرحت فرحاً طفوياً.

كان الأعشى كصاحبي. يأتيه الخبر وهو في منفوحة باليمامة أن قافلة ستنتقل إلى اليمن، فيعد حقيبته. ويرحب به التجار رفيق سفر، فسوف ينزلون ببركته على أمراء اليمن وأساقفة نجران، ثم إن رفيقهم سيكون شاعراً يروي لهم من قصيده ويؤنسهم. ويقيم الأعشى في اليمن أشهراً، ويمدح الأمير، وينال عطية جزيلة أو قليلة. وإلى الحيرة على الفرات يسافر، ويلقي شعره على راويته يحيى، وللأعشى أكثر من راوية.

ويسمع أن قافلة أخرى ستوجه إلى الحجاز، فيمضي معها، ويحضر سوق عكاظ، ويلقى الشعراء والكبراء.

يلقى هناك عامر بن الطفيل وقد اشتدت خصومته مع ابن عمه علقمة، فينصر الأعشى عامراً، ويهجو علقمة. وتتسامع جزيرة العرب بقصائد الأعشى في تلك المنافرة المشهورة. ويبكي علقمة من قسوة الهجاء. وفي سفرة أخرى للأعشى يقع شاعرنا بيد علقمة، فيحبسه عنده غير ضيف، حتى يخلص الأعشى نفسه بأبيات يمدح فيها علقمة ويعتذر إليه عما بدر منه.

ويعود الأعشى إلى منفوحة، ويجد ابنته قد كبرت، وأولاده يركضون في الحي ويرعون أغناً كان ابتاعها لهم. ويأتيه رجال من قبيلة زوجته الجديدة التي تزوجها وظل يتركها ويسافر، فيطالبونه بطلاقها، فيطلقها. ثم تعن له سفرة عراقية، فتعلق به ابنته، تريده ألا يسافر، ولكنه - كزميلي عاشق السفر - يسافر، ثم يزعم لنا الرواة أنه حضر مجلس كسرى.

يمدح الأمراء في كل مكان، وينال أعطياتهم، وفي كل حاضرة من حواضر هؤلاء الأمراء يلتبس الأعشى أخبية القيان، يرافقه إليها بعض التجار، فيشربون ويشوون اللحم، وينالون مبتغاهم من النساء.

ويشيب الأعشى ويزداد عَشْاً، ولعله كما قال ابن قتيبة فقد بصره. ويحن إلى أيام اللهو ويقول في ذلك شعراً. ويسمع وهو باليمامة أن قريشاً تعاني مع

ابنها الذي تقول إنه يقول إنه نبي. فلا يأتي عكاظاً، فهو شيخ كفيف، ولا يريد أن يغمس في منافرة أخرى كتلك التي انغمس فيها بين عامر وعلقمة. ثم يسمع أن النبي هاجر إلى يثرب، وأنه بدأ يحقق الانتصارات، فيشد الرحال إليه، ويعد قصيدة يمدحه فيها.

يأتي مكة أولاً، فيراه أبو سفيان، ويعرف أنه قاصد محمداً. فيقنعه بالعدول عن رحلته، ويجمع له مالاً من قريش التي لا تريد أن يتعزز الإسلام بشاعر مشهور. ويرضى الأعشى وينصرف عن مكة عائداً إلى اليمامة، وهو يقول لنفسه: لعلني أعود في مرة قادمة، والأمر قد استتب لمحمد، وإلاً فقد كسبت نياق قريش. عاد إلى اليمامة. وفيها وقع عن ناقته - أوقعه عنها الأخباريون الذين أرادوا له ميتة قاسية لأنه لم يُسلم - ومات. وعندما صعد إلى السماء وضعه أبو العلاء المعري في الجنة بسبب قصيدته التي مدح بها النبي، لكنه حرمه من الخمر. وهذه بقية سيرة الأعشى نقتبسها من رسالة الغفران للمعري، والمتكلم الأعشى:

«سحبني الزبانية إلى سقر، فرأيت رجلاً في عرصات القيامة يتلألاً وجهه تلألؤ القمر، والناس يهتفون به من كل أوب: يا محمد يا محمد، الشفاعة الشفاعة! نمتُ لكذا ونمتُ بكذا. فصرختُ في أيدي الزبانية: يا محمد، أغشي فإن لي بك حرمة! فقال: يا علي، بادِرْه فانظر ما حرمة؟ فجاءني علي بن أبي طالب، صلوات الله عليه، وأنا أغتَلُّ كي أُلقي في الدرك الأسفل من النار، فزجرهم عني، وقال: ما حرمتك؟ فقلت: أنا القائل:

نبي يرى ما لا تروُن، وذكرُه أغارَ لعمري في البلاد وأنجد

فذهب عليٌّ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، هذا أعشى قيس قد رُوي مدحه فيك، وشهد أنك نبي مرسل. فقال: هلاً جاءني في الدار السابقة؟ قال: عليٌّ: قد جاء، ولكن صدته قريشٌ وجبه للخمر. فشفع لي، فأدخلت الجنة على أن لا أشرب فيها خمرًا؛ فقررت عيناى بذلك، وإن لي منادح في العسل وماء الحيوان. وكذلك من لم يتب من الخمر في الدار الساخرة، لم يُسقها في الآخرة. اهـ.

سَلَقُ الأكاديميين

قد رأيتنا أيها القارئ استفدنا من جهد رجل أكاديمي، هو محمد حسين، فمدحناه، ووفينا حقه. أليس كذلك؟ إذن فالعادة التي جرينا عليها من السخرية من الأكاديميين والاستهزاء بهم لم تكسف عنا صنيع من أتقن عمله منهم. وقد

كتبنا ما كتبنا أعلاه - بعد أن كنا انتقينا ما انتقينا من شعر الأعشى ورفقناه وشكّلناه وشرحناه كما سترى أدناه -، وانتهينا من هذه المختارات بصدر منشرح، لم نشتم أحداً ولم نتعرض لأحد.

ثم حدث شيء.

ذكرت للصديق اللغوي المدقق أحمد عبد الرحيم، في عرض حديث، أنني انتهيت من عصر الأعشى (أعني عصره عصراً)، وأني استندت إلى طبعتي غاير ومحمد حسين. فهتف بي صديقي: ألم يأتك نبأ الطبعة الجديدة التي تملأ مجلدين وتستند إلى ثلاث نسخ خطية بكر، وتضم من الشعر الكثير مما لا يوجد في تينك الطبعتين؟ قلت: لا.

ثم جاءني بالمجلدين. فرأيت قد زين صفحاتهما التي ناهزت الشمانمة بالمئات الكثيرة من العلامات والملاحظات، فقلت: مرحي! ننتفع بالطبعة الجديدة، وبملاحظات صديقنا المتمكن من لغته.

أقول لإخوتي الكرام في دول الخليج الثرية - والطبعة التي نحن بصدها صادرة في دولة خليجية ثرية -: نشدكم الله يا إخوتي إلا ما كفتم عن الخوض فيما ليس لكم فيه! خاصمتكم أمام العرش يا أهل المال، أما تتركون تحقيق الكتب، واستجار الناس الذي لا يعرفون كيف يحققون الكتب؟ لعت نفسي ولقيست، وحامت كبدي وخبثت من هذا المسخ الذي ريمتوني به.

هذا الكتاب صنعه رجل وصف نفسه بالدكتور، وصنعت المؤسسة الخليجية تلك ما لم تصنعه دار نشر في طول العالم العربي وعرضه: وظفت رجلاً (دكتوراً أيضاً) ليقوم بـ«المراجعة اللغوية» وصرحت بذلك على قفا صفحة العنوان الداخلي. رأيتم دكتوراً يحقق ديواناً جاهلياً ثم يحتاج إلى مراجع لغوي يكتس أخطاءه النحوية من ورائه؟

اصبروا، فالمهزلة مستمرة.

على صفحة الغلاف اسم الشاعر (الأعشى الكبير) وتحت الباء كسرة.. حتى لا نغلط ونظنه «الكُبَيْر». ونقول للناس: جبر الله كسرك وأقام أمتك لهذه الكسرة التي أنعشت بها الذاكرة. ثم «ميمون بن قيس» ولا ندري من أي المصادر الخطيرة عثر القوم على قيس هذه. لكن، هي كسرة أخرى! وسترى معي كسراً كثيراً فيما سيأتي، وسترى قيس المكسورة تتكرر في كلمة الناشر.

بدأنا نقرأ. وفي الصفحة الأولى كلمة الناشر، صفحة مكتوبة بقلم هزيل
ثرثار، قلم من لم يذق شعراً في عمره.

ثم مقدمة «المحقق»: هل أصف للقارئ التسعين صفحة التي سودها السيد
الدكتور المحقق؟ سيقترضني ذلك تسعين صفحة من مُرّ الكلام. لقد أغشى النفس
بتحميداته وتسييحاته ودعواته لنفسه ولكل من ساعده في الحصول على النسخ،
حتى كادت مقدمته أن تصبح خطبة منبرية. ولم ينس في الفقرة الأولى من
المقدمة أن يتحفنا بغلظة لغوية - أشار إليها وإلى أمثالها صديقي اللغوي أحمد
عبد الرحيم -. ثم تجده في الصفحة الثانية من المقدمة يثني على الألماني غاير
أعطر الثناء، ويقذف المصري محمد محمد حسين بعبارة «أين الثرى من الثريا».
وأخذ بعد ذلك يعث باللغة عبثاً لا نرضاه من طالب في الإعدادية، بله من
كاتب في صحيفة، بله ممن سمى نفسه محققاً.

يكتب اسم المستشرق الألماني بجيم مثله النقاط حيناً وبجيم ذات نقطة
حيناً، ويرتكب ثلاثة أخطاء نحوية في الصفحة الثالثة من المقدمة، وتراه بعد
ذلك يبدأ الجملة بمبتدأ، وبحث - إن كان معك وقت - عن الخبر. ثم يصدر
حكماً: «ضربت صفحاً عما أثير من شكوك حول بعض شعر الأعشى، إذ لم
تعد لمثل هذه الشبهات في مجال البحث العلمي والتحقيق قيمة تذكر». هذا ما
يقوله صاحب «البحث العلمي» الذي بدأ كلامه بعبارة «استبيح القارئ عذراً»،
وهو، وأيم الحق، قد استباح العلم، واستباح القارئ فعلاً.

وفي مطلع الفقرة بعد الفقرة يروي لنا هذا الدكتور كيف أن الأمر الفلاني أو
الفلاني قد أذهله (في إحدى رواياته لهذه الكلمة يقول «أذهلتهني»، نقول ذلك لكي
يعلم الدكتور أن آلاف الأخطاء المطبعية التي حفل بها كتابه لم تنزلق عنها أبصارنا
مثلما انزلقت عنها العيون الأربع: عيناه وعينا المراجع اللغوي الذي وظفوه له).

بعد تسعين صفحة من الكلام المضطجع في مراقد الركافة بدأنا نقرأ شعر
الأعشى. ونقول للسيد الذي سمى نفسه محققاً: ليست في الكتاب بجزأيه
صفحة واحدة تخلو من خطأ، ومن خطأين، وثلاثة، وعشرة. يا أخي، اتق الله!
أليس لأهلك حقل تزرعه، أو دكان تقعد فيه تبيع وتشتري. لقد شكرت نصف
أمة محمد في مقدمتك لما أسدوه إليك من معونة، قد والله فضحتهم.

قد استغنيا عن كتابك يا سيد.

نخل لنا القدماء شعر الأعشى ومخضوه مخضاً في زمن كان فيه شعر

الأعشى برواياته المختلفة بين أيديهم، واستغنيا. عرفنا عيون شعره مما حصل في أيدينا من انتقاءات القدماء، فلا نريد كتابك السمين غير الثمين. وكنت في المقدمة قد هددتنا بإصدار جزء ثالث، ونظنه إن وفيت سيلتهم ورقاً كثيراً، ونقول لك: رفقاً بالأشجار في الغابات الموسمية.

وكلمة محاسبة أخيرة - ولا أتعهد لك أن تكون الأخيرة، فقلبي منك ملآن -: وعدتنا بشرح الأبيات شرحاً أفضل من شرح محمد حسين الذي عبته وتنقصت منه بلهجة الأستاذ، فأين شرحك؟ قد اكتفيت من الشرح بسرقة بعض ما خطته أنامل الراحل الذي لن يستطيع أن يقول لك من قبره: امسك حرامي. نحن نقولها لك. ونقول لك: ليس في كتابك شرح.

وكلمة أخرى: هوامشك تخاليط. ومقابلتك بين النسخ تنحط عن أدنى ما يصنعه الشداة في هذا الفن.

١ ودّع هريرة (المعلقة)

قال ليزيد بن مسهر الشيباني، أبي ثابت:

ودّع «هريرة» إنّ الركب مُرْتَجِلٌ وهل تُطَبِّقُ وداعاً أثها الرجلُ

غُراءُ فرعاء مصقولٌ عوارضها تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوجِلُ

غراء (بيضاء) فرعاء (كثيفة الشعر)، مصقولة عوارضها (أسنانها القواطع)، تمشي الهوينا (بطء) كما يمشي الوجي (الحافي) الوحل (الماشي في الوحل). والماشي في الوحل متمهل لأنه لا يرى إن كان تحت الوحل حجر مسنون أو نحوه، فكيف إذا كان حافياً

كانَ مِشِيَتِهَا مِنْ بَيْتٍ جَارِيهَا مَرُّ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلٌ

تمشي كالسحابة فلا ريث (بطء) ولا سرعة

تَسْمَعُ لِلْحَلِيِّ وَسَوَاساً إِذَا انْصَرَفَتْ كما استمعانَ بريحٍ عِشْرِقٍ زَجَلٌ

تسمع لحليها وسواساً (خشخشة) مثلما يخشخش نبات العشوق الزجل (المخشخش إذ تجف بذوره وأغلقتها) عندما تهب عليه الريح

لَيْسَتْ كَمَنْ يَكْرَهُ الْجِرَانَ طَلَعَتَهَا وَلَا تَرَاهَا لِسِرِّ الْجَارِ تَخْتَلِ

يحب الجيران طلعتها، ولا تختل (تسترق السمع) على أسرار الجيران

يَكَادُ بِصَرْعِهَا لَوْلَا تَشَلُّدُهَا إِذَا تَقَوُّمُ إِلَى جَارَاتِهَا الْكَسَلُ

يكاد الكسل يصرعها (يلقيها أرضاً) لولا أنها تشدد عند القيام، وذلك لتقل أردافها

هَرَكَوْلَةٌ فُنُقُ دُرْمٌ مَرِافِقُهَا كَأَنَّ أَحْمَصَهَا بِالشُّوكِ مُنْتَمِلٌ

هركولة (عظيمة الوركين) فنق (منقمة)، مراقفها درم (مفاصلها مكسوة بالشحم، فلا تبين في المرفق عظمة المفصل)، وكأنها تلبس نعلًا من الشوك تلتصق بأخمصها، فهي لذلك بطيئة المشي

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُعْشِبَةٌ خَضِرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطْلٌ
بدأ تشيهاً: ليست الروضة من رياض الحزن (الهضبة) المعشبة الخضراء التي جادها مطر مسبل (منهمر)، ليست...

يَوْمًا بِأَطْيَبِ مِنْهَا نَشْرَ رَائِحَةٍ وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا الْأَصْلُ
ليست هذه الروضة أطيب من هريرة من حيث النشر (الرائحة)، وليست أحسن منها مع دنو الأصل (قيل الغروب)

عُلِقَتْهَا عَرَضًا وَعُلِقْتُ رَجُلًا غَيْرِي وَعُلِقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ
تعلقت بحبها عرضاً (صدفة) وهي تعلقت برجل غيري، وهو تعلق بغيرها

قَالَتْ هُرَيْرَةٌ لَمَّا جِثْتُ زَائِرَهَا: وَيْلِي عَلَيْكَ وَيْلِي مِنْكَ يَا رَجُلُ
لا اختلاف بين النقاد القدماء على أن هذا أخت بيت قاله العرب

يَا مَنْ يَرَى عَارِضًا قَدْ بَثَّ أَرْقُبَهُ كَأَنَّمَا الْبَرْقُ فِي حَافَاتِهِ الشُّعْلُ
يغير الموضوع: يرى الرائي عارضاً (غيماً) في أطرافه بروق كأنها شعل من نار

لَمْ يُلْهِنِي اللَّهْوُ عَنْهُ حِينَ أَرْقُبَهُ وَلَا اللَّذَازَةُ مِنْ كَاسٍ، وَلَا الْكَسَلُ
لم يشغلني عن هذا الغيم البارق لهوي وكاسي، ولا كسلي

فَقُلْتُ لِلشَّرْبِ فِي «دُرْنِي» وَقَدْ نَمِلُوا شِيمُوا، وَكَيْفَ يَشِيمُ الشَّارِبُ الثَّمِلُ
فقلت للشرب (الشاربين) وقد سكروا: شيموا (راقبوا البروق، والعرب تشيم البرق لتخمين اتجاه الغيم الماطر كي ترتحل في سبيل العشب)، ولكن، كيف يشيم البروق السكران؟

وَبِلْدَةٍ مِثْلِ ظَهْرِ الثُّرْسِ مُوَحْشَةٍ لِلْجِنِّ بِاللَّيْلِ فِي حَافَاتِهَا زَجْلُ
رب بلدة موحشة جرداء كظهر الثرس (ظهره هو ما يواجه الخصم ويكون صقيلاً)، ويسمع فيها زجل الجن، وهو عريف الجن، ولا أدري كيف يكون صوت الجن فلم أسمعه قط

جَاوَزْتُهَا بِطَلِيحِ جَسْرَةٍ سُرْجٍ فِي مِرْفَقَيْهَا إِذَا اسْتَعْرَضْتُهَا فَتَلُ
قطعت هذه البلدة بطليح (ناقة مهزولة من مشقة السفر) جسرة (ناقة ضخمة) سرح (سلسلة السير)، وترى في مرفقيها (الثفتين اللتين تترك عليهما الناقة من أمام) الفتل (ولعل هذا الفتل هو تباعد ما بين المرفقين بسبب التعب)

فقد أخالِسُ رَبَّ البيتِ غفلتَه وقد يُحاذِرُ مِنِّي ثم مَا يَئِلُ

أخالس (استغفل) الرجل ويحذر مني ثم لا يئل (لا ينجو)، فأنا أوصل زوجته

وقد أَقُوذُ الصَّبَا يوماً فَيَتَّبِعُنِي وقد يُصاحِبُنِي ذو الشَّرَّةِ الغَزَلُ

أبادر إلى الصبا (اللهو) ويلحق بي، أو يصحبني صديق ذو غزل وشرة (عرامة الشباب)

وقد عَدَوْتُ إلى الحانوتِ يتبعُنِي شَاوٍ مِثْلُ شُلُولٍ شُلْشُلٍ شَوِلُ

أذهب إلى الحانوت (الحانة) ويتبعني شاوٍ (من يشوي اللحم) وهو مثل وشلول وشلشل وشول (وكلمها تعني نشيط، وانتقد ابن قتيبة البيت لهذه المترادفات، وراح بعضهم يزعم أن لكل لفظة من هذه معنى قائماً برأسه)

في فِتْيَةٍ كَسِيفٍ الهندي قد عِلْمُوا أن لِسَ يَدْفَعُ عن ذي الحيلةِ الحِيلُ

أجلس وسط فتية تشرق وجوههم وهم يتبعون فلسفتي وهي أن الحيل التي يتخذها المرء ذو الحيلة (الواسعة لا تدفع عنه المقدر، لذا فعلينا أن نقطع العمر بطلب اللذة)

نازَعْتُهُمْ قُضِبَ الرِّيحَانِ مَتَكِئاً وقَهْوَةً مُرَّةً راوَوْقَهَا خَضِلُ

كنت آخذ وأعطي عروق الريحان مع هؤلاء الفتية، وأنا متكئ، وأتاعطى معهم خمرة مزة (طعمها بين الحموضة والمرارة) راووقها خضل (وعاء تصفيتها مبتل دائماً لأنه عامر بالخمير لا يفرغ)

لا يَسْتَفِيقُونَ منها وَهْيَ رَاهِنَةٌ إلا بِهَاتِ، وإن عَلَوْا وإن نَهَلُوا

لا يصحون من سكرهم والخمر راهنة موجودة إلا كي يقولوا: هات كأساً أخرى، يقولونها حتى وإن علوا (شربوا أولاً) ونهلوا (شربوا ثانية)

يَسَمَى بها ذو زُجاجاتٍ له نُطْفٌ مُقَلَّصٌ أسفل السَّرْبَالِ مُعْتَمِلُ

الساقى له نطف (لؤلؤات صغيرات، وأتخيل هذا الساقى ولدأ في شحمة أذنه شذرة فضة أو خرزة)، والساقى قد شمر عن ساقبه، وهو معتمل (نشط في عمله)

وَمُسْتَجِبٌ تخالُ الصَّنَجِ يَسْمَعُهُ إذا تُرْجِعُ فيه القَيْنَةُ الفُضْلُ

ورب عود يستجيب لصوت القينة (المغنية) وتحسب أن الصنج (الصاجات في أصابع الراقصة أو المغنية) يسمع العود ويتابعه، وهذه المغنية ترجع صوتها وهي فُضْل (تلبس القليل)

أَبْلِغُ يَزِيدَ بني شَيْبَانَ مَأْلَكَةً: أبا نُبَيْتٍ أما تَنفُكُ تَأْكِلُ

أبلغ يزيد مألكة (رسالة)، فيا يزيد يا أبا نبيت لماذا تظل تأكل؟ (تُفْسِدُ)

أَلَسْتُ منتهياً عن نَحْتِ أَثْلَتِنَا ولَسْتُ ضائِرها ما حَنَّتِ الإِبِلُ

ألا تتوقف عن نحت أثلتنا (التعريض بنا، والأثلة: من الأشجار الكبيرة)، ولست مؤثراً في مجدنا أبداً... ما دامت الإبل تصدر صوت الحنين

كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيُوهِنَهَا فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ

أنت كالوعل الذي ينطح الصخرة، فلن يضرها بل يضعف قرنه

نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْجَنُودِ ضَاحِيَةً جَنْبَيَّ «فُطَيْمَةَ» لَا مِيلَ وَلَا عَزْلُ

نحن فرسان يوم الجنود (ذي قار) ضاحية هذه الفرسان (مقاتلة في العراء بلا استتار) في فطيمة، ولم نكن ميلاً (غير ثابتين فوق الخيل) ولا عزلاً من السلاح

قَالُوا الرُّكُوبُ، فَقَلْنَا: تِلْكَ عَادَتُنَا، أَوْ تَنْزِلُونَ، فَلَأْنَا مَعَشَرَ نُزُلُ

نحارب راكبين، وننزل للمجالدة بالسيوف، فتحن نحارب بكل طريقة

٢ دبلوماسية

سَأُوصِي بِصِيرٍ إِنْ دَنَوْتُ إِلَى الْبَلَى وَصَاةَ امْرِئٍ قَاسَى الْأُمُورَ وَجَرًّا:

البلى: تحلل الجسم بعد الموت. ولعله كان للأعشى فعلاً ابن اسمه بصير، لا أنه كني بأبي بصير لعشا بصره

بَأَنْ لَا تَبَغَّ الْوُدَّ مِنْ مُتَبَاعِدٍ، وَلَا تَنَأَ عَنْ ذِي بَغْضَةٍ إِنْ تَقَرَّبَا

لا تبغ مودة من يتبعد عنك، ولا تبعد عن ذي بغضة (كراهية) إن هو تقرب إليك

فَإِنَّ الْقَرِيبَ مَنْ يُقَرَّبُ نَفْسَهُ، لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرَ، لَا مَنْ تَنْسَبَا

٣ وصف الهرولة

بَانَتْ سَعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا رَابَاً وَأَحْدَثَ النَّأْيُ لِي شَوْقاً وَأَوْصَابَا

راب الحب: من الرية، أي داخل وصلها الشك. أوصاب: أوجاع

وَأَجْمَعَتْ ضُرْمَنَا سُعْدَى وَهَجَرْتَنَا لَمَّا رَأَتْ أَنْ رَأْسِي الْيَوْمَ قَدْ شَابَا

الضرم: القطعة

هَرَكُولَةٌ مِثْلُ دِغْصِ الرَّمْلِ أَسْفَلَهَا مَكْسُوءَةٌ مِنْ جَمَالِ الْحُسْنِ جَلْبَابَا

هركولة: عظمة الوركين. الدغص: الكتيب

تُمِيلُ جَثْلًا عَلَى الْمَتْنَيْنِ ذَا خُصَلٍ يَحْبُو مَوَاشِطَهُ مِسْكَاً وَتَطْيَابَا

الجثل: الشعر الكثيف. تميل شعرها الذي يعطي المواشط (جمع ماشطة، أي كوافيرة ذلك الزمن) مسكاً وطيباً

٤ نذير الفناء

إِنَّ الْقُرَى يَوْمًا سَتُهَا - لِيكَ قَبْلَ حَقِّ عَذَابِهَا

ستهلك قبل أن ينزل بها العذاب الذي تستحق

وَتَصِيرُ بَعْدَ عِمَارَةٍ يَوْمًا لِأَمْرِ خَرَابِهَا

أَوَلَمْ تَرَيَ حِجْرًا - وَأَنْتَ حَكِيمَةٌ - وَلِمَا بِهَا

حجر: بلاد ثمود شمال الحجاز

إِنَّ الثَّمَالِبَ بِالضَّحَى يَلْعَبْنَ فِي مَحَرَابِهَا

المحراب هنا: القصر

٥ الاغتيال

مَا بَالُ مَنْ قَدْ كَانَ حَظًّا - يَمُنُّ مِنْ نَصِيحَتِهِ اغْتِيَابُهُ

يزعم أنه ينصحيني ثم يروح يغتابني

يُزْجِي عَقَارِبَ قَوْلِهِ - لَمَّا رَأَيْتَنِي لَا أَهَابُهُ

٦ التداعي منها بها

أَلَمْ تَنْهَ نَفْسَكَ عَمَّا بِهَا - بَلَى عَادَهَا بَعْضُ أَطْرَابِهَا

أطرابها: أشواقها

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ - وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

قالوا قديماً، وحديثاً أيضاً، إن شرب بعض الخمر في الصباح بعد ليلة ساكرة ينفي الخمار، أي صداع السكر. وهذا المعنى للأعشى مشهور، أخذه أبو نواس حين قال «وداوني بالتي كانت هي الداء»

لَكِنِّي يَعْلَمُ النَّاسُ أَنِّي أَمْرُؤٌ - أَتَيْتُ الْمَعِيشَةَ مِنْ بَابِهَا

كُمَيْتٍ يُرَى دُونَ قَعْرِ الْإِنْسَى - كَمَثَلِ قَذَى الْعَيْنِ يُقْذَى بِهَا

الخمر كमित (داكنة اللون) وهي مع ذلك صافية صفاء يجعلك ترى الشائبة الصغيرة بحجم قذى العين في قعر الإناء

وَشَاهِدُنَا الْوَرْدُ وَالْيَاسْمِينُ - وَالْمُسْمِعَاتُ بِقُضَابِهَا

المسمعات: المغنيات. قضاها: عازفو القصب، أي الناي، فهؤلاء - ومعهم الورد والياسمين - يحضرون سكرتنا تلك

مَضَى لِي ثَمَانُونَ مِنْ مَوْلَدِي كَذَلِكَ تَفْصِيلُ حُسَابِهَا
فَأَصْبَحْتُ وَدَّعْتُ لَهْوَ الشَّبَابِ بِِ وَالْخَنْدَرِيسَ لِأَصْحَابِهَا
الخندريس: الخمر المعتقة

٧ تهديد

قال لشييان الجحدري:

أَبَا مِسْمَعٍ إِنِّي أَمْرُؤٌ مِنْ قَبِيلَةٍ بَنَى لِي مَجْدًا مَوْتُهَا وَحَيَاتُهَا
مجددي هو مجد قبيلتي في حياتها وفي مصارع رجالها
فَلَا تَلْمَسِ الْأَنْعَى بِدَاكَ تَرِيدُهَا وَدَعَهَا إِذَا مَا غَيَّبَتْهَا سَفَاتُهَا
سفاتها: تراها

أَبَا مِسْمَعٍ أَقْصِرْ فَإِنَّ قَصِيدَةً مَتَى تَأْتِيكُمْ تَلْحَقُ بِهَا أَخَوَاتُهَا
أَعْيَزْتُنِي فُخْرِي، وَكُلُّ قَبِيلَةٍ مُحَدَّثَةٌ مَا أَوْرَثَتْهَا سُعَاتُهَا
سعاتها: الساعون لتحقيق مجدها

٨ وَقَلَّتْ

يمدح شييان بن ثعلبة بيوم ذي قار، الذي انتصرت فيه العرب على الفرس:
فَدَى لِبَنِي دُهْلٍ بَنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي وَرَاكِبُهَا يَوْمَ اللَّقَاءِ، وَقَلَّتْ
أفديهم بناقتي وبراكبها (أي بنفسي)، وقليل لهم ذلك
هُمْ ضَرَبُوا بِالْجَنُوحِ قُرَاقِرَ مُقَدِّمَةَ الْهَامِرِزِ حَتَّى تَوَلَّتْ
حنو قراقر: مكان قرب الكوفة. الهامرز: قائد الفرس في ذي قار

٩ نبي يرى ما لا ترون

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرَمَدَا عَادَكَ مَا عَادَ السَّلِيمَ الْمُسَهَّدَا
لم تغمض لك عين ليلة كنت كالأرمد، المصاب في عينيه بالرمد، ولحق بك ما يلحق بالسليم
(الملدوغ، يسمونه سليماً تيمناً بشفائه) المسهد (الساھر، وكانوا يمتعون الملدوغ من النوم كيلا
يسري السم في جسمه)

شَبَابٌ وَشَيْبٌ وَافْتِقَارٌ وَثَرَوَةٌ قَلِيلٌ هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا

وما زِلْتُ أَبْغِي الْمَالَ مُذْ أَنَا يافِعٌ ولِبدَأَ وكَهْلًا حِينَ شَبْتُ وَأَمْرَدًا

الأمرد: من لم تنبت له لحية

فإنَّ تَسْأَلِي عَنِّي فَيَا رَبِّ سَائِلٍ حَفِيٍّ عَنِ الْأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَضْعَدَا

حفي: مهتم، أضعد: ذهب

أَلَا أَيُّهَذَا السَّائِلِي أَيْنَ يَمَمْتُ فإنَّ لَهَا فِي أَهْلِ يَثْرَبٍ مَوْعِدَا

من يسألني: «أين يممتم (قصدت) ناقتي»، فالجواب أن لها موعداً في يثرب

فَأَلْبَيْتُ لَا أُرْثِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ وَلَا مِنْ حَقِّي حَتَّى تَزُورَ مُحَمَّدًا

ألبيت (حلفت) لا أرحم ناقتي من الكلاله (التعب)، ولا من الحقي (تسلخ أخفافها) حتى تزور محمداً

مَتَى مَا تُنَآخِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ تُرِيحِي وَتَلْقِي مِنْ فَوَاضِلِهِ يَدَا

اليد: المعروف

نَبِيٍّ يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَذَكَرُهُ أَغَارَ لَعَمْرِي فِي الْبِلَادِ وَأُنْجِدَا

لَهُ صَدَقَاتٌ مَا تُغِبُّ وَنَائِلٌ وَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَانِعُهُ غَدَا

ما تغب: لا تنقطع

أَجِدْكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الْإِلَهِ حِينَ أَوْصَى وَأَشْهَدَا

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ الثُّقَى وَلَا قَبِيتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا

نَدِمْتُ عَلَى أَلَّا تَكُونُ كَمثْلِهِ وَأَنْتَ لَمْ تُرْصِدْ لِمَا كَانَ أَرْصَدَا

تُرصد: تدخر

وَذَا النُّصْبُ الْمَنْصُوبُ لَا تَنْسِكَنَّه وَلَا تَعْبُدِ الْأَوْثَانَ، وَاللَّهُ فَاعْبُدَا

وَصَلِّ عَلَى حِينِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى وَلَا تَحْمَدِ الشَّيْطَانَ، وَاللَّهُ فَاحْمَدَا

وَلَا تَقْرَبَنَّ جَارَةً إِنْ سِرَّهَا عَلَيْكَ حَرَامٌ، فَانْكَحْنِ أَوْ تَأْبُدَا

تأبّد: تعزّب، وبقي بلا اتصال مع النساء

١٠ الخيال الزائر

إِنْ كُنْتَ لَا تَشْفِينِ غُلَّةَ عَاشِقٍ صَبَّ بِحَبِّكَ يَا جُبَيْرُهُ صَادٍ

غلة: عطش. صاد: عطشان

فَإِنَّهُنَّ خِيَالُكَ أَنْ يَزُورَ، فَإِنَّهُ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ يَعُودُ وَسَادِي

١١ يؤامرني في الشمول

أَتَانِي يُؤَامِرُنِي فِي الشُّمُولِ لِي لَيْلًا، فَقُلْتُ لَهُ: غَادِهَا
جاءني يشاورني في شرب الخمر ليلًا، فقلت له غادها، أي انطلق إليها مبكرًا

فَقَامَ فَصَبَّ لَنَا قَهْوَةً تُسَكِّنُنَا بَعْدَ إِزْعَادِهَا
كُمَيْتًا تَكْشِفُ عَنْ حُمْرَةٍ إِذَا صَرَّحْتَ بَعْدَ إِزْيَادِهَا
صرحت: صفت من الرغبة. وتصريح الحليب زوال الرغبة عن وجهه، ومن هنا قولنا اليوم «بصراحة»

١٢ الليل الأعمى

أَلَا حَيٍّ مَيًّا إِذَا أَجَدَّ بُكُورُهَا وَعَرَّضَ بِقَوْلٍ: هَلْ يُفَادَى أَسِيرُهَا
أجد بكورها: حدث تبكيرها بالرحيل، وقل لها على سبيل التعريض أما حان أن يفادى (يطلق
بفدية) أسيرك؟

فَيَا مَيٍّ لَا تُذَلِّي بِحَبْلِ يَغُرَّنِي وَشَرُّ حَبَالِ الْوَاصِلِينَ غَرُورُهَا
فإن شئت أن تهدئي لقومي فاسألني عن العز والإحسان أين مصيرها
إن شئت هداية ومعرفة بحقيقة قومي فهم أهل العز والإحسان

تَرَى أَنَّ قِدْرِي لَا تَزَالُ كَأَنَّهَا لِذِي الْفَرُوقِ الْمَقْرُورِ أَمْ يَزُورُهَا
قدري (طنجرتي) مثل الأم التي يلجأ إليها المقرور (البردان) اللابس فروة الذي نزل بنا كي نطعمه
مَبْرُزَةً لَا يُجْعَلُ السُّتْرُ دُونَهَا إِذَا أُخِمِدَ النِّيرَانُ لَاحَ بِشِيرُهَا
مكشوفة قدرنا لا يغطيها إلا دخان نارها، وهي تبشر الجائع بالطعام

إِذَا الشُّوْلُ رَاحَتْ ثُمَّ لَمْ تَقْدِرْ لَحْمَهَا بِأَلْبَانِهَا ذَاقَ السَّنَانَ عَقِيرُهَا
إذا الشول (النباق) راحت (رجعت من مراعيها) فعليها أن تفدي لحمها بأن تدر لنا اللبن، فإن لم
تفعل فسوف يذوق الذبح بالسنان عقيرها (من سيذبح منها)

وَإِنِّي لَتَرَأُكَ الضَّغِينَةَ قَدْ أَرَى قَذَاهَا مِنَ الْمَوْلَى فَلَا أَسْتَشِيرُهَا
نسب البيت إلى غير الأعمى، انظر القطعة ١١٧ من باب الحماسة في هذا الكتاب

وَقُورُ إِذَا مَا الْجَهْلُ أَعْجَبَ أَهْلَهُ وَمِنْ خَيْرِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ وَقُورُهَا
وليل يقول القوم من ظلماته: سَوَاءٌ بِصِيرَاتِ الْعَيُونِ وَعُورُهَا
تجاوزته حتى مضى مذلته ولاح من الشمس المضئية نورها

١٣ كن كالسموأل

قال يمدح شريح بن حصن بن عمران بن السماوأل:

شُرِنِحُ لَا تَتْرُكْنِي بَعْدَمَا عَلِقْتُ حَبَالُكَ الْيَوْمَ بَعْدَ الْقِدِّ أَظْفَارِي
لَا تتركني يا شريح إذ تعلقت بك بعد القد (بعد أن أسروني وجعلوا في يدي القيود من أشرطة الجلد)

قَدْ طُفْتُ مَا بَيْنَ بَانِقِيَا إِلَى عَدْنٍ وَطَالَ فِي الْعُجْمِ تَرْحَالِي وَتَسْيَارِي
فَكَانَ أَوْفَاهُمْ عَهْدًا، وَأَمْنَهُمْ جَارًا، أَبُوكَ بِعُرْفٍ غَيْرِ انْكَارٍ
كان أوفى من سمعت به وأحماهم للمستجير به أبوك (يعني جدك الأعلى)، وهذا معلوم لا ينكره أحد

كَالْغَيْثِ مَا اسْتَمْطَرُوهُ جَادَ وَابِلُهُ وَعِنْدَ ذِمَّتِهِ الْمُسْتَأْيِدُ الضَّارِي
كُنْ كَالسَّمَوَالِ إِذْ سَارَ الْهُمَامُ لَهُ فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارٍ
كن كجدك السماوأل عندما قصده الهمام (الشجاع، وهو الحارث بن ظالم) في جيش كبير كأنه سواد الليل..

بِالْأَبْلَقِ الْفَرْدِ مِنْ تَيْمَاءَ مَنْزِلُهُ حِصْنٌ حَصِينٌ وَجَارٌ غَيْرُ عَدَّارٍ
كان منزل السماوأل الحصن المسمى الأبلق، وهو حصن فرد لا شبيه له، والسماوأل يجير ولا يفدر
إِذْ سَامَهُ خُطَّتَنِي خَسْفٌ، فَقَالَ لَهُ: مَهْمَا تَقْلُهُ فَإِنِّي سَامِعٌ «حَارٍ»..
سامه الحارث (فرض عليه) خطتي خسف (خيارين ظالمين)، فقال له السماوأل: ها أنا ذا أسمعك يا حارٍ (يا حارث)

فَقَالَ تُكَلِّلُ وَعَدَّرَ أَنْتَ بَيْنَهُمَا فَاخْتَرْتُ وَمَا فِيهِمَا حِظٌّ لِمَخْنَارٍ
قال الحارث: ابنك بيدي قد أمسكت به خارج الحصن، وكان ذاهباً يصيد، وأمامك الثكل (أن تفقد ولدك)، والخيار الثاني الغدر، بأن تسلمني الدروع التي وضعها عندك امرؤ القيس وتغدر به ولا تقي له بالوعد في حفظ الدروع

فَشَكَّ غَيْرَ قَلِيلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْتُلْ أَسْبِرَكَ إِنِّي مَانِعٌ جَارِي
تردد السماوأل، ثم قال للحارث اقتل ابني الذي تأسره، وسأمنع جاري (سأدفع عن استجار بي)

إِنَّ لَهُ خَلْفًا إِنْ كُنْتَ قَاتِلَهُ وَإِنْ قَتَلْتَ كَرِيمًا غَيْرَ عَوَّارٍ..
ولئن قتلت ابني فله من سيخلفة، مع أنه كريم غير عوار (غير جبان)

مَالًا كَثِيرًا وَعِرْضًا غَيْرَ ذَنْسٍ وَإِخْوَةً مِثْلَهُ لَيْسُوا بِأَشْرَارٍ
سيخلفه مال لي كثير، وعرض نقي، وإخوة له

جَرَوْا عَلَى أَدَبٍ مِنِّي بِلا نَزَقٍ ولا إِذَا شَمَّرَتْ حَرْبٌ بِأَغْمَارِ

هم على أدب أدبتهم به، وليسوا متسرعين، وفي الحرب غير أغمار (غير قليلي الخبرة)

وَسَوْفَ يُعْقِبُنِيهِ إِنْ ظَفِرَتْ بِهِ رَبُّ كَرِيمٍ وَبَيْضُ ذَاتِ أَطْهَارِ

وسيعقبنيه (سيموضني عنه) إِنْ قتلته ربي الكريم، والنساء الشابات ذوات الأطهار (اللاتي يأتين الحيض ومن بعده الطهر)

لَا سِرُّهُنَّ لَدَيْنَا ضَائِعٌ مَذِقٌ وَكَاتِمَاتٌ إِذَا اسْتُوْدِعْنَ أَسْرَارِي

سرهن (جماعهن، والسر هو الجماع) لَا يضيع سدى بل يؤدي إلى حمل، وهو غير مذاق (غير مزوج/ يريد القول إنه جماع للاستيلاد، لَا للذة)

نَقَالَ تَقْدِيمَةً إِذْ قَامَ بِقَتْلِهِ: أَشْرَفَ سَمَوَالٍ فَانْظُرْ لِلْدَمِّ الْجَارِي

أَقْتُلْ ابْنَكَ صَبْرًا أَوْ نَجِيءَ بِهَا طَوْعًا، فَانْكَرْ هَذَا أَيَّ إِنْكَارِ

أقتل ابنك صبراً (إعداماً) أم ستجيء بالدروع؟ فانكر السؤال هذا الخيار كل الإنكار

فَشَكَ أَوْدَاجَهُ، وَالصَّدْرُ فِي مَضَضٍ عَلَيْهِ مُنْطَوِيًّا كَاللَّذْعِ بِالنَّارِ

شك الحارث أوداج الفتى (عروق رقبتها). وكان صدر الوالد في مضض (عذاب) على ابنه، ينطوي على نار تلتذعه

وَاخْتَارَ أَذْرَاعَهُ أَنْ لَا يُسَبَّ بِهَا وَلَمْ يَكُنْ عَهْدُهُ فِيهَا بِخَتَارِ

اختار السموال الحفاظ على الدروع حتى لَا يُسب بقلة الوفاء، ولم يكن عهده ختاراً (خداعاً)

وَقَالَ لَا أَشْتَرِي عَارًا بِمَكْرُمَةٍ فَاخْتَارَ مَكْرَمَةَ الدُّنْيَا عَلَى الْعَارِ

وَالصَّبْرُ مِنْهُ قَدِيمًا شِيمَةً خُلِقَ وَزَنَدُهُ فِي الْوَفَاءِ الثَّاقِبِ الْوَارِي

الزند: أداة قذح النار، الثاقب: المشتعل، الواري: المتقد

١٤ الثبات

قال لبني جَحْدَر:

فَقَدْ صَبَرْنَا وَلَمْ نُؤَلَّ وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِنَا الْفِرَارُ

وَقَدْ قَرَّرْتُمْ وَمَا صَبَرْتُمْ وَذَاكَ شَيْنٌ لَكُمْ وَعَارُ

١٥ وقيدني الشعر في بيته

قال في سياق مدح قيس بن مَعْدِيكَرِب:

فَافَاضَتْ دُمُوعِي كَفَيْضِ الْغُرُوبِ بِ إِمَّا وَكَيْفًا وَإِمَّا انْجِدَارًا
الغروب: الدلاء، السطول؛ وكيفًا: انهماكاً

كَمَا أَسْلَمَ السِّلْكُ مِنْ نَظْمِهِ لَأَلَيَّ مِنْ حِدَارَاتِ صِغَارَا
السلك: خيط العقد. يشبه دموعه بلآلئ قد انفرط عقدها وانتشرت

إِلَى حَامِلِ الثُّقُلِ عَنْ أَهْلِهِ إِذَا الدَّهْرُ سَاقَ الْهَنَاتِ الْكِبَارَا
أتوجه إلى هذا الممدوح الذي يحمل ثقل الهنات (الأزمات) عن أهله

وَمَنْ لَا تُفَرِّغُ جَارَاتِهِ وَمَنْ لَا يُرَى جِلْمُهُ مُسْتَعَارَا
وهو يجير النساء فلا يصل إليهن العدو لكي يسيهن، وحلمه خلق أصيل

هُوَ الْوَاهِبُ الْمِئَةِ الْمُصْطَفَا ةَ إِمَّا وَمِخَاضًا وَإِمَّا عِشَارَا
يهب الناس المئة ناقة وفيهن المِخَاض (من قاربت الوضع)، والعِشَار (من ثقلت بحملها)

فَمَا أَنَا، أُمُّ مَا انْتَحَالِي الْقَوَافِ بِي بَعْدَ الْمَشِيبِ كَفَى ذَاكَ عَارَا
كيف لي أن آخذ شعر غيري، وقد شاب الرأس؟ هذا عار

وَقَيَّدَنِي الشَّعْرُ فِي بَيْتِهِ كَمَا قَيَّدَ الْآسِرَاتِ الْحِمَارَا

تم تقييدي بسبب الشعر، مثلما قيد الأسرات (السيور الجلدية) الحمار (الحمار هو الخشبة التي تصل بين قطع السرج/وكنا نسمي الحديد التي بين مقعد الدراجة وبين مقودها «الجحش» ولعل هذا من ذلك). يتذكر الأعشى حادثة جرت له مع النعمان في شبابه إذ لم يصدق النعمان أنه صاحب الشعر، فحبسه في مكان حتى يصنع شعرًا جديدًا يثبت به أنه شاعر حقًا

١٦ حَكَّمْنُونِي

قال يهجو علقمة بن علاثة ويمدح عامر بن الطفيل في منافرة جرت بين الرجلين:

شَاقَّتْكَ مِنْ «قَتْلَةٍ» أَطْلَالُهَا بِالشَّطِّ فَالْوِثْرِ إِلَى حَاجِرِ

دَارٌ لَهَا غَيْرَ آيَاتِهَا كُلُّ مُلِكٌ صَوْبُهُ، زَاخِرِ

غَيْرَ آيَات (علامات) تلك الديار المطر الملت (المستمر)، الذي صوبه (سحابه) زاخر (مملوء ماء)

وقد أراها وَسَطَ أَتْرَابِهَا فِي الْحَيِّ ذِي الْبَهْجَةِ وَالسَّامِرِ

يتذكر حبيته وسط صوحيباتها

كَدُمِيَّةٍ صُورَ مُحَرَّابِهَا بِمُذْهَبٍ مِنْ مَرَمَرٍ مَائِرِ

كانها لعبة وهي في محرابها (صدر البيت) المزين بالتذهيب على مرمر لامع يمور كما تمور المياه

يَشْفِي غَلِيلَ النَّفْسِ لِأَيِّهَا حَوْرَاءُ تَسْبِي نَظَرَ النَّاطِرِ

عهدي بها في الحي قد سُرِبَلَتْ هيفاء مثل المَهْرَةِ الضَّامِرِ

على الأقل «قد سربلت»، أي هي لابسة شيئاً

لَوْ أَسْنَدَتْ مَبْتَأَ إِلَى صَدْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ

حتى يقول الناسُ ممّا رأوا: يا عجباً لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ

دُعَهَا فَقَدْ أَعْذَرَتْ فِي حَبِّهَا، وَادُّكُرْ خَنَا عِلْقَمَةَ الْفَاجِرِ

دعها (كلمة يذكرها الجاهليون عند الانتقال من موضوع إلى آخر في القصيدة)، فقد بينت عذرك في حبها بعد إذ عددت مفاتها، فلا لوم عليك أنك أحببتها. ولندكر خنا (فُحش) علقمة بن علاثة

سُدَّتْ بَنِي الْأَحْوَصِ لَمْ تَعُدُّهُمْ وَعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرِ

يا علقمة أنت سيد فرع بني الأحوص ولم تعدهم (لم تتعدهم)، وأما عامر بن الطفيل فقد ساد كل القبيلة وهي بنو عامر

حَكَّمْتُمُونِي فَقَضَى بَيْنَكُمْ أَبْلَجُ مِثْلُ الْقَمَرِ الْبَاهِرِ

حكمتاني في المنافرة بينكما، وأنا الأبلج (ذو الطلعة البهية)

لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ فِي حَكْمِهِ وَلَا يَبَالِي غَبْنَ الْخَاسِرِ

علقم لا تَسْفَهُ، وَلَا تَجْعَلُنْ عِرْضَكَ لِلْوَارِدِ وَالصَّادِرِ

قد قلتُ قولاً فَقَضَى بَيْنَكُمْ وَاعْتَرَفَ الْمَنْفُورُ لِلنَّافِرِ

قلت لكما قولاً ففضى قولي بينكما، واعترف المنفور (الخاسر في المنافرة) للنافر (الفائز)

وَلَسْتُ فِي السُّلْمِ بِذِي نَائِلٍ وَلَسْتُ فِي الْهَيْجَاءِ بِالْجَاسِرِ

وأنت يا علقمة لست ذا نائل (عطاء للآخرين) في السلم، ولست في الحرب بالجريء

عَضَّ بِمَا أَبْقَى الْمَوَاسِي لَهُ مِنْ أُمِّهِ فِي الزَّمَنِ الْغَابِرِ

وليعض علقمة هذا بيطر أمه، على الأقل بما بقي من هذا العضو بعد أن أخذته المواسي (السكاكين) في الزمن الماضي

١٧ صيرتني الأمور إليك

قال يعتذر إلى علقمة بن علاثة على مجواه له، ذلك بعد أن ظفر به علقمة على بعض الروايات:

أَعْلَقَمَ قَدْ صَيَّرْتَنِي الْأُمُورَ إِلَيْكَ، وَمَا كَانَ لِي مَنَكْصُ
قَدْ وَقَعْتَ بِيَدِكَ وَلَا مَنَكْصَ لِي (رجوع)

كَسَاكُمُ عُلَاثَةُ أَثْوَابِهِ وَوَرَّثَكُمْ مَجْدَهُ الْأَخْوَصُ
أَبُوكُمْ عِلَاةٌ وَرَثَكُمْ سَعْتُهُ، وَالْأَخْوَصُ وَرَثَكُمْ الْمَجْدُ

وإِنْ فَحَصَ النَّاسُ عَنْ سَيِّدٍ فَسَيِّدُكُمْ عَنْهُ لَا يُفَحِّصُ
فَهَبْ لِي ذُنُوبِي قَدْ تَنَكَّ النَّفُوسُ وَلَا زِلْتَ تَنْمِي وَلَا تَنْقُصُ

١٨ مسافر يعني مسافر!

قال يمدح هُوْدَةَ بِنَ عَلِي الْحَنَفِي:

تَقُولُ بِنْتِي، وَقَدْ قَرَّبْتُ مَرْتَجِلًا: يَا رَبَّ جَنْبِ أَبِي الْأَوْصَابِ وَالْوَجَعِ
قَالَتْ بِنْتِي وَقَدْ قَرَّبْتُ نَاقَتِي لِلرَّحِيلِ: جَنْبِ يَا رَبَّ أَبِي الْأَوْصَابِ (الأوجاع)

وَاسْتَشْفَعْتُ مِنْ سَرَاةِ الْحَيِّ ذَا شَرَفٍ فَقَدْ عَصَاها أَبُوهَا، وَالَّذِي شَفَعَا
طَلَبَتْ شَفَاعَةَ أَحَدِ ذَوِي الشَّرَفِ مِنْ سَرَاةِ الْحَيِّ (وجهاء العشرة)، لَكِنْ أَبَاهَا عَصَاهَا وَعَصَى الشَّفِيعُ

مَهْلًا بَنِيَّ فَإِنَّ الْمَرْءَ يَبْعَثُهُ هَمٌّ إِذَا خَالَطَ الْحَيْزُومَ وَالضَّلْعَا
يَا أَبْنَائِي، الَّذِي يَبْعَثُ الْمَرْءَ (يدفعه للرحيل) الْهَمُّ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَيْزُومِ (الصدر) وَالْأَضْلَاعِ

عَلَيْكَ مِثْلُ الَّذِي صَلَّيْتُ، فَاعْتَمِضِي يَوْمًا فَإِنَّ لِحَنْبِ الْمَرْءِ مُضْطَجَعًا
لَكَ يَا ابْنَتِي مِثْلُ مَا صَلَّيْتُ (مثل دعوتك لي)، فَاعْتَمِضِي (اطمئني) فَالْمَرْءُ فِي النِّهَايَةِ سَيُضْطَجِعُ مِثْلًا

وَاسْتَخْبِرِي قَافِلَ الرُّكْبَانِ، وَانْتَظِرِي أَوْبَ الْمَسَافِرِ إِنْ رَيْتَ وَإِنْ سَرَعَا
أَسْأَلِي قَافِلَ الرُّكْبَانِ (العائدين على نياقهم) عَنْ أَخْبَارِي، وَانْتَظِرِي أَوْبِي (عودتي) إِنْ رَيْتَ (بطيئًا)
(وإن سرعا (سريعاً))

١٩ كشفنا عن جماجمنا

قال عن وقعة بين قبيلته بكر، وبين قبيلة أسد:

لَمَّا التَقِينَا كَشَفْنَا عَنْ جَمَاجِمِنَا لِيَعْلَمُوا أَنَّنَا بَكْرٌ فَيَنْصَرِفُوا

كَشَفْنَا عِمَامَتَنَا لِيَعْرِفُوا أَنَّنَا مِنْ بَكْرٍ فَيَنْصَرِفُوا، لَكِنْهُمْ قَاتَلُونَا

قَالُوا: «الْبَقِيَّةُ»، وَالْهِنْدِيُّ يَحْصِدُهُمْ وَلَا بَقِيَّةَ إِلَّا النَّارُ فَانْكَشَفُوا

قالوا «البقية» (و«البقية» كلمة يصرخ بها المقاتلون من الطرفين أو من طرف واحد عندما يتبين أن القتل قد استحر، وأن من الأفضل للطرفين التوقف والإبقاء على من تبقى)، وقالوها والسيوف تحصدهم، ولم يبق لهم إلا الهزيمة فقد انكشف معسكرهم

وَجُنْدُ كِسْرَى غَدَاةَ الْجَنُودِ صَبَّحَهُمْ مَنَا كِتَابُ تُرْجِي الْمَوْتِ فَانصَرَفُوا
وكذا فإننا في معركة «الجنو» - ذي قار - جئنا لجنود كسرى صباحاً بكتائب ترجي (تقدم) الموت

إِذَا أَمَالُوا إِلَى النُّشَابِ أَيْدِيَهُمْ مَلْنَا بِبَيْضِ، فَظَلَّ الْهَامُ يُخْتَطَفُ
إذا اختاروا الرمي بالنشاب (النبال) اخترنا البيض (السيوف) وأخذنا نختطف الهام (الرؤوس)

وَحَيْلُ بَكْرِ فَمَا تَنْفَكُ تَطَحْنُهُمْ حَتَّى تَوَلَّوْا وَكَادَ الْيَوْمُ يَنْتَصِفُ
لو أن كل معد كان شاركننا في يوم ذي قار ما أخطأهم الشرف
معد: جد قبائل عرب الشمال كلهم من ربيعة ومضر معاً، وكانت ربيعة هي التي قامت بذئ قار.
أخطأهم: أخطأهم وتجاوزهم

٢٠ وبات على النار الندي والمحلّق

نزل الأعشى بالمحلّق فأكرمه، وكان للمحلّق ثلاث أخوات لم يتزوجن، فمدحه الأعشى بهذه القصيدة، فتهافت الناس على أخواته فتزوجن جميعاً. وثمة رواية تجعل للمحلّق هذا ثمانى بنات، وتلك الرواية تزوجهن جميعاً أيضاً:

أَرَقْتُ، وَمَا هَذَا الشُّهَادُ الْمَوْرُقُ وَمَا بِي مِنْ سُقْمٍ وَمَا بِي مَعْشَقُ
وقد أقطع اليوم الطويل بِفَتْيَةٍ مَسَامِيحَ تُسْقَى وَالْخَبَاءُ مُرَوِّقُ
أقطع يومي مع فتية مساميح (ذوي سماحة) يسقون الخمر في خباء مروق
(خيمة ذات رواق في مقدمها)

وَرَادِعَةٌ بِالْمِسْكِ صَفْرَاءُ عِنْدَنَا لِحَسِّ النَّدَامَى فِي يَدِ الدَّرْعِ مَفْتُقُ
ومعنا مغنية رادعة (ملطخة) بالمسك، وهي صفراء (شقراء، أو أنها صبغت وجنتها بالزعفران)، وفي كم درعها (ثوبها) فتق مخصص كي يجس الندامى لحمها. هذا ترتيب رسمي للتجميش، أي التحسيس. وقد يكون الأعشى قصد شيئاً آخر ولكننا رأينا شيئاً كهذا في معلقة طرفة (انظر باب بقية المعلقات رقم ١)
فقهنا البيت هذا الفهم

إِذَا قُلْتُ غَنِّي الشَّرْبَ قَامَتْ بِمِزْهَرٍ يَكَادُ إِذَا دَارَتْ لَهُ الْكَفُّ يَنْطِقُ
المزهر: العود

وَشَاوِ إِذَا شِئْنَا كَمِيشٍ بِمُسْعَرٍ وَصَهْبَاءٍ مِزْبَادٍ، إِذَا مَا تُصَفَّقُ
رجل يشوي اللحم (لحم الحيوان) كميَش (مشر) ويحمل مسعراً (حديدة قلب الجمر)، ومعنا
صهباء (خمر صفراء) تصيح ذات زَبَد عندما تصفق (تصفى)

تُرِيكَ الْقَذَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ إِذَا ذَاقَهَا مَنْ ذَاقَهَا يَتَمَطَّقُ
تظهر الشوائب الموجودة في قعر الكأس فكأنها في أعلاه. وقدم ثعلب في طبعة ردولف غاير رواية أخرى
بكلمة «تختها» بدل دُونِهَا، ولعلنا نخترع رواية أخرى «ترك القذى في سطحها وهو دونه». يريد أن يقول
إن الخمر صافية جداً، والسلام. وأما يتمطق فمعناها يلصق لسانه بسقف حلقه وهو يتذوق هذه الخمر

وَمَا كُنْتُ شَاخِرْدًا وَلَكِنْ حَسِبْتَنِي إِذَا مَسَحَلَّ سَدَى لِي الْقَوْلَ أَنْطِقُ
لست شاحردا (فارسية، أي تلميذاً) ولكن، إذا سَدَى (أصلح) مسحل (اسم شيطان الأعشى) لي
القول فأنا أنطق بالشعر

شَرِيكَانِ فِيمَا بَيْنَنَا مِنْ هَوَادَةٍ صَفِيَّانِ إِنْسِيٍّ وَجِنٌّ مُوَفَّقُ
أنا وشيطاني شريكان فيما يقع بيننا من هواده (مخاطبة سلسة)، ونحن صفيان (صاحبان متصفيان)

بِقَوْلٍ فَلَا أَعْبَا لِشَيْءٍ أَقُولُهُ كَفَانِي لَا عَيٍّ، وَلَا هُوَ أَخْرَقُ
أنا لست عيًّا (الكن، غير فصيح)، وهو ليس بأخرق (أحمق)

جِمَاعُ الْهَوَى فِي الرُّشْدِ أَدْنَى إِلَى التَّقَى وَتَرَكَ الْهَوَى فِي الْغَيِّ أَنْجَى وَأَوْفَى
إِذَا حَاجَةً وَلَتَكَ لَا تَسْتَطِيعُهَا فَخُذْ طَرَفًا مِنْ غَيْرِهَا حِينَ تُسَبِّقُ
لا تبك على ما فات، وابدأ بشيء جديد

فَذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَنَالَ جِسِيمَهَا وَلَلْقَضْدُ أَبْقَى فِي الْمَسِيرِ وَالْحَقُّ
القصد: الاعتدال، يبقى على قوتك في السير ويجعلك تلحق بما تريد اللحاق به

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عَيُونُ كَثِيرَةٍ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ بِالْيَفَاعِ تَحَرَّقُ
اليفاع: الهضبة

تُسَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِبَانِهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ
النار تشب (توقد) لمقرورين (شخصين يشعران بالبرد). . . وهما الندى (الكرم) والمحلق. أعجب
القدماء جداً بما في هذا البيت من اختصار: فالمحلق والسقاء شخصان في شخص واحد،
فالمحلق مرادف للكرم

رَضِيعَتِي لِبَانٍ ثَدِيٍّ أَمْ تَحَالَفَا بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لَا نَتَفَرَّقُ
المحلق والسقاء أخوان رضعا حلياً واحداً، من حلمة نهذ سحماً (سوداء)، وقالوا لن نفرق
عوض (أبداً). أو أن الأسحم هو الليل الذي قعد فيه المحلق يصطلي

يَدَاكَ بِدَا صِدْقٍ فَكَفَّ مُفِيدَةً وأخرى إذا ما ضُنَّ بِالرَّادِ تُنْفِقُ
تَرَى الْجَوْدَ يَجْرِي ظَاهِراً فَوْقَ وَجْهِهِ كما زَانَ مَتْنَ الهُنْدُوَانِي رَوْنُقُ
الجود يجعل وجه المخلوق يشرق كما يزين سطح السيف الرونق (البريق)

نَفَى الذَّمَّ عَنْ آلِ الْمُحَلَّقِ جَفَنَةً كجَابِيَةِ السَّيْحِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهُقُ
آل المخلوق تجنبوا الذم بجفنة (قصعة) كبيرة مثل جابية السيح العراقي (حوض الفيضان في الفرات
بالعراق) تفهق (تفيض)

٢١ ذوقي غيري

قال وقد طلق امرأته المزنية :

أَيَا جَارَتِي بَيْنِي فَإِنَّكَ طَالِقَةٌ كَذَلِكَ أُمُورُ النَّاسِ غَادٍ وَطَارِقَةٌ
يا جارتني (يقصد زوجتي) بيني (فارقني)، فالأمور هكذا غادية (آتية صباحاً) أو طارقة (آتية ليلاً)

وَمَا ذَاكَ مِنْ جُرْمٍ عَظِيمٍ جَنَيْتِهِ وَلَا أَنْ تَكُونِي جِثَّتٍ فِينَا بِبَائِقَةٍ
ليس من ذنب لك، ولا أنت جثت بياقة (مصيبة)

وَبَيْنِي حَصَانُ الْفَرْجِ غَيْرَ دَمِيمَةٍ وَمَوْمُوقَةٌ فِينَا كَذَاكَ وَوَامِقَةٌ
فارقني وأنت حصان الفرج (عفيفة)، وموموقة (محبوبة) ووامقة (مُحِبَّة)

وَذُوقِي فَنَى قَوْمٍ فَإِنِّي ذَائِقٌ فَتَاةٌ أَنَسِي مِثْلَمَا أَنْتِ ذَائِقَةٌ
تمتعي بغيري، وسأتمتع بغيرك

٢٢ درة الغواص

في هذه القصيدة تشبيه طويل، كان صنعه المسيب بن علس، خال الأعشى، وكان شاعرنا راوية له. والحكاية عند المسيب في قصيدته «أصرمت حبل الوصل من فتر» أنق منها عند الأعشى. وسيسرق الفرزدق التشبيه ويمضي به إلى الغاية، على أن تشبيه الفرزدق أقرب إلى تشبيه المسيب بن علس منه إلى تشبيه الأعشى. قال الأعشى :

أَسْهَوْ لِهَمِّي وَدَائِي، فَهَيَّ تُسْهِرُنِي بَانَتْ بِقَلْبِي، وَأَمْسَى عِنْدَهَا غَلَقًا
ذهبت آخذة قلبي معها، وأمسى قلبي معها غلقاً (غير ممكن فكاًكه، كالرهن الذي ينتهي أمده)،
فالحلية المرهونة تصبح ملكاً للحائز الثاني بعد أمد معلوم

كَأَنَّهَا دُرَّةٌ زَهْرَاءُ أَخْرَجَهَا غَوَّاصٌ دَارِينَ يَخْشَى دُونَهَا الْعَرَقَا
كانت المحبوبة للؤلؤة لامعة أخرجها غواص من دارين بالبحرين، وكان يخشى بسببها الموت غرقاً

قَدْ رَامَهَا حِجَجًا مُذْ طَرَّ شَارِبُهُ حَتَّى تَسْعَسَعَ يَرْجُوهَا وَقَدْ خَفَقَا
وكان قد رامها (طلبها) سنوات، منذ أن نبت شاربها حتى تسعسع (كبر واهتزت مشيته)، وهو على
الدوام يرجو الحصول عليها

لَا النَّفْسُ تُؤْوِسُهُ مِنْهَا فَيَتْرَكُهَا وَقَدْ رَأَى الرَّغْبَ رَأْيَ الْعَيْنِ فَاحْتَرَقَا
لا يئس منها فتركها، وقد بدا له هذا الرغبة (الشيء المرغوب) ورآه بعينه فاحترق فؤاده
وَمَارِدٌ مِنْ غَوَاةِ الْجِنِّ يَحْرُسُهَا ذُو نَيْقَةٍ مُسْتَعِدٌّ دُونَهَا تَرَقَا
وهذه اللؤلؤة يحرسها مارد جني شرير ذو نيقة (تأهب) وقد استعد (أعد) قربها ترقا (درجاً لا بد من
الارتقاء فيه للحصول عليها)

لَيْسَتْ لَهُ عَقْلَةٌ عَنْهَا، يُطِيفُ بِهَا يَخْشَى عَلَيْهَا سُرَى السَّارِينَ وَالسَّرَقَا
الجني لا يفغل عن اللؤلؤة، وهو يحوم حولها، يخشى اعتداء من يمر بجانبها، وسرقها
مَنْ نَالَهَا نَالَ خُلْدًا لَا انْقِطَاعَ لَهُ وَمَا تَمَتَّى، فَأَضْحَى نَاعِمًا أُنْقَا
من نال اللؤلؤة كانت له دوام الثروة، والعيش الناعم الأنيق

تِلْكَ الَّتِي كَلَّفَتْكَ النَّفْسُ تَأْمُلُهَا وَمَا تَعَلَّقَتْ إِلَّا الْحَيْنَ وَالْحَرَقَا
فمثل هذه اللؤلؤة محبوبتك الصعبة التي تؤلم نفسك بالحصول عليها، ولكنك ما اقتربت إلا من
الحَيْن (الموت) وَالْحَرَق (النار)

٢٣ إني منهم

إِنِّي مِنْهُمْ، وَإِنَّهُمْ قَوْمِي وَإِنِّي إِلَيْهِمْ مُشْتَاقٌ
أَلْمِيزِينَ مَالَهُمْ لَزِمَانِ السُّـ وَءِ حَتَّى إِذَا أَفَاقَ أَفَاقُوا

٢٤ حَمَالُ الْأَعْبَاءِ

قال يمدح هُوَذَةُ بن علي الحنفي، زعيم حنيفة باليمامة:

وَحَرْقٍ مَخُوفٍ قَدْ قَطَعْتُ بِجَسْرَةٍ إِذَا الْجَبَسُ أَعْيَا أَنْ يَرُومَ الْمَسَالِكَا
رب خرق (خلاء) يخافه الناس قطعته بجسرة (ناقة ضخمة)، بينما الجبس (الجبان) يعجز أن يروم
(يطلب) سلوك هذه الطرق

بِأَدْمَاءٍ حُرْجُوجٍ بَرَيْتُ سَنَامَهَا بِسَيْرِي عَلَيْهَا بَعْدَمَا كَانَ تَامِكَا
عبرت بأدماء (ناقة بيضاء) حرجوج (قوية) برت سنامها برياً (والناقة مع المشي الشديد تفقد شحم
السنام فيهزل) وكان سنامها من قبل تامكاً (سناماً مكتنزاً)

إِلَى هَوْدَةَ الْوَهَابِ أَهْدَيْتُ مِدْحَتِي أَرْجِي نَوَالاً فَاضِلاً مِنْ عَطَائِكَ
فَتَى يَحْمِلُ الْأَعْبَاءَ لَوْ كَانَ غَيْرُهُ مِنَ النَّاسِ لَمْ يَنْهَضْ بِهَا مُتَمَاسِكاً
وَأَنْتَ الَّذِي عَوَّدْتَنِي أَنْ تَرِيَشَنِي وَأَنْتَ الَّذِي آوَيْتَنِي فِي ظِلَالِكَ
تَرِيَشِي: ثَبَّتْ لِي الرِّيشَ كَمَا يَنْبَغُ رِيَشَ الطَّائِرِ بِالْغِذَاءِ

وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ كَفَّيْكَ بِالنَّدَى تَجُودَانِ بِالْإِعْطَاءِ قَبْلَ سُؤَالِكَ
وَرَبِّيتَ أَيْتَاماً، وَالْحَقُّ صَبِيَّةٌ وَأَذْرَكْتَ جَهْدَ السَّعْيِ قَبْلَ عَنَائِكَ
رَبَّيتَ الْإَيْتَامَ، وَاسْتَكْمَلْتَ تَرْبِيَةَ الصَّبِيَّةِ، وَأَذْرَكْتَ جَهْدَ السَّعْيِ (غَايَةَ السَّخَاءِ) قَبْلَ أَنْ تَتَعَبَ

٢٥ كل من فوقها لها

قال في شيء كان بينه وبين بني عباد وبني مالك:

فَبَا أَخَوَيْنَا مِنْ عِبَادٍ وَمَالِكٍ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ كُلَّ مَنْ فَوْقَهَا لَهَا
كل من فوق الأرض سيصبح تحتها

وَكَائِنُ دَفَعْنَا عَنْكُمْ مِنْ مُلْمَةٍ وَكُرْبَةٍ مَوْتٍ قَدْ بَتَّئْنَا عِقَالَهَا
وكثيراً ما دفعنا عنكم من ملمة (من أزمة) ومن كربة مميته بتنا عقالها (قطعنا جلها قبل أن تتصل بكم)
وَأَرْمَلَةٌ تَسْعَى بِشُعْثٍ كَأَنَّهَا وَإِيَّاهُمْ رِبْدَاءٌ حَثَّتْ رِئَالَهَا
ورب أرملة تسير بأطفال شعث (جمع أشعث وهو المضطرب الهيئة والثياب) فكانها معهم ربداء (نعامة) تسوق رئالها (صفار النعام)

هَنَانَا وَلَمْ نَمُتْنِ عَلَيْهَا فَأُصْبِحَتْ رَحِيَّةً بَالٍ قَدْ أَرْحَنَّا هُزَالَهَا
أنجدناها دون من، وأرحنا بالها، وأطعمناها

٢٦ ذكرى فتيلة

صَحَا الْقَلْبُ مِنْ ذِكْرِي «فُتَيْلَةً» بَعْدَمَا يَكُونُ لَهَا مِثْلَ الْأَسِيرِ الْمَكْبُولِ
لَهَا قَدَمٌ رِيّاً سَبَاطٌ بِنَانُهَا قَدْ اعْتَدَلْتُ فِي حُسْنِ خَلْقٍ مُبْتَلٍ
يصف صاحبته فقدمها سميحة ذات أصابع طويلة، وهي ذات قد معتدل وخلق مبتل (جسم متناسق)
وَسَاقَانِ مَارَ اللَّحْمُ مَوْرَأً عَلَيْهِمَا إِلَى مُنْتَهَى خَلْخَالِهَا الْمُتَّصِلِ
وساقاها ممثلتان تترجرجان باللحم الذي يemor (يرتج كالماء)، وساقاها ممثلتان حتى الخلخال المتصلصل (الرنان)

إِذَا التَّمِسَتْ أُرْيَبَتَاهَا تَسَانَدَتْ لَهَا الْكَفُّ فِي رَابٍ مِنَ الْخَلْقِ مُفْضِلٍ
إذا التمس (لمست) أريبتها (فلقتا عجيزتها) تساندت الكف لها (استندت إليها) فكانت ذات خلق
راب (خلقة مرتفعة) مفضل (زائد عن المعتاد). يصف عجيزتها بأنها كبيرة

إِلَى هَدَفٍ فِيهِ ارْتِفَاعٌ تَرَى لَهُ مِنْ الْحُسْنِ ظِلًّا فَوْقَ خَلْقٍ مُكَمَّلٍ
ثم ينطلق صاحبنا إلى وصف «هدف»؛ فذلك الشيء الذي لا يسمى مرتفع، وبشكل شبه هضبة ترك
على جسم الفتاة ظلاً

إِذَا انْبَطَحَتْ جَاقَى عَنِ الْأَرْضِ جَنْبُهَا وَخَوَّى بِهَا رَابٍ كَهَامَةِ جُنْبِلٍ
إذا انبطحت على جنبها فخصرها يرتفع عن الأرض، ويظهر ذلك الهدف الرابي الذي يشبه رأس
الجنبيل (القدح الخشبي). هذا هو المعنى الملموح. ولم يشرح لنا ثعلب في نسخته التي نشرها
غابر هذه القصيدة

إِذَا مَا عَلاهَا فَارِسٌ مُتَبَذِّلٌ فَنِعْمَ فِرَاشُ الْفَارِسِ الْمُتَبَذِّلِ
إذا علاها رجل متبذل (يلبس ثياب المنزل)، فهي خير فراش له

يَنْوُءُ بِهَا بُوصٌ إِذَا مَا تَفَضَّلَتْ تَوَعَّبَ عَرْضَ الشَّرْعِيِّ الْمُغِيلِ
يتعبها بوصها (مؤخرتها)، وإذا تفضلت (لبست لباساً خفيفاً) فهذا الجزء من جسمها يتوعب (يملاً)
الشرعي (الثوب) المغيل (الواسع)

رَوَادِفُهُ تَشْنِي الرِّدَاءَ تَسَانَدَتْ إِلَى مِثْلِ دِغْصِ الرَّمْلَةِ الْمُتَهَيِّلِ
روداف عجيزتها تجعل الرداء يشنى - لا سيما مع دقة خصرها - وهذه الأرداف تفضي إلى المؤخرة
التي تشبه دغص (كثيب) الرمل المتهيل (غير المتماسك)

وَتَدْيَانِ كَالرُّمَّانَتَيْنِ، وَجِيدُهَا كَجَيْدِ غَزَالٍ غَيْرَ أَنْ لَمْ يُعْطَلِ
جيدها (عنقها) كعنق غزال، لكنه لم يعطل (لم يعدم الحلي)

فَدَعُهَا وَسَلَّ الْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ تَزِيدُ فِي فَضْلِ الزُّمَامِ، وَتَغْتَلِي
فدعها.. يريد أن يغير الموضوع.. وانس الهم بجسرة (ناقة ضخمة) تزيد (تمد عنقها للأمام
ماضية بسرعة) جاذبة بقية الزمام المربوط بعنقها، وتغتل (تسرع)

فَأَيَّةُ أَرْضٍ لَا أَتَيْتُ سَرَائِهَا وَأَيَّةُ أَرْضٍ لَمْ أَجْبُهَا بِمِرْحَلِ
زرت السراة (الوجهاء) في كل أرض، وجبت كل أرض بمرحل (بجمل قوي)

وَنَحْنُ رَدَدْنَا الْفَارَسِيِّينَ عَنُوءَ وَنَحْنُ كَسَرْنَا فِيهِمْ رُمَحَ عَبْدَلِ
رددنا الفرس في «ذي قار» وكسرنا فيهم رمح عبد القيس، كناية عن هزمهم

٢٧ أصبت طحالها

قال يمدح قيس بن معديكرب:

رَحَلْتُ سُمِيَّةَ غُدُوَّةَ أَجْمَالِهَا غَضَبِي عَلَيْكَ فَمَا تَقُولُ بَدَا لَهَا؟

رحلت سمية أجمالها، أي وضعت الرحال فوق الجمال، صباحاً، وهي غضبي عليك، فما سبب الغضب يا ترى؟

سَفَهَا، وَمَا تَدْرِي سُمِيَّةٌ وَيَحَهَا أَنْ رَبُّ غَانِيَةٍ صَرَمْتُ حِبَالَهَا

لعله سفاهة منها، وهي لا تعلم أن ثمة غانية قد قطعت علاقتي بها، وسمية ليست أحسن من غيرها فلتحذرا!

وَمَصَابٍ غَادِيَةٍ كَأَنَّ تَجَارَهَا نَشَرْتُ عَلَيْهِ بُرُودَهَا وَرَحَالَهَا

رب مكان هو مصاب غادية (المكان الذي أصيب بمطر السحابة) والمكان فيه أزهار شتى ونبات فكان التجار نشروا فوقه أقمشتهم ورحالهم (متاعهم)

قَدْ بَتُّ رَائِدَهَا؛ وَشَاةٌ مُحَاذِرٍ حَذَرًا يُقِلُّ بَعِينَهُ أَغْفَالَهَا

قد كنت رائد هذه السحابة، والرائد هو الرجل الذي يتقدم قبيلته باحثاً عن مواضع العشب. فقد أتيت إلى هذا الموضع الذي نزل به قوم، وهناك شاة محاذر (زوجة رجل شديد الحذر غيرة عليها) وهو يتعقب بعينه مواضع الغفلة حفاظاً على امرأته. هذا هو المعنى الملموح

فَطَلَلْتُ أَرْعَامَهَا، وَظَلُّ يَحُوطُهَا حَتَّى دَنَوْتُ إِذَا الظَّلَامُ دَنَا لَهَا

ظلت أراقبها، وظل يحوطها بنظره، فإذا ما دنا الظلام دنوت إليها

فَرَمَيْتُ غَفْلَةً عَيْنِهِ عَنْ شَاتِهِ فَأَصَبْتُ خَبَةً قَلْبِهَا وَطَحَالَهَا

رميت غفلته عنها فأصبت هذه المرأة وحصلت عليها. طبعاً هو كذاب.. فقط يحب أن يرى نفسه غازياً زانياً. والنقاد القدامى سخروا من هذا البيت، ليس للزنا، بل لأن الطحال لا يدخل الشعر إلا أفسده

حَفِظَ النَّهَارَ وَبَاتَ عَنْهَا غَافِلًا فَخَلْتُ لِصَاحِبٍ لَذَّةً وَخَلَا لَهَا

زوجها حفظها بالنهار، وغفل عنها في الليل، فخلا الجولي

وَسَبِيَّةٌ مِمَّا تُعْتَقُ بِأَبْلِ كَدَمِ الذَّبِيحِ سَلَبْتُهَا جِرْيَالَهَا

بغير الموضوع: رب سبيئة (خمرة مشتراة) معتقة من زمن بابل، وهي حمراء كالدم، وشربتها وبَلْتُهَا ببيضاء فكانني سلبتها جريالها (لونها). التفسير من ثعلب عن أبي عمرو بن العلاء

وْغَرِيْبَةٍ تَأْتِي الْمُلُوكَ حَكِيْمَةً قَدْ قَلَنْتُهَا لِيَقَالَ مِنْ ذَا قَالَهَا

ورب قصيدة غريبة (ترتحل على أفواه الرواة فهي موجودة بكل أرض لذا فهي غريبة) وأنا بها مفتخر، وما قلنتها إلا لكي يتعجب الناس ويقولوا من الذي قالها؟

وَجَزُورٍ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَتْفِهَا وَنِيَاطٍ مُقْفِرَةٍ أَخَافُ ضَلَالَهَا
 ورب جزور أيسار (ناقة يجري عليها الميسر لاقسام لحمها)، ورب نياط مقفرة (مجال صحراء
 جدبة) أخاف الضياع فيها، لكنني قطعتها...

ولقد نزلت بخيرٍ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى قَيْسٍ، فَأَثْبَتَ نَعْلَهَا وَقَبَالَهَا
 ونزلت ضيفاً على خير البشر، وهو قيس، فأثبت نعل ناقتي وقبالها (شجع النعل، سير يربط به
 نعلها). وكانت الناقة تشكو الحفا لطول السير فلعلهم كانوا يعينونها بنعل. فالممدوح أراح له ناقته
 كناية عن أنه كفاه السفر بما أعطاه من مال

فكَأَنَّمَا لَمْ تَلَقْ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ضُرّاً إِذَا وَضَعْتَ إِلَيْكَ جِلَالَهَا
 كأن الناقة، عندما وضعت عندك جلالها (ما يجللها من رحل وسرج)، لم تلق التعب ستة أشهر.
 الأصمعي يقول: هو كَيْلَبَان، ولا أراه سار إلى ممدوحه أكثر من عشرين يوماً

عَوَّدَتْ كِنْدَةً عَادَةً فَاصْبِرْ لَهَا إِغْفِرْ لِحَاجِلِهَا، وَرَوْ سِجَالَهَا
 عودت قبيلتك كندة على كرمك فاصبر لما يصنعه الجاهل، ورؤ سجالها (املاً دلاءها)
 وَإِذَا تَحَلُّ مِنْ الْخُطُوبِ عَظِيمَةٍ، أَهْلِي فِدَاؤُكَ، فَاتَّخِذْهُمْ أَثْقَالَهَا
 وإذا حل بقومك مكروه فاحمل عنهم ثقله

٢٨ ما بكاء الكبير بالأطلال

قال يمدح الأسود بن المنذر اللخمي:

مَا بَكَاءُ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ وَسْوَائِي، فَهَلْ تَرُدُّ سُؤَالِي؟
 ما قيمة بكاء الكبير بأطلال الأحبة؟ وما قيمة سُؤَالِي عن رحلوا ولا ردُّ عند الطلول؟

دِمْنَةٌ قَفْرَةٌ تَعَاوَرَهَا الصَّبِ فُ بِرِيحَيْنِ مِنْ صَبَاً وَشَمَالِ
 هذه دمنة (خربة) مقفرة، تعاورها الصبف (تجاذبها) بريحَي الصبا والشمال

لَا تَهْنَأُ ذِكْرِي جُبَيْرَةٍ أَوْ مَنْ جَاءَ مِنْهَا بِطَائِفِ الْأَهْوَالِ
 لا تهنا ذكرى جبيرة: ليس هذا موضع تذكّر جبيرة، أو من حمل أخبار هجرها المؤلمة

رُبَّ خَرَقٍ مِنْ دُونِهَا يُخْرِسُ السَّفْ رَ، وَمِيلٍ يُفْضِي إِلَى أُمِّيَالِ
 رب خرق (صحراء واسعة) يبني وبين جبيرة، يجعل السفر (المسافرين) يصمتون،
 ورب ميل يؤدي إلى أميال (الميل قياس مسافة، وهو «مد البصر» فكل ما ناله بصرك
 داخل في الميل، والميل كلمة يونانية معناها ألف، وعند اليونان والرومان فالميل
 ألف خطوة، وأخذنا الكلمة في جاهليتنا وفسرناها على كَيْفَا)

وَأَدْلَاجَ بَعْدَ الْمَنَامِ وَتَهْجِيهِ - رِ وَقُفْتُ وَسَبَسْتُ وَرِمَالِ
 ورب أدلاج (سير ليلي) وتهجير (سير في النهار)، وقفت (أرض وعرة) وسبسب (أرض متوية)
 فَلَمَّ شَطَّ بِي الْمَزَارُ، لَقَدْ أَغْدُ - دُو قَلِيلَ الْهَمُومِ نَاعِمَ بَالِ
 فلئن شط (ابتعد) بي المزار (التغرب) فقد كنت قليل الهموم منعماً من قبل بصحبة الحبيبة
 فاذهبي، ما إِلَيْكَ أَدْرَكْنِي الْجِلْدُ - هُمُ، عَدَانِي عَنْ ذِكْرِكُمْ أَشْغَالِي
 فاذهي أيتها الحبيبة فقد أدركني الحلم (كبرت)، وانشغلت بغير ذكرك

٢٩ الأرض حمالة

قال يمدح سلامة ذا فائش:

إِنَّ مَحَلًّا وَإِنَّ مَرْتَحَلًا - وَإِنَّ فِي السَّفَرِ مَا مَضَى مَهَلًا
 إن للمرء محلاً وإن له مرتحلاً في هذه الدنيا، والسفر (المسافرون) ما داموا ماضين في طريقهم
 فليمضوا متمهلين

إِسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْ - حِمْزٍ وَلَوَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَا
 ومن هذا البيت استنتج القدماء أن الأعشى كان يقول بأن الإنسان مخير

وَالْأَرْضُ حَمَالَةٌ لِمَا حَمَلَتْ أَلْ - لَّهُ، وَمَا إِنْ تَرَدُّ مَا فَعَلَا
 ليس في هذه الأبيات معنى غريب، ولكن لها جرساً جميلاً

قَلَّدْتُكَ الشُّعْرَ يَا سَلَامَةَ ذَا التَّ - فَضَالِ، وَالشَّيْءُ حَيْثُمَا جُعِلَا
 أي أنت تستحق هذا المدح، فهذا مكانه المناسب. وأعجب الممدوح بهذا البيت، وأعطى الأعشى
 كرشاً مملوءة عنبراً، ونبهه على قيمتها حتى لا يخذله التجار

وَالشُّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الْكَرِيمَ كَمَا اس - حَنَزَلْ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّبَلَا
 الشعر يستنزل (يستدر) المال من الكريم كما يستدر الرعد - في كتاب العلوم الذي درسه الأعشى -
 السبل (المطر) من السحاب

٣٠ ستندم

قال الأعشى يهجو عمير بن عبد الله بن المنذر:

لَشَنْ كُنْتَ فِي جُبِّ ثَمَانِينَ قَامَةً - وَرُقِيتَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسَلْمٍ ..
 لو كنت في بئر عمقها ثمانون قامة، ولو صعدت إلى السماء بسلم ..

لَيْسْتَ بِرَجُلٍ الْقَوْلُ حَتَّى تَهْرَهُ وَتَعْلَمَ أَنِّي عَنْكَ لَسْتُ بِمُلْجَمٍ
فسوف يستدرجك تبادل الاتهامات حتى تكره ذلك، وحتى تعلم أنني لست ملجماً (صامتاً عنك)
وَتَشْرُقُ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَذَعْتَهُ كَمَا شَرَقْتُ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ
وستشرق بما قلت ونشرت، مثلما يشرق صدر القناة (أعلى الرمح) بالدم
فَمَا أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْحُجُونِ وَلَا الصَّفَا وَلَا لَكَ حَقُّ الشُّرْبِ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ
الحجون والصفاء موضعان بمكة

٣١ شارب السخامية

أَلَمْ خِبَالٌ مِنْ قُتَيْلَةٍ بَعْدَمَا وَهَى حَبْلُهَا مِنْ حَبْلِنَا فَتَصَرَّمَا
جاءني طيفها بعدما وهى حبلها فتصرم (أصبحت علاقتنا واهية ضعيفة، ثم انقطعت)
فَبِئْتُ كَأَنِّي شَارِبٌ بَعْدَ هَجْعَةٍ سُخَامِيَّةً حَمْرَاءَ تُحَسَّبُ عِنْدَمَا
كأنني شربت بعد هجعة (بعدما نام الناس) خمراً سخامية (سلسلة تنزلق في الحلق) يحسبها الرائي
عِنْدَمَا (والعندم نبات ذو ثمر أحمر)
لَهَا حَارِسٌ مَا يَبْرَحُ الدَّهْرَ بَيْتَهَا إِذَا ذُبِحَتْ صَلَّى عَلَيْهَا وَزَمْزَمَا
هذه الخمر يحرسها خمار لا يفارق بيتها، فإذا ذبحت (أي شُقَّ دنها بالمبزل) صلى وزمزم
(قال كلاماً غير مفهوم بلغته فكأنه يدعو بدعاء عند ذبح الدن)

٣٢ التي تستل الزكام

قال يمدح إياس بن قبيصة الطائي:

وَقَدْ قَالَتْ قُتَيْلَةٌ إِذْ رَأَتْنِي وَقَدْ لَا تَعْدُمُ الْحَسَنَاءُ ذَامًا . .
قالت قتيلة، ولا تعدم الحسناء ذاما» مثل قديم أي أن لكل حسناء عيًّا
أَرَاكَ كَبِرْتَ، وَاسْتَحْدَثْتَ خُلُقًا وَوَدَّعْتَ الْكَوَاعِبَ وَالْمُدَامَا
نقول له كبرت وتغيرت طباعك ولم تعد تهتم بالكواعب (الفتيات برزت صدورهن)
فَإِنْ تَكُ لِمَتِّي يَا «قَتْلُ» أَضَحْتُ كَأَنَّ عَلَى مَفَارِقِهَا نَعَامَا
إن أضحت لمتي (شعري) وكان عليها الثغام (نبت له زهر أبيض)
وَأَقْصَرَ بَاطِلِي، وَصَحَوْتُ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ أَجْرِ فِي دَدْنِ غَلَامَا
ولئن أقصر باطلاي (كففت عن اللهو) وصحوت عن عبثي حتى كأنني لم أكن أجري في الددن
(اللعب) كالغلام

فإنَّ دوائرَ الأيامِ يُفْنِي تتابُعُ وقعِها الذكرَ الحساما

فإن دوائر (مصائب) الزمن يفني تواليها السيف الذكر (القاطع)

وأذْكَنَ عاتِقِ جَحْلٍ سَبَحْلٍ صَبَحْتُ بِرَاحِهِ شَرْباً كِرَاماً

رب دن خمر كبير داكن اللون لما طلي به من قار، وهو جحل وسبحل (كبير) وقد جنت بخمرته صباحاً لشرب (شاربين) كرام

مِنَ اللَّاتِي حُمِلْنَ عَلَى الرَّوَايا كَرِيحِ الْمَسْكِ تَسْتَلُّ الرُّكَّامَا

هذا الدن من الدنان التي حملت على الروايا (جمال نقل الماء)، ورائحة خمره كالمسك يضع منها أثر الزكام

٣٣ قتلنا القليل هامرز

قال يفتخر بيوم ذي قار:

أَبَاءُ الضَّيْمِ لَا يُعْطَو نَ مَنْ عَادَوْهُ مَا حَكَمَا

أَبَتْ أَعْنَاقُهُمْ عِزًّا فَمَا يُعْطَوْنَ مَنْ عَشَمَا

غشم: ظلم

عَلَى جُرْدٍ مُسَوِّمَةٍ عَوَائِسَ تَعْلُكُ اللُّجْمَا

يركبون الجرد المسومة (الخيول ذات الشعر القصير والمعلمة بعلامة تميزها) وهي كالعابسة وتعلك اللجم (جمع لجام) متحفزة

قَتَلْنَا الْقَلِيلَ هَامِرْزٍ وَرَوَيْنَا الْكَثِيبَ دَمَا

القليل: الملك، هامرز: قائد الفرس في ذي قار

٣٤ تقول ابنتي حين جد الرحيل

قال يمدح قيس بن معديكرب:

وَمَا مُزِيدٌ مِنْ خَلِيجِ الْفُرَا تِ جَوْنٌ عَوَارِبُهُ تَلْتَطِمُ ..

يبدأ تشبيهاً: ليس ماء الفرات المزيد (الذي علاه زيد من الموج) الجون (الأبيض) غواربه تلتطم (أمواجه تتلاطم) .. (والجون كلمة تعني أسود وتعني أبيض، هي من الأضداد)

يَكْبُ الْخَلِيَّةُ ذَاتَ الْقِلَا عِ، قَدْ كَادَ جُوجُوهَا يَنْحَطِمُ ..

يكب الخلية (يقلب السفينة) ذات القلاع (الأشعة) حتى ليكاد جوجوها (صدرها) يتحطم ..

تَكَاكُأَ مَلَا حُهَا وَسَطَهَا مِنْ الْخَوْفِ كَوَثَلَهَا يَلْتَزِمُ .

والملاح يتكاكأ (يتمايل)، ثم يلتزم كوثلها (يمسك بمؤخرتها التي لم تغرق بعد) . .

بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا عِنْدَهُ إِذَا مَا سَمَاؤُهُمْ لَمْ تَغْمُ

ليس الفرات الموصوف أعلاه أجود من قيس عندما ينحبس المطر ولا يوجد غيم في سماء القوم

تَقُولُ ابْنَتِي حِينَ جَدَّ الرَّحِيلُ أَرَانَا سَوَاءَ وَمَنْ قَدْ يَتِمُّ

يتم: صار يتيماً

أَبَانَا فَلَا رِمَتْ مِنْ عِنْدِنَا فَلِنَّا بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرِمُ

رام يريم: رحل

وَيَا أَبَتَا لَا تَزَلْ عِنْدَنَا فَلِنَّا نَخَافُ بَأَن تُوْخْتَرَمُ

توخرم: تموت

أَرَانَا إِذَا أَضْمَرْتِكَ الْبِلَادَ دُ نُجْمِي وَتُقَطَّعُ مِنَّا الرَّحِمُ

إذا أضمرتك البلاد (أخفكت وجعلتك في ضميرها) فسوف يجفونا الأقارب

أَفِي الطُّوفِ خِفْتُ عَلَيَّ الرَّدَى؟ وَكَمْ مِنْ رَدٍ أَهْلَهُ لَمْ يَرِمُ

يجيها: السفر لا يبيت، وكم من رد (ميت) لم يرحل عن أهله

وَقَدْ طُفْتُ لِلْمَالِ آفَاقَهُ عُمَانَ فَجِنَصَ فَأَوْرِيَشَلِمَ

أَتَيْتُ النَّجَاشِيَّ فِي أَرْضِهِ وَأَرْضَ النَّبِيطِ وَأَرْضَ الْعَجَمِ

يقول المثل الفلسطيني: «لا أكذب من شاب تغرب إلا شيخ ماتت أجياله» والأعشى جمع الاثنين

فهو تغرب كثيراً وعاش حتى الثمانين، ولا شيء يثبت أنه عبر البحر إلى الحبشة

٣٥ خير أهل اليمن

قال يمدح قيس بن معديكرب:

لَعَمْرُكَ مَا طُولُ هَذَا الزَّمَنِ عَلَى الْمَرْءِ إِلَّا عَنَاءٌ مُعَنَّ

معَنَّ (أي يُعْنَى ويتعب)

يَظَلُّ رَجِيماً لِرَيْبِ الْمَنُونِ وَلِلْسُقْمِ فِي أَهْلِهِ وَالْحَزَنِ

المرء يظل رجيماً للموت (معرضاً للرجم من الموت)

وَمَا إِنْ أَرَى الدَّمَرَ فِي صَرْفِهِ يُغَادِرُ مِنْ شَارِحٍ أَوْ يَفْنُ

شارخ: فنى، يفن: شيخ

فَهَلْ يَمْنَعُنِي ارْتِيَادِي الْبِلَا دَ مِنْ حَذَرِ الْمَوْتِ، أَنْ يَأْتِيَنِي

في البيت تقديم وتأخير لا يكاد به المعنى يستقيم وإن كان في غاية الوضوح: الامتناع عن السفر لا يمنع الموت أن يأتي

وَأَقَرَّرْتُ عَيْنِي مِنَ الْغَانِبَا تِ إِمَّا نِكَاحاً وَإِمَّا أَرْزَ

نلت شعباً من ذلك الشيء، إما زواجاً وإما زنى

وَمِنْ كُلِّ بِيضَاءٍ مَمْكُورَةٍ لَهَا بَشَرٌ نَاصِعٌ كَاللَّبَنِ

ممكورة: ممتلئة، البشر: البشرة

وُنَبِّئْتُ قَبِيصاً وَلَمْ أَبْلُهُ كَمَا زَعَمُوا خَيْرَ أَهْلِ الْيَمَنِ

فَجِئْتُكَ مُرْتَاداً مَا خَبَرُوا وَلَوْلَا الَّذِي خَبَرُوا لَمْ تَرَنَ

لم ترن: لم ترني

فَلَا تَخْرِمْنِي نَدَاكَ الْجَزِيلَ فَإِنِّي امْرُؤٌ قَبْلَكُمْ لَمْ أَهِنَ

٣٦ مشغوف بهند

خَالَطَ الْقَلْبَ هُمُومٌ وَحَزَنٌ وَادِّكَارٌ بَعْدَمَا كَانَ أَطْمَأَنَّ

ادكار: تذكر

فَهُوَ مَشْغُوفٌ بِهِنْدٍ هَائِمٌ يَرْعَوِي حِيناً وَأَحْبَابَنَا يَحِنُّ

يرعوي: يرجع عن غبه

خُلِقْتُ هِنْدُ لِقَلْبِي فَتِنَةٌ هَكَذَا تَغْرِضُ لِلنَّاسِ الْفِتَنُ

وَطِلَاءٌ خُسْرُوَانِي إِذَا ذَاقَهُ الشَّيْخُ تَغْنَى وَارْجَحَنَ

طلاء: خمر، خسرواني: من عهد خسرو، أي كسرى، أرجحن: تمايل

وَطَنَابِيرَ حِسَانٍ صَوْتُهَا عِنْدَ صَنْجٍ كُلَّمَا مُسَّ أَرْزَ

الطنبور والصنج من الآلات الموسيقية

٣٧ وصية

سَأَوْصِي بِصِيرًا إِنْ دَنَوْتُ مِنَ الْبَلَىٰ وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا سَيُصْبِحُ فَانِيَا

البلى: تحلل الجسم بعد الموت

بَأَنْ لَا تَأَنَّ الْوُدَّ مِنْ مُتَبَاعِدٍ وَلَا تَنَأَّ إِنْ أَمْسَى بِقُرْبِكَ رَاضِيَا

لا تتأنى (تنتظر) الود ممن يجفوك، فإن اقترب منك فلا تبعد أنت عنه

فَذَا الشَّنْءِ فَاشْنَأْهُ، وَذَا الْوُدِّ فَاجْزِهِ عَلَىٰ وُدِّهِ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ الْعَلَانِيَا

ذو الشنء (البغض) أبغضه، وأما من يودك فبادله ودأ وزد عليه بأن تعلن ودك له

وَأَسِ سِرَاءَ الْحَيِّ حَيْثُ لَقَيْتَهُمْ وَلَا تَكُ عَنْ حَمْلِ الرَّبَاعَةِ وَإِنِّيَا

أس (ساعد) سراة الحي (وجهاء القوم) بأن لا تتوانى عن المشاركة في حمل الرباعة (الدية)

وَإِنْ بَشَرٌ يَوْمًا أَحَالَ بِوَجْهِهِ عَلَيْكَ فَحُلْ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ دَانِيَا

من أشاح بوجهه فابتعد عنه ولو كان ذا قرابة أو مجاورة

وَلَا تَعِدَنَّ النَّاسَ مَا لَسْتَ مُنْجِزًا وَلَا تَشْتُمَنَّ جَارًا لَطِيفًا مُصَافِيَا

ولا تزهدن في وصل أهل قرابة ولا تك سبعا في العشيرة عاديَا

عاديًا: معتديًا

الأعشى الكبير

فهرس القوافي

(القافية فرقم القطعة)

٢٦	المكبل	١٦	حاجر	٣	وأوصابا
٢٨	سؤالي	١٢	أسيرها	٢	وجربا
٢٧	بدا لها	١٧	منكص	٥	اغتيابة
٣٣	حكما	١٨	والوجعا	٦	أطرايها
٣٢	داما	١٩	فينصرفوا	٤	عذابها
٣١	فتصرما	٢٢	غلقا	٨	وقلت
٣٠	يسلم	٢٣	أفاقوا	٧	وحياتها
٣٤	تلتطم	٢٠	معشق	٩	المشهدا
٣٦	اظمان	٢٥	فوقها لها	١٠	صاد
٣٥	معن	٢١	وطارقة	١١	غادها
٣٧	فانيا	٢٤	المسالكا	١٥	انجدارا
		٢٩	مهلا	١٤	الفرار
		١	الرجل	١٣	أظفاري

حسان بن ثابت (٥٠ ق هـ - ٤٠ ب هـ)

قيل لم يُحمَل على أحد من الشعر ما حُمل على حسان، فهو أهم شاهد عيان على عصر النبوة، ليس أنه أهم صحابي، ولا أنه أفصح صحابي، بل لأنه الصحابي الذي قال كلاماً موزوناً يؤتى به في روايات المؤرخين فيجعلونه وثيقة، ثم يأتي مؤرخون آخرون بعد بضعة عشرات من السنين تَوَفَّرَ لهم من أدوات الكتابة أكثر مما توفر للأوائل فيكتبون ما سمعوا منسوباً إلى حسان، ويكتبون ما سمعوا بغير نسبة وينسبونه إلى حسان. فلا يسمع المؤرخ منهم نتفة أو قطعة رويت في رثاء الرسول إلا جعلها لحسان، ويحلوه أن يحمل على حسان كثيراً مما قيل في فتنة الدار يوم قتل الخليفة عثمان، لأن حساناً كان ذا موقف واضح في هذه الفتنة، فكثير مما وافق رأي حسان جُعل له.

وشهدت الدولة العربية بعد موت حسان ببضعة عقود انشطاراً بين خليفتين: عبد الملك في الشام ومصر، وابن الزبير في الحجاز والعراق. فحُمل على حسان شعر جعل فيه نفسه أموي الهوى، وحمل عليه شعر مدح فيه الزبير بن العوام. وبعد عقود أكثر ذهبت دولة بني أمية وجاءت دولة بني العباس، فإذا بشعر حسان ينطق بمدح جد الأسرة العباسية.

وكان بين القبائل من التنافر بعد الفتح ما كان، فأصبح لحسان شعر في هجاء مخزوم وشعر في ذم سُليم.

كانت كتب السيرة من أحفل المصادر بشعر حسان، وأكدت لنا الروايات القديمة أن كتاب السيرة لم يكونوا يتحرون في سوق الشعر منسوباً إلى حسان.

نعم، لقد أنجب حسان - من زوجته سيرين، أخت مارية زوجة الرسول - ولداً صار شاعراً معروفاً هو عبد الرحمن بن حسان، وكان له من الأحفاد شاعر

اسمه سعيد. ولا شك في أن الرواة استأنسوا بهذين في معرفة أشعار حسان. غير أن الاضطراب الذي دخل ذلك الشعر كان علة مزمنة. ويقدر وليد عرفات، أهم دارسي حسان، في مقالته عنه في دائرة المعارف الإسلامية، الشعر المنسوب لحسان، وليس له، بما يتراوح بين ستين وسبعين بالمئة.

وعلى هذا فقد كان ديوان شاعرنا حسان بن ثابت - الذي عاش في ضوء ساطع من أضواء التاريخ، في فترة مشهودة مشهورة هي ثلاث عشرة سنة من حياة النبي في المدينة، ومثلاها في عصر الراشدين - من أكثر الدواوين التي شك النقاد القدماء في نسبة أشعارها إلى صاحب الديوان.

على أن هذا الشعر يظل مع ذلك حاملاً روح عصره. وهو يمثل صدر الإسلام في معانيه، وفي كثير من لغته وطريقته.

ولأننا لا نسوق هذه الصفحات على أنها «دراسة» لشعر حسان، ولا على أنها «تحقيق» للديوان، اكتفينا بما جاء في الديوان المشهور الموجود بأيدي الناس، واخترنا منه أجمل ما فيه من شعر، وشرحناه بما فتح الله علينا. وقد أحسن وليد عرفات إلى ديوان حسان تحقيقاً وتخريجاً، فأصدره في جزئين خاليين من الشرح. وأحسن إلى الديوان عبد الرحمن البرقوقي فشرحه وزينه بالشكل. وأفدنا من هذين الكتابين.

ثم رأينا تلك الكتب السقيمة التي أصدرها بعض خلق الله في الزمن الأخير وجعلوا أنفسهم على أغلفتها «محققين»، واكتفينا بتنحيتهما جانباً. . . وبكثير من الاشتمزاز.

سمعنا القول المشهور: «العملة الرديئة تطرد العملة الصحيحة»، فلم نصدق. فالدول تلحق الدينار الزائف، وتلاحق من أعطاه ومن أخذه حتى تقف على رأس التزييف، وله عندها السجن. ولكن هذا القول صادق الصدق كله فيما يخص نشر دواوين الشعر القديمة. انزل إلى السوق وابتغ ديوان حسان. وستجد الطبوعات المسروقة تحتل أرفف المكتبات، ولن تجد طبعة أرهق صاحبها نفسه سنين وهو يحققها. تتناول هذا الكتاب المزيف بين كفيك فترى له غلافاً ملوناً يسر العين. وتفتحه فترى صاحبة الدكتور فلان، وأحياناً يضع ألفاً مهموزة قبل الدكتور كي تفهم أن مرتبته الأكاديمية هي «أستاذ دكتور» فصاحبنا اللص ليس دكتوراً فحسب. وتراه قد كتب مقدمة، وما كان أغناه عن فضح نفسه، فطريقته في رصف الكلمات في مقدمته - ولتقف وقفة قصيرة عند أسلوبه

قبل أن نمضي في فحوى كلامه - طريقة ولد من أولاد المدارس. لغة انحطت عن لغة الجرائد، وانحطت عن لغة رجل من العوام يكتب سطرين في ذيل سند قبض. لغة مقززة. تراه يسوق كلاماً مما كان قاله كل الناس قبله. يقول كلاماً من قبيل «لا شك في أن تمسك كل أمة بترائها من الأمور المهمة.» أشياء بليدة كهذه. ثم يلخص لك تلخيصاً سمجاً ما ورد عن حسان في الكتب، وقد ينتطح صاحبنا فيأخذ في امتداح الشاعر ورفعه فوق كل شاعر، ويأخذ في الرد على ما أخذه القدماء والمحدثون على حسان، ويدافع وينافح كأنه كان وحساناً رضيحي لبنان. ثم يقول لك كلمتين عن «عمله» في الديوان. ولا يذكر صاحبنا للديوان أي طبعة سابقة. ولا يذكر لك مصادره. فكأن حسان جاءه في المنام وألقى في صدره الواسع شعره كله.

حسان شاعر الرسول. هذه ليس فيها شك. وهو كان من بني النجار من الخزرج، الخؤولة البعيدة للرسول. وكانت له في الجاهلية أشعار في مدح قومه وهجاء القبيلة الأخرى في يثرب: الأوس، وفي مدح آل جفنة سادة الشام في الجاهلية، وهم الغساسنة الذين يمتون بصلة نسب إلى قبيلتي يثرب، فالكل يمن. قيل عاش حسان ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام. وهذه من خرافات القدماء. وتدور كلمة الدارسين الجادين على أن حساناً عاش خمسين سنة قبل الهجرة وأربعين بعدها.

كان ذا مال في الجاهلية، وكان له أطم، أي حصن، معروف بيثرب. جاءه المال تلاًداً، فهو ابن قوم موسرين، وجاءه طريفاً فهو شاعر جوال مداح. كان يزور بلاط الغساسنة في الجابية وجلق بالشام، وكان ينال أعطيائهم. ولعل القصة التي أزارته بلاط النعمان وجمعت هناك بينه وبين النابغة صحيحة في عمومها. وحسان معم مخول، وأمه الفريعة من الخزرج من بيت معروف، وخاله من زور الملوك أيضاً.

وقد كان أخو حسان من وفد يثرب الذي دعا الرسول إلى الهجرة. وقد قتل هذا الأخ في أحد، وقتل له أخ ثان في وقعة بعد أحد. فأما حسان فلم يشهد مع الرسول مشهداً. وقال الذين لا يحبون حسان إنه كان جباناً، وعزّزوا قولهم بقصة يصعب على المرء تصديقها. ويميل وليد عرفات إلى أن جبن حسان خرافة، فقد كان أسنَّ عندما بدأت الغزوات. وقيل كانت به علة بيمناه فلم يكن يستطيع حمل سيف.

لحسن خبر آخر في الجاهلية جمعه بالنابعة وبالخنساء، ولا يصدق
الدارس الجاد بتفاصيله.

يكاد يجمع القدماء على أن شعره في الجاهلية أمتن من شعره في
الإسلام. لا جرم أنهم جعلوا الشعر الجاهلي المثال الذي يقاس عليه،
وقدسوه تقديساً. وشعر حسان الجاهلي جار على طريقة الجاهليين، يضاف
إلى ذلك عنصران نراهما يؤيدان القول إن شعره في الجاهلية أقوى من شعره
في الإسلام. فما قاله صاحبنا في جاهليته انطلق من رغبتين: رغبة في صلات
الممدوحين، ورغبة في المنافحة عن قبيلته وهجاء خصومها، فكان هذا الشعر
ينطلق عن شهوة جشع، وعن اندفاع رجل يقف في ميدان الخصومة القبلية
شاهراً لسانه. وأما شعره في الإسلام فكان يواكب حالة صعود.. كان تابعاً
للحالة الإسلامية. ألا ترى اليوم فرقاً بين شاعر مناضل تلاحقه السلطات
وشاعر يعمل موظفاً في وزارة الإعلام؟ كان حسان في كنف الدولة الإسلامية
الناشئة موظفاً في مؤسسة كبيرة صاعدة ناجحة، وأما في الجاهلية فكان لسان
الخزرج.

لا نفيض في هذا الأمر لأننا لا نحقق في نسبة ما بين أيدينا من شعر
حسان إلى حسان إلا قليلاً. والموضوع عليه في الإسلام أكثر بكثير من
الموضوع عليه في الجاهلية.

١ نبوءة

قال قبل فتح مكة، ويهجو شاعر قريش أبا سفيان بن الحارث:

عَدِمْنَا خَبْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُشِيرُ النَّقْعَ، مَوْعِدُهَا كَدَاءُ

فلنفقد خيولنا ولنعدنها إِنْ لَمْ تَرَوْهَا يَا أَهْلَ قُرَيْشٍ قَدْ جَاءَتْكُمْ وَأَخَذَتْ تُشِيرُ النَّقْعَ، أَيِ الْغُبَارِ،
والموعد «كداء» قرب مكة

يُنَازِعُنَ الْأَعْنَةَ مُضْغِيَّاتٍ عَلَى أَكْتَاكِهَا الْأَسْلُ الْظَّمَاءُ

تحاول الخيول جذب الأعنة، أي المقادير التي بها تقاد، وهي مصغية،
مائلة برؤوسها. وعلى أكتاف الخيول الأسل، أي الرماح، الظماء، أي العطشى..
والرمح الظامئ يكون قد أنقن تجفيفه أثناء صنعه فهذا أخفّ له في يد الفارس،
«وحميد من القناة الذبول» (وقال الشراح، ومنهم البرقوقي إن الرماح الظماء إنما هي
عطشى لدماء أهل مكة، ولم نر ذلك)

نَظَّلْ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النِّسَاءُ

عندما ستأتيكم خيولنا ستظل متمطرة، أي بسرعة، وستلطمها النساء في مكة على وجوهها بالخمر، جمع خمار أي غطاء الرأس، لمنعها من التقدم. قد تحقق ذلك بالفعل وتعجبوا من بصيرة حسان، قالوا كأنما أوحى إليه

فَلَمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ

إن تركتمونا اعتمرنا، وكان الفتح وانتهى الأمر. ألا تشير كلمة «الفتح» إلى أن البيت موضوع؟

وَالْأَفَاصِيرُ وَالْجِلَادُ يَوْمَ يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ

والأفاصيرو للجلاد، مضاربة بالسيف، في يوم سينصر الله فيه من يشاء

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي فَأَنْتَ مُجَوِّفٌ نَخْبَ هَوَاءٍ

أبلغ هذا الشاعر القرشي بأنه مجوف نخب، والنخب هو المجوف أيضاً، وهواء.. أي أنه جبان لا قلب له في جوفه

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحْهُ وَيَنْصُرْهُ سَوَاءٌ

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجِبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكَفٍ فَشَرُّكُمْ لِخَيْرِكُمْمَا الْفِدَاءُ

كيف تهجو محمداً وأنت في المنزلة دونه؟ فليكن الشرير منكما فداء للخير

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

أبي وأمي محمداً بأبي وبوالد أبي وبعرضي

وَسَوْفَ يُجِيبُكُمْ عَنِّي حُسَامٌ يَصُوغُ الْمُحْكَمَاتِ كَمَا يَشَاءُ

وسيكون جوابي أيضاً بالسيف الذي يصوغ أبياتاً محكمة النج، لكن من نوع آخر. البيت أورده «وليد عرفات» في الذيل؛ وجده في «المزهر»

لِسَانِي صَارِمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَبَحْرِي لَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَاءُ

على أن لساني صارم أيضاً، وليس فيه تقصير، ومقدرتي الشعرية واسعة كالبحر الذي لا يتكدر ماؤه مهما انتشلت منه الدلاء، جمع دلو

٢ إِنَّ خَالِي..

قال في يوم أحد، ويهجو عبد الله بن الزُبَيْرِ الشاعر القرشي:

مَنَعَ النُّومَ بِالْعِشَاءِ الْهُمُومُ وَخَيَالٌ إِذَا تَغَوَّرَ النُّجُومُ

الهموم منعني من النوم وقت العشاء، وخيال المحبوبة زارني فجراً عندما غارت، أي غابت، النجوم

شَأْنُهَا الْعِظَرُ وَالْفِرَاشُ، وَيَعْلُو هَا لَجَيْنٌ وَلَوْلُوْ مَنْظُومٌ

المحبوبة مهممة بعمطرها وبفراشها الذي لا تغادره إلا متأخرة، لأنها من بنات النعمة، وأعلاها لجين، أي فضة: كأنما يصف نحرها فهي بيضاء يبدو أعلى صدرها كأنه الفضة، وعلى نحرها انتشرت لؤلؤات عقدتها. كأنه تخيلها مستلقية على فراشها ذاك (الذي تحبه جداً، ولا تغادره إلا وقد ارتفع النهار) وعقدتها قد تعرج على صدرها

لَوْ يَذِبُ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّرِّ - عَلَيْهَا لَأَنْدَبَتْهَا الْكُلُومُ

لو يمشي الحولي، أي النمل، من ولد الذر، والذر هو النمل الصغير، على جسمها لصنع فيه ندوباً وكلوماً، أي جروحاً، لفرط نعومتها

إِنَّ خَالِي خَطِيبٌ جَابِيَةَ الْجَوِّ لَإِنْ عِنْدَ النُّعْمَانِ حِينَ يَقُومُ

خال حسان، مسلمة بن مخلد، كان يفتي مجلس النعمان (نعمان الغساسنة لا المناذرة) بالجاية في الجولان بالشام وكان خطيب قومه والمتكلم باسمهم في مجلس الغساسنة

لَا تَسْبِئَنِّي فَلَسْتُ بِسِبِّي إِنَّ سِبِّي مِنَ الرِّجَالِ الْكَرِيمِ

لا تشتمني فلست سبياً لي، لست مكافئاً لي، ومكافئي من الرجال الكريم، ولست به

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا لِي، وَجَهْلٌ عَطَى عَلَيْهِ النَّعِيمُ

حكمة: قد يكون الرجل حليماً ولكن فقره يغطي على هذه الخصلة، ورب جاهل متهور ستر خصلته الرديئة هذه ما عنده من مال

٣ الحرب دول

وقال يجيب ابن الزبيري بعد أحد:

وَلَقَدْ نَلِئْتُمْ وَنَلْنَا مِنْكُمْ وَكَذَاكَ الْحَرْبُ أَحْبَاباً دُولُ

هزمناكم أولاً ثم هزمتونا، والحرب دول، أي مرة لك ومرة عليك

إِذْ شَدَدْنَا شِدَّةً صَادِقَةً فَأَجَانَاكُمْ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ

شددنا عليكم وهجمنا فأجأناكم، أي جعلناكم تجيئون، إلى سفح الجبل

٤ تقتيل الأوس

نَهَزُ الْقَنَا فِي صُدُورِ الْكَمَا ة حَتَّى نَكْسِرَ أَعْوَادَهَا

نهز القنا، الرماح، في صدور الكماة، المسلحين، حتى تنكسر فيهم

وَفِي كُلِّ يَوْمٍ لَنَا غَارَةٌ عَلَى الْأَوْسِ نَقْتُلُ أَسَادَهَا

وفي كل يوم نغير على قبيلة الأوس، ونقتل أسودها، أي شجعانها. وحسان من الخزرج

٥ عندما ترقص الكأس

لَهُ دَرٌّ عَصَابَةٍ نَادَمْتُهُمْ يَوْمًا بِحِلْقٍ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

لله در جماعة صحتهم على الشراب نديماً لهم في جلق، قرب دمشق، في الزمن القديم

الْخَالِطُونَ فَقِيرُهُمْ بِغَنِيِّهِمْ وَالْمَنْعَمُونَ عَلَى الضَّعِيفِ الْمُرْمِلِ

يتفرق أغنياؤهم بفقرائهم ولا يعترلونهم، وهؤلاء القوم ينعمون على الضعيف المرمّل، أي الفقير الذي قعد على الرمل فاقدأ حتى بساطه

أَوْلَادُ جَفْنَةٍ عِنْدَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمَفْضِلِ

آل جفنة مقيمون عند قبر أبيهم، ابن مارية المشهورة وبها ضرب المثل، فهم مستقرون في نعيم ولا يرتحلون طلباً للعشب كالبدو الفقراء

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ «الْبَرِيصَ» عَلَيْهِمْ بَرْدَى يُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسِلِ

ويسقون من يأتيهم في منطقة البريص ماء نهر بردى، لكن بعد أن يصفق، يمزج بالرحيق السلسل، الخمر اللينة على الحلق

يُفْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمَقْبِلِ

يُزَارُونَ كثيراً حتى إن كلابهم ملت من الهرير، النباح، لاعتيادها الضيوف. وهم لا يسألون عن السواد المقبل، الجماعة الكبيرة من الناس، لا يسألون: من هؤلاء الضيوف؟ فالخير كثير

بِيضُ الْوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ شُمُّ الْأَنْوِفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ

البياض صفة السؤدد عند العرب، فهؤلاء بيض ذوو حسب طيب، وشامخون بأنوفهم وفيهم عزة، ومن الطراز الأول، أفضل الناس

وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْخَمَرَ فِي حَانُوتِهَا صَهْبَاءُ صَافِيَةٌ كَطَعْمِ الْفُلْفُلِ

يبدو أن حسان ذهب في دمشق إلى حانوت، وخمار، وشرب خمرأ صهباء، شقراء، صافية، تلذع اللسان لذع الفلفل

يَسْعَى عَلَيَّ بِكَاسِهَا مُتَنَطِّقٌ وَيُعِلُّنِي مِنْهَا وَإِنْ لَمْ أَنْهَلِ

يقدمها ولد متنطق، يضع في خصره نطقاً أي زناراً، وهو يعلني، يسقيني مجدداً، وإن لم أكن نهلت، أي شربت المرة الأولى... والتفسير في البيت الذي يليه

إِنَّ الَّتِي نَاوَلْتَنِي فَرَدَدْتُهَا قُتِلْتُ، قُتِلْتُ، فَهَاتِهَا لَمْ تُقَتِّلِ

الكأس الأولى التي ناوَلتني رددتها عليك لأنها قد قتلت، مزجت بالماء، فقاتلك الله... هات كأساً أخرى غير مقتولة... دون مزجها بالماء

كِلْتَاهُمَا حَلَبُ الْعَصِيرِ، فَعَاطِنِي بِزُجَاجَةٍ أَرْخَاهُمَا لِلْمَفْصِلِ

الخمير الممزوجة، والخمر غير الممزوجة كلتاها من عصير العنب فعاطني، أعطني مرة بعد أخرى، بالزجاجة، أي الكأس، التي تسبب ارتخاء المفاصل أكثر من غيرها. ونقل البرقوقي عن أبي العلاء أن المفصل هو اللسان، فالساكر يرتخي لسانه. و«المفصل» بمعنى اللسان مكسورة الميم مفتوحة الصاد، و«المفصل» بمعنى الغضروف الفاصل الواصل بين العظام بعكسها تشكيلاً

بِزُجَاجَةٍ رَقَصَتْ بِمَا فِي قَعْرِهَا رَقَصَ الْقُلُوصِ بِرَاكِبٍ مُسْتَعْجِلٍ

اسقني الخمر بزجاجة، بكأس، تتحرك وترقص بالقليل الذي في قعرها، كما ترقص القلوص، تتمايل الناقه، وفوقها راكب مستعجل يحثها. والرقص نوع من سير الإبل، وعند العرب رقصت الإبل قبل أن يرقص البشر. هذا البيت من بدائع حسان

وَلَقَدْ تُقَلِّدُنَا الْعَشِيرَةَ أَمْرَهَا فَنُطِيقُ أَمْرَ الْمُعْضِلَاتِ وَنَعْتَلي

يفتخر بقومه: العشيرة تقلدنا أمرها، نكلفنا بشؤونها، فنحتمل كبريات المشكلات ويسمو قدرنا ونسود

وَتَزُورُ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ رِكَابُنَا وَنَتَى نَحْكُمُ فِي الْعَشِيرَةِ نَعْدِلُ

وتزور إبلنا الملوك، فنحن الوسطاء بين قومنا وبين الدول ذوات الجيوش، ونحن عادلون في أحكامنا ضمن القبيلة

٦ لنا الجفنتان الغر

وإِنَّا لَنَقْرِي الضَّيْفَ إِنْ جَاءَ طَارِقًا مِنْ الشَّخْمِ مَا أَمْسَى صَاحِبًا مُسْلَمًا

نقري الضيف، نطعمه، إن جاءنا طارقاً، والطارق هو الآتي ليلاً، ونطعمه شحم سنام الناقة التي ذبحناها سليمة لا من مرض

إِذَا غَبَرَ آفَاقُ السَّمَاءِ فَأَصْبَحْتُ كَأَنَّ عَلَيْهَا ثَوْبَ عَصَبٍ مُسَهَّمًا .

عندما يصبح الجو قاتماً بالغبار فالسماء داكنة تتخللها أشعة الشمس قليلاً راسمة خبوطاً فكان السماء لبست ثوباً يمانياً مخططاً .

حَسِبْتُ قُدُورَ الصَّادِ حَوْلَ بَيْوتِنَا قَنَابِلَ دُهِمًا فِي الْمَحَلَّةِ صِيَمًا

.. في هذا الجو الشتائي سترى حول بيوتنا قدور الصاد، النحاس الأصفر، وتحسبها قنابل دهماً، أي خيولاً قاتمة اللون، صِيَمًا، أي واقفة، حول بيوتنا

وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءِ وَابْنِي مُحَرَّقٍ فَأَكْرَمَ بِنَا خَالًا وَأكْرَمَ بِنَا ابْنَمَا

نحن أخوال بني العنقاء، وابني محرق (وهم ناس مشهورون بالسيادة والملك) فما أكرمنا أخوالاً وما أكرمنا أبناءً لأبائنا، والكرم هو الشرف والنسب العالي. وعابوا على حسان أنهم افتخروا بمن وَلَدَتْ نساء قومه ولم يفتخر بأبائه، فالواجب في عرف نقاد الشعر أن يفتخر المرء بأبائه لا بأبنائه

نُسَوِّدُ ذَا الْمَالِ الْقَلِيلِ إِذَا بَدَتْ مُرُوءَتُهُ فِينَا، وَإِنْ كَانَ مُعْدِمًا

نَجْعَلُ الْفَقِيرَ فِينَا سَيِّدًا إِذَا كَانَ ذَا مَرْوَةٍ، وَالْمَرْوَةُ أَنْ يَنْهَضَ الْمَرْءُ لِنَجْدَةِ النَّاسِ بِهَمَّةٍ، وَالْمُعْدِمُ: الْفَقِيرُ

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا

لَنَا الْجَفَنَاتُ، أَوْعِيَةُ الطَّعَامِ، الْغُرُّ الْبَيْضُ الَّتِي تَلْمَعُ فِي شَمْسِ الضُّحَى؛ هَذَا عَنْ السَّخَاءِ، فَأَمَّا الشَّجَاعَةُ فَإِنَّ أَسْيَافَنَا تَقْطُرُ مِنْ دَمِ الْأَعْدَاءِ عِنْدَمَا نَهْبُ لِنَجْدَةٍ مِنْ يُعْتَدِي عَلَيْهِ. وَعَابُوا عَلَى حَسَانٍ فِي هَذَا الْبَيْتِ أُمُورًا عِدَّةً: قَالَ «جَفَنَاتٍ» وَأَسْيَافًا» وَهُمَا مِنْ جَمْعِ الْقَلَّةِ. وَلِلْكَثْرَةِ يُقَالُ جَفَانٌ وَسَيُوفٌ. وَجَعَلَ السَّيُوفُ تَقْطُرُ، فَهَذَا دَمٌ قَلِيلٌ، وَلَمْ يَجْعَلَهَا تَسِيلُ بِالْدمَاءِ، وَجَعَلَ الْجَفَنَاتُ يَلْمَعْنَ فِي الضُّحَى، وَفِي الضُّحَى كُلُّ شَيْءٍ يَلْمَعُ، أَلَا جَعَلَهَا تَلْمَعُ فِي الدَّجَى! هَذَا مَا نَسَبَهُ النِّقَادُ إِلَى النَّابِغَةِ الذِّبْيَانِي إِلَى الْخَنْسَاءِ، وَهُوَ مِنْ خِرَافَاتِ النِّقَادِ. وَنَحْنُ نَعِيبُ عَلَى حَسَانٍ أَنْ جَعَلَ قِصَاصَ الطَّعَامِ تَلْمَعُ، فَكَأَنَّهُا فَارِغَةٌ

٧ حُلُوُّ تَعْتَرِيهِ مَرَارَةٌ

قَالَ يَرِدُ عَلَى قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ:

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ يَا «شَعْتُ» مَا نَبَا عَلَيَّ لِسَانِي فِي الْخَطُوبِ وَلَا يَدِي

يَخَاطِبُ الْمَحْبُوبَةَ شَعْتًا: وَحَيَاةُ أَبِيكَ الطَّيِّبِ يَا شَعْتًا مَا انْحَرَفَ وَلَا أَخْطَأَ لِسَانِي فِي الْمَوَاقِفِ الْخَطِيرَةِ، وَلَا انْحَرَفَتْ يَدِي وَبِهَا السِّيفُ

وإِنْ أَكْ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ أَجْدُ بِهِ وَإِنْ يُعْتَصِرُ عُودِي عَلَى الْجَهْدِ يُخَمِّدُ

إِنْ كَانَتْ مُوسِرًا فَأَنَا أَجُودُ بِالْمَالِ، وَإِنْ كُنْتُ قَلِيلَ الْمَالِ ثُمَّ أَتَى الْفُقَرَاءُ وَاعْتَصَرُونِي رَغْمَ جَهْدِي، أَيْ قَلَّةُ مَالِي، فَهُمْ يَنْالُونَ شَيْئًا، وَيَحْمَدُونَ هَذَا الْعُودَ الَّذِي اعْتَصَرُوهُ

وَأَعْمِلُ ذَاتَ اللَّوْثِ حَتَّى أُرَدَّهَا إِذَا حُطَّ عَنْهَا رَحْلُهَا لَمْ تُقَيِّدْ

وَأَسِيرُ نَاقَتِي ذَاتَ اللَّوْثِ، أَيْ الشَّدِيدَةِ، حَتَّى أُرَدَّهَا، أَيْ أَجْعَلَهَا، إِذَا وَصَلْتُ إِلَى الْمَمْدُوحِ وَأَنْزَلْتُ عَنْهَا حُلْسَهَا، أَيْ سَرَجَهَا، حَرَّةٌ غَيْرُ مَقِيدَةٍ. . لَيْسَ رَافَةً بِهَا بَلْ لِأَنَّهَا تَكُونُ مَتْعَةً لَا تَطْلِقُ حَرَكَاتًا فَلَا حَاجَةَ إِلَى تَقْيِيدِهَا

أَكْلَفُهَا أَنْ تُذَلِّجَ اللَّيْلَ كُلَّهُ تَرَوْحُ إِلَى بَابِ ابْنِ سَلَمَى وَتَفْتَدِي

فَأَنَا قَدْ جَشِمْتُهَا أَنْ تُذَلِّجَ، أَنْ تَسِيرَ اللَّيْلَ، حَتَّى تَرَوْحَ، أَيْ تَصِلَ. . وَالرَّوَّاحُ هُوَ الْوَصُولُ لَيْلًا، وَالْغَدْوُ الْوَصُولُ صَبَاحًا. وَابْنُ سَلَمَى هُوَ النَّعْمَانُ بْنُ الْمَنْذَرِ

تَزَوَّرُ أَمْرًا أَعْطَى عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ وَمَنْ يُعْطَى أَثْمَانُ الْمَحَامِدِ يُخَمِّدُ

هَذَا أَمْرٌ يُعْطَى الْمَالُ مُقَابِلَ الْمَدْحِ، لِذَا فَهُوَ يَسْتَحِقُّ الْمَدْحَ

وإِنِّي لَحُلُوٌّ تَعْتَرِيَنِي مَرَارَةٌ وَإِنِّي لَتَرَّاكُ لِمَا لَمْ أَعُودَ

أَنَا لَيْنٌ مَعَ النَّاسِ، لَكِنْ تَتَابَعَنِي مَرَارَةٌ إِذَا مَا ظَلَمَنِي أَحَدٌ. وَأَنَا أَبِئُ لَا أَرْضَى بِأُمُورٍ لَمْ أَعُودَ عَلَيْهَا

فَلَا تَعْجَلْنَ يَا قَيْسُ، وَارْبِعْ فَإِنَّمَا قُصَّارَاكَ أَنْ تُلْقَى بِكُلِّ مُهَنَّدٍ
فلا تستعجل يا قيس بن الخطيم، واربع، قف مكانك، فمتهاك وأقصى أمرك أن ترى سيفونا
أشهرت في وجهك

حَسَامٍ وَأَرْمَاحٍ بِأَيْدِي أَعَزَّةٍ مَتَى تَرَهُمْ يَا ابْنَ الْخَطِيمِ تَبَلِّدِ
ترى السيوف والرماح بأيدي قوم ذي عز وقوة، تراهم فتبذل ارتباكاً

لُيُوثٍ لَدَى الْأَشْجَالِ تَحْمِي عَرِينَهَا مَدَاعِيسَ بِالْخَطِي فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
السلح بأيدي أسود تقف عند أشجالها تحمي عرينها؛ ورجالنا هؤلاء مداعيس، طاعنون، بالخطي،
بالرمح، في كل معترك

٨ سؤال، ولا جواب

فَلَا قَيْنَاهُمْ مِنَّا بِجَمْعٍ كَأَسَدِ الْعَابِ مِنْ مُرْدٍ وَشَيْبٍ
المرد: الشباب لم تثبت لحاهم، والشيب: الكهول

فَعَادَرْنَا أَبَا جَهْلٍ صَرِيحاً وَعُتْبَةَ قَدْ تَرَكْنَا بِالْجُبُوبِ
فتركنا أبا جهل قتيلاً. وعتبة بن ربيعة تركناه مُلقًى بالجبوب، الأرض الوعرة، وذلك في معركة بدر

يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا قَذَفْنَاهُمْ كَبَاكِبَ فِي الْقَلِيبِ..
قذفت جثث قتلى قريش كباكِب في القلب، أي جماعات في البئر،
ووقف عليهم الرسول يسائلهم..

أَلَمْ تَجِدُوا حَدِيثِي كَانَ حَقًّا وَأَمَرَ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ
يسائلهم الرسول قائلاً: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ أي من سوء العاقبة. فقول: يا
رسول الله، أتنادي جيفاً؟ قال: «ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيئون»

فَمَا نَطَقُوا، وَلَوْ نَطَقُوا لَقَالُوا: صَدَقْتَ، وَكُنْتَ ذَا رَأْيٍ مُصِيبٍ

٩ عهد للرسول

فَلَمَّا أَتَانَا رَسُولُ الْإِلَهِ بِالنُّورِ وَالَّذِينَ بَعَدَ الظُّلَمِ
رَكَنَّا إِلَيْهِ، وَلَمْ نَعْصِهِ غَدَاةً أَتَانَا مِنْ أَرْضِ الْحَرَمِ
وَقُلْنَا: صَدَقْتَ بِمَا جِئْتَنَا هَلُمَّ إِلَيْنَا، وَفِينَا أَقَمِ

تعال إلينا، وعش بيننا

فَنَادِ بِمَا كُنْتَ أَخْفَيْتَهُ نِدَاءَ جَهَاراً وَلَا تَخْتِمْ
فَلِنَا وَأَوْلَدْنَا جُنَّةً نَقِيكَ، وَفِي مَالِنَا فَاخْتِكُمْ
جُنَّةٌ: وقاية

١٠ جبريل رَوَّاحٌ بِهَا غَدَاءٌ

اللَّهُ أَكْرَمَنَا بِنَصْرِ نَبِيِّهِ وَبِنَا أَقَامَ دَعَائِمَ الْإِسْلَامِ
يَنْتَابُنَا جِبْرِيلُ فِي أَبْيَاتِنَا بِفَرَائِضِ الْإِسْلَامِ وَالْأَحْكَامِ
يأتينا جبريل مرة بعد مرة في بيوتنا، بالآيات وفيها فرائض الإسلام وأحكامه

نَحْنُ الْخِيَارُ مِنَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا وَنِظَامُهَا وَزِمَامُ كُلِّ زِمَامٍ
الْخَائِضُ غَمَرَاتٍ كُلُّ مَنِيَّةٍ وَالضَّامِنُونَ خَوَادِثَ الْأَيَّامِ
نخوض غمرات الموت، مياحه العميقة، ونضمن السلامة لمن حولنا إذا أَلَمَتْ بهم مصائب الدهر

١١ بالله عليكم أجيبوني!

وَأَنْشُدْكُمْ، وَالْبَغْيُ يَضْرَعُ أَهْلَهُ، إِذَا مَا شِتَاءُ الْمَحَلِّ هَبَّتْ زَعَارِعُهُ..
أَسْأَلْكُمْ، وَاصْذُقُونِي، فَالظُّلَمُ يَصْرَعُ أَهْلَهُ: إِذَا كَانَ شِتَاءٌ وَكَانَ قَطَطٌ، وَهَبَتِ الزَّعَارِعُ، أَيْ الرِّيحُ
التي تحرك الخيام وتزعزع الأشياء..

إِذَا مَا وَلِيدُ الْحَيِّ لَمْ يُسْقَ شَرْبَةً وَضَنَّ عَلَيْهِ بِالصَّبُوحِ مَرَاضِعُهُ..
وَإِذَا مَا لَمْ يَجِدِ الْوَلِيدُ فِي الْحَيِّ مَا يَرْضَعُ، وَبَخَلَتْ عَلَيْهِ الْمَرْضَعَاتُ بِحَلِيبِ الصَّبَاحِ لِأَنِ انْدَاءَهُنَّ
جَفَّتْ مِنَ الْجُوعِ..

أَلَسْنَا نَكُوبُ الْبُزْلَ وَسَطَ رِحَالِنَا وَنَسْتَصْلِحُ الْمَوْلَى إِذَا قَلَّ رَافِعُهُ؟
أَسْأَلْكُمْ.. عِنْدَمَا تَكُونُ هَذِهِ هِيَ الْحَالُ أَلَسْنَا نَحْرُ الْبُزْلَ، أَيْ الْجَمَالَ الْكَبِيرَةَ الَّتِي بَرَزَتْ أَسْنَانُهَا،
وَنَصْلِحُ مِنْ حَالِ الْمَوْلَى، الْجَارِ الْمَقِيمِ بَيْنَ ظَهْرَانِنَا، إِذَا لَمْ يَجِدْ مِنْ يَرْفَعُهُ وَيَعِينُهُ؟

وَإِنْ رَابَهُ أَمْرٌ وَقَتُّهُ نَفْسُونَا وَمَا نَالْنَا مِنْ وَاسِعٍ فَهَوَ وَاسِعُهُ
وَإِذَا رَابَهُ أَمْرٌ، أَخَافَهُ شَيْءٌ، فَتَحْنُ نَحْمِيهِ بِأَرْوَاحِنَا؛ وَكُلُّ مَا يَنَالُنَا مِنْ سَعَةٍ فِي الْعَيْشِ فَهُوَ
مُشَارِكُنَا فِيهِ

وَأَنْشُدْكُمْ، وَالْبَغْيُ يَضْرَعُ أَهْلَهُ، إِذَا الْخَصْمُ لَمْ يُوجَدْ لَهُ مَنْ يَقَارِعُهُ..
وَأَسْأَلْكُمْ، وَاصْذُقُونِي الْجَوَابَ، إِذَا لَمْ يُوْجَدْ لِلْخَصْمِ مَنْ يَقَارِعُهُ وَيَتَصَدَّى لَهُ

أَلَسْنَا نُوَازِيهِ بِجَمْعٍ كَأَنَّهُ أَتَيْتُ أَمَدَّهُ بِلِيلٍ دَوَافِعُهُ .
 ألسنا نقف إزاءه بجمع من رجالنا كأنه الأتي، أي السيل، الذي أمدته دوافعه، أي مجاريه، بالمياه
 الهاطلة طول الليل؟

١٢ ما أحبتُ حيي إياك

انْظُرْ خَلِيلِي بِبَابٍ جَلَّقَ هَلْ تُؤْنِسُ دُونَ الْبَلْقَاءِ مِنْ أَحَدٍ
 انظر يا صاحبي وأنت بباب جلق، وهي دمشق أو مكان بقربها، هل تؤنس، تبصر، عند البلقاء
 أحداً؟ والبلقاء اليوم هي منطقة السلط في الأردن، وقال القدماء إنها موقع قرب دمشق
 أَجْمَالَ شَعْنَاءَ قَدْ هَبَطْنَ مِنْ الـ مَحْبَسٍ بَيْنَ الْكُثْبَانِ فَالْسَّنَدِ
 هل ترى إبل قوم شعناء وقد جاءت إلى هذا المكان الواقع بين هذين المكانين؟

يَحْمِلْنَ حُوءًا حُورَ الْمَدَامِيعِ فِي الرَّ- حِيطِ، وَبِيضَ الْوُجُوهِ كَالْبَرَدِ
 تحمل الإبل نساء حُوءاً، سمر الشفاه، وحور المدامع، أي حور العيون، فسواد عيونهن صاف في
 بياض صاف، ويلبسن الریط، جمع ریطة وهي الملاءة أو الثوب الواسع، ووجوههن بياض كالبرَد
 إِنِّي وَرَبِّ الْمُخَيَّسَاتِ وَمَا يَقْطَعْنَ مِنْ كُلِّ سَرَبِخٍ جَدَدٍ..
 يحلف: ورب المخيسات، أي النياق المذلة المروضة، ورب ما يقطعن من سربخ، أي أرض
 وعرة، وجدد، أي طريق مبهد..

مَا حُلْتُ عَنْ خَيْرٍ مَا عَهَدْتُ، وَمَا أَخْبَبْتُ حُبِّي إِيَّاكَ مِنْ أَحَدٍ
 والله ما حلْتُ، تَحَوَّلْتُ، عن أفضل ما قد عرفته من طباعي، وما أحبت أحداً حيي إياك
 تَقُولُ شَعْنَاءُ لَوْ تُفِيقُ مِنْ الـ حَمْرِ لَأَلْفَيْتِ مُثْرِي الْعَدَدِ
 تقول لي شعناء: لبتك تترك الخمر كي تصبح غنياً. وكان الغنى يقاس بعدد ما يملكه المرء من
 جمال

أَهْوَى حَدِيثَ النَّدْمَانِ فِي فَلَتِي الصُّ- جِحِ، وَصَوْتَ الْمَسَامِيرِ الْقَرِدِ
 لكتني أهوى حديث الندمان، أي التديم صاحبي على الخمر، ونحن نشرب حتى بزوغ شمس
 الصباح، وأهوى صوت المسامر المغني

لَا أَخْدِشُ الْحَدَشَ بِالنَّدِيمِ، وَلَا يَخْشَى نَدِيمِي إِذَا انْتَشَيْتُ يَدَيِ
 لا أؤذي نديمي ولا يخشى أن أعربد عليه إذا انتشيت، أي سكرت

١٣ الخلايس

قال، وقد تهدده قوم وضربوه إثر حديث الإفك:

أَمْسَى الْخَلَابِيسُ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا وَابْنُ الْفُرَيْعَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ

الخلايس، اللثام الذين لا أصل لهم، أصبحوا أقوياء وكثراً؛ وغدا ابن الفريعة، أي حسان نفسه لأن الفريعة اسم أمه، بيضة البلد، أي كبيضة النعامة المتروكة في الصحراء

أَمَّا قُرَيْشٌ فَلِإِنِّي غَيْرُ تَارِكِهِمْ حَتَّى يُنِيبُوا مِنَ الْغَيَّاتِ لِلرَّشَدِ

وأما قريش فلإني لن أتركهم من كلامي القاسي إلى أن ينيبوا، يرجعوا عن غيهم، ويسلكوا طريق الرشد

وَيَتْرَكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى بِمَغْزِلَةٍ وَيَسْجُدُوا كُلُّهُمْ لِلوَاحِدِ الصَّمَدِ

وحتى يتركوا عبادة الأصنام

١٤ أكيل السبع

وقال لعنتية بن أبي لهب، وقد سُلِّطَ عليه الليث، وكان الرسول دعا الله أن يسلط عليه كلباً من كلابه:

أَسْلَمْتُموهُ وَهُوَ يَدْعُوكُمْ بِالنَّسَبِ الْأَدْنَى وَبِالْجَامِعِ

يعير أصحاب عتيبة: انخذلتم عنه وهو يناديكم ويناشدكم بالقرابة وما يجمعكم من أواصر

وَاللَيْثُ يَعْلُوهُ بِأَنْيَابِهِ مُنْعَفِراً وَسَطَ الدِّمِ النَّاقِعِ

والليث فوقه يمزقه بأنياه، والرجل منعفر، ممرغ في التراب، وسط دمه الناقع، أي الطري

مَنْ يَرْجِعُ الْعَامَ إِلَى أَهْلِهِ فَمَا أَكِيلُ السَّبْعِ بِالرَّاجِعِ

سيرجع كل إلى أهله، فاما الذي أكله السبع فلن يرجع

١٥ تناول سهيلاً

أَهَاجَكَ بِالْبَيْدَاءِ رَسْمُ الْمَنَازِلِ؟ نَعَمْ، قَدْ عَفَاها كُلُّ أَسْحَمَ هَاطِلِ

هل حرك مشاعرك في الصحراء بقايا منازل الأحبة؟ حقاً. وقد عفاها، أي مسح أثرها، كل سحب أسحم، مسود، هاطل بالمطر

دِيَارُ الَّتِي رَأَى الْفَوَادَ دَلَالُهَا وَعَزَّ عَلَيْنَا أَنْ تَجُودَ بِنَائِلِ

هذه ديار التي أحب القلب دلالاتها، وصعب علينا نيل شيء منها

تَنَاولُ سُهَيْلًا فِي السَّمَاءِ فَإِنَّهُ سَتُذَرِكُنَا إِنْ نَلْتَهُ بِالْأَنَامِلِ

يفتخر: مد يدك كي تتناول نجم سهيل، فإنك ستترك مجدنا إن استطعت نيل النجم بأصابعك.
يقول: مستحيل أن تلحق بنا في مضمار المجد

أَلَسْنَا بِحَلَالِينَ أَرْضَ عَدُونَا تَارًّا قَلِيلًا سَلَّ بِنَا فِي الْقَبَائِلِ

ألسنا ننزل وننصب خيامنا في أرض العدو غير مباينين به فترعى إبلنا حيث شئنا؟ تارًّا يا هذا، أي انظر وتمهل، واسأل عنا في قبائل العرب لتعرف قدرنا

وَإِنِّي لَسَهْلٌ لِلصَّدِيقِ وَإِنِّي لِأَعْدِلُ رَأْسَ الْأَصْعَرِ الْمُتَمَائِلِ

ألين لصديقي، ولكنني أعاند الأصعر الرأس، المتكبر الذي يميل برأسه كبراً

وَأَجْعَلُ مَالِي دُونَ عِرْضِي وَقَايَةً وَأُحْجِبُهُ كَيْ لَا يَطِيبَ لِأَكِلِ

أنا كريم أحفظ عرضي من الذم ببذل المال، وأحجب عرضي بسخائي حتى لا ينهشه أحد

وَأَيُّ جَدِيدٍ لَيْسَ يُذَرِكُهُ الْبَلَى وَأَيُّ نَعِيمٍ لَيْسَ يَوْمًا بِزَائِلِ

البلى: الاهتراء

١٦ وارث اللؤم

قال يهجو الحارث بن هشام:

أَجْمَعْتُ أَنَّكَ أَنْتَ الْأُمُّ مَنْ مَشَى فِي فُحْشٍ مُؤَمِّسَةٍ وَزَهْوٍ غُرَابٍ

الأم من مشى: أي الأم البشرى، الزهو: التكبر

وَاللُّؤْمُ مِنْكَ وَرِاثَةٌ مَعْلُومَةٌ هَيْهَاتَ مِنْكَ مَكَارِمُ الْأَنْسَابِ

١٧ البغال والعصافير

وقال يهجو بني عبد المدان:

لَا بَأْسَ بِالْقَوْمِ مِنْ طَوْلٍ وَمِنْ عِظَمٍ: جِسْمُ الْبِغَالِ وَأَحْلَامُ الْعَصَافِيرِ

أحلام: عقول

كَأَنَّهُمْ قَصَبٌ جُوفٌ أَسَافِلُهُ مُثَقَّبٌ فِيهِ أَرْوَاحُ الْأَعَاصِيرِ

وهم مثل القصب المجوف، تنظر في أسفله فتراه مثقوباً، وتدخل فيه الأرواح، أي

الريح. كأنَّ حسنات تخيل قصبة الزمار التي تراها من أسفل وهو يزمر فتجدها مجوفة،

ويدخل فيها الهواء فيصفر. ووصف شخص بأنه مجوف يعني أنه بغير قلب، كناية عن

الجبن. وقد جعلت العرب الشجاعة في القلب

١٨ مَنظَرٌ وَمَخْبَرٌ

وكان مدح بني عبد المدان قائلاً:

وقد كُنَّا نَقُولُ إِذَا رَأَيْنَا لِذِي جِسْمٍ يُعَدُّ وَذِي بَيَانٍ
كَأَنَّكَ أَثَرُهَا الْمَغْطَى بَيَاناً وَجِسْماً مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ

١٩ ليس الكريم على القنا بمعرم

لَعَمْرُكَ مَا الْمُعْتَرُّ يَأْتِي بِلَادَنَا لِنَمْنَعَهُ بِالضَّائِعِ الْمُتَهَضِّمِ
وحيازك لا يكون المعتر، اللاجئ الملتصق بنا، الذي يأتي بلادنا كي نمنعه، أي نحبيه، ضائعاً
ولا متهضماً، مظلوماً

وما ضيفنا عند القرى بِمُدْفَعٍ ولا جارنا في النائبات بِمُسْلَمٍ
وضيفنا لا نمنعه من القرى، الطعام، وجارنا، أي المستجير بنا، لا نُسلمه، لا نتخلى عنه، عندما
تحل به النائبات والمصائب

وما السبُّ الجَبَّارُ، حِينَ يُرِيدُنَا بِكَيْدٍ، عَلَى أَزْمَاحِنَا بِمُحَرَّمٍ
والجبار الذي يريد لنا الشر ليس محرماً على رماحنا، بل هو حلال لنا

نُبِيعُ الْحِمَى ذِي الْعِزِّ حِينَ نُرِيدُهُ وَنَحْمِي حِمَانَا بِالْوَشِيحِ الْمُقَوِّمِ
نستبيح الأرض المحمية من قوم ذوي عز وقوة إذا أردنا ذلك، ونحمي أرضنا من أن يحل بها
ويرعاها غيرنا بالوشيح المقوم، أي بالرماح المستقيمة المثقفة

وَتَلَقَّى عَلَى أَبْيَاتِنَا حِينَ تَجْتَدِي مَجَالِسَ فِيهَا كُلُّ كَهْلٍ مُعَمَّمٍ
وتلقى في منازلنا، حين تجتدي، تطلب ذلك، مجالس فيها الكهول المعممون الحكماء

رَفِيعِ عِمَادِ الْبَيْتِ يَسْتُرُ عَرْضَهُ مِنْ الدِّمِّ مَيِّمُونَ النَّقِيبَةِ خِضْرِمٍ
وكل واحد من هؤلاء الكهول له بيت رفيع العماد، خيمة عمودها عال كناية عن كبرها، وهو يحمي
شرفه، وهو ميمون النقيبة، نقي النفس، خضرم، متدفق بالعطاء

جَوَادٍ عَلَى الْعِلَالِ رَحْبٍ فِئَاؤُهُ إِذَا سُئِلَ الْمَعْرُوفَ لَمْ يَتَجَهَّمِ
وهو يجود بماله على العلات، أي رغم ضيق الحال، وساحته واسعة للضيوف، ولا يتجهَّم،
ينقبض ويكشر، إذا سئل

٢٠ الجَنَّةُ

قَدْ أَدْرَكَ الْوَأَشُونَ مَا حَاوَلُوا فَالْحَبْلُ مِنْ شَعْنَاءِ رَثِّ الرِّمَامِ
حقق الوشاة هدفهم، فعلاقتي بشعناء صارت حبلاً مهترئاً

جَنِيَّةٌ أَرْقَنِي طَيْفُهَا يَذْهَبُ صُبْحاً وَيُرَى فِي الْمَنَامِ
هي جميلة كأنها من الجن لا من البشر، ويأتيني طيفها نائماً ويذهب صباحاً

٢١ لا أسرق الشعر

إِنَّ الْحَوَادِثَ لَا تُضْغِضُنِي إِذْ لَا يَضِيقُ بِحَاجَتِي صَدْرِي
لا تزعزعني المصائب، وأحتفظ بهمي لنفسي لصلابتي

لَا أَسْرِقُ الشُّعْرَاءَ مَا نَطَقُوا إِذْ لَا يُخَالِطُ شِعْرُهُمْ شِعْرِي
مبدع أنا في الشعر لا أُلَمُّ بمعاني الآخرين ولا أسرق أبياتهم، فشعري متفرد لا يشبه شعر أحد

٢٢ نحن أولى

قال يحتج على أن قدَّم النبي بني سليم يوم الفتح:

عَلَامٌ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهِيَ نَارِجَةٌ أَمَامَ قَوْمٍ هُمْ أَوْوَا وَهُمْ نَصْرُوا
لماذا يؤتى بقبيلة سليم، وهي بعيدة، ويتم تقديمها على الأنصار الذين لهم شرف إيواء النبي
والمهاجرين ونصرهم

نُجَالِدُ النَّاسَ لَا نُبْقِي عَلَى أَحَدٍ وَلَيَّ، وَنَتَّبِعُ مَا تُوحِي بِهِ السُّورُ
نحن نجالد الناس، نضاربهم بالسيف، ونلحق من ولى وهرب، ونتبع ما أنزله الوحي من سور القرآن

٢٣ خير الخلق

وَاللَّهِ مَا حَمَلْتُ أَثْنَى وَلَا وَضَعْتُ مِثْلَ النَّبِيِّ رَسُولِ الرَّحْمَةِ الْهَادِي
وَلَا مَشَى فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ أَحَدٍ أَوْفَى بِذِمَّةِ جَارٍ أَوْ بِمِيعَادِ

٢٤ رثاء النبي

مَا بَالُ عَيْنِي لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا كُحِلَتْ مِاقِبُهَا بِكُحْلِ الْأَرْمَدِ
لا تنام عيني كأن مآقيها، أطرافها حيث تجري الدموع، مكحولة بالكحل الذي يوضع في عين
الأرمد، المصاب بالرمد

جَزَعًا عَلَى الْمَهْدِيِّ أَصْبَحَ ثَاوِيًا يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَا لَا تَبْعِدْ
هذا من جزعي، حزني، على النبي المهديَّ بهداية ربه، الذي أصبح ثاوياً، فقيماً في قبر.
فيا خير من وطئ الحصى، أي يا خير البشر، لا تبعد (ولا تبعد) كلمة تقال للميت،
بمعنى لا أبعد الله ذكرك

وَاللَّهُ أَسْمَعُ مَا بَقِيَتْ بِهَالِكِ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

والله «لا» أسمع بعد اليوم بموت شخص إلا تذكرت النبي فبكيت عليه

فَرِحْتُ نَصَارَى يَشْرِبُ وَيَهْوِدُهَا لَمَّا تَوَارَى فِي سَوَاءِ الْمَلْحَدِ

فرحوا عندما ووري النبي في سواء الملحد، وسط القبر

٢٥ رثاء أبي بكر

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجَواً مِنْ أَخِي ثِقَةٍ فَادْكُرْ أَحَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا

إذا تذكرت شجواً، شيئاً يحزنك، من شخص كان ذا ثقة فاذكر أبا بكر الصديق

خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أَتَقَاهَا وَأَعْدَلُهَا بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا

أحسن الناس بعد النبي، وقد حمل العبء وأنجز

عَاشَ حَمِيداً لِأَمْرِ اللَّهِ مُتَّبِعاً بِهِذِي صَاحِبِهِ الْمَاضِي وَمَا انْتَقَلَا

اتبع أمر الله ولم يتحول عن عهد صاحبه الماضي، الرسول

وَكَانَ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ عَلِمُوا، مِنَ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَغْدِلْ بِهِ رَجُلَا

كان حب الرسول، حبيبه، ولم يكن الرسول يجد من كل البرية، أي البشر، أحداً يساوي أبا بكر

٢٦ رثاء عمر

وَفَجَعْنَا فَيُرُوزُ لَا دَرَّ دَرُّهُ بِأَبْيَضٍ يَتَلَوُ الْمُحْكَمَاتِ مُنِيبٍ

فجعنا فيروز، قاتل عمر، بهذا السيد الأبيض، واليباض عندهم من علامات السؤدد، الذي كان يتلو المحكمات، أي الآيات، وكان منيباً، راجعاً في شؤونه لله

رَوْوَفٍ عَلَى الْأَذْنَى، غَلِيظٍ عَلَى الْعِدَا أَخِي ثِقَةٍ فِي النَّائِبَاتِ نَجِيبٍ

رحيم على القريب، وشديد على العدو، ويوثق به، ولا سيما عند حلول المصائب

مَتَى مَا يَقُلْ لَا يَكْذِبُ الْقَوْلُ فِعْلُهُ سَرِيعٌ إِلَى الْخَيْرَاتِ غَيْرِ قَطُوبٍ

يقول فلا يخالف فعله قوله، وسريع إلى الخير، وليس متجهماً ولا مكشراً

مُطِيعٌ لِأَمْرِ اللَّهِ بِالْحَقِّ عَارِفٍ بَعِيدُ الْأَنَامِ عِنْدَهُ كَقَرِيبٍ

٢٧ الموقف من قتل عثمان

إِنْ تُمَسِّ دَارُ بَنِي عُثْمَانَ خَالِيَةً بَابٌ صَرِيعٌ وَبَابٌ مُحَرَّقٌ خَرِبٌ..

لئن أمتت دار الخليفة عثمان خالية بعد مقتله، لها باب صريع، مطروح أرضاً، وباب محترق..

فقد يُصَادَفُ بِأَغْيِ الْخَيْرِ حَاجَتُهُ فِيهَا، وَيَأْوِي إِلَيْهَا الْعُرْفُ وَالْحَسَبُ
فقد كان طالب المعروف يلقي في هذه الدار حاجته، وكان يسكن هذه الدار العرف، المعروف،
والحسب، الشرف العالي

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَبْذُوا ذَاتَ أَنْفُسِكُمْ لَا يَسْتَوِي الصَّدَقُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْكَذِبُ
أيها الناس أفصحوا عن موقفكم بشأن مقتل عثمان، ولا تقفوا في الوسط. وكان كثيرون من
الصحابة اتخذوا هذا الموقف الوسط: لم يحرموا عثمان، ولم يناصروا قاتليه

٢٨ رثاء عثمان

قَتَلْتُمْ وَلِيَّ اللَّهِ فِي جَوْفِ دَارِهِ وَجِئْتُمْ بِأَمْرِ جَائِرٍ غَيْرِ مُهْتَدٍ
فَهَلَّا رَعَيْتُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَسَطَكُمْ وَأَوْفَيْتُمْ بِالْعَهْدِ عَهْدَ مُحَمَّدٍ

٢٩ قتلة عثمان

يَا قَاتِلَ اللَّهِ قَوْمًا كَانَ شَأْنُهُمْ قَتَلَ الْإِمَامِ الْأَمِينِ الْمُسْلِمِ الْفُطَيْنِ
مَا قَتَلُوهُ عَلَى ذَنْبٍ أَلَمٍ بِهِ إِلَّا الَّذِي نَطَقُوا إِنْكَارًا، وَلَمْ يَكُنْ
لم يقتلوه لذنوب ارتكبه، بل قالوا عليه الإفك، الكذب، الذي لم يكن، لم يحدث

٣٠ الغدر بعثمان

أَتَرَكْتُمُوهُ مُفْرَدًا بِمَضِيعَةٍ تَنْتَابُهُ الْغَوَّاءُ فِي الْأَمْصَارِ
أتركتموه وحده ضائعاً، أيها الصحابة (الذين لم يتخذوا موقفاً حازماً) تنتابه، وتتوالى عليه غوغاء
الأمصار؟ فقتلة عثمان جاءوا من الأمصار المفتوحة ولا سيما مصر، وليسوا من أهل المدينة

لَهْفَانٍ يَدْعُو، غَائِبًا، أَنْصَارَهُ يَا وَنَحْكُمُ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ
تركتموه ملهوفاً يدعو أنصاره وهم غائبون عن نصرته، فالويل لكم يا معشر الأنصار

جِيرَانُهُ الْأَذْنُونَ حَوْلَ بُيُوتِهِ غَدَرُوا وَرَبَّ الْبَيْتِ ذِي الْأَسْتَارِ
الساكنون قريباً منه غدروا به ورب الكعبة ذات الأستار. وكان قتلته تسللوا إلى دار عثمان من
البيوت المجاورة

لَا يَخْسَبَنَّ الْمُرْجِفُونَ بِأَنَّهُمْ لَنْ يُطْلَبُوا بِدِمَائِ أَهْلِ الدَّارِ
لا يظنَّ المرجفون، ناشرو الفتنة، بأنه لن ينالهم أذى عندما يثار الثائرون بدم أهل الدار، أي دار
عثمان التي بها قتل

٣١ الله أكبر يا ثارات عثمان

وقد رَضِيتُ بِأَهْلِ الشَّامِ زَافِرَةً وَبِالْأَمِيرِ وَبِالْإِخْوَانِ إِخْوَانَا
رَضِيتُ بِأَهْلِ الشَّامِ الْمُطَالِبِينَ بِالثَّارِ لِعُثْمَانَ زَافِرَةً، أَعْوَانًا، وَرَضِيتُ بِأَمِيرِهِمْ، مُعَاوِيَةَ،
وَرَضِيتُهُمْ إِخْوَانًا لِي. وَكَانَ النَّبِيُّ عِنْدَمَا أَخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ جَعَلَ حَسَنًا
أَخًا لِعُثْمَانَ

إِنِّي لَمِنْهُمْ وَإِنْ غَابُوا وَإِنْ شَهِدُوا حَتَّى الْمَمَاتِ وَمَا سُمِّيتُ حَسَنًا
هَمَّ غَابُوا أَمْ حَضَرُوا، وَحَتَّى الْمَمَاتِ، وَمَا دَامَ اسْمِي حَسَنًا

صَبْرًا فِدَى لَكُمْ أُمِّي وَمَا وَلَدَتْ قَدْ يَنْفَعُ الصَّبْرُ فِي الْمَكْرُوهِ أحيانًا
فَاصْبِرُوا يَا أَهْلَ الشَّامِ عَلَى هَذِهِ الْمَصِيبَةِ

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ الطَّيْرُ تُخْبِرُنِي مَا كَانَ شَأْنُ عَلِيٍّ وَابْنِ عَفَّانَا
لَيْتَنِي أَعْرِفُ، وَلَيْتَ الطَّيْرُ تُخْبِرُنِي، وَالطَّيْرُ عِنْدَ الْعَرَبِ تُبَشِّرُ وَتُنْذِرُ، مَا الَّذِي كَانَ مِنْ عِدَاوَةِ بَيْنِ
عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ حَتَّى لَا يَتَقَدَّمَ عَلِيٌّ لِنَصْرَتِهِ؟

ضَحَّوْا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا
قَدْ ضَحَى الْقَتْلَةَ بِشَيْخِ أَشْمَطٍ، اخْتَلَطَ سَوَادُ شَعْرِهِ بِبَيَاضِهِ، وَفِي وَجْهِهِ أَثَرٌ مِنَ السُّجُودِ،
وَيُقَطِّعُ لَيْلَةَ التَّسْبِيحِ وَتِلَاوَةَ الْقُرْآنِ

لَسَمِعُنَّ وَشَيْكَا فِي دِيَارِهِمْ اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عُثْمَانَ
سَمِعْنَا قَرِيبًا فِي دِيَارِ الْقَتْلَةِ صَرَخَ طَالِبِي الثَّارِ

٣٢ التنصُّل

حَصَانٌ رَزَانٌ لَا تُزَنُّ بِرِيْبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرَثِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ
عَائِشَةُ امْرَأَةُ حَصَانٍ، عَفِيفَةٌ، رَزَانٌ، وَقَوْرٌ رَزِينَةٌ، لَا تُزَنُّ بِرِيْبَةٍ، لَا تَتَّهَمُ بِتَهْمَةٍ، وَهِيَ
غَرَثِي، جَائِعَةٌ مِنْ لُحُومِ النِّسَاءِ الْغَافِلَاتِ، أَيْ لَا تَأْكُلُ لَحْمَ الْغَائِبَاتِ، أَيْ لَا تَغْتَابُ
النَّاسَ

فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قَلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُمْ فَلَا رَفَعَتْ سَوَاطِي إِلَيَّ أَنَا مِثْلِي
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قَلْتُ فِيهَا شَرًّا كَمَا تَزْعُمُونَ فَشَلَّتْ يَدِي وَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنَا مِثْلِي الْإِمَّاكَ بِالسُّوْطِ

٣٣ تقرير تميم

قال، وقد علم أن تميماً أتوا الرسول وأنشد شاعرهم بحضرته يفاخر:

مَنَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ حَلَّ وَسَطَنَا عَلَى أَنْفٍ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاغِمٍ

منعنا، حمينا، الرسول رغم أنف الراضي والراغم، الرافض، من قبائل معد (عرب الشمال)، وتميم التي جاء وفدها إلى المدينة من أكبر قبائل تَمَدٍّ

مَنَعْنَاهُ لَمَّا حَلَّ وَسَطَ بُيُوتِنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمٍ

جَعَلْنَا بَنِينَ دُونَهُ وَبَنَاتِنَا وَطَبْنَا لَهُ نَفْسًا بِقِيٍّ الْمَغَانِمِ

حميناه بأولادنا وبناتنا، وطابت نفوسنا باقتطاع النبي جزءاً من الفيء، المكسوب بغير حرب من المغانم

وَنَحْنُ ضَرَبْنَا النَّاسَ، حَتَّى تَتَابَعُوا عَلَى دِينِهِ، بِالْمُرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ

ضربنا الناس بالسيوف المرهفة، الحادة، الصوارم، القاطعة، حتى دخلوا في الإسلام قبلاً بعد قبيل

وَنَحْنُ وَلَدْنَا مِنْ قُرَيْشٍ كَرِيمِهَا وَلَدْنَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ

وذلك أن أم جد الرسول، عبد المطلب، من بني النجار من الخزرج. فكان يقال - على بعد الشقة - إن الأنصار أخوال النبي

هَلِ الْمَجْدُ إِلَّا السُّؤْدُودُ الْعَوْدُ وَاللَّدَى وَجَاهُ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالُ الْعِظَائِمِ

هل المجد إلا السؤدد العود، القديم، والكرم، وتحصيل الجاه والمرتبة عند الملوك، والقيام بالواجب الثقيل؟

لَنَا الْمُلْكُ فِي الْإِشْرَاكِ وَالسَّبْقُ فِي الْهُدَى وَنَصْرُ النَّبِيِّ وَاقْتِنَاءُ الْمَكَارِمِ

لنا الملك في الجاهلية أيام الشرك، ولنا سبق إلى الإسلام، ونصر النبي، واقتناء، حيازة، المكارم

بَنِي دَارِمٍ لَا تَفْخَرُوا إِنَّ فَخْرَكُمْ يَعُودُ وَبَالًا عِنْدَ ذِكْرِ الْقَمَاقِمِ

يا بني دارم، من تميم، لا تفخروا، ففخركم يعود عليكم وبالاً، مكروهاً، عندما تذكر القماقم، السادة الأشراف

هُبِلْتُمْ! عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمْ لَنَا خَوْلٌ مِنْ بَيْنِ ظُئْرٍ وَخَادِمٍ

هبلتم، نُكِلْتُمْ! أتفخرون علينا وأنتم خول لنا، أتباع، فمنكم الظئر، أي المرضع المأجورة، ومنكم الخادم

٣٤ الذوائب من فهر

قال في التعريض بتميم وقد قدوا على الرسول وفاخره شاعرهم الزبرقان بن بدر:
إِنَّ الدَّوَائِبَ مِنْ فَهْرٍ وَإِخْوَتَهُمْ قَدْ بَيَّنُّوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ
إن الذوائب، الأعالي، من فهر، جد قريش، وإخوتهم الأنصار قد بينوا سنة، أي طريقة،
يتبعها الناس

قومٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَارَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
حاولوا: سعوا، الأشياع: الحلفاء

سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ إِنَّ الْخَلَائِقَ، فَاغْلَمَ، شَرُّهَا الْبِدْعُ
ونفع الصديق والإضرار بالعدو سجية، طبع، قديم فيهم. والخلائق، أي الطباع، شرها ما كان جديداً

إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ قَبْلَهُمْ فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَذْنَى سَبَقِهِمْ تَبِعُ
إن كان قد سبقهم ناس في الماضي، فكل سبق للمكابر لا يقاس بأدنى سبقهم

لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا
لا يرقع الناس ما تهتك أكفهم في مواقف الدفاع عن الشرف، ولا يوهون، لا يضعضون، ما
يرقعون. يقول: إذا أنزلوا الضرر بقوم فلا قومة لهم منه، وإذا نصروا قوماً فلا يضعفهم أحد

لَا يَجْهَلُونَ وَإِنْ حَاوَلَتْ جَهْلُهُمْ فِي فَضْلِ أَحْلَامِهِمْ عَنْ ذَاكَ مُتَّسِعُ
أبناء فهر وإخوتهم الأنصار لا يجهلون، لا يتهورون، مهما سعت في حملهم على التهور، ففي
أحلامهم، عقولهم، سعة تقيهم التهور

كَمْ مِنْ مُوَالٍ لَهُمْ نَالُوا كَرَامَتَهُ وَمِنْ عَدُوٍّ عَلَيْهِمْ جَاهِدَ جَدَعُوا
ينالون التكریم من الموالين لهم، ويجدون أنف عدوهم الجاهد، الدائب في العداوة

خُذْ مِنْهُمْ مَا أَتَوْا عَفْوَاً إِذَا غَضِبُوا وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ الْأَمْرَ الَّذِي مَنَعُوا
إذا غضبوا فعليك أن تأخذ منهم عفواً، ما يسمحون به، ولا تطمح إلى نيل ما منعه

لَا فَخْرَ إِنْ هُمْ أَصَابُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ وَإِنْ أَصِيبُوا فَلَا خُورَ وَلَا جُرْعُ
لا يفخرون بالنصر على عدوهم، فهذا مألوف، وإن أصيبوا فليسوا خوراً، ضعفاء،
ولا جازعين، مرتبكين

كَأَنَّهُمْ فِي الْوَعَى وَالْمَوْتُ مُكْتَنِعُ أَسْدٌ بِبَيْشَةٍ فِي أَرْسَائِهَا فَدَعُ
كأنهم في الحرب، والموت مكتنع، قريب، أسود في مأسدة يشة المشهورة،
في مفاصلها فدع، اعوجاج

أَعْظُوا نَبِيَّ الْهُدَى وَالْبِرِّ طَاعَتَهُمْ فَمَا وَتَى نَصْرُهُمْ عَنْهُ وَمَا نَزَعُوا
المهاجرون والأنصار أطاعوا النبي، وما ونى، أي ما فتر ولا توانى، نصرهم له، وما نزعوا، أي
ما أقلعوا، عن نصره

إِنْ قَالَ سِيرُوا أَجِدُوا السَّيْرَ جَهْدَهُمْ وَقَالَ عُوجُوا عَلَيْنَا سَاعَةً رَبَعُوا
إن قال لهم سيروا إلى الأعداء ساروا بهمة، وإن قال لهم عوجوا، ميلوا إلى ناحية بعض الوقت،
ربعوا، أي أقاموا

مَا زَالَ سَيْرُهُمْ حَتَّى اسْتَفَادَ لَهُمْ أَهْلُ الصَّلِيبِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ الْبَيْعُ
يواصلون السير حتى يستفيد لهم، يخضع لهم، المسيحيون. والبيع: الكنائس الصغيرة

أَكْرَمَ بِقَوْمِ رَسُولِ اللَّهِ قَائِدَهُمْ إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ
ما أكرم القوم الذين يقودهم رسول الله في وقت تتفرق فيه أهواء الناس وتحالفاتهم

أَهْدَى لَهُمْ مَدْحِي قَلْبٍ يُؤَاوِزُهُ فِيمَا يُحِبُّ لِسَانُ حَائِكِ صَنَعُ
أهدى لهم مدائحي قلبي الذي يؤازره ويساعده في رغبته لسان حائك صنعة،
أي متقن لصناعته

٣٥ القدوم على بدر

مُسْتَشْعِرِي حَلْقِ الْمَآذِي يُقَدِّمُهُمْ جَلْدُ النَّحِيزَةِ مَاضٍ غَيْرُ رَعْدِيدٍ
مضوا إلى بدر مستشعري حلق الماضي، لابسين الدروع الماذية البيض شعاراً أي على جلودهم،
فالشعار هو الفانيلا التي تلبسها على اللحم، وفي مقدمتهم الرسول وهو جلد النحيزة، أي قوي
الطبيعة، وغير رعديد، غير جبان

أَعْنِي الرَّسُولَ، فَإِنَّ اللَّهَ فَضَّلَهُ عَلَى الْبَرِّيَّةِ بِالتَّقْوَى وَبِالْجُودِ
وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم وماء بذر زعمتم غير موزود
زعمتم يا قريش أنكم تحمون ذماركم، شرفكم، وزعمتم أننا لن نرد ماء بدر

ثُمَّ وَرَدَّنَاهُ لَمْ نَسْمَعْ لِقَوْلِكُمْ حَتَّى شَرَبْنَا رَوَاءَ غَيْرِ تَصْرِيدٍ
فقد وردنا، وشربنا حتى الري، وبلا تصريد، والتصريد هو الشرب القليل

فِينَا الرَّسُولُ وَفِينَا الْحَقُّ تَتَبَعُهُ حَتَّى الْمَمَاتِ، وَنَصْرُ غَيْرِ مَحْدُودٍ
غير محدود: غير ممتنع علينا

مُبَارَكُ، كَضِيَاءِ الْبَدْرِ صُورَتُهُ، مَا قَالَ كَانَ قَضَاءَ غَيْرِ مَرْدُودٍ

مُسْتَعْصِمِينَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْجِذٍ مُسْتَحْكِمٍ مِنْ حَبَالِ اللَّهِ مَمْدُودٍ
نستعصم، نحتمي، بحبل التقوى غير المنجذم، غير المقطوع، والمستحكم، المحكم الفتل،
وقد مده لنا الله

٣٦ اللين الشديد

قال يمدح سعد بن زيد الأشهلي:

إِذَا أَرَدْتَ اللَّيِّنَ الْأَشَدَّ
مِنْ الرِّجَالِ فَعَلَيْكَ سَعْدًا
لَيْسَ يَرَى مِنْ ضَرْبِ كَبُشٍ بُدًّا
الكبش: البطل

٣٧ في مدح المهاجرين

أَقَامُوا عَمُودَ الدِّينِ حَتَّى تَمَكَّنَتْ قَوَاعِدُهُ بِالْمُرْهَفَاتِ الْبَوَاتِرِ
المرهفات: السيوف الحادة، البواتر: القاطعة

هُمْ عَقَدُوا لِلَّهِ نَمَ وَقَوْا لَهُ بِمَا ضَاقَ عَنْهُ كُلُّ بَادٍ وَحَاضِرٍ
عاهدوا الله ووفوا بوعدهم متجشمين صعباً يضيق عنها البادي والحاضر، البدو والحضر

٣٨ هجاء هوازن

أَبْلَغُ هَوَازِنَ أَضْلَاهَا وَأَسْفَلُهَا أَنْ لَسْتُ هَاجِجِهَا إِلَّا بِمَا فِيهَا
أبلغ قبيلة هوازن، أبلغ «عليا هوازن» و«عَجَزَ هوازن» معاً، أنني لن أهجوهم إلا بما فيهم من ذميم
الخصال

قَبِيلَةُ الْأُمِّ الْأَحْيَاءِ أَكْرَمُهَا وَأَعْدَرُ النَّاسِ بِالْجِيرَانِ وَافِيهَا
أكرم من في هوازن هو الأم البشر، وأوفاهم أكثر الناس عدراً بالجيران، أي المستجيرين بهم
وَشَرُّ مَنْ يَحْضُرُ الْأَمْصَارَ حَاضِرُهُمْ وَشَرُّ بَادِيَةِ الْأَعْرَابِ بَادِيهَا
أسوأ من يأتي الحواضر، المدن، من يأتون من هوازن؛ وباديهم، الساكن البادية، هو شر الأعراب
تَبَلَّى عِظَامُهُمْ إِمَّا هُمْ دُفِنُوا تَحْتَ التُّرَابِ وَلَا تَفْنَى مَخَازِيهَا
إن دفنوا وبلت عظامهم فإن مخازيهم لا تفنى

كَأَنَّا سَنَانُهُمْ مِنْ خُبِّ طِغَمَتِهِمْ أَظْفَارُ خَاتِنَةٍ كَلَّتْ مَوَاسِيَهَا

أسنانهم - لقدارة ما يأكلون من ضب ونحوه - تشبه أظفار الخاتنة التي كلت مواسيها، تثلثت سكاكين الختان التي تقص بها ذلك الشي من البنت، فاستعملت أظفارها في الختان. تريد أن تقول لي إنك سمعت تشبيهاً أخبث من هذا؟

٣٩ نصرنا وآوينا

بَنَى الْعِزُّ بَيْتاً فَاسْتَقَرَّتْ عِمَادُهُ عَلَيْنَا، وَأَعْيَا النَّاسُ أَنْ يَتَحَوَّلَا

العز بنى بيتاً، خيمة، فاستقر عمود الخيمة عندنا، وأتعب الناس وهم يحاولون نقله فلم ينتقل من عندنا

وَأَنَّكَ لَنْ تَلْقَى مِنَ النَّاسِ مَعَشِراً أَعَزَّ مِنَ الْأَنْصَارِ عِزّاً وَأَفْضَلاً

لَنَا حَرَّةً مَأْطُورَةً بِجِبَالِهَا بَنَى الْعِزُّ فِيهَا بَيْتَهُ فَتَأَمَّلَا

لنا حرة، منطقة الحرة ذات الحجارة السود قرب المدينة، مأطورة، أي محاطة، بجبالها، وفيها بنى العز بيته وأصبح من أهل المكان

مَنْعْنَا بِهَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا إِمَاماً، وَوَقَّرْنَا الْكِتَابَ الْمُنَزَّلَا

منعنا، أي حمينا، في بلدنا خير البشر واستقبلناه إماماً، وبجلنا القرآن

نَصَرْنَا وَآوَيْنَا، وَقَوْمَ ضَرْبُنَا لَهُ بِالسُّيُوفِ مَيْلَ مَنْ كَانَ أَمِيلاً

نصرناه وآوينا، وأصحابه، وقوم ضربنا بسيفنا ميل من مال عن دينه

٤٠ الصفقة الخاسرة

أَتْرَكُ النَّاسَ فَلَا تَشْتُمُهُمْ وَإِذَا سَابَبْتَ فَاسْبُبْ ذَا حَسَبٍ

إِنَّ مَنْ سَبَّ لَثِيماً كَالَّذِي يَشْتَرِي الصُّفْرَ بِعَقِيَانِ الذَّهَبِ

من سب لثيماً خسر من شرفه، ولكن اللثيم لا يخسر سوى القليل لأن شرفه قليل.. فهذا شيء بمن يبادل الذهب الذي يملكه بالصفرة أي النحاس. والعقيان: الذهب الخام

٤١ أشعر بيت

وَأِنَّمَا الشُّعْرُ لُبُّ الْمَرْءِ يَعْرِضُهُ عَلَى الْمَجَالِسِ: إِنَّ كَيْساً وَإِنْ حُمُقَا

الشعر لب المرء، أي عقله. والمرء يعرض عقله على الناس في مجالسهم من خلال شعره أكان كيساً، أي كياسة ورجاحة عقل، أم كان حمقاً

وَأَنَّ أَشْعَرَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتُهُ صَدَقَا

٤٢ الشعر والغناء

تَعَنَّ فِي كُلِّ شِعْرِ أَنْتَ قَائِلُهُ إِنَّ الْغِنَاءَ لِهَذَا الشَّعْرِ مِضْمَارُ

٤٣ سَعْدَى وَالْإِنْصَافُ

فَأَبَاكَ مَا شِئْتَ عَلَى مَنْ قَضَى كُلُّ وَضَلٍ مُنْقَضٍ ذَاهِبُ
لَوْ يَرُدُّ الدَّمْعُ شَيْئاً لَقَدْ رَدَّ شَيْئاً دَمْعَكَ السَّاجِبُ
لَمْ تَكُنْ سَعْدَى لِتُنْصِفْنِي قَلَّمَا يُنْصِفُنِي الصَّاحِبُ

٤٤ مدح الزبير

قال حسان وقد حث الزبيرُ الناسَ على الاستماعِ لإنشاده:

أَقَامَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ وَهَذِيهِ حَوَارِيُّهُ، وَالْقَوْلُ بِالْفِعْلِ يُغَدِّلُ
الترم حواري النبي، أي تلميذه المرافق، الزبير بن العوام بعهد النبي وبهديه، وأفعال الزبير تعادل أقواله
لَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ قُرْبَى قَرِيبَةً وَمِنْ نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ مَجْدٌ مُؤْتَلُ
له قرى من الرسول، والزبير ابن عمه الرسول، وله من نصرة الإسلام مجد مؤتل، قديم راسخ
تَنَاوُكَ خَيْرٌ مِنْ فَعَالٍ مَعَاشِرٍ وَفَعْلُكَ يَا ابْنَ الْهَاشِمِيَّةِ أَفْضَلُ
تناوَك علي بالكلمة أثقل في الميزان من فعل آخرين، وفعلك يا ابن الهاشمية - فالزبير من بني
هاشم أباً وأماً - أفضل من القول

٤٥ ميزان يثرب

وَيَثْرِبُ تَعْلَمُ أَنَّا بِهَا إِذَا التَّبَسَّ الْحَقُّ مِيزَانُهَا
يثرب تعلم أنا ميزان الحق عندما يحصل اللبس ويختلط الحق بالباطل

وَيَثْرِبُ تَعْلَمُ أَنَّا بِهَا إِذَا خَافَتِ الْأَوْسَ جِبْرَانُهَا
ونحن - الخزرج - نجير كل أهل يثرب من الأوس

مَتَى تَرَنَا الْأَوْسُ فِي بَيْضِنَا نَهْزُ الْقَنَا تَحْبُ نِيرَانُهَا
عندما ترانا الأوس وقد لبسنا السلاح وهزنا الرماح تخبو نيران عداوتها

وَتُغْطِ الْقِيَادَ عَلَى رُغْمِهَا وَيَنْزِلُ مِنَ الْهَامِ عِضْيَانُهَا
وتعطينا قيادها وتخضع لنا، ويزول ما برأسها من العصيان

٤٦ هجاء العابدين

قال يهجو صيفي بن عابد من مخزوم:

وَلَنْ أَتُفَكَّ أَهْجُو عَابِدِيًّا طَوَالَ الدَّهْرِ مَا نَادَى الْمُنَادِي
سَأُظِلُّ أَهْجُو الْعَابِدِينَ طُولَ الدَّهْرِ، وَمَا دَامَ هُنَاكَ مَنْادٍ يَنَادِي

وَقَدْ سَارَتْ قَصَائِدُ بَاقِيَاتٍ تَنَاشِدُهَا الرُّوَاةُ بِكُلِّ وَادٍ
وقصائدي فيهم قد انتشرت وأنشدها الرواة في كل مكان

٤٧ بقية قوم لوط

ذَهَبْتُ قَرِيشُ بِالْعَلَاءِ؛ وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ مَشْيَ الْمُؤَمِّسَاتِ الْخُرْعِ
قريش حازت المكارم، وأنتم تمشون كالمومسات العاهرات الخُرْع، أي المتشيات

أَنْتُمْ بَقِيَّةُ قَوْمٍ لُوطٍ فَاعْلَمُوا وَإِلَى خِنَائِكُمْ يُشَارُ بِإِصْبَعٍ
فيكم اللواط، ويشير الناس إلى مختكم بالأصابع

وَإِذَا قُرَيْشٌ حُصِّلَتْ أَنْسَابُهَا فَبِأَلِ شَجْعٍ قَانُخَرُوا فِي الْمَجْمَعِ
بعد أن تحصل الأنساب، أي تُمَيَّز وتُصَفَّى، فليس لكم في المجمع، حيث يجتمع الأقوام، إلا
الفخر بأشجع، وأشجع قبيلة من غطفان

خُرُقٌ مَعَاذِلٌ إِذَا جَدَّ الْوَعَى بُظُنٌّ إِذَا مَا جَارَهُمْ لَمْ يَشْبَعِ
خرق، جمع أخرق أي حمقى، ومعازيل، بلا سلاح إذا احتدم القتال؛ وبُظُنٌّ، أي أنهم كبيرو
البطون، في حين من يجاورهم جائع لم يشبع

٤٨ قصيدة من السماء

أجازت ابنته أبياتاً له بيت جميل هو (مقاويل بالمعروف خرس عن الخنا/ كرام
يعاطون العشرة سولها) فغضب من ابنته، فعاهدته ألا تقول شعراً أبداً، فقال:

وَقَافِيَةٍ عَجَّتْ بِلِيلٍ ثَقِيلَةٍ تَلَقَّيْتُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ نُزُولَهَا
رب قافية، قصيدة، عجت ليلاً، ازدحمت عليّ، وقد هبط الإلهام عليّ من السماء

يَهَابُ الَّذِي لَا يَنْطِقُ الشَّعْرَ مِثْلَهَا وَيَعْجِزُ عَنْ أَمْثَالِهَا. أَنْ يَقُولَهَا
الذي لا يعرف الشعر يهاب وقع هذه القصيدة ويدرك عجزه عن أن يأتي بمثلها. وكان حق حسان
أن يجعل «الشاعر» يهاب فهذا أبلغ وأوقع

٤٩ نبي أتانا

وَضَمَّ إِلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُ
فِي الصَّلَاةِ الْخَمْسِ يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ «أَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»

نَبِيِّ أَتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ وَقَفْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَالْأَوْتَانُ فِي الْأَرْضِ تُعْبَدُ
جاءنا النبي بعد يأس من صلاح الحال، وبعد «فترة» من الرسل، والفترة هي المدة بين رسولين.
قال البوصيري (ما مضت فترة من الرسل إلا بشرت قومها بك الأنبياء)

وَأَنْذَرْنَا نَاراً وَبَشَّرَ جَنَّةً وَعَلَّمَنَا الْإِسْلَامَ، فَالِلَّهِ نَحْمَدُ
تَعَالَيْتَ رَبَّ النَّاسِ عَنْ قَوْلٍ مَنْ دَعَا سِوَاكَ إِلَهًا أَنْتَ أَعْلَى وَأَمْجَدُ

٥٠ هجاء بني عدي بن كعب

قَوْمٌ لِسَانُ أَقْلٍ اللَّهُ خَيْرُهُمْ كَمَا تَنَاقَرُ خَلْفَ الرَّائِبِ الْبَعْرُ
جعل الله خيرهم قليلاً متناثراً كالبعر يرميه البعير خلفه

كَأَنَّ رِيحَهُمْ فِي النَّاسِ إِذْ خَرَجُوا رِيحُ الْكِلَابِ إِذَا مَا بَلَغَهَا الْمَطَرُ
رائحتهم كرائحة كلاب تبللت بالمطر

قَدْ أَبْرَزَ اللَّهُ قَوْلِي فَوْقَ قَوْلِهِمْ كَمَا النُّجُومُ تَعَالَى فَوْقَهَا الْقَمَرُ
غلبتهم في الهجاء، وعلوت عليهم كما يعلو القمر فوق النجوم

٥١ هند الهنود

قال يهجو هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان:

أَشْرَتْ لَكَاعَ وَكَانَ عَادَتُهَا لُؤْمٌ إِذَا أَشْرَتْ مَعَ الْكُفْرِ
أشرت، كانت شرسة، لكاع، المرأة اللثيمة، وفوق ذلك كفر

لَعَنَ إِلَاهُ، وَزَوْجَهَا مَعَهَا، هِنْدُ الْهُنُودِ طَوِيلَةُ الْبَطْرِ
لعنها الله ولعن زوجها أبا سفيان، ويعيرها بما لا يعرف

٥٢ السعيد والحسود

وَلِإِنَّ أَمْرًا أَمْسَى وَأَصْبَحَ سَالِمًا مِنَ النَّاسِ، إِلَّا مَا جَنَى، لَسَعِيدٌ
من أمسى في مسائه ثم أصبح في صباحه وهو سالم من كيد الناس - باستثناء ما يستحقه - فهو سعيد

وَإِنَّ أَمْرًا عَادَى الرِّجَالَ عَلَى الْغِنَى ، وَلَمْ يَسْأَلِ اللَّهُ الْغِنَى ، لَحْشُودُ
من يعادي الناس لأنهم أغنياء ، ولم يكن سأل الله الغنى ، فهذا حشود

٥٣ النبي الكامل

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءَ
خُلِقْتُ مُبْرَأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ
خلقت أيها الرسول خالياً من أي عيب ، فكأنك خلقت كما تشاء

٥٤ القوافي والمثاني

وَمَنْ لِلْقَوَافِي بَعْدَ حَسَّانَ وَابْنِهِ وَمَنْ لِلْمَثَانِي بَعْدَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ
من للشعر بعدني وبعد ابني عبد الرحمن ، وكان ابنه شاعراً ، ومن للمثاني - والمثاني هي القرآن
لافتران آية الرحمة بآية العذاب فيه . . كذا قالوا ، وقالوا غيره - بعد زيد بن ثابت كاتب الوحي ،
وزيدٌ من بني النجار عشيرة حسان

٥٥ مرحباً يا خير داع

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ غَابَ عَنْهُمْ نَبِيُّهُمْ وَقُدُسٌ مَنْ يَسْرِي إِلَيْهِمْ وَيَغْتَدِي
خابت قريش بغياب النبي عنها ، وقُدُسُ الأنصار الذين يسري النبي مساءً ويغتدي صباحاً وهو يعيش
بينهم

تَرَحَّلَ عَنْ قَوْمٍ فَضَلَّتْ عَقُولُهُمْ وَحَلَّ عَلَى قَوْمٍ بَنُورٌ مُجَدِّدٍ
لَقَدْ نَزَلْتُ مِنْهُ عَلَى أَهْلِ يَثْرِبٍ رِكَابٌ هُدًى حَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِأَسْعَدِ
السعد هو الفأل الحسن والأشُدُّ لا بد أن تكون القوول الحسان

نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
وَإِنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَقَالَةً غَائِبٍ فَتَصْدِيقُهَا فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى الْغَدِ
إن قال النبي يوماً قولاً لا يرهان عتيداً عليه ، فتصديقه بالبرهان سرعان ما يأتي

٥٦ بطيبة رسم

بِطَيْبَةِ رَسْمٍ لِلرَّسُولِ وَمَغْهَدٍ مُنِيرٍ ، وَقَدْ تَعَفَّوْا الرُّسُومَ وَتَهَمَّدُوا
بطيبة ، وطيبة اسم ليثرب ، رسم للرسل ، بقية منه ، ومعهد ، مكان نعهده ونعود إليه ، ومكان
الرسول منير بينما رسوم الديار تعفوا ، أي تمحى ، وتهمد ، أي تهبط

وَهَلْ عَدَلْتُ يَوْمًا رَزِيَّةَ هَالِكٍ رَزِيَّةَ يَوْمَ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدٌ؟

هل تساوي المصيبة في أي ميت مصيبتنا في اليوم الذي مات فيه الرسول؟

وما فقد المأثونَ مثلَ محمدٍ ولا مثله حتى القيامة يُفقدُ

٥٧ عروس وعروسها

قال، بحث أبا بكر على عزل خالد بعد اليمامة، بعد إذ قتل عدوه وتزوج زوجته:

أَتَرْضَى بِأَنَا لَمْ تَجِفَّ دِمَاؤُنَا وَهَذَا عَرُوسُنْ بِالْيَمَامَةِ خَالِدُ

أيرضيك أننا حاربنا المرتدين وقتلنا من القتل ثم هذا خالد عروساً، والعروس الرجل أيضاً، يلهو مع زوجة جديدة

يَبِيتُ يُنَاقِضِي عِرْسَهُ وَيَضُمُّهَا وَهَامٌ لَنَا مَطْرُوحَةٌ وَسَوَاعِدُ

بيت يلهو مع عرسه، زوجته الجديدة، وهامنا، رؤوسنا، وسواعدنا مطروحة في أرض المعركة

إِذَا نَحْنُ جُنَّا صَدًّا عَنَّا بِوَجْهِهِ وَتُلْقَى لِأَعْمَامِ الْعُرُوسِ الْوَسَائِدُ

العروس هنا المرأة، إلقاء الوسائد: الرجل يلقي لضيفه، إذا دخل مجلسه، وسادة ليتكى عليها

فَإِنْ تَرْضَ هَذَا فَالرُّضَا مَا رَضِيَتْهُ وَإِلَّا فَغَيْرُ، إِنَّ أَمْرَكَ رَاشِدُ

٥٨ من شاء بعدك فليمت

كَنتَ السَّوَادَ لِنَاطِرِي قَمَمِي عَلَيْكَ النَّاطِرُ

كنت سواد عيني وبموتك عيني عليك، أي بالكاء عليك، ناظري، بصري

مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ فَمَلِيكَ كُنْتُ أَحَاضِرُ

٥٩ بعد العمى

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنَيَّ نُورُهُمَا فَمِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نُورُ

قلبي ذكيت وعرضي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مأثور

عرضي غير ذي دخل، أي فساد، وفي فمي لسان صارم كأنه السيف المأثور، الذي في مته أثر

٦٠ هجاء بني الحماس

أَمَّا «الْحِمَاسُ» فَإِنِّي غَيْرُ شَاتِمِهِمْ لَا هُمْ كِرَامٌ، وَلَا عِرْضِي لَهُمْ خَطَرُ

خطر: عديل ومماثل

قَوْمٌ لِشَامٍ أَقَلُّ اللَّهْ عِدَّتَهُمْ كَمَا تَسَاقَطَ حَوْلَ الْفَقْحَةِ الْبَعْرُ
 هم لثام، وعددهم قليل ويشبهون في قلتهم وتفرقهم البعر المتساقط حول فقحة، دبر، الشاة
 أَوْلَادُ حَامٍ فَلَنْ تَلْقَى لَهُمْ شَبَهًا إِلَّا التَّيُوسَ عَلَى أَكْتَاغِهَا الشَّعْرُ
 يبدو أنهم سود، والعرب تنسب السود إلى حام ولد نوح، ويشبههم بالتيوس وشعرها الأسود

٦١ بيان ابن عباس

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا وَلَمْ يَقِفْ لِعِيٍّ وَلَمْ يَنْزِلِ اللِّسَانَ عَلَى هُجْرٍ
 لم يترك في القضية لغيره ما يقوله، ولا يقف في كلامه لعي، لقلة فصاحة، ولا يحرك لسانه ويشبه
 بهجر، بقول شائن

يُصْرَفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانُ إِذَا انْتَحَى وَيَنْظُرُ فِي أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ
 يصرف الكلام بلسانه إذا تصدى للقول، وينظر في عطفه، في جانيه بكبرياء نظر الصقر

٦٢ تغريبة بني يمن

قال بذكر انخزاع خزاعة بمكة ومسير الأوس والخزرج إلى المدينة وغسان إلى الشام:

فَلَمَّا هَبَطْنَا بَطْنَنَ مَرٍّ تَخَزَّعَتْ خُزَاعَةٌ مِنَّا فِي حُلُولِ كِرَاكِرٍ
 لما هبطت قبائل اليمن هذا المكان تخزعت قبيلة خزاعة، أي تفرقت، في حلول كراكر..
 يقصد في أمكنة متعددة.. هذا المعنى الملموح

حَمَوْا كُلَّ وَادٍ مِنْ يَهَامَةٍ، وَاحْتَمَوْا بِصُمِّ الْقَنَا وَالْمُرْهَفَاتِ الْبَوَاتِرِ
 حموا وديان تهامة، أي اتخذوها حمى لرعي ماشيتهم، وحموا أنفسهم بسم القنا، بالرماح
 المصمتة الصلبة، وبالمرفهات البواتر، بالسيوف الحادة القاطعة

خُزَاعَتُنَا أَهْلُ اجْتِهَادٍ وَهِجْرَةٍ وَأَنْصَارُنَا جُنْدُ النَّبِيِّ الْمُهَاجِرِ
 وسِرْنَا فَلَمَّا أَنْ هَبَطْنَا بِثَرِبٍ بِلا وَهْنٍ مِنَّا وَلَا بِتَشَاجِرِ
 نحن سرنا شمالاً وهبطنا يثرب لا عن تعب منا، ولا بحدوث مشادات وشجار

بَنُو الْخَزَرْجِ الْأَخْيَارِ وَالْأَوْسُ إِنَّهُمْ حَمَوْهَا بِفَتْيَانِ الصَّبَاحِ الْبَوَاكِرِ
 الخزرج والأوس حموا يثرب بفتيان يغيرون صباحاً، والصباح هو وقت الغارة عند العرب

نَقَوْا مَنْ طَعَى فِي الدَّهْرِ عَنْهُمْ، وَذَبَبُوا يَهُودَ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ الْخَوَاطِرِ
 أبعَدوا الظالمين وذببوا، أقصوا، اليهود بأطراف الرماح، التي تتحرك بالطعن

وَسَارَتْ لَنَا سَيَّارَةٌ ذَاتُ قُوَّةٍ بِكُومِ الْمَطَايَا وَالْخُبُولِ الْجَمَاهِرِ
وسارت سيارة منا، قوم سائرون، ومعهم كوم المطايا، الإبل الكبيرة، والخيول الكثيرة
يُؤْمُونَ نَحْوَ الشَّامِ حَتَّى تَمَكَّنُوا مُلُوكًا بِأَرْضِ الشَّامِ فَوْقَ الْمَنَابِرِ
يتجهون نحو الشام، وهناك أصبحوا ملوكاً لهم منابر يخطبون من عليها بالناس
أُولَآكَ بَنُو مَاءِ السَّمَاءِ تَوَارَثُوا دِمَشْقَ بِمُلْكِ كَابِرٍ بَعْدَ كَابِرِ
أولئك، أي أولئك، الغساسنة من بني ماء السماء الذين توارثوا دمشق أباً عن جد

٦٣ الشجاع

كَمْ قَدْ وَلَدْنَا مِنْ كَرِيمٍ مَاجِدٍ دَامِيَ الْأَظْفَارِ أَوْ رَبِيعٍ مُنْطَرٍ
ما أكثر ما أنجبنا من رجل كريم شجاع تدمى أظفاره من دماء الأعداء،
لكنه أيضاً كالربيع الممطر جوداً
يَلْقَى الرَّمَاخَ بِوَجْهِهِ وَيَصْدُرُهُ وَيُقِيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ الْمِغْفَرِ
وهو يتصدى لرماح الأعداء بوجهه ويصدره، ويجعل هامته، أي رأسه، مكان المغفر، وهو حلقات
حديد تحت الخوذة تحمي الرقبة
وَيَقُولُ لِلظُّرْفِ اضْطَبِرْ لِشَبَا الْقَنَا فَهَدَمْتُ رُكْنَ الْمَجْدِ إِنْ لَمْ تَصْبِرْ
يقول للظرف، للحصان، اصبر لشبا القنا، أسنة الرماح؛ فإني كنت ستهدم ركن مجدنا إن لم تصبر
وَإِذَا تَأَمَّلَ شَخْصَ ضَيْفٍ مُقْبِلٍ مُتَسَرِّبِلٍ سِرْبَالِ ثَوْبٍ أَغْبَرٍ...
إذا رأى ضيفاً مقبلاً نحوه وهو متسربل، أي لابس، ثوباً مغبراً من طول السير في الصحراء...
أَوْمًا إِلَى الْكُومَاءِ: هَذَا طَارِقُ نَحَرْتَنِي الْأَعْدَاءُ إِنْ لَمْ تُنْحَرِي
أوماً، أي أشار، إلى الكوماء، الناقة الكبيرة، قائلاً: هذا طارق، زائر ليلي، ولتذبحني الأعداء إن
لم أذبحك لإكرامه

٦٤ المسير إلى بدر

قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ أَوْوَا نَبِيَّهِمْ وَصَدَّقُوهُ وَأَهْلُ الْأَرْضِ كُفَّارُ
وقاسموا بها الأموال إذ قدموا مُهَاجِرِينَ، وَقَسَمُ الْجَاحِدِ النَّارُ
قومي الأنصار قاسموا النبي والمهاجرين أموالهم، وأما قسم، أي نصيب، الجاحد بدعوة النبي،
فهو جهنم

سِرْنَا وَسَارُوا إِلَى بَدْرِ لِحَايِنِهِمْ لَوْ يَعْلَمُونَ يَقِينَ الْعِلْمِ مَا سَارُوا
سرنا وسار الجاحدون إلى بدر لحينهم، أي لهلاكهم، ولو علموا بما ستكون عليه النتيجة لما ساروا

٦٥ عاشوا بلا فرقة

قال في النبي وأبي بكر وعمر:

ثَلَاثَةٌ بَرَزُوا بِسَبْقِهِمْ يَنْصُرُهُمْ رَبُّهُمْ إِذَا نَشِرُوا
برزوا: تفوقوا، نشروا: بُعثوا يوم القيامة

عَاشُوا بِلَا فُرْقَةٍ حَيَاتِهِمْ وَاجْتَمَعُوا فِي الْمَمَاتِ إِذْ قُبِرُوا
فليس من مُسلمٍ له بَصَرٌ يُنْكِرُ مِنْ فَضْلِهِمْ إِذَا ذُكِرُوا

٦٦ قوم هم شهدوا

قال، وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان:

قَوْمٌ هُمْ شَهِدُوا بَدْرًا بِأَجْمَعِهِمْ مَعَ الرِّسُولِ فَمَا أَلُّوا وَمَا خَذَلُوا
الأنصار شهدوا مع النبي وقعة بدر، فما أَلُّوا، أَلَّى أي قَصَّرَ ونهاون، وما خذلوا وتراجعوا. قوله
بأجمعهم فيه نظر: فحسان نفسه لم يشهد بَدْرًا ولا أي موقعة أخرى، كان يؤثر السلامة

وَبَايَعُوهُ فَلَمْ يَنْكُثْ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَكْ فِي إِيْمَانِهِمْ دَخَلٌ
بايعوا الرسول فلم ينكث أحد، يتراجع، ولم يكن في إيمانهم دخل، أي فساد

وَيَوْمَ صَبَّحَهُمْ فِي الشَّعْبِ مِنْ أَحَدٍ ضَرْبُ رَصِينٍ كَحَرِّ النَّارِ مُشْتَعِلٌ
وشهدوا معه عندما صادفهم في معركة أحد الضرب الرصين، الموجع

وَيَوْمَ خَيَّبَرُ كَانُوا فِي كَتِيبَتِهِ يَمْشُونَ كُلُّهُمْ مُسْتَنْبِلٌ بَطْلُ
بِالْبَيْضِ تَرَعَشُ فِي الْأَيْمَانِ عَارِيَةً تَغْوِجُ فِي الضَّرْبِ أحياناً وَتَعْتَدِلُ
تسلحوا بالسيوف وهي تتحرك وترتعش في الأيمان، الأيدي اليمنى، مسلولة عارية، تضرب الأعداء
مائلة ومعتدلة في حركتها

وَيَوْمَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ مُحْتَسِبًا إِلَى تَبُوكَ وَهُمْ رَايَاتُهُ الْأَوَّلُ
كانوا في المقدمة في غَزَاةِ تبوك

أُولَئِكَ الْقَوْمُ أَنْصَارُ النَّبِيِّ هُمْ قَوْمِي أَصِيرُ إِلَيْهِمْ حِينَ أَنْتَصِلُ
أولئك الأنصار، وهم قومي الذين إليهم أنتسب

مَاتُوا كِرَاماً وَلَمْ تُنْكثْ عَهْدُهُمْ وَقَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذْ قُتِلُوا
مَاتَ مِنْ مَاتَ مِنْهُمْ كَرِيماً، وَمَا قَتَلُوا إِلَّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

٦٧ عيون القطط

ثَرِيدٌ كَأَنَّ السَّمْنَ فِي حَجَرَاتِهِ نُجُومُ الثُّرَيَّا أَوْ عُيُونُ الضِّيَاوِنِ
يَصِفُ ثَرِيداً يَلْمَعُ السَّمْنُ فِي جَوَانِبِهِ كَأَنَّهُ النُّجُومُ أَوْ عُيُونُ الضِّيَاوِنِ، أَيِ الْقَطَطِ

٦٨ مَنِي بَيْتٍ وَمِنْهُ بَيْتٌ

إِذَا مَا تَرَعَرَعَ فَبِئْسَ الْغَلَامُ فَمَا إِنْ يُقَالُ لَهُ مَنْ هُوَ
مَا يَكْبُرُ غَلَامَنَا إِلَّا وَيَكُونُ مَعْرُوفاً بِأَفْعَالِهِ فَلَا يَسْأَلُهُ أَحَدٌ مِنْ أَنْتَ

وَلِي صَاحِبٌ مِنْ بَنِي الشَّيْبَانِ فَطَوْرًا أَقُولُ وَطَوْرًا هُوَ
لِي رَدِيفٌ مِنْ بَنِي الشَّيْبَانِ، أَيِ مِنَ الْجَنِّ، يَلْهَمُنِي الشَّعْرَ، فَأَنَا أَقُولُ بَيْتاً وَهُوَ يَقُولُ بَيْتاً

حسان بن ثابت
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

٢٣	الهادي	١	كَدَاءُ
٣٥	رَغْدِيدِ	٥٣	النِّسَاءُ
١٢	مِنْ أَحَدِ	٢٧	خَرِبُ
٢٨	مُهْتَدِ	٤٣	ذَاهِبُ
٧	ولا يَدِي	١٦	عُرَابِ
٥٥	وَيَغْتَدِي	٢٦	مُنِيبِ
٤	أَعْوَادَهَا	٨	وَشِيبِ
٥٠	الْبَعْرِ	٤٠	حَسْبِ
٥٨	النَّاظِرُ	٥٤	ثَابِتِ
٦٠	خَطَرُ	٣٦	الْأَشَدَّاءِ
٦٤	كُفَّارُ	٤٩	أَشْهَدُ
٤٢	مِضْمَارُ	٥٧	خَالِدُ
٦٥	نُشِرُوا	٥٢	لَسَعِيدُ
٢٢	نَصَرُوا	٥٦	وَتَهَمَدُ
٥٩	نُورُ	٢٤	الْأَرَمِدِ
٣٠	الْأَمْصَارِ	١٣	الْبَلَدِ
٣٧	البَوَاتِرِ	٤٦	المُنَادِي

١٥	هَاطِلٍ	١٧	العَصَافِيرِ
٣	دَوْنِ	٥١	الْكُفْرِ
٤٨	نُزُولِهَا	٢١	صَدْرِي
٦	مُسْلِمًا	٦٢	كَرَاكِيرِ
٢	النَّجْمِ	٦٣	مُنْطَرِ
١٠	الإِسْلَامِ	٦١	هُجْرِ
١٩	الْمُنْتَهَصِمِ	٣٤	تَنْبَعِ
٣٣	وَرَاغِمِ	٤٧	الْخُرْعِ
٢٠	الزَّمَامِ	١٤	وَبِالْجَامِعِ
٩	الظُّلَمِ	١١	رَعَا زِعْمُ
٣١	إِخْوَانَا	٤١	حُمُقَا
٦٧	الضِّيَاوِ	٢٥	بِمَا فَعَلَا
٢٩	الْفُطَيْنِ	٣٩	يَتَحَوَّلَا
١٨	بَيَانِ	٦٦	حَذَلُوا
٤٥	مِيزَانُهَا	٤٤	يُعْدَلُ
٦٨	هُوَّةَ	٥	الْأَوَّلِ
٣٨	بِمَا فِيهَا	٣٢	الْعَوَافِلِ

الأخطل، غِيَاث بن غوث التغلبي

(٢٠هـ - ٩٥هـ)

مسكين أيها العجوز النصراني! ظل جرير يعيرك بدينك سنواتٍ طوالاً، وأنت لا تستطيع أن تعيره بدينه. لا نظن هذا أدباً منك، ولا تقوى. فلا أنت مؤدب، ولا أنت تقى. أنت تعيش في كنف الدولة الإسلامية الغالبة، وتصبر على بذاءات جرير، وترقّع روحك المجروحة بالتمسك بدينك، فكنت تعلق صليبك الذهبي في صدرك أينما ذهبت، في مجلس الخليفة تعلقه، وفي إنشادك شعراً أمام القوم تعلقه، وكنت به تفتخر. بهذا فقط رددت على جرير؟ بل لقد رددت بشيء آخر.. رددت بشعر صلب أعجب الراسخين في العربية كثيراً. وكان جل هؤلاء الراسخين متدينين ورعين، لكنهم لم يكونوا يفضلون شعراً على شعر إلا بما فيه من شعر.

قد قربك الخليفة الأموي لمصلحة له فيك، ولم يلتفت لما يعتمل في نفسك من ألم بسبب ذلك الهجاء الديني البغيض. ثم مضت ألف سنة ومئة، وانتصر لك الدارسون المسيحيون بأن اهتموا بشعرك كل الاهتمام. فأنفق الأب صالحاني اليسوعي أربعين سنة وهو يجمع شتات ديوانك، وأحسن في ذلك الإحسان كله، وترك لنا شعرك في أحسن صورة ممكنة. وتعصب لك على صاحبك، جرير والفرزدق دارسون مسيحيون كثر في عصرنا، ولكن من وضع شعرك في طبعة أنيقة وبشرح جميل كان الدكتور فخر الدين قباوة.

ومن الطبعة الثانية لديوان الأخطل بتحقيق وشرح قباوة استفدت كثيراً وأنا أشرح منتخباتي هذه. وكان قباوة في علمه عميقاً، وفي خلقه متيناً، فشكر الأب صالحاني وأقر له بمجهوده الكبير. وفي هذه الملتحبات كنت في بعض الأحيان آخذ برواية جاء بها الأب صالحاني، وفي أحيان أخرى برواية أوردتها قباوة.

لقد طبع ديوان الأخطل كثيرون، وسرقوا جهد غيرهم بقحة. ولم نذكر إلا تينك الطبعتين؛ ونرجو أن تتاح لنا سويعة نرجع فيها إلى تلك الطبعات السقيمة كي نيسط اللسان في أولئك الأكاديميين الذين عرضوا مقابحهم وكشفوا عن سواتهم.

يا أبا مالك، نذكر للمسيحيين الذين اهتموا بشعرك أنهم كانوا غاية في الخلق الحسن فلم يتعرضوا لمسألة الدين، لا بل إن بعضهم فضل جريراً عليك، ذلك مارون عبود في كتابه «الرؤوس».

لست مسكيناً يا أشعر المسيحيين، فقد كنت جاهلياً في تفكيرك وسلوكك، وكنت قبلية، وجباناً كنت، وسيء الخلق، وسكيراً، وبعيداً عن تعاليم دينك. كنت شاعراً فصيحاً، وكان في شعرك بعض وثبات الخيال الجميلة، ولكننا لا نقر جمهور الدارسين على أنك ذو خيال مجنح. ربما منعنا من إدراك هذا الذي نسبوه إليك من تميز بالـ «خيال» لغتك الجاهلية القاسية. فمع أنك ولدت بعد الهجرة بعشرين سنة فنحن نسميك «آخر الجاهليين».

ولماذا أنفق بعض القليل الباقي من ساعات عمري عليك؟

مالت شمس العمر غرباً، وبدأت ألملم أشتائي. وجدت بين هذه الأشياء بضعة آلاف من الأبيات كنت انتقيتها من دواوين اثنين وأربعين شاعراً، هم أهم شعراء العربية، وقلت لنفسي: قدّم هذه الأبيات، وأولئك الشعراء، للأجيال اللاحقة.. وقدمها لهم مشروحة، وقدم لهم شعراءها بكلام يضعهم في جو كل شاعر.

أعيش هذه الساعات وبلاد العرب تتفكك، أعيشها وشعوب العرب تقيء على نفسها ما أكلته في الستين سنة الماضية من أمجاد زائفة، وأنا أكتب في أيلول سبتمبر عام ٢٠١٥. نصرخ صرخات مغناجة في ردهات الإنترنت شاتمين الغرب، ونبكي على أنفسنا، ونشتم أنفسنا، ونعود بعد شتم الذات لنرفع رؤوساً حشوها الجهل لنقول: لا وألف لا. لسنا الملمومين، بل الغرب المجرم هو الملموم. ونصرخ صرخات المظلوم. صرخات ترسم على شفاه أمم الأرض ابتسامات الشفقة والسخرية. نحن أحق أن نشتم أنفسنا ونقف عند ذلك الحد. لا تشمخ أيها العربي وأنت بلا عمود فقري. اقعد، واصنع شيئاً بدل الكلام. تهورث.

فلماذا أكتب هذا عن شاعر شبه جاهلي؟

الشعر يصف الروح العربية والعقل العربي أحسن مما تصفه كتب المفكرين. ولنفترض أن قصيدة عمرو بن كلثوم «إذا بلغ الفطام لنا صبي.. تخر له الجبابر ساجدين» منحولة، وأنها كتبت بعد الجاهلية بمئة سنة، لا ضير. هي تمثل العصر الجاهلي وقيمه. والذي كتبها جعلها تعبر عن روح الجاهلية.

قد عرفتُ العرب في زماني معرفة طيبة. عملتُ في لندن عقداً من الزمن، وكان زملائي هناك من كل بلاد العرب، وعملت في الخليج عقداً ولم يبق بلد عربي إلا والتقيت ببعض أهله؛ حتى البلاد التي لا تعد نفسها عربية، كإثيوبيا وإريتريا، فقد التقيت بناس منها لسانهم عربي. وعرفت وصاحبت البربر والنوبيين والكرد ممن أتقنوا العربية وحذقوها كأهلها.

عرفت المتعلمين كثيراً، وعامة الناس قليلاً. وأحسست عند المتعلمين أن ما تلقوه في المدارس من الشعر العربي القديم رسخ عميقاً في نفوسهم. لست أصدر حكماً بشأن الشبان الصغار، ولا أعرف ما تحتويه كتب المدارس في كل بلد عربي. ولعل الحكم عام: فكل فتى وفتاة يرتبط برباط حب وشوق، وبرباط كره واشمئزاز أيضاً، بما تعلم في المدرسة من نصوص أدبية. ولاحظت أن المرء يرتبط بما فهم وبما لم يفهم من نصوص شعرية. ولعله يرتبط بما لم يفهم أكثر قليلاً. لعل حالة المرء هنا تشبه حالته عندما يرتبط عاطفياً بأغنية سمعها قديماً وتغلغل لحنها في نفسه وفي ذاكرته، وغابت عنه بعض كلماتها، فيظل للأغنية في نفسه سحر، فإذا ما عرف الكلمات التي غابت عنه في صباه زال السحر أو كاد، ثم لقد تراه ينسى الكلمات الصحيحة بعد حين ويعود يدندن الأغنية بالكلمات الخطأ.

ونعود إلى حال العرب قبل أن نعود إلى الأخطل.

قد عرفتني وعرفت تعريفي لكلمة عربي، فأنا ممن يرى أن العربي إنما هو عربي اللسان لا غير. فاللغة - التي هي من النظرة السطحية مجرد قالب - تقوم بدرجة كبيرة مقام النسب والتاريخ المشترك، والأرض المشتركة. هي قالب أسر.

والعرب اليوم تضعضعوا كثيراً، وعرفوا أنهم في ميزان الأمم شيء صغير. لكن ميراثهم اللغوي والأدبي كبير، وعميق الجذور. وبعد أن تستقر أوضاع

المنطقة العربية سياسياً، ويحدث مزيد من التفكك، ومزيد من إدراك «الحقيقة الاقتصادية» المرة، سيكتشفون أنهم ما زالوا عرباً - بحسب تعريفي، لا تنس -، وسيلحقون جراحهم. وسينطلقون إلى العمل لبناء حقيقة اقتصادية جديدة ليس فيها أوهام.

«الحقيقة الاقتصادية» كلمتان عليهما سيماء المصطلح. ولأنني لم أسمع به من قبل، ولأنني أحسب أنني سكتته الآن، فلا بد من كلمة عنه: أنت تعيش في قرية، وتزرع بأساليبك البدائية، وعندك بندقية تخيف بها اللص، وأنت - بنشاطك الليلي - تملأ بيتك أفواهاً. وتجلس في ديوانيتك وتنشد أشعاراً وأزجالاً في تمجيد أسلافك الأبطال. هذا كله يسميه المختصون فيما يسمى بعلم الإنسان «طريقة حياة». ويقسم الغربيون المتحضرون النابذون للعنصرية أغلظ الأيمان أنهم من دعاة السماح لكل قوم باتخاذ «طريقة الحياة» التي يريدونها، وأنهم يدينون التعدي على هذه الـ «طريقة حياة». لكن الحقيقة الاقتصادية غلابة. ثمة واقع اقتصادي شرس.

«الحقيقة الاقتصادية» للأقوام المتخلفين عن ركب التمدن الغربي هي أنهم فقراء وضعفاء - رغم البندقية الصدئة -، ومعرضون للهزيمة في صراع الأقوام. قد يسمح التنافس الاستعماري للدولة العثمانية أن تعيش في غرفة الإنعاش مثتي سنة. ولكن حقيقتها الاقتصادية ستجعلها فريسة في نهاية المطاف.

«الحقيقة الاقتصادية» للعالم العربي اليوم صعبة. الجهل كثير، والمتعلمون أنصاف وأرباع متعلمين، وحملة الشهادات العليا كذابون، والساسة بالطبع كذابون.. كذابون بمعنى أردأ مما تتصور. فكل الساسة في كل العالم كذابون. تعرف ذلك! لكن ساستنا أكذب، بمعنى أنهم يكذبون كذبات طويلة الأمد، بطول جلوسهم على كراسيهم. وأقصد بالساسة: الوزراء والصحفيين المطبلين للوزراء، والمدراء العامين، وكل أفراد «الطبقة الحاكمة». فالجميع يفرز أوهاماً. ليس عن غباء، بل بإحساس عميق ومدرك بأنهم يصنعون الأوهام. قد يصدقون أوهامهم للحظة، ثم في أول مفاتحة تراهم عارفين كل شيء.

أراضي بلادنا العربية، وهي واسعة، لا تقيم أود الثلاثمئة مليون. ولا تحتتمل معدل التكاثر الحالي. ونحن بحاجة حقيقية لتنظيم النسل. والملايين القليلة من البشر الذي صدروا أنفسهم من المنطقة العربية إلى أميركا وكندا وأوروبا هم أولئك الذين تعلموا وأنفق عليهم أهاليهم من خيرات بلادنا

الشحيحة، وأصبحوا قادرين - لو أرادوا - على أن يساعدوا هذه الأرض كي تنتج أكثر، وأن يساعدوا هذه الشعوب كي تصنع. لكنهم فروا إلى الخارج آخذين في لحم أكتافهم ذلك الخير الذي سرقوه من بلادهم، فروا إلى بلدان غنية أصلاً. وهناك أجبرهم إيقاع الحياة ونظم المجتمع على أن يشتغلوا بجِد. ولست ألوهم لوماً فردياً. ليس لأنني كنت أحدهم، فاعتربت أوروبياً وخليجياً، بل لأن الفرد في مثل هذه المعمرات الكبرى لا يلام. فأما الحكومات فتتحمل قسطاً من اللوم. والبنية الطبقية للمجتمع تتحمل اللوم الأكبر.

الأغنياء يحكمون كل بلد. فإن اغتصبت الحكم عصابة عسكرية فسرعان ما تتحالف مع الأغنياء وتتماهى معهم. وكبار الموظفين والأطباء والمهندسين يساهمون في الحكم، وكل هؤلاء خمسة بالمئة من الناس. يبقى خمسة وتسعون بالمئة. هؤلاء يتدرجون على سلم الفقر. وفي كثير من البلاد العربية يجلس معلم المدرسة على درجة منخفضة في هذا السلم.

الخمسة بالمئة الذين يحكمون البلد يكتفون بالسمرة للأجنبي، وبيعونه الخامات وحقوق الصيد والأثر السياسي والموقع الجغرافي بفتات لا يروونه فتاتاً لأنهم فئة صغيرة. ويمنع الثورة على هذه الطبقات الحاكمة ذلك التدرج في الفقر، إذ لا توجد طبقة مسحوقة كبيرة. مثل هذا الوضع الهلامي مكن الثورة المضادة من القفز سريعاً على الربيع العربي. وتدخلت الدول الكبرى كلها: أوروبا وأميركا وروسيا والصين لحماية مصالحها. أستطيع أن أفهم لماذا أغلق ماوتسي تونغ، وستالين قبله، البلد إغلاقاً محكماً: لا يسمح بخروج الكفاءات، ولا بدخول اليد الخارجية العابثة. وأفهم أن ما جرى في ذينك البلدين من إرهاب للشعب، ومن مجازر دينية، وكبت للحريات، كان يتم على هامش عملية هندسة اجتماعية طبقية. ولأن التاريخ لا يكرر نفسه بالضرورة فليكن عندنا أمل في أن تنهض الشعوب العربية دون دفع ذلك الثمن الباهظ.

في مثل هذه الظروف العربية أقعد إلى منضدتي وأشرح أبيات الأخطل. أقول لنفسي: لا بأس. العرب ملايين كثيرة، فلن يضير نهضتهم المنشودة أن ينسحب واحد منهم ليجلس في قوقته ويتسلى بغريلة هذا الإرث العجيب.

أعود إلى الأخطل

ذات يوم كانت أمه ترقصه وهو صغير وتقول له: يا دويل. أي «أيها الخنزير الصغير». وسمعتها الجارة فتضاحكت، وحفظ الأخطل هذه الحادثة، ولم يقلها إلا لبعض أصحابه الخلفاء. ثم بعد بضع عشرات من السنين إذا بجرير يذكرها في شعره. قال الأخطل: «والله ما سمتني أمي دويلاً إلا نهاراً واحداً، فمن أين سقط إلى هذا الخيث؟»

وتزوج أبو الأخطل زوجة ثانية، غير عابئ بتعاليم دينه. وكانت زوجة الأب قاسية على الصبي «غياث». ترسله ليرعى الأعز، وتمنعه طرائف الطعام. فيسرق ما اختزن من زبيب ويأكله، وتغضب. كانت مضارب قومه من قبيلة تغلب في العراق على الفرات، غير بعيد عن الكوفة. ونشأ غياث في قبيلة عربية من قبائل ربيعة هي تغلب. ولد في آخر خلافة عمر، وعندما قتل عثمان كان في الخامسة عشرة من عمره. وشهد مجالس قبيلته، وسمعهم ينشدون تلك الأشعار التي قيلت في مقتل عثمان، وكان موقف تغلب شبيهاً بموقف حسان بن ثابت. . كانوا عثمانيين، ثم سفيانيين. وفي تلك المجالس سمع الأخطل شعر قومه في الجاهلية، كانت تغلب لا تمل إنشاد معلقة شاعرها الجاهلي عمرو بن كلثوم، أما قال القائل «ألهي بني تغلب عن كل مكreme. . قصيدة قالها عمرو بن كلثوم؟» وكان في تغلب شعر. كان شاعرها آنذاك كعب بن جعيل. ولم تحفل القبيلة بدخول كعب هذا في الإسلام، فكثيرون من تغلب دخلوا في الإسلام، لكن العصبية العربية ظلت هي المظلة التي تجمع كل تغلب، (هذا رأينا، ويرى إيليا الحاوي، الذي كتب كتاباً كبيراً عن الأخطل، أن القبيلة اغتاظت لدخول كعب في الإسلام، ولكنها كظمت). وتعرض الصبي المشاكس غياث لشاعر القبيلة وهجاء. ولفوره أدرك كعب أن شاعراً فحلاً قد نبغ في القبيلة. ولعل كعباً هو الذي أطلق على هذا الصبي لقب الأخطل، أي السفه.

نشأ الأخطل فاقداً حنان، فأمه ليلى من قبيلة إباد، وأغلب الظن أنها رجعت إلى قومها بعد طلاقها تاركة ولدها البكر لأبيه، وكان هذا هو الآيين عند عرب ذلك الزمان. وقد شهدت في زماني في مطلع القرن الحادي والعشرين آباء عرباً متحضرين ومتعلمين تُطَلَّق بناتُهم ويقول الواحد منهم لابنته: ارمي له أولاده، وتعالى كي أزوجك خيراً منه.

عاش غياث في بيت لا يحبه. . ولا يحبه، مع إخوة له لأبيه آثرتهم أهمهم

عليه. وكان يجد في مجلس القوم سلواه، فهو في مجلس رجال القبيلة فرد ككل فرد، والرجال يأنسون بهذا الفتى السفيه لأنه يحفظ أشعار القدماء، فما يأخذ أحدهم في المجلس برواية قصيدة ويقف متلجلجاً في وسطها إلا وتأتي النجدة من الفتى السفيه المغرم بالشعر. وشب الأخطل، واكتهل شاعر القبيلة كعب بن جعيل. ولم يكن الأخطل يقدر أن يطاول شاعر القبيلة كعب بن جعيل كثيراً، رغم أنه أتخفه بأهجية صغيرة. فكعب يغشى بلاط الخليفة في دمشق، وقد شهد مع معاوية صفين، وله في الأمويين مدائح. وله بابن الخليفة يزيد علاقة طيبة، ويزيد شاعر ويقدر الشعر. فأما الأخطل فقاعد في قبيلته يحفظ شعر الأقدمين، وينشد القوم، ولعله تزوج امرأة تغلبية وبدأ يكثر قطع أغنامه. وبلغ الأخطل الثلاثين من العمر. قل ثلاثة وثلاثين، أو قل حتى خمسة وثلاثين.. لا أدري. هذا تقدير وصلت إليه بقرائن كثيرة أعفك منها. بلغها وهو عند قومه على شاطئ الفرات يرعى غنماته وربما أيضاً نخلاته.

وكان كعب بن جعيل مع يزيد ابن الخليفة معاوية عندما جاء الخبر بأن شاعر الأنصار عبد الرحمن بن حسان بن ثابت يتغزل بأخت يزيد رملة. سمع معاوية بهذا الشعر فلم يأبه به. لكن يزيد اغتاظ. فالأنصار الذين منهم عبد الرحمن هذا وقفوا مع علي في صفين - شذ منهم حسان شاعر الرسول، والنعمان بن بشير الذي قاتل مع معاوية -. فما لهذا الشاعر يخرج عن خط أبيه ويتعرض للأمويين بالتغزل بابنة الخليفة؟ أراد يزيد الانتقام، ولكنه لا يستطيع المساس بعبد الرحمن بن حسان فأمه أخت زوجة الرسول، وإبراهيم ولد الرسول المتوفى طفلاً ابن خالته. ثم إن التعرض لشاعر إنما يكون بالشعر.

طلب يزيد من كعب أن يهجو الأنصار. فقال له كعب: أرادي أنت عن الإسلام. لا والله لا أهجو قوماً نصرروا الرسول. ولكنني أدلك على فتى نصراني من قومنا له لسان كلسان الثور.

وهكذا، أرشد شاعر تغلب الأمويين إلى الأخطل الذي سيصبح شاعر تغلب وشاعر الأمويين.

هجا الأخطل الأنصار وأوجعهم، «ذهبت قريش بالمكارم والعلا.. واللؤم تحت عمائم الأنصار». وفرغ النعمان بن بشير إلى معاوية شاكياً. ولكن معاوية استرضاه، وصرفه.

مدح الأخطل يزيد بن معاوية بقصائد عديدة، ثم تولى يزيد الخلافة

والأخطل كهل في الخمسين. كان يشرب ويسمع الغناء ويخرج إلى الصيد مع يزيد الأمير، وظل معه وهو خليفة، ولكن مدة يزيد لم تطل فمات بعد أن قتل الحسين وأشعل نار فتنة جديدة.

ومضت سنوات قليلة، ثم تولى عبد الملك بن مروان الخلافة، وقضى ثماني سنوات يقارع عبد الله بن الزبير الذي استقل بالحجاز، وأخاه مصعباً الذي تولى لأخيه العراق. ثم قُتل الأخوان. وخلصت الخلافة لعبد الملك. وفي هذه السنوات احتربت قبائل العرب في العراق كثيراً، وكانت بينها أيام قتل فيها الرجال وبقرت بطون الحوامل. وكانت تغلب في المعركة، وكانت بينها وبين قيس ثارات.

وضع عبد الملك حداً للحروب القبلية في العراق. وقعد على سريريه في دمشق، وجاءه الشعراء يمدحونه، وتزلفوا إليه بسب آل الزبير، وتشدد مع أولئك الذين كانوا يمدحوا الزبيرية. لكنه رحب بالأخطل الذي كان هواه مع البيت الأموي.

مدح الأخطل عبد الملك، ومدح أخاه بشراً والي العراق. وصار شاعر الأمويين غير منازع. نافسه عليهم جرير. ولكن الأخطل ظل المفضل عند عبد الملك، ثم ابنه الوليد.

لم يفارق الأخطل سفهه. كان يدخل على عبد الملك بن مروان مخموراً، فيدعوه الخليفة إلى الإسلام فيأبى، ويواجه الخليفة بكلام يمجّد فيه الخمر، ثم يقول في ذلك شعراً، ويضحك الخليفة. ولسفه وحمق متأصل في نفسه كان الأخطل يتعرض لجلساء الخليفة. شتم زفر بن الحارث الشيخ القيسي الجليل الذي كان عدواً للأمويين فصالحهم بعد انقضاء عهد ابن الزبير، وحاول الأخطل أن يحمل الخليفة على نقض عهده لزفر والانتقام منه، وكاد أن ينجح في مسعاه.

وجر الأخطل على قومه بسفهه شراً عظيماً عندما تعرض لرجل آخر في مجلس الخليفة.

كان الجحاف السلمي جالساً عند عبد الملك، وكان الأخطل جالساً. وكانوا يأكلون تمرّاً. فأخذ الأخطل ينشد مذكراً الجحاف بما تعرض له قومه بنو سليم من قتل على أيدي بني تغلب «ألا سائل الجحاف هل هو ثائر... بقلّي أصيبت من سليم وعامر»، فذهل الجحاف لهذا الاجترار، ولتأريث العصبية بعد

أن هدأت الأمور. قالوا أخذ يذهب بالتمر إلى فمه فيضعها في عينه لشدة الغضب. ثم خرج الجحاف من المجلس وقد سقط جانب رءائه، وهو يجره جراً. فحم الأخطل خوفاً. فقال له عبد الملك: أنا أجيرك منه. قال الأخطل: تجيرني يقظان، فمن يجيرني نائماً؟ يعني أن الجحاف سيأتيه في كوابيسه.

خرج الجحاف وجمع جمعاً، وأغار على بني تغلب وقتل منهم كثيراً، حتى لقد أنتنت الجثث ولم يقو بنو تغلب على دفنها فأحرقوها، وبقر الجحاف بطون الحوامل، ونال الأخطل نفسه من ذاك ما ناله فقتل له ابن في هذه الواقعة - يوم البشر - وأسر أبوه، وقيل إن الأخطل نفسه كان وقتئذ عند قومه وأسر بنو سليم وعليه ثوب وسخ، فقال لهم إنه عبد فأطلقوه. وتمة قصة يوم البشر هذا أن الجحاف فر إلى الروم، فاسترضاه عبد الملك على أن يدفع ديات القتلى، فجاء الحجاج في العراق فحمل عنه الديات، وقالوا إن العرب لم تعرف حمالة أبهظ من تلك الحمالة لكثرة من قتلهم الجحاف وقومه.

وأدى سفه الأخطل بالأخطل إلى أن يهجو شاعراً من تميم كان مشتبكاً مع ابن عم له.

كان للأخطل بيت في العراق يستقبل فيه الأضياف فيشربون ويقصفون ويسمعون الغناء. وفي بيته هذا التقى بالفرزدق، وشربا وتصادقا، وجمع بينهما السفه برباط أخوي وثيق. كان الفرزدق يتهاجى مع ابن قبيلته جرير. فكلاهما من تميم المضرية، والأخطل من تغلب الربعية. وأبى للأخطل سفهه أن يترك الجروين في هراشهما، فدخل ثالثاً ينصر الفرزدق على جرير. فسبه جرير بقصائد كثيرة، وسب الأخطل جريراً، وكان بشر بن مروان والي العراق، وأخو الخليفة عبد الملك، سعيداً بهذا التهاجي كل السعادة، وكان يؤجج نار الهجاء بين كل الشعراء.

تحير النقاد القدماء في أي هؤلاء الثلاثة أحسن شعراً. وكان جرير نفسه، عدو الأخطل، أعرف الناس بقيمة خصمه الأدبية، وقال ذلك مراراً. لكنه ظل يهجو. حتى لقد هجاه بعد موته، فجرير في السفه لا يقل عن صاحبيه. ويقدر الدارسون أن الأخطل والفرزدق لدتان، ومولدهما في عام عشرين للهجرة، وأن جريراً أصغر منهما بعشر سنين.

ثم مات الأخطل، ربما سنة ٩٥ للهجرة، وله خمس وسبعون سنة.

شعر الأخطل مكثف مكتنز، تضيق ألفاظه عن معانيه. زد على هذا صعوبة

ألفاظه تدرك معاناة الأقدمين والمحدثين معه. ولم نجد له شرحاً وافياً نستند إليه، فتوكلنا على الله، وتبلغنا بما صنعه فخر الدين قباوة، فهو قد فتح كثيراً من الأبيات في هوامشه، تاركاً الشرح القديم، شرح أبي سعيد السكري، في المتن تحت الأبيات. ورغم أن الديوان وصلنا بروايات جيدة ومعارضات حسنة، وفي نسخ وافرة، فإن صعوبة الأبيات، وتلك اللغة الجاهلية للأخطل، جعلت القدماء يضطربون في الرواية. غير أننا نثق في أن هذا الذي بين أيدينا هو شعر الأخطل التغلبي. يستحق ديوان الأخطل أن يصنع صنعة جديدة بشرح واف. ويستحق هذا ديوان جرير، وديوان الفرزدق، ودواوين كثيرة جداً. حتى دواوين المحدثين كشوقي وحافظ والزهاوي تنتظر الأكاديمي المخلص كي يشرحها. ولو أنست من نفسي قدرة لكنت فعلت شيئاً من ذلك، ولكنني بددت سنواتي في أشغال أخرى فما تعمقت في تاريخ العرب وشعرهم ولغتهم بما يمكنني من شرح دواوين كاملة. فانتخب من الشعر ما فهمت، وعللت النفس بأن ما فهمته هو ما يناسب عصرنا، وشرحت بقدر ما فهمت، واجتهدت وما ألوت.

١ سائل الجحّاف

أَلَا سَائِلَ الْجَحَّافِ هَلْ هُوَ ثَائِرٌ بِقَتْلَى أُصِيبَتْ مِنْ سُلَيْمٍ وَعَامِرٍ

ثائر: أخذ بالثار. قال الأخطل هذا البيت في مجلس عبد الملك بن مروان في حضور «الجحاف السلمي» يعيره بمقتلة قبيلته سليم وقبيلة عامر. سمع الجحاف هذا فخرج من المجلس يتميز غضباً فجمع جمعاً وانتقم شر انتقام من قبيلة الأخطل «تغلب»

٢ الخمرية الكبرى

قال الأخطل يمدح خالد بن عبد الله بن أسيد الأموي، وذكر وقعة البشر:

كَأَنِّي غَدَاةً أَنْصَعَنْ لِلْبَيْنِ مُسَلِّمٌ بِضَرْبَةِ عُنُقِي أَوْ غَوِيٍّ مُعَذِّلٌ

كأنني صبيحة انصرفهن للبين (الفراق) مُسَلِّمٌ (تم تسليمه للسلطان) بضربة عنق (لضرب عنقه)، أو كأنني غوي (سكير) معذل (ملوم)، فأنا مستكين حزين

صَرِيحُ مُدَامٍ يَرْفَعُ الشَّرْبُ رَأْسَهُ لِيَحْيَا، وَقَدْ مَاتَتْ عِظَامٌ وَمَفْصِلٌ

صريح مُدَامٍ (منطرح أرضاً بالخمير) يرفع الشرب (الشاربون) رأسه، كي يحيا (يفيق)، وقد ماتت عظامه ومفاصله

نُهَادِيهِ أَحْيَانًا، وَحِينًا نَجْرُهُ وَمَا كَادَ إِلَّا بِالْحُشَاشَةِ يَعْقِلُ

نهاديه (نرفع رأسه) أحياناً، وأحياناً نجره، ولكنه لا يعقل إلا بالحقاشة (ببقية وعيه)

شَرِبْتُ وَلَاقَانِي لِجَلِّ أَلَيْتِي قَطَارُ تَرَوَى مِنْ فِلَسْطِينَ مُثْقَلُ

بعد أن شبه نفسه بالسكران لفراق الأحبة يمضي في وصف الخمر والشراب. شربت الخمر ولاقاني
لحل أليتي (وقت تحلي من قسمي) قطار (صف من الإبل) تروى (حمل الروايا أي الزقاق) من
فلسطين. وكان الأخطل حلف لا يشرب الخمر عشرة أيام بعد هزيمة قومه

فَقُلْتُ: اصْبَحُونِي لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ، وَمَا وَضَعُوا الْأَثْقَالَ إِلَّا لِیَفْعَلُوا

قلت اصبحوني (ناولوني خمرة الصباح) لا أبا لأبيكم (دعاء تطرف لا شتم)، وهم ما أنزلوا قِربَ
الخمر إلا كي يسقوني

أَنَاخُوا فَجَرُّوا شَاصِيَاتٍ كَأَنَّهُا رِجَالٌ مِنَ السُّودَانِ لَمْ يَتَسَرَّبَلُوا

أناخوا جمالهم وجروا شاصيات (قرباً) كأنها رجال سود بغير ثياب. فزقاق الخمر من جلود
الماشية، وهيئة الرق كهيئة العنز وقد طلي بالزفت حتى لا ينسرب الخمر، فهو أسود

وَجَاءُوا بِبَيْسَانِيَّةٍ هِيَ بَعْدَمَا يُعَلُّ بِهَا السَّاقِي أَلَذُّ وَأَسْهَلُ

جاءوا بخمر من بيسان بفلسطين، وهي بعدما يُعل بها (يسقى مرة بعد مرة) الساقى (المسقى) تزداد
لذة وسهولة انحدار في الحلق. قلنا الساقى = المسقى، مثل الكاسى أي المكسوّ، وخالفنا في
فهنا الكلمة الأب صالحاني وربما أيضاً السكري صاحب النسخة

تَمَرُ بِهَا الْأَيْدِي سَنِحاً وَبَارِحاً وَتَوْضَعُ بِاللَّهْمِّ حَيٍّ وَتُحْمَلُ

تمر الأيدي بكؤوس الخمر سنيحاً وبارحاً (من اليمين ومن الشمال)، ويضع الشاربون كؤوسهم
ويرفعونها قائلين: اللهم حيّ (يقولون في زمننا للضيف: حيّ الله!)

وَتُوقِفُ أَحْيَاناً فَيُفْصَلُ بَيْنَنَا غِنَاءٌ مَغْنٌ أَوْ شِوَاءٌ مُرْغَبِلٌ

وبين الشرب والشرب تتوقف لتسمع الغناء، أو لناكل اللحم المشوي المرعبل (المشْرَح)

فَمَا لَبِثْنَا نَشْوَةً لَحِقَتْ بِنَا تَوَابِعُهَا مِمَّا نُعَلُّ وَنُنْهَلُ

وما لبثنا (قد عاجلتنا) نشوة الخمر وما تبعها من سكر لكثرة ما نعل ونهل (نشرب مرة بعد مرة،
والنهل: الشرب الأول، والعلل: الثاني وما بعده)

تَدِبُّ دَبِيباً فِي الْعِظَامِ كَأَنَّهُ دَبِيبُ نِمَالٍ فِي نَقَا يَنْتَهَبِلُ

تسلل الخمر إلى العظام كأنها دبيب النمل على النقا (كومة الرمل) والرمل يتدحرج من مشي النمل
عليه

فَقُلْتُ اقْتُلُوهَا عَنْكُمْ بِمِزَاجِهَا فَأَطِيبَ بِهَا مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ

قلت اقتلوهما عنكم (خففوا أثرها عليكم) بمزجها بالماء، وما أطيبها حين تمزج،
فهذا يطيل وقت الشرب

أَعَاذِلْ إِلَّا تُقْصِرِي عَنْ مَلَامَتِي أَدْعُكَ وَأَعِمْذَ لِّلَّتِي كُنْتُ أَفْعَلُ

يا عاذلتي إلا (إن لم) تقصري (تكفي) عن لومي أتركك، وأعكف على ما كنت أفعل

وَيَبْدَأُ مِمَّحَالٍ كَأَنَّ نَعَامَهَا بِأَرْجَائِهَا الْقُضْوَى أَبَاعَرُ هُمْلُ

رب صحراء قاحلة تراها من بعيد فترى طيور النعام في أرجائها البعيدة كأنها أباعر (جمال) همل (متروكة)

تَرَى لَامَعَاتِ الْآلِ فِيهَا كَأَنَّهَا رَجَالٌ تَعَرَّى تَارَةً وَتَسْرِبُلُ

ترى الآل (السراب) يلمع فكان النعام رجال يتعرون حيناً ويلبسون حيناً، بحسب حركتها إزاء السراب

مَلَاعِبُ جَنَّانٍ كَأَنَّ تَرَابَهَا إِذَا أَطْرَدَتْ فِيهِ الرِّيحُ مُغْرِبِلُ

هذه الصحراء كأنها ملاعب الجن، وترابها كأنه يغربل بالغرايل عندما تطرد (تتوالى) عليه الرياح يمينا ويساراً

أَجَزْتُ إِذَا الْحِرْبَاءُ أَوْفَى كَأَنَّهُ مُصَلٌّ يَمَانٍ أَوْ أُسِيرٌ مَكْبَلُ

هذا الصحراء أجزتها (قطعتها) في عز الظهر، في وقت كان الحرباء فيه قد أوفى (انتصب) كأنه يصلي متجهاً نحو اليمن لتحريكه رأسه باتجاه الشمس، أو كأنه أسير مقيد يحرك رأسه دون الانتقال من مكانه

إِلَى ابْنِ أَسِيدٍ خَالِدٍ أَزْقَلْتُ بِنَا مَسَانِيْفُ تَغْرَوْرِي فَلَاةٌ تَغَوَّلُ

قطعت الصحراء قاصداً أسيد بن خالد، وإليه أركلت (أسرعت) بنا الأبل المسانيف (المهزولة لطول السير) التي تغروري الفلاة (تركبها وهي عارية من كل نبت) والفلاة تغول (تُفِيلُ الناس). أما الرجل الذي «يعروري» الفرس فهو الذي يركبه دون سرج

تَرَى الثَّعْلَبَ الْحَوْلِيَّ فِيهَا كَأَنَّهُ إِذَا مَا عَلَا نَشْرَأُ حِصَانٌ مُجَلَّلُ

ترى الثعلب الحولي (الذي بلغ عاماً من عمره) في هذه الصحراء وقد علا نشراً (مرتفعاً) كأنه حصان مجلل (عليه السرج)

فَمَا زَالَ عَنْهَا السَّيْرُ حَتَّى تَوَاضَعَتْ عَرَائِكُهَا مِمَّا تُحَلُّ وَتُرْحَلُ

فما انقطع سير الإبل حتى تواضعت (هبطت) عرائكها (أسنمتها) لكثرة الحل والترحال. وسنام الجمل يذوب مع الهزال

أَخَالِدُ مَاوَاكُم لِمَنْ حَلَّ وَاسِعٌ وَكَفَّاكَ غَيْثٌ لِلصَّعَالِكِ مُرْسَلُ

مأواكم (بيتكم) واسع لمن حل ضيفاً، وكفأك مطر مرسل (هاطل) للصعاليك (الفقراء)

أَبَى عودُكَ المَعْجُومُ إِلَّا صِلَابَةً وَكَفَّاكَ إِلَّا نَائِلًا حِينَ تُسْأَلُ
أَبَى عودُكَ المَعْجُومَ (طَبَقُكَ المَخْتَبَرُ، كما يَخْتَبِرُ المرءُ عوداً ليعرف مَدَى صِلَابَتِهِ) إِلَّا أَنْ يَكُونَ
صَلْباً، وَأَبَتْ كَفَّاكَ إِلَّا عَطَاءَ حِينَ يَسْأَلُكَ السَّائِلُونَ

إِلَّا أَيُّهَا السَّاعِي لِبُدْرِكَ خَالِدًا تَنَاءً وَأَقْصِرْ بَعْضَ مَا كُنْتَ تَفْعَلُ
يَا مَنْ يَرِيدُ إِدْرَاكَ خَالِدٍ فِي السَّخَاءِ، تَنَاءً (كُفْتُ) وَأَقْصِرْ (كُفْتُ)

لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَافُ بِالبِشْرِ وَقَعَةً إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْمُشْتَكَى وَالْمُعَوَّلُ
أَوْقَعَ بَنَا الْجَحَافِ فِي يَوْمِ «البِشْرِ» وَقَعَةً، نَشْتَكِي مِنْهَا إِلَى اللَّهِ، وَنُعَوِّلُ عَلَيْهِ فِي الْإِنْتِقَامِ. وَكَانَ
الْجَحَافُ السَّلْمِيُّ قَتَلَ رِجَالَ تَغْلِبَ وَيَقْرَ بَطُونَ الْحَوَامِلِ فِي وَقَعَةٍ عَظِيمَةٍ

فَسَائِلُ بَنِي مَرَوَانَ مَا بَالُ ذِمَّةٍ وَحَبِلُ ضَعِيفٍ لَا يَزَالُ يَوْصَلُ
فَسَأَلَ يَا أَخْطَلَ بَنِي مَرَوَانَ: مَا هَذِهِ الذِّمَّةُ (العَهْدُ)، وَالْحَبْلُ الضَّعِيفُ (الصِّلَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) الَّذِي
نَصَلُهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ. وَكَانَ لِقَوْمِ الْأَخْطَلِ مِنْ تَغْلِبَ ذِمَّةٌ (فَهُمْ مَسِيحِيُّونَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ)

فَلَا تَغْيِرْهَا قَرِيشٌ بِمُلْكِهَا يَكُنْ عَنْ قَرِيشٍ مُسْتَمَارٌّ وَمَزْحَلٌ
فَإِنْ لَمْ تَغْيِرْ قَرِيشٌ (وَبَنُو مَرَوَانَ مِنْ قَرِيشٍ) مَوْقِفَهَا الْمُرْتَدِّدَ مِنَّا وَتَنْصَرِنَا بِمَا لَهَا مِنَ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَةِ،
فَلَمَّا عَنَّا مُسْتَمَارٌّ (ذَهَابٌ) وَمَزْحَلٌ (انْصِرَافٌ)

وَنَعْرِزُ أَنْسَاءً عَرَّةً يَكْرَهُونَهَا وَنَحْيَا كِرَاماً أَوْ نَمُوتُ فَنُقْتَلُ
وَنَعْرِزُ (نُخْرِ) أَنْسَاءً يَتَلَبَّ بِكَرْهُونِهِ، وَنَقَاتِلُ حَتَّى النِّصْرِ أَوْ الْمَوْتِ

وَأِنْ تَحْمِلُوا عَنْهُمْ فَمَا مِنْ حِمَالَةٍ وَإِنْ ثَقُلْتَ إِلَّا دَمُ الْقَوْمِ أَثْقَلَ
فَإِنْ حَمَلَتْ قَرِيشُ الْحِمَالَةَ عَنِ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنَّا (أَيَّ تَدْفَعُ الدِّيَاتِ عَنْهُمْ) فَإِنْ أَيْ حِمَالَةٍ لَا تَقِي بِالْأَمِّ
الْمُسْفُوكِ

وَأِنْ تَعْرِضُوا فِيهَا لَنَا الْحَقَّ لَمْ نَكُنْ عَنْ الْحَقِّ عُيْمَاناً بَلِ الْحَقُّ نَسْأَلُ
وَنَحْنُ نَقْبَلُ الْحَقَّ، أَيْ نَقْبَلُ الْمَالَ عَوْضاً عَنْ قَتْلِ

وَقَدْ نَنْزِلُ الشَّعْرَ الْمُخَوْفَ وَيُتَّقَى بَنَا الْبَاسُ وَالْيَوْمُ الْأَعْرُ الْمُحَجَّلُ
وَنَحْنُ أَيْضاً نَأْتِي الثَّغْرَ (جِهَةَ الْقِتَالِ) الْمُشْحُونَ بِالْخَوْفِ، وَيَتَّقَى بَنَا الْبَاسِ (تُدْفَعُ بِشَجَاعَتِنَا الشَّدَائِدَ) وَيَوْمُ
الْقِتَالِ الْأَعْرُ الْمُحَجَّلُ (الْمَشْهُورُ، كَالْحِصَانِ ذِي الْغُرَّةِ الْبَيْضَاءِ وَالْبَيَاضِ فِي قَوَائِمِهِ فَهُوَ حِصَانٌ مَشْهُورٌ)

٣ القضاعي غول

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُزْجِي مَطِيَّتَهُ أَسْرَعَ فَلَئِنْكَ إِنْ أُدْرِكْتَ مَقْتُولُ
أَيُّهَا الرَّاكِبُ الَّذِي يَزْجِي (يَسُوقُ) مَطِيَّتَهُ (دَابَّتَهُ)، أَسْرَعَ فَلَئِنْكَ إِنْ أُدْرِكْتَ وَلَحِقُوا بِكَ فَسَتَقْتَلُ

لَا يَخْدَعَنَّكَ كَلْبِيَّ بِذِمَّتِهِ إِنْ الْقَضَاعِيَّ إِنْ جَاوَزْتَهُ غُولُ

لا تنخدع بذمة (عهد) الكلبي (وقبيلة كلب هي بعض قضاة) والقضاعي إن جاوزته (غادرته) غول (قاتل يقتالك). وهل هناك أقبح ممن يضيفك ويحميك وأنت في جواره، فإذا غادرت مضارب قبيلته تبعك ليقتلك ويسلبك متاعك؟ في هذين البيتين وفي غيرهما كثير صححت طبعة قباوة أو هام طبعة الأب صالحاني، الذي هو «سبق حائز تفضيلاً»

٤ المولجة سوافها

قال يمدح عبد الملك بن مروان:

لَعَمْرِي لَقَدْ أُسْرِيتُ، لَا لَيْلَ عَاجِزٍ، بِسَاهِمَةِ الْعَيْنِينَ طَاوِيَةِ الْقُرْبِ
والله لقد أسريت (سرت ليلاً) ليس لعجز عن حماية نفسي، ولكن لأن السير في برد الليل أهون وأسرع، وكان مسيري بناقة ساهمة (غائرة) العينين، طاوية (ضامرة) القرب (الخاصرة)

مُعَارِضَةً خُوصاً حَرَايِجَ شَمَرَتْ بِنُجْعَةِ مَلِكٍ لَا ضَنْبِيلٍ وَلَا جَابِ
وناقتي هذه كانت معارضة (مساوقة) خوصاً (نياقاً غائرة الأعين) حرايج (ضامرة) شمرت (أسرعت) كي تتجمع (تطلب العطاء) من ملك لا هو بالضنيل ولا الجاب (الغليظ الجافي)

إِذَا صَحَّبَ الْحَادِي عَلَيْهِنَّ بَرَزَتْ بَعِيدَةً مَا بَيْنَ الْمَشَافِرِ وَالْعَجَبِ
إذا رفع الحادي (سائق الإبل) صوته صاخباً برزت نياقي (سقت) ومدت كل ناقة جسمها، وإن المسافة بين مشافرها (شفتيها) وعجبها (أصل ذنبها) لطويلة، أي هي ناقة كبيرة الجرم

وَكَمْ جَاوَزْتَ بَحْراً وَلَيْلاً يَخْضُنُهُ إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْ سَهْبِ
عبرت نياقي البحار (يقصد الأنهار) وعبرت الليل والسهوب (الصحارى)، وخاضت هذا كله لتصل إلى أمير المؤمنين

يَخْدُنَ بِنَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ كَأَنَّا أَخَارِيسُ عِيُونًا بِالسَّلَامِ وَبِالنَّسْبِ
يخدن (يسرعن) بنا عن كل شيء (متجاوزات كل شيء وغير متوقفات) فكأننا أخاريس (بكم، خرس لا نتكلم) عيوا بالسلام وبالنسب (عجزوا عن الكلام مع الأقوام الذين نمر بهم، وعن الانتساب بذكر قبيلتنا كما ينبغي للضيف)، فنحن نمر سريعاً بالأقوام ولا نكلهم

إِذَا طَلَعَ الْعَيُوقُ وَالنَّجْمُ أُولِجَتْ سَوَالِفُهَا بَيْنَ السَّمَائِينَ وَالْقَلْبِ

إذا بدا نجم «العيوق» والنجم (يقصد الثريا)، أدخلت الناقة سوافها (خديها) بين السماكين (نجمان) والقلب (نجم). في هذا البيت يصف الأخطل المنظر من زاوية راكب الناقة، فهو يقعد منخفضاً قرب ذنبها بينما رأسها عالٍ، ويراهما تضع رأسها بين النجمين وتسير في الليل. وأن تضع الناقة رأسها بين نجمين عبارة فيها من الشعر ما فيها

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَحَلْتُهَا عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَالْمَنْزِلِ الرَّحْبِ
رحلت ناقتي (جهزتها بالرحل أي بالسرج وتوابعه) إليك، على الطائر الميمون (على أمل أن الطير
يتجه يميناً فهذا فال حسن) وعلى أمل المنزل الرحب في كشف

إِلَى مُؤْمِنٍ تَجَلَّوْا صَحِيفَةً وَجْهَهُ بَلَايِلَ تَغْشَى مِنْ هُمُومٍ وَمِنْ كَرْبِ
وجه الخليفة يجلو البلايل (يكشف القلق ويزيله) التي تغشى (تأتي)

مُنَاخُ ذَوِي الْحَاجَاتِ، يَسْتَمْطِرُونَهُ عَطَاءَ كَرِيمٍ مِنْ أَسَارَى وَمِنْ نَهَبِ
الخليفة مناخ ذوي الحاجات (موضع نزول إبلهم) ويستمطرونه (يطلبون أن يمطر عليهم بالعطاء)
ويطلبون الجواري والغلمان من الأسارى (الأسرى) والنهب (الغنيمة)

تَرَى الْحَلَقَ الْمَآذِيَّ تَجْرِي فَضُولُهُ عَلَى مُسْتَخِفِّ بِالنَّوَابِ وَالْحَرْبِ
ترى الدرع المسرودة من حلقات ماذية (حديدية) تنسدل وتجري فضولها (ذيلها) على جسم
الخليفة، هذا الخليفة المستخف بالمصائب والحروب

أُخُوها، إِذَا شَالَتْ عَضُوضاً سَمَا لَهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ ذُلُولٍ وَمِنْ صَغْبِ
هو أخو الحرب، فإذا شالت (تهأت)، كما تشول الناقة رافعة ذنبها للقاح) عضوضاً (شديدة) سما
لها (ارتفع وتهأ) مهما تكن حالها: أهي ذلول (ناقة أنيسة) أم صعبة جامحة

وَفِي كُلِّ عَامٍ مِنْكَ لِلرُّومِ عَزْرَةٌ بَعِيدَةٌ أَثَارِ السَّنَابِكِ وَالسَّرْبِ
تتغلغل في بلاد الروم تاركاً آثار سنابك خيلك (حوافرها)، ولك فيها سرب (دخول) عميق

أَهْلُوا مِنَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَأَصْبَحُوا مَوَالِيَّ مُلْكٍ لَا طَرِيفٍ وَلَا غَضْبِ
أهل بنو أمية (خرجوا) من الشهر الحرام فإذا هم موالى (أصحاب) ملك غير طريف (غير جديد)،
فهم ملوك منذ القدم) ولا غصب (لم يغصبوا الملك بل هو حقهم)

وَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ مُلْكٍ رَأَيْتُهُ أَتَاكَ بِلَا طَعْنِ الرِّمَاحِ وَلَا الضَّرْبِ
الطعن للرماح، والضرب للسيوف

وَلَكِنْ رَأَاكَ اللَّهُ مُوَضِّعَ حَقِّهِ عَلَى رُغْمِ أَعْدَاءٍ، وَصَدَادَةٍ كُذِّبِ
صدادة كذب: الذين يصدون عن الحق ويكذبون

لَحَى اللَّهَ صِرْماً مِنْ كُلِّيبٍ كَأَنَّهُمْ جِدَاءُ حِجَازٍ لَا جِئَاتٍ إِلَى زَرْبِ
لحى الله (لعن) صرماً (جماعة) من كلييب (قبيلة جرير) كأنهم غنم محجوزة مدجنة تلجأ إلى زرب
(زريبة من قصب)

بَنِي الْكَلْبِ لَوْلَا أَنَّ أَوْلَادَ دَارِمٍ تَذَبُّبُ عَنْكُمْ فِي الْهَزَاهِزِ وَالْحَرْبِ . .
يا بني الكلب (مسبة كالتى نسمعها اليوم، فأما «كلب» وحدها فقبيلة أخرى بعيدة) ولولا أن قبيلة
دارم تذبذب (تدافع) عنكم في الهزاهز (الشدائد) والحرب . .

إِذْنِ لَا تَقْبَلْتُمْ مَالِكاً بِضَرْبَةٍ كَذَلِكَ يُعْطِيهَا الذَّلِيلُ عَلَى الْعَصْبِ
. . لَكُنْتُمْ اتَّقَيْتُمْ شَرَّ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بِدَفْعِ ضَرْبَةٍ،
والذليل يدفع على العصب (مجبراً)

٥ سيايا

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ قَيْساً رَسُولاً فَكَيْفَ وَجَدْتُمْ طَعَمَ الشُّقَاقِ
أَصَبْنَا نِسْوَةً مِنْكُمْ جَهَاراً بِلَا مَهْرٍ يُعَدُّ، وَلَا سِيَاقٍ
مهر يعد: المهر الذي يكون بالدرهم تُعَدُّ عداءً، والسياق: ما يساق من إبل في المهر

٦ شماتة بالزبيرية

أَقْفَرَتِ الْبُلْخُ مِنْ عَيْلَانَ فَالرَّحْبُ فَاَلْمَحْلَبَاتُ فَالْخَابُورُ فَالشُّعْبُ
أقمرت كل هذه الأماكن من قبيلة عيلان التي أجليت عنها بعد هزيمة ابن الزبير في العراق
والحجاز، وكانت قيس عيلان زبيرية الهوى

فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَأَنَّهُمْ مِنْ بَقَايَا أُمَّةٍ ذَهَبُوا
الشرط الأول بعض آية قرآنية، لعل الأخطل استعمله بعد الفرزدق، الأمم الذاهبة: المنقرضه كعاد
وثمود والعماليق

فَاللَّهُ لَمْ يَرْضَ عَنْ آلِ الزُّبَيْرِ وَلَا عَنْ قَيْسِ عَيْلَانَ حَيًّا طَالَمَا خَرُبُوا
طالما خربوا: كثيراً ما سرقوا

يُعَازِطُونَ أَبَا الْعَاصِي، وَهُمْ نَفَرٌ فِي هَامَةِ مِنْ قُرَيْشٍ دُونَهَا شَذَبٌ
يعاظمون (يفاخرون) أبا العاصي (عبد الملك بن مروان)، وهم (الأمويون) في هامة (رأس) من
قريش دونها شذب (تحتها شوك)، فهم كالثمر في رأس الشجرة ودون الوصول إليه شوك يحميه،
كناية عن عز الأمويين

إِنْ يَحْلُمُوا عَنْكَ فَالْأَحْلَامُ شِيمَتُهُمْ وَالْمَوْتُ سَاعَةٌ يَحْمَى مِنْهُمْ الْغَضَبُ
الأحلام (العقول الراجحة) شيمتهم (طبيعتهم) فإذا حمى غضبهم فهم الموت

كَأَنَّهُمْ عِنْدَ ذَاكُمْ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ حَارَبُوا قُرْبَى وَلَا نَسَبٌ

ينسبون في الغضب القرابة والنسب. فابن الزبير من قريش وبينه وبين الأمويين القرشيين نسب قريب. لا بل كان بين عبد الملك وبين مصعب ابن الزبير، الذي كان يتولى العراق لأخيه عبد الله، صداقة ومحبة عميقة وصحبة في أيام الشباب. وقتل جند عبد الملك مصعباً، وجاءوه برأسه فقال كلمته المأثورة: «الملك عقيم»

كَانُوا مَوَالِيَّ حَقٌّ يَطْلُبُونَ بِهِ فَأَذْرَكُوهُ وَمَا مَلُّوا وَلَا لَعَبُوا

الأمويون موالي (أصحاب) حق (والحق هو ثار عثمان، كما سيأتي)، وأذركوه (وصلوا إليه) وما لغبوا (تعبوا)

هُمْ سَعَوْا بِابْنِ عَفَّانَ الْإِمَامِ، وَهُمْ بَعْدَ الشَّمْسِ مَرَوْهَا ثُمَّتَ اخْتَلَبُوا

سعوا في طلب الثار من قتلة عثمان، وبعد الشمس (جموح الناقة، كناية عن اشتعال الفتنة) مروها (هدأوها بمسح ضرعها) ثمت (ثم) حلبوها

حَرْباً أَصَابَ بَنِي الْعَوَامِ جَانِبُهَا بُعْدًا لِمَنْ أَكَلَتْهُ النَّارُ وَالْحَطَبُ

حرباً (يا لها حرباً) أصابت بني العوام (أبناء الزبير بن العوام)

حَتَّى تَنَاهَتْ إِلَى مِصْرٍ، جَمَاعَتُهُمْ تَعْدُو بِهَا الْبُرْدَ مَنْصُوباً بِهَا الْخَشَبُ

تناهت (وصلت) الحرب إلى مصر، ومنها عادت جماجم قاتلي عثمان منصوبة فوق الأعواد. وبمصر قتل الأمويون محمد بن أبي بكر الصديق أحد من كانوا بالدار من أعداء عثمان، ومن مصر جاء كثيرون ممن ثاروا على عثمان

٧ وإذا دعونك عمهن

مَا إِنْ رَأَيْتُ كَمَكْرِهِنَّ إِذَا جَرَى فِينَا، وَلَا كَحِبَالِهِنَّ حَبَالَا

لم أر كمر النساء ولا كحبالهن (شباكهن)

الْمُهْدِيَاتِ لِمَنْ هَوَيْنَ مَسَبَّةً وَالْمُحْسِنَاتِ لِمَنْ قَلَيْنَ مَقَالَا

يشتمن من يحبين، ويحسن القول لمن يقلين (بكرهن)

إِنَّ الْعَوَانِيَّ إِنْ رَأَيْتُكَ طَاوِيَاً بُرَدَ الشَّبَابِ طَوْنٌ عَنْكَ وَصَالَا

إذا رأيتك الغواني (الحسان) قد طويت برد الشباب (طويت ثياب شبابك، أي ذهب شبابك)، طوين (قطنن العلاقة)

وَإِذَا وَعَدْتُكَ نَائِلًا أَخْلَفَنِي وَوَجَدْتُ عِنْدَ عِدَاتِيهِنَّ مِطَالَا

النائل (العتاء، من سهرة تحت نخلة، أو ما فوق ذلك)، وعداتهن مبطولة: وعودهن فيها تسويق

وَإِذَا دَعَاكَ عَمَّهُنَّ فَإِنَّهُ نَسَبَ يَزِيدَكَ عِنْدَهُنَّ خَبَالًا

إذا قالت لك الحساء يا عمي، فهذا نسب يزيدك خبالاً (فاداً)

وَإِذَا وَرَّنتَ حُلُومَهُنَّ إِلَى الصُّبَا رَجَعَ الصُّبَا بِحُلُومِهِنَّ فَمَالًا

لو ورننت (قارنت) حلومهن (عقولهن) بالصبا (الطيش) لوجدت الطيش أرجح منها فكفته تميل نازلة، وكفة عقولهن تشيل صاعدة

أَهْيَ الصَّرِيمَةُ مِنْكَ أَمْ مُحَلِّمٌ أَمْ ذَا الدَّلَالُ، فَطَالَ ذَاكَ دَلَالًا

أهذه هي الصريمة (القطيعة) منك يا أم محلم؟ أم هو فقط دلال؟ فما أطول هذا الدلال!

إِنَّا نُعَجِّلُ بِالْعَبِيطِ لِضَيْفِنَا قَبْلَ الْعِيَالِ، وَنَقْتُلُ الْأَبْطَالَ

نعمل بالعبيط (اللحم) للضيف قبل أولادنا، ونحن شجعان في الحرب

أَبْنِي كَلِيبٍ إِنَّ عَمِّي اللَّذَا قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَّكَ الْأَغْلَالَ

يا بني كليب (قوم جرير) إن اثنين من أعمامي هما من قتل الملوك، وفك أغلال (قيود) الأسرى. فقد قتل رجلان من تغلب في الجاهلية ملكين من الملوك هما المنذر بن النعمان، وعمر بن هند

وَلَقَدْ بَكَى الْجَحَافُ مِمَّا أَوْقَعَتْ بِالشَّرْعَبِيَّةِ إِذْ رَأَى الْأَهْوَالَ

بكي الجحاف السلمي مما أوقعت رجالنا بقومه في معركة «الشرعية» من قتل

وَلَقَدْ جَشِئْتُ، جَرِيرُ، أَمْرًا عَاجِزًا وَأَرَيْتَ عَوْرَةَ أُمِّكَ الْجُهْلَالَ

لقد جشمت (كلفت نفسك) يا جرير أماً عاجزاً (معجزاً لك)، ودلت السفهاء على عورة أمك بتعرضك لي وهجائي لك، فأنا قد كشفت عورات أهلك

وَإِذَا سَمَا لِلْمَجْدِ قَرَعًا وَائِلٍ وَاسْتَجَمَعَ الْوَادِي عَلَيْكَ فَسَالَا . .

إذا سما (ارتفع) فرعا وائل (بكر وتغلب) للمجد، وجمع الوادي عليك فسالا . .

كُنْتُ الْقَذَى فِي مَوْجٍ أَكْدَرَ مُزِيدٍ قَذَفَ الْآتِي بِهِ فَضْلًا ضَلَالًا

كنت في هذا السيل القذى (ما يحمله السيل من أغصان وأوساخ) تسبح في الموج المكدر ذي الزبد، وهذا القذى قذف به الآتي (السيل المفاجئ) فأخذ يتخبط وضل ضلالاً

فَانْعَقْ بِضَائِنِكَ يَا جَرِيرُ، فَإِنَّمَا مَنَنْتَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلَالًا

انعق (اصرخ على غماتك) ولا تزد على ذلك. فقد تمنيت الأمان في المضلة في الخلاء (تمنيت وحدك بلا قريع يردعك، ومن أراد أن يغلب بسهولة لعب الشطرنج وحده، وقالت العرب: كل مجر في الخلاء يسر، أي أن الذي يُجري فرسه وحده فسوف يأتي سابقاً لا محالة)

مَنَنْتَ نَفْسُكَ أَنْ تُسَامِيَ دَارِمًا أَوْ أَنْ تُوَازِنَ حَاجِبًا وَعِقَالًا

تسامي: تباري، وهؤلاء هم أجداد الفرزدق الشاعر، وكان الأخطل ينصر الفرزدق على جرير

الْمَائِعِينَ الْمَاءَ حَتَّى يَشْرَبُوا عَفْوَائِهِ، وَيُقَسِّمُوهُ سِجَالًا
قوم الفرزدق أقوياء يمنعون غيرهم من ارتياد حياض الماء حتى يشربوا عفواته (الصابي منه) وحتى
يقسموا الماء بسجالهم (دلائهم، جمع دلو) على النياق لتحمله إلى مضاربهم

وَابْنُ الْمَرَاعَةِ حَابِسٌ أَعْيَارُهُ قَذَفَ الْغَرِيبَةَ، مَا يَذُقْنَ بِلَالًا
وابن المראה (ابن الحمارة، لقب جرير عند خصومه) حابس أعياره (حميره، وكان قوم جرير أصحاب
حمير)، ينتظر أن يستقي، وحميره قد أقصيت عن الماء مثل الناقة الغريبة التي تدخل ديار قوم
فيفقدونها بالحجارة لتذهب عنهم كيلا يتهموا بسرقتها، وحمير جرير لا تذوق بلالاً (ما يبل عطشها)

٨ حليبها أو دمه

وَمَحْبُوسَةٌ فِي الْحَيِّ ضَامِنَةٌ الْقَرَى إِذَا اللَّيْلُ وَاثَاها بِأَشْعَثَ سَاغِبِ
رب إبل نحفظ بها في الحي لتضمن القرى (طعام الضيف) عندما يوافيها الليل بضيف أشعت
الشعر زري الهيئة ساغب (جائع)

مُعَقَّرَةٌ لَا تُنْكِرُ السِّيفَ وَسَطْهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَعَسٌ لِحَالِبِ
الإبل معقرة (معدة للذبح) ولا تستغرب السيف ونحن نلوح به بينها، فكثيراً ما نأتيها لنذبح إحداها إن لم
يكن في هذه الإبل معس لحالب (مطلب لمن يحلبها، أي نذبحها إن لم يكن فيها حليب للضيف)

٩ مطالبة

إِذَا وَزَنَ الْأَقْوَامُ لَمْ يُلَفْ فِيهِمْ كِبِيرٌ، وَلَا مِيزَانُ بَشَرٍ يَعَادِلُهُ
إذا قدرت أقدار الناس لم تُلف (تجد) مثل بشر بن مروان والي العراق، ولم تجد شخصاً يعادل
ميزان (مقدار) بشر

أَعْرُ عَلَيْهِ التَّاجُ، لَا مُتَعَبِّسٌ وَلَا وَرَقُ الدُّنْيَا عَنِ الْحَقِّ شَاغِلُهُ
ويبدو أن الأمويين اتخذوا التيجان، فعبيد الله بن قيس الرقيات يمدح الخليفة عبد الملك بن مروان
بـ «يعتدل التاج فوق مفرقه.. على جبين كأنه الذهب». وهذا بشر أو عبد الملك يلبس تاجاً،
وورق الدنيا (نعيمها) لا يشغله عن الحق

إِذَا انْفَرَجَ الْأَبْوَابُ عَنْهُ رَأَيْتَهُ كَصَدْرِ الْيَمَانِي أَخْلَصَتْهُ صَيَاقِلُهُ
كأنما كانت تفتح أبواب المجلس حين يؤذن للناس فيدخلون فيرون في صدر المجلس بشراً قاعداً
على سريره مهيباً وضاءً كأنه السيف الذي أجاد صقله الصياقل (صانعو وصاقلو السيوف)

فَلَا تَجْعَلْنِي يَا ابْنَ مَرْوَانَ كَامِرِي غَلَّتْ فِي هَوَى آلِ الزُّبَيْرِ مَرَاجِلُهُ
فلا تعاملني يا بشر بن مروان كمن كانت مراجله (قدوره) تغلي بما ارتزق من آل الزبير قبل زوال
حكمهم، وكان مصعب بن الزبير والي العراق يعطي الشعراء بما يملأ قُدورهم ويظمم عيالهم. نقل
الأخطل «غلي القُدور باللحم» إلى «غلي الصدور بالهوى»

يُبَايِعُ بِالْكَفِّ الَّتِي قَدْ عَرَفْتَهَا وَفِي قَلْبِهِ نَامُوسُهُ وَعَوَائِلُهُ
فهذا الذي كان يناصر الزبيريين يضافحكم الآن مبايعاً، وقد انتصرتكم، بالكف التي تعرف يا بشر
أنها كانت عليكم، وظل في قلبه ناموسه (غشه) وغوائله (أحقاده)

١٠ استغاثة بقریش

قَدْ كَشَفَ الْحِلْمَ عَنِّي الْجَهْلَ فَاَنْقَشَعَتْ عَنِّي الضَّبَابَةُ: لَا نِكْثُ وَلَا وَرَعُ
الحلم (العقل) أزاح عني الجهل (التهور) فانقشعت (انكشفت) عني الضبابة (الغمامة) وزالت أوهام
صباي، فلا أنا نكس (نكرة، ساقط) ولا ورع (جبان)

إِنِّي وَرَبَّ النَّصَارَى عِنْدَ عِيدِهِمْ، وَالْمُسْلِمِينَ إِذَا مَا ضَمَّهَا الْجُمُعُ ..
يحلف برب النصارى في عيدهم، والمسلمين في أيام الجمعة ..

وَرَبِّ كُلِّ حَبِيسٍ فَوْقَ صَوْمَعَةٍ يُنْمِسِي وَلَا هُمَّةُ الدُّنْيَا وَلَا الطَّلْعُ ..
ويحلف برب كل راهب حبس نفسه في صومعته زاهداً ..

لَقَدْ مَدَخْتُ قُرَيْشًا، وَاسْتَغْتْتُ بِهِمْ إِذْ مَا أَنَامُ، إِذَا مَا صُحِّبَتِي هَجَعُوا
استغثت بقریش وأنا خائف لا أنام إذا أصحابي هجعوا (ناموا)

وَإِذْ وَشَى بِي أَقْوَامٌ فَأَذْرَكْنِي رَهْطُ الَّذِي رَفَعَ الرَّحْمَنُ، فَارْتَفَعُوا
ذلك عندما وشى بي ناس، ولكن أدركني (نجدني) رهط (قوم) النبي محمد الذي رفعه الله،
فارتفعوا به. والأمويون أقرب قریش إلى بني هاشم، فهما كلاهما من عبد مناف

إِنِّي دَعَانِي إِلَى بَشِيرٍ فَوَاضِلُهُ وَالْخَيْرُ، قَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ، مُتَّبِعُ
دعاني إلى مدح بشر بن مروان والي العراق فواضله (تفضله بالمعطاء) والخير كما تعلمون متبع
(يتبعه الناس) .. وكما قال اللاحق: يسقط الطير حيث ينثر الحب .. وتغشى منازل الكرماء

١١ الحجاج نخاساً

أَخْيَا إِلَهَ لَنَا الْإِمَامَ فَإِنَّهُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ، لِلذَّنُوبِ غَفُورُ
أبقى الله الإمام، الخليفة، فهو خير البرية (البشر)، وهو يغفر الذنوب

نُورٌ أَضَاءَ لَنَا الْبِلَادَ، وَقَدْ دَجَّتْ ظُلْمٌ تَكَادُ بِهَا الْهُدَاةُ تَجُورُ
الخليفة نور أضاء البلاد بعد أن دجت (اسودت) ظلم (عتمات) حتى لقد كادت الهداة (الناس
الذين يهدون الآخرين) تجور (تنحرف عن الطريق السوي)

فَعَلَيْكَ بِالْحَجَّاجِ لَا تَعْدِلْ بِهِ أَحَدًا إِذَا نَزَلَتْ عَلَيْكَ أُمُورُ
فعلبك يا عبد الملك بالحجاج فلا أحد مثله. وعبد الملك، وبعده ابنه الوليد، في غنى عن مثل
هذه النصيحة فقد كان الحجاج حبة عين الخلفتين

وَلَقَدْ عَلِمْتُ، وَأَنْتَ أَعْلَمُنَا بِهِ، أَنَّ ابْنَ يُوسُفَ حَازِمٍ مَنصُورُ
علمت أيها الخليفة أن الحجاج بن يوسف حازم منصور

وَأَخُو الصَّفَاءِ فَمَا تَزَالُ غَنِيمَةً مِنْهُ يَجِيءُ بِهَا إِلَيْكَ بِشِيرُ
وهو رجل صافي الضمير لا يحتجن، لا يحتفظ بالغنائم لنفسه، بل يعث إليك من يشرك بها..
ثم طبعاً تأتيك الغنائم بعد البشارة

وَتَرَى الرُّوَاسِمَ يَخْتَلِفْنَ، وَفَوْقَهَا وَرَقُ الْعِرَاقِ: سَبَائِكُ وَحَرِيرُ
ترى الرواسم (الإبل المسرعة، التي تسير «الرسيم») يختلفن (يأتين مرة بعد مرة)، وعليها وَرَقُ
(مال) العراق من سبائك وحرير. ومن قرأ ورق بكسر الراء فتلك الفضة، وبالكسر قرأ قبادة

وَبَنَاتُ قَارِسَ كُلِّ يَوْمٍ تُضْطَفَى يَبْلُونَهُنَّ، وَمَا لَهُنَّ مُهُورُ
يختارون لك ما يختارون من سبايا الفرس ويبلونهن (يختبرونهن). قال السكري الشارح: «كان
قتيبة بن مسلم لما قتل فيروز بن كسرى يزدجرد بعث بابتيه إلى الحجاج فأمسك إحداهما وبعث
بشاهفريد إلى الوليد فأولدها يزيد»

١٢ يزيد والفرات

أَبَا خَالِدٍ دَافَعْتَ عَنِّي عَظِيمَةً، وَأَذْرَكْتَ لَحْمِي قَبْلَ أَنْ يَتَبَدَّدَا
أبو خالد: يزيد بن معاوية، دافعت عني عظيمة: دفعت عني مصيبة، أدركت لحمي قبل أن يتفطع
(كان الأخطل مهدداً بقطع لسانه)

وَأَظْفَأْتُ عَنِّي نَارَ نُعْمَانَ، بَعْدَمَا أَغَذَّ لِأَمْرِ عَاجِزٍ وَتَجَرَّدَا
أخمدت نار غضب نعمان (النعمان بن بشير الأنصاري الذي غضب لهجاء الأخطل
الأنصار) بعدما أغذ (أسرع) لأمر عاجز (شديد يُعجز المرء) وتجرد (استعد). القصة
باختصار: هجا الأخطل الأنصار بطلب من يزيد بن معاوية، فجاء نعمان إلى معاوية
غاضباً، وطلب أن يسلم لسان الأخطل، فجأراه معاوية، ففزع الأخطل إلى يزيد،
فكلم أباه فنجا الأخطل

وَلَمَّا رَأَى النُّعْمَانُ دُونِي ابْنَ حُرَّةٍ طَوَى الْكَشْحَ، إِذْ لَمْ يَسْتَطِعْنِي وَعَرَّدَا
لما رأى النعمان دوني (أمامي ويحميني) ابن حرة (و«يزيد» ابن ميسون الكلية لا ابن جارية) طوى
الكشح (انصرف) إذ عرف أنه لا ينالني، وعرد (أحجم وهرب)

وَمَا مُزِيدٌ يَغْلُو جَزَائِرَ حَامِزٍ يَشُقُّ إِلَيْهَا خَيْرُ رَأً وَغَرَقْدَا..

يبدأ تشبيهاً: ليس الفرات المزيّد (الذي يغلو الزيد صفحته لتدفعه) الذي يغلو جزر حامز (بين الرقة ومنبج) عندما يفيض، شاقاً نحوها غابات الخيزران والغرقد (ضربان من الشجر)..

تَحَرَّزَ مِنْهُ أَهْلُ عَانَةَ، بَعْدَمَا كَسَا سُورَهَا الْأَعْلَى غُثَاءً مُنْضَداً..

.. وقد تحرّز (تحصن) من النهر أهل قرية عانة بعد أن فاض ورمى فوق أعلى أسوارها بالغثاء المنضد (ورق الشجر والأغصان المتراكمة مما يحمل النهر في فيضانه)..

يُقَمِّصُ بِالْمَلَّاحِ حَتَّى يَشُقَّهُ الْـ حِذَارُ، وَإِنْ كَانَ الْمُشِيحُ الْمُعَوَّدَا..

هذا النهر الهائج يقمص بالملاح (يتلاعب بسفينته) حتى يشقه الحذار (يذهب عقله التيقظ الشديد) حتى وإن كان هذا الملاح المشيح (الحاذق) المعوّد (المجرب) ..

بِمُطَرِّدِ الْأَذْيِ جَوْنٍ، كَأَنَّمَا زَفَا بِالْقَرَاقِيرِ النَّعَامَ الْمُطَرَّدَا..

يتلاعب الأذي (الموج) المطرد (المتابع) الجون (الأيض بما فوّه من زيد)، وتراه قد زفا (طرد وفرّق) القراكير (السفن) وكأنها النعام المطرد (المبعد المطرود) ..

كَأَنَّ بَنَاتِ الْمَاءِ فِي حَجَرَاتِهِ أَبَارِيقُ أَهْدَتْهَا دِيَافَ لِيَصْرُخَدَا..

كأن بنات الماء (طيور الماء) في حجراته (نواحيه) أبريق (لطول أعناقها) مما يحمله التجار من قرية دياف لقرية صرخد ..

بِأَجُودَ سَبَباً مِنْ يَزِيدَ إِذَا غَدَتْ بِهِ بُخْتُهُ يَحْمِلُنْ مُلْكَاً وَسُودَا

ليس هذا الفرات المتدفق بمائه بأجود (بأسخى) من يزيد إذا غدت (سارت) به بخته (والبخت نوع من الإبل الكريمة) وفوقهن الملك والسيادة. وعلى الفرات قتل رجال يزيد الحسين بن علي لتبدأ فتنة جديدة لم تنته بعد

١٣ الحولية الكبرى

خَفَّ الْقَطِينُ فَرَاخُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا وَأَزْعَجْتَهُمْ نَوَى فِي صَرْفِهَا غَيْرُ

خف (أسرع) القطين (القاطنون بجوارنا) فراخو (ذهبوا مساء) أو بكروا (ذهبوا صباحاً) منك (تركوك)، وأزعجتهم (جعلتهم يرحلون) نوى (نية الرحيل) في صرفها غير (في ظروفها تغير للأسوأ). فهم رحلوا بحثاً عن العشب بعد أن اشتدت بهم الحال

كَأَنَّنِي شَارِبٌ يَوْمَ اسْتَبَدَّ بِهِمْ مِنْ قَرْقِفٍ ضُمَّتَتْهَا حِمَصُ أَوْ جَدْرُ

دخلت في مزاج تأملي يوم استبدّ بهم (غلبوا على أمرهم)، فكأنني شارب من قرقف (خمر) من خمور حمص أو جدر

جَادَتْ بِهَا مِنْ ذَوَاتِ الْقَارِ مُتْرَعَةً كَلْفَاءَ يَنْحَثُّ عَنْ خُرْطُومِهَا الْمَدْرُ

جادت بتلك الخمر خابية مترعة (مملوءة) من ذوات القار (مما طلي بالزفت) كلفاء (داكنة اللون) ينحث (يقتشر) عن فوهتها المدر (الطين)

شَوْقاً إِلَيْهِمْ وَوَجْداً يَوْمَ أَتَبَعُهُمْ طَرْفِي، وَمِنْهُمْ، يَجْتَنِي «كَوْكَبٌ»، زُمْرُ
هذا لشوقي إليهم ووجدي (شغفي) وأنا أتبعهم طرفي (ألاحقهم ببصري)، ومن هؤلاء القوم زمر (جماعات) في ناحيتي منطقة «كوكب»

حَثُوا الْمَطْيَ فَوَلَّتْنَا مَنَاكِبَهَا وَفِي الْخُدُورِ إِذَا بَاعَمَتَهَا الصُّورُ

حثوا المطي (أسرعوا بالإبل) فأعطتنا مناكيبها (ظهورها)، وفي الخدور (الهودج) الصور (الحسان اللائي كالدمى) نراها حين نباغما (نكلمها بكلام غير مفهوم كأنه بغام الظباء)

يُبْرِقْنَ لِلْقَوْمِ حَتَّى يَحْتَبِلْنَهُمْ وَرَأْيُهُنَّ ضَعِيفٌ حِينَ يُخْتَبَرُ
يبرقن (يلمحن تلميحاً) للقوم حتى يحتبلنهم (يصدنهم صيداً)، مع أن رأيهن ضعيف عند التجربة (عقولهن غير ناضجة). احبس رجلاً في خدر تر عقله صار ضعيفاً أيضاً

يَا قَاتِلَ اللَّهِ وَصَلَ الْغَانِيَاتِ إِذَا أَبْقَنْ أَنْكَ مِمَّنْ قَدْ زَهَا الْكِبَرُ

زهاك الكبير: أضعفك

أَعْرَضْنَ لَمَّا حَنَى قَوْسِي مُوتَرُهَا وَابْيَضَّ بَعْدَ سَوَادِ اللَّمَّةِ الشَّعْرُ

أعرضت الحسان عندما حنى الله قامتي فصارت كالقوس، والله قد وترَ القامة فكأنها القوس الذي وضع له وتر، وعندما ابيضت اللمة (الشعر)

مَا يَرْعَوِينَ إِلَى دَاعٍ لِحَاجَتِهِ وَلَا لَهُنَّ إِلَى ذِي شَيْبَةٍ وَطَرُ

لا يرعوين (يتركن التكبر) ويلين صاحب الحاجة، وليس لهن وطر (حاجة) عند شائب

شَرَّقْنَ إِذْ عَصَرَ الْعِيدَانَ بَارِحُهَا وَأَيَّسَتْ غَيْرَ مَجْرَى السَّنَةِ الْخُضْرُ

رحلن شرقاً عندما عصر العيدان (جففها) بارحها (الريح الباردة)، وأيسست (مجرى السنة الخضرة)، أي أصبحت يابسة، ما عدا مجرى السنة (مجرى سن المحراث، فالزراع هناك آخر ما يجف)

وَقَعْنَ أَصْلاً، وَعُجْنَا مِنْ نَجَائِبِنَا، وَقَدْ تُحَيِّنَ مِنْ ذِي حَاجَةٍ سَفَرُ..

وقعن (نزلن) أصلاً (مساءً، عند الأصيل)، وعجنا نحن نجائبنا (أملنا إبلنا) عندما حان وقت سفر ذوي الحاجات، أي نحن..

إِلَى أَمْرِي لَا تُعَرِّينَا نَوَافِلُهُ أَظْفَرُهُ اللَّهُ فَلْيَهْنِئْ لَهُ الظَّفَرُ

نسافر إلى رجل لا تعرينا نوافله (لا تتركنا عطاياه محرومين)، وقد انتصر فهنيئاً له

الْخَائِضُ الْعُمَرُ، وَالْمَيْمُونُ طَائِرُهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ

ذهبنا إلى الخائض الغمر (الذي يخوض الماء العميق، أي الشدائد/ لا تنس أن الأخطل نشأ بجانب الفرات ويعرف الفيضانات، ومن هنا كثير من تشبيهاته)، وإلى الميمون طائره (ذي الحظ الحسن) وبوجهه الوضيء نستقي (كانوا يأخذون رجلاً صالحاً وضيء الوجه إذا أرادوا دعاء الاستسقاء)

وَالْمُسْتَمِرُّ بِهِ أَمْرُ الْجَمِيعِ، فَمَا يَغْتَرُّهُ بَعْدَ تَوْكِيدٍ لَهُ غَرُّ

المستمر (المفتول بإحكام) به أمر الناس جميعاً، والذي لا يغتره (يخدعه) الغرر (الخداع) بعد أن استقام له أمر الخلافة

وَمَا الْفُرَاتُ إِذَا جَاشَتْ حَوَالِبُهُ فِي حَاقَتَيْهِ وَفِي أَوْسَاطِهِ الْعَشْرُ

يبدأ تشبيهاً: ليس الفرات إذا جاشت (امتلات بالماء) حوالبه (روافده)، وأصبح في حافته (شاطئيه) وفي وسطه أغصان شجر العشر... (وكان محمد النويهري يشرح هذا البيت لطلبته في جامعة الخرطوم، وأخذ يصف شجر العشر، فرآهم يبتسمون.. قالوا له: يا أستاذ، انظر من النافذة، ذاك شجر العشر. وعندما ذهبت إلى الخرطوم، كنت أقف أمام بوابة المركز القومي للإعلام وحولي تلامذتي من الصحفيين المتدربين، قلت لهم: أين أجد شجر العشر؟ فقالوا: انظر هناك. كانت شجرة من هذا الشجر مقصوفة وملقى منها غصن كبير على الرصيف الآخر، وعبرنا الشارع، ورأيت شجر العشر، وله ثمر كبير أجوف ينز حلياً كحليب التين]

وَذَعْدَعَتُهُ رِيَّاحُ الصَّيْفِ، وَاضْطَرَبْتُ فَوْقَ الْجَاجِيِّ مِنْ آذِيهِ عُذْرُ

وذعدعت النهر (حركته وفرقته) رياح الصيف، واضطربت فوق جاجي (صدور) آذيه (أمواجه) غدر (جمع غدیر)...

مُسْحَنَفَرًا مِنْ جِبَالِ الرُّومِ، يَسْتُرُهُ مِنْهَا أَكَاغِيْفٌ فِيهَا دُونُهُ زَوْرُ

مسحنفراً (مسرعاً) وهو يأتي من جبال الروم وهناك بين الجبال تستره أكافيف (مناكب الجبال) التي فيها زور (تعرج). فالمقبل على النهر في تلك الجبال لا يراه من بعيد فالجبال تحتضنه بجوانبها، فإذا أشرف المرء على النهر رآه يتلوى بين الجبال

يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ حِينَ نَسَّالَهُ، وَلَا بِأَجْهَرَ مِنْهُ حِينَ يُجْتَهِرُ

هذا النهر الزاخر ليس أسخى من الخليفة، ولا أجهر (أهيب) منه حين تراه

مُفْتَرِشٌ كَافْتَرَاشِ اللَّيْلِ كَلْكَلَهُ لَوْقَعَةٍ كَائِنٍ فِيهَا لَهُ جَزْرُ

يفترش الخليفة كللكه (صدره) كالأسد متأهباً لوقعة (معركة) سيكون له فيها جزر (قتلى)

مُقَدِّمًا مِثَّتِي أَلْفَ لِمَنْزِلَةٍ مَا إِنْ رَأَى مِثْلَهُمْ جِنَّ وَلَا بَشْرُ

يقدم من جنوده مئتي ألف لمنزلة (مكان النزال في الحرب)،

ولم ير جن ولا إنس من قبل هذا العديد

يَغْشَى الْقَنَاظَرَ يَبْنِيهَا وَيَهْدُمُهَا، مُسَوِّمٌ فَوْقَهُ الرَايَاتُ وَالْقَتَرُ
يغشى (يأتي) الجيشُ القناظرَ بانياً هادماً، وهو مسوم (عليه سمات الحرب) وفوقه الرايات،
والقتر (الغبار)

حَتَّى يَكُونَ لَهُمْ بِالطَّفِّ مَلْحَمَةٌ وَيَالثَوِيَّةِ لَمْ يُنْبِضْ بِهَا وَتَرُ
حتى تكون المعركة في «الطف»، وفي «الثوية». وهي معركة التحام بالسيوف والرماح، ولم ينبض
(يشد) بها وتر، أي لم يكن فيها رمي من بعيد فكلها التحام. وتلك المعارك غلب فيها عبد الملك
مصعب بن الزبير

وَتَسْتَبِينَ لِأَقْوَامٍ ضَلَالَتُهُمْ وَيَسْتَقِيمَ الَّذِي فِي خَدِّهِ صَعْرُ
وحتى يعرف الذين ضلوا وحالفوا ابن الزبير ضلالتهم، ويستقيم الذي في خده صعر (ميل). فإن
كنت لاحظت بعض المتعجرفين يميل برأسه وينفخ خده كبراً فأنت تعرف ما «تصغير الخد»
ثم استقلَّ بِأَثْقَالِ الْعِرَاقِ، وَقَدْ كَانَتْ لَهُ نِعْمَةٌ فِيهِمْ وَمُذَخَّرُ
ثم استقل (حمل) أثقال العراق (مشكلاته)، وأنعم على الناس وتألّفهم وكان له فيهم مدخر
(صنيعة يدخرها في نفوسهم)

فِي تَبْعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَعْصِبُونَ بِهَا مَا إِنْ يُوَازَى بِأَعْلَى نَبْتِهَا الشَّجَرُ
عبد الملك راسخ المكانة في نبتة (النوع نوع من الشجر كبير) من قريش، هي بنو أمية، والناس
يعصبون بها (يلتفون حولها)، وشجرة النبت هذه أعلى من كل ما حولها

تَعْلُو الْهَضَابَ وَحَلُّوا فِي أَرْوَمَتِهَا، أَهْلُ الرِّبَاءِ، وَأَهْلُ الْفَخْرِ إِنْ فَخَرُوا
أمية شجرة فوق هضبة، والروانيون في أرومتها (أصلها)، وهم أهل الرباء (الكثرة) والفخر
حُشِدٌ عَلَى الْحَقِّ، عَيَافُو الْخَنَا أَنْفُ إِذَا أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا
حشد (محتشدون) لنصرة الحق، عيافون (كارهون) للخنا (الفحش) أنف (يأنفون الصغائر)،
وصابرون على المكروهة (المصيبة)

وَإِنْ تَدَجَّتْ عَلَى الْآفَاقِ مُظْلِمَةٌ. كَانَ لَهُمْ مَخْرَجٌ مِنْهَا وَمُعْتَصِرُ
إن تدجت (أظلمت) مصيبة كان لهم منها معتصر (مخرج)

أَعْطَاهُمُ اللَّهُ جَدًّا يُنْصَرُونَ بِهِ لَا جَدًّا إِلَّا صَغِيرٌ بَعْدَ مُحْتَقَرٍ
أعطاهم الله جداً يُنْصَرُونَ به، وكل حظ غيره محقر (ضئيل)

شُمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَفَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَخْلَاماً إِذَا قَدَرُوا
شمس (عنيدون جامحون) عند العداوة حتى يستفاد لهم (يُستَسلَمَ لهم)
وأعظم الناس عفواً عند المقدرة

هُمُ الَّذِينَ يُبَارُونَ الرِّيحَ إِذَا قَلَّ الطَّعَامُ عَلَى الْعَافِينَ أَوْ قَتَرُوا
إذا هبت الرياح، وهبوبها نذير جفاف، فهم يبارونها في سرعة تقديم الطعام، للعافين (الفقراء) إذا
قتروا (افتقروا)

بَنِي أُمَيَّةَ، نِعْمَاكُمْ مُجَلَّلَةٌ تَمَّتْ، فَلَا مِئَّةَ فِيهَا وَلَا كَدْرُ
نعمتكم مجللة (شاملة)، ولا تمنون على الناس ولا تكلدون العطاء

بَنِي أُمَيَّةَ قَدْ نَاضَلْتُ دُونَكُمْ أَبْنَاءَ قَوْمِ هُمُ آوُوا وَهُمْ نَصَرُوا
قد ناضلت دونكم (دافعت عنكم) أبناء الأنصار الذين آووا الرسول ونصروه. ذلك، عندما هجا
الأخطل شاعر الأنصار بطلب من يزيد بن معاوية

أَفَحَمْتُ عَنْكُمْ بَنِي النَّجَّارِ، قَدْ عَلِمْتُ عُلْبَا مَعَدٍّ، وَكَانُوا طَالَمَا هَدَرُوا
أنحمت (أسكتُ) بالنياحة عنكم بني النجار من الأنصار، وقد علمت عليا معد (أشرف قبائل معد
العدنانية) بفعلي ذاك مع الأنصار القحطانيين الذين كثيراً ما هدرُوا (استطالوا بالكلام)

حَتَّى اسْتَكَانُوا وَهُمْ مِنِّي عَلَى مَضَضٍ وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ الْإِبْرُ
فاستكانوا (خضعوا) وهم مني على مضضٍ والقول ينفذ، ويؤثر أكثر من الإبر
(والإبرة زنايى العقرب التي تلسع بها)

بَنِي أُمَيَّةَ إِنِّي نَاصِحٌ لَكُمْ فَلَا يَبِيتَنَّ فِيكُمْ أَمَانٌ زُفَرُ
لا تدعوا زفر بن الحارث يبتكم. وكان عبد الملك أعطى زفراً، زعيم القيسية، الأمان بعد
الانتصار عليه، وأخذ زفر يحضر مجلس عبد الملك مما أغاظ الأخطل

إِنَّ الضَّغِينَةَ تَلْقَاهَا، وَإِنْ قَدُمْتُ، كَالْعَرِّ يَكْمُنُ حِينًا ثُمَّ يَنْتَشِرُ
الضغينة (الحقد) تكمن ثم تعود وتظهر، مثل العر (الجرب)

وَقَدْ نُصِرْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِنَا لَمَّا أَتَاكَ بِبَطْنِ الْغُوطَةِ الْخَبَرُ
نحن - بني تغلب - نصرناك في موطننا بالعراق، وأتاك خبر النصر وأنت بالشام. وعندما أنشد
الأخطل هذا البيت قال عبد الملك: بل الله نصرني

وَلَمْ يَزَلْ يُسَلِّمُ أَمْرُ جَاهِلِهَا حَتَّى تَعَيَّا بِهَا الْإِيرَادُ وَالصَّدْرُ
وظلت قبيلة سليم تعاني مما أنزله بها جاهلها (زعيمها «المتهور» عمير بن الحباب) حتى تعيا بها
(صعب عليها) الإيراد والصدر (الدخول والخروج، أي التصرف في شأنها)

إِذْ يَنْظُرُونَ وَهُمْ يَجْنُونَ حَنْظَلَهُمْ إِلَى الزَّوَابِي، فَقُلْنَا بَعْدَ مَا نَظَرُوا
ينظرون وهم في موطنهم الصحراوي حيث ينبت الحنظل، إلى الزوابي (مناطق نهري الزاب التي
تسكنها تغلب)، فقلنا: ما أبعد ما نظروا وطمحوا!

كَرُّوا إِلَى حَرَّتِهِمْ يَغْمُرُونَهُمَا كَمَا تَكُرُّ إِلَى أَوْطَانِهَا الْبَقَرُ
كروا (رجعوا) بعد الهزيمة إلى حرتهم (منطقتين في حجارتها سواد) يعمرونها (يسكنونها)،
مثلاً ترجع البقر إلى زرائها بعد المرعى

وَمَا سَعَى فِيهِمْ سَاعٍ لِيُذِرْكُنَا إِلَّا تَقَاصَرَ عَنَّا وَهُوَ مُنْبَهَرُ
لا يحاول منهم من يسعى لإدراكنا إلا قصّر به سعيه وانبهر (انقطع نفسه)

وَقَدْ أَصَابَتْ كِلَابًا مِنْ عَدَاوَتِنَا إِحْدَى الدَّوَاهِي الَّتِي تُخْشَى وَتُنْتَظَرُ
وقبيلة كلاب القيسية أصابها بدهية مما يخشاه المرء وينتظره (يتوقعه)

أَمَّا كُلَيْبُ بْنُ يَرْبُوعٍ فَلَيْسَ لَهُمْ عِنْدَ التَّفَارُطِ إِيرَادٌ وَلَا صَدْرُ
وقبيلة كليب بن يربوع ليس لها عند التفارط (التسابق نحو الماء) إيراد ولا صدر (لا يردون الماء
ولا يصدرون عنه، لأن غيرهم يسبقهم ويغلبهم عليه)

مُخَلَّفُونَ وَيَقْضِي النَّاسُ أَمْرَهُمْ وَهُمْ بَعِيبٌ، وَفِي عَمِيَاءَ مَا شَعَرُوا
مخلفون وراء القوم عند اتخاذ القرارات الصعبة، والناس تتخذ القرار وهم بغيث (بأرض منخفضة،
أي أنهم غائبون) وفي عمياء (جهالة)، ولا يشعرون بضعتهم

مُلْطَمُونَ بِأَعْقَارِ الْحِيَاضِ فَمَا يَنْفَكُ مِنْ دَارِمِي فِيهِمْ أَثَرُ
يلطمهم الناس في أعقار الحياض (أطراف أحواض الماء) ويبعدونهم، ولا تخلو وجوههم من أثر
ضرب أو لطم من دارمي (وبنو دارم، وشاعرهم الفرزدق، كانوا يناكفون بني يربوع، وشاعرهم
جرير، مع أنهما كلاهما من نعيم)

قَوْمٌ تَنَاهَتْ إِلَيْهِمْ كُلُّ مُخْرَبَةٍ وَكُلُّ فَاحِشَةٍ سُبَّتْ بِهَا مُضَرُ
كل المخازي تناهت (استقرت وتجمعت) في يربوع، وكل فاحشة منسوبة إلى القبيلة العظمى (مضر)
فإنما سبها يربوع

الْأَكْلُونَ خَبِيثَ الزَّادِ وَحَدَهُمُ وَالسَّائِلُونَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مَا الْخَبْرُ
يأكلون وحدهم بخلاً، وزادهم خبيث من لحوم الضب مثلاً [ألم يقل أبو نواس: إذا ما تميحي أذاك
مفاخرأ/ فقل عَدَّ عن ذا، كيف أكلك للضب؟]، وهم بعيدون عن مركز القرار ويسألون عما جرى
في مجالس القبيلة الكبرى لأنهم غائبون عنها

ثُمَّ الْإِيَابُ إِلَى سُودٍ مُدَنِّسَةٍ لَا يَسْتَحِينُ إِذَا مَا اخْتَكَّتِ النُّقُرُ
ثم يرجعون إلى نساء سود مدنسة، وليس عندها حياء إذا احتكت الفروج، فساوهم وقحات

وَأَقْسَمَ الْمَجْدُ حَقًّا لَا يُحَالِفُهُمْ حَتَّى يُحَالِفَ بَطْنُ الرَّاحَةِ الشَّعْرُ
المجد لا يقاربهم مثلاً لا يقارب الشعر راحة الإنسان

١٤ الثور الرابع

وَمَهْمِهِ طَامِسٌ تُخْشَى غَوَائِلُهُ قَطَعَتْهُ بِكُلُوءِ الْعَيْنِ مِسْهَارٍ

رب مهمه (خلاء) طامس (مطموس: كما قالوا للأحقق لاسعاً بمعنى ملسوع،
وللماء المفقود في الأنابيب فاقدلاً) تُخشى غوائله (مخاطره العمية) قطعته بناقة كلوء العين
(صاحبة) مسهار (قوية على مشي الليل وسهره)

بِحُرَّةٍ كَأَتَانِ الضَّحْلِ، أَضْمَرَهَا بَعْدَ الرِّبَالَةِ تَرْحَالِي وَتَسْبَارِي

قطعت البر بحرة (ناقة كريمة) كأتان الضحل (صخرة الوادي، وتكون ملساء ضخمة لم يستطع
السيل جرفها) أضمرها (أنحلها) بعد الربالة (السمن) ترحالي وسيري الكثير

أُخِتِ الْفَلَاةُ، إِذَا شُدَّتْ مَعَاقِدُهَا زَلَّتْ قُوَى النَّسْعِ عَنْ كِبْدَاءِ مِسْفَارٍ

هي مصاحبة للفلاة (الصحراء) فإذا شُدَّتْ معاقدها (الجمال التي تربط الرجل بالنيق) انزلت قوى
النسج (جمال الرجل) عن جسم ناقة كبداء (كبيرة الصدر) مسفار (قوية على السفر)

كَأَنَّهَا بُرْجٌ رُومِيٌّ يُشَيِّدُهُ لَزَّ بِجَصٍّ وَأَجْرٌ وَأَحْجَارٍ

الناقة كالبرج من أبراج الروم قد لَزَّ (أحكم بناؤه) بجص (جبصين، شيء كالأسمنت)
وأجر (طوب، طابوق) وحجارة

أَوْ مُقْفَرٌ خَاصِبُ الْأَطْلَافِ جَادَ لَهُ عَيْتٌ تَظَاهَرَ فِي مَيْثَاءٍ مِبْكَارٍ

أو كأنها ثور مقفر (يعيش في القفر) خاسب الأطلاف (مخضوبها بالعشب) وقد جاد له بالعشب
المطر الذي تظاهر (تتابع) في ميثاء مبكار (روضة بكر نبتها)

فَبَاتَ فِي جَنْبِ أَرْطَاةٍ. تُكَفِّتُهُ رِيحٌ شَامِيَةٌ هَبَّتْ بِأَمْطَارٍ

سكن الثور البري قرب أروطاة (نبته صحراوية). وتكففته (تتناوبه) ريح شامية (ريح الشمال) ومعها المطر

يَجُولُ لَيْلَتَهُ وَالْعَيْنُ تَضْرِبُهُ فِيهَا بِغَيْثٍ أَجَشُّ الرَّغْدِ نَثَارٍ

يجول ليلاً والعين (السحابة) تسح عليه مطراً مع رعد صوته أجش (خشن) نثار (يثر المطر)

إِذَا أَرَادَ بِهَا التَّغْمِيزَ أَرْقَهُ سَيْلٌ يَلْبُ بِهَذِمِ الثَّرْبِ مَوَارٍ

يمنعه الغمض في ليلته سيل موار (متحرك) يحمل التراب

كَأَنَّهُ إِذْ أَضَاءَ الْبَرْقُ بِهِجَتَهُ فِي أَصْفَهَانِيَّةٍ أَوْ مُضْطَلِّي نَارٍ

يلمع البرق فيبدو الثور وقد لمع جلده، فكأنه يرتدي حلة أصفهانية مزعفرة صفراء، أو كأنه يصطلي
ناراً ينعكس ضوءها عليه

حَتَّى إِذَا انْجَابَ عَنْه اللَّيْلُ، وَانْكَشَفَتْ سَمَاؤُهُ عَنْ أَدِيمِ مُضْجِرٍ عَارٍ

فإذا انجاب (انحسر) الليل، وكشفت السماء أديمها (وجهها) المصعر (الصافي) العاري من الغيوم

آتَسَ صَوْتٌ قَنِيصٍ، أَوْ أَحَسَّ بِهِمْ كَالجِنَّ يَهْفُونَ مِنْ جَرَمٍ وَأَنْمَارٍ
آتس (سمع) صوت قنيص (صائدين) وأحس بهم كأنهم محاربون من قبيلتي جرم وأنمار يهفون
(يسرعون) مثل الجن

فَانْصَاعَ كَالْكُوكِبِ الدَّرِيِّ مِيعَتُهُ غَضْبَانَ يَخْلِطُ مِنْ مَعْجٍ وَإِخْضَارٍ
فانصاع (مضى) كالكوكب الدرّي (المتوقّد) ميعته (سرعته)، يركض وهو غضبان يخلط المعج
(الجرّي الشديد) بالإخضار (الجرّي المتوسط) وهو يتلوى بين الأشجار

فَأَرْسَلُوهُمْ يَذْرِيْنَ التُّرَابَ كَمَا يَذْرِي سَبَائِخَ قُطْنٍ نَذْفُ أَوْتَارٍ
فأرسل الصيادون الكلاب يذرين (يثرن) التراب المبتل كما يثر ندف أوتار المنجد، الذي ينفش قطن
الفراش بمنذفته، سبائخ قطن (قطع القطن)، فالتراب مبتل وهو كقطع القطن لا بهيئة غبار
حتى إذا قلتُ نالتُه سوابِقُها وَأَزْهَقَتْهُ بِأَنْيَابٍ وَأَظْفَارٍ . .
فإذا قلت قد نالت أسبق الكلاب الثورَ وأرهمته بأنيابها وأظفارها . .

أَنْحَى إِلَيْهِنَّ عَيْنًا غَيْرَ غَافِلَةٍ وَطَغَنَ مُحْتَقِرِ الْأَقْرَانِ كَرَارٍ
أنحى (وجّه) الثور إلى الكلاب عيناً غافلة، وواجههن بطعنٍ كرار (مهاجم) يحقر الأقران
(الخصوم) لقوته

فَعَفَّرَ الضَّارِيَاتِ اللَّاحِقَاتِ بِهِ عَفَرَ الْغَرِيبِ قِدَاحًا بَيْنَ أَيْسَارٍ
فعفر الكلاب الضارية (وماها أرضاً)، كما يجبل، أي يرمي، الرجل الغريب القداح (السهام التي
يقامرون بواسطتها) بين أيسار (مقامين)، ويختارون غريباً ليقسم بينهم قِدَاح الميسر

يَعْذَنُ مِنْهُ بِحُزَّانِ الْمِتَانِ، وَقَدْ فُرِّقْنَ عَنْهُ بِذِي وَقْعٍ وَأَثَارٍ
يعذن منه (يلجأن) بحزان المتان (بالأرض المرتفعة الوعرة) بعد أن فرقهن بقرن له وقع وأثر في
أجسام الكلاب

حَتَّى شَتَا وَهُوَ مَغْبُوطٌ بِغَائِطِهِ يَرَعَى ذُكُورًا أَطَاعَتْ بَعْدَ أَخْرَارٍ
ثم قضى شتاءه مسروراً في غائطه (أرضه المنخفضة) يرعى الذكور (البقل الغليظ) بعد أن يأتي على
الأحرار (البقل الطري)

فَرَّدَ تُغْنِيَهُ ذِبَّانُ الرِّيَاضِ كَمَا غَنَى الْغُؤَاةُ بِصَنْجٍ عِنْدَ إِسْوَارٍ
مفرّد يسمع طنين ذباب الرياض، فهو بالنسبة إليه كغناء الغواة (اللاهين) عند إسوار (قائد الفرس)

كَأَنَّهُ مِنْ نَدَى الْقُرَاصِ مُغْتَسِلٌ بِالْوَرَسِ، أَوْ خَارِجٌ مِنْ بَيْتِ عَطَّارٍ
كأنّ هذا الثور وقد مسّ الندى المنتشر على نبات القراص الشوكي ذي الزهر الأصفر، كأنه قد
اغتسل بالورس (الكركم، صبغ أصفر) أو خرج من دكان عطار

وَشَارِبٍ مُّزِجٍ بِالْكَأْسِ نَادَمَنِي لَا بِالْحَصُورِ وَلَا فِيهَا بِسَوَّارٍ
رب شارب مريج (سخي يذبح لأضيافه) نادمني على الشراب، وهو غير حصور (بخيل)
ولا سوار (معربد)

نَازَعْتُهُ طَيِّبَ الرَّاحِ الشَّمُولِ، وَقَدْ صَاحَ الدَّجَاجُ، وَحَانَتْ وَقْعَةُ السَّارِي
عاطيته الخمر الشمول (الباردة) عند الفجر وقت صباح الدجاج (يريد الديكة)، وحانت وقعة (نومة)
الساري (الذي سار ليلته)

مِنْ خَمْرٍ عَانَةً يَنْصَاعُ الْفُرَاتُ لَهَا بِجَذُولٍ صَخْبٍ الْآذِيَّ مَوَّارٍ
هذه الخمر من قرية عانة التي ينصاع (يسرع) لها ماء الفرات بجذول صخب الآذي (الموج) موار
(متحرك) ليسقي كرومها

لَهَا رِدَاءَانِ: نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ، وَقَدْ لُقِّتْ بِآخَرَ مِنْ لَيْفٍ وَمِنْ قَارٍ
للخمر في جرتها رداءان: الخارجي نسج العنكبوت لطول ما عتقت،
والآخر من الليف والقار (الزفت)

عَذْرَاءٌ لَمْ تَجْتَلِ الْخُطَّابُ بِهِجَتَهَا حَتَّى اجْتَلَاهَا «عِبَادِي» بِدِينَارٍ
لم يفضّ جرة الخمر هذه أحد فهي كالعذراء التي لم يجتل (ير) الخطاب جمالها، حتى جلاها لنا
عبادي (من قوم «العبيد» من أهل الحيرة النصارى) مقابل دينار

إِنِّي حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ، وَمَا أَضْحَى بِمَكَّةَ مِنْ حُجْبٍ وَأُسْتَارٍ
حلفت برب النياق الراقصات (السائرات المتمايلات المتجهات إلى مكة)،
وبما في مكة من أستار الكعبة

لَأَلْجَأَنَّي قُرَيْشٌ خَائِفًا وَجَلَاءً وَمَوْلَتْنِي قُرَيْشٌ بَعْدَ إِقْتَارٍ
لألجأني قريش خائفاً وجلاً (لقد أوتني من خوف)، وأعطيني المال بعد إقتار (فقر)

الْمُنْعِمُونَ بَنُو حَرْبٍ وَقَدْ حَدَقْتُ بِي الْمَنِيَّةُ، وَاسْتَبْطَأْتُ أَنْصَارِي
أنعم بنو حرب (آل أبي سفيان) وقد حدقت (أحاطت) بي المنية (الموت) واستبطأت النصره

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَآزِرَهُمْ دُونَ النِّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارٍ

هؤلاء قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم (ملابسهم) دون النساء (فلا يقربون النساء)
حتى لو باتت بأطهار (غير حائضة)، فهم يوجهون كل همتهم للحرب ويحلقون لا يقربون النساء
إلا بعد ملاقة العدو

١٥ يا ابن غير المختونة

عَفَا «الْجَوُّ» مِنْ سَلَمَى فَبَادَتْ رُسُومُهَا «فَذَاتُ الصَّفَا» صَحْرَاؤُهَا فَقَصِيْمُهَا
عفا (خلا) الجو (اسم مكان) من سلمى ورهطها، وبادت (فنت) رسومها (بقاياها بعد الرحيل)،
وكذا من «ذات الصفا» فلم يعد هناك شيء من آثار القوم في الصحراء أو في القصيم
(منبت شجر الغضا)

وَلَوْ حَمَلْتَنِي السَّرَّ سَلَمَى حَمَلْتُهُ وَهَلْ يَحْمِلُ الْأَسْرَارَ إِلَّا كَتُومُهَا
إِلَيْكَ أبا مروانَ يَمَّمُ أَرْكُبُ أَتَوَكُّ بِأَنْضَاءٍ خِفافٍ لُحُومُهَا
يَمُّ إِلَيْكَ (قصدك) يا أبا مروان (بشر بن مروان أمير العراق) أركب (رجال راكبون إبلًا)، جاءوك
على أنضاء (إبل مهزولة) وقد خف لحمها لطول السير

نَحْسَرْنَ، وَاسْتَقْبَلْنَ لِلْقَيْظِ وَقْدَةً تُغَيِّرُ أَلْوَانَ الرِّجَالِ سَمُومُهَا
نحسرن (تعبن) وتعرضن لوقدة القَيْظِ (شدة الحر) التي تجعل سمومها (ريحها الحارة) أوجه الرجال
مسمومة متغيرة اللون

إِذَا بَلَغْتَ بِشْرَ بَنِ مَرْوَانَ نَاقَتِي، سَرَتْ خَوْفُهَا نَفْسِي، وَنَامَتْ هُمُومُهَا
إذا وصلت ناقتي الأمير، سرت (ألقت) نفسي الخوف، ونامت همومي

أَبُوكَ أَبُو الْعَاصِي، عَلَيْكُمْ تَعَطَّلَتْ قَرِيْشٌ، لَكُمْ عَزِينُهَا وَصَمِيمُهَا
أبوك هو أبو العاصي المعروف، وقد تعطلت (انضمت) عليكم واحتضتكم قريش التي لكم عزينها
(أنفها الشامخ) وصميمها (أصلها)

بِكُمْ أَدْرَكَ اللَّهُ الْبَرِيَّةَ، بَعْدَمَا سَعَى لِصُهَا فِيهَا، وَهَبَّ عَشُومُهَا
بكم أدرك الله البرية (الخلق) بعدما سعى في الناس اللص (سارق السلطة ابن الزبير) وهب
العشوم (الظالم) يطلب الخلافة لنفسه. وكان بشر بن مروان الممدوح والياً على العراق بعد أن
تغلبت بنو أمية على مصعب بن الزبير والي العراق وأخيه عبد الله الذي أعلن نفسه خليفة بمكة

وَأِنَّكَ لَلْمَأْمُولُ وَالْمُتَّقَى بِهِ إِذَا خِيفَ مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ عَظِيمُهَا
أنت المأمول، وأنت من تنقي به (نحتي) إذا خفنا عظام الأمور

فَلَا تُطْعِمَنَّ لَحْمِي الْأَعَادِي، إِنَّهُ سَرِيعٌ إِلَيْكُمْ مَكْرُهَا وَنَمِيمُهَا
لا تتركني فريسة للأعداء من قبائل قيس، فحقدهم دفين عليك وسريعاً ما يمكنون
(يخدعون) وينمّون (يُرجفون وينشرون الشائعات). وكان الأخطل يُدُلُّ على بني أمية
بأن قومه بني تغلب نصرهم، بينما كانت قبائل قيس مع ابن الزبير، وكان الأمير بشر
يحرص الشعراء بعضهم على بعض، ومن هؤلاء الشعراء من كان زبيري الهوى

وَمَا أَنَا إِلَّا مَدُّ الْمَدَى بِمُقْصَرٍ وَلَا عَضَّةٌ مِنِّي بِنَاجٍ سَلِيمُهَا
وما أنا إن مد المدى (في نهاية المطاف) بمقصر في هجاء الشعراء، والعضة مني (الأهجية)
لا ينجو سليما (الملسوع بها)

يُعَنِّي ابْنُ يَرْبُوعٍ بِشْتَمِي أُمِّهِ وَمَا انْفَلَتَتْ مِنِّي صَحِيحاً أَدِيمُهَا
ليس لجريز إلا أن يغني بقصائدي في شتم أمه، فما أفلتت مني وأديمها (جلدها) صحيح،
بل مزقه تمزيقاً، أي مزق عرضها

وَمَا وَجَدُوا أُمَّالَهُ عَرَبِيَّةً وَمَا أَشْهَرَتْهَا مِنْ خِتَانٍ كُلُّومُهَا
وليس أمه عربية، وما جعلتها كلومها (جروحها) بسبب الختان تسهر من الألم. فهي ليست
مختونة كبنات العرب

وَجَدْتُ كُليباً أَلَّامَ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَأَنْتَ إِذَا عُدَّتْ كُليبٌ لَثِيمُهَا
كليب: قبيلة جرير

١٦ خذلتُموني

أَلَا أَبْلِغُ بَنِي شَيْبَانَ عَنِّي فَمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ دُحُولُ
دحول: ثارات. وشييان من ربيعة، فهم لتغلب - قبيلة الأخطل - من الأقارب

وَكُنْتُمْ إِخْوَتِي فَخَذَلْتُمُونِي عَدَاةً تَخَاطَرَتْ تِلْكَ الْفُحُولُ
خذلتُموني غداة (صبيحة) تخاطرت (تسابت وتبارت) فحول الرجال في المكارم. وغيركم أعطاني
لدفع ديات قومي، وأنتم امتنعتم

١٧ نقيق الضفادع

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا هِنْدُ، هِنْدُ بَنِي بَذْرِ وَإِنْ كَانَ حَبَانَا عِدَى آخِرِ الدَّهْرِ
اسلمي يا هند، وإن كان حيانا (قيلتاناً) متعاديتين حتى آخر الدهر

أَسِيلَةُ مَجْرَى الدَّمْعِ، أَمَّا وَشَاحُهَا فَجَارٍ، وَأَمَّا الْحِجْلُ مِنْهَا فَمَا يَجْرِي
أسيلة مجرى الدمع (طويلة الخد)، وشاحها على خصرها يجري (يتحرك) لأنها نحيلة الخصر،
وحجلها (خلخالها) ثابت لأن ساقها سمينة

تَنِقُّ بِلا شَيْءٍ شُبُوخُ «مُحَارِبٍ» وَمَا خِلْتُهَا كَانَتْ تَرِيشُ وَلَا تَبْرِي
رجال قبيلة محارب يهذرون كتقيق الضفادع، ولا اظنهم يريشون (يضعون الريش على السهم)
ولا يبرونه، أي أنهم غير ذوي تأثير

ضَفَادِعُ فِي ظِلْمَاءٍ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَبِيَّةَ الْبَحْرِ

هم كالضفادع في الظلام تتجاوب أصواتها بالنقيق، فندل على مكانها حبة البحر (السمة الكبيرة التي تأكل الضفادع). أي أن رجال محارب يقولون كلاماً تافهاً فيجرون على أنفسهم هجاء مولماً

وَنَحْنُ رَفَعْنَا عَنْ «سُلُولٍ» رِمَاحَنَا وَعَمْدًا رَغَبْنَا عَنْ دِمَاءِ بَنِي نَصْرِ
ترفعنا عن سلول وبني نصر ورغبنا عن دمائهم (كرهنا قتالهم)

وَلَوْ بَنِي دُبْيَانَ بَلَّتْ رِمَاحُنَا لَقَرَّتْ بِهِمْ عَيْنِي، وَبَاءَ بِهِمْ وَثْرِي
لو بلت (ظفرت) رماحنا ببني دبيان لقرت عيني (استرحت) وباء وبثري (استراح ثأري)

شَفَى النَّفْسَ قَتْلَى مِنْ سُلَيْمٍ وَعَامِرٍ وَلَمْ تَشْفِهَا قَتْلَى عَنِّي وَلَا جَسِرٍ
سليم وعامر وغني وجسر: قبائل

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاقَتْ سُلَيْمٌ وَعَامِرٌ عَلَى جَانِبِ الثَّرَاثِرِ رَاغِبَةَ الْبَكْرِ
لاقت هاتان القبيلتان على جانب نهر الثراثر في المعركة المشهورة راغبة البكر (المصيبة المييدة)

أَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِنَائِلٍ وَحُسْنَ عَطَاءٍ لَيْسَ بِالرَّيْثِ النَّزْرِ
يطلب معونة الخليفة بنائل (عطاء)، ليس بالريث (المؤجل)، ولا النزر (القليل)

وَلَمَّا تَبَبَّنَا ضَلَالَةً مُضْمَبٍ فَتَخْنَا لِأَهْلِ الشَّامِ بَاباً مِنَ النَّصْرِ
عندما بدا لنا أن مصعب بن الزبير والي العراق ضال، انضممنا لبني أمية وأهل الشام، وبنا بدأت تبشير انتصارهم

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَسِيرُهَا تَخُبُ الْمَطَايَا بِالْعَرَانِينَ مِنْ بَكْرِ
نسير (نُسِرَ) الإبل نحوك يا أمير المؤمنين وهي تخب (تسرع) بالعرائين من بكر (بسادات قبيلة بكر القيسية وهي غير بكر الربعية) نحملهم إليك أسرى

فَأَسْرَيْنَ خَمْسًا ثُمَّ أَصْبَحْنَ غُدْوَةً يُخَبِّرُنَ أَخْبَاراً أَلَدًا مِنَ الْخَمْرِ
أسرت الإبل (سارت ليلاً) خمس ليال، وأصبحن صباحاً في الشام ومعهن أخبار سارة

١٨ طِعَانٌ فَضِرَابٌ

وَكُنَّا إِذَا أَحْمَرَ الْقَنَا عِنْدَ مَعْرَكٍ نَرَى الْأَرْضَ أَخْلَى مِنْ ظُهُورِ جِيَادٍ
إذا احمرت القنا (الرماح) من دماء الأعداء نزلنا عن الخيل لكي نضاربهم بالسيف

فَلَا تُوعِدُونَا بِاللِّقَاءِ، وَأَبْرِزُوا إِلَيْنَا سَوَاداً نَلْقَهُ بِسَوَادٍ
لا توعدوننا باللقاء مجرد تهديد، أبرزوا (أظهروا) لنا سوادكم (جمعكم) للقاء بجمعنا

١٩ المطربة البحاء

يمدح مصقلة بن هبيرة الشيباني:

وَقَدْ لَبِسْتُ لِهَذَا الدَّهْرِ أَعْصَرَهُ حَتَّى تَجَلَّلَ رَأْسِي الشَّيْبُ وَاشْتَعَلَا
لبست لهذا الدهر أعصره (عشته) حتى تجلل (غطى) رأسي الشيب، واشتعل به كأنه نار فوق رأسي

وَقَدْ أَكُونُ عَمِيدَ الشَّرْبِ، تُسْمِعُنَا بَحَاءَ تَسْمَعُ فِي تَرْجِيْعِهَا صَحَلَا
وقد أكون «قد» هنا تؤكد لا تشكك.. هكذا في لغة أيامهم) عميد الشرب (كبير الشاربين، وكان للأخطل في الحيرة دار ضيافة يستقبل فيها الناس والغرباء وكانت محل منادمة وشراب)، ونسمع الغناء من مغنية بحاء (في صوتها بحة)، وعندما ترجع الغناء (بتذبذب صوتها بين درجة ودرجة على سلم النغم فيما يسمونه الـ «تريل») تسمع فيه الصحل (البُحَّة)

مِنَ الْقِيَانِ هَتُوفٌ، طَالَمَا رَكَدَتْ بِفِتْنَةٍ يَشْتَهُونَ اللَّهْوَ وَالْعَزَلَا
قبة (مغنية) هتوف (صيته، لها غناء عالٍ) كثيراً ما ركدت (قعدت!) مع فتية يحبون اللهو والغزل
قَبَانٍ مِنِّي شَبَابِي بَعْدَ لَذَّتِهِ كَأَنَّمَا كَانَ ضَيْفًا نَازِلًا رَحَلَا
بان: فارق

إِذْ لَا أَطَاوُعُ أَمَرَ الْعَاذِلَاتِ، وَلَا أَبْقِي عَلَى الْمَالِ إِنْ دُو حَاجَةٌ سَأَلَا
وكننت في شبابي أعصي العاذلات (اللاتعات) لي على الإسراف وأعطي من يسألني
وكاشح مُعْرِضٍ عَنِّي غَفَرْتُ لَهُ وَقَدْ أَبَيَّنُ مِنْهُ الضُّغْنَ وَالْمِيلَا
ورب كاشح (منصرف يعطيني جنبه) غفرت له، وقد أبين (أثبنت وأرى) منه الضغن (الحقد) والميلا (الانحراف عني)

وَلَوْ أَوَاجِهُهُ مِنِّي بِقَارَعَةٍ مَا كَانَ كَالذَّبِّ مَغْبُوطًا بِمَا أَكَلَا
ولو واجهته بقارعة (قصيدة هجاء) لما كان كالذنب المغبوط بالحمل الذي اختطفه وأكله، بل كان سيدفع ثمن جفائه

٢٠ دواء الشيب

هَلِ الشَّبَابُ الَّذِي قَدْ فَاتَ مَرْدُودٌ أَمْ هَلِ دَوَاءٌ يَرُدُّ الشَّيْبَ مَوْجُودٌ؟
أيعود الشباب، أم هناك دواء يرد (يصد) الشيب؟

لَنْ يَرْجِعَ الشَّيْبُ شَبَابًا وَلَنْ يَجْدُوا عَدَلُ الشَّبَابِ لَهُمْ مَا أَوْرَقَ الْعُودُ
لن يرجع الشيب (الشائبون) شباباً ولن يجدوا عدلاً (مساوياً) لعهد الشباب ما أورق (ما دام الغصن يخرج الورق، أي أبداً)

إِنَّ الشَّبَابَ لَمَحْمُودٌ بِشَاشَتِهِ وَالشَّيْبُ مُنْصَرَفٌ عَنْهُ وَمَصْدُودٌ

بشاشة عهد الشباب يحمدها الناس، ويتصرفون عن الشيب وأمله. ترى الشاب ضاحكاً لاهياً فإذا كبر وشاب غلب عليه العيوس وما على الأسيب ألا يستمتع بشيء آخر! سأذهب إلى كولونيا لأشتري زجاجة كولونيا. وكل شيخ يتعطر ويتأنق، سابداً رحلة مع العطر. رأيت مرة في لندن الصحفي الفلسطيني ناصر الدين النشاشيبي وقد قدم من سويسرا، رأيته مجلواً كالعروس، حليقاً لابساً ملابس كبار الأثرياء - وهو من عائلة ثرية ومعروفة - متأنقاً، ورأيت في معصمه سواراً ذهباً، فتعجبت كثيراً من هذا الشيخ، وكان يزحف إلى الثمانين. وهذا الأخطل.. كان ذا أناقة يحثي شعره ويجلس في بيته الذي جعله منتدي. وقد اعترتني أسى فقط حثي الكولونيا، فلم أكتف بماء الليمون من شبراويشي الذي ظل بالنسبة إليّ قاتل جراثيم لا عطراً، فابتعت زجاجة من عطر البهار العتيق «أولد سبايس»، وشممت منها رائحة أيام صارت بعيدة. وأنا الآن عازم - ولست ثرياً مثل النشاشيبي رحمه الله - غير أنني لست فقيراً - على الذهاب إلى كولونيا لشراء ماء كولونيا (والألمان يسمون هذا الضرب من العطر «كولنیش فاسر» ويقول الفرنسيون «أيو دي كولون» والمعنى لكليهما: ماء كولونيا). عند الكاتدرائية الكبرى في تلك المدينة دكان رقمه ٤٧١١، ويبيع عطراً اسمه ٤٧١١. ذلك أن نابليون رقم بيوت ودكاكين مدينة كولونيا الألمانية عندما فتحها. فسمى ذلك العطار عطره برقم دكانه. وكانت أمي رحمها الله تحب هذا العطر، فكنت آتيها به من كولونيا. من يدري فقد أدخل أيضاً حرم العطور الزيتية الخليجية، فقد كان يبيع أشباهاً رخيصة لهذه العطور رجل في بلدنا كان يطوف بسفطه في الأسواق. وكنا نأثيه صغاراً ونصافحه، فيصافحنا ويفرك يده بأيدينا. ثم أصبح الناس يسمون هذا الضرب من العطر «عطر الأموات» فنزل من العيون، أقصد من الأنوف، وانصرف الناس عنه إلى العطور الباريسية الكحولية، وإلى ماء كولونيا. وقد اهتم القدماء بالمشموم مثلما اهتموا بالمأكول والمشروب، وكتبوا في ذلك الكتب. المشموم أبعث للماضي من أي شيء. وما أحوج الشيخ إلى الماضي

أَمَّا يَزِيدُ فَإِنِّي لَسْتُ نَاسِيَهُ حَتَّى يُغَيِّبَنِي فِي الرَّمْسِ مَلْحُودٌ
سَاطِلُ ذَاكِرٍ مَعْرُوفٍ يَزِيدُ بَنٍ مَعَاوِيَةَ حَتَّى يَغِيْبَنِي فِي الرَّمْسِ (القبر) ملحود (شق بجانب القبر)

٢١ مسيحي وأفتخر

قال الأخطل. ودعاه بعضهم إلى الإسلام:

وَلَسْتُ بِصَائِمٍ رَمْضَانَ طَوْعاً وَلَسْتُ بِأَكِلٍ لَحْمِ الْأَضَاحِي
وَلَسْتُ بِقَائِمٍ أَبَدًا أَنْادِي قُبَيْلَ الصُّبْحِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ
وَلَكِنِّي سَاشَرْتُهَا شَمُولاً وَأَسْجُدُ عِنْدَ مُنْبَلَجِ الصَّبَاحِ
سَاشَرْتُهَا شَمُولاً (خمرة باردة) وأسجد بعد انبلاج (ظهور) الصباح

٢٢ أمير عليك

دعاه عبد الملك بن مروان للإسلام فأبى بحجة أنه لا يصبر عن الخمر فقال له صفها، فقال:

إِذَا مَا نَدِيْمِي عَلَّنِي ثُمَّ عَلَّنِي ثَلَاثَ زُجَاجَاتٍ لَهُنَّ هَدِيرُ
علني (سقاني)، زجاجات (كؤوس) هدير (غليان). كأنه يرى فقاقيعها فيشبهها بماء يغلي، ولا نظمه
عرف النيبذ الساخن «النيذ اللامع، غلوفان» الذي يبعونه في الأسواق في ألمانيا في أيام عيد الميلاد
جَعَلْتُ أَجْرُ الدَّيْلِ مِنِّي، كَأَنَّنِي عَلَيْكَ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَمِيرُ
جررت ذيل ثوبي مفتخراً كأنني أمير عليك، يا أمير المؤمنين

٢٣ شراب كسرى

تَعِيبُ الْخَمْرَ وَهِيَ شَرَابُ كِسْرَى وَيَشْرَبُ قَوْمُكَ الْعَجَبَ الْعَجِيبَا .
تعيرني، يا جرير، يشرب الخمر، وكان كسرى يشربها، وقومك يشربون العجب العجيب .
مَنْيَّ الْعَبْدِ عَبْدِ أَبِي سَوَاجٍ أَحَقُّ مِنَ الْمُدَامَةِ أَنْ تَعِيبَا
يشربون مني عبد أبي سواج وهو أحق أن تعيب من الخمر . وكان أبو سواج هذا قد جعل عبداً له
يأتي أمة ثم يفرغ منه في قعب، ثم صب فوقه اللبن الحليب، وقدمه لرجل من قبيلة يربوع، قبيلة
جرير، ليشربه محتالاً عليه بحيلة، فشربه

٢٤ المنبر وغير المنبر

وَلَقَدْ أَكُونُ لَهُنَّ صَاحِبَ لَذَّةٍ حَتَّى تَغْيِرَ حَالَهُنَّ وَحَالِي
قد أكون «و» قد» للتوكيد صاحب استمتاع بالنساء، ثم تغيرت حالي بالكبر، وتغيرت حال النساء
معي فانصرفن عني

وَالنَّاسُ هَمُّهُمْ الْحَيَاةَ، وَمَا أَرَى طُولَ الْحَيَاةِ يَزِيدُ غَيْرَ خَبَالٍ
كلُّ همه الحياة، وطول العمر يزيد خبال (فساد) المرء

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الدُّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ دُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ
الدخائر (التحويشة، ما ادخرته من مال)

وَلَيْتَنَّا نَجُوتُ مِنَ الْحَوَادِثِ سَالِمًا وَالنَّفْسُ مُشْرِقَةً عَلَى الْأَجَالِ .
إذا نجوت من حوادث الدهر، مع أن النفس تظل مشرقة (مقبلة) على الأجل (نهاية الرحلة) .

لَأَعْلَغِلَنَّ إِلَى كَرِيمٍ مَذْحَةٍ وَلَا تُنَيِّنَنَّ بِنَائِلٍ وَقَعَالٍ
فسوف أغلغل (أرسل رسالة) فيها مدح لهذا الكريم وثناء عليه، وسأقدم النائل (المال) وأصنع الفعال
الحسن . فمن ماله سأعطي قومي الذين أرسلوني لطلب المال في حمالة، أي لدفع الديات

إِنَّ ابْنَ رَبِّعِي كَفَانِي سَيْبُهُ ضِغْنُ الْعَدُوِّ، وَتَبَوُّةُ الْبُخَالِ

ابن رباعي (عكرمة الفياض) كفاني سيبه (جنيني عطاؤه) ضغن (حققد) العدو، وتبوة البخال (وصدود البخلاء). فهذا الرجل أعطاه بعد أن صده رجل قبله ولم يعطه

إِنَّ اللَّثِيمَ إِذَا سَأَلْتَ بَهْرَتَهُ وَتَرَى الْكَرِيمَ يَرَأُحُ كَالْمُخْتَالِ

إذا سألت اللثيم مالاً بهرته (جعلته يأخذ نفساً عميقاً للتفكير في عذر)، والكريم يراح (تأخذه الأريحية، ويهتز للعطاء) فكانه سعيد مختال بطلبك وبمنحك المال

وَإِذَا عَدَلْتَ بِهِ رَجَالاً لَمْ تَجِدْ فَيْضَ الْفُرَاتِ كَرَأِشِ الْأَوْشَالِ

فإن قارنت به رجالاً آخرين فستجد فرقاً بين الفرات إذ يفيض وبين راشح الأوشال (المياه القليلة التي ترشح رشحاً)

وَإِذَا تَبَوَّعَ لِلْحِمَالَةِ، لَمْ يَكُنْ عَنْهَا بِمُنْبَهَرٍ وَلَا سَعَالٍ

إذا تبوع (بسط باعه واسعاً) ليؤدي الحماله (مال الديات) لم ينهر (يأخذ شهيقاً وزفيراً لانقطاع النفس)، ولم يسعل (يتنحج متردداً)

٢٥ العيون الزواني

فَلَا تَدْخُلْ بُيُوتَ بَنِي كَلْبٍ وَلَا تَقْرَبْ لَهُمْ أَبَداً رَحَلا

بنو كلب: قوم جرير، الرحال: الهوداج فوق الجمال

تَرَى فِيهَا اللَّوَامِعَ مُبْرِقَاتٍ يَكْذَنُ يَبْكُنُ بِالْحَدَقِ الرَّجَالَا

في هوداجهم نساء لوامع (متزينات) مبقرات (بارزات الوجوه للرجال)، ويكذن ييكن (وصحف الباء) بالحدق (بعيونهن) الرجال للشبق، أو طلب الفاحشة

٢٦ قطع الضباب

أَتَيْتُكَ سَائِلًا فَحَرَمْتَ سُؤْلِي وَمَا أَعْظَيْتَنِي غَيْرَ الثُّرَابِ

السؤل: الطلب

وَعَبْدُ الْقَيْسِ مُضْفَرٌّ لِحَايَاهَا، كَأَنَّ فُسَاءَهَا قَطَعُ الضُّبَابِ

كانت هذه القبيلة تسمى «الفساة»

٢٧ سَيِّبَ مِنْ اللَّهِ

هُمُ الَّذِينَ أَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَهُمْ لَمَّا تَلَاَقَتْ نَوَاصِي الْخَيْلِ فَاجْتَلَدُوا

أجاب الله دعوة الأمويين عندما تلاقت نواصي (وجوه) الخيل والتحم الفرسان في المعركة واجتلدوا (تضاربوا)

قَوْمٌ إِذَا أَنْعَمُوا كَانَتْ قَوَاضِلُهُمْ سَيِّئاً مِنَ اللَّهِ، لَا مَنٌّ وَلَا حَسَدٌ
 كانت فواضلهم (عطايهم) سيئاً (عطاء) كأنه من الله بلا واسطة، وعطاء الله لا فيه من ولا حسد
 وَيَوْمَ صَفِينٍ وَالْأَبْصَارُ خَاشِعَةٌ أَمَدَّهُمْ إِذْ دَعَوْا مِنْ رَبِّهِمْ مَدَدٌ
 في يوم صفين، بين معاوية وعلي، كانت الأبصار خاشعة (منخفضة لهول الموقف) وأمد الله بني
 أميه بمدد من عنده. لعل هذا المدد كان اسمه حيلة عمرو بن العاص

٢٨ رَأَيْتُمُونِي وَأَنَا مَيِّتٌ؟

أَعَادِلْتَنِي الْيَوْمَ وَنَحَكُمَا مَهْلًا وَكُفَّا الْأَذَى عَنِّي، وَلَا تُكْثِرْ عَذْلًا

العذل: اللوم

ذَرَانِي تَجِدْ كَفِّي بِمَالِي، فَإِنِّي سَأَصْبِحُ لَا أَسْطِيعُ جُوداً وَلَا بُخْلًا
 اتركاني كي أجود بمالي، فبعد الموت لا أستطيع أن أسخو ولا أن أبخل. فحياة آخرها الموت
 الجود فيها خير من البخل

إِذَا وَضَعُوا بَعْدَ الضَّرِيحِ جَنَادِلًا عَلَيَّ وَخَلَبْتُ الْمَطِيَّةَ وَالرَّحْلًا
 هذا عند الموت: عندما يضعون عليّ بعد الضريح (شق القبر) جنادل (صخوراً) وعندما أترك إبلي
 فلا سفر ولا انتقال

وَيَا رَبَّ غَادٍ وَهُوَ يُرْجَى إِيَابُهُ وَسَوْفَ يُلَاقِي دُونَ أَوْبَتِهِ شُغْلًا
 رب رجل غاد (ذاهب) يرجي له إياب (عودة) لكنه يلاقي من الموت ما يشغله عن العودة

ذَكَرْتُ انْقِلَابَ الدَّهْرِ فَادْكُرْ «وَسِيمَةً» فَقَدْ خَلْتُ حَقًّا حَبَّهَا قَاتِلِي قَتْلًا
 هيا يا أخطل اذكر الأمور الجميلة ودعك من الموت وانقلاب الدهر (تغيره)... ظننت حب
 «وسيمة» سيقتلني قتلاً

عَدَاةَ بَدَتْ غَرَاءَ غَيْرَ قَصِيرَةٍ تُذَرِّي عَلَيَّ الْمَثْنَيْنِ ذَا عُدْرٍ جَثْلًا
 صبيحة بدت غراء (مشرقة الوجه) ذات طول حسن، تذري (تنشر) على المتنين (الجنين) شعراً ذا
 عذر (خصلات) جثلاً (كثيفاً)

٢٩ العوارم المعتلجات

وقال يهجو نابغة بني جملة:

وَمَا أَنَا إِنْ أَرَدْتُ هِجَاءَ قَيْسٍ بِمَخْذُولٍ وَلَا خَاشِيِ الْجَنَانِ
 لن يخذلني قومي إن هجوت قيساً فغضبوا، ولست خاشي الجنان (خائف القلب)

أَهْمُ بِشْتَمِهِمْ وَيَكُفُّ حِلْمِي عَوَارِمَ يَنْتَلِجْنَ عَلَى لِسَانِي
أهم بشتهم ولكن حلمي (سماحة نفسي) يكف (يمنع) عوارم (أبيات عارمة متدفقة) ينتلجن
(يصخبن ويتدافعن) على لساني

٣٠ افتخار بالثارات

وَمَا تَرَكْتُ أَسِيفُنَا مِنْ قَبِيلَةٍ تُحَارِبُنَا إِلَّا لَهَا عِنْدَنَا وَثْرُ
الوتر: الثار. فقبيلتنا قتلت ناساً من قبائل كثيرة فعليها ثارات كثيرة، وهذا دليل قوتها

٣١ نظرات الكراهية

وَأِنِّي صَبُورٌ مِنْ سُلَيْمٍ وَعَامِرٍ وَنَضِرٍ عَلَى الْبَغْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّرِّ
صبور من هذه القبائل على البغضاء (الكراهية) والنظرات الحادة، فلست لأعطيهم أي اهتمام
إذا ما التَقَيْنَا عِنْدَ بِشِيرٍ رَأَيْتَهُمْ يَغُضُّونَ دُونِي الظَّرْفَ بِالْحَذَقِ الْحُضِرِ
التقي عند الأمير بشر بن مروان في الكوفة فيغضون بصرهم بعيونهم الخضر (السود). معاجمنا
القديمة مصابة بعمى الألوان، فخذ ما أتاك

وَأَوْجُهُ مَوْثُورِينَ فِيهَا كَابَةٌ فَرَعَمًا عَلَى رَعَمٍ، وَوَقَرًا عَلَى وَقَرٍ
يفغضون أوجه ناس موتورين (لهم ثار) وفي وجوههم كآبة، فليرعهم الله وجوههم (يعفرها في
التراب)، وليحمل عليهم وقراً (ثقلًا) فوق وقر

٣٢ حاطب العودين

وَأِنْ أَتَعَرَّضَ لِلْوَلِيدِ فَإِنَّهُ نَمَتْهُ إِلَى خَيْرِ الْفُرُوعِ مَضَارِبُهُ
إن أتعرض للوليد (أطلب العطاء منه) فهو أصيل نمته مضاربه (جذوره) إلى خير فروع قریش
تَجِيْشُ بِأَوْصَالِ الْجَزُورِ قُدُورُهُ إِذَا الْمَحَلُّ لَمْ يَرْجِعْ بِمُودَيْنِ حَاطِبُهُ
تجيش (تمتلئ) بأوصال الجزور (أطراف الذبيحة) قدوره في وقت المحل (القحط) الذي يذهب فيه
المرء يحتطب ثم لا يرجع بعودين لتلف المزروعات

وَمَا بَلَغَتْ خَيْلُ امْرِئٍ كَانَ قَبْلَهُ بِحَيْثُ انْتَهَتْ آثَارُهُ وَمَحَارِبُهُ
ولم تبلغ خيل أي خليفة قبله ما بلغت خيله ومحاربه (حروبه) من التعمق في الشرق والغرب. وفي
زمن الوليد كان فتح الأندلس وبلاد كثيرة في الشرق

وَتُضْحِي جِبَالُ الرُّومِ غُبْرًا فِجَاجُهَا بِمَا أَشْعَلَتْ غَارَاتُهُ وَمَقَانِبُهُ
فجاج (دروب الجبال) في بلاد الروم اغبرت من حوافر خيل الخليفة في غاراتها، ومن مقابله (كتابه)

٣٣ ضحية المنجنيق

عَدَا زُفَرُ الشَّيْخِ الْكِلَابِيِّ طَوْرَهُ فَقَدْ أَنْزَلَتْهُ الْمَنْجَنِيقُ مِنَ الْقَصْرِ

زفر بن الحارث الكلابي زعيم قيس، كان زبيرياً ولما أدير حال الدولة الزبيرية صالحه عبد الملك بعد أن نصب عليه المجانيق في معقله بقرقيسيا قرب دير الزور حالياً ثم وسع له في مجلسه. وكان الأخطل يكثر من تذكير عبد الملك بأن زفر ما زال يبطن العداوة

بَنِي عَامِرٍ لَمْ تَنَارُوا بِأَخِيكُمْ وَلَكِنْ رَضِيتُمْ بِاللَّقَاحِ وَبِالْجُزْرِ

يا بني عامر لم تأخذوا ثأر أخيك عمير بن الحباب، وكانت تغلب قتلته، وعمير هذا صاحب زفر وحليفه، ولكنكم رضيتم باللقاح (النياق) في الدية وبالجزر (الإبل المعدة للذبح، جمع جُزور)

إِذَا عُطِفَتْ وَسَطَ الْبُيُوتِ، اخْتَلَبْتُمْ لَهَا لَبْنًا مَحْضًا أَمْرًا مِنَ الصَّبْرِ

إذا عطفت هذه النياق وسط بيوتكم (أي حنيت رؤوسها كي تشم صفارها وتدر لبناً) حلبتم من لبنها محضاً (صافياً) لكنه أمر من الصبر لأنه حلب جاءكم بدلاً من أخذ الثأر

وَلَمَّا رَأَى الرَّحْمَنُ أَنْ لَيْسَ فِيهِمْ رَشِيدٌ وَلَا نَاهٍ أَحَاهُ عَنِ الْعَدْرِ .

أَمَالَ عَلَيْهِمْ تَغْلِبُ ابْنَةُ وَائِلٍ فَكَانُوا عَلَيْهِمْ مِثْلَ رَاغِيَةِ الْبَكْرِ

بعث الله قبيلة الأخطل، تغلب ابنة وائل، لتكون شوماً على بني عامر كشوم فضيل ناقة صالح الذي ظل يرغو (يصيح) حول أمه بعد أن قتلها قوم صالح، ثم كان فناؤهم بعد ثلاث. راغية البكر: المصيبة

فَسِيرُوا إِلَى أَهْلِ الْحِجَارِ فَإِنَّمَا نَفَيْنَاكُمْ عَنْ مَنَبِ الْقَمْحِ وَالتَّمْرِ

منبت القمح والتمر: العراق

٣٤ بولي على النار

مَا زَالَ فِينَا رِبَاطُ الْخَيْلِ مُغْلَمَةً وَفِي كُليبٍ رِبَاطُ الدَّلِّ وَالْعَارِ

في قبيلتنا رباط الخيل (مرابطها) المستعدة للغزو وهي معلمة (عليها علامات الحرب)، وقبيلة كليب، قبيلة جرير، فيها ذل وعار

النَّازِلِينَ بِدَارِ الدَّلِّ إِنْ نَزَلُوا وَتَسْتَبِيحُ كُليبٌ مَحْرَمَ الْجَارِ

يزلون بدار الدل، بعد أن يطلبوا من غيرهم السماح لهم بالتزول للرعي، وهم يستبحون حرمة من يجاورهم أو يستجير بهم

وَالظَّاعِنِينَ عَلَى أَهْوَاءِ نِسْوَتِهِمْ وَمَا لَهُمْ مِنْ قَدِيمٍ غَيْرُ أَعْيَارِ

الظاعنين (الراجلين) بعد استشارة النساء، وليس لهم سوى الأعيار (الحمير) لفقهم

قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ الْأَضْيَافَ كَلَبَهُمْ قَالُوا لِأَمِّهِمْ بُولِي عَلَى النَّارِ

إذا استنبح الأضياف كلبهم (نبحوا ليجيهم الكلب ويعرفوا موضع القوم)، قال بنو كلب لأُمهم: بولي على النار، لكيلا يعرف الأضياف مكانهم إذ لا يريدون أن يُضَيِّفُوهم. وكان التائه في الصحراء يوالي التباح، يريد أن يسمع كلباً يرد عليه فيعرف موضع البشر، وزعم الأخطل أن بيته هذا أمجى بيت: فقد وصم قوم جرير بأنهم بخلاء، ويهينون أمهم، ونارهم صغيرة تطفئها بولة لذلثهم وضعفهم. واشتكى الأخطل من أن بيت جرير «والثغلي إذا تنحج للقرى... حك استه وتمثل الأمثالا» سار أكثر من بيته هو

فَتُمْسِكُ الْبَوْلَ بُخْلًا أَنْ تَجُودَ بِهِ وَمَا تَبُولُ لَهُمْ إِلَّا بِمِقْدَارِ

تمسك عجوزهم بولها باخلة به، فلا تبول إلا قليلاً. هذا استكمال للصورة الكاريكاتيرية لا يبعد أن يكون أضافه آخرون، فالبيت موجود في نسخ، مفقود من نسخ، وهو أشبه بطريقة جرير منه بصلاية الطريقة الأخطلية

وَالْخَبْزُ كَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِيِّ عِنْدَهُمْ وَالْقَمْحُ سَبْعُونَ إِرْدَبًا بِدِينَارِ

الخبز عند قوم جرير كأنه العنبر الوردي الثمين جداً، لبخلهم به، مع أن القمح رخيص

فَأَقْعُدْ جَرِيرٌ فَقَدْ لَاقَبَتْ مُطْلَمًا صَعْبًا، وَلَا قَاكَ بَحْرٌ مُفْعَمٌ جَارِ

اقعد يا جرير فقد لاقت طريقاً صاعداً صعباً بتعرضك لي،
ولا قاك مني بحر (نهر) مفعم (زاخر)

هَلَّا كَفَيْتُمْ مَعَدًّا يَوْمَ مُعْضَلَةٍ كَمَا كَفَيْنَا مَعَدًّا يَوْمَ ذِي قَارِ .

هلا كنتم كفيتم قبائل معد في الأيام الصعبة مثلما كفينا معداً يوم ذي قار..

جَاءَتْ كَتَائِبُ كِسْرَى وَهِيَ مُغْضَبَةٌ فَاسْتَأْصَلُوهَا وَأَزْدَوْا كُلَّ جَبَّارِ

في يوم ذي قار جاءت كتائب كسرى غاضبة، فاستأصلها بنو ربيعة - أساساً بنو شيبان، لكنهم من أقارب تغلب قبيلة الأخطل - وأردوا (قتلوا) كل فارس بطل

٣٥ ذنب الأخطل

أَلَا يَا اسْلَمًا عَلَى التَّقَادُمِ وَالْبِلَى «بِدُومَةٍ خَبِتْ» أَيُّهَا الظَّلَلَانِ

رغم قدم العهد والبلوى (الخراب) اسلما أيها الظللان (الخربتان) في موضع دومة خبت

فَلَوْ كُنْتُ مَحْضُوبًا بِدُومَةٍ مُدْنَقًا أَسْقَى بِرِيقِي مِنْ سُعَادَ شَفَانِي

لو كنت مصاباً بالحصبه في هذا الموضع، ومدنقاً (مريضاً) وذقت ريق سعاد لشفيت

وكيف يُداويني الطَّبِيبُ مِنَ الْجَوَى و«بَرَّة» عند الأَعْوَرِ بْنِ بَيَانَ

وكيف أشفى من الجوى (حرارة العشق) و«برة» الجميلة عند زوجها «الأعور بن بيان». وكان هذا الرجل، وهو تغلبي من قبيلة الأخطل، استضاف الأخطل فرأى شاعرنا زوجة الرجل الجميلة. سقاه الرجل خمرأً وأكرمه وسأله: هل ترى عندنا عيباً. قال الأخطل: ليس لبيتك عيب سواك. وحسده على زوجته الجميلة

وَأَرَقَّنِي مِنْ بَعْدِ مَا نِمْتُ نَوْمَةً وَعَضْبُ جَلَّتْ عَنْهُ الْقُبُونُ بِطَانِي . .

أرقني بعد أن نمت ويطاني، أي عند بطني، غضب (سيف) جلت عنه القبون (صقله الحدادون) . .

تَصَاحَبُ ضَيْفَيَّ قَفْرَةً يَعْرِفَانِهَا: غُرَابٍ وَذَيْبٍ دَائِمِ الْعَسَلَانِ

أرقني صخب اثنين من سكان القفر: غراب وذئب دائم العسلان (التمايل في مشيه)

إِذَا غَشِيَانِي هَيْلَتِ النَّفْسُ مِنْهُمَا قُشْعَرِيرَةً، وَازْدَدْتُ خَوْفَ جَنَانٍ

إذا غشيانني هيلت النفس (فزعت) منهما، وانتابني قشعريرة، وخوف جنان (قلب)

إِذَا حَضَرَانِي عِنْدَ زَادِي لَمْ أَكُنْ بِخِيلاً، وَلَا صَبّاً إِذَا تَرَكَانِي

فإن حضرا وأنا أكل من زادي لم أبخل عليهما، وإن تركاني فلست صباً بهما (حريصاً عليهما) . . على أن صاحبنا لم يزعم كالفردق أنه قد يتعشى مع الذئب، ولا كالبحتري أنه قتل الذئب

٣٦ أنا وأروى والهمالج

دَنَا الْبَيْنُ مِنْ «أَرْوَى» فَزَالَتْ حُمُولُهَا لِيَتَشَغَلَ أَرْوَى عَنْ هَوَاهَا شُغُولُهَا

دنا البين (الفراق) وزالت عن المكان حمول (هوادجها) أروى، واشتغلت أروى عن الهوى بالرحيل

وَمَا خِفْتُ مِنْهَا الْبَيْنَ حَتَّى تَزْعَزَعَتْ هَمَالِجُهَا، وَازْوَرَّ عَنِّي دَلِيلُهَا

وما خفت منها البين إلا عندما تزعزعت (تحركت متناقلة) همالجها (نياقها)، وازور (مال) بالجمال الدليل مبتعداً في طريق ملتوي

وَكَمْ بَخِلْتُ أَرْوَى بِمَا لَا يَضِيرُهَا وَكَمْ قَنَلْتُ، لَوْ كَانَ يُودَى قَتِيلُهَا

كثيراً ما بخلت علينا بأموال لا تضرها (نظرة، أو... أو...)، وكثيراً ما قنلت، وللأسف لا يودى قتيلا (لا ينال أهله دية)

إِذَا الشُّعْرَاءُ أَبْصَرْتَنِي تَعَلَّبَتْ مَقَاحِيمُهَا، وَازْوَرَّ عَنِّي فُحُولُهَا

إذا رأيتي مقاحيم الشعراء (الجرثون منهم) أصبحوا كالعالمب فاختبأوا، وازور (مال مبتعداً) عني الفحول

وَمُعْتَرِضٍ لَوْ كُنْتُ أَزْمَعْتُ شَتْمَهُ إِذْ لَكَفَّتْهُ كَلِمَةٌ لَوْ أَقُولُهَا

ورب شاعر اعترضني لو نويت شتمه لكفته مني كلمة، هذا لو نويت

٣٧ في مدح هَمَام

تَبَيَّنَ خَلِيلِي نَاصِحَ الظَّرْفِ هل تَرَى بِعَيْنِكَ ظُغْنًا قَدْ أَقْلَتْ حُمُولُهَا؟
انظر يا صاحبي يا ناصح الطرف (صحيح النظر)، هل ترى ظغناً، أي نساء راحلات، قد رُفعت حمولها، أي هودجها فوق الإبل؟

تَمَايَلْنَ لِلْأَهْوَاءِ، حَتَّى كَأَنَّمَا يَجُورُ بِهَا فِي السَّيْرِ عَمْدًا دَلِيلُهَا
يملن بإبلهن بحسب ما يشتهين ويسرن سيراً متعرجاً، فكان دليل القوم يجور (يميل) بهم عمداً
فَلَمَّا اسْتَوَى نِصْفُ النَّهَارِ وَأَظْهَرَتْ وَقَدْ حَانَ مِنْ غُفْرِ الظُّبَاءِ مَقِيلُهَا
عندما أظهرت (حان وقت الظهيرة) وحان وقت هجعة الظباء العفر (المحمرة مع بياض)

حَثْنُ الْمَطَايَا فَاصْمَعَدَّتْ لِشَأْنِهَا وَمَدَّ أَزِمَاتِ الْجِمَالِ ذَمِيلُهَا
حثن المطايا (أسرعن بالإبل المركوبة) فاصمعدت (أسرعت)، ومد الذميل (السير السريع)
أَزِمَاتِ الْجِمَالِ (مقاود الجمال) فهي عندما تسرع ترمي أعناقها للأمام وتسحب الجبل الذي به تقاد

فَلَمَّا تَلَاخَقْنَا نَبَذْنَا تَحِيَّةً إِلَيْهِنَّ وَالتَّذُّ الْحَدِيثَ أَصِيلُهَا
لما تلاحقنا (تلاقينا) نبذنا تحية (رمينا بتحية) إليهن، والتذ بالحديث الرجل الأصيل.. ولا أرى الأصيل في مكانها هنا، ولم أجد رواية أحسن

فَكَانَ لَدَيْنَا السَّرَّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَلَمَعَ غَضِيضَاتِ الْعَيُونِ رَسُولُهَا
فكان رسول المحبة فيما بيننا السر (السرار والحديث الخافت) ولمع العيون الغضضة (المطرقة).
فالمرأة تنزل جفونها ثم ترفعهما وتبرق عيناها فيما بين ذلك. قالت كاتبة فرنسية ما معناه..
المرأة إذ تحرك جفونها كأنها تتعري.. إن عثرت على اسم الكاتبة فسأكتبه لك في طبعة قادمة

رَأَيْتُ قُرُومَ ابْنَيْ نِزَارٍ كُلِيهِمَا إِذَا خَطَرَتْ عِنْدَ الْإِمَامِ فُحُولُهَا..
رأيت قروم (سادات) ابني نزار كليهما (أي كل عرب الشمال من مضر وربيعة) عندما يخطر فحولهم (يأتي كبارهم ماشين مشية افتخار) ويدخلون على الإمام (الخليفة)..

يَرَوْنَ لَهُمَّامَ عَلَيْهِمْ فَضِيلَةً إِذَا مَا قُرُومُ النَّاسِ عُذَّتْ فُضُولُهَا
.. وجدتهم يرون أن هَمَاماً له فضيلة عليهم، إذا نظر الناس في فضائل السادة

سَبُوقُ لَغَايَاتِ الْحِفَافِ إِذَا جَرَى، وَوَهَابُ أَغْنَاكِ الْمِثْنِ حَمُولُهَا
هو يسبق غيره لغايات (أقصى مدى) الحفاظ (حفظ الشرف)، وهواب (مَنَاح) أعناق المِثْنِ (مئات النياق) حمولها (يحمل الديات)

وَدَفَّاعُ ضَيْمٍ، لَا يُسَامُ دَنِيَّةٌ وَقَطَّاعُ أَقْرَانِ الْأُمُورِ وَصَوْلُهَا
ويدفع الضيم (الظلم) ولا يسام دنية (لا يرضى الذل أو الصغار)، وهو يقطع ويصل أقران (جبال)
الأمور، أي أنه رجل واسع الحيلة والتصرف

ثَنَى مُهْرَهُ وَالْخَيْلُ رَهْوٌ كَأَنَّهَا قِدَاحٌ عَلَى كَفِّي مُفِيضٍ يُجِيلُهَا
ثنى مهره نحو الأعادي بينما الخيل رهو (متابعة) كأنها قِدَاح (سهام الميسر) يرميها من كفيه
مفيض (رام للقداح) يجيلها (يبعثرها)، فرامي السهام عند الميسر يرشق السهام من يديه رشقاً
فتنتلق سريعة

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ لَيْسَ بِخَالِدٍ وَأَنْ مَنَايَا النَّاسِ يَسْعَى دَلِيلُهَا
نهاية المرء موت، والمنايا (الحتوف، الموت) يسعى دليلها يدلها على الناس واحداً فواحداً
فَإِنْ عَاشَ هَمَامٌ لَنَا فَهَوَ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ، لَمْ تُنْفَسْ عَلَيْنَا فُضُولُهَا
فإن عاش همام كان رحمة لنا لم تنفس فضولها (لم نحسد على خيرها) لأن خيرها يصيب الجميع
وإن مات لم تستبدل الأرض مثله لَأَخِذَ نَصِيبٍ، أَوْ لَأَمْرٍ يَعُولُهَا
وإن مات لم يأت بعده مثله لكي تأخذ الأرض منه نصيبها من الخير أو لكي ينفذها من أمر
يعولها (يرهقها)

٣٨ في الكنيسة

إِنَّ مَنْ يَدْخُلُ الْكَنِيسَةَ يَوْمًا يَلْقَ فِيهَا جَاذِرًا وَظِبَاءً
في الكنيسة نساء كالجاذر (بقر الوحش في سعة العيون) وكالظباء (في ملاحاة العيون والأعناق)
مَالَتِ النَّفْسُ بَعْدَهَا إِذْ رَأَتْهَا فَهِيَ رِيحٌ، وَصَارَ جِسْمِي هَبَاءً
مالت نفسي إليها (إلى الجاذر والظباء) فهي كانت كالريح، وجسمي صار كأنه الهباء المعلق في
الريح لشدة ما انتابني من شغف

لَبِتَ كَانَتْ كَنِيسَةُ الرُّومِ إِذَا لَكِ عَلَيْنَا قَطِيفَةٌ وَخَبَاءٌ
ليت الكنيسة كانت قطيفة تجلس عليها وخباء (خيمة) نجالس فيها أولئك النسوة لا مبعداً ليس لنا
فيه إلا النظر

٣٩ الفرزدق صخرة

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ صَخْرَةٌ عَادِيَّةٌ طَالَتْ فَلَيْسَ تَنَالُهَا الْأَوْعَالُ
الفرزدق صخرة عادية (قديمة من عهد عاد) وقد طالعت وبعدت في رأس جبل فلا تصل إليها حتى
الأوعال التي مساكنها في الجبال

٤٠ لليدين وللقم

لَقَدْ عَثَرْتُ بِكَرُ بَنٍ وَإِثْلَ عَثْرَةٍ فَلَوْ عَثَرْتُ أُخْرَى فَلْيَلَيْدٍ وَالْقَمِ

عثر قبيلة بكر بن وائل وأساءت التقدير، ولو كررت الأمر فليد والقم
(لتسقط على يديها ووجهها/ لا أقال الله عثرتها)

٤١ لبن ودم

فَنَبَّهْتُ سَعْدًا بَعْدَ نَوْمٍ لَطَارِقٍ أَتَانَا ضُئِيلًا صَوْتُهُ حِينَ سَلَّمَا

أيقظت سعداً، بعد أن كان نام، لطارق (لخدمة مسافر أتانا ليلاً)، وصوت هذا الطارق ضئيل حين
سلم علينا لما به من الإرهاق

إِذَا لَمْ تَذُدْ أَلْبَانَهَا عَنْ لُحُومِهَا حَلَبْنَا لَهُ مِنْهَا بِأَسْيَافِنَا دَمًا

وإذا لم تذد (تدافع) ألبان الإبل عن لحومها بأن تدر الكثير من اللبن، فسوف نحلب له دماً بأسيفنا
(أي سنذبح له بغيراً)

٤٢ أروى القتل

وَكَمْ قَتَلْتُ أَرْوَى بِلَا تِرَةٍ لَهَا وَأَرْوَى لِفُرَاغِ الرِّجَالِ قَتُولُ

ما أكثر ما قتلت أروى الرجال، ولا ترة (ثار) لها،
وهي للرجال الفارغين من العشق قتالة إذ يعشقونها هي

فَلَوْ كَانَ مَبْكَى سَاعَةٍ لَبَكَيْتُهَا وَلَكِنْ شَرَّ الْعَانِيَاتِ طَوِيلُ

العشق لا تبده ساعة بكاء، والتعلق بالحصان شر طويل

وَإِنْ أَمْرًا لَا يَنْتَهِي عَنْ غَوَايَةٍ إِذَا مَا اشْتَهَتْهَا نَفْسُهُ لَجْهَوُ

٤٣ يمشين على هديره

يَمْشِينَ مَشْيَ الْهَجَانِ الْأَدَمِ رَوْحَهَا عِنْدَ الْأَصِيلِ هَدِيرُ الْمُضْعَبِ الْقَطْمِ

تمشي هؤلاء النسوة مشي الهجان (الإبل الكريمة) الأدم (البيض) روحها (عاد بها مساء)
عند الأصيل (قرب المغيب) هدير المضعب القطم (صوت الجمل الفحل الهائج)،
فالتياق تمشي متبخرّة على صوت الفحل

٤٤ المفتخرة بهودج سيدتها

بَكَرَ الْعَوَاذِلُ يَنْتَدِرُونَ مَلَامَتِي وَالْعَاذِلُونَ، فَكُلُّهُمْ يَلْحَانِي

جاءت العواذل (العاذلات) باكراً ويادرني باللوم، والعاذلون أيضاً، الكل يلحاني (يلومني بشدة)

يَنْظُرْنَ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ بِأَعْيُنٍ نُجَلٍ، يُمِثِّنَ الْعَاشِقِينَ، حِسَانِ
النساء ينظرون من خلل الستور (الفرجات بين ستر وستر) بأعين نجل (واسعة) جميلة تमित العاشقين

وَإِذَا رَأَيْنَ الشَّيْبَ لَمْ يَقْرَبْنَهُ وَالْعَانِيَاتُ عَنِ الْكَبِيرِ عَوَانِ
ولا يقربن صاحب الشيب، والعانيات (المستغنيات بجمالهن عن الزينة) غوان (مستغنيات) عن
الكبير في السن

يَقْطَعْنَ عَنْهُ كُلَّ حَبْلٍ مَوْدَّةٍ جَهْلًا، وَهَنَّ إِلَى الشَّبَابِ رَوَانِ
يقطعن العلاقة الودية مع الكبير جهلاً (طيشاً من جانبيه)، وهن روان (متطلعات) إلى الشباب
إِنِّي أُدِيمُ لِدُنْيَا الصَّفَاءِ مَوَدَّتِي وَإِذَا تَغَيَّرَ كُنْتُ ذَا أَلْوَانِ
أنا أديم المودة مع الصديق المصافي، فإن تغير تغيرت عليه

وَأَفَارِقُ الْخُلَانَ مِنْ غَيْرِ الْقَلَى وَأُمِيتُ عِنْدِي السَّرَّ بِالْكِثْمَانِ
وأفارق الخلان (الأصحاب) دون قلى (جفاء)، وأحفظ السر

قَبَحَ الْإِلَهِ بَنِي كَلْبٍ، إِنَّهُمْ لَا يَحْفَظُونَ مَحَارِمَ الْجِيرَانِ
ينو كلب قوم جرير لا يحفظون محارم من جاورهم، إمّا بالسكنى عندهم أو بطلب الجوار فيهم

أَجْرِيرُ إِنَّكَ وَالَّذِي تَسْمُو لَهُ كَأَسِيفَةٍ فَخَرْتُ بِحَدِجِ حَصَانِ
يا جرير إنك والله الذي تسمو (ترتفع) نفسي له، كأسيقة (أمة) تفخر بحدج (هودج) حصان (امراة
حرة). فأنت تفخر بقبيلة تميم وإنك لمن أوضع بطونها

حَمَلْتُ لِرَبِّيْهَا فَلَمَّا عُولِيْتُ نَسَلْتُ تُعَارِضُهَا مَعَ الْأَطْعَانِ
حملت الأمة لربتها (سيدتها) متاعها فلما عوليت (ركبت سيدتها في الهودج) نسلت (أسرعت)
الأمة تلحق بها مع الأطعان (الإبل)

فِي «دَارِمٍ» تَأْجُ الْمُلُوكُ وَصِنُوهَا أَيَّامَ يَرُوعُ مَعَ الرُّعْبَانِ
في قبيلة دارم الملوك (الزعماء) لتميم كلها، وهم يصاهرون الملوك، بينما كانت قبيلة يربوع ترعى
مواشيها (وجرير من كلب، وكلب من يربوع، وهما من تميم، أمّا دارم فمن أشرف بطون تميم)

وَإِذَا وَضَعْتَ أَبَاكَ فِي مِيزَانِهِمْ رَجَحُوا، وَشَالَ أَبُوكَ فِي الْمِيزَانِ
أبوك لا يعادل دارماً، بل تشيل (تصعد) به كفة الميزان لخفته

٤٥ أَحْقَاد

إِذَا مَا قُلْتُ قَدْ صَالَحْتُ بِكَرًّا أَبَى الْأَضْغَانُ لَا النَّسَبُ الْبَعِيدُ

كلما قلت صالحت قبيلة بكر أبت الأضغان (الأحقاد) لا النسب البعيد، فبكر وتغلب كلناهما من ربيعة

وَأَيَّامَ لَنَا وَلَهُمْ طَوَالَ يَعْصُ الْهَامَ فِيهِنَّ الْحَدِيدُ

بيننا حروب طويلة كان حديد السيوف يعض فيها الهام، أي الرؤوس

هُمَا أَخَوَانِ يَضْطَلِيَانِ نَاراً رِداء الموتِ بَيْنَهُمَا جَدِيدُ

٤٦ أشباه العبيد

وَكُنْتُ إِذَا لَقِيتُ عَبِيدَ تَيْمٍ وَتَيْمًا قُلْتُ أَيُّهُمَا الْعَبِيدُ

لَتَيْمُ الْعَالَمِينَ يَسُودُ تَيْمًا وَسَيِّدُهُمْ وَإِنْ كَرِهُوا مَسُودُ

٤٧ «مصر والسودان لنا.. وانجلترا إن أمكنّا»

وَنَحْنُ قَسَمْنَا الْأَرْضَ نِصْفَيْنِ: نِصْفُهَا لَنَا، وَنُرَامِي أَنْ تَكُونَ لَنَا مَعَا

جعلنا الأرض نصفين: نصف لنا، ونصف لكل الآخرين، ونرامي (نرمي ونهدف) أن يكون
النصفان كلاهما لنا

إِذَا مَا أَكَلْنَا الْأَرْضَ رَغِيًّا تَطَلَّمَتْ بِنَا الْخَيْلُ حَتَّى نَسْتَبِيحَ الْمُمنَعَا

إذا ما رعت إبلنا فأكلت العشب كله، تطلعننا بخيولنا إلى أراضي الآخرين
حتى نستبيح المنع (المحمي)

٤٨ المستضعفون في الحوض

وقال يهجو قبيلة زيد اللات:

قُبَيْلَةٌ مَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

يهجوهم بأنهم لا يغدرون، ولا يظلمون أحداً لضعفهم

وَلَا يَرِدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً عَلَى طُولِ أَظْمَاءٍ، وَوَجْهُ مُلْظَمٍ

ولا يردون حوض الماء إلا عشية إلا عشاء حين يقل عدد الواردين، رغم طول الظماء،
ويردون بوجوه ملطومة مضروبة من الآخرين الذين يشربون قبلهم ويؤخرونهم

٤٩ لكم دينكم ولي دين

إِذَا لَانَ الصَّفَا عَنْ طُولِ نَحْتٍ فَإِنَّ صَفَاةَ تَغْلِبَ لَا تَلِينُ

إذا لان الصفا (الصخر) لطول ما ينحته المرء، فصخرة قبيلة تغلب لا تلين

فَقَبْلَكَ رَامَهَا الْجَبَّارُ فِينَا فَكَانَ لَنَا وَلِلْجَبَّارِ دِينُ

وقبلك رامها (قصدها) الجبار، فكان لنا وله شأن. في البيت إشارة إلى سعي عمر بن الخطاب إلى فرض الجزية على تغلب، ورفض تغلب الأمر، ورفضها الدخول في الإسلام، وإقامتها على المسيحية

٥٠ كواكب الكأس

وَمُتْرَعَةٍ كَأَنَّ الْوَرْدَ فِيهَا كَوَاكِبُ لَيْلَةٍ فَقَدَتْ غَمَامَا

رب كأس مترعة (ملينة) كأن الورد (الخمر الوردية اللون) فيها، وقد علتها الفقائيع اللامعة، كواكب في ليلة صافية بلا غيوم

سَقَيْتُ بِهَا عُمَارَةً أَوْ سَقَانِي إِذَا مَا الْجَبَسُ عَنْ ضَيْفَيْهِ نَامَا

سقيت ضيفي عمارة أو سقاني عندما يضيئني، فأما الجبس (اللتيم) فيترك أضيافه وينام ولا يؤنسهم

٥١ أهل القرقور

وقال الأخطل يرد على جرير عندما قال: «فما لك في نجد حصاة تعدها»:

وَلَكِنْ لَنَا بَرٌّ الْعَرَاقِ وَبَحْرُهُ وَحَيْثُ تَرَى الْقُرْقُورَ فِي الْمَاءِ يَسْبُحُ

القرقور: السفينة

إِذَا ابْتَدَرَ النَّاسُ السَّجَالَ وَجَدْتَنَا لَنَا مِقْدَحًا مَجْدٍ وَلِلنَّاسِ مِقْدَحُ

إذا ابتدر الناس السجال (بدأوا بالتفاخر) فلنا مقدحا (مغرقتا) مجد وللناس كلهم مغرفة واحدة

٥٢ عمائم الأنصار

ذَهَبَتْ قُرَيْشٌ بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَا وَاللُّؤْمُ تَحْتَ عِمَائِمِ الْأَنْصَارِ

أخذت قريش كل المكارم والمجد، وبقي للأنصار اللؤم

فَذَرُّوا الْمَعَالِي لَسْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا وَخُذُوا مَسَاحِيكُمْ بَنِي النَّجَّارِ

يا بني النجار (من الخزرج، من الأنصار) اتركوا السعي للمعالي (المجد) فليستم أهلها، وأمسكوا مساحيكم (مجارف التراب) فأنتم زراع لا يد لكم بالمجد والحرب

إِنَّ الْفَوَارِسَ يَعْرِفُونَ ظُهُورَكُمْ لَكثَرِ مَا تَفْرُونَ فِي الْمَعَارِكِ يَا أَوْلَادَ كُلِّ مُقَبَّبَحٍ أَكَّارِ

الفرسان يعرفون ظهوركم لكثرة ما تفرون في المعارك، يا أولاد كل مقبح (الموصوف بالقبائح والعيوب) أكار (المزارع)

وَإِذَا نَسَبْتَ ابْنَ الْفُرَيْعَةِ خِلْتَهُ كَالْجَحْشِ بَيْنَ جِمَارَةٍ وَجِمَارٍ
ابن الفريعة (حسان بن ثابت، ويعني ابنه عبد الرحمن بن حسان)، الجحش: الحمار الصغير

٥٣ صيال بلا وصول

تَصُولُ إِلَى الْعُلَا أَسَدٌ وَتَأْبَى مَخَازِيهَا وَأَيْدِيهَا الْقِصَارُ
تصول (تهجم) قبيلة أسد للوصول إلى العلا، ولكن مخازيها، وأيديها القصار (ضعفها) تمنعها

٥٤ لستم سبي

وَأَمَّا تَمَنِّيْكُمْ قُرَيْشًا فَإِنَّهَا مَصَابِيحُ يَرْمِيهَا بِعَيْنَيْهِ نَاطِرٌ
تمنيكم الوصول إلى مرتبة قريش وهم، فإنهم مصابيح ينظر إليها الناظر لا غير

فَمَا أَنْتُمْ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّكُمْ لَهُمْ عِبِيدُ الْعَصَا، مَا دَامَ لِلزَّيْتِ عَاصِرُ
لستم من قريش، بل ستظلون عبيد العصا لهم (عبيداً يضربون) ما دام هناك من يعصر الزيت
(أي للأبد)

فَمَا خُحِمَتْ أَكْتَا فُكُمُ لِنُبُوءَةٍ وَأُسْتَاهُكُمْ قَدْ أَنْكَرَتْهَا الْمَنَابِرُ
ففي قريش النبوة، وأنتم ليس على أكتافكم ختم النبوة، وأقفاؤكم لم تجلس يوماً على منبر. وربما
جلس الخطيب على كرسي فوق المنبر قبل أن يقوم فيخطب

بَنِي أَسَدٍ لَسْتُمْ بِسَبْيٍ فَتُشْتَمُوا وَلَكِنَّمَا سَبْيِي سُلَيْمٌ وَعَامِرُ
يا بني أسد، أنتم لستم بسبي (كفأ لي فأسبكم وتسبونني)، فأولئك بنو سليم وبنو عامر

٥٥ يا مرسل الريح

يَا مُرْسِلَ الرِّيحِ جَنُوبًا وَصَبَا

يا رب، يا مرسل ريح الجنوب وريح الصبا

إِنْ عَضِبَتْ «زَيْدٌ» فَرِزْهَا عَضْبَا

وَإِخْسُ بَنِي زَيْدٍ بِنِ عَمْرٍو نُقْبَا

الحق بيني زيد نقباً (بقعاً من الجرب)

لَيْسَتْ مِنَ الْبَرِّ وَلَكِنْ جَرَبَا

البر (القماش)

٥٦ فعلت به أفعالها

ارْبَعُ عَلَى دِمَنِ تَقَادَمَ عَهْدُهَا «بِالْجَوْفِ» وَاسْتَلَبَ الزَّمَانُ جَلَالَهَا
قف على دمن (خرائب) قديمة في موضع الجوف، وقد استلب الزمان (أخذ) حلالها
(أهلها الذين حلوا فيها)

دِمْنٌ لِقَاتِلَةِ الْغَرَائِقِ، مَا بِهَا إِلَّا الْوُحُوشُ، خَلَّتْ لَهُ وَخَلَا لَهَا
هذه الخرائب هي التي قتلت الغرائق (الشبان الوسيمين)، وليس بالخرائب الآن سوى الوحوش
التي خلت لموضع الجوف، وخلا من كل أحد وبقي لها وحدها

بَكَرَتْ تُسَائِلُ عَنْ مُتَيِّمٍ أَهْلِهِ وَهِيَ الَّتِي فَعَلَتْ بِهِ أَفْعَالَهَا
بكرت (أنت صباحاً) هذه الفتاة التي قتلت الشبان تسأل عن متيم (عاشق) أهله، مع أنها هي التي
تيمته.. والبيتان مما أورده أبو تمام في الحماسة منسوباً لغير الأخطل، وجئنا بالبيتين هنا للسياق

كَانَتْ تُرِيكَ إِذَا نَظَرْتَ أَمَامَهَا مَجْرَى السُّمُوطِ، وَمَرَّةً خَلَخَالَهَا
كانت تريك مجرى السموط (العقود.. أي عنقها) وخلخالها. تفتنك بمفاتنها

اخْشَأْ إِلَيْكَ جَرِيرٌ، إِنَّا مَعَشَرٌ نَلْنَا السَّمَاءَ نَجُومَهَا وَهَلَالَهَا
اخشأ إليك (خست وبعدت) يا جرير فتحن أشرف منك بكثير، وشرفنا وصل السماء

مَا رَامَنَا مَلِكٌ يُقِيمُ قَنَاتَنَا إِلَّا اسْتَبَحَّنَا خَيْلَهُ وَرَجَالَهَا
ما رامنا (طلبنا) ملك يريد أن يقيم قناتنا (يخضعنا) إلا استبحنا خيله وفرسانها

٥٧ تميث وتحبي

شَرِبْنَا فَمُنَّا مِبْنَةً جَاهِلِيَّةً مَضَى أَهْلُهَا لَمْ يَعْرِفُوا مَا مُحَمَّدٌ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَلَمَّا تَنَبَّهْتُ حُشَايَاتُ أَنْفَاسٍ أَتَتْنَا تَرَدَّدُ..
ظللنا سكرانين ثلاثة أيام، فلما عادت إلينا حشاشات أنفاس (بقية من صحو)

حَبِينَا حَبَاءً لَمْ نَكُنْ مِنْ قِيَامَةٍ عَلَيْنَا وَلَا حَشِرٍ أَتَانَاهُ مَوْعِدُ
كنا كمن عاش بعد موت، لكن بدون يوم قيامة ولا حشر جاء موعده

حَيَاةٍ مِرَاضٍ، حَوَّلَهُمْ بَعْدَمَا صَحَوْا مِنْ النَّاسِ شَتَّى عَاذِلُونَ وَعُودُ
عشنا حياة قوم مرضى، صداع السكر، وحولنا الناس بعضهم عاذل (لائم) وبعضهم
عائد (زائر المريض)

وَقُلْنَا لِسَاقِينَا عَلَيْكَ فَعُدْ بِنَا إِلَى مِثْلِهَا بِالْأَمْسِ، فَالْعُودُ أَحْمَدُ
وقلنا لساقينا عد بنا للسكر

فَجَاءَ بِهَا كَأَنَّمَا فِي إِثَائِهِ بِهَا الْكَوْكَبُ الْمَرِيخُ، تَصْفُو وَتُزِيدُ
فجاء بالخمير، كأن في إثائه المريخ، الكوكب الأحمر، وهي تصفو إذا راقت وتزيد إذا مزجت أو
سكنت في الأفق

تَفُوحُ بِمَاءٍ يَشْبَهُ الطَّيِّبِ طَيِّبُهُ إِذَا مَا تَعَاظَتْ كَأَسْهَا مِنْ يَدٍ يَدُ
تفوح راتحتها الطيبة مع تداول كؤوسها بين الشاربين

نُمِيتُ وَنُخْبِي بَعْدَ مَوْتٍ، وَمَوْتُهَا لَذِيذُ، وَمَحْيَاهَا أَلَذُّ وَأَمَجَدُ

٥٨ بيت الدمية

حُلُمٌ سَرَى بَعْدَ الْمَنَامِ، فَزَارَنِي مِنْ «أُمِّ بَكْرٍ» مَوْهِنًا بِخَيَالِ
حلم سرى (سار ليلاً) وأتاني وزارني بخيال أم بكر موهناً (في منتصف الليل)

فَلَهَوْتُ لَيْلَةً نَاعِمٍ ذِي لَذَّةٍ كَقَرِيرِ عَيْنٍ أَوْ كَنَاعِمِ بَالٍ
فاستمتعت باللهو، وكأني قرير العين (راضٍ) وناعم البال (مستريح، مستريح)

بِغَرِيرَةٍ نَفَجَ النَّعِيمُ شَبَابَهَا عَرَّثِي الْوِشَاحَ، شَبِيعَةَ الْخَلْخَالِ
لهوت بغريرة (صغيرة جاهلة) نفج (مثل نفخ، فشابها منفوخ: وقد استدار من جسمها ما استدار)،
عرثي الوشاح (وشاحها جاثع: خصرها نحيل)، واخلخالها شعبان (ساقاها ممتلئتان)

فِي صُورَةٍ تَمَّتْ وَأُكْمِلَ خَلْقُهَا لِلنَّازِلِينَ كَصُورَةِ التَّمْثَالِ

هي كاللعبة. كان لنا جار يبرز زوجته للناس مفتخراً بجمالها - وكانت نساء مدينتنا
لذلك العهد سوافر... كلهن - وكان يقول: انظروا، هذه وردة أشمها! وكنت أجد
كلامه مهيناً للمرأة، وأنا بعد صغير لم أسمع عن النسويات والنسويين. على أنني
أفتخر بأن مدينتي «نابلس» بفلسطين كان يكاد الطلاق فيها ينعدم أيامئذ، ولم يكن
عندنا تعدد زوجات. وكانت أوروبا قبل قرن ونصف قرن لا ترى غرابة في أن تعتبر
المرأة لعبة، ثم جاء النرويجي «هنريك إيسن» بمسرحيته «بيت الدمية»، فبدأت عملية
شاقة انتهت بأن نالت المرأة كثيراً من الحقوق، والأهم: كثيراً من الاعتبار، فتأكد
للقوم أنها ليست لعبة. لكن، سيظل في أعماق عقولنا الذكورية شيء من هذا طويلاً.
والحركة النسوية في بلدي تصارع اليوم التاريخ كله، وتصارع متشديدي الفقهاء،
وتصارع كثيرات من النسوة اللاتي يحلو لهن أن يكنّ دميّ

تَمَّتْ لِمَنْ نَعَتَ النِّسَاءَ، وَأُكْمِلَتْ نَاهِيكَ مِنْ حُسْنِ لَهَا وَجَمَالِ
امرأة كاملة تشتهي أن ترى في صورتها عيياً. بعض النساء كذلك. يفتاظ الرجل أن يرى جمالاً
كاملاً، وصحيح أنه يقول: سبحان الله! لكن، تتصاعد من صدره أدخنة الرغبة والحسرة

وَمَلَا حَةٍ فِي مَنْطِقِي مُتَرَحِّمٍ مِنْهَا وَحُسْنِ تَقْتُلِي وَدَلَالِ

جميلة وكلامها رخم، وفيها القتل (الغنج) والدلال (التمادي)

تَرْنُو بِمُقْلَةٍ جُوْذَرٍ بِحَمِيلَةٍ وَبِمُشْرِقٍ بِهِجٍ، وَجِيدِ غَزَالِ

ترنو (تنظر) بمقلة جوذر (بعين بقرة وحشية) في خميلة (روضة)، وبوجه مشرق بهج (فيه لون الزهر)، وبعنق غزال

وَبِوَارِدِ رَجُلٍ كَأَنَّ قُرُونَهُ مِنْ طُولِهِ مَوْصُولَةٌ بِجِبَالِ

وبوارد (شعر) رجل (متكسر) كأن قرونه (خصلاته) موصولة بجبال لطوله. علق أبو سعيد السكري: «لم يصنع الأخطل في هذا التشبيه شيئاً، وينبغي أن يكون قاله في شيخوخته!». إيه، بل صنع كثيراً.. وأي شيء أبعت على وصف الحسان من شيخوخة محرومة من وصالهن يا أبا سعيد!

مَا رَوْضَةٌ خَضْرَاءُ أَزْهَرَ نَوْرُهَا بِالْقَهْرِ بَيْنَ شَقَائِقِ وَرِمَالِ..

ليست الروضة الخضراء التي أزهَرَ نورها (براعم زهرها) في موضع «القهر»، بين الشقائق (الأراضي الوعرة) والرمال..

بَهَجِ الرَّيْعِ لَهَا فَجَادَ نَبَاتُهَا وَنَمَتْ بِأَسْحَمِ وَإِلِ هَطَّالِ..

بهج الربيع لها (منحها الزهر)، ونمت هذه الروضة بأسحم (سحاب داكن) يهطل بالمطر..

نَفَتِ الصَّبَا عَنْهَا الْجَهَامَ، وَأَشْرَقَتْ لِلشَّمْسِ غَبَّ دُجْنَةٍ وَطَلَالِ..

ثم إن ريع الصبا نفت (أبعدت) الجهام (الغيَم المسود)، وأشرفت الروضة للشمس (أشرقت عليها الشمس) غب (بعد) دجنة (عتمة) وطلال (أمطار)..

يَوْمًا بِأَمْلَحِ مِنْكَ بَهْجَةً مَنْطِقِي بَيْنَ الْعَشِيِّ وَسَاعَةِ الْأَصَالِ

ليست هذه الروضة بأجمل منك وأنت تتحدثين بين العشي وساعة الأصيل (الغروب). ولعله أراد بين الأصيل والعشي.. لكن، وصلت الفكرة

تَشْفِي الضَّجِيعَ إِذَا أَرَادَ عِنَاقَهَا بِمُقَبِّلِ عَذْبِ الْمَذَاقِ زُلَالِ

تشفي ضجيعها (ملازمها في المخدع) بمقبل (نفر) زلال (عذب)

شَبِيمٍ كَأَنَّ الثَّلَجَ شَابَ رُضَابَهُ بِسُلَافٍ خَالِصَةٍ مِنَ الْجِرْيَالِ

فمها شبيم (بارد)، كأن الثلج شاب (خالط) رضابه (ريقه)، بسلاف (خمر) خالصة من الجريال (الخمر). والسلاف في الخمر أعلى من الجريال، فكان تلك الخمر خالصة من الشوائب. وقالوا الجريال لون الخمر، فخمرت على هذا صافية خالصة من الجريال، كالعَرَقِ مثلاً

صَهْبَاءُ صَافِيَةٍ تَنْزَلُ تَجْرُهَا بِلَادِ «صَرْخَدَ» مِنْ رُؤُوسِ جِبَالِ

هذه الخمر صهباء (صافية اللون) نزل بها تجرها (تجارها) في بلاد صرخد من جبالهم

مِنْ قَهْوَةٍ نَفَحَتْ، كَأَنَّ سَعِيْطَهَا مِسْكٌ تَضَوُّعٌ فِي عَذَاةِ شَمَالٍ
هذه قهوة نفحت (أطلقت رائحتها) فكان سعيطها (رائحتها) مسك تضووع (انتشر) في صبح هبت في
ليلته ريح الشمال

فَدَعَ الْغَوَانِيَّ وَالتَّشِيدَ بِذِكْرِهَا وَاصْرِفْ لِذِكْرِ مَكَارِمِ وَقَعَالٍ
فدع ذكر الحسان، والإنشاد بمحاسنها، واصرف القول للفعال (المكارم)

إِنَّا لَنَقْتَاذُ الْجِيَادِ عَلَى الْوَجَا نَحْوَ الْعِدَى بِمَسَاعِرِ أَبْطَالٍ
نقود جيادنا نحو الأعداء على الوجا (الحفا)، فنحن نسرع ولا نحدو الخيل لما عندنا من نجدة،
وعلى الخيل مساعر (رجال أشداء يسعون الحرب ويوقدون نارها)

فِي كُلِّ ذِي لَجَبٍ كَأَنَّ زُهَاءَهُ لَيْلٌ تَعَرَّضَ أَوْ رِعَانٌ جِبَالٍ
هذه الخيل يتضمنها ذو لجب (جيش له فقعقة وفيه أصوات) كأن زهائه (كثرته) ليل منتشر أو رعان
جبال (روؤوس الجبال)

مَا بَيْنَ أَوَّلِهِ وَآخِرِ جَمْعِهِ يَوْمٌ يُسَارُ وَلَيْلَةُ الْبَغَالِ
بن أول الجيش وآخره مسيرة يوم، ومسيرة ليلة البغال
(صاحب البريد الذي يسير طول الليل بلا توقف)

٥٩ جيئوا من مكان واحد

هَجَانِي الْأَلَمَانِ ابْنَا دُخَانٍ وَأَيُّ النَّاسِ بِقَتْلِهِ الْهَجَاءُ
هجاني هذان الرجلان، والهجاء لا يقتل المهجوا!

وُلِدْتُمْ بَعْدَ إِخْوَتِكُمْ مِنْ أَسْتٍ فَهَلَّا جِئْتُمْ مِنْ حَيْثُ جَاءُوا
يا بني دخان! ولدتُم من وراء، أما كنتم تجيئون من أمام! هذا هجاء جريري المذاق

٦٠ الجندبية

تَنَزُّوْا إِذَا شَجَّهَا بِالْمَاءِ مَارِجُهَا نَزُّوْا الْجَنَادِبَ فِي رَمَضَاءَ تَلْتَهَبُ

تنزرو (تثب) فقايع الخمر - ويبدو أنه يتحدث عن ضرب من الخمر يشبه
الشمبانيا - إذا شجها (جرحها) بالماء مازجها، كوئب الجنادب (نوع من الجراد
صغير) في رمضاء (أرض شديدة السخونة). كأنه توهم تقافز الجنادب مسبباً عن
سخونة الأرض، هي تقفز في كل أرض

رَاحُوا وَهُمْ يَحْسَبُونَ الْأَرْضَ فِي فَلَكٍ، إِنَّ صُرِعُوا وَقَتِ الرَّاحَاتِ وَالرُّكْبِ .

راح الشاربون يظنون الأرض دائرة في فلك - في زمن الأخطل لم تكن الأرض تدور - ،
فهم لسكرهم يتطوحن ويقعون أرضاً وراحات أيديهم وركبهم تقيهم عند السقوط فلا يقعون
على وجوههم

الأخطل

فهرس القوافي

(القافية فرقم القطعة)

٢٠	مَوْجُودُ	٣٨	وِظَاءَ
١٨	جِيَادِ	٥٩	الهَجَاءُ
١١	عَفُورُ	٢٣	العَجِيَا
١٣	غَيْرُ	٥٥	وَصَبَا
٥٤	نَاظِرُ	٦٠	تَلْتَهِبُ
٢٢	هَدِيرُ	٦	فَالشُّعْبُ
٣٠	وِثْرُ	٢٦	الثَّرَابِ
٥٢	الأنصارِ	٤	القُرْبِ
١٧	الدَّهْرِ	٨	سَاغِبِ
٣١	السَّرْرِ	٣٢	مَضَارِبُهُ
٥٣	القِصَارِ	٥١	يَسَحُ
٣٣	القَصْرِ	٢١	الأَصَاحِي
١٤	مِشْهَارِ	١٢	يَتَبَدَّدَا
٣٤	والعارِ	٤٥	البعيدُ
١	وعامِرِ	٤٦	العييدُ
٤٧	لَنَا مَعَا	٢٧	فَاجْتَلَدُوا
١٠	وَلَا وَرَعُ	٥٧	مُحَمَّدُ

٥٦	لِحِلَالِهَا	٥	الشَّقَاقِ
٣٦	شُعُولِهَا	٧	جِبَالَا
٩	يُعَادِلُهُ	٢٨	عَذَلَا
٤١	سَلَمَا	١٩	وَاشْتَعَلَا
٥٠	عَمَامَا	٣٩	الْأَوْعَالَ
٤٣	الْقَطِمِ	١٦	ذُحُولُ
٤٠	وَالْفَمِ	٢٥	رِحَالَا
٤٨	دِرْهَمِ	٤٢	قَتُولُ
١٥	فَقَصَبُهَا	٢	مُعَدَّلُ
٤٩	تَلِيْنُ	٣	مَقْتُولُ
٢٩	الْجَنَانِ	٥٨	بِخَيَالِ
٣٥	الطَّلَلَانِ	٢٤	وَحَالِي
٤٤	يَلْحَانِي	٣٧	حُمُولِهَا

الفرزدق، همّام بن غالب (٢٠هـ - ١١٤هـ)

شرح شعر الفرزدق صعب. تستنجد المعجم على كلمة فرزدقية أغلقت دونك بيتاً فتجد المعجم مستشهداً ببيت الفرزدق الذي تسعى إلى فهمه؛ فهذا تفسير الماء بالماء. وصاحبنا ذو طريقة عنيفة مضطربة في معانيه وفي رصفه ألفاظه، لا يبالي أن يعامل الجمع معاملة المثنى، والمفرد معاملة الجمع، والمنصوب معاملة المرفوع؛ ولا أن يعطيك المعنى بالفاظ نصفها ظاهر لعينيك، ونصفها كامن في بطنه. ولئن كان الاجتزاء بقليل اللفظ عن كثير المعنى معدوداً من البلاغة في أحوال، فإنه يُحسّر في الغوامض والمعميات التي تشين الكلام في أحوال غيرها.

وقد اخترنا من شعر الفرزدق أجمله وأحسنه، ووقع في اختياراتنا شيء من تلك الألفاظ، واجتهدنا في حلها.

سنحدثك في هذه المقدمة عن الفرزدق وعصره، وهو أحد ثلاثة متعاصرين يشبه شعر أحدهم شعر أخيه؛ والآخران جرير والأخطل. وكان قدما النقاد والنحاة وأهل اللغة يجدون لذة في لعبة يلعبونها: كانوا يفاضلون بين الثلاثة، ويتعصب كل واحد منهم لواحد من هؤلاء الشعراء. لا بل إن شعراء معاصرين للثلاثة استمروا اللعبة، وقالوا الأشعار في تفضيل أحد الثلاثة على زميله. ولن نلعب معهم.

أنظر إليّ الآن قاعداً أكتب هذه المقدمة لمختاراتي من شعر الفرزدق مقوس الظهر متعباً، بعد أن أتممت شرحي للآيات، والتمس لي العذر.

العالم يموج حولي بالأحداث والأفكار. العالم يمشي نحو المستقبل. يستقبل غده بالأمنيات والمخاوف، وتعتلج في جوفه براكين تبحث عن الخاصرة

اللينة حتى تنفجر. وأنا قاعد في ركن هادئ من العالم أراقب. وتأتيني لحظة أقول لنفسي فيها: لأهاجرُ إلى أوروبا القارة العجوز الآمنة، كي أرى العالم منها. ثم أقول: بل إلى أميركا كي أكون في جوف الحدث. ثم أراني قاعداً أشرح شعر الفرزدق. أريد أن أذهب بعيداً عن بلاد العرب كي أرى بلاد العرب بوضوح. ولكتني قاعد أشرح شعر الفرزدق.

لعل ما يجعلني أشرح هذا الشعر القديم، الذي ولد صاحبه في خلافة عمر، أنني مرتحل في الزمن إلى الورا كي أرى الحاضر بوضوح. ودنيا العرب الآن - وأكتب في أكتوبر عام ٢٠١٥ - مضطربة، والعرب مضطربون.

استطراد

عندما احتل الأميركيون الفلبين قبل ١١٧ عاماً خسروا أربعة آلاف وثلاثمئة جندي، وقتلوا ربع مليون فلبيني. قالوا إنهم يفعلون ذلك في سياق جلب المدنية والرقى للفلبين. الجنرال لويد ويتون أمر جنوده أن يببدا سكان القرى والمدن في دائرة قطرها ٣٥ كيلومتراً، أمرهم أن يقتلوا من هو فوق العاشرة من العمر. وفعلوا. كتب جندي أميركي آنذاك: «دماؤنا تغلي، وكلنا يريد قتل هؤلاء العبيد، هذا أجمل من اصطيد الأرانب بما لا يقاس».

والعراق ماثلة؛ وكما لاحظ بعضهم فإن أميركا تقصف الناس الآن، بطائرات بطيار وبغير طيار، في ست دول إسلامية.

في الفكر السياسي الغربي اليوم اتجاهان: اتجاه يبرز جرائم الغرب إبرازاً. عنوان هذا الفكر «الإمبراطورية الأميركية: أميركا المجرمة». وصوت هذا الاتجاه ضعيف في الغرب، قوي عندنا، فنحن نترجم تشومسكي وصحبه ونقرأهم. واتجاه ينظر إلى الدول المتخلفة، وإلى ما فيها من ظواهر كالإسلام السياسي، ويحاول أن يشخص التخلف.

وكلا الاتجاهين مفيد ما التزم أصحابه الأمانة الفكرية. ولا يغيب عن القارئ أن جماعة «أميركا المجرمة» ينسون أن يعطونا - نحن العرب والمسلمين وباقي دول إفريقيا المتخلفة - نصيبنا من اللوم، وينصرفون بحماسة زائدة لكشف جرائم الغرب، وأن جماعة «تشخيص التخلف» تركز أنظارها علينا تركيزاً ينسبها أن نصف اللوم في تخلفنا يقع على الغرب.

يسرني أنني قاعد أقرأ هؤلاء وهؤلاء بالتناوب، ويسرني أنني شحذت

حسي النقدي شحذاً طيباً على مسنٌ بضعة كتب في الفكر السياسي قرأتها مؤخراً. أقرأ بين الحين والحين بعض ما نكتبه نحن، ولم أنصرف كل الانصراف عن كثير مما كتبناه في ماضينا القريب أو السحيق في موضوع «الفكر السياسي»: أكان بأقلام أهل الفكر الحر المعاصرين كعلي الوردي، أم بأقلام القدامى من أصحاب التواريخ وكتب السياسة كالطبري والماوردي والطرطوشي. غير أن رؤية أنفسنا بعيون الآخر تكشف من الحجب ما لا تكشفه رؤيتنا أنفسنا بعيوننا. وستظل، ولسنين كثيرة، الكتب المكتوبة من اليسار إلى اليمين خير ما يصف حالنا في الماضي وفي الحاضر.

هذا الكلام كله لا علاقة له بالفردق، وبصراحة.. لا من قريب ولا من بعيد. أنا فقط أضعك في جويّ النفسي والمعرفي في هذا الأوان، أو أنني على الأصح أحاول أن أتفكّر من التفكير في أحوال الدنيا فلا أستطيع إلى ذلك سبيلاً. عاش الفردق تسعين سنة، وعاشت الخلافة الأموية تسعين سنة. وتواكبا إلى حد كبير.. فقد شهدا تبادلاً وهو شاب في نحو العشرين وعاشها سبعين سنة. عاش في زمن كان العرب فيه يصعدون.. وقبلته تميم - أكثر من غيرها - قد صعد نجمها، وهي من طليعة من وصل بنفوذ العرب إلى خراسان.

ونحن اليوم نعيش هبوطاً مؤلماً من شأنه أن يفقدنا الثقة بالنفس. فهل تظنّ أنني أريد استعادة أمجاد الماضي بالحديث عن الفردق؟ ما أكثر ما بُعدت عن الحق! محدثك لا يحلم بالإمبراطورية، ولم يعد يحلم بالوحدة العربية التي عاش أحلامها يافعاً. أقارن بين عصرين لأن المقارنة خطرت ببالي. ولأنني أبحث عن منصة أنطلق منها إلى الحديث الذي كنت هجرته قبل نصف دقيقة، وهو الحديث عن الشعوب في عصرنا وعن تخلفها، وتقدمها.

يطيب لي كثيراً الحديث عما يمكن لنا نحن أن نفعله كي ننهض، وأميل بعض الميل إلى ترك مسألة أميركا المجرمة، وإسرائيل المجرمة. فرغم أنني من بلد استكملت إسرائيل احتلاله وأنا في الحادية عشرة من عمري، ورغم أنني رأيت تلك الدولة المسخ تأكل بلدي قطعة قطعة بما سموه الاستيطان، ورغم معرفتي العميقة بما يصنعه الغرب بالدول المتخلفة، فإنني أفتقد إلى حرارة الإحساس بالمظلومية التي أجدها عند كثيرين من أبناء العرب، ربما لأنني من تلك الطبقة المتوسطة المائعة التي لم تحس بفداحة ظلم الظالمين، وقد استطعت أن أعيش - وبأعجوبة - بعيداً عن سجون الاحتلال، وبعيداً في الوقت

نفسه عن النضال، وعندما اشتعلت الانتفاضة الأولى في بلدي حضرت منها ثمانية أشهر فقط، ثم سافرت لأعيش في أوروبا سنوات كثيرات، وعندما اشتعلت الانتفاضة الثانية أحسست بلسعتها، لكنني كنت أعمل مراسلاً إذاعياً، فكان لها بعض الخير على جيبي.

ثمة سبب آخر - وأراه مهماً - يدفعني دفعاً إلى ترك الحديث عن مظلوميتنا، والأخذ بالحديث عن ظلمنا لأنفسنا. ذلك أن كل الناس يفيضون في الكلام على هذه المظلومية، فلا أستطيع أن أضيف شيئاً ذا بال.

تربطني بالتونسي وبالعراقي وبكل من يتكلم العربية وشائج لا أقلل من قيمتها. ولكن مسألة الاتحاد في دولة عربية أمر حالت دونه سايكس بيكو قديماً، وحالت دونه شعوب العرب بعد استقلالها. وحسينا من التوحد ذلك الشعور العذب بأننا نشترك في كثير. فإن زاد ذلك عن ذلك فكان تضامناً، فنحن بخير.

أكره افتخار العربي بعرويته كرهاً عميقاً. ولكنني أسوق لك من فخر الفرزدق بآبائه - وهذا أسوأ - أبياتاً كثيرة. ولي موقف قد يكون مستغرباً عندك: أدعو دعوة صادقة إلى أن نهجر كثيراً من تراثنا، فقد قامت إمبراطوريتنا الأموية على استعباد العرق العربي للشعوب، وقامت على ما قامت عليه دول تلك العصور من استبداد ولي الأمر بكل الأمر، وجعله نفسه ظل الله على الأرض. ثم قامت الدولة العباسية على استبداد شبيه، وصعد العنصر الفارسي ثم التركي، وظللنا تتقلب علينا الدول المستبدة، وعندما نلنا الاستقلال عن الأوروبيين استمررنا في الاستبداد. العرب - وأعني كل من يتكلم العربية - متربون على الاستبداد. تجده في البيت والعمل وفي الدولة، وفي أعماق النفوس. ونحن متربون على الاستهانة بالمؤسسات التي تسوي بين الناس، أي بالقانون؛ ومتربون على احترام المؤسسات القديمة: أساساً العشيرة. وإلى أن يتغير ذلك سواصل الهبوط.

في كل مجلس أجلس فيه يَطْلُع عليّ رجل يقول «هذه الأمة». تفقع مرارتي هذه الكلمة. في الغالب يعني صاحبنا الأمة الإسلامية. وقد آمن بهذا بعض الباحثين الغربيين، فأخذوا يعاملون المسلمين جميعاً كأمة واحدة. بعضهم يصنع ذلك بسوء نية، فيصم هذه الأمة بالتعصب والتعالي والإرهاب والجهل. وبعضهم يضعنا في تلك البوتقة الواحدة وينظر فيها بعين فاحصة محاولاً معرفة

سبب المواجهة التي نرى مظاهرها بين الغرب والمسلمين. ولن أقول له: نحن العرب أمة وحدنا، ولن أقول إن الروابط بين المسلم العربي والمسلم الأفغاني أو الإندونيسي وهمية. بل أقول: لا شعوب العرب تمثل أمة، ولا شعوب المسلمين.

على أن الإسلام يشكل رابطة مهمة. وكنت أتمنى لو كان يمثل مؤسسة، لكنه في أيامنا هذه لا يمثل. وقد وجدت المتدينين أكثر التماساً للمعايير من غيرهم، ووجدتهم يلتزمون في أحكام الفقهاء طرقاتاً يَجْرُونَ بها الدنيا إليهم.

فهل آن أن نتحدث عن الفرزدق؟

آن.

حياة الفرزدق

ولد عام ٢٠ للهجرة، في كاظمة، التي نسميها اليوم الكويت. وكانت بها نخلات لقومه، غير أن قومه، بني تميم، كانوا معرقلين في البداوة. وكان أبوه غالب يغشى البصرة كثيراً، وبها كان ينحر الإبل تباهاً، وقد نحر في مرة واحدة - قيل - المئات منها. فلا بد أن الأب، غالب، كان يملك مئات كثيرة من الإبل التي ترعى، ومعها عبيده وأبناء عشيرته، في بوادي نجد. والقبيلة الكبرى هي تميم. وقد حافظت هذه القبيلة الكبيرة على قدر من التماسك بعد الإسلام، أمسكها زعماء أقوياء كالأحنف بن قيس.

قيل إن تميم كانت في تهامة بالحجاز قبل الإسلام بنحو مئة سنة بل أكثر، وأجلت عنها إلى شرق الجزيرة العربية بعد حرب كبيرة. هذا ما قاله عبد الله بن الزبير معيراً الفرزدق، ورددته كتب القدماء.

نحن الآن في زمن الخلفاء الراشدين، وتميم تعيش في الكويت وفي قطر وفي عمان وتمتد شمالاً إلى بادية العراق لتحاذي قبائل ربيعة، ويعيش بعض تميم في اليمامة (الرياض) مجاوراً قطعة من قبائل ربيعة هي قبيلة حنيفة التي كانت تحكم اليمامة. كانت حنيفة تفلح الأرض وتجنّي التمر، وأما تميم اليمامية فكانت ترعى الإبل وتعيش حياة أقرب إلى البداوة. وكان جواراً حسناً. وعندما أسس عمر بن الخطاب البصرة والكوفة كان لتمييم خمس من أخماس البصرة ورابع من أرباع الكوفة. وكثرت تميم في حاضرتي الإسلام، وامتدت إلى خراسان بقيادة الأحنف، واستقرت طائفة كبيرة من تميم بخراسان. واعتبر

اللغويون الذين كتبوا كتب اللغة في أوائل العصر العباسي لغة تميم في ذروة الفصاحة، لأن تميم ظلت تعيش عيشة البداوة، ولأنها أنجبت جريراً والفرزدق أيضاً. وكثير من فُضَحانا اليوم تميمي. لا نشك في أن تميمًا نطقت بالعربية بلهجة معينة، وبأن قريشاً وأهل الحجاز نطقوا بها بلهجة مختلفة، وشواهد أهل اللغة على ذلك بالملئات. لكنَّ مواسم العرب جعلت الشعراء يتقاربون في مفرداتهم وكلماتهم ويلتقون على لغة واحدة، ولعل فيها من لغة الحجاز كثيراً. الفصحى التي ورثها العصر العباسي مخلوق هجين، والقرآن نطق بلهجات عدة، وكانت لهجة تميم على رأسها.

سمع هَمَّامُ بْنُ غَالِبٍ بن صَغَصَةَ كثيراً من الشعر صغيراً، سمعه من أبيه ومن رجال عشيرته، فقد كان فيهم شعر، وسمع شعر شعراء ربعة في الجاهلية، وذكر في شعره أنه وارث شعراء كثيرين، من ربعة وغيرها، سمى منهم نحو عشرة في إحدى قصائده. ولا نظنه تعلم الكتابة. وقد كان له عندما نبغ في الشعر وطار صيته كاتب يكتب عنه، - سماه النقاد كاتباً، لا راوية، على أنه كان للفرزدق رواة كثر أيضاً -. ولا نلمس من أخباره أنه كان يخط شيئاً بيده.

لقبوه الفرزدق باكراً، وأحبَّ اللقب، وذكره في شعره مرات كثيرة. والفرزدق الرغيف فيما قال لنا القدماء. كان وجهه فيما يبدو كبيراً مضطرب الملامح كـرغيف ذلك الزمن. وقالوا كان دميماً، ولعله كان قصير الرجلين وافي الجذع يحمل بين كتفيه رأساً كبيراً.

نشأ في بيت عز، في عشيرة سيادة من عشائر تميم الكثيرة، وفي أسرة حانية، فقد أحبه أبوه، وكان يسميه «هُمَيْمًا»، أو «هميمياً». وعاش له أبوه حتى كبر وشب، وكان له القدوة؛ وأحبه أمه، عرفنا أنها أرسلته يوماً يرعى الخراف، فأكل الذئب خروفاً منها، فقال الفرزدق في ذلك شعراً، ونعرف أنه حج بأمه. فهذا شاعر نشأ في بيت حنون.

ومثلما أحب أبويه وأحبابه، أحب الفرزدق أولاده وبناته، ولا سيما ابنته مكية التي ولدتها له أمة سوداء. ولا نصدق أن ابنه لَبَطَةُ كان عاقاً. لعل الفرزدق غضب مرة على لبطة فقال فيه أبياتاً سرق نصفها من شاعر قديم. لعله ما قال تلك القصيدة إلا ليسرق تلك الأبيات! فأما لبطة فقد كان راوية والده ورسوله في المهمات الملمات.

أحب الفرزدق زوجته النوار حباً جارفاً ثلاثة أرباعه تعلَّق بها لأنها ظلت

ناشزة من يوم تزوجها إلى يوم أصرت على الطلاق فطلقها، وبعد الطلاق ظل يحبها، وإلى يوم وفاتها أحبها. وقد أنجبت له لبطة وسبطة وحبطة وركضة وزمعة. ولا نظن أنه كان للنوار، ذات الاسم الجميل، يد في تسمية أولئك الأبناء. ولا نصدق أساساً كل ما قاله مؤرخو الأدب القدامى، لعلهم رأوا اسم لبطة غريباً فشفعوه بأسماء غريبة أخرى. غير أن النوار عاشت في كنف لبطة بعد طلاقها.

رغم كل هذا الحب والحنان الأسري فقد كان الفرزدق يتبعق أنانية وشراسة. كان مزواجاً، وكان زناً، وقاذفاً للمحصنات. وكان فيما بين الكبيرة والكبيرة يخاف الله. كان في عقليته جاهلياً يتذكر بين الفينة والفينة أنه مسلم. وكان في نفسه غضباً سريع الاحتياج.

كانت البصرة والكوفة في آخر عهد الخلفاء الراشدين محطة لشتى القبائل، الأزد وتميم وتغلب وغيرها، ينطلق الناس منهما في حملات الفتح. وعندما بدأت الفتنة، وقتل عثمان وتولى الخلافة علي غدا الاستقطاب السياسي الوصف الملائم: فالعراق مع علي، والشام مع معاوية. وفي الفتنة كانت تميم مع علي. وقد وفد غالب والد الفرزدق على الإمام علي ومعه ولده، وله من العمر نحو سبع عشرة سنة، وقال «غالب» لأmir المؤمنين علي إن ابنه بدأ يقول الشعر، فنصح علي للفتى أن يقرأ القرآن.

ثم اغتيل علي، وخلص الأمر لمعاوية.

كان الفرزدق في العشرين عندما استتبّت دولة بني أمية في عام ٤١ للهجرة. كان قد استوى له الشعر، فقد تدرب على هجو الناس وهو يافع. قال أبياتاً في معاوية بن أبي سفيان، فطلبه والي البصرة زياد بن أبيه، ففر منه، وأخذ يتنقل بين القبائل، والخوف مستولٍ عليه. فزياد مخوف الجانب، وعقابه شديد، وعنده للفرزدق ملف سمين، فإذا ما اختار زياد الإغضاء عن كلام الفرزدق لمعاوية حفاظاً على مقام الخلافة، وحتى لا يكون قد جعل الفرزدق ومعاوية خصمين متكافئين، فهناك كثيرون ممن هجاهم الفرزدق وهتك أعراضهم، وما أيسر أن يؤخذ شاعرنا بتلك الجرائر.

قال الفرزدق أبياتاً كثيرة يعتذر فيها لزياد، ويذكر خوفه منه. ونقل إليه أن زياداً عفا عنه وطلبه كي يعطيه، ولكن الفرزدق خاف القدوم على زياد، وواصل فراره حتى أتى المدينة المنورة، وعليها سعيد بن العاص الصحابي الأموي

السخي. بادره الفرزدق بالقول: لم استحلّ دماً ولا مالاً، فأواه سعيد، فمدحه الفرزدق. وعاش في المدينة يسمع الشعر والغناء، ويرتاد بيوت القيان، ويزني أو يزعم أنه يزني، ويقول في ذلك شعراً، والوالي سعيد بن العاص، وكان فيه لين، يغضي عن أقواله وأفعاله. ثم تولى المدينة مروان بن الحكم، وكان شديداً، فأخرج الفرزدق عن المدينة، فذهب إلى مكة، وعاد سيرته الأولى يرتجف خوفاً من زياد بن أبيه، ولم يمض طويل وقت حتى جاءه خبر موت زياد فتنفس الصعداء، وعاد إلى البصرة وهو رجل في نحو الثالثة والثلاثين.

قد شهد الفرزدق في المدينة ومكة مجالس العلماء والشعراء. لقي شعراء الحجاز وانتبه إلى ما في شعر عمر بن أبي ربيعة من قصة، فكان في شعر الفرزدق قصة. حتى الحطيئة المخضرم، الذي شهد قطعة صالحة من الجاهلية، فقد لقيه الفرزدق في مجلس الوالي سعيد بن العاص. وعندما رجع إلى البصرة كان قد ملأ رثيته من جو الحجاز المترف. وعاد في مقبل حياته إلى الحجاز مرات كثيرة حاجاً وغير حاج.

عاد الفرزدق من منفاه ليجد ابن زياد قد تولى العراق خلفاً لأبيه، فمدحه وتقرب إليه.

لبث الفرزدق بالبصرة، يزور مسقط رأسه كاظمة، ويقوم على ماله، ويتزوج وينجب. لكن صفته الراسخة هي أنه شاعر يتغنى بأمجاد عشيرته دارم وقبيلته الكبرى تميم. وظل يعطف على أهل البيت غير ناس ذلك الولاء القديم الذي دانت به قبيلته تميم لعلي، غير أنه كغيره من الشعراء يخشى ولي الأمر ويطيعه. . ويمدحه.

مات معاوية سنة ٦٠ وتولى يزيد، وكانت فتنة أخرى سنة ٦١ بمقتل الحسين بن علي وهو يسعى في الخروج على الأمويين. وامتنع عبد الله بن الزبير في الحجاز عن البيعة ليزيد، واستقل بالحجاز، وأرسل أخاه مصعباً والياً على العراق. واستمر العهد الزبيري في الحجاز والعراق عشر سنوات، كان قلب الفرزدق فيها زبيرياً، وإن لم يمدح ابن الزبير. ففي عهده خادع الفرزدق ابنة عمه النوار واحتكما إلى ابن الزبير الذي نصرها عليه.

هذا ملخص قصته مع النوار: أرادت النوار أن تتزوج، فوكلت الفرزدق بتزويجها إلى رجل ارتضته، فزوجها الفرزدق من نفسه خديعة وغصباً. فرحلت إلى الحجاز واستجارت بابن الزبير فنصرها، قال لها: سأقع الفرزدق بتطليقك،

فإن أبى قتلته. فقالت له: لا أرضى ذلك. ورضيت بالفردق على مضض،
فرجع بها شاعرنا إلى البصرة.

كان العراق في عهد ابن الزبير يموج بالنزاعات بين القبائل، ولا سيما بين
الأزد اليمنية وتميم المضرية. وكان الفردق لسان قومه. لكنه في هذا الزمن،
في سنة ٦٦ للهجرة على التعيين، انخرط في معركة داخلية سوف تستمر ثمانية
وأربعين عاماً.

في هذه السنة بدأ التهاجي بين فحلي تميم: جرير والفردق. جرير يرسل
قصائده من اليمامة فتتردد أصداؤها في العراق، والفردق مقيم بالبصرة يهجو
جريراً ويملاً محافل البصرة وغير البصرة بأشعاره.

انتهى العهد الزبيري في الحجاز بمقتل عبد الله بن الزبير، وفي العراق
بمقتل مصعب بن الزبير، واستتب الأمر لبني أمية، واستتب الأمر للخليفة
عبد الملك بن مروان. أرسل عبد الملك أخاه بشراً والياً على العراق. فمدحه
الفردق، ومدحه جرير. واستطاب بشر التهاجي بينهما أكثر مما استطاب
المدح، فكان يحرض كلاً منهما على صاحبه. ومات بشر بعد قليل، فجاء
الحجاج والياً على العراق. وسيظل والياً عشرين سنة. وقد نال من مدح
الجريرين كليهما الكثير.

والفردق في كل هذه السنوات مقيم في العراق، يمدح الولاة ولا يقترب
من الخلفاء، ولا يزور دمشق، لكننا نجد له مدحاً في عبد الملك. أما جرير
فكانت له قصائد في عبد الملك ثم في ابنه الوليد، وفيمن تلاهما.

وظل الفردق وجرير يتهاديان قصائد الهجاء الشنيعة، وانضم إليهما
الأخطل مناصراً للفردق.

ومدح الفردق بعد الحجاج عمر بن هبيرة، ولم ينس أن يرثي الحجاج،
ثم تذكر بعد حين أن يهجو ميتاً. ومدح بعد عمر بن هبيرة خالد بن عبد الله
القسري والي العراق، لكن بعد أن كان هجاء طويلاً.

وفي خلافة سليمان بن عبد الملك زار الفردق الشام مادحاً. كان شيخاً
أناف على السبعين، وقد أحب سليمان وأكثر من مدحه، لكن سليمان مات بعد
ثلاث سنين، وجاء عمر بن عبد العزيز خليفة، وليس للشعراء عند عمر شيء
يذكر. ومات عمر بعد سنتين وللفردق ثمانون سنة. ومدح الفردق يزيد بن

عبد الملك ونال عطاياه، وبعد سنوات أربع، ودع الفرزدق خليفته الأموي التاسع. عاصرهم جميعاً واعياً وشاعراً وإن لم يلقَ إلا المتأخرين منهم، واستقبل خليفته الأموي العاشر هشام بن عبد الملك.

لم ينل حظوة عند هشام الذي لم يكن سخيّاً على الشعراء. فمدحه قليلاً وعرض به في أبيات قليلة فغضب عليه، وقيل سجنه ثم أطلقه، وكان له قبل سنوات كثيرة موقف مع هشام في مكة قبل أن يستخلف هشام، حين عرض بالأمير الشاب مادحاً زين العابدين حفيد الإمام علي في قصيدة طائفة الصيت.

عندما بلغ الفرزدق التسعين تزوج للمرة العاشرة أو العشرين. . . وافتضح عجزه، وسبه به جرير.

مات الفرزدق عام ١١٤، في خلافة هشام، وعمره أربع وتسعون سنة قمرية. ورثاه جرير، وعاش بعده أشهراً. وانتهت بذلك أطول وأسخن معركة هجاء في تاريخ الشعر العربي.

انتفعت في سيرة الفرزدق بكتاب شاكر الفحام، وبما كتبه القدماء كأبي الفرج الأصفهاني وابن قتيبة وابن سلام الجمحي. وقد رأيت بيتاً من أجمل الشعر نسبته الثعالبي إلى الفرزدق، وليس في الديوان:

وَأَنَا وَسَعْدًا كَالْفَصِيلِ وَأُمُّهُ إِذَا وَطَّئَتْهُ لَمْ يَضِرْهُ اعْتِمَادُهَا
أَيُّ أَنَا وَقَبِيلَةُ سَعْدٍ مَتَّاعِيانِ، فَإِنْ وَقَعَ بَيْنَنَا شَرٌّ فَهُوَ لَا يَسْتَطِيرُ، مِثْلَمَا
تَدُوسُ النَّاقَةَ عَلَى فَصِيلِهَا لَكِنَّا لَا تُوْذِيهِ، لِأَنَّهَا أُمُّهُ. وَنَقُلُوا بَيْتًا يَشْبُهُ هَذَا قَالَهُ
عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنِ كَلَالٍ لِأَحَدِ مُلُوكِ الْغَسَّاسَةِ:

نَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا نَمِيلُ، إِذَا نَمِيلُ، عَلَى أَيْبَانَا
وقد أخذنا ما أخذنا من شعر الفرزدق من الدواوين التي بأيدي الناس، وهي ضعيفة التحقيق؛ ونظرنا في النقائض. ولم نجد له ديواناً مشروحاً شرحاً حقيقياً، فأما النسخة التي كتبها إيليا الحاوي لتلامذته فشرحها شرحٌ من كان مستعجلاً. وقد نشر مجموعة من شعره الفرنسي بوشير عن نسخة محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي، وبعده بربع قرن (١٩٠٠) نشر يوزف هيل مخطوطة القسطنطينية مصورة تصويراً، مكملًا عمل بوشير.

ولم أجد طبعة محققة. وكل ما وجدته مما صدر بلبنان منقول عن طبعة

الصاوي بمصر. وقد عقد شاعر الفحاح فصلاً ضافياً ذكر فيه النسخ الخطية للديوان ووصفها وصفاً مفصلاً.

ومع توفر كل هذه النسخ من شعر الفرزدق أصبح ميسوراً على الباحث الجاد أن يصنع نشرة محققة تجمع الشتات؛ وأين باحث جاد!

وكنّت عثرت برسالة لبعض أكاديميي الزمن الأخير عن الفرزدق، فقلبت أوراقها عسى أن تفتح لي باباً ألجّه إلى هُجر الكلام، فأنا - قد علمت - مولع بهؤلاء القوم أَسْتَنْحُ السانحة حتى أبسط فيهم لساني وأستطيل عليهم بالقوارع، وأتناول جنوبهم بالمقامع، فوجدت صاحبنا أدق من أن يبرى، وأرق من أن يرى، فهو يشف شفوقاً عما وراءه، فهل أطعن الهباء أو ألطم الهواء؟ ووجدته يتمسح بأستاذه الذي أشرف - لا شُرّف - على رسالته، فلا تمر من سن قلمه فقرة إلا ذيلها بهامش ينسب فيه إلى أستاذه رأياً أو يأخذ عنه قولاً. وتذكرت أنني كنت في مرة سابقة قد غضضت من ذلك الأستاذ ومزقت فروته، ووقعت فيه بكلام كشف عوراته ورصد عثراته، وأبان مقاتله. فكففت عن التلميذ، فقاموس السباب يضيق عنه، ومن لم يجد عند الزنبور عسلاً لم يطمع بما في بطن الذبابة. قد مضى زمن قاء فيه الأكاديميون كتباً حشوها الثرثرة والتعالم، ثم عشنا لنرى تلامذتهم ييزونهم في الفهاهة، ويتفهبون، ويزيدون في الموال آهة، ويترنمون.

فأما كتاب شاعر الفحاح، وهو بالمناسبة رسالة جامعية، فقد أفدت منه كثيراً.

وبعد، فهذا ما اخترته من شعر الفرزدق، أبي فراس، همام بن غالب.

١ أرمي عن ربيعة

بمدح عبد الله بن عبد الأعلى الشيباني:

وَمَا زِلْتُ أَرْمِي عَنْ رَبِيعَةٍ مَّنْ رَمَى إِلَيْهَا، وَتُخَشَى صَوْلَتِي مِنْ وَرَائِهَا

أرمي: أطلق السهام، صولتي: هجمتي/يقول: ظللت أدافع عن قبيلة ربيعة وأردت على من يهجموها بالشعر، وظل الشعراء يخشون هجومي عليهم دفاعاً عنها

سَتَمْنَعُ بَكْرًا أَنْ تُرَامَ قَصَائِدِي، وَأَخْلَفُهَا مَنْ مَاتَ مِنْ شُعْرَائِهَا

ترام: يُقصد إليها بشر، أخلفها: أعوضها/يقول: قصائدي ستمنع إلحاق الأذى بقبيلة بكر، وهي جزء من ربيعة، وسأعوضها عن من مات من شعرائها

٢ الآن استقر لكم الملك

يمدح عبد الملك بن مروان، وإن لم يكن وَقَدْ عليه:

تضاحَكْتُ أَنْ رَأْتُ شَيْباً تَفَرَّعَنِي كَأَنَّهَا أَبْصَرَتْ بَعْضَ الْأَعَاجِبِ
تفرعني: علاني، يقول: ضحككت لرؤيتها شيئاً علا رأسي، كأنها أبصرت عجيبة من الأعاجيب

فَقُلْتُ إِنَّ الْحَوَارِيَّاتِ مَعْطَبَةٌ إِذَا تَفَتَّلْنَ مِنْ تَحْتِ الْجَلَابِيبِ
الحواريات: الفتيات الناعمات، معطبة: مهلكة/الفتيات هلاك للرجل عندما تتفتل أجسامهن وتتلوي
ويصبص عليها، ويتحراها ويتقراها، من وراء الجلابيب

يَأْبَى، إِذَا قُلْتُ أَنْسَى ذِكْرَ غَانِيَةٍ، قَلْبٌ يَحْنُ إِلَى الْبَيْضِ الرَّعَائِبِ
الرعايب: الممثلات، الريانات، غانية: حسناء/إن قلت لقلبي: انس ذكر إحدى الحسان أبي،
وهو قلب يحن إلى البيض الممثلات

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُزْجِي مَطِيَّتَهُ يُرِيدُ مَجْمَعَ حَاجَاتِ الْأَرَاكِيبِ
المزجي مطيته: السائق جملة، الأراكيب: راكبو الإبل/المعنى المملوح: أيها الراكب الذي يسوق
جملة إلى ساحة الخليفة، وهي مكان تلبية حاجات الزائرين القادمين على جمالهم

إِذَا أَتَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقُلْ بِالنُّصْحِ وَالْعِلْمِ قَوْلًا غَيْرَ مَكْذُوبٍ:
قل للخليفة قول ناصح أمين لا يكذب:

أَمَّا الْعِرَاقُ فَقَدْ أَعْطَتْكَ طَاعَتَهَا، وَعَادَ يَغْمُرُ مِنْهَا كُلُّ تَخْرِبٍ
التخريب: الفساد والسرقة/العراق دانت لك بالطاعة، وعمرت بالسلم وانمقد الصلح بين القبائل،
بعد أن كف الناس عن الاحتراب والسرقة

فَالْأَرْضُ لِلَّهِ، وَلَهَا خَلِيفَتُهُ وَصَاحِبُ اللَّهِ فِيهَا غَيْرُ مَغْلُوبٍ
هذه نظرية الحكم في العصور الوسطى بأوروبا: الأرض لله والحاكم ظل الله على الأرض. ونحن
نسبى أوروبا في مثل هذه الأشياء دائماً

بَعْدَ الْفَسَادِ الَّذِي قَدْ كَانَ قَامَ بِهِ كَذَّابٌ مَكَّةَ مِنْ مَكْرٍ وَتَخْرِبٍ
بعد الفساد والتخريب، انتهاب الأموال، من جانب كذاب مكة، عبد الله بن الزبير، الذي بوع له
بالخلافة بمكة حتى قتل عام ٧٢هـ واستقر الأمر لعبد الملك

رَامُوا الْخِلَافَةَ فِي غَدْرٍ، فَأَخْطَأَهُمْ مِنْهَا صُدُورٌ، وَقَازَوْا بِالْعَرَاقِيبِ
راموا: طلبوا، العرايب: الرُكْب، وأسفل الأطراف/أرادوا الاستيلاء على الخلافة غدراً، فلم
يحصلوا إلا على أمور هامشية، وفاتهم قلب الخلافة

وَالنَّاسُ فِي فِتْنَةٍ عَمِيَاءَ، قَدْ تَرَكْتُ أَشْرَافَهُمْ بَيْنَ مَقْتُولٍ وَمَحْرُوبٍ

محروب: مسلوب/ في ظلهم كان الناس في فتنة تركت أشراف الناس بين قتل ومسلوب المال والمتاع. وكانت العصابات القليلة - حتى البعيدة عن الصراع السياسي - شديدة في زمن حكم آل الزبير ولا سيما في العراق

فَأَصْبَحَ اللَّهُ وَلِيُّ الْأَمْرِ خَيْرَهُمْ بَعْدَ اخْتِلَافٍ وَصَدْعٍ غَيْرِ مَشْعُوبٍ

صدع: شق، مشعوب: ملتئم مرتوق (من الأضداد)/ ولاك الله، وأنت خير الناس، بعد خلاف لم يكن يؤمل إصلاحه

تُرَاثُ عَثْمَانَ كَانُوا الْأَوْلِيَاءَ لَهُ، سِرْبَالُ مُلْكٍ عَلَيْهِمْ غَيْرُ مَسْلُوبٍ

بنو أمية أولياء ميراث عثمان بن عفان (أصحابه فهو أموي)، وهذا التراث سربال (لباس) ملك لا يجوز سلبهم إياه

٣ نار غالب

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عَنْدهُمْ لَهَا تِرَةً مِنْ جَذِبِهَا بِالْعَصَائِبِ

ركب: مسافرون، ترة: ثار، العصائب: العمائم/ رب مسافرين تعصف بهم الريح وتجذب عمائمهم كأن لها عندهم ثاراً

يَعْضُونَ أَطْرَافَ الْعِصِيِّ، كَأَنَّهَا تُخْزَمُ بِالْأَطْرَافِ شَوْكَ الْعَقَارِبِ

تخزم: تخرز وتخرق/ يمسكون عصيهم بأسنانهم كي يخفوا أيديهم داخل ملابسهم من البرد، وكأن الريح، وهي تخرز الأطراف، إبر العقارب

سَرَوْا يَخْبِطُونَ اللَّيْلَ، وَهِيَ تَلْفُهُمْ عَلَى شَعَبِ الْأَكْوَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

سروا: ساروا ليلاً، شعب الأكوار: أطراف سروج الجمال/ ساروا ليلاً على غير هدى، والريح تلفهم من جوانب رحل الجمل، وتهب عليهم من كل اتجاه

إِذَا مَا رَأَوْا نَاراً يَقُولُونَ: لَيْتَهَا، وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ، نَارُ غَالِبٍ

خصرت: اشتد بها البرد/ إذا رأوا ناراً من بعيد، وقد بردت أيديهم، قالوا: ليتها نار «غالب»، والد الفرزق، حيث الدفء والضيافة

٤ الباهلي والباهلية

إِنِّي أَسْبُ قَبِيلَةً لَمْ يَمْنَعُوا حَوْضاً، وَلَا شَرَبُوا بِصَافِي الْمَشْرَبِ

أسب هذه القبيلة الضعيفة التي لم تمنع (تحم) حوض ماء، ولا استطاعت المزاحمة لسقي إبلها باكراً قبل تلوث المياه من حوض عام

والبَاهِلِيُّ، ولو رأى عِرساً له يُغَشَى حَرَامُ فِرَاشِهَا، لم يَغْضَبِ
لو رأى ابن قَبيلة «بَاهِلَة» عِرساً له (زوجة) يَغْشَى (يُؤْتِي) فِرَاشَهَا من قبل غَرِيب، لم يَغْضَبِ

٥ الطائي والطائية

إذا رَفَعَ الطَّائِيُّ عَيْنِيهِ رَفْعَةً رَأَيْتِي عَلَى الْجُوزَاءِ فَوْقَ الْكُوَاكِبِ
الطائي في منزلة متدنية، ولو رفع عينه مرة لرأيتي عالياً فوق الجوزاء في السماء

وَمَا طَيِّئٌ إِلَّا قَبَائِلُ أَنْزَلْتُ إِلَى أَهْلِ «عَيْنِ التَّمْرِ» مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
طيء مجموعة قبائل لا موطن لها وجيء بها إلى «عين التمر» من هنا وهنا،
فهم شراذم لا قبيلة متماسكة

فَمَا عَلِمْتُ طَائِيَّةً مِّنْ أَبِّ لَهَا وَلَوْ سَأَلْتُ عَنْ أَصْلِهَا كُلِّ نَاسِبٍ
الطائية لا تعرف لها أباً، كأنما هي مولودة في فراش سبية من السبايا، ولن تعرف أباًها حتى لو
سألت كل ناسب (عالم بالأنساب). قد كان أذاك الرد يا فرزديق من حاتم الطائي، وسيأتيك بعد
بضعة عقود من أبي تمام والبحري الطائيين

٦ محتطب الأساود

وإِنَّ أَمْرًا يَغْتَابُنِي لَمْ أَطَأْ لَهُ حَرِيماً، وَلَا تَنْهَاهُ عَنِّي أَقَارِبُهُ ..
الذي يغتابني دون أن أكون وطئت حريمه (زنت مع امرأة له)، ثم لا تنهاه عن ذلك أقاربه ..
كَمُحْتَطَبٍ يَوْمًا أَسَاوِدَ هَضْبَةٍ، أَتَاهُ بِهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ حَاطِبُهُ
.. إنما هو كمن يجمع الحطب ليلاً، فيضم الأساود (الأفاعي) مع العيدان،
جاهلاً خطورة ما يصنع

٧ عين لم تكن لخليفة

حج هشام بن عبد الملك، وهو خليفة، فصحبه الفرزدق من المدينة إلى مكة، ورجع
إلى المدينة، ورجع معه، فأمر له بخمسمئة درهم فقال:

يُرَدِّدُنِي بَيْنَ «الْمَدِينَةِ» وَالتِّي إِلَيْهَا قُلُوبُ النَّاسِ يَهْوِي مُنِيبُهَا
منيبها: الراجع لها/ يروح ويأتي بي بين المدينة المنورة وبين مكة التي تشاقق إليها قلوب الناس
فتهوي نحوها

بُقِلْبُ عَيْنًا لَمْ تُكُنْ لِخَلِيفَةٍ مُشَوَّهَةٌ حَوْلَاءِ بَادٍ عُيُوبُهَا
هذا أول خليفة أحول. وكان هشام أحول.

٨ أظفار العشيرة

أَلَا حَبِذَا الْبَيْتَ الَّذِي أَنْتَ هَائِبُهُ تَزُورُ بَيْوتاً حَوْلَهُ وَتُجَانِبُهُ

حبيب إليك هذا البيت الذي تهابه فتزور ما حوله وتتجنبه

تُجَانِبُهُ مِنْ غَيْرِ هَجْرٍ لِأَهْلِهِ وَلَكِنْ عَيْنًا مِنْ عَدُوٍّ تُرَاقِبُهُ

تتجنبه ليس هجراناً لساكنيه، بل خوفاً من عدو تراقبه (تحذره)

وَلَيْسَ شَبَابٌ بَعْدَ شَيْبٍ بِرَاجِعٍ يَدَ الدَّهْرِ، حَتَّى يَرْجِعَ الدَّرَّ حَالِبُهُ

يد الدهر: طول الدهر/ لن يرجع الشباب بعد الشيب أبداً، هذا مثل أن يرجع (يعيد) حالب الناقة الدر (الحليب) إلى ضرعها

وَمَنْ يَتَخَمَّطَ بِالْمَظَالِمِ أَهْلُهُ وَلَوْ كَرُمَتْ فِيهِمْ وَعَزَّتْ مَضَارِبُهُ . .

يتخبط: يغمس ويخلط/ من يغمس أهله بتصرفات فيها مظالم لهم ولغيرهم، وحتى لو كانت مضاربه (بيوته ونسبه) كريمة وعزيزة . .

يُخَدِّشُ بِأَظْفَارِ الْعَشِيرَةِ خَدَّهُ وَتُجْرَخُ رُكُوبًا صَفْحَتَاهُ وَغَارِبُهُ

صفحتاه: جنباه، غاربه: ظهره/ . . فهو يتعرض للأذى من عشيرته، ويستعلون عليه فكأنهم يركبونه ويوسعون ضرباً

٩ لو في الجاهلية

بخطب معاوية بن أبي سفيان:

أَبُوكَ وَعَمِّي يَا مُعَاوِيَ أَوْرَثَا ثُرَانًا فَأَوَّلَى بِالثَّرَاثِ أَقَارِبُهُ

أبوك، أبو سفيان بن حرب، وعمي الحثات تركا ميراثاً، والأولى به الأقارب

وميراث معاوية هو الملك وما يأتي به من خراج وغنائم، وميراث «الحثات» التميمي هو نصيبه من ثروة الدولة. كان معاوية أعطى الحثات عشرة آلاف درهم، وأعطى الأحنف بن قيس أربعين ألفاً واستكتمه، وانصرف الرجلان وكلاهما سيد في تميم. وباح الأحنف للحثات، فرجع الحثات إلى معاوية، فكتب له بثلاثين ألفاً. وفجأة مات الحثات، فاسترد معاوية الثلاثين ألفاً . .

فَمَا بَالُ مِيرَاثِ الْحُثَاتِ أَكَلَتْهُ وَمِيرَاثُ حَرْبٍ جَامِدٌ لَكَ ذَائِبُهُ

فلماذا أخذت نصيب «الحثات» وظل لك ما ورثت عن «حرب» تصرف به وقتما تشاء؟

فَلَوْ كَانَ هَذَا الْحَكْمُ فِي جَاهِلِيَةٍ عَرَفَتْ مِنَ الْمَوْلَى الْقَلِيلُ حَلَاثَتُهُ

المولى: السيد، حلأته: أنصاره/ لو كنا في الجاهلية لعرفت من السيد القليل الأنصار

١٠ الجلود اللثيمة

إِذَا لَبِسْتُ قَيْسَ ثِيَاباً سَمِعْتُهَا تُسَبِّحُ مِنْ لُؤْمِ الْجُلُودِ ثِيَابُهَا
جُعِلْتُ لِقَيْسٍ لَعْنَةً نَزَلَتْ بِهِمْ مِنَ اللَّهِ، لَنْ يَرْتَدَّ عَنْهُمْ عَذَابُهَا
مجانبي لقيس لعنة إلهية لن تزول عنهم

١١ أباهل .. أنا جاهل

يهجو الأصم الباهلي:

أَبَاهِلْ، إِنَّ الْمَاءَ لَيْسَ بِغَاسِلٍ مَخَازِي عُنُكُمُ، عَارُهَا غَيْرُ ذَاهِبٍ
يهجو قبيلة باهلة

وإِنَّ سِبَابِيكُمْ لَجَهْلٌ، وَأَنْتُمْ تُبَاعُونَ فِي الْأَسْوَاقِ بَيْنَ الْجَلَائِبِ
سبايكم (شتمي لكم) جهل مني لأنكم مجرد عبيد تباعون بين الجلائب (من جلبوا من بعيد)

١٢ هب لي خنيساً

استجارت الأم بالفزدق، كي يشفع لها عند الوالي تميم بن زيد فيعيد ابنها
المقاتل من الثغور، فكتب الفزدق هذه الأبيات وبعث بها إلى الوالي، ولما وصلت
رقعة الفزدق إلى الوالي لم يحقق اسم الابن أهو خنيس أم حبيش، فأمر بأن يعاد من
البعثة كل من اسمه حبيش وخنيس:

تَمِيمُ بْنُ زَيْدٍ! لَا تَهَوَّنْ حَاجَتِي لَدَيْكَ، وَلَا يَغَيَا عَلَيَّ جَوَابُهَا
أيها الوالي لا تعامل حاجتي التي أصبحت لديك باستهانة، ولا يعيا (يمتنع) عليَّ حصول استجابتك
وَلَا تَقْلِبَنَّ ظَهْرًا لِبَطْنٍ صَحِيفَتِي، فَشَاهِدْ هَاجِبِهَا عَلَيْكَ كِتَابُهَا
ولا تقلب رسالتي على وجهها، فمجرد كتابها (كتابتها) دليل على أن الرسالة الهاجية قد تتبع
وَهَبْ لِي «خُنَيْسًا»، وَاتَّخِذْ فِيهِ مَنَةً لِحَوْبَةٍ أَمْ مَا يَسُوعُ شَرَابُهَا
هب لي (امنحني) خنيساً، واجعل من ذلك منة (معروفاً) تقدمه لحوبة (حاجة) أم لم يعد يسوع
الماء في حلقها لفرط حزنها

١٣ رثاء الأخ

يرثي أخاه:

أَبَى الصَّبْرَ أَنِّي لَا أَرَى الْبَدْرَ طَالِعاً وَلَا الشَّمْسَ إِلَّا دَكَّرَا بِابْنِ غَالِبٍ
منع الصبر عني أنني لا أرى البدر أو الشمس إلا تذكرت أخي، الذي كان يشبههما بهاء

١٤ بعد موتي

زعموا أنه ردد هذين البيتين على فراش الموت:

أُرُونِي مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِي إِذَا مَا الْأَمْرُ جَلَّ عَنِ الْعَنَابِ
من يسد مسدي إذا تجاوز الخلاف بينكم وبين غيركم مجرد العتاب، فأصبحتم بحاجة إلى شاعر
يدافع عن شرفكم

إِلَى مَنْ تَفَرَّعُونَ إِذَا حَثَوْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ عَلَيَّ مِنَ الثُّرَابِ؟
إلى من ستفزعون (تلتجأون) بعد أن تحثوا (تهيلوا) عليّ تراب قبري؟

١٥ الزواج بالكواكب

يهجو جريراً، وقد عبره جرير بأنه ساق مهراً كبيراً لحدراء بنت زيق:

فَلَوْ كُنْتُ مِنْ أَكْغَاءِ حَدْرَاءَ لَمْ تَلُمِّي عَلَى دَارِمِي بَيْنَ لَيْلَى وَغَالِبِ
لو كنت كفتاً لحدراء ذات النسب والحسب ما كنت لمتني وأنا رجل من قبيلة دارم، وليلى جدتي
ابنة أشرف أشراف القبيلة، وغالب أبي ذو شرف عريض

وَلَوْ تُنَكِّحُ الشَّمْسُ النُّجُومَ بَنَاتِهَا إِذَنْ لَنَكَحْنَاهُنَّ قَبْلَ الْكَوَاكِبِ
لو كانت الشمس تزوج بناتها النجوم لتزوجناهن نحن. لم يكن ثمة تفريق علمي في زمنهم بين
كوكب ونجم

١٦ الابن العاق

قال لابنه لَبَطَةَ وَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ عَاقًا:

أَإِنْ أُرْعِشْتُ كَفَّا أَبْيَكْ، وَأَصْبَحْتُ يَدَاكَ يَدَيَّ لَيْثٍ فَإِنَّكَ جَاذِبُهُ؟
لإن كبر أبوك وأخذت كفاه ترتعشان، ثم قويت يداك أنت، فإنك تجذبه بغلظة؟

البيت في حماسة أبي تمام، نسخة أبي رياش والتبريزي، ولم يروه المرزوقي، وهو في الحماسة
منسوب إلى فرعان بن الأعرف يقوله لابنه منازل

إِذَا غَلَبَ ابْنٌ بِالشَّبَابِ أَبَا لَهُ كَبِيرًا فَإِنَّ اللَّهَ لَا بُدَّ غَالِبُهُ
وَلَمَّا رَأَنِي قَدْ كَبِرْتُ، وَأُنْصِي أَخُو الْحَيِّ، وَاسْتَغْنَى عَنِ الْمَسْحِ شَارِبُهُ..
لما رأيته كبرت، وصرت ملازماً للحَيِّ (مضارب القبيلة)، واستغنى شارب الابن (شفناه)
عن المسح عند الأكل، أي أنه لم يعد طفلاً. واستغنى عن المسح شارب، منسوبة لابن الأعرف
في الحماسة

أَصَاخَ لِغُرَبَانِ النَّعِيِّ، وَإِنَّهُ لَا زَوْزَ عَنْ بَعْضِ الْمَقَالَةِ جَانِبُهُ
أَصَاخَ (أَرخَى سَمْعَهُ) لِمَنْ يُمْكِنُ أَنْ يَقْلُ خَيْرَ مَوْتِي، أَيْ اسْتَعْجَلَ مَوْتِي، وَأَصْبَحَ يَزُورُ (يَتَعَدُّ) عَنْ
قَوْلِي... لَمْ يَعِدْ يَهْتَمُّ بِأَحَادِيثِ وَالِدِهِ الشَّيْخِ

١٧ أَبُوكَ قَبْلَكَ

كَانَ جَرِيرٌ شَكَا مِنْ أَنْ جَارِيَتُهُ هَجَرَتْهُ لِأَنَّهُ أَسْنُ، وَلَئِنْ لَا يَقْدَمُ لَهَا أَطْيَابُ الطَّعَامِ مِنْ
مَرَقٍ وَصَنَابٍ، فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ:

لِئِنْ تَفَرَّقَكَ عِلْجَةُ آلِ زَيْدٍ وَبُعُوزُكَ الْمُرَقُّ وَالصَّنَابُ

إِنْ كَانَ عِلْجَةُ آلِ زَيْدٍ (الْجَارِيَةُ الَّتِي اشْتَرَيْتَهَا مِنْهُمْ) فَرَكَتَكَ (هَجَرَتْكَ)، وَإِنْ كَانَ لَا يَتَيَسَّرُ لَكَ
الْمَرَقُّ (الرَّغِيفُ) وَالصَّنَابُ (إِدَامٌ مِنْ خَرْدَلٍ وَزَيْبٍ)

فَقَدْماً كَانَ عَيْشُ أَبِيكَ مُرّاً يَعْيشُ بِمَا نَعِيشُ بِهِ الْكَلَابُ

فَقَدْماً (كَثِيراً فِي الْمَاضِي) كَانَ أَبُوكَ يَعْيشُ عَيْشَ الْكَلَابِ

١٨ رَدَّةٌ مُتَأَخِّرَةٌ

أَتَابَعْتُ الْأَوْثَانَ بِكَرْبُنْ وَائِلٍ وَقَدْ أَسْلَمْتُ تَسْمِينَ عَاماً وَصَلَّتِ

١٩ فِي ظِلِّ عَصْفُورٍ

وَمَا مَنَعْتُنَا دَارَهَا مِنْ قَبِيلَةٍ إِذَا مَا تَمِيمٌ بِالسِّيَوفِ اسْتَظَلَّتِ

وَلَوْ لَا حِذَارُ أَنْ تُقْتَلَ طَيْءٌ لَمَا سَجَدْتُ لِلَّهِ يَوْماً وَصَلَّتِ

أَسْلَمْتُ طَيْءٍ خَوْفاً

وَلَوْ أَنَّ عُصْفُوراً يَمُدُّ جَنَاحَهُ عَلَى طَيْءٍ فِي دَارِهَا لَاسْتَظَلَّتِ

قَصِيدَةُ الْفَرَزْدَقِ رَدَّ عَلَى قَصِيدَةِ مَنْ فَآخَرَ الشَّعْرَ لِلطَّرْمَاحِ بْنِ حَكِيمٍ. وَهَذَا الْبَيْتُ يَنْظُرُ إِلَى آيَاتِ
الطَّرْمَاحِ الْمَشْهُورَةِ:

تَمِيمٌ بِطَرَقِ اللَّوْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا وَلَوْ سَلَكَ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ضَلَّتْ// فَلَوْ أَنَّ يَرْبُوعاً

يَزُقُّ مَسَكَةً إِذْ نَهَلَتْ مِنْهُ تَمِيمٌ وَعَلَتْ// وَلَوْ أَنَّ بَرْغَوْتاً عَلَى ظَهْرِ قَمَلَةٍ يَكُرُّ عَلَى صَفِي

تَمِيمٍ لَوَلَّتْ// وَلَوْ جَمَعْتَ يَوْماً تَمِيمَ جَمْعِهَا عَلَى ذُرَّةٍ مَعْقُولَةٍ لَاسْتَقَلَّتْ// وَلَوْ أَنَّ أُمَّ

الْعَنْكَبُوتِ بَنَتْ لَهُمْ مِظْلَتَهَا يَوْمَ النَّدى لَأَكْنَتْ

٢٠ أنا والعذارى

إذا ما العذارى قلن: عَمَّ! فليتنِّي، إذا كان لي اسماً، كنت تحت الصفائح
إذا بدأت العذارى يناديني بيا عم، فليتنِّي - إن كان هذا هو اسمي لديهن - كنت تحت الصفائح،
والصفائح: حجارة مسطحة يطرد كل واحد منا عن ذهنه فكرة أنه سينام تحتها يوماً

دَنُون، وأدناهنَّ لي أن رأينني أخذت العصا وبيض لون المسائح
دنون (اقتربن)، وما جعلهن يقتربن مني إنما هو شعورهن بالأمان إذ بيدي عصا وقد ابيض لون
المسائح (خصلات الشعر)... في العادة يقول الشاعر إن النساء يتعدن عنه عندما يشيخ، ولكن
الفرزدق كان فاتكاً زناء هجّاماً على النساء، يتعدن عنه شاباً ولا يقتربن منه إلا إن حمل العصا
وتأكدن من ضعفه

٢١ تخشيني زياداً

وقامت تخشيني زياداً، وأجفلت حوَالِي في بُرْد رقيق ومجسّد
وقفت وراحت تخشيني (تخوفني) من سطوة زياد بن أبيه، وارتجفت وهي تتحرك حوالي لابسَة برداً
(رداء) رقيقاً ومجسّداً (ثوباً لاصقاً بجسدها...) الصورة: هو جالس على حشية، وهي تجلس معه،
ثم خطر لها زياد وبطشه، فوقفت قلقاً وأخذت تأتي شاعرنا من عن يمينه ومن عن شماله - يفعلن
ذلك في السينما كثيراً -، وهي تكلمه عن زياد وتخوفه منه

فقلت ذريني من زياد، فلإنني أرى الموت وقافاً على كل مرصد
قلت لها: دعيني من زياد، فالموت واقف على كل مرصد (يراقبني من كل مكان)

حواريّة تمشي الضحى مُرَجِّجَةً، وتمشي العشيّ الخيزلي رِخْوَةً اليَد
حوارية (فتاة ناعمة) تمشي في وقت الضحى مرججة (متمايلة) أكسلها ما بها من بقية
نوم، فالفتاة المدللة تصحو ضحى، وفي العشي تمشي الخيزلي (مشية هادئة) وقد أرخت
يديها، فهي ليست كالنساء العاملات اللاتي يمشين وقد ثنين الذراعين متهيثات للشغل.
ليبتخيل القارئ خادمة تمشي، أبراهام ماشية ويدها مرتختان على جانبي جسمها؟

٢٢ السيف الخائن

قال الفرزدق وقد طلب إليه قطع عنق أسير في مجلس سليمان بن عبد الملك،
فنبأ سيقه، ولم يفعل شيئاً:

فإن يك سيفٌ خان، أو قدّر أبى وتأخير نفس، حتفها غير شاهد..
إن كان سيفي خائني ولم يقطع رأس الأسير، أو كان القدر قد أبى للأسير القتل، وتأخر أجل هذه
النفس التي لم يكن حتفها (موتها) شاهداً (حاضراً) في ذلك الوقت..

فَسَيْفُ بَنِي عَبَسَ، وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ، نَبَاً بِيَدَيْ وَرَقَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدٍ
 . . فَإِنْ سَيْفُ بَنِي عَبَسَ فِي حَادِثَةٍ سَابِقَةٍ كَانَ قَدْ نَبَا (انحرف) عَنْ رَأْسِ خَالِدٍ عِنْدَمَا ضَرَبَتْ بِهِ يَدَ وَرَقَاءَ

كَذَاكَ سَيْوُفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاتُهَا وَيَقْطَعْنَ أَحْيَاناً نِيْطَ الْقَلَائِدِ
 وسيوف الهند الأصلية هكذا: تنبُو ظباتها (تنحرف شفراتها) أحياناً، لكنها أحياناً تقطع نياط
 (عروق) القلائد (الرقاب)

٢٣ فَثَمَّ مَعَدُّ

أَبَتْ مُضَرُّ الْحَمْرَاءُ إِلَّا تَكْرُمًا عَلَى النَّاسِ، يَعْلُو كُلَّ جَدٍّ جُدُودُهَا
 مضر الحمراء (كذا لقب «مضر»/ قيل لأن الجد الأكبر «مضر» ورث عن أبيه الذهب، بينما ورث
 أخوه الخيل) أبت إلا أن تكون منعمة على الناس، وجدودها (نصيبتها من المجد) تعلو كل جد
 إِذَا مَا قَضَيْنَا فِي الْبِلَادِ قَضِيَّةً جَرَى بَيْنَ عَرْضِ الْمَشْرِقَيْنِ بَرِيدُهَا
 إذا قررنا أمراً، فالخبر بذلك يحمله البريد بين عرض المشرقين (الشرق والغرب) لأن قرارنا له أثر
 في كل الناس

لَقَدْ عَلِمَ الْأَحْيَاءُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ بَأَنَّ تَمِيمًا لَيْسَ يُغْمَزُ عَوْدُهَا
 الأحياء: القبائل. ليس يغمز عودها: لا يتعرض لها أحد بالمناكفة على سبيل التجريب لهيبتها
 وَيَوْمًا تَمِيمٌ: يَوْمُ حَرْبٍ وَنَجْدَةٍ، وَيَوْمُ مَقَامَاتٍ تُجَرُّ بُرُودُهَا
 تميم إما أن تكون محاربة وتهب لنجدة من استجار بها، أو تكون حاضرة المقامات (المحافل)
 ويكون سادتها في ثياب فاخرة يجرون أطراف البرود (الثياب)

كَأَنَّكَ لَمْ تَعْرِفْ غَطَارِيفَ خَنْدِفٍ إِذَا خَطَبْتَ فَوْقَ الْمَنَابِرِ صَيْدُهَا
 كأنك لم تعرف غطاريف (سادة) خندف (القبيلة الكبرى التي تضم تميمًا وقريشًا وغيرها) عندما
 تخطب على المنابر صيدها (سادتها المزهون)

إِذَا اجْتَمَعَ الْحَيَّانُ: قَيْسٌ وَخَنْدِفٌ فَثَمَّ مَعَدُّ: هَامُهَا وَعَدِيدُهَا
 إذا اجتمع الحيان (القبيلتان): قيس عيلان وخندف فثم (فهناك) قبائل معد هامها (رأسها) وعديدها
 (كثرتها الكثيرة)

وَإِنَّ أَمْرًا يَرْجُو تَمِيمًا وَعِزًّا كَبَاسِطٍ كَفَّ لِلنَّجُومِ بِرِيدُهَا
 من طلب أن يكون له مثل عز تميم كمن طلب أن يمسك النجوم بكفه

وَمِنَّا نَبِيُّ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ بِهِ دُوحَتٌ أَوْثَانُهَا وَيَهُودُهَا
 منا (من خندف) النبي الذي دوح بالقرآن الأوثان واليهود

وَمَا بَاتَ مِنْ قَوْمٍ يُصَلُّونَ قِبْلَةً وَلَا غَيْرُهُمْ، إِلَّا قُرَيْشٌ تَقُودُهَا
قريش تقود كل من يصلون إلى أي قبله، وغيرهم ممن لا يصلون لقبله معينة

٢٤ بنى بيعة فيها الصليب

وَأَبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً فَعَجَّلْ هَذَاكَ اللَّهَ نَزَعَكَ خَالِدًا
اعزل يا أمير المؤمنين خالد بن عبد الله القسري عن ولاية العراق
بَنَى بَيْعَةً فِيهَا الصَّلِيبُ لَأُمِّهِ، وَهَدَّمَ مِنْ بُغْضِ الصَّلَاةِ الْمَسَاجِدَ
بنى بيعة (صومعة عبادة) لأمه المسيحية، وهدم المساجد

٢٥ هرباً من الحجاج

فَإِنْ تُنْصِفُونَا يَا آلَ مَرْوَانَ نَقْتَرِبَ إِلَيْكُمْ، وَإِلَّا فَادْثُنُوا بِبِعَادِ
إن تصفونا يا آل مروان (الخلفاء الأمويين من مروان بن الحكم إلى آخر عهد بني أمية) نقترّب،
وإلا فادثونا (خذوا إشعاراً) بالبعد

فَإِنْ لَنَا عَنْكُمْ مَزَاحٌ وَمَذْهَبٌ بِعَيْسٍ إِلَى رِيحِ الْفَلَاةِ صَوَادٍ
فلنا عنكم مزاح (بديل) ومذهب (ذهاب)، بعيس (إبل شقر) صواد (عطاش) إلى ريح الفلاة
(الصحراء)

مُخَيَّسَةً بُزِلَ تَحَايَلُ فِي الْبُرَى سَوَارٍ عَلَى طُولِ الْفَلَاةِ غَوَادٍ
هذه الإبل مخيسة (مذلة) بُزِلَ (قد بزلت، أي خرجت، أنيابها . . فهي فتية قوية) تتخايل (تتبختر بزهو)
في البرى (وبأنوفها الحلقات) وهي سوارٍ (سائرة ليلاً) في الصحراء وغوادٍ (مبكرة في سيرها)

وَفِي الْأَرْضِ عَنْ ذِي الْجَوْرِ مَنَاءٌ وَمَذْهَبٌ وَكُلُّ بِلَادٍ أَوْطَنَتْكَ بِلَادِي
وفي الأرض منأى (مكان قصي) عن ذى الجور (الظلم)، وكل بلد تحل بها فهي بلدك

وَمَاذَا عَسَى الْحِجَاجُ يَبْلُغُ جَهْدُهُ إِذَا نَحْنُ خَلَقْنَا حَفِيرَ زِيَادٍ؟
وماذا عسى الحجاج أن يفعل مهما بذل من جهد إن نحن تجاوزنا حفير زياد (قناة زياد) وخلقناه
وراءنا؟

٢٦ فخر بالصدأ

بمدح مسلمة بن عبد الملك:

جَنُودٌ لِيَدِينِ اللَّهَ تَضْرِبُ مَنْ طَغَى وَمَسْلَمَةُ السَيْفِ الْحَسَامُ يَقُودُهَا

ترى صَدَاَ الْمَآذِيَّ فَوْقَ جُلُودِهِمْ وَفِي السَّلَمِ أَمْلَاكٌ رِقَاقٌ بُرُودُهَا
أَشْدَاءُ فِي الْحَرْبِ حَتَّى لَتَرَى صَدَاَ الْمَآذِي (حديد السيوف والدروع) عَلَى جُلُودِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ فِي
السَّلَمِ أَمْلَاكٌ (ملوك) يَلْبَسُونَ الْبُرُودَ (الأردية) الرقيقة التي يلبسها المترفون

أَبَى لِبْنِي مَرَوَانَ إِلَّا عُلُوَّهُمْ إِذَا مَا التَّقَتْ حُمُرُ الْمَنَابِي وَسُودُهَا
ليس لبني مروان إلا العلو عند التقاء الموت الأحمر بالأسود في الحرب، الموت الأحمر: بالسيف
والرمح، والأسود غرقاً أو دعساً بحوافر الخيل. (الأحمر والأسود يجمعان كل شيء، ففي
الحديث «بعثت إلى الأحمر والأسود» أي لكل الناس، وكرهوا التعبير عن الإنسان الأبيض بلفظ
البياض، لأن البياض البرص، فقالوا الأحمر)

أَرَى كُلَّ أَرْضٍ كَانَ صَعْباً طَرِيقُهَا أَذِلَّ لَكُمْ بِالْمَشْرِفِي كَوُودُهَا
المشرفي: السيف، كَوُودُهَا: صعبها

٢٧ محيي المؤودات

أَلَمْ تَرَ أَنَّا، بَنِي دَارِمٍ، زُرَّارَةٌ مِنَّا أَبُو مَفْبَرٍ
وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَاتِ، وَأَخْبَا الْوُئِيدَ فَلَمْ يُؤَادِ

منا صمصعة الذي حال دون وأد البنات في الجاهلية، فكانه أحيامن. وكان صمصعة، جد
الفرزدق، يفتدي كل بنت يريد أبوها وأدما بناتين أو ثلاث. قيل افتدى ستاً وتسعين بنتاً، وقيل بل
أربعمئة. على الرقم اختلاف، لكن الفعل مؤكد. البداية كانت أن صمصعة أضاع ناقتين له، وراح
ينشدهما، فوجدهما عند قوم، وسمع عند القوم عويلاً، فعرف أن المرأة أنجبت بنتاً، وأن الأب
يريد دفنها حية. فقال صمصعة للرجل: خذ ناقتي هاتين وأبقِ على البنت. فقال الرجل: وتمطيني
أيضاً جملك الذي تركبه؟ فرضي صمصعة. وعاشت البنت. وقال صمصعة لنفسه: هذه مكربة ما
سبقتني إليها أحد من العرب. ومضى يفتدي البنات

أَلَسْنَا الَّذِينَ تَمِيمٌ بِهِمْ تَسَامَى، وَتَفَخَّرُ فِي الْمَشْهَدِ؟
ألسنا، بني دارم، من تسامى (ترفع) بهم قبيلة تميم وتفخر في المحافل؟

أَيُّظْلُبُ مَجْدَ بَنِي دَارِمٍ عَطِيَّةٌ كَالْجُعْلِ الْأَسْوَدِ؟
وكيف يطلب إحراز مجدنا عطية (والد جرير) وهو قميء كالجعل (الصرصور) الأسود؟

٢٨ أمامك شماريخ

كان الفرزدق في نحو الخامسة والأربعين من العمر. تذكّر نصيحة علي بن أبي
طالب له، عندما أخذه أبوه للقاءه قبل ثلاثين سنة، بأن يجمع القرآن. فقيّد نفسه في بيته
بقيّد، وحلف لا يفك نفسه إلا بعد أن يحفظ القرآن. ثم وجد الشعراء يتعرضون لنساء
قومه بالشتم، فاستعازت به النساء، ففك قيده، ومضى يرد على الشعراء:

أَحْبَنَ أَعَادَتْ بِي تَمِيمٌ نِسَاءَهَا وَجُرَدْتُ تَجْرِيدَ الْيَمَانِي مِنَ الْغُمْدِ..

أعندما ألجأت تميم نساءها إليّ لحمايتهن، وعندما جردت نفسي كما يجرد السيف اليماني من جرابه..

وَمَدَّتْ بِضُبُعِي الرَّبَابَ وَدَارِمَ وَعَمْرُو، وَسَلَّتْ مِنْ وَرَائِي بَنُو سَعْدِ

.. وعندما أَسَدْتُ ضُبُعِي (جانبِي) قِبَالَ الرِّبَابِ وَدَارِمَ وَعَمْرُو، وَسَلَّتْ (تَدَقَّقَتْ) بَنُو سَعْدِ مِنْ وَرَائِي مُؤَيِّدَةً لِي..

تَمَنَّى ابْنُ رَاعِي الْإِبِلِ حَرَبِي، وَدُونَهُ شَمَارِيخُ صَعْبَاتٍ تَشْقُ عَلَى الْعَبْدِ

بعد كل هذا يَتَمَنَّى ابن راعي الإبل (واسمه جندل/ وهو ابن الشاعر راعي الإبل، وكان شويعرأً سفيهاً) أَنْ يَحَارِبَنِي؟ وَدُونَهُ (قَبْلَ وَصُولِهِ لِمَبْتَغَاهُ) شَمَارِيخُ (رُؤُوسِ جِبَالٍ) يَشْقُ (يَصْعَبُ) عَلَى عَبْدٍ مِثْلِهِ أَنْ يَرْتَقِيهَا

٢٩ الجائحات

يُمدح عمر بن عبد العزيز:

وَجَائِحَاتٌ ثَلَاثٌ مَا تَرَكْنِ لَنَا مَالاً بِهِ بَعْدَهُنَّ الْغَيْثُ يُنْتَظَرُ

ثلاث جائحات (مصيبات/ سنوات قحط) لم تترك لنا مالاً (إبلاً وشاء)، فلم نعد ننتظر المطر، لأننا فقدنا البهائم نفسها التي سترعى العشب

عَامٌ أَنَّى قَبْلَهُ عَامَانِ مَا تَرَكَا مَالاً، وَلَا بَلَّ عُوداً فِيهِمَا مَطَرُ

لم تترك سنوات القحط لنا مالاً (أنعاماً) ولم ينزل فيها مطر يبل عُوداً

سِيرُوا، فَإِنَّ ابْنَ لَيْلَى مِنْ أَمَامِكُمْ وَبَادِرُوهُ، فَإِنَّ الْعُرْفَ مُبْتَدَرُ

سيروا إلى ابن ليلَى (الخليفة عمر بن عبد العزيز) وبادروا بالسؤال، فالعرف (العطية) يحتاج إلى سؤال

وَبَادِرُوا بِابْنِ لَيْلَى الْمَوْتَ، إِنَّ لَهُ كَفَّيْنِ مَا فِيهِمَا بَخْلٌ وَلَا حَصْرُ

بادروا (استبقوا) الموت بِلِقَاءِ الْخَلِيفَةِ، فَلَهُ كَفَانٍ لَيْسَ فِيهِمَا حَصْرٌ (بخل)

أَلَيْسَ مِرْوَانُ وَالْفَارُوقُ قَدْ رَفَعَا كَفَّيْهِ؟ وَالْعُودُ مَاءَ الْجَرْقِ يَعْتَصِرُ

هو سليل بني مروان والفاروق (وأم عمر بن عبد العزيز حفيدة عمر بن الخطاب)، وهذا النسب جعل كفيه عاليتين (واليد العليا هي التي تعطي)، والغصن إنما يستمد ثمره مما يعتصر ويمتص من ماء الجذر

الْفَيْتَ قَوْمَكَ لَمْ يُتْرَكَ لَأَثَلَتِهِمْ ظِلٌّ، وَعَنْهَا لِحَاءُ السَّاقِ يُقْتَشَرُ

قد وجدت قومك لم يبق لأثَلَتِهِمْ (شجرتهم)/ والأثل نوع من الشجر) ورقٌ فلا ظل لها، وحتى اللحاء فقد أخذ يقتشر عن ساقها

فَأَصْبَحُوا قَدْ أَعَادَ اللَّهُ نِعْمَتَهُمْ . إِذْ هُمْ قُرَيْشٌ ، وَإِذْ مَا مِثْلُهُمْ بَشَرٌ

ثم بفضل عمر بن عبد العزيز المأمول سيعيد الله النعمة ،
هؤلاء قریش وليس في الناس لهم مثل

لَا يَسْتَثْبِيُونَ نِعْمَاهُمْ إِذَا سَلَفَتْ وَلَيْسَ فِي فَضْلِهِمْ مَنْ وَلَا كَدْرٌ

لا يطلبون ثواباً مقابل عطايهم ، ولا يكذبون الفضل بالنم (التذكير بالمعروف)

وَلَنْ يَزَالَ إِمَامٌ مِنْهُمْ مَلِكٌ إِلَيْهِ يَشْخَصُ فَوْقَ الْمَنِيرِ الْبَصَرُ

وسيطل منهم إمام (خليفة) مالك الأمور يشخص (يرتفع) إليه بصر الناس وهو على المنبر

٣٠ لا ، وشكراً

هدد زياد بن أبيه والي البصرة ذو البطش الفرزدق ، ففر منه ، وأثناء تنقله بين القبائل فاراً نُقل إلى الفرزدق أن زياداً عفا عنه وتعهده له بعطاء ، ولكن الفرزدق أبى العودة ، والتجأ إلى المدينة المنورة :

دَعَانِي زِيَادٌ لِلْعَطَاءِ ، وَلَمْ أَكُنْ لِأَقْرَبَهُ ، مَا سَأَقْ ذُو حَسَبٍ وَفُرَا

دعاني زياد ليقدم لي العطاء ، ولكنني لن أقربه أبداً ؛ ما دام الرجل ذو الحسب يسوق المال الوفير
صداقاً في زواج (أي : أبداً)

وَعِنْدَ زِيَادٍ لَوْ يَرِيدُ عَطَاءَهُمْ رَجَالٌ كَثِيرٌ قَدْ بَرَى بِهِمْ فَقَرَا

فليعط زياد الناس الذين عنده من خيرهم ، وليتركني بحالي

فُعُوذٌ لَدَى الْأَبْوَابِ طُلَّابٌ حَاجَةٌ : عَوَانٍ عَلَى الْحَاجَاتِ أَوْ حَاجَةٍ يَكُرَا

عنده ناس فعود (قاعدون) لدى الباب يطلب بعضهم عواناً (مكررة/ والعوان هي المرأة التي سبق لها زواج وتقدم على زواج آخر) ، وبعضهم يطلب بكراً (للمرة الأولى)

فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ أَذَاهِمَ سُوداً ، أَوْ مُحَدَّرَجَةً سُمْرًا ..

عندما خشيت أن يكون العطاء المقصود الذي طلبني له أذاهم (قيوداً) سوداً ، أو محدرجة (سياطاً) سمرًا ..

فَزِعْتُ إِلَى حَرْفٍ أَضَرَ بَنِيهَا سَرَى اللَّيْلِ ، وَاسْتِعْرَاضُهَا الْبَلَدَ الْقَفْرَا

عندئذ فرعت (لجأت) إلى حرف (ناقة قوية) أضربنيها (أهزل لحمها) سرى الليل (السير ليلاً) ،
واستعراضها (اجتيازها) البلد القفر (الصحراء)

٣١ لا نحالف

قصيدة تصف قصتها المزاج النفسي للفرزدق. قال ابنه لبطة إن أبي وفد على أسد بن عبد الله الوالي في العراق - وأسد هذا يمانى من بجيلة - وكان أبي قد شاخ فقلت له: أنشد الوالي شيئاً في مدح اليمن مما كنت قلته لآل المهلب. فسكت. ودخلنا على الوالي، فاستنشد أبي، فقال قصيدة مدح فيها مضر، لا اليمن. قال:

يَخْتَلِفُ النَّاسُ مَا لَمْ نَجْتَمِعْ لَهُمْ، وَلَا اخْتِلَافَ إِذَا مَا أَجْمَعَتْ مُضَرُّ

الناس في خلاف ما لم تجتمع مضر وتجمعهم حولها، فعندئذ لا خلاف

مَنَا الْكَوَاهِلُ وَالْأَعْنَاقُ تَقْدُمُهَا وَالرَّأْسُ مَنَا وَفِيهِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ

منا الكواهل (أعالي الظهور/ التي تحمل الأحمال) والأعناق منا، وكذا الرأس.. أي أن مضر هي الأساس لكل العرب

وَلَا نُحَالِفُ، إِلَّا اللَّهَ، مِنْ أَحَدٍ غَيْرِ السُّيُوفِ إِذَا مَا اغْرُورَقَ النَّظَرُ

لا نحالف قبيلة أخرى لقوتنا، نحالف الله وحده، ونحالف السيوف عندما يشتد الأمر ويغيم البصر وتترل الدموع في غبار المعارك

وَمَنْ يَمِلْ يُمِلِ الْمَأْثُورُ ذِرْوَتَهُ حَيْثُ التَّقَى مِنْ حِفَافِي رَأْسِهِ الشَّعْرُ

من مال عن إرادتنا أمال المأثور (السيف) ذروته (رأسه)، وضرب في موضع التقاء الشعر من حفاقي (جانبى الرأس)

أَمَّا الْعَدُوُّ فَإِنَّا لَا نَلِينُ لَهُمْ حَتَّى يَلِينَ لِضُرْسِ الْمَاضِغِ الْحَجَرُ

ولا نلين للعدو حتى يلين لضرس المرء الحجر فيصبح قابلاً للمضغ (أي لا نلين أبداً)

٣٢ شماتة

يهجو مسكين بن عامر الدارمي، لأنه رثى زياد بن أبيه:

أَمْسُكِينُ أَبْكَى اللَّهَ عَيْنَكَ، إِنَّمَا جَرَى فِي ضَلَالٍ دَمْعُهَا إِذْ تَحَدَّرَا

بكيت في ضلال عندما تحدر (تزل) دمعك في رثاء ذلك الظالم

أَتَبْكِي امْرَأً مِنْ أَهْلِ مَيْسَانَ كَافِراً كَكِسْرَى عَلَى عِدَائِهِ أَوْ كَقَيْصَرَا

أتبكي رجلاً كافراً من أهل ميسان (فهو ليس ابن أبي سفيان كما زعموا)، وهو في الكفر ككسرى على عدائه (في زمانه) أو كقيصر

أَقُولُ لَهُ لَمَّا أَتَانِي نَعِيَّةُ: بَو لَا يَظْبِي فِي الصَّرِيمَةِ أَغْفَرَا

قلت عندما جاءني نعي زياد: لينزل الموت به، ولا يقتدى من الموت، ولا حتى يظبي أغفر (بني اللون) في الصريمة (في الرمل). وسار قوله «به لا يظبي في الصريمة أغفرا» مسير المثل، يضرب في الشامة بميت

٣٣ بعدما غضبت !

يهجو جريراً:

أَتَسْأَلُنِي أَنْ أَخْفِضَ الْحَرْبَ بَعْدَمَا غَضِبْتُ، وَشَالَتْ بِي قُرُومٌ هَوَادِرُ

أرسلت تطلب الهدنة بعد أن بلغ مني الغضب، وبعد أن شالت بي (رفعتني، وشجعتني على هجائك) قروم هوادر (جمال ذات صوت هادر/ كناية عن رجالات قومه)

هَزَبْرُ تَفَادَى الْأَسَدُ مِنْ وَثْبَاتِهِ لَهُ مَرِيضٌ عَنْهُ يَحِيدُ الْمُسَافِرُ

أنا هزبر (أسد) تفادى الأسود ووثباته، وله مريض (موطن) يعرفه المسافرون ويحيدون عنه خوفاً

وَلَوْ كُنْتُ حُرَّ الْعِرْضِ أَوْ ذَا حَفِظَةٍ جَرَيْتُ، وَلَكِنْ لَمْ تَلِدْكَ الْحَرَاثِرُ

لو كنت حراً وذا حفيفة (مخامة عن الشرف) لكنك جريت (سابت، ولم تسحب من السباق) لكنك لست ابن نساء حراثر

٣٤ الزاني المفتخر

أَرَانِي إِذَا مَا زَرْتُ لَيْلَى وَبَعَلَهَا تَلَوَّى مِنَ الْبَغْضَاءِ دُونِي مَشَاغِرُهُ

إذا زرت ليلى وزوجها أخذت مشافره (شفتاه) تتلوى من بغضه لي

وَإِنْ زُرْتُهَا يَوْمًا فَلَيْسَ بِمُخْلِفِي رَقِيبٌ يَرَانِي، أَوْ عَدُوٌّ أَحَاذِرُهُ

وإن زرتها وهي وحدها فلن يتخلف عن ملاحقتي رقيب، أو عدو لي أحذره

كَأَنَّ عَلَى ذِي الطَّنِّ عَيْنًا بَصِيرَةً بِمَقْعَدِي، أَوْ مَنَظَرٍ هُوَ نَاطِرُهُ

وحتى لو لم يكن هناك رقيب فعلاً فإن ذا الطنء (الشخص المريب) يشعر أن عليه عيناً بصيرة وهو في مكانه، أو عندما يوجه بصره نحو موضع

يُحَاذِرُ حَتَّى يَحْسَبَ النَّاسُ كُلَّهُمْ مِنَ الْخَوْفِ لَا تَخْفَى عَلَيْهِمْ سَرَائِرُهُ

يصبح المريب حذراً، ويحسب من خوفه أن سرائره (مكتونات ضميره) بادية للناس

إِذَا عَبْرَةٌ وَرَّعَتْهَا فَتَكْفَكَفَتْ قَلِيلًا، جَرَتْ أُخْرَى بَدَمْعٍ تُبَادِرُهُ

الفردق المسكين يبكي بعبرة (دمعة)، فإذا ورَّعها (منعها) فتكفكت (امتنعت عن النزول) قليلاً، جرت دمعة أخرى تستبق دموعاً

فَلَوْ أَنَّ عَيْنًا مِنْ بُكَاءٍ تَحَدَّرَتْ دَمًا كَانَ دَمْعِي إِذْ رِدَائِي سَايَرُهُ
لو كانت العين تتحدر (تنزل) الدم في بكاها لكان هذا دمعي وأنا أستره بردائي.
كل هذا شوقاً إلى محبوبته!

وَجَوْنٍ عَلَيْهِ الْجَصُّ فِيهِ مَرِيضَةٌ تَطَّلُعُ مِنْهُ النَّفْسُ، وَالْمَوْتُ حَاضِرُهُ
رب جون (قصر) مجصص بالجبس، فيه فتاة مريضة (من عشقها للشاعر الكذاب/ أو أن عينها
مرتختان، فهما من النوع الذي يصفه الإنجليز بـ «كم تو بد آيز» أي «عيناً هَيَّا للسريز»، وقد قالت
العرب كثيراً في العيون المراض)، وهذا القَصْر تنقبض النفس من علوه، وتستحضر صورة الموت
لرؤيته .. سنعرف لماذا بعد قليل ..

حَلِيلَةُ ذِي أَلْفَيْنِ شَيْخٍ، يَرَى لَهَا كَثِيرَ الَّذِي يُعْطِي قَلِيلاً يُحَاقِرُهُ
هذه الفتاة حليلة (زوجة) شيخ من الأشراف يبلغ مرتبه في ديوان العطاء ألفي درهم، وهو يعطيها
كل ما تحب، ويحاقره (يستقله)، أي يرى ذلك قليلاً عليها

نَهَى أَهْلَهُ عَنْهَا الَّذِي يَعْلَمُونَهُ إِلَيْهَا، وَزَالَتْ عَنْ رَجَاها ضَرَائِرُهُ
نهى أهل الرجل عن التعرض لهذه الزوجة ما يعلمونه من منزلتها عند الزوج، وابتعدت عن رجاها
(ناحيتها/ والجمع الأرجاء) الضرائر (الزواجات الأخريات). الفرزدق يقول «ضرائره» ونحن نفهم
«ضرائرها»، والفرزدق يفعل الأفاعيل من أجل القافية، ويفعل الأفاعيل حتى في جوف البيت

أَتَيْتُ لَهَا مِنْ مَخْتَلٍ كُنْتُ أَدْرِي بِهِ الْوَحْشَ، مَا يُخْشَى عَلَيَّ عَوَائِرُهُ
أتيت لقصر الفتاة هذا من مختل (مكان ختل الصيد) كنت فيه أدري (أخترت) عن الوحش (الصيد
من ظباء ونحوه)، وليس هناك خشية علي من التعثر في هذا المكان. ويبدو أن المكان الملاصق
للقصر كان غابة فيها ما يصاد

فَمَا زِلْتُ حَتَّى أَضَعَدْتُنِي حَبَالُهَا إِلَيْهَا، وَلَبِلِي قَدْ تَخَامَصَ آخِرُهُ
دلت له الفتاة الحبال من النافذة ليصعد، وكان الليل قد تخامص (تلاشى) آخره

فَلَمَّا اجْتَمَعْنَا فِي الْعَلَالِيِّ، بَيْنَنَا ذَكِيٌّ أَتَى مِنْ أَهْلِ دَارَيْنِ تَاجِرُهُ ..
لما اجتمعنا في العلالِي (الدور العلوي) وكان عندهنا مسك ذكي الرائحة من واردات «دارين» ..
نَقَعْتُ غَلِيلَ النَّفْسِ، إِلَّا لُبَانَةً أَبْتُ مِنْ فُؤَادِي، لَمْ تَرْمَهَا ضَمَائِرُهُ
نقعت (رويت) غليل النفس (عطشها)، وبقيت لبانة (حاجة) في قلبي لم ترمها (تطلبها)
مكنونات النفس

فَلَمْ أَرْ مَنْزُولًا بِهِ بَعْدَ هَجْعَةٍ أَلَذَّ قَرَى، لَوْلَا الَّذِي قَدْ نُحَازِرُهُ
لم أرْ مَنْزُولًا به (مزوراً) بعد هجعة (بعد نوم الناس) أَلَذَّ قَرَى (والقرى في الأصل طعام الضيف،
وهنا أطعمته فتاته ما لا نصرح به)، غير أن الحذر كان ينقص علينا بعض الشيء

أَحَافِزُ بَوَائِبِنِ قَدْ وَكَّلَا بِهَا وَأَسْمَرَ مِنْ سَاجٍ تَنُطُّ مَسَامِيرُهُ
كنت أحاذر (أتحسب من) بوابين موكلين بحراسة هذه الفتاة، وباباً من خشب الساج، تنط (تصدر صريخاً) مسامره (مساميره)

فَقُلْتُ لَهَا: كَيْفَ التَّزُولُ فَإِنِّي أَرَى اللَّيْلَ قَدْ وَلَّى، وَصَوْتُ طَائِرُهُ
قلت لها كيف لي أن أنزل، فقد ذهب الليل وصوت طائره (صاح الديك)

فَقَالَتْ: أَقَالِيدُ الرِّتَاجَيْنِ عِنْدَهُ، وَطَهْمَانُ بِالْأَبْوَابِ، كَيْفَ تُسَاوِرُهُ؟
قالت: أقاليد (مفاتيح) الرتاجين (البابين) عند زوجي. وطهمان (الحارس) واقف بالأبواب، فكيف تساوره (تنازله)؟

أَبِالسَّيْفِ، أَمْ كَيْفَ التَّسْنِي لِمُوتِي عَلَيْهِ رَقِيبٌ دَائِبُ اللَّيْلِ سَاهِرُهُ؟
هل ستنازله بالسيف؟ وكيف التسني (التأتي والتحاليل) للباب الموتى (المغلق) الذي عليه رقيب ساهر طول الليل؟

فَقُلْتُ ابْتَغِي مِنْ غَيْرِ ذَاكَ مَحَالَةً وَلِلْأَمْرِ هَيْئَاتُ تُصَابُ مَصَادِرُهُ
قلت لها: اطلبي محالة (حيلة) غير هذه. وللأمر هيئات (جوانب) أخرى لالتماس المصادر (المخارج)

لَعَلَّ الَّذِي أَصْعَدْتَنِي أَنْ يَرُدَّنِي إِلَى الْأَرْضِ إِنْ لَمْ يَقْدِرِ الْحَيُّ قَادِرُهُ
لعل الحبل الذي به صعدت أن يرجعني إلى الأرض، هذا إن لم يقدر الحي (يقدر الموت) لي قادره (مقدره وهو الله)

فَجَاءَتْ بِأَسْبَابِ طُوَالٍ، وَأَشْرَفْتُ قَسِيمَةَ ذِي زَوْرِ مَخُوفٍ تَرَاتِرُهُ
فجاءت بأسباب (بحال) طويلة، وأطلت علينا في تلك الغرفة قسيمتها (ضرتها) لكي تنقذ الموقف من زائر يخشى أن يجر علينا التراتر (المصاعب).. هذا هو المعنى الملموح

أَخَذْتُ بِأَطْرَافِ الْحِبَالِ، وَإِنَّمَا عَلَى اللَّهِ مِنْ عَوَصِ الْأُمُورِ مَيَاسِرُهُ
أمسك الفرزدق بطرف الحبل، وتوكل على الله من عوص الأمور (الأمور العويصة الصعبة) طالباً تسيرها

فَقُلْتُ أَقْعُدَا، إِنَّ الْقِيَامَ مَزَلَّةٌ، وَشُدًّا مَعَاً بِالْحَبْلِ إِنِّي مُخَاطِرُهُ
قال للمرأتين اقعدا أرضاً فالوقوف مزلة (يؤدي للزلل ولإفلاتكما طرف الحبل)، وأمسكا الحبل وشدها بقوة، وسوف أخطر بالنزول

إِذَا قُلْتُ قَدْ نِلْتُ الْبَلَاطَ تَذَبَّدَتْ حِبَالِي فِي نَيْقٍ مَخُوفٍ مَخَاصِرُهُ
وأنا أهبط أشعر أنني نلت البلاط بقدمي، ثم أرى الحبال تتذبذب على جانب النيق (القصر العالي الذي كالجبل) الذي أخاف مخاصره (مرتقياته).. المعنى الملموح: كلما قلت وصلت الأرض رأيت الحبال مشدودة تتذبذب كوتر العود فأعرف أنني ما زلت معلقاً في الهواء

فلما اسْتَوَتْ رِجْلَايَ فِي الْأَرْضِ نَادَا: أَحْيِي يُرْجَى، أَمْ قَتِيلٌ نُحَازِرُهُ؟
عندما وصلت الأرض أخيراً سمعتهما تناديان: أأنت حي ترجى له النجاة، أم قتيل نحذر أن يجر
علينا الفضيحة؟

فَقُلْتُ ارْفَعَا الْأَسْبَابَ لَا يَشْعُرُوا بِنَا، وَوَلَّيْتُ فِي أَصْحَازِ لَيْلٍ أَبَاوَرُهُ
قلت: ارفعا الأسباب، أي الجبال، حتى لا يشعر أحد بنا، ووليت (مضيت) في أعجاز (أواخر)
الليل أبادر بالفرار

هُمَا دَلَّتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً كَمَا انْقَضَ بَازٍ أَقْتَمَ الرِّيشِ كَاسِرُهُ
لقد دلتني المرأتان (كما يدللي المرء الدلو في البئر) من ارتفاع ثمانين قامة (وقامة الإنسان متر
وسبعون ستمتراً، والفرزدق قصير، فكانت قامته كذلك أو أقل)، وهبطت كما ينقض البازي
(الصقر) ذو الريش الداكن، الذي يكسر جناحيه ويضمهما عند الانقضااض/ولهذا سميت الطيور
الجارحة كواسر

وَيَحْسَبُهَا بَاتَتْ حَصَانًا، وَقَدْ جَرَتْ لَنَا بُرْتَاهَا بِالَّذِي أَنَا شَاكِرُهُ
وزوجها يظنها باتت حصاناً (عفيفة)، ولكن برتاها (خلخالها) تحركنا حركة أنا لها من الشاكرين
فَبَا رَبِّ إِنَّ تَغْفِرَ لَنَا لَيْلَةَ النَّقَا فِكُلِّ ذَنْبِي أَنْتَ يَا رَبَّ غَافِرُهُ
يا رب، إن غفرت لنا تلك الليلة عند النقا (الكثيب) فلا شك أنك ستغفر ذنوبي كلها

٣٥ تحمل الرزء عامر

قال يرثي عبد الله بن ناضرة من بني عامر وهم من مجاشع:
وَقَفْتُ فَأُبْكُثْنِي بِدَارِ عَشِيرَتِي عَلَى رُزْئِهِنَّ الْبَاكِياتِ الْحَوَاسِرُ
رزئهن: مصيبتهن، الحواسر: الكاشفات رؤوسهن حزناً

فَلَوْ أَنَّ سَلَمَى نَالَهَا مِثْلَ رُزْنِا لَهْدَّتْ، وَلَكِنْ تَحْمِلُ الرُّزْءَ عَامِرُ
لو أصاب جبل «سلمى» مثل مصيبتنا لانخسف، غير أننا نتحمل المصيبة بقلب شجاع

٣٦ رثاء بشر

يرثي بشر بن مروان:

أَعْيَنِي إِلَّا تُسْعِدَانِي أَلْمُكَمَا فَمَا بَعْدَ بَشْرٍ مِنْ عَزَاءٍ وَلَا صَبْرٍ
يا عيني إن لم تسعداني (تساعداني) بالبكاء فعليكما اللوم، فموت بشر ليس هنا عزاء
(تهوين) ولا صبر

ولو أن قوماً قاتلوا الموت قبلنا بشيءٍ، لقاتلنا المنيّة عن بشرٍ
لو كان أحد قاتل الموت قبلنا لقاتلناه دفاعاً عن بشرٍ

٣٧ بكيث على صقوري

بَنِي أَصَابَهُمْ قَدْرُ الْمَنَابَا فَهَلْ مِنْهُنَّ مِنْ أَحَدٍ مُجِيرِي؟
أكان هناك من يحميني من حلول الموت بأبنائي؟

ولو كانوا بَنِي جَبَلٍ فمَاتُوا لِأَصْبَحَ وَهُوَ مُخْتَشِعُ الصُّخُورِ
لو كنت جبلاً ومات أبنائي لأصبحت مختشع الصخور (هابطاً)

ولو كان الْبُكَاءُ يَرُدُّ شَيْئاً عَلَى الْبَاكِ بِكَيْثٍ عَلَى صُقُورِي
إذا حَنَّتْ نَوَارُ تَهْبِجُ مِنِّي حَرَارَةٌ مِثْلُ مُلْتَهَبِ السَّعِيرِ
إذا حنت (أصدرت صوت أنين) زوجتي نوار تهيج (تحرك) في حزنًا كأنه نار جهنم

حَنِينَ الْوَالِهَيْنِ إِذَا ذَكَرْنَا فَوَادَيْنَا اللَّذِينَ مَعَ الْقُبُورِ
نحنُ (نصدر صوت الألم) حنين الواليتين (المعذبتين) إذ نتذكّر قلوبنا اللذين ذهبا مع من
فقلنا للقبور

٣٨ حماة أرض المسلمين

ولو أن أرضَ المسلمينَ يَحُوطُهَا سِوَانَا مِنَ الْأَحْيَاءِ ضَاعَتْ تُغُورُهَا
يحوطها: يحميها، تغورها: مدنها الحدودية

لَنَا الْجِنَّ قَدْ دَانَتْ، وَكُلُّ قَبِيلَةٍ يَدِينُ مُصْلُوهَا لَنَا، وَكُفُورُهَا
يزعم أن الجن خضعت لبني تميم، وكذا كل القبائل المسلمة وغير المسلمة

٣٩ بكاء على عمر

قال يرثي عمر بن عبيد الله التيمي القرشي:

أَمَّا قُرَيْشٌ، أبا حَفْصٍ، فَقَدْ رُزِئَتْ بِالشَّامِ إِذْ فَارَقْتَكِ الْبَاسَ وَالْمَطَرَا
يا أبا حفص قد رزئت (بليت) قریش بفقدك بالشام بالبأس (القوة) والمطر (المطاء)

إِنَّ الْأَرَامِلَ وَالْأَيْتَامَ إِذْ هَلَكُوا وَالْخَيْلَ إِذْ هُزِمَتْ، تَبْكِي عَلَى عُمَرَا

٤٠ تذييع الكلاب

يمدح الوليد بن عبد الملك :

فقالوا أَغَشْنَا إِنْ بَلَغْتَ بِدَعْوَةٍ لَنَا عِنْدَ خَيْرِ النَّاسِ إِنَّكَ زَائِرُهُ
قال له قومه أنجدنا إن بلغت (وصلت) خير الناس (ال خليفة) الذي ستزوره بدعوة
(بإيصال شكوانا إليه)

فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنْ يُبْلَغِ اللَّهُ نَاقَتِي وَإِيَّايَ، أَتُسَبِّحُ بِالَّذِي أَنَا خَاصِرُهُ
قلت لهم: إن أوصل الله ناقتي وأوصلني معها، سأنبى (سأخبر) بما خبرته من أحوالكم

بَحَبْتُ رَأَيْتُ الذَّنْبَ كُلَّ عَشِيَّةٍ يَرُوحُ عَلَى مَهْزُولِكُمْ، وَيُبَاكِرُهُ
سأخبر الخليفة كيف رأيت الذنب في كل مساء يروح (يأتي مساء) لكي يفرس مهزولكم (جملأ)
هزلاً لفقدان العشب) ويأكره (ويأتيه صباحاً)

لَيَجْتَرَّ مِنْكُمْ إِنْ رَأَى بَارِزاً لَهُ مِنَ الْجَيْفِ اللَّائِي عَلَيْكُمْ حَظَائِرُهُ
وليجتري (ليجتر) من مضارب القبيلة ما يرى من جيف (جثث النياق النافقة، يضعونها حول الحظائر
كي تأخذها الذئاب ولا تفرس النياق الحية)

أَغَثُ مُضَرًّا، إِنَّ السَّنِينَ تَتَابَعَتْ عَلَيْهَا بِحَرْزٍ يَكْسِرُ الْعَظْمَ جَازِرُهُ
أيها الخليفة أغث قبائل مضر فقد تابعت السنين (مواسم الفحط) بما يكسر العظم وينحر الإبل
(الفحط يفني الماشية)

وَهَمَّتْ بِتَذْيِيعِ الْكِلَابِ مِنَ الَّذِي بِهَا أَسَدٌ إِنْ أُمْسَكَ الْغَيْثَ مَا طَرُهُ
وهمت قبيلة أسد أن تذبح وتاكل الكلاب مما بها من جوع إن استمر الجفاف، ولم ينزل مطر
وإِنَّكَ رَاعِي اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، تَنْتَهِي إِلَيْكَ نَوَاصِي كُلِّ أَمْرٍ وَآخِرُهُ
وأنت راعي الله في الأرض (فالخليفة الراعي والناس الرعية)، وإليك مصير نواصي الأمور
(وجوهها) وأواخرها (أنت الكل في الكل)

وَقَدْ خِفْتُ حَتَّى لَوْ أَرَى الْمَوْتَ مُقْبِلًا لَيَأْخُذْنِي، وَالْمَوْتُ يُكْرَهُ زَائِرُهُ ..
بغير الموضوع: خفت حتى لو جاء الموت، مع أن زيارته كريهة ..

لَكَانَ مِنَ الْحَجَّاجِ أَهْوَنَ رَوْعَةٍ إِذَا هُوَ أَغْصَى، وَهُوَ سَامٍ نَوَاطِرُهُ
.. لكان الموت أهون روعة (إخافة/ وترويعاً) من الحجاج عندما يغصى (يخفض بصره)،
مع أنه سامي النظر (ناظر للأعلى، وأبني لا يخفض بصره خضوعاً) فإغضاء الحجاج بصره
إغضاء مؤقت عندما يفكر في قرار خطير. هكذا الجابرة .. ينظرون في عيون رعاياهم
وضحاياهم، ثم يخفضون بصرهم هنيهة، ثم يأتي القول الصاعق: اضربوا عنقه، إلخ

فَأَيَّقَنْتُ أَنِّي إِنْ نَأَيْتُكَ لَمْ يَرِدْ بِمَيِّ النَّأْيِ إِلَّا كُلُّ شَيْءٍ أَحَازِرُهُ
فَأَيَّقْتُ أَيُّهَا الْحِجَاجُ أَنِّي إِنْ نَأَيْتُ عَنْكَ فَأَرَأَ مِنْكَ، فَإِنْ هَذَا النَّأْيُ لَا يُوْرِدُنِي إِلَّا عَلَى شَيْءٍ
أَحَازِرُهُ وَأَخْشَاهُ

وَأَنْ لَوْ رَكِبْتُ الرِّيحَ ثُمَّ طَلَبْتَنِي لَكُنْتُ كَشَيْءٍ أَدْرَكْتُهُ مَقَاوِرُهُ
وَأَدْرَكْتُ أَنِّي لَوْ رَكِبْتُ الرِّيحَ فَرَاراً مِنْكَ، لَكُنْتُ كَشَيْءٍ سَعَى نَحْوَ قَدْرِهِ، فَيُذَكُّ طَائِلُهُ وَلَا بَدَأُ أَنْ
تَمْسُكَ بِي

فَلَمْ أَرْ شَيْئاً غَيْرَ إِقْبَالِ نَاقَتِي إِلَيْكَ، وَأَمْرِي قَدْ تَعَيَّتْ مَصَادِرُهُ
فَلَمْ أَجِدْ سِوَى أَنْ أَقْبَلَ بِنَاقَتِي إِلَيْكَ، فَأَمْرِي قَدْ تَعَيَّتْ (استحالت) مَصَادِرُهُ (مخارجهُ)

٤١ لِسَانِي لَكُمْ

يَمْدَحُ أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُسْرِي:

فَمَا أَخْيَ لَا أَجْعَلُ لِسَانِي لِغَيْرِكُمْ وَلَا مِدْحِي مَا حَيَّ لِلزَّيْتِ عَاصِرُهُ
مَا أَحْيَى (مَا دَمَتُ حَيًّا) فَلَنْ أَمْدَحُ غَيْرَكُمْ بِشِعْرِي، مَا حَيَّ لِلزَّيْتِ عَاصِرُ (مَا دَامَ هُنَاكَ مِنْ بَعْضِ
الزَّيْتِ/أَيَّ أَبَدًا)

فَلَوْلَا أَبُو الْأَشْبَالِ أَصْبَحْتُ نَائِيًّا وَأَصْبَحَ فِي رِجْلَيَّ قَبْدٌ أَحَازِرُهُ
لَوْلَا أَبُو الْأَشْبَالِ (أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) لَأَصْبَحْتُ مَعْقُلاً فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ

فَمَا أَنَا إِلَّا مِنْكُمْ مَا تَعَلَّقْتُ حَيَاتِي، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي أَنَا صَائِرُهُ
أَنَا مِنْكُمْ مَا بَقِيَتْ مَعِيَ حَيَاتِي، وَإِلَى الْيَوْمِ الَّذِي سَاصِيرُ إِلَيْهِ (يَوْمُ الْوَفَاةِ)

٤٢ تَأَخَّرَ الْقَدَرُ

قَالَ لِسْلِيمَانُ، وَقَدْ ضَحَكَ سُلَيْمَانُ لِأَنَّ سَيْفَ الْفَرَزْدَقِ نَبَا:

أَيَفْجَبُ النَّاسُ إِنْ أَضْحَكْتُ سَيِّدَهُمْ خَلِيفَةَ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ
ضَحَكَ الْخَلِيفَةُ عِنْدَمَا نَبَا سَيْفُ الْفَرَزْدَقِ عَنْ عَتَقِ الْأَسِيرِ، وَالْخَلِيفَةُ وَضِيَ الْوَجْهَ شَرِيفَ عَظِيمٍ
يَطْلُبُ النَّاسُ بِهِ السَّقْيَا فِي الْمَحَلِّ، وَكَانُوا إِذَا انْقَطَعَ الْمَطَرُ خَرَجُوا لِمَصْلَاحَةِ الْإِسْتِسْقَاءِ وَاصْطَحَبُوا مِنْ
يُرُونُ فِيهِ الشَّرَفَ وَالْوَسَامَةَ وَالتَّقْوَى

وَمَا نَبَا السَّيْفِ مِنْ جُبْنٍ وَلَا دَهْشٍ عِنْدَ الْإِمَامِ، وَلَكِنْ أَخَّرَ الْقَدْرُ
مَا انْحَرَفَ سَيْفِي عَنْ عَتَقِ الْأَسِيرِ جُبْنًا وَلَا دَهْشًا (ارْتِبَاكَأً) فِي حَضْرَةِ الْإِمَامِ (الْخَلِيفَةِ)، وَلَكِنْ قَدْ
تَأَخَّرَ قَدْرُ ذَلِكَ الْمُسْكِينِ

٤٣ طلاق فندم

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسَمِيِّ لَمَّا غَدْتُ مِنِّي مُطَلَّقَةً نَوَارُ

ندمت ندامة الكسعي عندما طلقت نوار (والكسعي رجل كانت لديه قوس عزيزة على قلبه، ورمى بها الظباء بخمسة سهام، وظن أنها طاشت جميعاً، فأهوى بقوسه على صخرة وكسرها حنقاً، ثم اكتشف أن السهام جميعاً كانت صائبة، وقد أردت الظباء الخمسة، فندم).. وكانت نوار زوجته وابنة عمه، وكانت تشاره وتضاره كثيراً لأنه تزوجها بخديعة، وطلبت الطلاق مراراً، وأنجبت له عدة أولاد، ثم استجاب وطلقها رغم أنه ظل يحبها، ومع كل هذا الحب فإن الفرزدق - ويا لنذالة الرجال - اشترط عليها ألا تتزوج، وأن تبيع له مالها بعد الطلاق. وعاشت النوار في كنف ابنها لبطة بقية عمرها، وأما الفرزدق فقد عاش حتى أربى على التسعين، وكان مزواجاً، حتى لقد تزوج بعد التسعين وعجز..

وَكَانَتْ جَنَّتِي فَخَرَجْتُ مِنْهَا كَادَمَ حِينَ لَجَّ بِهِ الضَّرَارُ

كانت النوار جنتي وخرجت منها كما خرج آدم حين لج به الضرار (أكثر من المعاندة).. وكل ما صنعه آدم أنه أكل تفاحة، فأما الفرزدق فكان مزواجاً زناً

وَكُنْتُ كَفَاقِي عَيْنِهِ عَمْدًا فَاصْبَحَ مَا يُضِيءُ لَهُ النَّهَارُ

كنت كمن قلع عينه بيديه فعمي

وَلَا يُوفِي بِحَبِّ نَوَارٍ عِنْدِي وَلَا كَلَفِي بِهَا إِلَّا انْتِحَارُ

لا يقفني من حبي لها وكلفي (ولوعي) بها إلا الانتحار

وَلَوْ رَضِيتْ يَدَايَ بِهَا وَقَرَّتْ لَكَانَ لَهَا عَلَى الْقَدَرِ الْخِيَارُ

لو كنت رضيت بعشرتها، ولو قررت هي في بيتها، لتغير سير القدر

وَمَا فَارَقْتُهَا شِبَعًا، وَلَكِنْ رَأَيْتُ الدَّمَارَ يَأْخُذُ مَا يُعَارُ

لم أفارقها أنني شبع من عشرتها، ولكن الدمار هكذا يسترد ما أعار، في ذلك إشارة لاوعية إلى أنه تزوجها غصباً عنها

٤٤ مدح بني المهلب

لَأَمْدَحَنَّ بَنِي الْمُهَلْبِ مِدْحَةً غَرَاءَ ظَاهِرَةً عَلَى الْأَشْعَارِ

سأمدح بني المهلب بقصيدة غراء (جميلة) ظاهرة (غالبية) على الأشعار الأخرى

مِثْلَ النُّجُومِ أَمَامَهَا قَمَرٌ لَهَا يَجْلُو الدُّجَى، وَيُضِيءُ لَيْلَ السَّارِي

يصف قصيدته بالقمر وحوله النجوم، لعله تخيل أبيات القصيدة

وَرِثُوا الطَّعَانَ عَنِ الْمُهْلَبِ وَالْقَرَى وَخَلَائِقًا كَتَدْفُقِ الْأَنْهَارِ
ورثوا عن أبيهم المهلب بن أبي صفرة الطعان (الطعن بالرماح في الحرب) والقرى (إطعام الضيف)
والأخلاق الحميدة المتدفقة بالعطاء كالأنهار

كَانَ الْمُهْلَبُ لِلْعِرَاقِ سَكِينَةً وَحَيَا الرَّبِيعِ، وَمَعْقِلَ الْفُرَّارِ
كان المهلب للعراق سكينة (اطمئناناً) وحياً الربيع (مطر الربيع) ومعقل الفرار
(ملجأ الفارين من بطش)

إِنِّي رَأَيْتُ يَزِيدَ عِنْدَ شَبَابِهِ لَيْسَ الثَّقَى وَمَهَابَةَ الْجَبَّارِ
رأيت يزيد (ابن المهلب) ثقياً، لكنه مهيب ذو جبروت

وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ خُضْعَ الرِّقَابِ نَوَاقِسَ الْأَبْصَارِ
والرجال يخضعون رقابهم (ينكسون رؤوسهم) ويخفضون أبصارهم لهيبته

٤٥ القدر الباكية

لَوْ أَنَّ قِدْرًا بَكَتْ مِنْ طَوْلِ مَا حُبِسَتْ عَلَى الْخُفُوفِ بَكَتْ قِدْرُ ابْنِ جِيَارٍ
لو أن القدر (الحلة، الطنجرة) تبكي لطول الحبس على الخفوف (الجفاف) لبكت قدر ابن جيار،
فهو لا يطبخ للناس ولا يطعم أحداً

مَا مَسَّهَا دَسَمٌ مِذْ قُضِّ مَعْدِنُهَا وَلَا رَأَتْ بَعْدَ عَهْدِ الْقَيْنِ مِنْ نَارٍ
لم يمسها دسم منذ أن قُضِّ معدنها (جُلِّي)، ولا عرفت النار بعد أن عالجها القين (الحداد) بنارها.
لعلهم كانوا يعبرون عن تبييض القدر النحاسية بالتفضيض، مع أن المعدن المستعمل هو شبيه
الفضة، القصدير

٤٦ بنو كليب

أَلَا قَبَحَ الْإِلَهُ بَنِي كَلَيْبٍ ذَوِي الْحُمُرَاتِ وَالْعَمَدِ الْقِصَارِ
قبحاً لبني كليب أصحاب الحمير (واشتهر بنو كليب، قوم جرير، بحميرهم)، والخيام القصيرة
الأعمدة (وكلمنا طال عمود الخيمة كانت كبيرة وكان صاحبها ثرياً)

وَلَوْ تُرْمَى بِلُؤْمِ بَنِي كَلَيْبٍ نَجُومُ اللَّيْلِ مَا وَضَحَتْ لِسَارِي
لو أصاب لؤم الكليبيين النجوم لخدمت ولم تعد تضيئ لساري الليل

وَلَوْ لَيْسَ النَّهَارُ بَنُو كَلَيْبٍ لَدَنَسَ لُؤْمُهُمْ وَضَحَ النَّهَارِ
ولو ارتدوا بالنهار لدنسوا بياضه

وما يَغْدُو عَزِيزُ بَنِي كَلِيبٍ لِيَظْلَبَ حَاجَةً إِلَّا بِجَارٍ
لا ينال العزيز (القوي) من بني كليب حاجته إلا مستجيراً بغريب، لضعف قبيلته

٤٧ مجاشع حملتني أموراً

يهجو جريراً:

وَجَرَّ الْمُخْزِيَاتِ عَلَى كُليبٍ جريرٌ، ثُمَّ مَا مَنَعَ الذُّمَارَ
جر جرير المخازي على قومه كليب بتعرضه لي، ثم لم يستطع أن يمنع (يحمي) الذمار (الشرف)

عَوَى فَأَنَارَ أَغْلَبَ ضَيْغَمِيًّا قَوْلُ ابْنِ الْمَرَاغَةِ، مَا اسْتَنَارَا
عوى جرير إذ هجاني، فَأَنَارَ أَغْلَبَ (أسداً غليظ الرقبة) ضَيْغَمِيًّا (عَضَاضاً)، فويل لابن المరాغة
(لقب جرير عند أعدائه) مما أَنَارَ

وإِنَّ بَنِي الْمَرَاغَةِ لَمْ يُصِيبُوا إِذَا اخْتَارُوا مُشَاتَمَنِي اخْتِياراً
قوم جرير لم يحسنوا الاختيار إذ اختاروا التسابّ معي

وَنَامَ ابْنُ الْمَرَاغَةِ عَنْ كُليبٍ فَجَلَّلَهَا الْمَخَازِي وَالشُّنَارَا
ونام جرير عن نصرة قبيلته كليب لضعفه، فجللها (كساها) مخازي وشناراً (عاراً)

وإِنَّ بَنِي كُليبٍ إِذْ هَجَوْنِي لَكَالْجُعْلَانِ إِذْ يَغْشَيْنَ نَارَا
هم بهجانهم إياي كالجعلان (المصراصير) التي تغشى (تأتي) النار

وإنْ مُجَاشِعاً قَدْ حَمَلْتَنِي أُمُوراً لَنْ أَضِيعَهَا كِبَارَا..
وقبيلتي، مجاشع، حملتني أموراً عظيمة، ولن أضيعها (لن أنهار فيها) ..

قَرَى الْأَضْيَافَ لَيْلَةً كُلُّ رِيحٍ وَقَدْ مَأْ كُنْتُ لِلْأَضْيَافِ جَارَا
حملتني قرى الأضياف (إطعامهم) في الليلة التي تعصف فيها الرياح، وقدماً (دائماً)
قد كنت مجيراً للأضياف

رَأَيْتُ ابْنَ الْمَرَاغَةِ حِينَ ذَكَّى تَحَوَّلَ - عَمِيرَ لِحْيَتِهِ - حِمَارَا
رأيت جريراً حين ذكّى (كبر وأسنّ) تحول في هيئته - لولا اللحية - إلى حمار

هَلُمَّ نَوَافٍ مَكَّةَ، ثُمَّ نَسْأَلُ بِنَا وَبِكُمْ، قَضَاعَةً أَوْ نِزَارَا
هيا نواف (نات) مكة لنسأل عن أحسابنا وأحسابكم قبيلة قضاة أو نزار

هُنَالِكَ لَوْ نَسَبْتَ بَنِي كُليبٍ وَجَدْتَهُمُ الْأَدْقَاءَ الصُّغَارَا
وستجد أن قبيلتك، كليب، أدقاء (رقاقاً)، ليس لهم المجد المتين) صغاراً في القدر

وَمَا غَرَّ الْوَبَارَ بَنِي كَلْبٍ بِغَيْثِي حِينَ أَنْجَدَ وَاسْتَطَارَا
ولا أدري ما الذي غرَّ بني كلب الوبار (الأرانب) فلم يروا غيثي حين أنجد (بلغ نجداً) واستطار
(تدفق وصار ذا شر مستطير)

هَرَبْنَا إِلَى مَدَاخِلِهِنَّ مِنْهُ وَجَاءَ يُقْلَعُ الصَّخْرَ انْجِدَارَا
عندئذ هرب أشباه الأرانب إلى بيوتهن، وجاء السيل يقلع الصخر وهو منحدر، أي أن هجائي كان
قاسياً متدفقاً

وَأِنَّكَ وَالرَّهْمَانَ عَلَى كَلْبٍ لَكَالْمُجْرِي مَعَ الْفَرَسِ الْجَمَارَا
والمراهن على قبيلة كلب كمن يجري (يسابق) الفرس والحمار

٤٨ كم خالة لك يا جرير ..

يَا ابْنَ الْمَرَاغَةِ إِنَّمَا جَارَيْتَنِي بِمُسَبِّقِينَ لَدَى الْفَعَالِ قِصَارِ
يا جرير (وابن المراغة لقبه، وقيل إن المراغة هي الأتان التي تتمرغ في التراب) أنت تجاريني
(تسابقني) بقومك المسبقين (المسبوقين) لدى الفعال (الأمجاد) القصار

وَالْحَابِسِينَ إِلَى الْعِشِيِّ لِيَأْخُذُوا نَزَحَ الرِّكِيِّ، وَدِمْنَةَ الْأَسَارِ
وقومك حابسون إيلهم إلى المساء المتأخر لأنهم ضعاف لا يستطيعون المزاحمة على الماء،
فيأخذون نزح الركي (بقية ما في الركية أي البثر) ودمنة (وسخ) الأسار (الصبابات/بقايا القاع) ..
فهم ينالون من الماء بعد أن يتعكر ويبقى منه سور، أي بقية، في قاع البثر

لَنْ تُدْرِكُوا كَرَمِي بِلُؤْمِ أَبِيكُمْ وَأَوَايِدِي بِتَنَحُّلِ الْأَشْعَارِ
لن تلحقوا بكرمي (مجدي) بلؤم أبيكم، ولن تلحقوا أوابدي (قصائدي النادرة المثال) بتنحل
الأشعار (سرقها)

قَبَحَ إِلَاهُ بَنِي كَلْبٍ، إِنَّهُمْ لَا يَغْدِرُونَ وَلَا يَفْقُونَ لِحَارِ
قبحاً لبني كلب من قوم ضعاف، فهم أضعف من أن يغدروا، ومع ذلك ليس عندهم وفاء لمن
يلجأ إليهم

يَسْتَيْقِظُونَ إِلَى نُهَاقِ حِمَارِهِمْ، وَتَنَامُ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الْأَوْتَارِ
يقظهم نهاق حمارهم (فهم أهل حمير لا إيل)، ولكنهم غافلون عن الأوتار
(الثآثرات/الأخذ بالثآثر)

كَمْ مِنْ أَبٍ لِي يَا جَرِيرُ كَأَنَّهُ قَمَرُ الْمَجَرَّةِ أَوْ سَرَاةُ نَهَارِ
آبائي (الآباء والأجداد) كأن الواحد فيهم قمر المجرة (السماء) أو سراج النهار (أي الشمس)

ورث المكارم كابرأ عن كابرٍ ضخم الدسيسة يوم كل فخار
هذا الواحد من آبائي ورث مكارم أجداد كبار، وهو ضخم الدسيسة (القصة الضخمة التي يوضع فيها الطعام للناس) في الأيام التي يتميز فيها الكريم عن غيره ويفتخر

إنَّ البِكَارَةَ لَا يَدِّي لِصِغَارِهَا بِزِحَامٍ أَضِيدَ رَأْسُهُ هَدَّارٍ
البكاراة (الجمال) لا يدي لصغارها (لا قدرة لها) كي تزاحم أصيد (فحلاً مسيطراً) رأسه هدار (يصدر صوتاً ضخماً). هلاً قال: (بزحام أصيد مصعب هدار) فيخرج من تهمة الإقواء؟ والبيت بالرواية المثبتة محمول على أن رأسه فاعل لأصيد وهدار صفة لأصيد

قَرَمٌ إِذَا سَمِعَ الْقُرُومَ هَدِيرَهُ وَلَّيْنَهُ وَرَمَيْنَ بِالْأَبْعَارِ
قرم (فحل شديد) إذا سمع الفحول صوته، هربت ورمت بأبعارها خوفاً منه

كَمْ خَالَةٍ لَكَ يَا جَرِيرٌ وَعَمَّةٌ قَدَعَاءٌ قَدْ حَلَبَتْ عَلَيَّ عِشَارِي
ما أكثر خالاتك وعماتك القدعاوات (المعوجة مفاصلهن) اللاتي حلبن لي عشاري (نباتي) بغيره بأن نساء عشيرته خادמות

٤٩ اللؤلؤة القائلة

وَمُرْتَجَّةُ الْأُرْدَافِ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ مُحَضَّبَةِ الْأَطْرَافِ بِيضٍ نُحُورُهَا
يتغزل بها وبأردافها المرتجة وأطراف أصابعها المخضوبة بالحناء، ونحرها الأبيض (النحر بين الصدر والعنق)

كَأَنَّ نَقَاءً مِنْ عَالِجٍ أَزَّرَتْ بِهِ بِحَيْثُ التَّقْتُ أَوْرَاكُهَا وَخُصُورُهَا
كأن مؤخرتها نقا (كثير رمل) في منطقة «عالج» وقد أزرت به (لبست إزاراً، رداءً) والإزار مخضر في مكان التقاء أوراكاها (ردفها) وخصرها

فَقَدْ خِفْتُ مِنْ تَذْرَافٍ دَمْعِي إِثْرَهَا عَلَى بَصْرِي، وَالْعَيْنُ يَغْمَى بِصِيرُهَا
خفت من تذراف دمعي (نزوله) أن يضر بصري، والعين يغمى بصيرها «حشو

وَمَا خِفْتُ وَشَكَ الْبَيْنَ حَتَّى رَأَيْتُهَا يُسَاقُ عَلَى ذَاتِ الْجَلَامِيدِ عِيرُهَا
لم أكن أخشى وشك البين (أن يكون الفراق وشيكاً سريعاً) إلى أن رأيت عيرها (جمالها) تساق على ذات الجلاميد (الأرض الوعرة)

وَمَا زِلْتُ أَزْجِي الطَّرْفَ مِنْ حَيْثُ يَمَّمْتُ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى رَدَّ عَيْنِي حَسِيرُهَا
وظللت أزجي الطرف (أرسل بصري) من (يقصد إلى) الأرض التي يمتتها (فصلتها) حتى عاد بصري حسيراً (عاجزاً)

تَهَادَى إِلَى بَيْتِ الصَّلَاةِ، كَأَنَّهَا عَلَى الْوَعْدِ ذُو سَاقٍ مَهِيضٍ كَسِيرُهَا
 تهادى (تمشي وتمايل) ذاهبة إلى بيت الصلاة كأنها إذا تمشي على الوعد (الطريق الوعر) طائر ذو ساق مهیضة (مكسورة) لأنها تتمايل

كَدَّرُوْهُ غَوَاصٍ رَمَى فِي مَهِيْبَةٍ بِأَجْرَامِهِ، وَالنَفْسُ يَخْشَى ضَمِيرُهَا..
 يبدأ تشبيهاً طويلاً، هذه المرأة مثل لؤلؤة أراد غواص أن ينالها فرمى بأجرامه (بجسمه) في مهية (لجة البحر المخوفة)، «والنفس يخشى ضميرها» أي تخاف..

مُوكَلَّةٌ بِالدَّرِّ خَرَسَاءٌ، قَدْ بَكَى إِلَيْهِ مِنَ الْغَوَاصِ مِنْهَا نَذِيرُهَا
 تخاف النفس حية موكلة (مكلفة) بحراسة اللؤلؤة، وقد أذنره الغواص القديم منها باكياً صارخاً
فَقَالَ: أَلَا تَلْقِي الْمَوْتَ أَوْ أَدْرِكَ الْمُنَى لِنَفْسِي، وَالْأَجَالُ جَاءَ دُحُورُهَا
 فقال الغواص الشاب: إما أن أموت أو أدرك الأمانى، والأجل جاء (آت) على كل حال، أي «كلها موتة»

وَلَمَّا رَأَى مَا دُونَهَا خَاطَرَتْ بِهِ عَلَى الْمَوْتِ نَفْسٌ لَا يَنَامُ فَقِيرُهَا
 لما رأى الغواص ما دون الأنفى (أي ما بقرها، وهي اللؤلؤة العظيمة) خاطر بنفسه التي يؤرقها الفقر

فَأَمْوَى وَنَابَاهَا حَوَالِي يَتِيْمَةٍ هِيَ الْمَوْتُ، أَوْ دُنْيَا يُنَادِي بِشِيرُهَا
 أموى بكفيه على اللؤلؤة، ونابا الحية يحميان هذه الدرة اليتيمة (النادرة)، واللؤلؤة هي الموت أو هي الحياة الرغبة التي ييشر نفسها بها

فَأَلْقَتْ بِكَفَيْهِ الْمَنِيَّةُ إِذْ دَنَا بِعَضَّةِ أَنْيَابٍ سَرِيْعٍ سُؤْرُهَا
 ورمت الحية في كفيه بعضة مميتة وأنشبت فيها أنياباً سريعاً سُورُها (تغلغلها.. لعله يقصد أن سمها يتغلغل ويصل منتهاه بسرعة)

فَحَرَّكَ أَعْلَى حَبْلِهِ بِحُشَّاشَةٍ وَمِنْ فَوْقِهِ خَضْرَاءُ طَامَ بُحُورُهَا
 فظل ممسكاً باللؤلؤة، وهز الحبل الذي دلاه رفاقه به، (وهزة الغواص الحبل معناه: ارفعوني)، هز الحبل بحشاشة نفسه (بما تبقى له من روح) وكان غاصماً وفوقه لجة خضراء (سوداء معتمة) طامية بالماء.. هذا في البحر طبعاً، وأما تعبير «طام بحورها» فتركيب فزديقي لا معنى له سوى الوصول إلى القافية

فَمَا جَاءَ حَتَّى مَجٍّ، وَالْمَاءُ دُونَهُ، مِنَ النَّفْسِ أَلَوَانًا عَبِيْطًا نُحُورُهَا
 فما جاء (برز فوق الماء) حتى مج (بصق) من فمه دم قلبه فلَوَّن به سطح الماء كما يلون الكباش العبيط (المذبوح) بالدم ما حوله

إِذَا مَا أَرَادُوا أَنْ يُحِيرَ مَدُوفَةً أَبَى مِنْ تَقْصِي نَفْسِهِ لَا يَحُورُهَا
كلما أرادوه على أن يحير (يتغرغر بـ) مدوفة (خلطة علاجية ضد السم)، أبى لشدة ما فيه أن
يقبلها . . كذا المعنى الملموح

فَلَمَّا أَرَوْهَا أَنَّهُ هَانَ وَجَدَهَا رَجَاءَ الْغِنَى، لَمَّا أَضَاءَ مُنِيرُهَا
فلما أروا أمه للؤلؤة هان وجدها (خف حزنها)، رجاء الغنى (توقعا للإثراء) فقد أضاءت اللؤلؤة

وظَلَّتْ تَغَالَاها التَّجَارُ، وَلَا تُرَى لَهَا سِيمَةً إِلَّا قَلِيلاً كَثِيرُهَا
وظل التجار يتغالونها (يزيدون في السر)، ولا يرى القوم أي سيمة (تقدير سعر) إلا وهي قليلة
عليها. انتهى التشبيه، فهذه الدرة كذلك المرأة. والتشبيه جاهلي تجد مثله عند المسيب بن علس
وعند الأعشى

وَكَانَ نُفَيْعٌ إِذْ هَجَانِي لِأُمِّهِ كِبَاحِثَةٍ عَنْ مُدْيَةٍ تَسْتَشِيرُهَا
نافع هذا عندما هجاني كان - جانياً على أمه - كالعنز الباحثة عن المدية (السكين) تستشيرها (تنشئها) لكي
تُدبج بها، مع فارق أنه سيجني على أمه، لا على نفسه، لأنني سأهتك عرضها . . والقصة أن نافع هذا
هجا الفرزدق، فأسرعت أم نافع واستجارت بغير غالب أبي الفرزدق طالبة العفو . .

عَجُوزٌ تُصَلِّيُ الْخَمْسَ عَاذَتْ بِغَالِبٍ فَلَا وَالَّذِي عَاذَتْ بِهِ لَا أَضِيرُهَا
هي عجوز تؤذي الصلوات الخمس، وقد عاذت (لجأت) بغير غالب، فلا وحق غالب لا أضيرها (أؤذيها)

فَإِنِّي - عَلَى إِشْفَاقِهَا مِنْ مَخَافَتِي وَإِنْ عَقَّهَا بِي نَافِعٌ - لَمْجَبِرُهَا
سأجيرها من لساني، لأنها أشفقت على عرضها خوفاً مني، حتى وإن عققها ولدها نافع

إِذَا اجْتَمَعَ الْآفَاقُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِلَى مَنْسِكٍ، كَانَتْ إِلَيْنَا أُمُورُهَا
إذا اجتمع الآفاق (الناس من كل مكان) لتأدية منسك من المناسك، فنحن القادة الذين تتولى أمر
الناس جميعاً

رَمَى النَّاسُ عَنْ قَوْمِي تَمِيمًا، فَمَا أَرَى مُعَادَاةَ مَنْ عَادَى تَمِيمًا تُضْبِرُهَا
رمى الناس جميعاً ومرة واحدة، كأنما بقوس واحدة، قبيلة تميم، ولكنني لا أرى هذه العداوة تؤثر
في تميم

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاقَتْ مِنَ الشَّرِّ جَعْفَرٌ بِطُخْفَةٍ أَيَّاماً طَوِيلًا قَصِيرُهَا
قبيلة جعفر لقيت في معركة طخفة، أياماً صعبة طويلة بمأسيتها رغم قصرها

وَقَدْ عَلِمْتُ أَفْنَاءَ جَعْفَرَ أَنَّهُ يَبْقَى جَعْفَرًا وَقَعَ الْعَوَالِي ظُهُورُهَا
وقد علمت أفناء جعفر (جيرانهم) أن قبيلة جعفر يتقون وقع العوالي (الرماح) بظهورهم، أي أنهم
سريعون إلى الفرار فنصيبهم في ظهورهم لا في صدورهم

٥٠ نهوض الشيب

إِنَّ الْمَلَامَةَ مِثْلَ مَا بَكَرَتْ بِهِ مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهَا عَلَيْكَ نَوَارُ

اللوم المؤلم هو مثل الذي صبحتك به زوجتك نوار

وتقول كيف يميل مثلك للصبا وعليك من سمة الحليم عذار

تقول نوار: كيف يميل مثلك للصبا (اللهو)، وعليك من سمة الحليم (هيئة العاقل) عذار (العذار السالف، يقصد سالفاً وَخَطَهُ الشيب)

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصْبِحُ بِجَانِبِهِ نَهَارٌ

الشيب في سالفك، فكان وسط رأسك بشعره الأسود ليل، وقد صاح بجانبه النهار المتمثل في الشيب. النهار لا يصبح طبعاً، ولكن الديك يصبح، فاعلم ذلك. قد طرب القدماء كثيراً لهذا البيت، ولعمري إن المرء ليحس بقعقة طيبة من كلماته، وإن احتاج إلى ما يحتاج إليه كثير من شعر الفرزدق من التأويل، فالشيب ليس «كأنه ليل» بل الشعر الأسود هو الليل.. في كثير من أبيات الفرزدق عليك أن تفهم المعنى الإجمالي، ثم تبلع ريقك وتهز رأسك

إِنَّ الشَّبَابَ لَرَايِحٌ مَن بَاعَهُ، وَالشَّيْبُ لَيْسَ لِبَائِعِيهِ تَجَارٌ

الشباب تجارة رابحة على النساء، والشيب ليس لبائعيه تجار (تُجار) يشترونه منهم

يَا ابْنَ الْمَرَاةِ أَنْتَ أَلَامٌ مِّنْ مَّسَى وَأَذَلُّ مَن لِّبْنَانِهِ أَظْفَارٌ

يا جريز أنت ألام من مشى فوق الأرض، وألام من لبنانه (أطراف أصابعه) أظفار، أي أنت ألام الناس

وَإِذَا ذَكَرْتَ أَبَاكَ أَوْ أَيَّامَهُ أَخْزَاكَ حَيْثُ تُقْبَلُ الْأَحْجَارُ

إذا ذكرت أباك عطية أو أيامه (مواقفه) لحق بك الخزي في مكة، حيث يقبل الناس الحجر الأسود. وكانوا في القديم يحتكمون إلى أقوام بمكة في المفاخرة بالأنساب

وَإِذَا نَظَرْتَ رَأَيْتَ فَوْقَكَ دَارِمًا فِي الْجَوِّ حَيْثُ تُقَطَّعُ الْأَبْصَارُ

قيلي، دارم، فوقك عالية في الجو في مكان يتقطع فيه البصر ويعجز عن الرؤية لعلوها

إِنَّ الزِّيَارَةَ فِي الْحَيَاةِ، وَلَا أَرَى مَيِّتًا إِذَا دَخَلَ الْقُبُورَ يُزَارُ

أنت تزور قبر زوجتك.. فأي زيارة هذه لميت في قبره؟

وَرَثَيْتَهَا وَفَضَحْتَهَا فِي قَبْرِهَا مَا مِثْلَ ذَلِكَ تَفْعَلُ الْأَبْرَارُ

ورثيت زوجتك ففضحتها، وليس هذا من فعل أهل الخير

٥١ وصية الأخطل

وَزَارَ الْقَبُورَ أَبُو مَالِكٍ بِرَغَمِ الْعُدَاةِ وَأُوتَارَهَا
مَاتَ أَبُو مَالِكٍ (الأخطل) ميتة طبيعية، رغم أعدائه الذين توعده بالقتل، ورغم أوتارهم (ثاراتهم)
وَأَوْصَى الْفَرَزْدَقَ عِنْدَ الْمَمَاتِ بِأُمِّ جَرِيرٍ وَأَعْيَارَهَا
وأوصاني عند موته بالاستمرار في هجاء أم جرير وأعيارها (حميرها، يقصد أبناءها)

٥٢ أكل الخبيص

يهجو عمر بن هبيرة:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ وَالِ شَفِيقٌ، لَسْتَ بِالْوَالِي الْحَرِيصِ ..
يا أمير المؤمنين، وأنت وال (تتولى الأمور) شفيق (راحم) ولست حريصاً (بخيلاً) ..

أَطْعَمْتَ الْعِرَاقَ وَرَافِدَيْهِ فَزَارِيًّا أَحَدُ يَدِ الْقَمِيصِ
أطعمت خراج العراق ونهريه رجلاً فزاريّاً أحَدُ يَدِ الْقَمِيصِ (مقصود كم القميص، لعله عنى أن
ابن هبيرة مشمر لسرقه ما يجنيه من أموال بالعراق)

وَلَمْ يَكُ قَبْلَهَا رَاعِي مَخَاضٍ لِيَأْمَنَهُ عَلَى وَرَكِّي قَمِيصٍ
ولم يكن أي راعي مخاض (راعي إبل) يأمن ابن هبيرة على وركي قميص (دابة)؛ لعل المعنى أن
الراعي لم يكن يحس بالأمان إذا رأى ابن هبيرة متوركاً قميصاً (راكباً على وركي دابته)

تَفْبَهُقَ بِالْعِرَاقِ أَبُو الْمُثَنَّى وَعَلَّمَ قَوْمَهُ أَكْلَ الْخَبِيصِ
تفبهق (تحذلق، وتشدق، ووَسَّعَ فَمَهُ بِالْكَلَامِ) أَبُو الْمُثَنَّى (كنية المخنث) عندما تولى أمر العراق،
وعلم قومه البدو أكل الخبيص (التمر المعجون بالسمن)

٥٣ عيون المها

مَنَعَ الْحَيَاةَ مِنَ الرِّجَالِ وَطَبِيهَا حَدَقَ نُقْلُبُهَا النِّسَاءَ مِرَاضُ

قصة الأبيات: كان الفرزدق في دكان سراج، يبيع سروج الخيل، فمرت حسناء، فخرج وتبعها بنظره،
وهو يتقد حسرة، وقال: إن ما يمنع الرجال من الاستمتاع بالحياة وطبيها شدة التعلق بالنساء ذوات
الحدق (العيون) المراض (المسترخية). ومن بعض دلالات المرأة أن تفتح عينها نصف فتح، ليس
خجلاً بل إغواء .. هذا كان كثيراً عند العرب، وهو كثير الآن عند العرب، ولكنه ليس خلقاً في المرأة

فَكَأَنَّ أَفْسَدَةَ الرِّجَالِ إِذَا رَأَوْا حَدَقَ النِّسَاءَ لِنَبْلِهَا أَغْرَاضُ

كأن قلوب الرجال أغراض (أهداف) لنبل عيون النساء (سهامها)

خَرَجْتُ إِلَيْكَ، وَلَمْ تَكُنْ خَرَّاجَةً فَأَصِيبَ صَدْعُ فَوَادِكَ الْمُنْهَاضُ
خرجت المرأة إلى السوق، وليست من أولئك النسوة الكثيرات الخروج، فأصابته صدع (شطر)
قلبك المنهاض (المكسور). والمنهاض تصف الصدع.. كذا

٥٤ خاضب ساخط

خَضَبْتُ بِجَيِّدِ الْحِنَاءِ رَأْسِي لِيُعْقِبَ حُمْرَةً بَعْدَ الْبَبَاضِ
خضبت (صبغت) بنوع جيد من الحناء رأسي، ليعقب (ليسب) احمراراً بعد أن كان أبيض بالشيب
هُمَا لُونَانِ مِنْ هَذَا وَهَذَا كَلَا اللَّوْنَيْنِ لَسْتُ لَهُ بِرَاضٍ
هذان لونان، الشيب والحمرة، ولست راضياً أيّاً منهما

٥٥ حتى لا يجوع الذئب

تَلُومُ عَلَى أَنْ صَبَّحَ الذَّنْبُ ضَانَهَا فَأَلَوِي بِحُبْشٍ وَهَوَ فِي الرَّعْيِ رَاتِعٌ
تلومني أمي - وقيل: هذا الشعر من أول ما قال الفرزدق - لأن الذئب أغار على ضأنها (خراها)
صباحاً، فألوى (ذهب) بحبش (اسم ذلك الخروف) وهو راتع (أكل لالع) يرعى

وَقَدْ مَرَّ حَوْلَ بَعْدَ حَوْلٍ وَأَشْهُرٌ عَلَيْهِ بُبُوسٌ، وَهَوَ ظَمَانٌ جَائِعٌ
كان مر على الذئب حول بعد حول (عام بعد عام) وهو جائع

فَلَمَّا رَأَى الْإِقْدَامَ حَزَمًا، وَأَنَّهُ أَخُو الْمَوْتِ مَنْ سُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَطَالِعُ..
فلما رأى الإقدام (الهجوم) حزمًا (قراراً صائباً) وأن أخو الموت (من سيموت) هو الذي سدت في
وجهه المطالع (الطرق)..
.. أَغَارَ عَلَى خَوْفٍ، وَصَادَفَ غِرَّةً فَلَاقَى الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا الْمَطَامِعُ
عشذ أغار على الماشية وهو خائف، وصادف غرة (فرصة) فلقي ما كان يطمع فيه

وَمَا كُنْتُ مِضْيَاعًا، وَلَكِنْ هِمَّتِي سَوَى الرَّعْيِ مَقْطُومًا، وَإِذَا أَنَا يَافِعٌ
وأنا لست مضياً (مهملاً مضياً للمال) لكن همتي (طموحي) ليست في رعي الماشية منذ أن
نطمت، وحتى شيب

٥٦ تعريف

إِذَا بَاهِلِي تَحَتَّ حَنْظَلِيَّةٌ لَهُ وَلَدٌ مِنْهَا، فَذَاكَ الْمَذْرُوعُ
الباهلي الذي يتزوج حنظلية، وينجب منها، فولده هو المذروع (الذي أمه أشرف نسباً من أبيه)، أي
أن قبيلة باهلة أدنى نسباً من حنظلة

٥٧ أولئك آبائي

وَمِنَّا الَّذِي أَحْيَا الْوَيْدَ، وَغَالِبٌ وَعَمْرُو وَمِنَّا حَاجِبٌ وَالْأَنْعَارُ

من قبيلتنا، دارم، صعصة الذي أحيا المؤودات، ومنا غالب وعمرو، إلخ

أُولَئِكَ آبَائِي، فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتُنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِيعُ

هؤلاء آبائي (أجدادي) فهات مثلهم يا جرير عندما نتفاخر في المحافل

فِيَا عَجْبِي حَتَّى كَلَيْبٌ تُسَبِّئِي، كَأَنَّ أَبَاهَا نَهْشَلٌ أَوْ مُجَاشِئُ

وكليب قبيلة جرير، ونهشل ومجاشع من أجداد الفرزدق. وقيمة هذه الأبيات الثلاثة أنها مناسبة انسياً، فلو نثرتها ما كان لك إلا أن تؤديها بلفظها

فإِنَّكَ إِلَّا مَا اعْتَصَمْتَ بِنَهْشَلٍ لَمْ تُسْتَضَعَفْ يَا ابْنَ الْمَرَاعَةِ ضَائِعُ

وأنت يا جرير - وجرير من تميم كالفرزدق، ولكنه من فرع كليب - إن لم تعتصم (تختم) بفرع نهشل - سظل مستضعفاً ضائعاً

إِذَا أَنْتَ يَا ابْنَ الْكَلْبِ أَلْقَيْتَ نَهْشَلٌ، وَلَمْ تَكُ فِي حِلْفٍ، فَمَا أَنْتَ صَانِعُ

إذا تخلت عنك نهشل (نهشل جد للفرزدق ونهشل هي العشيرة المكونة من أبنائه وأحفاده)، ولم تجد من تتحالف معه، فما الذي تصنع؟

تَنَحَّ عَنْ الْبَطْحَاءِ، إِنْ قَدِيمَهَا لَنَا، وَالْجِبَالُ الْبَاذِخَاتُ الْفَوَارُغُ

تنح عن البطحاء (أواسط البلد، وهي مكان الأشراف، ومن ذلك بطحاء مكة)، فلنا فيها الأقدمية، ولنا الجبال الباذخات (العاليات) الفوارع (العاليات)

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنَّجُومُ الطَّوَالِغُ

سددنا عليكم الأفاق بحضورنا وشهرتنا، ولنا قمرها (الشمس والقمر) والنجوم الطالعة

أَتَعْدِلُ أَحْسَاباً لِّئَاماً أَدِقَّةُ بِأَحْسَابِنَا؟ إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعُ

أتسوي بين أحساب (أفعال) لثيمة دقيقة (نحيلة) بأحسابنا؟ إنا لله وإنا إليه راجعون

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَارُ صَمَرَ خَدَّهُ ضَرْبِنَاهُ حَتَّى تَسْتَقِيمَ الْأَخَادِعُ

كنا إذا صمر (أمال) الجبار خده تكبراً، ضربناه حتى تعتدل الأخادع (عروق الرقبة) أي حتى يعتدل رأسه ويكف عن كبره

إِذَا قِيلَ أَيُّ النَّاسِ شَرُّ قَبِيلَةٍ أَشَارَتْ: كَلَيْبٌ، بِالْأَكْفِ الْأَصَابِعُ

إذا سئل عن أسوأ قبيلة أشارت أصابع أكف الناس إلى كليب (التقدير عند من رفع كليباً «أشارت الأصابع، هي كليب»، ومن نصب كليباً فعلى نزع الخافض، ومن جرها فبحرف جر محذوف تقديره إلى)

٥٨ أهون مفقود

يَقُولُونَ زُرْ حَذْرَاءَ وَالتَّرْبُ دُونَهَا وكيف بشيء وصله قد تَقَطَّعَا
يقولون لي زر قبر زوجتك حدراء، فكيف أزورها والتراب دونها (عليها)، وقد انقطع الوصل بيني وبينها؟
وَلَسْتُ وَإِنْ عَزَّتْ عَلَيَّ بِزَائِرٍ تُرَاباً عَلَى مَرْسُومَةٍ قَدْ تَضَعُضَعَا
ولست - وإن كانت عزيزة علي - زائراً تراباً على مرسومة (مدفونة) قد تضعضع (هبط)
وَأَهْوَنُ مَفْقُودٌ إِذَا الْمَوْتُ نَالَه عَلَى الْمَرْءِ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ تَقَنَّعَا
أهون مفقود (الأقل قيمة بين المفقودين) عند الموت من تقنع (من تقب، أي المرأة)
يَقُولُ ابْنُ خِنْزِيرٍ بَكَيْتَ . وَلَمْ تَكُنْ عَلَى امْرَأَةٍ عَيْنِي إِخَالُ لِيَتَدَمَّعَا
يقول جرير إنني بكيت، ولكنني لا إخال (أظن) عيني ستبكي على امرأة أبداً

٥٩ منعوني من زياد

يمدح يزيد بن عبد الملك :

وَلَا جَارَ بَعْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي وَضَعْتُ إِلَى أَبَوَائِهِ رَحْلَ خَائِفٍ
لا جار (مجير) لي بعد الله أفضل ممن وضعت رحلي (سرجي ومتاعي) عن جملي ببابه وإنه رحل
رجل خائف

فَلَا بَأْسَ إِنِّي قَدْ أَخَذْتُ بِعُرْوَةٍ هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى لِخَيْرِ الْخَلَائِفِ
لا بأس علي وقد استمسكت بعروة (التزمت) هي العروة الوثقى (المأمنة) لخير خليفة

أَبُوهُ أَبُو الْعَاصِي وَحَرْبٌ تَلَاقِيَا إِلَيْهِ بِمَجْدِ الْأَكْرَمِينَ الْغَطَارِفِ
أبوه (يعني جده) أبو العاصي وحرب (وهما جدّا الفرعين المرواني والسفياي من بني أمية) وقد
جمعا له مجد الكرام الغطارف (السادة)

هُمْ مَنَعُونِي مِنْ زِيَادٍ وَغَيْرِهِ بِأَيْدِ طَوَالٍ أَمَنْتُ كُلَّ خَائِفٍ
بنو أمية منعوني (حموني) من زياد بن أبيه والي العراق، ومن غيره، بأيدي طوال (بقدره وقوة)
أمنت كل خائف

٦٠ عزفت بأعشاش

عَزَفْتُ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كِدْتُ تَعْرِفُ وَأَنْكَرْتُ مِنْ حَذْرَاءَ مَا كُنْتُ تَعْرِفُ
المعنى الملموح: عزفت (انصرفت) عن هذا المكان «أعشاش»، وما انصرف فؤادك عنه كل
الانصراف، غير أنك فوجئت بما بدا من الحبيبة «حدراء» فأنكرت ذلك

وَلَجَّ بِكَ الْهَجْرَانُ حَتَّى كَأَنَّمَا تَرَى الْمَوْتَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي كُنْتَ تَأْلُفُ

لج (استمر) بك هجرانها حتى لقد صرت ترى الموت في بيتها الذي طالما ألفته

إِذَا انْتَبَهَتْ حُدْرَاءٌ مِنْ نَوْمَةِ الضُّحَى دَعَتْ، وَعَلَيْهَا دِرْعٌ خَزٌّ وَمِطْرَفٌ..

إذا استيقظت «حدراء» من نومة الضحى - وهي نومة البنت المترفة التي لا شغل لديها - دعت (طلبت) وهي تلبس درع خز (قميصاً داخلياً من الحرير) ومطرف (رداء خفيفاً) ..

بِأَخْضَرَ مِنْ نَعْمَانَ، ثُمَّ جَلَتْ بِهِ عَذَابَ الثَّنَايَا، طَيِّباً حِينَ يُرْشَفُ

طلبت عود سواك أخضر مما ينبت في وادي «نعمان»، ثم استاكت به وجلت ثناياها (أسنانها) العذبة التي يطيب للمرء ارتشافها

فَكَيْفَ بِمَخْبُوسٍ دَعَانِي وَدُونَهُ دُرُوبٌ وَأَبْوَابٌ وَقَصْرٌ مُشَرَّفٌ

فهذه الآن قصة امرأة محبوسة دعتني، ودونها (يحول دون الوصول إليها) دروب وأبواب وقصر مشرف (عال)

وَضُهِبٌ لِحَاهُمْ رَاكِزُونَ رِمَاحَهُمْ لَهُمْ دَرَقٌ دُونَ الْعَوَالِي مُصَفَّفٌ

ويحميها أيضاً حراس ذوو لحى صهباء (شقراء) يركزون رماحهم، وتحت العوالي (الرماح) درق (تروس) مصفوفة

يُبَلِّغُنَا عَنْهَا بِغَيْرِ كَلَامِهَا إِلَيْنَا مِنَ الْقَصْرِ الْبَنَانُ الْمُطَرَّفُ

تبلغنا بما تريد ولكن دون أن تتكلم، فالذي يبلغنا هو إشارتها بالبنان المطرف (أطراف أصابعها المصبوغة بالحناء)، فكانها كانت تشير إليه أن تعال ..

دَعَاكَ الَّذِي سِوَى السَّمَاوَاتِ أَيَّدُهُ، وَلِلَّهِ أَدْنَى مِنْ وَرِيدِي وَالْطَّفُ

دعوت الله الذي سوى السموات أيده (قدرته)، والله أقرب إلى المرء من حبل الوريد، وهو يسمع الدعاء ..

لَيْسَ شَغْلَ عَنِّي بِعَلَّهَا بِزَمَانَةٍ تُدَلِّهُهُ عَنِّي وَعَنْهَا فَتُنْسَعَفُ

دعوته أن يشغل عني زوجها بمرض مزمن، يدلله (يذهب بعقله) عني وعنهما، فهذا ما سوف يسعفنا

فَأَرْسَلَ فِي عَيْنَيْهِ مَاءً عَلَاهُمَا، وَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي أَطْبُ وَأَعْرِفُ

فأرسل الله في عينيه ماء، فعمي، وقد علم القوم أنني خير بالطب

فَدَاوَيْتُهُ عَامَيْنِ وَهِيَ قَرِيبَةٌ أَرَاهَا فَتَدْنُو لِي مِرَاراً فَأَرْشُفُ

ولبت أطيبه عامين وهي قريبة أراها فتدنو لي مراراً وأرشف ريقها

فَيَا لَيْتَنَا كُنَّا بَعِيرَيْنِ لَا نَرُدُّ عَلَى مَنَهْلٍ إِلَّا نُشَلُّ وَنُقَذَفُ

لَيْتَنَا كُنَّا بَعِيرَيْنِ، وَلَا نَرُدُّ مِنْهَلًا (حوض ماء) إِلَّا نُشَلُّ (نطرد) وَنُقَذَفُ بِالْحَجَارَةِ. لَيْسَ بَعِيداً أَنْ يَكُونَ الْفَرَزْدَقُ سَرَقَ الْمَعْنَى مِنْ كَثِيرِ عَزَّةٍ، فَالْفَرَزْدَقُ قَالَ قَصِيدَتَهُ هَذِهِ وَهُوَ فِي الْمَدِينَةِ، وَفِي الْمَدِينَةِ عَاشَ كَثِيرَ عَزَّةٍ طَوِيلًا، وَكَانَ مُعَاصِرًا لِلْفَرَزْدَقِ. غَيْرَ أَنَّ الشَّاعِرِينَ مَشْهُورَانِ بِالْأَصْطِرَافِ أَيْ سَرَقَةِ الْآيَاتِ كَامِلَةً

كِلَانَا بِهَا عَرُّ يُخَافُ قِرَافَهُ عَلَى النَّاسِ مَطْلِي الْمَسَاعِرِ أَخْشَفُ

وَكَلَانَا مُصَابٌ بِالْعَرِّ (الجرب)، وَيُخَافُ النَّاسُ قِرَافَهُ (مخالطته)، وَمَطْلِي الْمَسَاعِرِ (الافخاذ) أَخْشَفُ (يَابِسُ الْجِلْدُ)، فَهَذَا يَجْعَلُنَا نَفْرَدَ وَحْدَنَا وَلَا يَقْرَبُنَا أَوْ يَفْرُقَ بَيْنَنَا أَحَدٌ

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَمَتْ بِنَا هُمُومُ الْمُنَى، وَالْهُوْجَلُ الْمُتَعَسَّفُ

إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَمَتْنَا الْهَمُومُ وَالْأَمْنِيَاتُ بِالْحَصُولِ عَلَى الْمَالِ، وَرَمَانَا أَيْضًا الْهُوْجَلُ (الصحراء) الْمُتَعَسَّفُ (الَّذِي يَسِيرُ فِيهِ الْمَرْءُ فَيُضِلُّ طَرِيقَهُ)

وَعَضُّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرَوَانَ لَمْ يَدْعُ مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجَرَّفًا

عَضْنَا الزَّمَانَ (أَنَهَكْنَا الْقَحْطَ) يَا ابْنَ مَرَوَانَ (عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرَوَانَ) وَلَمْ يَدْعُ لَنَا مِنَ الْمَالِ (الْمَاشِيَةِ) إِلَّا الْمُسْحَتَ (مَا يَأْتِي بِطَرِيقِ السَّرَقَةِ) أَوْ الْمَجْرَفَ (الْأَعْجَفُ الْمَهْزُولُ). وَحَقُّ «مَجْرَفٍ» النَّصَبُ، وَلِلْبَيْتِ مَعَ النَّحَاةِ قِصَّةٌ طَوِيلَةٌ

وَقَدْ عَلِمَ الْجَبِرَانُ أَنَّ قُدُورَنَا ضَوَائِمُنُ لِلْأَرْزَاقِ وَالرَّيْحُ زَفْرَفُ

وَقَدْ عَلِمَ الْجَبِرَانُ (مَنْ يَنْزِلُونَ بِنَا ضِيوْفًا أَوْ مُسْتَجِيرِينَ) أَنَّ قُدُورَنَا تَضْمَنُ لَهُمُ الرِّزْقَ (الطَّعَامَ) عِنْدَمَا تَكُونُ الرِّيحُ زَفْرَفًا (عَاصِفَةً)

تُفَرِّغُ فِي شِيزَى كَأَنَّ جِفَانَهَا حِيَاضُ جَبِيٍّ مِنْهَا مِلَاءٌ وَنُصْفُ

تُفَرِّغُ الْقُدُورَ فِي شِيزَى (قِصَاعَ كَبِيرَةٍ مِنْ خَشَبِ الشِّيزِ) كَأَنَّ جِفَانَهَا (الْكَبِيرَةَ مِنْهَا) حِيَاضُ جَبِيٍّ (أَحْوَاضُ جَمْعِ الْمَاءِ) بَعْضُهَا مِلَأَنَ وَبَعْضُهُ بَلَّغَ الطَّعَامَ مُتَنَصِّفَهُ. . لَوْ كَانَ جَعَلَهَا كُلَّهَا مِلَأَى! لَكِنْ هِيَ الْقَافِيَةُ

تَرَى حَوْلَهُنَّ الْمُتَعَتِفِينَ كَأَنَّهُمْ عَلَى صَنَمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عُكَّفُ

تَرَى حَوْلَ الْقِصَاعِ الْمُتَعَتِفِينَ (الْفُقَرَاءَ) كَأَنَّهُمْ عَاكِفُونَ بِصَمْتٍ عَلَى صَنَمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَالْجَائِعُ الْآكِلُ صَامَتٌ مُشْغَلٌ بِمَا هُوَ خَيْرٌ مِنَ الْكَلَامِ

قُعُودًا وَخَلَفَ الْقَاعِدِينَ سَطُورَهُمْ جُنُوحٌ، وَأَيْدِيَهُمْ جُمُوسٌ وَنُطْفُ

قَاعِدُونَ فِي صُفُوفٍ وَهُمْ جُنُوحٌ (مَائِلُونَ بِأَيْدِيهِمْ لِتَصِلَ إِلَى الْقِصَاعِ) وَالْأَيْدِي جُمُوسٌ (جَامِدٌ عَلَيْهَا الدَّهْنُ) وَنُطْفُ (يَسِيلُ مِنْهَا السَّمْنُ وَالذَّهْنُ)

وَمَا قَامَ مِنَّا قَائِمٌ فِي نَدِيِّنَا فَيَنْطِقُ إِلَّا بِالسَّيِّئِ هِيَ أَعْرَفُ

لَا يَقُومُ أَحَدٌ مِنْ رِجَالِنَا فِي النَّدِيِّ (الْمَجْلِسِ) لِيُخَاطَبَ إِلَّا نَطَقَ بِمَعْرُوفٍ وَحِكْمَةٍ

وَكُنَّا إِذَا نَامَتْ كُلَيْبٌ عَنِ الْقَرَى إِلَى الضَّيْفِ نَمشي بِالْعَبِيطِ وَنَلْحَفُ
إذا نامت قبيلة كليب عن القرى (أهملت إ طعام الضيف) مشينا إلى الضيف بالعبيط (اللحم)
وباللفاف كي يتغطى من البرد

وَجَدْنَا أَعَزَّ النَّاسِ أَكْثَرَهُمْ حَصَى وَأَكْرَمَهُمْ مَنْ بِالْمَكَارِمِ يُعْرِثُ
أعز الناس (أكثرهم عزاً وقوة) أكثرهم حصى (عدداً)، وأكرمهم من له في المكارم صيت
وبالله لولا أن تقولوا تكاثرت علينا تميم ظالمين، وأسرفوا..
ولولا أن يقول الناس إن قبيلة تميم اجتمعت ضدهم ظالمة وأسرفت..

لَمَّا تُرِكَتْ كَفَّ تُشِيرُ بِإِصْبَعٍ وَلَا تُرِكَتْ عَيْنٌ عَلَى الْأَرْضِ تَنْظُرُ
.. لما كنا تركنا كفاً تشير بإصبع ولا عين تطرف (ترمش)، أي أننا قادرون على قتل الناس جميعاً
لولا أننا نخشى الملامة

لَنَا الْعِزَّةُ الْعَلِيَاءُ وَالْعَدْدُ الَّذِي عَلَيْهِ إِذَا عُدَّ الْحَصَى يَتَخَلَّفُ
لنا العزة (القوة) وعدد الرجال الذي يزيد عن عدد الحصى

وَلَا عِزٌّ إِلَّا عِزُّنَا قَاهِرٌ لَهُ وَيَسْأَلُنَا النُّصْفَ الدَّلِيلُ فَتُنْصِفُ
نقهر كل قوة، وإن طلب المقهور الدليل أن ننصفه أنصفناه

إِذَا هَبَطَ النَّاسُ الْمُحَصَّبَ مِنْ مِئَى عَشِيَّةٍ يَوْمِ النَّحْرِ مِنْ حَيْثُ عَرَفُوا..
إذا جاء الناس أماكن الحج في مكة عشية يوم نحر الهدى بعد أن يقفوا بعرفات..

تَرَى النَّاسَ مَا سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا
ترى الناس يسرون خلفنا فإن أشرنا إليهم بالوقوف وقفوا

فَإِنَّكَ إِذْ تَسْعَى لِشُدْرِكَ دَارِمًا لَأَنْتَ الْمُعْنَى يَا جَرِيرُ الْمُكَلَّفِ
إذ تسعى يا جرير لتدرك أمجاد قبيلة دارم فإنك المعنى (المتعب) الذي كلف نفسه فوق طاقته

٦١ ثمانون لحية

وَنَحْنُ أَرْحَنُ عَنْ «خَوْلَةٍ جَحْدَرٍ» شَجًا كَانَ مِنْهَا فِي مَكَانِ الْمُخْتَقِ
أرحنا عن هذه المرأة شجاً (شوكاً) كانت في مكان المختق منها (الحلق)

وَكَانَتْ إِذَا ابْنَا مَسْمَعٌ ذُكِرَا لَهَا جَرَتْ دُقْعٌ مِنْ دَمْعِهَا الْمُتَرَفِّقِ
فقد كانت إذا ذكر أمامها ابنا مسمع بكت وجرى دمعها متدفقاً

فَسَاغَ لَهَا بَرْدُ الشَّرَابِ، وَلَمْ يَكُنْ يَسُوغُ لَهَا فِي صَدْرِهَا الْمُتَحَرِّقِ
 فَبَعْدَمَا صَنَعْنَا لَهَا مَا صَنَعْنَا سَاغَ (طَابَ) لَهَا الْمَاءُ، وَمَا كَانَ يَطِيبُ لَهَا لَمَّا فِي صَدْرِهَا مِنْ لَهِيْبٍ
 أَتَتْهَا، وَلَا تَمْشِي، ثَمَانُونَ لِحْيَةً جَمَاجِمُهَا مِنْ مُخْتَلَى وَمُفْلَتِي
 أَتَتْهَا - دُونَ أَنْ تَمْشِي - ثَمَانُونَ لِحْيَةً (ثَمَانُونَ رَأْسًا مَقْطُوعًا)، وَالْجَمَاجِمُ بَيْنَ مُخْتَلَى (مَقْطُوعٍ مِنْ
 الْعُنُقِ) وَمُفْلَقٍ (مُفْلُوقٍ مِنْ أَعْلَاهُ). فَنَحْنُ انْتَقَمْنَا لَهَا وَقَتَلْنَا كُلَّ هَؤُلَاءِ

وَذَاتِ حَلِيلٍ أَنْكَحْتُنَا رَمَاحُنَا حَلَالًا لِمَنْ يَبْنِي بِهَا لَمْ تُطْلَقِ
 وَرَبِّ امْرَأَةٍ ذَاتِ حَلِيلٍ (زَوْجٍ) زَوَّجْتُنَا بِهَا رَمَاحُنَا، إِذْ أَخَذْنَاهَا سَيِّئَةً فِي الْحَرْبِ، وَهِيَ حَلَالٌ لِمَنْ
 يَبْنِي بِهَا (يَتَزَوَّجُهَا الَّذِي سَبَّاهَا أَوْ كَانَتْ مِنْ نَصِيْبِهِ) دُونَ أَنْ يَطْلُقَهَا زَوْجَهَا

وَكَانَتْ أَثَافِي قَدَرْنَا رَأْسَ بَغْلِيْهَا وَعَمِيْهِ، فِي أَبْدٍ سَقَطْنَ وَأَسُوقِ
 وَقَبْلَ أَنْ نَسِيْهَا كُنَّا نَقْتُلُنَا زَوْجَهَا وَعَمِيْنَ مِنْ أَعْمَامِهِ وَجَعَلْنَا رُؤُوسَهُمْ أَثَافِي (حِجَارَةَ الْقَدْرِ)، هَذَا
 إِضَافَةٌ إِلَى أَبْدٍ وَسِيْقَانِ مَقْطُوعَةٍ

٦٢ الفرزدق في يوم القيامة

إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ عَنِيفٌ، وَسَوَاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا
 الْفَرْقُ بَيْنَ الْقَائِدِ وَالسَّائِقِ أَنَّ الْقَائِدَ يَقُودُ الْمَرْءَ وَهُوَ مَاشٍ أَمَامَهُ، وَالسَّائِقُ يَسُوقُهُ وَهُوَ خَلْفَهُ، وَلَآنَ
 الْفَرَزْدَقُ لَمْ يَشْهَدْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ فَهْوَ يَضَعُ الْإِحْتِمَالَيْنِ

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِي أَشَدُّ مِنَ الْقَبْرِ الْجَهَنَّمَ وَأَضْيَقَا
 أَخَافُ بَعْدَ أَنْ أَصِيرَ إِلَى الْقَبْرِ - إِنْ لَمْ يَعْفُ اللَّهُ عَنِّي - عَذَابًا هُوَ أَشَدُّ مِنْ ضَيْقِ الْقَبْرِ
 إِذَا شَرِبُوا فِيهَا الصَّدِيدَ رَأَيْتَهُمْ يَذُوبُونَ مِنْ حَرِّ الصَّدِيدِ تَمَرُّقًا
 فِي الْجَحِيمِ يَشْرَبُونَ الصَّدِيدَ (الْقَيْحَ) وَتَذُوبُ أَجْسَامُهُمْ مِنْ حَرَارَتِهِ وَتَتَمَزَّقُ

٦٣ الباهلي والباهلية

مَا الْبَاهِلِيُّ بِصَادِقٍ لَكَ وَعَدَهُ وَمَتَى تَعِدُكَ الْبَاهِلِيَّةُ تَضُدُّقِي
 لَا يَفِي الْبَاهِلِيُّ بِوَعْدِهِ، وَلَكِنَّ الْبَاهِلِيَّةَ تَفِي، أَيُّ أَنَّهَا غَيْرُ عَفِيفَةٍ

٦٤ منتهى الخوف

إِذَا ذَكَرْتَ نَفْسِي زِيَادًا تَكَمَّشْتُ مِنْ الْخَوْفِ أَحْشَانِي، وَشَابَتْ مَفَارِقِي
 إِذَا مَرَّ بِبَالِي زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ، وَكَانَ يَطْلُبُ الْفَرَزْدَقَ كَيْ يَعْاقِبَهُ، فَإِنَّ أَمْعَانِي تَتَكَمَّشُ (تَتَقَبَّضُ)
 وَيَشِيبُ رَأْسِي خَوْفًا

٦٥ عمائم البطارق

قال في الزعل بن عروة الجرمي:

حَبَاكَ بِوُدِّي يَا ابْنَ عُرْوَةَ قَاسِمُ الـ حُطُوطِ وَرَبُّ عَالِمٍ بِالْخَلَائِقِ
حباك بودي (منحك محبتي) قاسم الحطوط، وهو الرب الذي يعرف أخلاق الناس

حَبَوْتُ بِهَا الْجَرْمِيَّ، إِنِّي وَجَدْتُهُ مِنْ الْأُسْرَةِ الْحَامِيْنَ عِنْدَ الْحَقَاتِقِ
حبوت بهذه القصيدة الجرمي فقد وجدته من أسيرة تحمي وتدافع عند الحقاتق
(مواقف الحفاظ على الشرف)

على عهد ذي القرنين كانت سُيُوفُهُمْ عَمَائِمَ هَامَاتِ الْمُلُوكِ الْبَطَارِقِ
هم شجعان. ومن عهد ذي القرنين (الإسكندر) وسيوفهم تضرب هامات (رؤوس) الملوك البطارق
(رؤساء الروم)، فكان السيوف عمائم لتلك الرؤوس

٦٦ إقرار بالفضل

يمدح أسد بن عبد الله:

وَلَا فَضْلَ - إِلَّا فَضْلُ أُمِّ عَلَى ابْنِهَا - كَفَضْلِ أَبِي الْأَشْبَالِ عِنْدَ الْفَرَزْدَقِ
فضل أبي الأشبال (لقب الممدوح) على الفرزدق أعظم فضل ولا أستثني سوى فضل
الأم على ابنها

تَدَارَكْنِي مِنْ هُوَّةٍ كَانَ قَعْرُهَا ثَمَانِينَ بَاعاً لِلطَّوِيلِ الْعَشْنَقِ
تداركني (أنقذني) من هوة (حفرة، أو هاوية) عمقها ثمانون باعاً من أبواع رجل عشق (طويل).
والباع مقدار ما بين أصابع اليدين مع مد الذراعين على الجانبين، وباع الرجل الطويل أكبر من
باع القصير

٦٧ استحالة الاستبالة

فَإِنْ امْرَأً يَسْمَعُ يُخَبِّبُ زَوْجَتِي كَسَاعٍ إِلَى أَسَدٍ الشَّرِّ يَسْتَبِيلُهَا

كانت زوجة الفرزدق «النوار» ناشراً، تطالبه بالطلاق باستمرار، وهو يتوهم أن
الناس يحرضونها عليه. يقول: إن من يخبيب زوجتي (يحرضها) إنما هو كالساعي
إلى الأسود في مريضها بمنطقة الشرى يريد أن يستبيلها (يأخذ بولها). كانت
العرب تسعى للإبل تأخذ بولها للتداوي به، ولم يكن سهلاً استبالة البعير، فهو
ينفر ممن يحمل علبه يريد أن يجمع بها بوله أو هو يمتنع عن التبول، فما بالك
بمن يريد أخذ بول الأسد؟

٦٨ موت الندى

قال يرثي أباه غالباً:

وقد حَمَدَتْ نارُ النَّدَى بعد غالبٍ وقَصَّرَ عن معروفه كلُّ فاعلٍ
بعد غالب خمدت النار التي يوقدونها ليراها الأضياف، والندى هو السخاء، وقصر الناس في المعروف

فَلَيْتَ الْمَنَايَا كُنَّ مُوْتَنَ قَبْلَهُ وعاشَ ابنُ ليلَى للنَّدَى والأراملِ
ليت الموت كان مات قبل ابن ليلى (غالب)، وليت غالباً عاش للندى (للسخاء)، ونجدة الأرامل

٦٩ بنت العز

لا تَوَقِدُ النَّارَ إِلَّا أَنْ تُثَقِّبَهَا بِالْعُودِ فِي مِفْضَلِ الْحَزْنَةِ الْعَالِي
هذه الفتاة لا توقد النار للطبخ أو الاصطلاء، فهي ابنة عز، إنما تثقب النار (توقدها) بعود البخور
كي تطيب، وتكون لابسة مفضلاً (قميص نوم) من الخز (الحرير) العالي

وَالطِّيبُ يَزْدَادُ طِيباً أَنْ يَكُونَ بِهَا، وَإِنْ تَدَعُهُ تَدَعُهُ غَيْرَ مِثْقَالٍ
الطيب يزيد طيباً على جسمها، وإن تركت الطيب فهي تتركه ولا تكون متضالاً (ردينة الرائحة)

٧٠ قلنا وقال

بمدح سعيد بن العاص الأموي:

أَرِقْتُ فَلَمْ أَنْمَ لَيْلاً طَوِيلاً أَرَأَيْتَ هَلْ أَرَى النَّسْرَيْنِ زَالَا
أرقت وظللت أراقب اختفاء النسرين (وهما نجمان) بحلول الصباح

وَكَانَ قِرَى الْهُمُومِ إِذَا اغْتَرْتَنِي زَمَاعاً لَا أُرِيدُ بِهِ بِدَالَا
وعندما تعتريني الهموم فإنني أقدم لها من القرى (طعام الضيف) الزماع (العزم) الذي لا أريد التخلي
عنه. فهو إذا استضاف الهموم واجهها بعزمته، ولم يضعف أمامها

فَرَوَّحْتُ الْقُلُوصَ إِلَى سَعِيدٍ إِذَا مَا الشَّاةُ فِي الْأَرْطَاةِ قَالَا
روحت القلوص (مضيت بالناقة) إلى سعيد بن العاص، في وقت الظهيرة عندما يقيل (يغفو غفوة
الظهيرة) الشاة (الثور الوحشي) في الأرطاة (بين أشجار الأرتلى)

إِلَيْكَ فَرَزْتُ مِنْكَ وَمِنْ زِيَادٍ وَلَمْ أَحْسَبْ دَمِي لَكُمْ حَلَالَا
فررت إليك يا سعيد هارباً منك ومن زياد، ودمي ليس حلالاً لكم. وكان الفرزدق يتهاجى مع
الشعراء ومنهم من كان من مداحي زياد بن أبيه، فطلبه زياد فهرب من العراق إلى المدينة المنورة
ملتجئاً إلى واليها سعيد بن العاص، وكان خائفاً من أن يعاقبه سعيد، لكنه حماه

ولَكِنِّي هَجَوْتُ، وقد هَجَنْتِي مَعَاثِرُ قَدْ رَضَخْتُ لَهُمْ سَجَالَا
هَجوت وهَجيت، ورضخت (شججت) رؤوس الشعراء، وصبيت لهم سجالاً (دلاء) من الهجاء
على رؤوسهم.. هكذا أراد الفرزدق أن يقول، وضاق عن قوله البيت

فَإِنْ يَكُنِ الْهَجَاءُ أَحْلَ قَتْلِي فَقَدْ قُلْنَا لِشَاعِرِكُمْ وَقَالَا
علام يجعل الهجاء قتل حلالاً؟ لقد هجوناً وهجينا، وانتهى الأمر. وعلى قول الجاحظ في البخلاء:
«فيكون كلام بكلام، فأما كلام بفعال... فهذا ليس من الإنصاف، وهذا يخرج علينا فضلاً كبيراً»

تَرَى الشَّمَّ الْجَحَاجِجَ مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْحَدَثَانِ عَالَا..
تري الشم (رافعي الأنوف) الججاج (السادة) من قريش.. إذا عال الأمر (اشتد البلاء) في
الحدثان (في الموقف العصيب) ..

قِيَاماً يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ بِهِ هِلَالَا
.. تراهم قياماً (واقفين) ينظرون إلى سعيد طالين النجدة، كقوم واقفين ووجوههم نحو السماء
يبحثون فيها عن هلال العيد

٧١ حَمَالُ اللُّؤْمِ

يهجو جندل ابن الراعي النميري:

أَلَمْ أَرَمْ عَنْكُمْ، إِذْ عَجَزْتُمْ، عَدُوَّكُمْ بِجَنْدَلَنِي حَتَّى تَكْسَرَ بَازِلُهُ
ألم أرم عدوكم، دفاعاً عنكم عندما عجزتم، بجندلتي (بصخرتي) حتى تحطم بازله (سنه)؟.. أي
أنني كسرت أسنان أعدائكم بقصائدي

إِذَا غَلَبَ اللَّؤْمُ أَمْرًا أَنْ يُطِيقَهُ فَإِنَّ ابْنَ رَاعِيِ الْإِبِلِ عَنْهُ لَحَامِلُهُ
إذا لم يستطع أحد أن يحمل اللؤم والخسة والذناء، فلا مشكلة، فابن الشاعر «راعي الإبل
النميري» يستطيع حمل كل هذا اللؤم

تُزَايِلُ نَفْسُ الْعَامِرِيِّ حَيَاتَهُ فَيَبْلَى، وَيَبْأَى لَوْمُهُ لَا يُزَايِلُهُ
يموت العامري ويبلو جسده في التراب، واللؤم لا يزايله (يتركه)

٧٢ إِلَى أَبْطَالِ ذِي قَارِ

يمدح عبد الله بن عبد الأعلى الشيباني:

فَلَسْتُ، وَإِنْ كَانَتْ ذُوَابَةُ دَارِمٍ نَمَتْنِي إِلَى قُدْمُوسٍ مَجْدٍ حُلَاحِلٍ..
لست - حتى وإن كانت ذوابة قبيلة دارم (أعلاها، قمتها) قد نمتي (نسبتي) إلى قديموس مجد
حلالح (مجد قديم ضخم)

وَأَنْ حَلَّ بَيْتِي مِنْ سَمَاءٍ مُجَاشِعٍ بِمَنْزَلَةٍ فَاتَتْ يَدَ الْمُتَنَاولِ .

وحتى إن حل بيتي في سماء قبيلة مجاشع، تلك المنزلة التي لا ينالها أحد .

بِنَاسٍ لِبَكْرِ حُسْنٍ صُنِعَ أَخِيهِمْ إِلَيَّ لَدَى الْخِذْلَانِ مِنْ كُلِّ خَاذِلٍ

مع كل ذلك فليست ناسياً معروفاً أخي بكر (ابن قبيلة بكر) إليّ عندما خذلني الآخرون

كَفَانَا أُمُوراً لَمْ يَكُنْ لِيُطِيقَهَا مِنْ الْقَوْمِ إِلَّا كَامِلٌ وَابْنُ كَامِلٍ

كفانا هذا الرجل، عبد الله الشيباني، وشيبان من قبائل بكر، أموراً عظيمة لا يطيقها إلا الكامل من الرجال ابن الكامل

سَتَأْتِيكَ مِنِّي، إِنْ بَقِيتُ، قَصَائِدٌ يُقْصَرُ عَنْ تَحْبِيرِهَا كُلُّ قَائِلٍ

سأمدحك، إن حييت، بقصائد يقصر عن تحبير وتنميق مثلها كل الشعراء

فَضَلْتُمْ بَنِي شَيْبَانَ فَضْلاً وَسُودَدَا كَمَا فَضَلْتَ شَيْبَانَ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ

أنتم خير بني شيبان فضلاً وسيادة، وشيبان خير قبائل بكر وائل

وَقَدْ فَضَلْتَ بَكْرَ رَبِيعَةَ كُلِّهَا بِفِعْلِ الْعُلَى وَالْمَكْرُمَاتِ الْأَوَائِلِ

وبكر خير قبائل ربيعة، لما لها من المكرمات الأوائل (المجد التالذ القديم)

حَمَيْتُمْ مَعَدًّا يَوْمَ كَسَرَى بْنِ هُرْمُزٍ بِضَرْبَةِ فَضْلِ قَوْمَتْ كُلِّ مَائِلٍ

حميتم يا شيبان كل قبائل معد (قبائل عرب الشمال جميعاً: مضر وربيعة) يوم تصديتكم لكسرى بضربة فاصلة، قومت كل مائل (ردعت كل معتد)

غَلَبْتُمْ بِذِي قَارٍ، فَمَا أَنْفَكَ أَمْرُهَا إِلَى الْيَوْمِ أَمَرَ الْخَاشِعِ الْمُتَضَائِلِ

كان ذلك يوم النصر على الفرس في ذي قار، وظل أمر الفرس حتى اليوم أمر الخاضع المتضائل (المنكمش)

فَسَمْتُمْ هَوَانَ الذَّلِّ أَحْرَارَ فَارِسٍ وَلَمْ تَخَفْ فِيهِمْ غَامِضَاتُ الْمَقَاتِلِ

سمتم (ألحقتم) أحرار فارس الذل، ولم تغب عنكم مواضع المقتل منهم. و«الأحرار» لقب أطلقه العرب على الفرس، وسموهم أيضاً «الأبناء»، فقد كان في الجزيرة فرس من أبناء الفرس الذين غزوا اليمن قبل الإسلام وكانت لهم مع الأحباش وقائع، وقد أسلم هؤلاء مع من أسلم باكراً بغير غزو فلم يكونوا موالى بل أحراراً

وَهَابَكُمْ ذُو الضُّغْنِ حِينَ وَطِئْتُمْ رِقَابَ الْأَعَادِي وَطَأَةً الْمُتَشَاوِلِ

وهابكم ذو الضغن (الحاقد) عندما دستم رقاب الأعداء وثقلت وطأتكم عليهم

٧٣ قانع الرشوة

إِذَا وَعَدَ الْحِجَاجُ أَوْ هَمَّ أَسْقَطْتُ مخافته ما في بطونِ الحَوَامِلِ
إذا وعد (توعد، وهدد) الحجاج أو همَّ بالبطش، أسقطت مخافة بطشه ما في بطون الحوامل
من أجنَّة

وَكُنَّا بِأَرْضِ يَا ابْنَ يُوسُفَ لَمْ يَكُنْ يُبَالِي بِهَا مَا يَرْتَشِي كُلُّ عَامِلٍ
كنا نعيش في أرض العراق، أيها الحجاج بن يوسف، ولم يكن العامل (الوالي) فيها يبالي
بالأمانة، فتراه يرتشي بسهولة

يَرَوْنَ إِذَا الْخَضَمَانِ جَاءَا إِلَيْهِمْ أَحَقَّهُمَا بِالْحَقِّ أَهْلَ الْجَعَائِلِ
كان العمال يرون أن أحق الخصمين بأن يحكموا له من يقدم الجعائل (أموال الرشوة)، وجاء
الحجاج فأنهى الرشوة

٧٤ وصف الجرح

قَالَ، وَفَكَ قَيْدَهُ، الَّذِي قَيْدَ بِهِ نَفْسَهُ كَيْ يَحْفَظَ الْقُرْآنَ، لِبَحَامِي عَنْ نِسَاءِ عَشِيرَتِهِ:
لَعَمْرِي، لَشَنْ قَيْدْتُ نَفْسِي لَطَالَمَا سَعَيْتُ وَأَوْضَعْتُ الْمِطْيَةَ لِلْجَهْلِ
إن كنت قد قيدت نفسي ب قيد وحلفت لا أفكه حتى أفقه القرآن، فإني طالما سعيت وأوضعت
(حشنت) الميطية (الدابة) في طلب الجهل (الرعونة)

ثَلَاثِينَ عَاماً مَا أَرَى مِنْ عَمَايَةٍ إِذَا بَرَقَتْ إِلَّا شَدِدْتُ لَهَا رَحْلِي
أمضيت ثلاثين عاماً لا أرى عماية (غيمة) يومض في جوانبها البرق إلا أسرعت نحوها بناقتي
ورحلي (متاعي الذي فوق الناقة)، لا أرى فرصة لاقتناص الملذات إلا جريت خلفها

أَتَتْنِي أَحَادِيثُ الْبَعِيثِ وَدُونَهُ زَرُودُ فَمَاسَاتُ الشَّقِيقِ إِلَى الرَّمْلِ
ثم بعد هذا الضلال أتتني أحاديث البعيث وشمته لنساء قبيلتي، وهو في مكانه بعد «زرود» وتلك
المناطق الأخرى

فَلِإِنْ يَكُ قَيْدِي كَانَ نَذْراً نَذَرْتُهُ فَمَا بِي عَنْ أَحْسَابِ قَوْمِي مِنْ شُغْلٍ
لئن كان تقييدي لنفسي نذراً ألزمت نفسي به، فإني لن أنشغل عن الدفاع عن أحساب
قومي (شرفهم)

أَنَا الضَّامِنُ الرَّاعِي عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي
أنا من يضمن حفظ شرفهم ويرعاهم ويدافع عنهم

ولولا حَيَاءٌ زِدْتُ رَأْسَكَ هَزْمَةً إِذَا سُبِرَتْ ظَلَّتْ جَوَانِبُهَا تَغْلِي
لولا الحياء لزدت رأسك هزمة (شجة) عميقة إذا سبرت (قيس عمقها) ظلت تغور بالدم
كانها تغلي

بَعِيدُهُ أَطْرَافُ الصُّدُوعِ كَأَنَّهَا رَكِيَّةٌ لُقْمَانِ الشَّبِيهَةُ بِالذَّخْلِ
الشجة في رأسك واسعة وأطرافها بعيدة فكانها ركية لقمان (الركية البثر غير المحاطة بالحجارة
فقمها واسع) الشبيهة بالدحل (الحفرة الواسعة في بيت الأعرابي تستتر فيها المرأة)

إِذَا نَظَرَ الْآسُونَ فِيهَا تَقَلَّبَتْ حَمَالِقُهُمْ مِنْ هَوْلِ أَنْيَابِهَا الثُّغْلِ
إذا نظر الآسون (الأطباء) في هذا الجرح العميق تقلبت حماليقهم (عيونهم)
ربحاً لما يرون من شذرات لحم خارجة من أطراف الجرح ومتراكبة كأنها
الأسنان الثعل (المتراكبة)

إِذَا مَا رَأَتْهَا الشَّمْسُ ظَلَّ طَبِيبُهَا كَمَنْ مَاتَ حَتَّى اللَّيْلِ مُخْتَلَسَ الْعَقْلِ
إذا برزت هذه الشجة، الجرح، للشمس رآها الطبيب واضحة فأغمي عليه، وظل مسلوب العقل لا
يلدري ما يصنع

يَوَدُّ لَكَ الْأَذْنُونَ لَوْ مِتَّ قَبْلَهَا يَرَوْنَ بِهَا شَرًّا عَلَيْكَ مِنَ الْقَتْلِ
يود لك الأذنون (الأقربون) لو مت قبل هذه الضربة، فهي أشد من القتل

تَرَى فِي نَوَاحِيهَا الْفِرَاحَ كَأَنَّمَا جَثْمَنَ حَوَالِي أُمِّ أَرْبَعَةِ طُحْلِ
ترى في جوانب الضربة اللحم كأنه فراح جثمن (أقعين) حوالي دجاجة لها أربعة أفراخ طحل
(لونهن مسود). كان الدم جف على الجرح واسود

شَرْنَبُثَةٌ شَمَطَاءٌ، مَنْ يَرَهَا بِهَا تُشْبَهُ وَلَوْ بَيْنَ الْخُمَاسِيِّ وَالطُّفْلِ
هذه الضربة شرنبثة (غليظة) شمطاء (اختلط سواد الدم فيها بياض اللحم) والناظر إليها يشب حتى
لو كان ابن خمس سنين

إِذَا مَا سَقَوْهَا السَّمْنَ أَقْبَلَ وَجْهَهَا بَعَيْنَيَّ عَجُوزٍ مِنْ عُرَيْنَةٍ أَوْ عُكْلٍ
ويسقون الجرح الغائر بالسمن فترى السمن يلعب في وسطه وحواليه الدم المسود، فكان الجرح عين
عجوز من عجائز قبيلة عرينة أو عكل ..

جُنَادِفَةٌ سَجْرَاءُ تَأْخُذُ عَيْنُهَا إِذَا اِتَّحَلَّتْ نِصْفَ الْقَفِيرِ مِنَ الْكُحْلِ
هذه العجوز جنادفة (قصيرة) سجراء (حمراء) تضع في عينيها نصف قفيز (كيل كبير)
من الكحل

٧٥ المعجم المخول

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

إن الله الذي سمك (رفع) السماء، قد بنى لنا بيتاً (خيمة) دعائمه (أعمدته) عزيزة وطويلة. وكانت الخيمة العالية رمزاً للعز والقوة.. على أنه كان للفرزدق وقومه في البصرة، وربما أيضاً في كاظمة أي الكويت الحالية، بيوت من خشب ولبن، وكان الوالي في إحدى السنين هدم للفرزدق بيته بسبب تعرضه للناس بالهجاء. لعل الفرزدق هنا يقصد أن دعائم بيته أعز وأطول من السماء، لكنه في الغالب يقصد بأنها عزيزة وقوية فحسب. وكلمة «بيت» فسرناها على المعنى القريب، ولكن الشاعر يقصد بها أيضاً: العشيرة، فمثلما يسألك أهل الشام اليوم: أنت من بيت من؟ يعنون من عائلة ماذا؟ كانت العرب تعني بالبيت العائلة

بَيْتاً بَنَاهُ لَنَا الْمَلِكُ، وَمَا بَنَى حَكَمُ السَّمَاءِ فَإِنَّهُ لَا يُنْقَلُ

بيتنا هذا بناه الله، وما بنى الله لا انتقال له

بَيْتاً زُرَّارَةً مُحْتَبٍ بِفَنَائِهِ وَمُجَاشِئٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ

وفي فناء البيت ترى زرارة محتباً (قاعداً) وقد جمع ظهره وركبته بشال، وترى مجاشع ونهشل، وكل هؤلاء من سادة تميم

يَلْجُونَ بَيْتَ مُجَاشِئٍ، وَإِذَا اخْتَبَوْا بَرَزُوا كَأَنَّهُمُ الْجِبَالُ الْمُثَلُّ

يدخلون بيت مجاشع، فإذا ما احتبوا كانوا كالجبال المثل (الشاخصة)

الْأَكْثَرُونَ إِذَا يُعَدُّ حَصَاهُمْ وَالْأَكْثَرُمُونَ إِذَا يُعَدُّ الْأَوَّلُ

نحن الأكثرون إذا يعد حصاهم (عددهم) ونحن الأكرمون إذا يعد الأول (السابقون، وأولنا: معناها «أجدادنا الكرام»)

ضَرَبَتْ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتُ بِنَسِجِهَا وَقَضَى عَلَيْكَ بِهَا الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ

أما أنت يا جرير فبتك بيت العنكبوت، وبيت العنكبوت واهنٌ كما جاء في القرآن «وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت»

إِنَّ الرِّحَامَ لِعَمِيرِكُمْ، فَتَحَيَّنُوا وَرَدَّ الْعَشِيِّ، إِلَيْهِ يَخْلُو الْمَنْهَلُ

الزحام على حياض الماء للاستقاء لغيركم ممن يطيق مزاحمة الناس والفوز عليهم، فتحينوا أنتم (ترقبوا الفرصة) ورد العشي (ورود الماء مساء) عندما يخلو منهل الماء من الشاربين

حُلِّلَ الْمَلُوكُ لِبَاسُنَا فِي أَهْلِنَا وَالسَّابِغَاتُ إِلَى الْوَعَى نَتَسَرَّبِلُ

نلبس حلل (ثياب) الملوك في السلم بين أهلنا، وتسربل (نلبس) الدروع السابغات (الطويلة) إلى الوعى (الحرب)

أَخْلَامُنَا تَزِنُ الْجِبَالَ رِزَانَةً وَتَخَالُنَا جِنًّا إِذَا مَا نَجْهَلُ

أحلامنا (عقولنا) رزينة ثقيلة كالجبال، غير أنك تظننا من الجن نشاطاً وحيلة إذا جهلنا (غضبنا)

فَادْفَعْ بِكَفِّكَ إِنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنَا «ثَهْلَان» ذَا الْهَضْبَاتِ هَلْ يَتَحَلَّلُ

إن أردت نيل بنائنا ادفع بكفك جبل ثهلان ذا الهضبات، هل تراه يتحلل (يتزحزح)؟

وَأَنَا ابْنُ حَنْظَلَةَ الْأَعْرَى، وَإِنِّي فِي آلِ ضَبَّةَ لِلْمُعِجْمِ الْمُخَوَّلِ

أنا ابن حنظلة (أحد أجداده) الأعرى (المشهور المشرق الوجه)، وأنا في آل ضبة (أخوالي) معم مخول (ذو شرف من ناحية الأعمام والأخوال). والمرء عند أخواله يعتز بأعمامه، وعند أعمامه يعتز بأخواله. فإذا جاء المرء أخواله وكان أبوه من عائلة لثيمة شعر بأنهم لا يأبهون به، فالفرزدق يقول إنه في آل ضبة معم ومهم ..

فَرَعَانٍ قَدْ بَلَغَ السَّمَاءَ ذُرَاهُمَا وَإِلَيْهِمَا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ يُعْقَلُ

فرعان (أعمامي وأخوالي) بلغ السماء ذراهما (الذروة: القمة)، وإليهما يُعْقَلُ (يُلجأ)، فهما المعقل عند الخوف

يَا ابْنَ الْمَرَاغَةِ أَيْنَ خَالُكَ؟ إِنِّي خَالِي حُبَيْشُ ذُو الْفَعَالِ الْأَفْضَلُ

من خالك يا جرير؟ أما أنا فخالى حيش ذو الفعال (الأعمال المجيدة)

خَالِي الَّذِي غَضَبَ الْمُلُوكَ نَفُوسَهُمْ، وَإِلَيْهِ كَانَ حِبَاءُ جَفْنَةٍ يُنْقَلُ

خالى قتل الملوك، وكان ينال حباء (عطاء) آل جفنة ملوك الشام الغساسنة

إِنَّا لَنَضْرِبُ رَأْسَ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَأَبُوكَ خَلْفَ أَتَانِهِ يَتَقَمَّلُ

نحن نضرب بالسيف رأس أي قبيلة شتتا، وأما أبوك فقاعد خلف أتانِه (حمارته) ينزع القمل عن جسمه

وَشُغِلْتُ عَنْ حَسَبِ الْكِرَامِ وَمَا بَنَوْا إِنْ اللَّسِيمَ عَنِ الْمَكَارِمِ يُشْقَلُ

وأنت منشغل عن نسل أمجاد الكرام وما بنوا من مفاخر، وهذه حال اللسيم

وَهَبَ الْقَصَائِدَ لِي النَّوَابِغِ إِذْ مَضَوْا وَأَبُو يَزِيدَ وَذُو الْقُرُوحِ وَجَرُولُ

ورثت القصائد عن نوابغ الشعراء الماضين، ومنهم أبو يزيد (المخبل) وذو القروح (امرؤ القيس)، وجرول (الحطينة) ويسمى الفرزدق في أبيات بعد هذا البيت، لم نوردوها، شعراء كثيراً آخرين

لَيْسَ الْكِرَامُ بِنَاجِلِيكَ أَبَاهُمْ حَتَّى تُرَدَّ إِلَى عَطِيَّةٍ تُعْتَلُ

لا ينحلك (يعيرك) الكرام أباً كريماً .. إلا رأيت نفسك تعتل (تحمل حملاً شديداً) وتتسب إلى أهلك عطية

٧٦ عندما أكل الأسد جريراً

إِنِّي وَجَدْتُ بَنِي كُلَيْبٍ إِنَّمَا خُلِقُوا، وَأُمُكْ، مُذْ ثَلَاثَ لَيَالٍ
وَجَدْتُ بَنِي كُلَيْبٍ قَدْ خَلَقُوا - وَأَحْلَفْتُ بِأُمُكْ - مِنْذُ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَقَطْ، فَهَمْ غَيْرُ ذَوِي حِسْبٍ وَلَا نَسَبٍ

يُرْوِيهِمُ الثَّمَدُ الَّذِي لَوْ حَلَّهُ جُرَذَانِ مَا نَدَّاهُمَا بِسِلَالٍ
وَهُمْ قَلِيلُو الْعِدَدِ وَيُرْوِيهِمُ الثَّمَدُ (الماء القليل) الَّذِي لَوْ سَقَطَ فِيهَا جُرَذَانِ مَا نَدَّاهُمَا (بلهما) بِسِلَالٍ (بماء)

تَبْكِي الْمَرَاغَةَ بِالرَّغَامِ عَلَى ابْنِهَا وَالنَّاهِقَاتُ يَنْحَنُّنَ بِالْإِعْوَالِ
المراغة (الحمارة، وسمى الفرزدق أم جرير بهذا الاسم) ابنتها جرير بالرغام (وهي تحنو التراب على نفسها)، والناهقات (الأنثى/إناث الحمير) نائحات معولات (باكيات)

قَالُوا لَهَا: احْتَسِبِي جَرِيرًا، إِنَّهُ أَوْدَى الْهَزْبَرُ بِهِ أَبُو الْأَشْبَالِ
قيل لأُمك: احتسبي جرير (مات فليكن لك الأجر محسوباً على الصبر عليه)، فقد أودى به (قتله) الهزبر (الأسد)، يعني أنه قتل جريراً بالهجاء

قَدْ كُنْتُ لَوْ نَفَعَ النَّذِيرُ نَهَيْتُهُ أَلَّا يَكُونَ فَرِيَسَةً الرُّبَالِ
لو كان ينفع النذير (التحذير) لكنْتُ - يقول الفرزدق - نهيت جريراً أن يعرض نفسه فيكون فريسة الرُّبَالِ (الأسد)

٧٧ ميراث جرير

أَلَا إِنَّ مِيرَاثَ الْكُلَيْبِيِّ لَابْنِهِ إِذَا مَاتَ رَبَقًا ثَلَاثَةً وَحَبَائِلُهُ
ما تركه ابن قبيلة كليب لولده من ميراث ربقا (حبلاً) ثلثة (قطيع ماشية)

فَأَقْبِلْ عَلَى رَبْقِي أَبِيكَ، فَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا أَوْزَنَتْهُ أَوَائِلُهُ
فيا جرير يا ابن قبيلة كليب خذ ربيقي (حبلي) أبيك، ولكل امرئ ما أوزنته أوائله (أجداده)

فَإِنْ كُنْتَ تَرْجُو أَنْ تُوَازِنَ دَارِمًا فَرُمٌ حَصَنًا فَاَنْظُرْ مَتَى أَنْتَ نَاقِلُهُ
إن رجوت أن تقارن قومك بقبيلتي - دارم - فهذا كأنك تروم (تطلب) جبل حصن قاصداً أن تنقله من مكانه

وَأَرْسَلَ يَرْجُو ابْنُ الْمَرَاغَةِ صَلَحَنَا فَرَدَّ، وَلَمْ تَرْجَعْ بِنُجَحٍ رَسَائِلُهُ
أرسل إلي جرير يطلب الصلح، فردته خائباً ولم تل رسائله النجح (التوفيق)

وَقَالَتْ كُلَيْبٌ قَمَّشُوا لِأَخْيَكُمُ فَفِرُّوا بِهِ، إِنَّ الْفَرَزْدَقَ آكِلُهُ
قالت قبيلة كليب قمشوا لأخيكُم (اجمعوا له العون) لكي يفر حتى لا يأكله الفرزدق

فهل أَحَدٌ يا ابْنَ المَرَاةِ هَارِبٌ مِنَ المَوْتِ، إن المَوْتَ لا بُدَّ نَائِلُهُ
ولكن، يا ابن المراغة (ابن الحمارة، لقب جرير عند الفرزدق)، هل يهرب أحد من الموت؟
فإنِّي أنا المَوْتُ الذي هُوَ ذَاهِبٌ بِنَفْسِكَ، فانظر كيف أَنْتَ مُحَاوِلُهُ
أنا عليك مثل الموت، فأرني بالله كيف ستحاوله (تصرف معه)

أنا البدرُ يُغْشِي طَرْفَ عَيْنِكَ فَالتِمَسْ بِكَفِّكَ يا ابْنَ الكلبِ هل أَنْتَ نَائِلُهُ
أنا البدر يغشي (يغطي) بصرك بغشاوة لشدة لمعانه، فهل تستطيع أن تنال البدر بكفك؟

وقد مُنِيتَ مِنِّي كَلِيبٌ بِضَيْغَمٍ ثَقِيلٍ عَلَى الحُبْلَى جَرِيرٍ كَلَاكِلُهُ
منيت مني كليب بضیغم (أسد) ثقيلة كلاكله (صدوره) على جرير الشبيه بالمرأة الحبلى التي لا
تستطيع التصرف بسهولة

شَتِيمَ المُحَيَّا، لا يُخَايِلُ قِرْنَهُ ولكنه بالصَّخْصَحَانِ يُنَازِلُهُ
وأنا أسد شتيم المحيا (مكشر الوجه)، لا يخاتل قرنه (لا يخادع خصمه)، بل ينازله بالصخصحان
(أرض السهل)

هَزَبِرٍ هَرِيتِ الشَّدْقِ رِثَالِ عَابَةٍ إِذَا سَارَ عَزَّتُهُ يَدَاهُ وَكَاهِلُهُ
أنا هزبر (أسد) هريت الشدق (واسع الفم) رثال (أسد) في الغابة، إذا سار عزته (دعمته وقوته)
يداه وكاهله (ظهره)

٧٨ هذا ابن فاطمة

حج هشام بن عبد الملك وهو أمير شاب، وطاف بالبيت واجتهد أن يصل إلى
الحجر الأسود فأعياه، فجلس على كرسي، وحوله جماعة من أهل الشام. وأقبل زين
العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (حفيد الإمام علي) فتنحى الناس له،
وسار وسطهم حتى لمس الحجر الأسود. فقال هشام: من هذا؟ فقال الفرزدق هذه
القصيدة جواباً على سؤاله. وقالوا إن الفرزدق قال أبياتاً قليلة ثم زاد عليها الزائدون:

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ البَطْحَاءَ وَطَائَهُ وَالبَيْتَ يَعْرِفُهُ، وَالحِجْلُ وَالحَرَمُ

هذا من تعرف بطحاء مكة (أرضها السهلة التي تسكنها عليّة قريش) وطائهُ (خبطة قدمه)، ويعرفه
بيت الله، ويعرفه الحل (جوار مكة مما يحل فيه الصيد والقتال) والحرم (الكعبة حيث يحرم الصيد
والقتال)

هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ

هذا ابن الرسول (حفيدة) وهو علم (جبل) أي أنه مشهور

هَذَا ابْنُ قَاطِمَةٍ إِنْ كُنْتَ جَاهِلُهُ بَجْدُهُ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خُتِمُوا
وَلَيْسَ قَوْلُكَ «مَنْ هَذَا؟» بِضَائِرِهِ الْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ وَالْعَجَمُ
قَوْلُكَ «مَنْ هَذَا؟» لَا يَضِيرُهُ (لَا يَهْمُهُ)، فَالْعَرَبُ وَالْعَجَمُ تَعْرِفُهُ

مَا قَالَ «لَا» قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهِيدِهِ لَوْلَا التَّشْهيدُ كَانَتْ لَاءُهُ نَعَمُ
زَيْنُ الْعَابِدِينَ لَا يَقُولُ «لَا» أَبَدًا، إِلَّا فِي التَّشْهيدِ، دَعَاءُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَلَوْلَا التَّشْهيدُ كَانَتْ كُلُّ
لَاءٍ يَقُولُهَا «نَعَم». وَ«لَاءُهُ نَعَمُ» لِعِشَاقِ النِّحْوِ فِي مَحَلِّ نَصْبِ خَبَرِ كَانَ، وَاسْمُهَا مُحذُوفٌ تَقْدِيرُهُ
«الْقَضِيَّةُ»، وَتَحْتَمِلُ أَوْجُهًا أُخْرَى

إِذَا رَأَتْهُ فُرَيْشُنُ قَالَ قَائِلُهَا إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ
هُوَ أَصْلُ الْمَكَارِمِ

يُغْضِي حَيَاءً، وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
فِيهِ حَيَاءٌ فَهُوَ يَغْضِي (لَا يَرْفَعُ بَصَرَهُ)، وَفِيهِ مَهَابَةٌ فَالنَّاسُ يَغْضَوْنَ فِي حَضْرَتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُونَ أَمَامَهُ
إِلَّا إِذَا ابْتَسَمَ، لَشِدَّةِ هَيْئَتِهِ

بِكَفِّهِ خَيْرُزَانَ رِيحُهُ عَبِقَ مِنْ كَفِّ أَرْوَاحٍ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمُ
هَذِهِ عَصَا خَيْرِزَانَ ذَاتُ رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ تَمَسُّكُهَا كَفَّهُ، وَهِيَ كَفُّ هَذَا الْأَرْوَاحِ (الشَّجَاعِ) الَّذِي فِي عَرْنِينِهِ
(أَنْفِهِ) شَمَمٌ (ارْتِفَاعُ قِصْبَةِ الْأَنْفِ دَلَالَةٌ عَلَى نَبْلِ الْأَصْلِ)

يَكَادُ يُمَسِّكُهُ، عِرْقَانِ رَاحَتِهِ، رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
رُكْنُ الْحَطِيمِ (ذَلِكَ الْجِدَارُ فِي الْكَعْبَةِ) يَكَادُ يَمَسُّكَ بَزِينُ الْعَابِدِينَ وَيَقِيهِ عِنْدَهُ إِذْ يَمِيزُ شَخْصِيَّتَهُ مِنْ
لَمَسَةِ رَاحَةِ يَدِهِ عِنْدَمَا يَأْتِي لِيَسْتَلِمَ (يَلْمَسُ الرُّكْنَ)

اللَّهُ شَرَّفَهُ قَدَمًا وَعَظَّمَهُ جَرَى بِذَاكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ
اللَّهُ شَرَّفَهُ مِنْذُ الْقَدَمِ، وَهَذَا مَكْتُوبٌ فِي لَوْحِ أَعْمَالِهِ

أَيُّ الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ لِأَوَّلِيَّةِ هَذَا، أَوْ لَهُ، نَعَمُ
كُلُّ النَّاسِ فِي رِقَابِهِمْ نِعْمَةٌ (مَعْرُوفٌ) لِزَيْنِ الْعَابِدِينَ أَوْ لِأَوَّلِيَّتِهِ (لِأَجْدَادِهِ)
مَنْ يَشْكُرُ اللَّهَ يَشْكُرُ أَوَّلِيَّةَ ذَا فَالِدَيْنِ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمُّ
شَكَرَ اللَّهُ يَسْتَتِيعُ شُكْرَ أَوَّلِيَّةِ (أَجْدَادِ) زَيْنِ الْعَابِدِينَ، فَهُمْ أَصْلُ الدِّينِ

يَنْشَقُّ ثَوْبَ الدُّجَى عَنْ نَوْرِ عُرَّتِهِ كَالشَّمْسِ تَتَجَابَّ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلُمُ
نُورُ طَلْعَتِهِ الْبَهِيَّةِ يَشُقُّ ثَوْبَ الدُّجَى (الظَّلَامِ)، كَمَا تَتَجَابَّ (تَتَكَشَّفُ) الظُّلُمَةُ بِالشَّمْسِ

مِنْ مَعْشَرِ حُبُّهُمْ دِينٍ، وَيُغْضِيهِمْ كَفَرُ، وَقُرْبُهُمْ مَنَجَى وَمُعْتَصَمُ
وَهُوَ مِنْ قَوْمِ حَبِيبِهِ مِنَ الدِّينِ، وَيَغْضِيهِمْ كَفَرُ، وَقُرْبُهُمْ مُعْتَصِمٌ (مُلَجَأٌ) وَنَجَاةٌ مِنَ النَّارِ

مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ فِي كُلِّ بَدْءٍ وَمَخْنُومٌ بِهِ الْكَلِمُ

بعد ذكر الله يذكر المرء آل النبي، في بده الكلام وفي ختامه

إِنْ عُدَّ أَهْلُ الثَّقَى كَانُوا أَتَمَّتْهُمْ أَوْ قَبْلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ؟ قِيلَ: هُمْ

٧٩ ولداي السماكان

يرثي ابنين له:

أَرَى كُلَّ حَيٍّ لَا يَزَالُ طَلِبَةً الْمَنَايَا مِنْ فُرُوجِ الْمَخَارِمِ
كل حي يظل الموت طالماً عليه طلوفاً مفاجئاً من فروج (فتحات) المخارم (جروف الجبال،
السفوح الواقعة وقوفاً)

وَمَا أَحَدٌ كَانَ الْمَنَايَا وَرَاءَهُ، وَلَوْ عَاشَ أَيَّاماً طَوَالاً، بِسَالِمٍ
ولا يكون المرء، والمنايا تلاحقه وتجري وراءه، سالماً، حتى وإن عاش طويلاً

يُذَكِّرُنِي ابْنِي السَّمَكَانِ مَوْهِنًا إِذَا ارْتَفَعَا بَيْنَ النُّجُومِ التَّوَائِمِ
يذكرني بولدي السماكان (نجمان) إذ يطلعان موهناً (ليلاً) بين النجوم (وكثير منها توائم،
كالفرقدين إلخ)

فَقَدْ رُزِيَ الْأَقْوَامُ قَبْلِي بِإِبْنِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ فَأَفْنِي حَيَاءَ الْكَرَائِمِ
رزئ (أصيب) قبلي الناس بفقد الابن والأخ، فافني (احفظي) حياءك يا امرأة كالنساء الكرائم
(ذوات الحسب) ولا تكثري من النوح

فَمَا ابْنَاكَ إِلَّا ابْنٌ مِنَ النَّاسِ، فَاصْبِرِي فَلَنْ يَرْجِعَ الْمَوْتَى حَنِينُ الْمَاتِمِ
اصبري فابنك كإبناء الناس، وحنين الماتم (نواح النساء) لا يرجع الموتى، أي لا يعيدهم

٨٠ حملتهم على الجمر

وَكَمْ مِنْ أَسِيرٍ قَدْ فَكَّكْنَا، وَمِنْ دَمٍ حَمَلْنَا، إِذَا مَا ضَجَّ بِالثَّقَلِ غَارِمُهُ

ما أكثر ما فككنا من أسرى، وما حملنا من دم (بدفع الديات) عندما يضحج (يحناز ويشكو ويعلل
بالأمر. هذه اليعل هي خير ما جاءني، واحمد ربك أن لم أضعها كلمة أولى في التفسير) الغارم
(المدين الذي عليه دفع الدية) بثقل الحمل

وَكُنْتُ إِذَا عَادَيْتُ قَوْمًا حَمَلْتُهُمْ عَلَى الْجَمْرِ حَتَّى يَحْسِمَ الدَّاءُ حَاسِمُهُ

إذا عاديت قوماً أوجعتهم بعدائي حتى يحسم الأمر وتنتهي العداوة ببلي حقي، أو بتمام ظلمي لهم

٨١ هجاء إبليس

أَطَعْتُكَ يَا إِبْلِيسُ سَبْعِينَ حِجَّةً فَلَمَّا انْتَهَى شَيْبِي، وَتَمَّ تَمَامِي ..
أطعتك يا إبليس سبعين حجة (سنة) فلما اكتمل شيبى ووصلت أتم العمر ..

فَرَزْتُ إِلَى رَبِّي، وَأَيَقَنْتُ أَنَّنِي مُلَاقٍ لِأَيَّامِ الْمَنُونِ حِمَامِي ..
فررت إلى طاعة الله موقناً أنني سألاقي الموت قريباً

أَلَا طَالَ مَا قَدْ بَتُّ بِوَضِيعٍ نَاقَتِي أَبُو الْجَنِّ إِبْلِيسُ بِغَيْرِ خَطَامٍ
كثيراً ما كان إبليس يُوضِعُ (يحث) ناقتي ويسير بها على هواه وهي تائهة بلا خطام (مفقد)

بَظُلٍّ يُمَنِّبُنِي عَلَى الرَّحْلِ وَارِكاً يَكُونُ وَرَائِي مَرَّةً وَأَمَامِي
يجلس لي على رحل الناقة (سرجها) مائلاً على وركه، أراه يكون ورائي حيناً وأمامي حيناً

يُبَشِّرُنِي أَنْ لَنْ أَمُوتَ، وَأَنَّهُ سَيُخَلِّدُنِي فِي جَنَّةٍ وَسَلَامٍ
فقلتُ له: هَلَّا أَخْبَيْكَ أَخْرَجْتَ بِمِثْنِكَ مِنْ خُضْرِ الْبَحْرِ طَوَامٍ
قلتُ له: هَلَّا أَخْرَجْتَ أَخَاكَ فَرَعُونَ عِنْدَمَا غَرِقَ فِي لُجَةِ الْبَحْرِ الْخَضِرَاءِ (السوداء) الطامية
(المفعمة بالماء)؟

فَلَمَّا تَلَاقَى فَوْقَهُ الْمَوْجُ طَامِياً نَكَّصْتُ، وَلَمْ تَحْتَلْ لَهُ بِمَرَامٍ
لما اجتمع على فرعون الموج وغرق، نكصت يا إبليس (انكفأت راجعاً) ولم تحتل له (تجد حيلة)
بمرام (بمخرج)

وَمَا أَنْتَ يَا إِبْلِيسُ بِالْمَرْءِ ابْتَغِي رِضَاءَهُ، وَلَا يَفْتَادُنِي بِزِمَامٍ
لست بالمرء الذي ابتغي رضاه، ولا الذي أسمح له أن يقتادني بمقود

٨٢ وصف قصيدة

لَقَدْ كَافَحْتُ مِنيَّ الْعِرَاقَ قَصِيدَةً رَجُومٌ مَعَ الْمَاضِي زُؤُوسَ الْمَخَارِمِ
كافحت (أرهمت) العراق قصيدة قلتها وهي رجوم (ترجم) المخارم (جروف الجبال) إذ يمضي
الرواة بها يحملونها من مكان إلى مكان

خَفِيفَةً أَفْوَاهِ الرِّوَاةِ، ثَقِيلَةً عَلَى قَرْنِهَا، نَزَالَةً بِالْمَوَاسِمِ
وهي خفيفة في أفواه الرواة يستعذبون إنشادها، ولكنها ثقيلة على قرنها (خصمها)، ونزالة بالمواسم
(تنزل هذه القصيدة في المحافل وتُنشد)

٨٣ بني وبين الجحيم

يهجو باهلة:

أَلَا كَيْفَ الْبَقَاءُ لِبَاهِلِيٍّ هَوَى بَيْنَ الْفِرْزَدِقِ وَالْجَحِيمِ
مُسْكِنِ الْبَاهِلِيِّ . . كَيْفَ لَهُ أَنْ يَحْيَا وَقَدْ وَقَعَ بَيْنَ الْفِرْزَدِقِ وَبَيْنَ الْجَحِيمِ . . فَهُوَ كَافِرٌ مُصِيرُهُ نَارُ
الْآخِرَةِ، وَفِي الدُّنْيَا لَهُ نَارُ الْفِرْزَدِقِ

فَمَنْ يَكُ تَارِكاً، مَا كَانَ، شَيْئاً، فَلَانِّي لَا أَضِيحُ بَنِي تَمِيمٍ
مَنْ تَرَكَ شَيْئاً - كَانَتْ مَا كَانَ هَذَا الشَّيْءُ - فَلَانِّي لَا أَضِيحُ (أَتَخْلِي عَنْ) بَنِي تَمِيمٍ

٨٤ هجاء البيروقراطي

قال في أبي عبيدة، وهو مولى لمخزوم كان مع عمر بن عبد العزيز وهو وال، وعطل
حاجة للفرزدق:

أَمَرَ الْأَمِيرُ بِحَاجَتِي وَقَضَائِهَا وَأَبُو عُبَيْدَةَ عِنْدَنَا مَذْمُومٌ
أَبَتْ الْمَوَالِي أَنْ تَكُونَ صَمِيمَةً، وَنَفَثَكَ عَنْ أَحْسَابِهَا مَخْزُومٌ
حتى الموالي (غير العرب، الملحقين إلحاقاً بالقبيلة العربية) يرفضون أن يكون أبو عبيدة من
صميمهم (وسطهم)، ومخزوم قبل ذلك نفثك (أبعدتك) عن نسبها

٨٥ أنا والعذاب وهوأك

يَا أُخْتَ نَاجِيَةٍ بِنِ سَامَةَ إِنَّنِي أَخْشَى عَلَيْكَ بَنِيَّ إِنْ طَلَبُوا دَمِي
أيها المحبوبة من بني «ناجية بن سامة» ستقتليني، وسيطلب أبنائي دمي (يسعون في الثأر)
لَنْ يَقْبَلُوا دِيَّةً، وَلَيْسُوا - أَوْ يَرَوْا - مِنِّي الْوَفَاءَ، وَلَنْ يَرَوْهُ - بِنُومٌ
ولن يقبلوا دية، وليسوا ناثمين عن طلب الثأر، إلا أن يروا مني الوفاء (يقتلوا من يفي بي،
يساوني في الشرف) ولا يوجد من يساوني شرفاً

وَلَقَدْ ضَنْيْتُ مِنَ النِّسَاءِ، وَلَا أَرَى كَضَنْيَ بِنَفْسِي مِنْكَ أُمُّ الْهَيْثِمِ
أرهقتني النساء، وأنت أرهقتني أكثر من غيرك

كَيْفَ السَّلَامَةُ بَعْدَمَا تَيَمَّمْتَنِي وَتَرَكْتَ قَلْبِي مِثْلَ قَلْبِ الْأَيْهَمِ
تيممتي: خلعت عقلي، الأيهم: اللاسع، الملتاث، المجنون

هَلْ تَذْكُرِينَ إِذِ الرِّكَابُ مُنَاخَةٌ بِرِجَالِهَا لِزَوَاجِ أَهْلِ الْمَوْسِمِ

هل تذكرين إذ الركاب (الإبل) مناخة (جائمة) والرجال حولها يستعدون للزواج (المغادرة) بعد انتهاء الموسم (ومواسم العرب أسواقها ومحافلها)

إِذْ نَحْنُ نَسْتَرْقُ الْحَدِيثَ، وَفَوْقَنَا مَثَلُ الضَّبَابِ مِنَ الْعَجَاجِ الْأَقْتَمِ

عندئذ كنا نتحدث خفية، وفوقنا عجاج أقم (غبار داكن) كأنه الضباب

إِذْ نَحْنُ نُخْبِرُ بِالْحَوَاجِبِ بَيْنَنَا مَا فِي النُّفُوسِ، وَنَحْنُ لَمْ نَتَكَلَّمْ

كنا نتحدث بلغة الحواجب، لا بالكلام

٨٦ لَا أَنَامُهَا

قَدْ اقْتَسَمْتُ عَيْنَاكَ يَوْمَ لَقِيْتَنَا حُشَاشَةً نَفْسٍ مَا يَحِلُّ اقْتِسَامُهَا

اقسمت عينك حشاشة نفسي (بقيتها) - لكل عين نصف - ولا يحل لك ذلك

وَكَائِنْ مَنَعْتُ الْقَوْمَ مِنْ نَوْمِ لَيْلَةٍ، وَقَدْ مَيَّلْتُ أَعْنَاقَهُمْ، لَا أَنَامُهَا

وكثيراً ما سهرت مفكراً فيك في ليلة لا أنامها، ومنعت القوم من النوم كي يساهروني ويؤنسوني، بينما أعناقهم تميل نعاساً

٨٧ أُمْنِيَّة

ومما لم يرد في الديوان، وأخذته من كتاب شاكر الفحام:

أَلَا لَيْتَنَا نِمْنَا ثَمَانِينَ حِجَّةً تَنَامُ مَعِيَ عُزَيَّاتُهُ وَأَنَامُهَا

يريد أن تنام معه ثمانين سنة

ضَجِيعَيْنِ مَسْتُورَيْنِ، وَالْأَرْضُ تَحْتَنَا يَكُونُ طَعَامِي ضَمُّهَا وَالْتِزَامُهَا

ينامان على الأرض وعليهما غطاء، وطعامه ضمها والالتصاق بها

٨٨ اخترتكم

يمدح بني أنان بن دارم:

تَجَاوَزْتُ أَقْوَاماً إِلَيْكُمْ، وَإِنَّهُمْ لَيَدْعُونَنِي، فَاخْتَرْتُكُمْ لِلْعِظَائِمِ

مررت بأقوام وتجاوزتهم مع أنهم يدعونني للنزول ضيفاً، وجتكم لأنكم أهل لتلبية عظامم الطلبات

وَأَيْنَ مُنَاخِي بَعْدَكُمْ إِنْ نَبَوْتُمْ عَلَيَّ، وَهَلْ تَنْبُو صُدُورُ الصَّوَارِمِ
وَأَيْنَ مُنَاخِي (نزولي) بعدكم إن نبوتم علي (انحرفتم عني)، ولكن صدور الصوارم (السيف) لا تنبو
(لا تنحرف بل تصيب)

٨٩ أكفاؤنا

وَإِنَّ هِجَاءَ الْبَاهِلِيِّينَ دَارِمًا لِإِخْدَى الْأُمُورِ الْمُتَكَرِّرَاتِ الْعَظَائِمِ
كيف لقبيلة باهلة أن تهجو دارمًا ذات الشرف الرفيع؟ تلك من الكوارث

وَهَلْ فِي مَعَدٍّ مِنْ كِفَاءٍ نَعْدُهُ لَنَا، غَيْرَ بَيْتِي عَبْدِ شَمْسٍ وَهَاشِمٍ
وَهَلْ لَنَا كِفَاءٌ (مساو) فِي كُلِّ قِبَالٍ مَعَدٍّ (عرب الشمال كلهم) إِلَّا عَبْدَ شَمْسٍ (الأمويين) وَهَاشِمًا (آل النبي)

٩٠ تحمل الرزء دارم

وَقَالَ يَرْثِي أَحَدُ بَنِي مِجَاشٍ مِنْ تَمِيمٍ:

أَصَبْنَا بِمَا لَوْ أَنْ سَلَمَى أَصَابَهَا لَهَدَّتْ، وَلَكِنْ تَحْمِلُ الرُّزْءَ دَارِمُ
لو أصاب جبل سلمى ما أصابنا لنهدم. غير أن قبيلة دارم تتحمل الرزء (المصيبة)، قال بيتاً كهذا
على قافية الراء يرثي رجلاً من عامر

كَأَنَّهُمْ تَحْتَ الْخَوَافِقِ، إِذْ مَسَوْا إِلَى الْمَوْتِ، أَسْدُ الْعَابَتَيْنِ الضَّرَاعِمُ
كان دارم تحت الرايات الخافقة وهم يمشون إلى الحرب المميتة أسود الغابتين (اختر أي غابتين
تريد... ولو جعلها الفرزدق غابة واحدة لانكسر وزنه)

٩١ الحصى والمجد

أَخَذْتُ عَلَى النَّاسِ اثْنَتَيْنِ: لِيِ الْحَصَى مَعَ الْمَجْدِ مَا لِي فِيهِمَا مِنْ مُخَاصِمٍ
أخذت على الناس (فقتهم) باثنتين: الحصى (العدد الكثير من أبناء قبيلتي)، والمجد، فلا أحد
يخاصمني في هاتين

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى طَيْئًا أَنْ تَسُبَّنِي وَهُمْ نَبِطٌ لَمْ تَغْتَصِبْ بِالْعِمَائِمِ
لا أخشى قبيلة طيء وهجاءها إيائي، فهم نبط (قوم من غير العرب) لا يعتصبون (يُحَلُّونَ رؤوسهم)
بالعمائم فعل العرب

وَإِنَّ هِجَائِي طَيْئًا، وَمَنْيَ طَيْءٍ، نَبِيطُ الْقُرَى إِخْدَى الْكِبَارِ الْعَظَائِمِ
ومجرد هجائي لطيء - وهي ما هي - هي نبيط القرى (من أهل الزراعة وليسوا عرباً أهل صحراء)،
هو من العظائم (العجائب)

٩٢ ما الذي حشرك؟

قال لعمر بن لجا، وقد دخل بينه وبين جرير:

وما أنت إن قرّما تميم تَسَامِيَا أَخَا التَّيْمِ إِلَّا كَالشَّظِيَّةِ فِي الْعَظْمِ
أيها التيمي أنت مثل الشظية (السَّيْفَةُ، السَّيْفَةُ، العظمة المدببة الصغيرة) بين العظام، فما أدخلك
بين قرمي تميم (فحلي تميم) وقد سما أحدهم للآخر (صاولة وخاصمه). ونقل عن جرير أنه قال:
ما أنصفني الفرزدق إلا في قوله هذا

ولو كنتَ مَوْلَى الْعِزِّ أَوْ فِي ظِلَالِهِ ظَلَمْتَ، وَلَكِنْ، لَا يَدِي لَكَ بِالظُّلْمِ
لو كنت مولى العز (صاحبه) أو حتى في ظلاله (متحالفاً مع قبيلة ذات قوة) لكنا توقعنا منك أن
تتداول وتظلم، ولكنك من قوم ضعاف ولا يدي لك (لا قدرة لك) بالظلم

٩٣ الاستراحة عند الخليفة

يملح هشام بن عبد الملك:

إِلَامَ تَلَفَّتَيْنِ وَأَنْتِ تَحْتِي وَخَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَمَامِي
إلى ماذا تلفتتين أيها الناقة وأنت تحتي، بينما أنا متوجه إلى خير الناس
متى تأتي الرُصَافَةُ تَسْتَرِيحِي مِنْ التَّهْجِيرِ وَالذَّبْرِ الدَّوَامِي
عندما تصلين الرصافة تستريحين من التهجير (سير الظهيرة) ومن الدبر الدوامي
(الجروح الدامية في مفاصلك)

٩٤ على ساعة..

يهجو رجلاً من بلعبر كان دليلاً وأضلهم:

وَكَيْفَ يَضِلُّ الْعَنْبَرِيُّ ببلْدَةٍ بِهَا قُطِعَتْ عَنْهُ سُبُورُ التَّمَائِمِ
هذا العنبري يزعم أنه ضل الطريق، وكيف يضل الطريق في بلدة نشأ فيها صغيراً، وبها قطعوا
سبور (خيوط) التمام (الخرزات التي تدفع الشر، وكانوا يعلقونها في عنق الطفل) عنه، أي أنه نشأ
وكبر هناك، وهناك أزيلت عن عنقه التمام

أَتَخُنَا بِهَجْرٍ بَعْدَمَا وَقَدَ الْحَصَى وَذَابَ لُعَابُ الشَّمْسِ فَوْقَ الْعَمَائِمِ
أنخنا إبلنا في «هجر» والحصى يتوقد حرارة، وقد سلقنا الشمس بأشعتها على رؤوسنا

وَنَحْنُ بِذِي الْأَرَطَى يَقْسُ ظِمَاؤُنَا لَنَا بِالْحَصَى شَرِبًا صَحِيحَ الْمَقَائِمِ
ونحن في مكان ذي الأرطى والظمآنون يقيسون الشرب (نصيب كل فرد من الماء) بالحصى بدقة
(يضعون حصاة صغيرة في الإناء ويصبون الماء حتى يغمرها.. فهذا نصيب كل نفر منهم عندما يعز
الماء في سير الصحراء)

فَلَمَّا تَصَافَتْ الْإِدَاوَةُ أَجْهَشَتْ إِلَى غُضُونِ الْعَنْبَرِيِّ الْجُرَاضِمِ

لما تصافتا الإداوة (تقاسمنا ماء القرية الصغيرة بالحصاة)، أجهش (بدأ يخفق قبل البكاء) العنبري الجراضم (الجشع) وتغضن وجهه

وَجَاءَ بِجُلْمُودٍ لَهُ مِثْلُ رَأْسِهِ لِيُسْقَى عَلَيْهِ الْمَاءُ بَيْنَ الصَّرَائِمِ

وجاء بجلمود (حجر كبير) مثل رأسه، يريد أن تقسم له الماء عليه ونحن واقفون بين الصرائم (جماعات الإبل)

فَأَثَرْتُهُ لَمَّا رَأَيْتُ الَّذِي بِهِ ، عَلَى الْقَوْمِ ، أَخْشَى لَأَحِقَاتِ الْمَلَاوِمِ ..

آثرته (خصصته بنصيبي) خشية أن ألام فيما بعد ..

حِفَافًا ، وَلَوْ أَنَّ الْإِدَاوَةَ تُشْتَرَى عَلَتْ فَوْقَ أَمَانٍ عِظَامِ الْمَغَارِمِ

فعلت ذلك حفاظاً (تكرماً)، وفعلته في وقت لو أن الإداوة (القرية الصغيرة) فيه تشتري لكان ثمنها غالباً يلحق المغارم (الخسائر) بالشاري

عَلَى سَاعَةٍ لَوْ كَانَ فِي الْقَوْمِ حَاتِمٌ عَلَى جُودِهِ ، ضَنْتَ بِهِ نَفْسُ حَاتِمِ

وكان هذا في ساعة تضمن فيها النفس وتبخل بالماء حتى لو كانت نفس حاتم الطائي

٩٥ عندما ولد جدنا

يمدح سليمان بن عبد الملك، ويهجو جريراً:

جُعِلَتْ لِأَهْلِ الْأَرْضِ أَمْنًا وَرَحْمَةً وَبُرْءًا لِأَثَارِ الْقُرُوحِ الْكَوَالِمِ

جعلك الله رحمة للناس وبرءاً (شفاء) للقروح الكوالم (الجارحة)

كَمَا بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا عَلَى فِتْرَةٍ وَالنَّاسُ مِثْلُ الْبَهَائِمِ

مثلما بعث الله محمداً على فترة (الفترة هي الزمن الذي يفتر فيه البعث فلا نبي فيه) والناس يعبدون الأصنام غير مفكرين في الآخرة كالبهائم

فَمَا بَيْنَ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمْعًا وَطَاعَةً وَبَيْنَ تَمِيمٍ غَيْرُ حَزِّ الْحَلَاqِمِ

بين تميم وبين العاصي الذي لا يطع أمر الخليفة لا مهادنة بل حز الحلاقم (قطع الأعناق)

فَإِنَّ تَمِيمًا لَمْ تَكُنْ أُمُّهُ ابْتَفَتْ لَهُ صِحَّةً فِي مَهْدِهِ بِالنَّمَائِمِ

وتميم (جدنا الأعلى) ولدته أمه غير عابئة بوضع التمامم (الخرزات الحاميات من الشر) في عنقه ابتغاء صحته، فقد ولد شديداً

كَأَنَّ الْأَكْفَ الْقَابِلَاتِ لِأُمِّهِ رَمَيْنَ بِعَادِيٍّ الْأَسْوَدِ الضَّرَافِمْ

كان الأكف القابلات لأمه (أكف النسوة اللاتي ولدن أمه) رمين ولداً يشبه عادي الأسود (الأسود العادية، أي القوية المنسوبة إلى قوم عاد، وكل «عادي» في لغتنا القديمة هو القوي الشديد القديم)

تَأَزَّرَ بَيْنَ الْقَابِلَاتِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ تَوَامٌ إِلَّا دَهَاءٌ لِحَازِمِ

تأزر بالثوب هذا الطفل الوليد بين القابلات (الدايات) وهو فرد لا توأم له، إلا أن يكون توأمه الدهاء والحزم

وَضَبَّةٌ أَخُوَالِي هُمُ الْهَامَةُ الَّتِي بِهَا مُضَرٌّ دَمَاعَةٌ لِلْجَمَاجِمِ

وأخوالي من قبيلة ضبة هم الهامة (الرأس) التي تدمع (تفلق الدماغ) بها مضر (القبيلة الكبرى) جماجم الأعداء

فَمَا أَنْتَ مِنْ قَيْسٍ فَتَنْبَحَ دُونَهَا وَلَا مِنْ تَمِيمٍ فِي الرُّؤُوسِ الْأَعَاطِمِ

أنت - يا جرير - لست من قيس فتنبح دونها (تدافع عنها)، ولا من بيت شريف في تميم

نَرَى كُلَّ مَظْلُومٍ إِلَيْنَا فِرَارُهُ وَيَهْرُبُ مِنَّا جَهْدُهُ كُلُّ ظَالِمٍ

كل مظلوم يفر ويلجأ إلينا، والظالم يهرب من وجوهنا

فَلَا نَقْتُلُ الْأَسْرَى، وَلَكِنْ نَفْكُهُمْ إِذَا أَنْقَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْمَغَارِمِ

ولا نقتل الأسرى بل نفكهم ونعتقهم، في وقت يثقل فيه الأعناق حمل المغارم (الأموال التي يفدى بها الأسرى، أو تدفع في الدية). وكان الفرزدق أقدم على أسير رومي يريد ضرب عنقه في مجلس سليمان بن عبد الملك فبأ سيفه، فسخر القوم منه، وهجاه جرير..

فَهَلْ ضَرَبْتُ الرُّومِيَّ جَاعِلَةً لَكُمْ أَبًا عَنْ كُلَيْبٍ، أَوْ أَبًا مِثْلَ دَارِمٍ

فهل نبو سيفي في ضرب عنق الرومي يجعل لكم أباً (جداً) عن كليب (بديلاً بأيكم كليب الوضيع)، أو يجعل لكم أباً مثل أبي دارم؟

كَذَاكَ سِيوْفُ الْهِنْدِ، تَنْبُو ظَبَاتُهَا وَيَقْطَعُنَ أَحْيَانًا مَنَاطَ التَّمَائِمِ

كذا هي سيوف الهند، تنبو ظباتها (تنحرف شفراتها)، وأحياناً تقطع مناط التمامم (موضع تعليق الحرز، أي تقطع العنق)

٩٦ لَوْ فَقَّاتَ عَيْنُكَ!

يهجو جريراً:

يَقُولُ كِرَامُ النَّاسِ إِذْ جَدَّ جِدُّنَا وَبَيَّنَّ عَنْ أَحْسَابِنَا كُلِّ عَالِمٍ:

يقول الكرام عندما جد الجد، وعرف أمجادنا كل عالم بالأنساب:

عَلَامَ تَعْنَى يَا جَرِيرٌ، وَلَمْ تَجِدْ كُتْلِبًا لَهَا عَادِيَّةٌ فِي الْمَكَارِمِ
على ماذا تعنى (تتعنى أي تتعب نفسك) ولم تجد لقومك كليب عادية (مكرمة قديمة)
من المكارم

وَلَسْتُ، وَإِنْ فَقَأَتْ عَيْنَيْكَ، وَاجِدًا أَبَا لَكَ، إِنَّ عُدَّ الْمَسَاعِي، كَذَارِمٍ
لن تجد مهما فعلت - حتى لو فقأت عينيك - جدًا تتسب إليه حين تعد المساعي (الأمجاد) مثل
جدي دارم

٩٧ الناهض للمعالي

قال في الزعل الجرمي:

وَرِثْتُ - فَلَمْ تُضَيِّعْ - مَأْثِرَاتٍ وَقَصَّرَ عَنِ بِنَائِكَ كُلُّ بَانٍ
ورثت مآثرات (أمجاداً) ولم تضيعها، وقصر عن بنائك المجد كلُّ البناءة

وَتَنَهَضُ حِينَ تَنْهَضُ لِلْمَعَالِي وَتَنْطِقُ حِينَ تَنْطِقُ بِالْبَيَانِ
وَتُعْطِي الْعُرْفَ عَفْوَاً سَائِلِيهِ وَتُروِي الزَّاعِغِيَّةَ فِي الطَّعَانِ
تعطي العرف (المطايا) عفواً (بأريحية) للسائلين، وتروي بدم الأعداء الزاغية (الرماح) في الطعان
(المطاعنة بالرماح في الحرب)

٩٨ وفاة المكارم

يرثي محمد بن موسى، وقلته شبيب بالأهواز:

نَامَ الْخَلِيُّ، وَمَا أَخْمَضُ سَاعَةً أَرْقَاً، وَهَاجَ الشُّوقُ لِي أَخْزَانِي
نام الخلي (الخالى من الهم) وأنا ساهر أرقاً، وشوقي يبعث لي الحزن

وَإِذَا ذَكَرْتُكَ يَا ابْنَ مُوسَى أَسْبَلْتُ عَيْنِي بِدَمْعٍ دَائِمٍ الْهَمْلَانِ
تنزل دموعي لدى تذكري إياك وتسبل عيني (تنهمر) بدمع دائم الهملان (الانهمار)

فَالنَّاسُ بَعْدَكَ كَالْقَنَاةِ مُوسَى أَصْبَحُوا كَقَنَاةٍ حَرْبٍ غَيْرِ ذَاتِ سِنَانٍ
الناس بعدك كالقناة (عصا الرمح) التي لم يعد فيها سنان (حديدة مسنونة)

جُمِعَ ابْنُ مُوسَى وَالْمَكَارِمُ وَالنَّدَى فِي الْقَبْرِ بَيْنَ سَبَائِبِ الْأَكْفَانِ
جُمِعَ ابْنُ مُوسَى الْمَكَارِمُ وَالنَّدَى (السَّخَاءُ)، وَأَصْبَحَتْ هَذِهِ كُلُّهَا بَيْنَ سَبَائِبِ (قِمَاشِ) الْأَكْفَانِ،
فَالْمَكَارِمُ قُلِدَتْ مِنَ الدُّنْيَا بِمَوْتِهِ

٩٩ في صحبة الذئب

وَأَطْلَسَ عَسَالٍ، وما كان صاحباً، دَعَوْتُ بِنَارِي مَوْهِنًا فَأَتَانِي
رب ذئب أطلس (مغير اللون) عسال (يتمايل في مشيته) وليس بصاحب للآدمي، دعوت بناري
(أوقدتها) موهنا (مساء) فأتاني

فَلَمَّا دَنَا قُلْتُ: اذْنُ دُونَكَ، إِنِّي وَإِيَّاكَ فِي زَادِي لَمْشَتَرِكَانِ
لما اقترب قلت له: تعال، ودونك (خذ)، فسوف نشترك في زادي

فَبِتُّ أَقْدُ الرِّزَادَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَلَى ضَوْءِ نَارٍ مَرَّةً وَدُخَانِ
وبدأت أقسم الطعام بيني وبينه، والنار تضيء المشهد تارة ويغطينا الدخان أخرى

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَكَثَّرَ ضَاحِكاً وَقَائِمُ سَيْفِي مِنْ يَدِي بِمَكَانٍ:
قلت له لما تكثر فكأنه يضحك، وكانت يدي على قائم سيفي (مقبضه) مستعداً:

تَعَشَّ، فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونَنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذَنْبُ يَصْطَحِبَانِ
تعش أيها الذئب، فإن لم تخن صحبتي نكن كأننا صاحبان

وَأَنْتَ امْرُؤٌ، يَا ذَنْبُ، وَالْغَدْرُ كُنْتُمَا أَخْبَيْنِ كَانَا أَرْضِعَا بِلَبَانِ
لكنك يا ذئب أخو الغدر، الغدر ملازمك خلقة، وكأنك رضعت بلبان أمك أنت والغدر معاً

وَلَوْ غَبِرْنَا نَبَّهْتَ ثَلْتِمِسُ الْقَرَى رَمَاكَ بِسَهْمٍ أَوْ شَبَاةٍ مِثْنَانِ
لو التمسنا (طلبت) القرى (طعام الضيف) من غيري لرماك بسهم أو شباة سنان (حد رمح)

وَكُلُّ رَفِيقِي كُلِّ رَحْلٍ وَإِنْ هُمَا تَعَاطَى الْقَنَا قَوْمَاهُمَا أَخْوَانِ
والرفيقان على الرحل (على سرج الناقة/ وكان الرجلان يركبان الناقة ويتعادلان على جانبيها) أخوان
حتى وإن تعاطى (تبادل) القنا (الطعن بالرمح) قوماهما

فَهَلْ يَرْجِعَنَّ اللَّهُ نَفْساً تَشَعَّبَتْ عَلَى أَثَرِ الْغَادِينَ كُلِّ مَكَانٍ
هل يعيد الله نفسي إلي بعد أن تشعبت وذهبت تتبع الغادين (الذاهبين) إلى كل مكان

فَأَصْبَحْتُ لَا أَدْرِي أَتَتَّبِعُ ظَاعِنًا أَمْ الشُّوقُ مِثِّي لِلْمُقِيمِ دَعَانِي
احترت أتبع الظاعن (الراحل) أم الشوق يدعوني للبقاء مع من ظل مقبلاً

وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا تَوَلَّى بِشِقَّةٍ مِنَ الْقَلْبِ، فَالْعَيْنَانِ تَبْتَدِرَانِ
وكلاهما - الراحل والمقيم - قد ذهب بشقة (بقطة) من القلب، فعينايتا يتبدران (تسكبان الدمع)

ولو سُئِلْتُ عَنِّي النَّوَارُ وَقَوْمُهَا إِذْ لَمْ تُوَارِ النَّاجِدَ الشَّفَتَانِ
لو سئلت عني طليقتي النوار وقومها لضحكوا وبدت منهم النواجد (الأضراس الخلفية)، وذلك بعد
أن نالت الطلاق مني بطلبها

لَعَمْرِي لَقَدْ رَقَّقْتَنِي قَبْلَ رِقَّتِي وَأَشْعَلْتَ فِيَّ الشَّيْبَ قَبْلَ زَمَانِي
لقد رقت عظمي (أنهكتني) قبل أواني، وشيبتني يا نوار

وَأَمْضَحْتَ عِرْضِي فِي الْحَيَاةِ، وَشَيْتِهِ وَأَوْقَدْتَ لِي نَارًا بِكُلِّ مَكَانٍ
وأمضحت عرضي (فضحتني) وعبتني، وجعلت اللوم يتصب عليّ من كل مكان. وكانت النوار
تطالبه بالطلاق دوماً

تَمِيمٌ إِذَا تَمَّتْ عَلَيْكَ رَأْيَتُهَا كَلِيلٌ وَبَحْرٌ حِينَ يَلْتَقِيَانِ
تميم إذا اجتمعت عليك فهي كالليل والبحر يلتقيان، فهذا ظلام دامس مخيف

هُمْ دُونَ مَنْ أَخْشَى، وَإِنِّي لَدُونَهُمْ إِذَا نَبَحَ الْعَاوِي، بَيْدِي وَلِسَانِي
هم دون من أخشى (يحمونني ممن أخاف)، وأنا دونهم (أدافع عنهم) إذا نبح العاوي (هجاهم
الهاجي) بيدي ولساني

وَأَنَا لَتَرَعَى الْوَحْشُ أَمِنَةً بِنَا وَرَهْبُنَا أَنْ نَغْضَبَ الثَّقَلَانِ
ونحن نجير الخائف فيأمن، حتى إن الوحش (كثيران البر) ترعى أمانة في وجودنا غير خائفة أن يأتي
صائد، إذ لا يدخل حمامنا أحد. ويرهب غضبنا الثقلان (الإنس والجن)

فَضَّلْنَا بِثَنَتَيْنِ الْمَعَاشِيرَ كُلَّهُم بِأَعْظَمِ أَحْلَامٍ لَنَا وَجِفَانٍ
تفوقنا على كل الأقوام باثنتين: أحلامنا (عقولنا) كبيرة، وجفاننا (قصاع الطعام) كبيرة

جِبَالٌ إِذَا شَدُّوا الْحَبَى مِنْ وَرَائِهِمْ وَجِنَّ إِذَا طَارُوا بِكُلِّ عِنَانٍ
رجال تميم كالجبال رزانة إذا عقدوا الحبى (الحبوة هي الشال يجمع به الرجل بين ظهره وركبتيه)،
فأما في الحرب فهم يطيطون كالجن ممسكين بعنان (بمقود) كل فرس

١٠٠ ما ضرَّ تغلب

يَا ابْنَ الْمَرَاةِ، وَالْهَجَاءُ إِذَا تَلَقَّتْ أَعْنَاقُهُ، وَتَمَاحَكَ الْخَصْمَانِ
يا جريز، في الهجاء عندما تلتقي الأعناق مثلما تلتقي أعناق الخيل في المعركة، وعندما يتماحك
(يتلاحى ويتشاتم) الخصمان..

مَا ضَرَّ تَغْلِبَ وَإِثْلَ أَهْجَوْتَهَا أَمْ بُلْتَ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ
في الهجاء لا يؤثر في قبيلة تغلب هجاؤك، مثلما لا أثر لك إن بلت حيث تناطح (تلاقى) البحرين
(دجلة والفرات)

يا ابْنَ المَرَاغَةِ إِنَّ تَغْلِبَ وائِلِ رَفَعُوا عِنَانِي فَوْقَ كُلِّ عِنَانٍ
 تغلب رفعت عناني (مقود فرسي) فوق كل عنان، أي أنها فضلتني ورفعتني عالياً
 واسأَلْ بِتَغْلِبَ كَيْفَ كَانَ قَدِيمُهَا وَقَدِيمُ قَوْمِكَ أَوَّلَ الْأَزْمَانِ
 اسأل عن مجد تغلب القديم وعن قديم قومك الذين لا مجد لهم ..
 قَوْمٌ هُمْ قَتَلُوا ابْنَ هِنْدٍ عَنَوَةً عَمْرًا، وَهُمْ قَسَطُوا عَلَى النُّعْمَانِ
 تغلب قتلوا الملك عمرو بن هند، وقسطوا (اعتدوا) على النعمان

١٠١ رثاء الأبناء

يرثي ابنه:

أَبِي الْحُزْنُ أَنْ أَسْلَى بَنِيَّ، وَسُورَةُ أَرَاهَا إِذَا الْأَيْدِي تَلَاقَتْ غَضَابُهَا
 الحزن لا يدعني أسلى (أنسى) أبنائي المفقودين، والذي يجعلني أتذكرهم أيضاً سورة (هجمة)
 أشهدها عندما تتلاقى الأيدي الغضبية في عراك. فالمرء يفقد أولاده الذين من شأنهم أن ينصروه
 في مواقف كهذه

وكانوا هُمُ المَالُ الَّذِي لَا أْبِيعُهُ وَدِرْعِي إِذَا مَا الْحَرْبُ هَرَّتْ كِلَابُهَا
 كانوا مالي، ودرعي في الحرب إذا ما اشتعلت

وَكَمْ قَاتِلٍ لِلْجُوعِ قَدْ كَانَ مِنْهُمْ وَمِنْ حَيَّةٍ قَدْ كَانَ سُمًّا لُعَابُهَا
 وكان من أولادي من يقتل الجوع بتقديم الطعام للناس، وكان منهم من هو حية ذات لعاب سام
 (قوي شديد على الأعداء)

فَلَا تَحْسَبَا أَنِّي تَضَعُضَعُ جَانِبِي وَلَا أَنْ نَارَ الْحَرْبِ يَخْبُو شِهَابُهَا
 ولكن، لم يتضعض (يتخلخل) جانبي وبقيت صلباً، ولا تحسبا نار الحرب قد خبا شهابها (خمدت نارها)

بَقِيْتُ، وَأَبْقَتْ مِنْ قَنَاتِي مَصَابِتِي عَشَوْرَتُهُ زُرَّاءُ صُمًّا كِعَابُهَا
 قد عشت بعدهم، وبقي من قناتي (جسمي) بعد مصابتي (مصيبي) قامة عشوزنة (قوية) زوراء (تميل
 بعز وفخر) صم كعابها (صلدة قوية). المعنى الملموح: المصيبة جعلتني أفسى وأشد

عَلَى حَدِيثٍ لَوْ أَنَّ سَلَمَى أَصَابَهَا بِمِثْلِ بَنِي أَرْفَضَ مِنْهَا هَضَابُهَا
 هذا رغم حدث لو أصاب جبل سلمى لارفضت (تفرقت وانهارت) هضابها

وَأَقَعْتُ عَلَى الْأَذْنَابِ كُلِّ قَبِيلَةٍ عَلَى مَضَضٍ مِنِّي، وَذَلَّتْ رِقَابُهَا
 وقد أقعنت (جلست) كل قبيلة على ذنبها إقعاء الكلب خاضعة الرقاب ذليلة بعد هجائي لها

وَمُسْتَنْبِحِ وَاللَّيْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ يُرَاعِي بِعَيْنَيْهِ النُّجُومَ التَّوَالِيَا
رب مستنبح (تأته في الصحراء ينبح التماساً لكلب يجيئه فيعرف مكان قوم لديهم مأوى وطعام)،
والليل بيني وبينه، وهو ينظر إلى النجوم

سَرَى إِذْ تَغَشَّى اللَّيْلُ، تَحْمِلُ صَوْتَهُ إِلَيَّ الصَّبَا، قَدْ ظَلَّ بِالْأَمْسِ طَاوِيَا
سار وقد تغشى الليل (غطى الأشياء) وريح الصبا تحمل إلي صوت نباحه، وقد قضى
أامسه طاوياً (جائعاً)

تَأْتَيْتُ وَاسْتَسَمَعْتُ حَتَّى فَهِمْتُهَا وَقَدْ قَفَعْتُ نَكْبَاءَ مَنْ كَانَ سَارِيَا
تمهلت، واستسمعت (أصغيت) حتى فهمتها (تأكدت أنه صوت إنسان) وكانت ريح نكباء (هوجاء
جاءت بين ريحين) قد قفعت (جمدت أصابع) من يسري في الليل

فَلَمَّا رَأَيْتُ الرِّيحَ تَخْلِجُ نَبْحَهُ وَقَدْ هَوَّرَ اللَّيْلُ السَّمَاءَ الْيَمَانِيَا
لما رأيت الريح تخلج (تذبذب) نباحه وتجعله يتموج في الأذن، وكان الليل قد هور (أسقط) نجم
السماك اليماني

حَلَفْتُ لَهُمْ إِنْ لَمْ تُجِبْهُ كَلَابُنَا لِأَسْتَوْقِدَنَّ نَاراً تُجِيبُ الْمُنَادِيَا
حلفت للقوم أنني سأوقد ناراً عظيمة تستجيب لصوته إن لم تجبه كلابنا بنباح

وَقُلْتُ لِعَبِيدِي اسْعِرَاهَا فَإِنَّهُ كَفَى بِسَنَاهَا لَابِنِ إِنْسِكَ دَاعِيَا
قلت للعبدين اسعراها (أوقدا النار)، فكفى بسناها (ضوئها) داعياً للإنسان

فَمَا خَمَدَتْ حَتَّى أَضَاءَ وَقُودُهَا أَخَا قَفْرَةَ يُزْجِي الْمَطِيَّةَ حَافِيَا
اشتعلت النار ولم تخدم حتى كان أخو القفرة (الثائ في الصحراء) قد وصل وأضاءت النار وجهه،
وكان يزجي المطية (يسوق ناقته) حافياً

فَقُمْتُ إِلَى الْبَرْكِ الْهُجُودِ، وَلَمْ يَكُنْ سِلَاحِي يُوقِي الْمُرْبِعَاتِ الْمَتَالِيَا
فقمْتُ إلى البرك الهجود (النياق الراقدة). وأنا رجل لا يوقي سلاحِي (لا يوفر، ولا يترك)
المربعات المتاليا (النياق الحوامل في الريح التي يتلوها أولادها)

فَمَكَّنْتُ سَيْفِي مِنْ ذَوَاتِ رِمَاحِهَا غَشَّاشًا، وَلَمْ أَحْفَلْ بِكُأَاءِ رِعَائِيَا
أبيت إلى ناقة منها ومكنت سيفي من ذوات رماحها (من قوائمها التي ترمح، أي ترفس، بها)
غشاشاً (في وقت يغشاه الظلام)، ولم أهتم ببكاء الرعاة

وَقُمْنَا إِلَى دَهْمَاءَ ضَامِنَةِ الْقَرَى غَضُوبٌ إِذَا مَا اسْتَحْمَلُوهَا الْأَثَافِيَا
وقمنا إلى قدر دهماء (سوداء) تضمن القرى (طعام الضيف) غضوب عندما نحملها فوق الأثافي (الحجارة التي توضع عليها القدر)، لعل غضب القدر لأنها تتقلقل قبل أن تثبت وتتوازن فوق الحجارة، عموماً سترها تغضب أكثر بعد قليل

رَكُودٌ كَأَنَّ الْعَلْيَ فِيهَا مُغِيرَةٌ رَأَتْ نَعَمًا قَدْ جَنَّهُ اللَّيْلُ دَانِيَا
هذه القدر ركود (ثابتة رصينة) كأن صوت غليان الماء واللحم بداخلها صوت مغيرة (جماعة تشن غارة) قد رأت نعماً (إبلاً) جنه الليل (أخفاه) ولكنه دان (قريب)

إِذَا اسْتَحْمَشُوهَا بِالْوُقُودِ تَغَيَّظَتْ عَلَى اللَّحْمِ حَتَّى تَتْرَكَ الْعَظْمَ بَادِيَا
إذا استحمشوها (أهاجوها) بالوقود (بوضع المزيد من الحطب تحتها) تغيظت على اللحم (هذه غضبة القدر الكبيرة على ما فيها من لحم) تنهكه حتى يتقلص فيبدو العظم

كَأَنَّ نَهِيمَ الْعَلْيِ فِي حُجْرَاتِهَا تَمَارِي خُصُومٍ عَاقِدِينَ النَّوَاصِيَا
كأن نheim الغليان (صوته المغمغم) في حجراتها (جوانب القدر) تماري خصوم (جدال بين خصوم) عاقدين النواصيا (رابطين رؤوسهم)

فَمَا قَعَدَ الْعَبْدَانِ حَتَّى قَرَيْتُهُ حَلِيْبًا وَشَحْمًا مِنْ ذُرَى السَّوْلِ وَارِيَا
فما أتم العبدان المهمة وقعدا حتى قرئت الضيف (أطعمته) حليبا وشحماً واريأ (سمياً) من ذرى الشول (سنام الناقة)

١٠٣ البكاء راحة

أَلَمْ تَرَ أَنِّي يَوْمَ جَوِّ سُوَيْقَةٍ بَكَيْتُ فَنَادَتْني هُنَيْدَةُ مَا لِيَا
في ذلك المكان «جو سويقة»، وذلك اليوم، بكيت فنادتني هند: ما لك؟

فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْبُكَاءَ لَرَّاحَةٌ بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أَلَّا تَلَاقِيَا
البكاء راحة يشفي به من أحس أن هذا آخر لقاء ولا تلاقى بعده

فِيهِ وَدَّعِينَا يَا هُنَيْدُ، فَلِأَنِّي أَرَى الْحَيَّ قَدْ شَامُوا الْعَقِيقَ الْيَمَانِيَا
ودعينا يا هند، فالحي (القوم) قد شاموا (تبعوا بنظرهم) العقيق اليماني (البرق البادي من جهة اليمن) أي أنهم سيرحلون في اتجاه سير السحاب ذي البرق طلباً للعشب

أَرَانِي إِذَا فَارَقْتُ هِنْدًا كَأَنِّي دَوَى سَنَةٍ مِمَّا التَّقَى فِي فُؤَادِيَا
بفراقني هنداً كأنني دوى (مرضى) مضت على مرضي سنة، مما تجمع في قلبي من أحزان

الفرزدق
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

٨	وُجَائِيَّة	١	ورائِها
١٩	اسْتَظَلَّتْ	١٧	والصَّنَابُ
١٨	وَصَلَّتْ	٢	الأعاجِبِ
٢٠	الصَّفَائِحِ	١٤	العِتَابِ
٢٤	خالدا	٥	الكواكِبِ
٢٨	الغَمْدِ	٤	المَشْرَبِ
٢٥	يَبْعَادِ	٣	بِالْعَصَائِبِ
٢٢	شَاهِدِ	١١	ذَاهِبِ
٢٧	مَعْبِدِ	١٣	غَالِبِ
٢١	وَمِجْسَدِ	١٥	لَيْلَى وَغَالِبِ
٢٣	جَدُودُهَا	٦	أَقَارِبُهُ
٢٦	يَقُودُهَا	٩	بِالنِّثَارِ أَقَارِبُهُ
٤٧	الدَّمَارَا	١٠	ثِيَابُهَا
٣٢	تَحَدَّرَا	١٦	جَاذِبُهُ
٣٩	وَالْمَطْرَا	١٢	جَوَابُهَا
٣٥	الْحَوَاسِرُ	١٠١	غَضَابُهَا
٤٢	الْمَطَرُ	٧	مُنِيئُهَا

٦٠	تَعْرِفُ	٥٠	عَلَيْكَ نَوَارُ
٥٩	خَائِفٍ	٣١	مُضَرُّ
٦٢	الْفَرَزْدَقَا	٤٣	نَوَارُ
٦٦	الْفَرَزْدَقِ	٣٣	هَوَادِرُ
٦١	الْمُحَقِّقِ	٣٠	وَفَرَا
٦٥	بِالْخَلَائِقِ	٢٩	يُنْتَظَرُ
٦٣	تَصْدُقِ	٤٤	الْأَشْعَارِ
٦٤	مَقَارِفِي	٤٦	الْقِصَارِ
٧٠	التَّسْرِينِ زَالَا	٤٥	جِيَّارِ
٧٥	أَعَزُّ وَأَطْوَلُ	٣٦	صَبِرِ
٧٣	الْحَوَامِلِ	٤٨	قِصَارِ
٦٩	الْعَالِي	٣٧	مُجِيرِي
٧٢	حُلَاكِ	٣٨	تُغَوِّرُهَا
٦٨	فَاعِلِ	٤٠	زَائِرَةِ
٧٤	لِلْجَهْلِ	٤١	عَاصِرَةِ
٧٦	لِيَالِ	٣٤	مَشَافِرَةِ
٧١	بَارِئُهُ	٤٩	تُحَوِّرُهَا
٧٧	وَحَبَائِلُهُ	٥١	وَأَوْتَارِهَا
٦٧	يَسْتَبِيلُهَا	٥٢	الْحَرِيصِ
٩٠	دَارِمُ	٥٣	مِرَاضُ
٧٨	وَالْحَرَمُ	٥٤	الْبَيَاضِ
٨٤	مَذْمُومُ	٥٨	تَقَطُّعَا
٩٤	التَّمَائِمِ	٥٦	الْمَذَرَّعُ
٨٩	الْعِظَائِمِ	٥٥	رَاتِعُ
٩٢	الْعَظِمِ	٥٧	وَالْأَقَارِعُ

٨٦	اقتسامها	٩٥	الكَوَالِمِ
٨٠	غَارِمُهُ	٩٣	أمامي
٨٧	وَأَنَامُهَا	٨١	تَمَامِي
٩٨	أَحْزَانِي	٨٥	دَمِي
١٠٠	الْخَصْمَانِ	٨٢	رؤوس المَخَارِمِ
٩٧	بَانِ	٩٦	عَالِمِ
٩٩	فَأَتَانِي	٧٩	فروج المَخَارِمِ
١٠٢	التَّوَالِيَا	٨٨	لِلْعِظَانِمِ
١٠٣	مَا لِيَا	٩١	مُخَاصِمِ
		٨٣	والجَحِيمِ

جرير بن عَطِيَّة بن الخَطَفَى (٣٠هـ - ١١٥هـ)

هذا شاعر متميز .

لا والله، ليس متميزاً، فعندنا منه نسخة أخرى اسمها الأخطل، وأخرى اسمها الفرزدق. ما الذي جعلني أبدأ بجملته بليدة كتلك الجمل التي يبدأ بها الأكاديميون مقالاتهم؟ لا أدري.

الثلاثة جميعاً كانوا شتامين، فاخرين، قوَّالين. نعم، أقرب مثال أجده القوَّالون في بلاد الشام. يدعو الرجل إلى عرس ابنه زجالاً قوَّالاً، ويدعو زجالاً آخر من طبقة، فيدخل الزجالان في معركة يتبادلان فيها السباب، ثم قد يتغزل أحدهم بمحبوبته السمرء، ويرد عليه الآخر مفضلاً البيضاء. ويمدحان العريس وأهله، والعروس وأهلها. ويتسلَّى المدعوون.

هكذا كان بشر بن مروان أمير الكوفة يدعو الشعراء، ويحرض بعضهم على بعض ويجلس يستمتع. وكان جرير أحدهم.

يصف صاحب مقال «جرير» في موسوعة الإسلام المستشرقية شاعرنا بأنه «شكس» بطبيعته، ويجعل هذا الوصف - الذي يمكننا أن نترجمه بالمقاوح، والنكد، والشرس، ومثير الخصومة، وقليل السماحة، الخ - مفتاحاً لشخصية جرير. ويراه بعض الدارسين العرب حقوداً لأنه من بيئة فقيرة، ولأنه كان - زعموا - دميماً قصيراً. ولا نرى رأي المستشرق، ولا رأي أبناء جلدتنا. ونلتفت إلى تلك الأبيات الفكاهة المنشورة نثراً في كل قصائد جرير، ونلتفت إلى مكانته الجليلة من قبيلته، ونلتفت إلى قول قديم بأنه كان طويلاً حسن الشعر. ونرى جريراً رجلاً سمحاً يحب النكتة، قريب الدمعة، يحب قبيلته وعائلته. . . ليس فقط زوجته العزيزة خالدة وأولاده، وقال فيهم جميعاً شعراً رقيقاً، بل

أحب جده البخيل ووالده القميء - ولا بد من الاعتراف بأن والده كان قميئاً، فقد أجمع القدامى على هذا -، كانت علاقته بوالده علاقة الفقير بوالده، يتسابان قليلاً، ولكنهما يتعايشان.

عندما سب ابنٌ لجريـر أباه، قالت له الأم: ويحك، أتقول هذا لأبيك؟ فقال لها جريـر: دعيه، فوالله لكأنني أسمعها من فمي أقولها لأبي.

بعد قليل سنحدثك عن حياة جريـر فاصبر.

ليس لدينا مفتاح واحد يفتح شخصية جريـر. مات العقد وأخذ مفاتيحه. لكننا نقول إنه كان يتسلَّى بحفلات الهجاء، وإنه كان يعرف تقاليد الشعر العربي. قيل كان جده الخطفى شاعراً. ولعل جريراً سمع شعراً كثيراً في مجالس العشيرة. ونبه أنفسنا إلى أن العروض لم يكن قد اخترع بعد - وسيتنظر الناس سبعين سنة بعد موت جريـر ليسمعوا أول مرة بالطويل والخفيف والكامل -. ولم يكن علم البلاغة قد اخترع بعد. لا، ولا النحو. جريـر عتيق، ولد في خلافة عثمان. ولكنه كان يكتب. تعلم الكتابة في قريته أئيفيَّة باليمامة (غير بعيد من الرياض عاصمة السعودية اليوم).

درج في قريته بين أهله وأغنامهم، وحميرهم أيضاً. ولئن كانت قبيلته يربوع ذات مجد حربي قديم، فقد كانت عشيرته كليب ترعى أغنامها في اليمامة وادعة، لكن غيرَ ناسية أنها من يربوع، ولا أنها تنتمي فوق ذلك إلى تميم إحدى أكبر وأمنع قبائل العرب.

هاجر من تميم من هاجر مع الفتوح، وكانت لهم بالبصرة والكوفة خطط. ولكن جريراً وأهله ظلوا يعيشون في اليمامة على جاهليتهم. قد أسلموا وأدوا الصدقات، ولكن حياتهم لم تتغير كثيراً. قد لا يكون الطفل جريـر ابن السابعة فهم حديث الناس عن قتل المسلمين خليفتهم عثمان، لكنه بالتأكيد سمع وقد تجاوز العاشرة بمقتل علي. واستتب الأمر لمعاوية، ولم تكن تميم المضرية القبيلة المقربة للخليفة الجديد، فقد حاربت في صفين مع علي، وظلت قبائل اليمن، لا مضر، ذراع معاوية.

وانشغل جريـر بمهاجاة أبناء اليمامة ممن نطقوا بالشعر، ولمع نجمه.

كان الشعر في ذلك الزمن يسافر بأجنحة قوية: هي شهوة العرب المعروفة للشعر، وهي أن الشعر كان سلوتهم الوحيدة، وهي أن ذائقهم لشعرهم كان حادة.

بايعة تميم معاوية، وظلت على بيعته العشرين سنة التي حكمها، تأخذ أعطياتها وتحتضن قلوباً تكره معاوية، ولكنها عاشت عيشة ناعمة في ظل سيدها الكبير الأحنف بن قيس الذي جمع من الحلم والدهاء ما جمع معاوية.

ومات معاوية وورث الحكم يزيد، ووفد عليه جرير فوجده قد سمع بشعره. ثم جاءت أمور كبار.. قتل يزيد الحسين بن علي، وشدّد النكير على عبد الله بن الزبير في مكة كي يبايع، فلم يبايع، فاستقل ابن الزبير بالحرمين ثم أرسل أخاه مصعباً والياً على العراق. فكان من جلساء مصعب في الكوفة الأحنف. كانت تميم زبيرية الهوى، ولكنها عاشت في حلم الأحنف أربعين سنة، ومثلما أغمدت سيوفها في وقعة الجمل قعدت في هذا الزمن الزبيري - الأموي الذي دام نحو عشر سنين على السياج تشهد فحول قريش تنتطح على الحكم. وقبل موته لا بد أن الأحنف سمع وهو بالكوفة أن شاعرين من فخذين من تميم بدأ يتشاثمان، أحدهما الفرزدق والآخر جرير. ولعله تسلى بالأمر. ومات الأحنف، ولم تعرف تميم سيداً قوياً تجتمع حوله مثل الأحنف، فلم يجد الشاعران من يقدهما. وظلا يتهاجيان ثماني أربعين سنة.

نعود إلى جرير نفسه.

ظل باليمامة حتى أواسط الثلاثين من العمر، ورحل إلى الشام، وأتى يزيد، ورجع عن يزيد. وجلس على السياج غير غامس لسانه في الصراع على الحكم، ثم استتب الأمر لعبد الملك بن مروان، وقضى على دولة ابن الزبير في العراق ثم في الحرمين، ودانت له الأمة في عام ٧٣. وولى أخاه بشراً العراق.

ما كان شيء أحب إلى قلب بشر من الواقعة بين الشعراء. كان يجد في ذلك تسلية عظيمة. وكان جرير سريع الاستثارة، ليس لشكاسة فيه، ولا لشراً، بل كان يتسلى هو أيضاً.. لم يكن ابن الراعي الفقير يجد غضاضة إذا شتم وشتم، وكان يجد من قبيلته يربوع من يشجعه، فالقوم لهم مآثر في الجاهلية، وجهاد في الإسلام، وإن لم تعرف لهم سيادة كسيادة أبناء عمومتهم مجاشع مثلاً.

ومات بشر أمير العراق بعد سنتين وجاء الحجاج، وقضى على «جيوب المقاومة» الخارجية بعض قضاء، وأسس مدينة له هي واسط. ومنع أحداً أن يدخلها إلا بإذن. ودخلها جرير بغير إذن. ولم يبطش به الحجاج الذي وصف نفسه قائلاً «ما أعلم اليوم رجلاً على ظهر الأرض هو أجراً على دم مني»، بل استمع إليه، وقربه. وأصبح جرير مداحاً للحجاج.

كان الحجاج بطاشاً كبيراً، لكنه لم يكن يتعدى مرتبته: هو الرجل الثاني، الذي يعرف أن الأمر لقريش لا لثقيف، فهو خادم مطيع لمن فوقه، جبار على من تحته. غير أنه كان من أفصح العرب، وكان يقدر الشعر. ولعله أخذ يشعر بالضييق من مدائح جرير.. فهذا مما قد يغير قلب الخليفة عليه. وخير ما يصنعه أن يبعث بشاعره هدية إلى الخليفة عبد الملك بن مروان.

كان الحجاج حريصاً الحرص كله على التخلص من جرير. فالخليفة في دمشق لن يكتفي بشاعره الأخطل، شاعر بني أمية الذي وضع مصيره في أيديهم، فهجا عنهم الأنصار قبل بضع سنين عندما غمزههم شاعر الأنصار عبد الرحمن بن حسان وعرض نفسه للموت في سبيلهم. وحتى لو اكتفى الخليفة بشاعره الأثير، فهو لن يغفر لواليه المطيع الحجاج أن يكون له شاعر في قامة جرير وقدرته.

كان عبد الملك ذواقة للشعر نقادة، أليس عندما جاءه ابن الرقيّات وأنشده: «يعتدل التاج فوق مفرقة/ على جبين كأنه الذهب» قال له: تقول لي هذا، تمدحني كأنني من ملوك العجم، وتقول لمصعب: «إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء». ثم حرّمه.

بعث الحجاج جريراً إلى عبد الملك هدية، وزيادة في حرصه على أن يقبل الخليفة الهدية بعث معه ابنه محمداً.

عبد الملك لا يريد شاعراً يمدحه مدحاً بارداً بعد إذ مدح واليه مدحاً قوياً. فردّه مرة ومرة، ولكن ابن الحجاج - بوصية من أبيه - لم يبرح دمشق، وظل بباب الخليفة يستعطفه حتى أذن لجرير بالإنشاد، وعلى مضض. قال الخليفة لجرير: إنما أنت شاعر الحجاج. وشمته بعد البيت الأول. ولكن جريراً مضى ينشد حتى قال: «ألستم خير من ركب المطايا»، فعرف عبد الملك أن الرجل شاعر صاحب صنعة، وأنه سيكون درة ثانية في عمامة خلافته.

وأعطاه عبد الملك مئة ناقة وثمانية رعاء، ورجع جرير إلى قومه باليمامة مظفراً. وتناول في اليمامة بعض الشعراء الذين هجوا قومه فهجاهم وأسكتهم. وعاد إلى دمشق في قدمة أخرى ورأى الأخطل في مجلس عبد الملك لأول مرة، ولم يعرفه حتى عُرف به. إذن فهذا شاعر بني أمية العجوز الذي تبرع بمناصرة الفرزدق عليه؟ شتمه واستطال عليه في مجلس الخليفة. ومن حسن حظ جرير أن عبد الملك كان كأخيه بشر يحب أن يتسلى بالشعراء. فما داما

كلاهما من مداحه فلا بأس في أن يستبأ في حضرته.. وبيقبيح الكلام. وعاد جرير إلى اليمامة في نجد، إلى أولاده الكثر وعائلته الكبيرة. فقد كان يعول ثمانين نفساً حسبما زعم.

ثم طلبته يربوع البصرة، فهو شاعرها ولسانها. فأقام في البصرة سنين يتهاجى مع الفرزدق وغير الفرزدق.. أحصوا الشعراء الذين هاجاهم جرير فكانوا ثلاثة وأربعين.

قصة جرير وراعي الإبل النميري

في البصرة نصر الشاعر النميري الملقب براعي الإبل الفرزدق على جرير. وكانت قصة.

قد رويت هذه القصة في الإذاعة يوم أن اشتغلت في إذاعة، وكتبتها في مكان آخر، ولكنها طريفة. فهل تراقفني فيها؟ وأنا أكتبها هنا كتباً جديداً فراراً من معرة القص واللصق.

أراد جرير أن يوفر على نفسه عدوّاً جديداً. فوقف في مكان خالٍ بالمربد ينتظر انصراف «الراعي» من مجلسه الذي تعود أن يجلس فيه مع الفرزدق، ولم يرد جرير أن يراه أحد، ولا أن يواجه الراعي في المجلس.

وانصرف الراعي راكباً بغلة، ووراءه ابنه جندل يركب مهراً. قال جرير للراعي: «يا أبا جندل، إنك شيخ مضر، وقد بلغني تفضيلك الفرزدق عليّ، فإن أنصفتني وفضلتني كنتُ أحق بذلك، لأنني مدحت قومك وهجاهم». ووضع جرير يده على عنق البغلة، وأردف: «الفرزدق ابن عمي، ولا عليك كلفة في أمري معه، وقد يكفيك من ذلك هين: أن تقول كلاهما شاعر كريم، فلا تحمل منه لائمة ولا مني».

سكت الراعي. ثم إذا بابنه جندل يلحق به، ويضرب عجز بغلته قائلاً: أراك واقفاً على كلب بني «كليب»، كأنك تخشى منه شراً أو ترجو منه خيراً. فرمحت البغلة جريراً، فوقعت قلنسوته عن رأسه. فتناولها. يقول جرير: «ما كانت القلنسوة بأغيط أمره إليّ، لو أنه عاج عليّ». ولكن الراعي مضى ولم يعج.

فانصرف جرير مُغضباً إلى بيت رجل من يربوع كان نازلاً عنده بالبصرة.

فلما صلى العشاء، قال أسرجوا لي، وارفعوا لي باطية نبيذ. وصعد إلى عليته مع صاحبه، ومعهما كتف للكتابة. وأخذ يهملهم ويملي على صاحبه. «أُقْلِي اللوم عاذل والعتابن. . وقولي إن أصبت لقد أصابن» وكانت في جرير غنة، ينشد فكأنه يُدخل في حروفه نوناً. وسمى أهل اللغة هذه النون في تلك القصيدة نون الترنم.

أطلت امرأة على جرير فرأته عريان يحبو على أربع، فنزلت مسرعة وقالت: جُنَّ صاحبكم. فقالوا لها: دعيه فهذا شأنه عندما يأتيه الشعر. فلما بلغ جرير البيت: «فغض الطرف إنك من نمير. .» ظل يردد هذا الشطر طويلاً، فلصقت ذقن صاحبه ب صدره ونالته إغفاءة. وجرير يبحث في تلافيف عقله الشعري عن الشطر الثاني. ثم إذا به يقول «الله اكبر» ويكررها. فصحا صاحبه مذعوراً، فقال له: «اكتب «فلا كعباً بلغت ولا كلابا»، أخزيتة ورب الكعبة، وفضلت أخويه عليه».

ثم انطلق جرير إلى مكان الراعي والفرزدق في المربد، بعد أن استيقن أنهما أخذاً مجلسهما. ركب حصانه ووقف من غير أن يسلم، وانطلق ينشد قصيدته بأبياتها التي زادت عن الثمانين بيتاً. وعندما سمع الراعي القصيدة قال لقومه: اركبوا فقد فضحككم جرير. وساروا وسارت القصيدة. وكانوا كلما نزلوا بمكان وجدوا القصيدة قد سبقتهم.

تقول الأسطورة إن بني نمير أخذوا يظنون أن لجرير أشياء من الجن ينشرون شعره. ولكن الحق أن العرب كانت تتذوق الشعر، وأنه كان يسير ويضرب في الأرض. وقد تركت هذه القصيدة بني نمير يستحون من نسبتهم زمناً. وسميت القصيدة الدامغة، أي التي تصيب الدماغ.

رَجَعَ إِلَى جَرِيرِ الْهَجَاءِ

ما استبَّ شاعران منذ كان للعرب شعر مثلما استب جرير والفرزدق. على أن جريراً كان يهاجي سوى الفرزدق اثنين وأربعين شاعراً آخر، ويتفق النقاد على أنه لم يصمد لجرير سوى الفرزدق والأخطل.

وستجد جريراً يسب الأخطل بدينه، ولو كان الخلق مما يوزن به الشعر لسقط جرير بهذا سقوطاً. فالأخطل لم يكن يستطيع - إن هو أراد أصلاً - أن يتعرض للإسلام وهو شاعر خليفة المسلمين. فهنا كانت مروءة جرير ناقصة

نقصاً معيباً، وكانت مروءته ناقصة وهو يزعم أن أخت الفرزدق زانية، وكان جديراً بأولي الأمر في دولة بني أمية أن يكفوه عن مثل هذا، ولكنهم كانوا يتسلون، وكان يطيب لهم أن يؤججوا العداوة بين القبائل. على أن شاعرنا لقي تعزيراً من والي المدينة عندما لجع الهجاء بينه وبين عمر بن لجأ التيمي، فقد قيدا معاً ظهراً لظهر، وتركا في الشمس ساعات. ثم أفرج عنهما على ألا يعودا إلى التهاجي. فكف عمر، لكن جرير كان يستل الواحدة تلو الأخرى ويقول: هذه كانت قبل العهد.

وتولى الوليد بن عبد الملك الخلافة، ولجرير من العمر خمس وستون سنة، ووفد عليه جرير، وظن أن الخليفة الجديد يحب التآريث بين الشعراء كوالده وكعمه، فأطلق لسانه في شاعر الخليفة عدي بن الرقاع، فكاد الخليفة أن ينتقم من جرير بجعله مطية لعدي في ذلك المجلس، لولا أن تدخل عمر ابن الخليفة الوليد.

قتل الأسرى وسبي السبايا

استخلف الوليد عشر سنين لم يكن لجرير فيها حظوة. ثم تولى الخلافة سليمان. فمدحه جرير وحضر مجلسه. وكان له في مجلسه حكاية مع الفرزدق، فيها ما يؤلم. فقد جيء بأسرى الروم كي تضرب أعناقهم في مجلس سليمان. وقال الخليفة لكل من جرير والفرزدق: ليضرب كل منكما رقبة عالج من هؤلاء. ضرب جرير رقبة أسير فقتله، وضرب الفرزدق بسيفه فبنا عن عنق الأسير. وكانت حادثة غير جرير بها في أكثر من قصيدة.

وقد قرأت قصة هذه الحادثة في كتب الأدب القديمة والحديثة مراراً كثيرة، ووجدتهم يروونها بكل طريقة، وينشدون ما قاله جرير وما رد به عليه الفرزدق من شعر. ولم أجد أحداً وقف متأملاً في هذه الوحشية البغيضة. بغيض أن يُقتل الأسرى، وبغيض أن يقتلهم الخليفة في مجلسه، وبغيض جداً أن يجعل قتلهم تسلية له ولشعرائه.

لا أشك في أن الروم في القسطنطينية كانوا يقتلون أسرى المسلمين، وأكاد أراهم يفعلون بهم مثلما يفعل المسلمون. ولست أشك لحظة في أن السبايا الروميات اللاتي ملأن قصور الخلفاء والأمراء والأغنياء، كانت توجد مقابلهن سبايا مسلمات يخدمن في قصور القسطنطينية وفي أسرة أثريائها. ولئن كان

المعتصم قد غزا الروم غزوة كبيرة انتقاماً لامرأة «هاشمية» جاءه أنها قالت: وامتصماه، فإن المعتصم ومن قبله وبعده من الخلفاء لم يسمعوا صرخات سبايا المسلمين وهن يصرخن، ذلك أن السبايا من الطرفين كن من فتيات الفلاحين الفقراء على جانبي الحدود. ولعل آباءهن كانوا يقولون في أنفسهم فلتهب هذه البنت إلى المعسكر الآخر، ولتعش حياة أهنأ مما نعيشه هنا تحت سوط السلطان ندفع الخراج ونجوع. انتهى سوق العبر.

نورد هذا الكلام ونحن نرى قضية السبايا تتكرر ولكن في غياب الروم، تتكرر على نساء من أقوام ضعاف يتمسكون بطريقة عيشهم وبدينهم، نكتب هذا في آب من عام ألفين وخمسة عشر، ونرجو أن نتغير وأن نتنصف من ظلم العالم، وأن نكون منصفين. وتساأني: فلماذا تورد إذن هذا الشعر الذي يسقط في ميزان الأخلاق؟ فأقول هذا إرثنا الشعري، وأنفك منك وإن كان أجدع. وعيار الفن غير عيار الأخلاق.

وعهد سليمان بالخلافة لعمر بن عبد العزيز، ووفد عليه جرير، ولم ينل شيئاً، ولكنه رضي، ومدح عمر ورثاه عندما مات بعد سنتين من خلافته. وجاء هشام فمدحه جرير، ومدح ابنه، ونال العطايا وهو شيخ كبير.

ومات الفرزدق عن تسعين سنة، فشمت به جرير هنيهة وقال بيتاً ندم عليه، ثم رثاه مرتين، وقال: لا أعيش بعده طويلاً. ومات جرير بعد الفرزدق بأشهر. مات جرير بين أهله في اليمامة.

وصلنا شعر جرير بحالة طيبة.. نسبياً. فقد كان له من أولاده وبناته وأحفاده شعراء اهتموا بشعره ورووه. وعندما كتبه الكاتبون بعد عقود كان لديهم ما يستندون إليه من روايات شفهية، وربما أيضاً مخطوطة.

يمكننا أن نطمئن إلى معظم ما في ديوان جرير. ويقول لنا نقاد الشعر القدماء إن البيت الفلاني أو الفلاني نسب إلى جرير خطأ، لكنهم لم يقولوا قط إن الكثير من شعره منحول. هو شعره بعجره وبجره. ولا تسلك كثيراً عن ترتيب الأبيات، فجرير كشعراء الجاهلية قبله يقفز من موضوع إلى موضوع، ومن غزل بأمامة إلى غزل بسليمة، ولو بدل الرواة في رواياتهم مواضع الأبيات لما أضروا بشعره كثيراً، بل ربما جبروا بعض ما فيه من خلل. في كثير من الأبيات عليك أن تشدد على نفسك في التأول حتى تخلص إلى معنى البيت، وقد عانينا من ذلك نصباً. كان شاعرنا يريك طرف المعنى، مثلما يريك جبل الجليل قمته،

ويترك الباقي في بطنه. كذا كان شعر القدماء، وعندما ستسطع أضواء العصر العباسي سنجد الشعر أكثر تماسكاً، والمعنى أكثر التصاقاً بالمفردات، وأكثر التزاماً بقواعد النحو.

لا تنس وأنت تطالع شعر جرير الذي انتخبناه لك، وهو زبدة الزبدة، أن تلتقط أبيات الفكاهة، وفكاهة جرير حارة وجميلة. وقد سودنا لك أبياتاً هنا وهناك حتى نتشارك في الاستمتاع بها. وقد يكون لك رأي غير رأينا في أي الأبيات أجمل. اذهب واصنع مختاراتك أنت. فأما هذه فمختاراتي.

عن جرير قالوا الكثير، هو يغرف من بحر، وهو أستاذ الشعراء في الإسلام، الخ. ذلك تجده بأيسر سبيل في كل كتاب وكل موقع. ولم نكتبه لك. كتبنا لك رؤيتنا نحن لشعر جرير وحياته. ولم نخترع شيئاً؛ وكنا في سياقة حياة شعراء غيره نخترع ونكمل القصة من عندنا، مع الاعتراف بذلك قياماً بحق الأمانة. وتبقى في حياة جرير أمور تضطرب فيها كلمة مؤرخي الشعر، يزدون سنة أو سنتين في تاريخ ميلاده، ووفاته، ويروون حكاياته بروايات تتقارب وتتباعد.

سلق الأكاديميين

قد عهدتنا نسلق الأكاديميين ببعض الأسطر في كل مرة نتناول فيها شاعراً. قد شرح ديوان جرير إيليا الحاوي لطلابه، ولم يكن رديئاً. واستند تماماً إلى نسخة كرم البستاني. ولم يشرح ما عجز عن شرحه ولم يقل لنا ذلك. ووجدنا نسخة الصاوي بغير شرح. وجاء أكاديمي بأخرة فطبع الديوان في ألف صفحة عن نسخة شارح قديم، ولم يكن شرحُ الشارح القديم كافياً، فقد ترك من الأبيات أكثر مما شرح. على أن الأكاديمي الأخير كسل عن تشكيل كثير من الكلمات. وأشعرنا بالاستسهال، رغم الجهد الذي بذله. ولو رأى ما صنع الأب صالحاني بنقائض جرير والأخطل لتضائل وعزف عن الوقوف أمام المرأة زمناً، هذا لو كان فيه حياء.

ديوان جرير ينتظر محققاً لا يستسهل.

فإن أردنا أن نعتذر لمن أصدروا الديوان بعذر فهو إقرارنا بأن ما صنعناه أيسر بكثير مما كان عليهم أن يصنعوه، فنحن انتخبنا من ذلك الشعر ما راق لنا وما فهمناه، ولو أقدمنا على الديوان كله لربما كان بدا من عجزنا ما بدا من عجزهم.

وننظر حولنا فنرى مئات الجامعات في العالم العربي، وبها مئات كليات الأدب العربي، فماذا نرى؟ نرى أساتيد نزلت بهم هممهم عن رتبة الإتقان، وتنطحوا لكتابة أسمائهم على أغلفة الدواوين، وهم يتكثرون في مقدماتهم بفضول القول في مدح النفس، ويتنطعون ما وسعهم بأنهم يخدمون التراث، وقد ترى أحدهم يتلمظ بركيك العبارة ويتمطق بسقيم الكلام وهو ينبثق بأنه ينافح عن العروبة والإسلام. ويصنع لهم طلبتهم رسائل دكتوراه تافهة عن الجانب الفلاني أو الفلاني في شعر فلان أو فلان، فتأتي رسائلهم وقد انحطت دركة عن مستوى أساتذتهم، ويذهب الطلبة فرحين بهذه الأسقاط إلى المطابع، فيجعلونها كتباً تشوه واجهات المكتبات، ثم ينصرفون إلى التدريس الجامعي لكي يتخرج على أيديهم جيل ينحط دركة أخرى عنهم، فيكون كالدرهم المسيح، أو كالكتاب المسروق بالأوفست صورة عن صورة.

١ زينب

لَقَدْ هَتَفَ الْيَوْمَ الْحَمَامُ لِيُطْرِبَا وَعَنَى طِلَابُ الْغَانِيَاتِ وَشَيْبَا
صَوْتُ الْحَمَامِ لِيُطْرِبَ (لِيُحْزِنَ)، فَقَدْ عَنَانِي (أَوْجَعَنِي) طِلَابُ الْغِنَايَاتِ (تَتَبَعَ الْحَسَانَ) وَشَيْبَ رَأْسِي
وَأَحْبَبْتُ أَهْلَ الْعَوْرِ مِنْ حُبِّ ذِي فَنَاءٍ وَأَحْبَبْتُ سُلَمَانِينَ مِنْ حُبِّ زَيْنَبَا

٢ إخضاع العفاريث

وَكَائِنُ بِالْأَبَاطِحِ مِنْ صَدِيقٍ يَرَانِي لَوْ أَصْبَحْتُ هُوَ الْمَصَابَا
وَكَائِنُ (وَرُبُّ) صَدِيقٍ فِي الْأَبَاطِحِ يَتَوَجَّعُ لِمَصِيبَتِي كَانَهَا أَصَابَتُهُ

وَمَسْرُورٍ بِأَوْبِنَا إِلَيْهِ وَآخِرَ لَا يُحِبُّ لَنَا إِيَابَا
وَرُبَّ مَسْرُورٍ بِرُجُوعِنَا، وَآخِرَ لَا يَتَمَنَّى لَنَا رُجُوعاً

صَبَّرْتُ النَّفْسَ يَا ابْنَ أَبِي عَقِيلٍ مُحَافَظَةً فَكَيْفَ تَرَى الثُّوبَا
صَبَّرْتُ نَفْسَكَ (صَبَّرْتُهَا) أَيُّهَا الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ مُحَافَظَةً (حِفَافاً عَلَى الشَّرَفِ) فَهَلْ تَرَى كَيْفَ كَانَ النَّصْرُ ثَوَابَكَ

وَلَوْ لَمْ يَرْضَ رَبُّكَ لَمْ يُنْزَلْ مَعَ النَّصْرِ الْمَلَائِكَةُ الْغَضَابَا
نَصَرَكَ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ غَضِبُوا لِلشَّرَفِ وَالدين، وَهَذَا دَلِيلُ رِضَا اللَّهِ. (فَالْحَجَّاجُ هَدَمَ جَانِباً مِنْ الكعبةِ بِالْمَنْجَنِيقِ، فَكَانَ لَا يَدُ لِلشَّاعِرِ الْمُنَافِقِ مِنْ أَنْ يَزِيدَهُ بِصُكِّ غَفَرَانَ مِنْ مَلَائِكَةِ تَقَاتَلَ مَعَهُ)

إِذَا سَعَرَ الْخَلِيفَةُ نَارَ حَرْبٍ رَأَى الْحَجَّاجَ أَثْقَبَهَا شِهَابًا

سعر: أوقد، أثقبها: أشدها اشتعالاً، الشهاب: الشعلة من اللهب

عَفَارِيثُ الْعِرَاقِ شَفِيَتْ مِنْهُمْ فَأَمْسَوْا خَاضِعِينَ لَكَ الرُّقَابَا

شفيت نفوسنا من عفاريت العراق (الشياطين الخارجين على الدولة كالخوارج)، فخضعت رقابهم لك

وَقَالُوا لَنْ يُجَامِعَنَا أَمِيرٌ أَقَامَ الْحَدَّ وَاتَّبَعَ الْكِتَابَا

كانوا يقولون لن يجمعنا البلد مع أمير يقيم حدود الله ويتبع كتابه..

إِذَا أَخَذُوا، وَكَيْدُهُمْ ضَعِيفٌ، بَابٍ يَمْكُرُونَ فَتَحَتْ بَابَا

فأصبحوا كلما دخلوا باباً للفتنة فتحت لهم باباً من الدهاء، وفي النتيجة كان كيدهم ضعيفاً

وَأَشْمَطَ قَدْ تَرَدَّدَ فِي عَمَاهُ جَعَلَتْ لِشَيْبٍ لِحِيَّتِهِ خِضَابَا

ورب رجل أشمط (اختلط سواد شعره بياض) يروح ويحي في ضلاله، وقد خضبت (صبغت) لحيته بدمه، (وذلك هو عمر بن ضابئ البرجمي، الذي كان دخل على عثمان يوم قتل وداسه، قتله الحجاج سنة ٧٥هـ)

٣ أنا والغواني

نَعَبَ الْغُرَابُ فَمَا لَهُ مِنْ مَطْلَبٍ مَا شِئْتَ إِذْ طَعَنُوا لِبَيْنٍ فَانْعَبِ

صوت الغراب ولا مطلب (غاية) له لأن صوته نذير برحيلهم، وهم الآن قد طعنوا (رحلوا) فعلاً، فصوت كما تشاء

إِنَّ الْغَوَانِيَّ قَدْ قَطَعْنَ مَوَدَّتِي بَعْدَ الْهَوَى وَمَنْعَنْ صَفْوِ الْمَشْرِبِ

وإذا وعدتك نائلاً أخلفنهُ وجعلن ذلك مثل برقي الخلب

النائل: ما يناله المرء، برق الخلب: برق السحاب الخادع، يشرب بمطر ولا يأتي مطر

٤ كل واشرب

فَإِنَّكَ يَا خِنْزِيرَ تَغْلِبَ إِنْ تَقُلْ رَبِيعَةً وَزَنْ مِنْ تَمِيمٍ تُكَذِّبِ

أبا مالِكٍ لِلْحَيِّ فَضْلٌ عَلَيْكُمْ فَكُلْ مِنْ خَنَانِيصِ الْكِنَاسَةِ وَاشْرَبِ

الخنانيص: صغار الخنازير، كل لحم الخنزير واشرب الخمر. أو أنه جعل «واشرب» مجرد لاحقة لـ «كُل»!

٥ وظيفة المكارم

لَقَدْ عَلِمَ الْفَرَزْدَقُ أَنَّ قَوْمِي يُعِدُّونَ الْمَكَارِمَ لِلْسَّبَابِ

نحن ندخر المكارم لكي نرد بها على من يسبنا

إِذَا عَدَّتْ مَكَارِمَهَا تَمِيمٌ فَخَرَّتْ بِمِرْجَلٍ وَبِعَقْرِ نَابٍ

كل فخرك وسط قبيلة تميم هو مرجل (موقد الحداد)، وأن أجدادك كانوا يعقرون النيب (يذبحون النياق).. وكان أبو الفرزدق قد تعاقر مع أحدهم (أي تبارى معه أيهما يذبح نياقاً أكثر) فعقر مئة ناقة وقيل أكثر، والتعاقر تفاخراً مما نهى عنه الإسلام، فلئن كان العقر للضيف وللجوعى محموداً فالتعاقر مذموم

وَسَيْفُ أَبِي الْفَرَزْدَقِ قَدْ عَلِمْتُمْ قَدْوَمٌ غَيْرُ ثَابِتَةٍ النَّصَابِ

سيف أبيك مثل القدوم (المطرقة) الجرج ذي البد القلقة. يهجوهم بأنهم أهل صناعة لا حرب، وكان الفرزدق جرب سيفه في أسير عند الخليفة فلم يقطع

أَمَّا يَدْعُ الزُّنَاءُ أَبُو فِرَاسٍ وَلَا شُرْبُ الْخَبِيثِ مِنَ الشُّرَابِ

وَلَا مَثَ فِي الْحُدُودِ وَعَاتَبْنُهُ فَقَدْ يَسْتِ نَوَارُ مِنَ الْعِتَابِ

لامته زوجته نوار في التعدي على حدود الله، ولكنها يثت منه

٦ ليست عنكبوتة

قَدْ تَيَّمَ الْقَلْبَ حَتَّى زَادَهُ خَبَلًا مَنْ لَا يُكَلِّمُ إِلَّا وَهُوَ مَحْجُوبٌ

الخبيل: الهوس

تَمَّتْ إِلَى حَسَبٍ مَا فَوْقَهُ حَسَبٌ مَجْدًا، وَزَيْنَ ذَاكَ الْحُسْنُ وَالطَّيِّبُ

تَبْدُو فَتُبْدِي جَمَالًا زَانَهُ خَفَرٌ إِذَا تَزَارَاتِ السُّودُ الْعَنَاكِيْبُ

الخفر: الحياء، تزارأت: مشت مسرة واختبات. فهي امرأة حية تمشي ويثداً، وليست كالقبيحات اللاتي يشهن العناكب السود منظرًا وحركة

٧ صراصير وقنافذ

أَمَّا صُبَيْرٌ فَإِنْ قُلُوا وَإِنْ لَوْمُوا فَلَسْتُ هَاجِيَهُمْ مَا حَنَّتِ النَّيْبُ

قبيلة صبير مذمومة بقله العدد وباللؤم، ومع ذلك لن أهجوهم ما دامت النيب (النياق) تصدر صوت «الحنين».. أي أبداً

أَمَّا الرِّجَالُ فَجِعْلَانُ، وَنِسَوْتُهُمْ مِثْلُ الْقَنَافِذِ لَا حُسْنٌ وَلَا طِيبُ

جعلان: صراصير

٨ داء الركبتين

قال لسليمان بن سعد صاحب ديوان العطاء باليمامة، وقد منعه بعض رزقه:

لَقَدْ كَانَ ظَنِّي يَا ابْنَ سَعْدٍ سَعَادَةً وَمَا الظَّنُّ إِلَّا مُخْطِئٌ وَمُصِيبٌ
تَرَكْتُ عِبَالِي لَا فَوَاكِهَ عِنْدَهُمْ وَعِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ سُكَّرٌ وَزَبِيبٌ
تَحَنَّى الْعِظَامُ الرَّاجِفَاتُ مِنَ الْبَلَى وَلَيْسَ لِدَاءِ الرُّكْبَتَيْنِ طَبِيبٌ

التوت عظامي المرتعشة من البلى (الاهتراء). رحم الله أمي، اشتكت ركبتيها طويلاً، ولم يكن عمرها يسمح بتركيب ركبتي صناعيتين، وكنت كلما سمعت شكواها أتذكر هذا البيت اللعين، ولم أقله لها بالطبع، وكانت إحدى قريباتي تمد كفيها ناظرة إلى أصابعها وتقول: لعنة الله على الكبير، انظروا كيف تنفوس الأصابع

مَنَعَتْ عِطَائِي يَا ابْنَ سَعْدٍ وَإِنَّمَا سَبَقَتْ إِلَيَّ الْمَوْتُ، وَهُوَ قَرِيبٌ
فَإِنْ تُرْجِعُوا رِزْقِي إِلَيَّ فَإِنَّهُ مِتَاعٌ لَيَالٍ، وَالْحَيَاءُ كَذُوبٌ

٩ طلبك ليس عندنا

قال لجارية ابتاعها، وكانت قبله عند «زيد» الثري:

تُكَلِّفُنِي مَعِيشَةَ آلِ زَيْدٍ وَمَنْ لِي بِالصَّلَاحِ وَالصَّنَابِ
الصلايق: رفاق اللحم المشوي، الصناب: إدام من خل وزيب

وَقَالَتْ لَا تَضُمُّ كَضْمَ زَيْدٍ وَمَا ضَمِّي وَلَيْسَ مَعِيَ شَبَابِي
تريده أن يضمها (المهذبون من الشراح قالوا بل الضم هو القيام بأمر البيت لا غير، ويقصّر شرحهم دون الشطر الثاني)

١٠ أخاف عليكم

أَبْنِي حَنِيفَةً أَحْكِمُوا سَفَهَاءَكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا
أَبْنِي حَنِيفَةً إِنَّنِي إِنْ أَهْجُكُم أَدْعُ الْيَمَامَةَ لَا تُوَارِي أَرْزَبَا
اليمامة: منطقة بني حنيفة في نجد، وكان يقيم بها قوم من تميم منهم جرير، وباليمامة ولد

١١ كدت أبوح

أَلَا حَيَّ لَيْلَى إِذْ أَجَدَّ اجْتِنَابُهَا وَهَرَكَ مِنْ بَعْدِ ائْتِلَافِ كَلَابُهَا
نحية الليلى وقد جدّ علينا هجرانها لنا، وصارت كلابها تهرنا (تنبخنا) بعد أن كانت تألفنا لكثرة زياراتنا

إِذَا ذُكِرَتْ لِلْقَلْبِ كَادَ لِذِكْرِهَا يَطِيرُ إِلَيْهَا، وَاعْتَرَاهُ عَذَابُهَا
فَهَلْ مِنْ شَفِيعٍ أَوْ رَسُولٍ بِحَاجَةٍ إِلَيْهَا، وَإِنْ صَدَّتْ وَقَلَ ثَوَابُهَا
ثَوَابُهَا: عطاؤها، وصلها

بِأَنَّ الصَّبَا يَوْمًا بِمَنْعِجٍ لَمْ يَدْعُ عَزَاةً لِنَفْسٍ مَا يُدَاوَى مُصَابُهَا
هل من رسول يقول لها إن الصبا (الشوق لزمان الصبا وللشوق) لم يترك لنا في «منعج» ما نعزي به
أنفسنا المصابة بعشق لا دواء له

وَيَوْمًا بِسُلْمَانِينَ كَذْتُ مِنَ الْهَوَى أَبُوحُ، وَقَدْ زُمْتُ لِبَيْنِ رِكَابِهَا
كدت لفرط الهوى أبوح بحبها عندما زُمت (هَيئت) ركابها (نياقتها وعليها رحالها) للبين (الرجل)

حَتَّى أَهْلُهَا مَا كَانَ مِنَّا فَاصْبَحَتْ سِوَاءَ عَلَيْنَا نَائِبُهَا وَاقْتِرَابُهَا
حتى (منع) أهلها ما كان بيننا من وصل، فصار ابتعادها واقترابها سيات

أَبَا مَالِكٍ مَالَتْ بِرَأْسِكَ نَشْوَةٌ وَبِالشِّبْرِ قَتْلَى لَمْ تَطْهَرْ ثِيَابُهَا
يخاطب الأخطل: مالت برأسك نشوة السكر، بينما في «الشبر» قتلى من قبيلتك تغلب لم تكفن
وتغسل من دماؤها بعد

فَإِنَّ نَدَامَاكَ الَّذِينَ خَذَلْتَهُمْ تَلَاَقَتْ عَلَيْهِمْ خَيْلٌ قَيْسٍ وَغَابُهَا
من كانوا ينادمونك وخذلتهم تعرضوا لخيل قيس وغابها (رامحها)

ظَلَلْتَ تَقِيءُ الْخَنْدَرِيسَ، وَتَغْلِبُ مَعَانِيْمُ يَوْمَ الْبِشْرِ يُحَوِّى نَهَايُهَا
الخندريس: الخمر، يوم البشر: وقعة كانت لبني سليم، من قيس، على بني تغلب رهط الأخطل،
النهاب: الغنائم

لَقَدْ تَرَكَتْ قَيْسٌ دِيَاراً لِتَغْلِبٍ طَوِيلًا بِشْطِ الرَّابِيعِينَ خَرَابُهَا
الزباين: الزاب الصغير والزاب الكبير، رافدان لدجلة

عَجِبْتُ لِفَخْرِ التَّغْلِبِيِّ وَتَغْلِبُ تُؤَدِّي جِزَى النَّيْرُوزِ خُضْعًا رِقَابُهَا
جزي النيروز: ضريبة قديمة كان يفرضها الفرس والرومان على من يحتفلون بعيد الربيع، وفرضت
في العصر الأموي غير أن عمر بن عبد العزيز ألغاهما

أَيْفَحَرُ عَبْدُ أُمِّهِ تَغْلِبِيَّةٌ قَدْ اخْضَرَّ مِنْ أَكْلِ الْخَنَانِيصِ نَائِبُهَا
أنفخر أيها الأخطل العبد، وأمك تغلبية اسودت أسنانها لكثرة ما أكلت لحوم الخنايص
(والخنوص: صغير الخنزير). كانوا في القديم ربما عبروا بالخضرة عن السواد

غَلِيظَةُ جِلْدِ الْمِنْخَرَيْنِ مُصِنَّةٌ عَلَى أَنْفِ خِنْزِيرٍ يُشَدُّ نَقَابُهَا
هي فطساء، مصنة (كريمة الرائحة)، وأنفها أنف خنزير

أَبَا مَالِكٍ لَيْسَتْ لِتَغْلِبَ نَجْوَةٌ إِذَا مَا بُحُورُ الْمَجْدِ عَبَّ عُبَابُهَا
 لَنْ تَنْجُو تَغْلِبَ مِنْ تَدْفُقُ بِحُورِ الْمَجْدِ الَّذِي لِلْقَبَائِلِ الْآخَرَى وَتَغْلِبَ لَا تَمْلِكُ مِنْهُ شَيْئاً
 كَذَلِكَ أَعْطَى اللَّهُ قَيْساً وَخُنْدِفاً خَزَائِنَ لَمْ يُفْتَحْ لِتَغْلِبَ بِأُوبِهَا
 خندف: شعب كبير منهم تميم قبيلة جرير

١٢ نَفْثُ الشَّوَارِبِ

يَا تَيْمُ مَا خَطَبَ الْمَلُوكُ بَنَاتِكُمْ رِيحُ الْخَنَافِسِ فِي مُسُوكِ ضِبَابِ
 رائحة بناتكم كرائحة الخنافس، وهن في مسوك ضباب (في جلود حيوان الضب) أي يشبهن الضباب
 قَوْمٌ إِذَا حَضَرَ الْمُلُوكَ وَفُودُهُمْ نُتِفَتْ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الْأَبْوَابِ

١٣ وَطءُ الْجَبِينِ

وَنَعْرِفُ حَقَّ النَّازِلِينَ وَلَمْ تَزَلْ فَوَارِسُنَا يَحْمُونَ قَاصِيَةَ السَّرْبِ
 نضيف من ينزل بنا، وفرساننا يفرضون حمايتهم على قاصية السرب (الطريق النائية)
 عَلَى مُقَرَّبَاتِ هُنَّ مَعْقِلٌ مِنْ جَنَى وَسَمُّ الْعِدَى وَالْمُنْجِيَاتُ مِنَ الْكَرْبِ
 وفرساننا يركبون مقربات (خيول تكون قريبة دوماً ومهيأة للركوب) وهي معقل (حصن) من جنى
 جناية واحتمى بنا، وهي سم في حلق الأعداء، وتنجينا من اعتداءاتهم
 أَلَا رَبُّ جَبَّارٍ وَطِئْنَ جَبِينَهُ صَرِيعاً، وَنَهَبَ قَدْ حَوَيْنَ إِلَى نَهَبِ
 النهب: الغنيمة

١٤ قَوَافُ تَلْتَهَبِ التَّهَابِ

لَقَدْ طَرِبَ الْحَمَامُ فَهَاجَ شَوْقاً لِقَلْبٍ مَا يَزَالُ بِكُمْ مُصَابَا
 بِنَفْسِي مَنْ أَزُورُ فَلَا أَرَاهُ وَيَضْرِبُ دُونَهُ الْحَدْمُ الْحَجَابَا
 بنفسي: أفدي بنفسي

أَخَالِدَ لَوْ سَأَلْتُ عَلِمْتَ أَنِّي لَقِيتُ بِحُبِّكَ الْعَجَبَ الْعُجَابَا
 أخالد: يا خالدة، وهي زوجته أم حزرة

سَتَظْلَعُ مِنْ دُرَى شُعْبَى قَوَافٍ عَلَى الْكِندِيِّ تَلْتَهَبُ التَّهَابَا
 ستخرج من قمم شعبي قواف (قصائد) في هجاء «العباس بن يزيد الكندي» الذي يسكن هناك

١٥ فغض الطرف

قال يهجو «الراعي النميري»، وسميت القصيدة بالدامغة، وقصصنا قصتها في مقدمة هذا الباب:

أَقْلِي اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَا وَقُولِي إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا
أَقْلِي (قُلِّي) يَا عَاذِلَ مِنْ لَوْمِكَ، وَاعْتَرَفِي لِي بِالصَّوَابِ حِينَ أَقُولُ صَوَابًا

أَجِدُّكَ مَا تَذْكُرُ أَهْلَ نَجْدٍ وَحَيًّا طَالَمَا انْتَظَرُوا الْإِيَابَا
يُخَاطَبُ نَفْسَهُ: أَجِدُكَ يَا جَرِيرُ (بِرِّيكَ) أَلَا تَتَذَكَّرُ أَهْلَ نَجْدٍ، وَذَلِكَ الْحَيُّ (الْقَوْمُ) الْمُنْتَظَرِينَ عَوْدَتَكَ.. قَالَ جَرِيرُ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ وَهُوَ بِالْبَصْرَةِ، وَلَمَلَهُ فَعَلًا مُشْتَقًّا إِلَى مَوْطِنِهِ بِنَجْدٍ

وَهَاجَ الشُّوقُ لَيْلَةَ أَذْرِعَاتٍ هَوَىٰ مَا تَسْتَطِيعُ لَهُ طِلَابَا
الشُّوقُ هَاجَ (هَيَّجَ وَأَيْقَظَ) فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ بِأَذْرِعَاتٍ (دَرَعَا فِي حُورَانَ الشَّامِ) عَشَقًا مُسْتَحِيلًا لَا يُمْكِنُكَ السَّعْيُ وَرَاءَهُ

وَوَجِدٍ قَدْ طَوَيْتُ يَكَاذَ مِنْهُ ضَمِيرُ الْقَلْبِ يَلْتَهَبُ التَّهَابَا
رَبِّ وَجَدَ كُتْمَتَهُ يَكَاذُ يَحْرِقُ قَلْبِي

أَبَاَحْتُ أُمَّ حَزْرَةَ مِنْ فَوَادِي شِعَابَ الْقَلْبِ، إِنَّ لَهُ شِعَابَا
وَلَا تَنْشِي اللَّثَامَ لَهَا بِسِرٍّ وَلَا تُهْدِي لِجَارَتِهَا السَّبَابَا
أَبَى لِي مَا مَضَى لِي فِي تَمِيمٍ وَفِي فَرْعِي خَزِيمَةً أَنْ أَعَابَا
كَأَنَّ بَنِي طَهْيَةَ رَهْطَ سَلَمَى حِجَارَةً خَارِيٍّ يَرْمِي كِلَابَا

بَنُو طَهْيَةَ هَؤُلَاءِ - وَكَانَ شَاعِرٌ مِنْهُمْ خُطِبَ ابْنَةُ عَمِّهِ «سَلَمَى» وَلَكِنْ أَبَاهَا زَوْجُهَا مِنْ غَيْرِهِ فَمَضَى إِلَيْهَا وَقَتْلَهَا - نَاسٌ قَمِيثُونَ أَشْكَالَهُمْ عَجِيبةٌ غَيْرُ مُتَنَاسِقَةٍ، فَكَأَنَّهُمْ تِلْكَ الْحِجَارَةُ الَّتِي يَرْمِي بِهَا رَجُلٌ قَعْدَ الْفَرْفَصَاءِ يَقْضِي حَاجَتَهُ فَنَبْحَتُهُ كِلَابٍ وَاقْتَرَبَتْ فَأَخَذَ يَرْشُقُهَا بِهَا. هَذِهِ صُورَةُ جَرِيرِيَّةٍ اقْشَعَرَتْ مِنْهَا أَبْدَانُ بَنِي طَهْيَةَ كَثِيرًا

فَلَا وَأَبِيكَ مَا لَاقَيْتَ حَيًّا كَيْرَبُوعٍ إِذَا رَفَعُوا الْعُقَابَا
لَنْ تَجِدَ مِثْلَنَا، آلُ يَرْبُوعٍ، عِنْدَمَا نَرْفَعُ الْعُقَابَ (رَايَةَ الْحَرْبِ)

لَنَا تَحْتَ الْمَحَامِلِ سَابِغَاتُ كَنْسَجِ الرِّيحِ تَطَّرِدُ الْحَبَابَا
نَرْتَدِي دُرُوعًا سَابِغَةً (كَاسِيَةً طَوِيلَةً) تَبْلُغُ إِلَى مَا تَحْتَ مَحَامِلِ السِّيُوفِ (مَكَانَ تَعْلِيقِ السِّيُوفِ عِنْدَ الْجَنْبِ) وَهِيَ مَنْسُوجَةٌ مِنْ زَرْزَرٍ كَأَنَّمَا هِيَ سَطْحُ الْمَاءِ الْمَتَكَّرِ وَقَدْ مَرَّتِ الرِّيحُ فَوْقَ جَدُولِهِ وَأَخَذَتْ تَسْحَبُ مِنْ عَلَى السَّطْحِ الْحَبَابَ (الْفَقَاقِيعَ)

وذي تاجٍ له خَرَزَاتُ مُلْكٍ سَلْبَنَاهُ السُّرَادِقُ وَالْحِجَابَا
رب ملك صاحب تاج مرصع قد سلبناه خيمته الكبيرة وستوره

أَعَدَّ اللَّهَ لِلشُّعْرَاءِ مِنِّي صَوَاحِقَ يَخْضَعُونَ لَهَا الرُّقَابَا
قَرَنْتُ الْعَبْدَ عَبْدَ بَنِي نُمَيْرٍ مَعَ الْقَيْنَيْنِ إِذْ غُلِبَا وَخَابَا
قرنت الراعي الشاعر مع القينين (الحداين، وهما البيت والفرزدق)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جِعْثَنَ وَشَطَّ سَعْدٍ تُسَمَّى بَعْدَ فِضَّتِيهَا الرُّحَابَا
ألم ترى يا فرزدق أن أختك «جعثن» صارت تُلقب عند بني سعد بالرحاب (الواسعة) بعد أن
اقتضها منهم ذلك الرجل عمران بن مرة. وكان هذا الرجل قد اعترض أخت الفرزدق ونزع ثوبها،
فاستنجدت بقومها فهرب الرجل ولما يفعل شيئاً، ولكن جرير في مواضع كثيرة يعير الفرزدق
بالحادثة ويزعم المزاعم

تَرَى بَرَصاً بِمَجْمَعِ أَسْكَنِيهَا كَعْنَفَقَةِ الْفِرْزَدِقِ حِينَ شَابَا
يرى المرء بمجمع (مكان اللقاء) أسكنيها (شفري فرجها) يياضاً كأنه البرص وهو يشبه عنفقة
الفرزدق (الشعر الذي تحت شفته) حين شاب

أَتَلْتِمِسُ السَّبَابَ بَنُو نُمَيْرٍ فَقَدْ وَأَبِيهِمْ لَأَقْوَا سَبَابَا
أجندل ما تقول بنو نمير إذا ما الأبر في استِ أبيك غابَا
ويحتاج البيت إلى نقطة في مكان ما حتى يستقيم معناه. وجندل هو ابن الشاعر المهجو، وكان قد
أهان جريراً في قصة طويلة، ذكرناها في المقدمة

وَلَوْ وَزَنْتُ حُلُومَ بَنِي نُمَيْرٍ عَلَى الْمِيزَانِ مَا وَزَنْتُ ذُبَابَا
فَقُضَّ الطَّرْفُ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْباً بَلَفْتَ وَلَا كِلَابَا
عبقرية البيت بساطته. كعب وكلاب ونمير أبناء عمومة، وكل ما فعله جرير أنه فضل كعباً وكلاباً
على نمير، والمفاضلة عند القدماء هي الهجاء «المقذع»

فَيَا عَجِبِي أَتُرْعِدُنِي نُمَيْرٌ بِرَاعِي الْإِبِلِ يَحْتَرِشُ الضُّبَابَا
أتهددني نمير بشاعرها «راعي الإبل» - وهذا لقبه لكثرة وصفه للإبل - هذا الذي يحترش الضباب
(يصيد حيوان الضب مخرجاً إياه من جحره)

إِذَا نَهَضَ الْكِرَامُ إِلَى الْمَعَالِي نَهَضَتْ بِعُلْبَةٍ وَأَثَرَتْ نَابَا
يا راعي الإبل إذا فعل الكرام ما يكسبهم حمداً، فأنت تأخذ العلية (قصعة من جلد أو خشب
يحبون بها) وأقمت ناباً (ناقة) باركة كي تحلبها

إِذَا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابَا

١٦ البازي والحباريات

أنا البازي المَطْلُ على نُمَيْرٍ على رَغَمِ الْأَنْوِفِ الرَّاغِمَاتِ
إِذَا سَمِعْتَ نُمَيْرٌ مَدَّ صَوْتِي حَسِبْتُهُمْ نِسَاءً مُنْصِتَاتِ
رَجَوْتُمْ يَا بَنِي وَقَبَانَ مَوْتِي وَأَرْجُو أَنْ تَطْوَلَ لَكُمْ حَيَاتِي
إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَيَّ فَخَلَّ عَنْهُمْ وَعَنْ بَازٍ يَصُكُّ حُبَارِيَاتِ

يشبه نفسه بالصقر قد انفرد بطيور الحبارى فهو يصكها صكاً قبل أن يلتقط طيراً منها ويصيده،
لست على يقين إن كان الصقر يفعل هكذا، لكن جرير رأى نفسه بازياً وسط ثلاثة وأربعين شاعراً
اجتمعوا عليه ينهشونه فتنف ريشهم

١٧ نخاف ثم ننسى

تُرَوُّعُنَا الْجَنَائِزُ مُقْبِلَاتٍ فَنَلْهُوُ حِينَ تَذْهَبُ مَذِيرَاتِ
كَرَوَعَةٍ هَجْمَةٍ لِمَغَارٍ سَبْعٍ فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتِ
نخاف من الموت خوفاً هجمة (قطيع) لمغار سبع (لإغارة سبع)، فلما انصرف عادت راتعة ترعى

١٨ رثاء الفرزدق

فَلَا حَمَلْتُ بَعْدَ الْفَرَزْدَقِ حُرَّةً وَلَا ذَاتُ حَمْلٍ مِنْ نِفَاسٍ تَعَلَّتِ
لَا حَمَلْتُ بَعْدَكَ النِّسَاءَ، وَلَا تَعَلْتُ (قامت سالمة) امرأة نفساء، لأنهن لن ينجبن مثلك
هُوَ الْوَافِدُ الْمَجْبُورُ، وَالرَّاتِقُ الثَّأْيُ إِذَا التَّعْلُ يَوْمًا بِالْعَشِيرَةِ زَلَّتِ
كان الفرزدق الوافد على الملوك الذي يجبرون كسره (يعطونه مالا لأمله)، وهو الراتق الثأى (الذي
يصلح الخرق) عندما تزل النعل (تقع أزمة) بالعشيرة

١٩ صولة الحجاج

قُلْ لِلْجَبَانِ إِذَا تَأَخَّرَ سَرَجُهُ هَلْ أَنْتَ مِنْ شَرِّكَ الْمَنِيبَةِ نَاجٍ
تأخر سرجه: إذا تأخر بحصانه في الخروج إلى القتال
مَنْ سَدَّ مُطْلَعَ النَّفَاقِ عَلَيْهِمْ؟ أَمْ مَنْ يَصُولُ كَصَوْلَةِ الْحَجَّاجِ؟
من سد على المنافقين المطلع (الموضع العالي) الذي يشرف منه المقاتلون على العدو؟ ومن يصول
ويهجم هجوم الحجاج؟

أَمْ مَنْ يَغَارُ عَلَى النِّسَاءِ حَفِيزَةً إِذْ لَا يَشُقُّنَ بِغَيْرَةِ الْأَزْوَاجِ
حفيزة: حفاظاً على الشرف

٢٠ أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا؟

قال يمدح عبد الملك بن مروان:

أَتَضَحُّو؟ بَلْ فَوَإِذَاكَ غَيْرُ صَاحٍ عَشِيَّةَ هَمٍّ صَحْبُكَ بِالرَّوَّاحِ
يخاطب نفسه عشية رحيل صحبه (أهل محبته!)

يَقُولُ الْعَاذِلَاتُ عَلَاكَ شَيْبٌ. أَهَذَا الشَّيْبُ يَمْنَعُنِي مَرَاحِي
تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قَالَتْ: رَأَيْتُ الْوَارِدِينَ ذَوِي امْتِيَا ح
تعزت (وجدت العزاء والتسرية عن النفس) أم حزرة (زوجه) قائلة إنها ترى الذين يردون الخليفة
ذوي امتياح (ناقلين العطاء)

تُعَلِّلُ وَهِيَ سَاغِبَةٌ بَنِيهَا بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشَّيْبِ الْقَرَّاحِ
تصبر أولادها وهي ساغبة (جائعة) بسقيهم أنفاساً (جرعات) من الماء الشب (البارد)
القراح (الصابي)

يُقِي بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ
أَغْنَنِي، يَا فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، بِسَيْبٍ مِنْكَ، إِنَّكَ ذُو ارْتِيَا ح
السب: العطاء. ذو ارتياح: ذو أريحية، يعطي وهو سعيد بنفس طيبة

فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ عَلَيَّ حَقًّا زِيَارَتِي الْخَلِيفَةَ وَامْتِدَاحِي
سَأَشْكُرُ أَنْ رَدَدْتَ عَلَيَّ رِيثِي وَأَثَبْتَ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي
رددت علي ريثي: أنعمتني. القوادم: الريشات الظاهرات في جناح الطير

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونُ رَاحٍ
دَعَوْتُ الْمُلْحِدِينَ أَبَا حُبَيْبٍ جَمَاحاً، هَلْ شُفِيتَ مِنَ الْجِمَاحِ
يخاطب عبد الله بن الزبير: يا أبا حبيب لقد دعوت إليك الملحدين (الخارجين عن الدين) جماحاً
(عصياناً). وكان قبيلة جرير تميل إلى ابن الزبير، وها هو يتصل

فَقَدْ وَجَدُوا الْخَلِيفَةَ هَبْرَزِيًّا أَلَفَ الْعَيْصِ لَيْسَ مِنَ النَّوَاحِي
هبرزياً: خالصاً، نقي النسب. أَلَفَ العيص: ذا شجر ملتف، وليس من النواحي (الفروع)

فَمَا شَجَرَاتُ عَيْصِكَ فِي قُرَيْشٍ بَعَشَاتِ الْفُرُوعِ وَلَا ضَوَاحٍ
شجرات عيصك (أصلك ومنبتك) ليست عشات الفروع (متفرقة) ولا ضواحي (مفردة بعيدة عن
الأصل).. وينظر جرير في اختيار «العيص» ومعناها «الأصل» إلى «الأعياص» وهم أولاد
أمية بن عبد شمس

٢١ تَرْقِيعُ الْأَكْيَارِ

تَقُولُ نَوَارُ قَضَّحْتَ الْقُيُونَ قَلَيْتَ الْفَرَزْدَقَ لَمْ يُوَلِّدْ

تقول نوار، زوجة الفرزدق، لقد فضحت بشعرك يا جرير القيون (الحدادين) وجرير يصم الفرزدق وآباءه بأنهم اتخذوا الحدادة صنعة. وكانت نوار كارهة لزوجها لأنه تزوجها بخديعة، وهي ابنة عمه، وسعت في التخلص منه بطلاق فلم تفلح، وظلت عنده تشاكسه

وَقَالَتْ بِذِي حَزْمٍ وَالرِّمَاحِ: شَهِدْتَ وَلَيْتَكَ لَمْ تَشْهَدْ

قالت نوار في هذين المكانين: يا فرزدق لقد كنت موجوداً، لكن لم يكن لوجودك فائدة

وَقَارَ الْفَرَزْدَقُ بِالْكَلْبَتَيْنِ وَعَذَلَ مِنَ الْحُمَمِ الْأَسْوَدِ

ورث الفرزدق الكلبتين (ملقط كبير يتشل به الحديد المحمى من النار) وورث عدلاً (شوالاً، كياً) من الحمم (الفحم) الأسود

فَرَّقَ لَجْدَكَ أَكْيَارَهُ وَأَصْلَحَ مَتَاعَكَ لَا تُفْسِدِ

رقع لجدك أكياره (منافخه، وللحداد كير أي منفاخ يوجج به الجمر)

وَأَذِنَ الْعَلَاةَ وَأَذِنَ الْقَدُومَ وَوَسَّعَ لِكَبِيرِكَ فِي الْمَقْعَدِ

العلاة: السندان

قَرَنْتُ الْبَعِيثَ إِلَى ذِي الصَّلِيبِ مَعَ الْقَيْنِ فِي الْمَرَسِ الْمُخَصَّدِ

في هجائي جمعت بين البعيث المجاشعي (من قوم الفرزدق) وبين ذي الصليب (الأخطل المسيحي)، مع القين (الحداد، يعني الفرزدق) في مرس محصد (حبل مفتول)

٢٢ حَفِيدُ الْفَارُوقِ

إِلَيْكَ رَحَلْتُ يَا عُمَرَ بْنَ لَيْلَى عَلَى ثِقَةٍ أَزُورُكَ، وَاعْتِمَادًا

عمر بن ليلي: عمر بن عبد العزيز وأمه ليلي حفيدة عمر بن الخطاب

إِلَى الْفَارُوقِ يَنْتَسِبُ ابْنُ لَيْلَى وَمَرْوَانَ الَّذِي رَفَعَ الْعِمَادَا

مروان بن الحكم: جد عمر بن عبد العزيز لأبيه

٢٣ جَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا

قال وقد مرض وعاده ناس:

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَوْمٍ زَيَّنُوا حَسْبِي وَإِنْ مَرِضْتُ فَهُمْ أَهْلِي وَعُوَادِي

إِنْ تَجَرَّ طَيْرٌ بِأَمْرِ فِيهِ عَافِيَةٌ أَوْ بِالْفِرَاقِ، فَقَدْ أَحْسَنْتُمْ زَادِي
 إِنْ جَرَّتِ الطَّيْرُ (أَيُّ الْفَالِ) بَانَ أَقْوَمُ مِنْ مَرَضِي، أَوْ بَانَ أَفَارِقُ الدُّنْيَا، فَعَلَى كُلِّ حَالٍ زُودْتُمُونِي
 زَاداً طَيِّباً بِيَزَارَتِي

٢٤ أَذْكَرُ تَمِيمًا

أَلَا حَيٍّ رَبْعًا بِاللَّوَى ذَكَرَ الْعَهْدَا مَحْتَهُ الصَّبَا جَرَّ الْيَمَانِيَّةِ الْبُرْدَا

حي يا صاحبي هذا الموضع الذي ما زالت فيه ذكرى عهدنا مع الأحباب، لقد محت
 ريح الصبا مثلما تجر اليمانية (الفتاة اللابسة البُرد اليماني) بردها فهي بنت عز تلبس
 الثوب الكاسي الطويل وتجره جرأً على الأرض. وقد رأى شارح هذا الشعر في بلاد
 العرب بالخليج فتيات يلبسن المسوح الكاسية يجرنها على الأرض وراءهن، وكان
 يقول لهن في عقله: يا حبيباتي ألا قصرتن برودكن قليلاً، أم أنكن تردن إخفاء
 الكعوب التي تجعلكن طويلات

لِهِنْدٍ، وَلَوْ أَنَّ الْمَقِيمِينَ بَعْدَهَا أَرَادُوا فِرَاقاً لَمْ أَحْذَ لَهُمْ فَقْدَا
 هذا العهد هو لهند، فاما من أقاموا بالربع بعد رحيلها فلا يهمننا أقاموا أم رحلوا .

إِذَا ذَكَرْتُ نَفْسِي تَمِيمًا تَذَكَّرْتُ أُمُوراً تُنْسِبُنِي الضَّغَائِنَ وَالْحِقْدَا

يفخر بقيتك

فَكَيْفَ تَقُولُ السَّيْفُ يُحْمَلُ نَضْلُهُ إِذَا فَارَقَ السَّيْفُ الْمَحَامِلَ وَالْغِمْدَا
 فالسيف لا يحمل نضله وحده، لا بد له من محامل (سيور وعلاقات يعلق بها) ولا بد له من
 غمد، وكذا الفرد لا بد له من قوم حتى يكون فاعلاً

شَكُونَا إِلَى سُعْدَى جَوَى وَصَبَابَةٍ وَمَا كُلُّ مَا فِي النَّفْسِ تُخْبِرُهُ سُعْدَى
 ما أكثر ما كان الشعراء يغيرون اسم المحبوبة في وسط القصيدة. قال ذلك المزارع الهولندي،
 ونقل عنه أبراهام لنكولن: «لا تبدل حصانك وأنت تعبر الجدول»

٢٥ نَاسٌ بِلَا قُلُوبٍ

وَجَدْنَا الْأَزْدَ أَكْرَمَكُمْ جَوَاراً وَأَوْرَاكُمُ إِذَا قَدَحُوا زِنَادَا

أوراكم: أشدكم اشتعلاً، الزناد: حجر النار

وَلَوْ فَرَجْتَ قَصَّ مُجَاشِئِي لِنَظَرٍ مَا وَجَدْتَ لَهُ فَوَادَا
 فرجت القص: فتحت عظام الصدر، ومن لا قلب له هو الجبان. ومجاشع قوم الفرزدق

وَلَوْ وَازَنْتَ لُؤْمَ مُجَاشِئِي بِلُؤْمِ الْخَلْقِ أَضْعَفَ ثَمَّ زَادَا
 لومه يزيد عن ضعف لؤم البشرية

٢٦ حبتُموني بالحياة

قال لهشام بن عبد الملك:

وَأَعْلَمُ أَنَّ إِذْنَكُمْ نَجَاحٌ وَأَنْتِي إِنْ بَلَغْتُكُمْ سَعِيدٌ

مجرد منحكم الإذن بالدخول عليكم نجاح لمعاي

تَزِيدُونَ الْحَيَاةَ إِلَيَّ حُبًّا وَذِكْرٌ مِنْ حَبَائِكُمْ حَمِيدٌ

تحيون إلي الحياة، ويأتيني ذكر، أي سمعة حسنة بسبب حبائكم، أي عطائكم، لأنني أعطي قومي
مما أعطيتموني فيشكرون

٢٧ تدمير

قال يمدح معاوية بن هشام بن عبد الملك:

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا أُخْبِرْتُ مِنْ أَحَدٍ أَنَّ الْهَوَى بِنَقَا يَبْرِينَ مُعْتَادِي

اللَّهُ دَمَّرَ عَبَادًا وَشَيْعَتَهُ عَادَاتُ رَبِّكَ فِي أَمْثَالِ عَبَادٍ

يشمت بعباد الجحافي، وقد خرج على الخلافة باليمن فقتل

مَنْ يَهْدِيهِ اللَّهُ يَهْتَدِ لَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ أَضَلَّ فَمَا يَهْدِيهِ مِنْ هَادٍ

لَا قُوا بُعُوثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ كَالرَّيْحِ إِذْ بُعِثَتْ نَحْسًا عَلَى عَادٍ

فِيهِمْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ مَا لَهُمْ سِوَى التَّوَكُّلِ وَالتَّسْبِيحِ مِنْ زَادٍ

كانت الملائكة تقاتل مع جيش الخلافة، وكما تعلمون فهؤلاء الملائكة لا يأكلون ولا يشربون،
فقط يتوكلون على الله ويسبحون

٢٨ فعلها أو يكاد

لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْفَقْتُ مِنْ شَرِّ نَظَرَةٍ تَقُودُ الْهَوَى مِنْ «رَامَةٍ» وَيَقُودُهَا

خفق قلبي إشفافاً على نفسي من شر هذه النظرة إلى الحبيبة، فهي نظرة تأتي بالهوى، والهوى
يقودني ويقود نظراتي.. شيء من هذا القبيل

وَلَوْ صَرَمَتْ حَبْلِي أَمَامَهُ تَبْتَغِي زِيَادَةَ حُبِّ لَمْ أَحِذْ مَا أَزِيدُهَا

إِذَا مِتُّ فَاَنْعَيْنِي لِأَضْيَافِ لَيْلَةٍ تَنْزَلُ مِنْ صُلْبِ السَّمَاءِ جَلِيدُهَا

إذا مت فأبلغني خبري ضيوف الليلة الباردة التي ينزل فيها البرد، يقول إنه كريم وسيحزن
الضيوف لموته

مَتَى تَرَوْجَةَ التَّغْلِبِيِّ تَقُلْ لَهُ أَتَى وَجْهَهُ هَذَا سَوَاءً أَوْ يُرِيدُهَا

إذا لم يصلك ما في الشطر الثاني من طارقة وقوة فاقراءه ثانية. ترى في معاشك شخصاً كثر الوجه متقبضاً رافعاً أنفه كأنما شم لتوه غائطاً، فتقول: هذا الشخص قد ارتكب فاحشة أو أنه سيرتكها قريباً

٢٩ شبه عروة

بَاتَتْ هُمُومِي تَغْشَاهَا طَوَارِقُهَا مِنْ خَوْفِ رَوْعَةِ بَيْنِ الظَّاعِنِينَ غَدَا

باتت همومي العادية تغشاه (تزورها) طوارقها (مصائبها) كلما انتابني الخوف من روعة (ارتباغ) بين (فراق) الظاعنين (الراجلين). المعنى الملموح: أتذكر أنهم سيرحلون غداً فتضاعف همومي

هَلْ أَنْتِ شَافِيَةٌ قَلْبًا يَهِيمُ بِكُمْ لَمْ يَلْقَ عُرْوَةً مِنْ عَفْرَاءَ مَا وَجَدَا

عروة حبيب عفراء، ومات عشقاً

٣٠ غابوا أم حضروا

فَأَنْشِذْ يَا فَرَزْدُقُ غَيْرَ عَالٍ فَقَبْلَ الْيَوْمِ جَدَّعَكَ النَّشِيدُ

اخفض صوتك، فقبل اليوم كنت قد غلبت في إنشاد الشعر وجُدعَ أنفك (أهنت)

خَرَجْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ غَيْرَ عَفٍّ وَقَامَ عَلَيْكَ بِالْحَرَمِ الشُّهُودُ

كان الوالي أخرج الفزدق عن المدينة المنورة لما فعل هناك من موبقات

تَجَبُّكَ يَوْمَ عِيدِهِمُ النَّصَارَى وَيَوْمَ السَّبْتِ شِيعَتُكَ الْيَهُودُ

أَزِيدَ مَنَاءَ ثَوْعِدْ يَا ابْنَ تَيْمٍ؟ تَبَيَّنَ أَيْنَ تَأَهُ بِكَ الْوَعِيدُ

يتحول إلى هجاء التيم، وكان يشتبك مع شاعرهم عمر بن لجأ

أَتُوعِدُنَا وَتَمْنَعُ مَا أَرَدْنَا وَنَأْخُذُ مِنْ وَرَائِكَ مَا نُرِيدُ

وَيُقْضَى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيبُ تَيْمٌ وَلَا يُسْتَأْمَرُونَ وَهُمْ شُهُودُ

وَلَا حَسَبٌ فَخَرْتُ بِهِ كَرِيمٌ وَلَا جَدٌّ إِذَا أْزَدَحَمَ الْجُدُودُ

لِئَامُ الْعَالَمِينَ كِرَامُ تَيْمٍ وَسَيِّدُهُمْ وَإِنْ رَغِمُوا مَسُودُ

وَأَنَّكَ لَوْ لَقِيتَ عَبِيدَ تَيْمٍ وَتَيْمًا قُلْتَ أَبَيْتُهُمُ الْعَبِيدُ

أَرَى لَبِلاً يُخَالِفُهُ نَهَارٌ وَلَوْمُ التَّيْمِ مَا اخْتَلَفَا جَدِيدُ

يختلف الليل والنهار ويمضي الزمن، ولو لم تيم يتجدد ما دام هناك ليل ونهار، أي أنه أبدي

تَمَنَّى التَّيْمُ أَنْ أَبَاهُ سَعْدٌ فَلَا سَعْدَ أَبَوُهُ وَلَا سَعِيدُ

التيمن هنا جد قبيلة التيمن

وَأَنَّ التَّيْمَ قَدْ خَبُّشُوا وَقَلُّوا فَمَا طَابُوا وَلَا كَثُرَ الْعَدِيدُ

كانت قلة العدد مما يهيج به الأقوام

ثَلَاثُ عَجَائِزٍ لَهُمْ وَكَلْبٌ وَأَشْيَاخٌ عَلَى ثُلُلٍ قُعُودُ

الثلل: أكوام الحجارة والرمل

أَتَرْجُو أَنْ تُسَاقِيَ سَعْيَ قَوْمٍ هُمْ سَبَقُوا أَبَاكَ وَهُمْ قُعُودُ

فَقَدْ سَلَبَتْ عَصَاكَ بَنُو تَمِيمٍ فَمَا تَدْرِي بِأَيِّ عَصَا تَذُودُ

تميم سلبتكم المجد والقوة

إِذَا تَيْمٌ ثَوَتْ بِصَعِيدِ أَرْضٍ بَكَى مِنْ خُبْنِ رِيحِهِمُ الصَّعِيدُ

ثوى: مكث، صعيد: تراب

إِذَا مَا قُرَّبَ الشَّهْدَاءُ يَوْمًا فَمَا لِلتَّيْمِ يَوْمُنْذِ شَهِيدُ

٣١ هات اليوم وهات غداً

قال يمدح الأمير معاوية بن هشام بن عبد الملك:

يَا ابْنَ الْخَلِيفَةِ يَا مُعَاوِيَةَ إِنِّي أَرْجُو فُضُولَكَ فَاتَّخِذْ عِنْدِي يَدَا

فضولك: فضلك، اتخذ عندي يدا: اصنع بي معروفاً أحفظه لك

إِنَّا لَنَأْمُلُ مِنْكَ سَيْبًا عَاجِلًا يَا ابْنَ الْخَلِيفَةِ، ثُمَّ نَرْجُوكُمْ غَدَا

٣٢ أصحاب الخنزير

رَهْطُ الْفَرَزْدَقِ مِنْ نَصَارَى تَغْلِبُ أَوْ يَدَّعِي كَذِبًا دَعَاوَةَ زُورٍ

حُجُّوا الصَّلِيبَ وَقَرَّبُوا قَرِبَانَكُمْ وَخُذُوا نَصِيبَكُمْ مِنَ الْخِنْزِيرِ

٣٣ رثاء خالدة

قال يرثي زوجته:

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَهَاجَنِي اسْتِعْبَارُ وَلَزَزْتُ قَبْرَكَ وَالْحَبِيبُ يُزَارُ

هاجني استعبار: غلبنى البكاء

ولقد نظرتُ، وما تَمَتُّعُ نظرةً في اللَّحْدِ حيثَ تَمَكَّنَ المَحْفَارُ

المحفار: القاس

فَجَزَاكَ رَبُّكَ فِي عَشِيرِكَ نظرةً وَسَقَى صَدَاكَ مُجَلِّجِلٌ مِدْرَارُ

لينظر إليك الله نظرة رحمة جزاء ما قدمت لزوجك وليق صدك (جثمانك) مطر مجلجل
(صاحب برعوده) مدرار (غزير)

وَلَهَتْ قَلْبِي إِذْ عَلَتْنِي كَبْرَةٌ وَذَوُ التَّمَائِمِ مِنْ بَنِيكَ صِفَارُ

ذوو التمايم: من عليهم القلائد التي فيها الحجب أو الخرزات، وكانوا يعلقونها في رقاب الصبية
دراءاً للشر عنهم

كَانَتْ مُكْرَمَةَ الْعَشِيرِ وَلَمْ يَكُنْ يَخْشَى غَوَائِلَ أُمَّ حَزْرَةَ جَارُ

غوائل: شرور

ولقد أَرَاكَ كُسِيتَ أَجْمَلَ مَنْظَرٍ وَمَعَ الْجَمَالِ سَكِينَةً وَوَقَارُ

وَالرَّيْحُ طَيِّبَةً إِذَا اسْتَقْبَلَتْهَا وَالْعِرْضُ لَا دَيْسَنَ وَلَا خَوَارُ

إذا واجهتك فرائحك طيبة، وعرضك نقي غير خوار (ضعيف)

وَإِذَا سَرَيْتُ رَأَيْتُ نَارَكَ نَوْرَتْ وَجْهًا أَغَرَّ يَزِينُهُ الْإِسْفَارُ

أسري ليلاً فأراك أوقدت ناراً للضيوف، والنار تنور وجهك الأغر (الأيض) السافر

صَلَّى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تُخَيِّرُوا وَالصَّالِحُونَ عَلَيْكَ وَالْأَبْرَارُ

لَا يَلْبَثُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكُورُ عَلَيْهِمْ وَنَهَارُ

كَانَتْ إِذَا هَجَرَ الْحَلِيلُ فِرَاشَهَا خُزْنُ الْحَدِيدِ وَعَقَّتِ الْأَسْرَارُ

حَدَرَاءُ أَنْكَرَتِ الْقُبُورُ وَرِيحَهُمْ وَالْحُرُّ يَمْنَعُ ضَبَمَهُ الْإِنْكَارُ

ينتقل إلى هجاء الفرزدق، فخطيبته حدراء أنكرت (استهجت) القيون (قومه الحدادين)

وما ينبعث من رائحة عندهم. والإنسان الحر عندما ينكر شيئاً فهذا الإنكار يحول بينه

وبين قبول الظلم

لَمَّا رَأَتْ صَدَا الْحَدِيدِ بِجَلْدِهِ فَالْلُونُ أَوْرَقُ وَالْبَنَانُ قِصَارُ

قد أنكرته حدراء لما رأت صدا الحديد عليه، وأنكرت لون جلده الأورق (بين بياض وسواد)،
وأصابه القصار

قَالَ الْفَرَزْدَقُ رَقَّعِي أَكْبَارَنَا قَالَتْ: وَكَيْفَ تُرَقِّعُ الْأَكْبَارُ

الكير: متفاخ الحداد

رَفَعْ مَنَاعَكَ، إِنَّ جَدِّي خَالِدٌ وَالْقَيْنُ جَدُّكَ لَمْ تَلِدْكَ نِزَارُ

تفخر بجدها، وتقول للفرزدق: جدك قين (حداد) ولست من أبناء نزار (أبي عرب الشمال)

قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَحْسَبُونَكَ شَاعِرًا حَتَّى عَرِقْتَ وَضَمَّكَ التَّيَّارُ

لَا يَخْفَيْنَ عَلَيْكَ أَنَّ مَجَاشِعًا لَوْ يُنْفَخُونَ مِنَ الْخُؤُورِ لَطَارُوا

الخؤور: الفراغ، ضده الصلاة

قَدْ يُؤْسِرُونَ فَمَا يُفَكُّ أَسِيرَهُمْ وَيُقَتِّلُونَ فَتَسْلَمَ الْأَوْتَارُ

تسلم الأوتار: لا يؤخذ لهم بثأر لضعفهم

٣٤ نشور مبكر

قال يهجو التيم:

فَلَوْ غَيْرُ تَيْمٍ يَفْخَرُونَ عَذَرْتُهُمْ أَتَيْمُ ابْنُ تَيْمِ اللَّؤْمِ! يَا سَوَاءَ الدَّهْرِ

وَلَوْ يُدْفَنُ التَّيْمِيُّ ثُمَّ دَعَوْتُهُ إِلَى فَضْلِ زَادٍ جَاءَ يَسْعَى مِنَ الْقَبْرِ

وَلَا يَحْتَبِي التَّيْمِيُّ قُدَامَ بَيْتِهِ وَلَا يَسْتُرُ التَّيْمِيُّ إِلَّا عَلَى الْقَدْرِ

الاحتباء أن يجمع المرء ركبته إلى ظهره بشال أو نحوه، فيجلس كأنه متكئ، والسادة يحتبون أمام خيامهم يستقبلون الأضياف، ويسترون حريمهم، لكنهم لا يترون القدر الكبيرة التي تغلي باللحم خارج الخيمة

وَبُئِثْتُ تَيْمًا قَدْ هَجَوْنِي لِيُذَكِّرُوا فَعَذَا الَّذِي لَا يَشْتَهُونَ مِنَ الذِّكْرِ

٣٥ المنجنيق

يَا أَهْلَ جُزْرَةَ لَا حِلْمٌ فَيَنْفَعَكُمُ أَوْ تَنْتَهُونَ فَيُنْجِي الْخَائِفَ الْحَذَرُ

يخاطب بني العنبر مو أهل «جزرة» في البمامة: لن ينفعكم حلمي، فلن أكون حليماً معكم، والحل أن تكفوا عن التعرض لي خوفاً، ففي هذا نجاتكم

يَا أَهْلَ جُزْرَةَ إِنِّي قَدْ نَصَبْتُ لَكُمْ بِالْمَنْجَنِيقِ وَلَمَّا يُرْسِلِ الْحَجَرُ

٣٦ متدبرون لا مدبرون

وَأَنَّ الَّذِي أُعْطِيَ الْخِلَافَةَ أَهْلُهَا بَنَى لِي فِي قَيْسٍ وَخِنْذِفٍ مَفْخَرًا

أهلها: مستحقوها، وهم بنو أمية حينذاك

مَنَابِرَ مُلْكٍ كُلِّهَا مُضَرِيَّةٌ يُصَلِّي عَلَيْنَا مَنَ أَعْرَنَاهُ مِنْبَرًا
 فِي قَيْسٍ وَخَنْدَفٍ مُلُوكَ، وَهُمْ جَمِيعًا مِنْ مُضَرَ، (الملك في لغة ذلك العصر الزعيم الذي يتولى
 ناحية، وقد يكون حكمه وراثيًا وقد لا يكون)، وهؤلاء الذين نصبناهم ملوكًا يصلون (بحمدون)
 القليلتين اللتين بسواعد رجالهما يقوم الملك

لَقَدْ كُنْتُ يَا ابْنَ الْقَيْنِ ذَا خَبْرَةٍ بِكُمْ وَعُوفٌ أَبُو قَيْسٍ بِكُمْ كَانَ أَخْبَرًا
 وَكَانَ عُوفٌ هَذَا قَتَلَ مِنْ آلِ الْفَرَزْدَقِ رَجُلًا فِي الْقَدِيمِ
 فَلَا تَتَّقُونَ الشَّرَّ حَتَّى يُصِيبَكُمْ وَلَا تَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا تَدْبُرُوا
 تَدْبُرًا: بَعْدَ أَنْ يَدْبُرَ وَيَنْتَهِي

أَلَا قَبَحَ اللَّهُ الْفَرَزْدَقَ كُلَّمَا أَهْلًا مُصَلًّا لِلصَّلَاةِ وَكَبَّرَا
 فَلَا يَقْرَبَنَّ الْمَرَوْتَيْنِ وَلَا الصَّفَا وَلَا مَسْجِدَ اللَّهِ الْحَرَامَ الْمُطَهَّرَا
 فَالْفَرَزْدَقُ يَقْرَأُ فِي شِعْرِهِ بِالزَّنَا وَالْكَبَائِرِ، وَقَدْ أَجْلَى فِعْلًا عَنِ الْمَدِينَةِ
 فَإِنَّكَ لَوْ تُعْطِي الْفَرَزْدَقَ دِرْهَمًا عَلَى دِينَ نَصْرَانِيَّةٍ لَتَنْصُرَا

٣٧ الضاحكون إلى الخنزير

خَابَتْ بَنُو تَغْلِبٍ إِذْ ضَلَّ فَارِطُهُمْ حَوْضَ الْمَكَارِمِ، إِنْ الْمَجْدَ مُبْتَدَّرُ
 فَارِطُهُمْ (رائداهم الذي يسبقهم كي يبحث عن مواضع العشب والماء) تَاهَ عَنْ حَوْضِ الْمَكَارِمِ،
 وَالنَّاسُ يَتَسَابِقُونَ لِتَحْصِيلِ الْمَجْدِ

الظَّاعِنُونَ عَلَى الْعَمْيَاءِ إِنْ ظَعَنُوا وَالسَّائِلُونَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مَا الْخَبْرُ
 لَا تَدْبِيرَ عَنْدهُمْ فَهَمْ لَا يَرْحَلُونَ بِتَخْطِيطٍ لِكَيْ يَرُدُّوا عَشْبًا وَمَاءً بَلْ يَرْحَلُونَ عَلَى الْعَمْيَاءِ (عشوائياً)،
 وَلَيْسَ عَنْدهُمْ فِي قَبِيلَتِهِمْ جِهَازٌ اسْتِخْبَارِي مُحْكَمٌ، فَهَمْ لِذَلِكَ يَسْأَلُونَ عَمَّا حَدَثَ سَوَالُ جَاهِلٍ

إِنِّي رَأَيْتُكُمْ - وَالْحَقُّ مَغْضَبَةٌ - تَخْزُونَ أَنْ يُذَكَّرَ الْجَحَافُ أَوْ زُقُرُ
 يَخْزِيكُمْ ذَكَرُ هَذَيْنِ الْفَارَسَيْنِ اللَّذَيْنِ أَوْقَعَا بِتَغْلِبٍ وَقَتَلَا الْكَثِيرِينَ مِنْهَا

قَادُوا إِلَيْكُمْ صُدُورَ الْخَيْلِ مُغْلَمَةً تَغْشَى الطَّعَانَ وَفِي أَعْطَافِهَا زُورُ
 الْمَعْلَمَةِ: الَّتِي عَلَيْهَا شَارَةُ الْحَرْبِ (كَانُوا يَضَعُونَ صُفْرًا أَوْ أَبْيَضَ عَلَى الْفَرَسِ عِنْدَ الْحَرْبِ)،
 تَغْشَى الطَّعَانَ: تَأْتِي مَكَانَ الْمَطَاعَةِ بِالرِّمَاحِ، وَأَعْطَافُهَا (جَوَانِبُهَا) فِيهَا زُورٌ (مِيلَانٌ)

كَانَتْ وَقَائِعُ قُلْنَا لَنْ يُرَى أَبَدًا مِنْ تَغْلِبٍ بَعْدَهَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ
 حَتَّى سَمِعْتُ بِخَنْزِيرٍ ضَمًّا جَزَعًا مِنْهُمْ فَقُلْتُ: أَرَى الْأَمْوَاتَ قَدْ نُثِرُوا
 سَمِعْتُ خَنْزِيرًا مِنْهُمْ ضَمًّا (صَاحَ) فَقُلْتُ: قَدْ نَشَرَ (قَامَ) الْأَمْوَاتُ

أَحْيَاؤُهُمْ شَرُّ أَحْيَاءٍ وَالْأَمَةُ وَالْأَرْضُ تَلْفِظُ مَوْتَاهُمْ إِذَا قُبِرُوا
رَجْسٌ يَكُونُ إِذَا صَلَّوْا، أَذَانُهُمْ قَرْنُ التَّوَاقِيسِ لَا يَذْرُونِ مَا السُّورُ
فَمَا مَنَعْتُمْ غَدَاةَ «الْبَشْرِ» نِسْوَتَكُمْ وَلَا صَبَرْتُمْ لِقَيْسٍ مِثْلَمَا صَبَرُوا
نَرَضَى عَنِ اللَّهِ أَنَّ النَّاسَ قَدْ عَلِمُوا أَنْ لَنْ يَفَاخِرَنَا مِنْ خَلْقِهِ بَشَرٌ

نرضى: نحمد

وَمَا لَتَغْلِبَ إِنْ عَدَّتْ مَسَاعِيَهَا نَجْمٌ يُضِيءُ وَلَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ
الصَّاحِكِينَ إِلَى الْخِنْزِيرِ شَهْوَتُهُ يَا قُبَحْتُ تِلْكَ أَفْوَاهُهَا إِذَا اكْتَشَرُوا

شهوته: اشتهاؤه له

وَالْمُقْرِعِينَ عَلَى الْخِنْزِيرِ مَيَسِّرَهُمْ يَثْسُ الْجَزُورُ وَبَثْسَ الْقَوْمُ إِذْ يَسْرُوا
بدلاً من الاقتراع على ناقة يقتسمون لحمها، كما كانت العرب تفعل، يقترعون على خنزير، فهذا
ميسرهم (قمارهم)

وَالْتَّغْلِبِيُّ لَثِيمٌ حَيْثُ تَجَهَّرُهُ وَالتَّغْلِبِيُّ لَثِيمٌ حَيْثُ يُخْتَبَرُ

تجهره: تحدّثه لتسبر غوره

وَالْتَّغْلِبِيُّ إِذَا تَمَّتْ مَرَوْهُ تُهُ عَبْدٌ يَسُوقُ رِكَابَ الْقَوْمِ مُؤْتَجَرٌ
نِسْوَانُ تَغْلِبَ لَا حِلْمٌ وَلَا حَسَبٌ وَلَا جَمَالٌ وَلَا دِينَ وَلَا خَفَرٌ

خفر: حياء

وَالْتَّغْلِبِيَّةُ فِي ثَنِي عِبَائِهَا بَظَرٌ طَوِيلٌ وَفِي بَاعِ ابْنِهَا قِصَرٌ

قصير الباع: المقصر عن المكارم

مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولَ اللَّهِ دِينَهُمْ وَالطَّيِّبَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عَمْرُ
جَاءَ الرَّسُولُ بِدِينِ الْحَقِّ فَانْتَكَبُوا وَهَلْ يَضِيرُ رَسُولَ اللَّهِ أَنْ كَفَرُوا

انتكثوا: أبطلوا العهد

يَا خُزَرَ تَغْلِبَ إِنْ اللَّؤْمَ حَالَقَكُمْ مَا دَامَ فِي مَارِدِينَ الرَّيْتُ يُغْتَصَرُ

خزر تغلب = تغلب الخزر (ذوو العيون الضيقة)، ماردین: بلد في جنوب تركيا على الحدود مع سوريا، واليوم يعصرون بها السمسم ويستخرجون زيت، فاللؤم - على هذا - مستمر في تغلب!

قَالَ الْكَرَامُ تَنَحَّوْا إِنَّكُمْ نَجِسٌ أَفْوَاهُ تَغْلِبَ أَسْتَاهُ بِهَا وَضَرُ

أستاه: جمع است وهو فتحة الشرج، وضر: وسخ

٣٨ صابرون.. ولكن

قال في هجاء ربيعة، ويذكر مالك بن حنظلة بن مالك:

أَقُولُ، وَذَاكُمْ لِلْعَجِيبِ الَّذِي أَرَى: أَمَالِ بْنِ مَالٍ مَا رِبِيعَةٌ وَالْفَخْرُ!
أمال بن مال: يا مالك بن مالك

يُحَالِفُهُمْ فَقَرَّ قَدِيمٌ وَذَلَّةٌ وَبِئْسَ الْحَلِيفَانِ الْمَذَلَّةُ وَالْفَقْرُ
فَصَبْرًا عَلَى ذُلِّ رَبِيعَ بْنِ مَالِكٍ وَكُلُّ ذَلِيلٍ خَيْرٌ عَادِيَةِ الصَّبْرِ

٣٩ المداواة بالسّم

وَدَاوَيْتُ مِنْ عَرِّ الْفِرْزَدِيِّ نُقْبَةً يَنْقُطُ فَأَمْسَتْ لَا يُخَافُ نُشُورُهَا
العَرِّ: الجرب، نقبة: بقعة، الفنزط: القار، وبه كانوا يداوون الجرب، نشورها: انتشارها
وَأَنْهَلْتُهُ بِالسَّمِّ ثُمَّ عَلَلْتُهُ بِكَأْسٍ مِنَ الذَّيْفَانِ مُرَّ عَصِيرُهَا
أنهله: سقته أولاً، عللته: سقته ثانياً، الذيفان: الصبر المر

رَأَيْتَكَ لَمْ تَعْقِدْ حِفَاطًا وَلَا حِجَى وَلَكِنْ مَوَاخِيرًا تُؤَدِّي أَجُورُهَا
الحفاط: المحافظة على الشرف، الحجى: الحجب، المواخير: بيوت الدعاة

أَثَرْتُ عَلَيْكَ الْمُخْزِيَّاتِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَعْدَمَ جَانِي سَوَاءٍ مَنْ يُشِيرُهَا
لقد نُهت على أفعالك المخزية، ولا يعدم جاني السواة (مكتسب العار) من يفضحه

٤٠ الخلافة قدره

قال يمدح عمر بن عبد العزيز:

إِنَّا لَنَرْجُو إِذَا مَا الْغَيْثُ أَخْلَقْنَا مِنْ الْخَلِيفَةِ مَا نَرْجُو مِنَ الْمَطَرِ
إن فاتنا غيث (مطر) السماء نرجو من الخليفة أن يعوضنا

يَا رَبُّ سَجَلٍ مُغِيثٍ قَدْ نَفَحَتْ بِهِ مِنْ نَائِلٍ غَيْرِ مَنْزُوحٍ وَلَا كَدِيرٍ
رب سجل (دلو عظيمة) من نائلك (عطائك) قد نفحتنا به (أعطيتنا إياه) وهو غير منزوح (ناقص)

أَذْكُرُ الْجَهْدَ وَالْبُلُوىَ الَّتِي نَزَلَتْ أَمْ قَدْ كَفَانِي الَّذِي بُلِّغْتَ مِنْ خَبْرِي
كم بالمواسم من شعثاء أرملَةٍ وَمِنْ يَتِيمٍ ضَعِيفِ الصَّوْتِ وَالنَّظَرِ
تري الكثيرين في المواسم (الأسواق) من الأرامل الشعث (ذوات الهيئة الزرية المغبرة) ومن اليتامى الذين أنهكهم الجوع

مِمَّنْ يَعُدُّكَ تَكْفِي فَقَدْ وَالِدِهِ كالفرخ في العش لم يدرج ولم يطر
يتيم كهذا يعدك بدلاً عن والد فقده، وهو كفرخ الطائر، لم يطر بعد ولا حتى درج
على الأرض

أَنْتَ الْمَبَارَكُ وَالْمَهْدِيُّ سِيرَتُهُ تَعْصِي الْهَوَى وَتَقُومُ اللَّيْلَ بِالسُّورِ
نَالَ الْخِلَافَةَ إِذْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرٍ
وكان عمر بن عبد العزيز نال الخلافة بوصية مكتومة من سليمان بن عبد الملك، وفوجئ بنو أمية
باختيار عمر للخلافة مثلما فوجئ موسى بربه يكلمه على الطور

٤١ وقوف واستيقاف

لَقَدْ طَرَفْتُ عَيْنِي فِي الدَّارِ دِمْنَةً تَعَاوَرَهَا الْأَزْمَانُ وَالرَّيْحُ وَالْقَطْرُ
أَصَابَتْ عَيْنِي بِقَذَى دِمْنَةٍ (خربة) هِيَ أَطْلَالُ الدِّيَارِ، وَقَدْ تَعَاوَرَتِهَا الْأَزْمَانُ (تبادلتها) بِالرَّيْحِ وَالْقَطْرِ
(المطر) مِمَّا أَسْرَعَ فِي إِثْعَاءِ آثَارِهَا

فَقُلْتُ لِأَدْنَى صَاحِبِي وَإِنِّي لَأَكُنُّمْ وَجْدًا فِي الْجَوَانِحِ كَالْجَمْرِ
لَعَمْرُكَ مَا لَا تَعْجَلُ إِنِّ مَوْقِفًا عَلَى الدَّارِ فِيهِ الْقَتْلُ أَوْ رَاحَةُ الدَّهْرِ
وقوفي على دار الحبيبة مهم جداً، فلما أن أموت شوقاً، أو أن أنفس
عما في داخلي فاستريح

فَلِئْلِهِ مَاذَا هَيَّجَتْ مِنْ صَبَابَةٍ عَلَى هَالِكٍ يَهْدِي بِهَنْدٍ وَمَا يَدْرِي
طَوَى حَزَنًا فِي الْقَلْبِ حَتَّى كَانَمَا بِهِ نَفْثُ سِحْرِ أَوْ أَشَدُّ مِنَ السَّحْرِ

٤٢ الراحل بفضيحة

وَهَلْ كَانَ الْفِرْزْدُقُ غَيْرَ قَرْدٍ أَصَابَتْهُ الصَّوَاعِقُ فَاسْتَدَارَا
وَكُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخِزْيَةٍ وَتَرَكْتَ عَارَا

٤٣ هدايا متتالية

يَا تَيْمُ تَيْمَ عَيْدِي لَا أَبَا لَكُمْ لَا يُوقِعَنَّكُمْ فِي سَوَاءٍ عُمُرُ
لا أبا لكم (هديتم) يا تيم، لا تركوا شاعركم عمر بن لجأ يجلب عليكم العار

قَدْ خِفْتُ يَا ابْنَ الْتِي مَاتَتْ مُنَافِقَةً مِنْ خَبَثِ بَرَزَةٍ أَنْ لَا يَنْزِلَ الْمَطَرُ
خفنا من نفاق أمك «برزة» وخبثها أن يجسب الله المطر عنا

أَخْزَيْتَ تَيْمًا وَمَا تَحْمِي مَحَارِمَهَا إِذْ أَنْتَ نَفَاحَةٌ لِلْقَيْنِ مُؤْتَجِرٌ
 اخزيت يا «عمر» قبيلتك تيمًا بدل أن تحمي حماها، فأنت قد عملت عند الفرزدق القين (الحداد)
 نفاحَةٌ (تفخ على جمره بالمفاخ)

إِنِّي لَمُهْدٍ لَكُمْ غُرًّا مَقْشَبَةً فِيهَا السَّمَامُ وَأُخْرَى بَعْدُ تُنْتَظَرُ
 سأهديكم قصائد غرًّا (بديعة) مقشبة (جديدة) فيها السم، وستلونها قصائد

لَا تُنْكِرُ التَّيْمَ يَوْمًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ سُورُ الْعَيْيِ وَشُرْبُ التَّابِعِ الْكَدِرُ
 التيم نرضى بسور العشي (ورود الماء مع إيلهم مساء وشرب السور . . البقية في القعر) وشرب
 التابع الكدر (وشرب بواقي المياه من الحوض وتكون كدرة)

تُخْزِيكَ أَحْيَاءُ تَيْمٍ إِنْ فَخَرْتَ بِهِمْ وَالْخِزْيُ أَمْوَاتُ تَيْمٍ إِنْ هُمْ نُشِرُوا

٤٤ سادتهم على كل حال

إِنَّا تَفْضَلُ فِي الْحَيَاةِ حَيَاتُنَا وَنَسُودُ مَنْ دَخَلَ الْقُبُورَ قُبُورًا
 اللَّهُ فَضَّلَنَا وَأَخْزَى تَغْلِبًا لَنْ تَسْتَطِيعَ لِمَا قَضَى تَغْيِيرًا
 فِينَا الْمَسَاجِدُ وَالْإِمَامُ وَلَا تَرَى فِي دَارِ تَغْلِبَ مَسْجِدًا مَعْمُورًا
 تَلْقَى إِذَا اجْتَمَعَ الْكِرَامُ بِمَوْطِنٍ أَشْرَافَ تَغْلِبَ سَائِلًا وَأَجِيرًا
 الْجَاعِلِينَ لِمَارِ سَرَجَسَ حَجَّهْمُ وَحَجِيجُ مَكَّةَ يُكْثِرُ التَّكْبِيرَا

٤٥ فيم يشتمونني؟

يهجو سراقه البارقي وقومه:

يَا صَاحِبَيَّ هَلِ الصَّبَاحُ مُنِيرٌ أَمْ هَلِ لِلْيَوْمِ عَوَازِلِي تَفْتِيرُ
 تفتير: تقليل

عَادَاتُ قَلْبِكَ حِينَ خَفَّ بِهِ الْهُوَى لَوْلَا تُسَكِّنُهُ لَكَادَ يَطِيرُ
 بِشُرِّ أَبُو مَرَوَانَ إِنْ عَاسَرْتَهُ عَسِيرٌ وَعِنْدَ يَسَارِهِ مَيْسُورُ
 بشر والي الكوفة لأخيه عبد الملك كان يقرب الشعراء ويعبث بهم ويغري بعضهم ببعض،
 ويعطيهم . .

قَدْ كَانَ حَقُّكَ أَنْ تَقُولَ لِبَارِقٍ: يَا آلَ بَارِقٍ فِيمَ سُبِّ جَرِيرُ
 . . وكان الأمير بشر مسروراً بالمهاجاة بين سراقه البارقي وجريير، وجريير يقول له: كان يجب
 عليك أن تسأل آل بارق «لأي سبب سب شاعرهم جريراً»

أَسْرَاقَ إِنَّكَ قَدْ غَشِيتَ بَارِقِ أَمْرًا مَطَالِعُهُ عَلَيْكَ وَغُورُ

يا سراقه لقد غشيت ببارق (قدمت بقومك) أمراً مطالعه (طرقه) عليك مليئة بالوعور

بَا أَلْ بَارِقَ لَوْ تَقَدَّمَ نَاصِحُ لِلْبَارِقِيِّ فَلِإِنَّهُ مَغْرُورُ

هلاً كتتم نصحتم لأخيكم قبل إقدامه على هجائي فهو مغرور (مغرر به، وواهم)

كَالسَّامِرِيِّ غَدَاةَ ضَلَّ بِقَوْمِهِ وَالْعِجْلُ يُغَكِّفُ حَوْلَهُ، وَيَخُورُ

فهو مثل السامري الذي أضل قومه في التيه وجعلهم يعبدون عجلاً من الذهب مفتوحاً من فمه ومؤخرته ويصدر من مرور الهواء بداخله خواراً

تُؤْتَى الْكِرَامُ مُهَوَّرَهْنَ سَيَاقَةً وَنِسَاءُ بَارِقَ مَا لَهُنَّ مُهَوَّرُ

بنات الكرام تساق إليهن الإبل مهوراً

إِنَّ الْمَلَامَةَ وَالْمَذَلَّةَ فَاعْلَمُوا قَدَرٌ لِأَوَّلِ بَارِقٍ مَقْدُورُ

أول بارق: أسلاف البارقين

أَسْرَاقَ إِنَّكَ لَوْ تُفَاضِلُ خِنْدِفًا بَثَقْتُ عَلَيْكَ مِنَ الْفُرَاتِ بُحُورُ

بثقت: تدفقت، وخندف: الشعب الكبير الذي منه تميم

٤٦ شماعة بميت

يهجو الأخطل، أبا مالك، بعد موته:

وَزَارَ الْقُبُورَ أَبُو مَالِكٍ فَكَانَ كَأَلَامٍ زُوَارِهَا

تَنُوحُ بِنَاتُ أَبِي مَالِكٍ بِبُوقِ النَّصَارَى وَمِزْمَارِهَا

٤٧ رثاء عمر

قال يرثي عمر بن عبد العزيز:

تَنَعَّى النُّعَاةُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا يَا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ وَاعْتَمَرَ

حُمِلَتْ أَمْرًا عَظِيمًا فَاصْطَبَرَتْ لَهُ وَقَمَتْ فِيهِ بِأَمْرِ اللَّهِ يَا عُمَرَا

فَالشَّمْسُ كَأَسِفَةٍ لَيْسَتْ بِطَالِعَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ، نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا

الشمس كاسفة كأنها تبكي لموتك، ولأنها كاسفة لم تخف نجوم الليل ولا القمر.

بيت فيه التواء

٤٨ عبدة الصليب

عَلِقَ الْأَخْيَاطُ فِي جِبَالِي بَعْدَمَا عَشَرَ الْفِرْزْدُقُ، لَا لَعَا لِلْعَاثِرِ
لَا لَعَا لَهُ: لَا أَقَامَهُ اللَّهُ

إِنْ الْقَصَائِدَ قَدْ وَطِئْنَ مُجَاشِعًا وَوِطِئْنَ تَغْلِبَ، مَا لَهَا مِنْ زَاجِرٍ
مَجَاشِعُ: قَبِيلَةُ الْفِرْزْدُقِ، تَغْلِبُ: قَبِيلَةُ الْأَخْطَلِ

نُبْتُتُ تَغْلِبَ يَعْبُدُونَ صُلَيْبَهُمْ بِالرَّقَّتَيْنِ إِلَى جَنُوبِ الْمَآخِرِ
يَسْتَنْصِرُونَ بِمَارِ سَرْجَسَ وَابْنِهِ بَعْدَ الصُّلَيْبِ، وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ
أَذِ الْجِزَى وَدَعِ الْفَخَارَ بِتَغْلِبِ وَاخْسَأْ بِمَنْزِلَةِ الذَّلِيلِ الصَّاعِرِ
بَيْنَ الْحَوَاجِبِ وَاللَّحَى مِنْ تَغْلِبِ لَوْمْ تُورَثَ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ
بَيْنَ الْحَوَاجِبِ وَاللَّحَى: أَيِ فِي الْوَجْهِ

٤٩ غدار يا زمن

حَيُّوا الْمَقَامَ وَحَيُّوا سَاكِنَ الدَّارِ مَا كِدْتَ تَعْرِفُ إِلَّا بَعْدَ إِنْكَارِ
يَطْلُبُ مَنْ صَحَبَهُ أَنْ يَحْيُوا الْمَكَانَ وَصَاحِبَهُ الرَّاحِلَ عَنْهُ، وَالشَّاعِرُ لَمْ يُمَيِّزِ الْمَكَانَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ شَكَّ
فِيهِ وَأَنْكَرَهُ لِتَغْيِيرِهِ بَعْدَ أَنْ هَجَرَهُ أَهْلُهُ

إِذَا تَقَادَمَ عَهْدُ الْحَيِّ هَيَّجَنِي خِيَالُ طَيْبَةِ الْأُرْدَانِ مِفْطَارِ
الْأُرْدَانُ: الْأَكْمَامُ

لَا بِأَمْنَنْ قَوِيَّ نَقْضِ مِرَّتِهِ إِنِّي أَرَى الدَّهْرَ ذَا نَقْضٍ وَإِمْرَارِ
عَلَى الْقَوِيَّ أَنْ لَا يَأْمَنَ الزَّمَنَ الَّذِي يَنْقُضُ مِرَّتَهُ (يَفْكَ فُتْلَهُ، أَيِ يَضْعِفُ قُوَّتَهُ)، فَالدَّهْرُ ذُو نَقْضٍ
(فَكَ) وَإِمْرَارٍ (فُتْلَ). يَشْبَهُ الْمَرْءَ بِالْحَبْلِ الْمَفْتُولِ مِنْ قُوَى عِدَّةٍ، وَ«الْقُوَّةُ» فِي الْأَصْلِ هِيَ الْفُتْلَةُ
الْوَّاحِدَةُ مِنْ قُتْلَاتِ الْحَبْلِ

قَدْ أَطْلُبُ الْحَاجَةَ الْقُضُوءِ فَأَذْرِكُهَا وَلَسْتُ لِلْجَارَةِ الدُّنْيَا بِزَوَّارِ
قَوْمِي تَمِيمٍ هُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ هُمْ يَنْقُوتُ تَغْلِبَ عَنْ بُحْبُوحَةِ الدَّارِ
بِحُبُوحَةِ الدَّارِ: وَسَطُهَا الْمَتْنَعُ

النَّازِلُونَ الْحِمَى لَمْ يُرْعَ قَبْلَهُمْ وَالْمَانِعُونَ بِلَا جَلْفٍ وَلَا جَارِ
تَمِيمٍ يَنْزِلُونَ الْحِمَى (الْأَرْضَ الْمُحَمَّيَّةَ مِنْ جَانِبِ قَبِيلَةٍ مُعَيَّنَةٍ) الَّذِي لَمْ يَجْرُؤْ أَحَدٌ قَبْلَهُمْ عَلَى انْتِهَاكِهِ،
وَهُمْ يَمْنَعُونَ (يَحْمُونَ حِمَاهُمُ الْخَاصَّ) دُونَ حَاجَةِ لِلتَّحَالُفِ مَعَ غَيْرِهِمْ أَوْ الْإِسْتِجَارَةِ بِهِ

إِنَّ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا مَجْدًا وَمَكْرَمَةً تِلْكَمُ قُرَيْشِي وَالْأَنْصَارُ أَنْصَارِي
 وَتَمِيمٌ مِنْ مِضَرٍ وَقُرَيْشٌ مِنْ مِضَرٍ، أَمَّا الْأَنْصَارُ فَمِنْ الْيَمَنِ، وَلَكِنْ جَرِيرٌ يَعْدَهُمْ مِنْ أَنْصَارِهِ
 لَا تَفْخَرُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ كُفْمَ يَا خُزْرَ تَغْلِبَ دَارَ الذُّلِّ وَالْعَارِ
 عَلَيْكُمْ أَلَا تَفْخَرُوا يَا خُزْرَ تَغْلِبَ (يَا تَغْلِبَ الْخُزْرَ، يَا ذَوِي الْعَيْنِ الضَّيْقَةِ)

٥٠ الله وقريش والأنصار معنا

يهجو الأخطل:

وَرَايَةَ مَلِكٍ كَظِلِّ الْعُقَابِ ضَرَبْنَا عَلَى الرَّأْسِ جَبَّارَهَا
 رَبِّ رَايَةَ مَلِكٍ كَأَنَّهَا ظِلُّ الْعُقَابِ ضَرَبْنَا صَاحِبَهَا الْمَلِكَ عَلَى رَأْسِهِ

وَكُنَّا إِذَا حَوْمَةٌ أَغْرَضْتُ نَحْوُضُ إِلَى الْمَوْتِ أَغْمَارَهَا
 حومة: ساحة حرب

وَلَوْ أَصْبَحَ النَّاسُ حَرْبًا عِدَى لَقَيْسٍ وَخِنْدِفَ مَا ضَارَهَا
 وَأَذْعُو إِلَهَ وَتَذْعُو الصَّلِيبِ وَأَذْعُو قُرَيْشًا وَأَنْصَارَهَا

٥١ قذف المحصنات

يهجو الفرزدق:

تَرْجُو الْهُوَادَةَ يَا فَرْزَدُقُ بَعْدَمَا أَطْفَأْتَ نَارَكَ وَاصْطَلَيْتَ بِنَارِي
 يزعم أن الفرزدق صار يرجو من جرير الهوادة (المهادنة) بعد إذ كف عن التصدي للشعراء والدفاع
 عن تميم (وهي القبيلة الكبيرة التي تجمعهما) وأخذ يتدفأ بنار جرير

أَبْنِي قُفَيْرَةَ قَدْ أَنَاخَ إِلَيْكُمْ يَوْمَ التَّقَاسُمِ لُؤْمُ آلِ نِزَارِ
 قفيرة: أم الفرزدق، أناخ إليكم: حل عندكم

يَتَلَاوُمُونَ وَقَدْ أَبَاحَ حَرِيمَهُمْ قَيْنٌ أَحَلَّهُمْ بِدَارِ بَوَارِ
 يلوم أهل الفرزدق بعضهم بعضاً وقد جعل القين (الحداد، يعني الفرزدق) حريمهم مباحاً للشتم،
 وأنزلهم بدار البوار (الخراب)

إِنَّ الْقَصَائِدَ لَمْ يَزَلْنَ سَوَاحِجًا بِحَدِيثِ جِعْثَيْنِ مَا تَرْتَمِ سَارِ
 جعثن: أخت الفرزدق، ويقول جرير - كاذباً - إنها اغتصبت. وها هو يقول إن القصائد ستروح
 وتجيء بذكرها إلى الأبد، ما دام هناك سار (سائر ليلًا) يترنم بالشعر

تَبْكِي الْمُغِيبَةَ مِنْ بَنَاتِ مُجَاشِعٍ وَلَهُى إِذَا سَمِعَتْ نَهْيَ حِمَارِ
المغيبية (التي غاب زوجها) من بنات مجاشع تبكي ولها (شوقاً) إذا سمعت نهيق حمار
(ينفق لأثناء مشتاقاً)

لَا تَبْتَغِي كَمَرًا بَنَاتُ مُجَاشِعٍ وَيُرْدَنَ مِثْلَ بَيَازِرِ الْقَصَّارِ
ولا تريد نساء مجاشع كمرأ (والكمرة أداة الرجل) بل يردن شيئاً مثل بيزرة القصار (مدقة غاسل
التياب)

٥٢ حي الهدملة

حَيِّ الْهَدْمَلَةِ مِنْ ذَاتِ الْمَوَاعِيسِ فَالْجَنُودُ أَصْبَحَ قَفْرًا غَيْرَ مَأْنُوسٍ
أسماء أماكن خربة

بَيْنَ الْمُخَيَّصِرِ فَالْعَرَافِ مَنْزِلَةً كَالْوَحْيِ مِنْ عَهْدِ مُوسَى فِي الْقَرَاتِيسِ
هذه المنزلة (المكان) أصبحت معالمها محوّة مثل الكلمات في أوراق التوراة

لَا يَسْتَطِيعُ امْتِنَاعًا فَقَعَ قَرْقَرَةً بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ بِالْبِيدِ الْأَمَالِيسِ
قعق القرقرة (الفطر النابت في الوادي) بين طريقين في البيد الأماليس (الصحارى الجرداء) لا
يستطيع حماية نفسه من دوس الأرجل

وَابْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لَزَّ فِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيسِ
ابن اللبون: الصغير الذي قُطم قريباً، إذا ما لَزَّ (خُسِر) في قرن (جل) لا يستطيع أن يقاوم صولة
البزل القناعيس (هجمة الجمال القوية)

هَلْ مِنْ حُلُومٍ لِأَقْوَامٍ فَتُنْذِرُهُمْ مَا جَرَّبَ النَّاسُ مِنْ عَضِيٍّ وَتَضْرِيصِي
هل للقوم عقول تحذرهم مما جرب غيرهم من عضي وتضريسي (فتكي بالخصوم بالأسنان والأضراس)

٥٣ أنا جهنم

إِنْ تَضْرِسَانِي تَجِدَا مُضَرَّسًا
إن تضرباني تجدا رجلاً كثير التجارب

قَدْ لَيْسَ الدَّهْرَ وَأَبْقَى مَلْبَسًا

لا نعرف كيف يلبس المرء الدهر، غير أن المعنى الملموح هو أنه عاين صنوف الرزايا،
وبقيت فيه بقية

مَنْ شَاءَ مِنْ حَرِّ الْجَحِيمِ اقْتَبَسَا

٥٤ أفنيت الشعر

أَلَا لَا تَلُومَا الْقَلْبَ أَنْ يَتَحَشَّعَا فَقَدْ هَاجَتِ الْأَحْزَانُ قَلْبًا مُفَرَّعَا
وَجُودًا لِهِنْدٍ بِالْكَرَامَةِ مِنْكُمَا وَمَا شِئْتُمَا أَنْ تَمْنَعَا بَعْدُ فَاثْمَعَا
جودا يا صاحبيّ لهند بالوقوف ساعة على أطلال منازلها، وبعد ذلك لا أسألكما شيئاً
وأدركتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدْعُ لِمَنْ كَانَ بَعْدِي فِي الْقَصَائِدِ مَصْنَعَا
أدركت الشعرء السابقين (صنعت في الشعر مثلما صنعوا) ولم أترك لمن بعدي في القصائد مصنعا
(شيئاً يصنعه)

٥٥ زعم الفرزدق..

بَانَ الْخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ قَوَّدَعُوا أَوْكُلَّمَا رَفَعُوا لِبَيْنِ تَجَرَّعُوا
بان الخليط: فارَّق القوم، رفعوا: وضعوا رحالهم فوق الإبل للرحيل

إِنْ الشَّوَاخِجَ بِالضُّحَى هَيَّجَنِي فِي دَارِ زَيْنَبَ، وَالْحَمَامُ الْوُقُعُ
الشواخج: الغريان

كَيْفَ الْعِزَاءُ وَلَمْ أَجِدْ مُذْ بِنْتُكُمْ قَلْبًا يَقْرُ وَلَا شَرَابًا يَنْقَعُ
بنتم: فارقم، ينقع: يروي

وَلَقَدْ صَدَقْتُكَ فِي الْهَوَى وَكَذَّبْتَنِي وَخَلَبْتَنِي بِمَوَاعِدٍ لَا تَنْفَعُ
خلبتني: خدعتني

بَانَ الشَّبَابُ حَمِيدَةً أَيَّامُهُ وَلَوْ أَنَّ ذَلِكَ يُشْتَرَى أَوْ يَرْجَعُ
وتقول بوزع قد دببت على العصا هَلَّا هَزَلْتِ بِغَيْرِنَا يَا بَوَزُعُ
ولقد رأيتك في العذارى مرةً ورأيت رَاسِي وَهُوَ دَاجٍ أَفْرَعُ
داج: أسود، أفرع: ذو شعر غزير، والفرع الشعر

حَبِئُوا الدِّيارَ وَسَائِلُهَا أَطْلَالَهَا هَلْ تَرْجِعُ الْخَبَرَ الدِّيارُ الْبَلْقَعُ
البقع: الخربة

وَلَقَدْ حَبَسْتُ بِهَا الْمَطْيِي فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا السَّلَامُ، وَوَكَّفَ عَيْنٍ تَدْمَعُ
وكف: انهمار

لَمَّا رَأَى صَحْبِي الدَّمُوعَ كَأَنَّهَا سَحَّ الرِّذَاذِ عَلَى الرِّدَاءِ اسْتَرْجَعُوا
سح الرذاذ: هطول المطر الخفيف، استرجعوا: قالوا «إنا لله وإنا إليه راجعون»

هل تذكّرِينَ زمانَنَا بِعُنَيْرَةٍ والأَبْرَقَيْنِ، وَذَاكَ مَا لَا يَرْجِعُ
أَعْدَدْتُ لِلشَّعْرَاءِ كَأْساً مُرَّةً عِنْدِي مُحَالِطُهَا السَّمَاءُ الْمُنْفَعُ
السما: السم، المنفع: الشديد

وَهَنَّ الْفَرَزْدَقُ يَوْمَ جَرَّبَ سَيْفَهُ قَيْنٌ بِهِ حُمَمٌ وَأَمٍ أَرْبَعُ
ضعف الفرزدق حين ضرب بسيفه ذلك الأسير فبنا سيفه، والفرزدق قين (حداد) به حمم (فحم)،
وأم أربع (أربع إماء، أي أنه سليل جدّات أربع من الإماء)

أَخْزَيْتَ قَوْمَكَ فِي مَقَامٍ قُمْتَهُ وَوَجَدْتَ سَيْفَ مَجَاشِعٍ لَا يَقْطَعُ
مجاشع: قوم الفرزدق

وَمَجَاشِعٌ قَصَبٌ هَوَتْ أَجْوَاهُ غَرُّوا الزُّبَيْرَ فَأَيَّ جَارٍ صَيَّعُوا
مجاشع فارغون كالقصب الذي لا شيء في جوفه، وقد غرّوا الزبير بن العوام حين
استجار بهم، فأخذه أعداؤه وقتلوه. والزبير ابن عمه الرسول، وقد خرج مع عائشة في
يوم الجمل ضد علي بن أبي طالب، وانصرف عن القتال، فلاقاه رجل من مجاشع،
رهب الفرزدق، فقال له: إني إني فانا أمنعك. فقبل جواره، ولكن قوماً لحقوا به وقتلوه

لَمَّا أَتَى خَبَرَ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشَعُ
تواضعت: تهدمت، خشعت الجبال: همدت

هَلَّا سَأَلْتَ بَنِي تَمِيمٍ أَئِنَّا يَحْمِي الذُّمَارَ، وَيُسْتَجَارُ فَيَمْنَعُ
الذمار: العرض

مَنْ كَانَ يَسْتَلِبُ الْجَبَابِرَ تَاجَهُمْ وَيَضُرُّ، إِذْ رُفِعَ الْحَدِيثُ، وَيَنْفَعُ
من الذي يجرو على الملوك فيقهرهم، ومن الذي بيده أن ينفع ويضر عندما يأتي زمن الفعل
ويذهب زمن القول

زَعَمَ الْفَرَزْدَقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مَرْبَعاً أَبْشِرْ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مَرْبَعُ
مربع: راوية جرير

أَخْتُ الْفَرَزْدَقِ مِنْ أَبِيهِ وَأُمُّهُ بَاتَتْ وَسِيرَتُهَا الْوَجِيفُ الْأَرْفَعُ
تلك جعفيث أخت الفرزدق التي تعرض لها رجل من منقر ولمسها أو سحب ثوبها يريد أن يهين
قومها، فصرخت به فهرب، وملا جرير شعره بقذفها، يقول إن سيرتها باتت الوجيف الأرفع
(السائرة سيراً سريعاً كوجيف الإبل)

قَدْ تَعَلَّمُ النَّحْبَاتُ أَنَّ فَتَاتَهُمْ وَطُتَتْ كَمَا وَطِئَ الطَّرِيقُ الْمَهْيَعُ
النحبات (النساء الغلمات الطالبات الجماع) علمن أن فتاتهم جعثن ديست كما يداس الطريق
المهيع (الممهد)

نُبْتُ جِعْشَنَ دَافَعْتُهُمْ بِاسْتِهَا إِذْ لَمْ تَجِدْ لِمُجَاشِيعَ مَنْ يَدْفَعُ

لم تجد من قومها مجاشع من يدفع عنها الأذى فدفعته باستها

يَبْكِي الْفَرَزْدَقُ وَالِدَمَاءَ عَلَى اسْتِهَا قُبْحاً لِنَلْكَ غُرُوبَ عَيْنٍ تَذْمَعُ

غروب: دموع

٥٦ لا يشبعون

أَشْكُو إِلَيْكَ فَأَشْكِنِي ذُرِّيَّةً لَا يَشْبَعُونَ وَأُمَّهُمْ لَا تَشْبَعُ

أشكني (استجب لشكواي) في ذرية (أولاد) جباع

كُثِرُوا عَلَيَّ فَمَا يَمُوتُ كَبِيرُهُمْ حَتَّى الْحَسَابِ وَلَا الصَّغِيرُ الْمُرْضَعُ

رِشْنِي، فَقَدْ دَخَلْتُ عَلَيَّ خَصَاصَةً، مِمَّا جَمَعْتُ وَكُلَّ خَيْرٍ تَجْمَعُ

رشني (أُنبت عليّ ريشاً، أي أنعشني وقوّني، وعلامة قوة الطائر أن يثبت ريشه) بشيء مما جمعت، وأنت تجمع كل خير، فقد دخلت عليّ خصاصة (فقر)

٥٧ مدح أمير المؤمنين

بمدح عبد الملك بن مروان:

لَوْلَا الْخَلِيفَةُ وَالْقِرَانُ يَقْرَأُهُ مَا قَامَ لِلنَّاسِ أَحْكَامٌ وَلَا جُمُعُ

مَا عَدَّ قَوْمٌ بِإِحْسَانٍ صَنِيعَهُمْ إِلَّا صَنِيعُكُمْ فَوْقَ الَّذِي صَنَعُوا

أَنْتَ الْمُبَارَكُ يَهْدِي اللَّهُ شِيعَتَهُ إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ

فَكُلُّ أَمْرٍ عَلَى يُمْنٍ أَمَرْتُ بِهِ فِينَا مُطَاعٌ، وَمَهْمَا قُلْتُ مَسْتَمَعُ

تَلْقَى الرِّجَالَ إِذَا مَا خِيفَ صَوْلَتُهُ يَمْشُونَ هَوْنًا وَفِي أَعْنَاقِهِمْ خَضَعُ

تجد الرجال إذا ما خيفت صولة عبد الملك (إذا غضب) يمشون هوناً (مشياً وثيداً) وقد نكسوا رؤوسهم

إِنَّ الْبَرِيَّةَ تَرْضَى مَا رَضِيَتْ لَهَا إِنْ سَرَتْ سَارُوا وَإِنْ قُلْتَ ارْبَعُوا رَبَعُوا

اربعوا: انزلوا

٥٨ الملك يتجبح

إِذَا مَا اسْتَضَافْتَنِي الْهُمُومُ قَرَيْتُهَا زِمَاعِي وَلَيْلَ الذَّامِلَاتِ الْهَوَايِعِ

إِذَا جَاءَتْنِي الْهُمُومُ تَطْلُبُ الضِّيَافَةَ قَرَيْتَهَا (أطعمتها) زماعاً (عزيمة) وليلاً أسير فيه على متون

الذاملات الهوايغ (النفاق الماضية في سيرها وتمد أعناقها)

تَبَخَّحَ هَذَا الْمُلْكُ فِي مُسْتَقَرِّهِ فَلَيْسَ إِلَى قَوْمٍ سِوَانْهُمْ بِرَاجِعٍ
قعد الملك مستريحاً عندكم يا بني أُمَيَّة

٥٩ صاحب المكرمات

يمدح عبد العزيز بن مروان:

رَأَيْنَ تَغْيِيرِي فَجَزَعَنَ مِنْهُ كَذَعِرِ الْفَارِسِ الْبَقَرَ الرُّتَاعَا
رأت الحسان تغيري بمرور الزمن فأصابهن بالجزع مثلما يصيب الفارس بالذعر البقر البرية الرائعة
في عشبها

سَمَا عَبْدُ الْعَزِيزِ إِلَى الْمَعَالِي وَفَاتِ الْعَالَمِينَ نَذَى وَبَاعَا
الندى: الكرم، الباع: القدرة

أَلَسْتُ ابْنَ الْأَيْمَةِ مِنْ قَرِيْشٍ وَأَرْحَبَهَا بِمَكْرُمَةٍ ذِرَاعَا

٦٠ صوت الضفادع

يهجو الفرزدق:

إِذَا أَسْفَرَتْ يَوْمًا نِسَاءً مُجَاشِيعٍ بَدَتْ سَوَاءٌ مِمَّا تُجِنُّ الْبَرَاقِعُ
تجن: تخفي

مَبَاشِيمٌ مِنْ غِبِّ الْخَزِيرِ، كَأَنَّمَا تُصَوِّتُ فِي أَغْفَاجِهِنَّ الضَّفَادِعُ
مباشيم (مصابات بفساد معدة لكثرة الأكل) وذلك غب (نتيجة) أكل الخزير (دقيق يحاس بالماء أو المرق، وهي أكلة يعبر بها جرير قوم الفرزدق)، ويصدر عن أغفاجهن (أسافل أمعانهن) صوت
كنقيق الضفادع

أَتُعْدِلُ أَحْسَابًا كِرَامًا حُمَاتِهَا بِأَحْسَابِكُمْ؟ إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعُ
لَقَوْمِي أَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْكُمْ وَأَضْرَبُ لِلْجَبَّارِ، وَالنَّفْعُ سَاطِعُ
الحقيقة: الشرف، النفع: الغيار، ساطع: منتشر

إِذَا قِيلَ أَيُّ النَّاسِ شَرُّ قَبِيلَةٍ وَأَعْظَمُ عَارًا قِيلَ تِلْكَ مُجَاشِيعُ

٦١ هندستان وصينستان

قال في الوليد بن عبد الملك:

طَلَبْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ تَنَائِفُ غُبْرُ، وَاصْلَتْهَا تَنَائِفُ
تنائف: صحارى

إِذَا قِيلَ شَكَوَى بِالْإِمَامِ تَصَدَّعَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْخَوْفِ الْقُلُوبُ الرَّوَاجِفُ

شكوى: مرض

أَتَنَّا لَكَ الْبُشْرَى فَقَرَّتْ عَيْنُنَا وَدَارَتْ عَلَى أَهْلِ النِّفَاقِ الْمَخَاوِفُ

ثم أتنا البشري بشفائه

هَذَا الَّذِي يَهْدِي الْخَلَائِفَ لِلتَّقَى وَأُعْطِيَتْ نَصْرًا لَمْ تَنَلْهُ الْخَلَائِفُ

وَأَدَّتْ إِلَيْكَ الْهِنْدُ مَا فِي حَصُونِهَا وَمِنْ أَرْضِ صِينِستَانِ تُجَبَّى الطَّرَائِفُ

استسلم المقاتلون في الهند ونزلوا من حصونهم، وبعث الصين بالهدايا درءاً لغزوها

٦٢ أَعْطُوا هَنِيْدَةً

وقال في يزيد بن عبد الملك:

خَبَّرَ عَنِ الْحَيِّ سِرًّا أَوْ عَلَانِيَةً جَادَتْكَ مُدْجِنَةٌ فِي عَيْنِهَا وَطَفُ

أيها الربيع خبرنا عن رحلوا عنك، ولتتهطل عليك أقطار سحابة مدججة معتمة، وكان للغيمة عين،
وكان بها وطف (سيولة)

مَا اسْتَوْصَفَ النَّاسُ عَنْ شَيْءٍ يَرُوقُهُمْ إِلَّا أَرَى أُمَّ عَمْرٍو فَوْقَ مَا وَصَفُوا

استوصف: التمس وصفاً

كَأَنَّهَا مُزْنَةٌ غَرَاءُ وَاضِحَةٌ أَوْ دُرَّةٌ لَا يُوَارِي ضَوْءَهَا الصَّدْفُ

مزنة: سحابة، غراء: بيضاء

قَالَ الْعَوَازِلُ هَلْ تَنْهَاكَ تَجْرِبَةٌ أَمَا تَرَى الشَّيْبَ، وَالْأَخْدَانَ قَدْ دَلَّفُوا

أما ترى أخدانك (رفاقك الذين في سنك) قد دلفوا (مشوا مشياً وثيداً وكبروا)

كَلَّفْتُ صَحْبِي أَهْوَالاً عَلَى ثِقَةٍ لِّلَّهْ دَرُّهُمْ رَكْبًا، وَمَا كَلِّفُوا

كلف صحبه مماشاته في رحلته واثقاً بقبولهم

لَا وَرَدَ لِلْقَوْمِ إِنْ لَمْ يَعْرِفُوا بَرْدَى إِذَا تَجَوَّبَ عَنْ أَعْنَاقِهَا السَّدْفُ

لا ورد (ورود على ماء) لصحبي إن لم يجيئوا نهر بردى بالشام وقد تجوَّب (انزاح) عن أعناق
الإبل السدف (الظلام)

صَبَّحَنَ ثُومَاءَ، وَالنَّاقُوسُ يَقْرَعُهُ قَسُّ التَّصَارَى، حَرَا جِجَا بِنَا تَجِفُ

عند الصباح تصل الإبل إلى ثوماء (بدمشق) مع قرع القس الناقوس، وإبلنا هذه الحراجيج (الضامرة
الهزيلة لظول السير) تصل وهي تجف (تسرع)

يا ابن الأروم، وفي الأغياصِ مَنبِئُها لا قَادِحٌ يَرْتَقِي فيها ولا قَصَفٌ
يا ابن الأروم (الجدور) التي منبئها في الأغياص (وسط الشجر المتكاثف)، والتي لا يصعد فيها
قَادِح (سوس) ولا قَصَف (ضعف يؤدي إلى انقصاص)

أَرْجُو الْفَوَاضِلَ إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَكُمْ يا قَبْلَ نَفْسِكَ لَا قَى نَفْسِي التَّلَفُ
أرجو الفواضل (العطايا)، وليقبض الله نفسي قبلك (كأنه يقول له: تقبرني)

أَعْطَوْا هُنَيْدَةً يَحْدُوها ثَمَانِيَّةٌ ما في عَطَائِهِمْ مَنْ ولا سَرْفٌ
لقد أعطوني هنيذة (مئة ناقة/ قد جاءك أنهم يسمون المليون جنيه «الأرنب»، فهذه الهنيذة مئة ناقة)،
ويحدوها (يقودها) ثمانية من الرعاء، وليس في عطائهم مَنْ (استطالة على الأخذ)
ولا إسراف

كُوماً مَহারِسَ مِثْلَ الْهَضْبِ لو وَرَدَتْ ماء الفراتِ لَكَادَ الْبَحْرُ يُنْتَزَفُ
هذه النياق كوم (ضخمة) مهاريس (تهرس العشب هرساً ثم تدر اللبن الغزير) وهي كالهضاب، ولو
وردت نهر الفرات لكاد ينتزف (ينضب)

إِنِّي شَكَرْتُ، وَقَدْ جَرَّبْتُ أَنْكُمْ على رجالٍ وإن لم يَشْكُرُوا عُظْفُ
يا رَبِّ قَوْمٍ وَقَوْمٍ حَاسِدِينَ لَكُمْ ما فِيهِمْ بَدَلٌ مِنْكُمْ ولا خَلَفُ
ما أكثر الحساد، لكنهم لا يقومون مقامكم

أَنْتَ الْمُبَارَكُ وَالْمِيْمُونُ سِيرْتُهُ لولا تُقَوِّمُ ذَرَّةَ النَّاسِ لا خَتَلَفُوا
درء: اعوجاج

تَدْعُو فَيَنْصُرُ أَهْلَ الشَّامِ، إِنَّهُمْ قَوْمٌ أَطَاعُوا وُلاَةَ الْحَقِّ وَاتْتَلَفُوا
ما في قلوبهم نَكْتُ ولا مَرَضٌ إِذَا قَذَفْتَ مُحِلًّا خَالِعاً قَذَفُوا
ليس في قلوبهم مرض (نفاق)، وإذا قذفت محلاً (من يحل حرمات الله) خالِعاً (خالعاً للطاعة)
فهم معك

٦٣ هبيرة ومشيته

أَبْنِي رَبِيعَةَ إِنَّمَا أَرَزَى بِكُمْ نَكَدُ الْجُدُودِ، وَدَقَّةُ الْأَخْلَاقِ
بِمَشْيِي هُبَيْرَةَ بَعْدَ مَقْتَلِ شَيْخِهِ مَشْيِي الْمُرَاسِلِ أَوْذَنْتُ بِطَلَاقِ
هبيرة يمشي مختالاً ولم يأخذ بثأر أبيه مشي المراسل (المطلقة التي ترسل الرجال كي تزوج)
أوذنت (أبلغت) بطلاقها

٦٤ يا زيق.. يا زيق

يا زِيْقُ أَنْكَحْتَ قَيْنًا بِاسْتِهِ حُمَمٌ يا زِيْقُ وَيْحَكَ مَا أَنْكَحْتَ يا زِيْقُ
زوج زيق ابنته حدراء للفرزدق على مئة ناقة، فهذا جرير يوبخه: قد زوجت قيناً (حداداً) في
مؤخرته حمم (سواد من فحم مرجله الذي يحمي به الحديد)

يا رَبِّ قَائِلَةٍ بَعْدَ الْبِنَاءِ لَهُ لا الصَّهْرُ رَاضٍ، ولا ابْنُ الْقَيْنِ مَعشُوقُ
البناء: الزواج، إذ كان الرجل «يبني» فعلاً على عروسه خيمة جديدة، فغدا كل زواج بناء

٦٥ لولا إسحاق

يهجو سراقه البارقي:

يا رَبِّ قَائِلَةٍ تَقُولُ وقَائِلٍ: أَسْرَاقُ إِنَّكَ قد خَزَيْتَ سُراقا
إن الذين عَوَوْا عَوَاءَكَ قد لَقَوْا مِنِّي صَوَاعِقُ تُخْضِعُ الْأَعْنَاقَا
فلِذَا لَقَيْتَ مُجِيلِيساً مِنْ بَارِقٍ لَأَقْبِتَ أَطْبَعَ مَجْلِسِ أَخْلَاقَا
أطبع: أسوأ

الناقِصِينَ إِذَا يُعَدُّ حِصَاهُمْ والجَامِعِينَ مَذَلَّةً وَنِفاقَا
حصاهم: عددهم

ولقد هممتُ بأنْ أَدْمَرَ بَارِقاً فَرَقَبْتُ فِيهِمْ عَمْنَا إِسْحاقَا
أردت أن أدمرهم ولكنني رقيت (راعت) عمنا إسحق (فهم يهود من أبناء إسحق الذي هو «عم»
العرب، إذ أبو العرب أخوه إسماعيل)

٦٦ عقاب الحجاج

أَعَالِجُ بَرَحاً مِنْ هَوَاكِ، وَشَفَنِي فَوَادُ إِذَا مَا تُذَكِّرِينَ خَفَوقُ
أعالج (أعاني) برحاً (الماً) من هواك، وشفني (ألمني) فواد خافق كلما ذُكِرَتْ
أَوَائِسُ أَمَّا مَنْ أَرَدَنْ عِناهُ فَعَانٍ، وَمَنْ أَطْلَقَنْ فَهُوَ طَلِيقُ
من أردن عناه (إيلامه) فهو عانٍ (أسير)

وَمَنْ يَأْمَنْ الْحَجَّاجَ؟ أَمَّا عِقَابُهُ فَمُرٌّ، وَأَمَّا عَقْدُهُ فَوَثِيقُ
لا يأمن الحجاج منافق

وما دُفِّتْ طَعْمَ النَّوْمِ إِلَّا مُفَرَّعاً وما سَاغَ لِي بَيْنَ الْحَيَازِمِ رِيْقُ
الحيازيم (أعالي الصدر التي تضم الحلق)

يُسِرُّ لَكَ الْبَغْضَاءَ كُلَّ مَنَافِقٍ كَمَا كُلُّ ذِي دِينٍ عَلَيْكَ شَفِيقٌ
وَأَطْفَأَتْ نِيرَانَ الْعِرَاقِ، وَقَدْ عَلَا لَهُنَّ دُخَانٌ سَاطِعٌ وَحَرِيقٌ
ساطع: منتشر

٦٧ لسان تميم

يرثي الفرزدق، وقد سبقه بنحو سنة:

لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْجَى تَمِيمًا وَهَذَا عَلَى نَكَبَاتِ الدَّهْرِ مَوْتُ الْفَرَزْدَقِ
فوق نكبات الدهر جاء موت الفرزدق ليحزن تميمًا ويهدها

عَشِيَّةً رَاحُوا لِلْفِرَاقِ بِنَعْسِهِ إِلَى جَدَثٍ فِي هُوَّةِ الْأَرْضِ مُغْمَقِ
لَقَدْ غَادَرُوا فِي اللَّحْدِ مَنْ كَانَ يَنْتَمِي إِلَى كُلِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ مُحَلَّقِ
عِمَادُ تَمِيمٍ كُلُّهَا وَلِسَانُهَا وَنَاطِقُهَا الْبَدَاخُ فِي كُلِّ مَنْطِقِ
البداخ: المتدفق الهذار

وَكَمْ حِصْنٍ جَبَّارٍ هُمَامٍ، وَسُوقَةٍ إِذَا مَا أَتَى أَبْوَابَهُ لَمْ تُغْلَقِ
كان الفرزدق يزور الملوك الجبارين، والسوقة (الأثرياء من غير الملوك، وهي كلمة غير مردولة في هذا السياق) ولم تكن تغلق دونه الأبواب

لِتَبْكُ عَلَيْهِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ، إِذْ تَوَى فَتَى مُضَرٍّ، فِي كُلِّ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ
فَتَى عَاشَ يَبْنِي الْمَجْدَ تَسْعِينَ حِجَّةً وَكَانَ إِلَى الْخَيْرَاتِ وَالْمَجْدِ يَرْتَقِي

٦٨ عز تميم

يهجو الأخطل التغلبي:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ عِزَّ بَنِي تَمِيمٍ بِنَاءُ اللَّهِ يَوْمَ بَنَى الْجِبَالَا
إِذَا مَا كَانَ خَالُكَ تَغْلِبِيًّا فَبَادِلُ إِنْ وَجَدْتَ لَهُ إِدَالَا
وَيَرْبُوعٌ تَحُلُّ ذُرَى الرَّوَابِي وَتَبْنِي فَوْقَهَا عَمْدًا طَوَالَا
يربوع: عشيرة جرير، وهي من تميم

٦٩ العاجل والأجل

قال لعمر بن عبد العزيز:

إِنَّ الَّذِي بَعَثَ النَّبِيُّ مُحَمَّدًا جَعَلَ الْخِلَافَةَ فِي الْإِمَامِ الْعَادِلِ

قد نالَ عدْلَكَ مَنْ أَقامَ بِأَرْضِنَا وإليكِ حاجةٌ كُلٌّ وفدٍ راحِلِ
 إِنِّي لَأَمُلُ مِنْكَ خَيْراً عاجِلاً والنفسُ مولعةٌ بحُبِّ العاجِلِ
 واللَّهُ أنزَلَ في الكتابِ فريضةً لابنِ السبيلِ وللفقيرِ العائِلِ
 يذكُرُ عمرُ بالآية: «إنما الصدقات للفقراء والمساكين وابن السبيل...» والعائِل: ذو العيال

٧٠ مصنوعون من لؤم

قومٌ توارثَ أصلَ اللؤمِ أولُهُم فما لَهُمُ عن ديارِ اللؤمِ تحوِيلُ
 مُحالِفو اللؤمِ آلى لا يُفارِقُهُم حتى يُردَّ على أدراجِهِ النِيلُ
 ملازمون للؤم، وقد آلى، أي حلف، لا يفارقهم حتى ينعكس جريان النيل

قد ارتدّوا بِرداءِ اللؤمِ واتّزروا وقُطعتْ لَهُمُ مِنْهُ سَرايِلُ

٧١ بسطام وغالب

أحبُّ لِحُبِّ العاصِمِيَّةِ معشراً مِنَ الناسِ ما كانوا صديقاً ولا أهلاً
 وأرعاهُمُ بالغيبِ مِنْ أَجلِ حُبِّها وأولِيهِمُ مِنِّي الكَرامةُ والبَذَلُ
 لقد جَمَعَتِ عِرسُ الفرزدقِ، والتوى بِحِذَاءِ قومٍ لَمْ يَرَوْكَ لَهَا أَهلاً
 جمعت (تمردت) عرس الفرزدق (زوجته) حذراء، والتوى بها أهلها (تحابلوا لمنع زواجها) لأنهم لم يروك كفتاً لها

رَأَوْا أَنَّ صِهرَ القومِ عارٌ عَلَيْهِمُ وَأَنَّ لِبِسطامٍ على غَالِبٍ فَضْلاً
 فأبوهم بسطام خير من أبيك غالب

وَمَا رَغِبُوا في صِهرِ آلِ مُجاشِعٍ وما إنْ رَأَوْا شَكْلَ القِيُونِ لَهُمُ شَكْلاً
 وهم لا يُضْهِرونَ إلى قِيون (حدادين)

٧٢ على أهواء نسوتهم

قيسُ البَرّاجِمِ شَرُّ الخَلْقِ كُلِّهِمُ أَخْزاهُمُ رَبُّ جَبْرِيلَ ومِيكائِلِ
 الطَّاعِنُونَ على أَهْواءِ نِسْوَتِهِمُ والخَافِضُونَ بِدارِ غيرِ مُحْلالِ
 الخافضون: النازلون، دار غير محلال: لا تصلح للحلول بها

٧٣ موتي

خُذُوا كُحْلًا وَمِجْمَرَةً وَعِظْرًا فَلَسْتُمْ يَا فِرْزْدُقُ بِالرَّجَالِ

مجمرة: مبخرة

يَقُولُ الْمُنْقَرِيُّ، وَأَبْرَكُوهَا: رَخِيصٌ مَهْرُ جَعِثَنَ غَيْرُ غَالٍ

كان المنقري قد تعرض لأخت الفرزدق جعثن ثم فر، ويزعم جرير - كاذباً - أن أصحاب المنقري أقاموا الفتاة على أربع للفعل الشنيع

تَقُولُ قَتَلْتَنِي، وَيَقُولُ مُوتِي وَلَوْ رَغِمَ الْفِرْزْدُقُ لَا أَبَالِي

٧٤ أشبالي

يرثي ولده سودة، ومات بالشام:

قَالُوا نَصِيْبَكَ مِنْ أَجْرٍ، فَقُلْتُ لَهُمْ: مَنْ لِلْعَرِينِ إِذَا فَارَقْتُ أَشْبَالِي

قالوا تأخذ نصيبك من الأجر لصبرك على ابنك، فقلت لهم: من يحمي العرين إذا فقدت أولادي

لَكِنْ سَوَادَةٌ يَجْلُو مُقْلَتِي لَحْمٍ بَاِزٍ يُصْرَصِرُ فَوْقَ الْمَرْقَبِ الْعَالِي

سودة كان يجلو (يُبرِز) مقتلتي لحم (صقر) يصيح فوق المرقب (الموضع الذي يرقب منه الصقر فريسته قبل انقضاضه)

إِلَّا تَكُنْ لَكَ بِالْدَّيْرَيْنِ مُعْوَلَةٌ قَرُبَ بَاكِيَةٍ بِالرَّمْلِ مِعْوَالٍ

إن لم يكن لك يا سودة من تبيك بالديرين في الشام، فهناك باكية معوال (باكية) في الرمل ببلاد اليمامة

فَارَقْتَنِي حِينَ كَفَّ الدَّهْرُ مِنْ بَصَرِي وَحِينَ صِرْتُ كَعَظْمِ الرِّمَّةِ الْبَالِي

الرمة: ما يبقى من الجسم بعد التحلل

إِنَّ الثَّوْيَ بِذِي الزَّيْتُونِ، فَاحْتَسِبِي، قَدْ أَسْرَعَ الْيَوْمَ فِي عَقْلِي وَفِي حَالِي

الثوي: الدفين، ذو الزيتون: الشام، أو موضع بها

٧٥ تحية الطلول

عَلَامٌ تَلُومُ عَاذِلَةً جَهُولُ وَقَدْ بَلَى رَوَاحِلَنَا الرَّحِيلُ

بلَى: أبلى، الرواحل: النياق. فقد هزلت لطول السفر

عَلَيْكَ، وَإِنْ بَلَيْتِ كَمَا بَلَيْنَا، سَلَامٌ إِلَّهَ أَيُّهَا الطُّلُولُ

٧٦ صاحب الدنيا والآخرة

إِذَا قُلْتُ لِي عَبْدَ الْعَزِيزِ كَفَيْتَنِي زَمَانًا فَشَتَّ عِلَّاتُهُ وَمَبَاخِلُهُ
 يكفيني عبد العزيز بن مروان، أخو الخليفة عبد الملك، نواب هذا الزمن وما فيه من بخل أهله
 وَلِلتُّرْكِ مِنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَقِيعَةٌ وَلِلرُّومِ يَوْمٌ مَا تُتِمُّ حَوَامِلُهُ
 للترك منه وقية (هزيمة) وللروم يوم لا تتم فيه الحوامل حملها لفظاعته
 فَمَا وَجَدُوا عَبْدَ الْعَزِيزِ مُعَمَّرًا وَلَا ذَا سِقَاطٍ عِنْدَ أَمْرِ يُحَاوِلُهُ
 مغمر: غشيم، ذو سقاط: كثير الخطأ

فَلَا هُوَ مِنَ الدُّنْيَا مُضِيعٌ نَصِيبُهُ وَلَا عَرَضُ الدِّينِ شَاغِلُهُ
 فهذا بديع ليس في الناس مثله وهذا مديح لا يكذب قائله
 أَبِينَا فَمَا يَدْعُو إِلَى غَيْرِكَ الْهَوَى وَمَا مِنْ خَلِيلٍ بَابِنٍ لَيْلَى نُبَادِلُهُ
 عبد العزيز الممدوح هو ابن ليلى، وزوجته أيضاً اسمها ليلى. فإذا مدح المادحون ابنه عمر بن
 عبد العزيز فهم يقولون له «ابن ليلى» مثلما يقولون لأبيه

٧٧ ثيابكم والدم

فَلَنْ تَسْطِيعَ يَا ابْنَ دَعْيٍ تَيْمٌ عَلَى دَحْضٍ مُزَاحِمَةِ الْقُبُولِ
 لن تستطيع يا ابن الدخيل في قبيلة تيم مزاحمة القبول (الملوك) وأنت تقف على دحض (على منزلق
 بسبب لوم قومك وكون أبك دعياً). وتيم هذه ليست تيم قريش التي منها أبو بكر الصديق، بل
 تيم بن عبد مناة وهم من مضر

كَأَنَّ التَّيْمَ وَسَطَ بَنِي تَمِيمٍ خَصِيٌّ بَيْنَ أَخَصِنَةٍ فَحُولِ
 وإني قد رميتك من تميم بمبء لا تقوم له ثقبيل
 فَرَعْتُ مِنَ الْقُبُورِ وَعَضُّ تَيْمًا فَرَنْدُ الْوَقْعِ لَيْسَ بِذِي فُلُولِ
 فرغت من القبور (الحدادين، يعني الفرزدق وقومه) وعض تيماً فرند الوقع (السيف)
 الحادث غير المثلّم

وَقُلْتُ نَصَاحَةً لِبَنِي عَدِيٍّ ثِيَابَكُمْ وَنَضَحَ دَمَ الْقَتِيلِ
 ينصح بني عدي بن عبد مناة (وهم أبناء عم تيم من قبائل الرباب) أن يبتعدوا حتى لا تلبث ثيابهم
 برشاش دم القتيل الذي يريد أن يقتله شعره. ولعل مما يؤهم القارئ أن تأتي تيم وعدي في بيتين
 متتالين، فتم قبيلة أبي بكر الصديق، وعدي قبيلة عمر بن الخطاب وكتلتاهما من قريش، وأمّا تيم
 وعدي المقصودتان هنا فمن الرباب التي تنتهي أيضاً إلى مضر مثل قريش ومثل تميم نفسها

تَشِينُ الزَّعْفَرَانَ عَرُوسُ تَيْمٍ وَتَمَشِي مِشْيَةَ الْجَعَلِ الزَّحُولِ
 الجعل الزحول: الضرصور الذي يدخل ذيله قبل رأسه في جحره

يَقُولُ الْمُجْتَلُونَ عَرُوسَ تَيْمٍ شَوَى أُمِّ الْحُبَيْنِ وَرَأْسُ فَيْلٍ
 المجتلون عروس تيم (الذين يرونها ليلة عرسها) يقولون الشوى (الأطراف) أطراف أم الحيين
 (السحلية، وأطرافها صغيرة) والرأس رأس فيل

وَلَوْ غُسِلَتْ بِسَاقِيَتَيْ دُجَيْلٍ لَقَالَتْ مَا اكْتَفَيْتُ مِنَ الْعُسُولِ
 وَمَا يَزْدَادُ رِيحُكَ غَيْرَ خُبِّثٍ وَمَا يَزْدَادُ قُنْبُكَ غَيْرَ طُولِ
 القنب: البظر

فَقُنْبُكَ إِنْ قَعَدْتَ بِهِ تَشْنَى قَمْدِي الْقُنْبَ قَائِمَةً فُبُولِي
 إن قعدت فبظرك يتثنى لظوله، فقفي ومدية وبولي، فهو في طول عضو الرجل

٧٨ القائل الفاعل

دَعُوا الْجَبْنَ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا يَبَاعُ وَيُشْرَى سَبِيٌّ مَنْ لَا يُقَاتِلُ
 لَقَدْ جَرَّدَ الْحَجَّاجُ بِالْحَقِّ سَيْفَهُ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَا يَمِيلَنَّ مَائِلُ
 وَثَنَانٍ فِي الْحَجَّاجِ: لَا تَرُكْ ظَالِمٍ سَوِيًّا، وَلَا عِنْدَ الْمَرَأَشَةِ نَائِلُ
 لا يترك الحجاج الظالم سوياً بل يصيبه بعاة في جسمه، ولا يقبل الرشوة

تَقُولُ فَلَا تُلْفَى لِقَوْلِكَ نَبْوَةٌ وَتَفْعَلُ مَا أَنْبَأَتْ أَنَّكَ فَاعِلُ
 ليس لقولك نبوة (خطأ) فالحجاج فصيح، ويفعل ما يقول إنه سيفعله

٧٩ تصف السيوف

يَا أُمَّ نَاجِيَةَ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ قَبْلَ الرُّوْحِ وَقَبْلَ لَوْمِ الْعُدْلِ
 وَإِذَا غَدَوْتَ فَبَاكَرْتُكَ تَحِيَّةً سَبَقَتْ سُرُوحَ الشَّاحِجَاتِ الْحَجَلِ
 إذا غدوت (بكرت) فلك تحية تسبق سروح الشاحجات الحجل (قدوم الغربان التي تمشي متمايلة
 في أطلال القوم بعد رحيلهم)

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخَرَ عَهْدِكُمْ يَوْمَ الرِّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلِ
 سئل ابن لجبر: وماذا كان يفعل أبوك؟ قال: كان سيفقاً عينه حتى لا يراهم يرحلون
 أَعَدَدْتُ لِلشُّعْرَاءِ سُمًّا نَاقِعًا فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الْأَوَّلِ
 سما ناقعاً: شديداً

لَمَا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مِيسْمِي وَضَعَا الْبَعِيثُ، جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ
 وضع الميسم (الحديدة المحمأة التي تدمع بها الإبل لتوثق ملكيَّتها) على الفرزدق فضعا البيت
 (صاح) فجذع (قطع) أنف الأخطل... يريد أن يجمعهم في بيت

أَخَزَى الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ مُجَاشِعاً وَبَنَى بِنَاءَكَ فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ
 سمك السماء: رفعها

إِنِّي بَنَيْ لِي فِي الْمَكَارِمِ أُولِي وَنَفَخْتُ كِيرَكَ فِي الزَّمَانِ الْأُولِ
 أولي: أجدادي، الكير: متفاح الحداد

إِنِّي انْصَبَبْتُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى اخْتَطَفْتُكَ يَا فَرَزْدَقُ مِنْ عِلِّ
 قَتَلَ الزُّبَيْرُ وَأَنْتَ عَاقِدُ حُبْوَةٍ قُبْحاً لِحُبُوتِكَ الَّتِي لَمْ تُخْلَلِ
 قتل الزبير بن العوام بعدما استجار برجل من قوم الفرزدق، يقول جرير: كنت عاقداً
 الحبوة (شال يقعد الرجل ويجمع به ما بين ظهره وساقبه) عندما قتل الزبير ولم تقم
 لتنجده. من هذا البيت نستدل - إن صح لنا - أن الفرزدق مولود فعلاً في عام ٢٠
 للهجرة، وليس بعده. فقد قتل الزبير سنة ست وثلاثين بعيد وقعة الجمل. فلو كان ما
 قاله نفر عن مولد الفرزدق في عام ثلاثين صحيحاً لكان عمره إذ ذاك ست سنين، فلا
 مكان للقول إنه كان محتياً

لَا تَذْكُرُوا حُلَلَ الْمُلُوكِ فَإِنَّكُمْ بَعْدَ الزُّبَيْرِ كَحَائِضٍ لَمْ تُغَسَّلِ
 لا تذكروا نيلكم حلل الملوك، وكان الملوك يخلعون على الناس الحلل، أي الثياب، ضمن
 الهبات

وَلَقَدْ تَرَكْتُ مُجَاشِعاً وَكَأَنَّهُمْ فَقَعَ بِمَدْرَجَةِ الْخَمِيسِ الْجَحْفَلِ
 تركت مجاشعاً كالققع (الفطر) النامي في طريق الخميس (الجيش) الجرار، يداسون بالأقدام
 كان الفرزدق إذ يعودُ بخاله مثل الذليل يعودُ تحت القَرْمَلِ
 القرمل: شجر ضعيف

وَأَفْخَرُ بِضَبَّةٍ إِنَّ أُمَّكَ مِنْهُمْ لَيْسَ ابْنُ ضَبَّةٍ بِالْمُعِمِّ الْمُخُولِ
 تصِفُ السِّیُوفَ وَغَيْرُكُمْ يَعْصِي بِهَا يَا ابْنَ الْقِيُونِ، وَذَاكَ فِعْلُ الصِّقْلِ
 يعصى: يضرب، الصيقل: صانع السيوف

قَعَدْتُ قُفَيْرَةً بِالْفَرَزْدَقِ بَعْدَمَا جَهَدَ الْفَرَزْدَقُ جَهْدَهُ لَا يَأْتَلِي
 قفيرة أم الفرزدق، لا يأتلي: لا يوفر جهداً

٨٠ والتغليبي إذا تنحنح..

قال يهجو الأخطل:

إِنِّي جُعِلْتُ، فَلَنْ أَهَافِي تَغْلِبًا، لِلظَّالِمِينَ عَقُوبَةً وَنَكَالًا
والتغليبي إذا تَنَحَّنَحَ لِلْقَرَى حَكَّ اسْتَهُ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَالَا

التغليبي يتنحنح.. ثم يحك استه.. ويتكلم بكلام عام محاولاً التملص عندما يأتيه
زائر يطلب طعاماً

أَنْسَيْتَ يَوْمَكَ بِالْجَزِيرَةِ بَعْدَمَا كَانَتْ عَوَاقِبُهُ عَلَيْكَ وَيَا لَا
انهزم قوم الأخطل بالجزيرة الفراتية، وقيل أسر الأخطل ولكنه تخلص إذ لم يعرفه أسروه،
وظنوه عبداً

حَمَلْتُ عَلَيْكَ حُمَاةَ قَيْسٍ خَيْلَهَا شُعْثًا صَوَائِسَ نَحْمُلُ الْأَبْطَالَا
كانت الخيل مشعثة عابسة في تلك المعركة

مَا زِلْتُ تَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ خَيْلًا تَشُدُّ عَلَيْكُمْ وَرِجَالَا
لما أصاب الأخطل من خوف ظل يرى كل شيء كأنه تلك الخيل وأولئك الرجال الذين أوقعوا
بقومه. وأخذ المتنبي المعنى ووضع في إطار سريالي: «إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً»

زُفِرَ الرَّئِيسُ أَبُو الْهَذِيلِ أَبَادَكُمْ فَسَبَى النِّسَاءَ وَأَحْرَزَ الْأَمْوَالَا
قَالَ الْأَخْيَطُ لُ إِذْ رَأَى رَايَتَهُمْ يَا مَارَ سَرَجِسَ لَا نُريدُ قِتَالَا
القديس سرجيس من أولياء تغلب (وقته الرومان قبل أربعة عقود من تحول الإمبراطورية الرومانية
إلى المسيحية)

قَيْسٌ وَخِنْذِفُ إِنْ عَدَدْتَ فَعَالَهُمْ خَيْرٌ وَأَكْرَمُ مِنْ أَبِيكَ فَعَالَا
إِنْ حَرَمُوكَ لَتَحْرُمَنَّ عَلَى الْعِدَى أَوْ حَلَّلُوكَ لَتُؤَكِّلَنَّ حَلَالَا
وَلَوْ أَنَّ تَغْلِبَ جَمَعَتْ أَحْسَابَهَا يَوْمَ التَّفَاضُلِ لَمْ تَزِنْ مِثْقَالَا
لَا تَطْلُبَنَّ خُؤُولَةً فِي تَغْلِبٍ فَالزُّنْجُ أَكْرَمُ مِنْهُمْ أَخْوَالَا
لَوْلَا الْجَزَى قُسِمَ السَّوَادُ وَتَغْلِبُ فِي الْمُسْلِمِينَ فَكُنْتُمْ أَنْفَالَا

لولا أنكم تدفعون الجزية، ويتعيش بها بيت المال، لكانت بلادكم بسواد العراق قد
قسمت بين المسلمين، ولقسمتم أنتم فكنتم غنائم. وكان عمر بن الخطاب أبقى
نصارى تغلب من الجزية، ورضي أن يستوفي بعض قيمتها منهم باسم الصدقة، ولكن
ولاة الأمر من بعده تمللوا من حكمه

٨١ مقتل الزبير

إِنِّي تُذَكِّرُنِي الزُّبَيْرَ حَمَامَةً تَدْعُو بِمَجْمَعٍ نَخَلَتَيْنِ هَدِيلاً
يتذكر جرير الزبير بن العوام، تذكره بمقتله حمامة تدعو الهديل، وقالوا إن «الهديل» ابن الحمامة،
وقد فقدته فهي منذ ذلك الوقت تنادي «الهديل» بصوت حزين

قالت قريش: ما أَذَلُّ مُجَاشِعاً جَاراً، وأكرمَ ذا القَتِيلِ قَتِيلاً
قريش تقول إن قبيلة مجاشع، قبيلة الفرزدق - التي أجارت الزبير القرشي ثم لم تحمه - ذليل جارها
لأنها لا تجعله عزيزاً بحمايتها، على أن هذا القَتِيل شريف كريم

أَقْبَعَدَ مَتَرَكِهِمْ خَلِيلَ مُحَمَّدٍ تَرْجُو الْقَيُونَ مَعَ الرُّسُولِ سَبِيلاً
متركهم: تركهم، خليل محمد: الزبير، وكان يدعى حَوَارِيَّ رسول الله

لو كُنْتَ حُرّاً يَا ابْنَ قَيْنٍ مُجَاشِعٍ شَيِّعَتَ ضَيْفَكَ فَرَسَحَيْنِ وَمِيلاً
لا يمل جرير ولا يكل من تلقب الفرزدق بالقين وابن القيون زاعماً أن آباء الفرزدق كانوا يمتنون
الحداثة، وهذه كذبة كبيرة

قَتَلَ الزُّبَيْرُ وَأَنْتُمْ جِيرَانُهُ عَيّاً لِمَنْ عَرَّ الزُّبَيْرَ طَوِيلاً
لو كُنْتَ حين غُرِرْتَ بين بيوتنا لَسَمِعْتَ مِنْ صَوْتِ الْحَدِيدِ ضَلِيلاً
أيها الزبير لو كنت عندنا لسمعت صليل السيوف إذا حاول أحد الاقتراب منك

لَحَمَاكَ كُلُّ مُغَاوِرٍ يَوْمَ الْوَعَى وَلَكَانَ شِلْوُ عَدُوِّكَ الْمَأْكُولَا
شلو: طرف، وجمعها الأشهر منها: أشلاء

٨٢ قاتل الحيات

عُوجِي عَلَيْنَا وَارْبَعِي رَبَّةَ الْبَغْلِ وَلَا تَقْتُلِينِي لَا يَحِلُّ لَكُمْ قَتْلِي
ميلي إلينا يا راكبة البغل

تَمَنَّى رَجَالٌ مِنْ تَمِيمٍ لِي الرَّدَى وَمَا ذَادَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ ذَائِدٌ مِثْلِي
ذاذ: حامى ودافع

فلو شاء قَوْمِي كَانَ جَلِمِي فِيهِمْ وَكَانَ عَلَى جُهَالٍ أَعْدَائِهِمْ جَهْلِي
وقد زَعَمُوا أَنَّ الْفَرَزْدَقَ حَبَّةً وَمَا قَتَلَ الْحَيَاتِ مِنْ أَحَدٍ قَتْلِي
رَأَيْتُكَ لَا تَحْمِي عِقَالاً، وَلَمْ تُرِدْ قِتَالاً، فَمَا لَأَقَيْتَ شَرَّ مِنَ الْقَتْلِ

عقال: بعير

٨٣ شبه الرجال

لَا يَخْفَيْنَ عَلَيْكَ أَنَّ مُجَاشِعًا شَبَهُ الرِّجَالِ وَمَا هُمْ بِرِجَالٍ
فَانْفُخْ بِكَبِيرِكَ يَا فَرَزْدُقُ، فِي كَرْتَبَاءِ هَدِيَّةِ الْقُقَالِ
اقْعِدْ يَا فَرَزْدُقُ عَنِ الْقِتَالِ وَانْفُخْ فِي مِفْتَاحِكِ أَيُّهَا الْحَدَادُ،
(الراجعين) مِنَ الْقِتَالِ لِيُعْطُوكَ هَدِيَّةً مِمَّا غَنَمُوا

٨٤ أميمة

وَدَّعْ أُمَامَةً حَانَ مِنْكَ رَحِيلُ إِنَّ الْوَدَاعَ إِلَى الْحَبِيبِ قَلِيلُ
إِنْ كَانَ طِبُّكُمْ الدَّلَالُ فَإِنَّهُ حَسَنَ دَلَالِكَ يَا أُمَيْمَ جَمِيلُ
طَبِكُمْ: عَادَتَكُمْ، أُمَيْمَ: أُمَيْمَةُ

قَالَ الْعَوَازِلُ قَدْ جَهِلْتُ بِحُبِّهَا بَلْ مَنْ يَلُومُ عَلَى هَوَاكِ جَهْلُ
كَنَفَا الْكُثِيبِ تَهَيَّلْتُ أَغْطَاةُ وَالرِّيحُ تَجْبُرُ مَثْنَهُ وَتُهِيلُ
بِصْفِهَا: جَسَمَهَا، وَخُصُوصاً عَجِيزَتَهَا، كَكُثِيبِ الرَّمْلِ يَهِيلُ رَمْلَهُ وَيُتْرَجِرُجُ، وَالرِّيحُ تَسْفِي عَلَيْهِ رَملاً
ثُمَّ تَأْخُذُ مِنْهُ رَملاً

أَمَّا الْفَوَازِدُ فَلَيْسَ يَنْسَى ذِكْرَكُمْ مَا دَامَ يَهْتَفُّ فِي الْأَرَاكِ هَدِيلُ
الْأَرَاكِ: مِنَ الْأَشْجَارِ، وَالْهَدِيلُ: صَغِيرُ الْحَمَامِ

٨٥ مات الهوى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْجَهْلَ أَقْصَرَ بَاطِلُهُ وَأَمْسَى عَمَاءٌ قَدْ تَجَلَّتْ مَخَايِلُهُ
جَهْلُ الشَّبَابِ قَدْ أَقْصَرَ بَاطِلُهُ (انْحَسَرَ)، وَأَصْبَحَ عَمَاءٌ (سَحَاباً عَالِياً) قَدْ تَجَلَّتْ مَخَايِلُهُ (تَبَدَّدَتْ)
غِيَمَاتُهُ الْخَفِيفَةُ

فَلَمَّا نِي، وَلَوْ لَامَ الْعَوَازِلُ، مُوَلِّعُ بِحُبِّ «الْقَصَا» مِنْ حُبِّ مَنْ لَا يُزَايِلُهُ
الْقَصَا: مَكَانٌ مُعَيَّنٌ فِيهِ شَجَرُ الْقَصَا

و«ذَا مَرَّحٍ» أَحْبَبْتُ مِنْ حُبِّ أَهْلِهِ وَحَيْثُ انْتَهَتْ فِي الرُّوْضَتَيْنِ مَسَائِلُهُ
أَتَنْسَى لَطَوِيلَ الْعَهْدِ أَمْ أَنْتَ ذَاكِرٌ خَلِيلُكَ ذَا الْوَصْلِ الْكَرِيمِ شَمَائِلُهُ
وَقَدْ كَانَ أَحْيَاناً بَيَّ الشُّوقِ مُوَلِّعاً إِذَا الطَّرْفُ الطَّعَّانُ رُدَّتْ حَمَائِلُهُ
الطَّرْفُ: الْمَهْرُ الْمَتَطَرِفُ فِي الْمَرْعَى الطَّعَّانُ: الْمُرْتَحِلُ، رَدَّتْ حَمَائِلُهُ: رَفَعَ رَحْلَهُ فَوْقَ الْجَمَلِ
اسْتَعْدَاداً لِلرَّحِيلِ

فَلَمَّا التَّقَى الْحَيَّانِ أَلْقَيْتِ الْعَصَا وَمَاتَ الْهَوَى لَمَّا أَصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ

عندما التقى قومي وقومها، ألقى العصا (كناية عن النزول بالمكان)، وتبدد ألم الشوق وقُتل بحضور الحبيب. لم يتقد القدماء هذا البيت الذي قُتل فيه جرير الحب. بل لقد أعجبوا به كل الإعجاب. أولئك ناس جربوا الهوى، وعرفوا كيف يبدأ بالوصال

لَقَدْ طَالَ كَيْثْمَانِي أَمَامَةَ حَبِّهَا فَهَذَا أَوَّانُ الْحَبِّ تَبَدُّو شَوَاكِلُهُ

شواكله: أماراته وعلاماته

إِذَا حُلِّيتُ فَالْحَلِّيُّ مِنْهَا بِمَعْقِدٍ مَلِيحٍ، وَإِلَّا لَمْ تَشْنُهَا مَعَاطِلُهُ

معقد الحلي: العنق، وإن لم تُحلَّ جيدها بشي فليس يشينها العطل (عدم الحلي)

وَقَالَ اللَّوَاتِي كُنَّ فِيهَا يَلْمَنِي لَعَلَّ الْهَوَى يَوْمَ الْمُفْزِلِ قَاتِلُهُ

ويوم كلبهام القطاة مُزَيْنٌ إِلَيَّ صَبَاهُ غَالِبٌ لِي بِاطِلُهُ
يوم قصير كأبهام طائر القطا أَشْتَقُ إِذْ أَتَذَكَّرُ صَبَاهُ، ما فيه من شقاوة، وقد غلبني فيه الباطل،
اللهو، عن رزائي

لَهَوْتُ بِجِنِّي عَلَيْهِ سُمُوطُهُ وَإِنْسٍ مَجَالِيهِ، وَأَنَسٍ شَمَائِلُهُ

هي كالجنية من جمالها، السموط: العقود، إنس مجاليه: صورته صورة الإنسان، أنس شمائله: طباعته فيها الأنس والرقعة

فَمَا مُفْزِلُ أَدْمَاءٍ تَحْنُو لِشَايِنٍ كَطَوْقِ الْفَتَاةِ لَمْ تُشَدِّدْ مَفَاصِلُهُ

المفزل (الغزالة ومعها ولدها) أدماء: بيضاء، شادن: ولد الغزالة، كأن هذه الغزالة تطوق ولدها وتلتف عليه كطوق في عنق فتاة لكنه طوق رخو

بِأَحْسَنَ مِنْهَا يَوْمَ قَالَتْ أَنَاظِرُ إِلَى اللَّيْلِ بَعْضَ النَّيْلِ أَمْ أَنْتَ عَاجِلُهُ

تلك الغزالة ليست بأجمل من المحبوبة يوم قالت لجرير: أنتظر الليل لتنال بعض ما تريد، أم أنت مستعجل؟

فَلَوْ كَانَ هَذَا الْحَبُّ حَبًّا سَلَوْتُهُ وَلَكِنَّهُ دَاءٌ تَعْمُودُ عَقَابِلُهُ

عقابه: بقاءه

وَلَمْ أَنَسْ يَوْمًا بِالْعَقِيقِ تَخَايَلْتُ ضَحَاهُ، وَطَابَتْ بِالْعَشِيِّ أَصَائِلُهُ

تخايلت ضحاه: بدت فيه سحب خفيفة وقت الضحى

رُزِقْنَا بِهِ الصَّيْدَ الْغَزِيرَ، وَلَمْ أَكُنْ كَمَنْ نَبِلُهُ مَحْرُومَةً وَحَبَائِلُهُ

صدنا فيه كثيراً، ولم تكن نبالي (سهامي) وحبائلي (شباكي) محرومة، فقد صدت كما صادوا

فَأَيَّاهُتْ أَيَّاهُتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَأَيَّاهُتْ وَضَلَّ بِالْعَقِيقِ نَوَاصِلُهُ

أَيَّاهُتْ: هِيَاهُتْ

يَقْلُنْ إِذَا مَا حَلَّ دَيْنُكَ عِنْدَنَا، وخَيْرُ الَّذِي يُقْضَى مِنَ الدَّيْنِ عَاجِلُهُ..
إذا حل وقت الوفاء بالدين، وقد يكون الدين قبلة أو لقاء، والأفضل - يقول جرير - تعجيل الوفاء بالدين..

: لَكَ الْخَيْرُ، لَا نَقْضِيكَ إِلَّا نَسِيَّةً مِنَ الدَّيْنِ أَوْ عَرْضاً فَهَلْ أَنْتَ قَابِلُهُ؟
يقول: نقضي دينك نسيئة (تأجيلاً)، أو نعطيك بدلاً منه عرضاً لا نقداً. يقصد أنها تريد إعطاءه قبلة في الهواء، مثلاً، بدل القبلة الحقيقية

عَشِيَّةً يَغْنَا الْجَلْمَ بِالْجَهْلِ، وَأَنْتَحَتْ بِنَا أَرْحِيَّاتُ الصُّبَا وَمَجَاهِلُهُ
حدث هذا عشية تخلينا عن الحلم (العقل) وملنا إلى اللهو، وانتحت بنا (أخذتنا بعيداً) أرحيات الصبا (الانجراف مع اللهو) ومجاهله (رعوته)

وَذَلِكَ يَوْمٌ خَيْرُهُ دُونَ شَرِّهِ تَغَيَّبَ وَاشِيَهُ وَأَقْصَرَ عَاذِلُهُ
ذلك يوم كان فيه خير، فقد غاب الواشي، وكف العاذل عن اللوم، ثم جاء الشر وهو في الغالب رحيل القوم

أَنَا الْبَدْرُ يُعْشِي طَرْفَ عَيْنِكَ فَالْتَمِسْ بِكَفِّكَ يَا ابْنَ الْقَيْنِ هَلْ أَنْتَ نَائِلُهُ
يخاطب الفرزدق، أنا البدر يعشي طرف عينيك (يضعف بصرك)، ولا سبيل لك عليّ

لَبِستُ أَدَاتِي، وَالْفَرْزَدُقُ لُغْبَةٌ عَلَيْهِ وَشَاخًا كُرْجٌ وَجَلَّاجِلُهُ
يذكر جرير واقعة، فقد طلب الحجاج من جرير والفرزدق أن يأتي كل واحد منهما وقد لبس ملابس قومه في الجاهلية. وجاء الفرزدق لابساً الحرير متزيناً لأن قومه كانوا من السادة الأثرياء، وجاء جرير لابساً درعاً ومتهيئاً للحرب. يقول: لبست أداة الحرب، والفرزدق لعبة كُرْج (خشبة كأنها المهر يلهو بها الصبية) وعليه وشاحان وجلجل (أجراس)

أَعْدُوا مَعَ الْحَلِيِّ الْمَلَابِ، فَإِنَّمَا جَرِيرٌ لَكُمْ بَغْلٌ وَأَنْتُمْ حَلَائِلُهُ
جهزوا مع الزينة الملاب (الطيب)، فأنتم حلائل (نساء) وجرير هو البعل

أَنَا الدَّهْرُ يُفْنِي الْمَوْتَ، وَالْدَّهْرُ خَالِدٌ فَجِئْنِي بِمِثْلِ الدَّهْرِ شَيْئاً يُطَاوِلُهُ
أَمِنْ سَفَهِ الْأَحْلَامِ جَاءُوا بِقِرْدِهِمْ إِلَيَّ وَمَا قِرْدٌ لِقِرْمٍ يُصَاوِلُهُ
الفرم: الفحل، يصاوله: ينازله

تَعَمَّدَهُ آذِيٌّ بِحَرِّ فَعَمَّهُ وَأَلْقَاهُ فِي فِي الْحَوْتِ، فَالْحَوْتُ آكِلُهُ
لقد تعمد الفرزدق (غمره) آذِيٌّ بحر (موج) فغمه (فغطاه)، وألقاه الموج في في (فم) الحوت

٨٦ عدي واللؤم

يُمَاشِي عَدِيًّا لُؤْمَهَا مَا تُجِئُهُ مِنْ النَّاسِ مَا مَاشَتْ عَدِيًّا ظِلَالُهَا
تَجْتُهُ: تخفيه . ولؤمها لاصقٌ بهها كظللها

فَقُلْ لِعَدِيٍّ تَسْتَعِينُ بِنِسَائِهَا عَلَيَّ فَقَدْ أَغْيَا عَدِيًّا رَجَالُهَا
تَرَى اللَّؤْمَ مَا عَاشَتْ عَدِيٌّ مُخْلَدًا سَرَابِيلُهَا مِنْهُ، وَمِنْهُ نِعَالُهَا
سراويل: ثياب

٨٧ اقعدي أو قومي

حَيِّ الدِّيَارَ كَوَحِي الكافِ والميمِ مَا حَظَّكَ الْيَوْمَ مِنْهَا غَيْرُ تَسْلِيمِ
حي الديار التي صارت كالوحي (كالكتابة) وفيها حروف هنا وهناك من كاف ومن ميم، فهي أطلال
خربة، وكل حظك منها أن تلقى عليها السلام

الطَّبِيبُونَ مِنَ الرِّيحَانِ مَنَبَتْهُمْ وَمَنْبَتُ التَّيْمِ فِي الْكُرَّاثِ وَالشُّومِ
تَقْضِي الْقُضَاءُ عَلَى تَيْمٍ وَإِنْ رَغِمَتْ فَاكْتُبْ قِضَاءَكَ وَاطْبَعْ بِالْخَوَاتِيمِ
مَا بَيْنَ تَيْمٍ وَإِسْمَاعِيلَ مِنْ نَسَبٍ إِلَّا الْقَرَابَةُ بَيْنَ الرَّنَجِ وَالرُّومِ
أي أن تيماً ليسوا من العرب

إِنْ ابْنُ تَيْمٍ لَمَنْسُوبٌ لِوَالِدِهِ دَانِي الْقَرَابَةِ مِنْ حَامٍ وَيَحْمُومِ
إن نسب التيمي لوالده فهو قريب من حام (ولد نوح، وهو جدُّ السود) ويحموم (الدخان الأسود)
هَذِي الَّتِي جَدَعْتَ تَيْمًا مَوَاسِمَهَا ثُمَّ اقْعُدِي بَعْدَهَا يَا تَيْمُ أَوْ قُومِي
هذه القصيدة هي التي جدعت من التيم مواسمها (أنوفها)، فلتفعل بعدها تيم ما تشاء

٨٨ لومي كما تشائين

أَعَاذَلْ طَالَ لَيْلُكَ لَمْ تَنَامِي وَنَامَ الْعَاذِلَاتُ وَلَمْ تُنِيْمِي
إِذَا مَا لُمْتَنِي وَعَذَرْتُ نَفْسِي قُلُومِي مَا بَدَا لَكَ أَنْ تُلُومِي

٨٩ الخزي

قال يهجو الفرزدق:

سَتَخْزِي مَا حَيِّتَ وَلَا يُحْيَا، إِذَا مَا مُتَّ، قَبْرُكَ بِالسَّلَامِ
مَتَى تَأْتِ الرُّصَافَةُ تَخْزِي فِيهَا كَخَزِيكَ فِي الْمَوَاسِمِ كُلِّ عَامٍ

٩٠ يميل ويستقيم

قال يمدح هشام بن عبد الملك:

سَمِعْتُ حَمَامَةً طَرِبَتْ بِنَجْدٍ فَمَا هَجَّتَ الْعَشِيَّةُ يَا حَمَامَا

طربت: حزنت، فما هذا الشجن الذي تهيجه فينا يا حمام؟

مُطَوِّقَةً تَرْتَمُ فَوْقَ غُصْنٍ إِذَا مَا قَلْتُ مَالَ بِهَا، اسْتَقَامَا

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَضَى بِعَدْلٍ أَحَلَّ الْجَلَّ وَاجْتَنَبَ الْحَرَامَا

فِيَا رَبَّ الْبَرِّيَّةِ أَغْطِ شُكْرًا وَعَافِيَةً، وَأَبْقِ لَنَا هِشَامَا

وَيُخَسِّرْ مَنْ تَرَكْتَ فَلَمْ تُكَلِّمْ وَيُغَبِّطْ مَنْ تُرَاجِعُهُ الْكَلَامَا

يخسر (يفض بصره) من تتجاهله، ومحسود من تراجعته الكلام (تحدثه)

رَضِينَا بِالْخَلِيفَةِ حِينَ كُنَّا لَهُ تَبَعًا وَكَانَ لَنَا إِمَامَا

كُنَّا هُنَا لِلْحَاضِرِ لَا لِلْمَاضِي كَمَا فِي الذِّكْرِ «وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا»

وَرِيشِي مِنْكُمْ، وَهَوَايَ فِيكُمْ وَإِنْ كَانَتْ زِيَارَتُكُمْ لِمَامَا

ريشي: نعمتي، لاماً: متباعدة

٩١ يعطين ويحرم

أَلَا قُلْ لِرَبِّعٍ بِالْأَفَاقِينَ يَسْلَمُ يُحَيَّا عَلَى شَحْطٍ وَإِنْ لَمْ يُكَلِّمْ

على شحط: برغم البعد

وَمَنْ يُعْطِ وَدَّ الْغَانِيَاتِ فَإِنَّهُ غَنِيٌّ، وَمَنْ يَحْرِمُنَّهُ فَهُوَ يُخْرِمُ

٩٢ مدح عمر بن عبد العزيز

إِنَّ طِلَابَكَ شَيْئًا لَسْتَ نَائِلَهُ جَهْلٌ، وَطُولُ لُبَانَاتِ الْهَوَى سَقَمٌ

طلابك (ملاحقتك) ما لن تناله جهل، وطول التفكير في لبانات (رغبات)

الهوى سقم (مرض)

حَمَلْتُ رَحْلِي عَلَى الْأَهْوَالِ نَاجِيَةً مِثْلَ الْقَرِيعِ الْمُعْنَى شَقُّهُ السَّدَمُ

رفعت رحلي، رغم المتوقع من أهوال السفر، على ظهر ناجية (ناقة سريعة) تشبه القرية (البعير)

المتوتر الذي شقه (أثعبه) السدم (طول الحبس عن الإناث)

مِنَ الطَّوَامِجِ أَبْصَاراً، إِذَا خَشَعَتْ عَنْهَا ذُرَى عِلْمٍ قَالُوا بَدَأَ عِلْمٌ
 ناقتي تطمح ببصرها (ترفع رأسها) فإذا خشعت عنها (انخفضت) ذُرَى علم (قمة جبل)
 بدا جبل جديد

إِلَى الْأَعْرَ الَّذِي تُرْجَى نَوَافِلُهُ إِذَا الْوُفُودُ عَلَى أَبْوَابِهِ ازْدَحَمُوا
 قد جئت بالناقة إلى الأعر (الصحيح الوجه) الذي ترجى نوافله (عطاياها) عندما تزدهم وفود السائلين ببابه
 أَشْبَهَتْ مِنْ عُمَرَ الْفَارُوقِ سِيرَتَهُ سَنَ الْفَرَايِضِ وَائْتَمَّتْ بِهِ الْأُمَمُ
 فعلاً أشبهه، لذا لم يعط جريراً سوى القليل

٩٣ عوى الشعراء

أَقُولُ لِصُحْبَتِي لِمَا ارْتَحَلْنَا وَدَمْعَ الْعَيْنِ مِنْهُمْ رُجُومًا
 أَتَمْضُونَ الرُّسُومَ وَلَا تُحَيَّا كَلَامُكُمْ عَلَيَّ إِذْ حَرَامٌ
 أتمضون الرسوم: أتمرون بالاطلال، ولا تحيونها، فلا والله ما كلمتكم إذن

أَقِيمُوا إِنَّمَا يَوْمٌ كَيَوْمٍ وَلَكِنَّ الرَّفِيقَ لَهُ ذِمَامٌ
 بِنَفْسِي مَنْ تَجَنَّبُهُ عَزِيزٌ عَلَيَّ وَمَنْ زِيَارَتُهُ لِمَامٌ
 أفدي بنفسي من يصعب عليّ تجنبه، ومن لا أزوره إلا لماماً (قليلاً)

وَمَنْ أُنْسِي وَأَصْبَحُ لَا أَرَاهُ وَيَظْرُقُنِي إِذَا هَجَعَ النَّيَامُ
 يأتيني في المنام

أَلَيْسَ لِمَا طَلَبْتُ فَذَلِكَ نَفْسِي قَضَاءٌ، أَوْ لِحَاجَتِي انْصِرَامٌ
 ألا تلبين رغبتني في الوصال؟ أليس لحاجتي انصرام (انقضاء)؟

أَتُنْسَى إِذْ تُودُّعُنَا سُلَيْمَى بِعُودِ بَشَامَةٍ؟ سُقِيَ الْبَشَامُ
 يخاطب نفسه: أتُنسى يوم ودعتنا سليماً ولوحت - دون أن تقدر على كلامنا - بعود بشامة (من
 الأشجار)؟ ألا سقى الله البشام

تَرَكْتُ مُحَلِّينَ رَأَوْا شِفَاءً فَحَامُوا ثُمَّ لَمْ يَرِدُوا وَحَامُوا
 تركت يا سليماً ناساً محلّتين (مطرودين عن الماء) رأوا فيه شفاء فحاموا وحاموا ولم يتيسر
 لهم ورود الماء

فَلَوْ وَجَدَ الْحَمَامُ كَمَا وَجَدْنَا بِسُلَمَانِينَ لَا كُتَّابَ الْحَمَامِ
 لو وجد الحمام (حزن/ من الوجد) مثلنا في سلمانيين لا كتاب

عَوَى الشَّعْرَاءُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَلَيَّ، فَقَدْ أَصَابَهُمْ انتِقَامٌ

ساعد الشعراء بعضهم بعضاً عليّ، وأصابهم جميعاً انتقامي

كَأَنَّهُمُ الثَّعَالِبُ حِينَ تَلْقَى هَزَبْرَأَ فِي الْعَرِينِ لَهُ انْتِحَامٌ

الهزير الاسد، الانتحام: هزير الاسد

إِذَا أَوْقَعْتُ صَاعِقَةً عَلَيْهِمْ رَأَوْا أُخْرَى تَحَرَّقُ فَاسْتَدَامُوا

استداموا: نأثوا

فَمُضْطَلَمَ الْمَسَامِعِ أَوْ خَصِيٍّ وَآخِرُ عَظْمٍ هَامَتِهِ حُطَامٌ

مصطلم: مقطوع الأذنين

٩٤ مدح رياح

مَا كَانَ يُوجَدُ فِي «رِيَّاحٍ» نَبْوَةٌ عِنْدَ الْجَوَارِ وَلَا بِضِيقِ الْمَقْدَمِ
قبيلة رياح لا تتأخر عن حماية من يستجير بها، ولو كان فيها ضيق لدى قدمه، كذا المعنى الملموح

السَّالِبِينَ عَنِ الْجَبَابِرِ بَزَّهِمْ وَالْخَيْلُ تَحْجُلُ فِي الْغُبَارِ وَفِي الدِّمِّ

يسلبون بز (ملابس) الأبطال بعد قتلهم في معركة تنقل الخيل فيها أرجلها بين الغبار والدم

وَالْخَيْلُ تُخْبِرُ عَنِ رِيَّاحٍ أَنَّهُمْ نِعَمَ الْقَوَارِسُ فِي الْغُبَارِ الْأَقْتَمِ

٩٥ على هوى النسوان

أَمَّا أَسْنَدُ وَالْهَجِيمُ وَمَازَنُ فَشِرَارُ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْأَقْدَامِ

الطَّاعِنُونَ عَلَى هَوَى نِسْوَانِهِمْ وَالنَّازِلُونَ بِشَرِّ دَارِ مُقَامِ

٩٦ لؤم التيم

نَهَيْتُ التَّيْمَ عَنْ سَفَهٍ، وَطَالَتْ أَنَاتِي وَانْتَظَرْتُ ذَوِي الْحُلُمِ

انتظرت العاقلين من تيم كي يكفوا شاعرهم عن سفهه

تَرَى الْأَبْطَالَ قَدْ كَلِمُوا، وَتَيْمٌ صَحِيحُو الْجِلْدِ مِنْ أَثَرِ الْكُلُمِ

تيم جبناء، ترى الأبطال قد كلموا (جرحوا) وتيم ليس بهم جراح

وَمَا لِلتَّيْمِ مِنْ حَسَبٍ حَدِيثٍ وَمَا لِلتَّيْمِ مِنْ حَسَبٍ قَدِيمٍ

مِنَ الْأَصْلَابِ يَنْزِلُ لَوْمٌ تَيْمٍ وَفِي الْأَرْحَامِ يُخْلَقُ وَالْمَثْبِمِ

تَرَى التَّيْمِيَّ يَزْحَفُ كَالْقَرْنَبِيِّ إِلَى سَوْدَاءَ مِثْلَ قَفَا الْقَدُومِ
القرنبي: حشرة، ويشبه امرأة التيمي بقفا القدم (المطرقة)

٩٧ أعين الحسان

وَإِذَا وَعَدْتِكَ نَائِلًا أَخْلَفْتَهُ وَإِذَا طُلِبْنَ لَوَيْنَ كُلٌّ غَرِيمٍ
إذا وعدتك بنائل (عطاء) أخلفن الوعد، وإذا طولبن لوين (مطلن) كل غريم (دائن)

فَاغْصِي مَلَامَ عَوَازِلٍ يَنْهَيْنُكُمْ فَلَقَدْ عَصَيْتُ إِلَيْكَ كُلَّ حَمِيمٍ
ينصح محبوبته بعصيان لوم العواذل، فهو قد عصى كل صديق تقريباً إليها

يَرْمِيَنَّ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ بِأَعْيُنٍ فِيهَا السَّقَامُ وَبُرْءُ كُلِّ سَقِيمٍ
ترمي النسوة من الشقوق بين الستور بنظرات فيها مرض (ويتغزلون بالعيون المراض الكسولة)،
وفيها أيضاً شفاء كل مريض

٩٨ ولدي بلال

إِنَّ بِلَالَ لَمْ تَشِينُهُ أُمُّهُ

يفخر بولده بلال: لم تكن أمه مما يعيبه

لَمْ يَتَنَاسَبْ خَالُهُ وَعَمُّهُ

أمه ليست من عائلتنا فلا نسب بين خاله وعمه، وهذا أشد له وأبعد عن الضوى

يَشْفِي الصُّدَاعَ رِيحُهُ وَشَمُّهُ

ريحه: رائحته

وَيُذْهِبُ الْهُمُومَ عَنِّي ضَمُّهُ

كَأَنَّ رِيحَ الْمِسْكِ مُسْتَحَمُّهُ

عندما يستحم يشم المرء رائحة كالمسك

مَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ دَمُهُ

٩٩ منيذة

إِذَا شَاعَ السَّلَامُ بِدَارِ قَوْمٍ فَلَيْسَ عَلَى «عَزْوَلَةٍ» السَّلَامُ
مُنْيَزِلَةٌ تَبَرًّا لِلَّهِ مِنْهَا بِهَا مِنْ مَازِنِ نَقَرٍ لِيَأْمُ

١٠٠ كاد يتكلم

قال يهجو البعث:

لِمَنْ طَلَّلَ هَاجَ الْفَوَادِ الْمُتَيِّمَا وَهَمَّ سُلْمَانِينَ أَنْ يَتَكَلَّمَا
وعهدي بهندٍ، والشبابُ كأنَّه عَسِيبٌ نَمَا فِي رِيَّةٍ فَتَقَوَّمَا

عسب: شتلة نخل، رية: أرض مروية

لقد عَلِقْتُ بِالنَّفْسِ مِنْهَا عَلَاقٌ أَبَتْ طُولَ هَذَا الدَّهْرِ أَنْ تَتَصَرَّمَا
تتصرم: تنقطع

وَعَاوِ عَوَى مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ رَمِيئُهُ بِقَارِعَةٍ أَنْفَازُهَا تَقْطُرُ الدِّمَا

رب عاو عوى دون أن أتعرض له (وذلك هو الشاعر البعث الذي بدأ جريراً بالهجاء)، فرمته بقارعة (ضربة) نفذت في جسمه فمن أنفاذا (فتحاتها) يقطر الدم، وما القارعة سوى قصيدة

خُرُوجٍ بِأَنُورِ الرُّوَاةِ كَأَنَّهَا قَرَأَ هُنْدُوَانِي إِذَا هُزَّ صَمَمَا

قصيدتي فيه تخرج من أفواه الرواة كأنها قرا هندواني (نصل سيف) إذا هزه المرء صمم (تغلغل وأصاب المفصل)

وَإِنِّي لَقَوَّالٌ لِكُلِّ غَرِيبَةٍ وَرُودٍ إِذَا السَّارِي بِلَيْلٍ تَرَنَّمَا

أقول كل قصيدة غريبة (ترحل بعيداً فهي في أراض غريبة)، وترد على لسان الساري المترنم ليلاً وهو يحدو إبله

فَهَلَّا سَأَلْتَ النَّاسَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلًا بِأَيَّامِنَا يَا ابْنَ الصَّرُوطِ لِتَعْلَمَا

وما كَانَ ذُو شُعْبٍ يُمَارِسُ عَيْصَنَا فَبِنْظُرٍ فِي كَفِّهِ إِلَّا تَنَدَّمَا

المشاغب الذي يمارس (يعالج) عيصنا (شجرنا الملتف) ثم ينظر في كفيه يراهما دامتين فيندم

١٠١ هند

لقد وَكَفْتُ عَيْنَاهُ أَنْ ظَلَّ وَأَقْفَا عَلَى دِمْنَةٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا رَمِيمُهَا

وكفت: سالت بالدمع

أَبِينَا فَلَمْ نَسْمَعْ بِهِنْدٍ مَلَامَةً كَمَا لَمْ تُطِغْ هِنْدٌ بِنَا مَنْ يَلُومُهَا

وَأَتَى لَهُ هِنْدٌ وَقَدْ حَالَ دُونَهَا عُيُونٌ وَأَعْدَاءُ كَثِيرٌ رُجُومُهَا

رجومها: ظنونها

١٠٢ ارجعي غداً

ذُمَّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنَزِلَةِ اللَّوَى والعيشَ بَعْدَ أَوْلَئِكَ الْأَقْوَامِ
فَإِذَا وَقَفْتُ عَلَى الْمَنَازِلِ بِاللَّوَى فَاصْتُ دُمُوعِي غَيْرَ ذَاتِ نِظَامِ
طَرَقْتُكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقَتِ الزُّبَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامِ
جاءتك في المنام فقلت لها ارجعي بسلام، فهو يريد رؤيتها في الصحو لا في المنام..

تُجْرِي السَّوَاكُ عَلَى أَغْرَ كَأَنَّهُ بَرْدٌ تَحْدَرُ مِنْ مُثُونِ غَمَامِ
تمر بالسواك على ثغر أغر (أبيض) كأن أسنانه بَرْد انهمر من السحاب

لَوْلَا مُرَاقِبَةُ الْعَيُونِ أَرَزَيْنَا مُقَلَّ الْمَهَا وَسَوَالِفَ الْأَرَامِ
لولا الرقباء لأرتنا الحسان مقل المها (عيونهن الشبيهة بعيون بقر الوحش) وسوالف الآرام (أعناقهن الشبيهة بأعناق الطباء)

وَنَظَرُنَّ حِينَ سَمِعْنَ رَجَعَ تَحِيَّتِي نَظَرَ الْجِيَادِ سَمِعْنَ صَوْتَ لَجَامِ
جفلن من صوتي

مَهْلًا فَرَزْدُقُ إِنَّ قَوْمَكَ فِيهِمْ خَوَرُ الْقُلُوبِ وَخِفَّةُ الْأَحْلَامِ
خور القلوب: فراغها لجنهم، خفة الأحلام: ضعف العقول

كَانَ الْعِنَانُ عَلَى أَبِيكَ مُحَرَّمًا وَالْكَبِيرُ كَانَ عَلَيْهِ غَيْرَ حَرَامِ
كان محرمًا على أبيك الإمساك بمقود الفرس، فهو ليس بفارس، ولكنه كان يلتزم بالكبر (منفاخ الحداد)

١٠٣ ذاب لعاب الشمس

لَقَدْ لُمْتَنَا يَا أُمَّ غِيلَانَ فِي السَّرَى وَنَمِتْ، وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمِ
يعاتب ابنته أم غيلان لأنها تلومه على السرى (سفر الليل)، وابنته تام ولكن المطي (النياق) تسهر الليل وتسير

إِذَا الْعُفْرُ لَادَتْ بِالْكَنَاسِ وَهَجَّجَتْ عَيُونُ الْمَهَارَى مِنْ أَجِيجِ السَّمَائِمِ
وفي هداة الليل تلوذ العفر (الطباء) بالكناس (بيت الظلي)، وتهجج عيون المهاري (تغور عيون النياق) من أجيج السمائم (من حر رياح السموم)

وَضَلَلْتُ قَرَاظِيرَ الْفَلَاةِ مُنَاحَةً بِأَكْوَارِهَا مَعْكُوسَةً بِالْحَرَائِمِ
وبعدئذ تناخ قراير الفلاة (سفن الصحراء)، وعليها أكوارها (أخشاب الرحال)، وأزمتها معكوسة بالخزائم (مربوطة ما بين رؤوسها وقوائمها لتبرك)

أَتَخَنَ لِتَغْوِيرٍ وَقَدْ وَقَدَ الْحَصَى وَذَابَ لُعَابُ الشَّمْسِ فَوْقَ الْجَمَاجِمِ
 انيخت الإبل للتغوير (الاستراحة) وقد أصبح الحصى حاراً، والشمس حارقة فوق الرؤوس
 أَلَا إِنَّمَا كَانَ الْفَرَزْدَقُ ثَعْلَباً ضَغَا وَهَوَى فِي أَشْدَاقِ لَيْثِ ضَبَارِمِ
 ضغنا: صاح، ضبارم: من أسماء الأسد

لَقَدْ وَلَدَتْ أُمُّ الْفَرَزْدَقِ فَاسِقاً وَجَاءَتْ بِوَزَوَازٍ قَصِيرِ الْقَوَائِمِ
 وزواز: طائر كثير الحركة

١٠٤ القرد الزاني

وَمَا كَانَ جَارٌ لِلْفَرَزْدَقِ مُسْلِمٌ لِيَأْمَنَ قَرْداً لَيْلُهُ غَيْرُ نَائِمِ
 جار الفرزدق، حتى وإن كان مسلماً، لا يأمن الفرزدق القرد الذي ليله لا ينام (ليله صاح = هو صاح)

يُوصِّلُ حَبْلَيْنِ إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ لِيَرْقَى إِلَى جَارَاتِهِ بِالسَّلَالِمِ
 الفرزدق يوصل الحبلين إذا جن الليل (ستر الأشياء) ليصعد إلى من في جوار قومه من نساء
 أَتَيْتَ حَدودَ اللَّهِ مُذْ أَنْتَ يَافِعٌ وَشَبْتُ فَمَا يَنْهَاكَ شَيْبُ اللَّهَازِمِ
 اللهازم: اللّهزمة عظمة تحت الأذن

تَتَبَّعُ فِي الْمَآخُورِ كُلَّ مُرِيبَةٍ وَلَسْتُ بِأَهْلِ الْمُحْصَنَاتِ الْكَرَائِمِ
 ترتكب في الماخور (بيت الجماع) كل مريبة (فعله شنعاء)، ولست أهلاً للزواج من المحصنات
 (العفيفات) الكرائم (الكريمات)

تَدَلَّيْتُ تَزْنِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً وَقَصَّرْتُ عَنْ بَاعِ الْعُلَى وَالْمَكَارِمِ
 وفي الواقع أن الفرزدق «ارتقى» ليزني ثم بعد ذلك تدلى هارباً كما وصف نفسه في قصيدة له مشهورة

أَكَلْتُ قَيْساً أَنْ نَبَا سَيْفٌ غَالِبٍ وَشَاعَتْ لَهُ أُخْدُوثةٌ فِي الْمَوَاسِمِ
 رحل تلوم قبيلة قيس عندما نبا سيفك، الذي هو سيف أليك غالب، وأخفقت في قتل الأسير.
 وكانت أخدوثة (فضيحة) في المواسم (الأسواق)

بِسَيْفِ أَبِي رَغْوَانَ، سَيْفِ مُجَاشِعٍ، ضَرَبْتُ، وَلَمْ تَضْرِبْ بِسَيْفِ ابْنِ ظَالِمٍ
 لقد ضربت بسيف مجاشع أبي رغوآن جدك الأعلى ولذا نبا سيفك، ولم تضرب بسيف الحارث بن ظالم ذلك الفاتك المرّي قاتل ابن السموال

ضَرَبْتُ بِهِ عِنْدَ الْإِمَامِ فَأَرْعِشْتُ يَدَاكَ، وَقَالُوا مُحَدِّثٌ غَيْرُ صَارِمِ

١٠٥ هجاء مزارع

لَقَدْ عَلِقْتُ بِمِئْنِكَ قَرْنَ ثَوْرٍ وَمَا عَلِقْتُ بِمِئْنِكَ بِاللَّجَامِ
أنت مزارع لا مقاتل

ذَرْنُ الْفَخْرَ يَا ابْنَ أَبِي خُلَيْدٍ وَأَذْ خَرَّاجَ رَأْسِكَ كُلَّ عَامٍ
ذَرْنُ: اتركَنَّ

١٠٦ زهرة وأمها

قال لبني الديان وناصروا الغرزدق عليه:

سَتَعْلَمُ أُمُّ زُهْرَةَ مَنْ هَجَّاهَا إِذَا قَالَتْ لِزُهْرَةَ مَنْ هَجَّانِي
فَلَا حَسْبِي يُقْصِّرُ فِي تَمِيمٍ وَلَا سَيْفِي يَكِلُ وَلَا لِسَانِي

١٠٧ يا ذا العباءة

يرد على الأخطل:

لِمَنِ الدِّيارُ بِبُرْقَةِ الرُّوحَانِ إِذْ لَا نَبِيْعُ زَمَانِنَا بِزَمَانٍ
إِنْ زَرْتُ أَهْلَكَ لَمْ يُبَالُوا حَاجَتِي وَإِذَا هَجَرْتُكَ شَفَّنِي هِجْرَانِي
شَفَّنِي: أَلْمَنِي

رَاجَعْتُ بَعْدَ سُلُوهِنَّ صَبَابَةً وَعَرَفْتُ رَسَمَ مَنَازِلِ أَبْكَانِي
أَخْطَا الرِّبْعُ بِلَادَهُمْ فَتَيَمَّنُوا وَلِحُبِّهِمْ أَحَبَبْتُ كُلَّ يَمَانِي
أخطأ الربيع (العشب والمطر الذي ينبت) بلادهم فاضطروا للهجرة إلى اليمن

بَكَرَتْ حَمَامَةٌ أَيْكَةً مَحْزُونَةً تَدْعُو الْهَدِيلَ فَهَيَّجَتْ أَحْزَانِي
والهديل في الخرافة ابن الحمامة الذي ذهب ولم يعد

وَلَقَدْ أَبَيْتُ صَجِيعَ كُلِّ مُحَضَّصٍ رَخِصَ الْأَنَامِلِ طَيِّبِ الْأَرْدَانِ
مخضب: مصبوغ بالحناء، رخص الأنامل: طري الأصابع، الأردن: الأكمام

عَطِرِ الشِّبَابِ مِنَ الْعَبِيرِ مُذِيلٍ يَمْشِي الْهُوَيْنَى مِشْيَةَ السَّكْرَانِ
معطرة تجر أذيال ثوبها وتمشي الهوينى

يَا ذَا الْعِبَاءِ إِنْ بِشْرًا قَدْ قَضَى أَلَّا تَجُوزَ حُكُومَةُ النَّشْوَانِ

يا أيها الأخطل الذي أعطي عباءة كي يحكم للفرزدق عليّ، الأمير بشر بن مروان الذي قلت ما قلت في مجلسه قضى بأن الحكومة (الحكم) لا تجوز للنشوان (السكران)

فَدَعُوا الْحُكُومَةَ لَسْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ الْحُكُومَةُ فِي بَنِي شَيْبَانَ

الحكم، في قبائل ربيعة، ليس لتغلب بل لشيبان

بَكْرٌ أَحَقُّ بِأَنْ يَكُونُوا مَقْنَعًا أَوْ أَنْ يَقُوا بِحَقِيقَةِ الْجِيرَانِ

وقيلة بكر الربيعة هي أحق بأن تكون مقنعاً (كافيةً هذا الجانب) وأن تفي بحقيقة (شرف) الجيران (من يجاورها)

قَتَلُوا كُلَّيْبَكُمْ بِلِقْحَةِ جَارِهِمْ يَا خُزَرَ تَغْلِبَ لَسْتُمْ بِهَجَانَ

جساس البكري قتل كليب بن ربيعة التغلبي بلقحة (بسبب ناقة) جارههم (رجل استجار بهم وأقام عندهم)، وأتم يا تغلب الخزر (الضيقة العيون) لستم بهجان (بأصيلين)

كَذَبَ الْأَخْيَطُ إِنْ قَوْمِي فِيهِمْ تَاجُ الْمُلُوكِ وَرَايَةُ النُّعْمَانِ

والتَّغْلِبِيُّ مُغْلَبٌ قَعَدَتْ بِهِ مَسْعَاتُهُ، عَبْدٌ بِكُلِّ مَكَانٍ

تَلَقَّى الْكَرَائِمَ إِنْ خُطِبَنَ غَوَالِيَا وَالتَّغْلِبِيَّةُ مَهْرُهَا فَلْسَانِ

١٠٨ ماذا لقيت من الهوى ولقينا

قال يمدح الخليفة الأموي:

أَمْسَيْتُ إِذْ رَحَلَ الشَّبَابُ حَزِينَا لَيْتَ اللَّيَالِي قَبْلَ ذَاكَ فَنِينَا

مَا لِلْمَنَازِلِ لَا يُجِبْنَ حَزِينَا أَصُمِّنَ أَمْ قَدَّمَ الْمَدَى فَبَلِينَا

إِنَّ الذِّينَ عَادُوا بِلَبِّكَ عَادُوا وَشَلًّا بِعَيْنِكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا

الوشل: الماء القليل، معين: ظاهراً

غَبِضُنَ مِنْ عَبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي: مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا

بكت لفراقه الحبيبات، ثم غيظن من عبراتهن (جففن دموعهن) وشكون ما لقين من الهوى وما لقي الحبيب

وَلَقَدْ تَسَقَّطَنِي الْوُشَاءُ فَصَادَفُوا حَصْرًا بِسِرِّكَ يَا أُمَيْمَ صَنِينَا

تسقطني الوشاة (حاولوا التقاط ما يسقط مني من كلام) فراؤني حصراً بسرك (صامتاً عنه) صنيناً به

إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ الْمَكَارِمَ تَغْلِباً جَعَلَ النُّبُوَّةَ وَالْخِلَافَةَ فِينَا

تميم، قبيلة جرير من مضر، وقريش من مضر، فأما تغلب فمن ربيعة

مُضَرَّ أَبِي وَأَبُو الْمَلُوكِ فَهَلْ لَكُمْ يَا خُزَرَ تَغْلِبَ مِنْ أَبِي كَأَبِينَا

هَذَا ابْنُ عَمِّي فِي دِمَشْقَ خَلِيفَةً لَوْ شِئْتُ سَأَقُكُمْ إِلَيَّ قَطِينَا

القطين: الخدم

١٠٩ أطل الله سخطكم

يَرُوعُ الْقَرْدُ مِنِّي إِنْ رَأَيْتِي فَقُلْ لِلْقَرْدِ أَيْنَ تَرُوعُ أَيْنَا

يفر الفرزدق من وجهي كلما رأيته

أَحِينَ رَأَيْتَنِي مَرَسَتْ حِبَالِي وَجَدَّ الْجَدُّ تَسْأَلُنِي الْهُوَيْنَا

تطلب مني التخفيف من حدة الهجاء بعد أن مرست حبالتي (اشتد فتلها) وجد الجد

فَقَدْ أَمْسَى الْبَعِيثُ سَخِينٌ عَيْنٍ وَمَا أَمْسَى الْفَرَزْدَقُ قَرَّ عَيْنَا

لقد أملت البعيث الشاعر، ولم أوفر الفرزدق نفسه

إِذَا ذُكِرْتُ مَسَاعِينَا غَضِبْتُمْ أَطَالَ اللَّهُ سُخْطَكُمْ عَلَيْنَا

مساعينا: أمجادنا

١١٠ هجاء الهجيم

إِنَّ الْهُجَيْمَ قَبِيلَةٌ مَخْشُوسَةٌ نَطُّ اللَّحَى مُتَشَابِهٌ الْأَلْوَانِ

مخسوسة: ناقصة، نط اللحي: لحاهم متفرق شعرها

لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَكْلَةٍ أَوْ شُرْبَةٍ بِعُمَانَ أَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بِعُمَانِ

١١١ هجاء التيم

وَمَا شَكَرْتُ تَيْمٌ لِقَوْمٍ كَرَامَةٍ وَمَا غَضِبْتُ تَيْمٌ عَلَى مَنْ يُهِنُهَا

وَلَمْ يَدْعُ إِبْرَاهِيمُ فِي الْبَيْتِ إِذْ دَعَا لِتَيْمٍ وَلَا مِنْ طَيْنٍ آدَمَ طَيْنُهَا

يتفهم عن العروبة، بل عن الإنسانية

وَمَا حَمَلْتُ تَيْمِيَّةً نِصْفَ لَيْلَةٍ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا أَزْدَادَ لَوْمًا جَنِينُهَا

١١٢ المرخي عمامته

يخاطب فقيهاً داخلاً على عمر بن عبد العزيز:

يا أيها الرَّجُلُ المُرْخِي عِمَامَتَهُ هذا زِمَانُكَ إِنِّي قَدْ مَضَى زَمَنِي
أَبْلُغْ خَلِيفَتَنَا إِنْ كُنْتَ لَاقِيَهُ أَنِّي لَدَى الْبَابِ كَالْمَصْفُودِ فِي قَرْنِ
المصفود في قرن: المقيد في حبل

لا تَنْسَ حَاجَتَنَا لَأَقِيْتَ مَغْفِرَةً قَدْ طَالَ مُكْثِي عَنْ أَهْلِي وَعَنْ وَطَنِي

١١٣ في طرفها حور

بَانَ الْخَلِيطُ وَلَوْ طُوِّعْتُ مَا بَانَ وَقَطَّعُوا مِنْ جِبَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانَا
بان الخليط (فارق القوم) ولو طوعت (لو طاعوني) ما فارقوا، وقطعوا أقران (جبال) الوصل
حَيَّ الْمَنَازِلَ إِذْ لَا نَبْتَغِي بَدَلًا بِالْدَارِ دَارًا وَلَا الْجِيرَانِ جِيرَانَا
يَا رَبِّ مَكْتُوبٍ لَوْ قَدْ نُعِيْتُ لَهُ بَاكِ، وَآخِرَ مَسْرُورٍ بِمَنْعَانَا
لَوْ تَعَلَّمِينَ الَّذِي نَلْقَى أَوَّيْتُ لَنَا أَوْ تَسْمَعِينَ إِلَى ذِي الْعَرْشِ شُكُونَا
أويت لنا: أشفقت علينا

كَصَاحِبِ الْمَوْجِ إِذْ مَالَتْ سَفِينَتُهُ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ إِسْرَارًا وَإِعْلَانَا
يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُزْجِي مَطِيَّتَهُ بَلِّغْ تَحِيَّتَنَا لُقِيْتَ حُمَلَانَا
المزجي مطيته: السائقها، حملانا: هدايا

بَلِّغْ رِسَائِلَ عَنَّا خَفَّ مَحْمَلُهَا عَلَى فَلَائِصَ لَمْ يَحْمِلْنَ جِيرَانَا
بلغ رسالتنا للمحبوبة واركب فلائص (نياقاً) لم يحملن حيراناً (جمع حُور وهو ولد الناقة، أي
نياقاً غير حوامل كي يسرعن أكثر)

يَا لَيْتَ ذَا الْقَلْبِ لَأَقَى مَنْ يُعَلِّلُهُ أَوْ سَاقِبًا فَسَقَاهُ الْيَوْمَ سُلُونَا
يعلله: يسليه، السلوان: شراب قبل في أساطيرهم إن الذي يشربه ينسى

أَوْ لَيْتَهَا لَمْ تُعَلِّقْنَا عِلَاقَتَهَا وَلَمْ يَكُنْ دَاخِلَ الْحُبِّ الَّذِي كَانَا
علاقة: عشق

هَلَّا تَحَرَّجَتْ مِمَّا تَفْعَلِينَ بِنَا يَا أَطْيَبَ النَّاسِ يَوْمَ الدَّجَنِ أَرْدَانَا
يوم الدجن: اليوم الغائم، الأردن: الأكام

فَالْتِ أَلَمٌ بِنَا إِنْ كُنْتَ مُنْطَلِقًا ، وَلَا إِخَالُكَ بَعْدَ الْيَوْمِ تَلْقَانَا
 يَا أُمَّ عَمْرٍو جَزَاكَ اللَّهُ مَغْفِرَةً رُدِّيْ عَلَيَّ فُؤَادِي كَالَّذِي كَانَا
 أَلَسْتُ أَحْسَنَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ الْإِنْسَانِ : بِرُؤْيَا الْعَيْنِ
 يَا أُمَّلَحَ النَّاسِ كُلِّ النَّاسِ إِنْسَانَا

يَلْقَى غَرِيمَكُمْ مِنْ غَيْرِ عُسْرَتِكُمْ بِالْبَذْلِ بُخْلًا وَبِالْإِحْسَانِ حِرْمَانَا
 رَغْمَ عَدَمِ عُسْرَتِكُمْ (فقركم) فغريمكم (صاحب الدين عليكم) يلقى بخلاً منكم رغم بذله محبته
 وإحسانه إليكم

لَا تَأْمَنَنَّ ، فَلَيْتِي غَيْرُ آمِنِهِ ، غَدَرَ الْخَلِيلِ إِذَا مَا كَانَ أَلْوَانَا
 قَدْ خُنْتُ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَخْشَى خِيَانَتَكُمْ مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَوْثُوقٍ بِهِ خَانَا
 لَقَدْ كَتَمْتُ الْهَوَى حَتَّى تَهَبَّمَنِي لَا أَسْتَطِيعُ لِهَذَا الْحَبِّ كِتْمَانَا
 تهبمني: صيرني هائماً على وجهي حيراناً

كَادَ الْهَوَى يَوْمَ سُلْمَانِينَ يَقْتُلَنِي وَكَادَ يَقْتُلَنِي يَوْمًا بِبَيْدَانَا
 لَا بَارَكَ اللَّهُ فَيَمَنْ كَانَ يَحْسَبُكُمْ إِلَّا عَلَى الْعَهْدِ حَتَّى كَانَ مَا كَانَا
 لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا إِذَا انْقَطَعَتْ أَسْبَابُ دُنْيَاكَ مِنْ أَسْبَابِ دُنْيَانَا
 مَا أَحَدَثَ الدَّهْرُ مِمَّا تَعْلَمِينَ لَكُمْ لِلْحَبْلِ ضُرْمًا وَلَا لِلْعَهْدِ نِسْيَانَا
 لم يحدث الزمن ومروره صرماً لحبلكم (قطعاً لعهدكم) من جانبي

أَبْدَلُ اللَّيْلِ لَا تَسْرِي كَوَاكِبُهُ أَمْ طَالَ حَتَّى حَبَبَتِ النَّجْمَ خَبْرَانَا
 يَا رَبُّ عَائِدَةً بِالْغُورِ لَوْ شَهِدْتُ عَزَّتْ عَلَيْهَا بِذِيرِ اللَّجِّ شَكْوَانَا
 العائدة بالغور: النازلة في الغور، لو شهدتني في ذلك المكان لصعب عليها ما ألاقي

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلَنَّا، ثُمَّ لَمْ يُخْبِينَ قَتْلَانَا
 طرفها: نظرها، الحور: شدة سواد في شدة بياض في العين

يَضْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهْنٌ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ إِنْسَانَا
 حتى العاقل ذو اللب فتلك العيون تصرعه رغم ضعف إنسانها (بؤيؤها)، وأجوا العيون الناعسة
 التي كأنها عيون المريض

طَارَ الْفُؤَادُ مَعَ الْخَوْدِ الَّتِي طَرَقَتْ فِي النَّوْمِ طَيِّبَةَ الْأَعْطَافِ مِبْدَانَا
 الخود: الشابة، طرقت في النوم: حلم الشاعر بها، مبدان: مربية، ريانة

قَالَتْ تَمَرٌ، فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ جَعَلُوا دُونَ الزَّيَارَةِ أَبْوَاباً وَخُرَّانَا

نُحْرَان: حراس

يَا حَبَّذَا جَبَلُ الرَّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ وَحَبَّذَا سَاكِنُ الرَّيَّانِ مَنْ كَانَا
وَحَبَّذَا نَفَحَاتُ مِنْ يَمَانِيَّةٍ تَأْتِيكَ مِنْ قِبَلِ الرِّبَانِ أَحْيَانَا

يمانية: ريح قادمة من اليمن

هَلْ يَرْجِعَنَّ، وَلَيْسَ الدَّهْرُ مُرْتَجِعاً عَيْشُ بِهَا طَالَمَا اخْلَوَلَى وَمَا لَنَا

اخلولى: كان حلواً، ما لان: لم يكن زمن رغد وثرء

أَزْمَانٌ يَدْعُونَنِي الشَّيْطَانَ مِنْ غَرْلِي وَكُنَّ يَهْوِينَنِي إِذْ كُنْتُ شَيْطَانَا

١١٤ هجاء بني حنيفة

قَدْ غَلَّبَتْنِي رُؤَاةُ النَّاسِ كُلِّهِمْ إِلَّا حَنِيفَةً تَفْسُو فِي مَنَاحِيهَا

يفخر بأن رواة الناس (القبائل) كلهم اعتبروه غالباً للفرزدق في الهجاء، إلا قبيلة حنيفة

تُخْزِي حَنِيفَةً أَبَاكُمْ كَسَتْ حُمَماً مِنْهَا الْوُجُوهَ فَمَا شَيْءٌ بِمَاحِيهَا

حم: سواد

أَبَاكُمْ تُسَبَّى وَلَا تُسَبَّى، وَيَقْتُلُهَا مَا لَمْ تَوْدْ خَرَجاً مَنْ يُعَادِيهَا

وحنيفة في منطقة اليمامة من الزراع، وكان باليمامة ناس من أقارب حنيفة من ربيعة غير زراع، وكان بها ناس من يربوع قوم جرير غير زراع أيضاً. وقد درج العربي قديماً وحديثاً على احتقار الزراعة والافتخار بالرعي والغزو، وحتى قبل الإسلام فإن الرعاة المحاربين كانوا يفرضون على أهل الزراعة الإتاوات إما على هيئة غزو أو ضريبة

قَطَعَ الدُّبَارِ وَأَبْرُ النَّخْلِ عَادَتْهُمْ قَدْماً، فَمَا جَاوَزَتْ هَذَا مَسَاعِيهَا

عادتهم منذ القدم قطع الدبار (تقسيم أراضي الزراعة) وأبر النخل (تلقيحها)، وما جاوزت (تعدت) هذا مساعيها (أمجادها)

رَأَتْ حَنِيفَةً إِذْ عَدَّتْ مَسَاعِيَهَا أَنْ يَثْسَمَا كَانَ يَبْنِي الْمَجْدَ بَانِيهَا

لَمَّا رَأَتْ خَالِداً بِالْعِرْضِ أَهْلَكَهَا قَتَلًا، وَأَسْلَمَهَا مَا قَالَ طَاغِيهَا . .

لما أوقع خالد بن الوليد في وادي العرض باليمامة بني حنيفة، وأسلمها (خذلها) ما قاله طاغيها (مسيلة الكذاب الذي ارتد بعد وفاة الرسول) . .

دَانَتْ وَأَعْطَتْ يَدَا لِلْسُّلَمِ صَاغِرَةً مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ سَيْفُ اللَّهِ يُفْنِيهَا

عندئذ دانت (خضعت) حنيفة، بعد أن كاد خالد يفنيها

صَارَتْ حَنِيفَةً أَثْلَانًا قُلْتُ لَهُمْ مِّنَ الْعَبِيدِ وَتُلْتُ مِّنْ مَّوَالِيهَا

ويبدو أن الثلث الباقي من الأحرار، لكن... الزراع

١١٥ عِف الْفَقْرِ مُشْتَرِكُ الْغِنَى

هذا آخر ما نختاره لجبرير، لأنه على الباء، وهو من أوائل قصائده، وقالها في

زمن معاوية:

نَظَرْتُ بِرَهْبَى وَالظَّمَانُ بِاللَّوَى فَطَارَتْ بِرَهْبَى شُعْبَةً مِّنْ فُؤَادِيَا

رَغِبْتُ إِلَى ذِي الْعَرْشِ مَوْلَى مُحَمَّدٍ لِيَجْمَعَ شُعْبًا أَوْ يُقَرِّبَ نَائِيَا

الشعب: الصدع

أَذَا الْعَرْشِ إِنِّي لَسْتُ مَا عِشْتُ تَارِكًا طِلَابَ سُلَيْمَى فَأَقْضِ مَا كُنْتُ قَاضِيَا

وَلَوْ أَنَّهَا شَاءَتْ شَفَعْتَنِي بِهَيِّينَ وَإِنْ كَانَ قَدْ أَغْيَا الطَّيِّبَ الْمُدَاوِيَا

وَإِنِّي لَعَفُّ الْفَقْرِ مُشْتَرِكُ الْغِنَى سَرِيعٌ إِذَا لَمْ أَرْضَ دَارِي أَحْتِمَالِيَا

إن افتقرت عفت عن الطلب، وإن اغتنيت أشركت قومي في مالي، وإذا لم أرض عن وضع معين فأننا سريع الاحتمال (حمل متاعي والارتحال)

وَقَائِلَةٌ وَالِدْمُعُ يَحْدِرُ كُحْلَهَا أَبْعَدَ جَرِيرٍ تُكْرِمُونَ الْمَوَالِيَا

غضبت له هذه المرأة لأن قومه أهملوه، والفتوا لناس من المواليا

فَأَنْتَ أَبِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً فَلِنْ عَرَضْتَ أَيقَنْتُ أَنْ لَا أَبَا لِيَا

يصف حاله مع قومه، ولعله يعني أباه عطية فعلاً، فهو «أب» ما لم يطلب منه ابنه شيئاً، فإن كلفه شيئاً فلا يعود أباً. وقيل كان جرير عاقاً بعض العقوق، ونال عقوقاً من بعض أبنائه

بِأَيِّ سِنَانٍ تَطْعَنُ الْقَوْمَ، بَعْدَمَا نَزَعْتَ سِنَانًا مِّنْ قَنَاتِكَ مَاضِيَا

فيا قوم كيف تردون كيد أعدائكم، وقد تخليتكم عن شاعركم الذي هو كالسنان نزعتموه من قناتكم (عصا الرمح)

أَلَمْ أَكُ نَارًا يَصْطَلِيهَا عَدُوُّكُمْ وَحِرْزًا لِّمَا أَلْجَأْتُمْ مِّنْ وَرَائِيَا

الحرز: الحارس الحامي

وَبَاسِطُ خَيْرٍ فَيْكُمْ بِيَمِينِهِ وَقَابِضُ شَرٍّ عَنْكُمْ بِشِمَالِيَا

وَلَيْسَ لِسَيْفِي فِي الْعِظَامِ بَقِيَّةٌ وَلَلْسَيْفُ أَشْوَى وَقَعَةً مِّنْ لِّسَانِيَا

سيفي يصل العظام ولا يبقى على من يصيه، على أن سيفي أشوى (أخف) أثراً من لساني

جرير
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

١٧	مَذْبِرَاتِ	١٠	أَغْضَبَا
١٩	الْمَنِيَّةِ نَاجِ	٢	المصابا
٢٠	بِالرَّوَّاحِ	١٥	لَقَدْ أَصَابَا
٢٤	الْبُرْدَا	١٤	مُصَابَا
٢٥	زِنَادَا	١	وَشَيَّيَا
٢٩	عَدَا	٧	النَّبِيْبُ
٢٢	واعتِمَادَا	٦	مَحْجُوبُ
٣٠	التَّشِيدُ	٨	وَمُصِيبُ
٢٦	سَعِيدُ	١٣	السَّرْبِ
٣١	عِنْدِي يَدَا	٤	تُكْذِبُ
٢٧	مُعْتَادِي	١٢	ضِيَابِ
٢٣	وَعُوَادِي	٣	فَانْعَبِ
٢١	يُولَدِ	٥	لِلسَّبَابِ
٢٨	وَيَقُودُهَا	٩	وَالصَّنَابِ
٤٢	فَاسْتَدَارَا	١١	كَلَابُهَا
٤٤	فُبُورَا	١٦	الرَّاعِمَاتِ
٣٦	مَفْخَرَا	١٨	تَعَلَّتِ

٦١	تَنَائِفُ	٤٧	وَاعْتَمَرَا
٦٢	وَوَطَفُ	٣٥	الْحَذَرُ
٦٥	سُرَاقَا	٤٥	تَفْتِيرُ
٦٦	خَفَوقُ	٤٣	عُمَرُ
٦٤	يَا زَيْقُ	٣٧	مُبْتَدَرُ
٦٣	الْأَخْلَاقِ	٣٨	وَالْفَخْرُ
٦٧	الْفِرْزَدَقِ	٤١	وَالْقَطْرُ
٦٨	الْجَبَالَا	٣٣	يُزَارُ
٧١	أَهْلَا	٣٤	الدَّهْرِ
٨١	هَدِيلَا	٤٠	الْمَطَرِ
٨٠	وَنَكَالَا	٤٩	إِنْكَارِ
٧٥	الرَّحِيلُ	٥١	بِنَارِي
٧٠	تَحْوِيلُ	٣٢	زُورِ
٨٤	قَلِيلُ	٤٨	لِلْعَاثِرِ
٧٨	يُقَاتِلُ	٥٠	جَبَّارَهَا
٧٤	أَشْبَالِي	٣٩	نُشُورَهَا
٦٩	الْعَادِلِ	٤٦	زُؤَارِهَا
٧٩	الْعُدْلِ	٥٣	مُضَرَّسَا
٧٧	الْقُيُولِ	٥٢	مَأْنُوسِ
٧٣	بِالرَّجَالِ	٥٤	مُقَرَّعَا
٨٣	بِرِّجَالِ	٦٠	الْبَرَايِقِ
٨٧	تَسْلِيمِ	٥٩	الرِّتَاعَا
٨٢	قَتْلِي	٥٥	تَجْزَعُ
٧٢	وَمِيكَالِ	٥٦	تَسْبَعُ
٨٦	ظِلَالُهَا	٥٧	جُمَعُ
٨٥	مَحَايِلُهُ	٥٨	الْهَوَابِيعِ

١٠٤	نَائِمٍ	٧٦	وَمَبَاخِلَةٌ
٩١	يُكَلِّمُ	٩٠	حَمَامًا
٩٨	أُمُّهُ	١٠٠	يَتَكَلَّمَا
١٠١	رَمِيمُهَا	٩٩	السَّلَامُ
١١٣	أَقْرَانَا	٩٣	سِجَامُ
١١٠	الْأَلْوَانِ	٩٢	سَقَمُ
١٠٩	أَيْنَا	٩٥	الْأَقْدَامِ
١٠٨	فَنِينَا	١٠٢	الْأَقْوَامِ
١٠٧	بِرِّمَانٍ	٩٦	الْحُلُومِ
١١٢	رَمَنِي	٩٤	الْمَقْدَمِ
١٠٦	هَجَانِي	٨٩	بِالسَّلَامِ
١١١	يُهِنُهَا	١٠٥	بِاللِّجَامِ
١١٥	فُوَادِيَا	١٠٣	بِنَائِمٍ
١١٤	مَنَاحِيهَا	٨٨	تُنِيمِي
		٩٧	غَرِيمٍ

عمرُ بنُ أبي ربيعة

(٢٣هـ — ٩٣هـ)

المرأة ليست مثلنا.

المرأة لا تأكل رأس بصل مع صحن الفول.

المرأة تحبُّك قوياً متوحشاً، وتعشقتك ضعيفاً. كن لها حامياً الحمى، أو كن لها الطفل. ستعرف صدقَ كلامي عندما تنكسرُ يدُك وتحملها بين صدرك وبطنك مكسوةً بالجبس، مربوطةً إلى عنقك. ستري فتاتك عندئذ تسرع إليك وتطعمك بيدها. وستسمع للمرة الأولى في حياتك كلمة يا حبيبي.

إن تعرضت لها بغزل وقلة حياء ثم ارعويت وحسنَ خلقك فلن تغفرَ لك، إلا إن كررت المحاولة.

والرجل يكون فاسقاً خشناً كالفرزدق فينال من النساء، ويكون أنيساً ناعماً كشاعرنا فينال من النساء. وبين هذين النموذجين من الرجال يوجد نموذج ثالث، هو نحن كلنا.

والمرأة معذورة في كل ما تصنعه بالرجال، فقد أصروا على أنها فتنة. أصروا على قياس روحها بالمازورة، أي متر الخياطين. وأصروا على أن يكتبوا على قفا العلبة تاريخ الانتهاء. فإذا ما تجاوزت المرأة هذا التاريخ رموا بها.

في كينيا تقضي بعض التقاليد بقتل العجائز بدعوى أنهن ساحرات. وتُقتل في ذلك البلد في كل عام، وأنا أكتب لك هذا في عام ٢٠١٦، عشرات العجائز.

معذورة المرأة، فهي تردُّ على قسوة الرجال بأن تستقطر كل ما يمكن من الإعجاب في أقصى ما يمكن من السنوات فتسوق عليهم الدلال، وتطيل حياتها

الرُقْيَةُ بالنفخ والشفط والتكبير والتصغير. هي أسيرة، والرجل حيوان قاس.

كان أبو عيسى في نحو الخامسة والسبعين عندما سأله: أتذهب ممّا الشهوة مع العمر؟ فقال: بل تبقى، وإن ذهبْتَ الاستطاعة. فكرّني جوابه. كنت أظن أن المرء إن تقدّم به العمر عاش سنوات من الراحة لم يشعر فيها بما يشعر به كل واحدٍ ممّا من هذا الافتتان. وقد قُيِّض لي أن أسمع من امرأة شيئاً عن هذا الأمر عندهن. فقد نقلت لي هذه الشابة عن صديقة لها قطعت الخمسين، وقطّعها ما كان يعتادها. قالت لي إن صاحبها المسنة قالت لها: كل تلك المشاعر تروّح تروح. وقالت ذلك بآلم. وفَسَّرْتُ الأمر في عقلي: أن الرجل يبقى فيه قدرة - ولو نظرية - على الإنجاب حتى سن متقدمة، فأما المرأة فلها فعلاً تاريخ انتهاء صلاحية من هذه الناحية. هي تستريح من تلك المشاعر، ولكنها نفسياً تبقى محتاجة إلى ما تعودت أن تلقاه من مشاعر الإعجاب.

في الصفحات التالية يأتيك كلام شاعر فاتك غزل هو عمر بن أبي ربيعة. فإن عجبت كيف يقول الرجل كل هذا الشعر الفاضح وهو عاش بين مكة والمدينة فاعلم أن الناس كانوا غير الناس. كانوا في ذلك الزمن طيبعين.

ولد شاعرنا سنة ٢٣ للهجرة، قيل في الليلة التي توفي فيها عمر بن الخطاب الذي كان من خوّلة أبيه. فسمي باسمه وكُنّي بكُنيتيه، فشاعرنا اسمه عمر وكُنيتاه: أبو الخطاب، وأبو حفص.

فأما العمومة فهي مخزوم. شاعرنا من قبيلة مخزوم من قريش. وكان من أعلى فروع مخزوم نسباً ومالاً. أبوه عبد الله. وكان اسم الأب بحيرا، فغيره النبي إلى عبد الله. ولأه النبي منطقة الجند باليمن. وجده أبو ربيعة كان من أغنياء قريش. كان طويلاً مهيباً، وبلغ من ثرائه أنه كان يكسو الكعبة سنة وحده، وتكسوها قريش كلها سنة، فسموه العدل لأنه يعادل كل قريش.

كان لهذا الفرع من مخزوم عبيد كثر من الأحباش. وكانوا أهل مال جاءهم من التجارة بين اليمن والشام.

أمّ شاعرنا سبية نصرانية من حضرموت اسمها مجد. وزعم من يزعمون أن للشعوب خصائص تنتقل بيولوجياً أن الغزل جاء عمر من تلقاء أمه اليمانية، وقد قيل «الغزل يمانى والدلال حجازي».

غير بعيد أن يكون عمر ولد في اليمن، لكنه عاش طفولته في المدينة

وسرعان ما اتخذ مكة، وفيها عشيرته، وطناً. ومن شعره نحس أن معظم مغامراته كانت بمكة.

وكانت جدة شاعرنا تبيع العطر. كأنما كانت تتاجر به، لا أن لها دكاناً تقعد فيه تبيع العطر.

هذه بيئة حجازية مترفة. لم يغير فيها الإسلام بسماحته، التي لا نعرف عنها اليوم ما يجب أن نعرف، الكثير. فقد دخلت مخزوم في الإسلام وكان منها بطل الإسلام خالد بن الوليد. واستمر التاجر يتاجر، ورغم اضطراب الأحوال في سنوات معينة فإن الحياة لم تتوقف. عندما كان شاعرنا في نحو السابعة عشرة سمع بمعركة صفين، واستقر الأمر بعدها لمعاوية فلم تتأثر الحجاز كثيراً بأحداث العراق والشام، وأغدق معاوية على مكة والمدينة. وعندما بلغ شاعرنا الأربعين وقعت أحداث صعبة في المدينة المنورة، ولعله كان أثناءها قد سكن مكة. وحكم الحجاز ابن الزبير تسع سنين، ثم قتل في الكعبة في أحداث اضطرب لها الحجاز كثيراً. ولعل شاعرنا كان آنذاك في اليمن، أو لعله كان قد نسك ولزم بيته.

وفي كل حال، فإن شاعرنا لا يورد شيئاً من كل تلك الحوادث. فشعره كله مقصور على الغزل، وعلى وصف المرأة. ليكن عمر بن أبي ربيعة في أي مكان فهذا لا يهمنا، فشعره كله نمط واحد. وليس له من السياسة، ولا من أي شيء آخر، سوى المرأة والافتتان بها، نصيب.

كان أخوه الحارث موظفاً في الدولة، وكان تقياً. وعرفنا لعمر ابناً اسمه جَوان، وكان تقياً. وعرفنا له صديقاً هو عبد الله بن أبي عتيق، وهو من قوم أبي بكر الصديق. وكان صاحبه هذا تقياً، غير أنه كان يغفر لعمر كل شيء، وكان يحبه حباً جماً.

لم يكن عمر شاعراً متقناً، لم يكن كحسان والحطيئة ممن سبقوه، ولا كزهير الجاهلي ولا الأعشى. ولا كان كمعاصريه الأخطل والفرزدق وجربير ولا حتى كصديقه الغزل جميل. كان أقرب إلى الهاوي.

كان الشعر في ذلك الزمن يأتي المرء من محيطه. لم تكن الكتب قد كتبت، فلا كتاب بين أيدي القوم إلا القرآن، ولم تكن الرقاع التي فيها شعر أمراً مألوفاً، بل هي أبيات يلقيها الناس في أمسياتهم ويتندرون بها. كانت خيام

تَغْلِبَ في الحيرة، ومضارب تميم في كاظمة واليمامة والبصرة أغنى بالشعر من بيوت مكة والمدينة. وكان البدو، بما أتيح لهم من فراغ وتنقل، يتخذون من الشعر مادة يَقْرؤون بها بعض القرار. فالقبيلة التي تسعى وراء العشب تجاور قبيلة أخرى وتسمع شعرها، وتنكفي إلى نفسها وتقول: وأين شعرنا نحن؟ فتمسك بشعر شعرائها وتردده في أمسياتها. ويتبارز الشعراء في عكاظ وغير عكاظ، وترحل أشعار الناس معهم بانفضاض السوق.

وكلما سمع شعراء البوادي شعراً حضرياً رفعوا حواجبهم. فهذا شعر بارد، ليس فيه ما في شعر البوادي من قوة. وقوة شعر البوادي ليست أنه - كما يحب الأكاديميون أن يقولوا - شعر غليظ جاسئ جاف يشبه حياة البدو. فالشعر الذي يقال في القصور يكون رائعاً وبديعاً وذو لغة متينة صحيحة، وذو ألفاظ غريبة مثل الشعر الذي يقال في مضارب البدو. وليس أبو نواس بنازل في المرتبة عن كبار شعراء البداية في زمنه وقبل زمنه.

بل المسألة مسألة خبرة وصناعة.

شعراء البوادي في زمن عمر بن أبي ربيعة كانوا يعيشون للشعر، يسمعون منذ الصغر، ويقولونه طول الوقت ويتخصصون فيه. هي مسألة الفارق بين الهاوي والمتخصص. وفي زمن عمر كان الحجاز، وكانت قریش، منصرفين إلى التجارة وإلى السياسية، وإلى الصراعات الحزبية. وحتى قبل الإسلام فقد كان الحجاز يسمع الشعر في عكاظ ويطلب له، ثم سرعان ما ينصرف أهل الحجاز إلى تجارتهم، وزعامتهم.

وجاء عمر. ولم ينصرف إلى تجارة ولا إلى سياسة. لكنه كان كسولاً عابثاً. ولم يحترف الشعر. احترف الغزل. ولم يكن صائغاً ماهراً. كانت قوافيه تتحير، فيبحث عن مخرج سريع، فتأتي القوافي في أحيان كثيرة قلقلة. ويعيا بالبيت فينحرف باللغة عن طرائقها. كلهم كانوا يفعلون شيئاً من هذا في ذلك العصر. ولكن عمر كان أضعف من مشاهير شعراء زمنه في الصناعة.

والصناعة ليست كل شيء في الشعر. فأين عنك حرارة الشعور؟ ذلك لم يكن له كبير نصيب من شخصية عمر. فهو رجل وسيم غني عابث. وأين عنك حلاوة الشخصية والخفة؟ قد كان عند عمر شيء كثير من ذلك. وأين عنك التخصص في موضوع واحد؟ قد كنا قلنا - ولم ننس - أن عمر لم يكن «متخصصاً» في الشعر، لم يكن من عبيد الشعر، لم يكرس عمره للاستماع إلى

الأشعار المختلفة تأتيه من هنا وهناك، فيتزود منها زاداً دسماً. ولم يكن له من شعراء قومه من يصعد فوق أكتافهم فيتعلق في «صناعة» الشعر. انظر إلى معاصره كعب بن زهير! قد كان كعب وريث إمبراطورية شعرية ضاربة الأوتاد عمقاً في الزمن، ومنتشرة في المكان. واسمع معاصره الفرزدق يفتخر في إحدى قصائده بأنه وريث الشعراء الكبار، ويسمي في تلك القصيدة أسماء نحو عشرة من كبار شعراء الجاهلية. لا، لم يكن عمر متخصصاً في صناعة الشعر، بما هي صناعة. لكنه كانت متخصصاً في لون شعري واحد.

هذا ما عنيناه بالتخصص.

قصر عمر شعره على الغزل، وظل يقول فيه حتى طأطأ جرير وأقر له بالشاعرية، وطأطأ الفرزدق وأقر له بالشاعرية، وكانا كلاهما يبرّدان شعر عمر من قبل. ومثلهما أقر جميل لعمر بالشاعرية.

أبدأ بقراءة القصيدة لعمر فأرى في أحشائها المعاني المبتكرة، وأخذ في تشجيع شاعرنا على أن يمضي ويسجل هدفاً. لكنه يضيع في وسط الطريق، وتخونه القوافي، أو تلتوي عليه القصة. وبالكاد أستخلص من القصيدة أبياتاً قليلة تحمل في جوفها الوعد بالمعنى الجليل.

لا، قد ظلمته.

يكفيه أنه قال «وهل يخفى القمر»، وأنه قال «ليت هنداً أنجزتنا ما تعد». قلائد عمر بن أبي ربيعة قليلة، لكن له جوه الخاص. ولولا أن جاءنا بأخرة نزار قباني لقلنا إن عمر ليس له مثل في كل الشعر العربي. وحتى لا نجحف بحق معاصرنا المشهور فنحن نضيف أن نزاراً كان شاعر لهو وعبث كثير، وكان صائغاً ماهراً، وعندما قال في السياسة والوطن كان شاعراً فحلاً متصرفاً في اللغة، كان نزار محترفاً.

كنت أفضّل لو اقتصر في اختياراتي على مئة بيت لعمر، ففي هذا ما يكفي لتمثيل جوه، ولكن هذا الجو له سحره، ولعلي سحرت مثلما سحر أبو الفرج الذي روى في الأغاني قصص عمر وأشعاره في مئة وتسعين صفحة، من صفحات طبعة دار الكتب.

كانت أشعار عمر، على ما فيها من هنات في الصناعة الشعرية، مشهورة. وتحفّظ الناس أشعاره، لأن الناس فيهم دعة كامنة. ولأنهم يحبون كل شيء

يحكي لهم عن العلاقة بين الرجل والمرأة. ووصلنا شعره في بضع مئات من الصفحات. وأنا هنا أقلب ديوانه كما أخرجه محمد محيي الدين عبد الحميد. ولا أعلم عن نسخة أفضل ضبطاً. فأما النسخ البيروتية والمصرية الأخرى فلم تستطع، ولم تطمح، أي منها إلى تجاوز تلك الطبعة التي لم تصف نفسها بالتحقيق ولم تعطنا أي إشارات إلى مصادرها. وكل رأسمالها اسم محيي الدين عبد الحميد، الذي فسر الألفاظ تفسيراً قاموسياً رفع فيه عن كاهلنا بعض الجهد.

وقد رتبنا الأشعار ترتيب محيي الدين الذي قال إنه أخذه عن «نسخ الديوان الأمهات». وهاك آخر عبارة من مقدمة الشيخ محيي الدين ففيها حُكم طيب: «عمر بن أبي ربيعة وصف المرأة العربية وصفاً دقيقاً، ورسم لنا، رسماً واضح المعالم، ما كان يستملحه العرب يومئذ من المرأة في كل جزء من أجزائها، وأبان إلى حد كبير عن عواطف المرأة العربية وما يثير غضبها وما يثير رضاها، وعما يدفع المرأة إلى الجفوة والصدود والتأبّي، وما يستل غضبها ويذهب بجفائها، وهو في كل واحدة من أولئك تابع لغيره من الشعراء الذين تعرضوا لوصف النساء، ولكنه يمتاز بين هؤلاء جميعاً بشيئين: أحدهما أنه يتبع الشيء من ذلك ويفصله تفصيلاً دقيقاً، ويكرره فيطيل أحياناً ويجتزئ أحياناً أخرى، وثانيهما أنه جمع في شعره ما تفرق في شعر غيره، فكان فيه العوض عنهم جميعاً، وليس في غيره عوض عنه، وحسبك أن ديوانه المشتمل على خمس وثلاثين وثلاثمئة قطعة ليس فيها قطعة واحدة في غير وصف النساء والتشبيب بهن.» اهـ. عن محمد محيي الدين عبد الحميد.

والشيخ محيي الدين انقطع للعربية منذ صغره، وتصدى في سنوات الشباب الباكر لطبع نصوص صعبة في الأدب والنحو. ثم قضى عمره يطبع كتب النحو العتيقة بضبط ممتاز، وبهمة عالية. كان من رهبان هذه اللغة. وهو يساوي في الميزان بضعة آلاف من أكاديميي الزمن الرديء الذي نعيش فيه. كان مخلصاً في عمله، وكان متعمقاً في مجاله. ولم يدخل عالم التحقيق، ولا أنفق السنين وهو يصنع «الفهارس الفنية»، فقد ترك هذه المهمات لمن برع فيها، وما أقلهم. على أنه كان حسن الضبط، واسع المعرفة، غزير الإنتاج.

وإذ ذكرت رهبان المعرفة، فإنني أذكر لك أحد اختراعاتي. وأنا كثير الاختراعات. تراني أكتب صفحة لك في هذا الذي أكتب، أو أشرح قصيدة أو

قصيدتين، ثم تعرّئ لي فكرة، فأقوم عن حاسوبي وأسرع كي أختبرها. وآخر مخترعاتي يتعلق بسلق البيض.

إن كنت من المتزمتين، ورغبت عن معرفة اختراعي في سلق البيض، فيمكنك المضي إلى شعر صاحبنا لتقرأه فهو يأتي بعد هذه المقدمة. فأما إن مكثت معي فاعلم أنني لاحظت أن لسعة بخار الماء أوجع من لسعة الماء المغلي، وتذكرت شيئاً درسناه في كتاب العلوم عن الحرارة الكامنة. وقلت في نفسي: الناس تملأ القدر ماء وتضعها على النار وتنتظر نصف ساعة حتى تغلي، ثم تضع فيها البيض وتنتظر عشر دقائق حتى ينسلق، فهذه نصف ساعة وعشر دقائق، أي ثلثا ساعة.

وضعت في قدري مَجَّة ماء لا غير، فوصلت إلى الغليان في دقيقة، ثم وضعت البيض وسلقته على البخار في عشر دقائق. فوفرت نصف ساعة من الطاقة. وبعد هذا الاختراع علمت من ابنة أختي التي تعمل خبيرة تغذية في مستشفى أنهم يفعلون هذا بالضبط. فهم يسلقون البيض على البخار.

ثمة مخترعات كثيرة اخترعتها طائناً أنني سابق إليها، وكنت سرعان ما أكتشف أنني مسبوق.

أردت أن أخترع عدداً من «محمد محيي الدين عبد الحميد»، وإليك التفصيل:

كان رهبان العلم في الأديرة المعلقة في جبال لبنان وفارس وتركيا يكرسون حياتهم للنسخ والترجمة. وقد ترجموا كتب اليونان إلى السريانية، ثم ترجموها، وترجمها غيرهم، إلى العربية. وكانت نهضة فكرية.

وترهبت أم كلثوم لفنها فأنشأت هرمأ تعب الكاتبون والسامعون في فك لغزه. وسأدلي بدلوي. قالوا إن صوت أم كلثوم نادر. هو صوت نادر حقاً، ولكن ليس إلى درجة أن لا وجود الزمن بمثله إلا مرة في القرن والقرنين. هذا هراء لا يرضى به العلم. المسألة ليست مسألة حبال صوتية. أم كلثوم كرسست حياتها لعملها. منذ الذي يجري بروفات بالعشرات مع الفرقة كاملة، سواها؛ هي التي استدعت بليغ حمدي ليلحن لها وعمره تسع وعشرون سنة، قالت له: اعمل لي حاجات كتلك التي تعملها لشادية. كانت تسمع الراديو وتتعقب الملحنين، وبعدما وقعت الخصومة بينها وبين السنباطي ذات سنة، وحدثت القطيعة، سمعت شهرزاد في الراديو تغني من ألحانه «يا ناسيني» فهاتفته

وصالحته. الخلطة الكلثومية بمجملها شديدة الندور، صوت واجتهاد وشخصية. كانت لها «زعامة الصوت» - التعبير لمحمد عبد الوهاب -، وكانت ذات شخصية قوية، وكانت راهبة فن.

واللحن المتقن - والتعبير مما استقاه كمال النجمي من كتاب الأغاني، وطوره ببراعة -، مثل نبتة البطاطا، تراها تطلق الأوراق الخضراء فتستعجل أنت فتنبشها، فإذا حبات صغار لا يُسَمَّى من جوع. لا بد للحن من أن يأخذ وقته، وينمو. يلحن الملحن الأغنية في يومين، ويتعقبها بالتشذيب شهراً وشهرين، وأكثر. نتحدث عن التلحين المتقن المصنوع، فأما اللحن الشعبي فقد لاكته حناجر الشعب عشرات السنين وصقلته، وما على المغني إلا أن يسمع جيداً ويؤدي باقتدار. وعلى صاحب اللحن المتقن المصنوع أن يخلق اللحن، وعليه أيضاً أن يصقله. ثم يأتي المغني، فإذا كان المغني أم كلثوم فهي تريد أن تصقل اللحن في حنجرتها، وأن تتعقب أدق تفاصيله، وأن تجرب كثيراً - ومعها الملحن يهديها تارة ويحنق على مزاجها تارة، ويذعن ويجري بعض التعديلات تارة.. ويختلف اللحن عن نبتة البطاطا في أن البطاطا إن مكثت في الأرض أطول مما يجب تلفت، فأما اللحن فهو أشبه بالفول المدمس. قال لي صاحبي: كلما غليت الفول جاد. وكان يترك فوله على نار هادئة طول الليل، فإذا أصبح صنع لعائلته صحن فول مدمس فاخراً.

ثمة شيء يتفق فيه أخو الموسيقى وأخو اللغة: البدء في الصغر. أحد من قرأت لهم كان يتعجب من الملحن الأميركي جورج غيرشوين، كيف تأتى له أن يبرع في الموسيقى وهو قد بدأ يتعلم العزف بعد أن تجاوز العاشرة. والمعهود في كبار الموسيقارين أنهم يبدأون في سن الثالثة والرابعة أو بعد ذلك بقليل. فالموسيقى شيء ينقش نفسه في خلايا الدماغ الغضة، فإن نما الدماغ وامتلاً غداً صعباً أن يُدَوَّرَ على موسيقى غريبة أو لغة جديدة.

والشعر واللغة، وكل علم، بحاجة إلى تلك الصفحة البيضاء.

قد يتفق الصبي سنوات طفولته يسمع الشعر ويحفظ اللغة ولا يمارس من ذلك شيئاً، فإن كبر انطلق. لا شك في أن الملكات تختلف بين إنسان وإنسان. والرغبات تختلف. لكنَّ النقش على الحجر ضروري لتحقيق التميز.

نعقد فقرة أو فقرتين لשתم الأكاديميين من أهل زمننا. لأننا لا يطيب لنا أن نمضي في حديثنا دون أن نصنع شيئاً من ذلك.

يبلغ أحدهم منتصف المرحلة الثانوية، فيبدو عليه الكلال، فلا رغبة لديه لا في علم ولا في أدب، فيرميه النظام التعليمي في الفرع الأدبي. فيجر قدميه جراً حتى ينال الشهادة الثانوية وتزغرد له أمه. ويدخل الجامعة. وطبعاً سيدرس اللغة العربية. أليس قد حصل على معدل خمسة وستين؟ ويجر قدميه. ويقدر ما عند أهله من مال يمضي في الدراسة. ويصبح دكتوراً. فإن علمت أيها القارئ، وأرجو أن تكون علمت، أن الرغبة هي مفتاح التفوق، وهي فقط التي تصنع الإبداع، فقد علمت أن صاحبنا لن يصنع شيئاً سوى أمثال هذه البحوث التافهة التي يقدفنا بها الأكاديميون.

حلم يقظتي الذي هممت بالتحدث إليك عنه، ثم أخذني الاستطراد إلى موضوعات شتى، هو أن أصنع للدراسات اللغوية والأدبية ناساً محبين قديرين من بين الراغبين. وهو كحللم الرجل الأمي الذي يريد من ابنه أن يعوضه عما فاته من علم.

فأنا رجل ساقطني الظروف سوقاً إلى كل مجال سوى مجال الأدب واللغة. أنا ذلك الرجل الأمي. أنا من أنفق عمره في أعمال شتى تقوته وتقوت عياله، وانتبه في شيخوخته إلى أنه كبت رغباته الحقيقية. فعندما بدأت أعالج اللغة القديمة، والشعر القديم، وجدت أنني لم أدخل الدبر ولم أكرس نفسي لهذا العمل. ففهم الشعر القديم يقتضي من الوقت والجهد الكثير، واستيعاب اللغة العربية في عصورها المختلفة كان سيكون أسهل عليّ بكثير لو أنني كنت بدأت باكراً، ولو أنني كنت فرغت للأمر.

الأزهر كان بيئة صالحة للتفرغ. ومن الأزهر خرج علماء يتقنون العربية حقاً. هذا شيء كان.

الحاصل: أريد أن يكون في مقدور مجتمعاتنا العربية أن تهَيء لخروج أم كلثومات، وعبد الحميد بن كثيرين. أريد لمجتمعاتنا أديرة علم. أقول قولي هذا وقد غسلت يدي من الجامعات غسلًا.

يتحرك الأكاديمي في جامعته كالبزاق، ذلك المخلوق اللزج الذي يخرج قرنيه ويمشي على بطنه. فإذا كان يقظاً وذكياً وجدته فاقداً البوصلة. يظن نفسه أتى برأس كليب إن هو كتب ألف صفحة عن حروف الجر في شعر أبي الشمقمق.. هذا مجرد مثال، وأخشى أن يقرأ كلامي هذا بعض أولئك الحلزونات فيكتب مثل ذلك الكتاب.

يبدأ الأكاديمي حياته «العلمية» - لُعن وعلمه، أمين - بمجموعة ضخمة من المسلمات. يقدس كتابات القدماء. ويقدس كتابات الأجانب. وتراه يتعبد بالمعجمات. تراه يتظرف ولا يقول «معاجم» بل لا بد أن تكون «معجمات». فإن سميتها وأنت جالسٌ إليه «قواميس»، فهذا يوم بؤسك. فسوف يصدع الأفندي رأسك وهو يحاول ردك إلى صواب يظنه. ويكلمك بالفصحى ويغلط، ويصحح نفسه إن انتبه إلى أنه غلط. وعندى لك وصفة طبية كي تجعله يتكلم كخلق الله. أغظه. قل له أشياء لم يسمعها من أساتذته، قل له مثلاً، إن الممنوع من الصرف جدير بالإلغاء. . . وسوف تراه يحتد، وسوف تراه. . . يتكلم بالعامة.

الأكاديمي عندنا يكتب على جبهته: «كل شيء معلوم، وموجود في كتاب معين». المهم عنده أن يبحث ويجد المعلومة. لم يخطر بباله قط أن الاعتراف بالجهل هو بداية الطريق. لم يخطر بباله قط أن ملايين الصفحات التي سودها آلاف علماء اللغة في مئات السنين تنقصها معلومات كثيرة. وهو لا يتخيل أن هناك مجهولات تنتظر من يجعلها معلومات. هو يظن أن كل شيء معلوم، وأن غاية البحث العلمي هي - فقط - البحث عن الفقرة المناسبة ووضعها بإزاء فقرة مناسبة أخرى لكي يسمي ذلك بحثاً.

يزعجني أكثر من الأكاديمي الذي يتدرج من ماجستير إلى دكتوراه ذلك الذي يقضي شبابه وكهولته على الماجستير محاضراً في جامعة أو مدرسة، ثم يطمح إلى العلاوة، وإلى حرف الدال، فـ «يسجل» للدكتوراه. هذا أسوأ بمراحل. يدخل الجامعة من جديد بعقل متخشب، وينال الدكتوراه بالتأكيد، ويزيد على كومة المسلمات التي في عقله مسلمات جديدة. ويصبح ثقيل الدم.

يغيظني وأنا أبحث في دواوين الشعراء القدامى أن كل ديوان منها اكتشفه وسهر عليه أول مرة ثم طبعه مستشرق.

أول طبعة جيدة لديوان عمر طبعة المستشرق باول شفارتس، ١٩٠٨، وشفعها بكتاب عن الشاعر، ١٩٠٩. ولقد أخبرنا بروكلمان في ثلاث صفحات عن حياة عمر ما وفر علينا مشقة المقارنة بين روايات القدماء. قد قرأنا كتابات القدماء، لكن بروكلمان قرأها وقارن بينها واستخلص ما يمكن استخلاصه من الحقائق. أعجبتني عنده عبارة في التشكيك بأن عمر ولد في الليلة التي توفي فيها سميخة الخليفة، قال الألماني إن هذا القول «متهم ككل ما روي في اقتران أمرين عظيمين».

ونختم هذه المقدمة بالتنبية على شيء يتعلق بكل الشعر القديم، وربما بكل الشعر:

لا تنثر الشعر. ولا تدقق في معانيه كثيراً. كانت جدة صاحبي تقول له وهو صغير: «الزاد لا يفتش»، فإن فتش المرء الزاد وجد على وجه الرغيف قشة وعلى قفاه قذاة مما يكون على أرضية الفرن، ووجد في طبق الأرز حبة مسودة ضربتها السوسة. سمّ بالله وكل، واقرأ الأشعار وترنم بها. فإنك واجد - إن أمعنت في الفحص - هنات كثيرات، وإنك فاقد لمعنى جليل كنت تتوهم أنه كامن هناك. الشعر كتب لكي ترنم به لا لكي تفحصه في المختبر.

١ ليلة غرامية

أَمِنْ آلِ نَعْمَ أَنْتَ غَدًا فَمُبَكِّرُ غَدَاةِ غَدٍ أَمْ رَائِحُ فَمُهَجِّرُ؟

المعنى الملموح: أتذهب إلى قوم الحبية «نعم» باكراً أم وقت الهاجرة واشتداد الحر؟

أَهِيْمُ إِلَى نَعْمَ، فَلَا السَّمْلُ جَامِعٌ وَلَا الْحَبْلُ مَوْصُولٌ، وَلَا الْقَلْبُ مُقْصِرُ

مغرم بها، ولكن الاجتماع صعب لكثرة الترحال، وليس هناك حبل موصول، لا علاقة، ومع ذلك فالقلب ليس يُقْصِر، أي لا يكفّ

وَلَا قُرْبُ نَعْمَ، إِنْ دَنَتْ، لَكَ نَافِعٌ وَلَا نَائِبُهَا يُسْلِي، وَلَا أَنْتَ تَصْبِرُ

وقربها لا ينفع، لأن الوصول إليها صعب، ولا بعدها يسليني، أي ينسيني، ولا أنت يا عمر - يخاطب نفسه - صابر

إِذَا زُرْتُ نَعْمًا لَمْ يَزَلْ ذُو قَرَابَةٍ لَهَا، كُلَّمَا لَاقَيْتُهَا يَتَنَمَّرُ

إذا زرتها لاقاني قريب لها، متمراً، متحفزاً للشر

رَأَيْتُ رَجُلًا: أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى، وَأَمَّا بِالْعِشِيِّ فَيَخْصِرُ

رأيتي إذا ما الشمس برزت أضْحَى، أي أبيضُ للشمس، وفي المساء أَخْصِرُ، أي أشعر بالبرد

أَخَا سَفَرٍ، جَوَابَ أَرْضٍ، تَقَازَقْتُ بِهِ فَلَوَاتٌ، فَهُوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ

رأيتي صاحب أسفار، تقاذفتي القلوات، أي الصحارى، وأنا مشعث الرأس والثياب، مغبرٌ

وَلَيْلَةٌ «ذِي دَوْرَانٍ» جَشَمْنِي السُّرَى، وَقَدْ يَجْشَمُ الْهَوَلُ الْمُحِبُّ الْمُغَرَّرُ

في تلك الليلة بموضع «ذي دوران» تكلفت سير الليل، والمحب الذي خدعه الحب

يتجشم كل هول

وَبِتُّ أَنَا جِي النَّفْسِ أَيْنَ خَبَاؤُهَا وَكَيْفَ لِمَا آتَى مِنَ الْأَمْرِ مَصْدَرُ

أخذت أحدث نفسي: يا ترى أين خيمتها بين الخيام؟ وكيف سيكون لي مصدر، رجوع،
بعد انتهاء مغامرتي؟

فَدَلَّ عَلَيْهَا الْقَلْبَ رَيًّا عَرَفْتُهَا لَهَا، وَهَوَى النَّفْسِ الَّذِي كَادَ يَظْهَرُ

دل قلبي عليها رياء، رائحة عطرة، عرفتها لها. ودلني عليها هواي الذي يكاد يظهر للناس

فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ، وَأَطْفَيْتُ مَصَابِيحُ شُبَّتْ بِالْعِشَاءِ وَأَنْوَرُ

لما خفت أصوات القوم، وأطفأوا مصابيحهم وأنوارهم..

وَعَابَ قُمَيْرٌ كُنْتُ أَهْوَى غُيُوبَهُ وَرَوَّحَ رُغَيَانٌ، وَنَوَّمَ سُمَّرُ..

ولما غاب القمر، الذي كنت أحب غيابه لأستتر في الليل، وعندما روح الرعيان، عادوا من
المراعي، ونام السامرون..

وَحُفِّضَ عَنِّي الصَّوْتُ، أَقْبَلْتُ مِثْبَةَ الْـ حُبَابٍ، وَشَخَصِي خَشْيَةَ الْحَيِّ أَزُورُ

وعندما خفت الصوت، مضيت أمشي مشية الحباب، الحيّة، منساباً، وجسمي يميل ويتضاءل خشية
أن يراني القوم

فَحَيَّيْتُ إِذْ فَاجَأَتْهَا، فَتَوَلَّيْتُ وَكَادَتْ بِمَخْفُوضِ التَّجِيَّةِ تَجْهَرُ

حييتها، فتوليت، دهشت، ولدهشتها كادت ترفع صوتها برد التحية

وَقَالَتْ، وَعَضَّتْ بِالْبَنَانِ: فَضَحْتَنِي وَأَنْتَ امْرُؤٌ مَبْسُورٌ أَمْرَكَ أَحْسَرُ

عضت على إصبعها، وقالت: فضحتني، وإنك لرجل تجعل السهل من الأمر صعباً بتصرفاتك

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي: أَتَعْجِيلُ حَاجَةً سَرَتْ بِكَ، أَمْ قَدْ نَامَ مَنْ كُنْتُ تَحْذَرُ؟

أأنت مستعجل للحصول على حاجتك مني فغامرت؟ أم أنك وثقت بنوم القوم فرأيت أنه لا بأس
من القدوم؟

فَقُلْتُ لَهَا بَلْ قَادَنِي الشَّوْقُ وَالْهَوَى إِلَيْكَ، وَمَا نَفْسٌ مِنَ النَّاسِ تَشْعُرُ

فَبِتُّ قَرِيرَ الْعَيْنِ، أُعْطِيتُ حَاجَتِي أَقْبَلُ قَاهَا فِي السَّخْلَاءِ وَأَكْثَرُ

في السخلاء: أي وأنا مُختل بها

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ تَقَاصَرَ طَوْلُهُ وَمَا كَانَ لَيْلِي قَبْلَ ذَلِكَ يَقْصُرُ

كان ليلي طويلاً وأنا أفكر فيها، والآن صار ليلي قصيراً معها

وَيَا لَكَ مِنْ مَلْهَى هُنَاكَ وَمَجْلِسٍ لَنَا لَمْ يُكَدِّرْهُ عَلَيْنَا مُكَدِّرُ

يا لهذا المجلس الجميل معها

فَلَمَّا تَقَضَّى اللَّيْلُ إِلَّا أَقَلَّهُ وَكَادَتْ تَوَالِي نَجْمِهِ تَتَفَوَّرُ..

عندما مضى معظم الليل، وبقي القليل، وكادت النجوم تغيب..

أَشَارَتْ بِأَنَّ الْحَيَّ قَدْ حَانَ مِنْهُمْ هُبُوبٌ، وَلَكِنْ مَوْعِدَ لَكَ «عَزُورُ»

قالت إن الحي، أي القوم، كادوا يهبون من نومهم. عليك الذهاب، وسنلتقي مرة أخرى في موضع «عزور»

فَمَا رَاعَنِي إِلَّا مُنَادٍ: تَرَحَّلُوا. وَقَدْ شَقَّ مَفْتُوقٌ مِنَ الصُّبْحِ أَشْقَرُ

وراعني صوت منادٍ ينادي بالرحيل. وقد فتق الصباح وجه السماء بضياؤه

فَلَمَّا رَأَتْ مَنْ قَدْ تَنَبَّهَ مِنْهُمْ وَأَيَّافَاهُمْ، قَالَتْ: أَشِيرُ كَيْفَ تَأْمُرُ؟

عندما أدركت أن بعضهم قد صحا، قالت متحيرة: فما العمل الآن؟

فَقُلْتُ أَبَادِيهِمْ، فَلِمَا أَفْوَتْهُمْ، وَإِمَّا يَنَالُ السَّيْفُ ثَارًا فَيَنَارُ

قلت: أباديهم، أبدو لهم وأظهر نفسي، فلما أن أهرب فلا يمسون بي، وإما أن يناروا فينال السيف مني

فَقَالَتْ: أَتَحْقِيقًا لِمَا قَالَ كَاشِحٌ عَلَيْنَا، وَتَصَدِيقًا لِمَا كَانَ يُؤَثِّرُ؟

قالت: بذلك تؤكد ما قاله الكاشح، المضمّر العداوة، عن علاقتنا، ويتوفر الدليل على ما كان يؤثر ويقال عنا

فَإِنْ كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ فَغَيَّرُهُ مِنْ الْأَمْرِ أَذْنَى لِلْخَفَاءِ وَأَسْتَرُ

فإن كان لا بد من المخاطرة فلا بد من أمر أستر..

أَقْصُرْ عَلَى أُخْتِي بَدْءَ حَدِيثِنَا وَمَا لِي مِنْ أَنْ تَعْلَمَا مُتَأَخَّرُ

أخبر أختي بما كان، ولا سبيل سوى إعلامهما

لَعَلَّهُمَا أَنْ تَطْلُبَا لَكَ مَخْرَجًا وَأَنْ تَرْحَبَا سِرْبًا بِمَا كُنْتُ أَخْصَرُ

لعلهما أن توصلا إلى مخرج لك، وأن ترحبا سرباً، أي يكون لديهما سعة في الرأي، بدل الضيق الذي عندي

فَقَامَتْ كَثِيبًا لَيْسَ فِي وَجْهِهَا دَمٌّ مِنَ الْحُزْنِ، تُذَرِّي عِبْرَةً تَتَحَدَّرُ

قامت وهي محزونة مخطوفة اللون، ودمعها يجري

فَقَامَتْ إِلَيْهَا حُرَّتَانِ عَلَيْهِمَا كِسَاءٌ إِنْ مِنْ حَزٍّ دِمَقْسٌ وَأَخْصَرُ

وجاءتها أختاها وعليهما كساءان من حرير

فَقَالَتْ لِأَخْتَيْهَا: أَعِينَا عَلَى فِتْنَى أَتَى زَائِرًا، وَالْأَمْرُ لِلْأَمْرِ يُقْدَرُ

قالت لهما أعيانني على هذا الزائر، ولا بد لكل أمر من حل يناسبه

فَأَقْبَلَتَا، فَارْتَاعَتَا، ثُمَّ قَالَتَا: أَقْلِي عَلَيْكَ اللَّوْمَ، فَالْخَطْبُ أَيْسَرُ

عندما رأيتي الفتاتان أصابهما الرعب، ثم طمأنتاها

فَقَالَتْ لَهَا الصُّغْرَى: سَأَعْطِيهِ مَطْرَفِي وَدِرْعِي، وَهَذَا الْبُرْدُ، إِنْ كَانَ يَحْذَرُ

الصغرى ستعطيني مطرفاً، أي رداءً، ودرعاً، أي قميصاً، وبرداً، أي ثوباً من عندها.. لكي
البس.. ولكن يجب أن أكون حذراً

يَقُومُ فَيَمْسِسِي بَيْنَنَا مُتَنَكِّراً فَلَا سِرُّنَا يَفْشُو، وَلَا هُوَ يَظْهَرُ

وليقيم ويمس بيننا فلا يتبه أحد

فَكَانَ مِجْنِي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتْقِي ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَاعِبَانِ وَمُعْصِرُ

وهكذا كان مجني، تُرسي، دون من كنت أحذر من الأعداء، ثلاث نساء: كاعبان قد برز منهما
الصدر، ومعصر، أي فتاة في أول البلوغ

فَلَمَّا أَجْرُنَا سَاحَةَ الْحَيِّ قُلْنَ لِي: أَمَا تَتَّقِي الْأَعْدَاءَ وَاللَّيْلَ مُقْبِرًا؟

لما عبرنا ساحة القوم، بدان باللوم والتأنيب: ألسنت تتقي الأعداء في ليلة مقمرة؟

وَقُلْنَ: أَهَذَا دَأْبُكَ الدَّهْرَ سَادِراً؟ أَمَا تَسْتَحْيِي أَوْ تَرْعَوِي أَوْ تُفَكِّرُ

أهذا شأنك دائماً سادراً، غير مبال؟ ألا تستحي، ألا ترعوي، أي تكف، ألا تفكر في العواقب؟

إِذَا جِئْتَ فَاَمْنَعْ طَرْفَ عَيْنَيْكَ غَيْرَنَا لِكَيْ يَحْسَبُوا أَنَّ الْهَوَى حَيْثُ تَنْظُرُ

إذا جئت مرة أخرى فانظر إلى غيرنا حتى لا يعرف أهلنا أنك مشغوف بنا

فَآخِرُ عَهْدٍ لِي بِهَا حِينَ أَعْرَضْتَ وَلاَحَ لَهَا خَدُّ نَقِيٍّ وَمَخْجَرُ

آخر عهدي بها كان عندما انفتلت وانصرفت، ورأيت طرف خدها الناعم، وجانب عينها

هَنِيئاً لِأَهْلِ الْعَامِرِيَّةِ نَشْرُهَا الـ لَلَّذِيذُ، وَرِيَّاهَا الَّذِي أَتَذَكَّرُ

هنيئاً لأهلها نشرها اللذيذ، رائحتها الطيبة التي ما زلت أتذكرها

٢ أنت السمع والبصر

هَيْفَاءُ لَفَاءً مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا تَكَادُ مِنْ ثِقَلِ الْأَرْدَافِ تَنْبَتِرُ

هيفاء، ضامرة البطن، لفاء، سميئة الفخذين، مصقولة العوارض، أي الأسنان، ولدقة خصرها
وعظم أردافها تكاد تنبت من منتصفها

تلك التي سَلَبْتَنِي العقلَ وَامْتَنَعْتَ، وَالْغَانِيَاتُ، وَإِنْ وَاصِلُنَا، غُدْرُ
سَلَبْتَنِي عقلي بدلالها وامتنعت من المضي في العلاقة، والغانيات غادرات حتى وإن أنشأن علاقة
لا أَضْرِفُ الدَّهْرَ وَدِّيْ عَنْكِ أَمْنَحُهُ أُخْرَى أَوْاصِلُهَا مَا أَوْرَقَ الشَّجَرُ
لن أحول محبتي عنك طول الدهر لامرأة أخرى، لن أفعل ذلك ما دام الشجر يطلق الورق
أَنْتِ الْمُنى وَحَدِيثُ النَّفْسِ خَالِيَةٌ وفي الجميع، وَأَنْتِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
أنت متهمي أمنياتي، وأفكر فيك سواء في خلوتي أم عندما أكون في الجميع، أي مع الناس
يَا لَيْتَ مَنْ لَامَنَا فِي الْحُبِّ، مَرَّ بِهِ مِمَّا نَلَاقِي - وَإِنْ لَمْ نُخْصِصْهُ - الْعُشْرُ
ليت من يلومنا في الحب يمر به عُشْرُ ما نَلَاقِي من عذاب، وإن لم تكن أحصينا عذاباتنا لكثرتها
حَتَّى يَذُوقَ كَمَا ذُقْنَا، فَيَمْنَعَهُ مِمَّا يَلِدُ حَدِيثُ النَّفْسِ وَالسَّهْرِ
كي يذوق مثلما ذقنا، فيمنعه السهر وحديث النفس، أي الخواطر والهواجس، من الاستمتاع بما
يلد من أمور الدنيا

٣ حب بحب

وَاللَّهُ قَدْ زَادَنَا وَجْدًا بِهِمْ كَلَفٌ وَمُتْرَعٌ مِنْ رَجِيعِ الدَّمْعِ مُبْتَدِرُ
زادنا بها حباً الكلف (المثقة في الحب)، والدمع المترع (الغزير) المتكرر الذي ابتدر (سال) عليها
وَأَنْهَا حَلَفَتْ بِاللَّهِ جَاهِدَةً وَمَا أَهْلٌ لَهُ الْحُجَّاجُ وَاعْتَمَرُوا . .
وزادنا حباً أنها حلفت جاهدة (بلا تقصير) بالله وبما أهل له الحجاج
(رفعوا صوتهم بالتكبير قبل التضحية)
مَا وَافَقَ النَّفْسَ مِنْ شَيْءٍ تُسَرُّ بِهِ وَأَعْجَبَ الْعَيْنَ إِلَّا فَوْقَهُ عُمَرُ
حلفت وقالت إن عمر أكبر من كل ما أحبه النفس وأعجبها
فَذَاكَ أَتَزَلَّهَا عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ مَا كَانَ يَخْتَلُّهَا مِنْ قَبْلِهَا بَشَرُ
فهذا ما جعلها أقرب الناس إلى قلبي

٤ واهاً لعفراء

وَاهَاً لِعَفْرَاءَ، إِنْ دَارَ بِهَا قُرْبَتْ فَمَا أَبَالِي أَلَاَمَ النَّاسُ أَمْ عَذَرُوا
إن قربت مني عفراء فلا يهمني ألامني الناس أم التمسوا لي عذراً في حبها
نَقُولُ، إِذْ أَيْقَنْتَ أَنَّي مُفَارِقُهَا: يَا لَيْتَنِي مُتُّ قَبْلَ الْيَوْمِ يَا عُمَرُ

٥ متوسداً معصمها

بِتُّ فِي نِعْمَةٍ، وَبَاتَ وَسَادِي مِغْصَمًا بَيْنَ دُمْلَجٍ وَسَوَارٍ
بت ورأسي على معصمها بين الدملج، أي سوار العضد، وسوار المعصم

ثُمَّ إِنَّ الصَّبَاحَ لَاحَ، وَلاَحَتْ أَنْجُمُ الصُّبْحِ مِثْلَ جَزَعِ الْعَذَارِي
ثم لاح الصبح وخفت النجوم فكانها صارت كجزع العذاري، أي الخرز الذي تقلده العذاري
فَنَهَضْنَا نَمْشِي نُعْقِي بُرُودًا وَمُرُوطًا، وَهَنَّا عَلَى الْأَثَارِ
نهضنا وهناً، في آخر الليل، نعفي الأثر، أي نمحوه، ونجر عليه ذيول المروط، أي الثياب

٦ مظلومة!

فَالْتَقَيْنَا فَرَحَّبَتْ حِينَ سَلَّمْتُ، وَكَفَّتْ دَمْعًا مِنَ الْعَيْنِ مَارَا
التقينا فرحبت بي حين سلمت عليها ومار الدمع، أي تفرق

ثُمَّ قَالَتْ عِنْدَ الْعِتَابِ: رَأَيْنَا فِيكَ عَنَّا تَجَلُّدًا وَازْوَارًا
عابت وقالت: رأيت منك تجلداً، أي صبراً على الفراق، وازوراراً، ابتعاداً وانحرافاً عني

ثُمَّ قَالَتْ، وَسَامَحَتْ بَعْدَ مَنَعٍ وَأَرْتَنِي كَفًّا تَزِينُ السُّوَارَا . .
ثم سامحت، لانت وسمحت بالوصال، ولم تعد تزم ثوبها زماً بل استرخت فأرابت كفها تزين
السوار، لا نظنه قصد أن الكف هي التي تزين السوار . . فقط القافية الجأته إلى ابتكار معنى «أن
كفها أجمل من سوارها فهو الذي يزينه»، ففي ذلك الزمن لم يكونوا يتحللون كما في العصور
التالية

فَتَنَاوَلْنَاهَا، فَمَالَتْ كَغُضْنٍ حَرَكْنَهُ رِيحٌ عَلَيْهِ فَخَارَا
خار: وقع

وَأَذَاقْتُ بَعْدَ الْعِلَاجِ لَذِيذًا كَجَنَى النَحْلِ شَابَ صِرْفًا عُقَارَا
وبعد العلاج، بعد محاولات الاستمالة، أذاقتني ريقها الذي كأنه عسل خالط خمرأ صافية

ثُمَّ كَانَتْ دُونَ اللَّحَافِ لِمَشْغُو فِي مُعَنَى بِهَا صَبُوبٍ شِعَارَا
ثم كانت لي تحت اللحاف - وأنا المشغوف المتعب بجبها الصبوب، أي الصب المتيم - كانت لي
شعاراً، أي لباساً داخلياً . . يقول: التصقت به كأنها ثوبه الملاصق للجسم

وَاشْتَكَّتْ شِدَّةَ الْإِزَارِ مِنَ الْبَهْرِ، وَأَلَقَتْ عَنْهَا لَدَيَّ الْخِمَارَا
اشتكت ضيق ملابسها من البهر، أي مما اعترأها من ضيق تنفس، فألقت خمارها

حَبَّذَا رَجَعُهَا إِلَيْهَا يَدَيَّهَا فِي يَدَيَّ دِرْعَهَا تَحُلُّ الْإِزَارَا
 ما أجمل حركة يديها وهي تخرجهما من يدي درعها، أي قميصها، وهي ماضية في خلع ثوبها
 : يَا ابْنَ عَمِّي فَدَنَّتْكَ نَفْسِي إِنْني أَتَقِي كَاشِحاً إِذَا قَالَ جَارَا
 تقول وهي تفعل ذلك إنها تخشى عدواً يفترى عليها فإذا قال عنها شيئاً جارَ وتجاوز الحق.. بعد
 كل هذا الذي تفعلينه يا آنسة لن يكون قد جار

٧ كيد العواذل كايدني

إِنَّ الْعَوَازِلَ قَدْ بَكَرْنَ يَلْمُنَنِي وَحَسِبْتُ أَكْثَرَ لَوْمِهِنَّ ضِرَارَا
 العاذلات جئن صباحاً يلمني، ولكن لومهن معظمه ضرار، أي بغرض إيقاع الأذى
 وَرَعَمْنَ أَنْ وَصَالَ عَبْدَهُ عَائِدُ عَاراً عَلَيَّ، وليس ذلك عاراً
 وَالنَّفْسُ يَمْنَعُهَا الْحَيَاءُ فَتَرَعَوِي وَتَكَادُ تَغْلِبُنِي إِلَيْكَ مِرَارَا
 يا عبدة، الحياء يمنع النفس فترعوي، أي تكف، ولكن نفسي تغلبني فأميل إليك
 مَا يُذَكِّرُ اسْمُكَ فِي حَدِيثٍ عَارِضٍ إِلَّا اسْتُخِفَّ لَهُ الْفُؤَادُ فَطَارَا

٨ حبذا المعاكسة

أَبْصَرْتُهَا لَيْلَةً وَنَسَوْتُهَا يَمْشِينَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْحَجَرِ
 أبصرتها مع رفيقاتها في الحرم بين مقام إبراهيم والحجر الأسود
 قَالَتْ لِنَرْبٍ لَهَا مُلَاطِفَةٌ: لَتُفْسِدَنَّ الطَّوَافَ فِي عَمْرِ
 قالت لترب لها، أي لرفيقة في عمرها، على سبيل المزاح: سوف تفسدين الطواف علينا
 بالحديث عن عمر

قَالَتْ: تَصَدِّي لِي لِيُبْصِرَنِي ثُمَّ أَغْمِزِيهِ، يَا أُخْتُ فِي خَفَرٍ
 قالت لها رفيقتها: واجهيه كي يلاحظنا، واغمزيه في حياء.. حبذا الحياء!

قَالَتْ لَهَا: قَدْ غَمَزْتَهُ فَأَبَى. ثُمَّ اسْبَطَرْتُ تَسْمَى عَلَى أَثَرِي
 قالت لها: غمزته فأبى ولم يأبه. ويضيف الشاعر معلقاً على حديثهن: ثم اسبطرت، أي أسرعت، تلحقني

٩ النوار

تَلَيْنُ حَتَّى يَقُولَ قَدْ خُدِعْتُ مَنْ لَمْ يَكُنْ بِالنِّسَاءِ ذَا خُبَرٍ
 تلين الفتاة حتى ليقول ويحسب من ليست له خبرة بالنساء أنها خدعت

حتى إذا ما التَّمَسْتُ غِرَّتْهَا كانت نَوَاراً قَلِيلَةَ الْغِرْرِ
فإذا ما التمت فرصة ضعفها ألفتها نواراً، أي فتاة مستمكة لا تعطي صاحبها شيئاً، قليلة الانخداع

١٠ على أطلال الحبيبة

لِمَنْ ظَلَلُ مُوْجِشٍ أَقْفَرَا فأصبحَ مَعْرُوفُهُ مُنْكَرَا؟
لمن هذا الطلل الموحش الذي أصبحت معالمه الواضحة منكراً لا تكاد تبين؟
ولو أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ الْجَوَابَ لأخْبَرَ إِذْ سِيلَ أَنْ يُخْبِرَا
سيل: سئل

ولكنَّهُ غَيَّرَتْهُ الصَّبَا فأَمَسَتْ مَعَالِمُهُ دُثْرَا
غيرته ريح الصَّبَا، فاندثرت معالمه

وَكُلُّ مُسِيفٍ لَهُ هَيْدَبٌ إِذَا مَا حَدَا رَعْدُهُ أَمْطَرَا
وغيره الغمام المسف، المنخفض، الذي يسيل مطراً كالخيوط، والرعد يحثه على النزول، كأن
الرعد حادي الإبل ينشد فتسير على إيقاع نشيده

وقد كنتُ أَلْقَى به شَادِنَا قَطُوفَ الْخُطَا نَاعِمًا أَحُورَا
في هذا المكان كنت أقابل غزلاً قَطُوف الخطا، أي خطاه متقاربة، وناعماً وأحور، عيناه «سواد»
صافي على بياض صافي» وهذا هو الخور

أَسِيلَ الْمُحَيَّا هَضِيمَ الْحَشَا كشمسِ الضُّحَى وَاضِحًا أَزْهَرَا
أسيل المحيا، طويل الخدين، هضيم الحشا، ضامر البطن، أزهر، أي أبيض

أَقُولُ لِمَنْ لَمْ فِي حُبِّهَا أَرَى لَكَ فِي الرَّأْيِ أَنْ تُقْصِرَا
يا من يلومني في حبها، من رأيي أن تكف

١١ وهل يخفى القمر

هَيَّجَ الْقَلْبَ مَغَانٍ وَصِيرَ دَارِسَاتٍ قَدْ عَلَامُنَّ الشَّجَرَ
هيج مشاعري المغاني، الرياض، والصير، الحظائر، الدارسات، الخربة، التي قد علاها الشجر

وَرِيَا حُ الصَّيْفِ قَدْ أَزْرَتْ بِهَا تَنْسِجُ الثُّرْبَ فُنُونًا وَالْمَطَرَ
ورياح الصيف أزرت بها، خربتها، فهي تزوج وتجيء عليها فكأنها تنسج الثراب نسجاً بأشكال
شتى، وخربها المطر أيضاً

ظَلْتُ فِيهَا ذَاتَ يَوْمٍ وَاقِفًا أَسْأَلُ الْمَنْزَلَ هَلْ فِيهِ خَبَرٌ
لِلَّتِي قَالَتْ لِأَتْرَابٍ لَهَا قُطِيفٌ فِيهِنَّ أَنْسٌ وَخَفَرٌ:

هل عند الديار المقفرة خبر لهذه الفتاة التي قالت لرفيقاتها القطف، البطيئات السير، الخجولات..

قَدْ خَلَوْنَا فَتَمَنَّيْنِ بِنَا إِذْ خَلَوْنَا الْيَوْمَ نُبْدِي مَا نُسِرَ
قالت لهن: هيا - ونحن وحدنا - نتكاشف بأسرارنا وأمنياتنا!

فَعَرَفْنَ الشَّوْقَ فِي مُقْلَتِهَا وَحَبَابُ الشَّوْقِ يُبْدِيهِ النَّظَرُ
أدركن ما بها من شوق، وحباب الشوق، أعظمه، يبدو في العين

قُلْنَ يَسْتَرْضِيْنَهَا: مُنْبِتُنَا لَوْ أَتَانَا الْيَوْمَ فِي سِرِّ عُمُرِ
قلن لها: ليت عمر يأتينا سرًا

بَيْنَمَا يَذْكُرُنِي أَبْصَرْتُنِي دُونَ قَيْدِ الْمِيلِ يَعْدُو بِي الْأَعْرَ
وفجأة أبصرني دون قيد الميل، أي قريباً، يعدو بي فرسي الأغر، ذو البياض في جبهته

قُلْنَ: تَعْرِفْنَ الْفَتَى؟ قُلْنَ: نَعَمْ قَدْ عَرَفْنَاهُ، وَهَلْ يَخْفَى الْقَمَرُ
قالت بعضهن لبعض: أتعرفن الفتى؟ ثم أجابت بعضهن: وهل يخفى القمر

١٢ حيلة النساء

أَلَمْ تَسْأَلِ الْأَطْلَالَ وَالْمُتَرَبِّعَا «بِطْنِ حُلَيَّاتٍ» دَوَارِسَ بَلَقَعَا؟
ألم تسأل الأطلال والمتربيع، المنزل، الدوارس البلقع، أي المقفرة الخربة، في موضع
«بطن حليات»؟

فَيَبْخُلْنَ، أَوْ يُخَيَّرْنَ بِالْعِلْمِ بَعْدَمَا نَكَبْنَا فُؤَادًا كَانَ قَدْماً مُفْجَعًا
فتبخل عليك تلك الأطلال الخربة بالجواب، أو لعلها تخبرك بشيء! ذلك بعد أن نكأت، حدثت،
جروح القلب الذي كان قد فجع قديماً بالفراق

بِهَنْدٍ وَأَتْرَابٍ لِهَنْدٍ إِذِ الْهَوَى جَمِيعٌ، وَإِذْ لَمْ نَخْشَ أَنْ يَتَّصَدَّعَا
فُجِعَ الْقَلْبُ بِفِرَاقِ هَنْدٍ وَصَوِيحِبَاتِهَا عِنْدَمَا كَانَ الْهَوَى جَمِيعٌ، أي على اجتماع وبلا فراق، ولم
نكن نخشى التصدع، الفراق

فَقُلْتُ لِمُطَرِّبِهِنَّ بِالْحُسْنِ: إِنَّمَا ضَرَرْتُ، فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعًا فَتَنْفَعَا؟
قلتُ لمن يصف حسنهن: هذا يجدد لي الشجون، فهل تستطيع أن تصنع شيئاً نافعاً؟

فَقَالَ: تَعَالَ أَنْظُرْ، فَقُلْتُ: وَكَيْفَ بِي؟ أَخَافُ مَقَاماً أَنْ يَشِيعَ فَيَشْنَعَا

قال لي: تعال انظر. قلت: أخاف أن ينكشف أمري ويشيع، ونقع في فضيحة شنيعة

فَأَقْبَلْتُ أَهْوِي مِثْلَمَا قَالَ صَاحِبِي لِمَوْعِدِهِ أَزْجِي قَعُوداً مُوقَّعَا

لكنني مضيت أهوي، أسرع، مثلما أراد، وأنا أزجي، أي أسوق، قعوداً، جملاً، موقَّعاً، مجرداً مدبراً

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَشْرَفْتُ وَجُوهَ زَهَامَا الْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّنَا

لما تقابلنا رأيت وجوهاً مفتخرة مزهوة بجمالها فهي لا تغطي بالبراقع

تَبَالَهْنَ بِالْعِرْقَانِ لَمَّا رَأَيْتَنِي وَقُلْنَ: امْرُؤُ بَاغٍ أَكَلٌ وَأَوْضَعَا

تبالهن، تصنعن البله، وزعنن أنهن لا يعرفني، وقلن: لعلك رجل يبغي مكاناً وقد أكل ناقته، أي أرهاقها، وأوضع، أي سار مسرعاً عليها

وَقَرَّبْنِ أَسْبَابَ الصُّبَا لِمُتَبِّمٍ يَقْبِسُ ذِرَاعاً كُلَّمَا قِسْنَ إِضْبَعَا

وأخذن يتكلمن كلاماً فيه إثارة للشجون، وأنا أندفع اندفاعاً في عوافي

فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْأَحَادِيثَ قُلْنَ لِي: أَخِفْتُ عَلَيْنَا أَنْ نُغَرَّ وَنُخْذَعَا؟

ولما تبادلنا الحديث، قلن لي: هل ظننت أننا مخدوعات عنك، ولا نعرفك؟

فَبِالْأَمْسِ أَرْسَلْنَا بِذَلِكَ خَالِدَاً إِلَيْكَ، وَبَيَّنَّا لَهُ الشَّأْنَ أَجْمَعَا

لقد أرسلنا أمس خالداً - صاحبه الذي غرر به -، وورسنا الخطة معه

فَمَا جِئْتَنَا إِلَّا عَلَى وَفْقِ مَوْعِدٍ عَلَى مَالٍ مِنَّا خَرَجْنَا لَهُ مَعَا

وعندما جئتنا كنا متهيئات، وخرجنا لهذا اللقاء، فهو ليس مصادفة

وَقُلْنَا كَرِيمٌ نَالَ وَضَلَّ كَرَائِمٍ فَحَقُّ لَهُ فِي الْيَوْمِ أَنْ يَتَمَتَّعَا

فأنت كريم، ونحن كريمات، ولا بأس أن تمتع بهذا اللقاء

١٣ تشيع

وَأَقُولُ مِنْ جَزَعٍ لِعَزَّةٍ بَعْدَمَا سَارُوا وَسَالَ بِهِمْ طَرِيقٌ مَهْيَعٌ:

أقول لمزة بعد أن سار أهلها وسال بهم الطريق الواسع:

لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ دَفْعَ ذَا لَدَفْعَتِهِ عَنِّي، وَلَكِنْ مَا لِهَذَا مَذْنَعٌ

لو كنت أستطيع منع فراقكم لفعلت، ولكن، ما باليد حيلة

قَالَتْ تُشَيِّعُنَا؟ فَقُلْتُ صَبَابَةٌ: إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُشَيِّعٌ

قالت: هل تمضي معنا مسافة وتشيعنا؟ فقلت لفرط عشقي: هذا ما يفعله المحب

فَتَبِعَتْهُمْ وَمَعِيَ فُؤَادٌ مُوجِعٌ صَبُّ بِقُرْبِهِمْ وَعَيْنٌ تَذْمَعُ

فتبعتهم وقلبي موجع، وعيني دامعة

١٤ سَمِعَ بِنَا مِنْ سَمْعٍ

يَا خَلِيلِي إِذَا لَمْ تَنْفَعَا فَدَعَانِي الْيَوْمَ مِنْ لَوْمٍ، دَعَا

وَأَلِمَّا بِي بِظُلُمِي شَادِنٍ لَسْتُ أَدْرِي الْيَوْمَ مَاذَا صَنَعَا

الشادن: الظبي الذي قوي واستغنى عن أمه

قَدْ جَرَى بِالْبَيْنِ مِنْهَا طَائِرٌ رَفَّ بِالْفُرْقَةِ ثُمَّ ارْتَفَعَا

رفرف طائر - ولعله غراب - منذراً بالبين، أي الفراق، ثم طار

سَأَلْتَنِي: هَلْ تَرَكْتَ اللَّهَوَ أَمْ ذَهَبَتْ أَزْمَانُهُ فَانْقَطَعَا؟

تسألني العاذلة: هل تركت اللهو اختياراً، أم قد ذهب زمنه وكبرت عنه؟

قُلْتُ: لَا، بَلْ ذَهَبَ الدَّهْرُ الَّذِي كُنْتُ أَسْعَى مَعَهُ حَيْثُ سَعَى

فقصصت عليها قصة ذاك الظبي... سلمى

ذَاكَ إِذْ نَحْنُ وَسَلَّمَى جِيرَةً لَا نُبَالِي مَنْ وَشَى أَوْ سَمِعَا

حِينَ قَالَتْ: كَيْفَ أَسْلُو بَعْدَمَا سَمِعَ الْيَوْمَ بِنَا مَنْ سَمِعَا

كان سلمى قالت: فلنمض في عشقنا، فقد وقع المحذور وطار لنا به سمعة

١٥ أَنَا وَعَتِيقُ وَالْهَوَى

قَالَ لِي فِيهَا «عَتِيقٌ» مَقَالاً فَجَرَّتْ مِنَّمَا يَقُولُ الدُّمُوعُ

قال له صاحبه عتيق قولاً أبكاه

قَالَ لِي وَدَّعَ سُلَيْمَى، وَدَّعَهَا فَأَجَابَ الْقَلْبُ أَنْ لَا أُطِيعُ

لَا تَلُمْنِي فِي اشْتِيَاقِي إِلَيْهَا وَابِكْ لِي مِمَّا تُجِنُّ الضُّلُوعُ

تجن: تخفي

١٦ الحب قديم

أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خَيْفَةَ أَهْلِهَا إِشَارَةً مَحْزُونٍ، وَلَمْ تَنْكَلِمِ
فَأَبْقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْحَبِيبِ الْمُتِمِّ
الْأُمُّ عَلَى حُبِّي كَأَنِّي سَنَنْتُهُ وَقَدْ سُنَّ هَذَا الْحُبُّ مِنْ قَبْلِ جُزْءِهِ
الأم على الحب كأنني أنا اخترعته، وهو موجود من قبل قبيلة جرهم البائدة

١٧ فلم أستطعها

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مَنَى وَلِي نَظَرٌ، لَوْلَا الشَّحْرُجُ، عَارِمُ
لولا الحرج لكانت نظراتي تحديدًا شديدًا

فَقُلْتُ: أَشَمْسٌ أَمْ مَصَابِيحُ بَيْعَةٍ بَدَتْ لَكَ تَحْتَ السَّجْفِ أَمْ أَنْتَ خَالِمُ
أوجهها شمس، أم مصابيح بيعة، صومعة ناسك، بدت تحت السجف، الستر ولعله يقصد الظلام؟
ومصابيح الناسك في الظلام، لثأته في البر، أجمل من ضوء الشمس

مُهْفَهْفَةٌ غَرَاءُ صِفْرٍ وَشَاحِهَا وَفِي الْمِرْطِ مِنْهَا أَهْيَلُ مُتْرَاكِمُ
مهفهفه، ضامرة البطن، غراء، وضيئة الوجه، وشاحها صفر، أي خالٍ لضمور بطنها؛ وأما
مرطها، أي ثوبها ففي داخله أهيل متراكم، أي كتيب تراكم عليه الرمل فهو يتساقط، يعني أن
عجيزتها كبيرة

بَعِيدَةُ مَهْوَى الْقُرْطِ، إِمَّا لِنَوْفَلٍ أَبُوهَا، وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمُ
مهوى القرط، حرفياً: المكان الذي يسقط فيه قرطها. . كناية عن طول عنقها. فهذا ورثته من
أعمامها أو من أخوالها، وذكر عشيرتين

وَمَدَّ عَلَيْهَا السَّجْفَ يَوْمَ لَقَيْتُهَا عَلَى عَجَلٍ أَتْبَاعُهَا وَالْحَوَادِمُ
غطاها الخدم بالستر بسرعة عندما لقيتها

فَلَمْ أَسْتَطِعْهَا، غَيْرَ أَنْ قَدْ بَدَا لَنَا عَشِيَّةً رَاحَتْ كَفُّهَا وَالْمَعَاصِمُ
فلم أتمكن من رؤيتها، غير أنني رأيت كفيها ومعصمها أوان الرحيل

مَعَاصِمُ لَمْ تَضْرِبْ عَلَى الْبَهِمِ فِي الضُّحَى عَصَاهَا، وَوَجْهٌ لَمْ تَلُحْهُ السَّمَائِمُ
هاتان اليدان ناعمتان لم تحملا عصا لضرب البهم، أي الماعز، ووجهها نقي لم يسمر من البروز
في الشمس، فهي فتاة مدللة بنت نعمة

إِذَا مَا دَعَتْ أَتْرَابَهَا فَاکْتَنَفَتْهَا تَمَائِلُنَ أَوْ مَالَتْ بِهِنَ الْمَاكِمُ
إذا دعت صاحباتها فأحطن بها تمايلن دلالاً، أو ربما مالت بهن الماكِم، أردافهن

١٨ قولاً له

أَلِمَّا بِذَاتِ الْخَالِ فَاسْتَظْلَعَا لَنَا أَكَالِ الْعَهْدِ بَاقٍ وَدُّهَا، أَمْ تَصَرَّمَا
زوراً هذه الفتاة واعرفا إن كانت باقية على العهد، أم تصرم، أي تقطع، حب الوصل

وقولا لها: ما في العبادِ كريمةٌ أَعَزُّ عَلَيْنَا مِنْكَ طُرّاً وَأَكْرَمَا
وقولا لها: لم أَجْنِ ذَنْباً فَتَعْتَبِي عَلَيَّ بِحَقٍّ، بل عَتَبْتَ تَجَرُّمَا
فقالا لها، فَاَرْقُضْ فَيُضْ دُمُوعَهَا كَمَا أَسْلَمَ السَّلْكُ الْجَمَانَ الْمُنْظَمَا
ارفضْ دمعها، أي تفرق، كأنَّ سلكاً فيه جمان، أي لؤلؤ، قد انتثر

وَقَالَتْ لِأَخْتَيْهَا أَذْهَبَا فِي حَفِيطَةٍ فَزُورَا أَبَا الْخَطَّابِ سِرّاً وَسَلَّمَا
اذهبا في تحفط وسلمما على عمر، وأبو الخطاب كنيته

وقولا له: وَاللَّهِ مَا الْمَاءُ لِلصَّدِيِّ بِأَشْهَى إِلَيْنَا مِنْ لِقَائِكَ فَاعْلَمَا
لفاؤك أشهى إلَيَّ من الماء للصدي، أي العطشان. اعلمنا: اعلمن يا فتى، وحذف النون وأطلق

١٩ أليس كثيراً؟

يَلُومُونَنِي فِي غَيْرِ جُرْمٍ جَنَيْتُهُ وَغَيْرِي، فِي كُلِّ الَّذِي كَانَ، أَلْوَمُ
أَمِنْتُ أَنَسَاءً أَنْتُمْ تَأْمُنُونَهُمْ فَزَادُوا عَلَيْنَا فِي الْحَدِيثِ، وَأَوْهَمُوا
وَقَالُوا لَنَا مَا لَمْ نَقُلْ، ثُمَّ أَكْثَرُوا عَلَيْنَا، وَبَاحُوا بِالَّذِي كُنْتُ أَكْتُمُ
أَلَيْسَ كَثِيراً أَنْ نَكُونَ بِبَلَدَةٍ كَلَانَا بِهَا ثَاوٍ وَلَا نَتَكَلَّمُ؟
ثاوٍ: مقيمٌ

٢٠ مع صويحباتها دوني

حَنَّا أَثْرَابُهَا دُونِي عَلَيْهَا حُنُوُّ الْعَائِدَاتِ عَلَى سَقِيمٍ
اكتفتها صويحباتها واجتمعن حولها، مثلما تجتمع الزائرات حول المريض،
فلم يكن لي مدخل بينهن

عَقَائِلُ لَمْ يَعِشْنَ بِعَيْشِ بُؤْسٍ وَلَكِنْ بِالْعَضَارَةِ وَالنَّعِيمِ
نساء منعمات عشن عيشة نعيم ورغد

٢١ لا ترحل

نَظَرْتُ إِلَيْكَ، وَدُو شِبَامَ دُونَهَا، نَظَرًا يَكَاذُ بِسِرِّهَا يَتَكَلَّمُ
نظرت إليك غير قادرة على الكلام فكان في فمها ذا شيبام، وهو عود يوضع في فم الجدي كيلا يرضع من أمه، ولكن نظرتها كادت تشي بسرها

فَأَبَانَ رَجُعَ الظَّرْفِ أَنْ لَا تَرْحَلَنَّ حَتَّى يُجِنَّ النَّاسَ لَيْلٌ مُظْلِمٌ
فأبان لي طرفها، نظرتها، أنها تقول لي: لا ترحل، وانتظر حتى يُجِنَّ الناسَ الليل، أي يفضاهم ويفطيمهم

فَلَعَلَّ غَبَّ اللَّيْلِ يَسْتُرُ مَجْلِسًا فِيهِ يُودَّعُ عَاشِقٌ وَيُسَلَّمُ
فربما تكون عاقبة الليل أن يستر مجلساً يجمعنا للوداع

فَأَتَيْتُ أَمَشِي بَعْدَمَا نَامَ الْعِدَا وَأَجَنَّهُمْ لِلنُّومِ جَوْنٌ أَذْهَمُ
مشيت إليها بعد نوم الناس وبعد أن غشيم الليل الجون الأدهم، الحالك السواد، فناوما.
(والجون كلمة تعني أسود وتعني أبيض، هي من الأضداد)

حَيَّيْتُهَا فَتَبَسَّمَتْ، فَكَأَنَهَا عِنْدَ التَّبَسُّمِ مُزْنَةٌ تَتَبَسَّمُ
كأنها وهي تبسم غيمة في جانبها يلمع البرق

فَعَنَيْتُ جَذْلَانَا، وَقَدْ جَذَلْتُ بِنَا نَبْغِي بِذَلِكَ رَغَمَ مَنْ يَتَرَعَّمُ
غنيت، سعدت، وكنت جذلان، فرحاً، وهي فرحة، وبعض سعادتنا أننا نكيد لمن يعاندنا

ثُمَّ انصَرَفْتُ وَكَانَ آخِرُ قَوْلِهَا أَنْ سَوْفَ يَجْمَعُنَا إِلَيْكَ الْمَوْسِمُ
وانصرفت على وعد باللقاء في الموسم المقبل

٢٢ مرارة الحب

وَوَجَدْتُ حَوْضَ الْحَبِّ حِينَ وَرَدْتُهُ مُرَّ الْمَذَاقَةِ طَعْمُهُ كَالْعَلَقَمِ
لا والذي بعث النبي محمداً بالنور والإسلام دين القيم
ما خنتُ عهدك يا عُثَيْمُ، وَلَا هَفَا قَلْبِي إِلَى وَصْلِ لِعَيْرِكَ فَاعْلَمِي

٢٣ حديثها

طَالَ لَيْلِي، وَاعْتَادَنِي الْيَوْمَ سُقْمٌ وَأَصَابَتْ مَقَاتِلَ الْقَلْبِ نَعْمٌ
وحديث بمثله تنزل العُصَمَاءُ
حديثها لذيد تسمعه العصم، الوعول، في جبالها فتتزل؛ وهي حليلة، رقيقة الطباع

٢٤ ليلة في الخلاء

ثُمَّ قَالَتْ، وَهِيَ تَذْرِي دَمْعَ عَيْنَيْهَا سُجُومًا:
قالت وهي تذرف الدمع سجوماً، بغزارة

أَخْبِرِيهِ بِالَّذِي أَلَسَ قَى فِلَانٍ كَانَ مُقِيمًا،
إن كان مقيماً لم يرحل بعد..

فَلْيَعِدْنَا مَوْعِدًا لَا نَتَّقِي فِيهِ نُمُومًا
فليكن بيتنا موعد لا نخاف فيه من شخص نمام

وَلْيَكُنْ ذَاكَ إِذَا مَا أَنْ تَصَفَّ اللَّيْلُ بِهِمَا
بَرَزَتْ بَيْنَ ثَلَاثِ نَسَاءٍ كَأَنَّهُنَّ الْمَهَا، بَقَرُ الْوَحْشِ، تَقْرُو، أَيْ تَتَبَعُ، الصَّرِيمَ، الرَّمْلَ الْمُتَكَافِفَ
برزت بين ثلاث نساء كأنهن المها، بقر الوحش، تقرو، أي تتبع، الصريم، الرمل المتكافف

فَمَرُّ بَدْرٍ تَبَدَّى بِأَهْرَافٍ يُعْشِي النُّجُومًا
وهي بينهن قمر يعشي النجوم، يغلب على ضوءها

قُلْتُ أَهْلًا بِكُمْ مِنْ زُورٍ زُرْنَ كَرِيمًا
فَأَذَاقْتَنِي لَذِيذًا خِلَّتُهُ راحاً خَتِيمًا
أذاقتني ريقها الذي كأنه الخمر المختوم عليها المعققة

ثُمَّ أَبَدَتْ إِذْ سَلَبْتُ الْـ مِرْطَ مُبَيَضًّا هَضِيمًا
وبدا منها بطن أبيض هضيم، ضامر، عندما نزعَتْ عنها المرط، الثوب

فَلَهَوْنَا اللَّيْلَ حَتَّى هَجَمَ الصُّبْحُ هُجُومًا
قُلْتُ قَدْ نَادَى الْمُنَادِي وَبَدَا الصُّبْحُ فَقُومًا
قلت ها قد نادى منادي القوم، وبدا الصبح فقومن يا فتيات، وجعل «قومن» «قوما»، ويجوز للشاعر..

وَلَقَدْ قَضَيْتُ حَاجَا تِي وَلَا قَيْتُ النَّعِيمَا

٢٥ يرميان الجمرات

لَقَدْ عَرَضْتُ لِي بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مِثْنِي لِحَيْنِي شَمْسٌ سُرَّتْ بِيَمَانِي
برزت لي في ذلك الموضع من مكة لحيني، لموتي وكي تقتلني، فتاة وضاعة كالشمس
مستورة يبرد يمانني

بَدَا لِي مِنْهَا مِغْصَمٌ يَوْمَ جَمَّرَتْ وَكَفَّ خَضِيبٌ زُيْنَتْ بِبَنَانِ
وهي ترمي الجمار بدا معصمها وكفها الخضيب، المحنّى، وأصابها الجميلة
فَلَمَّا التَقَيْنَا بِالثَّنِيَّةِ سَلَّمْتُ وَتَارَعَنِي الْبَغْلُ اللَّعِينُ عِنَانِي
لما التقينا في المنعطف سلمت وهي راكبة بغلها وأنا أمسك بزمامه،
والبغل يتزع المقود من يدي

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي، وَإِنِّي لَحَاسِبٌ، بِسَبْعِ رَمِيَتْ الْجَمْرَ أَمْ بِثَمَانِ
رغم براعتي في الحساب لا أدري هل رميت سبع جمرات أم ثمانى جمرات

٢٦ هُبْتُهَا

وَإِذَا جِئْتُهَا لِأَشْكُو إِلَيْهَا بَعْضَ مَا شَفَّنِي وَمَا قَدْ شَجَانِي
شفني: براني برياً

هُبْتُهَا، وَأَزْدَهَى مِنَ الْحُبِّ عَقْلِي وَعَصَانِي بِذَاتِ نَفْسِي لِسَانِي
أحسست بالهية وازدهى عقلي، أي أخذته خفة واضطراب، ولم أدر ما أقول
وَنَسِيتُ الَّذِي جَمَعْتُ مِنَ الْقَوَى لِ لَدَيْهَا، وَغَابَ عَنِّي بَيَانِي

٢٧ القليل المهناً

مَنْ لِقَلْبٍ أَمْسَى حَزِيناً مُعْنَى مُسْتَكِيناً، قَدْ شَفَّهُ مَا أَجَنَّا
من ذا يسعف قلباً حزيناً متعباً خاضعاً، شفه، وبراها وأنهكه، ما أجنّ، أي أخفى، من الحب
إِثْرُ شَخْصٍ، نَفْسِي قَدَّتْ ذَاكَ شَخْصاً، نَازِحِ الدَّارِ بِالمَدِينَةِ عَنَّا
قلبي ذاهب إثر تلك الفتاة التي نزلت دارها عنّا، ابتعدت، إلى المدينة المنورة

لَيْتَ حَظِّي كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ مِنْهَا وَكَثِيرٌ مِنْهَا الْقَلِيلُ الْمُهْنَا
لا أطلب سوى نظرة، والقليل الذي أحصل عليه منها كثير إذا كان مهناً،
غير مخلوط بتكدير

مَا نَرَى رَاكِباً يُخَبِّرُ عَنْكُمْ أَوْ يُرِيدُ الْحِجَازَ إِلَّا حَزَنًا
قد يكون قال القطعة وهو باليمن، فقد قيل لنا إن عمر بن أبي ربيعة سافر إلى اليمن ومكث بها
بعض الوقت

٢٨ الفاتنة

وَعَظِيضِ الظَّرْفِ، مِكْسَالِ الضُّحَى أَخَوْرِ الْمُقْلَةِ، كَالرِّيمِ الْأَعْنُ
رب فتاة غضيضة الطرف، غاضة بصرها خجلاً، مكسال الضحى، تظل كسلانة نائمة حتى الضحى
لأنها ابنة نعمة، حوراء العينين، اشتد سوادهما في بياض صافٍ، وكلامها فيه غنة

مَرَّ بِي فِي نَفَرٍ يَحْفُقُنُهُ مِثْلَمَا حَفَّ النَّصَارَى بِالْوَتْنِ
تحف بها صاحباتها مثلما يحف النصاري بتمثال لهم

قُلْتُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَتْ: بَعْضُ مَنْ قَتَنَ اللَّهُ بِكُمْ فِيمَنْ قَتَنُ
بعض مَنْ كان أسيراً زمناً ثم أضحى لهواكم قد مَجَنُ
كنت أسيرة الخجل زمناً وأصبحت ماجة جريئة في حبك

قُلْتُ: يَا سَيِّدَتِي عَذَّبْتَنِي قَالَتْ: اللَّهُمَّ عَذِّبْنِي إِذْنُ

٢٩ النظرة الأخيرة

إِعْتَادَنِي بَعْدَ سَلْوَةٍ حَزَنِي طَيِّفُ حَبِيبِي سَرَى فَأَرَقَنِي
بعد السلوة، النسيان، اعتادني، عاد إليّ، طيف حبيبي سارياً في الليل فأرقني
مِنْ ظَبِيَةٍ بِالْعَقِيقِ سَاكِنَةٍ قَدْ شَقَّنِي حُبُّهَا وَعَذَّبَنِي
يا نَظْرَةً مَا نَظَرْتُ مُوجِعَةً لَمْ أَرَهَا بَعْدَهَا وَلَمْ تَرَنِي
ما نظرت: أي قد نظرت

٣٠ تذكّر ظبية

إِنَّنِي الْيَوْمَ عَادَنِي أَحْزَانِي وَتَذَكَّرْتُ مَا مَضَى مِنْ زَمَانِي
وتذكّرت ظبياً أم ريم صَدَعَ الْقَلْبَ ذِكْرُهَا فَشَجَّانِي
تذكرت فتاة كالظبية الحانية على الريم، والريم الظبي الخالص البياض

لَا تَلْمَنِي «عَتِيقُ» حَسْبِي الَّذِي بِي إِنَّ بِي يَا «عَتِيقُ» مَا قَدْ كَفَّانِي
يخاطب صاحبه عتيقاً: لا تلمني فحسبي ما بي

إِنْ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِسُغْدَى لَزَمَانُ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ
لا تَلْمَنِي، وَأَنْتَ زَيَّنْتَهَا لِي أَنْتَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ

لَوْ بِعَيْنَيْكَ يَا عَتِيقُ نَظَرْنَا لَيْلَةَ السَّفْحِ قَرَّتِ الْعَيْنَانِ

لو نظرتُ إليها بعينيك، وأنت غير عاشق، لقرت عيناى واستراح قلبي،
لكن عيناى أنا عينا عاشق متألم

هِيَ دَانِي، وَهِيَ الدَّوَاءُ لِدَانِي لَوْ أَدَاوَى بِرَبِّقِهَا لَشَفَانِي

لم تدع للنساء عندي نصيباً غير ما قلتُ مازحاً بلساني

ليس لغيرها في قلبي نصيب، وكل الغزل الذي قلته في غيرها مجرد مزاح

٣١ لا أبالي غيركم

لَمْ يُحِبِّ الْقَلْبُ شَيْئاً مِثْلَ حُبِّكُمْ وَلَمْ تَرَ الْعَيْنُ شَيْئاً بَعْدَكُمْ حَسَنًا

ما إن أبالي إذا ما اللهُ قَرَّبَكُمْ مَنْ كَانَ سَطَّ مِنَ الْأَحْبَابِ أَوْ ظَعْنَا

سَطَّ: ابتعد، ظعن: رحل

٣٢ قامت تراءى

أَمْسَى بِأَسْمَاءَ هَذَا الْقَلْبُ مَعْمُودًا إِذَا أَقُولُ صَحَا يَعْتَادُهُ عِيْدًا

أمسى قلبي معموداً، مولهاً، بأسماء، وكلما قلت إنه صحا يعتاده الهم اعتياداً

كَأَنَّهُ يَوْمٌ يُمْسِي لَا يُكَلِّمُهَا ذُو بُعْيَةٍ يَبْتَغِي مَا لَيْسَ مَوْجُودًا

أَجْرِي عَلَى مَوْعِدٍ مِنْهَا فَتُخْلِفُنِي فَمَا أَمَلٌ، وَمَا تُوفِي الْمَوَاعِيدَ

قَامَتْ تَرَاءَى، وَقَدْ جَدَّ الرَّحِيلُ بِنَا لِنَتَنَكَّا الْقَرْحَ مِنْ قَلْبٍ قَدْ اضْطَبِدَا

قامت تراءى: تبرز نفسها، تنكأ القرح: تفتح الجرح من جديد

٣٣ ليت هنداً

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْنَا مَا نَعِدُ وَشَفَّتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا نَحْجُ

ليتها أنجزت وعدها وشفت أنفسنا من الوجد

وَأَسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ

ليتها كانت ذات قرار فواصلتي بدلاً من الدلال والامتناع والخوف من الأهل... هذا المعنى الذي لمحته

زَعَمُوهَا سَأَلَتْ جَارَاتِهَا وَتَعَرَّتْ ذَاتَ يَوْمٍ تَبْتَرِدُ:

سألت جاراتها وقد تعرت في الحر كي تبترد

أَكْمَا يَنْعَمُنِي تُبْصِرُنِي عَمْرُكُنَّ اللَّهُ، أَمْ لَا يَفْتَصِدُ؟

سألتهن: أترينني جميلة مثلما يصفني؟ أم أنه يبالغ؟

فَتَضَاحَكُنَّ وَقَدْ قُلْنَ لَهَا: حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدَّ

قلن لها: هو يراك بعين المحب فأنت في عينه حسنة. وتعلق الصديق عمران القفيني: «أي القرد في عين أمه غزال»

حَسَدًا حُمِلْنَهُ مِنْ شَأْنِهَا وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ

وقولهن هذا باعته الحسد، فكأنهن قلن لها أنت لست جميلة بحق...

عَادَةً تَفَرُّ عَنْ أَشْنَبِهَا حِينَ تَجْلُوهُ أَقَاحٍ أَوْ بَرْدَ

غادة جميلة تفرج شفتاها عن أسنان بيض، فعندما تجلو أسنانها، أي تظهرها، تظهر ما يشبه الأقحوان أو البرد

وَلَهَا عَيْنَانِ فِي طَرْقَيْهِمَا حَوْرٌ مِنْهَا، وَفِي الْجِيدِ عَيْدٌ

في عينيها حور، أي سواد خالص في بياض خالص، وفي عنقها تنثر، فهي تميل بعنقها لشدة الدلال

طُفْلَةٌ بَارِدَةٌ الْقَيْظِ إِذَا مَعَمَعَانُ الصَّيْفِ أَضْحَى يَتَّقِدُ

كل شيء بارد حسن في عيون أهل المناطق الحارة، فهذه الفتاة باردة

قُلْتُ مَنْ أَنْتِ؟ فَقَالَتْ أَنَا مَنْ شَقُّهُ الْوَجْدُ وَأَبْلَاهُ الْكَمَدُ

قالت إن الوجد والعشق أرهاقها وإن بها كمدًا، كبتًا ومشاعر مختلطة

نَحْنُ أَهْلُ الْخَبِيفِ مِنْ أَهْلِ مَنَى مَا لِمَقْتُولٍ قَتَلْنَاهُ قَوْدَ

تقول: القتل الذي تقتله ليس له دية.. فهي تقتل الرجل بالعشق

قُلْتُ: أَهْلًا أَنْتُمْ بُغْيَيْنَا فَتَسَمَّيْنِ، فَقَالَتْ: أَنَا هِنْدُ

إِنَّمَا أَهْلُكَ جِيرَانُ لَنَا إِنَّمَا نَحْنُ وَهُمْ شَيْءٌ أَحَدُ

يحدثنا عن أهلها وأهلها، وهذا الحديث الخفيف مما يتقنه أهل الغزل

حَدَّثُونَا أَنَّهَا لِي نَفَثَتْ عُقْدًا، يَا حَبْدًا تِلْكَ الْعُقْدُ

يزعم عمر أنها نفثت له عقدًا، صنعت له سحرًا بعقد خيوط والفتخ عليها، وهو مسرور بهيأها به

كَلَّمَا قُلْتُ مَتَى مِيعَادُنَا ضَجَّكَتْ هِنْدٌ وَقَالَتْ: بَعْدَ عَدُ

٣٤ لا كان هذا آخر العهد

وَاللَّهِ لَا أَنْسَى مَقَالَتَهَا حَتَّى أَضْمَنْ مَيِّتًا لَحْدِي
إِذْ هَبَ قَدَيْتُكَ غَيْرَ مُبْتَعِدٍ لَا كَانَ هَذَا آخِرَ الْعَهْدِ

٣٥ أنا وقلبي

أَرِفْتُ وَلَمْ أُمْلِكْ لِهَذَا الْهَوَى رَدًّا وَأَوْرَنْتَنِي حُبِّي وَكَيْثَمَانُهُ جَهْدًا
كَتَمْتُ الْهَوَى حَتَّى بَرَانِي وَشَفَّنِي وَعَزَيْتُ قَلْبًا لَا صُبُورًا وَلَا جَلْدًا
إِذَا قُلْتُ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَصَبَابَةً عَصَانِي، وَإِنْ عَاتَبْتُهُ زِدْتُهُ وَجْدًا

٣٦ جرى ناصح

جَرَى نَاصِحٌ بِالْوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَفَرَّرَنِي يَوْمَ الْحِصَابِ إِلَى قَتْلِي
سعى صديق في عقد الود بيني وبينها، وفي يوم رمي الجمرات كان اللقاء بيننا محفوفاً بالمخاطر
التي تنذر بالقتل

فَمَا أَنْسَ مِ الْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَ مَوْقِفِي وَمَوْقِفَهَا وَهَنًا بِقَارِعَةِ النَّخْلِ
لست أنسى لقاءنا وهناً، ليلاً، في ذلك الموضع

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا عَرَفْتُ الَّذِي بِهَا كَيْمَلِ الَّذِي بِي، حَذَوَكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ
لما وقفنا واحداً بإزاء الآخر وجدت ما عندها من العشق مثل الذي عندي بالضبط، مثلما تطبق
الفردة اليمنى من النعل على اليسرى فيطباقان

فَسَلَّمْتُ وَاسْتَأْنَسْتُ خِيفَةً أَنْ يَرَى عَدُوَّ مَكَانِي، أَوْ يَرَى كَاشِحَ فِعْلِي
استأنست بالمكان على وجل، خوف أن يرى عدو مكاني، أو كاشح، مضمّر للعداوة، فعلي

فَقَالْتُ، وَأَرَحْتُ جَانِبَ السِّتْرِ إِنَّمَا مَعِيَ - فَتَحَدَّثْ غَيْرَ ذِي رِقَبَةٍ - أَهْلِي
أرخت الستر وطمأننتي قائلة: تحدث ولا ترتقب ولا تخف، فالبنات اللاتي معي هن من أهلي

فَقُلْتُ لَهَا: مَا بِي لَهُمْ مِنْ تَرَقُّبٍ وَلَكِنْ سِرِّي لَيْسَ بِحِمْلُهُ مِثْلِي
قلت لها: ليس بي خشية أو ترتقب من أهلك، ولكن سري عميق، ولا أبوح به حتى أمام فتيات
صديقات

فَلَمَّا افْتَصَرْنَا دُونَهُنَّ حَدِيثَنَا وَهُنَّ طَبِيبَاتٌ بِحَاجَةِ ذِي التَّبَلِ
لما كان الحديث مقصوراً علينا كلياً، والفتيات طبيبات، خيريات، بحاجة ذي التبل، العاشق...

عَرَفَنَّ الَّذِي تَهَوَّى، فَقُلْنَ لَهَا ائْذَنِي نَطْفُ سَاعَةً فِي طِيبٍ لَيْلٍ وَفِي سَهْلٍ

عرفت الفتيات مبتغاها، فاستأذنن ساعة للمشي في جو الليل الطيب

فَقَالَتْ: فَلَا تَلْبِثْنَ، قُلْنَ: تَحَدَّثِي أَتَيْنَاكَ، وَانْسَبْنَ انْسِيَابَ مَهَا الرَّمْلِ

قالت لهن: لا تتأخرن. فقلن لها: هيا تحدثي إلى حبيبك، وسنأتيك بعد حين. وانسجين بهدوء كالهما، بقرات الوحش

فَقُمْنَ وَقَدْ أَفْهَمْنَ ذَا اللَّبِّ آتَمًا فَعَلْنَ الَّذِي يَفْعَلْنَ فِي ذَاكَ مِنْ أَجْلِي

قد قمن، واللبيب يفهم أنهن ذهبن من أجلي.. عندما سمع الفرزدق هذا البيت صاح وقال: هذا والله الذي أرادته فأخطأته الشعراء، وبكت على الديار

وَبَاتَتْ تَمُجُّ الْمِسْكَ فِي فِي عَادَةٍ بَعِيدَةُ مَهْوَى الْقُرْطِ صَامِتَةُ الْحِجْلِ

وباتت الحبيبة الجميلة تقبلني وتنث في فمي من فيها ما يشبه في رائحته المسك، وهي بعيدة مهوى القرط، كناية عن طول عنقها، وصامتة الحجل، أي خلخالها لا يتحرك ولا يصدر صوتاً، لأنها ممثلة الساق

٣٧ الحديق النجل

وَأَقْبَلْنَ يَمْسُجِينَ الْهُونَنَا عَشِيَّةً يُقْتَلْنَ مَنْ يَرْمِيَنَّ بِالْحَدَقِ النُّجْلَ

تمشي الفتيات بدلال، ويقتلن الرجال بعيونهن الواسعة

فَسَلَّمْنَ تَسْلِيمًا ضَعِيفًا، وَأَغِيْنُ نُحَاذِرُهَا مِنْ أَهْلِيْهِنَّ وَمِنْ أَهْلِي

سلمن علينا بخفوت، وأهلي وأهلن يراقبون

٣٨ اندفاع

كِدْتُ يَوْمَ الرِّحْلِ أَقْضِي حَيَاتِي لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ يَوْمِ الرِّحْلِ

ولقد قالت الحبيبة: لولا كثرة الناس جُذْتُ بِالتَّقْبِيلِ

٣٩ العاشق الأشمط

إِنَّمَا أَلَوْتُ بِعَقْلِي بَعْدَ حِلْمٍ وَاعْتِهَالٍ

ألوت بعقلي، ذهبت به، بعد الحلم، التعقل، والاعتقال، سن الرجولة الناضجة

حِينَ لَاحَ الشَّيْبُ مِنِّي فِي شَوَاتِي وَقَدْ أَلِي

الشواة: جلدة الرأس، والقذال: مؤخر الرأس

أَيُّهَا النَّاصِحُ، قَبْلِي فُتِنْتُ شُمُطَ الرِّجَالِ

أيها الناصح، لقد فُتن قبلي الرجال الشمط، من اختلط بياض شعرهم بسواده

فَفُؤَادِي فِي هَوَاهَا هَائِمٌ أُخْرَى اللَّيَالِي

٤٠ إني أخاف المهر أن يصهلا

أَرْسَلْتُ لَمَّا عِيلَ صَبْرِي إِلَى أَسْمَاءَ، وَالصَّبُّ بِأَنْ يُرْسِلَا

أرسلت لها رسولا بعد أن نفذ صبري، والصب، المحب، بأن يرسل. أي جدير به أن يرسل

ثُمَّ دَعَتْ مِنْ عَجَبٍ أُخْتَهَا هِنْدًا فَقَالَتْ: عُمَرُ أَرْسَلَا

يَسْؤُمْنِي مُعْتَذِرًا مَجْلِسًا كَأَنَّهُ يَأْمَنُ أَنْ نَبْخَلَا

يطلب مني أن أجالسه، وكأنه متأكد بأنني سأرضى

فَأَرْسَلْتُ أَرْوَى وَقَالَتْ لَهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرْضَى وَأَنْ تَقْبَلَا:

أختها الثانية «أروى» تدخلت وبادرت بالقول لأسماء من قبل أن تقرر القبول

فَوَاعِدِيهِ سِدْرَتِي مَالِكٍ أَوْ ذَا الَّذِي بَيْنَهُمَا أَشْهَلَا

أضربي موعداً معه في ذلك المكان بين شجرتي السدر، أو في المكان الذي بينهما، فذلك أسهل

وَلَبَّاتُ إِنْ جَاءَ عَلَى بَغْلَةٍ إِنِّي أَخَافُ الْمُهْرَ أَنْ يَصْهَلَا

٤١ قد سألت قليلا

أَرِقْتُ، وَلَمْ آرُقْ لِسُقْمِ أَصَابِنِي أَرَأَيْتُ لَيْلًا مَا يَزُولُ طَوِيلَا

أصابني الأرق، لكن ليس لمرض. وظللت أراقب الليل الطويل الذي يأبى أن يزول

إِذَا خَفَقْتُ مِنْهُ نُجُومٌ فَحَلَقْتُ تَبَيَّنْتُ مِنْ تَالِي النُّجُومِ رَعِيلَا

إذا ارتجفت بعض النجوم وارتفعت وخفت، رأيت مجموعة أخرى تظهر بعدها

فَلَمَّا مَضَتْ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ هَجَعَةً وَأُيْقِنْتُ مِنْ حِسِّ الْعُيُونِ غُفُولَا..

لما مضت هجعة، نومة خفيفة أي مدة قصيرة، من أول الليل، وجاء النوم الحقيقي فأغفت العيون وغفلت عما حولها..

دَخَلْتُ عَلَى خَوْفٍ فَأَرَقْتُ كَاعِبًا هَضِيمَ الْحَشَا رَيَّا الْعِظَامِ كَسُولَا

دخلت متوجساً وأيقظت فتاة كاعباً، أي برز صدرها، وهي هضم الحشا، ضامرة البطن، وريا

العظام، ممثلة الخلقة، وكسول، بنت نعمة تنام حتى الضحى

فَهَبْتُ تَطْيِيعُ الصَّوْتِ نَشْوَى مِنَ الْكُرَى كَمُغْتَبِقِ الرَّاحِ الْمُدَامِ شَمُولَا
استيقظت على صوتي وهي نشوى، مخدرة، من الكرى، النعاس، كمن اغتبق الخمر، شربها مساء

فَعَضَّتْ عَلَى الْإِبْهَامِ مِنْهَا مَخَافَةً عَلَيَّ، وَقَالَتْ: قَدْ عَجِلْتُ دُخُولَا
عضت على إبهامها خائفة عليّ من القوم، وقالت: قد عجلت بالمجيء

فَهَلَّا إِذَا اسْتَيْقَنْتَ أَنَّكَ دَاخِلٌ دَسَسْتَ إِلَيْنَا فِي الْخَلَاءِ رَسُولَا
فهلّا إذا استيقنت أنّك داخلٌ دسست إلينا في الخلاءِ رسولاً
أما بعثت رسولاً يخبرنا بأنك قادم

فَنُقْصِرُ عَنَّا عَيْنَ مَنْ هُوَ كَاشِحٌ وَتَأْتِي وَلَا نَخْشَى عَلَيْكَ دَلِيلَا
فنعثد نكف عنا عين العدو المضمّر للعداوة، ولا نترك دليلاً على زيارتك

فَقُلْتُ: دَعَانِي حُبُّكُمْ فَأَجَبْتُهُ إِلَيْكَ، فَقَالَتْ: بَلْ خُلِفْتَ عَجُولَا
فلما أفضنا في الهوى نستبته وعادَ لنا صعبُ الحديثِ ذُلُولَا
لما أفضنا في الهوى، ومضينا في الحديث نستبه، نستخرجه وتبادلّه، وصار سهلاً علينا
أن نتصارع

شَكُوتُ إِلَيْهَا ثُمَّ أَظْهَرْتُ عَبْرَةً وَأَخْفَيْتُ مِنْهَا فِي الْفُؤَادِ غَلِيلَا
بدرت مني دمة، وظلت في قلبي حرارة العشق

فَقُلْتُ صِلِي مَنْ قَدْ أَسْرَتْ فُؤَادَهُ وَعَادَ لَهُ فِيكَ النَّصُوحُ عَدُولَا
قلت لها: أريد وضمك، فأنا محب ولهان، ولشدة تولهي بك أصبح من كان ينصحني عادلاً يلومني
فَصَدَّتْ وَقَالَتْ: مَا تَزَالُ مُتَيِّمًا نَرَاكَ، وَإِنْ كُنْتَ الصَّحِيحَ، قَتِيلَا
فصدت عني، وقالت: يا لك من متيم، جسمك صحيح وقلبك قتيل الحب.. شيء كهذا

صُدُّودَ شَمُوسٍ، ثُمَّ لَانَتْ وَقَرَّبْتُ إِلَيَّ، وَقَالَتْ: قَدْ سَأَلْتُ قَلِيلَا
وكان صدودها صدود فتاة شمس، معاندة، لكنها بعد ذلك لانت واقتربت، وقالت: ما طلبته
قليل.. كأنها تشجعه على نيل المزيد

لَقَدْ حَلَيْتَكَ الْعَيْنُ أَوَّلَ نَظَرَةٍ وَأَعْطَيْتَ مِنِّي يَا ابْنَ عَمٍّ قَبُولَا
قد استحلكت العين من النظرة الأولى، ووجدت في نفسي قبولاً لك

٤٢ استخبار الطلل

يَا صَاحِبِي قِفَا نَسْتَخِيرِ الطَّلَالَ عَنْ بَعْضِ مَنْ حَلَّهَ بِالْأَمْسِ، مَا فَعَلَا

فَقَالَ لِي الرَّبُّ لَمَّا أَن وَقَفْتُ بِهِ: إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَّ الْبَيْنِ فَاحْتَمَلَا
قال لي منزل القوم الخرب: إن الخليط، أي القوم، جددوا فراقاً ورحلوا

٤٣ لا تحلفي

جُنَّ قَلْبِي، فَقُلْتُ: يَا قَلْبُ مَهْلًا لَا تَبْدُلْ بِالْجَلْمِ وَالْمَزْمِ جَهْلًا
جُنَّ قَلْبِي بحبها، فقلت له لا تنهور بعد أن كنت ذا حلم وعزيمة

حَلَفْتُ أَنَّ مَا أَتَاهَا يَقِينٌ، قُلْتُ: لَا تَحْلِفِي فَذُبُّكَ كَلًّا
تحلف لي أن ما بلغها عن معاشرتي لغيرها يقين، فقلت لا تحلفي..

لَا أَخُونُ الْخَلِيلَ مَا عِشْتُ حَتَّى يُنْقَلَ الْبَحْرُ بِالْفَرَابِيلِ نَقْلًا
لا أخون الصديق حتى يكون مستطاعاً نقل البحر بالفرايل

٤٤ أَنْتِ أَشْغَالِي

أَنْتِ كُنْتَ الْهُوَى، وَرُؤْيُكَ الْخُلْدَ لَدَى وَكُنْتَ الْحَدِيثَ وَالْأَشْغَالَ
حُلْتَ دُونَ الْفُرَادِ، وَالتَّذْكَ الْقُلْدَ بْ، وَخَلَّى لَكَ النِّسَاءَ الْوِصَالَ
أغلقت فؤادي فلم يعد يتقبل غيرك من النساء، وتركت النساء وصالي،
فهو لك أنت وحدك

أَيُّهَا الْعَاذِلِي أَقِلَّ عِتَابِي لَمْ أُطْعِ فِي وَصَالِهَا الْعُدَالَا

٤٥ حديث الطلل

سَائِلَا الرَّبَّ «بِالْبُلْيَى» وَقُولَا: هِجَتْ شَوْقًا لَنَا الْعُدَاةَ طَوِيلَا
يريد من صاحبيه أن يخبرا الطلل في ذلك الموضع بأنه أهاج القلب
وأشعل نار الشوق

أَيْنَ حَيٍّ حُلُوكَ إِذْ أَنْتَ مَحْفُوفٌ قَبْلَ بِهِمْ أَهْلٌ أَرَاكَ جَمِيلًا؟
أين من كانوا ينزلون بك أيها المكان الخالي، وكانوا يحفون بجوانبك؟

قَالَ: سَارُوا بِأَجْمَعٍ فَاسْتَقْلُوا، وَبِكُرْهِ لَوْ اسْتَطَعْتُ سَبِيلَا
قال - وفي هذه المرة استطاع الطلل أن يتكلم - إنهم ركبوا جميعاً ورحلوا، وهو كاره رحيلهم،
ولو استطاع لمنعهم من الرحيل

٤٦ مبيت عند الحبيبة

بِتُّ فِي نِعْمَةٍ وَبَاتَتْ وَسَادِي ثُنِي كَفَّ حَدِيثُهُ بِخَضَابِ
بِتُّ سَعِيداً وَبَاتَتْ الْمَحْبُوبَةُ وَسَادَةً لِي، يَدُو أَنَّهُ كَانَ يَسْنُدُ رَأْسَهُ إِلَى عَضْدِهَا، وَكَانَ يَرَى كَفَهَا مَثْنِيَةً
نَحْوَهُ وَيَرَى مَا بِهِذِهِ الْكَفِّ مِنْ حَنَاءٍ وَضَعَتْ حَدِيثاً

ثُمَّ قُمْنَا لَمَّا تَجَلَّى لَنَا الضُّبُّ حُ نَعَفِّي آثَارَنَا بِالثَّرَابِ
وَفِي الصَّبَاحِ قَامَا يَعْفِيَانِ، أَيِ يَزِيلَانِ، آثَارَ الْخَطِيئِ بِمَسْحِ التَّرَابِ

٤٧ المحتالة والفتاة

قَدْ بَعَثْنَا طَبَّةً مُحْتَالَةً تَمْزِجُ الْجِدَّ مِرَاراً بِاللَّعِبِ
بَعَثَ إِلَى فَتَاتِهِ امْرَأَةً طَبَّةً، خَبِيرَةً، مُحْتَالَةً، تَخْلُطُ فِي كَلَامِهَا الْجِدَّ بِالْمَزَاحِ

تَرْفَعُ الصَّوْتَ إِذَا لَانَتْ لَهَا وَتَرَاحِي عِنْدَ سَوَرَاتِ الْعَضْبِ
فَإِذَا وَجَدَتِ الْفَتَاةَ قَدْ لَانَتْ رَفَعَتْ صَوْتَهَا وَهِيَ تَقْنَعُهَا بِالْوَصَالِ، فَإِذَا غَضِبَتِ الْفَتَاةَ خَفَضَتْ الْمِرَاةَ
الْمُحْتَالَةَ صَوْتَهَا وَلَانَتْ فِي كَلَامِهَا

وَهِيَ إِذْ ذَاكَ عَلَيْهَا مِثْرٌ وَلَهَا بَيْتُ جَوَارٍ مِنْ لَعَبِ
وَالْفَتَاةُ عَلَيْهَا مِثْرٌ، ثَوْبٌ مِثْلُ كَالْتَنُورَةِ، وَهِيَ صَغِيرَةٌ تَلْعَبُ بِلَعِبِهَا

لَمْ تَزَلْ تَضْرِفُهَا عَنْ رَأْيِهَا وَتَأْتَاهَا بِرِفْقِي وَأَدَبِ
وَالْمُحْتَالَةُ تَتَأْتَاهَا، أَيِ تَحَايِلُ عَلَيْهَا بِاللُّطْفِ، كَيْ يَغْيِرَ لَهَا رَأْيَهَا

٤٨ بين عرفات والجمرات

صَادَ قَلْبِي الْيَوْمَ ظُبِّي مُقْبِلٌ مِنْ عَرَفَاتِ
فِي ظَبَاءٍ تَتَهَادَى عَامِداً لِلْجَمَرَاتِ
وَعَلَيْهِ الْحَزُّ وَالْقَرُّ وَوَشْيُ الْحَبَرَاتِ

الْحَزُّ وَالْقَرُّ: نَوْعَانِ مِنَ الْحَرِيرِ، وَالْحَبَرَاتُ الْمَوْشَاةُ: ثِيَابٌ مَزِينَةٌ يَقُولُ مُحَمَّدٌ مَحْبِي الدِّينِ
عَبْدُ الْحَمِيدِ إِنَّهَا تَجْلِبُ مِنَ الْيَمَنِ

إِنِّي لَسْتُ بِنَاسٍ ذَلِكَ الظُّبِّي حَيَاتِي

٤٩ لم أعدل به أحدا

أَلِمُمْ بِزَيْنَبَ إِنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفِدا قَلَّ الثَّوَاءُ لَيْثُنَ كَانَ الرَّحِيلُ غَدا
المم بزيب، زُزها، فقد اقترب الفراق، ولأن الرحيل سيكون غداً فقد أصبح الثواء،
الإقامة، قليلاً

لَعَمْرُهَا مَا أَرَانِي إِنْ نَوَى نَزَحَتْ وَدَامَ ذَا الْحُبِّ إِلَّا قَاتِلِي كَمَدَا
إن رحلت وظل حبها في قلبي فسوف أموت حسرة

قَدْ حَلَفْتُ لَيْلَةَ «الصَّوْرَيْنِ» جَاهِدَةً، وَمَا عَلَى الْمَرْءِ إِلَّا الصَّبْرُ مُجْتَهِدًا . .
حلفت في تلك الليلة في ذلك المكان . .

لِيَتَرِبَهَا وَلِأُخْرَى مِنْ مَنَاصِفِهَا لَقَدْ وَجَدْتُ بِهِ فَوْقَ الَّذِي وَجَدَا
حلقت لصدقتها ولفتاة أخرى من مناصفها، وصفاتها،
بأنها عانت من الشوق أكثر مما عانيت أنا

لَوْ جُمِعَ النَّاسُ ثُمَّ اخْتِيرَ صَفْوَتُهُمْ شَخْصًا مِنَ النَّاسِ لَمْ أَغْدِلْ بِهِ أَحَدًا
وقالت لهما: إنها لا تعدل بي أحداً من بين كل الناس

٥٠ لا صبر لي

وَلَقَدْ قُلْتُ إِذْ تَطَاوَلَ مَجْرِي: رَبِّ لَا صَبْرَ لِي عَلَى مَجْرِ هِنْدٍ
رَبِّ حَمَلْتَنِي مِنَ الْحُبِّ ثِقْلًا رَبِّ لَا صَبْرَ لِي، وَلَا عَزَمَ عِنْدِي
ليس حُبِّي لها بِبِدْعَةِ أَمْرِ قَدْ أَحَبَّ الرِّجَالُ قَبْلِي وَبَعْدِي

٥١ حب تحت المطر

فَلَسْتُ بِنَاسٍ لَيْلَةَ الدَّارِ مَجْلِسًا لِيَزَيْنَبَ حَتَّى يَغْلُوَ الرَّأْسُ رَامِسُ
لن أنسى ذلك المجلس مع زينب حتى يعلو رأسي الرامس، والرمس هو القبر ولعل الرامس مثله

فَمَا نِلْتُ مِنْهَا مَحْرَمًا غَيْرَ أَنَّنَا كِلَانَا مِنَ الثَّوْبِ الْمُورَدِ لَا يَسُ

لم أنل منها ما يحرم الدين، لكننا كنا كلانا لابسين ثوباً واحداً - وبالأمانة كان
مورداً - . . وعلق صديقه عتيق على هذا البيت: فأبي محرم بقي؟ فأخبره عمر بأن السماء
أمطرت فأمر غلامانه فستروهما بكساء خز. فقال عتيق: هذا البيت يحتاج إلى حاضنة

٥٢ آخر الشعر

قيل إن عمر حلف في شيخوخته لا يقول بيتاً إلا أعتق عبداً.
 فسمع شكوى محبٍّ فهاج شوقه، فقال هذه الأبيات، ثم أعتق عبداً لكل بيت:
 تقولُ وَلِيَدَتِي لَمَّا رَأَتْنِي طَرِبْتُ، وَكُنْتُ قَدْ أَقْصَرْتُ حِينًا:
 رَأَتْنِي ابْتِي، أَوْ جَارِيَتِي، وَقَدْ اهْتَزَّتْ طَرِباً وَاشْتِيَاقاً وَحَسْرَةً - والطرب يجمع كل هذه المعاني -،
 وَكُنْتُ مِنْذُ زَمَنٍ قَدْ كَفَفْتُ عَنِ الْغَزْلِ

أَرَاكَ الْيَوْمَ قَدْ أَخَذْتُ شَوْقاً وَعَادَ لَكَ الْهَوَى ذَاءَ دَفِينَا
 فَقُلْتُ شَكَا إِلَيَّ أَخٌ مُحِبٌّ كَبِعَضِ زَمَانِنَا إِذْ تَعْلَمِينَا
 فَقَصَّ عَلَيَّ مَا يَلْقَى بِهِنْدٍ فَوَافَقَ بَعْضَ مَا قَدْ تَعْرِفِينَا
 وَذُو الْقَلْبِ الْمُصَابِ وَلَوْ تَعَزَّى مَشُوقٌ حِينَ يَلْقَى الْعَاشِقِينَ

٥٣ دعوة لسهرة

قَالَتْ لِنَائِلَةَ: اذْهَبِي قَوْلِي لَهُ إِنْ كَانَ أَجْمَعَ رَحْلَةَ أَصْحَابُهُ
 قالت المحبوبة لنائلة: قولي لعمر أن يتأخر ولا يرحل مع أصحابه إن قرروا رحلاً
 فَلْيَبْقَ بَعْدَهُمْ لَدَيْنَا لَيْلَةً فَلَهُ عَلَيَّ بِأَنْ يُجَادَ ثَوَابُهُ
 ليق بعدهم ليلة عندي، وله عليّ أن أكون سخية في مكافأته
 قُلْتُ اذْهَبِي قَوْلِي لَهَا: قَدْ طَالَ مَا حُبِسْتُ لَدَيْكَ عَلَى الْكَلَالِ رِكَابُهُ
 قلت لنائلة، قولي للمحبوبة: كثيراً ما وقف ببابك وحس نياقه رغم الكلال، أي التعب
 بِئْنَا بِأَنْعَمِ لَيْلَةٍ وَأَلْذَهَا لِلنَّفْسِ، مَا سَتَرَ الصَّبَاحَ حِجَابُهُ
 بتنا بليلة لذينة استمرت ما ظل الصباح محجوباً بالظلمة

٥٤ الزمن المتقلب

خَلِيلَيَّ عُوْجَا، حَيِّيًا الْيَوْمَ زَيْنَبَا وَلَا تَشْرُكَانِي صَاحِبَيَّ وَتَذَهَبَا
 يا صاحبي عوجا، ميلا عن الطريق، لكي نحيا أطلال زينب، ولا تتركاني وحدي
 فَلَا مَرَحَبًا بِالشَّامِتِينَ بِهَجْرِنَا وَلَا زَمَنٍ أَضْحَى بِنَا قَدْ تَقَلَّبَا

٥٥ تراجع سريع

أُضْبِحَ الْقَلْبُ قَدْ صَحَا وَأَنَابَا هَجَرَ اللَّهُوَ وَالصُّبَا وَالرَّبَابَا
أَنَاب: رجع وتاب، الصُّبَا: العشق

كُنْتُ أَهْوَى وَصَالَهَا فَتَجَنَّثْتُ ذَنْبَ غَيْرِي فَمَا تَمَلُّ الْعِتَابَا
أَلصَقْتُ بي ذنب غيري وتجنَّثْتُ عليَّ، وأكثرْتُ من العتاب

فَتَعَزَّيْتُ عَنْ هَوَاهَا لِرُشْدِي حِينَ لَاحَ الْقَذَالُ مِنِّي فَشَابَا
فطيت نفسي عن تركي هواها، وقد بان في قذالي، أي مؤخر رأسي، الشيب

بَعَثْتُ لِلْوِصَالِ نَحْوِي وَقَالَتْ: إِنَّ لَلَّهِ ذَرَّةً كَيْفَ تَابَا
هي بعثت لي تريد إحياء الهوى متعجة من توبتي

إِنْ لَمْ أَضْرِفْهُ لِلَّذِي قَدْ هَوَيْنَا عَنْ هَوَاهُ فَلَا أَسْفُتُ الشَّرَابَا
وحلفت ألا تلذ شربة ماء إن لم تنجح في مسعاها

فَأَتَاهَا لِلْحَيْنِ يَغْدُو سَرِيعاً وَعَصَى فِي هَوَى الرَّبَابِ الصُّحَابَا
بسرعة أجابها عمر للحين، للموت.. أي أجابها لما فيه موته عشقاً، وعصى في هواها الناصحين من أصحابه

كُنْتُ أَعْصِي النَّصِيحَ فَيْكَ مِنَ الْوَجْدِ وَأَنْهَى الْخَلِيلَ أَنْ يَرْتَابَا
لشدة وجدي وشغفي بك كنت أعصي الناصح، وأنهى الصديق أن يشكك في جدوى هذه العلاقة

فَابْتُلَيْتُ الْغَدَاةَ مِنْهُ بِشَيْءٍ سَلَّ جِسْمِي وَعُدْتُ شَيْئاً عُجَابَا
واليوم ابتليت من الوجد بشغف مضاعف سل جسمي وبراه برياً، وجعلني أعجوبة

٥٦ لا تلمني عتيق

لَا تَلْمُنِي «عَتِيقُ»، حَسْبِي الَّذِي بِي وَالتَّمَسُّ لِي الدَّوَاءُ عِنْدَ الطَّبِيبِ
إن قلبي ما زال مِنْ أَمِّ عَمُرٍ ضَمِنَاً بَعْدَ لَيْلَةِ التَّخْصِيبِ
ما زال قلبي ضمناً، سقيماً، من ذلك اللقاء مع أم عمرو بعد ليلة رمي الجمار

٥٧ الصلح مع «الثرى»

قَالَ لِي صَاحِبِي لِيَعْلَمَ مَا بِي: أَتَحِبُّ الْقَتُولَ أُخْتَ الرَّبَابِ

قُلْتُ وَجَدِي بِهَا كَوَجْدِكَ بِالْعَذِّ ب، إِذَا مَا مُنِعْتَ طَعْمَ الشَّرَابِ

حبي لها كحبك الماء بعد إذ مُنِعَتْ منه

مَنْ رَسُولِي إِلَى «الثَّرِيَا»؟ فَإِنِّي ضِيقْتُ ذَرْعاً بِهَجْرِهَا وَالكِتَابِ

من يسمى في الصلح بيني وبين الثريا؟ فقد ضقت ذرعاً بالهجر وكتاب الله . هذا معنى البيت . .
وتكملة القصة أن ابن أبي عتيق ركب من فوره ليصلح بين الثريا وبين عمر، وأخذ عمر معه إلى
الطائف حيث تقضي الثريا الصيف، وأصلح بينهما

أَزْهَقْتُ أَمْ نَوَفَلٍ إِذْ دَعَتْهَا مُهْجَتِي، مَا لِقَاتِلِي مِنْ مَتَابِ

أم نوفل، وصيفة الثريا أو قريبتها، أزهرت روعي عندما نادى الثريا؛ وليس لقاتلي توبة

حِينَ قَالَتْ لَهَا أَجِيبِي، فَقَالَتْ: مَنْ دَعَانِي؟ قَالَتْ: أَبُو الْخَطَّابِ

قالت لها إن عمر، وكنيته أبو الخطاب، ينتظرك

فَأَجَابَتْ عِنْدَ الدُّعَاءِ كَمَا لَبَّ- سِى رِجَالٌ يَرْجُونَ حُسْنَ الثَّوَابِ

لبث الثريا الدعوة، وجاءت مسرعة، مثلما يلي دعوة ربه رجاء يرجون حسن الثواب بقصد
بيت الله الحرام

وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحْيِرَ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْحَدِيثِ مَاءُ الشَّبَابِ

هي مكنونة، مخدرة ومخبأة في البيت لا تظهر للشمس، وفي أديم خديها،
أي جلدها نضارة الشباب

أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أَثَرَابِ

كانت كبقرة الوحش تهادى بين أترابها الكواعب، الفتيات اللاتي نهدت صدورهن

دُمِيَّةٌ عِنْدَ رَاهِبٍ ذِي اجْتِهَادٍ صَوَّرُوهَا فِي جَانِبِ الْمُحَرَّابِ

هي كتمثال في صومعة راهب مجتهد في العبادة

ثُمَّ قَالُوا: تُحِبُّهَا؟ قُلْتُ بَهْرًا: عَدَدَ النَّجْمِ وَالْحَصَى وَالشَّرَابِ

قالوا لي: أنتحبها؟ فقلت مبهوراً، أي بعد أن تنهَّدْتُ وأصابني البهر أي انقطاع النفس: أحبها عدد
النجوم وعدد الحصى وحبات الرمل

٥٨ المهریق ماء

إِنْ تَبْذُلِي لِي نَائِلًا يَشْفِي بِهِ سَقْمُ الْفَوَادِ. فَقَدْ أَطْلَلْتُ عَذَابِي

هلاً بذلت لي من وصلك ما يشفي فؤادي؟ فلقد أطلت عذابي بالهجر

وَعَصَيْتُ فِيكَ أَقَارِبِي فَتَقَطَّعَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ عُرَى الْأَسْبَابِ
وعصيت أقاربي الذي نصحوني بالابتعاد عنك، وتقطعت العلاقات بيني وبينهم. والأسباب في الأصل هي الجبال

وَتَرَكْتَنِي لَا بِالْوِصَالِ مُتَمَعًا يَوْمًا، وَلَا أَسَعَفْتَنِي بِثَوَابٍ
لم أنل منك شيئاً. لا نلت وصالك، ولا أبقيت على علاقتي مع أقاربي. كذا أراد أن يقول
فالتوى عليه الكلام، وكثيراً ما يلتوي، فقد كان عمر شاعراً مسترخياً يقول الأبيات كيفما اتفق،
فيتلففها أصحابه وينشرونها وهي أحوج ما تكون إلى التقيح

فَقَعَدْتُ كَالْمُهْرِيْقِ فَضْلَةَ مَائِهِ فِي حَرِّ هَاجِرَةٍ لِلْمُعِ سَرَابٍ
أصبحت كمن أراق بقية الماء من قربته في حر الظهيرة عندما رأى سراباً فحبه ماء

٥٩ العجب العاجب

وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ فِي جَانِبٍ مِّنَ الْأَرْضِ وَاعْتَزَلْتُ جَانِبَا
لَأَتَّبَعْتُ طِيَّتَهَا، إِنَّنِي أَرَى دُونَهَا الْعَجَبَ الْعَاجِبَا
لتبعنها وتوجهت إلى جهتها، فهي تعجبني جداً

٦٠ قُبِّلَنِي

أَحِبُّ لِحُبِّ عَبْلَةٍ كُلِّ صَهْرٍ عَلِمْتُ بِهِ لِعَبْلَةٍ أَوْ صَدِيقٍ
وَلَوْ لَا أَن تَعَنَّفَنِي قُرَيْشٌ وَقَوْلُ النَّاصِحِ الْأَدْنَى الشَّفِيقِ
لَقُلْتُ إِذَا التَّقِينَا: قُبِّلَنِي، وَلَوْ كُنَّا عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ

٦١ فُكِّلَنِي: اسْكُنِي

فَلَمَّا التَّقِينَا وَاطْمَأْنَنْتُ بِنَا النَّوَى وَغُيِّبَ عَنَّا مَن نَخَافُ وَنُشْفِقُ..
لما التقينا واطمأنت بنا النوى ولم يكن في الجوار من نخاف منه..
أَخَذْتُ بِكَفِّي كَفَّهَا فَوَضَعْتُهَا عَلَى كَيْدٍ مِّنْ خَشْيَةِ الْبَيْنِ تَخْفِقُ
أخذت كفها ووضعتها على كيدي التي تخفق خشية فراق جديد
فَقَالَتْ لِأَثْرَابٍ لَهَا حِينَ أَيْقَنْتُ بِمَا قَدْ أَلَاقِي إِنْ ذَا لَيْسَ يَصْدُقُ
تقول لصاحباتها - رغم أنها تأكدت من مبلغ حيي - إن الرجل ليس صادقاً
فَقُلْنِ: أَتَبْكِي عَيْنُ مَنْ لَيْسَ مُوجِعًا كَثِيبًا وَمَنْ هُوَ سَاهِرُ اللَّيْلِ يَأْرَقُ؟
فقلن لها: أويكي من ليس موجع القلب، ومن هو ساهر الليل يأرق؟

فَقُمْنَ لِكُنْيِ يُخْلِيَنَنَا، فَتَرَقَّرَتْ مَدَامِعُ عَيْنَيْهَا، فَظَلَّتْ تَدْفُقُ

قامت صاحباتها يردن أن يتركن لنا الجور، فبكت المحبوبة..

وَقَالَتْ: أَمَا تَرَحَّمْنِي أَنْ تَدْعَنِي لَدَيْهِ، وَهُوَ فِيمَا عَلِمْتُنَّ أُخْرَقُ

قالت لهن: كيف تركتني لديه وهو أخرق متهور؟

فَقُلْنَ: اسْكُتِي عَنَّا فَغَيْرُ مُطَاعَةٍ لَهْوَ بِكَ مِنَّا، فَأَعْلَمِي ذَاكَ، أَرْفُقُ

قلن لها: اسكتي. لن نطيعك. هو أرفق بك منا

فَقَالَتْ: فَلَا تَبْرَحْنَ ذَا السُّتْرِ، إِنَّنِي أَخَافُ وَرَبَّ النَّاسِ مِنْهُ وَأَفْرُقُ

فقالت لهن: لا تبتعدن عن الستر فانا أفرق منه، أي أخاف

٦٢ تحويل طريق

جَعَلْتُ طَرِيقِي عَلَى بَابِكُمْ وَمَا كَانَ بِأَبْكُمْ لِي طَرِيقًا

صَرَمْتُ الْأَقَارِبَ مِنْ أَجْلِكُمْ وَصَافَيْتُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِي صَدِيقًا

صرمت: قاطعت، صافيت: هادئت وصادقت

٦٣ حدث في الطواف

أَدْخَلَ اللَّهُ رَبُّ مُوسَى وَعِيسَى جَنَّةَ الْخُلْدِ مَنْ مَلَانِي خَلْقًا

أدخل الله الجنة من ملاني خلقاً، أي طيباً

مَسَحَتْهُ مِنْ كَفِّهَا بِقَمِيصِي حِينَ طَافَتْ بِالْبَيْتِ مَسْحًا رَفِيقًا

غَضِبْتُ أَنْ نَظَرْتُ نَحْوَ نِسَاءٍ لَيْسَ يَعْرِفُنَا مَرَزْنَ الطَّرِيقَا

وَأَرَى بَيْنَهَا وَبَيْنَ نِسَاءٍ كُنْتُ أَهْذِي بِهِنَّ بَوْنًا سَحِيقًا

ما أبعد الفرق بينها وبين غيرها من النساء

٦٤ بانوا بنعم

بَانُوا بِنُعْمٍ، فَلَسْتُ نَاسِيَهَا مَا اهْتَزَّ فِي غُصْنِ أَيْكَةٍ وَرَقُ

رحلوا ومعهم نعم، ولن أنساها أبداً، ما اهتز الورق في غصن الأيكة، أي الشجرة

الطَّبْيُ فِيهِ مِنْ خَلْقِهَا شَبَةٌ: النَّحْرُ وَالْمُقْلَتَانِ وَالْمُعْنُ

٦٥ العين الناطقة

تَكَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ تَنْطِقُ عَيْنُهُ بِعَبْرَتِهِ، لَوْ كَانَتِ الْعَيْنُ تَنْطِقُ

٦٦ يا حَبْنِي لَهُم

لَيْتَ شِعْرِي، غَدَاةَ بَانُوا وَفِيهِمْ صُورَةُ الشَّمْسِ، أَيْنَ يُرْجَى التَّلَاقِي؟
لَسْتُ أَدْرِي، صَبِيحَةَ رَحِيلِهِمْ وَمَعَهُمُ الْمَحْبُوبَةُ الَّتِي هِيَ كَالشَّمْسِ، كَيْفَ يَكُونُ التَّلَاقِي مِنْ بَعْدِ
إِنْ قَلْبِي لَفِيكُمْ الْيَوْمَ رَهْنٌ لِشَقَائِي، وَحُبِّ أَهْلِ الْعِرَاقِ!
حُبٌّ: أَيُّ يَا حَبْنِي لَأَهْلِ الْعِرَاقِ! هَكَذَا ضَبَطَهَا وَفَسَّرَهَا مُحِبِّي الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ. وَيَقُولُونَ فِي
عَامِيَتِهِمْ «يَا حَبْنِي لَهُ» أَيُّ مَا أَحَبَّهُ إِلَى قَلْبِي!

٦٧ الوثيرات

أَسِيلَاتُ أَبْدَانٍ دِقَاقُ خُصُورُهَا وَثِيرَاتُ مَا التَّقَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَا حِفْ
نِسَاءً طَوَالَ الْجِسْمِ، خُصُورُهُنَّ نَحِيلَةً، وَلَكِنْ عَجِزَاتُهُنَّ، حَيْثُ يَلْفِفْنَ الْمَلَاءَاتِ،
وَوَثِيرَةٌ سَمِينَةٌ

إِذَا قُمْنَ أَوْ حَاوَلْنَ مَشْيًا تَأْطَرَأُ إِلَى حَاجَةِ مَا لَتْ بِهِنَّ الرُّوَادِفُ
إِنْ قُمْنَ لِبَعْضِ حَاجَاتُهُنَّ، أَوْ إِنْ أَرَدْنَ الْمَشْيَ تَأْطَرَأُ، أَيُّ تَتَنَبَّأُ،
مَالَتْ أَجْسَامُهُنَّ بِفَعْلٍ ثَقُلَ الْأَرْدَافُ

٦٨ الباكي

تَأَوَّبَ عَيْنُهُ وَهَنًا قَذَاهَا وَذَاوَاهَا الطَّبِيبُ فَمَا شَفَاهَا
عَادَ إِلَى عَيْنِهِ الْقَذَى وَهَنًا، لَيْلًا، لِكَثْرَةِ مَا بَكَى

٦٩ ربة البغلة

يَا رَبَّةَ الْبَغْلَةِ الشَّهْبَاءِ هَلْ لَكُمْ أَنْ تَرْحَمِي عَمَرًا، لَا تُرْهِقِي حَرْجًا
يَا صَاحِبَةَ الْبَغْلَةِ الْبَيْضَاءِ ارْحَمِينِي، وَلَا تَرْهِقِي رَجُلًا هَيَّابًا، يَر_اقِبُ شَتَى الْمُحَازِيرِ
قَالَتْ بِدَائِكَ مَتَّ، أَوْ عِشْ تَعَالِجْهُ فَمَا نَرَى لَكَ فِيمَا عِنْدَنَا فَرْجًا
حَتَّى لَوْ أَسْطِيعُ، مِمَّا قَدْ فَعَلْتُ بِنَا، أَكَلْتُ لَحْمَكَ مِنْ غِيظِي، وَمَا نَضِجَا
لَوْ أَسْطِيعُ لِأَكَلْتُ لَحْمَكَ نَيْتًا لِأَنَّكَ فَضَحْتَنِي بِشَعْرِكَ

٧٠ رسول شمس

بَعَثْتُ وَلِيدَتِي سَحَرًا وَقُلْتُ لَهَا: خُذِي حَذْرَكَ
وليدته: جاريته

وَقُولِي فِي مُعَاتَبَةٍ لِزَيْنَبَ نَوْلِي عُمَرَكَ
فَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَجَبًا وَقَالَتْ: مَنْ بِذَا أَمْرِكَ
زينب تخاطب الجارية: من أمرك بهذا؟

أَهَذَا سِخْرُكَ النُّسُورَا ن؟ قَدْ خَبَّرَنِي خَبْرَكَ
وَقُلْنَا إِذَا قَضَى وَطَرًا وَأَذْرَكَ حَاجَةً هَجْرَكَ

٧١ كوجد الجن والإنس

إِنِ الْخَلِيطَ تَصَدَّعُوا أَمْسِ وَتَصَدَّعْتَ لِفِرَاقِهِمْ نَفْسِي
الخليط، أي الجيران، تصدعوا، أي تفرقوا، ورحلوا أمس، وتصدعت، أي تحطمت،
نفسي بفراقهم

وَوَجَدْتُ وَجْدًا كَانَ أَهْوَنُهُ كَأَشَدُّ وَجْدِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ
وجدت، أي حزنت كثيراً

وَتَبَيْتُ عَوَادِي وَقَدْ يَتُّسُوا مِنِّي، وَأُضِيحُ مِثْلَمَا أُمْسِي
زواري يشعرون باليأس من حياتي

٧٢ العاشقة

وَمَحَدَّتٍ قَدْ بَاتَ يُؤْنِسُنِي رَجُصِ الْبَنَانِ، مُهْفَهَفِ الْخَضِرِ
رب محدثة آتستني وهي رخصة البنان، طرية الأصابع، مهففة الخضر، نحيلته

وَيُذِيقُنِي مِنْهُ عَلَى وَجَلٍ عَذْبًا كَطْعَمِ سُلَاقَةِ الْخَمْرِ
وهي تذاقني ريقها الذي طعمه كالخمر

فِي لَيْلَةٍ كَانَتْ مُبَارَكَةً ظَلَّتْ عَلَيَّ كَلِيلَةَ الْقَدْرِ
حَتَّى إِذَا مَا الصُّبْحُ أَذَّنَا وَبَدَتْ سَوَاطِعُ مِنْ سَنَا الْفَجْرِ
جَعَلْتُ تُحَدِّرُ مَاءَ مُقْلَتِهَا وَتَقُولُ: مَا لِي عَنْكَ مِنْ صَبْرِ

٧٣ عذوبة الريق

وَلَوْ تَقَلَّتْ فِي الْبَحْرِ، وَالْبَحْرُ مَالِحٌ لِأَصْبَحَ مَاءُ الْبَحْرِ مِنْ رِيْقِهَا عَذْبًا

٧٤ لولاك لم أحجج

أَوَمَتَ بِعَيْنَيْهَا مِنَ الْهُدُجِ لَوْلَاكَ هَذَا الْعَامَ لَمْ أُحْجِجِ
أومات إلي بعينها وهي في هودجها، وقالت: لولا أنت لم آت إلى مكة للحج

أَنْتَ إِلَى مَكَّةَ أَخْرَجْتَنِي وَلَوْ تَرَكْتَ الْحَجَّ لَمْ أَخْرُجِ

٧٥ موقف وقبلة

لَمَّا تَعَاظَمَ أَمْرُ وَجْدِي فِي الْهَوَى وَكَلِفْتُ شَوْقًا بِالْغَزَالِ الْأَذْعَجِ
لما كبر غرامي وشوقي للغزال ذي العينين الواسعتين

فَوَضَعْتُ كَفِّي عِنْدَ مَقْطَعِ خَصْرِهَا فَتَنَفَّسْتُ نَفْسًا فَلَمْ تَتَلَهَّجِ
لم ترتبك، وإن أخذت نفساً عميقاً، إذ لمست خصرها

فَلَزِمْتُهَا فَلَزِمْتُهَا فَتَفَرَّعَتْ مِنِّي وَقَالَتْ: مَنْ؟ فَلَمْ أَتَلَجَّلَجِ
ضمتها وقبلتها، فعندئذ جفلت. ولكنني لم أتردد

قَالَتْ وَعَبِشِ أَبِي وَحَرَمَةَ إِخْوَتِي لِأَنْبُهَنَّ الْحَيَّ إِنْ لَمْ تَخْرُجِ
فَخَرَجْتُ خَوْفَ يَمِينِهَا، فَتَبَسَّمْتُ فَعَلِمْتُ أَنْ يَمِينَهَا لَمْ تَحْرَجِ
خشي من غضبتها فخرج، فابتسمت، فعلم أن يمينها لم تحرج، أي كانت مجرد لغو

فَتَنَاوَلْتُ رَأْسِي لِتَعْلَمَ مَسَّهُ بِمُخَضَّبِ الْأَطْرَافِ غَيْرِ مُشَنِّجِ
أمسكت برأسه - ها هي تريد تقييله بنفسها - وكفها مخضبة عند البنان وناعمة

فَلَزِمْتُ فَاها آخِذًا بِقُرُونِهَا شُرْبَ النَّزِيفِ بِبَرْدِ مَاءِ «الْحَشْرِجِ»
أمسك بقرونها، أي بجاني رأسها، وقبلها وذاق ريقها بشغف مثلما يمتص الزيف، العطشان، ماء ذلك النبع

٧٦ ضرورة العشق

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ وَلَمْ تَذْرِ مَا الْهَوَى فَكُنْ حَجْرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلْمَدًا

٧٧ في الصحراء

وَنَاهِدَةَ الثَّدْيَيْنِ قُلْتُ لَهَا: اَتَكْنِي عَلَى الرَّمْلِ مِنْ جَبَانَةٍ لَمْ تُوسِّدِ
رب فتاة قلت لها اتكني على الرمل في جبانة، أي صحراء، لم يسبق لأحد أن توسدها.. كذا
فهت المعنى

فَقَالَتْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ أَمْرُكَ طَاعَةٌ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ كَلَّفْتَ مَا لَمْ أُعَوِّدِ
فَأطاعني، قائلة إنها تتكلف فعل شيء لم تعدد عليه

فَمَا زِلْتُ فِي لَيْلٍ طَوِيلٍ مُلْتَمِئًا لَذِيذَ رُضَابِ الْمِسْكِ كَالْمُتَشَهِّدِ
ظللت ليلي ملتمئاً، أي مقبلاً، فمها راشقاً ريقها الذي كالمسك المشوب بالعسل

فَلَمَّا دَنَا الْإِصْبَاحُ قَالَتْ: فَضَحْتَنِي فَقُمْ غَيْرَ مَطْرُودٍ، وَإِنْ شِئْتَ فَازْدِدِ
فَقَامَتْ تُعَقِّي بِالرِّدَاءِ مَكَانَهَا وَتَطْلُبُ شَذْرًا مِنْ جُمَانٍ مُبْدُو
جعلت تعفي بالرداء، تمسح بالثوب الأثر، وتبحث عن جبات لؤلؤ تبددت عندما انشر عقدها

٧٨ عليها جسم!

أَبَتْ الرِّوَادِفُ وَالثَّدْيِي لِقَمِصِهَا مَسَّ الْبُطُونِ، وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورًا
لكبر أردافها وثديها فقميصها لا يمس البطن ولا الظهر. أعمل خيالك ولا تلجني
إلى مزيد من الشرح

وَإِذَا الرِّيحُ مَعَ الْعَيْشِيِّ تَنَاوَحَتْ نَبَّهْنَ حَاسِدَةً وَهَجْنَ غَبُورًا
فإذا هبت الريح مساء وصدر منها صوت كالنواح، التصق القميص بجسمها فبدت فنته كاملة
فتنبهت الحاسدة واهتاج الزوج أو الأخ الغيور

٧٩ ليله تزوج عشرا

خَبَّرُوهَا بِأَنْسِي قَدْ تَزَوَّجَ تَ فَظَلْتُ تُكَاتِمُ الْعَبِيطَ سِرًّا
ثم قالت لأختها ولأخرى جَزَعًا: لَيْتَهُ تَزَوَّجَ عَشْرًا
وَأَشَارَتْ إِلَى نِسَاءٍ لَدَيْهَا لَا تَرَى دُونَهُنَّ لِلْسَرِّ سِرًّا:
وعظامي إخال فيهن فئرا
مِنْ حَدِيثٍ نَمَى إِلَيَّ فَطَبِيعُ خِلْتُ فِي الْقَلْبِ مِنْ تَلَطُّبِهِ جَمْرًا
من حديث فطيع نَمَى إِلَيَّ، أي بلغني، جعل القلب يلتهب ويتلظى

٨٠ الترقيع

رَأَيْنَ الْغَوَانِي الشَّيْبَ لَاحَ بِمَقْرِقِي فَأَعْرَضَنَ عَنِّي بِالْخُدُودِ النَّوَاضِرِ
رأت الفتيات الشيب قد بدا وسط رأسي فأعرضن عني، وأشحن بخدودهن النضرة

وَكُنَّ إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَوْ سَمِعْتَنِي سَعَيْنَ فَرَقْنَنَ الْكُوى بِالْمَحَاجِرِ
وفي الماضي كن عندما يرينني أو يسمعنني، يلصقن أعينهن بثقوب الخيمة لرؤيتي، فكانهن يرقعن الثقوب بعيونهن

٨١ ألسنت تبصر من حولي؟

قَالَتْ وَأُبْشِئْتُهَا سِرِّي وَبُحْتُ بِهِ قَدْ كُنْتُ عِنْدِي تُحِبُّ السُّنْرَ، فَاسْتَتِرَ
خبرتها بمكنون عواطفها تجاهها، فقالت: كنت فيما مضى كتوماً! فاستتر الآن

أَلَسْتُ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي؟ فَقُلْتُ لَهَا: غَطَى هَوَاكِ، وَمَا أَلْفَى، عَلَى بَصْرِي
ألا ترى الناس حولي؟ فأجبته: لقد غطى حبك، وغطى ما ألقاه من الألم، على بصري فلم أر هؤلاء القوم حولنا

٨٢ منتهى الجبور

لَعَمْرِي لَقَدْ نِلْتُ الَّذِي كُنْتُ أَرْتَجِي وَأَصْبَحْتُ لَا أَخْشَى الَّذِي كُنْتُ أَخْذَرُ
فليس كمثلي اليوم كسرى وهزمز ولا الملك النعمان مثلي وقبصر

٨٣ يا عمّتا

تَقُولُ: يَا عَمَّتَا كُفِّي جَوَابَهُ، وَيَلِي بُلْبُثٌ وَأَبْلَى جِيدِي الشَّعْرُ
البت تقول للماشطة: أبعدني جواب شعري عن وجهي وعنفي، قد ابتليت بهذا الشعر. كذابة، هي به مفتخرة

مِثْلُ الْأَسَاوِدِ قَدْ أَعْيَا مَوَاشِطُهُ تَضِلُّ فِيهِ مَدَارِيهَا وَتَنْكَسِرُ
شعرها مثل الأساود، الحيات، يُتعب الماشطات، وتوه فيه المداري، الأمشاط، وتنكسر لجثولته وكثافته

٨٤ كتب القتل والقتال علينا

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْكَبَائِرِ عِنْدِي قَتْلَ حَسَنَاءٍ عَادَةٍ عُطْبُولٍ
من الفظائع قتل حسناء عطبول، طويلة العنق

قَتَلْتُ بَاطِلًا عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ إِنَّ لِلَّهِ دَرَمًا مِنْ قَتِيلٍ
كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ

القتل والقتال للرجال؛ والنساء عليهن فقط جر ذيول ملابسهن لفتنة الرجال. تقول القصة إن الوالي قتل عمرة بنت النعمان لأنها دعت بالنبوة للمختار الثقفي، فقال عمر الأبيات

٨٥ يا ذا الذي

يا ذا الذي في الحبِّ يَلْحَى أَمَا تَخْشَى عِقَابَ اللَّهِ فِيْنَا أَمَا . .

يلحى: يلوم ويؤنب

تَعْلَمُ أَنَّ الْحُبَّ دَاءٌ أَمَا وَاللَّوْ لَوْ حُمِلَتْ مِنْهُ كَمَا . .
حُمِلْتُ مِنْ حُبِّ حَبِيبِي لَمَّا لُمْتُ عَلَى الْحُبِّ فَدَعْنِي وَمَا . .
أَظْلُبُ، إِنِّي لَسْتُ أَذْرِي بِمَا أَصِيبْتُ، إِلَّا أَنَّنِي بَيْنَمَا . .
أَنَا بِبَابِ الْقَصْرِ فِي بَعْضِ مَا أَظْلُبُ مِنْ قَضَرِهِمْ إِذْ رَمَى . .
شِبْهُ غَزَالٍ بِسِهَامٍ فَمَا أَخْطَأَ سَهْمَاهُ وَلَكِنَّمَا . .
عَيْنَاهُ سَهْمَانِ لَهُ كُلَّمَا أَرَادَ قَتْلِي بِهِمَا سَلَّمَا

واضح أن القصيدة منحولة، فمثل هذا الشعر كان يعث به الناس في العصور المتأخرة جداً. لكن، استطرفنا الأبيات، وهي موجودة في الديوان، فنقلناها لك

٨٦ أمنية غريبة

فَيَا لَيْتَ أَنِّي حَيْثُ تَذْنُو مَنِيَّتِي شَمَمْتُ الَّذِي مَا بَيْنَ عَيْنَيْكَ وَالْقَمِ
وَلَيْتَ سُلَيْمَى فِي الْمَنَامِ ضَجِيعَتِي لَدَى الْجَنَّةِ الْخَضِرَاءِ أَوْ فِي جَهَنَّمَ
إذا كنت مستعداً لدفع هذا الثمن الباهظ فلماذا تريدها ضجيعة في المنام فقط؟

٨٧ الثريا وسهيل

قيل زوجوا الثريا بنت علي العيشمية، حبيبة عمر، من رجل اسمه سهيل ورحل بها إلى الشام، فقال عمر:

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيَا سُهَيْلًا عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

يا من زوّج الثريا بسهيل، كيف يلتقيان بحق الله؟

هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي
الثريا مجموعة نجوم شامية، تظهر في الشمال، وسهيل نجم، يكون إذا استقلَّ وارتفع،
يمانياً جنوبياً

٨٨ لَا تَكُنْهُ

خَانَكَ مَنْ تَهَوَّى فَلَا تَخُنْهُ
وَكُنْ وَفِيًّا إِنْ سَلَوْتَ عَنْهُ
وَأَسْلُكَ سَبِيلَ وَضْلِهِ، وَضْنُهُ
إِنْ كَانَ غَدَّارًا فَلَا تَكُنْهُ
أي فلا تكن أنت غداراً

عمر بن أبي ربيعة
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

٧٧	تُوسِدِ	٥٩	جَانِبَا
٣٤	لَحْدِي	٧٣	عَذْبَا
٥٠	هِنْدِ	٥٥	وَالرَّيَابَا
٣٣	نَجْدِ	٥٤	وَتَذَهَبَا
٧٩	سِرَا	٥٧	الرَّيَابِ
٧	ضِرَارَا	٥٦	الطَّيِّبِ
٧٨	ظُهورَا	٤٦	بِخِضَابِ
٦	مَا رَا	٥٨	عَذَابِي
١٠	مُنْكَرَا	٤٧	بِاللَّعِبِ
٨٢	أَحْذَرُ	٥٣	أَصْحَابُهُ
٨٣	الشَّعْرُ	٤٨	عَرَفَاتِ
٢	تَنْبِيرُ	٦٩	حَرِجَا
٤	عَدَرُوا	٧٤	أَحْجَجِ
١	فَمَهْجَرُ	٧٥	الْأَذْعَجِ
٣	مُبْتَدِرُ	٧٦	جَلَمَدَا
٧٢	الْحَضَرِ	٣٥	جَهْدَا
٨٠	التَّوَاضِرِ	٣٢	عِيدَا
٩	خُبِرِ	٤٩	عَدَا

٣٨	الرحيل	٨١	فاسْتَبْرِرْ
٣٧	التُّجَلِ	٨	وَالْحَجَرِ
٨٤	عُطْبُولِ	٥	وَسِوَارِ
٣٦	قَتْلِي	١١	السَّجَرِ
٣٩	وَائْتِهَالِ	٧٠	حَذَرَكَ
٨٥	أَمَّا	٥١	رَامِسُ
١٨	تَصَرَّمَا	٧١	نَفْسِي
٢٤	سُجُومَا	١٢	بَلَقَعَا
١٩	أَلْوَمُ	١٥	الدُّمُوعُ
١٧	عَارِمُ	١٣	مَهِيْعُ
٢٣	نُعْمُ	١٤	دَعَا
٢١	يَتَكَلَّمُ	٦٧	المَلَا حِفْ
١٦	تَتَكَلَّمِ	٦٨	شَفَاهَا
٢٠	سَقِيمِ	٦٣	خَلُوقًا
٢٢	كَالْعَلَقَمِ	٦٢	طَرِيقًا
٨٦	وَالْفَمِ	٦٥	تَنْطِقُ
٢٧	أَجْنًا	٦٤	وَرَقُ
٣١	حَسَنًا	٦١	وَنُشْفِقُ
٥٢	حِينَا	٦٦	التَّلَاقِي
٢٨	الْأَعْنُ	٦٠	صَدِيقِ
٢٥	يَيْمَانِ	٤٣	جَهْلًا
٣٠	رَمَانِي	٤١	طَوِيلًا
٢٦	شَجَانِي	٤٥	طَوِيلًا
٢٩	فَأَرْقَنِي	٤٢	فَعَلَا
٨٧	يَلْتَقِيَانِ	٤٤	وَالْأَشْعَالَا
٨٨	نَخْنُهُ	٤٠	يُرْسِلَا

جميل بثينة (٤٠ هـ - ٨٢ هـ)

ترى اسم المرأة مركباً من اسم أنثى فاسم ذكر مثل «سناء جميل»، و«سعاد حسني». فيها نحن بإزاء ظاهرة مختلفة.. «جميل بثينة»، و«قيس ليلي».

جميل أن يتسمّى المرء باسم حبيبته. جميل الإخلاص لمحبوبة واحدة.

عاش «جميل بن معمر» في وادي القرى بين مكة والمدينة. وهو من قبيلة عُذرة، ومنها محبوبته بثينة، وترتفع عذرة إلى قضاة وترتفع قضاة إلى مَعَدّ، فهي مضرية من عرب الشمال؛ أو ترتفع إلى حِمير، فهي يمانية من عرب الجنوب، ولأهل الأنساب في انتساب قضاة إلى اليمن أم إلى معد كلام كثير. وقبيلة «عُذرة» هي التي سُمّي الحب العذري باسمها، فقد شاءت الصدف أن يكون عدد كبير من شعراء العشق المميت من هذه القبيلة.

كان جميل شاباً طويلاً وسيماً، وكان أهله على جانب من اليسار. وكما يجب أن تكون القصة فقد عشق بثينة وهما صغيران وبادلته حباً بحب، ونما حبهما وقال فيها شعراً فمنعوه من الزواج بها. وزوجوها من آخر، فظل جميل يزورها ويقول فيها شعراً. أصابه في هذا الطور شيء من الحصار النفسي الداخلي - انتبه إلى أن هذه العبارة مني، وليس لها في علم النفس سند، ولا تحسب أننا نريد إحياء «مدرسة» التحليل النفسي للأدباء التي جعلها العقاد والنويهي تقليعة في أواسط القرن العشرين -. انحصر جميل في بثينة، ووقع في شيء شبيه بما وقع فيه مجنون ليلي من عدم القدرة على الإفلات من هذا الحصار الذي تضربه امرأة بعينها.

يقول برنارد شو إن الشبان يبالغون في مدى الفرق بين فتاة وأخرى.

وصاحبنا جميل بن معمر تضخمت في ذهنه صورة بثينة فلم يستطع إلى غيرها سيلا. وأوصل المقولة الشوثية - نسبة إلى برنارد شو - إلى غايتها.

وقف جميل شعره على بثينة. ولا نجد له فيما بين أيدينا من شعره إلا قليلاً من الفخر، ثم لا شيء إلا بثينة. ورووا في الكتب القديمة بعض القصص عن اتصاله بالخلفاء، ولعلهم ما رووا ذلك إلا ليزعموا أنه رفض مدح أحد.

لم يشكك القدماء، ولا شكك المحدثون في وجود شخصية جميل. فهو قد كان. ونقلوا لنا شيئاً من أخباره مع تلميذه وراويته كثير عزة، وبين أيدينا قصة له مع عمر بن أبي ربيعة. لكننا نشك في كثير من القصص التي أوردها صاحب الأغاني عن غرام جميل. وصدق من قال، ولعله بروكلمان، إن الكثير من أمثال هذه القصص إنما وضعت لكي توفر سياقاً لأشعار وصلت ولم يصل معها سياق.

في آخر حياته القصيرة - وعاش ٤٢ سنة - توجه جميل إلى مصر، وبها مات.

لئن شكك المشككون من القدماء في وجود شخصية قيس بن الملوح، مجنون ليلى، وجعلوا كل ما ورد من شعر عنه منحولاً، فإن لجميل شأناً آخر. قلنا إنه قد كان، فقد رأيناه تحت ضوء بعض القرائن التاريخية. على أن الدليل الأدل على وجوده شعره. فهذا الشعر الذي وصلنا عنه يمثل شخصية واضحة المعالم، إن من حيث اللغة أم من حيث المعنى.

كنا نريد أن نعقد بضع فقرات عن الشعر العذري، ولكننا وجدنا كتب المدارس قد فعلت من ذلك ما يكفي ويزيد. ووجدنا العرب يعرفون عن الشعر العذري أكثر مما يجب أن يعرفه الأسوياء. فأضربنا. والعرب في زمننا مكبوتون رجالاً ونساء.

صديق يعيش في أوروبا، مكث شهراً أو نحو ذلك في بلد عربي، وقال لي: أصبحت مشتتاً في ختام الشهر أن أرى عنق امرأة. قد مررت بشيء من ذلك عندما عشت مدة في بلاد الخليج. وقد أتيت هذه البلاد مرتين: مرة وأنا شاب غض، ومرة وأنا شيخ. وفي المرتين - وبينهما ثلاثون سنة - كان الوضع هو الوضع: لا ترى من المرأة إلا عطرها. في المرة الثانية قلت:

صُفْرَةُ الرملِ في الخليج تَغُرُّ وأنا طامعٌ، وما بي فقرُ

جئته يافعاً، وشعري غاب
ومضت سبعة من الأشهر غادراً
وترحلت بعدها سنوات
وأنتني الخمسون شمطاء؛ غدراً:
وتزوذت، ليتني ما تزود
حصة أنت للجميع ولكن،
يا أبا النفط! هل تأذيت شيئاً
إنها شمسك العنيفة تنسيب
كم بيوت فتحتها في فلسطين
بعضهم شاكر وبعضهم مث
يستر الشكر عورة الأخذ، من يش
عد عن ذا، ففي الخليج نساء
خادرات، فانظر بأنفك وارسم
كف عن ذا، بالله كف، فإن الشـ
صلعتي، سعتي، وكرشي، وعمر
ذات يوم أبئت صبراً على القيـ
فأنتني يا خليج أنك وعد

وأمانني دون عقلي وقـ
ت على إثرها، وحلقي مر
عدد التيه أنقصت منه عشر
قد أتتني وليس في الرأس شعـ
ت، كأني إلى الخليج أجر
مزمن أنت في: سل وعـ
من لسانني، وهل أصابك ضر
ني، وخير من التنكر شر
ن، وكم من أبنائها فيك قرؤا
لي شاك؛ هيهات ما لي عذر
كر ينله خير إن أخذ وسـ
فاتنات يسبيك منهن عطر
صور الحسن، والخيال يسـ
يخ ضيف، والعشق كلب يهـ
منعتني القرى، فأين المفر
ظ إباء، والآن كـلي صبر
للفتى بالغي، وللشيخ قبر

وليس مزاجي بالسوداوي. فقد قضيت ست ساعات في نهار هذا اليوم الذي أكتب لك في مسائه، وأنا في جوار تام مع فتية وفتيات نتدارس أشياء عن اللغة والإعلام في دورة من تلك الدورات، وسعدت بهم سعادة غمرت ساعات نهاري وفاضت على مسائي. على أنها سعادة الشيخ الذي يفتنه حديث الشباب، ويستمتع بما يحس من زيادته عليهم في المعرفة. تلك متعة خبيثة. هذا شيء والفنون شيء آخر.

ستقرأ في شعر جميل المقبل عليك البيت «لكل حديث بينهن بشاشة، وكل قتيل عندهن شهيد». فقد كان صاحبنا شخصاً طبيعياً، يحب مجالسة النساء، ولم يكن مزاجه انتحارياً كقيس بن الملوح، غير أنه وقع في مصيدة العشق.

١ أبيات فرائد

وِدِدْتُ، وَلَا تُغْنِي الْوَدَادَةُ، أَنَّهَا نَصِيبِي مِنَ الدُّنْيَا وَأَنِّي نَصِيبُهَا

* * *

أُرِيدُ لِأَنَسَى ذِكْرَهَا، فَكَأَنَّمَا تَعَمَّلُ لِي لَيْلَى عَلَى كُلِّ مَرْقَبٍ

أريد نسيانها، ولكنها تراءى لي في كل مكان أرقبه وأراه

* * *

وَقَالُوا يَا جَمِيلُ أَتَى أَخُوهَا فَقُلْتُ: أَتَى الْحَبِيبُ أَخُو الْحَبِيبِ

* * *

أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ لَا قِيًّا بُثِينَةً أَوْ يَلْقَى الثُّرَيَّا رَقِيبُهَا؟

الثريا ورقيبها مجموعتان متباعدتان من النجوم

* * *

وَمَا بَكَتِ النِّسَاءُ عَلَى قَتِيلٍ بِأَشْرَفٍ مِنْ قَتِيلِ الْغَانِيَاتِ

* * *

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْظُرْ بِشَيْءٍ طَلَبَتْهُ فَبَعْضُ التَّائِي فِي اللَّبَانَةِ أَنْجَحُ

اللبانة: الحاجة

أَلَا لَبِئَنِي أَغْمَى أَصَمُّ تَقْوُدُنِي بُثِينَةٌ لَا يَخْفَى عَلَيَّ كَلَامُهَا

* * *

لَا لَا أَبُوحُ بِحُبِّ بَثْنَةٍ إِنَّهَا أَخَذَتْ عَلَيَّ مَوَاقِفًا وَعُهُودًا

* * *

أَقْلَبُ طَرْفِي فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهُ يُوَافِقُ طَرْفِي طَرْفَهَا حِينَ تَنْظُرُ

الطَّرف: العين والنَّظَر

* * *

أَمُوتُ وَأَلْقَى اللَّهَ يَا بَثْنُ لَمْ أَبْحَ بِسِرِّكَ، وَالْمُسْتَخِيرُونَ كَثِيرُ

* * *

وَأَنِّي لِلْمَاءِ الْمُخَالِطِ لِلْقَدَى إِذَا كَثُرَتْ وَرَادَهُ لَمَبُوفٌ

ذكر لجميل أن بثينة واصلت رجلاً آخر، فقال إنه يعاف شرب ماء خالطته الشوائب وكثر الوردون عليه

* * *

وَمَا كَانَ حُبِّهَا لِبَذْلِ رَجَوْتُهُ لَدِيهَا، فَأَخَشَى أَنْ يُعَيِّرَهُ الْبُخْلُ

لم أحبها بغرض نيل شي، لذا لن يغير بخلها بهذا «شيء» من عواظني

* * *

وَلَسْتُ عَلَى بَذْلِ الصَّفَاءِ هَوَيْتُهَا وَلَكِنْ سَبَتْنِي بِالذَّلَالِ مَعَ الْبُخْلِ

* * *

يَا عَاذِلِي مِنَ الْمَلَامِ دَعَانِي إِنَّ الْبَلْبَةَ فَوْقَ مَا تَصِفَانِ

٢ أول المودة

وَأَوَّلُ مَا قَادَ الْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا بِوَادِي بَغِيضٍ يَا بُثَيْنَ سَبَابُ

أول لقاء بينهما حدث وهما صغيران يرعيان الأغنام في الوادي، سبأها وسبته

وَقُلْتُ لَهَا قَوْلًا، فَجَاءَتْ بِمِثْلِهِ لِكُلِّ كَلَامٍ يَا بُثَيْنَ جَوَابُ

٣ نعم، يقتله

أَلَا أَيُّهَا النُّوَامُ وَيَحْكُمُ مُبُوَا أَسْأَلُكُمْ هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلُ الْحُبَّ

استيقظوا أيها الناس وأجيبوني: هل يقتل الحب الإنسان قتلاً؟

فَقَالُوا: نَعَمْ حَتَّى يَسْلُ عَظَامَهُ وَيَتْرَكُهُ حَبِرَانَ لَيْسَ لَهُ لُبُّ

قالوا: نعم، وقبل أن يقتله يسل عظامه، أي يستلها من بين العضلات ويبرزها للعيان فيصبح الإنسان جلدًا على عظم، ثم يتركه متحيراً بلا لب، أي بلا عقل

٤ أثر الريح

إِذَا ضَرَبَتْهَا الرِّيحُ فِي الْمَرِطِ أَجْفَلْتُ مَاكِمُهَا، وَالرِّيحُ فِي الْمَرِطِ أَفْضَحُ

تهب الريح على المحبوبة وهي لابسة المرط، الثوب الواسع الذي بلا أزرار، فتجفل مأكمها، أي ترتج مؤخرتها، والريح تفضح وتجسم مع ارتداء المرط

تَرَى الزُّلَّ يَلْعَنُ الرِّيحَ إِذَا جَرَتْ وَبَشَنَةُ إِنْ هَبَّتْ لَهَا الرِّيحُ تَفْرَحُ
الرُّلُّ، أي النساء الرسحاوات النحيلات الخلفيات، يكرهن هبوب الريح لأنها تفضح نحول تلك
الأماكن من أجسامهن؛ ولا كذلك بشنة

٥ بوحه لو أبوحها

لقد ذَرَفْتُ عَيْنِي، وَطَالَ سُفُوحُهَا وَأَصْبَحَ مِنْ نَفْسِي سَقِيمًا صَحِيحُهَا
ذرفت عيني الدمع من عشق، وأصبح ما كان صحيحاً من جمي مريضاً

فلا أنا أرجو أن تَعِيشَ سَوِيَّةً ولا الموتُ فيما قد شجأها يُرِيحُهَا
لا أرجو لنفسي أن تعيش حياة سوية، ولا يأتي الموت فيريح هذه النفس

أَلَا لَيْتَنَا نَحْيَا جَمِيعًا، فَإِنْ نُمْتُ يُوَافِي لَدَى الْمَوْتِ ضَرِيحِي ضَرِيحُهَا
ليتني وبشنة نحيًا مجتمعين، ونموت مجتمعين فيكون قبوري قرب قبرها

فَمَا أَنَا فِي طَوْلِ الْحَيَاةِ بِرَاغِبٍ إِذَا قِيلَ قَدْ سَوِيَ عَلَيْهَا صَفِيحُهَا
فلست أرغب في الحياة إذا ماتت وسوي فوق قبرها الصفيح، الحجارة المبسطة

أَظَلُّ نَهَارِي لَا أَرَاهَا، وَتَلَسَّقِي مَعَ اللَّيْلِ رُوحِي فِي الْمَنَامِ وَرُوحُهَا
فهل لي في كتمان حبي راحة وهل تنفقتني بوحه لو أبوحها

٦ دعوة عليها

رَمَى اللَّهُ فِي عَيْنِي بَشِينَةً بِالقَدَى وَفِي الْغُرِّ مِنْ أَنْيَابِهَا بِالقَوَادِحِ
يدعو عليها بأن تصاب بالرمد، وأن تصاب أسنانها الغر، البيض، بالتسوس

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ رِيشُهُ الْكُحْلُ لَمْ يَضُرْ ظَوَاهِرَ جِلْدِي فَهُوَ فِي الْقَلْبِ جَارِحِي

٧ حلت بين الجوانح

لَمَّا أَطَالُوا عِتَابِي فِيكَ قُلْتُ لَهُمْ: لَا تُفْرِطُوا، بَعْضُ هَذَا اللُّومِ، وَاقْتَصِدُوا
بعض هذا اللوم: كفوا عن هذا اللوم

حَلَّتْ بُشِينَةٌ مِنْ قَلْبِي بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْجَوَانِحِ لَمْ يَنْزِلْ بِهَا أَحَدٌ
وعاذلون لحوني في مودتها يا ليتهم وجدوا مثل الذي أجدُ

لحوني: لاموني، وجدوا: أصابهم الوجد والعشق

٨ أمصر تريد؟

أَلَا لَبِيتَ أَيَّامَ الصَّفَاءِ جَدِيدُ وَدَهْرًا تَوَلَّى يَا بُثَيْنَ بَعْدُ
ليت أيام الصفاء تتجدد، وليت الزمن الذي مضى يرجع

فَنَفَعَنِي كَمَا كُنَّا نَكُونُ وَأَنْتُمْ صَدِيقُ، وَإِذْ مَا تَبْدَلِينَ زَهِيدُ
ليتنا نغنى، نتمتع، كما كنا في الماضي، إذ كنت لي صديقة، وإذ كان ما تعطيني قليلاً

وَمَا أَنْسَمَ الْأَشْيَاءُ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا، وَقَدْ قَرَّبْتُ نِضْوِي: أَمِصْرُ تُرِيدُ؟
لا أنسى بين كل الأشياء قولها وقد أمسكت بعنان حصاني المهزول: أتريد الذهاب إلى مصر؟
وكان جميل قاصداً عبد العزيز بن مروان لمذحه

وَلَا قَوْلَهَا: لَوْلَا الْعُيُونُ الَّتِي تَرَى أَتَيْتُكَ، فَأَعْذِرْنِي قَدَتِكَ جُدُودُ
لولا عيون القوم لكنت أتيتك للسهر قبل السفر

خَلِيلِي مَا أَخْفَى مِنَ الْوَجْدِ ظَاهِرُ قَدَمَعِي بِمَا أَخْفَى الْعَدَاةُ شَهِيدُ
ظهر للعيان ما أخفيه من العشق، ودعني شاهد عليه

أَلَا قَدْ أَرَى وَاللَّهِ أَنَّ رُبَّ عَبْرَةٍ إِذَا الدَّارُ شَطَطَتْ بَيْنَنَا سَتَرُودُ
أرى أن العبرة، الدمعة، ستروء، أي تأتي وتسيل، إذا شطت الدار، أي ابتعدت

إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بَثِينَةَ قَاتِلِي مِنَ الْوَجْدِ، قَالَتْ: ثَابِتُ وَيَزِيدُ
تدعو لعشقه أن يثبت ويزيد

وَإِنْ قُلْتُ رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعِشْ بِهِ مَعَ النَّاسِ، قَالَتْ: ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدُ
فَمَا ذُكِرَ الْخُلَّانُ إِلَّا ذُكِرْتُهَا وَلَا الْبَخْلُ إِلَّا قُلْتُ: سَوْفَ تَجُودُ

إِذَا فَكَّرْتُ قَالَتْ قَدْ اذْكُرْتُ وَدَّهْ وَمَا ضَرَّنِي بُخْلُ فَفِيمَ أَجُودُ
هي تفكر في الأمر وتقول لنفسها: قد حصلت على مرادي من ابتلائه بالعشق، فلا حاجة بي إلى أن أجود له بالوصل

فَلَا أَنَا مَرْدُودُ بِمَا جِئْتُ طَالِبًا وَلَا حَبِئْتُ فِيهَا بِبَيْدٍ يَبِيدُ
فلا أنا مردود، عائد، وقد حصلت على طلبي، ولا حبها يفنى مثلما تفنى الأشياء

فَأَنْفَيْتُ عَيْشِي بِانْتِظَارِي نَوَالَهَا وَأَبْلَيْتُ فِيهَا الدَّهْرَ وَهُوَ جَدِيدُ
أنفقت عمري منتظراً امتلاك قلبها، وضيعت سنواتي. والعمر نفسه يفنى رغم أن الدهر لا يفنى

وَيَحْسَبُ نِسَاؤُنَ مِنَ الْجَهْلِ أَنَّي إِذَا جِئْتُ إِيَّاهُنَّ كُنْتُ أَرِيدُ

لِكُلِّ حَدِيثٍ بَيْنَهُنَّ بَشَاشَةٌ وَكُلِّ قَتِيلٍ عِنْدَهُنَّ شَهِيدٌ

سبحان من ألهمك هذا البيت يا جميل!

عَلِقْتُ الْهَوَى مِنْهَا وَلِيداً فَلَمْ يَزَلْ إِلَى الْيَوْمِ يَنْمِي حُبُّهَا وَيَزِيدُ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَ لَيْلَةً بِوَادِي الْقَرَى! إِنِّي إِذْنُ لَسَعِيدُ
وَهَلْ أَلْقَيْنَ سَعْدِي مِنَ الدَّهْرِ مَرَّةً وَمَا رَثَ مِنْ حَبْلِ الصَّفَاءِ جَدِيدُ

السعدى: السعد، الحظ الحسن، ما رث: ما اهتمر

وَقَدْ تَلْتَقِي الْأَشْتَاتُ بَعْدَ تَفَرُّقٍ وَقَدْ تُذَرِّكُ الْحَاجَاتُ وَهِيَ بَعِيدُ
يَمُوتُ الْهَوَى مِنِّي إِذَا مَا لَقِيَتْهَا وَحَيًّا إِذَا فَارَقَتْهَا فَيَعُودُ
يَقُولُونَ جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بِغَزْوَةٍ وَأَيَّ جِهَادٍ غَيْرُهُنَّ أُرِيدُ
لَئِنْ كَانَ فِي حُبِّ الْحَبِيبِ حَبِيبَهُ حُدُودٌ لَقَدْ حَلَّتْ عَلَيَّ حُدُودُ

لو كان في الحب حدود، عقوبات، إذن لوجبت علي العقوبات

٩ لا أسأل ولا أستزيد

يُكَذِّبُ أَقْوَالَ الْوُشَاةِ صُدُودُهَا وَيَحْتَازُهَا عَنِّي كَأَن لَّا أُرِيدُهَا
صدودها عني يجعل أقوال الوشاة عن عشقنا كاذبة، وهذا الصدود يحتازها عني، يستأثر بها،
فكأنني أنا لا أريدها

رَفَعْتُ عَنِ الدُّنْيَا الْمُنَى غَيْرَ وَدَّهَا فَمَا أَسْأَلُ الدُّنْيَا، وَلَا أَسْتَزِيدُهَا

١٠ حبها قضاء وقدر

لَقَدْ لَامَنِي فِيهَا أَخٌ ذُو قَرَابَةٍ حَبِيبٌ إِلَيْهِ فِي نَصِيحَتِهِ رُشْدِي
كان ابن عمه ينصحه بالابتعاد عن بشية، وكان يريد الخير له

فَقَالَ: أَفَنُحْتَمِي مَتَى أَنْتَ هَائِمٌ بِبِشْنَةٍ، فِيهَا قَدْ تُعِيدُ وَقَدْ تُبْذِي
أي تعيد فيها، في ذكرها، وتبدأ من جديد فلا تفتأ تذكرها

فَقُلْتُ لَهُ: فِيهَا قَضَى اللَّهُ مَا تَرَى عَلَيَّ، وَهَلْ فِيهَا قَضَى اللَّهُ مِنْ رَدٍّ؟
قلت له: هذا قضاء الله عليّ فيها، ولا رادّ له

فَإِنْ يَكُ رُشْدًا حُبُّهَا أَوْ غَوَايَةً فَقَدْ جِئْتُهَا مَا كَانَ مِنِّي عَلَى عَمْدٍ
أني الناس أمثالي أحبوا فحبهم كحبي، أم أحببت من بينهم وحدي

أَكَانَ كَذَا يَلْقَى الْمُحِبُّونَ قَبْلَنَا بِمَا وَجَدُوا أَوْ لَمْ يَجِدْ أَحَدٌ وَجَدِي؟

بما وجدوا: بما عانوا من الوجد والعشق

١١ حُبُّ أَرْزَلِيَّ أَبَدِيَّ

تَعَلَّقَ رُوحِي رُوحَهَا قَبْلَ خَلْقِنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا كُنَّا نَطَافًا وَفِي الْمَهْدِ

حبنا أزلّي، مكتوب علينا قبل أن نولد

فَزَادَ كَمَا زِدْنَا، فَأَصْبَحَ نَأْمِيًّا وَلَيْسَ إِذَا مُتْنَا بِمُنْتَقِضِ الْعَهْدِ

وزيد مع العمر، ولا ينتهي بالموت

وَلَكِنَّهُ بَاقٍ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ وَزَارَيْنَا فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وَاللَّحْدِ

١٢ عِنْدَمَا التَفَتْتُ

وَمِمَّا شَجَانِي أَنَّهَا يَوْمٌ وَدَّعْتُ تَوَلَّتُ وَمَاءُ الْعَيْنِ فِي الْجَفْنِ حَائِرُ

مما أحزنني أنها يوم الوداع تولت، انصرفت، ودمعها يترقق في جفنيها

فَلَمَّا أَعَادَتْ مِنْ بَعِيدٍ بِنَظَرَةٍ إِلَيَّ التِّفَاتُ أَسْلَمَتْهُ الْمَحَاجِرُ

فلما ابتعدت والتفتت تنظر إلي أسلمت محاجرها، يقصد عينيها، الدمع فسال

يَقُولُونَ لَا تَنْظُرْ، وَتِلْكَ بَلِيَّةٌ بَلَى، كُلُّ ذِي عَيْنَيْنِ لَا بُدَّ نَاطِرُ

١٣ أَوَّلُهُ لَهْوٌ وَآخِرُهُ هَوْلٌ

الْحُبُّ، أَوَّلَ مَا يَكُونُ، لِحَاجَةٍ نَأْتِي بِهِ وَتَسْوِفُهُ الْأَقْدَارُ

الحب - في بداياته - لحاجة، أي عناد، أي يكون خصاماً وشداً وإرخاء، ويأتي بقدر من الله لا عن إرادتنا الحرة

حَتَّى إِذَا اقْتَحَمَ الْفَتَى لُجَجَ الْهَوَى جَاءَتْ أُمُورٌ لَا تُطَاقُ كِبَارُ

فإذا ما دخل الفتى في لجج، أعماق، الحب وردت عليه أمور ما كان يتصورها ولا يطبقها

١٤ حُبُّ عَلَى الرَّائِحَةِ

لَا وَالَّذِي تَسْجُدُ الْجِبَاهُ لَهُ مَا لِي بِمَا دُونَ ثَوْبِهَا خَبِرُ

لا والله لم يحدث بيننا تماس على عري

وَلَا بِفِيهَا، وَلَا هَمَمْتُ بِهَا مَا كَانَ إِلَّا الْحَدِيثُ وَالنَّظَرُ

ولا حتى قبلات، ولا أنا نويت ذلك: فقط حديث ونظر

١٥ تضليل الأعداء

وَأَخِرُ عَهْدِي لِي بِهَا يَوْمٌ وَدَّعْتُ وَلَاخَ لَهَا خَدُّ مَلِيحٌ وَمَحْجَرُ
المحجر: العين. فأخر ما يتذكره منها وقد اثنت ومضت خدما الناعم وجانب عينها

عَشِيَّةً قَالَتْ: لَا تُضَيِّعَنَّ سِرَّنَا إِذَا غِبْتَ عَنَّا، وَازْعُهُ حِينَ تُذْبِرُ
قالت لي: لا تبخ بجنبا، وارع، احفظه، عندما تدبر، أي تنصرف

وَأَعْرِضْ إِذَا لَاقَيْتَ عَيْنًا تَخَافُهَا وَظَاهِرٌ بِبُغْضٍ، إِنَّ ذَلِكَ أَسْتَرُ
وعندما تراني مرة أخرى ويكون هناك شخص يراقبنا، فظاهر ببغض، أي أبد أنك لي كاره، فهذا
يستر مشاعرك الحقيقية

وَقَطَّعَنِي فِيكَ الصَّدِيقُ مَلَامَةً وَإِنِّي لِأَعْصِي نَهْيَهُمْ حِينَ أُزْجَرُ
الأصدقاء قطعوني تقطعاً بلومهم، وأنا أعصيههم عندما يزوجروني

وَأَنْتَ أَمْرٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، وَأَهْلُنَا تَهَامٌ، وَمَا النَّجْدِيُّ وَالْمُتَغَوَّرُ؟
أنت من نجد وأنا من تهامة، والبون بيننا بعيد

غَرِيبٌ إِذَا مَا جِئْتَ طَالِبَ حَاجَةٍ وَحَوْلِي أَعْدَاءٌ وَأَنْتَ مُشْهَرُ
ستكون غريباً عندما تأتينا، وحولي الأعداء، وأنت معروف لأنك غريب فالكل يحس بوجودك
فقلتُ: لَهَا يَا بَثْنُ أَوْصِيَتْ حَافِظًا وَكُلُّ أَمْرِي لَمْ يَزَعْهُ اللَّهُ مُعَوَّرُ
يا بثينة، أوصيت حريصاً بشأن التجاهل، وأما كوني مكشوفاً لهم فإن كل شخص لم يزل رعاية
من الله فهو معور، أي عوراته بادية

سَأَمْنُحُ طَرَفِي حِينَ أَلْفَاكَ غَيْرَكُمُ لِكَيْمَا يَرَوْا أَنَّ الْهَوَى حَيْثُ أَنْظَرُ
حسناً سأنظر إلى غيرك عندما آتي، حتى يحسب القوم أنني أهوى فتاة أخرى

وَأَكْنِي بِأَسْمَاءِ سِوَاكِ، وَأَتَّقِي زِيَارَتَكُمْ، وَالْحُبُّ لَا يَتَغَيَّرُ
وعندما سأحدث ساذكر أسماء أخرى، وسأمتنع عن زيارتك، ولكن الحب لا يتغير

١٦ لهن الوجا

لَهُنَّ الْوَجَا لِمَ كُنَّ عَوْنًا عَلَى النَّوَى وَلَا زَالَ مِنْهَا ظَالِعٌ وَكَسِيرُ
يدعو على النياق: ليصبهن الله بالوجا، أي الحفا وتجريح الأخفاف، فقد كن معينات لنا على
البعاد والرحيل، وليكن من هذه النياق الظالع، الأعرج، والكسير، مكسور القوائم

كَأَنِّي سُقِيتُ السَّمَّ يَوْمَ تَحَمَّلُوا وَجَدَّ بِهِمْ حَادٍ، وَحَانَ مَسِيرُ
 كَأَنِّي شَرِبْتُ سَمًا حِينَ حَمَلُوا مَتَاعَهُمْ عَلَى الْإِبِلِ، وَاسْتَعَدَّ الْحَادِي لِيَسُوقَ الْجَمَالَ بَنَشِيدِهِ، وَحَانَ
 وَقْتُ الْمَسِيرِ

١٧ بِثْ عِنْدِي

وَتَقُولُ بِثْ عِنْدِي، فَذَيْتُكَ، لَيْلَةً أَشْكُو إِلَيْكَ، فَإِنَّ ذَاكَ يَسِيرُ
 وَلَشْنُ جَزَيْتِ الْوُدَّ مِنِّي مِثْلَهُ إِنِّي بِذَلِكَ يَا بُثَيْنَ جَدِيرُ

١٨ عِدْمَتُكَ مِنْ حُبِّ

أَبْيَكِي حَمَامُ الْأَيْكَ مِنْ فَقْدِ الْفِيهِ وَأَصْبِرْ؟ مَا بِي عَنْ بُثَيْنَةَ مِنْ صَبْرِ
 نقول الخرافة إن الحمام ينوح على فقد ولده، واسم ولده «الهديل» فهو يبكي «الهديل»، ثم سموا
 صوت الحمام هديلاً. فكيف يبكي الحمام ولا أبكي بثينة؟

يَقُولُونَ: مَسْحُورٌ يُجَنُّ بِذِكْرِهَا فَأُقْسِمُ مَا بِي مِنْ جُنُونٍ، وَلَا سِحْرِ
 فَأُقْسِمُ لَا أَنْسَاكَ مَا ذَرَّ شَارِقُ وَمَا حَبَّ آلٌ فِي مُلْمَعَةٍ قَفْرِ
 أقسم لا أنساك ما ذر شارق، أشرفت الشمس، وما حب، جرى وركض، الآل، أي السراب في
 الصحراء المقفرة. والملمعة هي الأرض ذات السراب

وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ مُعَلَّقٌ وَمَا أَوْرَقَ الْأَغْصَانُ مِنْ فَنَنِ السُّدْرِ
 ولن أنساك ما ظهر نجم معلق في السماء، ولا ما أوردت أغصان شجر السدر

هِيَ الْبَدْرُ حُسْنًا، وَالنِّسَاءُ كَوَاكِبُ وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْكَوَاكِبِ وَالْبَدْرِ
 لَقَدْ فُضِّلْتُ حُسْنًا عَلَى النَّاسِ مِثْلَمَا عَلَى آلِفِ شَهْرٍ فُضِّلْتُ لَيْلَةُ الْقَدْرِ
 عِدْمَتُكَ مِنْ حُبِّ، أَمَّا مِنْكَ رَاحَةٌ وَمَا بِكَ عَنِّي مِنْ تَوَانٍ وَلَا فُتْرِ
 عِدْمَتُكِ أَيُّهَا الْحُبُّ، أَلَا أَسْتَرِيحُ مِنْكَ؟ أَلَا تَتَوَانَى وَتَفْتَرُ وَتَخْفُ

١٩ إَحْيَاءُ الْمَوْتَى

مَضَى لِي زَمَانٌ لَوْ أُخْبِرُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَيَاتِي خَالِدًا آخِرَ الدَّهْرِ . .
 لَقُلْتُ ذَرُونِي سَاعَةً وَبُثَيْنَةَ عَلَى غَفْلَةِ الْوَاشِينَ، ثُمَّ اقْطَعُوا أَمْرِي
 لو خيرت بين الخلود، وبين بثينة لقلت: اتركوني ساعة مع بثينة شرط أن يغفل عني الواشون،
 ثم اقطعوا حياتي

مُفَلِّجَةُ الْأَنْيَابِ، لو أن ريقَهَا يُدَاوِي به المَوْتَى لَقَامُوا مِنَ القَبْرِ
أسنانها فُرُق، وريقها يحيي القلب، فلو ذاقه الموتى لقاموا

٢٠ فكيف كبرت ولم تكبري؟

تَقُولُ بِثَبْنَةٍ لَمَّا رَأَتْ قُنُوناً مِنَ الشَّعْرِ الْأَحْمَرِ..
رأنتي قد خضبت شعري بالحناء، فقالت..

كَبِرْتُ جَمِيلٌ وَأَوْدَى الشَّبَابُ فَقُلْتُ: بُثْبِنُ أَلَا فَأَقْصِرِي
قد كبرت وأودى، أي ذهب، الشباب، فقلت لها: أقصري، وكفي عن هذا

أَمَّا كُنْتُ أَبْصَرْتَنِي مَرَّةً لِبَالِي نَحْنُ «بِذِي جَوْهَرٍ»
ألم تبصرتني مرة عندما كنا في «ذي جوهر»

لِبَالِي أَنْتُمْ لَنَا جِيرَةٌ أَلَا تَذْكُرِينَ؟ بَلَى فَاذْكُرِي
عندما كنتم جيراناً لنا، تذكري جيداً

وَإِذْ لِمَتْنِي كَجَنَاحِ الْغُرَابِ تُضْمَخُ بِالْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ
كانت لمتي، أي شعري، كجناح الغراب لسوادها، وكنت أضمخ شعري بالطيب من مسك وعنبر

قَرِيبَانِ مَرْبَعُنَا وَاحِدٌ فَكَيْفَ كَبِرْتُ وَلَمْ تَكْبِرِي؟
كنا متقاربين سكناً - وعمراً أيضاً - فكيف كبرت أنا ولم تكبري؟

٢١ سحابة لا تمطر

يَا لَيْتَنِي أَلْقَى الْمَنِيَّةَ بَغْتَةً
لَا تَحْسَبُنِي أَنِّي هَجَرْتُكَ طَائِعاً حَدَّثَ لَعْمَرُكَ رَائِعٌ أَنْ تُهْجَرِي
حدث رائع: يروع القلب ويخيفه

يَهْوَاكِ مَا عِشْتُ الْفَوَازُ فَإِنْ أَمْتُ يَتَّبَعُ صَدَايَ صَدَاكِ بَيْنَ الْأَقْبَرِ
لو متنا فسوف يتبع صداي صداك، يقصد روحي تتبع روحك. وكانت العرب تظن أن طائراً يسمونه
الهامة يخرج من قبر القتيل ويصرخ بصوت هو الصدى، ويظل يصيح اسقوني، ولا يكف إلا إذا
أخذ بثأر القتيل

إِنِّي إِلَيْكَ بِمَا وَعَدْتِ لَنَاظِرٌ نَظَرَ الْفَقِيرِ إِلَى الْغَنِيِّ الْمُكْثِرِ
إني ناظر، أي متتظر ما وعدت به، وأنا كالفقير الذي ينظر إلى الغني منتظراً عطاءه

ما أنتِ والوَعْدَ الَّذِي تَعِدِينِي إِلَّا كَبَرَقِ سَحَابَةٍ لَمْ تُنْطَرِ
أنتِ كسحابة، ووعدك كالبرق الذي يشر بالمطر، ثم لا يأتي مطر

٢٢ لن يمنعوني البكاء

فَإِنْ يَحْجُبُوهَا، أَوْ يَحُلْ دُونَ وَضْلِهَا مَقَالَةٌ وَاشٍ، أَوْ وَعِيدُ أَمِيرٍ..
إن حجبوها، أو حال دون لقيها قول من واش، أو تهديد من أمير..

فَلَنْ يَحْجُبُوا عَيْنِي عَنْ دَائِمِ الْبُكَاءِ، وَلَنْ يَمْلِكُوا مَا قَدْ يُجِنُّ ضَمِيرِي
فلن يمنعوني من البكاء، ولن يتحكموا بما يخفي ضميري من مشاعر

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا آلَاقِي مِنَ الْهَوَى وَمِنْ حُرْقٍ تَعْتَاذُنِي، وَزَفِيرِ
الحرق: جمع حُرقة، شيء يعرفه مَنْ جَرَّبه

٢٣ يَا رَبِّ حَبِّبْنِي إِلَيْهَا

إِذَا قُلْتُ هَذَا حِينَ أَسْلُو ذَكَرْتُهَا تَظَلُّ لَهَا نَفْسِي تَتَوَقُّ وَتَنْزِعُ
إذا قلت: الآن أنسى ذكرها تظل نفسي تتوق، وتشتاق، وتميل إليها

أَلَا تَتَّقِينَ اللَّهَ فِي قَتْلِ عَاشِقٍ لَهُ كِبْدٌ حَرَّى عَلَيْكَ تَقَطَّعُ
فَأَصْبَحْتُ مِمَّا أَخَذَتْ الدَّهْرُ مُوجِعًا وَكُنْتُ لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَخَشَّعُ
أصبحت متوجعاً من أحداث الزمن رقيق المشاعر مرتبكاً قلقاً، وكنت لا أتخضع، كنت صلباً لا
أذعن للمصائب

فَيَا رَبِّ حَبِّبْنِي إِلَيْهَا، وَأَعْطِنِي الـ مَوَدَّةَ مِنْهَا، أَنْتَ تُعْطِي وَتَمْنَعُ
وَلَا فَضْبَرْنِي، وَإِنْ كُنْتُ كَارِهًا فَإِنِّي بِهَا يَا ذَا الْمَعَارِجِ مُوَلِّعُ
إن لم تكتب يا رب الوصال، فضبرني على فراقها، وإن كنت أكره هذا الصبر لأنني بها مولع
يا ذا المعارج، العلو

جَزِعْتُ غَدَاةَ الْبَيْنِ لَمَّا تَحَمَّلُوا وَمَا كَانَ مِثْلِي يَا بُيُوتَةَ يَجْزَعُ
قلقت صبيحة الفراق عندما حملوا أمتعتهم للرحيل، ولم أكن جزوعاً

تَمَتَّعْتُ مِنْهَا يَوْمَ بَأَنَاوٍ بِنَظَرَةٍ وَهَلْ عَاشِقٌ مِنْ نَظَرَةٍ يَتَمَتَّعُ

٢٤ الحب المتحرك

لا خَيْرَ فِي الْحُبِّ وَقَفَا لَا تُحَرِّكُهُ عَوَارِضُ الْيَأْسِ أَوْ يَرْتَاخُهُ الطَّمَعُ
لا حلاوة للحب بدون حركة: بدون ما يعترض طريقه أحياناً من يأس، وبدون ما يروح ويغدو عليه
من طمع في الوصال

لو كان لي صَبْرُهَا أَوْ عِنْدَهَا جَزَعِي لَكُنْتُ أَمْلِكُ مَا آتِي وَمَا أَدْعُ
لو كنت صبوراً على بعدها كصبرها على بعدي، أو لو كان عندها ما عندي من قلق وتوتر، لكنت
ملكتم زمام أمري.. لكن الحال أن كل المعاناة عندي وهي غير عابثة

إِذَا دَعَا بِاسْمِهَا دَاعٍ لِيُبْحِرَ نَسِي كَادَتْ لَهُ شُعْبَةٌ مِنْ مُهْجَنِي نَقَعُ
لا أَحْمِلُ اللُّومَ فِيهَا وَالْغَرَامَ بِهَا لَا حَمَلَ اللَّهُ نَفْساً فَوْقَ مَا تَسَعُ
أتحمل لوم اللاتمين، وأتحمل الغرام.. فهذا ألم مضاعف

٢٥ حماء المدامع

كَلِيفْتُ بِحَمَائِ الْمَدَامِعِ طِفْلَةً حَبِيبِ إِلَيْنَا قُرْبُهَا لَوْ تُنَاصِفُ
أغرمت بطفلة سوداء المآقي، من كحل رباني، وكنت أحب قربها لو أنها منصفة وتبادلني حباً
مِنَ اللَّفِّ أَفْخَاذًا، إِذَا مَا تَقَلَّبْتُ مِنَ اللَّيْلِ وَهْنَا أَثْقَلْتُهَا الرُّوَادِفُ
ملفوفة الفخذين، وعندما تتقلب في نومها تحس بثقل لضخامة مؤخرتها

٢٦ فخر

فَإِنْ تَسْأَلِي يَا بَشَرَ عَنَّا فَإِنَّا لَنَا الْمَجْدُ قَدَمًا، وَالْعَدِيدُ الْمُضَعَّفُ
مجدنا قديم، وعشيرتنا كبيرة

فُضَاعَةُ قَوْمِي، إِنْ قَوْمِي دُؤَابَةٌ بِفَضْلِ الْمَسَاعِي فِي الْمُلِمَاتِ تُعْرِفُ
قومي فضاعة هم الذؤابة، القمة، وهي مشهورة بالمساعي في الملومات، التصدي للمصائب
وَكُنَّا إِذَا مَا مَعَشَرُ أَجْحَفُوا بِنَا وَمَرَّتْ جَوَارِي طَيْرِهِمْ، وَتَعَيَّفُوا
إذا ظلمنا قوم، ونووا قتالنا، فتعيفوا، أي أطلقوا الطيور ليحدوا، بحسب اتجاهها يميناً أو
شمالاً، وقتاً يتفاءلون به للإغارة علينا

وَضَعْنَا لَهُمْ صَاعَ الْقِصَاصِ رَهِيْنَةً بِمَا سَوْفَ نُؤْفِيهَا إِذَا النَّاسُ طَفَفُوا
أعدنا لهم صاعاً، مكياً، من القصاص، ونعطيهم الصاع وافية غير مطفف، غير ناقص
كما يفعل بعض الناس

تَرَى النَّاسَ مَا سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا

الناس يتبعوننا لأننا السادة، وإذا أشرنا بالوقوف وقفوا. قيل إن هذا البيت سره الفرزدق من جميل

فَأَيُّ «مَعَدٍّ» كَانَ فَيءٍ رِمَاحِهِ كَمَا قَدْ أَفْأَنَّا؟ وَالْمُفَاخِرُ يُنْصِفُ

فأي قبيلة في قبائل «معد» كانت غنائم رماحهم مثل غنائم رماحننا؟ والذي يفاخر عليه أن يكون منصفاً

بَرَزْنَا وَأَصْحَرْنَا لِكُلِّ قَبِيلَةٍ بِأَسْيَافِنَا، إِذْ يُؤَكِّلُ الْمُتَضَعِّفُ

برزنا في الصحراء بسيفونا ولم نأخذ استحكاماً وراء جبال، والضعيف يُهزم ويُتهب ماله

وَنَحْنُ حَمِينَا يَوْمَ مَكَّةَ بِالقَنَا قُصِيًّا، وَأَطْرَافُ القَنَا تَتَقَصِّفُ

وفي الماضي البعيد حمينا قصي بن كلاب زعيم قريش في حرب كانت الرماح فيها تتقصف

فَحَطْنَا بِهَا أَكْنَافَ مَكَّةَ بَعْدَمَا أَرَادَتْ بِهَا مَا قَدْ أَبَى اللّهُ «خِنْدِفُ»

حمينا بالرماح جوانب مكة عندما تكالبت عليها قبائل خندف. المقصود ما جرى بين قريش وخزاعة في الزمن القديم

٢٧ الرعايب

وَبِيضِ رَعَايِبٍ تُثْنِي خُصُورَهَا إِذَا قُمْنَ أَعْجَازُ يُقَالُ وَأَسْوُقُ

ما يجعل خصور هؤلاء الفتيات البيض الرعايب، الناعمات، تثني عند قيامهن هو مؤخراتهن الضخمة وسيقانهن الممتلئة. قد كنت تجرات وسألت فتاة يوماً: كيف تتحرك أجسامكن هكذا إذ ترقصن في الأعراس؟ تلك مهارة عجيبة. فقالت لي: ليس ثمة من مهارة، نحن نحرك الجزء السفلي الثقيل أدنى حركة، فيبهتز الجسم كله، فشكرت الله شكر اليهودي المتدين الذي يصحو كل صباح فأول ما يفعله أن يشكر الله أن خلقه ذكراً

غَرَائِرَ لَمْ يَلْقَيْنَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ يُجْنُ بِهِنَّ النَّاطِرُ الْمُتَنَوِّقُ

فتيات غرائر، أي بريثات، متنعمات لم يعرفن الفقر، والناظر المتنوق، صاحب المزاج، يجن بهن جنوناً

٢٨ فراق

مَنَعَ النُّومَ شِدَّةَ الإِسْتِيَاقِ وَادِّكَارُ الحَبِيبِ يَوْمَ الْفِرَاقِ

اذكّار: تذكّر

لَيْتَ شِعْرِي إِذَا بُشِينَةُ بَانتْ هَلْ لَنَا بَعْدَ بَيْنِهَا مِنْ تَلَاقِ

ولقد قُلْتُ يَوْمَ نَادَى الْمُنَادِي مُسْتَحِجًّا بِرِخْلَةٍ وَإِنِّطَاقٍ ..

عندما نادى نادى قومها بالرحيل وهو يحث القوم للاستعداد والانطلاق قلت: ..

لَيْتَ لِي الْيَوْمَ يَا بَثِينَةُ مِنْكُمْ مَجْلِسًا لِلدَّوَادِ قَبْلَ الْفِرَاقِ
.. ليتني أجلس معك للدواع

٢٩ لَعَلَّهَا

وَبَيْنَا حِبَالٌ ذَاتُ عَقْدٍ لِبَثْنَةٍ أَتَيْحَ لَهَا بَعْضُ الْغَوَاةِ فَحَلَّهَا
بيننا، أي بيننا، كانت بيننا حبال معقودة، علاقة وثيقة، وجاء بعض الغواة الضالون فحلوها
وَقَالُوا نَرَاهَا يَا جَمِيلُ تَبَدَّلَتْ وَغَيَّرَهَا الْوَاشِي، فَقُلْتُ لَعَلَّهَا
يقولون لي تغيرت لما سمعت من الواشي، فقلت: ربما!

٣٠ جميل ينصح قلبه

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ لَا يَمَلُّ فَيَذْهَلُ أَفْقُ فَالْتَّعَزِّيْ عَنْ بُثِينَةَ أَجْمَلُ

من ذا يساعد قلباً لا يمل من الغرام ولا يذهل عنه، لا ينسأه؟ أفق يا قلبي فسيان بثينة أحسن
لحالك. وقال هذه القصيدة بعد أن كلمه أبوه وقال له إن بثينة تستهويك وتبدي لك الحب، ولكنها
تعود إلى زوجها كما تعود كل امرأة إلى زوجها، فعزم جميل على أن ينقطع عنها

سَلَا كُلُّ ذِي وُدٍّ عَلِمْتُ مَكَانَهُ وَأَنْتَ بِهَا حَتَّى الْمَمَاتِ مُوَكَّلُ
كل محب عرفته أحب ثم نسي، وأنت يا قلبي كأنك مكلف بحبها حتى الممات

فَمَا هَكَذَا أَحْبَبْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَهَا وَلَا هَكَذَا فِيمَا مَضَى كُنْتَ تَفْعَلُ
يا قلبي! لم تكن تحب بهذه الطريقة الجنونية من قبل

فِيَا قَلْبُ دَعْ ذِكْرِي بِبَثِينَةَ إِنَّهَا، وَإِنْ كُنْتَ تَهَوَّاهَا، تَضِئُ وَتَبْخُلُ
اتركها يا قلبي، فهي ضئيلة بخيلة بالوصل

وَقَدْ أَيْأَسْتُ مِنْ نَيْلِهَا وَتَجَهَّمْتُ وَلَلْيَأْسُ إِنْ لَمْ يُقَدَّرِ النَّيْلُ أَمْثَلُ
وقد أوصلتك إلى اليأس من نيل حبها، واليأس أفضل لك عندما يتعذر الوصال

وَأَنَّ الَّتِي أَحْبَبْتَ قَدْ حِيلَ دُونَهَا فَكُنْ حَازِمًا، وَالْحَازِمُ الْمُتَحَوِّلُ
وقد حال قومها بينك وبينها، فتحول عنها فهذا هو الحزم

۳۱ ولو قُطعت رجلی

ولو أن ألفاً دونَ بئنة كلهم غياري، وكلُّ حاربٍ مُزيعٌ قتلِي..

لو كان حول بشينة ألف رجل يغارون عليها ، وكلهم متممّرٌ ينوي أن يقتلني . .

لَحَاوَلْتُهَا إِمَّا نَهَاراً مُجَاهِراً وَإِمَّا سُرَى لَيْلٍ، وَلَوْ قُطِعَتْ رِجْلِي

لحاولت وصلها إما في وضح النهار، وإما بسير الليل نحوها، ولو قطعت رجلي في المحاولة

۳۲ طلابیہا لما فات من عقلی

لَقَدْ فَرِحَ الْوَاشُونَ أَنْ صَرَمْتُ حَبْلِي بُيُوتَهُ، أَوْ أَبَدْتُ لَنَا جَانِبَ الْبُخْلِ

فرح الواشون عندما صرمت بشينة حبلية، أي قطعت العلاقة، أو بدا منها بخل بودها

بَقُولُونَ مَهْلًا يَا جَمِيلُ، وَإِنِّي لَأَتُوسِمُ مَا لِي عَنْ بَشِينَةٍ مِنْ مَهْلٍ

أَجْلَمًا! فَقَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ أَوَانُهُ، أَمْ اخْشَى! فَقَبْلَ الْيَوْمِ أُوْعِدْتُ بِالْقَتْلِ

أَتَعْقِلُ! كَانَ هَذَا مُمْكِنًا قَبْلَ الْعَشَقِ. أَمْ أَخْشَى؟ لَنْ أَخْشَى، وَكُنْتُ سَابِقًا هُدِّدْتُ بِالْقَتْلِ وَلَمْ أَخْشَ ذَلِكَ

لَقَدْ أَنْكَحُوا حَرْبِي «نُبَيْهَا» طَعِينَةً لَطِيفَةً طَيُّ الْبَطْنِ ذَاتَ شَوَى خَذَلِ

لقد زُوجا حربي، أي خصمي، نُبهاً ظليعة، أي فتاة، لطيفة طلي البطن، أي ضامرة البطن، ذات

شوى خدل، ذات أطراف ممتلئة، وكانوا - وأيضاً كُنّا - يجبون الساق الممتلئة والذراع العَبْلة

الممتلئة.. فهي قد عرفنا معنى اسم «عيلة»!

وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا سَاعِيًا بِنَمِيمَةٍ لَّا خَرَ لَمْ يَغْمَذْ بِكَفٍّ وَلَا رِجْلٍ

كثيراً ما رأينا واشياً يسعى بالنميمة لآخر لم يفعل شيئاً

إذا ما تَرَجَعْنَا الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا جَرَى الدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي بِشَيْئَةٍ بِالْكُحْلِ

إذا استعرضنا ما جرى بيننا بكت بدمع أسال كحلها. لا يقولنَّ أحد إن هذا خيال شاعر.. من قال

هذا البيت لا بد أنه شهد هذا الموقف

أَلَا أَيُّهَا الْبَيْتُ الَّذِي حِيلَ دُونَهُ بِنَا أَنْتَ مِنْ بَيْتٍ، وَأَهْلُكَ مِنْ أَهْلِ

يا بيتها الذي حيل بيني وبينه الآن، أفديك بنفسي وأفدي أهلك

كَلَانَا بِكَى، أَوْ كَادَ يَبْكِي صَبَابَةٌ إِلَى الْفِهِ، وَاسْتَعْجَلْتُ عِبْرَةً قَبْلِي

كلانا بكى، أو كَادَ، لفرط العشق لحبيبه، بل هي بكت قبلي

فَلَوْ تَرَكْتُ عَقْلِي مَعِيَ مَا طَلَبْتُهَا وَلَكِنْ، طَلَبْتُهَا لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي

لو تركت فيَّ عقلاً لكففت عنها بعد زواجها، لكنني لا أكفُّ لأن عقلي لم يعد معي

فإن وُجِدَتْ نَعْلٌ بِأَرْضٍ مَضَلَّةٍ مِنْ الدَّهْرِ يَوْمًا فَاعْلَمِي أَنَّهَا نَعْلِي
فإن وجد أحدهم نعلًا ملقاة في أرض مقفرة يضل فيها المرء، فاعلمي أنها نعلي وأنتي همت على وجهي.. وأكلتني الصحراء

أَجِدِّي لَا أَلْقَى بُشِينَةً مَرَّةً مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا خَائِفًا أَوْ عَلَى رَحْلِ
أعقول أنتي لن ألقى بشينة أبدًا إلا وأنا خائف، أو مارًا مروراً وأنا راكب جملي؟

خَلِيلِي فِيمَا عِشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي
أفني أمْ عَمَرُو نَعْمَدَانِي هُدَيْتُمَا؟ وَقَدْ تَيَمَّتْ قَلْبِي، وَهَامَ بِهَا عَقْلِي
أَبَيْتُ مَعَ الْهَلَاكِ ضَيْفًا لِأَهْلِيهَا وَأَهْلِي قَرِيبُ مُوسِعُونَ ذَوُو فَضْلٍ
أبيت مع الصعاليك على أطراف منازل قومها، مع أن أهلي يسكنون قريباً وهم موسعون موسرون ولديهم زيادة من المال

٣٣ سائقة الثاقل

أَبُيِّنَ إِنَّكَ قَدْ مَلَكَتِ فَاسْجِحِي وَخُذِي بِحَظِّكَ مِنْ كَرِيمٍ وَاصِلٍ
قد ملكت قلبي يا بشينة فأسجحي، أي أحسني،
وخذي أنت حظك من الوصل

فَلَرُبَّ عَارِضَةٍ عَلَيْنَا وَصَلَهَا بِالْجِدِّ تَخْلِطُهُ بِقَوْلِ الْهَازِلِ..
فرب فتاة عرضت علينا وصلها بكلام فيه مزيج من الجد والمزاح..

فَأَجَبْتُهَا بِالْقَوْلِ بَعْدَ تَسْتَرْ حُبِّي بِشِينَةٍ عَنْ وَصَالِكَ شَاغِلِي
فقلت لها بعد أن ترددت قليلاً إن حبي لبشينة يشغلني عن وصلك

لَوْ كَانَ فِي صَدْرِي كَقَدْرِ قَلَامَةٍ وَصَلْتِكَ كُتُبِي أَوْ أَتَتْكَ رَسَائِلِي
ولو كان في صدري فراغ بقدر قلامة الظفر لكنت واصلتك وجاءتك رسائلني

وَيَقُلْنَ: إِنَّكَ قَدْ رَضِيتَ بِبَاطِلٍ مِنْهَا، فَهَلْ لَكَ فِي اجْتِنَابِ الْبَاطِلِ
تقول لي العاذلات إنني رضيت بالباطل الذي هو غرامي بك

وَلَبَاطِلٌ مِمَّنْ أَحَبُّ حَدِيثِهِ أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الْبَغِيضِ الْبَاطِلِ
ولكن الباطل من شخص أحب حديثه أشهى إليّ من الشخص البغيض الكريه ولو أنه يمنحني ويذل لي ما أريد

صَادَتْ فُؤَادِي يَا بُثَيْنَ حَبَالُكُمْ يَوْمَ «الْحَجُونِ»، وَأَخْطَأْتُكَ حَبَائِلِي
لما رأيتك في ذلك المكان وقعت في شراكك، ولكنك أنت لم تقعي في شراكي
وَتَشَاقَلْتُ لَمَّا رَأْتُ كَلْفِي بِهَا أَحْبَبْتُ إِلَيَّ بِذَاكَ مِنْ مُتَشَاقَلِ
يقول المثل «الثقل صنعة»

وَأَطْعَمْتُ فِيَّ عَوَازِلًا فَهَجَرْتَنِي وَعَصَيْتُ فِيكَ، وَقَدْ جَهَدَنْ، عَوَازِلِي
طاوعت أنت العاذلات، أما أنا فقد اجتهدت عاذلاتي في ثني عنك وعصيتهن
يَعْضَضْنَ مِنْ غَيْظٍ عَلَيَّ أَنَامِلًا وَوَدِدْتُ لَوْ يَعْضَضُنَّ صُمَّ جَنَادِلِ
الجنادل: الصخور

وَيُقْلَنُ إِنَّكَ يَا بُثَيْنَ بِخَيْلَةٍ نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ضَنِينِ بَاخِلِ

٣٤ أقل من القليل

أَيَا رِيحَ الشَّمَالِ أَمَا تَرَيْنِي أَهِيْمُ، وَأَنْنِي بَادِي النُّحُولِ
هَبِي لِي نَسَمَةً مِنْ رِيحِ بَثْنِ وَمُنِّي بِالْهُبُوبِ إِلَى جَمِيلِ
وَقُولِي: يَا بُثَيْنَةُ حَسْبُ نَفْسِي قَلِيلُكَ أَوْ أَقْلُ مِنَ الْقَلِيلِ
قولي أيتها النسمة: يا بثينة يكفيني منك القليل

٣٥ بكر النعي

قيل: هذا آخر ما قاله..

بَكَرَ النَّعْيُ، وَمَا كُنْتُ، بِجَمِيلِ وَثَوَى بِمَضَرٍ ثَوَاءَ غَيْرِ قُفُولِ
جاء خبر موت جميل صباحاً، وورد فيه الاسم صراحة بلا تعريض، وثنوى، أي أقام جميل في
مصر إقامة دائمة ليس بعدها قفول، أي عودة

وَلَقَدْ أَجْرُ الذَّيْلِ فِي وَادِي الْقُرَى نَشْوَانٌ بَيْنَ مَزَارِعٍ وَنَخِيلِ
مضى زمن كنت فيه أنتختر في وادي القرى بمكة وأجر ذيل ثوبي سعيداً بين النخيل

قُومِي بُثَيْنَةُ فَاثْدُبِي بِعَوِيلِ وَابْكِي خَلِيلَكَ دُونَ كُلِّ خَلِيلِ
وقيل إن بثينة قالت عندما جاءها نعيه:

سَوَاءَ عَلَيْنَا يَا جَمِيلَ بَنَ مَعْمَرٍ إِذَا مَتَّ بِأَسَاءِ الْحَيَاةِ وَلَيْسُهَا

٣٦ مغامرة بريئة

رَسُمُ دَارٍ وَقَفْتُ فِي طَلَلِهِ كِدْتُ أَقْضِي الْعَدَاةَ مِنْ جَلَلِهِ

وقفت ببقايا الدار التي رحل عنها الحبيب،
وكدت أقضي لجلل، لهول، الموقف

وَاقِفًا فِي دِيَارِ «أُمِّ جُسَيْرٍ» مِنْ ضُحَى يَوْمِهِ إِلَى أُصْلِهِ

وقفت طول اليوم من الضحى إلى الأصيل قبيل الغروب في ديار «أم جسير» أخت بئنة

بَيْنَمَا هُنَّ بِالْأَرَاكِ مَعًا إِذْ بَدَأَ رَاكِبٌ عَلَى جَمَلِهِ

يتذكر الأيام الخوالي: بينما كانت الفتيات في واد فيه شجر الأراك، ظهر راكب على جملة

فَتَأَطَّرْنَ، ثُمَّ قُلْنَ لَهَا: أَكْرَمِيهِ حُبِّي فِي نُزُلِهِ

فتنين دلالاً وقلن لبئنة: أكرمي نزوله بطعام

فَطَلَلْنَا بِنِعْمَةٍ، وَاتَّكْنَا وَشَرَبْنَا الْحَلَالَ مِنْ قُلَلِهِ

فمكثنا سعداء متكئين، وشربنا ماء من القلل، الجرار..
كناية عن التمتع بالمتع البرينة

قَدْ أَصُونُ الْحَدِيثَ دُونَ خَلِيلٍ لَا أَخَافُ الْأَذَاةَ مِنْ قَبَلِهِ

قد أصون الحديث، وأخفيه، عن صاحب رغم عدم خوفني من أذاه

وَحَلِيلٍ صَافَيْتُ مُرْتَضِيًّا وَخَلِيلٍ فَارَقْتُ مِنْ مَلَلِهِ

ورب صاحب أصفيه مودتي، وصاحب آخر أمله وأفارقه

٣٧ لقاء في المنام

شَهِدْتُ بِأَنِّي لَمْ تَغْيِرْ مَوَدَّتِي وَأَنِّي بِكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ ضَنِينُ

لم تتغير مودتي، وأنا ضنين، أي حريص، على هذا الحب حتى الممات

وَأَنْ فُؤَادِي لَا يَلِينُ إِلَى هَوَى سِوَاكَ، وَإِنْ قَالُوا: بَلَى سَيَلِينُ

وفؤادي لن يعيل لغيرك مهما قالوا

وَإِنِّي لِأَسْتَعْشِي، وَمَا بِي نَعْسَةٌ لَعَلَّ لِقَاءَ فِي الْمَنَامِ يَكُونُ

أستعشي، أنكلف النوم، وما بي من نعاس، حتى أراك في منامي

٣٨ أنا وهي وقومها

ولو أَرْسَلْتُ يَوْمًا بُثِينَةً تَبْتَغِي يَمِينِي، ولو عَزَّتْ عَلَيَّ يَمِينِي..
لَأَعْطَيْتُهَا مَا جَاءَ يَبْغِي رَسُولَهَا وقلْتُ لها بعدَ الْيَمِينِ سَلِينِي

سليبي: اسأليني

ولستُ، وإنْ عَزَّتْ عَلَيَّ، بِقَائِلٍ لها بعدَ صَرْمٍ: يا بُثَيْنَ صَلِينِي
حتى وإن كانت بثينة عزيزة علي، فلن أطلب منها الود بعد الصرم، أي القطيعة

فلبيت رِجَالاً فَبِكَ قَدْ نَذَرُوا دَمِي وَهَمُّوا بِقَتْلِي يا بُثَيْنَ لَقُونِي
ليت هؤلاء الذي أهدروا دمي وحاولوا قتلي لقوني

إذا ما رَأَوْنِي مُقْبِلاً مِنْ نَبِيَّةٍ يقولون: مَنْ هَذَا؟ وقد عَرَفُونِي
الثنية: الطريق

يقولونَ لي أَهلاً وَسَهلاً وَمَرْحَباً ولو ظَفَرُوا بِي سَاعَةً قَتَلُونِي
وكيف! ولا تُوفِي دِمَاؤُهُمْ دَمِي ولا مَالُهُمْ ذُو كَثْرَةٍ فَيَدُونِي
كيف لهم أن ينفذوا تهديدهم، وهم ليسوا لي بأكفاء في الدم، فقومي سيأخذون ثأري في مقتلة
عظيمة، والأعداء لا يملكون من المال ما يكفي ليدوني، ليدفعوا ديني

تَجَنَّى عَلَيَّ الذَّنْبَ أَهْلِي وَأَهْلَهَا ولو عَرَفُوا وَجْدِي بِهَا عَذَرُونِي
الوجد: شدة العشق

٣٩ أرجوزة عاشق

أُبْكِي، وما يُدْرِيكَ ما يُبْكِينِي
أُبْكِي حِذَارَ أَنْ تُفَارِقِينِي
إِنَّ بَنِي عَمِّكَ أَوْعَدُونِي
أَنْ يَقْطَعُوا رَأْسِي إِذَا لَقُونِي

٤٠ إنقاذ الغزالة

على الدارِ التي لَبِسْتُ بِلاها قَفَا يا صَاحِبِي فَسَائِلَاها
قفا يا صاحبي عند الدار التي لبست حلّة جديدة هي حلّة البلى، الدثور والخراب، واسألاها

وقد طالَبْتُهَا حَتَّى مَلِلْنَا مَوَاعِدَهَا وَأَعْيَانَا مُنَاهَا
طالبت بشينة بتحقيق وعودها، ولكن أتعبنا تمنى ذلك

فَمَا جَادَتْ لَنَا حَتَّى وَرَدْنَا حَيَاضَ الْمَوْتِ أَوْ كِدْنَا نَرَاهَا
فما جادت لنا حتى وردنا أحواض الموت أو كدنا

ذَكَرْتُكَ إِذْ رَأَيْنَا أُمَّ خَشْفٍ «بِذِي ضَالٍ» تَرِبُعٌ إِلَى طَلَاهَا
تذكرتك عندما رأينا غزالة مع خشفها، صغيرها، في ذلك المكان وهي تربع، أي ترجع، لتلازم
طلاها، أي صغيرها

رَأَيْنَا قَاصِدِينَ لَهَا فَوَلَّتْ أَمَامَ الْخَشْفِ مُضْطَرِبًا حَشَاهَا
رأنا قاصدين لها فانصرفت ووقفت أمام صغيرها مضطربة حائرة

وَقَدْ حَفَّ الرَّمَاءُ بِجَانِبَيْهَا وَكُلُّهُمْ عَلَى حَنْقٍ يَرَاهَا
وقد أحاط رماء السهام بها من الجانبين، وهم على حنق، على استعداد، ينظرون إليها

فَجَالَتْ سَاعَةً ثُمَّ اسْتَظَلَّتْ إِلَى سَنَدٍ تُحَاوِلُ مُلْتَجَاها
تمشت قليلاً، واستندت تلتمس ملجأ

إِلَيْهِ سَاعَةً تَرْمِي بِطَرْفٍ وَأُخْرَى نَحُونًا قَلِيقًا حَشَاهَا
ترمي بنظرها إلى صغيرها حيناً، وتنظر إلينا حيناً

وَقَدْ آلَيْتُ خَشْيَتَهُمْ عَلَيْهَا أَكَلَمُ مِنْهُمْ رَجُلًا رَمَاهَا
وقد حلفت لخشيتهما عليها أني لا أكلّم بعد اليوم أي شخص يرميها

فَقَالُوا مَا دَهَاكَ؟ فَقُلْتُ نَفْسِي وَبَيْتَ اللَّهِ تَعْلَمُ مَا دَهَاها
وما بي فأعلموا من حُبّ ظبي ولكنني ذكرتُ به سيّوَاهَا
ألا يا شبيهة ذات الخالِ قَرِّي بِأَرْضِكَ، لَنْ تُرَاعِي فِي رُبَاهَا
أيتها الغزالة، يا من تشبهين الحبيبة ذات الخال، اطمئني في أرضك، فلن تراعي،
لن يصيبك خوف

٤١ خذي من عمري

وَقَدْ خِفْتُ أَنْ يَغْتَرَّنِي الْمَوْتُ بَغْتَةً وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتُ إِلَيْكَ كَمَا هِيَ
يغترني: يباغتني

وإِنِّي لَتُنْسِينِي الْحَفِيزَةُ كُلَّمَا لَقَيْتُكَ يَوْمًا أَنْ أَبُتُّكَ مَا بَيَا

التحفظ يجعلني أنسى أن أصارحك بحبي

وَدِدْتُ، عَلَى حُبِّي الْحَيَاةَ، لَوْ أَنَّهَا يُزَادُ لَهَا فِي عَمْرِهَا مِنْ حَيَاتِيَا

٤٢ صدق الواشون

وماذا عَسَى الْوَاشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا سِوَى أَنْ يَقُولُوا إِنَّنِي لَكَ وَامِقُ

ماذا يمكن للواشين أن يقولوا سوى أنني لك محب عاشق

نَعَمْ صَدَقَ الْوَاشُونَ أَنْتِ كَرِيمَةٌ عَلَيْنَا، وَإِنْ لَمْ تَصُفْ مِنْكَ الْخَلَائِقُ

وقد صدقوا فأنت موضع تكريم عندي، وإن كانت طباعك لا تصفو لي

٤٣ حب بالمراسلة

وإِنِّي لَأَرْضَى مِنْ بَشِينَةٍ بِالَّذِي لَوْ ابْصَرَهُ الْوَاشِي لَقَرَّتْ بِلَابِلُهُ

أرضى من بشينة بالقليل جداً، الذي لو رآه الواشون لاطمأن بالهم واستقرت مخاوفهم

بِلا، وَبِأَنْ «لَا أَسْتَطِيعُ»، وَبِالْمُنَى وَبِالْأَمَلِ الْمَرْجُوِّ قَدْ خَابَ أَمَلُهُ

أرضى منها بكلمة «لا»، وبقولها «لا أستطيع»، وأرضى بالأمل.. لكنه أمل خائب

وَبِالنَّظَرَةِ الْعَجَلَى، وَبِالْحَوْلِ تَنْقُضِي أَوَاخِرُهُ، لَا نَلْتَقِي، وَأَوَائِلُهُ

وأرضى منها بالنظرة السريعة، ويتقضي العام من أوله إلى آخره ولا يكون بيننا لقاء

جميل بثينة
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

١٣	الأقدارُ	٣	الحُبُّ
١	تَنْظُرُ	٢	سَبَابُ
١٢	حَائِرُ	١	الحبيبِ
١٤	خَبْرُ	١	مَرْقَبِ
١	كَثِيرُ	١	رَقِيهَها
١٦	وَكَسِيرُ	١	نَصِيهَها
١٥	وَمَخَجَرُ	١	الغانياتِ
١٧	يَسِيرُ	٤	أَفْضَحُ
٢٠	الأخْمَرِ	١	أُنْجَحُ
١٩	الدهرِ	٦	بِالْقَوَادِحِ
٢٢	أَمِيرِ	٥	صَحِيحُها
١٨	صبرِ	١	وَعُهودا
٢١	يُقَدَّرِ	٧	وَأَقْتَصِدُوا
٢٤	الظَّمْعُ	٨	يَعُودُ
٢٣	وَتَنْزَعُ	١١	المَهْدِ
٢٦	المُضْعَفُ	١٠	رُشْدِي
٢٥	تُنَاصِفُ	٩	أُرِيدُها

٢٩	فَحَلَّهَا	١	لَعْيُوفُ
٤٣	بَلَابِلُهُ	٢٧	وَأَسْرُوقُ
٣٦	جَلَلُهُ	٤٢	وَامِقُ
١	كَلَامُهَا	٢٨	الْفِرَاقِ
٣٧	ضَنِينُ	٣٠	أَجْمَلُ
١	تَصِفَانِ	١	الْبُخْلُ
٣٩	يُبْكِينِي	٣٢	الْبُخْلُ
٣٨	يَمِينِي	٣٤	النُّحُولِ
٤٠	فَسَائِلُهَا	٣١	قَتْلِي
٤١	هَيَا	٣٥	قُقُولِ
		٣٣	وَاصِلِ

بقية المعلقات

كنا قد اخترنا أبياتاً من معلقات امرئ القيس وزهير والنابغة والأعشى ضمن ما اخترناه من شعرهم. وبقيت معلقات ست، بحسب من جعل المعلقات عشراً. فهذه مختارات من الست الباقيات.

وخير من شرح المعلقات العشر وأعربها كلها وبذل فيها الجهد الكبير الشيخ محمد علي طه الدرة، وقد أخذنا بأكثر من رواية وراجعنا المعلقات عند الزوزني والشنقيطي، الذي ساق روايات عدة، لكن ما صنعه الشيخ الدرة في مجلدين كبيرين انتهى من تبييضهما عام ١٩٧٤، جهد كبير جداً. اسمعه يقول في مقدمته: «وبما أنني لا أملك مالاً يكفي لطبعها ونشرها أخذت أتمسك ذلك من الناشرين، ومن المكتبات الشهيرة... ثم أرسلت المخطوط بكامله إلى وزارة الثقافة والإرشاد في دمشق والتمست منها طبعه ونشره فاعتذرت الوزارة...» وقف بإزاء هذين المجلدين الكبيرين اللذين حشيا علماً وذوقاً وفهماً للشعر وللغة وللنحو، وتأمل حال ثقافتنا، ومقدار احترامنا لجهد كبير مميز. كلما نظرت في طبّعات المعلقات السبع أو العشر، وهي أكثر من النمل وأقبح من القمل، قلت في نفسي: يا لضياح الورق. غير أن مجلدي الشيخ الدرة ثمينان.

سترى أن عملنا مختلف عن عمل الشيخ الدرة كثيراً، فالرجل شرح شرحاً مستفيضاً مفعماً بالتفسير اللغوي والبياني، وزاد في تفسير كل بيت فلفظه تلخيصاً، ثم زاد فأعرب البيت إعراباً كاملاً. كل ذلك بقلم قدير مبين. ونحن اخترنا أبياتاً من كل معلقة هي فيما نرى أجمل الأبيات وأقواها، وشرحناها بما يجعل القارئ يفهم، ثم إننا لا نمر بكلمة صعبة إلا فسرناها في سياق الشرح. لا نحن أعربنا ولا نحن عرضنا لما في الأبيات من نكت بلاغية، ومن مشكلات نحوية، ولا نحن سردنا الروايات المختلفة. فقد كنا نرى الروايات

المختلفة للكلمة بعينها أو لبيت أو نصف بيت، ونختار أشهرها، ثم لا ننقل على القارئ بذكر ما لم نختره من الروايات. وقد تأثرنا في اختيارنا للآيات نفسها، بعض التأثير، بذوق القدماء. فإذا رأيناهم أكثروا من التعجب من بيتين لعنترة يصف فيهما الذباب حرصنا على إيراد البيتين. فإن وجدنا الشنقيطي وطبعات عديدة أخرى أهملت بيتي عنترة «ولقد ذكرتكَ والرماح نواهل/مني وبيض الهند تقطر من دمي// فوددت تقبيل الرماح لأنها/ لمعت كبارق ثغرك المتبسّم» جئنا بالبيتين من رواية قديمة أخرى.

فإن قلت إن هذين البيتين السهلين الجميلين البسيطين عليهما سيما عصر لاحق، ولا يحملان من سمات لغة الجاهلية شيئاً، قلنا لك إن كل معلقة عنترة، وكل المعلقة، وكل الشعر الجاهلي قد دخل فيه ما ليس منه.

هذه مسألة شائكة جداً من مسائل تحقيق مصادر الأدب القديم. ونكتفي هنا بالإشارة إلى الحشد الكبير من الأمثلة الذي ساقه ناصر الدين الأسد - في كتابه «مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية» هذا الكتاب الذي ظل فذاً، لا ضريب له - على أن كثيراً من الشعر الجاهلي دوّن في مراحل باكورة. قد أكثر الأسد من الأمثلة إكثار مريب يحشد الأعذار. لكنه وقف في وجه الاندفاع العارمة لأستاذه طه حسين، الذي أنكر جاهلية الشعر الجاهلي، وقفة صارمة وهادئة وفيها الكثير من التأدب وحسن الخلق. ونحن هنا نقف وقفنا المعتادة، كي نمدح ونذم.

هذا الدارس الأردني، ناصر الدين الأسد، كان يحضر لرسالة الدكتوراه في مصر. وكانت رسالته هذا الكتاب الكبير، كتاباً ظل حتى بعد انقضاء سبعين سنة السند المكين لكل من يدرس موضوع «مصادر الشعر الجاهلي». وتقرأ الكتاب فتتمتع بلغته العالية، وتتمتع بالبحث العميق. وترى بحثاً حقيقياً. رحم الله ناصر الدين الأسد.

فهل لاحظتم أننا لم نقل «الدكتور» ناصر الدين الأسد؟ قد رفعنا قدره عن أن نلحقه بهذه الزمرة الكلبة من دكاتير الدكاكين الجامعية الذين يتصاعد الصنان من تلك الأسقاط التي يطبعونها ويسمونها كتباً.

المزيد من إنزال النكال بأهل الابتذال

قد كنا في مواضع من أوراقنا هذه، التي ننتخب فيها الأشعار ونشرحها، قصّبنا الأكاديميين وضرّسناهم، وتحدثنا في الأسطر السابقة هنا عن رجلين من

جلة العلماء، فذُكرنا - والشيء يُذكر بضده - بأساتيد الجامعات والجراء اللاعقة في سبيل الدكتوراهات. فطاب لنا أن نقف وقفة نعالنهم فيها بعضائهم، ونحسر اللثام عن مساوئهم، ونصحر لهم، لا نصادي ولا نداجي، بل نجدُ في فل شباتهم وكف عُرامهم. فما منهم إلا من هو خسارة مدرسته وكساحة صفه. إنهم - إلا من رحم ربي - أوشاظ رمت بهم مجاميعهم في كليات اللغة العربية في الجامعات، فأض ذلك زؤاناً كثيراً ضاع فيه القمح. ولا والله ما نرجو فيما نكتب أن نرتق فتقاً ولا أن نرأب ثأياً، بله أن نجادل بالتي هي أحسن. بل نقارعهم بالتي هي أسوأ حتى نقيم صعرهم من غير نية إصلاح، ونَجاً أعناقهم حتى نزعهم عن صيدهم. لا نرجو منهم إنابة ولا نزوعاً، قد اتسع الفتق على الراتق؛ ولا نلتمس إنهاءهم من كبوة ولا إقالتهم من عثرة، فقد تمرغوا في وضر السرجين، لا أقام الله لهم ساقاً. وتقول لي: أليس في افتضاح أمرهم ما يكفك عما أنت فيه من شتم؟ أولم يسلم سخيمة قلبك ما تراه من احتقار الناس في أيامنا لكل أصحاب الشهادات؟ أوليس مما يزيل حسائك صدرك أن لعبة «الدكتوراه» قد انكشفت؟ لا، لا يثنيني ذلك كله عن المضي في انتهاشهم، وجعلهم أحداثاً، فما أصنعه أثار لا إنذار. وإن عزب عنك إنني ألهم بهم لهو سيف الدولة بلحية الأحمق، فقد غاب عنك المطرب. أولئك قوم - وأعني دارسي الأدب العربي الذي استشروا في الجامعات - لم يتصوّنوا عن عرض الأدب، ولا ارعوا عن التسربيل بسربال الشنار في درسه. سأغلظ لهم وأحملهم على مبرد خشن يجرون عليه عضارطهم، وسأماظهم وأراغمهم كعماً كعماً.

وجل غضبي راجع إلى قبح في روعي ليس لي فيه يد. فقد تبرمجت منذ أن شدت على أن درس اللغة والعربية والشعر العربي، والتعمق فيهما، خير ما يصنعه المرء. ومضت سنوات كنت فيها كالماشى في نومه، فإذا الناس ينصرفون عن هذا كله انصرافاً، وإذا الفصحى تبهت، وإذا العاميات تزحزحها. ولا قبل لي بتغيير ما عليه تبرمجت وفيه نشأت. تولد في نفسي غضب شديد. ثم رأيت صروح التخلف والعفن - قد فهمت أنني أعني بذلك الجامعات! - تقيم للغة الفصحى وللأدب العتيق الصلوات: ورأيت رؤساء الجامعات، رؤساء، لا يؤمنون بكل هذا الذي اسمه أدب عتيق ولغة فصحي، ولكنهم ينضحون تلك الصروح بماء الرياء، ويحشرون فيها حُسافة الرجال كي يرضى عنهم زمن الانهزام، وكيلا يقال إنهم يتخلون عن تراث أمتهم. ثم يجيء هؤلاء الرؤساء

فيشطبون اللغة العربية شطباً من كليات العلوم. كأن الله لم يخلق العلوم إلا كي تدرس بلغة إفرنجية. فهذه واحدة بواحدة: يترصّون المتزمتين الرجوعيين برفع الكراسي للغة العتيقة يُجلسون عليها بعض خلق الله ممن رميناهم بالفواقر في الفقرات السابقة، ثم يلحقون أحذية سماسرة الغرب بشطب اللغة العربية من كليات العلوم، وبعضهم يشطبها من كليات الاجتماع والفلسفة والتاريخ أيضاً.

أنا غاضب أنني تعلقت بهذا القديم، ثم ما بلغت أول الشيخوخة إلا وهو مردول، فبارت بضاعتي.

أصدقك القول إنني أحمل بين جوانحي نفساً غضبى، وإنني أعاني علة الشيخ النكد الحاقد على الدنيا بلا سبب إلا أنه بدأ يدخل في أرذل العمر.

عود إلى المعلقة

لا تكاد تقرأ سطرين من مقدمة كتاب من مئات الكتب التي كتبها أولئك الفسول عن الشعر الجاهلي إلا قفزت إلى عينيك التسيبحات والتحميدات، والدعوات الحارات إلى المنافحة عن ديننا وشرفنا القومي. كأن هؤلاء الصبية داخلون على ضابط مخابرات فأول ما يجأرون به نفي التهمة عن أنفسهم. هذه - يا سوقة - مسألة بحثية لا شأن لها بمشاعركم.

الشعر الجاهلي موضع شك منذ ابن سلام حتى اليوم. قد قتل الناس الأمر بحثاً، وعليك بأبحاث نولدكه وألفرت ومرغوليوث التي نشرها مترجمة إلى العربية عبد الرحمن بدوي، وعليك بطه حسين، ثم عليك بكتاب محمود شاكر الذي محص فيه آراء ابن سلام، ففيه كتابة بديعة غير أنها ملوثة بالغضب. كان شاكر أحسن من فهم الشعر العربي القديم في زمننا، غير أن هذا لا يرفع عنه شبهة الغرض.

لا نخوض في صحة الشعر الجاهلي لأنه ليس عندنا جديد في هذا الأمر. وفي المعلقة نقول بقول مصطفى صادق الرافعي: «.. غير أنه مما لا شك فيه عندنا أن تلك القصائد لا تخلو من الزيادة وتعارض الألسنة، قل ذلك أو كثر؛ أما أن تكون بجملتها مولدة فدون هذا البناء نقض التاريخ.» نعم نحن لا نراها مولدة بجملتها، ولا نرى أن قريحة حماد الراوية أو خلف الأحمر قادرة على الإتيان بهذا التنوع البديع، وبهذه الأساليب المختلفة. وأما قصة تعليقها في الكعبة فلا يصلح فيها إلا قول الرافعي «ذلك التعليق إنما كان بحبل من التلفيق».

اختياراتنا من المعلقات

ذوقنا في الاختيار ذوق تراكمي: نحب الأبيات التي تعجبنا بصرف النظر عن أي تأثر، ونهش لكثير مما يستحسنه القدماء، فنورده حتى لا يفوت القارئ، أو نورده لأننا وجدناه حسناً. والبيت يصبح حسناً في أذنك إذا تكرر عليك، فإذا اصطلحت كتب الأدب على أبيات تكثر من إيرادها فهي تصبح حسنة بالتكرار. نعم، ذوقي في الاختيار ليس ذوق القادر المحكم الصارم المتجهم. قطفت لك أطايب المعلقات. ولست بالرجل العتيق يطلب من أمة لا إله إلا الله أن يغرقوا في الشعر القديم، وأن يطالعوه صباح مساء.

ففي الدنيا ما يشغل العاقل عن الشعر القديم. وحسب المتعلم أن يعرف قليلاً من خرافاتنا تكون له حبلاً سرياً يصله بلغته وأمته. ولا حياة لشعب بغير خرافات. قد كنت أنتدر ظهيرة اليوم مع نحو أربعين طالباً من طلابي بمقتل المتنبي. أروي لهم النادرة، وبيت الشعر المصاحب لها. وأرى في عيون بعضهم بريقاً: أنهم سمعوا بالنادرة، وأرى بعضهم متحفزاً يريد أن يعرف القصة، بعضهم يحفظ بيت الشعر المشهور الذي زعموا أنه «قتل» المتنبي، وبعضهم يتلأأ فيه. فإذا قلت: الخيل والليل والبيداء.. أكملوا كلهم البيت. تلك في عرف التاريخ خرافة، ولكنها تجمعنا حولها.

ولعلي ألا أطيل عليك وأنا أحدثك عن طلبتي الأربعين هؤلاء، وهم في الواقع ثمانية وأربعون.. عددتهم أمس.

هذا الصباح جئت إلى مركز التدريب وألقيت محاضرتي التي استغرقت ساعة، وانصرف الطلبة. وسيأتون عصراً للتدريب الطويل. فهل تريد أن تعرف أين أنا الآن إذ أكتب لك هذا؟

أنا في جوبا بجنوب السودان. وطلبتي مذيعون وصحفيون من راديو وتلفزيون دولة جنوب السودان الوليدة. والقوم هنا، في جوبا العاصمة نخبة لا تمثل سكان البلاد. فجوبا ثلث مليون، ودولة جنوب السودان عشرة ملايين.

ثمة اضطراب في نفوس الثمانية والأربعين متدرباً بشأن اللغة وبشأن الانتماء القبلي، وبشأن الدين. أحاول أن أثبت فيهم فكرة بسيطة: بسبب هذا التنوع الذي تعيشونه فالاتفاق على محور واحد هو الدولة وقوانينها أمر مجد. في البلد لغات شتى، وفيها صراع بين العربية والإنجليزية. تحاول السلطات

فرض الإنجليزية لغة رسمية ولغة تعليم، وهي ماضية في هذا. ولكن معظم الذين يملكون تعليماً، أو حتى يملكون دوراً اجتماعياً مهماً قد تعلموا في الخرطوم وعاشوا في شمال السودان طفولتهم أو شبابهم، ولغتهم الأولى العربية. سيكون صعباً على الإنجليزية أن تحل محل العربية وتغلبها إلا إذا استمرت مساعي الحكومة في هذا الصدد بضع سنوات أخرى. لكن دولة جنوب السودان ستبقى متعددة اللغات. لن يكون للإنجليزية فيها نصيب أفضل من نصيبها في الهند التي تتخذها لغة تفاهم رسمية دون أن تحلها في الألسنة محل اللغات الهندية الكثيرة.

نرجو لجنوب السودان ألا يجعل الدين محور انتماء وخلاف، لأنه سيخرج من الحرب القبلية القائمة الآن منذ ثلاث سنين - وأنا أكتب في ١٨ شباط/فبراير ٢٠١٦ - ليدخل في حرب دينية.

لو حدثت القارئ عن الـ ٤٥ درجة مئوية التي أكتب وأنا أستحم بعرقها لأدرك اضطراب كتابتي، وانتقالي من موضوع إلى موضوع.

ما الذي أدى بي إلى أن أزيد متاعب قلبي الناشئة عن شعر طرفة بن العبد وعبيد بن الأبرص وسائر أصحاب المعلقات، بشرح هذا الشعر وتشكيله في مثل هذا الجو الخانق؟ لا بد أنني، في لاوعمي، أعاقب نفسي على خطايا كنت ارتكبتها.

١ معلقة طَرْفَةَ بْنِ الْعَبْدِ الْبَكْرِيِّ

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ بِبُرْقَةٍ نَهْمَدِ تَلَوْحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْبَدِ

لقوم خولة بقايا منازل بعد رحيلهم عن «برقة نهمد»، وهي تبدو شاحبة كأنها بقايا الوشم

وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيبُهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلَّدِ

يقف أصحابي نياقهم، أي يوقفونها، عليّ، أي من أجلي،

ويقولون لا تُمتِ نفسك حزناً وتجلد (اصبر)

كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدُوءَ خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ

كأن الحدوج، أي هودج النساء، المنسوبة إلى مالك بن سعد خلايا سفين، سفن كبيرة، لكنها تسير في النواصف، أي الطرق، في وادي «دَدِ»

عَدُولِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِنْ يَجُورُ بِهَا الْمَلَّاحُ طَوْرًا وَنَهْتَدِي

كأنها من سفن عدولّي، على ساحل عمان، أو من سفن البَحَّار المعروف ابن يامن، وهي تسير والملاح ينحرف بها حيناً ويسير مستقيماً حيناً

يَشُقُّ حَبَابَ الْمَاءِ حَيَزُومُهَا بِهَا كَمَا قَسَمَ الثُّرْبُ الْمُفَايِلُ بِالْيَدِ

حيزوم السفينة، أي صدرها، يشق حباب الماء، أي فقايعه، ماضياً بها، أي بالسفينة، مثلما يشق المفايل التراب. فالمفايل، اللاعب بالتراب، يدس في كوم التراب شيئاً ثم يشق الكوم نصفين، وعلى خصمه أن يحزر في أي نصف استقر ذلك الشيء

وَوَجْهُ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِدَاءَهَا عَلَيْهِ نَقِيَّ اللَّوْنِ لَمْ يَتَّخَذِ

وللحبيبة وجه كأن الشمس منحته بهجتها. وبشرته صافية لم تشقق

وَإِنِّي لِأَمْضِي الْهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِعَوَجَاءِ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَعْتَدِي

وأنا أنفذ همي، أي مقصدي ومطمحي، عندما يحضر وقته بناق عوجاء تسير مهملجة يميناً ويساراً لشدة نشاطها، وهي مرقال، سريعة، تروح، أي تسير مساءً، وتغتدي، أي تسير صباحاً

لَهَا فَخِذَانِ أَكْمَلَ النَّحْضُ فِيهِمَا كَأَنَّهُمَا بَابَا مُنِيفٍ مُمَرِّدٍ

اكتمل نحض، أي لحم، فخذيها فكانهما مصراعاً باب قصر منيف، أي عال، معرد، أي أملس.. من رخام مثلاً

وَجُمُجْمَةٌ مِثْلُ الْعَلَاةِ كَأَنَّمَا وَعَى الْمُلتَقَى مِنْهَا إِلَى حَرْفٍ مَبْرَدٍ

وللناقة جمجمة كالعلاة، أي سندان الحداد. ومكان التقاء أطراف الجمجمة عند فم الناقة محدد كطرف السندان الذي يشبه المبرد. السندان حتى في أيامنا يشبه رأس الناقة، ويبدو أن «السندان» لم يتطور كثيراً في الألف والخمسة سنة التي تفصلنا عن طرفه

وَإِنْ شِئْتُ لَمْ تُرْقِلْ وَإِنْ شِئْتُ أَرْقَلْتُ مَخَافَةَ مَلُويٍّ مِنَ الْقِدِّ مُحْصَدٍ

إن أردتها أن تبطئ فعلت، وإن أردتها أن ترقل وتسرع فعلت، وكل ذلك من أثر السوط الذي التوت سيوره الجلدية مجدولة. والقِدِّ: الجلد، والمحصد: المفنول بإحكام

عَلَى مِثْلِهَا أَمْضِي إِذَا قَالَ صَاحِبِي أَلَا لَيْتَنِي أَفْدِيكَ مِنْهَا وَأَفْتَدِي

أسافر على مثل هذه الناقة، إذ يقول لي صاحبي أفديك منها، أي من هول الصحراء، وأفتدي أنا أيضاً

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَى؟ خِلْتُ أَنَّنِي عُنَيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

إذا قال القوم: هل من فتى؟ ظننتهم يعتونني، فنهضت بالمهمة الصعبة بلا كسل ولا تبلد، أي بلا بطة في الفهم

وَلَسْتُ بِحَلَّالِ التَّلَاعِ مَخَافَةَ وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ الْقَوْمُ أَرْفِدِ

لا أحل التلاع، السفوح تحت القمم، مخبتاً خائفاً، لكنني عندما يطلب القوم الرfid والمعونة أرفدهم

وَأَنْ تَبْغِنِي فِي حَلَقَةِ الْقَوْمِ تَلْقَنِي وَأَنْ تَلْتَمِسْنِي فِي الْحَوَانِيتِ تَضْطَلِدِ
 إِنْ تَطْلُبْنِي فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ فَأَنَا هُنَاكَ، وَإِنْ بَحِثْ عَنِّي فِي حَوَانِيتِ الْخَمْرِ عَثَرْتَ عَلَيَّ
 وَإِنْ يَلْتَقِ الْحَيُّ الْجَمِيعُ ثَلَاقِنِي إِلَى ذُرْوَةِ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ الْمُصْمَدِ
 وَإِنْ اتَّقَى الْقَوْمُ جَمِيعاً فَأَنَا هُنَاكَ بَيْنَهُمْ، وَمَكَانِي فِي أَعْلَى الْيُوتِ نَسَباً، فَاسْرَتْنَا كَرِيمَةً مُصَمَدَةً،
 أَيْ يَقْصِدُهَا الْقَصَادُ لِنِيلِ الْعَوْنِ

نَدَامَايَ بَيْضُ كَالنُّجُومِ، وَقَيْنَةُ تَرُوحُ عَلَيْنَا بَيْنَ بُرْدٍ وَمُجَسَّدِ
 نَدْمَائِي بَيْضُ الْوُجُوهِ مِنَ الْأَشْرَافِ، وَمَعَهُمْ قَيْنَةٌ جَارِيَةٌ مَغْنِيَةٌ، تَخْدُمُنَا وَهِيَ تَرْتَدِي بَرْداً، ثَوْباً
 مَخْطُوطاً، وَتَرْتَدِي مُجَسَّداً، ثَوْباً مُصْبُوغاً مَلَاصِقاً لِلْجَسَدِ

رَحِيبٌ قَطَابُ الْجَيْبِ مِنْهَا رَفِيقَةٌ بِجَسْنِ النَّدَامَى بَضَّةُ الْمُتَجَرِّدِ
 وَثَوْبُ الْجَارِيَةِ مَشْقُوقٌ شَقاً رَحِيحاً وَاسِعاً، وَهِيَ مَرْتَفِقَةٌ رَاضِيَةٌ بِأَنْ يَتَحَسَّسَ النَّدَامَى جِسْمَهَا،
 وَمُتَجَرِّدَهَا، أَيْ مَغْرَاهَا، بَضْ طَرِي

إِذَا نَحْنُ قُلْنَا أَسْمِعِينَا انْتَبَرَتْ لَنَا عَلَى رِسْلِهَا مَطْرُوفَةٌ لَمْ تَشُدِّ
 إِذَا أَرَدْنَا غَنَاءَهَا فَهِيَ تَبْرِي لَنَا، تَمِيلُ عَلَيْنَا، مَغْنِيَةٌ عَلَى رِسْلِهَا، بِهَدْوٍ، مَطْرُوفَةٌ، أَيْ تَغْمُضُ عَيْنَهَا
 نِصْفَ إِغْمَاضٍ، وَلَا تَشُدُّ، أَيْ لَا تَمْتَنِعُ مِنْ تَلْبِيَةِ الْطَلَبِ

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الْخُمُورَ وَلَدَّنِي وَبَيْعِي وَإِنْفَاقِي طَرِيفِي وَمُتَلَدِّي
 هَذَا دَابِّي: أَشْرَبْتُ وَأَسْتَمْتَعُ، وَأَبِيعُ طَرِيفِي، مَالِي الَّذِي كَسَبْتُهُ، وَمُتَلَدِّي، مَا وَرَثْتُ

إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا وَأَفْرَدْتُ إِفْرَادَ الْبَعِيرِ الْمُعَبَّدِ
 حَتَّى تَجَنَّبَتْنِي الْعَشِيرَةُ، وَصَرْتُ مَبْنُوداً كَالْبَعِيرِ الْمُعَبَّدِ، الْمَطْلِيِّ بِالْقَطْرَانِ لِلْجَرْبِ

أَلَا أَيُّهَا الرَّاجِرِيُّ أَحْضَرُ الْوَعَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي؟
 يَا مَنْ يَزْجُرْنِي، وَيُؤْنِسُنِي لِمَغَامِرَاتِي فِي الْحَرْبِ وَفِي مَجَالِسِ اللَّهِو، أَسْتَطِيعُ مَنَعَ الْمَوْتِ أَنْ يَأْتِيَنِي؟

فَإِنْ كُنْتُ لَا تَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي فَدَعْنِي أَبَادُوهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي
 فَإِنْ كُنْتُ لَا تَسْتَطِيعُ مَنَعَ الْمَوْتِ عَنِّي، فَاتْرَكْنِي أَبَادِرُ، أَيْ أَسَاقِ، الْمَوْتِ بِإِنْفَاقِ مَالِي

وَلَوْ لَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى وَجَدَّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ عُودِي
 لَوْ لَا ثَلَاثَةُ أُمُورٍ، هُنَّ خَيْرٌ مَا فِي عَيْشَةِ الْمَرْءِ، فَبِحَيَاتِكَ لَنْ أَهْتَمَّ بِالْمَوْتِ الَّذِي يَقُومُ عِنْدَ حُضُورِهِ
 الْعُودُ، أَيْ زَوَارِ الْمَرِيضِ، وَيُرْوَحُونَ إِلَى بِيُوتِهِمْ

فَمِنْهُمْ سَبَقُ الْعَاذِلَاتِ بِشَرِّبَةٍ كُمَيْتٍ مَتَى مَا تُعَلَّ بِالْمَاءِ تُزِيدُ
 هَذِهِ الْأُمُورُ: أَنْ أَسْبَقَ حُضُورَ الْعَاذِلَاتِ، اللَّائِي يَلْمِئْنِي عَلَى الْخَمْرِ، بِأَنْ أَشْرَبْتُ خَمِراً كَمِثّاً دَاكِئَةً
 يَعْطَلُهَا الزَّيْدُ عِنْدَمَا يُضَافُ إِلَيْهَا الْمَاءُ

وَكَرَّيْ إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مَحْنَبًا كَسِيدِ الْغَضَا نَبْهَةً، الْمُتَوَرِّدُ

ومنها هجومي عندما يناديني المضاف، أي المهموم، بفرسي المحنب، المعوج اليدين مما يجعله سريع الانفتال والمناورة في المعركة. وإن فرسي مثل سيد الغضا، ذئب الغابة، المتورد، الوارد إلى الماء، عندما تتعرض له وتنبهه فيفر مسرعاً

وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ، وَالدَّجْنُ مُعْجَبٌ، بِبَهْكَنَةٍ تَحْتَ الطَّرَازِ الْمُعَمَّدِ

ومنها تقصير اليوم الغائم، وما أجمله، باللهو مع بهكنة، امرأة ناعمة، تحت الخيمة ذات العمود. ظلوا حتى العصر العباسي يحبون عقد مجلس اللهو عندما تغيم السماء، أو تمطر

كَرِيمٌ يُرَوِّي نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ. سَتَعْلَمُ إِنْ مُتْنَا عَدَا أَئِنَّا الصَّدْيِ

أنا كريم أرتوي من الملاذ في حياتي، وستعلم عندما نموت من منا مات صادقاً عطشاناً

أَرَى قَبْرَ نَحَامٍ بِخَيْلٍ بِمَالِهِ كَقَبْرِ عَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسِدِ

القبور تشابه، ف قبر النحام، أي البخيل الذي يأخذ ينتحنح إذا طلبت منه شيئاً، قبر الضال الذي يبدد ماله على شهواته

أَرَى الْمَوْتَ يَنْتَامُ الْكِرَامَ، وَيَضْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ

الموت يعتام، أي يختار، الكرام، وهو بالطبع يختار اللثام أيضاً لكنه فوق ذلك يتخير عقيلة مال الفاحش، السيء الخلق المتشدد ببخله. ذلك أن البخيل يموت فيفقد نفسه، ويفقد فوق ذلك ماله. وعقيلة المال أحسن ما يملك المرء من إبل معقولة أي مربوطة

أَرَى الْعَيْشَ كَنْزاً نَاقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ وَمَا تَنْقُصُ الْأَيَّامُ وَالْدَّهْرُ، يَنْقُدِ

العيش مثل كنز يضمحل باستمرار، والذي تنقصه، أي تجعله ينقص، الأيام وبيدده الدهر فهو ينقذ وينتهي

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لَكَالطَّوْلِ الْمُرْخَى وَثُبَاهُ فِي الْبَدِ

الموت آت لا محالة، فهو مثل الطول، الجبل، المرخى للبعير كي يرعى كما يشتهي، ولكن ثوبي الجبل، ما يشته الراعي على كفه من طرف الجبل، في يدي الراعي. فالبعير الذي يرعى بحريته ليس حراً، ولا بد أن يجذبه صاحبه في النهاية، وكذا الموت

مَتَى مَا يَشَأُ يَوْمًا يَقْذُهُ لِحَتْفِهِ وَمَنْ يَكُ فِي حَبْلِ الْمَمِيَّةِ يَنْقُدِ

متى أراد صاحب البعير قاده بحبله، ومن كان مربوطاً بحبل الموت فلا بد أيضاً أن ينقاد يوماً

فَمَا لِي أَرَانِي وَإِنَّ عَمِّي مَالِكًا مَتَى أَذُنُ مِنْهُ يَنَأُ عَنِّي وَيَبْعُدِ

يَلُومُ وَمَا أَدْرِي عَلَامَ يَلُومُنِي كَمَا لَا مَنِي فِي الْحَيِّ قُرْطُ بَنٍ مَعْبَدِ

وإن أذع للجلى أكن من حماتها وإن يأتك الأعداء بالجهد أجهد
إذا دعيت للجلى، الأمر العظيم، فإني ممن يحمون الديار والقوم، وإن أتاك يا ابن عمي الأعداء
جاهدين فأنا أتصدى لهم جاهداً

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند
مضاضة: إيلاًماً

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كراس الحية المتوقد
الضرب: النحل، الخشاش: النشاط الفعّال. وهذه الكلمة تصلح كي تقوم مقام تعبير إنجليزي أراه
بديعاً، يقول الإنجليزي عن الشخص الفعّال إنه «يجعل الأشياء تحدث»، فهذا هو الخشاش

فإن مت فأنعيني بما أنا أهله وشقي عليّ الجيب يا ابنة مغبّد
يوصي ابنة أخيه: انعيني بما أستحق، وشقي عليّ الجيب، أي فتحة الرأس في الثوب

ولا تجعليني كامريّ ليس همّة كهمي، ولا يُعني غنائي ومشهدي
لا تجعليني كمن ليس همه وطموحه مثل طموحي، ولا يقوم بما أقوم به من أفعال، وليس له محضري

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تُزود
ستكشف الأيام ما كنت تجهله، وسيأتيك بالأخبار كل الناس، وليس فقط الشخص الذي تزود
بزاد ومال وترسله في طلب الأخبار

ويأتيك بالأخبار من لم تبع له بتاتاً، ولم تضرب له وقت موعّد
سيأتيك بالأخبار من لم تشتّر له بتاتاً، أي متاعاً، ولم تضرب بينك وبينه موعداً لرجوعه بالأخبار

٢ معلقة لبدي بن ربيعة العامري

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبّد عولها فرجامها

عفت: امّحت، محلها: موضع الحلول المؤقت، مقامها: موضع الإقامة مدة طويلة. تأبّد: توحش.
يقول: لقد امّحت تلك الديار سواء منها ما كان للحلول والاستراحة أم للإقامة. وهذه الديار في
موضع منى، بين نبع الغيل وجبل الرجام، وأصبحت تردها الوحوش فقط، ولم يعد بها بشر

فمدافع الريان عريّ رسمها خلّفاً، كما ضمن الوحي، سلامها

المدافع: الشقوق في الجبل التي تندفع منها مياه السيول، الوحي، جمع وحي:
الكتب. السلام: الصخور. يقول: قد أصبحت مجاري الماء في جبل الريان رسوماً
عارية، وخلّفاً سلامها، أي عتيقة حجارتهاء، وهذه الحجارة تشبه النقوش التي
تتضمنها الكتب. ولم تكن الكتب مألوفة لعرب الجاهلية، فإذا رأوا كتاباً من كتب
اليهود مثلاً، ويسمونّه الوحي، فهم يرون الكتابة فيه خرايش متفرقة ليست بذات معنى

دِمْنُ تَجْرَمَ بَعْدَ عَهْدِ أَنْيَسِهَا حَجَجُ خَلَوْنَ حَلَالُهَا وَحَرَامُهَا

هذه أطلال تجرم، أي مضي، عليها بعد أن فارقتها الأنيس، أي الإنسان، أعوام كثيرة خلت، أعوام كثيرة بما فيها من الشهور الحلال والشهور الحرام (ما يجوز فيه القتال وما يحرم)

وَجَلَا السَيُولُ عَنِ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجَدُّ مَتُونُهَا أَقْلَامُهَا

كشفت السيول ما غطى بقايا الديار، فكان الطلول هي الزبر، أي الكتب التي تجدد الكتابة عليها الأقلام. وكانوا يكتبون على الجلد أو العظم ثم يمسحون ثم يجددون الكتابة فيبدو وجه الكتاب منقوشاً بنقوش مختلطة. أعجب القدماء بهذا التشبيه، روى أن الفرزدق عندما سمعه سجد، فقيل له: ما هذا؟ فقال: أنتم تعرفون سجدة القرآن، وأنا أعرف سجدة الشعر

فَوَقَفْتُ أَسْأَلُهَا، وَكَيْفَ سُؤَالُنَا سُفْعًا خَوَالِدَ مَا يَبِينُ كَلَامُهَا؟

فوقفت أسأل الطلول، وكيف للمرء أن يسأل صخوراً صماء سفعاً، محترقة من وضع القدور فوقها والنار تحت القدور، وهي صخور خوالد باقية لم تتحرك بفعل السيول، ولكن.. لا نفهم لها كلاماً

بَلْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ نَوَارٍ وَقَدْ نَأَتْ وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهَا وَرِمَامُهَا؟

أي شيء تتذكر يا لبيد، يخاطب نفسه، من نوار وقد ابتعدت، وتقطعت أسبابها، أي حبالها، ورمامها، أي الحبال البالية، كناية عن انقطاع الصلات معها

مُرِّيَّةٌ حَلَّتْ بِقَيْدٍ، وَجَاوَرَتْ أَهْلَ الْحِجَازِ فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا

نوار من بني مرة، وقد نزلت في قرية قيد على طريق مكة، وجاورت الحجاز، فلا سبيل إلى مرامها، مطلبها والحصول على وصلها

أَوَلَمْ تَكُنْ تَدْرِي نَوَارُ بِأَنِّي وَصَّالٌ عَفْدٍ حَبَائِلٍ جَذَامُهَا؟

ألا تدري نوار أنني أصل من أعاهده، وأنتي جذام، أي قاطع، هذه الصلات إذا استحق الآخر أن أنصرف عنه؟

تَرَاكَ أَمَكِنَةً إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَغْتَلِقُ بَعْضَ النَّفُوسِ حِمَامُهَا

أنا أترك المكان الذي لا يرضيني، لا يمنني من ذلك إلا أن يتعلق بجسمي الموت

وَجَزُورٍ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَتْفِهَا بِمَعَالِقِ مُتَشَابِهِ أَجْسَامُهَا

رب جزور أيسار، أي ناقة أعدت للمقامرة على لحمها، جئت بها للذبح، حيث ستقامر عليها بمغالق، أي سهام متشابهة، لا يعرف المقامرون ما الذي كتب على كل سهم. وسرمي السهام وسيفوز كل مقامر بحصة كبيرة أو صغيرة

أَدْعُو بِهِنَّ لِعَاقِرٍ أَوْ مُظْفِلٍ بُذِلَتْ لِحِيرَانِ الشِّتَاءِ لِحَامُهَا

وإنما أحضر هذه السهام لكي نذبح في المحصلة ناقة عاقراً، أو ناقة مطلق لها ولد. وسيتم توزيع اللحم في النهاية على الفقراء المجاورين لنا في الشتاء حيث يشتد البرد ويقل العشب والحليب في ضروع النياق، وجيران الشتاء جائعون

فَالضَّيْفُ وَالْجَارُ الْجَنِيبُ كَأَنَّمَا هَبَطَا تَبَالَةً مُخَصِباً أَهْضَامُهَا

فالضيف النازل بنا والجار المقيم قريباً منا وهو غريب عن قبيلتنا، يشعران لسخاتنا كأنما نزلا بمنطقة «تباله» الخصبه أهضامها، أي سهولها ذات النخل

فَأَفْتَحَ بِمَا قَسَمَ الْمَلِكُ، فَإِنَّمَا قَسَمَ الْخَلَائِقَ بَيْنَنَا عَلَامُهَا

فارض بما قسم لك الله، فهو يعلم كيف يقسم الرزق

وَإِذَا الْأَمَانَةُ قُسِّمَتْ فِي مَعْشَرٍ أَوْفَى بِأَوْفَرِ حَظَّنَا قَسَامُهَا

إذا قسمت «الأمانة» في معشر من الناس فنحن ننال النصيب الأوفر من هذا الخلق الكريم

فَبَنَى لَنَا بَيْتاً رَفِيعاً سَمَكُهُ قَسَمَا إِلَيْهِ كَهْلُهَا وَعُلاَمُهَا

بنى الله لنا بيتاً من العز والشرف عالي السمك، أي السقف، فالكهل والغلام في عشيرتنا يتطلعان إلى بلوغ ذروة الشرف

وَهُمُ السُّعَاءُ إِذَا الْعَشِيرَةُ أَفْطَعَتْ وَهُمْ قَوَارِسُهَا وَهُمْ حُكَّامُهَا

شباننا وكهولنا يسعون للنجدة إذا حل بالعشيرة أمر فظيع،

وهم الفرسان وهم من يحتكم إليهم الناس

وَهُمُ رَبِيعٌ لِلْمُجَارِ فِيهِمْ وَالْمُرْمَلَاتِ إِذَا تَطَاوَلَ عَامُهَا

وهم بمثابة خصب وخير لمن يجاورهم، وللمرملات، أي الأرامل، اللاتي مر على ترملهن زمن

٣ معلقة عَمْرِو بْنِ كُلْثُومٍ التَّغْلِبِيِّ

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا

استيقظي وقومي من نومك، وتقدمي بصحنك، أي بالقدرح الكبير، لتصبحينا، تسقينا خمر الصباح، ولا توفري شيئاً من الخمر المستوردة من منطقة الأندرين

مُسْعَشَعَةً كَأَنَّ الْحُصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا

اسقينا خمرأ مشعشة، مصفرة اللون، كأن فيها الحص، وهو الورس الذي يصفون به للصفرة، وما إن يختلط بها الماء حتى نهتز نحن للكرم والسخاء

تَجُورُ بِذِي اللَّبَانَةِ عَنْ هَوَاهُ إِذَا مَا ذَاقَهَا حَتَّى يَلِينَا

الخمر تجور وتنحرف بصاحب اللبانة، أي الحاجة، عن هواه، رغبته الأصلية، فيغير رأيه إذا ذاق الخمر ويلين

تَرَى اللَّحْزَ الشَّحِيحَ إِذَا أَمِرَّتْ عَلَيْهِ لِمَالِهِ فِيهَا مُهِينَا

ترى اللحز، النزق السيء الخلق، والشحاح البخيل يهين ماله ويسخو إذا مرت الساقية عليه بالكأس

وَكَأْسٍ قَدْ شَرِبْتُ بِبَمَلَبَكْ وَأُخْرَى فِي دِمَشَقَ وَقَاصِرِينَا

هذه أماكن يذكر أنه شرب فيها

وَأَنَا سَوْفَ تَدْرِكُنَا الْمَنَايَا مُقَدَّرَةً لَنَا وَمُقَدَّرِينَ

فليشرب المرء فالموت سيدركه في النهاية، فالموت مقدر عليه وهو مقدر للموت

قَفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ظَعِينَا نُخَبِّرُكَ الْيَقِينِ وَتُخْبِرُنَا

قفي أيتها الظعين، المرأة الراكبة للرجل، كي نخبرك بما ترك فينا خبر رحيلك من ألم، ولنسمع حديثك

وَمَا كَمَ يَضِيقُ الْبَابُ عَنْهَا وَكَشَحَ قَدْ جُنِنْتُ بِهِ جُنُونَا

رُبَّ أَرْدَافٍ لِهَذِهِ الْمَرْأَةِ يَضِيقُ بَابَ الْخِيْمَةِ عَنْهَا، وَلَهَا كَشَحٌ، أَيْ خَصَرٌ، جَنَّتْ بِهِ. وَلَعَلَّ جَنَ الْفَرْقِ بَيْنَ الْخَصَرِ النَّحِيلِ وَالْأَرْدَافِ الْعَرِيضَةِ. وَالرَّجُلُ جَسَمُهُ غَيْرَ ذَلِكَ فَهُوَ يَلَاظُ هَذَا فِي الْمَرْأَةِ فَيَصِيههُ شَيْءٌ شَبِيهَ بـ... إلخ.. جَنُونٌ

فَمَا وَجَدْتُ كَوْجَدِي أُمُّ سَقْبٍ أَضَلَّتْهُ فَرَجَّعَتْ الْحَنِينَا

ما حزنْتُ كحزني أم سقْب، أي بعير صغير، أضاعته فأخذت تردد صوتاً حزيناً بسمونه «الحنين»

وَلَا شَمَطَاءَ لَمْ يَشْرُكْ شَقَاهَا لَهَا مِنْ تَسْعَةٍ إِلَّا جَنِينَا

وَلَا حَزْنْتُ كحزني امرأة شمطاء، اختلط بياض شعرها بسواده، لَمْ يَتْرِكْ لَهَا عَيْشَهَا الشَّقِيَّ مِنْ أَوْلَادِهَا التَّسْعَةِ أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ جَنِينٌ فِي الْأَرْضِ، أَيْ مَخْبُوءٌ مَدْفُونٌ فِيهَا

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَمَجِّلْ عَلَيْنَا وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرُكَ الْيَقِينَا

أيها الملك عمرو بن هند تریث، وأنظرنا، أمهلنا، حتى نغفلك بالحقيقة..

بِأَنَّا نُورِدُ الرِّايَاتِ بِيَضًا وَنُضْذِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا

نأتي إلى المعركة بالرايات وهي بيض، ونصدرهن، أي نرجع بهن، وهن حمر من الدم

وَأَيَّامَ لَنَا غُرْطُولٍ عَصَيْنَا الْمَلِكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا

وَرَبَّ أَيَّامَ لَنَا، وَأَيَّامُ الْعَرَبِ مَعَارِكُهَا، طَوِيلَةٌ وَغَرَاءُ، أَيْ مَشْهُورَةٌ، وَفِيهَا عَصَيْنَا الْمَلِكَ، أَيْ الْمَلِكُ، وَلَمْ نَدْنِ، أَيْ لَمْ نَخْضَعْ

مَتَى نَنْقُلُ إِلَى قَوْمِ رَحَانَا يَكُونُوا فِي اللَّقَاءِ لَهَا طَحِينَا

إذا نقلنا رحانا، طاحوننا، إلى قوم فسوف يكونون الطحين عند اللقاء في المعركة

يَكُونُ ثِقَالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ وَلَهْوُهَا قُضَاعَةٌ أَجْمَعِينَا

الثقال بساط من جلد يوضع تحت حجري الطاحون كي يتلقَّى الطحين. وطاحوننا نقله إلى نجد مع الثفال، واللهوة، أي قبضة القمح التي تلقى بين الرحوين، هي قبيلة قضاعة كلها

نُطَاعِرُنْ مَا تَرَاحَى النَّاسُ عَنَّا وَنَضْرِبُ بِالسِّيُوفِ إِذَا غَشِينَا

نطعن الأعداء بالرماح إذا تراخى الناس وابتعدوا، فإذا ما غشنا، أحيط بنا،
فنحن نضرب بالسيف

كَأَنَّ سِيُوفَنَا فِيْنَا وَفِيَهُمْ مَخَارِيقُ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا

سيوفنا وهي تنهشهم، وسيوفهم وهي تنهشنا، ماضية في التلاقي والضرب كأنها المخاريق،
والمخاريق سيوف من خشب، فكان ذلك اللقاء لعب، ولكنه في الواقع لقاء دموي

كَأَنَّ ثِيَابَنَا، مِنَّا وَمِنْهُمْ، خُضِبْنَ بِأَرْجَوَانٍ أَوْ طُلِينَا

كان ثيابنا مصبغة بصيغ الأرجوان الأحمر أو مطلية به، وذلك من دماننا ومن دمانهم هم. وصنفوا
قصيدة عمرو بن كلثوم هذه ضمن ما سموه «المنصِّفات»، وهي قصائد أنصف أصحابها أعداءهم
ونسبوا إليهم الشجاعة، وأقروا بأن الأعداء أبلوا بلاء حسناً

بِشُبَّانٍ يَرَوْنَ الْقَتْلَ مَجْدًا وَشَيْبٍ فِي الْحُرُوبِ مُجَرَّبِينَ

نخوض هذا القتال شبان يعتبرون الموت قتلاً ضرباً من المجد، ونخوضه برجال وخط رؤوسهم
الشيب وجربوا الحروب

أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

الجهل: الغضب والتهور

بِأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمَرَوْ بَنَ هِنْدٍ نَكُونُ لِقَبِيلِكُمْ فِيهَا قَطِينَا

من قال لك يا عمرو بن هند أننا قطين، خدم، لقيلكم، أي مَلِكُكُمْ؟

بِأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمَرَوْ بَنَ هِنْدٍ نَطِيعُ بِنَا الْوُشَاةَ وَتَزْدَرِينَا

كيف لك أن تطيع الوشاة الذين أفسدوا بيننا، وتحتقرنا؟

تُهَدِّدُنَا وَتُوعِدُنَا! رُؤِيدَا مَتَى كُنَّا لِأَمِّكَ مُقْتَوِينَا

متى كنا لأمك مقتوين، أي خدماً. وكانت أم عمرو بن هند هذا قد استضافت أم الشاعر، وطلبت
منها أن تناولها شيئاً، فصرخت أم الشاعر لأنها رأت أن مضيفتها أرادت إهانتها

فإِنَّ قَنَاتَنَا يَا عَمْرُو أَعْيَتْ عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا

رمحنا أعجز الأعداء قبلك أن يلين لهم، كناية عن إرادة صلبة لا تلين

عَلَى آثَارِنَا بِيضٌ حِسَانٌ نَحَازِرُ أَنْ تُقَسِّمَ أَوْ تَهُونَا

وراءنا نساء بيض جميلات لا نريد لهن الوقوع في الأسر فيقتسمهن الأعداء ويلحق بهن الهوان
والذل، لذا فنحن نقاتل بشراسة

يَقْتُنْ حِيَادَنَا وَيَقْلُنْ : لَسْتُمْ بُمَوْلَتَنَا إِذَا لَمْ تَمْنُمُونَا

نساؤنا يطعمن الخيل، ويقلن لنا : لستم لنا بأزواج إذا لم تحمونا

إِذَا لَمْ نَحْمِيْهِنَّ فَلَا بَقِيْنَا لِشَيْءٍ بَعْدَهُنَّ وَلَا حَبِيْنَا وَقَدْ عَلِمَ الْقِبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ إِذَا قُبِبَ بِأَبْطَحِهَا بُزِينَا..

لقد علمت قبائل معد، وهي الشعب الكبير من عرب الشمال، عندما نصبنا الخيام في السهول..

بِأَنَّا الْمُطْعِمُونَ إِذَا قَدَرْنَا وَأَنَّا الْمُهْلِكُونَ إِذَا ابْتُلِينَا

علمت قبائل معد بأننا نطعم الفقير إذا قدرنا، أي نصبنا القُدور وطبخنا، ونهلك الأعداء الذين يبلوننا، أي يجربوننا ليعرفوا مواطن ضعفنا

وَأَنَّا الْمَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا وَأَنَّا النَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِئْنَا

ونمنع المغيرين من ورود ماثنا أو التعدي علينا، وننصب خيامنا في أي مكان شئنا لا نخاف أحداً

وَأَنَّا التَّارِكُونَ إِذَا سَخِطْنَا وَأَنَا الْآخِذُونَ إِذَا رَضِينَا

ولا أحد يحبسنا في أرض، فنحن نرحل إذا سخطنا، ونأخذ ما نريد أخذه في حال الرضى

وَأَنَا الْعَاصِمُونَ إِذَا أَطِغْنَا وَأَنَا الْعَارِمُونَ إِذَا عُصِبْنَا

إذا أطاعنا الناس نعصمهم، نحميمهم، وإذا عصانا الناس فنحن عارمون أي أشداء

وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْوًا وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدْرًا وَطِينًا

نحن، لقوتنا، أول من يشرب ويسقي إبله من الحوض فنشرب ماء صافياً، ونترك للآخرين الحوض وقد تكدر ماؤه، فيشربون الكدر والطين

لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَمْسَى عَلَيْهَا وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا

مَلَأْنَا الْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا وَمَاءُ الْبَحْرِ نَمْلَأُهُ سَفِينَا

إِذَا بَلَغَ الرِّضِيعُ لَنَا فِطَامًا تَخِرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَا

٤ معلقة عَتْرَةَ بْنِ شَدَّادِ الْعَبْسِيِّ

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمٍ

هل ترك الشعراء شيئاً لم يقولوا فيه؟ وهل تركوا طلاً لم يصفوه؟ وهل أنت يا عترة - يخاطب نفسه - قد عرفت ديارهم المقفرة بعد أن شككت فيها؟ وللشراح في «المتردم» أقوال لم نرتضها

يَا دَارَ عَبْلَةٍ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي وَعِمِّي صَبَاحاً دَارَ عَبْلَةٍ وَاسْلَمِي

يا دار عبلة بموضع «الجواء» تكلمي وأخبرينا عن أهلك ماذا فعلوا؟ ولكن صباحك طيباً أيتها الدار المقفرة

فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي وَكَأَنَّهَا فَدَنَ لِأَقْضِي حَاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ
وقفت ناقتي، أي أوقفتها، عند الدار الخربة، فكان الناقة فدن، أي قصر؛ لأنها بدت كبيرة
ضحمة بالقياس إلى الديار الخربة المهدمة، وأردت أن أقضي حاجة في نفسي أنا المتلوم، أي
الماكث بعد رحيلهم

حُبِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثِمِ
أقوى وأقفر: خلا. وأم الهيثم عبلة، وكانوا يكتنون المرأة والرجل قبل الزواج، وربما حتى عند
الميلاد، فيولد الطفل فيلصقون به اسماً وكنية في الوقت نفسه

حَلَّتْ بِأَرْضِ الزَّائِرِينَ فَأَضْبَحَتْ عَسِيراً عَلَيَّ طِلَابُكِ ابْنَةَ مَخْرَمٍ
نزلت عبلة ابنة مخرم بأرض الزائرين، أي وسط أهلها الذين يزأرون كالأسود، وتعسر على عترة
اللقاء بها

عُلِقْتُهَا عَرَضاً، وَأَقْتُلُ قَوْمَهَا زَعِماً لَعَمْرُ أَبِيكَ لَيْسَ بِمَزْعَمٍ
أحببتها صدفةً، فهل يعقل أن أقتل قومها في حرب؟ ذلك زعم لا يكون

وَلَقَدْ نَزَلْتُ، فَلَا تَظُنِّي غَيْرَهُ، مِنِّي بِمَنْزِلَةِ الْمُحَبِّ الْمُكْرَمِ
منزلك من قلبي هو منزل المحبوب المكرم، فلا تظني سوى ذلك

وَكَأَنَّ فَارَةَ تَاجِرٍ بِقَسِيمَةٍ سَبَقَتْ عَوَارِضَهَا إِلَيْكَ مِنَ الْفَمِ
كان فم عبلة في قسيمة، أي في ساعة متأخرة تتغير فيها رائحة أفواه الناس، كأنه فارة مسك عند
تاجر عطار، ورائحتها تسبق عوارضها، أي أسنانها.. فهو قيل أن يقبلها يشم لفمها رائحة طيبة.
وفارة المسك غشاء فيه مسك

أَوْ رَوْضَةً أَنْفَاءً تَضَمَّنَ نَبْتَهَا غَيْثٌ قَلِيلُ الدَّمَنِ لَيْسَ بِمُعْلَمٍ
وكان رائحة فمها رائحة روضة أنف، بكر لم يدخلها راع، وقد تعهد نباتها مطر قليل الدمن، خال
من الشوائب، وهذا المكان غير معلم، غير معروف للناس

وَلَقَدْ مَرَرْتُ بِدَارِ عِبِلَةَ بَعْدَمَا لَعِبَ الرَّبِيعُ بِرَبْعِهَا الْمُتَوَسِّمِ
مررت بدارها وقد غير موسم الربيع شكلها بالعشب الذي يتوسمه الناس ويطلبونه

وَحَلَا الذُّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِبَارِحٍ عَرِدًا كَفِعَلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَنِّمِ
وانفرد الذباب بهذه الديار لا يبرحها، والذباب يغرد بترنيم وزَّينٍ مثلما يفعل السكران وهو بترنم
بكلام غير مفهوم، ويسكت ثم يعود بترنم

هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْمُكَبِّ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْذَمِ

يترنم الذباب وهو هزج، أي مسرع، يحك ذراعه بذراعه، مثلما قد أكب رجل على زناد، عود قَدَحِ النار، يحكه حكاً، والزناد أجزم، أي قصير، فيدا الرجل متقاربان كيدي الذبابة وهما تحتكان. نرجع هذا الشرح على شرح الجاحظ في الحيوان، فقد جعل الجاحظ الأجزم صفة للرجل القادح، جعله مقطوع اليدين، وترنم الجاحظ بوصف عترة للذباب، وزعم أنه بلغ فيه كل مبلغ حتى تحامت الشعراء هذا المعنى

إِنْ تُغْدِفِي دُونِي الْقِنَاعَ فَلِأَنِّي طَبَّ بِأَخْذِ الْفَارِسِ الْمُسْتَلْتِمِ

إن تستري نفسك بالقناع أي الخمار مني، فاعلمي أنني طب، حاذق، بأخذ الفارس المستلتم، اللابس الدرع، فلن يعجزني أمرك

أَنِّي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتَ، فَلِأَنِّي سَمِعَ مُخَالَفَتِي إِذَا لَمْ أَظْلَمِ

امدحيني بما تعلمين حقاً، فأننا سمع الشماثل ما لم يلحق بي الظلم

فَإِذَا ظَلِمْتُ فَإِنَّ ظُلْمِي بَاسِلٌ مُرٌّ مَذَاقُهُ كَطَعْمِ الْعَلَقَمِ

فإن ظلمت فإن ظلمي باسل، مكشّر عن أنياه، ويذوق الظالم جرّاء عقاباً طعمه كالعلقم

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَامَةِ بَعْدَمَا رَكَدَ الْهَوَاجِرُ بِالْمَشُوفِ الْمُغْلَمِ

شربت الخمر بعد أن سكنت الهاجرة، الحر الشديد، ودفعت في الخمر المشوف المعلم، الدينار المجلّو المنقوش

بِزُجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَسِرَّةٍ قُرِنْتُ بِأَزْهَرَ فِي الشَّمَالِ مُقَدِّمِ

شربت بزجاجة، أي بكأس، صفراء - لعلها من النحاس الأصفر - ذات أسرة - أي خطوط، والكأس مقرونة بإبريق أزهر، أبيض، ولعله من فضة، وهو مقدم، مزود بقماشة عند فمه للتصفية. تفسير «في الشمال»: لعله أراد أن الإبريق موضوع في مجرى ريح الشمال، وكانوا يعرضون الخمر لريح الشمال الباردة كي تبرد، ولذا غدت الصفتان «مشمولة» و«شمول» اسمين من أسماء الخمر

فَإِذَا شَرِبْتُ فَلِأَنِّي مُسْتَهِلِّكَ مَالِي، وَعِرْضِي وَافِرٌ لَمْ يُكَلِّمِ

أستهلك مالي في الشراب، ويبقى عرضي وافرأ لم يجرح لأنني لا أعربد في سكري

وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرُ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكْرُمِي

وعند صحوي فلأنني كريم سخي، وهذه هي أخلاقي

هَلَّا سَأَلْتَ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي

أسألي الخيل وفرسانها عن بلائي في الحرب إن لم تكوني على علم بذلك

يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِي أَغْشَى الْوَعَى وَأَعْفُ عِنْدَ الْمَغْنَمِ

سيخبرك من شهد المعركة بأنني أدخلت الحرب، ولكنني عفيف عند توزيع الغنائم

إِنِّي عَدَانِي أَنْ أَزُورَكَ فَأَعْلَمِي مَا قَدْ عَلِمْتِ، وَبَعْضُ مَا لَمْ تَعْلَمِي

منعني من زيارتك أمور تعلمينها، وأخرى لا تعلمينها

وَمُدَجِّجِ كَرِهَةِ الْكِمَاءِ نَزَالَهُ لَا مُؤْمِنٍ هَرَباً وَلَا مُسْتَسْلِمٍ

ورب مدجج بالصلاح كره الكماء، الأبطال، نزاله،

وهو ليس بهارب ولا مستسلم بل مقبل على النزال

جَادَتْ لَهُ كَفِّي بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ بِمُثَقِّفِ صَدَقِ الْكُؤُوبِ مُقَوِّمٍ

عاجلته بطعنة من رمح مثقف، مقوِّم، صدق، أي صلب، الكؤوب،

والكعب هو العقدة في أنبوب الرمح

فَشَكَكْتُ بِالرُّمَحِ الْأَصَمِّ يُبَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمٍ

شككته بالرمح المصمت، ولا بأس على الرجل الكريم أن يقتل في المعركة بالقنا، أي الرماح

فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْشُنُهُ يَقْضِمَنَّ حُسْنَ بَنَانِهِ وَالْمِعْصَمِ

تركته جزر السباع، أي ذبيحة تفرسها الوحوش وتتناوشها من هنا وهنا، وتقضم الوحوش تلك

الأنامل وذلك المعصم الحسن ممن كان فارساً شجاعاً

لَمَّا رَأَيْتِي قَدْ نَزَلْتُ أُرِيدُهُ أَبْدَى نَوَاجِذَهُ لِغَيْرِ تَبَسُّمٍ

عندما رأيته قد نزلت نحوه أظهر نواجذه، أسنانه الخلفية، في تكشيرة فزع لا ابتسام

فَطَعَنْتُهُ بِالرُّمَحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ بِمِهْنَدٍ صَافِي الْحَدِيدَةِ مِخْذَمٍ

طعنته أولاً بالرمح ثم عندما وقع أرضاً أجهزت عليه بالسيف اللامع حديده والمخدم، أي القاطع

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرَّمَاخُ نَوَاهِلُ مِنِّي، وَبِيضُ الْهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي

ذكرتك يا عble والرمماخ تشرب من دمي، والسيوف الهندية أيضاً

فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السِّيُوفِ لِأَتَهَا لَمَعَتْ كِبَارِقِي ثَغْرِكَ الْمُتَبَسِّمِ

نُبِثْتُ عَمراً غَيْرَ شَاكِرٍ نِعْمَتِي وَالْكَفْرُ مَخْبِتَةٌ لِنَفْسِ الْمُنْعِمِ

أبلغت أن ذلك الرجل لا يشكر معروفني. وكُفِرَ النعمة، أي عدم الاعتراف بالفضل، يجعل نفس

صانع المعروف تخبت، يدخلها الفساد والشك. ما أقرى أن تحسن إلى إنسان ثم ينسى فضلك

تماماً، وقد يكيد لك جزاء معروفك. . . كأنه يريد أن يثبت لنفسه أن ما ناله من خير لم يكن على

يديك. عشنا وشقنا!

لَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ يَتَذَامِرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مُذَمِّمٍ

أقبل الأعداء يتذامرون، يحض بعضهم بعضاً على القتال، فهجمت عليهم فلا ذم علي

يَدْعُونَ: عَنَتْرُ! وَالرَّمَا حُ كَانَتْهَا أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لَبَانِ الْأَدَمِ

يناديني قومي يا عتتر، يريدون النصر، ورماح الأعداء في لبان الأدم، في صدر فرسي الأسود، كأنها جبال مدلاة في بئر

مَا زِلْتُ أُرْمِيهِمْ بِثُغْرَةٍ نَحْرِهِ وَلَبَانِهِ حَتَّى تَسْرِبَلَ بِالْدَمِ

ظلت أذفع نحو الأعداء ثغرة نحر فرسي، التجويف في أعلى صدره، حتى تجلل الفرس بالدم

فَازَوْرٌ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا بِلَبَانِهِ وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَنَحْنُ حُمِ

فازور الفرس، مال، لشدة وقع الرماح بصدره، وشكا إلي حاله بدمعة وبصوت متقطع

لَوْ كَانَ بَدْرِي مَا الْمُحَاوَرَةُ اسْتَكَى وَلَكَانَ لَوْ عَرَفَ الْكَلَامَ مُكَلِّمِي

لو عرف الكلام لكلمني

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا قَبِيلُ الْفَوَارِسِ: وَيَكْ عَنَتْرُ أَقْدِمِ

اشتفيت، وأذهب ما بنفسي من ألم البذ والتعبير بالعبودية قول الفرسان لي: ويحك يا عترة تقدم وقاتل

وَالْخَيْلُ تَقْتَحِمُ الْغُبَارَ عَوَائِسًا مِنْ بَيْنِ شَيْظَمَةٍ وَأَجْرَدَ شَيْظَمِ

كانت الخيل تدخل في غبار المعركة عابسة، وهي خيل طويلة ما بين حصان ذكر وفرس أنثى. والشيزم من الخيل: الطويل، والأجرد: القصير الشعر

وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنْ أَمُوتَ وَلَمْ تَذُرْ لِلْحَرْبِ دَائِرَةً عَلَى ابْنِي ضَمَضَمِ

خشيت أن أقتل قبل أن أقتل ابني ضمضم، وهما رجلان من بني مرة كان عترة قتل أباهما فظلا يتوعدها

السَّائِمِي عَرْضِي وَلَمْ أَشْتُمُهُمَا وَالنَّاذِرِينَ إِذَا لَمْ الْقَهْمَا دَمِي

فهما يشتمانني ولم أكن شتمتهما، ويقولان للناس - في غيبي - إنهما قد نذرا دمي ويريدان قتلي

إِنْ يُقْتَلَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَا جَزَرَ السَّبَاعِ وَكُلَّ نَسْرِ قَشَعِمِ

كنت قتلت أباهما من قبل وتركته ذبيحة للوحوش وللنور الكبيرة

٥ معلقة الحارث بن حِزَّةَ الْيَشْكُرِيِّ الْبَكْرِي

أَذَنْتَنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ رَبِّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

أخبرتنا أسماء بوشك رحيلها، ورب ثاوٍ مقيم نمل إقامته بيتنا، ولا كذلك أسماء

بَعْدَ عَهْدٍ لَنَا بِبُرْقَةٍ شَمَاءَ فَأَذْنَى دِيَارِهَا الْخُلَصَاءُ

ذلك بعد أن كان بيتنا عهد، أي لقاء، في موضع «برقة شماء»، وفي «الخلصاء» التي هي أقرب ديار قومها إلينا

لَا أَرَى مَنْ عَهِدْتُ فِيهَا فَأُبْكِيهِ إِلَّا - يَوْمَ ذَٰلِهَا، وَمَا يَرُدُّ الْبُكَاءُ؟
لا أرى من عهدي رؤيتهم في هذه الأماكن لذا فانا اليوم أبكي ذلها، أي بلا فائدة؛ وما الذي
سيرده عليّ البكاء؟

وَبِعَيْنَيْكَ أَوْقَدْتَ هِنْدَ النَّارِ رَ أَخِيرًا تُلَوِّي بِهَا الْعَلْيَاءُ
رأيت بعينيك - يخاطب نفسه - نار هند وقد أوقدتها أخيراً، أي في آخر عهدك بها، وأخذت
تلوي، أي ترتفع، بالنار العليا، تلك المنطقة. يقول: ارتفع موضع هند وظهر عندما أوقدت النار

فَتَنَوَّرَتْ نَارُهَا مِنْ بَعِيدٍ بِخُزَارٍ، هِنَهَاتٍ مِنْكَ الصَّلَاءُ
وقد تنورت نارها، رأيتها متفحصاً مصدرها، وأنت بموضع «خزاز»، وهو بعيد جداً فهيئات أن
تتمكن من الاستدفاء بتلك النار

غَيْرَ أَنِّي قَدْ اسْتَعِينُ عَلَى الْهَمِّ - إِذَا خَفَّ بِالثَّوِيِّ النَّجَاءُ ..
استعين على الهم، أي على تنفيذ مقاصدي، عندما يعين النجاء، أي الإسراع، الثوي، أي المقيم
على التحرك..

بِزُفُوفٍ كَأَنَّهَا هِفْلَةٌ أَمْ - رِثَالٍ دَوِيَّةٌ سَقْفَاءُ ..
استعين على حوائجي بزفوف، ناقة خفيفة، كأنها هفلة أم رثال، نعامة ذات أولاد، دوية، أي برية
وحشية، سقفاء، معوجة الساقين. يشبه ناقته بالنعامة في خفتها وسرعتها واعوجاج ساقها..

آتَسَتْ نَبَأَةً، وَأَفْزَعَهَا الْقَنَدُ - حَاصُ عَصْرًا، وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاءُ
هذه النعامة آتست نبأة، أحست بصوت خفي، وفزعته من قناص يترصدها عصراً وقد دنا المساء،
لذا فالنعامة تفر بسرعة

وَأَنَا مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْأَنْدِ - بَاءٍ خَطْبُ نُغْنَى بِهِ وَنِسَاءُ
جاءتنا أخبار سيئة..

أَنَّ إِخْوَانَنَا الْأَرَاقِمَ يَغْلُو نَ عَلَيْنَا، فِي قِيلِهِمْ إِخْفَاءُ
هذه الأخبار أن «الأراقم»، وهم قوم من تغلب، يغلون علينا، يتجاوزون الحد في ظلمنا، وفي
كلامهم إحقاء، أي مبالغة

يَخْلِطُونَ الْبَرِيءَ مِنَّا بِذِي الذَّنِّ بٍ، وَلَا يَنْفَعُ الْخَلِيَّ الْخَلَاءُ
ويخلطون البريء ذنب المذنب، ولا يتفجع البريء ببراءته لأنهم يشملون الجميع بالاتهام

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ
اتفقوا ليلاً على قتالنا، وعندما أصبحوا كانت لهم ضوضاء وضجة

مِنْ مُنَادٍ وَمِنْ مُجِيبٍ وَمِنْ تَصَدَّ هَالِ خَيْلٍ خِلَالَ ذَاكَ رُغَاءٍ
فهذا ينادي وذاك يجيبه، والخيـل تصهل، وفي وسط ذلك كله يُسمع رغاء الإبل، أي صوتها
أَيِّمًا خُطَّةً أَرَدْتُمْ فَأَؤْ هَا إِلَيْنَا تَمْشِي بِهَا الْأُمْلَاءُ
يخاطبهم: مهما تكن عندكم من خطة للتسوية فقدموها لنا بواسطة الأملاء،
السعاة بالخير من الوسطاء

إِنْ نَبَشْتُمْ مَا بَيْنَ مِلْحَةٍ فَالْصَّا قَبِ فِيهِ الْأَمْوَاتُ وَالْأَحْيَاءُ
إن نبشتم عن الماضي وما كان بيننا فيه من قتل ومعارك بين موضعي ملحـة والصاقب، فتجدون
قتلى بعضهم أحياء - أي أخذ بثأرهم فكان هذا أعادهم إلى الحياة - وبعضهم أموات لم يؤخذ
بثأرهم بعد

أَوْ نَقَشْتُمْ، فَالْنَّقْشُ يُجْهِمُهُ النَّاسُ، وَفِيهِ الصَّلَاحُ وَالْإِبْرَاءُ
وإن نقشتم، أي تتبعتم الحالات واحدة واحدة مثلما يتبع الناقد بالمنقاش، أي الملفظ، الشعراء
واحدة واحدة فيزيلها، فالتبع يجشمه الناس، أي يعانون منه، وفيه كشف للحقائق... ويتبين منه
أنكم كنتم المعتدين

أَوْ سَكَّيْتُمْ عَنَّا فَكُنَّا كَمَنْ أَغْرَ مَضَّ عَيْنًا فِي جَفْنِهَا أَقْدَاءُ
وإن اخترتم السكوت فنحن نغمض أعيننا عن الأمر، ولكن كإغماض المرء عينه على قذى فيها،
فلن ننسى اعتداءكم

لَا يُقِيمُ الْعَزِيزُ بِالْبَلَدِ السَّهْلَ لِي، وَلَا يَنْفَعُ الدَّلِيلُ النَّجَاءُ
لا يقيم القوي في السهل أمناً يرعى مواشيه، فلا بد له من التوهر ومواجهة الأعداء، ولا يتفـع
الضعيف الدليل بالنجاء، الفرار

٦ معلقة عبيد بن الأبرص

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ فَالْقُطَبِيَّاتُ فَالذُّنُوبُ
أقفر موضع ملحوب وخلا من أهله، وكذا أقفرت «القُطَبِيَّاتُ» والذنوب. معلقة عبيد مضطربة
الوزن، كأنها النسخة الأولى من مخلع البسيط الذي سيكون له شأن في العصر العباسي. قال
المعري: «وقد يخطئ الرأي امرؤ وهو حازم/ كما اختل في وزن القريض عبيد»

وَبُدِّلَتْ مِنْهُمْ وَحُوشًا وَغَيَّرَتْ حَالَهَا الْخُطُوبُ
وسكنت الوحوش في هذه الأماكن بدلاً من أهلها الراحلين، وغيـرت أحوالها الأحداث

تَضَبُّوْا وَأَنْتَى لَكَ التَّصَابِي أَنَّى وَقَدْ رَاعَكَ الْمَشِيبُ
يخاطب نفسه: إنك لتميل إلى اللهو، وكيف لك هذا التصابي بعد أن هجم المشيب وأفرعك

فَكُلُّ ذِي نِعْمَةٍ مَخْلُوسٌ وَكُلُّ ذِي أَمَلٍ مَكْذُوبٌ
كل صاحب مال مخلوس، أي مسلوب منه في النهاية، وكل صاحب أمل سيخيب أمله

وَكُلُّ ذِي إِيلٍ مَوْزُوثٌ وَكُلُّ ذِي سَلَبٍ مَسْلُوبٌ
وصاحب الإبل يموت عنها فيرتها عقبه، وكل من سلب الناس شيئاً سيسلب منه ذلك الشيء

وَكَُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَوْوُبٌ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَوْوُبُ
مَنْ يَسْأَلُ النَّاسَ يَخْرِمُوهُ وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَخْزِيْبُ
سَاعِدُ بِأَرْضٍ إِنْ كُنْتَ فِيهَا وَلَا تَقُلْ إِنِّي غَرِيبٌ
إِنْ كُنْتَ مَغْتَرِباً فِي غَيْرِ قَوْمِكَ فَسَاعِدْ مَنْ تَلْتَحِقُ بِهِمْ، فالغربة ليست سبباً في القعود عن مد يد
العون

قَدْ يُوصَلُ النَّازِحُ النَّائِي، وَقَدْ يُقَطَّعُ ذُو السُّهُمَةِ الْقَرِيبُ
فالغريب قد ينال من حسن عشرة الناس ما لا يناله صاحب السهمة، أي النصيب، القريب نسباً
وَالْمَرءُ مَا عَاشَ فِي تَكْذِيبٍ طُولُ الْحَيَاةِ لَهُ تَعْذِيبٌ

بقية المعلقات
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

(المعلقات الأربع الأخرى في أبواب: امرئ القيس، وزهير، والنابغة،
والأعشى).

٤	تَوَهُّم	٥	الثَّوَاءُ
٢	فَرَجَامُهَا	٦	فَالذَّنُوبُ
٣	الْأُنْدَرِينَا	١	الْيَدِ

المفضليات

هذه أشعار جمعها الْمُفَضَّلُ الضُّبِّيُّ للخليفة المهدي فسميت الْمُفَضَّلِيَّاتِ، ثم زيد فيها أكثر من ضعفي حجمها، ثم لم نعد نعرف الذي اختاره المفضل من الذي ألحقه الناس بعده بمجموعته. لكن المجموعة وقعت إلينا في نسخ كثيرة فاعتنى بها أبو محمد القاسم الأنباري من القدماء، فشرحها شرحاً ضافياً، وحقق هذا الشرح «كارلوس يعقوب لايل» الإنجليزي من المحدثين، وطبعه في بيروت على نفقة «كلية أكسفورد» - كما كتبها على الغلاف - في سنة وفاته ١٩٢٠ في نحو من ألف صفحة. ونشرت المفضليات في إنجلترا في «مطبعة جامعة أكسفورد» مترجمة إلى الإنجليزية ترجمة شعرية مرسلّة، مع تعليقات ثمينة، في جزأين. ثم فهرس الطبعة الإنجليزية أنطوني بيفان بعد موت لايل بأربع سنين. ونشر المفضليات بمصر حسن السندوبي، ثم نشرها أحمد شاکر وعبد السلام هارون مع شرح موجز.

المفضليات ٣٣٦ من القصائد الكاملة لمئة وخمسة وخمسين شاعراً كلهم من الجاهلية أو صدر الإسلام. وقد اخترت لك ما راقني، وما رأيته راق أهل الأدب عبر مئات السنين. فذوقي ذوقان: ذوق أصيل وذوق مستعار. أستمتع بالبيت أو بمجموعة الأبيات فأضع إزاءها إشارة بالقلم، وتمر بي أبيات طال ترددها في كتب القدماء وتناولوها نقداً أو إعجاباً فلا أضن بها عليك. وقد شرحت ما اخترت بأحسن ما أستطيع، وانتفعت بشرح شاکر وهارون.

١ ستندم

نَابِطٌ شَرَّأُ:

سَدَّدْ خِلَالَكَ مِنْ مَالٍ تُجَمِّعُهُ حَتَّى تُلَاقِيَ الَّذِي كُلُّ امْرِئٍ لَاقٍ

خلالك: حاجاتك. قم بما عليك من واجبات ما دمت على قيد الحياة

لَتَقْرَعَنَّ عَلَيَّ السَّنَّ مِنْ نَدَمٍ إِذَا تَذَكَّرْتَ يَوْمًا بَعْضَ أَخْلَاقِي
قرع السن: كعض الإصبع في زمننا، دليل على الندم

٢ سيروا إلى الموت

بَشَامَةُ بْنُ الْقَدِيرِ: بحث قومة بني سَهْم بن مُرَّة على ألا ينقضوا حلفهم مع بني جُهَيْنَةَ:

نَأْتُكَ «أَمَامَةً» نَأِيًّا طَوِيلًا وَحَمَلَكَ النَّأْيُ عِبْسًا ثَقِيلًا
ابتعدت أمامة عن وصلك مدة طويلة، وتحملت بسبب بعدها حزناً شديداً

وَحُمِلَتْ مِنْهَا عَلَى نَأِيِّهَا خَيَالًا يُوَافِي، وَنَيْلًا قَلِيلًا
يأتيك خيالها في المنام، ولكنك لا تنال منها وصلاً حقيقياً

وَنَظَرَةَ ذِي شَجَنِ وَامِقٍ إِذَا مَا الرِّكَائِبُ جَاوَزْنَ مِيلًا
تنال منها نظرة صاحب شجن وامق، أنت في الركب مبتعداً عن خيام الحي. والميل
قياس للمسافة كان معروفاً أيضاً في الزمن القديم والكلمة يونانية

أَتُنْثَنُ تُسَائِلُ مَا بَثْنَا؟ فَقُلْنَا لَهَا: قَدْ عَزَمْنَا الرِّحِيلَ
تسألنا أمامة ما بثنا، خبرنا، فأخبرناها بعزمنا على الرحيل

وُخْبِرْتُ قَوْمِي، وَلَمْ أَلْقَهُمْ، أَجَدُّوْا عَلَى ذِي شَوَيْسٍ حُلُولًا
علمت أن قومي - ودون أن أقابلهم - قد أجدوا حلولاً، نزلوا مؤخراً، بموضع ذي شويس
فإِذَا هَلَكْتُ وَلَمْ آتِهِمْ فَأَبْلِغْ أَمَائِلَ سَهْمٍ رُسُولًا . .
إن مت قبل أن آتي إليهم، فأبلغ أمائلهم، خيار، قبيلة سهم وكن رسولاً . .

بِأَنْ قَوْمُكُمْ خُيِّرُوا خَصْلَتَيْ - نِ، كِلَتَاهُمَا جَعَلُوْهَا عُذُولًا
أبلغهم بأن قومهم مخيرون بين خصلتين، خيارين، كلتاهما عدول، أي جائرتان عن الحق

فَخَزِيْ الْحَيَاةِ وَحَرْبُ الصَّدِيقِ وَكُلًّا أَرَاهُ طَعَامًا وَبَيْلًا
إحداهما التفاعس عن الحرب وفي هذا العار، والثانية محاربة الصديق، وكلتاهما كالطعام الفاسد

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرُ إِحْدَاهُمَا فَسِيرُوا إِلَى الْمَوْتِ سَيْرًا جَمِيلًا
فإن لم يتيسر خيار ثالث فعليك بالحرب

وَلَا تَفْعُدُوا وَبِكُمْ مُنَّةٌ كَفَى بِالْحَوَادِثِ لِلْمَرَّةِ غُولًا
ولا تتفاعسوا وبكم منه، أي قوة، فالمرء على كل حال غرض للموت بحوادث الزمن التي تغتاله

وَحُشُّوا الْحُرُوبَ إِذَا أُوقِدَتْ رِمَاحاً طَوَالاً وَخَيْلاً فُحُولاً
 حشوا، أي أوقدوا، الحروب برماح طويلة وخيول فحلة قوية
 وَمِنْ نَسِجِ دَاوُدَ مَوْضُونَةٌ تَرَى لِلْقَوَاضِبِ فِيهَا صَلِيلًا
 ويدروع كأنها من نسج النبي داود، المشهور بنسج الدروع، وهي موضونة، أي مضاعفة النسج،
 وللقواضب، أي السيوف، صليل ورنين على الدروع

٣ أرباب نخل

المرار بن مُنْقِذ:

فإِنَّكَ إِنْ تَرَيْ إِبِلًا سَوَانًا وَنُضْبِجٌ لَا تَرَيْنَ لَنَا لَبُونًا . .
 إن رأيت لغيرنا الإبل، ولم تجدي عندنا لبوناً، أي بعيراً قد قُطم . .
 فَإِنَّ لَنَا حَظَائِرَ نَاعِمَاتٍ عَطَاءَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 فلنا حظائر، نخلات، جيدات

طَلَبْنَ الْبَحْرَ بِالْأَذْنَابِ حَتَّى شَرِبْنَ جِمَامَهُ حَتَّى رَوَيْنَا
 نخلاتنا طلبن الماء بأذناهن، بجذورهن، وشربن الجمام، الماء الكثير، حتى ارتوين
 كَأَنَّ فُرُوعَهَا فِي كُلِّ رِيحٍ جَوَارٍ بِالذَّوَائِبِ يَنْتَصِينَا
 كأن فروع النخل عندما تحركها الريح جوارٍ، أي فتيات، ينتصين، أي يتجاذبن، بالدوائب،
 بخصلات الشعر

بَنَاتُ الدَّهْرِ لَا يَحْفَلْنَ مَحَلًّا إِذَا لَمْ تَبْقَ سَائِمَةٌ بَقِينَا
 النخلات بنات الدهر، يعشن طويلاً، ولا يهمنن القحط . . وعندما تفتى السوائم، الإبل التي
 ترعى، بجفاف العشب تبقى النخلات

إِذَا كَانَ السَّنُونُ مُجَلِّحَاتٍ خَرَجْنَ وَمَا عَجِفْنَ مِنَ السَّنِينَا
 إن كانت المواسم مجلحة، مجدية، فالنخلات تخرج من زمن الجفاف دون أن تعجف، تهزل
 فَتَلْكَ لَنَا غِنًى وَالْأَجْرُ بَاقٍ فَعُضِّي بَعْضَ لَوْمِكِ يَا طَلْعِينَا
 هذه هي مالنا، ونطعم منها الضيف ونكسب الأجر، فكفي عنا بعض اللوم يا طلعين، يا امرأة

٤ تبليغ الغيظ

المرار بن مُنْقِذ:

عَجِبْتُ خَوْلَةً إِذْ تُنْكِرُنِي أَمْ رَأَتْ خَوْلَةً شَيْخًا قَدْ كَبِرَ؟

وَكَسَاهُ الدَّهْرُ سِبْبًا نَاصِعًا وَتَحَنَّى الظَّهْرُ مِنْهُ فَأَطْرَ

سباً ناصعاً: ثوباً أبيض هو الشيب، واطر جسمه، أي تقوَّس

مَا أَنَا الْيَوْمَ عَلَى شَيْءٍ مَضَى، يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ تَوَلَّى، بِحَسِرٍ

لست على شيء تولى وذهب بحسر، أي بنادم

كَمْ تَرَى مِنْ شَانِيٍّ يَحْسُدُنِي قَدْ وَرَاهُ الْغَيْظُ فِي صَدْرٍ وَغُرٍ

كثيراً ما ترى شائئاً، مبغضاً، يحسُدني، وقد وراه الغيظ، أي قد أفسد جوفه، فصدره وغر، مملوء غيظاً

وَحَسَوْتُ الْغَيْظَ فِي أَضْلَاعِهِ فَهُوَ يَمْشِي حَظْلَانًا كَالنَّقْرِ

ملأته غيظاً فحتى مشيته فيها حظلان، أي عرج وميل، كأنه نقر، أي قد التوى عرق في ساقه

لَمْ يَصِرْنِي، وَلَقَدْ بَلَّغْتُهُ قَطَعَ الْغَيْظُ بِصَابٍ وَصَبِرٍ

لم يصني بأذى مع أنني جعلته يبلع قطعاً من الغيظ كأنها قطع من نبات الصاب والصبر، وهما نباتان فيهما مرارة شديدة

هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ أَمْ أَنْكَرْتَهَا بَيْنَ تَبْرَاكِ فَشَسِيَّ عَبَقَرٍ؟

يخاطب نفسه: أعرفت دار الأعبة بين ذينك المكانين؟

جَرَّرَ السَّيْلُ بِهَا عُثُونَهُ وَتَعَقَّتْهَا مَدَالِيحُ بُكْرٍ

السيل جر عثونه، أوائل مياهه، فيها وتعفتها، أي محتها، مداليح بُكر، رياح ليلية وأخرى صباحية

وَتَرَى مِنْهَا رُسُومًا قَدْ عَفَتْ مِثْلَ خَطِّ اللَّامِ فِي وَحْيِ الزُّبُرِ

وترى رسوماً، بقايا، من الديار وقد عفت، ائمت، فكأنها خط اللام، واللام هو الإنسان، المرقوم في الزبر، أي الكتب.. المعنى: أن الديار صارت ككتابة الإنسان على وجه الورقة، والكتابة في عين شخص أمي هي خربشات لا معنى لها متفرقة هنا وهناك

قَدْ نَرَى الْبَيْضَ بِهَا مِثْلَ الدُّمَى لَمْ يَخُنْهُنَّ زَمَانٌ مُفْشَعِرٌ

كنا نرى البيض، الحسان، بتلك الديار، وهن مثل الدُمى جمالاً وزَواقاً، ولم يخنهن الزمان المقشعر، أي لم يقس عليهن الزمان الصعب لأنهن منعمات

يَتَلَهَّيْنَ بِنُومَاتِ الضُّحَى رَاجِحَاتِ الْحِلْمِ وَالْأُنْسِ خُفْرٌ

ينمن حتى ترتفع شمس الضحى، وهن عاقلات وفيهن أنس، وهن خُفر، أي خجولات

يَتَزَاوَرْنَ كَتَقَطَّاءِ الْقَطَا وَطَعِمْنَ الْعَيْشَ حُلُوءًا غَيْرَ مَرٍّ

يزرن بعضهن بعضاً فيمشين بين البيوت مشياً بطيئاً متميلاً كمشي طيور القطا، وعيشهن هين هنيء

وَهَوَى الْقَلْبُ الَّذِي أَعْجَبَهُ صَوْرَةً أَحْسَنُ مَن لَّا ثَ الْأَزْرُ
المعنى الملموح: هوى القلب وما أعجبه صورة فتاة هي أجمل من لاث الأزر، أجمل من لف
تورة على خصره، أي أجمل الناس

رَاقَهُ مِنْهَا بَيَاضٌ نَاصِعٌ يُؤْنِقُ الْعَيْنَ وَضَافٍ مُسْبِكِرٌ
بياضها ناصع يؤنق، أي يعجب، العين.. ويروقه منها شعر ضاف، طويل، مسبكر، مسترسل
تَهْلِكُ الْمِدْرَاءُ فِي أَفْنَائِهِ فَإِذَا مَا أَرْسَلْتُهُ يَنْعَفِرُ
تختفي المدراة، أي المشط، في أفناء شعرها، أي خصلاته، فإذا أرسلت شعرها انعفر،
وصل إلى الأرض

صَلَّتْهُ الْحَدُّ طَوِيلٌ جَيِّدُهَا نَاهِدُ الثَّدْيِ وَلَمَّا يَنْكَسِرُ
خدها صلت، أملتس، وعنقها طويل، وثديها ناهض لم ينكسر بعد.. في لقطة من
المسلسل الكوميدي الإنجليزي «مفتوح طول النهار» ينظر الشاب إلى صدر زبونة
الدكان الكهلة نظرة تحديق فتقول له: أيها الشاب، هذا ملموم بالصدر، ولو تركته
لوصل إلى سرتي.. أو كما قالت

فَهِيَ هَيْفَاءُ هَضِيمٌ كَشَحُهَا فَخَمَةٌ حَيْثُ يُشَدُّ الْمُؤْتَرَزُ
هي هيفاء، ضامرة البطن، هضيم كشحها، نحيل خصرها، ولكنها فخمة ممثلة عند الردين اللذين
يشد عليهما الإزار

وَإِذَا تَمْشِي إِلَى جَارَاتِهَا لَمْ تَكُذِّ تَبْلُغْ حَتَّى تَنْبَهْرِ
سينة ولا تصل بيت الجارة إلا وقد كادت تنبهر، ينقطع نفسها

دَفَعَتْ رَبْلَتُهَا رَبْلَتَهَا وَتَهَادَتْ مِثْلَ مَيْلِ الْمُنْقَعِرِ
تتماس فخذها بفخذها لسمنها، وتهادى في مشيها كأنها تريد أن تسقط سقوط النخلة المنقعة،
الماقطة بعد قلعها

وَهِيَ بَدَاءٌ إِذَا مَا أَقْبَلَتْ ضَخْمَةُ الْجِسْمِ رَدَاحٌ هَيْدَكُرُ
بداء: ممثلة، وجسمها ضخمة؛ و«رداح» و«هيدكر» كلتاها بمعنى ضخمة

نَطَأَ الْخَزَّ وَلَا تُكْرِمُهُ وَتُطِيلُ الذَّيْلَ مِنْهُ وَتَجُرُ
لما هي فيه من نعمة فهي تدوس على الخز، الحرير، وثوبها طويل وتجره

وَهِيَ لَوْ يُعْصَرُ مِنْ أَرْدَانِهَا عَبَقُ الْمِسْكِ لَكَادَتْ تَنْعَصِرُ
الأردان: الأكمام

تَرَكَتْنِي لَسْتُ بِالْحَيِّ، وَلَا مَيِّتٌ لَأَقَى وَفَاءً فَمُبِيرٌ

تركتني ملهاً لا أنا حي ولا ميت

يَسْأَلُ النَّاسُ أَحْمَى دَاوُدَ، أَمْ بِهِ كَانَ سُلالٌ مُسْتَسِيرٌ

يسأل الناس: أمرضه الحمى، أم هو سل مستسر، خفي

وَهِيَ دَائِي، وَشِفَائِي عِنْدَهَا مَنَعَتْهُ فَهُوَ مَلُويٌّ عَسِيرٌ

والمحبوبة دائي؛ وشفائي عندها ولكنه ملوي، ممنوع عني، وصعب

وَهِيَ لَوْ يَقْتُلُهَا بِي إِخْوَتِي أَذْرَكَ الطَّالِبُ مِنْهُمْ وَظَفِيرٌ

لو قتلها إخوتي بي، أي مقابل قتلها إياي، لكان طالب النار قد أدرك ناره.. إذ هي قاتلتني

مَا أَنَا الدَّهْرَ بِنَاسٍ ذُكِرَها مَا عَدَتْ وَرَقَاءُ تَدْعُو سَاقَ حَرٍّ

لن أنساها ما دامت ورقاء، حمامة، تنادي ساق حر، ذكر الحمام.. أي لن أنساها أبداً

٥ الروصمة

المُزَرَّدُ أَخُو الشَّمَاخِ:

وَجَاوَزْتُ رَأْسَ الْأَرْبَعِينَ فَأَصْبَحْتُ قَنَاتِي لَا يُلْفَى لَهَا الدَّهْرَ عَادِلٌ

بعد أن تجاوزت الأربعين أصبحت قناتي، أي رمحي، صلبة لا يستطيع أحد أن يعدلها، بشيها..

أي أصبحت قاسياً لا ألين لمن يريد كسر إرادتي

زَعِيمٌ، لِمَنْ قَادَفْتُهُ، بِأَوَابِدٍ يُعْنِي بِهَا السَّارِي وَتُحْدِي الرَّوَاحِلُ

أنا كفيل لمن أنبادل معه الهجاء بأوابد، بقصائد قاسية، يغني بكلامها الساري، السائر ليلاً،

وتحدي بها الرواحل، تساق بالترنم بها الإبل

فَمَنْ أَرَمِهِ مِنْهَا بِبَيْتٍ يَلُخُّ بِهِ كَشَامَةٌ وَجْهِ، لَيْسَ لِلشَّامِ غَاسِلٌ

من رميته بيت هجاء من هذه القصائد فسوف يعلق بوجهه كالشامة، ولا يزيل الشام، الشامات،

الغاسل وجهه

٦ المسبكرة

الشَّقَرَى الْأَزْدِي:

أَلَا أُمُّ عَمْرٍو أَجْمَعَتْ فَاسْتَقَلَّتْ وَمَا وَدَّعَتْ جِيرَانَهَا إِذْ تَوَلَّتْ

أم عمرو أزمعت، أي عزمت، فاستقلت، أي ركبت وارتحلت..

وما ودعت جيرانها حين تولت وذهبت

لقد أعجبَني لا سَقوطاً قِناعها إذا ما مَشَتْ، ولا بِذَاتِ تَلَفَتْ

كانت تعجيني، لا يسقط قناعها عن وجهها، فهي حية خجول،
ولا تلتفت يميناً ويساراً فعل النساء الخفيفات

فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ وَاسْبَكَّرَتْ وَأَكْمَلَتْ فَلَوْ جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحُسْنِ جُنَّتْ

دقت، كانت دقيقة ونحيلة في خصرها، وجلت، كانت جليلة سميعة عند ردفيها، واسبكرت، كانت
طويلة الجسم، وأكملت.. فلو أن المرأة تلتحق بالجن لشدة الحسن لفعلت.. وكثيراً ما وصفوا
الحسنة بأنها جنتية

٧ قتل ناقة

عمرو بن الأَهمم المِثْرِي:

أَلَا طَرَقْتَ أَسْمَاءَ وَهِيَ طَرُوقٌ وَبَانَتْ، عَلَى أَنَّ الْحَيَالَ يَشُوقُ

طرقت أسماء، أي زارتي ليلاً. ثم بانَتْ، فارقتي، ولكن خيالها يثير شوق قلبي

ذَرِينِي فَإِنَّ الشُّعْ بِأُمِّ هَيْثَمٍ لِمَصَالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقُ

يا أم هيثم دعيني من كلامك فالشع، البخل، يسرق محاسن الرجل ويتقص منها

ذَرِينِي وَحُطِّي فِي هَوَايَ فَإِنِّي عَلَى الْحَسَبِ الزَّائِكِي الرِّفِيعِ شَفِيقُ

اتركيني وحطي في هواي، شاركني في طباعي، فأنا شفيق، حريص، على الحسب الزاكي، على
الشرف الرفيع

وَمُسْتَنْبِحٍ بَعْدَ الْهُدُوءِ دَعْوَتُهُ وَقَدْ حَانَ مِنْ نَجْمِ السَّمَاءِ خُفُوقُ

رب رجل مستنبح، ينبح كالكلب في الصحراء وهو نائه حتى تجاوبه الكلاب فيستدل بنباحها على
مضارب القوم، كان ينبح بعد حلول الظلام، وقد بدأ نجم السماء، الثريا، بالخفوق.. متوارياً
وراء الغيوم في جو شتائي، وقد دعوته ليكون ضيفي

يُعَالِجُ عَرْنِينَ مِنَ اللَّيْلِ بَارِداً تَلَفْتُ رِيَاخَ ثَوْبِهِ وَبُرُوقُ

مضطرب يحاول تدبر عرنين الليل، أوله، والريح تلف ثوبه، ويلمع البرق فيبرزه، فكانه يلفه أيضاً

أَصَفْتُ فَلَمْ أَفْحَشْ عَلَيْهِ، وَلَمْ أَقُلْ لِأَخْرِمَهُ: إِنَّ الْمَكَانَ مَضِيقُ

جعلته ضيفي، ولم أسئ معاملته بأستلتي، ولم أندرع بضيق المكان لحرمانه الضيافة

فَقُلْتُ لَهُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً فَهَذَا صَبُوحُ رَاهِنٌ وَصَدِيقُ

قدمت له الصبح، لبناً يشربه في الصباح، وكنت له صديقاً

وَقُمْتُ إِلَى الْبَرْكِ الْهَوَاجِدِ فَاتَّقْتُ مَقَاحِدُ كَوْمٍ كَالْمَجَادِلِ رُوقٌ .

وقمت إلى الجمال الباركة الجائمة الهواجد، النائمة، فاحتمت هذه الجمال المقاحيد، الكبيرة الأسنة، الكوم، الكبيرة، التي كأنها المجادل، القصور. . وهي روق. . تعجب الناظر. . هذه الجمال احتمت مني ب. .

بِأَذْمَاءِ مِرْبَاعِ النَّتَاجِ كَأَنَّهَا إِذَا عَرَضْتُ دُونَ الْعِشَارِ فَنِيقُ

احتمت الجمال خوف الذبح بناقة أدماء، ييضاء، مرباع النتاج، مما يلد وقت الربيع، وكأنها إذ مثلت أمام النياق العشار الحوامل، فنيق، فحل كبير لضخامتها

بِضَرْبَةِ سَاقٍ أَوْ بِنَجْلَاءِ ثَرَّةٍ لَهَا مِنْ أَمَامِ الْمُنْكِبَيْنِ فَتِيقُ

قمت لها بضربة ساق، أو بنجلاء ثرة، طعنة واسعة غزيرة الدم. . قد ضرب بسيفه ساق الناقة لكي تبرك ثم طعنها في عنقها بين كتفيها طعنة واسعة لها فتيق أي فتق واسع

وَقَامَ إِلَيْهَا الْجَازِرَانِ فَأَوْقَدَا يُطِيرَانِ عَنْهَا الْجِلْدَ وَهِيَ تَفُوقُ

ثم قام الجازران، القصابان، فأوقدا، أي صعدا فوقها، وأخذتا يطيران الجلد عن جسم الناقة وهي تفوق، تجود بروحها. . منظر مرعب. .

فَجَرَّ إِلَيْنَا ضَرْعُهَا وَسَنَامُهَا وَأَزْهَرُ يَحْبُو لِلْقِيَامِ عَتِيقُ

وجرَّ إلينا ضرع الناقة، ثديها، وسنامها، كما جيء لنا بجنين أزهر، أبيض كان في بطنها، وهو يحبو يحاول الوقوف، وهو عتيق، كريم أصيل

بَقِيرٌ جَلَا بِالسَّيْفِ عَنْهُ عِشَاءُ أَخْ بِإِخَاءِ الصَّالِحِينَ رَفِيقُ

هذا الجنين بقير، أي يفر عنه بطن أمه، وقد جلا، أي سلخ، مشيمته عن جسمه بالسيف رجل صالح من رجالنا يحب الضيوف

فَبَاتَ لَنَا مِنْهَا وَلِلضَّيْفِ مَوْهِنًا شِوَاءُ سَمِينٍ زَاهِقٌ وَغَبُوقُ

بات لنا من الناقة موهناً، ليلاً، شواء سمين، كثير الدهن، زاهق، دسم، وغبوق، شراب المساء. . يبدو أنهم حلبوها قبل ذبحها

وَبَاتَ لَهُ دُونَ الصَّبَا وَهِيَ قَرَّةٌ لِحَافٍ وَمَضْفُوقُ الْكِسَاءِ رَفِيقُ

بات للضيف لحاف يقيه ريح الصبا وهي قرة، باردة، وبات له كساء رقيق

وَكُلُّ كَرِيمٍ يَتَّقِي الدَّمَ بِالْقِرَى وَلِلْحَمْدِ بَيْنَ الصَّالِحِينَ طَرِيقُ

الكريم يحمي نفسه من الدم بتقديم الطعام لضيفه

لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا وَلَكِنْ أَخْلَاقُ الرِّجَالِ تَضِيقُ

المشكلة ليست أن البلاد ضيقة فالخير كثير، لكن طباع الرجال هي الضيقة

٨ المناديل

عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ:

لَمَّا وَرَدْنَا رَفَعْنَا ظِلَّ أَرْدِيَةِ وَقَارَ بِاللَّحْمِ لِلْقَوْمِ الْمَرَاجِيلِ

عندما وردنا الماء ونزلنا بالمكان رفعنا الأردية، أي الثياب لكي نستظل بظلها، وفارت المراجيل، القدور، باللحم

وَرَدًّا وَأَشْقَرَ لَمْ يُنْهِئْهُ طَابِخُهُ، مَا غَبَرَ الْعَلْيُ مِنْهُ فَهُوَ مَأْكُولُ

كان اللحم ورداً، أحمر غير ناضج، وأشقر، مبيضاً قد نضج بعض النضج، لكن الطابخ لم ينهه بعد، لم يجعله يستوي، ولشدة الجوع كان القوم يتناولون أي قطعة لحم تغير لونها قليلاً فيأكلونها

نُتِمَتْ قُمْنَا إِلَى جُرْدٍ مُسَوِّمَةٍ أَعْرَافُهُنَّ لِأَيْدِينَا مَنَادِيلُ

تمنا بعد ذلك إلى خيول جرد، قصيرة الشعر، مسومة، معدة للحرب، وجعلنا من أعرافها، شعر رقابها، مناديل مسحنا بها أيدينا بعد الأكل

وَالْمَرءُ سَاعٍ لِأَمْرِ لَيْسَ يُدْرِكُهُ وَالْعَيْشُ شُخٌّ وَإِشْفَاقٌ وَتَأْمِيلُ

الإنسان يسعى ولا يدرك مبتغاه، لأنه كلما وصل عنَّ له هدف جديد، والحياة بخل وخوف وأمل

٩ النهاية معروفة

عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ:

أَبْنِيَّ إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ وَرَأَيْتُ بَصْرِي، وَفِيَّ لِمُضْلِحٍ مُسْتَمْتَعٌ

يا أبنائي قد كبرت وشككت في سلامة بصري، ولكن فيَّ مستمتع، فائدة، لمن يريد إصلاح الحال، فعقلي وخبرتي معي

إِنَّ الْكَبِيرَ إِذَا عَصَاهُ أَهْلُهُ ضَاقَتْ يَدَاهُ بِأَمْرِهِ مَا يَصْنَعُ

إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْوَانَكُمْ يَشْفِي غَلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُضَرَّعُوا

من تظنون بهم الإخاء هم في الواقع أعداء يسرهم موتكم

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ قَصْرِي حُفْرَةٌ غَبْرَاءُ يَحْمِلُنِي إِلَيْهَا شَرْجَعُ

قصري، أي قصاري ومنتهى أمري، حفرة يحملني إليها شرجع، نعش

فَبَكَى بَنَاتِي شَجْوَهُنَّ وَرَوَّجَتِي وَالْأَقْرَبُونَ إِلَيَّ، ثُمَّ تَصَدَّعُوا

بكوا لفقدتي، ثم تصدعوا، تفرقوا عن القبر

وَتُرِكَتْ فِي غَبْرَاءٍ يُكْرَهُ وَزُذِّهَا تَسْفِي عَلَيَّ الرِّيحُ حِينَ أَوْدَعُ
تركت في أرض غبراء لا يحب النزول فيها أحد، وتسفي الرياح عليّ، تحمل التراب، بعد أن
يودعني أهلي

١٠ حسرة الأسير

عبد يغوث بن وقاص الحارثي:

أَلَا لَا تُلُومَانِي كَفَى اللُّومَ مَا بَيَا وَمَا لَكُمْ فِي اللُّومِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا
لا تلوماني يا صاحبي فالذي بي من الهم يكفيكم مؤونة اللوم، ولا خير لكم ولا لي في اللوم أصلاً
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفَعُهَا قَلِيلٌ، وَمَا لَوْمِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا
ليس لومي أخي من شمالي، من طبعي

فَيَا رَاكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنَا نَدَايَايَ مِنْ نَجْرَانٍ أَلَّا تَلَايَا
أيها الراكب إن عرضت، بلغت العروض وهو مكان، فبلغ أصحابي أهل نجران أنه لا لقاء بعد اليوم
أَبَا كَرَبٍ وَالْأَيْهَمَيْنِ كِلَيْهِمَا وَقَيْساً بِأَعْلَى خَضْرَمَوْتَ الْيَمَانِيَا
يعدد أصحابه

جَزَى اللَّهُ قَوْمِي بِالْكَلابِ مَلَامَةً صَرِيحُهُمْ وَالْآخِرِينَ الْمَوَالِيَا
يلوم قومه على ما حدث في وقعة الكلاب، الصريح منهم نسباً، والموالي، المتحالفين مع قومه
وَلَوْ شِئْتُ لَنَجَّيْتُ مِنَ الْخَيْلِ نَهْدَةً تَرَى خَلْفَهَا الْحُوءَ الْجِيَادَ تَوَالِيَا
لو شئت لفررت ونجوت على نهدة من الخيل، فرس عالية، تراها سابقة وخلفها الجياد الحو، التي
يميل لونها للخضرة، تتوالى ولا تسبقها

وَلَكِنِّي أَحْمِي ذِمَارَ أَبِيكُمْ وَكَانَ الرِّمَاحُ يَخْتَطِفُنَ الْمُحَامِيَا
لكنني ثبتٌ لكي أحمي ذمار أبيكم، وكانت الرماح تختطف من يحامي عن الشرف
أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ: أَمْعَشَرَ نَيْمٍ أَطْلَقُوا مِنْ لِسَانِيَا
أقول وقد شد الأعداء، عندما أسروني، لساني بنسعة، بسير جلدي، يبدو أنهم كمنوه، ولكنه رغم
التكميم قال: يا معشر نيم أطلقوا لساني

فَإِنْ تَقْتُلُونِي تَقْتُلُوا بِي سَيِّدَا وَإِنْ تُطْلِقُونِي تَحْرُبُونِي بِمَالِيَا
إن تقتلوني تقتلوا بإي سيداً، وإن تطلقوني تحربوني بمالي، تسلبون سلاحي... لعله يقصد
أن تقتلكم إياي سيؤدي إلى الثأر وسيقتل قومي منكم سيداً

أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ سَامِعاً نَشِيدَ الرَّعَاءِ الْمُعْزِينَ الْمَتَالِيَا؟
أحقاً لن أسمع بعد اليوم صوت الرعاء، المعزين المتالي، المتبعدين بالإبل المتالي، التي
تتوالى في وضع أجتها فبعضها قد ولد وبعضها لم يضع بعد؟

وَتَضَحَّكَ مِنِّي شَيْخَةً عَشْمِيَّةً كَأَنْ لَمْ تَرَى قَبْلِي أَسِيراً بِمَانِيَا
تضحك مني عجوز من أولئك القوم، عبد شمس، كأنها لم تر قبلي أسيراً يمانياً، - قيل بل
ضحكت لأن الذي أسر الشاعر رجل أحمق ضعيف -

وظَلَّ نِسَاءُ الْحَيِّ حَوْلِي رُكَّدًا يُرَاوِدُنَّ مِنِّي مَا تُرِيدُ نِسَائِيَا
نساء القوم يجلسن حولي، ويطلبن مني ما تطلبه نسائي

وَقَدْ عَلِمْتُ عِرْسِي مُلَيْكَةً أَتْنِي أَنَا اللَّيْثُ مَعْدُوًّا عَلَيَّ وَعَادِيَا
وزوجتي مليكة تعلم أنني أسد في الحرب عندما أهاجم وعندما أهاجم

وَقَدْ كُنْتُ نَحَارَ الْجَزُورِ وَمُعْمِلِ الْـ حَمَطِي، وَأَمْضِي حَيْثُ لَا حَيٍّ مَاضِيَا
كنت أذبح الجزور، الجمل، وأركب الإبل وأسافر إلى أماكن لم يقصدها أحد قط..
كنت سخياً مغامراً

وَأَنْحَرُ لِلشَّرْبِ الْكَرَامِ مَطِيطِي وَأَضْدَعُ بَيْنَ الْقَيْنَتَيْنِ رِدَائِيَا
أذبح للشرب، لشاربي الخمر، بعيري، وأشق بين القيتين المغنيتين ردائي من الطرب

وَكُنْتُ إِذَا مَا الْخَيْلُ شَمَّصَهَا الْقَنَا لَبِيقًا بِتَضْرِيفِ الْقَنَاةِ بَنَانِيَا
وكنت إذا شمَّصت القنا الخيل، نفَّرت الرماح الخيل، لبيقاً، ماهر البنان بالطعن بالرمح

وَعَادِيَّةٍ سَوْمَ الْجَرَادِ وَزَعَتْهَا بِكَفِّيْ وَقَدْ أَنْحُوا إِلَيَّ الْعَوَالِيَا
وربَّ خيل مغيرة كثيرة مثل الجراد وزعتها، رددتها، برمح أحمله بكفي، وقد أمال المهاجمون
نحوي العوالي، أي الرماح

كَأَنِّي لَمْ أَزْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقُلْ لِحَيْلِي كُرِّي نَفْسِي عَنْ رِجَالِيَا
وأنا الآن أسير فكأنني لم أركب حصاناً ولم أقل لصحي وهم على خيولهم اهجموا ونفسوا عن
الرجال، أبعدوا الأعداء المحذقين برجالنا

وَلَمْ أَسْبِ الرِّقَّ الرَّوِّيَّ وَلَمْ أَقُلْ لِأَيْسَارِ صِدْقٍ أَعْظَمُوا ضَوْءَ نَارِيَا
وكأنني لم أسبِ لم أشتري، الزق الروي، قرية الخمر الممتلئة، ولم أقل لأيسار صدق، المقامر
على لحم ناقة، أجبوا النار كي نشوي اللحم للفقراء

١١ أنا على ابن عمي

ذو الإصبع العدواني:

يَا مَنْ لِقَلْبٍ شَدِيدِ الْهَمِّ مُحْزُونٍ أَمْسَى تَذَكَّرَ رِيًّا أَمْ هَارُونٍ
يا من يعين قلب الحزين الذي تذكر رِيًّا

أَمْسَى تَذَكَّرَهَا مِنْ بَعْدِهَا شَحَطْتُ وَالدهرُ ذُو غِلْظَةٍ حِينًا وَذُو لِينٍ
شحطت: نأت وابتعدت

تَرْمِي الْوُشَاةَ فَلَا تُخْطِي مَقَالِنَهُمْ بِصَادِقٍ مِنْ صَفَاءِ الْوُدِّ مَكْنُونٍ
رِيًّا تصد الوشاة صداً وتصيب منهم المقتل بقطع وشاياتهم بمحبته الصافية وودها العميق لي
وَلِي ابْنُ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ مُخْتَلِفَانِ، فَأَقْلِبِهِ وَيَقْلِبْنِي
ابن عمي له طباع تختلف عن طباعي، فأكرمه ويكرهني

أَزْرَى بِنَا أَنَّنَا شَالَتْ نَعَامَتُنَا فَخَالَنِي دُونَهُ بَلْ خِلْتُهُ دُونِي
أزرى بنا، أضر بحالتنا، أننا شالت نعمتنا، أي تفرقتنا،
فكل واحد منا ظن أن الآخر أدنى منه مرتبة

لَا ابْنُ عَمِّكَ، لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ عَنِّي، وَلَا أَنْتَ دِيَانِي فَتَخَزُونِي
الله ابن عمك هذا! لا أنت خير في الحسب والشرف، ولا أنت ديانني، مالك أمري، حتى
تخزونني، أي تؤنّبني وتردني إلى الصواب إذا أسأت

فَإِنْ تُرِدْ عَرَضَ الدُّنْيَا بِمَنْقَصَتِي فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ يُشْجِينِي
إن سعت لنيل السمعة بين الناس بأن تنقص مني فهذا ليس يهمني

لَوْلَا أَوْاصِرُ قُرْبَى لَسْتُ تَحْفَظُهَا وَرَهْبَةُ اللَّهِ فِيمَنْ لَا يُعَادِينِي . .
لولا علاقات القرابة، التي لا تحفظها أنت، ولولا خوفاي من الله في رجل يكرهني ولكن كرهه لا
يصل حد العداة . .

إِذَنْ بَرِيَّتُكَ بَرِيًّا لَا انْجِبَارَ لَهُ إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَنْفُكَ تَبْرِينِي
لولا ذلك لبريتك برياً، انحلت جسمك بما أنزله بك من العقاب، ولن يكون لهذا انجبار، أي
علاج والتتام

إِنَّ الَّذِي يَفْبِضُ الدُّنْيَا وَيَبْسُطُهَا إِنْ كَانَ أَغْنَاكَ عَنِّي سَوْفَ يُغْنِينِي
الله يغنيني عنك مثلما أغناك عني

مَاذَا عَلَيَّ وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي لَا أَحِبَّكُمْ إِذْ لَمْ تُحِبُّونِي
 لَوْ تَشْرَبُونَ دَمِي لَمْ يَزَوْ شَارِبُكُمْ وَلَا دِمَاؤُكُمْ جَمْعاً تُرَوِّينِي
 يَا عَمْرُو إِلَّا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي أَضْرِبُكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةُ اسْقُونِي
 إن لم تدع شتمي وانتقاصي فسوف اضربك حتى الموت.. وحتى تخرج من قبرك الهامة، وهي
 ذلك الكائن الخرافي الذي يخرج من قبر القتل ويصيح «اسقوني» طالباً الثأر

لَا يُخْرِجَ الْقَسْرُ مِنِّي غَيْرَ مَأْبِيَةٍ وَلَا أَلَيْنُ لِمَنْ لَا يَبْتَغِي لِيْنِي
 القسر، أي الإرغام، لا نتيجة له معي سوى الإباء والرفض، ولا يلين جانبي لمن يخاشني ولا
 يذل جهده لمسايرتي

كُلُّ امْرِئٍ صَائِرٌ يَوْمًا لِشَيْمَتِهِ وَإِنْ تَخَلَّقَ أَخْلَاقاً إِلَى حَبِينِ
 الشيمة: الطبع

وَاللَّهِ لَوْ كَرِهَتْ كَفِّيْ مُصَاحَبَتِي لَقُلْتُ إِذْ كَرِهَتْ قُرْبِي لَهَا بَيْنِي
 بيني: فارقي

١٢ لائكات الشكيم

ربيعة بن مقوم:

وَتُفَرِّمُخُوفٍ أَقْمَنَا بِهِ يَهَابُ بِهِ غَيْرُنَا أَنْ يُقِيمَا
 رب تفرح حدودي خطر رابطننا به، ويخاف غيرنا ذلك

جَعَلْنَا السَّبُوفَ بِهِ وَالرِّمَاحَ مَعَاقِلَنَا وَالْحَدِيدَ النَّظِيمَا
 معاقلنا، أي حصوننا، هي السيوف والرماح والحديد النظيم، أي الدروع المنظومة والمنسوجة من
 حلقات الحديد

وَجُرَدًا يُقَرِّبُنَ دُونَ الْعِبَالِ خِلَالَ الْبُيُوتِ يَلُكُنَ الشَّكِيمَا
 والجرد، الخيل القصيرة الشعر، التي تربطها قريباً منا، أقرب من عيالنا، حتى تكون على أهبة
 الاستعداد، وهي تقف بين بيوتنا لتلك الشكيم، تمضغ الحديدية التي في فم الفرس

١٣ الحكمة بين الشيب والصلع

سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ الشُّكْرِيُّ، جاهلي إسلامي معمر:

بَسَطْتُ «رَابِعَةً» الْحَبْلَ لَنَا فَوَصَّلْنَا الْحَبْلَ مِنْهَا مَا اتَّسَعُ
 مدت لنا رابعة حبل وصلها، فبادلناها وصلأً بوصل

حُرَّةٌ تَجْلُو شَتِيئاً وَاضِحاً كَشُعَاعِ الشَّمْسِ فِي الْغَيْمِ سَطَعَ
 امرأة حرة تجلو، أي تُبرز، أسناناً شتية متفرقة واضحة، أي يضاء، وأسنانها تبرق كشعاع الشمس
 وسط الغيوم

صَقَلْتُهُ بِقَضِيبٍ نَاضِرٍ مِنْ أَرَاكِ طَيِّبٍ حَتَّى نَصَغَ
 صقلت أسنانها بعود سواك أخضر ناضر من شجر الأراك الطيب حتى نصعت أسنانها

رُبِّ مَنْ أَنْضَجَتْ غَيْظاً قَلْبَهُ قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتاً لَمْ يُطْعَ
 رب شخص جعلت قلبه ينضج من حر الغيظ، وتمنى لي موتاً، ولكن أمنيته لم يُستجب لها

وَيَرَانِي كَالشَّجَا فِي حَلْقِهِ عَصِيراً مَخْرُجُهُ مَا يُنْتَزَعُ
 يراني كالشوكة في حلقه، انتزاعها وخروجها صعب

مُزِيدٌ يَخْطِرُ مَا لَمْ يَرْنِي فَلِذَا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِي أَنْقَمَ
 مزيد، يخرج الزبد من فمه كالبعير المتهيج، في غيبيتي، فإذا سمع صوتي انقمع، وارتدع

بِئْسَمَا يَجْمَعُ أَنْ يَغْتَابَنِي مَطْعَمٌ وَخَمٌّ وَدَاءٌ يُلْرَعُ
 بئس الذي يجمعه في قلبه إذ يغتابني، فهو يجمع الطعام الفاسد، والداء الذي يدرعه، يلبسه

وَيَحْيِيْنِي إِذَا لَأَقْبَيْتُهُ وَإِذَا بَخَلُّوْهُ لَحْمِي رَتَعُ
 يحييني خوفاً مني، وإذا غبت عنه رتع في لحمي، أي اغتابني

كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَمَا لَاحَ فِي الرَّأْسِ بَيَاضٌ وَصَلَعُ
 كيف يترقب الناس سقاطي، وقوعي في الخطأ، وقد لاح في رأسي بياض الشيب، والصلع

١٤ رماح نصارى.. ولكن

جابر بن حنّى التغلبي:

وَفِي كُلِّ أَسْوَاقِ الْعِرَاقِ إِتَاوَةٌ وَفِي كُلِّ مَا بَاعَ امْرُؤٌ مَكْسُ دِرْهَمٍ
 في كل أسواق العراق إتاوة، أي ضريبة، وفي كل عملية بيع هناك مكس درهم،
 والمكس: الضريبة المفروضة على المبيعات

نُعَاطِي الْمُلُوكَ السَّلَامَ مَا قَصَدُوا بِنَا وَلَيْسَ عَلَيْنَا قَتْلُهُمْ بِمُحَرَّمٍ
 نأخذ ونعطي مع الملوك بالحنى ما داموا يقصدون، يعدلون، بنا..
 وإلا فليس محرماً علينا قتلهم

وقد زَعَمَتْ بهراءُ أنَّ رِمَاحَنَا رِمَاحُ نَصَارَى لَا تَخُوضُ إِلَى الدِّمِّ..
 زعمت قبيلة بهراء أن رماحنا رماح نصارى، إذن فهي مسالمة، ولا تخوض في الدم (والشاعر تغلبي
 وتغلب قبيلة نصرانية بقي كثير من أبنائها على دينهم في العصر الأموي، وشاعرنا جاهلي)

فَيَوْمَ الْكُلابِ قَدْ أَزَالَتْ رِمَاحَنَا شُرَحْبِيلَ إِذْ آلَى أَلِيَّةٌ مُقْسِمٌ..
 يوم الكلاب، وقعة الكلاب المشهورة في الجاهلية، قتلت رماحنا شرحيل الذي آلى آلية، أي
 أقسم قسماً..

لَيَنْتَزِعَنَّ أَرْمَاحَنَا، فَأَزَالَهُ أَبُو حَنْشٍ عَنْ ظَهْرِ شَقَاءٍ صَلْدِمٍ
 أقسم أن ينتزع رماحنا، فأزاله أبو حنش عن ظهر الفرس الشقاء، الطويلة، الصلدم، الصلبة
 يرى الناسُ مِنَّا جِلْدَ أَسْوَدَ سَالِحٍ وَفَرَوَةَ ضِرْعَامٍ مِنَ الْأَسَدِ ضَيْعِمٍ
 يرى الناس إذ نبدو لهم جلد أسود، والأسود هو الثعبان، سالخ، الذي يدل جلد، ويرون فروة
 ضرغام، لبدة أسد ضيغم، أي مفترس

١٥ لقاء مسعود

ربيعة بن مقروم:

لَمَّا تَشَكَّتْ إِلَيَّ الْأَيْنَ قُلْتُ لَهَا لَا تَسْتَرْحِينَ مَا لَمْ أَلْقَ مَسْعُودًا
 عندما اشتكت ناقتي إليّ الأين، أي التعب، قلت لها لا راحة إلا بعد أن أصل إلى مسعود
 وَقَدْ سَمِعْتُ بِقَوْمٍ يُحَمَّدُونَ فَلَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِكَ لَا جِلْمًا وَلَا جُودًا
 سمعت بقوم لهم صيت حسن ويحمدون الناس، ولم أسمع بمثل حلمك، سعة صدرك،
 ولا سخائك

هَذَا ثَنَائِي بِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ لَا زِلْتُ عَوْضُ قَرِيرِ الْعَيْنِ مَحْسُودًا
 هذا مدحي إياك مقابل ما أعطيت من معروف، وأدعو لك أن تظل عوض، دوماً، قرير العين،
 مسروراً، ومحسوداً من قبل الأعداء

١٦ المصير المحتوم

الأسود بن يعفر التّهشلي:

أَيْنَ الَّذِينَ بَنَوْا قَطَالَ بِنَاؤُهُمْ وَتَمَتَّعُوا بِالْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ
 فإذا النعيم، وكلُّ ما يُلهي به يوماً يصيرُ إلى بَلَى وَنَقَادِ
 البلى: اهتراء الجسم بعد الموت، النقاد: الانتهاء

١٧ المنعمات

المرقش الأكبر، من شعراء ربيعة، وهو جاهلي قديم:

سَرَى لَيْلًا خِيَالًا مِنْ سُلَيْمَى فَأَرَقَّنِي وَأَصْحَابِي هُجُودُ
سرى، أي زار ليلاً، خيال المحبوبة سليمى، فصحوت وأصابني أرق بينما أصحابي هجود، نيام
فَبِتُّ أُدِيرُ أَمْرِي كُلَّ حَالٍ وَأَزُقُّ أَهْلَهَا وَهُمْ بَعِيدُ
بت، قضيت ليلي، أقلب أمري على وجوهه، وأرقب، أحسب حساب، أهلها وهم بعيدون عني
يَرْخُنَ مَعَا بِطَاءِ الْمَشْيِ بُدًّا عَلَيْهِنَّ الْمَجَاسِدُ وَالْبُرُودُ
يصف أولئك النسوة، فهن يمشين معاً مشياً بطيئاً، فهن بنات نعمة وترف ولا يسرعن في
عمل، وهن بد، أي بديئات الأسافل، ويرتدين المجاسد، الثياب المصبوغة، والبرود،
أي الثياب

سَكَنَ بِلَدَةٍ وَسَكَنْتُ أُخْرَى وَقُطِعَتِ الْمَوَاقِفُ وَالْعُهُودُ
تفرقت مساكننا ولم تبق عهود بين قومي وقومهن

فَمَا بَالِي أَفِي وَيُخَانُ عَهْدِي وَمَا بَالِي أَصَادُ وَلَا أَصِيدُ
عندي الوفاء والأتقي خيانة لعهدي

وَرُبَّ أَسِيلَةٍ الْخَدَيْنِ بِكْرِ مُنْعَمَةٍ لَهَا فَرْعٌ وَجِيدُ
رب فتاة أسيلة الخدين، طويل خذاها، لها فرع، شعر طويل، وعنق جميل

لَهَوْتُ بِهَا زَمَانًا مِنْ شَبَابِي وَزَارَتْهَا النَّجَائِبُ وَالْقَصِيدُ
كانت لي صاحبة ولهونا معاً وزرتها بالنجائب، النياق، وبقصائد الغزل

أُنَاسٌ كُلَّمَا أَخْلَقْتُ وَصَلًا عَنَانِي مِنْهُمْ وَصَلَ جَدِيدُ
هؤلاء يتجدد شوقي لهن، فكلما أخلقت وصلاً، أي انقطعت العلاقة،
صار يعينني منهن وصل جديد

١٨ أسرعها وأكثرها

المرقش الأكبر:

هَلَا سَأَلْتِ بِنَا قَوَارِسَ وَائِلٍ فَلَنَحْنُ أَسْرَعُهَا إِلَى أَعْدَائِهَا
أيتها المحبوبة أسألي عنا فرسان قبيلتنا الكبرى «وائل».. فنحن أسرعهم إلى مواجهة الأعداء

وَلَنَحْنُ أَكْثَرُهَا إِذَا عُدَّ الْحَصَى وَلَنَا قَوَاضِلُهَا وَمَجْدُ لِيَوَائِهَا
وعشيرتنا، ضمن القبيلة الكبرى، هي الأكثر عدداً، وكثيراً ما عبّروا بالحصى عن العدد الكثير، ولنا
الفضل والمجد الحربي

١٩ يا قصير العمر!

قال المرقش الأكبر، والقصيدة من السريع، وزاحف ما شاء:

هَلْ بِالْدِّيَارِ أَنْ تُجِيبَ صَمَمٌ لَوْ كَانَ رَسْمٌ نَاطِقاً كَلَّمْ
هل بالديار صمم فلذا هي لا تجيب عن سؤالنا إذ نألها أين ذهب قوم المحبوبة؟ فعلاً بها صمم،
فلو كان أي رسم، أي طلل، ناطقاً لكَلَّمْنَا هذا الطلل

الدارُ قَفَرٌ، والرُّسُومُ كما رَقَّشَ فِي ظَهْرِ الْأَدِيمِ قَلَمٌ
دار الأجرة التي نفق بها الآن قفر، خالية، ورسومها، أي بقاياها، تشبه ما يرقشه، يرقشه، القلم
على الأديم، الجلد. بهذا البيت لقبوه بالمرقش

دِيَارُ أَسْمَاءَ الَّتِي تَبَلَّتْ قَلْبِي، فَعَيْنِي مَأْوَها يَسْجُمُ
هذه ديار أسماء التي تلبت قلبي، أخضعت، فدمع عيني يسجم، أي يسيل

النَّشْرُ مِنْكَ وَالْوُجُوهُ دَنَا نِيرُ وَأَطْرَافُ الْبَنَانِ عَنَّمْ
يصف محبوبته وصويحاتها: النشر، أي الرائحة، رائحة منك، والوجوه مشرقة مدورة كاللدنانير
الذهبية، وأطراف الأصابع كالعنم، ثمر كالثَّأب، فإن لم تعرف العناب فهو ثمر كالعنم، وكلاهما
ثمرته تشبه رؤوس الأصابع المحنَّاة بالحمرة

لَيْسَ عَلَى طُولِ الْحَيَاةِ نَدَمٌ وَمِنْ وَرَاءِ الْمَرءِ مَا يَعْلَمُ
الشرط الأول فيه معنى معكوس: لا ندم على عدم تمتعك بطول الحياة، والشرط الثاني كذلك:
وراء المرء، يقصد أمامه، ما يعلمه من الهرم والضعف في الشيخوخة لو طال عمره. في يومنا هذا
يقول أهل العراق «ورا ما قلت لي» بمعنى «بعد أن قلت لي»

يَهْلِكُ وَالِدٌ وَيَخْلُفُ مَوْ لَوْدٌ، وَكُلُّ ذِي أَبٍ يَنْتَمُ
في الشيخوخة يموت الأب ويخلفه ولده، وكل ولد يصاب باليتم في أبيه

أَمْوَالُنَا نَقِي الثُّفُوسَ بِهَا مِنْ كُلِّ مَا يُدْنَى إِلَيْهِ الدَّمُ
يبدل الأموال نحمي نفوسنا من كل ما يجلب الدم

٢٠ الاهتزاز

مَتَّمْ بن نُؤَيْرَةَ الْيَرُبُوعِي، يرثي أخاه مالكا الذي قتل في حروب الردة:

لَعَمْرِي، وَمَا دَهْرِي بِتَأْبِينِ هَالِكٍ وَلَا جَزَعٍ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا..
لعمري - وأنا لست ممن ينفق عمره في تأبين ميت، أو في معاناة الجزع من مصيبة أوجعتني..

لَقَدْ كَفَّنَ الْمِنْهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ فَتَى غَيْرِ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعَا
لعمري، لقد كفن المنهال، ذلك الرجل الذي وجد أخي قتيلاً فألقى عليه ثوبه، فتى لم يكن يملأ
بطنه في الليل بل يجود بالطعام على حساب نفسه، وكان أروع، أي شجاعاً

تَرَاهُ كَصَدْرِ السِّيفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى إِذَا لَمْ تَجِدْ عِنْدَ امْرِئِ السَّوْءِ مَطْمَعَا
كان أخي يهتز للسقاء كما يهتز صدر السيف، في حين لا يلقى الضيف طعاماً عند الرجل
السيء.. شرح الاهتزاز للندي: تجد الرجل البخيل إذا طلبت منه شيئاً يقعد مكانه جامداً،
يفكر في تبرير لرفض طلبك.. فأما الكريم السخي فإنك إذا طلبت منه أمراً رأيت لجسمه حركة
فورية، إنه يفرح لأنك طلبت منه، ويهتز لطلبك.. تراه يحرك ذراعيه.. ويسرع في تلبية طلبك

وَأَنْ شَهِدَ الْأَيْسَارَ لَمْ يُلَفْ مَالِكٌ عَلَى الْفَرْتِ يَحْمِي اللَّحْمَ أَنْ يَتَمَزَّعَا
وان شهد مالك الأيسار، المقامرة على لحم ناقة، لم يلف، لم يرَ، واقفاً يرقب الفرت، حشو الكرش،
فهو لا يقف ولا يشهد ذلك المنظر المقزز، بغرض الحيلولة دون تمزيق اللحم وتفريقه في الفقراء
أَبَى الصَّبْرَ آيَاتُ أَرَاهَا، وَأَنْنِي أَرَى كُلَّ حَبْلٍ بَعْدَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا
منع الصبر عني آيات أراها، وأنا أنني أرى كل الأواصر والروابط بعد
موتك روابط مقطعة قصيرة لا تغني

وَأَنْنِي مَتَى مَا أَدْعُ بِاسْمِكَ لَا تُجِيبُ وَكُنْتَ جَدِيراً أَنْ تُجِيبَ وَتَسْمَعَا
ومنع الصبر أنني عندما أناديك لا تجيبي، وكنت تسمع فتجيب دائماً

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا
لما فرق بيننا الموت انتهى كل شيء، فكاننا لطول اجتماع، أي «بعد» طول صحبة، لم نبت ليلة
واحدة معاً

وَكُنَّا كَنَدِمَانِي جَزِيمَةً حَقِيبَةً مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا
كنا كندماني جزيمة، كنديمي الأمير جزيمة الأبرش اللذين نادماه طويلاً معاً ثم قتلها معاً، كنا
متلازمين حتى لقد وقع في وهما أن الدهر لن يتقطع بنا

فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ قَرَقْنًا بَيْنَنَا فَقَدْ بَانَ مَحْمُودَا أَخِي حِينَ وَدَّعَا
لئن فرقت بيننا الأيام فعزائي أن أخي بان، نأى، وهو محمود السيرة

فلو أنَّ ما أَلْقَى يُصِيبُ «مُتَالِعاً» أو الرُّجْحَنُ مِنْ «سَلْمَى» إِذَنْ لَتَضَعُضَا
لو أنَّ ما أَلَاقيَه من حزن يصيب جبل «متالع»، أو جانب جبل «سلمى» لتضعض الجبل

٢١ حديث الناقة

المثقب العبدى:

أَفَاطِمُ قَبْلَ بَيْنِكَ مَتَّعِينِي وَمَنْعُكَ مَا سَأَلْتُ كَأَنْ تَبِينِي

متعيني بوصلك قبل مفارقتك إياي، ومنعك الوصل وأنت موجودة شبيه بالفراق

فَلَا تَعِدِّي مَوَاعِدَ كَاذِبَاتٍ تَمُرُّ بِهَا رِيَّاحُ الصَّيْفِ دُونِي

لا تعديني وعوداً كاذبة كأنها رياح الصيف التي تهب ولا تحمل مطراً

فَإِنِّي لَوْ تُخَالِفُنِي شِمَالِي خِلَافَكَ مَا وَصَلْتُ بِهَا يَمِينِي

لو خالفتني شمالي مثلما تخالفتني أنت لما أبقيت عليها

إِذَنْ لَقَطَعْتُهَا وَلَقُلْتُ بَيْنِي كَذَلِكَ أَجْتَوِي مَنْ يَجْتَوِينِي

لقطعتها، وقلت لها فارقيني، فأنا أجتوي من يجتويني، أكره من يكرهني

ظَهَرَنَ بِكِلَّةٍ وَسَدَلَنَ أُخْرَى وَتَقَبَّنَ الْوَصَاوِصَ لِلْعُيُونِ

يصف النساء: فقد ظهرن وراء كلة، أي ستر رقيق، وأنزلن على وجوههن سترأ آخر هو الوصاوص، أي البراقع، لكنهن ثقبن البراقع فبدت عيونهن. وقيل بهذا البيت لقب بالمثقب

أَرَيْنَ مَحَاسِنَا وَكُنَّ أُخْرَى مِنَ الْأَجْيَادِ وَالْبَشَرِ الْمَصُونِ

أبدن بعض مفاتهن، وكنن مفاتن أخرى، أخفيها، مثل الأجياد، الأعناق، والبشر المصون، البشارة المستورة عن العيون

وَمِنْ ذَهَبٍ يَلُوحُ عَلَى تَرِيبٍ كَلُونِ الْعَاجِ لَيْسَ بِذِي غُضُونِ

وأخفين نحوراً لامعة كالذهب، والتريب هو الترائب أي أعلى الصدر، ولون نحورهن كلون العاج، والجلد ليست به غضون، تجاعيد

فَسَلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِذَاتِ لَوْثٍ عُدَا فِرَّةَ كَمْطَرَقَةِ الْقُيُونِ

أبعد عنك الهم بناقة ذات لوث، قوية، عذافرة، متينة، كأنها في القوة مطرقة القيون، الحدادين

تَقُولُ إِذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضِيْنِي أَهْذَا دِيْنُهُ أَبَدًا وَدِيْنِي؟

تقول الناقة إذا درأت لها الوضين، شددت الحزام رابطاً الرجل عليها، تقول: أهذا دأبه ودأبي معه؟

أَكَلَّ الدَّمَرِ جِلًّا وَازْتَحَالَ؟ أَمَا يُبْقِي عَلَيَّ وَمَا يَقِينِي؟
 تقول الناقة: أأقضي العمر في حل ثم ارتحال؟ ألا يبقني على قوتي ولا يحميني من الهزال والتعب؟
 فَرُخْتُ بِهَا تُعَارِضُ مُسَبِّطَرًا عَلَى صَحْصَاحِهِ وَعَلَى الْمُتُونِ
 رحت بالناقة، سافرت ليلاً، تقطع الطريق المسبطر، الممتد، وتسير على صحصاحه، سهله، وعلى
 المتون، على الوعر

إِلَى عَمْرٍو، وَمِنْ عَمْرٍو أَتَنِّي أَخِي النَّجْدَاتِ وَالْجِلْمِ الرَّصِينِ
 قاصداً عمرو بن هند الملك، ولعله تلقى دعوة أخته من عمرو! فالملك صاحب النجدة، النخوة،
 والحلم والوقار

فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَخِي بِحَقٍّ فَأَعْرِفَ مِنْكَ غَثِّي مِنْ سَمِينِي
 إما أن تكون أخي فأعرف ما سأنال منك بوضوح

وإِلَّا فَاطْرَحْنِي وَاتَّخِذْنِي عَدُوًّا أَتَقِيكَ وَتَنَقِّينِي
 وإلا فاتركني، ولتكن بيننا عداوة صريحة، وليتجنب أحدهما الآخر

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَمْرًا أُرِيدُ الْخَيْرَ، أَيُّهُمَا يَلِينِي:
 إذا قصدت أمراً أريد الخير من ورائه لا أعلم ما الذي سيليني، سيصيني:

أَلْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ أَمْ الشَّرُّ الَّذِي هُوَ يَبْتَفِينِي؟
 أيصيني الخير الذي أطلبه، أم الشر الذي يطلبني؟

٢٢ نعم ولا

المثقب العبدى:

لَا تَقُولَنَّ إِذَا مَا لَمْ تُرِدْ أَنْ تُتِمَّ الْوَعْدَ فِي شَيْءٍ «نَعَمْ»
 لا تقل «نعم» إن كنت غير ناوٍ على الوفاء بالوعد

حَسَنُ قَوْلٍ «نَعَمْ» مِنْ بَعْدِ «لَا» وَقَبِيحُ قَوْلٍ لَا بَعْدَ نَعَمْ
 فكلمة نعم طيبة الوقع بعد لا، والعكس غير صحيح

إِنَّ لَا بَعْدَ نَعَمْ فَاجِشَةً قَبْلًا قَابِذًا إِذَا خِفْتَ النَّدَمَ
 فإذا قلت نعم فاضبر لها بنجاح القول، إنَّ الخُلْفَ دَمٌ
 إن قلت نعم فاضبر لها بأن تثابر على نجاح القول، والنجاح هو التحقيق،
 وخلف الوعد يأتيك بالذم

أَحْرِمُ الْجَارَ وَأَزْعَى حَقَّهُ إِنَّ عِرْفَانَ الْفَتَى الْحَقُّ كَرَمُ
 أَنَا بَيْتِي مِنْ مَعَدٍّ فِي الذُّرَى وَلِيَّ الْهَامَةُ وَالْفَرْعُ الْأَشْمُ
 عشيرتي في قمم قبيلة معد الكبرى، ولي الهامة، الرأس، والفرع العالي، والفرع هو الرأس..
 وأصل «الفرع» الشعر

لَا تَرَانِي رَاتِعاً فِي مَجْلِسٍ فِي لُحُومِ النَّاسِ كَالسَّبْعِ الضَّرِمِ
 لَا أَرْتَعُ فِي لُحُومِ النَّاسِ، لَا أَسْتَغِيبُ النَّاسَ فِي الْمَجَالِسِ، كَأَنِّي السَّبْعُ الضَّرِمِ، النِّهَمِ

إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَكْثُرُ لِي حِينَ يَلْقَانِي وَإِنْ غَبْتُ شَتَمَ
 شر الناس من يكثر لي، يظهر أسنانه مبتسماً، في حضوري، فإن غبت عنه شتمني

وَكَلَامٍ سَيِّئٍ قَدْ وَقُرْتُ أَذُنِي عَنْهُ وَمَا بِي مِنْ صَمَمٍ
 رب كلام سيء قد قرأت، سُذْتُ، أَذُنِي دُونَهُ مَعَ أَنِّي لَسْتُ بِأَصَمِّ

وَلَبَعَضُ الصَّفْحِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْ ذِي الْخَنَاءِ أَبْقَى، وَإِنْ كَانَ ظَلَمَ

بعض الصفح والإعراض عن ذي الخناء، صاحب الفحش والإساءة، أبقى للعلاقات حتى لو كان ظالماً وغير محق في شتمه. إن رأيت كثيراً من شعر الجاهليين يعالج أوضاعاً اجتماعية شبيهة بما كان يكون في البصرة والكوفة في العصر الأموي وأوائل العباسي، وإن صادفك أبيات كهذه فيها حذقة في تناول كلمتي «نعم» و«لا» فاعلم أن كثيراً من الشعر الذي يوصف بالجاهلي موضوع في عصور لاحقة. قد يجدون للمثقب العبيدي - وهو جاهلي وصف بأنه أقدم من النابغة - بضعة أبيات فيلحقون بها أضعافها لكي تكتمل لهم «قصيدة» ينشدونها في المربد، وفي مجالس الأمراء

٢٣ إما ود وإما انتقاد

يزيد بن الخَدَّاقِ الشَّيْ:

لَنْ تَجْمَعُوا وَدِّي وَمَعْتَبَتِي أَوْ يُجْمَعَ السَّيْفَانِ فِي غَمْدٍ
 مثلما لا يجتمع السيفان في غمد، أي قراب أو بيت، واحد فكذلك لا يجتمع ودي لكم وانتقادكم لي

نُعْمَانُ إِنَّكَ خَائِنٌ خَلِيعٌ يُخْفِي ضَمِيرُكَ غَيْرَ مَا تُبْدِي
 أيها النعمان بن المنذر، أنت خائن لوعودك ومخادع، ويخفي قلبك غير ما تبدي،
 شأن كل الساسة!

فَإِذَا بَدَا لَكَ نَحْتُ أَثْلَتِنَا فَعَلَيْكَهَا إِنْ كُنْتَ ذَا حَرْدٍ
 إن بدا لك نحت أثلتنا - انتقاصنا والنبيل منا، والأثلة نوع من الشجر - فلتفعل إن كنت ذا حرد، ذا
 قصد إلى هذا الأمر

يَأْبَى لَنَا أَنَا ذُووْ أَنْفٍ وَأَصُولُنَا مِنْ مَحْتِدِ الْمَجْدِ
يأبى لنا القبول بانتقاصك أننا ذوو أنف، شامخون، وأصولنا من محتد المجد، والمحتد الأصل
إِنْ تَغْزُ بِالْخَرْقَاءِ أُسْرَتْنَا تَلَقَّ الْكَتَائِبَ دُونَنَا تَرْدِي
إذا غزوت بالخرقاء، لعلها كتيبة من كتائب النعمان، أسرتنا فستجد الكتائب تردي، تهرول، لحمايتنا
أَحْسِبَنَّا لَحْمًا عَلَى وَضْمٍ أَمْ خِلْتَنَا فِي الْبَاسِ لَا نُجْدِي؟
أظننت أننا لحم على وضم، لحم على خشبة الجزار.. فاللحم على خشبة الجزار شيء ميت
لا قدرة له بالمقارنة مع البعير الحي الذي يصول ويقاوم، أم ظننت أننا لا نجد في البأس،
لا قدرة لنا في الحرب؟
وَهَزَزْتَ سَيْفَكَ كِي تُحَارِبَنَا فَاَنْظُرْ بِسَيْفِكَ مَنْ بِهِ تُرْدِي
تردي: تقتل

٢٤ التجهيز

الممزق العبدى:

قَدْ رَجَّلُونِي وَمَا رُجِّلْتُ مِنْ شَعَثٍ وَأَلْبَسُونِي ثِيَابًا غَيْرَ أَخْلَاقِي
يصف تجهيزه للدفن: قد رجلوا شعري أي سرحوه.. ليس لأنه كان أشعث، بل لأمر أخطر..
وألبسوني ثياباً غير أخلاق، غير بالية

وَأَرْسَلُوا فُتْيَةً مِنْ خَيْرِهِمْ حَسَبًا لِيُسْنِدُوا فِي ضَرْحِ الثَّرْبِ أَطْبَاقِي
وأرسلوا فتية كراماً ليسندوا أطباقي، مفاصلي، في القبر

هَوْنٌ عَلَيْكَ وَلَا تَوَلَّعْ بِإِشْفَاقٍ فَإِنَّمَا مَالُنَا لِلْوَارِثِ الْبَاقِي
يهون الأمر على نفسه.. لا تولع بإشفاق، لا يلزملك الخوف، فالموت حق والمال سيؤول للوارث

٢٥ إشباع الضباع

عبد المسيح بن سَلَّة العبدى:

عَدَوْنَا إِلَيْهِمْ وَالسِّيُوفُ عَصِينَا بِأَيْمَانِنَا، نَقْلِي بِهِنَّ الْجَمَاجِمَا
ذهبنا إليهم حاملين السيوف بدل العصي، وبهذه السيوف نقلي، أي نضرب، الرؤوس

لَعَمْرِي لَأَشْبَعْنَا ضِبَاعَ عُنَيْزَةٍ إِلَى الْحَوْلِ مِنْهَا وَالتُّسُورَ الْقَشَاعِمَا
والله لقد شبت الضباع في موضع عنيزة إلى الحول، أي لسنة كاملة، وشبت التسور القشاعم،
الكبيرة، من لحم الأعداء

وَمُسْتَلَبٍ مِنْ دِرْعِهِ وَسِلَاحِهِ تَرَكْنَا عَلَيْهِ الذُّنْبَ يَنْهَسُ قَائِمًا

ورب محارب قتلناه وسلبنا درعه وسلاحه، وتركناه والذنب قائم عليه ينهش لحمه نهشاً، والنهش أخت النهش (لا يشير المعجم الوسيط إلى تقارب الكلمتين، وما كان أحراه أن يقول ما قاله ابن دريد نقلاً عن الأصمعي، ووافقهما ابن فارس في المقاييس: النهش والنهش واحد)

٢٦ عَنَاجِيحُ

قال عامر المَحَارِبِي:

وَيَوْمَ يَوَدُّ الْمَرْءُ لَوْ مَاتَ قَبْلَهُ رَیْطُنَا لَهُ جَاشَأٌ وَإِنْ كَانَ مُعْظَمًا

رب يوم، أي وقعة، يود المرء لو مات قبله لهوله، وقد كنا رابطي الجاش متماسكين، رغم أنه كان يوماً معظماً، شديداً

وَيَوْمَ رُجِحَ صَبَّحَتْ جَمْعَ طِيٍّ عَنَاجِيحُ يَحْمِلُنَ الْوَشِيحَ الْمُقَوَّمَا

وفي وقعة رجیح ماجمت جمیع قبیلة طيء في الصباح عناجیح، أي خیل طويلة الأعناق، وفرسانها يحملون الوشیح المقوم، أي الرماح المثقفة المستقيمة

٢٧ الحق والحقيق

معاوية بن مالك، مَعُوذُ الحكماء:

نُعْطِي الْعَشِيرَةَ حَقَّهَا وَحَقِيقَهَا فِيهَا، وَنَغْفِرُ ذَنْبَهَا وَنَسُودُ

نعطي عشيرتنا حقوقها، ونغفر الذنب للمذنب ونسود قومنا. ولم أجد لـ «فيها» موقعاً

وَإِذَا تُحْمَلْنَا الْعَشِيرَةَ ثِقْلَهَا قُمْنَا بِهِ، وَإِذَا تَعُودُ نَعُودُ

٢٨ أَعُودٌ مِثْلُهَا الْحُكَمَاءُ

قال معاوية بن مالك، مَعُوذُ الحكماء، وبالبيت الثالث هنا لقب بهذا اللقب:

أَجَدَّ الْقَلْبُ مِنْ سَلَمَى اجْتِنَابَا وَأَقْصَرَ بَعْدَمَا شَابَتْ وَشَابَا

جدد القلب شعوراً مختلفاً هو اجتناب سلمى، وأقصر، أي كَفَّ، بعدما شاب صاحب القلب وشابت سلمى

حَمَلْتُ حَمَالََةَ الْقُرْشِيِّ عَنْهُمْ وَلَا ظُلْمًا أَرَدْتُ وَلَا اخْتِلَابَا

حملت الحمالة، أي قمت بالدية، للقرشي، ولم أبغ ظلم الآخرين ولا اختلابهم، خداعهم

أَعُودٌ مِثْلُهَا الْحُكَمَاءُ بَعْدِي إِذَا مَا الْحَقُّ فِي الْأَشْيَاعِ نَابَا

أصنع ذلك كي أعود الحكماء بعدي على أداء الحقوق بلا انتقاص إذا نابنا، أي حل بنا، مصاب يستدعي أداء الحقوق عن الأشياء، عن الحلفاء

وَكُنْتُ إِذَا الْعَظِيمَةُ أَفْطَعَتْهُمْ نَهَضْتُ وَلَا أُدِبُ لَهَا دِبَابًا
 إِذَا دَمَتْهُمْ عَظِيمَةً، أَي مَصِيبة كَبِيرَةٍ، نَهَضْتُ بِهَا نَهَضًا وَلَمْ أَتْلُكَأْ كَأَنِّي أَدُبُ عَلَى الْأَرْضِ وَاحِدًا
 إِذَا نَزَلَ السَّحَابُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهَا وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا
 نَحْنُ قَوْمٌ أَفْوَاءُ إِذَا نَزَلَ السَّحَابُ، أَي الْمَطَرُ، بِأَرْضِ قَوْمٍ آخَرِينَ، رَعَيْنَا مَا أَخْرَجَهُ مِنْ عَشْبٍ رَغْمَ أَنْوْفِهِمْ

٢٩ فارس المزنوق

عامر بن الطفيل:

لَقَدْ عَلِمْتُ عَلِيًّا هَوَازِنَ أَنَّنِي أَنَا الْفَارِسُ الْحَامِي حَقِيقَةً جَعْفَرٍ
 قَدْ عَلِمَ هَذَا الْفَرَسُ مِنْ هَوَازِنَ أَنَّنِي الْفَارِسُ الَّذِي يَحْمِي حَقِيقَةً، أَي شَرَفَ، قَوْمَ «جَعْفَرِ بْنِ كَلَابٍ»
 وَقَدْ عَلِمَ «الْمَزْنُوقُ» أَنَّنِي أَكْرَهُ عَلَى جَمْعِهِمْ كَرَّ الْمَنِيحِ الْمُشْهَرِّ
 عِلْمَ حِصَانِي وَاسْمَهُ «الْمَزْنُوقُ» أَنَّنِي أَهْجَمُ بِهِ عَلَى جَمْعِهِمْ مَسْرَعًا مِثْلَ الْمَنِيحِ الْمُشْهَرِّ، السَّهْمِ مِنْ
 سِهَامِ الْقِمَارِ وَكَانُوا يَرْمُونَهَا رِمًا

إِذَا ازْوَرَّ مِنْ وَقَعَ الرِّمَاحُ زَجْرَتُهُ وَقُلْتُ لَهُ: ارْجِعْ مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ
 إِذَا ازْوَرَّ الْحِصَانُ، أَي انْحَرَفَ، مِنْ وَقَعَ الرِّمَاحُ زَجْرَتُهُ وَنَهَرَتُهُ حَتَّى يَتَقَدَّمَ وَلَا يَدْبُرُ هَارِبًا
 أَلَسْتُ تَرَى أَرْمَاحَهُمْ فِي شُرْعَا وَأَنْتَ حِصَانٌ مَاجِدُ الْعِرْقِ فَاضْبِرْ
 وَقُلْتُ لِلْحِصَانِ: أَلَا تَرَى رِمَاحَهُمْ شُرْعَا فِيَّ، مَسْدَةً إِلَيَّ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَصْبِرَ، وَأَنْتَ حِصَانٌ أَصِيلٌ

٣٠ الأتّاد

عبد قيس بن خُفاف:

أَجْبَلُ إِنَّ أَبَاكَ كَارِبُ يَوْمِهِ فَإِذَا دُعِيَتْ إِلَى الْعِظَائِمِ فَاغْجَلِ
 يَخَاطِبُ ابْنَهُ جَبَلًا: أَبُوكَ كَارِبُ يَوْمِهِ، مُقْتَرِبُ مِنْ مَوْتِهِ، فَاغْجَلِ بِتَحْصِيلِ الْمَجْدِ
 فَالضَّيْفُ أَكْرَمُهُ فَإِنَّ مَبِيتَهُ حَقٌّ، وَلَا تَكُ لَعْنَةً لِلنُّزْلِ
 فَأَكْرَمُ الضَّيْفِ، وَلَا تَكُنْ مَذْمُومًا مَلْعُونًا بِمَنْ يَنْزِلُونَ بِكَ
 وَاعْلَمْ بِأَنَّ الضَّيْفَ مُخْبِرُ أَهْلِهِ بِمَبِيتِ لَيْلَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يُسْأَلِ
 سَيُخْبِرُ الضَّيْفُ أَهْلَهُ بِمَا لَقِيَ مِنْ حَفَاوَةٍ أَوْ سَوَاهَا حَتَّى وَإِنْ لَمْ يُسْأَلَوْهُ
 وَاتْرُكْ مَحَلَّ السَّوْءِ لَا تَحْلُلْ بِهِ وَإِذَا نَبَا بِكَ مَنَزَلٌ فَتَحَوَّلْ
 لَا تَتَلَبَّثْ فِي مَوْقِفٍ شَائِنٍ، وَإِذَا نَبَا بِكَ مَنَزَلٌ، انْزَعَجْتَ مِنْ مَكَانٍ أَقَمْتَ بِهِ، فَتَحَوَّلْ عَنْهُ

وَإِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ شَرٍّ فَاتَّقِذْ وَإِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ خَيْرٍ فَافْعَلِ

إن هممت بشرّ فاتقذ، ترؤ، وإذا هممت بخير فافعل فوراً

وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَلَا تَكُنْ مُتَحَشِّعاً تَرَجُّو الْفَوَاضِلَ عِنْدَ غَيْرِ الْمُفْضِلِ

لا تتذلل في حال فقرك راجياً المعروف ممن ليس أهلاً لبذل المعروف

وَاسْتَعْنِ مَا أَغْنَاكَ رَبُّكَ بِالْغِنَى وَإِذَا تُصِيبَكَ خِصَاصَةٌ فَتَجَمَّلِ

إن كنت غنياً فتمتع بالغنى، وإذا أصابك خصاصة، أي ضيق ذات اليد، فتجمل، أي اصبر وأخف
ففرق عن الناس

وَاسْتَأْنِ جِلْمَكَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا وَإِذَا عَزَمْتَ عَلَى الْهَوَى فَتَوَكَّلِ

اطلب الأناة من حلمك، هدوء نفسك، في كل أمر، وإذا عزمتم على الهوى، الأمر الذي تريده،
فتوكل على الله (قال بعضهم إن الشاعر إسلامي)

وَإِذَا تَشَاجَرَ فِي فُؤَادِكَ مَرَّةً أَمْرَانِ فَاعْمِدْ لِلْأَعْفِ الْأَجْمَلِ

إذا اختصم في صدرك أمران فاختر ما يكسبك عفة وحسن ذكر

٣١ الزيال الطويل

عبد قيس بن خُفاف:

صَحَوْتُ وَزَايَلَنِي بِأَطْلِي لَعَمْرُ أَبِيكَ زِيَالاً طَوِيلاً

صحوت من غفلة الشباب، وزايلني، أي فارقتني، الباطل واللهو

وَأَضَبَحْتُ لَا نَزِقاً لِلْحَاءِ وَلَا لِلْحُومِ صَدِيقِي أَكُولاً

أصبحت غير نزق، غير متسرع، للحاء، للجدال والخصومة، وغير آكل للحوم الأصدقاء،
لا أغتائبهم (البيتان من قطعة أطول.. جد بقيتها فيما اخترناه من الحماسة تحت رقم ٧٣)

٣٢ ضرباً على أم رأسه

أوس بن غلفاء الهُجيمي التميمي، وهو جاهلي:

وَإِنَّكَ مِنْ هِجَاءِ بَنِي تَمِيمٍ كَمُزْدَادِ الْغَرَامِ إِلَى الْغَرَامِ

إذا هجوت بني تميم فانت تزداد غراماً إلى غرام، أي شراً تغرمه بعد شر

هُمْ مَنُوا عَلَيْكَ فَلَمْ تُثْبِتْهُمْ فَتَيْلَاً غَيْرَ شَتْمٍ أَوْ خِصَامٍ

لقد منوا عليك، أحسنوا إليك، فلم تكافتهم فتيلاً، بأقل القليل، اللهم إلا بالشتم والخصام

وَهُمْ تَرَكَوكَ أَسْلَحَ مِنْ حُبَارَى رَأَتْ صَفْرًا وَأَشْرَدَ مِنْ نَعَامٍ
وهم أخافوك بعد أن شتمتهم فصرت أسلح من حبارى، أكثر سلحاً، أي تغوطاً، من حبارى، من
الطيور، وقد رأت صفراً فخافت، وصرت أكثر شروداً وفراراً من النعامة

وَهُمْ ضَرَبُوكَ ذَاتَ الرَّأْسِ حَتَّى بَدَتْ أُمُّ الدِّمَاغِ مِنَ الْعِظَامِ
ضربوك على رأسك فبدت أم دماغك، أي غشاء المخ، من بين عظام جمجمتك

٣٣ امرأة وناقاة

علقمة بن عبدة، الفحل:

طَحَا بِكَ قَلْبَ فِي الْحِسَانِ طَرُوبٌ بُعِيدَ الشَّبَابِ عَصَرَ حَانَ مَشِيبٍ
طحا بك، ذهب بك، قلبك الطروب، المحزون.. والطرب تعني الفرح وتعني أيضاً الحزن، بسبب
الحسان، وذلك بعد انقضاء الشباب وحلول المشيب

يُكَلِّفُنِي لَيْلَى وَقَدْ شَطَّ وَلِيْهَا وَعَادَتْ عَوَادٍ بَيْنَنَا وَخُطُوبُ
قلبي يكلفني وصال ليلي وقد شط، أي ابتعد، وليها، أي قريبا،
وقامت بيني وبينها الشواغل والمشاكل

مُنْعَمَةٌ مَا يُسْتَطَاعُ كَلَامُهَا عَلَى بَابِهَا مِنْ أَنْ تُزَارَ رَقِيبُ
فتاة ذات نعمة لا يمكن للمرء أن يكلمها لوجود الرقباء

إِذَا غَابَ عَنْهَا الْبَعْلُ لَمْ تُفْسِرْ سِرَّهُ وَتَرْضِي إِيَابَ الْبَعْلِ حِينَ يُؤُوبُ
وفية لزوجها فلا تفشي سره غائباً، وترضيه عندما يعود

فَلَا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُعَمَّرٍ سَقَتْكِ رَوَايَا الْمُزْنِ حِينَ تَصُوبُ
لا تقارني بيني وبين فتى مغمر، غثيم غير مجرب، ويدعو لها بأن تسقيها روايا المزن، السحب
الماطرة، حين تصوب، أي تهطل بالمطر

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَلِأَنِّي بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ:
أنا طبيب، أي خبير، بأدواء النساء، مشاكلهن:

إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ فِي وَدْهِنٍ نَصِيبُ
إيه يا علقمة تقول هذا وقد لقبوك بالفحل إذ مال إليك قلب أم جندب، فماذا نقول نحن!

يُرِدْنَ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ وَشَرَحُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ
تحب النساء الغني، ويحبين الفتى في شرح الشباب، أي أوله

فَدَعُهَا وَسَلَّ اللَّهُ عَنْهَا بِجَسْرَةٍ كَهَمَّكَ، فِيهَا بِالرِّدَافِ خَبِيبُ

فدع المحبوبة وسل اللهم، أي انس اللهم، بجسرة، بناقة شديدة كهمك، بحسب ما تريدها أن تكون.. ناقة تخب خبيباً، تسير سريعاً حتى وأنت تركبها مع رديف خلقتك

وَعَيْسَ بَرَيْنَاهَا كَأَنَّ عُيُونَهَا قَوَارِيرُ فِي أَذْهَانِهِنَّ نُضُوبُ

ورب عيسى، نياق، بريناها، أهزلنا جسمها لطول السير،
كأن عيونها قوارير في أذهانهن نضوب، غائرة عيون النياق فكانها حقائق
فيها دهن لكن الدهن ناضب ومستقر في قعرها فقط

إِلَى الْحَارِثِ الْوَهَّابِ أَعْمَلْتُ نَاقَتِي لِكُلِّكُلَيْهَا وَالْقُضْرَيْنِ وَجِيبُ

سيرت ناقتي إلى الحارث وأنا أحس لكلكُلها، لصدرها، ولقصريرها، لضلعها الأخيرين،
وجيب، أي خفقان

إِلَيْكَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ كَانَ وَجِيفُهَا بِمُسْتَبْهَاتِ هَوْلُهَا مَهِيبُ

إليك أيها الملك كان وجيف الناقة، سيرها، في صحارى مستبهات، قاحلة يشبه بعضها بعضاً
لخلوها من المعالم، ويخاف من هولها القلب

٣٤ لكل شيء ثمن

علقمة بن عَبَّة:

وَالْحَمْدُ لَا يُشْتَرَى إِلَّا لَهُ ثَمَنٌ مِمَّا يَضُنُّ بِهِ الْأَقْوَامُ مَغْلُومُ

نيل الذكر الطيب له ثمن معلوم يضمن، أي يخل، به الناس

وَالْجُودُ نَافِيَةٌ لِلْمَالِ مَهْلَكَةٌ وَالْبَخْلُ بَاقٍ لِأَهْلِيهِ وَمَذْمُومُ

الجود ينفي المال، يبدده، ويهلكه، والبخل يقي المال على أهله ويُلحق بهم الذم

وَكُلُّ حِصْنٍ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ عَلَى دَعَائِمِهِ لَا بُدَّ مَهْدُومُ

٣٥ أجدع ناس

خراشة العبي:

فَلَا قَوْمَ إِلَّا نَحْنُ خَيْرُ سِيَاسَةٍ وَخَيْرُ بَقِيَّاتِ بَقِيْنٍ وَأَوَّلَا

لا قوم إلا ونحن خير منهم قياماً بالأمر، وخير منهم في حاضرتنا الذي بقي لنا، وخير منهم أولاً،
أي في «أولنا» أي أجدادنا

وَأَظْهَرُوا فِي دَارِ الْحِفَافِ إِقَامَةً وَأَرْبَطُوا أَخْلَاماً إِذَا الْبَقْلُ أَجْهَلَا

ونحن أطول الناس مكوئاً في مواقف الحفاظ، أي حماية الشرف، وأكثر الناس كبحاً للغضب إذا جعل البقل، أي العشب، الناس يجهلون، يتهورون. . وكانت العداوات تزداد إذا نبت العشب لنيل حقوق الرعي

وَأَكْثَرُ مِنَّا سَيِّداً وَابْنٌ سَيِّدٍ وَأَجْدَرُ مِنَّا أَنْ يَقُولَ فَيَفْعَلَا

ولا قوم أكثر منا في عدد السادة وأبناء السادة، وأجدد منا يلتبع القول بالفعل

٣٦ أودى بني

أبو ذؤيب الهذلي، جاهلي إسلامي، فقد خمسة أبناء في طاعون بمصر:

أَمِنْ الْمَنُونِ وَرَبِّهَا تَتَوَجَّعُ؟ وَالدهرُ لبسٍ بِمُعْتَبٍ مَنْ يَجْزَعُ

أتوجع، أي أتبدي الجزع، من الموت ومصيبته؟ لكن الدهر لا يعتب، لا يرضي، من يجزع

قَالَتْ أُمَيْمَةُ: مَا لِحِجْمِكَ شَاحِباً مِنْذِ ابْتِذَلْتَ، وَمِثْلُ مَالِكَ يَنْفَعُ

قالت أميمة ما لجسمك قد شحب وهزل؟ قد أهملت شأنك بعد موت بنك، ولك في مالك ما ينفعك بعد إذ مات أولادك الذين ينصرونك

أَمْ مَا لِحِجْمِكَ لَا يُلَاقِي مَضْجَعاً إِلَّا أَقْضَى عَلَيْكَ ذَاكَ الْمَضْجَعُ

وما لجنك لا يستقر على فراش إلا أقض الفرائض عليك، أي امتلأ بالقضض أي الحمى

فَأَجَبْتُهَا: أَمَّا لِحْجَمِي أَنَّهُ أَوْدَى بَنِيَّ مِنَ الْبِلَادِ فَوَدَّعُوا

أجبتها أمأ، أي أن ما، لجسمي هو أن أبنائي أودوا من البلاد، ذهبوا وماتوا

أَوْدَى بَنِيَّ وَأَعْقَبُونِي غُصَّةً بَعْدَ الرُّقَادِ وَعَبْرَةً لَا تُفْلِعُ

ماتوا وتركوا لي غصة في حلقي أحسها بعد أن أرقد، وذمعة لا تكف عن النزول

سَبَقُوا هَوًى وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمْ فَتُخَرَّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَضْرَعُ

سبقوا هوى، أي هواي ورغبتني إذ رغبت في أن أسبقهم أنا، وأعنقوا، أي أسرعوا لهواهم، لما يريدون، فتخرموا، ماتوا، ولكل إنسان يوم سيموت فيه

فَغَبَرْتُ بَعْدَهُمْ بِعَيْشٍ نَاصِبٍ وَإِخَالٌ أَنِّي لَأَحِقُّ مُسْتَنْبَعُ

فغبرت، أي بقيت، بعدهم بعيش ناصب، متعب، وأظنني سألحق بهم وأنبعهم قريباً

وَلَقَدْ حَرَصْتُ بِأَنْ أَدَافِعَ عَنْهُمْ فَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ

كنت حريصاً على حمايتهم والدفع عنهم، ولكن المنية إذا جاءت لا دافع لها

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

إذا أنشب الموت أظفاره فلا تنفع الإنسان أي تيممة، أي حرز أو حجاب أو خرزة زرقاء

فَالْعَيْنُ بَعْدَهُمْ كَانَ جِدَاقَهَا سُمِلْتُ بِشَوْكِ فَهِيَ عَوْرٌ تَذْمَعُ

العين بعدهم كأن أحداقها، سملت، فقتت بشوك فهي عوراء لكنها تدمع

وَتَجَلَّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمْ أَنِّي لِرَيْبِ الدَّمْرِ لَا أَتَضَعُّعُ

أتجلد، أتماسك، للشامتين لكي أريهم أنني لا أتضعضع، ولا أضطرب لمصائب الدمر

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

نفس الإنسان ترغب في الأمر إذا حملها المرء على ذلك، وتقنع بالقليل بعد ذهاب الكثير

كَمِ مِنْ جَمِيعِ الشَّمْلِ مُلْتَمِي الْقَوَى كَانُوا بِعَيْشٍ قَبْلَنَا فَتَصَدَّعُوا

ما أكثر من كانوا قبلنا مجتمعي الشمل ملتتمي القوى، والقوى هي فتلات الحبل المجدولة معاً، ثم تصدعوا، تفرقوا بالموت. ويرى مصححي الصديق الشاعر عمران القفيني أن هذا البيت شبيه جداً ببيت المتنبي: «نبكي على الدنيا وما من معشر/ جمعتهم الدنيا فلم يَتَفَرَّقُوا» قلت: حقاً يشبهه، ولا أنهم أبا الطيب بالسرقة هنا، فهذا لا شيء في عشرات الأبيات التي سرقها، والتي نرجو أن يغفرها الله له.. فقط لأن ذئاب النقد، ونسمي ابن وكيع والحاتمي ولا نزيد، نهشوا لحمه عليها نهشاً

المفضليات
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

٢	ثَقِيلَا	١٨	أَعْدَائِهَا
٣١	طَوِيلَا	٢٨	وَسَابَا
٣٥	وَأَوَّلَا	٣٣	مَشِيبُ
٨	الْمَرَا جِلُ	٦	تَوَلَّتْ
٥	عَادِلُ	١٥	مَسْعُودَا
٣٠	فَاعْجَلِ	١٧	هُجُودُ
٢٦	مُعْظَمَا	٢٧	وَسُودُ
١٢	يُقِيمَا	٢٣	غَمْدِ
٢٥	الْحِمَا جِمَا	١٦	وَالْأَوْلَادِ
٣٤	مَعْلُومُ	٢٩	جَعْفَرِ
٣٢	الْقَرَامِ	٤	كَبِيرِ
١٤	دِرْهَمِ	٢٠	فَأَوْجَعَا
١٩	كَلَمِ	٩	مُسْتَمْتَعِ
٢٢	نَعَمِ	٣٦	يَجْزَعُ
٣	لَبُونَا	١٣	اِتَّسَعِ
٢١	نَبِينِي	٧	يَشُوقُ
١١	هَارُونِ	٢٤	أَخْلَاقِ
١٠	وَلَا لِيَا	١	لَاقِ

الأصمعيات

هي قصائد جمعها الأصمعي واختلطت بالمفضليات اختلاطاً ذريعاً، فخلصها منها، كيفما اتفق لهما، أحمد شاعر وعبد السلام هارون.

ولد الأصمعي سنة ١٢٢هـ أي قبل استهلال الدولة العباسية بعشر سنين. ولمع نجمه في السنوات العشرين التي استخلف فيها هارون الرشيد، وكان الأصمعي آنئذ بين الخمسين والسبعين من العمر. ثم عاش حتى جاوز التسعين، ومات عام ٢١٦هـ.

قدس الأصمعي اللغة العربية «الأصلية». لم يكن يرى أن لغة عصره حلوة وغنية وتناسب زمنها. كان أصولياً. كان يرى أن ما يطرق أذنيه من كلام في البصرة ثم في بغداد - التي رآها مدينة يافعة في الخامسة والعشرين من عمرها عندما استقدمه الرشيد من البصرة، ثم رآها بعد قليل حاضرة الدنيا - إنما هو تشويه لشيء أصلي. كان الأصمعي قد أدمن ارتياد الصحراء باحثاً عن الأصل، أو عما هو أقرب شيء إلى الأصل. كان رجوعياً. غربل لنا كلام الأعراب وضرب بعضه ببعض، فملاً أندية اللغة والأدب بالكتب التي تصف اللغة القديمة. وهذه القصائد بعض مما جاءنا به. ولو نظرت في المعاجم القديمة فسوف ترى عدداً كبيراً من المفردات ومعانيها منسوبة إلى الأصمعي. وكان الأصمعي مدققاً تقياً بعيداً من الكذب. فأفادنا كثيراً في توثيق اللغة القديمة.

والتوثيق شيء، والتقديس شيء آخر.

أعاشر في هذه الأيام التي أنفض فيها يدي من كتاب «أول الشعر» شباناً ممن عشقوا العربية القديمة. عاشرت في الشهرين الماضيين - وأكتب هذا الكلام في مطلع أيار/ مايو ٢٠١٦ - ستة وثلاثين شاباً وفتاة اشتركوا في برنامج تلفزي اسمه «فصاحة». وأنا فيه عضو لجنة تحكيم، ومدرّب أيضاً. وسأمضي

معهم شهراً ثالثاً حتى ينتهي هذا البرنامج. ألتقي بهم ساعات طويلة قبل البرنامج في جلسات تدريب طويلة. ثم يأتي يوم تسجيل الحلقة فيلقون على مدى ساعة ونصف خطباً وأشعاراً.

وقد حذرتهم عشرات المرات - في جلسات التدريب، وفي البرنامج نفسه، واليوتيوب شاهد عليّ - من السجع ومن الوعظ، ومن الكلام المنمق الذي ليس له رصيد من معنى.

سينطلق هؤلاء جميعاً - من خرج من السباق سريعاً ومن استمر حتى النهاية - في حياتهم فصحاء أبناء. وسيزيد المعنى وسيقبل التمنيق في كلامهم مع اكتسابهم المزيد من الخبرة والثقافة. ولكنني لن أستطيع أن أنزع من نفوسهم تقديس اللغة القديمة.

هل أستطيع أصلاً أن أنزع هذا من نفسي أنا؟

لو قبض لي أن أضع منهج اللغة العربية للمدارس في بلد عربي لما فرضت على التلاميذ في سنوات الدراسة الاثنتي عشرة من الشعر العمودي كله، القديم والحديث، سوى مئة وأربعة وأربعين بيتاً. اثني عشر بيتاً لكل سنة. ولعلي أفرض عليهم حفظ خمسة أبيات منها في كل عام. ولعلي أفرض عليهم في كل عام عشرة أضعاف هذا القدر من الشعر الجديد بأشكاله، كي يقرأوه ويتذوقوه ويلقوه إلقاءً، وكي يحفظوا ما لا يزيد عن عشرة أسطر للعام الواحد. وسأفرض عليهم من النثر عشرة أضعاف ما أفرضه من الشعر.

فلماذا - ورأيي هذا الرأي - أجشم نفسي عناء مخض الشعر القديم وشرحه؟ ذلك شيء أصنعه بفعل ما انغرس في ذهني من تقديس للقديم، غير أنني أصنعه أيضاً لمن يريد أن يتخصص في هذا المجال، وأصنعه لمن يريد أن يفهم نفسية أجدادنا، ثم قد يفيد كتابي هذا القارئ الهاوي الذي سمع بقصيدة الشنفرى أو بمعلقة امرئ القيس، ويريد أن يقرأ ويفهم.

وأصنع هذا لسبب آخر يعلم الله أنني ما كنت لأبوح به لولا ما أحس من أنس بالقارئ. ويعلم الله أنني أعرف الناس بما يمكن أن يسبب هذا الذي أقوله من استخفاف بهذا الكتاب في نفوس النقاد الذين أعادت خلقتهم المؤسسات التعليمية في صورة إنسانين آليين، فتلفت نفوسهم وتعطل مركز الفهم في عقولهم.

لست أسعى في إصلاحهم، إذا خَبِصَ الأرز في قِدرِكَ فلا تحاول.

أقول هذا لقارئ يبغض أولئك النقاد من أبناء المؤسسات بغضي إياهم، أو نصف بغضي إياهم، فما علمت أحداً يبغضهم بغضي.

إنما جمعت لك هذه الأشعار ورحت أشكلها وأشرحها لأنني رجل حُرْكة. لا أجلس في اجتماع إلا بيدي قلم أكتب وأرسم، ثم تمتلئ الورقة بعد دقيقة فأصنع منها سفينة، أو أمزقها شرائط أصنع بها براميل، أو أفتل الشرائط فتائل مخروطية يدخل بعضها في بعض لتصبح عصاً، ثم إلى الورقة الثانية. فإن طال الاجتماع وجدت أمامي ورشة. وأكون في بيتي معزلاً الناس، وربما لم أخرج منه يومين أو ثلاثة أيام، فهذا حين أقرأ وأنقب تنقيباً. فإن ظننتني، وأنا أعد لك في مقدماتي الكتب الكثيرة التي رجعت إليها، باحثاً جاداً فاعلم أنني بالأحرى رجل قلق لا يقر له قرار.

قد فاض الأمر بالمخرجة التلفزيونية للبرنامج الذي حدثك عنه، فواجهتني بالحقيقة، قالت: أجتهد اجتهداً حتى أحصل لك على لقطة لا تعبت فيها بشيء. ذات مرة كنت محتاجة إلى لقطة لك في موضع لا بد فيه من لقطة لك، فإذا أنت تدخل القلم بين عدسة نظارتك وبين عينك. ماذا تُراك تصنع! انتهى كلامها. ولمعلومات القارئ الأنيس فإن المخرجة أخذت لي هذه اللقطة، ورآها الناس على الشاشة.

كلما داهمني الخجل مما أقوم به من عرض هذا القديم - حتى وإن في ثوب جديد سداه الصدق ولحمته الخفة - ذكرت بيني وبين نفسي شعوباً أخرى تحتفل بقديمها، وتخصص له الكراسي الجامعية، فأنحسر خجلي مما أصنع. وإذا وصلت في حديثي إلى الكراسي الجامعية فلا بد من أن أرش في وجوه أصحابها ماء النار.

المؤلف يرش ماء النار في وجوه الأساتيد

يا لقبحهم، يفرضون علينا أن نؤدي فرض التبجيل كلما خاطبناهم بدس كلمة دكتور قبل أسمائهم. نقول لأحدهم يا دكتور فيقيم جذعه ويميل برأسه ويقول أمم ثم يأخذ، أخذته الصيحة، في الكلام. يشير بيديه متحمساً ثم تدركه زهوة الدكتر، فيرُزَن رزاة افتغال، حتى إذا استوثق من الجلّس واستولى على الجلسة شبك كفيه وأراحهما على رف كرشه وراح ينثر النصائح بلهجة الأب الشفيق على أبنائه. أليس بغيضاً!

في كل مهنة يوجد الحاذق الماهر، ويوجد الأخرق الدخيل. وما عرفت مهنة اختلط فيها هذا بذاك كمهنة الأستاذة في بلاد العرب. فمع انحدار المستوى في البلاد كلها، ومع استقالة شعوب العرب من هواية المطالعة أصبح الأستاذ يضع المقياس الذي يقاس به.

أقول هذا عارفاً أن الأساتذة الأجلاء الذين يحملون في صدورهم علماً كثيراً أغبط مني من زملائهم المشعوذين.

١ أنا ابن جلا

قال سُهَيْمُ بْنُ وَثِيلِ الرِّيَّاحِيِّ، وهو من بني حَمِيرٍ، وقد تحداه في الشعر اثنان من الفتبة:

أنا ابنُ جَلَا وطلّاعُ الثَّنَايَا متى أضعَ العِمَامَةَ تعرّفوني

أنا ابن جلا، المشهور المعروف، وطلّاع الثنايا، الصاعد الطرق الجبلية، متى أضع العمامة عن رأسي وتظهر ملامحي تعرفوني وتعرفوا من أنا. جعل الحجاج بن يوسف الثقفي هذا البيت من محفوظ كل عربي، إذ استشهد به في مطلع خطبته الأولى في الكوفة. . وضعه الحجاج في الحقيبة الذهبية لكل عربي دخل في حياته مدرسة، وغدا البيت جزءاً من «خرافتنا» القومية، فهمه المرء أم لم يفهمه. . جرسه وحده يحمل كل المعنى

وإنْ مكاننا منْ حَمِيرٍ مَكَانُ اللَّيْثِ مِنْ وَسْطِ الْعَرِينِ

مكاننا من قبيلة حميري كمكان الأسد، ومكانه في الوسط من عرينه

وإنِّي لا يَعودُ إلَيَّ قَرْنِي عَدَاةُ الْغَبِّ إِلَّا فِي قَرِينِ

وعندما أهرم قرني، أي خصمي، ثم يعود إليّ ثانية غداة الغب، أي في اليوم التالي، فهو يعود ومعه قرين كي يساعده

عَذَرْتُ الْبُزْلَ إِذْ هِيَ خَاطَرْتَنِي فَمَا بَالِي وَبَالَ ابْنِي لَبُونِ

عذرت البزل، الجمال الكبيرة التي ظهرت أسنانها، إذ تخاطرتني، تحداني في رهان، ولكن، ما لي ولا بني لبون، لجمالين صغيرين فطما عن اللبن

وماذا يَدْرِي الشعراءُ مِنِّي وقد جاوزتُ رأسَ الأربَعينِ

ماذا يدري الشعراء مني، كيف لهم أن يخدعوني، وقد تحنكت وجاوزت آخر الأربعين

أخو خمسينَ مُجْتَمِعاً أَشْدِّي وَنَجَّذَنِي مُدَاوَرَةَ الشُّؤُونِ

أصبحت ابن خمسين مجتمع القوة، وقد نجذتني، حنكتني وجعلت أسناني الخلفية، النواجذ، تسقط، مداورة الشؤون، أي التصدي للخطوب

٢ لم أكن من جناتها

الحارث بن عباد البكري:

قَرَبًا مَرَبُطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحتُ حَرْبَ وَائِلٍ عَن حِيَالِ

قربا يا صاحبي مكان ربط فرسي «النعام» مني، أي اربطها قريباً، فالحرب بين قبيلتي وائل
الكبريين بكر وتغلب قد اشتدت، فالحرب مثل الناقة التي تلتح، أي تحمل بعد الحيال، أي بعد
طول العقم فيكون حملها صعباً

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عِلْمَ اللَّـهِ وَإِنِّي بِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالٍ

لم أكن من مسببي الحرب، لكنني سأصلي بنارها. تلك حرب البسوس

٣ الاستعانة بالسفيه

كعب بن سعد الغنوي:

وَلَنْ يَلْبَثَ الْجُهَّالُ أَنْ يَتَهَضَّمُوا أَخَا الْحِلْمِ مَا لَمْ يَسْتَعِنْ بِجَهُولِ

سرعان ما يتهضم، أي يظلم، الجهال المتهورون الرجل الحليم إن لم يستعن بجهول سفيه مثلهم

وَلَسْتُ بِمُبْدٍ لِلرَّجَالِ سَرِيرَتِي وَمَا أَنَا عَنْ أَسْرَارِهِمْ بِسُؤُولِ

لا أطلع الناس على سري، ولا أسألهم عن أسرارهم

٤ ينتظرونه

أعشى باهلة، عامر بن الحارث:

إِنَّ الَّذِي جِئْتَ مِنْ «تَثْلِيثٍ» تَنْدُبُهُ مِنْهُ السَّمَاخُ وَمِنْهُ النَّهْيُ وَالْغَيْرُ

هذا الذي جئت من تثليث، موضع بالحجاز، تندبه وتبكي لموته، رجل سمح وذو نهى وتغير في
الأمور، كذا المعنى الملموح

مَنْ لَيْسَ فِي خَبِيرِهِ شَرٌّ يُكَدِّرُهُ عَلَى الصَّدِيقِ، وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدْرُ

طاويي المصير، أي مصرانه أي أمعاء، ويجوع صابراً على العزاء، الشدة، وينصلت بالقوم، يمضي

بطوي مصيره، أي مصرانه أي أمعاء، ويجوع صابراً على العزاء، الشدة، وينصلت بالقوم، يمضي
بهم للغزو في وقت قحط لا ماء فيه ولا شجر

لَا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمَسَّاهُ وَمُضَبَّحُهُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ وَإِنْ لَمْ يَغْزُ يُنْتَظَرُ

لا أمان للناس منه مساء أو صباحاً، فهو يطلع عليهم من كل فج، أي طريق، وحتى لو لم يأتهم
غازياً فهم يترقبون قدمه

فَإِنْ جَزَعْنَا فَقَدْ هَدَّتْ مَصِيبَتُنَا وَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا مَعَشَرُ صُبْرُ

إِنْ جَزَعْنَا عَلَيْهِ فَقَدْ هَدَّتْنَا الْمَصِيبَةُ فِيهِ، وَإِنْ صَبَرْنَا فَنَحْنُ قَوْمٌ صَبُورُونَ

٥ ادْعُ أُخْرَى

مكعب بن سعد القنوي:

أخي! ما أخِي، لَا فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ وَلَا وَرَعٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ هَيُوبُ

فاحش: بذِيء، ورع: جبان، اللقاء: ملاقاتة الأعداء

هُوَ الْعَسَلُ الْمَادِيَّ جَلَمًا وَنَائِلًا وَلَيْتُ إِذَا يَلْقَى الْعَدُوَّ غَضُوبُ

هو العسل المادي، الأبيض، في حلمه وفي عطائه، وهو لَيْتُ غَضُوبٌ إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ

أَخُو شَتَوَاتٍ، يَعْلَمُ الضَّيْفُ أَنَّهُ سَيَكْثُرُ مَا فِي قَدْرِهِ وَيَطِيبُ

صاحب شتوات، كريم في أيام الشتاء، حين يعم القحط، ويعلم ضيفه أنه سيطبخ له ما طاب وكثر

وَدَاعٍ دَعَا: يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ

رب داعٍ دعا بعد موت أخِي طالباً الندى، السخاء بالضيافة، ولا مجيب له

فَقُلْتُ أَدْعُ أُخْرَى وَارْفَعِ الصَّوْتُ دَعْوَةً لَعَلَّ أَبَا الْمَغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ

فقلت له: نادِ مرةً أُخْرَى وارفع صوتك، لعل أخِي أَبَا الْمَغْوَارِ قَرِيبٌ يَجِيئُكَ .. حتى وهو ميت

فَإِنِّي لَبَاكِيسِهِ وَإِنِّي لَصَادِقُ عَلَيْهِ، وَبَعْضُ الْبَاكِياتِ كَذُوبُ

صديق في بكائي عليه، وبعض من يكيّن تكون كذوباً في بكائها

لِيَبْكِكَ دَاعٍ لَمْ يَجِدْ مَنْ يُعِينُهُ وَطَاوِي الْحَشَا نَائِي الْمَزَارِ غَرِيبُ

ليبكك داعٍ لا يجد من يلبي نداءه، وطاوي الحشا، جائع، نائي المزار، بعيد عن أهله، فقد كنت

أنت من يطعم الغريب ويؤويه

٦ لينفلق!

شَور بن عمرو الحنفي:

وَلَقَدْ مَرَزْتُ عَلَى اللَّثِيمِ يَسُبُّنِي فَمَضَيْتُ ثُمَّتْ قُلْتُ: لَا يَعْنِينِي

مررت باللثيم وهو يسبني، فمضيت ثممت، أي ثم، قلت: هذا لا يعنيني

غَضَبَانِ مُمْتَلِئَا عَلَيَّ إِهَابُهُ إِنِّي وَرَبُّكَ سُخْطُهُ يُرْضِينِي

غضبان وإهابه، أي جلده، متنفخ من الغضب علي .. ووالله إن غضبه ليرضيني

٧ كن خير آكل

الممزَّق القَبْدِي:

فَإِنْ كُنْتَ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ وَإِلَّا فَأَذِرْ كُنْسِي وَلَمَّا أَمَزَّقِي

شهرة هذا البيت أن عثمان بن عفان تمثل به وهو في داره محاصراً؛ قيل بعث به إلى علي بن أبي طالب

٨ الأم والزوجة

صخر بن عمرو بن الشريد، وقد أصيب ولزم بيته:

أَرَى أُمَّ صَخْرٍ مَا تَجِفُّ دُمُوعُهَا وَمَلْتُ سُلَيْمَى مَضْجَعِي وَمَكَانِي

أُمِّي تَبْكُنِي بدموع غزيرة، وزوجتي ملت نومي بالبيت وأنا جريح

فَأَيُّ امْرِئٍ سَاوَى بَأْمٍ حَلِيلَةٍ فَلَا عَاشَ إِلَّا فِي شَقَاءٍ وَهَوَانٍ

من يساوي أمه بزوجه فلا عاش، أي ليته ما عاش، إلا في شقاء ومذلة

أُمُّ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَبْرِ وَالنَّرْوَانِ

أحاول أن أصنع الأمر الصحيح الحازم، ولكن الجرح قد حال بيني وبين القيام بذلك، مثلما حيل بين العبر، حمار الوحش الذي اصطيد وبين الثوب على أنثاه

٩ الميت الحقيقي

عَدِي بن رَعْلَاء الغساني:

رُبَّمَا ضَرَبْتَهُ بِسَيْفٍ صَقِيلٍ دُونَ بُضْرَى وَطَعْنَتِهِ نَجْلَاءٍ

ربما، أي رُبُّ، ضربة بالسيف - في وقعة أباغ عند بصرى الشام - ورب طعنة نجلاء، واسعة بالرمح.. وكان الغساسنة أوقعوا بالناذرة يومذاك وقتلوا ملكهم المنذر بن المنذر

وَعُمُوسٍ تَضِلُّ فِيهَا يَدُ الْآسِي، وَيَعْبَا طَبِيبُهَا بِالْأَدْوَاءِ

ورب طعنة غموس واسعة تنوء داخلها يد الآسي، الطبيب، ويعجز عن مداواتها

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاخَ بِمَيِّتٍ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ

الميت استراخ وهو حي، بذكره، والميت الحقيقي ميت الأحياء الذي..

إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَنْ يَعِيشُ ذَلِيلًا سَيِّئًا بِأَلْهِ قَلِيلِ الرَّجَاءِ

الذي يعيش ذليلاً، سيء الظن بالناس، قليل الرجاء في تحقيق المعجزة

١٠ لولا الريح

مُهَلِّيلِ بْنِ رَبِيعَةَ:

أَلَيْلَتَنَا بِذِي حُسْمٍ أَنْيَرِي إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحُورِي
يا ليلتنا في موضع «ذي حسم» انكشفي بالصباح المنير، ولا تحوري، لا تعودي

فَلِإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ بِوَارِدَاتِ «بُجَيْرًا» فِي دَمٍ مِثْلِ الْعَبِيرِ
لقد تركت في موضع واردات بجيراً، وهو الحارث بن عباد، ودمه قد سال كالعبير،
الطيب المزغفر

وَهَمَّامَ بْنَ مُرَّةٍ قَدْ تَرَكْنَا عَلَيْهِ الْقَشْعَمَانِ مِنَ النُّسُورِ
وتركنا همّاماً قتيلاً وعليه قشعمان، نسران مسّان يتفان لحمه

كَأَنَّا غُدُوَّةٌ وَيَنِي أَبِينَا بِجَوْفٍ غُنَيْزَةٍ رَحِيًا مُدِيرِ
كأننا صباح ذلك اليوم مع بني أينا في موضع جوف غنيزة حجراً طاحون يطحنان الناس. والحرب
كانت بين بكر وتغلب وهما أبناء عمومة

فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمِعَ أَهْلَ حَجَرٍ صَلِيلَ الْبَبْضِ تُقْرِعُ بِالذُّكُورِ
كان صوت الببض، الخوذة، وهي تُقْرِعُ بالذكور، السيوف القوية، عالياً حتى لقد كاد يسمعه أهل
حجر البعيدة، وما منهم من سماعه إلا أن الريح تبدد الصوت

١١ الممكن والمستحيل

عمرو بن مَعْدِيكَرِب:

إِذَا لَمْ تَسْتَطِيعْ شَيْئاً فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
وَصِلْهُ بِالزَّمَاعِ فَكُلُّ أَمْرٍ، سَمَّا لَكَ أَوْ سَمَوْتَ لَهُ، وَلَوْعُ
الزماع: الهمة، سما لك: برز لك، ولوع: مولع بالقلب مُتَعَلِّقٌ بِهِ. المعنى: لا تُصِرَّ عَلَى مَا لَا تَسْتَطِيعُ
بلوغه، واطلب الممكن، ومع وجود الهمة والمثابرة ستحققه لأن النفس تتعلق بما ترغب فيه

١٢ أنا وقيار

ضابن بن الحارث البرجمي:

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَلِإِنِّي وَ«قِيَارُ» بِهَا لَعَرِيبُ
إذا كان أحد قد حط رحله بالمدينة مرتاحاً، فإنني وجملي «قيار» غريبان هنا.. فقد حبسني
عثمان بن عفان

وما عَاجِلَاتِ الطَّيْرِ تُذْنِي مِنَ الْفَتَى رَشَاداً وَلَا عَنْ رِيثِهِنَّ يَخِيبُ
الطير المسرعة في طيرانها التي يتفائلون بها لا تقرب الرشد من المرء، ولا يخيب المرء من ريث
الطير، أي بطة طيرانها

وَرُبَّ أُمُورٍ لَا تَضِيرُكَ ضَيَرَةً وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَخَشَاتِهِنَّ وَجِيبٌ
رب أمور عادية لا تضرك، ولكن للقلب من خشيتها وجيب، خفكان

فَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوُبُ
لا خير في رجل لا يوطن نفسه، يهينها، لاستقبال مصائب الدهر حين تنوب، تأتي

وَفِي الشُّكِّ تَفْرِيطٌ وَفِي الْحَزْمِ قُوَّةٌ وَيُخْطِئُ فِي الْحَدْسِ الْفَتَى وَيُصِيبُ
الوقوف موقف المتشكك دون فعل فيه تفريط، والقوة في الحزم. ولكن الإنسان يخطئ
ويصيب في حدسه وتقديره لما يضره وينفعه. والذي أخطأ في حدسه خطأ فاحشاً ابنك
يا ضابئ، وأنت لا تعلم ماذا جرى له. فابنك عمير دخل الدار حين قتل عثمان ورفسه
برجله فكسر له ضلعين انتقاماً لك لأن عثمان حبسك ومات في حبسه. وبعد سنين
كثيرة، وكان ابنك قد أسن، جاء يطلب من الحجاج إعفائه من الغزو. فقال أحدهم
للحجاج: هذا عمير بن ضابئ الذي رفس عثمان، فأمر الحجاج بقتل ابنك عمير فوراً

١٣ الفقرُ الفَقْدُ

أبو دؤاد الإيادي:

لَا أَعْدُ الْإِفْتَارَ عُدْمًا، وَلَكِنْ فَقْدُ مَنْ قَدْ رَزَقْتُهُ الْإِعْدَامَ
لا أعد الإفتار، أي ضيق ذات اليد، عدماً، فقراً مدقماً. بل الإعدام، أي الفقر، إنما هو فقد من
قد بليت بفقده

وَكَذَاكَمْ مَصِيرُ كُلِّ أَنْاسٍ سَوْفَ حَقًّا تُبْلِيهِمُ الْأَيَّامُ
فَعَلَى إِنْثَرِهِمْ تَسَاقُطُ نَفْسِي حَسَرَاتٍ، وَذُكْرُهُمْ لِي سَقَامُ

١٤ يا خالي

المتلمس، جرير بن عبد المسيح، وهو من بني ضبيعة وترى عند أخواله
اليشكرين، ويعاتب في القصيدة خاله الحارث اليشكري. وكان خاله قد قال للملك
عمرو بن هند: هذا يزعم تارة أنه منا بني يشكر وتارة أنه من ضبيعة. فقال له الملك:
ما أراه إلا كالساقط بين الفِرَاشَيْنِ، فقال المتلمس:

تُعَيِّرُنِي أُمِّي رِجَالًا، وَلَنْ تَرَى أَحَا كَرِمًا إِلَّا بِأَنْ يَتَكَرَّمَا
تعيرني بعض الرجال بالانتساب إلى أمي، والكريم هو من يفعل الكرم بنفسه
غير مستند إلى مجرد النسب

وَهَلْ لِي أُمَّ غَيْرَهَا إِنْ تَرَكْتُهَا أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ أَكُونَ لَهَا ابْنَمَا
ابنما: ابن

أَحَارِثُ إِنَّا لَوْ تَسَاطُ دِمَاؤُنَا تَرَائِلَنَ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمٌ دَمًا
يا خالي الحارث، لو يساط، أي يخلط، دمي بدمك لما اختلطا.. قيل إن دماء الأعداء لا يختلط
بعضها ببعض

لِذِي الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقْرِعُ الْعَصَا وَمَا هُلِمَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْلَمَا
كانت العصا تقرع لذي الحلم، والإنسان يعيش ويتعلم. كان هذا الرجل، ولعله عامر بن الظرب،
قد بلغ من الكبر عتياً فطلب أن يصاحبه رجل بعصا، فإذا غفل الشيخ وقال شيئاً فيه اختلاط قرع له
الفنى العصا وحركها كي يعود الشيخ إلى عقله. وفي البيت «ما تقرع العصا» أي تقرع، و«ما» زائدة

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ أَقَمْنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوْنَا
كنا إذا الجبار صعر خده، أي أماله تكبراً، قومنا ميله ورددناه إلى منزلته

فَلَوْ غَيْرُ أَخْوَالِي أَرَادُوا نَقِصَتِي جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينَ مِيسَمًا
لو غيركم يا أخوالي أرادوا الانتقاص مني لجعلت لهم فوق العرانيين، الأنوف، ميسماً، كياً بالنار
كناية عن الإذلال

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ بِكَفِّ لَهُ أُخْرَى فَأَصْبَحَ أَجْذَمًا
لو فعلت ذلك بكم لكنت كمن قطع كفه بكفه الأخرى فأصبح أجذم، أي مقطوع اليد

الأصمعيات
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

٣	بِجَهُولٍ	٩	نَجْلَاءِ
٢	حِيَالٍ	٥	هَيُوبُ
١٤	يَتَكَرَّمَا	١٢	لَعَرِبُ
١٣	الإِعْدَامُ	٤	وَالْغَيْرُ
١	تَعْرِفُونِي	١٠	تَحُورِي
٨	وَمَكَانِي	١١	تَسْتَطِيعُ
٦	يَعْنِينِي	٧	أُمَزَّقِ

الحماسة

يعجبني في لبنان قُراه.

فلبنان - من بين كل البلدان العربية قاطبة - كانت قراه مهاد ثقافة وعلم وأدب. ابحث عن مارون عبود، وستجد بيته في قرية عين كفاح، وعن جبران فستجده خرج من بشرّي، وعن ميخائيل نعيمة فهو ابن بسكنتا، والشدياق من عشقوت، وإيليا أبو ماضي من المحيدثة، وابحث عن الشاعر «القروي» فهو بالطبع من «قرية» وهي البربارة، وزميله فرحات فهو من كفر شيما، ومن كفر شيما ناصيف اليازجي ومنها بشارة وسليم تقلا مؤسس جريدة الأهرام.

أتعني ذلك ذات سنة وسرني. أتعني عندما صنعت فلماً وثائقياً عن العظام الذي أنهضوا اللغة العربية من رقبتها، وسميته «عظام العربية في لبنان» كي يفهم المشاهد أن عظام الرجال في لبنان نهضوا بالعربية، وأن العربية أصبحت في لبنان اليوم عظاماً؛ فعندما تهيأت لتصوير الفلم مع الفريق اكتشفت أن المكوث في بيروت لا يفيدني بشيء، وأن عليّ أن أبكر مع الشمس لأصعد الجبال وألتقط القرى الجاثمة على سفوحها واحدة واحدة. وسرني ذلك، ليس لأنني من محبي الطبيعة، فأنا من القلة الذين يكرهونها، بل لأنه انتابني ذلك الشعور الذي أسميه «حالة الدير».

من أحب أحلام يقظتي، وما أكثرها، إلى نفسي أن أسكن ديراً ليس فيه شيء من قلق وتوتر الحياة الحديثة. وقد قلت في ذلك:

لو أننا نعيش وادعين

في قرية تنام ما بين التلال، لا تُحسّ بالسنين

ولا تحسّ لذة ولا ألم

بعيدة عن الطريق لم

تلمعُ بقربها سيوف الفاتحين
ليس لها مستقبل ولا طموح
ولا لها ماضٍ، ولا تشعر بالحنين

لو أننا نزرع حقلاً

لو أننا نأكل خبزنا

لا نعرف النقودَ والمرباتِ والوظائفِ

لا نعرف الشيوخَ والمحرماتِ والأساقفا

لا نعرف استقالةً لا نعرف استخارةً

لو نستقيل من هذا الصداق

لو نستريح من هذا الصراع

لو... لا نموت

وكاستحالة هذه اللو الأخيرة كل ما سبقها من لَوَّاتٍ.

على أن أبا تمام عاش بضعة أسابيع أو أشهر في «دير» فرضه عليه تساقط الثلوج.

ولا تطمع في أن أحدثك عن أبي تمام وكتابه «الحماسة» قبل أن آخذك إلى ألمانيا. على أنني سأقص عليك الطريف والمفاجئ، فاحبس أنفاسك من الآن.

الحماسة الألمانية

أحدثك عن ابن قرية ألمانية في شمال بافاريا اسمها معبر الخنازير «شفارين فورت». هذا الرجل كان شاعر قومه، رأى وهو يافع نابليون يحتل بلاده، ورآه في شبابه يُهزم، ورأى دويلات الألمان تحاول التوحد ولا تجد الطريق. وكتب الشعر الوطني فألهب خيال أبناء قومه. ثم كتب أشعاراً للأسرة وفي المرأة وعن الطبيعة. وكثيرون منهم يعدونه الآن رابع العظام في تاريخ الشعر الألماني كله بعد غوته وهابيني وريلكة.

ذلك هو فريدريش روكارت.

تخصص في القانون. عجيب هذا بالقياس إلى ما سوف نقصه عليك.

يقول لنا عبد الرحمن بدوي إن الرجل «أوتي قدرة هائلة على التحكم في اللغة الألمانية»، ويقول في فقرة أخرى، من «موسوعة المستشرقين» إن روكارت «كان يملك قدرة عجيبة في السيطرة على اللغة الألمانية». ونقرأ أن روكارت كان يتقن ثلاثين لغة. وهنا تبدأ أعاجيب الرجل. لكنها ليس ههنا تنتهي.

فويكبيديا الألمانية تصر على أنه كان يحسن أربعاً وأربعين لغة، وتشفع زعمها بقائمة اللغات التي اشتغل بها صاحبنا. وتذكر الموسوعة ترجماته البديعة عن الفارسية وعن اللغات الهندية، وتذكر ما صنعه روكارت مع اللغة العربية في أسطر قلائل. ويزيدنا هيرمان كراينبورغ، القيم على أرشيف روكارت، عجباً إذ يزعم أن روكارت أتقن خمسين لغة.

ترك هذا لكتاب غينيس.

هذا الرجل المثابر استدعاه الملك البروسي فريدريش فلهم الرابع إلى برلين كي يكون أستاذاً ومستشاراً، وبعد بضع سنين استأذن في الرحيل فزوده الملك زاده فانصرف إلى ضيعة ورثتها امرأته، وقعد فيها يؤلف. فانظر إن شئت إلى بعض المثقفين ممن يقترب من كرسي الحكم بعض اقتراب فتصطك ركبته، ويتعلق بأهداب ولي النعمة غير قادر أن يفارق هالة السلطان، ويظل يلحق من الإطار حتى يموت. أو انظر - إن شئت - إلى شيخ مؤرخي العرب الطبري يقعد في كسر بيته يؤلف، فتأتيه هدايا السلطان فيردها رداً، ويعيش على أقل القليل. قالوا إنه بعث يوماً بكمْ ثوبه، وكانت أكمام أثوابهم واسعة، كي يباع في السوق، ليشتري بثمنه طعاماً. أو انظر إلى المعري وقد حبس نفسه في بيته خمسين سنة يصنع لنفسه العظيمة.

ترجم الألماني روكارت مقامات الحريري بما فيها من الألاعيب اللغوية التي لا يظن عاقل أنه يمكن نقلها إلى لغة أخرى. ولكن روكارت لم يكن عاقلاً بالمعنى المألوف، أو أنه كان مجنوناً بمعنى غير مألوف. فقد نقل الألاعيب إلى لغته، وجعل ترجمته الألمانية للمقامات مسجوعة من أولها إلى آخرها. وجعلها قطعة أدب ألمانية ليس يشبهها شيء. وترجم صاحبنا أشعار امرئ القيس. وبعد موته نشروا له ترجمة لثلاثة أرباع القرآن الكريم.

وترجم الحماسة.

فتنته الحماسة، وهي كتاب عربي عتيق جمع فيه الشاعر المشهور أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، المتوفى عام مئتين وثلاثين هجريه، نحو ثمانمئة وثمانين قطعة من أشعار القدماء المغمورين.

وفي الحماسة كانت لروكارت بداءة أخرى تضاف إلى بدواته. فقد قرر أن يحاكي النظم العربي في بحوره وتفعيلاته وقوافيه. وتراه في القصيدة بعد القصيدة يصنع حاشية عروضية يحلل فيها الوزن العربي مستعملاً إشارات العروض كما نعرفها في العربية، ويشرح اجتهاده في نقل الوزن العربي إلى الكلم الألماني، على ما بين اللغتين من اختلاف جارف في توالي الصوامت والصوائت، وعلى ما بينهما من افتراق في كيفية وزن الشعر. لا جرم، صاحبنا مولع بالأوزان، وله في أوزان الشعر عند الجرمان والإغريق بحوث رائدة، وهي ليست بحوث الأكاديميين المتخشبين - جعلهم الله حطب الحُطمة - بل هي دراسة وتجريب وعبث كثير يرفده علم غزير.

شقي روكارت وهو يبحث للحماسة عن ناشر، وأخيراً وبعد خمس عشرة سنة نشرها في شتوتغارت، ١٨٤٦، في مجلدين. وطبعت بعد ذلك مرات. وصارت قطعة من الأدب الألماني لما نفت فيها من زفرات قلمه.

وبعد سنين كتب روكارت قصيدة عن ترجمته للحماسة، كتبها على قريء الشعر العربي بقافية موحدة، ونقلها إلى العربية لكن بقواف مزدوجة، كما يغلب على شعر أولئك القوم:

إنهم كانوا يصومو	ن زماناً في الزمان
غير أن قد أكرموا الضيف	ف على مر الزمان
يقطعون البيد ليلاً	فوق ظهر الراحلة
فإذا قالوا بماء	نعموا بالقائلة
روضوا بالعزم والحز	م الخيول الشامسة
وسروا بالعيس في قلـ	ب الفيافي الطامسة
غُضْتُ، واستخرجتُ هذا الدُّـ	ر من قلب الحماسة
وحواشيَّ بليغاً	ت تضاهيها نفاسة

ولعل القارئ قد سمع بشعراء ألمان آخرين فتنهم الشعر العربي القديم،

وأشهرهم غوثه. غير أن روكارت، وعاصر غوته ولقي منه مديحاً، كان القلم الذي أدخل شعرنا القديم في جسم الثقافة الألمانية.

حماسة أبي تمام

فضل الحماسة أنها من اختيار شاعر كبير هو أبو تمام، - ومضطرون اضطراراً إلى سوق عبارة التبريزي أحد شراحها - قال التبريزي إن أبا تمام «كان في حماسته أشعر منه في شعره». ولكن هذا ليس الفضل الأكبر للحماسة. ليس ميزتها الكبرى.

ميزتها الكبرى أنها جمعت خير ما قاله الشعراء المغمورون الذين لم تبق لهم دواوين، أو لم تجمع أشعارهم في دواوين أصلاً. وميزتها أنها اختيار قليل من كثير ومخض وتنخيل، وميزتها الأخرى أن جامعها كان محكوماً بإقامة جبرية، فاحتشد لها، ولم يشغله عنها شيء.

كان أبو تمام عائداً من نيسابور بخراسان، وهي اليوم في أقصى شرق إيران، وعندما وصل إلى همدان، غرب إيران اليوم، نزل بصديقه أبي الوفاء ابن سلمة، فأكرم مثواه. وبدأ الثلج يتساقط. ودرجة الحرارة في همدان من نوفمبر/ تشرين الثاني إلى مارس/ آذار تحت الصفر (المتوسط في يناير/ كانون الثاني عشرة تحت الصفر).

فقال أبو الوفاء لضيفه: قد قطع الثلج الطرق، ولن ينحسر إلا بعد زمن. ويبدو أن الرجل أعطى أبا تمام مختصراً مفيداً عن شتاء همدان كالذي سقناه لك أعلاه. فوطن أبو تمام نفسه على أن لا فرار. وفتح له مضيفه خزانة كتب عامرة يتسلى بها. فكانت الحماسة.

تيسرت لأبي تمام «حالة الدير» مثلما يسرها لنفسه مترجمه روكارت بعد ألف سنة. فأتحفنا الأول بمجموع شعري لم يجد تاريخ آداب العرب بمثله، وأتحف الثاني قومه بأدب غريب.

ولن نتوسع في الكلام على محاسن كتاب الحماسة لأبي تمام، فليس عندنا ما نضيفه. قد شرحه الشارحون كثيراً، وعدَّ عبد الله عسيلان خمسة وثلاثين شرحاً للحماسة، وكتب الكاتبون عن الحماسة كتباً كثيرة، قديماً وحديثاً. وقد أفدنا من شروح المرزوقي والتبريزي والأعلم الشنتمري واطلعنا على «أسرار الحماسة» لسيد «بن» علي المرصفي، وهو جزء أول لم يلحقه ثان.

ودققنا أسماء شعراء الحماسة من كتاب طريف لابن جني صاحب الخصائص .
وأفدنا من كتاب عبد الله عسيلان، وهو نصف أطروحة دكتوراه . وكونه نصفاً لا
يعيبه بل يزيده شرفاً . فالرجل حقق الحماسة ثم أردف تحقيقه بكتاب وصف فيه
تاريخ كتاب الحماسة، وكان الكتابان معاً أطروحته . . هذا في زمن كانت
أطروحة الدكتوراه فيه شيئاً حقيقياً .

ومما نقتبسه عن العسيلان هذا الإحصاء: الجاهليون بين شعراء الحماسة
١٠٧، والمخضرمون ٥٥ وأهل صدر الإسلام ١٨، وممن وصفوا بأنهم
إسلاميون ١٩، والأمويون ١٠٤، ومخضرمو الدولتين ٢٠، والعباسيون ٢٩. هذا
إلى نحو مئتين وخمسين قطعة غير منسوبة . وفي الحماسة ما يقرب من خمسين
قطعة لشعراء طيء، قبيلة أبي تمام . والعهد في ذلك كله على الباحث . وأحسن
الباحث في سوق البرهان الرقمي على فداحة ما استله التبريزي (صاحب أشهر
الشروح) من المرزوقي (صاحب أهم الشروح التي وصلتنا) .

لم يتيسر لنا ما تيسر لأبي تمام ولمترجمه الألماني من التمتع بـ «حالة
الدير»، فقد ظل هذا محض أمنية . على أننا نجتمع نتف الشعر ونضعها في كتب
بقدر ما يتيسر لنا من وقت . فلماذا نعدو على مجموع وضعه أبو تمام؟

لم نستطع عنه صبراً . فالشعر الذي في حماسة أبي تمام لا يوجد معظمه
إلا عند أبي تمام . وهو كله شعر رائق، وقد اخترنا منه أروقه . وهو خير متمم
لشعر الشعراء الذين عرضنا لهم في هذا العصر .

ما اعتور كلامنا على «حالة الدير» من مبالغة:

لو نظرت إلى الأربعين سنة، التي هي حياة أبي تمام، وما فيها من أسفار
شاقة ومن اضطراب لعرفت أن الرجل لم يتمتع بحالة العزلة إلا تلك الأسابيع .
وقد أنجز ديوانه الزاخر وهو بين الحل والارتحال . كان يعتزل داخل نفسه .

ولو نظرت إلى حياة روكارت التي قاربت الثمانين سنة، فسوف تراه يجاهد
الناشرين جهاداً، ويتألم لأن كتبه لا تلقى رواجاً، وتراه يرثي ابنين له، وتراه
قلقاً في كل شأنه، لكن عزلته كانت في داخل نفسه . وتقص علينا المنتشرة
الألمانية أنا ماري شيمل طريفة من طرائفه: عندما نزل الثلج، على غير عادة،
في أبريل/نيسان نظم روكارت في هذه الحادثة ثمانين وثلاثين قصيدة، فتأمل .

١ لو كنت من مازن!

قال قُرَيْطُ بْنُ أَثَيْفٍ الْعَنْبَرِيُّ يمدح قبيلة مَازِنَ لاسْتِقْفَاهِمِ إِلَهَهُ، وَيَذُمُّ قَوْمَهُ هُوَ «بَلْعَنْبَر»
لأنهم ليسوا شَرَّائِينَ، وليس عندهم خبرة:

لو كنتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِلَيَّ بنو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلٍ بَنِ شَيْبَانَ
لو كنت من قبيلة مازن لما تجرأ «بنو اللقطة» من قبيلة ذهل بن شيان على إيلي وسرقوا بعضها
إِذْ لَقَامَ بِنَصْرِيٍّ مَعْشَرُ خُشْنٍ عِنْدَ الْحَفِيطَةِ إِنْ ذُو لُوثَةٍ لَنَا
لو كنت من مازن لنصرني ناس خشنون وقت الحفيظة، والحفيظة هي الغضب للشرف، في الوقت
الذي يلين فيه ذو اللوثة، أي الضعيف

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِيَهُ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَّافَاتٍ وَوُحْدَانًا
إذا الشر استطار وكان كالسبع المكشر عن ناجذيه، عن أسنانه القصوى في جانبي فمه، فهم
يسرعون إليه زرافات، جماعات، ووحداناً، فرادى

لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانًا
لا يطلبون من ابن قبيلتهم حين يندبهم، يستنجدهم، في المصيبات برهاناً على قوله إنه تعرض
للأذى، بل هم ينجذونه فوراً

لَكُنْ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا
قومي كثر، لكنهم ليسوا شَرَّائِينَ أبداً. والشراني - وهذه من عامية بلدي فلسطين - هو الذي يدفع
الشر بالشر

يَجْزُونَ مِنْ ظُلَمِ أَهْلِ الظُّلَمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا
يغفرون للظالم، ويكافئون المسيء بإحسان

كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِحَشِيَّتِهِ سِوَاهُمْ فِي جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانًا
يَا لَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا شَتُّوا الْإِغَارَةَ فُرْسَانًا وَرُكْبَانًا
ليت لي بهم، أي بديلاً عنهم، قوماً يركبون ويشنون الهجمات لدفع الإغارة فرساناً على الخيل،
وركباناً يركبون الإبل

٢ بعض الحلم إذعان

الفنْدُ الزَّمَانِي، جاهلي قديم:

صَفَّحْنَا عَنْ بَنِي ذُهْلٍ وَقَلْنَا: الْقَوْمُ إِخْوَانُ

عسى الأيام أن يَرْجِفَ نَ قَوْماً كَالَّذِي كَانُوا

ربما تَرْجِعَ، أي تُعِيدَ، الأيام بني ذهل لسيرتهم الحميدة الأولى

فَلَمَّا صَرَخَ الشَّرُّ فَأَمْسَى وَهُوَ عُزْبَانُ

بعد أن صفحنا عنهم أملاً في اصطلاح حالهم، صَرَخَ الشر، أصبح واضحاً، وعرباناً، أي عادوناً
عداءً مكشوفاً

وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعُدْوَانِ نِ، دِنَّاهُمْ كَمَا دَانُوا

وعندما لم يبق في المسألة سوى العدوان، فعندئذ دناهم كما دانوا، جزيئناهم بمثل عملهم

مَشِينَا مِثْلَةَ اللَّيْثِ غدا والليثُ غَضْبَانُ

يَضْرِبُ فِيهِ تَفْجِيعٌ وَتَخْضِيعٌ وَإِقْرَانُ

ضربناهم ضرباً فجعهم بقتلاهم وأخضعهم وعرضهم للإقران، وأحسبها الأسر وربط الأسرى
بالقرن، أي الجبل المقتول. ولم أر ما رآه التبريزي ولا المرزوقي في هذه الكلمة فقد فراها
بتفسيرات حائرة

وَطَعْنِ كَفَمِ الزَّقِّ غَزَا، وَالزَّقُّ مَلَانُ

واجهناهم بطعن يكون موضع الطعنة فيه كضم الزق أي القرية الجلدية غذا، أي سال، وهو ملان.
كانك طعنت قرية ممتلئة بخمر فسال

وَبَعْضُ الْحَلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ لِي لِلذَّلَّةِ إِذْعَانُ

أحياناً يكون الحلم، التعقل، عند استفحال الجهل، التهور، إذعاناً وخضوعاً

فَلِشَّرِّ نَجَاةٍ حِيٍّ نَ لَا يُنْجِيكَ إِحْسَانُ

ومواجهة الشر بالشر تنجي المرء في وقت لا ينفع فيه التراخي بالحسن

٣ لهم صدر سيفي

جعفر بن عُلبَةَ الحارثي، وعاش في عصر بني أمية:

إِذَا مَا ابْتَدَرْنَا مَارِقاً فَرَجَّتْ لَنَا بِأَيْمَانِنَا بِيضٌ جَلَّتْهَا الصَّيَاقِلُ

إذا ابتدرنا واستبقنا الأعداء إلى مازق، أي مضيق في جبل، فإن السيوف البيض التي جلاها
الصياقل، صانعو السيوف، ونحملها بأيدينا تفتح لنا الطريق

لَهُمْ صَدْرُ سَيْفِي يَوْمَ «بَطْحَاءِ سَحْبَلٍ» وَلِي مِنْهُ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنَاوِلُ

في معركة بطحاء سحبل كان للأعداء صدر سيفي، وكان لي منه مقبضه الذي ضممت عليه أصابعي

٤ السجين

وقال جعفر بن عُلبَة أيضا:

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُضْعِدٌ جَنِيبٌ، وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوَنِقٌ

قلبي جنيب، أي مرافق، للراكبين اليمانيين، ولكن جسمي مقيد سجين في مكة

عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنْتَى تَخْلَصْتُ إِلَيَّ وَبَابُ السَّجْنِ دُونِي مُغْلَقٌ

عجبت لمسراها، سيرها ليلاً، وكيف تخلصت من الحرس وجاءتني، رغم أن باب السجن مغلق علي. . . ذلك أن الذي زاره خيالها

أَلَمْتُ فَحَيْثُ، ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعَتْ فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتْ النَّفْسُ تَزْهَقُ

تزهدق: تهلك

فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَخَشَّعْتُ بَعْدَكُمْ لِشَيْءٍ، وَلَا أَنِّي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ

تخشعت: ذلت وخضعت. أفرق: أخاف

وَلَا أَنَّ نَفْسِي يَزْدَهِيهَا وَعِيدُهُمْ وَلَا أَنَّنِي بِالْمَشْيِ فِي الْقَيْدِ أَخْرَقُ

ولا يزدهي نفسي وعيدهم، لا يخيفني تهديدهم، ولا أمشي والقيود في رجلي مشي الأحقق المرتبك

وَلَكِنْ، عَرَّتْنِي مِنْ هَوَاكِ صَبَابَةٌ كَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْكَ إِذَا أَنَا مُطْلَقُ

لكن، عرتني من هواك صباغة، جاءتني هزة شعور من حبي إياك،
مثلما كانت تعتريني وأنا حر طليق

٥ نازلٌ كي أنازل

ربيعَةُ بْنُ مَقْرُومٍ الضَّبِّيُّ، وهو شاعر مخضرم:

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا بِسَلِيمٍ أَوْظَفَةِ الْقَوَائِمِ هَيَّكَلِ

رأيت الخيل وبعضها يطارد بعضاً وأنا أركب حصاناً هيكلأً، كبيراً، وقوائمه متينة لا عوج فيها،
والأوظفة قصبات سيقان الحصان

فَدَعَوْا نَزَالَ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعِلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ؟

قالوا نزال، أي من ينزل للمبارزة؟ فكنت أول نازل، وما قد ركبت الحصان إلا كي
أنزل عنه للمبارزة والمنازلة. «المنازلة» و«النزال» مشتقان من النزول عن ظهر الحصان
للمضاربة بالسيوف

وَأَلَدَّ ذِي حَنْقٍ عَلَيَّ كَأَنَّمَا تَغْلِي عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ
رب رجل ألد، عدو لدود، غاضب لشدة عداوته لي، وكأن العداوة في صدره تغلي كما يغلي الماء
في المرجل، أي القدر

أَزَجَيْتُهُ عَنِّي، فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ وَكَوَيْتُهُ فَوْقَ النَوَاطِرِ مِنْ عَلٍ
أزجيت، أبعدته، عني فعرف قصده، أي رددته إلى رشده، وكويته فوق عينيه، أي في جيبه...
وصمته بالجبن، عندما هرب مني وكانوا يكونون الناقه بعلامة ليعرف صاحبها

٦ منتهى التهور

قال سعدُ بن نَاشِيطٍ، وهو شاعر إسلامي جنى جناية فهدم والي البصرة داره:
سَأَغْسِلُ عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِبًا عَلَيَّ قِضَاءَ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِبًا
سأغسل عاري بالسيف وليجلب قضاء الله علي ما يجلب من عقوبة

وَأَذْهَلُ عَنْ دَارِي وَأَجْعَلُ هَدْمَهَا لِعِرْضِي مِنْ بَاقِي الْمَذْمَةِ حَاجِبًا
وانني لأذهل عن داري، أنسى أمرها، وليكن هدمها فداء لعرضي وحاجباً دونه من الذم

وَيَصْفُرُ فِي عَيْنِي تِلَادِي إِذَا انْتَنَتْ يَمِينِي بِإِدْرَاكِ الَّذِي كُنْتُ طَالِبًا
ويصفر في نظري تلادي، مالي الموروث، إذا ثنيت أصابع يدي اليمنى ممسكاً بما كنت أبتغي
ومحققاً هدفي

فَإِنْ تَهْدِمُوا بِالْعَدْرِ دَارِي فَلِئَنَّا تُرَاثُ كَرِيمٍ لَا يُبَالِي الْعَوَاقِبَ
العواقب: النتائج

أَخُو غَمَرَاتٍ لَا يُرِيدُ عَلَى الَّذِي يَهْمُ بِهِ مِنْ مُفْطِعِ الْأَمْرِ صَاحِبًا
هذا الذي هدمتم داره أخو غمرات، مدمن على الشدائد، لا يبالي أن يكون وحده بلا صاحب في
تحقيق ما ينويه من مفتح الأمر، أي الأمر الصعب

إِذَا هَمَّ لَمْ تُرْدَعْ عَزِيمَةُ هَمِّهِ وَلَمْ يَأْتِ مَا يَأْتِي مِنَ الْأَمْرِ هَائِبًا
إذا نوى لم يكن لعزيمته من رادع، ولا يفعل ما يفعل وهو متهيب خائف

فَبَا لِرِزَامٍ رَشَّحُوا بِي مُقَدِّمًا عَلَى الْمَوْتِ خَوَاضًا إِلَيْهِ الْكَتَائِبَ
يا بني رزام رشحوني لكي أكون مقدماً على الموت أخوض إليه الكتائب غير هياب. ورشحوني هنا
بالمعنى المستحدث، وقد خاض المفسرون القدماء في أنها تعني التربة والتأهيل، ولهم في البيت
أقوال كثيرة حينئذ

إِذَا هَمَّ الْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزَمَهُ وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا
يجعل هدفه نصب عينيه، ويتعد عن ذكر النتائج... هكذا المتهور، وبين التهور والشجاعة إصبع

وَلَمْ يَسْتَشِيرْ فِي رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا
ولا يستشير أحداً، ولا يرضى صاحباً سوى مقبض سيفه

٧ يشجع نفسه

قَالَ قَطْرِئِي بْنُ الْقُبَاءَةِ الْمَازِنِيُّ، زَعِيمُ الْخَوَارِجِ، يَخَاطِبُ نَفْسَهُ:
أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَمَاعاً، مِنْ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَا تُرَاعِي
أقول لنفسي وقد طارت متفرقة، ويحك يا نفسي لا تراعي، لا تخافي، من الأبطال

فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ بَقَاءَ يَوْمٍ عَلَى الْأَجْلِ الَّذِي لَكَ لَنْ تُطَاعِي
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا فَمَا نَيْلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعٍ
الخلود في الدنيا مستحيل، فالموت على هذا أمر هين، فاصبري يا نفسي

وَلَا ثَوْبُ الْبَقَاءِ بِثَوْبٍ عِزٍّ فَيُطَوَّى عَنْ أَخِي الْخَنْعِ الْيَرَاعِ
وثوب البقاء على قيد الحياة ليس ثوب عز، لذا لا تراه مطوياً عن أخي الخنع، حليف الذلة،
اليراع، أي الجبان. بل الذليل يلبس ثوب العيش لأنه ليس بثوب عز

سَبِيلُ الْمَوْتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ وَدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعٍ
المنادي بالموت ينادي كل أهل الأرض فهذا مصيرهم جميعاً

وَمَنْ لَا يُغْتَبَطُ بِهَرَمٍ وَيَسَامُ وَتُسَلِّمُهُ الْمَنُونُ إِلَى انْقِطَاعِ
من لم يعتبط، يمت شاباً، فمصيره الهرم والسأم، ثم بعد ذلك تقطع المنون، الموت، عمره
وما لِلْمَرءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَا عُذَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ
سقط المتاع: التالف من الأثاث

٨ مَنْ فَارَسُ؟

وَيُنْسَبُ إِلَى بَشَامَةَ بْنِ حَزْنِ التَّهْلِيِّ قَوْلُهُ:

إِنَّا مُحَبُّوكُ يَا سَلْمَى فَحَيِّينَا وَإِنْ سَقَيْتَ كِرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا
وإن دَعَوْتَ إِلَى جُلَّتَى وَمَكْرُمَةٍ يَوْمًا سَرَاةَ كِرَامِ النَّاسِ فَادْعِينَا
الجلى: العمل الجليل، سراة الناس: سادتهم

إِنَّا بَنِي نَهْشَلٍ لَا نَدْعِي لِأَبٍ عَنْهُ، وَلَا هُوَ بِالْأَبْنَاءِ يَشْرِينَا
نحن لا نرضى بأب سوى أبينا، ولا هو يرضى بسوانا أبناء

إِنْ تُبْتَدِرْ غَايَةَ يَوْمًا لِمَكْرُمَةٍ تَلْقَ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا
إن يستبق الناس إلى بذل المعروف، فالسوابق والمصلون منا، والسابق هو الحصان الذي يأتي أولاً
والمصلي الذي يأتي ثانياً

وَلَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا إِلَّا أَقْتَلَيْنَا غُلَامًا سَيِّدًا فِينَا
لا يموت سيد منا إلا اقتلنا، أي فطنا، غلاماً ليصبح سيّداً بدلاً منه

إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرُّوْعِ أَنْفُسَنَا وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِي الْأَمْرِ أَغْلَيْنَا
يوم الروع، أي الحرب، نبذل أنفسنا رخيصة، ولو نسام، نقايض، بأنفسنا في السلم أغلينا، أي
كنا ذوي ثمن غال

إِنِّي لِمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوَائِلَهُمْ قِيلَ الْكِمَاءُ: أَلَا أَيْنَ الْمُحَامُونَا؟
أفنى أوائلنا، آبائنا وأجدادنا، مناداة الكمأة، أي المسلحين: أين من يحمي الشرف؟.. فإذ نسمع
النداء نهب للمحامة ونموت دون الشرف الرفيع

لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا: «مَنْ فَارِسٌ؟» خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا
لو كان رجل من عشيرتنا وسط ألف من الناس الآخرين فانطلق النداء: من فارس؟ لظنهم يعنونه
إذا الْكِمَاءُ تَنَحَّوْا أَنْ يُصِيبَهُمْ حَدُّ الطُّبَاتِ وَصَلَّنَاهَا بِأَيْدِينَا
إذا تنحى المسلحون حتى لا يصيبهم حد الطبات، جمع طَبَّةٍ وهي حد السيف، فإننا نمد السيوف
ونظيلها بأيدينا لتصل إلى العدو

وَلَا تَرَاهُمْ، وَإِنْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ، مَعَ الْبُكَاءِ عَلَى مَنْ مَاتَ يَبْكُونَا
وَنَرَكِبُ الْكُرَّةَ أَحْيَانًا فَيَفْرِجُهُ عَنَّا الْحِفَاطُ وَأَسْيَافُ تَوَاتِينَا
نركب الكرة، نقدم على القتال الصعب المكروه، فيفرجه ويبدده عنا الحفاظ، أي الغضب للشرف،
والسيوف المهيأة للقتال

٩ إن الكرام قليل

قصيدة السَّمَوَالِ بْنِ عَادِيَاءَ، ويقال: إنها لَعَبِيدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْحَارِثِيِّ
(ورجَّح هذا بروكلمان وشايعه فروخ):

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَذَنْسْ مِنَ اللَّؤْمِ عَرْضُهُ فَكُلُّ رِدَائِهِ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ
المهم ألا يتسخ شرف الإنسان، وبعد ذلك فكل ما يرتديه من لباس جميل

وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَمِيمَهَا فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ
إذا لم يكن المرء حسن التحمل للضميم، المكاره والمصائب، فلن ينال السمعة الحسنة

تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلٌ

هذه العاذلة تعيرنا بقلة العدد، ولكن الكرام ليسوا كثيراً، ونحن كرام

وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا شَبَابٌ تَسَامَى لِلْعُلَى وَكُھُولٌ

ومن كانت بقاياها، أي قومه الباقيون بخلاف الأجداد الراحلين، مثلنا فهو ليس قليل العدد، فبقاينا هم شباب وكهول يتسامون، يرفعون أبصارهم، نحو المجد

وَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ، وَجَارُنَا عَزِيزٌ، وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ

لا تضرنا قلة عددها، ذلك أن جارنا، أي من يستجير بنا، قوي لأننا نجیره وننصره، بينما من يستجير بالقبيلة الكثيرة العدد ذليل

لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نُجِيرُهُ مَنِيْعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلٌ

لنا جبل يأوي إليه من يلتحق بنا طالباً النصره، وهو منيع عال يرتد عنه البصر قليلاً متعباً

رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى، وَمَا بِهِ إِلَى النَّجْمِ فَرْعٌ لَا يُرَامُ طَوِيلٌ

أصل جبلنا راسٍ راسخٌ تحت التراب، ورفع هذا الجبل إلى النجم فرع طويل لا يرام، أي قمة عالية لا تُطال

هُوَ «الْأَبْلَقُ» الْفَرْدُ الَّذِي سَارَ ذِكْرُهُ يَعِزُّ عَلَى مَنْ كَادَهُ وَيَطْوِلُ

وفوق الجبل حصتنا الفرد المشهور، الأبلق، وهو يعز، يمتنع، على من كاده، أرادته بشر

وَأَنَا لَقَوْمٌ مَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولٌ

نحن لا نعتبر الموت قتلاً في الحرب سبة، مذمة، في حين ترى ذلك قبيلتنا عامر وسلول

يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطْوِلُ

فحب الموت يقرب منا الموت، وأما أعمار أولئك فتطول لفراهم من المواجهة

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ فِي فِرَاشِهِ وَلَا طُلٌّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ

لا يموت السيد منا في فراشه، وكل من مات منا فنحن نأخذ بثأره، ولا يطل دمّه، أي لا يذهب هدرأ

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَابِ نَفُوسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الظُّبَابِ تَسِيلٌ

نفوسنا تسيل مثلما تسيل دماؤنا على الظباب، حد السيوف، ولا نموت غير هذه الميتة

صَفَوْنَا فَلَمْ نَكْذُرْ، وَأَخْلَصَ سِرَّنَا إِنَاثٌ أَطَابَتْ حَمْلَنَا وَفُحُوزٌ

أنسابنا صافية لم يكدرها اختلاط، وقد أخلصت سرنا، أي حفظت أصلنا بحفظها للشرف، الإناث اللاتي حملتنا والذكور

عَلَوْنَا إِلَى خَيْرِ الظُّهُورِ وَحَظَّنَا لَوْفَتِ إِلَى خَيْرِ الْبَطُونِ نُزُولُ

فنحن أشراف في ظهور آبائنا، وعندما آن الأوان نزلنا إلى بطون أمهاتنا

فَنَحْنُ كَمَاءِ الْمُرْنِ مَا فِي نَصَابِنَا كَهَامٌ، وَلَا فِينَا يُعَدُّ بِخَيْلُ

نحن كماء السحاب صفاء وليس في نصابنا، أي حدنا، كهام، أي حد كليل غير قاطع،
وليس فينا بخيل

وَنُتَكَبَّرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلُهُمْ وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

إِذَا سَبَدُّ مِنَّا خِلَا قَامَ سَبَدُّ قَوْلُ لِمَا قَالَ الْكَرَامُ فَعُولُ

إذا مات منا سيد قام سيد ذو منطق سديد وفعل شديد

وَمَا أُخْمِدَتْ نَارٌ لَنَا دُونَ طَارِقٍ وَلَا دَمْنَا فِي النَّازِلِينَ نَزِيلُ

ولا نخمد نارنا بل تظل موقدة حتى يراها الطارق، زائر الليل. ولا يذمنا من ينزل بنا لأننا نكرمه

وَأَيَّامُنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُونَا لَهَا غُرَّرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُولُ

أيامنا، معاركنا، مشهورة، فهي كالخيل التي لها غرر، شعر أبيض على الرأس، وحجول، بياض
في القوائم

وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ فُلُولُ

وسيفونا بها فلول، أي هي مثلمة غير قاطعة تشرذم حدها، من قراع، مضاربة،
الدارعين أي لابسِي الدروع

مُعَوَّدَةٌ أَنْ لَا تُسَلَّ نِصَالُهَا فَتُغَمَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَبِيلُ

تعودت سيفونا ألا تسل نصالها فتغمد حتى يستباح قبيلة وتفتك بها

سَلِي إِنْ جِهَلَتِ النَّاسَ عَنَّا وَعَنْهُمْ وَلَيْسَ سِوَاءَ عَالِمٍ وَجْهُولُ

فإن بني الديان قُظِبَ لِقَوْمِهِمْ تَدَوَّرَ رَحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وَتَجَوَّلُ

بنو الديان محور الرحي، وسائر العشائر من قومهم تدور حولهم وتبعهم، مثلما يدور حجرا
الطاحون حول المحور

١٠ أَصَبْتُ وَلَمْ أَصَبْ

قَطْرِئِي بِنَ الْفُجَاءَةِ الْمَازِنِي أَحَدَ زَعَمَاءِ الْخَوَارِجِ:

لَا يَزْكَنَنَّ أَحَدٌ إِلَى الْإِحْجَامِ يَوْمَ الْوَعَى مُتَحَوِّفًا لِحِمَامِ

لا يفيد المرء الركون إلى التراجع في الوعى، أي الحرب، خائفاً من الحمام، أي الموت

فَلَقَدْ أَرَانِي لِالرَّمَاكِ دَرِيئَةً مِنْ عَن يَمِينِي مَرَّةً وَأَمَامِي
فَأَنَا مَثَلًا أَرَى نَفْسِي دَرِيئَةً، أَي عَرَضَةً، لِلرَّمَاكِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ

حَتَّى خَضَبْتُ بِمَا تَحَدَّرَ مِنْ دَمِي أَكْنَافَ سَرَجِي أَوْ عِنَانَ لِبَاسِي
وَنَزَلَ دَمِي وَتَلَوْتُ بِهِ أَكْنَافَ سَرَجِي، أَي أَطْرَافَهُ، وَعِنَانُ حَصَانِي، أَي الْمَقُودُ الْمَرْبُوطُ بِلِبَاسِهِ،
بِتِلْكَ الْحَدِيدَةِ فِي فَمِهِ

ثُمَّ انصَرَفْتُ وَقَدْ أَصَبْتُ وَلَمْ أَصِبْ جَذَعَ الْبَصِيرَةِ قَارِحَ الْإِقْدَامِ
وَمَعَ ذَلِكَ، انصرفت من المعركة وقد أصبت العدو ولم أصب بأذى مميت، وانصرفت وأنا جذع
البصيرة، أفكاري جديدة.. فالجذع من الخيل الذي بلغ سستين، وقارح الإقدام، قديم الشجاعة..
والقارح من الخيل من بلغ أقصى السن. وكان قطري قد اعتنق فكر الخوارج متأخراً فلذا قال إن
بصيرته جذعة جديدة

١١ حمي الحديد عليهم

الْأَشْتَرُ النَّخَمِي:

بَقِيْتُ وَفَرِي، وَانْحَرَفْتُ عَنِ الْعُلَا وَلَقِيْتُ أَضْيَافِي بِوَجْهِ عَبَسٍ..
يَدْعُو عَلَى نَفْسِهِ مُشْتَرِطاً: فَلَاكُنْ بَخِيلاً أَبْقِي وَفَرِي وَاحْتَفِظْ بِمَالِي، وَلَا تَبْعُدْ عَنِ الْمَجْدِ، وَلَا تَلَقْ
ضِيْفِي بِوَجْهِ رَجُلٍ عَبَسَ..

إِنْ لَمْ أَشُنْ عَلَى ابْنِ حَرْبٍ غَارَةً لَمْ تَخُلْ يَوْمًا مِنْ ذَهَابِ نَفُوسٍ
.. هَذَا إِنْ لَمْ أَشُنْ غَارَةً عَلَى ابْنِ حَرْبٍ، مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، لَا تَخْلُو مِنْ قَتْلِ.
وَكَانَ الْأَشْتَرُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ضِدَّ مُعَاوِيَةَ

خَيْلاً كَأَمْثَالِ السَّعَالِيِّ شُرْبًا تَعْدُو بِبَيْضٍ فِي الْكَرِيهَةِ شُوسٍ
سَاقُودٌ خَيْلاً تُشَبِّهُ السَّعَالِيَّ، الْجَنِيَّاتِ، شُرْبًا، ضَامِرَةً، تَجْرِي وَعَلَى مَتْنِهَا رِجَالُ بَيْضٍ كَرَامٍ، شُوسٍ
فِي الْكَرِيهَةِ، غَاضِبُونَ عَابِسُونَ فِي الْحَرْبِ

حَمِي الْحَدِيدُ عَلَيْهِمْ، فَكَأَنَّهُ وَبَضَانُ بَرَقٍ أَوْ شُعَاعُ شَمْسٍ
سَخْنٌ حَدِيدُ الدَّرُوعِ عَلَى الْمُحَارِبِينَ، وَهُوَ يَلْمَعُ تَحْتَ الشَّمْسِ كَأَنَّهُ الْبَرَقُ يَوْمِضُ أَوْ شُعَاعُ الشَّمْسِ

١٢ لَوْ أَنْطَقْتَنِي رَمَاحَهُمْ نَطَقْتُ

عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبِ الرُّبَيْدِيِّ الشَّاعِرُ الْمَخْضَرُمُ:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ زُورًا كَأَنَّهَا جَدَاوِلُ زَرْعٍ أُرْسِلَتْ فَاسْبَطَرَتْ
لَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ زُورًا، مُنْحَرَفَةٌ مَزُورَةً، كَأَنَّهَا جَدَاوِلُ الْمَاءِ الْمَتَلَوِّةِ بَيْنَ الْحُقُولِ، وَقَدْ أُرْسِلَتْ هَذِهِ
الْخَيْلُ لِتَجْرِيَ وَاسْبَطَرَتْ، أَي امْتَدَّتْ

وَجَاسَتْ إِلَيَّ النَّفْسُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ وَرُدَّتْ عَلَيَّ مَكْرُوهِهَا فَاسْتَقَرَّتْ

جاشت نفسي، أي اضطربت، لأول وهلة ولكنني رددتها وأجبرتها على ما كرهته فاستقرت

عَلَامَ تَقُولُ الرُّمْحُ يُثْقِلُ عَاتِقِي إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعَنْ إِذَا الْخَيْلُ كَرَّتْ

المعنى الملموح: إذا لم أطعن الأعداء بالرمح عندما تكرر الخيل وتهجم فلا عذر لي في أن يكون الرمح ثقيلاً فوق كتفي

لَحَا اللَّهُ جَرَمًا كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقٌ وَجُوهَ كِلَابٍ هَارَشَتْ فَازُبَارَتْ

لعن الله قبيلة جرم كلما ذر شارق، كلما بزغت الشمس، فوجههم كوجه كلاب هارشت كلاباً أخرى، وواثبتها، فازبأرت، أي تهيأت للعراك

ظَلَلْتُ كَأَنِّي لِلرَّمَاكِ دَرِيئَةٌ أَقَاتِلُ عَنْ أَبْنَاءِ جِزْمٍ وَفَرَّتْ

ظلمت عرضة للرماح، والدريئة شبه درع توضع للتدرب على الطعن، وأنا أقاتل دفاعاً عن قبيلة جرم بينما هي فرت من القتال

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقْنِي رِمَاحَهُمْ نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَّتْ

لو أن رماح قومي عملت في المعركة لنطقت أنا بمدحهم، ولكن رماحهم أجزت لساني، أي وضعت عوداً في لساني فلم ينطق، والإجراز شق لسان الفصيل ووضع عود فيه حتى لا يرضع من أمه الناقة

١٣ إن الجمال معادن

عمرو بن مغديكرب:

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمُتَزَرٍّ فاعْلَمْ، وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدًا

الجمال ليس أن تلبس متزراً، أي ثوباً لما دون الخصر، ولا أن ترتدي فوقه برداً، ثوباً آخر كاسياً

إِنَّ الْجَمَالَ مَعَادِنٌ وَمَنَاقِبٌ أَوْزَنَ مَجْدًا

الجمال في المعدن الأصيل، وفي المناقب، أي الأعمال الشريفة، التي تورثك المجد

أَعَدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَابِغَةً وَعَدَاءَ عَالِنُنْدَى

أعددت لحادثي الدهر درعاً سابغة طويلة، وفرساً سريعاً علندي، غليظاً شديداً

نَهْدًا، وَذَا شُطْبٍ يَقْدُ الْبَيْضَ وَالْأَبْدَانَ قَدًا

والفرس نهدي، أي عالٍ، وأعددت سيفاً ذا حوز يقطع البيض، أي الحوذ، والأجسام

وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَذَا لَكَ مُنَازِلٌ كَغَبَا وَنَهْدًا

قد عرفت أنني سأقاتل هاتين القبيلتين

قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيدَ ذَ تَنَمَّرُوا حَلَقًا وَقَدْ
قوم إذا لبسوا الدروع تنمروا، أصبحوا شرسين؛ هم هكذا بدروعهم المنسوجة من حلقات الحديد،
ومن القِدِّ، أي الدروع المتخذة من الجلود السمكة

كُلُّ امْرِئٍ يَجْرِي إِلَى يَوْمِ الْهَبَاجِ بِمَا اسْتَعَدَّ
يوم الهياج: المعركة

لَمَّا رَأَيْتُ نِسَاءَنَا يَفْحَضْنَ بِالْمَعْرَاءِ شَدًّا
لما رأيت نساء قومي يفحصن، يطأن، بأقدامهن المعزاء، الحصى، ويركضن مسرعات
وَبَدَتْ لَمِيسُ كَأَنَّهَا بَذَرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّدَا
وبرزت لميس كالبرد إذ يبدو في السماء

وَبَدَتْ مَحَاسِنُهَا الَّتِي تَخْفَى، وَكَانَ الْأَمْرُ جَدًّا
وبرزت، في موقف الخوف والفرار، مفاتها التي كانت خافية. وكانوا في معاركهم يصطحبون
نساءهم خلف الجيش

نَازَلْتُ كَبِشَهُمْ، وَلَمْ أَرَّ مِنْ نِزَالِ الْكَبِشِ بُدًّا
عندئذ نازلت كبش الأعداء، بطلهم، ولم يكن لي بد من ذلك

هُمْ يَنْزِدُونَ دَمِي وَأَنَا لَذِرُّ إِنْ لَقِيتُ بِأَنْ أَشَدًّا
الأعداء ينزرون دمي، يهددون بقتلي، وأنا أتوعدهم بقتال شديد

كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ بَوَائِهِ بِيَدَيَّ لَخْدَا
ما أكثر ما بوأت، وضعت في، أخاً صالحاً قبره بيدي

مَا إِنْ جَزَعْتُ وَلَا هَلِغْتُ تْ، وَلَا يَرُدُّ بُكَايَ زُنْدَا
لا اضطرب لموت صحي، ولو اضطربت وبكيت فإن بكائي لا يرد زندا، أي شيئاً نافهاً،
فكيف يرد علي من قد مات؟

أَلْبَسْتُهُ أَثْوَابَهُ وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدَا
كفنت صاحبي، فأنا جلد، متماسك شديد منذ خلقت

أَغْنِي غَنَاءَ الذَّاهِبِينَ نْ، أَعْدُّ لِلْأَعْدَاءِ عَدًّا
بموت صحي فإنني أغني عن فقدهم، وأنا أعدُّ لِبِزَاءِ الأعداء رجال كثيرين، أي هو كالف رجل

ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبُّهُمْ وَبَقِيتُ مِثْلَ السِّيفِ قُرْدَا
فالسيف في غمده منفرد وحيد

١٤ طعنة الثائر

قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ مِنَ الْأَوْسِ وَهُوَ مُخَضَّرَمٌ، وَلَمْ يَسْلَمْ:

طَعَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً ثَائِرٍ لَهَا نَقْدٌ لَوْلَا الشَّعَاعُ أَضَاءَهَا

طعنته طعنة ثائر، أخذ بالثأر، والطعنة لها نقد، فتحة نافذة من الجهة الأخرى، ولولا الشعاع، أي الدم المنتشر، لرأيت ضوءاً من خلال هذا الثقب

مَلَكَتْ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَزْتُ فَتَحَهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

تمكن كفي من الرمح فأنهزت فتحة الطعنة، وسعته، وغدا الواقف أمام الطعنة يرى ما وراءها لأنها قد احترقت الجسم

وَكُنْتُ امْرَأً لَا أَسْمَعُ الدَّهْرَ سُبَّةً أَسْبُ بِهَا إِلَّا كَشَفْتُ غِطَاءَهَا

وكنت لا أدم إلا غسلت العار وحررت شرفي من المذمة

فَإِنِّي فِي الْحَرْبِ الضَّرُوسِ مُوَكَّلٌ بِإِقْدَامِ نَفْسِي مَا أُرِيدُ بَقَاءَهَا

أنا في الحرب الشديدة كفيل بأن أكون مقدماً لا يحرص على بقاء نفسه، فيرمي نفسه على الموت

إِذَا مَا اضْطَبَحْتُ أَرْبَعًا خَطَّ مِثْرِي وَأَتَّبَعْتُ دُلُوبِي فِي السَّمَاحِ رِشَاءَهَا

إذا اصطبحت أربعاً، شربت أربع كؤوس في الصباح، جرت ثوبي فصنع خطاً على الأرض، وسخوت وبذلت مالي، والسماح هو السماح بالمال... فكانت بهذا السخاء الزائد كمن أدلى دلوه في البئر وبالفح بالحق بالدلو الرشاء، أي الجبل

مَتَى يَأْتِ هَذَا الْمَوْتُ لَا تَبْقَ حَاجَةٌ لِنَفْسِي إِلَّا قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَهَا

أبادر بتحقيق مرادي فلا يأتي الموت إلا وقد حققت ما أريد

تَأَزْتُ عَدِيًّا وَالْخَطِيمَ فَلَمْ أَضِغْ وَلَايَةَ أَشْبَاخٍ جُعِلَتْ إِزَاءَهَا

أخذت ثأري لجدي عدي، ولأبي الخطيم، ولم أضغ ما توليته بحق آبائي، أي هذه الولاية التي أنيطت بي

١٥ اعتذار للفرار

الحارث بن هشام المخزومي، أخو أبي جهل، وهو مخضرم

(قالها وقد فر يوم بدر وكان مع قريش):

اللّٰهُ يَعْزِمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ حَتَّى عَلَوْا فَرَسِي بِأَشَقَرِ مُزَبِدٍ

ما فررت من المعركة إلا بعد أن جعلوا على فرسي دماً. كذا فسرها المرزوقي والتبريزي

وَوَجَدْتُ رِيحَ الْمَوْتِ مِنْ تِلْقَائِهِمْ فِي مَازِقٍ، وَالْخَيْلُ لَمْ تَتَبَدَّدِ
ووجدت رائحة الموت من جهتهم وأنا في مازق والخيل متراصة لم تفرق
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتِلَ وَاحِدًا أَقْتُلُ، وَلَا يَضُرُّ عَدُوِّي مَشْهَدِي
وعلمت أنني سأقتل إن بقيت مفرداً، ولن أستطيع إلحاق أذى بالعدو

فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالْأَجِبَةُ فِيهِمْ طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمِ مُرْصِدِ
فتراجعت عنهم وقد بقي لديهم أجبتي ممن قتلوا، وقد قتل في بدر أبو جهل وهو أخو الشاعر،
وطمعت بأن تكون لنا جولة أخرى

١٦ تأخرت ثم تقدمت

الْحُصَيْنُ بْنُ الْحُمَامِ الْمُرِّي، الشاعر الجاهلي:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ تَقْدَمَا
تأخرت عن المعركة كي أحفظ حياتي، فوجدت الحياة الشريفة في التقدم والقتال

فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ نَدْمَى كُلُّوْنَا وَلَكِنْ، عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا
نحن لا ندمى كلوْنَا، أي تنزف دماً جراحنا، على الأعقاب، على مؤخر القدم، بل تقطر الدماء
على أمشاط أقدامنا من الأمام ونحن نواجه العدو

نُفْلِقُ هَامًا مِنْ رِجَالِ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا، وَهُمْ كَانُوا أَعَوَّ وَأَظْلَمَا
نفلق رؤوس الأعداء وهم عزيزون على قلوبنا، ولكنهم تميزوا بالعقوق والظلم

فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِسَبَّةٍ وَلَا مُبْتَغٍ مِنْ رَهْبَةِ الْمَوْتِ سُلْمَا
لا أريد الحياة ومعها مذمة الجبن، ولا أبتغي سلماً أصدد فيه هرباً من الموت

١٧ ونقتلكم كأننا لا نبالي

رجل من بني عُقَيْلٍ، وحارَبُهُ بنو عمه فقتل منهم:

يَكْرَهُ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرٍو نَغَادِيكُمْ بِمُرْهَقَةٍ صِقَالٍ
يا آل عمرو، نغادىكم، أي نصيحكم بالسيف المرهقة الحادة والمصقولة، وسراتنا، أي سادتنا،
لذلك كارهون

نُعَدِّيهِنَّ يَوْمَ الرُّوْعِ عَنْكُمْ وَإِنْ كَانَتْ مُثْلَمَةَ النَّصَالِ
نعدديهنَّ يوم المعركة عنكم، وإن كانت نصالها قد تثلمت من قتالكم، فنحن لا نريد استئصالكم

لَهَا لَوْنٌ مِنَ الْهَامَاتِ كَابٍ وَإِنْ كَانَتْ تُحَادِثُ بِالصُّفَالِ
 لسيوفنا لون كاب، داكُن، من ضرب الهامات، أي الرؤوس، رغم أننا نجدد لها الصقل
 وَنَبْكِي حِينَ نَقْتُلُكُمْ عَلَيْكُمْ وَنَقْتُلُكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي

١٨ القاتل النادم

القَتَالُ الْكِلَابِيُّ، وهو شاعر إسلامي:

نَشَدْتُ زِيَادًا وَالْمَقَامَةَ بَيْنَنَا وَذَكَّرْتُهُ أَرْحَامَ سَعْرِ وَهَيْثِمٍ
 ناشدت زياداً والمقامة، أي المجلس، بيننا والناس شهود على كلامي، وذكّرتُه بالقرابات في
 معشري سحر وهيثم

فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُ غَيْرُ مُنْتَهٍ أَمَلْتُ لَهُ كَفِّي بِلَدْنِ مُقَوِّمٍ
 لما رأيته مستمراً على غيه لا ينتهي عنه مالت كفي عليه برمح مرن لكنه مستقيم مقوم مثقف
 وَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّنِي قَدْ قَتَلْتُهُ نَدِمْتُ عَلَيْهِ أَيَّ سَاعَةٍ مَنَدَمٍ

١٩ القاطع بنانه

قيس بن زهير العبسي الشاعر الجاهلي:

شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ وَسِيفِي مِنْ حُدَيْفَةَ قَدْ شَفَانِي
 شفيت نفسي بقتل هذين الرجلين. فحمل كان قتل أخا الشاعر، فقتله الشاعر وقتل أخاه حذيفة أيضاً
 فَإِنْ أَكْ قَدْ بَرَدْتُ بِهِمْ غَلِيلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي
 فإن كان برد غليلي، حقدِي، فإنني بقتلي الأقرين كأنما قطعت أصابعي

٢٠ سيصبيني سهمي

الحارث بن وَغَلَةَ الثُّمَلِيّ وهو جاهلي:

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيمَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
 فَلَيْسَ عَفْوٌ لِأَغْفُونَ جَلَالاً وَلَيْسَ سَطَوْتُ لِأَوْهِنَ عَظْمِي
 لو عفوت فساكون عفوت عن أمر جلال خطير؛ ولو سطوت، هجمت، وانتقمتم فسوف أضعف
 عظمي لأنني إنما أنتقم من أقاربي

لَا تَأْمَنَنَّ قَوْمًا ظَلَمْتَهُمْ وَيَدَاتُهُمْ بِالشَّئْمِ وَالرَّغْمِ
 الرغم: الإذلال

٢١ بين الأخ والابن

أهراي قتل أخوه ابناً له:

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعَزِيَةً إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدْ
أَوَاسِي نَفْسِي وَأَعْزِيهَا قَاتِلًا إِنْ إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْ الْآخَرَى عَنْ غَيْرِ تَعَمُّدٍ، فَلَا حَاجَةَ لِلتَّأْرِ
كِلَاهُمَا خَلَفَ مَنْ فَقَدَ صَاحِبَهُ هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي
كل منهما يسد مسد الآخر: هذا أخي وذاك ولدي

٢٢ سكا ب علق

قال رجل من بني تميم، وسماه محققا شرح المرزوقي عبدة بن ربيعة،
وطلب منه ملك من الملوك فرساً يقال لها سكا ب فمنعه إياها:

أَبَيْتَ اللَّغْنَ إِنَّ «سَكَا بَ» عِلْقٌ نَفِيسٌ، لَا تُعَارُ وَلَا تُبَاعُ
أيها الملك فرسي سكا ب علق، أي شيء نفيس، لا تعار ولا تباع

مُقَدَّاةٌ مُكْرَمَةٌ عَلَيْنَا يُجَاعُ لَهَا الْعِيَالُ وَلَا تُجَاعُ
نفديها بأنفسنا، ونكرمها ونجيع عيالنا لنطعمها

سَلِيلَةُ سَابِقَيْنِ تَنَاجَلَاهَا إِذَا نُسِبَا يَضُمُّهُمَا الْكُرَاعُ
هي سلية فرس وحصان من السوابق السريعة، تناجلاها، فهي من أنجالهما، والأب والأم يتسبان
إلى الكراع، وهو حصان قديم مشهور

فَلَا تَطْمَعُ أَبَيْتَ اللَّغْنَ فِيهَا وَمَنْعُكَهَا بِشْيٍ يُسْتَطَاعُ
ومن الممكن تعويضك بشيء عنها

٢٣ اللبن أم الدم

فَلَوْ أَنَّ حَيًّا يَقْبَلُ الْمَالَ فِدْيَةً لَسَقْنَا لَهُمْ سَيْلًا مِنَ الْمَالِ مُفْعَمًا
لو أن أولئك الحي، أي القوم، يقبل المال دية لقتلاه لسقنا مالا مفعمًا كثيرًا،
والمال تعني عندهم الإبل

وَلَكِنْ أَبَى قَوْمٌ أَصِيبَ أَخُوهُمْ رِضًا الْعَارِ فَاخْتَارُوا عَلَى اللَّبَنِ الدَّمَ
ولكن أولئك القوم رفضوا الدية ولم يرضوا بالعار، واختاروا الدماء بدل لبن الإبل

٢٤ شعرك حول بيتك

عَتْرَةُ بن الأخرس من طيء، وتروى للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:
أَظِلْ حَمْلَ الشَّائَةِ لِي وَبُغْضِي وَعِشْ مَا شِئْتَ فَانْظُرْ مَنْ تَضِيرُ
ابن على كرمك لي حاملاً الشَّائَةِ، البغض، وعش ما شئت من العمر وانظر هل تستطيع أن تلحق
بي الأذى

فَمَا بِيَدَيْكَ خَيْرٌ أَرْتَجِيهِ وَغَيْرُ صُدُودِكَ الْحَظْبُ الْكَبِيرُ
فليس في يدك خير أرجو نواله، وصدودك عني ليس بالمشكلة الكبيرة

أَلَمْ تَرَ أَنَّ شِعْرِي سَارَ عَنِّي وَشِعْرُكَ حَوْلَ بَيْتِكَ لَا يَسِيرُ
شعري مشهور يسير عني ويرحل بعيداً، وشعرك يظل حول بيتك لا ينتشر ولا يرويه الرواة
إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ
عندما تراني تعرض عني مثلما يعرض المرء ويحول وجهه عن الشمس لشدة وهجها

٢٥ لا نجبكم

الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب وقد عاصر الجريين:

مَهْلًا بَنِي عَمَّنَا مَهْلًا مَوَالِينَا لَا تَنْبِشُوا بَيْنَنَا مَا كَانَ مَدْفُونًا
موالينا: حلفاؤنا

مَهْلًا بَنِي عَمَّنَا عَنْ نَحْبِ أَثْلَتِنَا سِيرُوا رُؤُودًا كَمَا كُنْتُمْ تَسِيرُونَا
لا تنحتوا أثلتنا، والأثلة من الشجر ونحت الأثلة كناية عن الغيبة وتآريث الصدور، وسيروا سيرة
حسنة كما كنتم تسيرون

لَا تَطْمَعُوا أَنْ تُهَيِّنُونَا وَتُكْرِمَكُمُ وَأَنْ نَكُفَّ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتُؤْذُونَا
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّا لَا نُحِبُّكُمْ وَلَا نَلُومُكُمْ أَنْ لَا نُحِبُّونَا
كُلُّ لَهُ نِيَّةٌ فِي بُغْضِ صَاحِبِهِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ نَقْلِيكُمْ وَتَقْلُونَا
نقليكم: نكرمكم

٢٦ ملأت عليه الأرض

الطَّرِمَاحُ بنُ حَكِيمِ الطَّائِي، وهو شاعر أموي:

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرِئٍ غَيْرِ طَائِلٍ
أحببت نفسي أكثر لأنني بغِيضٌ، مكروه مُبْغَضٌ، من جانب كل شخص غير طائل، غير ذي فضل

وَأَنْتِي شَقِيٌّ بِاللَّثَامِ وَلَا تَرَى شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمُ الشَّمَائِلِ
وأحببتها لأنني أجد شقاءاً وتعباً من اللثام، ولن تجد شخصاً يتعبه لثام الناس إلا وجدته كريم
الشمائل، أي الخصال

إِذَا مَا رَأْنِي قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ وَبَيْنِي، فَعَلَ الْعَارِفُ الْمُتَجَاهِلِ
هذا الشخص إذا رآني قطع طرفه، أي صرف نظره عني مرة بعد مرة، كما يفعل من يعرف شخصاً
لكنه يريد تجاهله

مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَانَتْهَا مِنْ الضِّيقِ فِي عَيْنِهِ كَفَّةٌ حَابِلِ
لقد غمرته بشخصيتي وسمعتي فكانهما ملاء الأرض عليه، فصارت الأرض ضيقة في عينه كأنشطة
الصائد التي تضيق وتضيق عندما تمسك بالطريدة

أَكُلُّ أَمْرِي أَلْفَى أَبَاهُ مُقْصِراً مُعَادٍ لِأَهْلِ الْمَكْرُمَاتِ الْأَوَائِلِ
هل كل شخص وجد نسيباً ضئيلاً يعادي أهل المكارم الأولى، العريقة القديمة؟

إِذَا ذُكِرَتْ مَسْعَاءُ وَالِدِهِ اضْطَنَى وَلَا يَضْطَنِي مِنْ شَتَمِ أَهْلِ الْفَضَائِلِ
إذا جاء ذكر مسعاة، فضل، والده ورأى أن والده لا يملك شرفاً اضطن، تألم وشعر بالضيق،
ولكنه لا يتألم من شتم أهل الفضل

وَمَا مُنِعَتْ دَارٌ وَلَا عَزَّ أَهْلُهَا مِنْ النَّاسِ إِلَّا بِالْقَنَاءِ وَالْقَنَائِلِ
ما حُجِمَتْ دار قوم ولا أصبح أهلها أعز كراماً إلا بالقنأ، أي الرماح، والقنابل، جماعات الخيل

٢٧ دبلوماسية جاهلية

قال بعض بني فُحْمَسَ:

وَدَوِي ضَبَابٌ مُظْهِرِينَ عَدَاوَةً قَرَحَى الْقُلُوبِ مُعَاوِدِي الْأَفْنَادِ
ذوي ضباب، يحملون في صدورهم حيوان الضب.. أي أنهم حاقدون، ويظهرون العداوة،
وقلوبهم قرحى، مجروحة حقداً، ويكررون الأفناد، الإساءات

نَاسَيْتُهُمْ بَغْضَاءَهُمْ وَتَرَكْتُهُمْ وَهُمْ إِذَا ذُكِرَ الصَّدِيقُ أَعَادِ
نظارتهم بنسيان عداوتهم، وتركهم مع أنهم - إذا عدت الصديق، أي الأصدقاء - يكون تصنيفهم
مع الأعداء

كَيْمَا أَعِدُّهُمْ لِأَبْعَدَ مِنْهُمْ وَلَقَدْ يُجَاءُ إِلَى ذَوِي الْأَحْقَادِ
وقد تركتهم ليكونوا عوناً لي على ما هو مقبل عليّ، فقد يأتيني عدو أشرس منهم، وعندئذ يجاء،
يؤتى إلى الحاقدين لطلب النصرة على من هم أشدّ حقداً وشراسة

٢٨ أمان من القصاص

عُوفٍ القَوافي، وهو أموي:

اللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَوَالِدِهِ واللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَمَا وَلَدَا
اللؤم نفسه أكرم من قبيلة وبر، ومن والدعا، أي جدعا، واللؤم أكرم من أولادهم
واللؤم داءٌ لِوَبَرٍ يُقْتَلُونَ بِهِ لَا يُقْتَلُونَ بِدَاءٍ غَيْرِهِ أَبَدًا
اللؤم داء لهؤلاء القوم فهم يموتون لؤماً، ولا يموتون ميتة الكرام بالحرب مثلاً

قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَى جَانِيَهُمْ أَمِنُوا مِنْ لُؤْمِ أَحْسَابِهِمْ أَنْ يُقْتَلُوا قَوْدًا
فهم لئام أخسة، وإذا جنى الجاني منهم جناية لم يطلب أهل القتل القود، أي القصاص، لأن قدر
قبيلة وبر منقط جداً فلا يعد الرجل منهم مكافئاً لأي رجل من أي قبيلة أخرى

٢٩ الصبر بالحر أجمل

إبراهيم بن كُتَيْفِ النبهاني:

تَعَزَّ فَإِنَّ الصَّبْرَ بِالْحَرِّ أَجْمَلُ وليس على ريب الزمان مُعَوَّلُ
انس الحزن وتسل عنه، فالصبر أليق بالإنسان الحر، ولا يعول المرء على النجاة من ريب الزمان،
أي من مصائبه

فلو كان يُغْنِي أَنْ يَرَى المرءَ جَازِعاً لِحَادِثَةٍ أَوْ كَانَ يُغْنِي التَذَلُّ . .
لو كان الجزع والاضطراب لحادثة، لمصيبة، أو لو كان يغني التذلل . .

لَكَانَ التَّعَزُّيُّ عِنْدَ كُلِّ مُصِيبَةٍ وَنَائِبَةٍ بِالْحَرِّ أَوْلَى وَأَجْمَلُ
لكان الصبر للمصيبة - رغم ذلك - أولى بالحر. يقول: حتى بافتراض أن الجزع مفيد فمع ذلك
الصبر أجمل

فَكَيْفَ وَكُلٌّ لَيْسَ يَغْدُو حِمَامَةً وَمَا لِأَمْرِي عَمَّا قَضَى اللَّهُ مَزْحَلُ
فكيف والأمر غير ذلك . . فالمرء لا يتجنب حمامه، موته، وليس لأحد مزحل، أي مهرب، عن قضاء الله

٣٠ ذهب الرقاد

عُوفٍ القَوافي الفزاري في عُيُنة عندما حبسه الحجاج
(رغم أن عيُنة كان طَلَّقَ أخت عوفٍ):

ذَهَبَ الرُّقَادُ فَمَا يُحَسُّ رُقَادُ مِمَّا شَجَاكَ، وَنَامَتِ الْعُودُ
ذهب النوم عنك بسبب ما ألمك، وأما الآخرون من العواد، الزوار، فقد ناموا، فانت وحدك
صاحب المصيبة الكبرى

لَمَّا أَتَانِي عَنْ عُيَيْنَةٍ أَنَّهُ أَمْسَى عَلَيْهِ تَطَاهَرُ الْأَقْيَادِ
 ذهب نومي لما أتاني أن عينة تظاهرت عليه الأقياد، تكاثرت على جسمه القيود في السجن
 نَخَلْتُ لَهُ نَفْسِي النَّصِيحَةَ إِنَّهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ تَذْهَبُ الْأَحْقَادُ
 عندئذ نخلت له نفسي النصيحة، أعطيته نصيحة صافية كأنها منخله تنخيلاً، رغم ما بيننا من
 خصام، فعند الشدائد تذهب الأحقاد

وَذَكَرْتُ: أَيُّ فَتَى يَسُدُّ مَكَانَهُ بِالرَّفْدِ، حِينَ تَقَاصَرُ الْأَرْقَادُ
 ذكرت أنه لا يوازيه في الرد، أي العطاء، أحد، ولا يسد مسده أحد حين تقل الأعطيات
 أَمْ مَنْ يُهَيِّنُ لَنَا كَرَائِمَ مَالِهِ وَلَنَا إِذَا عُذْنَا إِلَيْهِ مَعَادُ
 ومن ذا سواه يهين لنا كرائم ماله، أي يبذل لنا الإبل الكريمة، وإن عدنا نطلب عاد للعطاء؟
 وَرَأَيْتُ فِي وَجْهِ الْعَدُوِّ شَكَاةً وَتَنَكَّرْتُ لِي أَوْجُهُ وَبِلَادُ
 بفقدان النصير رأيت في وجه العدو شكاسة، شراسة، وأحسست أن البلاد والعباد
 تنكروا لي. البيت يقفز بالمعنى عما قبله قفزاً، لهذا أغفلته روايتا التبريزي
 والمرزوقي؟ غير أننا أحببنا معناه فأخذناه عن رواية الجواليقي عن أبي ريش في
 الكتاب المطبوع بتحقيق عبد المنعم صالح وإصدار وزارة الثقافة العراقية (عمران
 القفيني يرى البيت حسن الاتصال بما قبله، فبعد حبس الصديق رأى الشاعر أن
 الأعداء اجترأوا عليه)

٣١ أنا السيف

بشر بن المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة، وقد جفاه أقرابه:

جَفَّانِي الْأَمِيرُ وَالْمُغِيرَةُ قَدْ جَفَّأَ وَأَمْسَى يَزِيدٌ لِي قَدْ ازْوَرَّ جَانِبُهُ
 تنكر لي الأمير، والمغيرة تنكر أيضاً، ويزيد قد ازور، انحرف، عني
 وَكُلُّهُمْ قَدْ نَالَ شُبْعاً لِبَطْنِهِ وَشُبُعُ الْفَتَى لَوْمٌ إِذَا جَاعَ صَاحِبُهُ
 لقد شبعوا فلم يأبهوا لي، وهذا لوم

فِيَا عَمَّ مَهْلًا وَاتَّخَذْنِي لِنَوْبَةٍ تَنُوبُ فَلِإِنْ الدَّهْرَ جَمَّ نَوَائِبُهُ
 مهلاً يا عمي، واجعلي من رجالك كي أنفعك في نوبة تنوب، مصيبة تطرأ، والدهر كثير المصائب
 أَنَا السِّيفُ إِلَّا أَنْ لِّلْسِيفِ نَبْوَةٌ وَمِثْلِي لَا تَنْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهُ
 أنا سيف، والسيف ينبو وينحرف عن الضريبة، ومثلي لا تنحرف مضاربه، أي أهدافه، وأنا معك

٣٢ تراكم المصائب

تنسب لمؤرّج بن قَيْد السّدوسي:

رُوِّعْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أَرَاكَ لَه وَبِالْمَصَائِبِ فِي أَهْلِي وَجِيرَانِي
فَجَعَنِي الزَّمَنُ بِالْبَيْنِ، بِالْفِرَاقِ، حَتَّى إِنَّنِي تَعُدْتُ وَلَمْ أَعِدْ أَجْزَعُ،
وَفَجَعَنِي بِالْمَصَائِبِ فِي الْأَهْلِ وَالْجِيرَانِ

لَمْ يَتْرِكِ الدَّهْرُ لِي عِلْقًا أَضِنُّ بِهِ إِلَّا اضْطَفَاهُ بِنَايٍ أَوْ بِهَجْرَانٍ
لَمْ يَتْرِكْ لِي الدَّهْرَ عِلْقًا، شَيْئًا ثَمِينًا، أَضِنُّ بِهِ، وَأَحَافِظُ عَلَيْهِ، إِلَّا اخْتَارَهُ بَأْنِ يَنَآيٍ وَيَبْعَدُ أَوْ بَأْنِ يَهْجُرَنِي

٣٣ تمتع بالحياة أينما كنت

وقال آخر، وذكر أنها لإبراهيم بن العباس الصولي:

لَا يَمْنَعُكَ خَفَضُ الْعَيْشِ فِي دَعَا نَزُوعُ نَفْسٍ إِلَى أَهْلٍ وَأَوْطَانٍ
لَا يَمْنَعُكَ نَزُوعُ النَّفْسِ، اسْتِيقَاقُهَا، إِلَى الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ مِنْ أَنْ تَمْتَعَ بِخَفَضِ الْعَيْشِ، الْحَيَاةَ الْهَائِثَةَ الْوَادِعَةَ
تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَلْتَ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَجِيرَانًا بِجِيرَانٍ
فَفِي كُلِّ بِلَدٍ تَحِلُّ بِهَا أَهْلٌ وَجِيرَانٌ بَدَلًا مِنْ أَهْلِكَ وَجِيرَانِكَ الْأَوَّلِينَ

٣٤ ذل اليتيمة

إسحق بن خلف:

لَوْلَا أُمِيمَةٌ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ الْعَدَمِ وَلَمْ أَجُبْ فِي اللَّبَالِيِّ حِنْدَسَ الظُّلَمِ
لَوْلَا ابْنَتِي أُمِيمَةٌ لَمْ أَخَفْ مِنَ الْعَدَمِ، الْفَقْرِ، وَلَمْ أَتَجَشَّمْ أَهْوَالَ السَّفَرِ وَجُوبَ الْفِيَا فِي حِنْدَسِ
الظُّلَمِ، فِي الْعَتَمَةِ وَالظُّلَامِ

وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي الْعَيْشِ مَعْرِفَتِي ذُلَّ الْيَتِيمَةِ يَجْفُوها ذَوُو الرِّجَمِ
تَزْدَادُ رَغْبَتِي فِي الْعَيْشِ كُلَّمَا تَذَكَّرْتُ أَنَّ الْيَتِيمَةَ تَتَعَرَّضُ لِقِسْوَةِ الْمَعَامَلَةِ مِنَ الْأَقَارِبِ

إِذَا تَذَكَّرْتُ بِنْتِي حِينَ تَنْدُبُنِي قَاضَتْ لِعَبْرَةٍ بِنْتِي عَبْرَتِي بِدَمٍ
أَتَذَكَّرُ كَيْفَ سَتَوَحَّ عَلَيَّ ابْنَتِي إِذَا مِتْ، فَتَفِيضُ عَبْرَتِي، دَمْعَتِي، مَخْلُوطَةً بِالدَّمِ... أَكْرَهَ الْمَوْتَ لِأَنَّ
مَوْتِي سَيَحْزَنُهَا

أَحَازِرُ الْفَقْرَ يَوْمًا أَنْ يُلِمَّ بِهَا فَبَيْهَتِكَ السِّتْرَ عَنْ لَحْمٍ عَلَى وَضَمٍ
أَحَازِرُ مِنَ الْفَقْرِ لِأَنَّهُ سَيَهْتِكُ سِتْرَ هَذِهِ الْبَنَتِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي لَا تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ فَكَأَنَّهَا قِطْعَةُ لَحْمٍ عَلَى
الْوَضَمِ، خَشْبَةِ الْجَزَارِ

تَهْوَى حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلَى الْحُرَمِ

أورد لو تموت ابنتي خوفاً عليها من الذل، والموت أكرم شيء يحل بالحرَم، النساء. معنى قديم
تداوله واثدو بناتهم، وظلوا يتداولونه في العصر العباسي، وظل كثير من العرب - حتى يومنا -
يشعرون بهذا الشعور نفسه

أَخْشَى فِظَاظَةً عَمَّ أَوْ جَفَاءً أَخ وَكُنْتُ أَخْشَى عَلَيْهَا مِنْ أَدَى الْكَلِمِ

كنت أخشى على بنتي الكلمة الجارحة، ولو مت فانا أخشى عليها فظاظة العم وتنكر الأخ

٣٥ أولادنا أكبادنا

حَطَّانُ بْنُ الْمُعَلَّى:

أَنْزَلَنِي الدَّهْرُ عَلَى حُكْمِهِ مِنْ شَايِخٍ عَالٍ إِلَى خَفْضٍ

جعلني الزمن أخضع لحكمه، فبعد الشموخ تطامنت نفسي وذلت للأمر الواقع

وَعَالَانِي الدَّهْرُ بِوَقْرِ الْغِنَى فَلَيْسَ لِي مَالٌ سِوَى عِرْضِي

وغالني الدهر، غدر بي، في مالي، فلم يعد لي مال سوى عرضي

أَبْكَانِي الدَّهْرُ، وَيَا رُبَّمَا أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بِمَا يُرْضِي

أبكاني الدهر، وكثيراً من أضحكني وأرضاني في الماضي

لَوْلَا بُنْيَاتٌ كَزُرْعِ الْقَطَا رُودُنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ..

لولا بناتي اللاتي كأنهن طيور القطا الزرعب، ذوات الريش الصغير، واللاتي يلتصقن ببعضهن ببعض
كتلك الفراخ استدفاء واجتلاباً للأمان..

لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ

لكان لي مضطرب، سعي، واسع في جنبات الأرض

وَأَتَمَّا أَوْلَادُنَا بَيْنَنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ

لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى بَعْضِهِمْ لَامْتَنَعَتْ عَيْنِي مِنَ الْغَمْضِ

٣٦ حديد ونشيد

لَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ أَنَّ قَوْمِي ذُووُ جِدٍّ إِذَا لَبَسَ الْحَدِيدُ

قومي جادون إذا لبسوا الدروع وحملوا السلاح

وَأَنَا نِعَمَ أَحْلَاسُ الْقَوَافِي إِذَا اسْتَعَرَ التَّنَافُرُ وَالنَّشِيدُ
ونحن أحلاس القوافي، الملازمون للقصائد كملزمة السرج أو الحلس لظهر الفرس، إذا كان
المقام مقام إنشاد وتفاخر

٣٧ الود المستريح

قال رجل من بني أسد:

وما أنا بِالنُّكْسِ الدِّنْيِيِّ وَلَا الَّذِي إِذَا صَدَّ عَنِّي ذُو الْمَوَدَّةِ أَخْرَبُ
لست بالجبان الدنيء، الحريص على الصغائر، ولا أحرب، أي أغضب، إذا صد عني وقاطني
صاحب

ولكنني إن دَامَ دُمْتُ وَإِنْ يَكُنْ لَهُ مَذْهَبٌ عَنِّي فَلِي عَنْهُ مَذْهَبٌ
إن دام الصاحب بمودته دمت له، وإن ذهب فلي عنه ذهاب ولا أتوسل طلباً لمودته

أَلَا إِنْ خَبَرَ الْوُدَّ وَدَّ تَطَوَّعَتْ بِهِ النَّفْسُ لَا وَدَّ أَتَى وَهُوَ مُنْتَعِبٌ
أحسن الود ما جاء طوعية، وليس ما اختلط بكثير من النكد

٣٨ الإكرام والافتاء

بُكَيرُ بْنُ الْأَخْنَسِ الطَّائِي يَمْدَحُ آلَ الْمُهَلَّبِ:

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَايَئاً غَرِيباً عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ مَحَلٍ
حللت ضيفاً على آل المهلب في الشتاء، والشتاء هو زمن القحط والشدّة عند أهل الصحراء
فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَاقْتِفَاؤُهُمْ وَإِلْطَافُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي
أكرموني وأحسست باقتفائهم، تفقدهم لشائي، حتى حسبتهم أهلي

٣٩ مذاهب الصعلوك

أَبُو النَّشْنَشِ، وَهُوَ مِنَ اللَّصُوصِ فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ:

وَنَائِيَةُ الْأَرْجَاءِ طَامِسَةِ الصَّوَى حَدَّثَ بِأَبِي النَّشْنَشِ فِيهَا رَكَائِبُهُ
رب صحراء نائية الأرجاء، التواحي، وطامسة الصوى، أي مطموسة المعالم... فالصوة هي
العلامة على الطريق، وفي هذه الصحراء خدت الركائب، سارت الإبل سيراً يسمى الوخيد، وعليها
أبو النشماش

لِيُكْسِبَ مَجْداً أَوْ لِيُدْرِكَ مَغْنَمًا جَزِيلاً وَهَذَا الدَّهْرُ جَمَّ عَجَائِبُهُ
أراد أن يُكسبَ قومه مجداً بمقارعة أعدائهم، أو يدرك مغنماً بسرقة إبل لقوم آخرين، فما أعجب الدهر!

وَسَائِلَةٌ بِالْغَيْبِ عَنِّي وَسَائِلٌ وَمَنْ يَسْأَلِ الصُّغْلُوكَ أَيْنَ مَذَاهِبُهُ؟
وفي غيبي يتساءلون أين ذهب، والصلعوك المشرّد لا يُسأل عن مذهب، أي الأماكن التي يذهب إليها
فلم أرَ مثلاً للفقرِ ضَاجَعَهُ الْفَتَى ولا كَسَوَادِ اللَّيْلِ أَحَقَّقَ طَالِبُهُ
لا شيء أمرٌ من الفقر يصحب الفتى حتى في فراشه،
ولا خيبة كخيبة من يخوض سواد الليل ويخفق

فَعِشْ مُعْذِمًا أَوْ مِتْ كَرِيمًا، فَإِنِّني أرى الموتَ لا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ هَارِبُهُ
عش معدماً، فقيراً، أو مت كريماً، وكلنا سيلحق به الموت

٤٠ وأحيانا على بكر أخينا

الْقُطَامِي، واسمه عُمَيْرُ التَّغْلِي:

وَمَنْ تَكُنِ الْحَضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ فَأَيُّ رَجَالٍ بِأَوِيَّةٍ نَرَانَا!
لئن أعجبت الحضارة، عيشة الحضرة، بعض الناس فبا لنا من رجال بادية!
وَمَنْ رَبَطَ الْجِحَاشَ فَإِنَّ فِينَا قَنَاءَ سُلْبًا وَأَفْرَاسًا حِسَانَا
هم يربطون الجحاش، الحمير، أمام بيوتهم، وعندنا القنا السلب، الرماح الطويلة،
والجياذ الجميلة

وَكُنْ إِذَا أَغْرَنْ عَلَى جَنَابٍ وَأَعْوَزَهُنَّ نَهَبٌ حَيْثُ كَانَا..
إذا أغارت خيلنا على قبيلة جناب ولم تجد شيئاً تنهبه..

أَغْرَنْ مِنَ الضُّبَابِ عَلَى حُلُولٍ وَضَبَّةٌ، إِنَّهُ مَنْ حَانَ حَانَا
أغارت عندئذ على قوم حلول، نازلين، بذلك المكان من «الضباب»، ونغير على قوم «ضبة» -
وضبة جزء من الضباب وهم أربع قبائل - ومن حان أجله فقد حان

وَأَحْبَانًا عَلَى بَكْرِ أَخِينَا إِذَا مَا لَمْ نَجِدْ إِلَّا أَخَانَا
وأحياناً نغير على قبيلة بكر، وهي من إخوتنا، إن لم نجد من نغير عليه سواها

٤١ كُلُّ مَا عُلِفَتْ

قال آخر، ورويت لنهشل بن حري:

لَعَمْرِي لَرَهْطُ الْمَرْءِ خَيْرٌ بَقِيَّةٌ عَلَيْهِ وَإِنْ عَالُوا بِهِ كُلَّ مَرْكَبٍ
والله إن قوم الإنسان أفضل ما يبقى على عيشته وكرامته، حتى لو أركبوه المركب الصعب، أي
حَمَلُوهُ الْمَشَقَاتِ

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ وَلَمْ تَكُ مِنْهُمْ فَكُلْ مَا عُلِفَتْ مِنْ خَبِيثٍ وَطَبِيبٍ
فإن عشت وسط قومٍ آخرين غير قومك، فكل ما علفوك خبيثاً كان أم طيباً.
والعلف طعام الحيوان

٤٢ شُبُّ الحرب

موسى بن جابر، وهو جاهلي نصراني:

وَقُلْتُ لِزَيْدٍ لَا تُتَرَتِّرْ، فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ الْمَنَايَا دُونَ قَتْلِكَ أَوْ قَتْلِي
قلت لزيد لا تترتر، لا تعجل ولا تضطرب، فهم يعلمون أنهم يواجهون الموت قبل أن يصلوا
إليك أو إليّ

فَإِنْ وَضَعُوا حَرْباً فَضَعُوهَا، وَإِنْ أَبَوْا فَعُرْضَةُ عَضِّ الْحَرْبِ مِثْلُكَ أَوْ مِثْلِي
إن وضعوا الحرب، تركوها، فاتركها،
وإن رفضوا ذلك فالجدير بالحرب والتعرض لها نحن

وَإِنْ رَفَعُوا الْحَرْبَ الْعَوَانَ الَّتِي تَرَى فَشُبُّ وَقُودِ الْحَرْبِ بِالْحَطَبِ الْجَزْلِ
فإن جعلوها حرباً متواصلة عواناً، فشب وقود الحرب بأن تزيد عليها من الحطب الجزل،
أي الصلب

٤٣ حميت حقيقتي

موسى بن جابر:

أَلَمْ تَرِبَا أَنِّي حَمَيْتُ حَقِيقَتِي وَبَاشَرْتُ حَدَّ الْمَوْتِ، وَالْمَوْتُ دُونُهَا
ألم تر يا أنني حفظت حقيقتي، أي شرفي، وواجهت الموت، والموت أهون عليّ منها، أي من
حقيقتي وشرفي

وَجُدْتُ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا وَقُلْتُ اظْمَنِّي حِينَ سَاءَتْ ظَنُونُهَا
وسخيت بنفسي الكبيرة التي لا يسخى بمثلها، وهونت الخطر على نفسي وطعانتها حين ساءت
ظنونها، وداخلها الخوف

وَمَا خَيْرُ مَالٍ لَا يَبْقِي الذَّمَّ رَبَّهُ وَنَفْسٍ أَمْرِي فِي حَقِّهَا لَا يُهَيِّنُهَا
لا خير في مال لا يحمي ربه، أي صاحبه، من الذم. ولا خير في نفس امرئ إلا إن كان يحافظ
عليها ولا يهينها في حقها

٤٤ صبرنا

الحصين بن الحُمام المُرِّي:

ولمَّا رأينا الصبرَ قد حِيلَ دُونَهُ وإن كان يوماً ذا كواكبٍ مُظْلِمًا .
لما رأينا الصبر قد حالت دونه المصاعب، وكان اليوم، واليوم، عندهم كلمة تنصرف كثيراً إلى الحرب، ذا كواكب مظلماً، كان يوم قتال مظلماً انعقد فيه الغبار فوق الرؤوس وكانت السيوف والأسنة تلمع في غباره كالكواكب .

صبرنا وكان الصبرُ مِنَّا سَجِيَّةً بِأَسْيَافِنَا يَفْطَعْنَ كَفًّا وَمِعْصَمًا
مع ذلك فقد صبرنا والصبر سجية، طبع، فينا، وراحت سيوفنا تقطع الأكف والمعاصم
نُفْلِقُ هَامَأَ مِنْ رِجَالِ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا، وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا
نفلق هاماً، رؤوساً، من رجال يعزون علينا، لكنهم كانوا عاقين ظالمين

ولمَّا رَأَيْتُ الْوُدَّ لَيْسَ بِنَافِعِي عَمَدْتُ إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَحْزَمًا
عندما رأيت الود لا ينفع عمدت إلى ما هو أقرب إلى الحزم والشدة

فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِسَبَّةٍ وَلَا مُرْتَقِيٍّ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا
لا اشتري الحياة بقبول السبة، الذم، ولا أخاف الموت فأحاول الهرب منه

٤٥ قتل الملوك وقتالها

بَشَامَةُ بْنُ حَزْنٍ:

وَلَقَدْ غَضِبْتُ لِخِنْذِفٍ وَلِقَيْسِهَا لَمَّا وَتَى عَنْ نَصْرِهَا خُذَّالَهَا
غضبت لقبائل خندف ولقيس بالذات، عندما توانى عن نصرها الذين خذلوها

دَافَعْتُ عَنْ أَعْرَاضِنَا فَمَنَعَتْهَا وَلَدِيٌّ فِي أُمَثَالِهَا أُمَثَالَهَا
دافعت عن أعراضنا فمنعت عنها الظلم، ولديٌّ مثل ذلك الدفاع كلما دعت الحاجة

إِنِّي أَمْرُؤٌ أَسِمُ الْقَصَائِدَ لِلْعَبْدَى إِنَّ الْقَصَائِدَ شَرُّهَا أَغْفَالُهَا
أنا اسمي الأعداء في قصائدي بأسمائهم لا أخشى، وشر القصائد أغفالها، ما كان الهجاء فيها
عاماً غير محدد بالاسم

قَوْمِي بَنُو الْحَرْبِ الْعَوَانِ يَجْمَعُهُمْ، وَالْمَشْرِفِيَّةُ وَالْقَنَا إِشْعَالُهَا
قومي هم الذين يصبرون للحرب العوان، المتواصلة، وإشعال هذه الحرب يكون بالمشرفية،
السيوف، وبالقنا، الرماح

مَا زَالَ مَعْرُوفًا لِمُرَّةٍ فِي الْوَعَى عَلَ الْقَنَا وَعَلَيْهِمْ إِنْهَالُهَا

بنو مرة معروفون في الحرب بعل القنا وإنهالها: والعل هو الشرب للمرة الأولى،
والنهل الشرب ثانية

مِنْ عَهْدٍ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفًا لَنَا أَسْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقَتَالُهَا

الملك في الجاهلية الزعيم القبلي المعروف، وكانت لفظة الملك في العهد العباسي تطلق على الأمير أو الوالي المتصرف في شؤون منطقته، دون أن تعني الحاكم المستقل عن الخلافة

٤٦ ليموتوا غيظاً

إِنْ يَخْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا

فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ

ليدم ما بي من الرفعة، وليدم ما بهم من الحسد، وليمت أكثرنا غيظاً، وهم وحدهم من يشعرون
بالغيظ، بما يجد في صدره

٤٧ عدوى الحرب

الشَّرُّ يَبْدَأُهُ فِي الْأَصْلِ أَصْفَرُهُ وَلَيْسَ يَصْلَى بِنَارِ الْحَرْبِ جَانِبُهَا

وَالْحَرْبُ يَلْحَقُ فِيهَا الْكَارِهُونَ كَمَا تَذْنُو الصَّحَاخُ إِلَى الْجَرَبِيِّ فَتُعْذِبُهَا

الكارهون للدخول في الحرب يجبرون أخيراً على دخولها، فكانهم يصابون بعدوى الحرب، كما
تصاب الإبل الصحيحة بالجرب لمجاورتها الإبل الجربى

٤٨ الحب الممزوق

أُبَيُّ بْنُ حُمَامٍ الْمُبْسِي:

وَلَسْتُ بِهَبَّابٍ لِمَنْ لَا يَهَابُنِي وَلَسْتُ أَرَى لِلْمَرْءِ مَا لَا يَرَى لِيَا

لا أهاب من لا يهابني، ولا أرى لأحد من واجب الاحترام ما لا يرى لي عليه

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُحِبِّبْكَ إِلَّا تَكْرُهَا عِرَاضَ الْعُلُوقِ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ بَاقِيَا

إذا أحبك المرء تكرهاً، مع بعض كراهية، عراض العلوق، والعلوق الناقة تحب
ولدها فإذا جاء يرضع اعترضته وأبعدته عنها، فإن مثل هذه المحبة لا تدوم. وعند
الألمان كلمة «هاس ليه» ومعناها «الحب - الكره» وهي أن يكون المرء في حبه إياك
حالاتياً، تراه حيناً وكأنه كاره إياك، وحيناً كأنه محب. ولعل شاعرنا قد فسر في بيته
الأول جانباً من السبب العميق لمثل هذا النوع من الشعور، فالذي يمارس عليك
«الحب - الكره» ربما يريدك أن ترى له من الفضل ما لا يرى لك. . . يريد ترويضك
على أن تكون تابعاً له لا صديقاً

٤٩ صعلوك وصعلوك

عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ، الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ الصَّلُوكُ:

أَقْلِي عَلَيَّ اللَّوْمَ يَا ابْنَةَ مُنْذِرٍ وَنَامِي، فَإِنْ لَمْ تَشْتَهِي النَّوْمَ فَاسْهَرِي
قَلْبِي لَوْمَكَ يَا امْرَأَتِي وَنَامِي، أَوْ إِنْ شِئْتَ فَاسْهَرِي وَلَكِنْ، بَلَا لَوْمَ

ذَرِينِي أَطْوَفَ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّنِي أَخْلِيكَ، أَوْ أَغْنِيكَ عَنْ سُوءِ مَحْضَرٍ
اتركيني أذرع البلاد لعلي أموت فأخلي سبيلك،
أو أحقق الثروة فأحميك من سوء المحضر بين الناس

لَحَا اللَّهُ صُغْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصَافِي الْمُشَاشِ أَلْفًا كُلَّ مَجْزَرٍ
لعن الله صعلوكاً، أي بدوياً مشرداً مخلوعاً من قبيلته، إذا جنه، أي ستره، الليل ذهب ينتقي
المشاش، العظم والغضاريف، مرتاداً أمكنة ذبح الماشية

يَعُدُّ الْغَنَى مِنْ نَفْسِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مُبَسَّرٍ
وهو يعتبر نفسه قد حقق الغنى إذا أصاب قرى ليلته، نال طعام ضيف، عند صديق ذي مال

يُعِينُ نِسَاءَ الْحَيِّ مَا يَسْتَعِينُهُ وَيُمْسِي طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ الْمُحْسَرِ
وهذا الصعلوك الذليل يقعد بين نساء الحي يساعدن في شؤون البيت، ويأتي عليه المساء طليحاً،
أي متعباً، كالبعير المحسر، أي المرهق

وَلَكِنْ صُغْلُوكًا صَفِيحَةً وَجْهِهِ كَضَوْءِ شِهَابٍ الْقَابِسِ الْمُتَنَوِّرِ ..
ولكن الصعلوك الذي يكون وجهه مشرقاً كأنه الشهاب، شعلة النار، الذي يأخذه القابس المتنور،
الذي يقبس ناراً لكي ينير بها موضعه ..

مُطْلَأًا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ بِسَاحَتِهِمْ زَجَرَ الْمَنِيحِ الْمُشْهَرِ ..
.. هذا الصعلوك الذي يقترب من مضارب الأعداء فيصرخون به ليعتد، فيعتد عدواً كأنه سهم
المقاومة الذي يرمى بقوة، والمنيح من أسهم القمار عند القدماء ..

إِذَا بَعُدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ تَشَوُّفُ أَهْلِ الْغَائِبِ الْمُتَنَظِّرِ ..
.. إذا ابتعد القوم عن مضاربهم لا يأمنون أن يعود الصعلوك ويقترب كي ينال منهم ويسرق من
إبلهم، فهم مترقبون له ترقب أهل الغائب لعودته ..

فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَ الْمَنِيَّةَ يَلْقَاهَا حَمِيدًا، وَإِنْ يَسْتَعْنِي يَوْمًا فَأَجْدِرِ
هذا الصعلوك إن لقي حتفه فهو يموت غير مذموم، وإن اغتنى فما أجدره بالغنى

٥٠ المعوج والمستقيم

قيس بن زهير يذكر مقتل خديفة وحمل ابني بدر الفزاريين:

تَعَلَّمُ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيِّتٌ عَلَى «جَفْرِ الْهَبَاءَةِ» لَا يَرِيمُ
تَعَلَّمْ، أَيِ اعْلَمْ، أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيِّتٌ فِي مَوْضِعِ جَفْرِ الْهَبَاءَةِ مَاكُثَ هُنَاكَ لَا يَرِيمُ، لَا يَفَارِقُ

وَلَوْلَا ظُلْمُهُ مَا زِلْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا طَلَعَ النُّجُومُ
لَوْلَا أَنَّهُ كَانَ ظَالِمًا لَبَكَيْتُ عَلَيْهِ طُولَ الدَّهْرِ وَمَا دَامَتِ النُّجُومُ تَطْلُعُ

وَلَكِنِ الْفَتَى حَمَلَ بَنَ بَدْرٍ بَغَى وَالْبَغْيُ مَرْتَعُهُ وَخَيْمٌ
لَكِنِ حَمَلَ بَنَ بَدْرٍ هَذَا بَغَى وَظَلَمَ، وَالْبَغْيُ مَرْتَعُهُ وَخَيْمٌ، عَاقِبَتُهُ سَيِّئَةٌ..

أَظُنُّ الْجَلِمَ دَلَّ عَلَيَّ قَوْمِي وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ
أَظُنُّ أَنَّ حَلِمِي دَلَّ عَلَيَّ قَوْمِي، جَعَلَهُمْ يُدُلُّونَ عَلَيَّ وَيَتِمَادُونَ؛ وَالْحَلِيمُ قَدْ يَسْتَجْهَلُ، يَجْعَلُهُ النَّاسُ
جَاهِلًا مَتَهَوِّرًا مُؤْذِيًا بِتِمَادِيهِمْ فِي إِيْذَانِهِ

وَمَارَسْتُ الرِّجَالَ وَمَارَسُونِي فَمُعَوِّجٌ عَلَيَّ وَمُسْتَقِيمٌ
عَرَفْتُ الرِّجَالَ وَعَجَنْتَهُمْ، وَعَرَفْتُ الْمُسْتَقِيمَ وَالْمُعَوِّجَ مِنْهُمْ

٥١ وصف الحرب

عبد الشَّارِقُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى الْجُهَنِيُّ الْجَاهِلِيُّ، وَهِيَ مِنَ الْمُنَصَفَاتِ،
لأنَّهَا أَنْصَفَتِ الْعَدُوَّ وَمَدَحَتْ شَجَاعَتَهُ:

وَأَرْسَلْنَا أَبَا عَمْرٍو رَجِيئًا فَقَالَ أَلَا انْعَمُوا بِالْقَوْمِ عَيْنَا
أَرْسَلْنَا أَبَا عَمْرٍو رَجِيئًا، مُسْتَظْلَمًا خَيْرَ الْعَدُوِّ، فَقَالَ: لَتَقْرَ عَيْنُكُمْ، فَلَا خَطَرَ لَكُمْ

وَدَسُّوا فَارِسًا مِنْهُمْ عِشَاءً فَلَمْ نَغْدِرْ بِفَارِسِهِمْ لَدِينَا
وَبَعَثُوا بِفَارِسٍ إِلَى مَعَاكِرِنَا فَلَمْ نَغْدِرْ بِهِ

فَنَادَوْا يَا لِبُهَّةٍ إِذْ رَأَوْنَا فَقُلْنَا أَحْسِنِي ضَرْبًا جُهَيْنَا
نَادَوْا بِبَدَأِ الْحَرْبِ بِاسْمِ قَبِيلَتِهِمْ بُهَّةً، فَنَادَيْنَا بِاسْمِ قَبِيلَتِنَا جُهَيْنَةً

سَمِعْنَا دَعْوَةً عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ فَجُلْنَا جَوْلَةً ثُمَّ ارْعَوَيْنَا
سَمِعْنَا نَدَاءً مِنْ مَكَانٍ لَا نَرَاهُ، فَجُلْنَا بِالْخَيْلِ جَوْلَةً ثُمَّ ارْعَوَيْنَا،
رَاجِعِينَ أَنْفُسَنَا، تَوَقَّفْنَا عَنِ الْقِتَالِ

فَلَمَّا أَنْ تَوَاقَفْنَا قَلِيلًا أَنْخَا لِلْكَلاَجِلِ فَارْتَمَيْنَا

وتواقفنا، وقف قومنا إزاء قومهم، ثم أنخنا الإبل للكلاكل، لصدورها، وأخذنا نترامى بالسهام عن بعد

فَلَمَّا لَمْ نَدَعْ قَوْسًا وَسَهْمًا مَشِينَا نَحْوَهُمْ وَمَشَوْا إِلَيْنَا

فلما فرغت الكنان من السهام مشينا نحوهم ومشوا إلينا

تَلَالَوْ مُرْنَةً بَرَقَتْ لِأُخْرَى إِذَا حَجَلُوا بِأَسْيَافٍ رَدَيْنَا

كاننا غيمة تبرق لغيمة أخرى أمامها لما بأيدينا من سيوف تلمع: فهم يحجلون بسيوفهم، يسمعون هرولة، ونحن نردي، نسعى جرياً

شَدَدْنَا شِدَّةً فَقَتَلْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثَةً فَنَبِيَّةٌ وَقَتَلْتُ قَيْنًا

هجمنا، فقتلت منهم ثلاثة وقتلت قيناً، أي عبداً

وَشَدُّوا شِدَّةً أُخْرَى فَجَرُّوا بِأَرْجُلٍ مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُوفِنَا

وهجموا فجروا أرجل ثلاثة منا، ورموا «جوين»

وَكَانَ أَخِي جُوفِيْنَ ذَا حِفَاطٍ وَكَانَ الْقَتْلُ لِلْفَتَيَانِ زَيْنَا

كان أخي جوين ذا محافظة على الشرف، والقتل لا يعيب الفتى بل يزيه

فَأَبَّوْا بِالرَّمَاكِ مُكْسَّرَاتٍ وَأَبْنَا بِالسُّيُوفِ قَدْ انْحَنَيْنَا

فرجموا برماحهم وقد انكسرت فينا، ورجعنا بسيوفنا وقد انحنيت لكثرة الضرب فيهم

٥٢ الإخفاق المقبول

عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ الْعَبْسِيُّ:

وَمَنْ بَكَ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتِرًا مَنِ الْمَالِ يَطْرُخُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ

من كان مثلي ذا عيال ومقتراً، أي فقيراً، فهو يعرض نفسه لكل المخاطر

لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يَنَالَ رَغْبَةً وَمُبْلَغُ نَفْسٍ عُذْرُهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ

حتى يكون له العذر أمام عائلته إن أخفق، أو ينال رغبة، ناجحاً، ومن سعى فأخفق فنال عذراً وتجنب اللوم كان كمن نجح

٥٣ شاعر القبيلة

هُدْبَةُ بْنُ خَشْرَمٍ الشَّاعِرُ الْإِسْلَامِيُّ:

وَإِنِّي مِنْ قُضَاعَةٍ مَنْ يَكِذُّهَا أَكِذُّهُ، وَهِيَ مِنِّي فِي أَمَانٍ

سأؤذي من يؤذي قبيلتي قضاة، وهي في أمان مني فأنا لا أؤذيها

ولست بِشَاعِرِ السَّفْسَافِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مِذْرَةُ الْحَرْبِ الْعَوَانِ
ولست شاعر السفاف، الأبيات الركيكة، بل مدره الحرب العوان، بطل الحرب الطويلة
سَاهَجُوا مَنْ هَاجَهُمْ مِنْ سِوَاهُمْ وَأَعْرِضُ مِنْهُمْ عَمَّنْ هَاجَنِي
أهجو من هجاهم، وأما إذا هجاني أحد منهم فأنا أتجاهله

٥٤ في الرأس أكثرني

الشَّنْفَرَى الْأَزْدِي الشَّاعِرُ الْجَاهِلِي الصَّلُوكُ:

وَلَا تَقْبُرُونِي إِنْ قَبِرِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرٍ
لا تدفنونني فقبري، أي دفني، محرم عليكم، ولكن أبشري بالطعام يا أم عامر، وأم عامر هي
الضبيح .. يريد أن تاكل الضباع جسمه عندما يقتل

إِذَا احْتَمَلُوا رَأْسِي فِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي وَغُوِذِرَ عِنْدَ الْمُلتَقَى ثَمَّ سَائِرِي..
أبشري أيتها الضبيح إذا حمل الأعداء رأسي بعد قتلي، وفي رأسي كل الحواس، وترك سائر
جسمي عند موضع المعركة ..

هُنَالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةً تَسْرُنِي سَجِيسَ اللَّيَالِي مُبْسَلًا بِالْجَرَاثِرِ
في ذلك الموقف لا أرجو حياة تسرني أصلاً لأنني سجين الليالي، طول الدهر، سأظل مبسلاً
بالجراثير، معرضاً للخذلان والتسليم للأعداء بسبب جراثيري، أي جرايمي

٥٥ أنا ابن قيس لا براح

سعد بن مالك الشاعر الجاهلي، وقيل هو جد طرفة بن العبد:

يَا بُؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ أَرَاهُطَ فَاسْتَرَاخُوا
ما أسوأ الحرب التي وضعت أراهط، أذلت قوماً، فاستراحوا منها وبقي عليهم الذل

كَشَفْتُ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاخُ
كشفت الحرب عن ساقها لهم، وكأنهم جعلوا كشف الساق للحرب لأنهم هم يرفعون أنوابهم
ويشمرون للحرب .. وبدا من الشر الصراخ؛ الواضح الحقيقي

صَبْرًا بَنِي قَيْسٍ لَهَا حَتَّى تُرِيحُوا أَوْ تُرَاخُوا
يا ليلة طالَتْ عَلَيَّ - تَفْجُعًا، فَمَتَى الصَّبَاحُ؟

هِيَ هَاتِ حَالِ الْمَوْتِ دُونَ الْقَوَاتِ وَأَنْتُضِي السِّلَاحُ

حال الموت دون القوت والنجاة، وسل القوم السيوف

كَيْفَ الْحَيَاةُ إِذَا خَلَّتْ مَنَا الظُّلُوهَرُ وَالْبِطَاحُ

كيف تكون الحياة إذا خلت بموتنا الظواهر، النواحي، والبطاح، الأراضي المنخفضة

أَيِّنَ الْأَعِزَّةِ وَالْأَسِنَّةِ - عُنْدَ ذَلِكَ وَالسَّمَا حُ

عندئذ يذهب القوم الأعزة الذين يحملون الرماح ذوات الأسنة، ويذهب السماح والكرم

مَنْ صَدَّ عَنْ نَيْرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَا حُ

فلئن صد بعض الناس عن الحرب فانا ابن قيس لا برح، لا أتراجع ولا أعادر موقف الشرف

٥٦ الأخوال

غسان بن وعلة أحد بني مرة بن عباد، ويقال: إنها للنَّيِّر بن تَوْلَب:

إِذَا كُنْتَ فِي سَعْدٍ وَأَمُّكَ مِنْهُمْ غَرِيباً فَلَا يَغْفِرُكَ خَالُكَ مِنْ سَعْدٍ

إذا كنت مقيماً عند أخوالك بني سعد غريباً، فلا تغتر بالأخوال

فَإِنَّ ابْنَ أَخْتِ الْقَوْمِ مُصْغَىٰ إِنَاؤُهُ إِذَا لَمْ يُزَاحِمْ خَالَهُ بِأَبٍ جَلْدٍ

فابن الأخت إنناؤه مصغى، مائل... كناية عن الذلة، إذا لم يزاحم خاله بأب جلد، شجاع.

المعنى أن الرجل عند أخواله لا يكون موضع ترحيب إلا إن كان نسبه لأبيه عزيزاً،

فعندئذ يكرمه أخواله

٥٧ أنزل قيساً بالهوان

بعض بني جُهينة، في وقعة كانت لكلب وفزارة:

أَلَا هَلْ أَتَى الْأَنْصَارَ أَنَّ «ابْنَ بَحْدَلٍ حُمَيْدًا» شَفَا كَلْبًا فَقَرَّتْ عُيُونُهَا

انتقم حميد بن بحدل لقبيلة كلب فقرت عيونها، فُسِّرَتْ بذلك

وَأَنْزَلَ قَيْسًا بِالْهَوَانِ وَلَمْ تَكُنْ لِتُقْلِعَ إِلَّا عِنْدَ أَمْرِ يُهَيِّئُهَا

وأذل قيساً، وما كانت لتكف عن ظلمها إلا إذا أُذِلَّتْ

فَقَدْ تُرِكَتْ قَتَلَىٰ حُمَيْدِ بْنِ بَحْدَلٍ كَثِيرًا ضَوَاحِيهَا قَلِيلًا دَفِنُهَا

تُرك الذين قتلهم حميد هذا ضاحين، معرضين للشمس بالعراء، وقليل منهم من قد دفن

فَإِنَّا وَكَلْبًا كَالْيَدَيْنِ مَتَى تَقَعَ شِمَالُكَ فِي الْهَيْجَا تُعْنِهَا يَمِينُهَا

فنحن وقبيلة كلب كاليدين متى تقَعَ شِمَالُكَ في الهيجَا تُعْنِهَا يَمِينُهَا

٥٨ ويحب ناقتها بعيري

وقال المنخل بن الحارث الشُّكْرِي الشاعر الجاهلي القديم:

إِنْ كُنْتُ عَاذِلْتِي فَسِيرِي نَحْوَ الْعِرَاقِ وَلَا تَحُورِي

إِنْ كُنْتُ لَانِمَةً لِي فَسِيرِي نَحْوَ الْعِرَاقِ وَلَا تَحُورِي، لَا تَرْجُمِي

لَا تَسْأَلِي عَنِ جُلٍّ مَا لِي، وَأَنْظُرِي كَرَمِي وَخَيْرِي

لَا تَسْأَلِي عَنِ مَالِي وَمَا بَقِيَ مِنْهُ، وَأَنْظُرِي إِلَى كَرَمِي، شَرَفِي، وَسَخَانِي

وَقَوَارِسٍ كَأَوَارٍ حَرٍّ - النَّارِ أَخْلَاسِ الذُّكُورِ

ورب قوارس، فرسان، كأنهم لهيب النار، وهم أخلاص الذكور أي ملازمون للسيوف. والسيوف الذكر ما كان حده من حديد «ذكر» ومنته من حديد «أنث». قال صاحب «التاج» إن الحديد الذكر أبيض الحديد وأجوده وأشدّه

شَدُّوا دَوَابِرَ بَيْضِهِمْ فِي كُلِّ مُحْكَمَةِ الْقَتِيرِ

شدوا دوابر بيضهم، مؤخر خوذاتهم، بقفا الدروع بالقتير المحكم، بالمسامير المثبتة بقوة

وَأَسْتَلُّمُوا وَتَلَبَّبُوا إِنْ التَّلَبَّبُ لِلْمُغِيرِ

استلاموا، لبسوا اللامات وهي الدروع، وتلببوا، أي تحزموا، كي يشنوا الغارة

وَعَلَى الْجِيَادِ الْمُضْمَرِ تِ قَوَارِسٍ مِثْلُ الصُّقُورِ

فوق الخيل المضمرة، التي رُكِبَتْ كي تنحل ويقوى عضلها، قوارس متأهبون مثل الصقور

يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الْغُبَا رِ يَجْفَنَ بِالنَّعَمِ الْكَثِيرِ

تخرج الخيل من وسط الغبار، ويجفن، يسرعن، بالإبل الكثيرة. . فقومه سارِقو إبل

أَقْرَزْتُ عَيْنِي مِنْ أَوْلَى إِلَيْكَ وَالْفَوَائِحِ بِالْعَبِيرِ

سعدت بقومي أولئك، وسعدت بالنساء اللاتي يفوح منهن العبير

يَرْفُلْنَ فِي الْمِسْكِ الذُّكْيِ - وَصَائِكَ كَدَمِ النَّحِيرِ

يمشين وحولهن غمامة من ريح المسك، وعليهن الصائك، الزعفران اللاصق بهن المشبه في لونه دم البعير النحير، أي المنحور المذبوح

وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الْفَتَاةِ الْخِذْرِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ

دخلت خدر الفتاة، أي الموضع المغطى بستر داخل الخيمة المخصص للنساء، في يوم مطير

أَلْكَاعِبِ الْحَسَنَاءِ تَرُ فُلُ فِي الدَّمَقْسِ وَفِي الْحَرِيرِ

الكَاعِب، الفتاة التي برز ثدياها، التي تتبختر وهي ترتدي الدمقس، أي الحرير الأبيض

فَدَفَعْتُهَا فَتَدَأَفَتْ مَشَى الْقَطَاةُ إِلَى الْغَدِيرِ

القطاة: طائر. ويبدو أنه يسير إلى الماء متبخراً

وَلِئِمْتُهَا فَتَنَقَّسَتْ كَتَنَفُسِ الظُّبْيِ الْغَرِيرِ

لئمتها، قبلتها، فتفتست كأنها الظبي الغرير، الصغير

فَدَنَتْ وَقَالَتْ يَا مُنَحَّ - لُ مَا بِجِسْمِكَ مِنْ حَرُورٍ؟

كأنها أحست أن جسمه حار

مَا شَفَّ جِسْمِي غَيْرُ حُبٍّ - لِكَ، فَاهْدَنِي عَنِّي وَسِيرِي

ما شف جسمي وبراء غير حبك، فاهدني

يَا رَبِّ يَوْمَ لِلْمُنَحَّ - لِي قَدْ لَهَا فِيهِ قَصِيرِ

لها: من اللهو

وَأَحْبُبُّهَا وَتُحِبُّنِي وَحُبُّ نَاقَتَهَا بِمَعِيرِي

يَا هِنْدُ مَنْ لِمُتَيِّمٍ يَا هِنْدُ لِّلْعَانِي الْأَسِيرِ

العاني: الأسير

وَلَقَدْ شَرَبْتُ مِنَ الْمُدَا مَةَ بِالصَّغِيرِ وَبِالْكَبِيرِ

شرب من الخمر بالقدح الصغير والكبير

فَإِذَا انْتَشَيْتُ فِلِئْنِي رَبُّ الْخَوَزَنِيِّ وَالسُّدِيرِ

إذا انتشيت، أي سكرت، حبت نفسي رب، أي صاحب، قصري الخورنق والسدير بالحيرة

وَإِذَا صَحَوْتُ فِلِئْنِي رَبُّ الشُّوْهَةِ وَالْبَعِيرِ

وإذا صحوت عدت صاحب الشاة والجمال لا غير

٥٩ ولكنه لم يطر

أُبَيِّ بْنِ سُلَيْمٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ زُبَّانِ الضَّمِي:

وَخَيْلٍ تَلَا فَيَتْ رِيْعَانَهَا بِمِجْلَزَةِ جَمَزَى الْمُدَخَّرِ

رب خيل تلافيت ريعانها، سبقَتْ أوائلها وفئتها، بفرس عجلزة، صلبة، جمزى المدخر، سريعة

تُدَخَّر قوتها للوقت المناسب كي تجري فتسبق

سَبُوحٍ إِذَا اعْتَرَضَتْ بِالْعِنَانِ مَرْوُحٍ مُلْمَلَمَةٍ كَالْحَجَرِ
سبوح، سريعة، إذا لوت رأسها بالعنان، أي الرسن، فهي مروح، أي تمرح، وهي مللملة
كالحجر، لعلها تتطلق بسرعة كما الحجر!

فَلَوْ طَارَ ذُو حَافِرٍ قَبْلَهَا لَطَارَتْ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَطِرْ
لو كان أي ذي حافر، أي فرس، قد طار قبلها لطارت، لكنه - بالمناسبة - لم يطر. هل يريدنا
الشاعر أن نضحك مثلاً.. غريبة هذه الفكاهة على الشعر القديم

٦٠ بثري

سينان بن الفحل من طيء وهو أموي:

وَقَالُوا قَدْ جُنِنْتَ، فَقُلْتُ كَلًّا وَرَبِّي مَا جُنِنْتُ وَلَا انْتَشَيْتُ
انتشيت: سكرت

وَلَكِنِّي ظَلِمْتُ فِكِدْتُ أَبْيَ مِنْ الظُّلْمِ الْمُبَيِّنِ أَوْ بَكَيْتُ
فَلِإِنَّ الْمَاءَ مَاءَ أَبِي وَجَدِّي وَيُسْرِي ذُو حَفَرْتُ وَذُو طَوَيْتُ
هذه التي اغتصبوها بثري التي حفرتها والتي طويتها، أي زنتها بالحجارة. و«ذو» في لغة قبيلة
طيء معناها التي أو الذي

٦١ جيش تسجد له الجبال

إياس بن مالك الطائي:

سَمَوْنَا إِلَى جَيْشِ الْحَرُورِيِّ بَعْدَمَا نَنَافَرُهُ أَعْرَابُهُمْ وَالْمُهَاجِرُ
سمونا، صعدنا وتصدينا، لجيش الحروري، الخارجي المقيم بقرية حروراء، بعد أن أخذ الأعراب
والمهاجرون من سكان الحواضر ينثرون بعضهم بعضاً منه..

بِجَمْعٍ تَظَلُّ الْأَكْمُ سَاجِدَةً لَهُ وَأَعْلَامُ سَلَمَى وَالْهَضَابُ النَّوَادِرُ
تصدينا له بجيش يصعد الأكم، التلال، فكأنها تسجد تحت زحفه، ويصعد أعلام سلمى، قمم
جبل سلمى، ويصعد الهضاب النوادر، النادة الناتئة

فَلَمَّا ادَّرَكْنَاهُمْ وَقَدْ قَلَصَتْ بِهِمْ إِلَى الْحَيِّ خُوصٌ كَالْحَيِّ ضَوَايِرُ .
عندما لحقنا بهم وقد قلصت، أي أسرع، بهم إبل خوص، ضيقة العيون، كأنها الحني،
الأقواس لضمورها ونحولها..

أَنَحْنَا إِلَيْهِمْ مِثْلَهُنَّ، وَزَادْنَا جِيَادَ السِّبْوَفِ وَالرَّمَاحِ الْخَوَاطِرُ
أنحنا إبلنا المشابهة لإبلهم في النحول، وكانت عدتنا السيوف الجيدة والرماح الخواطر، التي
تتحرك جيئة وذهاباً

كَلَّا ثَقَلَيْنَا طَامِعٌ بِغَنِيمَةٍ وَقَدْ قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَا هُوَ قَادِرٌ
كلا ثقلينا، أي جيشينا، طامع بالانتصار ونيل الغنائم، والأمر لله بعد ذلك

فَلَمْ أَرْ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ سَالِبًا وَمُسْتَلَبًا سِرْبَالَهُ لَا يُنَاكِرُ
فلم أر يوماً أكثر من ذلك اليوم من حيث عدد السالبيين، الآخذين عتاد ولباس صرعاهم،
والمسلوبين القتلى الذين تسلب ثيابهم ولا يعترضون على ذلك لأنهم موتى

وَأَكْثَرَ مِنَّا يَافِعًا يَبْتَغِي الْعِلَا يُضَارِبُ قِرْنًا دَارِعًا وَهُوَ حَاسِرُ
ولم أر أكثر من الشبان اليافعين في جيشنا الذين يريدون من المعركة اكتساب المجد، فالواحد
منهم يضارب، أي يبارز بالسيف، قرناً دارعاً، خصماً يلبس درعاً، بينما هو حاسر، لا درع عليه

فَمَا كَلَّتِ الْأَيْدِي وَلَا اِنْتَاطَرَ الْقَنَا وَلَا عَثَرَتْ مِنَّا الْجُدُودُ الْعَوَائِرُ
لم تعب الأيدي، ولا انطأ القنا، لم تنثني الرماح، ولا عثرت جدودنا، ما انتكست حظوظنا

٦٢ لَتْنَهَى الْقَبَائِلُ جَهَالَهَا

عُبَيْدُ بْنُ مَأْوِيَةَ الطَّائِي:

أَلَا حَيٍّ لَيْلَى وَأَطْلَالَهَا وَرَمَلَةَ رَيًّا وَأَجْبَالَهَا
يرسل تحيته إلى المحبوبة وإلى أطلال منازل قومها، وإلى مكان محبوبه أخرى هي ريا

وَأَنْعِمَ بِمَا أَرْسَلْتَ بِأَلَهَا وَنَالَ التَّحِيَّةَ مَنْ نَالَهَا
ويا لحظ من تعطيه المحبوبة انتباهها، ولمن ينال منها تحية. هذا هو المعنى الملموح

فَلِإِنِّي لَذُو مِرَّةٍ مُرَّةٍ إِذَا رَكِبْتُ حَالَةً حَالَهَا
أنا صاحب مرّة، قوة، مرّة صعبة على العدو عندما تختلط الأمور

أَقْدَمُ بِالزَّجْرِ قَبْلَ الْوَعِيدِ لَتْنَهَى الْقَبَائِلُ جَهَالَهَا
أبدأ بالزجر، التحذير القاسي، ثم الوعيد، التهديد، كي تنهى القبائل جهالها، أي المتهورين من
أبائنا عن أفعالهم

وَقَافِيَةٍ مِثْلَ حَدِّ السَّنَا نِ تَبْقَى وَيَذْهَبُ مَنْ قَالَهَا
ورب قافية، لعله يقصد بيتاً، قوية فعالة كأنها حد السنان الذي في رأس الرمح، وهي من الخوالد
اللاتي يبقين بعد موت الشاعر

تَجَوَّدْتُ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ قَرَاهَا وَتَسْعِينَ أَمْثَالَهَا
وقد قلت في مجلس واحد تسعين بيتاً جيداً. كذا المعنى الملموح

٦٣ نشتم بالأفعال

معبد بن علقمة:

وُعُيِّبْتُ عَنْ قَتْلِ الْحَتَاتِ وَلَيْتَنِي شَهِدْتُ حُتَاتاً يَوْمَ ضُرَجَ بِالدِّمِ
كنت غائباً عند مقتل الحتات، وليتني شهدت حين ضرج بالدم قتلاً

وَفِي الْكَفِّ مِنِّي صَارِمٌ ذُو حَقِيقَةٍ مَتَى مَا يُقَدَّمُ فِي الضَّرِيبَةِ يُقَدَّمُ
في يدي سيف صارم قاطع، ذو حقيقة، أي ذو شرف، إذا كان متقدماً نحو الضريبة، الهدف، فهو
صائب لا ينحرف

فَيَعْلَمَ حَيًّا مَالِكٌ وَلَفِيفُهَا بِأَنْ لَسْتُ عَنْ قَتْلِ الْحَتَاتِ بِمُحْرَمٍ
ليتني شهدت ذلك اليوم حتى تعلم عشيرة مالك ولفيفها، أتباع تلك القبيلة، أنني لست متمتعاً عن
قتل الحتات ولا هائباً الاشتراك في دمه

فَقُلْ لِزُهَيْرٍ إِنْ شَتَمْتَ سَرَاتِنَا فَلَسْنَا بِشَتَامِينَ لِلْمُتَشَتِّمِ
قل لزهير: إن شتمت ساداتنا، فنحن نرفع أنفسنا عن الرد بالشتم

وَلَكِنَّا نَأْبَى الظَّلَامَ، وَنَعْتَصِي وَنَعْتَصِي بِكُلِّ رَقِيقٍ الشُّفْرَتَيْنِ مُصَمِّمِ
لكننا نأبى الظلم، ونعتصي، نمتنع ونحتمي، بكل سيف رقيق الحدين، قاطع

وَتَجْهَلُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأْيُنَا وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالنَّكَلِ
أيدينا تجهل، تنهور، ولكن رأينا حلیم، وشتما يكون بالفعل لا بالكلام

وَإِنْ التَّمَادِي فِي الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا بِكَفِّكَ، فَاسْتَخِرْ لَهُ أَوْ تَقَدَّمْ
والآن فإن التماذي في الذي كان بيننا أصبح بيدك، فلما أن تراجع ولما أن تتقدم

٦٤ اصطيات العدو

أوس بن حنّاء:

إِذَا الْمَرْءُ أَوَّلَاكَ الْهَوَانَ فَأُولِهِ هَوَاناً وَإِنْ كَانَتْ قَرِيباً أَوَاصِرُهُ

إذا منحك شخص الهوان، الانتقاص من قدرك فبادله بمثل ما فعل، حتى وإن كانت أواصره،
العلاقات معه، قريبة

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى أَنْ تُهَيِّئَهُ فَذَرُهُ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي أَنْتَ قَادِرُهُ

إن لم تقدر على إهانتته فاتركه إلى اليوم الذي تقدر فيه على ذلك

وَقَارِبْ إِذَا مَا لَمْ تَكُنْ لَكَ حِيلَةٌ وَصَمِّمْ إِذَا أَيْقَنْتَ أَنَّكَ عَاقِرُهُ

قارب، أي كن قريباً منه مراقباً إياه، إن لم تكن لك حيلة، طريقة، عليه. فإذا أيقنت أنك قادر على عقره، ذبحه، فصمم وأقدم بقوة

٦٥ اللين اللفظ

سعد بن ناثيب المازني:

تُفَنِّدُنِي فِيمَا تَرَى مِنْ شِرَاسَتِي وَشِدَّةِ نَفْسِي أَمْ سَعْدٍ وَمَا تَدْرِي

تفندني، وتسفه رأيي، أم سعد لما تراه من شراستي وشدتي، وهي لا تدري حقيقة أمري

فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرِيمَ وَإِنْ حَلَا لِيُلْفَى عَلَى حَالٍ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ

قلت لها إن الكريم، حتى وإن كان أخلاقه حلوة سمحة، فهو يرى في وضع آخر وطباعه أمر من نبات الصبار

وَفِي اللَّيْنِ ضَعْفٌ وَالشَّرَاسَةُ هَيْبَةٌ وَمَنْ لَمْ يُهَبَّ يُحْمَلْ عَلَى مَرْكَبٍ وَغَيْرِ

اللين فيه ضعف، والشراسة تعزيز للهبة، ومن لم يجعل الناس يهابونه فسوف يكون وضعه صعباً كمن ركب بعيراً شكساً

وَمَا بِي عَلَى مَنْ لَانَ لِي مِنْ قَطَاظَةٍ وَلَكِنِّي فَظٌّ أَبِيٌّ عَلَى الْقَسْرِ

من لان لي فلست معه فظاً، ولكنني فظ على من يريد أن يقسرنِي، يجبرني على الأمور

أُقِيمُ صَخَا ذِي الْمِيلِ حَتَّى أَرُدَّهُ وَأَخْطِئُهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَى الْقَدْرِ

أقيم، أي أعدل، صخا، أي ميل، المائل وأعيده إلى صوابه، وأخطمه، أي أربطه بحبل كالبعير، حتى يعرف قدره ولا يتجاوزَه

فَإِنْ تَعَدَّلِيْنِي تَعَدِّلِي بِي مُرْزَأً كَرِيمَ نَثَا الْإِعْسَارِ، مُشْتَرَكِ الْيُسْرِ

فإن تلوميني فإنما تلومين في شخصي رجلاً مرزأً، وكريم نثا الإعسار، وكريم نثا الأيسر، جريمة أخباره وهو معسر فقير لأنه يحفظ شرفه عند الفقر؛ ومشتراك اليسر، فإذا أيسر واغتنى شارك غيره في ماله

إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَصَمَّمَ تَصْمِيمَ السَّرِيحِيِّ ذِي الْأَثْرِ

إذا هم بأمر وضعه نصب عينيه وصمم تصميم السريحجي، السيف، ذي الأثر، النقش

٦٦ التكاثر

قُرَاد بن عَبَّاد:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَغْضَبْ لَهُ حِينَ يَغْضَبُ قَوَارِسُ إِنْ قِيلَ ارْكَبُوا الْمَوْتَ يَرْكَبُوا..

إذا لم يغضب لغضب المرء فرسان يلون نداءه ويركبون خيلهم نحو القتال المميت..

وَلَمْ يَخْبُهُ بِالْغَضَبِ قَوْمٌ أَعَزَّةٌ مَقَاحِيمُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يُتَهَيَّبُ..

وإذا لم يخبه، لم يمنحه، النصر، النصرة والمؤازرة،

قوم أعزة يقتحمون الأمر المخوف الذي يهابه الناس..

تَهَضَّمَهُ أَدْنَى الْعَدُوِّ، وَلَمْ يَزَلْ، وَإِنْ كَانَ عِضًّا، بِالظُّلَامَةِ يُضْرَبُ

عندئذ يتعضمه، يظلمه، أقل الأعداء شأناً، ويظل يتعرض للظلم حتى وإن كان عضاً، مجرباً قوياً

فَإِخْ لِحَالِ السَّلَامِ مَنْ شِئْتَ، وَاعْلَمَنْ بِأَنْ سِوَى مَوْلَاكَ فِي الْحَرْبِ أَجْنَبُ

في وقت السلم اصنع صداقة مع من تريد، وفي الحرب فالذي يقف معك مولاك، حليفك، فقط وأما سواه فسيجنب الخوض في حرك

وَمَوْلَاكَ مَوْلَاكَ الَّذِي إِنْ دَعَوْتَهُ أَجَابَكَ طَوْعاً وَالْدِمَاءُ تَصَبَّبُ

احفظ مولاك، حليفك، الذي يجب دعوتك حتى وهو يرى الدماء تتصب

فَلَا تَخْذُلِ الْمَوْلَى وَإِنْ كَانَ ظَالِماً فَإِنَّ بِهِ تُشْأَى الْأُمُورُ وَتُرَابُ

لا تخذل حليفك حتى وإن كان ظالماً. فبالحليف تنأى الأمور،

ترتق، وتراب، تُصلح

٦٧ العمر واحد

قَدْ عَلِمَ الْمُسْتَأَخِرُونَ فِي الْوَهْلِ

قد عرف المتأخرون عن القتال القابعون في الوهل، الخوف

إِذَا السِّیُوفُ عُرِّيتْ مِنَ الْخِلَلِ

إذا السيوف عريت من أغمارها واستلت

أَنَّ الْفِرَارَ لَا يَزِيدُ فِي الْأَجَلِ

أن فرارهم لا يضمن لهم حياة مديدة

٦٨ المعثم المخول

وقال رجل من بني نمير:

نَعْرَضُ لِلطَّعَانِ إِذَا التَّقِينَا وَجُوهَا لَا تُعَرَّضُ لِلسَّبَابِ

نعرض لطنع الرماح في المعركة وجوهنا التي لا نعرضها للسباب والمذمة

فَأَبَائِي سَرَاهُ بَنِي نُمَيْرٍ وَأُخُوَالِي سَرَاهُ بَنِي كِلَابٍ

آبائي سراة، أي سادة، بني نمير، وأخوالي سادة بني كلاب

٦٩ المجرب العتيق

قَبِيصَةُ بْنُ جَابِرٍ النَّصْرَانِي الْجَزْمِي:

وَجَرَّبْتُ الْأُمُورَ وَجَرَّبْتُنِي كَأَنِّي كُنْتُ فِي الْأُمَمِ الْخَوَالِي

جربت كثيراً حتى كأني حضرت الأمم الخوالي، الأمم البائدة

لَنَا الْحِصْنَانِ مِنْ «أَجَا» وَ«سَلَمَى» وَشَرْقِيَّاهُمَا غَيْرَ انْتِحَالٍ

لنا الحصنان، ويعني الجبلان، أجأ وسلمى.. وهم جبال قبيلة طيء في شمال الحجاز، ولنا الأرض إلى الشرق منهما ملكاً أصيلاً غير متمحل

وَتَيْمَاءُ الَّتِي مِنْ عَهْدِ عَادٍ حَمَيْنَاهَا بِأَطْرَافِ الْعَوَالِي

ولنا حصن تيماء الذي حميناه بأطراف العوالي، أي الرماح، من عهد عاد

٧٠ ترميني الحدق

سالم بن وإبصة:

عَلَيْكَ بِالْقَصْدِ فِيمَا أَنْتَ فَاعِلُهُ إِنْ التَّخَلَّقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ

عليك بالقصد، الاعتدال؛ والتخلَّق، أي التطبع، يسبقه الخلق الأصلي

وَمَوْقِفٍ مِثْلِ حَدِّ السِّيفِ قُمْتُ بِهِ أَحْمِي الدُّمَارَ وَتَرْمِينِي بِهِ الْحَدَقُ

ورب موقف دقيق كأنه حد السيف وقد قمت بحقه، وحميت الدمار، الشرف، وكانت الحدق ترميني، الأنظار متجهة إليّ

فَمَا زَلَقْتُ وَلَا أَبْدَيْتُ فَاجِشَةً إِذَا الرِّجَالُ عَلَى أُمْسَالِهَا زَلَقُوا

فما زلقت، انزلقت، ولا فعلت ما هو فاحش معيب، وغيري كان سيتزلق في مثل هذا الموقف

٧١ المعمر

مجمع بن هلال، من بني تيم الله بن ثعلبة:

وإن أك ما شيخاً كبيراً فطالما عمرت ولكن لا أرى العمر ينفع
لئن كنت شيخاً كبير السن، فإنني قد عشت طويلاً، ولكن طول العمر لا ينفع
مضت مئة من مولدي فنضوتها وخمس تباع بعد ذاك وأربع
مضت مئة سنة من عمري فنضوتها، فخلعتها، ثم خمس وأربع

٧٢ حرب الأقارب

أبو الأخيل العجلي:

ألا يا أسلمي ذات الدماليج والعقد وذات الثنايا الغر والفاحم الجعد
اسلمي يا ذات الدماليج، الأساور، والعقد، وذات الثنايا الغر، الأسنان البيض، والشعر الفاحم الجعد
وذات اللثات الحُم والعارض الذي به أبرقت عمداً بأبيض كالشهد
وذات اللثات الحم، اللثة المسمرة، والعارض، أي الأسنان الأمامية، الذي أبرقت به، وقصدت
أن تشق ثغرها عمداً ثقة بجمال ثناياها التي تلمع بسبب ما كساها من ريق أبيض كأنه الشهد
كأن ثناياها اغتبقن مداماً ثوث حججاً في رأس ذي فنة فرد
كان أسنانها شربت خمرة عتيقة ثوث حججاً، أي مكثت سنين، في رأس جبل منفرد ذي فنة، أي
قمة. فرائحة فيها طيبة طيب الخمر العتيقة
لعمري لقد مرت بي الطير أنفاً بما لم يكن إذ مرت الطير من بد
لقد مرت بي الطير، وهذا دليل تشاؤم هنا، وكان مرورها يشير إلى الشر الذي لا بد من وقوعه
ظليلت أساقبي الموت إخوتي الألى أبوهم أبي عند المزاحة والجِدْ
ظللت أبادل شرباً هو الموت مع إخوتي الذين يظل أبوهم أبي في حالي المزح والجِدْ
كلانا يُنادي يا نزار، وبيننا قنا من قنا الخطي أو من قنا الهند
كل فريق ينادي: يا نزار، فهم جميعاً ينتسبون إلى جد عرب الشمال القديم نزار، ولكن بينهم قنا،
رماحاً، من رماح منطقة الخط بالبحرين، أو من رماح الهند
قروم تسامى من نزار عليهم مضاعفة من نسج داود والسعد
قروم، أي أبطال، من قبائل نزار تسامى، وتتصدى، وعليهم دروع مضاعفة النسج سمكة كالتى
اشتهر بنسجها النبي داود، أو تلك المستوردة من بلاد السعد

إِذَا مَا حَمَلْنَا حَمْلَةً مَثَلُوا لَنَا بِمُرْهَفَةٍ تُذْزِرِي السَّوَاعِدَ مِنْ صُعْدِ

إِذَا شَدَدْنَا عَلَيْهِمْ وَقَفُوا لَنَا بِسَيْفٍ مَرَهْفَةٍ حَادَةٍ تُذْزِرِي، أَي تَسْقُطُ، السَّوَاعِدُ مِنْ صُعْدٍ، مِنْ أَعْلَاهَا

وَأِنْ نَحْنُ نَازِلُنَاهُمْ بِصَوَارِمٍ رَدَّوْا فِي سَرَابِيلِ الْحَدِيدِ كَمَا تُرْدِي

وَأِنْ نَازَلْنَاهُمْ بِالسَّيْفِ الصَّوَارِمِ الْقَاطِعَةِ رَدَّوْا، أَي أَسْرَعُوا، نَحُونَا فِي سَرَابِيلِ، أَرْدِيَةِ مِنَ الْحَدِيدِ،
مَثَلُوا نَسْرِعُ نَحْوَهُمْ

كَفَى حَزَنًا أَنْ لَا أَزَالَ أَرَى الْقَنَا تَمُجُّ نَجِيعًا مِنْ ذِرَاعِي وَمِنْ عَضْدِي

كَفَانِي حَزَنًا رَأَيْتِي الرِّمَاحَ تَمُجُّ نَجِيعًا، تَصِقُّ دَمًا، مِنْ ذِرَاعِي وَمِنْ عَضْدِي، وَالْعَضْدُ أَعْلَى الذِّرَاعِ

أَمَّا تَرْهَبَانِ النَّارِ فِي ابْنَيْ أَبِيكُمَا وَلَا تَرْجُوَانِ اللَّهَ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ؟

أَيُّهَا الْفَرِيقَانِ الْمُتَحَارِبَانِ أَمَّا تَرْهَبَانِ الْجَحِيمَ بِسَبَبِ مَا تَصْنَعُونَهُ بِأَبْنَاءِ أَبِيكُمَا نِزَارَ، وَلَا تَرْجُوَانِ
دُخُولَ الْجَنَّةِ؟

فَمَا تُرْبُ أَثَرِي لَوْ جَمَعْتَ ثَرَابَهَا بِأَكْثَرِ مَنْ إِبْنِي نِزَارٍ عَلَى الْعَدِّ

الْمَعْنَى الْعَامُ: لَوْ جَمَعْتَ مَا فِي الدُّنْيَا مِنْ رَمْلٍ لَكَانَ عَدْدُ ابْنِي نِزَارَ، قِبَالُ مَضَرَ وَرَبِيعَةَ، أَكْثَرَ مِنْ
عَدْدِ حَبَاتِ الرَّمْلِ

هُمَا كَفَا الْأَرْضِ اللَّذَّا لَوْ تَزَعَزَعَا تَزَعَزَعَ مَا بَيْنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّدِّ

هُمَا كَفَا، جَانِبَا، الْأَرْضِ اللَّذَانِ لَوْ تَزَعَزَعَا لَتَزَعَزَعَتِ الدُّنْيَا مَا بَيْنَ الْجَنُوبِ إِلَى السَّدِّ، أَي مِنْ
الْيَمَنِ إِلَى سَدِّ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ

وَإِنِّي وَإِنْ عَادَيْتُهُمْ أَوْ جَفَوْتُهُمْ لَتَأْلَمَ مِنَّا عَضُّ أَكْبَادِهِمْ كَبْدِي

كَبْدِي تَتَأْلَمُ لَمَّا يَعْضُ أَكْبَادَهُمْ، فَهْمٌ فِي النِّهَايَةِ إِخْوَةٍ

فَإِنَّ أَبِي عِنْدَ الْحِفَاطِ أَبْوَهُمْ وَخَالَهُمْ خَالِي وَجَدُّهُمْ جَدِّي

وَأَبِي عِنْدَ حِفْظِ الشَّرَفِ هُوَ أَبْوَهُمْ، وَخَوُولُنَا مُشْرَكَةٌ أَيْضًا

رِمَاحُهُمْ فِي الطُّولِ مِثْلُ رِمَاحِنَا وَهُمْ مِثْلُنَا قَدَّ السُّيُورِ مِنَ الْجِلْدِ

وَسَلَاحُهُمْ كَسَلِحَانَا، وَهُمْ مِثْلُنَا فِي كُلِّ شَيْءٍ كَمَا تَقْدُّ السُّيُورَ، الْحَبَالُ، الْمَتَاوِيَةُ مِنَ الْجِلْدِ

٧٣ صحوت

عَبْدُ الْقَيْسِ بْنِ خُفَّابِ الْبَرْجَمِيِّ:

صَحَوْتُ وَزَايَلَنِي بَاطِلِي لَعَمْرُ أَبِيكَ زِيَالًا طَوِيلًا

صَحَوْتُ مِنْ غَفْوَةِ الشَّبَابِ وَتَرَكْتَنِي الْبَاطِلَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ تَرَكًّا ذَرِيعًا

وَأَصْبَحْتُ لَا نَزِقًا لِلْحَاءِ وَلَا لِلْحَوْمِ صَدِيقِي أَكُولَا

أصبحت غير نزق للحاء، غير سريع للتلاسن والنشام، ولا أكل لحم صديقي، أي لا اغتابه

وَأَصْبَحْتُ أَعْدَدْتُ لِلنَّائِبَا تِ عِرْضاً بَرِيئاً وَعَضْباً صَقِيلاً

أعددت لمصيبات الزمن عرضاً نقياً، وعضباً صقيلاً، أي سيفاً مصقولاً

وَوَقَعَ لِسَانِي كَحَدِّ السِّنَانِ وَرُمَحاً طَوِيلَ الْقَنَاةِ عَسُولَا

وأعددت لساناً وقعه وتأثيره كتأثير سنان الرمح، وأعددت رمحاً طويلاً عسولاً، مترجراً يميناً يساراً وأنا أحمله

وَسَابِغَةً مِنْ جِيَادِ الدُّرُوعِ تَسْمَعُ لِلسَّيْفِ فِيهَا صَلِيلَا

وأعددت درعاً سابغة، طويلة، من الدروع الجياد، أي الجيدة، تسمع صوت السيف عليها يرن رنيناً

كَمَثْنِ الْغَدِيرِ زَهْتُهُ الدَّبُورُ يَجْرُ الْمُدَجَّجُ مِنْهَا فُضُولَا

ودرعي هذه منسوجة من حلقات الحديد، فهي تبدو كسطح غدیر الذي زهته، أي حركته، ریح الدبور، والمدجج بالسلاح يجر بقية هذه الدرع جرّاً لأنها طويلة (أوردنا أول بيتين من هذه اقطعة ضمن المفضليات/اكتشفنا التكرار بعد صنع الفهارس فصعب علينا حذفها من هناك)

٧٤ الابن العاق

أُمِّيَّةٌ بَنَ أَبِي الصَّلْتِ فِي ابْنِهِ وَعَقَهُ، وَتَرَوَى لغيره:

غَذَوْتُكَ مَوْلُودًا، وَعُلْتُكَ يَافِعًا تُعَلُّ بِمَا أُذْنِي إِلَيْكَ وَتُنْهَلُ

أطعمتك وأنت وليد، وكنت أعيلك وأنت في أول الشباب وأنت تُعل، أي تشرب، مما أقدمه لك من لبن النياق وتنهل، أي تشرب مرة أخرى

إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِالشَّكْوِ لَمْ أَبْتَ لِسَكْوَاكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلَّمُ

إذا أصابتك ليلةٌ بالشكو، أي المرض، لم أبت إلا وأنا ساهر لمرضك أتململ ولا أعرف للنوم طعاماً

كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالذِّي طَرِقتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنِي تَهْمَلُ

كأنني أنا المطروق دونك، المصاب بدلاً منك، وتظل عيني تسيل بالدمع

فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالْعَايَةَ الَّتِي إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أَوْمَلُ..

فلما كبرت ووصلت سن النضج التي كنت آملها..

جَعَلْتَ جَزَائِي مِنْكَ جَبْهًا وَغِلْظَةً كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ

جعلت جزائي جبهًا، أي صدًا، وغلظة كأنك أنت المتفضل علي

فَلَيْسَتْكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أُبُوتِي فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ

وَسَمَّيْتَنِي بِاسْمِ الْمُفْتَدِّ رَأْيُهُ وَفِي رَأْيِكَ التَّفْنِيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ

صرت تقول إنني ذو الرأي المفتد، الخطأ، والخطأ في رأيك أنت لو أنك تفهم

تَرَاهُ مُعِدًّا لِلْخِلَافِ كَأَنَّهُ يَرُدُّ عَلَى أَهْلِ الصَّوَابِ مُوَكَّلُ

يا سامعي إنك لترى ولدي هذا متبهاً لمخالفتي في كل شيء، وكأنه مكلف بأن يرد على كل ما

يقوله أهل الصواب والعقل

٧٥ يؤدبني

قالت امرأة من بني هِزَّان، يقال لها: أُمُّ نَوَابٍ، في ابن لها عقها:

رَبَّيْتُهُ وَهُوَ مِثْلُ الْفَرْخِ. أَعْظَمُهُ أُمُّ الطَّعَامِ تَرَى فِي جِلْدِهِ زَعْبًا

ربيت ابني وكان مثل الفرخ. . . والفرخ أكبر شيء في جسمه أم الطعام، أي الحوصلة عند رقبته التي

يتجمع فيها الطعام، وجلده ذو زغب، أي ريش صغير

حَتَّى إِذَا أَضَ كَالْفُحَّالِ شَذْبُهُ أَبَارُهُ وَنَفَى عَنْ مَثْنِيهِ الْكَرْبَا

حتى إذا أض، أي صار، كالفحّال، النخلة الذكر التي يؤخذ طلوعها لتلقيح النخلات الإناث، وقد

شذبه الأبار، الملقح، ونفى الكرب عن مثته، أبعد عن ظهره الكرب وهو القشور الصلبة التي لا

بد من تشذيبها في الفحّال، أي أنه لما كبر وأصبح في أتم حال من الشباب. . .

أَنْشَأَ يُمَزَّقُ أَثْوَابِي يُؤَدِّبُنِي أَبْعَدُ شَيْبِي عِنْدِي يَبْتَغِي الْأَدْبَا

أنشأ، أي بدأ، يمزق ملابس يبغي تأديبي، أبعد شيب يريده تأديبي؟

إِنِّي لأُبْصِرُ فِي تَرْجِيلِ لِمَتِهِ وَخَطُّ لِحْيَتِهِ فِي خَدِّهِ عَجَبَا

أرى تسريح لمتي، أي شعره، وتشذيب لحيته فيعجبني ذلك

قَالَتْ لَهُ عِرْسُهُ يَوْمًا لِتُسْمِعَنِي مَهْلًا فَإِنَّ لَنَا فِي أَمْنًا أَرْبَا

قالت له زوجته يوماً وهي تقصد إسماعي: مهلاً ولا تتهور فإن لنا في أمنا غرضاً، وهي لنا نافعة

وَلَوْ رَأَيْتَنِي فِي نَارٍ مُسَعَّرَةٍ ثَمِ اسْتَطَاعَتْ لَرَادَتْ فَوْقَهَا حَطْبَا

هي تقول ذلك، ولكنها لو رأتني في نار مستعرة لزادت عليها حطباً لو استطاعت

٧٦ الندم

ابن السليمان وهو شاعر إسلامي:

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ سَلَعٍ لِّلْأَيْمِ لِنَفْسِي، وَلَكِنْ مَا يَرُدُّ التَّلَوُّمُ؟
لمت نفسي يوم سلع، أي في معركة سلع، وما نفع اللوم؟

أَأَمَكُنْتُ مِنْ نَفْسِي عَدُوِّي ضَلَّةً أَلْهَقَى عَلَى مَا فَاتَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ
أهكذا مكنت العدو من نفسي، ضلّةً، ما كان أضلني! ليتني علمت النتيجة قبل أن أفعل ما فعلت
لو أن صدور الأمر يبدون للفتى كأعقابيه لم تُلْفِهْ يَتَنَدَّمُ
لو أن صدور الأمر، أوائله، تبدو للمرء مثلما تبدو أعقابيه، أي نتائجه، ما كان ليندم. أي أنه لو
عرف منذ البداية ما ستكون النتائج لاتخذ حيطته. يقول: المرء لا يرى الأحداث وهي مقبلة
بوضوح، ويراها وهي مدبرة بوضوح.. ولكن بعد أن يكون فات الأوان

٧٧ الكلوم تغفو

أبو خراش خويلد بن مرة الهذلي وهو شاعر مخضرم:

حَمِدْتُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةٍ إِذْ نَجَا خِرَاشٌ، وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
حمدت الله على نجاة خراش بعد مقتل عروة، ونصف الشر أهون من الشر كله
فَوَاللَّهِ مَا أَنْسَى قَتِيلًا رُزِئَتْهُ بِجَانِبِ قُوسَى مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ
لن أنسى ذلك القتيل الذي رزته، نكبت به، بموضع «قوسى» طول عمري،
وما دمت أمشي على الأرض

عَلَى أَنَّهَا تَغْفُو الْكُلُومُ؛ وَإِنَّمَا نُوكِّلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي
الكلوم، الجراح، تغفو، أي تندمل؛ ونوكل، أي نهتم بالأمر القريب منا رغم أن ما مضى كان
كبيراً في تأثيره

وَلَمْ أَذْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَا جَدِ مَحْضٍ
لا أدري من الذي غطى القتيل بردائه، لكن ذلك الرداء قد سل، سحب، عن رجل ماجد محض،
خالص المروءة

٧٨ بنیان قوم تهدم

عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ الشَّاعِرُ الْمَخْضَرَمُ:

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا

نَحْبَةً مَنْ قَادَرْتُهُ عَرَضَ الرَّدَى إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطِ بِلَادِكَ سَلَمًا

نحية مني أنا الذي تركتني وأنا هدف للقتل فأنقذتني، أزور بلادك عن شحط، قادمًا من مكان بعيد، فأطرح السلام وأتذكرك

فَمَا كَانَ قَيْسُ هُلُكُهُ هُلُكٌ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانٌ قَوْمٍ تَهْدِمًا

موتك لم يكن مجرد موت شخص، بل بنيان قوم تهدم

٧٩ رثاء أخوين

هشام بن عقبة العدوي، يرثي أخويه أوفى وغيلان، وغيلان هو ذو الرمة:

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بِغَيْلَانَ بَعْدَهُ عَزَاءً وَجَفْنُ الْعَيْنِ مَلَأَ مُثْرَعُ

تعزيت ونسيت بعض حزني على أخي أوفى عندما توفي غيلان بعده، فهذا عزاء جفني وتعزيتي وجفني مترع أي ملآن دموعاً

نَعَى الرُّكْبُ أَوْفَى حِينَ أَبَتْ رِكَابُهُمْ لَعَمْرِي لَقَدْ جَاؤُوا بِشَرٍّ فَأَوْجَعُوا

حين رجع القوم بإيلهم نقلوا خبر أوفى، فما كان أوجع الخيرا

نَعَوْا بِأَسْقِ الْأَفْعَالِ لَا يَخْلُقُونَهُ تَكَادُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْهُ تَصَدَّعُ

كانت أفعاله باسقة، عالية، وما كانوا يخلفونه، يجدون بديلاً يخلفه، وتكاد الجبال العالية تتصدع من ذلك الخبر

خَوَى الْمَسْجِدُ الْمَعْمُورُ بَعْدَ ابْنِ دَلْهِمٍ وَأَمْسَى بِأَوْفَى قَوْمُهُ قَدْ تَضَعَّضُوا

لقد خوى، أي فرغ من الناس، المسجد الذي كان معموراً بوجود «ابن دلهم» الرجل الصالح المعروف، وكذلك تضعض قومى بفقدان أوفى

فَلَمْ تُنْسِنِي أَوْفَى الْمُصِيبَاتِ بَعْدَهُ وَلَكِنَّ نَكْءَ الْقَرْحِ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ

لا، لم تجعلني المصائب التي جاءت من بعد أوفى أنساه، بل إن نكء القرح، فتح الجرح، بجرح آخر أوجع من الجرح الفرد

٨٠ كله قبر مالك

متهم بن نؤيرة يرثي أخاه مالكا الذي قتله خالد بن الوليد:

لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكََا رَفِيقِي لِتَذَرَأَ الدُّمُوعِ السَّوَاغِكُ

لامني رفيقي، ذات يوم عندما رأينا قبوراً، لذرفي الدموع المسفوحة المسفوحة

فَقَالَ أَتُبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ لِقَبْرِ نَوَى بَيْنَ اللَّوَى فَالِدَكَادِكُ؟

قال: أتبكي عند كل قبر تراه متذكراً ذلك القبر الذي نوى، ومكث بين موضعي اللوى والدكادك؟

فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا فَدَعَنِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكٍ
قلت له: الحزن يثير الحزن، فكل قبر هو قبر مالك أخي

٨١ البعيد القريب

أبو عطاء السندي من مخضرمي الدولتين يرثي ابن هبيرة الذي قتله المنصور غيلةً:
أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجُدْ يَوْمَ وَاسِطَ عَلَيْكَ بِجَارِي دَمْعِهَا لَجْمُودُ
العين التي لم تكن سخية بدمعها يوم مقتلِكَ بواسط عين جامدة
عَشِيَّةَ قَامَ النَّائِحَاتُ وَشَقَّقَتْ جِيوبُ بِأَيْدِي مَاتِمٍ وَخُدُودُ
في تلك العشية ناحت عليك النائحات وشققن الجيوب، الملابس من جهة الصدر، ولطمن
الخدود. ماتم معناها جماعة النساء النائحات، ثم صارت تعني كل مجلس عزاء
فَإِنْ تُمَسِّ مَهْجُورَ الْفِنَاءِ فَرَبَّمَا أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَفُودُ
إن أصبح فناؤك، أي ساحتك، مهجوراً، فطالما كانت الوفود الكثيرة تقيم بساحتك
وهي تأتي ليل عطائك
فَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مُتَعَهِّدٍ بَلَى كُلِّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ بَعِيدُ
لم تبتعد ذكراك عن متعهد، ذاك لعهدك. . لا، بل كل من دفن فهو بعيد

٨٢ أعبدُ الله ذلك الردي؟

دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ وَقَدْ نَصَحَ قَوْمَهُ (بَنِي عَزْرَةَ) فَتَرَكُوا نَصِيحَتَهُ وَقَاتَلُوا أَعْدَاءَهُمْ
- وهو معهم - فَقَتَلَ أَخُوهُ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ يَرِثُهُ:
نَصَحْتُ لِعَارِضٍ وَأَصْحَابِ عَارِضٍ وَرَهْطِ بَنِي السَّوْدَاءِ وَالْقَوْمِ شُهْدِي:
نصحت لعارض ولأصحابه، ولبنِي السَّوْدَاءِ، والقوم يشهدون على ذلك. في رواية الأصمعيات:
«فقلت لعراض وأصحاب عارض» كأنما أراد الناسخ إصلاح الوزن
فَقُلْتُ لَهُمْ طُنُّوا بِالْفَنَى مُدَجَّجَ سَرَاتِهِمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرَّدِ
قلت لهم إن أغلب الظن هو أن عدوكم ألفا رجل مدجج بالسلاح، وسادتهم يلبسون الدروع
الفارسية المنسوجة بحلقات الحديد
فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ، وَقَدْ أَرَى غَوَايَتَهُمْ وَأَنْتَنِي غَيْرُ مُهْتَدٍ
لما رفضوا النصيحة انصعت لهواهم؛ قد عرفت ضلالهم، وعرفت أنني أنا أيضاً بعيد عن الهداية
أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ
أمرتهم أمري ذاك في ذلك الموضع، ولم يتبين لهم سداد رأيي إلا ضحى اليوم التالي

وهل أنا إلا من غزيرة؟ إن عوث عوث وإن ترشد غزيرة أرشد

أنا من قبيلة «غزية»، إن انحرفت القبيلة عن الرشد انحرفت معها، وإن رشدت أرشد

تَنَادَوْا فَقَالُوا أَزْدَتِ الْخَيْلُ فَارِسًا فَقُلْتُ: أَعْبُدُ اللَّهَ ذَلِكَ كُمْ الرَّدِي؟

صرخوا قائلين إن الخيل قتلت فارساً، فسألت: أعبُد الله ذلك القليل؟

فَجِئْتُ إِلَيْهِ وَالرَّمَاخُ تَنْوُشُهُ كَوَفِعَ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمُمَدَّدِ

جئت إليه والرماح تنوشه، تتاوره وتتناولوه، كأنها دخول الصياصي، لفائف الخيوط، في النسيج. فالناسج يدخل خشبة مغزلية ملفوفاً عليها الخيوط بين النسيج الممدود مرة بعد مرة لتشكيل الطبقة المستعرضة في النسيج فهو يُسْدِي بعد أن يُلْجِم

فَكُنْتُ كَذَاتِ الْبَوْرِ يَمُتْ فَأَقْبَلْتُ إِلَى جَلْدٍ مِنْ مَسْكٍ سَقْبٍ مُقَدَّدٍ

كنت كالناقة الفاقد التي ترتاع لفقد ولدها فتقبل على البو، وهو جلد فصليلها يحشونه تبناً ويجعلونه قربها كي تحن عليه ويدر حليها. لا يكتفون بقتل وليدها بل يريدون حليها أيضاً. . والبو مصنوع من مسك سقب مقدد، أي جلد فصليل مجفف

فَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ حَتَّى تَبَدَّدَتْ وَحَتَّى عَلَانِي حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدِي

طاعت الخيل المحيطة بعبد الله حتى تفرقت، وحتى علاني الغبار الأسود أي الأسود

قِتَالَ أَمْرِي أَسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ وَبِعَلَّمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُحَلَّدٍ

قاتلت قتال أخ أسى، أي ساوى، أخاه بنفسه، ولا يهيم الموت لأن الإنسان في النهاية ميت

فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَّى مَكَانَهُ فَمَا كَانَ وَقَافًا وَلَا طَائِشَ الْيَدِ

لئن مات وترك مكانه فارغاً، فهو لم يكن وقافاً، متردداً، ولا طائش اليد عندما يرمي السهام

كَمِيشُ الْإِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ بَعِيدٌ مِنَ الْأَفَاتِ طَلَّاعٌ أَنْجِدِ

كان كميш الإزار، قصير الثوب مشمراً للنجدة، ولم تكن فيه صفات رديئة، وكان يصعد في المرتفعات ساعياً في شؤون قومه

قَلِيلُ التَّشْكِي لِلْمُصِيبَاتِ، حَافِظٌ مِنْ الْيَوْمِ أَعْقَابَ الْأَحَادِيثِ فِي عَدِ

كان قليل الشكوى، وكان يتكهن بنتائج الأفعال قبل وقوعها

تَرَاهُ خَمِصَ الْبَطْنِ وَالزَّادُ حَاضِرٌ عَتِيدٌ وَيَعْدُو فِي الْقَمِيصِ الْمُقَدَّدِ

يكون خميص البطن، ضامرّه بينما الطعام عتيد، أي موجود، إيثاراً، وكان يلبس قميصاً مقدوداً

وإن مَسَّهُ الْإِقْوَاءُ وَالْجَهْدُ زَادَهُ سَمَاحًا وَإِتْلَافًا لِمَا كَانَ فِي الْيَدِ

وكلما ازداد إقواء، أي فقراً، وشدة في العيش ازداد سماًحاً، أي سخاء، وتبديداً لماله

صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ ابْعِدِ
صبا، أي عاش حياة اللهو، ما صبا، أي مدة صباه وشبابه، ثم شاب رأسه، فأصبح وقوراً وطرده
عن حياته اللهو

وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذِبْتُ وَلَمْ أَبْخَلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي
الذي طيب نفسي بعد موته أنني لم أكذبه في حياته، ولم أبخل عليه

٨٣ الدهر نصفان، كلاهما مخضب بالدم

دريد بن الصمة يرثي قتلى قبيلته، وابن الصمة شاعر جاهلي أدرك الإسلام ولم يسلم:

تَقُولُ أَلَا تَبْكِي أَخَاكَ؟ وَقَدْ أَرَى مَكَانَ الْبُكَاءِ لَكِنْ بُنِيتُ عَلَى الصَّبْرِ
تقول لي العاذلة: لم لا تبكي أخاك القتيل؟ وأنا مدرك أن الموقف موقف بكاء، ولكنني صبور
فقلت: أَعْبَدَ اللَّهُ أَبَاكَ أُمِّ الَّذِي لَهُ الْجَدُّ الْأَعْلَى قَتِيلَ أَبِي بَكْرٍ
قلت: أبوكي عبد الله؟ أم صاحب الجدث الأعلى، القبر العالي فوق الهضبة،
الذي قتل في حروب الردة؟

وَعَبْدٌ يَغُوثٌ تَحْجُلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ وَعَزَّ الْمُصَابُ حَتَّى قَبِرَ عَلَى قَبْرِ
أم أبوكي «عبد يغوث» الذي تبخرت الطيور حوله وهو قتيل تريد نهشه، وقد كبر المصاب بحنو
التراب فوق قبر تلو قبر

أَبَى الْقَتْلُ إِلَّا أَلَّ صِمَّةً، إِنَّهُمْ أَبَوَا غَيْرَهُ، وَالْقَدْرُ يَجْرِي إِلَى الْقَدْرِ
لا يريد القتل سوى آل صمة، وهم لا يريدون سواه، هذا قدرهم وهم مقدرون لهذا المصير
فَلَمَّا تَرَيْنَا لَا تَزَالُ دِمَاؤُنَا لَدَى وَاتِرٍ يَسْعَى بِهَا آخِرَ الدَّهْرِ...
إن رأيت أن دماءنا هي في رقبة واطر، قاتل، قد أراقها فهو يسعى بها هارباً من العقاب...
فَلَمَّا لَلَحْمُ السِّيفِ غَيْرَ نَكِيرَةٍ وَنُلْجِمُهُ حِينًا وَلَيْسَ بِذِي نُكْرٍ
... فنحن لحم مبذول للسيف ولا ننكر ذلك، وأحياناً نطعم سيوفنا لحوم الأعداء

يُغَارُ عَلَيْنَا وَاتِرِينَ فَيُشْتَقَى بِنَا إِنْ أَصَبْنَا، أَوْ نُغَيَّرُ عَلَى وَتَرٍ
يغير الأعداء علينا ونحن واترون، أي كنا قد قتلنا منهم، ويشفون بنا إن أصابونا، أو أننا نحن
نغير على وتر، لأخذ الثأر

قَسَمْنَا بِذَاكَ الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ بَيْنَنَا فَمَا يَنْقُضِي إِلَّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرِ
فالزمن مقسوم نصفين، بين أن نثار ونثاروا منا، فلا ينتهي الزمن إلا ونحن على أحد هذين النصفين

٨٤ الخبر المصمئل

قال ابن اخت تأبط شراً يرثي ويفتخر بأخذ الثار، وذكر أنها لخلف الأحمر في العصر العباسي:

إِنَّ بِالشُّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ لَقَتَيْلًا دَمُهُ مَا يُطْلُ
في الشعب، الطريق، قرب موضع سلع، قتيل دمه لا يطل، لا يذهب هدراً

خَلَّفَ الْعَبَّاءَ عَلَيَّ وَوَلَّى أَنَا بِالْعَبِّاءِ لَهُ مُسْتَقِيلٌ
خلف عبء أخذ الثار عليّ ومضى، وأنا مستقل بالعبء، حامل له

وَوَرَاءَ الثَّارِ مِنِّي ابْنُ أُخْتٍ مَصِيعٌ عُقْدَتُهُ مَا تُحَلُّ
ولأخذ الثار يدعمني ابن اخت مصع، شديد، عقدته ما تحل، عزمته لا تتراخي

مُطَرِّقٌ يَرْشَحُ سُمًّا كَمَا أَطْفَرَقَ أَفْعَى يَنْفُثُ السُّمَّ، صِلُ
مطرق برأسه لكنه يرشح سماً، مثلما تطرق الأفعى ولكنها تنفث السم. والصل: الثعبان

خَبَرٌ مَا، نَابِنِي، مُصَمَّمِلٌ جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ
ثمة خبر نابنا، أي طرأ علينا، مصمئل، شديد، والخبر هائل حتى صار كل خبر جليل غيره صغيراً

بَزَنِي الدَّهْرُ، وَكَانَ عَشُومًا، بِأَبِي جَارُهُ مَا يُدَلُّ
بزني، أي سلبي، الدهر، وكان الدهر ظلوماً، سلبي رجلاً أيأ شامخاً يحمي من يستجير به فلا
يستطاع إذلال المستجير

شَامِسٌ فِي الْقُرَى، حَتَّى إِذَا مَا ذَكَتِ الشُّعْرَى فَبَرْدٌ وَظِلُّ
هذا الرجل شامس أيام القر، أي البرد، فكانه في وقت الشتاء الصعب الذي تقل فيه ألبان النوق
واللحوم يكون كالشمس لضيوفه؛ فإذا ذكت الشعرى، اشتعل نجم الشعرى وجاء الصيف، فهو مثل
البرد والظل لضيوفه يقيهم حر الشمس ويؤويهم

يَابِسُ الْجَنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُؤْسٍ وَنَدِي الْكَفَّيْنِ شَهْمٌ مُدِلُّ
جنباه يابسان، أي أنه نحيل، ولكن ذلك ليس لفقر بل لأنه يطعم الناس وقليلاً ما يأكل، وكفاه
نديان، أي أنه سخي، وشهم مدل، أي أنه ذو دالة على قومه يسمعون كلمته

ظَاعِنٌ بِالْحَزْمِ حَتَّى إِذَا مَا حَلَّ حَلَّ الْحَزْمِ حَيْثُ يَحُلُّ
ظاعن، راحل، ويصحبه الحزم والتصميم، وإذا حل بمكان فكانما يحل التصميم في ذلك المكان معه

عَيْثُ مُزْنٍ غَامِرٌ حَيْثُ يُجْدِي وَإِذَا يَسْطُو فَلَيْتُ أَبْلُ
هو مطر من السحاب يغمر الأرض في المكان الذي يجديه، يهطل عليه، وإن سطا وغضب فهو
كالأسد الأبل، الذي لا يبالي العواقب

مُسْبِلٌ فِي الْحَيِّ أَخَوَى رِقْلٌ وَإِذَا يَغْزَوُ فَسَمِعُ أَزْلٌ
يسبل رداءه، ويعيش عيشة هنيئة، في قومه، وهو أخوى، أسمر، ورفل، يرفل في النعمة، وأما إذا
غزا قوماً فهو سمع أزل، ذئب نحيل

وَلَهُ طَعْمَانِ أَرْيٍّ وَشَرِيٍّ وَكِلا الطَّعْمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلُّ
له طعمان: أري، أي عل، وشري، أي حنظل. وهو يذيق الناس كلا الطعمين، فللضيف
الإكرام، وللعُدو مرارة الحنظل

يَرْكَبُ الْهَوَلَ وَحِيداً، وَلَا يَضُفُ حَبُّهُ إِلَّا الْيَمَانِي الْأَقْلُ
يركب الأهوال وحده ولا يصحبه سوى السيف اليماني المثلّم لكثرة ما ضرب به الأعداء

وُقُتُوْ هَجَرُوا ثُمَّ أَسْرَوْا لَيْلَهُمْ، حَتَّى إِذَا انْجَابَ حُلُوْ
رب فتو، فتية، هجروا، ساروا في الشمس، ثم أسروا، ساروا في الليل، ثم لما مضى الليل حلوا، نزلوا
كُلُّ مَاضٍ قَدْ تَرَدَّى بِمَاضٍ كَسْنَا الْبَرْقِ إِذَا مَا يُسَلُّ
كل رجل ماض، حاذّ نحيل، منهم قد تردّى بماض، قد لبس سيفاً، مثل سنا، أي ضوء، البرق
عندما يُسل

فَادْرَكْنَا الثَّأَرَ مِنْهُمْ وَلَمَّا يَنْجُ مِلْحَيْنِ إِلَّا الْأَقْلُ
أدركنا ثأرنا منهم، ولم ينج ملحين، أي من العشيرتين إلا عدد قليل

فَاخْتَسَوْا أَنْفَاسَ نَوْمٍ فَلَمَّا هَوُّمُوا رُعْتُهُمْ فَاشْمَعَلُوا
ذاق الفتية بعد الفراغ من مهمتهم بعض النوم، فلما هوموا، ارتخت هاماتهم على صدورهم نوماً،
رعتهم، فاجأتهم بإيقاظهم، فاشمعلوا، أسرعوا

صَلِيَتْ مِنِّْي هُذَيْلٌ بِخَرْقٍ لَا يَمَلُّ الشَّرَّ حَتَّى يَمَلُّوا
قبيلة هذيل صليت، اكتوت، بخرق، شجاع، هو أنا، وهذا الشجاع لا يمل من الشر حتى يمل
الأعداء ويكفوا عن عدوانهم

يُنْهَلُ الصَّعْدَةَ حَتَّى إِذَا مَا نَهَلْتُ كَانَ لَهَا مِنْهُ عُلُّ
يسقي الصعدة، الرمح، فإذا شربت من دم العدو، كان لها منه عل، والعلُّ هو السقي مرة ثانية

٨٥ إخوان الصفاء

أَبُو الْجِبَالِ الْبَرَاءُ بْنُ رَبِيعِ الْفَقْعَسِيِّ:

أُولَئِكَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ رُزِيَتْهُمْ وَمَا الْكَفُّ إِلَّا إِصْبَعٌ ثُمَّ إِصْبَعٌ
رزئت صحبي الأصفياء وفقدتهم واحداً واحداً، شأن الكف تفقد إصبعاً بعد إصبع، وما الكف
سوى تلك الأصابع

٨٦ الممدوح المرثي

أشجع السُّلَمِيِّ، وهو عباسي:

مَضَى ابْنُ سَعِيدٍ حِينَ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقٌ وَلَا مَغْرِبٌ إِلَّا لَهُ فِيهِ مَادِحُ
رحل ابن سعيد في وقت لم يبق فيه مكان في شرق ولا في غرب إلا وفيه من يمدحه

وَمَا كُنْتُ أَذْرِي مَا قَوَاضِلُ كَفِّهِ عَلَى النَّاسِ حَتَّى غَيَّبَتْهُ الصَّفَائِحُ
ما عرفت فضل كفه وكرمه إلا بعد أن غاب تحت الصفائح، حجارة القبر المبسطة

فَأَصْبَحَ فِي لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ مَيِّتًا وَكَانَتْ بِهِ حَيًّا تَضِيقُ الصَّحَاصِحُ
أصبح في قبر بعد أن كان في حياته يملأ الصحاح، الفياقي بذكره الحسن

سَأَبُكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ نَعِضُ فَحَسْبُكَ مِنِّي مَا تُجِنُّ الْجَوَانِحُ
سأبكيك ما دام لي دمع يجري، فإن غاض دمعي، نضب، فيكيفك مني ما تجن، تخفي،
جوانحي، ضلوعي، من حزن

وَمَا أَنَا مِنْ رُزءٍ، وَإِنْ جَلَّ، جَارِعُ وَلَا بِسُرُورٍ بَعْدَ مَوْتِكَ قَارِعُ
لن أضرب لرزه، مصاب، حتى وإن كان جليلاً كبيراً، ولن أفرح لشيء بعد موتك

كَأَنْ لَمْ يَمُتْ حَيٌّ سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النُّوَاحُ
كأن لم يمت أحد غيرك، ولا ناحت النوائح على أحد قبلك، فالحزن عليك كان فريداً في شدة

لِئِنْ حَسَنْتَ فِيكَ الْمَرَاثِي وَذَكَرُهَا لَقَدْ حَسَنْتَ مِنْ قَبْلِ فِيكَ الْمَدَائِحُ
جميلة هي قصائد الرثاء فيك، وقبلها كانت جميلة قصائد المدح

٨٧ لا حيلة في الموت

يحيى بن زياد الحارثي:

نَعَى نَاعِيًا عَمُرُو بِلِيلٍ فَأَسْمَعَا قَرَاعًا فَوَادَا لَا يَزَالُ مُرَوَّعَا
نعى الناعيان عمراً فأفرعاً قلباً ظل بعد ذلك فزعاً لموته

وَمَا دَنَسَ الشُّوبُ الَّذِي رَوَّدُوكَهُ وَإِنْ خَانَهُ رَبُّ الْبَلَى فَتَقَطَّعَا
لم يتسخ الكفن الذي لفوك به لأن ذكرك حسن، حتى وإن بلى الكفن وتقطع تحت التراب

دَفَعْنَا بِكَ الْآيَامَ حَتَّى إِذَا أَتَتْ تُرِيدُكَ لَمْ تَسْطِعْ لَهَا عَنْكَ مَدْفَعَا
حميناك من مصائب الأيام، فلما جاءت تريدك لتأخذك للموت لم نستطع دفعها

٨٨ سَابِكِك

لِنَعْمَ الْفَتَى أَضْحَى بِأَكْنَفِ حَائِلٍ عَدَاةَ الْوَعَى أَكَلَ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ
نعم الفتى الذي أضحى في جانب حائل صبيحة المعركة أكل الردينية السمر، أي فريسة للرماح
السمر

سَابِكِك لَا مُسْتَبْقِيَا فَيَضَ عَبْرَةً وَلَا طَالِبًا بِالصَّبْرِ عَاقِبَةً الصَّبْرِ
سَابِكِك ولن أبقي دمة، ولن أكف عن البكاء.. غير مهتم بنيل عاقبة الصبر، أي الثواب على الصبر

٨٩ بيوت تخرّب وقبور تعمّر

عبد الله بن ثعلبة الحنفي:

لِكُلِّ أَنَاسٍ مَقْبَرٌ بِفَنَائِهِمْ فَهُمْ يَنْقُصُونَ وَالْقُبُورُ تَزِيدُ
لكل قوم مدفن بساحتهم، هم ينقصون والقبور تزيد

وَمَا إِنْ يَزَالُ رَسْمٌ دَارٍ قَدْ اخْلَقَتْ وَبَيْتٌ لِمَيِّتٍ بِالْفَنَاءِ جَدِيدُ
وباستمرار يظل ثمة طلل لدار قد اخلقت، تهدمت، ويشأ بيت في الفناء، أي الساحة، جديد يحل
به ميت

هُمْ جِيرَةُ الْأَحْيَاءِ، أَمَا جَوَارُهُمْ قَدَانٍ، وَأَمَّا الْمُلْتَقَى فَبَعِيدُ
الموتى جيراننا، قرييون منا وملتقانا بهم بعيد

٩٠ ذَاهِبَ لَا يَعُودُ

لَا يُبْعِدُ اللَّهَ إِخْوَانًا لَنَا ذَهَبُوا أَفَنَاهُمْ حَدَثَانُ الدَّهْرِ وَالْأَبَدُ
لا يبعد الله موتانا الذين أفتتهم مصائب الزمن والأبد، الزمن نفسه. لا يبعد: دعاء للميت بأن تظل
ذكراه قريبة

نُمِدُّهُمْ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ بَقِيَّتِنَا وَلَا يَوُوبُ إِلَيْنَا مِنْهُمْ أَحَدُ
نعزز جيش الموتى كل يوم بأفراد من بقيتنا، ولا يعود من يموت

٩١ مَا عَلَى الدَّهْرِ مَعْتَبُ

الْقَطْمَشُ الضَّيُّ:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو، لَا إِلَى النَّاسِ، أَنَّنِي أَرَى الْأَرْضَ تَبْقَى وَالْأَخِلَاءَ تَذْهَبُ
الأرض تبقى والأحباب يذهبون

أَخْلَايَ لَوْ غَيْرُ الْجَمَامِ أَصَابَكُمْ عَتَبْتُ، وَلَكِنْ مَا عَلَى الدَّهْرِ مَعْتَبُ
يا أحبائي لو أن الذي أصابكم كان شخصاً كنت عتبت عليه، ولكن.. لا عتب على الدهر

٩٢ بكاء ولا صبر

إِذَا مَا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ وَالْبُكَاءَ أَجَابَ الْبُكَاءُ طَوْعاً وَلَمْ يُجِبِ الصَّبْرُ
البكاء يلبي دعوتي، والصبر لا يأتيني
فَإِنْ يَنْقَطِعْ مِنْكَ الرَّجَاءُ، فَإِنَّهُ سَيَنْقُصُ عَلَيْكَ الْحُزْنَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ
لا رجاء في عودتك، والحزن عليك خالد

٩٣ فحملتها

مَوْلَاكَ الْمَزْمُومِ يَرْنِي امْرَأَتَهُ أُمَ الْعَلَاءِ:
أَمُرُّ عَلَى الْجَدَثِ الَّذِي حَلَّتْ بِهِ أُمُّ الْعَلَاءِ فَحَبَّيْهَا لَوْ تَسْمَعُ
الجدث: القبر
أَنْتَى حَلَلْتِ وَكُنْتِ جِدًّا فَرُوقَةً بَلَدًا يَمُرُّ بِهِ الشُّجَاعُ فَيَفْرَعُ؟
كيف نزلت وأنت جد فروقة، خوافة جداً، بلداً يفزع منه الرجل الشجاع، وهو المقبرة؟
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مِنْ مَفْقُودَةٍ إِذْ لَا يُلَاقِيكَ الْمَكَانُ الْبَلَقُ
صلى عليك الله، رحمك، فلا يلائمك المكان البلق، الخالي المقفر
وَلَقَدْ تَرَكْتِ صَغِيرَةً مَرْحُومَةً لَمْ تَذِرْ مَا جَزَعُ عَلَيْكَ فَتَجَزَعُ
تركت ابنة صغيرة مرحومة، محزون عليها، وهي لا تعرف بعد معنى الجزع
فَقَدَّتْ شَمَائِلَ مِنْ لِزَامِكَ حُلُوةً فَتَبَيَّتْ تُسَهِّرُ أَهْلَهَا وَتُفَجِّعُ
لكنها فقدت شمائل، مزايا، من قبيل لزامك، ضحك لها.. لذا تبئت باكية تجعل أهلها يسهرون
وهي تشعرهم بفجيعة الفقد

فَإِذَا سَمِعْتُ أُنَبِّئُهَا فِي لَيْلِهَا طَفِقْتُ عَلَيْكَ شَوْوُنَ عَيْنِي تَذْمَعُ
شؤون العين: مجاري الدمع

وَلَقَلَّمَا لَبِثْتُ خِلَافَكَ أَنْ رَأْتُ مَلَكاً دَعَا وَدُعَاؤُهُ يُتَوَقَّعُ
وبعد موتك بقليل لم تلبث أن رأيت رات ملكاً من الملائكة يدعوها،
ودعوة هذا الملك متوقعة لكل إنسان

فَحَمَلْتُهَا وَحَفَرْتُ عَنْدَكَ قَبْرَهَا جَزَعاً وَكُنْتُ إِخْأَلْنِي لَا أَجْزَعُ

فدفنتها قريك، وجزعت واضطربت

٩٤ لِيَمُتْ مِنْ شَاءَ بَعْدَكَ !

قال الشاعر يرثي رجلاً اسمه جارية :

«أَجَارِي» مَا أَزْدَادُ إِلَّا صَبَابَةً إِلَيْكَ وَمَا تَزْدَادُ إِلَّا تَنَائِيَا

أزداد شوقاً إليك، وأنت تزداد ابتعاداً

«أَجَارِي» لَوْ نَفْسٌ قَدَّتْ نَفْسَ مَيِّتٍ قَدَيْتُكَ مَسْرُوراً بِنَفْسِي وَمَالِيَا

ليت كان ممكناً أن أموت بدلاً منك، وإني لمسرور بذلك

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَمْلَأَكَ حِقْبَةً فَحَالَ قَضَاءُ اللَّهِ دُونَ رَجَائِيَا
كنت أرجو أن أملك، أن أمتنع برويتك، بعض الوقت، ولكن قضاء الله حال دون رجائي

أَلَا لِيَمُتْ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّمَا عَلَيْكَ مِنَ الْأَقْدَارِ كَانَ حِذَارِيَا

فليمت بعدك من شاء أن يموت، فقد كنت خائفاً حذراً عليك وحدك من يد القدر

٩٥ بلا ظل رجل

فاطمة بنت الأخجَم الخُزَاعِيَّة :

يَا عَيْنُ بَكِّي عِنْدَ كُلِّ صَبَاحٍ جُودِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى الْجَرَّاحِ

ابكي يا عيني كل صباح وكوني سخية بالدمع من المآقي الأربعة، أطراف العينين كلتيهما،
على الجراح

قَدْ كُنْتُ لِي جَبَلاً أَلُوذُ بِظِلِّهِ فَتَرَكْتَنِي أَضْحَى بِأَجْرَدَ ضَاحٍ

كنت جبلاً ألبأ إلى ظله، كناية عن الاحتماء به، فتركتني أضحى، أي أصبح ضاحية أي مكشوفة
للشمس، بأجرد ضاح، في مكان أجرد ضاح، أي مكشوف للشمس

قَدْ كُنْتُ ذَاتَ حَمِيَّةٍ مَا عِشْتَ لِي أَمْشِي الْبَرَّازَ وَكُنْتَ أَنْتَ جَنَاحِي

كنت ذات عزة وأنت حي، أمشي بارزة للناس لا أخشى أحداً، وكنت أنت جناحي الذي به أطيّر

فَالْيَوْمَ أَخْضَعُ لِلذَّلِيلِ وَأَتَّقِي مِنْهُ، وَأَذْفَعُ ظَالِمِي بِالرَّاحِ

بالراح: باليد. كأنها تتخيل وقد أحاط بها الطامعون فهي تدفعهم بيدها دفعاً لتبعدهم.. حتى لو
كانوا من الأذلاء

وَأَغْضُ مِنْ بَصْرِي، وَأَعْلَمَ أَنَّي قَدْ بَانَ حَدُّ فَوَارِسِي وَرِمَاحِي
أغض بصري دفعاً للطامعين عارفة بأنه قد بان، فارق، حد سيوف ورماح فرساني

٩٦ السُّلَكَةُ تَرْتِي ابْنَهَا

السُّلَكَةُ تَرْتِي ابْنَهَا السُّلَيْكَ، وَيَقَالُ إِنَّهَا لَأَمْ تَأْبِطُ شُرّاً:

طَافَ يَبْغِي نَجْوَةً مِنْ هَلَاكِ، فَهَلَاكَ
طاف يطلب رزقاً يتجبه من الموت جوعاً فهلك قتلاً

لَيْتَ شِعْرِي ضَلَّهَ أَيُّ شَيْءٍ قَتَلَكَ
ضلة: هذه كلمة يحشرها القدماء في أكثر من موضع، وهي مثل قولة الناس اليوم: «كشل»، و«يا خرابي» و«يا للأسف» و«عزا» و«يا للخسارة» و«حسافة»

أَمْرِيضٌ لَمْ تُعَذِّ أَمْ عَدُوٌّ خَتَلَكَ
ختلك: خدعك فنالكَ، والختل للصيد

أَمْ تَوَلَّى بِكَ مَا غَالَ فِي الدَّهْرِ «السُّلُوكُ»
أم أنك مت ميتة عادية كما مات في الدهر الغابر أبناء قومك «السلك»

وَالْمَنَائِيَا رَصَدٌ لِفَقْتِي حَيْثُ سَلَكَ
أَيُّ شَيْءٍ حَسَنٌ لِفَقْتِي لَمْ يَكْ لَكَ
كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ حِينَ تَلْقَى أَجَلَكَ
طَالَمَا قَدْ نِلْتَ فِي غَيْرِ كَدٍّ أَمْلَكَ
إِنْ أَمَرًا فَاذْهَبْ عَنْ جَوَابِي شَفَلَكَ
سَأَعَزِّي النَّفْسَ إِذْ لَمْ تُجِبْ مَنْ سَأَلَكَ
لَيْتَ قَلْبِي سَاعَةً صَبْرُهُ عَنْكَ مَلَكَ
ليت قلبي يملك الصبر عن فقدك

لَيْتَ نَفْسِي قُدِّمَتْ لِلْمَنَائِيَا بِدَلْكَ

٩٧ المضيف العذَّور

المُجَبِّرُ السُّلُولِي:

فَتَى قَدْ قَدَّ السِّيفُ لَا مُتَضَائِلٌ وَلَا رَهْلٌ لَبَّائُهُ وَأَبَاجِلُهُ
فتى له قد كقد السيف، ليس ضئيل الجسم ولا مترهلاً في لبائه، في صدره، وأباجله، عروق فخذه

إِذَا جَدَّ عِنْدَ الْجِدِّ أَرْضَاكَ جِدُّهُ وَدُوْ بَاطِلٍ إِنْ شِئْتَ أَلْهَاكَ بَاطِلُهُ

كان جاداً ولاهياً، ولكل منهما وقته

يُسْرُكَ مَظْلُومًا، وَيُزْضِيكَ ظَالِمًا وَكُلُّ الَّذِي حَمَلْتَهُ فَهُوَ حَامِلُهُ

إذا كنت مظلوماً أخذ بحقك، وإذا كنت ظالماً أعانك وأرضاك ويحمل عنك ما تريده أن يحمله من ديات مثلاً

إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ كَانَ عَذُورًا عَلَى الْحَيِّ حَتَّى تَسْتَقِيلَ مَرَاجِلُهُ

إذا جاءه الأضياف كان عذوراً على الحي، أي غضوباً على أهله، حتى تستقل المراحل، أي ترفع القدور على النار

٩٨ الجامع الصادع

أَبُو الْحَجَنَاءِ مَوْلَى بَنِي أَسَدٍ:

أَعَاذِلُ مَنْ يُرْزَأُ كَحَجَنَاءٍ لَا يَزَلُ كَثِيبًا وَيَزْهَدُ بَعْدَهُ فِي الْعَوَاقِبِ

يا عاذلي من يرزأ، يُصَبِّ، بشاب كحجناء يظل كثيباً، ويصح قليل الاهتمام بالعواقب، بما سيأتي

حَبِيبٌ إِلَى الْفَتَيَانِ صُحْبَةٌ مِثْلِهِ إِذَا شَانَ أَصْحَابَ الرِّجَالِ الْحَقَائِبُ

يحب الفتیان صحبته، بينما أصحاب الرجال من غيره تشبههم حقائبهم، تعيهم حقائبهم التي فيها أشياء ولا يمنحون منها لأصحابهم. والحقيقة هي كيس يوضع على حقو الجمل وفيه الثياب والطرائف

نِظَامُ أَنَاسٍ كَانَ يَجْمَعُ شَمْلَهُمْ وَيَصْدَعُ عَنْهُمْ عَادِيَاتِ النُّوَابِ

كان الفقيد الخيط الناظم لقومه يجمع شملهم ويصدع عنهم، أي يفرق عنهم، المصائب التي تعدو عليهم

وَجَرَّبْتُ مَا جَرَّبْتُ مِنْهُ فَسَّرْنِي وَلَا يَكْشِفُ الْفَتَيَانَ غَيْرُ التَّجَارِبِ

٩٩ رثاء الدكتاتور

مُهَلِّلُ يَرْثِي أَخَاهُ كَلِيًّا:

نُبِّئْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أَوْقَدْتُ وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كُلَيْبُ الْمَجْلِسُ

خبروني أن النار التي كنت وحدك من يوقدها لاستقبال الأضياف، قد أوقدت بعد موتك، وخبروني أن القوم في مجلسهم بدأوا يشتامون، وما كانوا ليجرؤوا على ذلك في مجلسك

وَتَكَلَّمُوا فِي أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهُمْ بِهَا لَمْ يَنْبِسُوا

صاروا يتبادلون القول في عظام الأمور ولم يكونوا يتكلمون في حياتك

١٠٠ ثبات حتى الممات

أم الصَّريح الكِنْدِيَّة:

أَبَوْا أَنْ يَفِرُّوا وَالْقَنَا فِي نُحُورِهِمْ وَأَنْ يَرْتَفُوا مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلَّمَا
رَفَضُوا الْفِرَارَ وَالرِّمَاحَ فِي نُحُورِهِمْ، فِي أَعَالِي صُدُورِهِمْ، وَرَفَضُوا أَنْ يَصْعَدُوا بِسَلَمٍ هَرَبًا مِنْ
الْمَوْتِ، كَنَايَةً عَنِ الْفِرَارِ. لَعَلَّ الْعَرَبِيَّ الْقَدِيمَ كَانَ يَصْعَدُ شَجَرَةً فِرَارًا مِنْ ذَنْبٍ أَوْ ضَعْفٍ
فَلَوْ أَنَّهُمْ فَرُّوا لَكَانُوا أَعِزَّةً وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمًا
لَوْ فَرُّوا لَظَلُّوا كِرَامًا، وَلَكِنَّهُمْ رَأَوْا أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمَ لَهُمْ

١٠١ كنت السمع والبصر

صَفِيَّةُ الْبَاهِلِيَّةُ تَرثِي زَوْجَهَا:

كُنَّا كَغُضْنَيْنِ فِي جُرْثُومَةٍ سَمَقًا حِينَ بَأَحْسَنِ مَا يَسْمُو لَهُ الشَّجَرُ
كُنَا غَصْنَيْنِ فِي جُرْثُومَةٍ، أَصْلُ النَّبْتَةِ، سَمَقًا، ارْتَفَعَا زَمَنًا فَكَانَا كَأَحْسَنِ مَا يَكُونُ الشَّجَرُ
حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ طَالَتْ فُرُوعُهُمَا وَطَابَ قِيَامُهُمَا وَاسْتُنْظِرَ الثَّمَرُ..
فَلَمَّا طَالَتْ فُرُوعُهُمَا وَأَصْبَحَ لَهَا فِيءٌ طِيبٌ، أَيُّ ظِلِّ طِيبٍ، وَانْتَظَرَ النَّاسُ الثَّمَرَ..
أَخْنَى عَلَى وَاحِدِي رَبِّ الزَّمَانِ، وَمَا يُبْقِي الزَّمَانَ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَذَرُ
أَخْنَى، أَيُّ جَارٍ، عَلَى وَاحِدِي، نَصِيرِي الْوَاحِدِ، الزَّمَنُ الَّذِي لَا يَبْقَى عَلَى شَيْءٍ
كُنَّا كَأَنْجُمٍ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ يَجْلُو الدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِنَا الْقَمَرُ
فَاذْهَبَ حَمِيدًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَضْضٍ فَقَدْ ذَهَبَتْ وَأَنْتَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
اذهب محموداً رغم ما سبَّه رحيلك من مضض، ألم

١٠٢ الجديز بالشاء

عبد الله بن أيوب التميمي، الشاعر العباسي يرثي منصور بن زياد، ورويت
لمسلم بن الوليد وقبلها بيت، وتجده في كتابنا عن الشعر في مطلع العصر
العباسي، وهو كتاب فرغنا من معظمه، فإن طبع هذا فأخلق بذاك أن يجد طريقه
إلى المطبعة:

عَمَّتْ قَوَاضِيْلُهُ فَعَمَّ مُصَابُهُ فَاَلنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَأْجُورُ
عم فضله فعم الحزن عليه، فلكل الناس أجر عند الله لصبرهم على المصيبة فيه

يُثْنِي عَلَيْكَ لِسَانٌ مَنْ لَمْ تُؤْلِهِ خَيْراً لَأَنَّكَ بِالثَّنَاءِ جَدِيرٌ

بثني عليك لسان من لم توله خيراً، لم تمنحه من خيرك، فقط لأنك تستحق الثناء

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورٌ

صنائع الفقيد، أفعاله الحسنة، جعلته يحيا بعد موت، فكأنه من نشرها، من طيب عبيرها، منشور، مبعوث بعد موت

وَالنَّاسُ مَاتَمُّهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ فِي كُلِّ دَارٍ رَنَّةٌ وَزَفِيرٌ

الرنة: العويل، والزفير: أخو الشهيق

عَجَباً لَأَرْبَعٍ أَذْرُعٍ فِي خَمْسَةٍ فِي جَوْفِهَا جَبَلٌ أَشَمُّ كَبِيرٌ

عجبا للقبر بمقاييسه وفي داخله جبل عال كبير. (دعاني مصححي الشاعر عمران الففيني إلى قراءة قصيدة المتنبي «ما كنت أحسب قبل دفنك في الثرى» كي أقارنها بهذه القصيدة.. وأنا ذاهب لأفعل. وتعليقي الآن - وقد رجعت - أن «المعاني» في الشعر نغدت بسرعة، ربما نقول بسرعة صاروخية عندما نعلم أن عنترة في قلب الجاهلية اشتكى من نفادها، ومن أن الشعراء لم يتركوا شيئاً إلا قالوه. وجاء المتنبي بعد عنترة بأربعمئة سنة وراح يغلف معاني القدماء بأغلفة جديدة. هذا عن المعاني، فأما الروح الكامن في جوف المعنى فلا نفاد له. أسرف القدماء في تعقب المعاني وصنع سلاسل من الأنساب لها. لكنهم هونوا الأمر علينا عندما قالوا إن الشاعر الذي يأخذ المعنى ويضعه في ثوب أجمل وأكمل فهو أحق به. ونضيف إلى قولهم أن من وضع المعنى في ثوب مختلف، أكان أجمل وأكمل أم لم يكن، فهو أحق ببيته وبالروح الكامن في بيته.. ولا بأس بعد ذلك أن نغمزه غمزة نقدية ونقول له: يا سارق! ألا ترى ابن زريق البغدادي يقول «ودعته وبودي لو يودعني/ صفو الحياة وأني لا أودعه» فإذا به يكرر ما قالته أم زهير رحمها الله - هي جارتنا في نابلس بفلسطين، وهي شامية المولد - «تقبرني»؟ أو ما قالته الأخرى - جارة لنا أخرى - «جعل يومي قبل يومك! لكن ابن زريق جعل بيته وسط أبيات بديعة تعبر عن نفسه فكان بيتاً بديعاً. وأم زهير قالت لحفيدها «تقبرني» مع أن الكلمة قديمة، وجاءت كلمتها حلوة وصادقة لأنها فعلاً ترجو له اكتمال العمر وترجو أن يقبرها.. وقد فعل

١٠٣ ما كان ضحكك؟

قَتِيلَةُ بِنْتِ النَّضَرِ بْنِ الْحَارِثِ، وَهِيَ مِنْ أَقَارِبِ النَّبِيِّ، وَقَدْ قَتَلَ النَّبِيُّ أَبَاهَا، وَقَالَتْ تَرْتِيهِ بِالْقَصِيدَةِ. وَعِنْدَمَا سَمِعَ النَّبِيُّ رِثَاءَهَا بَكَى وَقَالَ: لَوْ جِئْتَنِي مِنْ قَبْلِ لَفُوتِ عَنْهُ:

بَا رَاكِباً إِنَّ «الْأَيْلَ» مَظْنَّةٌ مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ، وَأَنْتَ مُوَفَّقٌ

أيها الراكب إن الأيل مظنة من صبح خامسة، أي أن الأيل مكان تبلغه صباح الليلة الخامسة من مسيرك، وأرجو لك التوفيق في تبلغ رسالتي

بَلَّغْ بِهَا مَيِّتاً فَإِنَّ تَحِيَّةَ مَا إِنْ تَزَالَ بِهَا الرِّكَائِبُ تَخْفِقُ

بلغ الميت المدفون هناك تحية ظلت الإبل تخفق، تسير، وهي تحملها

مِنِّي إِلَيْهِ وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ جَادَتْ لِمَائِحِهَا، وَأُخْرَى تَخْنُقُ

بلغ رسالة مني إليه ودعة سائلة جادت لمائحها، كانت سخية لطالها،

ودعة أخرى تخفني ولما تنزل

فَلْيَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ إِنْ كَانَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ أَوْ يَنْطِقُ

فليسمع أخي «النضر» رسالتي إن كان الميت يسمع

ظَلَّتْ سَيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوُسُهُ لَلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تَشَقُّقُ

ظلت سيوف قومه تتناول، لله، يا للعجب، كيف يتم تمزيق أواصر القرى

أُمَحَمَّدٌ وَلَأَنْتَ ضِنْءٌ كَرِيمَةٌ مِنْ قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقٌ

يا محمدا! وأنت ضنء، ابن، أم كريمة من نساء قومها، والأب معرق، قديم في الشرف والنسب

مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرَبِّمَا مَنَّ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيْظُ الْمُخْنَقُ

ما كان ضرك لو مننت، عفوت، وقد يعفو المرء وهو حائق

وَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَصَبَتْ وَاسِيلَةٌ وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِثْقٌ يُعْتَقُ

والنضر هو أقرب من أصبت، أقرب الأسرى الذين نلتهم، وسيلة، قرابة، وأحقهم بأن يخلى سبيله

١٠٤ كامل الأوصاف

النابعة الجعدي:

فَتَى كَانَ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا

فَتَى كَمَلْتُ خَيْرَاتِهِ، خَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا

١٠٥ الضار النافع

قالت امرأة من كِنْدَةَ:

لَا تُخَيِّرُوا النَّاسَ إِلَّا أَنْ سَيِّدَكُمُ أَسْلَمْتُمُوهُ وَلَوْ قَاتَلْتُمُ امْتَنَعَا

اعترفوا للجميع بأنكم أسلمتم سيديكم وتخليتم عنه، ولو قاتلتم دونه لامتنع، كان منيعاً لا يناله العدو

أَنْعَى فَتَى لَمْ تَذَرِ الشَّمْسُ طَالِعَةً يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا ضَرَّ أَوْ نَفَعَا

كان رجلاً ينفع الصديق ويضر العدو كلما ذرت الشمس، أي طلعت، أي في كل يوم من أيام حياته

١٠٦ المتجشم

رُقِيَّةُ الْجَزْمِيِّ مِنْ طِيءٍ:

أَقُولُ، وَفِي الْأَكْفَانِ أَبْيَضُ مَا جَدُّ كَغَضَنِ الْأَرَاكِ وَجْهُهُ حِينَ وَسَمًا:

أقول وقد أدرج في كفه رجل أبيض ماجد، سيد شريف، وجهه كفصن شجر الأراك الذكي حين
وسم، أي ظهر

أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ رَائِيًّا رِفَاعَةً بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَّا تَوَهُمَا؟

هل صحيح أنني لن أراه بعد اليوم إلا في خيالي؟

فَأَقْسِمُ مَا جَشَّمْتُهُ مِنْ مُلِمَةٍ تَوُودُ كِرَامَ الْقَوْمِ إِلَّا نَجَشَّمَا

ما كنت حملته من ملمة، مهمة، تؤود الكرام، تنقل كاهل الأشراف، إلا حملها

وَلَا قُلْتُ مَهْلًا وَهُوَ غَضْبَانٌ قَدْ غَلَا مِنْ الْغَيْظِ وَسَطَ الْقَوْمِ إِلَّا تَبَسَّمَا

ولا استوقفته وهو غضبان يغلي من الغيظ إلا خرج عن غضبه وتبسم

١٠٧ لماذا نحن؟

عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ الْمَرِي:

لِتَغْدُ الْمَنَايَا حَيْثُ شَاءَتْ، فَإِنَّهَا مُحَلَّلَةٌ بَعْدَ الْفَتَى ابْنِ عَقِيلٍ

لتغد المنايا، لتأت المنايا صباحاً إلى أي مكان تريد فهذا حلال لها بعد أن مات ابن عقيل

كَأَنَّ الْمَنَايَا تَبْتَغِي فِي خِيَارِنَا لَهَا تِرَةً أَوْ تَهْتَدِي بِذَلِيلٍ

كأن الموت يطلب عند أفضل رجالنا ترة، تاراً،

أو كأن الموت يهتدي إلى هؤلاء الرجال بذليل

١٠٨ كلنا لها

فِي بَعْضِ تَطَوَّافٍ «ابْنِ طُغْ» مَةً آمِنًا لَا قَى حِمَامَةٍ

التطواف: التجوال، الحمام: الموت

رَصْدًا لَهُ مِنْ خَلْفِهِ يَغْتَرُّهُ لَا بَلْ أَمَامَهُ

كان الموت يرصده من خلفه ليغتره، ليفاجئه، لا بل من أمامه

غُرَّامَرُؤُ مَنَنْتُهُ نَفْسٌ أَنْ تَدُومَ لَهُ السَّلَامَةُ

١٠٩ ثكل على كبر

هَكَرْشَةُ أَبُو الشَّغْبِ يَرْتِي ابْنَهُ شَغْبًا:

قَدْ كَانَ «شَغْبٌ» لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَمَّرَهُ عِزًّا تُزَادُ بِهِ فِي عِزِّهَا مُضَرُّ
لَوْ عُمِّرَ شَغْبٌ لَزَادَ فِي عِزِّ قِبَائِلٍ مُضَرِّ

فَارْقُتْ شَغْبًا وَقَدْ قَوَّسْتُ مِنْ كِبَرٍ لَبِئْسَتِ الْخَلَّتَانِ الثُّكْلُ وَالْكِبَرُ
الخلتان: الخصلتان

١١٠ الله يرحمك وكفى

قال رجل من بني أسد يرتي أخاً له:

لَوْ كَانَ يُنْجِي مِنَ الرَّدَى حَدَرٌ نَجَّاكَ مِمَّا أَصَابَكَ الْحَدَرُ
يَرْحَمُكَ اللَّهُ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ لَمْ يَكُ فِي صَفْوٍ وَدُوهُ كَبَدَرُ

١١١ انقطاع الأنين

أبو عمارٍ الأسدي يرتي ابناً له اسمه معين:

ظَلِلْتُ «بِخُسْرِ سَابُورٍ» مُقْبِماً يَوْرَقُنِي أَنْبُكَ يَا مَعِينُ
وَنَامُوا عَنْكَ، وَاسْتَبَقَظْتُ حَتَّى دَعَاكَ الْمَوْتُ، وَانْقَطَعَ الْأَنْبِينُ

١١٢ المشاطرة

قال الشاعر يرتي ابناً له ثانياً:

وَقَاسَمَنِي دَهْرِي بَيْنِي مُشَاطِرًا فَلَمَّا تَقَضَى شَطْرُهُ عَادَ فِي شَطْرِي
قَاسَمَنِي زَمَنِي أَبْنَائِي بِالنِّصْفِ، أَيَّ أَمَاتِ نَصْفِهِمْ، فَلَمَّا أَخَذَ نِصْفَهُ، عَادَ لِيَأْخُذَ نِصْفِي، فَمَاتُوا
جَمِيعًا. وهما ولدان على كل حال

أَلَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي، وَلَيْتَنِي سَبَقْتُكَ إِذْ كُنَّا إِلَى غَايَةِ نَجْرِي
بِمَا أَنَا نَسِيرُ نَحْوَ غَايَةِ وَاحِدَةٍ هِيَ الْمَوْتُ فَلَيْتَنِي قُدِّمْتَ قَبْلَكَ، يَرْتِي الْوَلَدُ الثَّانِي

وَكُنْتُ بِهِ أَكُنْتِي فَأَصْبَحْتُ كُلَّمَا كُنْتُ بِهِ فَاضَتْ دُمُوعِي عَلَى نَحْرِي
كَانَتْ كِنْيَتِي عَلَى هَذَا الْإِبْنِ الَّذِي مَاتَ، فَكَلِمَا نَادُونِي بِالْكِنْيَةِ فَاضَتْ دُمُوعِي عَلَى صَدْرِي

وَقَدْ كُنْتُ ذَا نَابٍ وَطُفَّرٍ عَلَى الْعِدَى فَأَصْبَحْتُ لَا يَخْشَوْنَ نَابِي وَلَا طُفْرِي

١١٣ مؤتمر داخل النفس

قال أعرابي:

لَحَا اللَّهُ دَهْرًا شَرُّهُ قَبْلَ خَيْرِهِ تَقَاضَى فَلَمْ يُحْسِنْ إِلَيَّ التَّقَاضِيَا

لعن الله الدهر الذي يأتي شره قبل خيره، لقد قاضاني في هذا الفتى، كأنه خاصمني فيه أمام شيخ العشيرة، فلم يكن سهلاً في خصومته

فَتَى كَانَ لَا يَطْوِي عَلَى الْبَخْلِ نَفْسَهُ إِذَا ائْتَمَرَتْ نَفْسَاهُ فِي السَّرِّ خَالِيَا

هذا الفتى كان إذا ائتمرت نفسه، أي تشاورتا، فازت النفس الخيرة.. فكانه جعل له نفسين تتحاوران: واحدة سخية والأخرى بخيلة، والفوز دائماً للسخية

١١٤ السبيل سبيله

إِن الْمَسَاءَ لِلْمَسَرَّةِ مَوْعِدٌ أُخْتَانِ رَهْنٌ لِلْعَشِيَّةِ أَوْ عَدِ

الشيء السيء والشيء السار يعد أحدهما بالآخر، هما أختان لا تتأخر إحداهما عن اللحاق بأختها في المساء أو الصباح

فَإِذَا سَمِعْتَ بِهَالِكٍ فَتَيَقَّنْ أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُهُ وَتَزَوَّدْ

كلما سمعت بميت فاعلم أن طريقك طريقه فتزود من صالح الأعمال

١١٥ صخرة الأسرار

يسكين الدارمي الشاعر الأموي:

وَفَتَيَانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جَمَاعُهُمَا

رب فتیان صدق، حقیقین، أعرف الكثير عنهم ولا أطلع أحدهم على سر الآخر، والأسرار كلها عندي

لِكُلِّ امْرِئٍ شِعْبٌ مِنَ الْقَلْبِ فَارْغُ وَمَوْضِعٌ نَجْوَى لَا يُرَامُ اِطْلَاعُهَا

لكل امرئ منهم طريق في القلب مخصص له، ولكل منهم موضع نجوى، مكان للسِر، ولا سبيل للاطلاع على هذه النجوى

يَظْلُونَ شَتَّى فِي الْبِلَادِ، وَسِرُّهُمْ إِلَى صَخْرَةٍ أَهْيَا الرِّجَالِ انْصِدَاعُهَا

متفرقون في البلاد، وسرهم موجود عند صخرة أعجز الرجال انصداعها، تشققها

١١٦ المسامحة

يحيى بن زياد:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ لَاحَ بَيَاضُهُ بِمَفْرِقِ رَأْسِي قُلْتُ لِلشَّيْبِ مَرْحَبَا
وَلَوْ خِلْتُ أَنِّي إِنْ كَفَفْتُ تَحِيَّتِي تَنَكَّبَ عَنِّي رُمْتُ أَنْ يَتَنَكَّبَا
لو ظننت أنني بعدم إلقاء التحية على الشيب سيتنكب عني، سيتجنبي، لكنك رجوت أن يتجنبي
ولكن إذا ما حلَّ كُرَّةُ فَسَامَحْتُ به النفس يوماً كان لِلْكَرَّةِ أَذْهَبَا
إذا حل المكروه بالمرء فسامحت النفس وقبلته، فذلك يساعد في ذهاب المكروه.. أي أن القبول
بالأمر الواقع يجعله هيناً

١١٧ الأمور تقبل أشباها

شبيب بن البرصاء المُرِّي:

وإِنِّي لَتَرَأُكَ الضَّغِينَةَ قَدْ بَدَا ثَرَاهَا مِنَ الْمَوْلَى فَلَا أُسْتَشِيرُهَا
أترك الضغينة، الحقد. يبدو هذا الحقد وكأنه الثرى، التراب،
وأنا لا أثير هذا التراب بل أتركه راکداً
مَخَافَةً أَنْ تَجْنِي عَلَيَّ، وَإِنَّمَا يَهْيِجُ كَبِيرَاتِ الْأُمُورِ صَغِيرُهَا
فالحقد على الآخرين يجني عليّ البلية، والأمور الكبيرة تهيجها، وتحركها، الأمور الصغيرة
لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْرَفْتُ يَوْمَ عُنَيْزَةٍ عَلَى رَغْبَةٍ لَوْ شَدَّ نَفْسِي مَرِيرُهَا!
لقد كانت لي رغبة في معركة عنيزة - لعلها رغبة في السلم - وليت نفسي قد شدها مريرها، قويت
على ذلك القرار!

تَبَيَّنَ أَعْقَابُ الْأُمُورِ إِذَا مَضَتْ وَتُقْبَلُ أَشْبَاهُا عَلَيْكَ صُدُورُهَا

تبين أعقاب الأمور، نتائجها، بعد انتهائها، ولكن الأمور وهي مقبلة عليك تبدو متشابهة فلا
تستطيع التمييز بين حسن وسيء

١١٨ ستقطع يمينك!

معن بن أوس، وكان له صديق ومعن متزوج بأخته فاتفق أن طلقها، وتزوج غيرها، فآلى
صديقه أن لا يكلمه أبداً، فأنشأ معن يقول يستعطفه ويحذره:

لَعَمْرِي مَا أَدْرِي، وَإِنِّي لَأَوْجَلُ عَلَى أَيَّنَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ

أوجل: أخاف

وإِنِّي أَخَوْكَ الدَّائِمُ الْعَهْدُ لَمْ أَخُنْ إِنَّ ابْنَاكَ خَضَمٌ أَوْ نَبَا بِكَ مَنْزِلٌ

ابنك: بطش بك، نبا بك منزل: اضطرت لترك المكان

أَحَارِبُ مَنْ حَارَبْتَ مِنْ ذِي عَدَاوَةٍ وَأَخِيْسُ مَالِي إِنْ غَرِمْتَ فَأَعْقِلُ
أحارب من تحاربه أنت من الأعداء، وأوفر مالي إن وجب عليك سداد فأعقل، أدفع الإبل سداداً
عنك

وإِنْ سُوِّتَنِي يَوْمًا صَفَحْتُ إِلَى غَدٍ لِيُعْقِبَ يَوْمًا مِنْكَ آخِرُ مُقْبِلُ
انتظر بعد إساءتك حتى تهدأ الأمور وأصالحك عقب الإساءة

فَلَا تَغْضَبْنِ قَدْ تُسْتَعَارُ ظَعِينَةٌ وَتُرْسَلُ أُخْرَى كُلُّ ذَلِكَ يُفْعَلُ
فلا تغضب لأنني طلقت أختك، فقد تؤخذ ظعينة، امرأة، وترسل أخرى، تطلق، فهذا شيء يفعله
الناس

وإِنِّي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْكَ تُرِبُّنِي قَدِيمًا لَذَوْ صَفْحٍ عَلَى ذَاكَ مُجْمِلُ
وأنا أصفح مجملًا، متفضلاً، منذ زمن على أشياء مريبة تأتي منك

سَتَقْطَعُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي يَمِينُكَ، فَاَنْظُرْ أَيَّ كَفٍّ تَبَدَّلُ
وَفِي الْأَرْضِ إِنْ رَثْتَ جِبَالَكَ وَاصِلٌ وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْقَلَى مُتَحَوِّلُ
إن رثت جبالك، اهترأت أي انقطعت العلاقات، ففي الأرض من أصل جبل العلاقة معه سواك،
وفي الأرض متحول، تحول، عن دار القلى، أي مكان البغض

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتُهُ عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ
قلة الإنصاف تؤدي إلى القطيعة

وَيَرْكَبُ حَدَّ السِّيفِ مِنْ أَنْ تَضِيْمَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفَرَةِ السِّيفِ مَزْحَلُ
والمرء يلجأ للسيف إذا أحس أنك تضيمه، تظلمه، هذا إن لم يكن عن حد السيف مزحل، بدليل
وكنْتُ إِذَا مَا صَاحِبٌ رَامَ ظَنَّتِي وَبَدَّلَ سُوءًا بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ . .
كنت إذا صاحب رام ظنتي، قصد إلى تشويه أفعالي، وبادلني سوءاً بفعلتي . .

قَلْبْتُ لَهُ ظَهَرَ الْمِجَنِّ فَلَمْ أَدُمُ عَلَى ذَاكَ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ
قلبت له ظهر المجن، قلبت له ترسي . . بمعنى انقلبت عليه،
وبسرعة تحولت عن الود إلى العداوة

إِذَا انْصَرَفْتُ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكُذْ إِلَيْهِ يَوَجِّهِ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبِلُ

١١٩ أغنياء وفقراء

إياس بن القائف:

تُقْبِمُ الرِّجَالُ الْأَغْنِيَاءَ بِأَرْضِهِمْ وَتَرْمِي النَّوَى بِالْمُقْتَرِينَ الْمَرَامِيَا

المقترون: الفقراء، النوى: الفراق

فَأَكْرِمُ أَخَاكَ الدَّهْرَ مَا دُمْتُ مَعَهُ كَفَى بِالْمَمَاتِ فُرْقَةً وَتَقَالِيَا

أكرم صاحبك ولا تفارقه، فكفى بالموت فرقة وتقالياً، تباغضاً وتعادياً

إِذَا زَرْتُ أَرْضاً بَعْدَ طَوِيلِ اجْتِنَابِهَا فَقَدْتُ صَدِيقِي، وَالْبَلَادُ كَمَا هِيََا

١٢٠ الاحتيال لزلة الصديق

سالم بن وابصة:

أُحِبُّ الْفَتَى يَنْفِي الْفَوَاحِشَ سَمْعُهُ كَأَنَّ بِهِ عَنْ كُلِّ فَاكِشَةٍ وَقُرَا

أذنه ترفض قبول الكلام الفاحش فكان بها وقراً، أي سداداً

سَلِيمٌ دَوَاعِي الصَّدْرِ لَا بَاسِطاً أَدَّى وَلَا مَانِعاً خَيْراً وَلَا قَاتِلاً هُجْراً

سليم دواعي الصدر، سليم النوايا، لا يبادر بالأذى،

ولا يمنع خيره، ولا يقول هجراً، شتماً

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُدْعَى كَرِيماً مُكْرَماً أَدِيباً ظَرِيفاً عَاقِلاً مَا جِدَّ حُرّاً .

إِذَا مَا أَنتَ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَئِلاً لِزَلَّتِهِ عُنْزاً

غِنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ خَلَّةٍ فَإِنْ زَادَ شَيْئاً عَادَ ذَاكَ الْغِنَى فَقُرَا

سد الخلّة: منع الفقر

١٢١ أحاظ وجدود

رجل من بني قُريّع:

مَتَى مَا يَرَى النَّاسُ الْغَنَى، وَجَارُهُ فَقِيرٌ، يَقُولُوا عَاجِزٌ وَجَلِيدٌ

يقولون إن الفقير عاجز، بينما الغني جليد، قوي

وَلَيْسَ الْغِنَى وَالْفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ الْفَتَى وَلَكِنْ أَحَاطَ قُسِّمَتْ وَجُدُودُ

لكن الفقر والغنى مجرد أحاظ، أي حظوظ، وجدود، أي حظوظ أيضاً

إِذَا الْمَرْءُ أَهَبَتْهُ الْمَرْوَةُ نَاشِئاً فَمَطَّلَبُهَا كَهَلًا عَلَيْهِ بَعِيدُ

المروءة: الكرم والتجدة والشهامة، وهي تكون في المرء أو لا تكون، فإن أعجزته وهو ناشئ يافع فستكون صعبة عليه وهو كهل... اكتشف الأديب الفلسطيني خليل السكاكيني المروءة وهو يعمل بمصنع في الولايات المتحدة، رأى زملاء يتكاسلون عن مساعدة غيرهم، وليست فيهم تلك الشهامة، وقال: المروءة أن تهب لمساعدة غيرك دون انتظار أجر، أو كما قال

وَكَايْنُ رَأَيْنَا مِنْ غَنِيِّ مُذَمَّمٍ وَصُغْلُوكِ قَوْمَ مَاتَ وَهُوَ حَمِيدُ
كثيراً ما رأينا غنياً مذموماً، وصعلوكاً مات وهو محمود السيرة

١٢٢ عاذر نفسه

وَيَاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعْتَ مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ
لا تدخل في أمر ترى المدخل إليه سهلاً، فإذا أردت الصدور، أي العودة، وجدت المصدر ضيقاً

فَمَا حَسَنٌ أَنْ يَعْذِرَ الْمَرْءَ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَازِرُ
قيح أن يجد المرء لنفسه عذراً عن التقصير بينما لا يعذره أحد من الناس

١٢٣ الإنسان والبعير

العباس بن مرداس:

تَرَى الرَّجُلَ التَّحِيْفَ فَتَزْدَرِيهِ وَفِي أَثَوَابِهِ أَسَدٌ مَزِيرُ
مزير: يزار

وَيُعْجِبُكَ الطَّيْرُ فَتَبْتَلِيهِ فَيُخْلِفُ ظَنَّنَا الرَّجُلَ الطَّيْرُ
الطير، الفتي الذي نبت شاربه، يعجبك فتبتليه، أي تختبره، فيخلف ظنك

فَمَا عِظَمَ الرِّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ
بُعَاثُ الطير أكثرها فراحاً وأُمُّ الصَّفْرِ مَقْلَاتٌ نَزُورُ
بغات الطير، ضعاها، كثيرة الفراخ، وأم الصقر مقلات، كثيرة موت الأولاد، نزور، مقلّة

ضِعَافُ الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا جُسُوماً وَلَمْ تَطُلِ الْبُرْءَةُ وَلَا الصُّقُورُ
البزاة: إخوة الصقور

لَقَدْ عَظُمَ الْبَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ فَلَمْ يَسْتَنْفِ بِالْعِظَمِ الْبَعِيرُ
لب: عقل

يُصَرِّفُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ وَجْهِ - وَيَحْشِيهِ عَلَى الْخَسْفِ الْجَرِيرُ

الخسف: الظلم، الجريز: الحبل

وَتَضْرِبُهُ الْوَلِيدَةُ بِالْهَرَاوَى قَلَا غَيْرُ لَدِيهِ وَلَا نَكِيرُ

البنث تضرب البعير بالعصي، فلا غير لديه، لا غيره وغضب، ولا نكير، لا ينكر فعلها

١٢٤ النصيحة لمن يقبلها

عبيد بن أيوب العبدي:

وَلَا تَعْتَزْضْ فِي الْأَمْرِ تُكْفَى شُؤْنَهُ وَلَا تَنْصَحَنْ إِلَّا لِمَنْ هُوَ قَابِلُهُ

إذا كفأك الشأن الآخرون فلا تتدخل وتصر على أن يكون لك ضلع في كل أمر، ولا تنصح من لا أمل في أن يقبل نصحك

وَلَا تَخْذُلِ الْمَوْلَى إِذَا مَا مُلِمَّةٌ أَلَمْتُ، وَنَازِلٌ فِي الْوَعَى مَنْ يُنَازِلُهُ

لا تخذل المولى، الحليف، إذا ألت ملمة، جاءت مصيبة، وانصره في المعركة

وَلَا تَحْرِمِ الْمَوْلَى الْكَرِيمَ فَإِنَّهُ أَخُوكَ، وَلَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ سَائِلُهُ

ولا تحرم حليفك الكريم، فلا تدري متى تحتاج إليه

١٢٥ لست كالحطیئة

منظور بن سحيم:

وَلَسْتُ بِهَاجٍ فِي الْقَرْىِ أَهْلَ مَنْزِلٍ عَلَى زَادِهِمْ أَبْكِي وَأَبْكِي الْبَوَاكِيَا

لن أهجو قوماً نزلت بهم ولم يقدموا لي القرى، أي طعام الضيف

فإِذَا كِرَامٌ مُوسِرُونَ أَتَيْتُهُمْ فَحَسْبِي مِنْ ذُو عِنْدِهِمْ مَا كَفَانِيَا

فإذا أن يكونوا كراماً وموسرين، فمن ذو عندهم، أي الذي عندهم، أكتفي بما يشبعني

وَإِذَا كِرَامٌ مُعْسِرُونَ عَذَرْتُهُمْ وَإِذَا لِسَامٌ فَادَّكَرْتُ حَيَائِيَا

والكرام المعسرون، المفتقرون، أعذرهم،

وأما اللثام فأتذكر حيائي فلا أهجوهم لعدم القرى

وَعَرَضِي أَبْقَى مَا ادَّخَرْتُ ذَخِيرَةً وَبَطْنِي أَطْوِيهِ كَطْيٍ رِدَائِيَا

وأفضل ما أذكر شرفي وعرضي، وأطوي بطني، أي أجوع، كما أطوي ردائي

١٢٦ عفاف وحياء

وَأَعْرِضْ عَنْ مَطَاعِمَ قَدِ أَرَاهَا فَأَتَرُكُهَا فِي بَطْنِي أَنْطَوَاءُ
أبتعد عن مواضع الطعام التي ينالني فيها الدم، رغم أن في بطني انطواء، أي أنني جائع
فلا وأبيك ما في العيش خيرٌ ولا الدنيا إذا ذهب الحياءُ
بعيش المرء ما استخيا بخيرٍ ويبقى العود ما بقي اللحاءُ
الحياء خير للمرء وهو يقبه مثلما بقي اللحاء الشجرة، فما دام لها لحاء فهي ستعيش. نسبت هذه
الآيات لنصف دسنة من الشعراء

١٢٧ تأديب الذات

الحكم بن عبدل، من شعراء الدولة الأموية:

وَإِنِّي لَأَسْتَغْنِي فَمَا أَبْطَرُ الْغِنَى وَأَعْرِضْ مَيْسُورِي عَلَى مُبْتَغِي قَرْضِي
أكون غنياً ولا أبطر الغنى، أي لا أفتخر بالغنى افتخار تباطول، بل أعرض ما تسر لي
على من يتبغي اقتراضه. . والقرض ليس بالمعنى المصرفي بل بمعنى أن المرء يبذل معروفه
ويلقى معروفاً
وَأُعِيسِرُ أَحْيَاناً فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي وَأَذْرِكُ مَيْسُورَ الْغِنَى وَمَعِي عِرْضِي
أعسر أحياناً، أفتقر، ثم يأتي الغنى ولا أكون في وقت عسرتي قد تخلت عن شرفي
وَأُبْذِلُ مَعْرُوفِي وَتَضْفُو خَلِيقَتِي إِذَا كَدِرَتْ أَخْلَاقُ كُلِّ فِتْنَى مَحْضِ
أقدم الخير للناس وأخلاتي جميلة لا يكدرها المن، هذا في حين قد تتكدر أخلاق فتى محض،
خالص شريف النسب
وَأَسْتَنْقِذُ الْمَوْلَى مِنَ الْأَمْرِ بَعْدَمَا يَزِلُّ كَمَا زَلَّ الْبَعِيرُ عَنِ الدَّحْضِ
أنقذ المولى، الصديق والحليف، بعد أن يزل، يقع، مثلما يزل البعير عن الدحض، المنحدر. .
أي نصيحه ضائقة
وَأَمْنَحُهُ مَالِي وَوُدِّي وَنُصْرَتِي وَإِنْ كَانَ مَخْنِي الضُّلُوعِ عَلَى بُغْضِي
وأمنحه مالي وودي ونصرتي ولو كان يضمر لي البغض
وَأَقْضِي عَلَى نَفْسِي إِذَا أَمُرُ نَابَنِي وَفِي النَّاسِ مَنْ يُقْضَى عَلَيْهِ وَلَا يَقْضِي
إذا وقعت في خطأ فأنا أقر به وأقضي على نفسي، ومن الناس من يكابر فيلزمه الآخرون بخطاه
وَلَسْتُ بِذِي وَجْهَيْنِ فِيمَنْ عَرَفْتُهُ وَلَا الْبُخْلُ، فَاعْلَمْ، مِنْ سَمَائِي وَلَا أَرْضِي

وَأِنِّي لَسَهْلٌ مَا تُغَيِّرُ شَيْمَتِي صُرُوفُ لِيَالِي الدَّهْرِ بِالْقَتْلِ وَالتَّقْصِ
لا تغير شيمتي، طيعتي، مصائب الزمن، بالقتل والتقص، وقتل الحبل ونقص قواه، أي جدلاته،
كناية عن حالتي اليسر والعسر

١٢٨ لا أترك صاحبي

حاتم الطائي:

وَمَا أَنَا بِالسَّاعِي بِفَضْلِ زَمَائِمِهَا لَتَشْرَبَ مَاءَ الْحَوْضِ قَبْلَ الرِّكَائِبِ

لا أسعى بطرف مقود الناقة لتشرب قبل نياق الآخرين

وَمَا أَنَا بِالطَّائِي حَقِيبَةً رَحِيلِهَا لِأَبْعَثَهَا خِفَاءً وَأَتْرُكَ صَاحِبِي

ولا أطوي الكيس الذي خلفي على الناقة، كي تكون خفيفة ولا أحمل عليها صاحبي

إِذَا كُنْتُ رَبًّا لِلْقُلُوصِ فَلَا تَدْعُ رَفِيقَكَ يَمْشِي خَلْفَهَا غَيْرَ رَاكِبٍ

القلوص: الناقة

أَنْخِهَا فَأَرْكِبْهُ فَإِنْ حَمَلْتُكُمَا فَذَاكَ، وَإِنْ كَانَ الْعِقَابُ فَعَايِبِ

أنخ الناقة وأردف صاحبك فإن حملتكما معاً فهذا هذا، وإلا فاركب أنت مرة وهو مرة، متعاقبين

١٢٩ الويل للفقير

مالك بن حريم الهمداني:

وَأُنْبِئْتُ، وَالْأَيَّامُ ذَاتُ تَجَارِبٍ، وَتُبْدِي لَكَ الْآيَّامُ مَا لَسْتَ تَعْلَمُ

بِأَنَّ ثَرَاءَ الْمَالِ يَنْفَعُ رَبَّهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ الْحَمْدَ وَهُوَ مُذَمَّمٌ

المال يأتي صاحبه بالحمد، رغم أن صاحبه مذمم، يصنع ما يستحق الذم،

فالسخاء يغطي على العيوب

وإِنَّ قَلِيلَ الْمَالِ لِلْمَرْءِ مُفْسِدٌ يَحْزُنُ كَمَا حَزَّ الْقَطِيعُ الْمُحَرَّمُ

قليل المال: المال القليل، القطيع المحرم: السوط الخشن المقطع، فقلة المال محبطة للكريم
مثلما تحبطه الأداة التالفة في عمله

يَرَى دَرَجَاتِ الْمَجْدِ لَا يَسْتَطِيعُهَا وَيَقْعُدُ وَسَطَ الْقَوْمِ لَا يَتَكَلَّمُ

الكريم الفقير يعرف كيف يصنع مجداً لنفسه، ولكنه عاجز عن ذلك لقلة ماله. الشطر الثاني شرح
نفسه، لكنه بديع.. أليس كذلك؟

١٣٠ كفاف وكرامة

محمد بن بشير الخارجي:

لَأَنْ أَرْجِيَّ عِنْدَ الْمُعْرِى بِالْخَلْقِ وَأَجْتَزِيَّ مِنْ كَثِيرِ الزَّادِ بِالْعُلُقِ..
أن أَرْجِي، أَمْشِي حَالِي، عِنْدَ الْعَرِيِّ بِالْخَلْقِ، الْمَلَابِسِ الْبَالِيَةِ، وَأَنْ أَجْتَزِيَّ، أَيْ أَكْتَفِي، مِنَ الزَّادِ الْكَثِيرِ بِالْعُلُقِ، أَيْ بِالْقَلِيلِ..

خَيْرٌ وَأَكْرَمُ لِي مِنْ أَنْ تُرَى مِنْنٌ مَعْقُودَةٌ لِلثَّامِ النَّاسِ فِي عُنْقِي
خير لي من تحمل منن لثام الناس وتفضلهم عليّ، فهذه المنن كأنها معقودة في عنقي
إِنِّي وَإِنْ قَصُرْتُ عَنْ هِمَّتِي جِدَّتِي وَكَانَ مَالِي لَا يَقْوَى عَلَى خُلُقِي..
إن قصرت جِدَّتِي، مَالِي، عَنْ تَحْقِيقِ هِمَّتِي، أَيْ طُمُوحِي، وَكَانَتْ هَذِهِ الْجِدَّةُ لَا تَحْمِلُ طَبْعِي السَّخِي

لَتَارِكُ كُلِّ أَمْرٍ كَانَ يُلْزِمُنِي عَارًا وَيُشْرِعُنِي فِي الْمَنْهَلِ الرَّنْقِ
مع ذلك فإنني أترك كل فعل يلصق بي العار، ويشرعني، يَرُدُّ بِي، فِي الْمَنْهَلِ الرَّنْقِ، فِي الْحَوْضِ الْمَكْدَرِ

١٣١ إدمان قرع الأبواب

محمد بن بشير الخارجي:

كَمْ مِنْ فَتًى قَصُرَتْ فِي الرِّزْقِ خُطْوَتُهُ أَلْفَيْتُهُ بِسِهَامِ الرِّزْقِ قَدْ فَلَجَا
كثيراً ما يمتنع الرزق على إنسان، ثم تراه قد فُلج، أَصَابَ الْمَرْمَى، بِسِهَامِ الرِّزْقِ الْوَفِيرِ
إِنْ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتُقُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَجَا
الصبر يفتق المسالك التي ارتجت، أَغْلَقَتْ، وَيَفْتَحُهَا

لَا تَيَأَسَنَّ، وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةُ، إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى قَرَجَا
أَخْلُقُ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَخْطِي بِحَاجَتِهِ وَمُذْنِ الْقَرَعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا
مدمن القرع للأبواب لا بد أن يلج، يَدْخُلُ

قَدَّرَ لِرِجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا فَمَنْ عَلَا زَلَقًا عَنْ غِرَّةٍ زَلَجَا
قد رُزِعَ مَوْضِعَ قَدَمِكَ قَبْلَ أَنْ تَخْطُو، فَالَّذِي يَصْعَدُ فَوْقَ مَكَانِ زَلَقٍ، مَنْحَدٍ، عَنْ غِرَّةٍ، بِتَهْوِيرٍ، يَزْلُجُ، يَنْزَلِقُ
وَلَا يَغُرَّنْكَ صَفْوُ أَنْتَ شَارِبُهُ فَرِيْمًا كَانَ بِالتَّكْدِيرِ مُمْتَزَجَا
قد يكون الماء الصافي الذي تشربه مخلوطاً بالشوائب، فلا تغتر برزق يأتيك فلعل في طيه شروطاً

١٣٢ لهم جل مالي

المُقَنَّع الكِنْدِي:

بُعَاثِبُنِي فِي الدَّيْنِ قَوْمِي، وَإِنَّمَا دُبُونِي فِي أَشْيَاءٍ تُكْسِبُهُمْ حَمْدًا

إنما أستدين لأصنع أموراً تعود على قومي بالحمد

أَسْدُ بِهِ مَا قَدْ أَخْلَوُ وَضَيَّعُوا: تُغُورَ حُقُوقٍ مَا أَطَاقُوا لَهَا سَدًا

أسد بالمال الذي استدينه ما قد أخلوا، أهملوا، وضيعوا: أسد تغور حقوق لم يتحملوا سدها

وَفِي جَفْنَةٍ مَا يُغْلَقُ الْبَابُ دُونَهَا مُكَلَّلَةٌ لَحْمًا مُدْفَقَةٌ نَرْدًا

من الأمور التي أقوم بها تقديم جفنة، دست طعام، متاحة للجميع لا أغلق بابي دونها، وفيها الثريد من خبز مفتوت ولحم يكلله

وَفِي فَرَسٍ نَهْدٍ عَتِيقٍ جَعَلْتُهُ حِجَابًا لِبَيْتِي ثُمَّ أَخْدَمْتُهُ عَبْدًا

وأحفظ بفرس نهدي، عالي، عتيق، أي أصيل، كي يكون حجاباً لبיתי، حامياً له، وجعلت له عبداً يقوم على خدمته

وَأَنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمْخْتَلِفٌ جَدًّا

الطباع بيني وبين أقاربي مختلفة جداً

فَإِنْ أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرْتُ لِحُومَهُمْ وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدًا

إن أكلوا لحمي، أي اغتابوني، وفرت لحومهم، وإن هدموا مجدي بإنكار أفعالي الجيدة فأنا أبني لهم مجداً

وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ وَإِنْ هُمُ هَوُوا غَيْبِي هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدًا

إن طعنوني في الظهر حفظت مكانتهم في غيابهم،

وَيَتَمَنُونَ لِي الضَّلَالِ وَأَتَمْنَى لَهُمُ الْهَدَايَةَ

وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرًا بِنَحْسٍ تَمُرُّ بِي زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَمُرُّ بِهِمْ سَعْدًا

إن صنعوا لي ذلك مع الطير كي يكون هذا شؤماً علي فعلت العكس لهم

وَلَا أَحْمِلُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَ رَئِيسَ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا

لَهُمْ جُلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غِنَى وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أَكْلَفْهُمْ رِفْدًا

الرغد: العطاء

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّعِيفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا شِيْمَةً لِي غَيْرَهَا تُشَبِّهُ الْعَبْدَا

على أن قَوْمِي ما تَرى عَيْنُ نَاطِرٍ كَشَمِيبِهِمْ شَيْباً ولا مُرُودِهِمْ مُرْداً

قومي مع ذلك أحسن الناس: الشيوخ منهم والمرد، الذين لم تنبت لحاهم بعد

بِفَضْلِ وَأَحْلَامٍ وَجُودٍ وَسُودٍ وقَوْمِي رَبِيعٌ فِي الزَّمانِ إِذا اشْتَدَّ

لهم فضل وأحلام، عقول، وهم عندما يشتد الزمن، ويقل الخير، يكونون ربيعاً للناس، فالربيع هو فصل العشب والحليب في البادية

١٣٣ حلاوة المعروف

قال رجل من الفزاريين:

وإِلَّا يَكُنْ عَظَمِي طَوِيلاً فَإِنِّي لَهُ بِالْخِلَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولٌ

إلا يكن، أي إن لم يكن، جسمي طويلاً فأنا أصله وصلاً بالفعال الحسنة فيصبح طويلاً

ولا خَبَرٌ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَتُبْلَاهَا إِذا لَمْ يَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولٌ

إذا كنت في القوم الطوال علوتهم بعارقة حتى يُقالَ طَوِيلٌ

إن كنت وسط قوم طوال علوتهم بعارقة، بمعروف وسخاء، حتى يروني طويلاً

وكم قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعِ كَرِيمَةٍ تَمُوتُ إِذا لَمْ تُخَيِّهِنَّ أَصُولٌ

الابن الكريم بذاته تضمحل سمعته إذا كان آباؤه لثاماً

ولم أَرْ كَالْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَحُلُوٌّ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلٌ

١٣٤ المعادلة الصعبة

عبد الله بن معاوية بن جعفر:

أَرى نَفْسِي تَتَوَقُّ إِلَى أُمُورٍ وَيَقْصُرُ دُونَ مَبْلَغِهَا مَالِي

يقصر مالي عن مبلغ، أي عن بلوغ، الأمور التي أتوق إليها

فَنَفْسِي لَا تُطَاوِعُنِي بِبَخْلِ وَمَالِي لَا يُبَلِّغُنِي فَعَالِي

نفسي لا تطيق البخل، ولكن ما أملك من مال لا يوصلني إلى فعالِي، والفعال هي الأمجاد

١٣٥ التوسيع بإحسان

المتوكل اللبني، وقد عاصر معاوية:

إِنِّي إِذا ما الْخَلِيلُ أَحَدَثَ لِي صُرْماً وَمَلَّ الصَّفَاءُ أَوْ قَطَعَا ..

إذا صرمني خليلي، هجرني صاحبي، ومل الود بيننا وقطع العلاقة ..

لَا أُخْتَسِي مَاءَهُ عَلَى رَتْقٍ وَلَا يَرَانِي لِبَيْتِهِ جَزَعًا

لا أشرب ماءه على رنق، كدر، ولا أريه أنني مضطرب جزع لفراقه

أَهْجُرُهُ ثُمَّ تَنْقُضِي غُبْرُ الْهَجْرَانِ عَنَّا، وَلَمْ أَقُلْ قَدْعًا

أهجره كما هجري، وتنقضي غبر الهجران عنا، تذهب بقايا الهجران أي الكراهية، دون أن أقول قدعاً، فُحشاً

إِخْذَرْ وَصَالَ اللَّثِيمَ إِنَّ لَهُ عَضَّهَا إِذَا حَبْلٌ وَضِلَّهِ انْقَطَعَا

العلاقة مع اللثيم يعقبها العَضُّ، الافتراء، عندما تنتهي

١٣٦ غنى النفس

قيس بن الخطيم، وتروى للربيع بن الحُقَيْق اليهودي:

وَمَا بَعْضُ الْإِقَامَةِ فِي دِيَارٍ يُهَانُ بِهَا الْفَتَى إِلَّا بَلَاءٌ

الإقامة في مكان يهان فيه الفتى بلاء

وَبَعْضُ خَلَائِقِ الْأَقْوَامِ دَاءٌ كَدَاءِ الْبَطْنِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ

خلاتق: طباع

يُرِيدُ الْمَرْءُ أَنْ يُعْطَى مُنَاهُ وَيَأْبَى إِلَهُ إِلَّا مَا يَشَاءُ

وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِقَوْمٍ سَيَأْتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا رَخَاءٌ

وَلَا يُعْطَى الْحَرِيصُ غِنًى لِحَرَصٍ وَقَدْ يَنْمِي عَلَى الْجُودِ الثَّرَاءُ

الحريص البخيل لا يصبح غنياً لبخله، وربما زاد الثراء مع السخاء

غِنْيِي النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ غِنْيِي وَفَقْرُ النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ شَقَاءٌ

غني النفس يظل غنياً طول عمره، وفقير النفس يبقى شقياً طول عمره

وَلَيْسَ بِنَافِعٍ ذَا الْبُخْلِ مَالٌ وَلَا مُزِرٌ بِصَاحِبِهِ السَّخَاءُ

السخاء لا يزري بصاحبه، لا يؤذيه

وَبَعْضُ الدَّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفَاءٌ وَدَاءُ النَّوْكِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءٌ

النوك: الحمق

١٣٧ نصائح الأب

يزيد بن الحكم الثقفي يعظ ابنه بديراً:

يَا بَدْرُ! وَالْأَمْثَالُ يَضُرُّ رُبُّهَا لِذِي اللَّبِّ الْحَكِيمِ
ذو اللب: ذو العقل

دُمْ لِلْخَلِيلِ بِوُدِّهِ مَا خَيْرُ وُدٍّ لَا يَدُومُ
احفظ ود الصديق، فلا خير في ود قصير الأجل

وَاعْرِفْ لِجَارِكَ حَقَّهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ الْكَرِيمُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الضَّيْفَ يَوْمٌ مَا سَوْفَ يَخْمَدُ أَوْ يَلُومُ
وَالنَّاسُ مُبْتَنِّيانِ مُحَدُّ مَوَدِّ الْبِنَايَةِ أَوْ دَمِيمُ
الناس مجبولون على طبيعتين: محمودة ومذمومة

وَاعْلَمْ بُنَيَّ فَإِنَّهُ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعَلِيمُ
إِنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا مِمَّا يَهِيْجُ لَهُ الْعَظِيمُ
الصغير من المشكلات يثير الكبير

وَالْبَغْيُ يَضُرُّ أَهْلَهُ وَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ
البغي: الظلم، مرتعه وخيم، كأن الظالم جعل يرمى في أرض موبوءة فالنتيجة سيئة
وَلَقَدْ يَكُونُ لَكَ الْبَعِيدُ إِذَا أَخَا وَيَقْطَعُكَ الْحَمِيمُ
الحميم: القريب

وَالْمَرْءُ يُكْرَمُ لِلْفَنَى وَيُهَانُ لِلْعُدْمِ الْعَدِيمِ
الناس تكرم الإنسان لماله، وتهين العديم، الفقير، لعدمه، أي لفقره

وَالْمَرْءُ يَبْخُلُ فِي الْحَقِّ قِي وَلِلْكَالَةِ مَا يُسِيمُ
يبخل المرء في إعطاء الحقوق لأصحابها، ولكن... في النتيجة فإن ما يسيم، ما يرمى من إيل،
سيؤول للكلالة، للورثة

مَا يُبْخُلُ مَنْ هُوَ لِلْمَنِّ لِي وَرَبِّهَا غَرَضٌ رَجِيمُ
ما الحكمة في بخل المرء وهو غرض للموت رجيم، مرجوم بالموت

وَيَرَى الْقُرُونُ أَمَامَهُ هَمَدُوا كَمَا هَمَدَ الْهَشِيمُ
ويرى القرون، أي الأجيال، الماضية وقد همدت كالعشب اليابس

وَتَخَرَّبُ الدُّنْيَا فَلَا بؤْسَ يَدُومٌ وَلَا نَعِيمٌ

تَخَرَّبَ، أي تتخرب وتلف الدنيا فيزول البؤس والنعيم وكل شيء

كُلُّ امْرِئٍ سَتَثِيْمٌ مِنْهُ الْعَرَسُ أَوْ مِنْهَا يَثِيْمٌ

تثيم: تترمل، والعرس: الزوجة

١٣٨ العَرَكُ بِالْجَنْبِ

محمد بن أبي شَحَاذٍ الضُّبِّي:

إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتَ الْغِنَى ثُمَّ لَمْ تَجِدْ بِفَضْلِ الْغِنَى أَلْفَيْتَ مَا لَكَ حَامِدٌ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرُكْ بِجَنْبِكَ بَعْضَ مَا يَرِيْبُ مِنَ الْأَذْنَى رَمَاكَ الْأَبَاعِدُ

إذا لم تعرك بجانبك، أي تتغاضى وتبلغ الموس، ما تلاقيه من الأدنى، القريب، فسوف يرميك الأبعاد. يتحمل المرء من أقاربه كل سخافاتهم حتى يراه الأبعاد عزيزاً، ذا عزوة، فيها بونه

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ طَعَاماً تُحِبُّهُ وَلَا مَقْعَداً تُدْعَى إِلَيْهِ الْوَلَائِدُ .

إذا لم تكن عزيز النفس وتترفع عن طعام شهوي وتركه للأكلين، وإذا لم تترك المكان الذي يفترض أن تجلس فيه الولائد، الجواري والخدم .

تَجَلَّلْتَ عَاراً لَا يَزَالُ يَشُبُّهُ سَبَابُ الرِّجَالِ نَثْرُهُمْ وَالْقَصَائِدُ

إذا لم تترفع فالعار سيحل بك، وسيزيده سباب الرجال لك بالكلام وبالقصائد

١٣٩ التماس الرزق

الحَكَمُ بْنُ عَبْدِ:

أَطْلُبُ مَا يَطْلُبُ الْكَرِيمُ مِنَ الرِّ - زَقٍ لِنَفْسِي، وَأَجْمِلُ الطَّلَبَ

أجمل الطلب: أتجنب الإلحاح

وَأَحْلُبُ الثَّرَّةَ الصَّوْفِيَّ، وَلَا أَجْهَدُ أَخْلَافَ غَيْرِهَا حَلَبًا

أحلب الثرة والصفي، الشاة أو الناقة الغزيرة اللبن، ولا أتعب أخلاف، أي ضروع وأنداء، غيرها بالحلب . . فأنا أطلب المال من عند الكريم الذي يملكه ولا أتعب نفسي مع من لا يملك المال فالح عليه في الطلب

إِنِّي رَأَيْتُ الْفَتَى الْكَرِيمَ إِذَا رَغَبَتْهُ فِي صَنِيعَةٍ رَغْبًا

الكريم إذا جعلته يرغب في المعروف فهو سيقوم به،

فهو يحب المدح ويرغب في البذل كي يمدحه الشاعر

وَالْعَبْدُ لَا يَطْلُبُ الْعَلَاءَ، وَلَا يُعْطِيكَ شَيْئاً إِلَّا إِذَا رَهَبَا

العبد يعطي على الرهبة لا الرغبة

مِثْلَ الْحِمَارِ الْمُوقَّعِ السَّوِّءِ لَا يُحْسِنُ مَشِياً إِلَّا إِذَا ضُرِبَا

فالعبد مثل الحمار الموقَّع، المصاب بجروح في ظهره، السيء الذي لا يمشي إلا بالضرب

قَدْ يُرْزَقُ الْحَافِضُ الْمُقِيمُ، وَمَا شَدَّ بَعْنُسٍ رَحْلاً وَلَا قَتَبَا

قد يأتي الرزق للحافظ، الهانئ، المقيم في بلده دون أن يشد الرحل، السرج ولوازمه، أو القتب، أي البرذعة، على العنس، الناقة الصلبة. . أي يأتيه رزقه دون أن يرتحل وراءه

وَيُخْرَمُ الْمَالُ ذُو الْمَطِيَّةِ وَالرَّحْلِ، وَمَنْ لَا يَزَالُ مُغْتَرِبَا

١٤٠ تبقى له حاجة

الصَّلَاتَانِ الْعَبْدِي:

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ مُرُورُ الْعَدَاةِ وَكَرُّ الْعَشِيِّ

شيب الصغير وأما الكبير مرور الصباح والمساء، أي الزمن

إِذَا لَيْلَةٌ هَرَمَتْ يَوْمَهَا أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَتِي

الليلة تهرم يومها، ثم يأتي بعد ذلك يوم آخر فتى جديد

نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقُضِي

ما دما على قيد الحياة فلنا حاجة ما . . صغيرة أو كبيرة

تَمُوتُ مَعَ الْمَرءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةُ مَا بَقِيَ

١٤١ وداعاً نجد

الصَّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُشَيْرِي:

حَنَنْتَ إِلَيَّ رِيًّا، وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارَكَ مِنْ رِيًّا، وَشَعْبَاكُمَا مَعَا

يخاطب نفسه: حننت إلى رياء، وأنت بنفسك ستبعد مزارك من رياء برحيلك، مع أن شعبيكما، أي قبيلتيكما، متجاوران

فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعاً وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا

ليس من الحكمة أن ترحل طواعية، ثم بعد ذلك تجزع لأن منادي الصبابة، والشوق، قد هتف في أذنك

قِفَا وَدَعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ تُودَعَا

يا صاحبي قفا ودعا معي نجدًا ومن حل بالحمى، وهذا أقل ما نصنعه لنجد

بِنَفْسِي تِلْكَ الْأَرْضَ مَا أَطِيبَ الرُّبَى وَمَا أَحْسَنَ الْمُصْطَافَ وَالْمُتَرَبَّعَا

بنفسي، أي أفندي بنفسي، تلك الأرض ما أطيب زياها، وما أجمل مكان قضاء الصيف ومكان قضاء الربيع بها

وَلَمَّا رَأَيْتُ «الْبِشْرَ» أَعْرَضَ دُونَنَا وَحَالَتْ بَنَاتُ الشَّوْقِ يَحْنُنُ نُزْعَا..

لما رأيت جبل البشر أصبح بيني وبين الحمى، وحالت، أي تحولت وتحركت، بنات الشوق، أي مشاعره وكل ما ينشأ عنه من ألم، وفيهن حنين ونزوع إلى الوطن..

تَلَفَّتْ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجِئْتُ مِنَ الْإِضْغَاءِ لَبِنًا وَأَخَذَعَا

التفت نحو مكان القوم حتى وجدت، وجدت وجعاً، من الإضغاء، إمالة الرأس، الليت: صفحة العنق والأخدع: عرق في العنق. يقول: ظلت ألفت حتى ألمني عنقي

بَكْتُ عَيْنِي الْيُسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتُهَا عَنْ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحَلْمِ أَسْبَلْنَا مَعَا

زجرت عيني اليسرى، أي نهيتها، عن التهور بعد الحلم، أي بعد التعقل، فأسبلنا، سالتنا بالدموع، معاً

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَتَّئِنِّي عَلَى كِبْدِي مِنْ خُشْبَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا

عندما أذكر أياما في الحمى أثني جسي حتى لا تتشقق كبدي حزناً

فَلَبِستُ عَشَبَاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ عَلَيْكَ، وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنُكَ نَدَمَعَا

١٤٢ هزة الشوق

أبو صخر الهذلي، وهو من شعراء الدولة الأموية:

أَمَا وَالَّذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَالَّذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمَرَهُ الْأَمْرُ

لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليفين منها لا يروعهما الزجر

تركنتي المحبوبة أحسد وحوش البر إذ أرى اثنين منها لا يخيفهما الزجر، مثلما يخيفنا نحن لوم اللاتمين وشايات الوشاة

فَبَا حُبُّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَا سَلْوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدُكَ الْحَشْرُ

زدني من ألم العشق يا حبيها، وليكن موعد السلوة، نسيان العشق، الحشر

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ

كان الدهر، ومصائبه، تسمى بيننا فلما انقضى الوصل بيننا وانقطعت العلاقة هدا الدهر وصروفه

وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأُبْهَتْ، لَا عُرْفَ لَدَيَّ وَلَا نُكْرُ

كنت إذ أراها فجأة أبهت ويختلط في ذهني الصواب بالخطأ

وَأَنِّي لَتَعْمُرُونِي لِذِكْرِكَ هَزَّةٌ كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطْرُ

والآن تتابني لذكراك هزة مثلما ينتفض العصفور وقد أصابه المطر

١٤٣ خلقتما لبعضكما

عُروة بن أُدَيَّة:

إِنَّ النِّي زَعَمَتْ فُؤَادَكَ مَلَّهَا خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى لَهَا

التي قالت إنك مللتها خلقت لك و خلقت لها

بِيضَاءَ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاعَهَا بِلَبَاقَةٍ فَأَذَقَهَا وَأَجَلَّهَا

بيضاء عرفت النعمة والعيش الرغيد منذ صغرها فلا عرفت جوعاً ولا فاقة، فصاعت النعمة جسمها بلباقة فهي دقيقة الخصر جليلة المؤخرة، إن جاز وصف المؤخرة بهذه الكلمة

حَجَبَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَاهَا

لم تعد تطرح علي التحية فقلت لصاحبي: كانت التحية كبيرة الأثر، ولكنها مع غياب الوصل قليلة النفع

وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ شَفَعُ الضَّمِيرُ إِلَى الْفُؤَادِ فَسَلَّهَا

إذا وسوست لي نفسي أن أسلوها وأنساها، فإن ما أضمر لها من الحب يستل الهجران من فؤادي

١٤٤ المناظر المتعبة

وَكُنْتُ مَتَى أُرْسَلْتَ طَرَفَكَ رَائِدًا لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتَعَبَتْكَ الْمَنَاظِرُ

يخاطب نفسه: كنت إذا أرسلت نظرك ليكشف الطريق لقلبك، تعبت لما رأيته عيناك من جمال المحبوبة. والرائد فارس كانوا يرسلونه أمام القبيلة يستكشف لها مواطن العشب

رَأَيْتَ الَّذِي لَا كُلُّهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرٌ

رأيت ما لا تقدر على نيله، ولا تقدر أن تصبر على مجرد التطلع إليه

١٤٥ عرار نجد

الصَّمَّة بن عبد الله القُشَيْرِي:

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعَيْسُ تَهْوِي بِنَا بَيْنَ الْمُنِيفَةِ فَالضَّمَارِ

أقول لصاحبي والعيس، أي النياق القوية، تسير بنا بسرعة كأنها تهوي، بين هذين المكانين

تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمِ عَرَارٍ نَجْدٍ فما بعد العشيَّةِ مِنْ عَرَارٍ
تمتع من رائحة نبات العرار الذكي في نجد، فأنت مغادر ولا عرار بعد هذه العشية. ومن هذا البيت أخذ الشاعر الأردني «مصطفى وهبي التل» لنفسه لقباً: عرار. وسفر عرار الأردن صفحات مليئة بالشعر الجميل في كتاب قد تصدره بعد حين، إن سمح رب الكون الجليل ومد في العمر

أَلَا يَا حَبِّدًا نَفَحَاتُ نَجْدٍ وَرِيًّا رَوْضِهِ بَعْدَ الْقِطَارِ
ما أجمل نفحات، نسمات، نجد، وما أجمل رياء، أي رائحة، نجد بعد القطار، بعد المطر
وَأَهْلُكَ إِذْ يَحُلُّ الْحَيُّ نَجْدًا وَأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرُ زَارٍ
وما أجمل أهلك إذ يحل الحي، القوم، في نجد وتكون أنت في تلك الحال سعيد بالزمن غير زار عليه، غير مستاء منه

شُهُورٌ يَنْقُضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَهْنٍ وَلَا سِرَارٍ
كانت تنقضي الشهور بسعادة فلا نشعر بمرور نصف الشهر، ولا بسراره، أي آخره

١٤٦ اغرورقتا ثم سالتا

وَمِمَّا شَجَانِي أَنَّهَا يَوْمَ أَعْرَضْتَ تَوَلَّتْ وَمَاءَ الْعَيْنِ فِي الْجَفْنِ حَائِرُ
مما شجاني، أوجع قلبي، أنها يوم أعرضت، ذهبت، تولت، انصرفت، ودمعها حائر في جفنها، أي أن عينيها مغرورتان بالدمع

فَلَمَّا أَعَادَتْ مِنْ بَعِيدٍ بِنْظَرَةٍ إِلَيَّ التَّفَاتَا أَسْلَمْتُهُ الْمَحَاجِرُ
فلما أعادت النظر إلي من بعيد ملتفتة، أسلمت المحاجر الدمع.. فسال من العينين إلى الخارج، والمحاجر العظيم المحيط بالعينين

١٤٧ تغيير المسار

بَيْنَمَا نَحْنُ بِالْبَلَاكِثِ قَالَقَا عِ سِرَاعًا وَالْعَيْسُ تَهْوِي هُوِيَّا
بينما كنا في موضع بين «البلاكت» والقاع» ونحن نسير مسرعين والعيس، أي النياق القوية، تسرع فكانها تسقط سقوطاً

خَطَرْتُ خَطَرَةً عَلَى الْقَلْبِ مِنْ ذِكِّكَ وَهَنًا فَمَا اسْتَطَعْتُ مُضِيًّا
فجأة.. خطرت ببالي ذكراك وهناً، فلما استطعت المضي في السير

قُلْتُ: لَبَّيْكَ، إِذْ دَعَانِي لَكَ الشَّوْقُ وَلِلْحَادِيَيْنِ: كُرَّا الْمَطِيَّا
قلت: لبيك، وعلى الفور قلت للحادين، سائقي الإبل: كُرَّا المطي.. كأنه أراد أن يغير خط سيرهما ليلحقا ببلد المحبوبة. ويقول المفسرون: بل أرادهما أن يحثا الإبل للسير بسرعة

١٤٨ ارحم نفسك

ابن هرمة:

اسْتَبَقِي دَمْعَكَ لَا يَوُدُّ الْبُكَاءُ بِهِ وَانْكُفُّ مَدَامِعَ مِنْ عَيْنِكَ تَسْتَبِقُ
أَبْقِ بَعْضَ دَمْعِكَ وَلَا تَدْعِ الْبُكَاءَ يَنْزِفُهُ كُلَّهُ، وَكَفِّ عَيْنِكَ عَنْ ذَرْفِ الدَّمْعِ الَّتِي تَسَابِقُ فِي النُّزُولِ
لَيْسَ الشُّؤُونُ وَإِنْ جَادَتْ بِبَاقِيَةٍ وَلَا الْجُفُونُ عَلَى هَذَا وَلَا الْحَدَقُ
شُؤُونُ عَيْنِكَ، مَجَارِي الدَّمْعِ فِيهِمَا، لَنْ تَبْقَى حَتَّى وَإِنْ كَانَتْ سَخِيَةً بِالدَّمْعِ الْآنَ، وَعَلَى هَذَا
الْمَنَوَالِ لَنْ تَبْقَى جَفُونُكَ وَلَا أَحْدَاقُكَ

١٤٩ بَيِّنَاتِ الْحُبِّ

الحسين بن مطير:

فِيَا عَجَبًا لِلنَّاسِ يَسْتَشْفِرُونَنِي كَأَنْ لَمْ يَرَوْا بَعْدِي مُجَبًّا وَلَا قَبْلِي
عَجَبًا لِلنَّاسِ يَسْتَشْفِرُونَنِي، يَنْظُرُونَ إِلَيَّ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا مُجَبًّا مِنْ قَبْلِ أَوْ كَأَنَّهُمْ لَا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ
سَيَرُونَ مُجَبًّا فِي حَيَاتِهِمْ بَعْدِي
يَقُولُونَ لِي اضْرِمِ يَرْجِعِ الْعَقْلُ كُلُّهُ وَضُرْمُ حَبِيبِ النَّفْسِ أَذْهَبَ لِلْعَقْلِ
يَقُولُونَ لِي اصْرَمِ، أَيْ اقْطَعْ الْعَلَاقَةَ، فِيهِذَا تَسْتَرِدُّ عَقْلُكَ، وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ قِطْعَ الْعَلَاقَةِ أَكْثَرَ إِذْهَابًا لِلْعَقْلِ
وَيَا عَجَبًا مِنْ حُبِّ مَنْ هُوَ قَاتِلِي كَأَنِّي أَجَازِيهِ الْمَوَدَّةَ مِنْ قَتْلِي
وَمِنْ بَيِّنَاتِ الْحُبِّ أَنْ كَانَ أَهْلُهَا أَحَبَّ إِلَيَّ قَلْبِي وَعَيْنِي مِنْ أَهْلِي
مِنْ عِلَامَاتِ الْحُبِّ أَنِّي أَحَبُّ أَهْلِي أَكْثَرَ مِنْ حَبِي أَهْلِي

١٥٠ ويلي من يومي

أبو الطمَّحَانِ الْقَتْنِي:

أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ نَوْحِ السَّوَائِحِ وَقَبْلَ ارْتِقَاءِ النَّفْسِ فَوْقَ الْجَوَانِحِ
سَلْبَانِي وَأَنْسَانِي قَبْلَ الْمَوْتِ وَقَبْلَ ارْتِقَاءِ النَّفْسِ وَخُرُوجِهَا مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِحِ، الْأَضْلَاعِ
وَقَبْلَ غَدٍّ، يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍّ إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي وَلَسْتُ بِرَائِحِ
قَبْلَ الْغَدِّ عِنْدَمَا يَضْعِي أَصْحَابِي فِي الْقَبْرِ وَيُرَوِّحُونَ إِلَى بَيْتِهِمْ، وَأَنَا لَا أُرَوِّحُ مَعَهُمْ
إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي تَفِيضُ دُمُوعُهُمْ وَخُلِّيتُ فِي لَحْدٍ عَلَيَّ صَفَائِحِي
الصفائح: حجارة القبر العريضة التي تسد حفرة

يَقُولُونَ هَلْ أَصْلَحْتُمْ لِأَخِيكُمْ وَمَا الرَّمْسُ فِي الْأَرْضِ الْفَضَاءِ بِصَالِحٍ

يسأل الناس بعضهم بعضاً بعد انتهاء الدفن: هل أصلحت له الكفن، وهل وسدتموه في قبره جيداً.. قد رأيت قوماً يفعلون ذلك، يا للسخف! وليس الرمس، أي القبر، في الأرض الفضاء، في البر، بالمكان الصالح

١٥١ يستر على محبوبته

جابر بن الثعلب الجرمي:

وَمُسْتَحْبِرٍ عَنْ سِرِّ رِيًّا رَدَّدْتُهُ بِعَمِيَاءٍ مِنْ رِيًّا بِغَيْرِ يَقِينٍ

رب مستحبر يسألني عن علاقتي برياً، وقد رددته بعَمِيَاءٍ، قلت له قولاً ممغماً لا يفيد بشيء ولا يعطيه يقيناً

فَقَالَ: انْتَصِحْنِي إِنِّي لَكَ نَاصِحٌ وَمَا أَنَا إِلَّا خَبَرْتُهِ بِأَمِينٍ

يريد أن يجزني للحديث عنها فيقول لي: اطلب النصح، ولو أخبرته بأي شيء فلن أكون أميناً لمحبوبي

١٥٢ أنا قلبي دليلي

الحارث بن خالد المخزومي:

إِنِّي وَمَا نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجِمَارِ تَوَدُّهَا الْعُقْلُ..

يحلف بالشيء التي نحرها الحجاج في منى عند موضع رمي الجمرات، والشيء تؤودها العقول، تنقل أعتاقها الجبال..

لَوْ بُدِّلَتْ أَعْلَى مَسَاكِنِهَا سِفْلاً وَأَصْبَحَ سِفْلاًهَا يَغْلُو..

لو انقلبت مساكن المحبوبة رأساً على عقب

فَيَكَادُ يَغْرِفُهَا الْخَبِيرُ بِهَا فَيَرُدُّهُ الْإِقْوَاءُ وَالْمَحْلُ..

فيشك فيها الخير العالم بها ويكاد يعرفها لكن يزيد من شكوكه الإقواء والمحل، أي خلوها من أهلها وتبدل الأرض بالقحط..

لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا لِمَا اشْتَمَلْتُ مِنِّي الضُّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

عرفت مغناها، منزلها الذي كان عامراً، بحدس قلبي حيث اشتملت ضلوعي على حب عميق لأهل هذه الديار

١٥٣ المختبئة في شعرها

بكر بن الطَّاح:

بَيْضَاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامِ شَعْرَهَا وَتَغِيبُ فِيهِ وَهوَ جَثْلٌ أَسْحَمُ
حتى وهي واقفة فشعرها يصل الأرض، وهي تغيب في هذا الشعر الجثل، الكثيف، الأسحم،
الأسود

وَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ سَاطِعٌ وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمٌ
فوجهها في شعرها كالنهار المضيء، وشعرها كالليل

١٥٤ سباق مع الحمامة

نُصِيبُ:

لَقَدْ هَتَفْتُ فِي جُنْحِ لَيْلِ حَمَامَةٍ عَلَى فَنٍّ تَدْعُو، وَإِنِّي لَنَائِمٌ
فنن: غصن

كَذَبْتُ، وَبَيْتِ اللَّهِ، لَوْ كُنْتُ عَاشِقًا لَمَا سَبَقْتَنِي بِالْبُكَاءِ الْحَمَائِمُ

١٥٥ صبا نجد

عبد الله بن الدُّمَيْنَةُ الْخُثَمِيُّ:

أَلَا يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَى هِجْتِ مِنْ نَجْدٍ؟ فَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكِ وَجَدًّا عَلَى وَجْدٍ
يا نسيم الصبا القادم من نجد متى هبت من نجد؟ لقد زادني مسراك، قدومك مساء، وجدًّا فوق وجدي

إِنْ هَتَفْتُ وَرَقَاءَ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى عَلَى فَنٍّ غَضُّ النَّبَاتِ مِنَ الرَّنْدِ..
إن هتفت حمامة في رونق الضحى، في ضيائه، على غصن طري من شجر الرند الذكي..

بَكَيْتُ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ، وَلَمْ أَكُنْ جَلِيدًا وَأَبْدَيْتُ الَّذِي لَمْ أَكُنْ أَبْدِي
بكيت كالطفل المولود حديثاً، ولم أكن جليداً، وبدا من مشاعري ما لم يكن يبدو

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْمُحِبَّ إِذَا دَنَا يَمَلُّ، وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ
بِكُلِّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشْفَ مَا بِنَا عَلَى أَنْ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ
تداويت بالقرب وتداويت بالبعد فلم أشف من الحب.. ولكن القرب أحسن على كل حال

وَلَكِنْ قَرَبَ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ مِنْ تَهَوَّاءٍ لَيْسَ بِذِي عَهْدٍ

وما نفع القرب إن كانت الحبيبة لا تحفظ وعودها؟

١٥٦ غادرت شيئاً

كثير عزة:

وَأَذْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَتْنِي بِقَوْلٍ يُحِلُّ الْعُصَمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ ..
قَرَّبْتَنِي إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَتْ فَوَادِي بِكَلَامِكَ الَّذِي يُحِلُّ، أَيْ يُنْزِلُ، الْعُصَمَ، أَيْ الْوَعُولَ
الجبليَّة، إِلَى الْأَبَاطِحِ، السُّهول ..

تَجَافَيْتَ عَنِّي، حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ وَغَادَرْتَ مَا غَادَرْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ
عندئذ تجافيت عني، وابتعدت، وتركت ما تركت بين ضلوعي

١٥٧ جواب من القبر

تَوْبَةُ بْنِ الْحُمَيْرِ وَهُوَ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ:

لَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةَ سَلَّمْتُ عَلَيَّ وَدُونِي جَنْدَلٌ وَصَفَائِحُ ..
لو سلمت عليَّ لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةِ وَأَنَا تَحْتَ الْجَنَادِلِ، الصُّخُورِ، وَالصَّفَائِحِ، حِجَارَةِ الْقَبْرِ ..

لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ رَقَا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ
لرَدَّتْ سَلامَهَا بِشَاشَةٍ وَجْهَ، أَوْ لِرَقَا، أَيْ صَاحِ، إِلَيْهَا صَدَى مِنَ الْقَبْرِ، وَالصَّدَى هُوَ الصَّدى
الَّذِي تَرُدُّهُ الْجِبَالُ .. وَلَكِنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَزْعُمُ أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ قَبْرِ الْمَيِّتِ مَخْلُوقٌ خَيَالِي يُسَمُّونَهُ
الْهَامَةَ .. وَيَصْدُرُ عَنِ الْهَامَةِ صَوْتُ هُوَ الصَّدَى

وَأُغْبِطُ مِنْ لَيْلَى بِمَا لَيْسَ نَافِعِي بَلَى كُلُّ مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحُ
يُغْبِطُنِي النَّاسُ عَلَى عِلَاقَتِي بِلَيْلَى، وَمَا يُغْبِطُونَنِي عَلَيْهِ لَيْسَ نَافِعِي .. لَا بَلْ هُوَ نَافِعُ .. ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ
مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ، رَضِيَتْ بِهِ، جَيِّدٌ

١٥٨ القلب في الشرك

كَأَنَّ الْقَلْبَ لِبِلَّةٍ قَبِيلُ يُغْدَى بِلَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ ..
كَأَنَّ الْقَلْبَ عِنْدَمَا قِيلَ إِنَّ قَوْمَ لَيْلَى سَيُزْهِبُونَ غَدَوَةً، صَبَاحاً، أَوْ رَوَاحاً، مَسَاءً، وَهِيَ مَعَهُمْ ..

قَطَاةٌ عَزَمَهَا شَرْكَ فَبَاتَتْ تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ
القلب كأنه طير قطا . والقطة عزمها، أعجزها، شرك، شبكة الصائد، فباتت تجاذب الشبكة وقد
علق جناحها بها

لَهَا فَرَخَانٍ قَدْ تُرِكَا بِوَكْرِ وَعُشُّهُمَا تُصَفِّقُهُ الرِّيحُ
وهذه القطة قد تركت فرخيها في العش الذي تهب عليه الرياح

فلا في الليلِ نَأَلْتُ ما تَمَنَّتْ ولا في الصُّبْحِ كان لها بَرَأحُ
فلا في الليلِ نالت صيداً، ولا في الصباحِ كان لها براح، فكاك

١٥٩ وعود الغواني

تَمَتَّعَ بِهَا ما سَاعَفْتِكَ ولا تَكُنْ عَلَيْكَ شَجاً في القلبِ حينَ تَبِينُ
تمتع بالمحبة ما ساعفتك، سايرتك ووافقتك، ولا تجعلها شجاً، شوكه، في قلبك حين تفارقت
وَإِنْ هِيَ أَعْظَمْتُكَ اللَّيْلانَ فَإِنَّهَا لِعَيْرِكَ مِنْ خُلَّانِهَا سَتَلِينُ
فإن كانت مسيرة لك وملاينة فاعلم أنها ستلين لغيرك من خللائها، أصحابها
وَإِنْ حَلَفْتَ لا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فليس لِمَخْضُوبِ الْبَنانِ يَمِينُ
فإن حلفت لك ألا تنقض عهدك بالنأي، عند الفراق، فاعلم أنه ليس لمخضوب البنان، لشخص
مصبوغ أطراف الأصابع بالحناء.. أي لامرأة، يمين صادقة

١٦٠ دموع وقصائد

فإِنْ تَمَنَعُوا لَيْلَى وَحُسْنَ حَدِيثِهَا فَلَنْ تَمْنَعُوا مِنِّي الْبُكَاءَ وَالْقَوافِيا
فهلأ تمنعتم، إذ تمنعتم حديثها، خيالاً بوافيني مع الليل هادياً
منعموني من أن أحدثها فهل بوسعكم منع خيالها من أن يأتيني في المنام وهو يتهادى؟

١٦١ أنا والله كريم

أَسْجَناً وَقَيْداً وَاشْتِياقاً وَغُرْبَةً وَفَقْدَ حَبِيبٍ إِنَّ ذَا لَعَظِيمُ
مسجون مقيد ومشتاق ومغترب وفاقد للحبيب.. ما أظنع ذلك..
وَإِنَّ أَمْرًا تَبَقَى مَوَاطِئُ عَهْدِهِ على مثل ما قاسيئُهُ لَكَرِيمُ
ومن يحفظ عهد المحبة رغم كل ذلك فهو رجل كريم، أي أصيل

١٦٢ أسير المحبة

ابن طريف:

وَقَفْتُ لِلَّيْلِ بِالْمَلا بعد حِقْبَةٍ بِمَنْزِلَةٍ فَانْهَلَتْ الْعَيْنُ تَدْمَعُ
وقفت لليلي بالملا، بين الناس، بعد فراق دام زمناً فالت العين بالدمع

وَأَتَّبِعْ لَيْلَى حَيْثُ سَارَتْ وَوَدَّعَتْ وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَلْفٌ وَمُودَعٌ
وَاتَّبِعْ لَيْلَى إِلَى كُلِّ مَكَانٍ، وَالنَّاسَ هَكَذَا بَعْضُهُمْ يُوَدِّعُ وَيُنْسِي وَبَعْضُهُمْ يَأْلَفُ وَيُوَاصِلُ
كَأَنَّ زِمَامًا فِي الْفُؤَادِ مُعَلَّقًا تَقُودُ بِهِ حَيْثُ اسْتَمَرَّتْ وَأَتَّبِعْ
كَأَنَّ حَبْلًا يَرْبِطُ قَلْبِي بِهَا فَهِيَ تَقُودُ الْقَلْبَ إِلَى كُلِّ مَكَانٍ تَذْهَبُ إِلَيْهِ

١٦٣ خوش هديه

وَزَدَ الْجَعْفَدِيُّ، الشَّاعِرَ الْجَاهِلِيَّ:

خَلِيلِيَّ عُوجًا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هِنْدٌ لِأَرْضِكُمَا فَصُنْدَا
يَا صَاحِبِي مِيلَا نَحْرُ دِيَارِ هِنْدٍ حَتَّى وَإِنْ لَمْ تَكُنْ دِيَارَهَا عَلَى طَرِيقِكُمَا
وَقُولَا لَهَا لَيْسَ الضَّلَالُ أَجَارَنَا وَلَكِنَّا جُرْنَا لِنَلْقَاكُمْ عَمْدَا
قُولَا لَهَا لَمْ نَضِلْ الطَّرِيقَ، وَلَكِنَّا جُرْنَا، أَيِ انْحَرَفْنَا، عَمْدًا لِنَلْقَاكُمْ
تَخَيَّرْتُ مِنْ «نَعْمَانَ» عُودَ أَرَاكِ لِهِنْدٍ، وَلَكِنْ مَنْ يُبْلِغُهُ هِنْدَا
قَطَعْتَ مِنْ وَادِي نَعْمَانَ عُودَ سَوَاكِ مِنْ شَجَرَةِ «أَرَاكِ» هَدِيَّةً لِهِنْدٍ.
وَلَكِنْ، مَنْ ذَا يُبْلِغُهُ هِنْدًا؟

١٦٤ نهر الدموغ

قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَكْلٍ:

وَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقَى مِنْ مُحِبٍّ وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلُومَ الْمَذَاقِ
تَرَاهُ بِإِكْبَاءٍ فِي كُلِّ حَالٍ مَخَافَةً فُرْقَةٍ أَوْ لِاشْتِيَاقِ
فَيَبْكِي إِنْ نَأَوْا شَوْقًا إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الْفِرَاقِ
فَتَسْحَرُنْ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي وَتَسْحَرُنْ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ

١٦٥ أفنيت علاتي

يَزِيدُ بْنُ الطَّوَيْرَةِ:

عُقَيْلِيَّةُ أَمَّا مَلَاثُ إِزَارِهَا قَدِ عَصُ وَأَمَّا خَضْرُهَا فَبَتِيلُ
هِيَ مِنْ عُقَيْلٍ، وَمَلَاثُ إِزَارِهَا، مَوْضِعُ لَفِّ التَّنُورَةِ أَيْ الْأَرْدَافِ، فَدَعَصَ، أَيِ كَثَبَ رَمْلًا، وَأَمَّا
الْخَصْرُ فَبَتِيلٌ، نَحِيلٌ

تَقَيِّظُ أَكْنَافَ الْحِمَى، وَيُظِلُّهَا بِنَعْمَانَ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ مَقِيلُ
تشعل أطراف الحمى، مكان القوم، بالحر الشديد، وتستظل المحبوبة في نعمان وهو واد يكثر فيه
شجر الأراك حيث تحلو القيلولة

فَدَيْتُكَ أَعْدَائِي كَثِيرٌ، وَشَقَّتِي بَعِيدٌ، وَأَنْصَارِي لَدَيْكَ قَلِيلُ
أنا غريب هنا ..

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ جِئْتُ بِعِلَّةٍ فَأَقْنَيْتُ عِلَاتِي، فَكَيْفَ أَقُولُ؟
كنت كلما جئت إلى مضارب قومك جئت بعلة، بحجة أتججج بها، ولم يبق لي حجج .. فماذا
سأقول هذه المرة؟

١٦٦ متهى الأمنيات

وَلَمَّا نَزَلْنَا مَنْزِلًا طَلَّهُ النَّدَى أَنْيَقًا، وَبُسْتَانًا مِنَ النُّورِ حَالِيَا
لما نزلنا مكاناً ندياً أنيقاً، وبستاناً حاليماً، أي متحلياً مزيناً، بالنور، أي النور
أَجَدُّ لَنَا طِيبُ الْمَكَانِ وَحُسْنُهُ مُنَى قَتَمَنَيْنَا فَكُنْتَ الْأَمَانِيَا
أجد، أي أحدث، لنا طيب المكان وجماله أمانى، فتميننا .. فكنت أنت الأمانى

١٦٧ البريئة

ابن الدُّمَيْنَةِ:

بِنَفْسِي وَأَهْلِي مَنْ إِذَا عَرَّضُوا لَهُ بِذِكْرِ الْهَوَى لَمْ يَذَرِ كَيْفَ يُجِيبُ
أفدي بنفسى وبأهلى الحبيب الذى يذكرون أمامه تعريضاً لا تصريحاً الهوى فيرتبك
ولا يعرف كيف يجيب

وَلَمْ يَعْتَلِزْ عُذْرَ الْبَرِيِّ، وَلَمْ تَزَلْ بِهِ سَكْنَةٌ حَتَّى يُقَالَ مُرِيبُ
فلا يعتلز الحبيب بكلام بظهر براءته، ويسكت كأنه يخفي شيئاً

لَقَدْ ظَلَمُوا ذَاتَ الْوِشَاحِ، وَلَمْ يَكُنْ لَنَا مِنْ هَوَى ذَاتِ الْوِشَاحِ نَصِيبُ
قد ظلموها .. فلم يكن لنا نصيب من حبها الذى سعينا إليه فلم نوافقنا عليه

١٦٨ الزفرات والعبرات

هَلِ الْحُبُّ إِلَّا زَفَرَةٌ بَعْدَ زَفَرَةٍ وَحَرٌّ عَلَى الْأَحْشَاءِ لَيْسَ لَهُ بَرْدُ
الحب زفرات حرى وعذاب

وَفَيْضُ دُمُوعِ الْعَيْنِ يَا مَيَّ كَلَّمَا بَدَا عَلَمٌ مِنْ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو
والحب هو انسكاب دمع العين يا مية كلما اقتربنا من ديارك وبدا لنا علم، أي جبل،
لم يكن يبدو من قبل

١٦٩ قوس كيوبيد

أبو دَفِيلِ الْجَمَحِي:

أَقُولُ وَالرَّكْبُ قَدْ مَالَتْ عَمَائِمُهُمْ وَقَدْ سَقَى الْقَوْمَ كَأْسَ النَّعْسَةِ السَّهَرُ
أقول والركب، أي المسافرين على الجمال، قد مالت رؤوسهم ومالت العمائم، وقد سقاهم السهر
كأس النعاس

يَا لَيْتَ أَنِّي بِأَثَوَابِي وَرَاحِلَتِي عَبْدٌ لِأَهْلِكَ هَذَا الْعَامَ مُؤْتَجِرُ
يا ليت أني عبد أجير عند أهلك أيتها المحبوبة طول السنة وأثوابي وراحلتي، ناقتي، معي لا
أكلفهم شيئاً من مؤوتي

جَنِيَّةٌ أَوْ لَهَا جِنَّ يُعَلِّمُهَا رَمَى الْقُلُوبِ بِقَوْسٍ مَا لَهَا وَتَرُ
محبوبي من الجن لحسنها الذي لا مثيل له في البشر، أو أن لها جنياً يعلمها كيف ترمي القلوب
بقوس الحب التي ليس لها وتر

١٧٠ كدت أطير

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

تَغْلَغَلَ حُبٌّ «عَثْمَةً» فِي فُؤَادِي فَبَادِيهِ مَعَ الْخَافِي يَسِيرُ
تعمق حب عثمة في قلبي والظاهر منه للعيان قليل بالقياس إلى ما خفي
تَغْلَغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ
هذا حب متعمق جداً..

شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتُ فِيهِ هَوَاكِ، فَلَيْمَ، فَالْتَأَمَ الْفُطُورُ
شقت قلبي ثم ذررت، أي رششت، فيه حبك، ثم ليم، أي رُمم وأصلح وتم تخطيطه، فالتام
الفطور، أي أغلق وأصلح الشق

أَكَادُ إِذَا ذَكَرْتُ الْعَهْدَ مِنْهَا أَطِيرُ لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا يَطِيرُ

١٧١ هذا حبيبها

قال نُصَيْب، وتروى لغيره:

أَهَابِكَ إِجْلَالاً، وَمَا بِكَ قُدْرَةً عَلَيَّ، وَلَكِنْ مِلءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا
أَهَابَكَ إِكْبَاراً لِقُدْرِكَ، لَيْسَ أَنْ لَكَ عَلَيَّ قُدْرَةٌ، وَلَكِنْ حَبِيبُ الْمَرْءِ مِلءُ عَيْنِهِ كَأَنَّمَا يَرَاهُ أَكْبَرُ مِنَ
الْحَجْمِ الطَّبِيعِيِّ

وَمَا هَجَرْتُكَ النَّفْسُ أَنَّكَ عِنْدَهَا قَلِيلٌ، وَلَكِنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِيبُهَا
ابتعادي عنك ليس لهوانك علي بل لقلة حظي منك

وَلَكِنَّهُمْ يَا أَمْلَحَ النَّاسِ أَكْثَرُوا يَقُولُ إِذَا مَا جِئْتُ: هَذَا حَبِيبُهَا
ومع ذلك فكلما جئت قالوا: هذا حبيبها. ويحك ما أجمل هذا البيت!

١٧٢ منتهى العفاف

ابن الدمينه:

أَحَقّاً عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ وَارِداً وَلَا صَادِراً إِلَّا عَلَيَّ رَقِيبُ
لا آتي ولا أذهب إلا وعلي رقيب

وَلَا زَائِراً فَرِداً وَلَا فِي جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا قِيلَ أَنْتَ مُرِيبُ
ولا أزور أحداً أو قوماً إلا قيل لي إني مرعب، أي لدي ما أخفيه مما هو غريب أو معيب
وهل ريبه في أن تحزن نجيبه إلى إلفها أو أن يحزن نجيب
هل ثمة ريبه في أن تحن ناقة إلى صاحبها الجميل، أو أن يحن هو إليها؟

وإني لأستحييك حتى كأنما عليّ بظهير الغيب منك رقيب

١٧٣ المغرورقتان

أبو حية التميمي:

نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ قَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ
لأن عينيه فيهما دموع فهو يرى دار المحبوبة كما يرى المرء الشيء غائماً من وراء زجاجة،
والزجاجة هي الكأس

فَعَيْنَايَ طَوَّراً تَغْرَقَانِ مِنَ الْبُكَاءِ فَأَعْشَى، وَطَوَّراً تَحْصِرَانِ فَأَبْصُرُ
تغرق عيناى حيناً بالبكاء فأصبح أعشى ضعيف النظر، وتحصران، تنكشفان، حيناً فأبصر

١٧٤ الملامة اللذيذة

أبو الشَّيْصِ الخَزَّازِي:

وَقَفَّ الْهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتِ، فَلَيْسَ لِي مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ

تجمدت حياتي فلم يعد لي شغل إلا أنت

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً حُبًّا لِذِكْرِكَ، فَلَيْلُمْنِي اللَّوْمُ

أستمتع بمن يلوموني في شأنك لأن مجرد ذكرك ممتع لقلبي،

فليلمني اللوم، أي اللاتمون

أَشْبَهْتُ أَعْدَائِي فَقَصِرْتُ أَحِبُّهُمْ إِذْ صَارَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي مِنْهُمْ

أنت مثل أعدائي فهم يبخلون علي بكل ما هو حسن، وكذلك أنت.. لذا صرت أحب أعدائي
لحيبك

وَأَهْنَيْتَنِي فَأَهَنْتُ نَفْسِي عَامِداً، مَا مَنْ يَهُونُ عَلَيْكَ مِمَّنْ أَكْرِمُ

أهنتني في الحب فقبلت الإهانة فما من أحد يهون عندك وأكرمه،

لذا فأنا أهين نفسي لأنك تهينها

١٧٥ حوار حبيبين

ابن اللعينة لمحبوته أمانة:

وَأَنْتِ الَّتِي كَلَّفْتَنِي دَلَجَ السَّرَى وَجُودَ الْقَطَا بِالْجَلْهَتَيْنِ جُثُومُ

أنت كلفتني دلج السرى، السير ليلاً، بينما طيور القطا الجون، السود، جنوم راقدات في
«الجلهتين»

وَأَنْتِ الَّتِي أَحْفَظْتَ قَوْمِي فَكُلُّهُمْ بَعِيدُ الرِّضَا بَادِي الصُّدُودِ كَظِيمُ

وأنت أحفظت قومي، أغضبتهم علي، فكلهم ساخط ويكظم سخطه، يخفيه

فقالَتْ محبوبته نجيبة:

وَأَنْتِ الَّتِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَشْمَتَ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ

أنت أخلفت وعدك، وجعلت اللاتمين يشمتون بي

وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي لَهُمْ غَرَضاً أَرْمَى وَأَنْتِ سَلِيمُ

وفضحتني بين الناس ثم تركتني غرضاً لسهام الذم، وأنت سليم منها

١٧٦ فعلت أفعالها

أعشى بني تغلب، وتروى لعمرو بن الأصم:

أَلِمِمَ عَلَى دِمَنِ تَقَادَمَ عَهْدُهَا بِالْجَزَعِ وَاسْتَلَبَ الزَّمَانُ جَمَالَهَا
ألم، زُر من الزيارة، على دمن قديمة، هي خرائب المنازل في موضع الجزع التي ذهب حسننها
بمرور الزمن عليها

رَسَمَ لِقَاتِلَةَ الْغَرَائِقِ مَا بِهَا إِلَّا الْوُحُوشُ خَلَّتْ لَهُ وَخَلَا لَهَا
هذا رسم، أي طلل، لدار قاتلة الغرائق، الشبان الوسيمين، وليس بها إلا الوحوش، حيوانات
البر، خلا لها الرسم الوحش وخلت له الوحوش

ظَلَّتْ تُسَائِلُ بِالْمُتَيْمِ أَهْلَهُ وَهِيَ الَّتِي فَعَلَتْ بِهِ أَفْعَالَهَا
وهي تسأل أهل اليتيم المغموم بها عن حاله،
بينما هي التي فعلت به ما فعلت

١٧٧ أحببت وكفى

عمرو بن ضُبَيْعَةَ الرَّقَاشِي:

تَضَيَّقُ جُفُونُ الْعَيْنِ عَنْ عِبْرَاتِهَا فَتَسْفَحُهَا بَعْدَ التَّجَلُّدِ وَالصَّبْرِ
تضييق الجفون عن الدموع فتسفحها، أي تسكبها، بعد التجلد، التماسك، والصبر

أَلَا لِيَقُلْ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ إِنَّمَا يُلَامُ الْفَتَى فِيمَا اسْتَطَاعَ مِنَ الْأَمْرِ
قَضَى اللَّهُ حُبَّ الْمَالِكِيَّةِ فَاضْطَرَّ عَلَيْهِ فَقَدْ تَجَرَّى الْأُمُورُ عَلَى قَدَرٍ
اصبر على حب المالكية فهذا قضاء الله، والأمر تجري بحسب المقادير

١٧٨ التمتع بالتمني

قال رجل من بني الحارث:

مَنْنِي إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَنَى وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمْنًا رَعْدًا
لو تحققت الأمانى فهذا أحسن شيء، وإلا، أي إن لم تتحقق، فقد سررنا بالتمني

أَمَانِيٍّ مِنْ سَعْدَى حِسَانٍ كَأَنَّمَا سَقَنَكَ بِهَا سَعْدَى عَلَى ظَمٍّ بَرْدًا
الأمانى بوصل سعدى جميلة وهي تبرد القلب،
فكان سعدى سقتك ماء بارداً وأنت عطشان

١٧٩ أحلاهما مرّ

إِنِّي وَإِيَّاكَ كَالصَّادِي رَأَى نَهْلًا وَدُونَهُ هُوَّةٌ يَخْشَى بِهَا التَّلَفًا
أنا وأنت أيتها المحبوبة كالصادي، أي العطشان، الذي رأى منهل ماء، وبينه وبين المنهل هوة
سحيقة يخشى الموت إن عبرها

رَأَى بِمَعِينِهِ مَاءً عَزَّ مَوْرِدُهُ وَلَيْسَ يَمْلِكُ دُونَ الْمَاءِ مُنْصَرَفًا
يرى الماء ولكن وروده عزيز، صعب، ولكنه لا يستطيع الانصراف دون أن يشرب

١٨٠ النعاس الحائر

وَلِي مُقْلَةٌ عَهْدُهَا بِالْكَرَى قَدِيمٌ، وَبِالدَّمْعِ عَهْدٌ قَرِيبٌ
عهدي بالنوم بعيد، وبالدمع قريب

يَحَارُ إِذَا زَارَ طَرْفِي الْكَرَى كَمَا حَارَ بِالْحَمَى ضَيْفٌ غَرِيبٌ
عندما يزور النوم طرفي أي عيني، فهو يحترق ولا يمكث طويلاً، ويكون نوماً مردداً قلقاً، مثلما
يحار ضيف غريب جاء إلى المحي

١٨١ انظري نحولي

خلف بن خليفة:

خُذِي يَدَيَّ ثُمَّ ارْفَعِي الثُّوبَ فَانْظُرِي بِي الضَّرَّ إِلَّا أَنَّنِي أَتَسْتَرُّ
ارفعي ثوبي لترى نحولي ونحفي، فانا أستر بالثوب لئلا يظهر ما بي
فَمَا حِيلَتِي إِنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ رَحْمَةٌ عَلَيَّ وَلَا لِي عَنْكَ صَبْرٌ فَأَصْبِرُ
لا أنت راحمة لي ولا أستطيع عنك صبراً

١٨٢ زرع كبد

مجنون ليلي:

وَلِي كَبِدٌ مَقْرُوحَةٌ مَنْ يَبِيعُنِي بِهَا كَبِدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحٍ؟
كبدتي بها قروح، فمن يبادلني بها كبداً صحيحة؟

أَبَى النَّاسُ بَيْنَ النَّاسِ لَا يَشْتَرُونَهَا وَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْرِي دَوَى بِصَحِيحِ
الدوى: المريض

١٨٣ الرغبة عن الهجاء

أَرْطَاةَ بِن سُهَيْبَةَ الْمُزَيِّ، وَقَدْ عَاشَ فِي الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ:

نَمَنْتُ وَذَاكُم مِّنْ سَفَاهَةٍ رَّأَيْهَا لِأَهْجُوهَا لَمَّا هَجَّجْنِي مُحَارِبٌ
قَبِيلَةَ مُحَارِبٍ تَمَنَّتْ أَنْ أَرُدَّ عَلَى هَجَاتِهَا لِي بِهِجَاءٍ، وَهَذَا مِنْ قِلَّةِ عَقْلِهَا

مَعَاذَ الْإِلَهِ إِنَّنِي بِقَبِيلَتِي وَنَفْسِي عَنْ ذَاكَ الْمَقَامِ لَرَاغِبٌ
مَعَاذَ اللَّهِ، فَأَنَا رَاغِبٌ لِقَبِيلَتِي وَلِنَفْسِي عَنِ الْقِيَامِ هَذَا الْمَقَامِ، أَيِ كَارِهِ لِلْوُقُوفِ هَذَا الْمَوْقِفِ

١٨٤ هجاء الابن

فُرْعَانُ بْنُ الْأَعْرَفِ، الَّذِي عَاشَ لِمُهْدٍ عَمْرٍاءَ بِنِ الْخَطَّابِ، فِي ابْنِهِ مَنَازِلَ، وَقَدْ عَقَهُ:

لَرَبِّيْتُهُ حَتَّى إِذَا آخَصَ شَيْظَمًا يَكَاذُ يُسَاوِي غَارِبَ الْفَحْلِ غَارِبُهُ
لَقَدْ رَيْتُ وَلَدِي «مَنَازِلًا» حَتَّى إِذَا آخَصَ، أَيِ أَصْبَحَ، شَيْظَمًا، أَيِ قَوِيًّا، يُسَاوِي ظَهْرَهُ ظَهْرَ الْفَحْلِ عَلَوًّا

وَرَبِّيْتُهُ حَتَّى إِذَا مَا تَرَكْتُهُ أَخَا الْقَوْمِ وَاسْتَعْنَى عَنِ الْمَسْحِ شَارِبُهُ
رَبِيْتُهُ حَتَّى أَصْبَحَ رَجُلًا فِي الْقَوْمِ، وَلَمْ يَعُدْ شَارِبُهُ يَمْسَحُ. . وَاسْتَعْنَى الشَّارِبُ عَنِ الْمَسْحِ كَنَازَةٍ عَنِ
مَفَارِقَةِ الطُّفُولَةِ، فَالشَّارِبُ هُوَ الشَّفَتَانِ اللَّتَانِ تَشْرَبَانِ اللَّبْنَ، وَالطُّفْلُ يَمْسَحُونَ شَفَتَيْهِ بَعْدَمَا يَشْرَبُ اللَّبْنَ

تَعَمَّدَ حَقِّي ظَالِمًا وَلَوَى يَدِي لَوَى يَدَهُ اللَّهُ الَّذِي هُوَ غَالِبُهُ
تَعَمَّدَ، أَيِ أَخْفَى، حَقِّي، وَلَوَى يَدِي، أَيِ اسْتَقْوَى عَلَيَّ

وَكَانَ لَهُ عِنْدِي إِذَا جَاعَ أَوْ بَغَى عَلَى الزَّادِ أَحْلَى زَادِنَا وَأَطَايِبُهُ
عِنْدَمَا كَانَ يَجُوعُ أَوْ يَبْغِي عَلَى الزَّادِ، أَيِ لِأَنَّهُ لَمْ يَحِبْ نَوْعَ الطَّعَامِ، فَلَهُ أَحْلَى وَأَطَايِبُ مَا عِنْدَنَا
مِنْ طَعَامٍ

إِنْ أُرْعِشْتَ كَفًّا أَبْيَكَ، وَأَصْبَحْتَ يَدَاكَ يَدَيَّ لَيْثٍ فَإِنَّكَ ضَارِبُهُ؟
إِنْ أَصَابَتْ الرِّعْثَةَ يَدِي أَبْيَكَ وَأَصْبَحْتَ يَدَاكَ أَنْتَ قَوِيَّتَيْنِ كَيْدِي الْأَسَدِ، فَانْتَ تَضْرِبُ أَبَاكَ؟

وَجَمَعْتُهَا دُهِمًا جِلَادًا كَانَتْهَا أَشَاءُ نَخِيلٍ لَمْ تُقَطَّعْ جَوَانِبُهُ
لَقَدْ جَمَعْتُ هَذِهِ الْخِيُولَ الدِّهَمَ، السُّودَ، الْجِلَادَ، الْقَوِيَّةَ، الَّتِي كَانَتْهَا أَشَاءُ نَخِيلٍ، نَخَلَاتٍ صَغِيرَةٍ،
لَمْ يَتِمَّ تَشْدِيدُهَا بَعْدَ

فَأَخْرَجَنِي مِنْهَا سَلِيبًا كَانَتْهُ حُسَامُ يَمَانٍ فَارَقَتْهُ مَضَارِبُهُ
فَسَلَبَ خَيْلِي وَأَخْرَجَنِي صَفَرُ الْيَدَيْنِ، فَكَانَتْهُ سَيْفُ يَمَانِي ذَهَبَتْ مَضَارِبُهُ، أَيِ نَصْلُهُ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ
إِلَّا الْمَقْبُضُ

١٨٥ بثست الخلتان

قَتَبَ بن أُمِّ صَاحِبٍ:

إِنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا مَنِّي، وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا
إِنْ سَمِعُوا سِيْئَةً عَنِي فَرَحُوا بِهَا وَأَذَاعُوهَا، وَيَدْفَنُونَ مَا سَمِعُوا عَنْ حَسَنَاتِي

صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ وَإِنْ ذُكِرْتُ بِشَرٍّ عِنْدَهُمْ أَذْنُوا
بِهِمْ صَمَمَ عَنْ حَسَنَاتِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي أَحَدٌ بِسُوءٍ أَذْنُوا، فَتَحُوا أَذَانَهُمْ

جَهْلًا عَلَيْنَا وَجُبْنًا عَنْ عَدُوِّهِمْ لَيْسَتْ الْخَلَّتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ
جَهْلًا عَلَيْنَا، يَتَطَاوَلُونَ عَلَيْنَا، وَيَجْنُونَ عَنِ الْعَدُوِّ. وبثست الخصلتان الجهل، أي التهور
والتطاول، والجبن

١٨٦ المانّ على بني أسد

حُرَيْثُ بن عَنَابٍ:

بَنِي أَسَدٍ إِلَّا تَنَحَّوْا تَطَاكُمُ مَنَاسِمُ حَتَّى تُحْطَمُوا وَحَوَافِرُ
يَا بَنِي أَسَدٍ، إِنْ لَمْ تَتَنَحَّوْا فَسَوْفَ تَدُوسُكُمْ مَنَاسِمُ، أَيْ أَخْفَافُ الْإِبِلِ، وَحَوَافِرُ الْخَيْلِ حَتَّى تَتَهَشَّمُوا

تَضَاءَلْتُمْ مِنَّا كَمَا ضَمَّ شَخْصُهُ أَمَامَ الْبُيُوتِ الْخَارِيِّ الْمُتَقَاصِرِ
تَضَاءَلْتُمْ، انْكَسَمْتُمْ، خَوْفًا مِنَّا، مِثْلَمَا يَقْعِي أَمَامَ الْبُيُوتِ وَيَضُمُّ شَخْصَهُ الْمَتَغَوِّطُ الْمُتَقَاصِرُ، الَّذِي
يَحَاوِلُ تَقْصِيرَ نَفْسِهِ كَيْ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ

وَلَمَّا رَأَيْنَاكُمْ لِنَامًا أَدْلَةً وَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ نَاصِرُ
كَنَّا قَدْ رَأَيْنَاكُمْ رَيْنَاكُمْ ذَلِيلِينَ لَا يَنْصُرُكُمْ أَحَدٌ..

ضَمَمْنَاكُمْ مِنْ غَيْرِ فَقَرِ إِلَيْنَا كَمَا ضَمَّتِ السَّاقُ الْكَسِيرَ الْجَبَائِرُ
فَضَمَمْنَاكُمْ إِلَيْنَا دُونَ أَيِّ حَاجَةٍ بَنَّا إِلَيْكُمْ، فَأَنْتُمْ الْمَتَغَوِّطُونَ بِهَذَا الْحَلْفِ فَقَطْ، مِثْلَمَا تَنْتَفِعُ السَّاقُ
الْمَكْسُورَةُ إِذْ تُرْبِطُ بِالْجَبَائِرِ، الْعَصِيِ الَّتِي تُجْبِرُ الْكَسَرَ

١٨٧ صبغوا رماحنا

جَوَّاسُ بن الْقَعْلَلِ:

صَبَغْتُ أُمِّيَّةً بِالدِّمَاءِ رِمَاحَنَا وَطَوْتُ أُمِّيَّةً دُونَنَا دُنْيَاهَا

قَاتَلْنَا مَعَ بَنِي أُمِيَّةٍ فَصَبَغْتُ رِمَاحَنَا بِالدِّمِّ لَكِنَّا أَبْعَدْتُ عَنَّْا خَيْرَاتِ الدُّنْيَا

فَاللَّهُ يَجْزِي، لَا أُمِّيَّةٌ، سَفِينَا وَعُلَا شَدَدْنَا بِالرَّمَاكِ عَرَاهَا
فالله يجزيها، وتجزيها المعالي التي عززناها بالرماح وشددنا عراها، مثلما يشد المرء أنشوطه الحبل
على عتق الجمل

١٨٨ ركوب المنبر

أبو الأسد، في الحسن بن رجاء:

مَا زِلْتُ تَرْكَبُ كُلَّ شَيْءٍ قَائِمٍ حَتَّى اجْتَرَأْتَ عَلَى رُكُوبِ الْمِنْبَرِ
يعيره بالانحراف الجنسي، ويتعجب من اجتراه على صعود المنبر، فهو غير أهل للقيادة

١٨٩ المجد ليس تمرّاً

قال رجل من بني أسد:

دَبَبْتَ لِلْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا جَهْدَ النُّفُوسِ وَأَلْقَوْا دُونَهُ الْأُزْرَا
أخذت تدب، وتزحف، نحو المجد بينما الساعون المجتهدون قد بلغوا في سعيهم أقصى الغايات
وخلعوا الأزر، أي الأثواب، كناية عن المثابرة الشديدة

فَكَاثَرُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ أَوْفَى وَمَنْ صَبَرَا
فكاثروا المجد، أي تحدوه كي ينالوه، فعل أكثرهم، ولم ينل المجد إلا من أوفى،
بلغ الغاية، وصبر

لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمَرّاً أَنْتَ أَكَلُهُ لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَا
دون بلوغ المجد لعق الصبر، وهو نبات مر

١٩٠ قوم بخلاء

قال بعض بني المهلب:

قَوْمٌ إِذَا أَكَلُوا أَخْفَوْا كَلَامَهُمْ وَاسْتَوْتَفُّوا مِنْ رِتَاجِ الْبَابِ وَالذَّارِ
عندما يحين موعد طعامهم يهيمسون همساً حتى لا يحس بهم الناس،
ويتأكدون من رتاج الباب، قفله

لَا يَقْسِ الْجَارُ مِنْهُمْ فَضْلَ نَارِهِمْ وَلَا تَكْفَ يَدٌ عَنْ حُرْمَةِ الْجَارِ
ويخلون حتى بالنار التي لا يخسرون شيئاً لو اقتبس أحد منها قبساً، ويتهكون حرمة من يجاورهم

١٩١ زفرة المعضوض

مالك بن أسماء بن خارجة، وكان زار صديقاً له، فلما بلغ داره شد عليه كلب صديقه، فعضه، فقال:

لو كنتُ أَحْمِلُ خَمْراً يَوْمَ زَرْتُكُمْ لم يُنْكِرِ الْكَلْبُ أَنِّي صَاحِبُ الدَّارِ
لو كان معي خمر لظنني الكلب صاحب الدار لأنكم متعودون على حمل الخمر

لكنْ أَتَيْتُ وَرِيحَ الْمِسْكِ تَفْغُمُنِي وَعَنْبِرُ الْهِنْدِ أَذْكِيهِ عَلَى النَّارِ
لكنني أتيت زائراً متعطراً وريح المسك تفعمني، وعنبر الهند الذي تم تعريضه للنار لتقوية عبيره

فَأُنْكِرَ الْكَلْبُ رِيحِي حِينَ أَبْصَرَنِي وَكَانَ يَعْرِفُ رِيحَ الزُّقِّ وَالْقَارِ
فلم يعرف رائحتي كلبكم، فهو يعرف فقط رائحة الزق والقار، قربة الخمر والزفت الذي طلبت به لمنع التسرب

١٩٢ سادتهم نساء، وقادتهم عبيد

مدرك بن حصن الفُقَيْصِي:

لقد كنتُ أرمي الْوَحْشَ وَهِيَ بِغِرَّةٍ وَيَسْكُنُ أحياناً إِلَيَّ شَرُودَهَا
كنت أرمي حيوانات البر بسهامي بغرة، فجأة، وأحياناً يأنس إلي الحيوان الشارد منها.. هكذا كانت علاقته بالفتيات شاباً

فقد أمكنتني الْوَحْشُ مُذْ رَثْتُ أَشْهُمِي وما ضَرَّ وَحْشاً قَانِصٌ لا يَصِيدُهَا
ومنذ أن رثت أسهمي، أصبحت مهترئة، أمكنتني الوحوش من نفسها واقتربت مني، فالوحوش، ومنها الظباء والمها، لا يضرها صائد لا يستطيع صيدها.. كناية عن إقبال النساء عليه عندما صار كهلاً

فَأَعْرَضْتُ عَنْ سَلَمَى وَقُلْتُ لِصَاحِبِي سَوَاءٌ عَلَيْنَا بُخْلٌ سَلَمَى وَجُودُهَا
أعرضت عن سلمى، فسواء جادت أم بخلت فلا غرض لنا فيها

فلا تَحْسُدَنَّ عَبْساً عَلَى مَا أَصَابَهَا وَدُمْ حَيَاةً قَدْ تَوَلَّى زَهِيدُهَا
لا تحسد قبيلة عبس على ما أصابت من عز، ودُم حياة تولى الأمور فيها الزهيد الخسيس من الناس

تُشَبِّهُ عَبْسٌ هَاشِماً أَنْ تَسْرِبَلَتْ سَرَابِيلَ خَزٍّ أَنْكَرَتْهَا جُلُودُهَا
يشبهون عبساً بقبيلة هاشم فقط لأنها تسربلت، لبست، ثياب الخز، الحرير، التي في الواقع قد أنكرتها ولم تألفها جلود عبس

فَلَا تَخْسَبَنَّ الْخَيْرَ ضَرْبَةً لَازِبٍ لِعَبْسٍ إِذَا مَا مَاتَ عَنْهَا وَلَيْدُهَا

الخير ليس ضربة لازب، ليس مؤكداً، لقيلة عبس إذا مات الوليد بن عبد الملك؛ وكانت زوجته عبسية، وكان يقدق على قومها

فَسَادَةُ عَبْسٍ فِي الْحَدِيثِ نِسَاؤُهَا وَقَادَةُ عَبْسٍ فِي الْقَدِيمِ عَيْدُهَا

سادة عبس في الحديث نساؤها، زوجة الخليفة، وقادة عبس في القديم عييدها، أي عترة بن شداد

١٩٣ اللؤم وغايته

أَنَاخُ اللَّؤْمُ وَسَطُ بَنِي رِيَّاحٍ مَطِيبَتُهُ فَأَقْسَمَ لَا يَرِيْمُ

اللؤم نفسه أناخ دابته، أي أبركها وجعلها تجثم وتقعي، وسط بني رياح، وأقسم ألا يريم، يتحول عنهم... أي هم لئام

كَذَلِكَ كُلُّ ذِي سَفَرٍ إِذَا مَا تَنَامَى عِنْدَ غَايَتِهِ مُقِيمٌ

وكذا كل مسافر فإذا وصل غايته فهو يقيم ولا يرحل

١٩٤ المزاحم

إِذَا بَكْرِيَّةٌ وَلَدَتْ غُلَامًا فَبِاللُّؤْمِ لِدَلِكْ مِنْ غُلَامٍ

ابن قيلة بكر لئيم منذ مولده

يُزَاحِمُ فِي الْمَادِبِ كُلَّ عَبْدٍ وَلَيْسَ لَدَى الْحِفَاطِ بِذِي زِحَامٍ

وعندما يكبر يزاحم العبيد على الطعام، ولكنه لا يزاحم المقاتلين في الحرب للحفاظ على الشرف

١٩٥ تظن نفسها جميلة!

كَنْزَةُ بِنْتُ شَمْلَةَ الْمُنْقَرِيَّةِ، نَهَجُو مَيَّةَ صَاحِبَةِ ذِي الرِّمَّةِ:

أَلَا حَبَّذَا أَهْلُ الْمَلَا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتْ مَيِّي فَلَا حَبَّذَا هِيَا

حبذا أهل الملا غير أنه حبذا أهل الحي باستثناء مئة

عَلَى وَجْهِ مَيِّي مَسْحَةٌ مِنْ مَلَاخَةٍ وَتَحْتَ الشَّيَابِ الْخِزْيُ لَوْ كَانَ بَادِيَا

نعم على وجهها مسحة خفيفة من ملاحه، ولكن تحت ثيابها، أي في شخصيتها، اللؤم الذي كنت ستراه لو كان ظاهراً

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يَخْلُفُ طَعْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ أَبْيَضَ صَافِيَا

يكون الماء صافياً في لونه ولكن طعمه يخلف، أي يتغير... فالمنظر لا يشي بالمخبر

إِذَا مَا أَتَاهُ وَارِدٌ مِنْ صَرُورَةٍ تَوَلَّى بِأَضْعَافِ الَّذِي كَانَ ظَامِيًا
فإذا جاء الماء وارد ليشرب مضطراً فإنه يتولى، ينصرف عنه، وقد غثيت نفسه وفسدت أضعاف ما
كان به من عطش

كَذَلِكَ مَيِّ فِي الشَّيَابِ إِذَا بَدَتْ وَأَثْوَابُهَا يُخْفِيَنَّ مِنْهَا الْمَخَازِيَا

١٩٦ كَانَ عَلَيْهِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ

إِذَا مَا الرِّزْقُ أَحْجَمَ عَنْ كَرِيمٍ وَأَلْجَأَهُ الزَّمَانُ إِلَى زِيَادٍ..
إذا انكمش الرزق عن رجل كريم، واضطره الزمن إلى اللجوء لزياد..

تَلَقَّاهُ بِوَجْهِ مُكَفَّهَرٍّ كَانَ عَلَيْهِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ
.. فزياد يستقبله بوجه مكشر، وكأنه مكلف بأرزاق عباد الله

١٩٧ قُومِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ

مُرَّةً بِنَ مَحْكَانَ، وَهُوَ أُمُوي:

أَنَا ابْنُ مَحْكَانَ أَخُوَالِي بَنُو مَطَرٍ أَنْمِي إِلَيْهِمْ وَكَانُوا مَعْشَرًا نُجَبَا
أنا ابن فلان وأخوالي بنو مطر وأنسب إليهم، وهم نجباء كرام

يَا رَبَّةَ الْبَيْتِ قُومِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ ضُضِّي إِلَيْكَ رِحَالَ الْقَوْمِ وَالْقَرَبَا
يا زوجتي قومي، غير صاغرة، غير ذليلة، واجمعي متاع الضيوف وقرب الماء التي جاءوا بها

فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أُنْدِيَةٍ لَا يُبْصِرُ الْكَلْبُ مِنْ ظِلْمَائِهَا الطُّنْبَا
في ليلة باردة من جمادى ذات أندية، أي ماطرة، ولا يكاد الكلب يرى لشدة الظلام الطنب، حبل
الخيمة. يكون جمادى قد أتى في ذلك الزمن في الشتاء

مَاذَا تَرَيْنَ أُنْذِنِيهِمْ وَنُزِّلُهُمْ فِي بَاحَةِ الدَّارِ أَمْ نَبْنِي لَهُمْ قُبْبَا؟
فهل نقرّبهم وننزلهم في باحة دارنا، أي خيمتنا، أم نبني لهم قُبباً، خياماً؟

١٩٨ الْحَرِيصُ عَلَى الضَّيْفِ

وَمُسْتَنْبِحٍ قَالَ الصَّدَى مِثْلَ قَوْلِهِ حَصَّأْتُ لَهُ نَارًا لَهَا حَطَبٌ جَزُلٌ
رب مستنبح، رجل ينبح كالكلب في الصحراء وهو تائه حتى تجاوبه كلاب قوم فيتزل فيهم ضيفاً،
ويتردد صدى نباحه.. وقد أوقدت له ناراً بحطب جزل، صلب

وَقُفْتُ إِلَيْهِ مُسْرِعاً فَغَنِمْتُهُ مَخَافَةَ قَوْمِي أَنْ يَفُوزُوا بِهِ قَبْلُ
أسرعت إليه لكي أکسبه قبل أن يفوز به غيري من القوم قبل، أي قبل أن أستضيفه

فَأَوْسَعَنِي حَمْدًا، وَأَوْسَعْتُهُ قِرَى وَأَرْخَضَ بِحَمْدِكَ كَانَ كَاسِبَهُ الْأَكْلُ
بالغت في قراه، طعامه، ومدحني. . وما أرخص الحمد الذي تكسبه بتقديمك الأكل للضيف

١٩٩ لك البيت

وَمَا أَنَا بِالسَّاعِي إِلَى أُمَّ عَاصِمٍ لِأَضْرِبَهَا إِنِّي إِذْنُ لَجَهْلُورٍ
لا يضرب زوجته

لَكَ الْبَيْتُ إِلَّا فَيَنْتَهُ تَحْسِنِيَّتُهَا إِذَا حَانَ مِنْ ضَيْفٍ عَلَيَّ نُزُولُ
البيت لك، وما عليك إلا أن تحسني في فينة، في مرة، عندما ينزل بي ضيف

٢٠٠ إكرام الضيف

وَأَنَا لَمَشَاؤُونَ بَيْنَ رَحَالِنَا إِلَى الضَيْفِ، مِنَّا لِاحِفٌ وَمُنِيْمٌ
نمشي بين متاع بيوتنا ونعتني بالضيف ونقدم له اللحاف ولوازم النوم

فَذُو الْجِلْمِ مِنَّا جَاهِلٌ دُونَ ضَيْفِهِ وَذُو الْجَهْلِ مِنَّا عَنْ أَذَاهُ حَلِيمٌ
الحليم منا جاهل متهور في الدفاع عن ضيفه، والجاهل المتهور منا حليم يتحمل أي أذى من الضيف

٢٠١ سخي وحيي

ابن عَنَاءِ الْقَزَارِي:

رَأَيْتَنِي عَلَى مَا بِي عُمَيْلَةً فَاسْتَكَيْتَنِي إِلَى مَالِهِ حَالِي أَسْرَّ كَمَا جَهَرَ
رأى عميلة حالي، فشكا فقري إلى ماله. . أي طلب من ماله أن ينجلني. . فعل ذلك في السر والعلانية

دَعَانِي فَاسَانِي، وَلَوْ ضَنَّ لَمْ أَلَمْ عَلَى حِينٍ لَا بَدُو يُرْجَى وَلَا حَضَرُ
دعاني فأساني، خفف عني، ولو ضن علي ويخل لم أكن له لائماً في وقت لا يرجو المرء فيه
الخير من بدو ولا من حضر لاشتداد الضيق بالناس

غُلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحُسْنِ يَافِعًا لَهُ سِيْمِيَاءُ لَا تَشْقَى عَلَى الْبَصَرِ
غلام، وكثيراً ما وصفوا الرجل بالغلام ولا ضير، كان جميل الطلعة وهو يافع فتى، وله سيمياء،
طلعة بهية، لا تتعب البصرا

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِقَتْ فِي جَبِينِهِ وَفِي نَحْرِهِ الشُّعْرَى وَفِي خَدِّهِ الْقَمَرُ
جعل نجوم السماء وقمرها في وجهه!

إِذَا قِيلَتْ الْعَوْرَاءُ أَغْضَى كَأَنَّهُ ذَلِيلٌ بِلاَ دُلٍّ وَلَوْ شَاءَ لَانْتَصَرَ
إذا سمع العوراء، الكلمة الرديئة أغضى، خفض بصره، خجلاً.. فكانه ذليل وليس بذليل، بل هو
الحياء الجميل.. ولو أراد كان بمقدوره أن ينتصر، أن يرد ويستد

٢٠٢ كانت قذى عينيه

سَأَشْكُرُ عَمْرًا مَا تَرَاخَتْ مَنِيتِي أَيَادِي لَمْ تُنَمِّنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتْ
سأشكر لعمرو ما تراخت منيتي، ما استمر عمري وابتعد موتي، أيادي، أي نعماً، لم يمن علي بها
مع أنها كبيرة

فَتَى غَيْرُ مَخْجُوبٍ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مُظْهِرُ الشُّكْوَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتْ
لا يحجب غناه عن صديقه، ولا يشكو إذا النعل زلت، إذا لحق به العسر

رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا فَكَانَتْ قَذَى عَيْنِهِ حَتَّى تَجَلَّتْ
رأى خلتي، أي حاجتي، رغم أن فقري خفي، فكانت حاجتي كالقذى في عينيه.. فظل يسعى
حتى تجلت، وزالت

٢٠٣ ليس أغناهم بل أكرمهم

أبو زياد الأعرابي:

لَهُ نَارٌ تُشَبُّ عَلَى يَفَاعٍ إِذَا النِّيرَانُ أَلْبَسَتِ الْقِنَاعَا
ناره مشبوبة مشتعلة على التل، في حين نيران غيره يجري تكميمها حتى لا يراها ضيف طارئ
وَلَمْ يَكْ أَكْثَرَ الْفِثْيَانِ مَالاً وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعَا
ليس الأغنى، لكنه الأوسع ذراعاً، أي الأسخى

٢٠٤ هينون لينون

عبيد بن العرنلس الكلابي:

هَيْنُونٌ لَيْنُونٌ أَيْسَارٌ ذَوُو كَرَمٍ سَوَاسٌ مَكْرُمَةٌ أَبْنَاءُ أَيْسَارٍ
في طبعهم السهولة واللينة وهم ذوو مال وكرم، ويسوسون المكارم، يحفظونها، وذوو أصل
طيب. والأيسار والموسرون من أصل واحد في اللغة، كان الأغنياء يقامرون بالميسر، يقامرون
على لحم ناقة يذبحونها، وكثيراً ما كانوا يوزعون المكسب على الفقراء

وَإِنْ تَوَدَّذَتْهُمْ لَانُوءَا وَإِنْ شُهِمُوا كَشَفَتْ أَسَادَ حَرْبٍ غَيْرَ أَشْرَارٍ
لينون مع من يتودد إليهم، وإن خاطبت فيهم الشهامة كشفت عن أسود حرب

لَا يَنْطُقُونَ عَنِ الْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا وَلَا يُمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارٍ

لا يشتمون، ولا يمارون، لا يجادلون كثيراً

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقُلْ لَا قَيْتَ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي

أي شخص منهم تلقاه تظن أنه سيدهم، فكلهم سادة كرام. وهم كالنجوم التي يهتدي بها مسافر الليل

٢٠٥ أضاءت أحسابهم الليل

أبو الطَّمْحَانِ الْقَيْنِي:

إِذَا قَبِلَ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ قَبِيلَةً وَأَصْبَرَ يَوْمًا لَا تَوَارَى كَوَاكِبُهُ..

إن سئل عن خير الناس من حيث النسب القبلي، وعن أصبر الناس في اليوم الذي لا تتوارى كواكبه، أي يشتد فيه القتال وتلمع فيه السيوف كالكواكب في غبار المعركة المظلم..

فَإِنَّ بَنِي لَامِ بْنِ عَمْرِو أَرْوَمَةَ سَمَتْ فَوْقَ صَعْبٍ لَا تُنَالُ مَرَاقِبُهُ

فبنو لام بن عمر أرومة، جدر ارتفع نباته فوق جبل صعب لا يصل المرء إلى مراقبه، أي الأماكن المشرقة التي تستعمل للمراقبة

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزْعَ ثَائِبُهُ

أحسابهم، أي شرفهم، ووجوههم البيض أضاءت لهم ظلام الليل، حتى ليستطيع ثاقب الخرز أن ينظمه في سلك ليصنع عقداً.. وهذا يقتضي ضوءاً ساطعاً. لئن صدقنا أن الوجوه تضيء، فكيف نصدق أن «الأحساب» تضيء... وعلى ضوءها ينظم عقد الخرز! هنا روعة البيت

٢٠٦ تفضل إن استطعت

محمد بن بشير الخارجي:

يَا أَيُّهَا الْمُتَمَنِّي أَنْ يَكُونَ فَتَى مِثْلَ ابْنِ زَيْدٍ لَقَدْ خَلَّى لَكَ السُّبُلَا

أيها المتمني أن يكون مثل ابن زيد.. تفضل لقد أخلى لك الطريق

أَعْدُدْ ثَلَاثَ خِلَالٍ قَدْ عُرِفْنَ لَهُ هَلْ سَبَّ مِنْ أَحَدٍ، أَوْ سَبَّ، أَوْ بَخَلَا؟

ثمة ثلاث خصال عرفت له: لم يشتم أحداً، ولم يشتمه أحد، ولم يبخل بماله

٢٠٧ أستاذين باسمهم

شُقْرَانُ مَوْلَى سَلَامَانَ، مِنْ قَضَاعَةِ:

وَلَوْ كُنْتُ مَوْلَى قَيْسِ عَيْلَانَ لَمْ تَجِدْ عَلَيَّ لِإِنْسَانٍ مِنَ النَّاسِ دِرْهَمًا

لو كنت مولى قبيلة قيس عيلان، الملتحق بهم، لما استطعت أن أستاذين من أحد درهماً، فهم غير ذوي ثقة ولا يحملون عن مولاهم الدين

ولكنني مولى قضاة كلها فليست أبالي أن أدين وتغرما
لكنني مولى قضاة، فانا أستدين وهي تغرم، تسدد عني
أولئك قومي بآرك الله فيهم على كل حال، ما أعز وأكرما!
هم قومي فما أعزهم وما أكرمهم!

٢٠٨ المغوار الخجول

ليلى الأخيلية:

لا تغزون الدهر آل مطرف لا ظالماً أبداً ولا مظلوماً
لا تشن غارة على آل مطرف، لا وأنت ظالم ولا وأنت مظلوم
قوم رباط الخيل وسط بيوتهم وأسنة زرق تحلن نجوماً
فهم يربطون خيولهم وسط بيوتهم للدفاع، ويعُدون أسنة زرقاً تلمع كأنها النجوم
ومخرق عنه القميص تخالهُ وسط البيوت من الحياء سقيماً
ورب فتى مشعت الملابس ممزق القميص تخاله سقيماً مريضاً
حتى إذا رفع اللواء رأيتهُ تحت اللواء على الخميس زعيماً
فإذا رفع اللواء للحرب وجدته تحت اللواء زعيماً للخميس، أي الجيش

٢٠٩ الكريم الخجول.. والمغوار

كريم يغض الطرف فضل حيائه ويدنو وأطراف الرماح دوان
كريم ويجعله الحياء يغض بصره، وهو يدنو عندما تكون أطراف الرماح قريبة أي أنه مقدم في
الحرب

وكالسيف إن لاينتُهُ لآن مسُهُ وحده إن حاشنتهُ حشنان
مسه لين كمس السيف، ولكن حده قاطع

٢١٠ القادح لجارته

سأقدح من قدري نصيباً لجارتي وإن كان ما فيها كفافاً على أهلي
سأقدح، أي أغترف قدحاً، من قدري للجارة، وإن كان ما في القدر لا يكاد يكفي أهلي
إذا أنت لم تشرك رفيقك بالذي يكون قليلاً لم تشاركه في الفضل
فمن لم يشارك رفيقه في القليل لم يشاركه في الفضل، أي الكثير الذي يفضل عن الحاجة

٢١١ أخلاق الرجال تضيق

عمرو بن الأهمم السعدي:

دَرِينِي فَإِنَّ الشُّعَّ يَا أُمَّ هَيْثَمَ لِصَالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقُ
دعيني يا أم هيثم فالبخل يسرق ما عند الرجل من صالح الأخلاق

دَرِينِي وَحُطِّي فِي هَوَايَ فَإِنَّنِي عَلَى الْحَسَبِ الزَّائِكِي الرَّفِيعِ شَفِيقُ
دعيني وسخاني، وحطني في هواي، وافقيني على طبعي، فأنا شفيق، حريص، على الحسب
الزائكي، الشرف الطيب

وَكُلُّ كَرِيمٍ يَتَّقِي الدَّمَ بِالْقَرَى وَلِلْحَمْدِ بَيْنَ الصَّالِحِينَ طَرِيقُ
الكريم يجتنب الدّم ببذل طعامه للضيف، وهذا هو طريق المكارم التي يحرص عليها الصالحون
لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ ضَيْقُ
البلاد لا تضيق بأهلها عن الرزق، فالرزق موجود ولكن أخلاق الرجال ضيقة وفيها البخل. هذا
البيت صار مثل «الجوكر» في لعب الورق يحشره الشعراء في قصائدهم

٢١٢ عدوى

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغِنَى وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي
لمست كفه أخذ منه مالاً، وأخذت.. ولم أدري أن سخاء كفه يعدي، يصيب بالعدوى
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ دَوُو الْغِنَى أَقْدْتُ، وَأَعْدَانِي فَأَتَلَفْتُ مَا عِنْدِي
فما استفدت مما أخذت منه كما استفاد الأغنياء، لا بل أصابني عدوى السخاء فأتلفت مالي
القديم أيضاً

٢١٣ لا أكل وحدي

الحوَّاس الحارثي، وقيل بل هي لحاتم الطائي، يخاطب امرأته:

إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ أَكُلُهُ وَحْدِي
إذا أعددت الطعام فابحثي عن أكيل، مشارك في الأكل، فليست أكلأ وحدي

أَخَا طَارِقاً، أَوْ جَارَ بَيْتِ فَإِنَّنِي أَخَافُ مَذَمَّاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
اطلبي لي طارقاً، زائر ليل، أو جاراً ليأكل معي فأنا أخاف أن أكون عرضة للذم إن أكلت وحدي
وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ يُلَاحِظُ أَطْرَافَ الْأَكِيلِ عَلَى عَمْدٍ
الموت أفضل من زيارة بخيل يلاحظ بعينه يدي من يشاركه الأكل ملاحظة متعمدة

وَأَنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيَا وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيَمَةِ الْعَبْدِ
أنا أخدم الضيف كأني عبد له وهو ثاوي، مقيم، عندي، وليس في من صفات العبد سوى هذه

٢١٤ تنفيذ وصية الأب

منصور بن سَلَمَةَ النَّعْرِي:

وَدَاعَ دَعَا بَعْدَ الْهُدُوءِ كَأَنَّمَا يُقَايِلُ أَهْوَالَ السُّرَى وَتُقَاتِلُهُ
رب مناد ينادي بعد الهدوء في المساء، فكأنه يحارب أهوال السرى، أي السير ليلاً، وتحاربه
دَعَا بَائِسًا شَبَهَ الْجُنُونِ، وَمَا بِهِ جُنُونٌ وَلَكِنْ كَيْدٌ أَمْرٍ يُحَاوِلُهُ
ينادي وهو بائس وشبه مجنون من جوعه، وليس بمجنون ولكنه يسعى للخروج من كيد، مأزق، هو
تيهه في صحرائه

فَلَمَّا سَمِعْتُ الصَّوْتَ نَادَيْتُ نَحْوَهُ بِصَوْتِ كَرِيمِ الْجَدِّ حُلُوِّ شَمَائِلُهُ
ناديت في اتجاهه، وأنا كريم الجد، كريم الأصل، حلو الشمائل، حسن الصفات
وَأَبْرَزْتُ نَارِي ثُمَّ أَتَقَبْتُ ضَوْءَهَا وَأَخْرَجْتُ كُلِّي وَهُوَ فِي الْبَيْتِ دَاخِلُهُ
أبرزت ناري ليراه، وأتقت، أشعلت، ضوءها، وأخرجت كلي، وكان داخل البيت، كي ينبج
فيعرف التائه مكاننا

فَلَمَّا رَأَيْتُ كَبَرَ اللَّهِ وَحْدَهُ وَبَشَّرَ قَلْبًا كَانَ جَمًّا بَلَابِلُهُ
لما رأي الرجل كبر حمداً لله، وبشر قلبه بالخلاص، وكان قلبه جم البلابل، كثير القلق
فَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا رَشِدْتُ، وَلَمْ أَتَعُدْ إِلَيْهِ أَسَائِلُهُ
رحبت به، وقلت له: قد وجدت رشداً بعد التيه، ولم أقعد أسأله

وَقُمْتُ إِلَى بَرْكِ هِجَانٍ أَعِدُّهُ لِرُوحَةِ حَقٍّ نَازِلٍ أَنَا فَاعِلُهُ
بل قمت إلى برك هجان، إبل كريمة، أعددتها لوجه حق، لطعام للضيف أراه حقاً علي
بِذَلِكَ أَوْصَانِي أَبِي، وَبِمِثْلِهِ كَذَلِكَ أَوْصَاهُ قَدِيمًا أَوَائِلُهُ
هذه وصية أبي، وبمثل هذه وصية أبائي، ومن قبل أوصاه بهذا أوائله، أسلافه

٢١٥ طبع لا تطبع

حاتم بن عبد الله الطائي:

وَعَاذِلَةَ هَبَّتْ عَلَيَّ تَلُومُنِي كَأَنِّي إِذَا أَعْطَيْتُ مَالِي أَضِيمُهَا
قامت تلومني كأني عندما أسخر بالمال أضيئها، أي أظلمها

أَعَاذِلْ إِنْ الْجُودَ لَيْسَ بِمُهْلِكِي وَلَا مُخْلِدِ النَّفْسِ الشَّحِيحَةِ لَوْمُهَا

الجود لا يميتني، ولوم النفس البخيلة لا يجعلها تخلص

وَتُذَكِّرُ أَخْلَاقَ الْفَتَى وَعِظَامُهُ مُعَيَّبَةٌ فِي اللَّحْدِ بِأَلِ رَمِيمِهَا

أخلاق الفتى تظل مذكورة بعد موته عندما تصبح عظامه في القبر بالية

وَمَنْ يَبْتَدِعْ مَا لَيْسَ مِنْ خِيَمِ نَفْسِهِ يَدْعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمِهَا

الخيم: الطبع

٢١٦ إيثار

حاتم الطائي:

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي صَحَابِي أَنْ يَرَوْا مَكَانَ بَدْيٍ مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَقْرَعَا

أستحي أن يرى أصحابي ونحن نأكل من الدست مكان يدي أقرع فارغاً.. أي أنني أكلت كل ما أمامي

أَكُفُّ يَدِي عَنْ أَنْ يَنَالَ الْيَمَاسُهَا أَكُفُّ صَحَابِي حِينَ حَاجَتُنَا مَعَا

أبتعد يدي حتى لا تلامس أكف أصحابي حين تكون لنا حاجة واحدة في اغتراف الطعام.. أي أنني لا أزعجهم على الأكل

أَبَيْتُ هَضِيمَ الْكَشْحِ مُضْطَمِرَ الْحَشَا حَيَاءً أَخَافُ اللَّوْمَ أَنْ أَنْضَلَّعَا

أبيت هضم الكشح، نحيل الجانب، مضطمر الحشا، ضامر البطن، حياء من أن أكون جشعاً نهماً إذا تضلعت من الطعام، أي امتلأت منه

فَإِنَّكَ إِنْ أَعْطَيْتَ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ وَفَرَجَكَ نَالَا مُنْتَهَى الدِّمِّ أَجْمَعَا

إذا طاولت شهوات بطنك وفرجك، فقد نلت أعظم الدم

٢١٧ بناء في الهواء

أبو كذراء الميخلي:

يَا أُمَّ كَذْرَاءَ مَهْلًا لَا تَلُومِينِي إِنِّي كَرِيمٌ وَإِنَّ اللَّوْمَ يُؤْذِينِي

لا تلوميني على الكرم، فانا كريم واللوم يؤذي

فَإِنْ بَخِلْتُ فَإِنَّ الْبُخْلَ مُشْتَرَكٌ وَإِنْ أَجْدُ أُعْطِ عَفْوَاً غَيْرَ مَمْنُونٍ

إن بخلت كنت مثل سائر الناس، وإن أعطت الناس من مالي فانا أعطيهم بغير من ولا تطاول

لَبِستُ بِبَاكِيةٍ إِبْلِي إِذَا فَقَدْتُ صَوْتِي، وَلَا وَارِثِي فِي الْحَيِّ يَبْكِينِي
إِبْلِي لَنْ تَبْكِي لِمَوْتِي، لَأَنْتِي أَذْبَحُهَا دَوْماً لِإِطْعَامِ الْأَضْيَافِ، وَوَارِثِي فِي الْقَوْمِ لَنْ يَبْكِي لَأَنْتِي لَا
أَبْقِي لَهُ مَالاً يَرِثُهُ

بَنَى الْبُنَاءَ لَنَا مَجْدًا وَمَكْرَمَةً لَا كَالْبِنَاءِ مِنَ الْأَجْرُ وَالطَّيْنِ

٢١٨ سبيل الدراهم

جُوَّةُ بْنُ النَّضْرِ:

قَالَتْ طَرِيفَةُ مَا تَبَقِيَ دَرَاهِمُنَا وَمَا بِنَا سَرَفَ فِيهَا وَلَا خُرْقُ
الْخُرْقِ: الْإِسْرَافُ بِحَقِّ

إِنَّا إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا دَرَاهِمُنَا ظَلَّتْ إِلَى سُبُلِ الْخَيْرَاتِ تَسْتَبِقُ

٢١٩ ماذا سيبقى؟

زَيْدُ بْنُ عَامِرٍ الْحَارِثِيُّ:

وَإِذَا الْفَنَى لَأَقَى الْجِمَامَ رَأَيْتُهُ لَوْلَا الشَّنَاءُ، كَأَنَّهُ لَمْ يُولَدْ
عِنْدَ الْمَوْتِ لَا يَبْقَى مِنَ الْمَرْءِ إِلَّا الذِّكْرُ الْحَسَنُ

٢٢٠ بناء المكارم

الْمَتَوَكِّلُ اللَّبِي:

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ نَشْكِلُ
لَا تَتَكَلَّ عَلَى شَرْفِنَا الْقَدِيمِ رَغْمَ أَنَا كِرَامِ حَقًّا

نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي، وَنَفْعَلُ مِثْلَمَا فَعَلُوا
نَجِدُ بِنَاءَ الشَّرَفِ كَأَسْلَافِنَا

٢٢١ إفشاء الأسرار

سُحَيْمُ الْفَقْعَسِيُّ:

وَلَا أَكْتُمُ الْأَسْرَارَ لَكِنْ أُنْمِهَا وَلَا أَدْعُ الْأَسْرَارَ تَغْلِي عَلَى قَلْبِي
أَفْشِي أَسْرَارَ النَّاسِ وَلَا أُنْرِكْهَا تَغْلِي عَلَى قَلْبِي، أَيِ تَقْلِقْنِي

وَلَنْ قَلِيلَ الْعَقْلِ مَنْ بَاتَ لَيْلَهُ تُقْلِبُهُ الْأَسْرَارُ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ
مَا أَقْلَ عَقْلٍ مَنْ بَاتَ يَحْمِلُ أَسْرَارًا وَلَا يَفْشِيهَا. وَيَتَخَلَّصُ مِنْ هُمَاهَا

٢٢٢ النصف الطيب

لَا تَنْكِحَنَّ عَجُوزاً إِنْ أَتَيْتَ بِهَا وَاخْلَعْ ثِيَابَكَ مِنْهَا مُمِعِناً هَرَباً
لا تتزوج عجوزاً، واهرب منها..

وَإِنْ أَتَوَكَ وَقَالُوا إِنَّهَا نَصَفٌ فَإِنَّ أَطْيَبَ نِصْفَيْهَا الَّذِي ذَهَبَا
النصف: المرأة في منتصف العمر

٢٢٣ أهجوه لصورته فقط

لَوْ تَسَمَّغْتَ صَوْتَهُ قُلْتَ هَذَا صَوْتُ فَرْخٍ فِي عُشِّهِ مَرْقُوقٍ
صوته صوت فرخ تزقه أمه بالحَب

أَوْ تَأَمَّلْتَ رَأْسَهُ قُلْتَ هَذَا حَجَرٌ مِنْ حِجَارَةِ الْمَنْجَنِيْقِ
ورأسه كبير كحجر المنجنيق

مُعْمِلٌ قَرَضَ لِحْيَةَ لَوْ تَرَاهَا قُلْتَ عُشُّونُ هَرَبِذٍ مَخْلُوقٍ
وهو معلم قرض لحيته، نشط في تنفها، وهي كعثون، سكوكة،
هرِذ، إمام المجوس في الصلاة

لَمْ أَعِبْهُ إِلَّا يَكُونَنَّ تَقِيًّا مُؤْمِناً مُبْغِضاً لِأَهْلِ الْفُسُوقِ
لست أهجوه لأنه غير تقي أو غير مؤمن أو غير كاره للفساق

غَيْرَ أَنِّي أَرَدْتُ أَنْ يَنْظُرَ النَّاسُ سُنِّي إِلَى خَلْقِ رَبِّنَا الْمَخْلُوقِ
فقط أردت أن ينظر الناس إلى هذه الخلقة المشوهة

الحماسة
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

٩٨	العَوَاقِبِ	١٢٦	انْطَوَاءُ
٢٢١	قَلْبِي	١٣٦	بَلَاءُ
٦٨	لِلسَّبَابِ	١٤	أَضَاءُهَا
٤١	مَرْكَبِ	١٣٩	الطَّلْبَا
٣١	جَانِبُهُ	٦	جَالِيَا
١٧١	حَيْبُهَا	٧٥	زَعْبَا
٣٩	رَكَائِيَّةُ	١١٦	مرحبا
١٨٤	غَارِبُهُ	١٩٧	نُجْبَا
٢٠٥	كَوَاكِئُهُ	٢٢٢	هَرَبَا
٦٠	انْتَشَيْتُ	٣٧	أُحْرَبُ
٢٠٢	جَلَّتِ	٩١	تَذْهَبُ
١٢	فَاسْبَطَرْتُ	١٧٢	رَقِيبُ
١٣١	فَلَجَا	١٨٠	قَرِيبُ
٥٥	فَاسْتَرَاخُوا	١٨٣	مُحَارِبُ
٨٦	مَا دِخُ	١٦٧	يُجِيبُ
١٥٧	وَصَفَائِحُ	٦٦	يَرْكَبُوا
١٥٨	يُرَاحُ	١٢٨	الرَّكَائِبِ

١٥٥	وَجِدْ	١٥٦	الْأَبَاطِحِ
٢١٣	وَحْدِي	٩٥	الْجَرَاحِ
٢١٢	يُعْدِي	١٥٠	الْجَوَانِحِ
٢١٩	يُولَدُ	١٨٢	قُرُوحِ
١٩٢	شَرُودُهَا	٥٢	مَطَرِحِ
١٨٩	الْأُرَا	١٣	بُرْدَا
١٢٠	وَقَرَا	١٣٢	حَمْدَا
١٨١	أَتَسَرَّ	١٦٣	قَصْدَا
١٤٢	الْأَمْرُ	٢٨	وَلَدَا
١١٠	الْحَذْرُ	٣٦	الْحَدِيدُ
١٦٩	السَّهْرُ	٣٠	الْعَوَاذُ
١٠١	الشَّجَرُ	١٦٨	بَرْدُ
٩٢	الصَّبْرُ	٨٩	تَزِيدُ
١٢٢	الْمَصَادِرُ	١٣٨	حَامِدُ
١٤٤	الْمَنَاطِرُ	٤٦	حُسَيْدُوا
١٧٣	أَنْظُرُ	٨١	لَجْمُودُ
١٤٦	حَائِرُ	٩٠	وَالْأَبْدُ
١٠٢	مَأْجُورُ	١٢١	وَجَلِيدُ
١٢٣	مَزِيرُ	٢٧	الْأَفْنَادِ
١٠٩	مُضَرُّ	٧٢	الْجَعْدِ
٦١	وَالْمُهَاجِرُ	٢١	تُرْدُ
١٨٦	وَحَوَافِرُ	١٩٦	زِيَادِ
١٧٠	يَسِيرُ	٥٦	سَعْدِ
١٩٠	البَابِ وَالذَّارِ	٨٢	شُهْدِي
٨٨	السُّمْرِ	١١٤	غَدِ
٨٣	الصَّبْرِ	١٥	مُزِيدِ

١٤١	مَعَا	١٨٨	الْمَنْبِرِ
٨٥	إِصْبَغُ	٢٠٤	أَيْسَارِ
٢٢	تُبَاعُ	٥٨	تَحُورِي
١٦٢	تَذَمُّعُ	٦٥	تَدْرِي
٩٣	تَسْمَعُ	٢٤	تَضِيرُ
٧٩	مُتْرَعُ	١١٢	شَطْرِي
٧١	يَنْفَعُ	١٩١	الدَّارِ
٧	تُرَاعِي	٥٤	عَامِرِ
١١٥	جِمَاعُهَا	٤٩	فَاسْهَرِي
١٧٩	التَّلَفَا	١٤٥	فَالضَّمَارِ
٧٠	الْخُلُقُ	١٧٧	وَالصَّبْرِ
١٤٨	تَسْتَيْقُ	١٧٨	رَغْدَا
٢١٨	خُرْقُ	٥٩	الْمُدَّخَرِ
٢١١	سَرُوقُ	٢٠١	جَهْرُ
٤	مُوثِقُ	١١٧	أَسْتَشِيرُهَا
١٠٣	مُوفَّقُ	٦٤	أَوَاصِرُهُ
١٦٤	الْمَذَاقِ	٩٩	الْمَجْلِسِ
١٣٠	بِالْعُلُقِ	١١	عَبُوسِ
٢٢٣	مَرْفُوقِ	٧٧	بَعْضِ
٨٠	السَّوَاكِ	٣٥	خَفْضِ
٩٦	فَهْلَكَ	١٢٧	قَرَضِي
٢٠٦	السُّبُلَا	٢١٦	أَقْرَعَا
٧٣	طَوِيلَا	٢٠٣	الْقِنَاعَا
٣	الصَّيَاقِلُ	١٠٥	امْتَنَعَا
١٥٢	الْعُقْلُ	١٣٥	قَطَعَا
١١٨	أَوَّلُ	٨٧	مُرَوَّعَا

٩٧	وَأَبَاجِلُهُ	١٩٨	جَزْؤُ
٢١٤	وَتَقَاتِلُهُ	٩	جَمِيلُ
١٦	أَتَقَدَّمَا	١٦٥	فَتَبِيلُ
٢٠٧	دِرْهَمَا	١٩٩	لَجْهَوُ
١٠٠	سُلْمَا	٢٩	مُعَوُّ
٤٤	مُظْلِمَا	٢٢٠	نَتَكِلُ
٢٠٨	مَظْلُومَا	٧٤	وَتُنْهَلُ
٢٣	مُفْعَمَا	١٣٣	وَصُورُ
١٠٦	وَسَمَا	٨٤	يُظَلُّ
٧٨	يَتَرَحَّمَا	٦٩	الْخَوَالِي
١٥٣	أَسْحَمُ	٢١٠	أَهْلِي
٧٦	التَّلَوُّمُ	١٧	صِقَالِ
١٣٧	الْحَكِيمُ	٢٦	طَائِلِ
١٢٩	تَعْلَمُ	١٠٧	عَقِيلِ
١٧٥	جُثُومُ	١٤٩	قَبْلِي
٥٠	لَا يَرِيْمُ	٤٢	قَتْلِي
١٦١	لَعَظِيمُ	١٣٤	مَالِي
١٥٤	لَنَائِمُ	٣٨	مَحَلِ
١٧٤	مُتَقَدِّمُ	٥	هَيْكَلِ
٢٠٠	وَمُنِيْمُ	٦٧	الْوَهْلُ
١٩٣	يَرِيْمُ	١٧٦	جَمَالَهَا
٣٤	الظُّلَمِ	٤٥	خُذَالُهَا
٦٣	بِالدِّمِ	٩٦	فَهْلَكَ
٢٠	سَهْمِي	١٤٣	هَوَى لَهَا
١٩٤	غُلَامِ	٦٢	وَأَجْبَالَهَا
١٠	لِحِمَامِ	١٢٤	قَابِلُهُ

١٥١	يَقِينِ	١٨	وَهَيْشَمِ
٢١٧	يُؤْذِنِي	١٠٨	جِمَامَةَ
٤٣	دُونُهَا	٢١٥	أَضِيمُهَا
٥٧	عُيُونُهَا	٤٠	تَرَانَا
١٨٧	دُنْيَاهَا	١	شَيْبَانَا
١٠٤	الْأَعَادِيَا	٥١	عَيْنَا
١٢٥	الْبَوَاكِيا	٨	فَاسْقِينَا
١١٣	التَّقَاضِيَا	٢٥	مَدْفُونَا
١١٩	الْمَرَامِيَا	٢	إِخْوَانُ
٩٤	تَنَائِيَا	١٥٩	تَبِينُ
١٦٦	حَالِيَا	١٨٥	دَفَنُوا
١٤٧	هُوِيَا	١١١	مَعِينُ
١٩٥	هِيَا	٥٣	أَمَانِ
١٦٠	وَالْقَوَافِيَا	٢٠٩	دَوَانِ
٤٨	يَرَى لِيَا	١٩	شَقَانِي
١٤٠	الْعَشِي	٣٣	وَأَوْطَانِ
٤٧	جَانِيهَا	٣٢	وَجِيرَانِي

الوحشيات

هذا كتاب قالوا إن أبا تمام جمع فيه أشعار الأولين، وقد يسمونه «الحماسة الصغرى». قالوا إن أبا تمام صنع في همدان، إذ حبسه الثلج في بيت صديقه أبي الوفاء بن سلمة، خمسة كتب جعل فيها شعر القدماء. وبعد أن انتخبنا ما انتخبنا من الحماسة ها نحن ننتخب من الكتاب الثاني: «الوحشيات»، وهو أقل شهرة بكثير من الحماسة. وفي نسبته إلى أبي تمام شك غير قليل، وفي نسبة بقية المجاميع - سوى الحماسة - إلى شاعرنا شك غليظ.

على أن ما يعيننا حقاً إنما هو ما في هذا الكتاب من جيد الشعر. وقد حققه عبد العزيز الميمني، وراجعته محمود شاكر. وناهيك بهذين المحققين وفرة علم ودقة ملاحظة وبراعة في تحقيق كتب الأدب. على أنهما لم يشرحا شيئاً. ولا ضير، فالتحقيق شيء والشرح شيء.

التحقيق، في عرف كبار المحققين، نقل الكتاب من النسخ الخطية الكثيرة أو القليلة إلى نسخة مطبوعة ليس لها غرض إلا أن تحاكي الأصل. فأما الشرح فهو ما ستره مذيلاً الأبيات التي اخترناها. وفي الوحشيات كثير من الشعر العباسي، وتسلفت من ذلك قطعة أو اثنتان إلى مختاراتنا هذه، وكان قد ورد في «الحماسة» بعض الشعر العباسي، وسمحنا لبعض هذا البعض بالتسلل. ولئن أدخل هذا بشرطنا في كتابنا - وقد قصرناه على الشعر من أول ما وصلنا من الجاهلية إلى آخر العصر الأموي - فإن الرغبة في التمتع بجميل الشعر غلبتنا.

١ الأيام دول

فَرَوَةَ بن مُسَيِّك المُرَادِي:

فَإِنْ نَهَزِمَ فَهَزَامُونَ قَدَمًا وَإِنْ نُغْلِبَ فغَيْرُ مُغْلَبِينَا

إن هزمتهم فهذا ما درجنا عليه، وإن غلبونا فنحن لسنا مغلبين، أي ضعافاً مغلوبين دوماً
 فَمَا إِنَّ طِبُّنَا جُبْنٌ وَلَكِنْ مَنَايَانَا، وَدَوْلَةُ آخِرِينَا
 طبنا، عادتنا، ليست الجبن، ولكن يكون في بعض الوقائع قد حل أجلنا، ودارت الدائرة علينا
 وكانت الدولة، الغلبة، لآخرين

وَمَنْ يُغَرَّرَ بِرَيْبِ الدَّهْرِ يَوْمًا يَجِدْ رَيْبَ الْمَنُونِ لَهُ خَوْنًا
 من غره الزمن فيجد الموت خائناً لأمنيته غداراً

فَأَفْنَى ذَاكُمُ سَادَاتِ قَوْمِي كَمَا أَفْنَى الْقُرُونِ الْأُولَى
 هذا ما أفنى السادات من قومي، وهو ما أفنى القرون، أي الأجيال، الأولى
 فَلَوْ خَلَدَ الْمَلُوكُ إِذَنْ خَلَدْنَا وَلَوْ بَقِيَ الْمَلُوكُ إِذَنْ بَقِينَا

٢ انصر أخاك

ابن بَرَّاقَة الهمداني:

مَتَى تَجْمَعِ الْقَلْبَ الذِّكْيَ، وَصَارِمًا وَأَنْفًا أَبْيَأَ تَجْتَنِبَكَ الْمَظَالِمُ
 إذا كان قلبك ذكياً، فيك شجاعة، ولديك سيف قاطع وأنف أبي،
 نفس ترفض الذل، فلن يظلمك الناس

وَمَنْ يَطْلُبِ الْمَالَ الْمُمنَعَ بِالْقَنَاءِ يَعِشْ مُثْرِيًا، أَوْ تَخْتَرِمُهُ الْمَخَارِمُ
 من طلب المال، أي النياق والجمال، المنع، المحمي، بالرماح عاش ثرياً، أو اخترمته
 المخارم، مات

وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ عَزَوْنِي عَزَوْتُهُمْ فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يَالَ هَمْدَانَ ظَالِمٌ؟
 فَلَا صُلْحَ حَتَّى تُقْدَعَ الْخَيْلُ بِالْقَنَاءِ وَتُضْرَبَ بِالْبَيْضِ الْخَفَافِ الْجَمَاجِمُ
 لا صلح حتى تقدع، أي تُصَدَّ، الخيل بالرماح،
 وحتى تُضْرَبَ بالسيوف الخفيفة جماجم الأعداء

إِذَا جَرَّ مَوْلَانَا عَلَيْنَا جَرِيرَةً صَبَرْنَا لَهَا، إِنَّا كِرَامٌ دَعَائِمُ
 إذا سب لنا مولانا، حليفنا، جريرة، جريمة، فنحن ننصره ونصبر لأننا دعائم، أشداء
 وَنَنْصُرُ مَوْلَانَا، وَنَعْلَمُ أَنَّهُ كَمَا النَّاسُ مَجْرُومٌ عَلَيْهِ وَجَارِمُ
 ننصر حليفنا عارفين بأنه قد يكون هو المجرم، وقد يكون مظلوماً

٣ جبل بلا بعير

الأخِير السَّفْدِي:

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أَرَى أَطُوفُ بِحَبْلِ لَيْسَ فِيهِ بَعِيرٌ

يا خجلي وأنا أطوف ويدي جبل لكن بغير بعير يعبر بعتر تعبر مروره أي اهتمام

وَأَنْ أَسْأَلَ الْمَرْءَ اللَّثِيمَ بَعِيرَهُ وَبُعْرَانُ رَبِّي فِي الْبِلَادِ كَثِيرٌ

وأن أطلب بعيراً من رجل لثيم، بينما الجمال في بلاد الله كثيرة.. يشجع نفسه على سرقة الإبل

عَوَى الذَّنْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ لِلذَّنْبِ إِذْ عَوَى وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أَطِيرُ

يؤنسنني عواء الذنب، ويريني صوت الإنسان

يَرَى اللَّهُ أَنِّي لِلْأَنْبَسِ لَشَائِئِي وَتُبْغِضُهُمْ لِي مُقْلَةً وَضَمِيرٌ

أنا شائئ، أي كاره، للإنسان، أكرة رؤيته بمقلتي، ويكرهه قلبي

٤ حزازات النفوس

زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكِلَابِيُّ:

وَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى وَتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَ

قد ينبت العشب على دمن الثرى، أوساخ التراب، فيغطيها فلا يرى المرء إلا العشب الأخضر، ولكن حزازات النفوس، جراح القلوب أي أحقادها، تبقى دفينه لا تتغير

أَبِينِي سِلَاحِي لَا أَبَا لِكَ إِنَّنِي أَرَى الْحَرْبَ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا

يا امرأتي أخرجي لي سلاحي، فأنا أرى الحرب تزداد اشتعالاً

٥ أبالأراجيز؟

اللمين المِثْقَرِي:

إِنِّي أَنَا ابْنُ جَلَا إِنْ كُنْتُ تَعْرِفُنِي يَا «رُؤْبَ»، وَالْحَيَّةُ الصَّمَاءُ فِي الْجَبَلِ

أنا ابن جلا، أي المشهور المعروف، يا رؤبة بن العجاج، وأنا حية الجبل الصماء،
الشديدة السامة

أَبَالْأَرَاغِيزِ يَا ابْنَ اللُّؤْمِ تُوعِدُنِي؟ إِنَّ الْأَرَاغِيزَ رَأْسُ اللُّؤْمِ وَالْفَسَلِ

هل تهددني بالهجاء بأراجيزك، ورؤبة من كبار الرجاز، وكانت الشعراء تعد الرجز أدنى من الشعر

٦ الرزق على الله

مُضَرَّس بن رَبِيعٍ:

وَعَاذِلَةَ تَخْشَى الرَّدَى أَنْ يُصِيبَنِي تَرَوْحُ وَتَغْدُو بِالْمَلَامَةِ وَالْقَسَمِ
هذه العاذلة اللاتمة تخشى عليَّ الموت، ولا تكف عن لومي وأن تقسم عليَّ أن أترك المواجهات

تَقُولُ: هَلَكْنَا إِنْ هَلَكْتَ، وَإِنَّمَا عَلَى اللَّهِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ كَمَا زَعَمَ
تقول إننا سنموت إن أنت مت، ولكن أرزاق الناس على الله كما زعم، أي كما وعد

وَإِنِّي أَحِبُّ الْخُلْدَ لَوْ أَسْتَطَعْتُهُ وَكَالْخُلْدِ عِنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَلَمْ أُدَمِّ
أحب الخلد، البقاء على قيد الحياة، ولكن الموت بلا مدامة هو عندي كالحياة

٧ أيام سلم حبلى بالحرب

قال ابن عم لسويد الحارثي بعد مقتل سويد:

سَتَعْلَمُ إِنْ طَالَ الْمَدَى أَلْ مَالِكِ أَيْلِ الرَّشْدِ أَمْ بِالْغَيِّ قَرَّتْ عُيُونُهَا
سيعلم آل مالك هل قرت عيونهم، فرحوا، بالحق أم بالباطل

فَلِنَا وَإِيَّاكُمْ وَإِنْ طَالَ تَرْكُكُمْ كَحَامِلَةٍ يَزْدَادُ ثِقْلًا جَنِينُهَا
ونحن وأنتم والزمن طويل.. ولئن تركناكم فالأمر بيننا مثل الحبلى التي يزداد ثقلها جينها ولا بد
يوماً أن تضع.. أي ستدور عليكم الدوائر بعد حين

٨ مكانك!

عمرو بن الإطنابة الخزرجي:

أَبَتْ لِي عِفَّتِي وَحَبَاءَ نَفْسِي وَأَخَذِي الْحَمْدَ بِالثَّمَنِ الرَّبِيحِ
أبت لي الذل عفتي وحياتي ونيلي المكارم ببذل ما تقتضيه

وَأَقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرْبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمُشْبِحِ
ويأبى لي الذل أيضاً شجاعتي إذ أرمي بنفسي على المكروه، القتال، وضربي هامة، رأس، البطل
المشبح، الفارس المنحرف نحوي ليقاتلني

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ مَكَانِكَ! تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

وقولي كلما جشأت نفسي وجاشت، كلما فزعت وتوترت، مكانك أيتها النفس واثبتني، فإمّا أن
تنالي الحمد بالثبات في المعركة وإمّا أن تموتي وتستريحني. سأل معاوية عبيد الله بن زياد إن كان
يحفظ شعراً، فقال: لا، اكتفيت بالقرآن. فقال له: والله كنت أضع قدمي في الركاب أنوي الفرار
مرة بعد مرة في «صفين»، وما كان يمتعني سوى أبيات عمرو بن الإطنابة

٩ قاتل خاله

قال تُوْبَةُ بن مُضَرَّس السعدي، وقد قتل خاله أخذاً بثأر أخيه «طارق»:

بَكَتْ جَزَعاً أُمِّي رُمَيْلَةً أَنْ رَأَتْ دَمًا مِنْ أَخِيهَا فِي الْمُهَنْدِ بَاقِيَا

بكت أُمِّي إذ رأت بقية من دم أخيها على سيفي

فَقُلْتُ لَهَا لَا تَجْزَعِي إِنْ «طَارِقًا» خَلِيلِي الَّذِي كَانَ الْخَلِيلَ الْمُصَافِيَا

قلت لها لا تجزعي فطارق كان خليلي الوفي

وَمَا كُنْتُ لَوْ أُعْطِيتُ أَلْفِي نَجِيبَةً وَأَوْلَادَهَا لَغَوًّا وَسِتِّينَ رَاعِيَا .

وما كنت لو أعطوني دية لطارق ألفي نجبية، ناقة، مع أولادها لغوًّا، أي ملغاة غير محسوبة في الدية، وفوق ذلك ستين من الرعاة .

لِأَقْبَلَهَا مِنْ «طَارِقٍ» دُونَ أَنْ أَرَى دَمًا مِنْ بَنِي حِصْنٍ عَلَى السَّيْفِ جَارِيَا

ما كنت لأقبلها بدلاً من دم طارق، فلا بد أن أرى دم بني حصن

يجري على سيفي أخذاً بالثأر

وَمَا كَانَ فِي عَوْفٍ قَتِيلٌ عَلِمْتُهُ لِيُوفِّيَنِي مِنْ «طَارِقٍ» غَيْرُ خَالِيَا

وليس في عشيرة عوف رجل أقتله فيوفي بطارق سوى خالي، لذا قتله

١٠ لولا بناتي

عيسى بن فاتك الخارجي:

لَقَدْ زَادَ الْحَبَاةَ إِلَيَّ حُبًّا بَنَاتِي، إِنَّهُنَّ مِنَ الضُّعَافِ

أَحَازِرُ أَنْ يَذُقْنَ الْبُؤْسَ بَعْدِي وَأَنْ يَشْرَبْنَ رَنْقًا بَعْدَ صَافِ

أحذر إن مت أن تذوق بناتي شظف العيش بعدي، وأن يشربن الماء الرنق، المكدر، بعد شربهن الصافي في حياتي

وَأَنْ يَضْطَرُّهُنَّ الدَّمَرُ بَعْدِي إِلَى جِلْفٍ مِنَ الْأَعْمَامِ جَافِ

الجلف والجافي: الخشن الطباع

وَلَوْلَا هُنَّ قَدْ سَوَّمْتُ مُهْرِي وَفِي الرَّحْمَنِ لِلضُّعَفَاءِ كَافِ

لولا بناتي لكنت سومت مهري، أعدته للحرب،

والله يكفل الضعفاء الآخرين من أهلي

١١ بداية الملك العضوض

عبد الله بن همام السلولي:

إِذَا مَا مَاتَ كِسْرَى قَامَ كِسْرَى نَعْدُ ثَلَاثَةً مُتَتَابِعِينَ

لعله قال ذلك وقد أوصى معاوية لولده يزيد، فالشاعر يرى أن الخلافة أصبحت كسروية، عثمان ثم معاوية ثم يزيد. . ثلاثة من بني أمية

وإِنْ جِئْتُمْ بِرَمْلَةٍ أَوْ بِهِنْدٍ نُبَايِعُهَا أَمِيرَةً مُؤْمِنِينَ

رملة بنت أبي سفيان زوج الرسول، وهند أم معاوية، وتوفيتا قبل هذا الشعر الذي قيل في بيعه معاوية لابنه يزيد سنة ٥٩ للهجرة، يسخر الشاعر من معاوية

حُسَيْنَا الْغَيْظَ حَتَّى لَوْ شَرَبْنَا دِمَاءَ بَنِي أُمَيَّةَ مَا رَوَيْنَا

وكافاه معاوية بأن أرسل إليه مالا. وعاش الشاعر بعد أبياته ثلاثين سنة

١٢ نجاة معاوية

النجاشي الحارثي:

أَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ تَمِيمًا وَهَذَا الْحَيَّ مِنْ غَطَفَانِ

أيها الراكب بلغ سلامي لهؤلاء

وَكُنْتُمْ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٍ صَحِيحَةٍ وَرَجُلٍ بِهَا رَيْبٌ مِنَ الْحَدَثَانِ

فَأَمَّا الَّتِي صَحَّتْ فَأَزْدُ شُؤْوَةٍ وَأَمَّا الَّتِي شَلَّتْ فَأَزْدُ عُمَانِ

يصنف النجاشي القبائل فمنها ما صمد مع علي ومنها ما انحاز إلى معاوية. وكان الشاعر في صفين مع علي، ثم ضبطه علي سكران في رمضان فجلده وزاده عشرين جلدة عن الحد، فانحاز إلى معاوية، لكن بعد هذه القصيدة

فَيَا حَسْرَتِي أَلَا أَكُونُ شَهِدَتْهُمْ فَأَذْهَنَ مِنْ شَحْمِ الْعَبِيدِ سِنَانِي

يتحسر ألا يكون شهد صفين حتى يقتل من وصفهم بالعبيد بسنان رحمه

فَأَضْبَحَ أَهْلُ الشَّامِ قَدْ رَفَعُوا الْقَنَا عَلَيْهَا كِتَابُ اللَّهِ خَيْرُ قُرْآنِ

رفع أهل الشام في صفين الرماح وعليها المصاحف يطلبون الهدنة والاحتكام للقرآن

وَنَادَوْا عَلِيًّا يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ أَمَا تَتَّقِي أَنْ يَهْلِكَ الثَّقَلَانِ

نادى أهل الشام بعلي أما تتقي أن يهلك الثقلان، أي الإنس والجن، يقصد أن يهلك الناس جميعاً من الفريقين المتحاربين

وَنَجَّى ابْنَ حَرْبٍ سَابِغٍ ذُو عُلَالَةٍ أَجَشُّ هَزِيمٍ وَالرَّمَا حُ دَوَانٍ
 نجى معاوية بن صخر (أبي سفيان) بن حرب سابغ، فرس سريع، ذو علالة، ذو جري شديد،
 أجش هزيم، ذو صهيل عالٍ، والرماح قريبة منه

وَمَا دُفِنْتُ قَتْلَى سُلَيْمٍ وَعَامِرٍ بِصِفِّينَ حَتَّى حُكِّمَ الْحَكَمَانِ

١٣ الأبعدون أولى بالمعروف

الحارث بن كلدة الثقفي:

وَفِي النَّاسِ مَنْ يَغْشَى الْأَبَاعِدَ نَفْعُهُ وَيَشْقَى بِهِ حَتَّى الْمَمَاتِ أَقَارِبُهُ
 يغشى الأبعد نفعه: يأتيهم

فَإِنْ يَكُ خَيْرًا فَالْبَعِيدُ يَنَالُهُ وَإِنْ يَكُ شَرًّا فَابْنُ عَمِّكَ صَاحِبُهُ

١٤ انهيار بيتين

جليلة بنت مرة، أخت جساس، وامرأة كليب، وقد قتل أخوها جساس زوجها كلياً:

يَا ابْنَةَ الْأَقْوَامِ إِنْ لُمْتُ فَلَا تَعْجَلِي بِاللُّومِ حَتَّى تَسْأَلِي
 تخاطب رفيقة لها: إن لمتي فلا تتعجلي..

فَإِذَا أَنْتِ تَبَيَّنْتَ الَّذِي يُوجِبُ اللَّوْمَ فَلُومِي وَاعْذُلِي
 جَلَّ عِنْدِي فِعْلُ جَسَّاسٍ فَبَا حَسْرَتِي عَمَّا انْجَلْتُ أَوْ تَنْجَلِي
 كان ما فعله أخي جساس خطيراً فبا لحسرتي عما انجلت وستجلي عنه فعلته، أي الويل لي من
 النتائج

فِعْلُ جَسَّاسٍ، عَلَى وَجْدِي بِهِ، قَاطِعُ ظَهْرِي وَمُذْنِ أَجَلِي
 رغم حبي لجساس ففعله سيقطع ظهري، سيززع ما أحتمي به، ويقرب موتي

لَوْ بَعَيْنِي فُقِئْتُ عَيْنِي سَوَى أَخْتِهَا فَأَنْفَقَاتُ لَمْ أَخْفَلِ
 كأن عيني فقتت بالعين الأخرى.. فكلتا الطرفين لي به صلة وثيقة

يَا قَتِيلًا قَوَّضْتُ صَرَعَتُهُ سَقَفَ بَيْتِي جَمِيعاً مِنْ عِلٍ
 يا قتيلاً، يا زوجي كليب الذي قتله أخي جساس، لقد قوضت صرعته، هدم موته، كلا بيتي من
 الأعلى للأسفل: بيت أهلي وبيت زوجي

قَوَّضْتُ بَيْتِي الَّذِي اسْتَحْدَثْتُهُ وَانْتَنَتْ فِي هَذِمِ بَيْتِي الْأَوَّلِ

لَيْتَهُ كَانَ دَمِي فَاحْتَلَبُوا دَرَكَا مِنْهُ دَمِي مِنْ أَكْحَلِي

ليت الدم الذي أريق كان دمي فاحتلبوا، أسالوا، دركاً منه، سيلاً متتابعاً، من أكحلي،
الوريد في ذراعي

خَصَّنِي قَتْلُ كُلِّيبٍ بِلَطَىٍّ مِنْ وَرَائِي وَلَطَىٍّ مُسْتَقْبِلِي

اللطى: اللهب

دَرَكُ الثَّائِرِ يَشْفِيهِ، وفي دَرَكِي نَارِي تُكَلِّمُ الْمُشْكِلِ

إدراك الثائر، طالب النار، لثاره يشفي قلبه، وإدراكي ناري يتكلني

إِنِّي قَاتِلَةٌ مَقْتُولَةٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْتَاخَ لِي

١٥ ثِقَابُ الْأَعِينِ

يُخَصِّنُ بْنُ كِنَانَ الْفُرَيْحِي، وَأَصَابَ عَيْنَهُ مَاءٌ:

لَقَدْ طُفْتُ شَرْقِيَّ الْبِلَادِ وَعَرَبَهَا أَسْأَلُ عَنْ ذِي الطَّبِّ وَالْمُتَطَبِّبِ

يَقُولُونَ إِسْمَاعِيلُ ثِقَابُ أَعْيُنٍ وَمَا خَيْرُ عَيْنٍ بَعْدَ ثَقَبٍ بِمِثْقَبِ

ثقاب الأعين: الطيب الذي يزيل ماء يطرأ على العين

يَقُولُونَ مَاءٌ طَيِّبٌ خَانَ عَيْنَهُ وَمَا مَاءُ عَيْنٍ خَانَ عَيْنًا بِطَيِّبِ

يقولون للماء الأبيض الذي يُعَثِّي العين «ماء طيب خان العين».. وليس بطيب إن كان يخونها

جَرَى فَوْقَ إِنْسَانَيْهِمَا فَكَأَنَّمَا جَرَى فَوْقَ إِنْسَانَيْهِمَا مَاءٌ طُحْلِبِ

على عينيه غشاوة فكان بهما ماء مكدراً بالطحلب

١٦ قَاسِمَنِي دَهْرِي

قال الشاعر ومات بنوه:

أَسْكَانَ بَطْنِ الْأَرْضِ لَوْ يُقْبَلُ الْفِدَا فَذَيْنَا وَأَعْطَيْنَا بِكُمْ سَاكِنَ الظُّهْرِ

أيها الموتى لو كان يقبل أن نفتديكم بأنفسنا لفعلنا

أَلَا لَيْتَ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا، وَلَيْتَ مَنْ عَلَيْهَا تَوَى فِيهَا إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ

توى: مكث

وَقَاسَمَنِي دَهْرِي بِنَيِّ بِشَطْرِهِ فَلَمَّا تَقَضَّى شَطْرُهُ عَادَ فِي شَطْرِي

قاسمني الزمن أولادي، فأخذ نصفاً وأبقى لي نصفاً، ثم عاد ليأخذ نصفي أنا

كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفِ الْمَوْتَ غَيْرَهُمْ فَتُكَلَّلُ إِلَى تُكَلَّلِ وَقَبْرٌ إِلَى قَبْرِ

١٧ مصبح أو ممسي

أَبُو عَدَّاسِ النَّمَرِيِّ:

لَعَمْرُكَ مَا نَدَرِي أَفِي الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ نُنَادِي إِلَى آجَالِنَا فَنُجِيبُ

١٨ رجعت عنك

لَوْ كُنْتُ أَضِيرُ أَنْ أَرَى أَثَرَ الْبِلَى لَتَرَكْتُ وَجْهَكَ ضَاحِياً لَمْ يُقْبَرِ

لو صبرت على رؤية أثر البلى، تفتت الجسم بعد الموت، لتركت وجهك ضاحياً، بارزاً للشمس ولم أدفنه

بِأَبِي بَذَلْتُكَ بَعْدَ صَوْنٍ لِلْبِلَى وَرَجَعْتُ عَنْكَ، صَبَرْتُ أَمْ لَمْ أَضِيرِ

أفديك بأبي يا من بذلتك، سمحت بك، بعد أن كنت أصونك، فتركت البلى يحل بك، ورجعت بعد دفنك. ولا يهم بعد ذلك أصبرت أم لم أصبر

١٩ أيا شجر الخابور!

قَالَتِ الْفَارَعَةُ بِنْتُ طَرِيفٍ، تَرْتِي أَخَاهَا الْوَلِيدَ بْنَ طَرِيفِ الشَّيْثَانِي الشَّارِي:

أَلَا يَا لِقَوْمٍ لِلْحِمَامِ وَلِلرَّدَى وَدَهْرٍ مُلِحٍّ بِالْكَرَامِ عَنِيفٍ

يا لقومي، تستغيث بهم، ما هذا الموت وما هذا الدهر الملح في ملاحقته للكرام، العنيف بهم!

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقاً كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ

تخاطب شجر الخابور: ما لك قد أورقت؟ ألم تجزع على أخي ابن طريف؟

فَتَى لَا يُجِبُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ الثَّقَى وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنَأٍ وَسُيُوفٍ

كان لا يأكل الطعام إلا بعد أن يتقي الدم بإطعام العشيرة، وكان لا يحصل على المال، أي الإبل، إلا برمح وسيفه، والغزو عند العرب واستياق الإبل أمر محمود... هو طريقته في توزيع الثروة ولا سيما أيام القحط

يَتَلَّ نُبَاتَى رَسْمٌ قَبْرِ كَأَنَّهُ عَلَى جَبَلٍ فَوْقَ الْجِبَالِ مُنِيفٍ

في ذلك الموضع طلل قبر، ولجلالة قدر دفينه فكأنه جبل منيف، مشرف عالٍ

تَضَمَّنَ سَرَوْاً حَاتِمِيّاً وَسُودَدَاً وَسُورَةً ضِرْغَامٍ وَقَلْبَ حَصِيفٍ

تضمن القبر سروراً، سيادة وعزاً، وسخاء حاتمياً، وسورة ضرغام، هجمة أسد، وقلب رجل حصيف، حكيم

فإن كان أَرَدَاهُ يَزِيدُ بِنُ مَزِيدٍ قَرُبَ زُخُوفِ قَلْبِهَا بِزُخُوفِ
 لئن كان قتله يزيد بن مزيد فلقد كان أخي في حياته يقل، يفرق، الزحوف المهاجمة بزحوف مثلها
 فَقَدْنَاكَ فَقْدَانُ الرَّبِيعِ، وَلَيْتَنَا فَدَيْنَاكَ مِنْ دَهْمَائِنَا بِأَلُوفِ
 فقدنا بك الربيع والخير، وليتنا فدينك بألوف الناس العادين

فلا تَجْرَعَا يَا ابْنَي طَرِيفٍ فَإِنِّي أَرَى الْمَوْتَ حَلَالًا بِكُلِّ شَرِيفٍ

٢٠ التفسخ

قال أعرابي يرثي ابنه:

يَا دَارُ بِالْقَفْرِ الْيَبَابِ وَالْمَنْزِلِ الْوَحْشِ الْخَرَابِ
 أيها الدار بالفلاة المقفرة، وأيها المنزل الموحش المهدم ..

بِيَدَيَّ فَيْكَ دَقَنْتُ نَضًّا رَأً بَيْنَ أَطْبَاقِ التَّرَابِ
 دَارَ الْبِلَى بِاللَّوْ قُو لِي، لَا تَصْمِي عَنْ جَوَابِي
 يا دار البلى، والبلى تفتت الجسم بعد الموت، لا تصمي، لا تغلقي أذنيك عن سؤالي وأجبي ..

مَاذَا فَعَلْتَ بِوَجْهِهِ وَبِسِنَّهِ الْفُرِّ الْعِذَابِ؟
 ماذا فعلت بوجهه وبأسنانه الغر، أي البيض، العذبة؟

قَالَتْ لَنَا دَارُ الْبِلَى وَالْدَارُ تُنْطِقُ بِالصَّوَابِ:
 يقول القبر:

أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنْ نَصْرَ رَأً يَا أَبَا نَصْرِ ثَوَى بِي
 نصر، يا أبا نصر ثوى، أي أقام، بي ..

فَكَسَوْتُهُ ثَوْبَ الْبِلَى وَسَلَبْتُهُ جُدَدَ الثِّيَابِ
 كسوته ثوب الاهتراء .. وسلبته الثياب الجديدة، أي لحمه

وَمَحَوْتُ غُرَّةَ وَجْهِهِ بِالتُّرْبِ مَحْوَكَ لِلْكِتَابِ
 محوت وجهه الأغر الأبيض بالتراب مثلما يمحو المرء الكتابة، وكانوا يكتبون على الجلد، فإن
 شاءوا غسلوا الكتابة

فَلَوْ اسْتَبَيْنْتَ رِوَاءَهُ بَعْدَ الْغَضَارَةِ وَالشَّبَابِ ..
 لو رأيت رواءه، منظره، بعد أن كان في غضارته، نضارته، وشبابه ..

لَعَضَضْتُ أَطْرَافَ الْبَنَاتِ نِ لِيَطُولَ حُزْنِي وَاكْتِنَابِ
لمعضضت أصابعك حزناً

وَرَأَيْتَ أَشْنَعَ مَنْظَرٍ وَلَدَرَّ دَمْعُكَ بِانْسِكَابِ
فإليك ربي المشتكى فأعن بصبر واحتساب
أعني يا رب بالصبر واحتسب لي أجراً على هذا الصبر

٢١ قبل الرحيل

ليد بن ربيعة:

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ
تتمنى ابنتاي أن أعيش .. ولكنني إنسان كالناس من قبائل ربيعة أو مضر .. وساموت

فَقُومَا فَقُولَا بِالَّذِي قَدْ عَلِمْتُمَا فَلَا تَخْمِشَا وَجْهًا وَلَا تَخْلِقَا شَعْرًا
فإن مت فقوما بما يجب عليكما، ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعراً

وَقُولَا: هُوَ الْمَيِّتُ الَّذِي لَا صَدِيقَهُ أَضَاعَ، وَلَا خَانَ الْخَلِيلَ وَلَا عَدُوَّ
واذكرا محاسني فأنا لم أتخل عن صديق، ولا خنت ولا غدرت

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرَ
وليكن الحداد إلى الحول، أي سنة، ثم انتهى الأمر، ومن بكى سنة فقد اعتذر،
أي وفى وقام بالواجب

٢٢ موعد المغادرة

عبد بن الطبيب:

إِذَا الرِّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادُهَا..

إذا صار للرجال أحفاد

وَاضْطَرَبَتْ مِنْ كِبَرٍ أَعْضَادُهَا..

واضطربت من الشيخوخة الأعضاد، العضد أعلى الذراع

وَجَعَلَتْ أَسْقَامُهَا تَعْنَادُهَا..

وأخذت أمراضها القديمة تعود إليها

فَهِيَ زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا

إذا اجتمعت هذه الشروط في الرجال فهم كالزروع التي نضجت وحن حصادها، أي موتهم

٢٣ أفدح منك؟ لا

قال العتي:

وَكُنْتُ أَبَا سَيْئَةٍ كَالْبُدُو رٍ، قَدْ فَقَّأُوا أَعْيُنَ الْحَاسِدِينَ

كنت والد ستة من الشبان كأنهم البدور يفقأون عين الحاسد

فَمَرُّوا عَلَى حَادِثَاتِ الزَّمَانِ كَمَرِّ الدَّرَاهِمِ بِالنَّاقِدِينَ

فمر أبنائي على مصائب الزمن مثلما تمر الدراهم بيد الصرافين الناقدين، الذين يختبرون صحة الدراهم

وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بِأَمْرِي تَرَى حَاسِدِيهِ لَهُ رَاحِمِينَ

يكفيك أن هذا الحادث جعل من يحسدوني يرحمونني، أي يشعرون بالشفقة عليّ

٢٤ عفاف

حَوَيْتُ صُنُوفَ الْمَالِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ فَمَا نِلْتُهَا إِلَّا بِكَفِّ كَرِيمٍ

وانني لأزجو أن أموت وتنقضي حياتي وما عندي يدٌ لئليّ

٢٥ على قطع رقبتني

أبو مخجن الثقي:

وَقَدْ أَجُودُ وَمَا مَالِي بِذِي فَنَعَ وَأَكْتُمُ السَّرَّ فِيهِ ضَرْبَةُ الْعُنُقِ

«قد» أسخو بمالي، أي بالتأكد أنا أسخو بمالي، - و«قد» هنا للتوكيد لا للشك وهذا أسلوب قديم

- ومالي ليس بذني فنع، ليس بذني كثرة، وأكتم السر على قطع رقبتني

٢٦ وبيك!

قال أعرابي نزل بيحيى بن جبريل فأناه بشراب:

أَتَانِي بِهَا يَحْيَى وَقَدْ نَامَ صُحْبَتِي وَقَدْ غَابَتِ الْجَوَازُءُ وَانْعَمَسَ النَّسْرُ

جاءني يحيى بالخمير وقد نام أصحابي وغابت أنجم الجوزاء والنسر

فَقُلْتُ: اضْطَبِّحْهَا، أَوْ لَغَيْرِي فَأَهْدِهَا فَمَا أَنَا بَعْدَ الشَّيْبِ وَبَيْكَ وَالْحَمْرُ

قلت له اضطببحها، اشربها صباحاً، أو أعطاها لغيري، فما شأني وبيك، أي ويحك، والخمر بعد أن شبت!

٢٧ كل من عليها..

أَلَمْ تَرَ حَوْشَباً يَبْنِي قُصُوراً يُرْجِي نَفْعَهَا لِبَنِي بُقَيْلَةَ
يُؤْمَلُ أَنْ يُعَمَّرَ عُمَرُ نُوحٍ وَأَمْرُ اللّٰهِ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلَةٍ

٢٨ برود

قال عبد العزيز بن زرارَة:

كُلًّا لَبِستُ فلا النِّعماء تُبْطِرنِي ولا تَخْشَعْتُ مِنْ لَأَوَائِهَا جَزَعاً
جريت كل شيء فلبست النعماء، تمتعت بالغنى، فما بطرت، ولا تخشعت، أي خضعت، من
لأولاء الدنيا، أي مصائبها، جازعاً

لا يَمَلَأُ الهَمُّ صَدْرِي قَبْلَ مَوْقِعِهِ ولا يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي إِذَا وَقَعَا
لا أحمل الهم قبل وقوع المصيبة، فإن وقعت صبرت

٢٩ صخرة ليست بصخرة

ضَعِ السِّرَّ فِي صَمَاءٍ لَيْسَتْ بِصَخْرَةٍ صَلُودٌ كَمَا عَايَنْتَ مِنْ سَائِرِ الصَّخْرِ
ضع سرك يا صاحبي في صماء، مصمتة صلبة، لكنها ليست صخرة صلوداً، صلبة مثل بقية
الصخور التي رأيتها

وَلَكِنَّهَا قَلْبُ امْرِئٍ ذِي حَفِيزَةٍ يَرَى أَنَّ بَثَّ السِّرِّ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ
لكنها صخرة قلبي ذي الحفيظة، الشرف، وهو قلب رجل يرى أن إفشاء الأسرار يقصم ظهر
السمعة الطيبة

٣٠ شروط الصحبة

قال مطيع بن إياس:

إِنَّمَا صَاحِبِي الَّذِي يَغْفِرُ الذَّنْبَ بَ، وَكَفِّهِ مِنْ أَحْبَبِهِ أَقْلُهُ
صاحبي الحقيقي هو الذي يغفر ذنبي، ولا يطلب الكثير

لَيْسَ مَنْ يُظْهِرُ الْمَوَدَّةَ إِفْكَاً وَإِذَا قَالَ خَالَفَ الْقَوْلَ فِعْلاً
ليس صاحبي من يظهر المودة إفكاً، أي كذباً، ويخالف فعله قوله

وَضَلُّهُ لِلصَّدِيقِ يَوْمٌ وَإِنْ ظَا لَ فَيَوْمَانِ، ثُمَّ يَنْبَتْ حَبْلُهُ
هذا الأخير وصله لصديقه يوم، وعلى الأكثر يومان، ثم ينبت، أي يتقطع، حبل العلاقة

٣١ شروط الزوج

قال شريح القاضي:

خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ
خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي، أَيِ مَا سَمَحْتَ بِهِ عَنْ طِيبِ خَاطِرٍ، فِي هَذَا اسْتِدَامَةِ الْمَوَدَّةِ، وَلَا تَجَادِلِينِي فِي
سُورَةِ الْغَضَبِ، فِي شِدَّتِهِ

فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ فِي الْقَلْبِ وَالْأَسَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبِثِ الْحُبُّ يَذْهَبُ
إِذَا اجْتَمَعَ الْحُبُّ وَالْأَسَى، أَيِ النَكْدِ، فِي الْقَلْبِ خَرَجَ الْحُبُّ

٣٢ «تقبريني» وأقبرك

وَلَوْ أَنَّنِي إِذْ حَانَ وَقْتُ حِمَامِيهَا أَحْكَمُ فِي عُمُرِي لَقَاسَنَتْهَا عُمُرِي
لَوْ أَنَّنِي إِذْ حَانَ حِمَامُهَا، مَوْتُهَا، أَحْكَمُ فِي عُمُرِي لِأَعْطَيْتَهَا نِصْفَهُ
فَحَلَّ بِنَا الْفِقْدَانُ فِي سَاعَةٍ مَعًا فَمُتُّ وَلَا تَذَرِي وَمَاتَتْ وَلَا أَذْرِي
فَمَتْنَا مَعًا فَلَمْ يَدْرِ أَحَدُنَا بِمَوْتِ الْآخَرِ

٣٣ عندما سالت الأباطح

قال الشاعر، ونسب البيتان المشهوران لكثيرين:

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
بَعْدَ أَنْ قَضَيْنَا حَاجَتَنَا مِنْ مَنَى وَقَمْنَا بِالشَّعَائِرِ، وَلَمَسْنَا أَرْكَانَ بَيْتِ اللَّهِ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ
أَخَذْنَا نَتَجَاذِبُ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ، وَسَالَتْ أَبَاطِحُ مَكَّةَ، سَهْلُهَا حَيْثُ مَسَايِلُ الْمَاءِ،
بِأَعْنَاقِ الْإِبِلِ الَّتِي كُنَّا نَرْكَبُهَا.. هَؤُلَاءِ انصَرَفُوا مِنْ حَجِّهِمْ وَأَخَذُوا يَتَحَدَّثُونَ وَهُمْ عَلَى
ظُهُورِ الْإِبِلِ وَقَدْ سَالَتْ سَهْلُ مَكَّةَ - لَيْسَ بِسَيُولِ الْمَاءِ بَلْ بِأَعْنَاقِ الْإِبِلِ -.. ظَلَمَ
النَّقَادُ الْقِدَامِي هَذَا الْبَيْتَ. عَرَفُوا لَهُ لَذَّةً فِي آذَانِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ رَاحُوا يَفْتَشُونَ
تَحْتَهُ عَنْ مَعْنَى جَلِيلٍ فَلَمْ يَجِدُوا. حَسِبَهُمْ مَا فِيهِ مِنْ صُورَةٍ حُلْوَةٍ، وَحَسِبَهُمْ مَا فِيهِ مِنْ
شُعُورٍ جَمِيلٍ.. شُعُورِ الْوَنَاسَةِ

٣٤ الباكون حول المعاصر

أبو مخجن الثقفي:

صَبِرْتُ وَلَمْ أَجْزَعْ وَقَدْ مَاتَ إِخْوَتِي وَلَسْتُ عَنِ الصَّهْبَاءِ يَوْمًا بِصَابِرٍ
عِنْدَمَا مَاتَ إِخْوَتِي صَبِرْتُ وَلَمْ أَجْزَعْ، وَلَكِنِّي لَا أَصْبِرُ عَنِ الْخَمْرِ

رَمَاهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِحَتْفِهَا فَشَرَّائِهَا يَبْكُونَ حَوْلَ الْمَعَاصِرِ
منعها أمير المؤمنين، فكانه قتلها، فالشاربون يكون حول معاصرها حزناً

٣٥ النعسانة

عدي بن الرقاع العاملي:

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنَّ رَأْسِي قَدْ عَسَا فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ
لولا الحياء وأن رأسي عسا فيه المشيب، انتشر واستقر لزرت المحبوبة

وَكَأَنَّهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنَيْهِ أَحْوَرُ مِنْ جَاذِرِ جَاسِمِ
كان جؤذراً، بقره وحش، أحور، ذا عينين اشتد سوادهما في بياضهما، من جاذر قرية جاسم بالشام قد أعارها عينه

وَسَنَانُ أَقْصَدَهُ النَّعَاسُ قَرَنْقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ
هذا الجؤذر وسنان، نعسان، أقصده النعاس، أي كسر من حذته، فرنقت، أي طافت، في عينه سنة من النوم لكنه غير نائم.. يصف العيون الناعسة

يَضْطَاذُ يَقْظَانُ الرَّجَالَ حَدِيثُهَا وَتَطِيرُ بِهِجَتُهَا بِرُوحِ الْحَالِمِ
تصطاد هذه الفتاة الرجل في يقظته بحديثها، وبهجتها تطير بروح الحالم، أي الذي يحلم بها ويأتيه طيفها في المنام

٣٦ خوش تشبيه

كثير عزة:

أَلَا إِنَّمَا لَيْلَى عَصَا خَيْرُ رَأْنَةٍ إِذَا لَمَسُوهَا بِالْأَكْغَفِ تَلِينُ

٣٧ زمن خارج الزمن

أبو الدلهات:

أَلَمْ تَرْنِي عَلَى كَسَلِي وَفْشَرِي أَجَبْتُ أَبَا حُذَيْفَةَ إِذْ دَعَانِي
رغم كسلي أجبت دعوة أبي حذيفة

وَكُنْتُ إِذَا دُعِيتُ إِلَى نَبِيذٍ أَجَبْتُ وَلَمْ يَكُنْ مِنِّي تَوَانٍ
فأنا إن دعيت إلى نبيذ أجبت بلا توان، ولا إبطاء

كَأَنَّا مِنْ بَشَاشَتِنَا ظَلَّلْنَا بِيَوْمٍ لَيْسَ مِنْ هَذَا الزَّمَانِ
هذا بيت القصيد

٣٨ الفاتنة الشاطرة

دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ:

حَيُّوا أَمَامَةً وَاَنْظُرُوا صَحْبِي وَقِفُوا فَإِنَّ وَقُوفَكُمْ حَسْبِي
حيوا أمانة ويكفيني وقوفكم على محلتها، وقيل إنه يتغزل في هذه الأبيات بالخساء واسمها
تماضر، فما الذي جعلها أمانة؟

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِهِ كَالْيَوْمِ طَالِي أَيْتُنِي جُرْبٍ
ما أحسن هذا الذي يطلي النياق الجرب..

مُتَبَذِّلاً تَبْدُو مَحَاسِنُهُ يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقْبِ
هذا الحبيب، ويقصد هي، يلبس لباس التبذل، لباس العمل، ومحاسنه بادية، ويضع الهناء،
القطران، مواضع النقب، في الأماكن التي فيها جرب. هذا افتتان كافتتان الناس بفيديو كليب
نانسي عجرم وقد قعدت لجرن الغسيل بجلايتها المشهورة

٣٩ مع نفسه

قال الخاركي:

لَمْ أَجِدْ فِيمَا تَصَرَّفْتُ عَلَى الْكَأْسِ كَرِيماً
فيما تصرفت في هذه الدنيا وجرت لم أجد رجلاً كريم الأخلاق في جلسة شراب
كُلُّ مَنْ كَشَفْتُهِ أَلْسَنَةً فَيَتُّهُ خَبَّأً لِيْماً
كلهم خادعون لئام

فَاضْطَفَيْتُ الْكَأْسَ نَدَمًا نَأْ وَأَقْصَيْتُ النَّدِيمَ
فاخترت الكأس نفسها ندماناً، أي نديماً، وأبعدت البشر

٤٠ يسقط العدل

النجاشي الحارثي:

إِذَا اللَّهُ عَادَى أَهْلَ لُؤْمٍ وَدِقَّةٍ فَعَادَى بَنِي الْعَجْلَانِ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِلٍ
الدقة: ضعف الأصل وانحطاط المنزل

فَبَيَّلَهُ لَا يَغْدِرُونَ بِدِمَةٍ وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ
هذه القبيلة ضعيفة فلا تستطيع أن تغدر بالذمة، العهد، وهي لا تظلم أحداً شيئاً ولو كان صغيراً
كحبة الخردل

وَلَا يَرِدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً إِذَا صَدَرَ الْوُرَادُ عَنْ كُلِّ مَنْهَلٍ

ولضعفها ولأنها لا تستطيع المزاحمة لا تورد إيلها الماء إلا ليلاً بعد أن يصدر الورد، يرجع الوردون، عن كل منهل، حوض

وَمَا سُمِّيَ الْعَجْلَانِ إِلَّا لِقَوْلِهِمْ خُذِ الْقَعْبَ وَاحْلُبْ أَيُّهَا الْعَبْدُ وَاعْجَلِ

سمي جدهم العجلان لقول الناس له: خذ القعب، أي العلبة أو العس الذي يحلبون به، واحلب النياق وأسرع

٤١ سأقول

قال قُتَيْبُ بْنُ أُمِّ صَاحِبٍ:

أَتَيْتُ الْوَلِيدَ فَأَلْفَيْتُهُ كَمَا قَدْ يُقَالُ غَنِيًّا بَخِيلًا

فَإِنْ تَمَنَعُوا مَا بِأَيْدِيكُمْ فَلَنْ تَمْنَعُونِي إِذَنْ أَنْ أَقُولَا

٤٢ آخر آخر

زياد الأعجم:

قَضَى اللَّهُ خَلْقَ النَّاسِ ثُمَّ خُلِفْتُمْ بَقِيَّةَ خَلْقِ اللَّهِ آخِرَ آخِرٍ

وَلَوْ رَدَّ أَهْلُ الْحَقِّ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ إِلَى حَقِّهِمْ لَمْ تُدْفَنُوا فِي الْمَقَابِرِ

أنتم دون البشر وليس من الحق أن تدفنوا في مقابر الناس

٤٣ الزاحفون إلى بيوتهم

أَضَلَّ اللَّهُ سَعْيِي بَنِي جَدِيعٍ وَلَيْسَ لِمَا أَضَلَّ اللَّهُ هَادٍ

إِذَا دَخَلُوا بُيُوتَهُمْ أَكْبُوا عَلَى الرُّكَبَاتِ مِنْ قِصْرِ الْعِمَادِ

بنو جديع فقراء وبيوتهم، أي خيامهم، صغيرة ذات أعمدة قصيرة، فإذا دخلوها أكبوا على الركبات، يركبوا على ركبهم كي يزحفوا زحفاً للدخول

٤٤ من أبو بيض؟

أبو الحويرث السَّحْمِيُّ يَهْجُو حَمْزَةَ بْنَ بَيْضٍ:

أَنْتَ ابْنُ بَيْضٍ لَعَمْرِي لَسْتُ أَنْكَرُهُ حَقًّا يَقِينًا، وَلَكِنْ مَنْ أَبُو بَيْضٍ؟

أنت ابن بيض، وهذا معروف، ولكن من هو جدك؟ فأنت غير ذي نسب معروف

٤٥ نسب بلا فعل

خلف الأحمر:

أَنَاسٌ تَائِهُونَ لَهُمْ رُؤَاةٌ تَغِيْمُ سَمَاؤُهُمْ مِنْ غَيْرِ وَبِلِ
أناس تائهون في منزلتهم الاجتماعية: لهم هيئة حسنة، ولكن دون أن يعني ذلك أن لهم فضلاً على
الناس، فهم مثل السماء تغيم ولا تمطر

إِذَا انْتَسَبُوا فَفَرَعٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَلَكِنَّ الْفِعَالَ فِعَالٌ عُكْلٍ
نسبتهم إلى قريش ولكن أفعالهم أفعال قبيلة عكل غير ذات السمعة

٤٦ خانق الكلب

أَلَا قَبَحَ اللَّهُ الْخُطِيئَةَ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ ضَئِفٍ ضَافُهُ فَهُوَ سَالِحٌ
سالح: متغوط

دُفِعْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْنُقُ كَلْبَهُ أَلَا كُلُّ كَلْبٍ لَا أَبَا لَكَ نَابِحٌ
جثته مدفوعاً إليه لأنني تائه، فوجدته يخنق كلبه عقاباً له لأنه نبح ودلني على خيمته، وكل كلب
نابح فما ذنبه؟

بَكَيْتَ عَلَى زَادٍ حَبِيبٍ قَرَيْتَهُ كَمَا كُلُّ عَبَسِيٍّ عَلَى الزَّادِ نَائِحٌ
نبكي على الزاد الخيث الذي قدمته لي، وكذا كل رجل من قبيلة عبس

٤٧ الكف الخشناء

قال فضالة بن شريك الأسدي:

دَعَا ابْنُ مُطِيعٍ لِلْبَيْعِ فَجِئْتُهُ إِلَى بَيْعَةِ قَلْبِي لَهَا غَيْرُ آلِفٍ
دعا ابن مطيع، الوالي الذي عنده ابن الزبير، لأخذ البيعة فجئت وقلبي غير مرتاح لهذه البيعة
فَنَاوَلَنِي خَشْنَاءَ لَمَّا لَمَسْتُهَا بِكَفِّي لَيْسَتْ مِنْ أَكْفِ الْخَلَائِفِ
ناولني كفاً خشنة شعرت أنها ليست كفاً لائقة بخليفة

٤٨ الأم وابنتها الزائرة

قال الأقبيل القيني، وتروى لنصيب:

لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ نَعَمٌ عَامِرَةٌ

فَبَابُكَ أَلَيْنُ أَبْوَابِهِمْ وَدَارُكَ مَا فُؤَلَةُ عَامِرَةٍ

بابك أَلَيْنُ مِنْ أَبْوَابِ قَوْمِكَ، أَيُ أَنْ حَاجِبِكَ سَهْلٌ يُدْخِلُ النَّاسَ عَلَيْكَ، وَدَارُكَ عَامِرَةٌ بِالزَّائِرِينَ

وَكَلْبُكَ آتَسُ بِالْمُعْتَفِينَ مِنَ الْأُمِّ بِابْنَتَيْهَا الزَّائِرَةِ

وَكَلْبُكَ أَكْثَرُ أَنْسًا وَارْتِيحًا بِالْمُعْتَفِينَ، الْفُقَرَاءَ، لَكثَرَةٍ مَا يَأْتِيكَ الْفُقَرَاءَ، مِنَ الْأُمِّ بِابْنَتَيْهَا الْمُتَزَوِّجَةِ إِذَا جَاءَتْ تَزَوَّرَهَا

وَكُفُّكَ حِينَ تَرَى الزَّائِرِينَ نَ أَنْدَى مِنَ اللَّيْلِ الْمَاطِرَةِ

أَنْدَى: أَسْخَى

فَمِنْكَ الْعَطَاءُ وَمِنَّا الثَّنَاءُ بِكُلِّ مُحَبَّرَةٍ سَائِرَةٍ

الْمُحَبَّرَةُ السَّائِرَةُ: الْقَصِيدَةُ الْمُتَقَنَّةُ الَّتِي تُذْبَعُ

٤٩ وَجْهُ الْكَرِيمِ خَصِيبُ

الْخَرِيبِيُّ:

أَضَاحُكَ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ وَيُخْصِبُ عِنْدِي وَالْمَحَلُّ جَدِيدُ

أَنَا بِشَوْشٍ فِي وَجْهِ ضَيْفِي قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ رَحْلَهُ عَنْ جَمَلِهِ، وَهُوَ يَشْعُرُ عِنْدِي أَنَّ الْمَوْسِمَ مَوْسِمُ خَصْبٍ لَوْفَرَةٍ مَا أَقْدَمَ لَهُ، حَتَّى لَوْ كُنَّا فِي زَمَنِ الْقَحْطِ

وَمَا الْخَصْبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ الْقَرَى وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الْكَرِيمِ خَصِيبُ

وَالْخَصْبُ لِلضَّيْفِ لَيْسَ بِكَثَرَةِ الْقَرَى، طَعَامُ الضَّيْفِ، بَلْ بِالْبَشَاشَةِ وَحَسَنِ الْاسْتِقْبَالِ

٥٠ الدَّاءُ مَوْجُودٌ دَائِمًا

حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ:

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصْبَحَ وَتَسْلَمَا

بَصْرِي ضَعْفٌ، وَصَرْتُ أَشْكَ فِي الْأَشْيَاءِ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ صَحِيحًا. وَالصَّحَّةُ نَفْسُهَا دَاءٌ لِأَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهَا لَا تَدُومُ

وَلَنْ يَلْبَثَ الْعَصْرَانِ: يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ إِذَا طَلَبَا أَنْ يُذَرِّكَ مَا تَيَمَّمَا

الْعَصْرَانِ، أَيُ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، لَا يَلْبَثَانِ أَنْ يَذَرَّكَمَا طَلِبُهُمَا الَّذِي هُوَ إِزَالَتُكَ عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا

٥١ الْحَبْلُ بِلَا دَنْسٍ

وَلِي نَظْرَةٌ، إِنْ كَانَ يُخْبِلُ نَاطِرٌ يَنْظُرْتِهِ أَنْتَى لَقَدْ حَبَلْتُ مِنِّي

لِي نَظْرٌ عَادِمٌ وَتَحْدِيقٌ فِي الْمَرْأَةِ، وَلَوْ كَانَتْ تَحْبِلُ مِنَ النَّظَرِ لَقَدْ حَبَلْتُ مِنِّي

فَإِنْ وَلَدَتْ مَا بَيْنَ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ فَأَشْهَدُكُمْ أَنَّ الَّذِي وَلَدَتْهُ ابْنِي
فَإِنْ وَلَدَتْ بَعْدَ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ هَذَا التَّحْدِيقِ فَاشْهَدُوا أَنَّهُ ابْنِي

٥٢ المرأة حوضاً

وَصَلُّتُكَ لَمَّا كَانَ لِي فِيكَ رَغْبَةٌ وَأَعْرَضْتُ لَمَّا صِرْتَ نَهَباً مُقْسَماً
وصلتك ونشأت بيننا علاقة لما كانت لي فيك رغبة، وتركتك عندما رأيتك نهباً مقسماً، لك
علاقات مع هذا وذاك

وَلَا يَلْبَثُ الْحَوْضُ الْجَدِيدُ بِنَاؤُهُ عَلَى كَثْرَةِ الْوُرَادِ أَنْ يَتَهَدَّمَا
حوض الماء الجديد يكثر الواردون عليه فيتهدم

الوحشيات
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

٣٤	بِصَابِرٍ	٣١	أَغْضَبُ
٣٢	عُمَرِي	٤٩	جَدِيدُ
١٨	يُقْبِرُ	١٧	فُنْجِبُ
٢١	مُضَرُ	٢٠	الْخَرَابِ
٤٨	عَامِرَةٌ	٣٨	حَسْبِي
٤٤	يَيْضِ	١٥	وَالْمُتَطَبِّبِ
٢٨	جَزَعَا	١٣	أَقَارِبُهُ
١٠	الضَّعَافِ	٤٦	سَالِحُ
٤٧	أَلِفِ	٣٣	مَاسِحُ
١٩	عَنِيفِ	٨	الرَّيِّحِ
٢٥	العُنُقِ	٤٣	هَادِ
٤١	بَخِيلَا	٢٢	أَوْلَاذُهَا
٥	الْجَبَلِ	٢٦	النَّسْرُ
١٤	تَسْأَلِي	٣	بَعِيرُ
٤٠	مُقْبِلِ	٤٢	آخِرِ
٤٥	وَبَلِ	٢٩	الصَّخْرِ
٢٧	بُقَيْلَةً	١٦	الظَّهْرِ

١١	مُتَّابِعِينَا	٣٠	أَقْلُهُ
١	مُعَلِّينَا	٣٩	كَرِيمَا
٣٦	تَلِينُ	٥٢	مُقَسَّمَا
٣٧	دَعَانِي	٥٠	وَتَسْلَمَا
١٢	عَظْفَانِ	٢	الْمِظَالُمُ
٥١	مِنِّي	٣٥	الْقَاسِمِ
٧	عُيُونُهَا	٢٤	كَرِيمِ
٩	بَاقِيَا	٦	وَالْقَسَمِ
٤	هَيَا	٢٣	الْحَاسِدِينَا

قصائد مشهورات

لمّا فرغتُ من اختيار أعذب الشعر لعشرة من شعراء الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي، أحسست أنني مقصر. ذلك أن هذا العصر الذي يمتد نحو ثلاثة قرون، والذي اتخذته كل الشعراء فيما بعد مقياساً في اللغة وفي صنعة الشعر، حافل بالشعراء الذين عرفنا لهم قصائد قليلة أو دواوين صغيرة. كان الشعر في هذه القرون الثلاثة بريئاً، يقوله شعراء كثر تنبض قلوبهم بالحزن والغضب والحقد والحب والعصبية القبلية، إلى جانب بعض الشعراء الذين صنفهم أهل النقد «عبيد شعر» يقولونه صناعة وتكسباً.

وجدت شعرائي العشرة الكبار المشهورين عبيد شعر، قالوا كثيراً وأخذت منهم كثيراً، ثم عز عليّ أن أترك مئآت الشعراء الآخرين وما قالوه من بديع الشعر دون أن أدخله في مجموعتي هذه.

قد بدأت أنظر إلى مجموعتي نظرة مختلفة في الواقع. فهي ليست «عرضاً» لكبار شعراء العصر الأول من عصور الشعر العربي. بل هي تمثيل لشعر هذا العصر. بدأت أزيد من اهتمامي بهذا العصر من حيث هو العصر المؤسس لتقليد شعري امتد ألفاً وخمسمئة سنة.

لذا انصرفت بعد الشعراء العشرة الكبار إلى المجموعات الشعرية التي لملت أشعار المغمورين، فنخلت لك المفضليات والأصمعيات والحماسة والوحشيات، ولم أنس استيفاء المعلقات، فلئن كان أربعة من شعرائي هم من أصحاب المعلقات فإن ست معلقات أخرى تستحق أن تدخل ضمن «أول الشعر».

ثم بعد أن فرغت من كل هذا رأيت بعض القصائد المشهورة قد أفلتت، فها أنا في هذا القسم أتعقبها مختاراً من أبياتها ما طاب لي. فليس معقولاً أن

أطوي هذا العمل دون أن أتعرض للامية العرب للشنفرى، ولبانت سعاد
لكعب بن زهير، ولنونية عروة بن حزام.

فهل نسيت بعد شيئاً؟ بالتأكيد نسيت، وأغفلت أيضاً، وغفّلت.

فإن طلبت قصيدة من قصائد هذا العصر الطويل ولم تجد لها عندي ذكراً
فاعلم أن هذا الكتاب أراد أن يمثل العصر ولم يطمح إلى الإحاطة.

١ الشَّنْفَرَى، وهذه لاميّة العرب

أَقِمْوْا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيْبِكُمْ فَلَأُنِّي إِلَى قَوْمِ سِوَاكُمْ لِأَمْبِلُ

يا بني أُمي، يا إخوتي الصعاليك، لنقم إليكم من مباركها ولترفع صدورها، استعداداً للرحيل
ولنذهب من هنا، وأنا مائل إلى الإقامة مع غيركم أكثر مما أنا مائل إليكم.. علينا أن نفرق

فَقَدْ حُمِتِ الْحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِرٌ وَشُدَّتْ لَطِيبَاتِ مَطَايَا وَأَرْحُلُ

فقد حمت الحاجات، آن أوانها، وها هو الليل مقمر ومناسب للسير، وقد شدت اللطيات،
للحاجات، الرحال على المطايا، الإبل

وَفِي الْأَرْضِ مَنَآئِي لِلْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ الْقَلَى مُتَعَزِّلُ

وفي الأرض الواسعة منأى، مكان بعيد، يرتاده الكريم فاراً من الأذى، وفيها لمن خاف القلى،
الاختلاف والتباغض، متعزل، مكان يعتزل المرء فيه

وَلِيْ دُونَكُمْ أَهْلُونَ سَيِّدٌ عَمَلَسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَبَالُ

وسيصحبني دونكم، بدلاً منكم، أهل آخرون: سيّد عملس، أي ذئب سريع، وأرقط زهلول، أي
ابن أوى مرقط خفيف، وعرفاء جبال، أي ضبع ذات عرف عند الرقبة

هُمُ الْأَهْلُ لَا مُسْتَوْدَعُ السَّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ، وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُخَذَّلُ

هؤلاء أهلي الذين يحفظون السر، والذين لا يخذلون الجاني بما جرّ على نفسه وعليهم من جناية
بل ينصرونه ظالماً أو مظلوماً

وَكُلُّ أَبِيٍّ بِأَمِلٌ غَيْرَ أَنَّنِي إِذَا عَرَضَتْ أَوْلَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ

وكل هذه الوحوش أبية بأسلة، شجاعة، ولكنني حين تعرض لنا طريدة، غزال أو نحوء، أبسل منها جميعاً

وَأِنْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الرَّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ

إن جاء وقت الطعام فانا لست أعجل الأكلين فهذا من الجشع.

وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفْضُلٍ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ الْأَفْضَلُ الْمُتَفَضِّلُ

هذا تفضل مني على من آكل معهم

وَأِنِّي كَفَانِي فَقَدْ مَنْ لَيْسَ جَازِيَا بِحُسْنَى وَلَا فِي قُرْبِهِ مُتَعَلِّلٌ .
ويكفي فقد الناس الذين لا يقابلون الحسنى بالحسنى، والذين ليس في قربهم متعلل، فائدة . .
ثَلَاثَةُ أَصْحَابٍ: فُوَادٌ مُشِيعٌ وَأَبْيَضُ إِضْلِيْتُ، وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ
. . ثلاثة أصحاب: فواد مشيع، قلب شجاع، وسيف مصلت مجرد من غمده، وصفراء عيطل،
قوس طويلة

هَتُوفٌ مِنَ الْمُلْسِ الْمُتَوْنِ تَزِينُهَا رَصَائِعُ قَدْ نَيْطَتْ إِلَيْهَا وَمِحْمَلُ
هذه القوس هتوف، لها صوت عند انطلاق السهم منها، وملساء غير ذات عُقْدَ، ومزينة برصائع
نيطت بها، علقت عليها، ومحمل، حبل لتعليقها بالكتف

إِذَا زَلَّ عَنْهَا السَّهْمُ حَنْتَ كَأَنَّهَا مُرَّرَاءُ تُكَلِّي تُرْنٌ وَتُغْوِلُ
إذا زل عنها السهم، انطلق، أصدرت صوتاً كحنين المررأة الكلى، الفاقد ولدأ، التي تنن وتبكي
أَدِيمُ مِطَالِ الْجُوعِ حَتَّى أَمِيَّتْهُ وَأَضْرَبَ عَنْهُ الذُّكْرُ صَفْحاً فَأَذْهَلَ
يدوم بي الجوع وأماطل نفسي حتى لا أعود أشعر به، وأضرب عنه الذكر، أتأساه، وأذهل عنه،
أنساه فعلاً

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الْأَرْضِ كَيْلًا يَرَى لَهُ عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ
أستف التراب ولا يرى أحد له علي طولاً، معروفاً يمن به

وَلَوْلَا اجْتِنَابُ الدَّامِ لَمْ يُلَفْ مَشْرَبٌ يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيَّ وَمَأْكُلُ
لولا أنني اجتنب الدام، العار، لما وجدت مأكلاً ولا مشرباً إلا هو عندي

وَلَكِنَّ نَفْساً مُرَّةً لَا تُقِيمُ بِي عَلَى الدَّامِ إِلَّا رَنَمًا أَتَحَوَّلُ
ولكن لي نفساً مرة لا تدعني أصبر على العار، بل إنني أتحوّل سريعاً وأفر منه

وَأَطْوِي عَلَى الْخَمَصِ الْحَوَايَا كَمَا انْطَوَيْتُ مَارِي تَغَارُ وَتُفْتَلُ
أطوي على الخمص، أمسك بطني بقوة على الجوع . . وكانوا ربما وضعوا حجراً على البطن،
الحوايا، أي الأمعاء، مثلما تنطوي خيوط الحائك «ماري» التي تغار، تُفْتَل

وَأَغْدُو عَلَى الْقَوْتِ الرَّهِيدِ كَمَا غَدَا أَزَلُّ تَهَادَاهُ التَّنَائِفُ أَطْحَلُ
وأبكر فأتناول قليلاً من الطعام مثلما يبكر أزل، ذنب هزيل، أطحل، أي داكن اللون، تتفاذه
التنايف، أي الصحارى

غَدَا طَاوِيَا يُعَارِضُ الرِّيحَ هَافِيَا يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشُّعَابِ وَيَعْسِلُ
أصبح طاوياً، جاثعاً، يستقبل الريح بوجهه هافياً، يتمايل يميناً وشمالاً، ثم يخوت بأذنان
الشعاب، يمضي مسرعاً في أطراف الطرق الجبلية، ويعسل، يمشي متميلاً

فَلَمَّا لَوَاهُ الْقُوْتُ مِنْ حَيْثُ أُمُّهُ دَعَا فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحُلٍ

لما لواه القوت، عز عليه، من حيث أمه، من حيث قصده، دعا بعوائه فأجابته نظائره الذئاب النحل، المهزولة

مُهَلَّلَةٌ شَيْبُ الْوُجُوهِ كَأَنَّهَا قِدَاحٌ بِأَيْدِي يَاسِرٍ تَتَقَلَّقُلُ

ذئاب مهللة، نحيلة، شيب الوجوه، مبيضة وجوها شحوباً، تترجرج في وقتها كأنها سهام الميسر التي يقلقلها المرء قبل أن يرمي بها

فَضَجَّ وَضَجَّتْ بِالْبَرَّاحِ كَأَنَّهَا وَإِيَّاهُ نُوحٌ فَوْقَ عَلِيَاءِ نُكُلٍ

ضج الذئب وضجت أصحابه بالبراح، بالأرض الخالية، فكانها نساء نوح، نانحات، ثاكلات تقف على مكان عال

وَأَغْضَى وَأَغْضَتْ وَأَتَسَّى وَأَتَسَّتْ بِهِ مَرَامِيلُ عَزَّاهَا وَعَزَّتْهُ مُرْمِلُ

ثم كفت الذئاب عن العواء، وهي في عوائها ترفع رؤوسها... فالآن هي أغضت وخفضت الرؤوس، وواسى بعضها بعضاً فهي جميعاً مراميل، جياع

شَكَا وَشَكَّتْ ثُمَّ ارْغَوَى بَعْدُ وَارْعَوَتْ وَلِلصَّبْرِ إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الشُّكُوْ أَجْمَلُ

شكا وشكت الذئاب، ثم ارغوى وارعوت، تراجعت عن الشكوى، والصبر أجدر بالمرء إن لم تنفعه الشكوى

فَإِنْ تَبَتَّعِسَ بِالشَّنْفَرَى أَمْ قَسَطَلِ لَمَّا اعْتَبَطَتْ بِالشَّنْفَرَى بَعْدُ أَطْوَلُ

فإن حزنتم أم قسطل، كناية عن الحرب والقسطل هو الغبار، بغيايي فإنها كثيراً ما كانت مسرورة بحضوري

طَرِيدُ جِنَايَاتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَهُ عَقِيرَتُهُ لِأَيِّهَا حُمٌّ أَوَّلُ

أنا طريدٌ ملاحق لجنايات ارتكبتها، فهي تتياسر على لحمي، تتنافس عليّ، وعقيرتي، أي نفسي، هي لمن حم أول، قدر له أن يكون الأول في القبض علي. كذا المعنى الملموح

وَالْفُ هُمُومٌ مَا تَرَأَى تَعُوْدُهُ عِيَاداً كَحُمَى الرَّبْعِ أَوْ هِيَ أَثْقَلُ

ألفت الهموم التي تعودني كما تعود للمرء حمى الربيع، التي تتاب المرء يوماً وتغيب يومين وتعود في اليوم الرابع، بل هي أثقل

فَإِمَّا تَرَيْنِي كَابِنَةَ الرَّمْلِ ضَاحِيَا عَلَى رِقَّةٍ أَخْفَى وَلَا أَتَنَعَّلُ

إن تريني كابنة الرمل، ضاحياً، بارزاً للشمس، ومن رقة حالي، فقري، أكون حافياً بلا نعل

فَإِنِّي لَمَوْلى الصَّبْرِ أَجْتَابُ بَرَّهُ عَلَى مِثْلِ قَلْبِ السَّمْعِ، وَالْحَزْمُ أَفْعَلُ

أنا صاحب الصبر أجتأب بزه، أقطع ثوبه فألبسه، ولي قلب قوي كقلب السمع، قبل هو حيوان أبواه ذئب وضع، وأفعالي فيها الحزم

وَأَعْدِمُ أَحْيَاناً وَأَغْنَى وَإِنَّمَا يَنَالُ الْغِنَى ذُو الْبُعْدَةِ الْمُتَبَدِّلُ
أعدم، أي أفقر، أحياناً وأغنى أحياناً، فأما الغنى الدائم فهو للذي يقبل ابتدال نفسه فيما يأنف
منه مثلي

فَلَا جَزَعٌ مِنْ خَلَّةٍ مُتَكَشِّفٍ وَلَا مَرِيحٌ تَحْتَ الْغِنَى أَتَحْيِلُ
لست جازعاً من خلة، فقر، ولا متكشف، أكشف فقري للناس، ولست غنياً أتباهى بالغنى واختال
وَلَيْلَةٌ نَحْسٍ يَصْطَلِي الْقَوْسَ رَبُّهَا وَأَقْطَعَهُ اللَّاتِي بِهَا يَتَنَبَّلُ
رب ليلة منحوسة باردة يبلغ بالمرء بردها أن يحرق قومه ويصطلي بنارها، ويحرق أقطعه، سهامه،
التي يتخذها للرمي نبالاً

دَعَسْتُ عَلَى غَطْشٍ وَيَغْشٍ، وَصُحْبَتِي سُعَارٌ وَإِرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأَفْكَلٌ
دعست فيها على غطش وبغش، مشيت في الليل وتحت الرذاذ، وصاحبني فيها سعار، جوع،
وإرزيز، برد، ووجر، خوف، وأفكل، ارتعاش

فَأَيَّمْتُ نِسَوَاناً وَأَيَّمْتُ إِلْدَةً وَعُدْتُ كَمَا أَبْدَأْتُ وَاللَّيْلُ أَلِيلٌ
فغزوت قوماً وأيمت نسوة، جعلتهن أرامل، وأيمت الدة، يتمت أولاداً،
وعدت سالماً والليل حالك

وَأَصْبَحَ عَنِي بِالْغُمَيْصَاءِ جَالِساً فَرِيقَانِ: مَسْؤُولٌ وَآخَرُ يَسْأَلُ
وعند الصبح جلس في موضع الغميصاء الناس وانقسموا فريقين يتساءلون عن الذي جرى

فَقَالُوا: لَقَدْ هَرَّتْ بِلَيْلٍ كِلَابُنَا فَقُلْنَا: أَذِلُّبٌ عَسَّ أَمْ عَسَّ فُرْعَلُ؟
قالوا قد هرت، نحت بخفوت، كلابنا بالليل، فقال الآخرون: أهذا بسبب ذئب عسَّ، طاف ليلاً،
أم فرعل، ولد الضبع؟

فَإِنْ يَكُ مِنْ جِنٍّ لِأَبْرَحَ طَارِقاً وَإِنْ يَكُ إِنْساً مَا كَهَا الْإِنْسُ تَفْعَلُ
فإن كان هذا من فعل الجن فما أبرحه من طارق، ما أشده من زائر ليل، وإن كان إنساً فما هكذا
تفعل الإنسان بكل قوة وشدة ولا نشعر بالأمر إلا متأخرين

وَيَوْمٍ مِنَ الشُّعْرَى يَذُوبُ لُعَابُهُ أَقَاعِيهِ فِي رَمْضَائِهِ تَتَمَلَّمَلُ
ورب يوم من الشعرى، يوم شديد الحرارة يستدلون عليه بنجوم الشعرى، ويرى المرء أشعة الشمس
وكانها اللعاب السائل، والأقاعي تتململ على الرمل الحار

نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَلَا كِنَّ دُونَهُ وَلَا سِتْرَ إِلَّا الْأَتْحَمِي الْمُرْعَبَلُ
نصبت وجهي لهذا الجو وليس هناك من كنَّ، ستر يقيني الحر، سوى الأتحمي المرعبل،
الثوب الممزق

وَحَرْقِ كَظْهِرِ الثَّرْسِ قَفَرٍ قَطَعْتُهُ بِعَامِلَتَيْنِ، ظَهَرُهُ لَيْسَ يُغْمَلُ
ورب خرق، فضاء بلقع، مثل ظهر الترس أملس قطعته بعاملتين، برجليّ، وظهر هذا المكان ليس
مما تمشي فيه الإبل

تَرَوُدُ الْأَرَاوِي الصُّحْمُ حَوْلِي كَأَنَّهُا عَذَارَى عَلَيْهِنَّ الْمَلَأُ الْمُذَبَّلُ
ترود، تمشي، حولي الأراوي الصحم، الوعول السمر، كأنها عذارى لابسات ثياباً طويلة
وَيَرْكُذُنْ بِالْأَصَالِ حَوْلِي كَأَنَّنِي مِنَ الْعُصْمِ أَذْفَى يَتَّحِي الْكِحَ أَغْقَلُ
ويركدن، تقعي هذه الوعول حولي عند الأصل، عند الغروب إذ يخف الحر، فكأنني أنا من العصم،
من الوعول؛ كأنني أذفي، وعل ذو قرون، يتحي الكيح، يسكن في الجبل، أغقل، يتخذ الجبل معقلاً

٢ الْأَقْوَةُ الْأَوْدِيّ، وَهُوَ جَاهِلِي قَدِيم

وَالْبَيْتُ لَا يُبْتَنَى إِلَّا لَهُ عَمَدٌ وَلَا عِمَادٌ إِذَا لَمْ تُرْسَ أَوْتَادُ
البيت، الخيمة، لا يبنى إلا بعمود في الوسط، ولا نفع للعمود بلا أوتاد تدق في الأرض حول
الخيمة. فالعمود رئيس القوم، والأوتاد سادة القبيلة

فَإِنْ تَجَمَّعَ أَوْتَادُ وَأَعِمَّةٌ وَسَاكِنٌ بَلَّغُوا الْأَمْرَ الَّذِي كَادُوا
فهذا، وبالسكان، يتم الأمر

وَإِنْ تَجَمَّعَ أَقْوَامٌ دَوُو حَسَبٍ اضْطَادَ أَمْرَهُمْ بِالرُّشْدِ مُضْطَادٌ
أهل الحسب والشرف يضطاد، ويتناول، رئيسهم أمورهم بالرشد

لَا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهِلَ لَهُمْ سَادُوا
لا يصلح الناس فوضى بلا سرادة، سادة، ولا مكان للسادة إذا سيطر الجهال المتهورون على الأمر

تُلْفَى الْأُمُورُ بِأَهْلِ الرُّشْدِ مَا صَلَحَتْ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَبِالْأَشْرَارِ تَنْقَادُ
إذا صلحت الحال فأهل الرشد هم القيادة، وإن تولى أمر القوم، وذهب عزمهم، فالأشرار يقودونهم

إِذَا تَوَلَّى سَرَاةَ الْقَوْمِ أَمْرَهُمْ نَمَا عَلَى ذَلِكَ أَمْرُ الْقَوْمِ فَازْدَادُوا
تولي السادة الأشراف القيادة يحقق نماء الحال

٣ كَعْبُ بْنُ زَهِيرٍ، بَانَتْ سَعَادُ

بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولٌ مُتَيِّمٌ إِثْرَهَا، لَمْ يُفَدَ مَكْبُولُ
بانَتْ سعاد، فارقت، قلبي اليوم متبول، مريض. متيم يتبعها، ومكبول، مقيد لم يتم فداؤه من أسرها

وَمَا سَعَادُ غَدَاةِ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إِلَّا أَعْنُ غَضِيضِ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

ما سعاد التي رأيتها غداة البين، صبيحة الفراق، إلا أعن، غزال ذو غنة في صوته، غضيض الطرف، تغض عينها خجلاً، وهي مكحولة

هَيْفَاءُ مُقْبِلَةٌ، عَجْزَاءُ مُدْبِرَةٌ لَا يُشْتَكَى قِصَرُ مِنْهَا وَلَا طُولُ

هيفاء، ضامرة البطن، وهي مقبله عليك، وعجزاء، ثقيلة المؤخرة، وهي مدبرة منصرفة عنك. لا بالقصيرة ولا الطويلة

تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَغْلُولُ

تبرز عوارض، أسناناً أمامية، ذي ظلم، ذي لعاب يلمع على ضواحكها، وكان الثغر ذا اللعاب هذا منهل ومعلول بالخمير، شارب الخمر مرة أولى ثم ثانية

وَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا كَمَا تَلَوْنُ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ

وسعاد لا تظل على حالها من المودة للحبيب، بل تتلون مثل الغول التي تبدو للناس في صور وأثواب شتى

وَمَا تَمْسُكُ بِالْوَصْلِ الَّذِي رَعِمَتْ إِلَّا كَمَا تُمَسِّكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ

لا تمسك بوصلها المزعوم للحبيب إلا كما تمسك الغرابيل الماء

كَانَتْ مَوَاعِيدُ «عَرْقُوبٍ» لَهَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهُ إِلَّا الْأَبَاطِيلُ

ومواعيدها كمواعيد عرقوب الكذاب المشهور

فَلَا يَغُرُّنَا مَا مَنَنْتَ وَمَا وَعَدْتَ إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ

فلا تغتر بوعودها التي تُمنيك بها

أُمَسْتُ سَعَادَ بِأَرْضٍ لَا يُبْلَغُهَا إِلَّا الْعِتَاقُ النَّجِيبَاتُ الْمَرَاثِيلُ

وقد رحلت سعاد وصارت في أرض لا يبلغها إلا العتاق النجيبات المراسيل، النياق الكريمة النجبية السريعة

وَقَالَ كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ أَمْلُهُ لَا الْفَيْنَنُكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْفُوعُ

قال لي كل صاحب كنت أمل أن يحميني، لا ألفينك، لا أريد أن أجدك حولي، فأنا منشغل عنك

فَقُلْتُ خَلُّوا طَرِيقِي لَا أَبَا لَكُمْ فِكْلُ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ

فقلت: انصرفوا عني واتركوني أمضي في سبيلي فكل ما قدر الله سيقع

كُلُّ ابْنٍ أَنْتَى، وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ، يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَذَبَاءَ مَحْمُولُ

كل إنسان سيحمل يوماً على آلة حذباء، هي النعش

أَنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُورٌ

أوعدني: تهددني

مَهْلًا، هَذَا الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً أَلَمْ يَقْرَأْ فِيهَا مَوَاعِظَ وَتَفْصِيلَ

مهلاً يا رسول الله وقد أعطاك الله نافلة القرآن، هدية هي القرآن،
وفيها الموعظة وتفصيل الأحوال

لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ، وَلَمْ أَذْنِبْ، وَإِنْ كَثُرَتْ عَنِّي الْأَقَاوِيلُ

لا تسمع في أقوال الوشاة

إِنَّ الرُّسُولَ لَنُورٍ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ

فِي غُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بَبْطُنٍ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُورُوا

الرسول وجماعته من قريش هاجروا من مكة إلى المدينة

زَالُوا فَمَا زَالَ أَتَكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَازِيلُ

هاجروا فما كانوا بالأنكاس، الجبناء، ولا الكشف، المكشوفين بلا تروس في الحرب،
وهم في اللقاء لا ميل، أي لا يحسنون ركوب الخيل، ولا معازيل،

ليسوا غزلاً بلا سلاح

شُمُ الْعَرَانِينِ أَبْطَالٌ لَبُوسُهُمْ مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ

شم العرائين، شامخو الأنوف، ولباسهم في الهيجاء، الحرب، سراويل من نسج داود، دروع.
وكان داود النبي مشهوراً بصنع الدروع لأن الله ألان له الحديد

لَا يَفْرَحُونَ إِذَا نَالَتْ رِمَاحُهُمْ قَوْمًا، وَلَبَسُوا مَجَازِعًا إِذَا نِيلُوا

لا يفرحون بالنصر، ولا يجزعون للهزيمة

لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ مَا إِنَّ لَهُمْ مِنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ

في الحرب يواجهون دوماً، فالطعن يقع في صدورهم لا في ظهورهم، وليس لهم تهليل، فرار،
عن أحواض الموت

٤ عدي بن زيد العبادي، جاهلي من نصارى الحيرة

أَرْوَاحُ مُوَدَّعٍ أَمْ بُكُورُ لَكَ فاعْلَمْ لِأَيِّ حَالٍ تَصِيرُ

أترحل رواحاً، مساءً، أم بكوراً، صباحاً؟

فاعلم كيف سيكون حالك بعد الرحيل عن الأجرة

وَابْيَضَاضُ السَّوَادِ مِنْ نُذُرِ الشَّرِّ۔ وهل بَعْدَهُ لِإِنْسٍ نَذِيرُ؟

ابيضاض شعرك بعد سواده نذير بالشر والشيخوخة، وهل هناك نذير للإنسان أكثر من هذا؟

لَيْتَ شِعْرِي فَكَيْفَ أَنْتَ إِذَا مَا ذُرَّ فِي حُرٍّ وَجْهَكَ الْكَافُورُ

فكيف أنت عندما يذر، يُرْش، في حر وجهك، في وسطه، الكافور.. وهو مسحوق أخضر يرشونه على الميت

رَحِمَ اللَّهُ مَنْ بَكَى لِلْحَطَايَا كُلِّ بَاكِ فَذَنْبُهُ مَغْفُورُ

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيَّرُ بِالذَّهْرِ أَأَنْتَ الْمُبْرَأُ الْمَوْفُورُ؟

يا من يعيرني بنكبة من نكبات الدهر، أنت مبرأ موفور، محصن مستثنى؟

أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْآيِ۔ أَمْ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَفْرُورُ

الأيام: المصائب

مَنْ رَأَيْتَ الْمَنُونِ خَلَدَنْ أَمْ مَنْ ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ؟

من قد لقي التخليد في الدنيا؟ أم من عليه خفير، حارس، يمنع عنه الضيم، التعرض للأذى؟

أَيَّنَ كِسْرَى كِسْرَى الْمُلُوكِ أَتَوْشِيرُ وَانْ، أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ؟

وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْمُلُوكُ، مُلُوكُ الرُّ۔ وَمِ؟ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ

وَتَفَكَّرَ رَبُّ الْخَوْرَنْقِ إِذْ أَشْهُ رَفَ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفَكِيرُ

فكر في رب الخورنق، صاحب قصر الخورنق وهو النعمان بن امرئ القيس، إذ أشرف من أعلى قصره وتفكر في الدنيا

سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمُـ لِيكَ، وَالْبَحْرُ مُعْرِضًا وَالسَّيْدِيرُ

سره رأى ماله، مزارعه وملكه، والبحر، الفرات يمر بين المزارع، وقصر السدير

فَارَعَوَى قَلْبُهُ وَقَالَ: وَمَا غِبْ طَةً حَيَّ إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ؟

ارعوى قلبه، رجع عن ضلاله، وقال لنفسه: ما سعادة امرئ نهايته الموت؟

ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمَلِكِ وَالْإِمَّةِ۔ عِ وَارْتَهُمْ هُنَاكَ الْقُبُورُ

الإمة: النعمة

ثُمَّ أَضْحَوْا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ۔ فَأَلَوْتُ بِهِ الصَّبَا وَالذَّبُورُ

ثم بعد الموت صاروا كورق شجر جف فألوت به الصبا وريح الدبور

٥ عُرْوَة بن حِزَام

خَلِيلِي مِنْ «عَلْبَا هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ» بِصَنْعَاءَ هُوجَا الْيَوْمَ وَانْتَظِرَانِي
على عادة الشعراء يخاطب صديقين: وعروة رجل من قبيلة عذرة، فهو عذري وشعره عذري،
وذهب إلى اليمن يأتي بنياق مهرأ لابنة عمه عفراء، ويريد من صاحبيه بصنعاء أن يعوجا، أي
يميلا، نحو منزله باليمن وأن ينتظراه حتى يرحلوا جميعاً

أَلَا فَاحْمِلَانِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا إِلَى حَاضِرِ «الرَّوْحَاءِ» ثُمَّ دَعَانِي
احملاني إلى الروحاء، قرب المدينة المنورة، واطركاني هناك

عَلَى كَيْدِي مِنْ حُبِّ عَفْرَاءَ قَرْحَةً وَعَيْنَايَ مِنْ وَجْدٍ بِهَا تَكْفَانِ
مقروحة كبده من حب عفراء وعيناه تكفان، تسيلان دمعاً من وجده بها، أي حبه لها

فَيَا لَيْتَ كُلِّ اثْنَيْنِ بَيْنَهُمَا هَوًى مِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ يَلْتَقِيَانِ
يقول لي الأصحاب إذ يعدّلونني أشوق عراقي، وأنت يَماني
ويبدو أن عفراء كانت بالعراق زمناً!

تَحَمَّلْتُ مِنْ عَفْرَاءَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ وَلَا لِلْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ يَدَانِ
ما لي به يدان: أي لا حيلة لي فيه

كَأَنَّ قِطَاةً عُلِّقَتْ بِجَنَاحِهَا عَلَى كَيْدِي مِنْ شِدَّةِ الْخَفَقَانِ
القطاة طير، وفي الزمن القديم كانت الكبد تخفق أيضاً

جَعَلْتُ لِعَرَافِ الْبِمَامَةِ حُكْمَهُ وَعَرَافٍ نَجْدٍ إِنْ هُمَا شَفَبَانِي
فقالا: نَعَمْ نَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كُلِّهِ وَقَامَا مَعَ الْمُوَادِّ يَبْتَدِرَانِ
قام العرافان يبتدران مع العواد: قاما مسرعين مع زوار المريض لكي يجربا فنونهما في الشفاء

فَمَا تَرَكَا مِنْ رُقِيَةٍ بَعْلَمَانِهَا وَلَا سَلْوَةٍ إِلَّا وَقَدْ سَقَبَانِي
الرقية: الوصفة السحرية من حجاب أو نحوه، السلوة: شراب يسقونه للمتيم فينسى... زعموا

فَقَالَا: شَفَاكَ اللَّهُ، وَاللَّهُ مَا لَنَا بِمَا ضُمْنَتْ مِنْكَ الضُّلُوعُ يَدَانِ
عجزا وقالوا: شفاك الله فليس لنا يدان، لا حيلة لنا، في الحب الذي تضمنته ضلوعك

أَنَاسِيَةَ عَفْرَاءَ ذِكْرِي بَعْدَمَا تَرَكْتُ لَهَا ذِكْرًا بِكُلِّ مَكَانٍ
يُكَلِّفُنِي عَمِّي ثَمَانِينَ بَكْرَةً وَمَا لِي يَا عَفْرَاءَ غَيْرُ ثَمَانٍ
عمه طلب منه ثمانين بكرة، أي ناقه

تَحَمَّلْتُ زَفَرَاتِ الضُّحَى فَأَطَقْتُهَا وَمَا لِي بِزَفَرَاتِ الْعَشِيِّ يَدَانِ
أُصَلِّي فَأُبْكِي فِي الصَّلَاةِ لِذِكْرِهَا لِي الْوَيْلُ مِمَّا يَكْتُبُ الْمَلَكَانِ
الملكان المكلفان بتسجيل أعمال المرء قاعدان على كتفيه دائماً، وهما رقيب وعتيد، وهما غير
ملَكَي القبر منكر ونكير

٦ عدي بن الرقاع العاملي، يمدح الوليد بن عبد الملك

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوْهُمًا فَاَعْتَادَهَا مِنْ بَعْدِ مَا دَرَسَ الْبِلَى أَبْلَادَهَا
يحدث عن نفسه: عرف الديار لكنه غير متأكد تماماً إذ أمّحت معالمها، واعتادها، زارها، بعد أن
درسها البلى، محاها الخراب. وأبلادها: بلادها

إِلَّا رَوَاسِي كُلُّهِنَّ قَدْ اضْطَلَى جَمْرًا، وَأَشْعَلَ أَهْلَهَا إِيْقَادَهَا
سوى رواسي، حجارة، كانت أنا في موضع عليها القدر وقد اصطلت الحجارة وiban فيها أثر الجمر
كانت رَوَاحِلَ لِقُدُورٍ فَعُرِّيْتُ مِنْهُنَّ، وَاسْتَلَبَ الزَّمَانُ رَمَادَهَا
كانت الحجارة رَواحل، كأنها نياق تحمل فوقها القدور، فعريت من القدور، وسلبها الزمان برياحه رمادها
وَتَنَكَّرَتْ كُلُّ التَّنَكُّرِ بَعْدَنَا وَالْأَرْضُ تَعْرِفُ بَعْلَهَا وَجَمَادَهَا
تنكرت المنطقة، تغيرت معالمها، والأرض تعرف بعلها، ما ارتفع منها، وجمادها، ما جف منها.
المعنى الملموح: الأرض معروفة بتضاريسها، ولكن مرور السنين جعلنا نتشكك

وَلَرُبُّ وَاضِحَةِ الْجَبِينِ خَرِيدَةٌ بَيْضَاءُ قَدْ ضَرَبَتْ بِهَا أَوْتَادَهَا
ورب فتاة بيضاء الجبين خريدة، حية، كانت تنزل هنا وتغرس أوتاد خيامها

كَالطَّبَّيَةِ الْبِكْرِ الْفَرِيدَةِ تَرْتَعِي مِنْ أَرْضِهَا قُفَاتِهَا وَعِهَادَهَا
كانها طيبة منفردة عن السرب ترعى القفات، والقُفَّة شجرة صغيرة، وعهادها، العشب الذي يخلفه
المهاد أي المطر المتواصل

تُرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا
هذه الظبية ترجي أمامها، تدفع، ظيباً أغن الصوت كأن إبرة روقه، رأس قرنه الصغير وهو مسود
في أعلاه، قلم مغموس طرفه في دواة المداد، أي المحبرة

بَانَتْ سُعَادٌ وَأَخْلَفَتْ مِعَادَهَا وَتَبَاعَدَتْ عَنَّا لِيَتَمَنَعَ زَادَهَا
فارتقت سعاد وأخلفت ميعادها، وابتعدت كي تمنعنا من التزود من حسنها

إِنَّمَا تَرَى شَيْبِي تَفْشَعُ لِمَتِّي حَتَّى عَلَا وَضَحُ بِلَوُحِ سَوَادَهَا
إن كنت ترين الآن شبيبي قد تفشع لمتي، انتشر في شعري، حتى علاني وضح، بياض، يلوح سواد
اللثة، يغير لون السواد

فَلَقَدْ ثَنَيْتُ يَدَ الْفَتَاةِ وَسَادَةً لِي جَاعِلًا يُسْرِى يَدَيَّ وَسَادَهَا

فإنني كنت فيما مضى قد ثنيت يد الفتاة وجعلتها وسادة لي، وجعلت يدي اليسرى وساداً لها.
حاول معي تخيل هذه النومة

وَلَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ الْمَعِيشَةِ لَذَّةً وَلَقِيتُ مِنْ شَطَفِ الْخُطُوبِ شِدَادَهَا

عرفت لذة العيش الهانئ، ولقيت أيضاً شطفه، شدته

وَعَمِيزْتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْأَلُ عَالِمًا عَنْ حَرْفٍ وَاحِدَةٍ لِكَيْ أَزِدَّادَهَا

وكبرت حتى لم أعد أحتاج أن أسأل عالماً عن شيء

وَأَصَاحِبُ الْجَيْشِ الْعَرْمَرَمَ فَارِسًا فِي الْخَيْلِ أَشْهَدُ كَرَّهَا وَطِرَادَهَا

أصاحب الجيش العرمرم، الجرار، راكباً فرسي وأشهد كر الخيول ومطاردتها

وَقَصِيدَةٍ قَدْ بَتَّ أَجْمَعُ بَيْنَهَا حَتَّى أَقُومَ مَبْلَهَا وَسِنَادَهَا

ورب قصيدة قد سهرت أجمع بين أبياتها وأصبح ميلها، ثغراتها، وسنادها، الخطأ في قوافيها

نَظَرَ الْمُتَقَفِّ فِي كُعُوبِ قَنَائِهِ حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافَهُ مُنَادَهَا

كنت أقوم أبيات القصيدة كما يقوم المتقف، المقوم، القناة، أي الرمح، حتى يصلح تقويمه
منادها، المعوج منها

وَإِذَا الرِّبِيعُ تَتَابَعَتْ أَنْوَاؤُهُ فَسَقَى خُنَاصِرَةَ الْأَحْصِ فَجَادَهَا

إذا تتابعت أنواء، أمطار، الربيع فسقى «خناصرة الأحص»، قرية خناصرة قرب جبل الأحص،
فجادها، رواها بالمطر

نَزَلَ الْوَلِيدُ بِهَا فَكَانَ لِأَهْلِهَا غَيْثًا أَغَاثَ أَنْيَسَهَا وَبِلَادَهَا

نزل الوليد بن عبد الملك بها فكان لأهلها غيثاً، مطراً، أغاث الناس والبلاد

أَوْ مَا تَرَى أَنَّ الْبَرِّيَّةَ كُلَّهَا أَلْقَتْ خَزَائِمَهَا إِلَيْهِ فَقَادَهَا

ألا ترى أن الناس كلهم ألقوا الخزائم إليه، والخزامة حلقة توضع في أنف البعير وبها حبل يقاد به

٧ عبيد الله بن قيس الرقيات

أَقْفَرْتُ بَعْدَ عَبْدٍ شَمْسٍ كَدَاءٍ فَكُدَيْتِي فَالرُّكْنُ فَالْبَطْحَاءُ

أقفرت هذه الأماكن بعد خروج بني أمية منها

قَدْ أَرَاهُمْ فِي الْمَوَاسِمِ إِذْ يَنْفُ دُونَ حِلْمٍ وَنَائِلٌ وَبَهَاءُ

كنت أراهم في المواسم، كسوق عكاظ، يأتون وعليهم سيماء الحلم والبهاء وفيهم نائل، يمنحون
الفقير المال

وَحَسَانٌ مِثْلُ الدُّمَى عَبَسَمِيًّا تَ عَلَيْنَهُنَّ بِهِجَةٌ وَحَيَاءٌ

ورب فتيات حسان من عبد شمس كأنهن الدمي جمالاً

ظَاهِرَاتُ الْجَمَالِ وَالسَّرْوِ يَنْظُرُ نَ، كَمَا يَنْظُرُ الْأَرَاكَ الظُّبَاءُ

بارز جمالهن وسروهن، نسهن العالي، وينظرن كما تنظر الظباء إلى شجر الأراك

حَبْدًا الْعَيْشُ حِينَ قَوْمِي جَمِيعٌ لَمْ تُفَرِّقْ أُمُورَهَا الْأَهْوَاءُ

ما كان أجمل العيش عندما كان قومي متفقين مجتمعين وقبل أن تفرق بينهم الأهواء، النزعات

قَبْلَ أَنْ تَطْمَعَ الْقَبَائِلُ فِي مُلْكِكَ قَرِيشٍ وَتَشْمَتَ الْأَعْدَاءُ

أُثْبَاهَا الْمُشْتَهَى فَنَاءً قَرِيشٍ بِيَدِ اللَّهِ عَمْرُهَا وَالْفَنَاءُ

إِنْ تُودَّعَ مِنَ الْبِلَادِ قَرِيشٌ لَا يَكُنْ بَعْدَهُمْ لِحَيِّ بَقَاءُ

لَوْ تُقْفَى وَتَشْرُكُ النَّاسَ كَانُوا غَنَمَ الذُّبِّ غَابَ عَنْهَا الرِّعَاءُ

لو تقفي قريش، أي تذهب، تاركة الناس فيكونون كالغنم غاب عنها الرعاة

فهي غنم مباحة للذئب

هَلْ تَرَى مِنْ مُخَلَّدٍ؟ غَيْرَ أَنَّ الْـ لَّهُ يَبْقَى، وَتَذْهَبُ الْأَشْيَاءُ

لَوْ بَكَتْ هَذِهِ السَّمَاءُ عَلَى قَوْمِ كَرَامٍ بَكَتْ عَلَيْنَا السَّمَاءُ

نَحْنُ مِنْهُ النَّبِيُّ الْأَمِيُّ وَالصِّدِّيقُ مِنْهُ النَّبِيُّ وَالْخُلَفَاءُ

وَالزُّبَيْرُ الَّذِي أَجَابَ رَسُولَ الْـ لَّهُ فِي الْكَرْبِ، وَالْبَلَاءُ بَلَاءُ

وَالَّذِي نَعَصَّ ابْنَ دُومَةَ مَا تُو حَيِّ الشَّيَاطِينِ، وَالسِّيُوفُ ظُمَاءُ

ومنا مصعب بن الزبير الذي نفص على ابن دومة، وهو المختار الثقي، سطوته على الناس بما

كان يقول لهم من أنه يوحى إليه، وقد قتله مصعب وقتل أصحابه في مشهد مريع

فَأَبَاحَ الْعِرَاقَ يَضْرِبُهُمْ بِالسَّـ يَفِ صَلَّتْ وَفِي الضَّرَابِ غَلَاءُ

صَلَّتْ: مسلولاً، في الضراب غلاء: في الضرب بالسيف مغلاة

فَسَعَوْا كَيْ يُفْلَلُوا، وَيَأْبَى الْـ لَّهُ إِلَّا الَّذِي يَرَى وَيَشَاءُ

يفللك: يضعفوك يا مصعب

لَئِنْمَا مُضْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ الْـ لَّهُ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ

مُلْكُهُ مُلْكُ قُوَّةٍ لَيْسَ فِيهِ جَبَرُوتٌ وَلَا بِهِ كِبَرِيَاءُ

لَ، وَمِنَّا الْقُضَاءُ وَالْعُلَمَاءُ

مِنْهُمْ ذُو النَّدَى سَهِيلٌ بَنُ عَمْرٍو عِصْمَةُ الْجَارِ حِينَ حُبِّ الْوَفَاءِ

سهيل بن عمرو صحابي له مواقف في فتح مكة وأمه من خزاعة

حَاطَ أَخْوَالَهُ خُزَاعَةَ لَمَّا كَثُرَتْهُمْ بِمَكَّةَ الْأَحْيَاءِ

دافع عن أخواله من قبيلة خزاعة عندما كثرتهم، تكاثرت عليهم، في مكة الأحياء، العشائر

وَالَّذِي أَشْرَبَتْ قَرِيشٌ لَهُ الْحُبُّ - عَلَيْهِ مِمَّا يُحِبُّ رِذَاءُ

يعني عثمان بن عفان

وَالَّذِي إِنْ أَشَارَ نَحْوَكُمْ لَظْمًا تَبِعَ اللَّظْمَ نَائِلٌ وَعَطَاءُ

هذا عبد الله بن جدعان من فرع أبي بكر الصديق من قريش: كان غنياً، وعندما كبر منعه بنوه من التصرف بماله فصار كلما جاءه طالب معروف قال له: اقترِب كي أطمك على وجهك، ثم اذهب واطلب من أولادي فدية مقابل اللطمة، وإلا فإنك ستردها لي لطمة مثلها

عَيْنِ قَابِكِي عَلَى قَرِيشٍ وَهَلْ يَزُ جِعُ مَا فَاتَ، إِنْ بَكَيْتِ، الْبُكَاءُ؟

يا عيني ابكي على قريش، وإن بكيت.. هل يعبد البكاء ما فات؟

تَرَكَ الرَّأْسَ كَالثَّغَامَةِ مِنِّْي نَكَبَاتٌ تَسْرِي بِهَا الْأَنْبَاءُ

تركت رأسي مبيضاً كنبات الثغام، الذي يبيض إذ يبس، النكبات التي تنقلها الأنباء

كَيْفَ نَوْمِي عَلَى الْفِرَاشِ وَلَمَّا تَشْمَلِ الشَّامُ غَارَةَ شَعْوَاءُ

كيف أستريح قبل أن تعم الشام غارة شعواء، متشرة الفرسان

تُذْهِلُ الشَّبِيخَ عَنْ بَنِيهِ، وَتُبْدِي عَنْ بُرَاهَا الْعَقِيلَةَ الْعِزْرَاءُ

غارة تنسي الشيخ أبناءه، وتجعل العقيلة العذراء، تبدي عن براهها، ترفع عن ساقها للهرب فتظهر خلايلها

أَنَا عَنْكُمْ بَنِي أُمَيَّةَ مُزَوَّرٌ - وَأَنْتُمْ فِي نَفْسِي الْأَعْدَاءُ

أنا منحرف عنكم، وقد اتخذتكم أعداء

إِنَّ قَتْلِي بِالطَّفِّ قَدْ أَوْجَعَنِي كَانَ مِنْكُمْ لَئِنْ قُتِلْتُمْ شِفَاءُ

قد تألمت لقنلي بالطف، قتل الحسين بن علي في كربلاء وهي في الطف من ضواحي الكوفة، وليشف القلب منكم إذا قتلتم

٨ كُثِيرَ عِزَّة

خَلِيلِي هَذَا رَبْعُ عِزَّةٍ فَاعْقِلَا قَلُوصَيْكُمَا ثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ

يا صاحبي هذه دار عزة فاربطا ناقتيكما، وابكيا حيث كانت عزة تنزل

وَمُسَا تُرَاباً كَانَ قَدْ مَسَّ جِلْدَهَا وَبَيْتاً وَظَلاً حَيْثُ بَاتَتْ وَظَلَّتْ
وَلَا تَبَاساً أَنْ يَمْحُوَ اللَّهُ عَنْكُمَا ذُنُوباً إِذَا صَلَّيْتُمَا حَيْثُ صَلَّيْتَ
وَمَا كُنْتُ أَدرِي قَبْلَ عَزَّةٍ مَا الْبُكَاءُ وَلَا مُوجِعَاتِ الْقَلْبِ حَتَّى تَوَلَّيْتَ

تولت: انصرفت

وَمَا أَنْصَفْتَ: أَمَّا النساءُ فَبَغَضْتُ إِلَيْنَا، وَأَمَّا بِالنِّوَالِ فَضَنَنْتِ
لم تصفني عزة، فقد جعلتني أبغض كل النساء سواها، وأما هي فضنت بنوالتها، بخلت بعبائها
وَكَاثَتْ لِقَطْعِ الْحَبْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا كَنَازِرَةً نَذِراً وَقَدْ فَأَحَلَّتِ
كانت مصممة على قطع العلاقة معي فكانها نذرت نذراً فوفت به وأحلت نفسها،
حررت نفسها من نذرها

فَقُلْتُ لَهَا: يَا عَزَّ كُلِّ مُصِيبَةٍ إِذَا وَطُنْتُ يَوْماً لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ
كل مصيبة إذا وطنت لها النفس، تعودت عليها، فالمصيبة تذلل، تصبح مروضة
وَلَمْ يَلْقَ إِنْسَانٌ مِنَ الْحَبِّ مِيعَةً نَعْمٌ، وَلَا عَمِيَاءَ إِلَّا تَجَلَّتْ
لم يلق إنسان من الحب ميعة نعم، بداية تهزه، ولا عمياء، جهالة وتوتر،
إلا تجلى ذلك وذهب عنه فيما بعد

فَإِنْ سَأَلَ الْوَاشُونَ: فِيمَ صَرَمَتْهَا؟ فَقُلْ نَفْسٌ حُرٌّ سُلِّيتْ فَتَسَلَّتْ
إن سألتني الواشون لماذا صرمتها، أي قطعت العلاقة معها؟ قلت: نفسي حرة وقد سليت فتسلت،
أنيتها فنسيت

أَبَاحَتْ حِمِّيَ لَمْ يَرَعْهُ النَّاسُ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ تِلَاعاً لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حُلَّتْ
دخلت عزة مكاناً في قلبي لم يدخله إنسان قط، فهي كمن حل في حمي، مكان محمي يمنع أهله
الآخرين من الرعي فيه، وحلت تلاعاً، هضاباً، ما حلها أحد قبلها

يُكَلِّفُهَا الْخَنْزِيرُ شَتْمِي وَمَا بِهَا هَوَانِي، وَلَكِنْ لِلْمَلِكِ اسْتَذَلَّتْ
كان زوج عزة يطلب منها أن تشتم كثيراً الشاعر، وكانت تطيعه ليس لأنها تريد إهانتني بل لأنها
استذلت وخضعت لمالك عصمتها، زوجها

هَنِيئاً مَرِيئاً، غَيْرَ دَاءٍ مُخَافٍ، لِعَزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ
هنئاً لك يا عزة ما تستحلين من أعراضنا، ما لم يكن ذلك الذي تقولين داء مخافاً نفسك،
أي مخالطاً ضميرك.. اشتمني نزولاً عند رغبته شرط ألا يكون الشتم خارجاً من قلبك

وَكُنَّا سَلَكْنَا فِي صَعُودِ مِنَ الْهَوَىٰ فَلَمَّا تَوَافَيْنَا ثَبْتُ وَزَلْتُ

كنت وعزة في علاقتنا كمن يسلك صعوداً، مرتقى من الأرض، فلما توافينا، وصلنا، إلى مكان على المرتقى ثبت أنا وزلت هي، تحلقت

وَكُنَّا عَقَدْنَا عُقْدَةَ الْوَصْلِ بَيْنَنَا فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا شَدَدْتُ وَحَلَّتْ

عقدنا عقدة الوصل فلما تواقفنا، شدناها معاً، ظللت أشد ولكنها هي حلت العقدة

فَإِنْ تَكُنِ الْعُتْبَىٰ فَأَهْلًا وَمَرْحَبًا وَحُقَّتْ لَهَا الْعُتْبَىٰ لَدَيْنَا وَقَلَّتْ

فإن أرادت عزة العتبي، الرضا، فأهلاً ومرحباً، ولها علينا أن نرضى وما أقل هذا الطلب

وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَىٰ فَإِنَّ وَرَاءَنَا بِلَاداً إِذَا كَلَفْتُهَا الْعَيْسَ كَلَّتْ

وإن أرادت الأخرى، أي العكس وهو الهجران المؤكد، فإن ورائي، أي أمامي، بلاداً واسعة إذا كلفت الإبل بقطعها كلت، أي تعبت

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةً لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتْ

أسيئي بي أو أحسنني فلا لوم عليك، ولست مقلية، موضع كراهية، حتى وإن كرهت لقائي

فَلَا يَحْسَبِ الْوَاشُونَ أَنَّ صَبَابَتِي بِعِزَّةٍ كَانَتْ عَمْرَةً فَتَجَلَّتْ

رغم ما قلته فلا يحسب الواشون أن صبابتي، غرامي، بعزة كان غمرة، أزمة طارئة، ثم تجلت، انكشفت

فَوَاللَّهِ ثُمَّ اللَّهُ لَا حَلَ بَعْدَهَا وَلَا قَبْلَهَا مِنْ خُلَّةٍ حَيْثُ حَلَّتْ

فوالله ما حل بعدها ولا قبلها من خلة، حبيبة، في المكان من قلبي الذي حلت فيه عزة

وَمَا مَرٌّ مِنْ يَوْمٍ عَلَيَّ كَيَوْمِهَا وَإِنْ عَظُمَتْ أَيَّامُ أُخْرَىٰ وَجَلَّتْ

ما مر شيء علي كيوم عشقت عزة، رغم كثرة ما مر بي وخطره

وَإِنِّي وَتَهْبَامِي بِعِزَّةٍ بَعْدَهَا تَخَلُّتُ مِنَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتْ..

وإنني وهيامي بعزة بعدما تخلينا عما كان بيننا من حب..

لَكَالْمُرْتَجِي ظِلَّ الْعِمَامَةِ كُلَّمَا تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ اضْمَحَلَّتْ

.. كمن يرجو الاستئلال بغيمة.. ولكنه كلما تبوأ منها للمقيل، جلس للقيولة تحتها، اضمحلت، تبددت

كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سَحَابَةٌ مُّجِلٌّ رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزَتْهُ اسْتَهَلَّتْ

كأنني مع عزة ذلك الرجل الممحل، الذي يعاني القحط، فجاءت سحابة فرجا أن تمطر، فلما نعتت عنه أمطرت على غير أرضه

يَقَرُّ بِعَيْنِي مَا يَقَرُّ بِعَيْنِهَا وَأَجْمَلُ شَيْءٍ مَا بِهِ الْعَيْنُ قَرَّتْ
يسعدني ما يسعدها

٩ مالك بن الرِّيب

أَلَا لَيْتَ شِعْمِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً بِحَبِّ الْغَضَا أَزْجِي الْفَلَاصَ النَّوَاجِيَا
هل سيقدر لي أن أبيت ليلة بحب شجر الغضا عند أهلي، أدفع الفلاص النواجي، النياق السريعة

فَلَيْتَ الْغَضَا لَمْ يَقْطَعْ الرُّكْبَ عَرْضَهُ وَلَيْتَ الْغَضَا مَاشَى الرُّكَّابَ لَيَالِيَا
ليتنا لم نفارق الغضا، وليت الغضا ظل يماشنا ونحن نسير عنه

لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الْغَضَا لَوْ دَنَا الْغَضَا مَرَّارًا، وَلَكِنَّ الْغَضَا لَيْسَ دَانِيَا
كان لنا هناك من نزوره لو أنه قريب، لكنه الآن بعيد

أَلَمْ تَرْنِي بِغَتِ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَفَّانَ غَازِيَا
ألم تر كيف تركت الضلال، واشتريت الهدى بدلاً منه وذهبت في جيش ابن عفان غازياً

وَأَصْبَحْتُ فِي أَرْضِ الْأَعَادِيِّ بَعْدَمَا أَرَانِي عَنْ أَرْضِ الْأَعَادِيِّ قَاصِيَا
أصبحت في أرض محفوفة بالأعداء وكنت بعيداً عنها

دَعَانِي الْهُوَى مِنْ أَهْلِ «أَوْد» وَصُحْبَتِي بِذِي «الطَّبَسِينِ» فَالتَفْتُ وَرَائِيَا
ودعاني الهوى من أهل «أود» وصحبتني بذي «الطبيين» فالتفت ورأيتني، وأنا مع صحبي في أرض الطبسين، في خراسان، ناداني الهوى من عند الأهل في موضع أود، فالتفت ورأيتني

أَجَبْتُ الْهُوَى لَمَّا دَعَانِي بِزَفْرَةٍ تَقَنَّنْتُ مِنْهَا أَنْ أَلَامَ رِدَائِيَا
أجبت نداء الهوى بزفرة، فخرجت أن يرى صحبي ذلك فيلوموني فوضعت ردائي على وجهي وجعلته قناعاً

تَقُولُ ابْنَتِي لَمَّا رَأَتْ طُولَ رِخْلَتِي سِفَارَكَ هَذَا تَارِكِي لَا أَبَا لَبَا
قالت لي ابنتي، وقد رأت أن سفري سيطول: إن سفرك سيتركني بلا أب

لَعَمْرِي لَئِنْ غَالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِي لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابِي خُرَاسَانَ نَائِيَا
لئن غالت، آذت، خراسان رأسي فقد كنت من قبل بعيداً عنها

فَلَيْلَهُ دَرِّي يَوْمَ أَتَرَكُ طَائِعاً بَنِيَّ بِأَعْلَى «الرَّقْمَتَيْنِ» وَمَالِيَا
كيف قد تركت بمحض إرادتي أبنائي ومالي في ذلك الموضع؟

وَدَّرُ الظُّبَاءِ السَّانِحَاتِ عَشِيَّةً يُخَبِّرُنَ أَنِّي هَالِكٌ مِّنْ وَرَائِيَا
ولله در الظباء السانحات عشية، النساء المارات في المساء، وهن يخبرن بعضهن بعضاً أنني هالك
في غربتي

وَدَّرُ كَبِيرَيِّ اللَّذَيْنِ كِلَاهُمَا عَلَيَّ شَفِيقٌ نَاصِحٌ لَوْ نَهَانِيَا
ولله در الكبيرين، أبي وأمي، اللذين كانا شفيقين علي ناصحين لي، فهلا كانا نهاني!

تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِدْ سِوَى السِّيفِ وَالرَّمْحِ الرُّدَيْنِيَّ بِأَكْبَا
سيكي علي سفي ورمحي الرديني، نوع من الرماح

وَأَشْقَرَ مَحْبُوكٍ يَجْرُ عَنَانُهُ إِلَى الْمَاءِ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ الْمَوْتُ سَاقِيَا
وسيكي علي مهري الأشقر المحبوك، أي القوي، الذي يجر رسنه نحو الماء ولم يترك له موتي من يسقيه

وَلَكِنْ، بِأَكْنَافِ «السُّمَيْنَةِ» نِسْوَةً عَزِيزٌ عَلَيْهِنَّ الْعَشِيَّةُ مَا بِبَا
ولكن، في أكناف السمينية، في أطراف ذلك الموضع، نسوة يعز عليهن ما بي

صَرِيعٌ عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ بِقَفْرَةٍ يُسَوُّونَ لَخْدِي حَيْثُ حُمَ قَضَائِيَا
صريع يحملني الرجال في موضع مقفر، ويسوون لي لخداً حيث قدر لي أن أموت

وَلَمَّا تَرَأَتْ عِنْدَ «مَرَوْ» مَنِيَّتِي وَخَلَّ بِهَا جِسْمِي وَحَانَتْ وَقَاتِيَا . .
عندما بدا في مرو أن موتي قريب، وخل جسمي بالمنية، اهتز وارتجف . .

أَقُولُ لِأَصْحَابِي ارْفَعُونِي فَإِنَّهُ يَقَرُّ بِعَيْنِي أَنْ سُهَيْلٌ بَدَا لِبَا
أطلب من صحي أن يرفعوني كي أرى نجم سهيل

فَبَا صَاحِبِي رَحَلِي دَنَا الْمَوْتُ فَانْزِلَا بِرَائِيَةِ إِنِّي مُقِيمٌ لِبَالِبَا
يا صاحبي رحلي، صاحبي السفر، دنا أجلي فخطا الرحال براية فإني سأقيم هنا بعض الوقت

أَقِيمَا عَلَيَّ الْبُومَ أَوْ بَعْضَ لَيْلَةٍ وَلَا تُفْجِلَانِي قَدْ تَبَيَّنَ شَانِيَا
ابقيا معي ولا تستعجلا فقد أصبح شأني واضحاً

وَقُومَا إِذَا مَا اسْتَلَّ رُوحِي فَهَيَّأَا لِي السِّدْرَ وَالْأَكْفَانَ عِنْدَ قَنَائِيَا
قوما إذا ما استل روعي، سحب روعي، فأعدا الأكفان والسدر، ورق شجر السدر وكانوا
يسحقونه ويضعونه مع ماء غسل الميت

وُخْطَا بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَضْجَعِي وَرَدَّا عَلَى عَيْنَيَّ فَضَلَ رَدَائِيَا
خطا مكان رقودي بأطراف الأسنة مضجعي، وردا بقية ثوبي على وجهي

وَلَا تَحْسُدْ أُنِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا مِنْ الْأَرْضِ ذَاتِ الْعَرَضِ أَنْ تُوسِعَا لِيَا

وأوسعا لي في القبر

خُذَانِي فُجْرَانِي بِثُوبِي إِلَيْكُمَا فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صَعْباً قَبَادِيَا

جراني بثوبي وأنا ميت، وكنت في حياتي صعب القياد عنيداً

وَقَدْ كُنْتُ عَظَافاً إِذَا الْخَيْلُ أَذْبَرَتْ سَرِيعاً لَدَى الْهَيْجَا إِلَى مَنْ دَعَانِيَا

كنت أعطف وأتجه إلى خيل العدو بينما الخيول الأخرى تدبر،

وكنت سريع الإجابة إذا دعيت للحرب

وَقَدْ كُنْتُ صَبَّاراً عَلَى الْقِرْنِ فِي الْوَعَى وَعَنْ شَتْمِي ابْنَ الْعَمِّ وَالْجَارِ وَإِنِّيَا

وكنت صبوراً على القرن، الخصم، في الحرب لكنني كنت وانياً، متوانياً، عن شتم الأقارب

وَقُومَا عَلَى بَثْرِ «السَّمِينَةِ» أَسْمِعَا بِهَا الثُّرَّ وَالْبَيْضَ الْحَسَانَ الرَّوَانِيَا

وعندما تعودان يا صاحبي إلى «السمنية» فاذهبا إلى البثر حيث تجتمع النساء الحسان الرواني،

الناظرات إليكما، وأسمعاهن خبري

بِأَنكُمَا خَلَفْتُمَانِي بِقَفْرَةٍ تَهِيلُ عَلَيَّ الرِّيحُ فِيهَا السَّوَاغِيَا

قولا لهن إنكما خلفتاني، تركتاني وراءكما، في موضع مقفر،

والريح تهيل علي السواغي، الأتربة

وَلَا تَنْسِيَا عَهْدِي خَلِيلِي بَعْدَمَا تَقْطَعُ أَوْصَالِي وَتَبْلَى عِظَامِيَا

يَقُولُونَ: لَا تَبْعُدْ، وَهُمْ يَدْفِنُونَنِي وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا؟

عندما يدفنتي القوم يقولون الكلمة المألوفة «لا تبعد»، وهل هناك من بُعد أكثر من الموت؟

عَدَاةٌ غَدٍ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ إِذَا أَذْلَجُوا عَنِّي وَأَصْبَحْتُ ثَاوِيَا

ما أصعب الغد عندما يدلجون عني، أي ينصرفون عني ليلاً، وأظل ثاوياً، مقيماً

وَأَصْبَحَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ لِعِغْرِي، وَكَانَ الْمَالُ بِالْأَمْسِ مَالِيَا

وعندما يصبح مالي الطريف، المكتسب، والتالد، الموروث، ملكاً لغيري

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَكَتْ أُمُّ مَالِكٍ كَمَا كُنْتُ لَوْ عَالَوْا نَعِيكَ بَاكِيَا

هل سبكي علي أم مالك كما كنت سأبكي لو رفعوا الصوت بنعيها هي؟

فَيَا صَاحِبَا إِنَّمَا عَرَضَتْ فَبَلَّغْنِ بَنِي مَازِنٍ وَالرَّيِّبُ أَنْ لَا تَلَاغِيَا

بلغ أيها الصاحب العشيرتين أنه لا تلاقي بعد الآن فقد قضيت نحبي

وَعَزَّ قُلُوصِي فِي الرِّكَابِ فَإِنَّهَا سَتَفْلِقُ أَكْبَاداً وَتُبْكِي بِوَائِكِبَا
وَأَنْزَلَ الرَّحْلَ عَنْ نَاقَتِي، وَاجْعَلْهَا تَسِيرَ بِلَا سِرَجٍ، دَلَالَةً عَلَى أَنَّ صَاحِبَهَا مَاتَ، فَهَذَا سَيَفْلِقُ أَكْبَادَ
النَّاسِ وَيُبْكِي الْبَاكِياتِ

أَقْلَبُ طَرْفِي حَوْلَ رَحْلِي فَلَا أَرَى بِهِ مِنْ عُيُونِ الْمُؤْنِسَاتِ مُرَاعِيَا
هنا أقلب نظري حول رحل جملي فلا أرى من يراعيني
وينظر إلي من نساء قومي اللاتي فيهن أنس لقلبي

وَبِالرَّمْلِ مَنَّا نِسْوَةً لَوْ شَهِدْتَنِي بَكَيْنٍ وَفَدَّيْنِ الطَّبِيبِ الْمُدَاوِيَا
وهناك بموضع الرمل نسوة لو شهدني لبكين واحتضاري لبكين وقلن للطبيب «نفديك» يردن منه أن
يجتهد في شفائي

فَمِنْهُنَّ أُمِّي وَابْنَتَايَ وَخَالَتِي وَبَاكِبَةٌ أُخْرَى تَهْبِجُ الْبَوَاكِبَا
هؤلاء أقاربي ومعهن أيضاً زوجتي التي يبكاها تهيج قلوب الباكيات الأخريات

١٠ الحطيئة

وَطَاوِي ثَلَاثٍ عَاصِبِ الْبَطْنِ مُرْمِلٍ بَبْدَاءَ لَمْ يَعْرِفْ بِهَا سَاكِنٌ رَسْمَا
رب رجل طاوي ثلاث، جائع لم يأكل منذ ثلاث ليالٍ، وهو يعصب بطنه بحزام كي يخفف ألم
الجوع، وهو مرمِل، أي فقير، يسكن في ببداء ليس بها رسم، جذباء ليست بها علامة طريق

أَخِي جَفْوَةٌ فِيهِ مِنَ الْإِنْسِ وَحْشَةٌ يَرَى الْبُؤْسَ فِيهَا، مِنْ شَرَّاسَتِهِ، نُعْمَى
صاحب جفوة، فيه وحشة، نفور من الناس، ولشراسته يرى البؤس فيها، مِنْ شَرَّاسَتِهِ، نُعْمَى
شدة العيش نعمة

وَأَفْرَدَ فِي شُعْبٍ عَجُوزاً إِزَاءَهَا ثَلَاثَةُ أَشْبَاحَ تَخَالَهُمُ بِهِمَا
انفرد في شعب، طريق بالجبل، مع امرأته وثلاثة أشباح كأنهم بهم، أولاد ثلاثة مهزولين تظنهم من
ولد الماعز

حُفَاءَ عُرَاءَ مَا اغْتَدَوْا خُبْرَ مَلَّةٍ وَلَا عَرَفُوا لِلْبُرِّ مَذَّ خُلِقُوا طَعْمَا
ما أكلوا خبز ملة، مخبوزاً بالرماد الحار، ولا عرفوا طعم القمح منذ ولدوا

رَأَى شَبَحًا وَسَطَ الظَّلَامِ قَرَاعَهُ فَلَمَّا بَدَأَ ضَيْفًا تَسَوَّرَ وَاهْتَمَّا
رأى شيخ شخص قادم في الظلام، فأخافه ذلك،
وعندما عرف فيه ضيفاً تسوَّر، وثب وثبة، واهتم للأمر

فَقَالَ ابْنُهُ لَمَّا رَأَاهُ بِحَيْرَةٍ: أَيَا أَبَتِ أَذْبَحْنِي وَيَسِّرْ لَهُ طَعْمَا
لما رآه ولده متحيراً قال له: اذبحني ووفر للضيف طعاماً

وَلَا تَعْتَذِرْ بِالْعُدْمِ عَلَى الَّذِي طَرَا يَظُنُّ لَنَا مَالاً فَيُوسِعُنَا ذِمًّا

ولا تعتذر بالفقر، فلعل الذي طرأ علينا يظن أن عندنا مالا فيوسعنا ذمًا، فيملا فمه بدمنا

فَرَوَى قَلِيلًا ثُمَّ أَحْجَمَ بُرْهَةً وَإِنْ هُوَ لَمْ يَذْبَحْ فِتْنَاهُ فَقَدْ هَمَّا

تروى الأب، ثم أحجم، ولم يذبح ابنه، لكنه كان قد هم بذلك

وَقَالَ: هَيَّا رَبَّاهُ! ضَيْفٌ وَلَا قِرَى بِحَقِّكَ لَا تَحْرِمُهُ تَالَلَّيْلَةَ اللَّحْمَا

قال الرجل: يا رب، ضيف ينزل بي ولا قرى عندي له!

بحقك يا رب لا تحرمه هذه الليلة من اللحم

فَبَيْنَا هُمَا عَنَّتْ عَلَى الْبُعْدِ عَانَةً قَدْ انْتَضَمَتْ مِنْ خَلْفِ مِسْحَلِهَا نَظْمَا

بيننا، أي فينما، هو وابنه قد خرجا بعيداً إذ عنت لهما، عرضت لهما، عانة، سرب من حمر

الوحش، وقد مشت بانتظام خلف مسحها، فحلها

ظِمَاءٌ تُرِيدُ الْمَاءَ فَانْسَابَ نَحْوَهَا عَلَى أَنَّهُ مِنْهَا إِلَى دَمِهَا أَظْمَا

الحمر عطشى تقصد الماء، فانساب نحوها يهدوء، وهو عطش إلى دمها أكثر منها للماء

فَأَمَلَهَا حَتَّى تَرَوْتَ عِطَاشُهَا فَأَرْسَلَ فِيهَا مِنْ كِنَانَتِهِ سَهْمَا

أملها حتى روت عطشها، ثم رماها بسهم من كنانته، من علبة سهامه

فَخَرَّتْ نَحْوَصٌ ذَاتُ جَحْشٍ فِتْيَةً قَدْ اكْتَنَزَتْ لَحْمًا وَقَدْ طَبَّقَتْ شَحْمَا

فخرت أرضاً نحوص، أتان وحشية، لها جحش، ولد، بجانبها، وهي فتية مكتنزة باللحم، وعليها

أطباق من الشحم

فَبَا بِشْرُهُ إِذْ جَرَّهَا نَحْوُ أَهْلِهِ وَيَا بِشْرَهُمْ لَمَّا رَأَوْا كَلَمَهَا يَدْمَى

فيا لسعادته إذ جرّها نحو أهله، ويا لسعادتهم لما رأوا جرحها دامياً

فَبَاتُوا كِرَامًا قَدْ قَضَوْا حَقَّ ضَيْفِهِمْ فَلَمْ يَغْرُمُوا غُرْمًا وَقَدْ غَنِمُوا غُنْمًا

باتوا كراماً وقد كسبوا حمد الضيف وقاموا بواجبه

وَبَاتَ أَبُوهُمْ مِنْ بَشَاشَتِهِ أَبَا لِضَيْفِهِمْ وَالْأُمُّ مِنْ بِشْرِهَا أُمَّا

وبات أبوهم وكأنه أب للضيف، وأمهم من بشاشتها كأنها أم للضيف

١١ الخنساء

أَعَيْنِي هَلَّا تَبْكِيَانِ عَلَى صَخْرٍ بِدَمْعِ حَشِيثٍ لَا بَكْيٍ وَلَا نَزْرِ

ابكيا يا عيني على أخي صخر بدمع حثيث، سريع، لا بكيء، قليل، ولا نزر، قليل

فَتَسْتَفْرِغَانِ الدَّمَعَ أَوْ تُذَرِيَانِيهِ عَلَى ذِي النُّهْيِ وَالْبَاعِ وَالنَّائِلِ الْعَمْرِ
أفرغاً دمعكما واسكباه على رجل ذي نهى، عقل، وباع، قوة، ونائل غمر، سخاء غامر كثير

فَمَا لَكُمَا عَنْ ذِي الْيَمِينَيْنِ - فَابْكِيَا عَلَيْهِ مَعَ الْبَاكِيِ الْمُسَلَّبِ - مِنْ صَبْرٍ
ليس لكما يا عيني صبر عن أخي صاحب اليمينين، المتصرف في الشؤون البارع، فابكيا عليه مع
الباكي المسلب، اللابس سواداً

أَلَا نَكِلْتُ أُمَّ الَّذِينَ عَدَوْا بِهِ إِلَى الْقَبْرِ، مَاذَا يَحْمِلُونَ إِلَى الْقَبْرِ؟
نكلتهم أمهم هؤلاء الذي غدوا به، ذهبوا به صباحاً، إلى قبره، أعرفوا ماذا يحملون إلى القبر؟

وَمَاذَا ثَوَى فِي اللَّحْدِ تَحْتَ تُرَابِهِ مِنْ الْخَيْرِ، يَا بُؤْسَ الْحَوَادِثِ وَالْدَهْرِ!
هل عرفوا ماذا ثوى، أقام، في القبر تحت التراب من خير؟ يا لبؤس الزمن!

مِنْ الْحَزْمِ فِي الْعَزَاءِ وَالْجُودِ وَالنَّدَى لَدَى مُلْكِهِ عِنْدَ الْيَسَارَةِ وَالْعُسْرِ
أعرفوا ماذا ثوى في القبر من الحزم في العزاء، في وقت الشدة، والكرم؟ وكان سخياً في وقت
اليسر والعسر

كَأَنَّ لَمْ يَقُلْ أَهْلًا لِطَالِبِ حَاجَةٍ وَكَانَ بَلِيغَ الْوَجْهِ مُنْشِرِحَ الصَّدْرِ
كان أخي لم يرحب بطالب حاجة، ولم يكن بليغ الوجه، مشرق الوجه، منشرح الصدر للأضياف

وَلَمْ يَتَنَوَّزْ نَارَهُ الضَّيْفِ مَوْهِنًا إِلَى عِلْمٍ لَا يَسْتَكِنُ مِنْ السَّفَرِ
وكانه ما رأى ناره الضيف موهناً، ليلاً، وهي فوق علم، جبل، لا يستكن، لا يختبئ من السفر، من
المسافرين. فأخوها كان يرفع ناره عالياً ليراها المسافرين في الصحراء فيأتوا إليه لكي يضيفهم

فَمَنْ يَجْبُرُ الْمَكْسُورَ أَوْ يَضْمَنُ الْقَرَى ضَمَانَكَ أَوْ يَقْرِئِ الضُّيُوفَ كَمَا يَقْرِي؟
من يجبر المكسور، يصلح كسر من جارت عليه الأيام، ومن يضمن طعام الضيف مثلك؟ يقرئ:
يطعم الضيف

وَحَبِيلٍ تَنَادَى لَا هَوَادَةَ بَيْنَهَا دَبَّتْ بِأَطْرَافِ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ
رب خيل يتنادى فرسانها، ولا هوادهة في الأمر فهي خيل مغيرة على القبيلة، ولكنك دببتها، رددتها
بأطراف الرماح الردينية السمر

صَبَحَتْهُمْ بِالْخَيْلِ تَرْدِي كَأَنَّهَا جَرَادُ زَفْتِهِ رِيحُ نَجْدٍ إِلَى الْبَحْرِ
صباحتهم بالخيال تردى، تسرع، كأنها جراد زفته، دفعته، ريح نجد نحو الفرات بحر العراق

فَشَأْنُ الْمَنَايَا إِذَا أَصَابَكَ رَبُّبُهَا لَتَعْدُ عَلَى الْفَتَيَانِ بَعْدَكَ أَوْ تَسْرِي
فلتفعل المنايا ما شاءت بعد أن أصابتك، ولتعد، لتصبح، أو تسري، تأتي مساء على الفتیان، أي
ليمت بعدك من شاء

وَقَائِلَةٌ وَالتَّعَشُّ يُسَبِّقُ خَطْوَهَا لِتُذَرِكَهُ: يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى صَخْرٍ

ورب قائلة والتعش يسبق خطوها وهي تريد اللحاق به: يا لهف نفسي على صخر

١٢ مجنون ليلي

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى وَالسَّنِينَ الْخَوَالِيَا وَأَيَّامَ لَا نَلْقَى عَلَى اللَّهْوِ نَاهِيَا

تذكرت ليلي في السنين الخوالي، الماضية، حين لم يكن ينهانا عن لهونا أحد

فَيَا لَيْلَ كَمْ مِنْ حَاجَةٍ لِي مُهِمَّةٍ إِذَا زَرْتُكُمْ فِي اللَّيْلِ لَمْ أَذِرْ مَا هِيَا

ما أكثر ما كنت أزورك في الليل وبني حاجة ملحة، لكنني لا أدري ما هي

فَمَا أَشْرِفُ الْأَيْفَاقَ إِلَّا صَبَابَةً وَلَا أُنَشِدُ الْأَشْعَارَ إِلَّا تَدَاوِيَا

الآن لا أصعد المرتفعات إلا صباة، هياماً، ولا أنشد الشعر إلا متداوياً به من حرقة الحب

خَلِيلِي لَا وَاللَّهِ لَا أُمْلِكُ الَّذِي قَضَى اللَّهُ فِي لَيْلَى، وَلَا مَا قَضَى لِيَا

قَضَاهَا لِغَيْرِي، وَابْتَلَانِي بِحُبِّهَا فَهَلَّا بِشَيْءٍ غَيْرِ لَيْلَى ابْتِلَانِيَا

وَحَبَّرْتُ مَانِي أَنْ تَيْمَاءَ مَنْزِلٍ لِلَّيْلِ إِذَا مَا الصَّبْفُ أَلْقَى الْمَرَايِيَا

فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت فما للنوى ترمي بليلي المراميَا

وجاء الصيف وراح، ولكن النوى، الفراق يرمي بليلي بعيداً عني

وَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّتَيْتَيْنِ بَعْدَمَا يَظُنَّانِ كُلُّ الظَّنِّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا

قد يجمع الله المتباعدتين بعد أن ظنا اللقاء مستحيلاً

فَإِنْ تَمْنَعُوا لَيْلَى وَتَحْمُوا دِيَارَهَا عَلَيَّ، فَلَنْ تَحْمُوا عَلَيَّ الْقَوَايِيَا

إن منعني أهل ليلي من لقائها ومنعوا ديارها دوني،

فلن يمنعوا عني القصائد أقولها في التشوق لليلي

قصائد مشهورات
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

١	لَأَمِيلُ	٧	فَالْبَطْحَاءُ
٣	مَكْبُولُ	٨	حَلَّتِ
١٠	رَسْمًا	٢	أَوْ نَادُ
٥	وَانْتَظِرَانِي	٦	أَبْلَادَهَا
٩	النَّوْاجِيَا	٤	تَصِيرُ
١٢	نَاهِيَا	١١	نَزَرِ

فهرس القوافي العام

القافية، فرقم القطعة، فالباب الذي تنتمي إليه

أبواب الكتاب: ١ امرؤ القيس، ٢ زهير بن أبي سلمى، ٣ النابغة
الذبياني، ٤ الأعشى، ٥ حسان بن ثابت، ٦ الأخطل، ٧ الفرزدق، ٨ جرير،
٩ عمر بن أبي ربيعة، ١٠ جميل بثينة، ١١ بقية المعلقات، ١٢ المفضليات،
١٣ الأصمعيات، ١٤ الحماسة، ١٥ الوحشيات، ١٦ قصائد مشهورات

الطَّلَبَا ١٣٩ الحماسة	وظباء ٣٨ الأخطل
العَجِيبَا ٢٣ الأخطل	النَّوَاء ٥ بقية المعلقات
المصَابَا ٢ جرير	النِّسَاء ٥٣ حسان
جَالِيَا ٦ الحماسة	الهجاء ٥٩ الأخطل
جَانِبَا ٥٩ ابن أبي ربيعة	انْفِطَوَاء ١٢٦ الحماسة
رَعَبَا ٧٥ الحماسة	بَلَاء ١٣٦ الحماسة
عَذْبَا ٧٣ ابن أبي ربيعة	فالبَطْحَاء ٧ قصائد مشهورات
لقد أَصَابَا ١٥ جرير	كَدَاء ١ حسان
مرحبا ١١٦ الحماسة	نَشَاء ١٣ زهير
مُصَابَا ١٤ جرير	نَجْلَاء ٩ الأصمعيات
نُجْبَا ١٩٧ الحماسة	أَضَاءهَا ١٤ الحماسة
هَرَبَا ٢٢٢ الحماسة	أعدائها ١٨ المفضليات
والرَّيَابَا ٥٥ ابن أبي ربيعة	ورائها ١ الفرزدق
وأَوْصَابَا ٣ الأعشى	أَغْضَبَا ١٠ جرير

وتَذْهَبَا ٥٤ ابن أبي ربيعة

وجربًا ٢ الأعشى

وشابا ٢٨ المفضلين

وشَيِّبًا ١ جرير

وصبًا ٥٥ الأخطل

أَحْرَبُ ٣٧ الحماسة

أَغْضَبُ ٣١ الوحشيات

الحُبُّ ٣ جميل بثينة

الضَّرَابُ ١٠ النابغة الذبياني

النَّبِيُّ ٧ جرير

تَذْهَبُ ٩١ الحماسة

تَلْتَهُبُ ٦٠ الأخطل

جَدِيدُ ٤٩ الوحشيات

خَرِبُ ٢٧ حسان

ذَاهِبُ ٤٣ حسان

رَقِيبُ ١٧٢ الحماسة

هَيُوبُ ٥ الأصمعيان

سِبَابُ ٢ جميل بثينة

عَسِيبُ ١٧ امرؤ القيس

فَالذَّنُوبُ ٦ بقية المعلقات

فَالشُّعْبُ ٦ الأخطل

فُجِيبُ ١٧ الوحشيات

قَرِيبُ ١٨٠ الحماسة

لَغَرِيبُ ١٢ الأصمعيان

مُحَارِبُ ١٨٣ الحماسة

مَحْجُوبُ ٦ جرير

مَشِيبُ ٣٣ المفضلين

والصَّنَابُ ١٧ الفرزدق

وَأَنْصَبُ ٦ النابغة الذبياني

وَمُصِيبُ ٨ جرير

يُجِيبُ ١٦٧ الحماسة

يَرْكَبُوا ٦٦ الحماسة

الأعاجيبُ ٢ الفرزدق

الترابُ ٢٦ الأخطل

الحبيبُ ١ جميل بثينة

الخَرَابُ ٢٠ الوحشيات

الرَّبَابُ ٥٧ ابن أبي ربيعة

الرَّكَائِبُ ١٢٨ الحماسة

السَّرْبُ ١٣ جرير

الطَّيِّبُ ٥٦ ابن أبي ربيعة

العِتَابُ ١٤ الفرزدق

العَوَاقِبُ ٩٨ الحماسة

القُرْبُ ٤ الأخطل

الكواكِبُ ٣ النابغة الذبياني

الكواكِبُ ٥ الفرزدق

المَشْرَبُ ٤ الفرزدق

المُعْدَبُ ٤ امرؤ القيس

بِالعَصَائِبِ ٣ الفرزدق

بِخَضَابِ ٤٦ ابن أبي ربيعة

تُكْذَّبُ ٤ جرير

حَسْبِي ٣٨ الوحشيات

ذاهبُ ١١ الفرزدق

بالتراث أَقَارِبُهُ ٩ الفرزدق	سَاغِبٍ ٨ الأخطل
ثِيَابُهَا ١٠ الفرزدق	ضَبَابٍ ١٢ جرير
جَاذِبُهُ ١٦ الفرزدق	عَذَابِي ٥٨ ابن أبي ربيعة
جَانِبُهُ ٣١ الحماسة	غَالِبٍ ١٣ الفرزدق
جَوَابُهَا ١٢ الفرزدق	غُرَابٍ ١٦ حسان
حَبِيبُهَا ١٧١ الحماسة	فَانْعَبٍ ٣ جرير
رَقِيبُهَا ١ جميل بثينة	قَلْبِي ٢٢١ الحماسة
رَكَائِبُهُ ٣٩ الحماسة	لِلسَّبَابِ ٥ جرير
غَارِبُهُ ١٨٤ الحماسة	لِلسَّبَابِ ٦٨ الحماسة
غَضَائِبُهَا ١٠١ الفرزدق	لِيلِي وَغَالِبٍ ١٥ الفرزدق
كَلَابُهَا ١١ جرير	مَرْقَبٍ ١ جميل بثينة
كَوَاكِبُهُ ٢٠٥ الحماسة	مَرْكَبٍ ٤١ الحماسة
مَضَارِبُهُ ٣٢ الأخطل	مَطْلُوبٍ ١٩ النابغة الذبياني
مُنِيبُهَا ٧ الفرزدق	مُنِيبٍ ٢٦ حسان
نَصِيبُهَا ١ جميل بثينة	وَالصَّنَابِ ٩ جرير
وَتَجَانِبُهُ ٨ الفرزدق	وَالْمُتَطَبِّبِ ١٥ الوحشيات
أَطْرَافُهَا ٦ الأعشى	وَبِالشَّرَابِ ١١ امرؤ القيس
عَذَابُهَا ٤ الأعشى	وَبِالشَّرَابِ ١٦ زهير
اُنْتَشَبْتُ ٦٠ الحماسة	وَشِيبٍ ٨ حسان
اِسْتَظَلَّتْ ١٩ الفرزدق	بِاللَّعِبِ ٤٧ ابن أبي ربيعة
الرَّائِغَمَاتِ ١٦ جرير	حَسْبُ ٤٠ حسان
الغَايَاتِ ١ جميل بثينة	وَشَرِبْتُ ١٨ النابغة الذبياني
تَعَلَّتْ ١٨ جرير	أَصْحَابُهُ ٥٣ ابن أبي ربيعة
تَوَلَّتْ ٦ المفضليات	اِغْتِيَابُهُ ٥ الأعشى
ثَابِتٍ ٥٤ حسان	أَقَارِبُهُ ١٣ الوحشيات
جَلَّتْ ٢٠٢ الحماسة	أَقَارِبُهُ ٦ الفرزدق

حَلَّتِ ٨ قصائد مشهورات
 عَرَافَاتِ ٤٨ ابن أبي ربيعة
 فَاسْبَطَرَتْ ١٢ الحماسة
 مَذِيبَاتِ ١٧ جرير
 مُعْتَكِرَاتِ ٧ امرؤ القيس
 وَصَلَّتِ ١٨ الفرزدق
 وَقَلَّتِ ٨ الأعشى
 وَحَيَاتُهَا ٧ الأعشى
 حَرَجًا ٦٩ ابن أبي ربيعة
 فَلَجًا ١٣١ الحماسة
 أَخْجَجَ ٧٤ ابن أبي ربيعة
 الْأَدْعَجَ ٧٥ ابن أبي ربيعة
 الْمَنِيَّةَ نَاجٍ ١٩ جرير
 أَفْضَحَ ٤ جميل بثينة
 أَنْجَحَ ١ جميل بثينة
 سَالِحٌ ٤٦ الوحشيات
 فَاسْتَرَأَوْا ٥٥ الحماسة
 مَادِحٌ ٨٦ الحماسة
 مَاسِخٌ ٣٣ الوحشيات
 وَصَفَائِحُ ١٥٧ الحماسة
 يُرَاحُ ١٥٨ الحماسة
 يَسْبَحُ ٥١ الأخطل
 الْأَبَاطِحُ ١٥٦ الحماسة
 الْأَضَاحِي ٢١ الأخطل
 الْجَرَاحُ ٩٥ الحماسة
 الْجَوَانِحُ ١٥٠ الحماسة

الرَّيِّحُ ٨ الوحشيات
 الصَّفَائِحُ ٢٠ الفرزدق
 بِالرَّوَّاحِ ٢٠ جرير
 بِالْفَوَادِحِ ٦ جميل بثينة
 قُرُوحِ ١٨٢ الحماسة
 مَطْرَحِ ٥٢ الحماسة
 صَحِيحُهَا ٥ جميل بثينة
 الْبُرْدَا ٢٤ جرير
 زَنَادَا ٢٥ جرير
 الْمُسَهَّدَا ٩ الأعشى
 بُرْدَا ١٣ الحماسة
 جَلَمَدَا ٧٦ ابن أبي ربيعة
 جَهْدَا ٣٥ ابن أبي ربيعة
 جَوَادَا ١٨ امرؤ القيس
 حَمَدَا ١٣٢ الحماسة
 خَالِدَا ٢٤ الفرزدق
 عِيدَا ٣٢ ابن أبي ربيعة
 غَدَا ٢٩ جرير
 غَدَا ٤٩ ابن أبي ربيعة
 قَصْدَا ١٦٣ الحماسة
 مَسْعُودَا ١٥ المفضليات
 وَاعْتِمَادَا ٢٢ جرير
 وَغُهُودَا ١ جميل بثينة
 وَلَدَا ٢٨ الحماسة
 يَتَبَدَّدَا ١٢ الأخطل
 الْأَشَدَّا ٣٦ حسان

يَعُودُ ٨ جميل بثينة	أَشْهَدُ ٤٩ حسان
الْأَبْدُ ١ النابغة الذبياني	الْبَعِيدُ ٤٥ الأخطل
الْأَزْمِدُ ٢٤ حسان	الْحَدِيدُ ٣٦ الحماسة
الْأَقْنَادُ ٢٧ الحماسة	الْعَبِيدُ ٤٦ الأخطل
الْبَلَدُ ١٣ حسان	الْعَوَاذُ ٣٠ الحماسة
الْجَعْدُ ٧٢ الحماسة	النَّشِيدُ ٣٠ جرير
الْغَمْدُ ٢٨ الفرزدق	أَوْتَادُ ٢ قصائد مشهورات
الْمُنَادِي ٤٦ حسان	بَرْدُ ١٦٨ الحماسة
الْمَهْدُ ١١ جميل بثينة	تَزِيدُ ٨٩ الحماسة
الْهَادِي ٢٣ حسان	حَامِدُ ١٣٨ الحماسة
الْيَدُ ١ بقية المعلقات	حُسِدُوا ٤٦ الحماسة
يُبْعَادُ ٢٥ الفرزدق	خَالِدُ ٥٧ حسان
يُمَخِّلِدُ ٢ زهير	سَعِيدُ ٢٦ جرير
تُرْدُ ٢١ الحماسة	عِنْدِي يَدَا ٣١ جرير
تُوسُ ٧ ابن أبي ربيعة	فَاخْتَلَدُوا ٢٧ الأخطل
جِيَادُ ١٨ الأخطل	قَعَدُوا ٣ زهير
رُشْدِي ١٠ جميل بثينة	لَجْمُودُ ٨١ الحماسة
رَغْدِيدُ ٣٥ حسان	لَسَعِيدُ ٥٢ حسان
زِيَادُ ١٩٦ الحماسة	مُحَمَّدُ ٥٧ الأخطل
سَعْدُ ٥٦ الحماسة	مَوْجُودُ ٢٠ الأخطل
شَاهِدُ ٢٢ الفرزدق	هُجُودُ ١٧ المفضليات
شُهُدِي ٨٢ الحماسة	وَاقْتَصِدُوا ٧ جميل بثينة
صَادُ ١٠ الأعشى	وَالْأَبْدُ ٩٠ الحماسة
عَدُ ١١٤ الحماسة	وَتَهَمَدُ ٥٦ حسان
غَمْدُ ٢٣ المفضليات	وَجَلِيدُ ١٢١ الحماسة
لَحْدِي ٣٤ ابن أبي ربيعة	وَنَسُودُ ٢٧ المفضليات

مُزَبِّد ١٥ الحماسة	ويقودُها ٢٨ جرير
مُزَوِّد ٧ النابغة الذبياني	يقودُها ٢٦ الفرزدق
مُعَبِّد ٢٧ الفرزدق	عَاذِها ١١ الأعشى
مُعْتَادِي ٢٧ جرير	الأُزْرَا ١٨٩ الحماسة
مِنْ أَحَدِ ١٢ حسان	الدَّمَارَا ٤٧ الفرزدق
مُهْتَدِ ٢٨ حسان	انْحِدَارَا ١٥ الأعشى
مُوقِدِ ٢٠ النابغة الذبياني	تَحَدَّرَا ٣٢ الفرزدق
هَادِ ٤٣ الوحشيات	سِرًّا ٧٩ ابن أبي ربيعة
هِنْدِ ٥٠ ابن أبي ربيعة	صَابِرَا ١٩ امرؤ القيس
والأولادِ ١٦ المفضليات	ضِرَارَا ٧ ابن أبي ربيعة
وَجِدِ ١٥٥ الحماسة	ظُهُورَا ٧٨ ابن أبي ربيعة
وَحْدِي ٢١٣ الحماسة	فَاسْتَدَارَا ٤٢ جرير
وَعُوَادِي ٢٣ جرير	قُبُورَا ٤٤ جرير
ولا يَدِي ٧ حسان	مَارَا ٦ ابن أبي ربيعة
وَمِجْسَدِ ٢١ الفرزدق	مَفْخَرَا ٣٦ جرير
وَيَعْتَدِي ٥٥ حسان	مُنْكَرَا ١٠ ابن أبي ربيعة
يُعْدِي ٢١٢ الحماسة	واعتَمَرَا جرير ٤٧
يُولَدِ ٢١ جرير	والمَطَرَا ٣٩ الفرزدق
يُولَدِ ٢١٩ الحماسة	وَشَيَّرَا ٥ امرؤ القيس
تَجِدُ ٣٣ ابن أبي ربيعة	وظَاهِرَا ٥ النابغة الذبياني
أَبْلَادُهَا ٦ قصائد مشهورات	وَقَرَا ١٢٠ الحماسة
أَعُوَادُهَا ٤ حسان	أَتَسَرَّ ١٨١ الحماسة
أُرِيدُهَا ٩ جميل بثينة	أَخْذُرُ ٨٢ ابن أبي ربيعة
أولادُها ٢٢ الوحشيات	أَكْثَرُ ٥ زهير
جدودُها ٢٣ الفرزدق	الْأَقْدَارُ ١٣ جميل بثينة
شَرُودُهَا ١٩٢ الحماسة	الْأَمْرُ ١٤٢ الحماسة

عُمَرُ ٤٣ جرير	البَعْرُ ٥٠ حسان
عُقُورُ ١١ الأخطل	الحَذَرُ ١١٠ الحماسة
غَيْرُ ١٣ الأخطل	الحَذَرُ ٣٥ جرير
قَمَهَجَرُ ١ ابن أبي ربيعة	الحَوَاسِرُ ٣٥ الفرزدق
كَثِيرُ ١ جميل بثينة	السَّهْرُ ١٦٩ الحماسة
كُفَّارُ ٦٤ حسان	الشَّجَرُ ١٠١ الحماسة
مَأْجُورُ ١٠٢ الحماسة	الشَّعْرُ ٨٣ ابن أبي ربيعة
مُبْتَدِرُ ٣ ابن أبي ربيعة	الصَّبْرُ ٩٢ الحماسة
مُبْتَدِرُ ٣٧ جرير	الْفِرَارُ ١٤ الأعشى
مَزِيرُ ١٢٣ الحماسة	المَصَادِرُ ١٢٢ الحماسة
مُضَرُّ ١٠٩ الحماسة	المَطَرُ ٤٢ الفرزدق
مُضَرُّ ٣١ الفرزدق	المَنَاظِرُ ١٤٤ الحماسة
مِضْمَارُ ٤٢ حسان	النَّاظِرُ ٥٨ حسان
نَاظِرُ ٥٤ الأخطل	النَّسْرُ ٢٦ الوحشيات
نُثِرُوا ٦٥ حسان	أَنْظَرُ ١٧٣ الحماسة
نَصَرُوا ٢٢ حسان	بَعِيرُ ٣ الوحشيات
نَوَارُ ٤٣ الفرزدق	نَصِيرُ ٤ قصائد مشهورات
نُورُ ٥٩ حسان	نَقِيرُ ٤٥ جرير
هَدِيرُ ٢٢ الأخطل	تَنْبِيرُ ٢ ابن أبي ربيعة
هَوَادِرُ ٣٣ الفرزدق	تَنْظَرُ ١ جميل بثينة
والغَيْرُ ٤ الأصمعيات	حَائِرُ ١٢ جميل بثينة
والفَخْرُ ٣٨ جرير	حَائِرُ ١٤٦ الحماسة
والقَطْرُ ٤١ جرير	خَبَرُ ١٤ جميل بثينة
والمُهَاجِرُ ٦١ الحماسة	خَطَرُ ٦٠ حسان
وَتَرُ ٣٠ الأخطل	عَذَرُوا ٤ ابن أبي ربيعة
وَحَوَافِرُ ١٨٦ الحماسة	عليك نَوَارُ ٥٠ الفرزدق

العَصافير ١٧ حسان	وَقَرَا ٣٠ الفرزدق
القِصَارِ ٤٦ الفرزدق	وَكَسِيرُ ١٦ جميل بثينة
القِصَارِ ٥٣ الأخطل	وَمَحْجَرُ ١٥ جميل بثينة
القصر ٣٣ الأخطل	يُزَارُ ٣٣ جرير
الْكُفْرِ ٥١ حسان	يَسِيرُ ١٧ جميل بثينة
المطر ٤٠ جرير	يَسِيرُ ١٧٠ الحماسة
الْمِنْبِرِ ١٨٨ الحماسة	يُتَنَظَّرُ ٢٩ الفرزدق
النَّوَاضِرِ ٨٠ ابن أبي ربيعة	آخِرِ ٤٢ الوحشيات
أَمِيرِ ٢٢ جميل بثينة	أَظْفَارِي ١٣ الأعشى
إِنْكَارِ ٤٩ جرير	الأَحْمَرِ ٢٠ جميل بثينة
أَيْسَارِ ٢٠٤ الحماسة	الأشعار ٤٤ الفرزدق
بِصَائِرِ ٣٤ الوحشيات	الْأَمْصَارِ ٣٠ حسان
بِتَارِي ٥١ جرير	الْأَنْصَارِ ٥٢ الأخطل
تَحُورِي ١٠ الأصمعيات	وَالدَّارِ ١٩٠ الحماسة
تَحُورِي ٥٨ الحماسة	البَوَاتِرِ ٣٧ حسان
تَدْرِي ٦٥ الحماسة	الْحَنَاجِرِ ٨ النابغة الذبياني
تَضْيِيرُ ٢٤ الحماسة	الْحَضَرِ ٧٢ ابن أبي ربيعة
جَعْفَرِ ٢٩ المفضلّيات	الدَّهْرِ ١٧ الأخطل
جَبَّارِ ٤٥ الفرزدق	الدَّهْرِ ١٩ جميل بثينة
حَاجِرِ ١٦ الأعشى	الدَّهْرِ ٣٤ جرير
خُبْرِ ٩ ابن أبي ربيعة	السُّمْرِ ٨٨ الحماسة
دَهْرِ ٤ زهير	الشَّرَرِ ٣١ الأخطل
زُورِ ٣٢ جرير	الصَّبْرِ ٨٣ الحماسة
شَطْرِي ١١٢ الحماسة	الصَّخْرِ ٢٩ الوحشيات
الدَّارِ ١٩١ الحماسة	الظَّهْرِ ١٦ الوحشيات
صَبْرِ ١٨ جميل بثينة	الْعُرَاعِرِ ١٤ النابغة الذبياني

المُدَّخَرُ ٥٩ الحماسة	صبرِ ٣٦ الفرزدق
جَهْرُ ٢٠١ الحماسة	صُدْرِي ٢١ حسان
كَبَرُ ٤ المفضليات	عَامِرِ ٥٤ الحماسة
مُضَرُّ ٢١ الوحشيات	عُمَرِي ٣٢ الوحشيات
جَائِزَةُ ١٢ النابغة الذبياني	فَاسْتَبَرِ ٨١ ابن أبي ربيعة
جَبَّارَهَا ٥٠ جرير	فَاسْهَرِي ٤٩ الحماسة
حَدَرَكَ ٧٠ ابن أبي ربيعة	فَالضَّمَارِ ١٤٥ الحماسة
عَامِرَةُ ٤٨ الوحشيات	قِصَارِ ٤٨ الفرزدق
أَسْتَبَرُهَا ١١٧ الحماسة	كَرَاكِرِ ٦٢ حسان
أَسِيرُهَا ١٢ الأعشى	لِلْعَاثِرِ ٤ جرير
أَوَاصِرُهُ ٦٤ الحماسة	مُجِيرِي ٣٧ الفرزدق
تُغَوِّرُهَا ٣٨ الفرزدق	مَزَارِ ٦ زهير
زَائِرُهُ ٤٠ الفرزدق	مِنْهَارِ ١٤ الأخطل
عَاصِرُهُ ٤١ الفرزدق	مُمْطِرِ ٦٣ حسان
مَشَافِرُهُ ٣٤ الفرزدق	نَزَرِ ١١ قصائد مشهورات
نُحُورُهَا ٤٩ الفرزدق	هُبْجَرِ ٦١ حسان
نُشُورُهَا ٣٩ جرير	وَالْحَجَرِ ٨ ابن أبي ربيعة
يَضْرُهُ ٢١ النابغة الذبياني	وَالصَبْرِ ١٧٧ الحماسة
زُؤَارِهَا ٤٦ جرير	رَغْدَا ١٧٨ الحماسة
وَأَوْتَارِهَا ٥١ الفرزدق	وَالْعَارِ ٣٤ الأخطل
فَأُنْكَسَا ١٢ امرؤ القيس	وَسِوَارِ ٥ ابن أبي ربيعة
مُضَرَّسَا ٥٣ جرير	وَعَامِرِ ١ الأخطل
الْمَجْلِسُ ٩٩ الحماسة	يُقْبَرِ ١٨ الوحشيات
رَامِسُ ٥١ ابن أبي ربيعة	يُقْدَرِ ٢١ جميل بثينة
عَبُوسِ ١١ الحماسة	أَفَرِ ٢ امرؤ القيس
مَأْنُوسِ ٥٢ جرير	السَّجَرِ ١١ ابن أبي ربيعة

نَفْسِي ٧١ ابن أبي ربيعة

مَنْكُصٌ ١٧ الأعشى

الحريص ٥٢ الفرزدق

مِرَاضُ ٥٣ الفرزدق

البياض ٥٤ الفرزدق

بعض ٧٧ الحماسة

بيض ٤٤ الوحشيات

خَفُضِ ٣٥ الحماسة

قُرْضِي ١٢٧ الحماسة

أَقْرَعَا ٢١٦ الحماسة

القنعا ٢٠٣ الحماسة

امْتَنَعَا ١٠٥ الحماسة

بَلَقَعَا ١٢ ابن أبي ربيعة

تَقَطَّعَا ٥٨ الفرزدق

جَزَعَا ٢٨ الوحشيات

فَأَوْجَعَا ٢٠ المفضليات

قَطَّعَا ١٣٥ الحماسة

لَنَا مَعَا ٤٧ الأخطل

مُرَوْعَا ٨٧ الحماسة

مَعَا ١٤١ الحماسة

مُقَرَّرَعَا ٥٤ جرير

وَالْوَجَعَا ١٨ الأعشى

إِصْبُعُ ٨٥ الحماسة

البراقع ٦٠ جرير

الدُّمُوعُ ١٥ ابن أبي ربيعة

الدَّوَافِعُ ٢ النابغة الذبياني

الرَّتَّاعَا ٥٩ جرير

الطَّمَعُ ٢٤ جميل بثينة

المُدَّرَعُ ٥٦ الفرزدق

تُبَاعُ ٢٢ الحماسة

تَتَبُعُ ٣٤ حسان

تَجَزَعُ ٥٥ جرير

تَذْمَعُ ١٦٢ الحماسة

تَسْتَطِيعُ ١١ الأصمعيات

تَسْمَعُ ٩٣ الحماسة

تَشْبَعُ ٥٦ جرير

جُمِعُ ٥٧ جرير

رَاتِعُ ٥٥ الفرزدق

مُتَرَعُ ٧٩ الحماسة

مُسْتَمْتَعُ ٩ المفضليات

مَهْيَعُ ١٣ ابن أبي ربيعة

دَعَا ١٤ ابن أبي ربيعة

وَالْأَقَارُعُ ٥٧ الفرزدق

وَتَنَزَعُ ٢٣ جميل بثينة

وَلَا وَرَعُ ١٠ الأخطل

يَجَزَعُ ٣٦ المفضليات

يَنْفَعُ ٧١ الحماسة

تُرَاعِي ٧ الحماسة

الْحُرْعُ ٤٧ حسان

الهَوَاجِ ٥٨ جرير

وَبِالْجَامِعِ ١٤ حسان

اتَّسَعُ ١٣ المفضليات

تَنْطِقُ ٦٥ ابن أبي ربيعة	جَمَاعُهَا ١١٥ الحماسة
خُرُقُ ٢١٨ الحماسة	زَعَارِعُهُ ١١ حسان
خَفُوقُ ٦٦ جرير	الْتَلَفَا ١٧٩ الحماسة
سَرُوقُ ٢١١ الحماسة	المُضَعَّفُ ٢٦ جميل بثينة
مَعَشَقُ ٢٠ الأعشى	المَلَا حِفُّ ٦٧ ابن أبي ربيعة
مُوثِقُ ٤ الحماسة	تعرِفُ ٦٠ الفرزدق
مُوقِقُ ١٠٣ الحماسة	تَنَاصِفُ ٢٥ جميل بثينة
وَأَسْوَقُ ٢٧ جميل بثينة	تَنَائِفُ ٦١ جرير
وَأَمِقُ ٤٢ جميل بثينة	فَيُنْصَرِفُوا ١٩ الأعشى
وَرَقُ ٦٤ ابن أبي ربيعة	لَعَيُوفُ ١ جميل بثينة
وَنُشْفِقُ ٦١ ابن أبي ربيعة	وَطَفُ ٦٢ جرير
يَا زَيْقُ ٦٤ جرير	الضُّعَافُ ١٠ الوحشيات
يَشُوقُ ٧ المفضليات	أَلِفُ ٤٧ الوحشيات
أَخْلَاقُ ٢٤ المفضليات	خَائِفُ ٥٩ الفرزدق
الأخلاقُ ٦٣ جرير	عَنِيْفُ ١٩ الوحشيات
الْتَلَا قِي ٦٦ ابن أبي ربيعة	شَفَاهَا ٦٨ ابن أبي ربيعة
الشُّقَاقُ ٥ الأخطل	الْفَرَزْدَقَا ٦٢ الفرزدق
العُنُقُ ٢٥ الوحشيات	حُمُقَا ٤١ حسان
الفِرَاقُ ٢٨ جميل بثينة	خُلُوقَا ٦٣ ابن أبي ربيعة
الفرزدقُ ٦٦ الفرزدق	سُرَاقَا ٦٥ جرير
الفرزدقُ ٦٧ جرير	طَرِيقَا ٦٢ ابن أبي ربيعة
المُحَنَّقُ ٦١ الفرزدق	عَلِقَا ٧ زهير
المَذَاقُ ١٦٤ الحماسة	عَلِقَا ٢٢ الأعشى
أَمَرَّقِي ٧ الأصمعيات	أَفَاقُوا ٢٣ الأعشى
بالخِلَاقِ ٦٥ الفرزدق	الخُلُقُ ٧٠ الحماسة
بِالْعَلَقِ ١٣٠ الحماسة	تَسْتَقِي ١٤٨ الحماسة

تَضُدِّقِ ٦٣ الفرزدق

صَدِيقِ ٦٠ ابن أبي ربيعة

لاقي ١ المفضليات

مَزْفُوقِ ٢٢٣ الحماسة

مَفَارِقِي ٦٤ الفرزدق

فَوْقَهَا لَهَا ٢٥ الأعشى

وَطَارِقَةُ ٢١ الأعشى

الْمَسَالِكَا ٢٤ الأعشى

الْمَعِكُ ٨ زهير

السَّوَابِكِ ٨٠ الحماسة

فَهْلَكَ ٩٦ الحماسة

الجبالا ٦٨ جرير

السُّبُلَا ٢٠٦ الحماسة

النَّسْرَيْنِ زَالَا ٧٠ الفرزدق

أَهْلَا ٧١ جرير

بَاطِلَا ١٤ امرؤ القيس

بَخِيلَا ٤١ الوحشيات

بِمَا فَعَلَا ٢٥ حسان

ثَقِيلَا ٢ المفضليات

جَهْلَا ٤٣ ابن أبي ربيعة

جِبَالَا ٧ الأخطل

رِحَالَا ٢٥ الأخطل

طَوِيلَا ٣١ المفضليات

طَوِيلَا ٤١ ابن أبي ربيعة

طَوِيلَا ٤٥ ابن أبي ربيعة

طَوِيلَا ٧٣ الحماسة

عَذَلَا ٢٨ الأخطل

فَتِيلَا ١٣ التابعة الذبياني

فَعَلَا ٤٢ ابن أبي ربيعة

مَهَلَا ٢٩ الأعشى

هَدِيلَا ٨١ جرير

وَأَشْتَعَلَا ١٩ الأخطل

وَالْأَشْعَالَا ٤٤ ابن أبي ربيعة

وَأَوَّلَا ٣٥ المفضليات

وَنَكَالَا ٨٠ جرير

يَتَحَوَّلَا ٣٩ حسان

يُزْسِلَا ٤٠ ابن أبي ربيعة

أَجْمَلُ ٣٠ جميل بثينة

أَعَزُّ وَأَطْوَلُ ٧٥ الفرزدق

الْأَوْعَاثُ ٣٩ الأخطل

الْبُخْلُ ١ جميل بثينة

الرَّجُلُ ١ الأعشى

الرَّحِيلُ ٧٥ جرير

الصِّيَاقِلُ ٣ الحماسة

العُقْلُ ١٥٢ الحماسة

الْمَرَاجِيلُ ٨ المفضليات

أَوَّلُ ١١٨ الحماسة

تَحْوِيلُ ٧٠ جرير

جَزُلُ ١٩٨ الحماسة

جَمِيلُ ٩ الحماسة

خَذَلُوا ٦٦ حسان

دُحُولُ ١٦ الأخطل

الخوالي ٦٩ الحماسة	عَادِلُ ٥ المفضليات
الرحيل ٣٨ ابن أبي ربيعة	فَتَبِيلُ ١٦٥ الحماسة
العادل ٦٩ جرير	قَتُولُ ٤٢ الأخطل
العُدْلُ ٧٩ جرير	قليل ٨٤ جرير
العالي ٦٩ الفرزدق	لَأَمْبِلُ ١ قصائد مشهورات
العوافل ٣٢ حسان	لَجْهَوُ ١٩٩ الحماسة
القُيُولُ ٧٧ جرير	مُعْدَلُ ٢ الأخطل
المكْبَلُ ٢٦ الأعشى	مُعَوُّ ٢٩ الحماسة
المَنَاهِلُ ١٠ امرؤ القيس	مَقْتُولُ ٣ الأخطل
النُّجَلُ ٣٧ ابن أبي ربيعة	مَكْبُولُ ٣ قصائد مشهورات
النُّحُولُ ٣٤ جميل بثينة	تَنَكُّلُ ٢٢٠ الحماسة
أَهْلِي ٢١٠ الحماسة	والفعل ١٠ زهير
بالرجال ٧٣ جرير	وَتَنَهَلُ ٧٤ الحماسة
بِجَهْوِلُ ٣ الأصمعيات	وَصُولُ ١٣٣ الحماسة
بِخَيَالِ ٥٨ الأخطل	يُظَلُّ ٨٤ الحماسة
بِرَجَالِ ٨٣ جرير	يُعْدَلُ ٤٤ حسان
تَسْأَلِي ١٤ الوحشيات	يُقَاتِلُ ٧٨ جرير
حُلَاكِ ٧٢ الفرزدق	أَشْبَالِي ٧٤ جرير
حِيَالِ ٢ الأصمعيات	الأَجَاوِلُ ١١ النابغة الذبياني
سْوَالي ٢٨ الأعشى	الأَوَّلُ ٥ حسان
صِقَالِ ١٧ الحماسة	البَابِلُ ١٣ امرؤ القيس
طَائِلِ ٢٦ الحماسة	البُخْلِ ٣٢ جميل بثينة
عُظْبُولُ ٨٤ ابن أبي ربيعة	النَّقَالِي ٩ زهير
عَقِيلُ ١٠٧ الحماسة	الجبلي ٥ الوحشيات
فاغْجَلِ ٣٠ المفضليات	الحَوَالِي ٧٣ الفرزدق
فاعل ٦٨ الفرزدق	الخَالِي ٣ امرؤ القيس

فَحَوْمَلِ ١ امرؤ القيس

قَتْلِي ١٤٩ الحماسة

قَتْلِي ٣١ جميل بثينة

قَتْلِي ٣٦ ابن أبي ربيعة

قَتْلِي ٤٢ الحماسة

قَتْلِي ٨٢ جرير

قُفُولِ ٣٥ جميل بثينة

لِلْجَهْلِ ٧٤ الفرزدق

لِيَالِ ٧٦ الفرزدق

مَالِ ١٥ النابغة الذبياني

مَالِي ١٣٤ الحماسة

مَحَلِ ٣٨ الحماسة

مُقْبِلِ ٤٠ الوحشيات

هَاطِلِ ١٥ حسان

هَيْكَلِ ٥ الحماسة

وَاصِلِ ٣٣ جميل بثينة

وَائْتِهَالِ ٣٩ ابن أبي ربيعة

وَبَلِ ٤٥ الوحشيات

وَحَالِي ٢٤ الأخطل

وَمِيكَالِ ٧٢ جرير

الْجَبَلِ ٢٠ امرؤ القيس

الْوَهْلِ ٦٧ الحماسة

دُوْلِ ٣ حسان

وَالْحُلَلِ ٢١ امرؤ القيس

بَدَا لَهَا ٢٧ الأعشى

بُقَيْلَةُ ٢٧ الوحشيات

جَمَالُهَا ١٧٦ الحماسة

حُمُولُهَا ٣٧ الأخطل

خُذَّالُهَا ٤٥ الحماسة

فَحَلَّهَا ٢٩ جميل بثينة

فَهَلَّكَ ٩٦ الحماسة

لِحِلَالِهَا ٥٦ الأخطل

نُزُولُهَا ٤٨ حسان

هَوَىٰ لَهَا ١٤٣ الحماسة

وَأَجْبَالَهَا ٦٢ الحماسة

أَقْلَهُ ٣٠ الوحشيات

بَازِلُهُ ٧١ الفرزدق

بَلَابِلُهُ ٤٣ جميل بثينة

شُعُولُهَا ٣٦ الأخطل

ظِلَالُهَا ٨٦ جرير

قَابِلُهُ ١٢٤ الحماسة

مَحَايِلُهُ ٨٥ جرير

هَوَامِلُهُ ١٢ زهير

وَأَبَا جِلُّهُ ٩٧ الحماسة

وُتْقَاتِلُهُ ٢١٤ الحماسة

وَحَبَائِلُهُ ٧٧ الفرزدق

وَرَوَاجِلُهُ ١١ زهير

وَمَبَاخِلُهُ ٧٦ جرير

يَسْتَبِيلُهَا ٦٧ الفرزدق

يُعَادِلُهُ ٩ الأخطل

جَلَلَهُ ٣٦ جميل بثينة

أَتَقَدَّمَا ١٦ الحماسة

يُقِيمَا ١٢ المفضليات	الهُمَا ٤ النابغة الذبياني
أَسَحَمُ ١٥٣ الحماسة	أَمَّا ٨٥ ابن أبي ربيعة
الْإِغْدَامُ ١٣ الأصمعيات	تَصَرَّمَا ١٨ ابن أبي ربيعة
التَّلَوُّمُ ٧٦ الحماسة	حَكَمَا ٣٣ الأعشى
الْجِمَاجِمَا ٢٥ المفضليات	حَمَامًا ٩٠ جرير
الْحَكِيمُ ١٣٧ الحماسة	دِرْهَمًا ٢٠٧ الحماسة
السلامُ ٩٩ جرير	ذَامَا ٣٢ الأعشى
الكرِيمُ ١٥ زهير	رَسَمًا ١٠ قصائد مشهورات
المِظَالُ ٢ الوحشيات	سُجُومًا ٢٤ ابن أبي ربيعة
النجومُ ٢ حسان	سَلَّمَا ١٠٠ الحماسة
الهُمَامُ ٩ النابغة الذبياني	سَلَّمَا ٤١ الأخطل
أَلْوَمُ ١٩ ابن أبي ربيعة	عِصَامًا ٢٢ النابغة الذبياني
تَعَلَّمُ ١٢٩ الحماسة	عَمَامًا ٥٠ الأخطل
جُثُومُ ١٧٥ الحماسة	فَتَصَرَّمَا ٣١ الأعشى
دَارِمُ ٩٠ الفرزدق	كَرِيمًا ٣٩ الوحشيات
سِجَامُ ٩٣ جرير	مُسَلَّمًا ٦ حسان
سَقَمُ ٩٢ جرير	مُظْلِمًا ٤٤ الحماسة
طَعَامُ ٢٣ النابغة الذبياني	مَظْلُومًا ٢٠٨ الحماسة
عَارِمُ ١٧ ابن أبي ربيعة	مُغْظَمًا ٢٦ المفضليات
لَا يَرِيْمُ ٥٠ الحماسة	مُفْعَمًا ٢٣ الحماسة
لَعْظِيمُ ١٦١ الحماسة	مُقَسَّمًا ٥٢ الوحشيات
لَنَائِمُ ١٥٤ الحماسة	وَسَلَّمَا ٥٠ الوحشيات
مُقَدَّمُ ١٧٤ الحماسة	وَسَمًا ١٠٦ الحماسة
مَذْمُومُ ٨٤ الفرزدق	يَتَرَحَّمَا ٧٨ الحماسة
مَعْلُومُ ٣٤ المفضليات	يَتَكَّرَمَا ١٤ الأصمعيات
نُعْمُ ٢٣ ابن أبي ربيعة	يَتَكَلَّمَا ١٠٠ جرير

تَسْلِيمِ ٨٧ جرير	هَرْمُ ١٤ زهير
تَمَامِي ٨١ الفرزدق	وَالْحَرَمُ ٧٨ الفرزدق
تُنْمِي ٨٨ جرير	وَمُنِيمُ ٢٠٠ الحماسة
تَوْهَمِ ٤ بقية المعلقات	يَتَكَلَّمُ ٢١ ابن أبي ربيعة
دِرْهَمِ ١٤ المفضليات	يَرِيْمُ ١٩٣ الحماسة
دِرْهَمِ ٤٨ الأخطل	الإسلام ١٠ حسان
دَمِي ٨٥ الفرزدق	الأقدام ٩٥ جرير
المَخَارِمِ ٨٢ الفرزدق	الأقوام ١٠٢ جرير
سَقِيمِ ٢٠ ابن أبي ربيعة	التَّمَائِمِ ٩٤ الفرزدق
سَهْمِي ٢٠ الحماسة	الحُلُومِ ٩٦ جرير
شَمَامِ ١٦ امرؤ القيس	الظُّلَمِ ٣٤ الحماسة
عَالِمِ ٩٦ الفرزدق	العظائِمِ ٨٩ الفرزدق
عَرِيمِ ٩٧ جرير	العَظْمِ ٩٢ الفرزدق
عُلامِ ١٩٤ الحماسة	الغَرَامِ ٣٢ المفضليات
قَالَمُتَّكَلِمِ ١ زهير	القَاسِمِ ٣٥ الوحشيات
فَرُوجِ المَخَارِمِ ٧٩ الفرزدق	القَطْمِ ٤٣ الأخطل
كَالعَلَقَمِ ٢٢ ابن أبي ربيعة	الكَوَالِمِ ٩٥ الفرزدق
كَرِيمِ ٢٤ الوحشيات	المُتَهَضِّمِ ١٩ حسان
لِحِمَامِ ١٠ الحماسة	المَقْدَمِ ٩٤ جرير
لِلْعَظَائِمِ ٨٨ الفرزدق	أَمَامِي ٩٣ الفرزدق
مُخَاصِمِ ٩١ الفرزدق	بِالدَّمِ ٦٣ الحماسة
نَائِمِ ١٠٤ جرير	بِالسَّلَامِ ٨٩ جرير
وَالجَحِيمِ ٨٣ الفرزدق	بِاللِّجَامِ ١٠٥ جرير
وَالْقَمِ ٤٠ الأخطل	بِسُلْمِ ٣٠ الأعشى
وَالْقَمِ ٨٦ ابن أبي ربيعة	بِنَائِمِ ١٠٣ جرير
وَرَاغِمِ ٣٣ حسان	تَتَكَلَّمِ ١٦ ابن أبي ربيعة

وهَيْثِمُ ١٨ الحماسة

يُكَلِّمُ ٩١ جرير

الزَّمَامُ ٢٠ حسان

الظَّلْمُ ٩ حسان

تَلْتَظِطُ ٣٤ الأعشى

كَلَّمَ ١٩ المفضليات

نَعَمُ ٢٢ المفضليات

والْقَسَمُ ٦ الوحشيات

جَمَامَةُ ١٠٨ الحماسة

أَضْيَمُهَا ٢١٥ الحماسة

اقتسامُها ٨٦ الفرزدق

أُمُّهُ ٩٨ جرير

رَمِيْمُهَا ١٠١ جرير

عَارِمَةُ ٨٠ الفرزدق

فَرَجَامُهَا ٢ بقية المعلقات

فَقَصِيْمُهَا ١٥ الأخطل

كلامُها ١ جميل بثينة

وَأَنَامُهَا ٨٧ الفرزدق

أَجَنَّا ٢٧ ابن أبي ربيعة

إِخْوَانَا ٣١ حسان

أَفْرَانَا ١١٣ جرير

الْأُلُوَانِ ١١٠ جرير

الْأَنْدَرِيْنَا ٣ بقية المعلقات

الْحَاسِدِيْنَا ٢٣ الوحشيات

الذَّاهِبِيْنَا ٢٢ امرؤ القيس

أَيْنَا ١٠٩ جرير

تَرَانَا ٤٠ الحماسة

حَسَنًا ٣١ ابن أبي ربيعة

حِينَ ٥٢ ابن أبي ربيعة

شَيَانَا ١ الحماسة

عَيْنَا ٥١ الحماسة

فَاسْقِينَا ٨ الحماسة

فَنِينَا ١٠٨ جرير

لَبُونَا ٣ المفضليات

مُتَتَابِعِينَا ١١ الوحشيات

مَدْفُونَا ٢٥ الحماسة

مُعَلِّينَا ١ الوحشيات

إِخْوَانُ ٢ الحماسة

الظُّنُونُ ١٧ زهير

تَبَيَّنُ ١٥٩ الحماسة

تَلَيْنُ ٣٦ الوحشيات

تَلَيْنُ ٤٩ الأخطل

دَفَنُوا ١٨٥ الحماسة

ضَنِينُ ٣٧ جميل بثينة

مَعِينُ ١١١ الحماسة

مَيُونُ ١٧ النابغة الذبياني

أَحْزَانِي ٩٨ الفرزدق

أَرْمَانِ ٩ امرؤ القيس

الْأَعْنُ ٢٨ ابن أبي ربيعة

الْجَنَانِ ٢٩ الأخطل

الْخَصْمَانِ ١٠٠ الفرزدق

الضَّيَّائِي ٦٧ حسان

وَأُوطَانِ ٣٣ الحماسة	الطَّلَلَانِ ٣٥ الأخطل
وجيراني ٣٢ الحماسة	الفَطْنِ ٢٩ حسان
وَلَأَرْضَانِي ٦ امرؤ القيس	الْيَمَانِي ٨ امرؤ القيس
وَمَكَانِي ٨ الأصمعيات	أَمَانِ ٥٣ الحماسة
يُتَكِنِي ٣٩ جميل بثينة	بَانِ ٩٧ الفرزدق
يَعْنِينِي ٦ الأصمعيات	بِدُخَانِ ٢٤ امرؤ القيس
يَقِينِ ١٥١ الحماسة	بِرَمَانِ ١٠٧ جرير
يَلْتَقِيَانِ ٨٧ ابن أبي ربيعة	بِمَنَانِ ٢٣ امرؤ القيس
يَلْحَانِي ٤٤ الأخطل	بِيَانِ ١٨ حسان
يَمِينِي ٣٨ جميل بثينة	بِيَمَانِ ٢٥ ابن أبي ربيعة
يُؤَذِّنِي ٢١٧ الحماسة	تَبِينِي ٢١ المفضليات
اِظْمَأَنَّ ٣٦ الأعشى	تَصِفَانِ ١ جميل بثينة
مُعَنَّ ٣٥ الأعشى	تَعْرِفُونِي ١ الأصمعيات
دُونُهَا ٤٣ الحماسة	دَعَانِي ٣٧ الوحشيات
عُبُونُهَا ٥٧ الحماسة	دَوَانِ ٢٠٩ الحماسة
عُبُونُهَا ٧ الوحشيات	زَمَانِي ٣٠ ابن أبي ربيعة
مِيزَانُهَا ٤٥ حسان	زَمَنِي ١١٢ جرير
يُهِنُهَا ١١١ جرير	شَجَانِي ٢٦ ابن أبي ربيعة
تَخُنُهُ ٨٨ ابن أبي ربيعة	شَفَانِي ١٩ الحماسة
فَسَائِلَاهَا ٤٠ جميل بثينة	عُظْفَانِ ١٢ الوحشيات
دُنْيَاهَا ١٨٧ الحماسة	فَأَتَانِي ٩٩ الفرزدق
هُوَ ٦٨ حسان	فَأَرَقَّنِي ٢٩ ابن أبي ربيعة
وَأَخْجَارِ ١٦ النابغة الذبياني	مِنِّي ٥١ الوحشيات
الْأَعَادِيَا ١٠٤ الحماسة	هَارُونِ ١١ المفضليات
الْأَعَادِيَا ٢٤ النابغة الذبياني	هَجَانِي ١٠٦ جرير
الْبَوَاكِيا ١٢٥ الحماسة	وانتظُراني ٥ قصائد مشهورات

هُوَيَّا ١٤٧ الحماسة	التَّقَاضِيَا ١١٣ الحماسة
هَيَّا ١٩٥ الحماسة	التَّوَالِيَا ١٠٢ الفرزدق
هَيَّا ٤ الوحشيات	المَرَامِيَا ١١٩ الحماسة
هَيَّا ٤١ جميل بثينة	التَّوَالِيَا ٩ قصائد مشهورات
والقَوَافِيَا ١٦٠ الحماسة	بَاقِيَا ٩ الوحشيات
وَلَا لِيَا ١٠ المفضليات	تَنَائِيَا ٩٤ الحماسة
يَرَى لِيَا ٤٨ الحماسة	حَالِيَا ١٦٦ الحماسة
العَنِيَّي ١٤٠ الحماسة	رِدَائِيَا ١٨ زهير
العِصِيَّي ١٥ امرؤ القيس	فَانِيَا ٣٧ الأعشى
بِمَا فِيهَا ٣٨ حسان	فُؤَادِيَا ١١٥ جرير
مَنَاحِيهَا ١١٤ جرير	مَا لِيَا ١٠٣ الفرزدق
جَانِيهَا ٤٧ الحماسة	نَاهِيَا ١٢ قصائد مشهورات

يضم هذا الكتاب زبدة الشعر العربي في الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي. قد انتقيت لك أجمل وأقوى الأبيات لأهم شعراء ذلك الزمن. ولاحقت لك الشعراء المغمورين بلا كلال، ناخلاً كتب الشعر القديم نخلاً، وكانت تلك المهمة اليسيرة. فأما المهمة العسرة فكانت الشرح. وقد شرحت شرحاً أصفه فقط بأنه شرح حقيقي، ذلك الشرح الذي لا يغشك بتفسير الكلمة السهلة دون الصعبة. في الكتاب زبدة دواوين امرئ القيس وزهير والنابعة والأعشى وحسان والأخطل والفرزدق وجريير وعمر بن أبي ربيعة وجميل بثينة. وفيه المختار المنتقى من المعلقات العشر جميعاً. وفيه أجمل ما ورد في كتب الأدب الأصول: المفضليات والأصمعيات والحماسة والوحشيات. وفيه فوق ذلك اثنتا عشرة قصيدة وجدتها أفلتت من كل ما سبق. وقد ذيلت كل باب بفهرس للقوافي، وذيلت الكتاب بفهرس عام للقوافي. - مرفق مع الكتاب تسجيلات صوتية من قصائد كتاب «أول الشعر» بصوت المؤلف عارف حجاوي، وهي مرقمة بحسب ترقيمها في الكتاب المطبوع. - تم التسجيل في استديوهات مركز الجزيرة للتدريب الإعلامي. - مهندس الصوت: محمد ماضي



1 2 3 4 5 9 6 1 8 7 5 4 4 8

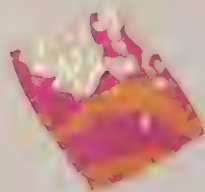


القاهرة - المعادي شارع المعراج
almashreq.books@gmail.com

2020

8.1.2020

عَافٍ بِحَاجَايِ



تَالِقُ الشَّعْرِ

عَصَا الْمُتَنَبِّي

مِنْ ابْنِ الرُّومِي حَتَّى سُقُوطِ بَغْدَادَ

المشرق



تألق الشعر

عصر المتنبي.. من ابن الرومي حتى سقوط بغداد

عارف حجاوي



تَأْلُقُ الشَّعْرَ

الفهرسة أثناء النشر - إعداد دار المشرق

حجاوي، عارف
تألَّق الشعر: عصر المتنبي .. من ابن الرومي حتى
سقوط بغداد/ عارف حجاوي.
٨١٥ ص.
١. شعر. أ. العنوان.

892

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر
بالضرورة عن وجهة نظر دار المشرق»

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار المشرق
الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٧

دار المشرق

القاهرة - المعادي - شارع المعراج

almashriq.books@gmail.com

أبواب الكتاب

٧ مقدمة
٢١ ابن الرومي (٢٢١هـ - ٢٨٣هـ)
٢٢٩ ابن المعتز (٢٤٧هـ - ٢٩٦هـ)
٢٦١ أبو الطيب المتنبي (٣٠٣هـ - ٣٥٤هـ)
٤٥٩ أبو فراس الحمداني (٣٢٠هـ - ٣٥٧هـ)
٥٠١ أبو العلاء المعري (٣٦٣هـ - ٤٤٩هـ)
٦٥٧ يتيمة الدهر، للشعالبي (٣٥٠هـ - ٤٢٩هـ)
٧٠٧ دمية القصر، للباخرزي (ت ٤٦٧هـ)
٧٣١ البهاء زهير (٥٨١هـ - ٦٥٦هـ)
٧٩١ فهرس القوافي العام

مقدمة

في هذا الكتاب - ضمن سلسلة الزبدة - يصل الشعر العربي إلى الذروة، وفيه يسترخي، فليس بعد بلوغ القمة إلا بدء الهبوط من الجانب الآخر.

يتوهج ابن الرومي، فإذا اكتهل سمع تشبيهات الأمير الشاب ابن المعتز، ويموت ابن الرومي قتيل طول لسانه، وبعده بسنوات قلائل يموت ابن المعتز قتيل طموحه. ثم تمضي سبع سنين ويولد المتنبي ويعيش نصف قرن، وفي كهولته يلعب نجم الأمير الشاب أبي فراس. يموت المتنبي قتيل طول لسانه، وبعده بثلاث سنوات يموت أبو فراس قتيل طموحه. وتمضي ست سنين ويولد المعري. وكان يجب أن يموت قتيل جرأته، لكنه عُمر إلى ما بعد الثمانين ومات على فراشه. وسنتظر مئة وثلاثين سنة لنشهد مولد البهاء زهير الذي مات شيخاً بالطاعون.

يبدأ الكتاب بابن الرومي، الشاعر الذي لزم مدينته بغداد لا يكاد يغادرها. كانت بغداد عاصمة الدنيا. ويصدق في تلك بغداد قول صمويل جونسون في لندن «إن مللت لندن فقد مللت الحياة، فلا شيء يمكن للحياة أن تعطيكه إلا وهو في لندن». وقد هضم ابن الرومي شعر عصره وكل عصر سبق عصره، وكان رجل لغة وثقافة وفكر وقلق. كان ابن مدينة، وابن العاصمة بالتحديد. وأخرج لنا شعره من قلب القلق والثقافة لا من قلب العذابات الرومنسية، فكان شاعر الفكرة والصناعة. وكان صاحب مزاج حاد، وأنفة شديدة. وكان من الطبقة الوسطى التي يتميز أبنائها بالرغبة في البناء وبالحيوية والإيجابية وهم يصعدون السلم الاجتماعي، وبالرغبة في الهدم وبالخمول والسلبية وهم يهبطون. وكان ابن الرومي يهبط. امتلأت نفسه بالمرارة، وراح يحارب أي دفقة فرح تلوح في أفقه. وراح يهزأ بالناس وبنفسه، وكان له من خياله الجامح ومرارة قلبه ما يسر له أن يترك في ديوان العرب هجاء من أقذع الهجاء.

هذه النفس القلقة المتعالية على الأمراء والوزراء لم تستطع، وربما لم تسع إلى، أن تصل إلى عتبة أي خليفة. وقد رأى القاسم بن عبيد الله الوزير أن هذا الشاعر الذي يغشى مجلسه يكثر من تهديد ممدوحيه الآخرين، وكثيراً ما يُعقِب تهديده بهجاء يتندر به الناس في بغداد وغير بغداد، فتحسَّب منه.

ثم إن ابن الرومي هدد القاسم تهديداً خفيفاً، فأرسله إلى حنفة بخشكنانجة (بسكوتة) مسمومة وللشاعر من العمر اثنتان وستون سنة.

عاصر ابن الرومي شاعرٌ أصغر منه بخمس وعشرين سنة، تربى في حضن أبيه الخليفة. هذا ابن المعتز. تقلبت الدنيا عليه في يفاعته ثم في شبابه، وابتعدت الخلافة عنه، ولكنه ظل يشزُّرها ويتمناها. غير أنه ولد شاعراً، وكان دارساً للشعر وللبلادة، فقال أشعاراً حلوة، وعاش خمسين سنة قلقة، مر به فيها خمسة خلفاء، كل واحد منهم كان ينظر إليه نظرة توجس. ثم ابتسم الزمان له فصار خليفة في انقلاب. ثم حدث انقلاب مضاد مفاجئ بعد يوم وليلة، فضاعت الخلافة وضاع شاعرنا خنيق طموح خفي ظل يكتمه طول عمره.

بعد خنق ابن المعتز ببضع سنين ولد المتنبّي. عدنا ثالثة إلى القلق. إلى أعظم القلق. ولم يكن المتنبّي ابن مدينة حقاً فقد شردته الكوفة إلى الصحراء فتى صغيراً؛ ولم يكن ابن ملك، بل يغلب الظن أنه ابن تاجر مياه من شريحة غير عالية في الطبقة الوسطى. ورغب الله في المتنبّي طموحاً، وركب فيه حمقاً يلائم الشعر. فإن كنت تبتغي شعراً عاقلاً فعليك بالقاضي الجرجاني وبالفقهاء الذين كانوا يتدفقون بشعر مصنوع تطل فيه الحياة برأسها في الشطر الأول وتموت في الثاني.

حقق المتنبّي شهرة معقولة في صباه، ثم بسرعة طارت شهرته وأصبح أهم شاعر عربي، وعرف ذلك. لكنه طموح. أراد أن يصبح والياً. كان كالموظف الذي قضى عمره موظفاً، وقضى عمره يحلم بالأعمال الحرة، ومات موظفاً. قضى المتنبّي سنوات حياته الخمسين يسعى لتحقيق «الاستقلال»، يريد أن يكون له مجلس يسلم فيه الناس عليه بأبيها الأمير، وظل هذا حلمًا. لقد تاق أبو تمام قبل بضع عشرات من السنين إلى بعض الراحة، ولم يكن شديد الطلب لمنصب، فنال منصب بريد الموصل ومات عليه؛ وقبله ببضع عقود تاق مسلم بن الوليد إلى بعض الراحة، وبكل يسر نال منصباً في جرجان، ومات عليه. ولكن المتنبّي كان شعلة قلق وطموح، وكان أبلغ ما ناله من أمراء زمنه ضيعة صغيرة

قرب حلب أقطعه إياها سيف الدولة، لكنه هجرها ورحل بلا إذن، وذهب إلى خصم سيف الدولة. ذهب إلى مصر فمدح صاحبها وطلب منه ولاية فخيّب أمله، فرحل وهجاه.

قضى المتنبي الخمسين سنة التي هي حياته قلقاً. لعله لو عاش عشر سنوات أخرى كان نال منصباً، أو كان بنى داراً كبيرة في الكوفة يعقد فيها مجلساً. لكن فاتكاً الأسدي عاجله بالسيف.

وقد عاصر المتنبي شاعرٌ أصغر منه بعشرين سنة. التقيا في بلاط سيف الدولة: رجلاً في الأربعين تتسامع الدنيا بشعره، وشاباً في العشرين يقول أبياتاً حلوة ويجد تشجيعاً من كبير النحاة في البلاط: ابن خالويه. وكان الشاعر الشاب أميراً. كان ابن عم سيف الدولة لحاً. هو أبو فراس الحمداني. تأثر بالمتنبي، لكنه كان شاعراً حقاً. قال بعض أشعار الفخر على الطريقة المتنبية مع اختلاف في المعاني، فأبو فراس أمير ابن أمير، وأبوه وأعمامه أعادوا الخليفة إلى بغداد، وحكموا قطعة كبيرة من الدولة العباسية حكماً مستقلاً تمام الاستقلال، ولهم في حلب دولة وفي الموصل دولة.

ونكب أبو فراس نكبة لولا هي لما سمعنا به بأكثر مما سمعنا بالشاعر أبي العباس النامي. لقد أسره الروم، وبقي في أسرهم بضع سنين. فتفجر نبع الشعر. وقال أبو فراس «أراك عصي الدمع»، وقال غيرها شعراً كثيراً من أحلى الشعر. والآن حان الوقت لكي نقتله. لقد قتله طموحه. فبعد أن افتدى أبو فراس من الأسر مات أمير حلب سيف الدولة وتولى الحكم ابنه. وحاول شاعرنا وهو في السابعة والثلاثين من العمر أن يستقل بحمص، فكان في تلك المحاولة مقتله.

قد رويانا في أبواب هذا الكتاب قصص حياة شعرائنا بشيء من التفصيل، فنكتفي هنا باللمحات.

بعد موت أبي فراس بست سنين، ولد في بلدة بين حلب وحمص أبو العلاء المعري. فتح عينيه في بيت علم وقضاء، ثم أغمضهما إلى الأبد وهو في الرابعة من العمر ليصبح أشهر أعمى في تاريخ العرب. أحب أبو العلاء المتنبي وعرف قيمته كما لم يعرفها أحد. ففي زمنه، وهو قد ولد بعد مقتل المتنبي بتسع سنين، كان حجاب المعاصرة يستر عن بعض الناس، بعض الستر، روعة شعر المتنبي. فترى المتأدب منهم ينقب عن المعاييب في شعر المتنبي ويتعقبه

بالنقد قايماً شعره بشعر القدماء. ولا كذلك أبو العلاء. كان له من سلامة الذوق ما جعله يطرب للمتنبّي ويحفظ شعره. وسيعيش أبو العلاء ستاً وثمانين سنة، ولن نتمكن من قتله. سيموت على فراشه رغم أنه قال أشياء من شأنها أن تقتل عشرة شعراء. لقد شتم الدنيا والناس، غير أنه لم يسم المشتومين بأعيانهم، وتعرض للعقائد في ماث الأبيات، ولكنه نجا ببركة العمى أو ببركة عدم وجود قوة سياسية ثابتة في منطقته التي كان يتعاورها الفاطميون والحمدانيون ثم المرداسيون. ولم يكن أبو العلاء شاعراً فحسب. لقد تأتق في رسائله وكتبه النثرية، وكان يبارز في شعره ونثره أهل اللغة، ويجتهد أن يورد عليهم من عويصها ما يعجزهم. وقد أقرّوا له بالتفوق. ومثلما خطر ببال ملتون الإنجليزي أن يكتب ملحمة شعرية عن الدين في أحد عشر ألف بيت سماها الفردوس المفقود، خطر لأبي العلاء أن يكتب ملحمة شعرية عن الدين والدنيا في أحد عشر ألف بيت سماها اللزوميات.

روينا لك في بضع عشرات من الصفحات، في هذا الكتاب، قصة حياة أبي العلاء، ولا نزيد. غير أننا نحدثك قليلاً عن شعره. ونحن، بعد، في مقام شعر لا نثر. لقد أمسك أبو العلاء بطرف خيط تركه أبو العتاهية قبل مئتي سنة. ولئن كان شعر أبي العتاهية الزهدي كالماء العذب الذي تشربه فلا تحس أنك شربت شيئاً، غير أنك ترتوي؛ فإن شعر أبي العلاء كان كجدول اللوغاريتمات تشربه فيثقل على معدتك وعلى رأسك. قد عاش أبو العلاء أوائل زمن اللعب باللغة، فلعب وأسرف. فلماذا إذن أوردنا عليك عشرات الصفحات من أشعاره؟ لأنه شاعر كبير. ولأن في شعره قفزات بديعة. حتى وهو يقلد المتنبّي جاء بالروائع. أبو العلاء شخصية مستقلة لا تستطيع أن تقلد إلا في نطاق الشكل، ثم تحلق في جوها.

عاصر أبو العلاء شعراء كثرًا، وكان المتنبّي قد عاصر شعراء كثرًا، ولكننا لم نتعرض في ذلك العصر لشعر أولئك الكثر، واكتفينا بالقمم. وأدخلنا أبا فراس بين المتنبّي وأبي العلاء لأنه استحق بروميته أن يدخل. فأما الشريف الرضي فكان شعره مستويًا استواء صَدْنَا عنه.

وسنرحل الآن عن أبي العلاء ونقطع مئة وثلاثين عاماً لنصل إلى شاعر كبير آخر.. وأخير في كتابنا. وقبل أن نقطعها رأينا أن نطل على الشعراء الآخرين في ذلك الزمن المتألق إطلالة سريعة، فأخذنا بضع مئات من الأبيات

لبضع عشرات من الشعراء من كتابي اليتيمة للثعالبي ودمية القصر للباخرزي.

ثم جئنا إلى هذا الشاعر الكبير، وهو مختلف كثيراً، وما أجدره أن يكون، بعد إذ قطعنا إليه مئة وثلاثين عاماً. ذلك هو البهاء زهير. هذا شاعر مصري. ها إن الشعر يرحل من الشام ومن العراق.. إلى مصر. لكن اختلاف البهاء زهير كان في أنه ترك الألاعيب اللغوية، إلا قليلاً، وانصرف إلى وصف الحياة والمجتمع، وإلى التحدث عن مشاعره. وفعل ذلك كله بفصاحة ورسوخ قدم في العربية، وبأرق وأسهل الألفاظ.

طربنا عندما رأيناه يختم عصرًا سياسيًا. ففي السنة التي مات فيها، ماتت الخلافة العباسية بدخول هولاكو بغداد، وماتت الدولة الأيوبية باستهلال العصر المملوكي. إذن فشاعرنا كان خاتم العصر العباسي كله. وبه يحسن أن نختم. على أننا لم نختر البهاء زهيراً لمجرد قعوده على طريق القافية. وآية ذلك أننا أخذنا له مئات الأبيات، وفرشناه على مساحة كبيرة من كتابنا. ولو كنا اخترناه لمجرد الرغبة في ختم العصر الشعري كي يتزامن مع ختام العصر السياسي لما كنا زدنا على بضع قصائد.

صبحنا البهاء زهير لأنه شاعر كبير. إن كنا وصفنا شعر أبي العتاهية بالماء العذب، فشعر البهاء ماء عذب معطر بالياسمين. هذا شاعر النسيم. تقرأ شعره فتعرف أخلاقه، وتعرف علاقاته وصدقاته، وتراه فصيحاً فصيحاً وسهلاً سهلاً. لو خيروك أن ترافق شاعراً من شعرائنا في الجزيرة النائية فلا نرى لك أن تختار على البهاء أحداً، ففي خلقه سماحة لم نجدها عند شاعر.

كنت قد كتبت وشرحت ابن الرومي والمتنبي قبل بضع سنين، ولعلك تلاحظ أنني في شرحي لهما أتخذ طريقة مختلفة عن شرحي لبقية شعراء هذا الكتاب. على أنني عدت وحررت ما كنت كتبت محاولاً أن يكون الكتاب قماشاً واحدة، وهيئات. وستراني في المتنبي أشرح كل بيت لا أغادر صغيرة ولا كبيرة، وستراني في ابن الرومي أتقاعس، وكأنني أخاطب من له بمطالعة الشعر القديم بعض الدربة.

وستراني في مقدمات الأبواب كثير الشكوى من شراح الدواوين الذين يشرحون سهلاً ويحملون صعباً. لا، لم أفعل مثلهم، وقد كنت إذا وقفت ببيت مرتجٍ قصدت قصداً أن أكتب لك في ذيله أنني ألمح المعنى الفلاني ولكنني غير واثق الثقة كلها. على أنني كنت في هذا الكتاب، وفيما سبقه من هذه السلسلة،

وما سيتبعه - فكتابي هذا هو واسطة العقد سبقه كتابان وسيتلوه كتابان - صاحب مزاج. لم أكن محققاً شديد التتبع، ولا أكاديمياً من أولئك نفر الذين أناخوا على صدر الثقافة الأدبية وأدونا برغائهم.

كلام آخر

أعبر، وأنا أضع اللمسات النهائية على هذا الكتاب، مخاضة مراجعة فكرية انتمائية موحلة.

أنت لا تقعد في المقعد الانتمائي الذي تختاره. أنت لا تختار لغتك ولا لهجتك، ولا معتقداتك، ولا المآكل التي تحبها. الآخرون يختارون لك.

رجعت من سكوتلندة قبل شهرين بحمل ثقيل من الكتب الاستراتيجية، جلها صادر في العام الحالي ٢٠١٦، أو الذي قبله. وكلها، ورغم الربيع العربي، يضعنا في «العالم الإسلامي». وجل هذه الكتب يشيد بتاريخنا الإسلامي المجيد. وكلها يوحى إليك أن العالم العربي، في الحاضر، فضلة.. زائدة دودية في الكرة الأرضية.

وتفكرت في شيء قاله رجل أجبرني الزمن على أن أعرفه وعلى أن أكون قريباً منه، وعلى أن أشقى كثيراً، وأنفع قليلاً، بعلاقتي به. دخل حياتي كنيزك سقط في حديقة جاري، روعتني جلافته ولسماً يؤذني أقل أذى. ولئن كان النيزك يستقر في مكانه بريئاً بعد إذ يخرب ما يخرب، فإن صاحبنا أخذ يحتك بي. وطال أمد العلاقة. هو يعصف عصفاً، وأنا أتحاشى أذاه ما وسعني. أتأمله.. أراه قد صعر خده وملأ فمه بالهواء فانتفخت وجنتاه، وأراه وضع في عينيه تحديقة وقحة، أراه أشدق أحرق فاتكاً فتك أذى، لا فتك روبن هود ولا فتك عروة بن الورد، ثم قد يعصف به موقف من المواقف - وقال المثل القديم «إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً» - فيستكين استكانة ولد فوجئ ويده في علبة الحلوى، ثم يقفز قفزة حمقى فيتصدى ويكابر، ويغير أقوالاً قالها. هو نفاج يفاخر طولاً وعرضاً، ويعد ويخلف، وما أكثر ما يعد على غير نية الوفاء. خير كلمة تصفه أنه مثل حادث السير.. يعيش أصحابه معه عيشة السائقين الذين يقضون عمرهم ولا همّ لهم إلا تجنب الارتطام. وقد يرتطمون. هذا الصاحب يقعد مع ثلة من أنصار الاشتراكية فيتنهى بالعدالة الاجتماعية، ويصخب عليهم ويعربد ويسرق الجلسة فكأنما يقول لهم: بل أنا أبو اليسار، ويقعد مع القوميين

فيتغنى بالعروبة، ويقعد مع جماعة الإسلام السياسي فلا تراه يتكلم إلا عن «الأمة»، ولا يكاد يسمح لهم بالكلام، فإن قال قائل من جلسائه في أي مجلس فكرة طريفة أنصت صاحبنا هنية، ثم انطلق متشدقاً يُليس تلك الفكرة ثوباً من الثرثرة، وينتهي به الأمر سارقاً لها. وقد أدمن مجالسة أهل الإسلام السياسي لأن الأمر كان لهم في ذلك الزمان والمكان، فطال تشدقه بفئات الأفكار التي تنتهي إلى تمجيد الأمة. ويترك كلمة «الأمة» غارقة وسط ضباب كثيف من عباراته المنمقة، فلا تعرف أي أمة هي.

هذا الرجل قال، فض فوه، إن الأمة في عرفانه هي الأمة العربية الإسلامية. سمعتها منه، وقلت في سري: قد نطق أخيراً، وليته ما نطق. فمنذ عهد اليفاعة وأنا أسمعهم يقولون الأمة العربية الإسلامية.

غير أنني كنت في مخاضة فكرية. فوقعت هذه العبارة من ذهني موقعاً لم تكن تقع في المرات الكثيرة السابقة. وشكرت لصاحبي المتشدد، الذي هو كالدمل أحمله في «رقعة من جلدي» قولة بشار بن برد، أن ذكّرني بما نسيت.

وأزعم أنني صرت أشبهه بعض الشبه في الأوان الأخير. ليس في فتكه ولا في عرامته، ولا في الأذى الذي يحيط بشخصه إحاطة الشذى بعقد الياسمين، أو إحاطة القذى بعين أرمد صحا من نومة طويلة.

صرت أشبهه في أنني أنتمي إلى الإسلام وأنتمي إلى العروبة معاً. وعروبي عروبة اللسان، لا الدم. ولعلي أن أشبه نفسي بقرص التهديد الذي يستعملونه في الرماية. فنقطة الوسط في قرصي هي بلدي فلسطين. ولم أكن عرفت كلمة فلسطين حتى بلغت الحادية عشرة. ليس أنني نشأت في الشتات، فإنني نشأت في نابلس بفلسطين. ولكنني حتى تلك السن كنت أعيش في كنف الدولة الأردنية، وكان حراماً في مناهج الدراسة أن نعرف أننا فلسطينيون، وكنا ننشد كل صباح «عاش الملك سامياً مقامه»، وندخل غرف الدرس ولا ذكر فيها لفلسطين. ولم يكن بيتنا قد تأثر بنكبات فلسطين تأثراً مباشراً، فلم يصلني من الثقافة السياسية في جو البيت شيء، إلا أننا ككل العرب كنا نحب جمال عبد الناصر. وأذكر جيداً في تلك الحقبة أنني كنت متحمساً - ربما بتأثير «صوت العرب» إذاعة القومية العربية وذراع عبد الناصر الإعلامية الممدودة إلى العالم العربي - لتحرير اليمن الجنوبي من قبضة الاستعمار البريطاني أكثر من حماسي لتحرير فلسطين.

ثم تمدد الظل الأسود للحلم اليهودي ليشمل مدينتي، وليستكمل احتلال فلسطين كلها، فصرت فلسطينياً رغم أنفي. لم تتغلغل فلسطين في أعماقي تغلغلها في نفوس من أصابتهم النكبة إصابة مباشرة. لكنني أصبحت لا أغفر لفلسطيني أن ينسلخ عن قضيته. وضعت فلسطين في عقلي، المسألة بالنسبة إلي أصبحت مسألة رجل أصابت رصاصة أخاه، فهو لا يتركه.

تلك نقطة القلب، تلك أضيق دوائر الانتماء.

ودائرتي الثانية - على قرص التهديف، إن كنت ما زلت تذكر التشبيه - دائرة العروبة. وهذه الدائرة تتلخص في اللسان، وخير تعبير عن ذلك كلمة قالتها عمة صاحبي الأمية. كانت تسمي البيسي، ذلك المشروب، «دبسي». فالبيس ليس موجوداً في عقلها اللغوي، والدبس موجود. ومثل الدبسي المعكرونة، فنحن في بلاد الشام نقحم حرف العين على اسم ذلك الأكل ونعربه تعريباً. العروبة عندي هي اللغة العربية.

أنا في هذه مثل لودفيغ الأول البافاري، الذي تناسى الحدود السياسية وضم في معبد عظماء الألمان «فالهاه» كل من نطق باللسان الألماني حتى لو كان إمبراطورة روسيا كاترينا، أو ملك الفرنجة شارلمان، فالمهم اللسان. وأنا مثل شاعر الإنجليز ووردسورث الذي قال «نعيش أحراراً أو نموت». كل من نطق بلسان شكسبير، ومثل تشرشل الذي جعل كتابه الذي أعطوه عليه جائزة نوبل للأدب تاريخاً للشعوب «الناطق بالإنجليزية». لا غرو فأمه أميركية.

كثيراً ما ينسينا الانقلاب على الجانب الاقتصادي، ونحن نبحث العلاقات بين الدول، ذلك الحبل السري الذي يربط بريطانيا بالولايات المتحدة. لم يقطع.

ودائرتي الثالثة هي الإسلام الذي بدأت كلامي بمسألة الانتماء إليه. هذا الانتماء حقيقي. هو انتماء إلى ثقافة عريضة يشاركني فيها المسيحي العربي كل المشاركة، رغم «التطهير الديني» الذي يحدث حدوثاً فادحاً في كثير من بلاد العرب بفعل الانغماس الغربي في المنطقة، وبفعل التشدد الديني. قد أجبرنا الغرب على أن نكون معسكراً إسلامياً حتى يلعب لعبة الحرب على الإرهاب، وأقبلنا على اللعبة بحماسة شديدة. وأراد الغرب ألا يكون هناك شيء اسمه الانتماء العربي، وأراد كثيرون منا ذلك، وراح المتشددون وبعض غير المتشددين يهزأون من «الوطنية» ومن «القومية» ومن «العروبة» ومن «المواطنة»

ومن «الديمقراطية». ولخصوا انتماءهم في كلمة واحدة هي «الأمة». وافهم ما شئت، ولكن الرجوعيين يفهمون من «الأمة» أنها الأمة الإسلامية التي تلغي كل دائرة داخلها. وفي هذا رجوع إلى زمن أيوبي مملوكي عثماني، ففي تلك العصور أوجبت أيديولوجيا الدولة على الكردي والتركي والعربي والفارسي والأفغاني والجركسي أن يكونوا يداً واحدة تواجه الغزو الصليبي، ثم الغزو الأوروبي لشمال إفريقيا، ثم الاستعمار الغربي. كان فكر ابن تيمية أداة أيديولوجية مفيدة. لكنه ليس تعبيراً عن حقيقة.. الفرس بقوا فرساً والأتراك أتراكاً والعرب عرباً والكرد كرداً.

وعندما تجددت الهجمة الغربية علينا في ثوب محاربة الإرهاب انتعشت المنظومة الأيديولوجية التيمية في العقول كأداة توحّد، وللقصور الحنبلي في هذه الأداة أخذ مستعملوها الجدد يحاربون الشيعة والغرب معاً.

الناس خراف. قل لهم «الأمة» عشر مرات، وسوف تتصاعد من أشداقهم: ماء ماء.

وفي قومية عبد الناصر من الوهم قدر لا بأس به. ودعاة «المواطنة» و«الديمقراطية» و«الوطنية» يشكون من أوهام. ولا أقف من كل هذه الأدوات موقف الداعية الذي يريد تفنيدها كي يخرج في نهاية المطاف بفكرة يقول للناس إنها الفكرة الصحيحة. قد تراني أتخذ موقف الداعية عندما أتحمس للانتماء إلى اللسان العربي، لكنني - حتى في هذه - أدرك أن الكردي الذي أصبحت العربية لغته الأولى قد يكون انتماءه الأول (نقطة الوسط في لوحة التهديد عنده) للقومية الكردية، وقل هذا في الأمازيغي والنوبي وفي ابن الإسكندرون الذي فقد بالتدريج كثيراً من لسانه العربي.

فهل بقيت بعد هذا نواة صلبة يحسن بنا أن نقول إنها تمثل «العرب»؟ قد بقيت فيما أحسب. ويجمع هؤلاء الناس اللغة والإرث الأدبي.. سمعت الموريتانيين والعمانيين وسمعت الناس الذين يقطنون الثمانية آلاف كيلومتر التي تفصل هؤلاء عن هؤلاء ينشدون شعراً لتزار قباني وللمنتبي وللمحمود درويش. ولكن الشامي لا يفهم وصفة طبخ في اليوتيوب تقدمها سيدة مغربية بالعامية؟ لا بأس، فالعاميات موجودة في كل الدنيا، ومع الزمن تتقارب أو تستقل لغات منفصلة. ولست هنا داعية، بل مراقب.

قد يتحفنا القرن الثاني والعشرون بلغة مغاربية، ولغة مصرية، ولغة شامية،

ولغة خليجية. ويظل الجميع فاهماً للعربية الفصحى بعض الفهم، ثم في القرن الذي يليه قد تصبح الفصحى اختصاصاً أكاديمياً. لا بأس بذلك إن أرادته الناس. وقد تتقارب اللهجات، وتنشأ لغة عربية بيضاء غاب عنها التشكيل واصطلح عليها العرب في مدارسهم وفي كلامهم. فأما أن نصبح كلنا متكلمين بكلام فصيح معرب فهذا ما عجزنا عنه من أيام عبد الملك بن مروان وابنه اللحانة الوليد، أي من ١٤٠٠ سنة، فلا داعي لتفاؤل كاذب. ولتضرب المجامع اللغوية رأسها بأقرب جدار، اللغة يصنعها الناس كيفما شاءوا.

وللتلخيص، فإن ازدواجية الانتماء العربي الإسلامي أمر واقع.

فلماذا أكتب هذه الأشعار القديمة وأشرحها؟

كي أتسلى لا غير، وكي أجد من يستمتع بها مثلي فتسلى معاً.

قل لي من شق بطنَ اللاتينية فأخرج اللغة الفرنسية؟ الفرنسيون. ومن المسؤول عن انحراف الإسبان حتى أخرجوا من بطن اللاتينية لغة أخرى غير الفرنسية؟ ربما جبال البرانس. ولماذا استقل الإيطاليون بلغة ثالثة؟ ربما بسبب جبال الألب.

ولماذا ظل نحاة الإنجليز يضربون لغتهم بالعصا كي تستقيم على قواعد النحو اللاتينية؟ لأنهم رجعيون. ولماذا فشلوا؟ لأن اللغة يصنعها الناس لا النحاة.

قد أخذتك في جولة طويلة في تلافيف دماغِي، شعرت أنا في آخرها بالدوار، فكيف بك!

إقفال حساب

كنت أنتظر دوري على مقعد في فرع المصرف ببلدة بيرزيت الفلسطينية، أريد إقفال حسابي لأنني سأقدم استقالي من عملي مديراً لمركز الإعلام في جامعة بيرزيت. وهي الاستقالة الثانية من هذا العمل الذي قضيت فيه ما مجموعه سبع سنوات وخمسة أشهر. وقد تتعجب مني لأنني لا أدع فرصة للوقوع في الأكاديميين ونعتهم بأقبح النعوت إلا اقتنصتها، ثم إذا أنا أخبرك أنني قد عملت في هذا المجال طويلاً! قد عاشرتهم فعرفتهم.

ما رأيك - قبل أن نمضي في وصف استقالي تلك - في حديث عن هؤلاء الأكاديميين.

ابتعت كتاباً سميناً عن الشعر الجاهلي كتبه أكاديمي نعت نفسه بالأستاذ الدكتور. قلت في نفسي: ليكن ما يكون، ألا يورد علي بعض ما غاب عني؟ ألا يسد لي ثلثة في معرفتي؟ ألا يكون في هذه الصفحات التسعمئة فكرة؟ اشتريته. دفعت ذلك المال الحلال فنزل حراماً في جيب ذلك الناشر، وذلك الأكاديمي. لم أجد في الكتاب سطرأ مفيداً. وخطرت ببالي فكرة عبقرية. أن أصنع برنامجاً إذاعياً اسمه «كلام فارغ».

إليك الحلقة الأولى من برنامج «كلام فارغ»:

(يقول عبيد بن الأبرص: «وكل ذي غيبة يؤوب/وغائب الموت لا يؤوب»، فإن وجدت أيها المستمع في البيت تكراراً للغيبة والغائب، فإنك واجد فيه حلاوة الانتقال من العموم إلى الخصوص، وإن وجدت تكراراً في يؤوب ويؤوب فقد اكسبنا هذا التكرار حلاوة التصريح في وسط القصيدة، وذو الغيبة هو نفسه الغائب.. لكن لا.. هو غائب مؤقتاً فأما «الغائب» فهو غائب قد غيبه الموت. في بيت واحد وحيد.. بيت مفرد كالبعير المعبد.. لخص الشاعر بعبقرية، هي عبقرية اللغة العربية، المعاني الكثيرة. والعربية لغة الإيجاز. هي لغة «خير الكلام ما قل ودل». وانظر إلى هذه العبارة، وتأملها، أمعن النظر فيها وأرعها سمعك. أنعم النظر ودقق.. وحدق. واسمع وأصغ وأصغ سمعك. خير الكلام.. أي أفضل الكلام، فلماذا لم نقل أخير الكلام.. هي عبقرية الإيجاز في هذه اللغة الشريفة. قد صغرت الكلمة بإسقاط همزتها، لكنها ظلت تؤدي المعنى أحسن أداء وأجمله وأوجزه. فهلا نظرت إلى هذه السجعة اللطيفة بين «قل» و«دل». هذه سجعة ختمت العبارة فكانت لها بمثابة السداد المحكم. وانظر إلى المد والاسترخاء في سوق المسألة بدءاً.. خير الكلام ما.. وبعد هذا المد يأتي الحكم جازماً حازماً «قلّ ودلّ» وانظر إلى هذين الحرفين المشددين كيف نطقاً بالشدة والقوة والحزم ومثلاً كل أولئك خير تمثيل. وسألفتك إلى مسألة أخرى هي مخارج حروف هذه العبارة العبقريّة.. تبدأ العبارة بالخاء، ومخرجها من أقصى الحلق.. والخاء حرف له خريز، وهو ينبئ بأن ما سيأتي مهم.. «خير الكلام» وينتهي هذا القسم الأول من العبارة بحرف شفوي هو الميم.. وكيف تكون الانطلاقة إلى القسم الثاني.. من حرف الميم أيضاً يندغم اندغاماً في الميم السابقة عليها «ما قل ودل» فكان الميم هنا

والميم هناك اعتنقتا اعتناقاً كي تسبكا العبارة سبكاً في اللفظ وتجعلها كلاً واحداً. فليسع أهل اللغات الأخرى وسعهم حتى يأتوا بأقل ما تستطيعه العربية. إن سعيهم لشتى. ونعود إلى بيت عبيد بن الأبرص كي نستخرج منه عشر ميزات لم نوردها عليك فيما مضى...).

سأقطع الحلقة الأولى من هذا البرنامج الجديد عند متصفها. كفى.

أرأيت إلى هذا الكلام الفارغ. هذا كلام شخص يستعرض معلوماته اللغوية ومفرداته، ويحاول أن يوقع في روع العوام أن ما يقوله عظيم. وأشهد أنني أحب بيت عبيد، وأحب العبارة المذكورة، ولكنني في الحلقة الأولى من برنامجي المبتدع ذاك كنت أتمايل غنجاً وتفاخراً وجهلاً... جهلاً بأن لكل لغة في الدنيا فصاحتها. يستطيع أي دجال أن يصنع هذا الصنيع الفارغ بأي بيت شعر، أو أي حكمة.

قد فكرت جدياً في أي أسجل برنامجاً باسم «كلام فارغ» وأضع حلقاته على اليوتيوب. ثم خشيت شيئاً. خشيت أن يعجب به الناس. ففي الزمن البائد كنت كتبت لتلاميذي في تخصص الإعلام بالجامعة نصاً منمقاً خالياً من المعنى، وقرأته عليهم، ثم قلت لهم الآن انظروا إلى النص نفسه وقد تحول تحولاً كبيراً... وقرأت عليهم نصاً آخر محكماً واضحاً هو عبارة عن صياغة محترمة للنص الأول، ويحتوي على المعلومة، وفيه العبارة الرشيقة وفيه الاحترام لذهن المستمع. وقلت لهم: ما رأيكم؟ وراعي أن بعضهم أحب النص الأول التافه الفارغ الذي ليس فيه معلومات، وبعضهم سكت ولم ير الفرق. (النصان موجودان في كتابي «الكتابة للراديو»، وهو ككل الأشياء موجود على النت). لا ألوم تلاميذي. بل تعلمت منهم أن الإذاعة ليست دققاً من المعلومات بل هي أيضاً مداعبة بريئة لأذن المستمع تجعل هذه الأذن تعمل، دون تكليف العقل مشقة أن يعمل. وتعلمت منهم أن العرب يعيشون طفولة فكرية، وأنهم ما زالوا يطربون للفصحى كأنها أغنية، ولا يتخذونها أداة للفهم، ومطية للوصول إلى المعنى.

لكنني لا أغفر لذلك الأكاديمي الذي ارتقى إلى درجة عالية على سلم التفاهة، ما ناله مني من دراهم. لقد راح يتمطق في صفحاته التسعمئة بالعبارات الرخوة ويتمايل بغنج سخيف وهو يستعرض معلومات لا صلة لها بالموضوع. هل ظننت أنني، وأنا أسوق لك عباراتي الجوفاء في برنامج «كلام فارغ»،

إنما كنت ألمز دعاة اليوتيوب الذين يفسرون الذكر الحكيم ويشنفون آذان مستمعيهم بإعراب بعض الكلمات، وبيان الوجه بلاغي هنا وهناك؟ لا. ليس مجرد لمز. كنت هامزاً، كنت أعنيهم مثلما كنت أعني ذلك الأكاديمي.

رجع إلى إقفال الحساب

كنت أجلس على المقعد في فرع المصرف منتظراً دوري لإقفال حسابي، فأنا سأقدم استقالتي. وقد استقلت في حياتي كثيراً، لذا لم أكن مبلىل الذهن ولا قلقاً من مسألة الاستقالة، على أن الانتظار على مقعد سيورثني القلق بعد قليل إن لم أشغل نفسي بشيء. أخرجت ورقة، وكتبت أبياتاً، وسأدعو هذه القصيدة «القصيدة الأسمنتية الثانية»، ذلك أنني في موقف انتظار مشابه كنت كتبت قصيدة باسم القصيدة الأسمنتية، وسترها عندما أشرح لك البهاء زهيراً:

ما حَمَلْتُني رجلي إلى بلد	إلا تشَوَّفْتُ غيرَه بلدا
ولا تَوَطَّفْتُ في مؤسسة	إلا بدا لي أن أستَقِيلَ غدا
يا لطباعي أَسْعَى أشْكَلُها	هيهات إن الأسْمَنْتَ قد جَمَدَا
أبذلُ جُهدي لكي أَغَيِّرَها	أعالِجُ المِيتَ والعلاجُ سدى
غريزةُ النملِ لستُ تارَكُها	لَمَلَمْتُ ليس تنتهي أبدا
أجمعُ مالاً ولا أصمُّدُه	إن ملكته يدي فلا صَمَدَا
وَجِبرتي نُثْفَةٌ إلى نُتَفٍ	يَحسَبُنِي بعضُ الناسِ مُجتهدَا
مثلُ الفتاةِ اللعوبِ يُعجِبني	أن يخطِبُونِي، ولا أمدُّ يدا
فإن تسرَّعتُ رحْتُ في قلق	أَسْعَى لِفَشْخٍ ولم أَضِرْ أحدا
الاستقالاتُ موتٌ مرحلَةٌ	كل امرئٍ يستَقِيلُ منفردَا
كتبْتُها اليوم كي أقدمَها	قبل انتهائي من الدوام غدا

وبالفعل قدمت استقالتي في اليوم التالي.

الدوحة ٣ شباط/فبراير ٢٠١٧

٦ جمادى الأولى ١٤٣٨

لا أدري هل ومتى يطبع هذا الكتاب! أراحي من التفكير في الأمر صديقي محمد عبد العزيز الذي أخذ على عاتقه أمر النشر. وهو أحرص على كتابي مني، صنع لي هذا في كتابين سبقا هما «أول الشعر» و«تجدد الشعر». أعتر بمحمد عبد العزيز صديقاً، والشكر واجب.

وقد وقف بهذا الكتاب «وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه» صديق لي سخا بوقته عليّ فصحح ما اعوج من كلامي. ذلك هو اللغوي المتمكن أحمد عبد الرحيم. فقد قرأ قراءة فاحصة، وصحح لي بضع مئات من الأخطاء - أظنها تجاوزت الألف - بعضها ناتج عن غفلة أو عجلة، وأكثرها ناشئ عن جهل. وزاد فناقشني في آراء أبديتها، وحاسبني في أخرى. وتعقب شرحي لكل بيت، وما أكثر ما جعلني أزيد في الشرح أو أعديل به عن الوجه الذي كنت رأيت. وزاد فشاركني التمتع بالشعر مبدياً استحسانه أبياتاً كثيرة، وقد أشرت إلى ذلك في مواضعه؛ ذلك حتى أحسّ القارئ بأنه جالس معنا.

ما أكثر ما أقول في نفسي: ماذا لو لم يتح لهذا الكتاب أن ينال عناية ذلك الصديق؟ وتنتابني قشعريرة. بعد أن يفرغ المرء من كتابه يصبح أعمى. يقرأ مرة أو عشر مرات، وتمر به الأخطاء دون أن يراها. لا أملك لأحمد عبد الرحيم ما يفیه حقه.

ابن الرومي

(٥٢٢١هـ — ٥٢٨٣هـ)

بائع الفواكه قد يشابه بائع الخضار في أنهما فقيران، ويسكنان في الزقاق نفسه، ولكن بائع الفواكه يخرج من بيته وهو متأق أكثر قليلاً من بائع الخضار، فهو يتعامل مع زبائن مختلفين. يتعامل مع الأثرياء، ومع متوسطي الحال. ويتذلل لكل زبون بقدر ثرائه. ويعرض بضاعته أحسن عرض، ويمدح تفاحه وعنبه وبطيخه بلسان فصيح. ويعجبه الزبون الذي يدفع بسخاء، ولا يدنق. يعجبه الثري السخي، ويعجبه صاحب المنصب الكبير في البلد. فإذا كان الثري بخيلاً يكثر من المكاس تجهم له. بائع الفواكه غير بائع الخضار، فهو بائع ذو مزاج، يطرد السائلين شر طردة، ويصرف الفقراء صرفاً غير حميد، ويمنح كل زبون من الابتسام ومن التذلل ومن التجهم بمقياس دقيق. أما بائع الخضار فهو يرمي بالباذنجان في كفة الميزان، ثم يرمي الدراهم في صندوقه، ولا ينظر في وجه الزبائن.

الشاعر العباسي بائع فواكه. لا يستحي أن يطلب على قصيدته الثمن الملائم، وينظر إلى كل ممدوح بعين ثاقبة، فيحدد ثرائه، وسخاءه، ومنزلته. يتذلل بلا خجل لمن يرجوه أو يخافه، ويتجهم لمن يبخل ولمن يعد ويخلف.

وقد كرهت بائعي الفواكه كرهاً شديداً. (ملاحظة عابرة: لا اختلاف بين بائع فواكه في سوق البصل بمدينة نابلس وبين بائع الفواكه في سوق لويشام بمدينة لندن). على أنني أتأمل، في الصور المنشورة على النت، فُروش بائعي الفواكه بألوانها الخلافة وبما يسلطون عليها من أضواء، وبترتيبها البديع، وأجد في ذلك متعة.

ومثلما تعجبنا الفواكه مصفوفة ملمعة بألوانها نستمتع بأبيات أولئك الشعراء

من بائعي الفواكه. يعجبنا الشاعر ذو المزاج، ونغفر له التذلل البغيض قانعين بما يضع في شعره من فنون القول.

ومن ذا قال إنه يجب أن نخنق كل بائعي الفواكه في البلد؟

ابن الرومي

ابن الرومي، عليّ بن العباس بن جُرَيْج، شاعر بغدادي شهد في طفولته أواخر الأمجاد، وسمع قصة وامعتصماه وقصيدة «السيف أصدق أنباء» وهو طفل؛ وبلغ المراهقة والخلافة في سامراء المجاورة بيد المتوكل، الذي كان يطوي بيده الأخرى أربعة آلاف جارية. قضى ابن الرومي شبابه الباكر فتى خجولاً يتعلم النحو والصرف ودقائق اللغة في مساجد بغداد، ويقرأ الكتب في دار الحكمة. يرى نفسه «مواطناً» في عاصمة أعظم دولة في الدنيا. وهو، كأغلبية المواطنين في بغداد، عربي اللسان أجنبي الدم. فأمه فارسية وأبوه المتوفى رومي.

لعل جده، كان من سبي المنصور أو المهدي، من أولئك الصبية الذين كان يؤتى بهم غنيمة في حروب الثغور. وقد كان ولاء العائلة لبني العباس، أهل بيت الخلافة. ولكن بني العباس عائلة تعد ثلاثة وثلاثين ألف نفس، حسبما أحصاهم المأمون في خبر نقله المسعودي صاحب مروج الذهب، ومواليهم ربما كانوا أكثر من ذلك. فليس لابن الرومي في هذا الولاء كبير فخر مع هذه الكثرة.

نشأ ابن الرومي في زقاق من أزقة بغداد يتكلم مع أصحابه اللهجة البغدادية التي تُرْصَعها ألفاظ فارسية كثيرة؛ غير أنها لهجة عربية لا غبار عليها إلا ذلك الغبار الحضاري الناشئ عن اختلاط الأقوام، وعن تعايش أساليب حياة شتى في بوتقة. ويشك النقاد في أن يكون شاعرنا تعلم شيئاً من الفارسية، خلا تلك الكلمات التي كان يعرفها كل بغدادي.

عاصر ابن الرومي شيخوخة الجاحظ، وقرأ كتبه، وذكره في شعره. وقد تناهى إلى سمع هذا الفتى المتأدب، وهو في نحو الحادية عشرة، أن أكبر شاعر في البلد قد توفي (أبو تمام ت ٢٣٢). ثم اكتوى شاعرنا حسداً وغيره من شهرة خَلَف الشاعر الراحل وتلميذه، البحتري، ومن نفاق سوقه على الخلفاء والأمراء والكتاب؛ وهجا ابن الرومي البحتري حسداً، ثم جمع بينهما الناجم

تلميذ ابن الرومي فتعابها وتصالها، وأقر ابن الرومي للبحثري، الذي يكبره بخمس عشرة سنة، بالشاعرية، وإن لم يسلم له بالتفوق. وكانت تطرق أسماع شاعرنا قصائد دعبل الخزاعي طريد الخلفاء، وقصائد علي بن الجهم، وفيما بعد قصائد الأمير الشاب ابن المعتز. وقرأ ابن الرومي أشعار أبناء الجيل السابق: بشار وأبي نواس ومسلم وأبي العتاهية. وعاش يناكف النحاة والنقاد، وله مع المبرد والأخفش الأصغر مواقف. ولا شك في أنه قرأ أشعار القدماء في دواوينهم التي صنعها معاصروه كأستاذة محمد بن حبيب وكأبي بكر الصولي. كانت هذه الدواوين تملأ دكاكين الوراقين، وكان الطلب عليها كبيراً. وليس بعيداً أن يكون اقتنى في بيته جمهرة القرشي التي كانت عقداً فريداً انتظم كبار قصائد شعراء الجاهلية والإسلام، أو كتاب فحول الشعراء لابن سلام الجمحي أو كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة. هذه الكتب خرجت من أيدي مؤلفيها إلى الوراقين والنساخ في شباب ابن الرومي. وقيل لنا إنه قرأ كتب المنطق والفلسفة المنقولة عن السريانية عن اليونانية.

لكن ما لا شك فيه أن ابن الرومي كان يعد نفسه معزلياً؛ كان في هذه كاليساريين الذين تعلقوا بفلسفة ماركس بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. إذ إن الاعتزال كان قد فقد سنده السياسي بتولي المتوكل الخلافة وابن الرومي في نحو العاشرة من العمر. وابن الرومي لم يكن يحسن لبس العقيدة التي تناسب السلطان. كان قلقاً نزقاً قليل الصبر على المداينة. كان في الحق شاعراً في مزاجه.

كان الموظف الذي يقول لرئيسه اجعلني مدير فرع وسأريك كفاءتي، لكنه لا يقدم بشيراً بهذه الكفاءة الموعودة بين يدي الوظيفة المنشودة. ولأنه يدرك قصوره كان ابن الرومي ينصرف سريعاً عن مطالباته بـ «الأعمال» أي الوظائف، ويكتفي بأن يلح على الأمراء والكبراء طالباً المال. لا تكاد تجد له مدحاً خالصاً، فلا بد أن تكون قصيدة المدح مشوبة ببعض العتاب وبكثير من الإلحاف، وقد لا تخلو من تهديد مبطن، أو.. غير مبطن. والأمراء يشيرون على المدح لا على العتاب.

كان لابن الرومي زوجة وكان له أولاد. وقبل أن يموت، عن اثنتين وستين سنة، شيع أولاده وجل أهله إلى المقابر وراثهم. ولقي في حياته محاولات من بعض الجيران للاعتداء على أملاكه البسيطة وشكا في شعره شكوى مرة.

لم يصل ابن الرومي إلى الخلفاء لأنه غير مأمون اللسان، ولا يحسن المجاملة.

كانت لابن الرومي هواية لا نعرف له سواها: النظم. يطيل القصائد تلبية لشهوة قرص الشعر. ويحكي في قصائده عن نفسه وخلجات قلبه. يسرف ويسف، ويتحول إلى ناثر منضبط بالوزن والقافية. رأيت في كثير من شعره شبيهاً بذلك الحوذي الذي حدثنا عنه أنطون تشيخوف: سائق عربية يجرها حصان، يتعب في يومه كثيراً، ويحاول مراراً أن يحدث الناس عن ابنه الذي مات قبل أسبوع. لكن، لا أحد يريد أن يصغي إليه. ويعود إلى الإسطبل بحصانه. ويحكي للحصان.. كل شيء.

ديوانه

لا يمل ابن الرومي الاعتذار عن الإطالة، لكنه يعتذر في عشرات الأبيات، وينفق عشرات الأبيات في هذر عجيب. فغير مستغرب أنه ترك لنا أكبر ديوان عرفه العرب. قال من أحصاه إنه تجاوز الثلاثين ألف بيت. وقد طبعه لنا بتحقيق جيد حسين نصار بدءاً بسنة ١٩٧٦ (عن الهيئة المصرية العامة للكتاب). واستوى الديوان ستة أجزاء كبار. فهل تريد أن تقرأها؟ لعلك تفضل هذا الباب من كتابي.

كنت قرأت في الزمن القديم ما اختاره كامل الكيلاني من ديوان ابن الرومي (سبعة آلاف بيت)، وقرأت القسم الذي طبعه الشيخ محمد شريف سليم من ديوانه، وانتخبت منه أبياتاً لدفترتي. وقرأت كتاب العقاد (ابن الرومي: حياته من شعره) الذي حفل بمختارات من مختلف حروف الديوان، تضمنت أبياتاً لم يسبق أن نشرت. وأظن أن المازني والعقاد كانا يرجعان إلى مخطوطة الديوان في دار الكتب، وكان المازني ربما نسخ القصيدة تلو القصيدة من المخطوطة.

ثم عندما طبع الديوان كاملاً أقبلت عليه بشغف. فقرأته وتحيرت: كيف للمرء أن يختار من هذا البحر الزاخر أبياتاً لقارئ معاصر.

ولكن، ها أنت ترى أنني خرجت من حيرتي. قد اخترت لك، ونخلت ما اخترته بضع مرات.

وشرحت الأبيات: كنت بدأت أشرح شرحاً مستفيضاً ثم رأيت أن من

حقى على القارئ أن يشاطرني التعب فاقتضبت الشرح: فسرت الألفاظ بما يوفر على القارئ الرجوع إلى المعاجم، وفضحت المعاني الملتوية التي قد لا يحلها قارئ لم يبحر في الديوان مثلما أبحرت. واستعنت على هذا بالمعاجم لا غير. فأما الذين زعموا أنهم طبعوا شروحاتاً لديوان ابن الرومي فنحن نسدل عليهم الستر. بعضهم اجتهد وقصر، وبعضهم نسخ الديوان كما حققه نصار ثم زعم أنه شارح، وبعضهم فعل الفعلة الذميمة المعروفة: فسر الكلمة التي يعرفها ونعرفها، وأغفل ما سوى ذلك.

غايتك في التعرف على حياة ابن الرومي كتاب العقاد «ابن الرومي: حياته من شعره»، فما زال أحسن وأكمل ما كتب في الموضوع. وللمازني نظرات عميقة حيناً، طريفة حيناً، في حصاد الهشيم فرشها على مئة صفحة. ولمحمد النويهى تعليق طيب على قصيدة ابن الرومي في رثاء ابنه الأوسط، ومناقشة عميقة لرأي العقاد في أثر الجينات اليونانية في شعر صاحبنا. فأما القدماء فقد أهملوا ابن الرومي إلا مقتطفات من شعره ظلوا يوردونها، وظلت تفرض نفسها عليهم، لأن الرجل مبتدع معانٍ، وكانوا يعجبون بالمعنى المبتكر.

هذه المختارات

أعجبني من أبيات ابن الرومي ما أعجب القدماء. والتفتُ في شعره إلى مسألة وحدة القصيدة، وأغرمني ذلك اقتطاف أبيات كثيرة حتى تنجلي هذه الميزة. قد اعترض كم شئت من النقاد المحدثين على القول إن قصيدة ابن الرومي متماسكة منبئية على نهج «وحدة القصيدة»، والحق أن الرجل كان يصوغ العشرين بيتاً والثلاثين بيتاً صوغاً متماسكاً يخدم معنى واحداً. فقصيدته، إلا تكن وحدة فنية متكاملة، فهي مجموعة من القصائد المتحلية بمزية «وحدة القصيدة».

أحببت في شعر الرجل صدقه، وانجراه وراء فنه، فهو يصنع القصيدة بعقله وقلبه معاً حتى عندما يكون في حالة من الحزن الشديد قاعداً يرثي ابنه. وأحببت في ابن الرومي سعة علمه باللغة، وكرهت ذلك في آن معاً. فهو يضع الكلمة في مكانها واعياً لمعناها المعجمي دقيقاً في استخدامها، ويسرف في استخدام صيغ صرفية صحيحة الاشتقاق ولكنها غير جارية في كلام الفصحاء. وأعجبني أكثر ما أعجبني أن صاحبنا يقول ما في رأسه، ولا يردد الرواسم.

وهو يصر على أن يقول الشيء كما فكر فيه، ويستعين على ذلك بقدرة لغوية نادرة المثال. ويصر على أن يفصل القول تفصيلاً، فلا يغادر في المعنى شيئاً. أعجبتني صراحته في العبارة عن مكنون نفسه واحتملت بذاءته في الهجاء، وربما ضحكت منها. وصاحبنا كان يكون في أحسن حالاته الشعرية هاجياً ساخراً شامئاً. ولم أغير سوى النقطة هنا وهناك فيما اقتبست من هجر القول، أخفي بتغيير هذه النقطة تلك العوراء عن عين حدث أو رقيب. واستمتعت بوصفه للحياة اليومية: أكنت ترجو أن ترى شاعراً عاش قبل أكثر من ألف سنة يصف لنا طريقة إعداد الساندويتش بالتفصيل؟ نحفل بذلك لندرته.

على أنه كان من واجبي أن أقصر هذه المختارات على نحو من ألف وخمسة بيت هي نحو خمسة بالمئة مما يضمه الديوان.

وأقول لك: هذه زبدة الزبدة. عرضت عليك ابن الرومي في قصائده الطوال الجياد، وجئت بك كل ما هو طريف ومشهور من قطعه الصغيرة، ولم أغادر قصيدة له إلا وقد أرهقتها درساً فاختياراً.

كنت أندم على اختيار هذا البيت أو ذاك فأعود فأسقطه، ثم أعود فأراه لازماً لإقامة سياق فائته مرة أخرى. وكنت أرى البيت الجميل واقفاً وحده فأسنده بيت آخر. وكنت أرى نفسي اخترت عشرة أبيات أو عشرين تحتوي في داخلها بيتين طريفين بعض الطرافة فأعود وأسقط الأبيات كلها.

قد تعبت تخيلاً. وما تراه هو النتيجة.

شكلت الكلمات بيدي وراجعتها مراراً. ولست آمن أن تكون فتحة أو ضمة قد وقعت في غير موقعها. كما لست آمن أن أكون فهمت بيتاً على غير وجهه. على أنني اجتهدت. وقد صححت - في هذه المختارات وحدها - عشرات الأغلاط المطبعية وغير المطبعية التي انتشرت في الديوان. وقطعت البيت شطرين في المكان الذي يجب أن يقطع فيه، وهذا أمر اضطرب فيه محقق الديوان في مواضع كثيرة. على أنني حمدت للمحقق ذكره في الحاشية روايات المخطوطات المختلفة، وكم مرة وجدت رواية الهامش تقوم بمعنى البيت دون رواية المتن. كان من حسن حظ هذا الديوان أن حققه عالم راسخ هو حسين نصار. وما ذكرته من هنات قليل جداً في جنب سعة علم ومتانة خلق الرجل اللذين تجليا في هذا التحقيق مثلما تجليا في جهود حسين نصار العلمية الأخرى.

قد صعب عليّ أن أرتب المختارات بتسلسل زمني، ولم يكن ممكناً ترتيبها على الأغراض، لأن القصيدة الواحدة قد تحتوي عدة أغراض من مدح وهجاء وعتاب، فتركت الأبيات مرتبة على أحرف الهجاء؛ وصنعت فهرساً للأغراض، وآخر للأعلام. وسوّدت بالحرف المشدد أبياتاً هنا وهناك لافتاً نظرك إليها، فهذه صفوة الصفوة. سوّدت ما هو طريف، وما هو دقيق في معناه، وما هو جزل. وقد يكون الطريف بديئاً، وقد يكون الدقيق عويصاً، وقد يكون الجزل غامضاً. وسميت كل قطعة باسم من عندي. وأعطيتها رقماً حتى يسهل الرجوع إليها، فأرقام الصفحات قد تتغير بنقل الكلام من برنامج حاسوبي إلى آخر.

وسوف أورد عليك الآن ما تيسر لنا من وقائع حياة ابن الرومي. وإمامي في ذلك كتاب العقاد وفصل كتبه أنيس الخوري المقدسي في كتابه «أمراء الشعر العربي في العصر العباسي». فأما ابن خلكان صاحب الوفيات، وابن رشيق صاحب العمدة، والقيرواني صاحب زهر الآداب، والعباسي صاحب معاهد التنصيص فلم يترجموا للرجل بما ينقع غلة أو يملأ قلة، واكتفوا بالتفتة الفلتة.

حياة ابن الرومي، علي بن العباس بن جُرَيْج، (٢٢١ - ٢٨٣)

ولد عام ٢٢١ في بغداد. جده جريج (أو جرجيوس) رومي، وكان الجد مولى لعبد الله بن عيسى بن جعفر بن المنصور. وأبوه مسلم، وقد نشأ نشأة أولاد المسلمين. والأرجح أن أباه مات وشاعرنّا طفل. وكان له أخ أكبر منه كان شاعرنا يتخذه أباً، وعاش في كنف أمه التي ماتت وهو كبير ورثاها. وتزوج ومات له ثلاثة أبناء، وماتت زوجته، وربما كان تزوج امرأة أخرى، ولعلها ماتت في حياته أيضاً. وكانت له ضيعة صغيرة، وبيت أو بيتان. وخاض نزاعين كبيرين مع جارٍ تاجر ومع جارية بشأن العقار. ولعل هذين كانا نزاعين صغيرين كبرتهما قصائد شاعرنا.

مدح أبا الصقر (إسماعيل بن بلبل) الشيباني الوزير، ثم عاتبه ثم هجاه. ومدح (عبيد الله بن عبد الله بن طاهر) أمير بغداد ومدح غيره من آل طاهر. وأذاقهم العتاب فالهجاء أيضاً. ومدح من آل وهب (القاسم بن عبيد الله)، وأكثر فيه القول مع عتاب شديد. ومدح وهجا غيره من هذه الأسرة. ومدح آل المنجم وعلى الأخص (علي بن يحيى). ومدح (آل المدبر)، و(آل نوبخت). وعندما نقول مدح فنحن نعني: طالبهم بالمال. فصاحبنا كان يمدح ببيت

ويطلب المال بعشرات الأبيات، ثم تتناثر قصائده في العتاب واستنجاز الوعود، والتحذير، ثم التهديد. ثم يأتي الهجاء جارفاً كالسيل. ونظريته أن المدح لا يليق بالشاعر ولا بالأمير، فالشاعر الذي يطيل مدحه قليل الثقة بجود ممدوحه، والأمير الذي يعطي على المدح تاجر؛ وخليق بالكريم أن يكون كالسحاب يعطي بلا حساب وبلا أسباب. وابن الرومي في شعره شديد الإلحاف مليء القلب بالنكد والسخط. لا يمل كلمة هات. ويذكر الكبراء والأمرء بوعودهم تذكيراً مملأً، ولا يندر أن يهدد تهديداً مبطناً سمجاً غاية السماجة (عندما تسمعه بأذني الأمير صاحب الشأن)، ولكننا نرى في هذا التهديد طرافة لا مزيد عليها.

قال القدماء إن القاسم بن عبيد الله خشي أن ينقلب ابن الرومي عليه فيهجوه، فبادر وقتله بالسم. تلك قصة ردها الكثيرون. وقيل بل مرض ابن الرومي وهو في الثانية والستين من العمر ومات ميتة طبيعية.

قالوا إن ابن الرومي كان كثير التطير، يتشاءم من أحذب يراه جالساً على باب بيته فيمتنع من الخروج ويقضي نهاره في البيت. وذكروا عن طيرته قصصاً كثيرة، لا شك في أن بعضها حق. لكن صاحبنا لم يكن مصاباً بالذهان (البارانويا) فيما ظهر لنا من شعره. كان قلقاً فحسب.

لا نشايح النويهي والعقاد والمازني في تفسير نفسية ابن الرومي بالاستناد إلى الدراسات النفسية الحديثة. فنحن نعتقد أننا جميعاً مرضى نفسيون، وفي كل واحد منا عدد من الانحرافات النفسية. كل إنسان يتشاءم كثيراً أو قليلاً، وكل إنسان يؤمن بالغيبات قليلاً أو كثيراً. على أن النصف الأول من القرن العشرين شهد نشاطاً في مصر في حقل الدراسات النفسية، فنشأت جمعيات لهذه الدراسات، وألفت وترجمت عشرات الكتب. وراح بعض الروائيين - واذكر إحسان عبد القدوس - يبنون رواياتهم لا على شخوص حقيقيين بل على حالات نفسية منمطة. وقد أثر هذا في الدراسات التي كتبت عن الشعراء القدماء، فأسرفت في التحليل النفسي، وفي تطبيق ما تيسر لأصحابها من معارف عن العلل النفسية على حيوات الشعراء القدماء.

نقول فقط إن ابن الرومي كان قلقاً قلق الشاعر والفنان. لم يكن قيادياً في شخصيته، ولكنه كان متمرداً، وكان ذكياً وواسع الاطلاع، وكان متهتكاً كعصره: مؤمناً يخاف يوم الحساب، وشديد الإقبال على ملذاته.

كان أكلواً نهماً. وكان يحب السماع حباً جماً، ويحضر مجالس القيان.

وقد عرفت بغداد عصرئذ بيوتاً تنعقد فيها مجالس الشراب والغناء، شيئاً كالملاهي الليلية في زمننا. وأنا أشبه هذا التشبيه مما رأيت في أفلام الأبيض والأسود لا أنني غشيت هذه الأماكن. على أن ابن الرومي كان جلس تلكم المجالس لا يكاد يفارقها. وكان له فيها ما لروادها من عريضة ومن عبث بالمطربات والمطربين. ولعله كان يدخل واغلاً متطفلاً في كثير من الأحيان مدلاً بمعرفته صاحب الدار. على أنه كان يحب الغناء حقاً. وكان يتعشق الجواري، ويمنعه قبحه وشبهه وصلعه واكتهاله وفقره من تحقيق شيء معهن. لا نقول إنه كان عفاً ولا إنه لم يزن عمره؛ بل في شعره ما يُدحض ذلك. كان شبقاً لكنه لم يكن فاتكاً. ولا ننتظر من شاعر رقيق أن يجمع الفتك والعرامة إلى الحساسية والرهافة.

كان، كمجتمعه البغدادي في ذلك الزمن، خليع عذارٍ. وسوغ له قوله بالاعتزال أن يستخف بنواهي الدين. فالدين عنده إيمان بالله وباليوم الآخر لا أكثر. كان فيه اجترأ على الدين، على أن زهدياته تشي بأنه كان مستمسكاً بالحد الأدنى من الإيمان. أما اليقين فلا نراه وصل منه إلى أبعد من العتبة.

عاش دنياء راثياً أن خير ما يصنع أن يعب من لذاتها أكبر قدر ممكن. وهو واقعي شهواني. المرأة عنده مثل الدجاجة المحمرة التي وصفها وصفاً مفصلاً يجعلك تشعر بالجوع. وحاجته إلى المرأة «حاجة ديك إلى دجاجة» بتعبيره. لا نراه أدمن الخمر وإن كان شربها كثيراً؛ ولا نشعر أنه مارس اللواط أو كانت به أبنه، وإن رمى بهما مهجويه وفصل فيهما القول تفصيلاً.

أعود إلى نهم ابن الرومي. جاء في الأخبار قبل أسابيع - وأنا أكتب هذه الفقرة المصححة في ٢٧ يناير ٢٠١١ - أن علماء بريطانيين يرجحون أن النهم، ومن ثم السمنة، يعودان إلى سبب جيني. وما دعائي إلى إقحام هذه الفقرة فراغي من قراءة رواية للصديق حكيم عبد الهادي لا تزال في طور المخطوطة اسمها «سليمان الجائع» تصف، بجانب قيمتها الأدبية والتأريخية العالية، الشخص النهم وصفاً بديعاً. وبطل تلك الرواية يشابه شاعرنا كثيراً. فهو يجمع في روحه المتوثبة صفة الغورماند والغورمية معاً. والغورماند هو النهم الشره التلقامة، والغورمية هو المذواق الذي يعرف طيب الطعام ويقبل عليه. سليمان الجائع، بطل الرواية، التهم في يوم واحد تسع كوسايات محشوات بالأرز واللحم المفروم وهو في الأسبوع الثاني من عمره - كذا شاءت الأسطورة ضمن

هذه الرواية التي تقص قصة شخص من لحم ودم عايشه الكاتب - ومضى في طريق النهم حتى وفاته؛ على أنه كان مِذْوَاقاً يأبى أن يأكل إلا ما أجيد طهوه. فنراه إذا قُدِّم له في بيت من بيوت الأقارب طعام على غير ما يهوى من التسيبك والإنضاج والتتبيل بأصناف الأفاويه التي ليس منها بد وبالمقادير التي لا يجوز أن تختل، أمسك عن طعام ذلك البيت إلى الأبد. ولا أجد في أدبنا العربي ما يشرح هذه الظاهرة بمثل ذلك الظرف وخفة التناول اللذين شرحا بهما حكم عبد الهادي، ولعله اتخذ أباه أساساً لبطل روايته.

وأقص عن أبي أنا قصة شهدتها: كان مقبلاً على البيت قادماً من عمله ظهراً، وقبل أن يدخل البيت، وعندما كان يسير بجانب الحديقة التي تفوح منها رائحة زهر الليمون، قال: «أمك لم تطيب الطبخة بجوزة الطيب». ومسحوق جوزة الطيب هذه يرش منه على الطبخة رشّة صغيرة فحسب. فهذا والذي بلغ به التدقيق في شأن الطعام أنه شم «عدم» وجود جوزة الطيب في طبخة تقبع على النار بعيدة عنه بضع عشرات من الأمتار.

وأعود بك إلى سليمان الجائع. فقد شارك ابن الرومي في أنه كان شاعراً. وكانت قصيدته الأولى في تمجيد الفلافل، والفلافل في فلسطين كالطعمية في مصر، على أنه يعمل في فلسطين من الحمص المجروش لا من الفول المهروس. ولعمري، لفلافل كل بلد خير مقياس لذائقة أهلها الطعامية. فقد جربت في الدوحة - مغتربتي الحالي - فلافل خمسة أو ستة محلات، وما ارتضيت منها إلا فلافل «العكاوي» بعلامة سبعين في المئة، بل أقل.. ولكن أدركتني الرأفة عليه لأنهم هدموا قبل شهرين دكانه بل شارع كله وهو «شارع الكهرباء» أبهى شوارع الدوحة.

لم ينشأ ابن الرومي فقيراً كل الفقر، ولكن موت أبيه وهو بعد صغير أدخل الأسرة في دوامة الفقر، فتنهت حليمات التذوق في فمه، واحتفظت في ذاكرتها بطعم طعام أيام العز. فظل مشتاقاً إلى هذا الطعم يتسقطه، ويتنبه إلى حضوره أيا ن ثقفه. وربما كان في جسمه ذلك الجين البريطاني المسؤول عن النهم، إن صدق ترجيح العلماء البريطانيين، ولا أحضك على تصديق كل خبر يرد على الصفحة الأخيرة من الجريدة، ولكنني، وقد قرأت نصف دسنة من الكتب الرصينة والخفيفة في موضوع الريجيم والحمية، أظن أن ما قاله أولئك العلماء صحيح. غير أنني أستدرك بأنه قد لا يصدق على ابن الرومي. كان ابن الرومي

نهماً للطعام الجيد، يقع عليه في الفينة بعد الفينة في بيوت عليّة القوم فينال منه فيسرف في النيل. ولم يكن بطيناً، بل كان في الواقع أقرب إلى النحافة، ولذا يغلب على ظني أنه من فئة الغورميه: المذاوق. وفي مختاراتنا هذه من ديوانه ست عشرة قطعة تشهد على هذه الحالة، فافحص عنها في فهرس الأغراض في ذيل الباب تحت كلمتي: طعام، ونهم.

كان شاعرنا متحلاً من الأعراف الاجتماعية ومن الأخلاق كما يعرفها الناس، وكان متبطلاً غير موفق حتى في صناعته الوحيدة: النظم. لم يفلح في تولي منصب يعتاش منه، وإن كان طلب مثل هذا المنصب. وفي شعره لم يكن ناجحاً في التكسب. فلم يصل إلى خليفة، ولم يبن البيوت ولا اقتنى الضياع، بل لعله ضيع بعض ما ورثه من ذلك. هو فعلاً إنسان فاشل.

لم يكن ابن الرومي رجل سياسة، لكنه كان يتشيع. يحب آل البيت مثل كل الناس من شيعة وسنة، ويغضب لأنهم يلقون صدوقاً من أبناء عمومتهم العباسيين. موقف مستغرب من رجل ولاؤه في بني العباس. لكننا سنرى بعد بضعة عقود أبا الفرج الأصبهاني، وهو من بقية بني أمية، يتشيع.

مات ابن الرومي عام ٢٨٣. لعله مات بنوبة من نوبات مرض السكر. وللعقاد في هذا تحليل طبي طريف. وقد تذكرنا به تحليلاً طبياً آخر للعقاد عن العقاد: فعندما مرض العقاد في أخريات حياته أصر على تشخيص نفسه ومداواة علته، ولم يلجأ إلى الأطباء في الوقت المناسب كما يخبرنا أنيس منصور الذي يرى أن العقاد شطح كثيراً في تشخيصه، ومات بتلك المرضة.

لم أسرف في ذكر أغراض شعر ابن الرومي. فهذا ما تجده في الصفحات المقبلة. وأضربت عن تنقّص الأكاديميين وأصحاب الرقاع المسماة شهادات الدكتوراه، لكنني قد أعود إليهم في أثناء الشرح.

كلمات أخيرة عن ابن الرومي وستة أبيات

فأما الأبيات الستة فقد وجدتها وأنا أطلع بعض الكتب، ولم أكن اقتبستها لك. فأعجبني، فقلت: لا أريدها أن تغلت. وها هي:

قال ابن الرومي:

عَدُونَا إِلَى مَيِّمُونَ نَطْلُبُ حَاجَةً فَأَوْسَعَنَا مَنَعاً وَجِيزاً بِلا مَظِلِّ

وقال: اعذروني إنَّ بُخْلِي جِبِلَّةٌ وإنَّ يَدِي مَخْلُوقَةٌ خِلْقَةُ الْقُفْلِ
وقال:

وما قُتِلَ بعضُ الحيِّ بعضاً بِناهِكِ قُوءُهُ إِذَا مَا جَاءَ حَيٌّ يَحَارِبُهُ
وما لَطُمَ بعضُ الموجِ في البحرِ بعضُهُ بِمَانِعِهِ تَغْرِيقَ مَنْ هُوَ رَاكِبُهُ
وقال:

إِنَّكَ لَوْ تَسْمَعُ أَلْحَانَهُ تِلْكَ اللَّوَاتِي لَيْسَ يَعْدُوهَا
لَخَلَّتْ مِنْ دَاخِلِ خُلُقُومِهِ مُوسُوساً يَخْنُقُ مَعْتُوهَا

وأما الكلمات فهي أن الفن ساحة واسعة يحاول بعضهم تضيقها. يجدون ابن الرومي يمعن في الثرية فينفونه عن وطن الشعر. ونظن ثرية ابن الرومي من ميزاته. ويجدون ابن الرومي بذيئاً فيقولون هذا سباب وليس بشعر. وساحة الشعر فيها سباب وفيها تقوى وفيها كل شيء، وميزانها الصدق. وها نحن أتينا إلى ميزة كبرى لابن الرومي: الصدق. ولا نفسر ذلك، ولا نكتب فيه فقرة أخرى، بل نبه عليه: الصدق الصدق.

ونعود إلى تشاؤمه فنقول. لعله كان متشائماً بعض الشيء، ولكننا أضربنا عن أطراف القارئ بما حيك حول تشاؤمه من خرافات، لأننا على يقين من أنها.. خرافات. فالتمسها إن أردت في كتب أخرى.

كان كثير الشكوى متكدأً من عيشته، وكان اضطرابه الحقيقي هو التفاوت ما بين مواهبه: ذكاء حاد، وقدرة فائقة على استخدام اللغة استخداماً حراً، وخيال واسع، ونقص فادح في موهبة «العلاقات العامة»، وكسل شديد؛ فهو على هذا قد امتلك ما يجب أن يمتلك ليكون شاعراً كبيراً، وقد كان. ولم يمتلك من النشاط ولا من القدرة على المداهنة، ولا من الكذب في المدح ما يجعله يقنع الأمراء باصطناعه.

وامتلك ابن الرومي الوقت. كان في حياته فراغ. لا يبرح بغداد، ويكره السفر. ولا يعالج من أمور الفلسفة والعقائد شيئاً، مكتفياً بالاطلاع عليها. ولا يقضي أوقاته في مجالس الأمراء نديماً أو جليساً، وما أكثر ما كان يرسل شعره مكتوباً في رقعة. كان يحضر مجالس اللهو والطرب، ويقضي نهاره يتسلى بكتابة الشعر. وأصبح النظم إدماناً، لذا أطل كثيراً.

على مدى قرون كثيرة عاش تراث شعري لعله أطول تراث شعري متماسك يشبه بعضه بعضاً عرفته الدنيا، تراث شعري ذو أسس واحدة واضحة المعالم. حافظ عليه أهله بعناد وجمدوه تجميداً. تمسكوا ببحور الخليل كأنها العرض والشرف؛ كانوا يخرجون من جاهلية إلى إسلام إلى عصر ازدهار إلى عصر انحطاط إلى عصر إحياء وهم ممسكون بهذا التقليد الشعري المحدد لا يتركونه. وفي الخمسينات من القرن العشرين قرروا أن يتركوه. اخترعوا الشعر المرسل فشعر التفعيلة فالشعر الحر ثم قصيدة النثر. وما زال العرب متحيرين كيف يكتبون الشعر. ولكنهم على مدى السنوات السبعين الماضية (وأنا أكتب في أواخر سنة ٢٠١٠) ظلوا مصممين على هجر الشعر العمودي. هجروه نظماً وهجرته نفوسهم، وانطقاً إيقاعه في آذانهم. يقرأ الشاب في أيامنا البيت فيكسره ولا يحس بأنه كسره. ولا نصف هذه الحال التي نحن عليها اليوم مادحين ولا قادحين. هذا واقع وكفى. على أننا نرى في تراثنا الشعري ثروة وجدانية مهمة: ومن الجدير أن نقدمه للقارئ المعاصر في ثوب مناسب.

لقد نقل الشعر إلينا «الوجدان التاريخي» إن دق التعبير. اقرأ كتب المسعودي والطبري وابن الأثير وابن خلدون واليعقوبي في التاريخ وستعرف الكثير؛ ولكنك ستجد في الشعر معلومات أخرى غفلت عنها كتب التاريخ. ستجد فيه طريقة تفكير الناس في العصور المختلفة، وطريقة حياتهم، وتفاعلهم مع الأحداث. الشعر يُسرُّ إليك بأمور غابت عن كتب التاريخ. ولا أظن أحداً من المؤرخين الذين ذكرتهم وصف لنا طريقة صنع الزلاية؛ ولا كيف يدحو الخباز رفاقته، ولا طريقة إعداد الساندويتش، ولا أن مترفي بغداد كانوا لا يجيزون لك أن تعض الخبزة بأسنانك ثم تغمسها في الطبق المشترك. كل هذا وصفه ابن الرومي، وكله موجود في مختاراتنا.

لا أزعم لهذه السلسلة ما ليس لها. هي ليست أكثر من مختارات. وحتى في شعرائها فهي كذلك. فلن تضم كل الشعراء ولا نصفهم ولا عشرهم. ستضم فقط من أعتقد أنهم أبرزهم. فأنا أختار الشعر بدوقي؛ وبدوقي أختار الشعراء أيضاً.

وأما التمثيل التاريخي فلا شأن لي به. قد أهمل قرناً أو قروناً ليس فيها شاعر عظيم. هذه سلسلة لكبار الشعراء لا لكبار الحوادث. كل ما أضمنه لك

أن أنفق ما تَقَرُّ به عيناك من نور عَيْنِي في تدقيق ما أختاره لك وتشكيله حتى يأتي صحيحاً تطمئن إليه نفسك.

الدوحة ٢ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٠
٢٥ ذو الحجة ١٤٣١

١ حميمية

يا حَبِّذا ليلُ أيلولٍ إذا بَرَدَتْ فيه مضاجِعُنا، والريحُ سَجَواءُ
أيلول: سبتبر، المضاجع: أماكن النوم، سجواء: ساكنة
وجَمَشَ القُرُّ فيه الجلدَ، فائْتَلَفَتْ مِنَ الصَّجِيعَيْنِ أَخْشاءَ فَأَخْشاءَ
جمش: قَرَصَ، القر: البُرْد

٢ سماء الكرم

قال ابن الرومي في علي بن يحيى:
يَحَقِّقُكَ أَمْطَرَتِ الْوَرَى، وَيَحَقِّقُهُمْ، لَأَنَّهُمْ أَرْضُ، وَأَنْتَ سَمَاءُ
الورى: البشر

٣ فائدة الجفون

ليس حَمْدُ الجفونِ في مَرِيهَا النِّوَمَ، ولا نَفْيُهَا أذى الأَقْدَاءِ
ليس حمد الجفون (سبب شكرنا لها) في مريها النوم (استجلابها النوم، فهي تستجلبه بالحيلة كما يحلب المرء الناقة قليلاً قليلاً)، ولا في إبعادها أذى الأعداء (ما يقع في العين من قشة أو وسخة)
إنَّما حَمْدُها: إذا هِيَ حَالَتْ بَيْنَ طَرْفِ الْعُيُونِ والبُغْضَاءِ
البُغْضَاء: الثقلاء

٤ الموز.. ميم

وقال (في الحسن بن عبيد الله بن سليمان):
إنَّما الموزُ، حينَ تُمْكِنُ مِنْهُ، كَاسِمِهِ، مُبْدَلاً مِنَ المِيمِ فَأَءِ
تمكن منه: يصبح في حوزتك؛ أي هو (فوز)

يَشْهَدُ اللَّهُ إِنَّهُ لَطَعَامٌ خُرْمِيٌّ يُعَازِلُ الْأَحْشَاءَ
الْخُرْمُ: الناعم من العيش (لسان العرب)، والكلمة فارسية ولها في الفارسية المعاصرة وجود
لَوْ تَكُونُ الْقُلُوبُ مَأْوَى طَعَامٍ نَارَعَتْهُ قُلُوبُنَا الْأَنْمَاءَ

٥ حوار مع العيوب

قال ابن الرومي يعاتب أبا القاسم التوزي الشطرنجي:

يا أخي: أَيْنَ رِيحُ ذَاكَ اللَّقَاءِ؟ أَيْنَ مَا كَانَ بَيْنَنَا مِنْ صَفَاءٍ؟
ريح: ثمرة

كَشَفْتُ مِنْكَ حَاجَتِي هَنَوَاتٍ غُطِّيتْ بُرْهَةً بِحُسْنِ اللَّقَاءِ
حاجتي التي أطلبها عندك كشفت لي عن هنوات (عيوب) كانت مغطاة بحسن اللقاء والبشاشة
تَرَكَتْنِي؛ وَلَمْ أَكُنْ سَيِّءَ الظَّنِّ أَسِيءُ الظُّنُونِ بِالْأَصْدِقَاءِ
هذه العيوب تركتني (جعلتني) أسيء الظنون بالأصدقاء، ولم أكن قبلئذ كذلك

قُلْتُ، لَمَّا بَدَتْ لِعَيْنِي شُنْعًا: رَبُّ شَوْهَاءَ فِي حَشَا حَسَنَاءِ
قلت، عندما ظهرت العيوب لعيني شنيعة: رب خصلة شوهاء (مشوهة) تكون مطوية في أحشاء
خصلة جميلة (يعني العيوب مستورة في جوف بشاشة اللقاء)

لَيْتَنِي مَا هَتَكْتُ عَنْكَ سِتْرًا فَتَوَيْتُنْ تَحْتَ ذَاكَ الْغِطَاءِ
الآن بدأ ابن الرومي يخوض حواراً مع العيوب. قلت للعيوب: ليتني تركتك بستركن، فتويتن
(مكتتن) تحت الستر

قُلْنِ: لَوْلَا أَنْكِشَافُنَا مَا تَجَلَّتْ عَنْكَ ظُلُمَاءُ (رَبِيبَةُ) الشَّبْهَةِ الْقَتْمَاءِ (القائمة)
العيوب قالت: لولا ظهورنا لما انجلت عنك ظلمات (رَبِيبَةُ) الشبهة القتماء (القائمة)

قُلْتُ: تَاللَّهِ لَيْسَ مِثْلِي مَنْ وَدَّ ضَلَالًا، وَحَيْرَةً بِأَهْتِدَاءِ
قلت للعيوب: والله أنا لا أود الضلال والحيرة، بدلاً من الاهتداء للحقيقة... ولكن..

غَيْرَ أَنِّي وَدِدْتُ سَتْرَ صَدِيقِي بَدَلًا بِاسْتِفَادَةِ الْأَنْبَاءِ
لكنني فضلت أن أستر صديقي على استفادة (معرفة) الأنباء عن عيوبه

قُلْنِ: هَذَا هَوَىٌّ، فَعَرِّجْ عَلَى الْحَقِّ وَخَلِّ الْهَوَى لِقَلْبِ هَوَاءِ
قالت العيوب: هذا هوى (ضلال)، فعرج على الحق (تعال للحق)، واطرك الضلال لقلب هواء
(قلب ضعيف)...

لَيْسَ فِي الْحَقِّ أَنْ تَوَدَّ لِيَحْلُ ۖ أَنَّهُ الدَّهْرَ كَامِنُ الْأَدْوَاءِ
فليس حقاً أن تود لخل (صديق) أن يبقى الدهر (طول الدهر) كامن الأدواء (مخفي الأمراض)
بَلْ مِنَ الْحَقِّ أَنْ تُنْقَرَّ عَنْهُنَّ ۖ وَإِلَّا فَأَنْتَ كَالْبُعْدَاءِ
تنقر: تفحص

إِنَّ بَحْثَ الطَّبِيبِ عَنْ دَاءٍ ذِي الدَّاءِ ۖ لِأَسْنِ الشِّفَاءِ قَبْلَ الشِّفَاءِ
بحث الطبيب عن سبب الداء هو أساس للشفاء

دُونَكَ الْكُشْفَ وَالْعِتَابَ، فَقَوْمٌ بِهِمَا كُلُّ خَلَةٍ عَوْجَاءِ
دونك (خذ) الكشف عنا - العيوب ما زالت تتكلم - وخذ العتاب، وقوم كل خلة (خصلة) معوجة

وَإِذَا مَا بَدَأَ لَكَ الْعُرْيُومَ ۖ فَتَتَبَّعْ نِقَابَهُ بِالْهِنَاءِ
إذا ظهر لك العر (الجرب) فتتبع نقابه (مواضع انتقاب الجلد) بالهناء (القطران)

قُلْتُ: فِي ذَاكَ مَوْتُكُنَّ، وَمَا الْمَوْتُ بِمُسْتَعْذَبٍ لَدَى الْأَحْيَاءِ
قلت للعيوب: في فعلي هذا موت لكُنَّ، وهل يجد الحي الموت عذباً؟

قُلْنَ: مَا الْمَوْتُ بِالْكَرِيهِ إِذَا كَانَ بِحَقٍّ؛ فَلَا تَزِدْ فِي الْمِرَاءِ
قالت العيوب: الموت غير كريه بالحق، فلا تزد في المراء (الجدال). انتهى الحوار
بين الشاعر وبين عيوب أبي القاسم. وهذه محاوراة غريبة طريفة، تدل على خيال
جامع، وعلى اجتراء من ابن الرومي على قول أشياء في شعره لم ترد في أي شعر
قبله، هذا دليل على التفرد

يَا أَبَا الْقَاسِمِ، الَّذِي كُنْتُ أَرْجُو ۖ هَلْ لِدَهْرِي، قَطَعْتَ مَتْنَ الرَّجَاءِ
لَا أَجَازِيكَ مِنْ غُرُورِكَ إِلَّا يَا ۖ وَيْ غُرُوراً؛ وَقِيَتْ سَوْءَ الْجَزَاءِ
لا أجازيك (أرُدُّ عليك) بغرورك إياي (بخداحك إياي) غروراً (خداعاً)؛ وقال الله الجزاء السيء

بَلْ أَرَى صِدْقَكَ الْحَدِيثَ، وَمَا ذَاكَ لِيُبْخَلَ عَلَيْكَ بِالْإِعْضَاءِ
وما أراه هو أن أصدقك القول، وهذا ليس لأنني أبخل عليك بإعضاء الطرف على عيوبك...

أَنْتَ عَيْنِي، وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِي ۖ عَضُّ أَجْفَانِيهَا عَلَى الْأَقْدَاءِ
فأنت مثل عيني، وليس من حق عيني أن تغمض أجفانها على القذى (وسخ العين)

مَا بِأَمْثَالِ مَا أَتَيْتَ مِنَ الْأَمْرِ ۖ رِيَحُ الْفَتَى ذُرّاً الْعَلِيَاءِ
ليس بمثل الأعمال التي قمت بها يبلغ المرء ذرا العلياء (قمم المجد)

ليس مَنْ حَلَّ بِالْمَحَلِّ الَّذِي أَنْتَ بِهِ مِنْ سَمَاحَةٍ أَوْ وَفَاءٍ
ليس من هو في محلك العالي من السماحة (طيب النفس) والوفاء...

بَذَلَ الْوَعْدَ لِلْأَخْلَاءِ سَمَحاً، وَأَبَى بَعْدَ ذَلِكَ بَذَلَ الْغَنَاءِ
هذا الشخص لا يبذل الوعود للأصدقاء بسماحة وكثرة، ثم يأبى بعد ذلك الغناء (إعطاء ما يغني ويسمن)

فَعَدَا كَالْخِلَافِ: يُورِقُ لِلْعِيْدِ نِ، وَيَأْبَى الْإِنْمَارَ كُلَّ الْإِبَاءِ
مثل هذا الشخص يصبح كشجر الخلاف (الصفصاف) يورق ولكنه يأبى أن يثمر

يَا أَخِي! يَا أَخَا الدَّمَائَةِ وَالرَّقْدِ لَّةِ وَالظَّرْفِ وَالْحِجَا وَالذَّهَاءِ
الحجا: العقل

رُبَّمَا هَالَنِي وَحَيَّرَ عَقْلِي أَخْذُكَ اللَّاعِبِينَ بِالْبَاسَاءِ
ربما (كثيراً ما)، البأساء (الشدة)

وَاحْتِرَاسُ الذَّهَاءِ مِنْكَ، وَإِعْصَا فُكَّ بِالْأَقْوِيَاءِ وَالضُّعَفَاءِ
وتدابيرك اللطاف اللواتي هُنَّ أَخْفَى مِنْ مُسْتَسِيرِ الْهَبَاءِ
اللطاف (الخفية)، مستسر الهباء (الهباء المستخفي)

بَلْ مِنْ السَّرِّ فِي ضَمِيرٍ مُحِبٍّ أَدْبَنَتْهُ عَقُوبَةُ الْإِنْشَاءِ
بل إن تدابيرك وخططك الجهنمية في الشطرنج أكثر خفاء من السر في ضمير عاشق أفسى السر
سابقاً وعوقب فتأدب، فهو يخفي السر بقوة الآن

فِيْأَخَالُ الَّذِي تُدِيرُ عَلَى الْقَوِّ مِ حُرُوباً دَوَائِرَ الْأَرْحَاءِ
يخيل إلي أن ما تديره على اللاعبين حروب دائرة الأرحاء (حجارة طواحينها تدور)

وَأَظُنُّ أَفْتِرَاسَكَ الْقِرْنَ فَالْقِرْ نَ مَنَايَا وَشَيْكَةَ الْإِرْدَاءِ
ويهيأ إلي أن افتراسك القرن (الخصم) بعد الخصم منايا (ميتات) وشيكة الإرداء (سريعة الفتك)

وَأَرَى أَنَّ رُقْعَةَ الْأَدَمِ الْأَحْمَرِ مَرَّ أَرْضٌ عَلَلَتْهَا بِدِمَاءِ
أرى رقعة الأدم (الجلد) الأحمر، رقعة الشطرنج، كأرض المعركة وقد عللتها (سقيتها) بالدم

غَلِطَ النَّاسُ: لَسْتَ تَلْعَبُ بِالشُّطْرِ رَنْجٍ، لَكِنْ بِأَنْفُسِ اللَّعْبَاءِ
والشطرنج لعبة نفسية حقاً. إذا أريكت خصمك وأوهمته شللت عقله عن التفكير في الخطوات البعيدة

لَكَ مَكْرٌ يَدِبُّ فِي الْقَوْمِ، أَخْفَى مِنْ دَيْبِ الْغِذَاءِ فِي الْأَعْضَاءِ
مكرك في اللعب يتسلل لنفوس القوم بخفية كما يتسلل الغذاء في أعضاء الإنسان

أَوْ دَبِيبِ الْمَلَالِ فِي مُسْتَهَامِي نَ إِلَى غَايَةِ مِنَ الْبَفْضَاءِ
أو يتسلل مكرك كتسلل الملل في نفوس المستهامين (العاشقين) بحيث يتحول العشق إلى أقصى
البغض، لكن بالتدرج

أَوْ مَسِيرِ الْقَضَاءِ فِي ظُلَمِ الْغَيْبِ بَ إِلَى مَنْ يُرِيدُهُ بِالنِّوَاءِ
ومكرك مثل سير القضاء والقدر في ظلمات الغيب (بدون معرفتنا فكأنه يسير في الظلام)، ليصل
إلى المرء من طريق ملتوي

أَوْ سُرَى الشَّيْبِ تَحْتَ لَيْلِ شَبَابٍ مُسْتَحْجِرٍ فِي لِمَّةٍ سَحْمَاءِ
ويشبه مكرك سرى (السير ليلاً) الشيب تحت ليل الشباب (الشعر الأسود)، وهذا الشباب
مستحير (هادئ وادع) في لمة (شعر) سحماء (سوداء). يقول: إن الشيب يسير مستخفياً
بينما الشباب مطمئن في كتلة الشعر الأسود غير عارف بما سيأتي عليه من مشيب

تَقْتُلُ الشَّاءَ حَيْثُ شَتَّ مِنَ الرَّفْدِ عَةً، طَبَّاً بِالْقَتْلَةِ النَّكْرَاءِ
تقتل الشاء (ملك الشطرنج) في أي مكان شئت من الرقعة، طباً (مغزماً) بالقتلة النكراء الفظيعة

غَيْرِمَا نَاطِرٍ بِعَيْنَيْكَ فِي الدَّسِّ تِ، وَلَا مُقْبِلٍ عَلَى الرُّسْلَاءِ
ولا تكاد تنظر إلى الدست، ولا تقبل بوجهك على الرسلاء (الخصوم) بل أنت تلاعبهم وأنت
مشيح بوجهك محدثاً الآخرين لقلة اهتمامك، ولتفتك بقدرتك

بَلْ تَرَاهَا، وَأَنْتَ مُسْتَذِيرُ الظُّهْرِ رٍ بِقَلْبٍ مُصَوِّرٍ مِنْ ذَكَاءِ
تري الدست وأنت تعطيه ظهرك، وتراه بقلب (عقل) مخلوق من ذكاء صرف

وَالْفَوَازُ الذِّكْيُ، لِلْمُطَرِّقِ الْمُغْ رِضٍ، عَيْنٌ يَرَى بِهَا مِنْ وَرَاءِ
وتلقى الصواب فيما سوى ذا لك، إذا جَارَ جَائِرُ الْأَرَاءِ
تلقى (تُعطى) الصواب، في غير الشطرنج، في حين يجور الجائر (المنحرف) من الآراء

فَتَرَى أَنْ بُلُغَةً، مَعَهَا الرَّأ حَةً، خَيْرٌ مِنْ ثُرُوءٍ وَشَقَاءِ
فأنت في الحياة ترى أن بلغة (قليلاً من المال) مع وجود الراحة أفضل من الثروة المصحوبة
بالشقاء (التعب)

وَقَدِيمًا رَغِبْتَ عَنْ كُلِّ مَضْحُو بٍِ مِنَ الْمُتَشَرِّفِينَ وَالْأُمَرَاءِ
كنت فيما مضى قد رغبت عن (ابتعدت عن) كل من يصاحب من الأغنياء والأمراء

وَرَفَضْتَ التَّجَارَةَ الْجَمَّةَ الرَّبِّ حِجٍ، وَمَا فِي مِرَاسِيهَا مِنْ جَدَاءِ
ورفضت التجارة الكثيرة الربح، ورفضت ما في ممارستها من جداء (نفع)

لَمْ تَبِعْ طَيْبَ عَيْشَةٍ بِفُضُولٍ ذُونَهَا خُبْتُ عَيْشَةٍ كَذْرَاءِ
لم تبع العيشة الهينة بفضول (زيادات في المال) يكون دونها (قبل الوصول إليها) القلق والعيشة
الكدراء (المكدرة) ..

تَعَبُ النَّفْسِ وَالْمَهَانَةُ وَالذَّلُّ - لَةُ وَالْخَوْفُ وَأَطْرَاحُ الْحَيَاءِ
وهذه العيشة المكدره قوامها التعب والهوان وفقدان المراء حياه في حضرة الأمراء

بَلْ أَطَعْتَ النَّهْيَ، فَفُزْتَ بِحَظٍّ قَصَّرْتَ عَنْهُ فِطْنَةُ الْأَغْيَاءِ
أطعت النهي (العقل) ففزت بحظ لم يفطن إليه الأغياء

رَاحَةُ النَّفْسِ وَالصِّيَانَةُ وَالْعِفَّةُ - لَةُ وَالْأَمْنُ فِي حَيَاءٍ رَوَاءِ
فزت براحة النفس والصيانة (صون النفس عن المذلة) وعشت في حياء رواء (عذب)

عَالِمًا بِالَّذِي أَخَذْتَ وَأَعْطَيْتَ تَ، حَكِيمًا فِي الْأَخْذِ وَالْإِعْطَاءِ
وأنت تعرف جيداً ما الذي اخترته، وكنت حكيماً

قَائِلًا لِلْمُشِيرِ بِالْكَذْحِ: مَهْلًا! مَا اجْتَهِادُ اللَّبِيبِ بَعْدَ اكْتِفَاءِ؟
وقلت لمن يشير عليك بالكذح: ما فائدة اجتهد العاقل وإتاعه نفسه بعد نيله كفايته؟

مَرْحَبًا بِالْكَفَافِ بِأَنِّي هَنِيئًا، وَعَلَى الْمُتَعَبَاتِ ذَيْلُ الْعَفَاءِ
مرحباً بالكفاف من العيش (ما يكفي فقط)، وعلى الأمور المتعبة ذيل العفاء (يجر ذيل العفاء: يتناسى)

ضَلَّةً لَأَمْرِي بِشَمْرِ فِي الْجَنِّ حِ لِعَيْشٍ مُشْمَرٍ لِلْفَنَاءِ
ما أضل المرء يشمر ساعديه يجمع المال لعيش، بينما هذا العيش يشمر ساعديه للفناء؟ فعمر
الإنسان ينقضي يوماً فيوماً

دَائِبًا يَكْنِزُ الْقَنَاطِيرَ لِلْوَا رِثٍ، وَالْعَمْرُ دَائِبٌ فِي انْقِضَاءِ
هذا الشخص مواظب على اكتناز قناطير الذهب لكي يرثها الوارث. والقنطار كمية مختلف عليها
لكنها في المال تعني الكثير الكثير

حَبِّذَا كَثْرَةُ الْقَنَاطِيرِ لَوْ كَا نَتْ، لِرَبِّ الْكُنُوزِ، كَنْزَ بَقَاءِ
ما أحسن القناطير لو كانت لصاحب الكنوز كنزاً من البقاء، وزيادة في العمر

بِحَسَبِ الْحَظِّ كُلُّهُ فِي يَدَيْهِ وَهُوَ مِنْهُ عَلَى مَدَى الْجَوَازِ
صاحب الكنوز يحسب أنه حاز الحظ، والحظ بعيد منه بعد الأرض عن الجوزاء (نجوم في السماء)

لَيْسَ فِي آجِلِ النَّعِيمِ لَهُ حَظٌّ وَمَا ذَاقَ عَاجِلَ النَّعْمَاءِ
ويكون صاحب المال قد ضيع نصيبه في آجل النعيم (النعيم المؤجل = الجنة)، ولم يذق النعيم
العاجل في الدنيا أيضاً

يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِي لَيْسَ يَخْفَى عَنْهُ مَكْنُونُ خُطَّةِ عَوْصَاءِ
عوصاء: عويصة

ثَقُلْتُ حَاجَتِي عَلَيْكَ، فَأُضْحَتِ وَهِيَ عِبءٌ مِنْ فَادِحِ الْأَغْبَاءِ
ظَلِمْتُ حَاجَتِي، فَلَاذَتْ بِحَقْوَيْكَ لَكَ، فَأَسْلَمْتُهَا بِكَفِّ الْقَضَاءِ
ظلمت حاجتي (وضعت في غير موضعها) عند الآخرين فلاذت بحقوقك (استجارت بجانبك)،
فوضعتها أنت بكف القضاء بدل أن تضنع شيئاً

وَقَضَاءُ الْإِلَهِ أَحْوَطُ لِلنَّاسِ مِنْ الْأُمَّهَاتِ وَالْآبَاءِ
قضاء الله أحوط (أكثر حماية) للناس من أمهاتهم وآبائهم، ولكن..

غَيْرَ أَنَّ الْبَقِيْنَ أَضْحَى مَرِيضاً مَرَضاً بَاطِناً شَدِيدَ الْخَفَاءِ
لكن البقين بأن يحميناه الله صار مريضاً مرضاً باطناً. فنحن البشر نقول بألستنا إننا نؤمن بحماية الله
لنا، ولكننا في قلوبنا نشك في ذلك

مَا وَجَدْتُ أَمْرًا يَرَى أَنَّهُ يُؤْمَرُ إِلَّا وَفِيهِ شَوْبٌ أَمْتَرَاءِ
ما وجدت شخصاً يظن أنه يؤمن (يؤمن) إلا وجدت فيه شوب امتراء (مسحة من شك)

لَوْ يَصِحُّ الْبَقِيْنَ مَا رَغِبَ الرَّا غِبٌ إِلَّا إِلَى مَلِكِ السَّمَاءِ
وَعَسِيرٌ بُلُوغُ هَاتِبِكَ جِدًّا؛ نِلَكَ عُليَا مَرَاتِبِ الْأَنْبِيَاءِ
كنت مستوحشاً، فأظهرت بخساً رَادَنِي وَخَشَةً مِنَ الْخُلَطَاءِ
كنت مستوحشاً (أشعر بحصار نفسي) فأظهرت أنت بخساً لحقي زَادَنِي وَحْشَةً مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ
أَخَالَطَهُمْ

وَعَزِيزٌ عَلَيَّ عَضُّكَ بِاللُّؤْمِ، وَلَكِنْ أَصَبَتْ صَدْرِي بِدَاءِ
عزيز علي عضبك (أن أعضك) بلومي، لكنك شحت صدري بالفضب

أَنْتَ أَذَوَيْتَ صَدْرَ خِلْكَ، فَاعْزُرْ هُ عَلَى النَّفْثِ؛ إِنَّهُ كَالدَّوَاءِ
أنت أذويت (أدخلت الداء) إلى صدر خلك (صديقك)، فاعنزه على النفث (إخراج ما في الصدر
من بلغم)، فهذا يريحه. يشبه العتاب بإخراج البلغم من الصدر

قَدْ قَضَيْنَا لِبَانَةً مِنْ عِتَابٍ وَجَمِيلٌ تَعَاتِبُ الْأَكْفَاءِ

ها قد قضينا لبانة (حاجة) من عتاب. وجميل أن يتعاتب الأكفاء. لاحظ: بعد كل هذا العتاب الجميل البلّغ المليء بالفن، نراه بكلمة واحدة يعيد رسم خريطة العلاقة: فهو وأبو القاسم من الأكفاء الأنداد المتساوين، ولا فضل لواحد على الآخر

وَلَكَ الْعُذْرُ، مِثْلَ قَافِيَتِي فِيكَ اتِّسَاعاً، فَإِنَّهَا كَالْفَضَاءِ
لك العذر الواسع سعة قافيتي الهمزية هذه، فهي واسعة كالفضاء (ذلك أن الكلمات المنتهية بالهمزة كثيرة جداً يختار منها الشاعر ما يشاء)

وَتَأْمَلُ فَإِنَّهَا أَلِفُ الْمَدِّ - لَهَا مَدَّةٌ بِغَيْرِ انْتِهَاءٍ

فألف المد لها امتداد لا ينتهي من حيث عدد الكلمات

وَالَّذِي أَطْلَقَ اللِّسَانَ فَعَاتَبَ نُكَ عَدِيكَ أَوَّلَ الْفُهَمَاءِ

وما جعلني أعاتبك عديك (عدي إياك/ أني اعتبرك) أول الفهماء

إِنَّ مَنْ لَمْ جَاهِلاً لَطَبِيبٌ يَتَعَاطَى عِلَاجَ دَاءٍ عَيَاءٍ

وأما الذي يلوم الجاهل فهو كالطبيب الذي يحاول علاج داء عياء (مستعص)، لذلك فتعابي لك دليل على أنني أعتريك فاهماً ذكياً

٦ والأمراء أيضاً

﴿يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ مَسَبَّةٌ مِنَ اللَّوْ مَسْبُوبٌ بِهَا الشُّعْرَاءُ

هذا القول الوارد في القرآن مسبة للشعراء..

وما ذاك فيهم وخدعه بل زيادة: يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُ الْأُمَرَاءُ

وليس هذا هو العيب الوحيد فيهم، بل هم أيضاً يقولون ما لا يفعل الأمراء. يقصد أن مدحهم للأمراء كاذب، فالأمراء ليسوا أسخياء ولا شجعاناً

٧ الأمير ناقداً

وقال في محمد بن عبد الله بن طاهر، وكان صاحب شعر ونقد:

قَدْ بُلِينَا فِي دَهْرِنَا بِمَلُوكٍ أَدْبَاءٍ - عَلِمْتُهُمْ - شُعْرَاءُ

إِنْ أَجَدْنَا فِي مَدْحِهِمْ حَسَدُونَا فَحَرَمْنَا مِنْهُمْ ثَوَابَ الثَّنَاءِ

أَوْ أَسَانَا فِي مَدْحِهِمْ أَنْبُونَا وَهَجَرْنَا شَعْرَنَا أَشَدَّ هَجَاءِ

قَدْ أَقَامُوا نَفُوسَهُمْ، لِذَوِي الْمَدِّ حَ، مَقَامَ الْأَنْدَادِ وَالنُّظَرَاءِ

٨ خجلان منك، ولكن.. هات

وقال يشكر ويستسقي نبیذا:

عَاقَنَّا أَنْ نَعُودَ أَتَّكَ أَوْلَيْهِ سَتَ أُمُوراً يَضِيقُ عَنْهَا الْجَزَاءُ
عاقنا عن القُدوم إليك أنك أوليت (أعطيت) الكثير مما يضيق عنه جزاؤنا لك بالشكر

غَمَرْتَنَا مِنْكَ الْأَيَادِي اللَّوَاتِي مِمَّا لِمِعْشَارِهَا لَدَيْنَا كِفَاءُ
الأيادي (الخيرات) منك غمرتنا، ولا نستطيع مكافأة عُشرها

فَنَهَانَا عَنْكَ الْحَيَاءُ طَوِيلًا ثُمَّ قَدْ رَدَّنَا إِلَيْكَ الْحَيَاءُ
نهانا الخجل عن القُدوم عليك، ثم إن خجلنا من الابتعاد عنك جعلنا نرجع

فَاسْقِنَا مِنْ شَرَابِكَ الرَّائِقِ الْعَذُّ بٍ، وَلَا تَحْمِنَا، سَقَّتْكَ السَّمَاءُ!
ابعث لنا نبیذاً عذباً، ولا تحمنا (تمتعنا)، سقتك السماء (يدعو له بالسقيا.. دعوة مألوفة)

٩ ضحايا الطبيب

قال ابن الرومي في طبيب (واستفدتها من نفع الطب للمقري ولبسا في الديوان):

أَفْتَى وَأَعْمَى ذَا الطَّبِيبُ بِطَبِّهِ وَيُكْخِلُهُ الْأَحْيَاءُ وَالْبُصْرَاءُ
أما هذا الطبيب ناساً بطبه، وأعمى ناساً آخرين بكحله (تطيبه العميون)

فَإِذَا مَرَرْتَ رَأَيْتَ مِنْ عُمَيَّانِهِ أُمَمًا عَلَى أُمُوتِهِ قُرَاءُ

١٠ لطف الله

وقال في القاسم بن عبيد الله:

كُلُّ شَيْءٍ أَرَاهُ مِنْكَ بَشِيرٌ صَدَّقَ اللَّهُ هَذِهِ الْبُشْرَاءُ
كل ما يبدو منك بشير بخير، وأرجو أن يصدق الله هذه البشراء (جمع بشير) ويحول ذلك إلى أفعال

وَإِذَا مَا مَخَابِرُ النَّاسِ غَابَتْ عَنْكَ، فَاسْتَشْهِدِ الْوُجُوهَ الْوِضَاءُ
فإذا اختفت مخابر الناس (حقيقة أمرهم)، فلك في وجوههم الوضیئة شاهد على تلك الحقيقة الدفينة، وكذا البشارة فهي إرهاب بوقوع الخير

قَدْ عَدَا يُوسُفُ الرِّعِيَّةَ عَدْلًا غَيْرَ أَنِّي لَقِيتُ مِنْهُ اعْتِدَاءُ
ولكن هذا الممدوح أشيع الناس عدلاً، ولكنني لقيت منه اعتداء على حقوقي

كَانَ يَأْتِينِي الرَّسُولُ فَيُهْدِي لِي سُورًا، وَيَكْتِبُ الْأَعْدَاءَ
كَانَ مَبْعُوثُهُ يَأْتِينِي فَأُسْرِ بِهِ، وَأَكْتُبُ أَعْدَائِي (أَغِيظُهُمْ)

فَقَطَعْتَ الرَّسُولَ عَنِّي، ضَنْأً بِأَتَخَازِيهِ مَفْخَرًا وَبِهَاءَ
ثُمَّ إِنَّكَ يَا هَذَا الْمَمْدُوحَ قَطَعْتَ رَسُولَكَ عَنِّي، كَأَنَّكَ تَضِنُّ عَلَيَّ بِأَنْ أَتَّخِذَ قُدُومَهُ مَفْخَرَةً وَبِهَاءَ
(مِبَاهَاةً) أَمَامَ النَّاسِ

أَنْتَ ذَاكَ الَّذِي إِذَا لَاحَ عَيْبٌ جَعَلَ السُّتْرَ دُونَهُ الْإِغْضَاءَ
وَأَنْتَ إِذَا بَدَأَ عَيْبَ سِتْرِهِ بِالْإِغْضَاءِ عَنْهُ

أَنَا عَارٍ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَى قَضٍ لِيكَ، لَا زِلْتُ كُتْسُوءَ وَغِطَاءَ
أَنَا لَيْسَ لِي سِوَى فَضْلِكَ عَلَيَّ، أَدْعُو اللَّهَ لَكَ أَنْ تَظِلَّ كُتْسُوءَ وَغِطَاءَ بِقِيَمِي الْفَقْرَ

يَا لِقَوْمٍ! أَتَقْلُ الْأَرْضَ شَخْصِي؟ أَمْ شَكَّتْ مِنْ جَفَاءِ خَلْقِي امْتِلَاءً؟
هَلْ أَصْبَحَ جَسْمِي ثَقِيلًا فَوْقَ الْأَرْضِ؟ أَمْ شَكَّتِ الْأَرْضُ امْتِلَاءَهَا مِنْ جَفَاءِ خَلْقِي (ضَخَامَةِ
جَسْمِي)؟

أَنَا مَنْ خَفَّ وَاسْتَدَقَّ، فَمَا يُدُّ قِلُّ أَرْضًا، وَلَا يَسُدُّ فُضَاءَ
أَنَا قَدْ خَفَّ وَزَنِي وَاسْتَدَقَّ (نُخَفَّ) جَسْمِي

إِنَّ مِنْ أَوْعَافِ الضُّعَافِ لَدَى اللَّهِ قُوًيًا يَسْتَضَعِفُ الضُّعَفَاءُ
وَضَعِيفٌ عِنْدَ اللَّهِ ذَلِكَ الْقَوِيُّ الَّذِي يَسْتَضَعِفُ الضُّعَفَاءُ

وَتَعَلَّمْ، مَتَى حَمَيْتَ عَلَى عَبْدٍ ذَلِكَ تِلْكَ الْمِيَاءَ وَالْأَكْلَاءَ
وَتَعَلَّمْ (اعْلَمْ) مَتَى حَمَيْتَ (عِنْدَمَا تَمْنَعُ) عَنْ عَبْدِكَ الْمَاءَ وَالْأَكْلَاءَ (الْأَعْشَابَ/ بِقَصْدِ الْقُوَّةِ) ..

أَنَّ لِلَّهِ غَيْرَ مَرْعَاكَ مَرْعَى يَرْتَوِيهِ، وَغَيْرَ مَائِكَ مَاءَ
.. أَنَّ اللَّهَ مَرْعَى غَيْرَ مَرْعَاكَ يَرْتَوِيهِ هَذَا الْمَظْلُومُ، وَاللَّهُ مَاءٌ غَيْرَ مَائِكَ. وَالْمَاءُ وَالْعُشْبُ هُمَا قَوَامُ
حَيَاةِ عَرَبِ الصَّحْرَاءِ

وَتَيَقَّنْ، مَتَى جَنَيْتَ عَلَى عَبْدٍ ذَلِكَ ضَيْمًا وَضَيْعَةً وَعَنَاءَ
تَيَقَّنْ عِنْدَمَا تَجْنِي عَلَى عَبْدِكَ الضَّيْمَ (الظَّلْمَ) وَتَضِيْعُهُ وَتَتَعَبُهُ ..

أَنَّ لِلَّهِ بِالْبَرِيَّةِ لُطْفًا سَبَقَ الْأُمَهَاتِ وَالْأَبَاءَ
.. أَنَّ لُطْفَ اللَّهِ يَسْبِقُ لُطْفَ الْأُمَهَاتِ وَالْأَبَاءِ (مِثْلَ هَذَا الْبَيْتِ الْمَدْحِشِ فِي سَهُولَتِهِ لَا يَقَعُ لِلشُّعْرَاءِ
بَسُورَةً)

أَنَا ذُو الْقَصْدِ، غَيْرَ أَنِّي، مَتَى آ نَسْتُ جَوْرًا، رَأَيْتَ لِي غُلْوًا

أنا ذو القصد (صاحب اعتدال)، غير أنني إذا آنتست (لمست) جوراً فإن لي غلواء (اشتداد)

وَالْغِنَى وَاسِعٌ بِكَفِّي جَوَادٍ يَرْزُقُ الْأَغْنِيَاءَ وَالْفُقَرَاءَ

الغنى عند الجواد (يقصد الله) واسع، والله يرزق الغني والفقير

لِي خَمْسُونَ صَاحِبًا، لَوْ سَأَلْتُ الْهَقُوتَ فِيهِمْ أَلْفَيْتُهُمْ سُمَحَاءَ

ولي خمسون صاحباً كلهم سمحاء (كرماء يسمعون بمالهم)

فَلْيَقُمْ كَاشِحِي بِنَقْضِ الَّذِي قُلْتُ، وَإِلَّا فَلْيُطْرَقِ اسْتِخْيَاءً

فهلا قام كاشحي (عدوي الذي يضمّر العداوة) بإثبات عكس ما قلت، أو ليطرق خجلاً

إِنِّي إِذَا نَفَرْتُ أَمَعَنْتُ فِي النَّفْرِ، وَمِثْلِي مِثْلِي بَتْنَاءٍ عَمَّنْ يَتَبَعُهُ

إنني إذا نفرت (تمردت) أمعن في التمرد، ورجل مثلي يتنأى (يتبع) عن من يتبعه عنه

وَالْعَلَاءُ بْنُ صَاعِدٍ قَبْلَ هَذَا قَدْ حَمَى دُونَ رَائِدِي الْأَحْمَاءَ

وكان العلاء بن صاعد قد حمى (منع) دون رائدي الأحماء (منع رائدي الذي يذهب

يبحث لي عن العشب من أحمائه - جمع حمى وهو مكان الرعي الذي يخصه المرء

لنفسه). يشبه نفسه بشيخ قبيلة بعث رائداً يرتاد له مكاناً معشياً للرعي، ولكن العلاء بن

صاعد منع الرائد من دخول أحمائه (مناطقه الخاصة)

فَارَمَ بِالطَّرْفِ شَخْصَهُ هَلْ تَرَاهُ؟ وَادَّعُهُ الدَّهْرُ هَلْ يَجِيبُ دُعَاءَ؟

فأرم بطفرك (انظر) إلى العلاء فهل تراه؟ لقد نكب، وادعه الدهر (ناده طول الدهر) هي يجيب نداءك؟

لَيْسَ إِلَّا لِأَنِّي كُنْتُ شَمْسًا قَابَلْتُ مِنْهُ مُقْلَةً عَشَوًا

وما حدث له هو أنني كنت كالشمس، ولكنه لم يلتفت إلي وكانت مقلته (عينه) عشواء (ضعيفة النظر)

فَأَرَانِيهِ نَاصِرِي وَأَبَاهُ - وَلَهُ الْحَمْدُ - مُثْلَةً شَوْهَاءَ

فأراني إياه ناصري (الله) - وأراني الله أباه أيضاً - مثلة شوهاء (جثة تم التمثيل بها وتشويهها)

أَنَا ذُو صَفْحَتَيْنِ: مَلَسَاءَ حَسَنًا، وَأُخْرَى تَمَسُّهَا خَشْنَاءُ

خاشع تارة، وجباراً أخرى

لَا بِحَوْلٍ، وَلَا بِقُوَّةٍ رُكْنٍ

وأرى ذلتي تريك هواني

أظن أن ذلتي تريك هواني (تجعل رأيك: أنني جدير بالهوان)، وأظن دنوي (اقترابي) يزيديني إقصاء

من جانبك

ومتى مَا قَزَعْتُ مِنْكَ إِلَى الصَّبْرِ رِ فَنَادَيْتُهُ أَجَابَ النَّدَاءَ
وإذا فزعت (التجأت) منك واعتصمت بالصبر وناديته فسوف يجييني. وانظر ما صنع صبري
بالعلاء، فقد صبرت عليه حتى حلت به النكبة

ومتى مَا دَعَوْتُ رَبِّي عَلَى الدَّهْرِ رِ، وَظَلَمِ الخُطُوبُ لَبِّي الدُّعَاءَ

١١ الساعي وراء الهجاء

وقال في خالد القحطي:

يا خَالِدَ ابْنَ الخَالِدَاتِ مَخَازِيَاً ماذا دَعَاكَ إِلَى اكْتِسَابِ هَجَائِي؟
الخالدات مجازياً: ذوات المخازي الخالد ذكرها

لما بدا لَكَ أَنَّ خِزْيَكَ قد عَدَا أحدىثة الرُّكْبَانِ والأُمْلَاءِ
الأُمْلَاء: جمع الملأ، وهو القوم. كقولك: أيها الملأ، أي أيها الناس

عَرَضْتَ للشُعراءِ عِرْضَكَ عَامِداً كَيْمَا يُقَال: تَكْذِبُ الشُّعْرَاءُ
أنت تعرض نفسك للشعراء لتتال هجاءهم حتى يقول الناس: إن كل ما نسمعه عنه تكذب (افتراء) من الشعراء

يا شاعراً يَهْجُو نُسَيَّةَ خَالِدٍ عَنْكَ الْهَجَاءُ! كَفَاكَ بِالْأَسْمَاءِ
يخاطب ابن الرومي شاعراً افتراضياً: أيها الشاعر الذي يهجو نسية (نساء) خالد، عنك (دع عنك)
الهجاء ويكفي فقط ذكر أسمائهن

أَسْمَاؤُهُنَّ هِجَاؤُهُنَّ، وَمَنْ يَقُلْ: أَفْعَى، يُسِنُ، لَا شَكَّ، عَنْ صَمَاءَ
قل أسماءهن فقط فهذا هجاء لأن سمعتهن معروفة، والذي يقول عن الأفعى أفعى يبين (يشير) إلى
صماء (أفعى مؤذية)

لَا تَحْسَبَنَّكَ فِي هِجَائِكَ تَفْتَرِي ما لم يَجِئَنَّ بِهِ مِنَ الْفَحْشَاءِ
اهج كما تشاء، فهن قد جئن (فَعَلْنَ) كل ما تقول

١٢ إيوان كسرى

وقال في خالد القحطي:

مَنْ يَكُنْ قَرْنُهُ كَقَرْنِكَ هَذَا فَلْيَكُنْ بِأُبْهِ كِإِيْوَانِ كِسْرَى

نعت الرجل بأنه ذو قرن أو قرون كناية عن أنه منتَهَك العرض. وإذا كان باب بيته
مفتوحاً فهذا يحتمل أنه كريم سخي، أو أنه فتح بابه لطلاب اللهو. وقد عرفت بغداد
تلك بيوتاً كان أصحابها يستقبلون الناس كي يلهوا بالجواري، وكان ابن الرومي نفسه
كثير الغشيان لهذه البيوت. الإيوان: مجلس مفتوح من جهة واحدة لا باب عليها

١٣ سألعبُ بأشلائك

وقال في ابن الخبازة (وهو رجل فاضل صاحب شعر في الزهد. ومن قال إن ابن الرومي كان يهجو الأشرار!) :

يا ابنَ بُورَانَ، يا جُعِلْتَ فِدَائِي، عِشْتَ في غِبْطَةٍ وفي نَعْمَاءٍ
يدعو له - هازناً - عاكساً الدعاء المألوف (بدل أن يقول «فديتك» قال جُعِلْتَ أنت فداي)

كيف أهجو امرأً كريماً لثيماً واحداً الأم، خِلْفَةَ الآبَاءِ؟
خليفة الآباء: أي أباه كثير لما نَعَاوَرَ على أمه من رجال. في ذلك الزمن لم يكونوا متأكدين من أن الإنسان يولد من حيوان منوي واحد لرجل واحد

إنما أَسْتَطِيبُ كَذَّكَ في شِعْرِكَ، يا ابنَ الْخَبَّازَةِ الْبَطْرَاءِ
البطراء: ذات البظر البارز، مسبة قديمة

فاهْجُني؛ إنما هجاؤكَ عندي ضَحِكَاتٌ تَزِيدُ في السَّرَّاءِ
أنا في غِبْطَةٍ بها وسرورٍ مِلءٌ صَدْرِي، وأنتَ في بُرْحاءِ
برحاء: ألم شديد

أنا هاجِبُكَ ما سَكَّتْ؛ ومُعْغِبٍ لَكَ، إذا ما هَجَوْتَنِي، مِنْ هِجائِي
ليسَ يُنْجِيكَ مِنْ يَدَيَّ سِوَى ذَاكَ، وَلَوْ كُنْتَ في بُرُوجِ السَّمَاءِ
وَيَمِيناً لَأَلْعَبَنَ بِأَشْلا تِلْكَ بَيْنَ الْإِشْوَاءِ وَالْإِضْمَاءِ
الإشواء: عدم الإصابة في الصيد أو المعركة، الإضماء: الإصابة في مقتل

هاجِياً، ما دِحاً، ومُتَّخِذاً إِيَّيَّ - أَكْ مَلْهُيْ، وعُرْضَةً اسْتِهْزَاءِ
ملهي: مادة للهُو، عرضة استهزاء: هدفاً للسخرية

١٤ غناء كالغواء

ليسَ كالشُّكْرِ دِواءٌ لِغِنَاءٍ كَالدَّوَاءِ
فاشْقِنِي عَشْرِينَ رَطْلاً لا تَشْبِيهُنَّ بِمَاءِ
الرطل: مكيال للشراب، لا تشبهن: لا تخلطن

فلعلَّ الشُّكْرَ يَكْفِي - نِي أَدَى هَذَا الْغُوءِ
مَنْ رَأَى مُنْتَجِجاً غَيْ - رِي عَلَى سُوءِ الْغِنَاءِ

١٥ صانعة الشعراء

وقال في وهب بن سليمان:

مَا لَقِينَا مِنْ ظَرْفٍ ضَرْطَةٍ وَهَبٍ! صَيَّرَتْ أَهْلَ دَهْرِنَا شعراء

ما هذا الذي لقيناه من ضربة الرجل الظريفة! لقد صيرت الناس كلهم شعراء (وقد وصف تلك الضربة التي أفلتت من الرجل في مجلس الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان شعراء أكثر من بينهم البحري الذي قال فيها تسع قطع، وقصة هذه الريح مع أشعار كثيرة فيها لشعراء أكثر موجودة في ثمار القلوب للتحالبي)

هِيَ عِنْدِي كَجُودِ فَضْلِ بْنِ يَحْيَى غَيْرَ أَنْ لَيْسَ تَنْعَشُ الْفُقَرَاءُ

الفضل بن يحيى البرمكي وزير الرشيد قتل قبل ولادة ابن الرومي بنحو أربعين سنة

١٦ كن ما شئت، تبق غيباً

وقال في المفضل بن سلمة (وهو لغوي فاضل، ومن قال إن ابن الرومي لم يهج الأفاضل!):

لَوْ تَلَفَّفَتْ فِي كِسَاءِ الْكِسَائِيِّ وَتَلَبَّسَتْ فَرُوءَ الْفَرَّاءِ

الكسائي والفراء: نحويان

وَتَخَلَّلْتَ بِالْخَلِيلِ، وَأَضْحَى سَيِّبُونِي لَدَيْكَ زَهْنٌ سِبَاءِ

الخليل بن أحمد: رجل لغة ونحو، وسيبويه هو من تعرفون. وزهن سباء: أي مسياً، مأسوراً

وَتَكُونَتْ مِنْ سَوَادِ أَبِي الْأَسَدِ وَدِ شَخْصاً يُكْنَى أَبَا السَّوْدَاءِ

أبو الأسود الدؤلي: صاحب لغة

لَأَبَى اللَّهُ أَنْ يَعُدَّكَ أَهْلُ الْـ عِلْمِ إِلَّا مِنْ جُمْلَةِ الْأَغْبِيَاءِ

١٧ وفرت حمدي عليك

وقال في إسماعيل بن بلبل:

أَتَيْتُكَ لَمْ أَشْفَعْ إِلَيْكَ بِشَافِعٍ وَلَوْ شِئْتُ كَانَ النَّاسُ لِي شُفَعَاءَ

وَلَكِنِّي وَقَرْتُ حَمْدِي بِأَسْرَةٍ عَلَيْكَ، وَلَمْ أَشْرِكْ بِكَ الشُّرَكَاءَ

نَدَاكَ مَعِينٌ، كَالَّذِي قَدْ عَلِمْتَهُ، وَلَوْ كَانَ غَوْرًا لَالْتَمَسْتُ رِشَاءَ

معين: ماء فائض، كالذي قد علمته: يعني أنك تعرف عمقه وغزارته، غور: غائر قليل الماء، رشاء: حبل. يقول للممدوح: كرمك فائض، كما تعلم، ولو كان كرمك بئراً قليلة الماء لطلبت حبلأ أنتشل الماء به، وعلى هذا فأنا لم أشفع لك بشافع لوفرة كرمك

وهذا شِئَاءٌ قَدْ أَظْلَمَ رِوَاؤُهُ وَجَارُكَ جَارٌ لَا يَخَافُ شِئَاءَ

جارك: المستجير بك، وليست الجيرة المكانية

١٨ النرجس

وَإِذَا مَا تَحَلَّلَتِ الْأَرْضُ بِالنَّزْرِ جِسٍ بَاهَتْ بِهِ نَجُومَ السَّمَاءِ

١٩ ما قل ودلّ

كُلُّ امْرِئٍ مَدَحَ امْرَأً لِنَوَالِهِ فَأَطَالَ فِيهِ فَقَدْ أَرَادَ هِجَاءَهُ

لَوْ لَمْ يُقَدِّرْ فِيهِ بُعْدَ الْمُسْتَقَى عِنْدَ الْوُرُودِ لَمَّا أَطَالَ رِشَاءَهُ

الذي يطيل قصيدة المدح يكون كمن يهجو، وهو مثل المستقي من بشر يقدر أن ماءها قليل فيطيل رشاءه (جبله)

غَيْرِي. فَإِنِّي لَا أَطِيلُ مَدَائِحِي إِلَّا لِأَوْفِي مَنْ مَدَحْتُ ثَنَاءَهُ

وَأَعْدُو ظُلْمًا أَنْ أَقِلَّ مَدِيحَهُ عَمْدًا، وَأَسْحَطُ إِنَّ أَقَلَّ عَطَاءَهُ

٢٠ المعجب برأيه

وقال في ابن المسيب:

أَبُو الْحُسَيْنِ مُعْجَبٌ بِرَأْيِهِ لَا يَقْبَلُ الشُّورَى مِنْ أَضْدِقَائِهِ

برأيه: برأيه

فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى إِخَائِهِ وَأَدْخَلَ الْأَجْرَدَ فِي وَجَعَائِهِ

الأجرد: ذلك الشيء، الوجعاء: الدبر

٢١ العوسج

عَذَرْنَا النَّخْلَ فِي إِبْدَاءِ شَوْكِهِ يَبْذُودُ بِهِ الْأَنَامِلَ عَنْ جَنَائِهِ

جناه: ثمره

فَمَا لِلْعَوْسَجِ الْمَلْعُونِ أَبَدِي لَنَا شَوْكًا، بِلَا ثَمَرٍ نَرَاهُ

العوسج: نبت شوكي

نُورَاهُ ظَنَّنَ فِيهِ جَنَى كَرِيمًا فَأَظْهَرَ عُذَّةَ تَحْمِيٍّ جِمَاهُ؟

فَلَا يَتَسَلَّحَنَّ لِدَفْعِ كَفٍّ كَفَاهُ لَوْ مَجْنَاهُ، كَفَاهُ

مجنّاه: ثمره

٢٢ لا صديق إلا بعد التجربة

صَرَّحَتْ عَنْ طَوِيَّةِ الْأَصْدِقَاءِ وَاضِحَاتِ التَّجْرِبِ وَالْإِبْتِلَاءِ

طوية: حقيقة المرء وضميره، الابتلاء: التجريب

وَخَبِيءُ الْفُؤَادِ يَعْلَمُهُ الْعَا قَلُّ، قَبْلَ السَّمَاعِ، بِالْإِيمَاءِ

وُظُنُّ الذَّكِيِّ أَنْفَذُ فِي الْحَقِّ سِهَاماً مِنْ رُؤْيَةِ الْأَغْبِيَاءِ

توقعات الذكي، دون أن يرى بعينه، أقرب إلى الحقيقة من رؤية الغبي عياناً

لَا يَغُرَّنْكَ الْمُمَادِقُ بِالظَّنِّ هِرِّ فِي حَالِ مُدَّةِ الْإِلْتِقَاءِ

الممادق: المخادع

عَبْدُ عَيْنٍ فَإِنْ تَغَيَّبَتْ عَنْهُ أَكَلَ اللَّحْمَ، وَازْتَعَى فِي الدَّمَاءِ

عبد عين: العبد الذي لا يشتغل إلا وعينهك ترقبه، ارتعى: رعى العشب في الأصل

إِنَّمَا الصَّاحِبُ: الَّذِي يَحْفَظُ الصَّا حَبَّ فِي كُلِّ شِدَّةٍ وَرَخَاءِ

٢٣ استغفار

وقال في امرأة خالد:

لَوْ أَنَّ رِجْلَيْ عَرْسِهِ بَدَاها مَا أَخْطَأَتْهُ رَحْمَةٌ تَغْشَاهَا

عرسه: زوجته

مَرْفُوعَةٌ تَحْتَ الدُّجَى رِجْلَاهَا كَأَنَّمَا تَسْتَغْفِرَانِ اللَّهَ

٢٤ النفس مرآة صدئة

وله في أبي حفص الوراق:

قَدْ تَسْتُرُ الْمِرْآةَ عَنْكَ كَ خُدُوشَ وَجْهِكَ مَعَ صَدَاهَا

وكذلك نفسك: لا تُرِبْ كَ عِيُوبَ نَفْسِكَ مَعَ هَوَاهَا

٢٥ الهجاء يستر العيوب

وقال يهجو خالدا:

قَسَمًا إِنَّ فِي الْهَجَاءِ لَسِتْرًا وَغِطَاءً لِلسَّوْءِ السَّوَاءِ
لَوْ هَجَا الْأَنْبِيَاءُ كَلْبًا، لَقَالَ النَّاسُ: هَذَا تَكْذُوبُ الشُّعْرَاءِ

٢٦ فسر الماء بالماء

وقال يهجو شاعراً:

وَشَاعِرٍ أَوْقَدَ الطَّلَبُ الذِّكَاءَ بِهِ فَكَادَ يُخْرِقُهُ مِنْ فَرْطِ إِذْكَاءِ
أَقَامَ يُجْهِدُ أَيْامًا قَرِيبَتَهُ وَفَسَّرَ الْمَاءَ بَعْدَ الْجَهْدِ بِالْمَاءِ

٢٧ قصيدة في هجاء القمر

رُبَّ عَرْضٍ مُنَزَّوٍ عَنْ قَبِيحٍ دَنَسَتْهُ مُعَرَّضَاتُ الْهَجَاءِ
معروضات الهجاء: القصائد التي تحتوي تعريضاً وقدحاً

لَوْ أَرَادَ الْأَدِيبُ أَنْ يَهْجُو الْبَدْءَ رَمَاهُ بِالْخُطَةِ الشَّنْعَاءِ
الخطئة: الأمر

قَالَ: يَا بَدْرُ، أَنْتَ تَغْدِرُ بِالسَّاءِ رِي، وَتُزْرِي بِزُورَةِ الْحَسَنَاءِ
الساري: السائر ليلاً، تزري بزورة الحسناء: تؤذي زيارة المرأة الحسناء لأنك تكشفه

كَلَفَ فِي شُحُوبٍ وَجْهَكَ يَحْكِي نُكْتًا فَوْقَ وَجْنَةٍ بَرَصَاءِ
يا بدر وجهك شاحب اللون وفيه كلف (بثور)، يحكي (يشبه) نكتاً (نقرات) في خد مصاب بالبرص

يَعْتَرِيكَ الْمَحَاقُ، ثُمَّ يُحْلِي لَكَ شَبِيهَ الْقَلَامَةِ الْحَجْنَاءِ
يصيك المحاق ثم يتركك شبيهاً بقلمة الظفر الحجناء (المعوجة)

وَيَلِيكَ النُّقْصَانُ فِي آخِرِ الشَّهْرِ رِي، فَيَمْحُوكَ مِنْ أَدِيمِ السَّمَاءِ
يليك (يلحقك)، أديم السماء (وجهها)

فَإِذَا الْبَدْرُ نَبِيلٌ بِالْهَجْوِ، هَلْ يَأْ مَنْ ذُو الْفَضْلِ أَلْسُنَ الشُّعْرَاءِ؟
لَا لِأَجْلِ الْمَدِيحِ، بَلْ خِيفَةَ الْهَجْوِ وَأَخَذْنَا جَوَائِزَ الْخُلَفَاءِ

٢٨ الخضابِ حِداداً

وقال في يحيى بن علي المنجم:

شَابَ رَأْسِي وَلَاتَ حِينٌ مَشِيبٌ وَعَجِيبُ الزَّمَانِ غَيْرُ عَجِيبٍ

لَاتَ حِينٌ مَشِيبٌ: لم يأت أوان المشيب

فاجعلي مَوْضِعَ التَّعَجُّبِ مِنْ شَيْءٍ بِي عَجْباً بِفَرْعِكَ الْغَرِيبِ

فرعك الغريب: شعرك الأسود

قَدْ يَشِيبُ الْفَتَى، وَلَيْسَ عَجِيباً أَنْ يُرَى النَّوْرُ فِي الْقَضِيبِ الرَّطِيبِ

سَاءَ مَا أَنْ رَأَتْ حَبِيباً إِلَيْهَا ضَاحِكُ الرَّأْسِ عَنْ مَفَارِقِ شَيْبِ

مفارق شيب: مفارق الشعر الشائبة في الرأس

فَدَعَتْهُ إِلَى الْخِضَابِ، وَقَالَتْ: إِنَّ دَفْنَ الْمَعِيبِ غَيْرُ مَعِيبٍ

خَضَبَتْ رَأْسَهُ فَبَاتَ يَتَبَرِّجُ حِجٌّ، وَأَضْحَى فَظُلٌّ فِي تَأْنِيهِ

لَيْسَ يَنْفَكُ مِنْ مَلَامَةِ زَارٍ قَائِلٍ بَعْدَ نَظَرَتِي مُسْتَرِيبٍ:

ضَلَّةٌ ضَلَّةٌ لِمَنْ وَعَظَّتْهُ غَيْرُ الدَّهْرِ وَهُوَ غَيْرُ مُنِيبٍ

غير الدهر: تقلباته

يَا خَلِيفَ الْخِضَابِ لَا تَخْذَعْ النَّفْسَ سَ، فَمَا أَنْتَ لِلصُّبَا بِنَسِيبِ

لَيْسَ يُجْدِي الْخِضَابُ شَيْئاً مِنَ النَّفْسِ حِ، سَوَى أَنَّهُ حِدَادُ كَثِيبِ

٢٩ الحبل مرة أخرى

وقال يعتذر إلى صاعد من طول قصيدته:

لَمْ أَطْلُهَا كَمَا أَطَالَ رِشَاءٌ مَاتِحٌ سَاءَ ظَنُّهُ بِقَلْبِ

الرشاء: الحبل، الماتح: المستقي من البئر، القلب: البئر. وقد كرر ابن الرومي هذا المعنى كثيراً

وقصدنا إلى إيراده بضع مرات، مرت منها اثنان

٣٠ هجاءه مدحه

إِذَا مَا مَدَحْتُ الْمَرْءَ يَوْمًا وَلَمْ يُثِبْ مَدِيحِي، وَحَقَّ الشَّعْرُ فِي الْحُكْمِ وَاجِبُ

كَفَانِي هِجَائِيهِ قِيَامِي بِمَدْحِهِ خَطِيئاً، وَقَوْلُ النَّاسِ لِي: أَنْتَ كَاذِبُ

٣١ اصنع مجدك بنفسك

قال ابن الرومي في محمد بن عبد الله بن طاهر:

وما الحَسَبُ الموروثُ، لا دَرَّ دَرُّهُ، بِمُحْتَسَبٍ إِلَّا بِآخِرِ مُكْتَسَبٍ
إذا العُودُ لم يُثْمِرْ، وإنْ كانَ شُعْبَةً مِنَ الثُّمَرَاتِ، اعتَدَهُ النَّاسُ فِي الحَطَبِ
وأنتَ لَعَمْرِي شُعْبَةٌ مِنْ ذَوِي العُلا فَلَا تَرْضُ أَنْ تُعْتَدَ مِنْ أَوْضَعِ الشُّعْبِ
وَلِلْمَجْدِ قَوْمٌ سَاوَرُوهُ بِأَنْفُسٍ كِرَامٍ، وَلَمْ يَرْضَوْا بِأُمٍّ وَلَا بِأَبٍ
ساوروه: صاروه: لا متلاكة

رَأَيْتُكَ قَدْ عَوَّلْتَ بِي فِي مَدَائِحِي عَلَى نَائِلِ الْآبَاءِ فِي سَالِفِ الْحَقَبِ
وذلك شيءٌ كانَ غَيْرِي نَالَهُ وَلَوْ كُنْتُ أَيْضاً نِلْتُهُ كَانَ قَدْ ذَهَبَ
أَتَجْعَلُ نَيْلاً نَالَهُ ابْنُ مُحَلَّمٍ ثَوَابٌ مَدِيحِي فِيكَ؟ هَذَا هُوَ الْعَجَبُ
فَمَا رَفَدُ عَبْدِ اللَّهِ وَالْقَرْمِ طَاهِرٍ سِوَايَ بِقَاضٍ عَنْكَ حَقِّي الَّذِي وَجَبَ
القرم: السيد

فَلَا تَتَكَلَّ إِلَّا عَلَى مَا فَعَلْتَهُ وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَجْدَ يُورَثُ بِالنَّسَبِ
فليس يَسُودُ المرءُ إِلَّا بِنَفْسِهِ وَإِنْ عَدَّ آبَاءَ كِرَاماً ذَوِي حَسَبٍ

٣٢ العلاقة العكسية

إذا عَمَرَ المَالُ البَخِيلَ وَجَدْتُهُ يَزِيدُ بِهِ يُبْساً وَإِنْ طُنَّ يَرْطُبُ
وليسَ عَجِيباً ذَاكَ مِنْهُ فَإِنَّهُ إِذَا عَمَرَ المَاءُ الحِجَارَةَ تَصْلُبُ

٣٣ أرضاني من الزمان

وقال في أبي عبد الله بن أبي العباس بن بدر:

يَمُمْتُ بَدْرَ بَنِي بَدْرِ فَمَا انْتَسَبْتُ أَلْفَاظُهُ لِي، لَكِنْ وَجْهُهُ انْتَسَبَا
لَاقِبَتُهُ وَأَنَا الْمَمْلُوءُ مِنْ غَضَبٍ عَلَى الزَّمَانِ، فَسَرَرَنِي عَنِّي الْغَضَبَا

٣٤ عَجَّلْ بالكساء

وقال، وطلب كساء من أبي جعفر محمد بن علي بن إسحاق النوبختي:

طَلَبْتُ كِسَاءً مِنْكَ إِذْ أَنْتَ عَامِلٌ عَلَى قَرِيَةِ النُّعْمَانِ تُعْطِي الرِّغَائِبَا
الرغائب: العطايا

فَأَوْسَعْتَنِي مَنَعًا إِخَالِكَ نَادِمًا عليه، وفي تمحيصه الآن راغباً

تمحيصه: محوه

فَإِنْ حَقَّ ظَنِّي فَاسْتَقِلْنِي بِمُطَرَفٍ يَقِينِي إِذَا مَا الْقُرُ أُبْدَى الْمَخَالِبَا
استقلني: استعفني، واطلب مني أن أقبلك عثرتك، مطرف: ثوب محبوبك الأطراف، القر: البرد

فَعَجَّلْ كِسَائِي طَيِّبًا نَحْوَ شَاكِرٍ سَيُجَنِّيكَ مِنْ حُرِّ الشَّنَاءِ الْأَطَابِيَا
يجنيك: يجعلك تجني

عَجَائِبُ هَذَا الدَّهْرِ عِنْدِي كَثِيرَةٌ، فَيَا ابْنَ عَلِيٍّ لَا تَزِدْنِي عَجَائِبَا

٣٥ وصفة لتطبيب الفم

وقال بمدح أبا العباس بن ثوبة ويهجو الكوكبي:

أَنْتَى تَسُوبُ بَنِي ثَوَا بَةً أَوْ عَبِيدَ بَنِي ثَوَابَةٍ؟
مَا كَانَ قَدْرُكَ أَنْ تَقُفُو هَ بِمَدْحِهِمْ بَلَّةَ الْمَعَابَةِ
بَلَّةُ المعابة (ناهيك من معابتهم)

لَا سِيَّامًا بِفَمٍ يَظَلُّ مَنِي بَاكَتِهِ شَرَابَةٍ
تَمْرِي الْأُبُورَ بِهِ إِذَا أَهْدَى حَشَاكَ لَهَا خِضَابَةٍ
تمري: تحلب

أَقْدِرُ وَأَخْبِثُ بِالْمَنِيِّ - إِذَا عَبِيطُ السَّلْحِ شَابَةٍ
عبيط السلح: الغائط الطري

هَتْمًا لِفَيْكَ، فَمَا تَخَيَّ - رَ مَا يَشُوبُ بِهِ لَعَابَةٍ
هتماً لفيك: فلتكسر أسنانك

وَإِخَالُ ذَلِكَ لَمْ يَزِدْ فِي حُبِّهِ، لَكِنْ أَطَابَةٍ
لعابه أصبح أطيب من ذي قبل بمخالطته غائطه، فتأمل في خبث ذلك اللعاب

سَتَنُذُّ مَا اكْتَسَبَتْ يَدَا لَكَ إِذَا لَقِيتَ غَدَاً عِقَابَةً
وَتَقِرُّ أَنَّكَ جَاهِلٌ لَمْ تَأْتِ مِنْ أَمْرِ صَوَابَةٍ
مَنْ بَاتَ يَحْتَطِبُ الْأَفَا عِي لَيْلَهُ دَمٌ احْتَطَابَةٍ
فالمحتطب في الليل لا يعرف ما الذي جمعه من حطب وغيره

٣٦ تهديد

قال في جحظة:

أبا حسن، وأنت فتى أديب له في كل مكرمة نصيب
أتأمن أن تُواقعك القوافي ويوم وقاعها يوم عصيب؟
تواقعك: تحاربك

أبن لي: ما الذي تأوي إليه إذا ما القذع صدّره النسيب؟

فقط صياغة الشعر القديم يعرفون قدر هذا البيت. القذع: الشتم. وتقول يا قارئ، ما لهذا الرجل يزج نفسه بالاختيار من ابن الرومي وشرح الأبيات؟ إنما اختارها لكي أتسلى بها أنا وعصبة الفتاك ممن يسكرون بخمرة الشعر العتيق؛ ولعلك لاحظت أنني بدأت أختصر الشرح. فأنا منذ بدء قافية الباء أخذت أوجه كلامي إلى هذه العصبة

أُعتَصِمُ بِأَنَّكَ ذُو صَحَابٍ من الشعراء نصرهم قريب؟
وما تُجدي عليك لُبُوثُ غَابٍ يُنْصِرُنَهَا إِذَا دَمَّاكَ ذِيبُ؟
توقّي الداءَ خَيْرٌ مِنْ تَصَدُّ لَابْسَرِهِ، وَإِنْ قَرَّبَ الطَّبِيبُ
أَذْلِكَ، أَمْ تُدِلُّ بِعِزِّ قَوْمٍ قد انقَرَضُوا فما مِنْهُمْ عَرِيبُ
ما منهم عريب: لم يبق منهم أحد

أَلَا نَادِ الْبَرَامِكَةَ: انْصُرُونِي على الشعراء، وانظر هل مُجِيبُ؟
وكيف يُجيبُكَ الشَّخْصُ المَوَارِي؟ وكيف يُعِزُّكَ الْخَدُّ التَّرِيبُ؟
الشخص الموارى: المدفون، الخد التريب: المعفر بتراب القبر

ولو نُشِرُوا لَمَا نَصَرُوا، وَقَالُوا: أَرَبْتَ فَكَانَ حَقُّكَ مَا يُرِيبُ
أربت: جثت أمراً مريباً

أَتَدْعُونَا إِلَى حَرْبِ الْقَوَافِي لِتَحْرُبَنَا السَّلَامَةَ، يَا حَرِيبُ؟
لتحربنا: لتسلمنا، حريب: مسلوب المال والثياب

أَلَمْ تَرَبْذَلْنَا المَعْرُوفَ قِدمًا مَخَافَةَ أَنْ يَقُومَ بِنَا خَطِيبُ؟
أَذَلَّنَا دُونَ ذَلِكَ كُلِّ عِلْقٍ وَمُلْتَمِسُ السَّلَامَةِ لَا يَخِيبُ
أذلنا: أهنا، علق: نفيس

عليك بِبَذْلِ عُرْفِكَ، فَاسْتَجِرْهُ؛ كذلك يفعل الرجل الأريب

٣٧ المحبوبة الذائبة، والمسحوبة الساحبة

وقال في أبي شيبة بن الحاجب وكان قد دعاه واستر عنه :

نَجَّاكَ يَا ابْنَ الْحَاجِبِ الْحَاجِبُ وَأَيْنَ يَنْجُو مِنِّي الْهَارِبُ؟
وَالْقَوْمُ لَا قَوْكَ فَأَعْدِدْ لَهُمْ مَا يَرْتَضِي الْأَكْلُ وَالشَّارِبُ
فَاسِقِ حَلِيبِ الْكَرْمِ شُرَابُهُ إِذْ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِمُ الرَّائِبُ
حليب الكرم: الخمر، الرائب: اللبن

أَحْضِرْهُمْ الْبِكْرَ الَّتِي مَا اضْطَلَّتْ نَارًا، فَكُلْ خَاطِبٌ رَاغِبٌ
البكر: الخمر العذراء التي لم يكن افْتُضَ دنها قبل اليوم

تِلْكَ الَّتِي مَا بَايَعْتَ رَاهِبًا إِلَّا جَفَا قِنْدِيلُهُ الرَّاهِبُ
لا تبيت الخمر في دير راهب إلا جعلته يجفو (يترك) قنديله، ذلك أنها تشع ضوءاً

تِلْكَ الَّتِي لَيْسَ لَهَا مُشْبِئَةٌ فِي الْكَاسِ إِلَّا الذَّمُّ الذَّائِبُ
أَعْجَبَ بِتِلْكَ الْبِكْرِ مَحْجُوبَةٌ مَكْرُوبَةٌ يُجْلَى بِهَا الْكَارِبُ
ما أعجب الخمر، هي كالفتاة البكر المحبوبة المكروبة (المحزونة)، ولكنها تزيل الكارب (سبب الحزن) عمن يشربونها

مَغْلُوبَةٌ فِي الدَّنِّ مَسْلُوبَةٌ لَهَا انْتِصَارٌ غَالِبٌ سَالِبٌ
الدن: خابية الخمر الضخمة، انتصار: انتقام

بَيْنَا تُرَى فِي الرِّقِّ مَسْحُوبَةٌ إِذْ حَكَمْتَ أَنْ يُسْحَبَ السَّاحِبُ
يسحبون زقاق الخمر سحاً لثقلها، وهي قَرَبٌ كبيرة مصنوعة من جلد أو قماش ومطوية بالقار حتى لا تنزّ، وفي العاقبة فهي تسكر الشاربين الذين سحبوها حتى يُسحبون سحاً وهم سكارى

تَقْتَصُّ مِنْ وَاتِرِهَا صَرْعَةً لَيْسَ لَهَا بَاكِ وَلَا نَادِبُ
تصرع واطرها (الجاني عليها) أرضاً، فلا يبكيه أحد إذ هي صرعة محبة

لَا تُظْعِمُنَا لَحْمَكَ الْمُتَقَى فَلَيْسَ مِمَّا يَأْكُلُ السَّاعِبُ
المتقى: الذي يجتنبه الناس، الساعب: الجائع

وَكَيْفَ أَكَلُ النَّاسِ لَحْمَ امْرِئٍ مَقُولُهُ صَمْصَامَةٌ قَاضِبٌ؟
مقوله: لسانه، صمصامة قاضب: سيف قاطع

وَاعْلَمْ بِأَنَّ النَّاسَ مِنْ طِينَةٍ يَصْدُقُ فِي الثَّلْبِ لَهَا الثَّالِبُ

لولا علاج الناس أخلاقهم إذن لفاح الحمأ اللازب
الحمأ اللازب: الطين اللاصق المتماسك. يقصد أن الطين الذي هو أصل الإنسان يفوح بريح
خيثة لولا مغالبة الناس أنفسهم

٣٨ لا تحسد الأغنياء

إذا ما كساك الله سربالاً صحت ولم تخل من قوتٍ يحل ويعدب
سربال: ثوب

فلا تغبطن المترفين، فإنهم على قدر ما يكسوهم الدهر يسلب

٣٩ غضب القوافي

وقال في إسماعيل بن بلبل:

أبا الصقر: لست أرى مهدياً لك المدح غيري إلا مثاباً
وقد كذت من قرط ما شقني جفاؤك ألا أسيع الشراباً
أتهتك سثري عن خلتي وتغلق دون عطايك باباً
خلتي: فقري

حلفت: لئن أنت لم ترضني لتنصرفن القوافي غضاباً

٤٠ الخادم العجيب

وقال في غلام لبعض إخوانه يقال له نصر:

لي خادم لا أزال أحتسبه يغيب حتى يرده سعبه
أحتسبه: أعده في حسابي عند الله (أي أنه لا ينفعني في الحياة الدنيا)، سعبه: جوعه

كم قال ضيفي، وقد بعثت به: هيهات، يوم الحساب منقلبته
هل مشتري؟ والسعيد بائعه هل قابل؟ والسعيد من يهبه

٤١ حفيد صهيب

وقال يعاتب بعض من طعن في شعره:

تأمل العيب عيب ما في الذي قلت ريب
والشعر كالشعر، فيه مع الشبيبة شيب

كَمْ عَائِبٍ كُلِّ شَيْءٍ وَكُلِّ مَا فِيهِ عَيْبٌ
قَدْ تُحْسِنُ الرُّومُ شِعْرًا مَا أَحْسَنَتْهُ الْعُرَيْبُ
بِأَمْنِكِ الْمَجْدِ فِيهِمْ أَلَيْسَ مِنْهُمْ صُهَيْبُ؟

٤٢ فراقه عيد

وقال في شهر رمضان:

إِذَا بَارَكْتَ فِي صَوْمٍ لِقَوْمٍ دَعَوْتُ لَهُمْ بِتَطْوِيلِ الْعَذَابِ
وَمَا التَّجْرِيكَ فِي شَهْرِ طَوِيلٍ يُطَاوِلُ يَوْمُهُ يَوْمَ الْحِسَابِ
فَلَيْتَ اللَّيْلَ فِيهِ كَانَ شَهْرًا وَمَرَّ نَهَارُهُ مَرَّ السَّحَابِ
فَلَا أَهْلًا بِمَانِعٍ كُلِّ خَيْرٍ وَأَهْلًا بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ

٤٣ العمُو

أَصْبَحْتُ شَيْخًا لَهُ سَمْتُ وَأُبْهَةٌ يَدْعُونَنِي الْبَيْضُ عَمَّا تَارَةً وَأَبَا
السمت: الوفار، البيض: الحسان. كانت له مندوحة عن «يدعوني». ولا تظن أنه
فات ابن الرومي أن «يدعوني» أو «تدعوني» تقومان بالبيت خير قيام. غير أنه أحب
أن يترك شيئاً من لغة «أكلوني البراغيث» في شعره

وَتِلْكَ دَعْوَةٌ لِجَلَالٍ وَتَكْرِمَةٍ وَدِدْتُ أَنِّي مُعْتَاضٌ بِهَا لَقَبًا
اللقب يكون في العادة تسمية بهدف الذم. وعند بنات بلاد الشام لفظة تغبط: يضعن آل التعريف
أمام كلمة عمُو زيادة في الاستخفاف بالرجل الكبير

٤٤ الموز.. ثانية

لِلْمُوزِ إِحْسَانٌ بِلَا ذُنُوبٍ لَيْسَ بِمَعْدُودٍ وَلَا مَحْضُوبٍ
يَكَاذُ مِنْ مَوْقِعِهِ الْمَحْبُوبِ يَذْفَعُهُ الْبَلْعُ إِلَى الْقُلُوبِ
موقعه: مكانته في النفوس

٤٥ مساحة للصديق

أَنَا نِي مَقَالٌ مِنْ أَخٍ فَاغْتَفَرْتُهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِمَا دُونَهُ وَجْهُ مَعْتَبٍ
وَذَكَّرْتُ نَفْسِي مِنْهُ عِنْدَ امْتِعَاضِهَا مُحَاسِنٌ تَغْفُو الذَّنْبَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ

وَمِثْلِي رَأَى الْحُسْنَى بَعَيْنٍ جَلِيلَةٍ وَأَغْصَى عَنِ الْعَوْرَاءِ غَيْرَ مُؤَنَّبٍ
العوراء: الكلمة النابية

وَلَسْتُ بِتَقْلِبِ اللِّسَانِ مُصَارِمًا خَلِيلِي إِذَا مَا الْقَلْبُ لَمْ يَتَّقَلَّبِ

٤٦ مشقات السفر

وقال بمدح أحمد بن ثوبة (وكان طلب إليه أن يسافر ويأتيه لكي يصله، فاستفزع ابن الرومي فكرة السفر واعتذر بقصيدة طويلة):

دَعِ اللُّومَ، إِنَّ اللُّومَ عَوْنُ النَّوَائِبِ وَلَا تَتَجَاوَزُ فِيهِ حَدَّ الْمُعَاتِبِ
لا تلمني لأنني امتنعت من السفر، فاللوم يساعد المصائب المحذرة بي، ولا تتجاوز في لومك عتاب المعاتب

فَمَا كُلُّ مَنْ حَطَّ الرَّحَالَ بِمُخَفِّقٍ، وَلَا كُلُّ مَنْ شَدَّ الرَّحَالَ بِكَاسِبٍ
ليس كل ماكن في مكانه فاشلاً، ولا كل من شد رحاله وسافر كاسباً

وَفِي السَّعْيِ كَيْسٌ، وَالتَّفْوُسُ نَفَاسٌ، وَلَيْسَ بِكَيْسٍ بَيْعُهَا بِالرَّغَائِبِ
كيس: حنكة، الرغائب: العطايا

حَضَضْتُ عَلَى حَظِي لِنَارِي، فَلَا تَدْعُ - لَكَ الْخَيْرُ - تَحْذِيرِي شُرُورَ الْمَحَاطِبِ
حشني على أن أسمى، فالمرء يجب أن يجمع الحطب لكي يكون له نار يصطلي بها، ولكنك نسيت أن تحذرنني من شرور المحاطب (الاحتطاب)

وَمَنْ يَلْقَ مَا لَا قَيْتَ فِي كُلِّ مُجْتَنَى مِنْ الشَّوْكِ يَزْهَدُ فِي الثَّمَارِ الْأَطَابِ
مجتنى: جني الثمار

أَذَاقَنِي الْأَسْفَارَ مَا كَرَّهَ الْغِنَى إِلَيَّ، وَأَغْرَانِي بِرَفْضِ الْمَطَالِبِ
المطالب: العطايا، وما يطلبه المرء من الأمراء

فَأَصْبَحْتُ فِي الْإِثْرَاءِ أَزْهَدُ زَاهِدٍ وَإِنْ كُنْتُ فِي الْإِثْرَاءِ أَرْغَبُ رَاغِبٍ
حريصاً، جباناً، أشتهي ثم أنتهي بلحظي جناب الرزق لحظ المراقب
بلحظي جناب الرزق: بروئي لطرف الرزق، فهو ينظر شزراً بطرف عينه ولذا فهو يرى جانباً من الرزق فقط

وَمَنْ رَاحَ ذَا حِرْصٍ وَجُبْنٍ فَلِإِنَّهُ فَقِيرٌ أَنَاهُ الْفَقْرُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
ولمّا دعاني لِلْمَثْوَاةِ سَيْدُ يرى المدح عاراً قبل بذل الماثوب
الماثوب: مثل الرغائب والمطالب، هي العطايا التي تكون ثواباً على المدح

تَنَازَعَنِي رَغَبٌ وَرَهَبٌ، كِلَاهُمَا قَوِيٌّ، وَأَعْيَانِي اِطْلَاعُ الْمَغَائِبِ

اطلاع المغايب: معرفة الغيب

فَقَدَّمْتُ رَجُلًا رَاغِبًا فِي رَغِيبَةٍ وَأَخَّرْتُ أُخْرَى رَهْبَةً لِلْمَعَاطِبِ

الرغبة: صلة الأمير، المعاطب: الأخطار التي تلتف المرء

أَخَافُ عَلَى نَفْسِي وَأَرْجُو مَفَازَهَا وَأَسْتَارُ غَيْبِ اللَّهِ دُونَ الْعَوَاقِبِ

العواقب (النتائج) محجوبة بأستار الله لأنها في الغيب

أَلَا مَنْ يُرِينِي غَايَتِي قَبْلَ مَذْهَبِي؟ وَمِنْ أَيْنَ! وَالْغَايَاتُ بَعْدَ الْمَذَاهِبِ؟

وَمِنْ نَكْبَةٍ لَا قِبْتُهَا بَعْدَ نَكْبَةٍ رَهْبْتُ اغْتِسَافَ الْأَرْضِ ذَاتِ الْمَنَاكِبِ

الاعتساف: السير على غير هدى، مناكب الأرض: قيل: ما ارتفع منها... المعنى: من النكبات، أي بسببها، رهبت السير

وَصَبَّرِي عَلَى الْإِفْتَارِ أَيْسَرُ مَحْمَلًا عَلَيَّ مِنَ التَّغْرِيرِ بَعْدَ التَّجَارِبِ

الإفتار: الفقر، التفرير: المخاطرة

لَقِيتُ مِنَ الْبَرِّ التَّبَارِيخَ، بَعْدَمَا لَقِيتُ مِنَ الْبَحْرِ ابْتِضَاضَ الذَّوَائِبِ

التباريح: المصاعب، الذوائب: خصلات الشعر

سُقِيتُ عَلَى رِيٍّ بِهِ أَلْفَ مَطْرَةٍ شَغِفْتُ لِْبُغْضِهَا بِحُبِّ الْمَجَادِبِ

كثيراً ما دهمني المطر وأنا غير عطشان، فأبغضت هذه المطرات إلى حد أنني أحببت المجادب (الجدب وقلة المطر، صاغها مثل «مخاوف» من الخوف)

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو سُخْفَ دَهْرِي، فَإِنَّهُ يُعَايِنُنِي مُذْ كُنْتُ غَيْرَ مُطَايِبٍ

دهري يعث معي، لكن ليس عبث المطاية (التودد) بل عبث الأذى

أَبَى أَنْ يُغِيثَ الْأَرْضَ حَتَّى إِذَا ارْتَمَتْ بِرَحْلِي أَتَاهَا بِالْغُيُوثِ السَّوَائِبِ

رفض الدهر أن يرسل على الأرض المطر وينعشها، فإذا ارتمت رحلي (متاعي) بالأرض جاءها الدهر بالغيوث السواكب (المنهمرة)

سَقَى الْأَرْضَ مِنْ أَجْلِي فَأُضَحَّتْ مَزَلَّةً تَمَائِلَ صَاحِبِهَا تَمَائِلَ شَارِبٍ

فقط لأنني سافرت سقى الدهر الأرض بالمطر الغزير فأضحيت مزلة (مكان انزلاق)، ولذا أخذ السائر فيها يسير متمائلاً كالسكران خوف الانزلاق

لِتَعْرِيقِ سَيْرِي أَوْ دُحُوضِ مَطِيَّتِي وَإِخْصَابِ مُزُورٍ عَنِ الْمَجْدِ نَاكِبِ
جاء المطر ليعوق سيري ويجعل ناقتي تنزلق، ولكي يأتي بالخصب لمزارع مزور (مبتعد) عن طلب
المجد والسفر وناكب (منصرف) عن الارتحال

فَمِلْتُ إِلَى خَانٍ مُرِثٌ بِنَاؤُهُ مَمِيلَ غَرِيقِ الثَّوْبِ لَهْفَانٍ لَاغِبِ
لاغب: متعب

فَلَمْ أَلَقَ فِيهِ مُسْتَرَا حَا لِمُتْعَبٍ وَلَا نُزُلًا، أَيَّانَ ذَاكَ لِسَاغِبٍ؟
ساغب: جائع

فَمَا زِلْتُ فِي خَوْفٍ وَجُوعٍ وَوَحْشَةٍ وَفِي سَهْرٍ يَسْتَغْرِقُ اللَّيْلَ وَاصِبِ
واصب: متعب

يُؤَرِّقُنِي سَقْفٌ، كَأَنِّي تَحْتَهُ، مِنْ الْوَكْفِ، تَحْتَ الْمُدَجَّنَاتِ الْهَوَاضِبِ
الوكف: الدلف وتسلل الماء من السقف، المدجنات: الغيوم، الهواضب: الغيوم الماطرة

تَرَاهُ إِذَا مَا الطَّيْنُ أَثْقَلَ مَثْنُهُ تَصِيرُ نَوَاحِيهِ صَرِيرَ الْجَنَادِبِ
وَكَمْ خَانَ سَفَرٍ خَانَ فَاثْقَضَ فَوْقَهُمْ كَمَا انْقَضَ صَقْرُ الدَّجْنِ فَوْقَ الْأَرَانِبِ
صقر الدجن: أراه قصد الصقر الداجن الذي يصيدون به

وَلَمْ أُنَسَ مَا لَاقَيْتُ أَيَّامَ صَحْوِهِ مِنَ الصَّرِّ فِيهِ وَالثَّلُوجِ الْأَشَاهِبِ
الصر: البرد الشديد، الأشاهب: البيضاء

وَمَا زَالَ ضَاحِيِ الْبَرِّ يَضْرِبُ أَهْلَهُ بِسَوْطِي عَذَابٍ جَامِدٍ بَعْدَ ذَائِبِ
الضاحي: المكشوف، يقول: السير في البر المكشوف يعرض المرء للثلج الجامد وللمطر

فَإِنْ فَاتَهُ قَطَرٌ وَثَلَجٌ فَإِنَّهُ رَهِينٌ بِسَافٍ تَارَةٍ أَوْ بِحَاصِبِ
القطر: المطر، السافي: هواء يحمل التراب، الحاصب: هواء يحمل الحصى

فَذَاكَ بَلَاءُ الْبَرِّ عِنْدِي شَاتِيَاً وَكَمْ لِي مِنْ صَيْفٍ بِهِ ذِي مَثَالِبِ
أَلَا رَبَّ نَارٍ بِالْفَضَاءِ اضْطَلَّتْهَا مِنْ الصُّحَّ يُودِي لَفْحُهَا بِالْحَوَاجِبِ
الفضاء: الأرض المكشوفة، الضح: الشمس

إِذَا ظَلَّتِ الْبِيدَاءُ تَطْفُو إِكَامُهَا وَتَرُسُّبُ فِي غَمْرِ مِنَ الْآلِ نَاضِبِ
تطفو الإكام (المرتفعات) ثم ترسب في غمر (بحر) من الآل (السراب) لكنه بالطبع ناضب (ليس فيه ماء)

فَدَعْ عَنْكَ ذِكْرَ الْبَرِّ؛ إِنِّي رَأَيْتُهُ، لِمَنْ خَافَ هَوَلَ الْبَحْرِ، شَرَّ الْمَهَارِبِ
كَيْلَا نُزْلِيهِ: صَيْفُهُ وَشِتَاؤُهُ خِلَافَ لِمَا أَهْوَاهُ غَيْرُ مُصَاقِبِ
غير مصاقب: غير مقارب لهواري ومزاجي

وَأَمَّا بَلَاءُ الْبَحْرِ عِنْدِي فَإِنَّهُ طَوَّانِي عَلَى رَوْعٍ مَعَ الرُّوحِ وَاقِبِ
روع: خوف، مع الروح واقب: متغلغل في الروح
وَلَمْ لَا، وَلَوْ أَلْقَيْتُ فِيهِ وَصْخَرَةً لَوَافَيْتُ مِنْهُ الْقَعْرَ أَوَّلَ رَاسِبِ
لو رموني أنا وصخرة في الوقت نفسه في البحر لرسبت قبلها

وَلَمْ أَتَعَلَّمْ قَطُّ مِنْ ذِي سَبَاحَةٍ سِوَى الْغَوْصِ، وَالْمَضْعُوفُ غَيْرُ مُعَالِبِ
كل ما تعلمته من ذي السباحة (السباح) الغوص (الغرق) - يهزأ -

فَأَيْسَرُ إِشْفَاقِي مِنَ الْمَاءِ أَنْسِي أَمْرُهُ بِهِ فِي الْكُوزِ مَرَّ الْمُجَانِبِ
أقل علائم خوفي من الماء أنني أمر قرب إبريق الماء منحرفاً بجنبتي كالخائف - يهزأ -

وَأَخْشَى الرَّدَى مِنْهُ عَلَى كُلِّ شَارِبٍ فَكَيْفَ بِأَمْنِيهِ عَلَى نَفْسِي رَاكِبِ
أَظْلُ إِذَا هَرَّتْهُ رِيحٌ وَلَا لَأْتُ لَهُ الشَّمْسُ أَمْوَاجاً طَوَّالَ الْغَوَارِبِ
الغوارب: أعالي الأمواج

كَأَنِّي أَرَى فِيهِنَّ فُرْسَانَ بُهْمَةٍ يُلِيحُونَ نَحْوِي بِالسُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ
بهمة: ساحة المعركة المغيرة المبهمة الجو، يليحون: يلوحون، القواضب: القواطع

فَإِنْ قُلْتُ لِي: «قَدْ يُرَكَّبُ الْيَمُّ طَامِياً» وَدَجَلَةٌ عِنْدَ الْيَمِّ بَعْضُ الْمَذَانِبِ
طامياً: فائضاً، دجلة عند اليم: دجلة بالنسبة إلى البحر، المذانب: الجداول

فَلَا عُذْرَ فِيهَا لِأَمْرِي هَابٍ مِثْلَهَا وَفِي اللَّجَّةِ الْخَضْرَاءِ عُذْرٌ لِهَائِبِ
اللجة الخضراء: البحر الأزرق

فَإِنْ احْتِجَّاجِي عَنْكَ لَيْسَ بِنَائِمٍ وَإِنْ بَيَّانِي لَيْسَ عَنِّي بِعَازِبِ
عازب: بعيد

لِيَدْجَلَةٍ خَبٍّ لَيْسَ لِلْيَمِّ، إِنَّهَا تُرَائِي بِحِلْمٍ تَحْتَهُ جَهْلٌ وَائِبِ
خب: غدر

تَطَّامَنُ حَتَّى تَطْمِئَنَ قُلُوبُنَا وَتَغْضُبُ مِنْ مَرْحِ الرِّيحِ اللَّوَاعِبِ
تطامن: تنخفض دجلة بموجها

تَرَانَا إِذَا هَاجَتْ بِهَا الرِّيحُ هَيَّجَةً نُزِّلْزَلٌ فِي حَوْمَاتِهَا بِالْقَوَارِبِ
حوماتها: حومات دجلة أي مياها الغامرة

وَلَيْسَ إِنْذَارٌ بِعُرْضِ مُتُونِهِ وَمَا فِيهِ مِنْ آذِيَةِ الْمُتَرَاكِبِ
البحر الكبير يعطي المرء إنذاراً لأنه متسع جداً، ومن خلال آذيه (موجه) المتراكب، أما دجلة فغدارة

وَلَسْتُ تَرَاهُ فِي الرِّيحِ مُزْلَزَلًا بِمَا فِيهِ إِلَّا فِي الشَّدَادِ الْعَوَالِبِ
وما أنا بالرَّاضي عن البحرِ مَرَكَبًا وَلَكِنِّي عَارِضْتُ شُعْبَ الْمُشَاغِبِ
أنا بالطبع لا أرضى عن البحر الكبير ولكنني فقط أردت أن أعاند من يهون أمر دجلة ويشاغبي

وَجَرَّبْتُ حَتَّى مَا أَرَى الدَّهْرَ مُغْرِبًا عَلَيَّ بِشَيْءٍ لَمْ يَقَعْ فِي تَجَارِبِي
مغرباً عليّ: آتياً بامر غريب عليّ

أَرَى الْمَرْءَ - مُذْ يَلْقَى التُّرَابَ بِوَجْهِهِ إِلَى أَنْ يَوَارِيَ فِيهِ - رَهْمَ النُّوَابِ
وَلَوْ لَمْ يُصَبَّ إِلَّا بِشَرْخِ شَبَابِهِ لَكَانَ قَدْ اسْتَوْفَى جَمِيعَ الْمَصَائِبِ
شرح الشباب: أوله

فَلَا تَنْصِبَنَّ الْحَرْبَ لِي بِمَلَامَتِي وَأَنْتَ سِلَاحِي فِي حُرُوبِ النُّوَابِ
وَأَجْدَى مِنَ التَّعْنِيفِ حُسْنُ مَعُونَةٍ: بِرَأْيِي وَلَيْنَ مِنْ خِطَابِ الْمُخَاطِبِ
وَفِي النَّصِيحِ خَيْرٌ مِنْ نَصِيحِ مُوَادِعٍ وَلَا خَيْرَ فِيهِ مِنْ نَصِيحِ مُوَائِبِ
الموادم: المسالم، الموائب: الذي يريد خوض نزاع فيثب على خصمه وخصمه يثب عليه
ومثلي محتاج إلى ذي سَمَاحَةٍ كَرِيمِ السَّجَايَا أُرِيحِي الضَّرَائِبِ
الضرائب: الطبايع

إِلَى مَا جِدَ الْأَخْلَاقِ حُرّاً فَعَالُهُ، تُبَارِي عَطَايَاهُ عَطَايَا السَّحَائِبِ
كَمِثْلِ أَبِي الْعَبَّاسِ، إِنْ نَوَّالَهُ نَوَّالِ الْحَيَا يَسْعَى إِلَى كُلِّ طَالِبِ
الحيا: المطر

وَمَنْ يَكُ مِثْلًا لِلْحَيَا فِي عُلوِّهِ يَكُنْ مِثْلَهُ فِي جُودِهِ بِالْمَوَاهِبِ
المواهب: العطايا

وَأِنْ فُعُودِي عَنْهُ خَيْفَةٌ نَكْبَةٌ لَلُّؤْمُ مَهْزٌ، وَأَنْشَاءُ مَضَارِبِ
المهز: النخوة والنجدة (فالكریم يهتز للطرب وللطلب، ويسارع لتلبية طلبات الناس). تأخري عنك
لؤم مني

أَقْرُ عَلَى نَفْسِي بِعَيْنِي لِأَنِّي أَرَى الصَّدَقَ يَمْحُو بَيِّنَاتِ الْمَعَائِبِ
لَوْمْتُ - لَعَمْرُ اللَّهِ - فِيمَا أَتَيْتُهُ وَإِنْ كُنْتُ مِنْ قَوْمِ كِرَامِ الْمَنَاصِبِ
المنصب: المقام

لَهُمْ حِلْمٌ إِنْسٍ فِي عَرَامَةٍ جِنَّةٍ وَبِأَسْ أُسُودَ فِي دَهَاءِ ثَعَالِبِ
عرامة: هياج، الجِنَّة: الجنَّة

وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَلُومَ الْمَرْءَ نَارِعَاً إِلَى الْحَمَأِ الْمَسْنُونِ ضَرْبَةً لَازِبِ
لا بد لكل إنسان من أن يكون لثيماً في موقف ما نازعاً إلى (مشدوداً نحو) الحمأ المسنون (الطين
الأملس) الذي منه خلق الإنسان كما قيل لنا، ضربة لازب (حتماً)

فَقُلْ لِأَبِي الْعَبَّاسِ، لُقِّيتَ وَجْهَهُ، وَحَسْبُكَ مِنِّي تِلْكَ دَعْوَةٌ صَاحِبِ:
لقيت وجهه: أَدْعُوكَ أَنْ تَلْقَاهُ

تُكَلِّفُنِي هَوْلَ السَّفَارِ وَعَوْلَهُ رَفِيقَ شِتَاءٍ مُقْفَعِلِ الرِّوَاكِجِ
تريد تكليفي بهول السفر وغوله (مشقته) بحيث أكون رفيقاً للشتاء مقفعل الرواجب (متشجج مفاصل
الأصابع)

كَأَنَّ تَمَامَ الْوُدِّ وَالْمَدْحِ كُلِّهِ هَوًى الْفَتَى فِي الْبَحْرِ أَوْ فِي السَّبَاسِبِ
هوى: سقوط (من هوى)، السباسب: الصحارى

أَيَعِزُّبُ عَنْكَ الرَّأْيُ فِي أَنْ تُثِيبَنِي مُقِيمَا مَضُونًا عَنْ عَنَاءِ الْمَطَالِبِ؟
أيعزب: هل يغيب؟

فَقُلْفَى وَأَلْفَى بَيْنَ صَافِي صَنِيعَةٍ وَصَافِي ثَنَاءٍ لَمْ يُشَبَّ بِالْمَعَائِبِ
وَأَحْسَنُ عُرْفٍ مَوْقِعاً مَا تَنَالَهُ يَدِي، وَغُرَابِي بِالنَّوَى غَيْرُ نَاعِبِ
غرابي غير ناعب: أي دون أن أرحل

وَأَنْتَ مَتَى تَوَبَّتَنِي فِي مَشْقَةٍ رَأَيْتَكَ فِي شَخْصِ الْمُثِيبِ الْمُعَاقِبِ
توبتني: كافأتني

أَلَمْ تَرَنِي أَتَعِبْتُ فِكْرِي مُحْكَمًا لَكَ الشُّعْرُ كَيْ لَا أَبْتَلَى بِالْمَتَاعِبِ
نَحَلْتُكَ حَلِيًّا مِنْ مَدِيحٍ كَأَنَّهُ هَوًى كُلِّ صَبٍّ مِنْ عِنَاقِ الْحَبَائِبِ
حلياً: مفرد حُلِيٍّ

وَأَنْتَ لَهُ أَهْلٌ، فَإِنْ تَجَزَّنِي بِهِ أَرَدَكَ، وَإِنْ تُمَسِكَ أَقْفَ غَيْرِ عَاتِبِ

ولستُ كَمَنْ يَعدُو وفي كلماته تَظَلُّمٌ مغصوبٍ وعدوانٌ غاصِبٍ

يعدو: يعتدي

فلا تَحْرِمْنِي كي تُجِدَّ عَجِيبَةً لِقَوْمٍ، فَحَسِبُ النَّاسِ مَاضِي الْعَجَائِبِ
لا تحرمني لأنك بهذا تُجِدَّ (تبتكر) عجيبة من العجائب، ومش ناقصين!

أثْقَلُ إِذْ لَالِي لِتَحْمِيلِ ثِقَلَهُ بِطُوعِ الْمُرَاضِي، لا بِكُرِّهِ الْمُغَاضِبِ
الإدلال: العَثم

أَقَمْتُ لِكَيِّ تَزْدَادَ نُعْمَاكَ نِعْمَةً وَتَغْنَى بِوَجْهِ نَاضِرٍ غَيْرِ شَاحِبٍ
بقيت مكاني ولم أرحل إليك لكي تكون عطيتك إلي مضاعفة فأنا أخذ العطية دون تجشم التعب،
ولا أريك وجهاً شاحباً من وعاء السفر

وكيلا يَقُولَ الْقَائِلُونَ: أَثَابَهُ وَعَاقَبَهُ، وَالْقَوْلُ جَمُّ الْمَشَاعِبِ
المشاعب: الطرقات

وفي النَّاسِ أَيْقَاطٌ لِكُلِّ كَرِيمَةٍ كَانَهُمُ الْعِقْبَانُ فَوْقَ الْمَرَاقِبِ
المراقب: مجاثم الصقور التي منها يرقبون الصيد. فالناس الكرام عيونهم بقظة ترقب فرصة سانحة
لصنع معروف

يُراَعُونَ أَمْثَالِي فَيَسْتَنْقِذُونَهُمْ وَهُمْ فِي كُرُوبٍ جَمَّةٍ وَذَبَابِ
ذباب: أمور مقلقة (طبعاً، وقد أطال ابن الرومي قصيدته لتبلغ ١٨٢ بيتاً، لا بد أن يتحفنا
بالذباب وأمثالها من القوافي)

إِلَى اللَّوِّ أَشْكُو عُمَّةً، لا صَبَاحُهَا يُنِيرُ، ولا تَنْجَابُ عَنِّي بِجَائِبِ
تنجاب: تزول

نُشُوبُ الشَّجَا فِي الْحَلْقِي: لا هُوَ سَائِفٌ ولا هُوَ مَلْفُوظٌ. كَذَا كُلُّ نَاشِئٍ
هذه الغمة ناشبة في نفسي نشوب (علوق) الشجا (الشوكة في الحلق) لا هي سائفة (نازلة
في البلعوم) ولا هي ملفوظة إلى الخارج. وأما «كذا كل ناشئ فزيادة لكي يتم البيت
وتتم به القصيدة. ابن الرومي مثل المذيع الذي يعشق الميكروفون، يسأل الضيف سؤالاً
طوله سبعة أسطر يضم في أثنائه كل عناصر الجواب، ولا يبقى للضيف سوى أن يقول:
نعم، بالضبط. ولكن شاعرنا الهمام يأتي في أثناء كلامه بدرر نفيسة. وهذه القصيدة من
مشهوراته، وقد أخذنا منها أبياتاً كثيرة كي يحس القارئ بأسلوب الرجل وطريقته. ولعل
ما شجعنا على ذلك أنها متماسكة، فيها بناء محكم من المعاني والحجج. و... نعم،
فيها نثرية عالية، وفيها كل مميزات ابن الرومي. فإن أردت أن ترى صورة هذه القصيدة
في شعرنا المعاصر فاقرأ بأية إلياس فرحات الكبرى. وستوردها في الكتاب الخامس
والأخير من كتب هذه السلسلة التي بيدك الآن كتابها الثالث

٤٧ الطيلسان المغني

وقال على مذهب الحمودي:

يا ابنَ حربٍ كَسَوْتَنِي طَيْلَسَانًا يَتَجَنَّى على الرياحِ الذُّنُوبَا
صار الطيلسان (الرداء) القديم يتجنى على الرياح ويزعم أنها اقترفت ذنوباً، فهي التي أدت إلى اهترائه

هذه الأبيات آية محبة ابن الرومي كتابة الشعر لوجه الهواية. فهو رجل لا يستطيع
يقعدُ ساكناً منتظراً فرصةً لمدح كبير كي يشحذ قلمه ويكتب أبياتاً ثم يحككها. ليس
هكذا ابن الرومي. بل هو يمدح ويقده ويتسلى بالشعر، ويطيل جداً، لأن النظم
هوأيته. وقد استطرف ابن الرومي ما فعله معاصره الحمودي الشاعر فجرى معه في
الميدان. وكان الحمودي نال كسوة من ابن حرب: طيلساناً. ثم أخذ ابن حرب
يذكره بها، ولا يحجوه بشيء سواها. فكتب الحمودي عشرات القطع الهزلية عن هذا
الطيلسان، والمعنى فيها كلها واحد: أن الطيلسان أصبح قديماً رثاً

طَيْلَسَانٌ إِذَا تَنَفَّسْتُ فِيهِ صَاحَ يَشْكُو الصَّبَا وَيَشْكُو الْجَنُوبَا
وحتى لو تنفست في الطيلسان فإنه لرقته يظن الأنفاس ريحي الصبا والجنوب

تَتَغَنَّى إِحْدَى نَوَاحِيهِ صَوْتًا فَتَشُقُّ الأُخْرَى عَلَيْهِ الْجُيُوبَا
تغني ناحية من الطيلسان صوتاً (أغنية) فتشق الناحية الأخرى على هذا الصوت الجيوب. وكانوا في
القديم إذا طربوا وضعوا يدهم في جيب الرداء (فتحت التي عند العنق) وشقوه شقاً

فإِذَا مَا عَذَلْتُهُ، قَالَ: مَهَلًا لَا يَكُونُ الْكَرِيمُ إِلَّا ظَرْوبًا
طَالَ رَفُؤِي لَهُ فَأَوْدَى بِكَسْبِي يَا ابْنَ حَرْبٍ تَرَحُّمَتْنِي مَحْرُوبًا
رفؤي له: رتقي له، المحروب: مَنْ سلب اللصوص ثيابه

٤٨ الحكمة في قلة الأصدقاء

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُتَّفَادٌ فَلَا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الصُّحَابِ
متفاد: مكتسب

فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرَ مَا تَرَاهُ يَحُولُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ
يحول: يتحول

إِذَا انْقَلَبَ الصَّدِيقُ غَدًا عَدُوًّا مُبِينًا، وَالْأُمُورُ إِلَى انْقِلَابٍ
وَلَوْ كَانَ الْكَثِيرُ يَطِيبُ كَانَتْ مُصَاحَبَةُ الْكَثِيرِ مِنَ الصَّوَابِ
ولكن قلماً استكثرت إلا سقطت على ذئاب في ثياب

فَدَعُ عَنْكَ الْكَثِيرَ، فَكَمْ كَثِيرٍ يُعَافٍ، وَكَمْ قَلِيلٌ مُسْتَطَابٍ
وَمَا اللَّجَجُ الْمَلَحُ بِمُرَوَّاتٍ وَتَلَقَّى الرَّيِّ فِي النَّطْفِ الْعَذَابِ
اللجج الملاح: المياه الغزيرة الملحة، النطفة: الماء القليل

٤٩ دموع تطفئ جمر الحزن

وقال يرثي ابنه:

أَعَيْنِي جوداً لي، فقد جُذْتُ لِلثَّرَى بِأَكْثَرِ مِمَّا تَمْنَعَانِ وَأَطِيبَا:
منحت التراب أكثر وأطيب من الدموع التي تمنعانها.. منحت الثرى ولدي

بُنَيَّ الَّذِي أَهْدَيْتُهُ أَمْسٍ لِلثَّرَى، فَلَيْلَهُ مَا أَقْوَى قَنَاتِي وَأَضْلَبَا
فَإِنْ تَمْنَعَانِي الدَّمْعَ أَرْجِعْ إِلَى أَسَى إِذَا فَتَرْتُ عَنْهُ الدَّمُوعُ تَلَهَّبَا

٥٠ خوف من السلطان حتى لو ذهب

لَا أَقْدَعُ السُّلْطَانَ فِي أَيَّامِهِ خَوْفاً لِسَطْوَتِهِ وَمُرّاً عِقَابِهِ
أقْدَع: أشتَم

وَإِذَا الزَّمَانُ أَصَابَهُ بِضُرُوفِهِ حَادَرْتُ رَجْعَتَهُ وَوَشَكَ مَثَابِهِ
مثابه: عودته

وَأَعْدُ لَوْ مَا أَنْ أَهَمَّ بَعْضُهُ إِذْ قَلَّتِ الْأَيَّامُ مِنْ أَنْبِيَايِهِ

٥١ شكل الحياة بعد الشباب

وقال في عبيد الله بن عبد الله:

لَعَمْرُكَ: مَا الْحَيَاةُ لِكُلِّ حَيٍّ إِذَا فَقَدَ الشَّبَابَ سِوَى عَذَابٍ
يُذَكِّرُنِي الشَّبَابُ جِنَانَ عَذْنٍ عَلَى جَنَابَاتٍ أَنْهَارٍ عَذَابٍ

٥٢ البحري لص محظوظ

قَدْ قَلْتُ إِذْ نَحَلُّوهُ الشَّعَرَ: حَاشَ لَهُ، إِنَّ الْبُرُوكَ بِهِ أَوْلَى مِنَ الْخَبَبِ
لَهْفِي عَلَى أَلْفِ مُوسَى فِي طَوِيلَتِهِ إِذَا ادَّعَى أَنَّهُ مِنْ سَادَةِ الْعَرَبِ
موسى: شفرة حادة، طويلته: لحيته

الْحِظْ أَعْمَى، وَلَوْلَا ذَاكَ لَمْ تَرَهُ لِّلْبُحْثَرِيِّ بِلاَ عَقْلٍ وَلَا حَسَبٍ
قُبْحاً لِأَشْيَاءَ يَأْتِيِ الْبَحْثَرِيُّ بِهَا مِنْ شِعْرِهِ الْغَثُّ بَعْدَ الْكَذِّ وَالْتَعَبِ
كَأَنَّهَا حِينَ يُصْغِي السَّامِعُونَ لَهَا مَمَّنْ يُمَيِّزُ بَيْنَ النَّبْعِ وَالْغَرَبِ
النَّبع: شجر الجبال الصلب، الغرب: شجر طري

رُقِيَ الْعَقَارِبِ، أَوْ هَذُرُ الْبِنَاءِ إِذَا أَضْحَوْا عَلَى شَعَفِ الْجُدْرَانِ فِي صَحْبِ
رقى العقارب: كلام غامض يكتب في رُقية (رقعة) ليصد العقارب، شعف الجدران: أعالي الجدران

وَقَدْ بَجِيءٌ بِخَلْطٍ: فَالْنَّحَاسُ لَهُ وَلِلْأَوَائِلِ مَا فِيهِ مِنَ الزَّهَبِ
سَمِينٌ مَا نَحْلُوهُ مِنْ هُنَا وَهُنَا، وَالْغَثُّ مِنْهُ صَرِيحٌ غَيْرُ مَجْتَلِبِ
يُسِيءُ عَفْأً، فَإِنْ أَكْثَدْتَ وَسَائِلُهُ أَجَادَ لِحْصاً شَدِيدَ الْبَاسِ وَالْكَلْبِ
الكلب: شدة الحرص

عَبْدٌ يُغَيِّرُ عَلَى الْمَوْتَى قَبْسَلُبُهُمْ حُرَّ الْكَلَامِ بِجَبِشٍ غَيْرِ ذِي لَجَبٍ
لجب: ضجة

مَا إِنْ تَزَالُ تَرَاهُ لَا يَسَأُ حُلْلاً أَسْلَابَ قَوْمٍ مَضَوْا فِي سَالِفِ الْحَقَبِ
يَعِيبُ شَعْرِي، وَمَا زَالَتْ بِصِيرَتُهُ عَمِيَاءَ عَنْ كُلِّ نُورٍ سَاطِعِ اللَّهَبِ
كَمْ قَاتِلٍ لَكَ - إِذْ مَسَّتْكَ قَارِعَتِي - : دَعِ السُّكُونَ، فَهَذَا حِينَ مُضْطَرَبِ
قَدْ كُنْتَ تَعْرِفُ مِنِّي فِي الرِّضَا رَجُلًا حُلُوَ الْمَذَاقَةِ، فَاعْرِفْنِي لَدَى الْغَضَبِ

٥٣ ثور بالتأكيد

وقال في أبي بكر الحريشي:

لِلْحُرَيْشِيِّ أَبِي بَكْرٍ غَبَبٌ وَلَهُ قَرْنَانِ أَيْضاً وَذَنْبٌ
غَبب: ما يتدلى من عنق الثور

فَلِذَا مَا قَالَ: إِنَّا عَجَمٌ قَالَ قَرْنَاهُ جَمِيعاً: قَدْ كَذَّبَ
وَإِذَا مَا قَالَ: إِنَّا عَرَبٌ دَفَعَتْ ذَاكَ وَلَمْ تَرْضَ الْعَرَبُ
كَتَمَتْهُ أُمُّهُ أَبَاءَهُ فَلِهَذَا أَنْكَرَ الْقَوْمُ النَّسَبَ
لَيْتَهَا أَنْبَتْهُ عَنْ آبَائِهِ فَلَقَدْ صُوِّرَ فِي خَلْقِ عَجَبٍ
أنبته: أنبأته، أخبرته

جُنَّةُ الْكَشْحَانِ تُنْبِيْ أَنَهَا جُمِعَتْ نُظْفَتْهَا مِنْ أَلْفِ أَبْ

الكشخان: الديوث، من يتاجر بزوجه جنسياً

كُلَّ يَوْمٍ لَكَ فِيهِ نَسَبٌ زَادَكَ الرَّحْمَنُ فِي هَذَا التَّعَبِ

أَنْتَ مَا تَنْفُكُ فِي تَضْجِيحِهِ مِنْ عَنَاءٍ وَاشْتِغَالٍ وَنَصَبِ

عَابَ أَشْعَارِي، وَفِي مَنْزِلِهِ كُلُّ عَيْبٍ وَمَخَازٍ وَرَيْبِ

٥٤ مَا أَجْمَلَك مَصْلُوباً

طَوْلٌ وَعَرْضٌ بِلا عَقْلِ وَلَا أَدَبٍ فَلَيْسَ يَخْسَنُ إِلَّا وَهَوَ مَصْلُوبٌ

٥٥ صَائِمٌ عِنْدَهُ رَغْمٌ أَنْفَكَ

أَبْدَيْتَ صَفْحَةً قَسَوَةً وَخُسُونَةً مِنْ دُونِ تَأْفِهِ نَيْلِكَ الْمَطْلُوبِ

فَكَأَنَّكَ الْيَنْبُوتُ فِي إِبْدَائِهِ شُوكاً يَذُودُ بِهِ عَنِ الْخُرُوبِ

الينبوت: شجر الخروب

يَا ضَيْفَهُ: أَبْشِرْ فَلِإِنَّكَ غَانِمٌ أَجَرَ الصَّيَامِ، وَلَيْسَ بِالْمَكْتُوبِ

يَتَنَفَّسُ الصُّعْدَاءُ مِنْ كِظَاتِهِ لَا قَارَقْنَهُ زَفَرَةُ الْمَكْرُوبِ

كظاته: اكتظاظه بالطعام

يَا حَسْرَتَا لِقَصِيدَةٍ أَغْلَقْتُهَا بِمَدِيحِهِ، وَفَنَحْنُهَا بِنَسِيبِ

لَأُبْدِلَنَّ مَدِيحَهُ قَذَعاً لَهُ، وَلَأَجْمَلَنَّ بِأُمِّهِ تَشْبِيْبِي

٥٦ الانجذاب والانقياد

وَقَالَ يَهْجُو أَمَ أَحَدَهُم:

كَانَتْ إِذَا لَاحَظَهَا فَاسِقٌ أَدَارَهَا اللَّحْظُ بِلا لَوْلَبِ

لاحظها: حذجها بنظراته، فهي تتلوى تحت نظرات الفاسق كما يتلوى البرغي وإن لم يكن لها لولب كلولبه

تُجَذَّبُ بِاسْتِنْشَاقَةِ رَخْوَةٍ وَرَبِمَا انْقَادَتْ وَلَمْ تُجَذَّبِ

٥٧ تستحق الضرب

عَنْتَ فَمَسَّ الْقَلْبَ كُلُّ كَرْبٍ
وَاسْتَوْجَبَتْ مِنَّا أَلِيمَ الضَّرْبِ
لَهَا فَمُ مِثْلُ اتِّسَاعِ الدَّرْبِ
حَسْبِي مِنْهَا يَا نَدِيمِي حَسْبِي
قَدْ أَضْدَأْتُ سَمْعِي وَعَمَّتْ قَلْبِي

٥٨ المنحوس منحوس

وكتب إلى القاسم بن عبيد الله وقد كان عزم على الشخوص إلى ناحية آمد مع
المتعصد لقتال ابن عيسى بن شيخ :

إِنَّ مِنْ جَاءٍ يَمْتَرِي دَرَّةَ اللَّبِّ سَوْءَ غَرْنِي لِلْحَائِنِ الْمَخْلُوبِ
من جاء يمتري (يحب) درة (حبيب) اللبوة وهي غرني (جائعة) حائن (هالك) مخلوب (مخدوع)

حَالِبٌ جَاءَ يَسْتَدِيرُ حَلُوبًا، دَمُهُ، دُونَ دَرَّهَاءِ، الْمَخْلُوبُ
رَامَ مِنْ ضَرْعِهَا شُخُوبًا، فَكَانَتْ مِنْ وَتَيْنِ الشَّقِيِّ تِلْكَ الشُّخُوبُ
الشخوب (صوت اللبن الحليب وهو يحلب)، وتين (عرق)

وإِلَيْكَ الشُّكَاةَ يَا ابْنَ الْوَزِيرِ نِ، فَإِنِّي فِي مِخْنَتِي أُيُوبُ
عَكَسْتُ أَمْرِي النُّحُوسُ، فَعَنَزِي أَبْدَأُ حَائِلُ، وَتَبْسِي حَلُوبُ
حائل (عافر)

مَنْ عَذِيرِي مِنْ دَوْلَةٍ يَدِّي الْمُنْ كُوحُ فِيهَا، وَرَجُلِي الْمَرْكُوبُ
فهو يمارس العادة السرية، وليس له بغل لذا يركب رجليه لا غير

٥٩ سأريه ما لم يكن في حسابه

صَدِيقٌ لَيْسَ يُمَكِّنُ مِنْ خِطَايَةِ وَلَا يَرَعَى ذِمَامَ دَوِي طَلَايَةِ
لَقِيبْتُ الْبُرْخَ يَوْمًا مِنْ لِقَاءِ لَهُ قَاسٍ، وَيَوْمًا مِنْ حِجَابِ
البرخ: الشدة

يَعْدُبْنِي، وَأَصِيرُ كُلَّ يَوْمٍ فَيَنْقُمُ أَنْ صَبَرْتُ عَلَى عَذَابِهِ

سَتَائِيهِ، بِمَا اكْتَسَبَتْ يَدَاهُ، قَوَافٍ لَمْ تُدَوَّنْ فِي حِسَابِهِ

٦٠ شيب وخضاب

وقال، وقد رأيت من ينسبه إلى كشاجم:

طَرَبْتُ إِلَى الْمِرَاةِ فَرَوَّعْتَنِي طَوَالِغُ شَيْبَتَيْنِ أَلَمَّتَا بِي
فَأَمَّا شَيْبَةٌ فَفَرَّغْتُ مِنْهَا إِلَى الْمِقْرَاضِ حُبًّا لِلتَّصَابِي
فَرَعَ إِلَى: سَارَعَ إِلَى، المِقْرَاضُ: المَقَصُّ

وَأَمَّا شَيْبَةٌ فَصَفَّخْتُ عَنْهَا لَيْتَشْهَدَ بِالْبَرَاءَةِ مِنْ خِضَابِي
فَأَعْجِبَ بِالدَّلِيلِ عَلَى مَشِيبِي أَقَمْتُ بِهِ الدَّلِيلَ عَلَى شَبَابِي

٦١ قالي الزلاية

وَمُسْتَقَرٌّ عَلَى كُرْسِيِّهِ تَعِبَ رُوحِي الْفِدَاءَ لَهُ مِنْ مُنْصَبٍ تَعِبَ
رَأَيْتُهُ سَحَرًا يَفْقَلِي زَلَابِيَّةً فِي رِقَّةِ الْقَشْرِ، وَالتَّجْوِيفِ كَالْقَصَبِ
الزلاية: المَشْبُكُ، حلوى بقدر الكف كأنها الشبكة، وطريقة صنعها فيما يأتي... (في بعض البلاد يسمون العوامة المكورة زلاية، وفي نابلس بفلسطين فالزلاية هي حلوى القرع الأصفر)

كَأَنَّمَا زَيْتُهُ الْمَغْلِيُّ حِينَ بَدَا كَالْكِيمَاءِ الَّتِي قَالُوا وَلَمْ تُصَبِّ
الكيمياء في ذلك الزمن كانت علم تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب

يُلْقِي الْعَجِينَ لُجَيْنًا مِنْ أَنَامِلِهِ فَيَسْتَحِيلُ شَبَابِيكًا مِنَ الذَّهَبِ
لجينا: فضة

٦٢ كفارة الكذب

مَدَحْتُكُمْ طَمَعًا فِيمَا أَوْمَلُهُ وَلَمْ أَنْلُ غَيْرَ حَظِّ الْإِثْمِ وَالْوَصَبِ
الوصب: التعب

إِنْ لَمْ تَكُنْ صِلَةً مِنْكُمْ لِذِي أَدَبٍ فَأَجْرُهُ الْخَطُّ، أَوْ كَفَّارَةُ الْكَذِبِ

٦٣ أخزيراً وميتة!

وقال في أبي يوسف الدقاق:

لِأَبِي يُوسُفَ بِنْتُ لَيْتَهُ أَغَقَّمَ، لَيْتَهُ

تُشَبِّهُ الْقِرَدَ أَوْ الشَّيْطَانَ، إِنْ كُنْتَ رَأَيْتَهُ
 قُلْتُ، لِمَا سَامَنِيهَا بعضُ من يَأْلَفُ بَيْتَهُ:
 سامنيها: ساومني عليها

أَزِنَاً وَابْنَةً يَغْفُو ب، أَخْنَزِيرًا وَمَيْتَةً؟

٦٤ عِفْتُهَا .. عِفْتُهَا

وقال في إسماعيل بن بلبل:

فَكَّرْتُ فِي خَمْسِينَ عَاماً خَلَّتْ كَانَتْ أُمَامِي ثُمَّ خَلَّفْتُهَا
 لَوْ أَنَّ عُمْرِي مِثْلُ هَذَا نِي نَذْكُرِي أَنِّي نَصَفْتُهَا
 كُنْزُ حَيَاةٍ كَانَ أَنْفَقْتُه عَلَى تَصَارِيفٍ تَصَرَّفْتُهَا
 لَا عُذْرَ لِي فِي أَسْفِي بَعْدَهَا عَلَى الْعَطَايَا. عِفْتُهَا، عِفْتُهَا

٦٥ منطق أرسطو في ربح خرج

وقال أيضا يهجو إنسانا ضلَّط بحضرته، فضحك ابن الرومي، وغضب الضارط:
 بَلَيْتَ بِفَلْتَةٍ فَضَحِكْتُ فَلْتَةً فَلَا تَغْضَبْ، كِلَا الْأَمْرَيْنِ بَغْتَةً
 وَلِي فَضْلٌ عَلَيْكَ، لِأَنَّ فَعْلِي بِغَيْرِ أَذَى عَلَيْكَ، فَلِمَ كَرِهْتَهُ؟
 أُنْصِرُّنِي الْأَذَى وَتُشْمِنُنِيهِ وَتَجْشُمُنِي رَضَى مَا قَدْ فَعَلْتَهُ
 وَتَغْضَبُ أَنْ ضَحَكْتُ بِغَيْرِ عَمْدٍ وَلَمْ تَسْمَعْ أَذَايَ وَلَا شِمْمَتَهُ؟

٦٦ مبادلة

أَنْتَ تَيْسٌ، وَالتَّيْسُ أَشَدُّ بِهِ شَيْءٌ بِخِلْقَتِكَ
 أَنْتَ أَوْلَى بِقَرْنِهِ وَهُوَ أَوْلَى بِلِحْيَتِكَ

٦٧ العيش المدبر

قد كنت أبكي على من مات من سلفي وأهل وُدِّي جَمِيعٌ غَيْرُ أَشْتَاتِ
 فالْيَوْمَ - إِذْ قَرَّعْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَوَى - بَكَيْتُ عَلَى أَهْلِ الْمَوَدَّاتِ
 وما حَيَاةُ امْرِئٍ أَضَحَّتْ مَدَامِعُهُ مَقْسُومَةً بَيْنَ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتِ؟

التسويد من الصديق اللغوي أحمد عبد الرحيم

٦٨ المتعة الباقية

ولقد سئمت مآربي فكأن طيبها خبيث
إلا الحديث، فإنه، مثل اسمه، أبداً حديث

٦٩ المراودة والندم

أستغفر الله من تركي علانية ذنباً هممت به في شادين خنيث
شادن: غزال

ظبي دعثنِي عيناه ومنطقه بنية صدقت عن ظاهر عبيث
فلم أجبه، وحطّي في إجابته، لكن سكت كأني غير مكترث
لا بل فررت، وظل الصيد يطلبني! والله ما كنت فيها بالفتى الدميث
أقسمت بالله لما قمت محتجراً أنني أنبعثت بقلب غير منبعث
وهكذا ظل ابن الرومي بعيداً عن اللواط؛ ونادماً على تفويت فرصته

٧٠ المتاحة البائرة

وقال يهجو الجارية دريرة:

وَيْلَكَ يَا قَدْ الْبَرَسْتُوجَةَ مَا أَنْتِ وَاللَّهِ بِمَغْنُوجَةٍ
البرستوجة: لعلها ثمرة مكورة الشكل (لم أعر عليها في اللسان ولا تاج العروس ولا في تكملة
دوزي)

يَا كَغَبَةَ لِلنَّبِّكَ مَنْصُوبَةً لَكِنَّهَا لَيْسَتْ بِمَخْجُوجَةٍ

٧١ باختصار

يَا طَيْبَ الثُّغْرِ وَالْمُجَاغَةِ إِفْضِ لَنَا حَاجَةً بِحَاجَةٍ
المجاجة: الريق

خُذْ مِنْ دَنَانِيرِنَا وَبِغْنَا نَبْكَأ، وَدَعْنَا مِنَ اللَّجَاغَةِ
وَنُعْمِلِ الْعَوْدَ وَالرُّجَاغَةَ وَنُغْرِجْ عَلَيْنَا نُصْبَ غَدَاءٍ
هَلْ مَا نَعِي حَاجَتِي مَلِيحُ خَلُّوْ مِنَ الْبُغْضِ وَالْفَجَاغَةِ
وَأَنَّمَا حَاجَتِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ دِيكَ إِلَى دَجَاغَةِ

٧٢ مَقْمَلُونَ مَقْرَنُونَ

لَوْ أَنَّ قَمَلَ رَوْوِسِكُمْ ذَاتِ السُّقْرُونَ إِذَا دَرَجَ
القرون للرجل كناية عن أن زوجته تخونه وهو غافل أو متغافل

شَاءَ الْمُرُوجَ إِلَى السَّمَاءِ عَلَى قُرُونِكُمْ عَرَجَ

٧٣ أَكَلَةُ الْقُلُوبِ

وقال في شاجي:

ذَاتُ جِيدٍ يُزْهِى عَلَى كُلِّ عَقْدٍ وَجَبِينِ يُزْهِى عَلَى كُلِّ تَاجٍ
يَتَلَقَّاكَ فِي الْغَلَائِلِ مِنْهَا وَجْهُ شَمْسٍ، وَجَسْمُ دُمِيَّةٍ عَاجٍ
أَسْبَلْتُ مَنْ دُرَاهُ جَعْدًا أَثِيثًا جَائِزًا حَدَّ مَتْنِهَا الرَّجْرَاجِ
جعداً أثيثاً: شعراً أجعد كثيفاً، جائزاً: متجاوزاً

جَارِيًا فَوْقَ مَتْنِهَا جِرِيَّةُ الْمَا ءِ، وَإِنْ كَانَ حَالِكُ الْأَمْوَاجِ
فَهِيَ: أَمَّا السَّرَاجُ مِنْهَا قَوْهَا جُ، وَأَمَّا الظَّلَامُ مِنْهَا فَدَاجِ
فَلَا غَطَافِهَا صُنُوفُ اهْتِزَازٍ، وَلَأَرْدَافِهَا صُنُوفُ ارْتِجَاجِ
مَنْ مُجْبِرِي مَنْ أَضْعَفَ النَّاسِ رُكْنًا وَلِعَيْنِيهِ سَطْوَةُ الْحَجَّاجِ؟
شَادِنِ يَزْتَعِي الْقُلُوبَ بِبَغْدَا دَ، وَلَا يَزْتَعِي الْخَلَا بِالنَّبَاجِ
شادن: ظبي، الخلا: النبات الرطب، النجاج: موضع قرب البصرة

أَوْزَتْ الْقَلْبَ سِحْرُ عَيْنِيهِ دَاءٌ مَا لَهُ، غَيْرَ رِيْقِهِ، مِنْ عِلَاجِ

٧٤ الْجِيمَةِ الْكُبْرَى

وقال يرثى أبا الحسين يحيى بن عمر بن حسين بن زيد بن علي:

أَمَامَكَ فَاَنْظُرْ أَيَّ نَهَجِكَ تَنْهَجُ؟ طَرِيقَانِ شَتَى: مُسْتَقْبِمٌ وَأَعْوَجُ
أَكُلْ أَوْانٍ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ قَتِيلُ ذِكْيٍ بِالدَّمَاءِ مُضَرَّجُ؟
تَبِيعُونَ فِيهِ الدِّينَ، شَرًّا أَثْمَنِي، فَلِلَّهِ دِينُ اللَّهِ، قَدْ كَادَ يَمْرُجُ
تبيعون في هذا الأوان الدين، وقد كاد يمرج (يفسد)

بَنِي الْمُصْطَفَى: كَمْ يَأْكُلُ النَّاسُ شِلْوَكُمْ؟ لِبَلْوَاكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ مُفَرَّجُ
شلوكم: مفرد «أشلاءكم»

أَمَّا فِيهِمْ رَاعٍ لِحَقِّ نَبِيِّهِ وَلَا خَائِفٌ مِنْ رَبِّهِ يَتَحَرَّجُ؟
أَبْعَدَ الْمُكْتَنَى بِالْحُسَيْنِ، شَهِيدَكُمْ، تُضِيءُ مَصَابِيحُ السَّمَاءِ فَتُسْرَجُ؟
وَكُنَّا نُرْجِيهِ لِكَشْفِ عَمَائَةٍ بِأَمْثَالِهِ أَمْثَالُهَا تَتَبَلَّجُ
فَسَاهَمْنَا ذُو الْعَرْشِ فِي ابْنِ نَبِيِّهِ فَفَارَزَ بِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَفْلَجُ
ساهمنا: قامرنا (وكانوا يقسمون الذبيحة أقساماً ويستهمون عليها ويقترعون)، أفلج: أظفر

لِمَنْ تَسْتَجِدُّ الْأَرْضُ بَعْدَكَ زِينَةً فَتُضْبِعُ فِي أَثَوَابِهَا تَتَبَرَّجُ
سَلَامٌ وَرِيحَانٌ وَرَوْحٌ وَرَحْمَةٌ عَلَيْكَ، وَمَمْدُودٌ مِنَ الظِّلِّ سَجَسَجُ
رَوْح: نسيم، سجسج: رائق لا حار ولا بارد

وَلَا بَرِحَ الْقَاعُ الَّذِي أَنْتَ جَارُهُ يَرِفُّ عَلَيْهِ الْأَقْحَوَانُ الْمُفْلَجُ
القاع: السهل، المفلج: المفتوح
وَبَا أَسْفِي أَلَّا تَرُدَّ تَحِيَةً سِوَى أَرْجٍ مِنْ طَيْبِ رَمْسِكَ يَأْرَجُ
أرج: عبير، رمسك: قبرك

أَلَا أَيُّهَا الْمُسْتَبْشِرُونَ بِيَوْمِهِ أَظَلَّتْ عَلَيْكُمْ غُمَّةٌ لَا تُفَرِّجُ
كَأَنِّي بِهِ كَاللَيْثِ يَحْمِي عَرِينَهُ وَأَشْبَالَهُ، لَا يَزِدُّهِ الْمُهْجَهُجُ
يزدهيه: يستخفه ويرعبه، المهجهج: النار

يَكُرُّ عَلَى أَعْدَائِهِ كَرَّ نَائِرٍ وَيَطْعَنُهُمْ سُلْكِي، وَلَا يَتَخَلَّجُ
يطعنهم سلكى: بطعنة مستقيمة، يتخلج: يضطرب

كَذَابٍ عَلِيٍّ فِي الْمَوَاطِنِ قَبْلَهُ أَبِي حَسَنِ، وَالْغَصْنُ مِنْ حَيْثُ يَخْرُجُ
فَحُبُّ بِهِ جِسْمًا إِلَى الْأَرْضِ إِذْ هَوَى وَحُبُّ بِهِ رُوحًا إِلَى اللَّهِ تَمْرُجُ
أَجْنُوا بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ شَنَائِنِكُمْ وَأَوْكُوا عَلَى مَا فِي الْعِيَابِ وَأَشْرِجُوا
أجنا: أخفوا، شنائنكم: بغضكم، أوكوا: اربطوا، العياب: الصناديق، والقرب، والصدور،
أشرجوا: خيطوا

أَكُلْكُمُ أَمْسَى اطمَآنَ مِهَادُهُ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ فِي الْقَبْرِ مُزَعَجُ؟
نَظَارٍ لَكُمْ أَنْ يَرْجِعَ الْحَقُّ رَاجِعٌ إِلَى أَهْلِهِ يَوْمًا، فَتَشْجُوا كَمَا شَجُوا
يرجع: يُرجع، يرد

غُرِزْتُمْ إِذَا صَدَّقْتُمْ أَنْ حَالَةٌ تَدُومُ لَكُمْ، وَالدَّهْرُ لَوْنَانِ أَخْرَجُ
الأخرج: ذو اللونين

لَعَلَّ لَهُمْ فِي مُنْطَوَى الْغَيْبِ نَائِرًا سَيَسْمُو لَكُمْ، وَالصَّبْحُ فِي اللَّيْلِ مُوَلِّجٌ

نائراً: آخذاً بالنائر، يسمو لكم: يظهر لكم

بِمَجْرِ تَضْيِيقِ الْأَرْضِ عَنْ زَفَرَاتِهِ لَهُ زَجَلٌ يَنْفِي الْوَحُوشَ، وَهَزْمَجٌ

مجر: جيش، زجل: صوت عال، هزمج: صوت عال، مثل هزيم الرعد

تَوَامِضُهُ شَمْسُ الضُّحَى، فَكَأَنَّمَا يُرَى الْبَحْرُ فِي أَغْرَاضِهِ يَتَمَوَّجُ

وميض الشمس يقع على أسلحة الجيش فكانه البحر

يُؤَيِّدُهُ رُكْنَانِ ثُبَّتَانِ: رَجُلُهُ وَخَيْلٌ كَأَرْسَالِ الْجَرَادِ وَأَوْنَجٌ

رجله: مُشاته، أرسال: أفواج، أونج: أكثف

يَوَدُّ الَّذِي لَأَقَاهُ أَنَّ سَلَاخَهُ هِنَاكَ خَلَخَالَ عَلَيْهِ وَدُمُلُجٌ

الدملج: السوار، الذي يلاقي هذا الجيش يتمنى أنه امرأة حتى لا يحارب

فَيُذِرُكَ نَارَ اللَّهِ أَنْصَارُ دِينِهِ وَلِلَّهِ أَوْسٌ آخِرُونَ وَخَزَرْجٌ

هنا فقدت القافية مرتاحة بغير لفظة معجمية تتعب القلب

وَتَظْلَعُنَّ، خَوْفَ السَّبْيِ بَعْدَ إِقَامَةٍ، ظَلَعَائِنُ لَمْ يُضْرَبْ عَلَيْهِنَّ هَوْدَجٌ

تظعن (ترحل) الظعائن (النساء) خوف السبي لكن بعجلة وبدون هودج رحيل خوف وفزع

مَحَضُّتُكُمْ نُصْحِي، وَإِنِّي بَعْدَهَا لِأُعْنِقُ فِيمَا سَاءَ كُمْ وَأَهْمِلِجُ

أعنت: أسرع، أهملج: أسرع

أَفِي الْحَقِّ أَنْ يُمْسُوا خِمَاصًا، وَأَنْتُمْ بِكَادِ أَخَوَكُمْ بِطَنَةً يَتَبَعَجُ

خماصاً: جائعين، يتبعج: ينشق بطنه

تَمْشَوْنَ مُخْتَالِبِينَ فِي حُجْرَاتِكُمْ يُقَالُ الْخُطَا أَكْفَالُكُمْ تَتْرَجِرُجُ

وإن كنتم منهم، وكان أبوكم أباهم، فإن الصفو بالرتق يمزج

الرتق: الكدر، تراب الماء

وَإِنِّي عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْكُمْ لَخَائِفٌ بَوَائِقُ شَتَّى بَابُهَا الْآنَ مُرْتَجٌ

البوائق: الدواهي

٧٥ أمواج الحبيبة

يا قمرأ فوق رأيه تاجُ يَحْجَلُ من حُسْنِ لونه العَاجُ
إذا تَمْشَى يكادُ يَجْذِبُهُ رَدَفٌ له كالكَثِيبِ رَجْرَاجُ
كأنما في جُيوبِهِ قمرٌ وفي السَّراويلِ منه أَمْواجُ
الجيب: فتحة الرأس في الجلاية أو فيما أشبهها من ملابس

٧٦ طار الغراب عن رأسي

شَعَرَاتُ في الرأسِ بِيضٌ ودُغْجٌ، حَلَّ رأسي جِبلانٍ: رُومٌ وزَنْجُ
دعج: سود

طارَ عن هامتي غُرابٌ شابٌ، وعلاه مكانهُ شامُزُجُ
شامرج: معرب شاه مرغ: وهو طائر أبيض

حلَّ في صَحْنِ هامتي منه لونا نِ، كما حلَّ رُقْعَةٌ شِظْرَنْجُ
أيها الشيبُ لِمَ حلَلْتَ برأسي؟ إنما لي عَشْرٌ وعَشْرٌ وبَنْجُ
بنج بالفارسية خمسة

٧٧ السفر إلى طنجة

قال ابن الرومي في كنيزة:

وقَيْنَةَ أَبْرَدَ من ثَلْجَةٍ تَظَلُّ منها النفسُ في صَجَّةِ
ما جُنَّ من عِشْقٍ فَوَّادٍ بها كَلًّا، ولا ذابَتْ بها مُهْجَةٌ
خَرَّاجَةٌ لِلْفِسْقِ دَخَالَةٌ تُعْجِبُها الدَّخْلَةُ والخَرْجَةُ
لو حَدَّثْتُ عن فَيْشَةٍ صَخْمَةٍ بِطَنْجَةٍ سَارَتْ إلى طَنْجَةٍ
الفَيْشَةُ: أعلى عضو الرجل

٧٨ شعري مرآة

وكتب إلى أبي عثمان سعيد بن الحسين بن شداد المسمعي الناجم في قوم عابوا
شعره:

نَظَرْتُ في وُجُوهِ شِعْري وجوهٌ أَوْسَعَتْ قَبْلَ خَلْقِها تَقْبِيحًا

أَبْصَرْتُ فِي صِقَالِهِ صُوراً مِنْهَا قَبَاحاً، فَأَظْهَرْتُ تَكْلِيبَهَا
عَايَنْتُ فِيهِ قُبْحَهَا فَاجْتَوَيْتُهُ ظَالِمَاتٍ هُنَاكَ ظُلْماً صَرِيحاً
اجتوته: عافته

وَالْمَرَايَا تُرِي الْجَمِيلَ جَمِلاً وَكَذَاكُمْ تُرِي الْقَبِيحَ قَبِيحاً

٧٩ لا تتعب نفسك.. الزمان تغير

يَا مَادَحَ الْقَوْمِ اللَّئِمِ، وَطَالِباً نَيْلَ الشَّحَاحِ
مَا أَنْتَ فِي زَمَنِ الْمَدِيدِ، وَلَا الْهَجَاءِ، وَلَا السَّمَّاحِ
فَاشْغَلْ قَرِيضَكَ بِالنَّسِيبِ، وَبِالْفُكَاهَةِ وَالْمُزَاجِ

٨٠ أمدحك وديوني تهجوك

وقال في إسماعيل بن بلبل:

لِي لِسَانٌ مَا زَالَ يُطْرِيكَ فِي النَّثْرِ، وَفِي النَّظْمِ غَيْرَ مَا مُسْتَرِيحٍ
وَارْتِكَابُ الدُّيُونِ إِيَّايَ فِي ظُلْمٍ - لَكَ يَهْجُوكَ بِاللِّسَانِ الْفَصِيحِ
ارتكاب: ركوب

٨١ جهز القدح قبل المدح

وقال في عبد الله بن محمد بن يزداد:

إِذَا مَا مَدَحْتَ أَبَا صَالِحٍ فَأَعِدْ لَهُ الشُّثْمَ قَبْلَ الْمَدِيحِ
فَإِنِّي ضَمِينُكَ عَنْ لُؤْمِهِ بِبُخْلِ عَتِيدٍ وَرَدِّ قَبِيحِ
عتيد: حاضر

وَأَتَى بِجُودٍ؟ وَلَا عِرْقُهُ كَرِيمٌ، وَلَا وَجْهُهُ بِالصَّبِيحِ

٨٢ السابجون والعطشان

وقال في إسماعيل بن بلبل:

عَقِيدَ النَّدَى: أَطْلِقْ مَدَائِحَ جَمَّةً حَبَائِيسَ عِنْدِي قَدْ أَنَى أَنْ تُسَرِّحَا
عقيد الندى: ملازم السخاء، أنى: آن

ولم أحتبسها إذ حبست مئوتتي لأن مديحا لم يجد بعد ممدا . .

لم أحبس القصائد بسبب أن المديح لم يجد مكاناً له، ولكن . .

ولكن لي نفساً عليك شفيقة تحاذر وجدان العدا فيك مقدا

. . أشفق عليك إذ أمدحك فلا تكافتي فينتدك أعداؤك

فيا لك بحرأ لم أجذ فيه مشربأ وإن كان غيري واجداً فيه مسبحا

٨٣ اللائم على الراح

يا لائمي في الراح غير مقصّر لا زال رأيك سيئاً في الراح

فأقل ما في ترك مثلك شربها توفيرها، وطهارة الأقداح

٨٤ لا نجاح بعد الاجتياح

وقال في نجح الخادم (وكان خصياً، أو أن الشاعر يفترى عليه ذلك):

قل لنجح: أخطأت باب النجاح بل تعاطيتُهُ بلا مفتاح

إن ودان لا تودُ خصياً فاضع عنها، فقلبها عنك صاح

ليت شعري بما تظنك تُضبي قلب ودان يا كسير الجناح؟

نصي: تغري

أبوجه، كأنه وجه فرد، حائل اللون خامد المصباح؟

أم بأبر أتى الخصاء عليه غير مُبني، فاجتبح أي اجتياح؟

أم بقد كأنه قد زق زيد عرضاً ببطنك المنداح؟

الزق: قرية ضخمة من جلد تكون للخمر، المنداح: المترهل

أنت لا من ذوي الأبور فتها لك، ولا من ذوي الوجوه الصباح

إن من يعشق النساء بلا أب ير كمثل الغازي بغير سلاح

من عذيري من جوركم، معشر الخصيان، إذ تطلبون وصل الملاح

من عذيري: من نصيري!

معشر أشبهوا القُرود، ولكن خالفوها في خفة الأزواج

٨٥ غاية العبث

وقال في عبد الله بن خرداذبه:

أَيْهَا الْعَاذِلُ لَا أَحَدٌ طَأَّكَ الْحَيْنُ الْمُتَأَحُّ
الحين: الهلاك، المتأح: المقدَّر بقضاء

إِنْ يَكُنْ عِنْدَكَ لِي نَصَبٌ حَجٌّ، فَمَا عِنْدِي أَنْتِصَاحٌ
كُلُّ شَيْءٍ غُلِبَ الصَّبُّ رُ إِلَى هِ فَمُبَاهُ
إِنَّمَا الدُّنْيَا مَلَاةٍ وَاغْتَبَاقٌ وَاضْطِبَاحٌ
الاعتباق: الشرب مساءً، الاضطباح: الشرب صباحاً

وَالْمُرَاحُ الْجِدُّ - إِنْ فَكَّ - رُتْ - وَالْجِدُّ الْمُرَاحُ

٨٦ سأطحنك

وقال مجيباً عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن العلاء بن صاعد:

أَلَا أَهْوَنُ عَلَى الْبَدْرِ بِكَلْبٍ لَجَّ فِي النَّبْحِ
نَهَتْ عَنْ نَفْسِهَا النَّارُ بِمَا فِيهَا مِنَ اللَّفْحِ
حَذَارِ الْجَلَمِ! إِنْ الْجَلَمُ مَ ذُو أَشْوٍ، وَذُو جَرَحٍ
وَمَا عِنْدَ الرَّحَى بُقْيَا إِذَا دَارَتْ عَلَى الْقَمَحِ
بقيا: إبقاء المرء حياً وعدم قتله عند التمكن منه

٨٧ الارتجال

نَارُ الرُّوْيَةِ نَارٌ جِدُّ مُنْضِجَةٍ وَلِلْبَدِيَّةِ نَارٌ ذَاتُ تَلْوِيحٍ
وَقَدْ يُفْضَلُهَا قَوْمٌ لِعَاجِلِهَا لَكِنَّهُ عَاجِلٌ يَمْضِي مَعَ الرِّيحِ

٨٨ استهتار*

إِنْ كُنْتُ قَدْ عَرَبَدْتُ فِي سَكْرَتِي فَمَا عَلَى السَّكَرَانِ أَصْلًا جُنَاحُ
أَوْ كُنْتُ قَدْ أَخْطَأْتُ فِي لَفْظَةٍ فَأَنْتَ يَا مُوَلَايَ رَبُّ السَّمَاحُ
فَبِالَّذِي وَلَّاكَ فِي مُهْجَتِي لَا تَسْقِنِي الْكَاسَاتِ إِلَّا طِفَاحُ

* ينهني الصديق أحمد عبد الرحيم إلى لامعجية لفظة «استهتار» ويقترح «استهانة». الاستهانة شيء يختلف قليلاً، وعندي كلمة «استخفاف» ولكنها لا تعني ما تعنيه استهتار كما درجت حديثاً

٨٩ الشاة المرعوبة

وقال يهجو البحتري:

ما مَجَزَعُ الشَّاةِ إِذَا ذُبِحَتْ من أَلَمِ الذَّبْحِ وَلَا السَّلَخِ
ولا من التفصيلِ مَنْكُوسَةً ولا من الشَّيِّ وَلَا الطَّبِيخِ
لكنها تَجَزَعُ من خَلَّةٍ تَقْدَحُ في الأحشاءِ بِالْمَرِّخِ
خلّة: خصلة، أمر، المرخ: الدعك

تُشْفِقُ أَنْ يُكْتَبَ في جِلْدِهَا شِعْرُكَ يَا ذَا الْقَرْنِ وَالْكَشَخِ
ذو القرن: كناية عن كونه يغضي عن زنا زوجته، ذو الكشخ: الديوث

٩٠ الطيلسان العتيق

وقال على مذهب الحمدوي:

يَا ابْنَ حَرْبٍ كَسَوْتَنِي طَيْلَسَانًا يُزْرَعُ الرَّقُوفُ فِيهِ وَهُوَ سِبَاخُ
سباخ: مستنقعات، يقول: الرقع تزرع زرعاً في هذا الثوب وهو كالسباخ التي لا ينبت زرعها
مَاتَ نَسَاجُهُ وَمَاتَ بَنُوهُ وبدا الشيبُ في بَنِيهِمْ وشاخُوا
لقدّم الثوب فإن نساجه مات، وأبناؤه ماتوا، والأحفاد شاخوا

تَسْتَمِرُّ الصُّدُوعُ طَوْلًا وَعَرْضًا فيه، حتى كَأَنَّهِنَّ رِخَاخُ
الصدوع: الشقوق، رخاخ: حجارة القلعة في الشطرنج (وحركتها أفقية وعمودية ليس غير)

نَسُرُّ دَهْرٍ؛ نُسُورُ لُقْمَانَ، وَالنُّسْر رَانَ إِنْ قَسَتْهَا إِلَيْهِ فِرَاخُ
هذا الطيلسان نسر يعيش مدى الدهر. ونسور لقمان المشهورة بطول عمرها، وكذا النسران ذانك،
النجمان في السماء، إذا قيست جميعاً إلى هذا الطيلسان فهي مجرد فراخ

٩١ نعاسة من المهد إلى اللحد

يمدح صاعد بن مخلد:

أَبَيِّنَ ضُلُوعِي جَمْرَةً تَتَوَقَّدُ على ما مضى أم حَسْرَةً تَتَجَدَّدُ؟
كَفَى حَزَنًا أَنَّ الشَّبَابَ مَعْجَلٌ قَصِيرُ اللَّيَالِي، وَالْمَشِيبُ مُخَلَّدُ
إِذَا حَلَّ، جَارَى الْمَرْءُ شَأْوَ حَيَاتِهِ إِلَى أَنْ يَضُمَّ الْمَرْءَ وَالشَّيْبَ مَلْحَدُ
شأو حياته: شوط حياته، يعني مدى حياته

أرى الدهرَ أجزى ليله ونهاره
وجارَ على ليلِ الشبابِ قَضَامَهُ
وعَزَاكَ عن ليلِ الشبابِ مَعَاشِرُ
وكانَ نهارُ المرءِ أَهْدَى لِسَعِيهِ
أَيَّامَ لَهْوِي: هل مَوَاضِيكَ عُوذُ؟
يا أيامَ لهوي! هل ما مضى منك عائد؟ وهل للشباب الذي ضاع أَمْسٌ من منشد (تفتيش عنه)

أقول، (وقد شابَتْ شَوَاتِي، وَقَوَّسَتْ قَنَاتِي، وَأَضَحَّتْ كِدْنَتِي تَتَخَدَّدُ الشواة: قرعة الرأس، القناة: القد، وفي الأصل الرمح، كدنتي: سمتي وشحمي، تتخذ: تهزل

ودبَّ كَلالٌ في عظامي أدبَنِي جَنِيْبَ العَصَا أَنأدُ، أو أَنأودُ كلال: تعب، أدبني بشدة على الباء: جعلني أدب ديباً وأمشي ببطء، جنب العصا: الأعرج ذو العصا، فالجنب هو الذي يمشي مائلاً إلى جنبه، أَنأدُ: أَتشدد، أَنأودُ: أَنمايل

وبوركَ طَرْفِي فَالشَّخَاصُ حِيَالَهُ قَرَائِنُ مِنْ أَذْنَى مَدَى وَهِيَ فُرْدُ يرى الواحد اثنين من مسافة قصيرة، فهذه هي «البركة» في طرفه (نظره)

وَلَدَّتْ أَحَادِيثُ الرُّجَالِ، وَأَعْرَضْتُ سُلَيْمَى وَرِيًّا عن حَدِيثِي وَمَهْدُدُ وَبُدِّلَ إِعْجَابُ الْعَوَانِي تَعْجَباً فَهُنَّ رَوَانٍ يَعْتَبِرْنَ وَصُدُّدُ: رَوَانٍ: رايات يبصرهن، يعتبرن: يأخذن عبرة، صدد: صادات مبتعدات

لِمَا تُؤْذِنُ الدُّنْيَا به مِنْ صُرُوفِهَا يَكُونُ بكاءُ الطِّفْلِ سَاعَةً يُوَلَّدُ الذي يقوله - وإعراب الأبيات الخمسة المنصرمة جميعاً «حال» - هو: بسبب ما تنذر به الدنيا من مصايها يبكي الطفل عند ولادته

وَالأَمَّا يُبْكِيهِ مِنْهَا، وَإِنِهَا لَأَنْفَسُحُ مِمَّا كَانَ فِيهِ وَأَرْغَدُ إِذَا أَبْصَرَ الدُّنْيَا اسْتَهْلَ كَأَنَّهُ استهل: بكى

مَحَارُ الْفَتَى شَيْخُوخَةً أَوْ مَنِيَّةً. وَمَرْجُوعٌ وَهَاجِ المصَابِيحِ رَمَدَدُ محار: مصير، رمدد: رماد

وَمَا لِي عَزَاءٌ عَنْ شَبَابِي عِلْمُتُهُ سَوَى أَنَّنِي مِنْ بَعْدِهِ لَا أَخْلَدُ بيت في ذيل القصيدة:

وَأَتَقْتُ مِنْ عِقْدِ الْعَقِيلَةِ جِيدُهَا ، وَأَحْسَنُ مِنْ سِرْبِهَا الْمُتَجَرِّدُ

أتق: أكثر أناقة، سربالها: ثوبها، المتجرد: المعزى، ومتجردها عريها

٩٢ المدح الرديد

وقال يهجو ابن المدبر:

رَدَدْتُ عَلَيَّ مَذْحِي بَعْدَ مَطْلٍ وَقَدْ دَنَسْتُ مَلْبَسَهُ الْجَدِيدَا
وَقُلْتُ: ائْمَدْخْ بِهِ مَنْ شِئْتَ غَيْرِي . وَمَنْ ذَا يَقْبَلُ الْمَدْحَ الرَّدِيدَا؟
وَلَا سَيْمًا وَقَدْ أَعْبَقْتُ فِيهِ مَخَازِنُكَ اللَّوَاتِي لَنْ تَبِيدَا
وَمَا لِلْحَيِّ فِي أَكْفَانٍ مَبِيتٍ لَبُوسٌ بَعْدَمَا امْتَلَأَتْ صَدِيدَا

٩٣ ساهر على راحتنا

وقال في إسماعيل بن بلبل:

فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنَّا الْأَمِيرَ رِسَالَةً فَلَا بَرَحَتْ نُعْمَاكَ ذَاءَ حُسُودِهَا
رَأَيْنَاكَ تَرْعَانَا بِعَيْنٍ ذَكِيَّةٍ أَتَى النَّاسَ طُرّاً نَوْمُهُمْ مِنْ سُهُودِهَا
ذكية: متقدة صاحبة، ألا يسمون الشمس ذكاء؟ ويقولون يذكي النار؟

٩٤ صبور

وقال في خالد القحطبي:

يَا عَجَباً مَنْ خَالِدٍ فِي صَبْرِهِ وَجَلْدِهِ
قَاتَلَهُ اللَّهُ، فَمَا أَبْعَدَهُ مِنْ رَشْدِهِ
يُولِجُ فِي زَوْجَتِهِ أَبْرَ سَوَاهُ بِيَدِهِ

٩٥ أرسوا بي على برّ

وقال في القاسم بن عبيد الله:

يَا ابْنَ الْوَزِيرَيْنِ سَمْعًا مِنْ أَخِي طَلَبٍ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَبَيْنَ الْيَأْسِ مَكْذُودٍ
لَا تَبْخَلَنَّ عَلَيَّ مَنْ لَسْتُ كَافِيَهُ بَأَنَّ تَقُولَ: تَزَحْزَحْ غَيْرَ مَظْرُودٍ
لا تبخل على من لست معطيه كفايته بعبارة: انصرف غير مطرود

كَمْ آتَيْتُ لَكُمْ مِنْ أَنْ تُرَى مَدْحِي مَنقُودَةً، وَجَدَاكُمْ غَيْرَ مَنقُودٍ
 كثيرون يأتون لأجلكم أن يروا قصائدي فيكم مدفوعة نقداً، وجداكم (عطاؤكم) مؤجل غير منقود
 وَبَيَّنُّوا لِي أَمْرِي: إِنْسِي مَعَكُمْ فِي سَرْمِدٍ مِنْ ظَلَامِ الشَّكِّ مَمْدُودٍ

٩٦ واسطة العقد

يرثي ابنه الأوسط:

بَكَاءُكُمْ يَشْفِي، وَإِنْ كَانَ لَا يُجَدِّي فَجُودًا فَقَدْ أَوْدَى نَظِيرُكُمْ عِنْدِي
 يخاطب عينيه

بُنِيَ الَّذِي أَهْدَتْهُ كَفَّايَ لِلثَّرَى فَيَا عِرَّةَ الْمُهْدَى، وَيَا حَسْرَةَ الْمُهْدِي
 نظير عينيه هو ابنه الذي دفعه، فما كان أعزه (أغلاه)

أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْمَنَايَا وَرَمَيْهَا مِنْ الْقَوْمِ حَبَّاتِ الْقُلُوبِ عَلَى عَمْدٍ
 تَوَخَّى حِمَامَ الْمَوْتِ أَوْسَطَ صِبْيَتِي فَلَيْلَهُ كَيْفَ اخْتَارَ وَاسِطَةَ الْعِقْدِ
 واسطة العقد: الجوهرة الوسطى، وهي أكبر وأعلى جواهر العقد

عَلَى حِينٍ شِمْتُ الْخَيْرَ مِنْ لَمَحَاتِهِ وَأَنْسْتُ مِنْ أَفْعَالِهِ آيَةَ الرُّشْدِ
 شمت: توسمت

طَوَاهُ الرَّدَى عَنِّي فَأُضْحَى مَزَارُهُ بَعِيداً عَلَى قَرَبٍ، قَرِيباً عَلَى بُعْدٍ
 موصول بالبيت السابق. عندما توسمت الخير من نظراته طواه الردى

لَقَدْ أَنْجَزْتُ فِيهِ الْمَنَايَا وَعَيْدَهَا وَأَخْلَفْتُ الْأَمَالَ مَا كَانَ مِنْ وَعْدٍ
 لَقَدْ قَلَّ بَيْنَ الْمَهْدِ وَاللَّحْدِ لَبُّهُ فَلَمْ يَنْسَ عَهْدَ الْمَهْدِ إِذْ ضُمَّ فِي اللَّحْدِ
 تَنْغَصَّرَ قَبْلَ الرَّيِّ مَاءَ حَيَاتِهِ وَفُجِّعَ مِنْهُ بِالْعُدُوبَةِ وَالْبَرْدِ
 قبل أن يرتوي بماء الحياة تنغص (تكدر) هذا الماء، وفجع الصبي (نكب) بزوال العذوبة والبرد من
 ماء حياته (في مدينة حارة كبداد يكون البرد صفة حسنة للماء)

أَلَحَّ عَلَيْهِ النَّزْفُ حَتَّى أَحَالَهُ إِلَى صُفْرَةِ الْجَادِيَّ عَنْ حُمْرَةِ الْوَرْدِ
 الجادي: الزعفران

وظَلَّ عَلَى الْأَيْدِي تَسَاقُطُ نَفْسُهُ وَيَذُوي كَمَا يَذُوي الْقَضِيبُ مِنَ الرَّئْدِ
 فَيَا لَكَ مِنْ نَفْسٍ تَسَاقُطُ أَنْفُساً تَسَاقُطُ دُرٌّ مِنْ نِظَامٍ بِلا عِقْدٍ

عَجِبْتُ لِقَلْبِي كَيْفَ لَمْ يَنْفَطِرْ لَهُ وَلَوْ أَنَّهُ أَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ الصَّلْدِ
ينفطر: يتصدع

بِوُدِّي أَنِّي كُنْتُ قُدِّمْتُ قَبْلَهُ وَأَنَّ الْمَنَايَا دُونَهُ صَمَدَتْ صَمْدِي
صمدت صمدي: وضعت قدمها على طحيتاتي بالتعبير العامي، يعني تفرغت لي

وَلَكِنَّ رَبِّي شَاءَ غَيْرَ مَشِئَتِي وَلِلرَّبِّ إِمْضَاءُ الْمَشِئَةِ، لَا الْعَبْدِ
وَمَا سَرَّنِي أَنْ يَغْنُثُهُ بِثَوَابِهِ وَلَوْ أَنَّهُ التَّخْلِيدُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ
الاعتقاد أن المرء يثاب بالمصيبة تحل به، ولكن شاعرنا لا يسره أن يبادل ولده ولو بالخلود في الجنة

وَلَا يَغْنُثُهُ طَوْعاً، وَلَكِنْ غُصِبَتْهُ وَلَيْسَ عَلَى ظِلْمِ الْحَوَادِثِ مِنْ مُعْدٍ
معِد: نصير

وَإِنِّي، وَإِنْ مُتُّ بِإِبْنِي بَعْدَهُ، لَذَاكِرُهُ مَا حَنَّتِ النَّيْبُ فِي نَجْدِ
النَّيْب: النِّياق. يقول سَاطِلُ أَذْكَرِ طُولِ الدَّهْرِ، فَالنِّياقُ فِي نَجْدٍ لَنْ تَكْفَ عَنْ الْحَيْنِ (صَوْتُ النَّاقَةِ
تَحْنُ إِلَى فَصْلِهَا الْمَذْبُوحِ)

وَأَوْلَادُنَا مِثْلُ الْجَوَارِحِ، أَثِمَّا فَقَدْزَنَاهُ كَانَ الْفَاجِعَ الْبَيِّنَ الْفَقْدِ
الجوارح: الأعضاء

لِكُلِّ مَكَانٍ، لَا يَسُدُّ اخْتِلَالَهُ مَكَانُ أَخِيهِ فِي جَزُوعٍ وَلَا جَلْدٍ
لكل ولد مكان في قلب الأب، ولا يسد اختلال هذا المكان بفقد الولد وجود أولاد غيره، يستوي
في ذلك الأب الجزوع (المظهر حزنه) والجلد (المتنصير)

هَلِ الْعَيْنُ بَعْدَ السَّمْعِ تَكْفِي مَكَانَهُ، أَمْ السَّمْعُ بَعْدَ الْعَيْنِ يَهْدِي كَمَا تَهْدِي؟
لَعَمْرِي: لَقَدْ حَالَتْ بِي الْحَالُ بَعْدَهُ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالَتْ بِهِ بَعْدِي؟
تَكِلْتُ سُرُورِي كُلَّهُ إِذْ تَكِلْتُهُ وَأَصْبَحْتُ فِي لَذَاتِ عَيْشِي أَخَا زُهْدٍ
أَرْيَحَانَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالْأَنْفِ وَالْحَشَا: أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرَتْ عَنْ عَهْدِي
سَأَسْقِيكَ مَاءَ الْعَيْنِ مَا أَسْعَدَتْ بِهِ، وَإِنْ كَانَتِ السُّقْيَا مِنَ الدَّمْعِ لَا تُجْدِي
أسعدت: ساعدت

أَعَيْنَيَّ: إِنْ لَا تُسْعِدَانِي أَلْمَكُمَا وَإِنْ تُسْعِدَانِي الْيَوْمَ تَسْتَوْجِبَا حَمْدِي
عَذَرْتُكُمَا لَوْ تُشْغَلَانِ عَنِ الْبُكََا بِنَوْمٍ، وَمَا نَوْمُ الشَّجِيِّ أَخِي الْجَهْدِ؟

أَفَرَّةَ عَيْنِي: قَدْ أَطْلَتِ بُكَاءَهَا
وَعَادَرَتَهَا أَقْدَى مِنَ الْأَعْيُنِ الرُّمْدِ
أَفَرَّةَ عَيْنِي: لَوْ قَدَى الْحَيِّ مَيِّتًا
قَدَيْتُكَ بِالْحَوْبَاءِ أَوَّلَ مَنْ يَفْدِي
الحوباء: النفس

كَأَنِّي مَا اسْتَمْتَعْتُ مِنْكَ بِنَظَرَةٍ
كَأَنِّي مَا اسْتَمْتَعْتُ مِنْكَ بِضَمَّةٍ
أَلَامَ لِمَا أَبْدَيْ عَلَيْكَ مِنَ الْأَسَى
وَأَنِّي لِأَخْفِي مِنْهُ أَضْعَافَ مَا أَبْدِي
مُحَمَّدُ، مَا شَيْءٌ تُؤْهِمُ سَلْوَةَ
لِقَلْبِي إِلَّا زَادَ قَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ
أَرَى أَخَوَيْكَ الْبَاقِيَيْنِ كِلَيْهِمَا
يَكُونَانِ لِلْأَحْزَانِ أَوْرَى مِنَ الزُّنْدِ
أورى من الزند: أشد إيقاداً من حجر القدح

إِذَا لَعِبَا فِي مَلْعَبٍ لَكَ لَذْعَا
فَوَادِي بِمِثْلِ النَّارِ عَنْ غَيْرِ مَا قَصْدِ
فَمَا فِيهِمَا لِي سَلْوَةٌ بَلْ حَزَازَةٌ
يَهْبِجَانِيهَا دُونِي، وَأَشْقَى بِهَا وَخْدِي
وَأَنْتَ، وَإِنْ أَفْرَدْتَ فِي دَارٍ وَخْشَةٍ،
فَلِنِي بِدَارِ الْأَنْسِ فِي وَخْشَةِ الْفَرْدِ
أَوْدُ، إِذَا مَا الْمَوْتُ أَوْقَدَ مَعْشَرًا
إِلَى عَسْكَرِ الْأَمْوَاتِ، أَنِّي مِنَ الْوَفْدِ
وَمَنْ كَانَ يَسْتَهْدِي حَبِيبًا هَدِيَّةً
فَطَيْفَ خَيَالٍ مِنْكَ فِي النَّوْمِ أَسْتَهْدِي
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مِنِّْي نَحِيَّةً
وَمِنْ كُلِّ غَيْمٍ صَادِقِ الْبَرْقِ وَالرَّعْدِ
صادق البرق والرعد: ماطر

٩٧ شكوى قائلتي

وَقَالَ فِي عِبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَصَلَحَهُ لِأَخِيهِ سُلَيْمَانَ بَعْدَ الشَّرِّ الَّذِي كَانَ
بَيْنَهُمَا:

لِلنَّاسِ عَيْدٌ وَلِي عِيدَانِ فِي الْعِيدِ
إِذَا رَأَيْتُكَ يَا ابْنَ السَّادَةِ الصَّيْدِ
الصيد: السادة

مَا الْيَوْمُ يَمْضِي - وَعَيْنِي غَيْرُ فَائِزَةٍ
بِحَظِّهَا مِنْكَ - فِي عُمرِي بِمَعْدُودٍ
مَا الْيَوْمُ يَمْضِي: مَا الْيَوْمُ الَّذِي يَمْضِي (فِي هَذَا الْأَسْلُوبِ الْقَدِيمِ يَسْقُطُونَ «الَّذِي»)

لَكِنْ تَطَاوَلَتِ الشُّكُوى بِقَائِلَتِي
فَكُنْتُ شَهْرًا وَحَالِي حَالُ مَصْفُودٍ
الشكوى: المرض، قائلتي: عيني، مصفود: مقيد

شَغِلْتُ عَنْكَ بُعُورَ أَكَابِدِهِ لَا بِالْمَلَاهِي وَلَا مَاءِ الْعَنَاقِيدِ

عوار: رمد، ماء العناقيد: الخمر

وَلَوْ قَعَدْتُ بَلَا عَذْرِ لِمَهْدَ لِي جَمِيلُ رَأْيِكَ عَذْرِي أَيَّ تَمْهِيدِ

قَاسِيَتْ بَعْدَكَ - لَا قَاسِيَتْ مِثْلَهُمَا - نَهَارَ شَكْوَى يُبَارِي لَيْلَ تَسْهِيدِ

أَمْسِي وَأَصْبُحْ فِي ظِلْمَاءٍ مِنْ بَصْرِي فَمَا نَهَارِي مِنْ لَيْلِي بِمَحْدُودِ

نهارِي لَيْسَ مَحْدُوداً (مميزاً) مِنْ لَيْلِي إِذْ إِنِّي لَا أَرَى

كَأَنَّنِي مِنْ كَلَا يَوْمِي وَلَيْلَتِهِ فِي سَرَمَدٍ مِنْ ظِلَامِ اللَّيْلِ مَمْدُودِ

إِذَا سَمِعْتُ بِذِكْرِ الشَّمْسِ آسَفَنِي فَصُعْدَتْ زَفْرَاتِي أَيَّ تَصْعِيدِ

لَا يَطْمَنُّ بِجَنْبِي لَيْنٌ مُضْطَجِعٍ وَمَا فِرَاشُ أَخِي شَكْوَى بِمُتْهِودِ

أَرَعَى النُّجُومَ، وَأَنْتَى لِي بِرَغِيَّتِهَا وَطَرَفُ عَيْنِي فِي أَسْرِ وَتَقْيِيدِ؟

سَاهَرُ أَرَعَى النُّجُومَ، لَكِنْ... كَيْفَ لِي أَنْ أَرَعَاهَا وَأَنَا مُقِيدُ الْبَصْرِ؟

وإِنَّ مَنْ يَتَمَنَّى أَنْ يُوَاتِيَهُ رَغَى النُّجُومَ لَمَجْهُودُ الْمَجَاهِيدِ

العاشق الذي يرمى النجوم يكون مسكيناً معذباً، فما بالك بمن لا يتاح له حتى رعي النجوم؟
لا جرم هو مجهود المجاهد (معذب جداً)

وَقَدْ تَبَدَّلْتُ مِنْ بَلَوَائِ عَافِيَةٍ بِحَمْدِ رَبِّ عَلَى الْحَالَيْنِ مَحْمُودِ

٩٨ حتى الأمير يموت

وقال يرثي محمد بن عبد الله بن طاهر:

إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ وَلَا تَهَابُ أَخَا عِزٍّ وَلَا حَشَدٍ

هَذَا الْأَمِيرُ أَتَتْهُ وَهَوَ فِي كَشْفٍ كَاللَّيْلِ مِنْ عَدَدٍ مَا شَتَّ أَوْ عُدَدٍ

وَلَمْ تَزَلْ طَوَّعَ كَفِّهِ يُصَرِّفُهَا بَيْنَ الْأَنَامِ، وَلَا تَغْصِيهِ فِي أَحَدٍ

كَانَ يُوْزَعُ الْمَوْتُ عَلَى النَّاسِ، وَالْمَوْتُ يَطِيعُهُ

حَتَّى أَتَاهُ رَسُولُ الْمَوْتِ يُؤْذِنُهُ أَنَّ الْبَقَاءَ لَوَجْهِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ

٩٩ تنفس من منخر واحد

وقال في رجل اسمه عيسى:

يُقَتَّرُ عَيْسَى عَلَى نَفْسِهِ وَلَيْسَ بِبَاقٍ وَلَا خَالِدٍ

لَنْ يَبْقَى وَلَنْ يَخْلُدَ

فَلَوْ يَسْتَطِيعُ لِتَقْتِيرِهِ تَنْفَسَ مِنْ مِثْخِرٍ وَاحِدٍ
عَذْرَتَاهُ أَيَّامَ إِعْدَامِهِ فَمَا عَذْرُ ذِي بَحَلٍ وَاجِدٍ؟
إعدامه: فقره، واجد: غني

رَضِيْتُ - لِتَفْرِيقِ أَمْوَالِهِ - يَدَيَّ وَارِثٍ لَيْسَ بِالْحَامِدِ

١٠٠ تخاف الموت؟ بسيطة

عَجَباً لِمَنْ يَلْقَى الْحُرُ بَ فَلَا يُقَاتِلُ أَوْ يُجَالِدُ
لَا سِيَّماً مَنْ كَانَ يُورِ قِرُّ أَنَّهُ إِنْ مَاتَ عَائِدُ
إِنْ قَالَ: إِنَّ النَّفْسَ وَاحِدَةً جِدَّةً، فَإِنَّ الْمَوْتَ وَاحِدًا

١٠١ حسدوني سلفاً

وقال في العباس بن القاشي:

كُفِّي الدُمُوعَ وَإِنْ كَانَ الْفِرَاقُ غَدَاً فَرِحْتُ لِتَعِيشِي عَيْشَةً رَغَدَاً
على طريقة المداحين المحترفين يبدأ بمنظر فراق الزوجة وهي تحته على القعود، فيقول لها إنه
ذاهب إلى أكرم الناس ليعطيه أجزل عطاء

بَنِي: قد قعد الدهرُ الخَوُونُ بِنَا وليس مثلي في أمثاله قَعَدَا
يخاطب أبناءه

قَالَ: أَتَرَحَّلُ وَالْمَشْتَاةُ قَدْ حَضَرَتْ فَقُلْتُ: مِثْلِي فِي أَمْثَالِهَا أَنْجَرَدَا
انجرد: اشتد في سيره

قَالَ: أَنْتَجِعُ الْعَبَّاسَ، قُلْتُ لَهَا: بَلِ الطَّلِيقُ مُحَبَّباً وَالْجَوَادُ يَدَا
تنجع: الأصل «ترحل طلباً للعشب»، ثم صاروا ينتجعون الأمراء، ثم صارنا نتجع المتنجات
السياحية/التسويد لأحمد عبد الرحيم

يَا مَنْ عَدَا مَالُهُ فِي النَّاسِ مُشْتَرَكَاً وَمَنْ تَوَحَّدَ بِالْمَعْرُوفِ وَانْفَرَدَاً
وَمَنْ تَحَلَّى مِنَ الْآدَابِ أَحْسَنَهَا فَمَا يَرَى أَحَدٌ فِي ظَرْفِهِ أَحَدَاً
لا يرى أحدٌ أحدًا له مثل ظرفه

أَشْكُو إِلَيْكَ خُطُوباً قَدْ بَعَلْتُ بِهَا لَمْ تَتَرِكْ سَبْدًا عِنْدِي وَلَا لَبْدَاً
بعلت: تحيرت، سبد: شعر، لبد: صوف، (لا سبد عندي ولا لبد: ليس عندي شيء)

بيني وبينك أسباب أُمْتُ بِهَا لو رُمْتُ إحصاءها لم أُخْصِها عَدَا
أسباب: حبال، أمت: في أصل المعنى أسحب الدلو من البئر

مقالة العدل والتوحيد تجمُعنا دون المُضَاهِين مَنْ ثَنَى وَمَنْ جَحَدَا
مقالة العدل والتوحيد: أهم مبادئ المعتزلة، المضاهين: الذين يجعلون مع الله من يضاھيه، ومنهم من ثنى وهم الذين يعتقدون بالنور والظلام والخير والشر الخ، ومن جحد أي الحد

ما عُدْرُ مُعْتَزِلِي مُوسِعَ مَنَعَتْ كَفَّاهُ مُعْتَزِلِيًّا مُقْتِرًا صَفَدَا؟
صفد الرجل: خلا من الصفد وهو العطاء

أَيَزُغُمُ الْقَدَرَ الْمُحْتَوَمَ نَبْطُهُ؟ إن قال ذاك فقد حلّ الذي عَقَدَا
المعتزلة يقولون إن الإنسان مخير

لا تَحْرِمَنَّ أَمْرًا سَاقَ الرَّجَاءِ بِهِ وقد تَسَلَّفَ من جبرانه الحَسَدَا
حسده جبرانه سلفاً لأنه قصد العباس ثقة بأنه لا بد سيعطيه مالاً كثيراً

١٠٢ الكريم جبان أمام السفية
إِغْلَمْ، وَإِنْ كُنْتَ صَلِيْبًا مَارِدَا
صليب: قوي، مارد: طاغية

أَنَّ الْكَرِيمَ يَتَّقِي الْقَصَائِدَا
إِذَا عَدَتْ أَعْنَاقُهَا شَوَارِدَا
مثل الإبل وهي تمد أعناقها في السير تنتشر القصائد في البلاد

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الشُّعَرَ لَيْسَ بِأَيِّدَا
بَلْ خَالِدًا، إِنْ كَانَ شَيْءٌ خَالِدَا

١٠٣ صرت في غيره.. بكيت عليه
وقال في القاسم بن عبيد الله:

دَهْرٌ يُشَيِّعُ سَبَبَهُ أَحَدُهُ مُتَتَابِعٌ مَا يَنْقَضِي أَمَدُهُ
يَوْمٌ يُبَكِّغُنَا، وَأَوْنَةٌ يَوْمٌ يُبَكِّغُنَا عَلَيْهِ غَدَةٌ
نَبْكِي عَلَى زَمَنِ وَمِنْ زَمَنِ فَبُكَأُنَا مَوْصُولَةٌ مُدَّةُ
تسويد البيتين: أ. عبد الرحيم

١٠٤ دعه يأكل نفسه

لِيَكْفِكَ حَاسِداً حَسَدُهُ وَمَا تَضَلَّى بِهِ كَيْدُهُ
حسبك من الحاسد ما يلاقي من ألم بسبب حسده

فَلَوْ أَشْعَرْتَهُ نَاراً لَكَانَتْ دُونَ مَا يَجِدُهُ

١٠٥ المبالغة والنتيجة العكسية

إِذَا مَا وَصَفْتَ امْرَءاً لَامِرِيٍّ فَلَا تَغْلُ فِي وَصْفِهِ وَاقْصِدِ
فَإِنَّكَ إِنْ تَغْلُ تَغْلُ الظُّنُو نٌ فِيهِ إِلَى الْغَرَضِ الْأَبْعَدِ
فَيُضَوِّلُ مِنْ حَيْثُ فَحَمَتُهُ لِفَضْلِ الْمَغِيبِ عَلَى الْمَشْهَدِ
لفضل: لزيادة، يقول: المبالغة تؤدي إلى عكس المراد منها

١٠٦ عندما يسود السفهاء

وقال في الخلال:

وَلَيْسَ بِمَثْبُورٍ كَرِيمٌ تَصِيدُهُ سِهَامُ الْغَوَانِي تَارَةً وَيَصِيدُهَا
مَثْبُورٌ: هائم. الكريم العاشق لا يؤذي محبوبته مثلما تؤذي، بل يتلقى الأذى صابراً

وَلَكِنَّمَا الْمَثْبُورُ مَنْ لَيْسَ بَارِحاً عَلَى تِرَةٍ مِنْهُمْ لَا يَسْتَقِيدُهَا
العاشق لا يبرح (لا يفتأ/ويظل) على ترة (له ثار عندهن) لا يستقيدها (لا يأخذ بثأره)

سَقَى اللَّهُ أَيَّامَ الْوُشَاةِ فَإِنَّهَا هِيَ الصَّالِحَاتُ الطَّالِعَاتُ سُعُودُهَا
أَلَا إِنَّ فِي الدُّنْيَا أَعَاجِيبَ جَمَّةً وَأَعْجَبُهَا أَنْ لَا يَشِيبَ وَلِيدُهَا
وَمَا الْخُسْفُ أَنْ تَلْقَى أَسَافِلُ بَلَدٍ أَعَالِيهَا، بَلْ أَنْ يَسُودَ عَبِيدُهَا
أَرَى كُلَّ نُعْمَى ذَاتِ رَنْقٍ يَشُوبُهَا سَوَى نِعْمَةِ الْخَلَالِ قَلَّ حُسُودُهَا
العطية مشوبة بحسد الحاسدين فالرنتق هو الكدر في الماء، ولكن عطية الخلال هذا قليلة
فلا حسود عليها

عَلَى أَنَّهُ بَادِي الْعُبُوسِ كَأَنَّهُ حَدِيثُهُ تُكْلِلُ قَدْ تَوَالَتْ فَقُودُهَا
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ نَفْساً لَثِيمَةً عَلَيْهَا مِنَ النُّعْمَاءِ ثِقْلٌ يُوْودُهَا
يؤودها: يرهقها

أَمْفَتَرِشَ النُّعْمَى الَّتِي لَسْتَ كُفَّاهَا وَأَكْفَاؤُهَا هَلَكَى نِيَامٌ جُدُودُهَا
يا من ينام على المال وهو ليس كفأ له! إن مستحقي النعمة لهم جدود (حظوظ) هالكة نائمة فهم
أشراف لكن لا سعد لهم

أَتُضْبِحُ مَوْفُورًا سَلِيمًا، وَهَذِهِ قُرُومُ بَنِي الْعَبَّاسِ تَخْطُرُ صِيْدُهَا؟
قروم: سادة، صيدها: سادتها. عجيب أن تبقى سالماً، مع أن سادة بني العباس موجودون وجدير
بهم أن يزيلوا النعمة عنك

سَأَرْهَدُ فِي الدُّنْيَا الدِّنْيَةَ كَاسِمِهَا فَلَمْ يَبْقَ - أَيْمُ اللَّهِ - إِلَّا زَهِيدُهَا
وَأُنْصِبُ لِلْأَيَّامِ فِيكَ عَدَاوَةً وَلَيْمَ لَا أَعَادِبُهَا وَأَنْتَ سَعِيدُهَا
إِذَا ذَلَّ فِي الدُّنْيَا الْأَعِزَّةُ، وَاكْتَسَتْ أَذْلُهَا عِزًّا، وَسَادَ مَسُودُهَا
هَنَّاكَ فَلَا جَادَتْ سَمَاءٌ بِصَوْبِهَا وَلَا أَمْرَعَتْ أَرْضٌ وَلَا اخْضَرَّتْ عَوْدُهَا
الصوب: المطر، امرعت: أخضبت

لَعُمْرِي لَقَدْ نَبَّهْتُ مَا اسْطَعْتُ هَاشِمًا لِكَشْفِ الْمَخَازِي لَوْ يَهْبُ رَقُودُهَا
هاشم: يقصد بني العباس وهم من بني هاشم. وكثيراً ما أشار المؤرخون القدامى إلى الدولة
العباسية بدولة بني هاشم

١٠٧ قرصة أذن

وقال في محمد بن علي حين قيده صاعد:

وَلَقَدْ رَأَيْتُكَ وَالْيَأَ مُسْتَعْلِيًّا وَلَقَدْ رَأَيْتُكَ فِي الْحَدِيدِ مُقَيَّدًا
مستعليًا: عالي القدر

إِذْ لَمْ تَزِدْكَ وَلايَةً فِي سُودِدٍ كَلَّا، وَلَا الْأُخْرَى مَحَتْ لَكَ سُودَدًا
لَا يَسْتَطِيعُكَ بِالتَّنْقِصِ حَدِثٌ وَأَبَى لَكَ التَّكْمِيلُ أَنْ تَتَزَيَّدَا
وَلِذِي الْوِزَارَةِ وَالْإِمَارَةِ صَاعِدٍ رَأَيْ أَبَى أَلَّا يَكُونَ مُسَدَّدًا
وَأَبُو الْعَلَاءِ يَرَاكَ نَضْلًا قَاطِعًا أَبَى عَظِيمُ غَنَائِهِ أَنْ يُغَمَدَا
أبو العلاء: هو صاعد الوزير، تأبى الفائدة العظمى لهذا السيف أن يظل مغمدًا، وأنت أيها
المنكوب مثل ذلك السيف، وستشهر من جديد إذ لا غنى عنك

وَهُوَ الْمُثَقَّفُ فَاضْطَبِرَ لِثِقَافِهِ وَلِحَدِّ مِبْرَدِهِ لَكِنِّي تَحْطَى غَدَا
المتقف: الذي يهذب الرماح، يشبه به الرئيس الكبير إذ يهشم مرؤسه كي يريه فقط

وَلَرُبَّمَا امْتَحَنَ الْوَلِيَّ وَلِيَّهٗ لِيَرَىٰ لَهُ جَلْدًا يَغِيظُ الْخُسَدَا
الولي: الرئيس، الولي الثانية: المرؤوس (كلمة لها معنيان متضادان)

١٠٨ شراء السنة السفهاء

وقال يعتذر إلى القاسم:

عَفُو الْمُلُوكِ عَنِ الْهَجَاةِ مَدَائِحُ مَدَحُوا نَفُوسَهُمْ بِهَا فَأَجَادُوا
وَهَبُوا لِجَانِبِهَا الذُّنُوبَ، وَأَقْسَمُوا أَنْ لَوْ يَعُودُ إِلَى الذُّنُوبِ لَعَادُوا
وهب الملوك للمذنبين ذنوبهم، أي أعفوه من العقاب
قَطَعُوا لِسَانَ سَفَاهَةٍ فَاسْتَوْتَفُّوا مِنْهُ، وَأَمَّا عَنْ أَذَاهُ فَحَادُوا

١٠٩ بلغت اليقين؟ عليك بالشهادة

لَا تَجْبُنَنَّ لِأَنَّ النَّفْسَ وَاحِدَةً فَإِنَّمَا الْمَوْتُ أَيْضاً وَاحِدٌ، فَقَدْ
قد: يكفيك، حسبك

مَا يَجْبُنُ الْمَرْءُ إِلَّا وَهُوَ مَعْتَقِدٌ أَوْ مُشْفِقٌ أَنَّهُ إِنْ مَاتَ لَمْ يَعُدْ

١١٠ حقوق وأفتخر

شُكْرِي عَتِيدٌ وَكَذَاكَ حِقْدِي

عتيد: جاهز، حاضر

لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ بَقَاءٌ عِنْدِي

كَالْأَرْضِ مَهْمَا اسْتُودِعْتَ تَوْدِي

وَإِنِّي عَنْ طِينَتِنَا نَعْدِي

١١١ الحمال

رَأَيْتُ حَمَلًا مُبِينَ الْعَمَى يَغْتَرُّ بِالْأَكْمِ، وَفِي الْوَهْدِ
حمالاً مبين العمى: شياً عتلاً واضح العمى (كلمة «مبين» أثيرة عند ابن الرومي يقيم بها وزنه)،
الأكم: ما ارتفع من الأرض، الوهد: ما انخفض

مُخْتَمِلًا ثِقَلًا عَلَى رَأْسِهِ تَضَعُفُ عَنْهُ قُوَّةُ الْجَلْدِ

مختملاً: حاملاً، الجلد: الصبور

بَيْنَ جَمَالَاتٍ وَأَشْبَاهِهَا مِنْ بَشَرٍ نَامُوا عَنِ الْمَجْدِ
جماليات: إيل

أَضْحَى بِأَخْزَى حَالَةٍ بَيْنَهُمْ وَكُلُّهُمْ فِي عَيْشَةٍ رَغْدٍ
وَكُلُّهُمْ يَضِدُّهُ عَمِيداً أَوْ تَائِهَ اللَّبِّ بِلا عَمْدٍ
وَالْبَائِسُ الْمَسْكِينُ مُسْتَسْلِمٌ أَذَلُّ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ عَبْدٍ
وَمَا اشْتَهَى ذَاكَ، وَلَكِنَّهُ فَرَّ مِنَ اللُّؤْمِ إِلَى الْجَهْدِ
فَرَّ إِلَى الْحَمْلِ، عَلَى ضَعْفِهِ، مَنْ كَلَحَاتِ الْمُكْثِرِ الْوَعْدِ

كلحات: تكثيرات، المكثّر: الغني

١١٢ لابس الشيب

وقال يمدح عبيد الله بن سليمان:

فَرَّ مِنْكَ الْغَزَالُ يَا لَابِسَ الشَّيْبِ بِ فِرَارِ الْغَزَالِ مِنْ صَيَّادِهِ
وَإِذَا اضْطَّادَكَ الْمَشِيبُ فَطَارَدَ ت غَزَالاً، فَلَسْتَ بِالْمُضْطَّادِ

١١٣ قيود من العطاء التافه

قال يهجو القاسم:

وَصَدِيقٍ أَجَبْتُهُ إِذْ دَعَانِي نَحْوَ مَعْرُوفِهِ فَلَمْ أَلْقَ رُشْدًا
لَمْ يَدْعُ لِي عِزَّ الْقُنُوعِ، وَلَا جَا دَ بِرَفْدٍ يَعْذُو النَّاسُ رِفْدًا
حَادَ ثَمَ التَّوَى؛ فَلَا أَنَا بِالرَّاضِي وَلَا الْمُشْتَكِي فَأُشْفِي وَجَدًا
وجدًا: ما يجده المرء من غضب، يقال وجدت عليه أي غضبت

هَاضَ حُرِّيَّتِي، وَأَوْثَقَ بِالْمَنِّ زُرُورٍ مِنْ نَيْلِهِ لِسَانِي عَقْدًا
هاض: كسر، المتزور: القليل

فَالِى اللّهِ أَشْتَكِي مَا أَلَاقِي مِنْ زَمَانٍ يُجَسِّمُ الْحَرَ جَهْدًا
حُرِمْتُ لَذَّةَ الشُّكَايَةِ نَفْسِي وَجَدًا صَاحِبِي، وَأَصْبَحْتُ عَبْدًا
جدا: عطاء

وَلَقَدْ قَلْتُ عِنْدَ ذَاكَ، وَأَضْمَرْتُ عَلَى بَاخْسِي حَقُوقِي حَقْدًا:
باخسي حقوقي: المتقص إياي حقوقي

شَكَرَ اللَّهُ مَا جَدَّ جَدًّا، أَوْ وَغْدًا كَفَى النَّاسَ نَائِلًا مِنْهُ وَغْدًا

الكریم مستحق شكر الله، وكذلك الوغد الذي لا يعطي الناس من نائله (عطائه) الوغد مثله

وَلَحَا اللَّهُ بَيْنَ هَذَيْنِ مَنْ غَرَّ - عَفِيفًا مِنْ نَفْسِهِ ثُمَّ أَكْدَى

ولحا (لعن) الله من يكون بين هاتين المتزلتين، ذلك الذي يغر (يخدع) الشخص العفيف، ثم يكدي (يبخل)

يَبْذُلُ التَّافَةَ الَّذِي يُلْبِسُ الْحَرَّ - خُشُوعًا، وَلَا يَسُدُّ مَسَدًا

هذا الشخص يعطيك التافه القليل الذي يجعلك تخضع له وتبجله، ولكن عطاءه لا يجدي

بَاخِلٌ حِينَ يَبْذُلُ الْقَوْمَ رِفْدًا مَاطِلٌ حِينَ يُنَجِّزُ الْقَوْمَ وَغْدًا

يشتري بالنسيئة المدح الغرّ - وأثمائهنَّ يُنْقِذَنَّ نَفْدًا

النسيئة: البيع المؤجل

١١٤ ربنا لك الحمد

وقال في أبي حفص:

قالوا، هجاءك أبو حفص، فقلتُ لَهُمْ: لَا تَدْخُلُوا بَيْنَنَا يَا مَعْشَرَ الْحَسَدَةِ

ما استأثرت دونكم كُفِّي بِصَلَاتِهِ فَتَحْسُدُونِي عَلَيْهَا مَعْشَرَ الْقَفْدَةِ

الفدة: الصافعون. وكانوا في القديم يتصافعون في مجالسهم. ورأيت في زمننا

السفلة يفعلون ذلك، يصفع بعضهم بعضاً في مزاحهم السوقي. وللتيفاشي فصل في

الفقد رأيت منه أن الأمر كان يريحهم نفسياً، وكان له دور اجتماعي ما

كَمْ رَكْعَةٍ رَكَعَ الصَّفْعَانُ تَحْتَ يَدِي وَلَمْ يَقُلْ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»

الصفعان: الذي يُصفع كثيراً

١١٥ أنا جهنم

وقال في أبي يوسف الدقاق:

أنا النارُ التي بالخلقِ تُغْدَى. وتُوَقَّدُ بالحجارة والحديدِ

هذه نار الله يا ابن الرومي

إِذَا نَضِجَتْ جُلُودُ الْقَوْمِ فِيهَا أُعِيدَ لَهُمْ سِوَى تِلْكَ الْجُلُودِ

يقال: هل امتلأت؟ وكلُّ خلقٍ بها، فتقول: لا، هل مِنْ مزيدٍ

إِذَا عَطِشُوا سَقَيْتُهُمْ صَدِيداً فَوَيْلُ الْقَوْمِ مِنْ شُرْبِ الصَّدِيدِ
الصديد: قبح الجروح

فَأَيْنَ، هُبِلَتْ، تَهْرُبُ مِنْ هَجَائِي؟ وَأَيْنَ، هِبِلَتْ، تَهْرُبُ مِنْ قَصِيدِي
هبلت: نُكِلت

١١٦ شعري مقدس

وقال في علي بن سليمان الأخفش:

قُلْتُ لِمَنْ قَالَ لِي: عَرَضْتُ عَلَى الْـ أَخْفَشَ مَا قُلْتُهُ فَمَا حَمِدَهُ:
قَصَّرْتُ بِالشَّعْرِ حِينَ تَعَرَّضُهُ عَلَى مُبِينِ الْعَمَى إِذَا انْتَقَدَهُ
مَا قَالَ شِعْراً وَلَا رَوَاهُ، فَلَا ثَمَلَبَهُ كَانَ، لَا وَلَا أَسَدَهُ
فَإِنْ يَقُلْ: إِنِّي رَوَيْتُ فَكَأَلَدَّ - فَتَرِ جَهْلاً بِكُلِّ مَا اعْتَقَدَهُ
أَرُمْتُ زَيْنِي بِأَنْ تُعَرِّضَنِي لِمَدْحِهِ؟ فَالذَّلِيلُ مَنْ عَضَدَهُ
عضده: أيده (من ينل تأييد الأخفش يكن ذليلاً)

أَمْ رُمْتُ شَيْنِي بِأَنْ تَعَرِّضَنِي لِثَلْبِهِ؟ فَالسَّلِيمُ مَنْ قَصَدَهُ
السليم: السالم، فالأخفش لا يضر انتقاصه للشعر لأنه جاهل به

شِعْرِي شِعْرٌ إِذَا تَأَمَّلَهُ الْـ إِنْسَانٌ ذُو الْفَهْمِ وَالْحِجَا عَبَدَهُ
لَكِنَّهُ لَيْسَ مَنْطِقاً بَعَثَ الْـ لَهُ بِهِ آيَةً لِمَنْ جَحَدَهُ
وَلَا أَنَا الْمُفْهِمُ الْبَهَائِمَ وَالطَّـ بَرَّ، سُلَيْمَانُ قَاهِرُ الْمَرَدَةِ

ما أنا سليمان (سليمان بدل)

مَا بَلَغَتْ بِي الْخَطُوبُ رُتَبَةً مِنْ تَفْهَمُ عَنْهُ الْكِلَابُ وَالْقِرَدَةُ
لَا رَجِمَ اللَّهُ أُمَّ أَخْفَشِكُمْ وَلَا سَقَى قَبْرَ وَالِدٍ وَلَدَهُ
مَاذَا عَلَيْهِ، وَقَدْ رَأَى وَلَدَا أَغْوَرَ جَمِّ الْعَوَارِ، لَوْ وَأَذَهُ؟

١١٧ هو باز صائد

وقال في بني طاهر:

يَا بَنِي طُودِ الْمَعَالِي طَاهِرٍ يَا ثِقَاتِي وَثِقَاتِ الْمُعْتَمِدِ
طود: جبل

أَنْتُمْ السَّادَاتُ، وَالْقَوْمُ الْأَلَى تُنَجِرُ الْأَمَالَ فِيهِمْ مَا تَعُدُّ
 إِنْ أَكُنْ أَحْسَنْتُ فِي مَدْحِكُمْ فَأَخُو الْإِحْسَانِ أَوْلَى مَنْ رُفِدُ
 أَوْ أَكُنْ قَصَرَ جُهْدِي عَنْكُمْ فَأُثْبِتُونِي ثَوَابَ الْمُجْتَهِدِ
 فالمجتهد في الدين حتى لو أخطأ فله نصف ثواب

أَوْ فَرَدُّوا الْمَدْحَ مَسْتَوْرًا، وَلَا تُشْمِتُوا بِي أَغْيُنًا نَحْوِي تَقْدُ
 تقد: تَقْدُ

هُوَ بَارِ صَائِدٌ أَرْسَلْتُهُ فَارْجِعْهُ سَالِمًا إِنْ لَمْ يَصِدْ

١١٨ فقط .. جرّبوني

وقال يعاتب:

مَا لِي أَسْلُ مِنَ الْقِرَابِ وَأُغَمِّدُ لِمَ لَا أَجْرُبُ فِي الضَّرَائِبِ مَرَّةً
 لِمَ لَا أَجْرُبُ فِي الضَّرَائِبِ مَرَّةً بَا لِلرَّجَالِ - وَإِنِّي لَمَهْنَدُ؟
 أَنَا مَنْ عَلِمْتَ مَكَانَهُ، وَابْنُ الَّذِي مَا زَالَ فِيكُمْ يُسْتَعَانُ فَيُحَمَدُ
 مَا بَالُ عَزِيمِكَ، حِينَ تَنْظُرُ نَظْرَةً فِي بَابِ مَصْلَحَتِي، يُحَلُّ وَيُعَقَّدُ؟
 فَكَّرَ - لَقِيتَ الرُّشْدَ - فَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ لَكَ رَأْيُ صِدْقٍ فِي الْأُمُورِ مُسَدَّدُ
 فَاسْعُدْ بِفَضْلِ أَمَانَتِي وَكِفَايَتِي وَنَصِيحَتِي مَعَ أَنَّنِي بِكَ أَسْعَدُ
 إِنْ لَا أَكُنْ فِي كُلِّ ذَلِكَ أَوْحَدًا فَرَدًّا، فَإِنِّي فِي الْمَوَدَّةِ أَوْحَدُ

١١٩ بخل الدجاج

وقال في ابن الدجاجي، وهو رجل كان فيما يبدو يبيع الدجاج:

يَذْكِي عَلَى رُغْفَانِهِ عَيْنَهُ وَعَيْنُهُ عَنْ عَرْسِهِ رَاقِدَةٌ
 الرغفان: الأرغفة، يذكي عينه: يحدد بصره، عرسه: زوجته

إِجْنَتْهُ الْخَالِقُ مِنْ خَلْقِهِ فَإِنَّهُ فِي خَلْقِهِ زَائِدَةٌ
 أَغْدَى دَجَاجًا عِنْدَهُ بَخْلُهُ وَلَوْ تِلْكَ الشَّيْمَةُ الْجَاجِدَةُ
 فَاصْبَحْتُ عَشْرُ دَجَاجَاتِهِ تَبِيضُ فِيمَا بَيْنَهَا وَاحِدَةٌ
 وَصَارَ لَا يَغْلِفُهَا ذَرَّةً تُغْلَمُ إِلَّا فَضْلَةُ الْمَائِدَةِ
 لَا تَخُلُ مِنْ أَمْثَالِهِ حُفْرَةٌ وَلَا تَقُمُ عَنْ مِثْلِهِ وَالِدَةٌ

١٢٠ صوت وصورة

وقال في «وحيده» المغنية:

يا خليلي تيمّنتني «وحيده» ففؤادي بها معنّى عميد

عميد: مريض

غادة زانها من الغصن قد ومن الطبي مقلتان وحيده
وزهاها من فرعها ومن الخد - ين ذاك السواد والتوريد
أوقد الحسن ناره من وحيده فوق خد ما شأنه تخديده

تخديده: هزال

فهني برد بخدها وسلام وهي للعاشقين جهد جهيد
لم تضر قط وجهها، وهو ماء وتذيب القلوب وهي حديد
النار التي أوقدها الجمال علي خدها لم تؤثر في وجهها مع رقيق كالماء (يصفون الخلقة الجميلة بأنها كثيرة الماء)

ما لما تضطليه من وجنتيها غير ترشاف ريقها تبريد
أيها الناظر إليها! إن ما يصيك من وجنتيها من نار لا يبرده إلا رشف ريقها

مثل ذاك الرضاب أطفأ ذاك ال - وجد لولا الإباء والتضريد
التصريد: التدنيق والتقليل، فهي بخيلة بوصالها

وغرير بحسنها قال: صفها قلت: أمران: هيّن وشديد
غريز: غره حسنها وذهب بعقله

يسهل القول إنها أحسن الأث - باء طراً، ويغسر التّخديد
تجلى لناظرين إليها: فشقي بحسنها وسميد
طبية تسكن القلوب وترعا ها، وقمرية لها تغريد

قمرية: حمامة

تغننى كأنها لا تغنني من سكون الأوصال؛ وهي تجيد
لا تراها هناك تجحظ عين من لك منها، ولا يدّر ويريد
من هذو وليس فيه انقطاع وشجو وما به تبليد

مَدَّ فِي شَأْوِ صَوْتِهَا نَفْسَ كَا فِي كَأَنْفَاسٍ عَاشِقِيهَا مَدِيدُ
وَأَرْقَ الدَّلَالُ وَالْعُنْجُ مِنْهُ وَبَرَاهُ الشُّجَا فَكَأَدَ يَبِيدُ
أرق: جعله رقيقاً

فَتَرَاهُ يَمُوتُ طَوْرًا وَيَحْيَا مُسْتَلَدًّا بِسَيْطُهُ وَالنَّشِيدُ
فِيهِ وَشَيْءٌ، وَفِيهِ حَلْيٌ مِنَ النَّغْمِ مِمَّ مَصُوعٌ يَخْتَالُ فِيهِ الْقَصِيدُ
مَا تُعَاطِي الْقُلُوبَ إِلَّا أَصَابَتْ بِهَوَاهَا مِنْهُنَّ حَيْثُ تُرِيدُ
المعاطاة تكون بكؤوس الخمر، أعطيك وتعطيني، وهي هنا للقلوب

وَتَرُ الْعَزْفَ فِي يَدَيْهَا مُضَاهٍ وَتَرُ الرَّحْفَ؛ فِيهِ سَهْمٌ شَدِيدُ
وَإِذَا أَنْبَضَتْهُ لِلشُّرْبِ يَوْمًا أَبَقْنَ الْقَوْمُ أَنَّهَا سَتَصِيدُ
أنبضت وترها للشرب: جذبت وتر العود لتسمع الشاربين الأنغام... وإنباض الوتر أيضاً هو شد وتر
القوس قبل أن يرمي الرامي الصيد

لِي حَيْثُ انصَرَفْتُ عَنْهَا رَفِيقُ مِنْ هَوَاهَا، وَحَيْثُ حَلَّتْ قَعِيدُ
بعد انصرافي يظل حبيها رفيق دربي

عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَقَدْ أ مِي وَخَلْفِي، فَأَيْنَ عَنْهُ أَحِيدُ؟
لَيْتَ شَيْئِي، إِذَا أَدَامَ إِلَيْهَا كَرَّةَ الطَّرْفِ مُبْدِيٌّ وَمُعِيدُ،
أَهْيَ شَيْءٌ لَا تَسْلُمُ الْعَيْنُ مِنْهُ أَمْ لَهَا كُلُّ سَاعَةٍ تَجْدِيدُ؟

١٢١ بلدي يذكّرني بشبابي

وقال في بعض أسفاره يذكر بغداد:

بَلَدٌ صَحِبْتُ بِهِ الشَّبِيَّةَ وَالصَّبَا وَلَبِسْتُ فِيهِ الْعِشَّ وَهُوَ جَدِيدُ
فَلِذَا تَمَثَّلَ فِي الضَّمِيرِ رَأْيُهُ وَعَلَيْهِ أَفْنَانُ الشَّبَابِ تَمِيدُ

١٢٢ عاقبة الإهمال

قال أبو عثمان الناجم: أنشدت ابن الرومي أبيات أبي مسلم صاحب الدولة فزاد فيها:

وَمَنْ رَعَى غَنَمًا فِي أَرْضٍ مَسْبُوعَةٍ وَنَامَ عَنْهَا، تَوَلَّى رَغَبِهَا الْأَسَدُ
تسويد أ. عبد الرحيم

١٢٣ جزر بغير مد

وقال في إسماعيل بن بلبل:

كَأَنَّ اللَّهَ خَيْرُهُ السَّجَايَا فَكَانَ مِنَ الرَّجَالِ كَمَا يَوَدُّ
ينسب إلى حسان بن ثابت قوله في صفة الرسول: (وأحسن منك لم تر قط عيني/ وأجمل منك لم
تلد النساء// خلقت مبرأ من كل عيب/ كأنك قد خلقت كما تشاء)

لَهُ خُلُقَانٍ مِنْ بَأْسٍ وَجُودٍ يَسُوسُ كِلَيْهِمَا الرَّأْيُ الْأَسَدُ
يَحُلُّ عَلَيْهِ بِالرَّغَائِبِ وَقَدْ، وَيَرْحَلُ بِالرَّغَائِبِ عَنْهُ وَقَدْ

الغائب: العطايا

فَتَى سَهَلَتْ مَحَافِرُهُ لِعَيْرِي وَمَحْفَرُهُ لَدَيَّ الدَّهْرَ صَلْدُ
محافره: أمكنة الحفر فيه، فالرجل مثل منجم ذهب، والناس يحفرون في أماكن سهلة منه، وابن
الرومي قاعد يحفر في مكان صلد صلب

خَلَا وَغَدٍ مَدَدْتُ إِلَيْهِ عَيْنِي فَأَعْرَضَ دُونَهُ مَظِلُّ يُمَدُّ
فَتَى شَيْبَانٍ! لِمَ أَعْمَلْتُ مَظْلِي بِلَا حَدٍّ، وَلِلْأَعْمَارِ حَدٌّ؟
يُحَدِّثُنِي بِجُودِكَ كُلُّ رَكْبٍ وَكُلُّهُمْ بِشِعْرِي فِيكَ يَشْدُو
صَدَدْتُ وَمَا تَقَدَّمَ مِنْكَ عَظْفٌ وَلَيْسَ يَكُونُ قَبْلَ الْعَظْفِ صَدُّ
جَزَزْتُ وَمَا تَقَدَّمَ مِنْكَ مَدُّ وَقَدْ مَا كَانَ قَبْلَ الْجَزْرِ مَدُّ

١٢٤ يا منتهى أُملي

بَاتَ يَدْعُو الْوَاحِدَ الصَّمَدَا فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ مُنْفَرِدَا
خَادِمٌ لَمْ تُبْقِ خِدْمَتُهُ مِنْهُ لَا رُوحاً وَلَا جَسَدَا
قَدْ جَفَّتْ عَيْنَاهُ غَمُضُهُمَا وَالْحَلِيُّ الْقَلْبِ قَدْ رَقَدَا
فِي حَشَاهُ مِنْ مَخَافَتِهِ حُرُقَاتٌ تَلْدَعُ الْكَبِدَا
قَائِلٌ: يَا مُنْتَهَى أُمْلِي نَجِّنِي مِمَّا أَخَافُ عَدَا

١٢٥ مشغول عن صفعه

وقال يهجو أبا حفص الوراق:

قالوا: هجاءك أبو حفص، فقلت لهم: اسْتَبْطَأْتُ هَامَةً الصَّفْعَانِ عَادَتَهَا

هامة: رأس، الصفعان: الذي يُصنع كثيراً

فَأَبْلِغُوهَا سَلَامِي، لَا عَدِمْتُكُمْ، وَاسْتَظْظَرُوهَا، سَأَعْطِيهَا إِرَادَتَهَا
استظروها: اطلبوا منها أن تنتظر

لولا النبيذُ وأشغالُ شُغِلْتُ بِهَا إِذْنُ لِمَا أَغْفَلْتُ كَفِّي عِبَادَتَهَا

١٢٦ ستنساه

وقال يعزي القاسم عن مولود له:

غَدَا الْمَوْتُ وَالسُّلُوءَانُ حَتْمًا عَلَى الْوَرَى كِلَا ذَا وَهَذَا لِلْفَرِيقَيْنِ رَاصِدُ
فَلَا تَجْعَلَنَّ الْمَوْتَ نُكْرًا، فَإِنَّمَا حَيَاةُ الْفَتَى سَيْرٌ إِلَى الْمَوْتِ قَاصِدُ
السير القاصد: السير السهل

وَلَا تَحْسَبَنَّ الْحُزْنَ يَبْقَى، فَإِنَّهُ شَهَابٌ حَرِيقٍ وَاقِدٌ ثُمَّ خَامِدُ
سَتَأْلَفُ فِقْدَانِ الَّذِي قَدْ فَقَدْتَهُ كِلَا فِكَ وَجَدَانِ الَّذِي أَنْتَ وَاجِدُ
تسويد أ. عبد الرحيم

١٢٧ ثانية.. الخضاب حداداً

وقال يعتذر عن الخضاب:

لَمْ أَخْضِبِ الشَّيْبَ لِلْغَوَانِي أَبْغِي بِهِ عِنْدَهَا وَدَادَا
لَكِنْ خَضَابِي عَلَى شَبَابِي لَيْسَتْ مِنْ بَعْدِهِ حَدَادَا

١٢٨ هجاء أب

وقال يهجو أباه، ولعله قالها وهو صغير في أخيه الأكبر وكان يعده والدًا:
لَوْ كَانَ مِثْلَكَ فِي زَمَانِ مُحَمَّدٍ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ بِرُّ الْوَالِدِ

١٢٩ الإخوة الأعداء

وَإِخْوَانٍ تَخَذْتُهُمْ دُرُوعًا فَكَأَنَّهُمْ، وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي
وَحَلَلْتُهُمْ سِيَهَامًا صَائِبَاتٍ فَكَأَنَّهُمْ، وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي
وَقَالُوا: قَدْ صَفَّتْ مِنَّا قُلُوبٌ لَقَدْ صَدَّقُوا، وَلَكِنْ مِنْ وَدَادِي

١٣٠ إياك إياك

وقال في القاسم بن عبيد الله:

لا تُسَلِّمَنِّي إِلَى الزَّمانِ، وقد أَنْقَذْتَنِي مِنْهُ أَيَّما نَقَذِ
لا تَحْقِرْنِي، فَرَبِّما نَفَذْتَ فِي هَذِهِ يَأْجُوجَ حِيلَةُ الْجُرَذِ
يأجوج: يعني به ذلك السد العظيم الذي قيل بناه الإسكندر، وقيل بل هو سور الصين العظيم
يَا آلَ وَهْبٍ! غَدًا عَدُوُّكُمْ مُفْتَرَسَ السُّلُو، غَيْرَ مُنْتَقَذِ
السلو: مفرد أشلاء

فَلَا يُقَطِّعْ جَفَاؤُكُمْ كَيْدِي فحُبُّكُمْ بَيْنَ تِلْكَمُ الْفِلَذِ
الفلذ: فصوص الكبد، والكبد ذات فصوص

١٣١ سقياً لأيام مضت

بَانَ الشَّبَابُ فَلَا يَدُّ نَحْوِي، وَلَا عَيْنٌ، تَشِيرُ
وَلَقَدْ أَسْرَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَ فِقْلَبِي الْيَوْمَ الْأَسِيرُ
سَقِيّاً لَأَيَّامٍ مَضَّتْ وَطَوَّلُهَا عِنْدِي قَصِيرُ
أَيَّامَ لِي بَيْنَ الْكُؤَا عِبَ رَوْضَةً فِيهَا غَدِيرُ

١٣٢ قليل لا أرضاه

تَرَبَّصْتُ بِي رَبِّبَ الْمَنُونِ تَجَرَّنِي عَلَى مَطْلِكِ الْمَدُودِ عَصراً إِلَى عَصْرِ
وَأَعْطَيْتَنِي زَادَ الْمَسَافِرِ عَالِماً بِقِلَّةِ مَا أَبْقَى مِطَالِكَ مِنْ عُمرِي
وَمِثْلُ امْرِئٍ أَفْنَى مِطَالِكَ عُمرُهُ كَفَاءَ لَعُمْرِي مِثْلُ نَائِلِكَ النَّزْرِ
النزr: القليل

١٣٣ سيبريه شعري

وقال في محمد بن عبد الله بن طاهر:

مَدَحْتُ أبا الْعَبَّاسِ أَطْلُبُ رِفْدَهُ فَخَيَّبَنِي مِنْ رِفْدِهِ وَهَجَا شِعْرِي
فَهَبَّنِي قَدْ أَغْفَيْتُهُ مِنْ مَثُوبَتِي أَيْغُضِي لِي شِعْرِي عَلَى مَضَضِ الْوُتْرِ؟
مضض الوتر: مرارة النَّارِ

سَيِّبِرِيهِ شِعْرِي، حَسْبَمَا كَانَ رَأْشُهُ، وَلَا خَيْرَ فِي شِعْرِ يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي
المرء يريش السهم (يضع في ذيله الريش) ثم يري رأسه

وإِنِّي عَلِيمٌ أَنَّ قَرْيَ أَدِيمِهِ يَسِيرٌ عَلَيْهِ، مَا عَدَا سَالِمَ الْوَفْرِ
فري أديمه: تشقيق جلده، سالم الوفرة: لم تمس أمواله، فالرجل لثيم لا يهجم الهجاء ما دام ماله
سالمًا

١٣٤ حقق الله الأمانى

وقال يهجو المبرد:

وَدَّ الْمَبْرَدُ أَنَّ اللَّهَ بَدَّلَهُ مِنْ كُلِّ جَارِحَةٍ فِي جِسْمِهِ دُبْرًا
لعل ابن الرومي قالها المبرد بفتح الراء، ولقبه المبرد بكسرهما عند محبيه
فأعطيه يَا إِلَهَ النَّاسِ مُنِيَّتَهُ وَلَا تُبَقِّ لَهُ سَمْعًا وَلَا بَصْرًا

١٣٥ تعبان بلحية غيره

وقال في لحية الليف المعلم:

إِنْ تَطُلْ لِحْيَةً عَلَيْكَ وَتَعْرُضْ فَالْمَخَالِي مَعْرُوفَةٌ لِلْحَبِيرِ
عَلَّقَ اللَّهُ فِي عِذَارِيكَ مِخْلًا وَلَكِنَّهَا بِغَيْرِ شَعِيرِ
عذاريك: خديك، مخلاة: كيس شعير يوضع في رأس الدابة

لَوْ عَدَا حَكْمُهَا إِلَيَّ لَطَارَتْ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ كُلِّ مَطِيرِ
أُرِعَ فِيهَا الْمَوْسَى، فَإِنَّكَ مِنْهَا شَهِدَ اللَّهُ فِي أُنَامٍ كَبِيرِ
أُرِعَ موسى: اجعل الشفرة ترعى

أَيُّمَا كَوْسَجٍ يَرَاهَا فَيَلْقَى رَبَّهُ بَعْدَهَا صَحِيحَ الضَّمِيرِ؟
كوسج: أجرودي لا تنبت له لحية، فالكوسج يعتقد أن الله غير عادل في القسمة عندما يرى لحية
هذا المعلم المهجو

هُوَ أُخْرَى بِأَنْ يَشُكَّ وَيُغْرَى بِأَتَاهِمِ الْحَكِيمِ فِي التَّقْدِيرِ
مَا تَلَقَّاكَ كَوْسَجٌ قَطُّ إِلَّا جَوَّرَ اللَّهُ أَيُّمَا تَجْوِيرِ
البيان السابقان يشرحان ما سبقهما، وإنما أتينا بهما لبيان طريقة ابن الرومي في استقصاء المعنى

لِحْيَةً أَهْمِلْتُ، فَسَالَتْ وَفَاضَتْ فَإِلَيْهَا تُشِيرُ كُفُّ الْمُشِيرِ

مَا رَأَتْهَا عَيْنُ امْرِئٍ، مَا رَأَاهَا قَطُّ، إِلَّا أَهْلًا بِالتَّكْبِيرِ
ما رأتها عين شخص - لم يكن رآها من قبل - إلا قال متعجباً: الله أكبر

رَوْعَةٌ تَسْتَخِفُّهُ لَمْ يُرْغَهَا مِنْ رَأَى وَجْهَ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ
رَوْعَةٌ تَسْتَخِفُّهُ: خشيته تُرَبِّكُهُ

فَاتَّقِ اللَّهَ ذَا الْجَلَالِ، وَغَيِّرْ مُنْكَرًا فَيْكَ مُمَكِّنَ التَّنْغِيرِ
أَوْ فَقْصِرْ مِنْهَا، فَحَسْبُكَ مِنْهَا نِصْفُ شِبْرِ عَلَامَةِ التَّذْكَيرِ
لَوْ رَأَى مِثْلَهَا النَّبِيُّ لِأَجْرَى فِي لِحَى النَّاسِ سُنَّةَ التَّفْصِيرِ
وَاسْتَحَبَّ الْإِخْفَاءَ فِيهِنَّ وَالْحُلَّ قَى مَكَانَ الْإِعْقَاءِ وَالتَّوْفِيرِ

١٣٦ أنا ممدوح وأنت ممدوح فعلام النكد؟

وقال يعاتب محمد بن عبد الله:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي: لِمَ مِطَلَّتْ مَثَوْبَتِي وَلَمْ تُؤْتَ مِنْ بُحْلٍ، وَلَمْ تُؤْتَ مِنْ عُسْرِ؟
إِخَالُكَ إِذْ جَوَّدْتَ فَيْكَ مَدَائِحِي مَنَعَتْ ثَوَابِي حَاسِدًا لِي عَلَى شِعْرِي
أَتَحْسُدُنِي تَجْوِيدَ رَيْطِ نَسَجْتِهِ لَتَلْبَسَهُ؟ يَا لِلْعَجِيبِ مِنَ الْأَمْرِ!
رِيط: ثوب

تَذَكَّرْ - هَذَاكَ اللَّهُ - أَنِّي مَادِحٌ وَأَنْتَ مَمْدُوحٌ، فَلَا تَعْدُ بِي قَدْرِي
يُنَافِسُ فِي الشُّعْرِ النَّظِيرُ نَظِيرَهُ وَجَلَّ مَلُوكُ النَّاسِ عَنْ ذَلِكَ النَّجْرِ
النجر: الصفة

عَلَيْكَ بِأَفْعَالِ الْمَلُوكِ، وَخَلَّنِي وَتَقْرِظْ مَا تَأْتِي مِنَ الْعُرْفِ وَالنُّكْرِ
افعل أفعال الملوك ودعني أقرظ (أمدح) كل أفعالك حتى المنكرة

أَقُولُ، وَتُعْطِي نَائِلًا بَعْدَ نَائِلٍ؛ فَتَعْرِفُ مِنْ بَحْرِ، وَأَقْلَعُ مِنْ صَخْرِ
إِذَا الشَّاعِرُ الرُّومِيُّ أَطْرَى أَمِيرَهُ فَتَاهِيكَ مِنْ مُطْرَى، وَتَاهِيكَ مِنْ مُطْرٍ

١٣٧ القبر خدرًا

وقال يعزي علي بن عبد الله بن المسيب، عن ابنته:

أَخَا ثِقَتِي! أَغَزِرْ عَلَيَّ بِنَوْبَةٍ مَنَّاكَ بِهَا صَرَفَ الْقَضَاءِ الْمُقَدَّرُ

تَعَزَّيْتَ عَمَّنْ أَثْمَرْتِكَ حَيَاتُهُ، وَوَشَّكَ التَّعَزِّيَّ عَنْ ثِمَارِكَ أَجْدَرُ
تَعَذَّرَ أَنْ نَعْتَاضَ مِنْ أُمِّهَاتِنَا وَأَبَائِنَا؛ وَالنَّسْلُ لَا يَتَعَذَّرُ
فَلَا تَهْلِكُنْ حَزْناً عَلَى ابْنَةِ جَنَّةٍ غَدَتْ وَهِيَ عِنْدَ اللَّهِ تُحْبَى وَتُخْبَرُ
تُخْبِرُ: ثَلَبَسَ الثِّيَابَ الْفَاخِرَةَ

لَعَلَّ الَّذِي أَعْطَاكَ سِتْرَ حَيَاتِهَا كَسَاهَا مِنَ اللَّحْدِ الَّذِي هُوَ أَسْتَرُ
وَفِي الْمَاءِ ظَهَرَ لَيْسَ فِي الظُّهْرِ مِثْلُهُ، وَلِلتُّرْبِ أَحْيَاناً مِنَ الْمَاءِ أَظْهَرُ
وَلَيْسَ بِمَأْمُونٍ عَلَيْهَا عِثَارُهَا مَدَى الدَّهْرِ، أَوْ يُقْضَى عَلَيْهَا وَتُقْبَرُ
كَادَ أَنْ يَجْعَلَهَا زَانِيَةً لِحَاءِ اللَّهِ

١٣٨ دجاجة من ذهب

عُظِّمَتْ فَكَادَتْ أَنْ تَكُونَ إِوْرَةً وَنَوَتْ فَكَادَ إِهَابُهَا يَتَفَطَّرُ
كبرت هذه الدجاجة فكادت أن تكون إوزة، وعقدت النية حقاً على أن تكون إوزة فكاد إهابها
(جلدها) يتفطر (يتشقق)

ظَلْنَا نُقَشِّرُ جِلْدَهَا عَنْ لَحْمِهَا وَكَأَنَّ تَبْرَأَ عَنْ لَجِينٍ يُقَشِّرُ
الجلد مشوي ذهبي اللون، وعندما يقشر يظهر تحته لحم الدجاجة الأبيض كاللجين (الفضة)
وَتَقَدَّمَتْهَا قَبْلَ ذَلِكَ ثَرَائِدٌ مِثْلُ الرِّيَاضِ، بِمِثْلِهِنَّ يَصْدَرُ
وَأَنْتِ قَطَائِفٌ بَعْدَ ذَلِكَ لَطَائِفٌ تَرْضَى إِلَهَاءُ بِهَا، وَيَرْضَى الْحُنْجَرُ
اللاهة: اللحمة في أقصى الحلق

مِنْ مَالٍ ذِي فَخْرٍ كَأَنَّ بَنَانَهُ خُلِجُ الْفُرَاتِ إِذَا غَدَتْ تَتَفَجَّرُ
الخلج: الترع المشتقة من النهر الكبير

شَمْسٌ يَحْفُتُ يَمِينَهَا وَشِمَالَهَا بَدْرُ السَّمَاءِ وَمُشْتَرِبُهَا الْأَزْهَرُ
لِلْوَ دُرُّهُمْ، ثَلَاثَةُ إِخْوَةٍ حَسُنَتْ مَنَاطِرُهُمْ وَطَابَ الْمَخْبَرُ
وَأَقُولُ بَعْدَ مَدِيحِهِمْ مُسْتَعْتَباً: مَا لِللُّوْقَاءِ مِنَ الْكِرَامِ يُؤَخَّرُ؟
قَدْ جَاءَكُمْ تَمَرٌ، وَأَوْجِبَ قِسْمَهُ قُرْبُ الْمَصِيفِ، فَمَا لَنَا لَا نَتَمَرُّ؟

١٣٩ زاد المسافر

إِذَا اخْتَطَّ قَوْمٌ خُطَّةً لِمَدِينَةٍ تَقَاضَتْهُمْ أَضْعَافُهَا لِلْمَقَابِرِ

وفي ذاك ما ينهأهم أن يُشيدوا وأن يفتنوا إلا كزاد المسافر

١٤٠ رحمة للعباد

أحلّ العراقيّ النّبيدَ وشُرْبَه وقال: الحرامانِ المُدَامَةُ والسُّكْرُ
وقال الحجازيّ: الشّرّابانِ واحدٌ فحلّت لنا بين اختلافهما الخمرُ

١٤١ اعتمد على أيهما شئت

قال يستطى لحظة:

أبا حسنٍ إن حبلَ المطا لٍ إن مُدَّ كان بلا آخرٍ
فإمّا اضْطَنَعْتَ إلى شاكِرٍ وإمّا اعتذرتَ إلى عاذِرٍ
اصطنعت: صنعت معروفاً

١٤٢ فتى البصرة

وقال في ابن أبي قرة:

أبو عَلِيٍّ بنُ أَبِي قُرَّةَ أبو عَيِّي بنُ أَبِي عُرَّةَ
عي: ألكن غير فصيح، عرة: عار

نُبِّئْتُ عن شَيْخَتِهِ أَنَّهَا تَفْعَلُ مَا لَا تَفْعَلُ الْخُرَّةُ
شيخته: أمه

تلك التي صادفها بعُلْها عذراء لا شكّ من السُّرَّةِ
يهزأ، كانت عذراء مقفلة.. لكن من سرتها لا من موضع آخر

لم يشهد الفتح، ولا سيّلت طعنْتُه من دمها قَظَرَةَ
أبو المهجو لا فتح ولا أسال دماً

ظَهَّرَنِي اللَّهُ كَتَطْهِيرِهِ، ليلة زُفَّتْ، من دم العُذْرَةِ
وقام أبوه من ليلته الأولى طاهراً من دم العذرة (البكارة)، لأنه لم يتزوج بكراً. وسخرية شاعرنا
تجلى في قوله (طهرني الله كطهيره)

وابنُهما النُّغْلُ يَرَى أَنَّهُ، في الظَّرْفِ والعِلْمِ، فتى البَصْرَةِ
النغل: ولد الزنا

١٤٣ الأمير الشاعر

وقال في ابن أبي طاهر:

فقدْتُكَ يا ابنَ أبي طاهرٍ وأُطْعِمْتُ تُكْلِكَ من شاعِرٍ
فقدتك: علمتك، وأطعمني الله تكلك (حباني الله بموتك)

فَلَسْتُ بِسُحْنٍ ولا باردٍ؛ وما بينَ ذَيْنِ سوى الفاتِرِ
وليس بين هذين سوى الفاتر، والفاتر يوصف عادة بأنه أسوأ من الحار ومن البارد

رَأَيْتُكَ تَنْبَحُنِي سَادِرًا كَفَعْلِكَ بالقمرِ الباهرِ
سادرًا: مندفعاً

وما زالَ ذلكَ دأبَ الكلابِ، وما ذاكَ ليلدِرِ بالضَّائرِ

١٤٤ لم أكن من جناتها علم الله

رَأَيْتُ جُنَاةَ الحربِ غيرَ كُفَاتِهَا إذا اخْتَلَفْتُ فيها الرِّمَاحُ الشَّوَاجِرُ
جناة الحرب: مسبيوها، كفاتها: من يقومون بها ويكونون أكفاء لها، الرماح الشواجر: المتشابهة

كَذَاكَ زَنَادُ النَّارِ عنها بِنَجْوَةٍ وَلَكِنَّمَا تَصَلَّى صَلَاحًا الْمَسَاعِرُ
زناد النار: حجر القدح، بنجوة: بعيداً ناجياً، المساعر: الحوادث التي يحركون بها الجمر
ليزداد اضطراباً. يقول: حجر القدح بعيد عن النار مع أنه سبب اشتعالها، ولكن قضيب
تحريك الجمر يصلى بها مع أنه ليس الذي أشعلها/ تسويد البيتين: أ. عبد الرحيم

١٤٥ العنب الرازقي

ورازِقِي مُخْطَفِ الْخُصُورِ

ضرب من العنب الأبيض، حبه مخصورة من وسطها

كَأَنَّهُ مَخَازِنُ الْبَلُورِ

قَدْ ضُمِّنَتْ مِسْكَاً إِلَى الشُّطُورِ

حباته تتضمن المسك إلى الشطور (إلى منتصفها) ذلك أن لون الجزء السفلي من العنب داكن

وفي الأَعَالِي مَاءٌ وَرَدٍ جُورِي

وفي أعلى العنب لون فاتح كلون ماء الورد

لَمْ يُبْقِ مِنْهُ وَهْجُ الْحَرُورِ

إِلَّا ضِيَاءٌ فِي ظُرُوفِ نُورِ

لو أنه يَبْقَى على الدُّمُورِ
لو هذا العنب يبقى على حاله زمناً طويلاً ولا يتلف ..

قَرَّطَ آذَانَ الْجِسَانِ الْحُورِ
.. لأنَّه أخذت منه أقراط لآذان الحسان

له مَذَاقُ الْعَسَلِ الْمَشُورِ
المشور: المجني من خلاياه

وَنَكْهَةُ الْمِسْكِ مَعَ الْكَافُورِ
بَاكَرْتُهُ وَالطَّيْرُ فِي الْوُكُورِ
بِفَتْحَةٍ مِنْ وَلَدِ الْمَنْصُورِ
خرج باكراً مع أصحابه والطيور بعد في أوكارها
أَمَلًا لِلْعَيْنِ مِنَ الْبُدُورِ
أصحابه يملأون العين بشبابهم وجمالهم

حَتَّى أَتَيْنَا خَيْمَةَ النَّاطُورِ
قَبْلَ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ لِلذُّرُورِ
الذُرُور: بروز قرص الشمس

فَنَبِلْتُ الْأَوْطَارُ فِي سُرُورِ
وَكُلُّ مَا نَقْضِي مِنَ الْأُمُورِ
نَمِلَّةٌ عَنْ يَوْمِنَا الْمَنْظُورِ
وَمَتَمَّةٌ مِنْ مُنَعِ الْغُرُورِ

كل ما نفعل تَعْلَةً (حيلة نتلهم بها) ونحن نحاول نسيان يومنا المنظور (الموت) ونَغْرُ
أنفسنا بالمتع الصغيرة. وإذا قرأتها الغُرُور بفتح الغين فهذه القراءة المشهورة للآية،
ومعنى الغرور فيما زعم أهل التفسير: الشيطان

١٤٦ أمان من الدهر

وقال في علي بن يحيى المنجم:

قرأتُ على أهلي كتابَكَ إذ أتى وقلتُ لَهُمْ: هذا أمانٌ من الدهرِ

فَكُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ إِذَا خَافَ دَهْرَهُ مُعَوَّلُهُ ضَمُّ الْكِتَابِ إِلَى الصَّدْرِ
معوله (ملجأه)

أَذْكُرُكَ الْوَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا وَمَا مَرَّ مِنْ يَوْمٍ عَلَيْهِ وَمِنْ شَهْرِ
وَقَطْرَةَ غَيْثٍ كُنْتَ أَنْبَأْتَ أَنَّهَا سَيَتَّبِعُهَا قَطَرٌ مُلِثٌ عَلَى قَطْرِ
قطر ملث: مطر متواصل

١٤٧ الطبيعة متبرجة

أَصْبَحَتِ الدُّنْيَا تَرَوْقُ مِنْ نَظَرُ
بِمَنْظَرٍ فِيهِ جَلَاءٌ لِلْبَصَرِ
جلاء: صقل

تَبَرَّجَتْ بَعْدَ حَيَاءٍ وَخَفَرُ
تَبَرَّجُ الْإِنْثَى تَصَدَّتْ لِلذَّكْرِ

١٤٨ طيلسان بقدره الله

يَا ابْنَ حَرْبٍ كَسَوْتَنِي طَيْلَسَانًا حَمَلُهُ لَاسِمِهِ كَثِيرٌ كَثِيرُ
يَتَجَلَّى تَنْسَمُ الرِّيحُ مِنْ غَا يَهْ تَسْعِينَ فَرَسَخًا فَيَطِيرُ
يتجلى: بمعنى يحس بالريح الخفيفة عن بعد تسعين فرسخاً (٩٠ × ٨ = ٧٢٠ كيلومتراً) فيطير لرقته
إِنْ مِنْ يُمْسِكُ السَّمَاءَ عَلَى الْأَر ضٍ وَبَاقِي حَوْبَائِهِ لَقَدِيرُ
الذي يمسك السماء فوق الأرض، ويمسك ما تبقى من حوباء (روح) هذا الرداء، هو قدِير حقاً

١٤٩ شمس وقمر

لَا شَيْءَ إِلَّا فِيهَا مِنْهُ أَحْسَنُهُ فَأَيْنَ يُضَرَّفُ عَنْهَا الْقَلْبُ وَالنَّظَرُ
مَا كَانَ ضَرَّ سَمَاءٍ تَسْتَظِلُّ بِهَا لَوْ أَمَحَى نِيرَآهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

١٥٠ انتفها نتفاً

وقال في لحيه الليف:

إِنْ أَنْتَ صَادَفْتَ أَخَا لِحْيَةٍ قَدْ جَلَّلْتَ مِنْ كِبَرٍ صَدْرَهُ

فَاقْبِضْ بِبُسْرَاكَ عَلَى أَصْلِهَا وَضَعْ عَلَى خُلُقُومِهِ الشَّفْرَةَ
فَإِنْ خَشِيتَ اللَّهَ فِي قَتْلِهِ وَخِفْتَ مِنْهُ سَطْوَةَ مُرَّةٍ
خِفْتَ مِنْهُ: خِفْتَ مِنْ اللَّهِ

فَتِيبْ إِلَى عُثْنُونِهِ نَائِفًا فَأَتِ عَلَيْهِ شَعْرَةَ شَفْرَةٍ
ثِب: اقْفِزْ، عُثْنُونُهُ: لَحِيَّتُهُ

١٥١ قيمة الشعر عند عارفيه

وقال في أبي العباس بن ثوابة، وقد نالته علة من برد:

مَا أَنْتَ وَالْبَرْدُ، يَا مِنْ كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْ جَسَمِهِ ذَاتُ نِيرَانٍ وَأَنْوَارٍ
أُبَشِّرْ فَإِنَّكَ طَوْدُ اللَّهِ أَسْسَهُ وَشَادَ مِنْهُ بِنَاءٌ غَيْرَ مُنْهَارٍ
طود: جبل

وَلَيْسَ يَضْلُحُ لِمُتَصَلِّحٍ مَمْلَكَةٍ غَيْرُ امْرِئٍ نَافِعٍ بِالْحَقِّ ضَرَّارٍ
لَنْ سَبَقَتْ إِلَيَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ لَقَدْ سَبَقَتْ إِلَيَّ سُكْرِي وَأَشْعَارِي
أَبْكَرْتُ فَاضْطَدَّنِي، وَالْقَوْمُ فِي سِنَةٍ وَصَاحِبُ الصَّيْدِ قَدْ مَأْ كُلُّ مَبْكَارٍ
أَنْتَ الَّذِي صَانَ لِي عَرْضِي وَمَسْأَلَتِي عَنْ كُلِّ كَلْبٍ عَلَى الْأَحْرَارِ هَرَّارٍ
وَمُسْتَخِفٌّ بِقَدْرِ الشَّعْرِ قُلْتُ لَهُ: لَنْ يَنْفُقَ الْعِطْرُ إِلَّا عِنْدَ مِعْطَارٍ
معطار: معطير، رجل يحب العطر ويعرف قيمته

لَا تُصْفِرِ الشَّعَرَ إِنْ أَضْفَرْتَ قَائِلَهُ فَإِنَّهُ غَيْرُ مُحَقَّقٍ بِإِصْفَارٍ
أَمَا تَرَى الْمِسْكَ بَيْنَاهُ عَلَى حَجَرٍ يُذِلُّهُ كُلُّ ذُلٍّ فَهَرُّ عَطَّارٍ
فهر: حجر، فهم يدقون المسك كي تفوح رائحته

إِذْ بَلَغَتْهُ صُرُوفُ الدَّهْرِ غَايَتَهُ فَاحْتَلَّ مَنْزِلَهُ مِنْ رَأْسِ جَبَّارٍ
أَبْنِي الْبَدِيعِ وَأَهْدِيهِ إِلَى مَلِكٍ يَبْنِي الرَّفِيعَ، وَمَا يَبْنِي بِأَحْجَارٍ

١٥٢ الشعر شوك وثمر

وقال في وصف الشعر:

قُولَا لِمَنْ عَابَ شِعْرَ مَا دَحِهَ أَمَا تَرَى كَيْفَ رُكِّبَ الشَّجَرُ؟

رُكِبَ فِيهِ اللَّحَاءُ وَالْخَشْبُ الـ
وَكُنْ أَوْلَىٰ بِأَنْ يُهَذَّبَ مَا
فَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ، بَلْ سِوَاهُ مِنَ الـ
وَاللَّهُ أَذْرَىٰ بِمَا يُدَبِّرُهُ
فَلْيَعْذِرِ النَّاسُ مِنْ أَسَاءَ، وَمِنْ
مَطْلَبِهِ كَالْمَعَاصِي فِي دَرْكِ الـ
وَلْيَذْكُرُوا أَنَّهُ يُكَذِّلُ الـ
وَفِيهِ مَا يَأْخُذُ التَّخَيُّرُ مِنْ
وَلَيْسَ بَدَلًا لِمَنْ يَغْوِصُ مِنَ الـ

هذه نظريتك يا ابن الرومي في الشعر! الشعر فيه الخشب اليابس وفيه الشمر.
وقصيدتك هذه خالفت نظريتك، فقد جئنا نتخير منها شيئاً وتركنا شيئاً فإذا هي ثمرة
بائعة ليس فيها بيت رديء. وجئنا نشرح العويص فما وجدنا عويصاً. هذه بيضة
ديكك في هذا الشأن

١٥٣ الحقد بالحق

حَقَدْتُ عَلَيْكَ ذَنْبًا بَعْدَ ذَنْبٍ وَلَوْ أَحْسَنْتَ كَانَ الْحَقْدُ شُكْرًا
أَدِيمِي مِنْ أَوَّيْمِ الْأَرْضِ، فَاعْلَمْ، أَسِيءُ الرَّيْعَ حِينَ تُسِيءُ بَذْرًا
الريع: المحصول

وَلَمْ تَكُنْ، يَا لَكَ الْخَيْرَاتُ، أَرْضُ لِتُزْرَعَ خَرْبِقًا فَتُرِيْعَ بُرًّا
لم تكن (لم توجد) أرض تزرع خربقاً (الخربق نبات سام) فتعطي قمحاً

أَوْدِي إِنْ فَعَلْتَ الْخَيْرَ خَيْرًا إِلَيْكَ، وَإِنْ فَعَلْتَ الشَّرَّ شَرًّا
وَلَسْتُ مُكَافِئًا بِالتُّكْرِ عُرْفًا وَلَسْتُ مُكَافِئًا بِالْعُرْفِ نُكْرًا
يُسَمَّى الْحَقْدُ غَيْبًا، وَهُوَ مَذْحُ؛ كَمَا يَدْعُونَ حُلُوَ الْحَقِّ مُرًّا

١٥٤ اشتعال الرأس

أَوَّلُ بَدَأِ الْمَشِيبِ وَاحِدَةً تُشْعَلُ مَا جَاوَرَتْ مِنَ الشَّعْرِ
مِثْلَ الْحَرِيقِ الْعَظِيمِ تَبْدَأُهُ أَوَّلَ صَوْلِ صَغِيرَةِ الشَّرَرِ

الصول: الهجوم

١٥٥ وحدي مرتاح

ذَقْتُ الطَّعُومَ فَمَا التَّدَذُّتُ كَرَّاحَةٍ مِنْ صُحْبَةِ الْأَشْرَارِ وَالْأَخْيَارِ
سمعت عن سيدة في مصر عافت البشر فهي تعود من شغلها وتنام بقية نهارها، وتنصحو في جوف الليل لتعيش.. وحدها

أَرْنِي الَّذِي عَاشَرْتَهُ فَوَجَدْتَهُ مُتَغَاضِيًا لَكَ عَنْ أَقْلٍ عِثَارِ
أَحِبُّ قَوْمًا لَمْ يُحِبُّوا رَبَّهُمْ إِلَّا لِفِرْدَوْسٍ لَدَيْهِ وَنَارٍ؟

١٥٦ لتكن مشهوراً، لتكن خالداً

ثَنَى شَوْقُهُ، وَالْمَرْءُ يَصْحُو وَيَسْكُرُ، رُسُومٌ كَأَخْلَاقِ الصَّحَائِفِ دُثُرُ
الذي خفف من اشتياقه إنما كان زيارته لرسوم (الأطلال) المحبوبة التي هي كأخلاق الصحائف (كالأوراق الممزقة) دثر (مندثرة)

لَأَيْدِي الْبَلَى فِيهَا سَطُورٌ مُبِينَةٌ عِبَارَتُهَا: أَنْ كُلَّ بَيْتٍ سَيُهْجَرُ
البلى: الاهتراء

مَعَاهِدُ رَّبْعٍ كُنْتُ أَلْفَ أَهْلِهِ تَغَيَّرَ بَعْدِي، وَالْأُمُورُ تَغَيَّرُ
وَقَفْتُ بِهَا صَحْبِي، فَظَلَّتْ عِرَاضُهُ بِدَمْعِي وَأَنْفَاسِي تُرَاحُ وَتُمْطَرُ
أوقفت صحتي بالمعاهد (الديار التي كنا نعهدها) فظلت عراض الربع (ساحاته) تراح بأنفاسي (يأتيها ريح من أنفاسي)، وتمطر بدمعي

سَلَامٌ عَلَى الْأَيَّامِ إِذْ أَنَا سَلَمُهَا وَإِذْ أَنْتَ مِنِّي، أَيُّهَا الرَّبْعُ، مُعَمَّرُ
وَإِذْ فِيكَ أَمْثَالُ الطُّبَّاءِ مَلَاخَةٌ وَنَفْرًا عَنِ الْفَحْشَاءِ، بَلْ هُنَّ أَنْفَرُ
كُسِينِ لَبُوسِ الْحُسْنِ مِنْ كُلِّ غَادَةٍ لَهَا خُلُقٌ عَفٌّ، وَخُلُقٌ مُصَوَّرُ
تَقَسَّمَهَا نِصْفَانِ: نِصْفٌ مَوْتٌ وَنِصْفٌ كَخُوطِ الْخَيْرِ زَانٍ مُذَكَّرُ
الخطوط: الفصن. يحبون المرأة المؤنثة من تحت: الكبيرة العجيذة، والمذكورة من فوق: النحيلة
الخصر وما فوق الخصر، وربما أجبوها غلامية تشبه في قدامها الغلام

إِذَا هِيَ عَيِيَتْ، عَابَهَا أَنْ طَرَفَهَا يُرِيْقُ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ فَتُهْدَرُ
سَقَى اللَّهُ رِيْعَانَ الشَّبَابِ، وَإِنْ عَدَا يُخَوِّنُ فِي إِخْوَانِهِ وَيُعَدَّرُ
يخون: يتهم بالخيانة، يعدر: يتهم بالغدر

تَذَكَّرْتُهُ وَالشَّيْبُ قَدْ حَالَ دُونَهُ فَظَلَّتْ بَنَاتُ الْعَيْنِ مِنِّي تَحَدَّرُ

أَنَا ابْنُ ذَوِي التَّيْجَانِ غَيْرِ مُدَافِعٍ وَهَلْ يُدْفَعُ الصُّبْحُ الْأَعْرُ الْمَشْهُرُ

غير مدافع: غير منازع، لا يشكك أحد في اتسايي إليهم

نَمَتْنِي مَلُوكُ الرُّومِ فِي رَأْسِي بِادْخٍ مِنْ الْمَجْدِ يَعْلَمُو كُلَّ مَجْدٍ وَيَقْهَرُ

نمتني: نسبتني إليها، بادخ: جبل عال

فَقُلْ لِلَّذِي يَسْمُو إِلَيَّ مُنَاوِئًا: هُنَالِكَ أَسْهَلُ، إِنَّ مَرْفَاكَ أَوْعَرُ

أسهل: ابق في السهل فمرفاك وعر (صعودك صعب)

فَمَا أَسَدُ جَهْمُ الْمُحَيَّا شَتِيمُهُ قُصَاقِصَةٌ وَرَدُ السَّبَالِ غَضَنْفَرُ

جهم المحيا (الوجه) وشتيمة: عبوسه، قصاقصة: القصاص الأسد، ورد السبال: محمر الشعر

مَمَيَّ بِأَسْمَاءٍ، فَمِنْهُمْ ضَيَّعُمُ وَمِنْهُمْ ضِرْعَامُ، وَمِنْهُمْ قَسُورُ

نَظَلُّ لَهُ غُلْبُ الْأَسُودِ خَوَاضِعًا ضَوَارِبَ بِالْأَذْقَانِ حِينَ يُزْمَجِرُ

الغلب: غلاظ الرقاب

يَرَاهُ سُرَاةَ اللَّيْلِ، وَالذَّوْ دَوْنَهُ، قَرِيبًا بِأَدْنَى مَسْمَعٍ حِينَ يَزْأَرُ

يراه (يظنه) الماشون في الليل قريباً منهم، رغم أن بينهم وبينه الدو (الخلا)، وذلك لضخامة صوته

يُدِيرُ، إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ، حِجَاغُهُ شِهَابٌ لَطْفَى يَعْشَى لَهُ الْمُتَنَوِّرُ

يدير حجاجه (أي فتحة عينه) يدير بداخله عيناً كأنها شهاب نار يعشى ويحسر بسببه بصر المتنور (المتطلع إلى النار)

بِأَرْبَى عَلَى الْأَقْرَانِ مِنِّي صَوْلَةٌ وَقَدْ أَنْذَرَ التَّجْرِبُ مِنْ كَانَ يُنْذَرُ

ليس هذا الأسد الموصوف في الآيات الخمسة المنصرمة بأربى (أقدر) مني في الصولة (الهجوم) على الأقران من الشعراء، وقد أَعذر من أنذر

فَأَنَّى تَعَاوَى لِي الثَّعَالِبُ، وَيَبْهَا، وَقَدْ رَأَتْ الْأَسَادَ مِنِّي تَجَحَّرُ

فكيف تعوي علي الثعالب وبها (الويل لها)، وقد رأت الأسود تدخل جحورها خوفاً مني؟

أَفِي كُلِّ حِينٍ لَا يَزَالُ يَهْيِجُنِي سَفِيهُ لَه فِي اللَّوْمِ قَرْعٌ وَعُنْصُرُ؟

عَفْتُ ذِكْرَهُ أَبَاءَ سُوءٍ أَدَقَّةٌ؛ فَمَاتَ خُمُولًا، غَيْرَ أَنْ لَيْسَ يُقْبَرُ

عفت ذكره (محت سمعته) آباء سوء أدقة (صغار، من الصغار وهو الحفارة)، فهو ميت خمولاً

يَسُومُ هِجَائِي كَيْ يُنَوِّهَ بِاسْمِهِ، وَفِي السَّبِّ ذِكْرٌ لِلَّيْمِ وَمَفْخَرُ

يستدر هجائي له كي يفخر به. وللمتني بيت فاخر في هذا المعنى (سيقوله بعد ستين سنة):
صَغُرْتُ عَنِ الْمَدِيحِ، فَقُلْتُ: أَهْجَى. كَأَنَّكَ مَا صَغُرْتَ عَنِ الْهَجَاءِ

أَخَالِدُ! لَمْ أَتُكِرْ لَكَ التُّكْرَ وَالْحَنَّا، بَلِ الْعُرْفُ مِنْ أَفْعَالٍ مِثْلِكَ مُنْكَرُ

الحننا: الفحش

عَلَى أَتْنِي هَاجِيكَ لَا مَتَكَلِّفَا خَلَا أَنْ تَبَارَا مِنَ الْبَحْرِ يَزْخَرُ
وَلَوْ مَلَكَتْ كَفِّي عَلَى الشُّعْرِ غَرِبُهُ لَكَانَ لَهُ مَعْدَى سِوَاكَ وَمَقْصَرُ

غريبه: حدّه، معدى: بديل، مقصر: انكفاف

أَخَالِدُ مَا أَغْرَاكَ بِي مِنْ عَدَاوَةٍ وَلَا تِرَةٍ، لَوْلَا الشَّقَاءُ الْمُقَدَّرُ
ترة: ثار

حَدَاكَ إِلَيَّ الْحَيْنُ حَتَّى اسْتَثَرْتَنِي عَلَيْكَ، وَإِنِّي فِي عَرِينِي لَمُخْدِرُ
حداك: أتى بك، الحين: الهلاك، مخدر: لازم مكاني

فَدُونَكَ مَا حَاوَلْتَهُ فَبَلَّغْتُهُ؛ وَرَدَّتْ، وَلَكِنْ لَا إِخَالِكَ نَصْدُرُ
دونك: خذ

فَقَدْ كُنْتَ نَسِيًّا لَا تُحَسُّ وَلَا تُرَى زَمَانًا طَوِيلًا، فَاصْبِرِ: الْآنَ تَذَكَّرُ
سَتَرَوِي رَوَاةَ الشُّعْرِ فِيكَ قَصَائِدًا يُغْنَى بِهَا مَا نُودِي: اللَّهُ أَكْبَرُ
تَهْبُ هُبُوبُ الرِّيحِ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ عِبَادِيدَ، مِنْهَا مُنْجِدٌ وَمُغَوَّرُ

الرياح العباديد: المتفرقة في كل اتجاه، منجد: ذاهب في المرتفعات، مغور: ذاهب في الوديان

سَدَاهَا مَخَاذِيكَ الَّتِي قَدْ عَلِمْتَهَا وَلُحْمَتُهَا مِنِّي الْكَلَامُ الْمُحَبَّرُ
السدى: الخيط الممتد طويلاً في الثوب، اللحمة: الخيط الذاهب عرضاً، فثوب الهجاء مكون من مخازي الرجل، ومن كلام ابن الرومي المحبر (المنمق)

قَوَافٍ إِذَا مَرَّتْ بِسَمْعِكَ خِلْتَهَا مَلَاطِيَسَ، تُزْجِيهَا مَجَانِيقُ، تَخْطُرُ
الملاطاس: الحجر الضخم، تزجيها: تدفعها، يقول: أبياتي حجارة منجنيق تخطر، وأخر كلمة تخطر للقاية فيما نحسب، فلا نرى للمجانيق أن تتجول، ونرى ذلك لحجارتها

لَهَا هَزَمَاتٌ فِي الرُّؤُوسِ كَأَنَّهَا رَكَايَا ابْنِ عَادٍ غَوْرُهَا لَيْسَ يُسْبَرُ
هزومات: هدير، ركايَا ابن عاد: آبار من عهد عاد. كأنه تخيل صوت إلقاء حجر في بئر عميقة الغور

وَإِنْ كُنْتُ لَا أَهْجُوكَ إِلَّا كَحَالِمٍ يَرَى مَا يَرَاهُ النَّائِمُونَ فَيَهْجُرُ
يهجر: يقول الهجر وهو الفحش

لَأَنَّكَ مَعْدُومُ الْوُجُودِ، وَإِنَّمَا يُرِيضُكَ ظَنِّي رِيثَمَا أَتَدِيرُ
قَبْلَ أَنْ أَدِيرَ وَجْهِي نَحْوَكَ مِتْكَاسِلًا أَرَاكَ بَعِينَ الذَّهْنَ

فَإِنْ كُنْتَ شَيْئًا ثَابِتًا فَهَبَاءٌ تَضَاعَلُ فِي عَيْنِ الْيَقِينِ وَتَضَعُرُ
وَلِلشَّمِّ فِي أَذْنَى مَخَازِيكَ مَسَبَحٌ طَوِيلُ تُجَارِيهِ الْقَوَافِي فَتُحْسَرُ
تُحْسَرُ: تعجز

بِقَوْدِكَ لِلْعُهَّارِ عِرْسَكَ طَائِعًا كَأَنَّكَ مَضِيئُورٌ عَلَى ذَاكَ مُجْبَرٌ
عرس: زوجة، مصبور: مجبر أن يكون مصيرك كذلك

تَبَيُّتُ قَرِيرَ الْعَيْنِ جَذْلَانِ ضَا حَكَأَ إِذَا هِيَ بَاتَتْ بَيْنَ فَحْلَيْنِ تَشْخُرُ
وَقَفْتُ عَلَى فَيْشِ الرِّزْنَاءِ مَبَالَهَا وَبَيَّتًا قَدِيمًا كَانَ بِالْفِشْقِ يُعَمَّرُ
فَيْش: حشقات الذكور

إِذَا هِيَ بِيَكْتُ بِيَكُ أَجْرَةً بِيَكِهَا أَلَا سَاءَ مَا يُجْزَى عَلَيْهِ وَيُؤْجَرُ
إِذَا فُعِلَ بِهَا يُفَعَّلُ بِزَوْجِهَا الْمَهْجُورِ أَجْرَةً لَهُ عَلَى سَمَاحَةِ زَوْجَتِهِ، فَكَأَنَّهُ مِتْلَهْفٌ عَلَى ذَلِكَ

تَعِيشُ اسْتَهْ فِي فَضْلِ كَعْتَبٍ عَرْسِهِ فَقُبِّحَ مِنْ شَيْخٍ يَعُولُ اسْتَهْ حِرُّ
الكعب، ومثله الحر: ذلك العضو من المرأة

يَسِيبُ قِرَى ضَيْفَانِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ بَغْيِي وَخِنْزِيرٌ وَخَمْرٌ وَمَبْسِيرٌ
إِذَا طَيَّءَ عَدَّتْ بُنَاءً بِنَائِهَا فَحَاتِمُهَا الْبَانِي، وَأَنْتَ الْمُتَبَّرُ
المتبر: المهلك

وَلَوْ قَبِلُوا نُضْحِي لَهُمْ بِقَبُولِهِ لَوَارَوْكَ حَيًّا فَالْثَرَى لَكَ أَسْتَرُ
أَيُّوحِشُهُمْ فَقْدَانُ قِرْدٍ، وَفِيهِمْ بُنَاءُ الْمَعَالِي وَالْعَدِيدُ الْمُجَمَّرُ؟
المجمر: المجتمع

وَلَا أَنْتَ مِمَّنْ يَنْقُصُ الْقَوْمَ فَقْدُهُ وَلَكِنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ فَقْدِكَ أَكْثَرُ
لَوُؤْمْتُ، فَلَوْ كُنْتَ السَّمَاءَ لَأَمْسَكَتْ حَيَاهَا، وَأَمْسَى جَوْهَا وَهُوَ أَغْبَرُ
حياها: مطرها

نَطَفْتُ، فَلَوْ مَا سَسَتْ كَعْبَةً مَكَّةَ بِثَوْبِكَ حَاضَتْ حَيْضَةً لَا تَطْهَرُ
نطفت: كنت قدراً

قُبِحتْ، فَجَاوَزَتْ الْمَدَى قُبْحَ مَنْظِرٍ وِيا حُسْنَهُ مِنْ مَنَظَرٍ حِينَ تُخْبِرُ
نَشَرْتُكَ مِنْ مَوْتِ الْخُمُولِ بِقَدَرَةٍ لِمَا هُوَ أَدْمَى - لَوْ عَلِمْتَ - وَأَنْكَرُ
النشور: الحياة بعد الموت

وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ لَامْرِيٍّ مِنْ نُشُورِهِ إِذَا كَانَ لِلتَّخْلِيدِ فِي النَّارِ يُنْشَرُ

١٥٧ بشس التعويض

وقال في أبي حفص الوراق:

قالوا: هَجَاكَ أَبُو حَفْصٍ، فَقُلْتُ لَهُمْ: قَدْ طَالَ قَرْنُ أَبِي حَفْصٍ عَلَى قِصْرِهِ
قَدْ عَاشَ دَهْرًا خَفِيفَ الرَّاسِ نَعْلَمُهُ حَتَّى تَزَوَّجَهَا بِكُرًّا عَلَى كِبَرِهِ
عاش بلا زوجة فكان رأسه خفيفاً بلا قرنين، والقرنان كناية عن غفلة الزوج عن زنا زوجته
وَالْبِكْرُ لَا تَتْرُكُ الشَّبَانَ طَائِعَةً لِلشَّيْخِ فِي أَرْذَلِ النُّصَفَيْنِ مِنْ عُمُرِهِ
أَقُولُ لِمَا عَلَا قَرْنَاهُ صَلَعَتَهُ: لِبِشْسٍ مَا عَوَّضَ الْمَسْكِينُ مِنْ شَعْرِهِ

عند الإنجليز ضرب من الفكاهة يسمونه «تهوين الفظيح». هذه نادرة تشرحه: رجل إيطالي كان مشغولاً بهذا الضرب من الفكاهة، زار صديقاً إنجليزياً وقال له: أريد فقط أن تعلمني كيف تصنعون ذلك. ثم مضى بهم الحديث فقص عليه الإيطالي بحرارة كيف ذهب إلى مطعم، فإذا أرضه زلقة من الدهن والوسخ، وجاءه النادل بقطعة لحم تحتاج مطرقة وإزميلاً، ورمى الطبق أمامه بلا مبالاة حتى لقد كادت قطعة اللحم تقفز إلى وجهه وتسبب له جرحاً. عندئذ قال له الإنجليزي ببرود: فأنت لا تنصح بهذا المطعم! فانفجر الإيطالي قائلاً: بالضبط هذا هو نوع الفكاهة الذي لا قبل لنا نحن الطليان به.

وابن الرومي بارع في هذا الضرب من الفكاهة. هو أحد أساليبه الكثيرة في السخرية، بجانب ما شهر به من رسم صور كاريكاتيرية

١٥٨ بدون مبالغة

وقال في اللحياني:

لَلَّهِ لِحْيَةٌ حَائِكٌ أَبْصَرْتُهَا، مَا أَبْصَرْتُ عَيْنَايَ فِي مِقْدَارِهَا
إِنِّي لِأَحْسِبُ أَنَّ مِنْ أَشْعَارِهَا هَذَا الْأَثَاثُ مَعًا، وَمِنْ أَوْبَارِهَا

١٥٩ بيت العتمة

وَجْهُكَ، يَا جَعْفَرُ، فِي قَبْجِهِ أَوْلَى مِنَ الْعَوْرَةِ بِالسَّتْرِ

كَأَنَّمَا تَأْوِي إِلَيْهِ الدُّجَى إِذَا هِيَ انْفَضَّتْ عَنِ الْفَجْرِ
الدجى: الظلمة يقول: عندما تنصرف الظلمة ويأتي الفجر، فهي تذهب لكي تحل في وجه جعفر

١٦٠ ديدنها وديدني

وقال في أبي يوسف الدقاق:

أَبَيَّ يُوسُفَ، دَعْوَةَ الْمُسْتَصْغِرِ، وِيلَ الَّتِي حَمَلَتْكَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ
صغرت كلمة «أبا يوسف» فجعلتها «أبي يوسف» مستصغراً قدرك. ومعروف عند
أهل الصرف أن التصغير يكون للتعظيم ويكون للتحجب، ويكون للقرب الزماني،
ويكون للتحقير وتصغير الشأن، وابن الرومي يكتب شعره والأخفش وأضرابه في ذهنه

مَاذَا الَّذِي أَضْلَيْتَهَا فِي قَبْرِهَا قَبْلَ النُّشُورِ مِنَ اللَّطَى الْمُتَسَعِّرِ؟
أَسْلَمْتَهَا لِلْقَذَعِ يَلْفُحُ وَجْهَهَا صَبْرَتْ لَهُ كَرْهًا، وَإِنْ لَمْ تَضْبِرِ
يَا ابْنَ الَّتِي حَرَمْتَ جَنَابِي قَبْرِهَا وَمَجَاوِرِيهِ حَيَا السَّحَابِ الْمُطِيرِ
لما ارتكبت من فواحش لم ينزل الحيا: المطر على قبرها ولا على القبور المجاورة له، والمطر
رحمة للميت زعموا

قَطَعْتَ شَبِيبَتَهَا زِنًا وَسَمَاحَةً وَتِجَارَةً، خُسْرًا لَذَاكَ الْمَشْجَرِ
سماحة: تساهلاً في النيل منها

فَقَتِ الْفَيَاشِلُ عَيْنَهُ فِي بَطْنِهَا فَأَثَتْ بِهِ أَعْمَى قَبِيحَ الْمَنْظَرِ
فقت: فقات، الفياشل: جمع فيشلة وهي رأس ذكر الذر

وَتَقُولُ لِلضَّيْفِ الْمُلِمِّ سَمَاحَةً: إِنْ شِئْتَ فِي اسْتِنِي فَأَتِنِي أَوْ فِي حَرِي
الحر: عضو المرأة

أَنَا كَعْبَةُ الْبَيْكِ الَّتِي نُصِبَتْ لَهُ فَتَلَقَّ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتَ فَكَبِّرِ
وَتَسِبِّتِ بَيْنَ مُقَابِلٍ وَمُذَابِرِ مِثْلَ الطَّرِيقِ لِمُقْبِلٍ وَلِمُذْبِرِ
يَتَكَافَأَنَّ الرَّهْزَ مِنْ جِهَتَيْهِمَا فَكَلَاهُمَا فِي ذَاكَ غَيْرُ مُقْصَرِ
الرهز: تلك الحركة التي لا يجوز لنا أن نفصل القول فيها

كَأَجِيرِي الْمِنْشَارِ يَجْتَذِبَانِهِ مُتَنَازِعِيهِ فِي فَلِيجِ صَنْوَبَرِ
فليج: لعلها جذع

دَعِ أُمَّهُ، وَاخْصُصْ قَعِيدَةَ بَيْتِهِ مِنْ هَاجِرَاتِكَ بِالنَّصِيبِ الْأَوْفَرِ
هاجراتك: قصائد الهجر أي الفحش

يا زَوْجَةَ الْأَعْمَى الْمُبَاحِ حَرِيمُهُ يا عِزْسَ ذِي الْقَرْنَيْنِ لَا الْإِسْكَندَرِ
 هل تذكِرينَ الْعَهْدَ لَيْلَةً لَيْلَةً نَاشِدْتُكَ الْأَبْرَ الْعَظِيمَ الْمَغْفَرِ؟
 المغفر: الخوذة

بَاتَتْ إِذَا أَفْرَدْتُ عِدَّةَ بَيْكِهَا قالت: عَدِمْتُ الْقَرْدَ، عَيْنَ الْأَعْوَرِ
 أفردت: صنعتُ فرداً أي مرة واحدة، فهي لا تريد الإفراد لأنه مثل عين الأعور
 فلِذَا أَضَفْتُ إِلَى الْفَرِيدِ قَرِينَهُ قالت: عَدِمْتُ مُصَلِّياً لَمْ يُوتِرِ
 المصلي: المتي، وهي لا تريد المتي، بل تريده أن يوتر (يفرد) فيصنع ثلاثة
 هَذَاكَ دَيْدُنُهَا، وَذَلِكَ دَيْدُنِي حتى بَدَأَ فَلَقَ الصَّبَاحِ الْمُسْفِرِ
 ديدنها: عاداتها

أرْمِي مَشِيمَتَهَا بِرَأْسِ مُلْمَلِمٍ رِيَّانَ مِنْ مَاءِ الشَّبِيبَةِ أَغْجَرِ
 مللم: غليظ، أعجر: ذو عقد كالعصا المعجاء
 عَجَلٍ إِذَا فَتَقَ النِّسَاءَ بِحَدِّهِ نِلْنَ الْأَمَانَ مِنَ الْوِلَادِ الْأَغْسَرِ
 عجل: مكتئز. يقول: هو يوسع الطريق ويجعل الولادة سهلة

١٦١ خمسون توأماً

وقال في أبي منذر، وكان حذر أخاه النضر من تزويج الشاعر من ابته قائلاً: أما تنظر
 إلى مشيته مثل مشية المختئين:

أَبَا مَنْذِرٍ بِاللَّهِ إِلَّا صَدَقْتَنِي عَلَامَ، وَلَمْ خَنْتَنِي يَا أَخَا النَّضْرِ؟
 أَدَمْتُ لِقَائِي حُرْمَةً لَكَ بِكُتْهَا فَلَمْ أَشْفِهَا، أَمْ قُلْتَ مَا قُلْتَ بِالْحَزْرِ؟
 فَكَيْفَ، وَالْحَاضِي حِدَادَ كَأَنَّهَا نِصَالٌ، وَالْفَاضِي أَشَدُّ مِنَ الصُّخْرِ؟
 وَكَيْفَ، وَلِي فِي كُلِّ غُضُوٍّ وَمُفْصِلٍ وَجَارِحَةٍ قَلْبَانِ شَهْمَانِ مِنْ جَمْرِ؟
 وَلَوْ مَسَّ ثُوبِي ثُوبَ أُمِّكَ مَسَّةً لِأَوْلَدَهَا خَمْسِينَ مِثْلَكَ فِي شَهْرِ

١٦٢ فضلة وصغير

وقال في فضيل الأعرج:

أَنْتَ فَضْلٌ، وَفَضْلَةُ الشَّيْءِ لَغَوٌ ثُمَّ أُرْدِفْتَ ذِلَّةَ التَّضْغِيرِ
 فَاقْبُولِ النُّفُوسِ إِيَّاكَ عِنْدِي آيَةٌ فِيكَ لِلطَّيِّفِ الْخَبِيرِ

١٦٣ مصنع الشعراء

وقال في وهب بن سليمان:

أَتَتْ مِنْ بَرِيدِيْنَا ضَرْطَةً فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا سَائِرًا
أَبَا حَسَنِ يَا لَهَا ضَرْطَةً تَرَكْتَ السَّمِيرَ بِهَا سَامِرًا
وَزِدْتَ بِهَا شَاعِرًا فِظْنَةً وَأَنْبَغْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ شَاعِرًا
نِغِ الْمَرْءُ: صَارَ شَاعِرًا فَجَاءَ

١٦٤ معيرة غير مستعيرة

وقال في شنطف:

تَخَلَّفَتْ شُنُطْفٌ فَقُلْنَا: مَا فَعَلْتَ أَخْتُنَا الضَّرِيرَةَ
قَالُوا: هَوَتْ مِنْ دُرَا جِدَارٍ عَالٍ، فَقَالَ الْجَمِيعُ: خَيْرَةَ
يَا حَبَّذَا أَنْ تَغِيبَ عَنَّا غَيَّبَهَا اللَّهُ فِي الْحَفِيرَةِ
الحفيرة: القبر

فِي بَظَرِهَا أَلْفُ أَلْفٍ رَطِلٍ وَإِنَّمَا وَزْنُهَا شَعِيرَةٌ
فِي بَظَرِهَا: أَيِ وَزْنِهَا، كَأَن تَقُولُ «فُلَانٌ فِيهِ مِثَّةٌ كِيلُو» وَتَعْنِي وَزْنَهُ كَذَا

وَمِنْ قَبِيحِ الْقَبِيحِ عِنْدِي بَظَرٌ طَوِيلٌ عَلَى قَصِيرَةٍ
وَالْوَجْهُ بَرٌّ بِغَيْرِ مَاءٍ وَالضُّيُزُ بَخْرٌ بِلا جَزِيرَةٍ
أَضَحَتْ تُعِيرُ الْقُرُودَ قُبْحًا أَضْنَأُهُ عِنْدَهَا كَثِيرَةٌ
فَهَنْ يَشْكُرْنَ فِعْلَ أَخْتٍ مُعِيرَةٍ غَيْرِ مُسْتَعِيرَةٍ

١٦٥ يوم تقول يا ليتني كنت تراباً

وقال ابن الرومي في إبراهيم بن المدبر:

يُوجِهْ أَبِي إِسْحَقَ صَدْعُ كَضِيرِهِ لَهُ قَصَّةٌ غَيْرُ الَّذِي هُوَ مُظْهِرُ
صَدْعُ: شَقٌّ

يُخْبِرُ عَنْهُ أَنَّهُ أُتِرَ ضَرْبَةً بِبَعْضِ سَيُوفِ الزَّنَجِ حِينَ يُخَبَّرُ
الْأُتِرُ: أُتِرَ الْجَرْحَ بَعْدَ بَرْنِهِ

وما ضَرَبَتْهُ الرُّنْجُ فِي الْوَجْهِ، بَلْ رَأَى أُبُورَهُمْ فَانْشَقَّ فِي وَجْهِهِ حِرٌّ
حر: عضو المرأة

فَبَاكُوهُ فِي وَجْهِ قَلِيلٍ حَيَاؤُهُ وَفِي ذُبُرٍ يَلْقَى الرِّمَاحَ فَيَصْبِرُ
وما فَرَّ مِنْهُمْ بَلْ نَفَوْهُ، وَإِنَّهُ لَيُورِدُ رَأْيَا فِي الرُّجُوعِ وَيُضِيرُ
سَأْهَدِي إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ قَصِيدَةً يَوَدُّ لَهَا أَنْ لَمْ يَلِدْهُ الْمُدَبِّرُ

١٦٦ واقفاً على خمس وخمسين

كَبُرَتْ وَفِي خَمْسٍ وَخَمْسِينَ مَكْبَرُ وَشُبَّتْ فَأَلْحَاظُ الْمَهَا مِنْكَ نُفَرُ
أَعِزَّ طَرَفَكَ الْمِرَاةَ وَانْظُرْ، فَإِنْ نَبَا بَعَيْنِكَ عَنْكَ الشَّيْبُ فَالْبَيْضُ أَعْدَرُ
إِذَا شَنِئْتُ عَيْنَ الْفَتَى وَجَهَ نَفْسِهِ فَعَيْنُ سِوَاهُ بِالشَّئَاءَةِ أَجْدَرُ
شنت: كرهت

١٦٧ أرجوها وأحذرهما

غَصْنٌ رَطِيبٌ أَعَالِي خَلْقِهَا، وَنَقَاً تَحْتَ النُّطَاقِ، إِذَا تَهَتَّرُ بِبَهْرُهَا
نقا: كتيب، يهرها: يثقل أنفاسها

يَقُولُ لِي النَّاسُ، إِذْ مَالَ الْوُشَاةُ بِهَا عَنِي، وَغَيَّرَهَا بَعْدِي مُغَيَّرُهَا:
عَلَيْكَ بِالْهَجْرِ، عَلَّ الْهَجَرَ يَرْجِعُهَا إِلَى الْوَصَالِ، وَلَا أَسْطِيعُ أَهْجُرُهَا
وَكَيْفَ أَهْجُرُ مَنْ نَفْسِي مُعَلَّقَةٌ بِذِكْرِهِ، وَهُوَ نَاسٍ لَيْسَ يَذْكُرُهَا؟
وَمِنْ عَجَائِبِ مَا يُبْلَى الْمَحِبُّ بِهِ أَنِّي عَلَى ذَاكَ أَرْجُوهَا وَأَحْذَرُهَا

١٦٨ لا نشتره بالجنة

وقال في جحظة:

تَخَالُهُ أَبَدًا مِنْ قَبْحِ مَنْظَرِهِ مُجَاذِبًا وَتَرَا، أَوْ بِالْعَا حَجَرَا
كَأَنَّهُ ضِفْدَعٌ، فِي لُجَّةٍ، هَرَمٌ إِذَا شَدَا نَعْمًا أَوْ كَرَّرَ النَّظَرَا
لَوْ كَانَ لِلَّهِ فِي تَخْلِيدِنَا قَدَرٌ مَعَ قُرْبِهِ، مَا أَرَدْنَا ذَلِكَ الْقَدَرَا

١٦٩ وقتما يتيسر

وكتب إلى إبراهيم بن المدير يقول: «خادمك المؤمل يومك وغدك، المستنسم ريح دولتك بإزاء ما بلغه من استبطائك نفسك له، واستحاثك لإياها على قضاء حقه، قول العاذر بل الشاكر»، ثم أنشد:

دَعِ الْفُكْرَ فِي أَمْرِي، فَقَدْرِي لَا يَبْقَى بِحَمْلِكَ يَوْمًا فِي عِبَاءِ الْمُفَكِّرِ
وَلَا تَتَكَلَّفْ لِي التَّكَالِيفَ، إِنَّنِي مَلِيءٌ بِعُذْرِ النَّائِلِ الْمُتَعَذِّرِ
مليء: جدير

ولكن إذا ما عادَ في العودِ ماؤه فأورقٍ لِمُسْتَذْرِي ذَرَاكَ وَأَنْمِرِ
مستذري ذراك: المحتمي بحماك

١٧٠ وظيفتكم لا تعجبني

وقال في مرضه الذي مات فيه قبل موته بخمسة أيام أو ستة في أبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح:

أَبَادِي بَنِي الْجَرَّاحِ عِنْدِي كَثِيرَةٌ وَأَكْثَرُ مِنْهَا أَنَهَا لَا تُكَدَّرُ
هُمْ الْقَوْمُ! يَنْسَوْنَ الْأَيَادِي مِنْهُمْ عَلَيْكَ، وَلَكِنَّ الْمَوَاعِيدَ تُذَكَّرُ
وَأَنْ كُنْتُ قَدْ أَهْمِلْتُ بَعْدَ رِعَايَةٍ وَأُغْفِلْتُ حَتَّى قِيلَ: أَشَعْتُ أَغْبُرُ
وَقُلْدْتُ شُغْلًا ضَرُّهُ لِي مُعْجَلٌ سَرِيعٌ، وَأَمَّا نَفْعُهُ فَمُؤَخَّرُ
شغل: وظيفة

أَرْوَحُ وَأَغْدُو فِيهِ أَنْصَبَ عَامِلٍ وَأَضْفَرُهُ كَفًّا، فَكَمْ أَتَصَبَّرُ
أَعْنِي - أبا عبدِ الإله - وَلَا تَقُلْ: أَعَنْتُ، فَأَعْيَانِي الْقَضَاءُ الْمُقَدَّرُ
أَيَعْظُرُ أَمْثَالِي وَوَادِيكَ فَائِضٌ وَيُجْدِبُ أَمْثَالِي وَوَادِيكَ أَخْضَرُ؟

١٧١ اصبر لها

وقال في أحمد بن حريث:

مَنِّي الْهَجَاءُ، وَمَنْكَ الصَّبْرُ، فَاصْطَبِرْ لِشَرِّ مُنْتَظَرٍ، يَا شَرَّ مُنْتَظَرٍ
أَنْتَ اللَّئِيمُ، فَإِنْ تَصَبَّرَ فَمِنْ قِحَةٍ عَلَى الْهَوَانِ، وَإِنْ تَجَزَّعَ فَمِنْ خَوَرٍ

١٧٢ الساعي للناس

وقال في جحظة:

سَأَلْتُكَ حَاجَةً فَسَعَيْتَ فِيهَا بِتَعْذِيرٍ نَتِيجَتْهُ اعْتِذَارُ
وَلَيْسَ لِصَاحِبِ الْحَاجَاتِ إِلَّا كَرِيمٌ فِيهِ جِدٌّ وَأَنْشِمَارُ

انشمار: تعجيل

إِذَا مَا نَامَ عَنْهَا سَائِلُوهَا تَنْبَّهَ لَا يَقَرُّ لَهُ قَرَارُ
لَهُ عِنْدَ الْغُدُوِّ لَهَا، وَفِيهَا، حِذَارُ الْفَوْتِ، قَلْبٌ مُسْتَطَارُ

١٧٣ الخباز

مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ خَبَازاً مَرَزْتُ بِهِ يَذْحُو الرُّقَاقَةَ وَشَكَ اللَّمْحَ بِالْبَصْرِ

يدحو: ييسط

مَا بَيْنَ رُؤْيَيْهَا فِي كَفِّهِ كُرَّةٌ وَبَيْنَ رُؤْيَيْهَا قُورَاءُ كَالْقَمَرِ
إِلَّا بِمِقْدَارٍ مَا تَنْدَاخُ دَائِرَةٌ فِي صَفْحَةِ الْمَاءِ يُرْمَى فِيهِ بِالْحَجَرِ

تنداح: تتمدد

١٧٤ خطأ طبي

وقال في إسماعيل الطبيب وقد سقاه دواء غلط فيه:

عَلِطَ الطَّبِيبُ عَلَيَّ غَلْطَةً مُورِدٍ عَجَزْتُ مَوَارِدُهُ عَنِ الْإِضْدَارِ
وَالنَّاسُ يَلْحُونُ الطَّبِيبَ، وَإِنَّمَا خَطَأُ الطَّبِيبِ إِصَابَةُ الْمِقْدَارِ

يلحون: يلومون، المقدار: واحد المقادير، قضاء وقدر

١٧٥ حصرم

وقال في خالد القحطي:

هِيَ الدَّارُ يُؤْوِي لَيْلَهَا كُلَّ فَاسِقٍ وَفَاسِقَةٌ مَقْبُوحَةُ السَّرِّ وَالْجَهْرِ
لَهَا رَبٌّ سُوءٌ مِثْلُهَا، خُلِقَتْ لَهُ وَفَاقاً، وَكَانَ الْأَمْرُ يُقَدَّرُ لِلْأَمْرِ
إِذَا جُمِعَتْ ضَيْقَاتُهُ وَنَسَاؤُهُ فَبَطْنٌ عَلَى بَطْنٍ، وَنَحْرٌ عَلَى نَحْرِ
خَلِيطَانِ فَوْضَى مِنْ رَجَالٍ وَنِسْوَةٍ يَبْتَغُونَ يُحْبُونَ الْفُسُوقَ إِلَى الْفَجْرِ

١٧٦ ما لا يليق

وقال يقتضي أبا العباس أحمد بن صالح بن علي الهاشمي كساء كان وعده به :
وليس يليق بالسَّاداتِ مَطْلٌ يُزَوِّرُ فِي عَوَاقِبِهِ اعْتِذارُ
يزور: يُرْتَب؛ المرء «يزور في نفسه كلاماً» أي يعد كلاماً ويرتبه ليقوله في موقف معين

١٧٧ إنذار أول

وقال في علي بن يحيى النجم:

أَرَانِي ذَهَابَ شِعْرِي لَدَيْكَ افْتِصَارُهُ عَلَيْكَ، وَأَنْ لَمْ تَبْتَذِلْهُ الْمَعَاشِرُ
وَأَنْ لَمْ يُنَوِّهْ رَبُّهُ بِاسْمِ نَفْسِهِ فَأَنْتَ لَهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَاقِرُ
سَبَسَأَلَنِي الْأَنْوَامُ عَمَّا أَتْبَتَنِي بِهِ، فَبِمَاذَا أَنْتَ لِإِسَائِي أَمْرُ؟
أَخْبِرُهُمْ بِالْحَقِّ، وَهِيَ شَكِيَّةٌ، أَمْ الْإِنْفُكُ؟ فَالْإِسْلَامُ عَنْ ذَاكَ زَاجِرُ
أَتَحْرِمُنِي الْجَدْوَى وَأَطْرِيكَ كَاذِباً فَتَحْطَى، وَأَسْقَى بِالَّذِي أَنَا وَازِرُ؟
شَهِدْتُ إِذَنْ أَنِّي لِنَفْسِي ظَالِمٌ وَأَنْتَ إِنْ كَلَّفْتَنِي ذَاكَ جَائِرُ
وَهَبْنِي كَتَمْتُ الْحَقَّ، أَوْ قُلْتُ غَيْرَهُ أَتَخْفَى عَلَى أَهْلِ الْعُقُولِ السَّرَائِرُ؟

السرائر: الضمائر

أَبَى ذَاكَ أَنَّ السَّرَّ فِي الْوَجْهِ نَاطِقٌ وَأَنْ ضَمِيرَ الْقَلْبِ فِي الْعَيْنِ ظَاهِرُ
وَحَسْبُكَ مِنْ شُكْوَايَ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ نَيْبِي وَأَنْفَاسِي عَلَيْكَ الرُّوَافِرُ
نسيم: أنين

وصفني، ومطّي حاجبي، وإشاحتي بوجهي إذا سمّي لي اسمك ذاكرُ
سئلت فلم تحرم سواي، وإنه لَوَثِرٌ، وإنّي لو أشاء لثائرُ
وتر: ثار، ثائر: آخذ بالثار

١٧٨ كتابة على جلدة الرأس

أما رأيت الدهر كيف يجري؟
يُظْهِرُ مَا أَكْتُمُهُ مِنْ عُمرِي
بِأَحْرَفٍ يَخْطُطُهَا فِي شِعْرِي

١٧٩ إعطاء بلا حساب

وقال في إبراهيم بن المدبر:

رَأَيْتَكَ تُعْطِي الْمَالَ إِعْطَاءً وَاهِبٍ إِذَا الْمَرْءُ أَعْطَى الْمَالَ إِعْطَاءً مُشْتَرٍ
وَفِي النَّاسِ مَنْ يُعْطِي عَطَاءً مُتَاجِرٍ وَآخَرُ يُعْطِي كَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ

١٨٠ له يوم

أَمَلِي فِيهِ لِيَأْسِي قَاهِرُ فَلِذَا قَلْبِي عَلَيْهِ صَابِرُ
وَهُوَ الْمُحْسِنُ وَالْمُجْمِلُ بِي وَأَنَا الرَّاجِي لَهُ وَالشَّاكِرُ
طَرَفُهُ يُخْبِرُنِي عَنْ قَلْبِهِ أَنَّنِي يَوْمًا عَلَيْهِ قَادِرُ

١٨١ صابر عليك

وقال في القاسم بن عبيد الله:

أَقَاسِمُ: دَغْ قَدْرِي وَمَا يَسْتَحِقُّهُ، وَقَدْرُكَ فَارْفَعُهُ، فَمَا مِثْلُهُ قَدْرُ
أَأَعْدُو وَأَمْرِي لَا يَسُوءُ مُنَافِسِي وَأَمْرُكَ أَمْرٌ لَا يِعَارِضُهُ أَمْرُ؟
وَقَدْ أَمَلْتُكَ النَّفْسُ بَعْدَ تَحَوُّمٍ؛ لَا بُرْدُ مِنْ هَذَا عَلَى قَلْبِي الْجَمْرُ
عَرَضْتُ عَلَى نَفْسِي الْغِنَى مِنْكَ تَارَةً وَمِنِّْي أُخْرَى، وَالْغِنَى مِنِّْي الصَّبْرُ
فَمَالَتْ إِلَى نَيْلِ الْغِنَى مِنْكَ، إِنَّهُ غِنَى خَالِصٌ، وَالصَّبْرُ قَدْماً غِنَى قَفْرُ
وَأَقْسِمُ إِنْ لَمْ تُغْنِنِي أَهْنَأُ الْغِنَى لَأَمْتَطِئَنَّ الصَّبْرَ إِذْ حَرَنَ الدَّهْرُ
أَلَا فَاْمَتَعْضُ مِنْ قَوْلَتِي لَكَ عِنْدَهَا: رَوَيْتُ بِرِيقِي حِينَ أَظْمَأْنِي الْبَحْرُ

١٨٢ يا من كنت أنتظره

وقال يرثى خاله علان:

أَعْلَانُ: مَنْ يُضْغِي لِسْمَعِ شَكِيَّتِي وَأَضْغِي إِلَى مَرْدُودِهِ وَجَوَارِهِ؟
وَمَنْ ذَا يُحَامِي عَنْ ذِمَارِي غَائِباً أَشَدَّ مُحَامَاةٍ أَمْرِي عَنْ ذِمَارِهِ؟

حماية الذمار: حماية النفس والشرف

وَمَنْ ذَا تَظَلُّ النَّفْسُ عِنْدَ مَغْيِبِهِ مُعَلَّقَةً أَمَالِهَا بَانْتِظَارِهِ؟
سَقَى الْغَيْثُ مَيْتاً خُطَّ بِالذَّيْرِ قَبْرُهُ فَوَارَاهُ، إِلَّا سُودَدَاً لَمْ يُوَارِهِ

١٨٣ خصيمك الله

وقال يرثي يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن
أبي طالب:

يا قاتلَ ابنِ عليٍّ وابنِ فاطمة: تَبَّاً لِسَعِيكَ فِي الإِيرَادِ وَالصَّدْرِ
بِأَيِّ وَجْهِ تُلَاقِي اللَّهَ مَعْتَبِراً جَلَّتْ خَطِيئَتُكَ الْعِظَمَى عَنِ الْعُذْرِ
خَصِيمُكَ اللَّهُ، فَاَنْظُرْ كَيْفَ تَخْصِمُهُ بَلْ أَنْتَ أَذْخَصُ خَصْمٍ، فُوكَ لِلْحَجَرِ
لَوْ شَارَكْتُكَ بَنُو حَوَاءَ فِي دَمِهِ لَكُبْكُبُوا يَا ابْنَ بَنِي النَّارِ فِي سَقَرِ
كُبْكَبُوا: أَسْقَطُوا عَلَى وَجُوهِهِمْ

١٨٤ سمعاً للشيب وطاعة

أَلَا أَيُّهَذَا الشَّيْبُ سَمْعاً وَطَاعَةً فَأَنْتَ الْمُنَاوِي، مَا عَلِمْتُ، الْمَظْفَرُ
المنأوى: الخصم

أَبَى الْخِطْرُ وَالْحِجَاءُ حَرْبَكَ، إِنَّهُ بَدَا لَهُمَا، لَا شَكَّ، أَنْ سَوْفَ تَظْهَرُ
الخطر: نبات يُخْتَصَّبُ بِهِ، تَظْهَرُ: تَنْتَصِرُ

إِذَا كُنْتَ تَمْحُو صِبْغَةَ اللَّهِ قَادِراً فَأَنْتَ عَلَى مَا يَضْبِعُ النَّاسُ أَقْدَرُ

١٨٥ قصار الأيام

خُذْ نَصِيباً مِنْ عَيْشِكَ الْمُسْتَعَارِ قَبْلَ لَيْلٍ مُصَرَّفٍ وَنَهَارِ
فَكَأَنَّ قَدْ سَفَتْ عَلَيْكَ السَّوَافِي فِي بَطُونِ الْمُلَمَّعَاتِ الْقِفَارِ
سَفَتِ السَّوَافِي: رَمَتْ رَمَلَهَا الرِّيحُ، الْمُلَمَّعَاتِ: الصَّحَارَى اللَّامِعَةُ بِالسَّرَابِ

يَا قِصَارَ الْأَيَّامِ! مُتُّغْتُ لَوْ كُنْتُ حَتَّى قِصَاراً مُؤْصُولَةً بِقِصَارِ

١٨٦ ضد الأناة

عَيْنُ الْأَنَاءِ، وَإِنْ كَانَتْ مُبَارَكَةً، أَنْ لَا خُلُودَ، وَأَنْ لَيْسَ الْفَتَى حَجَرًا
التسويد: أ. عبد الرحيم

١٨٧ رنات المثاني

لابن الرومي في عبيد الله بن سليمان بن وهب، ونسبت الأبيات لغيره:

إذا أبو قاسم جادت لنا يده لم يُحمَدِ الأجودان: البحرُ والمطرُ
ولو أضاءت لنا أنوارُ غُرَّتِه تضاءَلِ النيران: الشمسُ والقمرُ
وإن مَضَى رأيه أو حَدَّ عَزَمَتِه تأخَّرَ الماضيان: السيفُ والقدَرُ
من لم يَبْتَ حَدِراً من خوفِ سَطَوَتِه لم يَدْرِ ما المُزعِجان: الخوفُ والحذرُ
كأنَّه وزِمَامُ الدَّهْرِ في يده يَرَى عَوَاقِبَ ما يَأْتِي وما يَذُرُ
كانه يمسك بيده زمام الزمن، فلذا يعرف نتائج الأمور قبل حدوثها لحكمته وحصافته

١٨٨ كانون في تموز

وقال في مغنية:

زَمَهَرِيرٌ غَنَاؤُهَا يَدْعُ المَحْ رورَ في مِثْلِ حالةِ المَكْزُورِ
المكزور: المصاب بالكزاز وهو التشنج من البرد. الديوان يريد بها «مكروز»، أو «مكنوز»، ولكن
«مكروز» هذه لم ألقها في اللسان، ولا في تاج العروس، و«المكنوز» بعيدة
كم مشوقٍ إلى الشتاء دَعَاها فَأَرْتُهُ كَانُونَ في تَمُوزِ

١٨٩ اغتتم الفرصة

ما طَلَتْ بِاللَّهْوِ وَالْأَيَّامُ تَنْتَجِزُ فَنَلْ مِنَ اللَّهِوِ حَقّاً قَبْلَ تُحْتَجَزُ
لا تَتْرُكُنْ بَيْنَ طَوْرَيْنِ لَذَّةَ خَلَلَا إِنَّ الشَّبَابَ وَأَيَّامَ الصَّبَا نُهَزُ

١٩٠ مساوي الإيجاز

وحديثها السحرُ الحلالُ لو أنَّها لم تَجْنِ قَتْلَ المسلمِ المُتَحَرِّزِ
المتحرز: المتقي الوقوع في الإثم
إن طال لم يُمِلِلْ، وإن هي أَوْجَزَتْ وَدَّ المُحَدِّثُ أَنَّها لم تُوجِزِ

١٩١ كلنا لها

أَبَتْ نَفْسِي الهَلَاغَ لِرُزْءِ شيءٍ كَفَى شَجْواً لِنَفْسِي رُزْءُ نَفْسِي

أَتَهْلَعُ وَخَشَةَ لِفِرَاقِ الْإِفِ وَقَدْ وَطَّنْتُهَا لِحُلُولِ رَمْسِ؟

١٩٢ قمر يقبل شمساً

وَمُهَفَّفِهِ تَمَّتْ مَحَاسِنُهُ حَتَّى تَجَاوَزَ مُنْيَةَ النَّفْسِ
مهفف: الضامر البطن

أَبْصَرْتُهُ وَالكَأْسُ بَيْنَ فَمِ مِنْهُ وَبَيْنَ أَنْامِلِ خَمْسِ
فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّ شَارِبَهَا قَمَرٌ يُقْبِلُ عَارِضَ الشَّمْسِ
عارض: خد

١٩٣ فراسة المستجدي

وقال في أبي المهند بن عيسى بن شيخ:

لَا تَفْصِدَنَّ لِحَاجَةٍ إِلَّا أَنْزَلاً فَرِحَافاً بِنَفْسِهِ
أَنْتَى يُسَرُّ بِمَذْجِهِ مِنْ لَا يُسَرُّ بِضَوْءِ شَمْسِهِ؟
أَمْ كَيْفَ يَهْتَرُ أَمْرُؤُ غَرَضٌ بِمُهِجَتِهِ وَعَرْسِهِ
غرض: سائم من السام

نَكَّبَ، هُدَيْتَ، مِنَ الرَّجَا لِ يُوَقِّ جِدُّكَ جُلَّ تَغْيِيهِ:
نكب: تجنب

مِنْ رَاضِهِمْ وَذَمِيمِهِمْ وَقَرِيبَهُمْ مِنْ وَرْدِ رَمْسِهِ
قريبهم من ورد رمسه: القريب من القدوم على قبره

سَخِطَ الْإِلَهُ عَلَى أَوْلَى إِلَيْكَ، إِنَّهُمْ مِنْ شَرِّ غَرِيبِهِ
لَلنَّجْمِ أَقْرَبُ مِنْهُمْ مِنْ كَفِّ مُلْتَمِسٍ وَلَمْسِهِ

١٩٤ لا أرى لك تجلس

وقال يهجو دبسا:

إِنْ كَانَ أَنْفُكَ هَكَذَا فَالْفَيْلُ عِنْدَكَ أَنْطَسُ
وَإِذَا جَلَسْتَ عَلَى الطَّرِيقِ قِي، وَلَا أَرَى لَكَ تَجَلِسُ
هذه الـ «ولا أرى لك تجلس» من أمتع ما يكون. يعني يقول لك: ورأيي أن لا تجلس. وهي جملة ألصقها الشاعر لكي يصل إلى القافية فكانت تحفة من التحف

قَبْلَ: السَّلَامِ عَلَيْكُمَا فَتُجِيبُ أَنْتَ، وَيَخْرُسُ

١٩٥ اصْبِغْ كُلَّ ثَلَاثَ

وقال في الخضاب:

رَأَيْتُ خِضَابَ الْمَرْءِ عِنْدَ مَشْيِهِ حَدَاداً عَلَى شَرْخِ الشَّيْبَةِ يُلْبَسُ

شرخ الشيبة: أولها

وَلَا فَمَا يُغْرِي امْرَأَةً بِخِضَابِهِ أَيْظَمُّ أَنْ يَخْفَى شَبَابٌ مُدْلَسٌ؟

مدلس: مزور

وَكَيْفَ بَأَنْ يَخْفَى الْمَشِيبُ لِخَاضِبٍ وَكُلَّ ثَلَاثَ صَبْحُهُ يَتَنَفَّسُ

كل ثلاثة أيام ينمو الشعر بما يسمح بظهور البياض في أصوله

وَمَنْهُ يُوَارِي شَيْبَهُ، ابْنَ مَأْوُهُ وَأَبْنَ أَدِيمٍ لِلشَّيْبَةِ أَمْلَسُ؟

التسويد: أ. عبد الرحيم. قد فررت من تسويد البيت لأن قليل شعري أبيض، وسوده صديقي ومصححي أحمد لأن غزير شعره أسود

١٩٦ رثاء قصيدة

وقال بهجو صاعدا وابنه العلاء «أبا عيسى»، ويرثي دالبته فيهما:

قُلْتُ دَالِبَةً أَعَانَتْنِي الْجَنُّ - عَلَيْهَا، لَا شَكَّ، دُونَ الْأَنْبَسِ

مَادِحاً صَاعِداً بِهَا، وَعَلَاءَ مُطْنِيّاً فِي الْخَسْبِ وَابْنِ الْخَسْبِ

يَا لَهَا حُلَّةً نَسِجَةً وَخِدٍ لَمْ يَكُنْ حَظُّهَا سِوَى التَّنْذِيسِ

يَا لَهَا حَلِيَّةً أَجِيدَتْ لِشَمْطَا ءَ، وَأُخْرَى مُبِينَةَ التَّقْوِيسِ

صَاعِدِ وَابْنِهِ، وَمَا لِلْخَسْبِ سَبِي - بِنِ وَلِلْمَذْحِ بِالكَلَامِ النَّفِيسِ؟

لَا حَظَّاهَا بِغَيْرِ عَيْنِي سُلَيْمًا نَ فَلَمْ يَضْبُوا إِلَى بِلْقَيْسِ

رأيا القصيدة بعيون لا تفهم الشعر فلم يصبوا إليها (يُفْتَنَّا بِهَا)

وَكَذَا الْخَنْدَرِيسُ: تُضْحِي وَتَمْسِي آفَةُ الْعَقْلِ غَيْرِ ذِي التَّأْسِيسِ

الخندريس: الخمر

ذَاثَ طَعْمٍ وَمَنْظَرٍ وَنَسِيمٍ وَحُمَيَّا وَهَزَّةَ وَرَسِيمٍ

الخمر لها طعم ومنظر ورائحة، وحميا (طغيان)، وهزة (تهز المرء وتحركه للكرم) ورسي (أثر باق)

حُكْمُهَا فِي الْعُقُولِ تَذْكِيَةُ الْأَفْءِ وَرَمِي الضَّعِيفُ بِالتَّهْوِيسِ
التذكية: التقوية، فشارب الخمر إذا كان عاقلاً أصبح أعقل وأهدأ وإذا كان سفيهاً ازداد سفاهة
على السكر

لَمْ يَكُنْ آفَةُ الْقَصِيدَةِ إِلَّا ذَاكَ، فَاتْرُكْ مَقَالَ ذِي التَّلْبِيسِ
التلبيس: التخليط

ظَلَمَ الشَّعْرُ صَاعِدًا، وَكَذَاكُمُ ظَلَمَتُهُ الْمُلُوكُ بِالتَّضَرِّيسِ
فراصة الملوك أخطأت في الرجل، فهو غير جدير بالمناصب

وَمِنَ التُّكْرِ حَوْكِي الْمَدْحِ فِيهِ وَهُوَ أَوْلَى بِالْوَطْءِ وَالتَّضَرِّيسِ
التضريس: العض بالإضراس

لَمْ يَكُنْ صَاعِدًا مَكَانًا لِمَدْحِ لَا، وَلَا مَوْضِعًا لِقَوْدِ خَمِيسِ
خميس: جيش

١٩٧ الألف اللوامس

وقال بهنيء عبيد الله بن عبد الله بولاية وليها:

أَلَمْ تَسْأَلِ الْيَوْمَ الطَّبَّاءَ الْكَوَانِسُ: مَتَى ظَعَنْتَ أَشْبَاهَهُنَّ الْأَوَانِسُ؟
الكوانس: القابضة في الكِنَاس وهو بيت الظلي، ظعنت: رحلت، الأوانس: الأنسات

لَرُبَّتْ يَوْمٍ قَدْ جَلَاهُنَّ لِي ضَحَى وَلِلْأَرْضِ مِنْ وَشْيِ الرَّبِيعِ مَلَابِسُ
خَرَجْنَ يُبَارِيزْنَ الرَّبِيعَ وَرَوْضَهُ بِمَا هُنَّ مِنْ تِلْكَ الْبُرُودِ لَوَابِسُ
بُدُورٌ وَكُثْبَانٌ تُوَاصِلُ بَيْنَهَا غُصُونٌ رَوِيَّاتُ الْمُتُونِ مَوَائِسُ
البدور: وجوههن، والكثبان: أردافهن، ويصل بين هذه وتلك قدود كالغصون والمتون وريات
موائس (الظهور ممتلئات ومتمايلات)

غُصُونٌ غَذَاهُنَّ النَّعِيمُ بِمَائِهِ وَلَمْ يَسْقِهِنَّ الْمَاءُ فِي الْأَرْضِ غَارِسُ
حَمَلْنَ ثُدِيًّا لَمْ يَجِدْنَ بِدَرَّةَ وَلَمْ تَبْتَذِلْهُنَّ الْأَكْفُ اللَّوَامِسُ
هذه الغصون تحمل من الثمار أثناء لم تعط درة (حلياً) ولم تعبت بها الأيدي

١٩٨ جرذان في حلقة

وَلَقَدْ تَرَبَّعَ، لَا تَرَبَّعَ بَعْدَهَا، وَغَدَا يَتَبَّعُهُ بِغُودِهِ مُتَقَاعِسَا
متقاعساً: دافعاً صدره للأمام

وَكَاَنَ جُرْذَانُ الْمَحَلَّةِ كُلِّهَا فِي حَلْقِهِ يَقْرِضُنْ خُبْرًا يَابَسًا

كان كل جرذان الحارة قاعدة في حلقة تقرض الخبز اليابس، كذا صوته

١٩٩ صداقة مؤقتة

مَوَدَّةُ إِخْوَانِ النَّبِيذِ سُلَاقَةً يَبُولُونَهَا عِنْدَ انْقِضَاءِ الْمَجَالِسِ
فَبَيْنَا نَرَاهُمْ أَهْلَ إِلْفٍ وَأَثَرَةٍ وَبَيْنَا نَرَاهُمْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ دَاحِسِي

الأثرة: المكرمة

فَأَمَّا إِذَا نَادَيْتَهُمْ لِمِلْمَةٍ فَنَادِ التَّصَاوِيرَ الَّتِي فِي الْكِنَائِسِ

ملمة: حادثة

٢٠٠ المطربة الصاعدة

وقال يهجو كنيزة:

رِيحُهَا، وَهِيَ حَبَّةٌ، رِيحٌ مَبِيتٍ بَاتَ فِي الْقَبْرِ، ثُمَّ أَبْدَاهُ نَبْشُ
عُوضَتْ مِنْ ذَوَائِبٍ وَقُرُونٍ حَمَلَ أَنْفٍ فِيهِ لِفَرْخَيْنِ عُشُّ

بدل أن يكون لها خصلات شعر لها أنف كبير

وَتَغْنِي فِتْثُورُ السَّمْعِ وَقُرَاً فَعَلَيْهَا لِمَنْ تَغَنَّنَتْ أَرْشُ

الوقر: ثقل السمع، أرش: دية العضو

تَدْعِي غُنَّةَ الشَّبَابِ، وَيَأْبَى ذَاكَ صَوْتُ لَهَا جَرِيشٌ أَجَشُّ

فَإِذَا رَفَقَتْهُ بِالْجَهْدِ مِنْهَا خِلْتُ فِي حَلْقِهَا شَعْبِرًا يُجَشُّ

تَتَنَاعَى وَعُودُهَا يَنْهِيكِي كَنْهِيكِي الْحِمَارِ نَاغَاهُ جَحَشُّ

٢٠١ مقارنة

وقال في خالد القحطي:

يَا مُسْتَقَرَّ الْعَارِ وَالنَّقْصِ أَغْنَتْ مَخَازِيكَ عَنِ الْفَخْصِ

أَنْتَ الَّذِي لَيْسَتْ لِسَوَاتِهِ وَلَا لِنُغْمَى اللَّهِ مِنْ مُحْصِ

المحصى: الذي يعد ويحصي

مَعَايِبُ النَّاسِ وَسَوَاتُهُمْ قَدْ جُمِعَتْ لِي مِنْكَ فِي شَخْصِ

٢٠٢ إغضاء، لكن لأمر الله

وقال يعزي:

تَعَزَّ عَنْ الْمَاضِي وَإِنْ هَصَرَتْ بِهِ يَدُ الدَّهْرِ غُضْنَا مِنْ غُصُونِكُمْ غَضًّا
الماضي: الداهب الذي مضى ومات، هصرت الغصن: كسرت، غص: طري

وَكُنْ مَاجِدًا لَمْ يُغْضِ عِنْدَ هَضِيمَةٍ فَلَمَّا أَحَبَّ اللَّهُ إِغْضَاءَهُ أَغْضَى
يغضي: ينصاع، هضيمة: ظلم/تسويد: أ. عبد الرحيم

وَعَدُّ الَّذِي أَضْحَى الزَّمَانُ اسْتَرَدَّهُ لَدَى اللَّهِ كَنْزًا لَا يُضَيِّعُ أَوْ قَرْضًا

٢٠٣ حبذا الحقد

وَمَا الْحَقْدُ إِلَّا تَوَآمُ الشُّكْرِ فِي الْقَتَى وَبِعُضُ السَّجَايَا يَنْتَسِبْنَ إِلَى بَعْضٍ
فَحَيْثُ تَرَى حِقْدًا عَلَى ذِي إِسَاءَةٍ فَتَمَّ تَرَى شُكْرًا عَلَى حَسَنِ الْقَرْضِ
تَمَّ: هناك

إِذَا الْأَرْضُ أَدَّتْ رَيْعَ مَا أَنْتَ زَارِعٌ مِنَ الْبَذْرِ فِيهَا فَهِيَ نَاهِيكَ مِنْ أَرْضٍ

٢٠٤ مقراض الأعراض

وقال في سوار بن أبي شراة:

وَمَا تَكَلَّمْتُ إِلَّا قُلْتُ فَاحِشَةً كَأَنَّ فَكَيْكَ لِالْأَعْرَاضِ وَمِقْرَاضٍ
المقراض: المقص. سيأتي ابن عُنَيْن بعد ثلاثين سنة ليعني قصيدته الهجائية الكبرى «مقراض
الأعراض»

٢٠٥ العرض والجوهر

وقال في صاعد:

دَعْ صَاعِدًا يَقْتَنِي الدُّنْيَا وَزَبْرَجَهَا فِي الْعِلْمِ بِاللَّهِ مِمَّا نَالَهُ عِرَاضُ
زبرجها: زيتها

مَا بَالُ مَنْ جَوْهَرُ الْأَشْيَاءِ قُنَيْتُهُ يَأْسَى وَيَحْسُدُ قَوْمًا حَظَّهُمْ عَرَضُ
قنيتها: ممتلكاته، يقول: مالي وأنا أملك الجوهر وهو المعرفة بالله، أحسد من كان حظهم امتلاك
العرض (الشيء المادي الزائل)

أَلَيْسَ جُرْماً تَنَاسَى الْمَرْءُ خَالِقَهُ إِذَا أَلِيَحْتَ لَهُ الْأَذْهَابُ وَالْفِضْضُ؟

أليحت الأذهاب والفضض: أخذت تلوح وتبدو لعينه تقود الذهب والفضة

لَوْ آمَنْتُ أَنْفُسُ بِاللَّهِ مَا شُغِلْتُ عَنْهُ بِمَا لَيْسَ فِي فَقْدَانِهِ مَضْضُ

٢٠٦ الهارب من نفسه

وقال يهجو ابن فراس:

فَتَى مَا زَالَ يَنْهَضُ لِلْمَخَازِي وَلَيْسَ لَهُ إِلَى الْعُلِيَاءِ نَهَضُ

وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ طَوَّلَ دُونَ عَرَضٍ وَلَكِنْ لَوْ أَنَّهُ طَوَّلَ وَعَرَضُ

تَعَادَى كُلُّ شَيْءٍ مِنْهُ لَوْماً فَبَعْضُ مِنْهُ يَهْرُبُ مِنْهُ بَعْضُ

٢٠٧ ما الذي جاء بك؟

وقال يهجو ابن خنساء صاحب الطائي:

نُبِّئْتُ أَنَّ ابْنَ خَنْسَاءٍ قَدْ تَنَاوَلَ عِرْضِي

وَقَالَ قَوْمٌ: عَهْدُنَا لَكَ لَا تُرَامَ فَتُفْضِي

ترام: تُقَصِّد، أي تقصد بشر، تغضي: تتجاهل الأمر

خُذْهَا فَتَقْضُرْكَ مِنْهَا شَتْمٌ سَيَبْقَى وَتَمْضِي

خذ هذه القصيدة وقصرك (حظك) منها شتم سيطل باقياً بعد موتك

وَقَدْ هَجَمْتَ لَعَمْرِي فَاَنْظُرْ إِلَى أَيْنَ تُفْضِي

٢٠٨ إما مالك وإما عرضك

يَا مَنْ يَتَبَيَّهُ بِمَوْعِدٍ لَمْ يَقْضِهِ ذُقْ غَبَّ صَوْلَةٍ شَاعِرٍ لَمْ تُرْضِهِ

يا من يفتخر بموعد (وعد) لم ينجزه، ذق غب (عاقبة) صولة (هجمة) شاعر لم ترضه

قَصَدْتُ سِهَامَ الشَّعْرِ غُرَّةَ مَالِهِ فَأَصْبَنَ دُونَ الْمَالِ غُرَّةَ عِرْضِهِ

قصد سهم شعري أن يصيب ماله (أن أنال عطاءه)، فبخل فأصبت عرضه بالشم

مَا مَرَّ مِنْ يَوْمٍ عَلَيْهِ وَلَيْلٍ إِلَّا وَبَعْضُ غَلَامِهِ فِي بَعْضِهِ

٢٠٩ كرش المطربة

فَيْنَةُ مَلْعُونَةٌ مِنْ أَجْلِهَا رَفَضَ اللَّهُ مَعَا مَنْ رَفَضَهُ
تَضَعُ الصَوْتَ الَّذِي تَشْدُو بِهِ عُصَّةً فِي حَلْقِهَا مُعْتَرِضَةً
فَإِذَا غَنَّتْ بَدَأَ فِي جِيدِهَا كُلُّ عِرْقٍ مِثْلَ بَيْتِ الْأَرْضَةِ

الأرضة: سوسة الخشب

يَتَجَأَفَى عَوْدُهَا عَنْ سَخْلَةٍ أَبَدًا فِي بَطْنِهَا مُرْتَكِضَةً
عودها يتعد عن جسمها لأن بطنها كبير فكان فيه سخله (شاة) مرتكضة (متحركة كحركة الجنين في بطن أمه)

٢١٠ بإذن الله

إِذَا أَدِنَ اللَّهُ فِي حَاجَةٍ أَتَاكَ النَّجَاحُ بِهَا يَرْكُضُ

٢١١ قوس قزح

وَسَاقٍ صَبِيحٍ لِلصَّبُوحِ دَعْوَتُهُ فَقَامَ؛ وَفِي أَجْفَانِهِ سِنَةُ الْعَمُضِ
يَطُوفُ بِكَاسَاتٍ عَلَيْنَا كَأَنجُمٍ فَمِنْ بَيْنِ مُنْقَضٍ وَمِنْ غَيْرِ مُنْقَضٍ
وَقَدْ نَشَرَتْ أَيْدِي الْجَنُوبِ مَطَارِفًا عَلَى الْجَوْدِ كُنَّا وَهِيَ خُضِرَ عَلَى الْأَرْضِ
ريح الجنوب كأنها نشرت مطارف (أثواباً) تكون داكنة في الجو (سحاباً قاتماً) وتصبح خضراء إذ تمس الأرض (عشياً)

يُطَرِّزُهَا قَوْسُ السَّحَابِ بِحُمْرَةٍ عَلَى أَخْضَرٍ فِي أَصْفَرٍ وَسَطٍ مُبْيَضٍ
والتطريز على هذه الأثواب قوس قزح

كَأُذْيَالِ خَوْدٍ أَقْبَلْتُ فِي غَلَائِلِ مُصَبَّغَةٍ، وَالْبَعْضُ أَقْصَرُ مِنْ بَفْضِ
قوس قزح مثل ذيل ثياب الخود (الفتاة) التي أقبلت في غلائل (أردية) مصبوعة بألوان شتى، وهي متفاوتة في طولها

٢١٢ مسمار المقص

وقال يصف ساعية بين الرجال والنساء:

تَسْمَى لِكَنِّي تَجْمَعُ وَسَطِيهِمَا كَأَنَّهَا مِسْمَارُ مِقْرَاضٍ

هذه المرأة تسمى لجمع وسطي الشاب والفتاة، فكانها مسمار المقص

٢١٣ لا يصلحون لمدح ولا لذم

أَيْسَتْ مَنْ دَهْرِي وَمَنْ أَهْلِهِ فَلَيْسَ فِيهِمْ أَحَدٌ يُرْضَى
إِنْ رُمْتُ مَدْحاً لَمْ أَجِدْ أَهْلَهُ أَوْ رُمْتُ هَجْواً لَمْ أَجِدْ عِرْضاً

٢١٤ المطربة العتيقة

وقال في شنطف:

أَقْسَمْتُ أَنْ لَوْ كَانَ لِي أَنْفُهَا قَطَطْتُ مِنْ خُرْطُومِهِ قَطْلَةً
كَأَنَّمَا خَلَقْتُهَا بِقَمَّةٍ مُنْزَلَةً تَقْدُمُهَا سَخَطَةٌ
قَمِيئَةُ الْخَلْقِ عَلَى أَنَّهَا أَعْتَقْتُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْجَنْطَةِ
قَمِيئَةٌ: قصيرة

٢١٥ بدا الشيب

بَدَا الشَّيْبُ إِلَّا مَا تَدَاوَى الْمَوَاشِطُ وَفِي وَضَحِ الْإِصْبَاحِ لِلْبَيْلِ كَاشِطُ
وَحَظُّ أَخِي الشَّيْبِ الْمُسَوَّدِ شَيْبُهُ مَقَالَةُ أَهْلِ الرُّشْدِ: غَايُ مُعَالِطِ
يُخَادِعُ بِالْإِفْكِ النِّسَاءَ عَنِ الصُّبَا وَهَلْ بَيْنَ لَوْنِ الْإِفْكِ وَالْحَقِّ غَالِطُ؟
فَلَا كَلْفُ التَّسْوِيدِ تُخَذِّبُهُ حُظُورَةٌ وَلَا مُؤْنُ التَّزْوِيرِ عَنْهُ سَوَاقِطُ
تخذه: تمنحه، مؤن: تكاليف

٢١٦ هارموني الرذيلة

وقال يهجو خالداً القحطبي:

نَمَتْ عَنْ عَرْسِكَ الْحَصَانِ إِلَى الصُّبِّ حِجٌّ، وَبَاتَتْ بِرَاكِبِ اللَّيْلِ تَمْطُو
عَرْسِكَ: زوجتك، الحصان: العفيفة، تمطو: تسير
تُسَمِعَانِ الْأَصَمَّ صَوْتَيْنِ شَتَّى: هِيَ فِي نَخْرَةٍ، وَأَنْتَ تَغُطُّ

٢١٧ لغيرك تمتشط

وقال في إبراهيم البيهقي:

تُرَاعِي سِقَاطَ الْمُنْشِدِينَ، وَلَا تَرَى سِقَاطَ النَّبِيِّ أَضَحَّتْ لِعَبْرِكَ تَمْتَشِطُ
تلاحق أغلاط الشعراء، ولا تلاحق غلط زوجتك التي تتزين لعشاقها

٢١٨ فضل قيراط

وقال في أبي حفص الوراق:

بؤساً لِقَوْمٍ تَحَدَّثُونِي بِجَهْلِهِمْ والجهلُ يُورِطُ قوماً شرّاً إِرَاطِ
هَبْهُمْ أَذِلُّوا عَلَى حِلْمِي؛ أَمَا عَلِمُوا أَنَّ الْقَوَافِي لَا تَرْضَى بِإِسْخَاطِي؟
أدلو على حلمي: تعشمو أن أغفر لهم

قالوا: أَتَشْتُمُ مجنوناً؟ فقلتُ لَهُمْ: لَا بُدَّ لِلْمَسِّ مِنْ كَيٍّْ وَإِسْعَاطِ
المس: الجنون، الإسعاط: إدخال بعض الأدوية من الأنف

عندي دواء أبي حفص ورُقْبَتُهُ إن كان ذلك أغباً طِبُّ بُقْراطِ
قد كان أجدى عليه من مُشَاتَمَتِي شُغْلٌ يَرُدُّ عَلَيْهِ فَضْلُ قِيرَاطِ

٢١٩ هيهات

هَبْتُ لِوَهْبٍ رِيحٌ سُوءٌ عَاصِفٌ بَارَى بِهَا شَهْرَ الرِّيحِ شَبَاطَا
وكان وهب بن سليمان أخرج ريحاً في حضرة وزير وعيب بذلك

لو أنها هَبْتُ خِلَالَ مُعَسْكَرٍ لَمْ يُبْقِ فِيهِ حَفِيفُهَا فُسْطَاطَا
فسطاط: خيمة

دَعْ خِدْمَةَ الْخُلَفَاءِ، لَا تَعْرِضْ لَهَا وَتَعَاظَ - وَيَحَكَّ - غَيْرَ مَا تَتَعَاظِي
يَحْتَاطُ لِلْخُلَفَاءِ فِي سُلْطَانِهِمْ مَنْ كَانَ فِي أَمْرِ اسْتِهِ مُحْتَاطَا
يَا آلَ وَهْبٍ حَدِّثُونِي عَنْكُمْ لَمْ لَا تَرَوْنَ الْعَدَلَ وَالْإِفْسَاطَا؟
الإفساط: العدل

مَا بَالُ صَرَطَتِكُمْ يُحَلُّ رِبَاطُهَا عَفَوا، وَدِرْهُمُكُمْ يُشَدُّ رِبَاطَا؟
صُرُّوا ضُرَاطُكُمْ الْمُبْدَرَّ صَرُّكُمْ عِنْدَ السُّؤَالِ الْقُلُسَ وَالْقِيرَاطَا
أَوْ قَاسَمَحُوا بِضُرَاطِكُمْ وَتَوَالِكُمْ هِيَهَاتَ! لَسْتُمْ لِلنُّوَالِ نِشَاطَا

٢٢٠ خوش تشبيه

وقال يهجو الورد:

يَا مَادَحَ الْوَرْدِ لَا يَنْفَكُ عَنْ غَلِطَةٍ أَلَسْتَ تُبْصِرُهُ فِي كَفِّ مُلْتَقِطَةٍ

كَأَنَّهُ سُرْمٌ بَغْلٍ حِينَ يُخْرِجُهُ عِنْدَ الرِّثَاثِ وَبَاقِي الرُّوثِ فِي وَسْطِهِ
السرم: فتحة الدبر، الرثا: إخراج الروث

٢٢١ شاعراً ناثراً في خدمتكم

وقال في أبي محمد الحسن بن عبيد الله بن سليمان يهته بشهر رمضان:
بَقِيتُمْ بَنِي وَهَبٍ فَإِنَّ بَقَاءَكُمْ صَلاَحٌ، وَإِنْ سَاءَ الْعَدُوُّ الْمُعَايِظَا
يدعو لهم بالبقاء

عَجِبْتُ لِقَوْمٍ يَنْفُسُونَ حُطُوطَكُمْ وَأَنْتُمْ أَنْاسٌ تَحْمِلُونَ الْبَوَاهِظَا
ينفسون: يحسدون، البواهظ: الأحمال الثقيلة

أَلَمْ تَجِدُونِي آلَ وَهَبٍ لِمَدْحِكُمْ بِنَظْمِي وَتَثْرِي أَعْطَلَا ثُمَّ جَاحِظَا؟

٢٢٢ داووني بالتي كانت هي الداء

وقال في إدمانه لبس العمامة:

تَعَمَّمْتُ إِحْصَانًا لِرَأْسِي بُرْهَةً مِنْ الْقُرْ طُورًا وَالْحُرُورِ إِذَا سَفَعُ
إحصاناً: حماية، القر: البرد، الحرور: الحر، سَفَعُ: لفح وصَلَى

فَلَمَّا دَهَى طَوْلُ التَّعَمُّمِ لِمَتِي فَأَزْرَى بِهَا بَعْدَ الْجَثَالَةِ وَالْفَرَعِ
لمتي: شعري، أزرى بها: بهذلها، الجثالة: قوة الشعر، الفرع: غزارة الشعر

عَزَمْتُ عَلَى لُبْسِ الْعِمَامَةِ حِيلَةً لِنَسْتَرِ مَا جَرَّتْ عَلَيَّ مِنَ الصَّلَعِ
فِيَا لَكَ مِنْ جَانٍ عَلَيَّ جِنَايَةً جَعَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ جِنَايَتِهِ الْفَرَعُ
الفرع: الالتجاء

وَأَعْجَبَ بِشَيْءٍ كَانَ دَائِي، جَعَلْتُهُ دَوَائِي عَلَى عَمْدٍ، وَأَعْجَبَ بِأَنْ نَفَعُ

٢٢٣ يهجو نفسه

مَنْ كَانَ يَبْكِي الشَّبَابَ مِنْ جَزَعٍ فَلَسْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ مِنْ جَزَعٍ
لَأَنَّ وَجْهِي بِقُبْحِ صُورَتِهِ مَا زَالَ لِي، كَالْمَشِيبِ وَالصَّلَعِ،
أَشَبَّ مَا كُنْتُ قَطُّ أَفْرَمَ مَا كُنْتُ، فَسَبْحَانَ خَالِقِ الْبِدَعِ

ظل وجهي على قبح صورته، ومثله مشيبي وصلعي، ظل قبيحاً في زمان الهرم كعهده في الشباب

إِذَا أَخَذْتُ الْمَرَّةَ أَشْلَفَنِي وَجْهِي، وَمَا مُتُّ، هَوَلٌ مُطْلَمِي
 إِذَا نَظَرْتُ فِي الْمَرَّةِ أُرَانِي وَجْهِي سَلَفًا - وَلَمَّا أُمْتُ - هَوَلُ الْمُطْلَعِ (ما يخبره الميت مع حلول الموت)
 شَغِفْتُ بِالْخُرْدِ الْحَسَنِ، وَمَا يَصْلُحُ وَجْهِي إِلَّا لِذِي وَرَعٍ
 الخرد: العذارى

كَيْ يَغْبُدَ اللَّهُ فِي الْفَلَاةِ، وَلَا يَشْهَدُ فِيهِ مَشَاهِدَ الْجُمُعِ
 الفلاة: الصحراء، يشهد فيه: أي يحضر بهذا الوجه صلاة الجمعة

٢٢٤ يوم صيد

وَقَدْ أَغْتَدِي لِلطَّيْرِ، وَالطَّيْرُ هُجَّعٌ وَلَوْ أَوْجَسْتُ مَغْدَايَ مَا يَبْنُ هُجَّعًا
 اغتدي: أذهب صباحاً، هجع: نائمة، أوجست: خافت، مغداي: ذهابي صباحاً
 بِخَلْلَيْنِ تَمَّا بِي ثَلَاثَةَ إِخْوَةٍ جُسُومُهُمْ شَتَّى، وَأَرْوَاحُهُمْ مَعَا
 أذهب مع صديقين أنا ثالثهما، وهؤلاء الثلاثة أجسامهم متفرقة، لكن أرواحهم متألّفة
 بَنِي خُلَّةٍ لَمْ يُفْسِدِ الْمَحَلُّ بَيْنَهُمْ وَلَا طَمِعَ الْوَاشُونَ فِي ذَاكَ مَظْمَعًا
 بني خلة: أهل محبة، المحل: ضيق العيش
 إِذَا مَا دَعَا مِنَّا خَلِيلٌ خَلِيلَهُ «بِأَفْدِيكَ»، لِبَاءُهُ مَجِيبًا فَأَسْرَعَا
 كَانَ لَهُ فِي كُلِّ غُضْبٍ وَمَفْصِلٍ وَجَارِحَةٍ قَلْبًا مِنَ الْجَمْرِ أَضْمَعَا
 القلب الأصمغ: القلب الذكي

إِذَا رَنَقْتُ شَمْسُ الْأَصِيلِ وَنَفَضْتُ عَلَى الْأَنْفِ الْغَرَبِيَّ وَرْسًا مُدْعَدًا
 رنقت: قاربت الغروب، نفضت: نثرت، الورس: نبات أصفر، مدعذع: منتشر
 وَوَدَّعْتُ الدُّنْيَا لِتَقْضِي نَحْبَهَا وَشَوَّلَ بَاقِي عُمْرِهَا فَتَشَعَّشَعَا
 شول: انحسر وتبدد، تشعشع: تفرق وانتشر

وَلَا حَظَّتِ النَّوَارُ وَهِيَ مَرِيضَةٌ وَقَدْ وَصَعَتْ خَدًّا إِلَى الْأَرْضِ أَضْرَعَا
 لاحظت الشمس (رمرت) زهر النبات وهي مريضة مرض موتها وقد وضعت خدها الأرض
 (المستكين) على الأرض

كَمَا لَاحَظْتُ عَوَادَهُ عَيْنٌ مُدْنِفٌ نَوَجَّعَ مِنْ أَوْصَابِهِ مَا تَوَجَّعَا
 وهذا شبيه بعين المدنف (المريض) التي تلاحظ (ترمق) عواده (زائريه) وهو يتوجع من أوصابه (آلامه)

وظَلَّتْ عِبُونُ النَّوْرِ تَخْضَلُ بِالنَّدَى كَمَا اغْرُورَقَتْ عَيْنُ الشَّجِي لِنَدْمَا

النور: زهر النبات، تخضل: تبتل، اغرورقت: غرقت بالدمع قبل أن ينحدر، الشجي: المحزون

يُرَاعِبْنَهَا صُوراً إِلَيْهَا رَوَانِباً وَيَلْحَظْنَ أَلْحَاطاً مِنَ الشَّجْوِ خُشَعَا

زهور النبات يراعين صوراً إليها (ينظرن إليها) صوراً (مائلات بأعناقهن) روانياً (ناظرات)، ويلحظن (ينظرن) بنظرات خاشعة من شجوهن (حزنهن)

وَبَيَّنَ إِغْضَاءَ الْفِرَاقِ عَلَيْهِمَا كَأَنَّهُمَا خِلَا صَفَاءِ تَوَدُّعَا

ظهر الإغضاء (تنكيس البصر) من الطرفين (من الزهور ومن الشمس) فكأنهما خلا صفاء (حييان) في لحظة وداع

وَقَدْ ضَرَبَتْ فِي خُضْرَةِ الرُّوضِ صُفْرَةً مِنَ الشَّمْسِ فَاخْضَرَ اخْضِرَاراً مُشْغَسَعَا

وَأَذَكَّى نَسِيمَ الرُّوضِ رَيْعَانُ ظِلِّهِ وَعَنَى مُعْنَى الطَّيْرِ فِيهِ فَسَجَّعَا

أذكى نسيم الروض (جعله ذكياً) ريعانُ ظل هذا الروض (نمو الظل مع انحدار الشمس للمغرب)، وعنى من الطير من يغني بتسجيع (ترديد)

وَعَرَدَ رُبْعِي الذُّبَابِ خِلَالَهُ كَمَا حَثَّحَتِ النَّشْوَانُ صَنْجاً مُشْرِعَا

ربعي الذباب: ذباب الربيع، حثحث: حرك، النشوان: السكران، صنجاً مشرعاً: قرصاً مرفوعاً، من تلك الأقراص التي تثبت في الأصابع ويرفع بها الراقصون والساكرون أيديهم ليزيدوا بهجتهم، ويسمونها موسيقيو زمننا الكاستانييت، وأما أن أصوات ذباب ابن الرومي تشبه أصواتها فذلك ما يشي به البيت المقبل

فَكَانَتْ أَرَانِيْنُ الذُّبَابِ هُنَاكُمُ عَلَى شِدَوَاتِ الطَّيْرِ ضَرْباً مُوقَّعَا

وَفَاضَتْ أَحَادِيثُ الْفُكَاهَاتِ بَيْنَنَا كَأَحْسَنِ مَا فَاضَ الْحَدِيثُ وَأُمْتَعَا

هِنَالِكَ تَغْدُو الطَّيْرُ تَرْتَادُ مَضْرَعَا وَحُسْبَانُهَا الْمَكْدُوبُ يَرْتَادُ مَرْتَعَا

فَظَلَّ صِحَابِي نَاعِمِينَ بِبُؤْسِهَا وَظَلَّتْ عَلَى حَوْضِ الْمَنِيَةِ شُرْعَا

شُرْعاً: واردة للشرب

طَرَائِحَ مِنْ سُودٍ وَبَيْضِ نَوَاصِعِ تَخَالَ أَدِيمَ الْأَرْضِ مِنْهُنَّ أَبْقَعَا

نُؤْلِفَ مِنْهَا بَيْنَ شَتَى، وَإِنَّمَا نُشْتِتُ مِنْ أَلْفِهَا مَا تَجَمَّعَا

فَكَمْ ظَاعِنٍ مِنْهُنَّ مُزْمِعٍ رِحْلَةً قَصَرْنَا نَوَاهُ دُونَ مَا كَانَ أَرْمَعَا

بعض الطيور كان ظاعناً (راحلاً) على عادة الطير، وقصرنا نواه (وضعنا حداً لنتيه) دون ما كان أزمع (نوى)

وَكَمْ قَادِمٍ مِنْهُمْ مُرْتَادٍ مَنَزِلٍ أَنَاخَ بِهِ مِنَّا مُنِيخٌ فَجَجَعَا
وبعضها قادم من رحلة ومرتاد لموطنه الأصلي، وأناخ به (طرحه أرضاً) أحداً فجمع (انطرح يهتز)

٢٢٥ الأحذب

قَصُرَتْ أَخَادِعُهُ وَطَالَ قَدَالُهُ فَكَأَنَّهُ مُتَرَبِّصٌ أَنْ يُصْفَعَا
أخادعه: عروق العنق، قذاله: الرقبة من جهة الظهر، متربص: متحسب. يقول: رقبته قصيرة من أمام، طويلة من خلف (فهو أحذب) فكأنه يتوقع أن يصفع

وَكَاثِمًا صُفِعَتْ قَفَاهُ مَرَّةً فَأَحْسَرَتْ ثَانِيَةً لَهَا فَتَجَمَّعَا

٢٢٦ قوام الليل

تَنَجَّأَفَى جُنُوبُهُمْ عَنْ وَطِيءِ الْمَضَاجِعِ
هؤلاء العباد تنجأفى جنوبهم (تبتعد) عن المضاجع الوطيئة (الفرش الوثير) ليقوموا الليل

كُلُّهُمْ بَيْنَ خَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ وَطَامِعٍ
وهم إما خائف من عذاب الله وقف يستجير، أو طامع في ثوابه

تَرَكُّوْا لَذَّةَ الْكَرَى لِلْمَعْيُونِ الْهَوَاجِعِ
الهواجع (النائمة)

وَرَعَوْا أَنْجُمَ الدُّجَى طَالِمًا بِمَدَ طَالِعِ
لَوْ تَرَاهُمْ إِذَا هُمْ خَطَرُوا بِالْأَصَابِعِ
لو تراهم يخطرون بهدوء على رؤوس أصابعهم حتى لا يزعجوا النائمين

وَإِذَا هُمْ تَأَوَّهُوا عِنْدَ مَرِّ الْقَوَارِعِ
القوارع: الآيات التي تذكر يوم القارعة (القيامة)

وَإِذَا بَاشَرُوا النَّارَ بِالْخُذُودِ الضُّوَارِعِ
الضوارع: الضاربة لله الراجية إياه

وَأَسْتَهَلَّتْ عِيُونُهُمْ فَائِضَاتِ الْمَدَامِعِ
استهل: بكى

وَدَعَوْا: يَا مَلِكِنَا يَا جَمِيلَ الصَّنَائِعِ

أَعُفْ عَنَّا ذُنُوبَنَا لِنُؤْجِوهُ الْخَوَاشِعِ
 أَعُفْ عَنَّا ذُنُوبَنَا لِنُغْمِيَنَّ الدَّوَامِعِ
 أَنْتَ - إِنْ لَمْ يَكُنْ لَنَا شَافِعٌ - خَيْرُ شَافِعِ
 فَأَجِيبُوا إِجَابَةً لِمَ تَقَعُ فِي الْمَسَامِعِ:
 الإجابة ضمنية وليست مما يقع في السامع (الآذان) بل هي إحساس في قلوبهم
 لَيْسَ مَا تَضَنُّعُونَهُ أَوْلِيَّائِي بِضَائِعِ

٢٢٧ توبة غير نصوح

وقال في إبراهيم بن المدبر:

يَا لَيْتَ شِعْرِي لَوْ سُئِلْتَ وَقَدْ أَنْشَدْتَ مَذْحِيَّ فَيْكَ مَنْ سَمِعَهُ:
 مَاذَا أَثْبَتَ عَلَيْهِ قَائِلُهُ؟ هَلْ كُنْتَ تَلْقَى فِي الْجَوَابِ سَعَةً؟
 أَتَرَاكَ تُوهِمُهُمْ، إِذَا سَأَلُوا فَسَكَتَ، أَمْراً لَا تُلَامُ مَعَهُ
 كَتَمَ اللِّسَانُ عَلَيْكَ فَاسْتَمَعْتَ فِطْرُنْ لِمَا جَمَجَمْتَ مُسْتَمِعَةً
 لن يقولوا لك شيئاً بألسنتهم، ولكن الفطن (العقول الفطنة الذكية) ستنسمع إلى ما جمجمت (ما دار
 بخللك)

قَدْ كُنْتُ تُبْتُ مِنَ الْهَجَاءِ، فَإِنْ شَاءَ اللَّئَامُ أَحَدْتُهَا جَذْعَةً
 أعدتها جذعة: ولعنتها توليعاً

٢٢٨ طيلسان كضوء الشمس

وقال في مذهب الحمدوي:

وَلِي طَيْلَسَانٌ نَاجِلٌ غَيْرَ أَنَّهُ ثُبُوتٌ لِهَبَّاتِ الرِّيحِ الزَّعَازِعِ
 طيلسان: رداء، الزعازع: الشديدة. والقصيدة على مذهب الشاعر الحمدوي
 (ت ٢٥٠هـ) المعاصر لابن الرومي. فقد أهدي رجل يسمى ابن حرب للحمدوي رداء
 وظل يذكره به مدة طويلة فأنشأ الحمدوي قطعاً كثيرة من ألد الشعر الساخر الهازل في
 وصف هذا الطيلسان/الرداء. وأراد ابن الرومي أن يباريه فأنشأ نحواً من عشر قطع
 شبيهة، هذه واحدة منها

وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُ مُتَّهَتُّكَ يُخَلِّي سَبِيلَ الرِّيحِ غَيْرَ مُنَازِعِ
 مهتك: ممزق، يسمح للريح بالدخول ولا يمنعها أو ينازعها

أَرَاهُ كَضَوْءِ الشَّمْسِ بِالْعَيْنِ رُؤْيَةً وَمَمْنَعُنِي مِنْ لَمِيهِ بِالْأَصَابِعِ
لأن الكساء اهترأ وصار رقيقاً جداً تحول إلى شيء شبيه بضوء الشمس فهو يرى بالعين ولا سبيل
إلى لمسه

شَكَا ثِقَلَ اسْمِ الطَّيْلِلسَانِ لِضَعْفِهِ فَسَمَّيْتُهُ سَاجَاً، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعِي؟
اشتكى لي الطليسان أن اسمه ثقيل ولا يناسب نحوله فأطلقت عليه اسم ساج (رداء منسوج)، فهل
في هذا ما يخفف شكواه؟

٢٢٩ رقة شكوى سبقت دمعة

وقال في بدعة الكبرى المغنية:

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ حَظِّهَا لِلنَّاسِ جِزْءٌ، وَلَهَا تِسْعَةٌ
لَهَا مَسِيرٌ فِي أَغَانِيهَا تَوَسَّطَ الْإِبْطَاءِ وَالسُّرْعَةِ
كَأَنَّمَا رِقَّةٌ مَسْمُوعِيهَا رِقَّةٌ شَكْوَى سَبَقَتْ دَمْعَةً
المسموع: الغناء

طَفَّلُ عَلَى مَنْ حَصَلَتْ عِنْدَهُ فَبَعْضُ تَطْفِيلِ الْفَتَى رِفْعَةً
طفل (تطفّل) على الشخص الذي حصلت عنده هذه الجارية (الذي اشتراها فصارت عنده) ففي
بعض التطفيل (التطفل) رفعة

تِلْكَ رِبْعٌ فَانْتَجَعَ رَوْضُهُ فَلَنْ يُعَابَ الْحُرُّ بِالنُّجْعَةِ
النجعة في الأصل النزول في الموضع المعشوب

٢٣٠ على الحالين ممدوح

فَتَى إِنْ أُجِذَ فِي مَدْحِهِ فَلَأَنْتَنِي وَجَدْتُ مَجَالاً فِيهِ لِلْقَوْلِ وَاسِعَا
وَلِنْ لَا أُجِذَ فِي مَدْحِهِ فَلَأَنْتَنِي وَثِقْتُ بِهِ حَتَّى اخْتَصَرْتُ الذَّرَائِعَا
الذرائع: الوسائل

٢٣١ الأمنية المزعجة

وقال يمدح أبا ليلي بن عبد العزيز بن أبي دلف:

إِذَا الْمَرْءُ طَالَتْ بِهِ مُدَّةٌ عَلَا الشَّيْبُ مَفْرَقُهُ أَوْ صَلَبُ
وَشَيْخُوخَةُ الْمَرْءِ أُمْنِيَّةٌ مَتَى مَا تَنَاهَى إِلَيْهَا هَلِيعٌ

تناهى: وصل

٢٣٢ دين لا يسترد

سُهُولَةُ الشَّرِيعَةِ

الشرية: مورد الماء

تُغْنِي عَنِ الذَّرِيعَةِ

الذرية: الوسيلة

يَا ذَا الْيَدِ الْمَنِيعَةِ

وَالْأُذُنِ السَّمِيعَةِ

وَالْهَمَّةِ الرَّفِيعَةِ

يَا قَابِلَ الْخَدِيعَةِ

يمدحون الرجل بأنه يتخدع للناس، ويتغافل عليهم مظهراً أنه لم يعرف مرادهم، وهذا من علامات السؤدد. ولولا هذا البيت لظنناه يخاطب الله بهذه الآيات المنهكة

وفاعِلَ الْبَدِيعَةِ

هَلْ لَكَ فِي صَنِيعَةِ

صنiece: معروف

تَجَعَّلَهَا وَدِيعَةً؟

٢٣٣ وحدي المحروم

وقال في القاسم بن عبيد الله:

أَمِنْ بَعْدِ مَا سَارَ مَعْرُوفُكُمْ إِلَى سَاكِنِ الْبَلَدِ الشَّاسِعِ

وَقَامَ الْخَطِيبُ بِإِحْسَانِكُمْ عَلَى مِنْبَرِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ

يَشِيعُ شَقَائِي بِحَرَمَانِكُمْ وَشُكْرِي، مَعَ الشَّائِعِ الذَّائِعِ؟

أي يشيع خبر حرمانكم إياي وخبر شكري لكم مع الشائع الذائع من أخبار معروفكم

٢٣٤ اللاتعات تلوعها

وقال في صاعد وابنه العلاء:

جَهْدَنَاكُمْ مَرِيًّا، فَقَالَ ذُووُ النَّهْيِ: لَقَدْ أَشْبَهَتْ أَظْلَافَ شَاةٍ ضُرُوعُهَا

مرياً: حلباً، ذوو النهي: العاقلون، أثلءاء هذه الشاة مثل أظلافها ولن ينزل منها حليب

وَإِنِّي إِذَا مَا ضِغْتُ ذُرْعًا بِبِلْدَةٍ لَجَوَّابٌ أَقْطَارِ الْبِلَادِ ذُرُوعُهَا
نَكَحْتُمْ بِلا مَهْرٍ قَوَافِي لَسْتُمْ بِأَكْفَائِهَا، فَالْلاَّتِعَاتُ تُلُوعُهَا

قوافي: قصائدي، اللاتعات تلوعها: المخرقات تحرقها

وَكَانَتْ إِذَا أَبَدَتْ خُشُوعًا فَخِيبَتْ أَبِي عِزُّهَا أَوْ يُسْتَقَادَ خُشُوعُهَا
إذا خشعت قصائدي وتذللت وهي تمدح، ثم بعد ذلك لقيت الخيبة بعدم العطاء، فإن عزها سيأبى
إلا أن يأخذ ثأراً مقابل الخشوع السابق

وَمَنْ لَمْ تَجِدْ فِي فَضْلِ كَفِّيهِ مَرْتَعًا فَفِي عِرْضِهِ، لَا فِي سِوَاهُ، رُتُوعُهَا
من لم تجد قصائدي مرتعاً في عطاء يديه، فسترتع في عرضه

تَسْرِبْلُتُمْ التُّعْمَى فَطَالَ عِزَارُكُمْ بِأَذْيَالِهَا، وَاسْوَدَّ مِنْهَا نَصُوعُهَا
تسربلتم: لبستم

وَمَا عَطِرَتْ أَثَوَابُهَا إِذْ عَلَتْكُمْ وَلَا حَسُنَتْ فِي عَيْنِ رَاءِ ذُرُوعُهَا
لم تتعطر أثواب النعمة عندما لبستموها، ولا كانت دروعها (أثوابها) حسنة

بَسَقْتُمْ بُسُوقَ النَّخْلِ ظُلْمًا، فَأَبْشِرُوا سَتَسْمُو بِكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ جُدُوعُهَا
بسقتم: علوتم، ستسمو: ستعلو. يشرهم بالصلب

٢٣٥ إرضاع الكبير

وقال في شنطف:

لَا تَعْرِفُ اللَّهَ، وَلَكِنَّهَا سَجَّادَةٌ لِلْأَبْرِ رِكَاعَةٌ
لَهَا جِرٌّ أَشْمَطُ مُسْتَكْرِشٍّ شَابٌ، وَمَا تَثْرُكُ إِرْضَاعَةٌ
حر: عضو المرأة، أشمط: مختلط سواد شعره ببياضه، مستكرش: متنفخ

٢٣٦ غودر يوماً وعرضه قطع

وقال في ابن عروس:

أَبَا عَلِيٍّ لِلنَّاسِ أَلْسِنَةٌ إِنْ قُلْتُ قَالُوا بِهَا وَلَمْ يَدْعُوا
وَالْبَغْيِيُّ عَوْنٌ عَلَى الْمُدِلِّ بِهِ فَاشْتَأُهُ، وَاجْعَلْهُ بَعْضَ مَا تَدْعُ
البغي (الظلم) يكون عوناً على (ضد) المدل به (المرتكن إليه) فاشتأه (أبغضه) واتركه

أَوْ لَا، فَكُنْ رَامِيًا، وَكُنْ غَرَضًا تَرْمِي وَتُرْمَى وَتَحْصُلُ الشُّنْعُ
غرضاً: هدفاً

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ شِعْرَكَ إِنَّ قَلْتَ وَقَلْنَا وَاسْتَحْكَمَ الْقَذْعُ
القذع: الشتم

مَا يَنْفَعُ الصَّارِمَ اللِّسَانِ إِذَا غَوِيَرَ يَوْمًا وَعِزُّهُ قِطْعُ؟
ما الذي ينفع الشخص الحادّ اللسان إذا تمزق عرضه؟

فَارْجِعْ وَبُقْيَا أَخِيكَ بَاقِيَةً وَأَنْدَمْ، وَفِي الْجِلْمِ فُسْحَةٌ تَسْعُ
البُقياء: الإبقاء على الأرواح بعد الاشتباك في المعركة، كانت العرب تصرخ في المعركة إذا هزمت
«البقية البقية» أي: أبقوا علينا ولا تتأصلونا، وصرختهم هذه تسمى البُقياء

وَمَنْ هَجَا مَا جَدَّ أَحَا شَرَفٍ فَلَيْسَ إِلَّا مِنْ نَفْسِهِ يَضْعُ
يضع: يخفض

وَكُلُّ سَهْمٍ رَمَتْ يَدَايَ بِهِ فَلَيْسَ إِلَّا فِي مَقْتَلٍ يَقْعُ
أنا الذي تَحْشُدُ الرُّوَاهُ لَهُ فَكُلُّ أَيَّامٍ دَهْرِهِ جُمْعُ

٢٣٧ اللاحق بالأرض

وَطَوِيلِ الْقَرْنِ إِلَّا أَنَّهُ لَاحِقٌ بِالْأَرْضِ كَالْقِرْدِ الْجَزْعِ
الجزع: الخائف

طَالَ قَرْنَاهُ مَعًا فَارْتَفَعَا وَأَبَتْ قَامَتُهُ أَنْ تَرْتَفِعَ

٢٣٨ اللحية الغواصة

وقال في كبر اللحية:

وَلِخْيَةٍ يَحْمِلُهَا مَائِقٌ مِثْلُ الشَّرَاعِينِ إِذَا أَشْرَعَا
مائق: أحلق، ويبدو أن لحيته كانت من ذاك النوع المقسوم نصفين

تَقُودُهُ الرِّيحُ بِهَا صَاغِرًا قَوْدًا عَنِيفًا يُتْعَبُ الْأَخْدَعَا
الأخدع: العنق، مسمى باسم عرق فيه

لَوْ غَاصَ فِي الْبَحْرِ بِهَا غَوْصَةً صَادَ بِهَا حَيْثَانُهُ أَجْمَعَا

٢٣٩ نادم على إراقة ماء الوجه

لَمَّا تُؤْذَنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ شُرُورِهَا يَكُونُ بَكَاءُ الطِّفْلِ سَاعَةً يُوضَعُ

لابن الرومي قصيدة أخرى يكرر فيها مباني ومعاني هذه القطعة (انظر القطعة ٩١)

وَالْأَمَّا فَمَا يُبْكِيهِ مِنْهَا، وَإِنَّهَا لَأَفْسَحُ مِمَّا كَانَ فِيهِ وَأَوْسَعُ

إِذَا أَبْصَرَ الدُّنْيَا اسْتَهْلًا كَأَنَّهُ يَرَى مَا سَيَلْقَى مِنْ أَذَاهَا، وَيَسْمَعُ

استهل: بكى

كَأَنِّي إِذَا اسْتَهْلَلْتُ بَيْنَ قَوَائِلِي بَدَا لِي مَا أَلْقَى بِبَابِكَ أَجْمَعُ

استهللت بين قوائلي: بكيت بين الدابات المولدات. يقول ابن الرومي إنه بكى وقت ولادته فكانما

عرف ما سيلحق به بباب هذا الأمير من ذل وهوان

وَذِي بَعْضِ أَحْوَالِ النَّفُوسِ: كَأَنَّهَا تَرَى خَلْفَ سِتْرِ الْغَيْبِ مَا تَتَوَقَّعُ

أَقُولُ لَوْجِهِ حَالٌ بَعْدَ بَيَاضِهِ وَإِسْفَارِهِ، فَاللونُ أَسْوَدُ أَسْفَعُ

يخاطب شاعرنا وجهه الذي غدا أسفع مسراً بعد بياضه وإسفاره (أشراقه)

ذُقِ الْهُونَ وَالذُّلَّ الطَّوِيلَ عُقُوبَةً كَذَا كُلُّ وَجْهِ لَا يَعْفُ وَيَقْنَعُ

وَفَرْتُ عَلَيْهِ الْمَاءَ عِشْرِينَ حِجَّةً فَفَرَّقَ مِنْهُ الْحِرْصُ مَا كُنْتُ أَجْمَعُ

لقد وفرت ماء وجهي وكرامتي عشرين سنة، ففرق الحرص والطمع كل هذا وبدده

سَعَيْتُ لِإِبْقَاظِ الْمَقَادِيرِ ضَلَّةً وَمَا كَانَتْ الْأَقْدَارُ لَوْ نِمْتُ تَهْجَعُ

يا لضلالي إذ سعيت لإبقاظ الأقدار، والأقدار لا تنام حتى لو نمت أنا

وَلَوْ جَهَدَ السَّاعُونَ فِي الرِّزْقِ جَهْدَهُمْ لَمَّا وَقَعَتْ إِلَّا بِمَا هِيَ وَقَعُ

٢٤٠ الإنسان الجيفة

كَيْفَ يَزْهُو مَنْ رَجِيْعُهُ أَبَدَ الدَّهْرِ ضَجِيْعُهُ

رجيعه: غائطه، ضجيعه: الملازم له في الفراش؛ ذلك أنه موجود بداخل أحشائه

لَيْسَ يَخْلُو مِنْهُ إِلَّا وَقْتَمَا لَا يَسْتَطِيعُهُ

ثُمَّ يُلْجِيهِ إِلَى الْحُشِّ - بِضَغْرِ قَيْطِيعُهُ

الغائط يلجئ المرء إلى بيت الخلاء فلا بد أن يطيعه المرء

فَإِنْ اسْتَعْصَى عَلَيْهِ فَهَوَ لَا شَكَّ صَرِيْعُهُ

فإن لم يخرج قتل الإنسان

ثُمَّ يُبْدِي مِنْهُ صَوْتًا وَذَّ لَوْ صُمَّ سَمِيعُهُ
 وإن خرج خرج معه صوت يود سميعة (من يسمعه) أن يكون أصم

٢٤١ أنا استأهل

لِئِنْ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِي لَكَ مَا أَخْطَأْتُ فِي مَنْعِي
 لَقَدْ أَنْزَلْتُ حَاجَاتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ

٢٤٢ خلقته تهجوه

وقال يهجو أبا إسحاق البهقي:

قالوا: هجاءك أبو المزاق، قلتُ لَهُمْ: وَلِمَ هَجَانِي؟ فقالوا: لِلَّذِي بَلَغَهُ
 لَا يَهْجُونِي فَإِنِّي لَسْتُ هَاجِيَهُ وَلَا يَرَى ذَاكَ مِنِّي أَوْ يَرَى صُدْغُهُ
 يرى صدغه: يرى سالفه، وهذا مستحيل
 وما امتِهانِي به شِعْري، وَخَلَقْتُهُ تَهْجُوهُ عَنِّي، وَعَنْ غَيْرِي بِكُلِّ لُغَةٍ

٢٤٣ جبان

قال في سليمان بن عبد الله:

قِرْنُ سُلَيْمَانَ قَدْ أَضَرَّ بِهِ شَوْقٌ إِلَى وَجْهِهِ سَيُذْنِفُهُ
 قرن: منازل، سيدنفه: سيجعله مريضاً من الشوق
 أَعْرَضَ عَنِ قِرْنِهِ، وَصَدَّ، فَمَا أَصْبَحَ شَيْءٌ عَلَيْهِ يَغْطِفُهُ
 سليمان أعرض عن خصمه، ولا يعطفه عليه (بوجهه نحوه) شيء
 كَمْ يَعِدُّ الْقِرْنَ بِاللِّقَاءِ؟ وَكَمْ يَكْذِبُ فِي وَعْدِهِ وَيُخْلِفُهُ؟
 لَا يَعْرِفُ الْقِرْنَ وَجْهَهُ، وَيَرَى قَفَاهُ مِنْ قُرْسَخٍ فَيَعْرِفُهُ

٢٤٤ رجال وحمير

هَمُّ الرِّجَالِ الْعُلَا، تَنَافُسُهُمْ فِيهَا، وَهَمُّ الْحَمِيرِ فِي الْعَلْفِ

٢٤٥ الزمن الرديء

دَهْرٌ عَلَا قَدْرُ الْوَضِيعِ بِهِ وَهَوَى الشَّرِيفُ يَحْطُهُ شَرْفُهُ
 كَالْبَحْرِ يَرْسُبُ فِيهِ لَوْلُوهُ سِفْلاً، وَتَطْفُو فَوْقَهُ جَيْفُهُ

٢٤٦ عارف قدر نفسي

نَظَرْتُ بِعَيْنٍ إِنْصَافٍ وَعَدْلٍ فَلَمْ أَرَ قِطَّ مِيزَانِي خَفِيفًا
وَلَمْ أَرَ هَائِبِي إِلَّا قَوِيًّا وَلَا مُسْتَضْعِفِي إِلَّا سَخِيفًا

٢٤٧ طلب الستر

وقال في الطائي:

إِلَيْكَ رَادَفْتُ عَزْمِي فَوْقَ نَاجِيَةٍ كَالرَّيْحِ تُغَصِّفُ بِالرُّكْبَانِ إِعْصَافًا
رَادَفْتُ عَزْمِي فَوْقَ نَاجِيَةٍ: جعلت عزمي تركب رديفة لي فوق ناقة سريعة كالريح

سَفِينَةٌ مِنْ سَفِينِ الْبَرِّ مُحْكَمَةٌ تَجْرِي إِذَا مَا اتَّخَذَتْ السُّوْطَ مِجْدَافًا
جَاءَتْ بِعَسَافٍ أَهْوَالٍ عَلَى ثِقَةٍ أَنْ سَوْفَ تَلْقَاكَ لِلْأَمْوَالِ عَسَافًا
عساف الأهوال: من يسير على غير هدى مخترقاً الأهوال، وعساف الأموال: الذي يفرقها بلا حساب

أَهْدَى إِلَيْكَ هَدِيًّا مِنْ كَرَامِهِ يَحْقُفُّهَا حَشْدُ الْأَمَالِ رَقَافًا
أهدى إليك هدياً (عروساً) من كرائمه (بناته) يعني قصيدة) وهي محفوفة بحشد زفاف (يزف العروس) من الأموال في العطاء

حَسَنَاءُ مُعْجِبَةٌ لِلنَّاسِ مُطْرِبَةٌ لَا تَسْتَعِينُ عَلَى الْإِطْرَابِ عَزَافًا
مِنْ سَيِّدَاتِ الْقَوَافِي مَا يَزَالُ لَهَا رَاوٍ تَظَلُّ بِهِ السَّادَاتُ حُقَافًا
أَذَالَ فِيهَا لَكَ النَّفْسَ الَّتِي لَقِيتَ مِنَ الْعَفَافِ وَطُولِ الظَّلْفِ إِفْشَافًا
ذلل نفسه في قصيدته، وكان حفظ على نفسه عفافها طويلاً وعانى الظلف (خشونة العيش) والإفشاف (شظف العيش)

فَحَاكَهَا، وَالَّذِي يَبْغِي كِفَايَتَهُ، وَإِنْ شَتَا غَيْرُهُ فِي الرِّيفِ أَوْ صَافَا
حَوْكَ أَمْرِي لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ مَكْتَسِبًا بِالشَّعْرِ سَتَالَةً لِلنَّاسِ مِلْحَافَا
تعليق أحمد عبد الرحيم: كذاب يا خيشة!

كَخَصَفِ آدَمَ مِنْ أَوْرَاقِ جَنَّتِهِ وَلَمْ يَكُنْ، قَبْلَ ذَلِكَ الْخَصَفِ، خَصَافًا
كَسَاكَ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا لِتَكْسُوهُ مِنْ سِتْرِهَا، فَكُسُهُ؛ يَا خَيْرَ مَنْ كَافَا
كافا: كافاً

٢٤٨ أهل القريض

يملح عبيد الله بن عبد الله:

صُنْ مَدِيحِي وَمَظْلَبِي عَنْ أَنَا سِ لَمْ أَرَلْ عَنْ لِقَائِهِمْ صَدَّافَا
فَلْيَعِظْكَ أَمْرُؤُ غَدَا فِي يَدَيْهِ حَسَبَ مُبْتَلَى وَمَالٍ مُعَافَى
إِنَّ أَهْلَ الْقَرِيضِ طَوْرًا يَرِيقُوا نَ، وَطَوْرًا تَرَاهُمْ أَجْلَافَا
وَلِذَا أَسْخَطُوا رَأَوْا دَمَ سَابُوا رَ، وَلَوْ كَانَ يَنْزِعُ الْأَكْتَافَا

سابور: ملك الفرس، انتصر على العرب وعاقب رؤساءهم بخلع أكتافهم

هُم إِذَا شَتَّ نَحْلُ شَهْدٍ وَإِنْ شَتَّ شَتَّ أَفَاعَ رُقْشٍ تَمُجُّ الرُّعَافَا
رُقْش: مرقطة، تمج الزعافا: تنفت السَّم الهاري

لَا يَكُونَنَّ مَا سَمِعْنَاهُ مِنْ جُورٍ دِكْ فِي كُلِّ مَحْفِلٍ إِرْجَافَا
الإرجاف: الإشاعات

٢٤٩ أمان لقائه بلفائه

نسبت البيئمة البيتين لأبي أحمد الكاتب، وأوردناها هناك سهواً، ولم نحذفهما حفاظاً
على الترقيم:

قَدْ قُلْتُ إِذْ مَدَحُوا الْحَيَاةَ فَأَكْثَرُوا: لِيَلْمُوتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَا تُعْرَفُ
فِيهِ أَمَانٌ لِقَائِهِ بِلِقَائِهِ وَفِرَاقُ كُلِّ مُعَاشِرٍ لَا يُنْصِفُ

٢٥٠ ندم على المدح

رُدُّوا عَلَيَّ صَحَائِفًا سَوَّدْتُهَا فَبِكُمْ بِلَا حَقٍّ، وَلَا اسْتِحْقَاقِي
مَا كَانَ مِثْلِي مَا دِحَا أَمْثَالَكُمْ لَوْلَا أَتَّهَامِي ضَامِنَ الْأَرْزَاقِي

٢٥١ الحلف الحاضر

وَإِنِّي لَكِدُو حَلِيفٍ حَاضِرٍ إِذَا مَا اضْطَرَّرْتُ وَفِي الْحَالِ ضَيْقُ
وَهَلْ مِنْ جُنَاحٍ عَلَى مُرْمَقٍ يُدَافِعُ بِاللَّهِ مَا لَا يُطِيقُ؟

٢٥٢ الخروج من الجنة

وكتب إلى القاسم بن عبيد الله حين خرج مع المعتضد إلى «بلد» وواقع الأعراب بها:
أَخْرَجْتُ مِنْ جَنَّتِي مُفَاجَأَةً أَمَنْ مَا كُنْتُ فِي حَدَائِقِهَا

بَيْنَا اسْتِمَاعِي هَدِيلَ هَادِلِهَا إِذْ رَاعَ قَلْبِي نَعِيقُ نَاعِقِهَا
فَارَقَنِي قَاسِمٌ لَطِيبَتِهِ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى مُقَارِقِهَا
لَطِيئَتِهِ : لَشَانَهُ

بَانَ عَنِ الْعَيْنِ وَهُوَ فِي فِكْرِي أَدْنَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ مُعَانِقِهَا
وَاللَّهُ لَوْلَا تَطْيِيرِي سَفَحَتْ عَيْنِي دَمَ الْقَلْبِ مِنْ حَمَالِقِهَا
حَمَالِقُهَا : بَوَاطِنُ أَجْفَانِهَا . يَقُولُ إِنَّهُ كَانَ سِيكِي عَلَيْهِ دَمًا لَوْلَا أَنَّ هَذَا مِنْ دَوَاعِي التَّشَاوُمِ . .
فَالرَّجُلُ غَابَ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَمُتْ

٢٥٣ المزداد المشقوق

وقال يصف السحاب :

مَتَهَلَّلْ زَجَلٌ تَحِنُّ رَوَاعِدُ فِي حَجَرَتَيْهِ، وَتَسْتَطِيرُ بُرُوقُ
متهلل : لامع بالبرق، زجل : صائت بالرعد، حجرته : جانبيه

سَدَّتْ أَوَائِلُهُ سَبِيلَ أَوَاخِرٍ لَمْ يَذِرْ سَائِقُهُنَّ كَيْفَ يَسُوقُ
بصفه بالتكاثف فالسحابات الأولى لم تتزحزح، والسحابات القادمة إليها تتراكم فوقها، والريح التي
تسوقها لا تدري أيا ن تذهب بها

طَفِقَتْ رَوَايَاهُ تَجَرُّ مَرَادَهَا فَوْقَ الرُّبَا، وَمَرَادُهَا مَشْقُوقُ
الروايا : النياق التي يُحْمَلُ عَلَيْهَا الْمَاءُ، مَرَادُهَا : قُرْبَتُهَا . يَقُولُ : السَّحَابُ كَالْجَمَالِ الَّتِي تَحْمِلُ
الْمَاءَ دَاخِلَ قَرَبٍ وَتَجْرُهَا فَوْقَ الرُّبَا، وَهَذِهِ الْقَرَبُ مَشْقُوقَةٌ وَيَسِيلُ مِنْهَا الْمَاءُ

وَتَضَاكَكَ الرُّوضُ الْكَثِيبُ لِصُوبِهِ حَتَّى تَفْتَقَ نَوْرُهُ الْمَرْتُوقُ
صوبه : مطره، المرتوق : المخیط

٢٥٤ غرستني فاروني

تَنَاسَيْتُ أَمْرِي، وَاطَّرَحْتُ حُقُوقِي وَعَادَيْتُ بَرِّي، وَاضْطَفَيْتُ عُقُوقِي
اصطفيت عقوقي : اخترت أن تجحد فضلي

أَتَغْفِلُ رَبِّي بَعْدَمَا قَدْ غَرَسْتَنِي قَدِيمًا، وَسَاخَتْ فِي ثَرَاكَ عُرُوقِي
وَلَا حَتَّ بُرُوقُ مِنْكَ أَخْلَفَ رَغْدُهَا عَلَى أُنْثَى مَا أَخْلَفَتْكَ بُرُوقِي

٢٥٥ الغريق في أمواله

وقال فيمن جمع المال ومنعه من حقوقه:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَالَ يُهْلِكُ أَهْلَهُ إِذَا جَمَّ آتِيهِ، وَسُدَّ طَرِيقُهُ
جَم: كَثُرَ، آتِيَهُ: الْآتَى هُوَ السَّيْلُ، وَالْآتَى لَعَلَّهَا السَّيْلُ أَيْضاً فَهُوَ مَاءٌ يَأْتِي
وَمَنْ جَاوَرَ الْمَاءَ الْغَزِيرَ مَجَّمُهُ وَسُدَّ سَبِيلَ الْمَاءِ فَهُوَ غَرِيقُهُ
مجمه: كثرته

٢٥٦ أنشودة الوهق

وقال في عبد الملك بن صالح الهاشمي، وطلب منه وصف جارية له سوداء:

يَسْقِي النَّدَامَى فَيَشْرَبُونَ لَهُ كَشْرِبِ فِرْعَوْنَ سَاعَةَ الْغَرَقِ
أَبُو سَلِيمَانَ ذُو الْإِصَابَةِ وَالْإِحْسَانِ، وَابْنُ الْمَلُوكِ لَا الشُّوقِ
وَقَاءَهُ قُورَاهُ قِيَامَهُمْ وَأَنْفَقَتْ كَفُّهُ بِلا فَرْقِ
قُورَاهُ: خَدَمَهُ الْقَائِمُونَ عَلَى ضِيوفِهِ، فَرَّقَ: خُوفَ

عَلَى دِنَانٍ كَأَنَّهَا جُثَّتْ مِنْ قَوْمٍ عَادٍ عَظِيمَةِ الْخَلْقِ
قالوا كان قوم عاد عمالقة

فَجَاءَ شَيْءٌ إِذَا الذُّبَابُ دَنَا مِنْهُ دُثُوّاً دَنَا مِنَ الزَّهَقِ
جاء من الدنان شيء هو الخمر، ولشعاعها فإذا دنا منها الذباب اقترب من الزهق، أي الموت
احتراقاً

تُدِيرُهُ جَوْنَةٌ تُحَرِّقُ بِالْدِّ - لَ إِذَا الْبَيْضُ جُذِنَ بِالْدِّمَتِ
تدير كؤوس الخمر على الشاربين فتاة جونة (سوداء) تحرق القوم بدلالها، في حين الفتيات البيض
يمنحن القوم الدمق (البرودة)

اختار الديوان «الرمق» بالراء، وجعل في الهامش الدمق منقولة عن إحدى النسخ. ولعل
الدمق (البرودة) هي الصحيحة كي تقابل الإحراق. فالسوداء، بالنظر إلى سوادها، تحرق
القوم إحراقاً جميلاً بدلالها، والبيضاء تضيء عليهم ببرودة، تناسب بياضها. وابن الرومي
رجل عرف الثلج وحدثننا عن الثلوج الأشاهب في قصيدته البائية الكبرى (رقم ٤٦ هنا)

سَوْدَاءٌ لَمْ تَنْتَسِبْ إِلَى بَرَصِ الشَّبِّ - قُمْرٍ وَلَا كُلْفَةٍ وَلَا بَهَقِ

الكلفة: الكَلْفُ، البَهَقُ: البهاق، ابيضاض الجلد من مرض. والكلف يتزل بالبيض وحدهم، فأما
هذه السوداء فلا كلف ولا برص ولا بهق

لَيْسَتْ مِنَ الْعَبْسِ الْأَكْفُ وَلَا الـ فُلُحِ الشَّفَاءِ الْخَبَائِثِ الْعَرَقِ
العبس الأكف (الوسخي الأيدي)، الفلح الشفاء (المشقوقي الشفاء)، الخباثت العرق (المتني رائحة العرق)

بَلْ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ نَاعِمَةٌ تَنْشُرُ بِالذَّلِّ مَيِّتَ الشَّبَقِ
تنشر: تحيي بعد موت

غُضُنْ مِنَ الْآبُسُوسِ أَلْفَ مِنْ مُؤْتَزَّرٍ مُعْجِبٍ وَمُنْتَطَقِ
المؤتزر: مكان الإزار، لعله يقصد الصدر، المنتطق: مكان النطاق، الزنار، ولعله الخصر

يَهْتَزُّ مِنْ نَاهِدِيهِ فِي ثَمَرٍ وَمِنْ دَوَاجِي ذُرَاهُ فِي وَرَقِ
هذا الغصن ثمراته النهدان، ودواجي ذراه (أعالیه الداجية المودّة أي الشعر) هي ورقه

يَفْتَرُّ ذَاكَ السَّوَادُ عَنْ يَقَيِّ مِنْ ثَغْرِهَا كَاللَّالِي النَّسَقِ
يقق: يياض

كَأَنَّهَا وَالْمُرَاحُ يُضْحِكُهَا لَيْلٌ تَفَرَّى دُجَاهُ عَنْ فَلَقِ
تفرى: تفتق، والفلق: انبلاج الفجر

لَهَا هَنْ تَسْتَعْمِيرُ وَقَدْتَهُ مِنْ قَلْبِ صَبٍّ، وَصَدْرِ ذِي حَنْقِ
هن: عضو المرأة، له حرارة كأنها آتية من قلب صب عاشق أو من صدر ذي حنق (غضب)

كَأَنَّمَا حَرُّهُ لِخَابِرِهِ مَا أَلْهَبَتْ فِي حَشَاهُ مِنْ حُرْقِ
حره لمن يختبره - أي ليس لي أنا - يشبه ما أشعلت هذه الفتاة من لهيب في قلب هذا الشخص

يَزْدَادُ ضَيْقًا عَلَى الْمِرَاسِ كَمَا تَزْدَادُ ضَيْقًا أَنْشُوطَةُ الْوَهَقِ
المراس: الاحتكاك، أنشوطه الوهق: عقدة الجبل

لَهُ إِذَا مَا الْقُمُودُ خَالَطَهُ أَرْزَمَ كَأَخْذِ الْخِنَاقِ بِالْعُنُقِ
القمد: عضو الرجل، الأزم: العض

خُذْهَا أَبَا الْفَضْلِ كُسُوءَ لَكَ مِنْ حُرِّ الْأَمَادِيحِ لَا مِنَ الْخِرَقِ
خذ هذه القصيدة يا أبا الفضل

وَصَفْتُ فِيهَا الَّذِي هَوَيْتَ عَلَى الـ وَهَمٍ، وَلَمْ تُحْتَبَرْ وَلَمْ تُذَقِ
وصفت جاريثك بحسب طلبك وليس عن اختبار شخصي

٢٥٧ البلاء المضاعف

وقال في إبراهيم بن أحمد المدرائي:

لا تُكْثِرَنَّ مَلَامَةَ الْعِشَاقِ فكَفَامُهُم بِالْوَجْدِ وَالْأَشْوَاقِ
إِنَّ الْبَلَاءَ يُطَاقُ غَيْرَ مُضَاعَفٍ فَإِذَا تَضَاعَفَ كَانَ غَيْرَ مُطَاقٍ
لَا تُظْفِفَنَّ جَوَى بِلُومٍ، إِنَّهُ كَالرِّيحِ تُغْرِى النَّارَ بِالْإِحْرَاقِ
أَخَذَ الْإِلَهُ لَنَا بَثَارَ قُلُوبِنَا مِنْ مُضْمِيَّاتٍ لِلْقُلُوبِ رِشَاقٍ

مصميات: صائبات الرمي قاتلات

رَقَّتْ مِيَاهُ وَجُوهِهِنَّ لِنَاظِرٍ وَقُلُوبُهُنَّ عَلَيْهِ غَيْرُ رَقَاقٍ
لِلْهِ إِبْرَاهِيمُ وَاحِدُ عَصْرِهِ مَا أَشَبَّهَ الْأَخْلَاقَ بِالْأَغْرَاقِ
أَوْفَى بِأَعْلَى رُتَبَةٍ، وَتَوَاضَعَتْ آلاؤُهُ فَأَحَظُنَّ بِالْأَعْنَاقِ
أوفى: وصل، تواضعت: انخفضت، آلاؤه: نعمه. هو عالي المنزل وعطاياه نزلت لكي تحيط
بالأعناق

كَالشَّمْسِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ مَحَلَّهَا وَشُعَاعُهَا فِي سَائِرِ الْآفَاقِ

٢٥٨ أحسنت

أَيُّهَا الْبَيْهَقِيُّ أَحْسَنْتَ فِي شِعْرِ رِيكَ إِحْسَانَ ذِي طِبَاعٍ وَحَذَقٍ
قَرِطَ اللَّهُ بَظَرَ أَمْكٍ بِالذَّرِّ - فَقَدْ أَنْجَبْتَ بِشَاعِرٍ صِدْقٍ
جعل الله بظر أمك محلى بقرط (حلق) من الدر

٢٥٩ فتنا كبدي

وقال في الفراق:

أَطْبَقْتُ لِلنَّوْمِ جَفْنًا لَيْسَ يَنْطِيقُ وَبِئْتُ وَالِدَمْعٍ فِي خَدَّيْ يَسْتَنْقِ
لَمْ يَسْتَرْخِ مَنْ لَهُ عَيْنٌ مُؤَرَّقَةٌ وَكَيْفَ يَعْرِفُ طَعْمَ الرَّاحَةِ الْأَرَقُّ؟
مَحَمَّدٌ وَعَلَيَّ فَتَنًا كَبِيدِي إِذَا ذَكَرْتُهُمَا وَالْعَيْسُ تَنْطَلِقُ

العيس: الجمال

خِلَانٍ حَلَّ بِقَلْبِي مِنْ فِرَاقِهِمَا مَا كُنْتُ أَخْشَى عَلَيْهِ قَبْلَ نَفْتَرَقُ
قَلْبٌ رَقِيقٌ تَلَطَّطَ فِي جَوَانِبِهِ نَارُ الصَّبَابَةِ حَتَّى كَادَ يَحْتَرَقُ

٢٦٠ عذاري

وُثِدِي نَاهِدَاتٍ لَمْ يُخَضِّدْهَا الْعِنَاؤُ

يخضدها : يهرسها

بَيْنَهَا حَلِيّ نَفِيسٌ كُفُوُهُ تِلْكَ الْحِقَاقُ

كفؤه : تناسبه، الحقائق : علب الجواهر

فِي صُدُورِ سَالِيَاتٍ لَمْ يُلَذَّغْهَا الْفِرَاقُ

٢٦١ مصداقاً لقولي

مَا قُلْتُ فَبِكَ هِجَاءُ خِلْتُهُ كَذِباً إِلَّا بَدَتْ مِنْكَ سَوَاءٌ تُحَقِّقُهُ

٢٦٢ حجة الزنديق

وقال يهجو إسماعيل بن بلبل :

خَفَضَ أبا الصَّغْرِ فَكَمْ طَائِرٍ خَرَّ صَرِيحاً بَعْدَ تَحْلِيْقِ

رُؤُوجَتِ نُعْمَى لَمْ تَكُنْ كُفَّتْهَا فَصَانَهَا اللَّهُ بِخَطْلِبِ

وَكُلُّ نُعْمَى غَيْرِ مَشْكُورَةٍ رَهْنُ زَوَالٍ بَعْدَ تَمْجِيْقِ

لَا قُدْسَتْ نُعْمَى تَسْرِبْلَتْهَا كَمْ حُجَّةٍ فِيهَا لِزَنْدِيقِ

النعمة التي تسربلتها (لبستها) كانت حجة للزنديق الذي يقول : غير عدل من الله أن يعطي النعمة لمن لا يستحقها

٢٦٣ بغيض العراق

وَتَقْبِيلِ جَلِيسُهُ فِي سِيَاقٍ سَاعَةً مِنْهُ مِثْلُ يَوْمِ الْفِرَاقِ

لفظة الديوان : في سباق، ونحسبها (في سياق)، والسياق النزاع والاحتضار

كَشَجَا الْحَلْقِ لَا يَسُوعُ، وَلَا يُلْ كَفْظُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ التَّرَاقِي

شجا الحلق : ما يعلق بالحلق من شوك أو عظم، فلا ينزل في بلعوم ولا يلفظ،

واللهي تلك اللحمية في الحلق التي تراها مبيضة بالقيح عندما تَقْلُوزُ، والتراقي : جمع

ترقوة وهي عظمة تصل النحر بالكشف

قَدْ قَضَى اللَّهُ مَوْتَهُ مِنْذُ حِينٍ وَاحْتَوَى الْمَوْتُ نَفْسَهُ، وَهُوَ بَاقٍ

لَا أَسْمِيهِ بِاسْمِهِ، قَدْ كَفَانِي أَنَّهُ وَحْدَهُ بِبَغِيضِ الْعِرَاقِ

٢٦٤ الهجاء أحلى

يقولون لي: أَلْفَاظُ هَجْوِكَ عِنْدَنَا إِلَى الْقَلْبِ، مِنْ أَلْفَاظِ مَدْحِكَ، أَسْبَقُ
فَقُلْتُ لَهُمْ: كَذَبٌ مَدِيحِي فِيكُمْ وَهَجْوِي لَكُمْ صِدْقٌ، وَلِلصَّدَقِ رَوْنٌ

٢٦٥ لطف صنعة الخلاق

وَقَفْتُ وَتَفَنَّهُ بِبَابِ الطَّاقِ ظَبِيَّةٌ مِنْ مُخَدَّرَاتِ الْعِرَاقِ
مخدرات: فتيات مصونات في بيوتهن

بَنَتْ سَبْعَ وَأَرْبَعَ وَثَلَاثَ أَسْرَتْ قَلْبَ صَبَّهَا الْمَشْتَاكِ
قُلْتُ: مَنْ أَنْتِ يَا غَزَالٌ؟ فَقَالَتْ: أَنَا مِنْ لُطْفِ صَنَعَةِ الْخَلَاقِ
لَا تَرُمُ وَصَلْنَا فَهَذَا بَنَانٌ قَدْ صَبَغْنَاهُ مِنْ دَمِ الْعُشَّاقِ
وبنانها، أي أطراف أصابعها، مصبوغة بالحناء

٢٦٦ كل واشكر

يمدح المنصوري:

عِشْ فِي ذَرَاهُ، وَدَعْ عَدَاوَتَهُ وَأَنْتِ فِي الْخُلْدِ تَرْتَعِي رَعْدَكَ
ذراه: حمايته
يَا مَنْ يُعَادِي السَّمَاءَ أَنْ رُفِعَتْ كُلُّ خَيْرِهَا تَحْتَهَا وَدَعْ نَكْدَكَ

٢٦٧ بيتي جسد لروحي

يمدح سليمان بن عبد الله:

أَعُوذُ بِحَقْوَيْكَ الْعَزِيزِينَ أَنْ أَرَى مُقَرَّراً بِضَيْمٍ يَتْرُكُ الْوَجْهَ حَالِكَا
أنا ألجأ إلى حقوك (جانبيك) حتى لا أسلم بالظلم الذي يسود الوجه
وَلِي وَطَنٌ أَلَيْتُ أَلَا أُبِيعَهُ وَأَلَا أَرَى غَيْرِي لَهُ الدَّهْرُ مَالِكَا
وطن: بيت، أليت: حلفت. يتكلم عن بيته وليس عن الوطن كما نفهمه اليوم
عَهِدْتُ بِهِ شَرَحَ الشَّبَابِ وَنِعْمَةً كَنَعِمَةٍ قَوْمٍ أَصْبَحُوا فِي ظِلَالِكَا
شرح الشباب: أوله

فَقَدْ أَلْفَنَهُ النَّفْسُ حَتَّى كَانَهُ لَهَا جَسَدٌ، إِنْ بَانَ غُودِرْتُ هَالِكَا
بيتي كالجسد لروحي، وإذا بَانَ (فَارَقَ) غُودِرْتُ (تُرِكَتُ) هَالِكَا

وَحَبَّبَ أَوطَانَ الرِّجَالِ إِلَيْهِمْ مَارَبُ قَضَّاهَا الشَّبَابُ هُنَالِكَ

مَارَب: حاجات

إِذَا ذَكَرُوا أَوطَانَهُمْ ذَكَرْتَهُمْ عَهْدَ الصَّبَا فِيهَا، فَحَنُّوا لِذَلِكَ

وَقَدْ ضَامَنِي فِيهِ لَتِيْمٌ وَعَزَّنِي وَهَذَا أَنَا مِنْهُ مُعَصِّمٌ بِجِبَالِكَ

ضامني: ظلمني، عزني: أرغمني، معصم: متمسك

وَأَخَذْتُ أَحَدَانَا أَضْرَّتْ بِمَنْزِلِي يُرِيغُ إِلَى بَيْعِيهِ مِنْهُ الْمَسَالِكَا

يرغ المسالك: يتحايل، يبيعه منه: يريد مني أن أبيعته منزلي

وَرَأَعَمَنِي فِيمَا أَتَى مِنْ ظُلَامَتِي وَقَالَ لِي: اجْهَدْ فِي جَهْدِ احْتِيَالِكَ

فَمَا هُوَ إِلَّا نَسْجُكَ الشَّعْرِ سَادِرَاً وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا ضَلَّةٌ مِنْ ضَلَالِكَ

سادرًا: سائرًا على غير هدى. يقول له ذلك الجار: قصارك أن تكتب شعراً أبها الضال

يُعَيِّرُ سُؤَالَ الْمَلُوكِ، وَلَمْ يَكُنْ بِعَارٍ عَلَى الْأَحْرَارِ مِثْلُ سُؤَالِكَ

مُذِلًّا بِمَالٍ لَمْ يُصِبْهُ بِحِلُّو وَحَقَّ جَلَالِ اللَّهِ ثُمَّ جَلَالِكَ

مدلاً (مفتخراً) بمال لم يصبه (يكسبه) بحله (حلالاً).. ثم يحلف ابن الرومي

وَأَنِّي، وَإِنْ أَضْحَى مُذِلًّا بِمَالِهِ، لَا أَمُلُ أَنْ أَلْقَى مُذِلًّا بِمَالِكَ

فَإِنْ أَخْطَأْتَنِي مِنْ يَمِينِكَ نِعْمَةٌ فَلَا تُخْطِئْنَهُ نِقْمَةٌ مِنْ شِمَالِكَ

فَكَمْ لِقَى الْعَاقُونَ عَوْدًا وَبَدَاةً نَوَالِكَ، وَالْعَادُونَ مُرَّ نَكَالِكَ

العاقون: الفقراء، العادون: المعتدون، نكالك: تنكيلك بهم

٢٦٨ اعتذار

وقال في الحسن بن عبيد الله بن سليمان:

قَدْ أَوْبَقْتَنِي ذُنُوبٌ لَسْتُ أَعْرِفُهَا فَاجْعَلْ تَعْمُدَهَا مِنْ بَعْضِ إِحْسَانِكَ

أوبقتني: أهلكني

بِحَقٍّ مَنْ أَنْتَ رَاجِيهِ وَخَائِفُهُ جُدْ بَاغْتِفَارٍ، وَأَخْمِدْ بَعْضَ نِيرَانِكَ

وَزِنْ ذُنُوبِي بِمَا أَسْلَفْتُ مِنْ حَسَنِ فَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى ظُلْمَ مِيزَانِكَ

٢٦٩ أما يستفزك التحريك؟

وقال في ابن حريث وجارثته بنان:

بِغِ (بُنَانًا) فَأَنْتَ عَنْهَا غَزِيٌّ إِنَّمَا يَفْتَنِي الدَّجَاجَةُ دِيكَ
مَلَكْتُهَا الْفُحُولُ دُونَكَ يَا شَيْبَ خُجَّ جَهَارًا، وَلَمْ يَقْعُ تَمْلِيكَ
كُلَّ يَوْمٍ لَهَا بِغَيْرِكَ عِرْسٌ لَكَ مِنْهُ الدُّعَاءُ وَالتَّبْرِيكُ
عِرس: زوج

يا ثَقِيلَ الْقُرُونِ، يَا جَبَلَ الْعَا رِ، أَمَا يَسْتَفِزُّكَ التَّحْرِيكُ؟

٢٧٠ خشية التقصير

وقال في خالد القحطبي:

وَكُنْتُ إِذَا أَنْفَذْتُ فَبِكَ قَصِيدَةً فَأَنْجَزْتُهَا، اسْتَغْفَرْتُ رَبِّي هُنَالِكَ
فَيَحْسَبُ قَوْمِي ذَاكَ مِنِّي تَأْتِمًا؛ وَمِنْ خَشْيَةِ التَّقْصِيرِ أَفْعَلُ ذَلِكَ
تأتمًا: خوفًا من الإثم

٢٧١ الطويل البطيء

شَهْرُ الْقِيَامِ، وَإِنْ عَظُمَتْ حُرْمَتُهُ، شَهْرٌ طَوِيلٌ ثَقِيلُ الظِّلِّ وَالْحَرَكَهْ
يَمْشِي الْهُوَيْنَا، وَأَمَّا حِينَ يَطْلُبُنَا فَلَا السُّلَيْكُ يُدَانِيهِ وَلَا السُّلَكَةُ
السليك: من عدائي العرب، والسلكة: أمه، ولها فيه مرثية محفوظة

كَأَنَّهُ طَالِبٌ نَارًا عَلَى فَرَسٍ أَجَدَّ فِي إِثْرِ مَطْلُوبٍ عَلَى رَمَكَةٍ
رمكة: فرس بطينة

أَذْمُهُ غَيْرَ وَقْتٍ فِيهِ أَحْمَدُهُ مِنْذُ الْعِشَاءِ إِلَى أَنْ تَسْقَعَ الدِّيَكَةُ
تسقع: تصيح

وَكَيْفَ أَحْمَدُ أَوْقَاتًا مُدَمَّمَةً بَيْنَ الدُّوْبِ وَبَيْنَ الْجَوْعِ مُشْتَرَكَةً؟
يَا صِدْقَ مَنْ قَالَ: أَيَّامٌ مُبَارَكَةٌ إِنْ كَانَ يَكْنِي عَنِ اسْمِ الطُّولِ بِالْبَرَكَةِ

٢٧٢ سل ولا تمدح

إِذَا مَا مَدَحْتَ الْمَرْءَ تَطْلُبُ رِفْدَهُ وَلَمْ تَرْجُ فِيهِ الْخَيْرَ إِلَّا بِذَلِكَ

فَأَنْتَ لَهُ أَهْجَى الْبَرِيَّةِ نِيَّةً وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَطْرَقَتْهُ فِي مَقَالِكَا
وَأَمْدَحُ مَا تُلْقَى لِمَنْ أَنْتَ سَائِلٌ إِذَا مَا طَرَحْتَ الْمَدَحَ عِنْدَ سُؤَالِكَا
طرح: ألغيت

وَطَالَبْتَ جَذْوَاهُ بِغَيْرِ وَاسِيلَةٍ كَمَا طَالَبْتَ يُمْنَاكَ مَا فِي شِمَالِكَا

٢٧٣ يا صاحب المعالي، يا بغل

وقال في إسحاق بن ذئيل:

هُوَ بَغْلٌ وَعَدْتَنِيهِ فَإِنْ أَخَذَ لَفَتَ ضَامَتُ أَخْلَاقَهُ أَخْلَاقُكَ
وأخلاق البغل على ما وصفها الجاحظ، معاصر ابن الرومي، أنه متلون وقتال لصاحبه

فَأَتَى اللَّهَ أَنْ يَشِينَكَ خُلْفٌ فَالْمَعَالِي وَأَهْلُهَا عُشَاؤُكَ
وَالْقَوَافِي إِذَا طَلَبْنَاكَ يَوْمًا غَيْرُ مَا مُعْجِزٍ لَهْنٌ لِحَاؤُكَ
لَا سَلَالِيمُكَ الطَّوَالُ يُنَجِّبُ نَكَ مِنْ سَطَوَتِي وَلَا أُنْفَاؤُكَ

٢٧٤ استعارة الكتب

وقال في أبي الحسين محمد بن أحمد المعلي، وكان قد استعار منه كتابا فضيعه:
مَنْحَتُكَ مِصْبَاحًا فَأَغَشَاكَ ضَوْؤُهُ وَقَدْ كَانَ ظَنِّي أَنَّهُ سَيْرِيكََا
أعشاك: أضعف بصرك

نَسَخْتُ كِتَابِي ثُمَّ كَأَفَاتُ نَسَخَهُ بِتَضْيِيعِهِ، أَخْلَفْتَ ظَنِّي فَيْكََا

٢٧٥ أتاني عنك

وقال في أبي عيسى بن القنوط، وقد بلغه أنه عاب شعره:

وَتَبَّتْ عَلَى الْهَزْبِ وَأَنْتَ كَلْبٌ وَلَمْ تَحْسَبْهُ يَنْشَطُ لَافِتِرَاسِكَ
الهزبر: الأسد

أَتَانِي عَنْكَ أَنْكَ عِبَتْ شِعْرِي وَمَا زِلْتَ الْمُضَلَّلَ فِي قِيَاسِكَ
فَقُلْتُ: عَسَاهُ كَانَ بِهِ نَعَاسٌ وَعِنْدِي مَا يُطَيِّرُ مِنْ نَعَاسِكَ
هَجَاءٌ إِنْ سَكَنْتَ لَهُ تَمَادَى وَإِنْ شَامَسَتْ ذَلَّلَ مِنْ شِمَاسِكَ

شامست: تمردت

٢٧٦ التفسير لغيرك

وقال وقد مدح عبيد الله بن عبد الله، ونسخ القصيدة له، وفسر غريبها. وكان فعل مثل ذلك بعلي بن يحيى بن أبي منصور المنجم:

لَمْ أَفْسُرْ غَرِيبَهَا لَكَ، لَكِنْ لَا مَرِيَّ يَجْهَلُ الْغَرِيبَ سِوَاكَ
غريبها: كلماتها الصعبة

غَيْرَ أَنِّي أَمَلْتُ حُظْوَةَ شِعْرِي حِينَ تَرَعَى رِيَاضَهُ عَيْنَاكَ
فَشَرَحْتُ الْغَرِيبَ فِيهِ رَجَاءً أَنْ يُرَوِّاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَتَاكَ

٢٧٧ يا أخي!

وقال في خالد القحطبي:

أَخَالِدُ قَدْ عَادَيْتَ فِيَّ كَرَاكَ وَأَتَعَبْتَ فِي حَوْكِ الْقَرِيبِ قُؤَاكَ
كراك: نومك

فَلَا تَهْجُنِي إِنِّي أَخُوكَ لَأَدِمَ وَحَسْبِي هِجَاءُ أَنْ أَكُونَ أَخَاكَ

٢٧٨ صدأ الذهب

وقال في ابن موسى الزمن:

أَتَأْمُرُ بِالتَّقَرُّزِ مِنْ كَلَامِي وَذِكْرُكَ يُضِدِّي الذَّهَبَ السَّيِّئَا
أَتَنْتَحِلُ التَّقَرُّزَ يَا ابْنَ حُسْنٍ وَحَجَّامُ الْقَبِيلَةِ يَمْتَطِيطِيكَا؟
تنتحل: تدعي

٢٧٩ افرح بالشهرة

وقال في لحية الليف:

أَبْعَقِلِ الْمُعَلِّمِينَ يُعَابُ الشَّد - عَرُّ؟ أَبْرِي فِي الْقَعْرِ مِنْ بَطْرِ أُمِّكَ!
لَسْتُ عِنْدِي إِنْ عَبَتْ شِعْرِي مَلُومًا لَكَ عُذْرٌ لَدَيَّ فِي ضَيْقِ عِلْمِكَ
لِقَرِيبِي يَا ابْنَ الزَّوَانِي مَعَانٍ قَصَّرَتْ دُونَهَا مَذَاهِبُ فَهْمِكَ
هُنْتُ عِنْدِي، فَلَا مَدِيحُكَ يُهْدِي لِي سُرُورًا، وَلَا أَسَاءُ بِذَمِّكَ
قَدْ أَرَدْتُ الْإِعْرَاضَ عَنْكَ اجْتِقَارًا لَكَ، لَا أَنَّنِي جَنَحْتُ لِسَلْمِكَ

فَتَذَكَّرْتُ مُوبِقَاتِ ذُنُوبِي فَرَجَوْتُ الْخُرُوجَ مِنْهَا بِشَتْمِكَ
 فَاخْمَدِ اللَّهَ قَدْ رُزِقْتَ هِجَاءً بَعْدَ طُولِ الْخُمُولِ نَوَّةً بِاسْمِكَ
 الخمول: عدم الشهرة

٢٨٠ وحيداً على القمة

وَمَنْ كَثُرَتْ فِي مَالِهِ شُرَكَاءُؤُهُ غَدَاً فِي مَعَالِيهِ قَلِيلَ الْمُشَارِكِ
 حَبَانِي بِمَا يَغِيَا بِهِ كُلُّ رَافِدٍ وَحَبَّرْتُ مَا يَغِيَا بِهِ كُلُّ حَائِكِ
 حَبَّرْتُ: صنعت الثوب الفاخر (من الجبزة أي الثوب)

٢٨١ انظر عاقبتك

نَبُلُ الرَّدَى يَفْصِيذُنْ قُضْدَكَ فَأَجِدْ قَبْلَ الْمَوْتِ حَدَّكَ
 قَدْ عَدَّ قَبْلَكَ مَنْ رَأَى تَ، وَلَسْتَ تَلْبَثُ أَنْ يْعُدَّكَ
 قَدَحِ الْبِطَالَةِ وَالْغَوَا يَةً جَانِباً، وَعَلَيْكَ رُشْدَكَ
 البطالة: اللهو والأعمال الباطلة

فَكَأَنِّي بِكَ قَدْ نَعِمِ تَ، وَقَدْ بَكَى الْبَاكُونَ فَقَدْكَ
 وَتَرَكْتَ مَنْزِلَكَ الْمَثِي لَدَ مُعْطَلًا، وَسَكَنْتَ لَحْدَكَ
 وَسَلَاكَ أَهْلَكَ كُلَّهُمْ وَتَسَوُّوا عَلَى الْآيَامِ عَهْدَكَ
 يَنْمَتُّعُونَ وَأَنْتَ تَح تَ الرُّمُسِ يَرَعَى الدُّودُ جِلْدَكَ
 الرمس: القبر

قَدْ سَلَّمُوكَ إِلَى الضَّرِبِ حَ وَوَسَّدُوا بِالضَّرْبِ حَدَّكَ
 كَمْ قَدْ دَفَنْتَ أَحِبَّةً حَلُّوا مَحَلَّ النَّفْسِ عِنْدَكَ
 أَنْظِرْ إِلَى أَهْلِيهِمْ فَكَذَلِكَ الْبَاقُونَ بَعْدَكَ

٢٨٢ لك أنثى

وقال في خالد القحطبي:

أَيْهَا الْقَحْطَبِيُّ مَا ضَرَّ نَارِي مَا هَوَى فِي جَجِيمِهَا مِنْ فَرَاشِكِ
 ضَحِكْتُ مِنْكَ مُحْكَمَاتُ الْقَوَافِي حِينَ عَارَضْتَ وَابِلِي بِرَشَاشِكِ

لَكَ أَنْثَى تَزِيْفُ فِي كُلِّ عُشٍّ وَتُرَبِّي الْفِرَاحَ فِي أَغْشَائِكَ
تزيّف: تحب جناحها

٢٨٣ قمة السماتة

قال لأبي الصقر إسماعيل بن بلبل لما نكبه الموفق أبو أحمد:
لَوْ تَسْجُدُ الْإَيَّامُ مَا سَجَدْتُ إِلَّا لِيَوْمٍ قُتَّ فِي عَضْدِكَ
قُتَّ فِي عَضْدِكَ: أضعفت قوتك
يَا نِعْمَةً وَلَّتْ عَصَارَتُهَا مَا كَانَ أَتْبَعَ حُسْنَهَا بِبَيْدِكَ
غضارتها: طيها
لَمْ يَبْقَ لِي مِمَّا بَرَى جَسَدِي إِلَّا بَقَاءُ الرُّوحِ فِي جَسَدِكَ

٢٨٤ البيت الأخير

قال أبو عثمان الناجم: دخلت على ابن الرومي في اليوم الذي توفي فيه، فلما قمت
للانصراف قال لي:
تَمَتَّعْ مِنْ أَخِيكَ فَمَا أَرَاهُ يَرَاكَ، وَلَا تَرَاهُ بَعْدَ يَوْمِكَ

٢٨٥ المعجل والمؤجل

وقال يعاتب أبا سهل بن نوبخت:
أَرَى الْعُرْفَ شُرْبًا لَا يَصِحُّ صَفَاؤُهُ إِذَا وَقَعَتْ فِيهِ قَذَاةٌ مِنَ الْمَطْلِ
قذاة: قشة أو وسخة، المطل: التسريف
تَأْمَلْ - أبا سَهْلٍ - بِعَيْنٍ بَصِيرَةٍ وَلَا تَخْلِطَنَّ الْجَدَّ فِي ذَاكَ بِالْهَزْلِ
أَسْخَى عَنِ الدَّارِ الْمُقِيمِ نَعِيمُهَا سَوَى أَتَّهَا شَيْءٌ يُنَالُ عَلَى مَهْلٍ؟
هل جعلنا نسخو عن الجنة (نتنازل عنها) سوى أنها بطيئة موجلة؟
أَمْ اخْتَبِرْتَ الدُّنْيَا عَلَى تِلْكَ زَوْجَةٍ لِشَيْءٍ سِوَى تَعْجِيلِهَا حَاجَةَ الْبَغْلِ؟

٢٨٦ لا لعمري كلا

لَاخَ شَبِيبِي فَرُخْتُ أَمْرُخُ فِيهِ مَرَّخَ الطَّرْفِ فِي الْعِذَارِ الْمُحَلَّى
الطرف: الحصان، العذار المحلى: كمامة عيني الحصان المزركشة. وتسالني لماذا قالوا إن ابن
الرومي غواص على المعاني؟

وَتَوَلَّى الشَّبَابَ، فَازْدَدْتُ رَكْضاً فِي مَيَادِينِ بَاطِلِي، إِذْ تَوَلَّى
 إِنَّ مِنْ سَاءَةِ الزَّمَانِ بِشْيءٍ لَأَحَقُّ امْرِئِي بِأَنْ يَتَسَلَّى
 أَتَرَى أَنْ أَسُوءَ نَفْسِي لَمَّا سَاءَنِي الدَّهْرُ؟ لَا لَعَمْرِي كَلَّا

٢٨٧ كونوا لا عليها ولا لها

وقال في آل وهب:

تَخِذْتُكُمْ دِرْعاً وَتُرْساً لِتَدْفَعُوا نِبَالَ الْعِدَا عَنِّي، فَكُنْتُمْ نَصَالَهَا
 وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو مِنْكُمْ خَيْرَ نَاصِرٍ عَلَى حِينِ خِذْلَانِ الْيَمِينِ شِمَالَهَا
 فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَحْفَظُوا لِمَوَدَّتِي ذِمَاماً، فَكُونُوا لَا عَلَيْهَا وَلَا لَهَا
 قِفُوا مَوْقِفَ الْمَعْدُورِ عَنِّي بِمَغْزِلٍ وَخَلُّوا نِبَالِي، وَالْعِدَا وَنِبَالَهَا

٢٨٨ ثور وتبرك بحمدكم

وقال في القاسم:

آل وَهَبٍ هُنِيئْتُمْ هِبَةَ اللَّهِ هِ، فَمَا زِلْتُمْ لَهَا أَشْكَالاً
 كَمْ رَجَاءٍ فِيكُمْ أَنْارَ جَمَالاً وَعَطَاءٍ مِنْكُمْ أَنْاخَ جَمَالاً
 الراجون خيركم يثرون جمالهم (يبعثونها من مباركها لبدأوا رحلتهم)، وعندما يغادرون يكون
 عطاؤكم ثقيلاً على ظهورها ينيخها فلا تقوم إلا بمشقة

٢٨٩ مروض النحو

بلغه عن الأخفش الأصغر كلام كرمه فهجاه، فاعتذر إليه الأخفش، فقبل عذره وقال:

ذُكِرَ الْأَخْفَشُ الْقَدِيمُ فَقُلْنَا: إِنَّ لِلْأَخْفَشِ الْحَدِيثِ لَفَضْلاً

الأخفش القديم معلم سيبويه، والحديث صاحبنا هذا الذي كان يكثر من ممازحة ابن
 الرومي ويثقل عليه (ولعل ما قصده ابن الرومي بالأخفش القديم من أخذ أهل النحو
 يدعونه بالأخفش الأوسط، فقد جعل ابن الرومي الأخافش أخفشين فقط كما يتضح
 من البيت التالي)

بَدَأَ النَّحْوُ نَاشِئاً فَعَدَّاهُ أَحَدْتُ الْأَخْفَشِينَ فَأَنْصَاتُ كَهْلَا

انصات: استقام، كهلاً: مكتمل الرجولة (والكهل في اللغة بين الثلاثين والخمسين من العمر،
 ويحسبه المحدثون العجوز الهرم)

وَتَعَاَصَى فِقَادَهُ بِيَدَيْهِ أَخَذْتُ الْأَخْفَشَيْنِ فَانْقَادَ رَسُولًا
تعاصى: عصلج وامتنع، رسلاً: سهلاً مسترخياً

٢٩٠ التعزي بمصائب الغير

خَلِيلِي قَدْ عَلَلْتُمَانِي بِالْأَسَى فَأَنْعَمْتُمَا، لَوْ أَنَّنِي أَتَعَلَّلُ

هوئتما علي مصابي بالأسى (الحزن) الذي أصاب غيري

وَمَا رَاحَةُ الْمَرْزُوءِ فِي رُزْءٍ غَيْرِهِ أَبَحْمِلُ عَنْهُ بَعْضَ مَا يَتَحَمَّلُ؟

فهل المرزوء (المصاب) يستريح بمصيبة غيره؟

وَضَرَبَ مِنَ الظُّلَمِ الْخَفِيِّ مَكَائُهُ تَعَزَّيْكَ بِالْمَرْزُوءِ حِينَ تَأْمَلُ

وثمة ظلم خفي الموضع في هذا، لو تأملت: أن تجد راحة في مصيبة غيرك

٢٩١ لا تفرح بالصلح

وقال في الأخفش بعد ما صالحه:

وَلَا تَحْسَبَنَّ الصُّلْحَ أَنْصَلَ آتِي وَلَا أَنَّنِي فِي هَذِهِ السُّلْمِ أَغْفُلُ

أنصل: أضعف، آتي: سلاحي

فَإِنْ هَاجَبَ الْهَيْجَاءُ أَوْ عَادَ عَوْدُهَا عَلَى بَدَائِهَا لَمْ يُلَفَ مِنِّي أَغْزَلُ

وَلِي بَعْدَ إِعْطَائِي الْوَثِيقَةَ حَقُّهَا بَدَائِهِ لَا يَخْذُلُنَنِي حِينَ أَغْجَلُ

بدائه: جمع بديهة، ومعناها هنا: سداد الرأي عند المفاجأة

٢٩٢ ستر الصلعة

يَسُوقُ مِنْ نُفَرْتِهِ طُرَّةً إِلَى مَدَى يَقْصُرُ عَنْ نَيْلِهِ

نفرتة: مؤخر رأسه، طرة: غرة، فهو يرفع شعر مؤخر الرأس ليغطي الصلعة

فَوَجَّهَهُ يَأْخُذُ مِنْ رَأْسِهِ أَخَذَ نَهَارَ الصَّيْفِ مِنْ لَيْلِهِ

بِأَثْبَارِهَا الْهَارِبِ مِنْ دَهْرِهِ أَدْرَكَكَ الدَّمَرُ عَلَى خَيْلِهِ

٢٩٣ بالوعة العقل

تَفَرَّسْتُ فِي الشُّطْرَنْجِ حَتَّى عَرَفْتُهَا فَإِنْ صَحَّ رَأْيِي فَهِيَ بِالْوَعَةِ الْعَقْلِ

البالوعة: مصرف القاذورات

إِلَيْهَا يُغِيضُ الْعَقْلُ مَا شَابَ صَفْوَهُ مِنْ الْهَذَيَانِ الشَّنِيعَةِ وَالْهَزْلِ
يُغِيضُ: يَصُبُّ. فُلَعِبَ الشُّطْرَنْجَ يَلْتَهُمْ أَحْلَامُ الْيَقْظَةِ وَيَلْتَهُمُ الْأَفْكَارُ السُّودَاءُ وَيَشْغَلُ الْبَالُ عَنِ
الْهَذَيَانِ

٢٩٤ لعاب الليل

وقال في أبي حفص الوراق:

حَبْرُ أَبِي حَفْصٍ لَعَابُ اللَّيْلِ
كَأَنَّهُ أَلْوَانُ دُهْمِ الْخَيْلِ
دهم الخيل: الخيل السود

٢٩٥ التدرّب على البخل

وقال يعاتب أبا بكر الطالقاني:

رَأَيْتُ الْمَطْلَ مَبْدَانًا طَوِيلًا يَرُوضُ طِبَاعَهُ فِيهِ الْبَخِيلُ
كَأَنَّ الْبَخِيلَ يَتَدَرَّبُ عَلَى الْبُخْلِ وَيُرْوَضُ طَبْعُهُ فِي مِيدَانِ التَّسْوِيفِ

يُرَاوِدُ عَنْ جَدَاهُ نَفْسَ سُوءٍ تَرَى أَنَّ الْجَدَا رُزْءُ جَلِيلٍ
يرأود البخيل نفسه السيئة عن الجدا (العطاء) . . أي يحاول منعها من المنح

فَمَا هَذَا الْمِطَالُ، فِدَاكَ أَهْلِي وَبَاعُكَ بِالنَّدَى بَاعٌ طَوِيلُ؟
أَظْنُكَ حِينَ تَقْدُرُ لِي نَوَالًا يَقِلُّ لَدَيْكَ لِي مِنْهُ الْجَزِيلُ
وَيُعْزِزُكَ الَّذِي تَرْضَى لِمِثْلِي وَإِنْ لَمْ يُعْزِزِ الرَّأْيُ الْجَمِيلُ
وَفِيمَا بَيْنَ مَظْلِكِ وَاخْتِلَالِي يَمُوتُ بِدَائِهِ الرَّجُلُ الْهَزِيلُ
فَلَا تَقْدُرُ بِقَدْرِكَ لِي نَوَالًا، وَلَا قَدْرِي فَتَحْقِرُ مَا تُنِيلُ
لا تعين لي نوالاً (عطاء) كبيراً بقدر قيمتك، ولا عطاء ضئيلاً بقدر قيمتي

وَأَطْلِقْ مَا تَهْمُ بِهِ، عَسَاهُ كَفَافِي أَيُّهَا الرَّجُلُ النَّبِيلُ
وَالَا فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي؛ نَبَتْ دَارٌ فَاسْرَعَ بِي رَحِيلُ
وَمَنْ يَكُ مِنْ ثَنَائِي مُسْتَقِيلًا فَلِئَنِّي مِنْ جَدَاهُ مُسْتَقِيلُ
سَتَحْكُمُ بَيْنَنَا الْقُلُوصُ النَّوَاجِي وَيُبْعِدُ بَيْنَ دَارَيْنَا الذَّمِيلُ

القُلُوصُ: النِّيقُ، النَّوَاجِي: السَّرِيعَةُ، الذَّمِيلُ: رَكْضُ الْإِبِلِ

لَجَأْتُ إِلَيْكُمْ فَحَذَلْتُمُونِي وَضِفْتُكُمْ فَمَا قَرِي النَّزِيلُ
قري: أطعم

وَأَحْسَبُ أَنَّ عِرْضَكَ عَنْ قَلِيلٍ - أَبَا بَكْرٍ - هُوَ الْعِرْضُ الْفَتِيلُ

عن قليل: بعد قليل، الفتيل: المفتول. هل تعرف حكاية موظف المالية الذي ذهب إلى الخياط بقطعة قماش؟ هاكها: موظف محترم في وزارة المالية جاءته كوبونة (قطعة قماش فريدة ليس في البلد مثل نقشتها) هدية، فذهب بها إلى الخياط. قال له: «فصل لي بذلة. لكن لا أريد القلم معوجاً، والأكام لا أريدها مشنكة (تتغضن برفع الذراع) ولا تجعل لها حشوة سميكة خشنة كبردة الحمار، وإياك أن تجعل لها فتحتين من الخلف كالشباب الصائعين، ثم إنني قد أعود وأراك جعلت البنطلون قصيراً أو حبكت البطانة بغرزة بارزة، ألا لعنة الله على كل الخياطين. هات. هات الكوبونة.» وأخذها وانصرف، والخياط لم يقل كلمة واحدة. هكذا صنع ابن الرومي مع أبي بكر الطالقاني المسكين

٢٩٦ قومي بنو العباس

قُومِي بَنُو الْعَبَّاسِ حِلْمُهُمْ حِلْمِي هُنَاكَ، وَجَهْلُهُمْ جَهْلِي
الجهل: المواجهة بالعنف

نَبْلِي نَبَالُهُمْ إِذَا نَزَلَتْ بِي شِدَّةً، وَنَبَالُهُمْ نَبْلِي
لَا أَبْتَنِي أَبَدًا بِهِمْ بَدَلًا لَفَ الْإِلَهَ بِشَمْلِهِمْ شَمْلِي
وَمَتَى وَرَدْتُ حِيَاضَهُمْ مَعَهُمْ لَمْ يَشْرَبُوا صَفَوَاتِهَا قَبْلِي
قَوْمٌ غَدَا يَرْيَ وَتَكْرِمَتِي مِنْ شُغْلِهِمْ، وَمَدِيحُهُمْ شُغْلِي
مَوْلَاهُمْ وَغَدِي نِعْمَتِهِمْ وَالرُّومُ حِينَ تَنْصُنِي أَضْلِي
تنصني: تنسني

وَمَتَى اعْتَصَمْتُ بِهِمْ فَهُمْ جَبْلِي وَمَتَى رَعَيْتُهُمْ فَهُمْ سَهْلِي

٢٩٧ قليل قذاة العين

طَرَفْتُ عَيُونَ الْغَانِيَاتِ، وَرَبَّمَا أَمَالْتُ إِلَيَّ الطَّرْفَ كُلَّ مَمِيلٍ
وَمَا شِبْتُ إِلَّا شَيْبَةً غَيْرَ أَنَّهُ قَلِيلُ قَذَاةِ الْعَيْنِ غَيْرُ قَلِيلٍ
قذاة العين: الوسخة تقع فيها

٢٩٨ أرزاق

يهجو بني ثوابة:

أَطَاقَتْ بِرَاذِلِيْنُكُمْ حَمْلَكُمْ لِأَنَّ الْبِهَائِمَ لَا تَعْقِلُ
البرذون: الحصان غير العربي يتخذ للركوب، يصفهم بالثقلاء

وَلِلَّهِ فِي خَلْقِهِ حِكْمَةٌ بِهَا خُوِّلَ النَّاسُ مَا خُوِّلُوا
خُوِّل: وُهِب

٢٩٩ محصل الضرائب

يمدح إبراهيم بن المدبر:

لَمْ لَا تَكُونُ لَدَى إِمَامِكَ مَرْتَضًى لَا يَبْتَغِي بِكَ فِي الْكُفَاةِ بَدِيلاً؟
الكفاة: الأكفاء

تَجْبِي لَهُ مَالَ الْبِلَادِ وَحَمْدَهَا إِذْ لَا تُضِيعُ مِنَ الْحَقُوقِ فِتِيلاً
أنت تجبي الضرائب والخراج وأيضاً تجبي شكر الناس للخليفة لأنك تراعي الحق، والفetil
(في الأصل): ذلك الخيط في شق نواة التمرة

قَالَ الْإِمَامُ، وَقَدْ جَمَعْتُهُمَا لَهُ حَظَّانٍ مِثْلَهُمَا بِمِثْلِكَ نِيلاً:
أَنْتَ الَّذِي يَمْرِي اللَّقَاحَ بِرَفْقِهِ مِلءُ الْوِطَابِ، وَلَا يُجِيعُ فَصِيلاً
يمري اللقاح: يحلب النياق، الوطاب: الوعاء، الفصيل: ولد الناقة

أَسْمَعْتَهُ شُكْرَ الرَّعِيَّةِ بَعْدَمَا جَارَ الْوَلَاةِ فَأَسْمَعُوهُ عَوِيلاً
وَلَقَدْ بَلَكَ الطَّالِبُونَ فَثَبُّطُوا أَنْ يُذَرِّكُوكَ، وَخَذَلُوا تَخْذِيلاً
بلاك: اختبرك، الطالبون: المنافسون الذين يطلبون وظيفتك لأنفسهم، ثبطوا: أحبطوا

وَرَأَوْا مَكَانَكَ رَيْثَمَا أَخْلَيْتَهُ كَبَمَكَانٍ بَعْضِ الرَّاسِيَّاتِ أَزِيلاً
ريثما: عندما، الراسيات: الجبال

فَسَرَوْا عَلَى حَرْدٍ إِلَيْكَ، وَأَعْمَلُوا طَلِباً يَحُثُّ بِهِ الرَّعِيلُ رَعِيلاً
على حرد: بسرعة، الرعيل: الجماعة من الناس

فَسُتِرَتْ دُونَهُمْ بِسِتْرِ كَثَافَةٍ حَتَّى خَفِيَ، وَمَا خَفِيَ ضَيْلاً
فَشَنُّوا أَعْنَةً رَاجِعِينَ بِخَيْبَةٍ كَرُّجُوعِهِمْ أَيَّامَ سَافُوا الْفِيلاً
هجومهم لنيل منصبك شبيه بهجوم أبرهة الحبشي على مكة ثم ارتد خائباً

وَلَعَلَّهُمْ لَوْ أَذْرَكُوكَ لِأَرْسَلْتَ طَيْرُ الْعَذَابِ عَلَيْهِمُ السَّجِيلَا
وَلَعَمْرُ جَمْعِ الرُّنَجِ يَوْمَ لَقِيَتَهُمْ مَا صَادَفُوكَ بِرَاعَةٍ إِنْجِفِيلَا
براعة: جبان، إنجفيل: خواف

شَهِدَتْ بِذَلِكَ فِي جَبِينِكَ ضَرْبَةً كَانَتْ عَلَى صِدْقِ اللَّقَاءِ دَلِيلَا
انظر القطعة رقم ١٦٥ تر ابن الرومي يسبه بهذه الضربة سباً ذريعاً

لِلَّهِ نَفْسٌ يَوْمَ ذَاكَ أَذَلَّتْهَا؛ وَلَرُبَّ شَيْءٍ صَيَّنَ حِينَ أُذِيلَا
وَالْحَرْبُ تَغْلِي بِالْكِمَاةِ قُدُورُهَا وَالْمَوْتُ يَأْكُلُ مَا طَهَنَتْ نَشِيلَا
الكماة: المسلحون، نشيلاً: منتشلاً من القدر قبل نضجه. أي أن الحرب وضعت
المسلحين في قدورها وجعلتهم يغفلون، وكان الموت يتشلهم واحداً واحداً على عجل.
لم أر من نوه بهذه الصورة البديعة، أعجبهم فقط البخيل الذي يغلق أحد منخريه!

تَخِذُوا الْحَدِيدَ مَغَافِرًا وَأَشِلَّةً وَتَخِذْتُ صَبْرَكَ مَغْفَرًا وَسَلِيلَا
المغافر: الخوذات، الأشلة: قُمص تلبس تحت الدروع

وَإِذَا أَذَلَّتِ النَّفْسَ فِي طَلَبِ الْعُلَا فَلَتَلْفَقِينَ لِمَا مَلَكَتْ مُذِيلَا
أَتْرَاكَ بَعْدَ النَّفْسِ تَبْخُلُ بِاللُّهَى اللَّهُ جَارُكَ أَنْ تَكُونَ بِخِيلَا
اللهي: الصلات

يَفْدِيكَ مَنْ تَفْدِي بِمَالِكَ عِرْضَهُ وَتَذُودُ عَنْهُ الذَّمَّ وَالتَّبْخِيلَا
ليكن البخلاء فداء لك، فأنت تحمي عرضهم..

لَوْلَاكَ أَصْبَحَ عِرْضُ كُلِّ مُبْخَلٍ شِلُوا بِمَرْقَةِ الْهَجَاءِ أَكْبِلَا
فلولا أنك تعطينا لطلبنا من البخلاء فمنعونا فمزقنا أعراضهم أشلاء وأكلناهم أكلاً

يَفْتَنُ فِيكَ الْمَادِحُونَ، وَكُلُّهُمْ يَتَجَنَّبُ التَّشْبِيَةَ وَالتَّمْثِيلَا
فَتَّ الْعَدِيلَ، فَمَا يُقَالُ «كَأَنَّهُ» مَنْ ذَا رَأَى لَكَ فِي الْأَنَامِ عَدِيلَا؟
يَا مَنْ تَكْفَّلَ لِلْعِبَادِ بِرِزْقِهِمْ أَتَخَالُنِي فِيمَنْ كَفَلْتَ دَخِيلَا؟
هل أنا دخيل (داخل) ضمن الذين كفلتهم برعايتك وكرمك؟

سَوِّتَ بَيْنَ الْخَلْقِ، إِلَّا وَاحِدًا قَدْ كَانَ يَأْمُلُ عِنْدَكَ التَّفْضِيلَا
أَصْبَحْتُ بَيْنَ خَصَاصَةٍ وَتَجَمُّلٍ وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلَا
خصاصة: جوع، تجمل: ستر للفقر

فَامْدُذْ إِلَى يَدَا تَعَوَّدَ بَطْنُهَا بَذَلَ النَّوَالِ، وَظَهَرُهَا التَّقْبِيلَا
 إِنِّي رَأَيْتُكَ جَنَّةَ عَذْيِيَّةٍ قَدْ هُدِّلْتُ ثَمَرَاتُهَا تَهْدِيلَا
 حَمَلْتُ فَذَلَّلْتُ الْغَصُونَ بِحَمْلِهَا وَكَفْتُ أَكْفَ جُنَاتِهَا التَّذْلِيلَا
 الثَّارِ أَثْقَلْتُ الْغَصُونَ فَتَرَاحَتْ وَهَبَتْ وَكَفَتْ أَكْفَ جُنَاتِهَا (قَاطِفِيهَا) شَدَّ الْغَصُونَ إِلَى أَسْفَلِ
 خُذْهَا أَبَا إِسْحَقَ صَنْعَةَ شَاعِرٍ صَنِيعَ أَطَالٍ لِفِكْرِهِ التَّمْهِيلَا
 الصنيع: البارع

وَأَطَاعَهُ حَرْفُ الرَّوِيِّ فَلَمْ يَجِئْ فِيهِ بِمَفْعُولٍ يَشُوبُ فَعِيلَا
 فالقصيدة كلها (وعدة أبياتها في الديوان ١٥٥ بيتاً) تنتهي بـ «فعيلاً»، رغم أن العروض يبيح للشاعر
 المراوحة بين «فعليل» و«فعلول»، غير أنه - اقتداراً - اقتصر على «فعليل»

كَثُرَتْ مَعَانِي الْمَدْحِ فِيكَ فَهَيَّأْتُ لِلْمَادِحِ التَّكْثِيرَ وَالتَّطْوِيلَا
 فَأَطَلْتُ إِيفَاءَ لِمَجْدِكَ حَقَّهُ بَلْ لَسْتُ فِيكَ، وَإِنْ أَطَلْتُ، مُطِيلَا

٣٠٠ ترغيب وترهيب

وقال في ابن فراس:

وَسِعْتَ النَّاسَ إِنْصَافاً وَبِرّاً وَإِفْضَالاً، فَهُمْ لَكَ كَالْعِبَالِ
 سِوَايَ، فَإِنِّي أَوْسِعْتُ خَسْفاً بَلَا جُرْمٍ، وَأَعْجَبَكَ اخْتِمَالِي
 خسف: ظلم

عَلَى أَنِّي أَعَادِي مَنْ تُعَادِي كَمَا أَنِّي أَوَالِي مَنْ تُوَالِي
 أَعِدْ نَظْراً أَبَا حَسَنِ، فَإِنِّي أَرَاكَ وَهَمْتُ فِي أَمْرِي وَحَالِي
 أَزُورُ فَلَا أَرَى مِنْكَ اهْتِشَاشاً كَمَا أَنِّي أَغِيبُ فَلَا تُبَالِي
 اهتشاشاً: بشاشة

وَقَدْ يُؤْتَى هَجُورٌ مِنْ سُلُوءٍ كَمَا يُؤْتَى زُرُورٌ مِنْ مَلَالٍ
 الذي يكثر الهجران قد يُنسى، ومكثر الزيارة يُمل

وَلَمْ أَكْثِرْ فَأَوْجِبَ عُذْرَ قَالٍ وَلَمْ أَهْجُرْ فَأَوْجِبَ عُذْرَ سَالٍ
 وأنا لم أكثر الزيارة لذا فالقالي (الجافي إياي) لا عذر له، ولم أهجر فالسالي (الناسي إياي) لا عذر له

فَمَا بَالُ الْجَفَاءِ جَفَاءَ سَالٍ وَمَا بَالُ اللَّقَاءِ لِقَاءَ قَارٍ
 ولكنك تجفوني جفاء من نسيني، وتلاقاني لقاء كاره لي

أَرَاكَ إِنِ اعْتَزَلْتُكَ ذَاتَ يَوْمٍ ، أبا حسن ، سَبُوحِشُكَ اعْتَزَالِي
تهديد مبطن بالهجاء

رُؤْيَدَكَ إِنَّنِي كَاسِيكَ بُرْدًا جَدِيدًا مِنْ قَرِيضٍ غَيْرِ بِالِ
مَدِيحًا ، إِن تَثْبِنُهُ يَكُنْ مَدِيحًا مِنْ الْحَلَلِ الْمُحَبَّرَةِ الْغَوَالِي
المحبرة : المتقنة

وإِنْ تَظْلِمُهُ تَجْعَلُهُ هِجَاءً أَشَدَّ عَلَى الْكَرِيمِ مِنَ النَّبَالِ
وليس بِلَفْظَةٍ لِي فِيكَ ، لَكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ مِنْ قِيلٍ وَقَالٍ
يَرَوْنَ مَدَائِحًا جُزِيَتْ بِظُلْمٍ فَأَلْسُنُهُمْ أَحَدٌ مِنَ النَّصَالِ

٣٠١ منتهى الدمامة

وقال في شنطف :

أَزْرَى بِهَا اللَّهُ فَلَمْ يُعْطِهَا ، إِلَّا بِطُولِ الْبَطْرِ ، تَفْضِيلًا
إِذَا بَدَا الْفِيلُ وَخُرْطُومُهُ قُلْنَا : أَعَارَتْ بَطْرَهَا الْفِيلَا
عَوْلٌ يَبِيْتُ الشَّرْبُ مِنْ قُبْحِهَا يَرَوْنَ فِي النُّومِ التَّهَاوِيلَا
الشرب : الشاربون

لَوْ حَسُنْتَ مِعْشَارَ مَا قُبِّحَتْ خُوَلَّتِ الْأَهْوَاءُ تَخْوِيلَا
خُوَلَّتْ : وَهَيْت ، الأهواء : جمع هوى

مَا أَحْسَنَ الْأَرْقَمَ طَوْقًا لَهَا وَأَحْسَنَ الْأَسْوَدَ إِكْلِيلَا
الأرقم : الأفعى الذكر ، الأسود : الحية الكبيرة وفيها سواد

لَا تَعْبُدُ اللَّهَ ، وَلَكِنَّهَا تَعْبُدُ بِاللَّيْلِ الْغَرَامِيلَا
الغراميل : ذكور الذكور

٣٠٢ مساوي البقل والنخل .. والمطل

وقال في أبي سهل بن نوبخت :

إِذَا أَنْتَ أَرْزَمْتَ الصَّنِيعَةَ مَرَّةً فَلَا تَعْتَصِرُ مَاءَ الصَّنِيعَةِ بِالْمَظِلِ
الصنعة : المعروف

وَلَا تَخْلِطِ الْحُسْنَى بِسَوْءٍ، فَإِنَّهُ يُجَشِّمُنَا أَنْ نَخْلِطَ الشُّكْرَ بِالْعَذْلِ

يجشمننا : يُتعبنا

أَنْفَتُ لِعَشَّاقِ الْمَكَارِمِ أَنْ تُرَى مَوَاعِيدُهُمْ مِثْلَ الْبَوَارِقِ فِي الْمَحَلِّ

البوارق : غيوم تيرق ولا تمطر

مَطَلَتْ مَطَالَ النَّخْلِ، فَأَثْبَتَتْ ثَبَاتَهُ وَأَجْنَحَتْ جَنَاهُ، أَوْ فَدَغَ نَكَدَ النَّخْلِ

أجن : ليكن عندك جنى أي محصول

وَلَا يَكُ مَا تُجَدِّدُهُ كَالْبَقْلِ خِسَّةً وَكَالنَّخْلِ تَأْخِيرًا، فَمَا ذَاكَ بِالْعَذْلِ

تجدديه : تعطيه

٣٠٣ قمة المجنون

سُئِلَ الْأَبْرُ: مَا تُرِيدُ إِلَى الْكَفِّ سَبِّ؟ قَالَ: الدُّخُولَ، قِيلَ: أَلَا ادْخُلْ

هذا حوار بين عضوين

قَالَ: أَبْغِي الْخُرُوجَ، قِيلَ: أَلَا فَاحِ رُجْ، فَقَالَ: الْخُرُوجُ مَا لَيْسَ يَسْهُلُ

إِنَّمَا شَأْنِي التَّرَدُّدُ فِيهِ دَاخِلًا خَارِجًا أَغِيبُ وَأَنْصُلُ

أنصل : أنسل خارجاً كما يخرج نصل السيف من غمده

شَهْوَةُ الْقَلْبِ لَبْنُهُ بَيْنَ أَيْدٍ وَشِفَائِي تَرَدُّدِي بَيْنَ أَرْجُلٍ

القلب يشتهي أن يحتضه الحبيب بين يديه

هَمْ ذَاكَ الْعِنَاقُ؛ وَالنَّبْكَ هَمِّي، وَكِلَانَا فِي شَأْنِهِ لَيْسَ يَغْفُلُ

ذاك أي القلب

وَلِي - الدَّهْرَ - طَعْنَةُ ذَاتِ غَوْرٍ غَيْرَ أَنْ لَسْتُ حِينَ أَطْعَنُ أَقْفُلُ

كُلُّ حُبٍّ تَعْمَلُ، وَهَوَى الْحَسَنِ نَاءٌ إِيَّايَ مِنْ خِلَافِ التَّعْمَلِ

تعمل : تصنع

وَمَتَى طَاوَعْتُ فَذَاكَ طِبَاعُ وَمَتَى مَانَعْتُ فَذَاكَ تَدَلُّلُ

وَعَلَيْهَا تَجَمُّلُ، فَإِذَا مَا عَايَنْتَنِي فَمَا عَلَيْهَا تَجَمُّلُ

وَلَدَبِهَا تَبَبُّلُ، فَإِذَا مَا عَابَ فِي الْحَاقِ بَاقِي زَالَ التَّبَبُّلُ

تبتل : عفة، والحاق باق لم أجدها ولا أظنك تحتاج إلى تفسيرها (على أن في تاج العروس أبياتاً تجعل الحق اسماً لعضو الرجل، والخابق باق في اللسان صوت عضو المرأة عند الجماع)

وَبَهَا تَرَعَوِي حَيَاتِي إِذَا مُتْ - وَتَشْتَدُّ قُوَّتِي حِينَ أَذْبُلُ
ترعوي: ترجع

٣٠٤ شامت بنفسه، شامت بغيره

هذا أبو الحسن علي بن العباس (ابن الرومي) يحدث نفسه:

أَبَا حَسَنِ قَدْ قُلْتُ لَوْ كَانَ فَعَالٌ فَحَسْبُكَ قَدْ سَارَتْ بِحَظِّكَ أَمْثَالُ
يخاطب نفسه، يقول يا أبا الحسن ابن الرومي قلت مدحاً كثيراً ولكن ليس هناك من يثيب عليه
وَأَصْبَحَ مَا قَدْ قُلْتَهُ وَتَوَابُهُ: عَنَاؤُكَ وَالْجِرْمَانُ وَالْقِيلُ وَالْقَالَ
ظَلَلْتُ عَلَى شَرِّ الْحَجَارَةِ عَاكِفًا وَلَيْسَتْ لِعُبَادِ الْحَجَارَةِ أَعْمَالُ
كنت تمدح صنماً، أعمال: أعمال صالحة يلقي المرء بها ربه

ذَهَبَتْ وَإِسْمَاعِيلُ فِي غَيْرِ مَذْهَبٍ وَأَكْثَرُ تَبَاعِ الْمَطَامِعِ ضُلَالُ
ذهبت يا ابن الرومي مذاهب شتى مع إسماعيل بن بلبل، مدحاً وعتباً، طمعاً في عطائه
فَمَنْنَاكَ ظَنُّ أَنْ تَنَالَ نَوَالَهُ وَمَنْنَاهُ ظَنُّ أَنْ تَدُومَ لَهُ الْحَالُ
كَأَنِّي بِهِ فِي مَخْبِسٍ وَثِيَابُهُ، مِنَ الْعُمَرِ وَالنَّعْمَاءِ وَالْعِزِّ، أَسْمَالُ
يتخيله وقد سُجِن. أسمال: ثياب مهترئة

غَلَايِلُهُ الْأَمْسَاحُ يَأْكُلْنَ جِلْدَهُ وَحِلْيَتُهُ أَقْيَادُ سُخْطٍ وَأَغْلَالُ
الأمساح: المسوح، الثياب الخشنة المنسوجة من الشعر، أقياد: قيود
يُغْنِيهِ، بَعْدَ الْمُسْمِعَاتِ، إِذَا مَشَى حَلِيدٌ لَهُ مِنْهُ سِوَارٌ وَخَلْخَالُ
المسمعات: المغنيات

٣٠٥ لا بد لي من مقالة

يعاتب أبا عبد الله الباقطاني:

إِلَيْكَ أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ بَعَثْتُهَا عَلَى ثِقَةٍ بِالْحِلْمِ مِنْكَ وَبِالْبَدَلِ
بعثتها: أرسلت القصيدة
جَرَيْتُ مَعَ الْإِذْلَالِ شَاوَأَ مُعَرَّبًا فَإِنْ قُلْتَ لِي مَهْلًا مَشَيْتُ عَلَى مَهْلٍ
شأواً: شوطاً

ولكنني لا بُدَّ لي مِنْ مَقَالَةٍ أَقُولُ بِهَا لَيْسَتْ بِظُلْمٍ وَلَا هَزَلٍ
أَلَسْتُ الَّذِي أَمَلْتُهُ وَادَّخَرْتُهُ فَمَا لِي وَقَدْ أَمْرَعْتُ أَرْتَعُ فِي الْمَحَلِّ؟
أمرعت: جاءك الخصب

أَتَهْجُرُنِي وَالْحَبْلُ فِي خَيْرٍ مَعْقِدٍ وَتَحْنُو وَتَدْنُو عِنْدَ مُضْطَرَبِ الْحَبْلِ
تَأْمَلُ: فَإِنَّا وَالْبَهَائِمُ أَسْوَةٌ سِوَى عَذْلِنَا فِي النَّقْصِ طَوْرًا وَفِي الْفَتْلِ
النقص: إرخاء فتائل الحبل

الحبل المفتول بشدة كناية عن ضيق الحال، والمرخى كناية عن الرخاء (زهير: على كل حال من سحيل ومبرم)

فَضَلْنَا بِإِثَارِ الْجَمِيلِ وَفِعْلِهِ وَنَحْنُ سَوَاءٌ وَالْبَهَائِمُ فِي الْأَكْلِ
فضلنا: كنا مفضلين

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَذَرَ أَرْدَى ابْنَ بُلْبُلٍ وَقَدْ كَانَ ذَا حَيْلٍ، وَقَدْ كَانَ ذَا رَجَلٍ؟
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنْ شَعْرِي مَظْلَمٌ وَأَنْتِي مِنَ الْأَيَّامِ فِي مَنْهَلٍ ضَحْلٍ
مظلم: مظلوم

نَنَاوُكُمُ لِلْبُحْثَرِيِّ وَوُدُّكُمُ وَمَذْحِي لَكُمْ، حَاشَا هَوَاكُمُ، مِنَ الْحَبْلِ
الخبيل: الجنون

وَمَا بِي قَضَبُ الْبُحْثَرِيِّ وَثَلْبُهُ وَإِنْ صَالَ فَحُلٌّ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى فَحْلٍ
قصب: شتم

شَهِدْتُ لَهُ بِالْعِتْقِ فِي الشُّعْرِ مُخْلِصًا وَمَا أَنَا فِيهِ بِالْهَجِينِ وَلَا النَّغْلِ
العتق: الجودة، الهجين والنغل: غير الأصل

٣٠٦ مستفعلن فاعلن فعول

وقال يخاطب القاسم:

يَا سَيِّدَا لِمَ تَزَلُ فُرُوعٌ مِنْ رَأْيِهِ تَحْتَهَا أَصُولُ
رأيك في الناس ليس سطحياً بل له أصول راسخة

أَمِثْلُ عَمْرٍو يَسُومُ مِثْلِي خَسَفًا، وَأَيَّامُهُ تَطُولُ؟
يسومني الخسف: يظلمني

أَمِثْلُ عَمْرٍو يُهَيِّنُ مِثْلِي عَمْدًا وَلَا تُنْتَضَى النُّصُولُ؟
وَجْهُكَ يَا عَمْرٍو فِيهِ طُولُ وَفِي وَجْهِهِ الْكِلاِبِ طُولُ
فَأَيُّنَ مِنْكَ الْحَيَاءُ قُلْ لِي يَا كَلْبُ؟ وَالْكَلْبُ لَا يَقُولُ
مَقَابِحُ الْكَلْبِ فِيكَ طُرًّا يَزُولُ عَنْهَا وَلَا تَزُولُ
وَفِيهِ أَشْيَاءُ صَالِحَاتُ حَمَاكُهَا اللَّهُ وَالرَّسُولُ
فِيهِ هَرِيرٌ وَفِيهِ نَبِجُ وَحَظُّهُ الذُّلُّ وَالْخُمُولُ

نجح الكلب خير للثائمين في الصحراء إذ به يستدلون على وجود بشر، وهو لا ينال سوى الإهمال

وَالْكَلْبُ وَإِيفِ فِيكَ عَذْرُ ففِيكَ عَنْ قَدْرِهِ سُفُولُ
وَقَدْ يُحَامِي عَنِ الْمَوَاشِي وَمَا تُحَامِي وَلَا تَصُولُ
وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ سُوءِ قِصَّتُهُمْ قِصَّةٌ تَطُولُ
وُجُوهُهُمْ لِلْوَرَى عِظَاتُ لَكِنْ أَقْفَاءُهُمْ طُبُولُ

المفارقة بين الشطرين غير واضحة تماماً: ربما جعل وجوههم جالبة للتقوى لأن الناس يتعظون برؤية قبحها، لكن أقفاءهم جديرة بالصنع فهي.. طبول

تَسْتَغْفِرُ اللَّهَ قَدْ فَعَلْنَا مَا يَفْعَلُ الْمَائِقُ الْجَهْلُ
المائق: الأحمق

وَمَا سَأَلْنَاكَ مَا سَأَلْنَا إِلَّا كَمَا تُسْأَلُ الطُّلُولُ
أي لا نتظر جواباً، وكان الشعراء يقفون بالطلول ويسألونها أين ذهبت المحبوبة
وَجْهٌ طَوِيلٌ يَسِيلُ قُوهُ أَحْسَنُ مِنْهُ حِرٌّ يَبُولُ
حر: عضو المرأة

مُسْتَفْعَلٌ فاعِلٌ فَعُولُ مُسْتَفْعَلٌ فاعِلٌ فَعُولُ
بَيْتٌ كَمَعْنَاكَ، لَيْسَ فِيهِ مَعْنَى سِوَى أَنَّهُ فُضُولُ
فضول: زيادة

٣٠٧ حبلِي قصير

بمدح ابن مارية:

يَا عَلِيَّ الْعَلَا ابْنَ قَاسِمِ الْقَا سِمِ فِي طَالِبِي النَّوَالِ نَوَالَهُ

وَابْنَ مَارِمَةَ الَّذِي يَضْرِبُ الْمَجْدُ دُبِيهِ أَوْ بِمِثْلِهِ أَمَثَالَهُ
مَا تَرَى فِي اصْطِنَاعِ حُرِّ شَكُورٍ قَدْ أَرَاهُ الرِّجَالُ مَا لَكَ مَالَهُ؟
ما رأيك في اصطناع حر شكور (اتخاذة صنعة أي حليفاً مقيداً بالمعروف) وهذا الرجل هو ابن
الرومي طبعاً، وقد جعله الناس يشعر أنك كريم إلى درجة أن يصبح ما تملك ملكاً له هو أيضاً

سَأَقُهُ نَحْوَكَ الزَّمَانُ، وَقَادَتْهُ أَفَاعِيلُ كَفَّكَ الْفَعَّالَةَ
وَعَلَى ظَهْرِهِ مِنَ الدِّينِ ثِقْلٌ يَرْتَجِي أَنْ تَحْطُّهُ لَا مَحَالَةَ
وَاعْتِقَادُ الرَّجَاءِ يُوجِبُ حَقًّا عِنْدَ مَنْ هَذَبَ إِلَهُ خِصَالَهُ
اعتقاد (عقد) الرجاء عليك يوجب عليك أن تحقق هذا الرجاء

وَشَهِيدِي عَلَى رَجَائِكَ أَنْ لَمْ أَتَوَسَّلْ، وَأَنْ تَرَكْتُ الْإِطَالََةَ
وَإِذَا الْمُسْتَقْي دَنَا مُسْتَقَّاهُ فَحَقِيقٌ أَلَّا يُطِيلَ حِبَالَهُ

٣٠٨ أحاديث الشيخ

يمدح محمد بن عبد الله:

وَأَعْدَرُ شُرَابِ الْمُدَامَةِ شَارِبٌ لِيَتَقَصَّرَ أَيَّامُ الْمَشِيبِ الْأَطْوَلِ
أعذرهم: أوفرهم عذراً ذلك الذي يشرب لتقصير أيام الشيخوخة الطويلة

وَحَدَّثْتُ نُدْمَانِي أَحَادِيثَ مَا مَضَى مِنَ الْعَيْشِ أَقْفُوها بِأَنَّهُ نَاكِيلٌ
أقفوها: أتبعها/التسويد: أ. عبد الرحيم

٣٠٩ بي عن عرضه كسل

وقال في أبي حفص الوراق:

قَالُوا: مَجَاكَ أَبُو حَفْصٍ، فَقُلْتُ لَهُمْ: بِاللَّهِ أَدْفَعُ مَا لَا تَدْفَعُ الْحَبْلُ
أدفع بالله، أي استعين به، عما لا تنفع فيه حيلتي

أَلَا لَنَسِمْ جَزَاءَهُ اللَّهُ صَالِحَةً يَهْجُوهُ عَنِّي، فَبَيَّ عَنْ عِرْضِهِ كَسَلٌ
تعلق أ. عبد الرحيم: فظيع!

٣١٠ مدح الناقصين

إِذَا مَا مَدَحْتَ النَّاقِصِينَ فَإِنَّمَا تُذَكِّرُهُمْ مَا فِي سِوَاهُمْ مِنَ الْفَضْلِ

فَتَهْدِي لَهُمْ حُزْنًا طَوِيلًا وَحَسْرَةً وَإِنْ مَتَعُوا مِنْكَ النَّوَالَ فَبِالْعَدْلِ

٣١١ مرجل القريض

وقال في أبي يوسف الدقاق:

ولقد وَرَعْتُ الشُّعْرَ عَنْكَ تَعْظُمًا وَتَنْزُهُا، وَكَفَفْتُ غَرْبَ الْمِقُولِ

وَوَرَعْتُ: منعْتُ، غَرَبَ المَقُولُ: حَدَّ اللِّسَانِ

فَأَبْتُ جَوَامِحَ لِلْقَرِيضِ غَوَالِبَ جَاشَنَ الضَّمِيرُ بِهِنَّ جَيْشَنَ الْمِرْجَلِ

تسويد أ. عبد الرحيم، وتعليقه: بيتان فخمان، فيهما روح الفرزدق!

٣١٢ كيف عاتبها

وقال في وهب بن سليمان:

حَيًّا أَبُو حَسَنِ وَهَبٌ أَبَا حَسَنِ بِضَرْطَةٍ طَيَّرَتْ عُثْنُونَهُ خُصَلَا

هذا رجل ضرت في حضرة كنيه الوزير، واتخذ الشعراء منها تكة ليريحوا أشعارهم من عناء المدح

ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ فَصَارَتْ فِي الْبِلَادِ لَهُ كَأَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ دُبُرِهِ مَثَلَا

بِئْسَ التَّجِيَّةُ حَيَّاهَا الْوَزِيرَ ضَحَى وَالْحَفْلُ مِنْ سَرَوَاتِ الْقَوْمِ قَدْ خَفَلَا

يَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ وَهَبٍ وَفَقَحْتِهِ وَكَيْفَ عَاتَبَهَا فِي الْحُشِّ حِينَ خَلَا

فقحته: دبره، الحش: المرحاض

٣١٣ المال المصون

وقال في إسماعيل بن بلبل:

وَلِلْأَوْغَادِ أَمْوَالٌ تَرَاهَا مَصُونَاتٍ بِأَغْرَاضٍ مُذَالَةً

وَلَمْ يَكْ مِنْ نَمَاهُ أَبٌ كَرِيمٌ لِيَبْذُلَ عِرْضَهُ وَيَصُونَ مَالَهُ

٣١٤ حسي تصرمه

وقال في شهر رمضان:

إِنِّي لَيُعْجِبُنِي تَمَامُ هَلَالِهِ وَأَسْرُ بَعْدَ تَمَامِهِ بِنُحُولِهِ

شَهْرٌ يَصُدُّ الْمَرْءَ عَنْ مَشْرُوبِهِ مِمَّا يَحِلُّ لَهُ وَعَنْ مَأْكُولِهِ

لَا أُسْتَثِيبُ عَلَى قَبُولِ صِيَامِهِ حَسْبِي تَصَرُّمُهُ ثَوَابَ قَبُولِهِ

أُسْتِيبُ: أَطْلَبُ الثَّوَابَ، تَصَرَّمَهُ: انْصَرَفَهُ

٣١٥ ابْحَثْ عَنْهَا تَجِدْهَا

إِنَّ الْعُيُوبَ مَعَ التَّتَبُّعِ جَمَّةٌ وَكَثِيرُهُنَّ، إِذَا اغْتَفَرْتَ، قَلِيلٌ

٣١٦ عَائِبُ الرَّاحِ

وَقَالَ فِيمَنْ عَابَ شَرِبَ النَّبِيذَ:

يَا مَنْ يَعِيبُ لَدَيْنَا الرَّاحَ مُجْتَهِدًا أَسَأْتَ قَوْلًا وَقَدْ أَحْسَنْتَ فِي الْعَمَلِ
تَرَكْتَهَا مُؤَثِّرًا لِلْأَكْرَمِينَ بِهَا وَعَبَّئَهَا عَيْبَ ذِي جَهْلٍ وَذِي خَطَلٍ
قَبُولُ بِحَمْدٍ وَدَمٌ تَسْتَحِقُّهُمَا كَمَا خَلَطْتَ الَّذِي أَسَدَيْتَ بِالْعَدْلِ
فَبُو (فَارْجِعْ)

٣١٧ عَقَارُ وَوُظِيفَةُ وَمَعَاشٍ فَقَطْ

وَقَالَ وَقَبْلُ هِيَ آخِرُ قَصِيدَةٍ قَالَهَا:

أَلَسْتُ أَضْلُحُ سِمَسَارًا لِبِرِّكُمْ وَلَا وَكِيلاً وَلَا عَوْنًا عَلَى عَمَلٍ؟
إِنِّي لَأُخَوِّضُ لِلْأَهْوَالِ مِنْ أَسَدٍ عَادٍ، وَأَنْهَضُ بِالْأَثْقَالِ مَنْ جَمَلٍ
عَادٍ: مَعْتَدٍ هَاجِمٍ

فَهَبْ لِرَجَابِكَ إِذْنًا مِنْكَ تَلْقَ بِهِ مُؤَدِّبًا غَيْرَ ذِي جَهْلٍ وَلَا خَطَلٍ
لَا يَسْأَلُ الْحَاجَّةَ الْمُعْوَجَّ مَسْلُكُهَا وَلَا يَحَاوِلُ أَمْرًا بَيْنَ الْحَوْلِ
الْحَوْلُ: الْإِسْتِحَالَةُ

بَلْ كُلُّ مَا يُوجِبُ الْإِنْصَافَ مِنْكَ لَهُ مَعَ الْوَسَائِلِ وَالْأَسْبَابِ وَالْوُصَلِ
مِنْ ارْتِجَاعِ عَقَارٍ لَجَّ عَاصِبُهُ وَرَدَّ دَيْنٍ لَهُ بِالظُّلْمِ مُعْتَقَلٍ
وَشُعْبَةٍ مِنْ مَعَاشٍ لَا تُكَلِّفُهُ مَرَّ السُّؤَالِ وَلَا مُسْتَثْقَلِ الرَّحْلِ

الرُّحْلُ: الرِّحَالُ

٣١٨ أعراضكم مناديلي

وقال في آل طاهر:

بَنِي طَاهِرٍ إِمَّا مَنَعْتُمْ نَوَالَكُمْ فَلَا تَمْنَعُوا مِنِّي شِفَاءَ غَلِيلِي
دَعُونِي الْيَوْمَ النَّفْسَ إِذْ أَمَلْتُكُمْ وَأَنْدُبُ مَذْحِي فِيكُمْ بِعَوِيلِي
وَلَا تَبْخُلُوا عَنِّي بِعِزِّكُمْ فَكُلُّكُمْ بَنِي طَاهِرٍ بِالْعِزِّ غَيْرُ بَخِيلِ
صِلُونِي بِأَعْرَاضٍ لَكُمْ قَدْ تَمَزَّقَتْ تَمَزَّقَ أَطْمَارٌ عَلَى ابْنِ سَبِيلِ

أطمار: ملابس مهترنة

يَكُنَّ مَنَادِيلِي إِذَا مَا تَنَازَعَتْ لِحُومِكُمْ كَفِّي وَكَفَّ أَكِيلِي
أكيلي: شريك في الأكل

٣١٩ مبارك عليك الشحم

وقال يمدح علي بن يحيى النديم ويعاتبه:

أَيُّهَا الْعَائِي بِخَفَّةٍ لِحْمِي بَجَلِي مِنْهُ كُسُوءُ الْأَوْصَالِ
بجلي: يكفيني، الأوصال: جمع وُضْل، الأطراف

وَهَنِيئاً لَكَ الْفُضُولُ مِنَ اللَّحْمِ فَمَا خَزَّ بِهَا ذَوَاتُ الْحِجَالِ
قَلَّمَا تَوَجَّدُ الْفَضَائِلُ إِلَّا فِي خِفَافِ الرِّجَالِ دُونَ الثُّقَالِ
يُنْظَمُ الدَّرُّ فِي السُّلُوكِ، وَتَأْبَى عِزَّةُ الدَّرِّ نَظْمَهُ فِي الْحِبَالِ

٣٢٠ وجه كآخر الصك

قال ابن الرومي (وجدتهما في ثمار القلوب للثعالبي وخلا منهما الديوان المطبوع):

لَكَ وَجْهٌ كَأَخْرِ الصَّكِّ، فِيهِ لَمَحَاتُ كَثِيرَةٍ مِنْ رِجَالِ
كَخُطُوطِ الشُّهُودِ مُشْتَبِهَاتٍ مُعْلِمَاتٍ أَنْ لَسْتُ بِأَبْنِ حَلَالِ

آخر صك البيع أو الإيجار فيه توابع الشهود بخطوط شتى وخرايش، ووجه المهجو فيه معالم شتى فلا بد أن يكون اشترك في إنتاجه رجال عدة

٣٢١ إقرار

وقال يمدح أبا الصقر:

خُذْهَا إِلَيْكَ مُقَرَّةً بِمَعَايِبٍ تَرْجُو تَعَمُّدَهَا لَدَيْكَ وَتَأْمُلُ
وَأَقْلُ حَقِّكَ أَنْ تُرَى مُتَجَاوِزًا عَنْ شَاعِرٍ فِي الْقَوْلِ مِنْهُ تَهْلُهُ
مَا ضَرَّهُ أَلَّا يُجِيدَ، وَمَا لَهُ بِسِوَى نَدَاكَ إِلَى جَدَاكَ تَوْسُلُ

٣٢٢ دع الظنون

وقال في القاسم بن عبيد الله:

أَقَاسِمُ لَا تَسُدُّ سَبِيلِي إِلَى الرِّضَا فَأَنْتَ الْمُؤَلَّى فَتَحَ كُلِّ سَبِيلٍ
وَلَا تَجْعَلَنَّ الظَّنَّ مَا عِشْتَ صَاحِبًا فَلَسْتُ تَرَاهُ صَاحِبًا لِسَبِيلٍ
أَطَالَ عَلَيَّ اللَّيْلَ أَنْ قَدْ مَنَعْتَنِي رِضَاكَ، وَكَانَ اللَّيْلُ غَيْرَ طَوِيلٍ
وَأَنْتَ صَدَّقْتَ الظُّنُونَ؛ وَمَا أَنْتَ عَلَى مَا ادَّعَتْ مِنْ قِصَّتِي بِدَلِيلٍ

٣٢٣ إذن الوجه

وَإِذْنُ الْوَجْهِ، لَا الْحُجَّابِ، إِذْنٌ وَفِي الْأَخْشَاءِ، لَا الدَّارِ، الدُّخُولُ

٣٢٤ سألت عني

وقال في القاسم:

أَتَانِي أَنْتَ رَاعِيَتَنِي وَسَاءَلْتَنِي سَوَالاً طَوِيلًا
فَأَكْبَرْتُ ذَاكَ وَأَعْظَمْتُهُ وَإِنْ كَانَ - فِيمَا تُسَدِّي - قَلِيلًا

فيما تسدي: بالقياس إلى ما تسديه من معروف

وَأَصْبَحْتُ أَخْطَرُ ذَا نَحْوَةٍ عَزِيزًا، وَأَضْحَى عَدُوِّي ذَلِيلًا
وَأَقْسَمْتُ بِاللَّهِ أَنْ لَا يَزَا لِي مِقْدَارُ نَفْسِي عِنْدِي جَلِيلًا
وَلَمْ لَا يُجِلْ أَمْرُو نَفْسِهِ وَأَنْتَ تَرَى فِيهِ رَأْيًا جَمِيلًا؟
أَبْطَلْتُ بَنِي سَيْدٍ لَا أَرَا لِي أَبْغِي بِجُهْدِي إِلَيْهِ سَبِيلًا
لِيُفْطِرَنِي مَظَرَةٌ لَا يَزَا لِي عُودِي مِنْهَا وَرَيْقًا ظَلِيلًا
سَبَطْتُ بَنِي فَضْلِهِ عَائِدًا كَمَا يَتَتَبَّعُ سَبِيلُ مَسِيلًا

وَلَنْ أَتَقَاضَاهُ؛ حَسْبِيَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ لِلْمَعَالِي وَكِيلَا

٣٢٥ بنت المجوس

وقال يمدح عبيد الله بن عبد الله: (القصيدة في الديوان ٣٠٣ أبيات)

وَرُبَّ مَهَاةٍ صِدَّتْهَا بَيْنَ نَظَرَتِي وَنَظَرَتِهَا، أَيَّامَ رَأْسِي أَسْحَمُ
أَسْحَمُ: أسود

رَأَيْتُ سَوَادَ الرَّأْسِ وَاللَّهُوَ تَحْتَهُ كَلِيلٌ وَحُلْمٌ بَاتَ رَائِيهِ يَنْعَمُ
فَلَمَّا اضْمَحَلَّ اللَّيْلُ زَالَ نَعِيمُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَهْدُهُ الْمُتَوَهَّمُ
وصفراء بِكْرٍ لَا قَذَاهَا مُغَيَّبٌ وَلَا سِرٌّ مِنْ حَلَّتْ حَشَاهُ مُكَبَّمُ
رب خمر صفراء بكر (لم يُزَلْ منها من قبل)، قذاها (ما بها من شائبة) ظاهر بوضوح لشدة صفائها، وهي تجعل المرء ييوح بأسراره

يَنْيَمُ عَلَى الْأَمْرَيْنِ فَرُطَ صَفَائِهَا وَسَوَّرَتْهَا حَتَّى يَبُوحَ الْمُجْمَعُ
المجمع: المتلعم في القول الذي لا يُبين

هِيَ الْوَرْسُ فِي بَيْضِ الْكُؤُوسِ، وَإِنْ بَدَتْ لِعَيْنَيْكَ فِي بَيْضِ الْوُجُوهِ فَعِنْدُ
في الكؤوس البيضاء تكون الخمر ورساً (نباتاً أصفر معيناً)، فإذا شربها الناس صارت عَنْدَماً (نباتاً أحمر معيناً) في وجوههم البيضاء التي تحمر بعد إذ يشربون

مَذَاقٌ وَمَسْرَى فِي الْعُرُوقِ كِلَاهُمَا أَلْدُ مِنَ الْبُرِّ الْجَدِيدِ وَأَنْعَمُ
أَقَامَتْ بِبَيْتِ النَّارِ تَسْعِينَ حِجَّةً وَعَشْرًا يُصَلَّى حَوْلَهَا وَيُرْمَزُ
كانت مخزونة في معبد مجوسي مئة سنة، وقد شهدت صلواتهم وزمزماتهم (تلاوتهم غير المفهومة) كل هذا الزمن

سَقَتْنِي بِهَا بِيضَاءُ، فُوهَا وَكَأْسُهَا شَبِيهَا مَذَاقٍ عِنْدَ مَنْ يَتَطَعَّمُ
يُعَدُّ رَجَائِي فِيكَ مَالاً مُحْصَلاً أَدْنَرُ فِي قَوْمِي بِهِ وَأَدْرَهُمْ
فقط لأنني رجوتك أيها الأمير فإن قومي أخذوا ينسبونني للدنانير والدراهم فيقولون فلان أبو الدنانير وأبو الدراهم

وَيُلْزِمُنِي فِيهِ الزَّكَاةَ مَعَاشِرُ وَلَمْ يَخُوهِ مِلْكِي، وَبِالْحَقِّ أَلْزَمُوا
بلغ من ثقتهم بعتائك إياي أن اعتقد قوم بوجوب أن أدفع زكاة هذا المال الذي لم أخذه بعد، لكنهم على حق فأنا واثق بأنك ستعطيني

مَنْحَتُكُهَا حَوْلِيَّةَ النَّسِجِ لَمْ تَزَلْ تُعَانِي مَدَى حَوْلٍ ذَكِيكَ وَتُخَدِّمُ

منحتك القصيدة حولية النسيج (كتبت في عام كامل) فظلت حولاً ذكياً (ربما قصد كاملاً) وهي تُعَانِي، أي يُعْتَنَى بها، وتُخَدَّم بالتفتيح. من المؤكد أن ابن الرومي النظام الماهر نظمها في بضع ليال، لكنه يشبهها بحوليات زهير

يَرَى جَاهِلِيَّ الشَّعْرِ تَبْجِيلَ قَدْرِهَا بِحَقٍّ وَإِسْلَامِيَّةً وَالْمُخَضَّرَمُ

٣٢٦ ثواب على السماع

وقال في كنيزة:

شَاهَدْتُ فِي بَعْضٍ مَا شَاهَدْتُ مُسْمِعَةً كَأَنَّمَا يَوْمُهَا يَوْمَانِ فِي يَوْمٍ

مسمعة: مغنية، يومها: اليوم الذي تحضرنا فيه

تَظَلُّ تُلْقِي عَلَى مَنْ ضَمَّ مَجْلِسَهَا قَوْلًا ثَقِيلًا عَلَى الْأَسْمَاعِ كَاللُّؤْمِ

لَهَا غِنَاءٌ يُثِيبُ اللَّهَ سَامِعَهُ ضَعْفِي ثَوَابِ صَلَاةِ اللَّيْلِ وَالصُّوْمِ

ظَلِلْتُ أَشْرَبَ بِالْأَرْطَالِ، لَا طَرَبًا عَلَيْهِ، بَلْ طَلَبًا لِلسُّكْرِ وَالنُّوْمِ

٣٢٧ ننف السود

إِذَا رُمْتُ بِالْمِنْقَاشِ نَنَفَ أَشَاهِبِي أُتِيحَ لَهُ مِنْ دُونِهِنَّ الْأَدَاهِمُ

المنقاش: الملقاط، أشاهبي: شعراتي الشهباء البيضاء، الأدهم: السود

فَأَنْتِفُ مَا أَهْوَى بِغَيْرِ إِرَادَتِي وَأَثْرُكَ مَا أَقْلِي وَأَنْفِي رَاغِمٌ

أقلي: أكره

٣٢٨ أكلة الثوم

وقال يعيب من أكل ثوما وحضر مع القوم في مجلسهم:

تَرَى الْأَفْدَامَ يَغْتَلِفُونَ ثُومًا وَيَغْشَوْنَ الْمَجَالِسَ كَالْهُمُومِ

الأفدام: الثقلاء الأغياء

فَشَهُمُ الْقَوْمِ مَأْثُومٌ بِخَمْرِ وَقَدْ مَأْثُومٌ بِثُومِ الْقَوْمِ مَأْثُومٌ بِثُومِ

٣٢٩ أنت لنا جنة ونار

وقال يصف امرأة:

أَحِبُّ كُلَّ عَادَةٍ أَلْحَاطُهَا تَكَلُّمُ
فَالْوَجْهَ مِنْهَا جَنَّةٌ وَجِرُّهَا جَهَنَّمُ

الحر: عضو المرأة، ولا تقرأها «جرها» كما فعل صاحب التحقيق، وكلاهما جائز في الوزن على متغعلن ومتعلن

٣٣٠ تقاسيم على منشار كهربائي

وقال في أبي سليمان المغني:

وَمُسْمِعٍ لَا عَدِمْتُ فُرْقَتَهُ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ مِنَ النَّعَمِ
سمع: مغنٌ

كَأَنَّنِي طُولَ مَا أَشَاهِدُهُ أَشْرَبُ كَاسِي مَمْرُوجَةٍ بِدَمِي
يَشْدُو بِصَوْتِ يَسُوءٍ سَامِعِهِ تَبَارَكَ اللَّهُ بَارِئُ النَّسَمِ
النسم: الأرواح

أَبَحَّ، فِيهِ شُدُورٌ حَشْرَجَةٌ منظومة في مَقَاطِعِ النَّعَمِ
لَوْ قُدَّسَ اللَّهُ ذُو الْجَلَالِ بِهِ لَمْ يَرْفَعْ اللَّهُ طَيِّبَ الْكَلِمِ
يُفَرِّغُ الصَّبِيَّةَ الصَّغَارُ بِهِ إِذَا بَكَى بَعْضُهُمْ وَلَمْ يَنْمِ

٣٣١ الشيب والكتاب حرماها

شَرِبْتُ، وَقَدْ كَانَ الشَّبَابُ مُحَلَّلًا مِنَ الرَّاحِ مَا كَانَ الْكِتَابُ مُحَرَّمًا
كنت أشرب وشبابي يحل لي ما حرم الكتاب (القرآن)

وَقَدْ طَابَقَ الشَّيْبُ الْكِتَابَ، فَحُرِّمْتُ عَلَى فَيْكَ تَحْرِيمَيْنِ إِنْ كُنْتُ مُسْلِمًا
فَدَعُ شُرْبَهَا إِذْ أَصْبَحَ الرَّأْسُ مُشْرِقًا مُحَادَرَةً أَنْ يُضَيِّحَ الْقَلْبُ مُظْلِمًا

٣٣٢ العودة إلى بغداد

وقال في المعتضد:

قَدِمْتُ قُدُومَ الْبُرْءِ بَعْدَ سَقَامٍ عَلَى دَارِ إِسْلَامٍ وَدَارِ سَلَامٍ

مَدِينَةُ بَغْدَادَ الَّتِي كَانَ جَدُّكُمْ تَخَيَّرَهَا لِلْمُلْكِ دَارَ مُقَامٍ
يُبَشِّرُنَا النَّصْرَ الَّذِي قَدْ مُنِحَتْهُ بِأَنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُ إِمَامٍ
ظَفِرْتَ بِمَا تَبْغِي وَسَيْفُكَ مُغْمَدٌ وَمَا كَانَ، لَوْ جَرَّدَتْهُ، بِكُهُمَا
كُهُمَا: مِثْلُ

٣٣٣ أَجْرَةُ الْحَمَامِ

وَلَقَدْ مُنِعْتُ مِنَ الْمَرَاثِقِ كُلِّهَا حَتَّى مُنِعْتُ مَرَاثِقَ الْأَحْلَامِ
مِنْ ذَاكَ أَنِّي مَا أَرَانِي طَاعِمًا فِي النَّوْمِ أَوْ مُتَعَرِّضًا لِطَعَامٍ
إِلَّا رَأَيْتُ، مِنَ الشَّقَاءِ، كَأَنِّي أَنْسَى وَأُكْبِحُ دَوْنَهُ بِلِجَامٍ
وَأَرَى الْحَبِيبَ، إِذَا أَلَمَ خِيَالُهُ، وَمَرَامٌ قُبِّلَتْهُ أَعْرُ مَرَامٍ
إِلَّا مُنَازَعَةً تَجْرُ جَنَابَةً وَتُشِبُّ فِي الْأَخْشَاءِ أَيُّ ضِرَامٍ
فَأَهْبُ قَدْ وَجَبَ الطُّهُورُ، وَلَمْ أُنَلْ مِمَّنْ هَوَيْتُ سَوَى جَوَى وَسَقَامٍ
طَرَدَ الْكَرَى عَنِّي وَرَاغٌ يَحَاجَتِي وَقَضَى عَلَيَّ بِأَجْرَةِ الْحَمَامِ

٣٣٤ غِبَارُ السَّيْنِ

رَاغَ الْمَهَا شَيْبِي، وَفِيهِ أَمَانُهَا مِنْ أَنْ تَصِيدَ رَمِيَهُنَّ سِهَامِي
رَمِيَهُنَّ: أَهْدَافُهُنَّ
وَعَقَفْنِي لَمَّا ادَّعَيْنَ عُيُومَتِي وَمِنْ النِّسَاءِ مَعْقَةُ الْأَعْمَامِ
أَذْرَى غِبَارَ الشَّيْبِ فَوْقَ مَفَارِقِي رَكُضَ السَّيْنِ الرَّائِضَاتِ أَمَامِي
أَذْرَى: رَشَّ

وَأَرَاهُ عَمَّيْنِي وَعَمَّمَ زَوْجَتِي وَاخْتَصَّنِي مِنْ دُونِهَا بِلِثَامٍ
فَهُوَ شَابٌ مِنْ لَحِيَّتِهِ أَيْضًا

٣٣٥ بَنُو الْيُونَانِ

وَنَحْنُ، بَنِي الْيُونَانِ، قَوْمٌ لَنَا حِجَابٌ وَمَجْدٌ وَعِيدَانُ صِلَابُ الْمَعَاجِمِ
الْيُونَانُ: الرُّومُ مِنْ سَاكِنِي آسِيَا الصُّغْرَى (تُرْكِيَا الْحَدِيثَةِ)، صِلَابُ الْمَعَاجِمِ: إِذَا عَجَمْنَا الْمَرْءَ
(اِخْتَبَرْنَا) وَجَدْنَا صِلَابًا

وما تَتَرَأَى فِي الْمَرَايَا وَجُوهَهَا بَلَى فِي صِفَاحِ الْمُزْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ
نرى وجوهنا في نصال السيوف القاطعة لا في المرايا

إِذَا مَا انْتَضَيْنَاهَا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ أَرْتَنَا وَجُوهَ الْمُخْدَرَاتِ الضَّرَاغِمِ
إذا سللنا سيوفنا ليوم الكريهة (الحرب) فإننا نرى فيها وجوه المخدرات الضراغم (الأسود المخفية في عريتها)

٣٣٦ رثاء الأم

وَأِنِّي لِأَسْتَحْيِيكَ يَا أُمُّ أَنْ يُرَى قَرِيبِي إِلَّا مِنْ بَكْيٍ لَكَ أَوْ وَجَمٍ
وَأَنْ أَتَلَهَّى بِالْحَدِيثِ عَنِ الْأَسَى وَأَلْقَى جَلِيسِي بَابِتْسَامٍ إِذَا ابْتَسَمَ
أَأْمُرُحُ فَوْقَ الْأَرْضِ يَا أُمُّ وَالشَّرَى عَلَيْكَ مَهِيلٌ قَدْ تَطَابَقَ وَارْتَكَمَ؟
عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ تَمُوتِي، وَأَنْنَا نَعِيشُ، وَلَكِنْ حُكَمَ الْمَوْتُ فَاحْتَكَمَ

٣٣٧ المعضوضة والإيتيكت

وقال بهجو رجلا عاب أكله:

كَمْ جَارِعَ جُرْعَ الْمَكَارِهِ عَالِماً أَنَّ الْمَكَارَةَ يَكْتَسِبِينَ مَكَارِمَا
يَا صَاحِباً رَضِي النَّذَالََةَ صَاحِباً وَغَدَا يَعُدُّ مُؤَاكِلِيهِ أَرَاقِمَا
الأراقم: الأفاعي

أَبْغَضْتُ مَنْ طَعِمَ الطَّعَامَ، فَرِيقُهُ سُمُّ لَدَيْكَ، فَمَا تُجَامِلُ طَاعِمَا
أَتَيْنَ اصْطَبَغْتُ وَلَقَمْتِي مَعْضُوضَةً أَنْشَأْتَ تَهْجُونِي بِذَلِكَ ظَالِماً؟
فقط لأنني اصطبغت (غمست خبزتي) بعد أن عضضتها بأسناني أنشأت (بدأت) تهجونني؟

عَيْبٌ لَعَمْرُكَ، غَيْرَ أَنْ لَمْ آتِهِ عَمْداً، فَهَبْنِي هَافِياً لَا جَارِماً
هذا في الواقع عيب في الإيتيكت، لكن هبني (افرض أنني) هفوت هفوة لا أنني ارتكبت جريمة
وَلَأَنْتَ إِذْ رَاعَيْتَ كَفَّ مُؤَاكِلٍ أَوْلَى بِأَنْ تُهْجَى وَأَكْثَرُ لَائِماً
وأنت أولى بالهزاء لأنك تراعي (تراقب) يد المؤاكل (زميل الطعام)، ولائموك (الذين يلومونك) أكثر ممن يلوموني

فَبَحَ الْإِلَهَ مَعَاشِراً لَمْ يَسْلَمُوا مِمَّا يَعِيبُهُمْ فَعَابُوا السَّالِمَا
رَشَقُوا الْمَيَّنِّيَّ مِنَ الْفَيَاشِ، وَحَرَّمُوا رِيقَ الصَّدِيقِ مُؤَاكِلَاً وَمُنَادِمَا

لو كان رِيقِي مِثْلَ رِيقِكَ قَاتِلًا أَلْفَيْتَنِي مُتَنَبِّهًا لَا نَائِمًا
لو أن رِيقِي سام مثل رِيقِكَ لكنت حريضاً ألا أسم به الناس

وَحَشِيتُ رَبِّي أَنْ أَسْمَ مُوَحِّدًا ظُلْمًا فَأُكْتَسِبَ الْعَذَابَ الدَّائِمًا
لكنَّه رِيقٌ وَثِقْتُ بِظَهْرِهِ ثِقَةً سَهَوْتُ لَهَا، فَثُرْتُ مُحَاصِمًا
هَلَّا لَقَيْتُكَ عِنْدَ أَوَّلِ زَلَّةٍ مِنِّي كَرِيمَ الْعَفْوِ أَوْ مُتَكَارِمًا
لكنْ أَبِي كَرَمَ اللَّثَامِ مُدْبِرٌ مَنَعَ الْخَوَافِي أَنْ تَكُونَ قَوَادِمًا
أبى الله مدبر الكون الذي جعل الخوافي (الريشات الصغار في جناح الطائر) صغاراً، والقوادم (الريشات الكبار) كباراً، أبى كرم اللثام (أن يكون اللثام كراماً)

٣٣٨ أنا والسلطان

وقال في القاسم:

لَعَمْرِي لَقَدْ غَابَ الرِّضَا فَتَطَاوَلَتْ بَغْيِيَّتِهِ الْبَلَوَى، فَهَلْ هُوَ قَادِمٌ؟
تَعَرَّفْتُ فِي أَهْلِي وَصَحْبِي وَخَادِمِي هَوَانِي عَلَيْهِمْ مُذْ جَفَانِي قَاسِمٌ
وَمَبْنِي جَفَانِي الْإِذْنَ مِنْكَ عَقُوبَةٌ عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ لِمَ جَفْتَنِي الدَّرَاهِمُ؟
فَأَشْبَعُ وَأُزْجِعُ بِالْبِعَادِ مُؤَدِّبًا فَقَدْ يُعْذِمُ التَّقْرِيبُ، وَالْبِرُّ دَائِمٌ
وَعَاقِبُ بِمَحْمُودِ الْعِقَابِ، فَمِائَةٌ سَيَكْفِيكَ مَذْمُومُ الْعِقَابِ الْأَلَائِمُ
عاقبني عقاباً حميداً، فالعقاب الشديد يقوم به اللثام ويكفونك شره

وَأَحْسَنُ مِنْ حُسْنِ الْعِقَابِ اطِّرَاحُهُ إِذَا قَلَّبَ الرَّأْيَ الرِّجَالُ الْأَكَارِمُ
أَمْسَتَانِثَرٌ بِالْجِلْمِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ عَلَيْكَ، وَلَمْ يَغْشُرْكَ قَيْسٌ وَعَاصِمٌ
قيس بن عاصم: صحابي كان سيد قومه، بعشرك: يبلغ عشر ما عندك

مَتَى تَنْظُرُ الدُّنْيَا إِلَيَّ بِنَظَرَةٍ بِعَيْنِكَ نَحْوِي أَيُّهَا الْمُتَسَاوِمُ
سَيَحْمِيكَ أَنْ تَلْقَى لِسَانِي صَارِمًا تَذَكَّرُ قَلْبِي أَنْ سَيْفَكَ صَارِمٌ
لن أهجوك، لأنني أخاف سيفك

وَأَنِّي لِأَعْفُو عَنْ رِجَالٍ، وَأَتَّقِي رِجَالًا، وَأَذْرِي أَيَّ قِرْنٍ أَصَادِمُ
قرن: خصم

وَأَقْسِمُ أَنِّي لَمْ أُمِثْ لَكَ نِعْمَةً عَلَيَّ، وَلَا أَخَيِّتُ مَا أَنْتَ كَاتِمٌ

أنا أشيد بذكر كل نعمة تغدقها علي ولا أجعلها تموت، وأكتم سرك

وَلَا حَارَبْتَ نَفْسِي عَلَيْكَ، وَلَا اضْطَلَقْتَ عِدَاكَ، وَلَا لَأَمْتُ مَنْ لَا تُلَائِمُ

وَسَائِلُ بِمَا أَخْفِيهِ عَيْنِي فَإِنَّهَا تُتَرَجِّمُ عَنِّي، وَالْعُيُونُ تَرَاكِبُ

اسأل عيني عن ضميري فالعين فضاحة

وَلَسْتُ بِشَتَامِ الْمُلُوكِ، وَإِنْ حَمَوْا جَدَاهُمْ، وَهَلْ لِي فِي الْمُلُوكِ مَشَاتِمٌ؟

حموا جدهم: منعوا عطاءهم

عَدَائِي عَنْ تِلْكَ الْعَرَامَةِ أَنَّنِي عَلِيمٌ بِأَنَّ السِّيفَ مِثْلِي عَارِمٌ

العرامة: التهور

وَلِإِنْ أَمْرًا يُنْمِي وَيُصْبِحُ سَالِمًا مِنَ النَّاسِ فِي دَارِ الْبَلَاءِ لَسَالِمٌ

وَمَنْ رَامَ ثُلْمِي وَانْتِقَاصِي فَلِإِنِّي لَمُنْتَقِصٌ مَا اسْطَعْتُ مِنْهُ وَتَالِمٌ

وَلِلَّهِ فِي حَاوِي يَدَيْهِ وَأَرْضِهِ مَنَادِيحُ تَرْضَاهَا الْقِلَاصُ الرَّوَاسِمُ

مناديع: بدائل، القلاص الرواسم: الأبل السريعة، يقول: لي عنك بديل ويمكنني أن أرحل

وَمَا جَلَجَلَ الْوَجَنَاءَ بَيْنَ قُتُودِهَا كَغَضَبَةِ حُرٍّ شَبِعَتْهَا عَزَائِمُ

جلجل: حرك، الوجناء: الناقة القوية، قُتُودها: أخشاب سرجها

سودنا الأبيات السابقة لأنها في غاية الجزالة وفيها فحولة في سبك الكلام، وفوق

ذلك لم نر القدماء والمحدثين يقتبسونها في كتبهم. على أن فيها فوق ذلك تعبير دقيق

عن خلجات النفس وهي تمثل طريقة ونفسية ابن الرومي خير تمثيل

٣٣٩ الآن عرفنا قيمة الشبية

لَا تَلُحْ مِنْ يَبْكِي شَبِيبَتَهُ إِلَّا إِذَا لَمْ يَبْكِهَا بِدَمٍ

لا تلح: لا تلم

لَسْنَا نَرَاهَا حَقَّ رُؤْيِيهَا إِلَّا زَمَانَ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

كَالشَّمْسِ لَا تَبْدُو فَضِيلَتُهَا حَتَّى تُغَشَّى الْأَرْضُ بِالظُّلَمِ

٣٤٠ نصائح قبل ركوب البحر

وقال في ابن الخبازة:

يا قاصداً بُوراناً! شاورْ تَسْلَمِ
واستَثْبِيتِ الرَّأْيَ ولا تَقَحِّمْ
قَبْلَ النُّدَامِ لَاتَ حِينَ مَنَدَمِ
لا تَأْتِهَا شَائِلَةُ الْمُخْدَمِ

شائلة المخدم: رافعة الساق التي فيها الخدعة أي الخلخال

بل دَانِ بَيْنَ الْفَخِذَيْنِ واضْمُمْ
واقْبِضْ على أَعْضَادِهَا واستَغْصِمِ
فإنَّما تَرْكَبُ بِحَرَ الْقُلُزْمِ
بحر القلزم: البحر الأحمر

٣٤١ فارسي رومي عباسي

وقال يعاتب:

وكَيْفَ أَغْضِي على الدَّيْنَةِ والـ فُرْسُ خُؤُولِي، والرُّومُ أَغْمامِي
وقد تَتَوَجَّهْتُ مِنْ وَلَاءِ بَنِي الـ عَبَّاسِ تاجاً يَسْمُو به السَّامِي

٣٤٢ البورانية الكبرى

وقال في ابن الخبازة:

يا ابنَ بُورانَ! ما نَجَوْتُ مِنَ الوَأْ دِ لَخِيرِ، لَكِنْ لِسَرٍّ عَظِيمِ
لو تَبِعْتَ الأُلَى مَضَوْا مِنْ شَهِيدِ وَوَيْدِ إلى جَنانِ النِّعَمِ
كَانَ خَيْراً مِنَ البَقَاءِ لِحَرْبِي، بَلْ أَبَى سُؤْمُ جَدِّكَ المَشْؤومِ
أنا مَنْ أَدْعَتْ لَهُ الإنْسُ والجِنُّ - جَمِيعاً بالقَسْرِ والتَّرْغِيمِ
واسِعُ العَفْوِ لِلْمُنِيبِ، وَعِنْدِي نَقَمَاتٌ تَدُومُ لِلْمُسْتَدِيمِ

المنيب: التائب

شَمِلَ النَّاسَ عَدْلُ أَمْكَ حَتَّى سَارَ فِيهِمْ كَسِيرِ جَوْرِ سَدُومِ
مثلاً كان جور (ظلم) أهل سدوم (قوم لوط) شاملاً كل الناس (فكلهم فنوا بسببه) كذلك عدل أمك

كَيْفَ نَدْعُوهُمْ لَأَبَائِهِمْ رَبِّ - سِي وَمِنْهُمْ أَمْثَالُ هَذَا الزَّيْنِمِ
الزَيْنِم: الدعي المشكوك في نسيبه

كُلُّ فَحْلٍ أَبُوكَ، عَذْلًا مِنَ اللَّـ ٥٠، وَعَيْسَى بِلَا أَبٍ كَالْيَتِيمِ
نَطَمْتُ الْأَرْضُ مِنْ مَوَاطِنِ بُورَا ٥١ وَلَوْ بَيْنَ زَمْرَمٍ وَالْحَطِيمِ
كُلُّ غُضُوٍّ مِنْ جِسْمِهَا فِيهِ فَرْجٌ يَقْتَضِيهَا الزَّنَا اقْتِضَاءَ الْغَرِيمِ
اقتضاء الغريم: إلحاح الدائن في المطالبة

أَفْحَشُ الْقَذْفِ وَالْهَجَاءِ لِبُورَا ٥٢ نَ ظَهَرُوا كَالرَّجَمِ لِلْمَرْجُومِ
شتم بوران قد يطهرها مثلما يزيل الرجم الإثم عن المرجوم حيث يكون عقاب الدنيا بدلاً من
عقاب الآخرة

كَيْفَ لَا تَسْقُطُ السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ ٥٣، وَتُزْمَى مِنْ أَجْلِهَا بِالرُّجُومِ
من أجلها: من أجل بوران وأفعالها، الرجوم: الشهب

كَثُرَتْ مُوَبِقَاتُ بُورَانَ حَتَّى ٥٤ ضَاقَ عَنْهَا عَفْوُ الْغَفُورِ الرَّحِيمِ
غَلَبَتْهُ خِلَاعَةٌ وَمَجُونًا ٥٥ يَا لِقَوْمٍ لِلنَّشِيبَةِ الْمَغْلِيمِ
المغليم: الشيبة. يقصد غلبت زوجها بخلاعتها

ذَلَّلْتُ أَنْفَهُ، فَكَيْفَ أَرَادَتْ ٥٦ صَرَفَتْهُ كَالْكُودَنِ الْمَخْطُومِ
الكودن المخطوم: البغل المربوط

فَإِذَا لَيْمَ فِي تَغَاضِيهِ عَنْهَا ٥٧ قَالَ: مِنْ شَأْنِي أَطْرَاحُ الْهُمُومِ
رَضِيَ الشَّيْخُ بِالَّذِي قَدَّرَ اللَّـ ٥٨، فَأَلْقَى مَقَالِدَ التَّسْلِيمِ
مقالد التسليم: مفاتيح الاستسلام

غَيْرَ أَنْ لَمْ تَغْبُنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ ٥٩ بِفُجُورٍ وَلَا زِنَا مَكْشُومِ
بَلْ بِسُخْنَاءٍ وَجْهِ سَهْلٍ طَلِيقٍ ٦٠ وَبِطَيْبٍ مِنْ نَفْسٍ سَمَحٍ كَرِيمِ
لَوْ أَطَاعَتْ كَمَا عَصَتْ لَا سَتَحَقَّتْ ٦١ خُلَّةُ اللَّـ دُونَ إِبْرَاهِيمِ
خُلَّة: محبة

لَيْسَ لِي مِنْ هَجَاءِ بُورَانَ إِلَّا ٦٢ نَقُلُ مَنُثُورِهِ إِلَى الْمَنْظُومِ
وَمَعَانِي كُلُّهُنَّ اتَّبَاعٌ ٦٣ لَا ابْتِدَاعٌ، وَالْعِلْمُ بِالتَّعْلِيمِ

هِيَ تَفْرِي لِي الْفَرِي فَأَخَذُوا حَذُوهَا كَالْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ
تفري الفري: تأتي بالأعاجيب، فأنا فقط ألاحق أفاعيلها بالوصف مثلما يفعل المصلي المأموم
خلف الإمام

مَا أَرَانِي أُسَيِّرُ الشَّعْرَ فِيهَا سَيَّرَهَا فِي سُهُولِهَا وَالْحُزُومِ
الحزوم: الحزون أي الوعر، فرغم أن شعري يتشر ويسير في السهل والوعر، فهي خراجه ولاجة
وأكثر منه سيرا

هِيَ أَهْدَى مِنَ الْقَوَافِي وَأَسْرَى فِي دُجَى اللَّيْلِ وَالْقَلَا الدَّيْمُومِ
الديموم: لعله البر الممتد إلى ما لانهاية

حَمَلَاهَا: النَّهَارُ وَاللَّيْلُ ذَابَا يُعْمِلَانِ الرَّسِيمَ بَعْدَ الرَّسِيمِ
الرسيم: سير الأبل السريع

لَيْسَ يُخْلِي مِنْهَا مَكَانٌ مَكَانًا هِيَ شَيْءٌ خُصُوصُهُ كَالْعُمُومِ
تَتَأَنَّى مَحِيضُهَا ثُمَّ تَزْنِي فِي الْمَحَارِبِ طَاعَةً لِلرَّجِيمِ
تنتظر انصراف الحيز بفارغ الصبر لتزني، وأين؟ في المحراب!

هِيَ طَيْفُ الْخَيَالِ يَطْرُقُ أَهْلَ الْأَرْضِ مِنْ بَيْنِ ظَاعِنٍ وَمُقِيمِ
صَمَدَتْ فِي الزَّنَا تُنَاسِلُ حَوَا، فَحَوَا عَنْدَهَا كَالْعَقِيمِ
ظلت تزني كأنها تناسل حواء، تباريها في النسل، فحواء أم البشرية لكنها بالنسبة إليها
كالعاقرة. وفي البيت ما يسمونه إحالة، أي استحالة وجود أي قدر من الحقيقة وراء
المعنى، وفيه أيضاً خطأ في المعنى، فالزنا شيء والإنجاب شيء آخر... لكن...
خاطر خطر لابن الرومي فلا بد أن يحشره في القصيدة

أَيُّهَا الْجَالِدُ عَمِيرَةُ طُرّاً لَا عَدِمْتُمْ ظِلَامَةً مِنْ ظُلُومِ
أيها الجالِدو عميرة (مارسو العادة السرية) لا فاتكم ظلامه (أرجو ألا يفوتكم حق مفصوب) عند
امرأة ظلوم

كَيْفَ ضِعْتُمْ وَفَرَجَ بُورَانَ مَوْقُو فَعَلَى ابْنِ السَّبِيلِ وَالْمَحْرُومِ
نَزَعَ اللَّهَ غَيْرَةَ الْفَحْلِ مِنْهُ فَهَوَ مَا شَتَّ مِنْ فَوَادِ سَلِيمِ
يتكلم عن ابن بوران، فهو صاحب فؤاد سليم (أي مغفل)

يَا ابْنَ بُورَانَ قَدْ أَظْلَمَكَ زَجْرُ كَالدُّخَانِ الْمَذْكُورِ فِي حَامِيمِ
الدخان المبين الذي يغشى الناس ويكون عذاباً عظيماً مذكور في سورة الدخان، وتبدأ بـ حم

يا ابن بُورَانَ لَا مَفَرَّ مِنَ اللَّهِ هـ، وَلَا مِنْ قَضَائِهِ الْمَحْتَوِمْ
كَنتَ فِيمَا أَرَى حَسِبْتَ هِجَائِيْكَ هَجَاءَ أَبْقَى مَصْحٍ أَدِيمِ
مصح أديم: أديما (جلداً) سليماً

فَتَغَاضَيْتَ خَوْفَ أَعْرَمَ مِنْهُ رَاضِيّاً خُطَّةَ الدَّلِيلِ الْمَضِيْمِ
أعرم: أكثر تهوراً، المضيم: المظلوم
فلِذَا الْأَمْرُ فَوْقَ مَا كُنْتَ قَدَّرَ ت، وَلَيْسَ الْيَقِيْنُ كَالْتَّرْجِيْمِ
الترجيم: الظن

صَدَمْتُ مِسْمَعِيْكَ شُنْعُ الْقَوَافِيْ صَدْمَةٌ غَادَرْتُكَ كَالْمَأْمُوْمِ
مسميك: أذنك، المأموم: المضروب على أم رأسه (وأم الرأس الدماغ)

لَا تُبَالِي مَنْ بَاكَ أَمَّكَ جَهْرًا مِنْ عَدُوٍّ، وَمِنْ وَلِيِّ حَمِيمِ
أَفْتَرَضَى بِبَيْكِهَا وَتُبَالِي شَتْمَهَا، يَا ضَلَالَ حِلْمِ الْحَلِيمِ؟
غَيْرَ أَنِّي أَنْضَجْتُ جِلْدَكَ كَيًّا فَتَمَلَّمْ، فَأَنْتَ غَيْرُ مَلُومِ
لَكَ عُذْرٌ أَنْ لَا تَنَامَ، لَعَمْرِي، أَنَا أَذْهَى مِنْ أَنْ يَنَامَ سَلِيمِي
سليمي: ملسوعي (وكانوا يسمون الذي لسعته الحية السليم تفاؤلاً بأنه سيسلم)

هَآكِهَا حُلَّةٌ، سَيُودِي بِكَ الدَّهْرُ رُ وَفِيهَا طَرَائِقُ التَّسْهِيمِ
طرائق التسهيم: الخطوط في الثوب المقلم المخطط

لَا يَرَانِي إِلَّا هُ أَفْجُوكَ عُمْرِي، أَنْتَ عِنْدِي فِي حَالَةِ الْمَرْحُومِ
لِلْقَوَافِي فِي وَصْفِ أَمَّكَ شُغْلٌ يَا ابْنَ بُورَانَ عَنْ صِفَاتِ الرُّسُومِ
الرسوم: الأطلال

٣٤٣ العفة الإجابرية

وقال يمدح:

حَرُمْتُ بِالْمَشِيْبِ أَشْيَاءَ حَلَّتْ لِي زَمَانًا بِإِذْنِ جَعْدِ سُخَامِ
جعد سخام: شعر أجعد أسود. أي أن شبابه وسواد شعره أحللاً له أموراً. أصبحت الآن حراماً
بسبب الشيب

لَمْ تُحَلَّلْ لِمَنْ أَتَاهَا، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ دُونَهَا مِنَ الشَّيْبِ حَامِ

سَوَّأَتْنِي أَنْ أَطْعَمْتُ شَيْبِي فِيمَا لَمْ أَطْعَمْ فِيهِ حَاكِمَ الْحُكَّامِ
حَاكِمَ الْحُكَّامِ: اللَّهُ

وَعَظَّ اللَّهُ وَالْكِتَابَ، فَصَمَّمْتُ وَاقْدَمْتُ أَيَّمَا إِقْدَامٍ
وَنَهَى الشَّيْبُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَسَلَّمْتُ تَوَّابْتُ وَأَخْبَمْتُ أَيَّمَا إِخْبَامٍ
صُمْتُ عَنْ كُلِّ لَذَّةٍ لِمَشْيَبِي أَفَلَا كَانَ لِإِلَهِ صِيَامِي؟
وَاحْيَائِي أَنْ لَا يَكُونَ مِنَ اللَّهِ هَوَّيَّ حَيَائِي، وَلَيْسَ مِنْهُ اخْتِشَامِي
كَأَنَّ هَذَا الْمَتَابَ يُغْتَدُّ إِجْرًا مَا، وَبَعْضُ الْمَتَابِ كَالْإِجْرَامِ
التوبة بسبب المشيب لا بسبب التحريم كالإجرام (ارتكاب الجرم)

كَمْ بَدَأَ فِي الْكِتَابِ لِي مِنْ ضِيَاءٍ كَانَ مِنْ قَبْلُ دُونَهُ كَالْقَتَامِ
الكتاب: القرآن، القتام: الغبار

هَتَكَ الشَّيْبُ ذَلِكَ السُّتْرَ لِي عِنْدَ هُوَ، فَزَالَ الْعَمَى وَرَاحَ التَّعَامِي
وَكَلَّا الشَّيْبُ وَالْكِتَابَ جَمِيعًا وَاعْظُ زَا جِرُّ عَنِ الْأَنَامِ
غَيْرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُكْتَبُ بِالْأَقْدَامِ وَالشَّيْبُ لَيْسَ بِالْأَقْلَامِ
بَلْ يَرْذَعُ الْحَوَادِثَ الْمُضْمَعِلًا تِ وَمَرُّ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ
المصملات: الشديدة

لَنْ تَرَى مِثْلَهُ كِتَابًا مُبِينًا لَا بِشَكْلٍ لَهُ وَلَا إِعْجَامٍ
ليس هناك كتاب واضح مبين مثل الشيب، ووضوحه ليس بالتشكيل ولا بالإعجام (التنقيط)
حُطَّ غُفْلَ الْحُرُوفِ، يَفْرَأُهُ الْأُمُّ - نِي كَالصُّبْحِ، غَيْرَ ذِي اسْتِعْجَامٍ
استعجام: غموض

لَهَفْتُ نَفْسِي عَلَى الشَّبَابِ الَّذِي أَصَدَّ بَحَّ خَلْفِي، وَذِكْرُهُ قَدْ أَمَامِي
لَهَفْتُ نَفْسِي عَلَى الطَّبَّاءِ اللُّوَاتِي عَاقَنِي عَنْ قَنِيصِهَا إِخْرَامِي
الآن يعوقني عن صيدها إجماعي (البي للشيب)

لَهَفْتُ نَفْسِي عَلَى اخْتِكَامِي عَلَى الْبَيْتِ خَضِ، وَإِذْعَانِهِنَّ عِنْدَ احْتِكَامِي
وَدَعَنْتَنِي النِّسَاءَ عَمَّا، وَقَدْ كُنْتُ تَوَّابْتُ لَدَيْنِهِنَّ مِنْ بَنِي الْأَعْمَامِ
مَلِكُ حَلٍّ فِي سَمَاءِ الْمَعَالِي فَوْقَ شَمْسِ الصُّحَى وَبَدْرِ الظَّلَامِ
بدأ يمدح

وَعَطَايَا كَوَامِينَ فِي الْمَوَاعِبِ بِدِ كُثْمُونَ الثَّمَارِ فِي الْأَكْمَامِ
سَاعِيَاتٍ إِلَى رَجَالٍ قُعُودٍ سَارِيَاتٍ إِلَى أَنْاسٍ نِيَامِ
مُغْفِيَاتٍ مِنَ السُّؤَالِ، مُصَفًّا ؤَ، أَلَا هَكَذَا عَطَاءُ الْكِرَامِ
تعفي الناس من السؤال، ومصفاة من المن

٣٤٤ واحيائي من النبي

وقال يرثي أهل البصرة ويذكر ما نالهم من الورزنيي صاحب الزنج:
ذَادَ عَنْ مُقْلَتِي لَذِيذَ الْمَنَامِ شَغَلَهَا عَنْهُ بِالدُمُوعِ السَّجَامِ
ذاد (أبعد) عن عيني النوم اللذيذ اشغالها عنه بالدموع السجام (المنهمرة)
أَيُّ نَوْمٍ مِنْ بَعْدِ مَا حَلَّ بِالْبَصْرِ رَرَةٌ مِنْ تِلْكَمُ الْهَنَاتِ الْعِظَامِ؟
الهنات: الأحداث

أَيُّ نَوْمٍ مِنْ بَعْدِ مَا انْتَهَكَ الزَّنْدَ جَجَّ جَهَاراً مُحَارِمَ الْإِسْلَامِ؟
أَقْدَمَ الْخَائِنُ اللَّعِينُ عَلَيْهَا وَعَلَى اللَّهِ أَيَّامًا إِقْدَامِ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْكَ أَيَّتُهَا الْبَصْرُ رَرَةٌ لَهْفًا كَمِثْلِ لَهْفِ الضَّرَامِ
بَيْنَمَا أَهْلُهَا بِأَحْسَنِ حَالٍ إِذْ رَمَاهُمْ عَبِيدُهُمْ بِاضْطِلَامِ
اصطلام: استتصال

دَخَلُوهَا كَأَنَّهُمْ قَطَعَ اللَّيْلُ لَ إِذَا رَاحَ مُذْلَهُمُ الظَّلَامُ
دخلوا البصرة كأنهم قطع الليل عندما يروح (يعود ليلاً) الظلام المدلهم. كان الظلام كان يشتغل
طول النهار في حقله وراح (عاد مساءً) إلى بيته

ظَلَعُوا بِالْمُهَنْدَاتِ جَهْرًا، فَأَلَقْتُ حَمَلَهَا الْحَامِلَاتُ قَبْلَ الثَّمَامِ
كَمْ ضَنْبِينَ بِنَفْسِهِ رَامَ مَنْجَى فَتَلَقَّوْا جَبِينَهُ بِالْحُسَامِ
كَمْ أَخٍ قَدْ رَأَى أَخَاهُ صَرِيحاً تَرَبَّبَ الْخَدُّ بَيْنَ صَرْعَى كِرَامِ
كَمْ أَبٍ قَدْ رَأَى عَزِيزَ بَنِيهِ وَهُوَ يُعَلَّى بِصَارِمٍ صَمُصَامِ
كَمْ رَضِيعٍ هُنَاكَ قَدْ قَطَمُوهُ يَشْبَا السَّيْفِ قَبْلَ حِينِ الْفِطَامِ
شبا: حدّ

كَمْ فِتَاةٍ بِخَاتِمِ اللَّهِ بِكْرٍ فَضَحُّوهَا جَهْرًا بِغَيْرِ اكْتِنَامِ

كَمْ فَتَاةٌ مَصُونَةٌ قَدْ سَبَّوْهَا بَارِزًا وَجْهَهَا بِغَيْرِ لِثَامٍ
صَبَّحُوهُمْ فَكَابَدَ الْقَوْمَ مِنْهُمْ طُولَ يَوْمٍ كَأَنَّهُ أَلْفَ عَامٍ
أَلْفَ أَلْفٍ فِي سَاعَةٍ قَتَلُوهُمْ ثُمَّ سَاقُوا السَّبَاءَ كَالْأَغْنَامِ

السباء: النساء المسييات

مَنْ رَأَاهُنَّ يُتَخَذَنَّ إِمَاءً بَعْدَ مِلْكِ الْإِمَاءِ وَالْحُدَّامِ؟
عَرَجًا صَاحِبِيَّ بِالْبَصْرَةِ الزَّمْ رَاءِ تَغْرِيجٍ مُدْنِفٍ ذِي سَقَامٍ

مدنف: مريض

فَاسْأَلَاهَا، وَلَا جَوَابَ لَدَيْهَا لِسُؤَالٍ، وَمِنْ لَهَا بِالْكَلَامِ
أَبْنَ ضَوْضَاءَ ذَلِكَ الْخَلْقِ فِيهَا أَبْنَ أَسْوَاقِهَا ذَوَاتِ الزُّحَامِ؟
أَبْنَ فُلْكَ مِنْهَا وَفُلْكَ إِلَيْهَا مُنْشَأَتٌ فِي الْبَحْرِ كَالْأَغْلَامِ؟

فلك: سفن، منشآت: قال ابن كثير إنها السفن الشراعية وقال غيره غير ذلك، الأعلام: الجبال

أَبْنَ تِلْكَ الْقُصُورِ وَالْدُّورِ فِيهَا أَيْنَ ذَاكَ الْبُنْيَانُ ذُو الْإِحْكَامِ؟
سُلْطَ الْبَثْقُ وَالْحَرِيقُ عَلَيْهِمْ فَتَدَاعَتْ أَرْكَانُهَا بَانِهْدَامٍ

البثق: الماء المنبثق

وَخَلَّتْ مِنْ حُلُولِهَا فَهِيَ قَفْرٌ لَا تَرَى الْعَيْنُ بَيْنَ تِلْكَ الْأَكَامِ..
حلولها: أهلها الذين يحلون فيها، الأكام: الأكوام، والأكمة التلة، وهي هنا تلال من ركام

غَيْرَ أَيْدٍ وَأَرْجُلٍ بَائِنَاتٍ نُبِذَتْ بَيْنَهُنَّ أَفْلَاقُ هَامٍ
بائئات: مفارقات الجسوم فهي أشلاء، أفلاق هام: رؤوس مفلقة

وُجُوهٌ قَدْ رَمَلَتْهَا دِمَاءٌ بِأَبْيِ تِلْكَمُ الْوُجُوهِ الدَّوَامِي
الترميل يكون بالرمل ويكون بالدم، وهنا بالدم

وُطِئَتْ بِالْهَوَانِ وَالذَّلُّ قَسْرًا بَعْدَ طَوْلِ التَّنْجِيلِ وَالْإِعْظَامِ
فَتَرَاهَا تَسْفِي الرِّيحَ عَلَيْهَا جَارِيَاتٍ يَهْبُوءَ وَقَتَامٍ

هوبة: غبار، قتام: غبار

وَأَنْدَامِي عَلَى التَّخْلُفِ عَنْهُمْ وَقَلِيلٌ عَنْهُمْ غَنَاءٌ نَدَامِي
كَيْفَ تَرْضَى الْحَوَرَاءَ بِالْمَرْءِ بَعْلًا وَهُوَ مِنْ دُونِ حُرْمَةٍ لَا يُحَامِي؟

وَاحْيَانِي مِنَ النَّبِيِّ إِذَا مَا لَأَمَنِي فِيهِمْ أَشَدَّ الْمَلَامِ
وَالْإِقْطَاعِي إِذَا هُمْ خَاصُّمُونِي وَتَوَلَّى النَّبِيُّ عَنْهُمْ خِصَامِي
انقطاعي: إفحامي، خاصموني: أخذوني للقاضي

مَثَلُوا قَوْلَهُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّا سَ إِذَا لَأَمَكُم مَعَ اللُّوَامِ:
أَمَتِي أَيْنَ كُنْتُمْ إِذْ دَعَنْتَنِي حُرَّةً مِنْ كَرَائِمِ الْأَقْوَامِ
صَرَخْتُ: «يَا مُحَمَّدَاهُ»، فَهَلَّا قَامَ فِيهَا رُعَاةُ حَقِّي مَقَامِي
انْفِرُوا أَبْهَا الْكَرَامِ خِفَافاً وَثِقَالاً إِلَى الْعَبِيدِ الطَّغَامِ
الطغام: السُّفلة

أَبْرَمُوا أَمْرَهُمْ وَأَنْتُمْ نِيَامَ سَوَاةً سَوَاةً لِنَوْمِ النَّيَامِ
صَدَّقُوا ظَنَّ إِخْوَةٍ أَمَلُوكُمْ وَرَجَوُكُمْ لِنَبْوَةِ الْأَيَّامِ
أَذْرَكُوا ثَأْرَهُمْ فَذَاكَ لَدَيْنَهُمْ مِثْلُ رَدِّ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَامِ
لَمْ تُقِرُّوا الْعُمُونَ مِنْهُمْ بِتَنْصُرٍ فَاقْرَءُوا عُيُونَهُمْ بِانْتِقَامِ
أَنْقَلُوا سَبْيَهُمْ، وَقُلْ لَهُمْ ذَا كَ، حِفَاطاً وَرَعِيَّةً لِلذَّمَامِ

٣٤٥ المدح والسؤال

وقال في الرجل لا يُطمع في رفده إلا بعد مدحه:

مَدِيحُكَ مِنْ تُطَالِبِهِ بِرِفْدٍ هِجَاءُ مِنْكَ فِيهِ بِلا كَلَامِ
بلا كلام: أي هو هجاء دون لفظ الهجاء

لَأَنَّكَ لَمْ تَثِقْ مِنْهُ بِمَجْدٍ فَتَقَنَعَ بِاللِّقَاءِ وَبِالسَّلَامِ

٣٤٦ لكنه يتكلم

وقال في بعض آل نوبخت:

يَقْفَرِي الضُّيُوفَ وَلَكِنْ يَقْفَرِي الضُّيُوفَ وَيَنْدَمُ
وَلَيْسَ يَنْدَمُ سِرّاً لَكِنَّهُ يَتَكَلَّمُ

٣٤٧ الشعراء غير نيام

وقال في علي بن محمد بن العباس:

وَمَغَارِمُ الشُّعْرَاءِ فِي أَشْعَارِهِمْ إِنِّفَاقُ أَعْمَارٍ وَهَجْرُ مَنَامٍ
مغارم: مخاسر

وَتَشَاغُلٌ عَنْ ذِكْرِ رَبِّ لَمْ يَزَلْ حَسَنَ الصَّنَائِعِ، سَابِغَ الْإِنْعَامِ
لَمْ أَخْتَسِبْ فَيْكَ الثَّوَابَ بِمِدْحَتِي إِيَّاكَ، يَا ابْنَ أَكْأَرِمِ الْأَقْوَامِ
أحتسب: أصنع الشيء لوجه الله، ليحسبه لي عنده

لَوْ كَانَ مَذْحِي حِسْبَةً لَمْ أَكُنْهُ أَحَدًا أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْإِبْنَامِ
فَاقْبَلْ مَدِيحًا وَالْقَهْ بِثَوَابِهِ، أَوْ لَا، فَدَعُهُ لِمَغَارِمِ غَنَامِ
لَا تَقْبَلَنَّ الْمَدْحَ ثُمَّ تَعَقُّهُ وَتَنَامَ، وَالشُّعْرَاءُ غَيْرُ نِيَامِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّهُمْ إِذَا لَمْ يُنْصَفُوا حَكَمُوا لَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْحُكَّامِ
وظِلَامَةُ الْعَادِي عَلَيْهِمْ تَنْقُضِي وَعِقَابُهُمْ يَبْقَى عَلَى الْآيَامِ

٣٤٨ ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت

إِنْ أَقْبَلْتُ فَالْبَدْرُ لَاحَ، وَإِنْ مَشَتْ فَالْغَصْنُ رَاحَ، وَإِنْ رَكَتْ فَالرَّيْمُ
نَعِمْتُ بِهَا عَيْنِي فَطَالَ عَذَابُهَا وَلَكَمْ عَذَابٌ قَدْ جَنَّاهُ نَعِيمُ
نَظَرْتُ فَأَقْصَدَتِ الْفُؤَادَ بِسَهْمِهَا ثُمَّ انْتَحَتِ نَحْوِي فَكَدْتُ أَهِيمُ
أقصدت: أصابت

وَيَلَاهُ إِنْ نَظَرْتُ وَإِنْ هِيَ أَعْرَضَتْ وَفَعُ السَّهَامِ وَتَزَعُّهُنَّ إِلَيْمُ

٣٤٩ أدبني فأحسن تأديبي

وقال في القاسم بن عبيد الله:

لَلَّهِ دَرُّ ثِقَافٍ مِنْهُ قَوْمَنِي لَيْسَ لَكُمْتُ لَقَدْ أَبْقَى وَمَا لَوْ مَا
ثقاف: تقويم وعقاب

مَا زَالَ يَرْفُقُ فِي تَقْوِيمِهِ أَوْدِي حَتَّى تَقْوَمَ لِي عُودِي وَمَا انْحَطَمَا
هذا الممدوح ظل يقوم أودي (اعوجاجي) برفق

٣٥٠ يا ضد عيسى

وقال يهجو خالد الفحطي:

يا ضِدَّ عيسى! جاء من لا أبٍ وجِئْتنا أنتَ من العالمِ
يَنْزِلُ فِيهِ كُلُّ ذِي غُرْبَةٍ كَأَنَّهُ خَانُ بَنِي عَاصِمِ
أي أن خالد الفحطي قد نزل في خلقه كل الآباء (تعريضاً بأن أمه لم تترك رجلاً إلا ومارسته)

٣٥١ التهئة بسلامة المهزوم

وقال يهجو سليمان بن عبد الله الطاهري:

كَثُرَتْ فُتُوحُ أَمِيرِنَا وَتَتَابَعَتْ فَجَزَاهُ رَبُّ النَّاسِ دَارَ كَرَامَتِهِ
مَا إِنْ يَزَالُ مُعَزِّياً خَلَفَاءَنَا عَنْ كُورَةٍ، وَمُهَنِّئاً بِسَلَامَتِهِ
كورة: إقليم

ضَرُطُّ كَتَشْقِيْقِ الْحَرِيرِ، وَسَلْحَةُ فِي عَارِضِيهِ، وَفِي مَفَارِقِ هَامَتِهِ
مثل صوت شق الحرير، سلحة: غائط، في عارضيه: في خديه. هذا البيت شتم بحت

٣٥٢ ما لم تتكلم

وقال يهجو (والأشهر أن البيتين قِيلا في أبي تمام لحبة كانت في لسانه، ونسبهما العباسي صاحب معاهد التنصيص لعبد الصمد بن المعذل أو لأبي العميل، والشك منه):

يَا نَبِيَّ اللَّهِ فِي الشُّعْرِ يَا عَيْسَى بْنَ مَرْيَمَ
وعيسى تكلم في المهد

أَنْتَ مِنْ أَشْعَرِ خَلْقِ اللَّ - مَا لَمْ تَكْ لَمْ

٣٥٣ فتح بيولوجي

كَأَنَّ أَبَاهُ حِينَ وَقَعَ أَمُّهُ أَتَاهَا، وَفِي إِخْلِيلِهِ كُورُ بَلْعَمِ
واقع: جامع، إخليل: عضو الرجل

فَجَاءَتْ بِهِ قِرْدًا قَبِيحًا مُقْبِحًا عَلَى مَا بِهِ مِنْ قِلَّةٍ وَتَبْظَرُمِ
تبظرم: حنق

٣٥٤ النفس الخضراء

أَقَامَ مَشِيبِي عَلَيَّ الْقِيَامَةَ وَعَمَّمَنِي مِنْهُ أَخْرَى عِمَامَةً
فَأَفْسَدَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَلَح وَأَوْحَشَ مِنِّي كُؤُوسَ الْمُدَامَةِ
طَلِمْتُ، وَلَا حَاكِمٌ عَادِلٌ عَلَى الشَّيْبِ يَسْمَعُ مِنِّي الظَّلَامَةَ
وَلَمَّا رَأَيْتُ سِهَامَ الْمَشِيبِ جَعَلْتُ الْخِضَابَ مِجَنًّا وَلَا مَةً
مجن: ترس، لامة: لامة: درع

وَمَا زِلْتُ أَلْطُفُ فِي حِيلَةٍ تُعِيدُ الشَّيْبَةَ لِي وَالْوَسَامَةَ
تَبَيَّنْتُ مِنْذُ خَضَبْتُ الْمَشِيبَ بَعْدَ اغْوِجَاجِ أُمُورِي اسْتِقَامَةَ
وَعَادَتْ إِلَيَّ خِلَالُ الشَّبَابِ جَمِيعاً سِوَى فَنَكِهِ وَالْعَرَامَةَ
خلال: صفات، الفتك: الجراءة على الغزل، العرامة: الاندفاع

سَوَادُكَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى شَبَابٍ، وَفِيهِ عَلَيْهِ عِلَامَةٌ
سَتَنَدُمُ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَخْتَضِبْ فَسَوْدُ خِضَابِكَ قَبْلَ النَّدَامَةِ
وَلَا تَلْحَنِي فِي طِلَابِ الشَّبَابِ فَنَفْسِي بِهِ لَمْ تَزَلْ مُسْتَهَامَةً

٣٥٥ الفطام الصعب

لَنْ يَطِيبَ الْهَوَى إِذَا لَمْ تُنْزَرْهُ وَتُسَدِّيْ أَثْوَابَهُ الْآثَامُ
الهوى لا يطيب إلا بالذنوب تنيره وتسديه (تحكم نسجه عرضاً وطولاً)

لَسْتُ مُسْتَعْذِباً وَصَالَ حَبِيبٍ أَوْ تُرَى فِيهِ لِي ذَنْوَبٌ عِظَامُ
فَحَلَالُ الْهَوَى نَبِيذٌ مُدَارٌ وَحَرَامُ الْهَوَى شُمُولٌ مُدَامُ
ليس أن نبذهم الحلال كان كالبيرة التي بدون كحول، بل إن بعض فقهاء العراق كانوا أحلوا أنواعاً من الخمر وجدوا في بعض كتب اللغة أنه لا يقع عليها لفظ الخمر

مَنْ أَطَالَ ارْتِضَاعَ أَخْلَافٍ لَهْوٍ شَقَّ فِيمَا أَرَى عَلَيْهِ الْفُطَامُ
أخلاف: ضروع

فَتْ بِلَذَائِكَ الْعَوَازِلَ وَالْعَذْ لَ، وَإِلَّا فَاتَتْ بِهَا الْأَيَّامُ
سَيَمَحِّي الذَّنُوبَ مِنْكَ صَلَاةٌ وَخُضُوعٌ وَخَيْفَةٌ وَصَبَاحُ
لَنْ تَمَسَّ الْجَحِيمُ، ظَنِّي، جِلْدًا قَدْ كَسَاهُ أَثْوَابُهُ الْإِسْلَامُ

٣٥٦ الشبق والقرم

أَنْسَى نَصِيبِي مِنَ الْفَتَاةِ سِوَى نَصِيبِ أُذُنِي وَنَاظِرِي وَفَمِي
لَيْسَ يُحِبُّ الْكَرَامُ مِنْ شَبَقٍ وَلَا يَصِيدُ الْمُلُوكُ مِنْ قَرَمٍ
القرم: اشتهاه أكل اللحم

٣٥٧ دار البطيخ

وقال يمدح إسماعيل بن بلبل:

أَجْنَتْ لَكَ الْوَجْدَ أَغْصَانُ وَكُثْبَانُ فِيهِنَّ نِوَعَانِ تَفَاحٍ وَرُومَانُ
أجنت لك الوجد: سببت لك جني (قطف) الوجد نساء قدودهن أغصان وأردافهن كُثبان،
وخدودهن تفاح، ونهودهن رومان

هذه القصيدة نبرها أحد آل طاهر «دار البطيخ»، ودار البطيخ اسم دكان الفواكه في ذلك الزمن
وفوق ذِيْنِكَ أَعْنَابٌ مُهَدَّلَةٌ سُودٌ لَهُنَّ مِنَ الظُّلْمَاءِ الْوَانُ
وفوق ذينك (هذين: أي الخدود والنهود) شعر كقطوف العنب الأسود

وَمِنْ عَجَائِبِ مَا يُمْنَى الرِّجَالُ بِهِ مُسْتَضْعَفَاتٌ لَهُ مِنْهُنَّ أَقْرَانُ
مُنَاضِلَاتٌ بِنَبْلِ لَا تَقُومُ لَهُ كِتَابُ الثُّرَى يُزَجِّيهنَّ خَاقَانُ
يزجيهن: يدفعهن، خاقان: أمير الترك

وَلَا يَدُمْنَ عَلَى عَهْدٍ لِمُعْتَقِدٍ أَنَّى، وَهَنَّ كَمَا شُبَّهَنَ بُسْتَانُ؟
معتقد: من عقد معهن عقداً على الوفاء

يَمِيلُ طَوْرًا بِحِمْلٍ ثُمَّ يَغْدُمُهُ وَيُكْتَسِي ثُمَّ يُلْفَى وَهُوَ عُرْيَانُ
إِنْ لَمْ أَرْزُ مَلِكًا أَشْجِي الْخُطُوبَ بِهِ فَلَمْ يَلِدْنِي أَبُو الْأَمْلاكِ يُونَانُ
أشجي الخطوب: أغبط المصائب

بَلْ إِنْ تَعَدَّتْ فَلَمْ أَحْسِنِ سِيَاسَتَهَا فَلَمْ يَلِدْنِي أَبُو السُّوَاسِ سَاسَانُ
الخطوب إن تعدت علي ولم أحسن التحايل عليها فلا تُسَبِّحْ إلى سامان (يقصد الفرس، فأمة فارسية)

قَالُوا: أَبُو الصَّقَرِ مِنْ شَيْبَانَ، قُلْتُ لَهُمْ: كَلَّا لَعَمْرِي وَلَكِنْ مِنْهُ شَيْبَانُ

قصت علينا الكتب القديمة حكاية غضب أبي الصقر من هذا البيت. العربي يرضى
منك أن تمدح قبيلته وتنساه، أما أن تقول إن قبيلته عظيمة بسببه فتلك مسبة. وسعى
القوم مع أبي الصقر، ولفتوا نظره إلى الأبيات التالية التي تمجد شيبان، ولكن بلا
فائدة، وحرّم ابن الرومي العطاء. وبالطبع سلق شاعرنا أبا الصقر بهجاء مر

وَكُمَّ أَبٍ قَدْ عَلَا بِابْنٍ ذُرًّا شَرَفٌ كَمَا عَلَا بِرَسُولِ اللَّهِ عَدْنَانُ
تَسْمُو الرِّجَالُ بِآبَاءٍ، وَأَوْنَةٌ تَسْمُو الرِّجَالُ بِأَبْنَاءٍ وَتَزْدَانُ
وَلَمْ أَقْصُرْ بِشَيْبَانَ الَّتِي بَلَّغَتْ بِهَا الْمِبَالِغُ أَغْرَاقُ وَأَعْصَانُ
لَا يَرَهْبُونَ، إِذَا الْأَبْطَالُ أَرْهَبَهُمْ يَوْمَ عَصِيبٍ، وَهُمْ فِي السَّلْمِ رُهْبَانُ
حَلُّوا الْفَضَاءَ وَلَمْ يَتْنُوا فَلَيْسَ لَهُمْ، إِلَّا الْقَنَا وَإِطَارَ الْأُفُقِ، حَيْطَانُ
منزلهم الفضاء (البر)، وليس لهم حيطان تحميهم - اللهم إلا القنا (الرماح) والأفق. أي أن لهم كل أنحاء البلاد

٣٥٨ سقى الله أيام زمان

ذَهَبَ الَّذِينَ تَهَرَّهْتُمْ مُدَّاحُهُمْ هَزَّ الْكُمَاةَ عَوَالِي الْمُرَّانِ
الكماة: المسلحون، عوالي المران: الرماح الصلبة والمرنة في الوقت نفسه

كَانُوا إِذَا امْتَدَّحُوا رَأَوْا مَا فِيهِمْ فَالْأَرْيَحِيَّةُ مِنْهُمْ بِمَكَانِ
الأريحية: خلق يتحلى به بعض الناس في بعض الظروف. يكون المرء مرتاحاً في مكانه واثقاً بنفسه فيكون أريحيّاً قادراً على الإعطاء، ثم يكون هذا الشخص نفسه في منصب كبير عليه، فتراه خائفاً هيباً لا يأخذ قراراً إلا بالرجوع إلى رئيسه، وليس مستعداً لحمل أية مسؤولية، فيفقد أريحيته. وقد عرفت امرأ كان مديراً على مئة شخص ويزيد، وكان قليل الأريحية؛ وكنت أظن أنه لو كان عاملاً بسيطاً لتجلت أريحيته وحسن تعامله مع الناس

وَالْمَذْحُ يَقْرِعُ قَلْبَ مَنْ هُوَ أَهْلُهُ قَرَعَ الْمَوَاعِظُ قَلْبَ ذِي إِيمَانٍ
فَدَعَ اللَّثَامَ فَمَا ثَوَابٌ مَدِيحِهِمْ إِلَّا ثَوَابُ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ

٣٥٩ الله أدرى بلوعة الحزن

وقال في بعض من كان يألفه ثم هجره:

حَارَبَ أَجْفَانُهُ الرُّقَادَ، فَمَا يَسْكُنُ مِنْ لَيْلِهِ إِلَى سَكَنِ
لَا تَنْفِسَا عِبْرَةَ أَجْوَدٍ بِهَا فَلَسْتُ أَبْكِي بِهَا عَلَى الدَّمَنِ
تنفسا: تحسدا، الدمن: الخرائب

لَمْ يُخْلَقِ الدَّمْعُ لَامْرِيٍّ عَبَثًا اللَّهُ أَدْرَى بِلَوْعَةِ الْحَزَنِ

ليت أعر على من يساعطني، على من يشرح لي سبب حبي الشديد لهذا البيت من الشعر. بيت كأنه الفتاة الفتاة، اجتمع فيها الجمال والعاجية، فلا تستطيع لها لا وصفاً ولا تشبيهاً

أَسَاءَ بِي مَا أَتَيْتَ مِنْ حَسَنِ إِلَيَّ فِيمَا مَضَى مِنَ الزَّمَنِ
مَنْعَتَنِي بِمَعْدَكَ الْعَزَاءَ بِهِ يَا لَيْتَ مَا كَانَ مِنْكَ لَمْ يَكُنْ
مَنْعَتَنِي مِنْ نَسْيَانِكَ وَالتَّسْلِي عَنْ فَقْدِكَ لِكثْرَةِ إِحْسَانِكَ فِي حَيَاتِكَ، فَيَا لَيْتَكَ مَا كُنْتُ مُحْسِنًا

٣٦٠ الطيب المجرم

وَقَالَ فِي إِسْمَاعِيلِ الْيَهُودِيِّ الْمُتَطَبِّبِ وَكَانَ قَدْ غَلَطَ عَلَيْهِ فِي عِلَاجِ عَالِجِهِ بِهِ :
إِنَّ إِسْمَاعِيلَ قِرْدٌ مُجْرِمٌ إِنَّ سَقَانِي دَمُهُ اللَّهُ شَفَانِي
لَوْ رَأَى آدَمُ جَهْلِي لَمَحَةً يَوْمَ شَاوَزْتُ الْيَهُودِيَّ نَفَانِي
نَفَانِي : تَبْرَأُ مِنِّي

٣٦١ توصية لمنكر ونكير

وَقَالَ لَمَّا تَوَفَّى أَبُو حَسَانٍ الزِّيَادِي :
أَقُولُ إِذْ هَتَفَ الدَّاعِي بِمَضْرَعِهِ : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ مِنْ دَاعٍ يَتَّبِعِينَ
نَعَيْتَ مِنْ جَمَدَتْ غُرُورُ الْعُيُونِ لَهُ فَلَمْ تَفُضْ عَبْرَةً مِنْ عَيْنٍ مُحْزُونٍ
الْعُيُونُ الْغَزِيرَةُ بِالْدمُوعِ جَمَدَتْ فَلَمْ تَبْكْ عَلَيْهِ

يَا مُنْكَرًا وَنَكِيرًا أَوْجِعَاهُ فَقَدْ خَلَوْنِمَا بِقَلِيلِ الْخَيْرِ مَلْعُونِ

٣٦٢ أرجوحة الحمام

حَيْثُكَ عَنَّا شَمَالٌ طَافَ طَائِفُهَا بِجَنَّةٍ، فَجَرَتْ رَوْحًا وَرِيحَانًا
شَمَالٌ (رياح شمالية) طافت بجنة (روضة) فأخذت تجري رَوْحًا (نسيمًا) وريحانًا (عطرًا) ثم جاءتكَ
لكي تؤدي التحية بالنبابة عنا

هَبَّتْ سُحَيْرًا فَنَاجَى الْغَصْنَ صَاحِبَهُ مُوسُوسًا وَتَنَادَى الطَّيْرُ إِغْلَانًا
موسوسًا : مصدرًا صوتًا خفيًا

وَزُقْ نُغْنِي عَلَى خُضْرِ مُهْدَلَةٍ تَسْمُو بِهَا، وَتَشْمُ الْأَرْضَ أَحْيَانًا
ورق : حمام، وهي تغني على أغصان خضر متدلّية، ترتفع حينًا بالحمام وتهبط، بهبوب الريح،
فتشم الحمام الأرض

تَخَالَ طَائِرُهَا نَشْوَانٌ مِنْ طَرَبٍ وَالْغَصْنُ مِنْ هَزْوَ عِطْفِيهِ نَشْوَانًا

٣٦٣ الأعداء كامنة فينا

نَبْنِي المَعَاقِلَ، والأعداء كامنةٌ فينا بِكُلِّ طَرِيرِ الحَدِّ مَسْنُونِ
طَرِيرِ الحَدِّ: قاطع الحد

وَنَجْمَعُ المَالَ نَرْجُو أَنْ يُخْلَدَنَا وَقَبَلْنَا قَدْ أَبَى تَخْلِيدَ قَارُونَ

٣٦٤ ذنب سألت الله ألا يغفره

وقال في خالد القحطبي:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ ذَنْبِي وَمِنْ خَطِيئِي إِلَّا هِجَائِي دَعِيَّ القَحْطَبِيِّينَا
فَإِنَّ ذَلِكَ ذَنْبٌ لَسْتُ أَحْفِلُهُ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ ذَاكَ الذَّنْبَ، آمِينَا
أحفل: أحفل به، لا يغفر: بالكسر، أدعو الله ألا يغفر

٣٦٥ ثالثة الأثافي

كَانَ لِلْأَرْضِ مَرَّةً ثَقْلَانِ فَلَهَا الْيَوْمَ ثَالِثٌ بِفُلَانِ
الثقلان: الإنس والجن

أَتَقِي غُصَّةَ اسْمِهِ عَلِيمَ اللَّهِ هُ فَاكُنِّي عَنْ ذِكْرِهِ بِالْمَعَانِي
يَا ثَقِيلَ الثَّقَالِ! أَفَذَيْتَ عَيْنِي لَيْتَ أَنِّي كَمَا أَرَاكَ تَرَانِي

٣٦٦ آذان وشفاء

وقال في دريرة الجارية، وكان أبو العباس المرثدي يعشقها، وسأل ابن الرومي أن يصفها:

ذَاكَ وَجْهِ كَأَنَّمَا قِيلَ: كُنْ قُرْ دَأْ بَدِيعاً بِلَا نَظِيرٍ، فَكَانَا
قَدْ أَرْنُنَا وَأَسْمَعْتُنَا، وَلَكِنْ تَرَكْتُ كُلَّ عَاشِقٍ ظَمْنَا
مَتَّعِي هَذِهِ الْمَرَاثِفَ مِنْ رِيْدٍ حَقِّكَ يَا مَنْ يُمَتِّعُ الْآذَانَا
المراشف: الشفاء

وَأُقْسِمِي الْعَدْلَ فِي جَوَارِحِ قَوْمٍ تَرَكَ الظُّلْمَ بَعْضُهَا هَيْمَانَا
العدل: بعدل، جوارح: أعضاء، أي أنك لا تعدلين بين آذاننا التي تسمع غناك، وبين شفاهنا المحرومة من قبلاتك

آتَا وَاللَّوْ يَا دُرَيْرَهُ أَهْوَا لِكَ، وَإِنْ دُقْتُ فِي هَوَاكِ الْهَوَا
أَسْتَهِي أَنْ أَعْضَّ مِنْكَ بَنَانًا طَالَ عَضِّي عَلَيْهِ مِنِّْي الْبَنَانَا
عضي البنان: غيظي، والمرء إذا اغتاظ أو ندم عض أصابعه، أو وجب أن يفعل

لَمْ أَتْلُ مِنْكَ مُذْ هَوَيْتُكَ حَطًّا مِنْ نَوَالٍ سِرًّا وَلَا إِعْلَانَا
غَيْرَ أَنِّي أَبَيْتُ لِنَيْلِي حَيْرَا نَ، أَرَاعِي مِنْ نَجْمِهِ حَيْرَانَا

٣٦٧ امتزاج الروحين

أَعَانَيْهَا وَالنَّفْسُ بَعْدَ مَشُوقَةٍ إِلَيْهَا، وَهَلْ بَعْدَ الْعِنَايِ تَدَانٍ؟
تداني: اقتراب

فَأَلَيْمُ فَاَهَا كَيْ تَمُوتَ حَرَارَتِي فَبَشْتَدُ مَا أَلْقَى مِنَ الْهَيْمَانِ
الثم: أقبل

وَمَا كَانَ مِقْدَارُ الَّذِي بِي مِنَ الْجَوَى لِيَرْوِيَهُ مَا تَرْشُفُ الشَّفَتَانِ
كَأَنَّ فُؤَادِي لَيْسَ يَشْفِي غَلِيلَهُ سَوَى أَنْ يَرَى الرُّوحَيْنِ بَمْتَرِجَانِ

٣٦٨ شعراء وكتاب

وقال في أبي الحسين كاتب أبي العباس بن أبي الإصبع:

فَمَنْ يَكُ سَائِلًا مَا وَجْهُ فَخْرِي فَلِنِي فَاخِرُ؛ أَدْبِي زَهَانِي
وَنَحْنُ، مَعَاشِرَ الشُّعْرَاءِ، نَنْمِي إِلَى نَسَبٍ مِنَ الْكُتَّابِ دَانِ
وَأَبْلَغَ بِاللِّسَانِ وَبِالْبَنَانِ وَأَبْلَغَ بِكُلِّ فَضْلٍ
أَبُونَا عِنْدَ نَسَبَتِنَا أَبُوهُمْ عَطَارِدُ السَّمَائِ الْمَكَانِ

قال الأزهري في التهذيب (٣/٢٤٦): عطارد كوكب الكُتَّاب، ونسخها عنه ابن منظور في اللسان منسوبة، والزبيدي في التاج. وهذا صدى لأقوال اليونان فيما يرمز إليه عطارد (الإله والكوكب)

٣٦٩ الموت اللذيذ في أحضان القيان

وَلَا حَ فِي الْقِيَانِ فَقُلْتُ: مَهْلًا رُمِيَتْ بِنَبْلٍ أَوْتَارِ الْقِيَانِ
مِنَ السُّمْرِ اللَّذَانِ إِذَا اسْبَكَرَتْ وَصِرْتُ الْمَوْتِ فِي السُّمْرِ اللَّذَانِ
السمر اللذان: الرماح، اسبكرت: اعتدل قوامها. والصرف بفتح الصاد الخطب، وبكسرها المحض الخالص

٣٧٠ ازرع الحب

وقال في جحظة:

أَنْفَقِ الْمَالَ قَبْلَ إِنْفَاقِكَ الْعُمْرَ رَ، ففِي الدَّهْرِ رَبُّهُ وَمَنْوُنُهُ
إِزْرَعْ الْحَبَّ تَسْتَدِمُّهُ، فَمِمَّا رَدَّ مَزْرُوعُهُ أَتَى مَظْهُونُهُ
إنفاقك المال يعود عليك بالمال، مثل الحبوب تزرعها فتعود عليك بحبوب أكثر لتطحنها. لا
تقرأها الحب، كما قرأها محقق الديوان، فلا يعود لها معنى

٣٧١ زراعة الحصى

وقال ينتجز وعداً:

قَدْ حَالَ لِلْمَوْعِدِ الْمَأْمُولِ حَوْلَانِ وَقَدْ تَلَا دَبْنِكَ الْحَوْلَيْنِ شَهْرَانِ
وَلَوْ زَرَعْتُ حَصَى الْمَعْزَاءِ أَثْمَرَ لِي مُذْ ذَاكَ شَيْئاً، وَلَوْ فِي مَثْنٍ صَفْوَانِ
المعزاء: الأرض الصلبة، صفوان: صخر

٣٧٢ شبق غانية

قال ابن الرومي (على لسان غانية):

نَحْنُ الْحِسَانُ اللَّوَاتِي لَيْسَ يُعْجِبُنَا إِلَّا الْحِسَانُ فَلَا نَخْذَعُكَ بِالْمَيْنِ
الحسان (النساء) يعجبهن الحسان (من الذكور) المين: الكذب

لَا تَخْلِطِ الْحُبَّ بِالتَّقْوَى لِتَغْطِفَنَا عَلَى مُحِبٍّ أَذْقَنَاهُ الْأَمْرَيْنِ
فَلَمْ نَبِغْ قَطُّ دُنْيَانَا بِآخِرَةٍ، وَمَثَلُنَا لَا يَبِيعُ النَّقْدَ بِالذِّينِ
نُحِبُّ كُلَّ غَلَامٍ فِيهِ مَبِيعَتُهُ يَنْزَوُ إِذَا مَا اسْتَبَكَّنَاهُ بِأَبْرَيْنِ
ينزو: يشب

ذَاكَ الَّذِي يُخَلِّصُ الْوَدَّ الصَّحِيحُ لَهُ وَتَشْتَرِي بِنِكَتِهِ مِنْهُ بِالْفَيْنِ

٣٧٣ لم أطلبه كفنًا

جَمِلْتُ فِدَاكَ لَمْ أَسْأَلْ لَكَ ذَاكَ الشُّوبَ لِلْكَفَنِ
سَأَلْتُكُمْ لِأَلْبَسَهُ وَرُوحِي بَعْدُ فِي الْبَدَنِ
وَقَدْ طَالَ الْمِطَاطُ بِهِ وَخِفْتُ حَوَادِثَ الزَّمَنِ

٣٧٤ العيون تلوذ بأجفانها

وقال في ابن حريث:

إذا بدا وجهه لِقُومٍ لاَذَتْ بِأَجْفَانِهَا الْعَيُونُ
كَأَنَّهُ عِنْدَهُمْ غَرِيمٌ حَلَّتْ لَهُ عِنْدَهُمْ دُيُونُ

٣٧٥ أطفال في أحضان القيان

وقال يهنئ عبيد الله بن عبد الله بالمرحان:

وَقِيَانٍ كَأَنَّهَا أُمَّهَاتٌ عَاطِفَاتٌ عَلَى بَنِيهَا حَوَانٍ
عاطفات: مقبلات منحيات، حوان: حانيات جسومهن حناناً ورحمة

مُطْفِلَاتٌ وَمَا حَمَلْنَ جَنِيناً مُرْضِعَاتٌ وَلَسْنَ ذَاتَ لَبَانٍ
مطفلات: ذوات أطفال، يصف هيئة احتضان هؤلاء المغنيات لأعوادهن

مُلَقِمَاتٌ أَطْفَالَهُنَّ نُدِيّاً نَاهِدَاتٍ كَأَحْسَنِ الرُّمَانِ
كُلُّ طِفْلٍ يُدْعَى بِأَسْمَاءٍ شَتَّى بَيْنَ عَوْدٍ وَمِرْزَهْرِ وَكَرَانٍ
كران: عود (عن اللسان)

أُمُّهُ دَهَرَهَا تُتَرَجِّمُ عَنْهُ وَهُوَ بَادِي الْغِنَى عَنِ التَّرْجُمَانِ
رأيت العازف القوي يقول النغم بتفاصيله بعفوق جيد وعُزْبٍ واضحة، ورأيت العازف الضعيف يختبئ وراء صوت المطرب ويتركه يفسر النغم. وعازفاتنا مغنيات أيضاً لكن عزفهن قائم بذاته
أُوتِيَ الْحُكْمَ وَالْبَيَانَ صَبِيّاً مِثْلَ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ ذِي الْحَنَانِ
الحنان: الرحمة

فَنَفَثْنَ السَّمَاعَ فِي أُذُنِ خَرَقٍ أَرْيَحِي عَلَيْهِ ثَرَّ الْبَنَانِ
السماع: الغناء، خرق: رجل سخي، أريحي عليه: كريم على الغناء يسمعه فيجود بالمال، ثر البنان: غزير اليد بالعتاء

وَتَعَنَّتُهُ بِالْمَدَائِحِ فِيهِ كُلُّ غَيْدَاءٍ عَادَةٍ مُفْتَانٍ
فَأَقَامَ الْأَمِيرُ فِي ظِلِّ يَوْمٍ فِيهِ مِنْ كُلِّ نِعْمَةٍ زَوْجَانٍ
أَعْجَمِيَّ آيِبُنُهُ، عَرَبِيَّ
آيين: إيتيكيت

هاكها! لا أقول ذاك مُدِلًّا قول ذي بَخْوَةٍ بِهَا وَاْمِتْنَانِ

مدلاً: مفتخراً، نخوة: هنا معناها افتخار

بَيْنَ أَثْنَائِهَا مَدِيحُ نَفِيسٍ مَنْ لَبُوسِ الْمُلُوكِ وَالْفُرْسَانِ

رَاقٍ مَعْنَى، وَرَقٌّ لَفْظاً فَيَحْكِي رَاقٍ الْخَمْرِ فِي رَقِيْقِ الصُّحَانِ

الصحان: الأقداح

إِنْ تَكُنْ سَهْلَةً الْقَوَافِي فَلَيْسَتْ فِي الْمَعَانِي بِسَهْلَةٍ الْوُجْدَانِ

قوافي هذه القصيدة سهلة، فالتون عليها كلام كثير، ولكن معانيها ليست سهلة الوجدان (ليس سهلاً إيجادها)

فَابْتَذِلْهَا فِي يَوْمٍ لَهْوِكَ وَاعْلَمْ أَنَّهَا بَعْدُ مِنْ ثِيَابِ الصُّيَّانِ

ثياب الصبان: الثياب التي تصان وتحفظ للمناسبات

وَابْطِطِ الْعُذْرَ فِي ارْتِخَاصِ الْقَوَافِي وَاتَّبَاعِي سُهُولَةِ الْأَوْزَانِ

أَنْتَ أَلْجَأْتَنِي إِلَى مَا تَرَاهُ بِالَّذِي فِيكَ مِنْ فَنُونِ الْمَعَانِي

أَيُّ وَزْنٍ وَأَيُّ حَسْرَفٍ رَوِيَّ لهما بِالْمَدِيحِ فِيكَ يَدَانِ؟

لهما فيك يدان: يستطيعان توفيتك حقك

ضَاقَ عَنْ مَآثِرَاتِكَ الشَّعْرُ إِلَّا فَأَعْلَاطُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَأَعْلَانِ

وهكذا فابن الرومي يرى البحر الخفيف وزناً سهلاً. ولعمري هذا الشاعر لم يصعب عليه وزن ولم تحرن بين يديه قافية

٣٧٦ سأغسلك بالصابون

وقال في إسماعيل بن بلبل:

أَقْلُ مَا يُوجِبُ الْكَرِيمُ لِمَنْ يَحْرِمُ: أَلَّا يُذِيقَهُ الْهُونَا

وَرُبُّ هُونٍ لَقَبِيتُ مِنْكَ وَمَنْ حَاجِبِكَ الدُّونِ لَمْ يَكُنْ دُونَا

فَأَفْكَكَ لِسَاناً رَهْنَتُهُ: بِجَدًّا أَوْ بِاعْتِدَارٍ، فَلَسْتَ قَارُونَا

فك لساني الذي اتخذته رهينة، وذلك بتقديم جدا (عطاء)، أو باعتذار؛ وأنا مدرك أنك لست غنياً جداً

أَزْمَعْتَ مَنَعِي وَأَنْتَ تُطْمِعُنِي وَلَيْسَ دَمِّي عَلَيْكَ مَأْمُونَا

فَاصْذُقْ فَإِنِّي أَرَاكَ إِنْ بَخِلْتَ نَفْسُكَ بِالصَّدْقِ رُخْتَ مَغْبُونَا

أَمَا رَأَيْتَ الْفُجَّاجَ وَاسِعَةً وَاللَّهَ حَيًّا، وَالرِّزْقَ مَضْمُونًا؟
أَظْهَرَ مِنَ الْمَنَعِ مَا تُجْمِعُهُ فَشَرُّهُ مَا يَكُونُ مَكْنُونًا
تجميعه: تتردد فيه

وَانْفُتْ مِنَ الصَّدْرِ مَا يَضُرُّ بِهِ لَا تَتْرُكِ الدَّاءَ فِيهِ مَذْفُونًا
قُلْ: اغْفُ عَنِّي عَثْرْتُ فِي عِدَّتِي يَا أَيْتَكَ عَفْوِي وَلَيْسَ مَمْنُونًا
وَلَا تَقُلْ لِي: نَعَمْ، وَعَزْمُكَ لَا، فَيَلْعَنَ الشَّعْرُ مِنْكَ مَلْعُونًا
إِنِّي أَمُرُّوْ إِنِّ أَرَادَ مَيِّمَتِي كَرِيْمٌ قَوْمٌ غَدَوْتُ مَيِّمُونًا
وإن أَرَادَ اللَّئِيْمُ مَشَأْمَتِي كُنْتُ لَهُ طَغْنَةً وَطَاعُونًا
مَنْ دَنَسَ الْعِرْضَ بِالْمَوَاعِدِ وَالـ خُلْفٍ جَعَلْتُ الْهَجَاءَ صَابُونًا
وَلَسْتُ أَرْمِي بِنَبْلٍ قَافِيَةٍ ذَوِي مَعَاذِيرَ لَا يَجُودُونَا
لَكِنِّي أَنْتَحِي بِهَا أَبَدًا ذَوِي مَوَاعِيدَ لَا يُنِيلُونَا
انتحي: أقصد نحوهم

قَدْ أَتَعَبُونَا بِحَوْلِكَ مَذْحِهِمْ وَبِالْتَّقَاضِي، وَمَا يُرِيحُونَا
اتعبونا نحن بالنظم وبالمطالبة، وهم أنفسهم لا يُريحون (أي لا يستريحون)

٣٧٧ طاب لي الرحيل

وقال يرثي ابنه هبة الله:

أُبْنِيَّ إِيَّاكَ وَالْعَزَاءَ مَعَا بِالْأَمْسِ لَفَّ عَلَيْكُمَا كَفَنُ
تَاللَّهِ لَا تَنْفَكُ لِي شَجَنًا يَمْضِي الزَّمَانُ وَأَنْتَ لِي شَجَنُ
وَالآنَ حِينَ ظَعَنْتَ عَنْ وَطَنِي سَمِعَ الْمُقَامُ وَطَابَ لِي الظَّنُ
وطني: بيتي

يَا حَسْرَتًا فَارَقْتَنِي فَنَنَّا غَضًّا، وَلَمْ يُشْمَرْ لِي الْفَنَنُ
أَوْلَادَنَا! أَنْتُمْ لَنَا فَنَنُ وَتُفَارِقُونَ، فَأَنْتُمْ مَحَنُ

٣٧٨ كدت أسأله رد الشباب

يُعْطِي الرِّغَائِبَ جُودًا مِنْ طَبِيعَتِهِ لَا كَالْمُتَاجِرِ بِالْمَعْرُوفِ أَحْيَانًا

لَا يَسْتَثِيْبُ بِبَذْلِ الْعُرْفِ مَحْمَدَةً وَلَا تَرَاهُ بِمَا أَسَدَاهُ مَنَانَا

لا يطلب ثواب المعروف مدحاً

سَأَلْتُهُ الْحَاجَ حَتَّى كَذْتُ أَسْأَلَهُ رَدَّ الشَّبَابِ جَدِيداً كَالَّذِي كَانَا
فَمَا نَجَّهَمَ حَاجَاتِي لِكَثْرَتِهَا وَلَا تَلَوَّنَ مِنْهُ الْوَجْهَ الْوَانَا

٣٧٩ عبوس ملول متلون ظالم

قَرَأْتُ فِي وَجْهِكَ عُنوانَا آذَنْتَنِي بِالْعَذْرِ إِيْذَانَا
طَلَعْتَ مِنْ بُعْدٍ فَأَوْهَمْتَنِي أَنْكَ قَدْ عَايَنْتَ شَيْطَانَا
لَا قَبِيْلَتَنِي سَاعَةً لَا قَبِيْلَتَنِي أَنْقَلَ خَلْقَ اللَّهِ أَجْفَانَا
كَأَنَّمَا كُنْتَ تَضَمَّنْتَ لِي رَدَّ شَبَابِي كَالَّذِي كَانَا
أَوْ طَمَّ بِحَرِّ الصَّيْنِ فِي طَرْفِي أَوْ كَسَحَ أَرْوَنْدِي وَتَهْلَانَا

أروند وتهلان: جيلان معلومان

أَوْ كُلَّ مَا لَمْ يَسْتَطِيعْ فَعَلَهُ عَيْسَى وَلَا مُوسَى بَنُ عِمْرَانَا
يَا حَسَنَ الْوَجْهِ لَقَدْ شِئْتَهُ فَاضْمَنْ إِلَى حُسْنِكَ إِخْسَانَا
أَنْتَ مَلُولٌ حَائِلٌ عَهْدُهُ تَضْيِغُكَ السَّاعَاتُ الْوَانَا

حائل: متحول

تَضَرِّمُ ذَا الْوَضْلِ، وَتُضْحِي إِلَى مِنْ يَجْتَوِي وَضْلَكَ ظَمَانَا
تصرم: تهجر، يجتوي: يكره

حَتَّى إِذَا وَاصَلَ صَارْمَتَهُ أَوْ سُمَّتَهُ صَدّاً وَهَجْرَانَا
وَتَسْتَلِيْنُ الدَّهْرَ ذَا خُشْنَةٍ فَظّاً، وَتَسْتَخْشِنُ مَنْ لَانَا
وَتَعْقِدُ الْوَعْدَ، فَلِإِنْجَاؤِهِ خُلِفَ إِذَا إِنْجَاؤُهُ آتَا
حَتَّى إِذَا أَنْجَزْتَهُ مَرَّةً مَنَنْتَهُ سِرّاً وَإِعْلَانَا
وَمَا أَحَبُّ الْوَاعِدِي مُخْلِفاً كَلّاً، وَلَا الْمُمْتَنِّ مَنَانَا
حَذَرْتَنِي النَّاسَ، فَقَدْ أَصْبَحْتُ نَفْسِي لَا تَأْلُفُ إِنْسَانَا

حذرتني الناس: سلوكك جعلني أخذر الناس

أَمَنْتَنِي جِدّاً، فَأَعَزَّزْتَنِي رَبِّ امْرِي عَزَّ بِأَنْ هَانَا

٣٨٠ استحسانه الحسن

وقال يصف الكرم:

ليس الكريمُ الذي يُعطي عَطِيَّتَهُ على الثَّنَاءِ، وإنْ أَغْلَى به الثَّمَنُ
بلِ الكريمُ الذي يُعطي عَطِيَّتَهُ لِغَيْرِ شَيْءٍ سِوَى اسْتِحْسَانِهِ الْحَسَنِ

٣٨١ حتى الريان يتعطش إليها

فَضَّلَ الرَّاحَ أَنَّهَا لَذَّةُ الْمَشْرِ رَبِّ عِنْدَ الظَّمَانِ وَالرَّيَّانِ

لذة: للذة

وَجَمِيعُ الشَّرَابِ مِمَّا سِوَاهَا غَيْرُ لَذٍّ إِلَّا لَدَى الظَّمَانِ

٣٨٢ الشهيد

كَسَنُهُ الْقَنَا حُلَّةً مِنْ دَمٍ فَأَضَحَتْ لَدَى اللَّهِ مِنْ أَرْجَوَانٍ
حَذَنُوهُ مُعَانِقَةُ الدَّارِعَيْنِ مُعَانِقَةُ الْقَاصِرَاتِ الْحَسَانِ

حذته: منحته، الدارعون: لابسو الدروع، القاصرات: الحوريات

٣٨٣ غافل جاهل

وقال في البيهقي:

رَجُلٌ يَدَّعِي الصَّرَامَةَ وَالْفَتَا لَكَ، وَحَوْلَاؤُهُ تُبَاكَ بِإِذْنِهِ

حولأؤه: يعني امرأته الحولاء

مِثْلَمَا يَدَّعِي مِنَ الْعِلْمِ بِالنَّحْوِ وَ عَلَى جَهْلِهِ وَكَثْرَةِ لَخْنِهِ

٣٨٤ «غناء» الطنبوري

وقال في أبي سليمان الطنبوري:

أَبُو سُلَيْمَانَ لَا تُرْضَى طَرِيقَتُهُ لَا فِي غِنَاءٍ وَلَا تَعْلِيمِ صَبِيَّانٍ
عُوءَاءِ كُلِّبٍ عَلَى أَوْتَارٍ مِنْدَقَةٍ فِي قُبْحِ قِرْدٍ، وَفِي اسْتِكْبَارِ هَامَانٍ
وَتَحَسَبُ الْعَيْنُ فَكَيْهِ إِذَا اخْتَلَفَا عِنْدَ التَّنَقُّمِ فَكَيْهِ بَغْلٍ طَحَّانٍ

٣٨٥ عجائب كيمياء الحظ

وقال في إسماعيل بن بلبل :

عَجِبَ النَّاسُ مِنْ أَبِي الصَّقْرِ إِذْ وَلَّى - سَيَّ بِعَدِّ الْإِجَارَةِ الدِّيَّوَانَا
الإجارة: تأجير الفتى نفسه لجماعة من اللاطة يذهبون به يوماً ويتعاورونه. كلمة عباسية لا توردها
القواميس لكن صاحب الأغاني أفادناها

وَلَعُمْرِي مَا ذَاكَ أَعْجَبَ مِنْ أَنْ كَانَ عِلْجاً فَصَارَ مِنْ شَيْبَانَا
إِنْ لِلْجَدِّ كَيْمِيَاءُ إِذَا مَا مَسَّ كَلْباً أَحَالَهُ إِنْسَانَا

الجد: الحظ، كيمياء: علم تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب

يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ، كَمَا شَاءَ ، متى شاء، كائناً ما كانا

٣٨٦ تطليق الهجاء

يَا مَنْ قَسَا لَمَّا شَكَّوْا تَ إِلَى تَطَوُّلِهِ زَمَانِي
وَاعْتَدَنِي لِمَا رَخَضَ تَ عَلَيْهِ مِنْ سَقَطِ الْمَعَانِي
سَاضُونَ مَالِكَ عَنْ يَدِي وَأَصُونُ عِرْضَكَ عَنْ لِسَانِي
أَلَيْسَتْ لَا أَمْجَو طَوَا لَ الدَّهْرُ، إِلَّا مِنْ هَجَانِي
لَا بَل سَاطَرِحُ الْهَجَا ، وَإِنْ زَمَانِي مِنْ رَمَانِي
أَمِنَ الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ فَلْيَأْخُذُوا مِنِّي أَمَانِي
حِلْمِي أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ غَضْبِي، إِذَا غَضْبِي عَرَانِي
فَلَأُضِيرَنَّ وَأَكْظِمَنَّ وَإِنْ لَطَى غَيْظِي كَوَانِي
لَكُنِّي سَاجِبٌ نَفْ سَيَّ إِذْ قَلَانِي مِنْ قَلَانِي
وَأُرِيدُهُمَا كُلَّ الْإِرَا دَةً إِذْ أَبَانِي مِنْ أَبَانِي
وَأَرَى مَكَانِي إِذْ تَعَا مَهُ مِنْ تَعَامَهُ عَنْ مَكَانِي

تعامه: تجاهل

حَتَّى يَرَانِي اللَّهُ كَيْدِي فَ صِيَانَتِي قَدْرِي وَشَانِي
وَيَعْمُولُنِي، فَيَعْيَالَتِي حَقُّ عَلَيْهِ، كَمَا بَرَانِي

٣٨٧ صديق في الشدة، موبّخ في الرخاء

وقال في أبي سهل بن نوبخت:

لي صديق إذا تُنُوولَ عِرْضِي أو رأى يومَ نُوبَتِي ذَبَّ عني
يوم نوبتي: يوم مصيبي

فلذا ما رأى مُشِيداً بِذِكْري أو رأى يومَ غِبْطَتِي حَطَّ مِنِّي
نَفَعُهُ فِي شِدَائِي لَا رَخَائِي فَهُوَ لِي كَالطَّبِيبِ لَا كَالْمُفَنِّي
ليس يُجْدِي عَلَيَّ فِي يَوْمِ سِلْمِي وَهُوَ فِي الْحَرْبِ مُنْصِلِي وَمِجْنِي
منصل: سيف، مجن: ترس

لَسْتُ أَنْفَكَ بَيْنَ ضِدَّيْنِ مِنْهُ وَاعْتِدَادِي بِهِ شَدِيدٌ، وَضَنِّي

سودنا أبيات هذه القطعة كي نلفت نظرك إلى هذا الوصف الدقيق لنوع نادر من البشر. وصف ابن الرومي هذا النوع وصفاً جعلني أتذكر من رأيت ممن ينطبق عليهم

٣٨٨ عانس عمرها مثنان

عُتِّقْتُ فِي الدَّنَانِ حَتَّى اسْتَفَادَتْ بَعْدَ حِينٍ نَسِيمَ جَنَّةِ عَدْنِ
يصف الخمر، استفادت: اكتسبت

عَائِسٌ تَفْهَرُ الشَّبَابَ عَجُوزٌ بِنْتُ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ وَقَرْنٍ

٣٨٩ عزة نفس

قَبَحَ إِلَهُ إِخَاءِ ظُلْمِ بَيْنَنَا أَرَعَاكَ فِيهِ وَأَنْتَ لَا تَرَعَانِي
هِيَهَاتَ قَدْ حَلَقْتُ عَلَيَّ حَزَامَتِي أَلَّا أَبِيعَ كَرَامَتِي بِهَوَانِ
الحزامة: الحزم

٣٩٠ اغفر جنوني وظنوني

يَا كَرِيماً لَمْ يَزَلْ مُحْتَمِلاً مِحْناً فِي عِبْدِهِ بَعْدَ مِحْنِ
يَتَلَقَّى فِيَّ مَا يَأْذِي بِهِ وَأَكْأَفِيهِ بِأَنْوَاعِ الظُّنَنِ
أَعُفْ عَنِّي وَأَقِلْنِي عَثْرَتِي يَا عِيَاذِي لِمِلْمَاتِ الزَّمَنِ
عياذي: ملجأي

لَا تُعَاقِبْنِي، فَقَدْ عَاقَبَنِي نَدَّمَ أَقْلَقَ رُوحِي فِي الْبَدَنِ
لَا تُطَيِّرْ وَسْناً عَنْ مُقْلَةٍ أَنْتَ أَهْدَيْتَ لَهَا حُلُوَ الْوَسَنِ
لَكَ سُلْطَانٌ عَزِيزٌ، فَإِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْفُ عَنِ الْجَانِي وَهَنْ
كُنْ عَزِيزاً بِالتَّغَاضِي، إِنَّهُ يَتْرُكُ الْجَانِي مَسْلُوبَ اللِّسَنِ
اجعل عزتك (قوتك) بالتغاضي (بالتجاوز) فهذا يترك المذنب مفتحماً

وَمَنِي لَأَحْظَتُهُ فِي مَجْلِسٍ ضَرَبَ الزُّورَ ذَلِيلًا بِالذَّقْنِ
ضرب الزور بالذقن: كسر عينه وخفض رأسه فكانما يضرب بذقته أعلى صدره حيث الزور أي
الحنجرة

مَوْعِزٌ غَائِضٌ فَاظْطِنَ لَهُ وَذَكِيُّ الْقَلْبِ وَالْعَيْنِ قَطِنٌ
ابن الرومي في الشعر العربي كله بطل المعنى. هو الشاعر الذي يحلل النفسيات ويغوص
على المعاني، وهنا يعبر عن نفسه هو تعبيراً بالغ الصدق والحساسية. أسرف القدماء
في الإشادة باعتذاريات اليجتري. ولم أر أحداً تكلم في اعتذاريات ابن الرومي، ربما
لأنها تأتي قصيرة وسط حشد حاشد من الأبيات في قصائد تطول فتبلغ مئات الأبيات.
ومن بعض همنا في هذا الكتاب أن نستخلص لك الذهب الإبريز من جبل التراب. فانظر
إليه وتمتع، وردد معنا شعارنا في هذه الكتب التي نصدرها: الشاعر بجيده لا برديته

٣٩١ حب من طرفين

مُطْلِعٌ مِنْ جَيْبِهِ شَمْسٌ سَاءَ بَدَتْ فِي يَوْمٍ دَجْنِ
مطلع من جيبه: مخرج من الشق في أعلى ثوبه، يوم دجن: يوم غائم

لَا تُكْثِرُ مِئْزَرَهُ فَو قَ كَثِيبٍ تَحْتَ غُصْنِ
لا تكثر (لا تكثر) مئزره (ثوبه) فوق كثيب (كفل/ردفين) تحت غصن (قذ)

رَشَاءٌ قَدْ جَاوَزَ الْحُسْنَ نُنْ بِهِ حَدَّ التَّمَنِّي
الرشاء: صغير الظبي

لَسْتُ عَنْهُ صَابِراً يَوْ مَا، وَلَا يَضْبِرُ عَنِّي

٣٩٢ مشهد في الجنة

يَا فَوَادِي غَلِبَتَنِي عَصِيَانَا فَأَطِغْنِي فَقَدْ عَصَيْتَ زَمَانَا
مِثْلُ الْأَوْلِيَاءِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ إِذَا مَا تَقَابَلُوا إِخْوَانَا

قَدْ تَعَالَوْا عَلَى أَسِرَّةٍ دُرٍّ لَا يَسِينُ الْحَرِيرَ وَالْأَزْجُونَا
 وَعَلَيْهِمْ تِجَانُهُمْ، وَالْأَكَالِيدُ لُ تُبَاهِي بِحُسْنِهَا التَّيْجَانَا
 يَتَعَاطُونَهَا سُلَافاً شُمُولاً فِي جِنَانٍ مُجَاوِرَاتٍ جِنَانَا
 ثُمَّ آبَوْا فَاسْتَقْبَلَتْهُمْ حِسَانٌ مِنْ بَنَاتِ النِّعَمِ فُقَرْنَ الْحِسَانَا
 فَتَرَاهُنَّ مُقْبِلَاتٍ عَلَيْهِمْ بَابْتِهَاجٍ قَدْ عَصَفَرُوا الْأَلْوَانَا
 ذَكَرُوا أَنَّ خُلَفَاءَ ذَلِكَ الزَّمَنِ إِذَا نَوُوا عَقْدَ مَجْلَسٍ مَجُونٍ وَشَرَابٍ لَبَسُوا، وَالْبَسُوا جِلْسَاءَهُمْ،
 الثَّيَابَ الصَّفْرَاءَ الْمَعْصِفَةَ

رَاشِفَاتٍ أَقْوَاهُهُمْ رَشَفَكَ الْمَا إِذَا مَا شَرِبْنَتْهُ ظُمَانَا
 تَارَةً بَعْضُهُمْ يَزُورُونَ بَعْضاً وَيَزُورُونَ رَبَّهُمْ أَحْيَانَا
 ثُمَّ يَخْلُونُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْحُو إِذَا مَا تَشَوَّقُوا الْأَوْطَانَا
 الْأَوْطَانُ: الْبُيُوتُ. فَبَعْدَ زِيَارَتِهِمْ بَعْضُهُمْ بَعْضاً يَشْتَاقُونَ إِلَى بُيُوتِهِمْ وَإِلَى... مِم... الْحُورِ

٣٩٣ مفتاح العود

وَإِنَّ امْرَأَةً يَقْوَى عَلَى لَثْمِ ثَغْرِهَا عَلَى الضَّغْطِ وَالتَّغْذِيبِ فِي قَبْرِهِ يَقْوَى
 مِنْ يَصْبِرُ عَلَى تَقْيِيلِ فَمِهَا سَيَكُونُ قَادِراً عَلَى عَذَابِ الْقَبْرِ

جَفَّتْ هَامَةٌ مِنْهَا وَدُقَّقَ سَاقُهَا فَمَا صَلَحَتْ إِلَّا لِبَنْجَقِهَا مَلَوَى
 جفت: كبرت هامتها (رأسها)، وأما ساقها فدقيقة رفيعة، فهي أشبه شي بملوى (مفتاح شد الوتر) في البنجق (بيت المفاتيح في العود، ويسميه المحدثون أيضاً بيت الملاوي). ومفتاح شد الوتر يكون رأسه مفلطحاً وبقيته رفيعة، بعكس خلقة الإنسان الذي رأسه أصغر من سائر جسمه

٣٩٤ كذب الشهوة

إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَغْرِ فَ يَوْمًا كَذِبَ الشَّهْوَةِ
 فَكُلْ مَا شِئْتَ يَضُدُّكَ عَنِ الْعَذْبَةِ وَالْحُلْوَةِ
 وَطَأْ مَنْ شِئْتَ يَضُدُّكَ عَنِ الْحَسَنَاءِ فِي الذُّرْوَةِ
 وَكَمْ أَسْلَاكَ مَا تَهْوَا هُ نَيْلُ الشَّيْءِ لَمْ تَهْوَا

إِنْفَرَّغْ إِلَى شُورَى الرَّجَالِ، فَإِنَّهَا لِفَسَادِ رَأْيِكَ حِينَ يَفْسُدُ نَافِيَةٌ
لَا تَرْضَيْنَ بِرَأْيِ نَفْسِكَ وَحَدَهَا فَلَربَّ خَافِيَةٌ عَلَيْكَ وَخَافِيَةٌ

٣٩٦ سهولة شتم الساقطين

وقال يهجو ابن حريث:

هَجَائِيكَ يَشْفِينِي وَإِنْ لَمْ تُبَالِهِ وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ أَنَالَ شِفَائِيَا
حَلَفْتُ لَنْ أَضَبِّحَتْ تَضَحُّكَ هَازِنًا بِشِعْرِي لَقَدْ أَمْسَى ضَمِيرُكَ بَاكِيًا
عَسَى ابْنُ حُرَيْثٍ تَسْتَرِيحُ طُنُونُهُ إِلَى أَنِّي عَانَيْتُ فِيهِ الْقَوَافِيَا
فَيَشْفَى جَوَاهُ أَوْ يُنْفَسَ كَرْبُهُ تَظَنِّيهِ أَنْ قَدْ شَقَّنِي وَعَنَانِيَا
شفتي: شق علي وأرهفتي

فَلَا يَتَخَيَّلُ فِي ذَاكَ بِجَهْلِهِ فَلَسْتُ لِمَا أَهْدِي إِلَيْهِ مُعَانِيَا
وَأَتَى أَعَانِي فِيهِ شِعْرًا أَقُولُهُ وَهَاجِهِ لَا يَبْغِي إِلَيْهِ الْمَرَاقِيَا؟
المراقي: الدرجات الصاعدة

وَذَاكَ لِأَنَّ الشُّتْمَ فِي كُلِّ سَاقِطٍ يَجِيءُ مَجِيءَ السَّيْلِ يَطْلُبُ وَادِيَا

٣٩٧ ليتني أعور

تُعْضِي الْجَفُونَ إِذَا بَدَا مِنْ هَوْلِ مَنْظَرِهِ الْكَرِيهِ
قَدْ قُلْتُ إِذْ قَلَدَيْتُ بِهِ عَيْنِي، وَأَغَيْنُ مُبْصِرِيهِ:
يَا لَيْتَ لِي بِصَحِيحَتِي عَوْرَاءَةً مِمَّا يَلِيهِ
ليت عيني الصحيحة مما يليه (من جهته) عوراء

٣٩٨ الهدم أسهل

يَا قَابِلَ الْمَدْحِ فِيهِ مِنَّا وَيَا خِلَا مِنْهُ بِالْعَطَايَا
يا قابل مدحنا فيه (قولنا المدح فيه)

جُرْتُ عَلَيْنَا، وَكُنْتَ مِمَّنْ يَجُورُ فِي الْحُكْمِ وَالْقَضَايَا
نحن على هدم ما بنينا أَقْدَرُ مِنَّا عَلَى الْبِنَايَا

لَيَأْتِيَنَّكَ الْهَجَاءُ، فِيهِ صَوَاعِقُ تَقْدُمُ الْمَنَايَا
مَثَالِبٌ لَا يُخَافُ فِيهَا إِنَّمَ، وَلَا تُتَّقَى خَطَايَا
يَسْرِي بِهَا فِي الْبِلَادِ شِعْرُ تَحْمِلُ أَعْبَاءَهُ الْمَطَايَا

٣٩٩ الشهوة والقدرة

مَنْ مَاتَ مَاتَتْ، كَمَا قَدْ قِيلَ، حَاجَتُهُ إِلَّا الشَّبَابَ، وَحَاجَاتٍ يُبْقِيهَا
قال القديم: تموت مع المراء حاجاته// وتبقى له حاجة ما بقي (من الحماسة) ويقول ابن الرومي:
يموت الشباب ولكن حاجاته تبقى

يَمْضِي الشَّبَابُ، وَيُبْقِي مِنْ لُبَانَتِهِ شَجْوًا عَلَى النَّفْسِ يَشْجُوها وَيُشْجِيها
لبانة: شهوة، الشجو: الهم، يشجو: يحزن، يُشجي: يقهر

لَبِثَ اللَّبَانَةُ كَانَتْ تَنْقُضِي مَعَهُ أَوْ كَانَ يَبْقَى، وَبَقِيَ الدَّهْرُ بَاقِيهَا
سألت أبا عيسى (زميلاً شيخاً عملت معه في مؤسسة إعلامية قبل عشرين سنة): يا أبا عيسى! هل
تخف الشهوة مع العمر، فقال جازماً: أبداً، بل تبقى على حالها، وتقل القدرة

كَلَّا، وَلَكِنَّهُ يَمْضِي وَقَدْ بَقِيَتْ فِي النَّفْسِ مِنْهُ بَقِيَّاتٌ تُعْنِيها
وإنَّ أَبْرَحَ مَا اسْتَوْدَعْتُهُ خَلْدًا لُبَانَةُ لَكَ، لَا تَسْطِيعُ تَقْضِيها
وَكَانَتْ النَّفْسُ بَنَاهَا إِذَا غَوِيَتْ نَاهِ سِوَاهَا، فَمِنْهَا الْآنَ نَاهِيها

٤٠٠ الشيب قبله ضوئية

أَمِنْ بَعْدِ إِذْدَاءِ الْمَشِيبِ مَقَاتِلِي لِرَامِي الْمَنَايَا تَحْسِبِينِي نَاجِيَا؟
غدا الدهرُ يَرْمِينِي فَتَدْنُو سَهَامُهُ لِشَخْصِي، وَيُخْلِي مَا يُصِيبُ سَوَادِيَا
كان الدهر يرميني فيخلي (بخطين) لأنني غير ظاهر له بشعري الأسود

وَكَانَ كَرَامِي اللَّيْلِ، يَرْمِي وَلَا يَرَى؛ فَلَمَّا أَضَاءَ الشَّيْبُ شَخْصِي رَأَيْتَا

٤٠١ أسير الطيلسان

لِي طَيْلَسَانٌ أَنَا فِي يَدَيْهِ
مَثَلُ الْأَسِيرِ خَائِعٌ لَدَيْهِ
رَعَزَعَتِ الْأَيَّامُ جَانِبِيهِ
قَدْ هَدَمَتْ أَيَّامُهُ رُكْنَيْهِ

تُسْرِعُ كُلُّ آفَةٍ إِلَيْهِ
كَأَنَّ كُلَّ صَنِيعَةٍ عَلَيْهِ

في سورة المنافقون «يحسبون كل صيحة عليهم»، وفسرها ابن كثير بأنهم لجبنهم يحسبون وراء كل صيحة مصيبة ستزل بهم، وهذا الطيلسان ركيك ومهمل ومخلوع القلب

٤٠٢ الأيام تمضي علينا ثم تمضي بنا

وَيَأْتِي لِلْفَتَى يَوْمٌ فَيَوْمٌ وَمَا يَأْتِي لَهُ يَأْتِي عَلَيْهِ
سيقولها الشريف الرضي بعد مئة سنة آتق: ما أسرع الأيام في طينا// تمضي علينا ثم تمضي بنا

٤٠٣ الشطيرة

يَا سَائِلِي عَنْ مَجْمَعِ اللَّذَاتِ سَأَلْتُ عَنْهُ أَنْعَتَ النُّعَاتِ
الجامع لكل اللذات هو الساندويش، وما هو ابن الرومي - أوصف الوصافين - يصفه لنا
خُذْ يَا مُرِيدَ الْمَأْكَلِ اللَّذِيذِ جَرَّدَقْتِي خُبْزٍ مِنَ السَّمِيدِ
مرید: طالب، جردقتي خبز: رغيفين، السميد: الطحين الخشن

لَمْ تَرَ عَيْنًا نَاطِرٍ شَبَّهَ بِهِمَا فَاقْتَسِرَ الْحَرْفَيْنِ مِنْ وَجْهَيْهِمَا
اختر رغيفين جميلين، واقتسر (اقطع) الحرف الخارجي النابت من كل رغيف
حَتَّى إِذَا مَا صَارَتَا صَفَاصِفًا فَانْتَفَتْ عَلَى إِحْدَاهُمَا نَتَائِفًا ..
فإذا صار الرغيفان صفاف (مستويين) انتفت على أحدهما فقط نتائف من ..

مِنْ لَحْمٍ قَرُوجٍ وَلَحْمٍ قَرْخٍ يَدُورُ جُودَابُهُمَا بِالْفَسَخِ
من لحم الدجاج. والجوداب: طعام من لحم وأرز. فافهم أن الرجل يأخذ من طيخ يوم أمس
ما فيه من لحم ويتفه فوق الرغيف

وَاجْعَلْ عَلَيْهَا أَسْطُرًا مِنْ لَوْزٍ مُعَارِضَاتٍ أَسْطُرًا مِنْ جَوْزٍ
اجعل على هذه الخبزة اللوز والجوز: سطرًا لوزاً يقاطعه سطرٌ جوزاً

إِعْجَامُهَا أَلْجُبْنُ وَالزَّيْتُونُ وَشَكْلُهَا النَّعْنَعُ وَالطَّرْخُونُ
وبما أننا جعلنا اللوز والجوز كالأسطر فلا بد الآن من الإعجام (التنقيط) لكلمات
هذه الأسطر، فلتكن النقط من فتاقيت الجبن وحبات الزيتون؛ ثم لا بد من تشكيل
الكلمات، فليكن التشكيل بالنعنع والطرخون (وهو نبات عطري شبيه بالنعنع)

وَاعْمَدْ إِلَى الْبَيْضِ السَّلِيْقِ الْأَحْمَرِ فَدَرِّهِمِ الْجُبْنَ بِهِ وَدَنِّرِ
وَهَاتِ الْبَيْضَ الْمَسْلُوقَ واقطعه أقماراً أقماراً، فوسطه كاللنانير تدنر بها سندويشك، وأطرافه
البيضاء كالفضة تدرهم بها (تجعلها دراهم) الرغيف

وَتَرَبِّ الْأُسْطُرَ بِالْمِلْحِ، وَلَا تُكْثِرْ، وَلَكِنْ قَدَرًا مُعَدَّلًا
وضع ملحاً ولا تكثر، فسندويشك حتى الآن كفيل لك بالكوليسترول والدهون الثلاثية، ونصف
دسته من الأمراض الأخرى، فلا داعي لكثرة الملح درءاً لضغط الدم

وَرَدِّدِ الْعَيْنَيْنِ فِيهَا لَحْظًا فَإِنَّ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْهَا حَقًّا
لا تنس أن تتأمل المنظر

وَمَتِّعِ الْعَيْنَ بِهَا مَلِيًّا وَأَطْبِقِ الْخُبْزَ وَكُلْ هَنِيئًا
ثم ضع الخبزة الثانية فوق الأولى لبصير السندويش سندويشاً

هَيَّئِ ثَنَائِيكَ، وَكَدِّمًا كَدِّمًا تُسْرِعُ فِيْمَا قَدْ بَنَيْتَ الْهَدْمَا
حضر ثنائيك (أسنانك) وابدأ كدماً (عضاً/أمي تقول كزماً)، والنتيجة أنك تهدم ما بنيت

فهرس الأعلام

كل رقم هو رقم القطعة لا الصفحة

اجتهدنا في ضبط هذه الأسماء ما وسعنا. ورتبناها على اسم العائلة - مخالفين ما درج عليه الأكاديميون في رصف جداولهم - حتى يكون أبناء العائلة الواحدة معاً، ولا يخفى ما لهذا من فائدة. ثم إننا نلقى العنت من الترتيب بحسب الاسم الأول، فكل الناس اسمهم محمد وعلي وإبراهيم. لعل هذا الفهرس يعين من يريد تتبع سلوك شاعرنا مع أحد ممدوحيه أو مهجويه ضمن مختاراتنا هذه. فأما من أراد دراسة ابن الرومي دراسة تاريخية فعليه بالديوان، وقد صنع له محققه الفاضل حسين نصار فهرس جيدة.

أبو سليمان المغربي: ٣٣٠

أخفش: علي بن سليمان الأخفش (الأصغر): ١١٦، ٢٨٩، ٢٩١

أعرج: فضيل الأعرج (الشاعر الكوفي): ١٦٢

باقطاني: أبو عبد الله الباقطاني: ٣٠٥

بحثري: البحثري الشاعر، الوليد بن عبيد: ٥٢، ٨٩

بدر: أبو عبيد الله بن أبي العباس بن بدر: ٣٣

بلبل: أبو الفوارس، ابن أخت أبي الصقر: ١٣١

بلبل: إسماعيل بن بلبل، أبو الصقر: ١٧، ٣٩، ٦٤، ٨٠، ٨٢، ٩٣، ١٢٣،

٢٦٢، ٢٨٣، ٣١٣، ٣٢١، ٣٥٧، ٣٧٦، ٣٨٥

بيهقي: إبراهيم البيهقي، أبو إسحق: ٢١٧، ٢٤٢، ٢٥٨، ٣٨٣

ثوابة: أبو الحسين بن ثوابة: ٢٤٦

ثوابة: أبو العباس أحمد بن ثوابة: ٣٥، ٤٦ (بائية السفر)، ١٥١

ثوابة: بنو ثوابة: ٢٩٨

جحظة: ٣٦، ١٤١، ١٦٨، ١٧٢، ٣٧٠

- جراح: أبو عبد الله محمد بن داود الجراح: ١٧٠
جعفر: ١٥٩
- حاجب: أبو شيبة بن الحاجب: ٣٧
- حريث: أحمد ابن حريث: ١٧١، ٢٦٩، ٣٧٤، ٣٩٦
- حريثي: أبو بكر الحريثي: ٥٣
- خبازة: ابن الخبازة: ١٣، ٣٤٠، ٣٤٢
- خرداذبة: عبد الله بن خرداذبة: ٨٥
- خلال: خلال: ١٠٦
- خنساء: ابن خنساء (صاحب الطائي): ٢٠٧
- دبس: ١٩٤
- دجاجة: ابن الدجاجة: ١١٩
- دريرة المغنية: ٧٠، ٣٦٦
- دقاق: أبو يوسف، يعقوب الدقاق: ٦٣، ١١٥، ١٦٠، ١٨٩، ٣١١
- دلف: أبو ليلي بن عبد العزيز بن أبي دلف: ٢٣١
- دليل: إسحق بن دليل: ٢٧٣
- رومي: العباس (والده): ١٢٨
- رومي: علان (خاله): ١٨٢
- رومي: محمد بن علي بن العباس (ابنه الرضيع): ٩٦
- رومي: هبة الله (ابنه المتوفى): ٣٧٧
- زمن: أبو موسى الزمن: ٢٧٨
- زيادي: أبو حسان الزيادي: ٣٦١
- سلمة: المفضل بن سلمة: ١٦
- شاجي الجارية: ٧٣
- شراعة: سوار بن أبي شراعة: ٢٠٤
- شطرنجي: أبو القاسم التوزي الشطرنجي: ٥
- شنطف: ١٦٤، ٢١٤، ٢٣٥، ٣٠١
- صاعد بن مخلد: ٢٩، ٩١، ١٩٦، ٢٠٥، ٢٣٤
- صاعد: العلاء بن صاعد، أبو عيسى: ٨٦، ١٩٦، ٢١٥، ٢٣٤
- طالقاني: أبو بكر الطالقاني: ٢٩٥
- طاهر: ابن أبي طاهر: ١٤٣
- طاهر: بنو طاهر: ١١٧، ٣١٨

طاهر: سليمان بن عبد الله بن طاهر: ٩٧، ١٩١، ٢٤٣، ٢٦٧، ٣٥١
طاهر: عبيد الله بن عبد الله بن طاهر: ٥١، ٨٦، ٩٧، ١٩٧، ٢٤٨، ٢٧٦،
٣٢٥، ٣٧٥

طاهر: محمد بن عبد الله بن طاهر: ٧، ٣١، ٩٨ (رثاء)، ١٣٣، ١٣٦، ٣٠٨
طائي: الطائي: ٢٤٧

طبيب: إسماعيل اليهودي الطبيب: ١٧٤، ٣٦٠

طنبوري: أبو سليمان الطنبوري: ٣٨٤

عروس: ابن عروس: ٢٣٦

علوي: يحيى بن عمر: ٧٤ (الجيمية الكبرى)، ١٨٣

علي بن محمد بن العباس: ٣٤٧

عمهمة (سيد وحيد المغنية): ١٢٠

عيسى بن شيخ (أبو المهند): ١٩٣

عيسى: ٩٩

فراس: ابن فراس (ذكرت بعض الروايات أنه دس السم لابن الرومي بأمر من

القاسم بن عبيد الله بن وهب): ٢٠٦، ٣٠٠

قاشي: العباس بن القاشي: ١٠١

قحطبي: خالد القحطبي: ١١، ٢٣، ٢٥، ٩٤، ١٧٥، ٢٠١، ٢١٦، ٢٦١،

٢٧٠، ٢٧٧، ٢٨٢، ٣٥٠، ٣٦٤

قرة: ابن أبي قرة: ١٤٢

قنوط: أبو عيسى بن القنوط: ٢٧٥

كاتب: أبو الحسين الكاتب: ٣٦٨

كنيزة: ٧٧، ٢٠٠، ٣٢٦

كوكبي: الكوكبي: ٣٥

لحياني: اللحياني: ١٥٨

لحية الليف المعلم: ١٣٥، ١٥٠، ٢٧٩

مادراني: إبراهيم بن أحمد المادراني: ٢٥٧

مارمة: ابن مارمة: ٣٠٧

مبرد: المبرد النحوي: ١٣٤

محمد بن علي: ١٠٧

مدبر: إبراهيم بن المدبر: ٩٢، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٩، ٢٢٧، ٢٩٩

مرثدي: أبو العباس بن أبي بكر بن عبد الله بن بشر المرثدي: ٣٦٦

مسيب: علي بن عبد الله بن المسيب (من رواة الديوان رغم القذع الذي ناله فيه.
العقاد يجعل الراوي عبيد الله بن المسيب، ثم في صفحة قريبة يجعله علي بن
عبيد الله بن المسيب، ثم يورد الاسم كما أوردناه في فاتحة هذه المادة، وهذا
أدعى إلى الاطمئنان لما أوردناه): ٢٠، ١٣٧

معتضد: المعتضد الخليفة: ٣٣٢

معلی: محمد بن أحمد المعلی، أبو الحسين: ٢٧٤

مغني: أبو شيبه سلامة بن سعيد المغني: ١٨٨

منجم: علي بن يحيى المنجم: ٢، ١٤٦، ١٧٧، ٣١٩

منجم: يحيى بن علي المنجم: ٢٨

منصوري: المنصوري الهاشمي المحتسب: ٢٤٤، ٢٦٦

ناجم: أبو عثمان سعيد بن الحسين بن شداد المسمعي الناجم (تلميذ الشاعر
وراويته): ٧٨، ٢٨٤

نجح الخادم: ٨٤

نصر (الغلام): ٤٠

نضر الجهيد وأخوه: ١٦١

نوبخت: آل نوبخت: ٣٤٦

نوبختي: أبو جعفر محمد بن علي بن إسحق النوبختي: ٣٤

نوبختي: أبو سهل بن نوبخت: ٢٨٥، ٣٠٢، ٣٣٥، ٣٨٧

هاشمي: أبو العباس أحمد بن صالح الهاشمي: ١٧٦

هاشمي: عبد الله بن صالح الهاشمي: ٢٥٦

وحيد المغنية: ١٢٠

وراق: أبو حفص الوراق: ٢٤، ١١٤، ١٢٥، ١٥٧، ٢١٨، ٢٩٤، ٣٠٩

الوزيني صاحب الزنج: ٣٤٤

وهب: وهب بن سليمان بن وهب بن سعيد (صاحب البريد): ١٥، ١٦٣، ٢١٩،
٣١٢

وهب: آل وهب: ٣٤٨، ٢٨٧

وهب: القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب: ١٠، ٥٨، ٩٥، ١٠٣، ١٠٨،
١١٢، ١١٣، ١٢٦، ١٣٠، ١٨١، ٢٣٣، ٢٥٢، ٢٨٨، ٣٠٦، ٣٢٢، ٣٢٤،
٣٤٩، ٣٣٨

وهب: عبيد الله بن سليمان بن وهب: ١١٢، ١٨٦

وهب: الحسن بن عبيد الله بن سليمان: ٤، ١١٢، ٢٢١

يزداد: عبد الله بن محمد بن يزداد: ٨١

فهرس الأغراض

الرقم هو رقم القطعة لا الصفحة

شتم وشماتة

هجاء: ٥٢، ٦٦، ٨٤، ٨٩، ٩٢، ١١٤، ١١٦، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٣، ١٤٢، ١٤٣، ١٥٠، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٢، ١٧١، ١٧٥، ١٨٣، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٨، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٦١، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٩٨، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١٨، ٣١٩، ٣٤٢، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٧٤، ٣٩٦، ٣٩٧

هجاء بالأبنة/ باللواط: ٢٠، ٣٥، ١٣٤، ١٥٦، ١٦٥، ٢٠٨، ٢٧٨، ٣٣٧، ٣٨٥، قذف أم المهجؤ: ١٢، ٥٣، ٥٥، ١٤٢، ١٦٠، ١٦١، ٢٥٨، ٢٧٩، ٣٢٠، ٣٤٠، ٣٤٢ (البورانية الكبرى)، ٣٥٠

قذف زوجة المهجؤ: ١١، ١٢، ٢٣، ٩٤، ١١٩، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٠، ١٦١، ١٧٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢٦٩، ٢٨٢، ٣٨٣

قرن (الزوج الغافل/ المتغافل): ١٣، ٥٣، ٧٢، ٢٣٧، ٢٦٩

نقلاء: ٣، ٨٣، ٢٦٣، ٣٢٨، ٣٦٥

هجاء مغن/ية: ١٤، ٥٧، ١٦٤، ١٦٨، ١٨٨، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٩، ٢١٤، ٢٣٥، ٢٣١، ٣٢٦، ٣٣٠، ٣٨٤، ٣٩٣

شتم محض: ١١، ٦٣

ضربة: ١٥، ٦٥، ١٦٣، ٢١٩، ٣١٢

صفع: ١٢٥

بخلاء: ٦، ٧، ٢١، ٣٠، ٣٢، ٥٥، ٨١، ٩٢، ٩٥، ٩٩، ١٠٦، ١٧٦، ٢٣٤، ٢٥٠، ٢٩٥، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣١٣، ٣٣٧، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٩٨

شماتة: ١٠، ٢٦٢، ٢٨٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٦١

مجون وخلاعة

سبق الرجل: ١، ٧١، ١٢٠، ٢٥٦

سبق المرأة: ٥٦، ٧٠، ٧٧، ٣٧٢

استهتار ومجون: ٣٥، ٦٩، ٧١، ٨٥، ٨٨، ١٢٠، ١٨٩، ٢٥٦، ٢٨٦، ٣٠١، ٣٠٣، ٣١٦، ٣٢٩، ٣٤٠، ٣٤٢ (اليورانية الكبرى)، ٣٧٠، ٣٧٢

رقة دين: ٢٣، ٨٥، ٩٦، ١٠٠، ١٠١، ١٠٩، ١١٤، ١٣٥، ١٤٠، ١٤٨، ١٥٥، ١٦٠، ٢٣٥، ٢٥١، ٢٨٥، ٣٠١، ٣٣٠، ٣٤٢، ٣٥٥، ٣٦٤

خمر وسكر: ١٤، ٣٧، ٨٣، ٨٨، ١٤٠، ١٩٦، ١٩٩، ٢١١، ٢٥٦، ٣١٦، ٣٢٥، ٣٣١، ٣٨٠، ٣٨٨

رمضان: ٤٢، ٢٧١، ٣١٤

سخرية: ٢٦، ١٤٢، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٩٧

فكاهة: ٩، ١٦، ٧١، ٨٤، ١١٤، ١٢٥، ١٣٥، ١٤٢، ١٥٠، ١٥٧، ١٦٢، ١٦٤، ٢١٤، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٤٠، ٢٥٨، ٢٧٠، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٨، ٣٥٣، ٣٦٠، ٣٧٣

طيلسان: ٤٧، ٩٠، ١٤٨، ٢٢٨، ٤٠١

غزل حسي: ٧٣، ٧٥، ١٢٠، ١٤٩، ١٥٦، ١٦٧ (حسي وعاطفي)، ١٨٠، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٧، ٢٥٦ (أنشطة الوهق)، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٥ (باب الطاق)، ٣٢٥، ٣٤٨ (ونزعهن أليم)، ٣٥٧، ٣٦٦، ٣٦٧ (الروحان يمتزجان)، ٣٦٩، ٣٩١

بين المدح والقدح

إلحاح واستجداء: ٣١، ٨٢، ١٠١، ١١٣، ١١٧، ١١٨، ١٢٣، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٨، ١٤١، ١٤٦، ١٧٠، ١٧٧، ١٨١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٤٧، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٨٥، ٢٩٥، ٢٩٩، ٣٠٥، ٣١٧، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٦

بشر وحبل: ١٧، ١٩، ٢٩، ٢٤١، ٣٠٧

عتاب: ٥، ١٠، ٣١، ٣٤، ٣٩، ٤٦، ٥٩، ٦٢، ٨٠، ٨٢، ٩٥، ١١٣، ١١٧، ١١٨، ١٢٣، ١٣٦، ١٧٢، ٢٢٧، ٢٥٤، ٣٠٠، ٣٣٨، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨٦، ٣٨٩

اعتذار: ٩٧، ٢٦٨، ٣٢٤، ٣٩٠

تحذير وتهديد: ١٠، ٢٧، ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٥٩، ٨٦، ١٠٢، ١١٥، ١٣٠، ١٣٣، ١٧٢، ١٧٧، ٢٢٧، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٤٨، ٢٧٣، ٢٩١، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٩٨، ٣٧٦، ٣٠٥

الشاعر يبرز أنيابه: ٩، ١٣، ٣٦، ٥٨، ١١٥، ١٥٦، ٢٣٦، ٢٧٣، ٢٧٥، ٣٤٢
 مدح: ٢، ٥، ٨، ١٠، ١٧، ٣١، ٣٣، ٤٦، ٩٣، ٩٧، ١٠٧، ١٠٨، ١١٧،
 ١٢٣، ١٣٠، ١٥١، ١٧٠، ١٧٩، ١٨١، ١٨٧، ٢٢١، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٤٧،
 ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٨٠، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٧، ٣٣٢، ٣٤٩،
 ٣٧٨، ٣٧٥، ٣٥٨، ٣٥٧

مدح للنند: ٥، ١٥٣، ١٦٩، ٢٥٦، ٣٧٦، ٣٧٩
 طلب كساء، طعام، شراب: ٨، ٣٤، ١٣٨، ٣٧٣
 شكر: ٨

زهد وقناعة

قضاء وقدر: ٥، ٢٣٩، ٢٥٠، ٢٨٤
 قناعة: ٥، ٣٨، ٤٦، ١١٣، ٢٣٩، ٢٥٠، ٢٦٦، ٣٨٦
 إيمان: ٥

زهد: ٧٤، ١٢٤، ١٢٦، ١٣٩، ١٤٥ (بذيل القصيدة)، ١٥٦، ١٨٥، ٢٠٥،
 ٢٢٦ (قيام الليل)، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٨١، ٣٣١، ٣٤٣، ٣٤٤ (رثاء البصرة)،
 ٣٦٣، ٣٩٢، ٤٠٢

حكمة: ١٢٦، ١٤٤، ١٥٥، ١٨٦، ١٩١، ١٩٣، ١٩٩، ٢١٠، ٢٣١، ٢٤٤،
 ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٩٥، ٣١٠، ٣١٥، ٣٤٥، ٣٥٦، ٣٦٣، ٣٧٠، ٣٨٠،
 ٣٩٤، ٣٩٥، ٤٠٢

حماية الله: ٥، ١٠
 رثاء: ٤٩، ٦٧، ٧٤، ٩٦ (واسطة العقد)، ٩٨، ١٢٦، ١٣٧ (رثاء بنت)، ١٨٢
 (خاله)، ٢٠٢، ٢٥٩، ٣٣٦ (أمه)، ٣٤٤ (رثاء البصرة)، ٣٧٧ (ابنه هبة الله)

شكوى وضراعة

فقر الشاعر: ١٠، ٣٩، ٤٦، ٥٨، ٨٠، ٢٥١، ٣٠٤
 عذاب العاشق: ٢٥٧، ٣٥٩، ٣٦٦
 صلعة: ١١٤، ١٥٧، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٩٢

شيب: ٥، ٢٨، ٤٣، ٦٠، ٧٦، ٩١، ١١٢، ١٢٧، ١٣١، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٦،
 ١٧٨، ١٨٤، ١٩٥، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٣١، ٢٨٦، ٢٩٧، ٣٠٨، ٣٢٥، ٣٢٧،
 ٣٣٤، ٣٣٩، ٣٤٣، ٣٥٤، ٤٠٠

شكوى الزمان: ٧٩، ٩١، ١٠٣، ١٠٦، ١٢٩، ١٣٠، ٢١٣، ٢٣٩، ٢٦٧،
 ٢٩٠، ٣٣٣، ٣٩٩
 حسد: ١٠٤

حسرة على الشباب: ٥، ٥٠، ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٩١، ١٠٦، ١٢١، ١٥٦

حقد: ١١٠، ١٥٣، ٢٠٣

تحليل نفسي: ١٠، ٢٤، ٤٦، ٥٠

دهاء: ٥، ٢٢، ٣٣٨

اجتماعيات

الشاعر يصف جسمه: ١٠، ٢٢٢، ٢٢٣، ٣١٩

حياة يومية: ٤٠، ٦١، ٦٥، ٩٦، ١٠٥، ١١١، ١١٩، ١٤٦، ١٧٣، ٢٦٧

٢٧٤، ٣١٧، ٣٣٣

شطرنج: ٥، ٧٦، ٢٩٣

صداقة: ٥، ٢٢، ٤٥، ٤٨، ٥٩، ٢٢٤، ٢٣٦، ٢٨٧، ٣٣٧، ٣٨٧، ٣٨٩

طقس: ١، ٤٦، ١٠١

صيد: ١٤٥، ٢٢٤

طبيب: ٥، ٩، ٣٦، ٩٧، ١٧٤

أعمى: ٩، ١٦٠

طعام: ٦١، ١١٩، ١٣٨، ١٤٥، ٣٢٨، ٣٣٧، ٤٠٣

نَهْم: ٤، ٤٢، ٤٤، ٢٧١، ٣١٤، ٣٣٣، ٣٣٧ (وقد خالف الإيتيكيت)، ٣٩٤، ٤٠٣

دجاجة: ٧١، ١١٩، ١٣٨

نبات: ٥، ٢١، ٢٢٤

فاكهة: ٤، ٤٤، ١٤٥، ٣٥٧ (دار البطيخ)

وصف وكماريكاتير

كماريكاتير/وصف فوتوغرافي: ٢٣، ٣٥، ٤٧، ٥٤، ٥٥، ٦١، ٦٦، ٧٢، ٧٨

٩٠، ٩٩، ١٣٤، ١٣٥، ١٥٠، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٨

١٧٣ (الخباز)، ١٩٤ (ولا أرى لك تجلس)، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٩

٢١٢، ٢١٦، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٩٢، ٣٠٦، ٣٢٠، ٣٨٤

وصف الطبيعة: ١٨، ٤٦ (سفر البر والبحر)، ١٤٥ العنب، ١٤٧، ٢١١، ٢٢٠

٢٢٤، ٢٥٣، ٣٦٢

سفر: ٤٦، ١٠١

سحاب: ٤٦، ٢٥٣

أسد: ١٥٦

غناء جميل: ١٢٠، ٢٢٩، ٣٦٦، ٣٧٥ (العاذلات)

لحية: ٥٢، ١٣٥، ١٥٠، ١٥٨، ٢٣٨

سياسة ورياسة

- تشيع: ٧٤ (الجيمية الكبرى)، ١٨٣
سياسة: ٧٤، ١٠٧، ١٢٢، ٢٩٩، ٣٣٢، ٣٣٨، ٣٤٤ (رثاء البصرة)
حرب وضرب: ٢٩٩، ٣٤٤، ٣٨٢
فخر: ١٦١، ٢٤٦، ٢٧٩، ٣٦٨
فخر بالروم/والفرس: ٤١، ١٥٦، ٢٩٦، ٣٣٥، ٣٤١، ٣٥٧

فنه الشعري

- حوار: ٥، ٣٦، ٤٦، ٦٩، ١٦٠، ٣٠٣، ٣٤٤
حرفة الشعر: ٥، ٦، ٧، ١١، ١٣، ١٥، ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٤١، ٥٢، ٥٣،
٧٨، ٨٧، ٨٩، ١١٦، ١٣٦، ١٥١، ١٥٢ (وصف حرفة الشاعر)، ١٥٦،
١٧٧، ١٩٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٦٤، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٩٩، ٣٠٥، ٣٠٦،
٣١١، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٤٧، ٣٧٥، ٣٩٦

فهرس القوافي (القافية، فرقم القطعة)

١٩	هَجَاءُ	١٠	البُصْرَاءُ
٢٠	اضْدِاقُهُ	١٥	شعراء
٤٧	الدُّنُوبَا	١٧	شُفَعَاءُ
٣٤	الرَّغَائِبَا	٤	فَاءُ
٣٣	انْتَسَبَا	٩	والبُصْرَاءُ
٣٩	مُثَابَا	٨	الْجَزَاءُ
٤٣	وَأَبَا	٦	الشعراء
٤٩	وَأَطْيَا	١	سَجَوَاءُ
٥٨	المَخْلُوبُ	٢	سماء
٣٧	الهَارِبُ	٢٦	إِذْكَاءُ
٤١	رَيْبُ	٣	الأَفْدَاءُ
٥٤	مَصْلُوبُ	١٨	السماء
٣٦	نَصِيبُ	٢٥	السَّوَاءُ
٣٠	وَاجِبُ	١٦	الْفَرَاءُ
٣٨	وَيَعْذُبُ	٢٧	الهَجَاءُ
٣٢	يَرْطُبُ	٧	شُعْرَاءُ
٥٢	الْحَبِيبُ	٥	صَفَاءُ
٤٨	الصَّحَابُ	١٤	كَالدَّوَاءِ
٤٢	العَذَابُ	١٣	نَعَمَاءُ
٥٥	المَطْلُوبُ	١١	هَجَائِي
٤٦	المُعَاتِبُ	٢٢	وَالْإِتِلَاءُ

٧٢	دَرَج	٢٩	يَقْلِبِ
٧١	بِحَاجَةٍ	٦٠	بِي
٧٠	بِمَغْنُوجَةٍ	٦١	تَعِبِ
٧٧	صَجَّةٌ	٢٨	عَجِيبِ
٨٢	تُسْرَحَا	٥١	عَذَابِ
٧٨	تَقِيحَا	٥٧	كَرْبِ
٨٥	الْمُتَاحُ	٥٦	لَوْلِبِ
٨٣	الرَّاحِ	٤٤	مَحْسُوبِ
٧٩	الشَّحَاحِ	٤٥	مَعْتَبِ
٨١	الْمَدِيحِ	٦٢	وَالْوَصْبِ
٨٦	التَّنِيحِ	٣١	مُكْتَسَبِ
٨٧	تَلْوِيحِ	٥٣	وَذَنْبِ
٨٠	مُسْتَرِيحِ	٣٥	ثَوَابُهُ
٨٤	مِفْتَاحِ	٤٠	سَعْبُهُ
٨٨	جُنَاحِ	٥٩	طِلَافِهِ
٨٩	السَّلَخِ	٥٠	عِقَابِهِ
٩٢	الجَدِيدَا	١٢٥	عَادَتَهَا
١١٣	رُشْدَا	٦٧	أَشْتَاتِ
١٠١	رَعْدَا	٤٠٣	النُّعَاتِ
١٠٢	مَارِدَا	٦٥	بُعْتُهُ
١٠٧	مُقَيَّدَا	٦٣	لَيْتَهُ
١٢٤	مُنْفَرِدَا	٦٤	خَلَقْتُهَا
١٢٧	وِدَادَا	٦٦	بِخِلْقَتِكَ
١٢٢	الْأَسَدُ	٣٥١	كَرَامَتِهِ
٩١	تَتَجَدَّدُ	٦٩	خَنِيبِ
١١٨	تُجَرِّدُ	٦٨	خَبِيثِ
١٢١	جَدِيدُ	٧٥	الْعَاجِ
١٢٦	رَاصِدُ	٧٤	وَأَعْوَجُ
١٢٠	عَمِيدُ	٧٦	وَرَنْجِ
١٠٨	فَأَجَاذُوا	٧٣	تَاجِ

١٣٤	دُبْرًا	٩٥	مَكْدُودٌ
١٦٣	سائِرا	١٢٣	يَوْدٌ
١٥٣	شُكْرًا	٩٧	الصَّيْدِ
١٢	كِسْرَى	١٢٨	الْوَالِدِ
١٧٢	اعتذارُ	١١١	الْوَهْدِ
١٧٦	اعتذارُ	٩٨	حَشْدِ
١٥٢	الشَّجَرُ	١١٠	حِقْدِي
١٤٤	السَّوَاجِرُ	٩٩	خَالِدِ
١٨٤	المَظْفَرُ	٩٦	عِنْدِي
١٧٧	المعاشِرُ	١٠٩	فَقْدِ
١٣٧	المُقَدَّرُ	١٢٩	لِلْأَعَادِي
١٣١	تَشِيرُ	١٠٥	وَأَقْصِدِ
١٧٠	تُكَلِّدُ	١١٥	وَالْحَدِيدِ
١٥٦	ذَنْرُ	١١٧	الْمُعْتَمِدِ
١٨٠	صَابِرُ	١٠٠	يُجَالِدِ
١٨١	قَدْرُ	١١٤	الْحَسَدَةِ
١٤٨	كثيرُ	٢٨١	حَدِّكَ
١٦٥	مُظْهِرُ	١١٦	حِمْدَةِ
١٦٦	نُقْرُ	١١٩	رَاقِدَةِ
١٤٠	وَالشُّكْرُ	٢٦٦	رَعْدَكَ
١٨٧	وَالْمَطَرُ	١٠٣	أَمْنُهُ
١٤٩	وَالنَّظَرُ	١٠٤	كِبْدُهُ
١٣٨	يَتَفَطَّرُ	١٠٦	وَيَصِيدُهَا
١٤١	آخِرِ	٩٣	حَسُودِهَا
١٦٠	أَشْهِرِ	١١٢	صَيَّادَةِ
١٧٤	الإِضْدَارِ	٢٨٣	عَضْدِكَ
١٦٢	التَّصْفِيرِ	٩٤	وَجَلْدَةِ
١٤٥	الْخُصُورِ	١٣٠	نَقَذِ
١٤٦	الدَّهْرِ	١٦٨	حَجْرًا
١٥٤	الشَّعْرِ	١٨٦	حَجْرًا

١٩٨	مُتَقَاعِسَا	١٦٩	المُفَكِّر
١٩٤	أَفْطُسُ	١٦١	النَّضِير
١٩٧	الأَوَانِسُ	١٧٣	بِالْبَصِير
١٩٥	يُلْبَسُ	١٥٩	بِالسَّتِير
١٩٦	الْأَنِيسِ	١٤٣	شَاعِرِ
١٩٩	المَجَالِسِ	١٣٣	شِعْرِي
١٩٢	النَّفْسِ	١٣٦	عُسْرِ
١٩١	نَفْسِي	١٣٢	عَصْرِ
١٩٣	بِنَفْسِي	١٣٥	لِلْحَمِيرِ
٢٧٥	لَا فِتْرَايِكَ	١٣٩	لِلْمَقَابِرِ
٩٠	سِبَاخُ	١٧٩	مُسْتَرِ
٢٠٠	نَبَسُ	١٧١	مُسْتَظَرِ
٢٨٢	قَرَاثِكَ	١٥٥	وَالْأَخْيَارِ
٢٠١	الْفَخْصِ	١٧٥	وَالْجَهْرِ
٢٠٢	غَضَا	١٨٣	وَالصَّدْرِ
٢١٣	يُرْضَى	١٥١	وَأَنْوَارِ
٢٠٥	عَوَضُ	١٨٥	وَنَهَارِ
٢٠٤	مِقْرَاضُ	١٧٨	يَجْرِي
٢٠٦	نَهْضُ	١٤٧	نَقَرُ
٢١٠	يَرْكُضُ	١٦٤	الضَّرِيرَةُ
٢١١	الْعَمَضِ	١٥٠	صَدْرَةَ
٢٠٣	بَعْضِ	١٤٢	عُرَّةَ
٢٠٧	عِزْضِي	٢٧١	وَالْحَرَكَهَ
٢١٢	مِقْرَاضِ	١٦٧	يَبْهَرُهَا
٢٠٩	رَقْصَةُ	١٥٧	قِصْرَةَ
٢٠٨	تُرْضِيهِ	١٥٨	مِقْدَارِهَا
٢١٦	تَمْطُو	١٨٢	وَجَوَارِهِ
٢١٥	كَاشِطُ	١٨٩	تُحْتَجِزُ
٢١٨	إِيرَاطِ	١٩٠	الْمُتَحَرِّزِ
٢١٧	تَمْتَشِطُ	١٨٨	الْمَكْرُوزِ

٢٤٥	شَرْفُهُ	٢١٤	قَطَّطَهُ
٢٦٤	أَسْبَقُ	٢٢٠	مُلْتَقِطُهُ
٦٠	العِنَاقُ	٢٢١	المُعَايَظَا
٢٥٣	بُرُوقُ	٢٣٨	أُشْرَعَا
٢٥١	ضَيْقُ	٢٢٤	هُجَّعَا
٢٥٩	يَسْتَبِقُ	٢٣٠	وَاسِعَا
٢٥٠	اسْتِحْقَاقِ	٢٢٥	يُضْفَعَا
٢٦٥	العِرَاقِ	٢٣٦	يَدْعُوا
٢٥٦	العَرَقِ	٢٣٩	يُوضَعُ
٢٦٣	الفِرَاقِ	٢٢٨	الرَّعَاذِ
٢٦٢	تَحْلِيْقِ	٢٣٣	السَّاسِيعِ
٢٥٤	عُقُوقِ	٢٢٦	الْمَضَاجِعِ
٢٥٧	وَالْأَسْوَاقِ	٢٢٣	جَزَعِ
٢٥٨	وَجَذْقِ	٢٤١	مَنْعِي
٢٦١	تُحَقِّقُهُ	٢٣٧	الْجَزَعِ
٢٥٥	طَرِيقُهُ	٢٢٢	سَفَعِ
٢٥٢	حَدَائِقِهَا	٢٣١	صَلَعِ
٢٧٨	السِّيَكَا	٢٣٢	الشَّرِيعَةُ
٢٧٢	بِذَلِكَ	٢٢٩	تَسَعُهُ
٢٧٦	سِوَاكََا	٢٣٥	رَكَاعَةً
٢٧٧	قُؤَاكََا	٢٢٧	سَمِعَهُ
٢٧٠	هِنَالِكَا	٢٤٠	صَحِيعُهُ
٢٦٩	دِيكَ	٢٣٤	ضُرُوعُهَا
٢٨٠	الْمُشَارِكِ	٢٤٢	بَلَّغَهُ
٢٧٣	أَخْلَاقُكَ	٢٤٧	إِعْصَافَا
٢٨٨	أَشْكَا لَا	٢٤٦	خَفِيفَا
٢٨٦	الْمُحَلَّى	٢٤٨	صَدَّافَا
٢٩٩	بَدِيلَا	٢٤٩	تُعْرَفُ
٣٠١	تَقْضِيَلَا	٢٤٤	الْعَلْفِ
		٢٤٣	سَيِّدْنِيْقُهُ

٣٠٣	اَدْخُلْ	٣١٢	خُصِّلَا
٣١٣	مُذَلَّةٌ	٣٢٤	طَوِيلَا
٢٨٧	نِصَالَهَا	٢٨٩	لَفْضَلَا
٣٠٧	نَوَالَهُ	٢٩٠	أَتَعَلَّلُ
٣١٤	يَنْحُوْلِهِ	٣٠٦	أُضُوْ
٢٦٧	حَالِكَا	٢٩١	أَغْفَلُ
٢٩٢	نَيْلُهُ	٢٩٥	الْبَحِيلُ
٣٤٩	لَوْ مَا	٣٠٩	الْحَيْلُ
٣٣١	مُحَرَّمَا	٣٢٣	الدُّخُوْلُ
٣٣٧	مَكَارِمَا	٣٠٤	أَمْثَانُ
٣٢٥	أَسْحَمُ	٢٩٨	تَعْقِلُ
٣٥٥	الْأَثَامُ	٣١٥	قَلِيلُ
٣٢٧	الْأَذَاهِمُ	٣٢١	وَتَأْمَلُ
٣٢٩	تَكَلَّمُ	٣٠٨	الْأَطَاوِلُ
٣٤٨	فَالرَّيْمُ	٣١٩	الْأَوْصَالِ
٣٣٨	قَادِمُ	٢٩٣	العَقْلِ
٣٤١	أَعْمَامِي	٣١٦	الْعَمَلِ
٣٣٣	الْأَحْلَامِ	٣١٠	الْفَضْلِ
٣٤٤	السَّجَامِ	٢٩٤	اللَّيْلِ
٣٥٠	العَالَمِ	٢٨٥	المَظْلِ
٣٣٥	المَعَاجِمِ	٣١١	المَقْوَلِ
٣٣٠	النَّعْمِ	٣٠٢	بِالْمَظْلِ
٣٣٩	يَدَمِ	٢٩٦	جَهْلِي
٣٥٣	بَلْغَمِ	٣٢٠	رِجَالِ
٣٤٠	تَسْلَمِ	٣٢٢	سَبِيلِ
٣٤٣	سُخَامِ	٣١٧	عَمَلِ
٣٣٢	سَلَامِ	٣١٨	غَلِيلِي
٣٣٤	سِيَهَامِي	٣٠٠	كَالْعِيَالِ
٣٤٢	عَظِيمِ	٢٩٧	مَمِيلِ
٣٢٨	كَالْهُمُومِ	٣٠٥	وَبِالْبَدَلِ

٣٧٥	حَوَانِ	٣٤٥	كَلَامِ
٣٩١	دَجْنِ	٣٤٧	مَنَامِ
٣٨٦	رَمَانِي	٣٥٦	وَقَمِي
٣٦٨	رَهَانِي	٣٢٦	يَوْمِ
٣٥٩	سَكْنِ	٣٥٢	مَرِيَمَ
٣٦٠	شَفَانِي	٣٣٦	وَجَمَ
٣٧١	شَهْرَانِ	٣٤٦	وَيَنْدَمَ
٣٨٤	صَبِيَّانِ	٣٥٤	عِمَامَةً
٣٨٨	عَدْنِ	٢٧٩	أُمِّكَ
٣٨٧	عَنِي	٢٨٤	يَوْمِكَ
٣٧٣	لِلْكَفَنِ	٣٧٨	أَحْيَانَا
٣٦٣	مَسْنُونِ	٣٨٠	الْثَمْنَا
٣٨١	وَالرَّيَّانِ	٣٨٥	الدُّيُونَا
٣٩٠	مِخْنِ	٣٦٤	الْقَحْطِيسِيْنَا
٣٧٠	وَمُنُونُهُ	٣٧٦	الْهُونَا
٢٦٨	إِحْسَانِكَ	٣٧٩	إِيْذَانَا
٣٨٣	بِإِذْنِهِ	٣٩٢	رَمَانَا
٢٣	تَغْشَاهَا	٣٦٦	فَكَانَا
٢٤	صَدَاهَا	٣٦٢	وَرِيحَانَا
٢١	جَنَاهُ	٣٧٤	الْعِيُونُ
٣٩٣	يَقْوَى	٣٧٧	كَفْنُ
٣٩٤	الشَّهْوَةُ	٣٥٧	وَرُمَانُ
٣٩٨	بِالْعَطَايَا	٣٨٢	أَرْجُوَانِ
٣٩٦	شِفَائِيَا	٣٦٩	الْقِيَّانِ
٤٠٠	نَاجِيَا	٣٥٨	الْمُرَّانِ
٣٩٥	نَافِيَةٍ	٣٧٢	بِالْمَمِينِ
٣٩٧	الْكَرْيَةِ	٣٦١	بِتَيْسِينِ
٢٧٤	سَيْرِيكَا	٣٦٥	بِفُلَانِ
٤٠٢	عَلَيْهِ	٣٦٧	تَدَانِ
٣٩٩	يُبْقِيهَا	٣٨٩	تَرَعَانِي
٤	يَدَيْهِ		

ابن المعتز

(٢٤٧هـ - ٢٩٦هـ)

المقدمة

في المقدمة شيء عن المرأة المهشمة، وشيء عن حياة ابن المعتز، وقدح في الأكاديميين.

عن شعره

شعر ابن المعتز مرآة مهشمة؛ ترى فيها عيناً جميلة هنا، وخدّاً نضراً هناك، وشفة لعساء ههناك. تتأمل فيعجبك ما ترى، ويظل في نفسك شوق أن ترى الوجه كاملاً في مرآة صحيحة.

قد فتنْتُ لبَّه التشبيهات، فراح يجتهد في التقاطها، فغاب عن قصيدته اكتمال الوجه. على أن له من الأبيات ما سار مسير الشمس.

رووا أنه قال عن نفسه: «إن قلت «كأن» ثم لم آت بتشبيه ففضَّ الله فاي». وذكروا أنه قيل لابن الرومي: لم لا تشبَّه كتشبيهات ابن المعتز؟ فقال لهم: عندما يقول ماذا؟ فقالوا له إنه يشبه القمر بمنجل من فضة يحصد النجوم التي كالبنفسج، ويشبه القمر تارة أخرى بزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر. فصاح ابن الرومي: واغوثاه! تالله لا يكلف الله نفساً إلا وسعها. ذاك ابن خليفة يصف ماعون بيته.

ولا نمضي في تحليل شعر ابن المعتز فهذا نتركه للثقلاء من دكاترة الجامعات، وسنهتمك أعراضهم الأكاديمية بعد صفحات، بل نعرض عليك عصارة شعره، ونشرحه لك بقدْر. لكن، نقص عليك أولاً قصة حياته.

قصة حياته

ابن المعتز ابن خليفة حقاً. هو ابن الخليفة العباسي «المعتز بالله». ليس هذا فقط، بل إن جده المتوكل خليفة، وأبا المتوكل المعتصم خليفة، وأباه هرون الرشيد خليفة، وأباه المهدي خليفة، وأباه المنصور خليفة. فابن المعتز، شاعرنا، سليل ستة خلفاء متعاقبين. وسيأتيك أيضاً أنه هو نفسه كان خليفة.

هو عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب جد الرسول. وندعوه عبد الله كيلا نخلط بينه وبين أبيه المعتز.

كان لعبد الله - شاعرنا - من العمر شهران عندما قتل جده الخليفة المتوكل (٢٤٧هـ). قتله القادة الترك متآمرين مع ابنه المنتصر.

وتولى المنتصر الخلافة (٢٤٧هـ) بعد تأمره على أبيه. ودامت له ستة أشهر، مات بعدها، قيل مسموماً. وجاء بعده المستعين (٢٤٨هـ)، وتولى الخلافة أربع سنوات ثم ثار به جنده، وحملوه على خلع نفسه بعد معارك، فخلع نفسه فحبس.

ثم تولى الخلافة المعتز (٢٥٢هـ) والد شاعرنا عبد الله. كان المعتز في نحو الثالثة والعشرين من عمره، وكان لقي في صباه الذل والقهر على أيدي القادة الترك، وعلى أيدي أقاربه من البيت العباسي. فقد كان أمراء البيت العباسي يتعرضون للحبس أو القتل كلما انتقلت الخلافة من رجل إلى رجل، ونال المعتز نصيبه من الحبس والرعب. فلما تولى الخلافة كانت نفسه مشحونة بالعنف. كان المعتز شاعراً، وكان صاحب شطرنج ولهو، غير أنه لم يلق رقة عند أسلافه فيرثها، فنفى أخاً له، وقتل أخاً، وأرسل قائداً من قاداته إلى عمه المستعين، الخليفة المخلوع، ليذبحه في سجنه. فذبحه، وجاءه برأسه. جاءه برأسه والمعتز يلعب الشطرنج، ف قيل له: هذا رأس المستعين، فقال: ضعوه ناحية حتى أتيّمْ دَسْتِي، وما التفت إليه إلا بعد أن فرغ من دست الشطرنج.

كان شاعرنا عبد الله في الخامسة من عمره عندما تولى أبوه الخلافة. ولم نعرف شيئاً عن أمه سوى أنها كانت جارية رومية. نعرف أن جدته أم أبيه المعتز كانت حفيّة به.

وهذه الجدة جارية رومية أيضاً واسمها قَيْيْحَة، سميت هكذا لفرط

جمالها، وكان لها تأثير كبير على ولدها الخليفة الشاب. كانت توزع إليه بتقتيل الناس. قيل أخرجت لولدها يوماً قميص أبيه المتوكل الذي قتله الترك، تعرضه على قتلهم، فقال لها: ارفعيه حتى لا يصير القميص قميصين. وكانت قبيحة تخزن الأموال الطائلة والجواهر النادرة.

كان العمال يجبون صنوف الضرائب من خراج وجزية وعشور من الأقاليم، يحتجنون شيئاً ويرسلون ما لا يستطيعون احتجانه إلى الخليفة في بغداد فيجعله في بيت المال، فينفق منه على لهوه وجواهره وجواهر أمه، وعلى شعرائه، وينال من ذلك ابن الجصاص تاجر المجوهرات نصيبه، وينال الجند أعطياتهم. فإن نفذ ما في بيت المال ثار الجند بقادتهم، فثار قادتهم بالخليفة وطالبوه بالمال.

حدث هذا كثيراً في العصر العباسي.

وحدث هذا في شعبان من سنة (٢٥٥هـ) في سامراء، وبها كان الخليفة المعتز. جاءه القادة يطلبون المال، وكان بيت المال فارغاً. فطلب خمسين ألفاً من أمه قبيحة، فلم تعطه. فجره الترك وضربوه، وأعطشوه حتى مات. كان الابن، عبد الله، في الثامنة من عمره عندما قتل أبوه الخليفة المعتز. ولعله كان منزوياً مع مؤدب له في مكان ببغداد أو سامراء، يأخذ عنه الشعر والأدب. لكنه أحس أن الدنيا انقلبت. فهذا الصبي كان يلقي من والده الخليفة الحب والرعاية، إذ لم يبلغ من العمر ما يستوجب استعمال القسوة في تربيته. وجدته قبيحة كانت تحوطه برعايتها.

قتل أبوه فخبأت الجدة المال والجواهر، واختبأت هي أيضاً في سرداب. وجدَّ الترك في البحث عنها فوجدوها بعد شهر، ووجدوا في حوزتها مئآت الألوف، وجواهر مخبوءة في زناجيل، فجردوها من مالها، وأوعزوا إلى الخليفة الجديد، المهدي، بنفيها إلى مكة.

حملت قبيحة حفيدها عبد الله بن المعتز وهو في الثامنة من العمر إلى مكة. وملأت قبيحة الحرم المكي بالدعاء على من جردها من مالها وقتل ولدها. واستجيب دعواتها. فلم تمض أشهر حتى قُتل صالح بن وصيف الذي أوعز بنفيها إلى مكة. وبعده بأشهر قتل الخليفة المهدي (٢٥٦هـ) ولما يمكث في الخلافة سنة. وتولى الخلافة المعتمد.

مكثت قَبِيحَةً وحفيدها عبد الله بن المعتز في مكة بضع سنين، ثم أعادهما المعتمد إلى العراق. وماتت الجدة ولحفيدها ثلاثة عشر عاماً.

للقارئ أن يشعر الآن ببعض الاستقرار، فسوف تدوم خلافة المعتمد ثلاثاً وعشرين سنة (٢٥٦ - ٢٧٩هـ). ولا بد أن الشاعر الأمير استرد أنفاسه في هذه المدة، واسترخى.

والخليفة المعتمد أيضاً استرخى. كان رجلاً لا هياً يقرض الشعر، ويعيش حياة الترف. وترك لأخيه طلحة أن يدبر الجيوش. وكان لا بد من كثير من التدبير، ففي كل مكان ثورة وخروج. كان الزنج قد خرجوا على الخلافة في البصرة، وثاروا ثورة جياح، ولبثوا يَقتلون ويُقتلون خمس عشرة سنة. ورثى ابن الرومي البصرة ووصف ما حل بها من خراب وصفاً بليغاً.

كان عبد الله بن المعتز في هذه السنين صبيّاً فيافعاً فشاباً يرى الدنيا من بغداد وسامراء. فيقربه الخليفة المعتمد ويجالسه، ثم يبعده ويصرف وجهه عنه، والمعتمد نفسه لا يملك من أمره شيئاً، فالجيوش بيد أخيه طلحة، والحكم بيد أخيه، وهو يأخذ مصروفه من الخزانة معدوداً عليه ويشكو حاله بأشعار نقلها لنا المؤرخون. على أن ابن المعتز الشاب كان ينهل من علم كبار العلماء، ويسمع شعر كبار الشعراء، والبحثري في هذا الزمن ما زال يملأ بغداد وسامراء بأشعاره، وابن الرومي قاعد في بغداد لا يبرحها ويرسل القصائد في مدح الوزراء من آل وهب وآل ثوابة وآل طاهر، وابن المعتز يقترب من هذه الأسر التي كانت بمثابة المنابع الوزارية للخلافة العباسية في ذلك الزمن. ويتلقى عبد الله بن المعتز علوم العربية عن المبرد الذي كان يكثر صحبته، وتغلب الذي رآه مراراً وراسله مراراً، والبلاذري وأحمد بن سعيد الدمشقي مؤدبه الذي لم يكن يفارقه، ويلتقي بأعراب كانوا يلمون بسامراء كما قال لنا الصولي في «أوراقه». ليس أن عبد الله فتح عينيه على العلم يافعاً، لا بل هو كان يتلقى العلم صبيّاً صغيراً ووالده ما زال في الحياة. كان في نحو السابعة من عمره وهو يقرأ القرآن على محمد بن عمران الضبي. ولعله التقط جرثومة الشعر وأغرم به في هذه السن أو بعدها بقليل. ولا نعرف إن كان أخذ شيئاً من العلم في منفاه بمكة، غير أنه سمع القرآن والحديث في مكة. ويغلب على الظن أن جرثومة الشعر كانت قد تمكنت من نفسه قبل النفي وهو في الثامنة من العمر.

ظل الخليفة المعتمد يعيش في ظل أخيه طلحة، حتى مات طلحة فاستراح

منه. ولكن ابن طلحة تولى قيادة الجيوش بعد أبيه، فضيق على المعتمد. وفي سنة ٢٧٩هـ عزل الخليفة. وأشهدَ على نفسه بالعزل. ثم مات في هذه السنة نفسها. عزله ابن أخيه طلحة ونصب نفسه خليفة باسم المعتضد بالله.

كان الشاب عبد الله بن المعتز في الثانية والثلاثين من عمره عندما تولى الخلافة المعتضد (٢٧٩هـ). وكان قد بلغ أشده، وسار في الناس أن البيت العباسي نبغ فيه شاعر كبير. ولم يكن شاعرنا جُلَسَ أشياخ. فالعصر عصر كتب أيضاً.

قبل مولده بستين كان قد مات الجاحظ، تاركاً في خزائن الأمراء والخلفاء كتبه الكثيرة التي أوعبها تراث أمته. وكان المبرد قد كتب «الكامل» وكتبه الأخرى، ولم تكن كتب الأصمعي وأبي عبيدة مفقودة في ذلك الزمن. وكان الوراقون ومن يوظفونهم من النساخ ينشرون الكتب والدواوين، ولا تكاد مكتبة وزير أو أمير تخلو من أمهات الكتب. وكان أبو بكر الصولي، صديق عبد الله بن المعتز وراويته، يجمع أشعار المحدثين في دواوين. فأما أشعار الأقدمين فكانت متيسرة قبل هذا الزمن، جمعها ابن حبيب والأصمعي وخلف والضبي.

أحب ابن المعتز الغناء، وقيل كانت له فيه صنعة. لكنه كان مغرمًا بالشعر: يقرضه، ويتعمق في فهم أسرارهِ. رأى ما في شعر أبي تمام وبشار من المحسنات من جناس وطباق وقلدهما واستحضر من محفوظه الواسع من الشعر والقرآن والحديث ما يشبه تلك المحسنات. فهي كانت موجودة إذن قبل هذا الزمن! وطفق ابن المعتز يضم الشيء إلى مثيله حتى خرج بكتاب «البديع». وبه فعَد ابن المعتز هذا العلم الذي سيظل حِلْيَةً وَعِلَّةً للأدب العربي ألف سنة.

ومنذ أن بلغ ابن المعتز العشرين أو نحوها أخذ يشرف على أملاكه، ويحاسب وكلاءه، ولم يكن ذا ثروة عريضة. له دار ببغداد غمرتها دجلة ذات سنة فأثلفت ما أثلفت، وله في سامراء دار أو قصر، وله من الأطيان ما يدر عليه مالاً يمكنه من العيش عيشة أمير له مجلس فيه شراب وسماع. قالوا تزوج وقالوا لم. وقالوا له ولد، وله بنت، وقالوا بل لم يكن له. وقيل لم يعاشر النساء. لعله عاش حياته يعاثر جواريه ويحلم بالحب العميق، ولعل «شُرَّة» كانت الحبيبة الافتراضية، وهي في شعره شُرٌّ حيناً وشُرَيْرَةٌ حيناً. ومن ربِّي في حجر قَبِيحَةٍ لا غرابة أن يسمي حبيبته «الافتراضية» شُرَّة. أم أنها كانت جارية من لحم ودم؟

كان الشعر العربي قد رحل عن موانئه الأولى مع استهلال الخلافة العباسية فجاء بشار بن برد بالجديد، وتبعه أبو العتاهية وأبو نواس ثم أبو تمام فالبحتري فابن الرومي. دخل الشعر عصر الصنعة. ورأى ابن المعتز الدارسين الشعرَ يؤرخون للشعراء القدماء، قرأ طبقات ابن سلام، والشعر والشعراء لابن قتيبة. وبذوقه الأدبي أدرك أن القدم ليس معيار الجودة. فصنع كتاب طبقات الشعراء المحدثين. ووصلنا هذا الكتاب الذي ضمنه أخباراً وأشعاراً تنبئ عن ذوق رفيع.

تركنا ابن المعتز في الثالثة والعشرين من عمره وقد تولى الخلافة المعتضد (٢٧٩هـ). وكان المعتضد مختلفاً. كان صاحب جيوش، وذو همة عالية وقسوة، وكان حقّانياً. لقبوه بالسفاح الثاني لأنه جدد الخلافة العباسية وأعاد للخليفة هيئته، فإن يكن الترك قادة جنده فهو أيضاً قائد، والناس تحب الزعيم القوي. وأحبت الناس المعتضد، وأحبه عبد الله بن المعتز.

نهاه المعتضد عن مجالس الشراب فانتهى أو ارعوى بعض الشيء، والمعتضد يكبره بخمس سنين، ثم إنه أمير المؤمنين. ومدح شاعرنا المعتضد بقصائد لم ننقل شيئاً منها، وقال في عهده أرجوزة مزدوجة طويلة نقلنا أبياتاً منها في ختام مختاراتنا. وعاش ابن المعتز في خلافة المعتضد آمناً بقدر ما يمكن لسليل ستة خلفاء أن يكون آمناً. وفي شعره ما يشي بأنه يتمنى شيئاً، ويرى يونس السامرائي الدارس المحقق، الذي درس شعر ابن المعتز وكتب فيه كتاباً جيداً، أن هذه الأمنية إنما كانت الخلافة، وليس ذلك ببعيد أبداً، بل بعيد ألا يكون ابن المعتز قد كان يعيش على هذا الأمل. وقد أخبرنا الصولي أن ابن المعتز قال يوماً إنه لو نال الخلافة فسوف يزوج كل عباسي بطالبيه وكل طالبى عباسية حتى ينهي إلى الأبد هذا الخلاف المستحکم بين بني علي بن أبي طالب وبني العباس. لكن شاعرنا رأى في المعتضد مثله الأعلى. واكتفى من السياسة بأن يجادل في بعض شعره الطالبين الذين لا يفتأون يخرجون على الخلافة العباسية راثين أنهم أحق بالخلافة لمكان علي بن أبي طالب ومكان فاطمة.

ومات المعتضد على فراشه في عام ٢٨٩هـ. وبويع لابنه المكتفي بالخلافة وهو بالرقّة، أخذ له البيعة ببغداد الوزير القاسم بن عبيد الله، وبادر الوزير فحبس ما تيسر له من الأمراء العباسيين احتراًساً. وكان من بينهم ابن المعتز. وشق الحبس على شاعرنا، ونقل عنه أنه توجس شراً، فقد قيل إنه رأى في

حبسه طائراً في السحر فتمنى لو كان طليقاً كهذا الطائر. وقدم الخليفة الجديد إلى بغداد وأطلق الأمراء، ومنح كلاً منهم ألف دينار. فشكر ابن المعتز للمكتفي هذه اليد، وعاتب الوزير الذي حبسه بشعر ختمه بقوله:

فيا جود كفيه امح آثار بأسه فإن عليه أرش حبسي ولم أجن

وعاش ابن المعتز ست سنين يمدح الوزراء ويتقبل عطاياهم، ويمدح المكتفي. وكان مجلسه عامراً بأهل الأدب يطارحهم الشعر، وينقلون أشعاره.

ثم مات المكتفي في أواخر سنة ٢٩٥، وعهد بالخلافة لولده البالغ ثلاث عشرة سنة. وبإيعه الناس وسمي المقتدر. وكان ولداً يلهو مع جواري في القصر، فاستصباه أهل الحل والعقد، واجتمع نفر منهم على خلعه بعد نحو أربعة أشهر من توليه الخلافة، وكلموا عبد الله بن المعتز فماشاهم، واشترط ألا يكون في الأمر دم. غير أن هذا الحلف لم يكن قوياً، فقد تخاذل أطرافه. هذا ابن الفرات يقول للعباس بن الحسن الوزير عن عبد الله بن المعتز: «وأي شيء تعمل برجل متأدب قد تحنك وتدرّب.. وحاسب وكلاءه على ما تولوه وضايقهم وناقشهم وعرف خياناتهم واقتطاعاتهم. أنسيت أنه منذ ثلاثين سنة يكاتبك في حوائجه فلا تقضيها، ويسألك في معاملاته فلا تمضيها، وعمالك يصفعون وكلاءه فلا تنكر، ويتوسل في الوصول إليك فلا تأذن؟» وافق ابن الفرات والعباس بن الحسن على أن يخرجوا من حلف ابن المعتز.

هذا نقلناه عن يونس السامرائي الذي نقله عن تحفة الأمراء لأبي الحسن الهلال بن المحسن الصابي.

على أن ابن المعتز كان قد تورط، فعين قاضياً ووزيراً وتقبل البيعة من أنصاره، وصلى بهم في ٢٠ ربيع الأول عام ٢٩٦. ولقبوه بلقب اختلف فيه المؤرخون كثيراً. ودعا ابن المعتز الخليفة الصبي إلى ترك دار الخلافة، فأغلق الصبي الأبواب، وقعد يلعب مع جارية من جواري القصر. وجرت مناقشات قليلة تبين فيها أن الكثرة التي ناصرت ابن المعتز كانت متخاذلة، والقلّة التي ناصرت الخليفة الصبي كانت مصممة. فالتجأ ابن المعتز إلى دار ابن الجصاص الجوهري، فوشى به خادم فأخذه، وحبسوه. وبعد عشرة أيام سلموا جثمانه إلى من دفنه. فكانت خلافة شاعرنا يوماً وليلة. وعاد المقتدر إلى سدة الخلافة، وظل بها إلى أن قتل بعد أربع وعشرين سنة.

وهكذا مات عبد الله ابن المعتز في ربيع الآخر سنة ٢٩٦هـ قتل أمنيته التي عاش عليها، ولم يجعله المؤرخون ضمن الخلفاء العباسيين رغم مبايعته وتولية يوماً وليلة، ذلك أن الخليفة القائم استرد الخلافة فلم ينقطع خيطها.

ما كان لشاعر حق أن يكون خليفة، هذا ليس في طبع الأشياء. منذ أفلاطون وحتى أول أمس والمثقفون يحلمون بأن يتولى الحكم عاقل، ولكن ربك شاء ألا يتولى الحكم إلا فظ أو أبله.

لم نختر لابن المعتز من شعره إلا ما يدخل في عبارنا لما هو شعر، فأما سيرته فرويناها هنا بما استطعنا من إيجاز، والمرجع في أخباره وأشعاره وما له من نثر جميل كتاب الأوراق لأبي بكر الصولي الذي عاصره ولازمه، فقد خصه بنحو مئتي صفحة في طبعة الصاوي ١٩٣٦.

الأكاديميون

بقي أن نسلق الأكاديميين ببعض ما تعودنا أن نسلقهم به.

هذا رجل زعم أنه حقق ديوان ابن المعتز، وذكر أنه استند إلى كذا وكذا من المخطوطات، ولسنا نكذبه في هذا. ثم صنع مقدمة جاءت في مئتي صفحة زعم فيها لابن المعتز العصمة في كل شيء، وراح ينافح عنه شاهراً سيفاً صقيلاً يلوح به في وجه كل من انتقد الشاعر من قدماء ومحدثين. وكاد يعلن ابن المعتز أميراً على شعراء العربية في كل تاريخها. وفي أثناء هذا كله لم يترك أحداً من المحققين إلا عابه، ولا غادر طبعة إلا ثلبها. وتاه تيهاً، ومدح نفسه. وهو في كل ذلك يكتب بلغة تكاد تتثنى غنجاً وقلة فائدة، ويغلط في الإملاء أغلاطاً لا تجوز من ابن المدرسة. وتداركه مصححو المطبعة فصنعوا جدولاً بالأغلاط وتصحيحها، ولا فائدة. فأغلاطه أضعاف ما جاء في جريدة التصحيح تلك.

وجاء إلى القصيدة الأولى بعد مقدمته النافلة تلك، فحشر فيها اثنتي عشرة غلطة، أشارت جريدة التصحيح إلى غلطتين منها فقط. ومضينا نقرأ «تحقيق» هذا الفهامة، وهو يقع في أكثر من ألف صفحة فإذا صاحبنا لا يقيم بيت الشعر، وإذا به يتذاكى فيقطع البيت في منتصف الكلمة فيصيب مرة ويخيب مرة، ويصر على أن يزيدنا من فوائده فيكتب في صدر القصيدة اسم بحرهما، وما كان أغناه عن ذلك، فهو دخيل على العروض يغلط المرة تلو المرة من

الصفحة الأولى إلى الصفحة الألف. وما كنا لتعرض لهذا «الدكتور» الفاضل لولا ما صدع به رؤوسنا من الزهو، وما أغنى به نفوسنا من ثلب من هم خير منه علماً وأدباً.

قد رأينا من أمثاله كثيرين. وخليق بمن يحمل شهادة الدكتوراه أن يكون أحق مني على هؤلاء المدعين ممن يتزينون بلقب دكتور، فهم يسيئون إلى اللقب ويجعلونه أضحوة. بل، قد أصبح لقب «الدكتور» أضحوة فعلاً. أمرٌ بالكتاب وعلى غلافه اسم المؤلف مسبقاً بلقب الدكتور فتصدف نفسي عنه، فإذا راوغت نفسي عنه وفتحته فحّت في وجهي أفاعي السقم الأكاديمي، وانبعثت روائح كريهة.

هذا الفساد في حياتنا الأكاديمية ابن شرعي للفساد في شتى مناحي حياتنا العربية. ولا يخطر ببالك أنني أكتب هذه الأسطر كي أصلح حالاً، أو أشن حملة. أنا رجل ناقم من طراز قد لا تكون ألفته.

كان لي قريب يجلس في المجلس من غروبها إلى ما بعد العشاء يقبي مرارة نفسه فتخرج الكلمات من فمه صفراء مخضوضرة كأنها سم الأفعى. لا يغادر زعيماً ولا عظيماً إلا مرغ بسيرته التراب، ولا يؤتى في محضره على ذكر شيء إيجابي إلا فلأه وأخرج منه قملاً. كان رَضِيَهُ سلبياً، وكفى. وكان يريح صدره المليء ببلغم الاستياء بأن ينث في وجوهنا.

طرازي أنا غير ذلك الطراز.

أنا مستاء غاية الاستياء من نفسي. فاجأتني الشيخوخة وأنا ألهو ببنيات الطريق. وأفقت على عمر ضاع وأنا أصانع الناس لغير ما غرض، وغير ما منفعة تعود علي من مصانعتهم. فقط أجاملهم وأوزع الابتسامات، وأحتمل دعاواهم العريضة، وأكبح نفسي فلا أسد منخري إذ تنبعث من أفواههم روائح الزهو والعُجب. وانتهبت متأخراً، فإذا اللطف الزائد قد صار طبعاً في لا أملك له تغييراً.

وأنا مستاء من الزمن الذي وجدت نفسي فيه.

وكل هذا يشبه ما كان يعتلج في صدر ذلك الرجل من أقبائي. غير أنني من طراز مختلف. أنا أنث مرارة نفسي على الورق فقط. وهنا خيار للقارئ، فإن شاء قرأ وإن شاء قفز.

إن وصلت إلى هنا فاعلم أن ما سيأتيك بعد ذلك مجموعة صغيرة من أشعار ابن المعتز. وهي صغيرة لأنه لم يتميز في القصائد الكبيرة، وتميز كل التميز في التشبيهات اللطيفة التي عاشت مئات السنين على ألسنة وأقلام الناس، ودارت في مجالسهم، وكانت تحفاً أدبية أنيقة.

عاش ابن المعتز خمسين سنة هي أول عقود سقوط الخلافة العباسية وضياح هيبته. وعندما اكتمل هذا السقوط، وقامت الدويلات في المشارق والمغرب، ولم يعد للخليفة إلا داره في بغداد يقيم فيها لاهياً أو غاضباً إلى أن يحين موعد قتله أو سمل عينيه، جاد الزمان بالمتنبي، ثم جاد الزمان مرة أخرى وأخيرة بالمعري. ثم أظلم وجه الأدب.

١ أعين في السماء تراقبنا

داوِ الهمومَ بقهوةٍ صفراءِ وامرُجْ بنارِ الرَّاحِ نورَ الماءِ
وتوقَّدتْ في ليلةٍ من قارِها كتوقُّدِ المِريخِ في الظُّلُماءِ
توهجت الخمر إذ خرجت من الدن المطلي بالقار (الزفت)، فهي كالمرخ متوهجاً وسط ظلام الليل
كم ليلةٍ شغلَ الرقادُ عذولَها عن عاشقينِ تواعداً لِللقاءِ
النوم شغل العذول عن العاشقين

عقداً عناقاً طولَ ليلِهما معاً قد ألصقا الأحشاء بالأحشاءِ
ما راعنا نحتَ الدُّجى شيء سوى شبَّه النجومِ بأعينِ الرُّقباءِ

٢ اتركوها لنا

ألا مَنْ لِعَيْنٍ وتَسْكابِها تَشْكِي القذى وبُكاها بِها
تشتكي العين من القذى وإنما بكأها هو الذي بها (بها: تعني يؤلمها، كقولك بي ألم)
ويا رَبَّ السَّنةِ كالسيو فِ تَقطعُ أُنَاقَ أصحابِها
وما يَنْتَقِصُ من شبابِ الرجالِ يَزِدُ في نُهاها وألبابِها
التهى: العقول

دَعُوا الأَسَدَ تَسْكُنُ في غابِها ولا تَدْخُلُوا بين أنبيائها
يخاطب العلويين الذين يسرون أو يعلنون أنهم أحق بالخلافة من أبناء عمومتهم العباسيين

ونحن ورثنا ثياب النبي فَلِمَ تَجْذِبُونَ بِأَهْدَابِهَا
لَكُمْ رَحِمٌ يَا بَنِي بَنِيهِ، وَلَكِنْ بَنُو الْعَمِّ أَوْلَىٰ بِهَا
فَمَهْلًا بَنِي عَمَّنَا، إِنَّهَا عَطِيَّةُ رَبِّ حَبَانَا بِهَا
وَأَقْسِمُ أَنْكُمْ تَعْلَمُونَ بِأَنَّا لَهَا خَيْرٌ أَرْبَابُهَا

٣ تهين ثياب الوشي

وقمتُ إلى الكُومِ الصَّفَايا بِمُنْصَلِي فَصَيَّرْتُهَا مَجْدًا لِقَوْمِي وَأَحْسَابَا
نمت إلى الكوم (النياق ذوات الأسنمة العالية) الصفايا (النياق الغزيرة اللبن) بمنصلي (بسيفي) كي
أذبح للأضياف، وأجعل من هذه المأدبة مجداً لقومي

وخلتُ نجومَ الليلِ في ظَلَمِ الدُّجَى خِصَاصًا أَرَىٰ مِنْهَا النَّهَارَ وَأَنْقَابَا
كان النجوم خصاص (ثقوب) وأنقاب (ثقوب) أرى من خلالها النهار. التشبيه طريف
وكأسٍ تَلَقَّيْتُ الصَّبَاحَ بِشُرْبِهَا وَأَسْقَيْتُهَا شَرْبًا كِرَامًا وَأَصْحَابَا
الشرب: الشاربون

تَوْتُ تحت ليلِ القَارِ خَمْسِينَ حِجَّةً تَرُدُّ مُهَوَّرًا غَالِيَاتٍ وَخُطَّابَا
توت (مكنت) هذه الخمر داخل الدن المطلي بالقار (الزفت) خمسين سنة، وهي تأتي أن تمنح
نفسها لمن يدفعون فيها المال الكثير وترد هؤلاء الخطاب رداً

وكنْتُ كما شاءَ النَّدِيمُ، ولم أَكُنْ عَلَيْهَا سَفِيهًا يَفْرِسُ النَّاسَ صَخَّابَا
وَقُمْرِيَّةِ الْأَصْوَاتِ حُمُرِ ثِيَابُهَا تُهَيِّنُ ثِيَابَ الْوَشْيِ جَرًّا وَتَسَحَّابَا
هذه المغنية لها صوت كالقمرية (الحمامة)، وثيابها حمر، والثياب الحمر دليل على الثروة عند
البدو، قيل لغلاء الصباغ الأحمر، وهي تهين الثياب الموشاة بجر ذيولها وسحبها على الأرض
وتَلْقُطُ بُمْنَاهَا إِذَا ضَرَبَتْ بِهِ وَتَنْشُرُ يُسْرَاهَا عَلَى الْعُودِ عُثَابَا
وتضرب العود بالتقاط أوتاره باليمين، وتنشر رؤوس أصابع يسراها الشبيهة بالعُثَاب على أصل
الأوتار بالضغط عليها

٤ الزفت في القاع

وَسَبَابُ كَانَ يُعْجِبُنِي وَبِهِ قَدْ كُنْتُ لَعَّابَا
جَاهُ حُسْنٍ مَا رُدِّدْتُ بِهِ وَشَفِيعُ قَطُّ مَا خَابَا
الشباب جاه، لكنه جاء ليس من نسب ولا حسب بل من حسن، وهو شفيعي إلى الحسان، ولم
يكن يخيب

ثُمَّ أُدِينَا إِلَى شَمَطٍ مُسْبِلٍ فِي الرَّأْسِ أَهْدَابُ
الشمط اختلاط بياض الشعر بسواده، والمعنى الملموح: كَانَ الشُّعْرَاتُ الْبَيْضُ أَهْدَابَ وَسَطِ هَذَا
السَّوَادِ

خَضَبْتُ رَأْسِي فَقُلْتُ لَهَا: اخْضِبِي قَلْبِي فَقَدْ شَابَا
فَأَمَامِي الْمُرُّ مِنْ عُمْرِي وَوَرَائِي مِنْهُ مَا طَابَا

٥ مرفق بالرسالة

لَيْتَ أَنَّ الرَّسُولَ كَانَ يُؤَدِّي لَحْظَ عَيْنِي كَمَا يُؤَدِّي كِتَابِي

٦ للدمع لا للنوم

لَاخَ لَهُ بَارِقٌ فَأَرَقَهُ قَبَاتٌ يَرَعَى النُّجُومَ مُكْتَنِبَا
البارق: غيمة يتخللها برق

يُطِيعُهُ الطَّرْفُ عِنْدَ دَمْعَتِهِ حَتَّى إِذَا حَاوَلَ الرِّقَادَ أَبَى
الطرف (العين) يطيعه بالبقاء، ويعصيه إذا أراد نوماً

٧ ميت فراقاً

لُمْتَنِي يَا مُسِيءٌ، وَالذَّنْبُ ذَنْبُكَ وَبِحَافِظِي نَفْسِي! حَسْبُكَ اللَّهُ رُبُّكَ
لَا تَحَاوِلْ بِحَبْسِ كُتُبِكَ قَتْلِي، قَدْ تَوَلَّى الْفِرَاقُ قَتْلِي، فَحَسْبُكَ

٨ «قف يا زمانِي»

جَاءَ الرَّسُولُ مَبْشُراً بِزِيَارَةٍ مِنْ بَعْدِ طَوْلِ تَهْجِيرٍ وَتَغَضُّبٍ
يَا لَيْلَتِي بِالْكَرْخِ دُومِي هَكَذَا يَا لَيْلَتِي لَا تَذْهَبِي، لَا تَذْهَبِي
هَذَا التَّكَرُّارُ فِي آخِرِ الْبَيْتِ يَحْمِلُ دَقَّةَ فَرْحٍ

٩ مواجهة الذنب

أَتَانَا بِهَا صَفَرَاءُ يَزْعُمُ إِنَّهَا لَتَبْرٌ، فَصَدَّقْنَاهُ، وَهُوَ كَذُوبٌ
يشبه الخمر بالتبر، أي الذنب

وَمَا هِيَ إِلَّا لَيْلَةٌ طَابَ نَجْمُهَا أَوَاقِعُ فِيهَا الذَّنْبُ ثُمَّ أَتُوبُ

١٠ عناق الأرواح

يَا رَبِّ إِخْوَانِ صَحْبَتُهُمْ لَا يَمْلِكُونَ لِسَلْوَةِ قَلْبِهَا
قَلْبُهُمْ لَا يَطَاوِعُهُمْ عَلَى نِسْيَانِ الصَّدَاقَةِ

لَوْ نَسْتَطِيعُ نَفُوسَهُمْ فَقَدْتُ أَجْسَادَهَا، وَتَعَانَقْتُ حُبًّا

١١ مدح علي بن أبي طالب

عَلِيٍّ! يَظُنُّونَ بِي بُغْضُهُ فَهَلَّا سِوَى الْكُفْرِ ظَنُّوهُ بِي
يُوضِحُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ مَوْقِفًا يَجَاهِدُ كَثِيرُونَ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ فِي تَوْضِيحِهِ حَتَّى الْيَوْمِ لِإِخْوَانِهِمُ الشَّيْعَةِ،
وَهُوَ أَنَّهُمْ يَحِبُّونَ عَلِيًّا

إِذْنُ لَا سَقَتْنِي غَدَاً كَفُّهُ مِنْ الْحَوْضِ وَالْمَشْرَبِ الْأَعْذَبِ
فَعَلِي سَيَكُونُ عَلَى الْحَوْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ النَّبِيِّ

وَأَوَّلُ مَنْ ظَلَّ فِي مَوْقِفٍ يُصَلِّي مَعَ الطَّاهِرِ الطَّيِّبِ
يُشِيرُ إِلَى سَابِقَةِ عَلِيٍّ فِي الْإِسْلَامِ

وَفِي لَيْلَةِ الْغَارِ وَقَّى النَّبِيُّ عِشَاءً إِلَى الْقَلْقِ الْأَشْهَبِ
عَلِيٌّ بَاتَ فِي فِرَاشِ الرَّسُولِ لَيْلَةَ هَجْرَتِهِ السَّرِيَةِ إِلَى يَثْرِبَ وَوَقَاهُ بِنَفْسِهِ حَتَّى الْفَلَقُ الْأَشْهَبُ (الْفَجَرُ
الْأَبْيَضُ)

١٢ اقعدوا يا جنادب

أَبَى اللَّهُ إِلَّا مَا تَرَوْنَ، فَمَا لَكُمْ عَتَابٌ عَلَى الْأَقْدَارِ، يَا آلَ طَالِبٍ

ظَلَّ الطَّالِبِيُّونَ طَوَالَ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ يَخْرُجُونَ عَلَى السُّلْطَةِ اسْتِنَادًا إِلَى أَنَّهُمْ أَحَقُّ
بِالْخِلَافَةِ، وَظَلَّ الْعَبَّاسِيُّونَ يَقُولُونَ: الْخِلَافَةُ حَقُّنَا، فَنَحْنُ نَنْتَقِمُ إِلَى الْعَبَّاسِ عَمِ الرَّسُولِ،
وَأَنْتُمْ تَنْتَقِمُونَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ عَمِّهِ، وَإِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ بَنَتِهِ، وَالْعَمُّ أَحَقُّ بِالْوَرَاثَةِ، فِيمَا قَالُوا

تَرْكَنَّاكُمْ حِينَئِذٍ فَهَلَّا أَخَذْتُمْ تَرَاثَ النَّبِيِّ بِالْقَنَّا وَالْقَوَاضِبِ
تَرْكَنَّاكُمْ فِي زَمَنِ دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةٍ الَّتِي اسْتَمَرَّتْ ٩٠ سَنَةً، فَلَمْ تَأْخُذُوا إِرْثَ النَّبِيِّ مِنْهُمْ بِالْقَنَّا (الرِّمَاحِ)
وَالْقَوَاضِبِ (السُّيُوفِ)

زَمَانُ بَنِي حَرْبٍ وَمُرَوَّانَ مُمَسِكُو أَعْتَقَ مُلْكِ جَائِرِ الْحَكْمِ غَاصِبِ
بَنُو حَرْبٍ: فِرْعَ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ وَابْنَهُ يَزِيدَ مِنَ الْأُمَوِيِّينَ، بَنُو مُرَوَّانَ: أَبْنَاءُ مُرَوَّانَ بْنِ الْحَكْمِ،
وَهُمُ الْفِرْعُ الْأُمَوِيُّ الَّذِي تَوَلَّى الْخِلَافَةَ بَعْدَ بَنِي حَرْبٍ

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ قَدْ كَسَوْكُمُ عَمَائِمًا مِنْ الضَّرْبِ فِي الْهَامَاتِ، حُمِرَ الذَّوَابِ
 كَانَ الْأُمُيُّونَ يَضْرِبُونَ هَامَاتِكُمْ (رؤوسكم) بالسيف فتصبح الدماء على رؤوسكم عمام ذات ذوائب
 (أهداب) حمر

وَلَيْسَ يَرِيدُ النَّاسُ أَنْ تَمْلِكُوهُمْ فَلَا تَتَّبِعُوا فِيهِمْ وَثُوبَ الْجَنَادِ
 كَانَ الطَّالِبِيُّونَ - الْعَلَوِيُّونَ - يَخْرُجُونَ عَلَى السُّلْطَانِ بِاسْتِمْرَارٍ فِي الْعَهْدِ الْعَبَّاسِيِّ، وَالْجَنْدُ حَشْرَةٌ
 بِقَدْرِ عَقْلَةِ الْإِصْبَعِ كَثِيرَةُ الْوَثْبِ

١٣ المجد والحساد

قَدْ عَظَّنِي صَرْفُ النَّوَائِبِ وَرَأَيْتُ أَمَالِي كَوَاذِبِ
 وَإِذَا مَلَكَتِ الْمَجْدَ لَمْ تَمْلِكْ مَوَدَّاتِ الْأَقَارِبِ
 وَالْمَجْدُ وَالْحَسَادُ مَقْدُورَانِ، إِنْ ذَهَبُوا فَذَاهِبَ

١٤ سفرة بغير إياب

أَوْ مِنْ سَفَرَةٍ بِغَيْرِ إِيَابٍ أَوْ مِنْ حَسْرَةٍ عَلَى الْأَحْبَابِ
 أَوْ مِنْ مَضْجَعِي وَحِيداً فَرِيداً فَوْقَ قَرْشٍ مِنَ الْحَصَى وَالتُّرَابِ

١٥ نقر العصافير

فِي «الْمَصُونِ» لِلْعَسْكَرِيِّ الْبَيْتَانِ لِابْنِ الْمَعْتَزِ:

وَكَمْ عِنَاقٍ لَنَا وَكَمْ قُبَلٍ مُخْتَلَسَاتٍ حِذَارَ مَرْتَقِبٍ
 نَقَرَ الْعَصَافِيرِ، وَهِيَ خَائِفَةٌ مِنْ النُّوَاطِيرِ، بِإِنْعِ الرُّطَبِ

١٦ الكسروية المشكوك في وجودها

وَقَدْ يَبَاكَرُنِي السَّاقِي فَأَشْرُبُهَا رَاحاً تُرِيحُ مِنَ الْأَحْزَانِ وَالْكُرْبِ
 وَأَمْطَرَ الْكَأْسَ مَاءً مِنْ أَبَارِقِهِ فَأَنْبَتَ الدَّرُّ فِي أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ
 السَّاقِي أَمْطَرَ الْكَأْسَ مَاءً مِنْ إِبْرِيقِهِ فَكَأَنَّهُ سَقَى هَذِهِ الْأَرْضَ الذَّهَبِيَّةَ فَأَنْبَتَ فِيهَا الدَّرُّ أَيَّ الدَّرِّ لَمَّا
 تَوَلَّدَ عَلَى سَطْحِهَا مِنْ فِقَاقِعِ

وَسَبَّحَ الْقَوْمُ لَمَّا أَنْ رَأَوْا عَجَباً نَوَراً مِنَ الْمَاءِ فِي نَارٍ مِنَ الْعَنَبِ
 لَمْ يُبْقِ فِيهَا الْبَلَى شَيْئاً سِوَى شَبِيحٍ يُقِيمُهُ الظَّنُّ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ

الْخَمْرُ قَدْ عَقَّتْ زَمناً طَوِيلاً فَكَأَنَهَا مَدْفُونَةٌ فِي دَنَانِهَا، وَعَلَى هَذَا جَازَ عَلَيْهَا الْبَلَى (تَحُلُّلُ الْجَسْمِ)، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا سِوَى شَبِيحٍ. وَالْوَاقِعُ أَنَّ كَمِيَّةَ عَصِيرِ الْعَنْبِ لَا تَنْقُصُ كَثِيراً مَعَ التَّخْمِيرِ، وَلَكِنَّ الْعَصِيرَ يَصْفُو بِالتَّرْقِيدِ وَبِالتَّحْوِيلِ إِلَى خَمْرٍ، فَهِيَ شَبِيحٌ مِنْ حَالَتِهَا الْأَصْلِيَّةِ

سُلَافَةٌ وَرِثَتُهَا عَادُ عَنْ إِزِمٍ كَانَتْ ذَخِيرَةً كَسَرَى عَنْ أَبٍ وَأَبٍ

١٧ أُمْنِيَات

عَرَفْتُ زَمَانِي: بِؤْسَهُ وَرِخَاءَهُ، وَلَا قِيَتْ مَكْرُوهَ الْخَطُوبِ وَعَانِيَتْ
وَأُمْنِيَّةً لَمْ أَمْنِجِ النَّفْسَ رَوْمَهَا بَلِغْتُ، وَأُخْرَى بَعْدَهَا قَدْ تَمْنِيَتْ

رؤمها: طلبها

وَحَرْبٍ عَوَانٍ يُثْقِلُ الْأَرْضَ حَمْلُهَا وَيَلْمَعُ فِي أَطْرَافِ أَرْمَاجِهَا الْمَوْتُ

حرب عوان: حرب ذات معارك يأتي بعضها بعد بعض

شَهِدْتُ بِصَبْرِ لَا تُؤَلِّي جَنُودَهُ فَحَاسَيْتُ أَكْوَابَ الْمَنَايَا وَسَاقَيْتُ

كان صبري ثابتاً لا تهرب جنوده، فكان صبري جيش، وقد اشتركت مع الأعداء في احتساء أكواب
المنايا (الموت) وكان بعضنا يسقي بعضاً

وَقَالُوا: مَشِيبُ الرَّأْسِ يَخْذُلُو إِلَى الرَّدَى فَقُلْتُ: أَرَانِي قَدْ قَرُبْتُ وَدَانَيْتُ

١٨ يَلُومُ قَلْبَهُ

لَا تَلْمَنِي يَا صَاحٍ فِي حُبِّ «مَكْنُو مَةَ»، نَفْسِي لَهَا الْفِدَاءُ وَأَنْتَا
هَآكْ قَلْبِي، قَطَّعُهُ لَوْماً فَإِنْ أُنْ سَيِّئَتِهِ حَبَّهَا فَقَدْ أَحْسَنْتَا
أَيُّهَا الْقَلْبُ هَلْ تُطِيقُ اصْطِبَارَا طَالَمَا قَدْ أَطَقْتَنِي فَصَبْرَتَا
طَالَمَا كُنْتَ حَائِداً قَبْلَ هَذَا عَنْ حِبَالِ الْهَوَى فَكَيْفَ وَقَعْتَا
مَا أَرَى فِي الْهَوَى لِابْلِيسَ ذَنْباً إِنَّ عَيْنِي قَادَتْ، وَأَنْتَ اتَّبَعْتَا
فَذُقِ الْحَبَّ، قَدْ نُهَيْتَ فَخَالَفَ تَ، أَلَسْتَ الَّذِي عَصَيْتَ أَلَسْتَ؟

١٩ غَسِيلٌ وَتَلْوِثٌ

لِي فِي التَّصَابِي وَاللَّهْوِ حَاجَاتُ لَيْسَ لِقَلْبِي مِنْهُنَّ إِفْلَاتُ
كَمْ تَوْبَةٍ قَدْ فَضَضْتُ حَايَمَهَا عَنِّي، وَلِلتَّائِبِينَ رَجَعَاتُ

كثيراً ما تبت ثم فضضت خاتم التوبة (كررت توبتي)

٢٠ رثاء

أَبَا حَسَنِ قَرَاكَ اللَّهُ حُسْنًا يَعِزُّ عَلَى الْمَكَارِمِ أَنْ تَمُوتَا

برثيه. فراك الله (أطعمك طعام الضيف) حسناً. المعنى الملموح أنه يدعو له بأن يحسن الله إليه،
فقد كان صعباً على المكارم. موته

٢١ مدح وزير

يا ثَالِثَ الوُزَرَاءِ كَمْ مِنْ حَلَقَةٍ لِلْكَرْبِ والأَحْزَانِ قد فَرَّجَتْهَا
وَيَدِ بَوَجْهِ مُظَلَّقٍ شَيَّعَتْهَا كَبُرَتْ عَلَى عَافِيكَ، وَاسْتَصَغَّرَتْهَا
رَبِّ يَدِ (منحة) شَيَّعَتْهَا (بعثتها) بوجه طلق، وقد رَأَاهَا عَافِيكَ (سائلك) كبيرة، ورَأَيْتُهَا أَنْتَ صَغِيرَةً

فَنَسِيَتْهَا، وَأَعَدَّتْهَا، فَنَسِيَتْهَا، حَتَّى مُدِخَتْ بِذِكْرِهَا فَذَكَرَتْهَا
وَلَرُبَّ مَعْنَى حِكْمَةٍ أَفْرَعَتْهُ فِي قَالِبٍ مِنْ لَفْظَةٍ أَوْجَزَتْهَا
وَوِزَارَةٍ كَانَتْ عَلَيْكَ حَرِيصَةً حَتَّى أَنْتَكَ، فَلَمْ تَزِدْكَ، وَزِدَتْهَا

٢٢ أَنَا كَالْمَنِيَّةِ

يَا مَنْ يَدُسُّ لِي الْعَدَاوَةَ صَنَعَةً أَسْرَيْتَ لِي فَاصِبرْ عَلَى الْإِدْلَاجِ
يَا مَنْ صَارَتْ صِنَاعَتُهُ أَنْ يَدُسَّ لِي الْعَدَاوَةَ، لَقَدْ أَسْرَيْتَ (سرت ليلاً)، فَانْتَظِرِ الْإِدْلَاجَ (التوغل في الليل)

أَنَا كَالْمَنِيَّةِ سَقَمْتُهَا قُدَّامَهَا طَوْرًا، وَطَوْرًا تَبْتَدِي فُتْفَاجِي
أَنَا كَالْمَوْتِ يَأْتِي الْمَرَضُ قَبْلَهُ، وَلَكِنَّهُ أحيانًا يَفَاجِي

٢٣ شَبَابَ زَائِفٍ

قُبِحَتْ طَلْعَةُ الْمَشِيبِ كَمَا أَنَّ - الْخِضَابَ الْكُمَيْتَ أَيْضًا قَبِيحُ
الْخِضَابِ الْكُمَيْتِ: الصَّبْغُ الدَاكِنُ

ذَا شَبَابٌ مُلَفَّقٌ لَيْسَ يَخْفَى وَمَضَى ذَلِكَ الشَّبَابُ الصَّحِيحُ

٢٤ لَا يَرْعَوِي

فَتَنْتَ قَلْبَكَ الْعَيُونَ الْمَلَاخُ وَاعْتَبِاقُ بِقَهْوَةٍ وَاضْطِبَاحُ
الْاعْتَبَاقِ: الشَّرْبُ مَاءً، الْاضْطِبَاحُ: الشَّرْبُ صَبَاحًا، وَالْقَهْوَةُ: الْخَمْرُ

وَقُدُودٌ كَأَنَّهِنَّ عُصَوْنٌ وَخُدُودٌ كَأَنَّهَا تَفَاحُ
أَنْتَ فِي الْأَرْبَعِينَ مِثْلَكَ فِي الْعِشْرِ رَيْنَ، قُلْ لِي مَتَى يَكُونُ الْفَلَاحُ؟

٢٥ طار نومي

طَارَ نَوْمِي وَعَاوَدَ الْقَلْبَ عَيْدُ وَأَبَى لِي الرُّقَادَ حَزَنٌ شَدِيدُ
جَلَّ مَا بِي وَقَلَّ صَبْرِي، فَفِي قَلْد بِي جِرَاحٌ، وَحَشُو جَفْنِي الشُّهُودُ
سَهَرٌ يَفُتُّ الْجَفُونَ، وَنِيرَا نَ تَلْظَى، قَلْبِي لَهْنٌ وَقُودُ
لَا مَنِي صَاحِبِي وَقَلْبِي عَمِيدُ أَيْنَ مِمَّا يَرِيدُهُ مَا أَرِيدُ
شَيَّبَنِي، وَمَا يُشَيِّبُنِي السَّنُ - هُمُومٌ تَشْرَى وَدَهْرٌ مَرِيدُ
شيتيني الهموم المتابعة، والدهر المرید: الشيطاني

٢٦ الرحيل

قالوا: الفراقُ غداً لا شكَّ، قلتُ لهم: بل موتٌ نفسي من الفراقِ غداً
إِنِّي إِذْنُ لَصَبُورٌ إِنْ بَقِيتُ وَقَدْ قالوا الرَّحِيلَ، وَإِنْ لَمْ يَرْحَلُوا أَبَدًا
سأعتبر نفسي صبوراً إذا عشت بعد قولهم سرحل.. حتى لو لم يرحلوا أبداً

٢٧ اختلاس

أَرُدُّ الظَّرْفَ مِنْ حَذْرِي عَلَيْهِ وَأَمْنَحُهُ التَّجَنُّبَ وَالصَّدُودَا
وَأَرْصُدُ غَفْلَةَ الرُّقْبَاءِ عَنْهُ لَتَسْرِقَ مَقْلَتِي نَظْرًا جَدِيدَا

٢٨ عن طول الليل وقصره

مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عَلَى الرَّاقِدِ وَأَمُونَ السُّقَمَ عَلَى الْعَائِدِ
النائم لا يشعر بطول الليل، والعائد (زائر المريض) لا يتألم من المرض

يَفْدِيكَ مَا أَبْقَيْتَ مِنْ مَهْجَتِي لَسْتُ لِمَا أَوْلَيْتَ بِالْجَاحِدِ
القليل الذي تركته من مهجتي (نفسي) أفديك به، وعموماً لا أجحد (أنكر) ما أوليت (منحت)

٢٩ من صفات الليل

لَا تَلْقُ إِلَّا بِلِيلٍ مَنْ تُوَاصلُهُ فَالشمسُ نَمَامَةٌ، وَاللَّيْلُ قَوَادُ
سودنا البيت لشهرته، وتشبيه الليل بالقواد طريف بعدُ

كَمْ عَاشِقٍ وَظِلَامُ اللَّيْلِ يَسْتُرُهُ لَا قَى أَحَبَّتَهُ وَالنَّاسُ رُقَادُ

٣٠ صَبَّاحُ الْحَيَاءِ

يَا مَنْ يَجُودُ بِمَوْعِدٍ مِنْ لَحْظِهِ ، وَيَصُدُّ حِينَ أَقُولُ : أَيْنَ الْمَوْعِدُ
وَيَظَلُّ صَبَّاحُ الْحَيَاءِ بِخَدِّهِ تَعَباً يُعْضِفُ تَارَةً وَيُورِّدُ
جعل شاعرنا للحياء صباغاً يعمل عمله في الخدود، فيصبغها بصفرة العنصر حيناً وبحمرة الورد حيناً
ماذا يضرُّكَ لو رَتَيْتَ لعاشقٍ قَلْبِي يَقُومُ بِهِ هَوَاكَ وَيَقْعُدُ

٣١ تراب حارتي وحصاها

لَيْتَ شِعْرِي أَفِي الْمَنَامِ أَرَى ذَا : قَمِراً زَارَنِي عَلَى غَيْرِ وَعْدٍ
صَارَ تُرْبُ الصَّرَاةِ مَسْكَاً ، وَكَأَنُّو رَأَى حَصَاها ، وَمَاؤُهَا مَاءٌ وَرِدٍ
شاطئ الصراة ببغداد، وفيه بيت لابن المعتز ورثه عن جدته

٣٢ تشرب عقلي

عَلَّلَانِي بِصَوْتِ نَائِي وَعَوِدٍ وَاسْقِيَانِي دَمَ ابْنَةِ الْعُنُقُودِ
أَشْرَبُ الرَّاحَ وَهِيَ تَشْرِبُ عَقْلِي ، وَعَلَى ذَاكَ كَانَ قَتْلُ الْوَلِيدِ
الوليد بن يزيد الخليفة الأموي الشاعر قتلوه بعد أن أسرف في الشراب والملاهي

٣٣ الشيب

قَدْ أَرْسَلَ الشَّيْبُ فِي رَأْسِي وَمَفْرِقِهِ بُزَاتُهُ الْبَيْضَ فِي غِرْبَانِهِ السُّودِ
البزاة: شواهد الصيد البيض. وكلمة «مفرقه» حشو لإقامة الوزن، ولولا هي لسودنا البيت

٣٤ المجبوز جبذاً

وَحَلِيلٍ صَافٍ هَنِيٍّ مَرِيٍّ جَبَذْنَاهُ الْأَيَّامُ مِنِّي جَبْذًا
جبذ: جذب

سَرَّهُ اللَّهُ حَيْثُ كَانَ ، فَمَا كَانَ نَ أَسَرَ الدُّنْيَا بِهِ وَالْأَلَدَا
كانت الدنيا بوجوده سارّة ولذيذة

وَأَنَا الْوَاضِحُ الَّذِي إِنْ تَبَدَّى يَعْرِفُوهُ ، وَلَا يَقُولُونَ مَنْ ذَا؟
يفتخر بنفسه

ومشى الشَّيْبُ قبل عَقْدِ الثَّلاثِ مَنْ، فلمَّا انتهى إليها أَغْدًا
قبل الثلاثين كان الشيب يمشي في رأسي فلما انتهى إليها (وصلها) أَغْدَ (أسرع) في سيره

٣٥ نحن وبنو عمناء

ويا رَبَّ يَوْمَ لَا تُورِي نَجْوَاهُ مَدَدْتُ إِلَى الْمَظْلُومِ فِيهِ يَدَ النِّصْرِ
أي لا تضيء نجومه، فهو يوم مظلم، وفيه نصرت المظلوم

فَسُبْحَانَ رَبِّي مَا لِقَوْمٍ أَرَى لَهُمْ كَوَايِمَ أَضْغَانٍ عَقَارِبُهَا تَسْرِي
إذا ما اجتمعنا في النَّدَى تَضَاءَلُوا كَمَا خَفَيْتَ مَرَضَى الْكَوَاكِبِ فِي الْفَجْرِ

كثيرون كانوا يشيعون عن ابن المعتز أنه يشتم علياً، ووكان يتأذى بذلك كثيراً، كما
يفصل الصولي في كتاب «الأوراق». وابن المعتز كان يشكو أنه يدافع عن بني
العباس بكلام متزن فيتأولون كلامه ويجعلونه انتقاصاً لعلي. وهؤلاء الأعداء
يتضائلون عندما يجتمع بهم في الندى (المجلس)، كأنهم الكواكب المريضة (الضئيلة)
التي تكون أول ما يختفي فجرأ

بنو العمِّ، لا بل هم بنو الغمِّ والأذى، وَأَعْوَانُ دَهْرِي إِنْ تَظَلَّمْتُ مِنْ دَهْرِي
بنو العم: أي الطالبين، فأبو طالب أخو العباس، وهما عمَّا النبي

نَمَثْنِي إِلَى عَمِّ النَّبِيِّ خَلَائِقُ عَلَوْا فَوْقَ أَفْلَاكِ الْكَوَاكِبِ وَالْبَدْرِ
خلائق: أفراد من خلق الله، هم أسلاف ابن المعتز الذي يرتفع نسه إلى العباس عم النبي
ونحنُ رفَعْنَا سَيْفَ مِرْوَانَ عَنْكُمُ فَهَلْ لَكُمْ يَا آلَ أَحْمَدَ فِي الشُّكْرِ
نحن، بني العباس، أنهينا الدولة الأموية المروانية، فوجب أن تشكرونا يا آل النبي

٣٦ الباصق على الكوكب

ويا عَائِبِي وَالْعَيْبُ حَشُو فَوَادِهِ تَأَمَّلْ رُويْدَا، لَسْتُ مِمَّنْ أَحَاذِرُهُ
وَكُنْتُ كَرَامٍ كَوَكْباً بِبُصَاقِهِ فَرُدَّ عَلَيْهِ وَيْلُهُ وَمَوَاطِرُهُ

٣٧ أنا الجيش

أَنَا جَيْشٌ إِذَا عَدَوْتُ وَحِيداً وَوَحِيدٌ فِي الْجَحْفَلِ الْجَرَّارِ
هو وحده عن جيش، وإذا كان ضمن الجيش فهو وحيد متميز بشجاعته

٣٨ ذلك دهر وهذا دهر

هِيَ الدَّارُ، إِلَّا أَنَّهَا مِنْهُمْ قَفْرٌ وَأَنْتِي بِهَا ثَاوٍ وَأَنْتَهُمْ سَفَرٌ
هذه دار الأحبة، وأنا واقف بإزائها، ولكنهم ارتحلوا عنها. ثاوٍ: مقيم، سفرٌ: مسافرون
حَبَسْتُ بِهَا لِحَظِي، وَأَطْلَقْتُ عَبرَتِي وما كان لي في الصبر، لو كان لي، عُذْرٌ
تفسير الشطر الثاني كما فهمته: وما كان لي عذر في الصبر. . هذا لو كان لي أصلاً صبر
فَدَعُ ذَكَرَ بَثْنِي قد مضى ليس راجعاً فذلك دهرٌ قد تَوَلَّى، وذا دهرٌ

٣٩ فخر

سَقَى الْإِلَهَ «سُرَّ مِنْ رَأَى الْقَطْرَا
وَالكَرْخَ وَالْخَمْسَ الْقَرْىَ وَالْجِسْرَا
هذه قرى حول سامراء كانت فيها الحانات، والجسر قرية منها
قَدْ عَجَمُوا عَوْدِي وَكُنْتُ مُرًّا
حَرًّا إِذَا لَمْ يَكْ حَرٌّ حُرًّا
لَا تَأْمَنُوا مِنْ بَعْدِ حِلْمٍ شَرًّا
كَمْ غُصْنٍ أَخْضَرَ صَارَ جُمْرًا
لا تظنونا حلمي سيدوم، فالغصن الأخضر يتحول إلى جمر بعد حين

٤٠ قف لنا

يَا هَلَالاً يَدُورُ فِي فَلَكِ الْمَا وَرَدَ رَفَقاً بِأَعْيُنِ النَّظَّارَةِ
أليست الجميلة العطرة تكتنفها هالة من الماورد (ماء الورد)؟
قَفْ لَنَا فِي الطَّرِيقِ إِنْ لَمْ تَزُرْنَا وَفَقَّةً فِي الطَّرِيقِ نَصْفُ الزِّيَارَةِ

٤١ العاصرة نفسها

صَبُوتٌ إِلَى التَّدَامَى وَالْعُقَارِ وَشُرْبٌ بِالصُّغَارِ وَبِالْكِبَارِ
وَسَاقِي حَانَةٍ يَغْدُو عَلَيْنَا بِزُرَّارٍ وَأَقْبِيَّةٍ صِغَارِ
أقبية جمع قباء أي ثوب، والزُّنَّار كان يتخذُه النصارى وهم أصحاب الحانات
وَيَخْجَلُ إِذْ يُلَاقِيَنِي كَأَنِّي أَنْقُطُ خَدَّهُ بِالْجُلُنَّارِ
الجلنار: زهر الرمان

وَبَيَضَاءِ الْخَمَارِ إِذَا اجْتَلَّتْهَا عَيُونُ الشَّرْبِ، صَفَرَاءِ الْإِزَارِ

للخمر خمار (شال) أبيض هو الرغوة على وجه الكأس، ولكن إزارها (ثوبها) أصفر

فَضَضْتُ خِتَامَهَا عَنْ رُوحِ رَاحٍ لَهَا جَسَدَانِ مِنْ خَزَفٍ وَقَارٍ

الخمر روح داخل جسد هو الدن، وجسد الدن جسدان: خزف (فخار)، وقار (زفت) يطلّى به الخزف

تَلَقَّاهَا لِكِسْرَى رَبِّ كَرَمٍ يُعَدُّ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ الْكِبَارِ

زارع كرم العنب فيلسوف لا شك عند المدمنين

أَقَرَّ غِرَاسَهَا بِثَرَى وَطِيٍّ وَأَنْهَارٍ كَحَيَّاتٍ سَوَارِ

زرع الزارع كرومه في تراب سهلي، وبين أنهار تسري ملتوية كأنها الأفاعي

نَوَاعِمُ لَا تَذِلُّ بِوِطْءِ رَجُلٍ وَتَعَصِرُ نَفْسَهَا قَبْلَ اعْتِصَارِ

العناقيد ناعمة لا تتعرض لذل العصر بالأرجل، فهي ناضجة إلى حد أنها تعصر نفسها قبل اعتصارها، ذلك أنهم يضعون أكرام العناقيد في حوض، فيبدأ سريان العصير بفعل ثقل العناقيد قبل الدوس بالأرجل، وهذا الذي يأتي قبل الدوس يسمى السلافة، وقالوا هو أجود الخمر، فلا يصحبه الطعم المز الناشئ عن ضغط القشور والبزر والعراميش

٤٢ خيل الملامي

شربنا بالصغير وبالكبير ولم نحفل بأحداث الدهور

وقد ركضت بنا خيل الملامي وقد طرنا بأجنحة الشرور

٤٣ موعد في الدير

سَقَى الْمُطَيَّرَةَ ذَاتَ الظَّلِّ وَالشَّجَرِ وَدِيرَ عَبْدُونَ هَطَّالًا مِنَ الْمَطَرِ

فَطَالَمَا نَبَّهْتَنِي لِلصَّبُوحِ بِهَا فِي غُرَّةِ الْفَجْرِ وَالْعُصْفُورُ لَمْ يَطِرْ

أَضْوَاتُ رُهْبَانٍ دِيرٍ فِي صَلَاتِهِمْ سُودَ الْمَدَارِعِ تَعَارِينَ فِي السَّحَرِ

نعارين: مصوتين في صلواتهم

مُزَنَّنِينَ عَلَى الْأَوْسَاطِ قَدْ جَعَلُوا عَلَى الرُّؤُوسِ أَكَالِيلاً مِنَ الشَّعْرِ

الرهبان حلقوا شعورهم، وتركوا أعاليها كأنها أكاليل فوق رؤوسهم

كَمْ فِيهِمْ مِنْ مَلِيحِ الْوَجْهِ مُكْتَحِلٍ بِالسَّحَرِ، يُطَبِّقُ جَفْنَيْهِ عَلَى حَوْرِ

لَا حَظُّهُ بِالْهَوَى حَتَّى اسْتَقَادَ لَهُ طَوْعاً، وَأَسْلَفَنِي الْمِعَادَ بِالنَّظَرِ

استقاد: استدرج

وَجَاءَنِي فِي قَمِيصِ اللَّيْلِ مُسْتَتِراً يَسْتَعْجِلُ الْخَطْوَ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ حَذَرٍ
فَقَمْتُ أَقْرَشُ خَدِّي فِي الطَّرِيقِ لَهُ ذُلًّا، وَأَسْحَبُ أَذْيَالِي عَلَى الْأَثَرِ

يسحب أذيال ثوبه على أثر الأقدام ليخفيها

وَلَاخَ ضَوْءِ هِلَالٍ كَادَ يَفْضَحُنَا مِثْلَ الْقَلَامَةِ قَدْ قُدَّتْ مِنَ الظُّفْرِ
فَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ فَظُنُّ خَيْرًا، وَلَا تَسْأَلُ عَنِ الْخَبْرِ

هذه القصيدة من أشهر ما قال ابن المعتز، وهي شديدة الشبه بشعر أبي نواس الذي مات قبل مولد شاعرنا بنحو خمسين سنة. ولعل أبا نواس يتقلب في قبره حسداً لابن المعتز على بيته الأخير

٤٤ زورق من فضة

أَهْلًا بِفِظْرِ قَدْ أَنْارَ هَلَالُهُ فَالآنَ فَاغْدُ إِلَى الْمُدَامِ وَبَكْرِ

قد بدا هلال شوال، وجاء عيد الفطر، فاغد (بكر) إلى الخمر

وَانْظُرْ إِلَيْهِ كَزَوْرَقٍ مِنْ فِضَّةٍ قَدْ أَثْقَلَتْهُ حُمُولَةٌ مِنْ عُنْبَرٍ

يشبه الهلال بزورق فضة والنجوم فيه بالعنبر، أو لعله يشبه ما بقي من القمر بالعنبر. عليّ أن أشاهد الهلال كي أفسر البيت، ولكنني أكتب هذا في ١٥ رمضان ١٤٣٦، والقمر بدر ولا سبيل للفحص. من سيئات كتب المدارس أنها تكتفي بمثل هذا البيت لابن المعتز، فيظن التلميذ طول عمره أن ابن المعتز هو هذه الصورة المصنوعة فحسب. قد وصف كامل كيلاني هذا البيت بالسخيف وتعجب كيف أن كل من تعرض لابن المعتز قد ذكر هذا البيت. واستطراداً فقد نسب كيلاني لابن المعتز الموشحة المشهورة: «أيها الساقى إليك المشتكى» ولم نجدها في الديوان

٤٥ بوابة جهنم

كَأَنَّمَا صَبَغَتْهُ وَجَنَّتَا خَجَلٍ إِذْ حَلَّ عَقْدَ سَرَاوِيلِي، وَأَزْزَارَا

فَلَوْ رَأَى حَبِيسٌ فَوْقَ صَوْمَعَةٍ لَقَالَ: فِي مِثْلِ هَذَا فَادْخُلُوا النَّارَا

الحبيس: الراهب الحابس نفسه في صومعته على العبادة

٤٦ ليلة

بِالْجِلَّةِ نَسِيَّ الزَّمَانَ بِهَا أَحْدَائِهِ، كُنُونِي بِبَلَا فَجْرِ

رَاحَ الزَّمَانُ بِبَدْرِهَا، وَوَشَّتْ فِيهَا الصَّبَا بِمَوَاقِعِ الْقَطْرِ
ريح الصبا وشت (أخبرت) بالأماكن التي نزل فيها المطر

ثُمَّ انْقَضَتْ وَالْفَجْرُ يَتْبَعُهَا فِي حَيْثُمَا سَقَطَتْ مِنَ الدَّهْرِ

٤٧ رثاء

لَسْتُ مُسْتَسْقِياً لِقَبْرِكَ غَيْثاً كَيْفَ يَظْمَأُ وَقَدْ تَضَمَّنَ بَحْراً

٤٨ غبار وقائع الدهر

صَدَّتْ شُرَيْرُ وَأَزْمَعَتْ هَجْرِي وَصَعَتْ ضَمَائِرُهَا إِلَى الْغَدْرِ
شُرير: صاحبه شرّة، صغت: مالت

قَالَتْ كَبِيرَتْ وَشِبْتُ، قُلْتُ لَهَا: هَذَا غَبَارُ وَقَائِعِ الدَّهْرِ

٤٩ منجل من فضة

انْظُرْ إِلَى حُسْنِ هَلَالٍ بَدَا يَهْتَكَ مِنْ أَنْوَارِهِ الْجِنْدِيسَا
الهندس: الظلام

كَمِنْجَلٍ قَدْ صَيَّغَ مِنْ فِضَّةٍ يَخْضُدُ مِنْ زَهْرِ الدُّجَى نَرْجِسَا

٥٠ أسنان المشط

قُنَّعَ الرَّأْسُ مَشِيباً وَاكْتَسَى لَوْنَ الشَّمْطِ
لا أرى فيه سواداً غيرَ أسنانِ المُشْطِ

٥١ السير والسر

أَبْطُ مَا شِئْتُ، وَسِرُّ سِيراً وَثِيداً إِنَّ سِيرَ الدَّهْرِ بِالْمَرْءِ سَرِيعٌ
واكْتُمِ السِّرَّ حَبِيباً وَعِدْوا فَهُوَ مِنْ هَذَا وَهَذَاكَ يَشِيعُ

٥٢ أنا والعاذل

يَتَبُهُ عِنْدِي وَأَنَا أَخْضَعُ إِنْ كَانَ ذَا بَخْتِي فَمَاذَا أَصْنَعُ
بَا عَاذَلِي! عَاذَلَكَ لِي ضَائِعُ أَسْمَعْتَنِي، وَالْحُبُّ لَا يَسْمَعُ

٥٣ قلبي يراك

أَيَا مَنْ فَوَّادِي بِهِ مُذْنَفٌ حُجِبَتْ قَلْبِي دَمْعَةٌ تُذَرَفُ
مدنف: مريض

إِذَا مَنَعُوا مُقْلَتِي أَنْ تَرَكَ فَقَلْبِي يَرَكَ وَلَا يَظْفِرُ

٥٤ كذبوا على علي

لَقَدْ قَالَ الرَّوَافِضُ فِي عَلِيٍّ مَقَالًا جَامِعًا كُفِرَ أَوْ مُوقًا
قال الروافض (المتشددون في التشيع) عن علي قولاً جارفاً فيه كفر وموق (حمق)

زَنَادَقَةٌ أَرَادَتْ كَسْبَ مَالٍ مِنَ الْجُهَّالِ فَاتَّخَذَتْهُ سَوْقًا
وَأَشْهَدُ أَنَّهُ مِنْهُمْ بَرِيءٌ وَكَانَ بَأْسُ يُقْتَلُهُمْ خَلِيفًا
كَمَا كَذَبُوا عَلَيْهِ وَهُوَ حَيٌّ فَأَظْعَمَ نَارَهُ مِنْهُمْ قَرِيبًا
تقول بعض المصادر إن علياً حرَّق بعض الزنادقة

٥٥ هالك عند هالك

فَلَا جَزَعُ إِنْ رَأَى دَهْرٌ بِصَرْفِهِ وَبَدَّلَ حَالًا، فَالْخُطُوبُ كَذَلِكَ
وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا مُدَّةٌ سَوْفَ تَنْقُضِي وَمَا الْمَالُ إِلَّا هَالِكٌ عِنْدَ هَالِكٍ

٥٦ أنت الخمر

أَرَاكَ بَعْبِينَ قَلْبٍ لَا تَرَاهَا عَيُونُ النَّاسِ مِنْ حَذَرٍ عَلَيْكَ
فَأَنْتَ الْحُسْنُ لَا صِفَةَ يَحْسُنُ وَأَنْتَ الْخَمْرُ لَا مَا فِي يَدَيْكَ

٥٧ قصيرة وإن طالت

أَلَا عَلَّلَانِي، إِنَّمَا الْعَيْشُ تَعْلِيلٌ وَمَا لِحَيَاةٍ بَعْدَهَا مَبِئَّةٌ طَوَّلُ
عللاني: سلباني

دَعَانِي مِنَ الدُّنْيَا أَتْلُ مِنْ نَعِيمِهَا فَإِنِّي عَنْهَا بَعْدَ ذَلِكَ مَشْغُولُ

٥٨ في وصف جبل يسير

قَدْ اسْتَوَى النَّاسُ وَمَاتَ الْكَمَالُ وَنَادَتْ الْأَيَّامُ: أَيْنَ الرَّجَالِ
بموت المرثي أصبح الناس متساوين في نظري، فهو وحده كان المتفرد

هذا أبو القاسم في نعيه قوموا انظروا كيف تسير الجبال

٥٩ النار تأكل بعضها

إصبر على كيد الحسو د فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

هل بقي بعد هذين البيتين الشهيدين شك في أن ابن المعتز ملك التشبهات في شعرنا العربي؟ وقرأ الكلمة الأخير «تأكله» بغير همزة حتى لا تقع فيما يسميه العروضيون سناد التأسيس

٦٠ بين شقي الرحي

دام كُر النهار والليل مَحْثُو نَيْن، ذا مُنْبِه وهذا مُنِيمُ
مَحْثُون: مدفوعين باستعجال

وَرَحَى تَحْتَنَا وأخرى علينا كل مَرءٍ فيها طَحِينٌ هَشِيمُ
طحين: مطحون

وَمَعَاقِي وذو سَقَامٍ وحيٍّ وحبيسٌ تحت التُّرابِ مُقِيمُ
وَبَخِيلٌ وذو سَخَاءٍ، ولولا بُحْلُ هذا ما قِيلَ هذا كَرِيمُ
وَنَرَى صَنْعَةً تُخَبِّرُ عَنْ خَا لِقِنَا أَنَّهُ لَطِيفٌ حَكِيمُ
يا بني عَمَّنَا إِلَى كَمٍّ وَحَتَّى، لَيْسَ مَا تَطْلُبُونَهُ يَسْتَقِيمُ
يخاطب العلويين المطالين بالخلافة. وَحَتَّى: حتى متى. وحذف

أَبُو طَالِبٍ كَمِثْلِ أَبِي الْفَضْلِ لِي، أَمَّا مِنْكُمْ بِهِذَا عَلِيمُ
أبو طالب عم النبي، وأبو الفضل هو العباس عم النبي

سَأَلُوا مَا لِكَأَ وَرِضْوَانَ عَنْ ذَا: أَيْنَ هَذَا، وَأَيْنَ هَذَا مُقِيمُ
اسألوا مالكاً (خازن جهنم) ورضوان (حارس الجنة) عن هذا الأمر. ففي معتقد بعض أهل السنة أن أبا طالب لم يُسلم فهو في النار، وأن العباس في الجنة. والشيعه يقولون بل أسلم أبو طالب وأخفى إسلامه كي يتمكن من حماية النبي. وقد جر هذا البيت على ابن المعتز لوماً شديداً من قبل الشيعة في زمنه وبعده

فَدَعُوا الْمُلْكَ، نحن بِالْمُلْكِ أَوْلَى قَدْ أَقَرَّتْ لَنَا بِذَاكَ الْخُصُومُ
وَاحْذَرُوا مَاءَ غَابَةِ لَمْ يَزَلْ طَا ثَرُ جِرْصٍ عَلَيْهِ مِنْكُمْ يَحُومُ
نحومون حول الخلافة التي هي مثل الغابة، وأنتم كطائر (والطائر هو الحرص والطمع)

إِنَّ فِيهَا أَسَدًا ضَرَاغِمَ أَشْبَاهَا لَ رَعِيلٍ لَمْ يَنْجُ مِنْهَا كَلِيمٌ
 في الغابة أسود لا ينجو كليهما (جريحها)، ولعله يقصد بالرعييل العباسيين الأوائل الذين أنهوا
 حكم بني أمية

وَعَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ يَصْبِغَ الْأَرَضَ دَمٌ مِنْكُمْ عَلَيَّ كَرِيمٌ

٦١ الشمس وقد مسخت

أَقُولُ وَقَدْ طَالَ لَيْلُ الْهُمُومِ وَقَاسَيْتُ حُزْنَ فُؤَادِ سَقِيمِ
 هَلِ الشَّمْسُ قَدْ مُسَخَتْ كَوَكْبًا وَقَدْ طَلَعَتْ فِي عِدَادِ النُّجُومِ؟

٦٢ بات حبيبي معي

الْبَرْقُ فِي مُبْتَسِمَةٍ وَالْخَمَرُ فِي مُلْتَمِئَةٍ
 المبتسم: الابتسام، الملتئم: التقييل. ابتسامته ينبعث منها برق لياض أسنانه
 وَوَجْهُهُ فِي شَفْعِهِ كَقَمَرٍ فِي ظُلْمَةٍ
 نَامَ رَقِيبِي سَكْرًا يَحْرُسُنِي فِي حُلْمَةٍ
 الرقيب نائم، ويسخر منه قائلاً إنه يحرسني في أحلامه

وَبَاتَ مَنْ أَهْوَى مَعِي يُذِيقُنِي رِيقَ قَمِيَةٍ

٦٣ صرعى الخماراة

قَتَلْتَهُمْ خَمَارَةً عَمْدًا وَلَمْ تُؤْخَذْ بِدَمٍ
 صاحبة الحانة قتلتهم بخمرها ولم تؤخذ (لم تعاقب) بدم (بقتل)
 وَسَقَتْهُمْ مَشْمُولَةً ظَلَّتْ تُحَدِّثُ عَنْ إِرَمٍ
 مشمولة: خمر. وهي قديمة وتروي قصة إرم ذات العماد

لَمَّا أَرْتَهُمْ كَأَسْهَابٍ شَرِبُوا، وَمَا قَالُوا بِكُمْ

٦٤ الداء القديم

يَا رَبَّ يَوْمَ قَدْ مَضَى بِالْقَادِسِيَّةِ لَوْ يَدُومُ
 فِي ظِلِّ كَرَمٍ لَا يَطْوُو فَ بِهِ الْهَجِيرُ وَلَا السَّمُومُ
 وَسَمَاؤُهُ الْوَرَقُ الْجَدِيدُ دُ، وَأَرْضُهُ الْوَرَقُ الْقَدِيمُ

إذن فالوقت آخر الخريف

وَيَحُثُّنِي بِالْكَأْسِ سَا قِي لَحْظَ مَقْلَتِهِ سَقِيمٌ
أُغْرَى بِقُبْلَتِهِ كَمَا يُغْرَى بِمُرْضِعَةٍ يَتِيمٌ
يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى الْهَوَى، دَعْنِي فَلَذَا دَاءٍ قَدِيمٌ

٦٥ المال والنسب

إِذَا كُنْتَ ذَا ثَرَوَةٍ مِنْ غِنَى فَأَنْتَ الْمُسَوَّدُ فِي الْعَالَمِ
وَحَسْبُكَ مِنْ نَسَبٍ صَوْرَةٌ تُخَبِّرُ أَنَّكَ مِنْ آدَمِ
تكفيك من النسب صورة وجهك التي تثبت أنك من نسل آدم

٦٦ سهري ونومهم

أَسْرَزْتُ حُزْنَاً بِهَا وَالْقَلْبُ مَضْطَرِبٌ وَرَاحَ يُنْبِي بِغَيْرِ الْحَقِّ إِعْلَانِي
وَقَدْ أَرَقْتُ لِبرقِ طَارَ طَائِرِهِ وَالنَّوْمُ قَدْ خَاطَ أَجْفَاناً بِأَجْفَانِ
هو يارق والنوم يخط أجفان الناس فهم نائمون

٦٧ المجانين في نعيم

قَالُوا جُنُنَتْ بِلَا شَكٍّ، فَقُلْتُ لَهُمْ: مَا لَذَّةُ الْعَيْشِ إِلَّا لِلْمَجَانِينِ

٦٨ آخرستنا قبلة

وَلَمَّا التَقَيْنَا بَعْدَ حِينٍ مِنَ الْحَيْنِ حَلَفْنَا بِأَنَّا لَا نَعُودُ إِلَى الْبَيْنِ
بعد فترة من الحين (الموت/ يقصد الفراق المميت) التقينا، وحلفنا لا نعود للبين (الفراق)
وَقَدْ أَخْرَسْتَنَا قُبْلَةً عَنْ حَدِيثِنَا إِلَى الصَّبْحِ حَتَّى غَرَّدَ الدُّبُّكَ صَوْتَيْنِ
وقلتُ تعالي يا شُرَيْرَةُ نَمْتَزِجْ كَمَثَلِ امْتِزَاجِ الْمَاءِ وَالْخَمْرِ نِصْفَيْنِ
وَطُولُ عِتَابٍ فِي التَّلَاقِي يُرَبِّنِي وَيُنْبِي بِعَجْزٍ، أَوْ تَغْيِرَ قَلْبَيْنِ

٦٩ جلاء الهم

مَنْ عَائِدِي مِ الْهَمُومِ وَالْحَزَنِ وَذَكَرِ مَا قَدْ مَضَى مِنَ الزَّمَنِ
وَشَرِبِ كَأْسٍ فِي مَجْلِسٍ بَهْجٍ لَمْ أَرْ فِيهِ هَمًّا وَلَمْ يَرْنِي
مِنْ كَفِّ ظَنِّي مُقَرَّطِي غَنَيجٍ يَعِشْهُ مَنْ عَلَيْهِ يَعْدِلُنِي
مقرطن: يلبس قُرْطَقًا أي بجامة. القرطق قميص كان يلبسه الصبية والبنات

٧٠ زيارة ليلية

صَحَوْتُ، وَلَكِنْ بَعْدَ أَيِّ فُتُونٍ فلا تسأليني صَبُوءَ ودعيني
صبوة: عودة للهِو الصبا

وَدَبَ مَشِيبِي بَعْضَهُ فَوْقَ بَعْضِهِ وأخرجني مِنْ أَنْفُسٍ وَعِيونٍ
وَحَمَّارَةٍ، تَغْنِي الْمَسِيحَ بَرِّهَا، طَرَقْتُ، وَضُوءَ الصَّبْحِ غَيْرُ مُبِينٍ
طَرَقْتُ (أَتَيْتُ لَيْلاً) بَانِعَةٌ خمر نصرانية ممن يتماهى عندهم الرب والمسيح

فَجَاءَتْ بِهَا فِي كَأْسِهَا ذَهَبِيَّةً لَهَا حَدَقٌ لَمْ تَتَّصِلْ بِجَفُونٍ
للكأس عيون هي الفقايع، غير أنها عيون بلا جفون

٧١ إيقاع الزمان

إِذَا أَحْسَسْتَ فِي خَطِّي فُتُوراً وَخَطِّي وَالبَلاغَةَ وَالبَيَانَ
فَلا تَرْتَبْ بِفَهْمِي، إِنَّ رَفْصِي عَلَى مِقْدَارِ إِيْقَاعِ الزَّمَانِ

٧٢ راحة الموت

يَا شَاكِيَ الدَّهْرِ إِنَّ الدَّهْرَ أَلَوَانُ فِيهِ لِصَاحِبِهِ بؤْسٌ وَأَحْزَانُ
وَفِي الْمَمَاتِ غَنَى لِلْمَرءِ يَسْتُرُهُ وَلَيْسَ مُسْتَغْنِيًّا مَا عَاشَ إِنْسَانُ

٧٣ قهقهة الإبريق

وَكَأَنَّ إِبْرِيقَ الْمُدَامَةِ بَيْنَنَا ظَبْيِي عَلَى شَرَفِ أَنْافٍ مُدْلَهَا . .
يشبه الإبريق بظبي يقف على شرف (تلة) وقد أناف (أشرف) مدلهأ (عاشقاً)

لَمَّا اسْتَحَثَّتْهُ السَّقَاةُ حَتَّى لَهَا فَبَكَى عَلَى قَدَحِ النَّدِيمِ وَقَهَقَهَا
لَمَّا اسْتَحَثَّتْهُ (بَاسِرَتُهُ) السَّقَاةُ حَتَّى الإِبْرِيقَ رَأْسُهُ فَسَالَتْ مِنْهُ الْخَمْرُ فَكَانَتْ بِكِي، وَصَدَرَ لِحِرْيَانِ
الْخَمْرُ صَوْتٌ فَكَانَ الإِبْرِيقُ يَقْهَقُ. صورة مصنوعة.. لكن مصنوعة بإتقان

٧٤ يَرِثُ نَفْسَهُ

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ فِي الْهُوَى غَيْرِ مُنْتَهٍ وَفِي النَّغْيِ مِطْوَاعٍ، وَفِي الرُّشْدِ مُكْرَهٍ
أَشَاوَرُهُ فِي تَوْبَةٍ فَيَقُولُ: لَا فَإِنْ قُلْتُ: تَأْتِي فِتْنَةٌ؟ قَالَ: أَيْنَ هِيَ

ويا ساقِيَّيَ اليومَ عودًا وَنَسيًا بإبريقِ راحٍ في الكؤوسِ مُقَهِّقِهِ
أورَّتْ نفسي مآلها قبلَ وارثي وأنفَقَهُ فيما تُحِبُّ وتشتهي

٧٥ حتى القبيحة

قال وقد عابَتْ جارية دميمة فسأله جليسه عن ذلك:

قلبي وَثَّابٌ إلسى ذا وذا ليس يرى شيئاً فيأبأه
يَهيمُ بالحسنِ كما يَنبغي ويرحُمُ القبحَ فيهِواه
كما ينبغي: كما هو معتاد

٧٦ لحية القاضي

ذا شاربٍ وظُفَرٍ طويلٍ يُنغِصُ الزَّادَ على الأكيلِ
تَخالُّ تحتَ إبطِهِ إذا عَرِقَ لِحِيَّةَ قاضٍ قد نجا مِنَ الغرقِ
عندما يصبح التشبيه صناعة!

٧٧ أرجوزة في التاريخ

لابن المعتز أرجوزة طويلة من المزدوج، مدح فيها الخليفة أبا العباس المعتضد وحكى ما يحدث في ذلك الزمن:

باسمِ الإلهِ المَلِكِ الرَّحْمَنِ ذي العِزِّ والقدرةِ والسلطانِ
هذا كِتابٌ سَيَرِ الإمامِ مهذباً؛ مِنْ جواهرِ الكلامِ
أعني أبا العباسِ خيرَ الخلقِ للمُلِكِ، قَوْلَ عالِمٍ بالحقِّ
قامَ بأمرِ المُلِكِ لَمَّا ضاعا وكان نَهْباً في الوَرى مُشاعا
مُذَلَّلاً لَيْسَتْ لَهُ مَهَابَةٌ يَخافُ إنْ طَنَّتْ بِهِ ذِبابَةٌ
وكلَّ يومٍ مَلِكٌ مَقْتُولٌ أو خائِفٌ مُروِّعٌ ذَلِيلٌ
وكلَّ يومٍ شَعَبٌ وَغَضَبٌ وأنفُسٌ مَقْتُولَةٌ وحَرْبٌ
ويَطْلُبُونَ كُلَّ يومٍ رِزْقاً يَرُونَهُ دَيْناً لَهُمْ وَحَقّاً
كذلكَ حَتَّى أَفْقَرُوا الخِلافةَ وعودوها الرُّعْبَ والمخافةَ

وكان الجند الأتراك طلبوا من والد شاعرنا، الخليفة المعتز، المال، فلم يعطهم فقتلوه. وتكرر ذلك قبل المعتز وبعده

فهرس القوافي (القافية، فرقم القطعة)

٢١	فَرَجَتْهَا	١	الماءِ
٢٥	شَدِيدُ	١٠	قَلْبًا
٢٢	الْإِذْلَاجِ	٤	لَعَابًا
٢٣	قَبِيحُ	٦	مُكْتَبًا
٢٤	وَاضْطَبَّاحُ	٣	وَأَحْسَابًا
٢٦	عَدَا	٩	كَذُوبُ
٢٧	وَالصَّدُودَا	١٤	الْأَحْبَابِ
٣٠	الْمَوْعِدُ	١١	بِي
٢٩	قَوَّادُ	١٢	طَالِبِ
٣٣	السُّودِ	٥	كِتَابِي
٢٨	العَائِدِ	١٥	مَرْتَقِبِ
٣٢	العُنُقُودِ	١٦	وَالْكُرْبِ
٣١	وَعْدِ	٨	وَتَغَضُّبِ
٣٤	جَبْنًا	١٣	كَوَاذِبِ
٣٩	الْفَطْرَا	٧	رَبُّكَ
٤٥	وَأَزْرَارَا	٢	بِهَا
٤٧	بَحْرَا	٢٠	تَمُوتَا
٣٨	سَفَرُ	١٨	وَأَنْتَا
٣٧	الْجَرَّارِ	١٩	إِفْلَاطُ
٤٢	الدُّهُورِ	١٧	وَعَانِيَتْ

٥٩	قَاتِلَةٌ	٤٨	الغدير
٦٠	مُنِيمٌ	٤٣	المطر
٦٤	يَدُومٌ	٣٥	النصر
٦٥	العَالِمِ	٤٦	فجر
٦١	سَقِيمِ	٤١	وبالكبار
٦٣	يَدَمِ	٤٤	ويكبر
٦٢	مُلْتَمِةٌ	٤٠	النظارة
٧٢	وأحزانُ	٣٦	أحذرة
٦٦	إِعلاني	٤٩	الحنديسا
٦٨	البَيْنِ	٥٠	الشَّمْطِ
٦٩	الرَّزْمِ	٥٢	أصنع
٦٧	للمجانين	٥١	سريع
٧١	والبيانِ	٥٣	تُذَرَفُ
٧٧	والسلطانِ	٥٤	وموقا
٧٠	ودعيني	٥٦	عليكا
٧٣	مُدْلَهَا	٥٥	كَذَلِكَ
٧٥	فِيأبَاهُ	٥٧	طُولُ
٧٤	مُكْرَهُ	٧٦	الأكيل
		٥٨	الرجان

أبو الطيب المتنبي

(٣٠٣هـ - ٣٥٤هـ)

انقضت ألف وإحدى وخمسون سنة شمسية على مقتل المتنبي، وما زال مآلها وشاغلهم. وقد صقلت شعره محارِبُ الأدب ومنابر الدرس فصار قرآن الشعر. ينشأ الفتى العربي وهو يحفظ منه عشرات الأبيات، ومئات أنصاف الأبيات، ويتكئ عليه كتاب المقالات لإقامة حججهم أو لتزيين كلامهم؛ ويغترف منه كل العرب، واعين أو غافلين، موافق يقفونها من الأشياء. فهو ما زال مؤثراً في النفسية العربية.

هذه النفسية العربية التي تنتقل بسهولة ما بين التذمر والمكابرة، بين الشكوى والاعتزاز، بين التسليم برداء الدنيا والتصميم على خلق الظروف، تجد تعبيراً قوياً عنها في أبيات المتنبي.

ولكن المتداول المفهوم من شعره قليل. ولغته صعبة، وكانت صعبة حتى في زمانه. كان يلتوي في تعبيره متعمداً، يباهي النحاة وأهل اللغة، ويتفاح على الشعراء في بلاطات أمراء طبرية وحلب والفسطاط وبغداد وشيراز.

انتقيت لك من شعر المتنبي ١٤٣٣ بيتاً هي العصاراة. وتمثل ربع ديوانه. ثم شرحتها شرحاً وافياً، فما غادرت كلمة مهجورة أو عبارة ملتوية أو فكرة غامضة إلا فسرتها تفسيراً. وجعلت شرح كل بيت تحته، على طريقة القدماء. وجعلت الشرح بخط دقيق حتى ينماز عن الأبيات؛ فمن استقام له المعنى واستغنى عن الشرح هان عليه أن يقفز بعينه إلى البيت الذي يليه.

اسمع كيف يقسم ابن الأثير في المثل السائر شعر المتنبي: «وجدته أقساماً خمسة: خمس في الغاية التي انفرد بها دون غيره، وخمس من جيد الشعر الذي يساويه فيه غيره، وخمس من متوسط الشعر، وخمس دون ذلك، وخمس في

الغاية المتقهقرة التي لا يُعبأ بها، وعدمها خيرٌ من وجودها، ولو لم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرّها.» اهـ كلام ابن الأثير.

الشكوى المرة من الحاسدين، وامتهان إلقاء اللوم على الآخرين حاضران في شعر المتنبي حضورهما على ألسنة العرب اليوم. لكن المتنبي لم يخلد بهذا وحسب.

اجتمع العرب عليه كما لم يجتمعوا على شاعر. وظلت شهرته تزيد. سأحاول في هذه المقدمة استكشاف أسباب خلوده. وبعد ذلك سأكتب ملخصاً لحياته.

وكتابة سيرة للمتنبي أهون من تجفيف الغسيل في جهنم. فهي وقائع محددة متفق عليها، ونكاد نعرف بدقة نسبة الأسطورة ونسبة الحق في كل عنصر من عناصر هذه الوقائع. لكنني سأظل أرجئها مثلما يرجئ التلميذ المذاكرة لامتحانه.

لا أستغرب أن العرب يعدونه أعظم شاعر. هو يشبهنا جداً. الزعامة طموح حياته، ولا يرضى أن يكون أي شيء سوى زعيم. كان دونكيشوتا؟ ولم يضحك منه العرب، بل أحبه.

كل شعره عتريات، وكل أخلاقيات تقوم على حماية الشرف بحد السيف. وما الشرف عنده؟ هو الأنا، ليس الأنا القلبية القديمة التي نعرفها جيداً، ولكن «أنا» جديدة علينا وعلى الشعر العربي، أنا الفرد. والفرد بمعنى من المعاني المعاصرة أيضاً. الفرد الوجودي الذي يتشهى الانفصال عن جسم مجتمعه مثلما تجاهد دفقة اللهب كي تتخلص من أسر الشمس وتنطلق في الفضاء وحدها، لكنها تحمل في داخلها كل عناصر الأتم، وتذهب وتفنئ وتبرد في الفضاء، لكن بعد أن تشع إشعاعاً يذفئ كرتنا الأرضية.

لهذا جعل المعاصرون ديوان المتنبي قرآن الشعر القديم؛ لأنهم رأوه مشبهاً ما قرأوه في الأدب الأوروبي (كافكا، دستوييفسكي، كامو، سارتر). وعلى هذا، فجزء من إعجاب المعاصرين بالمتنبي إنما هو اشتياق للصيغة التي وضعها الأديب الأوروبي لعلاقة الفرد المميز بمجتمعه.

عقيدة المتنبي الغزو. فحتى في ذلك الجزء الكبير من ديوانه، الذي وصف فيه حروب العرب والروم، لا نجد سوى إشارات ضئيلة إلى الدين. حتى تلك

الحروب كانت عنده غزواً. ليست عنده مواقف فروسية، بل هناك تنكيل، واحتقار للعدو، وتمجيد للسيوف التي تطيح بالجماجم، وهناك أنشودة ملحمية نادرة المثال في الضرب والقتل.. ليس فقط على جماجم الروم، فجماجم الأعراب نالت نصيبها من قوافي سيد القوافي.

يقول مظفر النواب: «لأمر يهاجر هذا الذي اسمه المتنبي، وتعشقه بالعباد النساء». ولا نعرف أن امرأة عشقت المتنبي، ولا تخبرنا سيرته أنه عشق امرأة، ودع عنك ما كان يصدر به قصائده من غزل قد يأتي سمجاً. أما الهجرة فنعم. أرى مشابه بين حياة المتنبي وحياة أولئك الرجال الشُّعث الذين انضموا إلى الجماعات المتشددة في الدين ورحلوا إلى أفغانستان فالبوسنة رحلة المثالي الذي استطاع أن يُغلب الفكرة الحافرة نفسها في ذهنه كالذودة على مقتضيات المعيشة. هاجسهم فكرة، وهجرتهم ضياع، وخطتهم.. الفوضى. وكان وضوح الفكرة الواحدة في ذهنهم - بغض النظر عن قيمتها - ناب مناب واقعيها وقابليتها للتطبُّق.

المتنبي رجل يتكبر على الملوك ثم يمدحهم للمال، ثم يهجو، ثم يرحل. رجل قلق.

كانت له طريقته في اعتداده بنفسه، وفي تيهه. كأنَّ العبقري لا بد أن يكون متغطرساً! كرهوه في كل محل، وكادوا له عند ذوي الأمر، وتوجَّع من المكائد. كان يريد أن يسحق الجميع تحت قدمه. لم يكتف بأن يكون أكبر وأهم شاعر في بلاط سيف الدولة، بل ظل يردد نغمة أن زملاءه، مداحي السلطان الآخرين، يسرقون معانيه. كان نكداً، بارعاً في استقطاب العداوات. في كل محطة يجمع على نفسه الأعداء مثلما يجمع العسل الذباب؛ ولم يكن عسلاً ولا كانوا ذباباً. وكان إذا أحس أن الحصار النفسي بلغ مداه رحل. ثم يقول لك في شعره إنه يرحل إعزازاً لنفسه وصوناً لكرامته. ولا يقر أبداً بأنه كان كما يقولون «فاشلاً اجتماعياً». لكن، منذ متى كان شرطاً على الفنان أن يكون ناجحاً اجتماعياً؟

أحببناه لأنه آمن بشريعة الغاب؛ ونحن العرب فينا جينات تدفعنا دفعاً إلى الإيمان بشريعة الغاب. ولعل هذا سيكون سبب بقائنا أو فئائنا. لست متأكداً.

على أنني أحب المتنبي. ولا أرى شعراً أقوى من شعره.

فإذا أردت أن تحل هذه المعادلة الصعبة (بين هجوي المتقدم له، وبين إعجابي بشعره) فواصل القراءة لعلك أن تهتدي، ولعلني.

معجزته البارزة الإيجاز: يعطيك النتيجة النهائية في كليمات، ويوفر عليك المقدمات. يفكر في المعنى كثيراً ويخرجه كالرصاصة. وأنت تتلذذ بالمفاجأة، وتفكر في البيت أو في نصف البيت، وتقول: ما أصدق ذلك!

أليس قد سألوه: كيف تنبأت؟ فأجاب: تنبأت على الشعراء. فقل بماذا؟ فقال: بقولي: ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقة بد.

هذا بيت يلخص تجربة في الحياة كبيرة، وكتبناه كما يكتب النثر لأننا نكره الاستشهاد بالشعر ونحن نتكلم على الشعراء. فمن أراد أن يقرأ الشعر فالصفحات المقبلة عامرة بأجمل وأقوى وأعظم ما قال أبو الطيب المتنبي. ولا تذهب إليها الآن، فثمة أفكار في هذه المقدمة لم تأتني إلا بعد كد، وأريدك أن تسمعها.

اشدد يدك على كلمة الإيجاز، ففيها سر من أسرار أبي الطيب. وقف معي نظر فيما كُتِب عنه.

كلمة عن الكتب والشروح

فأما الكتب القديمة فلها شرف القدم، وما وصلنا منها طيب. لم ينل شاعر آخر مثل هذا الاهتمام. لن تقف كثيراً بعبارات صاحب «اليتيمة» المليئة بالمجاملات، وما كان أخلقه - وهو المعاصر لشاعرنا - أن يقول لنا أشياء ثمينة عنه كانت معروفة في ذلك الزمن ثم طوتها القرون. لن أترك الثعالبي قبل أن أنقل لك عبارة له في وصف المتنبي: «يدور حب الولاية في رأسه، ويظهر ما يضمّر من كامن وسواسه في الخروج على السلطان والاستظهار بالشجعان والاستيلاء على بعض الأطراف».

حقاً كان المتنبي «يظهر ما يضمّر»، كان صدقه في التعبير عن عواطفه يغلب حكمته.

(الوساطة) كتاب طيب، وكتابه قاضٍ أبي في كتابه أن يقضي. كان ككاتب المحضر: عرض لنا أقوال الادعاء والدفاع، وتهرب من الحكم.

و(الموضحة) كاسمها تصل العظم. ولن يعرف أحد إن كان ما قصّه

الحاتمي عن لقائه بالمتنبي صحيحاً، فهو على مدى صفحات كثيرة يقول: قال لي المتنبي، وقلت له. على أن الرجل يعرف الشعر العربي معرفة نادرة. وكتابه مرجع في السرقات الشعرية. ومثله في الضغينة وفي قوة المعرفة بالشعر العربي ابن وكيع، ومثلهما العميدي. وألاحظ هنا أن الاختلاف على المتنبي، وما حرّكته شخصيته القلقة وكثيره من عداوات صيّر موضوع السرقات الشعرية في النقد العربي القديم علماً قائماً برأسه؛ فقد تكالب أدباء مصر وبغداد والري، في حياة المتنبي وبُعِيد موته، على التأليف في سرقاته. وعادوا إلى ما كتبه الأقدمون ففصلوا أنواع السرقات، وأبانوا مستحسنها ومستقبحها، وضربوا لكل نوع أمثلة من شعر المتنبي ومن شعر غيره، وصنعوا سلسلة نسب لكل معنى. وأخذوا يدققون في المعاني ويحصونها، ويجمعون كل طائفة منها في ناحية.

ورسالة صاحب «الكشف عن مساوئ المتنبي» لها لذع السُخر، وفيها حلاوة التهكم، وروح العداء الصارخة. وفيها نظرات نقدية صائبة موجزة كقوله، يَبْكُ المتنبي على البيت (إني على شغفي بما في خُمرها/ لأَعِفُّ عما في سراويلاتها)، «كثير من العهر أحسن من عفاف هذا الشاعر». وكوصفه المتنبي بـ (المتكلف المتعسف الذي لا يقف حيث يعرف)، وذلك تقريباً للمتنبي على إirاده الألفاظ البدوية التي قد لا تكون معانيها متمكنة من نفسه بما يسوغ استخدامها؛ يقول صاحب: «وَمِنْ أَظْمَ ما يتعاطاه التفاضُحُ بالألفاظ النافرة، والكلمات الشاذة، حتى كأنه وليدُ خِباءٍ وَعَظِيٌّ لبن، ولم يَطأ الحضر ولم يعرف المدر». وعن بيت البوقات والطبول يقول صاحب: «هذا التحاذق كغزل العجائز قُبْحاً، ودلال الشيوخ سماجة». وعن ضمائر متشابكة وردت في بيت للمتنبي يقول صاحب: «لو وقع قوله هذا في عبارات الجنيد أو الشبلي لتنازعته الصوفية دهرأ طويلاً». والمتنبي عند صاحب على الإجمال: «يأتي بالفقرة العَرَاء مشفوعةً بالكلمة العوراء». وتعليقاً على بيت رثاء يقول: «وأظن المصيبة في الراثي أعظم منها في المراثي».

وإنما أوردنا كلام صاحب تلذذاً باستعداده. وأهم من بلاغة صاحب روحه الموتور.

ويُشَبِّهه صاحب المثل السائر في حرارته، وإن يكن ابن الأثير محباً للمتنبي، قادراً - لعدم العداوة - على أن يستمتع بشعره. وكنا نتمنى لو أنه كتب عن المتنبي أكثر. وصاحب العمدة ترك للناس كلمته المشهورة «ملاً الدنيا

وشغل الناس»، ومضى حميداً. والشيخ يوسف البديعي مؤلف متأخر، وهو أقرب إلى عصرنا منه إلى عصر المتنبي. ولكن كتابه «الصبح» سيظل خير كتاب قديم عن المتنبي رغم أنه - أو لأنه - محشو بالنقول. وفي «شرح المشكل» صنع ابن سيده ما يجدر بصاحب لغة أن يصنع. وكما تتوقع فهو قد استفرغ جهده في الأبيات العصبية التي ليس فيها رواء. وكذا الأصفهاني في كتابه عن أبيات المتنبي المشكّلة.

وأما الشروح الأربعة لديوان المتنبي، فاستعنتُ بستة منها مشهورة مطبوعة.

أبو العلاء المعري، المولود بعد وفاة المتنبي بتسع سنين، صنع شرحاً مدهشاً غُمقَ فهم وإفراطاً حميداً في إيراد الأوجه المختلفة. ومما يؤكد نسبة هذا الشرح، المطبوع في أربعة مجلدات، إلى زاهد المعرفة أن له فيه طريقة وروحاً يشبهان ما تراه في رسائله وكتبه. فهو متحرّز لا يقطع بشيء؛ يورد لك الأوجه المختلفة والأقوال المتضاربة، وقلما يغلب وجهاً على وجه؛ شنيئة نعرفها من صاحب الغفران. لكن أبا العلاء محبٌ للمتنبي، مقدّم له على الأولين والآخرين، والمعري عرف العربية كما لم يعرفها أحد. ولسعة علمه شرح بعمق، ولأنه أديب وصاحب قلم جميل كان يلتقط روح البيت ويلخصه بعد أن يشرحه، وسمّى شرحه «معجز أحمد» فظُرِفَ وأُمِنَ. ويبدو أن مخطوطات شرح المعري كانت بأيدي الناس قبل طبعه، فقد قال لنا شقيب أرسلان إنه امتلك النصف الثاني من نسخة، ورأينا اليازجيين ينقلان كثيراً عن أبي العلاء في شرحهما «العرف الطيب».

وقد درى الواحدي بشرح أبي العلاء، وقالها، ولا أتذكر إن كنت ضبطته ناقلاً عنه. على أن شرح الواحدي من الشروح الثمينة التي اتخذت اتجاهاً أدبياً واهتمت بالمعنى؛ والواحدى ضيق العطن، ملول؛ يرى الضمائر تشابكت في البيت فيكسل عن إحالة كل ضمير على صاحبه؛ وتراه في الحين بعد الحين يلخص المعنى برماً بما في البيت من تعقيد؛ ولم أستعمل طبعته الأوروبية إلا قليلاً في زمن غابر، فلا تعليق لي عليها، وأما الطبعة اللبنانية فكثيرة الغلط، على أنها هي التي رافقتي وأنا أشرح ما اخترته.

وشرح العكبري ثمين، وفيه نحو كثير على طريقة الكوفيين.

وشرح البرقوقي رائق، وموجه لقارئ مهتم بالمعنى. وقد كتب البرقوقي

لشرحه مقدمة تُقرأ لجمالها وحلاوتها فضلاً عن جودتها. وقد صحبت مجلدي شرح البرقوقي في أول رحلاتي إلى صحراء الخليج، وكنت في العشرين من العمر، ولهذا الكتاب في قلبي موقع.

اليارَجيَّان برعا في الاندساس في تلافيف البيت، وفي ربط البيت بأخيه، حتى لو كان قبله بعدة أبيات. ولشرحهما ذيل فيه حديث طيب جداً عن أدب المتنبي ومنزله.

وقد ظفرت - بعد فراغي من شرح ما اخترته من أبيات المتنبي - بشرح ابن جني المسمى «الفسر» في طبعة دمشقية تقع في بضعة آلاف من الصفحات يَسرها لي مشكوراً أخي الأديب الشنقيطي محمد المختار، وهي صادرة عام ٢٠٠٤. وعرفت منها الكثير عن ابن جني، لكنها لم تزدني معرفة بالمتنبي. ربما لأن المؤلفين القدامى لم يغادروا موضعاً في شرح ابن جني فيه كلام عن لسان المتنبي إلا نقلوه ثم نقدوه. وقد أحسن محققها رضا رجب في ضبطها، وفي ضبط كتاب القشر على الفسر للزوزني الناقد لشرح ابن جني المطبوع في السنة نفسها.

أما الكتب التجارية التي صدرت وفيها شعر المتنبي كله أو بعضه فلم تضاف شيئاً سوى مقادير من الأغلاط.

ما أشد سروري في هذا الزمن عندما أرى كتاباً مسروقاً بطريقة التصوير، ومطبوعاً بالأوفست. أو عندما أعثر به في الإنترنت على هيئة صورة طبق الأصل (بي دي إف). لا أعاباً بما في أحرفه من تنقيير، وما في أسطره من اعوجاج. يكفي أنك تقرأ كلاماً صححه ناس كبار من جلة العلماء من أمثال عبد السلام هارون ومحمود شاكر. أما الصرعة الصارعة التي خرج بها علينا الناشر، في زمن الكمبيوتر واليد الطابعة الرخيصة، فهي أن واحدهم يأتي بالفتيات اللاتي يهطل وابل أصابعهن فوق لوحة المفاتيح، ويضع أمامهن الكتب القديمة لإعادة صف أحرفها؛ ولا ألوم أولئك الفتيات على كثرة الأغلاط، وإن كنت أرحمهن مما في النصوص القديمة من فحش. ثم يتخذ الناشر من أحد صبية الجامعات، ممن يحملون شهادة الدكتوراة في الأدب العربي، أجيراً يصحح الملائم. وجدير بمن خان العلم وهو يشتري شهادته أن يخونه أجيراً في مطبعة.

ولا أقول شيئاً عن تحقيق المحققين لشروح ديوان المتنبي، ولكل مجتهد

نصيب. غير أنني رأيت السقا وشليبي والأبياري أحسنوا للعكبري.

والكتب العربية المعاصرة التي درست المتنبّي هي كتب شاكر وعزام وطه. وثلاثتها ثمينة، وكلها صدر في بين عامي ١٩٣٦ و١٩٣٧، في غمرة الاحتفال بمرور ألف عام قمري على وفاة الرجل. وقد لاحى شاكر طه أربعين سنة بعد صدور كتابيهما، ولكنهما جميعاً أسرفا في حراثة سبخة. وأنفقا جهداً كنت أحب لو كانا استثماره فيما هو خير مما فعلا. فشاكر تعجبه نفسه كثيراً - ولا ألوم شاباً في الخامسة والعشرين يكتب بقلم جميل، وبفهم عميق للشعر العربي - أقول تعجبه نفسه إذ يفجّر قبلة صوت عندما يخبرنا أن أبا الطيب كان علوياً من الأشراف. فهل أراك قارئ العريزي ستقوم عن مقعدك لو عرفت مثلاً أن السياب كان علوياً أو سنياً أو مسيحياً؟ أقول لك الحق: قد والله قرأت السياب، واهتممت به، ولست للآن أعرف دينه أو مذهبه؛ وها أنا أنتظر مذهبياً من حمقى الإنترنت ليخبرني بمذهب الرجل، فهؤلاء المذهبيون المرضى لا شغل لهم إلا تلك القشور، ومنهم نتظر كل معلومة سامة.

راح طه يلوك النظريات عن القرامطة على نحو مرهق للأعصاب. وزاد عليها كلامه الطويل عن إجازته الصيفية فأمل وكاد يصرف، لولا ما حباه به الأزهر من عربية متينة، وما أملاه عليه الإملاء من التذاذ جرس الكلام. على أن لكتاب طه خصلة أخرى، فالاستطاعة بغيره جعلته يأخذ الشعر بأذنه فيلذّه، ويعرفه في صورته الأصلية مسموعاً. وما أشد ما شامت تلك الحالة الأصلية للشعر بما نفعه الآن من تلقي الشعر بالعين، فقد تعودنا إهمال صوت الكلمات. طه حسين يذوق الشعر، وهو بين الفينة والفينة في كتابه يحدثنا بكلام حلو - من مثل كلامه في حديث الأربعاء - عن شعر الرجل. وإذا شئت أن تضحك كثيراً، وأن تشمت بطه حسين، فاقراً نقد مارون عبود (في كتابه «الرؤوس») لكتاب طه ولن تندم، ستقضي سويعة حلوة.

ولا أدع كتاب طه حسين قبل أن أستدرك بأن الرجل نابغة، وبأن في كتابه علماً وفناً وذوقاً. فلئن كنت أحب الفُرجة على مبارزات كبار أدبائنا - ومارون عبود من رؤوسهم - وأحب ما فيها من ضغينة وملاسنات لا يندر أن تهبط إلى ما دون السفح، فإنني حريص على ألا تنسيني تلك الفرجة قيمة كل واحد منهم.

وكتاب عزام ليس عندي الآن، ولكنني قرأته قبل خمس وعشرين سنة، في

طبعة مطبعة الجزيرة ببغداد، وأعجبت بما فيه من سهولة وسلاسة وقلة ادعاء، فنقلت منه نتفاً في أوراق حرصت على تجليدها في دفتر، وبقيت معي إلى يوم الناس هذا. ورغم أنني الآن فرغت من شرحي هذا لمختاراتي - فأنا أكتب المقدمة بعد الانتهاء من كل شيء سيأتيك بعدها - أقول رغم فراغي من الشرح و«اضطراري» بسببه إلى قراءة كل ما تيسر عن المتنبي، فما زالت تلك الأوراق التي نقلتها من كتاب عزام هادياً لي في معلوماتها. وإذا شئت أن تقضي سويعة ضاحكة أخرى فانظر في هجوم شاكر على عزام، في الطبعة المضخمة التي أصدرها لكتابه عن المتنبي.

وثمة كتاب رابع حديث عن المتنبي لأحمد علي محمد اسمه (المحور التجاوزي في شعر المتنبي)، وللأسم ذيل هو (دراسة في النقد التطبيقي). ولغة الكتاب كلغة عنوانه مسرفة في اصطناع المصطلح الأكاديمي الحديث. لكن المؤلف تذوق شعر المتنبي وأحبه، وأسرف في مدحه على طريقة شاكر في كتابه عن قصيدة (إن بالشعب الذي دون سلع)، وهي طريقة تخلو من السماحة، وتقدس النص تقديساً يوحش النفوس.

على أن المؤلف فسر لنا في قطعة صالحة من كتابه خلود شعر المتنبي في قلوب العرب، وسلط ضوءاً قوياً على نزوع المتنبي الدائم إلى الخروج عن المألوف في اللغة والتعبير. ويبدو أن الكتاب رسالة أكاديمية، فهو مقسم بالسكين. على أنني فرحت به بعد سبعين سنة كانت الدراسات المتنبية فيها مضغة في أفواه الأكاديميين السطحيين - وأستثنى من استثنى نفسه فصنع بحثاً عميقاً، ولا أزعم أن قد أحطت بكل ما كُتب، أو اطلعت على كل جهد أمين -، وراح كل ولد امتلك أبوه قرشين وأرسله بهما ليُخْضِرَ له شهادة ماجستير يكتب عن المتنبي غناء أحوى. وكان أجدر بأولئك الفتية، وأجدى على آبائهم، لو جلسوا في دكاكينهم يبيعون ويشترون ويرتزقون بالحلال. وكهؤلاء السراق الذين يعيشون في الجامعات في زمننا، أولئك الأدباء الذين دبجوا مقالات بالمتن عن المتنبي تفيض إعجاباً وتمتلئ بصرخات الاستحسان. فأما من كان من كتاب المقالات راسخ القدم، فأعطى فكرة جديدة - كمارون عبود والمقدسي والعقاد والمازني - فقد أفاد بما سمح به وقته. ولسنا نطالب أحداً بأن يعشق المتنبي. وأما أولئك الذواقون الذين أحبوا أحياناً للمتنبي وكتبوا عنها بإعجاب فحسابهم حساب فتية منتديات الإنترنت الذين ينقلون ما يعجبهم من أشعار ويتبادلونها. هواية جميلة، ولا تخلو من فائدة.

وقد آذاني وأنا في معرض مطالعتي ما يتعلق بالمتنبي ظاهرة النقل والنقل. فنحن العرب منذ أن مات الجاحظ قبل ألف ومئتي سنة احترفنا النقل؛ وترى الناقل يذكر المصدر مرة ويغفله مرات. وفي الذكر إثم لا يقل عن إثم الإغفال، فهو يذكر المصدر مرة ليوهمك أنه في المرات التي لا يذكره فيها يكون أبا عذر الفكرة ومبدعها. أرى العرب بعامة قليلي الابتكار، مذهولين عن التفكير، خائفين من قول شيء لم يقله أحد قبلهم، خائفين من الفكرة الجديدة، يطلبون فتوى في كل أمر. وهذا جاءهم من قلة العلم، ومن سطوة القمع السياسي. وقد ساق الله غوغل عقوبة للسارقين.

أصلح الله حالنا. أقولها وما أملني في أن يأتي هذا الصلاح في عمري سوى أمل إبليس في الجنة.

وساق الله في المئتي سنة الماضية جماعة من المستشرقين فتحوا لنا النوافذ، واخذنا نقرب من ضوء الشمس وأيدينا على أعيننا، نرفض أن نحلل ونفهم، ونريد أن نظل نائمين في العسل. ونشط في العالم العربي والإسلامي أشخاص احترفوا المزاجية بين تحليل المستشرقين الهادئ، وبين المسلمات الثقافية والدينية. وأصاب دراسة المتنبي من ذلك ما أصاب كل مناحي الحياة الثقافية القديمة.

درس المتنبي بلاشير وماسينيون، فروى لنا الأول قصة حياته وتحدث عن عصره فآثر كثيراً في الدارسين العرب، وحق له، وسأرجع إليه. وكتب الثاني قصة بوليسية عن عصر إسماعيلي. ولا ندرى! لعلنا لو درسنا تاريخنا دراسة حقة نخرج بنتائج قريبة.

نحن في الوقت الحاضر تركنا المستشرقين بعد أن شتمناهم الشتمة الأخيرة، وخذلنا إلى انتقاء البقع المضيئة من تاريخنا بعناية وتوسيعها والإضافة إليها بالحق وبالباطل، وقررنا أن خير أمة أخرجت للناس أخرجت للبشرية تاريخاً نظيفاً هو بأساطير الأولين أشبه منه بتاريخ الأمم.

ولي على المستشرقين والعرب جميعاً مأخذ في إعادة كتابة تاريخنا. فهم يقرأون حوليات ابن الأثير في الكامل فيرون الرجل يحشر كل البلايا والمصائب في صفحاته ولا يورد غيرها، فيقعون أسرى انطباع مشوه بأن العصر كان مضطرباً أكثر مما على الحقيقة كان. فابن الأثير والطبري وكل أصحاب الحوليات هم كالكفنة الإخبارية: تشاهدها أياماً فتحسب أن القيامة أوشكت. وتنصرف عنها أياماً فتحسب أن العالم نائم في سلام.

رجع الكلام إلى نفس المتنبي

هو قلق وضعيف. ونحن نحب شكواه المتصلة من الدنيا. وهو قليل اليقين بالآخرة؛ ونحن كلنا نحاول جهدنا أن نؤمن بالآخرة، ونلوم أنفسنا على عدم الوصول إلى اليقين، فإذا رأينا من يشبهنا فرَّج ذلك عنا.

والمتنبي اختزن في عقله موسيقى الشعر العربي، وظل يدرسها درساً في أشعار الصائغين الذين سبقوه: أبي تمام والبحتري وابن الرومي. ظل يتفقد شعرهم بالدرس وظل يباريهم، سارقاً في طريقه كثيراً من معانيهم، متجاوزاً اعوجاج طريقتهم في الوصول إلى تلك المعاني، وملتمساً الطريق الأقصر. الأمر لا يقتصر على صوغ المعنى بكلمات أقل. المتنبي يجتهد كي يقول الشيء بعبارة أحلى وأقوى.

وهنا أشبهه بالملحن الذي يسهر الليالي وهو يبحث عن الجمل الموسيقية - الخواطر كما كان محمد عبد الوهاب يسميها - ثم يضعها جانباً بعد أن تتمكن من نفسه، وتتشربها أعصابه. فإذا قعد بعد أسابيع أو أشهر كي يلحن أغنية بدأت الجمل الموسيقية التي اختزنها تأخذ مواقعها داخل إطار اللحن. هكذا كان عبد الوهاب يشتغل. كان يشتغل بطريقة تشبه كثيراً طريقة المتنبي في الشعر.

كان المتنبي يدرس أشعار القدماء. ليس فقط من ذكرنا. بل لقد نُقل عنه أنه قال: «لا يغرب عليّ بيت شعر قديم»، أو كما قال. ولو لم نصدق ما نقل عنه، فلنصدق مناظرته مع الحاتمي، وما تشي به من سعة اطلاعه. أو لنصدق القصص الكثيرة التي رويت عن قوة ذاكرته، وعن حفظه، وعن شرائه الكتب، وعن مطالعته الكتب في جوف الليل على شمعته.

ومن أسباب عظمة شعره التكريس. فهو لم يهتم بشيء من العلوم والفنون إلى جانب الشعر؛ وإن كان قارئاً، وإن كان مثقفاً. كان أبو الطيب من عبيد الشعر.

كانت قريحته طيبة، وكان صاحب ارتجال. ولكن كل شعره العظيم وليد الليالي الطوال. ولا أشك في أن كل قصيدة من خوالده كلفته شمعات كثيرات.

ومن أسباب قوة شعره أنه كان «كالمملك الجبار» - والعبارة لناقد قديم - يهجم على المعنى ويسوقه أمامه سوقاً غير عابئ باللغة: لا بالنحو ولا بالصرف

ولا حتى بدقة المعاني الفرعية. كان يتجاوز الصواب في النحو والصرف. لكنه كان يغلط عن وعي كما أخبرنا ابن جني. وهذا أمر عرفه النقاد المحبون وقرروه. وقد يأخذ أضعف الأوجه، وقد يركب أخشن مركب في استعمال اللغة. كل ذلك وهو يوجه الجهد نحو إخراج معنى قوي في صيغة لغوية قوية. والنتيجة: صيغة غير معهودة في العربية، ولكنها تصبح جزءاً من اللغة لأن المتنبي استعملها، وقال فيها كلاماً بارعاً أصاب كبِدَ المشاعر المشتركة بين أبناء هذه اللغة.

لكنه تعسف في استخدام الألفاظ، وتفاسح وتبذى. وعندما سأله ابن جني عن شيء قال له أبو الطيب ما معناه: أَوْتَظَنَ أَنَّنِي أَقُولُ هَذَا الشَّعْرَ لِهَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ، بل إنني أنظر فيما أقول إلى أولئك النحاة واللغويين. ولهم أقول ما أقول.

كانت نتيجة هذا التفاسح، والتحدي لأصحاب اللغة أن يضع مئات من أبيات المتنبي جاءت مرذولة مصطنعة لا روح فيها. وقد يسر هذا علينا الاختيار كثيراً.

المتنبي لص المعاني ليس كل المتنبي. ولو نظرت إليه من ثقب السرقات لما رأيت سوى جانب منه، وهذا ما صنعه جل منتقديه القدماء. هناك المتنبي الذاتي. وها قد دخلنا باباً جديداً يفضي إلى عظمته.

عاد المتنبي بالشعر العربي إلى عصر الذاتية الجاهلية. فالشاعر الجاهلي كان يقول الشعر متغنياً بنفسه ويقومه، حرّاً. وجاء المتنبي فكان جاهلي التفكير، أنانياً. ولم تكن له قبيلة يضطر إلى أن يدافع عنها. بل كان ما يحركه طمعه وحبه وغضبه وطموحه.

في عصر المتنبي استرخى عنان القصائد ولانت، وبدأت تسير كالقطيع المطيع في طريق مههد. فالشعراء متعلمون، حضروا دروس الفقه والحديث، وشهدوا مناظرات النحاة والمتكلمين. أصبحوا مثقفين. وصار شعرهم مملوءاً بالمنطق. لم يعودوا مثل مجانين الجاهلية. وجاء المجنون الأكبر المتنبي فكان مثقفاً مثلهم، وأوسع وأعمق ثقافة منهم، لكنه كان مجنوناً في نفسيته، أقصد: كان متميزاً متفرداً غريباً.

أحسب أبا الطيب كان رجلاً قليل الكلام. هذا ما تنبئ به مطارحاته

المبتسرة مع ابن جني ومع الحاتمي. وأحسبه كان يعاني جنون عظمة سريراً؛ وقرأ ما اخترته لك من شعره ففيه البرهان. وأحسبه كان قليل الاحتفال بالنساء، ليس فقط لأنه قال ذلك كثيراً، ولأن معاصريه قالوا ذلك عنه، بل أيضاً لأننا نراه يفضل أن يستفرغ طاقته في الترحال وفي ملاحقة سراب آخر هو السلطة.

كان عطشان للمال وللسلطة. وظل إلى أن مات - عن خمسين سنة شمسية - طفلاً لا يرضى أن يلعب مع أقرانه إلا إذا كان زعيم اللعبة. وكان ذكياً. لقد سُرَّ بالشهرة الكبيرة، ولكنها زادته عطشاً. لم يستطع أن يترك السعي وراء السلطة، بمعنى التسلط والتحكم في أقدار الناس. كان قلقاً يريد الوصول بشخصه إلى التفوق في كل شيء.

محاولة لكتابة سيرته

ولد سنة ٣٠٣هـ.

نراه صبياً صغيراً في الكوفة، على حافة الصحراء، وهي بلدة عامرة ببقايا العلماء ومجالس العلم. أبوه سقاء، في أغلب الظن، يبيع الماء ويستأجر صبياناً يحملون الماء للبيوت - وهذا محض افتراض وافتراء من عندي - فهو من شريحة متدنية من الطبقة الوسطى؛ فلست أصدق أن الطبقة المدقعة تستطيع إنتاج شاعر أو أي فرد متميز. ولعله فعلاً كان من أسرة علوية محترمة النسب، فجذته تقرأ وتفك الحرف. وهي ترعاه وترسله إلى الكتاب. وفي الكتاب ينبغ صغيراً، ويلتقط سريعاً جرثومة الشعر. ويقرأ كثيراً ويرتاد دكاكين الوراقين.

ويضطرب الوضع السياسي كثيراً على الصعيد المحلي، فالفتنات الخارجة على السلطان - من القرامطة - تغير على البلد مرة بعد مرة، والخلافة مفككة والدولة الإسلامية في هذه الفترة من العصر العباسي فيها فلتان أمني وسياسي.

وأريدك ألا تندesh من كلمة «قرامطة» اندهاش ماسينيون وبلاشير وطه حسين. ونحن قد شهدنا في جيلنا الشيوعيين والبعثيين والناصريين والفتحيين والإخوان المسلمين وعاشرناهم، فوجدنا العقيدة أقل الأوجه أهمية في نفسيات أهل تلك الشيع. ترى الشيوعي يحتفظ في مكتبته بالبيان الشيوعي لكارل ماركس، ولكنه يعيش حياته ويمارس تجارته ويتخذ الحزب الشيوعي عائلة أخرى له، أو قل جمعية يمارس فيها طموحه السلطوي، فإذا أمسك الشيوعيون

بالحكم تحسن وضع تجارته إن كان تاجراً، وضمن لولده وظيفة في الحكومة. وإذا ظلوا خارج السلطة فهو رجل معارض يدخل السجن مرة أو مرات ثم يعود لمواصلة حياته، ويتزوج من ابنة رفيق له، ويستفيد من العلاقات داخل هذه المنظومة الاجتماعية التي اسمها الحزب الشيوعي. وليعذرنا الشيوعيون على اتخاذهم مثلاً. ولك أن تضع مكانهم أياً من أهل الأحزاب التي ذكرناها آنفاً. هذه العقائد تفقد داخل أحزابها كل مضمونها الأيديولوجي ويبقى لها الجانب الاجتماعي - الاقتصادي. ومثل حزبي جيلنا كان القرامطة. وكانوا قطاع طرق من بدو الصحراء، يغيرون على المدن التي على أطراف الصحراء للذهب، ويغلفون هذا الفعل الاقتصادي بغلاف عقائدي. وقد تنشأ علاقات بينهم وبين فقراء المدن المنكوبة بهم. ولعل أسرة المتنبى كانت فعلاً من الطبقة المتوسطة التي تنحدر بالتدرج - وهذا قدر الطبقة الوسطى: إما أن يكون الفرد فيها منحدرًا ببطء نحو الفقر، أو صاعداً بسرعة نحو الثراء -، ولعل أبا المتنبى رحل به للصحراء مرافقاً القرامطة بعد غزوة من غزواتهم للكوفة.

يأخذ الأب ابنه إلى الصحراء وهو في سن الثالثة عشرة. ويعيش شظف العيش ويعرف شريعة الصحراء من كتب. ويتعلم الابن الكثير عن الصحراء: عن الخيل والإبل، وعن الطرق؛ ويتعلم الصبر على العطش، ويعرف الناقة والجمال معرفة ستنتفعه في المستقبل عندما سيقطع سيناء هارباً من وجه كافور. ويقيم علاقات مع شبان وصبية قد يلتقي ببعضهم في رحلات كثيرة له بعد أن يبلغ.

يعود إلى الكوفة، ويعود إلى مدرسته. ويبدأ يقول شعراً. ويكبر، ويحسن أكثر بمدى أهمية المال، ويمدّى فداحة فقدانه. فأسرته لا تعيش في الجاهلية، بل في مجتمع حضري مادي يحترم الرجل على قاعدة معك قرش تساوي قرشاً. المتنبى رأى الأرض تهتز من تحت قدمي أبيه. رأى العائلة تنحدر. وشحنه هذا بشحنة قلق كبيرة. ولعل عدداً كبيراً من الأدباء القلقين يستمدون أسباب قلقهم من نشأتهم في أسرة تنحدر طبقياً.

كان واضحاً للمتنبى أن ذكائه وقوة تحصيله الدراسي يعطيانه فرصة لما هو أفضل من وراثة صنعة أبيه أو وضعه الاجتماعي.

غادر العراق إلى الشام يافعاً. ولم يكن العراق عراقاً ولا الشام شاماً أيامئذ، بل كانت بادية الشام - العراق مساحة رمادية واسعة. وفي هذه البادية

وجد المتنبى مجالاً للمغامرة. فراح يغامر ويلعب مع البدو، واستغل سذاجتهم، وهو ابن الكوفة العارف بدهاء الحضرة، وابن الصحراء المتمرس بها وهو صبي. ولعله اتخذ سميت الرجل الداعية إلى مذهب جديد، أو لعله شكل فرقة غازية تقطع الطرق وتتخذ لنفسها توليفة من الأفكار الإسماعيلية لتكون بمثابة فرقة سياسية دينية. فالغزو يرضي البدو لأنه يعود عليهم بالمال، والأفكار الغربية في الدين لا تهم البدو كثيراً، لأن الدين في حياتهم - كان وما زال - حاشية قليلة الأهمية.

وعندما ألقى أمير حمص القبض عليه وجده فتى في العشرين أو تحتها، فحبسه. وكان في حاشية الأمير بعض الفقهاء الذين يذوقون الشعر فقالوا له: هذا يقول في قصيدته إنه مثل عيسى ومثل صالح نبي ثمود؛ هذا يدعي النبوة. وبعض الفقهاء يحبون تكفير الناس - هواية أزلية فيما يبدو، أو طريقة للحفاظ على موقعهم وإثبات أن هناك شغلاً يشتغلونه -، فكفروا المتنبى. يظهر أن صغر سنه شفع له بعض الشفاعة، على أن الأمير حبسه سنتين. وقال المتنبى في حبسه شعراً جميلاً، وأعلن توبةً غير نصوح. ولكنني لم أجد من الدارسين من تعمق في درس أثر هاتين السنتين في نفس المتنبى.

ليس عندي من الخبرة في هذا المجال ما يُعيني على درس كهذا. ولكنني أظن أن سنتي الحبس هاتين علمتاه الاحتياط؛ لكنهما زادتا من اشتعال روحه بالثورة والغضب واحتقار من هم أقل منه ذكاء وتحصيلاً. صار الرجل ذاتياً على طريقة نيتشة، يحتقر الضعيف والأقل قدرة وذكاء. أصابته لوثة جنون العظمة، وآمن بأن الغاية تبرر الوسيلة.

بعد السجن طاف بالأمراء الصغار يمدحهم ويتزلف إليهم ويستعطيهم. وبدأ شعره ببطء يلفت الأنظار. وكان بدر بن عمار الأمير الذي فجر قريحته. وعلى جانب بحيرة طبرية عاش أبو الطيب المتنبى في حاشية بدر بن عمار يقول الشعر ويرافق الأمير.

مر به قبل بدر ولاة وحكام وقضاة وتجار حاول الوصول إليهم، فنجح قليلاً ولم يصب مالاً يذكر. كان يقيس نفسه بنفوسهم وعقله بعقولهم فيرى نفسه أذكى، وأوفر علماً على صغر سنه، ويجد نفسه أفصح منهم لساناً، وأقوى عزيمة. فكان بركان غضبه لا يكاد ينطفئ. وظل ينسى أن الحكم، وإدارة البشر، يحتاجان إلى هدوء نفس ومعالجةٍ للحلِّق وفهمٍ لتوازن القوى، وأناةٍ

وحصافةٍ وقدرةً على القرار السريع الجريء، وقدرةً على التمهّل في اتخاذ القرار أيضاً. لم يفهم الفتى الغر ذلك، لأنه في أوائل العشرينات من عمره. كان - وسيظل - نزقاً شديداً الاعتداد بنفسه. كان قدره أن يكون شاعراً لا أميراً.

ولم يكن ميسوراً له أن يعود إلى الكوفة ربما لعداوات خلّفها هناك. فماتت جدته وهو بعيد عنها فحزن لموتها.

واتصل بأبي العشائر الحمداني ابن عم الأمير سيف الدولة، ومدحه في أنطاكية. ووصل إلى سيف الدولة الأمير الشاب، وهو لِدته، فمدحه وحارب معه، ووصف معاركه مع الروم ومع الأعراب المتمردين، وظلّ عنده تسع سنين قال فيها شعراً عظيماً. ثم ازداد توتره، وطلبت نفسه التغيير. وصار يجد الذرائع لقلق نفسه فيزعم أنه لا يأخذ حقه مع أن سيف الدولة جعله شاعره المفضل وأفاء عليه مالاً وفيراً؛ ولكن نفسه القلقة، وعقله الذي لا يحب التكرار أمراه أمراً بأن يغادر، فأدخلته نفسه في شجارات، وصنعت له عداوات. وغادر المتنبي سيف الدولة بلا وداع ولا استئذان، والتمس دعوةً من كافور حاكم مصر، فجاءته سريعاً فرحل إلى مصر، وأقام بها أربع سنوات ونصفاً يمدح كافوراً الإخشيدي، ويطالبه بتوليته بلداً أو ناحية. ولكن كافوراً ظلّ يطله، ففر المتنبي من مصر، وقطع صحراء سيناء ثم بادية الشام في نحو ثلاثة أشهر، ووصل إلى الكوفة مسقط رأسه. وزار بغداد ومكث بها أشهراً، وانطلق إلى أرجان، وهي اليوم حصن خرب في غرب إيران، وكان ينتجعها آنذاك ابن العميد وزير ركن الدولة، فمدحه، وأقام عنده شهرين. ثم انطلق جنوباً إلى شيراز فمدح عضد الدولة ومكث عنده ثلاثة أشهر. ثم عاد إلى العراق. وقبل أن يصل إلى بغداد بمرحلة خرج عليه الأعراب فقتلوه وسلبوا ماله.

ديوانه

يضم ديوان المتنبي بحسب إحصاء شارحه الواحدى ٥٤٩٤ بيتاً. وقد قرئ عليه ديوانه في شيراز في شعبان قبل مقتله بشهر، وكان قرئ عليه في بغداد والكوفة. ولشهرة المتنبي الكبيرة ظلّ ديوانه بين الأيدي، ولم يكفّ الناس عن انتساخه وروايته طوال الألف سنة المنصرمة. على أن عكوف عدد من أصدقائه - الذين قرأ عليهم ديوانه في أواخر حياته - على شرح الديوان والعناية به، وتوفر أعدائه - وكانوا كثيراً، وناصبوه العدااء حياً وميتاً - على الطعن في ديوانه

واقْتباس أبياته في كتبهم، كل هذا أسهم في تخليد الديوان. ولم يختلف الرواة إلا على كلمة هنا وكلمة هناك. وديوان المتنبي الذي بين أيدينا من أصح الدواوين التي وصلتنا.

سيرة المتنبي في صياغة أخرى

ولد أحمد بن الحسين الجعفي الكِنْدِي الكوفي، المكنى بأبي الطيب، والملقب بالمتنبي، في عام ٣٠٣هـ وقتل في ٢٨ رمضان عام ٣٥٤هـ.

ولد في محلة كندة بالكوفة، ودخل الكتاب ففتح ذهنه على المعارف صغيراً، وقال الشعر صغيراً. وخرج مع والده إلى الصحراء مرتين لاحقين بالبدو الذين أغاروا على الكوفة: مرة والصبي في التاسعة من عمره، ومرة وهو في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة. وذهب المتنبي وهو في نحو السادسة عشرة إلى بغداد مرة أو أكثر، ولعله التقى ببعض علمائها. ومدح في العراق وهجا، وقال شعراً أثبتته لنا في ديوانه، ربما من باب الاعتزاز بهذا الشعر الباكر. ثم رحل إلى شمال الشام وهو في الثامنة عشرة، ومر بمنبج. ثم ساح في الصحراء مع البدو، منخرطاً في نشاطات قد يكون من بينها قطع الطريق، ولكن من بينها ممارسة التطرف الفكري مع شبان ورجال سمعوا أطرافاً من الأفكار الدينية غير المألوفة في المدن الكبرى. وظفر به وبجماعة من صحبه أمير حمص لؤلؤ، الذي كان يتبع الإخشيد صاحب مصر. وحبسه لؤلؤ نحو ستين.

خرج من الحبس وقد عرف وجوب التحلي بالحدَر. وراح يمدح الأثرياء والقواد في منبج وأنطاكية واللاذقية وطبريا وطرابلس وطرسوس وجرش ودمشق والرملة. مدح منهم ٣٢ رجلاً. مدح عرباً تنوخيين وطائيين في شمال بلاد الشام، ثم صحب بدر بن عمار قائد الجند في طبرية زمناً وعانى من دسائس حاشيته، وعانوا هم من قلقه وعُجبه. فانصرف إلى شمال بلاد الشام من جديد مادحاً القادة والكتاب والقضاة.

في عام ٣٣٦ اتصل المتنبي بأبي العشائر والي أنطاكية التابع لابن عمه سيف الدولة أمير الحمدانيين في حلب. ومدح المتنبي أبا العشائر. ثم انصرف إلى الرملة بفلسطين، ثم عاد في السنة التالية ٣٣٧ إلى أنطاكية فقدمه أبو العشائر إلى سيف الدولة الذي حل بأنطاكية ستند.

مع سيف الدولة: انقطع المتنبي إلى سيف الدولة نحو تسع سنوات، قال

فيها قريباً من سبعين قصيدة وقطعة. وقد أكرمه سيف الدولة وأقطعه قرية اسمها سبعين - وجاء اسم القرية مع السبعين قصيدة في سطر واحد بمحض الصدفة، ولا أحس في نفسي نشاطاً لكي أفصل بينهما -، وأعطاه الأمير مالاً كثيراً وفضّله على كل الشعراء، وكانوا في بلاط سيف الدولة كثيراً. وحسده الشعراء والعلماء، وملوا من قلقه ومن اعتداده بنفسه، ومل سيف الدولة أيضاً، فكان بين الفينة والفينة يسمح لهم بالتطاول على المتنبي، فيتوتر شاعرنا ويشكو ويتألم، ويقول شعراً في ذلك كله. وكان المتنبي شجاعاً، وقد وكل به سيف الدولة من علمه ركوب الخيل واستخدام السلاح كأحسن ما كان يكون ذلك زمانئذ. وصحب المتنبي أميره في حملاته على الروم وعلى الأعراب. وكان المتنبي يحترم سيف الدولة لكرمه وشجاعته وحلمه، ولثقافته، وكان يحب فيه أيضاً تذوقه لشعره.

كان سيف الدولة يحكم شمال سوريا، بينما يحكم أخوه شمال العراق، وكان بينهما صلة ود في الغالب، وكانا يتبعان الخليفة العباسي في بغداد، ويحكمان باسمه مع استقلال ذاتي كبير جداً. والدولة الحمدانية الغربية في ظل سيف الدولة - وهي التي تعيننا هنا - كانت دولة حدودية تنفق قسماً كبيراً من مالها في مناوشة الروم البيزنطيين شمالاً، ولا تدخر جهداً في حماية المدن والقرى من غارات البدو. ولعل مصدر الدخل الرئيسي للجيش والبلات كان الإتاوات الكبيرة التي يفرضها سيف الدولة بوساطة ولاته على القرى والمدن المزدهرة في منطقة خصبة تمتد من حمص إلى حلب ومن شاطئ المتوسط إلى الجزيرة الفراتية.

عاش المتنبي في كنف سيف الدولة راضياً بالحرب والضرب سعيداً بهذا القلق الخارجي الذي يخفف من قلق داخلي كانت تعج به نفسه. كان الخطر أفيون روحه، وكان لعبته.

لقد رأى المتنبي في صباه وشبابه كيف تقوم الدول على أكتاف رجال عاديين مثله: رأى مؤنس الخادم يتولى الأمر في بغداد، ويتسمى بأمير الأمراء (وكان المتنبي في الرابعة عشرة)، وفي السنة نفسها رأى بني حمدان يؤسسون دولتهم في الموصل بشمال العراق. وعندما بلغ المتنبي السابعة عشرة سمع بتولي محمد بن طغج مصر وتأسيسه دولة فيها منفصلة إلى حد كبير عن دار الخلافة. وفي السنة نفسها (٣٢٠هـ) رأى دولة البويهيين تنشأ في فارس ثم تمتد

إلى العراق، وتتحكم في عاصمة الخلافة العباسية بغداد بعد سنوات قلائل. ورأى ابن العميد الأديب الكاتب يتولى الوزارة في ناحية بفارس للبويهيين (وكان ابن العميد آنذاك في الثامنة والعشرين من العمر بينما المتنبي في الخامسة والعشرين). وعندما بلغ المتنبي الثلاثين، وكان يمدح الكبراء في سوريا وفلسطين، رأى سيف الدولة علي بن أبي الهيجاء الحمداني يستولي على حلب.

كان عصرًا أسرع فيه التفكك إلى جسم الدولة العباسية. ليس أنها لم تشهد من قبل استقلال بعض الأمراء في المناطق البعيدة عن بغداد، ولكن الاستقلال الآن كان أكبر، وازدحمت الحركات الانفصالية الناجحة في فترة تشكّل وعي أبي الطيب المتنبي. فكان طبعياً أن يتجه طموحه إلى أن يكون أميراً أو وزيراً أو والياً.

قرأت في بعض كتب الإدارة أن شهوة التحكم في الناس، والتصرف بأرزاقهم وعزلهم وترقيتهم، شرط مهم للمدير الناجح.

ولا أكاد أشك في أن المتنبي امتلك نصيبه ونصيب عشرة آخرين من هذه الشهوة. وقد شهد أمثلة حية، في سنوات تكوينه، على نشوء الإمارات. لكنه لم يمتلك من الشروط الأخرى، للمدير الناجح أو للأمير الناجح، إلا القليل. فهو يقول إنه فاتك شديد البطش، وهذا سبب يدعون لتكذيبه، فالفاتك البطاش لا يقول عن نفسه ذلك؛ وهو يقول إنه حليم وحكيم، فأما الحلم فلا نظن صاحبنا ذاقه أو أذاقه أحداً، وأما الحكمة فكانت تتدفق من فمه مع الشكوى كأثر جانبي. أو لعله كان يدرك الدرس بعد أن يخفق في مسعى من مساعيه. والحكيم من يتعلم من أخطاء غيره، لا الذي يتوجع من سقطاته. كانت له فلسفة في الحياة والموت معجونة عجنًا بالتذمر، وهذا - أيضاً - شيء غير الحكمة. فإذا قرنت إلى كل تلك النواقص والعاهات في شخصيته ذكاءً حاداً، وعلماً غزيراً وفصاحة نادرة المثال، ونفساً قلقة خِلقة، فالنتيجة شاعر عظيم.

كنا نقول إن المتنبي حارب الروم والأعراب مع سيف الدولة. وعمل في الوقت نفسه وزيراً للإعلام عنده. كان كوزراء الإعلام في الدولة المتخلفة في زمننا الحاضر. يمجّد زعيمه، ويصفه بكل ما يمكن وما لا يمكن أن يكون في البشر من محاسن، ويبالغ ما شاء له. ويبرر هزائمه، ويرافقه في جولاته، ويحضر مجلسه. وكان سيف الدولة يعرف أثر ذلك في تكبير صورته، وتعظيم أفعاله في عيون منافسيه وأعدائه وحلفائه. كان المتنبي موظف علاقات عامة

ممتازاً. وكانت شهرته قد توطدت، فلم يعد ينافسه أي شاعر في المشرق ولا في المغرب. كان يوجه وخزاته إلى بغداد وأمير أمرائها البويهى معز الدولة وخليفته المطيع لله ويذكرُ البغداديين الرافلين في حياتهم الهائلة بأن هناك قوماً في الثغور يصدون الروم، وأنه لولا سيف الدولة لربط الروم خيلهم بنخيل العراق وسدر مصر.

عاش المتنبي حياة حافلة في بلاط سيف الدولة، لكنها لم تكن هادئة ولا هائلة. فهو لا يحتمل حياة الاستقرار. ولولا ما كان يناله من سيف الدولة من مال جزيل، وما كان أبو الطيب يكتنه لأميره من حب واحترام لما دامت إقامته في حلب التسع سنوات.

عند كافور: تفاقم شعور الحصار داخل نفس المتنبي، فرحل عن حلب دون استئذان. تسلل إلى ضيعته سبعين، ومنها انحدر جنوباً فوجد نفسه في دمشق التي تقع تحت حكم الدولة الإخشيدية بمصر. ثم انحدر جنوباً فوجد نفسه في الرملة بفلسطين وهي أيضاً تحت حكم المصريين، فمدح واليها ابن طنج، وفيها تلقى دعوةً للالتحاق بعاصمة الأخاشدة الفسطاط، وهي القاهرة القديمة، فوصلها عام ٣٤٦هـ. وكان الحاكم في مصر كافوراً. وهو نوبي تدرج من العبودية إلى السلطة بعد موت الإخشيد عن ولدين صغيرين. كان كافور حكيماً رزيناً عاقلاً حليماً تقياً، أكسبته سنوات العبودية معرفة بالبشر وصلابة، وكان داهية. وقد أدرك قيمة المتنبي. وأراد أن يكسبه، وأن يسلب منافسه سيف الدولة هذا الصوت الرنان المؤثر.

بدأ المتنبي فوراً يطالب كافوراً بمنحه ولاية يديرها. وتحير الرجل في هذا الشاعر الأحق الذي يريد الولاية مثلما يريد الصبي لعبة. ولعله وعده «خيراً»، دون تحديد طبيعة هذا الخير. أغدق عليه مالاً، ورفع عنه الحجاب، وحاول استرضاءه. ولكن المتنبي جاء كافوراً وفي نفسه اشمئزاز. لم يطق رؤية عبد سابق، أسود اللون يحكم بلاداً واسعة، فمدحه مدحاً فاتراً، وتأنف كثيراً وشكا الزمان شكوى مرة. وبعد سنتين مل انتظار كافور فاستأذنه في أن يمدح وزيره فاتكاً، الذي كان اختلف مع كافور فاعتصم بإقطاعيته الفيوم. فأذن له كافور فمدح فاتكاً. ولكن فاتكاً مات بعد أقل من سنتين. وبعد موته بشهرين دبر المتنبي أن يرحل عن مصر هارباً. فقد عرف أن كافوراً لن يأذن له بالرحيل، خاصة بعد أن جهر بتذمره من كافور، وبعد أن شاع أنه هجاه.

بعد أربع سنين ونصف مكثها في مصر رحل المتنبي، تاركاً فيها شعراً في هجاء كافور عند أصدقاء له كي يذيعوه بعد فراقه. وكان المتنبي صنع شيئاً مشابهاً في طرابلس قبل سنين كثيرة. وفي الحاليتين نجا من عواقب هجائه. وإن لثالث الحالين شأناً آخر، وسيأتيك خبره.

سار المتنبي سيراً حثيثاً قاطعاً سينا. ثم قطع بادية الشام، متجنباً مدن فلسطين ودمشق التي كان يحكمها ولاية كافور. وبعد ثلاثة أشهر وصل إلى الكوفة مسقط رأسه. كان قد حمل معه من مصر كل ثروته، وكانت طائلة، رغم شكواه من أن كافوراً كان يأكل زاده بدل أن يطعمه. أراد أن يستقر في الكوفة التي غاب عنها ثلاثين سنة. وهو الآن رجل في الثامنة والأربعين وله شهرة عريضة وعنده مال وفير.

تسلى المتنبي في الكوفة بهجاء كافور. وهجا ضبة بن يزيد بقصيدة لاذعة بعد أن تعرض له ولأصحابه في طريق وشمهم. ومدح القائد دلير بن لشكروز الذي جاء على رأس جيش إلى الكوفة لصد غارة شنها البدو.

زار أبو الطيب في هذه السنوات الثلاث التي قضاها في مسقط رأسه الكوفة، زار بغداد وأقام بها بضعة أشهر. لم يمدح الخليفة العباسي لأنه لم يعد أحد يمدح الخليفة. ولم يمدح أمير الأمراء البويهري معز الدولة لأنه فيما يظهر لم يكن يكثرث للشعر. على أن شاعرنا لم يمدح أيضاً وزير المعز محمداً المهلبى. وتلك مسألة أخرى، فالمهلبى رجل أديب شاعر. تجاهله المتنبي، فحنق الوزير وأغرى من في حاشيته من الأدباء بنقد المتنبي والغض من شعره. وغمز شعراء بغداد عليه فشموه، فلم يعبأ المتنبي بهم. والتقى في بغداد بعشاق شعره الذين قرأوا عليه ديوانه وحققوه. وكان ممن قرأه عليه ابن جني اللغوي المعروف.

وأرسل المتنبي إلى سيف الدولة بضع قصائد مدح، وقصيدة في رثاء أخته الكبرى. وأرسل إليه سيف الدولة الهدايا الثمينة، ووجه إليه دعوة مكتوبة بخطه للعودة إلى حلب. ولكن المتنبي تردد، ثم أثر عدم الذهاب متعللاً بأن الحاسدين ما زالوا يترصدونه. ولكن المتنبي ما كان ليعود إلى حلب، فهو كان تركها ملأً وقلقاً. كان الحاسدون الذريعة لا السبب وراء تركه حلب.

وفي سنة ٣٥٤ غادر المتنبي الكوفة وانطلق إلى الأهواز فأرجان داخل بلاد فارس. وفي أرجان أقام شهرين عند أبي الفضل ابن العميد وزير ركن الدولة

البويهى. ومدحه بثلاث قصائد. وأراد القفول إلى الكوفة، ولكن أمير شيراز عضد الدولة البويهى، ابن عم معز الدولة أمير الأمراء في بغداد، استدعاه. وشيراز تبعه عن أرجان نحو ربع المسافة التي قطعها المتنبي من الكوفة إلى أرجان. فليذهب كي يمدح الأمير عضد الدولة.

أقام المتنبي في بلاط عضد الدولة ثلاثة أشهر قال فيها ست قصائد وقطعة وأرجوزة طريفة سجل لنا فيها خروجه ضمن حاشية عضد الدولة في رحلة صيد بمنطقة دشت الأرزن على بعد كيلومترات إلى الشمال الغربي من شيراز؛ كانت له المشاركة المتوقعة في حياة البلاط. ونال من عضد الدولة مالاً كثيراً. وفي شيراز قرئ عليه ديوانه. وفي شعبان من سنة ٣٥٤ استأذن عضد الدولة بالمغادرة على أمل عودة سريعة، ورحل.

وفي العراق، غير بعيد عن بغداد، خرج عليه فاتك الأسدي في جماعة من البدو، فقتله وقتل ابنه وغلمانه وسلب ماله.

وأوثق ما لدينا بشأن مقتله رساله كتبها أبو نصر محمد الجُبلي. وهذا رجل من معارف المتنبي في مدينة واسط. نزل به المتنبي في الطريق فحذّره أبو نصر من أن فاتكاً الأسدي، خال ضبة الذي كان المتنبي هجاء هجاء مقذعاً، يترصده. ونصحه أبو نصر باصطحاب حرس. ولكن المتنبي أبى مستهيناً بالخطر.

المتنبي والنقاد

مرت على رأس المتنبي أنماط من النقد كثيرة وهو حي، ومرت على جمجمته أنماط أكثر وهو ميت. فلم تبق نزعة نقدية، ولا طريقة تذوقية إلا وضعت ديوان المتنبي على منضدة التشريح.

ثمة الناقد المؤرخ، الذي يسجل مراحل حياة المتنبي، ويعقد الفصول الضافية لحياة ممدوحه، وللسياسة في عصره، ويفتح الأبواب لدرس تطوره الفكري وعلاقاته بالرجال والنساء. وهذا نمط جاءنا من الغرب، من المستشرقين. وفتح أبوابه ريجيس بلاشير بكتاب له كبير ومهم عن المتنبي. وقد تُرجمت من هذا الكتاب فصول بُعيد صدوره عام ١٩٣٥، وانتظر بضعة عقود حتى ترجمه إبراهيم الكيلاني الحموي الدمشقي ترجمة كاملة ممتازة. اتكأ على بلاشير طه حسين الذي أصدر كتابه (مع المتنبي) بعده بسنة. وسار على هذا

النهج النقدي (التاريخي) محمود شاكر الذي نشر كتابه قبل طه وبعد بلاشير، على أنه لم يطلع على كتاب بلاشير لعدم معرفته بالفرنسية، وإن كان ألم بمنهج المستشرقين الذين عرف منهم في الجامعة المصرية اثنين على الأقل هما نلينو وجويدي، وعرف ثالثاً هو مرجوليوت الذي قرأه بالإنجليزية.

وثمة الناقد المشرّح. وأول ما يفعله المشرّح أنه يقتل الأرنب قبل البدء في تشريحها. ومن النقاد المشرّحين معظم شراح المتنبي. ويختلفون في تشريحهم، فبعضهم ينقد اللغة كالعكبري، وبعضهم ينصرف إلى المعنى كالواحدى. وبعضهم يلتفت إلى المحسنات اللفظية والمعنوية. وكلهم مجهرى في نقده، ينظر إلى الكلمة والعبارة لا إلى القصيدة، ولا إلى روح الشاعر. وسترانا في شرحنا لهذه المختارات نصنع صنعهم، فنحل البيت حلاً، أي نقله إلى نثر، وبلغه معاصرة طلباً لإيصال معناه دون أي شيء آخر إلى القارئ المعاصر. والناقد المشرّح دارس لناحية معينة، ولا لوم عليك إن أخرجته من جملة النقاد ووضعه في زمرة الشارحين.

وثمة الناقد صاحب الميزان. وهذا الناقد قد يكون حريصاً على ميزانه أكثر من حرصه على الحق. فهو مثل تلفزيون البي بي سي العالمي في حرب إسرائيل على غزة (٢٠٠٨ - ٢٠٠٩) إذ قتلت إسرائيل فوق الـ ١٤٠٠ فلسطيني جلهم مدنيون، وفقدت ستة جنود، ولكن تلفزيون البي بي سي خرج بعد انتهاء المذبحة متوازناً: أنحى باللائمة على الجلاّد وعلى الضحية بالقدر نفسه. ترى الناقد صاحب الميزان يوازن بين شاعرين، فيزيد في حسنات المقصّر ويقلل من حسنات المتفوق حتى تعتدل كفتا ميزانه. ويميل يميناً ويسرة، ويختبئ وراء ستار ثم يبدي لك نصف وجهه، ثم يخرج عليك خروجاً مسرحياً: كل ذلك لكي يزيد من الدراما ويجعل مسرحيته «تحرز» سعر بطاقة الدخول. فإن اخترت على هذا التشبيه أن تشبهه بالقرد الذي احتكم إليه الهَرَّان في قطعة جبن فقسّمها قسمين وظل يقضم من هنا ومن هنا حتى أتى عليها، فلم تبتعد كثيراً.

وأشهر أمثلة ذلك كتاب الآمدّي في الموازنة بين البحري وأبي تمام. فقد أسرف فيما ذكرت لك حتى إنني حمدت كسل الناشر الذي أخرج جزأين، ونام عن الثالث زمناً، ثم جاء الثالث فلم نجده خيراً من أخويه. أما أبو الطيب فقد نال هذه المعاملة من القدماء كثيراً. كانوا يتسلون في مجالسهم بعقد المباريات والتصفيات بين الشعراء، وعندما جاء الجرجاني ليتوسط بين أبي الطيب

وخصومه لم يزد على أن عقد مباراة كبيرة. والخطورة في مثل هذا النقد أنه يميل إلى «حساب الكميات». وأبرز أركان هذا النوع من النقد كشف السرقات. وقد نال المتنبي من هذه الكشف عدداً كبيراً. ترى صاحب كشف السرقات يذكر بيت المتنبي ويذكر ما يشبهه من بيت قديم. ويسرد عليك الأدلة على أن المتنبي أخذ المعنى، أو اللفظ، أو كليهما من البيت القديم. ثم يوازن بينهما، ثم يحكم إن كانت سرقة أم لم تكن، ثم يحكم بمسامحة السارق - ولهذا شروط -، أو بلومه - ولهذا دركات -؛ وتخرج أنت من جلسة المحكمة هذه، وقد تبدد في نفسك روح البيت. لكنه نمط من النقد. ولست ضد اتباعه حتى في زمننا المعاصر. لكنني قد ذكرت عيوبه. وما أحبه في هذا النمط من النقد عند القدماء أنه يطوف بي على معاني الشعراء في رحلة سريعة أحس لها بإيقاع مطرب. لذا لم أكن شديد الاستياء من الحاتمي في رسالتيه ومن ابن وكيع، والبديعي وصاحب اليتيمة، وكثير من الشراح. كل القدماء أقاموا أبا الطيب على هذا الطّغ.

وثمة الناقد القادح. فهذا صاحب سفود يريد أن يشوي الشاعر لا غير. وفي نقده فائدة: للشاعر شهرته أساساً، وللقارئ ثانياً. هذه أحسن وسيلة دعاية. ولم يعرف الشعر العربي شاعراً لقي من القدح النقدي مثلما لقي المتنبي. وقد أعطاه القادحون، بخلاف الشهرة، هدية ثمينة. لقد لفتوا النظر إلى محاسنه ببيانهم عيوبه. لكثرة كلامهم على عيوبه، يأخذ المرء يلتفت إلى شعره العالي فيقدره حق قدره. ولا تعدم، حتى عند أكبر القادحين، ومنهم صاحب والحاتمي وابن وكيع، أقول لا تعدم عندهم التفاتة عدل. فتراهم يقرون في سطر مختبئ بين مئات سطور القدح بأن للرجل إحساناً. وترى هذا السطر يبرز بروزاً قد لا يكون مرضياً لهم. ولكن.. تلك شهادة الأعداء، تتوهج في ظلام نقدهم.

وثمة الناقد المادح. وهذا الناقد قد تأخذه الحال، فيصبح دروياً للمتنبي، فلا يعود يرى له شيئاً يعاب. وقد ينزلق فيرى محاسن غير موجودة. وقد صنع مارون عبود هذا الصنيع عندما بدأ يغني على قيثارة عروبة المتنبي غناء في غاية الجمال، وانحرف فيه عن الحق كل الانحراف. على أنني - وقد ذكرت مارون عبود - لا بد أن أقول إن الصفحات التي كتبها عن المتنبي في (الرؤوس)، الصادر عام ١٩٤٥، من أعمق وأقوى ما كتب عن الرجل في قديم

وحديث. نعم قد خاض مارون خوضاً دونكيشوتياً في المحاماة عن الرجل، ولكنه صدّر في فصوله تلك عن فهم عميق للمتنبي وللشعر العربي. ومن سوء حظ المتنبي أنه كبير جداً إلى درجة أن كثيرين من النقاد المحبين له كانوا يجتنبون تمجيده خوف أن يخرجهم القارئ من زمرة النقاد، وأن يسلكهم في زمرة المادحين. كان كثيرون يعبرون عن إعجابهم في الفلّة بعد الفلّة، ثم يفيثون إلى رصانة مصطنعة. أليسوا نقاداً وأصحاب رأي؟ وأجد لهم العذر، كل العذر. فهم يهربون بسمعتهم من وصمة الناقد المصنف.

وقد قرأت كتابين صدرتا في عامي ٢٠٠٥، و٢٠٠٦ يحتويان على كثير من التصفيق للمتنبي. وكلاهما وُضع تزلفاً لمن يملك المال، وكلاهما رديء. وقد غثيت نفسي بهما إلى درجة أنني انصرفت عن دراسة المتنبي وشعره بضعة أسابيع بعد أن قرأتها. ولا أطيل عليك في الحديث عن شعوري بتأنيب الضمير على الساعات التي قضيتها فيهما، فقد عدت ذلك واجباً عليّ قبل أن أنجز شرح مختاراتي هذه. ألوم نفسي وأقول لي: أما كان يكفيك أن تقرأ صفحتين من كل كتاب؟ قد حرمني ذاك الكتابان أن أتلمظ بالبيت البديع للمتنبي علانية. صرت أصطنع الوقار والتناول الرصين. ألا لعنة الله على التفاهة.

وثمة الناقد الذي أسميه الخرمنجي. والخرمنجي هو المتذوق للمنتجات - ولا سيما التبغ - يتذوقها قبل طرحها في السوق. والخرمنجي يجمع من عيوب أنماط النقاد المختلفة الكثير. لكنه مضطر بحكم المهنة إلى العودة سريعاً، بعد كل انحراف، ليدوق ذوقاً، وليغمض عينيه نصف إغماضة ويصدر رأياً. وقد صنعت كثيراً من ذلك. ولكنك ستشعر بجهدك هذا دون أن تراه. صنعت ذلك وأنا أختار الأبيات التي عرضتها عليك في هذا الباب؛ فكنت أذوق البيت ثم القصيدة، ثم أختار الأطياب، وأطرح ما ليس بطيب. فما تراه من شعر المتنبي هنا هو نتيجة تذوقي لديوانه. وقد يفلت مني بيت طيب لأن معناه مرتبط بخمسة أبيات من الحشَف. فلا أنا قادر على فصله عنها ولا على إيرادها كلها. ولولا هذا لكنت اقتطف لك ثلاثة أرباع ديوان المتنبي، فلا يعود هذا كتاب مختارات، بل فضلة يغني عنها الغناء كلّ ديوان الرجل. على أن ما تركته من الأبيات الحسنة ليس من اللامع العزيز، ولا المعجز الذي لا يتعلق بغباره أحد.

وأَمْضِي فِي تَصْنِيفِ النِّقَادِ دَرَجَةَ أُخْرَى، وَلَعَلِّي أَجْعَلُهَا أُخِيرَةً، فَأَذْكُرُ
الْمُحْتَرَفَ الْهَادِيَّ الْمَنْزَهَ عَنِ الْهَوَى. وَقَدْ نَعَمْنَا بَاثْنَيْنِ مِنْ هَؤُلَاءِ. فَقَدْ نَشَرُ
الْعِقَادَ وَالْمَازِنِي فَصُولاً عَنِ الْمُتَنَبِّي فِي الْعَشْرِينَاتِ، وَأَجَادَا دَرَسَ أَسْبَابِ
شَهْرَتِهِ، وَدَفَعَا عَنْهُ تَهْماً كَثِيراً كَالْبُخْلِ (الْمَازِنِي - حَصَادِ الْهَشِيمِ)، وَشَبَّاهُ
بِشَخْصِيَّاتٍ عَرَفَاهَا مِمَّا تَتَّقَاهُ مِنْ ثِقَافَةِ غَرِيبَةٍ. فَكُتِبَ عَنْهُ الْعِقَادُ فَصْلاً طَبِيعاً فِي
الْبَلَاغِ، أَعَادَ نَشْرَهُ مَعَ فَصُولٍ أُخْرَى عَنْهُ فِي كِتَابِهِ مَرَاجِعَاتٍ، يُوَازِنُ بَيْنَ فِلْسَفَتِهِ
وَفِلْسَفَةِ نَيْتَشَةِ. وَيُنَحُّو الْمَازِنِي أَكْثَرَ نَحْوِ التَّذَوُّقِ. وَلَكِنْ مَا حَالُ بَيْنَ الرَّجْلَيْنِ
وَبَيْنَ الْهَوَى فِي تَنَاوُلِ الْمُتَنَبِّي هُوَ أَنَّ هَوَاهُمَا كَانَ مَعَ شَاعِرٍ آخَرَ هُوَ ابْنُ
الرُّومِيِّ. فَإِذَا قَرَأْتَهُمَا وَهَمَّا يَتَكَلَّمَانِ عَنِ ابْنِ الرُّومِيِّ فَأَنْتَ بِإِزَاءِ النَّاقدِ الْمَادِحِ.
أَمَّا كِلَاهُمَا عَنِ الْمُتَنَبِّي فَكَلَامٌ عَنِ الْجَارِ الْبَعِيدِ، فِيهِ رِصَانَةٌ.

وَالْمُحْتَرَفَ الْهَادِيَّ، الَّذِي كَانَ إِلَى ذَلِكَ مُؤَرِّخاً وَصَاحِبَ ذَوْقٍ عَالٍ فِي
الشَّعْرِ، عَبْدُ الْوَهَّابِ عَزَامٌ. كَانَ فِي كِتَابِهِ عَنِ ذِكْرِ أَبِي الطَّيِّبِ (١٩٣٦) مُؤَرِّخٌ
أَدَبٌ حَقّاً.

وَلِنَذْكُرْ خَتَاماً عَوْدَةَ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ إِلَى الْمُتَنَبِّي بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. فَقَدْ عَادَ
لِيَكْتُبَ كِتَاباً آخَرَ (الْمُتَنَبِّي: لَيْتَنِي مَا عَرَفْتَهُ).
لَيْتَهُ مَا كَتَبَهُ.

عَلَى أَنْ شَاكِرٌ يُقْرَأُ لِأَسْلُوبِهِ، فَإِنْ كُنْتُ مِمَّنْ يَحْبُونَ الْفَصْحَى، فَلَا يَهْمُكَ
إِنْ قَالَ شَيْئاً أَوْ لَمْ يَقُلْ. وَكَذَلِكَ طَهُ حُسَيْنٌ، يَقْرَأُ لِأَسْلُوبِهِ. وَلِأَسْلُوبِهِ فَقَطْ
احْتَمَلَ النَّاسُ سَبْعِمِئَةَ صَفْحَةٍ مِنْ صَفْحَاتِهِ عَنِ الْمُتَنَبِّي كَانَ يُمْكِنُ إِيجَازُهَا فِي مِئَةِ
صَفْحَةٍ.

عَمَلْنَا فِي هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ

عِنْدَ رَقْمِ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ وَقَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَى الْمَرْبِعِ الْآخِرِ هُنَاكَ رَأْسُ حَبِيبَةٍ
قَدْ يَدْحَرُجُكَ إِلَى الْمَرْبِعِ رَقْمٍ وَاحِدٍ. وَأَنْتَ وَحْظُكَ. اقْرَأِ الْمَعْوِذَتَيْنِ وَارْمِ نَرْدَكَ.

هَكَذَا أَنَا فِي عَمَلِي عَلَى الْحَاسُوبِ الشَّخْصِيِّ، بِي سَيِّ. أَكْتُبُ الْأَبْيَاتَ
وَأَشْكُلُهَا، وَأَنْفِقُ مِنْ ضَوْءِ عَيْنِي مَا أَنْفِقُ وَأَنَا أَصْحَحُهَا، مَرَّةً وَمَرَّةً وَحَتَّى لَا
يَعُودَ ثَمَّةُ مِنْ غَلْطَةٍ؛ ثُمَّ أَرْسِلُ الْمَلْفَ إِلَى الطَّابَعِ فَيَرْمِيهِ رَمِي الثَّمَامَةِ عَلَى بَرْنَامِجِ
الْمَاكِ. وَتَتَقَلَّبُ الدُّنْيَا، وَيَتَزَلْزَلُ النَّصْصُ. وَأَعُودُ بَقَلْبٍ مَخْلُوعٍ إِلَى التَّصْحِيحِ.

وازددت واحدة في معاناتي مع المتنبي. فقد كنت شرحت مختاراتي منه وطبعتها وشكلتها قبل ثماني سنوات، وعدت إليها فإذا برنامج الحاسوب قد تغير، وإذا الضمة والفتحة فوق الميم صارتا تحتها. فعدت إلى النص بكامله مرة أخرى مدققاً حركة حركة وحرفاً حرفاً وكلمة كلمة.

لكن الأبيات التي تراها في هذه المجموعة تظل - رغم كل ما سيفاجئنا به الطابع - هي ما اخترته لك من ديوان المتنبي. وهي تعبر عن تذوقي وفهمي لشعر الرجل. ولا تحزن لما فات هذه المجموعة من أبيات، فديوان المتنبي موجود في كل مكتبة، وعلى كل رصيف، فإن شئت الاستزادة فاقننِ نسختك.

اخترت ربع شعر الرجل تقريباً. وشايحت معظم الشراح في ترتيب القصائد بحسب زمان قولها. فأنت تمضي من شعر الصبا إلى شعر الشباب فالكهولة، قصيدة بعد قصيدة. ولا يخلو أن تتقدم قصيدة أو تتأخر درجة أو درجتين، فعند الشراح في الترتيب الزمني بعض الاختلافات.

وقسمت المجموعة ثلاثة أقسام: الشاعر الشاب، فالسيفيات وهي ما قاله عند سيف الدولة، فوحي الأربعين وهو ما قاله بين سن الثانية والأربعين وسن الخمسين التي مات عنها.

كنت في اختياري أحرص على البيت الجميل كل الحرص، وأحرص على ربطه بالأبيات الجميلة الأخرى في القصيدة حتى لو كلفني ذلك اختيار أبيات أقل بهاء كي يبقى المعنى متسقاً، وكي يسلم للضماير ما تعود إليه.

وقطعت كل بيت شطرين كما يجب أن يكون؛ وقطعت البيت في المكان الصحيح. فإن كنت تعرف الغلطة الشائعة في قسمة بيت المتقارب شطرين فاعلم أنني تنبّهت إليها. وقد يقعد بين الكرسيين حرف مشدد فعندئذ أضع في الفراغ بين الشطرين شرطة (-). وفي الكلمات المنتهية بياء من قبيل (عندي) كنت أضع الكسرة تحت الياء نفسها، حتى تفرق بينها وبين (عندي) المفتوحة الياء. وكلتا الكلمتين صحيحة في كل موضع في النشر، ولكنهما في الشعر ليستا بمنزلة؛ فوزن الشعر قد يقتضي الفتحة لا غير، أو يقتضي الكسرة لا غير، أو يبيح أيهما. قد شكلت لك كل ياء أخيرة بحسب ما يقتضيه وزن البيت. وشكلت (منهم) بسكون على الميم إن اقتضى الوزن السكون، وبضمة على الميم (منهم) إن اقتضى الوزن الضمة. والشعراء قد وسعوا على أنفسهم كيما يزنوا فأشبعوا هذه الميم أحياناً لتتطابق (منهم)، ولم أكتب منهمو هذه بواو. لأنها ليست

الحرف الوحيد الذي يصادف إشباعاً في الشعر. مثل هذا الإشباع يرد في أحرف أخرى: فقد يجب على القارئ الشعر أن ينطق (فيه) بإشباع الهاء، فكأنها (فيها). وقد يجب عليه أن يشبع ألف (أنا) اللينة في أحوال، وأن يخطفها خطفاً في أحوال. هذه مسألة في ضبط الخط والكتابة أتركها لمن يريد أن يسعى في حلها.

على أنني بذلت ما في وسعي، وما في وسع صندوق الأحرف المتاح، كي أرشدك إلى القراءة السليمة.

وكي تقرأ المعنى بعينيك وضعت لك الفواصل. فلا تقف في قراءتك الجهرية إن قرأت جهرأ عند كل فاصلة، فما هكذا يقرأ الشعر؛ لكن، لَوْن صوتك بحسب الفواصل. وإن كنت تقرأ قراءة صامتة فلعل الفواصل أن تعينك في فهم المعنى.

أقللت من الفواصل على أطراف الأشرطة، فالفراغ بين الشطرين فاصل كاف، إلا أنني وضعتها هناك كلما شعرت أنها تقرب معنى أو تدرأ لبساً.

كما أخبرتك في موضع سابق من هذه الصفحات فإنني استعنت بستة من شروح ديوان المتنبي. قد رأيت الشارحين يمدون أيديهم إلى شرح أبي العلاء المعري، ويأخذون العبارة تلو العبارة؛ ولا تثريب عليهم. وإن لم أكن فعلت فعلهم فليس تعففاً. لكن، لأنني كتبت شرحي لقارئ معاصر. وقد ركبت في عبارتي الركاقة ركوباً، ولم أربأ بنفسني عن تعبير عامي أو صحافي، كل ذلك في سبيل إيصال المعنى.

يقول المتنبي: (لَمْ الليالي) وأقول أنا شارحاً: (يجب أن تلوم الزمن). فأني شيء أرك من قولي! لكنه السعي إلى فضح المعنى.

والمتنبي صعب. والتعرض لنص قديم يكبدك غم قراءة لغة أجنبية. فأنت منذ البدء في موقع المتعلم المتحضر لحل الألغاز. فإذا كان هذا النص القديم شعر أبي الطيب المتنبي فالغم أفدح، لأن المتنبي صعب في لغته، وصعب في معانيه. وأراحنا أبو العلاء المعري في شرحه كثيراً. فهو من هو في اللغة، وهو من عصر المتنبي، ولد بعد موته بتسع سنين.

رأيت كثيراً من حكم المتنبي التي تأتي في الأشرطة حشوات يستريح بها في النظم. وهي في جلها حشو اللوزنج. تعقبها، وحرصت عليها.

قد يأتي مدحه بارداً سخيفاً. أليس معظم المدح هكذا؟ فكنت أتجنب ما هو بارد وسخيف، إلا أن يكون فيه فن كثير، فأحتمله وأحملك برده في سبيل فنه. والمتنبي كان في أحيان كثيرة ينظم تحت إلحاح الأمير. أرايت أسخف من أمير يلح على الشاعر، ويقول له أسبوعاً بعد أسبوع: منذ زمن لم تمدحني، فمتى تكون قصيدتك المقبلة؟ هكذا كان يفعل سيف الدولة، وغيره. ذلك أن مدح المتنبي كان بمثابة تثبيت لصورة الزعيم في أذهان أنصاره ومنافسيه على حد سواء. والمادح والممدوح والسامعون جميعاً يعلمون أن الأمير ليس أسداً وليس بحراً. ولكن، هي الدعاية. وهل تؤمن أنت أن صابون (الحياة السعيدة) يسعدك حقاً؟ لكنك ترى الدعاية ثم تُهوي بيدك على الصابونة المذكورة وتلتقطها من على رف السوبرماركت. وقد رأيت في السنوات العشر المنصرمة (وأنا أكتب في ربيع ٢٠٠٩) ثلاثة من الزعماء العرب بدأوا عهدهم بالطلب إلى مساعديهم ألا تُنشر صورهم في الميادين والصحف بشكل مبتذل. ورأيتهم جميعاً تخلوا عن هذا الطلب، وعادوا إلى سيرة أسلافهم، يحثون المداحين من مرتزقة الصحافة على إغداق الأوصاف عليهم، ونشر صورهم في كل مكان. عرفوا قيمة الدعاية.

(ملاحظة في سنة ٢٠١٦: بعض أنصار هؤلاء الزعماء بلغ بهم أن يجبروا الناس على السجود لصورة الزعيم، وبعضهم وضع صورة الزعيم على ألواح الشوكولاتة).

من هذا الفهم لشعر المدح كنت أسعى إلى التقليل منه. لكن مدح أبي الطيب مخلوط بفن كثير، وبحديث صادق عن نفسه وعن همومه. وبعض هذا المدح صادر عن حب، ككثير من مدحه لسيف الدولة.

قصيدة المتنبي «متعددة الأغراض» كما يقولون في كتب المدارس. ولكنك تجده في داخل الغرض الواحد يأتي بالمعاني المتنافرة المتباعدة، فإذا أنعمت النظر وجدت البيت موصول المعنى بجيرانه إما بتيار يجري عميقاً تحت السطح، وإما بضمائر تشبك البيت بيت قبله مباشرة أو قبله بعدة أبيات.

وعندما اخترنا واجتزأنا من هنا وهناك تعبنا كثيراً في الحفاظ على بنية القصيدة مع استبعادنا الكثير من أبياتها. وقد ترانا في أحوال كثيرة نأخذ من القصيدة بيتين أو ثلاثة ونهمل الباقي. ولا يندر أن نمر بالقصيدة مر الكرام فلا نأخذ منها شيئاً. ومن قال لك إن شعر المتنبي درر كله؟ لعل شوقي كان على

حق عندما قال: «وللمتنبى درة وحصاة». وما أكثر ما في شعر أبي الطيب من الحصى.

أنا ماض في شرح مختاراتي من اثنين وأربعين شاعراً، من امرئ القيس إلى إيليا أبو ماضي، يضاف إليها مختاراتي من ثمانية من كتب الشعر المهمة التي تضم أشعاراً لشعراء مغمورين أو قدماء لم تصنع لهم دواوين. فهذه في المجمل خمسون باباً، ستقع في خمسة أجزاء. ودون هذه الغاية أن يأذن صاحب الدهر ورب الكون الجليل، وأن يعطي فسحة في العمر، وأن يهبنا قدراً من القبول لدى القراء يقوم بتكلفة الطبع والتوزيع. فأما إن ظننت أنني أنتظر قرشك كي أخضّر به مائدتي فهذا لأنك لا تعرف حال التأليف والنشر في الوطن العربي.

وقد والله - ولست في حياتي الشفهية بخلاف؛ فقط إذ بيني وبينك ستر هذه الورقة - ناولني ناشر قبل سبع سنين مكافأتي عن كتاب عدة صفحاته ثلاثمائة وثمان وعشرون صفحة فما غربت شمس ذلك النهار إلا وكنت تصدقت بها، ولا أظن أنه حصل لي بها كبير ثواب.. لضاعته.

قد بسطت لك القول في عملي في هذه المجموعة. وقد كلمتك بما هو من ثوب هذا الكتاب وبما هو من غير ثوبه. ولئن كنت أنوي ألا أمعن في الشرح والتشكيل فيما سيأتي من هذه السلسلة، فإنني رأيت المتنبى محتاجاً إلى الشرح المستفيض والتشكيل الكامل.

وفي ذيل هذا الباب عن المتنبى فهرس للقوافي، وفهرس للأغراض. فإن طلبت قصيدة تعرف قافيتها وجدتها، وإن أردت أن تعرف ما اخترته للمتنبى من أبيات عن (الشيب) أو عن (القلق والترحال) وجدته. وجعلت لكل قصيدة رقماً، واعتمدت أرقام القصائد لا أرقام الصفحات حتى لا يتغير الترقيم بانتقال النص من برنامج حاسوبي إلى آخر. ووضعت لكل قصيدة اسماً من عندي، فلم يكن شعراؤنا القدماء يسمون قصائدهم.

أشكر للصديق أحمد ولد الدين فال الشنقيطي أنه أعانني بوقته وبجبه الكبير للمتنبى، وبفهمه العميق لشعره. فقرأ المسودة وصحح أغلاطي، وقوم ما اعوج من لغتي، ومن تفسير. ولم أكد أترك من ملاحظاته شيئاً إلا أخذت به، ومعظمه تصحيح لغلط صريح أو وهم ركبت؛ وبعضه تحسين لتعبيري، وهذا أخذت به أيضاً. فما بقي من خطأ أو وهم فعليّ وحدي وزره.

كُتبت المقدمة عام ٢٠٠٨، وحررت عام ٢٠١٦

المتنبي في شبابه

المختار من شعر المتنبي من البدايات حتى بلغ الرابعة والثلاثين، وقاله في العراق والشام

١ هاي .. باي

أول شعر نظمه المتنبي قوله وهو صبي: (المختار من القصيدة/ عدد أبياتها) ٢/٢
بِأَبِي مَنْ وَدِدْتُه، فافْتَرَقْنَا وَقَضَى اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ اجْتِمَاعَا
بَابِي (أفدي بابي) مَنْ أَحْبَبْتَهُ، ثُمَّ افْتَرَقْنَا؛ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ قَضَى اللَّهُ أَنْ نَجْتَمِعَ
فافْتَرَقْنَا حَوْلًا، فَلَمَّا التَقَيْنَا كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعَا
قد افترقنا حولاً (عاماً)، وعندما التقينا كان تسليمه عليّ وداعاً، وتمهيداً لفراق جديد

٢ المختفي عشقاً

قال المتنبي وهو صبي: (نسبة ما اخترناه إلى عدد أبيات القصيدة) ٣/٣

أَبْلَى الْهَوَى، أَسْفَا يَوْمَ النَّوَى، بَدَنِي وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ
أبلى (أنهك) الحب بدني لحزني في يوم النوى (الفراق) وفرّق الهجر بين جفني وبين الوسن
(النوم)، أي حرمني النوم

رُوحٌ تَرَدَّدُ فِي مِثْلِ الْخِيَالِ، إِذَا أَطَارَتِ الرِّيحُ عَنْهُ الثُّوبُ لَمْ يَبْنِ
روحي تردد (تضطرب) داخل جسم صار هزياً كأنه الخيال، ولو طيّرت الريح عن ثوبي لم يبن
يبن (لم يظهر) جسمي للعيان

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولاً أَنَّنِي رَجُلٌ لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرْنِي

وصل نحول (هزال) جسمي إلى درجة أنك لم تعد تستطيع أن تراني، لولا أنك
تستدل على وجودي بصوتي. المعنى ساذج كما ترى، ولكننا سوّدنا البيت لشهرته،
ولكي ترى كيف أن المبالغة الشديدة بدأت في شعر المتنبي وهو بعد صبي

٣ المتعل ناقته

قال المتنبي في صباه يمدح محمد بن عبيد الله العلوي المشطب: ٤٢/٦

يَا عَاذِلَ الْعَاشِقِينَ دَعِ فِتْنَةً أَضَلَّهَا اللَّهُ، كَيْفَ تُرْشِدُهَا؟

يا عاذل (لائم) العاشقين دع هذه الفتنة، فالذي أضلها هو الله، فكيف لك أن ترشدها؟

لَيْسَ يُحِيكَ الْمَلَامُ فِي هَمَمٍ أَقْرَبُهَا مِنْكَ، عَنْكَ أَبْعَدُهَا

لا يُحيك (يؤثر) اللوم في همم (عزائم) أقربها منك جسماً، أبعدا عنك روحاً. نقل ابن جني عن المتنبي أن قال في شرح الشطر الثاني: (أقربها منك سمعاً، أبعدا عنك طاعة)

بُئْسَ اللَّيَالِي سَهَدَتْ مِنْ طَرَبٍ شَوْقاً إِلَى مَنْ يَبِيتُ يَرْفُدُهَا

بئس الليالي التي شهدت (سهرتها) من الطرب (الحزن) شوقاً إلى المحبوب الذي يبيت راقداً هلم الليالي

أَحْيَيْتُهَا وَالدَّمْعُ تُنَجِّدُنِي شُؤْنُهَا، وَالظَّلَامُ يُنْجِدُهَا

أحييت الليالي (سهرتها) والدمع تساعدني شؤونها (مجارها) في تخفيف حزني، والظلام يساعد الدمع في النزول لأنه يسترها

لَا نَاقَتِي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ، وَلَا بِالسَّوِطِ يَوْمَ الرِّهَانِ أَجْهَدُهَا

ناقتي لا تقبل الرديف (الراكب الإضافي)، ولا أنا أجهدا (أرهقها) بالسوط يوم السباق. وهذه الناقة ما هي إلا نعله، فهو فقير لا يملك مركوباً

شِرَاكُهَا كُورُهَا، وَمِشْفَرُهَا زِمَامُهَا، وَالشُّسُوعُ مِقْوَدُهَا

شراك نعلي (الشريط الجلدي لها) هو كورها (رحل/أو خرج الناقة)، وزمام النعل (مقدمة النعل) هو مشفر الناقة، والشسوع (الجلدات التي بين الإصبعين في النعل) هي مقود الناقة. يشبه كل جزء من نعله بشيء من لوازم الناقة، والخلاصة أنه رجل فقير ولا ناقة له، بل يمشي على قدميه وناقته هي نعله

٤ الفريد

قال المتنبي في صباه: ٥/١

أَمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهِي بِمَا وَكَأَنَّهُ فَمَا أَحَدٌ قَوِّي، وَلَا أَحَدٌ مِثْلِي

أمط (أبعد) عنك تشبيهي بغيري مستخدماً كلمة «ما أشبهه بفلان»، أو كلمة «كأنه فلان»، فما أحد أقوى، بل لا أحد مثلي

٥ الفراق القاتل

قال المتنبي يمدح سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابي المنبجي: ٢٥/٣

أَحْيَا؛ وَأَيَسَّرَ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا وَالْبَيْنُ جَارَ عَلَى ضَعْفِي وَمَا عَدَلَا
أنا أعيش، بينما أيسر (أهون) ما قاسيته هو مما يقتل، والبين (الفراق) جار (جنى) على ضعفي
ولم يكن عادلاً

وَالْوَجْدُ يَقْوَى كَمَا تَقْوَى النَّوَى أَبَدًا وَالصَّبْرُ يَنْحَلُ فِي جِسْمِي كَمَا نَحَلَا
والوجد (الشوق) يقوى، مثلما تقوى النوى (الفراق)، وصبري ينحل (يضعف) في جسمي مثلما
يهزل جسمي نفسه

لَوْلَا مُفَارَقَةُ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدْتُ لَهَا الْمَنَايَا إِلَى أَزْوَاجِنَا سُبُلَا
لولا مفارقة الأحباب ما قاسينا، ولا عرفت المنايا (الموت) طريقاً إلينا

٦ لا كرامة لنبي في وطنه

قال في صباه: ٣٦/١٧

مَا مُقَامِي بِأَرْضِ نَخْلَةٍ إِلَّا كَمُقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ
ليست إقامتي في أرض نخلة (مكان بالكوفة) إلا كإقامة المسيح بين اليهود الذين كانوا له ظالمين.
نقل المعري في شرحه «معجز أحمد» أن هذا البيت جرّ على المتنبي لقبه

مَفْرُشِي صَهْوَةِ الْحَصَانِ، وَلَكِنْ - قَمِيصِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدِ
مفرشي (مكان نومي) هو صهوة (ظهر) الحصان، ولكن قميصي مسرودة (منسوجة) من حديد، فهي
ليست قميصاً بل هي درع

لَأُمَّةٌ فَاضَةٌ أَضَاءُ دِلَاصٍ أَخْكَمَتْ نَسَجَهَا يَدَا دَاوُدَ
إنها لأمة (درع) فاضة (واسعة)، أضاءة (ملساء) دلاص (لامعة)، نسجتها بإحكام يدا داود النبي؛
وقيل إنه أول من صنع الدروع

أَيْنَ فَضْلِي إِذَا قَنَعْتُ مِنَ الدَّهْرِ رِيعَيشٍ مُعَجَّلِ التَّنْكِيدِ
أين تميّزي إذا قنعت من الزمن بعيشة عاجلني التكد فيها من بدايتها

ضَاقَ صَدْرِي، وَطَالَ فِي طَلَبِ الرِّزِّ قِي قِيَامِي، وَقَلَّ عَنْهُ قُعُودِي
ضاق صدري، وطال في طلب الرزق، وقطت سعيي في طلب الرزق، وقلت راحتي

أَبْدَأُ أَقْطَعُ الْبِلَادَ، وَتَجْمِي فِي نُحُوسٍ، وَهَمَّتِي فِي سُعُودٍ
بِاسْتِمْرَارٍ أَتَقَلُّ فِي الْبِلَادِ، وَلَكِنْ نَجْمِي (حظي) منحوس، وهمتي (طموحي) في سعود (محظوظة)
لأنها كبيرة

عِشْ عَزِيزاً، أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَغْنِ الْقَنَا وَخَفَقِ الْبُنُودِ
القنا (الرماح)، البنود (رايات الحرب)

فَرُؤُوسُ الرِّمَاحِ أَذْهَبُ لِلْغَيْدِ - طِ وَأَشْفَى لِغِلِّ صَدْرِ الْحَقُودِ
إذا أصابتك رؤوس الرماح وتقتلك فهذا أكثر إذهاباً لغيظك، وأكثر شفاءً لغل (حقد)
صدرك. في رواية (أذهب بالغيظ)، وهذه رواية ابن جني. على أن ديوان المتنبي قارئ
عليه أكثر من مرة. وما أوردناه هو الرواية الأشهر

لَا كَمَا قَدْ حَيَّيْتَ غَيْرَ حَمِيدٍ وَإِذَا مُتَّ مُتَّ غَيْرَ فَقِيدٍ
هذا خير من حياتك حتى الآن وأنت غير محمود من الناس، وكذلك فلو مت على حالتك
الحاضرة فلن يفتقدك أحد

فَاطْلُبِ الْعِزَّ فِي لَظْيٍ، وَدَعْ الذَّلَّ - وَلَوْ كَانَ فِي جِنَانِ الْخُلُودِ
أطلب العز ولو في جهنم، واترك الذل ولو في الجنة. صديقي أحمد قال وسم هذا البيت بوصف
«السجدة» في المخطوطة لما رآه فيه من إعجاز

يُقْتَلُ الْعَاجِزُ الْجَبَانُ، وَقَدْ يَغْ - حِزُّ عَنْ قَطْعِ بُخُنِّ الْمَوْلُودِ
العاجز الجبان الذي لا يستطيع قطع بُخُنِّ (خرقة) المولود قد يكون مصيره أن يقتل..

وَيُوقَى الْفَتَى الْمَخْشُ وَقَدْ خَوْ - ضَ فِي مَاءِ لَبَّةِ الصَّنِيدِ
والفتى المخش (الجريء)، الذي خاض برمحه في ماء (دم) لَبَّة (عنق) الصنيد (الشجاع) قد يوقى
(ينجو)، يقول: البعد عن مسرح القتال ليس ضامناً للبقاء

لَا بِقَوْمِي شَرُفْتُ، بَلْ شَرُفُوا بِي وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِجُدُودِي
ليس بسبب قومي شرفت (أصبحت شريفاً) بل هم شرفوا بي؛ وقد فخرت بنفسي لا بجوددي، وهنا
خروج جامع عن إرث عربي راسخ يجعل الشرف كله في الفخر بالأجداد

وَبِهِمْ فَخَرْتُ كُلَّ مَنْ نَطَقَ الضَّا - دَ وَعَوُذُ الْجَانِي، وَغَوُثُ الطَّرِيدِ
ومع ذلك فإن قومي هم فخر كل من نطق الضاد (العرب)، وهم عوذ (ملجأ) الجاني المستجير
بهم، وغوث (نجدة) الطريد (المطلوب بجنابة)

إِنْ أَكُنْ مُعْجَباً فَمُعْجَبٌ عَجِيبٌ - لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدٍ
إن أكن معجباً بنفسي فهذا العُجْب (الافتخار) هو تيه رجل عجيب (مميز) لم يجد مجالاً لزيادة
فضله، لأنه بلغ المتهى

أَنَا تَرْبُ النَّدَى، وَرَبُّ الْقَوَافِي وَسِمَامُ الْعِدَى، وَغَيْظُ الْحَسُودِ
 أنا ترب الندى (قرين الكرم)، ورب (صاحب) القوافي، وسمام (سُم) العدى (الأعداء)، وغيط الحاسد
 أَنَا فِي أُمَّةٍ، تَدَارَكُهَا اللَّـهُ - غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثَمُودٍ
 أنا في أمة - أصلحها الله - غريب كالنبي صالح في قومه ثمود الذين ظلموه

٧ العاذل عاشقاً

قال المتنبي في صباه يمدح أبا المتصر شجاع بن محمد بن أوس الأزدي: ٢٥/١٥
 أَرْقُ عَلَى أَرْقٍ، وَمِثْلِي يَأْرُقُ، وَجَوَى يَزِيدُ، وَعَبْرَةٌ تَتَرَفَّرُقُ
 حالتي سهر على سهر، ومن كان مثلي عاشقاً فهو يَأْرُق (يسهر)؛ وحالتي جوى (لوعة) يزيد، وعبرة
 بعد (دعة) تترقق

جَهْدُ الصَّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ، كَمَا أَرَى: عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ، وَقَلْبٌ يَخْفُقُ
 جهد الصبابة (منتهى العشق) أن تكون (توجد) - مثلما أرى أنا - عينٌ مسهدة (ساهرة) وقلب يخفق

مَا لَاحَ بَرْقٌ، أَوْ تَرَنَّمَ طَائِرٌ إِلَّا انْتَنَيْتُ وَلِي فُؤَادٌ شَبِيقٌ

ما لاح لي برق ولا ترنم طائر إلا انتنيت (رجعت إلى نفسي) ولي قلب مشتاق. يرتبط
 البرق في ذهن العاشق البدوي بمحبوب ارتحل مع قومه لارتداد العشب الذي يأتي
 بعد برق ومطر. التسويد لصديقي اللغوي أحمد عبد الرحيم

جَرَبْتُ مِنْ نَارِ الْهَوَى مَا تَنْطَفِي نَارُ الْغَضَى، وَتَكِلُ عَمَّا يُحْرِقُ

جربت من نار الحب ما تنطفئ نار الغضى (شجر حطبه صلب) دونه، وتكل (تعجز) عن إحراق ما
 تحرقه نار هذا الحب. التسويد أ. عبد الرحيم

وَعَذَلْتُ أَهْلَ الْعِشْقِ حَتَّى دَفَنْتُهُ فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لَا يَعِشُقُ

كنت قد عذلت (لمت) العشاق حتى دفنت العشق، فصرت أعجب كيف يموت من لا يعشق، فمن
 لا يعشق لا يعان شيئاً فحري به أن يعيش للأبد

وَعَذَرْتُهُمْ، وَعَرَفْتُ ذَنْبِي: أَنَّنِي عَيْرْتُهُمْ، فَلَقِيتُ مِنْهُ مَا لَقُوا

عندت عذرت العشاق، وعرفت ذنبي: لقد عيرتهم فلقيت من العشق مثلما لقوا

أَبْنِي أَبِينَا! نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلٍ أَبْدًا غُرَابُ الْبَيْنِ فِيهَا يَنْعَقُ

يا أهلي! في منازلنا دائماً غراب البين (الفراق) ينق (يذناناً بفراق الأحبة

نَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا، وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ جَمَعَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا

فعلام البكاء على الدنيا؟ وما اجتمع فيها معشر إلا فرقه الموت

أَيْنَ الْأَكَاسِرَةِ الْجَبَابِرَةِ الْأَلَى كَنَزُوا الْكُنُوزَ، فَمَا بَقِيْنَ وَلَا بَقُوا؟
 أين الأكاسرة (حكام الفرس) الجبارون الألى (الذين) كنزوا الكنوز، فما بقيت الكنوز ولا هم بقوا
 مِنْ كُلِّ مَنْ ضَاقَ الْفَضَاءُ بِجَيْشِهِ حَتَّى تَوَى فَحَوَاهُ لَحْدٌ ضَيِّقٌ
 الواحد من هؤلاء الأكاسرة كان يضيق الفضاء بجيشه المنشور على الأفق، ثم توى (استقر) فحواه
 لحد (قبر) ضيق

خُرُسٌ إِذَا نُودُوا، كَأَنَّ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْكَلَامَ لَهُمْ حَلَالٌ مُطْلَقٌ
 هؤلاء الأكاسرة خُرس إذا ناديتهم لا يجيبون، أظنون الكلام حراماً عليهم؟ بل هو حلال،
 ولكنهم موتى

فَالْمَوْتُ آتٍ، وَالنَّفُوسُ نَفَائِسٌ وَالْمُسْتَعِرُّ بِمَا لَدَيْهِ الْأَحْمَقُ
 الموت قادم، والنفوس نفائس (درر ثمينة) يأتي الموت للاستيلاء عليها، والأحمق هو المستعر
 (المعتر) بما عنده من أموال، فالمطلوب روحه

وَالْمَرْءُ يَأْمُلُ، وَالْحَيَاءُ شَهِيَّةٌ وَالشَّيْبُ أَوْقَرُ، وَالشَّبَابُ أَنْزَقُ
 لكن الإنسان دائماً على أمل، ويشتهي الحياة، والشيب وقار، والشباب نَزَق (طيش)

وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ وَلِمَتِي مُسَوَّدَةٌ، وَلِمَاءٌ وَجْهِي رَوْنَقُ
 بكيت على الشباب حتى عندما كانت لمتي (شعري) سوداء، وفي وجهي طراوة

حَذَرًا عَلَيْهِ قَبْلَ يَوْمٍ فِرَاقِهِ حَتَّى لَكِذْتُ بِمَاءٍ جَفَنِي أَشْرَقُ
 بكيت حَذَرًا على الشباب قبل فراقه، وكدت أشرق (أغص) بدموعي لغزائرتها

٨ موقف وداع

قال المتنبي في صباه يمدح علي بن أحمد الطائي:
 (نسبة ما اخترناه إلى عدد أبيات القصيدة ٣٠ / ٤)

حُشَّاشَةُ نَفْسٍ وَدَعَتْ يَوْمَ وَدَّعُوا فَلَمْ أَذِرْ أَيَّ الظَّاعِنِينَ أَشْبَعُ
 حشاشة نفسي (بقيتها) ودعتني يوم ودعوني ورحلوا، فلم أذر (لم أعرف) أي الظاعنين (الراجلين)
 أشيع (أرافق مودعاً). يقول: روجي فارقتني عندما فارقوني، فتحيرت هل أودع روجي، أم أودعهم

أَشَارُوا بِتَسْلِيمٍ، فَجَدْنَا بِأَنْفُسٍ تَسِيلُ مِنَ الْأَمَاقِ، وَالسُّمُّ أَدْمَعُ
 أشارت الحبيبة بتسليم (بتحية الوداع)، فجدنا بأنفسنا (بذلنا أرواحنا حزناً) وهذه الأرواح تسيل من
 الأماق (العيون)، والسم (الاسم) دموع، لكنها في الحقيقة روجي

حَشَايَ عَلَى جَمْرِ ذِكِّي مِنَ الْهُوَى وَعَيْنَايَ فِي رَوْضِ مِنَ الْحُسْنِ تَرْتَعُ
 حشاي (قلبي) يتقلّى على جمر ذكي (مفتقد) من الهوى، وأما عيناى فترتعان (تسرحان) في روض
 من الجمال هو وجه الحبيبة

وَلَوْ حُمِّلْتُ صُمُّ الْجِبَالِ الَّذِي بِنَا عَدَاةً افْتَرَقْنَا أَوْشَكْتُ تَتَصَدَّعُ
 ولو تم تحميل الجبال الصم (الصلبة) الحزن الذي حل بنا غداة الافتراق (صباحه) لأوشكت
 تتصدع

٩ نائب عزرائيل

قال المتنبي في صباه على لسان بعض التوخييين وقد سأله ذلك: ٩/٥
 قُضَاعَةٌ تَعْلَمُ أَنِّي الْفَتَى الـ - ذِي ادَّخَرْتُ لِصُرُوفِ الزَّمَانِ
 قبيلة قضاعة تعلم أنني الفتى الذي أدخرته (خبأته) لصروف (لمصائب) الزمان
 أَنَا ابْنُ اللَّقَاءِ، أَنَا ابْنُ السَّخَاءِ أَنَا ابْنُ الضَّرَابِ، أَنَا ابْنُ الطَّعَانِ
 أنا ابن اللقاء (لقاء الأعداء) وابن السخاء، وابن الضراب (المبارزة بالسيوف)، وابن الطعان
 (الطعن بالرمح)

يُسَابِقُ سَيْفِي مَنَايَا الْعِبَادِ إِلَيْهِمْ كَأَنَّهُمَا فِي رِهَانٍ
 سيفي يسابق منايا (ميتات) البشر إلى أجسامهم، فسيفي يسابق الموت ليخطف أرواحهم وكأنه
 والموت فرسا رهان

يَرَى حَدَّهُ غَامِضَاتِ الْقُلُوبِ إِذَا كُنْتُ فِي هَبْوَةٍ لَا أَرَانِي
 يرى حد سيفي غامضات القلوب (القلوب المختبئة) فيصل إلى قلوب الأعداء، في حين أنني أنا
 في هبوة (غبار المعركة) ولست أرى نفسي

سَأَجْعَلُهُ حَكَمًا فِي النُّفُوسِ وَلَوْ نَابَ عَنْهُ لِسَانِي كَفَانِي
 سأجعل سيفي حكماً يقرر مصائر النفوس، مع أنني لو استعملت لساني لناب عنه وكفاني القتال

١٠ حياض الموت

قال المتنبي في صباه: ٣١/٨

لَيْسَ التَّعَلُّلُ بِالْأَمَالِ مِنْ أَرَبِي وَلَا الْقَنَاعَةُ بِالْإِقْلَالِ مِنْ شَيْمِي
 ليس التعلل (التصبر) بالأمال من أربي (شاني)، ولا القناعة بالإقلال (الفقر) من شيمي (خصالي).
 يقول: لا أريد أن أعيش على أحلام اليقظة، ولست قنوعاً

ولا أَظُنُّ بَنَاتِ الدَّهْرِ تَتَرَكُنِي حَتَّى تَسُدَّ عَلَيْهَا طُرُقَهَا هَمِيمِي
لا أَظُنُّ أَنَّ بَنَاتِ الدَّهْرِ (المصائب) سَتَرَكُنِي إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَسُدَّ عَلَيْهَا الطَّرِيقَ بِهَمِيمِي (بِعِزَائِمِي
وَتَصْمِيمِي)

لَمْ إِلَّيَالِي الَّتِي أَخْنَتُ عَلَى جِدَّتِي بِرِقَّةِ الْحَالِ، وَاعْذِرْنِي وَلَا تَلُمِ
بَدَلْ أَنْ تَلُومَنِي يَجِبُ أَنْ تَلُومَ اللَّيَالِي (الزَّمَن) الَّتِي أَخْنَتَ عَلَيَّ (أَرْهَقْتَنِي) بِرِقَّةِ الْحَالِ (بِالْفَقْرِ)،
وَيَجِبُ أَنْ تَعْذِرَنِي

سَيَصْحَبُ النَّضْلُ مِنِّي مِثْلَ مَضْرِبِهِ وَيَنْجَلِي خَبْرِي عَنْ صِمَّةِ الصِّمَمِ
سَيَصْحَبُ نَضْلَ السِّيفِ مِنِّي (إِذَا صَحَبَنِي) شَخْصاً مِثْلَ مَضْرِبِهِ (حَدِّهِ)، فَأَنَا حَادٌ وَمَا ضِي كَالسِّيفِ،
وَسَيَنْجَلِي خَبْرِي (يَتَكشَّفُ) عَنْ صِمَّةِ الصِّمَمِ (شَجَاعِ الشَّجْعَانِ)

لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَا تَ مُصْطَبِرٍ فَالآنَ أَقْحَمُ حَتَّى لَا تَ مُفْتَحَمٍ
لَقَدْ صَبَرْتُ حَتَّى لَا تَ مُصْطَبِرٍ (لَمْ يَعُدْ مَجَالٌ لِلصَّبْرِ)، وَالْآنَ سَأَقْتَحِمُ اقْتِحَاماً مَا بَعْدَهُ اقْتِحَامٌ

لَا تُرَكِّنْ وَجْهَ الْخَيْلِ سَاهِمَةً وَالْحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقِي عَلَى قَدَمِ
وَاللَّهُ لَا تُرَكِّنْ وَجْهَ الْخَيْلِ سَاهِمَةً (مَذْهُولَةً) لَشِدَّةِ بَأْسِي إِذِ الْحَرْبُ حَامِيَةٌ وَقَائِمَةٌ مِثْلَمَا تَقُومُ السَّاقِ
فَوْقَ الْقَدَمِ

رِدِّي حِيَاضَ الرَّدَى يَا نَفْسُ، وَاتَّرَكِي حِيَاضَ خَوْفِ الرَّدَى لِلشَّاءِ وَالنَّعَمِ
رِدِّي (كُونِي وَارِدَةً) أَحْوَاضَ الرَّدَى (الْمَوْتِ) يَا نَفْسِي، وَاتَّرَكِي أَحْوَاضَ الْخَوْفِ مِنْ
الْمَوْتِ لِلشَّاءِ (لِلْأَغْنَامِ) وَالنَّعَمِ (لِلْإِبِلِ). جَعَلَ لِلْمَوْتِ حَوْضاً وَهَذَا مَعْقُولٌ. فَأَمَّا أَنْ
يَجْعَلَ لِلْخَوْفِ مِنَ الْمَوْتِ حَوْضاً فَهَذَا هُوَ الْمَتْنِيُّ الَّذِي دَرَسَ أَبَا تَمَامٍ جَيْدًا

إِنْ لَمْ أَذْرِكْ عَلَى الْأَرْمَاحِ سَائِلَةً فَلَا دُعِيْتُ ابْنَ أُمِّ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ
وَاللَّهُ إِنْ لَمْ أَذْرِكْ (أَتَرَكْ) يَا نَفْسِي تَسْلِيلِينَ عَلَى الرَّمَاحِ فَلَا دُعِيْتُ (لَقَبْتُ) ابْنَ أُمِّ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ

١١ اجترأ

قال المتنبي: ٣/٣

أَيَّ مَحَلٍّ أَرْتَقِي أَيَّ عَظِيمٍ أَتَّقِي؟
أَرْتَقِي: أَسْعِدُ، أَتَّقِي: أَخَافُ

وَكُلُّ مَا قَدْ خَلَقَ اللَّهُ هُ، وَمَا لَمْ يَخْلُقْ
لَكِي يَخْرُجُهُ أَبُو الْعَلَاءِ الْمُعَرِّي مِنَ الْكُفْرِ جَعَلَ فِي تَفْسِيرِ الْبَيْتِ عِبَارَةً (مَا لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ بَعْدَ)،
وَكَلِمَةً (بَعْدَ) هِيَ شَهَادَةُ الْبِرَاءَةِ. وَالْوَاحِدِيُّ فِي شَرْحِهِ جَلَّا هَذَا الدِّفَاعَ وَأَكْدَهُ

مُخْتَقَرٌ فِي هِمَّتِي كَشَفَرَةٌ فِي مَفْرِقِي

كل ما خلق الله وما لم يخلق «بعد» محتقر (صغير) بجانب همتي (طموحي) كشعة في مفرقي (رأسي). لون جديد من الفخر بالذات: فخر ذاتي محض، لا بقبيلة ولا بعلم ولا بخلق. ولولا ما فسرهُ لنا المعري لقلنا إن في هذه الأبيات الثلاثة «قلة أدب» تجاه الخالق، وننبه القارئ إلى أن كلمة «محتقر» معناها الأساسي «مستصغر»، ولم تكن تعني «المردول» بنفس القدر الذي تعنيه في استعمالنا اليوم. وتأسياً بنقادنا القدماء، وفيهم الفقيه والعابد، الذين كانوا يقيسون جودة الشعر بمعزل عن رسالته، نقول: هذا شعر فاخر فيه قوة وعنفوان وفيه ذاتية لم يعرفها الشعر العربي من قبل. فإن أردت أن تعرف لماذا فتن المتنبي الناس ألف سنة فهذا مفتاح من مفاتيح الجواب

١٢ فيلق من حديد

وقال المتنبي يمدح جعفر بن كَيْغَلَف (ولم ينشده إياها): ٣٥/٣

إِذَا خَلَّتْ مِنْكَ حِمَصٌ، لَا خَلَّتْ أَبَدًا، فَلَا سَقَاها مِنَ الْوَسْمِيِّ بِاِكِرُهُ
إِذَا كَانَتْ حِمَصٌ خَالِيَةً مِنْ وَجُودِكَ، وَأَدْعُو أَلَا تَخْلُو أَبَدًا، فَعِنْدُكَ لَا سَقَاها مَا يَنْزِلُ مَبْرَأً مِنْ
الْوَسْمِيِّ (أول المطر)

دَخَلَتْهَا وَشِعَاعُ الشَّمْسِ مُتَّقِدٌ وَنُورٌ وَجْهَكَ، بَيْنَ الْخَلْقِ، بَاهِرُهُ
دَخَلَتْهَا أَنْتَ وَالشَّمْسُ مَتَوَهْجَةٌ، وَلَكِنْ نُورٌ وَجْهَكَ، مِنْ بَيْنِ وَجْهِهِ كُلِّ النَّاسِ، يَغْلِبُ شِعَاعُ الشَّمْسِ
فِي قَيْلَقٍ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ قَذَفَتْ بِهِ صَرَفَ الزَّمَانِ لَمَا دَارَتْ دَوَائِرُهُ
دَخَلَتْ حِمَصٌ فِي فَيْلَقٍ (عسكر) يَرَاهُ الرَّائِي فَيَرَى حَدِيدًا؛ وَلَوْ قَذَفَتْ بِهِذَا الْعَسْكَرَ صَرَفَ (قسوة)
الزَّمانَ لَمَا دَارَتْ دَوَائِرُ الزَّمانِ (لَمَا نَفَذَتْ أَحْكامَهُ)

١٣ مشغول بالعشق

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائي المنبجي: ٢٩/٤

عَزِيزُ إِسَاءَ مَنْ دَاوَهُ الْحَدَقُ النَّجْلُ عَيَاءٌ بِهِ مَاتَ الْمُحِبُّونَ مِنْ قَبْلُ
عَزِيزُ إِسَاءَ (قليل دواء) ذَلِكَ الَّذِي دَاوَهُ (مرضه) الْحَدَقُ (العيون) النَّجْلُ (الواسعة)، وَهَذَا الْمَرَضُ
عَيَاءٌ (يعمي الأطباء) وَقَدْ مَاتَ بِهِ مِنْ قَبْلِ الْمُحِبُّونَ

فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ، فَمَنْظَرِي نَذِيرٌ إِلَى مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْهُوَى سَهْلٌ
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ فَمَنْظَرِي نَذِيرٌ (إنذار) لِمَنْ ظَنَّ أَنَّ الْهُوَى سَهْلٌ

وَمَا هِيَ إِلَّا لَحْظَةٌ بَعْدَ لَحْظَةٍ إِذَا نَزَلَتْ فِي قَلْبِهِ رَحَلَ الْعَقْلُ
إِنْ هِيَ إِلَّا لَحْظَةٌ (نظرة) بَعْدَ لَحْظَةٍ، فَإِذَا نَزَلَتِ النَّظَرَةُ فِي قَلْبِ الْمَحِبِّ رَحَلَ عَقْلُهُ

جَرَى حُبُّهَا مَجْرَى دَمِي فِي مَقَاصِلِي فَأَصْبَحَ لِي، عَنْ كُلِّ شُغْلٍ، بِهَا شُغْلٌ

١٤ قلادة من دمي

قال المتنبي يمدح شجاع بن محمد الطائي المنبجي: ٤٠/٨

إِنَّ الَّتِي سَفَكْتُ دَمِي بِجُفُونِهَا لَمْ تَذِرْ أَنَّ دَمِي الَّذِي تَتَقَلَّدُ

إن التي سفكت دمي (يقصد قتلتي عشقاً) بجفونها، لم تدر (لم تعلم) أن القلادة التي تتقلدها (ولعلها من عقيق أحمر، أو من ذهب أحمر) إنما هي دمي، فدمي في رقبتها وهي تبوء به. الشارحون الستة الذين أنظر في شروحه (اليازجي والمعري والعكبري والواحدي والبرقوقي وابن جني) يقولون إن معنى البيت: «إن التي سفكت دمي تقلدت هذا الدم، أي باءت به»، وابن جني لم يشرحه أساساً. وهذا التفسير مقصّر عن لفظ البيت. ولا أرى إلا أن أبا الطيب أراد بـ «تقلد» معناها الحسي، أي تلبس في جديها قلادة. وليست هذه المرة الوحيدة التي يصف فيها المتنبي حلي البدويات بالحرمة: مَنِ الْجَاذِرُ فِي زِي الْأَعَارِبِ/حمر الحلي والمطايا والجلابيب. ومفتاح اختلافي مع الشراح كلمة «الذي»

قَالَتْ، وَقَدْ رَأَتْ أَصْفَرَارِي: مَنْ بِهِ؟ وَتَنَهَّدَتْ، فَأَجَبْتُهَا: الْمُتَنَهِّدُ

قالت المحبوبة وقد رأت اصفرار وجهي: من به (من صنع به ذلك؟) ثم تنهدت. فأجبتها: الذي صنع به ذلك هو المتنهّد (أي أنت)

فَمَضَتْ، وَقَدْ صَبَغَ الْحَيَاءُ بَيَاضَهَا لَوْنِي، كَمَا صَبَغَ اللَّجَيْنُ الْعَسَجَدُ

فمضت وقد صبغ الخجل بياضها بلوني أنا الأصفر، مثلما يصبغ العسجد (الذهب) اللجين (الفضة) إذ تطلّى بالذهب. يقول الشراح إن المحبوبة اصطبغت باللون الأصفر خوفاً. فاقنع بقولهم إن شئت

عَدَوِيَّةٌ بَدَوِيَّةٌ، مِنْ دُونِهَا سَلَبُ النُّفُوسِ وَنَارُ حَرْبٍ تُوقَدُ

محبوبته عدوية (من بني عدي) بدوية، ومن دونها (قبل الوصول إليها) سلب النفوس (القتل) واتقاد نار الحرب

كُنْ حَيْثُ شِئْتَ تَسِرْ إِلَيْكَ رِكَابُنَا فَالْأَرْضُ وَاحِدَةٌ، وَأَنْتَ الْأَوْحَدُ

يخاطب المنبجي الممدوح: كن حيث شئت فتصل إليك ركبانا (نياقنا)، فالأرض واحدة مهما بعدت المسافة، وأنت واحد لا مثيل لك في كرمك

وَصُنِ الْحَسَامَ، وَلَا تُذِلَّهُ فَإِنَّهُ يَشْكُو يَمِينَكَ، وَالْجَمَاجِمُ تَشْهَدُ

صن (احفظ) الحسام، ولا تذله (لا تمتنه) فإنه يشكو يمينك لكثرة ما ضربت به، وجماجم أعدائك تشهد بذلك

يَبَسَ النَّجِيعُ عَلَيْهِ، وَهُوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غَمْدِهِ، وَكَأَنَّمَا هُوَ مُغَمَّدٌ
 يس النجيع (الدم) على السيف وهو مجرد من غمده (قرايه)، فصار كأنه محفوظ داخل غمد من
 الدماء المتيسية عليه

رَيَّانُ، لَوْ قَذَفَ الَّذِي أَسْقَيْتَهُ لَجَرَى مِنَ الْمُهْجَاتِ بَحْرٌ مُزِيدٌ
 سيفك ريان (مرتو) من الدم، ولو قذفت بالدم الذي أسقيته إياه لجرى مما عليه من المهجات (دماء
 القلوب) بحر مزيد (يعلوه الزبد)

١٥ قاتل الزمن

قال المتنبي وقد عدله معاذ بن إسماعيل اللاذقي على ما كان شاهده من نهوره: ٦/٢
 أُمِئِّلِي تَأْخُذُ النَّكَبَاتُ مِنْهُ وَيَجْزَعُ مِنْ مُلَاقَاةِ الْحِمَامِ؟
 شخص مثلي.. هل تأخذ النكبات منه (من عزمه)؟ وهل يجزع (يرتبك) من ملاقاته الحمام
 (الموت)؟

وَلَوْ بَرَزَ الزَّمَانُ إِلَيَّ شَخْصًا لَخَضَّبَ شَعْرَ مَفْرِقِهِ حُسَامِي
 ولو برز (ظهر) الزمان إلي شخصاً (في صورة إنسان) لخضَّب سيفي (صنغ بالدم) شعر مفرقه (رأسه)

١٦ بكاء الغيوم

قيل إن القصيدة قيلت سنة ٣٢١، ولم يظهرها المتنبي إلا بعد سنوات كثيرة: ٣٣/٧

ذَكَرُ الصُّبَا وَمَرَائِعِ الْآرَامِ جَلَبَتْ حِمَامِي قَبْلَ وَقْتِ حِمَامِي
 ذَكَر (ذكريات) الصبا ومراتع (مراعي) الآرام (الغزلان البيض) جلبت حمامي (موني) قبل وقته
 دَمَنْ تَكَاثَرَتِ الْهُمُومُ عَلَيَّ فِي عَرَصَاتِهَا، كَتَكَاثُرِ اللَّوَامِ
 تلك دمن (خرائب) أتيت أزورها فتكاثرت الهموم على في عرصات (ساحاتها) كتكاثر اللوامين،
 الذين يلوموني للإسراف في التوجع على أيام الأجرة

وَكَأَنَّ كُلَّ سَحَابَةٍ وَقَفَتْ بِهَا تَبْكِي بَعَيْنَيَّ عُرْوَةَ بْنِ حِزَامٍ
 وكان كل سحابة قد وقفت تمطر فوق تلك الديار الخربة كأنها تبكي بعيني عروة بن حزام (العاشق
 الشاعر القديم)

وَلَطَّالَمَا أَفْنَيْتُ رِيْقَ كَعَابِهَا فِيهَا، وَأَفْنَيْتُ بِالْعِتَابِ كَلَامِي
 وكثيراً ما أفنيت (استنزفت) في هذه الديار ريق كعابها (فتياتها) بقلاتي، وأخرستني أولئك الفتيات
 بكثرة عتابهن.

قَدْ كُنْتَ تَهْزَأُ بِالْفِرَاقِ مَجَانَّةً وَتَجُرُّ ذَيْلِي شِرَّةً وَعُرَامَ
كنت يا هذا - يخاطب نفسه - تهزأ بالفراق وأثره على سبيل المجانة (الاستخفاف) وتجر ذيل النهر
والشراسة. يقول: إنه كان يهزأ بالفراق ويتصرف باستخفاف وتهور وشراسة

لَيْسَ الْقِيَابُ عَلَى الرِّكَابِ، وَإِنَّمَا هُنَّ الْحَيَاةُ تَرَحَّلَتْ بِسَلَامٍ
والآن يرحل الأحبة، وما تراه ليس القياب (الهوادج) فوق الركاب (الإبل)، بل هذه حياتي ترحل
عني برحيلهن. التسويد من أ. عبد الرحيم

لَيْتَ الَّذِي خَلَقَ النَّوَى جَعَلَ الْحَصَى لِيخْفَافِهِنَّ مَفَاصِلِي وَعِظَامِي
ليت خالق النوى (الفراق) جعل بدل الحصى الذي تدوسه الإبل مفاصلي وعظامي لكي أموت
وأتخلص من هذا العذاب

١٧ لا لشيء إلا لأنني غريب

قال المتنبي وكتب بها إلى الوالي وقد طال اعتقاله: ٤/٣

بِيَدِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْأَرِيبُ لَا لِشَيْءٍ، إِلَّا لِأَنِّي غَرِيبُ
بيدي (أي خذ بيدي) أيها الأمير الأريب (الذكي)، لا لشيء إلا لأنني غريب. هذا بيت نادر: لن
تري المتنبي رقيقاً هذه الرقة أبداً بعد ذلك. كان، عندما قالها، فتى ناشئاً

أَوْ لِأُمِّ لَهَا إِذَا ذَكَرْتُنِي دَمٌ قَلْبٍ فِي دَمْعٍ عَيْنٍ يَذُوبُ
أو كرامة لأمي، التي لها - عندما تذكرني - دم قلب يختلط بدمع عينها إذ تبكي دماً

إِنْ أَكُنْ قَبْلَ أَنْ رَأَيْتُكَ أَخْطَأُ ثُ، فَإِنِّي عَلَى يَدَيْكَ أَتُوبُ
إن كنت أخطأت قبل أن أراك فأعطني فرصة لأتوب على يديك

١٨ اضطرار الأسد

أهدى إليه رجل يعرف بأبي دلف بن كنداج هدية وهو معتقل بحمص، فقبلها على الرغم من
أن مهديها كان انتقص منه عند الوالي الذي اعتقله، فكتب المتنبي إليه من السجن: ٤/٤

أَهْوَنُ بِطُولِ الشَّوَاءِ وَالتَّلَفِ وَالسُّجْنِ وَالْقَيْدِ يَا أَبَا دُلْفِ
ما أهون طول الشواء (المكوث) والتلف (الإنهاك) والسجن والقيد يا أبا دلف

غَيْرَ اخْتِيَارٍ قَبِلْتُ بَرَكَ بِي، وَالْجُوعُ يُرْضِي الْأَسْوَدَ بِالْجِيفِ
دون أن أكون مخيراً قبلت برك (إحسانك) بي، فالجوع يجعل الأسود ترضى أكل الجيف (الجثث)

كُنْ أَيُّهَا السُّجْنُ كَيْفَ شِئْتَ، فَقَدْ وَطَنْتُ لِمَوْتِ نَفْسٍ مُعْتَرِفِ
كن أيها السجن كيف شئت فأنني وطنت (هَيَّأت) للموت نفسي معترفاً بالحقيقة المرة

لو كَانَ سُكْنَايَ فِيكَ مَنَقَصَةً لَمْ يَكُنِ الدُّرُّ سَاكِنَ الصَّدَفِ
أيها السجن لو كان سكنائي (إقامتي) فيك منقصة (عيّاً) لما كان الدر (اللؤلؤ) يقيم مسجوناً داخل
الصدف

١٩ عند انقطاع الرجاء

كتب المتنبّي من السجن يستعطف الوالي الذي حبسه:
(نسبة ما اخترناه إلى عدد أبيات القصيدة) ٣٠/٨

أَمَالِكَ رَقِيٍّ! وَمَنْ شَأْنُهُ هِبَاتُ اللَّجِينِ وَعِنْتُ الْعَبِيدِ
يا مالك رقي (عبودي)، ويا من شأنه (عادته) هبات اللجين (هدايا الفضة) وعنت العبيد..

دَعَوْتُكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَا ١٩، وَالْمَوْتُ مِنِّي كَحَبْلِ الْوَرِيدِ
دعوتك (ناديتك) عند انقطاع رجائي من الناس، وعندما صار الموت قريباً مني قرب الوريد

دَعَوْتُكَ لَمَّا بَرَانِي الْبَلَاءُ وَأَوْهَنَ رِجْلِي ثِقْلُ الْحَدِيدِ
دعوتك (ناديتك) لما براني البلاء برئاً، وأوهن (أرهن) رجلي ثقل حديد القيود

وَقَدْ كَانَ مَشْيُهُمَا فِي النُّعَالِ فَقَدْ صَارَ مَشْيُهُمَا فِي الْقُبُودِ
وقد كان مشي رجلتي في النعال، وصارتا تمشيان في القيود

وَكُنْتُ مِنَ النَّاسِ فِي مَحْفَلٍ فَهَا أَنَا فِي مَحْفَلٍ مِنْ قُرُودٍ
وكنت أعاشر الناس في محافلهم (مجالسهم)، وأنا الآن في مجلس من القردة (نزلاء السجن من
الأسقياء والمجرمين)

فَمَا لَكَ تَقْبَلُ زُورَ الْكَلَامِ وَقَدَرُ الشَّهَادَةِ قَدَرُ الشُّهُودِ
فما لك تقبل زور الكلام (الكلام الباطل)، وقيمة الشهادة بحسب قيمة الشهود، والشهود مغرضون كاذبون

فَلَا تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاشِحِينَ وَلَا تَعْبَأَنَّ بِعَجَلِ الْيَهُودِ
فلا تسمع كلام الكاشحين (مضمرى العداوة)، ولا تعبأ (لا تهتم) بعجل اليهود (أي بالباطل الذي
يشبه عجل الذهب الذي عبده اليهود في غيبة موسى النبي)

وَكُنْ فَارِقاً بَيْنَ دَعْوَى (أَرَدْتُ) وَدَعْوَى (فَعَلْتُ) بِشَأْوٍ بَعِيدِ

وكن فارقاً (مفروقاً) بين دعوى تقول إنني «أردت» فعل شيء، ودعوى تقول إنني
«فعلت» ذلك الشيء حقاً، بشأو بعيد (بمسافة بعيدة). يقول: عليك أن تفرق بين
زعمهم أنني (قلت) شيئاً وزعمهم أنني (فعلت) ذلك الشيء، فأنا برئ ثقل عني قول،
ولكنني لم أفعل شيئاً

٢٠ شارب شرابها

قدم له بعضهم خمرأ فقال المتنبي: ٢/١

إِذَا مَا شَرِبْتَ الْخَمْرَ صِرْفًا مُهْنًا شَرِبْنَا الَّذِي مِنْ مِثْلِهِ شَرِبَ الْكَرْمُ
إذا أنت شربت الخمر صرفاً (خالصةً غير ممزوجة) وأنت مهناً (مشرح)، فنحن نشرب من الماء
الذي شرب مثله الكرم (بتان العنب). المتنبي يشرب الماء فقط

٢١ نهر الدموع

قال المتنبي يمدح محمد بن زريق الطرسوسي: ٣٠/٢

إِنْ كُنْتَ ظَاعِنَةً فَإِنَّ مَدَامِعِي تَكْفِي مَزَادَكُمْ وَتَرْوِي الْعَيْسَا
إن كنت ظاعنة (راحلة)، فإن مدامعي (دموعي) تكفي مزادكم (قربتكم)، وتروي العيس (الجمال).
يقول: إن دمعته غزير يرحل المحبوبة

بِضَاءٍ، يَمْنَعُهَا التَّكَلُّمَ دَلَّهَا تَيْهًا، وَيَمْنَعُهَا الْحَيَاءَ تَمِيسًا
المحبة بضاء يمنعها دلها (دلالها) من التكلم تهاً (فخرأ)، ويمنعها الحياء من أن تميس
(تبتخر). ولم ير شراح المتنبي تناقضاً بين التيه والحياء، ولا نحن نرى

٢٢ النسخة الأصلية للمجد

قال المتنبي يمدح عبد الله بن يحيى البحتري: ١٦/٣

أُحْيَيْتَ لِلشُّعْرَاءِ الشُّعْرَ فَاْمَتَدَحُوا جَمِيعَ مَنْ مَدَحُوهُ بِالَّذِي فِيكَ
أنت يا عبد الله بن يحيى أحييت للشعراء الشعر، إذ اهدوا بسبك إلى الصفات الكريمة وصاروا
يخلعونها على جميع الأمراء الذين مدحوهم

وَعَلَّمُوا النَّاسَ مِنْكَ الْمَجْدَ، وَاقْتَدَرُوا عَلَى دَقِيقِ الْمَعَانِي مِنْ مَعَانِيكَ
وعلم الشعراء الناس المجد بذكر صفاتك، وصاروا قادرين على صياغة المعاني الدقيقة لأنهم
راوها ممثلة فيك

فَكُنْ كَمَا شِئْتَ، يَا مَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ وَكَيْفَ شِئْتَ، فَمَا خَلَقَ يُدَانِيكَ
فكن كما شئت، يا من لا يشبهه أحد، وكن كيف شئت، فليس هناك خلق (أحد) يدانيك
(يقرب منك)

٢٣ شجر ينوح مع الحمام

قال المتنبي يمدح مساور بن محمد الرُّومي: ٣٤/٣

لَعِبْتُ بِمِشْيَتِهِ الشَّمُولُ، وَغَادَرَتْ صَنَمًا مِنَ الْأَصْنَامِ لَوْلَا الرُّوحُ
لعبت بمشية المحبوب الشمول (الخمرة)، وغادرت (تركته) بعد ذلك نشوان ساكنًا، فهو كالصنم لولا
أن فيه روحاً. وكانوا يصفون المرأة الجميلة بأنها كالصنم، وحماتي كانت تشبهها باللعبة

مَا بِالْه! لَاحَظْتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ، وَقُوَادِي الْمَجْرُوحِ
ما بال المحبوب! لاحظته (رغمته) فتضرجت (احمرت) وجناته (خدوده)، مع أن المجرع بحبه
والأحق بالاحمرار قلبي

يَجِدُ الْحَمَامُ، وَلَوْ كَوَجْدِي لِأَنْبَرِي شَجَرُ الْأَرَاكِ مَعَ الْحَمَامِ يَنُوحُ
يجد (يتألم) وجداً (وعشاقاً) الحمام، ولو كان وجده مثل وجدني لأنبري (لتصدى) شجر الأراك
للنواح مع الحمام

٢٤ التماذي في التماذي

قال المتنبي يمدح علي بن إبراهيم التوحي: ٤٣/١٢

إِلَى كَمْ ذَا التَّخَلُّفِ وَالتَّوَانِي وَكَمْ هَذَا التَّمَاذِي فِي التَّمَاذِي
حتى متى أتخلف وأتوانى عن طلب المجد، وكما يطول بي التماذي في التماذي (يقصد الكسل)

وَشُغْلُ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ الْمَعَالِي بِبَيْعِ الشُّعْرِ فِي سَوَاقِ الْكَسَادِ
والى متى أشغل نفسي عن المعالي ببيع الشعر في سوق كاسدة لا ينفع الشعر فيها

وَمَا مَاضِي الشَّبَابِ بِمُسْتَرَدٍّ وَلَا يَوْمٌ يَمُرُّ بِمُسْتَعَادٍ
أَرْضَى أَنْ أَعِيشَ وَلَا أَكْفَى عَلَى مَا لِلْأَمِيرِ مِنَ الْأَيَادِي
الأيادي: النعم

فَلَمَّا جِئْتُهُ أَعْلَى مَحَلِّي وَأَجْلَسَنِي عَلَى السَّبْعِ الشَّدَادِ
رفع الأمير محلي، وأجلسني فوق السبع الشداد (السموات السبع)

تَهَلَّلَ قَبْلَ تَسْلِيمِي عَلَيْهِ وَأَلْقَى مَالَهُ قَبْلَ الْوَسَادِ
كان بشوشاً بي قبل أن ألقى السلام؛ وقبل أن يلقي لي وسادة أجلس عليها ألقى بماله وعطاياه

نَلُومُكَ يَا عَلِيٍّ لِغَيْرِ ذَنْبٍ لِأَنَّكَ قَدْ زَرَيْتَ عَلَى الْعِبَادِ
نلومك وليس لك ذنب، فقط أنت زريت (حقرت) الناس لأن عظمتك أبرزت ذناءهم

كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عِيُونَ وَقَدْ طُبِعَتْ سَيُوفُكَ مِنْ رُقَادٍ
 كَانَ الْهَامَ (الرُّؤُوسَ) فِي الْهَيْجَا (الْحَرْبِ) عِيُونَ، وَسَيُوفُكَ مَطْبُوعَةٌ (مَسْبُوكَةٌ) مِنَ الرُّقَادِ (النُّومِ)
 فِيهِ تَدْخُلُ الْعِيُونَ

وَقَدْ صُنِعَتْ الْأَسِنَّةُ مِنْ هُمُومٍ فَمَا يَخْطُرْنَ إِلَّا فِي الْفُؤَادِ
 وَقَدْ صُنِعَتْ أَسِنَّةٌ رَمَاحُكَ مِنَ الْهُمُومِ فَلِهَذَا نَرَاهَا تَخْطُرُ فِي الْفُؤَادِ، أَيُّ تَطْعُنُ الْأَعْدَاءَ فِي قُلُوبِهِمْ
 فَلَا تَغْرُزُكَ أَلْسِنَةُ مَوَالٍ تُثَقِّلُبُهُنَّ أَفِيدَةُ أَعَادٍ
 فَلَا تَغْتَرُّ بِأَلْسِنَةِ مَوَالٍ (أَنْصَارِ) لِأَنَّ الْقُلُوبَ الَّتِي تَحْرُكُ هَذِهِ الْأَلْسِنَةُ قُلُوبَ أَعْدَاءِ

وَكُنْ كَالْمَوْتِ، لَا يَرْتِي لِبَاكِ بَكَى مِنْهُ، وَيَرَوَى وَهُوَ صَادٍ
 كُنْ كَالْمَوْتِ لَا يَحْزَنُ عَلَى الَّذِينَ يَكُونُ وَهُوَ مَقْبَلٌ عَلَيْهِمْ، وَيَرْتَوِي مِنَ الْبَشَرِ وَيُظَلُّ مَعَ ذَلِكَ صَادِيًا
 (عَطْشَانٌ)

فَإِنَّ الْجُرْحَ يَنْفِرُ بَعْدَ حِينٍ إِذَا كَانَ الْبِنَاءُ عَلَى فَسَادٍ
 فَالْجُرْحُ يَنْفِرُ (يَنْفَتِحُ) بَعْدَ حِينٍ إِذَا كَانَ مُضْمَدًا عَلَى فُسَادٍ، وَكَذَلِكَ الْمَرَاوُونَ فَهَمٌّ، عَلَى حِلَاوَةٍ فِي
 أَلْسِنَتِهِمْ، يَحْمِلُونَ فِي قُلُوبِهِمُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ الَّذِي لَمْ يَنْدَمِ

٢٥ داحي الأرض

قال المتنبي يمدح الحسين بن إسحق التتوخي: ٣/٣٩

يُحَاذِرُنِي حَتْفِي كَأَنِّي حَتْفُهُ وَتَنَكَّرُنِي الْأَفْعَى فَيَقْتُلُهَا سُمِّي
 يَحْذَرُ حَتْفِي (مَوْتِي) مَنِي كَأَنِّي أَنَا حَتْفٌ لَهُ، وَتَنَكَّرُنِي (تَلْسَعُنِي) الْأَفْعَى فَيَقْتُلُهَا سَمِي

طَوَالَ الرُّدَيْنِيَّاتِ يَقْصِفُهَا دَمِي وَبَيْضُ السَّرِيحِيَّاتِ يَقْطَعُهَا لَحْمِي
 طَوَالَ الرُّدَيْنِيَّاتِ (الرَّمَاكِ الطَّوِيلَةِ) تَقْصِفُ فِي دَمِي إِذْ تَصِيغُنِي، وَبَيْضُ السَّرِيحِيَّاتِ (السُّيُوفِ الْبَيْضِ)
 يَقْطَعُهَا لَحْمِي

كَأَنِّي دَحَوْتُ الْأَرْضَ مِنْ خَيْرَتِي بِهَا كَأَنِّي بَنَى الْإِسْكَندَرُ السَّدَّ مِنْ عَزْمِي

كَأَنِّي أَنَا الَّذِي دَحَوْتُ (بَسَطْتُ) الْأَرْضَ مِنْ شِدَّةِ خَيْرَتِي (مَعْرِفَتِي) بِتَضَارِسِهَا، وَكَأَنَّ
 الْإِسْكَندَرَ بَنَى السَّدَّ (بَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ) مِنْ عَزْمِي (تَصْمِيمِي). كَانَ فِي الْمَتْنِيِّ،
 وَرَبَّمَا فِي عَصْرِهِ أَيْضًا، اجْتِرَاءٌ عَلَى الدِّينِ. فَالْقُرْآنُ يَقُولُ: «وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ
 دَحَاهَا»، وَالْمَتْنِيُّ يَقُولُ «كَأَنِّي دَحَوْتُ الْأَرْضَ». وَأَمَّا الشُّطْرُ الثَّانِي فَمَنْ فَخِرَ الشَّعْرُ،
 وَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ (الْإِسْكَندَرَ) بَنَى سَدًّا مِنَ الْحَدِيدِ وَالنَّحَاسِ، وَفَسَّرَ
 الْمَفْسُورُونَ أَنَّ غَرَضَهُ كَانَ صَدِّ أَقْوَامٍ نَصَفَ بَشَرِ

قال المتنبي يمدح علي بن إبراهيم التوخي: ٤٤/٧

أَحَقُّ عَافٍ بِدَمْعِكَ الْهِمَمُ أَحَدْتُ شَيْءَ عَهْدٍ بِهَا الْقِدَمُ

أحقُّ عافٍ (موقع متهدم) بدمعك هو الهمم (الطموحات)، فالهمم زالت منذ زمن بعيد وصار أحدث شيء بها عهداً القدم نفسه. يقول: الطموحات الكبيرة التي تجعل الناس يترفعون عن سفاسف الأمور زالت، حتى إن أقرب شيء لها زمناً هو القِدَم نفسه. طريقة غريبة في التعبير. وهذه الطموحات هي أجدر الأطلال بالدموع، فلنترك البكاء على أطلال المحبوبة في بداية هذه القصيدة كما يفعل الشعراء، ولنبك أطلال الهمم

وَأَمَّا النَّاسُ بِالْمُلُوكِ، وَمَا تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلُوكُهَا عَجَمٌ

الناس بملوكهم، ولا يفلح العرب إذا كان ملوكهم عجم. لست متأكداً من صحة هذا. الثقيت وزملاء لي برئيس الجامعة الأميركية بالقاهرة - وهو أميركي - ومعه عدد من مساعديه ضمن وفد. وتحادثنا حديث مؤسسات ومجاملات. لكنني لم أملك نفسي أن أسأله: لا أكاد أرى لامعاً في البلد إلا وهو أستاذ عندكم. يبدو أنكم تدفعون كثيراً غمز الرجل بعينه بخبث وأجاب: بل لنا عين تلتقط المواهب. وأظن أن كلينا صادق. كلما رأيت الأبحاث التي تصدر عن الجامعة الأميركية في القاهرة وأختها في بيروت باركت لهما، وزادت نغمتي على جامعاتنا العربية التي تتولها الحكومات

لَا أَذَبٌ عِنْدَهُمْ وَلَا حَسَبٌ وَلَا عُهْدٌ لَهُمْ، وَلَا ذِمٌّ

أولئك الملوك لا أدب عندهم ولا حسب (مجد موروث)، ولا كلمة لهم يحافظون عليها

بِكُلِّ أَرْضٍ وَطِئْتُهَا أُمَمٌ تُرْعَى بِعَبْدٍ كَأَنَّهَا غَنَمٌ

في كل أرض وطئتها (دستها) أمم يرهاها (يسوسها) عبد، فكأنها غنم (ماعز)

يَسْتَخْشِنُ الْخَزَّ حِينَ يَلْمُسُهُ وَكَانَ يُبْرَى بِظْفَرِهِ الْقَلَمُ

هذا الحاكم العبد يجد الخز (الحبر) الآن خشناً لطيب عيشه، لكنه في أيام العبودية كان هو نفسه خشناً إلى درجة أن القلم (عود القصب) كان يُبرى بظفره

إِنِّي، وَإِنْ لُمْتُ حَاسِدِي، فَمَا أَُنْكِرُ أَنِّي عُقُوبَةٌ لَهُمْ

رغم أنني ألوم من يحسدوني فلأنني لا أنكر أن مجرد وجودي هو عقوبة لهم

وَكَيْفَ لَا يُحْسَدُ امْرُؤٌ عَلِمَ لَهُ عَلَى كُلِّ هَامَةٍ قَدَمٌ

وكيف لا يُحسد شخص علم (مهم) ارتفع فصارت قدمه فوق كل هامة (رأس)

٢٧ نحو أنطاكية على ناقتين

قال المتنبي يمدح المغيث بن علي بن بشر العجلي: ٣٩/٩

هَامَ الْفُؤَادُ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَنْتُ بَيْتًا مِنَ الْقَلْبِ، لَمْ تَمُدُّ لَهُ طُنْبًا
هَامَ الْفُؤَادُ بِأَعْرَابِيَّةٍ جَعَلَتْ مِنْ قَلْبِي بَيْتًا لَهَا، بَيْتًا لَمْ تَمُدَّ هَذِهِ الْحَسَنَاءُ لَهُ طُنْبًا (حبل الخيمة)
مَظْلُومَةُ الْقَدِّ فِي تَشْبِيهِهِ غُصْنًا مَظْلُومَةُ الرِّيقِ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرْبًا
نظلم قدما إذا شبهناه بالغصن، ونظلم ريقها إذا شبهناه بالضرب (العسل)

بَيَاضَاءُ تُطْمَعُ فِي مَا تَحْتَ حُلَّتِهَا وَعَزَّ ذَلِكَ مَظْلُوبًا إِذَا طُلِبَا
هذه الأعرابية بيضاء تطمع الناس (تجعلهم يطمعون) في ما تحت حلتها (ثوبها) - بدلا لها تجعل
الناس يطمعون في جسمها -، وهذا الجسم عزيز (صعب المنال)

لَمَّا أَقَمْتُ بِأَنْطَاكِيَّةٍ اخْتَلَفْتُ إِلَيَّ بِالْخَبَرِ الرُّكْبَانُ فِي حَلْبَا
عندما أقمت أنت (مكثت) في أنطاكية أيها الممدوح اختلفت (توافدت) إليّ الركبان (المسافرون)
في حلب يحملون الخبر

فَسِرْتُ نَحْوَكَ لَا أَلْوِي عَلَى أَحَدٍ أَحْتُ رَاحِلَتِي: الْفَقْرَ وَالْأَدْبَا
فسرت نحوك لا ألوي (لا ألنفت) على أحد، أحْتُ راحلتي (ناقتي): وهاتان الناقتان ما هما إلا
فقرتي وأدبي، فهما الدافع الذي يدفعني نحوك. تسويد أ. عبد الرحيم

وَإِنْ عَمَرْتُ جَعَلْتُ الْحَرْبَ وَالِدَةً وَالسَّمْهَرِيَّ أَخَا، وَالْمَشْرِفِي أَبَا
وإن عمرت (عشت) فسوف أجعل الحرب أمي، وسأجعل السمهري (الرمح) أخي، والمشرفي
(السيف) أبي

بِكُلِّ أَشْعَثَ يَلْقَى الْمَوْتَ مُبْتَسِمًا حَتَّى كَأَنَّ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرْبَا
سأذهب للحرب مرافقاً كل شخص أشعث (مغبر) يلقي الموت مبتسماً حتى كأن له في قتل نفسه
أرباً (هدفاً)

فُحَّ يَكَادُ صَهِيلُ الْخَيْلِ يَقْذِفُهُ عَنْ سَرْجِهِ مَرَحًا بِالْعِزِّ أَوْ طَرَبَا
وريفي في القتال فُحَّ (عربي صميم) يكاد صهيل خيل المعركة يقذفه عن سرجه لكثرة مرجه وطربه
بالعزّ

فَالْمَوْتُ أَعَزُّ لِي، وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ بِي وَالذُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا
الموت عذر كافٍ لي إذا لم أحقق طموحاتي، والصبر ألين بي، والبر واسع لكلي أفر من الذل،
والنجاح في الدنيا لمن يحقق الغلبة

٢٨ ناس صغار

قال المتنبّي يمدح المغيث بن علي بن بشر العجلي: ٤٣/١١

فَوَادٍ مَا تُسَلِّيهِ الْمُدَامُ وَعُمْرٌ مِثْلُ مَا تَهَبُ اللَّثَامُ
فَوَادِي فَوَادٍ لَا تَسْلِيهِ الْمُدَامُ (الخمير)، وعمري قصير ضئيل كضالّة ما تهب (تعطي) لثام الناس

وَدَهْرٌ نَاسُهُ نَاسٌ صِغَارٌ وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ جُنْتُ ضِخَامُ
وهذا الدهر ناسه صغار النفوس، وإن كانت لهم جثث ضخمة

وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالْعَيْشِ فِيهِمْ وَلَكِنْ، مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامُ
وما أنا جزء من هؤلاء الناس لكوني أعيش فيهم (بينهم)، فمعدن (خام) الذهب الرغام (التراب).
يقول: وجودي بين الناس اللثام كوجود الذهب الثمين في خام من التراب

أَرَانِبٌ، غَيْرَ أَنَّهُمْ مُلُوكٌ مُفْتَحَةٌ عُيُونُهُمْ، نِيَامُ
هم كالأرانب - وقالوا الأرانب تنام مفتوحة الأعين -، فهم مغفلون وإن ظهر غير ذلك، ولكنهم مع ذلك ملوك

خَلِيلُكَ أَنْتَ، لَا مَنْ قُلْتَ خَلِي
خليلك (صاحبك) هو نفسك، وليس من نظنه صاحبك، مهما كثر التجميل (التملق) من جانبه والكلام

لَوْ حِيزَ الْحِفَاطُ بِغَيْرِ عَقْلٍ تَجَنَّبَ عَنْقَ صَيْقَلِهِ الْحَسَامُ
لو حيز (اكتسب) الحفاظ (الشهامة) بدون عقل لكان السيف تجنب أن يقطع عنق صيقله (صانعه)

وَشَبَّهُ الشَّيْءَ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ وَأَشْبَهْنَا بِدُنْيَانَا الطَّغَامُ
كل شيء منجذب إلى شبيهه، وأشبه الناس بالدنيا الطغام (السفلة). يقول: السفلة ينالون خير الدنيا لأنهم يشبهونها في سفالتها، وكل شيء منجذب إلى شبيهه

وَلَوْ لَمْ يَغْلُ إِلَّا ذُو مَحَلٍّ تَعَالَى الْجَيْشُ، وَأَنْحَطَّ الْقِتَامُ
ولو لم يغلب (يصعد عالياً) إلا ذو محل (صاحب فضل)، لكان الجيش تعالى (ارتفع)،
ولكان القتام (الغبار) انحط (هبط). يقول: الفاضلون يهبطون في هذه الدنيا، فليس كل مستحق ينال المكانة التي يستحقها، انظر إلى الغبار النافه في المعركة تراه يرتفع،
وأما الجيش فهو على الأرض

وَمَا كُلُّ بِمَعْدُورٍ بِبُخْلِ وَلَا كُلُّ عَلَى بُخْلٍ يُسْلَمُ
ليس كل إنسان معذوراً على بخله، ولا كل إنسان يستحق اللوم. فاللثيم لا لوم عليه لأنه لثيم، أما
الكریم أو ذو الأصل فلا عذر له على البخل

لَقَدْ حَسَنْتَ بِكَ الْأَوْقَاتُ، حَتَّى كَأَنَّكَ فِي قَمِ الزَّمَنِ ابْتِسَامٌ
 يمدحه: حسنت (طابت) بوجودك الأوقات، فكانك في قم الزمن ابتسام. تسويد أ. عبد الرحيم
 وَأُعْطِيََتِ الَّذِي لَمْ يُعْطَ خَلْقٌ عَلَيْكَ صَلَاةُ رِيِّكَ، وَالسَّلَامُ
 وأعطاك الله ما لم يعطه أحداً من الخصال الكريمة، فعليك صلاة الله (رحمته) وسلامه

٢٩ زَخَاتِ الْمَصَائِبِ

قال المتنبي يمدح علي بن منصور الحاجب: ٤٠/١٤

بِأَبِي الشَّمْسِ الْجَانِحَاتُ غَوَارِبَا اللَّابِسَاتُ مِنَ الْحَرِيرِ جَلَابِيبَا
 بأبي (أفدي بأبي) هؤلاء الحسان اللاتي يشبهن الشمس الجانحة (المائلة) للغروب، فهن على
 وشك الرحيل، واللابسات جلابيب من الحرير

النَّاعِمَاتُ الْقَاتِلَاتُ الْمُحْيَا تُ الْمُبْدِيَاتُ مِنَ الدَّلَالِ غَرَائِبَا
 أفدي بأبي الناعمات القاتلات المحيات المبديات من فنون الدلال كل غريب. التسويد لأحمد
 عبد الرحيم، وفوقه: «يا عيني!»

حَاوَلْنَ تَفْدِيَتِي، وَخَفْنَ مُرَاقِبَا فَوَضَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ فَوْقَ تَرَائِبَا
 حاولن القول «فديناك»، وخفن أن يراهن رقيب، فوضعن أيديهن فوق الترائب (أعلى الصدور)،
 فهن يقلن هذه العبارة بالإشارة

وَبَسَمْنِ عَنْ بَرْدٍ خَشِيبُ أَذِيبُهُ مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي، فَكُنْتُ الذَّائِبَا
 وابسمن فظهرت أسنانهن التي تشبه البرد، وخشيت أن أذيب هذا البرد بحر أنفاسي، فكنت أنا
 الذائب المألفراهن

كَيْفَ الرَّجَاءِ مِنَ الْخُطُوبِ تَخْلُصًا مِنْ بَعْدِ مَا أَنْشَبَنِي فِي مَخَالِبَا
 كيف أرجو أن أتخلص من الخطوب (المصائب) من بعد ما أنشبت (غرزت) المصائب في مخالبها

أَوْحَدَنِي، وَوَجَدَنَ حُزْنًا وَاحِدًا مُتَنَاهِيًا فَجَعَلَنِي لِي صَاحِبَا
 المصائب أوحدنني (جعلني واحداً مفرداً لا يختلط بي الناس)، ووجدن حزناً كبيراً متناهياً في
 الإيلام فجعلن هذا الحزن صاحباً ملازماً لي

وَنَصَبْنِي غَرَضَ الرُّمَاءِ تُصِيبُنِي مِحْنٌ أَحَدٌ مِنَ السُّيُوفِ مَضَارِبَا
 ونصبني المصائب غرضاً (هدفاً) للرماة، فالمحن تصيبني، وهي أكثر حدة من مضارب (نصال) السيوف

أَظْمَنِي الدُّنْيَا، فَلَمَّا جِئْتُهَا مَسْتَسْقِيًا، مَطَرَتْ عَلَيَّ مَصَائِبَا
 أظمتني الدنيا (أعطشتني)، فلما جئتها مستقياً (طالباً الشرب) أمطرت علي مصائب

حَالٌ مَتَى عَلِمَ ابْنُ مَنْصُورٍ بِهَا جَاءَ الزَّمَانُ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبًا
وهذه حال إذا علم بها ابن منصور، الممدوح، فإن الزمان سيأتيني تائباً. أي أن ابن منصور
سيكافئني مكافأة تجعل الزمان يضحك لي مكفراً عن سالف ذنوبه

هَذَا الَّذِي أَفْنَى النُّضَارَ مَوَاهِبًا وَعَدَاهُ قَتْلًا، وَالزَّمَانَ تَجَارِبًا
هذا الرجل أفنى النضار (الذهب) مواهب (عطايا وهبات)، وأفنى عداه (أعداءه) قتلاً، وأفنى العمر
تجارب

هَذَا الَّذِي أَبْصَرْتُ مِنْهُ حَاضِرًا مِثْلَ الَّذِي أَبْصَرْتُ مِنْهُ غَائِبًا
هذا الشخص هو الذي رأيته خيره وأنا عنده مثلما رأيته وأنا غائب عنه، لشدة كرمه

كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ التَّفَتُّ رَأَيْتُهُ يُهْدِي إِلَى عَيْنَيْكَ نُورًا نَاقِبًا
الثاقب: المتقد

كَالْبَحْرِ يَقْذِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرًا جُودًا، وَيُبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَابًا
إنه كالبحر: يقذف الجواهر (اللؤلؤ) للقريب لشدة جوده، ويبعث للبعيد السحب الماطرة

كَالشَّمْسِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ، وَضَوْوُهَا يَغْشَى الْبِلَادَ، مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا
إنه كالشمس البعيدة في كيد السماء (وسطها)، ولكن ضوءها يغشى (يأتي) مشارق البلاد ومغاربها.
تسويد الأبيات الثلاثة الأخيرة أ. عبد الرحيم

٣٠ سره في جفنه

يَمْدَحُ عَمْرَ بْنَ سُلَيْمَانَ الشَّرَاطِيَّ وَهُوَ يَوْمُنِيذٍ يَتَوَلَّى الْفِدَاءَ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالرُّومِ: ٣٩/٨
نَرَى عِظْمًا بِالْبَيْنِ، وَالصَّدُّ أَعْظَمُ وَنَتَهُمُ الْوَاشِينَ، وَالذَّمْعُ مِنْهُمْ
نستعظم البين (الفراق)، ولكن الصد (الهجران المتعمد) أعظم منه، ونتهم الواشين (النمامين)
بإفشاء أسرارنا، مع أن دمنا هو أحد الواشين فهو يفشي ما بنا من شوق

وَمَنْ لُبُّهُ مَعَ غَيْرِهِ كَيْفَ حَالُهُ؟ وَمَنْ سِرُّهُ فِي جَفْنِهِ، كَيْفَ يَكْتُمُ
ومن كان لبه (قلبه) مع غيره فكيف يكون حاله؟ ومن كان سره مملوكاً لجفنه فكيف يكتُم ما به من
حرقه (فالعين: تكشف السر من خلال البكاء)

وَلَمَّا التَّقِينَا، وَالنَّوَى وَرَقِيبُنَا عَفُولَانِ عَنَّا، ظَلْتُ أَبْكِي وَتَبَسُّمُ
ولما التقيت مع المحبوبة، وكان النوى (الفراق) والرقيب غافلين عنا، ظلت (ظلت) أبكي وظلت
هي تبسم

وَلَمْ أَرْ بَدْرًا ضَاحِكًا قَبْلَ وَجْهِهَا وَلَمْ تَرَ قَبْلِي مَيِّتًا يَتَكَلَّمُ
لم أر بدرًا يضحك قبل وجهها (يريد أنها قمر)، ولم تر هي قبلي ميتاً يتكلم (فأنا ميت عليها، ميت منها)

فَلَوْ كَانَ قَلْبِي دَارَهَا كَانَ خَالِيًا وَلَكِنْ جَيْشَ الشَّوْقِ فِيهِ عَرَمَرَمٌ
وهذه الحساء، ككل حسان المتنبي، أعرابية وبيتها صار فارغاً لأن قومها رحلوا. ولو كان قلبي
مثل بيتها لكان فارغاً من الهوى، ولكن جيش الشوق في قلبي عرمرم (كبير)

أَثَافُ بِهَا مَا بِالْفُؤَادِ مِنَ الصَّلَى وَرَسْمٌ كَجِسْمِي نَاحِلٌ مُتَهَدِّمٌ
يصف بيتها الآن: أثاف (حجارة موقد) بها من آثار الصلّى (الحرق) مثل ما بقلبي، ورسم (طلل)
مثل جسمي ناحل (مهزول) ومتهدم

بَلَلْتُ بِهَا رُدْنِي، وَالغَيْمُ مُسْعِدِي وَعَبْرَتُهُ صِرْفٌ، وَفِي عَبْرَتِي دَمٌ
بللت رذني (كُمي ثوبي) من دموعي ومن المطر، فقد كان الغيم مسعدي (مساعداً لي) ولكن عبرته
(دمعته) صرف (صافية)، أما دمعتي ففيها دم

بِنَفْسِي الْخِيَالُ الزَّائِرِي بَعْدَ هَجْعَةٍ وَقَوْلْتُهُ لِي: بَعْدَنَا الْغَمَضُ تَطْعَمُ
أفدي بنفسي الخيال الذي يزورني في أحلامي بعد الهجعة (الإغفاءة)، وأفدي قوله لي معاتباً: نراك
بعد فراقنا تَطْعَمُ (تذوق) الغمض (النوم)!

٣١ قمران وأربع ليال

قال المتنبي يمدح عبد الواحد بن العباس بن أبي الإصبع الكاتب: ٣٧/٢
نَشَرْتُ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا فِي لَيْلَةٍ فَأَرْتُ لَيْالِي أَرْبَعًا
نشرت ثلاث ذوائب (خصلات) من شعرها الأسود في الليل، فارتني بذلك أربع ليال، خصلاتها
الثلاث والليل الحقيقي

وَاسْتَقْبَلْتُ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرْتُنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعًا
وبرزت بوجهها والقمر في السماء، فجعلتني أرى قمرين في وقت معاً

٣٢ معاهدة مع الأسود

اجتاز المتنبي بمكانٍ يعرف بالفرايس من أرض قسرين فسمع زئير الأسد، فقال: ٤/٤
أَجَارِكُ يَا أَسَدَ الْفَرَايسِ مُكْرَمٌ فَتَسْكُنُ نَفْسِي، أَمْ مُهَانٌ فَمُسْلَمٌ؟
هل جارك (الملتجئ إليك) يا أسود منطقة الفرايس موضع تكريم، فبذلك تسكن (تهداً) نفسي؟ أم
هو مهان (معرض للهوان) ومسلم (معرض لتسليمه لمن يطاردونه)؟

وَرَائِي وَقَدَامِي عُدَاةٌ كَثِيرَةٌ أَحَازِرُ مِنْ لِصٍّ، وَمِنْكَ، وَمِنْهُمْ
ورائي وقدامي عداة (أعداء) كثيرون، وأنا أحاذر (أخاف) من اللصوص، ومنك أيتها الأسود، ومن
أعدائي

فَهَلْ لَكَ فِي حِلْفِي عَلَى مَا أُرِيدُهُ فَإِنِّي بِأَسْبَابِ الْمَعِيشَةِ أَعْلَمُ
فهل لك في (هل تقبلين) حلفي (التحالف معي) لكي أحقق ما أريده، فإنني أخبر منك بأسباب
(وسائل) المعيشة واكتساب الرزق..

إِذْنِ لَأَتَاكَ الرِّزْقُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَأَثَرَيْتِ مِمَّا تَعْنَمِينَ وَأَعْنَمُ
في هذه الحالة، إذا تم الحلف، سيأتيك الرزق من كل وجهة (جانب)، وستصبحين أيتها الأسود
ثرية مما تحصلين عليه أنت وأنا من غنائم

٣٣ ركب م الجن

قال المتنبي يمدح عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي: ٣٧/١٢

صِلَّةُ الْهَجْرِ لِي، وَهَجْرُ الْوَصَالِ نَكْسَانِي فِي السَّقَمِ نَكْسَ الْهَلَالِ
صلة الهجر (مصاحبة الهجر) لي، وهجر الوصال (اللقاء) نكساني في السقم (أرجعا إلي المرض)
كما يعود القمر للهبال فيصبح هلالاً ويضمحل

فَعَدَا الْجِسْمُ نَاقِصًا، وَالَّذِي يَنْدُ قُصُصٌ مِنْهُ يَزِيدُ فِي بَلْبَالِي
فجسمي ناقص ومهزول، وما ينقص من جسمي يتحول إلى بلبال (حزن)

قِفْ عَلَى الدُّمْنَتَيْنِ بِالْدَّوِّ مِنْ رَيْ - لَ، كَخَالٍ فِي وَجْنَةٍ جَنْبِ خَالٍ
قف يا صاحبي بالدمنتين (الخريتين) بالدو (بالصحراء) وهما منزل المحبوبة ريا، وهما مثل الخال
(الشامة) في الوجنة (الخد) الذي بجانبه خال آخر

بِطُلُولٍ كَأَنَّهُنَّ نُجُومٌ فِي عِرَاصٍ كَأَنَّهُنَّ لَيَالٍ
قف بطلول (خرائب) كأنها نجوم، وهي موجودة وسط عراص (ساحات) كأنها
الليالي. ذلك أن الساحات مملوءة بالحجارة السود من أثر المواقد، ولكن الخرائب
فيها بقايا عظام وما شابها فهي بيضاء وسط هذا السواد

وَنُؤْيٍ كَأَنَّهُنَّ عَلَيَّهِنَّ - خِدَامٌ خُرُسٌ بِسُوقٍ خِدَالٍ
قف بالنؤي (الخنادق المحفورة حول الخيام) وكأنها حول الخيام خدام (خلاخيل)
خرس بسوق (بسيقان) خدال (غلاظ). يشبه النؤي وهي تلك القنوات التي كان البدو
يحفرونها حول الخيمة ليجري فيها ماء المطر ولا يدخل الخيمة، يشبهها بالخلاخيل
الخرساء، وهي خرساء لأنها تحيط بسيقان سميكة. والعرب تحب ساق المرأة سميكة
مملوءة، وتتغزل بالخلخال الأخرس الذي لا يتحرك ولا يصدر صوتاً

نَحْنُ رَكْبُ مِ الْجَنِّ فِي زِيِّ نَاسٍ فَوْقَ طَبِيرِ لَهَا شُخُوصُ الْجِمَالِ
نحن ركب (مسافرون) من الجن ولكن لنا زي الناس، ونركب طيراً لكن شكلها شكل الجمال.
يصف صحبه الهائمين في الصحارى

مِنْ بَنَاتِ الْجَدِيلِ، تَمْشِي بِنَا فِي الدِّ سَبِيلِ مَشْيِ الْأَيَّامِ فِي الْأَجَالِ
 نياقا من حفيدات الجدِيل (آدم الإبل)، وهي تمشي بنا في البيد (الصحارى) كما تمشي الأيام في
 الأَجَال (الأعمار). فالجمال تنهب الصحراء كما تنهب الأيام الأعمار

رَجُلٌ طِينُهُ مِنَ الْعَنْبَرِ الْوَرْدِ دِ وَطِينُ الْعِبَادِ مِنْ صَلْصَالِ
 الممدوح مخلوق من طين لكن طينه من العنبر الورد (الوردي اللون)، في حين الطين الذي خلق
 منه الناس من صلصال (طين الأرض)

فَبَقِيَّاتُ طِينِهِ لَاقَتْ الْمَاءَ فَصَارَتْ عُذُوبَةً فِي الزُّلَالِ
 وما تبقى من طينٍ عُبْرِيٍّ بعد خلق هذا الرجل اختلط بماء الأنهار والينابيع، ومن هنا صار عندنا
 ماء عذب زلال

وَبَقَايَا وَقَارِهِ عَافَتْ النَّاسَ سَ فَصَارَتْ رَكَائَةً فِي الْجِبَالِ
 وقد خلق الممدوح من الوقار، وما تبقى من الوقار بعد خلقه لم يذهب للناس الآخرين
 بل عافهم (أنف منهم) وتحول إلى ركانة (رسوخ) في الجبال. هذا الخلط بين المادي
 والمعنوي شيء يحسنه أبو الطيب كما لم نشهد في كل ما سبقه من الشعر: هذا مفتاح
 آخر لعظمة المتنبي وغبائه وجدته، وهذا مفتاح من مفاتيح سر إعجاب المحدثين به

لَسْتُ مِمَّنْ يَعْرِهُ حُبُّكَ السُّلْمَ مَ، وَأَنْ لَا تَرَى شُهُودَ الْقِتَالِ
 أنا لا أغتر بحبك السلم، وبأنك لا ترى (لا تقرر) شهود القتال، فالأمر ليس تجنباً
 للقتال، بل..

ذَاكَ شَيْءٌ كَفَاكَهُ عَيْشُ شَانِيهِ لَكَ ذَلِيلًا، وَقِلَّةُ الْأَشْكَالِ
 إن القتال شيء كفاكه (جنبك إياه) عيش شانيك (كارهك) ذليلاً، وجنبك إياه أيضاً قلة
 الأشكال (الأنداد). فعدوك ذليل، ونظراؤك قليلون ولذا لا حاجة بك للقتال، ولكنك
 بالطبع بطل عظيم لو دعت الحاجة. وهكذا فالمتنبي يجد العذر للممدوح إن لم يكن
 قاتلاً فانتكاً، فكأن القتل والفنك هما المحمودة الكبرى

٣٤ بضدها تبين الأشياء

قال المتنبي يمدح أبا علي هارون بن عبد العزيز الأوراجي الكاتب، وكان يذهب إلى
 التصوف: ٤٧/٦

أَنَا صَخْرَةُ الْوَادِي إِذَا مَا زُوِّجِمْتُ وَإِذَا نَطَقْتُ فَلِأَنَّنِي الْجَوَزَاءُ
 أنا راسخ كصخرة الوادي (فالسيل يجرف كل الحجارة، أما الصخرة التي بقيت في
 الوادي فهي الراسخة) إذا ما زوِّجِمْتُ (تعرضت للمزاحمة والمدافعة) فهي تثبت
 بالطبع؛ وإذا نطقتُ فكلامي عالٍ كالجوزاء (نجوم برج الجوزاء)

وَإِذَا خَفِيتُ عَلَى الْغَيْبِ فَعَاذِرٌ أَلَّا تَرَائِي مُقْلَةً عَمِيَاءَ
وَإِذَا خَفِيتُ (كنت مجهول القدر) على غيبي، فأنا أجد عذراً للمقلة (العين) العمياء أن لا تراني

شِيمَ اللَّيَالِي أَنْ تُشَكَّكَ نَاقَتِي: صَدْرِي بِهَا أَقْضَى أُمَ الْبَيْدَاءِ

شيم الليالي (طباع الزمن) أن تشكك ناقتي: هل صدري أفضى أم البيداء (طباع الزمن) أم البيداء أوسع. فناقة أبي الطيب متعبة وهي تقطع الصحراء التي لا تنتهي، وهي تشك: هل الصحراء أوسع أم صدر هذا الرجل العنيد؟

بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي عَلِيٍّ مِثْلُهُ شُمُ الْجِبَالِ، وَمِثْلُهُنَّ رَجَاءُ

تفصل بيني وبين الممدوح أبي علي جبال شم (عالية) مثله، فهو عالي القدر، وبينني وبينه من رجائي في كرمه ما هو مثل الجبال في الضخامة

مَنْ يَظْلِمُ اللُّؤْمَاءَ فِي تَكْلِيفِهِمْ أَنْ يُصْبِحُوا وَهُمْ لَهُ أَكْفَاءُ
أبو علي هو من (الذي) يظلم اللؤماء لو كلفهم (أجبرهم) أن يجاروه ليصبحوا أكفاء له (أنداداً له)

وَنَذِيمُهُمْ، وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ وَبِضِدِّهَا تَنَبَّيْنُ الْأَشْيَاءَ
ونحن نذيم (نذم) اللؤماء، مع أننا بسببهم عرفنا فضله، فالأشياء تتبين (تصبح واضحة) بمقارنتها مع ضدها (عكسها)

٣٥ الحكم قبل المداولة

قال المتنبي يمدح بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي الطبرستاني وهو يومئذ يتولى
حرب طبرية من قبل أبي بكر محمد بن رائق سنة ٣٢٨: ٢٠ / ٤

كَأَنَّ نَوَالَكَ بَعْضُ الْقَضَاءِ فَمَا تُغْطِ مِنْهُ نَجْدُهُ جُدُودًا
كأن نوالك (عطاءك) قضاء وقدر، فالذي تناله منك نجده (نعتبه) جدوداً (حظوظاً)

وَرُبَّمَا حَمَلَةٍ فِي الْوَغَى رَدَدَتْ بِهَا الذُّبُلَ السُّمْرَ سُودًا
وربما (رب) حملة شنتها أنت في الوغى (الحرب) رددت بها (حوّلت بها) الذُّبُلَ السُّمْرَ (الرمح السمر) إلى اللون الأسود لما تجمد عليها من الدم

وَهَوْلٍ كَشَفْتَ، وَنَضْلٍ قَصَفْتَ، وَرُمَحٍ تَرَكْتَ مُبَادًا مُبِيدًا
ورب هول (كارثة) قد كشفت (أبعثته)، ونصل (سيف) قد قصفت، ورمح قد تركته مباداً (مكسوراً) قد فتني (مبيداً للأعداء قبل أن ينكسر)

وَمَالٍ وَهَبْتَ بِلاَ مَوْعِدٍ وَقَرْنٍ سَبَقَتْ إِلَيْهِ الْوَعِيدَا
ورب مال وهبته دون موعد (وعد)، ورب قرن (خصم) عاجلته بالقتل فسبقت إليه الوعيد (التهديد)

٣٦ كن نفسك

قال المتنبي في بدر بن عمار، وقد فصده الطبيب ففاص الموضع في جسمه فأضرَّ به: ٤٤/٧
وَمَهْمُهُ جُبْنُهُ عَلَى قَدَمِي تَعْجِزُ عَنْهُ الْعَرَامِسُ الذُّلُّ
ومهمه (رب صحراء) جبته (قطعته سيراً) على قدمي، مع أن العرامس الذلل (النياق الصلبة المروضة) تعجز عنه

بِصَارِمِي مُرْتَدٍ، بِمَخْبَرَتِي مُجْتَزِيٌّ، بِالظَّلَامِ مُشْتَمِلٌ
قطعت الصحراء مرتدياً صارمي (سيفي)، ومجتزئاً (مكتفياً) بمخبرتي (بمعرفتي) بتضاريس الأرض،
ومشتماً (محاطاً) بالظلام

إِذَا صَدِيقٌ نَكَرْتُ جَانِبَهُ لَمْ تُعِينِي فِي فِرَاقِهِ الْحِيلُ
إذا نكرت جانب صديق (لمست تغيره علي) لم تعيني (لم تُعْجِزْنِي) الحيلة في فراقه، ووجدت
طريقة لذلك

فِي سَعَةِ الْخَافِقِينَ مُضْطَرَبٌ وَفِي بِلَادٍ مِنْ أُخْتِهَا بَدَلٌ
في سعة الخافقين (الشرق والغرب) مضطرب (مكان)، ولكل بلد بديل. تسويد أ. عبد الرحيم

مَدَدَتْ فِي رَاحَةِ الطَّبِيبِ يَدًا فَمَا ذَرَى كَيْفَ يُقَطِّعُ الْأَمْلُ
أيها الممدوح لقد مددت يدك (وهي أمل الناس لأنها معطاء) فأمسكها الطبيب براحته، يريد فصد
الشريان، ولكنه عجز عن قطع الأمل

خَامَرَهُ، إِذْ مَدَدْتَهَا، جَزَعٌ كَأَنَّهُ مِنْ حَذَاقَةِ عَجَلٍ
خامره (داخله) الجزع (الرغبة)، وصار مستعجلاً، فكان عجلته دليل على الحذاقة (البراعة) لكنه في
الواقع مضطرب

أَبْلَغُ مَا يُطَلَّبُ النَّجَاحُ بِهِ الطَّد - بِنْعُ، وَعِنْدَ التَّعَمُّقِ الزَّلُّ
أبلغ (أقصى) شيء يطلب بواسطته النجاح الطبع (التصرف على الطبيعة)، وعندما
يتعمق الإنسان (يبالغ ويخالف طبعه) فإن مصيره الزلل (الخطأ)، وكان الطبيب إذ قصد
الممدوح خرج عن طبعه لاضطرابه فزل

٣٧ الضائعات في شعورهن

قال المتنبي بمدح بدر بن عمار: ٤٦/١٥

بَقَائِي شَاءَ، لَيْسَ هُمْ، ارْتَحَالًا وَحُسْنَ الصَّبْرِ زُمُوا لَا الْجَمَالَا
بقائي (وجودي في الحياة) أراد الرحيل وليس هم (أهل الحية)، والذي زموه (ربطوا به الزمام)
ليرحلوا ليس الجمال بل حسن الصبر. يقول: يرحلهم رحل وجودي، ورحل أيضاً صبري

تَوَلَّوْا بَغْتَةً، فَكَأَنَّ بَيْنَنَا تَهَيَّبَنِي فَقَاجَانِي اغْتِيَالَا
تولوا (ذهبوا) بغتة (فجأة)، فكان البين (الفراق) تهيبني (خاف مني) ففاجأني واغتالني اغتيالاً
فَكَانَ مَسِيرُ عَيْسِهِمْ ذَمِيلاً وَسِيرُ الدَّمْعِ إِثْرَهُمْ انْهِمَالَا
فكان سير عيسهم (إيلهم) ذمياً (نوع من السير البطيء)، وأما سير دمعي إثرهم (بعدهم) فكان
انهمالاً (هطولاً)

كَأَنَّ الْعَيْسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِي مُنَاخَاتٍ، فَلَمَّا ثُرْنَ سَالَا
كَأنَّ العيس (الإبل) كانت مناخة (باركة) فوق جفني، فلما ثرن (قمن) عن جفني بقصد الرحيل سال
جفني بالدموع

وَحَجَبَتِ النَّوَى الظُّبَيَّاتِ عَنِّي فَسَاعَدَتِ الْبَرَاقِعَ وَالْحَجَّالَا
حجبت النوى (الفراق) الظبيات (الغزالات/الحبيبات) عني، فساعدت البراقع (أغطية الوجه)
والحجال (الستور) في تحجب الفتيات

لَيْسَنَ الْوُشْيَ، لَا مُتَجَمَّلَاتٍ وَلَكِنْ، كَيْ يَصُنَّ بِهِ الْجَمَالَا
الحبيبات لبسن الوشي (الثياب المؤشّية) لكن ليس للتجمل بل لصون جمالهن عن العيون

وَضَفَّرْنَ الْغَدَائِرَ، لَا لِحُسْنٍ وَلَكِنْ خِفْنَ فِي الشَّعْرِ الضَّلَالَا
وضفرن غداثرهن (خصلات شعرهن) ليس لاجتلاب الحسن، ولكن خفن أن تضل (تضيع)
وجوههن في الشعر الكثيف

بَدَتْ قَمَرًا، وَمَالَتْ خُوطَ بَانَ وَفَاحَتْ عُنْبَرًا، وَرَنْتُ غَزَالَا
حييتني بدت كالقمر، ومالت خوط بان (غصن بان)، وفاحت عنبراً، ورنّت (نظرت) غزالاً

وَجَارَتْ فِي الْحُكُومَةِ، ثُمَّ أَبَدْتُ لَنَا مِنْ حُسْنِ قَامَتِهَا اعْتِدَالَا
وجارت (ظلمت) في الحكومة (الحكم)، ثم أظهرت لنا من حسن قامتها اعتدالاً... فهي ظالمة لنا
وعادلة في استقامة قدها

كَأَنَّ الْحُزْنَ مَشْغُوفٌ بِقَلْبِي فَسَاعَاةً هَجَرَهَا يَجِدُ الْوِصَالَا
كَأنَّ الحزن مشغوف (مغرم) بقلبي، وعندما تهجرني هي يجد الحزن لحظة للوصال فيحل في قلبي

أَلْفْتُ تَرَحُّلِي، وَجَعَلْتُ أَرْضِي قُتُودِي وَالْغُرَيْرِي الْجَلَالَا

ألقت (تعودت) على الترحال حتى لقد جعلت أرضي القتود (أخشاب سرج البعير)
والغريري الجلال (البعير الكريم النسب، الضخم). يقول: إنه لشدة تعوده على
الترحال صار ظهر الجمل أرضاً له

فَمَا حَاوَلْتُ فِي أَرْضٍ مُّقَامًا وَلَا أَزْمَعْتُ عَنْ أَرْضٍ زَوَالًا
فما حاولت أن أقيم في أرض، ولا أزمت (نويت) عن أرض رحيلاً لأنني أصلاً لا أقيم في أرض

عَلَى قَلْقٍ، كَأَنَّ الرِّيحَ تَخْنِي أَوَّجَهَا جَنُوبًا أَوْ شَمَالًا

أنا على قلق (حركة مستمرة)، فكان الريح هي التي تحملني وأنا أوجهها جنوباً أو شمالاً كما أوجه حصاني. يعجب الحداثيون جداً بهذا البيت لكلمة «قلق». على أن «قلقاً» هنا تعني الحركة الدائبة وليس القلق الوجودي. ومن الظلم للمتنبّي أن نعجب به للسبب الخطأ. هو وجودي بطريقته، وليس لعبارة أساء أهل زمننا فهمها في سياق اللغة التاريخي. وما نحن سودنا البيت، وأحمد ولد الدين فال يسميه بسجدة. وأحمد عبد الرحيم يناقش ويجد أن «قلق الروح» مما يحتمله نص البيت

أَرَى الْمُتَشَاعِرِينَ غُرُوا بِذَمِّي وَمَنْ ذَا يَحْمَدُ الدَّاءَ الْعُضَالَا

أرى المتشاعرين (مدعي الشعر) غُرُوا (وجدوا إغراء) بذمي، ومن هو الذي يحمد (يمدح) الداء العضال (الذي لا شفاء منه). يقول: المتشاعرون مغرمون بشتمي، ولست ألومهم فأنا بوصفي شاعراً حقيقياً أشبه الداء العضال بالنسبة لهم

وَمَنْ يَكُ ذَا قِمٍ مُّرٍّ مَرِيضٍ يَجِدُ مُرّاً بِهَ الْمَاءَ الزُّلَالَا

من يكن في فمه مرارة بسبب المرض، فسيجد الماء الزلال (العذب) مرّاً. فالمشاعرون لا يتذوقون شعري لأن أذواقهم فاسدة

٣٨ مواجهة مع الأسد

خرج بدر بن عمار إلى أسدٍ فهرب الأسد منه، وكان قد خرج قبله إلى أسدٍ آخر فهاجه عن بكرة افرسها بعد أن شبع وثقل، فوثب إلى كفل فرسه فأعجله عن استلال سيفه، فضربه بالسوط ثم تكفل به الجيش، فقال المتنبّي بادئاً بالنسيب، ثم واصفاً الأسد: (نسبة ما اخترناه إلى عدد أبيات القصيدة) ٤٩/٣٦

فِي الْحَدِّ، أَنْ عَزَمَ الْخَلِيطُ رَحِيلاً، مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الْخُدُودُ مُحُولَا

في خدي، بسبب نية الخليط (القوم) الرحيل، مطر من الدموع، ولكنه - خلافاً لكل مطر - يزيد الخدود محولاً (قحطاً). يقول: بسبب رحيل قوم المحبوبة لا انتجاع الكلا الذي يأتي به مطر السماء، فإن في خدي مطراً، لكن هذا المطر يزيد خدي قحطاً لا خصباً، فالدموع تزيد وجهي شحوباً

يَا نَظْرَةَ نَفَتِ الرُّقَادَ، وَغَادَرَتْ فِي حَدِّ قَلْبِي مَا حِينَيْتُ فُلُولَا

يا لها من نظرة صوبتها إلي الحبيبة! فقد نفت (أبعدت) الرقاد عني، وغادرت (تركت) في قلبي فلولاً (تثليماً). شبه قلبه بسيف تلثم حده من نظراته للحبيبة

أَجِدُ الْجَفَاءَ، عَلَى سِوَاكَ، مُرُوءَةً وَالصَّبِيرَ، إِلَّا فِي نَوَاكَ، جَمِيلًا
يبدأ بالمدح: أجد الجفاء (الابتعاد) مروءة (شرفاً) إلا عنك أيها الممدوح، وأجد
الصبر جميلاً إلا الصبر عن نواك (فراقك). فالابتعاد عن الناس وعدم التقرب لهم من
سمات الشرف، ولكن الأمر مع الممدوح مختلف

أَمْعَفَرُ اللَّيْلِ الْهَزْبَرِ بِسَوْطِهِ لِمَنْ أَدَخَرْتَ الصَّارِمَ الْمَصْقُولَا
يتنقل إلى المدح: يا مغفر (ممرغ) الهزبر (الأسد) عندما ألقاه أرضاً بسوطه (كرباجه)، قل لي:
لمن ادخرت (أبقيت) الصارم المصقول (السيف)

وَقَعْتُ عَلَى الْأُرْدُنِّ مِنْهُ بَلِيَّةٌ نُصِدتَ بِهَا هَامُ الرِّفَاقِ تُلُولَا
وقعت بلية (مصيبة) على وادي نهر الأردن من هذا الأسد نصدت (صُفْتُ) بها
(بسببها) هام الرفاق (رؤوس المترافقين في سفر) تلولاً (تلالاً). يقول: كان الأسد
يفترس المسافرين المترافقين في ترحالهم ويترك جماجمهم تلالاً

وَرْدٌ، إِذَا وَرَدَ الْبُحَيْرَةَ شَارِباً وَرَدَ الْفُرَاتَ زَيْبِرُهُ وَالنَّيْلَا
هذا ورد (والورد من أسماء الأسد)، وإذا ورد (جاء) بحيرة طبريا ليشرب، ورد (وصل) زيبيره إلى
الفرات وإلى النيل

مُتَخَضَّبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ، لَا يَسُّ فِي غِيْلِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيْلَا
والأسد متخضب (مصبوغ) بدم الفوارس، ويلبس وهو في غيله (غابته) غابة أخرى ما هي سوى
لبدتيه (الشعر على جانبي رأسه)

مَا قُوبِلْتُ عَيْنَاهُ إِلَّا ظُنُنَا تَحْتَ الدُّجَى، نَارَ الْفَرِيقِ حُلُولَا
ما قوبلت (شوهدت) عيناه إلا ظن المرء أنهما تحت الدجى (في الليل) نار الفريق (القوم) حلولاً
(نازليين). يقول: إن عيني الأسد كأنهما النار التي يوقدها القوم عندما يحلون بالمكان

فِي وَحْدَةِ الرَّهْبَانِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَا
الأسد منفرد كالراهب، لكنه لا يعرف الحرام والحلال

يَطَأُ الثَّرَى مُتَرَفِّقاً مِنْ نِيهِهِ فَكَأَنَّهُ آسٍ يَجُسُّ عِلْبِلَا
يطأ (يدوس) الأسد الثرى (التراب) مترفقاً (متأنياً) من نيهه (لتكبره)، وهو في هذا الترفق كالآسي
(الطيب) إذ يجس (يمس) جسم العليل (المريض)

وَيَرْدُ عُفْرَتَهُ إِلَى يَأْفُوخِهِ حَتَّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلَا
يرد الأسد عفرتة (شعر مؤخرة الرقبة) إلى يافوخه (رأسه) حتى يصير على رأسه ما يشبه الإكليل

وَتَظُنُّهُ، مِمَّا يُزْمَجِرُ، نَفْسُهُ عَنْهَا، لِشِدَّةِ غَيْظِهِ، مَشْغُولَا
ونفس الأسد.. هذه النفس تظنه لكثرة زمجرته مشغولاً عنها لشدة الغيظ

قَصَرَتْ مَخَافَتُهُ الْخُطَى، فَكَأَنَّمَا رَكِبَ الْكَمِيَّ جَوَادُهُ مَشْكُولَا
الخوف من الأسد جعل خطوات المتجهين نحوه قصيرة، فكأنما قد ركب الكمي (المسلح) حصانه
والحصان مشكول (مكبّل)

أَلْقَى فَرِيَسَتَهُ، وَبَرَبَرَ دُونَهَا وَقُرَيْتَ قُرْباً خَالَهُ تَطْفِيلاً
ألقى الأسد فريسته وبربر (همهم) دونها (بقر بها)، وقربت أنت منه يا بدر بن عمار قريباً خاله (ظنه)
الأسد تطفياً (تطفلاً على طعامه)

فَتَشَابَهَ الْخُلُقَانِ فِي إِقْدَامِهِ وَتَخَالَفَا فِي بَذْلِكَ الْمَأْكُولَا
فخلقك وخلق الأسد متشابهان في الإقدام (الشجاعة)، ومختلفان في أنك تبذل (تتخلّى عن)
المأكول (الفريسة)

أَسَدٌ يَرَى عُضْوَيْهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا: مَثْنًا أَرْلَّ، وَسَاعِدًا مَفْتُولَا
هذا الأسد يرى فيك عضوين يشبهان عضوين لديه: المثنى الأزل (الظهر الرشيق)، والساعد المفتول

فِي سَرْجٍ ظَامِئَةِ الْفُصُوصِ طِمْرَةً يَأْبَى تَفَرُّدَهَا لَهَا التَّمْثِيلَا
وأنت اقتربت منه وأنت تركب سرج طمرة (فرس وثابة) ظامئة الفصوص (رشيقة الجسم)، ويأبى
تفردها أن تشبهها بشيء آخر

نَيْالَةَ الظُّلِبَاتِ، لَوْلَا أَنَّهَا تُعْطِي مَكَانَ لِحَامِهَا، مَا نَيْلَا
هذه الفرس نيالة الظلّيات (تنال كل ما تلحقه)، ولولا أنها تخفض رأسها لكي يضعوا لها اللجام
لما نيل رأسها

تَنْدَى سَوَالِفُهَا إِذَا اسْتَحْضَرَتْهَا وَظَنُّ عَقْدُ عِنَانِهَا مَحْلُولَا
تندى (تترطب) سوائف الفرس بالعرق إذا استحضرتها (رَكَضَتْهَا)، ولأنها مطواعة وأصيلة لا تحتاج
إلى جذب مقودها، حتى ليظن المرء أن عقدة عنانها (مقودها) محلولة

مَا زَالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فِي زَوْرِهِ حَتَّى حَسِبْتَ الْعَرَضُ مِنْهُ الطُّولَا
الأسد ظل يجمع كل جسمه في زوره (في رقبته)، حتى صار عرضه مثل طوله

وَيَدُقُّ بِالصَّدْرِ الْحِجَارَ كَأَنَّهُ يَبْغِي إِلَى مَا فِي الْحَضِيضِ سَبِيلَا
ويدق صدره بحجار الأرض غضباً وكأنه يريد الوصول إلى ما في حضيض الأرض

وَكَأَنَّهُ عَرَّثَهُ عَيْنٌ فَادَنَى لَا يُبْصِرُ الْخَطْبَ الْجَلِيلَ جَلِيلَا
وكأنما غرته (خدعته) عينه فادنى (اقترب) وهو لا يبصر الخطب الجليل (الخطر الكبير) المقبل
كبيراً

أَنْفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدَّنِيئَةِ تَارِكٌ فِي عَيْنِهِ الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلاً
أنف (ترفع) الكريم عن الدنيئة (العار) يجعله يرى العدد الكثير قليلاً، فلا يبالي بكثرة الأعداء لأنه
يغضب لشرفه

وَالْعَارُ مَضَاضٌ، وَلَيْسَ بِخَائِفٍ مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خَافَ مِمَّا قَبِيلاً
العار مضاض (مؤلم)، والذي يخاف على سمعته لا يخاف الموت

سَبَقَ النِّقَاءَ كُهُ بِوُثْبَةٍ هَاجِمٍ لَوْ لَمْ تُصَادِمُهُ لَجَازَكَ مِثْلًا
سبق الأسد اللقاء بينك وبينه بوثة، وكانت قوية إلى درجة أنك لو لم تصادمه لجازك (لتجاوزك)
بميل (ميل ذلك الزمان في ذلك المكان نحو ثلاثة كيلومترات)

خَذَلَتْهُ قُوَّتُهُ وَقَدْ كَافَحَتْهُ فَاسْتَنْصَرَ التَّسْلِيمَ وَالتَّجْدِيلَ
خذلته قوته عندما كافحته، فاستنصر (استعان ب) الاستسلام والتجديد (السقوط أرضاً)
قَبَضَتْ مَنِئْتَهُ يَدَيْهِ وَعُنَقَهُ فَكَأَنَّمَا صَادَقَتْهُ مَغْلُولًا
كانت منيته (موته) مقدرة عليه فكأنما هذا القدر قبض يديه وعنقه، فأنت لقيته وكأنه مغلول (مكبّل)

سَمِعَ ابْنُ عَمَّتِهِ بِهِ وَبَحَالِهِ فَنَجَا يُهْرَوُلُ أُمْسٍ مِنْكَ مَهُولًا
بعد مقتل الأسد سمع أسد آخر (وأرادته المتنبى أن يكون ابن عمته لأن ابن عمه تكسر وزن البيت)
بما جرى له، فنجا منك مهولاً ومهولاً (فزعاً)

وَأَمْرٌ مِمَّا قَرَّ مِنْهُ فِرَارُهُ وَكَفْثَلُهُ أَنْ لَا يَمُوتَ قَتِيلًا
وأمرٌ من الذي فر منه ذلك الأسد الثاني حقيقة أنه فر، ونجاته من القتل هي كالقتل نفسه لما في
ذلك من العار

تَلَفُ الَّذِي اتَّخَذَ الْجَرَاءَةَ خُلَّةً وَعَظَ الَّذِي اتَّخَذَ الْفِرَارَ خَلِيلًا
إن تلف (هلاك) الأسد الذي اتخذ من الجرأة خلة (طبعاً)، هذا الهلاك وعظ الأسد الثاني الذي
اتخذ الفرار خليلاً (صديقاً)

لَوْ كَانَ عِلْمُكَ بِالْإِلَهِ مُقَسِّمًا فِي النَّاسِ، مَا بَعَثَ إِلَهُ رُسُلًا
يا بدر ابن عمار! لو كان علمك بالإله (بشؤون الدين) مقسماً بين الناس لما كانت هناك حاجة
لرسل

لَوْ كَانَ لَفُظُكَ فِيهِمْ مَا أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ
ولو كان كلامك موجوداً بين الناس يتداولونه منذ القدم لما أنزل الإله الكتب السماوية

لو كَانَ مَا تُعْطِيهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُعْطِيَهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا التَّامِيلَا
ولو كان المال الذي تعطيه للناس موجوداً بأيديهم قبل أن تعطيه لهم عرفوا معنى اللأمل، فمطاوذك
كثير يلي كل الآمال ويزيلها إذ تتحول إلى واقع

فَلَقَدْ عُرِفْتَ، وَمَا عُرِفْتَ حَقِيقَةً وَلَقَدْ جُهِلْتَ، وَمَا جُهِلْتَ خُمُولَا
قد عرفناك، ولكننا لم نعرف حقيقة أخلاقك لأنها فوق تصور البشر، ولهذا جهلناك، لكننا لم نهلك
لخمولك (الخمول عكس الشهرة). التسويد لأحمد عبد الرحيم مع تعليق: «هذا عالٍ جداً!»

نَطَقْتَ بِسُؤْدَدِكَ الْحَمَامُ تَغْنِيًا، وَبِمَا تُجَشِّمُهَا الْجِيَادُ صَهِيلَا
نطق الحمام متغنياً بذكر سُوددك (كونك سيداً)، ونطقت الجياد (الخيول) صاهلة بكثرة ما تجشمنها
(تتعبنها) في المعارك

مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ الْمَعَالِي نَافِذًا فِيهَا، وَلَا كُلُّ الرِّجَالِ فُحُولَا
ليس كل شخص أراد المعالي (الأمجاد) نافذاً (واصلاً ومخترقاً)، وليس كل رجل فحلاً

٣٩ احذر عداوة الشعراء

سار بدر بن عمار إلى الساحل، ولم يسر أبو الطيب معه. ثم بلغه أن ابن كروّس الأعور كتب
إلى بدر يقول له إن أبا الطيب إنما تخلف عنك رغبةً بنفسه عن المسير معك. ولما عاد بدر
إلى طبرية ضربت له قباب عليها أمثلة من تصاوير فقال أبو الطيب المتنبي: ٤١/١٢

الْحُبُّ مَا مَنَعَ الْكَلَامَ الْأَلْسُنَا وَالذُّ شَكْوَى عَاشِقٍ مَا أَغْلَنَا
الحب الحقيقي هو ذلك الذي يمنع اللسان من الكلام، مع أن ألد الشكوى بالنسبة للعاشق هي
الشكوى العلنية لأنها تريح القلب

لَيْتَ الْحَبِيبَ الْهَاجِرِيَّ هَجَرَ الْكَرَى، مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ، وَاصِلِي صَلََّةِ الضَّنَى
ليت الحبيب الذي هجرني مثلما هجرني الكرى (النوم) بغير جرم (ذنب) من جانبي، ليت واصلي
(منعم علي بالوصال) مثل صلة الضنى (العذاب) لي

بِئْسْنَا، وَلَوْ حَلَيْتَنَا لَمْ تَدْرِ مَا . أَلْوَانُنَا، مِمَّا اسْتَفْعَنَ تَلَوْنَا
بت مع المحبوب ولو أنك حلينا (أردت وصف حلينا وملابسا) لما عرفت ألواننا لكثرة ما
استفعلن (تغيرن) من العشق

وَتَوَقَّدَتْ أَنْفَاسُنَا حَتَّى لَقَدْ أَشْفَقْتُ تَحْتَرِّقُ الْعَوَازِلُ بَيْنَنَا
توقدت أنفاسنا حتى لقد أشفقت (خشيت) أن تصل حرارتها إلى العوازل (اللائمات) فتحترقن

أَرَجَ الطَّرِيقُ، فَمَا مَرَرْتُ بِمَوْضِعٍ إِلَّا أَقَامَ بِهِ الشَّدَا مُسْتَوْطِنَا
أرج الطريق (تعطّر بأريج طيب)، فلا تمر أيها الممدوح بموضع إلا استوطن فيه الشدا (العطر)

لَوْ تَعْقِلُ الشَّجَرُ الَّتِي قَابَلْتَهَا مَدَّتْ مُحَبِّبَةَ إِلَيْكَ الْأَغْصَنَاءَ

يمدح بدر بن عمار: لو كان الشجر عاقلاً لمد إليك أغصانه وأنت تمر محبياً

طَرِبْتُ مَرَاكِبُنَا، فَخَلْنَا أَنَّهُا، لَوْلَا حَيَاءُ عَاقِهَا، رَقَصَتْ بِنَا

طربت مراكبنا (نيافنا) فخلنا (ظننا) أنها كادت ترقص بنا لولا أن الحياء عاقها (منعها)

أَقْبَلْتُ تَبَسُّمَ وَالْجِيَادُ عَوَاسٍ يَخْبِيَنَّ بِالْحَلَقِ الْمُضَاعَفِ وَالْقَنَا

لقد أقبلت باسماً والجياد (الخيال) عوابس (مكشرات) من التعب وهن يخبين (يسرن) سير الخبب (المعتدل) وعليهن فرسان بدروع منسوجة من الحلقات المعدنية، وهم يحملون القنا (الرماح)

عَقَدْتُ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عَثِيرًا لَوْ تَبَتَّغِي عَنَقًا عَلَيْهِ لَأَمَكْنَا

سنايك الخيل (حوافرها) أثارت العثير (الغبار) فانعقد فوق الرؤوس، ولكثافته فإنك لو شئت أن تمشي عليه عنقاً (سيراً سريعاً) لأمكنك ذلك

وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ، وَالْقُلُوبُ خَوَافِقُ فِي مَوْقِفٍ بَيْنَ الْمَنِئِيَّةِ وَالسُّمْنَى

أمرك مطاع في موقف الحرب الذي فيه تخفق القلوب وهي بين المنية (الموت) وبين تحقيق الأمانى

فَأَنَّهُ الْمُشِيرَ عَلَيْكَ فِي بَضَلَةٍ فَالْحَرُّ مُنْتَحَنٌ بِأَوْلَادِ الزُّنَى

فأنه (امنع/اجعله ينتهي) الذي يشير عليك بضلة (بدسية) في شأني، فأنا من الأحرار والله يختبرني بدسائس أولاد الزنى

وَمَكَائِدُ السُّفَهَاءِ وَإِقَعَةٌ بِهِمْ وَعَدَاوَةُ الشُّعْرَاءِ بِنَسَنِ الْمُقْتَنَى

ومكايد (دسائس) السفهاء ستقلب على رؤوسهم، وعداوة الشعراء أسوأ ما يقتنيه المرء

٤٠ من يهن يسهل الهوان عليه

خرج أبو الطيب إلى جبل جرش فنزل بأبي الحسين علي بن أحمد المري الخراساني، وكان بينهما مودة بطرية فقال المتنبي يمدحه: ٤٣/١٠

لَا افْتِخَارَ إِلَّا لِمَنْ لَا يُضَامُ مُدْرِكُ أَوْ مُحَارِبٍ لَا يَنَامُ

ليس الفخر إلا للرجل الذي لا يضام (لا يظلم)، وهو دوماً إما مدرك (محضّل) ثأره، أو محارب في سبيله لا يتوانى ولا ينام عنه

لَيْسَ عَزَمًا مَا مَرَضَ الْمَرءُ فِيهِ لَيْسَ هَمًّا مَا عَاقَ عَنْهُ الظَّلَامُ

ليس العزم الحق ما مرض (تردد) المرء فيه، وليس الهم (الطموح) الحق ما حال دونه الظلام والعوائق. يقول: إن العزم الحقيقي لا يكون مربوطاً بالعلل والأسباب التي تفسر التقصير، والطموح الحقيقي لا يبالي بالظلام وسائر المعوقات

وَاحْتِمَالُ الْأَذَى، وَرُؤْيَةُ جَانِبٍ .. هـ، غِذَاءٌ تَضْوَى بِهِ الْأَجْسَامُ
احتمال (تحمل) الأذى، مع كونك ترى جانبه (مرتكبه) بحقك، هذا يشبه الطعام.. لكنه طعام
تضوى (تهزل) به الأجسام بدل أن تنمو

ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ الذَّلِيلَ بِعَيْشٍ رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الْجِمَامُ
ذليل هو من يغبط (يحسد) الذليل على عيشته. فرب عيشة يكون الحمام (الموت) أهون منها
كُلِّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ اقْتِدَارٍ حُجَّةٌ لَاجِئٌ إِلَيْهَا اللَّثَامُ
الحلم (الصفح) الذي يأتي من شخص ليست عنده القوة ليس حليماً بل هو حجة اللثام. ترى
الرجل يقول إنه سامح شخصاً، والواقع أنه لم يستطع تحصيل حقه منه

مَنْ يَهْنُ بِسَهْلِ الْهَوَانِ عَلَيْهِ مَا لَجِرَحٍ بِمَيِّتٍ لِإِسْلَامِ
الذي يهون (يهين نفسه) يصبح الهوان (الذل) سهلاً عليه. مثل الميت الذي لا يؤلمه أن يصاب بجرح
ضَاقَ ذُرْعاً بِأَنْ أَضِيقَ بِهِ ذَرٌّ عَا زَمَانِي، وَاسْتَكْرَمْتَنِي الْكَرَامُ
نفد صبر الزمن واستسلم من محاولته إنقاذ صبري عليه، ووجدني الكرام كريماً. يقول: عجز
الزمان عن أن يبتليني بأمر لا أحتمله، ووجدني الكرام كريم الخلق

وَاقِفًا تَحْتَ أَخْمَصِي قَدَرِ نَفْسِي وَاقِفًا تَحْتَ أَخْمَصِي الْأَنَامِ
وأنا واقف عند مكانة متدنية جداً عما أستحق فكأنني واقف تحت أخمصني (أسفل قدمي) قدرني
الحقيقي.. يكون الأنام (البشر) واقفين تحت قدمي أنا في القيمة

أَقْرَاراً أَلَذُّ فَوْقَ شَرَارٍ، وَمَرَاماً أَبْغِي وَظُلْمِي يُرَامُ..
هل ألد (أمتع) بقرار (بهلوء) فوق الشرار (قدح اللهب)، وهل أطلب مراماً (هدفاً)
والحاق الظلم بي يُرام (يُطلب)؟ يقول: كيف لي أن أعيش هانئاً وسط الأذى، وكيف
أسعى لهدف والمطلوب إلحاق الظلم بي..

دُونَ أَنْ يَشْرِقَ الْحَجَازُ وَنَجْدٌ وَالْعِرَاقَانِ، بِالْقَنَا، وَالشَّامِ
لن أستقر على حال الأذى والظلم دون (قبل) أن يشرق (يفصح في حلقه) الحجاز
ونجد وعراق العرب وعراق العجم والشام بالقنا (بالرماح). يقول: لن أهدأ إلا عندما
أملأ كل هذه البلاد بالرماح لكثرة غزواتي وجيوشي

٤١ مشرد في البوادي

قال المتنبي يصف مسيره في البوادي، وما لقي في أسفاره، ويذم ابن كروّس: ١٦/١٣

أَوَانَا فِي بُيُوتِ الْبَدْوِ رَحْلِي وَأَوْنَةً عَلَى قَتَدِ الْبَعِيرِ
أواناً (أحياناً) أضع رحلي (متاع السفر) في بيوت البدو (والبيت في العرية القديمة هو الخيمة)،
وأحياناً يكون متاعي فوق قند البعير (خشب السرج)

أَعْرَضُ لِلرَّمَاكِ الصُّمِّ نَحْرِي وَأَنْصَبُ حُرَّ وَجْهِي لِلْهَجِيرِ
أعرض نحري (ما بين العنق والصدر) للرماح الصم (الصلبة)، وأنصب حر وجهي (ما ظهر منه
وتحرر من اللثام) للهجير (حر الظهيرة)

وَأُسْرِي فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ وَخُدِي كَأَنِّي مِنْهُ فِي قَمَرٍ مُنِيرٍ
أسري (أسير ليلاً) في الظلام وحيداً، وكأنني أسير في قمر منير لأنني لا أبالي بالظلام وأعرف
مجاهل الصحراء

فَقُلْ فِي حَاجَةٍ لَمْ أَقْضِ مِنْهَا، عَلَى شَعْفِي بِهَا، شَرَوَى نَقِيرِ
قل (فما قولك؟) في حاجتي هذه التي لم أقض منها سوى شروى نقير (أقل القليل). شروى
(مثل) نقير (نقرة في نواة التمرة): أي شيء تافه جداً

وَنَفْسٍ لَا تُجِيبُ إِلَى خَسِيسٍ وَعَيْنٍ لَا تُدَارُ عَلَى نَظِيرِ
وما قولك في نفسي التي لا تجيب (لا تستجيب) للخصيس (الأمر التافه)، وفي عيني
التي لا أديرها على نظير (مما يشابه لي). يقول: نفسي لا تأبه بتحصيل الأهداف
الصغيرة، وعندما أدير عيني في البشر لا أرى فيهم نظيراً لي

وَكَفَّ لَا تُنَازِعُ مَنْ أَتَانِي يُنَازِعُنِي سِوَى شَرَفِي وَخَيْرِي
وما قولك في كفي التي لا تنازع (تخاصم) من جاءني يريد أخذ ما بيدي، مع استثناء
شرفي وخيري (كزمي). يقول: إنه لا ينازع الناس في صفاته الأمور فليأخذوها منه
كما شاءوا، ولكنه لا يسمح لأحد أن يمس شرفه ولا كرم أصله

وَقِلَّةٍ نَاصِرٍ. جُوزِيَتْ عَنِّي بِشَرِّ مِنْكَ، يَا شَرَّ الدُّهُورِ
وما قولك في قلة من يناصرني؟ ألا جازاك الله عني (أي بسبب ما فعلته بي) بشيء أكثر شراً منك
يا شر الأزمان

عَدُوِّي كُلُّ شَيْءٍ فِيكَ، حَتَّى لَخِلْتُ الْأَكْمَ مُوَعَّرَةَ الصُّدُورِ

كل شيء في هذا الزمن عدوي، حتى إنني خلت (ظننت) الأكَم (التلال) موغرة
(مشحونة) الصدور حقداً علي. تأمل هذا البيت: يرى المتنبي الناس كلهم ضده،
وعندما يرى التلال متفوخة الصدور يحسبها مملوءة حقداً عليه. هذا النوع من الكلام
كان جديداً على شعراء ذلك الزمن، وأحسوا بكل هذا الدفق من المشاعر والتعبير
عنها بكل هذا الإيجاز. لا أكتمك أني - وأنا أشرح بعض الآيات - أحس بإحباط
كثير، وأقول في نفسي: يا رجل! تضيع وقتك في شرح كلام رجل ليس عنده سوى
أن يقول أنا أنا أنا، وهو يريد أن يغزو العالم. هذا كلام هتلر أحقق. ثم يمر بي
بيت كهذا البيت، وأحس ما فيه من وثبة خيال ومن دفق شعور ومن مائة لغة فأراجع
نفسي، وأقول: وهل الشعر عقل ورزانة؟ أليس أحلى الشعر ما انبثق من شعور
فياض، سواء أكان هذا الشعور شعور رجل عاقل أم شعور شخص مضطرب؟

فلو أَنِّي حُسِدْتُ عَلَى نَفِيسٍ لَجُدْتُ بِهِ لِذِي الْجَدِّ الْعَثُورِ
 لو أن ما حسدونني عليه شيء نفيس (ثمين) لجدت به (تكرمت به) لصاحب الجد (الحظ) العثور (العائر)
 ولكِنِّي حُسِدْتُ عَلَى حَيَاتِي وَمَا خَيْرُ الْحَيَاةِ إِلَّا سُرُورُ
 ولكن ما يحسدونني عليه هو حياتي، وحياتي على كل حال لا خير فيها لأنها خالية من السرور
 فَيَا ابْنَ كَرَّوسٍ! يَا نِصْفَ أَعْمَى وَإِنْ تَفَحَّرَ، فَيَا نِصْفَ الْبَصِيرِ!
 يا ابن كروس (وهو رجل أعور من مهجوي المتني) يا نصف أعمى، وإن أردت أن تفاخر فأنت
 نصف بصير

تُعَادِينَا لِأَنَّا غَيْرُ لُكْنٍ وَتُبَغِضُنَا لِأَنَّا غَيْرُ عُورٍ
 أنت تعاديننا لأننا فصحاء غير لُكن (ثقال الألسنة)، وتكرهنا لأننا غير عور (جمع أعور)

فَلَوْ كُنْتَ امْرَأً يُهْجَى هَجُونَا وَلَكِنْ، ضَاقَ فِشْرٌ عَنْ مَسِيرِ
 لو كنت ممن يستحق الهجاء لهجوناك، ولكن أنت ذو نفس صغيرة تافهة، فمسافة الفتر (ما بين
 رأس الإبهام ورأس السبابة) لا مجال فيها للسير

٤٢ في سبيل التاج

قال المتنبي يمدح أبا عبد الله، محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الخصبي، وهو
 يومئذ يتقلد القضاء بأنطاكية: ٤٢/٨

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِدَا الزَّمَنِ يَخْلُو مِنَ الْهَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ
 الناس الفضلاء أغراض (أهداف) لهذا الزمن (لهذا الزمن)، وأكثرهم خلواً من الهموم أكثرهم خلواً
 من الفطن (الذكاء)

وَأِنَّمَا نَحْنُ فِي جِيلٍ سَوَاسِيَةٍ شَرٌّ عَلَى الْحُرِّ مِنْ سَقَمٍ عَلَى بَدَنِ
 ونحن نعيش في جيل كل من فيه متساوون في الدناءة، وهم أشرُّ على الشخص الحر من السقم
 (المرض) على البدن

حَوْلِي بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمْ خَلَقٌ تُخْطِي إِذَا جِئْتَ فِي اسْتِفْهَامِهَا بِمَنِ
 أرى حولي في كل مكان خلقاً (مخلوقات) هم أقرب للمخلوقات غير العاقلة حتى
 إنك تخطئ في اللغة لو استعملت معهم كلمة «مَنْ» الاستفهامية. بل يجب أن تستعمل
 معهم أداة الاستفهام «ما» التي لغير العاقل

فَقَرُّ الْجَهُولِ بِلا قَلْبٍ إِلَى أَدَبٍ فَقَرُّ الْحِمَارِ بِلا رَأْسٍ إِلَى رَسَنِ
 الجهول المفتقر إلى قلب (عقل) من الطبيعي أن يفتقر إلى الأدب، فهو كحمار بلا رأس فمن
 الطبيعي ألا يكون له رسن (مقود)

وَحَلَّةٌ فِي جَلِيسِ أَلْتَقِيهِ بِهَا كَيْمَا يَرَى أَنَّنَا مِثْلَانِ فِي الْوَهَنِ
 ورب خلّة (صفة) من صفات جليس ألتقيه أنا بها (أدعي وجودها عندي أنا أيضاً)
 وذلك كيما (كي) يشعر أننا مثلاًن (متماثلان) في الوهن (ضعف العقل). يقول: إنه
 يتظاهر بالحمق حتى لا يشعر جليسه بتفوقه

وَكِلْمَةٍ فِي طَرِيقِ خِفْتُ أَعْرَبُهَا فَيَهْتَدِي لِي، فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى اللَّحَنِ
 ورب كلمة قلتها في طريق (وأنا مسافر) وخفت أن أعربها بالحركات الصحيحة حتى لا يهتدي
 الناس إلى هويتي، إلا أنني لم أستطع اللحن (الغلط في اللغة) لفصاحتي سليقة

قَدْ هَوَّنَ الصَّبْرُ عِنْدِي كُلَّ نَازِلَةٍ وَلَيَنَّ الْعَزْمُ حَدَّ الْمَرْكَبِ الْخَشِينِ
 الصبر هون عندي كل نازلة (مصيبة)، وعزمي جعلني أجد خشونة المركب (ما أركبه من المشقات) ليناً

لَا يُعْجِبَنَّ مَضِيماً حُسْنُ بَزْوِهِ وَهَلْ تَرُوقُ دَفِيناً جُودَةُ الْكَفَنِ
 على المضيّم (المظلوم) ألا يتباهى بحسن بزه (ثوبه)، فهو عندئذ كالملت الذي تروقه (تعجبه)
 جُودَةُ الْكَفَنِ

٤٣ رثاء الجدة

ورد على أبي الطيب المتنبي كتاب من جدته لأمه تشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها
 فتوجه نحو العراق، ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك. فانحدر إلى بغداد
 وكانت جدته قد يئست منه، فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه، فقَبَلَتْ كتابه وَحُمَّتْ
 لوقتها سروراً به، وغلب الفرح على قلبها فقتلها، فقال يرثيها: ٣٤/٢٣

لَكَ اللَّهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا قَتِيلَةً شَوْقٍ، غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَضَمًّا
 لك الله يا جدتي، أيتها المفجوعة (المنكوبة) بحبيبها الذي هو أنا، والتي ذهبت قتيلاً
 شوق، ولكنه شوق لم يلحق بها وصمة عار (فالحبيب هو حفيدها). والشاعر العربي
 القديم - كما رأيت - يرى شوق المرأة إلى حبيبها عاراً، وأما هو فيشتاق لحبيته كما
 شاء ويتغزل كما شاء. لا شيء تغير!

أَحْنُ إِلَى الْكَأْسِ الَّتِي شَرِبْتَ بِهَا وَأَهْوَى لِمِثْوَاهَا الثَّرَابَ وَمَا ضَمًّا
 أحن إلى كأس الموت التي شربت بها جدتي، وأحب التراب لأنها دفنت فيه، وأحب ما ضمه
 التراب من جثمانها

عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعْتَ بِنَا فَلَمَّا دَهَنَنِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْماً
 لقد عرفت الليالي (بلوى الزمن) قبل ما حل بي وبجدتي من نكبة موتها، فلما دهنتني الليالي
 (نكبتني) لم تزدني علماً بها

أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ فَمَاتَتْ سُرُورًا بِي، قُمْتُ بِهَا غَمًا
ورد على جدتي كتابي (خطابي) بعد اليأس من عودتي والترحة (الهم)، فأنعشتها
الخطاب فماتت به فرحاً، فكذت أنا أموت من الغم عليها. الهم والغم: الغم هو
الحزن على ما مضى، والهم هو انشغال الفكر بما سيأتي، ومن هنا يكثر استعمال
المتنبي لكلمة الهم بكل مشتقاتها (هموم/همة/هم/ما يهمني، الخ) بمعنى الطموح
إلى مستقبل كبير وعظيم وغامض

تَعَجَّبُ مِنْ لَفْظِي وَخَطِّي، كَأَنَّمَا تَرَى بِحُرُوفِ السَّطْرِ أَغْرِبَةً عُضْمًا
تتعجب جدتي من كلماتي ومن خطي في الكتاب، فكان الحروف غربان عصم (بيض) عجيبة. ولم
تكن جدته تتوقع أنه حي ولا أنه سيعود إليها لكثرة ما سمعت عن مغامراته وسجنه وكثرة أعدائه
وَتَلَثَّمُهُ حَتَّى أَصَارَ مِدَادُهُ مَحَاجِرَ عَيْنَيْهَا، وَأَنْيَابَهَا، سُحْمًا
وتلثم جدتي (تقبل) الخطاب حتى أصار (جعل) مداده (حبره) محاجر عينيها (حلقة العظم حول
العين) وأنيابها (أسنانها) سحماً (سوداً)

رَقَا دَمْعُهَا الْجَارِي، وَجَفَّتْ جُفُونُهَا وَفَارَقَ حُبِّي قَلْبَهَا بَعْدَمَا أَدْمَى
رقاً (انقطع) دمعها، وجفت جفونها بالموت، وبالموت ذهب حبي من قلبها بعد أن أدامها بسهمه
وَلَمْ يُسْلِهَا إِلَّا الْمَنَايَا، وَإِنَّمَا أَشَدُّ مِنَ السُّقْمِ الَّذِي أَذْهَبَ السُّقْمَا
ولم يسلبها (يُنهبها) ذكرى إلا الموت، وهكذا فالذي أذهب سقمها كان أشد من السقم
طَلَبْتُ لَهَا حَظًّا، فَفَاتَتْ، وَقَاتَنِي وَقَدْ رَضِيتُ بِي لَوْ رَضِيتُ بِهَا قِسْمًا
طلبت لها حظاً (رزقاً ومكانة) ففاتت جدتي (ذهبت) وقاتني الحظ. وكان من شأنها أن ترضى بي
على أنني قسمتها ونصبتها لو أنني كنت رضيت بنصبي وتركت المغامرة

فَأَصْبَحْتُ أَسْتَسْقِي الْعَمَامَ لِقَبْرِهَا وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي الْوَعَى وَالْقَنَا الصُّمَّا
والآن أصبحت أستسقي الغمام لقبرها (أدعو بأن ييل مطر السحاب قبرها)، وكنت قبلئذ أثناء
مغامراتي أطلب من الوغى (الحرب) ومن القنا الصم (الرماح الصلبة) أن تهطل، بالدم طبعاً
وَكُنْتُ، قُبِيلَ الْمَوْتِ، أَسْتَغْظُمُ النَّوَى فَقَدْ صَارَتِ الصُّغْرَى الَّتِي كَانَتْ الْعُظْمَى
وقبل موتها كنت أستعظم النوى (أجد الفراق فظيعاً)، والآن صار الفراق صغيراً في عيني بعد موتها

هَبِينِي أَخَذْتُ الثَّأْرَ فَيْكَ مِنَ الْعِدَى فَكَيْفَ بِأَخْذِ الثَّأْرِ فَيْكَ مِنَ الْحَمَى
هبيني (افرضي أنني) أخذت الثأر لك من الأعداء الذين فرقونا، فكيف آخذ الثأر من الحمى
(المرض) الذي مت به؟

وَمَا انْسَدَّتِ الدُّنْيَا عَلَيَّ لِضِيقِهَا وَلَكِنَّ طَرَفًا لَا أَرَاكَ بِهِ أَعْمَى
والدنيا مسدودة في وجهي ليس لضيقها، ولكن لأن الطرف (العين) الذي لا أراك به أعمى

فَوَاسَفَا أَلَّا أَكِبَّ مُقَبَّلًا لِرَأْسِكَ وَالصَّدْرِ اللَّذِي مُلِكًا حَزْمًا
يا أسفي أن لا أكب (أنحني بوجهي) وأنا أقبل رأسك وصدرك اللذين امتلأ بالحزم! يا أسفي
لعدم وداك!

وَأَلَّا أَلَا قِي رُوحِكَ الطَّيِّبِ الَّذِي كَأَنَّ ذِكْرِي الْمِسْكِ كَانَ لَهُ جِسْمًا
ويا أسفي أن لا ألقى روحك الطيب الذي كان يسكن جسمك الطيب كأنه المسك

وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتٌ أَكْرَمَ وَالِدٍ لَكَانَ أَبَاكَ الضَّخَمَ كَوْنُكَ لِي أُمًّا

لو لم تكوني بنت ناس كرام لكفأك نسباً كونك لي أمّاً (أي جدة)، فالحفيد العظيم
بمثابة النسب الضخم (الشريف). كنت اشتغل في جريدة، وكان لا يكاد يمر أسبوع
إلا ونشر إعلاناً لرجل ثري كثير التبرع للجمعيات، وكان الإعلان دائماً مصدراً بعبارة
«المحسن الكبير فلان الفلاني»، وذات يوم أبدلت لفظ الكبير بلفظ «الضخم». وكانت
ستكون فضيحة تُفقد الجريدة مورداً مهماً لولا أن ابن صاحب الجريدة تدارك حماقتي
في المطبعة. دفعت التهمة عن نفسي بيت أبي الطيب هذا، ولكن الرجل فهم بالطبع
ما أبطنه من قصد التهكم، ثم رحم غرارتني وفوتها لي وتغمدني. وظللت بعدها
ثلاثاً وثلاثين سنة أتحرق غيظاً أن نجوت من عاقبة حماقتي. حياتي مملّة

لَئِنْ لَدَّ يَوْمَ الشَّامِتِينَ بِيَوْمِهَا لَقَدْ وَلَدَتْ مِنِّي لَأَنْفِهِمْ رَغَمًا
لئن لد (طاب) يوم الشامتين بيوم موتها، فإنها ولدت بإنجابي رغماً لأنوفهم (مُمرغاً لأنوفهم في التراب)

تَغَرَّبَ لَا مُسْتَعِظَمًا غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَا قَابِلًا، إِلَّا لِخَالِقِهِ، حُكْمًا
يتحدث عن نفسه: تغرب هذا الرجل الذي هو أنا وهو لا يجد عظيماً غير نفسه، ولا يقبل حكم
بشر سوى حكم الله

وَلَا سَالِكًا إِلَّا فَوَادَ عَجَاجَةٍ وَلَا وَاجِدًا، إِلَّا لِمَكْرَمَةٍ، طَعْمًا

ولا يسلك إلا قلب العجاجة (غبار الحرب)، ولا يجد طعماً إلا لمكارم الأمور

يَقُولُونَ لِي: مَا أَنْتَ؟ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَمَا تَبْتَغِي؟ مَا أَبْتَغِي جَلًّا أَنْ يُسَمَّى

في كل بلدة يسألونني: أي شيء أنت، وما هدفك؟ وهدفي خطير.. أخطر من أن
يُسَمَّى (يذكر). هدف أبي الطيب كان المُلْك، ولكن الله كتب على الشعراء والفلاسفة
ألا يذوقوا طعم السلطة. وقد رأيت الباحثين يتخذون هذا البيت دليلاً على أن المتنبي
كان صاحب دعوة باطنية، ولا أرى ذلك؛ نرى في زمننا هذا، وأكتب في عام
٢٠٠٨، رجلاً متسبباً إلى حزب، ويعرفه الناس بهذه الصفة فيعاملون معه بحذر، ولا
يرون فيه شيئاً من الإنسانية إلا أنه «فلان الحزبي»، وهو يكون شخصاً عادياً له من
المطامح والمطامح ما لكل أحد، يسعى لاهناً للحصول على ترقية في عمله، ويريد
أن يعلم أولاده، وأن يتسلّى بالنظر إلى الفاتنات، وأن يعيش، ولعله يوجه أولاده
وجهة غير حزبية، ولعله يكون برماً بهذا الحزب. قرأت مرة أن فلاديمير إليتش لينين

فكر، وهو طريد في سويسرا، في الهجرة إلى أميركا وترك البلاشفة والمناشفة وروسيا وكل القضية، وهذا لينين، فلماذا لا تفهمون المتنبي إلا من خلال الدعوات الباطنية والأسرار؟ والمتنبي، بعد، رجل شفاف لأنه شاعر؛ ولأنه شاعر كبير وشديد الذاتية كان يتدفق بعواطفه. كان ذاتياً إلى أبعد حد وصل إليه شاعر عربي بين امرئ القيس وبدر شاكر السياب؟ تعليق من أحمد عبد الرحيم: [غلا في هذا عبدالله العلايلي.. فاعتبر أن بيت المتنبي: «أنا الذي نظر الأعمى...» رسالة باطنية، تلقفها أبو العلاء، متأثراً طريق أستاذه الباطني الأعظم الذي لم يلقه! لكنه يؤكد كثيراً على أن باطنية كل منهما باطنية خاصة، لا تلك المألوفة حتى زمانيهما.

لكن.. بعيداً عن الغلو: لا أنفك أفكر في أن جذور المذهب العلائي هي، بوضوح، لدى أبي الطيب! المرأة، الخمر، الدنيا، الدهر.. وربما: الشك! وبالطبع: اللعب اللغوي والفني!]

وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نَفْسَهُمْ بِهَا أَنْفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا
أنا من قوم نفوسهم عالية وعظيمة فكأنها تأنف (تترفع) أن تكون ساكنة في الأجسام

كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا، إِذَا شِئْتَ فَادْهَبِي وَيَا نَفْسِ زَيْدِي فِي كَرَائِيهَا قَدْ مَا
هكذا أنا أيتها الدنيا، فإن شئت فاذهبي عني؛ ويا نفسي! زيدي قدماً (أكثر) في كرائه الدنيا
(مصائبها) بسبب طموحك

فَلَا عَبَرْتُ بِي سَاعَةً لَا تُعْزِنِي وَلَا صَحِبْتَنِي مُهْجَةً تَقْبِلُ الظُّلْمَا
أدعو ألا تعبر بي ساعة ليس لي فيها عز، وألا تصحبني مهجة (قلب) تقبل الظلم

٤٤ شهادة بالكمال

قال المتنبي يمدح القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله بن الحسين الأنطاكي: ٤٣/١١

لِكَ يَا مَنَارِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَارُلُ أَفْقَرْتُ أَنْتِ، وَهَنَّ مِنْكِ أَوَاهِلُ
يا منارل الحبيبة لك في القلوب منزلة كبيرة، وأنت قد أفقرت (خربت برحيلهم)، ولكن مكانتك في
القلوب أهلة (عامرة)

وَأَنَا الَّذِي اجْتَلَبَ الْمَنِيَّةَ طَرْفُهُ فَمَنِ الْمُطَالِبُ؟ وَالْقَتِيلُ الْقَاتِلُ
طرفي (عيني) جلب لي المنية (الموت) عشقاً، فمن أطالب بالثأر، والذي قتلني هو نظري؟ تسويد
أ. عبد الرحيم

تَخْلُو الدِّيَارُ مِنَ الظُّبَاءِ، وَعِنْدَهُ مِنْ كُلِّ تَابِعَةٍ حَيَالٌ خَاذِلُ
الديار تخلو من الظباء (الحسان) لرحيل القوم، وعندي بدلاً من كل تابعة (غزاة صغيرة تتبع أمها)
خيالها الخاذل (المتخلف المتعوق عن بقية الركب) الذي يزورني في المنام

كَمْ وَقْفَةٍ سَجَرْتُكَ شَوْقًا، بَعْدَمَا غَرِيَ الرَّقِيبُ بِنَا، وَلَجَّ الْعَاذِلُ
ما أكثر الوقفات التي سجرتك (ملأتك) بالشوق بعدما غري (تحمس) الرقيب بملاحقتنا، ولج
(تمادى) العاذل في لومنا

دُونَ التَّعَانُقِ نَاجِلَيْنِ كَشَكْلَتِي نَضَبِ أَدَقُّهُمَا وَضَمِّ الشَّاكِلِ
وقفنا دون (قبل) التعانق ناجلين (نحفين من العشق) كشكلتي نصب ((جعلهما الذي يشكل
الحروف دقيقتين ومتقاربتين

إِنْعَمَ وَلَذَّ! فَلِلْأُمُورِ أَوَاجِرُ أَبَدًا إِذَا كَانَتْ لَهُنَّ أَوَائِلُ
فلتنعم بالآ ولتذ (لتطب نفساً)! فكل شيء له آخر إذا كان له أول، ولا بد لآلم العشق من أن
ينقضي

لِلْهُوَ آوَنَةٌ تَمُرُّ كَأَنَّهَا قُبَلٌ يُزَوِّدُهَا حَبِيبٌ رَاجِلُ
للهو آونة (أوقات) تمر سريعاً كأنه قبلات وداع يأخذها المرء من حبيب

جَمَعَ الزَّمَانَ، فَلَا لَذِيذٌ خَالِصٌ مِمَّا يَشُوبُ، وَلَا سُرُورٌ كَامِلُ
جمع (استقصى) الزمان، فلا يوجد شيء لذيد خالص من الشوائب، ولا يوجد سرور كامل

لَا تَجْسُرُ الْفُصْحَاءُ تُنْشِدُ هُنَا بَيْتًا، وَلَكِنِّي الْهَزْبُ الْبَاسِلُ
لا تجسر (تجرؤ) الفصحاء أن تنشد هنا بيت شعر، وأما أنا فالهزبر (الأسد) الشجاع، أنا جريء
على الإنشاد لفصاحتي فلا أخشى نقداً ولا منافساً في الشعر

مَا نَالَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كُلُّهُمْ شِعْرِي، وَلَا سَمِعَتْ بِسِحْرِي بَابِلُ
لم يبلغ أهل الجاهلية مستوى شعري، ولا عرفت بابل، المشهورة بالسحر، كسحر بياني

وَإِذَا أَتَيْتُكَ مَذْمَنِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ
إذا أتتك مذمتي (ذمي) من شخص ناقص فهي شهادة لي بالكمال

٤٥ الغريب

قال المتنبي يمدح أبا سهل سعيد بن عبيد الله بن الحسن الأنطاكي: ٤١/٥

قَدْ كُنْتُ أَشْفَقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى بَصْرِي فَالْيَوْمَ كُلُّ عَزِيزٍ بَعْدَكُمْ هَانَا
كنت أشفق (أخشى) من كثرة البكاء على بصري، واليوم بعد رحيلكم لم يعد يهمني شيء. لقد
رحل قوم المحبوبة - وهي بالطبع بدوية - في طلب العشب

تُهْدِي الْبَوَارِقُ أَخْلَافَ الْمَيَاءِ لَكُمْ وَلِلْمُحِبِّ مِنَ التَّذْكَارِ نِيرَانًا

تهدي البوارق (الغيوم الماطرة التي يلعب فيها البرق) أخلاف (أنداء الناقة) المياه لكم، لكنها تهدي المحب الذي يتذكر عهدكم نار العشق. شبه الغيوم الماطرة بضروع أو أنداء الناقة، وهي تدر مطراً لأولئك القوم الرحل

أَبْدُو، فَيَسْجُدُ مَنْ بِالسُّوءِ يَذْكُرُنِي فَلَا أَعَاتِبُهُ صَفْحًا وَإِهْوَانًا

يتنقل لوصف حاله مع الناس: أظهر فيسجد الذي يشتمني إجلالاً لي ونفاقاً، ولا أعاتبه على ما سلف منه صفحاً عنه وإهواناً (استهانة به)

وَهَكَذَا كُنْتُ فِي أَهْلِي وَفِي وَطْنِي إِنَّ النَّفِيسَ غَرِيبٌ حَيْثُمَا كَانَا

هكذا كان حالي بين أهلي وفي وطني، فانا كنت غريباً في وطني وفي كل مكان، وهذا شأن النفيس من الرجال (الكبير القيمة)

لَا أَشْرَبْتُ إِلَى مَا لَمْ يَفُتْ طَمَعًا وَلَا أَبَيْتُ عَلَى مَا قَاتَ حَسْرَانَا

لا أشرب (أنتزع) إلى ما لم يفتني نيله، ولا أبيت حسراناً (متحسراً) على ما فاتني. يقول: إنه لا يطمع في تحصيل الممكن، ولا يتحسر على فقد الفائت من الفرص

٤٦ لا تخرج الأقمار عن هالاتها

قال المتنبي بمدح أبا أيوب أحمد بن عمران: ٤٠/٢٠

سِرْبٌ مَحَاسِنُهُ حُرِمْتُ ذَوَاتُهَا دَانِي الصِّفَاتِ، بَعِيدٌ مَوْصُوفَاتُهَا

هذا سرب من الحسان، ومحاسن السرب أنا محروم من صاحباتها، والسرب داني (قريب) الصفات، ولكن الموصوفات بها بعيدات لا سبيل إليهن. يقول: أرى جمالهن قريباً، وأما الوصول إلى ذواتهن فشيء بعيد

أَوْفَى، فَكُنْتُ إِذَا رَمَيْتُ بِمُقْلَتِي بَشَرًا رَأَيْتُ أَرْقَ مِنْ عِبْرَاتِهَا

أوفى السرب (اقرب)، فكنت أرمي بعيني بشرهن (جلدهن) فأراها أرق من عبرات (دموع) عيني. يقول: بشرة هؤلاء النسوة أرق من دموع عيني

يَسْتَأَقُ عَيْسَهُمْ أَنِينِي خَلَفَهَا تَتَوَهَّمُ الرِّقَرَاتِ زَجَرَ حُدَاتِهَا

أنيني يستاق (يسوق) عيسهم (جمالهم) من خلفها، والجمال توهم زفاتي (تهنئاتي) زجر حداتها (صوت ساقيقها)

وَكَأَنَّهَا شَجَرٌ بَدَتْ، لَكِنَّهَا شَجَرٌ جَنَيْتُ الْمَوْتَ مِنْ ثَمَرَاتِهَا

كان هذه الأبل عندما ظهرت شجر، لكنها شجرات جنيت (قطفت) الموت من ثمرها. فرحيل الأحبة بالنسبة لي مثل الموت

لَا سِرَّتٍ مِنْ إِبْلِ! لَوْ أَنِّي فَوْقَهَا لَمَحَتْ حَرَارَةُ مَذْمَعِي سِمَاتِهَا
أدعو الله ألا تسير تلك الإبل التي لو كنت راكباً فوقها لأمّحت من حرارة مدمعي (مجري الدمع في العينين) سماتها (علاماتها المطبوعة على جلدها بالكوي)

وَحَمَلْتُ مَا حُمِلَتْ مِنْ هَذِي الْمَهَا وَحَمَلْتُ مَا حُمِلْتُ مِنْ حَسَرَاتِهَا
ليني حملت أنا ما تحملين أيتها الإبل من المها (الجميلات الشبيهات ببقر الوحش)، ولبتك أيتها الإبل تحملين أنت ما أحمل في قلبي من الحسرات على فراقهن

وَتَرَى الْمُرُوءَةَ وَالْفُتُوَّةَ وَالْأَبُوَّةَ - هَ فِي كُلِّ مَلِيحَةٍ ضَرَاتِهَا

تري كل مليحة (حسنة) مروءتي وفتوتي وشعور الأبوة الذي عندي بمثابة ضرات لها (منافسات). فهذه الأخلاق العفيفة تملأ قلبي، ولا تترك مكاناً للغرام، لذا فكل حسنة تحس بالغيرة من هذه الخصال الحميدة عندي

هَنَ الثَّلَاثُ الْمَانِعَاتِي لَذَنِي فِي خَلُوتِي، لَا الْخَوْفُ مِنْ تَبِعَاتِهَا

هذه الخصال الثلاث - المذكورة في البيت السابق - تمنعني من لذة أستطيع الحصول عليها في خلوة، وليس الذي يمني الخوف من التبعات (النتائج). البيتان السابقان من تسويد أحمد عبد الرحيم، وتعليقه «هذان عاليان جداً»

وَمَطَالِبٍ، فِيهَا الْهَلَاكُ، أَتَيْتُهَا ثَبَّتَ الْجَنَانِ، كَأَنِّي لَمْ آتِهَا
ورب مطالب (أهداف) تؤدي إلى الهلاك، ولكنني اقتحمتها ثبت الجنان (راسخ القلب) وكأنني لا أقتحمها

وَمَقَانِبٍ بِمَقَانِبٍ غَادَرْتُهَا أَقْوَاتَ وَحْشٍ، كُنَّ مِنْ أَقْوَاتِهَا
ورب مقانب (كثائب) واجهتها بكثافي، وتركتها أقوات وحش (طعاماً للنبع)، فبعد أن كان جنود هذه الكثائب يصيدون السباع صاروا طعاماً لها

أَقْبَلْتُهَا غُرَرَ الْجِيَادِ، كَأَنَّمَا أَيْدِي بَنِي عِمْرَانَ فِي جَبْهَاتِهَا
هذه الكثائب أقبلتها (جَبَّهْتُهَا ب) وجوه الخيل التي فيها بياض، وكأن هذا البياض في جبين كل فرس هو أيدي (أفضال) بني عمران

الثَّابِتِينَ فُرُوسَةً كَجُلُودِهَا فِي ظَهْرِهَا، وَالطَّعْنَ فِي لَبَاتِهَا

بنو عمران ثابتون لفروسيتهم فوق الخيل فكانهم جلودها، لا يتزلون عنها بينما الطعن بالرماح متواصل في لبات الخيول (صدورها). يقول: بنو عمران ثابتون على ظهور الخيل لمهارتهم في الفروسية، رغم اشتداد المعركة واتصال الطعن في صدور الخيل

الْعَارِفِينَ بِهَا كَمَا عَرَفْتَهُمْ وَالرَّاكِبِينَ جُدُودَهُمْ أُمَاتِهَا
وهم عارفون بها جيداً والخيول تعرفهم، وأجدادهم كانوا يركبون أمات (أمهات) هذه الخيول أيضاً

فَكَأَنَّمَا نُتَبِّحُ قِيَاماً تَحْتَهُمْ وَكَأَنَّمَا وَلَدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا
ولشدة التصاقهم بالخيل والفروسية كان الخيل نتجت (وُلدت) واقفة تحتهم، أو كأن بني عمران
ولدوا هم أنفسهم على صهوات الخيول

تِلْكَ النَّفُوسُ الْغَالِبَاتُ عَلَى الْعُلَا وَالْمَجْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى شَهَوَاتِهَا
نفوس بني عمران تغلب الناس وتأخذ العلا (المكارم)، ولكن المجد يغلب بني
عمران ويمنعهم من الشهوات. يقول: هم غالبون يأخذون المجد، والمجد يغلبهم
فيجعلهم يترفعون عن الشهوات الدنيئة

سُقِيَتْ مَنَابِتُهَا الَّتِي سَقَّتِ الْوَرَى، يَنْدَى أَبِي أَيُّوبَ حَيْرِ نَبَاتِهَا
سُقِيَتْ منابت هذه النفوس، التي سقت الورى (الناس)، من ندى (كرم) أبي أيوب الذي هو خير
نبات أنبتته منابت بني عمران

عَجَباً لَهُ! حَفِظَ الْعِنَانَ بِأَنْمَلٍ مَا حَفِظُهَا الْأَشْيَاءُ مِنْ عَادَاتِهَا
عجباً كيف يمسك أبو أيوب العنان (مقود الفرس) بأنمل (بأنامل) لم تعود الاحتفاظ بالأشياء،
فأنامله تعطي كل شيء للناس لشدة كرمه

كَرَّمَ تَبَيَّنَ فِي كَلَامِكَ مَآثِلاً وَبَيَّنَ عِثْقُ الْخَيْلِ فِي أَصْوَاتِهَا
كرم الخلق بدا واضحاً في كلامك يا أبا أيوب، وعثق الخيل (أصالتها) يبين ويظهر في أصواتها

أَعْيَا زَوَالُكَ عَنْ مَحَلِّ نَلْتَهُ لَا تَخْرُجُ الْأَقْمَارُ عَنْ هَالَاتِهَا
أعيا (استحال) زوالك عن مكانتك التي نلتها، فأنت كالقمر والمكانة التي نلتها كهالة
القمر، والقمر لا يخرج عن هالته. قل لي بربك من كان يحسن أن يقول «لا تخرج
الأقمار عن هالاتها»؟ وأراك مشغولاً بالمفاضلة بين المتنبى وغيره من شعراء عصره!

ذُكِرَ الْأَنَامُ لَنَا، فَكَانَ قَصِيدَةً كُنْتَ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أَبْيَاتِهَا
ذكر لنا الأنام (الناس) فكانوا قصيدة، وأنت في هذه القصيدة البيت البديع المنفرد
بالحسن. وكما قال النقاد القدامى فهذا البيت الذي يتحدث عن بيت منفرد بالحسن
هو البيت المنفرد بالحسن في هذه القصيدة

٤٧ أنا الجبال

قال المتنبى يمدح علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي: ١٥/٤١

أَطَاعِنُ خَيْلاً، مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ وَجِيداً؛ وَمَا قَوْلِي كَذَا! وَمَعِيَ الصَّبْرُ
أطاعن (أطعن) خيلاً فرسانها ليسوا سوى الدهر نفسه، أطلعنها وحيداً.. لكن لماذا
أقول هذا؟ أليس الصبر رفيقي؟ جعل الزمن فارساً راكباً حصاناً وهو يحاربه، لكن
المتنبى ليس وحيداً في معركته مع الزمن فالصبر رفيقه

وَأَشْجَعُ مِنِّي كُلَّ يَوْمٍ سَلَامَتِي وَمَا ثَبَّتَتْ إِلَّا وَفِي نَفْسِهَا أَمْرٌ

ولعل سلامتي التي ظلت ترافقني أشجع مني، فقد ثبتت للدهر، وما ثبتت إلا لأمر عظيم. هذا بالضبط شعور المصابين بجنون العظمة. يبدؤون بالتعجب من سلامتهم من كل الأخطار، ويتسلل إليهم إحساس بأن الله ساقهم ليؤدوا رسالة علوية، وهو الذي يضمن سلامتهم. ويستمدون من هذا الشعور شجاعة كبيرة يستغريها من حولهم. موسوليني كان كذلك، وانتهى به الأمر معلقاً من كعبه مقتولاً شر قتلة، وقل في هتلر الشيء نفسه. وميتة المتني من هذا الباب. مع أن شاعرنا المسكين أخفق في مسعاه للملك ورأى ثمرات الخيبة قبل موته وبدأ يستشعر ربح اليأس في سنواته الأخيرة، لكنه ظل يأبى الرضا بما حقق من مجد أدبي

تَمَرَّسْتُ بِالْآفَاتِ حَتَّى تَرَكْتُهَا تَقُولُ: أَمَاتَ الْمَوْتُ، أَمْ دُعِرَ الذُّعْرُ؟

تمرست بالآفات (بالمشكلات) حتى تركت هذه المشكلات وهي تقول: هل مات الذعر (الخوف)، أم أن الخوف خاف من هذا الرجل ومن عزمته؟

وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْآتِي، كَأَنَّ لِي سِوَى مُهَجَّتِي، أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وَتْرٌ
وأقدمت إقدام الآتي (السليل) كأن لي روحاً ثانياً غير روحي، أو كان لي عند روحي وتراً (ثأراً)
فأنا أريد إزهاق روحي بكل وسيلة

ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذُ وَسَعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا فَمُفْتَرِقٌ جَارَانِ دَارُهُمَا الْعُمُرُ

ذر (اترك) النفس تأخذ وسعها (طاقاتها) قبل بينها (فراقها)، فالجاران (الجسم والروح) اللذان يسكنان في «العمر» لا بد أن يفترقا عاجلاً أو آجلاً

وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَجْدَ زَقًّا وَقَيْنَةً فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا السَّيْفُ وَالْفَتْكَةُ الْبِكْرُ

ولا تظن المجد زقاً (قربة خمر) وقينة (مغنية)، فالمجد هو السيف والفتكة البكر (البطش الذي لم يسبق إليه أحد)

وَتَضْرِبُ أَعْنَاقَ الْمُلُوكِ، وَأَنْ تُرَى لَكَ الْهَبَوَاتُ السُّودُ وَالْعَسْكَرُ الْمَجْرُ

والمجد هو ضرب أعناق الملوك، وهو أن يكون لك هبوات (شُحْب غبار) سود في المعارك، وعسكر مجر (كبير)

وَتَرْكُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا تَدَاوُلُ سَمْعَ الْمَرْءِ أَثْمَلُهُ الْعَشْرُ

والمجد هو أن تترك في الدنيا دويّاً كالدوي الذي يسمعه من يسد أذنيه بأناملتين من أنامله، والمرء يسد أذنيه بإصبعين فقط فكيف لو سدّهما بالأصابع العشر!

إِذَا الْفَضْلُ لَمْ يَرْفَعَكَ عَنْ شُكْرِ نَاقِصٍ عَلَى هِبَةٍ، فَالْفَضْلُ فِيمَنْ لَهُ الشُّكْرُ

إذا لم يمكنك فضلك من الترفع عن نيل هبة (هدية) رجل دنيء وشكره عليها فالفضل له لا لك

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ مَخَافَةً فَقْرٍ، فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ

من ينفق وقته في جمع المال خوف الفقر فما يفعله هو الفقر بعينه لأنه يعيش حياته عيشة الفقراء، يجمع المال ولا ينفقه

وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ جُبْتُ تَشْهَدُ أَنَّيَ الْـ حِبَالُ، وَبَحْرٍ شَهِدَ أَنَّيَ الْـ بَحْرُ

تشهد الجبال التي جبتها (قطعتها) أنني أنا الجبال، والبحر يشهد أنني أنا البحر. فالمتني كالجبال نباتاً وكالبحر كرمًا

وَمَا قُلْتُ مِنْ شِعْرِ تَكَادُ بُيُوتُهُ إِذَا كُتِبَتْ يَبْيَضُّ مِنْ نُورِهَا الْحَبْرُ

شعري تكاد أبياته تحول الحبر الأسود إلى اللون الأبيض لما فيها من نور البيان

كَأَنَّ الْمَعَانِي فِي فَصَاحَةٍ لَفْظُهَا نَجُومُ الثَّرِيَاءِ، أَوْ خِلَافُكَ الزُّهْرُ

كان معاني شعري وألفاظه نجوم الثريا (مجموعة نجوم) أو خلافتك (خصالك) الزهر (النيرة)

وَجَنَّبَنِي قُرْبَ السَّلَاطِينِ مَقْتُهَا وَمَا يَقْتَضِينِي مِنْ جَمَاجِمِهَا النَّسْرُ

الذي جنبني قرب السلاطين مقتي لهم، وما يقتضيني النسر (يطالبني) من قطع جماجمهم، فالنور تحب الجثث لأنها تغذى بها

وَإِنِّي رَأَيْتُ الضَّرَّ أَحْسَنَ مَنْظَرًا وَأَهْوَنَ مِنْ مَرَأَى صَغِيرٍ بِهِ كِبَرُ

وقد رأيت الضر (الفقر) أهون على الإنسان من رؤية رجل صغير النفس به كبير (تكبر)

٤٨ المحسود الفقير

قال المتنبّي يمدح علي بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي وكان يحب الرمي بالنشاب ويتعاطاه، وكان له وكيل يتعرض للشعر فأنفذه إلى أبي الطيب يناشده فتلقيه وأجلسه في

مجلسه، ثم كتب إلى علي يقول: ٤٣/٨

أَعَزَّمِي أَطَالَ هَذَا اللَّيْلُ فَانْظُرْ أَمِنْكَ الصُّبْحُ يَفْرُقُ أَنْ يَوْوِبَا

يا عزمي (عزيمتي) قد طال هذا الليل فانظر لعل الصبح يفرق (يفرق) منك فهو لذلك ليس يؤوب (يرجع)

أَقْلَبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي أَعْدُ بِهَا عَلَى الدَّهْرِ الدُّنُوبَا

أقلب أجفاني في الليل ساهراً فكأنني برمشات عيني أعد ذنوب الدهر التي ارتكبتها بحقي

وَمَا لَيْلٌ بِأَطْوَلَ مِنْ نَهَارٍ يَظَلُّ بِلَحْظِ حُسَادِي مَشُوبَا

والليل بطوله وقسوته ليس أطول من نهار يظل مشوباً (مختلطاً) بلحظ (بنظرات) حسادي

وَمَا مَوْتُ بِأَبْغَضَ مِنْ حَيَاةٍ أَرَى لَهُمْ مَعِيَ فِيهَا نَصِيبًا
وما الموت عندي بأبغض (أسوأ) من حياة يعايشني فيها الحساد

عَرَفْتُ نَوَائِبَ الْحَدَثَانِ حَتَّى لَوْ انْتَسَبْتُ لَكُنْتُ لَهَا نَقِيبًا
عرفت نوائب (مصائب) الحدثان (الزمن) حتى لو أنها انتسبت (ذكرت لنفسها نسباً) لكنت أنا نقيبها
(والنقيب رئيس العشيرة العارف نسبها)

وَلَمَّا قُلْتُ الْإِبِلُ امْتَطَيْنَا إِلَى ابْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ الْخُطُوبَا

ولما صارت الإبل قليلة امتطينا (ركبنا) إلى ابن أبي سليمان الخطوبيا (المشكلات).

يقول: اتخذنا من مشكلات الزمن مطية نركبها إلى الممدوح فنحن بسبب هذه المشكلات نلجأ إليه للمساعدة. تسويد أ. عبد الرحيم

مَطَايَا لَا تَذِلُّ لِمَنْ عَلَيْهَا وَلَا يَبْغِي لَهَا أَحَدٌ رُكُوبًا

وهذه المطايا (الإبل) لا تذلل (لا تكون طيبة) لمن يركبها، ولا أحد يحب أن يركبها أصلاً

وَتَرْتَعُ دُونَ نَبْتِ الْأَرْضِ فِينَا فَمَا فَارَقْتُهَا إِلَّا جَدِيبًا

وهي لا ترتع (ترعى) في الأرض بل ترتع في نفوسنا، فما أفارق هذه المشكلات إلا

وأنا جديب (مجدب فقير). يقول المتسولون كلاماً كهذا على أبواب الجوامع كل

يوم، لكن شاعرنا صاغه صياغة جعلتنا نختاره ونشرحه بعد أكثر من ألف سنة من

موته. إن من البيان لسحراً

٤٩ ومن نكد الدنيا

قال المتنبي يمدح علي بن محمد التميمي: ٣٧/١٠

أَقْلُ فَعَالِي، بَلْهَ أَكْثَرُهُ، مَجْدُ وَذَا الْجِدُّ فِيهِ، نَلْتُ أَمْ لَمْ أَنْلُ، جَدُّ

أقل فعالي (أفعالي)، بله (دع عنك) أكثره، مجيد؛ وذا (هذا) الجِدُّ (الاجتهاد) في

تحقيقه - سواء نلت ما أريد أم لم أنل - جَدُّ (سعد وحظ). يقول: أقل ما صنعت،

ناهيك بالكثير منه، هو من المجد، ومجرد اجتهادي هو من حسن حظي بغض النظر

إن نلت ما أريد أم أخفقت

سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَّا وَمَشَايِخْ كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا التَّشْمُوا مُرْدُ

سأطلب حقي بالقنا (بالرماح) وبمشايخ (رجال من السادة) الذين التشموا كثيراً (لثموا وجوهمهم في

المعارك) ولهذا فوجوهم قليلة الشعر كأنهم مُرد (فتية لم تطلع لحاهم)

يُقَالُ إِذَا لَاقُوا، خِفَافٍ إِذَا دُعُوا كَثِيرٍ إِذَا اشْتَدُّوا، قَلِيلٍ إِذَا عُدُّوا

هم يقال قساة عندما يلاقون العدو، ولكن إذا دُعوا للحرب كانوا خفافاً سريعي الاستجابة، وهم

كثر بشدة بأسهم، لكنك إذا عدتهم رأيت عددهم قليلاً

إِذَا شَتَّ حَفَّتْ بِي عَلَى كُلِّ سَابِجٍ رِجَالُ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِي قَمِيهَا شَهْدُ
 إِذَا شَتَّ حَفَّتْ بِي (أحاطت بي) على ظهر كل سابج (فرس) رجال الموت شهد بالنسبة لهم
 أَذْمُ، إِلَى هَذَا الزَّمَانِ، أَهْيَلَهُ فَأَعْلَمُهُمْ قَدَمٌ، وَأَخْزَمُهُمْ وَغَدُ
 أذم أهل هذا الزمان، فأكثرهم علماً قدم (غي)، وأكثرهم حزمًا وغد

وَأَكْرَمُهُمْ كَلْبٌ، وَأَبْصَرُهُمْ عَمٍ وَأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ، وَأَشْجَعُهُمْ قَرْدُ
 وأكرم (أشرف) هؤلاء البشر كلب، وأحدهم بصراً أعمى، وأسأدهم (أكثرهم سَهَرًا) فهد (والفهد
 مشهور بكثرة النوم)، وأشجعهم قرد

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ، مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُ

من نكد هذه الدنيا على الرجل الحر أنه مجبر على التظاهر بصداقة من يعاديه. كنا
 في الصف الحادي عشر عندما درسنا هذه القصيدة في المدرسة. وخرجنا بعد الدرس
 إلى الساحة في فرصة الضحى، وقلت لصديقي نزار هل انتهت إلى ذلك البيت؟ فقال
 لي: ومن نكد الدنيا؟ ونظر أحدهما في وجه الآخر. أستذكر هذا الموقف، وأسأل
 نفسي: هل الجيل الجديد مستعد لأن يتذوق المتنبي تذوقاً فطرياً كما تذوقناه؟ وهل
 يمكن لفتية لم يجربوا من الحياة شيئاً أن يحسوا بمثل هذه المعاني؟ عندي ثقة في أن
 شباب العرب لن يستمروا في إهمال هذا التراث الفاحش الثراء من الحكمة والأدب.
 نحن نبعث أولادنا وبناتنا إلى المدارس التي تدرسههم باللغات الأجنبية والتي تجعلهم
 يزدرون تراثهم، وهم هناك يدرسون قليلاً من شكسبير ومن قصص وروايات الشعوب
 المسيطرة علينا وعلى العالم. ولكنهم لا يتمكنون من النص الشكسبي ولا يتمثلون
 الثقافات الأخرى. يخرجون من تلك المدارس مخلوقات مشوهة في وجدانها.
 ويصبح خريجو المدارس الأجنبية وزراء للمعارف، ويفرضون على كل طلبة هذا
 الوطن مناهج كالتى درسوها. وهذا الشيء قد بدأ فعلاً. ولست ضد هذه المدارس
 الأجنبية، لا بل أريد من كل مدرسة أن تعلم أبناء العرب اللغة الإنجليزية ومنذ سن
 مبكرة. لست ضدها، أنا ضد شعوبنا نفسها. إنها شعوب مستعجلة، تريد أن تتاجر
 فقط. ولا تريد أن تصنع ولا أن تزرع. ولذا فهي تدفع المال الكثير لتعليم أولادها
 في مدارس تقوم بتخريج طبقة من السماسرة. كنا في الماضي وسطاء بين الشرق
 والغرب بحكم موقعنا الجغرافي، واليوم صارت أوروبا تستورد من الصين والهند
 بدون المرور بأراضينا. فصرنا وسطاء بين ثروات أرضنا وبين الغربيين، ونحن نقوم
 بتهريب خيراتنا إليهم. وخير ما يدرسه أولاد السماسرة اللغة الأجنبية، والقليل القليل
 من تراث الأجانب. أما تذوق الشبان الصغار لمعاني المتنبي وحكمته فأمر يعود للغة
 وتذوقها. وليس كثيراً على فتى في السابعة عشرة من عمره أن يحس بمعنى بيت
 المتنبي. ولكن فتيان زمننا هذا ما عادوا يحسّون باللغة العربية الفصحى إلا قليلاً

وَأَنِّي لَتُغْنِيَنِي مِنَ الْمَاءِ نُغْبَةٌ وَأَصْبِرُ عَنْهُ مِثْلَمَا تَصْبِرُ الرَّبْدُ
 وتغنيني عن شرب الماء نغبة (جرعة) منه، وأصبر عن الماء صبر الربد (الثعالب)

وَأَمْضِيْ كَمَا يَمْضِي السَّنَانُ لِطَيْتِيْ وَأَطْوِيْ كَمَا تَطْوِي الْمُجْلَحَةُ الْعُقْدُ
وَأَمْضِي لَطِيْنِي (في سبيل هدفِي) مثل السنان (سن الرمح)، وأطوي (أجوع) مثلما تجوع المجلحة
(الذئاب) العُقْد (ذوات الأذئاب التي فيها عُقْد)

وَأَكْبِرُ نَفْسِي عَنْ جَزَاءٍ بِغِيْبَةٍ وَكُلُّ اغْتِيَابٍ جُهْدٌ مَنْ مَا لَهُ جُهْدٌ
وأكبر نفسي (أُجِلُّ نفسي) عن مجازاة أحد باغتيابه، وكل اغتياب هو جهد (أقصى استطاعة) من
ليس له قوة

٥٠ لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى..

قال المتنبي يهجو ابن كَيْبَلَع سنة ست وثلاثين وثلاثمئة، وكان يريد السير من الرملة
إلى أنطاكية فأخذ ابن كَيْبَلَع عليه الطرق ومنعه من الرحلة إلا أن يمدحه، فقال المتنبي
يهجوه، وأملأها على من يثق به في طرابلس ثم سار وأفلت: ٣٧/٢٤

لِهَوَى الثُّفُوسِ سَرِيرَةٍ لَا تُعْلَمُ عَرَضاً نَظَرْتُ، وَخِلْتُ أَنِّي أَسْلَمُ
لهوى القلوب سريرة (سر) خفي، فقد نظرت لتلك الفاتنة عَرَضاً وخلت (ظننت) أنني سأسلم
من العشق

يَا أُخْتُ مُعْتَنِي الْفَوَارِسِ فِي الْوَعَى! لَأُخَوِّكَ نَمَّ أَرْقُ مِنْكَ وَأَرْحَمُ
يا أخت معتني الفوارس (الرجل الذي يشتبك مع خصمه وهما على الخيل) في الوعى (في
الحرب)، والله لأخوِّكَ نَمَّ (هناك، في الحرب) أرق منك قلباً. تسويد أ. عبد الرحيم

رَاعَتْكَ رَائِعَةُ الْبَيَاضِ بِمَفْرِقِي وَلَوْ أَنَّهَا الْأُولَى، لَرَاعَ الْأَسْحَمُ
راعتك (أخافتك) رائعة البياض (الشعرة البيضاء التي تروع الناظر) بمفرقي (برأسي)، ولو أن هذه
هي الشعرات الأولى أيام الشباب لراعتك الأسحم (الأسود)

وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْحَادِثَاتِ، فَلَا أَرَى يَقَقاً يُمِيتُ، وَلَا سَوَاداً يَغْصِمُ
قد رأيت أحداث الزمن، فلا أرى يققاً (أبيض) يميت، ولا سواداً يعصم (يحمي)

وَالْهَمُّ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَافَةً وَيُثِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ، وَيُهْرِمُ
والهم يخترم (يهلك) الجسيم السمين فيجعله نحيفاً، ويثيب ناصية (سالف) الصبي ويهرمه
(يجعله هرمًا)

ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِي النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ
وَالنَّاسُ قَدْ نَبَذُوا الْحِفَاطَ، فَمُطْلَقٌ يَنْسَى الَّذِي يُوَلَّى، وَعَافٍ يَنْدُمُ
الناس نبذوا (تركوا) الحفاظ (حماية الشرف) فهم بين مطلق (أطلق سراحه من حبس) ينسى الذي
يولي (يعطى من إحسان)، وبين عاف (الذي عفا عنه) نادم لأنه عفا

لَا يَخْدَعَنَّكَ مِنْ عَدُوِّ دَمْعُهُ وَارْحَمْ شَبَابَكَ مِنْ عَدُوِّ تَرْحَمُ

لا تتخدع بدمع العدو، وارحم شبابك من العدو الذي ترحمه وتشفق عليه

لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُّ

تعليق أحمد عبد الرحيم: [رغم بشاعة بعض معاني الشعر.. إلا أنك تجد نفسك منساقاً، بقضاء لا تدري كيف هو!، للإعجاب بقوي نظمه، أو بديع صوره، أو بعذوبة إيقاعه.. أو بها جميعاً! وكثير من هذا لدى صديقنا أبي الطيب!]

وَالظُّلْمُ مِنَ شِيَمِ النَّفُوسِ، فَإِنْ تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ، فَلِعِلَّةٍ لَا يَظْلِمُ

الظلم من شيم (طباع) النفوس، فإن تجد ذا عفة (صاحب عفة)، فليعل (لسبب ما) لا يظلم، وليس هناك عفة حقيقية

يَحْمِي ابْنُ كَيْفَلَعٍ الطَّرِيقَ، وَعِرْسُهُ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهَا الطَّرِيقُ الْأَعْظَمُ

ابن كيفلغ يحمي الطريق (بمعني من مغادرة البلد)، وعرسه (زوجته) تفتح الطريق للجميع. ينطق المتنبي اسم «ابن كيفلغ» بإسكان الياء، وستجده في قصيدة أخرى يفتح الياء وشكلنا الاسم بالطريقتين هنا ثم هناك

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ عَذْلٌ مَنْ لَا يَرْعَوِي عَنْ جَهْلِهِ، وَخَطَابٌ مَنْ لَا يَفْهَمُ

من البلية (المصيبة) عذل (لوم) من لا يرعوي (يرتدع) عن جهله، والتحدث إلى من لا يفهم. تسويد أ. عبد الرحيم

فَارْفُقْ بِنَفْسِكَ، إِنَّ خَلْقَكَ نَاقِصٌ وَاسْتَرْ أَبَاكَ، فَإِنَّ أَصْلَكَ مُظْلِمٌ

فيا هذا ارفق بنفسك ولا تعرضها للشتم، فخلقك ناقص (عندك عاهات/ويرى أحمد عبد الرحيم أن المتنبي يومئ إلى أن الرجل يفتقد ذلك الشيء الذي يكون للرجل دون المرأة)، واستر أباك فإن أصلك مظلم (ليس نسبك معروفاً)

وَجُفُونُهُ مَا تَسْتَقِرُّ كَأَنَّهَا مَطْرُوفَةٌ، أَوْ قُتَّتْ فِيهَا حِصْرٌ

جفون هذا المهجو لا تستقر فهو يرمش باستمرار، فكأنها مطروفة، أو قُتَّتْ فيها الحصرم (العنب الفج الحامض)

وَإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثًا فَكَأَنَّهُ قَرْدٌ يَقْهَقُهُ، أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ

وعندما يتكلم يلوح بيديه كأنه قرد يقهقه أو عجوز تلتطم

وَتَرَاهُ أَصْغَرَ مَا تَرَاهُ نَاطِقًا وَيَكُونُ أَكْذَبَ مَا يَكُونُ، وَيُقْسِمُ

يكون في أصغر (أحقر) حالاته متكلماً، وعندما يكذب الكذبة الكبيرة يقسم عليها

وَالذَّلُّ يُظْهِرُ فِي الدَّلِيلِ مَوَدَّةً وَأَوْدُ مِنْهُ، لِمَنْ يَوَدُّ، الْأَرْقَمُ

الذل يجعل الدليل يبدو ودوداً، ولكن وده - لمن يظهر له الود - كود الأرقم (الثعبان)

وَمِنَ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ وَمِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ
فَلَسَدَمَا جَاوَزْتَ قَدْرَكَ صَاعِدًا وَلَسَدَمَا قَرُبْتَ عَلَيْكَ الْأَنْجُمُ
ما أكثر ما جاوزت قدرك، وأنت تحاول أن أمدحك، وما أكثر ما ظننت النجوم قريبة من يدك
وَأَرَعْتَ مَا لِأَبِي الْعَشَائِرِ خَالِصًا إِنَّ الشَّنَاءَ لِمَنْ يُزَارُ فَيُنْعِمُ
وَأَرَعْتَ (طلبت) المدح الذي هو خالص لأبي العشائر؛ إن المدح هو لمن نزوره فينعم علينا
وَلِمَنْ يُهَيِّنُ الْمَالَ، وَهُوَ مُكْرَمٌ وَلِمَنْ يَجُرُّ الْجَيْشَ، وَهُوَ عَرْمَرَمٌ
والمدح لمن يهين ماله ويكرم نفسه، ولمن يجر الجيش والجيش عرمرم (كبير)

وَلِمَنْ إِذَا التَقَى الْكُمَاءُ بِمَازِقٍ فَنَصِيبُهُ مِنْهَا الْكَمِيُّ الْمُعْلَمُ
والمدح لمن إذا التقى الكماء (المدججون بالسلاح) في موضع ضيق، فهو يبارز المسلح المعلم
(الشجاع الذي يضع ريشة أو علامة يعرف بها)

وَلَرُبَّمَا أَطَرَ الْقَنَاةَ بِفَارِسٍ وَثَنَى فَقَوْمَهَا بِآخِرِ مِنْهُمْ
وربما أطر القناة (قوس الرمح) عندما يطعن فارساً، ثم ثنى (انعطف) وقوم الرمح بفارس آخر من
الأعداء

أَفْعَالٌ مِّنْ تَلِيدِ الْكِرَامِ كَرِيمَةً وَفِعَالٌ مِّنْ تَلِيدِ الْأَعَاجِمِ أَعْجَمٌ
أفعال الأصلين أصيلة وأفعال الأعاجم أعجمية

٥١ حب يزيد ويشند

قال المتنبى يمدح الحسين بن علي الهمداني: ٣٧/٨

إِذَا غَدَرْتَ حَسَنَاءَ وَقْتَ بَعْدِهَا فَمِنْ عَهْدِهَا أَنْ لَا يَدُومَ لَهَا عَهْدُ
إذا غدرت الحسناء فهي توفي بعهدا الأنتوي، فعهد المرأة (عادتها) ألا يدوم لها عهد

وَأَنْ عَشِقْتَ كَانَتْ أَشَدَّ صَبَابَةً وَإِنْ فَرَكْتَ فَادْهَبَ فَمَا فَرَكُهَا قَصْدُ
إن عشقت المرأة كانت أشد صباية (شوقاً) من الرجل، وأما إن فركت (كرهت) فاذهب عنها فليس
فركها (كراهيتها للرجل) قصداً (معتداً) بل مطرفاً

وَأِنْ حَقَدْتَ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهَا رِضًى وَإِنْ رَضِيتَ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهَا حِقْدُ
كذلك أخلاق النساء، وربما يضلُّ بها الهادي، ويخفى بها الرشد
هكذا أخلاق (طباع) النساء، والهادي (العاقل) ربما ضل طريقه في التعامل معهن، وربما خفي
عليه الرشد (الصواب)

وَلَكِنَّ حُبًّا خَامَرَ الْقَلْبَ فِي الصَّبَا يَزِيدُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَيَسْتَدُّ

ولكن الحب الذي خامر القلب منذ الصبا يزيد كلما مر الزمن

وَمِنِّي اسْتِفَادَ النَّاسُ كُلَّ غَرِيبَةٍ . فَجَاؤُوا بِتَرْكِ الدَّمِّ، إِنْ لَمْ يَكُنْ حَمْدُ

لقد استفاد (أخذ) الشعراء مني كل المعاني الغريبة، ولهم أقول: جازوا (كافثوني) بأن تركوا دمي،
إن لم يكن منكم الحمد لي

وَجَدْتُ عَلِيًّا وَابْنَهُ خَيْرَ قَوْمِهِ وَهُمْ خَيْرُ قَوْمٍ، وَاسْتَوَى الْحُرُّ وَالْعَبْدُ

ويمدح الحسين بن علي المنبجي بقوله إن علياً وابنه الحسين هما خير (أفضل)
قومهما بني طيء، وبنو طيء هم أفضل الأقوام؛ وبقية الناس أدنى من طيء، والفارق
بين طيء وبين كل الناس كبير إلى درجة أن يستوي بعدهم الحر والعبد (ألا ترى أنك
إذا أدركت حجم الشمس وعظمتها تجد كل الكواكب السيارة سواء في الحقارة؟)

وَأَصْبَحَ شِعْرِي مِنْهُمَا فِي مَكَانِهِ وَفِي غُنْقِ الْحَسَنَاءِ يُسْتَحْسَنُ الْعُقْدُ

وقد أصبح شعري من علي وابنه في المكان الصحيح لأنهما يستحقان المدح، مثلما أن العقد
جميل على المرأة الجميلة

٥٢ المزاحمة

قال المتنبي يمدح الأمير أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طفج بالرملة: ٣٦/١٠

فَمَا لِي وَلِلدُّنْيَا! طِلَابِي نَجُومُهَا وَمَسْعَايَ مِنْهَا فِي شُدُوقِ الْأَرَاقِمِ

ما لي ولهذه الدنيا! أنا أطلب الكثير فكأنني أريد نيل نجوم السماء، ومسعاي (مطلوبي) منها
موجود في شقوق (أفواه) الأرقام (الأفاعي) لصعوبته

مِنَ الْحِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمَلَ الْجَهْلَ دُونَهُ إِذَا اتَّسَعَتْ فِي الْحِلْمِ طُرُقُ الْمَظَالِمِ

جزء من الحلم (العقل) أن تستعمل الجهل (الغضب) دون الحلم (حراسة له)، ذلك مطلوب إذا
كان الحلم يجبر عليك الظلم

وَأَنْ تَرِدَ الْمَاءَ الَّذِي شَطَرُهُ دَمٌ فَتُسْقَى، إِذَا لَمْ يُسَقَ مَنْ لَمْ يُزَاحِمِ

ومن العقل أن ترد (تأتي) الماء الذي شطره (نصفه) دم فتصر على أن تشرب عندما لا
يكون ثمة سبيل للشرب إلا المزاحمة. صورة بديعة لصعوبة الحصول على أساسيات
الحياة في الصحراء: الماء الذي يرده الناس نصفه دم بسبب القتال عليه

وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا وَبِالنَّاسِ، رَوَى رُوحَهُ غَيْرَ رَاحِمٍ

من عرف الأيام (الدنيا) معرفتي بها (سقى) روى روحه من دمه غير راحم إياهم

فَلَبَسَ بِمَرْحُومٍ إِذَا ظَفَرُوا بِهِ وَلَا فِي الرَّدَى الْجَارِي عَلَيْهِمْ بِأَيِّمٍ
فالمرء لا يجد رحمة إذا ظفر به الآخرون، وهو غير آثم (مذنب) إذا قتل أحداً، فالردى (الموت)
جارٍ على الناس جميعاً ومصيرهم كلهم للموت

إِذَا ضَلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَصَلاً لِفَاتِكِ وَإِنْ قُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَقَلاً لِعَالِمِ
إذا ضلت (هجمت) لم أترك فرصة هجوم لفاتك (شجاع قاتل)، وإن قلت كلاماً لم أترك مجالاً
لعالم يتقذني أو يجاريني

وَذِي لَجَبٍ: لَا دُوَ الْجَنَاحِ أَمَامَهُ بِنَاجٍ، وَلَا الْوَحْشِ الْمُنَارُ بِسَالِمِ
ورب جيش ذي لجب (ضجة) لا ينجو أمامه الطير لكثرة ما يصيد جنوده الطيور، ولا الوحش
المثار (الخارج من بيته) يسلم منه

تَمُرُّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ تُطَالِعُهُ مِنْ بَيْنِ رِيشِ الْقَشَاعِمِ
تمر الشمس ضعيفة فوق هذا الجيش، وتتسلل من بين ريش القشاعم (النسور). والنسور تراقب
الجيش لأنها تعرف أن القتلى سيسقطون بعد قليل وستأكل من جثثهم

إِذَا ضَوْءُهَا لَأَقَى مِنَ الطَّيْرِ فُرْجَةً تَدَوَّرَ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ
فإذا كان ضوء الشمس سعيد الحظ وتسلل من فرجة (فتحة) بين النسور، فإنه بشكل بقاء مثل
الدراهم على البيض (الخوذ التي على رؤوس الجنود)

وَيَخْفَى عَلَيْكَ الرَّعْدُ وَالْبَرْقُ فَوْقَهُ مِنْ اللَّمْعِ فِي حَافَاتِهِ وَالْهَمَاهِمِ
ولا تميز صوت الرعد ولا صورة البرق فوق هذا الجيش لكثرة ما تلمع سيوفه ولكثرة الهماهم
(همهمة الجنود وأصواتهم المختلفة)

٥٣ كمين في كفر عاقب

قال يمدح أبا القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي: ٤٠/٨

أَعِيدُوا صَبَاحِي، فَهَوَ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ وَرَدُّوْا رُقَادِي، فَهَوَ لِحْظُ الْحَبَائِبِ
أعيدوا لي صباحي الذي فقدته بسبب السهر الطويل، وصباحي موجود عند الكواعب (الفتيات اللاتي
برزت صدورهن أول بروز)، وردوا علي رقادي (نومي) ولا نوم لي إلا بلحظ (برؤية) الحباب

فَيَا لَيْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَبَّتِي مِنْ الْبُعْدِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَصَائِبِ
ليت البعد الذي بيني وبين الأحبة موجود بيني وبين المصائب

يَهُونُ عَلَى مِثْلِي إِذَا رَامَ حَاجَةً وَقُوْعُ الْعَوَالِي، دُونَهَا، وَالْقَوَاضِبِ
يهون على من كان مثلي في الطموح إذا رام (طلب) حاجة وقوع العوالي (الرماح) والقواضب
(السيوف) دون هذه الحاجة (بسببها)

كَثِيرُ حَيَاةِ الْمَرْءِ مِثْلُ قَلِيلِهَا يَزُولُ، وَبَاقِي عَيْشِهِ مِثْلُ ذَاهِبٍ
طالت الحياة أم قصرت سيان فهي زائلة، وما بقي من عمرك لن يكون خيراً مما ذهب، فلا تأمل
في الكثير

إِلَيْكَ! فَإِنِّي لَسْتُ مِمَّنْ إِذَا اتَّقَى عِضَاضَ الْأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْعِقَارِبِ
إليك! (كُفِّي عني يا لائمتي)، فإنني لست الذي يبقى عضاض (عض) الأفاعي ثم ينام فوق
العقارب، فأنا جربت الحياة وتمرست بها

أَتَانِي وَعَيْدُ الْأَذْعِيَاءِ، وَأَتَهُمْ أَعَدُّوا لِي السُّودَانَ فِي كَفْرِ عَاقِبٍ
جاءني وعيد (تهديد) الأذعياء (المتسبين لغير آبائهم)، وعرفت أنهم أعدوا لي كميناً
من السودان (الرجال السود) في قرية كفر عاقب وكان قوم، يزعمون أنهم من نسل
علي بن أبي طالب، قد أعدوا له كميناً

وَلَوْ صَدَقُوا فِي جَدِّهِمْ لَحَذَرْتُهُمْ فَهَلْ قَيَّ وَخَلَدِي قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبٍ
لو صدقوا في نسبهم لكنت أخذت حذري من تهديدهم، فهل يكونون صادقين في هذا التهديد
فقط؟

بِأَيِّ بِلَادٍ لَمْ أُجَرِّ ذَوَابَّتِي؟ وَأَيَّ مَكَانٍ لَمْ تَطَّاهُ رَكَائِبِي؟
بأي بلاد لم أجر ذوابتي (طرف نعلي)؟ لقد تجولت في كل البلاد؛ وأي بلد لم تطأه (تدسه)
ركائبي (جمالي)؟

٥٤ النجوم هدي

هاجم الروم أنطاكيَّة وهو فيها، فقال المتنبي: ٩/٦

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرْفِ مَرْوَمٍ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
إذا غامرت في سبيل شرف مروم (مطلوب) فلا تقنع بما هو أقل من النجوم

فَطَعُمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ حَقِيرٍ كَطَعُمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ عَظِيمٍ
يَرَى الْجُبْنَاءُ أَنَّ الْعَجْزَ عَقْلٌ وَتِلْكَ خَدِيعَةُ الطَّبْعِ اللَّثِيمِ
الجنباء يرون العجز (القعود عن المغامرة) تعقلاً. لا، بل يخدعون أنفسهم لستر لومهم

وَكُلُّ شَجَاعَةٍ فِي الْمَرْءِ تُغْنِي وَلَا مِثْلَ الشَّجَاعَةِ فِي الْحَكِيمِ
الشجاعة وحدها تكفي، ولا شيء أفضل من اجتماع الشجاعة والحكمة

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَأَفْنَتْهُ مِنَ الْقَهْمِ السَّقِيمِ
كثيرون يعيبون القول الصحيح (يقصد الشعر الجيد)، وأفنتهم (مشكلتهم) أن فهمهم سقيم

وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْآذَانَ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْعُلُومِ
فَالْآذَنُ تَفْهَمُ الشَّعْرَ بِقَدْرِ مَا عِنْدَ الْمَرْءِ مِنْ قَرِيحَةٍ (طبع) ومن معرفة

٥٥ ذليل قبل الهجاء

بلغه وهو بدمشق أن إسحق بن كَيْغْلَغْ يتوعد في بلاد الروم، فقال المتنبي: ٦/٥
أَتَانِي كَلَامُ الْجَاهِلِ ابْنِ كَيْغْلَغْ يَجُوبُ حُزُونًا بَيْنَنَا وَسُهُولًا
جاءني كلام ابن كَيْغْلَغْ قاطعاً حزوناً (تلاًلاً) وسهولاً. كان المتنبي سماء ابن كَيْغْلَغْ،
بسكون على الياء، في قصيدة سابقة (رقم ٥٠) ولا نعرف أي الاسمين الصحيح.
ولعل الرجل كان ينطق اسمه بطريقة ثالثة لم تصلنا. ويجوز للشاعر لكي يقيم الوزن
ما لا يجوز لغيره

ولو لم يَكُنْ بَيْنَ ابْنِ صَفْرَاءَ حَائِلٌ وَبَيْنِي سِوَى رُمَحِي لَكَانَ طَوِيلًا
ولكن، حتى لو كانت المسافة بين ابن صفراء (لقب ابن كيغْلَغْ عند المتنبي) وبينني هي طول رمحي
لكانت مسافة طويلة، فهو لا يقدر أن يصل إلي

وَإِسْحَقُ مَأْمُونٌ عَلَى مَنْ أَهَانَهُ وَلَكِنْ، تَسَلَّى بِالْبُكَاءِ قَلِيلًا
واسحق بن كيغْلَغْ مأمون ولا خطر منه على من وجّه إليه إهانة، فأكثر ما يفعله أن يبكي لئلا يفسد نفسه الإهانة
وَلَيْسَ جَمِيلًا عَرَضُهُ فَيَصُونُهُ وَلَيْسَ جَمِيلًا أَنْ يَكُونَ جَمِيلًا
عرضه ليس جميلاً حتى يستحق الحفاظ، وليس أمراً جميلاً ولا صحيحاً أن يكون عرضه جميلاً
وَيَكْذِبُ؛ مَا أَذْلَلْتُهُ بِهَجَائِهِ لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِ الْهَجَاءِ ذَلِيلًا
وهو كاذب، فأنا لم ألحق به الذل بهجائي له، فهو ذليل أصلاً

٥٦ نصرة بالرعب

قال يمدح أبا العشائر الحسن بن علي بن الحسن بن الحسين بن حمدان العدوي:
٣٩/١٣

أَتَرَاهَا لِكَثْرَةِ الْمُشَاقِّ تَحْسَبُ الدَّمَعَ خِلْقَةً فِي الْمَآقِي؟
هل هي لكثرة عشاقها، ورؤيتها لهم يكون من ألم العشق، صارت تظن أن الدمع يتفرق في
المآقي (العيون) خِلْقَةً وبشكل طبيعي؟

حُلْتُ دُونَ الْمَزَارِ، فَالْيَوْمَ لَوْ زُرْتُ لَحَالَ النُّحُولُ دُونَ الْعِشَاقِ
أيتها المحبوبة حُلْتُ (وضعت حائلاً) بيني وبين زيارتك، والآن لو أمكنك أن تزوريني أنتِ لأصبح
نحولي (هزالي) حائلاً دون معانقتي إياكِ

ثَابِتُ الرَّأْيِ، ثَابِتُ الْحِلْمِ، لَا يَفِدُ دِرُّ أَمْرٍ لَهُ عَلَى إِفْلَاقِ

يصف ممدوحه بأنه ثاقب الرأي ثابت الحلم (التسامح) لا يقدر أمر أن يقلقه (يضعفه)

يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ لُقْمَانَ! لَا تَعُدْ دَمَكُمْ فِي الْوَعَى مُتَوْنِ الْعِتَاقِ

يا بني الحارث بن لقمان أَدْعُو أَنْ لَا تَعْدِمَكُمْ (لا تخلو منكم) في الوعى (الحرب) متون (ظهور) العتاق (الخيال الأصلية)

بَعَثُوا الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْأَعَادِي فَكَانَ الْقِتَالُ قَبْلَ التَّلَاقِي

لقد بعثوا الرعب في قلوب الأعداء فكانهم حاربهم قبل أن يلتقوا

وَتَكَادُ الظُّبَى، لِمَا عَوَّدُوهَا، تَنْتَضِي نَفْسَهَا إِلَى الْأَعْنَاقِ

وتكاد الظبي (شفرات السيوف) - لكثرة ما عودوها الضرب - تنتضي نفسها (تسحب نفسها من أعمادها) لتضرب الأعناق

قُلْ نَفْعُ الْحَدِيدِ فِيكَ، فَمَا يَلْبُ شَاكَ إِلَّا مَنْ سَيْفُهُ مِنْ نِفَاقِ

لا ينفع السيف الحديدي فيك (في مواجهتك)، لذا أصبح الأعداء يلاقونك بسيوف من النفاق، أي أنهم يسايرونك اتقاء بطشك

إِلْفٌ هَذَا الْهَوَاءِ أَوْقَعَ فِي الْأَنْدِ خُبْسٌ أَنَّ الْحِمَامَ مَرُّ الْمَذَاقِ

إلف (ألفة) هذا الهواء الذي تنتفسه أُوهم الناس أن الحمام (الموت) مر المذاق

وَالْأَسَى، قَبْلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ، عَجَزٌ وَالْأَسَى لَا يَكُونُ بَعْدَ الْفِرَاقِ

الأسى (الحزن) قبل مفارقة الروح للجسد عجز من المرء، والحزن بالطبع لا يحدث بعد الموت، إذن فلماذا الحزن أصلاً

كَمْ ثَرَاءٌ فَرَّجَتْ بِالرُّمَحِ عَنْهُ كَانَ، مِنْ بُخْلِ أَهْلِهِ، فِي وَثَاقِ

كثيراً ما فرجت بالرمح ثراه كان مجبوساً في وثاق (قيد) هو بخل أصحابه، فحاربتهم وأخذت مالهم

وَالْغِنَى فِي يَدِ اللَّيْمِ قَبِيحٌ قَدَرُ قُبْحِ الْكَرِيمِ فِي الْإِمْلَاقِ

الغنى قبيح على البخل فيح الإملاق (الفقر) على الكريم

شَاعَرُ الْمَجْدِ خِذْنُهُ شَاعِرُ اللَّفِّ ظُ، كِلَانَا رَبُّ الْمَعَانِي الدَّقَاقِ

أبو العنائر بمثابة شاعر، ولكن قصائده هي أمجاده، وخذنه (صديقه) أنا شاعر اللفظ، وكلانا له معان دقيقة وفنان في مجاله

لَمْ تَزَلْ تَسْمَعُ الْمَدِيحَ، وَلَكِنَّ - صَهِيلَ الْجِيَادِ غَبِرَ النُّهَاقِ
أنت تسمع مديح الشعراء منذ زمن، ولكن الصهيل (شعري العظيم) مختلف عن النهاق (شعر غيري الرديء)

٥٧ الدرُّ دُرٌّ

قال المتنبي يمدح أبا العنَّاس أيضاً: ٣٨/٥

لَا تَحْسَبُوا رَبَّنَاكُمْ وَلَا ظَلَلَهُ أَوَّلَ حَيٍّ فِرَافُكُمْ قَتَلَهُ
لا تظنوا ربكم (مكان نزولكم) ولا ظلّه (خراثبه بعد رحيلكم) أول الأحياء الذين قتلهم الرحيل،
فرحيلكم قلني أنا قبل أن يخرب المكان

قَدْ تَلِفَتْ قَبْلَهُ النُّفُوسُ بِكُمْ وَأَكْثَرَتْ فِي هَوَاكُمُ الْعَذَلَةُ
وقبل الرحيل تلفت (هلكت) النفوس بكم (بسيكم)، وقالت العذلة (اللائمون) الكثير عن حبي لكم

إِنَّ الْكِذَابَ الَّذِي أَكَادَ بِهِ أَهْوَنُ عِنْدِي مِنْهُ الَّذِي نَقَلَهُ
الكذب (الافتراء) الذي يوجه إلي كيداً أهون (أنفقه) منه بالنسبة إلي الشخص الذي افتراه

وَرُبَّمَا يُشْهَدُ الطَّعَامَ مَعِي مَنْ لَا يُسَاوِي الْخُبْزَ الَّذِي أَكَلَهُ
وربما (كثيراً) ما يُشهد الأمير الطعام (يدعو إلى طعامه) شخصاً لا يساوي الخبز الذي أكله. وهو
يعني ذلك الشخص الذي وشى به للأمير، وقيل اسمه المسعودي

وَيُظْهِرُ الْجَهْلَ بِي، وَأَعْرِفُهُ وَالدُّرُّ دُرٌّ بِرَعْمٍ مَنْ جَهَلَهُ
هذا الشخص يدعي أنه يجهلني رغم شهرتي، وأنا أعرفه وأعرف وشاياته، والدر (اللؤلؤ) يبقى له
قدره ولو جهل قدره الجاهلون

٥٨ نشيد الملايس

قال المتنبي يمدح أبا العنَّاس أيضاً: ١٠/٣

النَّاسُ، مَا لَمْ يَرَوْكَ، أَشْبَاهُ وَالذَّهْرُ لَفْظٌ، وَأَنْتَ مَعْنَاهُ
الناس كلهم متشابهون ولكن من رآك منهم فقد تميز عن بقية الخلق، فأنت بالنسبة لهذا الزمن
جوهره، فكان الزمن لفظ وأنت فيه المعنى

وَالْجُودُ عَيْنٌ، وَأَنْتَ نَاطِرُهَا وَالْبَاسُ بَاعٌ، وَأَنْتَ يُمْنَاهُ
الجود (الكرم) كالعين وأنت البصر لها، والبأس (الشجاعة) مثل الباع (امتداد الذراعين) وأنت
اليمين منهما

تُنَشِّدُ أَتَوَابُنَا مَدَائِحَهُ بِأَلْسِنٍ مَا لَهَا أَقْوَاهُ
هذا الممدوح يخلع علينا الثياب، نلبسها ويراها الناس فهي التي تمدحه بالكرم إذ يراها الناس
علينا، تمدحه مجازاً بألسن ليست لها أقواه

السيفيات

المختار من شعر المتنبي وهو عند سيف الدولة الحمداني في حلب (٣٣٧ - ٣٤٦هـ)

٥٩ سر يسري في الصحراء

قال المتنبي يمدح سيف الدولة (أبا الحسن علي بن عبد الله بن حمدان العدوي) عند منصرفه من الظفر بحصن برزويه وعودته إلى أنطاكية وقد جلس في فازة (خيمة) من الديباج عليها صورة ملك الروم وصور وحش وحيوان، وكان ذلك في جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة: ٤٢/١٦

وَفَاؤُكُمْ كَالرَّبِّعِ، أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ بِأَنْ تُسْعِدَا، وَالْدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهُ

يا صاحبي إن وفاء كما بأن تسعداني (تساعداني بالبكاء) مثل ربع (منزل) الحبيبة: فالربع أشجاء (أكثره تسبباً في الحزن) طاسمه (المطموس منه)، وكذا وفاؤكما فكلما ضعف كان حزني أكثر؛ وأكثر الدمع شفاء للنفس هو الدمع الساجم (المنسكب)

وَمَا أَنَا إِلَّا عَاشِقٌ. كُلُّ عَاشِقٍ أَعَوْ خَلِيلِيهِ الصَّفِيِّينَ لَائِمُهُ

لست سوى عاشق، والعاشق إذا كان له خليلان (صاحبان) صفيان (مخلصان) فالأكثر عقوقاً منهما هو الذي يلومه. في العربية أسلوب باند جميل تقول مثلاً: «الغربة أصعب الموتين». والموت واحد، ولكنك جعلته موتين وجعلت أحدهما الغربة. وعليه ما جاء في هذا البيت

وَقَدْ يَتَزَيَّا بِالْهَوَىٰ غَيْرُ أَهْلِهِ وَيَسْتَنْصِجُ الْإِنْسَانُ مَنْ لَا يُلَائِمُهُ

وما أكثر ما يتزيا (يلبس) الهوى من ليس عاشقاً حقيقياً، وكثيراً ما يصاحب المرء من لا يوافقه

بَلِيْتُ، بَلَى الْأَطْلَالِ، إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا وَوُفَّ شَحِيحُ ضَاعَ فِي التَّرْبِ خَاتِمُهُ

محاني الله مثل بلى (أمحاء) هذه الأطلال إن لم أقف عندها طويلاً كوقوف الشحج (البخيل) الذي سقط خاتمته في التراب فوقف طويلاً يبحث عنه. هذا بيت مشهور، وللشراح والنقاد كلام فيه كثير نغفيك منه، إلا كلمة للصاحب بن عباد الذي علق على الشطر الثاني: «هذا من أردل ما يقع لصبيان الشعراء ولولدان المكتب الأدباء»

كَثِيبًا، تَوَقَّانِي الْعَوَازِلُ فِي الْهَوَىٰ كَمَا يَتَوَقَّى رِيضَ الْخَبْلِ حَازِمُهُ

سأقف بالأطلال كثيباً والعوازل (اللائمات) يتجنبني لشدة حزني مثلما يتجنب الحازم (المروض) الحصان الریض (الجامح)

وَمَا اسْتَغْرَبْتُ عَيْنِي فِرَاقًا رَأَيْتُهُ وَلَا عَلَّمْتَنِي غَيْرَ مَا الْقَلْبُ هَالِمُهُ

لا أستغرب الفراق، وعيني لا تعرفني بجديد، فقلبي أحس قبلها بالفراق

فَلَا يَتَّهِمُنِي الْكَاشِحُونَ، فَلِإِنِّي رَعَيْتُ الرَّدَى حَتَّى حَلَّتْ لِي عَلاقِمُهُ

فليسكت الكاشحون (مضمو العداوة) عن اتهامي بالجزع من الفراق، فلقد رعيت الموت في حقول الحرب حتى صارت علاقمه (طعمه المر) حلوة في حلقي

مُشِبُّ الَّذِي يَبْكِي الشَّبَابَ مُشِيبُهُ فَكَيْفَ تَوَقَّيْهِ، وَبَآنِيهِ هَادِمُهُ

الذي أسبغ الشباب على باكي شبابه هو الذي أسبغ عليه الشيب، فكيف نتجنب الشيب؟ والذي ييني الشباب هو نفسه الذي يهدمه

وَمَا خَضَبَ النَّاسُ الْبَيَاضَ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ، وَلَكِنْ أَحْسَنَ الشَّعْرَ فَاجِمُهُ

لا يخضب (يصبغ) الناس بياض الشعر لقيح البياض، على أن أجمل الشعر ما كان أسود فاحماً

وَأَحْسَنُ مِنْ مَاءِ الشَّيْبَةِ كُلُّهُ حَيَا بَارِقٍ فِي فَازَةٍ أَنَا شَائِمُهُ

وأجمل من ماء (رونق) الشباب حيا (مطر) سحب بارق داخل فازه (خيمة) أنا شائمه (ناظر إليه). وما السحابة الباردة القاعدة داخل الخيمة سوى سيف الدولة الذي يرجو المتنبى أن يطر عليه ذهباً، وقد فعل

عَلَيْهَا رِيَاضٌ لَمْ تَحْكُهَا سَحَابَةٌ وَأَغْصَانٌ دَوَّجَ لَمْ تُغَرِّ حَمَائِمُهُ

على قماش الخيمة رسوم رياض ولكنها ليست من حياكة السحب ككل الرياض، وعليها رسوم لأغصانٍ دوج (شجر) لكن الحمام الذي على هذا الشجر لا يغني، فهو مجرد رسم

تَرَى حَيَوَانَ الْبَرِّ مُضْطَلِحاً بِهِ يُحَارِبُ ضِدُّ ضِدِّهِ، وَيُسَالِمُهُ

وترى حيوان البر مضطلحاً (متراقفاً) على هذا القماش، وترى الحيوانات متحاربة ومتسالمة

وَفِي صُورَةِ الرُّومِيِّ ذِي التَّاجِ ذِلَّةٌ لِأَبْلَجٍ لَا تَبْجَانُ إِلَّا عَمَائِمُهُ

وترى صورة لملك الروم بتاجه، ولكنه ذليل أمام الأبلج (المشرق) الذي لا تاج له سوى العمامة. ما أرى ذلك القماش إلا من بعض البسط التي غنمها سيف الدولة من الروم وصنع منها خيمة، فالعرب لم يبرعوا في الرسم. والمتنبى يرى صورة الرومي على القماش ويقارنها بسيف الدولة بشخصه قاعداً داخل الخيمة

لَهُ عَسْكَرَا خَيْلٍ وَطَيْرٍ، إِذَا رَمَى بِهَا عَسْكَراً لَمْ يَبْقَ إِلَّا جَمَاجِمُهُ

له عسكران: خيل وطيور، فالتسور ترافق الجيش لتأكل من الجثث بعد المعركة. وإذا رمى سيف الدولة بالخيول وبالطيور عسكر الأعداء لم يبقَ منهم إلا الجماجم

عَظِبْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ صِفَاتِهِ بِلاَ وَاصِفٍ، وَالشَّعْرُ تَهْذِي طَمَاطِمُهُ

غضبت لما رأيت صفات سيف الدولة العظيمة لا تجد من يصفها، بينما الشعر الذي يقال فيه تهذي طماطمه (رطاته) هذياناً

وَكُنْتُ إِذَا يَمَمْتُ أَرْضاً بَعِيدَةً سَرَيْتُ، فَكُنْتُ السَّرَّ، وَاللَّيْلُ كَانَتْهُ

كنت إذا يمتت (قصدت) أرضاً بعيدة سريت (سرت ليلاً) فكنت مثل السر، وكان الليل يواريني فهو مثل كاتم السر. علق أبو العلاء المعري - وقلمنا يعلق في شرحه لديوان المتنبي الذي طبع في أربعة أجزاء - على هذا البيت بقوله: وهذا البيت من بدائع هذه القصيدة وسيدها، وواسطة قلاذتها (أي الجوهرة التي في وسط العقد، وتكون أفخر جواهره)

٦٠ جسم أرمقته روحه

قال المتنبي يمدح سيف الدولة وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية: ١٨/٤

أَيْنَ أَرَمَقْتُ؟ أَيُّ هَذَا الْهُمَامُ! نَحْنُ نَبْتُ الرُّبَى، وَأَنْتَ الْغَمَامُ

إلى أين أزمعت (نويت السفر) أيها الهمام (العظيم)؟ نحن كنبات الربى (الهضاب) وأنت بالنسبة لنا كالغمام (الغيم) فلا حياة لنا بدونك. ونبات الربى بالذات يستقي من الغيم وليس من نبع أو نهر. تسويد أ. عبد الرحيم

لَيْتَ أَنَا، إِذَا ارْتَحَلْتُ، لَكَ الْخَيْلُ، وَأَنَا، إِذَا نَزَلْتُ، الْخِيَامُ

ليتنا خيل لك لا تفارقك في رحيلك، وليتنا خيام تكون معك في نزولك

كُلَّ يَوْمٍ لَكَ اِحْتِمَالٌ جَدِيدٌ وَمَسِيرٌ، لِلْمَجْدِ فِيهِ مُقَامٌ

في كل يوم لك احتمال (تحميل المتاع فوق الخيل للرحيل) ومسير؛ ومسيرك هذا فيه ثبات للمجد، فأنت ترحل لكي تجاهد

وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَاراً نَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ

النفوس الكبيرة تنعب أجسامها في تحقيق مرادها (طموحها)

٦١ خوض الموت وخوض الوحل

وقال عند رحيل سيف الدولة من أنطاكية، وقد كثر المطر: ١٧/٢

إِذَا اعْتَادَ الْفَتَى خَوْضَ الْمَنَايَا فَأَهْوَنُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ

الذي يخوض الحروب ويلاقي المنايا (الموت) فإنه يجد خوض الوحول أمراً هيناً

وَمَنْ أَمَرَ الْحُصُونُ، فَمَا عَصَتْهُ، أَطَاعَتْهُ الْحُزُونَةُ وَالسُّهُولُ

والذي أمر الحصون بأن تنفتح له فما استطاعت أن تعصي أمره، فإن الحزونة (التلال) والسهول أخرى أن تطيعه

٦٢ تكسرت النصال على النصال

قال يرثي والده سيف الدولة، ويعزبه بها في سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة: ٤٤/١٨
نُعِدُّ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِي وَتَقْتُلُنَا الْمَنُونُ بِلا قِتَالِ
نُعد المشرفية (السيوف) والعوالي (الرماح) ثم تقتلنا المنون (الموت) بلا قتال

وَنَرْتَبِطُ السَّوَابِقَ مُقَرَّبَاتٍ وَمَا يُنْجِيَنَّ مِنْ حَبَبِ اللَّيَالِي
ونربط السوابق (الخيال السريعة) قريبة منا استعداداً للحرب، ولكن الخيل لا تُنجينا من خيب
(ركض) الليالي (الزمن) التي تلاحقنا وتهددنا بالموت

وَمَنْ لَمْ يَعُشَقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا! وَلَكِنْ، لَا سَبِيلَ إِلَى الْوَصَالِ
لا أحد إلا قد عشق الحياة، ولكنها معشوقة لا سبيل لوصولها

نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالٍ
نصيبك في هذه الحياة من حبيب قليل ووهمي كنصيبك في المنام من الخيال (طيف الحبيب)
رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ، حَتَّى قُوَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ زَبَالٍ
رمانى الزمن بالأرزاء (المصائب) حتى صار قلبي كأنه مغلف بغشاء من السهام

فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ تَكْسَرُ النَّصَالَ عَلَى النَّصَالِ
وصرت إذا أصابني سهم من مصائب الزمن تكسر نصله على نصال السهام التي تغلف قلبي. هذا
خيال حلو

وَهَانَ، فَمَا أَبَالِي بِالرَّزَايَا لِأَنِّي مَا انْتَفَعْتُ بِأَنْ أَبَالِي
هان الدهر علي فصرت لا أبالي بالرزايا (المصائب) لقلة نفع المبالاة

كَأَنَّ الْمَوْتَ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِبَالٍ
جاءنا خبر موتها فكان مؤلماً حتى كأن الموت لم يفجعنا (يتكبنا) بنفس قبلها، وكأنه لم يخطر ببال أحد

صَلَاةُ اللَّهِ، خَالِقِنَا، حَنُوطٌ عَلَى الْوَجْهِ الْمُكْفَنِ بِالْجَمَالِ
صلاة الله (رحمته) بمشابة الحنوط (مسحوق الطيب الذي يرش على الميت) على
وجهها المكفن بالجمال. والجمال في الفصحى القديمة هو الوقار وهو الرزانة وهو
أيضاً الحُسن.. فمن أراد أن ينتقد على المتنبي أنه وصف والده الممدوح الميتة
بالجمال فليعلم أن «جمال» القدماء غير جمالنا

عَلَى الْمَدْفُونِ، قَبْلَ الثَّرْبِ، صَوْنًا وَقَبْلَ اللَّحْدِ، فِي كَرَمِ الْخِلَالِ
رحمة الله على هذا الوجه الذي كان مدفوناً قبل التراب وقبل القبر في الخلال (الخصال) الكريمة
صوناً (حفظاً) له

أَطَابَ النَّفْسَ أَنْكَ مِتَّ مَوْتًا تَمَنَّتُهُ الْبَوَاقِي وَالْخَوَالِي
أطاب النفس (جعلها طيب) أنك مت ميتة تمتتها النساء البواقى (الأحياء) والخوالى (الماضيات)،
فقد عشت كريمة وميت كريمة

وَزُلْتُ، وَلَمْ تَرَيَّ يَوْمًا كَرِيهًا تُسَرُّ النَّفْسُ فِيهِ بِالزَّوَالِ
وزلت (متت) ولم تشاهدي مكروهاً من المكروهات التي تجعل الإنسان يتمنى الزوال (الموت)
رِوَاقُ الْعِزِّ فَوْقَكَ مُسَبِّطٌ وَمُلْكُ عَلِيِّ ابْنِكَ فِي كَمَالِ
مت ورواق (سقف) العز فوقك مسطر (مددود)، وملك ابنك علي (سيف الدولة) كامل
وَلَوْ كَانَ النَّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا لَفُضِّلَتِ النَّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ
لو كانت كل النساء مثلك لفضلناهن على الرجال

وَمَا التَّائِيْتُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ
فالتأيت بحد ذاته ليس معيباً، فاسم الشمس مؤنث في اللغة، وهي أعظم من القمر مع أن اسمه مذكر

يُدْفَنُ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَتَمَشِي أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي
يدفن (يدفن) بعضنا بعضاً، والأواخر (المعاصرون) يمشون على هام (رؤوس) الأوالي
(الأوائل) التي اختلطت بتراب الأرض. يلاحظ طه حسين أن أبا العلاء أخذ هذا
المعنى من المتنبي وصنع منه العجائب، وأشار إلى ذلك مارون عبود، ونقول إن عمر
الخيّام أخذ المعنى وبنى منه صرحاً في رباعياته

رَأَيْتُكَ، فِي الَّذِينَ أَرَى مُلُوكًا، كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فِي مُحَالِ
يرمى سيف الدولة: رأيتك بالنسبة للملوك الآخرين كأنك مستقيم وسط المحال (الاعوجاج)
فَإِنْ تَفَقَّى الْأَنَامُ، وَأَنْتَ مِنْهُمْ، فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ
فإذا فقت الأنام (تفوقت على الخلق) رغم أنك واحد منهم، فأنت كالمسك الطيب رغم أنه جزء
من دم الغزال

٦٣ مشغول بالشوق

قال المتنبي يمدح سيف الدولة، ويذكر استنقاذه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان العلوي من
أسر الخارجي سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة: (نسبة ما اخترناه إلى عدد أبيات القصيدة) ٥٢/٥

إِلَامَ طَمَاعِيَةِ الْعَاذِلِ وَلَا رَأْيِي فِي الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ
إلى متى يطمع العاذل (اللاثم) في أن أنصرف عن عشقي؟ والعاقل العاشق لا يملك لنفسه رأياً،
فالحب يغلبه على رأيه

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ وَتَأْيِي الطَّبَاعِ عَلَى النَّاقِلِ

يريد العاذل من قلبي أن أنساكم، ولكن جبكم طبع من طباعي، والطباع تأيى مطاوعة الذي يريد أن يتحلى بها نقلاً لا أصلاً

وَإِنِّي لِأَعَشَقُ مِنْ أَجْلِكُمْ نُحُولِي، وَكُلَّ امْرِئٍ نَاجِلٍ

ولأن نحولي (هزالي) بسبيكم فأنا أعشقه، وأعشق كل شخص نحيل

وَهَبْتُ السُّلُوَ لِمَنْ لَامَنِي وَبِثُّ مِنَ الشَّوْقِ فِي شَاغِلٍ

وهبت (أهديت) السلو (النسيان) لمن يلومني، وبث مشغولاً بكم

كَأَنَّ الْجُفُونَ عَلَى مُقْلَتِي ثِيَابٌ شَقِيقْنَ عَلَى ثَاكِيلٍ

كان جفوني وهي مفتوحة من السهر مقترحة من البكاء، كأنها ثياب شقتها تاكل (فاقدة ولدها). تشبيه بعيد يحتاج إلى إعمال فكر

٦٤ أَجْرُ الْجِيَادِ

قال المتنبي عند مسير سيف الدولة لنصرة أخيه ناصر الدولة، لما قصده معز الدولة بن

الحسين الديلمي، إلى الموصل، وذلك سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة: ٢٨/٥

أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الْأَسَلِ وَالطَّنُّ، عِنْدَ مُجْبِيهِنَّ، كَالْقَبْلِ

أعظم الممالك ما بني على الأسل (أسنة الرماح)، والطنن عند محبي الممالك والفتوح له طعم القبل

لَقَدْ رَأَتْ كُلُّ عَيْنٍ مِنْكَ مَالِئَهَا وَجَرَدَتْ خَيْرَ سَيْفٍ خَيْرَةُ الدُّوَلِ

كل عين وجدت أنك تملؤها، وخير دولة (الدولة العباسية) جردت خير سيف فكان

سيف الدولة الحمداني، وكان سيف الدولة وأخوه ناصر الدولة نصرا الخليفة العباسي

وأعاداه إلى بغداد بعد أن شرده أعداؤه عنها

وَكَمْ رِجَالٍ بِلاَ أَرْضٍ لِكَثْرَتِهِمْ تَرَكْتَ جَمْعَهُمْ أَرْضاً بِلاَ رَجُلٍ

كثيراً ما رأينا رجالاً ضاقت بكثرتهم الأرض، ثم تركتهم أنت موتى والأرض خالية

إِنَّ السَّعَادَةَ فِيمَا أَنْتَ فَاعِلُهُ وَقُفْتُ مُرْتَحِلاً، أَوْ غَيْرَ مُرْتَحِلٍ

إن السعادة (التوفيق) مرافق لك فيما تفعله، وقفك الله في ارتحالك وفي إقامتك

أَجْرُ الْجِيَادِ عَلَى مَا كُنْتَ مُجْرِيَهَا وَخَذُ بِنَفْسِكَ فِي أَخْلَاقِكَ الْأَوَّلِ

أجر الجياد (اجعل الخيل تجري) كما كنت تفعل، وابق على طباعك الأولى من الجهاد. وكان

سيف الدولة توقف عن الجهاد حيناً فالمتنبي يحثه على مواصلته

٦٥ السارق الخفي

قال يرثي أبا الهيجاء، عبد الله بن سيف الدولة، بحلب. وقد توفي بميفارقين في صفر
سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاثمئة: ٣٢/٩

بِنَا مِثْلَكَ، فَوْقَ الرَّمْلِ، مَا بِكَ فِي الرَّمْلِ وَهَذَا الَّذِي يُضْنِي كَذَاكَ الَّذِي يُبْلِي
بنا - ونحن فوق الأرض - منك (بسبب ما أصابك) مثل ما بك وأنت في بطن الأرض، والذي
يضني (يرهق) يشبه الذي يبلي (يحلل الجسم)

تَرَكْتَ خُدُودَ الْعَانِيَاتِ، وَفَوْقَهَا دُمُوعٌ تُذِيبُ الْحُسْنَ فِي الْأَعْيُنِ النَّجْلِ
بموتك تركت خدود الحسان وعليها دموع تذيب جمال العيون النجل (الواسعة)، فيسيل الكحل
منها مزيلاً جمالها

فَإِنْ تَكُ فِي قَبْرِ فَإِنَّكَ فِي الْحَسَا وَإِنْ تَكُ طِفْلاً فَالْأَسَى لَيْسَ بِالطُّفْلِ
أنت في قبرك ولكنك أيضاً في الحسا (القلوب)، ولئن كنت طفلاً صغيراً فالأسى (الحزن) عليك
ليس صغيراً

وَمِثْلَكَ لَا يُبْكَى عَلَى قَدْرِ سِنِّهِ وَلَكِنْ عَلَى قَدْرِ الْمَخِيلَةِ وَالْأَصْلِ
ومثلك لا يبكى قليلاً لسنه الصغيرة، ولكن يبكى بقدر المخيلة (التأمل منه) والأصل (كرم النسب)
وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ يَصُولُ بِلَا كَفٍّ، وَيَسْعَى بِلَا رِجْلِ
الموت كالسارق الذي دق (صغر) شخصه (جسمه) فلا نراه، وهو يصول (يهجم) بلا كف، ويسعى
(يمشي) بلا رجل

يَرُدُّ أَبُو الشُّبْلِ الْخَمِيسَ عَنِ ابْنِهِ وَيُسْلِمُهُ عِنْدَ الْوِلَادَةِ لِلنَّمْلِ
يرد أبو الشبل (الأسد) الخميس (الجيش) عن ابنه الصغير، ولكن إذا دام النمل شبّهه عند ولادته
فهو لا يستطيع أن يفعل شيئاً. قيل إذا دام النمل الشبل قبل خروج شعره قضى عليه

نُبْكَي لِمَوْتَانَا عَلَى غَيْرِ رَغْبَةٍ تَفُوتُ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَا مَوْهَبٍ جَزَلٍ
نُبْكي (نبكي) على موتانا مع أنه لا توجد بنا رغبة في هذه الدنيا نخشى فوتها (زوالها)، ولا فيها
موهب (غنيمة) جزل (عظيم)

إِذَا مَا تَأَمَّلْتَ الزَّمَانَ وَصَرَفَهُ تَيَقَّنْتَ أَنَّ الْمَوْتَ ضَرَبٌ مِنَ الْقَتْلِ
الزمان وصرفه (نكباته) يحارب الإنسان فالموت هو عملية قتل يقوم بها الزمان للإنسان

وَمَا الدَّهْرُ أَهْلٌ أَنْ تُؤَمَّلَ عِنْدَهُ حَيَاةً، وَأَنْ يُشْتَقَّ فِيهِ إِلَى النَّسْلِ
وليس الدهر أهلاً (مستحقاً) أن نأمل عنده الحياة، ولا يستحق أن نشاق فيه إلى النسل

٦٦ ما لنا عليك اختيار

سأل سيف الدولة المتنبّي عن صفة فرسي يرسله إليه فقال ارتجالاً: ٣/٣
مَوْقِعُ الْخَيْلِ مِنْ نَدَاكَ طَفِيفٌ وَكَوَأَنَّ الْجِيَادَ فِيهَا أُلُوفٌ
مكان الخيل من نداءك (كرمك) طفيف، ولو أن الجياد (الخيال الأصلية) ضمن ما عندك من خيل
هي بالآلوف

وَمِنَ اللَّفْظِ لَفْظَةٌ تَجْمَعُ الْوَصْفَ ف: وَذَاكَ الْمُطَهَّمُ الْمَعْرُوفُ
وهناك لفظة تجتمع فيها أوصاف الخيل الكريمة: وهي المطهم (الحصان التام الخلق، الذي كل
عضو فيه كامل)

مَا لَنَا فِي النَّدَى عَلَيْكَ اخْتِيَارٌ كُلُّ مَا يَمْنَحُ الشَّرِيفُ شَرِيفٌ
ليس من حقنا أن نختر عليك، وكل ما تمنحنا أيها الشريف شريف مثلك. تسويد أ. عبد الرحيم

٦٧ سلاف الكلام

قال المتنبّي يمدح سيف الدولة: ٤١/٨

لَقَدْ اسْتَقْدْتُ مِنَ الْهَوَى، وَأَذَقْتُهُ مِنْ عَفْتِي مَا ذُقْتُ مِنْ بَلْبَالِهِ
استقدت (انتقمت) من الهوى، وجعلته يذوق من عفتي مثلما أذاقني من بلباله (حزنه)

وَلَقَدْ ذَخَرْتُ لِكُلِّ أَرْضٍ سَاعَةً تَسْتَجِفِلُ الضَّرْعَامَ عَنْ أَشْبَالِهِ
ولقد ذخرت (ادخرت) لكل أرض ساعة أذيقها فيها الحرب والويل، وهذه الساعة تستجفل
الضرغام (تجمل الأسد يجفل ويتعد) عن أشباله

تَلَقَى الْوُجُوهُ بِهَا الْوُجُوهَ، وَبَيَّنَّهَا ضَرْبٌ يَجُولُ الْمَوْتُ فِي أَجْوَالِهِ
في هذه الساعة يتلاقى المحاربون وجهاً لوجه، وبين الوجه والوجه ضرب بالسيف يتجول الموت
في أجواله (نواحيه)

وَلَقَدْ خَبَأْتُ مِنَ الْكَلَامِ سُلَافَهُ وَسَقَيْتُ مَنْ نَادَمْتُ مِنْ جَرِيَالِهِ
وقد خبأت (خبأت) من الكلام سلافه (السلاف: أصفى الخمر)، وسقيت ندماني بجريال الكلام
(الجريال: الخمر العادية). فعنده شعر أعظم مما قاله حتى الآن. صدق

وَإِذَا تَعَثَّرَتِ الْجِيَادُ بِسَهْلِهِ بَرَزْتُ، غَيْرَ مُعَثِّرٍ، بِجِبَالِهِ
إذا تعثرت الجياد (الشعراء) في سهول الكلام فإني أبرز وأنميز ولا أنتثر في جبال الكلام

الْجَيْشُ جَيْشُكَ، غَيْرَ أَنَّكَ جَيْشُهُ فِي قَلْبِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ
يا سيف الدولة! الجيش جيشك ولكنك تحميه كأنك أنت جيشه، وأنت موجود في قلبه وفي الميمنة
والميسرة منه

تَرِدُ الطَّعَانَ الْمُرَّ عَنْ فُرْسَانِهِ وَتُنَازِلُ الْأَبْطَالَ عَنْ أَبْطَالِهِ
ترد (تأتي) إلى المطاعنة المرة بالرمح نيابة عن فرسان الجيش، وتنازل أبطال العدو نيابة عن أبطال
جيشك

كُلُّ يُرِيدُ رِجَالَهُ لِحَيَاتِهِ يَا مَنْ يُرِيدُ حَيَاتَهُ لِرِجَالِهِ
كل الزعماء يريدون رجالهم لحماية حياتهم، يا من يقف حياته على رجاله! تسويد أ. عبد الرحيم

٦٨ زَنَارٌ مِنْ عَيُون

قال المتنبّي يمدح سيف الدولة، وقد أمر له بفرس وجاريه: ٤٠/١١

أَيُّدِي الرَّبْعِ أَيُّ دَمٍ أَرَأَا أَوَّيْ قُلُوبِ هَذَا الرَّكْبِ شَاقَا
هل يعلم الربيع (منزل الحبيبة المهجور) أي دم قد سَفَكَ، وقلب أي شخص في هذا الركب قد
حرك؟

لَنَا وَلَأَهْلِهِ أَبَدًا قُلُوبٌ تَلَاقَى، فِي جُسُومٍ مَا تَلَاقَى
لنا ولأهل هذا الربيع قلوب تتلاقى في المشاعر ولكنها موجودة داخل جسام لا تتلاقى في الواقع.
يقول: إن قلبه وقلب محبوبته يتلاقيان في الحب ولكن جسمه وجسمها دوماً مفترقان

فَلَيْتَ هَوَى الْأَحْبَةِ كَانَ عَدْلًا فَحَمَلَ كُلَّ قَلْبٍ مَا أَطَاقَا
ليت الحب كان عادلاً فحمل كل إنسان من الحزن ما يطيق فقط

وظَرَفٌ، إِنْ سَقَى الْعُشَّاقَ كَأْسًا بِهَا نَقْصٌ، سَقَانِيهَا دِهَاقًا
وطرف (نظر) الحبيبة يسقي غيري من العشاق من الألم كأساً ناقصة، ولكنه يسقيني كأساً دهاقاً
(مملوءة)

وَحَصْرٌ تَثْبُتُ الْأَبْصَارُ فِيهِ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقٍ نِطَاقًا
وحصرها ينظر إليه الجميع، فكأن الحدق (العيون) تشكل نطاقاً (زناراً) لهذا الحصر

تَعَجَّبَتِ الْمُدَامُ وَقَدْ حَسَاهَا فَلَمْ يَسْكُرْ، وَجَادَ، فَمَا أَفَاقَا
المدام (الخمير) تعجبت عندما حساها (شربها) الممدوح فلم يسكر منها، ولكنه جاد
(وهب المال) فلم يفق من سكرة الكرم. يقول: هذا رجل لا تسكره الخمر ولكنه
مصاب بسكر الكرم فيعطي بلا تفكير وبلا تردد

وَلَمْ تَأْتِ الْجَمِيلَ إِلَيَّ سَهْوًا وَلَمْ أَظْفَرْ بِوَمْنِكَ اسْتِرَاقًا
وأنت أيها الممدوح لم تأت الجميل إليّ سهواً (عشوائياً)، وأنا لم أظفر بالعطايا منك
استراقاً (سرقة ومخالسة)

فَأَبْلِغْ حَامِدِيَّ عَلَيْكَ أَنِّي كَبَا بَرْقٌ يُحَاوِلُ بِي لَحَاقًا
فقل لمن يحسدونني على علاقتي بك أنني السريع في العلياء، وأنا الذي كبا (سقط) أي برق
يحاول اللحاق بي

وَهَلْ تُغْنِي الرِّسَائِلُ فِي عَدُوٍّ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ طَبَى رَقَاقًا
والرسائل لا تنفع في الأعداء إلا إذا كانت ظبي (نصلاً) رقائقاً (رقيقة). فالعدو لا يفهم رسالة
سوى حد السيف

إِذَا مَا النَّاسُ جَرَّبَهُمْ لَسِبُّ فَإِنِّي قَدْ أَكَلْتُهُمْ، وَذَاقًا
إذا جرب اللبيب (العاقل) الناس، فأنا زدت عليه وأكلتهم أكلاً، بينما هو قد ذاقهم وحسب
فَلَمْ أَرْ وَدُّهُمْ إِلَّا خِدَاعًا وَلَمْ أَرْ دِينَهُمْ، إِلَّا نِفَاقًا
فلم أجد ود الناس إلا خداعاً، ولم أجد دينهم (تدينهم) إلا نفاقاً

٦٩ ظلام المعركة

قال المتنبي يمدح علي بن عبد الله سيف الدولة الحمداني، وقد أمر غلماناً أن يلبسوا،
وقصد ميافارقين في خمسة آلاف من الجند ليزور قبر والدته، وذلك في شوال سنة ثمان
وثلاثين وثلاثمائة: ٤٢/١٠

إِذَا كَانَ مَدْحٌ، فَالنَّسِيبُ الْمُقَدَّمُ أَكْلٌ فَصِيحٌ قَالَ شِعْراً مُتَبِّمٌ؟
كلما أراد شاعر أن يمدح كان النسب (الغزل) مقدماً (موجوداً) في مقدمة القصيدة، فهل كل شاعر
فصيح يجب أن يكون متبماً (عاشقاً)؟

لَحُبُّ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَوْلَى، فَإِنَّهُ بِهِ يُبْدَأُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَيُخْتَمُ
لحب (والله إن حب) ابن عبد الله أولى بأن أبدأ به من العشق، فيذكره يُبْدَأُ الكلام
الجميل وبه يختتم. تعليق أ. عبد الرحيم: [أحب، على طريقة أبي العلاء، أن أقول
بعد هذا البيت: اللهم صل على سيدنا محمداً!]

تَعَرَّضَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الدَّهْرَ كُلَّهُ يُطَبِّقُ فِي أَوْصَالِهِ، وَيُصَمِّمُ
تعرض (واجه) سيف الدولة الدهر كله يطبق (يصيب) في أوصاله (أطرافه) ويصمم (يعمق ضرباته).
يقول: سيف الدولة يواجه الزمن محارباً إياه معملاً فيه سيفه

فَجَازَ لَهُ، حَتَّى عَلَى الشَّمْسِ، حُكْمُهُ وَيَانَ لَهُ، حَتَّى عَلَى الْبَدْرِ، مِيسَمُ
فجاز (فنفذ) أمره حتى على الشمس وبان ميسمه (ختمه) على صفحة البدر. يقول:
سيف الدولة نافذ الكلمة يطيعه الجميع من أفراد ودول حتى إن الشمس تنزل عند
حكمه وميسمه موجود على صفحة القمر

كَأَنَّ الْعِدَى فِي أَرْضِهِمْ خُلَفَاؤُهُ فَإِنْ شَاءَ حَارُوهَا وَإِنْ شَاءَ سَلَّمُوا
 فالأعداء كأنهم خلفاؤه (مندوبوه) في أرضهم، فبحسب مشيئته يحوزونها (يملكونها) أو يسلمونها له
 وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفِيَّةُ عِنْدَهُ وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرْمَرُمُ
 ولا كتب (رسائل) عند سيف الدولة يرسلها للأعداء سوى المشرفية (السيف)، ولا رسل سوى
 الجيش العرمرم (الجرار)

فَلَمْ يَخُلْ مِنْ نَصْرِ لَهُ، مَنْ لَهُ يَدٌ وَلَمْ يَخُلْ مِنْ شُكْرِ لَهُ، مَنْ لَهُ فَمٌ
 كل من له يد نصر سيف الدولة، وكل من له فم شكره، أي كل الناس

وَلَمْ يَخُلْ مِنْ أَسْمَائِهِ عُوْدٌ مِنْبَرٍ وَلَمْ يَخُلْ دِينَارٌ، وَلَمْ يَخُلْ دِرْهَمٌ
 وعلى كل منبر تراه مذكوراً بالتعظيم، وخطباء الجمعة يدعون للحاكم بالنصر والتوفيق، ولا امتداد
 سلطته على البلاد صار كل دينار ودرهم يحمل اسمه

ضَرْوْبٌ، وَمَا بَيْنَ الْحَسَامَيْنِ ضَيْقٌ بَصِيرٌ، وَمَا بَيْنَ الشُّجَاعَيْنِ مُظْلِمٌ
 ضروب (كثير الضرب) رغم أن ما بين السيفين ضيق للقراب بين المتبارزين، وبصير
 بما يجري رغم وجود ظلمة من غبار المعركة بين هذين الشجاعين. هذه الـ «وما بين
 الشجاعين مظلم» لا يعرف يقولها سوى أبي الطيب، قفف بها سويعة وردد البيت على
 نفسك فالشعر غناء، والكلام الحلو قليل، والحياة قصيرة

إِذَا نَحْنُ سَمَيْنَاكَ خِلْنَا سِيُوفَنَا مِنْ التِّيهِ فِي أَغْمَادِهَا تَتَبَسَّمُ
 إذا نحن ذكرنا اسمك (سيف الدولة) توهمنا أن سيوفنا تبسم داخل أغمادها فخراً.
 والمرء إذا مدحته صادقاً أو كاذباً يتسم: يكون مسروراً، وكل امرئ يحب المديح.
 ولقد والله يعرف الحكيم الأريب أن المديح الذي يسمعه رياء، وأن المادح كذاب،
 ولكنه يرتاح للمدح ويشعر أن قلبه يرقص على نغمة المديح، والكرام أكثر من ينخدع
 بالمديح كاذباً وصادقاً. وما أكثر من يعرفون هذه الخصلة في الناس فيستعملونها
 استعمالاً. وأنت تنظر في عين المادح المرائي، وتقول له بلسان ثابت فصيح: يا
 أخي إني والله أعرف حسناتي وعيوبك خيراً منك، أرجوك! كفى. وتراه لا يرمش
 ويواصل المديح. وفي النهاية يحصل، في الغالب، على ما يريد. هؤلاء هم الذين
 قال عنهم المتنبي إنهم يأتون وبأيديهم سيف من نفاق. كلنا نحب من يمدحنا صادقاً،
 والملوك والمدراء يفضلون المدح الكاذب، لأنه برهان خضوع

٧٠ النكسة

قال المتنبي في هزيمة مُني بها سيف الدولة على أيدي الروم، وقد خذله بعض جنده
 ورددوا بين قتلى الروم طلباً للنجاة، فأسلمهم سيف الدولة، وتركهم لِيُؤسروا: ٤٩/١٦
 غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ إِنْ قَاتَلُوا جَبْنُوا، أَوْ حَدَّثُوا شَجَعُوا
 غيري ينخدع بأكثر هؤلاء الناس، والحق أنهم جناء في القتال شجعان في الكلام فقط

بِالْجَيْشِ تَمْتَنِعُ السَّادَاتُ كُلُّهُمْ وَالْجَيْشُ بِأَيْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ يَمْتَنِعُ
بالجيش يمتنع (يحتمي) السادة والزعماء، ولكن الجيش هو الذي يحتمي بابن أبي الهيجاء (سيف الدولة)

لَقَدْ أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضٍ خَرَشَنَةَ تَشَقَّى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبَيْعُ

لقد أقام (مكث) سيف الدولة على أرباض (أسوار) خرشنة (بلد من بلاد الروم) وكان الروم وصلبانهم وبيعهم (كنائسهم) تشقى (تعذب) بسببه. قد يتعب صديق لي مسيحي من هذا البيت، ولكنه يعرف أن المسألة في ذلك العصر كانت صراع أمتين لكل منهما رموز دينية، ولعله يجد بعض السعة عندما يعلم أن المتنبى لم يكن بالمتعصب دينياً، لا ولا بالمستمسك بعروة الدين؛ وقيله قال أبو تمام في الصلبان والكنائس ما قال - وأوردنا بعض ذلك في كتابنا «تجديد الشعر» - وما كان أبو تمام بصاحب صلاة، لا بل زعم بعضهم - وملنا إلى هذا الزعم - أن أهله كانوا مسيحيين، فأما إن أراد بعض أبناء زمننا هذا أن يقولوا عن رموز المسيحية وعن رموز أي دين آخر ما كان يقوله الناس قبل ألف سنة، فلا نتهمهم بشيء ولا نشتمهم، بل ندعو الله أن يخلصهم من هذا المرض النفسي. . العيش في الماضي. وإنك لترى الواحد من هؤلاء المرضى يتقرب إلى أصنامة الفكرية بسيل من قبائح الكلم ثم يذهب ليقف في الطابور سعياً وراء تأشيرة إلى دولة مسيحية. وسترانا في تحليل فكري لشعر أحمد شوقي - هذا عندما يصدر كتابنا الرابع في هذه السلسلة الخماسية - نقر بأن الغرب والشرق مستمران بعض الاستمرار في الحروب الصليبية. ليس أن إسباغ لبوس ديني على هذا الصراع مما نراه مفيداً، بل لأن في الغرب وفي الشرق ناساً يعانون من مرض التعصب والعنصرية

مُخَلِّى لَهُ الْمَرْجُ، مَنْصُوبًا بِصَارِخَةٍ لَهُ الْمَنَابِرُ، مَشْهُودًا بِهَا الْجُمُعُ

مكث هناك والمرج (السهل) قد أخلاه الروم خوفاً، ومنابره منصوبة في مكان اسمه «صارخة»، وتقام هناك في أرض الروم صلاة الجمعة

يُطَمِّعُ الطَّيْرَ فِيهِمْ طَوْلَ أَكْلِهِمْ حَتَّى تَكَادُ عَلَى أَحْبَائِهِمْ نَقْعُ

الطير تطمع في الروم، ولكثرة ما تعودت السور أن تقع عليهم وتاكل لحومهم وهم جثث فهي تكاد تقع عليهم وهم أحياء

وَلَوْ رَأَوْا حَوَارِثُوهُمْ لَبَنَوْا عَلَى مَحَبَّتِهِ الشَّرْعُ الَّذِي شَرَعُوا

لو رأى الحواريون (تلاميذ السيد المسيح) سيف الدولة لبناوا على محبته شريعتهم

قُلْ لِلدُّمُسْتَقِ: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَكُمْ خَانُوا الْأَمِيرَ، فَجَازَاهُمْ بِمَا صَنَعُوا

قل للدُّمستق (قائد الروم) إن المسلمين لكم (الذين سلمناهم لكم) هم ممن خانوا الأمير فجازاهم بذلك

وَجَدْتُمُوهُمْ نِيَامًا فِي دِمَائِكُمْ كَأَنَّ قَتْلَكُمْ إِيَّاهُمْ فَجَعُوا

وجدتموهم نائمين قرب جثث قتلهم، كأنهم يتمسحون بهذه الجثث حزينين على مصير أصحابها. وكان بعض جنود سيف الدولة ادعوا أنهم قتلوا وارتموا قرب الجثث للنجاة من القتل.

لَا تَحْسَبُوا مَنْ أَسْرَثُمْ كَانَ ذَا رَمَقٍ فَلَيْسَ يَأْكُلُ، إِلَّا، الْمَيْتَةَ، الضَّبْعُ
لا تظنوا أن الذين أسرتهم كان فيهم رمق (بقية من حياة) فهم موتى بجنبهم، وأنتم بأسركم لهم،
مثل الضبع، وليس يأكل الميتة (الجثة) إلا الضبع

وإِنَّمَا عَرَّضَ اللَّهُ الْجُنُودَ بِكُمْ لِكَيْ يَكُونُوا يَلَا فَسْلٍ إِذَا رَجَعُوا
والله قد عرض (امتنح) جيش سيف الدولة بكم، حتى تقتلوا أو تأسروا الجبناء، وحتى يكون
الجيش خالياً من أي فسل (ضعيف جبان) عندما يرجع

فَكُلُّ غَزْوٍ إِلَيْكُمْ، بَعْدَ ذَا، فَلَهُ وَكُلُّ غَازٍ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ السَّبْعُ
سيكون كل غزو لبلدكم بعد هذا الغزو لسيف الدولة (النصر فيه له)؛ وإن كل غاز هو مجرد تابع
لسيف الدولة سيد الغزاة

تَمْشِي الْكِرَامُ عَلَى آثَارِ غَيْرِهِمْ وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تَأْتِي، وَتَبْتَدِعُ
الكرام من الناس يقلدون من سبقهم من الكرام، ولكنك يا سيف الدولة مبتدع في أفعالك. تسويد
أ. عبد الرحيم

وَهَلْ يَشِينُكَ وَقْتُ كُنْتَ قَارِسَهُ وَكَانَ غَيْرَكَ فِيهِ الْعَاجِزُ الضَّرْعُ
وهل يشينك (يعيبك) وقت كنت فيه الفارس وكان غيرك العاجز الضرع (الضعيف)؟

مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلَا يَضَعُ
أنت لست في معرض تقييم. مكانك فوق الشمس فلا شيء يرفعك ولا يضعك (يخفضك)

الدَّهْرُ مُعْتَذِرٌ، وَالسَّيْفُ مُنْتَظَرٌ وَأَرْضُهُمْ لَكَ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبَعٌ

الزمن يعتذر إليك - عن هذه الهزيمة التي لحقت بك - والسيف منتظر الغزاة المقبلة،
وأرض الروم لك مصطاف (مكان اصطيف) ومرتبع (مكان قضاء الربيع). المتنبي في
كل القصيدة لا يصرح بالهزيمة، ولكن التاريخ عرفنا بها، على أن جو القصيدة يبنى
عن أنها كانت هزيمة نكراء

إِنَّ السَّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْمِخْلَبِ السَّبْعُ

كل شخص يحمل السلاح، وليس كل من له مِخْلَب من الحيوان سبع. وما بعد ليس كلها خبرها
واسمها ضمير الشأن. وقيل غير ذلك

٧١ هَلُمَّنَا

عزم سيف الدولة على لقاء الروم في السَّبَّوس سنة أربعين وثلاثمئة، وبلغه أن العدو في أربعين
ألفاً فتهيئتهم أصحابه، فأنشد أبو الطيب: (نسبة ما اخترناه إلى عدد أبيات القصيدة) ١٥/٥

نَزُورُ دِيَاراً مَا نُحِبُّ لَهَا مَعْنَى وَنَسْأَلُ فِيهَا غَيْرَ سَاكِنِهَا الْإِدْنَا

نزور بلاد الروم غازين ونحن لا نحب مغاني (ربوع) تلك البلاد، ونستأذن في زيارتها قائدنا سيف
الدولة لا سكانها

وقد عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيُونَ أَنَّنَا إِذَا مَا تَرَكْنَا أَرْضَهُمْ خَلَفْنَا عُدُنَا
وَأَنَّا إِذَا مَا الْمَوْتُ صَرَّحَ فِي الْوَعَى لَبِسْنَا إِلَى حَاجَاتِنَا الضَّرْبَ وَالطُّعْنَ
إذا الموت صرَّح (برز واضحاً) في الوعى (الحرب) اتخذنا الضرب بالسيوف والطعن بالرماح وسيلة
لتحقيق حاجتنا

قَصَدْنَا لَهُ قَصْدَ الْحَبِيبِ لِقَاؤُهُ إِلَيْنَا، وَقُلْنَا لِلْسُّيُوفِ هَلُمَّنَا
تصدنا للموت كقصدنا للقاء شخص حبيب (محبوب) لقاؤه إلينا (إلى نفوسنا)، وقلنا للسيوف هلم
(هيا)

وَمَا الْخَوْفُ إِلَّا مَا تَخَوَّفَهُ الْفَتَى وَمَا الْأَمْنُ إِلَّا مَا رَأَاهُ الْفَتَى أَمْنًا
الأمر نسبي ويعتمد على نظرة الإنسان لما هو خطر ولما هو آمن

٧٢ مطاردة مع الليالي

قال المتنبي، وقد أراد سيف الدولة قصد خرشنة فعاقه الثلج عن ذلك: ٤٣/٢٣

عَوَازِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِي حَوَاسِدُ وَإِنَّ صَاحِبَ الْخَوْدِ مِنِّي لَمَاجِدُ
عوازل (عاذلات) صاحبة الخال في (بسبي) ما هن إلا حاسدات لها، ولو كنت
ضجيعاً (خليلاً) للخود (الفتاة الناعمة) لظفرت مني (أي ممثلاً بي) بخليل ماجد
(شريف). يقول: لائتمت تلك الفتاة في صلتها بي حاسدات لها، وإنني لخليل
شريف لمن أعشق

يَرُدُّ يَدَا عَنْ ثَوْبِهَا، وَهُوَ قَادِرٌ وَيَعْصِي الْهَوَى فِي طَيْفِهَا، وَهُوَ رَاقِدٌ
هذا الخليل الشريف يرد يده عن جسم المحبوبة رغم قدرته على مباشرتها، ويعصي هواه (انجرافه)
حتى عندما يرى طيفها في المنام؟ تسويد أ. عبد الرحيم

إِذَا كُنْتَ تَخْشَى الْعَارَ فِي كُلِّ خَلْوَةٍ فَلِمَ تَتَصَبَّأُكَ الْحَسَانُ الْخَرَائِدُ
يا أيها الرجل - يخاطب نفسه - أنت تتجنب العار (العلاقة الجنسية) في كل خلوة، فلماذا إذن
تصباك (تجتنبك) الحسان الخرائد (الناعمات)؟

أَلَحَّ عَلَيَّ السُّقْمُ حَتَّى أَلْفُتُهُ وَمَلَّ طَبِيبِي جَانِبِي، وَالْعَوَائِدُ
ألح علي السقم (مرض العشق) حتى صار مألوفاً لي، ومل طبيبي (زائرات المريض)
الجلوس بجانبني

مَرَرْتُ عَلَى دَارِ الْحَبِيبِ، فَحَمَحَمْتُ جَوَادِي، وَهَلْ تُشْجِي الْجِيَادَ الْمَعَاهِدُ
مررت بدار الحبيب (خيامه) بعد أن هجرها القوم، فحممت جوادي (صهلت صهيلاً خفيفاً) جوادي
(فرسي)، فهل تشجي (تحرزن) المعاهد (الديار المتروكة) الجياد أيضاً؟

وما تُنْكِرُ الدُّهْمَاءُ مِنْ رَسْمٍ مَنَزِلٍ سَقَّتْهَا ضَرْبَ السَّوْلِ فِيهِ الْوَلَايْدُ
لا تنكر (تجهل) فرسي الدهماء (السوداء) رسم (بقايا) منزل كانت قد سقتها فيه الولائد (الفتيات)
ضرب (حليب) الشول (النياق)

أَهْمُ بِشْيءٍ، وَاللِّبَالِي كَأَنَّهَا تُطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وَأُطَارِدُ
أهم بتحقيق شيء عظيم ولكن الزمن يطاردني عن كونه (حصوله) وأطارده

وَحِيدٌ مِنَ الْخُلَانِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ
أنا وحيد بلا خلان (أصدقاء) في كل بلد. وإذا كان طموح المرء كبيراً لم يجد من
يساعده. تعليق أحمد عبد الرحيم: [يقول العلابلي للمتنبي: قد وُلِدَ مساعدك بعد
وفاتك بيضع سنين!] يعني العلابلي أبا العلاء المعري

وَتُسْعِدُنِي، فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ، سَبُوحٌ، لَهَا، مِنْهَا، عَلَيْهَا، شَوَاهِدُ
وتسعدني (تساعدني) في غمرة (مأزق) بعد غمرة سبوح (فرس) لها من جسمها شواهد (علامات)
على أصلاتها

تَثْنَى عَلَى قَدْرِ الطُّعَانِ، كَأَنَّمَا مَفَاصِلُهَا تَحْتَ الرِّمَاحِ مَرَاوِدُ
تشئ فرسي بحسب الطعان (الطعن بالرماح) فكأن مفاصلها لليونتها مراود (حلقات اللجام التي
تدور بحرية)

وَأُورِدُ نَفْسِي، وَالْمُهَنْدُ فِي يَدِي، مَوَارِدَ لَا يُضْدِرُنَ مَنْ لَا يُجَالِدُ
أورد نفسي (أرمني بنفسي)، وسيغي بيدي، موارد (أحواضاً) لا يصدرن (يرجعن) من لا
يجالد (يقاتل). والمرء «يرد» الماء ليستقي، ثم «يصدر» عن الماء بعد أن يشرب. والمتنبي
يورد نفسه موارد الحرب، وهذه الموارد لا تصدره (تعيده سالمأ) إن لم يحارب بقوة

وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يَحْمِلِ الْقَلْبُ كَفَّهُ عَلَى حَالِهِ لَمْ يَحْمِلِ الْكَفُّ سَاعِدُ
إذا قلب المرء (جرأته) لم يحمل كفه التي تقاتل فإن ذراعه لن تحمل هذه الكف، فالمرء يقاتل بقوة
قلبه وليس بقوة جسمه

خَلِيلِي! إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ، فَلِمَ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمَنِّي الْقَصَائِدُ؟
يا صاحبي! ما أراه هو شاعر واحد فقط، وهو أنا، فلم (فلماذا) نسمع منهم الدعوى
(ادعاء الشعر) بينما مني أنا تأتي القصائد؟ وكان الشاعر أبو العباس النامي في بلاط
سيف الدولة، وكان قوي الشعر، وكان بطيئاً لا يصف المعركة إلا بعد أشهر من
وقوعها، ولسيف الدولة معه نواذر في هذا البطء

فَلَا تَعْجَبَا: إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ
لا تعجبا فسياف الدولة مثلي في التفرد، السيوف كثيرة ولكنه هو بينها المتفرد الحقيقي

وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِذٌ
وعندما رأيت الناس كلهم دون محله (أدنى منه مرتبة) تيقنت أن الزمن ينقذ الناس (يفرزهم فزراً)
ويزر الجيد منهم)

أَحَقُّهُمْ بِالسَّيْفِ مَنْ ضَرَبَ الطَّلَى وَبِالْأَمْنِ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ الشَّدَائِدُ
أحق الناس بحمل السيف من ضرب به الطلى (الأعناق)، وأحقهم بالأمن من هانت عليه شدايد
الحرب

وَأَشْقَى بِلَادِ اللَّهِ مَا الرُّومُ أَهْلُهَا بِهِذَا، وَمَا فِيهَا لِمَجْدِكَ جَاحِدُ
أشقى (أتعس) البلاد بهذا (أي بالسيف) بلاد الروم، ومع ذلك فليس فيها من يجحد (ينكر) مجدك
يا سيف الدولة

وَتُضْحِي الْحُصُونُ الْمُشْمَخَرَاتُ فِي الذَّرَا وَخَبْلُكَ فِي أَعْنَاقِهِنَّ قَلَائِدُ
وتصبح الحصون المشمخرة (العالية) في الذرا (القمم) وقد أحاطت بها خيولك كأنها قلائد (عقود)
في العنق)

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ حَمَاهَا مِنَ الطَّبَى لَمَى شَفَتَيْهَا وَالثَّدْيِ النَّوَاهِدُ
فلم يبق من الروم سالماً إلا من حماها من الطبى (نصال السيوف) لمى شفتيها (سمره)
شفتيها) والثدي النواهد (الأثناء المشرّبة). يقول: قُتل رجال الروم وبقيت الفتيات
المسيات اللاتي حمتن أنوثتهن من القتل

تُبْكِي عَلَيْهِنَّ الْبَطَارِقُ فِي الدَّجَى وَهُنَّ لَدَيْنَا مُلْقِيَاتُ كَوَاسِدُ
تُبكي (تبكي) على هؤلاء النسوة البطاريق (زعماء الروم) في الليل، ولكنهن ملقيات عندنا كواسد
(كاسدات)

بِذَا قَضَتِ الْأَبَامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ قَوَائِدُ
بذا: بهذا

وَكُلُّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالثَّدْيِ وَلَكِنَّ طَبَعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ
كل شخص يصر الطرق نحو الشجاعة والثدي (الكرم)، ولكنه يعجز عن سلوكها إن لم يكن طبعه
مواتياً، فالطبع يقود المرء لا مجرد الإدراك. تسويد أ. عبد الرحيم

نَهَبَتْ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ لَهْنَتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ
يا سيف الدولة! نهبت أعمار الأعداء نهباً، ولو أنك حويت (ضممت) إلى عمرك ما نهبت من
الأعمار لكانت بشارة للدنيا بأنك خالد لا تموت

٧٣ لو دامت لغيرك ..

قال المتنبي يعزي سيف الدولة بعبده «يماك»، وقد توفي في شهر رمضان سنة أربعين وثلاثمئة: ٣١/٨

لَا يُحْزِنُ اللَّهَ الْأَمِيرَ، فَلِإِنِّي لَأُخْذُ مِنْ حَالَاتِهِ بِنَصِيبٍ

أدعو الله ألا يحزن الأمير، فأنا أحزن لحزنه. يقول: أدعو له بذلك وأنا مستفيد من هذا الدعاء لأنني أحزن لحزنه. وقد فهم بعضهم البيت على أن معناه: لا تحزن أيها الأمير، فأنا المتنبي بكل عظمتي حزين مثلك. وهذا فهم من لم يُدِم النظر في البيت. وهذان إلى مقصد المتنبي شرح المعري. وغلط الصاحب بن عباد غلطة أفدح في فهم البيت، ففهمه على أنه يعني: الله لن يجعل الأمير يحزن، لأنني أشاركه الحزن. وبنه الواحدي على غلط الصاحب. واهتدى اليازجي بشرح المعري أخذاً بعض عبارته. ولمن العروض من همه فالبيت فيه خرم في أوله، مطية قلما ركبها أبو الطيب. ولعله ما ركبها إلا تنبيهاً على عرفانه وجودها

وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الْأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسَى بَكَى بِعُيُونِ سَرَّهَا وَقُلُوبِ

وسيف الدولة سر كل الناس، لذلك فعندما يبكي أسى (حزناً) فهو يبكي بعيون وقلوب الناس

وإِنِّي، وَإِنْ كَانَ الدَّفِينُ حَبِيبَهُ، حَبِيبٌ إِلَى قَلْبِي حَبِيبٌ حَبِيبِي

وإنني حزين رغم أن المدفون حبيب لسيف الدولة لا لي، ولكن من كان حبيب حبيبي فهو حبيبي أيضاً

وَقَدْ فَارَقَ النَّاسَ الْأَحِبَّةُ قَبْلَنَا وَأَعْيَا دَوَاءَ الْمَوْتِ كُلَّ طَبِيبٍ

فارق الأحبة الناس من قبل، وأعيا (أعجز) الأطباء الحصول على دواء للموت

سَبَقْنَا إِلَى الدُّنْيَا، فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا مُنِعْنَا بِهَا مِنْ جِبَّةٍ وَذُحُوبٍ

سبقنا الكثيرون إلى هذه الدنيا، فلو ظل الذين سبقونا على قيد الحياة لما بقي لنا مكان نروح ونجى فيه من الازدحام

تَمَلَّكَهَا الْآتِي تَمَلَّكَ سَالِبٍ وَفَارَقَهَا الْمَاضِي فِرَاقَ سَلِيبٍ

الآتي للدنيا يملكها كأنه سلبها وصارت له، والماضي (الذاهب) يفارقها كأنها سلبت منه غصباً

وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى وَصَبْرِ الْفَتَى، لَوْلَا لِقَاءُ شُعُوبٍ

ولو لم يكن هناك لقاء شعوب (الموت) لما كان لمفاهيم الشجاعة والندى (الكرم) والصبر أي قيمة

وَأَوْفَى حَيَاةِ الْعَابِرِينَ لِصَاحِبٍ حَيَاةُ امْرِئٍ خَانَتْهُ بَعْدَ مَشِيبٍ

وأكثر حياة لصاحبها هي حياة تخونه وتهجره بعد المشيب، فالإنسان المحظوظ من وصل إلى عمر يشيب فيه، هذا هو أفضل ما عند الدنيا للمرء

٧٤ الغنيمة الوخيمة

قال المتنبي يمدح سيف الدولة، ويذكر بناء حصن مرعش في المحرم سنة ٣٤١:
٤٥/٢٤

فَدَيْنَاكَ مِنْ رُبْعٍ، وَإِنْ زِدْتَنَا كَرْبًا فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالْعَرَبَا
فدينك يا ربع الحبيبة وإن زدتنا كرباً (حزناً) لأنك مهجور، فقد كنت بالنسبة لنا الدنيا كلها، وأيضاً
الحبيبة كانت شمساً تشرق وتغرب فيك

وَكَيْفَ عَرَفْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدْعَ لَنَا فُوَاداً لِعِرْفَانِ الرُّسُومِ وَلَا لُبًّا؟
وكيف ميزنا رسم (بقايا) الحبيب الذي لم يترك لنا قلباً لعرفان (تمييز) الرسوم المحمودة ولا لباً (عقلاً)
نَزَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ نَمْشِي كَرَامَةً لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَ بِهِ رُكْبًا
نزلنا عن الأكوار (سروج النياق) وترجلنا كرامة (إجلالاً) للمحبيب الذي بان (ابتعد) عن الربع:
نُجِّلُهُ أَنْ نُلِمَ بِهِ (نأتيه) ركباً (راكبين)

نَذُمُ السَّحَابَ الْغُرَّ فِي فِعْلِهَا بِهِ وَنُغْرِضُ عَنْهَا كُلَّمَا طَلَعَتْ عَثْبًا
نذم السحب الغر (البيض الماطرة) لأنها أمطرت وغيرت معالم الربع، وكلما رأينا سحبا في السماء
أَشْحَنَّا بوجوهنا عنها عاتين عليها

وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلًا تَقَلَّبَتْ عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبًا
من يعيش طويلاً تنقلب الدنيا أمامه فيعرف من حقائق الأمور ما يجعله يرى الصدق كذباً

وَكَيْفَ التِّذَادِي بِالْأَصَائِلِ وَالضُّحَى إِذَا لَمْ يَعُدْ ذَاكَ النَّسِيمَ الَّذِي هَبَّا
وكيف استمتع بالأصائل (أوقات الغروب) والضحى وأنا لم أعد أشم نسيم الأجرة

ذَكَرْتُ بِهِ وَصْلاً كَانَ لَمْ أَفْزِ بِهِ وَعَيْشًا كَأَنِّي كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثَبًا
وأنا أזור الربع المهجور تذكرت وصلاً (علاقة) مضى وصار بعيداً كأنني ما كنت فزت به،
وتذكرت عيشاً أيام الشباب مر سريعاً كأنني كنت أقطعه قفراً

وَفَتَانِيَةِ الْعَيْنَيْنِ قِتَالَةِ الْهَوَى إِذَا نَفَحَتْ شَيْخًا رَوَائِحُهَا شَبًّا
ورب فتاة فتاة العينين قتالة الهوى إذا هبت روائحها على شيخ شب (عاد لشبابه). تسويد الثلاثة
السابقة لأحمد عبد الرحيم

لَقَدْ لَعِبَ الْبَيْنُ الْمُشْتِ بِهَا وَبِي وَزَوَّدَنِي فِي السَّيْرِ مَا زَوَّدَ الضَّبَّ
لعب البين (الفراق) المشت (المشتت) بها وبى، فهي رحلت وأنا رحلت، ولم أتزود
من فراقها لا نظرة ولا قبلة بل تزودت لسيري ما يتزود الضب (من زواحف الصحراء)
وهو الحيرة؛ وقالوا إن الضب يبتعد عن جحره فيضل ولا يهتدي إليه

وَمَنْ تَكُنِ الْأَسَدُ الصُّوَارِي جُدودَهُ يَكُنْ لَيْلُهُ صُبْحاً، وَمَطْعَمُهُ غَضْباً
من كانت جدوده كالأسود الضارية أي أنه من قوم أشداء، فإن ليله بهيج كالصبح، وينال ما يناله
من مطعم (طعام) غصباً (بالقوة)

وَلَسْتُ أَبَالِي بَعْدَ إِفْرَاكِ الْعُلَى أَكَانَ تُرَاثاً مَا تَنَاوَلْتُ أَمْ كَسَبَا
بعد أن أدرك المجد لا يهمني إن كان ما أحرزته موروثاً أم من كسب يدي

قَرَّبَ غُلَامٌ عَلَّمَ الْمَجْدَ نَفْسَهُ كَتَعْلِيمِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّلْعِ وَالضَّرْبَا
ف هناك من يصنع المجد بيده كما فعل سيف الدولة إذ تعلم الطعن والضرب وحده

تُهَابُ سِيوفِ الْهِنْدِ، وَهِيَ حَدَائِدُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةً عُرْبَا
يهاب الناس السيوف وهي مجرد حدائد (من حديد)، فكيف عندما تكون السيوف
ناساً عرباً من نزار (جد العرب)، يعني سيف الدولة. والحمدانيون من تغلب، وتغلب
من قبائل ربيعة، و«ربيعة» الجد الأكبر ابن نزار وأخوه مضر، فبعد نزار تفرق قبائل
ربيعة عن قبائل مضر. ومدح التغلبيين بأنهم «نزارية» يجعلهم ضمن النطاق الذي يضم
قريشاً والرسول

وَيُرْهَبُ نَابُ اللَّيْثِ، وَاللَّيْثُ وَحْدَهُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ اللَّيْثُ لَهُ صَحْبَا
وناب الليث مرهوب والليث وحده، فكيف والليث تصاحبه، يعني جنود سيف الدولة

عَلِيمٌ بِأَسْرَارِ الدِّيَانَاتِ وَاللُّغَى لَهُ خَطَرَاتٌ تَفْضَحُ النَّاسَ وَالْكَتُبَا
سيف الدولة عالم متبحر بأسرار الديانات واللغات (أي الأوجه المختلفة للكلمات في اللغة
العربية)، وله خطرات (أفكار) تفضح جهل الناس وقلة ما في الكتب من عمق

فُبُورِكْتَ مِنْ عَيْثُ، كَانَ جُلُودَنَا بِهِ تُنَبِّئُ الدِّيَبَاجَ وَالْوَشْيَ وَالْعَضْبَا
بوركت يا سيف الدولة أيها الغيث (المطر) الذي يهطل على أجسامنا فتنبئ الحرير
والوشى (القماش المنقوش) والعصب (قماش يمني)، أي أن سيف الدولة يكسوه
كل هذا. والقماش في الماضي غالٍ وعزيز لأنه نسج يدوي، ولذا كان الخليفة إذا
سر من شاعر أو قائد خلع رداءه ورماه إليه، ومن هنا تسميتا الهدية بالخلعة

هَنِيئُشاً لِأَهْلِ الثَّغْرِ رَأَيْكَ فِيهِمْ وَأَنْتَ - حِزْبَ اللَّهِ - صِرْتَ لَهُمْ حِزْبَا
نهني أهل الثغر (الموقع الحدودي) لأنك سررت منهم، ولأنك - يا حزب الله (أي المتصبر بالله) -
صرت ناصرأ لهم

فَيَوْمَاً بِخَيْلٍ تَطْرُدُ الرُّومَ عَنْهُمْ وَيَوْمَاً بِجُودٍ تَطْرُدُ الْفَقْرَ وَالْجَدْبَا
فأنت يوماً تأتي بخيلك وتطرد الروم عن بلدكم، ويوماً تأتي بجودك (كرمك) وتطرد الفقر والجذب
(القحط)

سَرَايَاكَ تَشْرَى، وَالذُّمُّسْتُقُ هَارِبٌ وَأَصْحَابُهُ قَتْلَى، وَأَمْوَالُهُ نَهَبَى

سراياك تترى (متابعة)، والدمستق (قائد الروم) هارب وأصحابه قتل وأمواله منهوبة

كَذَا يَتْرُكُ الْأَعْدَاءَ مَنْ يَكْرَهُ الْقَنَا وَيَقْفُلُ مَنْ كَانَتْ غَنِيمَتُهُ رُغْبَا

هكذا يترك الأعداء وشأنهم الجبان الذي يكره القنا (الرماح)، ويقفل راجعاً من كانت غنيمة من الحرب أن يحمل رعباً في قلبه

مَضَى بَعْدَمَا التَفَّ الرِّمَاحَانِ سَاعَةً كَمَا يَتَلَقَّى الْهُدْبُ فِي الرَّقْدَةِ الْهُدْبَا

فر قائد الروم بعد أن تشابكت الرماح ساعة، وكان تشابكها التقاء الرمش بالرمش

وَلَكِنَّهُ وَلَّى وَلِلظُّغَنِ سَوْرَةٌ إِذَا ذَكَرَتْهَا نَفْسُهُ لَمَسَ الْجَنَبَا

ولكنه عندما ولى (ذهب) كان للظمن سورة (هجمة) وكلما ذكرها لمس جنبه خوفاً ليطمن أنه لم يصب بأذى

أَرَى كُلَّنَا يَبْغِي الْحَيَاةَ لِنَفْسِهِ حَرِيصاً عَلَيْهَا مُسْتَهَاماً بِهَا، صَبَا

أرى كل واحد فينا يبغي الحياة ويحرص عليها مستهاماً بها (هائماً بها) صباً (محباً)

فَحُبُّ الْجَبَانِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ التَّقَى وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ الْحَرْبَا

فحب الجبان لنفسه جعله يرد (يأتي) التقى (التجنب)، وحب الشجاع لنفسه جعله يأتي الحرب، فالشجاع لا يرى لنفسه حياة مع الجبن

٧٥ واحرَّ قلباه

قال المتنبي وقد جرى له خطاب مع قوم متشاعرين وظن الحيف عليه والتحامل : ٣٧/٣٨ !

عبارة اليازجي: «كان سيف الدولة إذا تأخر عنه مدح المتنبي شق عليه، وأكثر أذاه، وأحضر من لا خير فيه، وتقدم له بالتعرض له في مجلسه بما لا يحب، فلا يجيب أبو الطيب أحداً عن شيء، فيزيد ذلك في غيظ سيف الدولة ويتمادى أبو الطيب على ترك قول الشعر، ويلج سيف الدولة فيما كان يفعله إلى أن زاد الأمر وكثر عليه، فقال هذه

القصيدة»

وَاحِرَّ قَلْبَاهُ! يَمِّنْ قَلْبُهُ شَيْبُومٌ وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ

واحر قلباه (يا لحرقة قلبي) من الذي قلبه شيب (بارد)، والذي لحق بجسمي وأحوالي وأنا مقيم عنده سقم (مرض)

مَا لِي أَكْتُمُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي وَتَدَّعَى حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأُمَمُ؟

مالي أكم حيي الذي يرى جسدي برياً لسيف الدولة، بينما تدعى أمم من الناس أنها تحب

إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِفِرَّتِهِ فَلَيْتَ أَنَا بِقَدْرِ الْحُبِّ نَقْتَسِمُ

إن كان القاسم المشترك بيني وبينهم هو حبنا لغرته (لطلعت)، فليتنا نقسم عطاياء بقدر ما عندنا له من حب

قَدْ زُرْتُهُ، وَسَيْفُ الْهِنْدِ مُعَمَّدَةٌ، وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ، وَالسَّيْفُ دَمٌ

لقد عرفته في حال السلم بينما السيف في أعمادها، وقد شهدت مواقعه والسيف يقطر منها الدم

فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ وَكَانَ أَحْسَنَ مَا فِي الْأَحْسَنِ الشَّيْمِ

فكان دائماً أحسن خلق الله، وأحسن ما فيه الشيم (الأخلاق)

فَوْتُ الْعَدُوِّ الَّذِي يَمَّمْتُهُ ظَفَرٌ فِي طَيْهِ أَسْفٌ فِي طَيْهِ نَعَمٌ

إن فوت (إفلات) العدو الذي يممته (قصدته) هو ظفر (نصر) لك، وفي طي (بضمن) هذا النصر أسف على إفلاته، ونعمة لثبوت الدليل على التفوق عليه

قَدْ نَابَ عَنْكَ شَدِيدُ الْخَوْفِ، وَاضْطَعَّتْ لَكَ الْمَهَابَةُ مَا لَا تَصْنَعُ الْبُهَمُ

الخوف منك كان نائباً عن وجودك في مواجهة العدو، وقد اضطنعت (صنعت) لك المهابة (الهيبة) ما لا تصنعه البهم (الأبطال). يقول هزمت العدو بالرعب، وهيتك قامت مقام جنودك البواصل

أَلَزَمْتَ نَفْسَكَ شَيْئاً لَيْسَ يَلْزُمُهَا: أَنْ لَا تُوَارِيَهُمْ أَرْضٌ وَلَا عِلْمٌ

ألزمت نفسك بشئاً ليس يلزمها: أن لا توارىيهم أرضاً ولا علماً
ألزمت نفسك بأكثر مما يجب إذ أقسمت ألا توارىي (تخفي) العدو أرضاً منبسطة ولا جبل، فانت تلاحقهم دوماً

أَكْلَمَا رُمْتَ جَيْشاً فَأَنْتَنِي هَرَباً تَصَرَّفْتُ بِكَ فِي آثَارِهِ الْهِمَمُ

هل كلما رمت (طلبت) جيشاً فأنتنى هرباً هارباً منك تصرفت بك (ألزمتك) هممك (عزائمك) للحاق به؟

عَلَيْكَ هَزْمُهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ عَارٌ إِذَا انْهَزَمُوا

عليك (لزام عليك) أن تهزمهم في كل معركة، ولكن ليس عليك عار إذا هم انهزموا ولم تتبعهم. . . لكنك تتبعهم حتى يكون النصر تاماً

أَمَا تَرَى ظَفَرًا حُلُوءًا سِوَى ظَفَرِ تَصَافَحَتْ فِيهِ بِيضُ الْهِنْدِ وَاللَّمَمُ

ألا ترى الظفر (النصر) حلواً إلا إذا تصافحت فيه بيض الهند (السيف الهندية) مع اللمم (الرؤوس)

بِأَعْدَلِ النَّاسِ، إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي، فَيْكَ الْخِصَامُ، وَأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكَمُ

كما في كل بلاط كانت الحاشية تتنافس على رضا الأمير. وخصامهم كله فيمن يكون مقرباً أكثر

أَعْبَدُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمَ
العباد بالله أن تغلط نظراتك الصادقة فتحسب شحماً في الذي شحمه ورم. والشحم صحة على
المرء والورم مرض، وبعض الناس متفخ ولكنه فارغ

وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
وما نفع أخى الدنيا (الإنسان) بنظره (ببصره) إذا تساوى عنده النور والظلمة؟

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ، مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسُنَا، بِأَنْتَنِي خَيْرٌ مَنْ تَسَعَى بِهِ قَدَمُ
سيعلم الجمع، ممن ضمهم هذا المجلس، أنتني خير من يمشي على قدمين. (البيت
ساقط من شرح أبي العلاء، لهذا فعدد أبيات ما اخترناه يزيد عن عدد أبيات القصيدة
كلها عند أبي العلاء ببيت واحد. فنحن - كما لا يخفى - اخترنا القصيدة برمتها)

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ
أَنَا مَلَأَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ
أنا ملى جفوني (مرتاحاً) غير مفكر في شوارد اللغة (كلماتها الشاردة الغريبة التي
أستعملها في شعري)، ويسهر خلق الله جراها (بسببها) ويختصم هذا الخلق وكان من
طبع المتنبي ألا يشرح شعره، على كثرة غوامضه. وكان إذا سئل، وهو بالعراق
وبفارس، عن معنى أحال الناس على ابن جني

وَجَاهِلٌ مَدَّهُ فِي جَهْلِهِ ضَحْكِي حَتَّى أَتَتْهُ يَدُ فَرَّاسَةٍ، وَقَمُ
رب جاهل مدّه في جهله (جعلهُ يتماذى) ضحكي، حتى فاجأته بيد مفترسة وقم ينهشه

إِذَا رَأَيْتَ نُسُوبَ اللَّيْلِ بَارِزَةً فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْلَ يَنْتَسِمُ
وَمُهْجَةٍ، مُهْجَتِي مِنْ هَمِّ صَاحِبِهَا، أَدْرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهَرَهُ حَرَمُ
ورب مهجة (نفس) صاحبها يريد إهلاك مهجتي، لكنني أدركتها بجواد سريع، ظهره حرم (آمن).
فجواده يعطي راكمه الأمان لأنه لا يلحق به عدو

رِجْلَاهُ فِي الرُّكُضِ رِجْلٌ، وَالْيَدَانِ يَدٌ وَفَعَلُهُ مَا تُرِيدُ الْكَفُّ وَالْقَدَمُ
رجلا الجواد كأنهما رجل واحدة في ركضه، ويفعل الجواد ما تريد الكف وقدمي منه أن يفعل
لاستجابته السريعة لأوامري التي أعطيها له بنخسة الكعب أو تحريك المقود

وَمُرْهَفٍ سِرْتُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بِهِ حَتَّى صَرَبْتُ، وَمَوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ
ورب سيف مرهف (حاد) سرت وأنا أشهره بين الجحفلين (الجيشين) حتى آتست فرصة للضرب به
بينما كان موج الموت يتلاطم في المعركة

الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبِيدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالسَيْفُ وَالرَّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
القرطاس: الورق

صَحِبْتُ فِي الْفَلَوَاتِ الْوَحْشَ مُنْفَرِدًا حَتَّى تَعَجَّبَ مِنِّي الْقَوْرُ وَالْأَكْمُ
صَحِبْتُ فِي الْفَلَوَاتِ (الصَحَارَى) الْوَحْشَ وَأَنَا وَحْدِي، حَتَّى تَعَجَّبَتْ مِنِّي الْقَوْرُ (الْمُنْخَفِضَاتُ)
وَالْأَكْمُ (التَّلَالُ)

يَا مَنْ يَعْزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ! وَجَدَانَنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ
يَا مَنْ يَعْزُّ عَلَيْنَا فِرَاقَهُمْ - تَهْدِيدٌ بِأَنَّهُ سَيَفَارِقُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ - إِنْ وَجَدَانَا كُلَّ شَيْءٍ (حَصُولُنَا عَلَى كُلِّ
مَا نَطْلُبُ) بَعْدَ فِرَاقِكُمْ هُوَ مِثْلُ الْعَدَمِ

مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمَمُ
مَا كَانَ أَخْلَقْنَا (أَجْدَرْنَا) بِتَكْرِيمِ مَعَكُمْ لَوْ أَنَّ شَأْنَنَا مِنْ شَأْنِكُمْ أَمَمُ (قَرِيبُ). أَرَى أَنَّ
الْمَتَنِي هُنَا يَعْبرُ عَنْ شَعُورِهِ بِالنَّقْصِ لِأَنَّهُ مُجَرَّدُ شَاعِرٍ، وَيَقْصِدُ إِلَى الْقَوْلِ: لَوْ كُنْتُ
وَالِيًّا أَوْ أَمِيرًا صَغِيرًا لَكَانَ شَأْنِي قَرِيبًا مِنْ شَأْنِكَ يَا سَيْفَ الدَّوْلَةِ وَلَكِنِّي كَرَمْتَنِي،
وَلَكِنِّي بِالنِّسْبَةِ إِلَيْكَ مُجَرَّدُ شَاعِرٍ مِنْ شِعْرَاءِ بِلَاطُك

إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَمَا لَجَزَحَ إِذَا أَرْضَاكُمُ الْمُ
وَبَيْنَنَا، لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ، مَعْرِفَةً إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمُّ
بَيْنِي وَبَيْنَكَ، لَوْ كُنْتُ تَحْفَظُ ذَلِكَ، طَوْلَ عَشْرَةِ مَعْرِفَةٍ، وَالْمَعْرِفَةُ عِنْدَ أَهْلِ النَّهْيِ (أَصْحَابِ الْعُقُولِ)
ذِمُّ (عَهْدُ)

كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا فَيُعْجِزُكُمْ وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ، وَالْكَرَمُ
كثِيرًا مَا تَبْحَثُونَ عَنْ عَيْبٍ لِي فَتَعْجِزُونَ، وَاللَّهُ يَكْرَهُ التَّفَتِيشَ عَنِ الْمَعَايِبِ، وَكِرَمُ الْأَخْلَاقِ يَأْبَى ذَلِكَ أَيْضًا
مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ مِنْ شَرَفِي أَنَا الثَّرِيَّا، وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ
مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ عَنْ شَرَفِي! فَأَنَا مِثْلُ نَجُومِ الثَّرِيَّا وَذَانِ (هَذَانِ) أَيِ الْعَيْبِ وَالنَّقْصَانِ) مِثْلُ
الثَّرَى (الْتَرَابِ)

لَيْتَ الْغَمَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيمُ
لَيْتَ الْغَمَامَ (السَّحَابَ/ يَقْصِدُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ) الَّذِي يَرْمِينِي بِصَوَاعِقِهِ، لَيْتَهُ يَزِيلُ الصَّوَاعِقَ
عَنِّي وَيَرْمِي بِهَا مَنْ يَنَالُ الدِّيمَ (الْمَطَرُ). يَقُولُ: سَيْفُ الدَّوْلَةِ سَحَابٌ وَهُوَ يَرْمِينِي
بِالصَّوَاعِقِ وَيَعْطِي غَيْرِي الْمَطَرَ، فَلَيْتَهُ يَعْطِي الصَّوَاعِقَ لِمَنْ يَنَالُ الْمَطَرَ

أَرَى النَّوَى تَقْتَضِيَنِي كُلَّ مَرَحَلَةٍ لَا تَسْتَغْنِي بِهَا الْوَحَاذَةُ الرَّسْمُ
أَرَى النَّوَى (الْفِرَاقَ) تَقْتَضِيَنِي (تَكْلِفُنِي) كُلَّ مَرَحَلَةٍ (مَسَافَةٍ بَيْنَ اسْتِرَاحَتَيْنِ) لَا تَسْتَغْنِي
بِهَا (تَتَكَلَّفُ بِقَطْعِهَا) الْوَحَاذَةُ (الْإِبْلُ السَّرِيعَةُ) الرَّسْمُ (الْإِبْلُ). يَقُولُ إِنْ الْفِرَاقَ سَيَكْلِفُنِي
قَطْعَ مَرَاكِلِ الطَّرِيقِ الطَّوِيلَةِ الَّتِي تَعْجِزُ عَنْهَا الْإِبْلُ السَّرِيعَةُ

لَيْتَ تَرَكَنَ «ضُمِيرًا» عَنْ مِيَامِنَا لَيَحْدُثَنَّ لِمَنْ وَدَّعَهُمْ نَدَمُ
إِذَا تَرَكْتُ الْإِبْلَ جَبَلَ ضُمِيرًا عَنْ يَمِينِي وَتَوَجَّهْتُ بَعِيدًا عَنْكَ فَسَوْفَ يَشْعُرُ مِنْ تَرَكْتَهُمْ وَوَدَّعْتَهُمْ بِالنَّدَمِ

إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ، وَقَدْ قَدَرُوا أَنْ لَا تُفَارِقَهُمْ، فَالرَّاحِلُونَ هُمْ
 إذا رحلت عن قوم وهم قادرون على إرضائك وجعلك تبقى، فالراحلون هم هؤلاء القوم لا أنت،
 أي أنهم هم الذين قرروا الفراق فلا لوم عليك

شَرُّ الْبِلَادِ مَكَانٌ لَا صَدِيقَ بِهِ وَشَرُّ مَا يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ مَا يَصِمُ
 يصم: يعيب

وَشَرُّ مَا قَنَصْتُهُ رَاحَتِي قَنَصٌ شُهْبُ الْبُرَاةِ سَوَاءٌ فِيهِ وَالرَّخْمُ
 شر ما قنصته (صادته) راحتي (يدي) صيد تتساوى فيه شهب البراة (الجوارح البيض/
 وهي من أكرم الطير) والرخم (نوع ضعيف من النسور). يقول: إنه لا يرضى بأن
 يتساوى مع غيره في العطاء والمعاملة، لأنه متميز

بِأَيِّ لَفِظٍ تَقُولُ الشَّعْرَ زَعِيفَةً تَجُوزُ عِنْدَكَ، لَا عُرْبٌ وَلَا عَجَمٌ
 ما هذه الألفاظ التي يستعملها شاعر زعفة (ساقط) يجوز عندك (يُقبل لديك)، وهو ليس من العرب
 ولا من العجم

هَذَا عِتَابُكَ، إِلَّا أَنَّهُ مَقَّةٌ قَدْ ضُمِّنَ الدَّرُّ، إِلَّا أَنَّهُ كَلِمٌ
 هذا هو عتابي لك إلا أنه مقعة (محببة)، وقد ضممت الدر (اللؤلؤ) غير أنه كلام

٧٦ محاولة اغتيال

اجتمع على المتنبي غضب سيف الدولة وغضب أبي العشائر. أرسل أبو العشائر غلاماً
 له ليوقعوا بالمتنبي فلحقوه بظاهر حلب ليلاً، فرماه أحدهم بسهم، وقال: خذه وأنا
 غلام أبي العشائر، فقال أبو الطيب: ٥/٤

وَمُنْتَسِبٌ عِنْدِي إِلَى مَنْ أَحْبَبُهُ وَلِلنَّبْلِ حَوْلِي مَنْ يَدِينُهُ حَفِيفٌ
 رب شخص نسب نفسه إلى شخص أحبه في وقت كان فيه للنبل (للسهام) التي يرميها حفيف
 (صوت خافت) حولي

فَهَيَّجَ مِنْ شَوْقِي، وَمَا مِنْ مَذَلَّةٍ حَنَنْتُ، وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ أَلُوفٌ
 فهيّج بذكره لسيده شوقي إلى أبي العشائر، ولم يكن حنيني لأنني ذليل، لكن الكريم عنده ألفه ووفاء

وَكُلُّ وِدَادٍ، لَا يَدُومُ عَلَى الْأَدَى دَوَامَ وِدَادِي لِلْحُسَيْنِ، ضَعِيفٌ
 والوداد الذي لا يستمر برغم الأذى استمرار وداي للحسين (أبي العشائر) هو وداد ضعيف

فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِداً فَأَفْعَالُهُ اللَّائِي سَرَرَنَ أَلُوفٌ
 فإذا كان فعله الذي ساءني (أحزنني) واحداً فإن له ألاف الأفعال التي سررتني

٧٧ كأنك ما صغرت عن الهجاء

لما أنشد المتنبي قصيدة (واحر قلباه) وانصرف، اضطرب المجلس. وكان فيه نبطي من كبراء كتاب سيف الدولة يقال له أبو الفرج السامري، فقال له: دعني أسمى في دمه، فرخص له في ذلك. وفيه يقول أبو الطيب: (نسبة ما اخترناه إلى عدد أبيات القصيدة) ٣/٢
أَسَامَرِي! ضُحْكَةٌ كُلُّ رَاءٍ، فَطِنْتُ، وَكُنْتُ أَغْبَى الْأَغْبَاءِ
أيها السامري (المنسوب إلى مدينة سامراء) أنت ضحكة كل من يراك، والآن فطنت إلى الشجاعة، وقد كنت غيباً

صَغُرْتَ عَنِ الْمَدِيحِ، فَقُلْتَ: أَهْجَى كَأَنَّكَ مَا صَغُرْتَ عَنِ الْهَجَاءِ

أنت أصغر من أن تمدح، فقلت لنفسك: حسناً، فلأتعرض للهجاء. كأنك ما صغرت عن أن تهجى أيضاً. أقول، لن تراني يوماً أصف بيت هجاء بأنه أقوى من هذا البيت. هذا هجاء فادح فداحة. وقد فتشت عن كلمة تقدير لبيت الهجاء هذا عند الشراح الستة الذين أديم النظر في شروحه وأنا اشتغل في هذا الكتاب، وعدمها

٧٨ الحالمة بالجميل

رضي سيف الدولة عن المتنبي بعد الجفوة، فقال المتنبي بمدحه: ٤٨/٢١
أَجَابَ دَمْعِي، وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلٍ دَعَا، فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرَّكْبِ وَالْإِبِلِ
أجاب (لبي) دمعي الدعوة فنزل، وليس الذي دعاه سوى طلل (خربة)، وقد لبي الدمع النداء قبل الركب (الرفاق) وقبل الإبل. فالرفاق تأخروا عن النزول والإبل تأخرت عن الوقوف ولكن دمعي نزل فور رؤيتي طلل الأحبة

ظَلِلْتُ بَيْنَ أَصْحَابِي أَكْفِكُفُهُ وَظَلَّ يَسْفَحُ بَيْنَ الْعُذْرِ وَالْعَذَلِ
ظللنت بين أصحابي أكفكف الدمع، وظل يسفح (يسيل) بين إبدائهم العذر لي والعذل (اللوم)

وَمَا صَبَابَةٌ مُشْتَاقٍ عَلَى أَمَلٍ مِّنَ اللَّقَاءِ، كَمُشْتَاقٍ بِلا أَمَلٍ
وصابة (حرقه) المشتاق الذي له أمل في اللقاء تختلف عن حرقه من لا أمل له

مَتَى تَزُرُ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيَارَتَهَا لَا يُتَحَفُّوكَ بِغَيْرِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ
لا أمل لي في اللقاء لأنني إن زرت قوم المحبوبة لا يتحفوني (بمعناها المعاصر) إلا بالبيض (السيوف) والأسل (الرماح)

وَالْهَجْرُ أَقْتَلَ لِي مِمَّا أَرَأَيْتُهُ أَنَا الْعَرِيقُ قَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ
والهجر أشد قتلاً لي مما أرايته (أحذره) من سيوف قومها، فأنا مقتول على كل حال كالغريق الذي لا يخاف البلل (التبلل بالماء) لأن ما يحف به أشد من مجرد البلل

مَا بَالُ كُلِّ فُؤَادٍ فِي عَشِيرَتِهَا بِهِ الَّذِي بِي، وَمَا بِي غَيْرُ مُنْتَقِلٍ
ما لي أرى كل قلوب شبان عشيرتها مغرمين بها، وبهم مثل الذي بي منها؛ ومع أنهم يشاركونني
في حبها فالذي بي من حبها لا ينتقل (لا يزول)

قَدْ ذُقْتُ شِدَّةَ أَيَّامِي وَلَذَّتْهَا فَمَا حَصَلْتُ عَلَى صَابٍ وَلَا عَسَلٍ
ذقت الشدة واللذة في زمني، ولكنني لم أحصل على شيء يبقى معي، فالصاب (الشجر المر) زال
والعسل زال أيضاً

وَقَدْ طَرَفْتُ فَتَاةَ الْحَيِّ مُرْتَدِيًّا بِصَاحِبٍ غَيْرِ عِزْهَاءَةٍ وَلَا غَزَلٍ
وقد طرفت (زرت ليلاً) المحبوبة مرتدياً وهو صاحب لا يوصف بأنه عزهائة (كاره للنساء)
ولا بأنه غزل (نسواني)، ذلك أنه سيف

فَبَاتَ بَيْنَ تَرَاقِينَا نُدْفَعُهُ وَلَيْسَ يَعْلَمُ بِالشُّكْوَى، وَلَا الْقُبْلِ
وبات سيفي بين تراقينا (عظام أعلى الصدر) ندفعه (نتحيه مرة بعد أخرى) وهو لا يعلم بشكوانا
التي نتبادلها.. ولا بالقبلات

ضَاقَ الزَّمَانُ، وَوَجْهُ الْأَرْضِ عَنْ مَلِكٍ مِلءِ الزَّمَانِ، وَمِلءِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
الزمان والمكان لا يتسعان لهذا الملك الذي ملأ الزمان والأرض، سهلها وجبلها، بذكره وأفعاله

فَنَحْنُ فِي جَذَلٍ، وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ وَالْبَرْ فِي شُغْلٍ، وَالْبَحْرُ فِي خَجَلٍ
فنحن في جذل (فرج) والروم في وجل (خوف)، والبر مشغول بخيلنا وجيوشنا، والبحر خجلان
لأن سيف الدولة فاقه كرمًا. هذا أبو الطيب يقلد أبا تمام.. تدبير معتصم إلخ

لَيْتَ الْمَدَائِحَ تَسْتَوْفِي مَنَاقِبَهُ فَمَا كُلِّيبٌ، وَأَهْلُ الْأَعْصَرِ الْأَوَّلُ؟
ليت المدائح (قصائد المدح) تكفي لتعداد مناقبه (محاسنه) وحده، فلماذا نذكر كليبا
(البطل العزيز الكريم من قبيلة تغلب وهي قبيلة سيف الدولة) والقدماء؟ يقول:
المدائح لا تكاد تأتي على محاسن سيف الدولة فلماذا نذكر آباءه في العصور
القديمة؟ وكان بعض الشعراء في بلاط سيف الدولة فعلوا ذلك

خُذْ مَا تَرَاهُ، وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلٍ
خذ ما تراه بعينيك ودع الذي قيل عن الزمن القديم، فعندما يطلع البدر يستغني المرء به عن كوكب
بعيد مثل زحل

وَقَدْ وَجَدْتَ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَلِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلْ
وقد وجدت أيها الشاعر مجالاً واسعاً للمدح، فإن كان عندك لسان فصيح فقل شعراً

تُمْسِي الْأَمَانِي صَرَغَى دُونَ مَبْلَغِهِ فَمَا يَقُولُ لِشَيْءٍ لَيْتَ ذَلِكَ لِي
 الْأَمَانِي تصبح صرعى (هالكة) دون (قيل) البلوغ إليه، فهو إذا تمنى شيئاً حققه فوراً قبل أن يقول:
 ليت لي، لذلك فالأماني تنتهي بتحقيقها قبل أن تصبح أمانِي

جَازَ الدُّرُوبَ إِلَى مَا خَلَفَ خَرَشَنَةَ وَزَالَ عَنْهَا، وَذَاكَ الرَّوْعُ لَمْ يَزُلْ
 جاز (قطع) الدروب (الطرق المؤدية إلى بلاد الروم) وتجاوز حصن خرشنة، ثم زال (رجع) عن
 الدروب ولكن الروع (الخوف) الذي تركه في قلوب الروم ظل موجوداً

فَكُلُّمَا حَلَمَتْ عَذَاءٌ عِنْدَهُمْ فَإِنَّمَا حَلَمْتُ بِالسَّبْيِ وَالْجَمَلِ
 والفتاة من بنات الروم عندما تحلم في نومها تحلم بالسبي وبالجمال العربي يحملها مسيبة بعيداً عن أهلها

إِنْ كُنْتُ تَرْضَى بِأَنْ يُعْطُوا الْجِزْيَ بَدَلُوا مِنْهَا رِضَاكَ، وَمَنْ لِلْعُورِ بِالْحَوْلِ
 إن كنت يا سيف الدولة ترضى بالجزية فهم يبذلون (يعطون) منها ما يرضيك، وهم محظوظون إن
 تركتهم مقابل جزية، والعمور (ذوو العين الواحدة) يتمنون الحول بدل العمور فالحول أخف وطأة

وَمَا سَمِعْتُ، وَلَا غَيْرِي، بِمُقْتَدِرٍ أَذَبَ مِنْكَ لِزُورِ الْقَوْلِ عَنْ رَجُلٍ
 لم أسمع، ولم يسمع غيري، بشخص مقتدر أكثر ذباً منك (أكثر رداً) لكلام الزور (الافتراء) عن
 رجل، هو أنا. يقول: أنت أكثر الناس تكذيباً لما يقال عني من افتراءات

لِأَنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لَا تَكْلُفُهُ لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحْلِ
 ذلك أن حلمك (سماحتك) ليس فيه تكلف بل هو طبع فيك، والتكحل ليس في جمال الكحل
 (الكحل الرباني)

وَمَا ثَنَّاكَ كَلَامُ النَّاسِ عَنْ كَرَمٍ وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِضِ الْهَاطِلِ
 كلام الناس لم يثنك (لم ينعك) عن كرمك، فأنت كالعارض (السحاب) الهاطل الذي لا يمنعه
 من الهطول شيء

٧٩ موتوا حسداً

قال المتنبي وقد استحسنت قصيدته السابقة (أجاب دمعي): ٣/٣

إِنَّ هَذَا الشُّعْرَ فِي الشُّعْرِ مَلَكٌ سَارَ، فَهَوَ الشَّمْسُ، وَالْدُّنْيَا فَلَكٌ
 شعري بالنسبة لشعر الآخرين هو مثل الملاك بالنسبة للبشر، وهو قد سار (انتشر) فكان كالشمس
 وفلكه (مداره) هو الدنيا كلها

عَدَلَ الرَّحْمَنُ فِيهِ بَيْنَنَا فَقَضَى بِاللَّفْظِ لِي، وَالْحَمْدُ لَكَ
 الله وزع الأمر بالعدل بيننا، فاللفظ لي، ولكن الحمد في هذا الشعر هو لك

فَإِذَا مَرَّ بِأُذُنِي حَاسِدٌ صَارَ مِمَّنْ كَانَ حَيًّا، فَهَلَكَ
فإذا مر شعري بأذني حاسد وسمعه، مات من حسرته

٨٠ افهم ما يقال

قال وقد عجز قوم عن فهم بيت له: ٤/٢

أَتَيْتُ بِمَنْطِقِ الْعَرَبِ الْأَصِيلِ وَكَانَ بِقَدْرِ مَا عَايَنْتُ قِيلِي
أنا قلت كلاماً فصيحاً، وكان قبلي (كلامي) مطابقاً للواقع الذي عاينته

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَفْهَامِ شَيْءٌ إِذَا اخْتِاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ
ولا يعود شيء في الدنيا صحيحاً وتقلب موازين المنطق إذا احتاج المرء إلى دليل في ضوء النهار

٨١ من يزحم البحر يغرق

قال المتنبي، وقد كَاتَبَ الرُّومَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ يَطْلُبُونَ الصَّلَاحَ: ٤٣/١٥

لِعَيْنَيْكَ مَا يَلْقَى الْفُؤَادُ، وَمَا لَقِيَ وَلِلْحُبِّ مَا لَمْ يَبْقُ مِنِّي، وَمَا بَقِيَ
لأجل عينيك ما يلقي قلبي، وما لقي، من عذاب؛ ومنذور للحب كل ما بقي من روحي، والذي
ذهب إنما ذهب في سبيل الحب

وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَدْخُلُ الْعِشْقُ قَلْبَهُ وَلَكِنَّ مَنْ يُبْصِرُ جُفُونَكَ يَعْشَقُ
وَبَيْنَ الرِّضَى وَالسُّخْطِ وَالْقُرْبِ وَالنَّوَى مَجَالٌ لِدَمْعِ الْمُقْلَةِ الْمُتَرَفِّقِ
هذه الحالات المختلفة تفتح مجالاً لدمع المقلة (العين)

وَأَحْلَى الْهَوَى مَا شَكَ فِي الْوَصْلِ رَبُّهُ وَفِي الْهَجْرِ، فَهُوَ الدَّهْرُ يَرْجُو وَيَتَّقِي
أحلى الهوى الذي يشك ربه (صاحبه) في الوصل والهجر، فهو الدهر (طول الدهر) على رجاء
اللقاء واتقاء (حذر) الفراق

وَعُضْبِي مِنَ الْإِذْلَالِ، سَكْرَتِي مِنَ الصَّبَا شَفَعْتُ إِلَيْهَا مِنْ شَبَابِي بِرَيْتِي
ورب فتاة غاضبة غضب دلال، ومتشبة بصباها، شفعت إليها (توسطت لديها) وجعلت واسطتي
رَيْتِي شَبَابِي (مطلع شبابي)

رَأَى مَلِكَ الرُّومِ ارْتِيَا حَكَ لِلنَّدَى فَقَامَ مَقَامَ الْمُجْتَدِي الْمُتَمَلِّقِ
رأى ملك الروم ارتياحك (اريجيتك) للندى (للعطاء)، فوقف منك موقف المجتدي (المتوسل)
المتملق لينال رضاك عليه

وَحَلَّى الرِّمَاحَ السَّمْهَرِيَّةَ صَاغِرًا لِأَذْرَبَ مِنْهُ بِالطَّعَانِ وَأَخَذَقِ

وترك الرماح السمهرية (المنسوبة إلى مقوم الرماح القديم سمهر) وهو صاغر (ذليل)، تركها لمن هو أكثر درية وحذقا منه في الطعن

وَكَاتَبَ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدٍ مَرَامُهَا قَرِيبٍ عَلَى خَيْلٍ حَوَالَيْكَ سُبَّتِ

وراسلك من أرض بعيد مرامها (بعيدة على من طلبها)، ولكن مرامها قريب على الخيل السبَّتِ (السابقة) التي عندك يا سيف الدولة

وَقَدْ سَارَ فِي مَسْرَاكَ مِنْهَا رَسُولُهُ فَمَا سَارَ إِلَّا فَوْقَ هَامٍ مُفْلَتِي

وقد سار في نفس مسراك (طريقك) داخل هذه البلاد رسول ملك الروم أتيا إليك في حلب، وفي طريقه كان يسير فوق هام (رؤوس) مفلوكة بسبب معاركك داخل أرضهم

وَلَمْ يَثْنِكَ الْأَعْدَاءُ عَنْ مُهْجَاتِهِمْ بِمِثْلِ خُضُوعٍ فِي كَلَامٍ مُنَمِّي

ولا يثنيك (يمنعك) الأعداء عن مهجاتهم (نفوسهم) بشيء أفضل من خضوع لك يُساق في كلام منمق

وَكُنْتُ، إِذَا كَاتَبْتَهُ قَبْلَ هَذِهِ، كَتَبْتَ إِلَيْهِ فِي قَذَالِ الدُّمُسْتَقِ

وأما أنت فكنت إذا أردت الكتابة لملك الروم جعلت رسالتك في قذال (قفا) الدمستق (قائد جيش الروم)، أي أنك كنت تأسره ثم تعيده إلى مليكه مصفوعاً على قفاه أي مهاناً

فَإِنْ تُعْطِ مِنْكَ الْأَمَانَ فَسَائِلٌ وَإِنْ تُعْطِ حَدَّ الْحُسَامِ فَأَخْلِقِ

فإذا أعطيت ملك الروم الأمان فأنت كأنك تعطي سائلاً (متسولاً) وإن قررت إعطائه حد السيف فأخلق بك (فما أجدرك بهذا)

بَلَغْتُ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ النُّورِ رُبَّةً أَنْزَلْتُ بِهَا مَا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ

بلغت أنا - المتنبّي - باتصالي بسيف الدولة، الموصوف بالنور، رتبة صار فيها ذكرني ينير بين الشرق والغرب

إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُو بِلُحْيَةِ أَحْمَقٍ أَرَاهُ غُبَارِي، ثُمَّ قَالَ لَهُ: الْحَقِ

سيف الدولة إذا أراد أن يلهو برجل أحمق، أراه غباري (غبار حصاني) وقال له: الحق به. يقول: سيف الدولة يقول للشعراء ها هو شعر المتنبّي! فهل من يستطيع التفوق عليه؟

وَمَا كَمَدَ الْحُسَادِ شَيْءٌ قَصَبْتُهُ وَلَكِنَّهُ مَنْ يَزْحَمُ الْبَحْرَ يَغْرِقِ

وأنا لم أقصد كمد (غيظ) الحساد، ولكنهم هم زاحمونني، ومن يزاحم البحر يغرق

٨٢ ليل العاشقين

قال المتنبي يمدح سيف الدولة، وقد انتصر على الروم وأمر قسطنطين ابن رئيس الروم
الدمستقي: ٦٦/٢٧

لِيَالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولٌ طَوَالٌ، وَلَيْلُ الْعَاشِقِينَ طَوِيلٌ

ليالي بعد الظاعنين (الراجلين) شكول (متشاكلة، متماثلة)، وهي طويلة، وليل العاشقين دائماً طويل

يُبَيِّنُ لِيِ الْبَدْرَ الَّذِي لَا أُرِيدُهُ وَيُخْفِيَنِي بَدْرًا مَا إِلَيْهِ سَبِيلٌ

يبين (يظهرن) لي البدر الذي لا أريده وهو بدر السماء، ويخفيني البدر الثاني الذي لا سبيل للوصول
إليه أي الحبيبة

وَمَا عِشْتُ مِنْ بَعْدِ الْأَحَبَّةِ سَلْوَةٌ وَلَكِنِّي لِلنَّائِبَاتِ حَمُولٌ

ولم أبق على قيد الحياة بعد رحيل الحبيبة سلوة (نسياناً لها)، ولكنني حمول للنائبات (المصائب)

وإنَّ رَحِيلًا وَاحِدًا حَالٌ بَيْنَنَا وَفِي الْمَوْتِ مِنْ بَعْدِ الرَّحِيلِ رَحِيلٌ

رحيلها حال بيني وبين لقائها، وسيكون هناك على كل حال رحيل آخر هو الموت

إِذَا كَانَ شَمُّ الرُّوحِ أَذْنَى إِلَيْكُمْ فَلَا بَرَحَ حَنِّي رَوْضَةً وَقَبُولٌ

إذا كان شم الروح (الريح) القادمة من مكانكم يدنيني إليكم، فلا برحتني (لا فارقتني)
روضة أشم فيها القبول (الريح القبلية). احتفل بهذا البيت ابن جني أيما احتفال،
وتعجب من جمال عبارة «لا برحتني». وأنا أراها كقول من قال: «أنفي يحكني»،
بدل أن يقول «أحك أنفي»

وَمَا شَرَقِي بِالمَاءِ إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَاءِ بِهِ أَهْلُ الْحَبِيبِ نَزُولٌ

وإذا شرقت وأنا أشرب الماء فما ذلك إلا لأنني أتذكر الماء الذي به أهل الحبيب نزول (نازلون)

يُحَرِّمُهُ لَمَعُ الْأَسِنَّةِ فَوْقَهُ فَلَيْسَ لِظَمَانٍ إِلَيْهِ وَصُولٌ

وهذا الماء محرم وروده لأن أسنة رماح قومك تلمع فوقه، فلا يصله الظمان

أَمَّا فِي النُّجُومِ السَّائِرَاتِ وَغَيْرِهَا لِعَيْنِي عَلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ دَلِيلٌ

أليس في النجوم السائرة وغيرها (الثابتة/وكذا كانوا يعتقدون) ما يدلني على وشك طلوع الفجر؟
يتشوق لانتهاه ليله ويراقب نجمة الصباح

أَلَمْ يَرَ هَذَا اللَّيْلُ عَيْنَيْكَ رُؤْيَايَ فَتَظْهَرَ فِيهِ رِقَّةٌ وَنُحُولٌ

ألم ير هذا الليل الطويل عينيك كما رأيتهما أنا. فيصبح نحيلاً مثلي فينقضي ويزول

لَقِيتُ بِدَرْبِ الْقَلَّةِ الْفَجَرَ لَقِيَةً شَفَّتْ كَمَدِي، وَاللَّيْلُ فِيهِ قَتِيلٌ

لقد لقيت في درب القلة (اسم مكان ببلاد الروم) الفجر لقيّة شفت كمدى (غىظي) من الليل إذ رأيت الليل قتيلًا بطلوع الفجر. وكان المتنبي مصاحباً في ذلك المكان لجيش سيف الدولة

وَيَوْمًا كَأَنَّ الْحُسْنَ فِيهِ عَلَامَةٌ بَعَثَتْ بِهَا، وَالشَّمْسُ مِنْكَ رَسُولٌ

ولقيت يوماً كأن حسنه (جماله) علامة بعثت بها، وكان رسولك الشمس

وَمَا قَبْلَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ أَثَارَ عَاشِقٍ وَلَا طَلِبَتْ عِنْدَ الظَّلَامِ دُحُولٌ

ولم يحدث قبل سيف الدولة أن أثار عاشق (أخذ تأره من الدهر الذي عذبه بالعشق)، ولم يحدث أن طلبت دحول (ثارات) من الظلام

وَلَكِنَّهُ يَأْتِي بِكُلِّ غَرِيبَةٍ تَرُوقُ عَلَى اسْتِغْرَابِهَا وَتَهْوِلُ

ولكن سيف الدولة يأتي بكل أمر غريب يروق الناس رغم استغرابهم له ويهولهم (يدهشهم)

رَمَى الدَّرْبَ بِالْجُرْدِ الْجِيَادِ إِلَى الْعِدَى وَمَا عَلِمُوا أَنَّ السَّهَامَ خِيُولٌ

رمى سيف الدولة الدرب (درب القلة: مكان ببلاد الروم) بالجرد (الخيول القصيرة الشعر) الجياد (الأصيلة) بسرعة فائقة كما يرمي المرمه سهاماً، وما كان الروم يعلمون أن السهام يمكن أن تكون على هيئة خيول

سَوَائِلَ، تَشْوَالُ الْعَقَارِبِ، بِالقَنَا لَهَا مَرَحٌ مِنْ تَحْتِهِ وَصَهِيلٌ

رمى الخيل وهي سوائل بالقنا (رافعات بالرماح) مثل تشوال (رفع) العقرب بذنبها، والخيول ترمح (تنشط) وتسهل تحت القنا

تَمَلُّ الْحُصُونُ الشَّمَّ طَوْلَ نِزَالِنَا فَتُلْقِي إِلَيْنَا أَهْلَهَا وَتَزُولُ

تمل الحصون الشم (العالية) طول نزالنا (حربنا) فصارت تلقي إلينا ساكنيها ثم تنهدم وتزول

فَلَمَّا رَأَوْهُ وَخَدَهُ قَبْلَ جَنْبِهِ دَرَوْا أَنَّ كُلَّ الْعَالَمِينَ فُضُولٌ

عندما رأوا سيف الدولة وحده قبل لحاق الجيش به عرفوا أنه خير الناس، وأن كل العالمين فضول (زيادة لا حاجة لها)

وَأَنَّ رِمَاحَ الْحَطِّ عَنْهُ قَصِيرَةٌ وَأَنَّ حَدِيدَ الْهِنْدِ عَنْهُ كَلِيلٌ

وعرفوا أن رماح الخط (المنسوبة إلى «الخط» بالبحرين) قصيرة لا تصل إليه، وأن حديد الهند (السيوف الهندية) كليل عنه (ضعيف لا يقوى عليه)

عَلَى قَلْبِ قُسْطَنْطِينٍ مِنْهُ تَعَجُّبٌ وَإِنْ كَانَ فِي سَاقِيهِ مِنْهُ كُبُولٌ

متعجب قسطنطين (ابن الدمستق قائد الروم) من سيف الدولة، وفي ساقيه من سيف الدولة كبول (قيود)، فهو أسير

لَعَلَّكَ يَوْمًا يَا دُمْسْتُقُ عَائِدٌ فَكَمْ هَارِبٍ مِمَّا إِلَيْهِ يَرْوُّ
 لعلك يوماً تعود للحرب يا دمستق بعد أن هربت منها، فكثيراً ما يهرب المرء من شيء سيؤول إليه أخيراً
 نَجَوْتُ بِإِخْدَى مُهْجَتَيْكَ جَرِيحَةً وَخَلَفْتُ إِخْدَى مُهْجَتَيْكَ تَسِيلُ
 لقد نجوت بإحدى روحيك مجروحة، وخلفت روحك الأخرى (أي ابنك) وهي تسيل عندنا في الأسر
 أَتَسْلِمُ لِلْحَطِطَةِ ابْنَكَ هَارِباً وَيَسْكُنُ فِي الدُّنْيَا إِلَيْكَ خَلِيلٌ؟
 أنظن أنك تسلم للخطية (الرماح) ابنك وتهرب، ثم بعد ذلك يسكن (يطمنن) إليك خليل؟ فمن
 يسلم ابنه سيسلم ولا شك أي صديق

أَنَا السَّابِقُ الْهَادِي إِلَى مَا أَتَوَلُّهُ إِذِ الْقَوْلُ قَبْلَ الْقَائِلِينَ مَقُولٌ
 أنا الشاعر السابق الذي يهتدي للمعاني، وغيري من الشعراء يقولون قولاً قد قيل من قبل،
 ويسرقون المعاني

أَعَادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى وَأَهْدَأُ، وَالْأَفْكَارُ فِيَّ تَجْوُلُ
 يعادونني على أمور تستدعي الحب للفتى لا العداوة، وأنا أهدأ ولا أعاديهم ولكن أفكارهم
 مشغولة بي

سِوَى وَجَعِ الْحُسَادِ دَاوٍ قَلْبُهُ إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ، فَلَيْسَ بِحَوْلُ
 دأو أي شيء سوى هذا الوجع الموجود في قلوب الحساد، فهو لن يحول (يزول)

وَلَا تَطْمَعُنْ مِنْ حَاسِدٍ فِي مَوَدَّةٍ وَإِنْ كُنْتَ تُبْدِيهَا لَهُ، وَتُنْبِلُ
 لا تطمع في المودة من حاسد لك، حتى لو كنت تظهر المودة له وتنبله إياها (تعطيه إياها)

يَهُونُ عَلَيْنَا أَنْ تُصَابَ جُسُومُنَا وَتَسْلَمَ أَعْرَاضُ لَنَا وَعُقُولُ
 نحتمل مصاب الجسم شرط أن تسلم أعراضنا وعقولنا

٨٣ المجد عوفي

وقال المتنبي، وقد عوفي سيف الدولة من مرض: ٨/٢

المجدُ عُوفِي، إِذْ عُوفِيَتْ، وَالكَرْمُ وَزَالَ عَنْكَ، إِلَى أَعْدَائِكَ، الْأَلَمُ
 لست أنت فقط من عوفي (شفي) بل المجد والكرم، وأدعو الله أن يزول عنك الألم ويرحل إلى
 جسوم أعدائك

وَمَا أَخْصُصُكَ فِي بُرِّ بَتَهْنِئَةٍ إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا
 ولا أهتلك وحدك في البرء (الشفاء)، فسلامتك هي سلامة لكل الناس

٨٤ الازورار

قال المتنبي، وقد استبطأ سيف الدولة مدحه، وتنكر لذلك: ١٥/١٥

أَرَى ذَلِكَ الْقُرْبَ صَارَ أَزْوَرَارَا وَصَارَ طَوِيلُ السَّلَامِ اخْتِصَارَا
أرى فربك مني صار ازوراراً (إشاحة عني)، وصار سلامك الطويل مختصراً

تَرَكْتَنِي الْيَوْمَ فِي خَجَلَةٍ أَمُوتُ مِرَاراً، وَأُخْبَا مِرَارَا
تركتني خجلان من الناس لإعراضك عني، أموت مراراً وأخبا مراراً مع معاشرتي لهم

أَسَارِقُكَ اللَّحْظَ مُسْتَخِيبَا وَأَزْجُرُ فِي الْخَيْلِ مُهْرِي سِرَارَا
أسترق النظر إليك بخجل، وإذا زجرت أنا مهري (صحت به) وسط الخيل - وكان المتنبي يركب مع سيف الدولة في ميادين حلب - فعلت ذلك سراراً (بالسر)

وَأَعْلَمُ أَنِّي إِذَا مَا اعْتَذَرْتُ إِلَيْكَ، أَرَادَ اعْتِذَارِي اعْتِذَارَا
كفرت (جحدت) مكارمك الباهرة إن كنت أبطأت في مدحك عمداً
كَفَرْتُ مَكَارِمَكَ الْبَاهِرَا تِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنِّي اخْتِيارَا

وَلَكِنْ حَمَى الشُّعْرَ، إِلَّا الْقَلِيلَ لَ، هَمْ حَمَى النَّوْمَ إِلَّا غِرَارَا
ولكن، حمى (منع) الشعر عني، سوى قليل منه، هم منع أيضاً النوم، سوى غراراً (خطفاً)

وَمَا أَنَا أَسَقَمْتُ جِسْمِي بِهِ وَلَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارَا
ولست أنا الذي أسقمتُ جسمي بذلك الهم، ولست أنا الذي أضرم (أوقد) في القلب ناراً

فَلَا تُلْزِمْنِي ذُنُوبَ الزَّمَانِ إِلَيَّ أَسَاءَ، وَإِيَّايَ ضَارَا
فلا تلزمني (لا تجعلني مسؤولاً عن) ذنوب الزمان، فالزمان أساء إلي وضارني (ضرني)

وَعِنْدِي لَكَ الشُّرْدُ السَّائِرَا ث لَا يَخْتَصِصُنَ مِنَ الْأَرْضِ دَارَا
وعندي لك القوافي الشرد (الأشعار السائرة) التي لا تخصص ببلد دون غيره، بل يتناقلها الناس في كل مكان

قَوَافٍ إِذَا سِرْنَ عَنْ مِقْوَلِي وَتَبَنَّ الْجِبَالَ وَخُضْنَ الْبَحَارَا
هذه القوافي (الأشعار) إذا خرجت عن مقولي (لساني) تب فوق الجبال وتخوض البحار

وَلِي فِيكَ مَا لَمْ يَقْلُ قَائِلٌ وَمَا لَمْ يَسِرْ قَمَرٌ حَيْثُ سَارَا
فلو خلق الناس من دهرهم لكانوا الظلام، وكُنْتَ النَّهَارَا

الدهر مقسوم إلى نهار وليل، ولو كان الناس مخلوقين من الدهر لكانوا مخلوقين من الليل، وأنت وحدك من النهار

أَشَدُّهُمْ فِي النَّدَى هِرَّةٌ وَأَبْعَدُهُمْ فِي عَدُوٍّ مُعَارَا

أنت أشدهم في الندى (الكرم) اهتزازاً (تحمساً)، وأكثرهم إيغالاً في الغارة على العدو

سَمَا بِكَ هَمِّيَ فَوْقَ الْهُمُومِ فَلَسْتُ أَعْدُ يَسَاراً يَسَارَا

ارتفع بك همي (طموحي) فوق كل طموح، فما عدت أعتبر اليسار (الغنى) العادي يساراً لكثرة ما أعطيتني

وَمَنْ كُنْتَ بَحْرًا لَهُ يَا عَلِيٌّ - لَمْ يَقْبَلِ الدَّرَّ إِلَّا كِبَارَا

من كنت بحراً له صار طامعاً، ولا يقبل من اللؤلؤ إلا الكبيرة

٨٥ إذا أكرمت الكريم ملكته

قال المتنبي يمدح سيف الدولة، ويهتته بعيد الأضحي سنة اثنتين وأربعين وثلاثمئة،

وأنشده إياها في ميدانه بحلب وهما على فرسيهما: ٤٢/١٩

لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا وَعَادَةُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطُّغْنُ فِي الْعِدَا

ينال كل شخص من زمنه ما تعود عليه، وعادة سيف الدولة الطُّغْنُ هي أن يطعن الأعداء

ذِكْرِي، تَظَنِّيهِ طَلِيعَةً عَيْنِهِ، يَرَى قَلْبُهُ فِي يَوْمِهِ مَا تَرَى غَدَا

سيف الدولة ذكي، وتظنيه (حده) بمثابة الطليعة (كتيبة الاستكشاف) لعينه، وقلبه (عقله) يرى اليوم الأشياء التي سترها عينه غداً. هذا أحسن وصف للفطنة

فَيَا عَجَباً مَنْ دَائِلٍ أَنْتَ سَيْفُهُ أَمَا يَتَوَقَّى شَفَرَتَنِي مَا تَقَلَّدَا

عجيب الدائل (صاحب الدولة/ال خليفة ببغداد) الذي أنت سيف له، أما يتوقى (يحذر) شفرتي (حدي) السيف الذي تقلده (اتخذته)

وَمَنْ يَجْعَلِ الضَّرْغَامَ لِلصَّيْدِ بَازَةً تَصِيدُهُ الضَّرْغَامُ فِيمَا تَصِيدَا

والذي يجعل الأسد بمثابة باز (صقر) يصيد بواسطته صاده الأسد ضمن ما يصيد. وهذه حكمة يعرفها المدراء الضعاف، فهم لا يعينون إلا الموظف الضعيف حتى لا يكشف ضعفهم ولا يطمع في الحلول محلهم، ولذلك نرى الشركات والدوائر الحكومية التي فيها أمثال هؤلاء تتحدر، وقد عرفت بعض هؤلاء وعَيَّيْتُ نفسي بهم

رَأَيْتَكَ مَحْضَ الْحِلْمِ فِي مَحْضِ قُدْرَةٍ وَلَوْ شِئْتَ كَانَ الْحِلْمُ مِنْكَ الْمُهَنْدَا

رأيتك محض الحلم (أي الحلم المحض: التسامح الخالص) مصحوباً باقتدار خالص على الانتقام، ولو أنت شئت لأبدلت بالحلم السيف، لكنك عفوت قادراً

وَمَا قَتَلَ الْأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْبِدَا؟

والعفو يقتل الأحرار (المقصود يزيل كل شر من جانبهم، ويقتل عداوتهم لك)، ولكن من أين لك بِحُرِّ حقيقي يحفظ اليد (النعمة)؟

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

إذا أكرمت الكريم ملكته، وأما اللئيم فإذا أكرمته تمرد عليك. قال المثل: كل شيء زرعته قلعته، إلا ابن آدم تزرعه فيقلعك

وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ، بِالْعُلَى مُضِرٌّ، كَوَضَعَ السَّيْفُ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

ولكن استعمال الندى (كرم الأخلاق) بدل السيف مضر بالعلی (بالمجد)، تماماً كضرر استعمال السيف في المواقف التي يحسن فيها استعمال كرم الأخلاق

وَلَكِنْ، تَفُوقُ النَّاسَ رَأْيَا وَحِكْمَةً كَمَا قُتَّتَهُمْ حَالًا وَنَفْسًا وَمَحْتَدًا

ولكنك يا سيف الدولة تفوق الناس رأياً وحكمة، كما فقتهم في أحوالك وإنجازاتك وفي عظمة نفسك وفي محتلك (أصلك)

يَدِيقُ عَلَى الْأَفْكَارِ مَا أَنْتَ فَاعِلٌ فَيُتْرَكُ مَا يَحْفَى، وَيُؤْخَذُ مَا بَدَا

يدق على الأفكار (يصعب على العقول) ما تفعله، فالناس لا تفهم القصد الخفي منه وترى ما يظهر من فعلك فقط. يقول: لك تدبير دقيق وتخطيط لا يعلم الناس ممتهاً، فيرون الظاهر لهم فقط. ما أكثر الحكام والمدراء والأزواج الذين يخفون مقاصدهم عن الآخرين، لا شيء إلا للحفاظ على سيطرتهم؟ يبرعون في إبقاء الآخرين في الظلام، فيحسب الآخرون أن تصرفات أولئك المتسلطين جاءتهم بوحى

أَزَلَّ حَسَدَ الْحُسَادِ عَنِّي بِكِبَرِهِمْ فَأَنْتَ الَّذِي صَبَرْتَهُمْ لِي حُسَدًا

أزل (أمح) حسد حاسدي بأن تكبتهم (تذلهم)، فسيبك حسدوني

إِذَا شَدَّ زُنْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ فِي يَدِي ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ مُغْمَدًا

إذا قوى ذراعي حسن رأيك في يدي (ثقتك بثبات يدي) فإني سأضرب بسيف يقطع الهام (الرووس) وهو لم يخرج من غمده بعد. يقول: ثقتك بي تقويني

وَمَا أَنَا إِلَّا سَمْهَرِيٌّ حَمَلْتُهُ فَزَيَّنَ مَعْرُوضًا، وَرَاعَ مُسَدَّدًا

وما أنا إلا سمهري (رمح) بيلك أنت، وهو زينة لك وهو معروض يراه الناس، وهو أداة تروعه (تخيفهم) إذا سدده (صوبته). يقول: أنا زينة لمجلسك ساكناً، ومرعب لأعدائك إن قلت الشعر

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُؤَاةٍ قَصَائِدِي إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدًا

ليس الدهر إلا روياء لشعري، فأنا أقول الشعر والدهر ينشده. بعد ألف سنة ونيف نقول له: صدقت. قيل: «ما خلق الله الكون إلا ليأتي بيتهوفن ويؤلف السيمفونية التاسعة»، وقول المتنبي عن شعره يشبه هذا

فَسَارَ بِهِ مَنْ لَا يَسِيرُ مُشْمَرًا وَغَنَى بِهِ مَنْ لَا يُغْنِي مُفَرَّدًا

فسار بشعري مشمرًا (مُجَدَّدًا) من لم يكن يسير، وغنى به من لم يكن يغني. كان المتنبي في الشهرة كنزار قباني في النصف الثاني من القرن العشرين. فقد جعل كثيرين ممن لا يقرأون الشعر يقبلون على الشعر، لجلدة معاني شعره، وللشهرة التي نالها بما حصل عليه من مدح وقُدح (الكلام يصدق على كلا الشاعرين)

أَجِرْنِي إِذَا أُتِّشِدْتَ شِعْرًا، فَإِنَّمَا بِشِعْرِي أَتَاكَ الْمَادِحُونَ، مُرَدَّدًا

أجزني بالجوائز والعطايا إذا أُنشِدْتَ شعراً، فشعرهم مسروق من شعري، وهم يرددون ما كنت قلته أنا من دقيق المعاني

وَدَعْ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي، فَإِنِّي أَنَا الطَّائِرُ الْمُخَكِّئُ، وَالْآخِرُ الصَّدَى

اترك كل صوت سوى صوتي فأنا الطائر الذي يحاكونه (يقلدونه)، والآخرون صدى لصوتي

تَرَكْتُ السَّرَى خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَأَتَعَلْتُ أَقْرَاسِي بِتُعْمَاكَ عَسْجَدًا

تركت السرى (سِر الليل) خلف ظهري لمن كان فقيراً ويريد السفر لمدح الأمراء، ومكثت عندك وجعلت لخبولي نعلًا من العسجد (الذهب) من النعمى (الإحسان) التي نلتها عندك

وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَبْدًا تَقْبِيدًا

وقيدت نفسي في ذراك (حمایتك) ولكن بقيد المحبة، والإحسان خير قيد

٨٦ وأتعب من ناداك من لا تجيبه

قال المتنبي يمدح سيف الدولة بعد دخول رسول الروم عليه: (نسبة ما اخترناه إلى عدد أبيات القصيدة) ٤٣/١٠

دُرُوعٌ لِمَلِكِ الرُّومِ هَذِي الرِّسَائِلُ يَرُدُّ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَيُشَاغِلُ

هذه الرسائل التي يرسلها ملك الروم لك هي دروع يحتمي بها ويشاغلك كسباً للوقت

وَأَنْتَى اهْتَدَى هَذَا الرَّسُولُ بِأَرْضِهِ وَمَا سَكَنْتَ، مُذِ سِرَتْ فِيهَا، الْقَسَاطِلُ

ليت شعري كيف اهتدى رسول ملك الروم ورأى الطريق وهو يسير داخل أرض الروم، فما سكنت (هدأت) منذ سرت في أرضهم غازياً القساطل (سحب الغبار)

وَمِنْ أَيِّ مَاءٍ كَانَ يَسْقِي حَيَاةَهُ وَلَمْ تَصِفْ مِنْ مَرْجِ الدَّمَاءِ الْمَنَاهِلُ

وكيف كان يسقي خيوله وجميع المناهل (عيون الماء) معكراً بالدم، لم تصف بعد لكثرة ما قتلت منهم

أَرَى كُلَّ ذِي مُلْكٍ إِلَيْكَ مَصِيرُهُ كَأَنَّكَ بَحْرٌ، وَالْمُلُوكُ جَدَاوِلُ

كل صاحب ملك مصيره أن يأتي إليك، فأنت كالبحر وهم كجداول الماء التي تصب في البحر

أَذَا الْجُودُ! أَعْطِ النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكٌ وَلَا تُعْطِيتَ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلُ
يا ذا الجود (صاحب الجود) أعط الناس ما تملك من مال، ولكن لا تعطهم شعري الذي يسرقون معانيه
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضُبْنِي شُوْبِعِرٌ ضَعِيفٌ يُقَاوِنِي، قَصِيرٌ يُطَاوِلُ
أأُظِلُّ كُلَّ يَوْمٍ أَرَى تَحْتَ ضُبْنِي (إيطي) شوبيراً ضعيفاً في الشعر يقاويني (يبارزني)، وقصيراً
يطاولني (يباريني في الطول)

لِسَانِي يُنْطَقِي صَامِتٌ عَنْهُ، عَادِلٌ وَقَلْبِي بِصَمْتِي ضَاحِكٌ مِنْهُ هَازِلُ
لساني عندما أنطق يكون في الواقع صامتاً عنه، عادلاً (مبتعداً)، وقلبي إذا صمت ضاحك منه
هازئ به

وَأَتَعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لَا تُجِيبُهُ وَأَغْبِظُ مَنْ عَادَاكَ مَنْ لَا تُشَاكِلُ
وأكثر من يناديك تعباً مَنْ تهمله ولا تجيبه؛ وأكثر الذين يعادونك شعوراً بالغيظ من يكونون على
غير شاكلتك؛ فهم جادون في العداوة، ولكن هم في واد وأنت في واد

وَمَا اللَّيْءُ طِبِّي فِيهِمْ، غَيْرَ أَنَّنِي بَخِيسٌ إِلَيَّ الْجَاهِلُ الْمُتَعَايِلُ
والتيه (التكبر) ليس طبي (طريقي) في معاملتهم، ولكن الجاهل الذي يزعم أنه عاقل بخيس (كريه)
إلى نفسي

وَأُكْبِرُ نِيْهِیْ أَنَّنِي بَكَ وَائِقٌ وَأُكْثِرُ مَالِي أَنَّنِي لَكَ آمِلُ
وأكبر نيهي (افتخاري) ثقتي بك، وأكثر مالي أُملي فيك. تعليق أحمد عبد الرحيم، مع التسويد:
[تأله عالي.. على المذهب العلاني]

٨٧ جواب الصحراء

أحدث بنو كلاب حدثاً بنواحي (بالس) وسار سيف الدولة خلفهم، وأبو الطيب معه،
فأدركهم بعد ليلة بين مائين يعرفان بالبَّارات والخَرَارات فأوقع بهم، ومَلَكَ الحریم
فأبقى عليهم. فقال أبو الطيب بعد رجوعه من هذه الغزوة، وأشدّه إياها في جمادى
الآخرة سنة ثلاثٍ وأربعين وثلاثمئة: ٤٢/١٦

بَغَيْرِكَ رَاعِيَا عِبْتُ الذُّنَابُ وَغَيْرِكَ صَارِمًا ثَلَمَ الضَّرَابُ
الذئاب لا تعبت بك يا راعي الرعية بل بغيرك من الرعاة، وأبها السيف الصارم (القاطع) لا يثلمك
(يفسد حذك) الضراب (الضرب بالسيف) بل يفل سيوفاً أخرى

وَمَا تَرَكُوكَ مَعْصِيَةً، وَلَكِنْ يُعَافُ الْوَرْدُ، وَالْمَوْتُ الشَّرَابُ
وما تركوك وفروا من وجهك عصيائاً لك، ولكن يُعَافُ الورد (ورود الماء) إذا كان ما سيشربه
المرء موتاً

طَلَبْتَهُمْ عَلَى الْأَمْوَاءِ، حَتَّى تَخَوْفَ أَنْ تُفْتَشَهُ السَّحَابُ

لقد لاحقتهم على الأمواه (المياه، يقصد المواقع التي فيها آبار) حتى لقد خاف السحاب أن تفتشه

فَبِتَّ لَيَالِيَا لَا نَوْمَ فِيهَا تَخُبُ بِكَ الْمُسَوِّمَةُ الْعِرَابُ

لقد بتت يا سيف الدولة عدة ليالٍ ساهراً، والمسومة العراب (الخيال الأصيلة المعلّمة بعلامات) تخب (تسرّع) بك في طلبهم

يَهْزُ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبِيهِ كَمَا نَفَضَتْ جَنَاحَيْهَا الْمُقَابُ

العقاب: طير من الجوارح

وَتَسْأَلُ عَنْهُمْ الْفَلَوَاتُ حَتَّى أَجَابَكَ بَعْضُهَا، وَهُمْ الْجَوَابُ

سألت عنهم الفلوات (الصحارى)، ثم أجابتك واحدة منها، فكان بنو كلاب هم الجواب. يقول: بحثت عنهم حتى عثرت عليهم

إِذَا مَا سِرْتُ فِي آثَارِ قَوْمٍ تَخَاذَلَتِ الْجَمَاجِمُ وَالرَّقَابُ

إذا ما لاحقت قوماً فإن رقابهم وجماجمهم تتخاذل (يخون بعضها بعضاً: فتخون الرقبة الجمجمة فنسقط الجمجمة بضربة السيف)

وَكَيْفَ يَنْجُمُ بِأَسْكَ فِي أَنْاسٍ تُصِيبُهُمْ فَيُؤْلِمُكَ الْمُصَابُ؟

ولكن، كيف يتم بأسك (تكتمل شدتك) في ناس تصيبهم فتألم لنكتهم لأنهم عرب مثلك؟

تَرَفَّقُ أَثْبَاهَا الْمَوْلَى عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الرَّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابُ

فأرفق بهم أيها المولى (السيد)، فالرفق بالجاني بمثابة عتاب له

وَأَنَّهُمْ عَبِيدُكَ حَيْثُ كَانُوا إِذَا تَدْعُو لِحَادِثَةٍ أَجَابُوا

وهم عبيدك ويجيبونك إذا دعوتهم لأمر

وَمَا جَهِلْتُ أَيَادِيكَ الْبَوَادِي وَلَكِنْ، رُبَّمَا خَفِيَ الصَّوَابُ

وما أنكرت البوادي أياديك (نعمك)، ولكن ربما كانت مجرد غلظة من أولئك القوم

وَكَمْ ذَنْبٍ مُؤَلَّدُهُ دَلَالٌ وَكَمْ بُعْدٍ مُؤَلَّدُهُ اقْتِرَابُ

وكثيراً ما يكون سبب الذنب الدلال (الإحساس بعلو المنزلة لدى الشخص والتدلل عليه)

وكثيراً ما يكون سبب البعد شدة الاقتراب. تعليق أحمد عبد الرحيم: [يقول بعض كبار

الصوفية: التصوّن حال البسط أصعب منه حال القبض! ولا يثبت على البسط إلا موقفاً]

وَجُزْمَ جَرَّةٍ سُفْهَاءُ قَوْمٍ وَحَلَّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ

وربّ جرم كان السبب فيه سفهاء القوم، ولكن العقاب حل بغير من ارتكب الجرم

رَمَيْتَهُمْ بِبَحْرِ مِنْ حَدِيدٍ لَهُ فِي الْبَرِّ خَلْفَهُمْ عُبابٌ
لقد رميتهم ببحر من حديد (جيشك المدجج)، ولهذا البحر عباب (هدير الموج) ولكن في البر
فَمَسَّاهُمْ وَبُسْطُهُمْ حَرِيرٌ وَصَبَّحَهُمْ وَبُسْطُهُمْ تُرَابٌ
لقد مساهم سيف الدولة (جاءهم مساء) وبسطهم التي فرشوها في خيامهم من الحرير، وطلع عليهم
الصبح وبسطهم من التراب بعد سلب أموالهم
وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابٌ
وصار من في كفه قناة (رمح) مثل الذي في كفه خضاب (حناء)، أي صار رجالهم كنسائهم فهم لا
يحابيون ولا جدوى من سلاحهم أمام جيشك القاهر

٨٨ على قدر أهل العزم

قال المتنبي يمدح سيف الدولة، ويذكر بناء حصن الحدث سنة ثلاث وأربعين
وثلاثمائة: ٤٦/٣٨

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي، عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ، الْمَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ
الصغير الهمة يرى الأمور الصغيرة عظيمة، والعظيم يستصغر الأمور العظيمة

يُكَلِّفُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَمَّهُ وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْجُيُوشُ الْخَضَارِمُ
يكلف سيف الدولة الجيش مشقة بقدر همه (طموحه)، وقد عجزت عن تحقيق هذا الطموح
الجيوش الخضارم (الكبيرة)

وَيَطْلُبُ عِنْدَ النَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ وَذَلِكَ مَا لَا تَدْعِيهِ الضَّرَاعِمُ
ويطالب الناس بأن يكونوا مثله في العزم والشجاعة، وهذا شيء لا تدعيه لنفسها حتى الضراغم
(الأسود)

يُقَدِّدِي أَنْتُمْ الطَّيْرَ عُمْرًا سِلَاحَهُ نُسُورُ الْفَلَاحِ أَحْدَاثُهَا وَالْقَشَاعِمُ
يقول أنتم الطير عمرًا (النسور، وهي طويلة الأعمار): نفدي سلاحك يا سيف الدولة؛ تقول ذلك
أحداثها (صغارها)، والقشاعم (النسور المسنة)

وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِغَيْرِ مَخَالِبٍ وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُهُ وَالْقَوَائِمُ
ولو كانت النسور قد خلقت بلا مخالب لما ضرها ذلك، فقد خلق الله أسيافه هذه
الأمير وقوائمه (مقابضها). فسيف الدولة يقتل الأعداء والنسور تقتات بجثثهم فهي له
شاكرة. علق أبو العلاء بقوله: (القوائم) فضلة لا فائدة فيها إلا إتمام القافية

هَلِ الْحَدَثُ الْحَمْرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا وَتَعْلَمُ أَيُّ السَّاقِيَيْنِ الْقَمَائِمُ

هل قلعة الحدث (ببلاد الروم) الحمراء (من الدم) تميز لونها؟ وهل تعلم أي المصدرين اللذين سقياها هو السحاب: هل سقتها السحب أم سيوف العرب؟

سَقَتْهَا الْقَمَامُ الْغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَتْهَا الْجَمَاجِمُ

لقد سقتها السحب الغر (البيض) قبل مجيء سيف الدولة، فلما اقترب منها سقتها جماجم الروم بالدم

بَنَاهَا فَأَعْلَى، وَالْقَنَا يَقْرَعُ الْقَنَا وَمَوْجُ الْمَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلَاظِمُ

بنى سيف الدولة القلعة وجعل أسوارها عالية في الوقت الذي كانت فيه أمواج المنايا (الموت) تتلاطم حولها

وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ، فَأَضْبَحَتْ وَمِنْ جُثِّ الْقَتْلَى عَلَيْهَا تَمَائِمُ

كان بالقلعة حال أشبه بحال الجنون إذ هدمت، ثم أصبحت جثث القتلى بالنسبة لها كالتمايم (التعويذات التي تعلق بصدر المجنون ليشفي) فهذأت

طَرِيدَةٌ دَهْرٍ، سَاقَهَا فَרَدَدَتْهَا عَلَى الدِّينِ بِالْخَطِي، وَالذَّهْرُ رَاغِمُ

هذه القلعة هاربة من الزمن الذي يطاردها، وقد ساقها الزمن للروم فرددتها أنت إلى حظيرة الدين بالخطي (الرماح) رغم أنف هذا الزمن

تُفِيْتُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذْتُهُ وَهَنَّ لِمَا يَأْخُذَنَّ مِنْكَ غَوَارِمُ

أنت تفيت (تحرم) الليالي كل شيء أخذته منها، والزمن إذا أخذ منك شيئاً فهو له غارم (مدين) وعليه أن يرجعه إليك

إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فِعْلاً مُضَارِعاً مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ

إذا كان ما تنوي فعله بصيغة الفعل المضارع (مثل ينتصر) مضى (أصبح فعلاً ماضياً مثل: انتصر) قبل أن يأتي قبله حرف جزم (مثل: لم ينتصر). يقول: أنت تحول الفعل المضارع إلى فعل ماضٍ بتحقيقك إياه، ولا تسمح له بالتحول إلى النفي وعدم التحقق. هكذا كان يتنطع مثقفو ذلك الزمن

وَكَيْفَ تُرْجِي الرُّومَ وَالرُّوسُ هَذَمَهَا وَذَا الطَّعْنُ أَسَاسُ لَهَا، وَدَعَائِمُ

وكيف للروم والروس أن يأملاوا هدم قلعة الحدث وآساسها (أسسها) ودعائمها من الطعن والحرب

أَتَوْكَ يَجْرُونَ الْحَدِيدَ، كَأَنَّمَا سَرَوْا بِحِيَادٍ مَا لَهُنَّ قَوَائِمُ

لقد جاءوك وهم يجرون الحديد، وخیولهم عليها حمايات من دروع الخيل التي تجلل جسم الحصان، فكانهم سرّوا (مشوا) بخیول ليست لها قوائم

خَمِيسٌ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْقَرْبِ رَحْفُهُ وَفِي أَذُنِ الْجَوَازِ مِنْهُ زَمَازِمُ
هذا خميس (جيش) يزحف على مساحة واسعة تمتد بين المشرق والمغرب، وتصل أصوات زمازمه
(صخبه غير المفهوم) إلى أذن نجوم الجوزاء

تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسَنِ وَأَمَةٍ فَمَا يُفْهِمُ الْحُدَاثَ إِلَّا التَّرَاجِمُ
لقد اجتمع في جيشهم كل لسن (لغة) وكل أمة، فما يتفاهم جنوده المتحدثون إلا بواسطة التراجم
(المرجمين)

تَقَطَّعَ مَا لَا يَقْطَعُ الدَّرْعَ، وَالْقَنَا، وَفَرٌّ مِنَ الْفُرْسَانِ مَنْ لَا يُصَادِمُ
كل سيف لا يستطيع قطع الدرع تكسّر، والقنا (الرماح) كلها تكسرت، وفر كل فارس لا يصادم
وَقَفْتُ، وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفٍ كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى، وَهُوَ نَائِمٌ
وقفت وسط الخطر فكأنك في داخل جفن الموت، ولكن الموت كان نائماً عنك

تَمَرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كُلَّمَى هَزِيمَةٍ وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ، وَتُغْرَكَ بِأَسْمِ
تمر بك الأبطال كلّمى (جرحي) هزيمة (مهزومة)، ووجهك وضاح (مشرق) وتغرك
(فمك) باسم. صاغ أصحاب القصص من النقاد الذين يعانون من الفراغ في القديم قصة
نقدية طويلة حول البيتين السابقين، وهي مصنوعة باردة حميناكها، اقرأ هذا الشعر العظيم
وتمتع به، فإن طلبت قصة ترويحاً في مجلس - وتلك القصص ما كانوا يضعونها إلا للتفكه
في المجالس، عارفين، قائلأ وسامعأ، أنها محض اختلاق - فعليك الشيخ غوغل فاقصده

تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّهْيِ إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ: أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمٌ
تجاوزت كل حدود الشجاعة والنهي (التعقل) حتى لقد قال بعضهم إنك تعلم الغيب، وتعرف أنك
ستبلغ السلامة ولهذا فقد وقفت بكل رباطة الجأش تلك

ضَمَمْتَ جَنَاحَيْهِمْ عَلَى الْقَلْبِ ضَمَّةً تَمُوتُ الْخَوَافِي تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ
لقد ضممت جناحي جيشهم على قلبه (وأقسام الجيش خمسة: جناحان وقلب ومقدمة
ومؤخرة، ولذا سمي خميساً) وهذه الضمة تموت تحتها الخوافي (الريش المخفي)
والقوادم (الريش البارز في جناح الطائر)

بِضْرَبٍ أَتَى الْهَامَاتِ وَالنَّصْرُ غَائِبٌ وَصَارَ إِلَى اللَّبَّاتِ وَالنَّصْرُ قَادِمٌ
ضممت الجناحين بضرب بالسيوف على الهامات (الرؤوس) والنصر مشكوك فيه، وما وصل
الضرب إلى اللبات (الرقاب) حتى كان النصر قادماً مؤكداً

حَقَرْتُ الرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحْتَهَا وَحَتَّى كَأَنَّ السَّيْفَ لِلرُّمَحِ شَاتِمٌ
احتقرت الردينيات (الرماح) حتى رميتها جانباً، وحتى كأن السيف يشتم الرمح ويعيره
بالجبن. فالسيف سلاح المقاتل الجريء، لأن المقاتل باستعماله يكون قريباً من
الخصم، والرمح يطعن من بعيد وصاحبه في أمان نسي

وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَلِئَما مَفَاتِيحُهُ الْبَيْضُ الْخِفَافُ الصَّوَارِمُ

مفاتيح الفتح الكبير البيض (السيف) الخفيفة الصوارم (القاطعة)

نَثَرْتَهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَدِ كُلِّهِ كَمَا نُثِرَتْ فَوْقَ الْعُرُوسِ الدَّرَاهِمُ

نثرت جنودهم فوق الأحيدي (اسم الجبل الذي فوقه القلعة) كما نثرت فوق العروس (الرجل عروس والمرأة عروس) الدراهم (نسميها في فلسطين النقوط)

تَدُوسُ بِكَ الْخَيْلُ الْوُكُورَ عَلَى الذَّرَا وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمُ

تدوس خيلك، وأنت فوقها، وكور (أعشاش) الطيور على الذرا (القمم)، وقد كثرت حول الأعشاش المطاعم (الجثث التي ستصبح طعاماً للنسور)

تَظُنُّ فِرَاحُ الْفُتُخِ أَنَّكَ زُرْتَهَا بِأَمَانِهَا؛ وَهِيَ الْعِتَاقُ الصَّلَاحُ

فراخ الفتخ (الجوارح) تظن أنك زرتها ومعك أمانها (أمانات ما لا يعقل)، وما هذه الأمانات إلا العتاق (الخيال الأصلية) الصلاح (الصلابة)

إِذَا زَلَقْتُ مَشْيَتَهَا بِبُطُونِهَا كَمَا تَتَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقِمُ

إذا انزلت حوافر الخيل جعلتها تمشي فوق الجبل على بطونها كما تمشي على الصعيد (التراب) الأراقم (الحيات)

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدُّمُسْتَقْ مُقَدِّمٌ قَفَّاهُ عَلَى الْإِفْدَامِ لِلْوُجْهِ لَايِمُ

أفي كل يوم هذا اللدمستق (قائد الروم) مقدماً (هاجماً) وقفاه يلوم وجهه على الهجوم، لأنه سيهرب عما قليل ويتلقى الطعن في قفاه

أَيُنَكِّرُ رِيحَ اللَّيْثِ حَتَّى يَذُوقَهُ وَقَدْ عَرَفَتْ رِيحَ اللَّيْثِ الْبَهَائِمُ

أهو يغالط نفسه فيجهل ريح (رائحة) الأسد حتى يذوق أنابه، مع أن البهائم نفسها تشم رائحة الأسد وتهرب قبل لقائه

وَقَدْ فَجَعَتْهُ بِابْنِهِ وَابْنِ صَهْرِهِ وَبِالصُّهْرِ، حَمَلَاتُ الْأَمِيرِ الْغَوَاشِمُ

وقد فجعته (نكبته) في ابنه وفي ابن صهره وفي صهره حملات الأمير الغاشمة (العشوائية التي لا تبالي بمن قتلت)

مَضَى يَشْكُرُ الْأَصْحَابَ فِي قُوَّةِ الظُّبَى لِمَا شَعَلَتْهَا هَامُهُمْ وَالْمَعَاصِمُ

صار اللدمستق يشكر أصحابه الجرحى لقوته (تجنبه) الظبي (نصال السيف)، وذلك لأن هامهم (رؤوسهم) ومعاصمهم شغلت السيف عنه

وَيَفْهَمُ صَوْتَ الْمَشْرِفِيَّةِ فِيهِمْ عَلَى أَنَّ أَصْوَاتَ السُّيُوفِ أَعَاجِمُ

وفهم صوت المشرفية (السيف) وهي تتخن في أصحابه فيهرب وينجو، مع أن أصوات السيف أعاجم (غير فصيحة)

يُسْرُ بِمَا أَعْطَاكَ، لَا عَنْ جَهَالَةٍ وَلَكِنْ مَغْنُومًا نَجَا مِنْكَ غَانِمٌ
وهو مسرور بما أعطاك من جماجم صحبه ليس لأنه جاهل، ولكن المغنوم (المغلوب) الذي نجا
منك غانم (فائز)

وَلَسْتُ مَلِيكًا هَازِمًا لِنَظِيرِهِ وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ لِلشَّرِكِ هَازِمٌ
ولست مجرد ملك هزم نظيراً له، بل أنت التوحيد يهزم الشرك

لَكَ الْحَمْدُ فِي الدَّرِّ الَّذِي لِي لَفْظُهُ فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ، وَإِنِّي نَاطِمٌ
الحمد الذي ورد في هذه الدرر التي أنظّمها هو من نصيبك، فأنت تعطيني المعاني وأنا فقط
أنظّمها

وَإِنِّي لَتَعْدُو بِي عَطَايَاكَ فِي الْوَعَى فَلَا أَنَا مَذْمُومٌ، وَلَا أَنْتَ نَادِمٌ
وتعطيني أيضاً الخيل التي تركض بي في الوعى (الحرب)، وأنا في أخذ عطايك غير مذموم لأنني
أحارب بها أعداءك، وأنت لا تندم لأنني أستحقها

٨٩ شر الحمامين

قال المتنبي، وقد ورد فرسان الثغور ومعهم رسول ملك الروم يطلب الهدنة من سيف
الدولة، وأنشده إياها بحضرتهم وقت دخولهم لثلاث عشرة بقين من محرم افتتاح سنة
أربع وأربعين وثلاثمائة: ٣١/٦

تَنَامُ لَدَيْكَ الرُّسُلُ أَمْنًا وَغِبْطَةً وَأَجْفَانُ رَبِّ الرُّسُلِ لَيْسَ تَنَامُ
الرسول الذين يحملون رسالة ملك الروم ينامون في حلب عندك بأمان وسرور، ولكن أجفان (عيون)
رب الرسل (صاحب الرسل) لا تنام خوفاً منك

جِدَارًا لِمُعْرَوْرِي الْجِيَادِ فُجَاءَةً إِلَى الطَّغْنِ قُبْلًا، مَا لَهُنَّ لِجَامٌ
ملك الروم يحذر سيف الدولة معروري الجياد (راكب الخيول عارية بلا سروج)، يركبها فُجَاءَةً
ذاهباً بها للطعن وهي مقبلة على هدفها بدون تَجُم لسرعة الإعداد للهجوم

تَعَطَّفُ فِيهِ، وَالْأَعْنَةُ شَعْرُهَا وَتُضْرَبُ فِيهِ، وَالسِّيَاطُ كَلَامٌ
تعطف الخيل وتثنى في الطعن وليس للفارس من عنان (الجام) يمسكها به سوى شعر رقبتها، ولا
يضر بها الفارس أثناء الطعن إلا بسياط من كلام، لأنها أصيلة ومتعودة على الحرب

وَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلُ الْكِرَامَ، وَلَا الْقَنَا إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامٌ
الخيول الكرام: الكريمة الأصلية، القنا: الرماح

وَشَرُّ الْحَمَامَيْنِ الرَّؤَامَيْنِ عَيْشَةً يَذِلُّ الَّذِي يَخْتَارُهَا وَيُضَامُّ

لو افترضنا وجود حمامين (موتين) زؤامين (سريعين) فشرهما العيشة التي يذل من يختارها ويضام (يظلم). يقول: إن خيرت بين موت حقيقي، وموت آخر هو العيش بذلة، فالحياة بذلة هي الموت الأصعب

وَرُبَّ جَوَابٍ عَنْ كِتَابٍ بَعَثَتْهُ وَعُنْوَانُهُ لِلنَّاظِرِينَ قَتَامٌ

ورب جواب أرسلته على خطاب جاءك، ولكن جوابك عنوانه قتام (غبار). يقول: أنت ترد على مراسلات الأعداء بشن غارة عليهم، فيكون غبار خيلك هو عنوان جوابك

٩٠ صحبة

قال المتنبي يمدح سيف الدولة، ويذكر قصة حرب جرت: ٤٧/٦

تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعُذْبِ وَبَارِقٍ مَجَرَّ عَوَالِينَا، وَمَجَرَى السَّوَابِقِ

تذكرت المكان بين العذيب وبارق (وهما مكانان)، وهناك كان مجر عواليا (حيث كنا نجر رماحنا) ومجرى السوابق (حيث كانت تجري خيولنا السريعة)

وَصُحْبَةَ قَوْمٍ يَذْبَحُونَ قَنِيصَهُمْ بِفَضْلَةٍ مَا قَدْ كَسَرُوا فِي الْمَفَارِقِ

وتذكرت صحبة قوم كانوا يذبحون قنيصهم (صيدهم) بفضلة (ببقية) السيوف التي كسروها في مفارق (رؤوس) الأعداء

وَأَغْيَدُ يَهْوَى نَفْسَهُ كُلُّ عَاقِلٍ عَفِيفٍ، وَيَهْوَى جِسْمَهُ كُلُّ قَاسِقٍ

وهذا شاب أغيد (ناعم) يهوى روحه كل رجل عاقل عفيف، ويهوى جسمه الرجل الفاسق

وَمَا الْحُسْنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرَفًا لَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْخَلَاتِقِ

والجمال في وجه الفتى ليس شرفاً له، بل الشرف الفعل. والخلايق (الطبايع)

وَمَا بَلَدُ الْإِنْسَانِ غَيْرُ الْمُوَافِقِ وَلَا أَهْلُهُ الْأَذْنَوْنَ غَيْرُ الْأَصَادِقِ

بلدك هو البلد الذي يوافقك، وأهلك الأذنون (الأقربون) هم الصادقون في ودهم

وَجَائِزَةُ دَعْوَى الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَى وَإِنْ كَانَ لَا يَخْفَى كَلَامُ الْمُنَافِقِ

وجائزة (ممكنة) دعوى (ادعاء) المحبة والهوى، ولكن كلام المنافق لا يخفى

٩١ الموت اضطراب

قال المتنبي يمدح سيف الدولة، وقد أوقع بقبائل ثارت عليه، ولم يكن المتنبي حضر

الواقعة فشرحها له سيف الدولة: ٦٦/٩

تُرِيْقُ سَيُوفُهُ مُهَجَ الْأَعَادِي وَكُلُّ دَمٍ أَرَأَقْتُهُ جُبَارٌ

تريق سيوف سيف الدولة الحمداني مهج (أرواح) الأعداء، وكل دم تريقه جبار (يذهب هدراً/ لا تار له)

إِذَا فَاتُوا الرِّمَاحَ تَنَاولَتْهُمْ، بِأَرْمَاحٍ مِنَ الْعَطَشِ، الْقِفَارُ

إذا فاتوا (فروا من) الرماح تناولتهم القفار (الصحارى) برماح أخرى هي العطش

يَرَوْنَ الْمَوْتَ قُدَّاماً وَخَلْفاً فَيَخْتَارُونَ، وَالْمَوْتُ اضْطِرَارٌ

يرون الموت أمامهم وخلفهم، فيختارون إحدى الميتين

إِذَا سَلَكَ السَّمَاءَ غَيْرُ هَادٍ فَقَتَلَهُمْ لِعَيْنَيْهِ مَنَارٌ

فإذا مشى في صحراء السماء رجل وضل طريقه فهو يهتدي بقتلاهم التي تكون بمثابة منار له

وَأَجْفَلَ بِالْفُرَاتِ بَنُو نُمَيْرٍ وَزَارُهُمُ الَّذِي زَارُوا خَوَارٌ

أجفل (ذعر وفر) بمنطقة الفرات بنو نمير، وكل الزئير الذي زاروا تبين أنه كان خواراً (صوت الثور)

فَلَمْ يَسْرَحْ لَهُمْ فِي الصُّبْحِ مَالٌ وَلَمْ تُوقَدْ لَهُمْ بِاللَّيْلِ نَارٌ

فلم تسرح ماشيتهم في الصباح، ولا أوقدوا نارهم ليلاً على عاداتهم، إمعاناً في إخفاء مكانهم..

حِذَارٌ فَتَى إِذَا لَمْ يَرْضَ عَنْهُمْ فَلَيْسَ بِنَافِعٍ لَهُمُ الْحِذَارُ

وذلك حذراً من أن يكشف مكانهم فتى (سيف الدولة) إذا لم يرض عنهم فلن يفهم الحذر

تَبِيتُ وَفُودُهُمْ تَسْرِي إِلَيْهِ وَجَدَّوْهُ السِّي سَأَلُوا اغْتِفَارٌ

يبعثون الوفود إليه، وكل ما يطلبون أن يغفر ذنبهم

وَمَا فِي سَطْوَةِ الْأَرْبَابِ عَيْبٌ وَلَا فِي ذَلَّةِ الْعُتْدَانِ عَارٌ

ولا عيب في أن يسطو الأرباب (السادة)، ولا عار على العبيد في أن يكونوا أذلاء، فهذا هو

المتوقع

٩٢ آلة العيش صحة وشباب

قال المتنبي يرثي أخت سيف الدولة الصغرى ويسلبه بقاء الكبرى، وأنشده إياها يوم

الأربعاء، النصف من شهر رمضان سنة أربع وأربعين وثلاثمائة: ٤٢/١٠

إِنْ يَكُنْ صَبْرُ ذِي الرِّزْيَةِ فَضْلاً تَكُنِ الْأَفْضَلَ الْأَعَزَّ الْأَجْلاً

إن يكن الصبر على هذه الرزية (المصيبة) فضلاً فأنت الأفضل الأعز الأجل لقوة صبرك

أَنْتَ، يَا فَوْقَ أَنْ تُعَزَّى عَنِ الْآخِرِ جَابٍ، فَوْقَ الَّذِي يُعَزِّيكَ عَقْلاً

يا من أنت فوق التعزية عن الآخرك، أنت أكبر عقلاً من الذين يغزونك

وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنَ النَّاسِ كُفْئاً ذَاتُ خِلْدٍ أَرَادَتْ الْمَوْتَ بَعْلاً

وإذا لم تجد من الناس كُفْئاً (صاحبة الستر: المرأة) إذا لم تجد كُفْئاً يتزوجها رضيت بالموت بعلاً لها

وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ أَنْفَسُ فِي النَّفْسِ سِ، وَأَشْهَى مِنْ أَنْ يُمَلَّ، وَأَخْلَى
يستدرك الشاعر ويراجع نفسه فيقول: لكن لذيق الحياة (الحياة السهلة) أذ في النفس من أن يملها
المرء

وَإِذَا الشَّبِيعُ قَالَ: أَفْ! فَمَا مَلَّ - حَيَاةً، وَإِنَّمَا الضَّعْفُ مَلًّا

والشيخ المعجوز عندما يقول أف فليس معنى ذلك أنه مل الحياة، وإنما مل الضعف

آلَةُ الْعَيْشِ صِحَّةٌ وَشَبَابٌ فَلِذَا وَلَبَا عَنِ الْمَرْءِ وَلَى

آلة العيش (عُدَّة الحياة) الصحة والشباب، فإذا ذهباً عن الإنسان ذهب

أَبَدًا تَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُ الدُّنَى يَا، فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُخْلًا

دائماً وأبدًا تسترد الدنيا ما تهب (تمنع)، فيا ليت كرمها كان بخلاً، ولم تمنحنا الحياة أصلاً

وَهِيَ مَعْشُوقَةٌ، عَلَى الْغَدْرِ، لَا تَخْ فَظُّ عَهْدًا، وَلَا تُنَمِّمُ وَضَلًا

والدنيا معشوقة، رغم غدرها، ولا يكتمل وصالها فهي تقطعه بالموت

كُلُّ دَمْعٍ يَسِيلُ مِنْهَا عَلَيْهَا، وَبِفُكِّ الْبَيْدَيْنِ عَنْهَا تُخَلَّى

كل بكاؤنا منها (من شرور الدنيا) هو بكاء عليها (حزن لفراقها المقبل)، والمرء
متشبث بها فلا يخليها من بين يديه إلا بأن تُفَكَّ يدها بالقوة عنها. يقول: المرء يفقد
حياته غصباً عنه، ويتمسك بها لآخر رَمَقٍ

شَيْمُ الْغَانِيَاتِ فِيهَا، فَمَا أَذْ رِي لِيذَا أَنْتَ اسْمَهَا النَّاسُ، أَمْ لَا

الدنيا لها شيم (طباع) الغانيات (الحسان)، وما أدري ألهذا جعلوا اسمها مؤنثاً؟

٩٣ شريعة الغاب

قال المتنبي يمدح سيف الدولة، ويذكر نهوضه إلى ثغر الحدث لما بلغه أن الروم

أحاطت به، وذلك في جمادى سنة أربع وأربعين وثلاثمئة: ٤٥/١٨

ذِي الْمَعَالِي، فَلْيَبْعُلُونْ مَنْ تَعَالَى هَكَذَا هَكَذَا، وَإِلَّا فَلَا لَا

هذه هي المعالي فليعل من شاء أن يعلو؛ هكذا يكون العلو، وإلا فليس علواً

شَرَفٌ يَنْطُحُ النُّجُومَ بِرُوقَيْهِ هِ، وَعِزٌّ يُقَلِّقُ الْأَجْبَالَ

هذا هو الشرف الذي ينطح النجوم بروقيه (بقريته)، وهذا هو العز الذي يزعزع الجبال

حَالُ أَعْدَائِنَا عَظِيمٌ، وَسَيْفُ الدَّ - وَلِةُ ابْنِ السُّيُوفِ أَعْظَمُ حَالًا

حال أعدائنا عظيم، ولكن سيف الدولة أعظم منهم حالاً

كَلَّمَا أَعَجَلُوا التَّنْذِيرَ مَسِيرًا أَعَجَلْنَهُمْ جِيَادُهُ الْإِعْجَالَا
كلما أَعْجَلُوا (سَبَقُوا) نَذِيرَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ (طَلِيعَةَ الْاِسْتِكْشَافِ لَدَيْهِ) وَهَجَمُوا قَبْلَ أَنْ يَوْصِلَ الْخَبْرُ،
سَبَقَتْ خَيُولُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ سَبَقَهُمْ فَرَكَضَتْ إِلَيْهِمْ وَلَا تَقْتُمُ

فَأَتَتْهُمْ خَوَارِقُ الْأَرْضِ، مَا تَحُ جِلُّ إِلَّا الْحَدِيدَ وَالْأَبْطَالَا
فَأَتَتْهُمْ خَيُولُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ خَارِقَةُ الْأَرْضِ (قَاطِعَةُ الْبِلَادِ) وَعَلَيْهَا الْأَبْطَالُ الْمُدْجِبِينَ بِالْحَدِيدِ
(السَّالِحِ)

خَافِيَاتِ الْأَلْوَانِ، قَدْ نَسَجَ النَّفْ عُ عَلَيْهَا بَرَاقِعًا وَجَلَالَا
وَالْوَانُ الْخَيْلُ خَافِيَةٌ (غَيْرُ وَاضِحَةٍ) فَقَدْ نَسَجَ النَّعَمَ (الْغُبَارَ) عَلَيْهَا الْبَرَاقِعَ (الْأَلْفَنَةَ) وَالْجَلَالَ
(الْأَعْطِيَةَ)

لَا أَلُومُ ابْنِ لَاوْنٍ، مَلِكِ الرُّومِ م، وَإِنْ كَانَ مَا تَمَنَّى مُحَالَا
لَا أَلُومُ مَلِكِ الرُّومِ ابْنِ لَاوْنٍ عَلَى أَمْنِيَّتِهِ بِأَنْ يَهْدُمَ الْقَلْعَةَ، وَإِنْ كَانَتْ أَمْنِيَّةٌ مُسْتَحِيلَةٌ

أَقْلَقْنَهُ بَنِيَّةً بَيْنَ أَذْنَيْ ه، وَبَانَ بَغَى السَّمَاءِ فَنَالَا
أَزْعَجَتْهُ بَنِيَّةٌ (بَنَاءٌ)، وَالْبَنَاءُ كَأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى رَأْسِهِ بَيْنَ أُذُنَيْهِ، وَأَزْعَجَهُ بِأَنْ أَرَادَ أَنْ يَنَالَ السَّمَاءَ فَعَمِلَ

كَلَّمَا رَامَ حَطَّهَا اتَّسَعَ الْبَنُ ي، فَغَطَّى جَبِينَهُ وَالْقَذَالَا
كَلَّمَا رَامَ (أَرَادَ) مَلِكُ الرُّومِ حَطَّهَا (هَدَمَهَا) اتَّسَعَ الْبَنَاءُ فَغَطَّى جَبِينَهُ وَقَذَالَهُ (قَفَاهُ)

أَخَذُوا الطَّرْقَ يَقْطَعُونَ بِهَا الرُّسْ ل، فَكَانَ انْقِطَاعُهَا إِرْسَالَا
اسْتَوْلُوا عَلَى الطَّرْقِ فَانْقَطَعَ قُدُومُ الرُّسْلِ إِلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ، فَعَرَفَ مِنْ انْقِطَاعِهِمْ أَنَّ الرُّومَ فَعَمِلُوا
ذَلِكَ؛ فَكَانَ انْقِطَاعُ الرُّسْلِ كَانَ بِمِثَابَةِ الْإِرْسَالِ لِلْأَخْبَارِ

مَا مَضَوْا لَمْ يُقَاتِلُوكَ، وَلَكِنَّ - الْقِتَالَ الَّذِي كَفَاكَ الْقِتَالَا
لَمْ يَمْضِ الرُّومُ وَيَنْسَحِبُوا بَدُونَ أَنْ يُقَاتِلُوكَ هَكَذَا بَيَسَاطَةً؛ وَلَكِنْ قَاتَلَ السَّابِقَ لَهُمْ عِلْمُهُمْ دَرَسًا
فَانْسَحَبُوا وَكُفُّوا الْقِتَالَ هَذِهِ الْمَرَّةَ

يَنْفُضُ الرُّوعُ أَيْدِيًا لَيْسَ تَذْرِي: أَسْيُوفًا حَمَلْنَ، أَمْ أَغْلَالَا
يَنْفُضُ الرُّوعُ (الْخَوْفُ) أَيْدِيَهُمُ الَّتِي لَا تَعُودُ تَعْرِفُ لَشِدَّةَ الذَّعْرِ أَمْيَ تَحْمِلُ سَيْوْفًا أَمْ أَغْلَالًا (قِيودًا)
تَشَلُّ حَرَكَتَهَا

وَوُجُوهَا أَخَافَهَا مِنْكَ وَجْهٌ تَرَكَّتْ حُسْنَهَا لَهُ وَالْجَمَالَا
وَوُجُوهُهُمْ أَخَافَهَا وَجْهَكَ، وَزَالَ عَنْهَا كُلُّ جَمَالٍ لِبَشَاعَةِ الْخَوْفِ، وَالْجَمَالُ كُلُّهُ حُلُّ بَوَاجِهِكَ أَنْتَ

وَالْعِيَانُ الْجَلِيُّ يُحَدِّثُ لِلظَّنِّ - زَوَالًا، وَلِلْمُرَادِ انْتِقَالَ

والعيان الجلي (الرؤية الواضحة) يزيل الظن، ويسبب انتقال (تحول) المراد (المقصد). يقول:
عندما رأوا بأسك عيانًا زالت ظنونهم بنصر سهل، وتحول مقصدهم إلى الانسحاب

وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانَ بِأَرْضٍ طَلَبَ الطَّعْنَ وَحَدَّهُ وَالنُّزَالَ

والجبان عندما يكون وحده يتخيل المواجهة سهلة، ويطلب الطعن والنزال (المبارزة)

إِنَّمَا أَنْفُسُ الْأَنْبِيَاءِ سِبَاعٌ يَتَفَارَسْنَ جَهْرَةً وَاجْتِبَالًا

نفوس الأنبياء (البشر) مثل السباع (الوحوش المفترسة)، وهي تتفارس (يفترس بعضها بعضاً) جهرة
(علانية) واجتبالاً (غدرًا)

مَنْ أَطَاعَ النَّعَاسَ شَيْءٌ غَلَابًا وَاجْتِصَابًا، لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُؤَالًا

ومن أطاع (استطاع) النعاس (طلب) شيء غلاباً (بالقوة) والاعتصاب لم يطلبه بالتراضي

كُلُّ غَادٍ لِحَاجَةٍ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ الْغَضَنُفَرُ الرَّثْبَالَا

كل غادٍ (ذاهب) لتحقيق حاجة يتمنى أن يكون الغضنفر الرثبال (الأسد)

٩٤ الإبصار بالأذان

قال المتنبي يمدح سيف الدولة وأنشده إياها بآمد، وكان منصرفاً من بلاد الروم. وذلك
في شهر صفر سنة خمس وأربعين وثلاثمئة: ٤٩/١٢

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ، وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي

الرأي (الفهم العميق) مهم قبل الشجاعة

فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حَرَّةٍ بَلَعَتْ مِنَ الْعَلْبَاءِ كُلَّ مَكَانٍ

ولربما طعن الفتى أقرانه بالرأي، قبل تطاعن الأقران

ربما تغلب المرء على أقرانه (أنداده) قبل أن يصل الأمر إلى الاحتكام للقوة

لَوْلَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَذْنَى ضَيْعَمٍ أَذْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ

لولا العقول التي يتحلى بها البشر لكان أدنى (أقل) ضيغم (أسد) أدنى (أقرب) للشرف من
الإنسان، فالإنسان أفضل من الأسد بعقله لا بشيء آخر

قَادَ الْحَيَادَ إِلَى الطَّعَانِ، وَلَمْ يَقْدُ إِلَّا إِلَى الْعَادَاتِ وَالْأَوْطَانِ

قاد سيف الدولة الخيل إلى الطعان (الحرب)، وما قادها إلا إلى ما تعودته، حتى لكان الحرب
وطن لها

فِي جَحْفَلٍ سَتَرَ الْعُيُونُ غُبَارُهُ فَكَأَنَّمَا يُبْصِرُونَ بِالْأَذَانِ

الخيـل موجودة ضمن جـفـل (جيش) غـبـاره سـتر عـيـونها، فكأن الخيل تبصر بأذانها، وتتحرك داخل الجيش بحسب ما تسمع من ضجيجـه

حَتَّى عَبَرْنَ بِأَرْسَنَاسٍ سَوَابِحًا يَنْشُرْنَ فِيهِ عَمَائِمَ الْفُرْسَانِ

حتى عبرت الخيل نهر أرسناس سباحة، ولسرعتها كانت عمائم فرسانها تنحل عن الرؤوس وتنتشر

وَالْمَاءُ بَيْنَ عَجَاجَتَيْنِ مُخْلَصٌ تَتَفَرَّقَانِ بِهِ، وَتَلْتَقِيَانِ

ومجرى النهر مخلص (فاصل) بين عجاجتين (غبارين) تتفرقان عنده، ثم تلتقيان فوقه.
قالوا لأبي الطيب: ما هكذا يثور الغبار في الشتاء (والقصيدة تصف غزوة شتوية)، فقال: إنما وصفت ما عاينت

إِنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِهِنَّ إِذَا التَّقَى الْجَمْعَانِ

السيوف مع (نصيرة لـ) الذين قلوبهم قوية كقلوب السيوف عندما يلتقي الجمعان في الحرب

تَلْقَى الْحُسَامَ، عَلَى جَرَاءَةٍ حَدٍّ، مِثْلَ الْجَبَانِ بِكَفِّ كُلِّ جَبَانٍ

والسيف في يد الجبان جبان، رغم حده المرفف

يَا مَنْ يُقْتَلُ مَنْ أَرَادَ بِسَيْفِهِ أَصْبَحْتُ مِنْ قَتْلِكَ بِالْإِحْسَانِ

يا سيف الدولة، يا من يقتل من شاء بسيفه، أنا قتلتني بإحسانك

فَإِذَا رَأَيْتُكَ حَارَ دُونَكَ نَاطِرِي وَإِذَا مَدَحْتُكَ حَارَ فَيْكَ لِسَانِي

أراك فيتحير نظري أين يذهب أمانك لهيبتك، وإذا مدحتك تحير لساني ماذا يقول

٩٥ عقبي اليمين

قال المتنبي، وقد قبل بحضرة سيف الدولة إن البطريق أقسم عند مليكه أن يعارض سيف الدولة في الدرب، وسأله أن ينجده ببطارقه وعُدَّه ففعل. ثم خاب ظنه. أنشده إياها سنة خمس وأربعين وثلاثمئة وهي آخر ما أنشده بحلب: (نسبة ما اخترناه إلى عدد أبيات القصيدة) ٥٥/٩

عُقْبَى الْيَمِينِ، عَلَى عُقْبَى الْوَعَى، نَدَمٌ مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمِ

عقبي (نتيجة) حلف اليمين بالنظر إلى عقبي (نتيجة) الوعى (المعركة) هي الندم، وهل زادك القَسَمُ شجاعة؟ يقول: أقسمت يا قائد الروم أن تستنصر، فانهزمت فكانت النتيجة السيئة مضاعفة: هزيمة وكنثاً باليمين

وَقَاعِلٌ مَا اشْتَهَى يُغْنِيهِ عَنْ حَلِيفٍ عَلَى الْفِعَالِ حُضُورُ الْفِعْلِ وَالكَرْمُ

والذي يكون فاعلاً كل ما اشتهى - وهو سيف الدولة - يغنيه فعله وكرمه الحاضران، لا الموعودان، عن الحلف بأن يفعل كذا وكذا، فالفعل حاضر

كُلُّ السُّيُوفِ إِذَا طَالَ الضَّرَابُ بِهَا يَمَسُّهَا، غَيْرَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، السَّامُ

كل السيوف التي يطول الضرب بها يمسه السام (والسام لل سيف التلم) ولكن سيف الدولة لا يصيبه سام من الحرب

صَدَمَتْهُمْ بِخَمِيسٍ أَنْتَ غَرَّتُهُ وَسَمَّهَرِيَّتُهُ فِي وَجْهِهِ عَمَمٌ

صدمت الروم بخميس (جيش) أنت غرته (طلبعته)، وسمهريته الجيش (رماحه) في مقدمته مثل الغمم (شعر رأس الفرس). شبه الجيش بفرس: فسياف الدولة غرته (البياض في جبينه)، والرماح المشرعة كالشعر على رقبته وأعلى رأسه

فَكَانَ أَثْبَتُ مَا فِيهِمْ جُسُومَهُمْ، يَسْقُطَنَّ حَوْلَكَ، وَالْأَرْوَاحُ تَنْهَزِمُ

كان أثبت شيء فيهم أجسامهم ومع ذلك كانت تسقط حولك أرضاً، أما أرواحهم فتنهزم قبل موتهم بالرعب

أَلَقْتُ إِلَيْكَ دِمَاءَ الرُّومِ طَاعَتَهَا فَلَوْ دَعَوْتُ بِهَا ضَرْبَ أَجَابَ دَمٌ

دماء الروم صارت لكثرة ما تسفكها مطيعة لك، فلو أنك قلت لها انسفكي لانسفكت بدون ضرب بالسيوف

يُسَابِقُ الْقَتْلُ فِيهِمْ كُلَّ حَادِثَةٍ فَمَا يُصِيبُهُمْ مَوْتُ وَلَا هَرَمٌ

يسبق القتل كل الحوادث إليهم، فلا يأتي عليهم موت طبيعي ولا هرم (شيخوخة)

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيماً بَعْدَ رُؤْيَيْهِ إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدَا حُتِمُوا

بعد أن ترى سيف الدولة لا تطلب أن ترى كريماً غيره، فهو خاتم الكرام وأسخاهم

وَلَا تُبَالِ بِشِعْرِ بَعْدَ شَاعِرِهِ قَدْ أَفْسَدَ الْقَوْلُ حَتَّى أُحْمِدَ الصَّمَمَ

ولا تبالي بأبي شعر بعد شاعره - المتنبي - فقد فسد القول (الشعر) حتى صار المرء يحمد (يشكر) الصمم. وعن هذه القصيدة قال ابن جني: قلت لأبي الطيب وقت قراءة هذه القصيدة عليه إنه ليس في جميع شعرك أعلى من هذه القصيدة، فاعترف بذلك وقال: كانت وداعاً

وحي الأربعين

المختار من شعر المتنبي منذ اتصاله بكافور في مصر حتى وفاته (٣٤٦ - ٣٥٤هـ)

٩٦ قواصد كافور توارك غيره

تُشاجر المتنبي في مجلس سيف الدولة الحمداني في حلب مع ابن خالويه النحوي. فشج ابن خالويه رأسه بمفتاح كان في يده، فلم ينصره سيف الدولة، فرحل المتنبي إلى دمشق ثم الرملة بفلسطين، ثم إلى مصر بدعوة من حاكمها كافور الذي كان عبداً لحكام مصر من بني الإخشيد ثم صار حاكماً لا ينازع. فلما ورد المتنبي كافوراً أخلى له داراً وخلع عليه، وحمل إليه آلافاً من الدراهم فقال يمدحه، وذلك سنة ست وأربعين وثلاثمائة: ٤٧/٢٥

كَفَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا

يخاطب المتنبي نفسه: كفاك من الداء أنك وصلت درجة أن ترى الموت نفسه شفاء مما أنت فيه، ويكفي أن تتحول المنايا (الموت) إلى أمانة

تَمَنَيْتَهَا لَمَّا تَمَنَيْتَ أَنْ تَرَى صَدِيقاً فَأَعْيَا، أَوْ عَدُوّاً مُدَاجِيَا

تمنيت المنية يا هذا - يخاطب نفسه - عندما تمنيت أن ترى صديقاً فأعيا ذلك (استحال)؛ وبلغ بك أن تمنى أن ترى عدواً مداجياً (مخفياً عداوته) فحتى هذا استحال، فأعداؤك يواجهونك بالعداء السافر

إِذَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ بِذِلَّةٍ فَلَا تَسْتَعِدَّنْ الْحُسَامَ الْيَمَانِيَا

إذا رضيت العيش بذلة فلا تستعدن (تتخذن غدة) الحسام اليمني

وَلَا تَسْتَطِيلَنَّ الرِّمَاحَ لِعَارَةٍ وَلَا تَسْتَجِيدَنَّ الْعِتَاقَ الْمَذَاكِيَا

ولا تستطيلن الرماح الطويلة لشن الغارة، ولا تختر الجيد من العتاق (الخيل الأصيلة) المذاكي (الثامة الأسنان)

فَمَا يَنْفَعُ الْأَسَدَ الْحَيَاءُ مِنَ الطَّوَى وَلَا تُثَقَّى حَتَّى تَكُونَ ضَوَارِيَا

فلا أسرد لا يحميها الخجل من الطوى (الجوع)، ولا تثقى الأسود (ثهاب) حتى تكون ضواري (مفترسة)

حَبَبْتُكَ قَلْبِي، قَبْلَ حُبِّكَ مِنْ نَأَى وَقَدْ كَانَ غَدَّاراً، فَكُنْ أَنْتَ وَافِيَا

حببتك (أحببتك) يا قلبي قبل أن تحب أنت من نأى (ابتعد/يعني سيف الدولة)، وقد كان غداراً بي، فكن أنت وافياً لي. تسويد أ. عبد الرحيم، وتعليقه «ما أرق هذا وأعذبه!»

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَيْنَ يُشْكِيكَ بَعْدَهُ فَلَسْتَ فُوَادِي إِنْ رَأَيْتَكَ شَاكِيَا

وأعلم يا قلبي أن البين (الفراق) يشكيك (يؤلمك ويجعلك تشكو) بعد فراقه، ولن أعتبرك قلبي إن رأيتك شاكياً

فَإِنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ غُدْرَ بِرَبِّهَا إِذَا كُنَّ إِثْرَ الْعَادِرِينَ جَوَارِيَا
فدموع العين غدر (غدارة) بربها (بصاحبها) إذا كانت إثر (على) الغادرين جوارِي (جارية)

إِذَا الْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَاصًا مِنَ الْأَذَى فَلَا الْحَمْدُ مَكْسُوبًا، وَلَا الْمَالُ بَاقِيَا
إذا الجود لم يكن خالصاً من الأذى والمن فلا يأتي لمن وجود بحمد، ولا المال الذي جاد به
سيبقى لمن أخذه

وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَذُلُّ عَلَى الْفَتَى أَكَانَ سَخَاءً مَا أَتَى أَمْ تَسَاخِيَا
وأخلاق الإنسان تذلل إن كان سخاؤه حقيقياً أم كان تساخياً (ادعاء للسخاء)

أَقِلَّ اسْتِيَاقًا أَيُّهَا الْقَلْبُ، رَبِّمَا رَأَيْتَكَ تُصْفِي الْوُدَّ مَنْ لَيْسَ صَافِيَا
قلل من اشتياقك يا قلبي، فربما رأيتك تخلص في ودك لمن لم يكن مخلصاً

خُلِقْتُ أَلُوفًا، لَوْ رَجَعْتُ إِلَى الصَّبَا لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجِعَ الْقَلْبِ بَاكِيَا
خلقت ألوفاً (شديد الألفة) إلى درجة أنني لو رجعت إلى صباي وفارقت شبي لتوجع قلبي على
فراق الشيب

وَلَكِنَّ بِالْفُسْطَاطِ بَحْرًا أَرْزَتْهُ حَيَاتِي وَنُصْحِي وَالْهَوَى وَالْقَوَافِيَا
ورغم أنني فإن هناك في الفسطاط (القاهرة القديمة) بحراً أزرته حياتي ونصحي وحيي وشعري
(جعلتها كلها تزوره)

وَجُرْدًا مَدَدْنَا بَيْنَ آذَانِهَا الْقَنَا فَبِئْسَ خِفَافًا يَتَّبِعْنَ الْعَوَالِيَا
ورب جرد (خيول قصيرة الشعر) مددنا بين آذانها القنا (الرماح) فباتت الخيول خفيفة الحركة تتابع
حركة العوالي (الرماح) وتمشي بحسبها متجهة إلى الممدوح

تَمَاشَى بِأَيْدٍ، كُلَّمَا وَافَتِ الصَّفَا نَقَشْنَ بِهِ صَدْرَ الْبُرَاةِ حَوَافِيَا
تتماشى الخيول بأيديها التي كلما وافت (وصلت) الصفا (الصخر) نقشت عليه وهي
حوافي (بلا حذوات) نقوشاً كصدر البراة (الصقور). يقول: الخيل لتصميمها على
الوصول تحفى وتذوب نعالها الحديدية، ومع ذلك فهي تنقش على الصخر بحوافرها
نقوشاً مرقطة تشبه صدور الصقور

وَتَنْظُرُ مِنْ سُودٍ صَوَادِقَ فِي الدُّجَى يَرَيْنَ بَعِيدَاتِ الشُّخُوصِ كَمَا هِيَ
وتنظر بعيون سود تصدقها الرؤية في الدجى (الليل)، وترى بها الشخوص البعيدة بدقة

وَتَنْصَبُ لِلْجَرَسِ الْخَفِيِّ سَوَامِعًا يَخْلُنَ مُنَاجَاةَ الضَّمِيرِ تَنَادِيَا
وتنصب للجرس (الصوت) الخفي سوامع (آذاناً) يخلن (يحسن) مناجاة المرء لضميره مناداة بصوت
عالي

تَجَاذِبُ فُرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعِنَّةٌ كَأَنَّ عَلَى الْأَعْنَاقِ مِنْهَا أَفَاعِيَا

وخيولنا تجاذب (تجذب) فرسان الصباح (المأهين للإغارة صباحاً) أعتتها (مقاودها) التي تتلوى على أعناقها كالأفاعي

بِعِزْمٍ يَسِيرُ الْجِسْمُ فِي السَّرَجِ رَاكِباً بِهِ، وَيَسِيرُ الْقَلْبُ فِي الْجِسْمِ مَاشِياً

لقد سرنا بعزم قوي يجعل الجسم يسير بهذا العزم فوق سرج الحصان، والقلب يتمشى داخل الجسم ماشياً

فَوَاصِدَ كَافُورٍ، تَوَارِكَ غَيْرِهِ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا

وهذه الخيل قواصد (قاصدة) كافور وتوارك (تاركة) غيره، والذي يقصد البحر يجد السواقي (القنوت) قليلة النفع

فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَيْنٍ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بَيَاضاً خَلْفَهَا وَمَاقِيَا

فجاءت الخيل بنا رجلاً هو إنسان (بؤبؤ) عين زمانه، وتركت بياض العين والمآقي (مجري الدمع) خلفها. فكافور هو الأهم مثلما بؤبؤ العين أهم جزء فيها

نَجُوزٌ عَلَيْهَا الْمُحْسِنِينَ إِلَى الَّذِي نَرَى عِنْدَهُمْ إِحْسَانَهُ وَالْأَيَادِيَا

نجوز (نجتاز) على الخيل المحسنين العاديين ونمر بهم (يقصد سيف الدولة) قاصدين. الشخص الذي نرى أن ما عند سيف الدولة من خير هو من إحسانه وأياديه (أفضاله). يقول: نذهب إلى من هو منبع الخير الذي يستقي منه سيف الدولة. كانت العلاقة بين دولة الحمدانيين والأخشيديين علاقة شد وجذب، وكانت فلسطين والشام تروحان وتجيئان بين مصر وحلب، واستمر هذا الوضع طويلاً بعد زوال الدولة الإخشيدية وقدم الفاطميين، وبعد زوال الحمدانيين وقدم المرداسيين

فَتَى مَا سَرَيْنَا فِي ظُهُورِ جُدُودِنَا إِلَى عَصْرِهِ، إِلَّا نُرْجِي التَّلَاقِيَا

هذا الفتى ما سرينا (سرنا) في ظهور جدودنا إلى عصره (ما سارت نطفنا في أصلاب الأجداد، ولا خلّقنا الله وأوصلنا إلى زمنه) إلا نرجي التلاقي (إلا أملاً في لقاءه)

تَرَفَّعَ عَنْ عُونِ الْمَكَارِمِ قَدْرُهُ فَمَا يَفْعَلُ الْفَعْلَاتِ إِلَّا عَذَارِيَا

ترفع قدر كافور عن عون المكارم (المكارم التي سبق إليها) فهو لا يفعل الفعلات (المكارم) إلا عذاريا (مبتكرة لم يفعلها أحد قبل)

أَبَا الْمِسْكِ! ذَا الْوَجْهَ الَّذِي كُنْتُ تَائِقاً إِلَيْهِ، وَذَا الْيَوْمَ الَّذِي كُنْتُ رَاجِياً

يا أبا المسك (كنية كافور)! هذا هو الوجه الذي كنت أتوق إليه، وهذا هو اليوم الذي كنت أرجوه

٩٧ قلب ملك ولسان شاعر

بنى كافور داراً بإزاء الجامع الأعلى، وطالب أبا الطيب المتنبي بذكرها فقال بهته بها:
٢٤/١٥

إِنَّمَا التَّهْنِئَاتُ لِلْأَكْفَاءِ وَلِمَنْ يَدْنِي مِنَ الْبُعْدَاءِ
تكون التهئات للأكفاء (النظراء)، ولمن يَدْنِي (يكون مقرباً) من البعداء (غير النظراء، والبعيدون في القيمة)

وَأَنَا مِنْكَ، لَا يُهْنِي عَضْوُ بِالْمَسَرَّاتِ سَائِرَ الْأَعْضَاءِ
ولكنني أنا منك (جزء منك)، والعضو في الجسم لا يهني بقية الأعضاء بالمسرات (بالأفراح)، فكيف أهتك

مُسْتَقِلُّ لَكَ الدِّيارَ، وَلَوْ كَا نَ نُجُوماً أَجَرُ هَذَا الْبِنَاءِ
مستقل لك الديار (أجدها قليلة عليك)، حتى لو كان أجر (طابوق/ طوب) هذا البناء من النجوم
أَنْتَ أَعْلَى مَحَلَّةً أَنْ تُهَنَّا بِمَكَانٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ
أنت أعلى محلة (مقاماً) من أن تهنا بمكان (قصر) في الأرض أو في السماء (في الجنة التي فيها قصور للمتقين)

وَلَكَ النَّاسُ، وَالْبِلَادُ، وَمَا يَسُدُّ رَحْ بَيْنَ الْعَبْرَاءِ وَالْخَضْرَاءِ
والناس لك والبلاذ لك، ولك كل ما يسرح من طير وحيوان بين الخضراء (السماء) والغبراء (الأرض)
وَبَسَاتِينُكَ الْجِيَادُ، وَمَا تَحُدُّ حِمْلُ مِنْ سَمَهَرِيَّةٍ سَمَرَاءِ
وصهوات الجياد (الخيول) هي بساتينك الحقيقية، وما في هذه البساتين من شجر وثمر هو في الحقيقة سمهرية (رماح) سمراء

إِنَّمَا يَفْخَرُ الْكَرِيمُ أَبُو الْمِسْدِ بِمَا يَبْتَنِي مِنَ الْعَلِيَاءِ
وفخر كافور هو بما يبنى من العلياء (المجد) لا بالقصور

وَبِأَيَّامِهِ الَّتِي انْسَلَخَتْ عَنْهُ، وَمَا دَارُهُ سِوَى الْهَيْجَاءِ
وفخره بأيامه التي انسلخت (مضت) ولم تكن داره فيها سوى الهيجاء (الحرب)

وَبِمَا أَثَّرَتْ صَوَارِمُهُ الْبِيضُ ضُ لَّهُ فِي جَمَاجِمِ الْأَعْدَاءِ
وفخره بالآثر الذي تركته صوارمه (سيوفه) البيض اللامعة في جماجم الأعداء

وَبِمَسْكِ يَكْنَى بِهِ، لَيْسَ بِالْمِسْدِ لَكَ، وَلَكِنَّهُ أَرِيحُ الثَّنَاءِ
وفخره بمسك يكنى به، وهو ليس مسكاً حقيقياً بل هو أريح (عطر) الثناء (الحمد الذي يتلقاه من الجميع)

تَفْضُحُ الشَّمْسُ، كُلَّمَا ذَرَّتِ الشَّمْسُ سُنْ، بِشَمْسٍ مُنِيرَةٍ سَوْدَاءِ

يا كافور أنت تفضح الشمس كلما ذرت (طلعت) بشمس أخرى منيرة سوداء هي وجهك

يَا رَجَاءَ الْعُيُونِ فِي كُلِّ أَرْضٍ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ أَنْ أَرَاكَ رَجَائِي

ولقد أفنت المفاوز خيلي قبل أن تلتقي، وزادي ومائي

أفنت (أهلكت) المفاوز (الصحارى) خيلي وأنا قادم إليك، ونفد زادي ومائي

فَارُمَ بِي مَا أَرَدْتَ مِنِّي، فَإِنِّي أَسَدُ الْقَلْبِ، أَدْمِي الرُّوَاءِ

اجعلني كالسهم طوع بيمينك، وارم بي أي شيء تريده من المهام، فإنني أسد القلب، وإن كنت بشري الرواء (المنظر)

وَفُؤَادِي مِنَ الْمُلُوكِ، وَإِنْ كَا نَ لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّعْرَاءِ

وفؤادي فؤاد ملك (نفسيتي نفية حاكم)، وإن كان لساني لسان شاعر

٩٨ حنين للأعرابيات

قال المتنبي يمدح كافوراً، وأنشدَه إياها في رمضان سنة ست وأربعين وثلاثمئة: ٤٦/١٧

مَنِ الْجَاذِرُ فِي زِيِّ الْأَعْرَابِ حُمْرَ الْحُلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيبِ؟

من هؤلاء الجاذر (صغار بقر الوحش) اللاتي في زي الأعرابيات؟ إنهن يلبسن الحلى

الاحمر (الحلي التي من الذهب الأحمر) ويركبن المطايا الاحمر (النياق الاحمر/أعلى

النياق) ويرتدين الجلابيب الاحمر (الاحمر لون ملابس الأشراف)

إِنْ كُنْتُ تَسْأَلُ شَكًّا فِي مَعَارِفِهَا فَمَنْ بَلَكَ بِتَسْهِيدٍ وَتَغْذِيبِ؟

يخاطب نفسه: إن كنت يا هذا تسأل لأنك شاك في معارفها (معرفة نفسك بهن) فالأجدر أن

تسأل: من ذا الذي ابتلاك بتسفيد (سهر) وتعذيب؟ أليس هؤلاء الأعرابيات؟

كَمْ زُورَةٌ لَكَ فِي الْأَعْرَابِ خَافِيَةٍ أَذْهَى، وَقَدْ رَقَدُوا، مِنْ زُورَةِ الذُّبِّ

ما أكثر ما كانت لك زورات (زيارات) للأعراب خافية (سرية)، وكانت - بعد رقاد القوم - أدهى

(أخبث) من تسلل الذئب

أَزُورُهُمْ، وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْثَى، وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِئِي بِي

سواد الليل يشفع لي (يحميني) في الزيارة، وأنثى (أعود) وبياض الصبح يغريهم بملاحقتي، لأن

الصبح يكشفني

مَا أَوْجُهُ الْحَضَرَ الْمُسْتَحْسَنَاتُ بِهِ كَأَوْجِهِ الْبَدَوِيَّاتِ الرَّعَائِبِ

ليست وجوه الحضريات (بنات المدن) المستحسنة به (بالحضر) مثل أوجه البدويات الرعايب

(الممثلات)

حُسْنُ الْحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطَرِيَةٍ وَفِي الْبِدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرٌ مَجْلُوبٌ

حسن (جمال) الحضارة (التمدن) مجلوب جلباً بتطرية (بتدليك وتجميل)، وفي البداوة يوجد جمال غير مجلوب بل طبيعي

أَيِّنَ الْمَعِيزُ مِنَ الْآرَامِ، نَاطِرَةٌ وَغَيْرَ نَاطِرَةٍ، فِي الْحُسْنِ وَالطَّيْبِ

الفرق شامع بين المعيز (حيوان القرى ومدن ذلك الزمن) وبين الآرام (الغزلان البيض) من حيوان الصحراء سواء أكانت مقبلة تنظر إليك أم مدبرة عنك، ثمة فرق في الحسن وفي الطيب (الرائحة)

أَفْدِي ظَبَاءَ فَلَاةٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا مَضَعُ الْكَلَامِ، وَلَا صَبَغَ الْحَوَاجِبِ

أفدي بنفسي ظباء فلاة (غزلان صحراء) ما عرفن فيها مضع الكلام ولا صبغ الحواجب (تشقير الحواجب كان معروفاً آنذاك إذن؟ لكن لعله كان تسويداً)

لَبِثَ الْحَوَادِثُ بَاعْتَنِي الَّذِي أَخَذْتُ مِنِّي، بِحِلْمِي الَّذِي أَعْطَيْتُ وَتَجَرَّبِي

لبث حوادث الزمن أعطتني شباي الذي أخذته مني، ولتأخذ ما أكسبتي من حلم (تسامح) وتجرب

فَمَا الْحَدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ، قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشَّبَابِ وَالشَّيْبِ

فالحداثة (صغر السن) لا تمنع كون المرء حليماً، فالحلم موجود في الشبان والشائين؛ ولذلك فلست أقر بأن الحلم كان نتيجة لمرور الزمن

تَرَعَّرَعَ الْمَلِكُ الْأُسْتَاذُ، مُكْتَهِلًا قَبْلَ اكْتِهَالِهِ، أَدِيبًا قَبْلَ تَادِيْبِهِ

ترعرع الملك الأستاذ (كافور)، وكان يلقب الأستاذ، والأستاذ كلمة عاميتها الأسطى) مكتهلاً (واصلاً نضج الكهولة) وذلك قبل وصوله فعلاً سن الكهولة، وترعرع أديباً قبل التأديب (التعليم)

يُذَبِّرُ الْمُلْكُ مِنْ مِصْرٍ إِلَى عَدَنِ إِلَى الْعِرَاقِ فَأَرْضِ الرُّومِ قَالْتُوبِ

النوب: أرض النوبة بين مصر والسودان

إِذَا أَتَتْهَا الرِّيَّاحُ النُّكْبُ مِنْ بَلَدٍ فَمَا تَهْبُ بِهَا إِلَّا بِتَرْتِيبِ

حتى الريح تتبع أمرة وتديره، فإذا جاءت الرياح النُكْب (غير المنتظمة) إلى بلاده من بلد آخر فلا تهب إلا بترتيب

يُصَرِّفُ الْأَمْرَ فِيهَا طِينُ خَاتِمِهِ وَلَوْ تَطَلَّسَ مِنْهُ كُلُّ مَكْتُوبِ

يصرف الأمر في بلاده ختمه (وكانوا يختمون بخاتم من معدن على شيء طري كالطين) حتى وإن تطلس (أمحى) الكلام المكتوب. في الختم، فمجرد رؤية ختمه تجعل الأمر يتحقق

كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فِي مَسَامِعِهِ قَمِيصٌ يُوسُفَ فِي أَجْفَانِ يَعْقُوبَ

وهو يجيب كل سائل أي متسول؛ وكل سؤال للسائلين في مسامعه (أذنيه) لذيق عنده مثل قميص يوسف في عيني يعقوب (وقميص يوسف عندما ألقي على وجه أبيه يعقوب أعاد إليه بصره)

إِذَا عَزَمْتَ أَعَادِيهِ بِمَسْأَلَةٍ فَقَدْ عَزَمْتَ بِجَيْشٍ غَيْرِ مَغْلُوبٍ

أعداؤه لو غزوه بمسألة (باستعطاء) بدل الحرب فهم متصرون، لأنه يلي حاجتهم

قَالُوا: هَجَرْتَ إِلَيْهِ الْغَيْثَ، قُلْتُ لَهُمْ: إِلَى غِيُوثٍ يَدِيهِ وَالشَّائِبِ

يقولون لي: هجرت إليه الغيث (المطر/ سيف الدولة) وجئت إليه، ققلت لهم: جئت إلى الغيوث التي تنهمر من يديه والشائب (الزخات)

٩٩ المال والمجد

قال المتنبي يمدح كافوراً في ذي الحجة سنة ست وأربعين وثلاثمئة: ٤٨/٨

أَوَدُّ مِنَ الْإِيَّامِ مَا لَا تَوَدُّهُ وَأَشْكُو إِلَيْهَا بَيْنَنَا، وَهِيَ جُنْدُهُ

أود من الأيام أن تفعل شيئاً، ولكن هي لا تود ذلك، وأشكو إليها بيننا (فراقنا) مع أنها جند الفراق (الزمن جندي في خدمة الفراق)

أَبَى خُلُقُ الدُّنْيَا حَبِيباً تُدِيمُهُ فَمَا طَلَبِي مِنْهَا حَبِيباً تَرُدُّهُ

أبى خلق (طبع) الدنيا أن تديم حبياً (تجعله يدوم) وتتركه على حاله، فكيف أطلب منها (من الدنيا) أن تردّه بعد فراق

وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغْيِيراً تَكَلَّفُ شَيْئاً، فِي طِبَاعِكَ ضِدُّهُ

وأسرع شيء فعلته إلى التغير هو تكلف تصرف ضد طبعك؛ فأنت تكلف الشيء ولكنك بسرعة تعود إلى طبعك

رَعَى اللَّهُ عَيْساً فَارَقْتَنَا وَفَوْقَهَا مَهْأً، كُلُّهَا يُوَلِّى بِجَفْنَيْهِ خَدَّهُ

حصى الله عيساً (جمالاً) فارقتنا وفوقها مها (بقر الوحش) وجميعها يولى (يمطر) بجفنيه خده؛ يقول: المحبوبات كن ييكين وتمطر جفونهن الدمع على خلدودهن

بِوَادٍ بِهِ مَا بِالْقُلُوبِ، كَأَنَّهُ، وَقَدْ رَحَلُوا، جَيْدٌ تَنَازَرَ عَقْدُهُ

فارقتنا في واد به فحط كما في قلوبنا، وكأن الوادي عند رحيل القوم جيد (عنت) تناثر العقد الذي يزينه. يقول: فارق الأعراب المكان بسبب القحط، كما دنتهم، فالوادي ماجل كقلبي، وشكل جمالهم وهي تسير متفرقة في الوادي مثل العقد الذي انتثر على العنت

فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ

لا مجد لمن لا مال له، والعكس بالعكس

وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ وَمَرْكُوبِهِ رِجْلَاهُ، وَالشُّوبُ جِلْدُهُ

هناك من يرضى باليسير، ويركب رجليه لأنه لا يملك مركوباً؛ وثوبه هو جلده، إذ لا ثوب لديه

وَلَكِنَّ قَلْبًا بَيْنَ جَنْبَيْ مَا لَهُ مَدَى يَنْتَهِي بِي فِي مُرَادٍ أَحَدُهُ
ولكن قلبي طماع ولا حد لمراده (مطلبه)

١٠٠ إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه

قاد كافور إلى المتنبي فرساً فقال يمدحه: ٤١/١٤

فِرَاقِي، وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مُدَمِّمٍ وَأَمْ، وَمَنْ يَمَمْتُ خَيْرُ مُبِمِّمٍ
كان فراقاً لسيف الدولة، ولست أذم الرجل؛ وكان أَمْ (ذهاب) لكافور، وهو خير ميمم (مقصود)
وَمَا مَنَزِلُ اللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنْزِلٍ إِذَا لَمْ أُبَجَّلْ عَنْدَهُ، وَأَكْرَمِ
وليس المنزل الذي تتاح فيه لي كل اللذات منزلاً مناسباً إذا لم أحصل على التكريم والتبجيل
رَحَلْتُ، فَكَمْ بَاكِ بِأَجْفَانِ شَادِنٍ عَلَيَّ، وَكَمْ بَاكِ بِأَجْفَانِ ضَيْعَمِ
برحيلي ما كان أكثر الباكين علي بأجفان شادن (ولد الغزال)، وما أكثر الباكين بأجفان ضيغم
(أسد). يقول: بكت علي إذ رحلت نساء ورجال كثر

فَلَوْ كَانَ مَا بِي مِنْ حَبِيبٍ مُقَنِّعٍ عَذَرْتُ، وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُعَمِّمٍ
لو كان ما بي من الشعور بالظلم سببه حبيب مقنع (امرأة) لعذرت، ولكنه من حبيب معمم (من
رجل بلبس عمامة). فهو رحل غاضباً من سيف الدولة

رَمَى وَاتَّقَى رَمِي، وَمِنْ دُونِ مَا اتَّقَى هَوًى كَاسِرٌ كَفِّي وَقُوسِي وَأَسْهَمِي
لقد رماني بسهم ظلمه، واتقى رميي (كان محمياً مني)، فمن دون ما اتقى (حال دون
ما احتمى منه) هوى كسر كفي وقوسي وأسهي. يقول: هو أساء إلي موقناً أنني لا
أستطيع أن أسيء إليه، لأن حبي له يعني ويكر كفي

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَمْتَدَاهُ مِنْ تَوَهُمِ
المرء عندما يسيء للناس تسوء ظنونه بهم، لأنه يحس أنهم حقدوا عليه؛ وهو إذ يسيء لهم يصدق
ما يمتاده (يراوده) من أوهام بأنهم سيسئون إليه

وَعَادَى مُجَبِّبِهِ بِقَوْلِ عُدَاتِهِ وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشُّكِّ مُظْلِمِ

والمسيء للناس يعادي المحبين له بسبب أقوال يسمعونها من أعدائه، فهو يصدق عدوه
ولا يميز صديقاً من عدو، ويصبح حكمه مضطرباً على الأشياء فكأنه في ليل مظلم
من شكوكه. تحليل نفسي دقيق وعميق في إيجاز مذهل. في الإيجاز عبقرية المتنبي.
أما التحليل النفسي ففيه كلامان: العبقرية فيه أن هذا الشاعر جاء في زمن بدأ فيه
انحدار الشعر وتقوله في قوالب جامدة، فقال شعراً ذاتياً عبر به عن خلجات فؤاده
بقوة وصدق وحرارة. والكلام الثاني: أن كل موظف خائب، وكل تلميذ خائب يقول
هذا الكلام، ويحلل هذا التحليل. ولست أشك لحظة في أن سيف الدولة تحمل
المتنبي بكل غروره وطمعه وحمقه أكثر مما ينبغي

أَصَادِقُ نَفْسِ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ وَأَعْرِفُهَا فِي فِعْلِهِ وَالتَّكَلُّمِ
وَأَحْلُمُ عَنْ خَلِّي، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَتَى أَجْزُهُ حِلْمًا عَلَى الْجَهْلِ بِنَدَمٍ
أكون حليماً (متسامحاً) عن خلي (صديقي)، عالماً أنني إذا جزيته على الجهل (التعدي) بالحلم سيندم

وإِنْ بَدَلَ الْإِنْسَانُ لِي جُودَ عَابِسٍ جَزَيْتُ بِجُودِ الثَّارِكِ الْمُتَبَسِّمِ
وإذا أعطاني أحدهم عطية وهو عابس، جازيته بتركها وأنا مبتسم

وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ وَلَا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ بِمُتَمِّمٍ
وليس كل هاو (محب) للجميل فاعلاً له، ولا كل من يفعل الجميل يكمله

قَدْ اخْتَرْتُكَ الْأَمْلَاكَ، فَاخْتَرْ لَهُمْ بِنَا حَدِيثًا، وَقَدْ حَكَمْتُ رَأْيَكَ فَاحْكُمِ
يخاطب كافوراً: اخترتك الأملاك (من بين الملوك)، ومؤكد أنهم سيعلمون بما جرى
لي معك، وسيحدثون به، فاختر لهم حديثاً. يقول: أعطني عطاء جزيلاً يكون حديث
الجميع، وقد تركت لك الحكم في ذلك فافعل ما يليق بك

لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تَرْضَ بِهَا سُرُورَ مُحِبٍّ، أَوْ مَسَاءَةَ مُجْرِمٍ
لمن تطلب الدنيا والمال إذا لم يكن قصدك أن تسر المحب وتغيظ المسيء؟ يقول: خير ما يصنعه
المرء بماله أن يكافئ المحب ويعاقب المجرم

وَلَوْ كُنْتُ أَدْرِي كَمْ حَيَاتِي قَسَمْتُهَا وَصَيَّرْتُ ثُلُثِيهَا انْتِظَارَكَ، فَاعْلَمْ
ولو كنت أعلم كم ستطول حياتي لخصصت ثلثيها لانتظار وفائك بوعدك، فاعلم
ذلك. ويزعم المتنبي في شعره أن كافوراً وعده بأن يوليه ولاية يحكمها. وأغلب
الظن أن كافوراً وعده نصف وعد

١٠١ إذا صادفت هوى في الفؤاد

جرت وحشة بين الأستاذ كافور والأمير أبي القاسم مدة ثم اصطلحا، فقال المتنبي: ٣٦/٩

حَسَمَ الصُّلْحُ مَا اشْتَهَتْهُ الْأَعَادِي وَأَذَاعَتْهُ أَلْسُنُ الْحُسَادِ
حسم الصلح الخلاف الذي اشتته الأعادي وقوعه، والذي أذاعت ألسن الحساد أنه وقع فعلاً
وَكَلَامُ الْوُشَاةِ لَيْسَ عَلَى الْأَخِ بَابٍ، سُلْطَانُهُ عَلَى الْأَضْدَادِ
كلام الوشاة لا يظلي على المتحابين، وسلطانه (تأثيره) على الأضداد (المتنافرين) فقط

إِنَّمَا تُنَجِّحُ الْمَقَالََةَ فِي الْمَرْءِ إِذَا وَافَقَتْ هَوَى فِي الْفُؤَادِ
المقالة (القول) تُنَجِّحُ (تثمر) في نفس المرء إذا صادفت هوى في فؤاده، بغض النظر عن صدق
القول أو كذبه

وَلَعَمْرِي لَقَدْ هُزِزْتُ بِمَا قَبِيْلَ، فَأَلْفَيْتَ أَوْثَقَ الْأَطْوَادِ
 ووالله لقد حاولوا هزك بما نقلوا من أقوال، فألفيت (وجدت) أوثق الأطواد (أرسخ الجبال)
 وَأَشَارَتْ بِمَا أَبَيْتَ رِجَالٌ كُنْتُ أَهْدَى مِنْهَا إِلَى الْإِزْشَادِ
 وأشار عليك بعضهم بمشورة ضد نيتك، فكنت أكثر اعتناء منهم إلى الرشد

أَنْتُمَا، مَا اتَّفَقْتُمَا، الْجِسْمُ وَالرُّوحُ حُ، فَلَا احْتَجَجْتُمَا إِلَى الْعُودِ
 أنت وأبو القاسم، ما اتفقتما (ما دام اتفاقكما)، كالجسم والروح، فلا أحوجكما الله إلى زيارة
 العواد (زائري المريض)

مَنْعَ الْوُدِّ وَالرَّعَايَةِ وَالسُّوْءُ دَدُ أَنْ تَبْلُغَا إِلَى الْأَحْقَادِ
 الود بينكما، ورعاية أحدكما لحقوق الآخر، ووجود السؤدد (السيادة)، منعتمكم جميعها من
 الوصول إلى الأحقاد

هَذِهِ دَوْلَةُ الْمَكَارِمِ وَالرَّأْفَةِ وَالْمَجْدِ وَالنَّدَى وَالْأَيَادِي
 الأيادي: النِّعَم

كَسَفَتْ سَاعَةً كَمَا تَكْشِفُ الشَّمْسُ سُسُ، وَعَادَتْ وَنُورُهَا فِي ازْدِيَادِ
 هذه الدولة كسفت (انكسفت) قليلاً ككسوف الشمس، ثم عاد نورها وقد ازداد. أطال
 طه حسين الوقوف عند هذه القصيدة، وهذا من شغفه بأمر المؤامرات والدسائس،
 ومن خوضه المعارك والتصاقه بساسة عصره

١٠٢ فإني أغني منذ حين وتشرب

قال المتنبي يمدح كافوراً في شوال سنة سبع وأربعين وثلاثمئة: ٤٧/٢٥

أَغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ، وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ، وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ
 أصارع بسبك الشوق ولكنه يغلبني، وأتعجب من هذا الهجر ولكن الوصل كان سيكون أعجب،
 لنذرة وقوعه

أَمَّا تَغْلَطُ الْأَيَّامُ فَيَبْأَنُ أَرَى بَغِيضًا تُنَائِي، أَوْ حَبِيبًا تُقَرِّبُ
 ألا تغلط الأيام في شأني فتأني بغيضاً (تبعد شخصاً كريهاً) وتقرب حبيباً

وَيَوْمَ كَلْبِلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ أَرَأَيْتَ فِيهِ الشَّمْسُ أَيْبَانَ تَغْرُبُ
 رب يوم مثل ليل العاشقين في الطول كمنت فيه وأنا أراقب الشمس أيبان (متى)
 تغرب. قال المتنبي لصاحبه وشارحه ابن جني إن كافوراً عندما سمع هذا البيت علق
 بقوله: غيرك يستطيل الليل! وقال المتنبي: قبحاً له، كيف عرف معناه؟

وَعَيْنِي إِلَى أُذُنِي أَهْرَ، كَأَنَّهُ مِنْ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوَكَبٍ

وعيني مصوبة إلى أذني حصاني الأغر (ذي الغرة البيضاء في جبينه) الذي كأنه بقي من الليل كوكب مضيء بين عيني. إنني أنظر إلى أذنيه لأستدل بحركتهما على ما يجري حولي فهو يحركهما لأي استشعار بخطر

لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِي إِهَابِهِ تَجِيءُ عَلَى صَدْرٍ رَحِيبٍ وَتَذْهَبُ

في إهابه (جلده) فضلة عن جسمه (يزيد جلده عن حجم جسمه) ولذا فجلده يروح ويجيء بحرية على صدره الرحيب (الواسع)

شَقَقْتُ بِهِ الظُّلْمَاءَ أُذُنِي عَنَانَهُ فَبَطَّغَنِي، وَأَرْخِيهِ مَرَارًا فَيَلْعَبُ

شقت بحصاني الظلماء وأنا أقرب عنانه (مقوده) فبطغني (يهز رأسه بقوة)، وأرخي المقود فيلعب الحصان بحرية

وَأَصْرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ قَفْبَيْتُهُ بِهِ وَأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أُرْكَبُ

وأصرع أي وحش قفبته به (ألحقته به) لأن الحصان أسرع من أي وحش؛ وأنزل عن الحصان وهو مرتاح كحالته عندما ركبته

وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا، كَالصَّدِيقِ، قَلِيلَةٌ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مَنْ لَا يُجْرُبُ

الخيال الأصلية كالصديق (كالأصدقاء) قليلة، وإن ظننا غير المجرب كثيرة

إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شَيَاتِهَا وَأَعْضَائِهَا، فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبٌ

إذا لم تشاهد يا هذا غير جمال شياتها (ألوانها) وحسن أعضائها فقد غاب عنك الجمال الحقيقي

لَحَى اللَّهُ ذِي الدُّنْيَا مُنَآخًا لِرَاكِبٍ فَكُلُّ بَعِيدٍ إِلَهُمَّ فِيهَا مُعَذَّبٌ

لحى الله (قبح الله) هذه الدنيا من مناخ (منزل) ينزل فيه الراكب، فكل شخص بعيد الهم (كبير الطموح) معذب فيها

أَلَا لَيْتَ شِغْرِي! هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً فَلَا أَشْتَكِي فِيهَا، وَلَا أَتَعَنَّبُ؟

هل تُراني أقول قصيدة بدون شكوى وعتاب؟

وَبِي مَا يَذُودُ الشَّعْرَ عَنِّي أَقْلُهُ وَلَكِنَّ قَلْبِي، يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ، قُلَّبٌ

وبي هم أقله يذود (يطرد) الشعر عني، ولكن قلبي، يا بنت الناس، قُلَّبٌ (مجرب) وصبور

وَأَخْلَاقُ كَافُورٍ، إِذَا شِئْتُ مَدَحَهُ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ، تُمْلِي عَلَيَّ وَأَكْتُبُ

وما يجعلني أقول الشعر أيضاً، سوى صبري وحنكتي، أن أخلاق كافور تملئ علي إملاءً، سواء شئت مدحه أم لم أشأ، فهي تفرض علي الشعر لعظمتها

إِذَا تَرَكَ الْإِنْسَانَ أَهْلًا وَرَاءَهُ وَيَمَّمْ كَافُورًا فَمَا يَتَغَرَّبُ

يَم: قصد

أَبَا الْمِسْكِ! هَلْ فِي الْكَاسِ فَضْلٌ أَنَا لَهُ فَإِنِّي أَغْنِي مُنْذُ حِينٍ وَتَشْرَبُ
يا أبا المسك (كافور) هل في كأسك فضل (بقية) أنا له؟ فإنني أغني لك (أقول الشعر) منذ حين
وأنت تشرب وحدك

إِذَا لَمْ تَنْظُ بِي ضَيْعَةً أَوْ وَلَايَةً فَجُودُكَ يَكْسُونِي وَشُغْلُكَ يَسْلُبُ
إذا لم تنظ بي (تكلفني) ضيعة أو ولاية فجودك (كرمك) يكسوني، بينما شغلك (انشغالك عن
شأني) يسلبني

يُضَاحِكُ فِي ذَا الْعِيدِ كُلِّ حَبِيبَةٍ حِذَائِي، وَأَبْكِي مَنْ أَحَبُّ وَأَنْدُبُ
حذائي: بقربي

أَجِنُّ إِلَى أَهْلِي، وَأَهْوَى لِقَاءَهُمْ وَأَيْنَ مِنَ الْمُشْتَقِ عَنَقَاءُ مُغْرِبُ
عناء مغرب: طير خرافي، وقيل إنه موجود ولكن لا سبيل إلى صيده

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا: أَبُو الْمِسْكِ أَوْ هُمْ فَإِنَّكَ أَحْلَى فِي فُؤَادِي وَأَعَذِبُ
فإن كان علي الاختيار بينك وبين أهلي فإنك أحلى في قلبي وأعذب

وَكُلُّ امْرِئٍ يُؤَلِّي الْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبٌ
وكل امرئ يؤلي الجميل (يُحسن) محبب، وكل مكان فيه عز للمرء طيب

وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلَمِ مَنْ بَاتَ حَاسِداً لِمَنْ بَاتَ فِي نِعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ
وأكثر الظالمين ظلاماً من حسد شخصاً وهو يتقلب في نعماء ذلك الشخص. يقول: أنا لا أحسدك
على مكانتك وملكك، وأكون ظالماً لو فعلت، فإنا أتقلب في نعمتك

وَأَنْتَ الَّذِي رَبَّيْتَ ذَا الْمُلْكِ مُرْضِعاً وَلَيْسَ لَهُ أُمٌّ سِوَاكَ، وَلَا أَبُ
وأنت الذي ربى ذا الملك (صاحب الملك/ ابن الإخشيذ) وهو مرضع (رضيع) فكنت له الأم
والأب. تعليق أحمد عبد الرحيم: [لم يزد على أن جملة مرضعاً أو جليس أطفال!]

وَمَا طَرَبِي لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدَعَةٍ لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ فَاطْرَبُ
وليس طربي عندما رأيتك بدعة (امراً غريباً) فقد كنت أرجو أن أراك فاطرب بلقاك. قال أبو
العلاء في شرحه «معجز أحمد»: «هذا، وإن كان ظاهره مدحاً، فإن باطنه إلى الهزاء أقرب»

وَتَعَذَّلْنِي فِيكَ الْقَوَافِي وَهَمَّتِي كَأَنِّي بِمَدْحٍ قَبْلَ مَدْحِكَ مُذْنِبُ
تلومني القصائد وتلومني همتي (طموحي) لأنني رضيت أن أمدح من هو أقل منك شأنًا، فكانني
مذنب بمدحه

وَلَكِنَّهُ طَالَ الطَّرِيقُ، وَلَمْ أَزَلْ أَفْتَشْ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ، وَيُنْهَبُ

ولكنه طال الطريق إليك، ولم أزل أفتش عن أقوى الكلام فأمجد الملوك به، وينهب الشعراء مني. المثل القديم يقول: «رمتني بدائها وانسلت»، والمنتني لا يمل من الزعم بأن الشعراء يسرقون شعره. ولو نظرت في شعره لرأيت من أسرق خلق الله، ولكنه فأنك شرير يسرق معاني المتقدمين ويضعه في كلام أقوى من كلامهم، وهي سرقة حلال في عرف النقاد القدامى. ألق نظرة على رسالة الحاتمي، أو على الوساطة، أو الصبح المنبي، أو ما شئت من كتب الأقدمين النقدية ترهم لم يسلموا للمنتني بيت. هم يظلمونه في أحيان، لكنهم محقون في الغالب

١٠٣ بما لا تشتهي السفن..

اتصل بأبي الطيب، وهو بمصر، أن قوماً نعوه في مجلس سيف الدولة بحلب فقال،
ولم ينشدها كافوراً: ٢٥/١٨

بِمَ التَّعَلُّ؟ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنٌ وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنٌ
بماذا أتعلل (أصبر نفسي)؟ فلا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن (زوجة)

أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ
أريد من زماني ذا (هذا) أن يبلغني (يوصلني) للاستقرار، والزمن لا يحقق هذا المطلب حتى لنفسه
لأنه متقلب

لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ
لا تواجه الزمن إلا وأنت غير مكترث، ما دام جسمك وروحك مصطحبان وأنت على قيد الحياة

مِمَّا أَضَرَّ بِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمْ هَوُوا، وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَمَا قَطِنُوا
أهل العشق غرقوا في العشق وآلامه، وهم لا يعرفون الدنيا ولا يفتنون لنفاهتها. لو
قرأناها «هَوُوا» كما فعلنا في التسجيل الصوتي فلها وجه إذ تعني سقطوا، ولكن
«هَوُوا» بمعنى عشقوا أصح، فانا أستدرك على نفسي بعد ثماني سنوات، وأصح
هذا الآن في سنة ٢٠١٦

تَفَنَّى عُيُونُهُمْ دَمْعًا، وَأَنْفُسُهُمْ فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهَهُ حَسَنٌ
تفنى عُيُونُهُمْ (وضعت ست ضمات على الكلمة كي أشهد برؤيتها ليس أكثر) بينما نفوسهم تلاحق
كل محبوب قبيح الفعل حسن الوجه

يَا مَنْ نُعِيْتُ عَلَى بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ كُلِّ بِمَا رَعِمَ النَّاعُونَ مُرْتَهَنٌ
يا من سيف الدولة، يا من ذكر خبر موتي في مجلسه وأنا بعيد، كل إنسان مرتهن (رهن) بما ذكروا من
خبر موتي: كلنا سنموت

كَمْ قَدْ قُتِلْتُ، وَكَمْ قَدْ مِتُّ عِنْدَكُمْ ثُمَّ انْتَفَضْتُ، فَرَزَّ الْقَبْرُ وَالْكَفَنُ

كثيراً ما قُتِلْتُ، وكثيراً ما مِتُّ وأنا عندكم بما كان يشيعه الحاسدون عني، ثم انتفضت فزال القبر والكفن المزعومان

قَدْ كَانَ شَاهِدَ دَفْنِي قَبْلَ قَوْلِهِمْ جَمَاعَةً، ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا

لقد شاهد دفني جماعة آخرون قبل هذه الشائعة الأخيرة، ثم ماتوا هم قبل الذي زعموا أنهم دفنوه

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَسْتَهِي السُّفُنُ

رَأَيْتُكُمْ لَا يَصُونُ الْعَرَضَ جَارُكُمْ وَلَا يَدِرُّ عَلَى مَرَعَاكُمْ اللَّبَنُ

رأيتك يا سيف الدولة لا يصون العرض جارك (مجاوروك، وأهل مجلسك)، والذي يرمى في مرعاكم لا يدر لبنه. الموجودون عندك الآن لا يصونون عرض الناس، وليس في عطائك بركة، فهو كالمرعى الذي ترمى فيه الإبل ولا يدر حليبها عليه

جَزَاءُ كُلِّ قَرِيبٍ مِنْكُمْ مَلَلٌ وَحَظُّ كُلِّ مُحِبٍّ مِنْكُمْ ضَعْفٌ

كل من يقترب منكم جزاؤه أن تملوا منه، وكل من يحبكم حظه (نصيبه) منكم الضعف (الحقد)

وَتَغْضَبُونَ عَلَى مَنْ نَالَ رِفْدَكُمْ حَتَّى يُعَاقِبَهُ التَّنْغِيصُ وَالْيَمَنُ

تغضبون على من تعطونه رفقكم (عطاءكم) فيكون عقابه أنكم نغصتم عليه ومنتمم عليه (أذلتموه بالنعمة)

سَهَرْتُ بَعْدَ رَجِيلِي وَخَشَةَ لَكُمْ ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرِي، وَارْعَوَى الْوَسَنُ

بعد رجيلي عنك يا سيف الدولة سهرت وأنا أحس بوحشة لفراقك، ثم استمر مريري (قويت)، وارعوى (عاد) لي الوسن (النوم)

وَإِنْ بُلِيْتُ بِوُدِّ مِثْلٍ وَدُّكُمْ فَلِأَنِّي بِفِرَاقٍ مِثْلِهِ قَمِنُ

طبعي أنني إذا ابتليت بود مثلكم ودكم فإني قمن (جدير) بمعالجته بفراق كفراقي إياكم

أَبْلَى الْأَجَلَةَ مُهْرِي عِنْدَ غَيْرِكُمْ وَبُدِّلَ الْعُذْرُ بِالْفُسْطَاطِ، وَالرَّسَنُ

أبلى مهري الأجلة (أنلف حصاني السروج)، وبُدِّلَ العذر (اللُجْم) والرسن وأنا بالفسطاط (القاهرة القديمة) عند غيركم، يقول: طالت إقامتي عند غيركم لأنهم أكرموني، واهترا سرج حصاني، وبُدِّلَ لجامه لطول إقامتي

عِنْدَ الْهُمَامِ أَبِي الْمَسْكِ الَّذِي غَرِقَتْ فِي جُودِهِ مُضَرُّ الْحَمَرَاءِ وَالْيَمَنُ

أنا مقيم عند الهمام (السيد) أبي المسك (كافور) الذي غرقت في جوده (كرمه) مضر الحمراء (قبيلة مضر واردة الذهب الأحمر) واليمن، يقول: أغرق هذا الرجل بكرمه كل العرب من مضرية ويمنية

وَأَنْ تَأْخَرَ عَنِّي بَعْضُ مَوْعِدِهِ فَمَا تَأْخُرُ آمَالِي وَلَا تَهْنُ
وإذا تأخر عني في وعده فأمالِي لا تتأخر ولا تهن (تضعف)، فالمتنبى يظن أنه موعود بولاية عند
كافور

هُوَ الْوَفِيُّ، وَلَكِنِّي ذَكَرْتُ لَهُ مَوْدَّةً، فَهُوَ يَبْلُوهَا، وَيَمْتَحِنُ
كافور وفِي بوعده، ولكنتي كنت قد ذَكَرْتُ له مودتي فهو يتأخر ليلوها (يختبرها) ويمتحنها

١٠٤ غدار يا زمن

مما قال المتنبى بمصر ولم يشدها كافوراً، ولم يذكره فيها: ١٠/١٠
صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا
قبلنا صاحب الناس ذا (هذا) الزمان، وكان يعينهم من شأنه ما يعيننا

وَتَوَلَّوْا بِغُصَّةٍ كُلُّهُمْ مِنْهُ هُ، وَإِنْ سَرَّ بَعْضُهُمْ أَحْبَابَنَا
وتولوا (انصرفوا) كلهم بغصة في الحلق من غدر الزمان، وإن سَرَّ الزمانُ بعضهم حيناً

رُبَّمَا تُحْسِنُ الصَّنِيعَ لِيَالِيهِ هُ، وَلَكِنْ تُكَدِّرُ الْإِحْسَانَا
تحسن ليالي هذا الزمان، ولكنها تكدر إحسانها بالנקبات

وَكَاثَا لَمْ يَرْضَ فِينَا بِرَيْبِ الدِّ هُ رَحَى أَعَانَهُ مَنْ أَعَانَا
وكان غدر الزمان لا يكفي، فجاء بعض البشر وأعانوه في الشر

كُلَّمَا أَتَيْتَ الزَّمَانُ قَنَاءً رَكِبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاءِ سِنَانَا
كلما أتيت الزمان قناة (غصناً) ركب الإنسان في رأس الغصن سناناً حاداً ليصبح رمحاً

وَمُرَادُ النُّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ تَتَمَادَى فِيهِ، وَأَنْ تَتَفَانَى
ومراد النفوس (هدفها) أصغر من أن تتعادي فيه (بسيه) وأن يفني بعضها بعضاً

غَيْرَ أَنَّ الْفَتَى يُلَاقِي الْمَنَايَا كَالِحَاتٍ، وَلَا يُلَاقِي الْهَوَانَا
لكن الفتى يفضل أن يلاقي المنايا كالحات (الميتات وهي عابسات) على أن يلاقي الهوان (الذل)

وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبْقَى لِحَيٍّ لَعَدَدْنَا أَضْلَلْنَا الشُّجْعَانَا

ولو أن الحياة تبقى لأي من الأحياء لاعتبرنا الشجعان أضل الناس (أجهل الناس).
فلو كان المرء لا يموت إلا إن قتل قتلاً، فعتلئذ يكون الشجاع ضالاً إذ يعرض نفسه
لموت كان يمكن أن يتجنبه أبد الأبد

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدُّ فَمِنْ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانًا

ولكننا سنموت جميعاً على أي حال، لهذا فمن التقصير أن تكون جباناً

كُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ، مِنَ الصَّعْبِ فِي الْأَنْدِ خُفْسٍ، سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا

كل شيء لم يكن (يحدث) بعد صعب على النفس، فإذا كان (وقع) صار سهلاً

١٠٥ المتحكم في الأفلاك

قال المتنبي يذكر قيام شبيب العقيلي على الأستاذ كافور وقتله بدمشق سنة ثمان

وأربعين وثلاثمئة: ٢٧/٤

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ

عدوك يذمه الجميع، حتى لو كان القمر والشمس، لأنك محبوب جداً

وَلِلَّهِ سِرٌّ فِي عُصَاكَ، وَإِنَّمَا كَلَامُ الْعِدَى ضَرْبٌ مِنَ الْهَذْيَانِ

لله سر في عصاك (مجدك) وكلام أعدائك هذيان

أَرِذْ لِي جَمِيلاً، جُدْتَ أَوْ لَمْ تَجُدْ بِهِ فَإِنَّكَ مَا أَحْبَبْتَ فِيَّ أَتَانِي

أرد لي (انو لي) جميلاً (معروفاً) سواء جدت به (تكرمت به) أم لم تجد، فإن نيتك بمثابة القدر

وهي تتحقق، وكل شيء أحببت أن تراه بشأني سيأتي

لَوْ الْفَلَكَ الدَّوَّارُ أَبْغَضْتَ سَفِيَهُ لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَّارِ

لو أنك كرهت سعي الفلك الدائر لعوقه شيء وتوقف

١٠٦ الزائرة الخجول

نالت أبا الطيب بمصر حمى، فقال يصفها ويمرّض بالرحيل عن مصر، وذلك في ذي

الحجة سنة ثمان وأربعين وثلاثمئة: ٤٢/٤٢

مَلُومُكُمْ مَا يَجِلُّ عَنِ الْمَلَامِ وَوَقِعُ فَعَالِهِ فَوْقَ الْكَلَامِ

ملومكما (الذي تلومانه) يجل (يرتفع) عن الملام (اللوم) ووقع (أثر) أفعاله فوق (أعلى مستوى) من

كلام اللاتمين

ذَرَانِي وَالْفَلَاةَ، بِلا دَلِيلٍ وَوَجْهِي وَالْهَجِيرَ، بِلا لِثَامٍ

اتركاني والصحراء بلا دليل، واتركا وجهي والهجير (حر الظهيرة) بلا لثام

فَإِنِّي أَسْتَرِيحُ بِذِي وَهَذَا وَأَتَعَبُ بِالْإِنَاخَةِ وَالْمُقَامِ

فإنني أستريح بذى (بهذه: أي الصحراء) وهذا (الهجير: حر الظهيرة)، وأتعب بالإناخة (الحلول بالمكان)

عُيُونُ رَوَاحِلِي إِنْ حَرْتُ عَيْنِي وَكُلُّ بُغَامٍ رَازِحَةٍ بُغَامِي

عيون رواحلي (إيلي) إن حرت (ضللت الطريق وتحيرت) هي عيني، وكل بغام (الأنين المتقطع للناقة) رازحة (ناقة متعبة) هو صوتي، يقول: إنه متوحد مع إبله يهتدي بها، أو يهديها، وأنيها يمثل ما في نفسه من مشاعر. وقد ضرب الشراح في هذا البيت في كل واد، ويبقى المعنى في بطن الشاعر

فَقَدْ أَرَدَ الْمِيَاهَ بِغَيْرِ هَادٍ سِوَى عَدِّي لَهَا بَرَقَ الْغَمَامِ
فقد أرد (آتي) المياه بغير هاد (دليل) سوى عدي بروق الغمام (السحب)، وهي طريقة لمعرفة مكان هطول المطر

يُذِمُّ لِمُهَجَّتِي رَبِّي وَسَيْفِي إِذَا احْتَاجَ الْوَحِيدُ إِلَى الذُّمَامِ
يذم (يحفظ العهد والذمة) لمهجتي (لقلبي) ربي وسيفي، هذا إذا احتاج الوحيد إلى ذمام (عهد بالحماية)

وَلَا أُمْسِي لِأَهْلِ الْبُخْلِ ضَيْفًا وَلَيْسَ قِرَى سِوَى مُخِّ النَّعَامِ
ولا أنزل ضيفاً على البخلاء، حتى وإن كان القرى (الطعام) الوحيد لدي هو مخ النعام (ومخه كراسه صغير جداً). يقول: لا أنزل على البخيل حتى وإن عدت كل زاد

وَلَمَّا صَارَ وَدُ النَّاسِ خِبَاءً جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بِابْتِسَامٍ
عندما صار ود الناس خباً (غشاً)، جزيت (كافأت) على الابتسام (الابتسام الخادع بمثله

وَصِرْتُ أَشْكُ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ لِعِلْمِي أَنَّهُ بَغْضُ الْأَنَامِ
وصرت أشك فيمن أصطفيه (أختاره) لأنني أعلم أنه بغض الأنام (الخلق) فهو إذن مثلهم

يُحِبُّ الْعَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِي وَحُبُّ الْجَاهِلِينَ عَلَى الْوَسَامِ
يحب العاقلون بسبب تصافي القلوب، والجاهلون يحبون على الوسام (المظهر)

وَأَنْفٌ مِنْ أَخِي لِأَبِي وَأُمِّي إِذَا مَا لَمْ أَجِذْهُ مِنَ الْكَرَامِ
أنف من (أترفع عن) أخي الشقيق إذا لم يكن كريم الخلق

أَرَى الْأَجْدَادَ تَغْلِبُهَا كَثِيرًا عَلَى الْأَوْلَادِ أَخْلَاقُ اللَّئَامِ
أخلاق الأجداد تغلبها في أحفادهم ما اكتسبه الأحفاد من أخلاق اللئام

وَلَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ بِأَنْ أَعَزَى إِلَى جَدِّ هَمَامٍ
لست مكثياً من الفضل بأن أعزى (أنتسب) إلى جد همام (سيد كريم)

عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدْ وَحْدٌ وَيَنْبُو نَبْوَةَ الْقَضْمِ الْكِهَامِ
عجبت لمن له قد (قامة) وحده (قوة)، ثم ينبو (يخطئ) نبوة القضم الكهام (السيف المثلم غير القاطع)

وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي فَلَا يَذُرُّ الْمَطِيَّ بِلا سَنَامٍ
وعجبت ممن يجد طريق المعالي (الأمجاد) فلا يسلكها ولا يترك مطيته (ناقته) وقد
ذاب سنامها من طول السير. يقول: من وجد طريق المجد فليمش فيه، وليبدل كل
شيء وليتعب ناقته وليترك سنامها يذوب

وَلَمْ أَرْ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئاً كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى الثَّمَامِ
أكبر عيب في البشر قلة القادرين على إكمال المعروف، فهم يحسنون للمرء إحساناً ناقصاً

أَقَمْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ، فَلَا وَرَائِي تَحُبُّ بَيْ الرِّكَّابِ، وَلَا أَمَامِي
أقمت في مصر فلا أمامي ولا ورائي تخب الركاب (تسير الأبل). أي: حالي واقفة بمصر

وَمَلَّنِي الْفِرَاشُ، وَكَانَ جَنْبِي يَمَلُّ لِقَاءَهُ فِي كُلِّ عَامٍ
ملني الفراش وكان جنبي يمل من الفراش ويكرمه رغم أنني لا أنام عليه إلا مرة في العام، فقد
كان نومي متقطعاً وأنا أسير في البوادي

قَلِيلٌ عَائِدِي، سَقَمٌ فُؤَادِي كَثِيرٌ حَاسِدِي، صَعْبٌ مَرَامِي
قليل عائدي (زواري في مرضي قليلون)، سقم (مريض) قلبي من إحباطه، وحسادي كثيرون،
ومرامي (هدفي) صعب

عَلِيلُ الْجِسْمِ، مُتَمَنِّعُ الْقِيَامِ شَدِيدُ السُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمُدَامِ
جسمي عليل ولا أقوى على القيام، وسكري شديد لكن بغير المدام (الخمر)

وَزَائِرَتِي كَأَنَّ بِهَا حَيَاءً فَلَيْسَ تَزُورُنِي إِلَّا فِي الظَّلَامِ
وزائرتي (الحمى، السخونة التي تعاده) كأنها خجلة، فلا تزورني إلا في الظلام

بَذَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَاقَبَتْهَا، وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي
بذلت لها (أعطيتها) المطارف (الملابس) والحشايا (المساند المحشوة)، فعاقبتها (رفضتها) وباتت
داخل جسمي وفي عظامي

يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا فَتُوسِعُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ
جلدي يضيق فهو لا يتسع لتفسي وللحمى، لذا تفتسي ضعيف، ولكن الحمى مع ذلك توسع
(تملاً) جسمي بأنواع السقام (المرض)

كَأَنَّ الصُّبْحَ يَطْرُدُهَا، فَتَجْرِي مَدَامُهَا بِأَرْبَعَةٍ سَحَابٍ
كأن الصبح يطردها عني، فتألم لفراقي فتجري مدامها بأربعة (أطراف العينين الأربعة) سحاب
(جارية). ودومعها العرق الذي يسيل منه صباحاً

إِذَا مَا فَارَقْتَنِي، غَسَّلْتَنِي كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامٍ
عندما تفارقتني الحمى تغمرني بالعرق، فكأن ذلك اغتسال بعد ممارسة محرمة مع تلك الزائرة

أُرَاقِبُ وَقْتَهَا (مِنْ عَبِيرِ شَوْقٍ) مُرَاقِبَةَ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ
أراقب وقتها (أنتظر زيارتها) كانتظار المشتاق المستهَام (الهائم) لعشيته لكن مع فارق... أراقب
الحمى بدون شوق

وَيَصْدُقُ وَعْدُهَا، وَالصَّدْقُ شَرٌّ إِذَا أَلْقَاكَ فِي الْكُرْبِ الْعِظَامِ
ويصدق وعد الحمى فتجيء، والصدق شر إذا رماك في الكرب (المصائب) العظام (العظيمة)

أَبْنَتَ الدَّهْرِ! عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ فَكَيْفَ وَصَلْتَ أَنْتِ مِنَ الرِّحَامِ
يا بنت الدهر (أيها المصيبة)! أنا عندي كل مصيبة، فكيف وصلت أنت في زحمة المصائب
المجتمعة على قلبي؟

جَرَحْتَ مُجَرَّحًا لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَكَانٌ لِلْسُّيُوفِ وَلَا السُّهَامِ
أَلَا يَا لَيْتَ شِعْرَ يَدَيِ أَتُمْسِي تَصَرَّفُ فِي عِنَانٍ أَوْ زِمَامٍ
متى تصبح يدي متصرفة في عنان (مقود الفرس) أو زمام (مقود الناقة) فأرحل عن هذا المكان؟

وَهَلْ أَرُمِي هَوَايَ بِرَاقِصَاتٍ مُحَلَّاةٍ الْمَقَاوِدِ بِاللُّغَامِ
وهل سيأتي يوم أكلف فيه النياق الراقصات فوق الرمل التي تتزين مقاورها (أعنتها)
باللغام (الزُّبْد) بتحقيق رغبتني في الرحيل؟ يتلذذ بتخيل النياق ترقص به وهو يغادر
مصر، ويرى الزبد الذي يخرج من أفواهها ويسيل على أزمتها زينة لها. يحسن بنا أن
نفهم «الراقصات» على أنها راقصات فالصورة جميلة؛ وأما الرقص في المعجم القديم
فهو (ضرب من سير النياق)

فَرُبَّمَا شَفَيْتُ غَلِيلَ صَدْرِي بِسَيْرٍ، أَوْ قَنَاقٍ أَوْ حُسَامٍ
فربما (ربما) شفيت غليل (عطش) صدري بسير في الصحراء أو بقناة (رمح) أو حسام، فهذا هو ما
أحب

وَضَاقَتْ خُطَّةٌ فَخَلَصْتُ مِنْهَا خَلَاصَ الْخَمْرِ مِنْ نَسِجِ الْفِدَامِ
وربما ضاقت علي خطة (أمر)، فخلصت منها كما يخلص الخمر من نسج الفدام (قمشة المصفاة)

وَفَارَقْتُ الْحَبِيبَ بِلَا وَدَاعٍ وَوَدَّعْتُ الْبِلَادَ، بِلَا سَلَامٍ
يَقُولُ لِي الطَّبِيبُ: أَكَلْتُ شَيْئًا؟ وَدَاؤُكَ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ
يسألني طيبي إن كنتُ أكلتُ شيئاً، ويقول إن الداء أصله من الأكل والشرب

وَمَا فِي طَبِّهِ أَنِّي جَوَادٌ أَضَرَّ بِجِسْمِهِ طُولُ الْجَمَامِ

وليس موجوداً في طبه أنني حصان أصيل الحق الضرر بجسمه طول الجمام (الاستراحة)

تَعَوَّدَ أَنْ يُغَبَّرَ فِي السَّرَايَا وَيَدْخُلَ مِنْ قَتَامٍ فِي قَتَامٍ

تعود هذا الحصان أن يغبر في السرايا (الكتائب)، ويدخل من قتام (غبار) في قتام (غبار)

فَأُمْسِكَ، لَا يُطَالُ لَهُ فَيَزَعَى وَلَا هُوَ فِي الْعَلِيقِ وَلَا اللَّجَامِ

ثم أمسك هذا الحصان، فلا يطال له الجبل ليرعى، ولا وضع رأسه في العليق (المخلاة المعلقة برأس الحصان) ولا في اللجام استعداداً للسفر

فَإِنْ أَمْرَضَ، فَمَا مَرِضَ اضْطِبَّارِي وَإِنْ أَحْمَمَ، فَمَا حُمَّ اغْتِزَامِي

فإن مرضت فإن صبري لم يمرض، وإن حممت فغزمي لم يصب بالحمى

وَإِنْ أَسْلَمَ فَمَا أَبْقَى، وَلَكِنْ سَلِمْتُ مِنَ الْجَمَامِ إِلَى الْجَمَامِ

فإذا سلمت بعد هذا المرض وعشت فلن أخلد، سلمت من الموت إلى الموت

تَمَنَّعَ مِنْ سُهَادٍ أَوْ رُقَادٍ وَلَا تَأْمَلُ كَرَى تَحْتَ الرَّجَامِ

تمنع يا هذا من السهاد (السهر والنعاس) والرقاد، فلا كرى (نوم) تحت الرجام (حجارة القبر)

فَإِنَّ لِّثَالِثِ الْحَالَيْنِ مَعْنَى سِوَى مَعْنَى انْتِبَاهِكَ وَالْمَنَامِ

فثالث الحالين، سوى السهاد والرقاد، وهو الموت له معنى مختلف تماماً عن الانتباه (اليقظة) والنوم

١٠٧ خير جليس

قال المتنبي يمدح كافوراً، وأنشده إياها في شوال سنة تسع وأربعين وثلاثمئة، وهي آخر

ما أنشده، ولم يلقه بعدها: ٤٣/٢٦

مُنَى كُنْ لِي أَنَّ الْبَيَاضَ خِضَابٌ فَيَخْفَى بِتَبْيِضِ الْقُرُونِ شَبَابٌ

منى (أمنيات) كانت لي في سن الشباب أن يكون هناك خضاب (صبغ) أبيض للشعر، فأصبح شعري به لتبيض القرون (الخصلات) وإخفاء صغر السن

لِبَالِي عِنْدَ الْبَيْضِ فُودَايَ فَتَنَةٌ وَفَخْرٌ، وَذَاكَ الْفَخْرُ عِنْدِي عَابٌ

هذا الشعور خالجي لبالي (في زمن) كان فوداي (سالفاي) فيه فتنة عند البيض (النساء البيض) وفخراً لأي شاب، ولكنني كنت أرى سواد السوالم عاباً (عيباً)

وَفِي الْجِسْمِ نَفْسٌ لَا تَشِيبُ بِشَيْبِهِ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْوَجْهِ مِنْهُ حِرَابٌ

نفسي لا تشيب بشيب شعري، حتى لو انغرس في الوجه، بدل الشعرات البيض، الحراب (السكاكين)

لَهَا ظَفَرٌ، إِنْ كَلَّ ظَفَرٌ أَعِدَّهُ، وَنَابٌ، إِذَا لَمْ يَبْقُ فِي الْفَمِ نَابٌ
لنفسى ظفرٌ إن كلَّ (ضعف) ظفر أعدّه (أهينته للمواجهة)، ولها ناب إذا لم يبق في فمي أنياب.
يقول: في نفسي من العزم ما يعوض فقدي قوة الجسم

يُغَيِّرُ مِنِّي الدَّهْرُ مَا شَاءَ، غَيْرَهَا وَأَبْلُغُ أَقْصَى الْعُمَرِ وَهِيَ كَعَابٌ
يغير الدهر مني ما يشاء، إلا نفسي، فأنا أبلغ أقصى العمر وهي كعاب (شابة)

وَإِنِّي لَنَجْمٌ تَهْتَدِي صُحْبَتِي بِهِ إِذَا حَالَ مِنْ دُونِ النُّجُومِ سَحَابٌ
أنا أهدي أصحابي برأيي عندما تخفي طرق الهداية الأخرى، فكأنني النجم يهتدون به عندما تحول
السحب دون رؤية النجوم التي يستدلون بها في الصحراء

غَنِيٌّ عَنِ الْأَوْطَانِ، لَا يَسْتَحْفِنِي إِلَى بَلَدٍ سَافَرْتُ عَنْهُ إِيَابٌ
غني (مستغن) أنا عن الأوطان، ولا يستخفي (يستهيبي) الإياب (الرجوع) إلى بلد كنت سافرت عنه
وَأَصْدَى، فَلَا أَبْدِي إِلَى الْمَاءِ حَاجَةً وَلِلشَّمْسِ فَوْقَ الْيَعْمَلَاتِ لَعَابٌ
وأصدي (أعطش) فلا أبدي حاجة للماء، بينما الشمس تلقي على اليعملات (النياق) لعبها (خيوطاً)
يرأها من يمشي في القيط نازلةً من الشمس

وَلِلسِّرِّ مِنِّي مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ نَدِيمٌ، وَلَا يُفْضِي إِلَيْهِ شَرَابٌ
لا ينال النديم الذي يجالسي ما عندي من سر، ولا الشراب (الخمير) يفضي (يؤدي) إلى كشف السر

وَلِلْخَوْدِ مِنِّي سَاعَةٌ، ثُمَّ بَيْنَنَا فَلَاةٌ إِلَى غَيْرِ اللَّقَاءِ تُجَابٌ
ولللخود (المرأة الناعمة) مني ساعة ثم تكون بيننا فلاة (صحراء) أجوبها (أقطعها) فلا يكون لقاء بعدها

وَمَا الْعِشْقُ إِلَّا غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ يُعَرِّضُ قَلْبٌ نَفْسَهُ فَيُصَابُ
العشق غرة (خداع) وطماعة (طمع)، والقلب هو الذي يعرض نفسه فيصاب بالعشق

وَعَبِيرُ فُؤَادِي لِلْفَوَانِي رَمِيَّةٌ وَغَيْرُ بَنَانِي لِلزُّجَاجِ رِكَابٌ
غير فؤادي للفواني (الجميلات) رمية (هدف)، وغير بناني (أصابعي) للزجاج (يعني الكأس) ركاب (مطية).
يقول: فؤادي ليس هدفاً يصاب بسهام ترميها الحسان، وأصابعي لا تحمل كأس خمير

تَرَكْنَا لِأَطْرَافِ الْقَنَا كُلِّ شَهْوَةٍ فَلَيْسَ لَنَا، إِلَّا بِهِنَّ، لِعَابٌ
تركنا كل الشهوات لكي تنفرغ لأطراف القنا (الرماح)، فنحن لا لعب (لعب) لنا إلا بالسلاح

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا سَرُجٌ سَابِجٌ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابٌ
أعز (أمنع وأحصن) مكان في الدنيا (الدنياوات/يعني الدنيا) سرج سابج (فرس)، وخير جليس
كتاب

وَبَحْرُ أَبِي الْمَسْكِ الْخَضَمُ الَّذِي لَهُ عَلَى كُلِّ بَحْرٍ، زَخْرَةٌ وَعُبابٌ
بحر أبي المسك (كافور) هو البحر الخضم (الكثير الماء) الذي له، أكثر من كل بحر آخر، زخرة
(تدافع الماء) وعباب (ارتفاع الموج)

أَرَى لِي، بِقُرْبِي مِنْكَ، عَيْنًا قَرِيرَةً وَإِنْ كَانَ قُرْبًا بِالْبِعَادِ يُشَابُ
عيني قريرة (باردة بلا دمع) بقربك، وإن كان القرب منك يشاب (يخلط) بالبعد لعدم تليتك مطلبتي
وَهَلْ نَافِعِي أَنْ تُرْفَعَ الْحُجُبُ بَيْنَنَا وَدُونَ الَّذِي أَمَلْتُ مِنْكَ حِجَابٌ
هل ينفعني أن تسمح لي بالدخول عليك كما أشاء، بينما يحول دون ما أؤمله منك حجاب هو
تقاعسك عن تلبية طلبتي؟

أَقِلُّ سَلَامِي حُبِّ مَا خَفَّ عَنْكُمْ وَأَسْكُتْ، كَيْمَا لَا يَكُونَ جَوَابُ
أقلل من القدوم للتسليم حباً في التخفيف عنكم، وأسكت كيما (كي) لا أكلفكم الجواب
وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ، وَفِيكَ فُطَانَةٌ سُكُونِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ
وفي نفسي حاجات، وفيك فطانة (ذكاء)، وسكونتي هو بمثابة بيان (إفصاح) وخطاب (كلام) يشرح
حاجاتي

وَمَا أَنَا بِالْبَاغِي عَلَى الْحُبِّ رِشْوَةً ضَعِيفٌ هَوَى يُبَغَى عَلَيْهِ ثَوَابُ
لست أبغي (أريد) رشوة منك لأنني أحبك، فالحب الضعيف هو الذي يُطَلَّبُ عليه الثواب
(المكافأة)، أي أن حبي لك خالص من المصلحة. تسويد البيتين لأحمد عبد الرحيم
وَمَا شِئْتُ إِلَّا أَنْ أَدُلَّ عَوَاذِلِي عَلَى أَنْ رَأَيْتُ فِي هَوَاكَ صَوَابُ
وكل ما أريده هو أن أثبت لعواذلي (حاسداتي) أنني كنت على صواب عندما وضعت أمني فيك
وَأُعْلِمَ قَوْمًا خَالَفُونِي فَشَرُّقُوا وَغَرَّبْتُ، أَنِّي قَدْ ظَفِرْتُ، وَخَابُوا
وأردت أن أفهم الناس الذين خالفوني، فرحلوا شرقاً بينما أنا رحلت غرباً إلى مصر، أنني ظفرت
(نجحت) وخابوا هم

جَرَى الْخُلْفُ إِلَّا فِيكَ: أَنَّكَ وَاحِدٌ وَأَنَّكَ لَيْتٌ، وَالْمَلُوكُ ذُنَابُ
الخلف (اختلاف الرأي) موجود في كل شيء إلا في حقيقة أنك متفرد متميز، وأنتك ليت (أسد)
والملوك الآخرين ذناب

إِذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوَدَّ قَالِمَالُ هَيْنَ وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ الثَّرَابِ ثَرَابُ
إذا نلت (أخذت) ودك فالمال هين (تافه)، وكل ما فوق التراب تافه كالتراب. تسويد أ. عبد الرحيم
وَمَا كُنْتُ، لَوْلَا أَنْتَ، إِلَّا مُهَاجِرًا لَهُ كُلُّ يَوْمٍ بَلَدَةٌ وَصِحَابُ
ولولا أنت لما كنت أنا إلا مهاجراً، في كل يوم له بلد جديد وأصحاب جدد

وَلَكِنَّكَ الدُّنْيَا، إِلَيَّ حَبِيبَةٌ فَمَا عَنْكَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابُ
ولكنك أنت الدنيا، وهي حبيبة إلى نفسي، فليس لي أن أذهب عنك إلا إليك، والدنيا لا يسع
أحداً أن يخرج منها

١٠٨ لولا المشقة ساد الناس كلهم

قديم أبو شجاع فاتك، المعروف بالمجنون، من الفيوم إلى مصر فوصل أبا الطيب،
وحمل إليه هدية قيمتها ألف دينار، فقال يمدحه: ٤٦/٩

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ، إِنَّ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ
يخاطب المتنبي نفسه: لا خيل عندك تهديها أيها الشاعر ولا مال، فليسعدك (ليساعدك) النطق إن
لم تساعدك حالك المادية

وَاجِزِ الْأَمِيرَ الَّذِي نِعْمَاهُ فَاجِئَةٌ بِغَيْرِ قَوْلٍ، وَنُعْمَى النَّاسِ أَقْوَالُ
واجز (كافئ) الأمير الذي نعماه فاجئة جاءت بغير قول (مكرمه تلقائية بلا وعد مسبق)، بينما
مكرمات الناس أقوال. تعريض بكافور الذي يعد ولا يفي

وَمَا شَكَرْتُ لِأَنَّ الْمَالَ فَرَّحَنِي سَيِّئَانَ عِنْدِي إِحْثَارُ وَإِفْلَالُ
لَكِنْ رَأَيْتُ قَبِيحاً أَنْ يُجَادَ لَنَا وَأَنْتَا بِقَضَاءِ الْحَقِّ بُخَالُ
قبيح أن يجاد لنا (يبدل لنا المال) ونكون بخالاً بقضاء حق الشكر

لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا سَيِّدُ فِطْنٍ، لِمَا يَشْقُ عَلَى السَّادَاتِ فَعَالُ
لا يحقق المجد إلا سيد فطن (نيه) فعال لما يشق (يصعب) حتى على السادات

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ، وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ
لولا المشقة (الصعوبة) لأصبح كل الناس أسياداً، فالجود يفقّر المرء والإقدام (الشجاعة) تؤدي إلى القتل

وَلِأَنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ مَا كُلُّ مَاثِيَةٍ بِالرَّحْلِ شِمْلَالُ
وكل إنسان يبلغ من السيادة بقدر ما يطيق، وليست كل ناقة ماشية وفوقها الرحل (الخرج) شملال
(خفيفة سريعة)

إِنَّا لَفِي زَمَنِ تَرَكَ الْقَبِيحَ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانُ وَإِجْمَالُ
نحن في زمن رديء، ومجرد ترك الفعل القبيح، من جانب معظم الناس، هو إحسان وإجمال
(صنع الجميل)

ذَكَرُ الْفَتَى عُمُرُهُ الثَّانِي، وَحَاجَتُهُ مَا قَاتَهُ، وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ
سمعة الفتى هي العمر الثاني له بعد موته، وحاجته تقتصر على ما يقوته من أكل، وفضول العيش
(الكماليات) هي انشغالات لا ضرورة لها

١٠٩ ويزيدني غضب الأعادي قسوة

توفي أبو شجاع فأتك بمصر سنة خمسين وثلاثمئة، فقال المتنبي يرثيه بعد خروجه منها: ٤١/٢٤

الْحُزْنُ يُقْلِقُ، وَالتَّجَمُّلُ يَرْدَعُ وَالدَّمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِي طَبِيعُ
أحس توتراً من الحزن ثم يردعني التجميل (التصبر)، وبين الحالين فدمعي عصي (ممتنع) وطبع (سهل النزول)

يَتَنَازَعَانِ دُمُوعَ عَيْنٍ مُسَهَّدٍ هَذَا يَجِيءُ بِهَا، وَهَذَا يَرْجِعُ
هاتان الحالان تتنازعان دموع عين رجل مسهد (ساهر)، حال تجيء بالدموع وحال ترجعها إلى مكانها داخل العين

النُّومُ بَعْدَ أَبِي شُجَاعٍ نَافِرٌ وَاللَّيْلُ مُعِي، وَالْكَوَاكِبُ ظُلَعُ
النوم نفر مني بعد موت أبي شجاع، والليل مُعِي (متعب، يسبب الإعياء)، والكواكب ظلع (عرجاء) تسير ببطء والليل لا ينتهي

إِنِّي لَأَجْبُنُ عَنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي وَتُحَسُّ نَفْسِي بِالْحِمَامِ فَأَشْجُعُ
أحس بالجين عن فراق الأحبة، وإذا أحسست بدنوي أنا من الحمام (الموت) أشجع (أكون شجاعاً)

وَيَزِيدُنِي غَضَبُ الْأَعَادِي قَسْوَةً وَيُلِيمُ بِي عَثْبُ الصَّدِيقِ فَأَجْزَعُ
يزيدني غضب الأعداء علي قسوة في الطباع، ولكن عندما يعاتبني الصديق أجزع (أخاف) من إغضابه

تَصْفُو الْحَيَاةَ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ عَمَّا مَضَى فِيهَا، وَمَا يُتَوَقَّعُ
ولمَن يُغَالِطُ فِي الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ وَيُسُوْمُهَا طَلَبُ الْمُحَالِ فَتَطْمَعُ
تصفو الحياة أيضاً لمن يغالط نفسه ويسومها (يكلفها) المحال (المستحيل) فتطمع النفس في الخلود، ويعيش هو دائماً على أمل متجدد وكأنه لا يقر بأن كل هذا السعي عبث

أَيَّنَ الَّذِي الْهَرَمَانَ مِنْ بُنْيَانِهِ مَا قَوْمُهُ، مَا يَوْمُهُ، مَا الْمَصْرَعُ
أين من بنى الهرمين، وما شأن قومه، ويومه (يوم موته) ومصرعه (طريقة موته)؟

تَتَخَلَّفُ الْأَثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا حِيناً، وَيُذَرِّكُهَا الْفَنَاءُ فَتَتَّبِعُ
تتخلف (تتأخر) الآثار عن أصحابها حيناً (زمناً)، ثم يدركها (يلحقها) الفناء فتتبعهم

لَمْ يُرْضِ قَلْبَ أَبِي شُجَاعٍ مَبْلَغٌ قَبْلَ الْمَمَاتِ، وَلَمْ يَسْغُهُ مَوْضِعُ
لم يكن يرضي قلب أبي شجاع قبل موته مبلغ (هدف) لشدة طموحه، ولم يكن أي موضع يسع نفسه الكبيرة.

كُنَّا نَظُنُّ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً ذَهَبًا، فَمَاتَ وَكُلُّ دَارٍ بَلَقَعَ

ظنتاه غنيًا، فإذا داره بعد موته بلقع (خالية)

وَإِذَا الْمَكَارِمُ وَالصَّوَارِمُ وَالْقَنَا وَبَنَاتُ أَعْوَجَ كُلُّ شَيْءٍ يَجْمَعُ

ورأينا المكارم والصوارم (السيوف) والقنا (الرماح) وبناات أعوج (الغيل) هي كل ما جمعه

الْمَجْدُ أَحْسَرُ وَالْمَكَارِمُ صَفْقَةٌ مِنْ أَنْ يَعِيشَ لَهَا الْهُمَامُ الْأَزَوْعُ

المجد والمكارم أحسر صفقة (أنعس حظًا) من أن يعيش لها الهمام (السيد) الأزوع (المهيب)

وَالنَّاسُ أَنْزَلُ فِي زَمَانِكَ مَنْزِلًا مِنْ أَنْ تُعَايِشَهُمْ، وَقَدْرُكَ أَرْقَعُ

الناس أخط من أن تعيش بينهم

بَرْدُ حَشَايَ إِنْ اسْتَطَعْتَ بِلَفْظَةٍ فَلَقَدْ تَضَرُّ إِذَا تَشَاءُ وَتَنْفَعُ

برد حشاي (قلبي) بكلمة لو استطعها، فأنت من كان يضر وينفع. السيد عند العرب ممدوح بأن في يديه النفع والضرر أيضاً، وترسخت هذه الفكرة عندما صار السيد والياً أو أميراً

يَا مَنْ يُبَدِّلُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّةً أَنَّى رَضِيتَ بِحُلَّةٍ لَا تُنَزَّعُ؟

يا من كنت تبدل في كل يوم حلة (ثوباً)! أنى (كيف) رضيت بثوب لا تنزعه (يقصد الكفن)

مَا زِلْتُ تَخْلَعُهَا عَلَى مَنْ شَاءَهَا حَتَّى لَبِستَ الْيَوْمَ مَا لَا تَخْلَعُ

ظلت تخلع ثوبك وتعطيه لمن طلبه، حتى لبست اليوم ثوباً لن تخلعه أبداً، وهو الكفن

مَا زِلْتُ تَدْفَعُ كُلَّ أَمْرٍ فَادِحٍ حَتَّى أَتَى الْأَمْرُ الَّذِي لَا يُدْفَعُ

ظلت تدفع كل أمر فادح (مصيبة) حتى أتاك أمر لا سبيل إلى دفعه (الموت)

فَظَلِلْتُ تَنْظُرُ، لَا رِمَاحُكَ شُرْعٌ فِيمَا عَرَكَ، وَلَا سِوْفُكَ قُطْعُ

فظلت تنظر والموت يقترب منك، فلا رماحك شرع (مُشرعة مسددة) في الأمر الذي عراك

(انتابك)، ولا سيوفك قُطْع (قاطعة) فيه

وَمَنْ اتَّخَذَتْ عَلَى الضُّيُوفِ خَلِيفَةً ضَاعُوا، وَمِثْلُكَ لَا يَكَادُ يُضَيِّعُ

من جعلت بعد موتك خليفة ليكرم الضيوف؟ لقد ضاع الضيوف، وكنت لا تضيع أحداً

قُبْحًا لَوَجْهِكَ يَا زَمَانُ! فَإِنَّهُ وَجْهٌ لَهُ مِنْ كُلِّ قُبْحٍ بُرْقَعُ

قبحاً لوجه الزمان فله من كل القبايح برقع (قناع)

أَيُّمُوتُ مِثْلَ أَبِي شُجَاعٍ فَاتَيْكَ وَيَعِيشُ حَاسِدُهُ الْخَصِيُّ الْأَوْكَعُ

أيموت مثل أبي شجاع ويعيش حاسده الخصي (المستأصل الخصيتين) الأوكع (المنحرف إصبغ

القدم نحو الداخل) وتلك صفة أقدام العبيد والإماء لكثرة الكدح، يهجو كافوراً

أَيْدٍ مُّقْطَعَةً حَوَالِي رَأْسِهِ وَقَفًّا يَصِيحُ بِهَا: أَلَا مَنْ يَضْفَعُ؟

الأيدي حول رأس كافور كأنها مقطوعة لأنها لا تستطيع صفعه، بينما قفا عنقه يصبح: هيا اصفعوني؛ فكافور بمصر متحكم بالبلد، وكبار أهل مصر مقطوعون الأيدي، لا يفعلون ما يجب فعله لتجنيته عن السلطة

أَبْقَيْتَ أَكْذَبَ كَاذِبٍ أَبْقَيْتَهُ وَأَخَذْتَ أَصْدَقَ مَنْ يَقُولُ وَيَسْمَعُ

أبقيت أيها الزمان أكذب الكاذبين الذين أبقيتهم على قيد الحياة، وأخذت أصدق إنسان

١١٠ أتينا زماننا في شيخوخته

قال المتنبي بالكوفة يرثي أبا شجاع فاتكاً، ويذكر مسيره عن مصر: ٣٩/١٨

حَتَّامٌ نَحْنُ نُسَارِي النَّجْمَ فِي الظُّلَمِ وَمَا سُرَاهُ عَلَى خُفٍّ وَلَا قَدَمٍ

حتى متى نساري النجم (نصاحب النجم في سير الليل) وليس سراه (سيره الليلي) على خف (قدم البعير) ولا على قدم، فالنجم لا يتعب ونحن نتعب من السير

تُسَوِّدُ الشَّمْسُ مِنَّا بِيضَ أَوْجِهِنَا وَلَا تُسَوِّدُ بِيضَ الْعُذْرِ وَاللِّمَمِ

في سير النهار تسود الشمس وجوهنا البيض، ولكنها لا تسود العذر (السوالف) واللمم (الشعر) التي وَخَطَهَا الشيب

لَا أَبْغِضُ الْعَيْسَ، لَكِنِّي وَقَيْتُ بِهَا قَلْبِي مِنَ الْحُزَنِ، أَوْ جِسْمِي مِنَ السَّقَمِ

لست أنبغ العيس (الإبل) لأنني أبغضها، ولكني بواسطتها وقيت (حميت) قلبي من الحزن، وحميت جسمي من السقم (المرض). فالمتنبي يمرض إذا طالت إقامته بمكان

طَرَدْتُ مِنْ مِصْرَ أَيْدِيهَا بِأَرْجُلِهَا حَتَّى مَرَقْتُ بِنَا مِنْ جَوْشِ وَالْعَلَمِ

طردت من مصر أيدي العيس (الإبل) بأرجلها (جعلتها تسرع) فكان قوائمها الخلفية تطرد نحو الأمام قوائمها الأمامية)، حتى مرقت بنا (مرت بسرعة) من جوش والعلم (من هذين المكانين)

لَا قَاتِكَ آخَرَ فِي مِصْرَ نَقْصِدهُ وَلَا لَهُ خَلْفٌ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ

لم يعد في مصر فاتك آخر، بعد موت فاتك الأسدي، حتى نقصده؛ وليس لفاتك خلف (بديل) في الناس جميعاً

مَنْ لَا تُشَابِهُهُ الْأَحْيَاءُ فِي شَيْمٍ أَمْسَى تُشَابِهُهُ الْأَمْوَاتُ فِي الرَّمَمِ

فاتك الذي لم يكن يشابهه أحد من الأحياء في الشيم (الأخلاق) أصبح وقد شابهه الأموات في الرمم (العظام النخرة)

مَا زِلْتُ أَضْحِكُ إِبْلِي كُلَّمَا نَظَرْتُ إِلَى مَنْ اخْتَضَبَتْ أَخْفَافُهَا بِدَمٍ
ظَلَلْتُ أَضْحِكُ إِبْلِي كُلَّمَا نَظَرْتُ الْإِبِلَ إِلَى الشَّخْصِ الَّذِي اخْتَضَبَتْ (اصطبغت)
أَخْفَافُهَا (أقدامها) بِدَمٍ.. وهي تمشي للوصول إليه. يقول: إِبْلِي تَضْحَكُ مِنِّي إِذْ
أَرْهَقُهَا وَأَدْمِي أَخْفَافُهَا للوصول إلى أمير لا يستحق مشقة الرحلة

أَسِيرُهَا بَيْنَ أَصْنَامٍ: أَشَاهِدُهَا وَلَا أَشَاهِدُ فِيهَا عِقَّةَ الصَّنَمِ
أَسِيرُ إِبْلِي بَيْنَ أَمْرَاءِ كَالْأَصْنَامِ، أَرَاهُمْ وَلَا أَرَى فِيهِمْ عِقَّةَ الصَّنَمِ (فالصنم عفيف لا يأتي ذنباً)
والحكام معبودون كالأصنام لكنهم يرتكبون الموبقات

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي: الْمَجْدُ لِلسَّيْفِ، لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ
حتى رجعت وأقلامي تقول لي: المجد للسيف وحده لا لأصحاب القلم، فالقلم لا يأتي بمجد

أَكْتُبُ بِنَا أَبَدًا، بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ
تقول الأقلام: أكتب بنا بعد الكتاب (الكتابة) به (بالسيف)، فالقلم يخدم السيف

وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الْإِنصَافِ قَاطِعَةً بَيْنَ الرِّجَالِ، وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمٍ
قلة الإنصاف لم تزل قاطعة الوداد بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم (أقارب)

هَوْنٌ عَلَى بَصَرٍ مَا شَقَّ مَنَظَرُهُ فَإِنَّمَا يَقْطَاطُ الْعَيْنِ كَالْحُلْمِ
هون على بصرك ما شق منظره (صعبت رؤيته) من أحوال الناس، فيقطة العين (الحياة الحقيقية)
كالهلم، وكل شيء تافه في هذه الدنيا

وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقِي، فَتُشْمِتُهُ، شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْغُرَبَانِ وَالرَّخِمِ

ولا تشك (لا تشنك) إلى أي مخلوق فيشمت بك، فتكون شكواك كشكوى الجريح
إلى الغريبان والرخم (النسور) التي تنتظر موته لتأكل لحمه وهو قاعد يشكو إليها
حاله. وتريد أقوى من هذا البيت؟ نقول الكثير عن المتنبي ونشككي من حمقه ومن
تناقضه، ويأتينا ببيت كهذا البيت فماذا نقول؟ قرأت قبل سوية قول ابن شرف
القيرواني وهو يصف أبا تمام والبحري ثم يرفعهما رفعا عن صاحبا، والآن أتمنى
لو يكون ذلك الناقد القديم حيا لأدس هذا البيت تحت أنفه وأقول له: انظر يا هذا.
يا ابن شرف! يشكو المرء ما حل به من سوء حال إلى زملاء له في العمل، فيهزون
رؤوسهم رياء، ويظهرون التوجع لحاله؛ ولسان ضميرهم يقول: زادك الله مما بك،
ولتذهب في داهية حتى نحسن وضعنا بعدك. فهو يشكو حاله إليهم شكوى الجريح
حاله إلى النسور التي تنتظر الانقراض على جثته

وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ لِلنَّاسِ نَسْرُهُ وَلَا يَغُرَّكَ مِنْهُمْ ثَغْرُ مُبْتَسِمٍ

احذر الناس واستر حذرهم، ولا تغتر منهم بغير (فم) مبتسم لك

غَاضَ الْوَفَاءَ، فَمَا تَلَقَّاهُ فِي عِدَةٍ وَأَعَوَزَ الصَّدْقُ فِي الْإِخْبَارِ وَالْقَسَمِ

غاض (اضمحل) الوفاء فما تلقاه في عدة (وعد)، وأعوز (انعدم) الصدق في نقل الخبر وفي القسم

سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسِي! كَيْفَ لَذَّتْهَا فِيمَا النُّفُوسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَلَمِ

سبحان من خلقتني، وكيف أن لذة نفسي هي في الأمور التي تراها النفوس الأخرى مؤلمة غاية الألم

وَقْتُ بَضِيعٍ، وَعُمُرٌ لَيْتَ مُدَّتَهُ فِي غَيْرِ أُمْتِهِ مِنْ سَالِفِ الْأُمَمِ

هذا وقت يضيع، وعمر يذهب سدى، فليتني أنفقت عمري في أمة من الأمم السالفة غير هذه الأمة

أَتَى الزَّمَانَ بَنُوهُ فِي شَبِيبَتِهِ فَسَرَّهُمْ، وَأَتَيْنَاهُ عَلَى الْهَرَمِ

الماضون من أبناء الزمن (البشر) جاءوا إلى الزمن وهو في شبابه فعاشوا عيشة كريمة وسرهم الزمان، ونحن أتيناوه وهو هرم (شيخ فان)

١١١ ومثلك يؤتى من بلاد بعيدة

قال المتنبي يهجو كافوراً، وكان قد نظر إلى شقوي في رجليه: ١٠/٩

أَرِيكَ الرِّضَى، لَوْ أَخَفَّتِ النَّفْسُ خَافِيَا وَمَا أَنَا عَنْ نَفْسِي وَلَا عَنْكَ رَاضِيَا

أظهر لك الرضا، هذا لو قدرت نفسي على إخفاء حقيقة مشاعري، ولكنني لست راضياً عن نفسي ولا عنك

أَمِينًا وَإِخْلَاقًا وَعَدْرًا وَحِسَّةً وَجُبْنًا؟ أَشَخْصًا لُحْتُ لِي، أَمْ مَخَازِيَا

أميناً (كذباً) وإخلافاً للوعد وغدراً وخسة وجبناً؟ وكل هذه الصفات فيك. هل أنت إنسان لحت لي (ظهرت لي) أم أنت مجموعة من المخازي؟

تَنْظُرُ ابْتِسَامَاتِي رَجَاءً وَغِبْطَةً وَمَا أَنَا إِلَّا ضَاحِكٌ مِنْ رَجَائِيَا

تظن ابتساماتي رجاء لكرمك وغبطة بحضوري مجلسك، وما أنا في الواقع إلا ضاحك من هذا الرجاء

وَتُعْجِبُنِي رِجْلَاكَ فِي النَّعْلِ، إِنْنِي رَأَيْتُكَ ذَا نَعْلٍ إِذَا كُنْتَ حَافِيَا

تعجبني رؤية رجلك في النعل، أراها وأتخيل منظرك حافياً فأراك كأنك متعل لأن جلد قدميك غليظ كالنعل

وَأِنَّكَ لَا تَدْرِي: أَلَوْنُكَ أَسْوَدٌ، مِنَ الْجَهْلِ، أَمْ قَدْ صَارَ أَبْيَضَ صَافِيَا

ولجهلك لست تدري أنت أسود أم قد صرت أبيض لمجرد وصولك للحكم

وَيُذَكِّرُنِي تَخَيُّطَ كَعْبِكَ شَقَّةُ وَمَشْيِكَ فِي ثَوْبٍ مِنَ الزَّيْتِ عَارِيَا
يذكرني كعبك المخيَّط ما به من شقوق، وأتذكرك وأنت تمشي عارياً وتحمل الزيت لمالكك تاجر
الزيت، والزيت يتصب على جسمك، فكأنك تلبس ثوباً من الزيت

وَلَوْلَا فَضُولُ النَّاسِ جِئْتُكَ مَادِحًا يَمَا كُنْتُ فِي سِرِّي بِهِ لَكَ هَاجِيَا
ولولا فضول الناس (تدخلهم فيما ليس من شأنهم) لجئتكم مادحاً بالصفات التي كنت أمدحوك بها
في ضميري، فأنت لن تفهم شيئاً من قلبي، لكنني لم أفعل لأن الناس قد يبلغونك بما أعنيه
فإن كُنْتُ لَا خَيْرًا أَفَدْتُ، فَلِإِنِّي أَفَدْتُ، بِلَحْظِي مَشْفَرِّكَ، الْمَلَاهِيَا
فإن كنت لم أستفد منك شيئاً، فعلى الأقل استفدت الملاهي (اللهو) بلحظي (بملاحظتي) مشفرك
(شفيتك الغليظتين) والمشفر للبعير

وَمِثْلُكَ يُؤْتَى مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ لِيُضْحِكَ رَبَّاتِ الْحِدَادِ الْبَوَاكِ يَا
ومثلك يأتيه الناس من بلاد بعيدة، ولا سيما ربات الحجال (ربات السور/ النساء) الباكيات كي يضحكن

١١٢ يا أمة ضحكت من جهلها الأمم

قال المتنبي يهجو كافوراً: (نسبة ما اخترناه إلى عدد أبيات القصيدة) ٨/٤

مِنْ أَيْةِ الطَّرْقِ يَأْتِي نَحْوَكَ الْكَرْمُ؟ أَيْنَ الْمَحَاجِمُ يَا كَافُورُ وَالْجَلَمُ؟
من أي طريق سيأتيك الكرم (علو المنزل)؟ قل لي: أين المحاجم (قوارير الحجامه) وأين الجلم
(المقص)؟ يقال إن الذي كان يملك رق كافور كان حجاماً، وقيل كان زياتاً
جَارَ الْأَلَى مَلَكَتْ كَفَاكَ قَدْرُهُمْ؟ فَعَرَّفُوا، بِكَ، أَنَّ الْكَلْبَ فَوْقَهُمْ
الذين ملكتهم بكفك من الناس تجاوزوا قدرهم وتجبروا وظلموا؛ فجاءهم الله بك لكي يعرفهم أن
الكلب فوقهم قيمة

سَادَاتُ كُلِّ أُنَاسٍ مِنْ نُفُوسِهِمْ وَسَادَةُ الْمُسْلِمِينَ الْأَعْبُدُ الْقَرَمُ
كل قوم ساداتهم منهم، والمسلمون سادتهم العبيد القرم (السفلة)

أَغَايَةُ الدِّينِ أَنْ تُخْفُوا شَوَارِكُكُمْ؟ يَا أُمَّةَ ضَحِكْتَ مِنْ جَهْلِهَا الْأُمَمُ
يمضي في مخاطبة المسلمين: هل انتهى الدين بالنسبة لكم خفُّ الشاربين (أي خفُّ الشاربين
وقصهما)؟ يا أمة..

١١٣ الحر يتيم

قال المتنبي يهجو كافوراً: ١٠/١٠

أَمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَرِيمُ تَزُولُ بِهِ عَنِ الْقَلْبِ الْهُمُومُ
أَمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَكَانٌ يُسَرُّ بِأَهْلِهِ الْجَارُ الْمُقِيمُ

تَشَابَهَتْ الْبَهَائِمُ وَالْعِبْدَى عَلَيْنَا، وَالْمَوَالِي وَالصَّامِمُ
تشابهت (اختلطت) علينا البهائم والعبدى (العباد)، واختلط الموالي (العبيد) بالصميم (بالأصلي
النسب)

وَمَا أَذْرِي: أَذَا دَاءٌ حَدِيثٌ أَصَابَ النَّاسَ أَمْ دَاءٌ قَدِيمٌ؟
أذا: أهذا

حَصَلْتُ، بِأَرْضِ مِصْرَ، عَلَى عَبِيدٍ كَأَنَّ الْحُرَّ بَيْنَهُمْ يَنْبِئُ
كَأَنَّ الْأَسْوَدَ اللَّابِي فِيهِمْ غُرَابٌ حَوْلَهُ رَحِمٌ وَبُؤْمُ
كان الأسود اللابي (المنسوب إلى بلدة اللاب بالنوبة) بينهم غراب وحوله الرحم (طيور جارحة
خيسة) وطيور البوم

أَخَذْتُ بِمَدْحِهِ، فَرَأَيْتُ لَهُوَ مَقَالِي لِأَحْيَمِي يَا حَلِيمُ
بدأت بمدحه فرايت أنني أمارس ضرباً من اللهو بقولي للأحمق يا حلیم

وَلَمَّا أَنْ هَجَوْتُ، رَأَيْتُ عِيًّا مَقَالِي لِابْنِ آوَى يَا لَتِيمُ
ولما هجوته رايت عيًّا (نقصاً في الفصاحة) أن أقول لابن آوى: يا لتيم، وأي فصاحة في هجاء
رجل بكلام لا يعبر سوى عن بعض ما فيه من لؤم

فَهَلْ مِنْ عَاذِرٍ فِي ذَا وَفِي ذَا فَمَذْفُوعٌ إِلَى السَّقَمِ السَّقِيمِ
فهل هناك من يعذرنى في الحالين، في مدحه وفي هجائه؟ فأنا كنت مضطراً، والسقيم مدفوع
(مجبِر) إلى سقمه

إِذَا أَتَتِ الْإِسَاءَةُ مِنْ وَضِيعٍ وَلَمْ أَلَمْ الْمُسِيءِ، فَمَنْ أَلُومُ؟
وإذا صدرت الإساءة عن شخص وضيع (حقير) ولم أوجه إليه اللوم فمن أَلُوم؟

١١٤ مرت يد النخاس في رأسه

خرج المتنبى من عند كافور يوماً فقال: ١٠/٢

أَنْوَكُ مِنْ عَبْدٍ وَمِنْ عَرْسِهِ مَنْ حَكَّمَ الْعَبْدَ عَلَى نَفْسِهِ
أنوك (أشد حمقاً) من العبد ومن عرسه (زوجته/ يقصد الأمة) الذي حَكَّمَ العبد على نفسه، يلوم
المتنبى نفسه لأنه قصد كافوراً

فَلَا تُرَجِّحِ الْخَيْرَ عِنْدَ امْرِئٍ مَرَّتْ يَدُ النَّحَّاسِ فِي رَأْسِهِ
لا ترجِّح (لا ترجِّح) خيراً عند شخص مرت على رأسه يد النخاس (تاجر العبيد)

١١٥ محال ضيمي

استأذن المتنبي كافوراً في الخروج إلى الرملة ليقتضي مالا كتب له به، وإنما أراد أن يعرف ما عند كافور في مسيره، فمنعه وحلف عليه أن لا يخرج، وقال: نحن نوجه من يقضيه لك، فقال في ذلك: ٤/٢

إِذَا سِرْنَا عَنِ الْفُسْطَاطِ يَوْمًا فَلَقْنِي الْفَوَارِسَ وَالرَّجَالَا
إِذَا رَحَلْنَا عَنِ الْفُسْطَاطِ فَلْتَحَاوِلْ مَا تَشَاءُ أَنْ تُتَبِعَنِي بِالرِّجَالِ وَالْفَرَسَانِ لِيَلْقَوْنِي وَيُرْجِعُونِي إِلَيْكَ
لِتَعْلَمَ قَدَرَ مَنْ فَارَقْتَ مِنِّي وَأَنَّكَ رُمْتَ مِنْ ضِمَمِي مُحَالَا
فسترى أن من المستحيل على أحد أن يلحقني، وستعلم قدر من فارقت مني (بمفارتك إياي)، وأنت رمت (طلبت) من ظلمي المستحيل

١١٦ أعانه الله وإيانا

قال المتنبي في كافور: ٣/٣

لَوْ كَانَ ذَا الْأَكْلِ أَزْوَادَنَا ضَيْفًا لَأَوْسَعْنَاهُ إِحْسَانَا
لو كان هذا الذي يأكل الزاد الذي جئنا به ضيفاً علينا لأوسعناه (لملأناه) إحسانا
لَكِنَّنَا، فِي الْعَيْنِ، أَضْيَافُهُ يُوسِعُنَا زُورًا وَبُهْتَانَا
لكننا فيما يرى الراي ضيوفه، وهو يوسعنا (يملأنا) زوراً (كذباً) وبهتاننا (كذباً)
فَلَيْتَهُ خَلَّى لَنَا طَرَقَنَا أَعَانَهُ اللَّهُ، وَإِيَانَا
ليتة ترك لنا الطريق مفتوحة فتغادره، ويكون كل منا متوكلاً على الله عندئذ

١١٧ لا تشتري العبد إلا والعصا معه

قال المتنبي قبل خروجه من مصر بيوم واحد: ٣٠/٢٨

عَيْدًا! بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتُ يَا عَيْدُ؟ بِمَا مَضَى، أَمْ، لِأَمْرٍ، فَبِكَ تَجْدِيدُ
إنه عيد! بأيئة حال عدت يا عيد! أعدت بما مضى لتتكرر الأحداث، أم لسبب ما، فيك تجديد؟ والسبب الغامض هو رحيل المتنبي سراً في اليوم التالي عن مصر. هذا البيت، الذي يكثر الاستشهاد به كلما جاء العيد، يحمل في صوغه شحنة براءة.. بدأ المتنبي بكلمة عيد.. فهي أول ما يخطر بالبال ليلة العيد، وتنهد بعدها، وسأل: بأية حال عدت إلينا يا عيد؟ هل عدت بالحال الماضية التي نعرفها، وهي البقاء في شبه سجن في مصر؟ أم أنه، لأمر ما من الأمور، سيكون لديك تجديد على الحال في هذه المرة، فيمكنني أن أفر من مصر؟

أَمَّا الْأَحِبَّةُ، فَالْبَيْدَاءُ دُونَهُمْ، فَلَيْتَ دُونَكَ بَيْدًا دُونَهَا بَيْدُ

أما أحبائي فالبيداء (الصحراء) دونهم (بيني وبينهم)، فليت دونك يا أيها العيد بيدا (صحارى) دونها صحارى أخرى. يقول: ليتك يا عيد بعيد عني لأني لا أفرح بك لبعدي عن أحبتي

لَوْلَا الْعُلَى لَمْ تَجِبْ بِي مَا أَجُوبُ بِهَا وَجَنَاءُ حَرْفٍ، وَلَا جَرْدَاءُ قَيْدُودُ

لولا السعي للعلى (للمجد) لم تجب (تقطع) بي ما أقطعه أنا بواسطتها من مسافات هذه الوجناء (الناقة الكبيرة الوجدات) الحرف (الناقة القوية)، ولا تلك الجرداء (الفرس القصيرة الشعر) القيدود (الفرس الطويلة). يقول: لولا سعيي للمجد لما قطعت المسافات

وَكَاكَ أَطْيَبَ مِنْ سَيْفِي مُعَانَقَةً أَشْبَاهَ رَوْقِهِ الْغَيْدُ الْأَمَالِيدُ

وكان يكون أطيب لي من مضاجعة سيفي (النوم وهو بجاني) مضاجعة من يشبهن رونقه (صفاءه) من الغيد (الجميلات) الأماليد (النواعم)

لَمْ يَثْرُكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلَا كَبِدِي شَبِيحًا تُشَبِّمُهُ عَيْنٌ، وَلَا جِبِدُ

تتيمه: تلوعه، جيد: عنق

يَا سَاقِيَّ! أَحْمَرُ فِي كُؤُوسِكَمَا أَمْ فِي كُؤُوسِكَمَا هَمَّ وَتَسْهِدُ

يا ساقيا! هل هذا الذي في الكؤوس خمر أم هم وتسهد (سهر)؟

أَصْخَرَةً أَنَا؟ مَا لِي لَا تُحَرِّكُنِي هَذِي الْمُدَامُ، وَلَا هَذِي الْأَغَارِيدُ

المدام: الخمر، الأغاريد: الأغاني

إِذَا أَرَدْتُ كَمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً وَجَدْتُهَا، وَحَبِيبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ

إذا أردت كمت اللون صافية (الخمر الداكنة ليس لمكورة بل مع كونها صافية) فإني أجدها، ولكن حبيب النفس مفقود

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا؟ وَأَعْجِبُهُ أَنِّي بِمَا أَنَا شَاكٍ مِنْهُ مَحْسُودُ

ما هذا البلاء الذي لقيته من الدنيا؟ وأعجب البلاء أنني محسود على أمور أنا أشكو منها

أَمْسَيْتُ أَرْوَحَ مَثْرٍ: خَازِنًا وَيَدًا، أَنَا الْغَنِيُّ، وَأَمْوَالِي الْمَوَاعِيدُ

صرت أروح مثر (أكثر الأغنياء راحة): خازني (مُحَاسِبِي بلغة عصرنا) ويدي مرتاحان، فإنا غني ولكن أموالنا هي مجرد مواعيد (وعود)

إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَبَفُهُمْ، عَنِ الْقَرَى وَعَنِ التَّرْحَالِ، مَحْدُودُ

حللت بكذابين ضيفهم محدود (ممنوع) من القرى (طعام الضيف) ومن الترحال

جُودُ الرَّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي، وَجُودُهُمْ مِنَ اللِّسَانِ؛ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ

كرم الرجال يكون من الأيدي، وأما هؤلاء فكرمهم من اللسان؛ فلا كانوا ولا كان الجود

مَا يَقْبِضُ الْمَوْتُ نَفْسًا مِنْ نَفْسِهِمْ إِلَّا وَفِي يَدِهِ، مِنْ نَتْنِهَا، عُدُ

لا يقبض ملاك الموت نفساً من نفوس هؤلاء إلا وييده عود يتناول به نفوسهم التنتة

أَكَلَّمَا اغْتَالَ عَبْدُ السُّوءِ سَيِّدَهُ، أَوْ خَانَهُ، فَلَهُ فِي مِصْرَ تَمْهِيدُ

أكلما اغتال العبد سيده أو خانه فله في مصر تمهيد (ترتيب لحكمه بإبداء الطاعة له)؟

صَارَ الْخَصِيُّ إِمَامَ الْأَبْقِيَنِ بِهَا فَالْحُرُّ مُسْتَعْبِدٌ، وَالْعَبْدُ مَعْبُودٌ

صار الخصي إمام (رئيس) العبد الأبقين (الهاربين) بها (بمصر)، وغدا الحر مستعبداً والعبد معبوداً

نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرَ عَنْ ثَعَالِيهَا فَقَدْ بَشِمْنَ، وَمَا تَفْنَى الْعَنَاقِيدُ

نامت نواطير مصر (أشرافها/ يشبههم بحراس البساتين) وتركت ثعالب البلد تنهب، وبشمت الثعالب (أنخمت)، والعناقيد لا تنفذ والنهب مستمر

الْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٍ بِأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحُرِّ مَوْلُودٌ

العبد لا يصلح أن يكون أخاً لرجل حر، لو أن هذا الحر مولود حقاً في ثياب الحر (أصيل في حرته)

لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ، إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ إِنَّ الْعَبِيدَ لَأَنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ

أنجاس: قذرون، مناكيد: لا خير عندهم

مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَخِيًّا إِلَى زَمَنِ يُسِيءُ بِي فِيهِ عَبْدٌ، وَهُوَ مَحْمُودٌ

وَلَا تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ قُبِدُوا وَأَنَّ مِثْلَ أَبِي الْبَيْضَاءِ مَوْجُودٌ

ما خطر ببالي أن تخلو البلد من الأشراف، وأن يكون مثل أبي البيضاء (يتهم بكافور) موجوداً

وَأَنَّ ذَا الْأَسْوَدَ الْمَثْقُوبَ مِشْفَرُهُ تُطِيعُهُ ذِي الْعَضَارِيطِ الرَّعَادِيدُ

وما خطر ببالي أن ذا (هذا) الأسود المثقوب مشفره (المشفر: شفة البعير) تطيعه ذي (هذه) العضاريط (الخدم الذين يخدمون مقابل أكلهم) الرعاديد (الجناء)

جَوْعَانُ يَأْكُلُ مِنْ زَادِي، وَيُمَسْكِنِي لَكِنِّي يُقَالُ: عَظِيمُ الْقَدْرِ مَقْصُودٌ

كافور جوعان (كما يقال عن الذي نشأ في الفقر إنه «جوعان» أي طماع)، وهو يأكل من زادي الذي أتيت به، ومع ذلك يمسكني ويمعني الرحيل لكي يقال إنه عظيم القدر تقصده الشعراء

وَيَلْمُهَا خُطَّةً، وَيَلْمُ قَابِلَهَا لِمَثَلِهَا خُلِقَ الْمَهْرِيَّةُ الْقُودُ

ويلمها (وَيَلْمُ لأمها) من خطه (حالة)، والويل لأم قابله (من يقبل بها)، وللفرار من مثل هذه الحالة خلق الله المهريّة القود (الأبل الأصيلة الطويلة)

وَعِنْدَهَا لَذَّ طَعَمِ الْمَوْتِ شَارِبُهُ إِنَّ الْمَنِيَّةَ عِنْدَ الذَّلِّ قَنَدِيدُ

عندها (بإزاء حالة كهذه) لذ الشخص الشارب طعم الموت (تلذذ به). طعم المنية (الموت) قنديد (عسل القصب) عند حصول الذل

مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرُمَةً أَقَوْمُهُ الْبَيْضُ، أَمْ أَبَاؤُهُ الصَّيْدُ

من أين للأسود المخصي بالمكانم؟ من قومه البيض (يتحكم بكافور) أم من آبائه الصيد (أجداده الأسياد)؟

أَمْ أُذُنُهُ فِي يَدِ النَّخَّاسِ دَامِيَّةٌ أَمْ قَدْرُهُ، وَهُوَ بِالْفَلَسِينِ مَرْدُودُ

أم علمته المكانم أذنه وهي في يد النخاس (تاجر العبيد) دامية (الكثرة ما يعركها النخاس، أو لأنه يثقبها)، أم علمه المكانم قدره الحقيق إذ يساوم فيه المشتري وبسبب زيادة فلسين على الثمن يردده ويرفض شراءه؟

أَوَّلَى اللَّثَامِ كَوَيْفِيرٌ بِمَعْدِرَةٍ فِي كُلِّ لَوْمٍ، وَبَعْضُ الْعُذْرِ تَفْنِيدُ

أحق اللثام بالعذر في كل لوم كويفير (كافور)، فهو عبد ولا يلام على ما بدر منه، ولكن بعض العذر تفنيد (توييح)، فأنا أعذره لأنه لئيم وليس هذا عذراً حقيقياً

وَذَاكَ أَنَّ الْفُحُولَ الْبَيْضَ عَاجِزَةٌ عَنِ الْجَمِيلِ، فَكَيْفَ الْخِصْيَةُ السُّودُ

ويفسر لنا كيف يلتبس لكافور عذراً: الفحول (غير المخصيين) البيض (غير العبيد) عاجزون عن الجميل (المكانم)، فكيف بالخصية (المخصيين) السود؟ وكافور رجل ذو همة عالية وذو فهم عميق للبشر، وقد حكم مصر وقطعة من الشام عشرين سنة، وكان عادلاً، ولم يكن متوحشاً كعصره، بل كان ميالاً إلى الحلول الوسط، وكان ذكياً. ورأينا المتنبي يعود لهجائه مرة بعد مرة، في شعر من أقوى الشعر، وهذا الشعر صادق في التعبير عما في نفس المتنبي من تناقضات، وما المتنبي عليه من قلة المبدأ، ولكنه كاذب فيما ادعاه من جهل كافور ومن خسته. ونحن اخترنا هذه القصيدة وكثيراً غيرها لأنها شعر قوي. ولكننا لا نختار أن ندرسها لأطفالنا. قد كنت في الصف الثالث الابتدائي عندما كتب لنا معلم الخط على اللوح بيت: «لا تشتري العبد إلا والعصا معه»، فهمت معنى البيت؟ ورأيت - حتى في تلك السن الغضة - التناقض بين ما كنت عرفته من أن العبيد ناس مظلومون فقدوا حريتهم بالإكراه، والإسلام يقول إن كل الناس ولدوا أحراراً، وبين ما كتبه معلم الخط. لعل الأجدد بنا، ونحن نعرض للطلبة الكبار في السن شعرنا القديم، أن نضعه في إطاره التاريخي والنفسي، فلا نكتفي ببيان ما في الشعر من بلاغة وقوة، بل نلفت النظر إلى ما فيه من تهافت أخلاقي. نقادنا القدامى كانوا أقل احتفالاً بالفصل بين الحق والباطل في تقديم الشعر. كانوا يدرسونه فنياً لا أخلاقياً

١١٨ ولكنه ضحك كالبكاء

قال المتنبي عند وروده إلى الكوفة بصف منازل طريقه، ويهجو كافوراً في شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة: ٣٥/١٨

أَلَا كُلُّ مَاشِيَةِ الْحَيَزَلَى فِدَى كُلِّ مَاشِيَةِ الْهَيْذَبَى
لنكن كل ناقة تمشي الخيزلي (مشية ثقيلة) فدى لكل ناقة تمشي الهيدبي (مشية سريعة). يقول:
فديت الناقة السريعة بالبطيئة، يريد أن يسرع

وَكُلُّ نَجَاةٍ بُجَاوِيَّةٍ خُنُوفٍ، وَمَا بِي حُسْنُ الْمَشَى
وفدیت كل نجاة (الناقة السريعة التي ينجو بها الإنسان) بجاوية (من بجاوة بالنوبة) خوف (تقلب خفها في المشي)، وهذا ليس لأنني أحب حُسْنُ مشي النياق..

وَلَكِنَّهُنَّ حِبَالُ الْحَيَاةِ وَكَيْدُ الْعُدَاةِ، وَمَيْطُ الْأَذَى
.. ولكن النياق حبال الحياة، وبهن أكيد العدى بالرحيل عن البلد الظالم، وأميط (أزيل) الأذى الذي يلحق بي

ضَرَبْتُ بِهَا الثِّيَةَ ضَرْبَ الْقِمَارِ، إِمَّا لِهَذَا وَإِمَّا لِذَا
ضربت بالنياق التي (صحراء سيناء) ضرب القمار (مقامراً)، فإما الفوز وإما الهلاك

فَلَمَّا أَنْخَرْنَا رَكَزْنَا الرِّمَاءَ حَ بَيْنَ مَكَارِمِنَا وَالْمُلَى
فلما أنخنا (نزلنا) ركزنا رماحنا في الأرض مستريحين، قد ركزناها إلى جانبها المكارم والملى (المجد) الذي حققناه بالفرار من ظلم كافور

وَبِئْسَنَا نُقَبِّلُ أَسْيَافَنَا وَنَمْسَحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعَدَى
وصرنا نقبل سيوفنا، ونمسحها من دماء الأعداء الذين قاتلناهم في الطريق

لِتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَنْ بِالْعِرَاقِ وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ أَنِّي الْفَتَى
كي تعلم مصر وأهل العراق والعواصم (منطقة بشمال سوريا/ وهي منطقة سيف الدولة) أنني أنا الفتى

وَأَنِّي وَفَيْتُ وَأَنِّي أَبَيْتُ وَأَنِّي عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَنَّا
.. وأني وفيت بما عاهدت عليه نفسي من ترك كافور، وأبيت (رفضت الظلم) وأني عتوت (تجبرت) على من عتا (تجبر)

وَمَا كُلُّ مَنْ قَالَ قَوْلًا وَفَى وَلَا كُلُّ مَنْ سِيمَ خَسَفًا أَبَى
ليس كل من قال وفى، ولا كل من سيم خسفاً (كُلَّفَ فهراً) رفض القهر

وَكُلُّ طَرِيقٍ أَتَاهُ الْفَتَى عَلَى قَدَرِ الرَّجُلِ فِيهِ الْخُطَى

بحسب عزم المرء يمضي في تحقيق طموحه

وَنَامَ الْخُوَيْدِمُ عَنْ لَيْلِنَا وَقَدْ نَامَ، قَبْلُ، عَمَى لَا كَرَى
فرنا من مصر وقد كان الخویدم (الخدام/كافور) نائماً عنا، وقيل ذلك كان نائماً من عماء (جهله)
لا من الكرى (التعاس)

وَكَانَ، عَلَى قُرْبِنَا، بَيْنَنَا مَهَامِهِ مِنْ جَهْلِهِ وَالْعَمَى

وكان بيني وبين كافور، رغم قربنا، مهامه (صحاري) من جهله وعماء

وَمَاذَا بِمَصْرَ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ؟ وَلَكِنَّهُ ضَحِكَ كَالْبُكَاءِ..
ماذا يوجد بمصر من المضحكات؟ (الجواب في الآيات المقبلة). لكن الضحك عليها كالبكاء
لأنها من شر البلية

بِهَا نَبْطِيٍّ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ يُدْرَسُ أَنْسَابَ أَهْلِ الْعِلَا

بمصر نبطي (من النبط الذين كانوا أقباناً/المقصود ابن حنابلة وزير كافور وكان عالماً
بأنساب العرب، وهو بغدادی) من أهل السواد (سواد العراق/المنطقة الخصبة بين
النهرين وفيها النبط أقبان الأرض) يدرس أنساب أهل العلا (الأشراف)

وَأَسْوَدُ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ يُقَالُ لَهُ: أَنْتَ بَذْرُ الدُّجَى

وبمصر رجل أسود مشفره (شفته) نصف جسمه، ويقول له الناس: أنت بذر الدجى

وَشِعْرٌ مَدَحَتْ بِهِ الْكَرْكَدَنَ - بَيْنَ الْقَرِيضِ وَبَيْنَ الرُّقَى

ورب شعر مدحت به هذا الكركدن (وحيد القرن/يقصد كافوراً) هو شيء بين القريض (الشعر)
والرقى (التعاويذ)، فشعره في كافور كان تعاويذ لتحقيق المصالح

فَمَا كَانَ ذَلِكَ مَدْحًا لَهُ وَلَكِنَّهُ كَانَ هَجْوَ الْوَرَى

لم يكن شعري فيه مدحاً له بل هجاء للورى (للشعر) الذين يلجئون شاعراً مثلي لمثل هذا الموقف

وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قُدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

من اغتر بنفسه عمي عن عيوبه، ورأى الناس فيه خصالاً لا يراها

١١٩ أعددت للغادرين أسيافا

نزل أبو الطيب في أرض حِمْيَ برجل يقال له وردان بن ربيعة الطائي، فاستغوى وردان
عبيد أبي الطيب، فجعلوا يسرقون من أمتعته، فلما شعر أبو الطيب بذلك ضرب أحد عبيده
بالسيف فأصاب وجهه وأمر الغلمان فأجهزوا عليه، وقال في العبد الذي قتله: ٨/٢

أَعْدَدْتُ لِلْغَادِرِينَ أَسْيَافًا أَجْدَعُ مِنْهُمْ، يَهْنُ، آتَافًا

أعددت للغادرين سيوفاً أجده (أقطع) بها أنوفهم

إذا امْرُؤٌ رَاعَنِي بِعَذْرَتِهِ أَوْرَدْتُهُ الْغَايَةَ الَّتِي خَافَا
إذا فاجاني شخص بغدرة، أوردته (أرسلته) إلى الغاية التي يخاف منها وهي الموت

١٢٠ ولا بد دون الشهد من إبر النحل

قال يمدح أبا الفوارس دَلِيرَ بن لَشْكُرَوَزَّ، وكان قد أتى الكوفة لقتال الخارجي الذي
نجم بها من بني كلاب، وانصرف الخارجي قبل وصول دلير إليها: ٤٠/٩

كَدَعَوَاكَ كُلُّ يَدْعِي صِحَّةَ الْعَقْلِ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَذْرِي بِمَا فِيهِ مِنْ جَهْلِ
أيتها اللاتمة دعواك (ادعائك) صحة العقل يدعيه كل الناس، ومن الذي يعرف ما لديه من جهل؟

تَقُولِينَ: مَا فِي النَّاسِ مِثْلَكَ عَاشِقٌ جِدِّي مِثْلَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ، تَجِدِي مِثْلِي
جدي: اعثري على

مُحِبٌّ كَنَى بِالْبَيْضِ عَنْ مُرْهَفَاتِهِ وَبِالْحُسْنِ فِي أَجْسَامِهِنَّ عَنِ الصَّقْلِ
أنا محب كنى (عبر كناية) بلفظ «البيض» عن المرهفات (السيوف الحادة)، وبالحسن
في أجسام الجميلات عن صقل السيف. يقول: عندما أنغزل «بالبيض» فإنما أعني
السيوف، وعندما أصفهن بالحسن فإنما أعني الصقل في السيوف

وَبِالسُّمْرِ عَنْ سُمْرِ الْقَنَا، غَيْرَ أَنَّي جَنَاهَا أَحْبَابِي، وَأَطْرَافُهَا رُسُلِي
وعبرت بكلمة «السمر» عن القنا (الرماح) السمر، ولكن أحبابي الحقيقيين هم جنى الرماح
(ثمرتها)، وثمره الرماح المجد، ورسلي إلى المجد هي أطراف الرماح المدببة

عَدِمْتُ فُوَادًا لَمْ تَبْتَ فِيهِ فَضْلَةٌ لِعَیْرِ الثَّنَايَا الْغُرِّ، وَالْحَدَقِ الثُّجَلِ
عدمت القلب الذي لم تعد فيه فضلة (بقية) إلا للثنايا الغر (الأستار البيضاء) والحدق النجل (العيون
الواسعة). يقول: ليتني أعدم قلبي إن كان لا يحب إلا النساء

ذَرِينِي أَنْلَ مَا لَا يُنَالُ مِنَ الْعُلَى فَصَعْبُ الْعُلَى فِي الصَّعْبِ وَالسَّهْلُ فِي السَّهْلِ
اتركيني أيتها اللاتمة أنال ما لا يقدر أحد أن يناله من العلى (المجد)، فالأمجاد الكبيرة صعبة،
والصغيرة سهلة

تُرِيدِينَ لُقْبَانِ الْمَعَالِي رَخِيصَةً وَلَا بُدَّ، دُونَ الشَّهْدِ، مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ
تريدين مني لقبان (الحصول على) المعالي (الأمجاد) رخيصة! ولكن لا بد للحصول على الشهد من
احتمال لسعات النحل

أَرَادَتْ كِلَابٌ أَنْ تَفُوزَ بِدَوْلَةٍ لِمَنْ تَرَكْتَ رَعِي الشَّوْهِاتِ وَالْإِبِلِ

أرادت قبيلة كلاب أن تكون لها دولة وأن تستقل بشؤونها. بالله عليكم لمن تركت هذه القبيلة رعي الشوهِات (الماعز) والإبل؟ يسخر من الأعراب وهو يمدح رجلاً فارسياً. وسنراه يكرر هذا في مدحه لفارسي آخر هو ابن العميد. فرويدكم أيها المحبون المتنبي للعروبة! لا تقولوا إنه عربي شامخ معتز بعرويته. هذا الرجل شاعر عظيم، ولكنه عديم المبادئ؛ ويكفيه أنه مدح كافوراً واستجده طويلاً، ثم هجاه بأقبح هجاء. فكان في مدحه منافقاً، وفي هجائه عنصرياً، وكاذباً. تعقيب أحمد عبد الرحيم: [أؤيدك تماماً. كتبت مرة عن أبي حيان التوحيدي: «هو مثقف عظيم، وإنسان وضيع». وشيء من هذا يصح مع المتنبي!]

أَبَى رَبُّهَا أَنْ يَتْرُكَ الْوَحْشَ وَحْدَهَا وَأَنْ يُؤْمِنَ الضَّبَّ الْحَبِثَ مِنَ الْأَكْلِ

يأبى رب كليب (الله) أن يترك الوحش بأمان في الصحراء، وأن يجعل الضب الخبيث (من زواحف الصحراء وكان الأعراب يأكلونه) في أمان من أن يؤكل، لذلك حرّمهم الدولة. يقول: مشيئة الله أن تبقى قبيلة «كلاب» في الصحراء لتصيد الوحوش وتأكل الضباب

١٢١ وكثير من السؤال اشتياق

أنفذ سيف الدولة ابنه من حلب إلى الكوفة، ومعه هدية للمتنبي، وكان ذلك بعد خروجه من مصر ومفارقه لكافور، فقال يمدحه، وكتب بها إليه من الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمئة. وفي البداية يتغزل ويصف كيف أن رسوله أنى المحبوبة فعشقا فخانه فيها، ثم يصف الشمس، ثم يمدح: ٤٢/٢٦

مَا لَنَا كُلُّنَا جَوِيًّا رَسُولُ أَنَا أَهْوَى، وَقَلْبُكَ الْمَسْبُورُ

ما لنا كلانا جوي (مصاب بالجوى/ وجع العشق) أيها الرسول الذي أرسلته أنا لمعشوقتي. أنا أهواها، وقلبك متبول (هائم) بها أيضاً

كَلَّمَا عَادَ مَنْ بَعَثْتُ إِلَيْهَا حَارَ مِنِّي، وَخَانَ فِيمَا يَقُولُ

كلما عاد رسولي من عندها كان مصاباً بالغيرة فخان في أداء جوابها

أَفْسَدَتْ بَيْنَنَا الْأَمَانَاتِ عَيْنَا هَا، وَخَانَتْ قُلُوبُهُنَّ الْعُقُولُ

أفسدت أمانة الصداقة بيننا عيناها وخانت العقول قلوب أصحابها، فصار عقل الرسول الذي يفكر بسرقة المعشوقة يخون قلبه الذي يحضه على الأمانة

تَشْتَكِي مَا اسْتَكَيْتُ مِنْ أَلَمِ الشَّوِّ قِي إِلَيْهَا، وَالشَّوْقُ حَيْثُ النُّحُولُ

أنت أيها الرسول تشتكي مثلما اشتكيت أنا من ألم الشوق إليها، ولكن الشوق الحقيقي موجود عند الشخص الذي يعاني نحولاً (هزالاً) بسببها وهو أنا

وَإِذَا خَامَرَ الْهَوَى قَلْبَ صَبٍّ فَعَلَيْهِ لِكُلِّ عَيْنٍ دَلِيلُ

إذا خامر (خالط) الهوى قلب صب (عاشق) فعلى العاشق دليل واضح تراه كل عين

زَوَّدِينَا مِنْ حُسْنِ وَجْهِكَ مَا دَا مَ، فَحُسْنُ الْوُجُوهِ حَالٌ تَحْوُلُ

زودينا من جمالك مدة دوامه، فجمال الوجه حال تحول (تتحول)

وَصَلَبِينَا نَصْلِكَ فِي هَذِهِ الدُّنَى يَا، فَإِنَّ الْمَقَامَ فِيهَا قَلِيلُ

وصلينا (عاشقينا) نعشقك في الدنيا، فالإقامة فيها محدودة

مَنْ رَأَاهَا بِعَيْنِهَا شَاقَّةُ الْقُطْبِ - إِنْ فِيهَا، كَمَا تَشُوقُ الْخُمُولُ

من رأى الدنيا بعينها (وضع نفسه مكانها) فسوف يشوقه (يمتعه) النظر إلى القاطنين

(الساكنين) فيها مثلما نستمتع نحن برؤية الحمول (الإبل المحملة بالهوادج). يقول:

الإقامة في الدنيا قليلة، والدنيا نفسها ترى سكانها يموتون ويرحلون بسرعة، مثلما

نرى نحن الأقوام يرحلون، فالمسألة نسبية

إِنْ تَرَيْنِي أَدُمْتُ بَعْدَ بَيَاضٍ فَحَمِيدٌ مِنَ الْقَنَاءِ الذُّبُولُ

إن رأيت أيتها المحبوبة أنني أدمت (أصبحت أسمر) بعد بياض، فحميد (ممدوح) من القناء

(الرمح) الذبول، فالرمح عندما تجف عصاه يصبح أسمر وذلك أجود له

صَحَبْتَنِي، عَلَى الْفَلَاءِ، فَتَاءٌ عَادَةُ اللَّوْنِ عِنْدَهَا التَّبْدِيلُ

صحبتني في الفلاة (الصحراء) فتاة (الشمس) عادت في الألوان تبديلها فهي تجعل المرء أسمر

سَتَرْتُكَ الْجِجَالَ عَنْهَا، وَلَكِنْ بِكَ مِنْهَا مِنَ اللَّمَى تَقْبِيلُ

وانت أيتها المحبوبة مستورة عن الشمس بالحجال (السور)، ولكن بك تقبيل من الشمس هو اللمى

(وهو سمة محبة في الشفتين)

مِثْلُهَا أَنْتِ: لَوْحَتْنِي وَأَسْقَمُ سَ، وَزَادَتْ أَبْهَاكُمَا الْعُطْبُولُ

أنت مثل الشمس: هي لوحتي (غيرت لوني) وأنت أسقمتي (أمرضتني)، ولكن العطبول (الجميلة)

وهي أبهاكما (أجملكما) زادت في فعلها عن الشمس

نَحْنُ أَدْرَى، وَقَدْ سَأَلْنَا بِنَجْدٍ: أَطْوِيلُ طَرِيقُنَا أَمْ يَطْوُلُ؟

كنا أدري بالجواب عندما سألنا في صحراء نجد: هل طريقنا طويل حقاً أم نحن فقط نراه طويلاً؟

وَكَثِيرٌ مِنَ السُّؤَالِ اشْتِيَاقٌ وَكَثِيرٌ مِنْ رَدِّهِ تَعْلِيلُ

وكثير من الأسئلة إنما يليقها المرء لا ليعرف شيئاً بل لكثرة اشتياقه، وكثير من الردود

تكون للتعليل (للتصيير). تعليق أحمد عبد الرحيم: «ما أرق وأعذب!». تعقيبي:

كأنني كسلت وأنا أشرح فلم أقف بهذا البيت لأصرخ صرخات الاستحسان المعهودة.

هذا البيت وسابقه تحفة من تحف الشعر العربي

لَا أَقْمُنَا عَلَى مَكَانٍ، وَإِنْ طَا بَ، وَلَا يُمَكِّنُ الْمَكَانَ الرَّحِيلُ
لم نتوقف في مكان حتى وإن طاب (كان طيباً) لأننا في عجلة، وللأسف لا يمكن للمكان الطيب
أن يرحل معنا

كَلَّمَا رَحَبَتْ بِنَا الرُّوْضُ قُلْنَا: حَلَبٌ قَصْدُنَا، وَأَنْتِ السَّبِيلُ
كلما رحبت بنا الروض (البساتين) قلنا لها: حلب قصدنا (هدفنا) وأنتِ فقط السبيل (الطريق) نحو
الهدف

فِيكَ مَرَعَى جِيَادِنَا وَالْمَطَايَا وَإِلَيْهَا وَجِيفُنَا وَالذَّمِيلُ
فيك أبتها الرياض مرعى جيادنا (خيولنا) والمطايا (الإبل)، وإليها (إلى حلب) وجيفنا (ركض
خيولنا) والذميل (سير إبلنا)

وَالْمُسَمُّونَ بِالْأَمِيرِ كَثِيرٌ وَالْأَمِيرُ الَّذِي بِهَا الْمَأْمُورُ
الَّذِي زُلْتُ عَنْهُ شَرْقاً وَغَرْباً وَنَدَاهُ مُقَابِلِي مَا يَزُولُ
نداه: كرمه

كَيْفَ لَا تَأْمَنُ الْعِرَاقُ وَمِصْرُ وَسَرَايَاكَ دُونَهَا وَالْخُبُولُ
سراياك دونها: كتابك أمامها تحميها

لَوْ تَحَرَّفْتَ عَنْ طَرِيقِ الْأَعَادِي رَبَطَ السِّدْرُ خَبْلَهُمْ وَالنَّخِيلُ
لو تحرفت (ابتعدت) عن طريق الأعداء (الروم) لربط السدر (شجر النبق) بمصر والنخيل بالعراق
خيلهم (يقصد لربطوا خيلهم بأشجار مصر والعراق)

أَنْتِ طَوَّلَ الْحَيَاةِ لِلرُّومِ غَايَ فَمَتَى الْوَعْدُ أَنْ يَكُونَ الْقُفُولُ
طول حياتك وأنت تغزو الروم، فمتى أنت موعود بالقفول (الرجوع)؟

وَسِوَى الرُّومِ خَلْفَ ظَهْرِكَ رُومٌ فَعَلَى أَيِّ جَانِبَيْكَ تَمِيلُ
وهناك روم آخرون خلف ظهرك (هم الأعراب الذين يشنون الغزوات)، فعلى أي الجانبين تميل؟
تعلق أحمد عبد الرحيم: «من معجز أحمد!»

قَعَدَ النَّاسُ كُلَّهُمْ عَنْ مَسَاعِيهِ لَكَ، وَقَامَتْ بِهَا الْقَنَا وَالنُّصُولُ
قعد (جبن) الناس عن أن يفعلوا مثل مساعيك (جهودك)، والذي قام بهذه المساعي القنا (الرمح)
والنصول (السيوف)

نَعَّصَ الْبُعْدُ عَنْكَ قُرْبَ الْعَطَايَا مَرْتَعِي مُخَصَّبٌ، وَجِسْمِي هَزِيلُ
بُعدي عنك نعص علي الاستمتاع بعطايك القريبة التي ترسلها إلي، فمرتعي (مرعاي) خصب لكن
جسمي هزيل (هداياك تصلني، لكنني من وحشة البعد نحيل مهزول)

مِنْ عَبِيدِي، إِنْ عَشْتِ لِي، أَلْفُ كَاوُفٍ رِ، وَلِي مِنْ نَدَاكَ رِيفٌ وَنِيلٌ
إِنْ عَشْتِ لِي يَا سَيْفَ الدَّوْلَةِ فَإِنَّهُ سَيَصْبِحُ عِنْدِي مِنَ الْعَبِيدِ أَلْفٌ مِنْ أَمْثَالِ كَاوُفٍ، وَلِي مِنْ كَرَمِكَ
رِيفٌ كَرِيفٌ مِصْرٌ وَنِيلٌ كَنْيَلُهَا

١٢٢ خيراخ.. وخيراب

توفيت أخت سيف الدولة بعمافارقين، وورد خبرها إلى الكوفة فقال أبو الطيب يرثيها
ويعزيه بها، وكتب بها إليه من الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة: (نسبة ما اخترناه
إلى عدد أبيات القصيدة) ٤٤/١٨

يَا أُخْتَ خَيْرٍ أَخْ! يَا بِنْتَ خَيْرٍ أَبْ! كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ
يَا أُخْتَ خَيْرِ الْإِخْوَةِ، وَيَا بِنْتَ خَيْرِ الْأَبَاءِ، وَيَقُولِي هَذَا كُنَيْتُ كِنَايَةً (تلميحاً) عن أشرف
نسب، ولم أذكر اسمك. كلما مررت بهذا البيت تذكرت قصة رواها لي أخي حسين
صالح عن نادل بمقهى في بغداد كان يحدث زبائنه عن عظمة المتنبي، ويروي هذا البيت
شاهداً. . يغمض عيناً نصف إغماضة ويميل برأسه ويقول: «يَا أُخْتَ خَيْرٍ أَخْ.. يَا بِنْتَ
خَيْرٍ أَبْ» كَانَ كَلَامَهُمَا كَلِمَةً وَاحِدَةً، وَيَتَعَجَّبُ مِنْ فَصَاحَةِ ذَلِكَ الشَّاعِرِ. وَنَقِصُ ذَلِكَ
أَذْكُرُ أَيْضاً سَيِّدَةً فِي الْأُرْدُنِّ قَالَتْ لِي، وَسَمِعْتَنِي أَقْرَأُ عَلَى التِّلْفِزِيُونِ شِعْراً لِلْمُتَنَبِّيِّ، إِنَّهَا
لَا تَفْهَمُ الْمُتَنَبِّيَّ إِلَّا قَلِيلاً. وَأَنَا لَا أَلُومُ ذَلِكَ النَّادِلَ فَهُوَ حَرٌّ فِي ذَوْقِهِ، وَلِلْمَرْءِ أَنْ يَحِبَّ
الشَّعْرَ لَا يَسَبُّ أَرَادَ. وَأَمَّا السَّيِّدَةُ فَهِيَ الشَّخْصُ الَّذِي أَخَاطَبَهُ وَأَنَا أَكْتُبُ شَرْحَ كُلِّ بَيْتٍ

طَوَى الْجَزِيرَةَ، حَتَّى جَاءَنِي، خَيْرٌ قَرِئْتُ فِيهِ بِأَمَالِي إِلَى الْكَذِبِ
طوى (قطع) الجزيرة (منطقة بين الشام والعراق) حتى وصل إلي خيرٌ فزعت (التجأت)
فيه (في شأنه) بِأَمَالِي إِلَى أَنْ يَكُونَ كِذْبَةً. تعليق أحمد عبد الرحيم: [لا أظن المتنبي
إلا أنه بدأ ينظم القصيدة بهذا البيت (هو فيها السادس).. ففيه كل شحنته العاطفية!]

حَتَّى إِذَا لَمْ يَدَعْ لِي صِدْقُهُ أَمَلًا شَرِئْتُ بِالْذَّمِّ، حَتَّى كَادَ يَشْرِقُ بِي
فلما لم يترك لي صدق الخبر مجالاً لتكذيبه بكيت حتى شرقت بدمعي، وسال دمعي نهراً حتى كاد
الدمع نفسه يضيّق بوجود جسمي وسط هذا التدفق

كَأَنَّ فَعْلَةً لَمْ تَمْلَأْ مَوَاكِبُهَا دِيَارَ بَكْرٍ، وَلَمْ تَخْلَعْ وَلَمْ تَهَبْ
كَأن فعلة (يقصد خولة)، وصنع صنيع أهل الصرف فجاء بوزن اسمها، والمرأة العربية
الحرّة يجب أن تكون بلا وجه وبلا اسم، حتى وهي ميتة! كأنها، وقد ماتت الآن،
لم تكن مواكبها تملأ بلدة ديار بكر، وكأنها لم تكن تخلع (تمنح) ولم تكن تعطي
الناس الأموال. تعليق آخر على «فعلة»: يا لسماجتك!

أَرَى الْعِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مُذْنُعِيْثٍ فَكَيْفَ لَيْلُ فَتَى الْفِتْيَانِ فِي حَلَبِ
ليل العراق كله طويل الليل مُذْنُعِيْثٍ فكيف ليل فتى الفتيات في حلب؟

يَظُنُّ أَنَّ فُؤَادِي غَيْرُ مُلْتَهَبٍ وَأَنْ دَمْعَ جُفُونِي غَيْرُ مُنْسَكَبٍ
بَلَى! وَحُرْمَةٍ مَنْ كَانَتْ مُرَاعِيَةً لِحُرْمَةِ الْمَجْدِ وَالْقُصَادِ وَالْأَدَبِ
بلى فؤادي ملتهب ودمعي منسكب وحرمة (وحق) من كانت ترعى حرمة من يقصدونها من الأدياء

وإِنْ تَكُنْ خُلِقْتَ أَنْثَى لَقَدْ خُلِقْتَ كَرِيمَةً، غَيْرَ أَنْثَى الْعَقْلِ وَالْحَسَبِ
تعليق أحمد عبد الرحيم: [معنى مردول! تبقى الأنوثة سُبَّة!]

وإِنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الْغُلَبَاءُ غُنْصَرَهَا فَإِنَّ فِي الْخَمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْعَنْبِ
إن تكن قبيلة تغلب تغلب الغلباء (الغليظة الرقبة المشهورة بالقسوة) هي أصل خولة فإن
الحمدانيين فيهم كرم خصال يفوق ما في تغلب وإن كانوا منها، كالخمر التي فيها
خواص غير موجودة في العنب الذي هو أصلها

فَلَيْتَ طَالِعَةَ الشَّمْسَيْنِ غَائِبَةً وَلَيْتَ غَائِبَةَ الشَّمْسَيْنِ لَمْ تَغِبْ
خولة كانت شمساً أخرى بجانب شمس السماء، فليت الشمس الطالعة الآن غائبة، وليت خولة لم
تغيب

قَدْ كَانَ كُلُّ حِجَابٍ دُونَ رُؤَيْتِهَا فَمَا قَنِعَتْ لَهَا يَا أَرْضُ بِالْحُجُبِ
كان كل حجاب منصوباً لمنع رؤيتها، فهي سيده مصونة، فما قنعت لها الأرض بكل هذه الحجب
فقضمتها في بطنها فكان التراب الحجاب الأكبر

يَا أَحْسَنَ الصَّبْرِ رُزْ أَوْلَى الْقُلُوبِ بِهَا وَقُلْ لِصَاحِبِهِ: يَا أَنْفَعَ السُّحُبِ
يدعو الصبر أن يزور قلب سيف الدولة، ليقول الصبر للرجل: يا أنفع السحب (لما يهطل من يده
من عطايا)

وَأَكْرَمَ النَّاسِ، لَا مُسْتَثْنِيًّا أَحَدًا مِنْ الْكِرَامِ سِوَى آبَائِكَ النُّجَبِ
وقل له: يا أكرم الناس، ولا أستثني أحداً سوى آبائك النجب (الكرام)

قَدْ كَانَ قَاسِمَكَ الشَّخْصَيْنِ دَهْرُهُمَا وَعَاشَ دُرُهُمَا الْمَفْدِيُّ بِالذَّهَبِ
كان الدهر قد قاسمك الشخصين (أختيك) فأخذ أختاً هي كالذهب وأبقى أختاً هي
كالدر (اللؤلؤ)، فكان الذهب افتدى اللؤلؤ بنفسه. وكانت أخت أخرى لسيف الدولة
ماتت قبل خولة، ورثها المتتبي. يقول: إن الزمن قاسمك فأخذ أختاً وأبقى أختاً..

وَعَادَ فِي طَلَبِ الْمَثْرُوكِ تَارِكُهُ إِنَّا لَنَعْفُلُ، وَالْأَيَّامُ فِي الطَّلَبِ
وعاد الدهر يطلب الشخص المتروك. نحن نغفل (نسهو) ولكن الأيام (الزمن) لا تسهو عنا وتجذُّ
في طلبنا وملاحقتنا

تَخَالَفَ النَّاسُ، حَتَّى لَا اتَّفَقَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ، وَالْخُلْفُ فِي الشَّجَبِ
الناس تخالفوا (اختلفوا) في كل شيء، إلا على الشجب (الموت) فحصله مؤكد. ثم وقع الخلف
(الاختلاف) في حقيقة الموت

فَقِيلَ: تَخْلُصُ نَفْسُ الْمَرْءِ سَالِمَةً وَقِيلَ: تَشْرِكُ جِسْمَ الْمَرْءِ فِي الْعَطَبِ
قال قوم إن نفس الإنسان تبقى سالمة بعد الموت، وقال آخرون: بل تشارك الجسم في العطب
(التلف)

وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا، وَمُهَجَّتِهِ أَقَامَهُ الْفِكْرُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالتَّعَبِ
ومن فكر ملياً في الدنيا وفي مهجته (روحه) وقف محتاراً بين العجز عن الإدراك والتعب من
التفكير

١٢٣ الثور والجواد

أَنْفَذَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْمُتَنَبِّي كِتَاباً بِخَطِّهِ إِلَى الْكُوفَةِ يَسْأَلُهُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِ، فَأَجَابَهُ بِهِلَهُ
القصيد، وأنفذها إليه في ميفارقين، وكان ذلك في ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين
وثلاثمائة: ٤٤/٧

فَهِمْتُ الْكِتَابَ، أَبْرَّ الْكُتُبِ فَسَمِعَ لَأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبِ
فهمت مغزى رسالتك وهي أكثر الرسائل برأ بما فيها من وعد، فسمعا لأمر أمير العرب

وَطُوعاً لَهُ، وَابْتِهَاجاً بِهِ وَإِنْ قَصَرَ الْفِعْلُ عَمَّا وَجِبَ
أعدك بالطاعة، وإني لمبتهج بكتابتك، وإن قصرت عما وجب علي من القودم عليك

وَمَا عَاقَنِي غَيْرُ خَوْفِ الْوُشَاةِ وَإِنَّ الْوُشَايَاتِ طُرُقُ الْكَذِبِ
والذي عاقني خوف الوشاة (ناقلي الكلام)، والوشايات تفتح الطريق للافتراء

وَتَكْثِيرُ قَوْمٍ وَتَقْلِيلُهُمْ وَتَقْرِيبُهُمْ بَيْنَنَا وَالْحَبَبِ
ويعوقني عن القودم إليك نقل القوم الكلام وزيادتهم وتقليلهم فيه (تحريفه) وتقريبهم
(سعيهم) التقريب نوع من سير الأبل) بيننا والخيب (نوع آخر من سير الإبل)، يقول:
الناس ووشاياتهم وسعيهم بيني وبينك بالفساد.. كل هذا يعوقني

وَقَدْ كَانَ يَنْصُرُهُمْ سَمْعُهُ وَيَنْصُرُنِي قَلْبُهُ وَالْحَسَبُ
وكان سمع سيف الدولة ينصرهم (فقد كان يرخي أذنه للوشاة)، وكان ينصرني أنا قلبه وحسبه (كرم أصله)

وَمَا لَأَقْنِي بِلَدٍ بَعْدَكُمْ وَلَا اعْتَضْتُ مِنْ رَبِّ نُعْمَايَ رَبِّ
وما لاقني ببلد بعدكم، ولا اعتضت (استبدلت) من رب (صاحب) نعماي رباً آخر

وَمَنْ رَكِبَ الثُّورَ بَعْدَ الْجَوَا ۖ أَتَنْكَرَ أَظْلَافُهُ وَالْعَبَبُ
والذي يركب الثور (كافوراً) بعد الجواد (سيف الدولة) سينكر (يستهجن) أظلافه
(أقدام الثور المشقوقة) والغيب (الجلد المتدلي تحت ربة الثور). المتنبي ذكي ولا
يركب حماقة كهذه، بأن يقول لسيف الدولة إنه كان يركبه ثم ركب ثوراً، إلا وهو
يعرف ما يقول. لكن، غلبه حبه لفنه، ولم يستطع تفويت هذه الصورة. على أنه بلا
شك أحمق وفنان

١٢٤ وأراد لي.. فأردت أن أتخيرا

خرج أبو الطيب من الكوفة إلى العراق، فراسله ابن العميد، أبو الفضل محمد بن
الحسين، وزير ركن الدولة من أرجان، فسار إليه وقال بمدحه: ٤٧/١٤

بَادِ هَوَاكَ، صَبَرْتُ أَمْ لَمْ تَصْبِرَا ۖ وَبُكَاءُكَ، إِنْ لَمْ يَجِرْ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى
هواك ظاهر سواء أصبرت أم لم تصبر، وبكاءك ظاهر حتى لو لم يجر دمك

كَمْ غَرَّ صَبْرُكَ وَابْتِسَامُكَ صَاحِبًا ۖ لَمَّا رَأَاهُ، وَفِي الْحَشَا مَا لَا يُرَى
وكثيراً ما غر صبرك وابتسامك صاحِباً لك رَأَى تتسم على أن في حشاك (قلبك) ما لا يرى بالعين

وَلَوْ اسْتَطَعْتُ، إِذْ اغْتَدْتُ رُؤُودَهُمْ ۖ لَمَنْعْتُ كُلَّ سَحَابَةٍ أَنْ تَقْطُرَا
لو استطعت عندما خرج رواد قبيلة المحبوبة صباحاً للبحث عن العشب تمهيداً للرحيل، لو
استطعت لمنعت السحاب من أن يمطر على الأرض البعيدة حتى لا يرحلوا إليها

فَإِذَا السَّحَابُ أَخُو غَرَابٍ فِرَاقِهِمْ ۖ جَعَلَ الصَّبَاحَ بَيْنَهُمْ أَنْ يُمْطِرَا
إذا بالسحاب يشابه غراب البين، فظهوره ينذر بأنهم سيفارقون ويتبعون المطر. وقد جعل السحاب
إنزال المطر طريقته في الصباح والتعيق إيذاناً بالرحيل

وَإِذَا الْحَمَائِلُ مَا يَخْدَنَ بِنَفْنَفٍ ۖ إِلَّا شَقَقْنَ عَلَيْهِ ثُوبًا أَخْضَرَا
إذا بالحمائل (الهوداج) ما يخدن (يمشين) بنفنف (بوادٍ) إلا شققن ثوبه الأخضر (فالإبل ترعى
وهي تمشي فتصح الأرض الخضراء مشقوقة في وسطها لغياب العشب الذي رعته الإبل)

أَعْطَى الزَّمَانُ، فَمَا قَبِلْتُ عَطَاءَهُ ۖ وَأَرَادَ لِي، فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَخَيَّرَا
أعطاني الزمان فرصاً فلم أقبلها، وأراد لي، سمح لي، بأن أحصل على الرزق من عدة أوجه،
لكنني وقفت أنأمل كي أختار الأفضل

أَنْتَ الْوَحِيدُ إِذَا رَكِبْتَ طَرِيقَةً ۖ وَمَنْ الرَّدِيفُ وَقَدْ رَكِبْتَ غَضَنْفَرَا
يا ابن العميد أنت متفرد إذا انتهجت نهجاً، ومن ذا يكون رديفك (الراكب خلفك) وأنت قد ركب
أسداً، وانتهجت طريقاً صعباً

قَطَفَ الرَّجَالُ الْقَوْلَ وَقَتَّ نَبَاتِهِ وَقَطَفْتَ أَنْتَ الْقَوْلَ لَمَّا نَوَّرَا

الناس يقولون كلاماً عادياً، وأنت تأتي بالمعاني المتكرة. فالتبت وقت نضجه رخيص في السوق تأكل منه كل الناس، ولكن البواكير لا تتاح إلا للقلة. تسويد أ. عبد الرحيم

فَهُوَ الْمُشْبِعُ بِالْمَسَامِيعِ إِنْ مَضَى وَهُوَ الْمُضَاعَفُ حُسْنُهُ إِنْ كُرِّرَا

فكلامك مشبع (متبوع) بالمساميع (الأذان) إن مضى (انتهى) فكان الأذان تواصل متابعتها لكلامك اشتهاه للمزيد منه، وجمال كلامك يتضاعف إذا تكرر

وَإِذَا سَكَتَ، فَإِنَّ أَبْلَغَ خَاطِبٍ قَلَمٌ لَكَ اتَّخَذَ الْأَنَامِلَ مِنْبَرًا

وإذا سكت فإن أبلغ الخطباء هو قلمك الذي اتخذ من أصابعك منبراً له

مَنْ مُبْلِغُ الْأَعْرَابِ أَنِّي بَعْدَهَا جَالِسْتُ رِسْطَ الْيَسَنِ وَالْإِسْكَندَرَا

من ذا يبلغ الأعراب الذين عاشرتهم حيناً أني جالست أرسطوطاليس والإسكندر المقدوني في شخص ابن العميد، فهو فيلسوف كالأول، وقائد ناجح كالثاني

وَمِلَلْتُ نَحْرَ عِشَارِهَا، فَأَصَافَنِي مَنْ يَنْحَرُ الْبِدْرَ النَّضَارَ لِمَنْ قَرَى

وأني مللت من نحر (ذبح) عشار الإبل (الإبل الحامل لعشرة أشهر)، فأضافني (أنزلي ضيفاً) هذا الذي ينحر بدل الجمال البدر النضار (أكياس الذهب الخالص) لمن قرى (لمن أطمع من ضيوف)

وَسَمِعْتُ بَطْلِيمُوسَ، دَارِسَ كُتُبِهِ مُتَمَلِّكًا مُتَبَدِّيًا مُتَحَضِّرًا

وسمعت بطليموس (عالم الفلك اليوناني صاحب كتاب المجسطي)، سمعته من خلال دارس كتبه (ابن العميد). وابن العميد صاحب ملك، وعارف بالبدواة، وعارف بالحضارة

وَلَقِيتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ، كَأَنَّمَا رَدَّ إِلَهُهُ نَفُوسَهُمْ وَالْأَعْضُرَا

ولقيت في شخص ابن العميد كل الفضلاء، فكأنما رد الله نفوسهم وعصورهم في شخص هذا الرجل

١٢٥ غريب الوجه واليد واللسان

قال المتنبي بصف شعب بؤان، وهو وإد قَطَعَهُ في طريقه إلى عضد الدولة بشيراز:

٤٨/١٥

مَغَانِي الشُّعْبِ، طَيِّبًا، فِي الْمَغَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ

مغاني (بساتين) الشعب (الوادي) هي في الطيب بالنسبة للمغاني الأخرى بمنزلة الربيع من الزمان. يقول: إن جمال مغاني شعب بؤان بالنسبة للمغاني كلها، مثل جمال الربيع بالنسبة للفصول كلها

وَلَكِنَّ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ

لكنني أنا الفتى العربي غريب الوجه بين سكانها، فوجهي أسمر؛ وغريب اليد لأنه ليس في ملك يدي هنا شيء؛ وغريب اللسان لأنهم يتكلمون الفارسية

مَلَاعِبُ جِنَّةٍ، لَوْ سَارَ فِيهَا سُلَيْمَانُ لَسَارَ بِشَرِّجَمَانٍ

هذه ملاعب للجنة (الجن)، ولو سار فيها سليمان الحكيم الذي يعرف كل اللغات حتى لغات الطير لاحتاج لترجمان لكثرة ما فيها من أصناف الحيوان، وربما أيضاً لأن أهلها يتكلمون بكلام غريب لا يفهم المتتبي منه حرفاً

طَبَتْ فُرْسَانَنَا وَالْحَبِيلَ حَتَّى خَشِيتُ، وَإِنْ كَرُمْنَ، مِنْ الْجِرَانِ

طبّت (استمالت) هذه المغاني فرساننا وما يركبون من خيل، حتى لقد خشيت - وإن كانت الخيول كريمة - من حرانها (وقوفها وعصيانها الأمر بالسير)

عَدُونَا تَنْفُضُ الْأَغْصَانُ فِيهَا عَلَى أَصْرَافِهَا مِثْلَ الْجُمَانِ

غدونا في الصباح بينما الأغصان تنفض على أعراف الخيل (شعر أعناقها) ما يشبه اللؤلؤ من ضوء يتسلل بين الأغصان

فَسِرْتُ، وَقَدْ حَجَبَنَ الْحَرَّ عَنِّي وَجِئْتُ مِنَ الضُّبَاءِ بِمَا كَفَانِي

فسرت وقد حجبت الأغصان الحر، ولكنها سمحت من الضوء بما يكفي

وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي دَنَانِيرًا تَفِرُّ مِنَ الْبَنَانِ

ورمى الشرق من الشمس على ثيابي دنانير (يشبه بقع الضوء المدورة بالدنانير) تفر من البنان (الأصابع)

لَهَا ثَمَرٌ تُشِيرُ إِلَيْكَ مِنْهُ بِأَشْرَبَةٍ وَقَفْنَ بِلاَ أَوَانٍ

للأغصان ثمر تلفت نظرك إليه بأشربة (عصائر) وقفت بدون الأواني. يقول: إن هذا الثمر من عنب وغيره رقيق القشر ويبدو عصيره صافياً، وافقاً هكذا دون وجود الأواني

وَأَمْوَاهُ تَصِلُ بِهَا حَصَاها صَلِيلَ الْحَلِيِّ فِي أَيْدِي الْعَوَانِي

وفيها مياه تصل (تخرج صوتاً كصوت الأساور) بها الحصى، مثل صليل الحلّي (الحلّي) في أيدي الغواني (الجماليات)

لَوْ كَانَتْ دِمَشْقُ ثَنَى عِنَانِي لَبِيقُ الثَّرْدِ صِينِي الْجِفَانِ

لو كانت هذه دمشق لأمسك بعناني (مقود فرسي) وساقه إلى بيته رجل لبيق الثرد (بارع في صنع الثريد) صيني الجفان (أوعية داره من الخزف الصيني)

إِذَا عَنَى الْحَمَامُ الْوُزُقَ فِيهَا أَجَابَتْهُ أَغَانِي الْقِيَانِ

في دمشق إذا غنى الحمام الورق (الحمام) أجابته القيان (المغنيات) بأغانيهن

وَمَنْ بِالشَّعْبِ أَحْوَجُ مِنْ حَمَامٍ إِذَا عَنَى وَنَاحَ إِلَى الْبَيَانِ

ولكن الناس الذين في شعب بوان في فارس أحوج في غنائهم أو نوحهم إلى المترجم من حاجة الحمام إليه (فكلامهم أغمض على الفهم من غناء الحمام)

وَقَدْ يَتَقَارَبُ الْوُصْفَانِ جِدًّا وَمَوْصُوفَاهُمَا مُتَبَاعِدَانِ
ففي دمشق غناء وهنا غناء، ولكن ما أبعد الفرق بينهما، قد يتقارب الوصفان لكن الشئبين
الموصوفين متباعدان

يَقُولُ بِشُعْبِ بَوَّانٍ حِصَانِي: أَعَنْ هَذَا يُسَارُ إِلَى الطَّعْمَانِ
يقول حصاني وهو في شعب بوان: أمعقول أن نسير ونترك هذه البساتين ونذهب للطعان (الحرب)؟

أَبُوكُمْ آدَمَ سَنَ الْمَعَاصِي وَعَلَمَكُمْ مُفَارَقَةَ الْجَنَانِ
أيها البشر - يقول الحصان - أبوكم آدم سن (بدأ) المعاصي (بأن أكل التفاحة وخرج
من الجنة) وعلمكم كيف تفارقون الجنان، فظلمتم تفعلون فعله: تتركون مكاناً كشعب
بوان وتنتقلون إلى الحرب

١٢٦ لأن رحيلي كان عن حلب غدرا

قال صاحب «الصبح المنبي»: وقد وجدتُ له قصيدتين في هجاء كافور ومدح سيف الدولة
نقلتهما من خط أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري وذكر
أنهما وجدنا في رحله لما قتل وكان قد نظمهما بواسط، وهذه إحداهما: ٣١/١٦

أَفِيقًا، حُمَارُ الْهَمِّ بَعَّضَنِي الْحَمْرَا وَشُكْرِي مِنَ الْأَيَّامِ جَنَّبَنِي الشُّكْرَا
يا صاحبي أفيقا من سكركما فخمَارِ الهم (صداع السكران في اليوم التالي) - وخمار المتنبي من
الهموم لا من الخمر - جعلني أكره الخمر، وسكري من مصائب الزمن جنبي السكر الحقيقي
تَسْرُ خَلِيلِي الْمُدَامَةُ، وَالَّذِي بِقَلْبِي يَأْبَى أَنْ أُسَرَّ كَمَا سُرَا
صاحباي يشعران بالسرور بشرب المدامة (الخمر)، وما بقلبي من هم يأبى علي السرور كما سُرَا هما
لَبِسْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ أَخْشَنَ مَلْبَسٍ فَعَرَّقَنِي نَابَاً، وَمَزَّقَنِي ظُفْرَا
لبست صروف (مصائب) الدهر فكانت أخشن ملابس، لقد عرقتني المصائب (نزعت لحمي عن
عظامي) بأنيابها، ومزقتني بأظفارها

سَدِئْتُ بِصَرْفِ الدَّهْرِ طِفْلاً وَيَافِعَا فَأَفْنَيْتُهُ عَزَمًا، وَلَمْ يُفْنِنِي صَبْرَا
سدكت (لزمت) بمصائب الدهر طفلاً وشاباً، فأفنت الدهر بعزمي، ولم يُفْنِنِ الدهر صبري
أُرِيدُ مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَا يُرِيدُهُ سِوَايَ، وَلَا يَجْرِي بِحَاطِرِهِ فِكْرَا
أريد من الأيام ما لا يريدُه سِوَايَ، ولا يجري بحَاطِرِهِ فِكْرَا

وَمَنْ كَانَ عَزَمِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ حَتَّى وَخَيَّلَ طُولَ الْأَرْضِ فِي عَيْنِهِ شِبْرَا
من كان له عزم كعزمي بين جنبيه (في قلبه) فالعزم سيحطه على السعي، وسيجعل طول الأرض شبراً
في عينه

وَمِصْرُ، لَعَمْرِي، أَهْلُ كُلِّ عَجِيبَةٍ وَلَا مِثْلَ ذَا الْمَخْصِيِّ أَعْجُوبَةٌ يَكْرَأُ
مصر بلد كل العجائب، ولكن لا أعجوبة فيها مثل هذا المخصي فهو أعجوبة بكر (لا مثل لها)

يُعَدُّ إِذَا عُدَّ الْعَجَائِبُ أَوَّلًا كَمَا يُتَنَدَّى فِي الْعَدِّ بِالْإِصْبَعِ الصُّغْرَى
وبعد كافور - إذا عددنا العجائب - في المقام الأول، ليس لعلو شأنه. . . فنحن نبدأ العد على أصابعنا بالإصبع الصغرى

فَيَا هِرْمِلَ الدُّنْيَا، وَيَا عِبْرَةَ الْوَرَى وَيَا أَيُّهَا الْمَخْصِيُّ! مَنْ أُمُّكَ الْبُظْرَا
يا هرمل (المرأة العجوز) الدنيا ويا عبرة الورى (البشر)، ويا أيها المخصي من هي أمك البظراء
(ذات البظر المسترخي)

نُؤَيِّبُهُ لَمْ تَدْرِ أَنَّ بُنْيَاهَا النَّـ حَوِيِّيَّ، دُونَ اللَّهِ، يُعْبَدُ فِي مِصْرَا
إنها نويبية (نوبية/ من بلاد النوبة) لا تدري أن ابنها النوبي يعبد في مصر قبل الله

وَلِلَّهِ آيَاتٌ، وَلَيْسَ كَهَيْهتِهِ فَلِإِنَّكَ، يَا كَافُورُ، آيَتُهُ الْكُبْرَى
لله آيات (معجزات)، وأنت في وضعك هذا معجزة كبرى

وَأَكْفُرُ يَا كَافُورُ حِينَ تَلُوحُ لِي فَقَارَقْتُ، مُذْ قَارَقْتُكَ، الشُّرْكَ وَالْكُفْرَا
حين أراك كنت أكفر (إذ أرى الله أعطاك الملك بلا استحقاق)، والآن بعد أن فارقتك فارقت
الشرك والكفر

عَثَرْتُ بِسَيْرِي نَحْوَ مِصْرَ، فَلَا لَعَا بِهَا، وَلَعَا بِالسَّيْرِ عَنْهَا، وَلَا عَثْرَا
ذهابي إلى مصر كان عثرة (غلطة) فلا لعاً (لا قومة منها) - يقولون للمتعثّر «لعاً» كما نقول
اليوم «الله» -، وليساعدني الزمن في السير عن مصر ولا أتعثر

وَقَارَقْتُ خَيْرَ النَّاسِ قَاصِدَ شَرِّهِمْ وَأَكْرَمَهُمْ طَرًّا لِأَلَامِهِمْ طَرًّا
لقد فارقت سيف الدولة وهو خير الناس، وقصدت شرهم، فارقت أكرمهم طراً (جميعاً) لألامهم طراً

فَعَاقَبَنِي الْمَخْصِيُّ بِالْغَدْرِ جَازِيًّا لِأَنَّ رَحِيلِي كَانَ عَنْ حَلَبٍ غَدْرَا
فعاقبنى كافور بأن غدر بي، وهذا جزائي لأن رحيلي عن حلب كان غدراً بسيف الدولة

وَقَدْ أَرَى الْخَنْزِيرَ أَنِّي مَدَحْتُهُ وَلَوْ عَلِمُوا، قَدْ كَانَ يُهَجَى بِمَا يُطْرَى
وقد أرى الناس كافوراً أنني مدحته، فهو لا يفهم مدحاً من قبح، ولكن الناس كانوا يفسرون له،
ولو علم هؤلاء الناس مغزى كلامي لعلموا أنني كنت أهجوه بما كان يطرى (يمدح) به

١٢٧ القاتلة

قال المتنبي يهجو ضبة العتي، وكان أبو الطيب اجتاز بالطف فنزل بأصدقاء له، وسارت خيلهم إلى ضبة فدخل حصنه وشتهم. وضبة هذا قُتل أبوه وسبيت أمه ثم ولدته وهي في السبي، فقال أبو الطيب في جمادى الآخرة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمئة: ٣٩/١٣

مَا أَنْصَفَ الْقَوْمُ ضَبَّةً وَأُمُّهُ الطُّرْطُوبَةُ
لم ينصف الناس ضبة هذا، ولا انصفوا أمه الطرطبة (المسترخية الثدين)

وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْقَتْلِ لِي إِنْ مَا هِيَ ضَرْبَةٌ
يا ضبة! لماذا أنت مغتاظ لقتلهم أباك؟ إنها مجرد ضربة سيف (يسخر منه، قائلًا إن ضبة لا يعرف معنى النار للحفاظ على الشرف)

وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْعَذْرِ، إِنْ مَا هِيَ سُبَّةٌ
ولماذا تخاف أن يقال إنك غادر، هي مجرد سبة (عار)

وَمَا يَشُقُّ عَلَى الْكَلْبِ أَنْ يَكُونَ ابْنُ كَلْبَةٍ
وليس يشق (يصعب) على الكلب أن يكون ابن كلبة، فذلك وضع طبيعي

مَا ضَرَّهَا مِنْ أَتَاهَا وَإِنْ مَا ضَرَّ صَلْبَهُ
وأملك لا يضرها من أتاها من الناس، بل يضر صلبه

وَلَيْسَ بَيْنَ هَلُوكِ وَحُرَّةٍ غَيْرُ خِطْبَةٍ
والفارق بين الهلوك (العاهرة) وبين المرأة الحرة خطبة

وَكُنْتُ تَنْخُرُ تَيْهًا فَصِرْتُ تَضْرِبُ رَهْبَةً
كنت تنخر (تخرج صوتاً من أنفك) تيهًا (تكبراً) فالآن تضرب رهبة (خوفاً)

وإِنْ بَعُذْنَا قَلِيلًا حَمَلَتْ رُمَحًا وَحَرْبَةً
إِنْ أَوْحَشَتْكَ الْمَعَالِي فَلَيْتَ هَذَا دَارُ غُرْبَةٍ
المعالي (الأمجاد) موحشة لك لأنك غريب فيها

أَوْ آتَسَتْكَ الْمَخَازِي فَلَيْتَ هَذَا لَكَ نَسَبَةٍ
وأنت تأس بالمخازي لأنها هي نسبك

وإِنْ عَرَفْتَ مُرَادِي تَكْشَفْتَ عَنْكَ كُرْبَةً
إن فهمت شعري انكشفت كربتك (ضيقك) فأنت لا تبالي بالشم

فَمَنْ يُبَالِي بِذَمِّ إِذَا تَعَوَّدَ كَسْبَهُ
وإنَّ جَهِلْتُ مُرَادِي فَإِنَّهُ بِكَ أَشْبَهُ
وإن جهلت مرادي بهذا الشعر فهذا أشبه بك (أليق بك) لأنك جاهل

١٢٨ ما أجدر الأيام والليالي

قال المتنبي يمدح عضد الدولة ويذكر خروجه للصيد في منطقة دشت الأرزَن شمال
غرب شيراز: ١١٨/٢١

ما أَجْدَرَ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي
بَأَنْ تَقُولَ: مَا لَهُ، وَمَا لِي
ما أجدر الزمن بأن يقول: مالي وللمتنبي ولماذا أعانده؟

لَا أَنْ يَكُونَ هَكَذَا مَقَالِي
أما أنا فلا أقول ذلك، ولا أشكو من الزمن لقوتي وقوة صبري

فَتَى بِزِيرَانِ الْحُرُوبِ صَالٍ
مِنْهَا شَرَابِي وَبِهَا اغْتَسَالِي
أنا فتى اصطلى بنار الحرب فمناها أشرب ومنها أغتسل

وَكَيْفَ لَا، وَإِنَّمَا إِذْلالِي
بِفَارِسِ «الْمَجْرُوحِ» وَ«الشُّمَالِ»
أَبِي شُجَاعٍ قَاتِلِ الْأَبْطَالِ
كيف لا يكون ذلك وإذلالِي (استنادي) هو بفارس المجروح والشمال (اسم فرسين لعضد الدولة)

فَوَحْشُ نَجْدٍ مِنْهُ فِي بَلْبَالٍ
يَخْفَنَ فِي سَلْمَى، وَفِي قِيَالٍ
الحيوانات البرية في نجد في بلبال (خوف) من عضد الدولة رغم بعد بلادها عنه، وهي تخاف في
سلمى وفي قيال (اسم جبلين في بلاد العرب)

يَسْمَعَنَّ مِنْ أَخْبَارِهِ الْأَزْوَالِ
مَا يَبْعَثُ الْخُرْسَ عَلَى السُّؤَالِ
فُحُولُهَا وَالْعُودُ وَالْمَتَالِي

تسمع الحيوانات أخباره الأزوال (العجيبة) مما يبعثها، وهي الخرساء، على السؤال
عن سره: فحول الإبل تسأل والعود (التيق الصغيرة) تسأل، والمتالي (التيق الأمامات
التي تتلوها وتلحقها صغارها) تسأل

تَوَدُّ لَوْ يُثَجِّفُهَا بِوَالٍ
يَرْكَبُهَا بِالْخُطْمِ وَالرَّحَالِ
يُؤْمِنُهَا مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَالِ
وَيَحْمُسُ الْعُشْبَ، وَلَا تُبَالِي

تود هذه الحيوانات لو يبعث عضد الدولة إليها والياً يجعلها مركوبة ومذللة بالخطم
(اللجم) والرحال (السروج)، فتعيش آمنة من أهوال الصيد، والوالي يخمس (يفرض
ضريبة الخمس) حتى على العشب، ولكنها لا تبالي بذلك

لَوْ شِئْتَ صِدْتَ الْأَسَدَ بِالثَّعَالِي
أَوْ شِئْتَ غَرَّقْتَ الْعِدَى بِالْأَلِ

لو شئت أيها الأمير لصدت الأسود بالثعالي (بالثعالب) فأنت قادر حتى على المستحيلات، ولو
شئت غرقت الأعداء بالآل (بالسراب) رغم أن السراب ليس ماء بل وهم

فَخَرُّ الْفَتَى بِالنَّفْسِ وَالْأَفْعَالِ
مِنْ قَبْلِهِ بِالْعَمِّ وَالْأُخْوَالِ
وفخر الإنسان بأفعاله هو قبل افتخاره بعمه وخاله

١٢٩ نحن بنو الموتى

توفيت عمه عضد الدولة ببغداد، فقال المتنبي يرثيها ويعزيه بها: (نسبة ما اخترناه إلى
عدد أبيات القصيدة) ٣٥/١٣

أَخِرُ مَا الْمَلِكُ مُعَزَّى بِهِ هَذَا الَّذِي أَثَّرَ فِي قَلْبِهِ
ليكن هذا آخر الأحزان التي يعزى بها الملك، وهو حزن أثر في قلبه

لَا جَزْعًا، بَلْ أَنْفًا؛ شَابَهُ أَنْ يَقْدِرَ الدَّهْرُ عَلَى غَضَبِهِ
ولم يؤثر الحزن فيه جزعاً (خوفاً وارتباكاً) بل أنفأ (ترفعاً)، وقد شابه (أقلقه) أن يكون الدهر قد
استطاع غصبه (قهره)

لَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ ضَجْعَةٍ لَا تَقْلِبُ الْمُضْجَعَ عَنْ جَنْبِهِ
لا بد للإنسان من نومة لا يتقلب فيها المضجع (المتمدد) عن جنبه

يَنْسَى بِهَا مَا كَانَ مِنْ عَجَبِهِ وَمَا أَذَاقَ الْمَوْتَ مِنْ كَرِيهِ
نومة ينسى بها ما كان من عجبه (تكبره) وينسى أيضاً ما أذاقه الموت من الكرب

نَحْنُ بَنُو الْمَوْتَى، فَمَا بَالُنَا نَعَافُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ

نحن بنو الموتى فكل أجدادنا ماتوا، فلماذا نعاف الموت الذي لا بد من شربه

تَبْخُلُ أَيْدِينَا بِأَرْوَاحِنَا عَلَى زَمَانٍ هِيَ مِنْ كَسْبِهِ

أيدينا تبخل بأرواحنا ولا تعطيها للزمان، ولكن أرواحنا هي من كسب الزمان (ملك للزمان)

فَهَذِهِ الْأَرْوَاحُ مِنْ جَوْهِ وَهَذِهِ الْأَجْسَامُ مِنْ تُرْبِهِ

فالأرواح هي من جو هذا الزمان، والأجسام هي من ترابه. ما أخلق دارساً أن يفحص نظرة المتنبي للزمان، فهو يكاد يماهي بين الزمان والمكان على النحو الذي يصنعه الفلاسفة والعلماء أيضاً، ويكاد في نظره للروح يكون من الفلاسفة الماديين. ليس بالصدفة، ولا بمحض الفطرة؛ فالمتنبي قارئ كُتُب، وقد مرت به كتابات فلاسفة العرب وما نقلوه عن فلاسفة الإغريق، ولكنه تمثل ذلك وصاغه صياغة شاعر عربي قح

لَوْ فَكَّرَ الْعَاشِقُ فِي مُنْتَهَى حُسْنِ الَّذِي يَسْبِيهِ لَمْ يَسْبِهِ

لو فكر العاشق في منتهى (مصير) جمال معشوقه - والمصير هو الموت وتحلل الجسم - لما سباه (سرق عقله) هذا المعشوق. تسويد أ. عبد الرحيم

لَمْ يُرَ قَرْنُ الشَّمْسِ فِي شَرْقِهِ فَشَكَّتِ الْأَنْفُسُ فِي غَرْبِهِ

لم يظهر قرن الشمس في شروقها إلا وتأكد الناس أنها ستغرب بعد حين، فكيف نشك في أن الحياة تنتهي بالموت؟ نعم، معظم الناس يعيشون كأنهم خالدون في الدنيا

يَمُوتُ رَاعِي الضَّأْنِ فِي جَهْلِهِ مِيتَةً جَالِينُوسَ فِي طِبِّهِ

يموت راعي الضأن (ويضرب به المثل في الجهل) ميتة جالينوس طبيب اليونان

وَرُبَّمَا زَادَ عَلَى عُمْرِهِ وَزَادَ فِي الْأَمْنِ عَلَى سِرِّهِ

وربما عاش راعي الضأن أكثر من جالينوس، وربما كان آمناً على سربه (نفسه) أكثر من إحساس جالينوس بالأمان

وَعَايَةَ الْمُفْرِطِ فِي سِلْمِهِ كَعَايَةَ الْمُفْرِطِ فِي حَرْبِهِ

ومصير المسالم كمصير الكثير الحروب، فلماذا المهادنة؟

فَلَا قَضَى حَاجَتَهُ طَالِبٌ فَوَادُهُ يَخْفُقُ مِنْ رُغْبِهِ

أدعو أن لا تحقق حاجةً لجبان يخفق قلبه من الرعب

١٣٠ أذاة أو نجاة أو هلاكاً

قال المتنبي عند وداعه لعضد الدولة في أول شعبان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة، وهي آخر شعر قاله: ٤٤/٧

إذا التَّوَدَّيعُ أَعْرَضَ، قَالَ قَلْبِي: عَلَيْكَ الصَّمْتُ، لَا صَاحِبَتْ فَاكًا!
إذا أعرض (ظهر) التوديع قال قلبي: عليك بالصمت، لا بقي معك فمك! أي أمره قلبه بالسكوت، وعدم مدح أحد بعد عضد الدولة

إذا اسْتَشْفَيْتَ مِنْ دَاءٍ بِدَاءٍ فَأَقْتُلْ مَا أَعْلَكَ مَا شَفَاكَ
يا قلبي إذا طلبت الشفاء من الشوق للأهل بمفارقة الممدوح فإن أقتل ما أهلك (أمرضك) هو هذا الذي طلبت به الشفاء

فَأَسْتُرْ مِنْكَ نَجْوَانَا، وَأَخْفِي هُمُومًا قَدْ أَطْلَتْ لَهَا الْعِرَاكَ
أنا أستر منك يا عضد الدولة نجوانا (حديثنا الهامس) أنا وقلبي، وأخفي هموماً كثيراً ما عاركتها في ذهني

وَفِي الْأَحْبَابِ مُخْتَصٌّ بِوَجْدٍ وَآخِرُ يَدْعِي مَعَهُ اشْتِرَاكَ
المعنى الملموح: ومن الأحباب من يكون الوجد (الحزن) لاصقاً به وحده، وهناك آخر يدعي أنه يشاركه الحزن

إذا اشْتَبَهَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى بِحُرْقَةٍ يَخْتَلِفُ عَنْ تَبَاكِي (ادعى البكاء)

فَزُلْ يَا بُعْدُ عَنْ أَيْدِي رِكَابٍ لَهَا وَقَعُ الْأَسِنَّةُ فِي حَشَاكَ
فابتعد أيها البعد عن أيدي نياقنا، فوقع أيديها وهي تفارق الممدوح مثل وقع أسنّة الرماح في الحشا (القلب)

وَأَنْتَى شَتَّ يَا طُرْقِي فَكُونِي أَذَاةً، أَوْ نَجَاةً، أَوْ هَلَاكًا
كوني كيفما شئت يا طريقي: كوني أذاة (أذى)، أو نجاة، أو حتى هلاكاً (موتاً). هذه آخر قصيدة للمتنبي وبعدها قُتل، فكانت (نبوءته) الأخيرة صحيحة

كشاف الأغراض

(الأرقام هي أرقام القصائد لا الصفحات)

لا أعرف مدى فائدة هذا الكشف . ولكنني صنعتُه متزيّداً ومجرباً . فإن تفرّى طالب علم أرقامه ، ووصل به إلى التعمق في فهم ناحية محدّدة من نواحي شعر أبي الطيب فهذا خير . وإن اكتفى القارئ العجل بنظرة سريعة تعطيه فكرة عن موضوعات أبي الطيب ففي هذا نفع . وإلّا .. يكنْ ما أنفقتَه من ساعات كثيرة في تنضيد هذا الكشف قد ذهب سدى ؛ فلتذهب سدئ أيضاً بضع صفحات مئة في ذيل هذا الباب . وليكن غرمٌ يحتمل القارئ شطره وأحتمل شطراً

العشق والغزل وتوابعهما

عذاب العاشق: ٢/٣/٥/٧/٨/١٤/١٦/٢٣/٣٠/٣٣/٣٧/٣٩/٤٤/٤٥/٤٦/٥٠

٧٨ / ٧٢ / ٦٨ / ٦٣ / ٥٩ / ٥٦

124/121/98/82/81/

النقيب على الأطلال: ١٦/٢٦/٣٠/٣٣/٤٤/٥٧/٥٩/٦٨/٦٩/٧٢/٧٤/٧٨/١٢٤

عفة العاشق، والزهد في المرأة: ١٢٠/١١٧/١٠٧/٧٢/٦٧/٤٦

الفراق: ١٠٢/٨٢/٧٨/٦٨/٥٣/٥١/٤٥/٤٤/٣٨/٣٧/٣٠/٢١/٥/٢

الغرام والوصل: ١٠٧/٩٨/٧٨/٣٩

غربة وحنين: ١٢٥/١٠٦/١٠٣/١٠٢/٩٩

غزل: ۱۲۱/۹۰/۷۴/۳۷/۳۱/۲۹/۲۷/۲۳

غزل فی البدویات: ۹۹/۹۸/۴۶/۳۷/۲۹/۲۷/۲۱/۱۴

عشيرة المحبوبة: ٧٨ / ٨٢

طبع النساء : ٥١

وصف المرأة: ٨١/٦٨

مكانة المرأة: ١٢٧/١٢٢/٦٢

طبايع ومشاعر

الصبر: ١٢٨/١٢٦/٨٢/٦٢/٦١/٤٩/٤٨/٤٧/٤٢/٢٩/٢٥/١٨
الطموح: ١٠٧/١٠٦/٩٩/٩٧/٧٤/٧٢/٥٤/٥٢/٤٧/٤٣/٤٠/٢٧/٢٤/١٠/٦
١٢٠

الجبن: ١٢٩/١٢٧/١٠٤/٩٤/٩٣/٩١/٨٢/٨١/٧٥/٧٤/٧٢/٧١/٧٠/٥٤
 الشجاعة: ٩٤/٧٥/٧٤/٧٣/٧٢/٧١/٥٤
 الفخر بالتجربة والخبرة: ٩٨/٧٥/٧٤/٧٠/٦٨/٥٣/٥٢/٣٦/٢٦/٢٥
 الفخر بالشجاعة والترف: ٥٣/٤٩/٤٧/٤٥/٤٣/٤١/٤٠/٣٤/٢٥/١٥/١٠/٩
 ١٢٨/١٠٦/٧٥/٧٢

الصادق: ١١٧/١١٠/١٠٩/١٠٧/١٠٢/٣٦/١

الوفاء: ٧٥/٧٦/٩٠/٩٦/١٠٠

الفقر: ١٠٨/٢٤/١٩/١٨/٦/٣

الشراء : ٥٦

الطبيب: ١٠٦/٧٢/٣٦

الخمر والصدود عنها: ١٢٦/١١٧/٦٨/٢٠

السجن: ١٩/١٨/١٧

الثقافة والكتاب والمعرفة: ١٢٩/١٢٤/١٠٧/٨٠/٧٥/٧٤

الهموم: ٦٢/٥٣/٥٠

الوداع: ١٣٠ / ٨ / ١

الشيب: ١٠٧/٥٩/٥٠

الشيخوخة: ١٠٧/٩٢

المرض: ٤٣/٨٣/١٠٦ (الحُمى)

النفاق الاجتماعي: ١٣٠ / ١٠٦

النفوس القلقة

وحيثاً في الصحراء : ٣٢/٣٣/٣٦/٣٧/٤١/٤٢/٥٩/٧٥/٩١/٩٧/١٠٦/١٠٧
١٢١/١١٩/١١٨/١١٠

جنون العظمة: ٧٥/٤٠/٣٤/٢٨/٢٦/١١/٦/٤

فرح زائل : ۷۴

قلقي وترحال: ١٠٧/١٠٦/١٠٣/١٠٠/٩٠/٨٤/٧٥/٤٣/٤٢/٤١/٣٧/٣٦/٧/٦
١٣٠/١١٨/١١٧/١١٥/١١٠

كبرياء: ١٢٦/١١٧/١١٥/١٠٧/١٠٦/١٠٤/٩٦/٨٢/٦٠/٤٩/٤٣/٤٠/١٨/٦

حياة الشاعر في البلاط

الحساد: ١٩/٣٩/٤١/٤٤/٤٥/٤٨/٤٩/٥٣/٥٦/٥٧/٦٨/٧٥/٧٨/٧٩/٨١/
٨٦/٨٥/٨٢
١٢٣/١١٧/١٠٩/١٠٦/١٠٣/١٠٢/٩٥/
الشعر وفخر الشاعر بشعره: ٢٢/٢٤/٢٧/٣٧/٣٩/٤٤/٤٦/٤٧/٥١/٥٩/
٧٩/٧٥/٧٢
١١٨/١١٣/١٠٢/٩٥/٨٨/٨٦/٨٥/٨٤/٨٢/٨١/٨٠/
التكيل بالروم: ٥٩/٧٠/٧١/٧٢/٧٤/٧٨/٨١/٨٢/٨٦/٨٨/٩٣/٩٥/١٢١/
سبي النساء: ٧٨/٧٢
الأعراب: ٨٧/٩١/١٢٠/١٢١
خضوع الأعداء: ٨٧/٥٦
الخيانة: ٧٠
عرب وعجم: ٢٦/٥٠/١١٢/١١٣/١١٧/١٢٥/١٢٨/
استجداء واستعطاف: ٢٩/١٧/٣٥/٣٨/٤٦/٥٠/٥٨/٨٥/٨٦/٩٨/
استنجاز كافور وعده: ١٠٠/١٠٢/١٠٣/١٠٧/
سياسة: ٢٤/١٠١/١١٢/١١٧/١١٨/١٢١/
وفود ومراسلات: ٨٩/٩١/٩٣/
اعتذار: ١٧/٨٤/١٢٦/
عتاب: ٧٥ (واحرّ قلباه)/ ٨٤ (الازورار)/ ١٠٧

المعتقد والفلسفة

الموت: ٧/٥٣/٥٦/٦٢/٦٥/٧٣/٧٤/٨٢/٩٢/١٠٦/١٠٩/١٢٢/١٢٩/
الضرب والطعن: ٦/٩/١٠/١٤/١٥/٣٩/٤٠/٤٣/٤٦/٤٧/٤٩/٥٠/٥٢/
٥٦/٦٤/٦٧
١٠٩/٩٧/٩٥/٩٤/٩١/٨٩/٨٨/٨٧/٨٢/٨١/٧٦/٧٥/٧٤/٦٩/٦٨/
١١٨/١٢٠/١٢٨
ذم الناس والزمان: ١٠/٢٨/٢٩/٤١/٤٢/٤٣/٤٤/٤٧/٤٨/٤٩/٥٠/٦٣/
٨٤/٧٨
١١٣/١١٠/١٠٨/١٠٦/١٠٤/١٠٣/١٠٢/٩٩/٩٥/٩٢/
شريعة الغاب: ٢٧/٩٣/٩٦/
دنيا زائلة: ١٠٩/١٢١/١٢٢/١٢٩/
فلسفة: ١٢٢/١٢٩

الإسلام: ٨٨/٧٤/٧٠/٣٨/١١

المسيحية: ٨٨/٧٠

المدح

المدح المبكر للأمراء والكتاب: ٣٨/٣٦/٣٥/٣٤/٣٣/٢٩/٢٨/٢٤/٢٢/١٢

٨٥/٥٨/٥٦/٥١/٥٠/٤٨/٤٦/٣٩

مدح سيف الدولة: ٧٥/٧٤/٧٣/٧٢/٧٠/٦٩/٦٨/٦٧/٦٦/٦٤/٦٢/٦٠/٥٩

٨١/٧٩/٧٨

٩٥/٩٤/٩٣/٩٢/٩١/٨٩/٨٨/٨٧/٨٦/٨٤/٨٣/٨٢/

مدح كافور: ١٠٧/١٠٥/١٠٣/١٠٢/١٠٠/٩٨/٩٧/٩٦

مدح فاتك: ١٠٨

المدح المتأخر لسيف الدولة: ١٢٦/١٢٣/١٢٢/١٢١/١٠٦/١٠٠

مدح ابن العميد: ١٢٤

مدح عضد الدولة: ١٢٩/١٢٨

في خدمة الممدوح: ٩٧/٨٦/٨٥

الرثاء

الرثاء: ١٠٩/٧٣/٦٥

رثاء النساء: ٤٣ (جذته) ١٢٩/١٢٢/٩٢/٦٢/

الهجاء

الهجاء: ١٠٩/٥٣/٥٤/٧٧/١٢٧ (هجاء ضبة)

ذم الملوك: ١١٠/٤٧/٢٨/٢٦

التعريض بسيف الدولة: ١٠٣/١٠٢/١٠٠/٩٨/٩٦

هجاء كافور: ١٢٦/١٢١/١١٨/١١٧/١١٦/١١٥/١١٤/١١٣/١١٢/١١١/١٠٩/١٠٢

ذكر سواد كافور: ١١٧/١١٣/١١١/٩٧/٩٦

الوصف

وصف الجيش: ٩٥/٩٤/٩٣/٨٨/٨٧/٨٢/٧٥/٧٠/٦٧/٦١/٥٩/٥٢/١٢

وصف الخيل: ١٢٥/١٠٢/٩٦/٩٤/٩٣/٨٩/٨٨/٨٢/٧٥/٧٢/٦٦/٤٦/٣٨

وصف الناقة: ١١٨/١١٠/١٠٦/٤٦

ذكر الأسد: ٣٨/٣٢ (وصف مفصل) ٩٦/٨٨/٨٥/٧٥/٦٥/

وصف الطبيعة: ١٢٥ (شعب بوان)

وصف أمور شتى: ٣ (النعل) ٥٩ (الخيمة) ٧٤ (الغيوم) ٨٢ (الليل) ٩٤ (النهر)

فهرس القوافي، المتنبي

(القافية، فرقم القطعة)

٢٣	الروح	٣٤	الجوزاء
٨٥	العدى	٧٧	الأغبياء
٣٥	جُدودًا	٩٧	البعداء
١٤	تَقَلَّدُ	١١٨	الهَيْذَلَى
١١٧	تَجْدِيدُ	٢٩	جَلَابِيَا
٤٩	جَدُّ	٢٧	طُنْبَا
٥١	عَهْدُ	٧٤	والعربا
٧٢	لَمَّا جُدُ	٤٨	يُؤُوبَا
٢٤	الْتِمَادِي	١٠٢	أَعَجَبُ
١٠١	الحُسَادِ	٨٧	الصُّرَابُ
١٩	العبيد	١٠٧	شَبَابُ
٦	اليهود	١٧	غَرِيبُ
٣	تُرْشِدُهَا	٥٣	الحَبَائِبِ
٩٩	جُنْدُهُ	١٢٢	النَّسَبِ
٨٤	اِخْتِصَارًا	٧٣	بِنَصِيبِ
١٢٦	السُّكْرَا	٩٨	والجَلَابِيبِ
١٢٤	جَرَى	١٢٣	العرب
٤٧	الصَّبْرُ	١٢٧	الطُّرُطْبَةُ
٩١	جُبَارُ	١٢٩	قَلْبِهِ
٤١	البَعِيرِ	٤٦	مَوْصُوفَاتِهَا

٦١	الْوَحُولُ	١٢	بَاكِرُهُ
٨٢	طَوِيلُ	٢١	الْعَيْسَا
١٣	قَبْلُ	١١٤	نَفْسِهِ
٨٦	وَيُسَاغِلُ	١	اجْتِمَاعَا
١٠٨	الْحَالُ	٣١	أَرْبَعَا
٣٣	الْهَلَالِ	٨	أُسْبَعُ
١٢٠	جَهْلٍ	٧٠	شَجْعُوا
٦٢	قِتَالٍ	١٠٩	طَبْعُ
٨٠	قَيْلِي	١١٩	أَنَا فَا
٦٤	كَالْقَبْلِ	٦٦	أَلُوفُ
٦٣	لِلْعَاقِلِ	٧٦	خَفِيفُ
٤	مِثْلِي	١٨	دَلْفٍ
٧٨	وَالْإِبِلِ	٦٨	شَاقَا
١٢٨	وَاللِّيَالِي	٧	تَتَرَفَّرُ
٦٥	يَيْلِي	١١	أَتَقِي
٧٩	فَلَكُ	٩٠	السَّوَابِقِ
٥٧	فَتَلَهُ	٥٦	الْمَاقِي
٦٧	بَلْبَالِهِ	٨١	بَقِي
٤٣	وَضَمَا	١٣٠	فَانَا
٥٠	أَسْلَمُ	٩٢	الْأَجَلَا
٨٣	الْأَلَمُ	٣٧	الْجَمَالَا
٦٠	الْعَمَامُ	٥	عَدَلَا
٢٦	الْقَدَمُ	٩٣	فَلَا لَا
٩٥	الْقَسَمُ	٣٨	مُحُولَا
٢٠	الْكُرْمُ	١١٥	وَالرَّجَالَا
٨٨	الْمَكَارِمُ	٥٥	وَسُهُولَا
١١٣	الْهُمُومُ	٤٤	أَوَاهِلُ
٨٩	تَنَامُ	٣٦	الذُّلُّ
٧٥	سَقَمُ	١٢١	الْمَتَّبُوتُ

١١٦	إِحْسَانًا	٣٢	قُمُسَلَمَ
٣٩	أَعْلَنَّا	٦٩	مُتَيِّمَ
٧١	الْإِذْنًا	٣٠	مِنْهُمْ
١٠٤	عَنَّا	١١٢	وَالْجَلَمُ
٤٥	هَانَا	٤٠	يَنَامُ
١٠٣	سَكَنُ	٢٨	اللَّثَامُ
٩٤	الثَّانِي	٥٢	الْأَرَاقِمِ
١٢٥	الرَّزْمَانِ	١٥	الْحِمَامِ
٩	الرَّزْمَانِ	١٠٦	الْكَلَامِ
٤٢	الْفِطْنِ	٥٤	النُّجُومِ
١٠٥	الْقَمَرَانِ	١٦	حِمَامِي
٢	وَالْوَسَنِ	٢٥	سُمِّيَ
٥٨	مَعْنَاهُ	١٠	شَيْبِي
١١١	رَاضِيًا	١١٠	قَدَمَ
٢٢	فِيكََا	١٠٠	مُيَمِّمَ
		٥٩	سَاجِمُهُ

أبو فراس الحَمْداني (٣٢٠هـ — ٣٥٧هـ)

أبو فراس ولد مدلل، كثير الافتخار بنفسه وبنسبه، وهو ضعيف الشخصية لكن يتقاوى، ويلهو بملذاته، ويخوض وقائع دونكيشوتية مع الأعراب، ويشكو من ابن عمه سيف الدولة شكوى الولد المدلل المفسد المتهور. وكان أبو فراس متهوراً. وأسره الروم، فأخذ يرسل بأشعار بالغ فيها من الدلال والتوجع. ولكنه كان فصيحاً، وكان مملوءاً بالمشاعر.. وكان يعرف كيف يعبر عنها، كان شاعراً تطيعه اللغة، وكان يعرف كيف يصور أعماق نفسه في كلمات قلائل.

ما أكثر ما يتدفق الشعر من ثقوب الشخصية. وفارسنا الآن أبو فراس الحمداني.

فلماذا يصر الناس على أنه الحمداني بفتح الميم؟ الناس يقيسون. فقد اشتدت ألفتهم بوزن فَعْلان، لما قر في الجزء الخاص باللغة من أمخاخم من كلمات كالْفَيْضَانِ وَالْفَوْرَانِ وَالْحَفْقَانِ، وأكثر من ذلك «المثنى» ومنه جَمَلان وَحَمَلان وولَدان. وَحَمْدان ينسبون إليها حَمْداني، يجرحهم ما برمجوا عليه من الابتدار إلى القياس. فإذا جاءتهم كلمة مضمومة كَنُعمان نسبوها نسبة صحيحة فقالوا نُعماني، أو مكسورة كإنسان نسبوها نسبة صحيحة فقالوا إنساني. وحتى حَمْدان نفسها فالناس لا تخطئ فيها إلا إذا وضعت ياء النسبة، ولا أدري لماذا. ثمة أسباب غائرة في العيار الصرفي الموجود في عقولنا.

رجعْ إلى أبي فراس

الثقوب في شخصية أبي فراس الحمداني كثيرة.

هو نفاق، أي فخار بأكثر مما فيه، ويستمد مكارم الإخلاق مما سمع من

أقوال الشعراء أكثر مما يستمدّها من كرم حقيقيّ كامن في نفسه. تقول لي: وكيف عرفت كل هذا؟ وأقول: ويحك! أبو فراس شاعر عظيم، وكلامه يشف عن شخصيته. هو يشجّع كي يقول في شعره إنه شجاع، وكي يُقال إنه شجاع. هو يطلق سبائا العرب، ويستر عليهن كي يقال إنه ذو نخوة، وهو شديد الجزع، ورقيق المشاعر، وهو طفل مدلل، ويحسن الشكوى والتبرم، ويحسن أن يخلط التذلل والضراعة بالأنفة والكبرياء في مزيج مألوف في ضعف الشخصية لا أقوىائها.

وقد تدفق شعره من عيوب شخصيته وثقوبها. عندما كان أميراً في بلاط ابن عمه سيف الدولة عرفنا نصف عيوبه، وعندما وقع في أسر الروم وقعد يبكي على حاله عرفنا النصف الآخر. وفي الحالين أنتج لنا شعراً جميلاً.

أبو فراس الحمداني (الحارث بن سعيد بن حمدان)

كان أبوه (أبو العلاء سعيد) صاحب حرب وضرب وله مآثر في نصرة الخليفة العباسي ببغداد، وله وقائع في الروم.. وخاف نفوذه ابن أخيه (ناصر الدولة) أمير الموصل فاغتاله، ولم يكن ذلك غريباً على الأسرة الحمدانية، وهي عربية تغلبية. فقد كان يقتل الأخ فيها أخاه، ويسجن الابن أباه.. (هذا بالضبط ما سيفعله عدو الدولة ابن القاتل ناصر الدولة، فبعد خمس وثلاثين سنة سجن أباه الشيخ حتى الموت). وقد رأينا (أبا عبد الله الحسين) أحد إخوة أبي فراس الثلاثة، وكلهم أكبر منه، يتولى عملاً لقاتل أبيه. عادي. السياسة والمصلحة لا تعرفان المشاعر.

أما شاعرنا أبو فراس فقد كان في الثالثة من العمر عندما اغتيل أبوه. أخذته أمه إلى شمال سوريا مترددة بطفلها بين المدن التي للحمدانيين فيها سطوة، ثم كفل أبا فراس ابن عمه سيف الدولة الذي تولى إمارة حلب ولشاعرنا من العمر ثلاث عشرة سنة.

كان أبو فراس في السابعة عشرة عندما قدّم أبو الطيب المتنبي إلى بلاط سيف الدولة في حلب. رأى أبو فراس هذا الشاعر الكبير المشهور الذي بلغ الرابعة والثلاثين من العمر، ضعف عمره هو، يمدح سيف الدولة ويصف معاركه. ومكث المتنبي تسع سنين في بلاط سيف الدولة والمتأدّبون في حلب يحفظون أشعاره ويتعقبونها بالنقد، وكانت للمتنبي صداقة مع بعضهم كأبي

الطبيب النحوي، وعداوة مع معظمهم كابن خالويه النحوي. وكانت أبو فراس صديقاً لابن خالويه، وكان في صف خصوم المتنبي، ولا نكاد نشك في أنه حسده، لكنه كان يافعاً (فإن كنت سمعت بتلك الخرافة عن الملاسنة الأدبية المفتراة بين المتنبي وأبي فراس.. فضع ذلك في جراب الأكاذيب). وقد عاش ابن خالويه طويلاً وجمع لنا ديوان أبي فراس بعد موته، فقد كان أبو فراس يستودع أستاذه ابن خالويه كل شعر يقوله.

صارع أمير حلب، سيف الدولة، الروم طويلاً، ولكنه صارع غيرهم: «وسوى الروم خلف ظهرك روم، فعلى أي جانبيك تميل؟» كما قال المتنبي. وهؤلاء الروم الآخرون هم الأخشيديون الذين أخذ منهم سيف الدولة حلب، وهم أيضاً قبائل العرب، كلب وكلاب، - وفي وقعة كبيرة اجتمعت عليه النزارية واليمانية -، وجابه سيف الدولة وأخوه البويهيين الذين ملكوا الأمر ببغداد، وجابها القرامطة.

في هذه المعمعة كان أبو فراس حاضراً، وولاه سيف الدولة منبج وهو فتى. وقد غزا شاعرنا الروم مع ابن عمه سيف الدولة مراراً.

كان من حسن حظ الأدب العربي أن وقع أبو فراس في أسر الروم. قيل أسر مرة وقيل بل مرتين، وقيل أسر وهو في رحلة صيد، وقيل دام أسره سبع سنين، وقيل بل أربع. على أننا رزقنا من وراء أسره شعراً جميلاً حقاً.

تأخر سيف الدولة في افتداء أبي فراس. قالوا إن سيف الدولة أراد التمكين لولده ليتولى الحكم بعده فتلكاً في افتداء ابن عمه الشاعر الطموح، وقال بعضهم إن تلك السنين كانت عجافاً على سيف الدولة، وكان فيهن يحارب على أكثر من جبهة، وكان مضيقاً عليه في المال، وفدية أمير تستنزف المال.

في سنة ٣٥٥ افتُدي أبو فراس وعاد إلى حلب، فولاه سيف الدولة حمص. ومات سيف الدولة في السنة الموالية ٣٥٦ وتولى الحكم بعده ولده (سعد الدولة)، وكأنَّ أبا فراس حاول الاستقلال بحمص، ف وقعت معركة بينه وبين جيش أمير حلب الجديد. وقتل أبو فراس عام ٣٥٧ وهو في السابعة والثلاثين من العمر.

لأبي فراس القصيدة المشهورة «أراك عصي الدمع»، التي غنتها أم كلثوم ثلاث مرات بثلاثة ألحان مختلفة. لكن له غيرها شعر كثير ثمين.

الشعر الذي سيرد عليك في الصفحات المقبلة شعر استطاع أن يعيش مع شعر المتنبي .

١ أنفذنا كتابا

وما قَصَّرْتُ فِي تَسْأَلِ رَبِّعٍ وَلَكِنِّي سَأَلْتُ فَمَا أَجَابَا
رَأَيْتُ الشَّيْبَ لَاحَ فَقُلْتُ أَهْلًا، وَودَعْتُ الْعَوَايَةَ وَالشَّجَابَا
وَمَا إِنْ شِئْتُ مِنْ كِبَرٍ وَلَكِنْ، رَأَيْتُ مِنَ الْأَحْبَةِ مَا أَشَابَا
تسويد أ. عبد الرحيم

أَلَمْ تَرْنَا أَعَزَّ النَّاسِ جَارًا وَأَمْرَعَهُمْ وَأَمْنَعَهُمْ جَنَابَا؟
أمرعهم: أكثرهم خصباً، أمنهم جناباً: أكثرهم عزاً وحماية لأنفسهم ولمن يجاورهم
وَلَمَّا أَنْ طَغَتْ سَفَهَاءُ كَعْبٍ فَتَحْنَا بَيْنَنَا لِلْحَرْبِ بَابَا
فَلَمَّا اشْتَدَّتْ الْهَيْجَاءُ كُنَّا أَشَدَّ مَخَالِبًا وَأَحَدًا نَابَا
وبأمرنا، فنكفيه الأعادي، همام، لو يشاء كفى ونابا
يأمرنا سيف الدولة الهمام، والهمام هو الزعيم، فنحارب الأعداء ونكفيه شرهم، ولو شاء لفعل
ذلك وناب عن مساعينا

فَلَمَّا أَيَقْنُوا أَنْ لَا غِيَاثَ دَعَاؤُهُ لِلْمَغْوَةِ فَاسْتَجَابَا
لما أيقن الأعداء أن لن يغيثهم أحد دعوا سيف الدولة لإغاثتهم ففعل

وَعَادَ إِلَى الْجَمِيلِ لَهُمْ، فَعَادُوا وَقَدْ مَدُّوا لِصَارِمِهِ الرُّقَابَا
عاد عليهم بالمودة فعادوا ولكن بعد أن بلغ صارمه، أي سيفه، رقابهم

أَحَلَّهُمُ الْجَزِيرَةَ بَعْدَ يَأْسٍ أَخُو حِلْمٍ إِذَا مَلَكَ الْعِقَابَا
أسكنهم في منطقة الجزيرة بين الفرات ودجلة وهو صاحب حلم إذا صار قادراً ومالكاً أن يوقع
العقاب

وَدَارُهُمْ انْتَزَعْنَاهَا انْتِزَاعًا وَأَرْضُهُمْ اغْتَصَبْنَاهَا اغْتِصَابَا

إِذَا مَا أَنْهَضَ الْأَمْرَاءَ جَيْشًا إِلَى الْأَعْدَاءِ أَنْفَذْنَا كِتَابَا

إذا اضطر الأمراء إلى إنهاض جيش وتجريده على أعدائهم فنحن يكفي أن ننقذ، نرسل، كتاباً، أي
خطاباً، حتى يخافوا من تهديدنا

٢ هذبتني التجارب

غَرِيبٌ وَأَهْلِي حَيْثُمَا كَانَ نَاطِرِي وَحِيدٌ وَحَوْلِي مِنْ رَجَالِي عَصَائِبُ
عصائب: جماعات

وَشَرُّ عَدُوِّكَ الَّذِي لَا تُحَارِبُ وَخَيْرُ خَلِيلِكَ الَّذِي لَا تُنَاسِبُ
أسوأ أعدائك من لم تحاربهم بعد، لأنك لا تدري ما الذي تترقعه منهم، وخير أصدقائك من لا
يكون بينك وبينهم تناسب وعلاقة وطيدة فمثل هذه العلاقة تكشف لك عن مساوئ شتى
لقد زِدْتُ بِالْأَيَّامِ وَالنَّاسِ خَبِيرَةً وَجَرَّبْتُ حَتَّى هَذَّبْتَنِي التَّجَارِبُ
وَمَنْ كَانَ غَيْرَ السَّيْفِ كَافِلُ رِزْقِهِ فَلِلَّذَلِّ مِنْهُ لَا مَحَالَةَ جَانِبُ
من كان يكفل لنفسه الرزق بزراعة وصناعة فلا بد أن يتعرض للذل، والعزة لمن يكفل رزقه بالقوة
غازياً ومدافعاً

٣ ليتك تحلو

قال ابن خالويه، قال أبو فراس: امتنع سيف الدولة من إخراج ملك الروم الأسير إلا
بفداء عام، فحملت إلى القسطنطينية، وكتبت في ذلك:

أَمَّا لِجَمِيلٍ عِنْدُكَ ثَوَابٌ وَلَا لِمْسِيءٍ عِنْدُكَ مَتَابُ؟
أيتها الفتيات ألا تعطين وصلأ لمن يصنع جيلاً، وألا تسمحن لمن أساء بالتوبة؟

لَقَدْ ضَلَّ مَنْ تَحْوِي هَوَاهُ خَرِيدَةً وَقَدْ ذَلَّ مَنْ تَقْضِي عَلَيْهِ كَعَابُ
خريدة: فتاة منعمة، كعاب: الفتاة الشابة قد تكور صدرها

وَلَكِنِّي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، حَازِمٌ وَإِنْ شِمِلْتُهَا رِقَّةً وَشَبَابُ
وَأَجْرِي فَلَا أُعْطِي الْهَوَى فُضْلَ مِفْوَدِي وَأَهْفُو فَلَا يَخْفَى عَلَيَّ صَوَابُ
إذا جريت، كما يجري المرم بحصانه، فانا لا أترك مقود الحصان بيد الهوى، أي أنني لا أنهور
مع أهوائي، وأهفو وأخطئ ولكنني أعرف الصواب

إِذَا الْخُلُ لَمْ يَهْجُرْكَ إِلَّا مَلَالَةٌ فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا الْفِرَاقُ عِتَابُ
إذا لم أجد من خلّة ما أريدُه فعندي لأخرى عَزْمَةٌ وَرِكَابُ
إن لم أخط عند فتاة فانا أعزم وأمضي لغيرها. والخلّة هي الصديقة وهي الزوجة

صَبُورٌ وَإِنْ لَمْ تَبَقْ مِنِّي بَقِيَّةٌ قَوُولٌ وَلَوْ أَنَّ السَّيُوفَ جَوَابُ

وَقُورٌ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَنْوِشُنِي وَلِلْمَوْتِ حَوْلِي جِيئَةٌ وَذَهَابٌ

تنوشي: تنهني من كل جانب

وَأَلْحَظُ أَحْوَالَ الزَّمَانِ بِمُقْلَةٍ بِهَا الصَّدْقُ صِدْقٌ، وَالْكَذَابُ كِذَابٌ

يَمُنُّ يَشُقُّ الْإِنْسَانَ فِيمَا يَنْوِيهِ وَمِنْ أَيْنَ لِلْحُرِّ الْكَرِيمِ صِحَابٌ؟

وَقَدْ صَارَ هَذَا النَّاسُ، إِلَّا أَقْلَهُمْ، ذُنَاباً عَلَى أَجْسَادِهِمْ نِيَابٌ

تَغَابَيْتُ عَنْ قَوْمِي فَظَنُّوا غِبَاوَتِي؛ بِمَفْرِقِ أَغْبَانَا حَصَى وَتُرَابٌ

وَلَوْ عَرَفُونِي حَقَّ مَعْرِفَتِي بِهِمْ إِذَنْ عَلِمُوا أَنِّي شَهِدْتُ وَغَابُوا

لو عرفوني لعلموا أنني مدرك للأمور كمن عاينها وشهدها، أما هم فكمن غاب عنها وسمع بها سمعاً لا غير

وَمَا كُلُّ فَعَالٍ يُجَارَى بِفِعْلِهِ وَلَا كُلُّ قَوَالٍ لَدَيَّ يُجَابُ

وَرُبَّ كَلَامٍ مَرَّ فَوْقَ مَسَامِعِي كَمَا طَنَّ فِي لُوحِ الْهَجِيرِ ذُبَابٌ

اللوح: الهواء بين السماء والأرض، والهجير: شدة الحر

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنَّنَا بِمَنَازِلٍ تَحَكَّمُ فِي آسَادِهِمْ كِلَابٌ

تَمُرُّ اللَّيَالِي لَيْسَ لِلنَّفْعِ مَوْضِعٌ لَدَيَّ وَلَا لِلْمُعْتَفِينَ جَنَابٌ

وأنا أسير تمر الليالي وليس لي ما تعودته من أن أنفع الناس، وليس للمعتفين، الفقراء، من جناب عندي أي جوار

وَلَا شُدُّ لِي سَرَجٍ عَلَى ظَهْرٍ سَابِحٍ وَلَا ضَرْبَتْ لِي بِالْعَرَاءِ قِبَابٌ

سابح: حصان، قباب: خيام

وَلَا بَرَقَتْ لِي فِي اللَّقَاءِ قَوَاطِعُ وَلَا لَمَعَتْ لِي فِي الْحُرُوبِ حِرَابٌ

قواطع: سيوف، حراب: خناجر

سَتَذْكُرُ أَيَّامِي نُمَيْرٌ وَعَامِرٌ وَكَغَبٌ عَلَى عِلَاتِهَا وَكِلَابٌ

أَنَا الْجَارُ لَا زَادِي بَطِيءٌ عَلَيْهِمْ وَلَا دُونَ مَالِي لِلْحَوَادِثِ بَابٌ

وَلَا أَظْلُبُ الْعَوْرَاءَ مِنْهُمْ أُصِيبُهَا وَلَا عَوْرَتِي لِلطَّلَائِبِينَ تُصَابُ

لا أنقص عوارءهم، عيهم، ولا يصيب، أي ينال، عيأي من يطلب هذا العيب ويبحث عنه

وَأَسْطُو وَحُبِّي ثَابِتٌ فِي صُدُورِهِمْ وَأَخْلُمُ عَنْ جُهَاِلِهِمْ، وَأَهَابُ

بَنِي عَمَّنَا مَا يَصْنَعُ السِّيفُ فِي الْوَعَى إِذَا قُلَّ مِنْهُ مَضْرِبٌ وَذُبَابُ

يا بني عمنا - سيف الدولة هو ابن عمه -، ما يصنع السيف إذا قل مضربه، أي تلم حده، وذبابه، أي حده أيضاً

بني عَمَّنَا لَا تُنْكِرُوا الْحَقَّ، إِنَّنَا شِدَادٌ، وَلَا نَرْضَى الْهَوَانَ، صِلَابُ
 بني عَمَّنَا نَحْنُ السَّوَاعِدُ وَالطُّبَى وَيُوشِكُ يَوْمًا أَنْ يَكُونَ ضِرَابُ
 نحن السواعد والطبي، أي شفرات السيوف، وسيكون هناك وشيكاً ضراب، أي عراك، فلا غنى لكم عنا

وَمَا أَدْعِي مَا يَعْلَمُ اللَّهُ غَيْرُهُ رِحَابٌ عَلَيَّ لِلْعُقَاةِ رِحَابُ
 رحاب علي، ساحات سيف الدولة واسمه علي، رحاب، أي واسعات، للعقاة، أي الفقراء
 وَأَفْعَالُهُ لِلرَّاعِبِينَ كَرِيمَةٌ وَأَمْوَالُهُ لِلطَّالِبِينَ نِهَابُ
 ولكن نَبَا مِنْهُ بِكَفِّي صَارِمٌ وَأَظْلَمَ فِي عَيْنِي مِنْهُ شِهَابُ
 لكن أخطأ من سيف الدولة سيف بكفي أنا، أي أنه خذلني، وصار مظلماً في عيني مع أنه شهاب
 ساطع، أي أن نوره لغيري ليس لي

وَأَبْطَأَ عَنِّي، وَالْمَنَايَا سَرِيعَةٌ وَلِلْمَوْتِ ظَفَرٌ قَدْ أَطْلَّ وَنَابُ
 أبطأ في اقتدائي، والمنايا سريعة فقد يلحق بي الموت قبل الافتداء

وَلَكِنِّي رَاضٍ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ لِيُعْلَمَ أَيُّ الْحَالَتَيْنِ سَرَابُ
 أنا راضٍ فستكشف الأيام ما هو السراب، أي الوهم، أهو وجودي أم عدمه

وَمَا زِلْتُ أَرْضَى بِالْقَلْبِيلِ مَحَبَّةً لَدَيْكَ، وَمَا دُونَ الْكَثِيرِ حِجَابُ
 تعليق أحمد عبد الرحيم: «عالي صوفيًا!»

كَذَاكَ الْوِدَادُ الْمَحْضُ لَا يُرْتَجَى لَهُ ثَوَابٌ، وَلَا يُخْشَى عَلَيْهِ عِقَابُ
 وَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى الْهَجَرَ وَالشُّمْلَ جَامِعٌ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ لَفْتَةٌ وَخِطَابُ..
 كنت أخشى أن تصد عني وأنا معك وأراك كل يوم وتلفت إلي وتكلمني..

فَكَيْفَ وَفِيمَا بَيْنَنَا مُلْكٌ قَبِصِرٍ وَلِلْبَحْرِ حَوْلِي زَخْرَةٌ وَعُبابُ
 فكيف الآن وأنا في قبضة الروم، وفي القسطنطينية. وحولي البحر الزاخر، ولعله كان في الجانب
 الغربي منها مفصلاً بمضيق البسفور

أَمِنْ بَعْدِ بَذْلِ النَّفْسِ فِيمَا تُرِيدُهُ أَثَابُ بِمُرِّ الْعَنْبِ حِينَ أَثَابُ؟
 أتكون مكافأتي العتاب المر بعد أن بذلت نفسي في طاعتك؟

فَلَيْتَكَ تَحْلُوَ وَالْحَيَاةُ مَرِيرَةٌ وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالْأَنَامُ غَضَابُ
 وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ
 آخر بيتين ليس لهما شرح، هما من فاخر الشعر. يضيف أ. عبد الرحيم «عاليان جدًا صوفيًا!»

٤ أنا مشهور

نقل لسيف الدولة أن أبا فراس قال: «إِنْ ثَقُلَ هَذَا الْمَالُ عَلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ كَانَتْ فِيهِ صَاحِبُ خِرَاسَانَ وَغَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِ الْبُلْدَانِ، وَخَفَفْنَا عَنْ الْأَمِيرِ». فَقَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ: وَمَنْ أَيْنَ لِأَبِي فِرَاسٍ أَنْ يَعْرِفَهُ أَهْلُ خِرَاسَانَ؟ فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُو فِرَاسٍ:

أَسِيفَ الْهُدَى وَقَرِيعَ الْعَرَبِ عَلَامَ الْجَفَاءِ؟ وَفِيَّ الْعُضْبِ؟
القريع: السيد

وَفِيَّ يُمْرُغُنِي بِالْحُمُو لِي، مَوْلَى بِهِ نِلْتُ أَعْلَى الرُّتَبِ؟
كيف يوبخني بأني حامل الذكر غير معروف هذا المولى، السيد وهو سيف الدولة، الذي نلت بقربي منه الرتبة العالية

وَكَانَ عَتِيداً لَدَيَّ الْجَوَابُ وَلَكِنْ، لِهَيْبَتِهِ لَمْ أُجِبْ
عتيداً: حاضراً

فَلَا تَنْسُبَنَّ إِلَيَّ الْحُمُولَ عَلَيْكَ أَقَمْتُ، فَلَمْ أَغْتَرِبْ
لا تتهمني بخمول الذكر، فقد التزمت بك ولم أغترب

وَأَصْبَحْتُ مِنْكَ، فَإِنْ كَانَ فَضْلٌ وَإِنْ كَانَ نَقْصٌ، فَأَنْتَ السَّبَبُ
أصبحت جزءاً منك بما في ذلك مما هو إيجابي أو سلبي

وَإِنْ خِرَاسَانَ إِنْ أَنْكَرَتْ عَلَايَ، فَقَدْ عَرَفْتُهَا حَلَبَ
وَمِنْ أَيْنَ يُنْكِرُنِي الْأَبْعَدُونَ أَمِنْ نَقْصٍ جَدُّ؟ أَمِنْ نَقْصٍ أَبْ؟
وَكُنْتُ الْحَبِيبَ وَكُنْتُ الْقَرِيبَ لِيَالِي أَدْعُوكَ مِنْ عَنِّ كَثَبَ
فَلَمَّا بَعُدْتُ بَدَتْ جَفْوَةٌ وَلاَحَ مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا أُحِبْ
فَلَوْ لَمْ أَكُنْ بِكَ ذَا خِبْرَةٍ لَقُلْتُ: صَدِيقُكَ مَنْ لَمْ يَغِبْ
لولا معرفتي بكرم طباعك لقلت إن الصديق يبقى صديقاً ما كنت حاضراً فإن غبت تحول عنك

٥ لماذا تغتابني؟

يجيب سيف الدولة على عتبه، وهو في الأسر:

زَمَانِي كُلُّهُ عُضْبٌ وَعَثْبُ وَأَنْتَ عَلَيَّ وَالْإِيمَامُ إِلْبُ
إلب: حلف

إلى كم ذا العقاب وليس جُرمٌ وكم ذا الاعتذار وليس ذنبٌ؟
 فلا بالشام لَدَّ لَدَيَّ شُرْبٌ ولا في الأسر رَقَّ عليَّ قلبٌ
 أمِثلي تُقَبَّلُ الأقوالُ فيه ومثلكَ يَسْتَمِرُّ عليه كِذْبٌ؟
 وزندي، وهو زَنْدُكَ، ليس يَكْبُو وناري، وهي نارُكَ، ليس تَحْبُو
 الزند: أداة قدح الشرر لإشعال النار، يَكْبُو: يخفق

وَفَرَعِي فَرْعُكَ السامي المَعْلَى وأضلي أصلَكَ الزَّاكي وحَسْبُ
 قَدَّتْ نَفْسِي الأميرَ، كَأَنَّ حَظِّي وقُرْبِي عِنْدَهُ مَا دَامَ قُرْبُ
 كان حظي الحسن وقربي من الأمير مستمران فقط ما دمت قريباً بجسدي منه، فإن نأى بي الأسر
 فلا حظ لي ولا قرب

فَلَمَّا حَالَتِ الأعداءُ دُونِي وأصبحَ بَيْنَنَا بحرٌ ودَرْبُ
 ظَلِلْتُ تَبَدَّلُ الأقوالُ بَعْدِي وَيَبْلُغُنِي اغْتِيَابُكَ مَا يُغِيبُ
 ما يغيب: ما يتأخر

فَقُلْ مَا شئتَ فِيَّ فلي لِسَانٌ مَلِيَّ بِالثَّنَاءِ عَلَيْكَ رَطْبُ
 ملي: جدير

وَعَامِلُنِي بِإِنصافٍ وظُلْمٍ تَجِدُنِي فِي الجميعِ كما تُحِبُّ

٦ الحرب طعامي

قال بعد أن شفي من جرح السهم الذي أصابه في فخذهِ، وكان سبب أسرهِ:
 فلا تَصِفَنَّ الحَرْبَ عِنْدِي فَإِنَّهَا طَعَامِي مَذْبُغُ الصُّبَا وَشَرَابِي
 وقد عَرَفْتُ وَقَعَ المَسَامِيرِ مُهَجَّتِي وشُقِّقَ عَنْ زُرْقِ النُّصُولِ إِهَابِي
 المسامير: تباشير حديدية في الدروع، أي مسامير غير ناتئة، إهابي: جلدي

وَلَجَجْتُ فِي حُلُوِّ الزمانِ ومُرِّهِ وأنفقتُ مِنْ عُمري بِغَيْرِ حِسَابٍ
 لَججت: خضت في لجاج البحر. تسويد أ. عبد الرحيم

٧ عيد كتيب

واقاه العيد وهو في الأسر فقال:

يا عيدُ، ما عُدْتُ بِمَحْبُوبٍ على مُعْنَى القلبِ مَكْرُوبٍ

يا عيدُ، قد عُذتَ على نَاطِرٍ عن كلِّ حُسنٍ فيكَ مَحْجُوبِ
ناظر: عين

مَا لِي وَلِلدَّهْرِ وَأَخْدَائِهِ لَقَدْ رَمَانِي بِالْأَعَاجِبِ

٨ للناس فيما يعشقون..

كتب إلى أخيه أبي الهيجاء حرب بن سعيد بعدما لحقه عند أسره من الجزع، ويذكرُ
قوماً عَجَزُوا رَأْيَهُ فِي الثَّباتِ يَوْمَ أُسْرِهِ، ويفتخر:

عَلَيَّ لِرَبْعِ الْعَامِرِيَّةِ وَثَقَّةٌ نُجِلُّ عَلَيَّ الشُّوقُ، وَالذَّمْعُ كُتَابُ

تمل: تملي

وَمِنْ مَذَهَبِي حُبُّ الدِّيَارِ لِأَهْلِهَا وَلِلنَّاسِ فِيمَا يَعْشَقُونَ مَذَاهِبُ

تَكَاثَرَ لُؤَامِي عَلَى مَا أَصَابَنِي كَأَنْ لَمْ تَكُنْ إِلَّا لِأَسْرِي النَّوَائِبُ

أَرَى مِلَّةً عَيْنِي الرَّدَى فَأُخَوِّضُهُ إِذِ الْمَوْتُ قُدَّامِي وَخَلْفِي الْمَعَايِبُ

وَأَعْلَمُ قَوْمًا لَوْ تَتَغَتَّغَتْ دُونَهَا لَأَجْهَضَنِي بِالذَّمِّ مِنْهُمْ عَصَائِبُ

تتعتت: ترددت، أجهضني: أسقطني، عصائب: جماعات

وَمُضْطَغِنٍ لَمْ يَخْمِلِ السَّرَّ قَلْبُهُ تَلَقَّتْ ثُمَّ اغْتَابَنِي وَهُوَ هَائِبُ

مضطغن: حاقد

تَرَدَّى رِداءُ الذِّلِّ لَمَّا لَقِيْتُهُ كَمَا تَرَدَّى بِالْغُبَارِ الْعَنَاكِبُ

لبس لباس الذلة والمسكنة لما رأيته، مثل العناكب التي تلبس نسيجها وسط غبار البيوت الخربة

رَمَنِي عُيُونُ النَّاسِ حَتَّى أَظْنُهَا سَتَحْسُدُنِي فِي الْحَاسِدِينَ الْكَوَاكِبُ

هُمْ يُظْفِثُونَ الْمَجْدَ وَاللَّهُ مُوقِدٌ وَكَمْ يَنْقُضُونَ الْفَضْلَ وَاللَّهُ وَاهِبُ

وَيَرْجُونَ إِدْرَاكَ الْعُلَا بِنُفُوسِهِمْ وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْمَعَالِي مَوَاهِبُ

المعالي مواهب، عطايا من الله لا تكتسب

وَهَلْ يَدْفَعُ الْإِنْسَانُ مَا هُوَ وَاقِعٌ وَهَلْ يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ مَا هُوَ كَاسِبٌ؟

وَهَلْ لِقَضَاءِ اللَّهِ فِي النَّاسِ غَالِبٌ وَهَلْ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ فِي النَّاسِ هَارِبٌ؟

عَلَيَّ طَلَابُ الْمَجْدِ مِنْ مُسْتَقَرِّهِ وَلَا ذَنْبَ لِي إِنْ حَارَبْتَنِي الْمَطَالِبُ

وَهَلْ يُرْتَجَى لِلْأَمْرِ إِلَّا رِجَالُهُ وَيَأْتِي بِصَوْبِ الْمُزْنِ إِلَّا السَّحَابُ

صوب المزن: مطر السحاب

إذا كَانَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْمَلِكِ كَافِلِي فلا الْحَزْمُ مَغْلُوبٌ وَلَا الْحَضْمُ غَالِبٌ
 فلا تَحْشَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْقَرَمَ أَنْنِي سِوَاكَ إِلَى خَلْقٍ مِنَ النَّاسِ رَاغِبٌ
 القرم: السيد الشجاع

٩ خوف العار

وكتب إليه أبو الحسن محمد بن محمد الأسمر يوصيه بالصبر، فكتب إليه:
 جَسَّمْتُ خَوْفَ الْعَارِ أَعْظَمَ خُطْئَةٍ وَأَمَلْتُ نَصْرًا كَانَ غَيْرَ قَرِيبٍ
 وَلِلْعَارِ خَلَى رَبُّ غَسَّانٍ مُلْكُهُ وَفَارَقَ دِينَ اللَّهِ غَيْرَ مُصِيبٍ
 هذا جبله بن الأيهم الغساني الذي فارق المسلمين والتحق بالروم فراراً من لظمة أوجها عليه
 عمر بن الخطاب قصاصاً

١٠ بأقلامنا أم بسيوفنا؟

وقعت مناظرة بين أبي فراس والدمستق، وهو في أسره، فقال له الدمستق: إنما أنتم
 كتاب ولا تعرفون الحرب، فرد عليه أبو فراس: نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة
 بالسيف أم بالأقلام؟ ثم قال:

أَتَزْعُمُ يَا ضَخْمَ اللَّغَادِيدِ أَنَّنَا وَنَحْنُ أَسْوَدُ الْحَرْبِ لَا نَعْرِفُ الْحَرْبَا؟

الغاديد: الغباغب، وهي فضلات جلد تتدلى من الرقبة عند الرجل الهرم السمين، وعند الثور

فَوَيْلَكَ! مَنْ لِلْحَرْبِ إِنْ لَمْ نَكُنْ لَهَا وَمَنْ ذَا الَّذِي يُنْسِي وَيُضْحِي لَهَا تَرْبَا؟

ترب: خدين وحليف، والترب في الأصل صديقك المقارب لك في العمر، الجمع أتراب

وَوَيْلَكَ مَنْ أَرْدَى أَخَاكَ بِمَرَعَشٍ وَجَلَّلَ ضَرْبًا وَجْهَ وَالِدِكَ الْعَضْبَا؟

ويلك، من أردى، أي قتل، أخاك ومن الذي جلل بالعضب، بالسيف، وجه أبيك ضرباً

لَقَدْ جَمَعْنَا الْحَرْبَ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ فَكُنَّا بِهَا أَسْدًا وَكُنْتَ بِهَا كَلْبًا

بِأَقْلَامِنَا أَجْجَرْتَ أَمْ بِسُيُوفِنَا وَأَسَدُ الشَّرِّ قُذْنَا إِلَيْكَ أَمْ الْكُتْبَا؟

أججرت: أدخلت في جحر

١١ لا ذنب للجميلة

أَسَاءَ فَرَادَتْهُ الْإِسَاءَةُ خُطُوءَةً حَبِيبٌ، عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، حَبِيبٌ

على ما كان منه: رغم ما كان منه

يَعْدُ عَلَيَّ الْعَاذِلُونَ ذُنُوبَهُ وَمِنْ أَيْنَ لِلْوَجْهِ الْمَلِيحِ ذُنُوبُ؟

١٢ ليلة ناجحة

لَيْسْنَا رِداءَ اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ رَاضِعٌ إِلَى أَنْ تَرَدَّى رَأْسُهُ بِمَشْيِبِ
مَكْنَا فِي اللَّيْلِ فَكَأَنَّا لَيْسْنَا رِداءَهُ، وَهُوَ رَاضِعٌ، فِي بَدَايَتِهِ صَغِيرٌ رَضِيعٌ، وَبَقِينَا كَذَلِكَ إِلَى أَنْ طَلَعَ
الصَّبَحُ فَكَأَنَّهُ بَيَاضُهُ كَانَ رِداءَ مَنْ الشَّيْبَ عَلَى رَأْسِ اللَّيْلِ

وَبَيْنَا كَفُفْصَنِي بَانَةً عَابَثْتُهُمَا إِلَى الصُّبْحِ رِيحًا شَمَالٍ وَجَنُوبِ

كُنَّا يَمِيلُ أَحَدُنَا عَلَى الْآخَرِ كَفُفْصَنِي شَجِيرَةً بَانَ تَهَبَ عَلَيْهِمَا الرِّيحُ مِنْ اتِّجَاهَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ

إِلَى أَنْ بَدَأَ ضَوْؤُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ مَبَادِي نُصُولٍ فِي عِذَارٍ خَضِيبِ
بَدَأَ ضَوْءُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ مَبَادِي، بَدَايَاتٍ، نُصُولُ الصَّبَاحِ إِذْ يَطُولُ الشَّعْرُ وَيَبْدُو الْبَيَاضُ تَحْتَ الصَّبْغِ
الْأَسْوَدُ فِي عِذَارٍ، سَالِفٍ، شَخْصٍ خَضِيبِ الشَّعْرِ

فِيَا لَيْلُ قَدْ فَارَقْتَ غَيْرَ مُدَّمٍ وَيَا صُبْحُ قَدْ أَقْبَلْتَ غَيْرَ حَبِيبِ

١٣ رثاء الأخت

قَالَ يَرْثِي أُخْتَهُ، وَيُحَدِّثُ نَفْسَهُ:

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ خِذْنُ الْوَفَاءِ وَقَدْ حَجَبَ الثَّرْبُ مَنْ قَدْ حَجَبَ
يُخَاطَبُ نَفْسَهُ: أَتَدْعِينِي يَا أَبَا فِرَاسٍ أَنَّكَ خِذْنُ وِفَاءٍ، أَيُّ صَاحِبِ وِفَاءٍ، أَيُّ وَفِيٍّ، بَعْدَ أَنْ مَاتَتْ
أَخْتُكَ؟

فَإِنْ كُنْتَ تَصْدُقُ فِيمَا تَقُولُ فَمَتَّ قَبْلَ مَوْتِكَ مَعَ مَنْ تُحِبُّ
يُعَزُّوْنَ عَنْكَ وَأَيْنَ الْعَزَاءِ؟ وَلَكِنَّهَا سُنَّةٌ تُسْتَحَبُّ

١٤ ثار بالنيابة

لَقَدْ عَلِمْتُ قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ أَنَّنَا بِنَا يُذَرِّكُ الثَّارُ الَّذِي قَلَّ طَالِبُهُ
وَأَنَا فَتَكُنَّا بِالْأَعْرُ ابْنِ رَائِقِ عَشِيَّةً دَبَّتْ بِالْفَسَادِ عَقَارِبُهُ
أَخَذْنَا لَكُمْ بِالثَّارِ ثَارَ عُمَارَةَ وَقَدْ نَامَ لَمْ يَنْهَذْ إِلَى الثَّارِ صَاحِبُهُ

يَنْهَذُ: يَنْهَضُ

١٥ فارس العرب

وَلَا أَعُوذُ بِرَمْحِي غَيْرَ مُنْحَطِّمْ وَلَا أَرَوْحُ بِسَيْفِي غَيْرَ مُخْتَضِبِ
لَا أَعُوذُ مِنَ الْمَعْرَكَةِ إِلَّا وَقَدْ كَسَرْتُ رَمْحِي فِي الْأَعْدَاءِ، وَخَضَبْتُ سَيْفِي بِدَمِهِمْ

حَتَّى تَقُولَ لَكَ الْأَعْدَاءُ رَاضِمَةً أَضْحَى ابْنُ عَمِّكَ هَذَا قَارِسَ الْعَرَبِ
يَا مَنْ يُحَاذِرُ أَنْ تَمْضِيَ عَلَيَّ يَدٌ مَا لِي أَرَاكَ لَبِيبِ الْهِنْدِ تَسْمَحُ بِي
حسبتك تخاف علي أن تمسني يد، فإذا بك تسمع بي وتعرضني لسيوف الهند
وَأَنْتَ بِي مِنْ أَضَنِّ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَكَيْفَ تَبْذُلْنِي لِلْسُّمْرِ وَالْقُضْبِ؟
كيف تعرضني للسم، والرماح، والقضب، السيوف؟

مَا زِلْتُ أَجْهَلُهُ فَضْلاً وَأُنْكِرُهُ وَأَوْسَعُ النَّفْسِ مِنْ عُذْرِ وَمِنْ عَجَبِ
كنت أجهل فضلك في هذا وأنكر تصرفك، وأحاول العثور على عذر لك وأنا متعجب

حَتَّى رَأَيْتُكَ بَيْنَ النَّاسِ مُجْتَنِباً تُثْنِي عَلَيَّ بِوَجْهِ غَيْرِ مُتَّئِبِ
حتى رأيتك وأنا واقف بعيداً مجتنباً... وكنت تثني علي بوجه غير متب، غير متحسب ولا محترس
بل كنت متحمساً لي

فَعِنْدَهَا، وَعَيُونَ النَّاسِ تَرْمُقُنِي، عَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُحْطِئْ وَلَمْ أَصِبِ
عندئذ رأيت نظرات الناس تتركز علي وأنا واقف بعيداً، فعلمت أنك كنت مصيئاً في تعريضك لي
للقتال وفنونه

١٦ زين الشباب

قال في اليوم الذي فيه قتل، يخاطب ابنته:

أُبْنَيْتَنِي لَا نَجَزَعِي كُلُّ الْأَنَامِ إِلَى ذَمَابِ
أُبْنَيْتَنِي صَبْرًا جَمِيًّا لَا لِلْجَلِيلِ مِنَ الْمُصَابِ
نُوحِي عَلَيَّ بِحَسْرَةٍ مِنْ خَلْفِ سِتْرِكَ وَالْحِجَابِ
قُولِي إِذَا نَادَيْتَنِي وَهَبَيْتُ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ
زَيْنُ الشَّبَابِ أَبُو فِرَا مَن لَمْ يُمَتِّعْ بِالشَّبَابِ

١٧ فهمتها

يَا لَيْلُ مَا أَغْفُلُ عَمَّا بِي حَبَائِبِي فَيْكَ وَأَحْبَابِي
يَا لَيْلُ نَامُ النَّاسُ عَنْ مُوَجَعِ نَاءٍ، عَلَى مَضْجَعِهِ نَابِ
نابٍ على مضجعه: غير مستقر في فراشه من الألم

هَبَّتْ لَهُ رِيحٌ شَامِيَّةٌ مَتَتْ إِلَى الْقَلْبِ بِأَسْبَابِ

متت: تعلقت

أَدَّتْ رِسَالَاتِ حَبِيبٍ لَنَا فَهَمَّتْهَا مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي

آخر بيتين كان يرددهما الصاحب بن عباد معجياً بهما

١٨ لا نجوتُ إن نجا

قَامَتْ إِلَى جَارَاتِهَا تَشْكُو بِذُلٍّ وَشَجَا

أَمَّا تَرَيْنَ ذَا الْفَنَى مَرَّ بِنَا مَا عَرَّجَا

إِنْ كَانَ مَا ذَاقَ الْهَوَى فَلَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا

١٩ بحر من سلاح

يَفْتَخِرُ بِجَيْشِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَسِلَاحِهِ:

عَلَوْنَا جَوْشَنَا بِأَشَدِّ مِنْهُ وَأَثَبَتْ عِنْدَ مُشْتَجِرِ الرِّمَاحِ

اعتلينا حصن جوشن بجيش هو أشد من الحصن عند مشتجر، اشتباك، الرماح

بِجَيْشٍ جَاشٍ بِالْفُرْسَانِ حَتَّى ظَنَنْتَ الْبَرَّ بَحْرًا مِنْ سِلَاحٍ

جاش: تدفق

٢٠ لا عتاب

لَمْ أُؤَاخِذْكَ بِالْجَفَاءِ لِأَنِّي وَائِقٌ مِنْكَ بِالْوَفَاءِ الصَّحِيحِ

فَجَمِيلُ الْعَدُوِّ غَيْرُ جَمِيلٍ وَقَبِيحُ الصَّدِيقِ غَيْرُ قَبِيحٍ

٢١ أوصيك بعدم الصبر

كتب إلى سيف الدولة يعزبه عن أخته، سنة ٣٥٣ وهو أسير بالقسطنطينية:

أَوْصِيكَ بِالْحُزْنِ لَا أَوْصِيكَ بِالْجَلْدِ جَلَّ الْمَصَابُ عَنِ التَّعْنِيفِ وَالْفَنَدِ

الفند: الخطأ

بِي مِثْلُ مَا بِكَ مِنْ حُزْنٍ وَمِنْ جَزَعٍ وَقَدْ لَجَأْتُ إِلَى صَبْرٍ فَلَمْ أَجِدْ

تسويد أ. عبد الرحيم

٢٢ جهل العشائر

قال يصف الصفح من بني نمير وكلاب ويحذرهم:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا أَرَى مِنْ عَشَائِرٍ إِذَا مَا دَنَوْنَا زَادَ جَاهِلُهُمْ بُعْدًا
وَأَنَا لَتَثْنِينَا عَوَاطِفُ جِلْمِنَا عَلَيْهِمْ، وَإِنْ سَاءَتْ طَرَائِقُهُمْ جِدًّا
وَيَمْنَعُنَا ظُلْمَ الْعَشِيرَةِ أَنَّنَا إِلَى ضُرِّهَا لَوْ نَبْتَغِي ضُرَّهَا أَهْدَى
يَمْنَعُنَا مِنْ ظَلَمِهِمْ أَنَّنَا نَعْرِفُ كَيْفَ نَهْتَدِي إِلَى أُمُورٍ تَضُرُّ بِهِمْ لَوْ أَرَدْنَا ذَلِكَ
لَوْ عَرَفْتُ هَذِي الْعَشَائِرُ رُشْدَهَا إِذَنْ جَعَلْنَا دُونَ أَعْدَائِهَا سَدًّا

٢٣ الله الإرادة

قال لبعض المنجمين:

يَا مُعْجَبًا بِنَجُومِهِ لَا النَّحْسُ مِنْكَ وَلَا السَّعَادَةُ
أَيُّهَا الْمُنْجِمُ النَّحْسُ وَالسَّعَادَةُ، أَيُّ السَّعْدِ وَالْقَالِ الْحَسَنُ لِيَا مِنْكَ
اللَّهُ يَنْقُصُ مَا يَشَاءُ ءُ، وَفِي يَدِ اللَّهِ الزِّيَادَةُ
دَعُ مَا أُرِيدُ وَمَا تُرِيدُ دُ، فَإِنَّ لِلَّهِ الْإِرَادَةَ

٢٤ لا تقعد عني

خرج ابن أخت ملك الروم في ألف من وجوه الروم والأرمن إلى نواحي منبج فصادف أبا فراس يتصيد في سبعين فارساً، فأراد أصحاب أبي فراس له الفرار، فأبى وقاتل حتى جرح وأسر. فكتب أبو فراس إلى سيف الدولة يطلب أن يفديه بأسير رومي من الأمراء:

دَعَوْتُكَ لِلْجَفْنِ الْقَرِيحِ الْمُسَهَّدِ لَدَيَّ، وَلِلنَّوْمِ الْقَلِيلِ الْمُسَرَّدِ
القرح: المتفرح المشفق، المسهد: الساهر

وَمَا أَنَا إِلَّا بَيْنَ أَمْرِ وَضِدِّهِ يُجَدِّدُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مُجَدِّدٍ
أنا متلاطم المشاعر منتبش يوماً، يائس يوماً مع كل يوم جديد

فَمِنْ حَسَنِ صَبْرِ بِالسَّلَامَةِ وَاعْدِي وَمِنْ رَبِّ دَهْرٍ بِالرَّدَى مُتَوَعِدِي
الصبر يعدني بالسلامة، ورب الدهر ومصائبه تتوعدني بالموت

أَقْلَبُ طَرْفِي بَيْنَ خِلٍّ مُكْبَلٍ وَبَيْنَ صَفِيٍّ بِالْحَدِيدِ مُصَفَّدٍ
مكبل ومصفد: مقيد، والصفي: الصديق

فَلَا تَتْرُكِ الْأَعْدَاءَ حَوْلِي لِيَفْرَحُوا وَلَا تَقْطَعْ التَّنَائِلَ عَنِّي وَتَقْعُدِ
 فَإِنْ مُتُّ بَعْدَ الْيَوْمِ عَابَكَ مَهْلِكِي مَعَابَ التَّنَازِلِيِّنَ مَهْلِكَ مَعْبِدِ
 إِنْ مِتُّ فِي الْأَمْرِ سَيَكُونُ ذَلِكَ عَاراً عَلَيْكَ كَمَا كَانَ مَوْتُ مَعْبِدِ بْنِ زُرَّارَةَ فِي الْأَمْرِ بَعْدَ تَلَكُّوْهُ أَهْلَهُ
 فِي افْتِدَائِهِ عَاراً عَلَيْهِمْ

وَلَمْ يَكْ بِذِعَا هُلْكُهُ، غَيْرَ أَنَّهُمْ يُعَابُونَ إِذْ سِيمَ الْفِدَاءِ وَمَا فُدي
 يعابون لأن الفداء سيم، تمت المساومة عليه بأربعمئة بعير، ولكنهم لم يفتدوه

وَأَنَّكَ لِلْمَوَلَى الَّذِي بِكَ أَقْتَدِي وَأَنَّكَ لِلنَّجْمِ الَّذِي بِكَ أَهْتَدِي
 وَأَنْتَ الَّذِي بَلَّغْتَنِي كُلَّ رُتْبَةٍ مَشَيْتُ إِلَيْهَا فَوْقَ أَعْنَاقِ حُسْدِي
 فَيَا مُلْبِسِي النُّعْمَى الَّتِي جَلَّ قُدْرُهَا لَقَدْ أَخْلَقْتَ تِلْكَ الثِّيَابَ فَجَدِّدِ
 أخلقت: اهتمرات

وَلَا يَحْرِمَنِي اللَّهُ قُرْبَكَ إِنَّهُ مُرَادِي مِنَ الدُّنْيَا وَحَظِّي وَسُودَدِي

٢٥ ابن الأماجد

قال يصف أسره:

لِمَنْ جَاهَدَ الْحُسَادَ أَجْرُ الْمَجَاهِدِ وَأَعْجَزُ مَا حَاوَلْتُ إِرْضَاءَ حَاسِدِ
 أَيَا جَاهِداً فِي نَيْلِ مَا نِلْتُ مِنْ عُلَا رُوَيْدَكَ إِنِّي نِلْتُهَا غَيْرَ جَاهِدِ
 وَيَا سَاهِدَ الْعَيْنَيْنِ فِيمَا يَرِبُنِي أَلَا إِنَّ طَرْفِي فِي الْأَذَى غَيْرُ سَاهِدِ
 يا ساهراً يفكر في مكائد يوقعني فيها إن طرفي، عيني، غير ساهر بل نائم غير مهتم بك رغم
 الأذى الذي أعاتيه

إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً أَتَنَّهُ الرَّزَابِيَا مِنْ وَجْهِهِ الْفَوَائِدِ
 فَقَدْ جَرَّتِ الْحَنْفَاءُ حَتْفَ حُذَيْفَةٍ وَكَانَ يَسْرَاهَا عُدَّةً لِلشَّدَائِدِ
 الحنفاء فرس لحذيفة بن بدر، وقد سبقتها الغبراء.. وقامت حرب داحس والغبراء وفيها قتل حذيفة

وَجَرَّتْ مَنَايَا مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ عَقِيلَتُهُ الْحَسَنَاءُ أَيَّامَ خَالِدِ
 مالك بن نؤيرة قتله خالد بن الوليد في حروب الردة ثم تزوج من زوجته الحسنة، وانتقد على ذلك

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِخَيْرٍ فَإِنَّ لِي عَوَائِدَ مِنْ نِعْمَاهُ غَيْرَ بَوَائِدِ

غير بوائد: لا تفتنى ولا تبيد

فَكُم شَالَنِي مِنْ قَمَرٍ ظَلَمَاءَ لَمْ يَكُنْ لِيُنْقِذَنِي مِنْ قَمَرِهَا حَشْدُ حَاشِدِ
مَنْعَتْ جَمِي قَوْمِي وَسُدَّتْ عَشِيرَتِي وَقَلَّدَتْ أَهْلِي غُرَّ هَذِي الْقَلَائِدِ

القلائد: العقود، يعني القصائد

خَلَائِقُ لَا يُوجَدَنَّ فِي كُلِّ مَاجِدٍ وَلَكِنَّهَا فِي الْمَاجِدِ ابْنِ الْأَمَاجِدِ

٢٦ إسكار الحبيب

بَاتَ الْحَبِيبُ إِلَى الصَّبَا حِ مَعَانِقِي خَدًّا لِحَدِّ
قَدْ كَانَ مَوْلَايَ الْأَجَلَّ - فَصَيَّرْتُهُ الرَّاحُ عِنْدِي

مولاي: سيدي

لَيْسَتْ بِأَوَّلِ مِنَّةٍ مَشْكُورَةٍ لِلرَّاحِ عِنْدِي

منة: نعمة

٢٧ الصديق الصدوق

كتب أبو فراس للقاضي أبي حصين علي بن عبد الملك، وقد عزم على المضي إلى
الرقعة:

يَا طَوَّلَ شَوْفِي إِنْ قَالُوا الرَّجُلُ عَدَا لَا فَرَّقَ اللَّهُ فِيمَا بَيْنَنَا أَبَدَا
يَا مَنْ أَصَافِيهِ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعْدٍ وَمَنْ أَحَالِصُهُ إِنْ غَابَ أَوْ شَهِدَا
رَاعَ الْفِرَاقُ فَوَادَا كُنْتُ تُؤْنِسُهُ وَذَرَّ بَيْنَ الْجُفُونِ الدَّمَعَ وَالشُّهُدَا
مَا زَالَ يَنْظِمُ فِي الشَّعْرِ مُجْتَهِدَا فَضْلًا وَأَنْظِمُ فِيهِ الشَّعْرَ مُجْتَهِدَا
حَتَّى اعْتَرَفْتُ وَعَزَّتْنِي فُضَائِلُهُ وَفَاتَ سَبْقًا وَحَارَّ الْفَضْلُ مُنْفَرِدَا

عزتني: تغلبت علي

إِنْ قَصَرَ الْجُهْدُ عَنْ إدْرَاكِ غَايَتِهِ فَأَعَذَّرُ النَّاسِ مَنْ أَعْطَاكَ مَا وَجَدَا

إن قصر جهدي عن إدراك الغاية التي بلغها في جودة شعره فإن أفضل الناس عذراً من أعطى بقدر
ما وجد لديه

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا دَائِمًا أَبَدَا أَعْطَانِي الدَّهْرُ مَا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدَا

٢٨ جملة القول

نُبُوَةُ الْإِدْلَالِ لَيْسَتْ عِنْدَنَا ذَنْبًا يُعَدُّ

نبوة الإدلال: صدود الدلال

جُمْلَةٌ تُغْنِي عَنِ التَّفَصِيلِ: مَالِي عَنْكَ بُدٌّ

٢٩ نتاجر بالسيوف

قال يهنئ سيف الدولة بإيقاعه بالقبائل، ويفخر بنفسه وبقومه الوائلين:

أَقُولُ وَقَدْ ضَجَّ الْحَلِيّ وَأَشْرَقَتْ، وَلَمْ أَرَوْ مِنْهَا، لِلصَّبَاحِ بَشَائِرُ:

أقول وقد سُمع لحليها صوت واقتربت بشائر الصباح، ولم أرتو من الحبيبة:

أَيَا رَبِّ حَتَّى الْحَلِيِّ مِمَّا نَخَافُهُ وَحَتَّى بَيَاضِ الصَّبَحِ مِمَّا نَحَازِرُ

ولي فيك من قُرط الصَّبَابَةِ أَمْرٌ وَدُونِكَ مِنْ حُسْنِ الصِّيَانَةِ زَاجِرٌ

تأمرني صباتي وتعلقي بك بشيء ولكن حسن الصيانة، أي مراعاة العفة، تزجرنا عن التماذي

عَفَاكَ غَيٍّ، إِنَّمَا عِفَّةُ الْفَتَى إِذَا عَفَّ عَنْ لَذَاتِهِ وَهُوَ قَادِرٌ

عفاك غي، ليس بالعفاف الصحيح، فالعفة هي عفة من يتمتع وهو قادر، وأما أنت فتمتعتين خوفاً

أَوْلَيْكَ أَعْمَامِي وَوَالِدِي الَّذِي حَمَى جَنَبَاتِ الْمُلْكِ، وَالْمُلْكَ شَاغِرٌ

أهل أبي فراس حموا الخليفة العباسي وأعادوه بجيشهم إلى بغداد بعد فراره منها وبعد أن ظل

سرير الحكم شاغراً زمناً

وَمُسْتَرْدَقَاتٍ مِنْ نِسَاءٍ وَصِيبِيَّةٍ تَشْنَى عَلَى أَكْتَافِهِنَّ الضَّفَائِرُ

رب فتيات مستردقات، قد أردفنهن رجالنا خلفهم على المطايا بعد السبي، وضمائرنهن على الأكتاف

فهن حاسرات

بُنَيَاتٍ أُمْلَاكِ أَتَيْنَ فُجَاءَةً قُهِرْنَ وَفِي أَغْنَاقِهِنَّ الْجَوَاهِرُ

فإن تَمَضَّ أشياخي فلم يَمُضْ مَجْدُهَا وَلَا ذَكَّرَتْ تِلْكَ الْعُلَا وَالْمَآثِرُ

أشياخي: أسلافي

فَفِينَا لِدِينِ اللَّهِ عِزٌّ وَمَنْعَةٌ وَفِينَا لِدِينِ اللَّهِ سَيْفٌ وَنَاصِرٌ

سيف الدولة وأخوه ناصر الدولة ردا الخليفة بالقوة لبغداد

هُمَا، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُشَرَّدٌ، أَجَارَاهُ لَمَّا لَمْ يَجِدْ مَنْ يُجَاوِرُ

وَرَدَّاهُ حَتَّى مَلَّكَاهُ سَرِيرَهُ بَعِثَرِينَ أَلْفًا بَيْنَهَا الْمَوْتُ سَافِرُ
وَسَاسًا أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ سِيَاسَةً لَهَا اللَّهُ وَالْإِسْلَامُ وَالِدَيْنُ شَاكِرُ
أَلَا قُلْ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْقَرَمِ إِنَّنِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، غَيْرَ وَضْفِكَ، قَادِرُ
القرم: السيد

سَقَى أَرْسَنَاسًا مِثْلَهُ مِنْ دِمَائِهِمْ عَشِيَّةَ غَصَّتْ بِالْقُلُوبِ الْحَنَاجِرُ
أَرْسَنَاس: نهر في بلاد الروم، وسقاه سيف الدولة بمثل مائه من دم الروم
وَبَاتَ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَذُو الْحِزْمِ نَاهِيَهُ وَذُو الْعِزْمِ أَمِيرُ
الحازم من رجاله ينهاه عن التوغل، والعازم منهم يشير عليه بالتقدم

وَقَدْ يَكْبُرُ الْخَطْبُ الْيَسِيرُ وَتَجَنَّنِي أَكْبَارُ قَوْمٍ مَا جَنَاهُ الْأَصَاغِرُ
قد يستطير الشر ويجنني، ويحصد، سادة القوم العناية الشديد بسبب ما يجنيه صغارهم
كَمَا أَهْلَكْتَ كَلْبًا غَوَاةً جُنَاتِهَا وَعَمَّ كِلَابًا مَا جَنَّتُهُ الْجَعَاغِرُ
شَرِينَا وَبِعْنَا بِالسِّيُوفِ نُفُوسَهُمْ وَنَحْنُ أَنْاسُ بِالسِّيُوفِ نُنَاجِرُ

٣٠ فراق

وكتب إلى صديق جواباً عن قصيدة له:

وَأَشْرَفَ النَّاسِ أَهْلُ الْحُبِّ مَنَزَلَةً وَأَشْرَفَ الْحُبِّ مَا عَقَّتْ سَرَائِرُهُ
سرائره: نواياه

مَا أُنْسَ لَا أُنْسَ يَوْمَ الْبَيْنِ مَوْقِفَنَا وَالشُّوقُ يَنْهَى الْبُكَاءَ عَنِّي وَيَأْمُرُهُ
يامره: يأمره، ولو قرأنا بهزمة لوقعنا في سناد التأسيس

وَقَوْلَهَا، وَدَمُوعُ الْعَيْنِ وَكِفَةٌ هَذَا الْفِرَاقُ الَّذِي كُنَّا نُحَاذِرُهُ

٣١ نحن رعاياك

وَكَانَ إِذَا دَعَانَا الْأَمْرُ حَقَّتْ بِنَا الْفِتْيَانُ تَبْتَدِيرُ ابْتِدَارًا
تبتدر: تسارع

بِخَيْلٍ لَا تُعَانِدُ مَنْ عَلَيْهَا وَقَوْمٌ لَا يَرَوْنَ الْمَوْتَ عَارًا
إِذَا بَقِيَ الْأَمِيرُ قَرِيرَ عَيْنٍ قَدَيْنَاهُ اخْتِيَارًا لَا اضْطِرَارًا

أَبْ بَرٍّ وَمَوْلَىٰ وَابْنُ عَمٍّ وَمُسْتَنْدٌ إِذَا مَا الْخَطْبُ جَارَا
يَمُدُّ عَلَىٰ أَكَابِرِنَا جَنَاحَا وَيَكْفُلُ فِي مَوَاطِنِنَا الصَّغَارَا

٣٢ ريق كالخمر

سَأْتِنِي عَلَىٰ تِلْكَ الثَّنَايَا لِأَتْنِي أَقُولُ عَلَىٰ عِلْمٍ، وَأَنْطِقُ عَنْ خُبْرٍ
الثنايا: الأسنان في مقدم الفم

وَأُنْصِفُهَا، لَا أَكْذِبُ اللَّهَ، أَتْنِي رَشَفْتُ بِهَا رِيْقًا أَلَذَّ مِنَ الْخَمْرِ

٣٣ استبقاء الصديق

وَحَبَرْتُ هَذَا الدَّمَرَ خِبْرَةً نَاقِدٍ حَتَّىٰ أَنْسَتْ بِخَيْرِهِ وَبِشَرِّهِ
وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِبَالِغٍ فِي أَزْهِهِ كَالصَّقْرِ لَيْسَ بِصَائِدٍ فِي وَكْرِهِ
لا يبلغ المرء العز إذا بقي في بلده فلا بد من الترحال، وكذا الصقر لا يصيد إلا إذا ابتعد عن
وكره

لَا أَشْتَرِي بَعْدَ التَّجَرُّبِ صَاحِبًا إِلَّا وَدِدْتُ بِأَتْنِي لَمْ أَشْرِهِ
فَصَبَرْتُ لَمْ أَقْطَعْ حِبَالَ وَدَادِهِ وَسَتَرْتُ مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُ بِسِتْرِهِ
أَنْفَقْتُ مِنَ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ فَإِنَّهُ لَمْ يَخْشَ فَقْرًا مُنْفِقٌ مِنْ صَبْرِهِ
يَا رَبِّ مُضْطَغِنُ الْفَوَادِ لَقِيْتُهُ بِطَلَاقَةٍ فَسَلَّلْتُ مَا فِي صَدْرِهِ
مضطغن: حاقط

٣٤ الإغضاء

إِنْ لَمْ تَجَافَ عَنِ الذُّنُوبِ بِ وَجَدَتْهَا فِينَا كَثِيرَةً
تجاف: تتجافى وتغضى

لَكِنَّ عَادَتَكَ الْجَمِيَّةَ لَمَّا أَنْ تَغُضَّ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ

٣٥ الصدور أو القبور

قَالَ فِي خَرَشْنَةٍ لَمَّا اقْتَدَىٰ إِلَيْهَا أُسِيرًا جَرِيحًا، وَقَبْلَ أَنْ يَحْمَلَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ:
إِنْ زُرْتُ خَرَشْنَةَ أُسِيرَا فَلَكُمْ أَحَظْتُ بِهَا مُغِيرَا
وَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّارَ تَنْتَنُ تَهْبُ الْمَنَازِلَ وَالْقُصُورَا

ولقد رأيت السَّبي يُجْر لَبَّ نَحُونَا حُورًا وَحُورًا
الحو من النساء: من في شفاههن سمره، والحو: من اشتد سواد عيونهن في اشتداد بياضها
نَخْتَارُ مِنْهُ الْعَادَّةَ الـ حَسَنَاءَ وَالظُّلُبِيَّ الْغَرِيرَا
الغريز: البريء

إِنْ طَالَ لَيْلِي فِي ذَرَا لِكْ فَقَدْ نَعِمْتُ بِهِ قَصِيرَا
في ذراك: في كفك، بقربك، وهو يخاطب بلدة خرشنة

وَلَيْتَن لَقِيتُ الْحَزْنَ فِيـ لِكْ فَقَدْ لَقِيتُ بِكِ السُّرُورَا
ولئن رُميتُ بِحَادِثٍ فَلَأُلْقِيَنَّ لَهُ صَبُورَا
مِنْ كَانَ مِثْلِي لَمْ يَبِثْ إِلَّا أَسِيرًا أَوْ أَمِيرَا
لَيْسَتْ تَحُلُّ سَرَاتِنَا إِلَّا الصُّدُورَ أَوْ الْقُبُورَا
سراتنا، أي سادتنا، لا تحل إلا صدور المجالس أو القبور

٣٦ أراك عصي الدمع

قال وهو في الأسر:

أَرَاكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شَيْمَتَكَ الصَّبْرُ أَمَا لِلْهَوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرُ؟
يسأل نفسه: أراك عصي الدمع، صعب الدمعة لا تبكي بسهولة، وشيمتك وطبعك الصبر، ألا يؤثر
فيك الحب ناهياً وأمرأ؟

بَلَى، أَنَا مُشْتَاقٌ وَعِنْدِي لَوْعَةٌ وَلَكِنْ مِثْلِي لَا يُذَاعُ لَهُ سُرٌّ
يجيب نفسه: بلَى، مشتاق وملتاع، ولكن مثلي في شموخه لا يبوح بما في ضميره من لوعة العاشق

إِذَا اللَّيْلُ أَضْوَانِي بَسَطْتُ يَدَ الْهَوَى وَأَذَلْتُ دَمْعاً مِنْ خَلَائِقِهِ الْكِبَرُ
إذا أضواني الليل، أنحل جسمي وأمزلي طول السهر، سمحت للهوى بالتدفق وبسطت له يداً،
وأذلت الدمع بإسالته مع أن من طباع دمعي الكبير والأنفة

تَكَادُ تُضِيءُ النَّارُ بَيْنَ جِوَانِحِي إِذَا هِيَ أَذَكْنَهَا الصَّبَابَةُ وَالْفِكْرُ
أذكتها: أشعلتها

مُعَلَّلَتِي بِالْوَصْلِ وَالْمَوْتُ دُونَهُ إِذَا مِتُّ ظَمَأْنَا فَلَ نَزَلَ الْقَطْرُ
يا معللتي بالوصل، يا من تهدتني بوعد بالوصل، قد يأتي الموت قبل الوصل، وإن مت ظمأناً فلا
نزل المطر

حَفِظْتُ وَضَيَّعْتُ الْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا وَأَحْسَنُ مِنْ بَعْضِ الْوَفَاءِ لَكَ الْعَذْرُ
حفظت المودة وأنت ضيعتها، والغدر أحسن من وفائي لك لأنك غادرة

وَحَارَبْتُ قَوْمِي فِي هَوَاكِ، وَأَنْتَهُمْ لَوْلَا حُبُّكَ الْمَاءِ وَالْخَمْرُ
لولا حبك لكتت مع أهلي سمناً على عسل

وَقَيْتُ وَفِي بَعْضِ الْوَفَاءِ مَذَلَّةٌ لِإِنْسَانَةٍ فِي الْحَيِّ شِيَمَتُهَا الْعَذْرُ
تسائلني من أنت، وهي عليمة وهل يفتني مثلي على حاله نكر
أنا مشهور لا سبيل إلى أن ينكرني منكر، وهي تسألني من أنا تهاً ودلاً

فَقُلْتُ كَمَا شَاءَتْ وَشَاءَ لَهَا الْهَوَى: قَتِيلُكَ. قَالَتْ: أَيُّهُمْ، فَهُمْ كَثُرُ
فقلت لها لو شئت لم تتعنتي ولم تسألني عني وعندك بي خبر
فقالت: لقد أزرى بك الدهر بعدنا فقلت: معاذ الله، بل أنت لا الدهر
أزرى بك: بهذلك

وَقَلَّبْتُ أَمْرِي لَا أَرَى لِي رَاحَةً، إِذَا الْبَيْنُ أَنْسَانِي أَلْحَ بِي الْهَجْرُ
البين، أي الفراق، ينسني العشق، ولكن كون الحبية هاجرة لي يلح علي

فَعُدْتُ إِلَى حُكْمِ الزَّمَانِ وَحُكْمِهَا لَهَا الذَّنْبُ لَا تُجْزَى بِهِ، وَلِي الْعَذْرُ
أنا معذور في البعد لأنني أسير، وهي مذنبه لأنها صادقة عني، ولا تسأل، وهذا حكم الزمن.. وحكمها

فَلَا تُنْكِرْنِي يَا ابْنَةَ الْعَمِّ إِنَّهُ لَيَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَهُ الْبَدْوُ وَالْحَضَرُ
ولا تنكريني إنني غير منكر إذا زلت الأقدام، واستنزل النصر
أنا غير منكر، بل معروف وخصوصاً عندما تزل القدم، يضطرب الموقف، ويستزل النصر، يدعو
الناس الله أن ينجدهم وينزل عليهم النصر

وَإِنِّي لَنَزَالٌ بِكُلِّ مَخْوَفَةٍ كَثِيرٍ إِلَى نُزَالِهَا النَّظَرُ الشَّرُّ
أنزل بكل موقعة يخافها الناس، وينظرون إلى النازل بها شزراً منكبين ذلك لخطورتها

فَأَظْمَأُ حَتَّى تَرْتَوِي الْبَيْضَ وَالْقَنَا وَأَسْغَبُ حَتَّى يَشْبَعَ الذَّنْبُ وَالنَّسْرُ
أظل ظمآن حتى ترتوي البيض والقنا، ومن دم الأعداء، وأسغب، أجوع، حتى
يشبع الذنب والنسر من أشلائهم

وَلَا أَضْبِغُ الْحَيَّ الْخُلُوفَ بِغَارَةٍ وَلَا الْجَيْشَ مَا لَمْ تَأْتِهِ قَبْلِي النَّذْرُ
لا أغير صباحاً على القوم الخلوف، الذي تخلف رجالهم وبقيت النساء، ولا أغير حتى على
الجيش إلا بعد أن أرسل من ينذره بقدمي ثقة بقوة رجالي وبشجاعتي

وَيَا رَبِّ دَارٍ لَمْ تُخَفِّنِي مَنِيْعَةً طَلَعْتُ عَلَيْهَا بِالرَّدَى أَنَا وَالْفَجْرُ
وَحَيٍّ رَدَدْتُ الْخَيْلَ حَتَّى مَلَكَتُهُ هَزِيمًا وَرَدَّدْتَنِي الْبَرَاقِعُ وَالْحُمْرُ
ورب حي، أي قوم، رددت خيلهم مهزومة. . ولكن ردتني دون أن أكمل الغزوة براقع النساء
وخمروهن متعففاً عنهن

وَسَاحِبَةِ الْأَذْيَالِ نَحْوِي لَقِيْتُهَا فَلَمْ يَلْقَهَا جَافِي الْلِقَاءِ وَلَا وَعْرُ
ورب فتاة جاءت نحوي تسحب ذيل ثوبها، وتطلب العفو عن قومها، ولم يلحقها مني رجل وعر
جافٍ شرس

وَهَبْتُ لَهَا مَا حَازَهُ الْجَيْشُ كُلُّهُ وَرُخْتُ وَلَمْ يُكْشَفْ لِأَبْيَاتِهَا سِتْرُ
وَلَا رَاحَ يُطْفِئُنِي بِأَثْوَابِهِ الْغِنَى وَلَا بَاتَ يَشْنِينِي عَنِ الْكَرَمِ الْفَقْرُ
لا يطفئني، يجعلني طاعياً متجبراً، الغنى بما يسبغه علي من أثواب النعمة، ولا يمنعني الفقر من
الكرم

أَسِيرْتُ وَمَا صَحْبِي بِعُزْلٍ لَدَى الْوَعَى وَلَا فِرْسِي مُهْرٌ وَلَا رَبُّهُ غَمْرُ
فِرْسِي مهر: صغير لم يصل حد استحكام القوة، ربه: صاحبه، غمر: غشيم غير مجرب

وَلَكِنْ، إِذَا حُمَّ الْقَضَاءُ عَلَى أَمْرِي فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ بَقِيهِ وَلَا بَحْرُ
وَقَالَ أَصِيحَابِي: الْفِرَارُ أَوْ الرَّدَى؟ فَقُلْتُ: هُمَا أَمْرَانِ أَحْلَاهُمَا مُرُ
وَلَكِنِّي أَمْضِي لِمَا لَا يَعْيبُنِي وَحَسْبُكَ مِنْ أَمْرَيْنِ خَيْرُهُمَا الْأَسْرُ
وَلَا خَيْرَ فِي دَفْعِ الْأَذَى بِمِثْلِهِ كَمَا رَدَّهَا يَوْمًا بِسَوَاتِهِ عَمْرُو
لا خير في التخلص من الأذى بمثلة الفرار. . مثلما كشف عمرو بن العاص عورته عندما غلبه
علي بن أبي طالب في المباراة فكف عنه علي وتركه

يَمْنُونُ أَنْ خَلَّوْا ثِيَابِي، وَإِنَّمَا عَلَيَّ ثِيَابٌ مِنْ دِمَائِهِمْ حُمْرُ
يمنون علي بأن تركوا ثيابي ولم يزعوها عني، ولكنها حمر من دمهم

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ وَفِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ يُفْتَقَدُ الْبَدْرُ
فَإِنْ عِشْتُ فَالظُّفَرُ الَّذِي يَعْرِفُونَهُ وَتِلْكَ الْقَنَا وَالْبَيْضُ وَالضُّمَرُ الشُّقْرُ
القنا والبيض: الرماح والسيوف، الضمر الشقر: الخيل الضامرة الشقراء

وَإِنْ مُتُّ فَالْإِنْسَانُ لَا بَدَّ مَيِّتٌ وَإِنْ طَالَتْ الْأَيَّامُ وَانْفَسَحَ الْعُمُرُ
وَلَوْ سَدَّ غَيْرِي مَا سَدَّدْتُ اِكْتَفَوْا بِهِ وَمَا كَانَ يَغْلُو الثَّبَرُ لَوْ نَفَقَ الصَّفَرُ
ما كان التبر، أي الذهب، ليغلو سعره لو نفق الصفر، النحاس الأصفر، وسد مسده

ونحن أناس لا تَوَسَّطَ عندنا لنا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرِ
تَهُونُ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نَفْسُنَا وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يُغْلِهَا الْمَهْرُ
لم يغلها المهر: لم يكن المهر غالياً عليها لأنها تستحقه

أَعَزُّ بَنِي الدُّنْيَا وَأَعْلَى دَوِي الْعُلَا وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ التُّرَابِ، وَلَا فَخْرُ

٣٧ رثاء الأم

قال في أسره وقد بلغه خبر موت أمه:

أَيَا أُمَّ الْأَسِيرِ سَقَاكِ غَيْثٌ بِكُرِّهِ مِنْكَ مَا لَقِيَ الْأَسِيرُ
إِذَا ابْنُكَ سَارَ فِي بَرٍّ وَبَحْرِ فَمَنْ يَدْعُو لَهُ أَوْ يَسْتَجِيرُ
حَرَامٌ أَنْ يَبِيَّتَ قَرِيرَ عَيْنٍ وَلَوْ أَنَّ يُلِمَّ بِهِ السُّرُورُ
وَقَدْ دُقَّتِ الرِّزَايَا وَالْمَنَايَا وَلَا وَلَدٌ لَدَيْكَ وَلَا عَشِيرُ
أَيَا أُمَّاهُ كَمْ بُشِّرَى بِقُرْبِي أَتَتْكَ وَدُونَهَا الْأَجَلُ الْقَصِيرُ
قبل البشري بافتدائي جاء أجلك سريعاً

إِلَى مَنْ أَشْتَكِي؟ وَلِمَنْ أُنَاجِي إِذَا ضَاقَتْ بِمَا فِيهَا الصُّدُورُ
نَسَلَى عَنْكَ أَنَا عَنْ قَلِيلٍ إِلَى مَا صِرَتْ فِي الْأُخْرَى نَصِيرُ
عن قليل: قريباً

٣٨ ترحال

تَلَاعَبَ بِي عَلَى هُوجِ الْمَطَايَا خَلَائِقُ لَا تَقَرُّ عَلَى الصَّغَارِ
تتلاعب بي فوق الإبل الهوجاء المرسعة وتحثني على الارتحال أخلاق لا تفر على الصغار، لا
ترضى بالصغائر

وَمَا يُغْنِيكَ مِنْ هِمَمٍ طَوَالٍ إِذَا قُرْنَتْ بِأَعْمَارٍ قِصَارٍ؟
ما نفع الطموحات الكبيرة إذا كان العمر قصيراً ولا يسعها

يَقُولُ لِي أَنْتَظِرْ فَرَجًا، وَمَنْ لِي بِأَنَّ الْمَوْتَ يَنْتَظِرُ انْتِظَارِي
عَزِيزٌ حَيْثُ حَطَّ السَّيْرُ رَحْلِي تُدَارِيَنِي الْأَنَامُ وَلَا أَدَارِي
أنا عزيز في كل مكان أنزل فيه، والناس يلتزمون رضاي ولا ألتمس رضاهم

وَأَهْلِي مَنْ أَنْخْتُ إِلَيْهِ عَيْسِي وَدَارِي حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الدِّيَارِ

٣٩ عند خَمَارٍ

تَسَوَّاعُنَا بِآذَارٍ لِمَسْمَعٍ غَيْرِ مُخْتَارٍ
آذار: مارس، تواعدنا فيه لغرض لا يختاره الوقور من الناس

وَقُمْنَا نَسْحَبُ الرِّيطَ إِلَى حَانَةِ خَمَارٍ
الريط: الثوب

فَلَمْ نَذِرْ وَقَدْ فَاحَتْ لَنَا مِنْ جَانِبِ الدَّارِ ..
فاحت رائحة الخمر طيبة عطر فما عرفنا ..

بِخَمَارٍ مِنَ الْقَوْمِ نَزَلْنَا أَمْ يَعْطَارُ؟
.. هل نزلنا بخمار أن يعطار؟

فَلَمَّا أَلَيْسَ اللَّيْلُ لَنَا ثَوْبًا مِنَ الْقَارِ
لما اشتد سواد الليل فكأنه لبس ثوباً من القار، الزفت .. كمثل الزفت الذي يطلون به دنان الخمر

وَقُلْنَا أَوْقَدَ النَّارَ لِيَطْطُرَاقِي وَزَوَارِ
وَجَا خَاصِرَةَ الدَّنِّ فَأَغْنَانَا عَنِ النَّارِ
وجا: وجأ أي طعن .. طعن صاحب الخمارة الدن في جنبه .. فنزلت خمر حمراء
أضاءت المكان فأغتننا عن النار .. أو أننا شربناها فشعرنا بحرارة في أجسامنا فلم
نحتاج إلى نار للاستدفاء .. وآذار/ مارس في شمال سوريا بارد ليلاً

وَمَا فِي طَلَبِ اللَّهِوِ عَلَى الْفَتِيَانِ مِنْ عَارِ

٤٠ المعجل والمؤجل

المرءُ رَهْنٌ مَصَائِبٍ لَا تَنْقُضِي حَتَّى يُوَارَى جِسْمُهُ فِي رَمِيهِ
رمة: قبره

فَمُؤَجَّلٌ يَلْقَى الرَّدَى فِي أَهْلِهِ وَمُعَجَّلٌ يَلْقَى الرَّدَى فِي نَفْسِهِ

٤١ وهبت شبابي

وَهَبْتُ شَبَابِي، وَالشَّبَابُ مَضِيَّةٌ لِأَبْلَجٍ مِنْ أَبْنَاءِ عَمِّي أَرْوَعَا

وهبت شبابي والشباب مضنة، ثمين يضمن به المرء، لأبلج، لشخص مشرق، من أبناء عمي أروع،
بهى الطلعة شجاع

أَبَيْتُ مُعَنَّيَ مِنْ مَخَافَةِ عَنِّيهِ وَأَصْبَحُ مَحْزُونًا وَأُمْسِي مُرَوِّعًا
فَلَمَّا مَضَى عَصْرُ الشَّيْبَةِ كُلُّهُ وَفَارَقَنِي شَرُّ الشَّبَابِ مُودِّعًا
شرح الشباب: أوله

شرح الشباب : أوله

نَطَلَبْتُ بَيْنَ الْهَجْرِ وَالْعَتَبِ فُرْجَةً فَحَاوَلْتُ أَمْرًا لَا يُرَامُ، مُنْعَمَا

ابن عمي - سيف الدولة - إما أنه هاجر لي أو معاتب .. وبين هاتين الحالتين أبحث عن فسحة من الرضا .. لكن عنأ

وَصِرْتُ إِذَا مَا رُمْتُ فِي الْخَيْرِ لَذَّةٌ تَتَّبَعْتُهَا بَيْنَ الْهُمُومِ تَتْبَعُ

أقنص لحظة سعادة من بين الهموم المتتابعة

وَمَا أَنَا قَدْ حَلَى الزَّمَانُ مَفَارِقِي وَتَوَجَّعَنِي بِالشَّيْبِ تَاجاً مُرْصَعَا

فَلَوْ أَنَّنِي مَكَّنْتُ مِمَّا أُرِيدُهُ مِنْ الْعَيْشِ يَوْمًا لَمْ يَجِدْ فِيَّ مَوْضِعًا

لو تمكنت من تحقيق مبتغاي من الراحة واللذة لم يكن في موضع لذلك بسبب ذهاب الشباب

أَمَّا لَيْلَةٌ تَمْضِي وَلَا بَعْضُ لَيْلَةٍ أُسْرُبَهَا هَذَا الْفَوَازَ الْمُفَجَّعَا

أَمَّا صَاحِبُ فَرْدٍ يَدُومُ وَفَاؤُهُ فَيُضْفِي لِمَنْ أَضْفَى وَيَرَعَى لِمَنْ رَعَى

أَفِي كُلِّ دَارٍ لِي صَدِيقٌ أَوْدُهُ إِذَا مَا تَفَارَقْنَا حَفِظْتُ وَضِيعَا

وَإِنْ أَوْجَعْتَنِي مِنْ أَعَادِي سِمْةٌ لَقِيتُ مِنَ الْأَخْبَابِ أَذًى وَأَوْجَعَا

تَنَكَّرَ سَيْفُ الدِّينِ لِمَا عَتَبَتْهُ وَعَرَّضَ بِي نَحْتَ الْكَلَامِ وَقَرَعَا

فَقُولَا لَهُ: مِنْ أَصْدَقِ الْوُدِّ أَنَّنِي جَعَلْتُكَ مِمَّا رَابَنِي الذَّهْرَ مَفْرَعَا

الدليل على أصدق الود أنني جعلتك طول الدهر ملجأً من المصائب

۴۲ یا جبل

قال يعزى سيف الدولة في ولاد مات له:

يَبْكِي الرُّجَالُ وَسَيْفُ اللَّهِ مُبْتَسِمٌ حَتَّى عَلَى ابْنِكَ تُعْطَى الصَّبْرَ يَا جَبَلٌ؟

يَا مَنْ أَتَتْهُ الْمَنَايَا غَيْرَ حَافِلَةٍ أَيْنَ الْعَبِيدُ وَأَيْنَ الْخَيْلُ وَالْخَوَلُ؟

يخاطب الصبي المتوفى: أين الخول، أي الخدم والخيل والعبيد؟ كيف لم تستطع كلها حمايتك من الموت؟

أَيْنَ اللَّيْثُ الَّتِي حَوْلَيْكَ رَابِضَةٌ أَيْنَ الصَّنَائِعُ أَيْنَ الْأَهْلُ مَا فَعَلُوا؟

الصنائع: الأنصار

٤٣ الخيل تعرف من عليها

مَمَالِكُنَا مَكَاسِبُنَا إِذَا مَا تَوَارَتْهَا رَجَالٌ عَنْ رَجَالٍ
مَمَالِكُنَا كَسْبَتَاهَا بَأْنَفْسِنَا فِي حِينٍ يَتَوَارِثُ غَيْرِنَا الْمَمَالِكُ عَنْ آبَائِهِمْ

إِذَا لَمْ تُنْمَسِ لِي نَارٌ فَلِإِنِّي أَبَيْتُ لِنَارٍ غَيْرِي غَيْرَ صَالٍ
كَأَنَّ الْخَيْلَ تَعْرِفُ مَنْ عَلَيْهَا فِي بَعْضٍ عَلَى بَعْضٍ تَعَالٍ
كَأَنَّ الْحَصَانَ يَشْعُرُ بِقِيَمَةِ رَاكِبِهِ، فَالْخَيْلُ يَفْتَخِرُ وَيَتَعَالَى بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ بِحَسَبِ الرَّاكِبِ

عَلَيْنَا أَنْ نُعَاوِدَ كُلَّ يَوْمٍ رَخِيسٍ عِنْدَهُ الْمُهْجُ الْغَوَالِي
نَعُودُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ عَلَى يَوْمٍ، أَيْ مَعْرَكَةٍ، تَرْخِصُ فِيهَا النُّفُوسُ الْغَالِيَةَ

فَإِنْ عَشْنَا ذَخَرْنَاهَا لِأُخْرَى وَإِنْ مُتْنَا فَمَوْتَاتُ الرِّجَالِ
فَإِنْ عَشْنَا ادْخَرْنَا نَفُوسَنَا لِمَعْرَكَةٍ مُقْبِلَةٍ، وَإِنْ مِتْنَا فَكَالرِّجَالِ

٤٤ الْقَلَّةُ الْكَثِيرَةُ

أَيَا عَجَبًا لِأَمْرِ بَنِي قُشَيْرٍ أَرَاغُونَا وَقَالُوا: الْقَوْمُ قُلُ
أَرَاغُونَا، هَجَمُوا عَلَيْنَا، وَقَالُوا إِنَّا قُلُ، أَيْ أَنَا قَلِيلُ الْعَدَدِ

وَكَانُوا الْكُثْرَ يَوْمَئِذٍ، وَلَكِنْ كَثُرْنَا إِذْ تَعَارَكُنَا وَقَلُّوا
كَانُوا فَعَلًا أَكْثَرَ مِنَّا عَدَدًا، وَعِنْدَمَا تَعَارَكُنَا صَرْنَا أَكْثَرَ مِنْهُمْ بِشَجَاعَتِنَا.. وَبِفِرَارِ كَثِيرِينَ مِنْهُمْ

٤٥ اِرْتَبَاكَ

أَرَامِيَّتِي! كُلُّ السَّهَامِ مُصِيبَةٌ وَأَنْتَ لِي الرَّامِي، وَكُلِّي مَقَاتِلُ
أَيْتَهَا الْمَحْبُوبَةُ الَّتِي تَرْمِي بِسَهَامِهَا، كُلُّ مَوْضِعٍ فِيَّ هُوَ مَقْتَلٌ لِسَهَامِكَ الصَّائِبَةِ

وَإِنِّي لِمُقَدِّمٌ وَعِنْدَكَ هَائِبٌ وَفِي الْحَيِّ سَحْبَانٌ، وَعِنْدَكَ بَاقِلُ
أَنَا شَجَاعٌ، لَكِنِّي مَعَكَ هَائِبٌ، وَعِنْدَ قَوْمِي فَصِيحٌ كَالْخَطِيبِ سَحْبَانٌ، وَعِنْدَكَ عَمِي أَلَكِنْ كَبَاقِلُ
الْمَشْهُورُ بِقَلَّةِ حِظِّهِ مِنَ الْفَصَاحَةِ

يَضِلُّ عَلَيَّ الْقَوْلُ إِنْ زُرْتُ دَارَهَا وَيَعْزُبُ عَنِّي وَجْهُ مَا أَنَا فَاعِلُ
يَعْزُبُ: يَغْرُبُ وَيَتَعَدُّ

وَحُجَّتُهَا الْعَلِيَا، عَلَى كُلِّ حَالَةٍ فَبَاطِلُهَا حَقٌّ وَحَقِّي بَاطِلُ

ووالله ما قصرت في طلب العلا ولكن، كأن الدهر عني غافل
وما كل طَلابٍ من الناسِ بالغ ولا كل سَيَّارٍ إلى المجدِ واصل
وما المرء إلا حيث يجعل نفسه وإني لها بين السماكين جاعل
السماكان: نجمان

٤٦ بين الروم والأعراب

قد ضجَّ جيشك من طول القتال به وقد شكنتك إلينا الخيل والإبل
وقد دَرى الرومُ مذ جاوزت أرضهم أن ليس يَغصمهم سهل ولا جبل
في كل يوم تزور الثغر لا ضجر يشيك عنه، ولا شغل ولا ملل
الثغر: الموضع الحدودي

توهمتك كلاب غير قاصدها وقد تكنتك الأعداء والشغل
توهم الأعراب من قبيلة كلاب أنك مشغل عنهم لأن الأعداء أحاطوا بك
حتى رأوك أمام الجيش تقدمه وقد طلعت عليهم دون ما أملوا
فاستقبلوك بفرسان أسنتها سود البراقع، والأكوار، والكلل
استقبلوك ليس بفرسان وأسنة رماح.. بل كان سلاحهم نساوهم.. فقد خرجت إليك النسوة
يراقعن السود وبعضهن يجلسن على أكوار الإبل وعليهن الكلل، أي السور

٤٧ لأمر ما..

وعطاف على الغمرات نحوي تحف به المثقفة الطوال
رب محارب يميل بحصانه نحوي في غمرة المعركة وتحيط به المثقفة العوالي من رماح قومه
تركت الرُمح يخطر في حشاه له ما بين أضلعه مجال
جعلت رمحي يمشي في جوفه بين أضلاعه

يقول وقد تعدل فيه رُمحي: لأمر ما تحاماك الرجال
هذا فخر فاخر، وشعر فاخر. لأبيات كثيرة كهذا البيت الأخير عاش أبو فراس على
السنة الفصحاء ألف سنة رغم أنه جاء في زمن المتنبي. فأما عند العامة فقد عاش أبو
فراس لأنه قال شعراً رقيقاً في الأسر

٤٨ يأس متأخر

الدَّهْرُ يَوْمَانِ: ذَا ثَبُتٌ وَذَا زَلَلٌ والعيشُ طَعْمَانٍ: ذَا صَابٍ وَذَا عَسَلٍ
الصاب: عصارة من شجر المر

فَمَا الْأَسَى لِهُمُومٍ لَا بَقَاءَ لَهَا وما السرورُ يُنْعَمَى سوف تَنْتَقِلُ؟
لَكِنَّ فِي النَّاسِ مَغْرُورًا بِنِعْمَتِهِ ما جاءه اليأسُ حتَّى جاءه الأجلُ

٤٩ تعسف

وَمُنْغِضٍ لِلْمَهَابَةِ عَنْ جَوَابِي وَإِنْ لَسَانُهُ الْعَضْبُ الصَّقِيلُ
العضب: السيف

أَطَلْتُ عِنَابَهُ عَنَتًا وَظُلْمًا فَجَمَجَمَ ثُمَّ قَالَ: كَمَا تَقُولُ
جمجم: تميم

٥٠ اصبري

قال بصبر أمه وهو أسير قد ثقلت عليه جراحه:

مُصَابِي جَلِيلٌ وَالْعِزَاءُ جَمِيلٌ وَظَنِّي بِأَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُدِيلُ
يديل: يغير الحال

جِرَاحٌ تَحَامَاهَا الْأَسَاءُ مَخُوفَةٌ وَسُقْمَانٍ: بَادٍ مِنْهُمَا وَدَخِيلُ
مصاب بجراح تحامها الأساء، أي يتجنبها الأطباء، لصعوبتها... ومريض جسدياً ونفسياً

وَأَسْرٌ أَقَاسِيهِ وَلِبَلٌ نَجْوَاهُ أَرَى كُلَّ شَيْءٍ غَيْرَ مَنْ بَزْوُلُ
تَطُولُ بَيْنِي السَّاعَاتُ وَمَنِي قَصِيرَةٌ وَفِي كُلِّ دَهْرٍ لَا يَسْرُكُ طُولُ
أَقْلَبُ ظَرْفِي لَا أَرَى غَيْرَ صَاحِبٍ يَمِيلُ مَعَ النِّعْمَاءِ حَيْثُ تَمِيلُ
نَعَمْ، دَعَتِ الدُّنْيَا إِلَى الْغَدْرِ دَعْوَةً أَجَابَ إِلَيْهَا عَالِمٌ وَجَهُوْلُ
وَفَارَقَ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ شَقِيقَهُ وَخَلَّى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَقِيلُ

عمرو أخو عبد الله بن الزبير تخلى عن أخيه، وكذا عقيل أخو علي بن أبي طالب فقد انحاز إلى معاوية

فِيَا حَسْرَتَا مَنْ لِي بِخَلٍّ مُوَافِقٍ أَقُولُ بِشَجْوِي مَرَّةً وَيَقُولُ

وإنَّ وراءَ السُّنَّهِرِ أَمَّا بُكَاءُهَا عليَّ، وإن طَالَ الزَّمانُ، طَوِيلُ
وَيَا أُمَّتًا لَا تُخْطِئِي الْأَجْرَ إِنَّهُ على قَدَرِ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ جَزِيلُ
أَمَّا لَكَ فِي ذَاتِ النُّطَاقَيْنِ أَسْوَةٌ بِمَكَّةَ وَالْحَرْبِ الْعَوَانُ تَجُولُ
ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر جاءها ابنها عبد الله بن الزبير وهي عجوز وكان محاصراً
فأشارت عليه بأن يقاتل حتى النهاية

أَرَادَ ابْنُهَا أَخْذَ الْأَمَانِ فَلَمْ تُجِبْ وَتَعَلَّمُ عِلْماً إِنَّهُ لَقَتِيلُ
تَأْسِي. كَفَاكَ اللَّهُ مَا تَحْذَرِينَهُ فَقَدْ غَالَ هَذَا النَّاسَ قَبْلَكَ غُولُ
تأسي وخذي القدوة، وليكن الله كافياً إياك، والمصائب أحاطت بالناس على مر الزمن

لَقِيتُ نُجُومَ الْأَنْقِ وَمَيِّ صَوَارِمَ وَخُضْتُ سَوَادَ اللَّيْلِ وَهُوَ خُبُولُ
كنت في معاركي قد رأيت النجوم وما النجوم سوى السيوف اللامعة، وخضت سواد الليل وما
الليل سوى خبول الأعداء

وَمَنْ لَمْ يُوقِ اللَّهَ فَهُوَ مُمَزَّقٌ وَمَنْ لَمْ يُعِزَّ اللَّهَ فَهُوَ ذَلِيلُ
وما لم يُرِذَهُ اللَّهُ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ فَلَيْسَ لِمَخْلُوقٍ إِلَيْهِ سَبِيلُ

٥١ أيا جارتا..

أَقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِي حَمَامَةٌ أَيَا جَارَتَا هَلْ تَشْعُرِينَ بِحَالِي؟
معاذ الهوى، ما ذُقْتُ طَارِقَةَ النُّوَى وَلَا خَطَرْتُ مِنْكَ الْهُمُومُ بِبَالِ
أَتَحْمِلُ مُحْزُونََ الْفَوَادِ قَوَادِمَ عَلَى غُصْنِ نَائِي الْمَسَافَةِ عَالِ؟
القوادم: الريشات الظاهرات في جناح الطير، وأما الريش المخفي فهو الخوافي. يقول: أيمكن
للحمامة أن تكون حزينة وهي حرة؟

أَيَا جَارَتَا! مَا أَنْصَفَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا تَعَالَيْ أَقْسِمُكَ الْهُمُومُ تَعَالِي
يريد أن يلقي نصف همومه على الحمامة لأنه أسير وهي طليقة

تَعَالِي تَرَي رُوحاً لَدَيَّ ضَعِيفَةً تَرَدَّدُ فِي جِسْمٍ يُعَذِّبُ بَالِ
أَيُضْحِكُ مَأْسُورٌ وَتَبْكِي طَلِيقَةٌ وَيَسْكُتُ مُحْزُونٌ وَيَسْتَدْبُ سَالِ؟

سَالٍ: ناسٍ

لَقَدْ كُنْتُ أَوْلَى مِنْكَ بِالدَّمْعِ مُقْلَةً وَلَكِنْ دَمْعِي فِي الْحَوَادِثِ غَالِ

٥٢ يا أمّنا

بلغ أبا فراس أن أمه ذهبت إلى منبج لتلقي بسيف الدولة وتكلمه في مفاداة ابنها،
فردّها خائبة:

يا حسرة ما أكاذُ أحملُها آخرُها مزعجٌ وأولُها
عليلةٌ بالشَّامِ مُفردةٌ باتَ بِأيدي العِدَى مُعلِّلُها
معللها: طيبها

تُمْسِكُ أحشاءَها على حُرْقٍ تُظْفِئُها، والهمومُ تُشْعِلُها
إذا اطمأنتُ، وابنٌ؟ أو هذأتُ عنتُ لها ذُكْرَةً تُقْلِقِلُها
تسألُ عَنَّا الرُّكبانَ جَاهِدَةً بأدمع ما تكاذُ تُمهِّلُها:
يا مَنْ رأى لي بحصنِ خَرَشْنَةِ أسدَ شَرِيٍّ في القيودِ أرجُلُها
يا مَنْ رأى لي الدُّروبَ شامِخَةً دونَ لِقَاءِ الحبيبِ أطولُها
الدروب: الطرق المؤدية إلى بلاد الروم

يا مَنْ رأى لي القيودَ مَوْثَقَةً على حبيبِ الفؤادِ أثقلُها
يا أيُّها الرَّاكِبانِ هلْ لَكُما في حملٍ نَجوى يَخْفُفُ مَحْمَلُها
قولا لها إنْ وَعَثَ مقالُكُما وإنْ ذَكَرِيْ لها لَبِذْهِلُها
يا أُمَّنا هذه منازلُنا نسرُّكُها تارةً وننزلُها
يا أُمَّنا هذه مَوارِدُنا نَمْلُها تارةً وننهلُها
أَسَلَمَنا قَوْمُنا إلى نُوبٍ أيسرُها في القلوبِ أَقْتَلُها
يا سَبِّدًا ما تُعَدُّ مَكْرَمَةٌ إلّا وفي راحَتِيهِ أَكَمَلُها
أنتَ سَماءٌ ونحنُ أنْجُمُها أنتَ بلادٌ ونحنُ أَجْبُلُها
بِأَيِّ عُذْرٍ رَدَدْتَ وإِلَهَةً عليكِ دونَ الوريِّ مُعوِّلُها
معولها: اعتمادها

جاءتَكَ تَمَتَّاحُ رَدٍّ واحِدِها يَنْتَظِرُ الناسُ كيفَ تُقْفِلُها
تمتاح: تطلب، تقفلها: تعيدها

سَمَحْتَ مِنِّي بِمُهْجَةٍ كَرُمْتَ أنتَ على ياسِها مُؤمِّلُها
ضحيتَ أنتَ بنفسي الكريمة التي - رغم ياسها - تجد فيك الأمل

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَبْدُلِ الْفِدَاءَ لَهَا فَلَمْ أَزَلْ فِي رِضَاكَ أَبْدُلُهَا
 تِلْكَ الْمَوَدَّاتُ كَيْفَ تُهْمِلُهَا تِلْكَ الْمَوَاعِيدُ كَيْفَ تُغْفِلُهَا
 ابْنُ الْمَعَالِي الَّتِي عُرِفَتْ بِهَا تَقُولُهَا دَائِمًا وَتَفْعَلُهَا
 يَا نَاعِمَ الثَّوْبِ كَيْفَ تُبَدِّلُهُ ثِيَابُنَا الصَّوْفَ مَا تُبَدِّلُهَا
 يَا رَاكِبَ الْخَيْلِ لَوْ بَصُرْتَ بِنَا نَحْمِلُ أَقْيَادَنَا وَنَنْقُلُهَا
 فَلَوْ سَأَلْنَا سِوَاكَ عَارِفَةً فَبَعْدَ قَطْعِ الرَّجَاءِ نَسْأَلُهَا

٥٣ مجاملة اللئيم

فِي النَّاسِ إِنْ فَتَّشْتَهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِرُكَ أَوْ تُدِلُّهُ
 مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَحْتَرِمُكَ حَتَّى تَذَلَّ

فَاتَرُكَ مُجَامِلَةَ اللَّئِيمِ سَمِ فَإِنَّ فِيهَا الْمَعْجَزَ كُلَّهُ

٥٤ المقعد المقيم

اللَّوْمُ لِلْعَاشِقِينَ لَوْ لِأَنَّ خَطْبَ الْهَوَى عَظِيمُ
 لَوْمٌ، لَوْمٌ، أَنْ تَلُومَ الْعَاشِقَ

فَكَيْفَ تَرْجُونَ لِي سُلوًا وَعِنْدِي الْمُقْعِدُ الْمُقِيمُ
 المقعد المقيم: الهم الكبير

نَدِيمِي النِّجْمُ طَوَّلَ لَيْلِي حَتَّى إِذَا غَارَتِ النُّجُومُ . .
 أَسْلَمَنِي الصَّبْحُ لِلْبَلَايَا فَلَا حَبِيبَ وَلَا نَدِيمَ

٥٥ كرم

إِنَّا إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَا نُ، وَنَابَ خَطْبُ وَادَّلَهُم

أبو العلاء المعري لا يحب هذه الشدة فوق حرف الروي الساكن (ادلهم) فهي غير مقروءة، لأنها في غياب الحركة تجلب التقاء ساكنين، وما وضعناها إلا كي تكون صورة الكلمة موحية بمعناها. سأذكر في الفصل المقبل - وهو عن أبي العلاء - ألا أضعها

أَلْفَيْتَ حَوْلَ بَيْوتِنَا عُدَدَ الشَّجَاعَةِ وَالْبَكْرَمِ
 لَلِقَا الْعِدَى بِيضُ السَّيُوفِ فِ وَلِلنَّادِي حُمْرُ النَّعَمِ

السيوف البيض للأعداء، والإبل الحمر للضيوف

هَذَا وَهَذَا دَأْبُنَا يُودَى دَمٌ وَيُسْرَاقُ دَمٌ
 المعنى الملموح: يودى دم، أي ندفع ديات من قتلناهم بسيوفنا حتى لا يكون ثار، ونريق دم
 الذبائح لنكرم أضيافنا

٥٦ مُلَّاكُهَا الْعَجَم

وَفِتْيَةٌ قَلْبُهُمْ قَلْبٌ إِذَا رَكِبُوا يَوْمًا وَرَأَيْتُهُمْ رَأَى إِذَا عَزَمُوا
 يَا لِلرَّجَالِ! أَمَّا لِلَّهِ مُنْتَصِفٌ مِنَ الطُّغَاةِ؟ أَمَّا لِلدِّينِ مُنْتَقِمٌ؟
 بَنُو عَلِيٍّ رَعَايَا فِي دِيَارِهِمْ وَالْأَمْرُ تَمْلِكُهُ النَّسْوَانُ وَالْخَدَمُ
 فَالْأَرْضُ إِلَّا عَلَى مُلَّاكِهَا سَعَةٌ وَالْمَالُ إِلَّا عَلَى أَرْبَابِهِ دِيمٌ
 ديم: سحائب ماطرة

لَا يُطْفِئِينَ بَنِي الْعَبَّاسِ مُلْكُهُمْ بَنُو عَلِيٍّ مَوَالِيَهُمْ وَإِنْ رَعَمُوا
 موالِيهم: سادتهم

أَتَفْخَرُونَ عَلَيْهِمْ، لَا أَبَالِكُمْ حَتَّى كَانَ رَسُولَ اللَّهِ جَدُّكُمْ
 وَمَا تَوَازَنَ يَوْمًا بَيْنَكُمْ شَرَفٌ وَلَا تَسَاوَتْ بِكُمْ فِي مَوْطِنٍ قَدَمٌ
 قَامَ النَّبِيُّ بِهَا يَوْمَ الْغَدِيرِ لَهُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ وَالْأَمْلَاقُ وَالْأُمَمُ
 يوم الغدير: يوم عند غدير خم مدح فيه النبي علياً وجعله وليه، ويقول الشيعة، وأبو فراس شيعي،
 إن النبي جعل علياً الوصي في ذلك اليوم

حَتَّى إِذَا أَصْبَحَتْ فِي غَيْرِ صَاحِبِهَا بَانَتْ تَنَازُعُهَا الذُّبَابُ وَالرَّخَمُ
 الذُّبَابُ: الذئباب، الرخم: من الطيور الجارحة

وَضَيَّرَتْ بَيْنَهُمْ شُورَى كَأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ وُلَاةَ الْحَقِّ أَيُّهُمْ
 الخلافة أصبحت شورى مع أن ولاتها، أي مستحقها، هم آل البيت

تَاللَّهِ مَا جَهَلَ الْأَقْوَامُ مَوْضِعَهَا لَكِنَّهُمْ سَتَرُوا وَجْهَ الَّذِي عَلِمُوا
 ثُمَّ ادَّعَاهَا بَنُو الْعَبَّاسِ إِزْثَهُمْ وَمَا لَهُمْ قَدَمٌ فِيهَا وَلَا قَدَمٌ
 مِنْكُمْ عَلَيْهِ أَمْ مِنْهُمْ، وَكَانَ لَهُمْ شَيْخُ الْمُعْتَنِينَ إِبْرَاهِيمُ أَمْ لَكُمْ؟

علية بنت المهدي، أخت هارون الرشيد كانت تغني، وإبراهيم بن المهدي، أخو الرشيد، كان
 مغنياً. ويعبر الشاعر العباسيين بهما

لَا يُذَكِّرُونَ إِذَا مَا مَعَشَرَ ذُكِّرُوا وَلَا يُحَكِّمُ فِي أَمْرِ لَهُمْ حَكَمُ
لم يكن للعباسيين شأن في القديم . . العباس عم النبي أسلم متأخراً، ولم يكن ذا رتبة عالية
بالقياس إلى علي وأبي بكر وعمر

وَلَا رَأَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ وَصَاحِبُهُ أَهْلًا لِمَا طَلَبُوا مِنْهَا وَمَا رَزَعُمَا
كَمْ غَدْرَةٌ لَكُمْ فِي الدِّينِ وَاضِحَةٌ وَكَمْ دَمٌ لِرَسُولِ اللَّهِ عِنْدَكُمْ
خرج عدد من العلويين على بني العباس في دولتهم ونالهم القتل والصلب والتشريد
أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِي الْعَبَّاسِ مَالَكَةَ لَا تَدْعُوا مُلْكَهَا. مُلَّاكُهَا الْعَجَمُ
مألكة: رسالة

٥٧ كرائم وكرام

قال بعد انتصار في معركة مع قبيلة نمير:

لَنَا الدُّنْيَا فَمَا شِئْنَا حَلَالٌ لِسَاكِنِهَا وَمَا شِئْنَا حَرَامٌ
وَيَنْفُذُ أَمْرُنَا فِي كُلِّ حَيٍّ فَيُدْنِيهِ وَيُقْصِيهِ الْكَلَامُ
سَرَوْا وَاللَّيْلُ يَجْمَعُنَا، وَلَكِنْ يَبُوحُ بِهِمْ وَيَكْتُمُنَا الظَّلَامُ
إِلَى أَنْ صَبَّحَتْهُمْ بِالْمَنَابَا كِرَائِمٌ فَوْقَ أَظْهُرِهَا كِرَامٌ
صحبتهم بالموت خيولنا الكريمة وفوقها الفرسان الكرام

٥٨ موتوا كراماً

أَلَا مَنْ مُبْلِغُ سَرَوَاتٍ قَوْمِي وَسَيْفُ الدَّوْلَةِ الْمَلِكِ الْهُمَامَا
سروات: سادة

بِأَنِّي لَمْ أَدَعْ فَتَيَاتٍ قَوْمِي إِذَا حُدِّثْنَ جَمَجَمْنَ الْكَلَامَا
لم أترك فتيات قومي يتمتن بالكلام غير مفتخرات . . بل أعطيتهن بشجاعتي مادة للحديث بافتخار
شَرِيتُ ثَنَاءَهُنَّ بِبَذْلِ نَفْسِي وَنَارُ الْحَرْبِ تَضْطَرُّمُ اضْطِرَامَا
وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ إِلَّا فِرَاراً أَشَدَّ مِنَ الْمَنِيَّةِ أَوْ حِمَامَا
حَمَلْتُ عَلَى وُرُودِ الْمَوْتِ نَفْسِي وَقُلْتُ لِعُصْبَتِي مُوتُوا بِكِرَامَا
وَعَذْتُ بِصَارِمٍ وَيَدٍ وَقَلْبٍ حَمَتْنِي أَنْ أَلَامَ وَأَنْ أَضَامَا
عذت بصارم وساعد وقلب، لجأت إليها، فحالت بيني وبين أن أظلم

كَشَفْتُ بِهَا صُدُورَ الْخَيْلِ عَنِّي كَمَا أَجْفَلْتُ فِي بَيْدِ نَعَامَا
كشفت بالسيف وبشجاعتي الخيل مثلما يشرد المرء سرب نعام في الصحراء

٥٩ عزة

لَنَا بَيْتٌ عَلَى عُتُقِ الثَّرِيَّا بَعِيدُ مَزَاهِبِ الْأَطْنَابِ سَامِ
بيتنا عال فوق نجوم الثريا، وهو بيت سام عال وكبير له أطناب طويلة، والأطناب حبال الخيمة
تُظَلِّلُهُ الْفَوَارِسُ بِالْعَوَالِي وَتَفْرُسُهُ الْوَلَايِدُ بِالطَّعَامِ
العوالي: الرماح، الولائد: الفتيات

٦٠ الرئاسة

هِيَ الرِّئَاسَةُ لَا تُقْنَى جَوَاهِرُهَا حَتَّى يُخَاضَ إِلَيْهَا الْمَوْتُ وَالْعَدَمُ
وما الرئاسة إلا ما تُقَرَّبُ به شُمُسُ الْمُلُوكِ وَتَعْنُو تَحْتَهُ الْأُمَمُ
الرئاسة الحقيقية تجعل الملوك الشمس، المتمردين، يقرون لك بالزعامة، وتجعل الأمم تعنو، أي تخضع

٦١ وداع

وَدَّعُوا خَشْيَةَ الرَّقِيبِ بِلِيَمَا ءِ قَوَدَّعْتُ خَيْفَةَ اللَّوَامِ
ودعني الحبيبات بليماء وإشارة خفية من الأيدي، وودعتن خائفاً من لوم اللاتمين
لَمْ أَبُخْ بِالْوَدَاعِ جَهْرًا، وَلَكِنْ كَانَ جَفْنِي قَمِي، وَدَمْعِي كَلَامِي
لم أجهر بالوداع بل كان كلامي من جفني دموعاً

٦٢ أصابع الأيتام

لَسْتُ بِالْمُسْتَضِيمِ مَنْ هُوَ دُونِي إِعْتِدَاءً، وَلَسْتُ بِالْمُسْتَضَامِ
المستضيم: الظالم

أَبْذُلُ الْحَقَّ لِلْخُصُومِ إِذَا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ قُدْرَةُ الْحُكَّامِ
الحكام: من يتم تحكيمهم في الخصومات

لَا تَخْطِي إِلَى الْمَظَالِمِ كَفِّي حَذَرًا مِنْ أَصَابِعِ الْإِيْتَامِ
لا يظلم الناس خوفاً من أصابع الأيتام التي يرفعونها نحو السماء بالدعاء على الظالم

٦٣ وادينا ونادينا

إذا مررت بِوَادٍ جَاشَ غَارِبُهُ فَاغْقِلْ قَلْوَصَكَ وَانزِلْ؛ ذَاكَ وَادِينَا
جاش غاربه: تدفق سيله، اغقل قلوصك: اربط ناقتك

وإن عبرت بِنَادٍ لَا تُطِيفُ بِهِ أَهْلُ السَّفَاهَةِ فَاجْلِسْ؛ ذَاكَ نَادِينَا
وَيُصْبِحُ الضَّيْفُ أَوْلَانَا بِمَنْزِلِنَا نَرْضَى بِذَاكَ، وَيَمْضِي حُكْمُهُ فِينَا

٦٤ العَصَاء

سَلِيْ فِتْيَاتِ هَذَا الْحَيِّ عَنِّي يَقْلُنَ بِمَا رَأَيْتَ وَمَا سَمِعْتَهُ
أَلَسْتُ أَمَدَّهُمْ لِذَوِي ظُلًّا أَلَسْتُ أَعَدَّهُمْ لِلْقَوْمِ جَفْنَةً
أَلَسْتُ أَكْثَرَهُمْ مَدًّا لَظِلِّ الْحِمَاةِ عَلَى أَهْلِي، وَأَكْثَرَهُمْ إِعْدَادًا لَجَفَانٍ وَقَصَاعِ الطَّعَامِ لِلضُّيُوفِ
رَضِيتُ الْعَاذِلَاتِ وَمَا يَقْلُنُهُ وَإِنْ أَضْبَحْتُ عَصَاءَ لَهْنَةٍ
فَلَا يَأْمُرْنِي بِمَقَامٍ ذُلٍّ فَمَا أَنَا بِالْمُطِيعِ إِذَا أَمَرَنِي
مَتَى مَا يَذُنُّ مِنْ أَجَلِ كِتَابِي أُمْتُ بَيْنَ الْأَعْنَةِ وَالْأَسِنَّةِ
الاعنة: جمع عنان.. مقود الفرس، الأسنة: جمع سنان، رأس الرمح

٦٥ بُنَاةُ الْعَزِ

إِطْرَحُوا الْأَمْرَ إِلَيْنَا وَاحْمِلُوا الْكُلَّ عَلَيْنَا
إِنَّنَا قَوْمٌ إِذَا مَا صُمِبَ الْأَمْرُ كَفَيْنَا
وَإِذَا مَا رِيَمٌ مِنَّا مَوْطِنُ الذُّلِّ أَبَيْنَا
ريم: من رام يروم، أي طلب
وَإِذَا مَا هَدَمَ الْعِزَّ - بَنُو الْعِزِّ بَنَيْنَا

٦٦ يَا أَخِي

كتب إلى أخيه أبي الهيثم:

حَلَلْتُ مِنَ الْمَجْدِ أَعْلَى مَكَانٍ وَبَلَّغَكَ اللَّهُ أَقْصَى الْأَمَانِي
فَإِنَّكَ، لَا عَدِمَتْكَ الْعُلَا، أَخْ لَا كَلِخَوَّةَ هَذَا الزَّمَانِ
صَفَاؤُكَ فِي الْبُعْدِ مِثْلَ الدُّنُو وَوُدُّكَ فِي الْقَلْبِ مِثْلَ اللِّسَانِ

كَسَوْنَا أَخْوَتَنَا بِالْصَّفَاءِ كَمَا كُسِيتَ بِالْكَلامِ المعاني

٦٧ الذنب ذنبي

وَكُنِيَ الرَّسُولُ عَنِ الْجَوَابِ تَظَرُّفًا وَلِئِنْ كُنِّي فَلَقَدْ عَلِمْنَا مَا عَنَى
الرَّسُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَبِيبَةِ الْمَحْ إِلَى جَوَابِهَا وَلَمْ يَصْرَحْ .. تَظَرُّفًا مِنْهُ وَلِبَاقَةً لِأَنَّ الْجَوَابَ كَانَ قَاسِيًا
قُلْ يَا رَسُولُ، وَلَا تُحَاشِ، فَإِنَّهُ لَا بَدَّ مِنْهُ أَسَاءَ بِي أَمْ أَحْسَنَا
الذَّنْبُ لِي فِيمَا جَنَاهُ لِأَنَّنِي مَكَّنْتُهُ مِنْ مُهْجَتِي فَتَمَكَّنَا

٦٨ الشكوى

الْحُرُّ يَصْبِرُ مَا أَطَاقَ تَصَبُّرًا فِي كُلِّ آوَنَةٍ وَكُلِّ زَمَانٍ
فَإِذَا تَكَشَّفَ وَاضْمَحَلَّتْ حَالُهُ أَلْفَيْتُهُ يَشْكُو بِكُلِّ لِسَانٍ
وَإِذَا نَبَا بِي مَنْزَلُ فَارَقْتُهُ وَاللَّهُ يَلْطِفُ بِي بِكُلِّ مَكَانٍ
نبا بي المنزل: ضاق بي

٦٩ الواني وغير الواني

كتب أبو فراس إلى سيف الدولة من عند المستق وهو في الأسر، يحذره بخروج الروم للحرب:

يَا دَهْرُ خُنْتَ مَعَ الْأَصَادِقِ خُلْتِي وَغَدَرْتَ بِي فِي جَمَلَةِ الْإِخْوَانِ
خلتي: صداقتي

لَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَوْلَى الَّذِي لَمْ أَنْسَهُ، وَأَرَاهُ لَا يَنْسَانِي
إِنِّي أَغَارُ عَلَى مَكَانِي أَنْ أَرَى فِيهِ رَجَالًا لَا تَسُدُّ مَكَانِي
سَيْفَ الْهُدَى، مِنْ حَدِّ سَيْفِكَ يُرْتَجَى يَوْمٌ يُذِلُّ الْكُفْرَ لِلْإِيمَانِ
هَذِي الْجِيُوشُ تَجِيْشُ نَحْوَ بِلَادِكُمْ مُحْفُوفَةٌ بِالْكَفْرِ وَالصُّلْبَانِ
لَيْسُوا بَنُونَ، فَلَا تَتَوَا فِي أَمْرِكُمْ لَا يَنْهَضُ الْوَانِي لِغَيْرِ الْوَانِي
هم لا يتوانون ولا يكسلون فلا تتوانوا، فلا يستطيع المتكاسل أن يقاوم المدبر غير المتواني

٧٠ الطاف الله

يوصي أمه بالصبر، وهو في الأسر:

لولا العجوزُ بِمَنْبِجٍ ما خِفْتُ أسبابَ المَزيَّةِ
ولَكانَ لي عَمَّا سألَ تَ مِنْ الفِدا نَفسُ أبِيَّةِ
وأرى مُحاماتيَ عليَّ ها أن تُضامَ مِنَ الحَميَّةِ
أَعتبرَ دِفاعيَ عَن أُمي مِنَ الظلمِ حَميةً وحَفظاً للشرَفِ، ولِهذا فَقط أَطلبُ مِفاتِي وفك أسري، وإلا
لَكانتَ نَفسِي أَبيَّةً ولم أَطلبُ

يا أُمَّتًا لا تَحزَنِي وثَقِي بِفَضْلِ اللَّهِ فِيَّ
يا أُمَّتًا لا تَنيَّاسِي لِلَّهِ الطَّافُ خَفِيَّةُ
كَم حَادثٍ عَنَّا جَلا هُ، وَكَم كَفَّانًا مِنَ بَليَّةِ
أُوصِيكَ بِالصَبْرِ الجَميعِ لِي، فَإِنَّهُ خَيْرُ الوَصِيَّةِ

٧١ رحلة صيد

ما العُمُرُ ما طالَتْ بِهِ الدُّهُورُ العُمُرُ ما تَمَّ بِهِ السُّرُورُ
أَيامُ عِزِّي وَنَفاذِ أَمري هِيَ النِّي أَحسِبُها مِنَ عُمري
لو شِئتُ مِمَّا قَد قَلَّلَنَ جِدا عَلَدْتُ أَيامَ السُّرُورِ عَدا
أَنَعْتُ يَوماً مَرَّ لِي بِالشَّامِ أَلَدَّ ما مَرَّ مِنَ الأَيامِ
دَعَوْتُ بِالصَّقَّارِ ذاتَ يَومٍ عَندَ انتِباهِي سَحَراً مِنَ نَومي

الصقار: حافظ صقر الصيد

بِاللَّهِ لا تَسْتَضَجِبُوا ثَقِيلا واجتَنِبُوا الكَبَرَةَ والفُضُولَ
فاخْتَرْتُ لَمَّا وَقَفُوا طَويلا عِشرينَ أو قُويَقَها قَليلا
عِصَابَةٌ أَكْثَرِمَ بِها عِصابَةٌ مَعروُفَةٌ بِالفَضْلِ والنَّجَابَةِ
حَتَّى إِذا أَحسَسْتُ بِالصَّباحِ نَادَيْتُهُمُ حَيَّ عَلى الفَلاحِ
نَحْنُ نُصَلِّي والبُزاةُ تُخَرِّجُ مُجَرَّداتٍ، والخُيولُ تُسَرِّجُ

ثم إخراج البزاة، طيور الصيد، مجردة قبل أن تكتم رؤوسها، وإسراج الخيول

ثُمَّ عَدَلْنَا نَحْوَ نَهْرِ الْوَادِي وَالطَّيْرُ فِيهِ عَدَدَ الْجَرَادِ

عدد الجراد: أي بعدد الجراد

ثُمَّ انصَرَفْنَا وَالْبَغَالُ مُوقَرَةٌ فِي لَيْلَةٍ مِثْلَ الصَّبَاحِ مُسْفِرَةٌ

موقرة: محملة

ثُمَّ نَزَلْنَا وَطَرَحْنَا الصَّيْدَ حَتَّى عَدَدْنَا مِئَةً وَزَيْدًا

فَلَمْ نَزَلْ نَقْلِي وَنَشْوِي وَنَضُبَّ حَتَّى طَلَبْنَا صَاحِبًا فَلَمْ نُصِبْ

شربنا حتى لم يبق أحد إلا قد سكر

شُرْبًا كَمَا عَنَّ مِنَ الزُّقَاقِ بِغَيْرِ تَرْتِيبٍ وَغَيْرِ سَاقٍ

شربنا شرباً كيفما اتفق... حتى من الزقاق نفسها بلا أقداح، وبلا وجود ساقٍ محترف

فَلَمْ نَزَلْ سَبْعَ لَيَالٍ عَدَدًا أَسْعَدَ مَنْ رَاحَ وَأَحْظَى مَنْ عَدَا

أحظى: الأكثر حظاً

فهرس القوافي، أبو فراس الحمداني

(القافية، فرقم القطعة)

٢٧	أبدا	١	أجابا
٢٢	بُعْدا	١٠	الْحَرْبا
٢٨	يُعَدُّ	٥	إِلْبُ
٢٤	المُشَرَّد	١١	حبيب
٢٥	حَاسِدٍ	٢	عَصَائِبُ
٢٦	لِيَحْدَّ	٨	كَاتِبُ
٢١	وَالْفَنَدِ	٣	مَنَابُ
٢٣	السَّعَادَةُ	١٢	بِمَشِيبِ
٣١	ابْتِدَارَا	١٦	ذَهَابِ
٣٥	مُغِيرَا	٩	قَرِيبِ
٣٧	الْأَسِيرُ	١٥	مُخْتَضِبِ
٧١	السُّرُورُ	٧	مَكْرُوبِ
٣٦	أَمْرُ	١٧	وَأَخْبَابِي
٢٩	بَشَائِرُ	٦	وَشَرَابِي
٣٨	الصَّغَارِ	٤	الْفَضْبِ
٣٢	خُبْرِ	١٣	حَجَبِ
٣٩	مُخْتَارِ	١٤	طَائِلُهُ
٣٤	كَثِيرَةُ	١٨	وَسَجَا
٣٠	سَرَائِرُهُ	١٩	الرَّمَاكِ
٣٣	وَبِشْرِهِ	٢٠	الصَّحِيحِ

٥٦	عَزَمُوا	٤٠	رَمْسِهِ
٥٤	عَظِيمٌ	٤١	أَرْوَعَا
٦٠	وَالْعَدَمَ	٤٩	الصَّقِيلُ
٦١	اللَّوَامِ	٤٢	جَبَلُ
٥٩	سَامِ	٤٨	عَسَلُ
٦٢	مُسْتَضَامِ	٤٤	قُلُ
٥٥	وَاذْلَهَمَ	٤٥	مَقَاتِلُ
٦٥	عَلَيْنَا	٤٦	وَالْإِبِلُ
٦٧	عَنَى	٥٠	يُدِيلُ
٦٣	وَادِينَا	٤٧	الْعَوَالِي
٦٩	الْإِخْوَانِ	٥١	بِحَالِي
٦٦	الْأَمَانِي	٤٣	رَجَالِ
٦٨	زَمَانِ	٥٣	تُدِلُّهُ
٦٤	سَمِيعَةً	٥٢	وَأُولُهَا
٧٠	الْمَنِيَّةُ	٥٨	الْهُمَا مَا
		٥٧	حَرَامُ

أبو العلاء المعري

(٣٦٣هـ - ٤٤٩هـ)

يضم هذا الباب: ١ حياة أبي العلاء، ٢ المختار من ديوان شبابه «سقط الزند»، ٣ مقدمة موجزة عن إيمانه ونظرة الناس إلى معتقده، ٤ المختار من «اللزوميات»

حياة أبي العلاء

غَيَّرَ القاضي عبد الله اضطجاعته، فمال إلى جنبه الأيمن وشَدَّ شفتيه شَدًّا، يريد أن يمنع دمعته. لكنهما سالتا.

كان قد اعتلى سطح المنزل في ذلك المساء مع ولديه أبي المجد وأحمد، ومهدوا لأنفسهم كي يناموا على السطح في تلك الليلة من ليالي صيف المعرة.

تذكر الأب بأسَى ليلة من الصيف الماضي تشبه هذه الليلة، وكان فيها مع ولديه على السطح. كان أبو المجد قبل سنة يلاعب أخاه الصغير أحمد، الذي تخطى الثالثة من العمر بقليل، يسأله: أين القمر؟ فيشير الطفل بيده إلى القمر. وأين النجوم؟ فيرفع الطفل يديه كليهما ويحرك أصابعه مشيراً إلى أن النجوم كثيرة وتملأ السماء. ويسأل الصغير عن النجم الثاقب، فلا يعرف الأخ الأكبر، ويجب الأب: قد سمع أحمد بالنجم الثاقب وحفظ السورة. هو كل نجم شديد التوهج. ويفسر الأب لهما الآية: «ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح...». ويقف ولا يكمل الآية. فيكمل أحمد الصغير من حفظه: «وجعلناها رجوماً للشياطين». فيبهت الأب، ولا يريد أن يتعمق في التفسير. ويتملكه العجب.. هذا الطفل يسمع القرآن يقرأ في البيت وفي المجالس وفي الصلوات ويحفظ. ويأمل الأب أن يكون لولده الصغير شأن.

هذا في السنة الماضية.

فأما في هذه السنة فهم في مرقدهم نفسه على السطح نفسه، والطفل يشير بيده إلى القمر ويراه. وعندما يسأله أخوه عن النجوم يقول: النجوم ذهبت. ويذرف الأب الدمعتين.

بين هذه السهرة تحت النجوم، والسهرة التي قبل سنة، كان الطفل قد أصيب بالجذري، ونجا. ولكنه بدأ يفقد بصره بالتدريج. الآن لم يعد يرى النجوم. بلغ الأب ريقه بصعوبة.

كان يرى في أحمد قاضياً جليلاً سيرث هذا المنصب الذي ظلت العائلة تحتفظ به أجيالاً، والآن أخذ يراه قارئاً أعمى يقرأ القرآن في بيوت الناس بأجر.

ثم هبت نسمة باردة فالتصق أحمد بأخيه الفتى ونام.

لم يلبث أحمد بن عبد الله بن سليمان طويلاً حتى فقد القمر من السماء. ولكنه لم يشعر بكبير حزن، فلا هو رأى في مرآة ولا على صفحة ماء صورة وجهه بعد أن أكله الجذري، ولا هو يظن أن في الدنيا شيئاً لم يشاهده. لقد رأى كل شيء وعرف كل شيء بعينه، وهو الآن يسير في بيتهم بسهولة بدون مساعدة عينين. فأما تلك الأشعار التي يتداولونها فلا تحتاج إلى عينين، وأذناه سليمتان، ومتعته في الاستماع إلى القرآن والشعر لا يعادلها شيء. يجلس في مجلس الرجال قريباً من أبيه صامتاً، ويسمع ويحفظ، وقد علمه والده أن من حسن الأدب ألا يفتح فمه في مجلس الرجال.

لكنه ما إن يخرج إلى الباحة الخلفية حتى يتحول إلى شيطان مريد. يركض ركض طفل مبصر وهو يلوح بذراعيه، منشداً بيتاً للمتنبي لا يغيره، ويكرره ثلاث مرات (أتاني الكتاب أعز الكتب/ فسمعاً لأمر أمير العرب). وتخرج أمه فرعة تخاف أن يصطدم بشجرة في آخر الباحة، ولكنه في كل مرة يتوقف عن جريه فجأة قبل شجرة التين العجوز بأقل من قامة. وفهمت أمه أنه يقيس المسافة بقراءة بيت الشعر بنغمة رتية. شيطان.

وأكثر من مرة ترى الأم ابتسامة على وجه أبيه وهو يقول: خفيف هذا الولد، لأخواله. وتفتعل الأم تكشيرة خفيفة. فأهلها آل سُبَيْكة معروفون في حلب بمكانتهم القديمة وثرائهم المحدث وبخفتهم البالغة، فمجالسهم مجالس

غناء وشعر ومقالب. يموت الميت عندهم فيحزنون يوماً ثم لا يطبقون الحزن فيتحول مجلس العزاء في مقلب أيامه إلى مجلس فكاهات من كل نوع تتخللها بعض استغفارات.

عندما بلغ أحمد الخامسة أخذته أمه إلى حلب. خرجا مع الفجر في خفارة، وجداً في السير حتى يصلا استراحتهما، حيث بيتان ليلهما، قبل غياب الشمس، ثم يستأنفان السير فجراً.

الأحاديث في مجالس آل سبيكة غير أحاديث المعرة. فأحوال الصبي أحمد تجار لهم شهرة في الأسفار. سمع أحمد، الذي كناه أبوه بأبي العلاء طفلاً، عن بغداد ودمشق وطرابلس ومصر، وعن بلاد الروم أيضاً. ولمس بيده بعض ما في بيوت أحواله من طرائف عادوا بها من أسفارهم. فإذا ما خلا إلى القاسم ابن خاله، وهو شاب، انهال عليه بالأسئلة، ويجيب الشاب صادقاً وكاذباً، ويعيا بهذا الولد الذي يريد أن يعرف كل شيء، حتى لقد قايض الشاب الصبي مرة على نصف درهم مقابل أن يكف الصبي عن أسئلته. قبض أحمد بكفه الصغيرة على نصف الدرهم. ثم ألح عليه سؤال. ففتح كفه وقال لابن خاله: خذ، أريد أن أسأل سؤالاً. فضحك الشاب حتى نزلت دموعه، وأخذ يصفق الولد على كتفه بمعاينه مرحة والولد يصفقه.

ونام الولد تلك الليلة على وعد: أن يأخذه ابن خاله إلى السوق الكبير، وأن يمرا بيت أبي الطيب المتنبي. فقد قال له الشاب إنه يعرف موضع البيت الذي كان يسكنه الشاعر المشهور، وأضاف: لكنه مات من سنين طويلة، ومات الأمير الذي كان يرعاه، والآن أميرنا هو ابن سيف الدولة. قال أحمد: خذني فقط إلى بيته الذي كان.

وقف أبو العلاء الطفل يتحسس بيده باب منزل المتنبي، يريد أن يلمس بيده موضعاً لمسه المتنبي. ثم شده ابن خاله، قائلاً: هناك ناس يسكنون البيت الآن، هيا قبل أن يظنوا بنا شراً. ومضيا في السوق قاطعين الجامع الكبير، وتوقفا حيث اشترى شيئاً من «الكراييج»، ولم يكن ذاق لها الطفل طعماً من قبل. لو كان في المعرة لما جرؤ أن يأكل وهو يمشي في السوق، فأبوه، سليل قضاة المعرة، لا يرى أن يأكل المرء ماشياً. لكنه عند أحواله، وفي حلب الكبيرة.

مع فراغ الشاب من كربوجته، انفتل يريد العودة. فقال له الطفل، أليس قد

اقتربنا من القلعة؟ فدهش الشاب مرة أخرى، وليست أخيرة. وتنهد، وأخذ الطفل الطَّلعة إلى القلعة.

رأى أبو العلاء بأذنيه عالماً واسعاً في حلب. ولو كان أخواله عرفوا أن هذا الطفل كان قبل الجدري طفلاً جميل المحيا لأحبوه أكثر، ولكنهم أحبوا فيه خفته وذكاه.

باقتراب الخريف آن أن يعود السفر إلى المعرة. وحمل آل سبيكة ابنتهم طرائف حلب الكثيرة، وبينها سَفَط كرابيج لم ينس الطفل أن يطلبه كي يطعم أهل البيت في المعرة من هذه الحلوى.

وفي المعرة بدأت دروس النحو والصرف والقرآن. كان جده يعلمه، وكان يسمع أباه يعلم أخاه. وينتاب والده بعض خوف من أن يخلط الطفل بين الأشياء، ثم يندهش كيف أن الطفل يرتب المعلومات في عقله.

ويأتي إلى بيت القاضي قارئ أعمى بعد عصر كل جمعة يختم القرآن، ويجلس إليه أحمد، ويرتب القرآن في عقله سورة سورة. وما بلغ العاشرة حتى حفظ القرآن. وأخذ يتململ في مجالس القوم من تضارب التفسير، ولكنه لا ينبس ببنت شفة. صار يعجبه أن يصلي صلاة طويلة في آخر الليل، تقطعها عليه أمه وتسوقه أمامها إلى فراشه.

كل هذا والولد لا تفارقه خفته.

في نحو الثالثة عشرة كان قد ابتلع علم المعرة، فأرسله أبوه إلى حلب مع أمه في الصيف، ومكث بها، ورجعت أمه وحدها. مكث سنة وعاد إلى المعرة في الصيف المقبل. في حلب سمع النحو واللغة من ابن سعد تلميذ ابن خالوية، الذي كان توفي قبل خمس سنين ولكن تلامذته ظلوا يملأون حلب نحواً ولغة. ويسأل أبو العلاء عن أوزان الشعر. يقرض أبياتاً ويعلق عليها أساتيذه. لكنه يريد أن يعرف ماذا تسمى هذه الأوزان التي أخذت موقعها من أذنه ولم يعد يخطئ في النظم عليها، وماذا تسمى الزحافات المختلفة، وعلل القافية. .. تضيق حلب على فضوله.

رجع إلى المعرة فتى ينظم الشعر، ويعرف من النحو والعروض واللغة ما لا يعرفه معظم علماء البلد. في نحو الرابعة عشرة كان مخزون أبي العلاء من اللغة، وتمكنه من الأوزان كفيلين له بأن يقارع شبان المعرة في المقافة حتى

يسكتهم. يلتقي مع شبان يتقافون أبيات الشعر مباراة فيما بينهم. ويعجزهم. فيقول لهم: أما ينظم المرء بيتاً كلما أعجزه أن يأتي ببيت على حرف من الأحرف؟ يلذه أن يغلب، وأن يتفوق. قد أدرك الفتى أبو العلاء قبح صورته، وأن إحدى عينيه غائرة غؤوراً قبيحاً، والأخرى بارزة بروزاً قبيحاً. رأى ذلك في كلمة من هنا وأخرى من هناك، وتحسس عينيه ووجهه الذي حفره الجدري. لكنه لا يفارق خفته، وروحه المنطلقة.

يؤتى إليه بكتب من الكتب التي عند أهل المعرفة كي تقرأ عليه. ولكنها في الغالب نسخ رديئة. ويشتاق أبو العلاء إلى مزيد من العلم.

بعثه أبوه مع خادم إلى طرطوس ليقبض على صديق تنوخي من العشيرة، ويرتادا دار كتب هناك. وينصرف الخادم بالفتى بعد أشهر وقد أحسا أن المضيف ضاق بضيفه. يعودان بطريق الساحل، ويقضيان الليل هنا أو هناك في خان أو دير.

وفي طرطوس ينزلان في دير ملحق بالكنيسة العتيقة التي تهدم شطرها، ويكلم الفتى الشماس السرياني بكلام فصيح لا يكاد الشماس يفهمه فيأخذه إلى الراهب. ويفاجأ الراهب، وهو طائي عربي، بكلام الفتى المعري وفصاحته على حديثه وعماءه، فيجاذبه أطراف الحديث. ولا يغيب عن الراهب أن يفاخر بشاعري طيء الكبيرين أبي تمام والبحثري، فإذا الفتى، ولما يتجاوز الخامسة عشرة، بحر لا ساحل له في الشعر، وإذا هو ينشده من بدائع الشاعرين ما يجعل الراهب يهتز طرباً.

احتبسهما أبونا عنده أياماً. قال لأبي العلاء: لعلني عرفت لماذا عدتما بطريق الساحل، ولم ترجعا من طريق حمص. تريد الذهاب إلى دير الفاروس باللاذقية، أليس كذلك؟ سكت أبو العلاء. فلم يكن يعرف دير الفاروس ولم يكون دخل اللاذقية من قبل. لقد مشى مع خادمه مع الساحل لأنهما أرادا فقط تغيير الطريق واكتشاف أماكن جديدة.

وهنا تطوع الراهب بنصيحة ثمينة.

- هناك في دير الفاروس رهبان لديهم الكتب المقدسة بالعربية، ولديهم مكتبة غنية، ولديهم ديوانا أبي تمام والبحثري بنسخ حسنة جداً لا تجدها حتى في بغداد.

- وماذا عن كتب اللغة؟

- مكتبة عامرة قلت لك! عندهم كل شيء، وليس فيهم أحد إلا ويتقن العربية، حتى إنني لأشك إن كانوا يعرفون السريانية معرفة جيدة. هم طائيون مثلي، وأنا أعرف الناس بهم. لكن العودة من اللاذقية إلى المعرة تقتضيكما صعود الجبال.

وانطلق الفتى وخادمه إلى دير الفاروس في اللاذقية، ومعهما رقعة توصية. ووصلاها بعد ثلاث منهكين من السير على الأقدام، جائعين. ناقلين على الدنيا وأهلها، فقبل «جبل» بقليل تعرض لهما قوم بزوهما ثيابهما وسرقوا القليل مما كانوا يحملون من دراهم هي بقية بقيت من رحلة طالت عما كان متوقفاً لها.

وبعد صلاة العشي في الدير التقاهما كبير الرهبان، وسأل عن كثيرين من آل سليمان، بعضهم عرفه أبو العلاء وبعضهم لم يعرفه، فقد كان له أقارب يتولون قضاء حمص، وآل سليمان معروفون في المنطقة. ووكّل بهما كبير الرهبان راهباً شاباً اسمه يوحنا، وهو طائي أيضاً.

تذكر أبو العلاء في شخص الراهب الشاب ابن خاله في حلب، فقد كان مرحاً وصاحب نكتة. وأخذاً يتساهران. ولكن الشعر لم يكن من أداة الشاب، فاكتفى بقراءة بعض شعر الطائيين على أبي العلاء. ومرة بعد مرة يسأله الفتى الضرب عن المكتبة، وفي كل مرة يقول له الشاب إنها رهن قفل كبير لا يفضّه الراهب الكبير إلا بعد أن يطمئن، ففيها الكتب المقدسة. سأل أبو العلاء: ألا تطلعونني على الكتب المقدسة؟ فقال الشاب: بلى. ولكن بين هذه الكتب إنجيل الفاروس الذي ليس عند أحد منه نسخة.

على أن يوحنا أخرج لأبي العلاء نسخة جيدة من كتاب يعقوب بن السكيت، وجعلها على مقربة. وكان يقرأ عليه منها ورداً في كل ليلة.

قال أبو العلاء لكبير الرهبان إنه سيكتب إلى أبيه بإرسال مال. فهمهم الراهب. فهو راض بإقامة سليل الأسرة المعروفة في حمى الدير زمناً، ولكن بعض المال قد يكون معيناً على إقامة تطول. ولم يسأل كثيراً بل تعهد بإرسال كتاب الفتى إلى أبيه قاضي المعرة.

وما أملى أبو العلاء الكتاب في ليلته ونام حتى كان يستدعى في الصباح إلى حجرة كبير الرهبان. قال له: يا بني، خادمك هذا يعود كل يوم مخموراً،

ولعله يرتاد دار القيان في اللاذقية. والناس يرونه عائداً إلى الدير مخموراً. لا ندري، لعله يخدم أحداً في الصباح وينفق على مبادئه من أجره. وسيرته ليست مما يلائم سيرتنا. فطأطأ الفتى، وفكر. وقال: سألحق بكتابي لأبي عبارات أخرى. وخرج.

طلب أبو العلاء من والده أن يستدعي الخادم إلى المعرة، واعداً أن يعود هو بعد أشهر.

وقرأ القاضي الكتاب، وفيه أن اجعلني في كهف من الدراهم وكنف، وليقل الخضر لموسى الكلمة الفصل، فموسى يشرب الخمر. فأمر القاضي سورة الكهف على قلبه، وفهم أن ولده يطلب ثلاثمئة وتسعة دراهم، وابتسم. ثم قرأ كلمة الخضر لموسى: «هذا فراق بيني وبينك». . . وعرف أن الغلام والدير ضاقتا بالخادم. فكتب القاضي يستدعي الخادم، وأرسل الدراهم وفوقها زيادة يستعين بها الخادم في رحلة العودة. وأوصى ولده بالقرآن. وكرّر الخادم عائداً.

كان أبو العلاء يلح على يوحنا بفتح المكتبة له، فقد فرغ من كتاب ابن السكيت. ذات نهار طلب كبير الرهبان من يوحنا أن يأتيه بأبي العلاء كي يسبر عقله ومعرفته، فقد سمع من يوحنا عن قوة حفظه الكثير. كان قائد الجند يزور الدير يومئذ، وفي الواقع فإن كبير الرهبان أراد أن يطرفه بهذا الغلام الذكي.

قعد أبو العلاء بين يدي المجلس، وعرف القائد أنه أنهى لتوه كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت. وكان على علم به. قال له: كتاب كبير يصل المرء نهايته فينسى بدايته. لا أرى المرء يتقنه فهماً إلا بعد عمر. فماذا قرأت. . . ولم يكمل القائد جملة، حتى قال له أبو العلاء: قد حفظته.

وجيء بالكتاب. وقال له القائد، فأى كراس من كرايس الكتاب حفظت. فقال أبو العلاء: كلها. فتناول القائد كراسة، وبدأ يقرأ من أولها، ثم وجد الفتى يقرأ معه، فسكت وأنصت وأبو العلاء يقرأ عن ظهر قلبه، واستمر أبو العلاء يقرأ. حتى وضع القائد الكراسة، وهو يتعجب غاية العجب.

وفتحت أمام أبي العلاء كتب الدين والدنيا. كان قد أصبح شخصاً مشهوراً بين رهبان الدير، وكان الرهبان يتنافسون في القراءة له. وفي الليل يأتيه يوحنا ليلعب معه بالشطرنج.

كان يقرأ له في أسفار الكتاب المقدس العربية راهب من قبيلة كلب، وكان على مذهب أبوليناريوس اللاذقي. يقرأ قليلاً ثم يقف ويأخذ بمهاجمة الخلقيدونيين واللاخلقيدونيين على حد سواء. وينغمس في حمى الدفاع عن مذهبه، فيسأله الفتى بحياء عن آريوس، فيستشيط راهبنا. فرغم اتفاق مذهبه مع الآريوسية على الطبيعة الواحدة للمسيح فأولئك الجاحدون يتزلون بالمسيح من عليائه الألوهية ويجعلونه بشراً مخلوقاً. ويمتنع أبو العلاء عن الخوض مع الراهب الكلبي في نقاش، مع أنه يضمّر تقديراً للآريوسية التي تشبه الإسلام في هذا الأمر. ويمتنع الراهب عن التعرض إلى نظرة الإسلام في طبيعة المسيح أو في أي شيء يتعلق بالمسيحية. وينشرح أبو العلاء عندما يفصل له راهبه الكلبي العلاقة بين مذهبه الأبوليناريوسي والفلسفة اليونانية.

ويتوق الفتى إلى كتب اللغة والشعر فيقرأ على راهب آخر مجاميع عتيقة كالمفضليات والحماسة. ويقرأ كراسة من كراريس جمهرة ابن دريد. ولا يرى في دير الفاروس مقنعاً في النحو، ولا في العروض.

وفي جولة له في سوق اللاذقية مع يوحنا، رفيقه الشاب، شهد حجاجاً بين يهودي ومسيحي في متجر قماش يملكه فقيه مسلم. يشربان ماء، ويقدم يوحنا أبا العلاء للفقير فيعتني به ويجلسه على صندوق معتذراً بأن المتجر مكتظ في انتظار نقل هذه الصناديق إلى أنطاكية فالقسطنطينية. ويهمس: فيها ما تلبس النساء وما لا يحل لنا، فيها حرير صيني جاءني أمس من حلب.. حمله من بغداد آل سبيكة التجار.. هؤلاء تجار كبار. يهز أبو العلاء رأسه، ويقول: هم أخوالي. فيزداد اعتناء الرجل به، ويطلب للغداء كباباً. ويرتفع صوت المؤذن فيتبهاً الفقيه التاجر للذهاب إلى المسجد القريب، ويغمز يوحنا غمزة: في أنطاكية على بعد مرحلة من هنا منع أصحابكم الروم الأذان منذ أن أخذوا المدينة قبل ثلاثين سنة. ويتنفض يوحنا: «أصحابنا! أبعدهم الله، ليست بيننا صحبة، لا هم أصحابنا في النسب ولا في الدين»، ثم يردف، «على أنكم هنا تَصَيِّقون بنواقيسنا!» ومضيا في الجدال وأبو العلاء يتوضأ في ناحية. ورجع إليهما وقد احتدم حديث الأذان والنواقيس، لكن سرعان ما اقتاده التاجر من ذراعه ومضيا إلى المسجد. وعندما عاد إلى يوحنا أكل الجميع كباباً.

قال التاجر لأبي العلاء على الغداء إن في أنطاكية مكتبة عامرة في دير مار مارون، وفيها كثير من الشعر القديم بجانب ما فيها من هرطقات اليونان، ولعل

فيها أيضاً كثيراً من هرطقات أهل المذاهب والفرق الإسلامية.. ما أشد حرص أولئك الرهبان على هذه الكتب!

رأى يوحنا وجه أبي العلاء يشرق عندما سمع بكتب من نوع آخر في أنطاكية. وراح هذا الفتى! ألا يشبع كتباً.

أضاف التاجر: إن شئت أوصلتك إلى أنطاكية، وأوصيت بك. فتحمس أبو العلاء.

وفي طريق العودة إلى الدير بقي أبو العلاء صامتاً، إلى أن حركه يوحنا، فتبين عزمه على الذهاب إلى أنطاكية.

لقد فقدت مكتبة دير الفاروس سحرها في نفس الصبي بعد أن حرثها في ستة أشهر طويلة. ولم تمض أسابيع حتى كان أبو العلاء يقتعد غارب جمل من جمال التاجر المتجهة إلى أنطاكية بالبضائع التي ستجد طريقها من بعد إلى القسطنطينية والبندقية.

وأنطاكية بيد الروم، ولكن قوافل التجار لا تعبأ كثيراً بالحدود.

لم يطل مكث أبي العلاء في أنطاكية، فرغم أن الخوري الماروني أكرم وفادته ووكل به من يقرأ عليه أطرافاً من فلسفة اليونان والفرق الإسلامية، فقد دب الحنين إلى المعرفة إلى قلبه. حنَّ للقرآن الذي تبدد بعضه من حافظته. وحنّ لأمه.

عاد إلى اللاذقية راكباً مثلما كان جاء منها. وبات أياماً عند الفقيه لم يذهب فيها إلى الدير إلا يوماً وليلة. ودع في النهار رهبان دير الفاروس، وقضى الليل يلعب بالشطرنج مع يوحنا. عجباً لي، يقول أبو العلاء لنفسه، أحفظ رقعة الشطرنج كأنها منطبعة في عقلي وأنسى بعض القرآن!

وكانت العودة إلى حلب، وحملته التاجر هدية لأخواله آل سبيكة.

وجد أبو العلاء عند أخواله رائحة أمه، فمكث في حلب بضعة أسابيع حتى تيسر له من حملة إلى المعرفة، عاد بسَقَط فيه كرايبج حلب، وسقط فيه كتاب سيويه استعاره من نحوي كان درس على ابن خالويه.

استقبل الأبوان ولدهما وقد أصبح شاباً تخطى السابعة عشرة. وعاش ليالي حلوة مع أصدقاء الفتوة الباكرا يتسامرون ويتناشدون الشعر. وفي الصباح

يلزم المعري المسجد يسمع القرآن من قارئ يجلو له ما غشى صفحة ذاكرته. حتى إذا حمل القرآن من جديد، بدأ أبوه يقرأ عليه كتب الحديث والفقه، وأبو العلاء يسمع ويحفظ بكثير من التأدب، فهو قد رأى في بلاد الشام التي ارتادها علماً غير هذا العلم، ويوماً بعد يوم يزداد إقبال أبي العلاء على الحديث، فهذا هو فلسفتنا نحن، وهذا هو الكلام العربي الفصيح. وخاض مع أبيه بعض خوض فيما تيسر من كراريس علم الكلام. ولكنه كان يأنس بالحديث الشريف كل الأنس. ويخشى والده من أن تختلط أسانيد أهل الحديث بتلك العلوم الشتيئة التي نشأت حول الحديث مثلما تنشأ اللؤلؤة حول حبة الرمل، ولكن عقل الفتى كان يرتب المعارف، ويضع كل شيء في صندوقه الخاص داخل عقله.

وفرض له أبوه رزقاً يستعين به، خاشياً أن يموت فيجور الورثة على أبي العلاء. قد رأى الأب ما لملمه ولده من علم ومن زندقة في رحلته الطويلة، لكنه سر السرور كله إذ رأى ولده مقبلاً على الدين عائداً إلى القرآن، واطمأن بآله.

وقرئت على أبي العلاء أشياء من كتاب سيبويه، وعرف في نفسه قصوراً عن كثير مما جاء في «الكتاب». فلا بد من حلب التي ترك فيها ابن خالويه نهضة نحوية قد لا تدوم. لا بد من حلب.

وقبل أن يبلغ الفتى التاسعة عشرة رحل إلى حلب وفي كيسه دراهم من رزقه، غير ناس أن يحمل معه كتاب سيبويه ليعيده إلى صاحبه. وأقام في حجرة اكتراها قريباً من منازل أخواله، واتخذ لنفسه خادماً. وأخذ يغشى مجالس النحو. وحدثته نفسه أن يمدح قائداً مشهوراً، طمعاً في أن يكون شاعراً كالشعراء. ومدحه، ونال دربهات. وغضب أخواله على القائد الشحيح. فهم قوم تجار كل شيء عندهم له ثمن. وأخذ أبو العلاء يسعى في إقناعهم بأن المدح باب من أبواب الشعر لا يكون الشاعر شاعراً إلا إذا طرقة، وجاء لهم بالمتنبى مثلاً. وقالوا له إن المتنبى نال كذا وكذا من سيف الدولة. ووعد أبو العلاء نفسه ألا يمدح أحداً من بعد. ووفى بوعده. غير أنه كان ينشئ في المرة تلو المرة قصيدة مدح في فقيه أو محدث يروض بها طبعه.

قد أصبح الكتاب دنيا أبي العلاء. وفي حلب وجد كثيراً مما لم يكن وجده في مدن الشام. وفيها سمع النحو ووعاه، واستكمل عدته. وعاد إلى المعرة وهو في العشرين أستاذاً.

يكون الإنسان بصرياً يأخذ العلم بعينه فيرتسم صورةً على صفحة دماغه .
فإذا ما عمي فقد أداته الكبرى، وأخذ يجاهد بأذنيه، فيحصل له قليل من
التوفيق.

ويكون الإنسان سمعياً يأخذ العلم بأذنيه فينطبع في دماغه أصواتاً . فإذا ما
عمي ازدادت ذاكرته السمعية قوة إلى قوة، فهو قد فقد أداته الضعيفة واستبقى
أداته القوية، وازدادت قوة على قوتها .

وكان أبو العلاء ممن تمتعوا بذاكرة سمعية . لا يسمع شيئاً إلا وعاه .
وبذكاء نادر يربط فيما بين الأشياء، ويكررها على نفسه صوتاً يسمعه في ذهنه
بلا لسان . وتستقر في عقله العلوم .

كان ينطلق إلى مسجد المعرة قبل ارتفاع الشمس، يصعد الدرجات السبع
ويسير إلى يمينه ويجلس عند الجدار . ويأتيه شبان البلد يقرأون عليه ما شاءوا
ويفسر لهم . ويأتونه بما عندهم من كراريس ومن كتب فيصلح لهم ما فيها من
غلط . ويسمع . ويتحين الفرصة بعد العصر كي يلتقي ببلداته يعابشهم ويسمع
أحاديث عبتهم . وعندما بلغ أواسط العشرين أخذ يسمع من أقرانه المتزوجين
أحداث المتزوجين، بكل ما فيها من شكوى ومن ندم، ومن ملذات الزواج .

تحس أمه بأن ابنها كبر وبأنه يحتاج إلى ما يحتاج إليه الرجل، وتتحير؛
فلا هي قادرة أن تزوج ابنها الأعمى الدميم فتاة من أهلها، آل سبيكة، أو من
أهله آل سليمان، ولا هي قابلة أن تزوجه فتاة من حاشية المجتمع تدخل بيتهم
عروباً متحبة ثم تتحول إلى حصان جامح . ويدرك أبو العلاء ما بنفس أمه
فيقاتحها كيلا تفاتحه، ويقول لها إنه تزوج علمه وكتبه . فتسكت الأم بارتياح ..

تعمل في نفس أبي العلاء شهوات الجسد، فأما الطعام فهو قد عوض أشهر
الحرمان من أطايبه أثناء أسفاره بين مدن الشام، ففي بيته بالمعرة كل ما تشتهي
النفس، ونفسه لا تشتهي الطعام إلا قليلاً . وأما المرأة فهي الطيف الذي يورق أبا
العلاء إذا خلا بنفسه، وقلما يخلو بنفسه . يهرب من الطيف إلى علومه الكثيرة،
ويطرده في بعض ساعات خلوته بأن يعيد على نفسه قصائد قالها فيتقن حفظها
إتقاناً، وقصائد حفظها لغيره، ولا يني يستعيد سور القرآن . فإذا كان مجلسه
الصباحي وجد الأنس في صحبة أقرانه ومن هم أصغر منه يعلمهم، ويعتني بالنابه
منهم . فإذا صليت الظهر ذهب إلى بيته فتغدى ونادى ابن أخيه الأكبر، ابن أبي
المجد، كي يقرأ عليه شيئاً . ثم يعود إلى المسجد ليصلي العصر .

والمجلس بعد العصر للفقهاء. كان يجالسهم في أول أمره يسمع قراءتهم، وقد يفسرون شيئاً فيسكت. ثم سرعان ما صاروا يقرأون عليه كي يفسر لهم. وقبلوه بيسر، فكثير منهم من آل سليمان أقربائه، أو من عائلات المعرة التي بينها وبين آل سلمان صهر، وكل المعرة من تنوخ، وهم عشيرة واحدة.

ذات يوم، وبعد انتهاء مجلس الضحى، وبينما أبو العلاء يعايب بعض تلامذته من الأقران في انتظار أن يرفع أذان الظهر، دخل المسجد غريب. ألقى بالسلام. فهتف به أبو العلاء: حللت أهلاً يا أبا الهيثم.

اقترب منه تلميذ وقال له بخفوت صوت: «هذا ليس أخاك». فلأبي العلاء أخ يكنى أبا الهيثم. قال أبو العلاء: اصبر، هذا أبو هيثم آخر.

أقبل الغريب على الحلقة، ورأى أبا العلاء الذي وقف له.. واندفع إليه وعانقه. وقال له الغريب: قد عرفتنى من صوتي.. يا مرحباً بابن آل سليمان. وقعد بجانب المعلم الشاب.

كان هذا تاجر اللاذقية الفقيه.

انتحى أبو العلاء بتلميذ من تلامذته وأسرَّ له أن يذهب إلى البيت كي يستعدوا لغداء الضيف وإقامته. ثم استذكر مع الرجل أيام اللاذقية قبل سنين. وكرر شكره للضيافة، ولما صنعه التاجر معه إذ حمله مع قافلته إلى أنطاكية، ثم منها إلى اللاذقية، ثم إلى حلب.

كان أبو الهيثم عائداً من حلب. وجعل طريق عودته إلى اللاذقية على المعرة آملاً أن يبيع بعض ما جلب من حلب ومن بغداد. فقد كان وصل هذه المرة إلى بغداد وجلب منها حرير الصين إلى حلب، وها هو يكمل مسيره بما تبقى من الحرير وبغيره من بضائع حلب.

شكا التاجر أهل حلب لأبي العلاء. فقد حمل من بغداد صندوقين كبيرين من الكتب، ولم يجد عند أهل حلب إقبالاً عليها. وحتى الدرة الثمينة جمهرة ابن دريد، لم تجد من يقدرها حق قدرها.

بعد الصلاة انطلق أبو العلاء بضيفه وبجمال ضيفه إلى البيت.

ودعي تاجر المعرة كي يعاينوا بضائع الرجل. لكن أبا العلاء استبقهم فأخذ نسخة الجمهرة كي يفحصها. وبينما الرجل منشغل بتجارته في الفناء. طلب

أبو العلاء من أخيه أبي الهيثم أن يقرأ عليه صفحة من هنا وصفحة من هناك، من هذه الكراسة ومن تلك، من كراريس الجماهرة.

وعاد التاجر منشراحاً وقد نفقت سوقه على أهل المعرفة. وأخذ يطري نسخة الجماهرة. «هي نسخة نادرة قرئت على المؤلف. ولو قبض لك أن ترى نصاعة حروفها ودقة صنعتها لقدرتها حق قدرها يا ابن آل سليمان». وأبو العلاء ساكت. فسعرها فوق طاقته. ويغير أبو العلاء الموضوع. ويتحدثان عن اللاذقية وعن بغداد وحلب. ويعود التاجر فيمسح بيده على نسخة الجماهرة. وأبو العلاء يشتهي ليس أن يمسح بيده عليها، بل أن يأكلها أكلاً، فقد كان سمع قطعة من الجماهرة من أبيه رواية عن ابن خالويه، ولكن هذا كان قبل زمن، ولم يكن أتمها. وسامم أبو العلاء مساومة عازف منصرف. ثم سمح لجماهرة ابن دريد أن تبلع جلّ وقره.

أصبحت الجماهرة أساس ضبطه للغة، عليها يقيس كل شيء، ويصحح ما وهم فيه المؤلف أو الناسخ، ويضيف إليها الأسطر الكثيرة، كل هذا على صفحات ذهنه.

لا والله! لو حظي صاحبنا بزوجة مثالية ما كانت تكون أملاً لقلبه وعقله من هذه النسخة من كتاب ابن دريد الضخم!

لا أحد يحكم اللغة بحفظ المعجم. ولكن، لا أحد كأبي العلاء. وما مرت سنة على امتلاكه الكنز الثمين حتى أخذ يعقد مجلساً يشرح فيه شواهد الجماهرة من الذاكرة. وحضرته عشرون محبرة، وكانت تزيد ولا تنقص. وأملى المعري أشعاره. وأخذت أماليه تنتشر بين متأدبي حلب. يكثر تلاميذه وينتشرون ويتشر معهم صيته، بطيئاً، لكنه يزيد ولا ينقص.

أرضت هذه الشهرة المتواضعة ما في نفس أبي العلاء من حب للظهور، ومن عشق للصيت. فإذا ما نزل الآن حلب أو رحل إلى حمص فإنما هو الشيخ الذي تتحلق حوله المحابر لا طالب العلم الذي يدس كتفيه بين الأكتاف في حلقة شيخ كي يسمع. ورغم اعتصامه بمذهب من التواضع الكاذب فإنه لم يمنع نفسه من القول إنه لم يقعد مقعد التلميذ من أحد منذ أن بلغ العشرين.

وهو الآن قد بلغ الثلاثين، وقد شهد في حمص وفاة جده - وكان قاضياً بها - وكان طالماً قرأ على جده كتب الفقه الشافعي أيام حدائته بالمعرة. ورجع

من حمص ليجد أباه عليلاً. ومات أبوه. ففقد أبو العلاء سنداً مكيناً. كان أبوه، على ثقاه، يحتمل من ولده الضرير نزغاته، وخفته، ولمزاته. ويدعو الله أن يشبهه على الإيمان. وما أكثر ما كان الأب الحنون يهمس لأم الفتى كلما رأى من ولده استخفافاً بالعقيدة: هذا من آل سبيكة. وتحتج الأم ضاحكة، فهي كأهلها آل سبيكة تأخذ الحياة أخذاً هيناً، ولا تحب ولا تكره إلا بقدر، لكن كل ما في قلبها من حب أخلصته لابنها الضرير.

ويموت والده أصبح أبو العلاء رجلاً. ليس أنه كبير العائلة، فأخوه أبو المجد هو الأكبر. غير أن الاستقلال الفكري الكبير الذي غدا طبعاً في أبي العلاء أضيف إليه الآن مزيد من الاستقلال المادي. زاد رزقه بعض زيادة بما ورث من أرض. وأحسن القيام عليها. ولكن شوقه إلى بغداد كان كبيراً. في أعماقه جوع لمزيد من العلم، وفي أعماقه فكرة تطل برأسها ثم تختفي. ولا ييوح بها لأحد. أليس يقرأ عن جوارى بغداد، وعن التسري ببغداد، وعن ذلك المجتمع المنفتح ببغداد؟ لكن لا، هو ذاهب لكي يقيس المكتبة الضخمة التي رتبها في دماغه بأعظم مكتبة في الدنيا. لا بد من بغداد.

ليس أبو العلاء خجولاً. من قال ذلك؟ لأنه صار فيما بعد رهين المحبسين حسبتموه خجولاً؟ هو شاب مقبل على الحياة، يعرف الناس، ويحب أن يتعرف عليهم، ويفتح مجالس العلم، ويتباهى بعلمه. . مع شحنة مضاعفة من التواضع الكاذب. هو يشتهي أن يكون ذا مال كثير، لكنه لا يملك البصر كي يكون تاجراً، أو كي يراعي أملاكه كما يحب، ثم إنه لا يملك الوقت ولا فراغ البال، لا لتجارة ولا لمراعاة أملاك، فالتهم إلى المعرفة أخذ عليه نفسه، غير أنه رأى الطريق إلى الغنى المؤكد. . القناعة. ويحس بشهوات جسده ويحفظ الحديث الشريف عن أن الصوم يقدر الشهوة فيصوم. وما عليه أن يأكل اللحم الحنيد فطوراً والخبز بالزيت سحوراً، ثم يصوم نهاره.

بعد بضع سنوات من موت أبيه استأذن أمه في الذهاب إلى بغداد. ويكت مرة ومرة، فهي في أعماقها تعرف أنه يريد أن يرحل من الإقليم إلى العاصمة، والذي له مثل علمه ويرحل إلى العاصمة، لا يرجع من العاصمة. ثم أذنت له.

انطلق أولاً إلى حلب، وبمساعدة أبناء أخواله رتب رحلته. ومضى في البر مسيرة يوم وليلة حتى الفرات، وركب سفينة يمتلكها أخواله، وانحدر مع التيار حتى إذا حان أن يرسو ليكمل رحلته برأ جاء العشارون أعوان السلطان وفرضوا

مكساً كبيراً على البحارة، وما كان هذا بالحسيبان، فأخذوا السفينة غصباً، واقتضى الأمر تدخل أصحاب أخواله «آل حَكَار» من تجار بغداد لتخليص السفينة.

نزل أبو العلاء على رجل من أصحاب خاله أبي طاهر، وسرعان ما اكرى حجرة في الكرخ شرقي النهر.

أقام أبو العلاء في قطيعة الفقهاء بالكرخ، على مقربة من خزانة سابور، وهي دار كتب وقفها سابور بن أردشير الوزير على أهل العلم. وهجم على المكتبة غداة وصوله يستعرض كتبها، فاطمئن إلى وجود شرح السيرافي على كتاب سيبويه، ويحث عن شرح للثنين بعلمه الأخفش فلم يجد، ووجد له شيئاً عن العروض، وقرأ عليه صاحبه عروض الأخفش. وانصرف أبو العلاء إلى حجرته مقوداً، وصاحبه يصف له الطريق، ويحدثه عن الكرخ فنحن في قطيعة الفقهاء، وهناك قطيعة التجار، وبعيداً خزانة الخلفاء، وهي زينة الدنيا، وليس في الدنيا مكتبة أحسن منها.

أمضى أبو العلاء مساءه يرتب علم العروض في عقله ترتيباً، فقد ألم بما قال الأخفش واكتفى. وعرف عن ذلك السخف الساخف الذي اسمه الدوائر العروضية. لكن العروض علم مكنون في القصائد، ومن ذا يعرف القصائد قديمها وجديدها خيراً من أبي العلاء، فهلمّ نستنبط من القصائد أحكام أوزانها وقوافيها.

أعجبه في خزانة سابور أنها غاصة بالكتب القديمة، كأنما تخصصت فيها. وكان له من أصحابه من يقرأ له، ومن يناظره ويمتعه، فابن فُورَجَّة يحمل على ابن جني صديق المتنبي وشارحه. ما لابن جني وللشعر! هو صاحب صرف وقياس، ويكبو جواده أمام معاني المتنبي مرة ومرة. ويحث المعري ابن فورجة الشاب على أن يصنع كتاباً يتعقب فيه أغلاط ابن جني. ويستشد الشاب، الذي لم يتوسط عقد العشرين بعد، شيخه أبا العلاء الذي اقترب من الأربعين، فينشده من شعره.

ويمضيان معاً بعد أيام إلى مجلس الشريف المرتضى. فقد كان أبو العلاء أنشد قصيدة في رثاء والد المرتضى قبل مُدَيِّدة، وكأنما أحس أن له دالة. وعند باب المجلس داس أبو العلاء على طرف ثوب رجل، فصاح به: يا كلب! فقال أبو العلاء هامساً: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً، فبهت الرجل.

واستخبر الشريف عما يجري في آخر المجلس فأخبر، فاستدنى أبا العلاء، وعرفه. وكان صيت أبي العلاء بعد تلك المروية قد أخذ ينتشر في بغداد.

وانقضى المجلس وصيت أبي العلاء يعلو في بغداد، والمتأدبون يتكأؤون عليه كي يملئ عليهم سبعين اسماً للكلب، وبعض أشعاره.

وأخذ أبو العلاء يبيت في حجيرة في بيت تلميذه ابن فورجة، هاجراً حجرته في قطيعة الفقهاء، لقرب منزل صديقه من خزانة الخلفاء. يذهب كل صباح لكي يعاين النساخ ويسمع ما نسخوه. و«توفيق» السوداء تخرج لهم الكتب كي ينسخوا، لكنها قد تتأفف من تأخيرهم في ردّ الكتب، إذ يقرأون ما نسخوه على أبي العلاء كي يصلح لهم زلات أقلامهم.

وبعد الظهر يصعد أبو العلاء إلى حجرة خازن المكتبة الواجكا عبد السلام كي يسمع أحاديثه عن السيرافي وابن جني وأبي علي الفارسي وغيرهم ممن أخذ عنهم العلم، ويطرفه بأخبارهم ونوادرهم. لقد جمع حب الأدب واللغة والنحو بين قلبي أبي العلاء وقلب الواجكا عبد السلام. وأخذاً يرتادان عصر كل جمعة مجلس المناظرات في جامع المنصور.

سأل أبو العلاء صديقه يوماً ببعض تخايل: يا أبا أحمد، ومن يكون إخوان الصفاء الذي سمعنا لهم ذكراً؟ قال الواجكا: هي ذي رسائلهم عندنا متاحة مباحة، ولكن الناس مضطربون بشأنهم. ولست أدري لم أخفوا أسماءهم، فما علمت نسخة من النسخ الكثيرة التي عندنا تحمل أسماء أصحابها. وطالع أبو العلاء رسائل إخوان الصفاء، فرأى فيها خلطاً ممتعاً بين مسائل عرفها صغيراً في اللاذقية وأموراً قرأها عند أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم، وسمع أسماء لا تقوم بإزائها صفات. يلوم عماه حيناً على عجزه عن تصور بعض ما يقولون، ثم يثوب إلى ما يقوله خصومهم عنهم فيجد في رسائلهم بعض تعاليم يخفونه وراء كلمات يونانية. لكنهم أدخلوا إلى عقله جديداً.

واعتل الواجكا يوماً، فأخذ أبو العلاء لعبادته، وبينما هم في الطريق، إذا أبو العلاء يسأل صاحبه متعجباً، وقد عرف الطريق: أإلى قطيعة الفقهاء نحن ذاهبون؟ قالوا: نعم، هنا يسكن الواجكا. وما وصلوا بيته حتى أدرك أبو العلاء أن صديقه الصدوق إنما هو جازه. وفرح أبو العلاء بهذا الجوار، وقويت صداقته بصاحبه.

لم يجد أبو العلاء في بغداد شيخاً يحسن به أن يدعوه شيخه، لا بل إن معظم ما أفاده من علم كان من كتب يقرأها عليه من يروونه هو شيخهم، حتى الواجكا.

ومع الواجكا عبد السلام وابن فورجة توجه المعري إلى مجلس الشريف المرتضى بعد طول انقطاع، فقد مرت عليه في بغداد سنة ونصف سنة كان فيها منشغلاً بالكتب والأشعار، يقرأون عليه الكتب وينسخون ما تجود به قريحته.

شاء سوء طالع أبي العلاء أن يدور الحديث في مجلس المرتضى على شعر المتنبي. اعتدل الشريف في جلسته، وأخذ يتنقص المتنبي ويعيبه، وابن فورجة يتميز غيظاً، لكنه شاب غض ولا قبل له بمقارعة الشريف، ولكز أبا العلاء في خاصرته، لكن أبا العلاء صبر. ثم راح المرتضى يتهم المتنبي. . وفكر أبو العلاء في نفسه: لعله يظن أن شرف بيته أعلى من شرف العلم؟ لعله يظن أن شعر أخيه الشريف الرضي الذي يحلق منذ حين في سماء بغداد، وشعره هو الذي يزحف زحفاً، يبيحان له أن يجور على سيد الشعراء؟ ثم حانت من المرتضى سكتة، وقال: هيه. كأنه يتحدى المجلس. فانبرى أبو العلاء: والله لو لم يكن للمتنبي إلا قصيدته «لك يا منازل» لكان بها شاعر الشعراء!

وهمد المجلس هموداً. وبعد هنية، صاح الشريف بغلامه: يا غلام، خذ برجله، يعني أخرجه من المجلس. ولم ينتظر المعري فوقف، ووقف ابن فورجة وقاده خارجاً. ولم يتبعهما الواجكا تأدباً مع الشريف.

عند المغرب جاء الواجكا إلى حجرة أبي العلاء، فوجده مضطرباً، فواساه: هذا شريف ابن شريف، وأخوه الشريف الرضي يقارع الخليفة. ولهما سطوة. ومن كان في مثل هذه المكانة لم تكن الإهانة من قبلة إهانة. وأنت يا صديقي أبا العلاء قد رددت عليه، وأفجمته. قال المعري: يؤلمني أكثر من الطرد أنه فهم مقصدي بسرعة. لا والله، لا أقدح في فهمه ولا في علمه، ولكنني رأيته باراني فغلب. فضحك الواجكا، وقال: «إيه، لقد فسر لنا بعد انصرافك ما قصدت. ولا والله ما فهم مقصذك في المجلس غيره. قال لنا المرتضى: «لعلكم ترون أنني تشددت عليه. لا أيها الإخوة، لا نقصي عن مجلسنا أحداً أحسن الأدب. ولكن الرجل جاء بقصيدة للمتنبي لا يعدها أحد من خيار شعره. . فلماذا ضربها مثلاً؟ إنما قصد الخبيث بيتاً في تضاعيفها». وسكت الشريف. ولكن جل من بالمجلس فهم بعد حين أنك يا أبا العلاء إنما

أشرت إشارة لطيفة إلى بيت القصيدة الذي يقول: وإذا أتتك مذمتي من ناقص/
فهي الشهادة لي بأني كامل».

داعب الواجكا صاحبه وخفف عنه، ولما آنس منه ارتياحاً عابثه، قال له:
فسوف تُسقط من شعرك تلك القصيدة التي رثيت فيها والد المرتضى والرضي،
والتي جاء فيها عن الشريفيين: أبقيت فينا كوكبين سناهما/ في الصبح والظلماء
ليس بخاف. فقال له أبو العلاء: ألم تعرف ما قيل لأبي تمام ولا بن الرومي؟
فهمهم الواجكا، فهو يعرف أن أبا تمام أقر بأن بعض أبياته مسف، ولكنه أبى
إسقاطه لأن أبيات الشاعر بمثابة أولاده، ومن ذا يسقط ولدأ معتلاً، وابن
الرومي قال قصيدة حسنة يقر فيها بأن شعره «رُكِب فيه اللحاء والخشب اليابس
والشوك بينه الثمر».

كان لاضطراب أبي العلاء أكثر من سبب. فقد لقي بعض الصّدّ من نحاة
بغداد وأصحاب اللغة فيها. فمن يكون هذا الضرير الذي جاء من الشام ولم
يسمع لا من السيرافي ولا من ابن دريد ولا من الأزهري ولا حتى من ابن
خالويه الذي كان بالشام ولا من العسكريّين ولا الآمدي ولا من أبي علي
الفارسي ولا ابن جني ولا المرزباني ولا الصائبي ولا الجوهري الذي مات قبل
سنتين؟ من هذا الصُّحفّي الذي ليس له من العلم إلا ما في الصحف، ولا
سماع له؟ ونحن علماء بغداد ورثة العلم الحقيقي، سمعناه من أشياءنا.

كان لأبي العلاء زمرة من أصحاب هم في سنه، ومن شباب أدركوا أنه
بحر علم ولغة فأخذوا يستقون منه، منصرفين عن حلقات شيوخهم، وكان -
ككل أبناء الأقاليم الذي ينزلون العاصمة - يجتمع إلى أبناء قبيلته كابن القاضي
التنوخي صاحبه وتلميذه.

يستطيع أبو العلاء أن يعيش في هذه الغابة بين حساده ومريديه، أن يعيش
هذه العيشة القلقة وأبيات المتنبي تتردد في ذهنه، فقد عاش المتنبي طول عمره
بين حساده ومريديه، وذكر ذلك في شعره كثيراً. لكن، بغداد كانت تخبئ
للمعري حادثة أخرى.

دعاه تلميذه الشاب ابن فورجة يوماً إلى بيت القيان. قال له: تعرف يا
شيخني أنني متزوج، ولكنني ككل شبان بغداد أحب السماع، ولا يندر أن
أتعشق. يعرف أبو العلاء ذلك عن تلميذه ويعرف أكثر من ذلك، وقد كان زار
بيت قيان راقياً مع الواجكا قبل أشهر، ولم يعجبه الصخب ولا أعجبه عماه.

لكنه مضى مع ابن فورجة.

كانت المغنية محسنة. أدرك ذلك أبو العلاء لأنها من طبقة فوق من سمعهم وسمعهن في حلب عند أخواله. وأدرك أنها تضرب على نفسها. واستمع بأذنين مرهفتين. ولما توقفت عن الغناء ناداها ابن فورجة وطلب من شيخه أن يُسمعها بعض شعره كي تغني فيه. فقال أبو العلاء:

منك الصدود ومنى بالصدود رضا من ذا عليّ بهذا في هواك قضى
وقد تعوّضتُ من كلِّ بمشبهِهِ فما وجدت لأيام الصُّبا عَوْضاً

وجلست القينة بجانبه تحفظ البيتين وتترنم بهما، وهي تداعب أوتار عودها. قال أبو العلاء: هذا رَمَلٌ أيضاً، لم أسمع منك الهزج. فانتبهت إلى أن الرجل يعرف ضروب النغم لا مجرد أسمائها. ثم ها هو يتعجب كيف أنها قفزت من الثقيل الأول إلى الرمل دون قنطرة. قال لها: لم أسمع انتقالاً كهذا من قبل. وتحادثا قليلاً ثم طلب منها أبو العلاء طلب متعلم لا معلم أن تريه على العود موضع اليم والزير، ومن أين تستخرج النغم الفلاني والفلاني. أخذ يلمس الأوتار واحداً واحداً، ثم إنها وضعت أصبعه في مكان على ساق العود وضربت وغنت من ذلك الموضع رملًا، ثم من مكان آخر هزجاً. وعقل أبي العلاء مشتت بين شيء يتعلمه، وبين رائحة جسمها وملمس كفها. هو يعرف النغم بأذنه ويعرف الفرق بين ضرب وضرب، ولكنه الآن عرف كيف يحبسون وتر العود فيصبح حاداً ويتدرجون في حسه. وارتجف وهو يضم يده إلى جسمه مبتعداً عن القينة.

قد أحس أن الجارية المغنية هي التي يتعشقها تلميذه الشاب، فقد تعابشا عبثاً لا يخفى حتى على ضرير. ثم إنهما تهاكما بهمس لم يسمعه الضرير حتى بأذنيه المرهفتين.

وغابت القينة سوية ثم عادت. وقالت لأبي العلاء: يتفضل الشيخ معي إلى صاحبتي خلاخل. وأنهضته بيد قوية وصحبته، ورفيقه يقول له: أنا هنا أكمل رطلي وننصرف. وأبو العلاء لا رطل له فهو لا يقرب الخمر، وهو صائم في كل أيامه درءاً للشهوات. والآن بعد العشاء لا بأس بأن يصحب القينة إلى خلاخل.

وعلى باب خلاخل، قالت له المغنية: ستقول لك «وهبتك نفسي»، هذا ما

تقوله للشيوخ والقضاة حتى يكون كل شيء حلالاً، وضحكت. وتركته في حجرة صاحبها، وانصرفت.

قالت له خلاخل: أهلاً بالشيخ، وهبتك نفسي. أخذ أبو العلاء يفكر.. ليس في الدراهم التي قد يكون صاحبها ساقها إلى خلاخل، ولا في هذا الشيء الذي لم يفعله من قبل. فكر فقط في نعومة تلك القينة المغنية، وفي أنسها. وصنعت معه خلاخل ما تعرف تصنعه كي تجعل الرجل يركز كل فكره في مكان واحد من جسمه. وألقت به على الأريكة. واستفرغته. وانتبه شيخنا إلى ما اعتراه. وفكر هذه المرة بالدراهم.

قال في نفسه: أحفظ ألف بيت عن القبله. وقد سيق لخلاخل أجرها ووهبت نفسها. أليس قد وهبت نفسها؟ بلى، قد فعلت. وعندما وقفت خلاخل على الباب تدله كيف يذهب قَرَب وجهه منها رويداً رويداً، يريد أن يجرب القبله، حتى وإن زايله الاشتهاه. فإذا بكف ناعمة تطعنه برفق في حر وجهه. قالت خلاخل: ليس بهذا الوجه.

وعبس المعري عبوساً سيدوم خمسين سنة.

ليس بهذا الوجه! ومن خلق له هذا الوجه إلا الله.

ليس بهذا الوجه! ولماذا خلقتني بهذا الوجه ولم تسلبني ذلك الاشتهاه؟

لم يكن على يقين من بعث ولا حساب منذ أن انصرف من اللاذقية، وظل يخفي قلة يقينه عشرين سنة. فهل آن لابي العلاء أن يؤمن بحياة أخرى وبجنة فيها الحور والعين، وفيها البصر والوجه الحسن الذي زالت عنه حفر الجذري؟ تبلبل، لكنه لم يفكر بالبعث ولا بالحساب. فكر فقط في تلك الكلمات: ليس بهذا الوجه!

مضى عابساً مع صاحبه. ودعاه صاحبه للركوب معه إلى منزله كي يبيت عنده ويتسحر على سمك وتمر. قال أبو العلاء: لا أكل السمك. سكت ابن فورجة. كيف لا يأكل شيخي السمك ومفائد المسقوف على طول دجلة تشهد عليه، فهو يفطر اليوم بعد اليوم على سمك المسقوف! كان أبو العلاء يسرع في خطاه ساحباً دليله سحباً حتى وصلا عند السائس وركبا البغلة. وعلى باب حجرته ودع صاحبه وأغلق بابه.

وقف أبو العلاء وجعل ظهره إلى باب حجرته، وشيء في صدره يغلي. وعقله لا يني يردد: ليس بهذا الوجه.

ورحم نفسه عندما ألقى نفسه على فراشه ويكى . وظل يقرأ القرآن حتى نام .

بعد أيام هدأت نفسه . وفي الحين بعد الحين كانت تعود إليه خفة آل سبيكة . يلقي ابن فورجة ويقول له : وأنتم كذلك تسمعونها تقول وهبتك نفسي؟ فيضحك ابن فورجة ويقهقه ، ثم يستغفر .

قبل خلاخل كانت بغداد قد نبذت أبا العلاء . وبعد خلاخل عرف أنه سينبذ الدنيا . إنها الدنيا التي جاء لها ذكر عند معشوقه المتنبي باسم «أم دفر» أي أم النتن «وقتلن دفرأ والدهيم فما ترى ، أم الدهيم وأم دفر ثاكل» . وأعاد على قلبه قصيدة المتنبي ، فإذا فيها : «ومن الرماح دمالج وخلاخل» ، ها . . . فخلاخل موجودة هنا أيضاً ! ولم ينس بالطبع أن هذه القصيدة بعينها هي التي أدت إلى طرده من مجلس المرتضى ، فابتسم وهز رأسه . يا لها من مصادفات . لو صادف غير أبي العلاء هذه الأبيات الثلاثة التي تصف بؤسه في بغداد في قصيدة واحدة ، لآمن بعد هذه المصادفة المثلثة بالنجوم .

لكن العقل الواعي لأبي العلاء كان عمود الخيمة في شخصيته . أما نفسه فبقيت نفسه : لن تزايله خفته ولا تخابته ، ولن يزول عنه حب الشهرة ، ولا نهمة للعلم . بيد أنه سيسبغ على ذلك كله سَجْفاً أسود مثلما قدر الله لديناه أن تكون سوداء . ولئن كان الكرام لا يُكثرون من الشكوى إلا إذا فاضت فيضاً من حلوقهم ، فإنه سيدمن الشكوى وسيدمن شتم الناس ، وسيدمن تقييعهم ، وسيظل كريماً بتعففه وانقباضه عن دنيا الناس .

لا بد من فراق بغداد ، وبسرعة .

بدأ المعري يودع أصحابه . وراح يجتمع عليه ليلة بعد ليلة الشعراء الذين كانوا يعرضون عليه شعرهم ، وأخذ ينشدهم بعض ما قاله في وداعهم ووداع بغداد . وفي يوم الركوب شيعوه ماشين مرحلة ، وهو يتجه شمالاً نحو الموصل . وكانت رحلة برية شاقة ، أشق من رحلة القდوم النهرية . مضت سنة وتسعة أشهر له في بغداد كانت كأنها سنون ، أو كأنها يوم بليته . كان مشتاقاً إلى أمه . خداه ذوا الحفر مشتاقان إلى يدي أمه الخشتين .

في الموصل بلغه من بعض التنوخيين الذين جاءوا من حلب أن أمه ماتت ، فما زاد على أن ابتسم في وجه «أم دفر» أم النتن . . الدنيا . واصلَبَ قلبه ، وبصق على الدنيا مرة أخرى .

وبلغ قريباً من حلب ولم يمل إليها. كان يستعجل القدوم إلى المعرة لكي يحبس نفسه في بيته، لا يريد أن يعالج أمراً من أمور هذه الدنيا.

وحبس نفسه. كان في السابعة والثلاثين من العمر وكان العام ٤٠٠ للهجرة، فها هي المئة الخامسة قد استهلّت، وأخذ المتنبئون يتنبأون بأشياء ليس بينها أن مسلماً من بيت علم وأدب في المعرة سيقضي تسعاً وأربعين سنة معتزلاً لا يأكل لحماً ولا يشرب لبناً ولا حتى عسلاً، وأنه سيكون أهم وأشهر شاعر في قرنه وفي قرون كثيرة ستليه، وأعظم من حفظ ألفاظ اللغة العربية في كل القرون.

رتب المعري خزانة كتبه وصمد صمّدها. وامتنع حتى عن غشيان الجامع، لا في ظهر ولا في عصر، ولا في جمعة. كان رزقه قد اختل في تلك السنة، فدوّد المشمش وشلّت الزيتون في بساتينه فلم يحمل إلا أقل حمل؛ وأعانه أخوه أبو المجد في ترتيب أمور رزقه ما استطاع. وبدأ يأتيه التلاميذ يقرأون عليه ويسألونه. ثم أخذ يفد عليه المتأدبون من حلب ومن بغداد، ثم من أبعد من بغداد. ومع تحسن المواسم أخذ يعين طلابه الذي يفدون من البلاد عليه، فمن عجز عن كراء حجرة أسكنه أبو العلاء، ومن جاع أطعمه، أو أوصى به موسري المعرة.

فرغ من ترتيب أشعاره ووضعها جانباً غير أبيه بها، غير أن الوافدين كانوا يسألونه عن هذه القصيدة وعن تلك مما سمعوه من البغداديين، فيقرأ عليهم ديوانه ويشرح لهم مقاصده. سمى هذا الديوان «سقط الزند»، أي أول الشر الذي يسقط من أداة النار. فهو شعر الصبا والشباب حتى العودة من بغداد.

ومضى المعري في طريقته يعايب أهل اللغة ويورد عليهم ما يتعجبون منه من سجعات ومن ألفاظ دقيقة، ومن توريات يشقى العلماء في حل ألغازها، ثم إذا هو يشرح كل شيء في أمالٍ يملئها على طلابه. وتنتشر أماليه في البلاد. سمعت بالمعري الأندلس وسمعت به شيراز. وغدا بيته في المعرة نادياً. وكاتبه الكبراء والأمراء من حلب وغيرها، وزاره منهم من زاره. وهو في كسر بيته راض بما فرض على نفسه.

وعند المساء يأتيه فتية الدعوة يلتمسون منه البركة والنصح، فهو عندهم إمامهم، أليس أخبرهم الدعاة الذين يأتون من مصر إلى بلاد الشام بأن أبا العلاء قطب من الأقطاب.

ويوغل أبو العلاء في الرمز، والمجاز.

يجعل لفتية الدعوة مجلساً في العشية يملئ عليهم فيه أبياتاً متفرقة يشتم

فيها الدنيا، ويداعب فيها العقائد. يفهمون عنه ويساءلون، ويجيب حيناً ويمضي في الإملاء حيناً بغير جواب. ويلتزم بدل حرف الروي حرفين معاياة لأهل اللغة وإدلالاً بمعجمه الذي لم يغادر شيئاً إلا وعاء. أليس قال تلميذه ابن الخطيب: لم ينطق عربي بكلمة لا يعرفها أبو العلاء. تلك اللزوميات، التي ستبلغ أحد عشر ألف بيت من الشعر.

يأمن المعري جانب هؤلاء الفتية، فجلهم ممن كان عرفهم صغاراً قبل رحلته الحلبية الطويلة ثم البغدادية. وفي مجالس العشية يكون المعري قد حشد في ذهنه أبياتاً كثيرة على حرف من الحروف فتراه يقطع عليهم بعض ما جربوا أن يأخذوا فيه من هزل، ويملي مسرعاً، ويغمسون أقلامهم في محابرههم ويستملون، وقد يكون في ليلته بكيئاً بطيئاً، فيملي قليلاً ثم يفتح لهم باب الهزل والدعابة. والفتية قد تعلقوا بأقوال الباطنية، فاستل هذا التعلق ما في نفوسهم من تحرز إزاء العقائد المألوفة، فمنهم من اتخذ عقيدته الجديدة سلماً للتهاون في العبادات، ومنهم من استبدل تشدداً بتشدد، وراح ينافع عن الاعتقاد الجديد مرتقياً بعض الدرجات في سلم الإخلاص. والفاطميون، حماة العقيدة الجديدة، يحكمون حلب أحياناً قليلة، ويتحكمون في شؤونها أحياناً أكثر عن طريق تحالفاتهم. وهم، بعد، على مقربة. تقيم عساكرهم في دمشق وفي حمص وفي عكا وبيروت وطرابلس ويحكمون بلاد الشام مداً وجزراً.

في سنة أربعمئة وسبع، وأبو العلاء قد دخل في الرابعة والأربعين من العمر، استقر الأمر في حلب لعزیز الدولة الفاطمي.

يكاثره داعي الدعاة من حلب، ويناقشه في أمور شتى عرفها القاضي والداني عن أبي العلاء. ويحاول أن ينفذ إلى حقيقة معتقده من باب امتناعه عن أكل اللحم. فيتهرب أبو العلاء من النقاش - الذي كان يدور في رسائل تروح وتجيء بينهما. فهو لا يستطيع أن يقولها بصراحة لداعي الدعاة: أنا لست - كما تظن، وكما ينقل لك هؤلاء الفتية - رجلاً من رجال الباطنية، أو أحد أكابر «عقلائهم». أنا مفكر حر لا غير. لا يقطع المعري شعرة معاوية بينه وبين الدعوة الفاطمية التي تعم المنطقة، ولا يريد أن يغادر المنطقة الوسطى التي يقف فيها على مسافة واحدة من الجميع. هو متفرد بعلمه الغزير. هو كفيروز مطربة الجميع ولا تريد أن يكون لها موقف من الحرب الأهلية، وتقضي عشرين سنة تنغني بعموميات حب الوطن حتى لا يستطيع أي طرف أن يزحزحها عن عرش كبير يحمله الجميع على أكتافهم. هو اللغوي الكبير والشاعر الكبير،

الذي رثا ومدح فقهاء السنة والشيعة في بغداد المقسومة بين العلويين والحنابلة. وهو ابن المعرة الشافعية السنية التي تجاور حلب التي يغلب على حكمها التشيع منذ مئة سنة، وحتى البادية فقيلة كلاب فيها شيعة، وبنو حمدان شيعة. وها هم الفاطميون يريدونه لهم. وهو يريد نفسه لنفسه، وللجميع.

انحسر عن المعري الضغط الفاطمي عندما استبد عزيز الدولة بالأمر لنفسه في حلب وشمال سورية وسك العملة باسمه مستقلاً عن الخليفة بمصر. والخليفة بمصر هو الحاكم بأمر الله، الذي كانت له بدوات من التشدد والميول لم يألفها الناس في أي حاكم.

استراح المعري لعزيز الدولة ووسم باسمه كتبه «القائف» و«الصاهل والشاحج» و«اللامع العزيزي».

ومضى المعري يملي على طلبته المثقفين في مجلس المساء مزيداً من اللزوميات، فهذه أشعار منسوقة على الأحرف، وقد جعلها المعري جامعاً للقوافي والضروب، ومستودعاً لنظراته في أمور الدين والدنيا، وفرض على نفسه تلك القافية المزدوجة التي تجعل اصطبياد القوافي أصعب ليس بمرتين بل بمرات كثيرات. فكان بذلك صاحب طريقة فيها طرافة، لكنها مزقت أفكاره تمزيقاً، وجعلت أبياته متنافرة، تسيرها القافية بدل أن تسير معها القافية.

يقهقه بعض طلبته كلما قال بيتاً يهزأ فيه من معتقدات الناس، أو يشتم البشر قاطبة، ثم يعتدل ويملي عليهم أبياتاً في الاستغفار. ويضحك بعضهم هنا أيضاً، كأنما يقولون في أنفسهم: ما أخبث شيخنا، يريد أن يذب عن نفسه. وبعضهم يستملي ويتلذذ بالبيت الذي فيه نكتة لغوية أو تورية لطيفة، أو بالبيت الذي يتألق شعراً عذباً.

يسكت بعض الطلبة عندما يسوق المعري أبياتاً يقبح فيها الخمر وشاربيها. فبعضهم، مع هذا التحرر العقدي الذي ابتلوا به، لا يجد غضاضة في ارتياد ماخور المعرة. ولا يسألهم شيخهم عن سلوكهم، حتى مع أن كثيرين منهم من أقاربه، أو أبناء عشيرته، وجل المعرة تنوخ. تماماً مثلما لا يسعى إلى جعلهم صورة منه في زهده ونباتيته المطلقة.

ويجهز الحاكم جيشاً كي يقتلع عزيز الدولة من حلب، ولكن الحاكم يخنفي في سنة ٤١١ قبل مسير الجيش، ويتنفس عزيز الدولة الصعداء، ويمضي في شأنه أميراً على حلب سنتين، ثم يغتاله غلامه سنة ٤١٣. وتقع حلب بيد

صفي الدولة فأخيه سند الدولة، وهما مع الفاطميين. لم يعد مهماً بالنسبة إلى أبي العلاء من يحكم البلاد فهو أكبر من أن يتعرض له الحاكم، هو كالجاحظ الذي أطيح بالمعتزلة في العراق على يد المتوكل، وظل الجاحظ، شيخ الأدباء المعتزلي، شيخاً للأدباء. وهو مثل سارتر الذي أرادت شرطة باريس اعتقاله بالعصيان المدني عام ١٩٦٨ م فقال لهم ديغول: «أنتم لا تعتقلون فولتير».

وعاد صالح بن مرداس من صحرائه، وكان أقلق أمراء حلب طويلاً. عاد هذه المرة ليأخذ حلب، وتولاها أميراً عليها عام ٤١٦هـ بعد حصار طويل، وتولى معها صيدا وبعض مدن الشام. وفي العام التالي وقعت في المعرة حادثة.

وقفت امرأة بباب المسجد والمصلون خارجون وصرخت فيهم أن يتنقموا لشرفها، فرواد الماخور قد اعتدوا عليها. وهب الناس هبة واحدة وحطموا الماخور ونهبوا خشبه، وآذوا صاحبه النصراني. كان صالح بن مرداس حاكم حلب آنذاك في صيدا، فاعتقل وزيره النصراني تادرس بن الحسن سبعين رجلاً من أهل المعرة وحبسهم شهرين.

وفي طريق عودته عسكرَ صالح بن مرداس بظاهر المعرة، وحل بالناس خوف شديد من هذا الأمير الفاتك الذي استقر له الأمر بعد عشرين سنة من الصراع؛ وأخرجوا له أبا العلاء. رأى صالح رجلاً نحيلاً أعمى يسير مع قائده في اتجاه عسكره فقال لصحبه: هذا أبو العلاء. واستدناه. فكلمه أبو العلاء كلاماً رقيقاً. فعفا صالح عن كل المعتقلين.

وارتفع شأن أبي العلاء بين أهليه، وكان أخوه الأكبر أبو المجد صاحب القضاء في المعرة، وأخوه الآخر رجلاً ذا مكانة، وكان أبناؤهما يساعدون عمهم الضريع. على أن أبا العلاء ما كان ليستغني عن سكينه العجوز، التي كانت تخدمه وتقوم بما يقصر فيه «الحسن» الخادم الشاب الكسول. وكان لسكينه بدواتها، وجنونها. وكان أبو العلاء يحتمل من الناس، ولا سيما من مساكينهم، كل شيء.

يعتمد المعري في تحرير النصوص على أحسن وجه على كاتبه الشيخ أبي الحسن، فأبو الحسن هو فقط من يحرر النسخة النهائية التي يحتفظ بها أبو العلاء في خزانته. وثمة نساخ أربعة ينسخون عنها نسخة لخزانة حلب، وأخرى قد تجد طريقها إلى بغداد. ولا يتهاون أبو العلاء في سطر يكتبه، فكل رسالة يرسلها - وما أكثر رسائله - كان يحفظ نسخة منها في خزانته، نعم حتى لو كانت رسالة شخصية.

يقول لأبي الحسن مستمليه المعتمد: ها قد وصلتنا أخيراً رسالة دوخلة.

- وصلت بعد طول الضياع.

- قد قرأتها في مجلس الصباح مع التلامذة. فهل قرأتها يا أبا الحسن؟

- قد فعلت يوم أن وصلت. شيخ مهذار، لعله ما كتبها إلا كي يستقبل منك رداً يتجمل به بين أدباء حلب.

- لكن فيها شيئاً أحببته.

ويضحك أبو العلاء، ويضحك لضحكه كاتبه أبو الحسن صاحب سره، وأبو العلاء يتبسط معه في كثير من الأمر. وقد يعاقبه متطرفاً إذا تأخر عنه، فيصلي به الظهر قارئاً سورة طويلة في الركعة الأخيرة، فيحبسه عن قيلولته الأثيرة.

- لا والله ما رأيت فيها شيئاً يحب. فما الذي أحببته يا شيخخي؟

- صاحبنا دُوخلة رجل سليم دواعي الصدر. تراه يحمل على الملاحظة والزنادقة حملة شعواء، يعرض علينا في أثنائها بضاعته التي قَمَشَها من بغداد ودمشق ومصر. وتراه ينسبنا إلى الصلاح والتقوى.

- أهو يصنع ذلك تعريضاً بالشيخ، أم تراه يريد منك رداً يستكشف به معتقدك؟

- لا يا أبا الحسن. هذا رجل فيه غفلة. وقد عرض الرسالة قبل أن يرسلها إليّ على وجوه المتأدبة في حلب تيهاً بها. ويعجبني أن أخاطبه بكلام يفهم نصفه ويفهم غيره أكثر من ذلك.

وتنُدُّ عن أبي العلاء ضحكة مكتومة.

- أنتوقف عن تحرير اللزوميات؟ قد جمعنا أشتاتها وضبطناها على الحروف، وأنا بصدد إصدار نسخة الخزانة. وهذا سيقترضني شهراً. ألا تملني ردك على دوخلة في مجلس المساء مع الفتية؟ فمنذ أن فرغت من إملاء اللزوميات وأنت تسمع منهم بعض قديمك شارحاً ومعلقاً.

- لا، يا أبا الحسن، لا. اللزوميات لم تتم بعد، ولدي كثير مما أضيفه إليها، فاحفظ ما عندك، ونسقه ما شئت من التنسيق فكل شيء سأضيفه من بعد سيقع في موقعه بلا عناء. والآن أريد أن أرد على الرجل وأنا مستجمع فكري بعيداً عن فتية المساء، فالفتية يستملون ويضحكون ويبدون إعجابهم، وقد يستوقفوني ويناقشونني، ولئن صلح هذا في اللزوميات التي مضت إذ كنت أزوَّرها في نفسي قبل إملائها، فما يصلح في نثر يأتيني عفواً الخاطر ويسمعه مني صاحبي الأثير.

يرتاح أبو الحسن إلى هذا الوصف، فهو وحده صاحب الأثير. ويمضي أبو العلاء:

- فأين رسالة دوخلة؟

- في البيت الغتيق، في خزانة النساخ. فهل آتي بها؟

- لا. خذ قلمك، وسمّ بالله.

ويسمي أبو الحسن، ويبسط الورق ويفتح الدواة. ويقول أبو العلاء:

- بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم يسر وأعن..

- بسم الله. تفضل يا شيخ..

- أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم يسر وأعن..

وأخذ أبو العلاء يعرض معارفة في اللغة، ويقلب الكلمات ومعانيها بين الحماطات والأساود، ماراً بشعراء العرب وشواعرهم. حتى بدأ يتعرض لرسالة «ابن القارح»، وهذه كنية دوخلة الحلبي، فأثنى على الرسالة، وجعلها الكلمة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء. وانقذت في ذهن أبي العلاء فكرة.. فغرس لصاحبه شجرة في السماء.. في الجنة. وأخذ يملئ وصف الجنة، يضع فيها كل ما ورد في القرآن من وصفها، وكل ما تشتهي نفسه المحرومة. وقف عند إبريق الخمر، فأثنى على كل ما ورد من شعر في الأباريق. ووصف الخمر التي يكرهها بحق وصف عاشق، ووصف العسل الذي حرمه على نفسه، فإذا به يتذكر بيت شعر له حكاية وردت عن خلف الأحمر، فاستعرض معرفته في اللغة بإبدال كلمة القافية على حروف المعجم. ومرة اليوم.

وفي اليوم الثاني وصف المعري من بالجنة من الشعراء وأهل اللغة، وفجأة خطر له أن يذهب بدوخلة إلى الجنة. فإذا به يقص من خياله الخصب كيف أن دوخلة ركب حصانه وراح يتنزه في الجنة. ومضى أبو العلاء يعث بابن القارح دوخلة ويصف بكثير من المرح، وكثير من الخفة ما يلاقيه ابن القارح في الجنة، فيجعله يشهد ملاحاة شديدة بين نابغة بني جعدة والأعشى آلت إلى سباب وصراخ فيسعى دوخلة إلى أن يصلح بينهما فيقول «يجب أن يُحذَرَ من مَلَكٍ يعبر فيرى هذا المجلس فيرفع حديثه إلى الجبار الأعظم، فلا يَجُرُّ ذلك إلا إلى ما تكرهان.» ويستدرك: «واستغنى ربنا أن ترفع الأخبار إليه».

ويخلق المعري لصاحبه في جنته سرب إوز ثم يحوله إلى حوريات يرقصن

ويغنين. ويقترح بعض من بالمجلس أن يأخذ كل رجل حورية منهن ويذهب بها، فيقول لبيد الشاعر «لا يؤمن أن يسمّى فاعلو ذلك أزواج الأوز» فتضرب الجماعة عن اقتسام أولئك القيان.

ويزيد أبو العلاء من عبثه بآبن القارح دوخلة، فيجعله يروي لأهل الجنة قصة دخوله الفردوس. ويملي أبو العلاء الورقة بعد الورقة وهو يصف وصفاً يسيل فكاهة وعبثاً. فالرجل يلقي الأمرّين وهو يسعى بين علي بن أبي طالب وحمزة، وأبناء النبي المذكور ثم فاطمة ثم النبي نفسه، وينال الوعود والشهادات المختلفة بالتوبة، ولكنه يظل راثحاً غادياً معذباً بالانتظار وعدم اليقين. فكأنه في ذلك المعري نفسه وهو يقارع العشارين الذين أخذوا سفينته في العراق، أو البيروقراطيين الذين يعطلون معاملات الناس في حلب وفي بغداد وفي كل مكان. يصف المعري الشقاء في الأعراف فكأنه شقاء الإنسان في الدنيا إذ يقضي عمره قلقاً يسعى بين أمل ويأس.

ثم يتغلب الأمل، بل تتغلب الفكاهة. ويختار المعري لصاحبه أن يعبر الصراط المستقيم «زقفونة». وزقفونة هذه ذروة الكوميديا العلائية. فمعنى زقفونة أن يطرح دوخلة نفسه على ظهر جارية سيدتنا فاطمة الزهراء، فيطوقها من عنقها من خلف وتمسك برجليه كالحمال يحمل جوالقاً من دقيق على ظهره. وتعبه به الجارية الصراط. ولكنه يكتشف على باب الجنة أنه أضاع جوازه. فيريد من رضوان حاجب الجنة أن يعطيه ورقة صفصاف، حتى يرجع بها أدراجه كي يأخذ جوازاً، وهيهات.. لا شيء يخرج من الجنة. ولكن أبا العلاء يقصّر الطريق، فيجعل إبراهيم بن محمد، ابن النبي، يمد يده من داخل الجنة ويجذب دوخلة جذبة تُحصّله الجنة.

وفي الجنة يرى دوخلة توفيق السوداء، التي كانت تخرج الكتب في دار العلم ببغداد إلى النساخ، يراها مع حمدونة الجارية القبيحة التي تزوجها بائع سقط بحلب ثم طلقها كراهة منه لرائحة فمها. يراهما يضاوين جميلتين، فيسبح بحمد ربه.

ثم هذه حورية عيناء تنشق عنها ثمرة يقطفها ابن القارح من شجرة حور، فيسجد ابن القارح شكراً لبارئها، ويجول في خاطره وهو ساجد أن مؤخرتها ضاوية، فما يرفع رأسه من سجده حتى يرى لها عجيزة كأنها كثيب رمل، فيطلب إلى البارئ أن يصغرها، فيخيره في تكوين هذه الجارية «فيقتصر من ذلك على الإرادة».

ولا يشفي أبو العلاء نفسه التي لا تمل العبث والفكاهة، حتى وقد قارب الستين، إلا بعد أن يحبر جملة كراريس. كل هذا في رده على رسالة ابن القارح دوخلة الحلبي. تلك رسالة الغفران. أليس الله غفر لابن القارح؟

ومضى أبو العلاء يعيش سنواته متأففاً متعففاً إلا عن خبزه وزيته، زاهداً قاعداً في كسر بيته. يتلذذ بشم الدنيا والناس، ويلعب مع اللغة.

قضى خمسين سنة في محبسه يتسلى في لعبة لا تنتهي مع الألفاظ والأفكار. كان ابن عصره في تقديس اللغة القديمة، لكنه فجر من ألفاظها معاني جديدة. وكان ابن كل العصور في حرية الفكر. كل شيء عند أبي العلاء موضع شك حتى يثبت. رأى بعقله أشياء لم يرها غيره. وعرف بعقله عجزه عن فهم أشياء ظن المبصرون أنهم يفهمونها.

وكان من عجائب التسامح الإسلامي أن يموت أبو العلاء صاحب اللزوميات ورسالة الغفران على فراشه. كان ذلك في عام ٤٤٩.

ختاماً

مثلما قرأنا اللزوميات ورأينا أن أبا العلاء لا يؤمن بالبعث، قرأها عمر فروخ المسلم السني المتدين ورأى رأينا، وبسط ذلك في كتاب وله من العمر ثمان وثلاثون سنة. نحمد لعمر فروخ قراءته البارعة للزوميات، وصراحته وجراته في بيان حقيقة معتقد أبي العلاء (كما رأها)، من غير أن يشوب ذلك بأية عبارات تنتقص من حكيمة المعرفة، فقد افتخر به وإنجازته الأدبي كثيراً. سبحانه الله، قد اجتمع خلق كثير من الأدباء في مهرجان أبي العلاء الألفي بالشام، وقالوا الكثير، واجتمع مثلهم على صفحات عدد خاص من مجلة مصرية، وكتبوا الكثير. وسوى هؤلاء وهؤلاء كتب الناس عن أبي العلاء في أواسط القرن العشرين عشرات المقالات، وكلها يمدح الزجل ويصر على أنه مؤمن حسن الإيمان. وشذ طه حسين ومارون عبود وزكي مبارك، فقد كتبوا ما يجمل بالمرء أن يقرأه في صدد عقيدة أبي العلاء، فأما الزبد الكثير فقد ذهب جفاء.

عاش المعري ستاً وثمانين سنة. وكان أكبر حدث أدبي ولغوي في دنيا العرب على مدى ألف سنة. من زمنه حتى يومنا هذا.

الصفحات التي مرت هي مقدمتي لديوان شبابه «سقط الزند»، وفيها مجموعة من الافتراءات لن يعجز القارئ في عزلها عما لا يسها من حقائق،

وإنما أردت أن أصور حياة الرجل كما تكونت في ذهني . وسأقدم للأبيات التي اخترتها من اللزوميات بصفحات قليلة كنت كتبها قبل سنوات، وستأتي في موضعها قبل الأبيات المختارة من اللزوميات ضمن هذا الباب.

لاحقاً..

يقول لي مصححي اللغوي الصديق أحمد عبد الرحيم إن تملصي بالاقراراف بأنني افتريت بعض افتراءات لا يعفني، ولا يخفف عني ثقل ما «تخيلت». وقد صحح لي أخطائي في فصل أبي العلاء، وزاد فعلق تعليقات فيها من التشجيع ما أثلج صدري. وكتب عن قصتي هذه التي قصصتها عن أبي العلاء: [«أخبار رحلات أبي العلاء لتلك الأديرة باطلّة سندًا ومتنًا. ومن أهم من أشيع الكلام فيها من الجهتين: محمود شاكر في «أباطيل وأسمار»، ومحمد سليم الجُندي في «الجامع في أخبار أبي العلاء». وبالتالي... كل التفاصيل «الروائية»، الجميل أكثرها، والشنيع بعضُها، يُشوّهها أنها تُورّخ لشخص معيّن تاريخًا زائفًا، ومضللًا. تصلح، جدًّا، مثل هذه التفاصيل في «سيناريو درامي» متخيّل. لكنها لا تحسّن، أبدًا، في سيرة معيّن مثل أبي العلاء... ولو من باب التخيل. ولستُ أرى سطري عارف اللذين ختم بهما هذا السرد الشائق الماتع، بما فيه من «أباطيل» شامت «أسماره»، مُغنييه شيئًا من «الشيخ المكذوب عليه» الذي حذر ظالميه من لقاء وإن طال المدى! ولا هما بمغنيي القارئ شيئًا من أن يتقصّى بنفسه ما أمكن من حقائق ما كان! وقد كنتُ أحب أن أفيض شيئًا ما... لكن انتبهتُ إلى أنني ضيف، فلا يحسّن بي أن أكون ثقیلاً كالضيفن!]

انتهى كلام أحمد عبد الرحيم.

وسترى تعليقاته على ما سيأتي ضمن هذا الفصل؛ فأما تصحيحاته لأخطائي، وهي كثيرة، فلن تراها، سأصحح وأستر على نفسي. وقد تعقب الأبيات في هذا الفصل عن أبي العلاء بيتًا بيتًا، وبين يديه النسخ الكثيرة من مشروح سقط الزند واللزوميات، وتقصى تقصياً لا مزيد عليه. وكان أقرأني مقدمة عميقة وجزلة وملیئة بالفكر لكتاب يكتبه عن أبي العلاء. وأتمنى أن يصدر هذا الكتاب فيشري الدراسات العلائیه، على أنني مغتبط بما أسدى إلي، وما أمبغه على جهدي، في كتابي هذا، من تمحيص لا يخلو من تفصيل، ومن نظیر لم يغادر شروی نقیر.

سَقَطُ الزَّئِدِ

١ دون كيشوتية للتمرين

قال في المديح، ولا ممدوح غالباً، كان بروض القول، ويشتهي أن يحاكي الشعراء
القدامى:

تَكَادُ سَوَائِقُ حَمَلْتُهُ تُغْنِي عَنِ الْأَقْدَارِ صَوْنًا وَابْتِدَالًا
تَكَادُ خَيْلٌ حَمَلَتْ هَذَا الْمَمْدُوحَ (الوهمي) تَغْنِيهِ عَنْ فِعْلِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ فِي صَوْنِهِ وَحِفْظِهِ، وَفِي
ابْتِدَالِهِ لِأَعْدَائِهِ بِقَتْلِهِمْ وَهَزِيمَتِهِمْ

وَلَمَّا لَمْ يُسَابِقْهُنَّ شَيْءٌ مِنَ الْحَيَوَانِ، سَابَقْنَ الظُّلَالَ
سَبَقَتْ الْخَيُْولُ كُلُّ حَيَوَانٍ، فَلَمْ يَبْقَ سِوَى أَنْ تَحَاوِلَ سَبْقَ ظِلَالِهَا (هذا من فرائد أبي العلاء/ تعليق
أ. عبد الرحيم)

تَرَى أَعْطَافَهَا تَرْمِي حَمِيمًا كَأَجْنَحَةِ الْبُرْزَةِ رَمَتْ نُسَالَا
أَعْطَافُ الْخَيْلِ أَيُّ جَوَانِبِهَا وَخَوَاصِرِهَا تَرْتَقِ الْحَمِيمَ، الْعِرْقَ، كَمَا تَرْتَقِ الْبُرْزَةُ، وَهِيَ مِنْ كَوَاسِرِ
الطَّيْرِ، الرِّيشَ الَّذِي يَسْقُطُ عَنْهَا

وَقَدْ ذَابَتْ بِنَارِ الْحَقْدِ مِنْهَا شَكَايُمُهَا فَمَا زَجَّتِ الرُّوَالَا

الْخَيْلُ مَتَوَقِّدَةٌ فَكَأَنَّهَا حَاقِدَةٌ عَلَى الْعَدُوِّ، وَلَشِدَّةُ حَرَارَةِ حَقْدِهَا تَكَادُ شَكَايِمُهَا، تِلْكَ
الْحَدَائِدُ فِي أَفْوَاهِهَا، تَذُوبُ وَتَخْتَلِطُ بِالرُّوَالِ، أَيِ الرِّيَالَةِ أَيْ اللَّعَابِ. هَكَذَا يَتَعَلَّمُ
الْمَعْرِي مِنَ الْمَتَنِيِّ الْإِحَالَةَ، أَيِ التَّشْبِيهِ الْمُسْتَحِيلِ.. كَانَ هَذَا عَيْبًا عِنْدَ نَقَادِ صَدْرِ
الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ، ثُمَّ فَشَا وَطَمَى فَصَارَ حَلِيَّةً

وَجُنْحٌ يَمْلَأُ الْقَوْدَيْنِ شَيْبًا وَلَكِنْ يَجْعَلُ الصَّحْرَاءَ خَالَا

جُنْحٌ: قِطْعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ، وَاللَّيْلُ مَخُوفٌ وَيَجْعَلُ فُودِيَّ الْمَرءِ، أَيِ سَالِفِيهِ، يَشِييَانُ؛ لَكِنَّهُ يَجْعَلُ
الصَّحْرَاءَ سُودَاءَ كَأَنَّهَا الْخَالُ فِي الْخَدِّ

أَرَدْنَا أَنْ نَصِيدَ بِهِ مَهَاءً فَقَطَّعَتِ الْحَبَائِلُ وَالْجَبَالَا
أردنا في الليل أن نغفو لنصيد مهاء، بقرة وحش - يعني فتاة يزوره خيالها في منامه -، ولكن هذه
الفتاة قطعت الحبال، المصايد، والحبال، أي حبال المودة، وهجرتنا

وَنَمَّ بِطَيْفِهَا السَّارِي جَوَادٌ فَجَنَّبْنَا الزِّيَارَةَ وَالْوَصَالَا
سمع حصان طيف الفتاة يسير ليلاً فتم عليه ووشى به وصهل، فانصرف الطيف فلم يزرننا ولم
يحدث وصال

وَأَيَّقَظَ بِالصَّهِيلِ الرُّكْبَ حَتَّى ظَنَنْتُ صَهِيلَهُ قِيلاً وَقَالَا
واستيقظ القوم الراكبون على صهيله، حتى لقد ظننته بصهيله يحدثهم بما جرى، ويستغرق في القيل
والقال

وَلَوْلَا غَيْرَةٌ مِنْ أَغْوَجِيٍّ لَبَاتَ يَرَى الْغَزَالَ وَالْعَزَالَ
لولا هذه الغيرة من الأعوجي (الجواد الأصيل) لبات العاشق النائم يرى الغزالة (غزالة اسم
للشمس) والغزال، فالفتاة تشبه الشمس وتشبه الغزال

يُحْسُ إِذَا الْخِيَالُ سَرَى إِلَيْنَا فَيَمْنَعُ مِنْ تَعَهُدِنَا الْخِيَالَا
فقد أحس الحصان بالخيال فمنعنا من تعهده، أي رفقته والعناية به

سَرَى بَرَقَ الْمَعْرَةَ بَعْدَ وَهْنٍ فَبَاتَ بِرَامَةٍ يَصِفُ الْكَلَالَا
بعد وهن، أي بعد مضي ثلث الليل، سرى، أي مشى ليلاً، برق من «المعرة» ووصل إلى «راماة»،
وكان ضعيفاً قليلاً (يصف الكلال: كقولك عيناها تصفان السحر/ من شرح الخوارزمي)

شَجَا رُكْباً وَأَفْرَاساً وَإِبِلًا وَزَادَ فَكَادَ أَنْ يَشْجُو الرِّحَالَا
أحزن البرق المسافرين والخيول والإبل، وكاد أن يحزن الرحال، وهي متاع المسافرين... مبالغة متبشئة ها!

بِهَا كَانَتْ جِيَادُهُمْ مِهَارًا وَهُمْ مُرْدَا، وَبُزِلَهُمْ فَصَالَا
بها، أي بالمعرة وهي الوطن، كانت الجياد مهاراً صغيرة، وكان الرجال مرداً، فتیاناً غير ملتحين،
وكانت البزل، الإبل التي برزت أسنانها، فصالاً، مفصولة عن أمهاتها للفظام

صَحَبْنَا بِالْبُدْيَةِ فِي شَتَاءٍ وَمَحَلٍ شَرٍّ مَنْ صَحَبَ الرِّجَالَا
صحبنا في موضع «البدية» في الشتاء والمحل، والشتاء محل لا نبت فيه ولا مرعى للإبل، أناساً
هم شرُّ من يصحبه الناس

إِذَا سَقِيَتْ ضُيُوفُ النَّاسِ مَحْضًا سَقَوْا أَضْيَاقَهُمْ شَبِمًا زَلَالَا
إذا سقيت الضيوف محضاً، لبناً صافياً، فهم يسقون ضيوفهم ماء شبيماً، بارداً، زلالاً، صافياً...
لأنهم بخلاء لنام

ولكن بالعواصم من عديٍّ أمير لا يكلفنا السؤالا
العواصم: حصون وجبال بين حلب وحماة يعتصم ويحتمي بها الناس، وفيها أمير من قوم عدي
يعطينا ولا يكلفنا حتى أن نسأله

لقد جشمت طرفك مثقلاتٍ فجشمتهن أربعة عجالا
لقد كلفت طرفك، أي حصانك، أمورا ثقيلة، فكلف قوائمه الأربع السريعة القيام بالمهمة
يوذ التبر لو أمسى حديداً إذا حذيت الحديد له نعالا
التبر، أي الذهب، يتمنى لو أنه حديد عندما توضع للحصان النعال، الحذوات، الحديدية
وأقسم لو غضبت على ثبير لأزعم عن مجلته ارتحالا
أقسم أيها الممدوح لو أنك غضبت على جبل ثبير لأزعم، لنوى، أن يرتحل من مكانه
فإن عشقت صوارمك الهوادي فما عديمت بمن تهوى اتصالا
فإن عشقت صوارمك، سيوفك، الهوادي، الرقاب، فهي تريد أن تضرب رقاب الأعداء.. فقد
مكتتها من الوصال بمعشوقها، وحاربت وضربت بها رقاب العدو

ولولا ما بسيفك من نحول لقلنا أظهر الكمد انتحالا
ولولا النحول والرهاقة التي بسيفك لقلنا إنه يظهر الكمد والغم مجرد إظهار في عشقه للرقاب،
لكن السيف نازل مرهف فهو عاشق حقيقي

سليل النار دق ورق حتى كأن أباه أوزنه السلالا
السيف سليل النار، ابن النار التي تعرض لها ليصير سيفاً، فكان أباه أوزنه داء السل لدقته ورقته
محلنى البرد تحسبه تردى نجوم الليل وانتعل الهلالا
السيف محلئ البرد، أي مزين الثوب.. يقصد غمده المحلى بالخرز والأحجار اللامعة، فكانه
تردى، لبس، النجوم واتخذ الهلال نعلأ (والنعل حديدة في أسفل الغمد)

تبين فوقه ضحضاخ ماء وتبصر فيه للنار اشتعالا
تبين وتبصر فوق متن السيف ضحضاخاً من الماء، ماء رقيقاً قليلاً، وتراه أيضاً مشتعلأ للمعانه
يذيب الرغب منه كل غضب فلولوا الغمد يمسكه لسالا
الربع الذي يبعث سيفك في كل غضب، في كل سيف آخر، يذيب ذلك السيف، فلولوا أن الغمد
يمسكه لسال السيف المرعوب

وَذِي ظَمَأٍ، وَلَيْسَ بِهِ حَيَاءٌ، تَبَيَّنَ طُولَ حَامِلِهِ فَطَالَا

ورب رمح ذي ظمأ، جاف كأنه عطشان، وهو رغم الظمأ ليس حياً، وقد تبين الرمح أن صاحبه طويل فطال لذلك.. (بصراحة قراءة البطلوسي أقرب، وهو يجعلها «الظُول» أي الفضل، ولكن قراءتنا تجعل البيت أشعر وأحلى، ويقول التبريزي إنه قرأها على أبي العلاء «الظُول» فصحه أبو العلاء وقال بل «الظُول».. خسارة)

تَوَهَّمَ كُلَّ سَابِغَةٍ غَدِيرًا فَرَتَّقَ يَطْلُبُ الْحَلَقُ الدُّخَالَا
ظن الرمح العطشان أن كل سابغة، كل درع، غديراً متموجاً، فرتق، حام، فوق حلقات الدرع المتداخلة

مَلَأَتْ بِهِ صُدُورًا مِّنْ أَنَاسٍ فَلَاقَتْ عَنْ ضَغَائِنِهَا اسْتِغْلَالَا

ملأت برمحك صدور أناس حاقدين فلقىت هذه الصدور ما يشغلها عن ضغائنها، أحقادها في هذه القصيدة، وفي كل «سقط الزند»، ترى طريقة أبي تمام وروح المتنبي.
سقط الزند = أبا تمام + المتنبي ÷ ٢

٢ المجد للسيف

مَا سِرْتُ إِلَّا وَطِيفٌ مِنْكَ يَصْحَبُنِي سُرَى أَمَامِي وَتَأْوِيبًا عَلَى أَثَرِي

لا أسير إلا وطيفك يصحبني، يمشي أمامي سرى، سيراً بالليل، وتأويباً، سيراً بالنهار، يتبعني على أثري. التسويد من أ. عبد الرحيم

لَوْ حَظَّ رَحْلِي فَوْقَ النِّجْمِ رَافِعُهُ أَلْفَيْتُ ثُمَّ خِيَالًا مِنْكَ مُنْتَظَرِي

لو أن الذي يرفع رحلي فوق جملي وضعه فوق النجم لوجدت خيالك ينتظرني هناك

يَوَدُّ أَنْ ظِلَامَ اللَّيْلِ دَامَ لَهُ وَزَيْدٌ فِيهِ سَوَادُ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ

يود طيفك أن يدوم ظلام الليل وأن يزداد فيه سواد القلب وسواد البصر، أي سواد حدقة العين، كي يظل يلاحقني

لَوْ اخْتَصَرْتُم مِّنَ الْإِحْسَانِ زُرْتُكُمْ وَالْعَذْبُ يُهَجِّرُ لِلْإِفْرَاطِ فِي الْخَصْرِ

لو قللتكم من إحسانكم لنا لزرتكم، فنحن نستحي من الزيارة لشدة كرمكم، فكذلك الماء العذب يهجره الشارب إذا كان مفرطاً في الخصر، البرودة

حَسَّنْتَ نَظْمَ كَلَامٍ تُوصَفِينَ بِهِ وَمَنْزِلًا بِكَ مَعْمُورًا مِنَ الْحَفَرِ

أنبت أيها المحبوبة تجعين النظم الذي توصفين به جميلاً، وتجعين البيت الذي تسكنينه عامراً بالحفر، بحيائك

فَالْحُسْنُ يَظْهَرُ فِي شَيْئَيْنِ رَوْقُهُ: بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ

أَقُولُ، وَالْوَحْشُ تَرْمِينِي بِأَعْيُنِهَا وَالطَّيْرُ تَعَجَّبُ مِنِّي كَيْفَ لَمْ أَطِرْ،
وَأَنَا سَاطِرٌ فِي الصَّحْرَاءِ تَرْمِينِي الْوَحْشُ بِأَعْيُنِهَا مَتَعَجِبَةٌ مِنْ وَجُودِي فِي هَذَا الْمَكَانِ، وَتَتَعَجَّبُ
الطُّيُورُ مِنْ سُرْعَتِي كَيْفَ أَتَنِي بِقَيْتٍ عَلَى الْأَرْضِ وَلَمْ أَطِرْ.. وَأَقُولُ..

لِمُسْتَعْلَيْنِ كَالسَّيْفَيْنِ، تَحْتَهُمَا مِثْلُ الْقَنَاتَيْنِ مِنْ أَيْنِ وَمِنْ ضُمُرٍ
أَقُولُ لِمُسْتَعْلَيْنِ، لِسَرِيعَيْنِ خَفِيفَيْنِ.. يَقْصِدُ صَاحِبِيهِ، وَالصَّاحِبَانِ يَشْبَهُانِ لِنَحْوِلَهُمَا سَيْفَيْنِ،
وَتَحْتَهُمَا نَاقَتَانِ كَأَنَّهُمَا قَنَاتَانِ، رَمَحَانِ نَحِيلَانِ، لَشِدَّةِ الْأَيْنِ وَالضُّمُرِ، التَّعَبِ وَالنَّحُولِ

فِي بَلَدَةٍ مِثْلِ ظَهْرِ الظُّبْيِ بِثُّ بِهَا كَأَنَّنِي فَوْقَ رَوْقِ الظُّبْيِ مِنْ حَذَرٍ
أَقُولُ هَذَا لِصَاحِبِيٍّ وَقَدْ بَثُّ فِي بَلَدَةٍ سَهْلَةٍ كَظْهِرِ الظُّبْيِ، لَكُنْتِي أَبَيْتَ قَلَقًا حَذَرًا كَأَنَّنِي فَوْقَ رَوْقِ
أَيِّ قَرْنٍ، الظُّبْيِ

لَا تَطْوِيَا السَّرَّ عَنِّي يَوْمَ نَائِبَةٍ فَإِنَّ ذَلِكَ ذَنْبٌ غَيْرُ مُغْتَفَرٍ
لَا تَخْفِيَا عَنِّي سَرًّا إِذَا جَاءَ خَبَرٌ بِمَصِيبَةٍ، فَهَذَا لَا يَغْتَفَرُ مِنْ صَدِيقٍ

وَالْخَلُّ كَالْمَاءِ يُبْدِي لِي ضَمَائِرَهُ مَعَ الصَّفَاءِ وَيُخْفِيهَا مَعَ الْكَدَرِ
وَالْخَلُّ، الصَّدِيقُ، كَالْمَاءِ: إِذَا كَانَ مَصَافِيًّا لِصَاحِبِهِ أَبْدَى لَهُ مَا فِي ضَمِيرِهِ، وَإِذَا تَكَدَّرَ صَفَاؤُهُ لَمْ
يَعُدِ الْمَاءُ شَفَافًا، وَلَمْ تَعُدْ فِي الصَّدِيقِ شَفَافِيَّةٌ. التَّسْوِيدُ مِنْ أ. عَبْد الرَّحِيمِ

مَاجَتْ نُمَيْرٌ فَهَاجَتْ مِنْكَ ذَا لَبِيدٍ وَاللَيْثُ أَفْتَكُ أَفْعَالًا مِنَ النَّمِرِ
مَاجَتْ بَنُو نَمِيرٍ، تَمَرَدُوا، فَهَاجَتْكَ وَأَثَارَتْكَ وَأَنْتَ ذُو لَبِيدَةٍ، أَيُّ أَسَدٍ، وَالْأَسَدُ أَفْتَكُ مِنَ النَّمِرِ

هَمُّوا فَأَمُّوا، فَلَمَّا شَارَفُوا وَقَفُوا كَوَقْفَةِ الْعَيْرِ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالصَّبَدْرِ
هَمُّوا بِالسَّيْرِ إِلَيْكَ، وَأَمُّوا، قَصَدُوكَ، وَعِنْدَمَا شَارَفُوا، اقْتَرَبُوا، وَقَفُوا وَقْفَةَ الْعَيْرِ، الْحِمَارِ، الَّذِي
يَقِفُ مَتَرْدِدًا بَيْنَ وَرُودِهِ الْمَاءِ وَصُدُورِهِ عَنْهُ مَتَرَقِبًا أَيُّ خَطَرٍ

وَأَضْعَفَ الرَّعْبُ أَيْدِيَهُمْ فَطَغَنُوهُمْ بِالسَّمْهَرِيَّةِ دُونَ الْوَحْزِ بِالْإِبْرِ
وَالرَّعْبُ مِنْكَ أَضْعَفَ أَيْدِيَهُمْ فَصَارُوا يَطْعَنُونَ بِالسَّمْهَرِيَّةِ، الرِّمَاحِ، طَعْنًا هُوَ أَضْعَفُ
مِنَ الْوَحْزِ بِالْإِبْرِ. حَقٌّ «أَيْدِيَهُمْ» النَّصْبُ وَأَسْكَنَهَا الشَّاعِرُ لِلْوِزْنِ، وَقَدْ جَرَى الْعَرَفُ
الشَّعْرِي عَلَى أَنْ يَضْحِي الشَّاعِرُ بِالنَّحْوِ عَلَى مَذْبَحِ الْوِزْنِ، لَا الْعَكْسَ

دَعِ الْبِرَاعَ لِقَوْمٍ يَفْخَرُونَ بِهِ وَبِالطُّوَالِ الرُّدَيْنِيَّاتِ فَافْتَخِرْ
اتْرَكَ الْبِرَاعَ، الْقَلَمَ، لِمَنْ يَرِيدُ الْإِفْتَخَارَ بِهِ، وَافْتَخِرْ بِالرُّدَيْنِيَّاتِ، بِالرِّمَاحِ، الطُّوَالِ

فَهُنَّ أَقْلَامُكَ اللَّاتِي إِذَا كَتَبْتَ مَجْدًا أَنْتَ بِمَدَادٍ مِنْ دَمِ هَدَرٍ
فَالرِّمَاحُ هِيَ أَقْلَامُكَ الَّتِي تَكْتُبُ الْمَجْدَ بِمَدَادٍ، حَبِرٍ، هُوَ الدَّمُ الْمَهْدُورُ مِنْ أَعْدَائِكَ

قَالَتِ عِدَّتُكَ لَيْسَ الْمَجْدُ مُكْتَسَبًا مَقَالَةُ الْهُجْنِ لَيْسَ السَّبْقُ بِالْحَضَرِ

يقول أعداؤك الذين عجزوا عن نيل مكانتك إن المجد ليس مكتسباً بل هو هبة من الله، وذلك كقول الهُجْن، الخيل غير الأصيلة، إن سبق ليس بالحُضَر، بالجري، لكن بسبب النسب

رَأَوْكَ بِالْعَيْنِ فَاسْتَفَعَوْتَهُمْ ظَنَنْ وَلَمْ يَرَوْكَ بِفِكْرِ صَادِقِ الْخَبَرِ

رأوك بعيونهم فغررت بهم الظنون، ولم يروك بفكرهم

وَالنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الْأَبْصَارُ صُورَتَهُ وَالذَّنْبُ لِلظَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصَّغَرِ

النجم تراه العين صغيراً، والذنب ذنب العين لا ذنب النجم

وَالْمَرْءُ مَا لَمْ تُفِدْ نَفْعاً إِقَامَتُهُ عَيِمَ حَتَّى الشَّمْسِ لَمْ يُمِطَرْ وَلَمْ يَسِرْ

إقامة المرء في مكان يجب أن تكون ذات نفع، وإلا فهو كالغيم غير الماطر يمنع الشمس ولا يسير

٣ الحياة كالنار

يَمْدَحُ أَبَا الْفَضَائِلِ سَعِيدَ بْنِ شَرِيفَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ (عَنْ شَرْحِ الْبَطْلِيِّسِي):

وَلَا حَتَّ مِنْ بُرُوجِ الْبَدْرِ بُعْدًا بُدُورُ مَهَا تَبَرَّجُهَا اِكْتِنَانُ

لاحت، ظهرت، من بروج البدر، المواضع السماوية التي يمر بها القمر، بدور مها، أقمار كبقر الوحش هي النساء الجميلات، وتبرجها هو عبارة عن اكتنان، أي استتار... وسيقول أبو العلاء في اللزوميات إن تبرج النساء مع استتارهن من السفاهة

فَلَوْ سَمِعَ الزَّمَانُ بِهَا لَضَنَّتْ وَلَوْ سَمَحَتْ لَضَنَّتْ بِهَا الزَّمَانُ

لو أتيح لنا أن نواصل الحنان لضنت، امتنعت، ولو سمحت لنا بالواصل لامتعت الزمان وحالت الظروف دون ذلك

رُزِقْنَا تَمَكُّنًا مِنْ كُلِّ قَلْبٍ فَلَيْسَ لِغَيْرِهِنَّ بِهِ مَكَانُ

تمتكنات من قلوب الرجال

وَعِيشَتِي الشَّبَابُ، وَلَيْسَ مِنْهَا صِبَايَ وَلَا ذَوَائِسِي الْهَجَانُ

العيشة الحقيقية هي أيام الشباب الواعي للفتنة، وليس من الحياة أيام الصبا حيث المرء لا يدرك لذة الهوى، ولا زمن الذوائب الهجان، خصلات الشعر البيض

وَكَالنَّارِ الْحَيَاءُ فَمِنْ رَمَادٍ أَوَاخِرُهَا وَأَوَّلُهَا دُخَانُ

والحياة كالنار أولها دخان وآخرها رماد ولا نفع فيها... كذا زمن اليفاعة والشيخوخة فلا نفع فيهما وكل النفع في النار نفسها... في الشباب فقط

٤ حلب جنة ونار

يمدح أبا الفضائل بن أبي الهيجاء:

لَا تَسَلْ عَنْ عِدَاكَ أَيْنَ اسْتَقَرُّوا لَحِقَ الْقَوْمُ بِاللَّطِيفِ الْخَبِيرِ
لَا تَسَلْ أَيْنَ ذَهَبَ أَعْدَاؤُكَ فَقَدْ قَتَلَهُمُ الْحَسَدُ قَتْلًا

حَلَبٌ لِلْوَلِيِّ جَنَّةٌ عَذْنٌ وَهِيَ لِلْغَادِرِينَ نَارٌ سَعِيرِ
حلب جنة للولي، النصير، ونار للغادرين

٥ شُرَّادُ الْمَعَانِي

قال يمدح بعض الأمراء:

أَفُوقَ الْبَدْرِ يَوْضَعُ لِي مِهَادٌ أَمِ الْجُوزَاءُ تَحْتَ يَدِي وَسَادٌ؟
أَيُفَرِّشُ لِي الْمِهَادَ، السَّرِيرَ، فَوْقَ الْبَدْرِ؟ لَا، بَلْ أَعْلَى مِنْهُ. أَتَكُونُ كَوَاكِبَ الْجُوزَاءِ وَسَادَةً أَتَكُنِي عَلَيْهَا؟

وَأَظَرَّبَنِي الشَّبَابُ عَدَاةً وَلَّى فَلَيْتَ سِنِيهِ صَوْتُ يُسْتَعَادُ
أَطْرَبَنِي، أَيِ أَشْجَانِي وَأَحْزَنِي، الشَّبَابُ عِنْدَمَا تَوَلَّى وَانْصَرَفَ عَنِّي، فَلَيْتَ سَنَوَاتِهِ مِثْلَ الصَّوْتِ، الْأَغْنِيَةِ، الَّذِي يَسْتَعِيدُهُ السَّامِعُونَ، يَطْلُبُونَ مِنَ الْمَغْنِيِّ إِعَادَتَهُ

تَلَوْدُ بِنَا الْقَطَا مُسْتَجِدِّيَاتٍ لِمَا ضَمِنَتْ مِنَ الْمَاءِ الْمَزَادُ
تَلَوْدُ بِنَا، تَلَجًا إِلَيْنَا، طَيُورُ الْقَطَا فِي الصَّحْرَاءِ مُسْتَجِدِّيَاتٌ لِلْمَاءِ الَّذِي ضَمِنَتْهُ، احْتَوَتْهُ، الْمَزَادُ، الْقُرْبَ الَّتِي مَعَنَا

يَكْذَنْ يَرِدْنَ مِنْ حَدَقِ الْمَطَايَا مَوَارِدَ مَآوِهَا أَبَدًا ثِمَادُ
تَكَادُ طَيُورُ الْقَطَا تَرِدُ الْمَاءَ فِي عَيُونِ الْإِبِلِ تَحْسِبُهَا مَاءً، غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْمَوَارِدَ مَآوِهَا ثِمَادُ، أَيِ قَلِيلٍ

مَنْى أَرَمِ الشُّهَاءُ بِكَ أَنْتَظِمُهُ كَأَنَّ هَوَاكَ فِي سَهْمِي سَدَادُ
إِذَا رَمَيْتَ بِسَهْمِي نَجْمَ «السَّهَاءِ» فَإِنِّي أَنْتَظِمُهُ، أَشْكُهُ بِالسَّهْمِ شَكًّا، فَكَأَنَّ مَجْنِيَّ إِيَّاكَ هِيَ الْمَسْدَدُ لِسَهْمِي

تَذُودُ عُلَاكَ شُرَّادَ الْمَعَانِي إِلَيَّ، فَمَنْ زَهِيرٌ أَوْ زِيَادُ؟

عُلَاكَ تَذُودُ إِلَيَّ، أَيِ تَجْمَعُ نَحْوِي، الْمَعَانِي الشَّارِدَةَ فِي الْمَدْحِ، فَمَنْ هُوَ زَهِيرٌ أَوْ زِيَادُ؟ وَمَنْ هُوَ زِيَادُ بْنُ مَعَاوِيَةَ النَّابِغَةُ الذِّبْيَانِي؟ وَمَا مَعَانِيهِمَا بِالْمُقَارَنَةِ مَعَ الْمَعَانِي الَّتِي تَأْتِيْنِي فِيكَ؟ (وَالشَّاعِرَانِ الْمَذْكُورَانِ مِنْ أَمْدَحٍ شُعْرَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ)

إِذَا مَا صِدْتُهَا قَالَتْ رَجَالٌ أَلَمْ تَكُنِ الْكَوَاكِبُ لَا تُصَادُ؟

عندما أصيد هذه المعاني الرائعة يقول الناس: كنا نظن الكواكب لا تصاد!

مِنْ اللَّاتِي أَمَدَّ بِهِنَّ طَبْعٌ وَهَذَّبَهُنَّ فِكْرٌ وَانْتَقَادُ

هذه معان أمدني بها طبعي وقريحتي الشعرية وهذبها فكري وانتقادي، أي تشديبي للشعر

٦ غبار المعركة

وَمُقَابِلِ بَيْنِ «الْوَجِيهِ» وَ«الْإِحْيِ» وَأَفَاكَ بَيْنَ مُطَهَّمٍ وَمُطَهَّمٍ

رب حصان مقابل، أي أصيل من جهتي الأب والأم، ونسبه يرتقي إلى الجوادين المشهورين «الوجيه» و«الاحق»، وقد أنكأ يختال بين الخيول من مطهم ومطهم، والمطهم الحصان التام الحسن

مِثْلُ الْعَرَائِسِ مَا انْتُنَتْ مِنْ حَارَةٍ إِلَّا مُخَضَّبَةُ السَّنَائِكِ بِالْدَمِ

هذه الخيول مثل العرائس المزينة بالحناء، فهي تنثنى، تعود، من الغارة وسنابكها، حوافرها، مصبوغة بدم الأعداء

أَدَمْتُ نَوَاجِذَهَا الظُّبَا فكَأَنَّمَا صُبِغَتْ شَكَايُهَا بِمِثْلِ الْعِنْدَمِ

أدمت الظبا، شفرات السيوف، نواجذ الخيول، صبغت أسنانها بالدم، فكأن هذا الدم على الشكايم، الحدائد التي في أفواه الخيل، ثمر العندم الأحمر

وَبَنَتْ حَوَافِرُهَا قَتَاماً سَاطِعاً لَوْلَا انْقِيَادُ عِدَاكَ لَمْ يَنْتَهَدَمْ

وبنت حوافر خيلك شبه بنايات من القتام الساطع، الغبار المرتفع، وما كانت هذه بنايات لتهدم لولا انقياد الأعداء لك واستسلامهم

بِأَضَى النَّسُورُ بِهِ وَخَيِّمَ مُصْعِداً حَتَّى تَرَعْرَعَ فِيهِ فَرْخُ الْقَشْعَمِ

هذا الغبار الذي أثارته حوافر خيلك كثيف، ولو دام لباضت عليه النسور، وظل يرتفع حتى فقس بيض القشاعم، النسور، وترعرعت الأفراخ.. يصعد المعري درجة فوق المتنبي في المبالغة والإحالة

وَسَمَا إِلَى حَوْضِ الْغَمَامِ قَمَازُهُ كَدِرٌ بِمُنْهَالِ الْغُبَارِ الْأَقْتَمِ

ولسما، وارتفع، الغبار إلى ما فوق أحواض السحاب فجعل ماء السحاب مكدراً قاتماً

حَتَّى تَرَكْنَ الْمَاءَ لَيْسَ بِطَاهِرٍ وَالثَّرْبَ لَيْسَ يَحِلُّ لِلْمُتَيَّمِ

وهكذا تركت خيولك الماء غير طاهر لأنك لوئت السحاب بالغبار، وتركت تراب الأرض غير طاهر ولا يحل للمتيمم لما اختلط به من الدم

٧ تجربة في الفخر القبلي

وَرَأَيْتُ أَمَامَ وَالْأَمَامِ وَرَاءَ إِذَا أَنَا لَمْ تُكْبِرْنِي الْكُبَرَاءُ
إذا لم يعرف السادة مقامي فسوف أوليهم ظهري وأنصرف، فيصبح ورائي أمامي والعكس

بِأَيِّ لِسَانٍ ذَامَنِي مُتَجَاهِلٌ عَلَيَّ، وَخَفَقَ الرِّيحُ فِيَّ ثَنَاءً؟
بأي لسان يجرؤ أن يذمني ذلك المتجاهل لقدري؟ والريح عندما تخفق، أي تصفر، تحمل ثناء
الناس عليّ

وَمُذْ قَالَ إِنَّ ابْنَ اللَّئِيمَةِ شَاعِرٌ ذَوُو الْجَهْلِ، مَاتَ الشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ
منذ أن قال ذوو الجهل إن «ابن اللئيمة» هذا شاعر. مات الشعر والشعراء

تُسَاوِرُ فَحَلَ الشَّعْرِ أَوْ لَيْتَ غَايِهِ سَفَاهَا وَأَنْتَ النَّاقَةُ الْعُشْرَاءُ
أراك تساور، تهاجم، فعل الشعر بل ليت الغاية، سفهاً منك وحمقاً، وأنت ضعيف كالناقة
العشراء، الحامل لعشرة أشهر

أَتَمَشِي الْقَوَافِي تَحْتَ غَيْرِ لَوَائِنَا وَنَحْنُ عَلَى قُودِهَا أُمَرَاءُ
لا تسير القصائد إلا تحت لوائنا، ونحن أمراء على قادة الشعر

وَأَيُّ عَظِيمٍ رَابَ أَهْلَ بِلَادِنَا فَلِنَّا عَلَى تَغْيِيرِهِ قُدْرَاءُ
وأي رجل عظيم القوة راب أهلنا، أي شكوا في أمره، فنحن قادرون على تغييره

وَمَا سَلَبْنَا الْعِزَّ قَطُّ قَبِيلَةً وَلَا بَاتَ مَنَّا فِيهِمْ أَسْرَاءُ
وَمَا سَارَ فِي عُرْضِ السَّمَاءِ بَارِقٌ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ قَوْمِنَا خُفْرَاءُ
ما سار بارق، أي غيم ذو برق، في وسط صحراء السماء إلا وقومنا يخفرونه، يحرسونه، أي
يمنعون غيرهم من رمي العشب المتبب عن هذا الغيم الماطر

٨ نحن غرقى

بعث الشريف أبو إبراهيم العلوي إلى المعري بقصيدة مطلعها: (غير مستحسن وصال
الغواني/ بعد ستين حجة وثمان)، فأجابه أبو العلاء:

عَلَّلَانِي فَلِنَّ بِبِضِّ الْأَمَانِي فَنَبَيْتُ، وَالظَّلَامُ لَيْسَ بِفَانٍ
عللاني يا صديقي، سللاني ونبلاني، فإن الأمانى الجميلة البيض ذهبت، والظلام باقٍ

إِنْ تَنَاسَيْتُمَا وَدَادَ أَنْاسٍ فَاجْعَلَانِي مِنْ بَعْضِ مَنْ تَذْكُرَانِ
كم أردنا ذاك الزمان بمدح فاشغلنا بدم هذا الزمان

رَبِّ لَيْلٍ كَأَنَّهُ الصَّبْحُ فِي الْحَسَنِ، وَإِنْ كَانَ أَسْوَدَ الطُّيْلَسَانِ

الطيلسان: الكساء

قَدْ رَكَّضْنَا فِيهِ إِلَى اللَّهْوِ لَمَّا وَقَفَ النَّجْمُ مُتَقَلِّلاً مَهْتَرَأً كَمَا يَقِفُ الْحَيْرَانُ (ورأى العرب القدماء في بعض النجوم اهتزازاً)

فَكَأَنِّي مَا قَلْتُ وَالْبَدْرُ طِفْلٌ وَشَبَابُ الظُّلُمَاءِ فِي عُنْفَوَانٍ: كَأَنِّي لَمْ أَقُلْ لَكُمْ وَالْبَدْرُ مَا زَالَ هَلَالاً صَغِيراً، وَكَانَ الظُّلَامُ دَامِساً فَكَأَنَّهُ الْمَرْءُ فِي عُنْفَوَانٍ شَبَابِهِ وَسَوَادَ شَعْرِهِ:

لَيْلَتِي هَذِهِ عُرُوسٌ مِنَ الزُّنْدِ حِجَّ عَلَيْهَا قَلَانِدٌ مِنْ جُجْمَانٍ قُلْتُ لَكُمْ: لَيْلَتِي عُرُوسٌ سَوْدَاءُ مِنَ الزُّنُوجِ، وَهِيَ تَتَزَيَّنُ بِعُقُودٍ مِنَ اللُّؤْلُؤِ الصَّغَارِ، هِيَ النُّجُومُ

هَرَبَ النَّوْمُ عَنْ جُفُونِي فِيهَا هَرَبَ الْأَمْنُ عَنْ فُؤَادِ الْجَبَانِ وَكَأَنَّ الْهَلَالَ يَهْوَى الثَّرِيًّا فَهُمَا لِبُودَاعٍ مُغْتَنِقَانِ وَالْهَلَالُ يَحْتَضِنُ نَجُومَ الثَّرِيَاءِ.. يَعَانِقُهَا قَبْلَ الْفِرَاقِ

قَالَ صَحْبِي فِي لُجَّتَيْنِ مِنَ الْجَنِّ لَيْسَ وَالْبَيْدُ إِذْ بَدَأَ الْفَرْقَدَانِ قَالَ لِي صَحْبِي وَنَحْنُ فِي لُجَّتَيْنِ، بِحَرَيْنِ، هُمَا الْحَنْدَسُ، أَيْ الظُّلَامُ، وَالْبَيْدُ، أَيْ الصَّحَارَى، وَقَدْ بَدَأَ فِي السَّمَاءِ الْفَرْقَدَانِ، هَذَانِ النُّجْمَانِ

وَسُهَيْلٌ كَوَجَنَةِ الْحَبِّ فِي اللَّوْ نِ وَقَلْبِ الْمُحِبِّ فِي الْخَفَقَانِ وَكَانَ نَجْمٌ سَهِيلٌ مُحَرَّماً كَخَدِ الْحَبِّ، أَيْ الْحَبِيبِ، وَخَافِقاً مَرْتَجِفاً كَقَلْبِ الْعَاشِقِ (وسهيل من النجوم ذات الاهتزاز)

مُسْتَبِدّاً كَأَنَّهُ الْفَارِسُ الْمُفْرِغُ لَمْ يَبْدُ مُعَارِضَ الْفُرسَانِ كَانَ سَهِيلٌ مُسْتَبِدّاً، أَيْ مُفْرِداً، كَأَنَّهُ الْفَارِسُ الَّذِي وَضَعَ شَارَةَ الْحَرْبِ وَقَدْ انْفَرَدَ عَنْ صَحْبِهِ مُعَارِضاً لَهُمْ، أَيْ وَاقِفاً فِي نَاحِيَةٍ مِنْهُمْ.. رُبَّمَا مُتَأَهِّباً لِلْمُبَارَاةِ

يُسْرِعُ اللَّمَحُ فِي أَحْمَارٍ كَمَا تُسْرِعُ فِي اللَّمَحِ مُقْلَةُ الْغَضْبَانِ يَتَأَلَّقُ سَهِيلٌ مَعَ أَحْمَارٍ كَأَنَّهُ عَيْنُ رَجُلٍ غَضْبَانٍ

ضَرَجَتْهُ دَمّاً سَيُوفُ الْأَعَادِي فَبَكَتْ رَحْمَةً لَهُ الشُّعْرِيَانِ ضَرَجَتْهُ بِالْدمِ السُّيُوفُ، فَبَكَتْ لَهُ الشُّعْرِيَانِ، تَانَكَ النُّجْمَتَانِ؛ وَالْعَرَبُ تَصِفُ الشُّعْرَيْنِ بِأَنَّهُمَا قَرِيبَتَانِ مِنْ سَهِيلٍ وَيَأْنِ إِحْدَاهُمَا كَأَنَّ فِي عَيْنِهَا قَذَى مِنْ بَكَاءٍ، فَأَبُو الْعَلَاءِ يَسْتَعْرِضُ مَعْلُومَاتِهِ الْفَلَكِيَّةَ، وَيَلْمِ بِمَا يَعْتَقِدُهُ الْعَرَبُ فِي شَأْنِ النُّجُومِ

ثم شابَّ الدُّجَى، وخافَ من الهَجَرِ رِ فَعَطَى المَشِيبَ بِالرَّغْفَرَانِ
وطلع الفجر فكان الشيب حل بالدجى، بالظلام، وخاف الظلام من هجر الأوبة بعد ابيضاض
الرأس فغطى مشيه بالزعفران، فثمة حمرة على صفرة تبدو مع الفجر

نحنُ غَرْقى، فكيف يُنْقِذُنَا نَجْد حانِ في حَوْمَةِ الدُّجَى غَرْقَانِ
نحن لسنا تائهين، فالليل والصحراء بحران. . ونحن غرقى، والتجمان غرقان، وهل ينقذ الغريق الغريق؟

وبلادٍ ورَدْتُهَا ذَنْبَ السَّرِّ حانِ، بينَ المَهَاةِ والسَّرْحانِ
جئت بلاداً في وقت «ذنب السرحان»، أي الفجر الكاذب الذي يشبه ذيل السرحان وهو الذنب،
وكنت أسير بين المهاة، بقرة الوحش، وبين السرحان، الذنب، في البراري

وعُيُونُ الرِّكَاكِ تَرْمُقُ عَيْناً حَوْلَهَا مَحْجَرٌ بِلا أَجْفَانِ
وعيون المسافرين ترمق عين ماء. . وعين الماء حولها محجر، عظام العين. . ويقصد حجارة البئر،
لكنها طبعاً بلا أجفان

وعلى الدهرِ مِنْ دِمَاءِ الشَّهِيدِ مِنْ عَلِيٍّ وَنَجْلِهِ شَاهِدَانِ
وهناك شاهدان على الدهر، على الوقت، هما الاحمرار الذي يشبه دم الشهيدين
علي بن أبي طالب وابنه الحسين. والقصيدة في مدح رجل شيعي، واعتقد بعض
الشيعة أن الاحمرار في أول الليل وآخره لم يكن إلا بعد مقتل علي والحسين

فَهُمَا فِي أَوَاخِرِ اللَّيْلِ فَجْرَانِ نِ، وَفِي أَوَّلِيَّاتِهِ شَفَقَانِ
فهذان الشاهدان كأنهما فجران في آخر الليل (الفجر الكاذب والفجر الصادق) وشفقان في أوله
(الشفق الأبيض والشفق الأحمر)

تُبَتْنَا فِي قَمِيصِهِ لِيَجِيءَ الـ حَشَرَ مُسْتَعْدِياً إِلَى الرَّحْمَنِ
ثبت هذا الشاهدان في قميص الدهر ليأتي القميص يوم الحشر ويستعدي، يطلب الانتصاف من
الخصم، لدى الله

يَا ابْنَ مُسْتَعْرِضِ الصَّفُوفِ بِبَذْرِ وَمُبِيدِ الْجُمُوعِ مِنْ غَطْفَانِ
يبدأ المدح: يا سليل علي بن أبي طالب الذي كان يستعرض صفوف المقاتلين في بدر، والذي
أباد جموع الأعداء من قبيلة غطفان

قَدْ أَجَبْنَا قَوْلَ الشَّرِيفِ بِقَوْلِ وَأَثَبْنَا الْحَصَى عَنِ الْمَرْجَانِ
أجبنا قول الشريف بقول مثله، وأثبناه، كافأناه، بالحصى مقابل مرجانه، لؤلؤه

أَظَرَبْنَا أَلْفَاظَهُ طَرَبَ الْعَا شِقِ لِلْمُسْمِعَاتِ بِأَلْحَانِ
المسمعات: المغنيات

فَاقْتَنِعْ بِالرَّوْيِ وَالْوِزْنِ مِنِّي فَهُمُومِي ثَقِيلَةُ الْأَوْزَانِ

اقتنع مني بنظم ضعيف ليس إلا وزناً وروياً بغير إبداع، فهمومي ثقيلة

مِنْ صُرُوفٍ مَلَكَنَ فِكْرِي وَنُظْقِي فَهَيَّ قَيْنُ الدُّوَادِ قَيْنُ اللِّسَانِ

همومي مكونة من صروف، ملكت فكري وقولي، وقد قيدت قلبي وقيدت لساني

يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ قَصَّرَ عَنْكَ الشُّدُّ - عَمُرُ لَمَّا وَصِفْتَ بِالْقُرْآنِ

الشعر يقصر عن إعطائك حقه بعد أن وصفك القرآن.. فالقرآن يمدح أهل البيت ويذهب عنهم الرجس ويظهرهم تظهراً.. والممدوح من البيت النبوي

٩ الفرق بن الأسد والنملة

يمدح صديقه أبا القاسم علي بن الحسين بن جَلْبَات:

يَرُومُكَ، وَالْجُوزَاءُ دُونَ مَرَامِهِ، عَدُوٌّ يَعِيبُ الْبَدْرَ عِنْدَ تَمَامِهِ

يرومك، يطلبك، عدوك.. ونجوم الجوزاء أقرب من مرامه، مطلبه، وهذا العدو معاند كمن يعيب البدر عند اكتماله

فَإِنْ يَكُ أَضْحَى الْقَوْلُ جَمًّا طَيَّورُهُ فَمَا تَسْتَوِي عِقْبَانُهُ بِحَمَامِهِ

لئن كثر القول كأنه الطيور الجمّة، الكثيرة، فإن العقبان الكاسرة ليست كالحمام الضعيف.. يلمح إلى أن شعره أعلى من شعر غيره

أَفْدَتْ جَزِيلَ الْمَالِ لَمَّا اسْتَفْدَتْهُ وَحَكَّمَتْ فِيهِ الدَّهْرَ قَبْلَ اخْتِكَامِهِ

أفدت، أعطيت، المال للناس لما استفدت هذا المال، وحكمت الزمن في مالك وجعلته يفنيه قبل أن يحتكم فيه الدهر بنفسه، فقد سبقت الدهر في تبديد مالك أيها السخي

وَهَلْ يَذْخَرُ الضَّرْغَامُ قُوتًا لِيَوْمِهِ إِذَا ادَّخَرَ النَّمْلُ الطَّعَامَ لِعَامِهِ

وكذا فالأسد لا يذخر الطعام، النمل هو الذي يذخره

١٠ على خطي أبي الطيب

وقال يفتخر ويعرض بيمض من أساء إليه:

أَلَا فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلٌ عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَنَائِلٌ

النائل: العطاء، يقصد السخاء

أَعِنْدِي، وَقَدْ مَارَسْتُ كُلَّ حَفِيبَةٍ، يُصَدِّقُ وَاشٍ أَوْ يُخَيِّبُ سَائِلٌ؟

أأصدق الوشاة أو أخيب السائلين بعد أن جربت الدنيا وخفاياها؟

أَقْلُ صُدُودِي أَنَّنِي لَكَ مُبْغِضٌ وَأَيْسَرُ هَجْرِي أَنَّنِي عَنْكَ رَاجِلٌ

أقل قدر من صدودي عنك بغضي لك، وأيسر الهجر رحيلي عنك

إِذَا هَبَّتِ النَّكْبَاءُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَأَهْوُونَ شَيْءٍ مَا تَقُولُ الْعَوَاذِلُ

إذا هبت النكباء، الريح المخربة، بيني وبينكم.. كناية عن التباغض، فعندئذ لا أهتم لما تقوله العاذلات وأمضي في العداوة إلى آخر الشوط

تُعَدُّ ذُنُوبِي عِنْدَ قَوْمٍ كَثِيرَةٍ وَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا الْعُلَا وَالْفَوَاضِلُ

يعدون علي الذنوب، وما ذنوبي سوى المعالي والفواضل، الفضائل

وَقَدْ سَارَ ذِكْرِي فِي الْبِلَادِ فَمَنْ لَهُمْ بِإِخْفَاءِ شَمْسٍ ضَوْؤُهَا مُتَكَامِلٌ

أصبحت مشهوراً ولا قبل لهم بإخفاء ذكرى، فهل يستطيعون إخفاء الشمس؟

يَهُمُّ اللَّيَالِي بَعْضُ مَا أَنَا مُضْمِرٌ وَيُثْقِلُ «رَضَوِي» دُونَ مَا أَنَا حَامِلٌ

بعض ما أخفيه في ضميري من مطامح يجعل الليالي، الدهر، تشعر بالهم الثقيل، وما أحمله من نفس كبيرة ثقيل حتى على جبل رضوى

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْأَخِيرَ زَمَانُهُ لَا تِ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ

وأنا - وإن كنت المتأخر زمانه - آتي بالشعر البديع الذي لم يتسن مثله للشعراء القدماء

وَأَغْدُو وَلَوْ أَنَّ الصَّبَاحَ صَوَارِمٌ وَأَسْرِي وَلَوْ أَنَّ الظَّلَامَ جَحَافِلُ

أغدو صباحاً ولو كان الصباح من الصوارم، السيوف، وأسري ليلاً ولو كان الظلام عبارة عن جحافل جيش

وَلِي مَنَظِقٌ لَمْ يَرْضَ لِي كُنْهَ مَنَزَلِي عَلَى أَنَّنِي بَيْنَ السَّمَائِينَ نَازِلُ

ومنطقي، أي كلامي وشعري، عال لا يرضى لي بحقيقة المنزل التي أنا فيها، ومنزلتي الحقيقية بين السماكين، نجمين من النجوم

لَدَى مَوْطِنٍ يَشْتَاقُهُ كُلُّ سَيِّدٍ وَيَقْضُرُ عَنْ إِدْرَاكِهِ الْمُتَنَاوِلُ

منزلتي عند موطن، مكان، يشتاق إلى الوصول إليه كل سيد، ولكن، لا يدركه من مد يده ليتناوله

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْجَهْلَ فِي النَّاسِ فَاشِيئاً تَجَاهَلْتُ حَتَّى ظَنَّ أَنِّي جَاهِلُ

لما رأيت الجهل متشراً تجاهلت، تظاهرت بالجهل، حتى ظن الناس أنني جاهل

فَوَاعَجَبَا كَمْ يَدْعِي الْفَضْلَ نَاقِصٌ وَوَأَسْفَا كَمْ يُظْهِرُ النَّقْصَ فَاضِلُ

يا للعجب! كم يدعي الفضل من هو ناقص، ويا للأسف، كم يظهر الفاضل النقص حتى

يتجنب الحسد. تعليق من الطليوسي «هذا من الكلام البديع الحسن الذي يدل على حذق

قائله بصناعة الشعر، لأنه قرن العجب بادعاء الناقص الفضل، والأسف بإظهار الفاضل

للنقص، فوضع الألفاظ في المواضع اللاتقة بها، ولو عكس الأمر لاختل النظم»

وكيف تنام الطير في وكناتها إذا نُصِبَتْ لِلْفَرْقَدَيْنِ الْحَبَائِلُ
عجبا كيف تنام الطير آمنة في وكناتها، أعشاشها، مع أن الناس ينصبون الحبال، المصايد، حتى
للفرقدين، وهما نجان

فلو بَانَ عَضْدِي مَا تَأَسَّفَ مَنْكِبِي وَلَوْ مَاتَ زَنْدِي مَا بَكَتُهُ الْأَنَامِلُ
لفسوة هذا الزمن تَمَسَّحْتُ، فلو انخلع عضدي، أعلى ذراعي، ما تأسف له منكمبي، كنتفي، ولو
مات زندي، أسفل ذراعي، ما بكت أناملتي عليه

إِذَا وَصَفَ الطَّائِيَّ بِالْبَخْلِ مَادِرٌ وَعَيْرَ قَسَاً بِالْفَهَاهَةِ بِاقِلُ .
إذا وصف مَادِرَ، البخل المشهور، حاتماً الطائي بالبخل، وعير باقِلُ، العبي المعروف، قسا
الخطيب المشهور

وَطَاوَلَتْ الْأَرْضُ السَّمَاءَ سَفَاهَةً وَفَاخَرَتْ الشُّهْبَ الْحَصَى وَالْجَنَادِلُ .
وإذا حاولت الأرض أن تفاخر السماء في الارتفاع، وإذا فاخر الحصى والجنادل، الصخور، شهب
السماء . . أي إذا انعكست الأمور وصار الوضع يحسب نفسه جليل القدر

فِيَا مَوْتُ زُرْ إِنْ الْحَيَاةَ دَمِيمَةً وَيَا نَفْسُ جِدِّي إِنْ دَهْرَكَ هَازِلُ
عندئذ أهلا بالموت فليأت زائراً، فالحياة ذميمة، كريهة، ويا نفسي كوني جادة فالزمن هازل
وقد أَغْتَدِي وَاللَّيْلُ يَبْكِي تَأْسُفًا عَلَى نَفْسِهِ وَالنَّجْمُ فِي الْغَرْبِ مَائِلُ
أغتدي، أرحل فجراً، بينما الليل يبكي متأسفاً على نفسه لأنه يزول، والنجم يميل غرباً ويختفي
بطلوع الشمس

بِرِيحٍ أُعِيرَتْ حَافِرًا مِنْ زَبَرْجَدٍ لَهَا التَّبَرُّ جِسْمٌ، وَاللُّجَيْنُ خَلَاحِلُ
أرحل على ريح، فرس سريعة، لها حافر أخضر من صلابته فكانه الزبرجد؛ وجسم الفرس أشقر
كالذهب، وقوائمها محجلة بيضاء كأنها اتخذت اللجين، الفضة، خلخال، جمع خلخال

كَأَنَّ الصَّبَا أَلْقَتْ إِلَيَّ عِنَانَهَا تَحُبُّ بِسَرَجِي مَرَّةً وَتُنَاقِلُ
كأن ريح الصبا منحتني عنانها، مقودها، وهي تحب وتناقل بسرجي، أي تمشي هذين النوعين من
المشي وأنا فوق سرجي

إِذَا اشْتَاقَتْ الْخَيْلُ الْمَنَاهِلَ أَعْرَضَتْ عَنْ الْمَاءِ فَاشْتَاقَتْ إِلَيْهَا الْمَنَاهِلُ
تشاق الخيل لمناهل الماء، لكنها تعرض عنها لأنها صبورة وجادة في بلوغ مرامها، فتشاق
المناهل إليها

إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتَ السَّعَادَةَ لَمْ تُبَلِّ وَإِنْ نَظَرْتَ شَرَّراً إِلَيْكَ الْقَبَائِلُ
إذا نلت السعادة، الحظ، فأنت لا تبالي ولو نظر الناس شرراً إليك، أي نظروا بأطراف عيونهم
مستائنين مستهجنين

وإن كنت تهوى العيشَ فأنِجِ تَوْسُطاً فعندَ التَّنَاهِي يَـقْصُرُ الْمُتَطَاوِلُ
 إن كنت تهوى العيشَ الهانئَ فلا تكن شديد الطموح، فعند بلوغ منتهى الأمانى يبدأ التقصير والنزول
 تَوَقَّى البُـدُورَ النَّقْصَ وَهِيَ أَهْلَةٌ وَيُـدْرِـكُـهَا النُّقْصَانُ وَهِيَ كَوَائِلُ
 كذلك البدور فهي تتوقى النقص، محمية من النقصان، عندما تكون أهلة، جمع هلال، ولكن
 النقصان يلحق بها عندما تكتمل

١١ الطموح فن المستحيل

أرى العَنَقَاءَ تَكْبُرُ أَنْ تُصَادَا فَمَـانِـذُ مَنْ تُطِيقُ لَهُ عِـنَادَا
 العنقاء طائر كبير خيالي، والعنقاء أكبر من أن تصاد؛ فعلى المرء أن يخالف ويعاند فقط من
 يستطيع معاندته ولا ينتطح إلى من هو أقوى منه بكثير... لا تناطح الدهر يا فتى

وما نَهْنَهْتُ فِي طَلَبٍ، وَلَكِنْ هِيَ الْإِيَّامُ لَا تُنْطِي قِيَادَا
 ما نهنت، تهاونت وكففت، في طلب العلى، ولكن الأيام لا تعطي قيادها للمرء

فَلَا تَلَمْ السَّوَابِقَ وَالْمَطَايَا إِذَا عَرَضَ مِنَ الْأَغْرَاضِ حَادَا
 لا تلم السوابق، الخيل، ولا الإبل إذا انحرف عنك مطلب من المطالب

لَعَلَّكَ أَنْ تَشُنَّ بِهَا مُغَارَاً فَتُنْجِحَ أَوْ تُجَشِّمَهَا طِرَادَا
 لعلك تشن غارة فتنجح، أي تحقق مبتغاك، أو تكلف الخيل مطاردة صيد

مُقَارِعَةً أَحْجَجْتُهَا الْعَوَالِي مَجْنِبَةً نَوَاطِرَهَا الرُّقَادَا
 تقارع أحجة الخيل، عظام حواجبها، العوالي، الرماح... فالخيل ترفع رؤوسها فتلامس رماح
 فرسانها الممدودة، وهي دائمة التيقظ فالرقاد لا يتسلل إلى عيونها

نَلُومُ عَلَى تَبَلُّدِهَا قُلُوبَاً تُكَابِدُ مِنْ مَعِيشَتِهَا جِهَادَا
 نلوم قلوبنا لتبليدها، حيرتها، ولكنها في الواقع تكابد وتشقى في تحصيل المعيشة. (قرأ أ.
 عبد الرحيم: جهادا، بفتح الجيم، لأن الجهاد المعاناة والمكابدة)

إِذَا مَا النَّارُ لَمْ تَطْعَمْ ضِرَامَاً فَأَوْشِكُ أَنْ تَسْمُرَ بِهَا رَمَادَا
 إذا النار لم تطعم، تأكل، ضراماً، أي وقوداً، فسريعاً ما تصير إلى رماد. فالمعاناة تحيي القلوب
 كالوقود الذي يحيي النار

فَظَنَّ بِسَائِرِ الْإِخْوَانِ شُرّاً وَلَا تَأْمَنُ عَلَى سِرِّ قُوَادَا
 فلو خبرتهمُ الجوزاءُ خبري لَمَا طَلَعْتَ مَخَافَةً أَنْ تُكَادَا
 لو جربت نجوم الجوزاء البشر مثلما جربتهم أنا لخافتهم وتوارت فلم تظهر في السماء

تَجَنَّبْتُ الْأَنَامَ فَمَا أُوَاحِي وَزِدْتُ عَلَى الْعَدُوِّ فَمَا أُعَادِي

لا أُوَاحِي الْأَنَامَ، البشر، وقدري مرتفع جداً عن الأعداء فلا سبيل لمعاداتي

وَلَمَّا أَنْ تَجَهَّمَنِي مُرَادِي جَرَيْتُ مَعَ الزَّمَانِ كَمَا أَرَادَا

لما تجهمني، كثر في وجهي، مرادي، مطلبني، جريت مع الزمان وطاوعته

وَهَوْنْتُ الْخُطُوبَ عَلَيَّ حَتَّى كَأَنِّي صِرْتُ أَمْنَحُهَا وَدَادَا

وهونت على نفسي شأن المصائب حتى لكانني أكنُّ لها المودة

أَتُنَكِّرُهَا وَمَنْبِئُهَا فَوَادِي وَكَيْفَ تُنَكِّرُ الْأَرْضُ الْقَتَادَا

كيف لي أن أنكر الخطوب وهي نابتة من قلبي، فهل تنكر الأرض الشوك الذي ينبت فيها؟

فَأَيُّ النَّاسِ أَجْعَلُهُ صَدِيقاً وَأَيُّ الْأَرْضِ أَسْلُكُهَا ارْتِياداً؟

وَلَوْ أَنَّ النُّجُومَ لَدَيَّ مَالٌ نَفَتُ كَفَّايَ أَكْثَرَهَا انْتِقَادَا

لو أن النجوم دراهم لدي لنفيتها، أي نفعتها، انتقاداً، تمييزاً للزائف من السليم..

فحتى النجوم اللامعة أكثرها زائف يستحق الانتقاد، التنحية لزيغه، فكيف بالبشر؟

تعليق أ. عبد الرحيم [هل أدرك أبو العلاء، على نحو ما، أن ما يظهر من صورة

النجوم هو مجرد صورة لا حقيقة لها وقت رؤيتها؟ فلمعان النجوم الراهن هو ما تبقى

من أثر مخلوقات ميتة، مات بعضها قبل آلاف السنين؟! هل هذه الفكرة قديمة؟!

وهل لهذا أقسم الله بـ«مواقع النجوم» ولم يقسم بالنجوم ذاتها؟!]

كَأَنِّي فِي لِسَانِ الدَّهْرِ لَفْظٌ تَضَمَّنَ مِنْهُ أَغْرَاضاً بِعَادَا

كأنني لفظ في لسان الزمن، وهو لفظ ذو معان عميقة

يُكَرِّرُنِي لِإِفْهَمَنِي رِجَالٌ كَمَا كَرَّرْتَ مَعْنَى مُسْتَعَادَا

يكرر الرجال النظر في شخصيتي وأقوالي محاولين فهمي، مثلما يكرر المرء معنى

غامضاً يكثر من استعادته. وكثير من أبياتك في سقط الزند يا أبا العلاء تحتاج إلى

استعادة وإعمال ذهن. وبالفعل كُفِّرْكَ ناس ورفئك ناس فوق المجرة، واحتارت في

شأنك الدهور لأنك سبقت عصرك، صدقت في هذا البيت ولم تفخر بأكثر مما هو

للك.. نسأل الله لك حياة مديدة في عقول وقلوب الناس

وَلَوْ أَنِّي حُبِبْتُ الْخُلْدَ قَرْدَا لَمَا أَحْبَبْتُ بِالْخُلْدِ انْفِرَادَا

حييت: مُنَحَت

فَلَا هَطَلْتُ عَلَيَّ وَلَا بِأَرْضِي سَحَائِبُ لَيْسَ تَنْتَظِمُ الْبِلَادَا

لا يريد سحباً يسقي بلده وحدها، ويشترط أن يكون المطر عمومياً

وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ أَمَدِي سَيَلَقَى دُونَنَ مَكَانِي السَّيِّعِ الشَّدَادَا

يعود للفخر: كم من رجل يسعى للوصول إلى منزلي، وهو يرى السبع الشداد، أي السماوات السبع، تحتي

يُؤَجِّجُ فِي شُعَاعِ الشَّمْسِ نَاراً وَيَقْدَحُ فِي تَلْهُبِهَا زِنَادَا

هذا الذي يحاول الوصول إلى منزلي هو كمن يوقد ناراً ليستضيء بها والشمس مشرقة، فيقدح الزناد، أداة إشعال النار، والشمس متلهبة

وَيَطْعَنُ فِي عُلايَ وَإِنَّ شِسْعِي لَيَأْنَفُ أَنْ يَكُونَ لَهُ زِجَادَا

يطعن في فضلي مع أن شسع نعلي، جلده التي تغطي أعلى القدم، يأنف أن يكون نجاداً لسيفه، حمالة يعلق بها السيف

وَيُظْهِرُ لِي مَوَدَّتَهُ مَقَالاً وَيُبْنِضُنِي ضَمِيراً وَاعْتِقَادَا

فلا وأبيك ما أخشى انتقاصاً ولا وأبيك ما أرجو ازدياداً

بصف المعري نفسه بالكمال. وبينها الخوارزمي إلى بيت المتني: من كان فوق محل الشمس موضعه/ فليس يرفعه شيء ولا يضع

لِي الشَّرْفُ الَّذِي يَطَأُ الثَّرِيَّا مَعَ الْفَضْلِ الَّذِي بَهَرَ الْعِبَادَا

وبعض الظَّاعِنِينَ كَقَرْنِ شَمْسٍ يَغِيبُ، فإن أضواء الفجر عادا

بعض الظاعنين، الراحلين، مثل قرن الشمس يرحل ثم يعود فجراً.. بعض الناس يغضبون لكرامتهم قليلاً فيتعدون، ثم يسرعون بالعودة لأقل بادرة..

وَلَكِنِّي الشَّبَابُ، إِذَا تَوَلَّى فَجَهْلٌ أَنْ تَرُومَ لَهُ ارْتِدَادَا

لكني أنا مثل الشباب فإذا تولى وذهب فمن الجهل أن تحاول رده.. أي أنني إذا غضبت وانصرفت فلا عودة لي.. وكان في المعري أنفة وكان يكرم نفسه عن مخالطة الكبراء

وَأَحْسَبُ أَنْ قَلْبِي لَوْ عَصَانِي فِعَاوَدَ، مَا وَجَدْتُ لَهُ افْتِقَادَا

لو عصاني قلبي ثم عاد إلي لما أحسست بالافتقاد إليه

وَلِي نَفْسٌ تَحُلُّ بِبِي الرُّوَابِي وَتَأْبَى أَنْ تَحُلَّ بِبِي الْوَهَادَا

نفس عالية تحل بي في الروابي المرتفعة وتأبى النزول في الوهاد، الوديان

عَمَدْتُ لِأَحْسَنِ الْحَيَّيْنِ وَجْهًا وَأَوْهَبِهِمْ طَرِيفًا أَوْ تِلَادَا

بدأ يمدح: قصدت رجلاً هو أحسن القومين، والمثنى يقوم مقام الجمع.. يقصد أحسن الناس، وجهاً، وأكثرهم منحاً للطريف، المال المكتسب، والتلاد، الأموال الموروثة

وَأَطْوَلِهِمْ إِذَا رَكِبُوا قَنَاءَ وَأَرْفَعِهِمْ إِذَا نَزَلُوا عِمَادَا
أطول الناس رمحاً إذا ركب للمعركة، وأرفعهم عماداً، أطولهم عمود خيمة. . وعمود الخيمة
الطويل كتابة عن عظم الخيمة. . أي أنه سيد القوم

فَتَى يَهَبُ اللَّجَيْنَ الْمَحْضَ جُوداً وَيَدْخِرُ الْحَدِيدَ لَهُ عِتَادَا
يعطي اللجين المحض، الفضة الخالصة، للناس، ولكنه يدخر الحديد عتاداً للحرب

جَهَوْلٌ بِالْمَنَاسِكِ لَيْسَ يَدْرِي أَغْيَا بَاتَ يَفْعَلُ أَمْ رَشَادَا
المناسك: الذبائح. فهو رجل لا يعرف كيف تذبح الإبل لأنه سيد يترك مثل هذا الأمر للخدم. .
هذه فحوى شرح البطليوسي. ونغلب قول التبريزي «يصفه بأنه بدوي قح لا يخالط أهل الحضر»

طُمُوحُ السَيْفِ لَا يَخْشَى إِلَهَا وَلَا يَرْجُو الْقِيَامَةَ وَالْمَعَادَا
في الحرب سيفه طموح، متلف للقتل، فالسيف لا يخشى في القتل الله ولا يرجو قيامة
ولا بعثاً. تعليق البطليوسي: «هذا معنى كثير في الشعر المحدث والقديم، إلا أن المعري
استعمله بلفظ شديد البشاعة ظاهر الشناعة، ينكره من يراه، ويتأوله على غير معناه»

١٢ حب الحياة

وَحُبُّ الْفَتَى طَوْلَ الْحَيَاةِ يُذِلُّهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ نَخْوَةٌ وَعُورَامُ
تعلق المرء بالحياة يعرضه للذل حتى وإن كان فيه نخوة وشهامة وعرام، شراسة

وَكُلُّ يُرِيدُ الْعَيْشَ، وَالْعَيْشُ حَتْفُهُ وَيَسْتَعَذِبُ اللَّذَاتِ وَهِيَ سِمَامُ
كل إنسان يريد الحياة، والحياة في الواقع طريق الموت، وكل إنسان يرى اللذات عذبة، وهي سموم

١٣ النابحون

تَعَاطَوْا مَكَانِي وَقَدْ قُتِلْتُمْ فَمَا أَدْرَكُوا غَيْرَ لَمَحِ الْبَصَرِ
تعاطوا مكاني، رفعوا أيديهم عالياً لينالوا مكاني، وقد ارتفعت كثيراً عنهم، فبالكاد أبصروني لمحاً
وَقَدْ نَبَحُونِي، وَمَا هِجَّتُهُمْ كَمَا نَبَحَ الْكَلْبُ ضَوْءَ الْقَمَرِ
هجتهم: أهجتهم وهيجتهم

١٤ إِنَّكَ هِنْدًا

حَيٍّ مِنْ أَجْلِ أَهْلِهَا الدِّيَارِ وَإِنَّكَ هِنْدًا لَا تُؤَيُّ وَالْأَحْجَارَا
حي الديار الخربة من أجل أهلها الذين رحلوا عنها، وإبك هنداً ولا تبك النؤي، القناة المحفورة
حول الخيمة التي تمنع ماء المطر، ولا الأحجار

هِيَ قَالَتْ لَمَّا رَأَتْ شَيْبَ رَاسِي وَأَرَادَتْ تَنَكُّرًا وَأَزْوَارًا:

قالت هند إذ رأت شيب رأسي، ونوت التكر لي والازورار، الانحراف، عني:

أَنَا بَدَرٌ وَقَدْ بَدَأَ الصُّبْحُ فِي رَأْسِيكَ، وَالصَّبْحُ يَطْرُدُ الْأَقْمَارَ

١٥ الحب المضمحل

لَلَّهِ أَيَّامُنَا الْمَوَاضِي لَوْ أَنَّ شَيْئًا مَضَى يَمُودُ

التسويد لأحمد عبد الرحيم

أَبْلَى وَدَادِي لَكُمْ زَمَانٌ أَلَيْنُ أَحْدَاثِهِ حَدِيدُ

لَمْ يَبْلُ مِنْ بَذَلَةٍ، وَلَكِنْ يَبْلَى عَلَى طَيِّهِ الْجَدِيدُ

ودي لكم لم يصبه البلى والاهتراء من بذلة، لأنني بذلته لغيركم، لكن لمرور الزمن؛ فالثوب الجديد يبلى حتى وهو مطوي غير ملبوس... يبلية الزمن

١٦ ألا ليت الشباب

مِنْكَ الصُّدُودُ وَمَنِّي بِالصُّدُودِ رِضًا مَن ذَا عَلَيَّ بِهَذَا فِي هَوَاكَ قَضَى

بِي مِنْكَ مَا لَوْ غَدَا بِالشَّمْسِ مَا طَلَعَتْ مِنْ الْكَأَبَةِ، أَوْ بِالْبَرْقِ مَا وَمَضَا

لحق بي بسببك من الكآبة ما لو كان بالشمس لما طلعت، وما لو كان بالبرق لما أومض، وأومض مثل ومض

إِذَا الْفَتَى ذَمَّ عَيْشًا فِي شَبَابِهِ فَمَا يَقُولُ إِذَا عَصَرَ الشَّبَابَ مَضَى؟

وَقَدْ تَعَوَّضْتُ عَنْ كُلِّ بِمُشَابِهِهِ فَمَا وَجَدْتُ لِأَيَّامِ الصَّبَا عَوَضًا

استعضت عن كل شيء بآخر مشابه له، ولكنني لم أجِد لأيام الصبا شيئاً يعوضني عنها

وَقَدْ غَرَضْتُ مِنَ الدُّنْيَا فَهَلْ زَمَنِي مُعْطِ حَيَاتِي لِغُرٍّ بَعْدَ مَا غَرَضَا

غرضت: ضجرت، غر: فتى غير محرب

جَرَبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ، فَمَا تَرَكْتُ لِي التَّجَارِبُ فِي وَدِّ امْرِئٍ غَرَضَا

وَلَيْلَةٌ سِرْتُ فِيهَا، وَابْنُ مُزْنَتِيهَا كَمَيِّتٍ عَادَ حَيًّا بَعْدَ مَا قُبِضَا

رب ليلة سرت فيها، وكان ابن مزنتها، أي ابن غيمتها أي الهلال إذ يخرج من وراء المزة أي الغيمة، مخفياً كأنه ميت ثم خرج وظهر حياً

كَأَنَّمَا هِيَ إِذْ لَاحَتْ كَوَاكِبُهَا خَوْدٌ مِنَ الزَّئِجِ تُجَلَّى وَشَحَتْ خَضَضَا
هذه الليلة كأنها خود، فتاة، زنجية تجلى، تُرَزَّز، والكواكب كأنها الخضض، الخرز الصغار،
توشحها، تكون وشاحاً لها

كَأَنَّمَا النَّسْرُ مَقْصُوصٌ قَوَادِمُهُ فَالضَّعْفُ يَكْثُرُ مِنْهُ كُلَّمَا نَهَضَا
هذا الليل طويل فكأن النسْر، مجموعة أنجم معروفة.. والنسر أيضاً الطائر
المعروف، كأنه مقصوص القوادم، الريشات الظاهرة، فكلما جاء ينهض كسر الضعف
منه.. فالنسر في السماء باق والليل باق

١٧ رسالة شكر

قال يجيب الشاعر أبا الخطاب الجُبلي وقد مدحه:

أَشْفَقْتُ مِنْ عِبِّ الْبَقَاءِ وَعَايِهِ وَمِلْتُ مِنْ أَرِي الزَّمَانِ وَصَابِهِ
سجرت من عبء الحياة ومن عابها، عيها، وملت من أري الزمان وصابه، من عسله ومُرّه
ووجدت أحداث الليالي أولعت بِأَخِي النَّدَى تَثْنِيهِ عَنْ آرَابِهِ
مصائب الزمن مغرمة بملاحقة أخي الندى، ذي السخاء، تثني وتبعده عن آرابه، أهدافه
أَلْبَسْتَنِي حُلَّ الْقَرِيضِ وَوَشِيهِ مَتَفَضُّلاً فَرَفَلْتُ فِي أَثْوَابِهِ
كسوتني من شعرك ثوباً جميلاً فرفلت فيه، أي تبخترت

١٨ المترفع عن المزاحمة

يرثي أباه:

أَبِي حَكَمْتُ فِيهِ اللَّيَالِي، وَلَمْ تَزَلْ رِمَاحُ الْمَنَابَا قَادِرَاتٍ عَلَى الطُّغْنِ
أماك الزمن أبي، ورماح الزمن دوماً قادرة على الطعن

فَبَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَخْفُفُ وَقَارُهُ إِذَا صَارَ أَحَدٌ فِي الْقِيَامَةِ كَالْمَعْنِ؟
هل يخفف وقار أبي إذا صار جيل أحد يوم القيامة كالمعن، كالصوف المصبوغ؟

وَهَلْ يَرِدُ الْحَوْضَ الرَّوِّيُّ مُبَادِرًا مَعَ النَّاسِ أَمْ يَأْتِي الرَّحَامَ فَيَسْتَأْنِي؟
وهل يأتي في يوم الحشر إلى حوض الرسول الذي يروي عطاش المؤمنين مبادراً، مسرعاً، ضمن
رحام الناس، أم يترفع عن المزاحمة ويتنظر؟

فَلَيْتَكَ فِي جَفْنِي مُوَارَى، نَزَاهَةً بِتِلْكَ السَّجَايَا عَنْ حَشَايَ وَعَنْ ضِئْبِي
ليتك يا أبي مدفون في عيني.. وأنا أنزهك، بسجايك وصفاتك الجليلة، عن القول: ليتك مدفون
في أحشائي أو في ضئبي، خاصرني

فِيَا قَبْرُ، وَآءٍ مِنْ تُرَابِكَ لَيْنًا عَلَيْهِ، وَآءٍ مِنْ جَنَادِلِكَ الْحُشَنِ
أَيُّهَا الْقَبْرِ وَآءٍ، أَتْلَهفُ، مِنْ تَرَابِكَ اللَّيْنِ الَّذِي يَمَسُّ جِسْمَهُ، وَآءٍ، أَتَأَلَّمُ، مِنْ جَنَادِلِكَ، صَخْرُوكَ، الْخَشَنَةِ

١٩ خَفَّفِ الْوَطْءَ

يُرِثِي فَقِيهًا حَفْبًا يَكْنَى بِأَبِي حَمْرَةَ:

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي نَوْحُ بَاكِ وَلَا تَرْتُّمُ شَادٍ
لَيْسَ مُجْدِيًّا، فِيمَا أَعْتَقَدُ وَأُؤْمِنُ، نَوْحَ الْبَاكِ وَلَا تَرْتُمِ الشَّادِي الْمَغْنِي... فِيهِ حَيَاةٌ فَانِيَةٌ لَا تَسْتَحِقُّ
الْحُزْنَ وَلَا الْفَرْحَ

وَشَبِيهَ صَوْتِ النَّعْمِيِّ إِذَا قَبِيَ - سَنَ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادٍ
صَوْتُ النَّعْمِيِّ، النَّاعِي الْمَخْبِرُ بِالْوَفَاةِ، مِثْلُ صَوْتِ الْمُبَشِّرِ بِمِيلَادِ طِفْلِ فِي كُلِّ مَجْلَسٍ

أَبَكْتُ تِلْكَمُ الْحَمَامَةِ أَمْ عَنَدَ - تَتُّ عَلَى فَرْعِ غُصْنِهَا الْمَيَّادِ؟
فَهَلْ تَرَوْنَ أَنَّ الْحَمَامَةَ بِصَوْتِهَا الْغَرِيبِ تَبْكِي أَمْ هِيَ تَغْنِي عَلَى غُصْنِهَا الْمَيَّادِ، الْمَتَارَجِحِ؟ لَا تَفْرُقُ...
النَّوْحَ مِثْلَ الْغَنَاءِ

صَاحِ هَذِي قُبُورُنَا تَمَلُّا الرُّخَا - بَ فَايْنَ الْقُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادِ؟
يَا صَاحِبِي مَا هِيَ قُبُورُنَا تَمَلُّا الرُّخْبَ، السَّاحَاتِ، فَايْنَ الْقُبُورُ الْقَدِيمَةُ مِنْ عَهْدِ قَوْمِ عَادٍ؟

خَفَّفِ الْوَطْءَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الْ- أَرْضِي إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
خَفَّفِ الدَّوْسَ وَأَنْتَ تَمْشِي، فَأَدِيمُ الْأَرْضِ، وَجْهَهَا، مَا هُوَ إِلَّا مِنْ أَجْسَادِ الْمَيِّتِينَ فِي الْعَصْرِ
الْقَدِيمَةِ

وَقَبِيحُ بِنَا، وَإِنْ قَدَّمَ الْعَهْدَ - هَدُّ، هَوَانُ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
وَقَبِيحُ بِنَا أَنْ نَهَيِّنَ آبَاءَنَا وَأَجْدَادَنَا حَتَّى وَإِنْ قَدَّمَ الْعَهْدَ بِهِمْ

سِرُّ إِنْ اسْطَغَتْ فِي الْهَوَاءِ رُؤَيْدًا - لَا اخْتِيَالًا عَلَى رُقَاتِ الْعِبَادِ
رُبُّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مِرَارًا - ضَاحِكٌ مِنْ تَزَاوَحِ الْأَضْدَادِ
رَبُّ قَبْرِ تَهْدِمُ وَاخْتَفَى ثُمَّ حَفَرَ مَرَّةً أُخْرَى وَأُخْرَى فَدَفَنَ فِيهِ آخَرُونَ، وَهُوَ يَضْحَكُ مِنْ تَزَاوَحِ الْأَضْدَادِ
وَأَشْنَاتِ النَّاسِ عَلَيْهِ

وَدَفِينِ عَلَى بَقَايَا دَفِينِ - فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْأَبَادِ
فَاسْأَلِ الْفَرَقْدَيْنِ عَمَّنْ أَحْسَا - مِنْ قَبِيلِ وَآنَسَا مِنْ بِلَادِ
اسْأَلِ هَذَيْنِ النَّجْمَيْنِ، الْفَرَقْدَيْنِ، عَمَّنْ رَأَى مِنْ قَبِيلِ، قَبَائِلِ، وَمَا آنَسَا، عَرَفَا، مِنْ بِلَادِ

كَمْ أَقَامَا عَلَى زَوَالِ نَهَارٍ وَأَنَارَا لِمُذْلَجٍ مِّن سَوَادٍ
كَمْ مَكَّنَا يَرِيانَ النَّهَارَ يَزُولُ وَيَنِيرَانِ الطَّرِيقَ لِمُدْلَجٍ، لَسَاثِرَ لَيْلًا

تَعَبَ كُلُّهَا الْحَيَاةُ فَمَا أَعَدَّ جَبَبُ إِلَّا مِّن رَّغِبٍ فِي ازْدِيَادٍ
إِنْ حَزَنًا فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضْعَا فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمَيِّلَادِ
خَلَقَ النَّاسَ لِلْبَقَاءِ، فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ
الناس مخلوقون للبقاء بعد الموت في الآخرة، وضل من يحسبهم خلقوا للنفاد، الفناء

إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِّن دَارٍ أَعْمَا لِإِلَى دَارٍ شِقْوَةٍ أَوْ رَشَادٍ
يَقْلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَالِ، الدُّنْيَا، إِلَى دَارِ شِقْوَةٍ، النَّارِ، أَوْ دَارِ رَشَادٍ، الْجَنَّةِ

ضَجَعَةُ الْمَوْتِ رُقْدَةً يَسْتَرِيحُ إِلَ جَسْمُ فِيهَا، وَالْعَيْشُ مِثْلُ الشُّهَادِ
الانسداح في القبر نوم يستريح به الجسم، وأما الحياة فهي بمثابة الشهاد، التعاس قبل النوم
أَبْنَاتِ الْهَدِيلِ أَسْعِدْنَ أَوْ عِدْنَ نَ قَلِيلَ الْعَزَاءِ بِالإِسْعَادِ
يا بنات الهديل، أيتها الحمائم، أسعدن، ساعدن، أو على الأقل قُدْمَنَ وعداً بالمساعدة للقليل
القليل العزاء

إِيهِ، لِلَّهِ دَرْكُنَّ، فَأَنْشُنَّ - الْلَوَاتِي يُخْسِنَنَّ حِفْظَ الْوِدَادِ
مَا نَسِيْتُنَّ هَالِكًا فِي الْأَوَانِ إِلَ خَالٍ أَوْدَى مِّن قَبْلِ هُلُكٍ إِيَادِ
ودليل حفظ الحمائم للود أنهن لم ينسين الابن المسمى «الهديل» الذي مات في
الزمان الخالي العتيق قبل موت إياد، جد قبيلة إياد. تقول الأسطورة إن الحمائم
فقدت ولدها «الهديل» فظلت تبكيه، لذا سمي صوت الحمام هديلاً

بَيْدَ أَنِّي لَا أَرْتَضِي مَا فَعَلْتُنَّ - وَأَطَوَأُفُكُنَّ فِي الْأَجْيَادِ
غير أنني لا أرضى بكاءكن وأنتن تتحلين في أعناقكن بالأطواق. وأطواق الحمائم ريش لها حول
العنق، جعله شاعرنا طوق زينة

فَتَسَلَّبْنِ وَاسْتَعِرْنَ جَمِيعاً مِّن قَمِيصِ الدُّجَى ثِيَابَ حِدَادِ
فتسلبن، اخلعن ثيابكن، وخذن من قميص الليل ثوب حداد أسود

ثُمَّ عَرَّدْنَ فِي الْمَاتَمِ وَانْدُبْنَ مَن يَسْجُو مَعَ الْعَوَانِي الْخِرَادِ
ثم بعد ذلك غردن واندبن في الماتم مع النساء الخراد، الخجولات

قَصَدَ الدَّهْرُ مِّن أَبِي حَمْرَةَ الْأَوَّ - ابِ مَوْلَى حَجًّا وَخِذْنَ أَقْتِصَادِ
قصده الدهر بمصائبه أبا حمزة الأواب، الراجع بشؤونه إلى الله، وهو مولى حجاً، صاحب عقل،
وخذن اقتصاد، حليف اتزان غير متشدد

وَفَقِيهًا أَفْكَارُهُ شِدْنَ لِلنُّعْمِ - حَانَ مَا لَمْ يَشِدَّهُ شَعْرُ زِيَادِ

وهو فقيه شيدت أفكاره للنعمان (أبي حنيفة النعمان) ما لم يشيده شعر زياد، النابغة الذبياني الذي بنى للملك النعمان قصوراً من قصائد المدح

فَالْمِرَاقِيُّ بَعْدَهُ لِلحَّجَازِيِّ - قَلِيلُ الْخِلَافِ سَهْلُ الْقِيَادِ

فبعد الفقيه الفقيد أصبح العراقي، من يتبع أبا حنيفة فقيه العراق، قليل الخلاف للحجازي، من يتبع الشافعي القرشي، وأصبح سهل القياد، مطوعاً، لأنه فقد بموت فقيهما الحنفي سنداً كبيراً

وَحَطِيبًا لَوْ قَامَ بَيْنَ وَحُوشٍ عَلَّمَ الضَّارِيَاتِ بِرِّ النَّقَادِ

أخذ الموت خطيباً مفوهاً لو خطب بين الوحوش الضارية لعلهما كيف تكون رفيقة وبارة بالنقاد، بصغار الغنم

وَدَعَا أَثْبَاهَا الْحَفِيَّانِ ذَاكَ الشَّدَّ - خُصَصَ، إِنْ الْوَدَاعَ أَبْسَرُ زَادِ

أيها الصاحبان الحفيان، المهتمان بدفن الرجل، ودعاه فلا كلفة في الوداع

وَاعْسِلَاهُ بِالْدمْعِ، إِنْ كَانَ طُهْرًا، وَادْفِنَاهُ بَيْنَ الْحَشَا وَالْفَوَادِ

واغسله بالدمع إن كان دمعك طاهراً، وادفناه بين البطن والقلب إكراماً له عن الدفن في التراب (قال بعضهم إن دمع العينين ليس طاهراً لاختلاطه بدم)

وَاحْبُؤَاهُ الْأَكْفَانَ مِنْ وَرَقِ الْمُصَفِّ حَفِ كِبَرًا عَنْ أَنْفَسِ الْأَبْرَادِ

وامنحاه كفنًا من ورق المصحف تنزيهاً له حتى عن أئمن الأثواب

وَاتْلُوا النَّعْشَ بِالْقِرَاءَةِ وَالتَّسْبِيحِ لَا بِالنَّحْبِ وَالتَّغْدَادِ

اتلوا: اتبعوا، التعداد: ضرب من النواح فيه تعداد لمحاسن الميت

طَالَمَا أَخْرَجَ الْحَزِينَ جَوَى الْحُزِّ نِ إِلَى غَيْرِ لَائِقٍ بِالسَّدَادِ

كثيراً ما يخرج الشخص الحزين ألم الحزن بشكل غير لائق بالسداد، الصواب

مَثَلَمَا قَاتَتِ الصَّلَاةُ سُلَيْمًا نَ قَاتَتْحَى عَلَى رِقَابِ الْجِيَادِ

هذا مثلما قاتت صلاة العصر النبي سليمان فغضب وضار يضرب رقاب الخيل لأن تأمله محاسنها شغله عن الصلاة

وَهُوَ مَنْ سُحِّرَتْ لَهُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ - بِمَا صَحَّ مِنْ شَهَادَةِ صَادِ

وسليمان هو من سخر الله له الإنس والجن كما ورد في سورة ص من القرآن

خَافَ عَذَرَ الْأَنَامِ فَاسْتَوْدَعَ الرِّيبَ - حِ سَلِيلًا تَغْذُوهُ دَرَّ الْعِهَادِ

خاف سليمان على سليله، ولده، غدر الناس فجعله - وكان ولده الوحيد - وديعة عند الريح تغذيه من در العهاد، ماء المطر لا غير

وَتَوَخَّى لَهُ النِّجَاةَ وَقَدْ أَيْدَ قَنَّ أَنْ الْجِمَامَ بِالْمِرْصَادِ

أراد له النجاة موقناً أن الموت يترصده

فَرَمَتْهُ بِهِ عَلَى جَانِبِ الْكُرِّ سَيِّ أُمُّ اللّٰهُمِّمِ أَخْتُ النَّادِ

فرمت أم اللهميم، المنية الموت، الناد، الداهية، سليمان بولده على كرسي العرش ميتاً. تعليق أ. عبد الرحيم: [أكره أن أنقحهم عليك ذوقك في الاختيار.. ولكن اسمح لي، هذه الأبيات الخمسة لا شعر فيها، ولا علاقة لها حسنة بسباق الرثاء العالي.. وفوق هذه وتلك هي مبنية على رواية منكرة! فما وجه استحسانكها؟!]
الرد: يقول المثل الإنجليزي «لا محاسبة على المزاج». وأنا أجد لذة في هذه الروايات «المنكرة» لأنني أراها فولكلوراً

كَيْفَ أَصْبَحْتَ فِي مَحَلِّكَ بَعْدِي يَا جَدِيرًا مَنِي بِحُسْنِ افْتِقَادِ؟

كيف أصبحت أيها الفقيه بعد تركي إياك؟ وما كان أجدرك بأن أفتقدك وأسأل عنك

قَدْ أَقَرَّ الطَّبِيبُ عَنْكَ بِعَجْزٍ وَنَقَضَى تَرَدُّدُ الْعُودِ

أقر الطبيب بعجزه عن مداواتك، وخف قدوم الزائرين

هَجَدَ السَّاهِرُونَ حَوْلَكَ لِلْتَمِّ رِبْضِي، وَنَحْ لِأَعْيُنِ الْهَجَّادِ

والساهرون على رعايتك في آخر أيام مرضك قد هجدوا، ناموا، فويح أعين هؤلاء النوام

كُنْتُ خِلَّ الصَّبَا فَلَمَّا أَرَادَ الْبَيْنَ وَافَقْتُ رَأْيَهُ فِي الْمُرَادِ

كنت صديقاً لوقت الشباب فلما أراد صديقك «الشباب» البين، الرحيل عنك، وافقته في مراده ورحلت مع رحيل الشباب. مات الفقيه شاباً

وَرَأَيْتَ الْوَفَاءَ لِلصَّاحِبِ الْأَوَّلِ - لِ مِنْ شِيَمَةِ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ

ورأيت الوفاء للصديق الأول من أخلاق الكريم، وأنت وفيت للشباب وعندما ذهب ذهب

وَخَلَعْتَ الشَّبَابَ غَضًّا، فَيَا لِي تَكَ أَبْلَيْتَهُ مَعَ الْأَنْدَادِ

خلعت الشباب وأنت غض طري العود، فليتك أبليت شبابك وعشت طويلاً مع أندادك في العمر

فَاذْهَبَا خَيْرَ ذَاهِبَيْنِ حَقِيقَيْنِ - بِنِ بِسُقْيَا رَوَائِحِ الْغَوَادِ

فاذهبا أنت والشباب يا خير ذاهبين حقيقيين، جديرين، بسقيا السحب الروائح الغوادي، الآتية مساء وصباحاً

وَمَرَاتٍ لَوْ أَنَّهِنَّ دُمُوعٌ لَمَحَوْنَ السُّطُورَ فِي الْإِنْشَادِ

مراتينا لك رقيقة حزينة فلو كن من دموع لمحون السطور ونحن نشدها

زُحِّلَ أَشْرَفُ الْكَوَاكِبِ دَاراً مِنْ لِقَاءِ الرَّدَى عَلَى مِمَادِ
كوكب زحل هو أشرف الكواكب، أعلاها، داراً، مداراً، وهو على موعد مع الموت أيضاً

كُلُّ بَيْتٍ لِلْهَدْمِ: مَا تَبَنَّنِي الْوَرْدُ قَاءَ وَالسَّيِّدُ الرَّفِيعُ الْعِمَادِ
كل بيت مصيره الهدم: بيت الورقاء، الحمامة، وبيت السيد الرفيع العماد، العالي عمود الخيمة

بَانَ أَمْرُ الْإِلَهِ وَاخْتَلَفَ النَّاسُ سُنُّ قَدَاحٍ إِلَى ضَلَالٍ وَهَادِ
أمر الله واضح، والناس مختلفون بين من يدعو للضلال وبين من يهدي الناس

وَالَّذِي حَارَتْ الْبَرِّيَّةُ فِيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادِ
احتارت البرية، الناس، في البعث فكيف تعاد الحياة إلى العظام التي صارت بحكم
الجماد. هذا التفسير يسير مع الأبيات السابقة التي تتحدث عن جسد مات. والذي
يريد أن يرفع الشبهة عن أبي العلاء يفسر بأن الجماد هو الطين ومنه استحدث
الحيوان، أي الإنسان والحيوان جميعاً

وَاللَّبِيبُ اللَّبِيبُ مِنْ لَيْسَ يَفْتَرُّ - بِكَوْنِ مَصِيرِهِ لِقَسَادِ
اللبيب اللبيب: اللبيب الحقيقي

٢٠ التراب المسلط علينا

يرثي ابن عمه جعفرأ:

أَحْسَنُ بِالْوَاكِدِ مِنْ وَجْدِهِ صَبْرٌ يُعِيدُ النَّارَ فِي زَنْدِهِ
أحسن من وجد الواجد، حزن الحزين، صبر يعيد نار الحزن إلى زندها، والزند هو أداة إشعال
النار. . الصبر ليس تفريغاً للحزن بل يخزنه في جوف المرء

وَمَنْ أَبَى فِي الرُّزْءِ إِلَّا الْأَسَى كَانَ بُكَاءُهُ مُنْتَهَى جَهْدِهِ
ومن أصر في الرزء، المصيبة، على الأسى، الحزن، كان أقصى ما يفعله البكاء

فَلْيَذْرِفِ الْجَفْنُ عَلَى جَعْفَرٍ إِذْ كَانَ لَمْ يُفْتَحْ عَلَى نِدْوِ
فليذرف الجفن إذن دمه على جعفر، فالجفن لم يفتح على مثل جعفر، أي أن العين لم تر له
نظيراً

تَجَرِبَةُ الدُّنْيَا وَأَفْعَالُهَا حَثَّتْ أَخَا الزَّهْدِ عَلَى زُهْدِهِ
إِنَّ زَمَانِي بِرَزَايَاهُ لِي صَيَّرَنِي أَمْرَحُ فِي قَيْدِهِ
لكثرة مصائبه علي جعلني الزمن أتعود كما يتعود الحصان على القيد، ويمرح وهو مقيد

كَأَنَّا فِي كَفِّهِ مَالُهُ يُنْفِقُ مَا يَخْتَارُ مِنْ نَقْدِهِ

كأننا في كف الزمن مال يملكه وينفق منه كما يشاء

لَوْ عَرَفَ الْإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ لَمْ يَفْخَرْ الْمَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ

أَمْسِ الَّذِي مَرَّ عَلَى قُرْبِهِ يَعْجِزُ أَهْلُ الْأَرْضِ عَنْ رَدِّهِ

أَضْحَى الَّذِي أُجِّلَ فِي سِنِّهِ مِثْلَ الَّذِي عُوجِلَ فِي مَهْدِهِ

الميت كبيراً في السن كالمت في مهده.. هو موت والسلام

وَلَا يُبَالِي الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ بِذَمِّهِ شَيْعَ أَمْ حَمْدِهِ

وَحَالَةُ الْبَاكِ لِأَبَائِهِ كَحَالَةِ الْبَاكِ عَلَى وَلَدِهِ

مَا رَغْبَةُ الْحَيِّ بِأَبْنَائِهِ عَمَّا جَنَى الْمَوْتُ عَلَى جَدِّهِ؟

لماذا يرغب الإنسان بأبنائه عن الموت، ويحميهم منه، والموت قد جنى جنايته على جده؟

وَمَجْدُهُ أَفْعَالُهُ لَا الَّذِي مِنْ قَبْلِهِ كَانَ وَلَا بَعْدَهُ

مجد الإنسان أفعاله.. لا أجداده من قبله، ولا أولاده بعده

لَوْلَا سَجَايَاهُ وَأَخْلَاقُهُ لَكَانَ كَالْمَعْدُومِ فِي وَجْهِهِ

لولا سجاياءه، صفاته، وأخلاقه فإن الإنسان كأنه معدوم في وجهه، رغم وجوده في الحياة

تَشْتَاقُ أَيَّارَ نَفُوسِ الْوَرَى وَإِنَّمَا الشُّوقُ إِلَى وَرْدِهِ

فالعبرة بالسجاء لا بالجسم.. وهذا كمثل شوق الناس إلى أيار، مايو، والواقع أنهم يشاقون إلى

ورده لا إليه من حيث هو شهر من الأشهر

أَفْضَلُ مَا فِي النَّفْسِ يَغْتَالُهَا فَتَسْتَعِيدُ اللَّهَ مِنْ جُنْدِهِ

أفضل ما في نفس الإنسان هو ما يؤديها إلى الهلاك.. فقد تكون شجاعة الشجاع سبباً لمقتله، أو

طيبة الطيب سبباً في اغتياله.. الخ

فَأَقَّةُ الْعَاشِقِ مِنْ طَرَفِهِ وَأَقَّةُ الصَّارِمِ مِنْ خَدِّهِ

وهذا مثل العاشق الذي تأتيه الآفة من عينه التي يرى بها المعشوقة فيقع في الهوى، وأفة السيف

في حده (فهو من بين كل جوانب السيف الجزء الذي يتعرض للانهزام والتفطل والفساد)

كَمْ صَائِنٍ عَنْ قُبْلَةٍ خَدَّهُ سُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَى خَدِّهِ

كم من امرأة تصون خدها عن القبلة ثم تموت فتسلط الأرض على خدها وتبليه

وَحَامِلٍ ثِقْلَ الثَّرَى جِيدُهُ وَكَانَ يَشْكُو الثَّقْلَ مِنْ عِقْدِهِ

وكم من امرأة يحمل جيدها، عتقها، ثقل التراب وهي في قبرها . . وكانت تشكو في حياتها من أن عقدها ثقیل

جَاءَكَ هَذَا الْحَزَنُ مُسْتَجِدِيًّا أَجْرَكَ فِي الصَّبْرِ، فَلَا تُجِدِيهِ

هذا الحزن جاءك كي يستجدي منك الأجر الذي كتبه الله للصابرين (فإن جزعت ولم تصبر ذهب الأجر)، لذا لا تُجِدِه، لا تعطه ما جاء يستجديه

سَلِّمْ إِلَى اللَّهِ، فَكُلُّ الَّذِي سَاءَكَ أَوْ سَرَّكَ مِنْ عِنْدِهِ

٢١ التعزية المتأخرة

وَكَرِهْتُ مِنْ بَعْدِ الثَّلَاثِ تَجَشُّمِي طُرُقَ الْعَزَاءِ عَلَى تَغْيِيرِ سَمَتِهَا

يعتذر عن تأخره في تقديم العزاء في ميت: كرهت بعد ثلاثة أيام على الوفاة أن أتجشم سلوك طرق العزاء على اختلاف أشكالها

وَعَلَيَّ أَنْ أَقْضِيَ صَلَاتِي بَعْدَمَا فَاتَتْ إِذَا لَمْ أَقْضِهَا فِي وَقْتِهَا

ومع ذلك لا بد من عزاء، مثلما لا بد من قضاء الصلاة إذا فاتتك

٢٢ رويداً عليها

رُوَيْدًا عَلَيْهَا إِنَّهَا مُهَجَّاتٌ وَفِي الدَّهْرِ مَحْبِياً لِأَمْرِي وَمَمَاتٌ

رويداً أيها الزمن، ترفق بنا فالذي في جوفنا مهجات، قلوب . . وكما أننا نحيا الآن سنموت بعد حين، فلا تستبق الموت بمصائبك

أَرَى غَمَرَاتٍ يَنْجَلِينَ عَنِ الْفَتَى وَلَكِنْ تُؤَافِي بَعْدَهَا غَمَرَاتٌ

أرى غمرات، أزمات، ينجلين، ينكشفن، ثم تأتي بعدها أزمات جديدة

وَلَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ سُكْرِ سَاعَةٍ تُهَوِّنُ عَلَيْهِ غَيْرَهَا السَّكَرَاتُ

ثم تأتي سكرة الموت التي تهون بالنسبة إليها كل السكرات، كل المصائب

أَلَا إِنَّمَا الْأَيَّامُ أَبْنَاءُ وَاحِدٍ وَهَذِي اللَّيَالِي كُلُّهَا أَخَوَاتُ

الأيام متشابهة وكذا الليالي، فيوم الحزن شبيه بيوم السعادة

فَلَا تَطْلُبَنَّ مِنْ عِنْدِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خِلَافَ الَّذِي مَرَّتْ بِهِ السَّنَوَاتُ

فلا تطلب من الزمن أن يجود بما لم يجد به قط . . وهو الاستقرار والهناء

٢٣ وقد علم الرومي

يصف غزوة لملي بن الحسين المعروف بابن المغربي ضد الروم:

بَنِي الْعَدْرِ هَلْ أَلْفَيْتُمُ الْحَرْبَ مَرَّةً؟ وهل كَفَّ طَعْنُ مِنْكُمُ وَنِضَالُ؟
يخاطب الروم: يا أبناء الغدر، هل وجدتم الحرب مرّة صعبة؟ ولكن، هل كفتم يوماً عن الطعن،
بالرماح، والنضال، أي رمي السهام

فَإِنْ تَسَلَّمُوا مِنْ سَوْرَةِ الْحَرْبِ مَرَّةً وَتَعَصَّمَكُمُ شُمُّ الْأَنْوَفِ طَوَالَ .
إن سلمتم من سورة الحرب، هجمتها، إحدى المرات، وعصمتكم، حمتكم، الجبال ذات
الأنوف، أي القمم، الشم، العالية

ففي كلِّ يومِ غارةٍ مُشْمَعِلَةً وفي كلِّ عامٍ غزوةٍ ونِزالٍ
ففي كل يوم تلاقون غارة مشبعة، سريعة، وفي كل عام غزوة ومبارزة

وَقَى الْخَيْلَ مِنْ مَاءِ الْمَخَاضَةِ عِقَّةً وَهَنَّ إِلَى مَاءِ النُّفُوسِ نِهَالًا
الخيّل تعف عن ماء المخاضة، ماء الجدول، فهي نهال، عطاش، إلى ماء النفوس، أي الدم
يَرِدُنَ دِمَاءَ الرُّومِ وَهِيَ غَرِيضَةٌ وَيَتْرُكْنَ وَرْدَ الْمَاءِ وَهُوَ زَلَالٌ
ترد الخيول دماء الروم وهي طرية، وتترك الماء وهو زلال صاف

تَدَانَتْ بِهِ الْأَقْرَانُ حَتَّى تَجَانَّاتُ كَأَنَّ قِتَالَ الْفَيْلَقَيْنِ جِدَالَ
تقاربت الأقران حتى تجانّات، اقترب المتحاربون بعضهم من بعض حتى جثوا على ركبهم، فكأن
قتال الفيلقين جدال لا قتال

وَقَدْ عَلِمَ الرُّومِيُّ أَنَّكَ حَنَفُهُ عَلَى أَنَّ بَعْضَ الْمُؤَقِنِينَ يَخَالُ
أيقن الرومي أنك تأتي له بحتفه؛ ولكن، رغم اليقين فإن بعض من يكونون على يقين يخالون،
يخامرهم الشك

فَمَا كَبُرُوا حَتَّى يَكُونُوا فَرِيسَةً وَلَا بَلَفُوا أَنْ يُقْصَدُوا فَيَنَالُوا
الروم ليسوا كبار القدر حتى يكونوا فريسة لك أيها القائد، ولا بلغ قدرهم أن تقصدهم حتى
تنال منهم

وإِنَّ أَبَا الْأَشْبَالِ يَخْشَاهُ مِثْلُهُ وَيَأْمَنُ مِنْهُ أَرْضٌ وَنِمَالٌ
فأبو الأشبال، أي الأسد، يخشاه مثيله الأسد، ولكن الأرض، الحشرات المعروفة
بالأرضة وهي سوس الخشب، والنمل تأمن منه لأنها أحقر من أن يلتفت إليها.. فهم
كذلك.. ولكن شاء سوء حظهم أن يقعوا بيدك. كان هذه القصيدة من شعر المتنبي،
لا بل كان «سقط الزند» كله الجزء الثاني من ديوان المتنبي

٢٤ المسبار

لَا يَعْرِفُونَ سِوَى التَّقْدُمِ آسِيًّا فَجَرَّاحُهُمْ بِالسَّمْهَرِيَّةِ تُسَبِّرُ
هؤلاء الشجعان لا يعرفون سوى التقدم، حتى وإن أصابتهم جراح فالتقدم هو
الآسي، أي الطبيب، وجراحهم تسبر، أي يقاس عمقها، بالسهمرية، أي بالرماح،
وليس بمسبار الجراح المعهود

مِنْ كُلِّ مَنْ لَوْلَا تَسَعَّرُ بِأَسِهِ لَأَخْضَرَ فِي يُمْنِي يَدَيْهِ الْأَسْمَرُ
كل واحد فيهم لولا تسعر بأسه، اشتعال عزمته، لأصبح الرمح الأسمر يمينه أخضر لأن يده
نذية.. أي مبتلة والندى هو الكرم، فخذ المعنى من هنا كما شئت

٢٥ الشوق إلى الوطن

طَرِبْنَ لِضَوْءِ الْبَارِقِ الْمُتَعَالِي بِبَغْدَادَ وَهَنًا؛ مَا لَهْنٌ وَمَا لِي!
طربت الإبل، حزنت وحنّت، لما رأت وهناً، ليلاً، ضوء البرق العالي ونحن في بغداد؛ فما لك
وما لي أيبتها الإبل، اتركني بحالي

سَمَتْ نَحْوَهُ الْأَبْصَارُ حَتَّى كَانَتْهَا بِسَارِيهِ مِنْ هَنَّا وَثَمَّ صَوَالٍ
ارتفعت الأبصار نحو البرق كأنها صوَالٍ، تصطلي وتتدفأ، بناريه من هنا وثم، أي من هنا وهناك
(تفسير البطليوسي: من هنا، أي من بغداد، ومن هناك، أي من الشام)

وَكَمْ هَمٌّ يَضُوءُ أَنْ يَطِيرَ مَعَ الصَّبَا إِلَى الشَّامِ، لَوْلَا حُبُّهُ بِعِقَالٍ
ما أكثر ما هَمَّ نضوء، جمل هزيل، أن يطير مع ريح الصبا إلى الشام لولا أنه محبوس بعقال، بقيد
وَهْنٌ مُنِيفَاتٌ، إِذَا جُبْنٌ وَادِيًّا تَوَهَّمْتَنَا مِنْهُنَّ فَوْقَ جِبَالٍ
والإبل منيفات، عاليات، وإذ هي تجوب في الوادي فانت توهم أننا فوق الجبال

تَلَوْنَ زَبُورًا فِي الْحَنِينِ مُنْزَلًا عَلَيْنَهُنَّ، فِيهِ الصَّبْرُ غَيْرُ حَلَالٍ
كان الإبل، وهي تصدر الأصوات، تلو زبوراً، ككتاب سليمان، منزلاً عليهن، والصبر في زبور
الإبل حرام غير حلال، فهي لا تصبر على البعد عن الوطن

وَأَنْشَدْنَ مِنْ شَعْرِ الْمَطَايَا قَصِيدَةً وَأَوْدَعْنَهَا فِي الشَّوْقِ كُلِّ مَقَالٍ
وأنشدت الإبل من شعر الدواب - جعل للدواب زبوراً وديواناً - قصيدة فيها معاني
الشوق. تعليق أ. عبد الرحيم: [في مثل هذه الصور البديعة إرهاب بما سيكون في
«الغفران» و«الصاهل والشاحج»!]

فِيَا بَرْقُ لَيْسَ الْكَرْخُ دَارِي، وَإِنَّمَا رَمَانِي إِلَيْهِ الدَّهْرُ مِنْذُ لَبَالٍ
أيها البرق، إن الكرخ، وهي محلة ببغداد، ليس وطني، ولكن الزمن رماني هناك

فَهَلْ فَبِكَ مِنْ مَاءِ الْمَعْرَةِ قَطْرَةٌ تُغَيِّثُ بِهَا ظَمَانٌ لَيْسَ بِسَالٍ؟

فهل فيك أيها السحاب البارق قطرة من ماء المعرة تسعف بها عطشان غير سالي، غير ناسٍ وطنه؟

أَخِوَانُنَا بَيْنَ الْفَرَاتِ وَجَلَّقِ يَدَ اللَّهِ لَا خَبَرْتُكُمْ بِمُحَالٍ

يا إخواني بين الفرات وجلق، أي في بلاد الشام، يد الله، والله، إنني لا أخبركم بشيء مستحيل

أَتَبَيِّتُكُمْ أَنِّي عَلَى الْعَهْدِ سَالِمٌ وَوَجْهِي لِمَا يُبْتَذَلُ بِسُؤَالٍ

أنا على العهد سالم الكرامة، لم أبتذل وجهي بسؤال الناس واستجدائهم

وَأَنِّي تَبَيَّيْتُ الْعِرَاقَ لِغَيْرِ مَا تَبَيَّيَّمَهُ غَبِلَانٌ عِنْدَ بِلَالٍ

وقد قصدت العراق قصداً مختلفاً عن قصد غيلان، وهو ذو الرمة، بلال بن أبي بردة. . وذو الرمة قصد بلالاً مستعظياً

فَأَصْبَحْتُ مَحْسُوداً بِفَضْلِي وَخَدَهُ عَلَى بُعْدِ أَنْصَارِي وَقِلَّةِ مَالِي

وحسدت لفضلي فقط، ولم يكن حولي أنصاري، وكنت قليل المال

نَدِمْتُ عَلَى أَرْضِ الْعَوَاصِمِ بَعْدَمَا عَدَوْتُ بِهَا فِي السَّوْمِ غَيْرَ مُغَالٍ

ندمت على فراق أرض العواصم، منطقة حصون بين حماة وحلب، بعد أن أصبحت في السوم، الفصال والمساومة، غير مغال بها. . أي أنني بعتها برأسمالها وتخلت عن الوطن

أَرَوْحُ فَلَا أَخْشَى الْمَنَابِيَا وَأَتَّقِي تَدَنُّسَ عَرَضٍ أَوْ ذَمِيمَ فِعَالٍ

كنت في بلدي آمناً، ولدي وقاية من تدنيس العرض أو ذميم الفعل

إِذَا مَا حِبَالٌ مِنْ خَلِيلٍ تَصَرَّمَتْ عَلِقْتُ لِخَلٍّ غَيْرِهِ بِحِبَالٍ

وفي بلدي كنت إذا انقطعت علاقتي بصديق وجدت غيره

٢٦ ماء بلادي

أَتَعَلَّمُ ذَاتُ الْقُرْطِ وَالشَّنْفِ أَنَّنِي يُشْنَفُنِي بِالزَّارِ أَعْلَبُ رِثْبَالٍ

هل تعلم الفتاة ذات القرط، الحلق يعلق بشحمة الأذن، والشنف، أي الحلق يعلق بطرف الأذن، أنني يشف أذني، يُسمعني، الأغلب الرثبال، الأسد، زثيره. أقارب الحبيبة الأشداء يمعنونها

فَيَا دَارَهَا بِالْحَزَنِ إِنَّ مَزَارَهَا قَرِيبٌ، وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَالُ

فيا دارها بالحزن، على البروة، إن المكان قريب للزيارة ولكن يمنع هذه الزيارة أهوال هي الرقباء

إِذَا جَنَّ لَيْلِي جُنَّ لُبِّي، وَزَائِدٌ حُفُوقُ فُؤَادِي كُلَّمَا خَفَقَ الْآلُ

إذا جن لي لي، أظلم، أصاب قلبي الجنون ويزيد خفوق قلبي كلما خفق الآل، السراب. . يتشوق لسراب الصحراء الذي سيلاقيه وهو عائد من بغداد إلى وطنه في المعرة

وماءِ بِلادِي كَانَ أَنْجَعَ مَشْرَباً ولو أَنَّ ماءَ الكَرْخِ صَهْبَاءُ جَرِيالاً
ماءِ بِلادِي أَنْجَعَ، أَفِيدُ، مِنَ الْفَائِدَةِ، لِي حَتَّى لَوْ كَانَ مَاءُ دَجْلَةِ عِنْدَ الْكَرْخِ يَبْغِدَادَ صَهْبَاءُ جَرِيالاً،
خَمِراً. وَكُنْتُ وَدَدْتُ لَوْ قَرَأْتُهَا «أَنْقَعَ» أَيَّ أَرَوِي، وَلَكِنْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ لَمْ تَرُدْ

فِيَا وَطَنِي إِنْ قَاتَنِي بِكَ سَابِقُ مِنْ الدَّهْرِ، فَلْيَنْعَمْ لِسَاكِكَ الْبَالُ
يَا وَطَنِي إِنْ سَبَقَنِي الزَّمَنُ وَأَبْعَدَنِي عَنْكَ، فَلْيَهْنَأْ سَكَانُكَ

وإِنْ أَسْتَطِيعُ فِي الْحَشْرِ آتِكَ زَائِراً وَهَيْهَاتَ. لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشْغَالُ
لَوْ اسْتَطَعْتُ أَنْ آتِيَ بِلَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَزُرْتُهَا، وَلَكِنْ.. هَيْهَاتَ، فَمِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا يَشْغَلُنِي

٢٧ أَغَادِرْكُمْ مَضْطَرّاً

تَعْلِقُ أ. عَبْدَ الرَّحِيمِ عَلَى الْعَنْوَانِ: [بَلْ هُوَ وَدَاعٌ مُتَقَبِّضٌ سَاخِطٌ! كَتَبْتُ عَنْهُ: يَا لَهْ مِنْ
وَدَاعٍ هَائِلٍ صَعْبٍ! لِمَاذَا تَعَمَّدَ أَبُو الْعَلَاءِ هَذَا النَّمْطَ الصَّعْبَ، الْمَوْجِشَ، الْمَلْفِيزَ،
الْمُسْتَيْطِلَ.. فِي وَدَاعِ بَغْدَادَ وَأَهْلِهَا؟! الْأَثْبَاتُ فَحَوْلَةٌ لَمْ يَعْتَرَفْ لَهَا بِهَا، عَلَى نَحْوِ مَا
كَانَ «يَتَوَقَّعُ»، الْبَغْدَادِيُّونَ؟!]

أَوْدَعُكُمْ يَا أَهْلَ بَغْدَادَ وَالْحَشَا عَلَى زَفَرَاتٍ مَا يَنْحِينُ مِنَ اللَّذَعِ
أَوْدَعَكُمْ وَفِي جُوفِي زَفَرَاتٌ لَا يَنْبِي، لَا يَتَوَانِنُ وَلَا يَكْفِفُنْ، وَيَلْذَعُنِي

فَبَشِّرَ الْبَدِيلَ الشَّأْمَ مِنْكُمْ وَأَهْلَهُ عَلَى أَنَّهُمْ قَوْمِي وَبَيْنَهُمْ رَبِّي
بَشِّرِ الشَّامَ وَأَهْلَهُ بِدِيلَا مِنْكُمْ رَغْمَ أَنَّهُمْ قَوْمِي وَهَنَّاكَ رَبِّي، مُوَطَنِي

أَلَا زَوَّدُونِي شَرْبَةً وَلَوْ أُنْسِي قَدَرْتُ إِذْنِ أَفْنَيْتُ دَجْلَةً بِالْجَرَجِ
زَوَّدُونِي بِشَرْبَةٍ تَرْوِينِي، وَلَوْ اسْتَطِيعَ لَجَرَعْتُ وَشَرَبْتُ نَهْرَ دَجْلَةِ كُلِّهِ

أَظُنُّ اللَّيَالِي، وَهِيَ خُونٌ عَوَادِرُ، بِرَدِّي إِلَى بَغْدَادَ ضَيْقَةُ الدُّرْعِ
الْليالي، الزَّمَنُ، وَهِيَ غَادِرَةٌ يَضِيقُ ذَرْعَهَا بِإِعَادَتِي إِلَى بَغْدَادَ بَعْدَ مَغَادِرَتِهَا.. إِنْ فَارَقْتُ بَغْدَادَ فَلَنْ
يَتَسَّرَ لِي أَنْ أَعُودَ.. وَعَاشَ بَعْدَ فِرَاقِ بَغْدَادَ خَمْسِينَ سَنَةً، وَلَمْ يَعُدْ

وَكَانَ اخْتِيَارِي أَنْ أَمُوتَ لَدَيْكُمْ حَمِيداً فَمَا أَلْفَيْتُ ذَلِكَ فِي الْوُسْعِ
كُنْتُ أَفْضَلُ أَنْ أَبْقَى بِبَغْدَادَ حَتَّى الْمَوْتِ وَمَا وَجَدْتُ ذَلِكَ مُمْكِناً

٢٨ كُنْ كَثِيراً أَوْ قَلِيلاً

قَالَ يَجِيبُ ابْنُ فُورَجَةَ الْبُرُوجَرْدِي عَنْ قَصِيدَةٍ:

كَفَى بِشُحُوبٍ أَوْجُهِنَا دَلِيلاً عَلَى إِزْمَاعِنَا عَنْكَ الرَّحِيلَا
شُحُونَنَا دَلِيلٌ عَلَى نَيْتِنَا الرَّحِيلَ عَنْكَ

تَأَمَّلْنَا الزَّمَانَ فَمَا وَجَدْنَا إِلَى طَيْبِ الْحَيَاةِ بِهِ سَبِيلًا
 ذَرِ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تَحْظَ مِنْهَا وَكُنْ فِيهَا كَثِيرًا أَوْ قَلِيلًا
 إِذَا كَانَ حَظُّكَ قَلِيلًا فَاتْرِكِ الدُّنْيَا. كُنْ كَثِيرًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَوْ صَغِيرًا، وَلَا تَبْقَ فِي الْوَسْطِ
 وَأَصْبِحْ وَاحِدَ الرَّجُلَيْنِ: إِمَّا مَلِكًا فِي الْمَعَاشِرِ أَوْ أَبِيلًا
 كُنْ أَحَدَ اثْنَيْنِ: مُلْكًا أَوْ أَبِيلًا، نَاسِكًا

كَلِفْنَا بِالْعِرَاقِ وَنَحْنُ شَرَحْ فَلَمْ نُلْمَمْ بِهِ إِلَّا كُھُولًا
 أَحْبَبْنَا الْعِرَاقَ وَنَحْنُ شَرَحْ، صَغَارَ، وَلَمْ نَلْمَمْ بِهِ، نَأْتَهُ، إِلَّا فِي زَمَنِ الْكُھُولَةِ

وَقَدْ كَانَتْ عَنْ شِعْرِ بِشَعْرِ وَلَكِنْ حَارَ مَنْ بَدَأَ الْجَمِيلَا
 كَأَنَّا نَكُ عَنْ شَعْرِكَ شَعْرًا لَا غَيْرَ، وَلَكِنْ الَّذِي يَحُوزُ الْجَمِيلَ، التَّفَضَّلْ، هُوَ الْبَادِئُ.. وَهُوَ أَتَى

وَرَدْنَا مَاءً دَجَلَةً خَبَرَ مَاءٍ وَزُرْنَا أَشْرَفَ الشَّجَرِ النَّخِيلَا
 وَزُلْنَا بِالْقَلِيلِ وَمَا اسْتَقَفْنَا وَغَايَةَ كُلِّ شَيْءٍ أَنْ يَزُولَا
 غَادَرْنَا الْعِرَاقَ بِالْقَلِيلِ، بِالْعَطَشِ، وَلَمْ نَشْفِ ظَمَأَنَا، وَهَذَا مُصِيرُ كُلِّ شَيْءٍ.. الزَّوَالُ

وَلَوْ لَمْ أَلْقَ غَيْرَكَ فِي اغْتِرَابِي لَكَانَ لِقَاؤُكَ الْحَظَّ الْجَزِيلَا

٢٩ رثاء الأم

وَأَمَّنِّي إِلَى الْأَجْدَاثِ أُمُّ يَعْزُ عَلَيَّ أَنْ سَارَتْ أَمَامِي
 سَبَقْتَنِي إِلَى الْقُبُورِ أُمِّي وَيَعْزُ عَلَيَّ أَنْ سَبَقْتَنِي

كَأَنَّ نَوَاجِذِي رُدِيَتْ بِصَخْرٍ وَلَمْ يَمُرْزُ بِهِنَّ سِوَى كَلَامِي
 كَانَ أَسْنَانِي رَدِيَتْ، كَسَرَتْ، بِصَخْرٍ وَأَنَا أَقُولُ هَذَا.. مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَمُرْزُ بِهَذِهِ الْأَسْنَانَ سِوَى الْكَلَامِ

وَمَنْ لِي أَنْ أَصَوِّغَ الشُّهْبَ شِعْرًا فَأَلْبَسَ قَبْرَهَا سِمَاطِي نِظَامٍ
 مَنْ لِي، لَيْتَنِي، أَنْ أَصَوِّغَ مِنْ شُهْبِ السَّمَاءِ شِعْرًا أَرْضِيهَا بِهِ، وَأَلْبَسَ قَبْرَهَا سِمَاطِي نِظَامٍ، عَقْدِينَ

مَضَتْ وَقَدْ اكْتَهَلْتُ، فَخِلْتُ أَنِّي رَضِيعُ مَا بَلَغْتُ مَدَى الْفِطَامِ
 تَوَفَّيْتُ وَقَدْ بَلَغْتُ أَنَا سِنَ الْكُھُولَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ أَشْعُرُ أَنَّنِي رَضِيعٌ لَتَلْعَقِي بِهَا

فَبَا رَكَّبَ الْمَنُونِ أَمَّا رَسُولُ يُبَلِّغُ رُوحَهَا أَرْجَ السَّلَامِ
 أَرْجَ: رَائِحَةُ الْعَطَرِ

٣٠ موت الذخرين

كتب من المعرة بعيد عودته إليها يخاطب القاضي أبا القاسم التتوخي ببغداد، وكان القاضي حمل إليه جزءاً من شعر تنوخ، فتركه أبو العلاء عند عبد السلام البصري:
لَنَا بِبَغْدَادَ مَنْ نَهَوَى تَحِيَّتَهُ فَإِنْ تَحَمَّلَتْهَا عَنَا فَحُيَّتَا
تحملتها: حملت التحية

بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ قَيْنِسٍ وَإِخْوَتِهَا قَوَارِسُ تَذَرُ السِّكْشَارَ سَكَبَتَا
الآن وأنا في المعرة صار بيني وبينك، وكلانا من تنوخ اليمن، فرسان من قبيلة قيس الشمالية تجعل المهذار الكثير الكلام سكوتاً هائباً

وَالرُّومُ سَاكِنَةُ الْأَطْرَافِ جَاعِلَةٌ سِهَامَهَا لَوْقُودِ الْحَرْبِ كِبْرِيَّتَا
والروم تسكن أطراف البلاد من الشمال، وتجعل من سهامها كبريتاً لوقود الحرب، أي إيقادها
أَسَارَنِي عَنْكُمْ أَمْرَانِ: وَالِدَةٌ لَمْ أَلْقَهَا، وَثَرَاءُ عَادَ مَسْفُوتَا
جعلني أسير مغادراً ببغداد والدتي التي أردت لقاءها، ولكنها ماتت وأنا في الطريق، وأملك لي بالمعرة أصبحت مسفوتة، غير ذات بركة

أَحْيَاهُمَا اللَّهُ عَصَرَ الْبَيْنِ ثُمَّ قَضَى قَبْلَ الْإِيَابِ إِلَى الذَّخَرَيْنِ: أَنْ مُوتَا
في زمن البين، فراق بلدي، كانت أُمِّي ومالي حيين، وقبل إيابي مات هذان الذخران اللذان ادخرتهما
وَالْمَوْتُ أَحْسَنُ بِالنَّفْسِ الَّتِي أَلِفَتْ عِرَّ الْقِنَاعَةِ مِنْ أَنْ تَسْأَلَ الْقَوْتَا
الموت أحسن للنفس القوية بقناعتها من سؤالها الناس القوت

٣١ الإنطاء

قال، وقد عاد إلى المعرة، يخاطب خازن دار العلم ببغداد:

لِمَنْ جِرَّةٌ سِيمُوا النَّوَالُ فَلَمْ يُنْطُوا يُظَلِّلُهُمْ مَا ظَلَّ يُنْبِتُهُ الْحَطُّ
لمن، أي لمن أشكو، هؤلاء الجيران الذين سيموا، كُفُّوا، النوال والوصل فلم ينطوا، أي يعطوا، وأهل الحبيبة يستظلون بما ينبت الخبط، أي بالرماح الخطية. وقبل إن «الخط» جزيرة تنبت عصي الرماح/أهل الحبيبة أشداء يحملون الرماح ويمنعون ابتهم. ماذا كان يضيرك لو قلت «يعطوا» بدل «ينطوا»؟ أكان يضطرب جبل قافيتك؟
أرايتم سماجة أبي العلاء عندما يسمج؟

رَجَوْتُ لَهُمْ أَنْ يَقْرُبُوا فَتَبَاعَدُوا وَأَنْ لَا يَشْطُوا بِالْمَزَارِ فَقَدْ شَطُوا
يشطوا: يتعدوا

يَمَانُونَ أَحْيَانَا شَامُونَ تَارَةً يُعَالُونَ عَنْ غَوْرِ الْعِرَاقِ لِيَنْحَطُوا

قومها دائمو التسيار، إلى اليمن وإلى الشام، في طلب العشب، ويرتفعون عن غور العراق، أرضه المنخفضة، ثم يهبطون إليها

تَجِلُّ عَنِ الرَّهْطِ الْإِمَائِيِّ غَادَةٌ لَهَا مِنْ عُقِيلٍ فِي مَمَالِكِهَا رَهْطٌ

هذه الغادة تترفع عن رهط الإماء، إزار ترتديه الجوارى للخدمة، فهي هانم لا خادمة؛ ولها رهط، أي قوم، في موطنها من بني عُقِيل

إِذَا مَشَطَتْهَا قَبِنَّةٌ بَعْدَ قَبِنَّةٍ تَضَوَّعَ مِسْكَاً مِنْ ذَوَائِبِهَا الْمُسْطُ

إذا مشطتها قبنة، بعد قبنة، بعد حين، فاحت رائحة المسك من ذوائبها، خصلات شعرها.. فحتى بعد مرور زمن على تعطرها يظل بشعرها ريح المسك

وَقَدْ ثَمِلَ الْحَادِي بِهَا مِنْ نَسِيمِهَا كَأَنَّ غَالَهُ مِنْ كَرَمٍ بَابِلَ إِسْفَنْطُ

يسكر الحادي الذي يسوق الإبل من رانحتها، فكأنه قد غاله، ذهب بعقله، إسفنت، خمر، من كروم بابل

رَأَتْ كَوْثَرِيَّ خَمْرٍ وَرُسْلِيَّ بَجَنَّةٍ شَامِيَّةٍ مَا أَكُلُ سَاكِنِهَا خَمْطُ

رأت نهريْن كثر الكوثر في الجنة وفيها خمر ورسل، لبن، وذلك في جنة من جنات الشام لا يأكل سكانها الخمط، ثمر شجر الأراك

يُصَبِّحُهَا سَيْلًا حَلِيبٍ وَقَهْوَةٍ عَلَى أَنَّهَا تُغَطَّى الصَّبُوحَ فَمَا تَغْطُو

يأتيها صباحاً سيلان من حليب وقهوة، خمر، وهم يعطونها الصبوح، شراب الصباح، ولكنها لا تعطو، لا تتناول.. فهي فتاة مدللة ومتخمخة من النعمة

خَلِيلِي لَا يَخْفَى انْحِسَارِي عَنِ الصَّبَا فَحَلًّا إِسَارِي قَدْ أَضَرَّ بِي الرِّبْطُ

يا صاحبي واضح أن الشباب انحسر عني وذهب، فحلاً أسري، فقد أزعجني الربط، وأريد الرحيل عن لهو الشباب

وَلِي حَاجَةٌ عِنْدَ الْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ فَإِنْ تَقْضِيَهَا فَالْجِزَاءُ هُوَ الشَّرْطُ

لي حاجة عند أهل العراق، فإن قضيتها فجزاؤكما ما تشرطان (والشرط والجزاء من كلام أهل النحو)

سَلَا عُلَمَاءَ الْجَانِبَيْنِ وَفَتِيَّةٌ أَبْنَاهُمَا حَتَّى مَفَارِقُهُمْ شُمَطُ:

إسلاً يا صاحبي علماء جانبي دجلة ببغداد وإسلاً فتية أبنيهما، سكنوهما، حتى أصبحت مفارقهم شمطاً، اختلط سواد شعرها ببياضه

أَعِنْدَهُمْ عِلْمُ السُّلُو، لِسَائِلٍ بِهِ الرَّكْب، لَمْ يَعْرِفَ أَمَاكِئَهُ قَطُّ
 إِسْأَلَاهُمْ هَلْ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ بِالسُّلُو، أَيْ نَسِيَانِ الْأَحْيَةِ - وَتَفَضُّلاً بِالْجَوَابِ لِسَائِلٍ مَضَى
 يَسْأَلُ الرُّكْبَ الْمَسَافِرِينَ - وَالسَّائِلُ لَمْ يَعْرِفْ قَطُّ مَكَانَ السُّلُو. . هَذَا مَقْدَارُ مَا فَهِمْتُ
 مِنَ الْبَيْتِ. تَعْلِيْقُ أ. عَبْدُ الرَّحِيمِ لِأَجْمَلِ مَا بِالْبَيْتِ قَوْلُهُ «عِلْمُ السُّلُو»، وَأَحَبُّ أَنْ
 يَكُونَ مَرْكَبًا إِضَافِيًّا بِلا تَقْدِيرِ «بَاءً». . فَكَانَ ثَمَّةَ عِلْمًا مَضْنُونًا بِهِ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، وَغَيْرِ
 أَهْلِهِ هُمْ أَصْحَابُ الْحَنِينِ الَّذِي لَا شِفَاءَ مِنْهُ، هُوَ «عِلْمُ السُّلُو»، وَالَّذِي قَدْ يَكُونُ أَهْلُ
 بَغْدَادَ عَلَى خُبَرٍ بِهِ لِأَنَّهُمْ أَرْبَابُ الْعُلُومِ النَّوَادِرِ!]

وَمَا أَرَبِي إِلَّا مُعَرَّسٌ مَعَشِرٍ هُمُ النَّاسُ لَا سُوقَ الْعُرُوسِ وَلَا الشُّطِّ
 وَمَا أَرَبِي، أَيْ مُبْتَغَايَ بِالسُّؤَالِ، إِلَّا مَعْرَسٌ مَعَشِرٌ، مَكَانٌ قَوْمٌ. . وَالْمَكَانُ هُوَ دَارُ
 الْعِلْمِ بِبَغْدَادَ؛ وَلَيْسَ الْمَكَانُ الَّذِي أَقْصَدُهُ «سُوقُ الْعُرُوسِ» مِنْ أَسْوَاقِ بَغْدَادَ وَلَا
 الشُّطِّ. يَقُولُ إِسْأَلًا مَعَشَرَ الْعُلَمَاءِ لَا الْعَوَامِ

وَمَا سَارَ بِي إِلَّا الَّذِي غَرَّ آدَمَ وَحَوَّاءَ، حَتَّى أَذْرَكَ الشَّرَفَ الْهَبْطُ
 مَا سَارَ بِي عَنْ بَغْدَادَ إِلَّا إِبْلِيسُ الَّذِي غَرَّ آدَمَ وَحَوَّاءَ حَتَّى أَذْرَكَ الشَّرَفَ، الْعُلُوُّ الَّذِي كَانَ فِيهِ،
 الْهَبْطُ، السَّقُوطُ

أَخَازِنَ دَارِ الْعِلْمِ كَمْ مِنْ تَنَوُّفٍ أَتَتْ دُونَنَا فِيهَا الْعَوَازِفُ وَاللَّغَطُ
 يَا خَازِنَ دَارِ الْعِلْمِ كَمْ مِنْ تَنَوُّفٍ، صَحْرَاءَ، فَارَقْتُ بَيْنَنَا. . وَفِيهَا الْعَوَازِفُ، الْجَنُّ الَّتِي يَسْمَعُ لَهَا
 صَوْتُ هُوَ الْعَزِيفُ، وَاللَّغَطُ، الْأَصْوَاتُ الْمُخْتَلِفَةُ

وَعَنْ آلِ حَكَّارٍ جَرَى سَمَرُ الْعُلَا بِأَكْمَلِ مَعْنَى لَا انْتِقَاصٌ وَلَا عَمْطُ
 وَجَرَى حَدِيثُ السَّمَرِ بِذِكْرِ آلِ حَكَّارٍ، وَهُوَ حَدِيثٌ طَيِّبٌ لَا انْتِقَاصَ فِيهِ وَلَا عَمْطَ، لَا هَضْمٌ لِقَدْرِهِمْ

فَإِنْ يُنْسِيهِمْ أَمْرَ السَّفِينَةِ فَضْلُهُمْ فَلَيْسَ بِمُنْسِيٍّ الْفِرَاقُ وَلَا الشَّحْطُ
 إِنْ جَعَلَهُمْ فَضْلُهُمْ يَنْسَوْنَ إِحْسَانَهُمْ إِلَيَّ بِإِنْقَازِي مِنَ الَّذِينَ تَعَرَّضُوا لِي وَأَنَا فِي السَّفِينَةِ مُنْحَدِرًا نَحْوَ
 بَغْدَادَ، فَلَنْ يَنْسِيَنِي الشَّحْطُ، أَيْ الْبُعْدُ، فَضْلُهُمْ

٣٢ أم ورضيع

دَعَا اللَّهَ أُمًّا لَيْتَ أَنِّي أَمَامُهَا دُعَيْتُ وَلَوْ أَنَّ الْهَوَاجِرَ أَصَالَ
 دَعَا اللَّهَ أُمِّي لِحَوَّارِهِ، وَلَبِتَنِي دَعَيْتُ قَبْلُهَا حَتَّى لَوْ كَانَتِ الْحَيَاةُ سَتَحْلُو لِي وَسَتَصْبِحُ الْهَوَاجِرُ،
 أَوْقَاتُ الْفَيْظِ، أَصَالًا، أَوْقَاتُ نَسِيمِ عَلِيلٍ عِنْدَ الْغُرُوبِ

مَضَتْ وَكَأَنِّي مُرْضِعٌ وَقَدْ ارْتَقَتْ بِي السَّنُّ حَتَّى شَكُلْتُ فُودِيَّ أَشْكَالًا
 مَضَتْ عَنِّي أُمِّي وَكَأَنِّي طِفْلٌ رَضِيعٌ مَعَ أَنَّ السَّنَّ ارْتَقَتْ بِي، كَبُرَتْ، وَصَارَ شَكْلُ فُودِيَّ، سَالِفِيَّ،
 أَشْكَالًا مِنْ شَعْرِ أَيْضٍ وَأَسْوَدَ مُخْتَلَطِينَ

٣٣ ألف كتاب

إِذَا أَسْكَتَ الْمُحْتَجُّ كُلَّ مُنَاطِرٍ فَعِنْدَ ابْنِ نَضْرٍ نَجْدَةٌ بِجَوَابِ
إذا كان المحتج، صاحب الحجة، قوياً وأسكت كل المناظرين فعند القاضي أبي نصر المالكي
جواب يتجددنا

وَمَا أَنَا إِلَّا قَطْرَةٌ مِنْ سَحَابِهِ وَلَوْ أَنِّي صَنَّفْتُ أَلْفَ كِتَابٍ

٣٤ من الدرعية الأولى

أَعَاذِلْ طَالَمَا أَتْلَفْتُ مَالِي وَلَكِنَّ الْحَوَادِثَ أَتْلَفَتْني

٣٥ من الدرعية الثانية

سَرَى، حِينَ شَيْطَانُ السَّرَاحِينِ رَاقِدٌ، عَدِيمٌ قَرَى لَمْ يَكْتَحِلْ بِرُقَادٍ
سرى ليلاً - بينما شيطان السراحين، الذئب الداهية، راقد - رجل عديم قرى، لم يتناول طعاماً،
ولم ينم لشدة جوعه ..

فَلَمَّا تَعَاشَرْنَا ثَلَاثًا وَأَرْبَعًا وَأَيَّقَنَ مِنْ صَدْرِي بِحُسْنِ وِدَادٍ
أضفته الأيام الثلاثة، بل أربعة، وتيقن من ودادي له

رَهْنَتْ قَمِيصِي عِنْدَهُ وَهُوَ فَضْلَةٌ مِنَ الْمُزْنِ يُغْلَى مَاؤُهَا بِرَمَادٍ
عند رهنه قميصي، درعي، وهو فضلة من المزن، بقية من السحاب .. يشبه الدرع بماء
الغدير المتموج، ولكن ماء الدرع يغلى برماد، وكانوا يتركون الدرع في الرماد حتى لا تصدأ
أَتَأْكُلُ دِرْعِي أَنْ حَسِبْتُ قَتِيرَهَا، وَقَدْ أَجْدَبْتُ قَيْسَ، عِيُونَ جَرَادٍ
أناكل درعي ظاناً قتيروها، مساميرها، عيون جراد، في وقت أصاب قبيلة قيس فيه الجذب،
وأقبلت على أكل الجراد

٣٦ درع تخاطب سيفاً

أَلَمْ يَبْلُغْكَ فَتْكِي بِالْمَوَاضِي وَسُخْرِي بِالْأَيْسِنَةِ وَالزُّجَاجِ
أما علمت فتكي بالمواضي، السيوف، وهزني بالأسنة والزجاج، أطراف الرماح

وَأَنِّي لَا يُغَيِّرُ لِي قَتِيرًا خِضَابٌ كَالْمُدَامِ بِلَا مِرْجٍ
وألم تعلم أنني لا يغير قتيروها، مساميري، خضاب يشبه المدام قبل مزجها، الخمر بلا مزج ..
ويعني الدم .. فمن الدم لا تصدأ الدرع

يَرُدُّ حَدِيدَكَ الْهِنْدِيَّ سَرْدِي رُقَاتَا كَالْحَطِيمِ مِنَ الرُّجَاجِ
سردي، نسجي، يجعل حديدك أيها السيف رقاتاً، حطاماً، كالرجاج المكسر

٣٧ درع للبيع

قال على لسان رجل يتادي على درع:

مَنْ يَشْتَرِيهَا وَهِيَ قَضَاءُ الذَّيْلِ كَأَنَّهَا بَقِيَّةُ مِنَ السَّيْلِ
من يشتري درعي وهي قضاء، خشنة، الذيل متموجة كأنها ماء رقرق من بقية السيل
ليس الذي يملكها بِزَمِيلٍ هَدِيَّةٌ مِنْ مَلِكٍ إِلَى قَبِيلٍ
ليس مالكوها ضعيفاً، بل هي هدية ملك إلى قبيل، والقبيل الملك من ملوك اليمن
مَالَ إِلَيْهَا قَلْبُهُ كُلُّ السَّيْلِ يَغْنَى بِهَا صَاحِبُهَا عَنِ الْقَبِيلِ
مال قلب القبيل إلى الدرع، فهو يستغني بها عن القبيل، شرب الخمر منتصف النهار

٣٨ دفن الدرع

قال على لسان رجل مسن ضعيف عن لبس الدرع:

أَرَانِي وَضَعْتَ السَّرْدَ عَنِّي، وَعَزَّنِي جَوَادِي، وَلَمْ يَنْهَضْ إِلَى الْغَزْوِ أَمْثَالِي
وضعت عني السرد، الدرع، وعزني جوادي، صعب علي ارتقاء حصاني، ولم يعد أمثالي قادرين
على الغزو

وَقِيدَ بِي الْعَوْدُ الْبَطِيءُ، وَقِيلَ لِي: وَرَاءَكَ، إِنْ الذَّنْبَ مِنْكَ عَلَى بَالٍ
أصبحت أركب العود، الجمل المسن، ويقاد وأنا فوقه، ويقول لي القوم، يسخرون مني: وراءك،
احذر، فالذنب قريب منك

وَأَثَرْتُ أَخْلَاقَ السَّرَابِيلِ بَعْدَمَا أَكُونُ وَأَوْفَى أَذْرُعِ الْقَوْمِ سِرْبَالِي
وصرت أفضل أخلاق السراويل، الملابس الخلقة البالية، بعد زمن كنت فيه وأوفى الدروع وأسبغها
وأطولها سربالي، ملبسي

فَلَا تُتْلِسِ بِهَا أَنْتِ غَيْرِي بِاسِلًا إِذَا مِتُّ لَمْ يَخْفِلْ رَدَائِي وَإِسَالِي
يا امرأة لا تلبسي درعي رجلاً باسلاً شجاعاً لم يخفل برداي وإيسالي، موتي

وَحُطِّي لَهَا قَبْرًا يَضِلُّونَ دُونَهُ كَقَبْرِ لِمُوسَى ضَلَّهُ آلُ إِسْرَائِيلَ
واحفري لدرعي قبراً لا يهتدون إليه كقبر موسى الذي ضل عنه آل إسرائيل

٣٩ ضافية صافية

ضَافِيَّةٌ فِي الْمَجَرِّ صَافِيَّةٌ لَيْسَتْ بِمَطْوِيَّةٍ عَلَى قَتَمٍ
رب درع ضافية، سابعة تامة، إذ تجر جرّاً فتكاد تلمس الأرض لطولها، وهي صافية غير صدئة،
وليس مطوية على قتم، صدأ

كَأَنَّهَا وَالنِّصَالُ تَأْخُذُهَا أَضَاةٌ حَزْنٌ تُجَادُ بِالدِّيمِ
كانها ونصال السهام تضربها أضاة حزن، غدير في ربوة، تجاد بالديم، تمطرها السحب

أَوْ مَنْهَلٌ طَافَتْ الْحَمَامُ بِهِ فَالْرِيشُ طَافٍ عَلَيْهِ لَمْ يَصِمِ
أو كأنها منهل ماء طافت به الحمام، فعليه ريش من ريشها ولكنه لا يصمه، لا يعيه

٤٠ درع كشعر الوليد وحبيب

مِثْلُ وَشْيِ الْوَلِيدِ لَأَنْتَ، وَإِنْ كَا نَنْتَ مِنَ الصُّنْعِ مِثْلَ وَشْيِ حَبِيبِ
الدرع لينة كأنها وشي الوليد، تطريز البحرى.. هي كشعر البحرى في العذوبة، ولكنها في صنعها
ومتانتها كوشي حبيب، كشعر أبي تمام في المتانة وقوة السبك

تِلْكَ مَازِيَّةٌ وَمَا لِدُبَابِ الصَّ - يَفِ وَالسَّيْفِ عِنْدَهَا مِنْ نَصِيبِ
إنها ماذية، والماذي هو العسل/ وهو أيضاً الحديد الصافي، ولكن ليس لذباب الصيف، حشرات،
ولا لذباب السيف، شفرة السيف، نصيب فيها

زَبَدٌ طَارَ عَنْ رُغَاءِ الْمَنَايَا فَاحْتَسَى الْبَيْضَ كَارْتِغَاءِ الْحَلِيبِ

الدرع المتموجة كالزبد الذي طار عن رغاء المنايا، فالموت يهدر ويصدر رغاء وهو
صوت البعير، وهذا الزبد يحتسي البيض، السيوف، كما يرتغي المرء الحليب، أي
يشرب رغوته.. لاحظ أن الزبد، الذي هو الرغوة، يحتسي الرغوة. أبو العلاء في
قوة تحكمه باللغة مثل الذي يقود سيارته ويكتب رسالة في هاتفه، ويتحدث إلى
صاحبه في آن معاً

٤١ الأم الشريرة

قال على لسان امرأة توصي ابنها بلبس الدرع وترك الزواج:

عَلَيْكَ السَّابِغَاتِ فَلِإِنَّهُنَّ يُدَافِعْنَ الصَّوَارِمَ وَالْأَسِنَّةَ

عليك السابغات، الزم الدروع، فهن يدافعن عنك الصوارم، يصددن السيوف وأسنه الرماح

وَمَنْ شَهِدَ الْوَعَى وَعَلَيْهِ دِرْعٌ تَلْقَاهُ بِنَفْسٍ مُطْمَئِنَّةٍ

وَحَبَّاتُ الْقُلُوبِ يَكُونَنَّ حَبًّا إِذَا دَارَتْ رَحَاهَا الْمُرْجَحِنَّةُ

حبات القلوب، السواد في جوفها، تصبح حبوباً تطحنها رعى الحرب المرجحة، الثقيلة

عَلَى أَنَّ الْحَوَادِثَ كَاثِنَاتٌ وَمَا تُغْنِي عَنِ الْقَدْرِ الْأَكِنَّةُ

لكن الحوادث، المصائب كاثنة، واقعة لا بد، ولا تغني عن القدر الأكنة، السور

فَحِنَّ إِلَى الْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي وَلَا تُثْقِلْ مَطَاكَ بِعَبءٍ حَنَّةُ

ليكن حنينك إلى المكارم والمجد، ولا تثقل مطاك، ظهرك، بعبء حنة، زوجة

فَلِإِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، وَمَا كَعَابٌ مُلَانِمَةٌ عَجُوزاً مُقْسِنَةً

أنا كبرت وليست الفتاة الكعاب، التي برز ثدياها، مما يلائم عجوزاً مقسنة، اصلب وقسا منها ما يكون رجراجاً في المرأة فبرزت عظامها

فَإِنْ يَبْيِضُ بِالْحَدَثَانِ قَوْدِي فَقَدْ أَعْدُو بِقَوْدٍ كَالْدُجْنَةِ

لئن ابيض قودي، سالي، بالحدثان، بحوادث الزمن، فقد كنت ذات سالف أسود كالدجنة، كالليل

إِذَا مَا السَّارِحَاتُ نَظَرْنَ فِيهِ عَجِبْنَ لِمَا سَرَّخْنَ وَمَا دَهَنَّهُ

إذا نظرت السارحات، الماشطات، إلى شعري تعجبن من هذا الذي سرخنه ودهنه

إِذَا وَقَعَتْ مَدَارِيهَا عَلَيْهِ سَتَرْنَ بِجُنْحٍ لَيْلٍ أَوْ دُفْنَةٍ

إذا وقعت مداريها، أمشاط الماشطات، على شعري فشعري يستر الأمشاط كأنما تحت جنح ليل، أو كأنما دُفنت الأمشاط

٤٢ العظة

وَالشَّمْسُ عِنْدَ شُرُوقِهَا عَلِمَ اللَّيْلِيُّ زَوَالَهَا

تشرق الشمس فيعلم العاقل أنها ستغرب بعد حين

وَعَظَمْتُكَ أَيَّامٌ تَمُرُّ - فَهَلْ فَهِمْتَ مَقَالَهَا

لقد وعظمتك الأيام وهي تمر، فهل فهمت ما تقوله لك؟

٤٣ النوم

وَفَضِيلَةُ النَّوْمِ الْخُرُوجُ بِأَهْلِهِ عَنْ عَالَمٍ هُوَ بِالْأَدَى مَجْبُوبٌ

٤٤ الصهيل

أَيْهَا اللَّاعِبُ الَّذِي قَرَسَ الشُّطَّ رَنْجِ هَمَّتْ فِي كَفِّهِ بِالصَّهِيلِ
مَنْ يُبَارِيكَ وَالْبَيَاقُ فِي كَفِّكَ لَكَ يَغْلِبَنَّ كُلَّ رُخٍّ وَفِيلٍ
البياذق، العساكر في الشطرنج، في كفك تغلب كل رخ، قلعة، وفيل.. والبيذق أضعف من الرخ
ومن الفيل

٤٥ أحلام

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنَّنِي كُلَّ لَيْلَةٍ إِذَا نِمْتُ لَمْ أَغْدَمْ خَوَاطِرَ أَوْهَامِي
فَإِنْ كَانَ شَرًّا فَهَوَ لَا بُدَّ وَاقِعٍ وَإِنْ كَانَ خَيْرًا فَهَوَ أَضْعَاثُ أَحْلَامِي

٤٦ بيت على القبر

هَذَا جَنَاهُ أَبِي عَلِيٍّ - وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أَحَدٍ
حياتي هي جناية أبي، الذي أنجبني؛ وأنا لم أتزوج ولم أنجب. هذا البيت ليس
موجوداً في سقط الزند ولا في اللزوميات، ولكن أكثر من مصدر قال إن أبا العلاء
كان يردده دائماً، ولعله فعلاً طلب أن يكتب على قبره

٤٧ في اللاذقية ضجة

أَبْيَاتُ نَسَبَتِهَا الْمَصَادِرُ لِلْمَعْرِيِّ وَلَيْسَتْ فِي سَقَطِ الزُّنْدِ وَلَا فِي اللَّزُومِيَّاتِ:
فِي اللَّاذِقِيَّةِ ضَجَّةٌ مَا بَيْنَ أَحْمَدَ وَالْمَسِيخِ
هَذَا بِنَاقُوسٍ يَدُقُّ - وَذَا بِمِثْلَنَةٍ يَصْبِخُ
كُلُّ يُمَرِّزُ دِيْنَهُ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الصَّحْبُ

فهرس القوافي، سقط الزند (القافية، فرقم القطعة)

١٣	البَصْرُ	٧	الكُبراءُ
١٦	قَصَى	٣٣	بِجَوَابِ
٣١	الْحَطُّ	٤٠	حَبِيبِ
٢٧	اللَّدْعُ	١٧	وَصَابِهِ
٢٨	الرَّحِيلَا	٣٠	فَحِينَا
١	وَابْتَدَلَا	٢٢	وَمَمَاتُ
٣٢	أَصَالَ	٢١	سَمَتْهَا
٢٦	رِثْبَالُ	٣٦	وَالزُّجَاجِ
٤٣	مَجْبُورُ	٤٧	وَالْمَسِيخِ
١٠	وَنَائِلُ	١١	عِنَادَا
٢٣	وَنَضَالُ	٥	وِسَادُ
٤٤	بِالصَّهِيلِ	١٥	يَعُودُ
٢٥	وَمَا لِي	٣٥	بِرُقَادِ
٣٧	السَّيْلُ	١٩	شَادِ
٤٢	زَوَالَهَا	٤٦	أَحْذِ
١٢	وَعْرَامُ	٢٠	زَنْدِهِ
٢٩	أَمَامِي	١٤	وَالْأَحْجَارَا
٣٨	أَمْثَالِي	٢٤	تُسَبَّرُ
٤٥	أَوْهَامِي	٢	أَتْرِي
٣٩	قَتَمِ	٤	الْخَيْرِ

١٨	الطَّعْنِ	٦	وَمُطَهِّمٍ
٨	يَقَانِ	٩	تَمَامِهِ
٤١	وَالْأَسِنَّةُ	٣	اِكْتِنَانُ
		٣٤	أَتْلَفَتْنِي

لزوميات أبي العلاء المعري

(ثمة حديث عن الزوميات في آخر الفصل الذي عقدته لحياة المعري، وموضعه قبل المختار من سقط الزند)

يقصّر كثير من الدارسين القدماء، وأكثر منهم من المحدثين، في فهم شكوك أبي العلاء في الدين، ويخاف بعضهم طرق الموضوع. فأما المقصرون فأهم سبب لتقصيرهم أنهم مؤمنون، لم يمشوا في ديار الشك بما يكفي ليعرفوا كيف يكون الشك وكيف يفكر الشاك. أو هم بعبارة فلسفية لم يلحدوا يوماً إلحاد فكر وتبصر فيستكشفوا ذلك العالم المختلف. وأما من يخاف طرق الموضوع فما عنيانا به سوى طه حسين الذي خبر تلك الديار عشرات السنين، لكنه ابتلي بلسعة عقرب فتأذب.

تخرج القدامى والمحدثون في الخوض إلى أعلى من كواحلهم في مسألة شك أبي العلاء لسبب آخر غير قلة فهمهم لنفسية الشاك، أو غير المستبعد؛ والمستبعد كلمة أمي، فقد كانت تقول عن كل من يجدف في الدين تجديفاً مستمراً إن فلاناً «شكّله لا يستبعد» تعني لا يعتقد.

وثمة أيضاً ذلك المزيج من النفاق ومن الخوف الموروث من القبر وما بعده. فكثير من نقدة أبي العلاء في القديم والحديث مؤمنون نفاقاً وخوفاً في آن معاً.

كل إنسان منا شاك.

ترى أخت التقمص تأتي عليه في البحين بعد البحين لحظة يقول فيها لنفسه: ما هذا؟ أصبح فيما بعد الموت زرافة، أو صرصوراً أو فيلاً؟ لا أصدق ذلك. وترى المسيحي يسمع الكاروز يكرز بأن الله ذو ثلاثة أقانيم ويقول لنفسه: أما نريح أنفسنا ونفعل فعل جيراننا المسلمين ونقول بأن الله واحد! وترى المسلم

يسمع المفسر يفسر له أن النار ستشوي جلده في الجحيم، ويسمعه وهو يعطي المواصفات الفنية الدقيقة للسلاسل والكلايب التي ستكون عدة ذلك الوجاق فيقول لنفسه: ألا أراح هذا الداعية نفسه وفسر تفسير الرمز فذلك أليق بالرحمن الرحيم!

كلنا شاك بعض الشك أو كله. لكننا نستتر شكننا بستر صفيق من القراءة الجهرية. نرفع الصوت لكي نغطي الفكرة. نخاف. نخاف الآخرة، نخاف النص، نخاف الناس أيضاً. ونخاف أن تفسد عقولنا بالشك وتضطرب، ونخاف أن تختل المنظومة الجميلة من المعتقدات القائمة في عقولنا والصور الأدبية المرافقة لها. ففي ذهن كل منا صرح شامخ من الإيمانات مكسو بحجارة ملساء من الصور الأدبية والقصص - واحفظ لي أنني لم أورد كلمة الأساطير كما تعود قوم أن يفعلوا، فلا والله ما هي بالأساطير بل حقائق ذهنية تملي علينا مشاعر وسلوكاً -، وهذا الصرح الذي في الذهن هو الثراء الروحي الذي يعمر عقولنا. وقليل جداً من الناس من يتجرأ على تحدي هذا الصرح، فأما المبالغة في تزيينه والعبث بكسوته فحدث ولا حرج. قد أضاف القصاص والمفسرون إلى التراث الأدبي الملتصق بالدين إضافات فولكلورية مهمة.

ولعلك لو نظرت في كتاب (قصص الأنبياء المسمى بالعرائس) - عنيت كتاب الثعلبي المليء بالقصص لا كتاب ابن كثير المتحفظ - لعرفت كيف أسس أولئك القصاص على قاعدة الدين تراثاً أدبياً فولكلورياً فاحش الثراء.

أرهق القدماء وبنيت الشاطئ أنفسهم - ونفسها - بالاحتجاج لدين أبي العلاء.

وقد أعطاهم أبو العلاء نفسه المفاتيح واعياً. وهاك بيان ذلك: الشاك أو الملحد يحمي ظهره بستار دخان. يقول في الفينة بعد الفينة إنه مؤمن عميق الإيمان، ويخلط الأمر على العامة. وقد تلم به هزة صوفية صادقة، تنتابه في لحظة صفاء تهاويل سمعها في طفولته، وتنزل من قلمه دمعة حزن فيتذكر مآله فيكتب بيتاً أو أبياتاً يسمعها السامع فلا يكاد يشك في أن الرجل عابد تقي. على أن هذه عند أبي العلاء قليلة. فأما ستار الدخان فهذا فن لم يجار فيه أبا العلاء أحد، حتى جاء الزهاوي في زمننا فصنع ديواناً سماه النزغات وجعله قسمين قسماً في الشك وقسماً في الإيمان.

حسبنا من أبي العلاء أنه قال في لزومياته أبياتاً جميلة وفصيحة. فأما

التماسك فيما بين الأبيات فلا تكاد تجده إلا قليلاً، فالتزام الشاعر قافية مزدوجة جعل لزومياته تهذي. اللزوميات فيها شعر كثير، وفيها خشب كثير. وقد اخترنا لك ما فيها من شعر، وكنا بين الحين والحين نختار شيئاً من الخشب حتى ترى كيف هي اللزوميات. ومن الأحد عشر ألف بيت التي هي اللزوميات اخترنا نحو عشرة بالمئة فقط. ولعل القارئ المستعجل أن يحمد لنا تسويدنا لبعض الأبيات التي فيها معنى راقص، أو التي تحمل فكرة غريبة.

أما حياة أبي العلاء المعري فقد عرضنا لها في مقدمة طويلة صَدَرْنَا بها ما اخترناه من ديوانه سقط الزند.

قد شغلت نفسي بأبي العلاء بضع سنين، أقرأ له وعنه، وأختار من شعره، ثم أترك الأمر زمناً، ثم أعود فأشكل الكلمات، ثم تمضي سنة أو سنتان، ثم أعود فأشرح الأبيات. وقد يشاء برنامج الحاسوب أن يتغير علي، فها هي الضمة على الميم تنزل تحت الميم، فلا بد من معالجتها بوضع مسافة قبل كل ميم مسبوقة بلام، وما أكثرهن.

أحسد كتاب الجيل الماضي الذين كانوا يكتبون بالقلم لا بالدق على أزرار الحاسوب، كان الكاتب يلقي بأفكاره على الورق، ثم يلقي بالورق إلى ناس آخرين يطبعون ويصححون. وأحسد بعض الأكاديميين الذي يحسنون تشغيل النابهين من طلبتهم فيوفرون على أنفسهم عناء كثير من البحث ومن الشغل اليدوي. على أنني رأيت ما فعله تلامذة عالم جليل بأستاذهم وقد أراد أن يخرج طبعة للزوميات، وما فعله هو بنفسه إذ حالت الثمانون بينه وبين أن يُحَكِّم الأمر، فصدرت لزومياته مزينة بأسماء تلامذته المهملين، وبحشد من الأغلاط، وكانت لطخة في صفحة جهوده الأدبية واللغوية الجليلة.

هذا حين أسلمك إلى ما اخترته من لزوميات أبي العلاء المعري.

١ نفاق الأدباء

أولو الفضل، في أوطانهم، غرباء تشدُّ وتَنأى عنهمُ القُرباءُ

تشد وتَنأى: تبتعد

فَمَا سَبَّأُوا الرَّاحَ الكُمَيْتَ لِلدَّهْرِ، وَلَا كَانَ مِنْهُمْ، لِلْخِرَادِ، سِبَاءُ

سبأوا الراح: اشتروا الخمر. سبأ الخراد: سبي النساء في الحرب

إذا ما خَبَتْ نارُ الشَّيْبَةِ ساءَني، ولو نُصِّرَ لي، بين النجوم، خِباء

نص لي خِباء: رفعت لي خيمة

وما بعد مرَّ الخَمْسَ عَشْرَةَ مِنْ صَبَا، ولا بعدَ مرَّ الأربَعينَ صِباء

الصبا: زمن الشباب، الصباء: الشوق والغزل

تَوَاصَلَ حَبْلُ النَسْلِ ما بَيْنَ آدَمَ وبيَني، ولم يُوصَلْ بِلامِي بَاء

اللام: الإنسان، الباء: الجماع. يقول: لم يتصل شخصي بجماع، فلم أنجب وانقطع عندي نسل أسلافي

تَشَاءَبَ عَمُرُو، إذ تَشَاءَبَ خَالِدُ، بِعَدَوِي، فَمَا أَعْدَنِي الثُّوبَاءُ

التناسل مبعثه الغيرة والعدوى مثلما يتشاءب شخص فيتشاءب صاحبه، غير أنني لم أصب بعدوى التناسل، فلا زوج لي ولا ولد

وَزَهَّدَنِي فِي الخَلْقِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ، وَعِلْمِي بِأَنَّ العَالَمِينَ هَبَاءُ

قلل رغبتني في الناس معرفتي بهم وعلمي بأنهم بلا قيمة كغبار الجو

وما أَدَبَ الأَقْوَامَ، فِي كُلِّ بَلَدٍ، إِلَى المَينِ، إِلَّا مَعَشَرَ أَدْبَاءُ

أَدَبَ الرجل الناس: دعاهم إلى مأدبة، المين: الكذب

٢ أبدأً بنفسي

بَنِي الدهرِ مَهْلًا! إِنْ دَمَمْتُ فِعَالَكُمُ، فَإِنِّي بِنَفْسِي، لَا مَحَالَةَ، أَبْدَأُ

مَتَى يَتَقَضَّى الوقتُ، وَاللَّهُ قَادِرٌ، فَتَسْكُنَ فِي هَذَا التُّرابِ وَنَهْدًا؟

تَجَاوَزَ هَذَا الجِسْمُ والروحُ بُرْهَةً، فَمَا بَرَحْتُ تَأْذَى بِذَاكَ وَتَضْدَأُ

منذ أن جاورت الروح الجسم وهي تعاني الأذى والصدا بهذا الجوار

٣ دنيا خسيصة

يَأْتِي عَلَى الخَلْقِ إِصْبَاحٌ وَإِمْسَاءُ وَكُلُّنَا لِصُرُوفِ الدهرِ نَسَاءُ

صُرُوفِ الدهر: مصيباته، نساء: شديد النسيان..

وَكَمْ مَضَى هَجْرِي، أَوْ مُشَاكِلُهُ مِنْ المَقَاوِلِ، سَرُّوا النَّاسَ أَمَ سَاءُوا

مضى الكثيرون، من هجري، زعيم في «هجر» قرب عمان، أو مشابه له من المقاول، ملوك اليمن، سواء سر بهم الناس أم سيتوا

تَتَوَى الْمُلُوكُ، وَمِصْرٌ، فِي تَغْيِيرِهِمْ، مِصْرٌ عَلَى الْعَهْدِ، وَالْأَحْسَاءُ أَحْسَاءُ
تتوى، تهلك، الملوك. وتظل مصر هبة النيل على حالها رغم تغيرهم، وتظل الأحساء في جزيرة
العرب على حالها

خَسِيسَتْ، يَا أَمَّنَا الدُّنْيَا فَأَفْ لَنَا، بَنُو الْخَسِيسَةِ أَوْبَاشُنْ أَخِسَاءُ!
وقد نطقتِ بِأَصْنَافِ الْعِظَاتِ لَنَا، وَأَنْتِ، فِيمَا يَظُنُّ الْقَوْمُ، خِرْسَاءُ
يَمُوجُ بِحَرِّكَ، وَالْأَهْوَاءُ غَالِبَةٌ لِرَاكِبِيهِ، فَهَلْ لِلْسُّفْنِ إِرْسَاءُ؟
إِذَا تَعَطَّفَتْ يَوْمًا، كُنْتَ قَاسِيَةً، وَإِنْ نَظَرْتَ بِعَيْنٍ، فَهِيَ شَوْسَاءُ
شوساء: مائلة تنظر شزراً بقضب

٤ أنا وبيت الشعر

إِنْ مَازَتْ النَّاسَ أَخْلَاقُ يُعَاشُ بِهَا، فَإِنَّهُمْ، عِنْدَ سُوءِ الطَّبْعِ، أَسْوَاءُ
مازت: ميزت، أسواء: متساوون

إِنْ كَانَ كُلُّ بَنِي حَوَاءَ يُشْبِهُنِي، فَبِنْسَ مَا وَلَدْتُ فِي الْخَلْقِ حَوَاءُ
بُعْدِي مِنَ النَّاسِ بُرَّةٌ مِنْ سَقَامِهِمْ، وَقُرْبُهُمْ، لِلْحِجَا وَالْدِينِ، أَدَوَاءُ
الحجا: العقل، أدواء: أمراض

كَالْبَيْتِ أَفْرَدَ، لَا إِطْءَاءَ يُدْرِكُهُ، وَلَا سِنَادَ، وَلَا فِي الْلَفْظِ إِقْوَاءَ
الانفراد بعيداً عن الناس مثل انفراد بيت من الشعر فلا مقارنة بين قافيته وقافية بيت آخر لذا لا
يلحقه الإطءاء ولا السناد ولا الإقواء، وهي من علل التباين بين القوافي

٥ نار الشباب

إِنَّ الشَّيْبَةَ نَارٌ، إِنْ أَرَدْتَ بِهَا أَمْرًا، فَبَادِرْهُ، إِنْ الدَّهْرَ مُطْفِئُهَا

٦ الداء العياء

قَدْ حُجِبَ النُّورُ وَالضِّيَاءُ وَإِنَّمَا دِينُنَا رِيَاءُ
رياء: نفاق

وَهَلْ يَجُودُ الْحَيَا أَنْسَاءُ، مُنْطَوِيًا عَنْهُمْ الْحَيَاءُ؟
الحيا: المطر

كَمْ وَعَظَ الوَاعِظُونَ مِنَّا ، وقَامَ فِي الْأَرْضِ أَنْبِيَاءُ
فَانصَرَفُوا ، والبَلَاءُ بَاقٍ ، وَلَمْ يَزَلْ دَاوُكَ الْعَمِيَاءُ
يَخَاطَبُ الْإِنْسَانَ : دَاوُكَ لَمْ يَزَلْ هُوَ الدَّاءُ الْعِمَاءُ ، الْمَعْجَزُ لِلْأَطْبَاءِ ، فَهُوَ مُشْكِلَةٌ فِي الْأَخْلَاقِ

٧ اتَّقِيَاءُ وَأَذْكِيَاءُ

وَقَدْ فَتَّشْتُ عَنْ أَصْحَابِ دِينٍ ، لَهُمْ نُسُكٌ ، وَلَيْسَ لَهُمْ رِيَاءُ
فَالْفَيْتُ الْبَهَائِمَ لَا عُقُولَ تُقِيمُ لَهَا الدَّلِيلَ ، وَلَا ضِيَاءُ
وَإِخْوَانُ الْفُطَانَةِ فِي اخْتِيَالٍ ، كَأَنَّهُمْ لِقَوْمِ أَنْبِيَاءِ
إِخْوَانُ الْفُطَانَةِ ، الْأَذْكِيَاءُ ، ذَوُو اخْتِيَالٍ ، مُتَكَبِّرُونَ

فَأَمَّا هَؤُلَاءِ ، فَأَهْلُ مَكْرٍ ، وَأَمَّا الْأَوَّلُونَ ، فَأَغْيِيَاءُ
فَإِنْ كَانَ الثَّقَى بَلَاءً وَعِيَاءً ، فَأَعْيَارُ الْمَذَلَّةِ اتَّقِيَاءُ
أَعْيَارُ : حَمِيرٌ

٨ مَلَّ الْمُقَامُ

طَالَ الثَّوَاءُ ، وَقَدْ أَتَى لِمَفَاصِلِي ، أَنْ تَسْتَبِدَّ ، بِضُمِّهَا ، صَحْرَاؤُهَا
طَالَ بِي الثَّوَاءُ ، الْمَقَامُ فِي الدُّنْيَا ، فَأَتَى ، أَيَّ أَنْ ، لِمَفَاصِلِي أَنْ تَسْتَبِدَّ بِضُمِّهَا ، تَنْفَرِدُ بِهَا ،
صَحْرَاؤُهَا ، أَيَّ الْبَرِّ مَكَانَ دَفْنِ الْمَوْتَى

مَلَّ الْمُقَامُ ، فَكَمْ أَعَاشِرُ أُمَّةً ، أَمِرْتُ بِغَيْرِ صَلَاحِهَا أَمْرَاؤُهَا
ظَلَمُوا الرِّعْيَةَ ، وَاسْتَجَازُوا كَيْدَهَا ، فَعَدَوْا مَصَالِحَهَا وَهُمْ أَجْرَاؤُهَا
اسْتَجَازُوا : أَجَازُوا لَأَنْفُسِهِمْ ، كَيْدَهَا : خَدَعَهَا ، عَدَا : تَجَازَوْا

وَوَجَدْتُ دُنْيَانَا تُشَابِهَ طَامِشًا ، لَا تَسْتَقِيمُ لِنَاكِحٍ أَقْرَاؤُهَا
طَامِشٌ : حَاضِرٌ ، لَا تَسْتَقِيمُ لِنَاكِحٍ أَقْرَاؤُهَا : لَا يَتِمَّكَنُ الرَّجُلُ مِنْ مَوَاتِنِهَا لَمَّا فِيهَا مِنْ قَرَى ، أَيَّ
حِيضٌ

هُوَيْثٌ ، وَلَمْ تُسْعِفْ ، وَرَاحَ غَنِيَّتُهَا تَعَبًا ، وَفَازَ ، بِرَاحَةٍ ، فَقْرَاؤُهَا

٩ غَلَبَ الْمَيْنُ

حَلَّنِي ، يَا أَخِي ، أَسْتَغْفِرُ الدَّاءَ فَلَمْ يَبْقَ فِيَّ إِلَّا الدِّمَاءُ

غَلَبَ الْمَيِّنُ، مَنْذُ كَانَ، عَلَى الْخَلْدِ حَقٍّ، وَمَاتَتْ بِغِيظِهَا الْحُكَمَاءُ
مَنْذُ كَانَ، أَيِ مَنْذُ وَجَدَ، الْمَيِّنَ، أَيِ الْكَذِبِ، وَهُوَ غَالِبٌ عَلَى النَّاسِ

١٠ الإساءة المضاعفة

رُويَدَكَ قَدْ غُرِزَتْ، وَأَنْتَ حَرٌّ، بِصَاحِبِ حِيلَةٍ يَعِظُ النِّسَاءَ
يَحَرِّمُ فِيكُمْ الصَّهْبَاءَ ضُبْحًا، وَيَشْرُبُهَا، عَلَى عَمْدٍ، مَسَاءً
يَقُولُ لَكُمْ، غَدَوْتُ بِلا كِسَاءٍ، وَفِي لَذَائِهَا رَهَنَ الْكِسَاءِ
إِذَا فَعَلَ الْفَتَى مَا عَنْهُ يُنْهَى، فَمِنْ جِهَتَيْنِ، لَا جِهَةَ، أَسَاءَ

١١ إرجاء التوبة

نَرْجُو الْحَيَاةَ فَإِنْ هَمَّتْ هَوَّاجِسُنَا بِالْخَيْرِ، قَالَ رَجَاءُ النَّفْسِ: إِرْجَاءُ
رَجَاءُ النَّفْسِ فِي طَوْلِ الْعَيْشِ يُوْجِلُ التَّوْبَةَ وَفَعَلَ الْخَيْرَ
وَمَا تُفِيْقُ مِنَ السُّكْرِ الْمُحِيطِ بِنَا، إِلَّا إِذَا قِيلَ: هَذَا الْمَوْتُ قَدْ جَاءَ

١٢ ضدَّ تعليم المرأة

عَلِّمُوهُنَّ الْغَزْلَ وَالنَّسْجَ وَالرِّدَّ نَ، وَخَلُّوا كِتَابَةً وَقِرَاءَةً
الردن: الغزل

فَصَلَاةُ الْفَتَاةِ بِالْحَمْدِ وَالْإِخْلَاصِ، تُجْزِي عَنْ يُونُسَ وَبَرَاءَةَ
الحمد: سورة الفاتحة، الإخلاص: سورة قل هو الله أحد، ويونس وبراءة سورتان طويلتان

١٣ نصيحتان وأمنية

تَوَحَّذْ، فَإِنَّ اللَّهَ رَبُّكَ وَاحِدٌ وَلَا تَرْعَبَنَّ فِي عِشْرَةِ الرُّؤْسَاءِ
يُقِلُّ الْأَذَى وَالْعَيْبَ فِي سَاحَةِ الْفَتَى، وَإِنْ هُوَ أَكْدَى، قِلَّةُ الْجُلَسَاءِ
قلة الجلساء تقلل وقوع الأذى والعيب في المرأة... حتى لو أكدي، أي افتقر

وَلَيْتَ وَلِيدًا مَاتَ سَاعَةً وَضَعِهِ، وَلَمْ يَرْتَضِعْ مِنْ أُمِّهِ النَّفْسَاءِ
ليت الوليد مات قبل أن يرضع

١٤ دياناتكم مكر

قَضَى اللّهُ فِينَا بِالَّذِي هُوَ كَائِنٌ، فَتَمَّ، وَضَاعَتْ حِكْمَةُ الْحُكَمَاءِ
وَهَلْ يَأْبِقُ الْإِنْسَانُ مِنْ مُلْكِ رَبِّهِ، فَيَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ لَهُ وَسَمَاءٍ؟
يَأْبِقُ: يَهْرَبُ

أَفِيقُوا أَفِيقُوا يَا غَوَاةَ! فَإِنَّمَا دِيَانَاتُكُمْ مَكْرٌ مِنَ الْقُدَمَاءِ
وَكَيْفَ أَقْضِي سَاعَةً بِمَسْرَةٍ، وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ مِنْ غُرْمَائِي؟
غُرْمَائِي: الَّذِينَ يَلَاخِقُونَنِي فِي دِيُونِ

١٥ السخاء الحق

إِذَا صَاحِبَتَ فِي أَيَّامِ بُؤْسٍ، فَلَا تَنْسَ الْمُوَدَّةَ فِي الرِّخَاءِ
إِذَا صَاحِبَتَ أَحَدًا وَأَنْتَ فَقِيرٌ فَلَا تَنْسَ صَحْبَهُ فِي أَيَّامِ رِخَاكَ وَثِرَاكَ
وَمَنْ جَعَلَ السِّخَاءَ لِأَقْرَبِيهِ، فَلَيْسَ بِعَارِفٍ طُرُقَ السِّخَاءِ
أَنْ تَعْطِيَ أُمَّكَ وَأَبَاكَ مَالًا هَذَا وَاجِبٌ، السِّخَاءُ الْحَقِيقِيُّ أَنْ تَعْطِيَ الْغَرِيبَ

١٦ لَا إِمَامَ سِوَى الْعَقْلِ

يَرْتَجِي النَّاسُ أَنْ يَقُومَ إِمَامٌ نَاطِقٌ فِي الْكِتَابَةِ الْخُرَسَاءِ
يَرْجُو النَّاسُ قِيَامَ إِمَامٍ عَادِلٍ، الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ، مِنْ بَيْنِ الصَّامِتِينَ الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ
بِمَبْدَأٍ بَعِيْنَهُ مُنْتَظَرِينَ قِيَامَ الْإِمَامِ.. وَهُوَ نَاطِقٌ لِأَنَّهُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى اتِّبَاعِهِ. هَذَا هُوَ
الْمَعْنَى الْمَلْمُوحُ، وَالْكِتَابَةُ الْخُرَسَاءُ عِلْمٌ عَلَى كِتَابَةٍ مَعْرُوفَةٍ فِي التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ
كَذَبَ الظَّنُّ، لَا إِمَامَ سِوَى الْعَقْلِ لِي، مُشِيرًا فِي صَبْحِهِ وَالْمَسَاءِ
وظَنَّهُمْ كَاذِبٌ فَالْإِمَامُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ الْعَقْلُ الَّذِي بِهِ يَعْرِفُ الْمَرْءُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ
إِنَّمَا هَذِهِ الْمَذَاهِبُ أَسْبَابٌ لِيَجْذِبَ الدُّنْيَا إِلَى الرُّؤَسَاءِ
الْمَذَاهِبُ الْمَخْتَلِفَةُ مَجْرَدُ طُرُقٍ يَجْتَذِبُ بِهَا الرُّؤَسَاءُ الْمَالِ مِنَ الْعَامَّةِ
فَانْفَرِدُ مَا اسْتَطَعْتُ، فَالْقَائِلُ الصَّامِتُ دَقٌّ يُضْحِكِي ثِقْلًا عَلَى الْجُلَسَاءِ

١٧ مَا أَطِيبَ الْمَوْتُ.. بِشَرِّطٍ!

تُوبِي مُحْتَاجًا إِلَى غَاسِلٍ وَلَيْتَ قَلْبِي مِثْلَهُ فِي النَّفَاةِ

وقد بَلَوْنَا الْعَيْشَ أَطْوَارَهُ ، فما وَجَدْنَا فِيهِ غَيْرَ الشَّقَاءِ
 ما أَطْيَبَ الْمَوْتَ لِشُرَّائِهِ ، إِنْ صَحَّ لِلْأَمْوَاتِ وَشُكُّ الرِّقَاءِ
 ما أَطْيَبَ الْمَوْتَ شُرَاباً لِمَنْ يَشْرِبُهُ . . . هذا إِنْ صَحَّ الْبَعْثُ وَالنُّشُورُ

١٨ تهتة أقارب الميت

قَضَى اللَّهُ أَنَّ الْآدَمِيَّ مَعَذَّبٌ ، إِلَى أَنْ يَقُولَ الْعَالِمُونَ بِهِ : قَضَى
 الْعَالِمُونَ بِهِ : أَقَارِبُهُ ، قَضَى : مَاتَ

فَهَنَّى وُلَاةَ الْمَيِّتِ يَوْمَ رَحِيلِهِ ، أَصَابُوا ثَرَاتاً ، وَاسْتَرَاحَ الَّذِي مَضَى
 وُلَاةَ الْمَيِّتِ : أَقَارِبُهُ ، أَصَابُوا ثَرَاتاً : نَالُوا إِرْثاً

١٩ النوم والموت

وَنَوْمِي مَوْتُ قَرِيبُ النُّشُورِ وَمَوْتِي نَوْمٌ طَوِيلُ الْكَرَى
 النوم موت لكن النشور منه ، أي البعث من النوم أي الاستيقاظ ، قريب ؛ والموت نوم طويل
 فَهَلْ قَامَ مِنْ جَدَثٍ ، مَيِّتٌ ، فَيُخْبِرَ عَنْ مَسْمَعٍ أَوْ مَرَى ؟
 جدث : قبر ، مسموع أو مرى ، أي مرأى : ما سمعه أو ما رآه

وَلَوْ هَبَّ صَدَقُّهُ مَعَشَرٌ ، وَقَالَ أَنْاسٌ طَغَى وَافْتَرَى
 لو حدث فعلاً أن هب وقام الميت لصدقه بعضهم ونعت بعضهم بالكذب
 نَهَارٌ يُضِيءُ ، وَلَيْلٌ يَجِيءُ وَنَجْمٌ يَغُورُ ، وَنَجْمٌ يُرَى
 الزمن ماض على وتيرته ، وثمة نجم يغور ، أي يغيب ، وآخر يظهر

٢٠ يصير ثراباً

حَيَاةٌ عَنَاءٌ ، وَمَوْتُ عَنَاءٌ فَلَيْتَ بَعِيدَ حِمَامٍ دَنَا
 عنا : عناء

وَمَنْ ضَمَّهُ جَدَثٌ لَمْ يُبَلِّ عَلَى مَا أَفَادَ ، وَلَا مَا اقْتَنَى
 من ضمة قبر لم يبل ، لم يُبَالِ ولم يكثر ، ما الذي أفاده ، أي كسبه ، ولا ما اقتنى من أشياء
 يَصِيرُ ثَرَاباً ، سَوَاءٌ عَلَيْهِ مَسُّ الْحَرِيرِ ، وَطَعْنُ الْقَنَا

٢١ برهان

يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ الْمَمَاتِ، وَكَوْنِهِ إِرَاحَةً جِسْمٍ، أَنْ مَسَلَكَهُ صَعْبُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَجْدَ تَلَقَّاكَ دَوْنَهُ، شِدَائِدُ، مِنْ أَمْثَالِهَا وَجَبَ الرُّغْبُ؟

٢٢ ما ذنب المعشوق!

نَقِمْتَ عَلَى الدُّنْيَا، وَلَا ذَنْبَ أَسْلَفْتَ إِلَيْكَ، فَأَنْتَ الظَّالِمُ الْمُتَكَذِّبُ
وَهَبَّهَا فَتَاةً، هَلْ عَلَيْهَا جُنَايَةٌ، بِمَنْ هُوَ صَبٌّ، فِي هَوَاهَا، مَعَذَّبُ؟

٢٣ الفَخَّارُ أَصْلُهُ فَخَّارٌ

لَعَلَّ أَنْاسًا، فِي الْمَحَارِبِ، خَوْفُوا بَآيَ، كَنَاسٍ، فِي الْمَشَارِبِ، أَطْرَبُوا
إِذَا رَامَ كَيْدًا، بِالصَّلَاةِ، مُقِيمُهَا، فَتَارَكُهَا عَمْدًا، إِلَى اللَّهِ أَقْرَبُ
فَلَا يُنْسِي فَخَّارًا (مِنْ الْفَخْرِ) عَائِدٌ إِلَى عُنْصُرِ الْفَخَّارِ لِلنَّفْعِ يُضْرَبُ

لا يمس، أي عليه أن لا يمس، الإنسان العائد أصله إلى عنصر الفخار وهو التراب الذي يضربونه كي ينتفعوا به ويصنعون جراراً . لا يمس فخاراً أي مفتخراً . ونبهنا المعري تنبيهاً مدرسياً إلى أن الفخار هنا أصلها من الفخر . شرح البيت طه حسين والأبياري على أن «النفع يضرب» معناها «هذا حديث يساق ليفيد منه الناس عظة وعبرة» ولم أجد لها وجهاً . وقرأ حسين نصار البيت بوضع «من العجز» بدل «من الفخر» ولا يستقيم بها السياق، ولم يشرح بكلمة . ولم يشرح اللزومية ابن السيد البطليوسي في مختاراته

لَعَلَّ إِنَاءً مِنْهُ يُصْنَعُ مَرَّةً، فَيَأْكُلُ فِيهِ مَنْ أَرَادَ وَيَشْرَبُ

لعل هذا المفتخر يصبح - بعد أن يموت ويصير تراباً - إناءً، فيأكل الناس فيه ويشربون

وَيُحْمَلُ مِنْ أَرْضٍ لِأُخْرَى وَمَا دَرَى، قَوَاهَا لَهُ، بَعْدَ السَّلَى، يَتَغَرَّبُ!

وَمَا الْأَرْضُ إِلَّا مِثْلُنَا الرِّزْقُ تَبْتَغِي، فَتَأْكُلُ، مِنْ هَذَا الْأَنَامِ وَتَشْرَبُ

وَقَدْ كَذَّبُوا حَتَّى عَلَى الشَّمْسِ أَنَّهَا تُهَانُ إِذَا حَانَ الشَّرْقُ وَتُضْرَبُ

تقول الخرافة إن الشمس إذا غربت تعرضت للضرب وأجبرت على أن تشرق مرة أخرى

٢٤ الْخُرَابُ

فِي الْبَدْوِ خُرَابٌ أَذْوَادٌ مُسَوِّمَةٌ، وَفِي الْجَوَامِعِ وَالْأَسْوَاقِ خُرَابٌ

عند البدو يوجد خراب، لصوص، أذواد مسومة، إبل ترعى، وفي الجوامع والأسواق لصوص . .
تجار الدين وتجار السلع

فهؤلاء تَسَمَّوْا بِالْعُدُولِ، أَوِ التُّدْ - حَجَّارٍ، وَاسْمُ أَوْلَاكَ الْقَوْمِ أَغْرَابُ
فلصوص السوق يسمون العدول، الشاهدون بالعدل، أو التجار، ولصوص البدو يسمون أعراباً

٢٥ عيوبي

عيوبي، إِنْ سَأَلْتَ بِهَا، كَثِيرٌ، وَأَيُّ النَّاسِ لَيْسَ لَهُ عَيْوُبٌ؟
وللإنسان ظاهراً ما يراه وليس عليه ما تُخْفِي العيوبُ

٢٦ كلهم كاذبون ظالمون

يَحْسُنُ مَرَأَى لِبَنِي آدَمَ وَكُلُّهُمْ فِي الذُّوقِ لَا يَغْذُبُ
مَا فِيهِمْ بَرٌّ، وَلَا نَاسِكٌ، إِلَّا إِلَى نَفْعٍ لَهُ يَجْذِبُ
أَفْضَلُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ صَخْرَةٌ، لَا تَظْلِمُ النَّاسَ وَلَا تَكْذِبُ

٢٧ المدمنون

لَوْ ضَرَبَ الْغَاوُونَ بِالسَّيْفِ، لَا بِالسَّوْطِ، حَدَّ الْخَمْرِ مَا تَابُوا

٢٨ أفضل ميتة

يَقُولُونَ: هَلَّا تَشْهَدُ الْجُمُعَ، الَّتِي رَجَوْنَا بِهَا عَفْوَاً، مِنَ اللَّهِ، أَوْ قُرْبَا
الجمع: صلاة الجمعة

وَهَلْ لِي خَيْرٌ فِي الْحُضُورِ، وَإِنَّمَا أَزَاحِمُ، مِنْ أَحْيَارِهِمْ، إِبْلًا جَرَبَا
حتى الأخيار من الناس يسبون الأذى كالإبل الجربى التي تعدى غيرها

لَعَمْرِي لَقَدْ شَاهَدْتُ عُجْماً كَثِيراً، وَعُرْبَاً، فَلَا عُجْماً حِمْدَتْ وَلَا عُرْبَا
وَلِلْمَوْتِ كَأْسٌ تَكْرَهُهُ النَّفْسُ شُرْبَهَا، وَلَا بَدَّ يَوْمَاً أَنْ نَكُونَ لَهَا شُرْبَا
شَرِب: شاربون

مِنَ السَّعْدِ، فِي دُنْيَاكَ، أَنْ يَهْلِكَ الْفَتَى بِهَيْجَاءٍ، يَغْشَى أَهْلَهَا الطَّعَنَ وَالضَّرْبَا
من الحظ الحسن أن يموت الإنسان في معركة يغشى أهلها، يحضرون، الطعن بالرماح والضرب
بالسيوف

فَإِنْ قَبِيحاً، بِالْمُسَوَّدِ، ضَجَّعَةً عَلَى فَرْشِهِ، يَشْكُو إِلَى النَّفَرِ الْكَرْبَا
قبيح بالمسود، السيد في قومه، نومه على فراشه يشكو الكرب والألم للنفر، للقوم

٢٩ الأمر أهون مما تظن

لا تَفْرَحَنَّ بِفَأَلٍ، إن سمعتَ به، ولا تَطْطِيرُ، إذا ما ناعبٌ نَعَبَا
لا تفرح بالفأل الحسن، ولا تطير، تتشاءم، من غراب ينب

فالخطبُ أقطعُ من سَرَاءٍ تأملُها، والأمرُ أيسرُ من أن تضمِرَ الرُّعبَا

سراء: سرور

إذا تَفَكَّرْتَ فِكْرًا، لا يمازِجُهُ فَسَادُ عَقْلٍ صَحِيحٍ، هَانَا مَا صَعْبَا

زيادةُ الْجِسْمِ عَنَّتْ جِسْمَ حَامِلِهِ إِلَى التَّرَابِ، وزادتُ حَافِرًا تَعْبَا

زيادة الجسم، أي جسم الميت السمين، تتعب جسم من يحمله إلى الدفن، وتزيد تعب حافر القبر
لأنه سيكون قبراً واسعاً

٣٠ أخافه ولا أخافه

إِنْ يَفْرُبِ الْمَوْتُ مِنِّي، فَلَسْتُ أَكْرَهُ قُرْبَهُ

وَالنَّزْعُ، فَوْقَ فِرَاشٍ، أَشَقُّ مِنْ أَلْفِ ضَرْبَةٍ

النزع: مدة الاحتضار، أصعب من ألف ضربة بسيف

٣١ الله المعطي الوهاب

وَلَمْ يَحْبُنِي أَحَدٌ نِعْمَةً، وَلَكِنْ مَوْلَى الْمَوَالِي حَبَا

حبا: منح

نصحتُكَ، فاعْمَلْ لَهُ دَائِبًا وَإِنْ جَاءَ مَوْتُ، فَقُلْ: مَرْحَبَا

٣٢ رويدك!

وَيَدْعُو الطَّبِيبَ الْمَرءَ وَافَاهُ حَيْثُهُ، رَوَيْدَكَ! إِنْ الْأَمْرَ جَلَّ عَنْ الطَّبِّ

حيثه: موته

٣٣ العادل والمظلوم

أَخْشَى عَذَابَ اللَّهِ، وَاللَّهُ عَادِلٌ، وَقَدْ عَشْتُ عِشْنَ الْمُسْتَضَامِ الْمُعَذَّبِ

المستضام: المظلوم

٣٤ عيون التجارب

لو اتَّبَعُونِي، وَيَحْتُمُّهُمْ، لَهَدَيْتُهُمْ إِلَى الْحَقِّ، أَوْ نَهَجَ لِيْذَاكَ مُقَارِبِ
فَقَدْ عَشْتُ حَتَّى مَلَّنِي، وَمَلَلْتُهُ، زَمَانِي، وَنَاجَتْنِي عَيْوُنُ التَّجَارِبِ

٣٥ الظن والتجربة

وَجَدْتُكَ أَعْظَيْتَ الشَّجَاعَةَ حَقَّهَا، غَدَاةَ لَقِيَتِ الْمَوْتَ غَيْرَ هَيُوبِ
إِذَا لَقِيَتِ الْمَوْتَ غَيْرَ هَيُوبِ، خَائِفٌ، فَأَنْتَ فَعَلًا شَجَاعٌ

إِذَا قُرِنَ الظَّنُّ الْمُصِيبُ مِنَ الْفَتَى بِتَجْرِبَةٍ، جَاءَ بِعِلْمٍ غُيُوبِ

٣٦ البرغوث الصامت

إِذَا سَكَتَ الْإِنْسَانُ قَلَّتْ خُصُومُهُ، وَإِنْ أَضْجَعَتْهُ الْحَادِثَاتُ لِجَنْبِهِ
فِي السَّكُوتِ السَّلَامَةِ مِنَ الْخُصُومِ حَتَّى لَوْ اجْتَمَعَتِ الْحَادِثَاتُ، الْمَصَائِبُ، عَلَى الْمَرْءِ وَرَمَتْ بِهِ
عَلَى جَنْبِهِ

حَسَا طَامِرٌ، فِي صَمِيَّتِهِ مِنْ دَمِ الْفَتَى، فَصَغَّرَ ذَاكَ الصَّمْتُ مُعْظَمَ ذَنْبِهِ
حَسَا طَامِرٌ، شَرِبَ بَرِغُوثٌ، مِنْ دَمِ الْمَرْءِ بِصَمْتٍ، فَبَسَبَ ذَلِكَ الصَّمْتُ سِلْمَ الْبَرِغُوثِ وَلَمْ يَكُنْ
ذَنْبُهُ كَبِيرًا

٣٧ أنت الملموم

وَكَمْ طَلَبْتَ أُمُورًا لَسْتَ مُدْرِكَهَا، تَبَارَكَ اللَّهُ، مَنْ أَغْرَاكَ بِالطَّلَبِ؟
طَلَبْتَ أُمُورًا كَثِيرَةً وَلَمْ تَدْرِكَهَا، فَأَنْتَ الْمَلُومُ... فَمَنْ أَغْرَاكَ بِطَلَبِهَا أَصْلًا

٣٨ الشهد كالصَّاب

دَاءُ «الْحَيَاةِ» قَدِيمٌ لَا دَوَاءَ لَهُ، لَمْ يَخْلُ بُقْرَاطٌ مِنْ سُقْمٍ وَأَوْصَابِ
الْحَيَاةِ نَفْسَهَا مَرَضٌ لَا دَوَاءَ لَهُ؛ وَبِالنِّسْبَةِ لِلْأَمْرَاضِ الْمَعْتَادَةِ فَإِنْ بَقْرَاطُ الطَّيِّبِ الْيُونَانِيِّ كَانَ يَعْانِي
مِنَ السَّقَمِ، الْمَرَضِ، وَالْأَوْصَابِ، الْأَوْجَاعِ

لَا أَسْتَقْبِلُ زَمَانِي عَثْرَةً أَبَدًا، مَا شَاءَ فَلْيَأْتِ، إِنْ الشَّهْدَ كَالصَّابِ
لَا أَسْتَقْبِلُ زَمَانِي عَثْرَةً، لَا أَطْلُبُ مِنْهُ انْتِشَالِي مِنْ سَقَطَتِي، فَلْيَأْتِ زَمَانِي بِمَا شَاءَ، فَالشَّهْدُ شَبِيهٌ
بِالصَّابِ، عَصَاةُ شَجَرِ الْمُرِّ

٣٩ ضيق الأنابيب

تَرْجُو انْفِصَاحاً، وَكَمْ لِلْمَاءِ مِنْ جِهَةٍ، إِذَا تَخَلَّصَ مِنْ ضَيْقِ الْأَنْبَابِ

ترجو يا إنسان انفساحاً، بحبوحة وراحة من الهموم، والأمر هين.. عليك أن لا ترتبط بعيال ولا بملذات ولا بشيء من شأن الدنيا.. فكذلك الماء له جهات كثيرة لينساح ويجري شرط أن يتخلص من ضيق الأنابيب

٤٠ علام الغيوب!

إِذَا كَشَفْتَ أَجْنَاسَ الْبَرَايَا، وَجَدْتَ الْعَالَمِينَ ذَوِي عُيُوبٍ

البرايا: المخلوقات

تُحَدِّثُكَ الظُّنُونُ بِمَا تُتْلَاقِي، كَأَنَّ الظَّنَّ عَلَامُ الْغُيُوبِ

مجرد تفكيرك يدلك على عيوب الناس، فكأنه علام الغيوب

٤١ زخارف الأدباء

بَنِي الْأَدَابِ! غَرَّتْكُمْ، قَدِيمًا، زَخَارِفُ مِثْلُ زَمْزَمَةِ الذُّبَابِ

يا محبي الأداب غرتكم الأشعار المزخرفة المنمقة التي هي كزمزمة الذباب، أي طنينه

وَمَا شُعْرَاؤُكُمْ إِلَّا ذُنَابٌ تَلَصَّصُ فِي الْمَدَائِحِ وَالسُّبَابِ

شعراؤكم ذناب تريد النهش، وهي تلصص لنيل مرادها بقصائد المدح أو بالهجاء.. وكان الشعراء كثيراً ما يهجون، فالعطايا تأتي بالترغيب، وبالترهيب أيضاً

أُذْهِبُ فَيَكُومُ أَيَّامَ شَيْبِي، كَمَا أَذْهَبْتُ أَيَّامَ الشَّبَابِ؟

مَعَاذَ اللَّهِ، قَدْ وَدَّعْتُ جَهْلِي، فَحَسْبِي مِنْ تَمِيمٍ وَالرِّبَابِ

وددت أيام الجهل حين كنت أقول شعراً في المدح، وودعت قبايل تميم والرباب.. فلا أمدح أحداً ولا أمدح قبيلة

٤٢ الروح بعد الموت

قَدْ قِيلَ: إِنَّ الرُّوحَ تَأْسَفُ، بَعْدَمَا تَنْأَى عَنِ الْجَسَدِ، الَّذِي غَنِيَتْ بِهِ

غنيته به: أقامت فيه

إِنْ كَانَ يَصْحَبُهَا الْحِجَا، فَلَعَلَّهَا تَدْرِي، وَتَأْبَهُ لِلزَّمَانِ وَعَثْبِهِ

الحجا: العقل

أولاً، فكَمْ هَذِيانِ قَوْمِ غَابِرٍ فِي الْكُتُبِ، ضَاعَ مِدَادُهُ فِي كُتُبِهِ
إن لم يكن العقل مصاحباً للروح فما هو مسطور قديماً في كتب القوم هذيان ومجرد حبر ضاع
هدراً بكتب، أي بكتابة، ذلك الهذيان

٤٣ الله حق

لَا رَيْبَ أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ، فَلْتَعْمُدْ بِاللَّوْمِ أَنْفُسُكُمْ عَلَى مُرْتَابِهَا
أَفِمِلَّةَ الْإِسْلَامِ يُنْكِرُ مُنْكَرٌ، وَقَضَاءُ رَبِّكَ صَاعِهَا وَأَنَّى بِهَا

٤٤ الخير بلا مقابل

فَلْتَفْعَلِ النَّفْسُ الْجَمِيلَ لِأَنَّهُ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ، لَا لِأَجْلِ ثَوَابِهَا

٤٥ غريب في أرضي

وَمَا الْعُلَمَاءُ وَالْجُهَّالُ إِلَّا قَرِيبٌ، حِينَ تَنْظُرُ مِنْ قَرِيبٍ
مَتَى مَا يَأْتِنِي أَجَلِي بِأَرْضِي فَنَادِ عَلَى الْجَنَازَةِ لِلْقَرِيبِ
أي أنني غريب حتى في بلدي، فإن مت فليناد المنادي بالناس أن احضروا جنازة الغريب فأجرها
مضاعف

٤٦ مثقلات العذاب

إِنِّي وَنَفْسِي أَبْدَأُ فِي جَذَابٍ أَكْذِبُهَا وَهِيَ تُحِبُّ الْكِذَابَ
إِنْ أَدْخُلِ النَّارَ، فَلِي خَالِقٌ يَحْمِلُ عَنِّي مُثْقَلَاتِ الْعَذَابِ

٤٧ تَبَّتْ وَتَب

تَنَاقَسَ قَوْمٌ عَلَى رُتَبَةٍ، كَأَنَّ الزَّمَانَ يُدِيمُ الرُّتَبَ
وَدُنْيَاكَ غُرْبٌ بِهَا جَاهِلٌ فَتَبَّتْ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَتَبَّ
تَبَّ: هلك

٤٨ تعب بلا فائدة.. لكن، ربما

إِذَا أَتَانِي حِمَامِي مَاجِئاً شَبَحِي وَمَا صَنَعْتُ، فَعِيشِي كُلَّهُ عَنَتْ
إِذَا جَاءَ حِمَامِي وَمَتَّ وَامْتَحَى شَبَحِي، جَسْمِي الْمَهْزُولَ، وَأَثَارِي فَعِيشَتِي كُلِّهَا كَانَتْ عَنَتاً، تَعَباً، لَا غَيْرَ

لَعَلَّ قَوْمًا يَجْازِيهِمْ مَلِكُهُمْ، إِذَا لَقُوهُ بِمَا صَامُوا وَمَا فَنَتُوا

فَتَتُوا: خَشَعُوا

٤٩ علام السهر والترييت؟

وَحَوَادِثُ الْأَيَّامِ مِثْلُ نَبَاتِهَا، تُرْعَى، وَيَأْمُرُهَا الْمَلِكُ فَتَنْبُتُ

مصائب الأيام مثل النبات.. الناس يرعونها ويأكلونها ويأمرها الله فتنبت من جديد

وَإِذَا الْفَتَى كَانَ التَّرَابَ مَالَهُ، فَمَلَامَ تَسْهَرُ أُمُّهُ وَتُرَبَّتُ؟

٥٠ نُعَاتُهَا نُعَاتُهَا

قَدْ أَصْبَحَتْ وَنُعَاتُهَا نُعَاتُهَا، وَكَذَلِكَ الدُّنْيَا تَخِيبُ سَعَاتُهَا

أصبحت هذه الدنيا ونُعَاتُهَا، المخبرون بزوالها، هم نُعَاتُهَا، واصفوها.. أي أن مجرد وصفها هو بيان واضح بأنها زائلة.. لذا فُعَاتُهَا، الساعون لتحقيق الثراء فيها، خائبون

كَرَّارَةٌ أَحْزَانُهَا، ضَرَّارَةٌ سُكَّانُهَا، مَرَّارَةٌ سَاعَاتُهَا

كرارة أحزانها، هاجمة، وهي تضر سكانها، وساعاتها تسبب المرارة لأهلها

نَامَتْ دُعَاةُ الدُّوَلَتَيْنِ فَضَاعَتَا، وَهِيَ الْمَنِيَّةُ لَا تَخِيبُ دُعَاتُهَا

دعاة الدولتين، الأموية والعباسية، ناموا فضاعت الدولتان.. وأما دعاة الموت فلا يخيون

لَا تَتَّبَعَنَّ الْغَانِيَاتِ مُمَاشِيًا، إِنَّ الْغَوَانِيَّ جَمَّةٌ تَبِعَاتُهَا

وَهِيَ النُّفُوسُ إِذَا تُمَيَّزُ بَيْنَهَا، فَأَعَزُّهَا فِي الْعَيْشِ مُقْتَنِعَاتُهَا

إن كنت ممن يميز بين النفوس فتعلم أن أعزها النفوس المقتنعة برزقها غير الطامعة في المزيد

مَنْ يَغْتَبِطُ بِمَعِيشَةٍ، فَأَمَامَهُ نُوبٌ تُطِيلُ عَنَاءَهُ فَجَعَاتُهَا

من يفرح بمعيشته فأمامه نوب، أحداث صعبة، ستطيل فجعاتها، مصائبها، تعب

وَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى النَّهْيِ فَذَوَاهِبُ الْآيَّامِ، غَيْرُ مُؤَمِّلٍ رَجَعَاتُهَا

إن رجعت إلى النهي، العقل، علمت أن الأيام الذاهبة لا أمل في رجوعها

فَاخْفِضْ حَدِيثَكَ لِلْمَحَدِّثِ جَاهِدًا، فَذَمِيمَةُ الْأَصْوَابِ مُرْتَفِعَاتُهَا

وَتَرَى الصَّلَاةَ عَلَى الْغَوِيِّ ثَقِيلَةً، مِثْلَ الْهَضَابِ، تَوَوُّدُهُ رَكَعَاتُهَا

يستغل الضال الصلاة كأنها صعود الهضاب، وتووده ركعاتها، أي تثقل عليه

٥١ الوسخ لا يتوسخ

بِئْتُ عَنْ الدُّنْيَا، وَلَا بِئْتُ لِي فِيهَا، وَلَا عِرْسٌ وَلَا أُخْتُ
بِئْتُ، أَيِ ابْتَعَدْتُ، عَنِ الدُّنْيَا. . . وَلَيْسَ لِي فِيهَا بِنْتُ وَلَا عِرْسٌ، وَلَا أُخْتُ

وَقَدْ تَحَمَّلْتُ مِنَ الْوِزْرِ مَا تَعَجَّزُ أَنْ تَحْمِلَهُ الْبُخْتُ
الوزر، الذنب، البخت، سلالة من الإبل

إِنْ مَدَحُونِي سَاءَ نِي مَدَحُهُمْ، وَخِلْتُ أَنِّي فِي الثَّرَى سُخْتُ
سخت: غُصت

جِسْمِي أَنْجَاسٌ، فَمَا سَرَّنِي أَنِّي بِمِسْكِ الْقَوْلِ ضُمُّخْتُ
مِنْ وَسَخٍ صَاغَ الْفَتَى رُبُّهُ، فَلَا يَقُولَنَّ: تَوَسَّخْتُ!

٥٢ الشهرة الزائفة

أَتَرَعَبُ فِي الصَّيِّتِ بَيْنَ الْأَنَامِ؟ وَكَمْ خَمَلَ النَّابِهُ الصَّيِّتُ
كثيراً ما خمل، صار مغموراً غير مشهور، النابه، المشهور، الصيت، صاحب الصيت والسمعة
وَحَسَبُ الْفَتَى أَنَّهُ مَائِتٌ، وَهَلْ يَعْرِفُ الشَّرَفَ الْمَيِّتُ؟
الشرف: هنا بالمعنى الأصلي وهو الارتفاع والشهرة

٥٣ كانوا فوق الأرض..

كَانُوا زَمَاناً فَوْقَ غِبْرَائِهِمْ، ثُمَّ اسْتَحَالُوا، فَعَدُّوا تَحْتَهَا
كانوا فوق غبرائهم، أرضهم، ثم استحالوا، أي تحولوا، فأصبحوا تحتها
أَوَدَعَهُمْ رَبُّهُمْ سِرَّهَا، مِنْ بَعْدِ مَا أَطْعَمَهُمْ سُخْتَهَا
سرهما: باطنها، سحتها: مكسبها الحرام

٥٤ أحكام الأرض والسماء

وَالرُّوحُ أَرْضِيَّةٌ فِي رَأْيِ طَائِفَةٍ، وَعِنْدَ قَوْمٍ تَرَقَّى فِي السَّمَاوَاتِ
تَمْضِي عَلَى هَيْئَةِ الشَّخْصِ الَّذِي سَكَنْتُ فِيهِ إِلَى دَارِ نَعْمَى أَوْ شَقَاوَاتِ
هنا يزعم شاعرنا أن الروح تحمل شكل جسم صاحبها بعد الموت، وبهذا الشكل تذهب إلى الجنة
أو النار

وَقُدْرَةُ اللَّهِ حَقٌّ، لَيْسَ يُعْجِزُهَا حَشَرٌ لَخَلْقٍ، وَلَا بَعَثٌ لِأَمْوَاتٍ
وَلَا تُطِيعَنَّ قَوْمًا، مَا دِيَانَتُهُمْ إِلَّا اِحْتِيَالٌ عَلَى اخْذِ الْإِنْتَائَاتِ
لَا تَطْعُ الْوَلَاةَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الدِّينِ إِلَّا الْاِحْتِيَالُ لَجَمْعِ الْإِنْتَائَاتِ، الْفُرَاتِبِ
وَإِنَّمَا حَمَلَ التَّوْرَةَ قَارِئُهَا كَسَبُ الْفَوَائِدِ، لَا حُبُّ التَّلَاوَاتِ
مَا جَعَلَ قَارِئُ التَّوْرَةِ يَحْمِلُهَا، أَيْ يَحْفَظُهَا، هُوَ كَسَبُ الْمَالِ وَلَيْسَ حَبُّهُ لِلتَّلَاوَةِ
إِنَّ الشَّرَائِعَ أَلَقَتْ بَيْنَنَا إِحْنًا، وَأَوْدَعَتْنَا أَفَانِينَ الْعَدَاوَاتِ
الإحْن: الأحقاد

وَهَلْ أَبَيْحَتْ نِسَاءُ الْقَوْمِ عَنْ عُرُضٍ، لِلْعُرْبِ، إِلَّا بِأَحْكَامِ النَّبَوَاتِ؟
مَا اسْتَبَاحَ الْغَزَاةَ نِسَاءَ أَعْدَائِهِمْ عَنْ عُرُضٍ، بَلَا مَبَالَاةٍ، إِلَّا بِأَحْكَامِ دِينِيَّةٍ. وَفِي زَاوِيَةٍ
مِنْ تَارِيخِ حَلْبِ لَابْنِ الْعَدِيمِ أَنَّ الرُّومَ سَبَّوْا فِي إِحْدَى السَّنِينَ، فِي زَمَنِ أَبِي الْعَلَاءِ،
مَثَاتِ الْمُسْلِمَاتِ. الْمَعَادِلَةُ هِيَ: نِسْبِي نِسَاءَكُمْ الْفَقِيرَاتِ الرَّيْفِيَّاتِ وَنَتَّخِذُهُنَّ لِلْخِدْمَةِ
وَالْمَتْعَةِ، وَتَسْبُونُ فَقِيرَاتِنَا الرَّيْفِيَّاتِ لِنَفْسِ الْغُرُضِينَ، وَأَمَّا نِسَاءُ الطَّبَقَاتِ الثَّرِيَّةِ
وَالْحَاكِمَةِ عِنْدَ الطَّرْفَيْنِ فَمَصُونَاتٌ.. هَذِهِ مَعَادِلَةُ الْعَصُورِ الْوَسْطَى فِي كُلِّ الدُّنْيَا

٥٥ مؤمن بالله

أُثْبِتُ لِي خَالِقًا حَكِيمًا، وَلَسْتُ مِنْ مَعْشَرِ نُفَاقٍ
أقر بالله، ولست ممن ينفون وجوده

حَبَطْتُ فِي حِنْدِسٍ مَقِيمٍ، وَأَعْجَزْتُ عِلَّتِي شَفَاتِي
خبطت، تخبطت، في هندس مقيم، ليل راسخ، وعجز الأطباء عن شفائي من علتي.. لعله يعني
العمى لا الشك

٥٦ يطلبون رأيي.. والفرق بيننا كبير

خُذِي رَأْيِي وَحَسْبُكَ ذَاكَ مِنِّي عَلَى مَا فِيَّ مِنْ عَوَجٍ وَأَمْتٍ
أمت: اعوجاج

وَمَاذَا يَبْتَغِي الْجُلَسَاءُ عِنْدِي أَرَادُوا مَنْطِقِي وَأَرَدْتُ صَمْتِي
لعله يعني بالجلساء أولئك الثقلاء الذين بعث بهم الدعاة الفاطميون لكي يضموا أبا العلاء إلى
صفوف الدعوة

وَيُوجَدُ بَيْنَنَا أَمْدٌ قَصِيٌّ، فَأَمُّوا سَمْتَهُمْ وَأَمَمْتُ سَمْتِي
يوجد بيني وبين الناس بون شاسع، فقد أموا سمتهم، قصدوا طريقهم، وأممت سمتي

٥٧ غاب اليقين

إنما نحن في ضلالٍ وتعليلٍ - لـ، فإن كنتَ ذا يقينٍ فهاتِه
ولحُبِّ الصحيحِ آثرتِ الرؤى - مُ انتسابَ الفتى إلى أمهاتِه
الروم تنسب الولد إلى أمه لحبهم لما هو مؤكد... فنسبته إلى أبيه أمر راجع لصدق الأم
جهلُوا مَنْ أبوه، إلا ظُنُوناً، وظلَّ الوحشِ لاحقٌ بمهاتِه
ظلا الوحش، أي ولد الحيوان، لاحق بمهاته، يتبع أمه

٥٨ أطعمتنا ثم أكلتنا

من صفة الدنيا التي أجمع الذَّ - اسُ عليها، أنها ما صَفَتْ
والأرضُ غَدَّتْنا بالطافِها، ثم غَدَّتْنا، فهل أنصَفَتْ؟
الطافها: عطاياها

٥٩ بعد الموت لا أبالي

إذا مُتُّ لم أحفلُ بما اللّهُ صانِعٌ - إلى الأرضِ من جَذْبٍ وسَقْيِ غُيُوثٍ
وما تشعُرُ العَبْرَاءُ ماذا تُجِنُّهُ: أأعْظَمُ ضَانٍ أم عِظَامُ لَبِوثٍ
لا تشعُر العبراء، الأرض، ماذا تجنّه، تخفيه، أكان عظام خراف أم أسود

٦٠ الظاهر عيش وموت

تُقِلُّ جِسْمَنَا أَقْدَامُ سَفَرٍ، مشَتْ في ليلٍ داجيةٍ بَوْعٍ
تحمل أجسامنا أقدام سفر، والمسافرين، والأقدام تمشي في ليل داج، مظلم، في وعث، مكان وعر
وظاهرُ أمرنا عيشٌ وموتٌ، ويدأبُ ناسِكٌ لِرَجاءٍ بعثٍ

٦١ المحبس الثالث

أراني في الثلاثة من سجوني، فلا تسألُ عن الخبرِ النَّبيثِ
أنا في سجون ثلاثة ولا تسأل عن الخبرِ النيث، المنبوش المستخرج بصعوبة
لِفَقْدِي ناظري، ولزومِ بيتي، وكونِ النفسِ في الجسدِ الخبيثِ
السجن الأول العمى، والثاني لزوم البيت، والثالث كون النفس محبوسة في جسد خيث

٦٢ رَوْحُ ذَبِيحِكَ

رَوْحُ ذَبِيحِكَ، لَا تُعْجِلْهُ مِيتَتَهُ، فَتَأْخُذِ النَّخْصَ مِنْهُ، وَهُوَ يَخْتَلِجُ

أرج الحيوان الذبيح، ولا تسبق موته فتبدأ بقطع لحمه وهو ما زال يختلج، يتحرك

٦٣ أغنى الأنام

أَغْنَى الْأَنَامِ تَقِيَّ فِي ذُرَا جَبَلٍ، يَرْضَى الْقَلِيلَ، وَيَأْبَى الْوَشْيَ وَالتَّاجَا

أغنى الناس رجل بقي سكن ذرا جبل، قمته، وهو يرضى بقليل العيش ويأبى لبس الثياب المزركشة والتاج... كانه تخيل بعض الملوك الذين روي عنهم التنسك ونبد التاج

وَأَفْقَرُ النَّاسِ، فِي دُنْيَاهُمْ، مَلِكٌ، يُضْحِي، إِلَى اللَّجْبِ الْجَرَّارِ، مُحْتَاجَا

اللجب الجرار: الجيش الكبير ذو الزمازم والأصوات المختلطة

٦٤ البرغوث والملك

تَسْرِجُ كَفِّي بُرْغُوثًا، ظَفَرْتُ بِهِ، أَبْرُ مِنْ دَرَاهِمٍ أُعْطِيهِ مُحْتَاجَا

إطلاق برغوث أمسكه أكثر برا من التصدق على فقير، فحتى البرغوث له روح ويحس بالأم

لَا فَرْقَ بَيْنَ الْأَسْكَ الْجَوْنِ أَطْلِقُهُ، وَجَوْنٍ كِنْدَةَ أَمْسَى يَعْقِدُ التَّاجَا

لا فرق، نوعياً، بين الأسك الجون، فاقد الإذنين المسوّد... وهو البرغوث الذي أطلقته، وبين جون كندة، أحد ملوك قبيلة كندة، المتوج

كِلَاهُمَا يَتَوَقَّى؛ وَالْحَيَاةُ لَهُ حَبِيبَةٌ، وَيَرُومُ الْعَيْشَ مُهْتَاجَا

كلاهما يحب الحياة ويروم، يطلب، العيش مهتاجاً، كثير الحرص عليها

٦٥ فضل الموت على الحياة

لَوْ لَمْ تَكُنْ طَرُقَ هَذَا الْمَوْتِ مُوحِشَةً، مَخْشِيَةً، لَاعْتَرَاهَا الْقَوْمُ أَنْوَاجَا

لو لم تكن طرق الموت موحشة ومخوفة لاعتراها القوم، جاءوها، أفواجاً

كَأَسُّ الْمَنِيَّةِ أَوْلَى بِي، وَأَرْوَحُ لِي مِنْ أَنْ أَكَايِدَ إِثْرَاءَ وَإِحْوَاجَا

الموت أفضل لي من مقاساة طلب الثراء ومعاناة الإحواج، الفقر

فِي كُلِّ أَرْضٍ صُرُوفٌ غَيْرُ هَازِلَةٍ، يَلْعَبْنَ بِالنَّاسِ أَفْرَاداً وَأَزْوَاجَا

٦٦ عزة الميت

لَكُونُ خَلِّكَ فِي رَمْسٍ أَعَزُّ لَهُ من أن يكونَ مَلِيكاً عَاقِدَ الثَّاجِ
وجود صديقك في رمس، قبر، أكثر عزاً وشفافاً له من أن يكون ملكاً

الْمَلِكُ يَحْتَاجُ آلافاً لِيَتَنَصَّرَهُ، وَالْمَيْتُ لَيْسَ إِلَى خَلْقٍ بِمَحْتَاجٍ

٦٧ الحاجتان

وَأَشْرَفُ مَنْ تَرَى، فِي الْأَرْضِ قَدْرًا، يَعِيشُ، الدَّهْرَ، عَبْدَ فَمٍ وَقَرَجٍ
أعلى الناس قدراً يعيش طول الدهر عبداً لحاجته إلى الطعام وإلى التنفيس الجنسي

وَحُبُّ الْأَنْفُسِ الدُّنْيَا غُرُورٌ، أَقَامَ النَّاسَ فِي هَرْجٍ وَمَرْجٍ

٦٨ الثناء الكاذب

إِذَا أَتَيْتُ عَلَى الْمَرْءِ يَوْمًا، بِخَيْرٍ لَيْسَ فِيَّ، فَذَاكَ هَاجٍ
وَحَقِّي أَنْ أَسَاءَ بِمَا افْتَرَاهُ، فَلَوْمْ مِنْ غَرِيْبَتِي ابْتِهَاجِي

فرحي بالمدح الكاذب لؤم في الطبع

٦٩ قل الروح من أمر ربي

أَرَى هَذِيانَا، طَالَ مِنْ كُلِّ أَمَةٍ، يُضَمَّنُهُ إِجَازُهَا وَشُرُوحُهَا
في كل أمة كلام فارغ كثير تتضمنه كتبهم وشروحهم

وَأَوْصَالُ جِسْمٍ لِلتَّرَابِ مَالُهَا، وَلَمْ يَذَرِ دَارٍ: أَيْنَ تَذْهَبُ رُوحُهَا؟

٧٠ العلم كالقفل

الْعِلْمُ كَالْقُفْلِ، إِنْ أَلْفَيْتَهُ عَسِيراً فَخَلِّهِ ثُمَّ عَاوِدْهُ لِيَسْتَفْتِحَا
يقول هذا من مارسه العلوم ومارسها وفتح مغاليقها بالتدرج

٧١ حاملو السبح

دَعَا، وَمَا فِيهِمْ زَاكِ، وَلَا أَحَدٌ يَخْشَى الْإِلَهَ، فَكَانُوا أَكْثَبًا نُبْحَا
يدعون الله وليس فيهم زاك، مبارك، ولا يخشون الله حقاً؛ هم كلاب نابحة

وليس عندهم دين ولا نُسك، فلا تَغْرَكَ أَيْدٍ تَحْمِلُ السُّبْحَا

٧٢ لا تدفنوني

وَمَنْ تَأْمَلَ أَقْوَالِي رَأَى جُمَلًا، يَظَلُّ فِيهِنَّ، سِرُّ النَّاسِ مَشْرُوحًا
إِنْ صَحَّ تَعْذِيبُ رَمْسٍ مِنْ يَجِلُّ بِهِ، فَجَنَّبَانِي مَلْحُودًا وَمَضْرُوحًا
إِنْ كَانَ يَصْحَ عَذَابِ الرَّمْسِ، الْقَبْرِ، فَجَنَّبَانِي الدَّفْنَ مَلْحُودًا، مَدْفُونًا بِجَانِبِ الْقَبْرِ، أَوْ مَضْرُوحًا،
مَدْفُونًا وَسَطَهُ

الْوَحْشُ وَالطَّيْرُ أَوْلَى أَنْ تَنَازَعَنِي فَعَادِرَانِي بِظَهْرِ الْأَرْضِ مَطْرُوحَا
أولى أن تتنازعي الوحوش والطيور وتأكل لحمي، فغادراني، اتركاني، مطروحاً على وجه الأرض
شُدًّا عَلَيَّ دَرِيْسًا، كَي يُوَارِيَنِي ثُمَّ اغْدُوا بِسَلَامِ اللَّهِ أَوْ رُوحَا
الدريس: الثوب الدارس البالي
يَا نَفْسِ! يَا طَائِرًا فِي سِجْنٍ مَالِكِهِ، لَتَضَيِّحَنَّ، بِحَمْدِ اللَّهِ، مَشْرُوحَا
يا نفسي: يا نفسي، مسروحاً: طليقاً

٧٣ الطبيب والإيمان

عَجَبِي لِلطَّبِيبِ يُلْحِذُ فِي الْخَا لِقِي، مِنْ بَعْدِ دَرْسِهِ التَّشْرِيحَا
فَطِنُ الْحَاضِرِينَ مَنْ يَفْهَمُ التَّعَدَّ رِيضَ، حَتَّى يَظُنُّهُ تَصْرِيحَا
الذكي ممن حضروا موقفاً معيماً يفهم التعريض، التلميح، حتى لكانه نصريح
رُبَّ رُوحٍ، كَطَائِرِ الْقَفْصِ الْمَسْدُ جَوْنٍ، تَرْجُو بِمَوْتِهَا التَّسْرِيحَا
فَرَحُوكُمْ بِبَاطِلٍ، شِيْمَةَ الْحَمْدِ رِي، فَمَهْلًا! لَا أَوْثِرُ التَّفْرِيحَا
فرحوكم بقول باطل شيمة الخمر، قطع الخمر وعادتها في تفريح صاحبها مؤقتاً، وأنا لا أفضل
التفريح

كَيْفَ لِي أَنْ أَكُونَ، فِي دَارِي الْأَخْرِ رِي، مُعَافَى مِنْ شِقْوَةٍ، مُسْتَرِيحَا
فكيف لي أن أكون مستريحاً من الشقوة والتعب في الدار الأخرى، الآخرة، فلا بد
من حساب على الذنوب ومن عقاب. لك في هذه الآيات أن ترى أبا العلاء مؤمناً،
ولك أن تراه هازلاً شاكاً كما رأيته في رسالة الغفران، ولك أن تراه يخلط إيماناً
بشكِّ تَقْيَّةٍ، وهذا دأبه

٧٤ الأمور الصّحائح

غَدَوْتُ مَرِيضَ الْعَقْلِ وَالِدِينِ فَالْقَنِي لِنَسْمَعِ أَنْبَاءَ الْأُمُورِ الصَّحَائِحِ
فَلَا تَأْكُلُنْ مَا أَخْرَجَ السَّمَاءُ ظَالِماً، وَلَا تَبِغْ قُوْتاً مِنْ غَرِيضِ الذَّبَائِحِ
لا تأكل السمك ومخلوقات البحر ففي هذا ظلم لها، ولا تأكل من غريض الذبائح، لحومها الطرية

وَأَبْيَضَ أُمَاتٍ، أَرَادَتْ صَرِيحَهُ لَأَطْفَالِهَا، دُونَ الْغَوَانِي الصَّرَائِحِ
ولا تشرب الحليب الأبيض الذي أرادت الأمات، أي الأمهات من الحيوان، صريحه، صافية،
لأطفالها لا للفتيات الصرائح، البيض الناعمات

وَلَا تَفْجَعَنَّ الطَّيْرَ، وَهِيَ عَوَافِلٌ، بِمَا وَضَعَتْ، فَالظِّلْمُ شَرُّ الْقَبَائِحِ
ولا تسرق بيض الطيور من أعشاشها وهي غافلة عنك

وَدَغَ ضَرَبَ النَحْلِ الَّذِي بَكَرَتْ لَهُ، كَوَاسِبٍ مِنْ أَزْهَارِ نَبْتٍ قَوَائِحِ
واترك الضرب، العسل، الذي بكرت النحل لجمعه كاسبة إياه من الأزهار ذات الرائحة الطيبة

فَمَا أَحْرَزْتُهُ كَيْ يَكُونَ لِغَيْرِهَا، وَلَا جَمَعْتُهُ لِلنَّدَى وَالْمَنَاحِ
الندى: السخاء، المنافع: العطايا

مَسَحْتُ يَدِي مِنْ كُلِّ هَذَا، فَلَبِئَنِي أَبْهَتْ لِشَأْنِي قَبْلَ شَيْبِ الْمَسَائِحِ
قد مسحت يدي من هذا الظلم، ولبتني أبهت لشأني، انتهت لأمرى، قبل شيب
المسائح، الخصلات.. وقد صار المعري نباتاً كاملاً بعد الأربعين. ونسي أن يذكر
في قائمة المحرمات أعلاه الجلد، فقد كان المعري يتخذ نعلين من خشب لا من
جلد الحيوان

بَنِي زَمَنِي، هَلْ تَعْلَمُونَ سَرَائِرَ، عَلِمْتُ، وَلَكِنِّي بِهَا غَيْرُ بَائِحٍ؟
سرائر: أسرار

سَرَيْتُمْ عَلَى عَيٍّ، فَهَلَّا اهْتَدَيْتُمْ بِمَا خَبَرْتُكُمْ صَافِيَاتُ الْقَرَائِحِ
سريتم، أي مشيتم، على ضلال، فهلا اهتديتم بالقرائح، العقول، الصافية

مَتَى مَا كَشَفْتُمْ عَنْ حَقَائِقِ دِينِكُمْ تَكْشِفْتُمْ عَنْ مُخْزِيَاتِ الْفَضَائِحِ
الدين: معتقداتكم المختلفة، ما تدِينون به من آراء. والدين أيضاً هو.. الدين

وَيُعْجِبُنِي دَأْبُ الَّذِينَ تَرَهَّبُوا سِوَى أَكْلِهِمْ كَدَّ النَفُوسِ الشَّحَائِحِ
يعجبني زهد المترهبين، إلا أنني لست معجباً بأكلهم طعاماً تعب الناس في إنتاجه وشحوا به،
ضنوا به لقلة ذات يدهم

وَأَطِيبَ مِنْهُمْ مَطْعَمًا، فِي حَيَاتِهِ سَعَاءُ حَلَالٍ، بَيْنَ غَايِ وَرَائِحِ

أطيب طعاماً من المترهين الناسكين سعاة حلال، المجتهدون في تحصيل رزقهم بالحلال

فَمَا حَبَسَ النَّفْسَ الْمَسِيحُ تَعَبُداً، وَلَكِنْ مَشَى فِي الْأَرْضِ مِشْيَةً سَائِحِ

فالمسيح لم يحبس نفسه ويتعب، ولكنه مشى في الأرض سائحاً يشر ويعظ

وَمِنْ شَرِّ أَخْلَاقِ الْإِنْسِ وَفَعْلِهِمْ، خُورُ النَّوَاعِي وَالْتِدَامُ النَّوَاحِ

أسوأ أخلاق الإنس، الناس، خوار النواعي، صياح المبلغين بالموت الذي يشبه صوت الثيران، والتدام النواحي، لطم النائحات صدورهن ووجوههن

وَأَضْفَحَ عَنْ ذَنْبِ الصَّدِيقِ وَغَيْرِهِ، لِسُكْنَايَ بَيْتِ الْحَقِّ بَيْنَ الصَّفَائِحِ

أغفر ذنب الصديق وغير الصديق لمعرفة أن أخري السكن في بيت الحق، القبر، بين صفائح من الحجارة

وَأَزْهَدُ فِي مَدْحِ الْفَتَى عِنْدَ صَدِيقِهِ، فَكَيْفَ قَبُولِي كَاذِبَاتِ الْمَدَائِحِ؟

أتعف عن قبول مدح من فتى يمدحني صادقاً، فكيف أقبل المدح الكاذب؟

٧٥ الحرق والدفن

فَاعْجَبْ لِتَحْرِيقِ أَهْلِ الْهِنْدِ مِيتَهُمْ، وَذَاكَ أَرْوَحُ مِنْ طَوْلِ التَّبَارِيحِ

عجباً للهنود يحرقون الميت.. هذا أكثر راحة له ولهم من التباريح، أي التعب

وَالنَّارُ أَطِيبُ مِنَ كَافُورِ مِيتِنَا غِيبًا، وَأَذْهَبُ لِلنَّكَرَاءِ وَالرِّيحِ

فالنار أطيب غيباً، أي نتيجة وعاقبة، للميت من الكافور، وهو مسحوق أخضر ينثره

على الميت قبل الدفن، والنار أفضل من الكافور للتخلص من النكراء والريح، المنظر

المنكر للجثة المتفسخة ورائحتها

٧٦ أذى النصيحة

سَمِعِي مُوَقَّئِي سَالِمٍ، فَقُلِ الصَّوَابَ وَلَا تَصِخْ

والممرء في تركيبيه، غضبٌ يَهِيْجُ إِذَا نُصِخْ

في طبيعة الممرء غضب كامن يتحرك إذا سمع النصيحة.. لذا قل النصيحة بصوت خفيض لا بصياح

٧٧ النسك بعد الأربعين

تَنْسَكْتُ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ ضَرُورَةً، وَلَمْ يَبَقْ إِلَّا أَنْ تَقُومَ الصَّوَارِخُ

تنسكت بعد بلوغي الأربعين مضطراً، ولم يبق إلا أن تقوم الصوارخ.. عاش المعري بعد هذه الأربعين ستاً وأربعين سنة أخرى

٧٨ كاذبون يتبعون كاذبين

فَوَاعَجَبَا نَقُفُوا أَحَادِيثَ كَاذِبٍ، وَنَتَرُكَ، مِنْ جَهْلٍ بِنَا، مَا نُشَاهِدُ
نقفو: تتبع

لقد ضلَّ هذا الخلقُ، ما كان فيهِمُ، ولا كائنٌ، حتى القيامةِ، زاهدٌ

٧٩ نشقى بس نعيش

يُوَدُّ الْفَتَى أَنْ الْحَيَاةَ بِسَيْطَةٍ، وَأَنْ شَقَاءَ الْعَيْشِ لَيْسَ يَبِيدُ
يود الإنسان لو أن الحياة سهلة، لكنه لا يريد لشقاء العيش أن يبيد حتى لا يبيد العيش نفسه..
فهو يحتمل الشقاء لرغبته في العيش

وَقَدْ يَخْطِئُ الرَّأْيُ امْرُؤً، وَهُوَ حَازِمٌ، كَمَا اخْتَلَّ، فِي وَزْنِ الْقَرِيضِ عَبِيدُ
ورغبة الإنسان في العيش رغم الشقاء خطأ. والحازم قد يخطئ مثلما اختل عبيد بن الأبرص في
وزن الشعر.. فمعلقة عبيد، وأوردنا قطعة صالحة منها في كتابنا «أول الشعر»، مختلة الوزن جداً

٨٠ الدين وراثه

عَاشُوا، كَمَا عَاشَ آبَاءُ لَهُمْ سَلَفُوا، وَأُورِثُوا الدِّينَ تَقْلِيدًا، كَمَا وَجَدُوا
فَمَا يُرَاغُونَ مَا قَالُوا، وَمَا سَمِعُوا، وَلَا يُبَالُونَ، مِنْ عَيٍّ، لِمَنْ سَجَدُوا
لا يراعون: لا يتبهون ولا يتدبرون

٨١ الذخيرة

صَيَّرَ عِتَادَكَ تَقْوَى اللَّهِ تَذَخَّرُهَا، فَمَا يُنَجِّيكَ مِنْهُ السَّابِغُ الْعَتِيدُ
تذخرها: تذخرها، السابغ العتد: الحصان القوي

كَمْ زَالَ جِبَلٌ، وَهَذِي الْأَرْضُ بَاقِيَةٌ، مَا هَمَّ بِالزَّيْغِ، مَنْ أَوْتَادِهَا وَتَدُّ
الزيع: الميل

٨٢ نتيجة التفكير

فِي كُلِّ أَمْرٍ تَقْلِيدٌ رَضِيَتْ بِهِ، حَتَّى مِقَالِكَ رَبِّي وَاحِدٌ أَحَدُ
وَقَدْ أَمَرْنَا بِفِكْرٍ فِي بَدَائِعِهِ، وَإِنْ تَفَكَّرَ فِيهِ مَعَشَرٌ لَحَدُوا
وَأَهْلُ كُلِّ جِدَالٍ يُمَسْكُونُ بِهِ، إِذَا رَأَوْا نُورَ حَقِّ ظَاهِرٍ جَحَدُوا

٨٣ ليته المؤؤود

طوبى لِمَوْؤُودَةٍ فِي حَالِ مَوْلِدِهَا ، ظَلَمًا ، فَلَيْتَ أَبَاهَا الْفَظُّ مَوْؤُودُ

٨٤ التأهب ليوم الحساب

إِنْ صَحَّ لِي أَنْنِي سَعِيدٌ فَلَيْتَنِي ضَمَّنِي صَعِيدٌ
سعادتي الحقيقية هي أن يضمني الصعيد، التراب.. بعبارة أخرى: ليتني أموت

صُمْتُ حَيَاتِي إِلَى مَمَاتِي ، لَعَلَّ يَوْمَ الْحِمَامِ عَيْدٌ
وراعني للحساب ذُكُرٌ ، وَغَرَّنِي أَنَّهُ بَعِيدٌ
أخافني ذكر الحساب في الآخرة، واغتررت بأنه بعيد فلم أحسب للحساب حساباً

وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي ، يَصْحُبُنِي حَافِظٌ قَعِيدٌ
على كفي ملكان قاعدان يحفظان علي كل أفعالي

إِذَا رَجَوْنَا قِضَاءَ وَعْدٍ ، فَكَيْفَ لَا يُرْهَبُ الْوَعِيدُ؟
إذا كنا نرجو أن يحقق الله أمنيائنا فكيف لا نخاف من وعيده، تهديده بالعقاب على الذنوب؟

٨٥ لا هطلت

إِذَا الرُّوحُ اللَّطِيفَةُ زَايَلَتْنِي ، فَلَا هَطَلْتُ عَلَى الرَّمَمِ الْعِهَادُ
إذا مت وفارقنتني روحي، فلا أهتم لما يحدث.. لا يهمني إن هطلت على الرمم،
بقايا الأموات، العهد، السحب، بالمطر أم لم تهطل.. وكانوا يدعون للميت أن
يسقي الله قبره بالمطر.. وحديثاً أن «يسبش الله الطوبة التي تحت رأسه»، وقال
المعري عكس هذا المعنى (فلا هطلت علي ولا بأرضي/ سحائب ليس تتظم البلاد)

٨٦ كذبوا عليهما

لَقَدْ كَذَبَتْ عَلَى عِيسَى النَّصَارَى ، كَمَا كَذَبَتْ عَلَى مُوسَى الْيَهُودُ
كذب عليه: أي زور كلاماً ونسبه إليه

٨٧ الأولاد والنساء

إِذَا بَلَغَ الْوَلِيدُ لَدَيْكَ عَشْرًا ، فَلَا يَدْخُلُ عَلَى الْحَرَمِ الْوَلِيدُ
إذا بلغ الولد عشر سنين وجب ألا يدخل على النساء

أَلَا إِنَّ النِّسَاءَ حِبَالٌ غَيٌّ، بِهِنَّ يُضَيِّعُ الشَّرْفُ التَّلِيدُ
التلید: الموروث

٨٨ قريش تقتل ابنها

أرى الأيامَ تفعلُ كلَّ نُكْرٍ، فما أنا في العجائبِ مُسْتَزِيدُ
أليسَ قريشُكم قتلَتْ حُسَيْنًا، وصارَ على خلافتِكم يَزِيدُ؟
قريش نفسها قتلت الحسين بن علي، وهو قرشي، وكان يزيد الفاسد، وهو قرشي، خليفة

٨٩ الطريق إلى السيادة

قالوا فلانٌ جيّدٌ لصديقه لا يكذبوا، ما في البريّة جيّدُ
البرية: البشر

فأميرُهم نالَ الإمارةَ بالخنى، وتقيُّهم، بصلاته، مُتَصَيّدُ
الخنى: الفحش

كن من تشاء مُهَجَّنًا، أو خالصًا، وإذا رُزقتَ غِنًى فأنتَ السيّدُ
المهجن: من أبوه عربي وأمه غير عربية، والخالص: النقي النسب. المعنى: كن غنيا تكن لك
السيادة بغض النظر عن نسبك

٩٠ أهل الأديان السماوية

ما أسلمَ المسلمونَ شرَّهم، ولا يهودَ لتوبةِ هادُوا
هادوا: رجعوا عن ضلالهم

ولا النَّصارَى لِدِينِهِمْ نَصَرُوا، وكلُّهم لي بِذاكَ أَشْهادُ

٩١ رجم الأم يتكلم

نادَى حَسًا الأُمُّ بالطفلِ الذي اشْتَمَلَتْ عليه: ويحك لا تظهرِ ومُتْ كَمَا
رحم الأم يدعو الجنين إلى أن يموت كمدًا، خفقًا، ولا يولد حيًّا

فإنْ خرجتْ إلى الدنيا لَقِيتْ أذىً من الحوادثِ، بلَه القَيْظَ والجَمَدَ
فالخروج إلى الدنيا يعني ملاقة أذى من الحوادث، المصائب، بله، ناهيك عن، القَيْظ والجَمَد،
الحر والبرد

٩٢ أنا والرؤساء

وَأَقْصَانِي مِنَ الرُّؤَسَاءِ كَوْنِي وَكَوْنُهُمْ لِخَالِقِنَا عَبِيدًا

٩٣ شهادة إيمان

إِذَا كُنْتَ مِنْ فَرْطِ السَّفَاءِ مُعْطَلًا، فَيَا جَا حِدُ اشْهَدْ أَنَّنِي غَيْرُ جَا حِدٍ
إِنْ كُنْتَ مِنْ سَفَاهَتِكَ مُعْطَلًا، مُنْكَرًا لصفات الله فعَلَّ بعض المعتزلة والجهمية أو بعض الفلاسفة،
فاشهد أَنَّنِي لست جاحداً مثلك

أَخَافُ مِنَ اللَّهِ الْعُقُوبَةَ آجِلًا، وَأَزْعُمُ أَنَّ الْأَمْرَ فِي يَدِ وَاحِدٍ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمُلْحِدِينَ تَعُودُهُمْ نَدَامَتُهُمْ، عِنْدَ الْأُكْفِ اللَّوَّاحِدِ
رَأَيْتُ الْمُلْحِدِينَ يَنْدَمُونَ عِنْدَ اقْتِرَابِ الْأُكْفِ الَّتِي سَتُودِعُهُمْ قُبُورَهُمْ، أَيْ عِنْدَ اقْتِرَابِ الْمَوْتِ

٩٤ مشتمز من الروح ومن الجسد

مَا زَالَتِ الرُّوحُ، قَبْلَ الْيَوْمِ، فِي دَعَا، حَتَّى اسْتَقَرْتُ، بِحُكْمِ اللَّهِ فِي الْجَسَدِ
فِي دَعَا: فِي رَاحَةٍ

فَالآنَ تِلْكَ وَهَذَا، مِنْ قَذَى وَأَذَى لَا يُخْلِيَانِكَ، بَلَّةُ الْغِلِّ وَالْحَسَدِ
وَالآنَ فَتِلْكَ، أَيْ الرُّوحُ، وَهَذَا، أَيْ الْجَسَدُ، لَا يَتَرَكَنَّكَ خَالِيًا مِنَ الْقَذَى، الْوَسْخِ، وَمِنْ
الْأَذَى.. بَلَّةُ، نَاهِيكَ عَنْ، الْغِلِّ، الْحَقْدِ، وَالْحَسَدِ

٩٥ الخير في ترك الشر

مَا الْخَيْرُ صَوْمٌ يَذُوبُ الصَّائِمُونَ لَهُ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا صُوفٌ عَلَى الْجَسَدِ
صُوفٌ عَلَى جَسَدٍ: إِشَارَةٌ إِلَى لِبْسِ الْمُتَصَوِّفَةِ الصُّوفِ الْخَشَنِ الرَّخِيصِ زَهْدًا وَتَعَلُّبًا لَأَنْفُسِهِمْ
وَلِئَمَّا هُوَ تَرَكُ الشَّرَّ مُطَّرَحًا وَتَفْضُكَ الصَّدْرَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ
الغِلُّ: الْحَقْدُ

٩٦ ضعف الإسناد

جَاءَتْ أَحَادِيثُ إِنْ صَحَّتْ فَإِنْ لَهَا شَأْنًا، وَلَكِنْ فِيهَا ضَعْفٌ إِسْنَادٍ
فَشَاوِرِ الْعَقْلَ، وَاتْرِكْ غَيْرَهُ هَدْرًا، فَالْعَقْلُ خَيْرٌ مُشِيرٌ ضَمَّهُ النَّادِي
شَاوِرِ عَقْلَكَ وَاتْرِكْ غَيْرَهُ هَدْرًا، مَهْمَلًا، فَالْعَقْلُ خَيْرٌ مُسْتَشَارٌ يَضُمُّهُ النَّادِي، الْمَجْلِسُ

٩٧ تعالى الله

تعالى اللَّهُ! كم مَلِكٍ مَهِيْبٍ، تبدَّلَ بعدَ قَصْرِ ضَيْقٍ لَحْدٍ
أَقْرُبُ بَأْنٍ لِي رُبًّا قَدِيرًا، ولا أَلْقَى بدَائِعَهُ بِجَحْدٍ
لو أَنِّي فِي عِدَادِ الرَّمْلِ صَحْبِي لَأُودِعْتُ الثَّرَى، وَتُرَكْتُ وَحْدِي

٩٨ خلائق السفهاء

ولا تَجْلِسْ إلى أَهْلِ الدُّنَايَا، فَإِنْ خَلَاتِقَ السُّفَهَاءِ تُعَدِي
الدُّنَايَا: خَسَائِسُ الْأُمُورِ الَّتِي يَتَرَفَعُ عَنْهَا الْعَاقِلُ

٩٩ كُلُّ يَسْبَحُ

إِرْكَعْ لِرَبِّكَ فِي نَهَارِكَ وَاسْجُدِ وَمَتَى أَطَقْتَ تَهْجُدًا فَتَهْجُدِ
التهجد: صلاة الليل

كُلُّ يَسْبَحُ، فَافْهَمِ التَّقْدِيسَ فِي صَوْتِ الْغَرَابِ، وَفِي صِيَاكِ الْجُدُجِ
الجدجد: صرصور الليل

١٠٠ أَيْهَا النَّصَارَى

لَا تَبْدَأُونِي بِالْعِدَاوَةِ مِنْكُمْ، فَمَسِيحُكُمْ عِنْدِي نَظِيرُ مُحَمَّدٍ

١٠١ إِلَى صَالِحِ بْنِ مَرْدَاسٍ

تَغَيَّبْتُ فِي مَنْزِلِي بُرْهَةً، سَتِيرَ الْعَيُوبِ فَقَيْدَ الْحَسَدِ
البرهة: المدة الطويلة.. وعكسها الهنيهة.. ستير العيوب: مستورها

فَلَمَّا مَضَى الْعُمْرُ، إِلَّا الْأَقْلَ، وَحُمَّ لِرُوحِي فِرَاقُ الْجَسَدِ..
عندما مضى العمر ولم يبق إلا أقله، وحُمَّ لروحِي، أَن لها، أَن تَفَارِقَ جَسْمِي..

بُعِثْتُ شَفِيعًا إِلَى صَالِحٍ، وَذَاكَ مِنَ الْقَوْمِ رَأْيٍ قَسَدُ
بعث بي أهل المعرة إلى أمير حلب صالح بن مرداس، الذي طوق بجنوده المعرة، كي أشفع لمن
حبسهم من المعرة، وهم سبعون رجلاً

فَيَسْمَعُ مِنِّي سَجْعَ الْحَمَامِ وَأَسْمَعُ مِنْهُ زَيْبَرَ الْأَسَدِ

كان يسمع مني الكلام اللين الرقيق، وأسمع منه الكلام الغليظ، وكان لقب صالح «أسد الدولة». (مع ذلك نجحت الشفاعة وأطلق صالح المحبوسين. كان ذلك عام ٤١٨هـ، وأبو العلاء في الخامسة والخمسين من العمر)

١٠٢ ندم على ترك بغداد

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى أَنِّي رَجَعْتُ إِلَى هَذِي الْبِلَادِ، وَلَمْ أَهْلِكْ بِبَغْدَادَا
نادم أن رجعت إلى المعرة ولم أمت ببغداد

إِذَا رَأَيْتُ أُمُورًا لَا تَوَافِقُنِي قُلْتُ: الْإِيَابُ إِلَى الْأَوْطَانِ أَدَى دَا
كلما صادفت أمراً لا يوافقني قلت: عودتي من بغداد هي السبب

١٠٣ الْبَشَرُ رَكَابُ سَفِينَةٍ

إِذَا كُنْتُ قَدْ جَاوَزْتُ خَمْسِينَ حِجَّةً، وَلَمْ أَلْقَ خَيْرًا، فَالْمَنِيَّةُ لِي سِتْرُ
ونحن كركب الموج، ما بين بعضهم وبين الردى، إلا الذراع أو الفتر
البشر كراكبي سفينة.. والمسافة بينهم وبين الموت غرقاً ذراع أو فتر

١٠٤ جَلَّ اللَّهُ عَنْكُمْ

تَوَرَّعُوا، يَا بَنِي حَوَاءَ، عَنْ كَذِبٍ، فَمَا لَكُمْ، عِنْدَ رَبِّ صَاغَكُمْ، خَطَرُ
لا تكذبوا أيها البشر وتقولوا إن الله مهتم بكم.. وإنه يراكم أو يعاقبكم بحسب أفعالكم، فما لكم عنده خطر، أي أهمية

لَمْ تُجَدِّبُوا لِقَبِيحٍ مِنْ فِعَالِكُمْ، وَلَمْ يَجِئْكُمْ، لِحَسَنِ التَّوْبَةِ الْمَطْرُ
لم تجذبوا، يحل بكم القحط، لأنكم أذنبتم، ولم يأتكم المطر لتوبتكم.. التكملة المنطقية
للفكرة: الله وضع قوانين الطبيعة، وهي التي تتحكم في سير الكون، ولم يعد الخالق يتدخل فيها

١٠٥ الانتقار

أَلَى الزَّمَانِ يَقِينًا أَنَّ سَيَجْمَعُنَا إِلَى التَّرَابِ، وَرُسُلُ الْمَوْتِ تَنْتَقِرُ
حلف الزمان أنه سيجمعنا في التراب.. ومضت الرسل التي يرسلها الموت، تنتقر، تنتقي منا واحداً واحداً

١٠٦ أباطيل وأسمار

هل صَحَّ قولٌ من الحاكِي، فنَقَبَلَهُ، أم كلُّ ذاك أباطيلٌ وأسمارٌ؟
هل صحيح ما يقوله المتكلم حتى نقبله؟ أم كل ما ورد من قصص مجرد خرافات نتسامر بها

١٠٧ السر خاف

مَضَتْ قرونٌ، وتمضي بعدنا أُمٌّ، والسرُّ خافٍ، إلى أن يُنْفَخَ الصُّورُ
قرون: أجيال، سيظل سر الخلق خافياً حتى ينفخ إسرافيل في الصور، البوق، وتقوم القيامة

١٠٨ المسير والمخير

ما باختيارِي ميلادي، ولا هَرَمِي ولا حياتِي، فهل لي بعد تَخْيِيرُ؟
ولا إقامَةً إِلَّا عن يَدَي قَدَرٍ، ولا مسيرَ إذا لم يُقَضَّ تَسْيِيرُ
إقامتي في بلد هي عن يدي قدر، بيد القدر، ولا رحيل عن البلد بلا قضاء يقضي بالرحيل
زَعَمْتَ أَنَّكَ تهديني لِوَاضِحَةٍ، كذبتَ، هذا الذي تَحْكِيهِ تَحْيِيرُ
فالقول بأن الإنسان مخير كذب... وهذا القول يحير المرء لأنه يرى كل أفعاله مفروضة عليه

١٠٩ اضمحلل

قد أصبح الدين مُضْمَحَلًّا، وَعَيَّرَتْ آيُهُ الدهورُ
اضمحل الدين وغيرت الدهور آيه، أي معالمه

واعْتَاضَ حِلَّ النُّكاحِ قومٌ بِنِسْوَةٍ ما لَهَا مُهورٌ
استعاض الناس عن الزواج باتخاذ الجواري، وهن نساء لا مهور لهن بل يسبين سبياً، أو يشتريهن شراء

١١٠ الناس والأديان

أُمُورٌ تَسْتَخِفُّ بِهَا حُلُومٌ، وما يَدْرِي الفتى لِمَنِ الثُّبُورُ
حلوم: عقول، الثبور: الهلاك

كتابٌ محمدٍ، وكتابٌ موسى، وإنجيلُ ابنِ مَريمَ، والزَّبُورُ...
نَهَتْ أُمَمًا فما قَبِلَتْ، وَبَارَتْ نَصِيحَتُهَا، فكلُّ القومِ بُورُ
الكتب السماوية المذكورة نهت الأمم عن الشر فما قبلت الأُمم نهياً، وبارت، فנית، النصيحة،
فكل الناس بُور، هالكون

يُعْطَلُ مَنْزَلٌ، وَيُرَارُ قَبْرٌ، وَمَا تَبَقَّى الدِّيارُ وَلَا الْقُبُورُ

يتم تعطيل المنازل بسبب الحروب، وبالمقابل يزور الناس قبور الأولياء، وكل هذا زائل

وَمُلْكُكَ كَالرِّيحِ. جَرَتْ قُبُورٌ، فَلَمْ تَلْبَثْ، وَأَعْقَبَتِ الدُّبُورُ

رب ملكٍ شبيه بالرياح. فإن جرت ريح القبور، المنعشة، فلا تفتأ أن تأتي بعدها ريح الدبور
المخربة

أَصُولٌ قَدْ بُنِينَ عَلَى فسادٍ، وَتَقْوَى اللَّهِ سُوقٌ لَا تَبُورُ

١١١ الدعوة المنبرية للأمير

أنا، بالليالي والحوادثِ أَخْبَرُ سَفَرٌ يَجِدُ بِنَا، وَجِسْرٌ يُعْبَرُ

نحن على سفر يجد بنا، جاد لا يبطئ، والدنيا مجرد جسر نعبه

يَدْعُونَ فِي جُمُعَاتِهِمْ بِسَفَاهَةٍ، لِأَمِيرِهِمْ، فَيَكَاذُ يَبْكِي الْمَنْبِرُ

١١٢ حليف الأربعين

أَرْوَحُنَا مَعَنَا وَلَيْسَ لَنَا بِهَا عِلْمٌ فَكَيْفَ إِذَا حَوَّثَهَا الْأَقْبَرُ

ومتى سَرَى، عَنْ أَرْبَعِينَ، حَلِيفُهَا فَالشَّخْصُ يَصْفُرُ، وَالْحَوَادِثُ تَكْبُرُ

عندما يخلف حليف الأربعين، أي الذي بلغها، هذه السن وراه، فطموحه يصغر والمصائب تكبر

١١٣ وتقدرُون فتضحك الأقدار

وَيَقُولُ: دَارِي، مَنْ يَقُولُ، وَأَعْبُدِي، مَهْ! فَالْعَبِيدُ، لِرَبِّنَا، وَالذَّارُ

مه: اكفف واسكت

أَتَرَوْهُ مِنْ زَمَنِ وَفَاءً مُرْضِيًّا، إِنَّ الزَّمَانَ، كَأَهْلِهِ، عَدَّارُ

تَقِفُونَ، وَالْفَلَكَ الْمُسَخَّرُ دَائِرُ، وَتَقْدَرُونَ، فَتَضْحَكُ الْأَقْدَارُ

البشر واقفون بينما الفلك الذي سخره الله يدور، ودوران الفلك هو مرور الزمن، والبشر ينوون
فعل شيء ولكن القدر يضحك منهم

١١٤ حبر صادق وأخبار كاذبون

أَلَيْتُ مَا الْحَبْرُ الْمِدَادُ بِكَاذِبٍ، بَلْ تَكْذِبُ الْعُلَمَاءُ وَالْأَخْبَارُ

ليس الحبر الذي كتبوا به كتبهم هو الكاذب بل العلماء والأخبار هم الكاذبون

١١٥ سينالك التيار

كَمْ بِالْمَدِينَةِ مِنْ غَرِيبٍ نَازِلٍ لَا ضَاصِيٍّ مِنْهُمْ وَلَا قَيَّارُ
كثيرون الغرباء النازلون ضيوفاً على المدينة المنورة، سوى ضايئ البرجمي وجمله
قيار، فقد نزل هذا الرجل بالمدينة في عهد عثمان وقال البيت السائر: «فمن يك
أمسى بالمدينة رحله/ فإني وقياراً بها لغريب»

سَارَ الزَّمَانُ بِهِمْ إِلَى أَجْدَائِهِمْ، وَكَذَا الزَّمَانُ بِأَهْلِيهِ سَيَّارُ
وقد سار الزمن بالجميع إلى أجدانهم، أي قبورهم، وكذا هو الزمن

كُنْ حَيْثُ شِئْتَ بِلُجَّةٍ، أَوْ رَبْوَةٍ، أَوْ وَهْدَةٍ، سَيْنَالِكَ التَّيَّارُ
كن أينما شئت، في لجة البحر، أو فوق ربوة، أو في وهدة، أي وادٍ، سينالك تيار الموت

١١٦ الطريدة

أَعْمَارُنَا جَاءَتْ كُنَايَ كِتَابِنَا مِنْهَا طَوَالٌ وَقُفَيْتُ وَقَصَّارُ
أعمارنا كآيات القرآن، فيها الطوال وفيها القصار

وَالنَّفْسُ فِي آمَالِهَا، كَطَرِيدَةٍ بَيْنَ الْجَوَارِحِ، مَا لَهَا أَنْصَارُ
والنفس البشرية وهي تطمح بآمالها إلى النجاة هي مثل طريدة، ظبية مطاردة، بين
الجوارح، الوحوش، لا نصير لها. تعليق أحمد عبد الرحيم: [هذا بيت هائل! شبه
النفس بالطريدة، فأداه إلى الكناية عن جوارح الإنسان، الشهوانية التي لا ترحم
النفس ولا تدعها لسكينةٍ معلوم بها، بجوارح طير السماء التي لا ترحم طرائدها
المتوحدة المدعورة! ومنظر انقضاء جوارح السماء على طرائد الأرض المدعورة
منظر هائل! أفهم البيت على أنه صراع ذاتي.. بين الذات/الروح والجسد. فجوارح
الإنسان لا تساعد روحه على السمو، وهذا الإنسان وحيدٌ تماماً في هذا الصراع..
بلا أنصار يعينونه، كما الطريدة/الظبية المسكينة المتوحدة المنفردة عن قطيعها.. لا
ينصرها من جوارح السماء المنقضة عليه ناصراً! والخلاصة: لا نجاة! كما لا نجاة
للطريدة/الظبية المسكينة]

١١٧ نحن على كف الرحمن

فَلَاكَ يَدَوْرٌ بِحِكْمَةٍ وَلَهُ، بِلَا رِيْبٍ مُدِيرُ
تدور النجوم في أفلاكها بتقدير حكيم، ولا بد من مدير لها

إِنْ مَنْ مَالِكُنَا بِمَا نَهْوَى، فَمَالِكُنَا قَدِيرُ
أولاً، فمعالِم آدم، بإهانة المولى، جديرُ

١١٨ الفضيحة

لَعَمْرِي لَقَدْ فَضَحَ الْأَوَّلِيَّ مَنْ مَا كَتَبُوهُ وَمَا سَطَّرُوا
فضح جهل القدماء ما كتبوه من خرافات حسبوها علماً

وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ الْعَبَا دَإِنْ يُرَزِّقُوا نِعْمَةً يَبْطَرُوا
يبطر: يجحد ويسرف

وَإِنْ عَجِبُوا لِاحْتِبَاسِ الْعَمَامِ، فَأَعْجَبُ مِنْ ذَاكَ أَنْ يُمَظَرُوا
يعجبون كيف ينقطع المطر عنهم، والأعجب أن ينزل المطر فالناس لا يستحقون النعمة

١١٩ الجحيم هو الآخرون

إِذَا حَانَ يَوْمِي فَلَأَوْسَدُ بِمَوْضِعٍ مِنَ الْأَرْضِ لَمْ يَخْفِرْ بِهِ أَحَدٌ قَبْرًا
كذا كانت وصية الشاعر العراقي معروف الرصافي، فقد أراد أن يدفن في أرض «مظلومة» لم تحفر
من قبل... وما أدراك!

يَرَى عَنَتًا، فِي قُرْبِ حَيٍّ وَمَيِّتٍ مِنَ الْإِنْسِ، مَنْ جَلَّى سَرَائِرَهُمْ خُبْرًا
الذي جلى، كشف، سرائر الناس، ضمائرهم، يرى الاقتراب منهم، سواء في الحياة أم في الموت
عتاً، تعباً

فِيَا لَيْتَنِي لَا أَشْهَدُ الْحَشَرَ فِيهِمْ إِذَا بُعِثُوا شُعْثًا رُؤُوسُهُمْ، عُثْرًا
لا يريد الاختلاط بالناس حتى يوم القيامة عندما يبعثون شعث الرؤوس، منكوشي
الشعر، مغبرين. وقد تخيل أبو العلاء والده - في رثاء أوردناه فيما اخترناه من ديوان
شبابه «سقط الزند» - يأبى أن يزاحم الناس في يوم القيامة للشرب من الحوض

١٢٠ الإيمان المحض

إِذَا آمَنَ الْإِنْسَانُ بِاللَّهِ فَلْيَكُنْ لَبِيبًا، وَلَا يَخْلِطْ بِإِيمَانِهِ كُفْرًا
شكراً للنصيحة

١٢١ الانتباه

وَلَا انْتِبَاهَ لِإِنْسٍ مِنْ رُقَادِهِمْ، إِلَّا إِذَا قِيلَ: هَذَا الْمَوْتُ قَدْ حَضَرَ

١٢٢ أنا والزمان فرسا رهان

أَقَاتِلِي الزَّمَانَ، قِصَاصَ عَمْدٍ، لَأَنِّي قَدْ قَتَلْتُ بَنِيهِ حُبْرًا؟
أَيَقْتَلِنِي الزَّمَانُ قِصَاصاً لَارْتِكَابِي ذَنْباً عَنْ عَمْدٍ هُوَ أَنَّنِي قَتَلْتُ أَبْنَاءَهُ مَعْرِفَةً، أَيْ عَرَفْتُهُمْ كُلَّ الْمَعْرِفَةِ
وَلَمْ أَسْفِكْ دِمَاءَهُمْ، وَلَكِنْ عَرَفْتُ شُؤْنَهُمْ كَشَفَاً وَسَبْرًا
السبر: قياس العمق

عَدَوْتُ وَرَيْبَهُ فَرَسَنِي رِهَانٍ، يُجِدُّ نَوَائِباً، وَأَجِيدُ صَبْرًا
كنت أجري مع ريب الزمان، مصائبه، كأننا فرسا رهان يتسابقان، فالزمان يجد نوائباً، يجدد لي
المصائب، وأنا أحسن الصبر عليها

١٢٣ الدفن دفء

وَالدَّفْنُ دِفْءٌ فِي الشِّتَاءِ، وَطُلَّةٌ فِي الْقَيْظِ، حَقٌّ لِمِثْلِهَا أَنْ يُؤْتَرَا
الدفن يدفئك شتاء ويظلللك من شمس الصيف صيفاً، وجدير بهذه المظلة أن تؤثر، أي تفضّل

١٢٤ أسماء البشر الحسنى

لَمْ أَزُصْ رَأْيِي وَلَا قَوْمٍ، لَقَّبُوا مَلِكاً بِمَقْتَدِرٍ، وَآخَرَ قَاهِرَا
هَذِي صِفَاتُ اللَّهِ، جَلَّ جَلَالُهُ، فَالْحَقُّ بِمَنْ هَجَرَ الْغَوَاةَ مُظَاهِرَا
فكن مع من هجروا الضلال مظاهراً لهم ومناصراً
كم قَائِمٍ بِعِظَاتِهِ مُتَّفَقُهُ فِي الدِّينِ، يَوْجَدُ حِينَ يُكْشَفُ عَاهِرَا

١٢٥ استحالة المعرفة

مَا لِي بِمَا بَعْدَ الرَّدَى مَخْبِرَةٌ قَدْ أَذَمَّتِ الْأَنْفَ هَذِي الْبُرَّةُ
لا أعلم لي بما بعد الموت، ولقد أذمت الأنوف هذه البرة، الحلقة التي توضع في أنف الجمل
لتذليله

كَمْ رَامَ سَبْرَ الْأَمْرِ مَنْ قَبْلَنَا، فَنَادَتِ الْقُدْرَةُ لَنْ تَسْبُرَهُ
كثيراً ما رام، أي حاول، سبر الأمر، معرفة عمق الحقيقة، الناس قبلنا، ولكن قدرة الله قضت ألا
يسبروا هذا العمق

عَشْنَا وَجَسِرُ الْمَوْتِ قُدَّامَنَا فَشَمِّرِ الْآنَ لِكَيْ تَعْبُرَهُ

١٢٦ درس الحساب

وَهَوَّنَ مَا نَلَقَى مِنَ الْبُؤْسِ أَنَا بَنُو سَفَرٍ، أَوْ عَابِرُونَ عَلَى جِسْرِ
مَتَى أَلَقَ، مِنْ بَعْدِ الْمَنِيَّةِ، أَسْرَتِي أَخْبَرَهُمْ أَنِّي خَلَصْتُ مِنَ الْأَسْرِ
سَمَا نَفَرٌ، ضَرَبَ الْمِئِينَ، وَلَمْ أَزَلْ بِحِمْدِكَ مِثْلَ الْكَسْرِ يُضْرَبُ فِي الْكَسْرِ
بعض الناس سما، ارتفعوا، كما تضرب المئة بالمئة فالنتيجة عشرة آلاف، فمكاسبهم مضاعفة،
وأنا ظللت بحمد الله في تساؤل كما تضرب الكسر بالكسر فالنصف ضرب نصف يساوي ربعاً

١٢٧ حتى جبريل!

ولو طار جبريل بقيّة عُمرِهِ عَنْ الدَّهْرِ، مَا اسْطَاعَ الْخُرُوجَ مِنَ الدَّهْرِ

١٢٨ دع النسل

وَلَمْ يَتَنَاوَلْ دُرَّةَ الْحَقِّ غَائِضٌ مِنَ النَّاسِ، إِلَّا بِالرَّوِيَّةِ وَالْفِكْرِ
لم ينجح في الإمساك بلؤلؤة الحق أي غائض من البشر إلا بالتروي والفكر
دَعِ النَّسْلَ! إِنْ النَّسْلَ عُقْبَاهُ مَيِّتَةٌ، وَيُهْجَرُ طَيْبُ الرَّاحِ خَوْفًا مِنَ السُّكْرِ
لا تنجب بنين وبنات فالنتيجة النهائية الموت، والمرء يترك الأمر المستطاب بسبب نتيجته الرديئة،
فالخمر يهجرها المرء خوفاً من السكر

١٢٩ ليتنا نموت ولا نبعث

وَأَعْجَبُ مَا تَخْشَاهُ دَعْوَةُ هَاتِفٍ: أَتَيْتُمْ، فَهَبُّوا يَا نِيَامُ إِلَى الْحَشْرِ
أعجب ما ستلقى هاتفاً يهتف: قد أتيتم، فاستيقظوا وهباً للحشر
فِيَا لَيْتَنَا عَشْنَا حَيَاةً بَلَا رَدَى، يَدُ الدَّهْرِ، أَوْ مُثْنَا مَمَاتًا بَلَا نَشْرِ
النشر: البعث من القبور

١٣٠ التوحيد والتعديد

إِذَا كُنْتَ ذَا ثِنْتَيْنِ فَاغْدُ مُحَارِبًا عَدُوِّنِ، وَاحْذَرْ مِنْ ثَلَاثِ ضَرَائِرِ
وإن هُنْ أَبْدَيْنِ السَّوْدَةَ وَالرِّضَا، فَكَمْ مِنْ حُقُودٍ عُيِّبَتْ فِي السَّرَائِرِ!
إن أبدت الضرائر الرضا فهن يخفين أحقاداً في السرائر، الضمائر
قِرَانُكَ مَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَدْيِيَّةٌ لَهْنٌ، فَلَا تَحْمِلْ أَدَاةَ الْحَرَائِرِ

١٣١ فضة وذهب

رَأَيْتُ سُكُوتِي مَتَجَرًّا، فَلَزِمْتُهُ، إِذَا لَمْ يُفِذْ رِنِحًا، فَلَسْتُ بِخَاسِرٍ

١٣٢ مداراة العدو

يَقُولُ لَكَ الْعَقْلُ الَّذِي بَيَّنَّ الْهُدَى: إِذَا أَنْتَ لَمْ تَذَرِ عَدُوًّا قَدَارِهِ
لَمْ تَذَرِ: لَمْ تَدَعِ

وَقَبْلُ يَدِ الْجَانِيِ الَّذِي لَسْتَ وَاصِلًا إِلَى قَطْعِهَا، وَانْظُرْ سُقُوطَ جِدَارِهِ
يَقُولُ مِثْلُنَا: الْيَدُ الَّتِي لَا تَقْدِرُ عَلَيْهَا قَبْلَهَا، وَادْعُ عَلَيْهَا بِالْكَسْرِ

١٣٣ الفكر مرآة الحق

كَأَنَّمَا الْخَيْرُ مَاءٌ كَانَ وَارِدُهُ أَهْلُ الْعُصُورِ فَمَا أَبْقَوْا سِوَى الْعَكْرِ
الْخَيْرِ شَبِيهَ بِحَوْضِ مَاءٍ كَانَ يَأْتِيهِ أَهْلُ الْعُصُورِ الْمُتَلَحِّقَةُ فَذَهَبَ صَفْوُهُ وَبَقِيَ فِيهِ الْمَاءُ الْمَتَكَدِّرُ
وَمَا تُرِيكَ مَرَاتِي الْعَيْنِ صَادِقَةً فَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ مِرْآةً مِنَ الْفِكْرِ
لَا تُرِيكَ مَرَاتِي الْعَيْنِ، مَرَايَاهَا، صُورَةٌ صَادِقَةٌ، أَيْ حَقِيقِيَّةٌ، فَلَتَكُنْ مَرَاتَكَ فِكْرَكَ.
تَرَى وَجْهَكَ فِي الْمِرْآةِ فَتَرَاهُ جَمِيلًا، وَتَفَكِّرُ بِعَقْلِكَ وَتَقُولُ: هَذِهِ الصَّلْعَةُ وَهَذَا الْأَنْفُ
الْمَعْوَجُ، وَتَلِكُ الشِّفَاةُ الْمُتَقَلِّصَةُ وَالْأَسْنَانُ الْمُتَرَكَبَةُ - الْمَوْلُفُ لَا يَصِفُ نَفْسَهُ
بِالضَّرُورَةِ - لَا تَعْنِي الْجَمَالَ، فَعَقْلُكَ مِرْآةٌ أَفْضَلُ

١٣٤ الناس والغراب

تَمْضِي الْحَيَاةُ، وَمَا لِي إِثْرُهَا أَسَفٌ، وَدِدْتُ أَنْ مُعِيرَ الْعَيْشِ لَمْ يُعِرْ
لَيْتَ الَّذِي أَعَارَنِي الْعَيْشَ لَمْ يَعْرِهْ

وَالْمَوْتُ يَسْلُبُ مَا فِي الْأَنْفِ مِنْ شَمَمٍ تَحْتَ التُّرَابِ، وَمَا فِي الْخَدِّ مِنْ صَعْرِ
يَسْلُبُ الْمَوْتُ الشَّمَمَ، ارْتِفَاعُ الْأَنْفِ مِنْ كِبَرِيَاءٍ، وَالصَّعْرُ، مِيلُ الْخَدِّ تَكْبَرًا

جُرْ يَا غُرَابُ وَأَقْبِذْ، لَنْ تَرَى أَحَدًا إِلَّا مُسِيئًا، وَأَيُّ الْخَلْقِ لَمْ يَجْرِ؟
فَلَتَكُنْ جَانِئًا أَيُّهَا الْغُرَابُ وَمُفْسِدًا لِلزَّرْعِ، فَكُلِ الْخَلْقَ مِثْلَكَ

فَخُذْ مِنَ الزَّرْعِ مَا يَكْفِيكَ عَنْ عُرْضٍ، وَحَاوِلِ الرِّزْقَ فِي الْعَالِي مِنَ الشَّجَرِ
عَنْ عَرَضٍ: كَيْفَمَا اتَّفَقَ

لو كنتَ حَافِظَ أَثْمَارٍ لَهُمْ يَنْعَتْ ثم اقترَبْتَ لَمَّا أَخْلَوَكَ مِنْ حَجَرٍ
حتى لو كنتَ يا غراب حارساً يحفظ زرع الناس ثم اقتربت لما تركوك دون أن يرموك بحجر

١٣٥ صكوك الغفران

نَادَتْ عَلَى الدِّينِ، فِي الْأَفَاقِ، طَائِفَةٌ، يَا قَوْمُ! مِنْ يَشْتَرِي دِينًا بِدِينَارٍ؟
بعضهم يحث على التبرع والتصدق فكأن هذا بيع للدين مقابل الدنانير

جَنَوْا كِبَائِرَ آثَامٍ، وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الصَّغَائِرَ تَجْنِي الْخُلْدَ فِي النَّارِ
وهؤلاء يرتكبون كبائر الذنوب ثم يقولون للناس إن الصغائر تدخل المرء النار. أ. عبد الرحيم:
[يعرّض بمعتزلة زمانه (على الأقل!).. ولطالما هاجمهم تصريحاً!]

١٣٦ قطع اليد

تَنَاقَضَ مَا لَنَا إِلَّا السُّكُوتُ لَهُ وَأَنْ نَعُوذَ بِمَوْلَانَا مِنَ النَّارِ
بَدَّ بِخُمْسِي مِثْلِي عَسَجِدٍ فُلِدِيَتْ، مَا بَالُهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارٍ؟
إذا قطع أحدهم يد آخر ففدية اليد في الشرع خمسمئة دينار عسجداً، أي ذهباً، فلماذا
تُقطع يد المرء إذا سرق ربع دينار؟ رد الشعراء على أبي العلاء كثيراً.. ورد الفقهاء،
قال أحدهم عن اليد: «عندما كانت أمينة كانت ثمينة، فلما خانت هانت»

١٣٧ اتركوهم في ظهوركم

وَإِذَا أَرَدْتُمْ لِلْبَنِينَ كَرَامَةً، فَالْحَزْمُ أَجْمَعُ تَرْكُهُمْ فِي الْأَظْهَرِ
خير للمرء أن يترك أولاده في صلبه، في ظهوره، ولا ينجبهم

١٣٨ الموت جيد، وهاكم الدليل

وَيَدُلُّنِي، أَنَّ السَّمَاتَ فَضِيلَةً، كَوْنُ الطَّرِيقِ إِلَيْهِ غَيْرَ مُبَسَّرٍ

١٣٩ الأم والطفل والمنجم

سَأَلْتُ مَنْجُمَهَا عَنِ الطِّفْلِ الَّذِي فِي الْمَهْدِ: كَمْ هُوَ عَائِشٌ مِنْ دَهْرِهِ؟
فَأَجَابَهَا: مِئَةً، لِيَأْخُذَ دَرَهْمًا، وَأَتَى الْجِمَامُ وَلَيْدَهَا فِي شَهْرِهِ
أَعَدَى عَدُوٌّ لِابْنِ آدَمَ، خِلْتُهُ، وَلَدٌ يَكُونُ خُرُوجُهُ مِنْ ظَهْرِهِ

١٤٠ التجارة الرابعة

رَغِبُوا، فَأَزْهَدُ مَنْ تَرَى فَوْقَ الثَّرَى يَبْغُونَ، عِنْدَ اللُّو، رُبْحَ تِجَارِ
تجار: تَجَّار

١٤١ اضمحلال الطموحات

بَلَغَ الْفَتَى هَرَمًا، فَظَنَّ زَمَانَهُ هَرَمًا، وَذَمَّ تَقَادُمَ الْأَعْصَارِ
عندما يكبر الإنسان يظن الزمن نفسه شاخ ولم يعد جيداً
وَرُمِيتُ بِالْهَمِّ الطَّوَالِ، وَغَالَهَا كَرُّ الْخَطُوبِ، فَعُوضْتُ بِقِصَارِ
ابتليت بالهم الطوال، وغالها كره الخطوب، أهلك الطموحات تكرر
المشكلات، فأصبحت صغيرة

١٤٢ ركب أربعين جملاً

وَرَمِيتُ أَعْوَامِي وَرَائِي، مَثَلَمَا رَمَتِ الْمَطِيَّ مَهَامَةَ السُّفَارِ
رمت سني حياتي ورائي كما ترمي الإبل مهامه السفار، صحارى المسافرين، وتقطعها
وَرَكِبْتُ مِنْهَا أَرْبَعِينَ مَطِيَّةً، لَمْ تَخُلْ مِنْ عَنَتٍ وَسُوءِ نِفَارِ
ركب أربعين مطية، أي عشت أربعين سنة، لم تخل من تعب وسوء نفار، جموح

١٤٣ ضلال اليهود

ضَلَّتْ يَهُودُ، وَإِنَّمَا تَوَزَّاتُهَا كَذِبٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَحْبَارِ
قد أسندوا عن مثلهم، ثم اغتزلوا، فَنَمَوْا بِإِسْنَادٍ إِلَى الْجَبَّارِ
وَإِذَا غَلَبَتْ مَنَاضِلًا، عَنْ دِينِهِ، أَلْقَى مَقَالِدَهُ إِلَى الْأَخْبَارِ
إذا غلبت بحجتك مناضلاً، مدافعاً، عن دينه فسوف يلقي مقالده، مفاتيح أموره، إلى ما قاله
الأقدمون

١٤٤ حرقوه فاستراحوا واستراح

حَرَّقَ الْهِنْدُ مَنْ يَمُوتُ، فَمَا زَا رُوهُ فِي رَوْحَةٍ، وَلَا تَبْكِيَرِ
وَأَرَّاحُوا مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ مَيِّتًا وَسُؤَالِ لِمُنْكَرٍ وَنَكِيرِ

١٤٥ علي وقنبر

لَا يَفْخَرَنَّ الْهَاشِمِيُّ - عَلَى امْرِئٍ مِنْ آلِ بَرْبَرٍ
فَالْحَقُّ يَحْلِفُ: مَا عَلَيَّ - عِنْدَهُ إِلَّا كَقَنْبَرٍ
قنبر: خادم علي بن أبي طالب

١٤٦ قياس

أَيُّهَا الْمَلْحَدُ لَا تَعْصِ النَّهْيَ، فَلَقَدْ صَحَّ قِيَاسٌ وَاسْتَمَرَ
أَيُّهَا الْمَلْحَدُ لَا تَخَالَفِ الْعَقْلَ، فَقَدْ صَحَّ الْقِيَاسُ وَاطْرَدَ
إِنْ تَعُدُّ فِي الْجِسْمِ يَوْمًا رَوْحُهُ فَهُوَ كَالرَّبْعِ خَلَا ثُمَّ عَمَرَ
فَالرَّوحُ تَعُودُ لِلْجِسْمِ بَعْدَ خَرَابِهِ فَيَعْمَرُ مِثْلَمَا يَكُونُ الرَّبْعُ، الْمَكَانُ، خَالِيًا ثُمَّ يَعْمَرُ، وَهَذَا هُوَ الْقِيَاسُ

١٤٧ أنا وصالح

مَا لُمْتُ فِي أَفْعَالِهِ، صَالِحًا، بَلْ خِلْتُهُ أَحْسَنَ مِنِّي ضَمِيرَ
لَا الْيَوْمَ صَالِحُ بْنُ مَرْدَاسٍ أَمِيرُ حَلَبَ، بَلْ ضَمِيرُهُ خَيْرٌ مِنْ ضَمِيرِي وَسِرِيرَتُهُ أَتْقَى مِنْ سِرِيرَتِي
يَا قَوْمُ! لَوْ كُنْتُ أَمِيرًا لَكُمُ ذِمَّتُكُمْ فِي الْغَيْبِ ذَاكَ الْأَمِيرَ

١٤٨ المساجد والمواخير

مَسَاجِدُكُمْ وَمَوَاخِيرُكُمْ، سَوَاءٌ، فَبُعْدًا لَكُمْ مِنْ بَشَرٍ
المواخير: بيوت الخمر والنساء

وَمَا أَنْتُمْ بِالنَّبَاتِ الْحَمِيدِ، وَلَا بِالنَّخِيلِ وَلَا بِالْعُشْرِ
لَسْتُ أَيْهَا النَّاسُ نَبَاتًا حَمِيدًا، وَلَا نَخْلًا وَلَا عُشْرًا، وَالْعُشْرُ شَجَرٌ مَعْرُوفٌ قَالَ لَنَا أَبُو الْعَلَاءِ فِي
كِتَابِهِ «الصَّاهِلِ وَالشَّاحِحِ» إِنَّهُمْ يَحْشُونَ بِأَوْرَاقِهِ الْوَسَائِدَ

وَلَكِنْ قَتَادُ عَدِيْمُ الْجَنَّةِ، كَثِيرُ الْأَذَاةِ، أَبَى غَيْرَ شَرِّ
أَنْتُمْ قَتَادُ، أَيْ شَوْكٌ، لَا يَجْنِيهِ أَحَدٌ، وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا الشَّرُّ

فِيَا لَيْتَنِي فِي الثَّرَى، لَا أَقُومُ إِنْ اللَّهَ نَادَاكُمْ، أَوْ حَشَرَ
وَمَا سَرَّنِي أَنْنِي فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ بَانَ لِي شَرَفٌ وَانْتَشَرَ

١٤٩ الوعد والإنجاز

تَجَنَّبِ الْوَعْدَ يَوْمًا أَنْ تَفُوتَهُ بِهِ ، فَإِنْ وَعَدْتَ فَلَا يَذْمُوكَ إِنْ جَازَ
تجنب الوعد، فإن حدث ووعدت فلا تجعل قلة الإنجاز والوفاء بالوعد تسبب لك الذم
واضمت، فإن كلام المرأة يهلكه، وإن نطقت، فإفصاح وإيجاز

١٥٠ الفقهاء

أَجَازَ الشَّافِعِيُّ فَعَالَ شَيْءٍ وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ لَا يَجُوزُ
هذا وأسلاف أبي العلاء كانوا قضاء على مذهب الشافعي

فَضَلَ الشَّيْبُ وَالشَّبَابُ مِنَّا وَمَا اهْتَدَتْ الْفَتَاءُ وَلَا الْعَجُوزُ
ولم آمن على الفقهاء حبساً، إذا ما قيل لالأمناء جُوزُوا
لست متأكداً من وضع الفقهاء يوم القيامة، فقد يحبسون خارج الجنة إذا قيل للأمناء من الناس
جوزوا، اقطعوا الصراط واجتازوه

١٥١ اختلاف

النَّاسُ مُخْتَلِفُونَ، قِيلَ: الْمَرْءُ لَا يُجْزَى عَلَى عَمَلٍ، وَقِيلَ: يُجَازَى
بعضهم يقول ثمة حساب، وبعضهم يقول لا حساب

١٥٢ الخير بلا مقابل

تَوَخَّيْ جَمِيلًا، وَافْعَلْهُ لِحُسْنِهِ، وَلَا تَحْكُمِي أَنْ الْمَلِكُ بِهِ يَجْزِي
افعلي الخير يا هذه لأنه خير ولا تحكي بأن الله يجزي به

فَذَاكَ إِلَيْهِ: إِنْ أَرَادَ فَمُلْكُهُ عَظِيمٌ، وَإِلَّا فَالْحِمَامُ لَنَا مُجْزٍ
فالثواب والعقاب لله إن شاء، وإن لم يكن حساب فالموت لنا مجز، مجزئ أي كاف

١٥٣ تكلمي بالمجاز

أَوْجَزَ الدَّهْرُ فِي الْمَقَالِ إِلَى أَنْ جَعَلَ الصَّمْتَ غَايَةَ الْإِيجَازِ
منطقاً ليس بالثثير، ولا الشعر، ولا في طرائق الرِّجَازِ
كلام الزمن ليس نثراً ولا شعراً ولا رجزاً. وكان «علماء» الشعر يعدون الرجز شيئاً غير الشعر

وَعَدْتُنَا الْأَيَّامَ كُلَّ عَجِيبٍ ، وَتَلَوْنَ الْوُعودَ بِالْإِنجَازِ

تَلَوْنَ: تَبَعْنَ

هِيَ مِثْلُ الْعَوَانِ إِنْ تَحَسَّنِ الْأَوْجُهُنَّ حَسَنَةً وَلَكِنَّ الثَّقَلَ الْحَقِيقِي فِي أَكْفَالِهِنَّ، وَالزَّمَنُ حَاضِرُهُ
يَكُونُ جَمِيلًا وَلَكِنَّ الشَّدَائِدَ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ

مَنْ يُرِدْ صَفْوَةَ عَيْشَةٍ يَبْغِ مِنْ دُونِهَا أَمْرًا مُبَيَّنَّ الْإِعْجَازِ
فَافْعَلِ الْخَيْرَ إِنْ جَزَاكَ الْفَتَى عَنْهُ، وَإِلَّا فَاللَّهُ بِالْخَيْرِ جَارٍ
لَا تُقْبِذْ عَلَيَّ لَفْظِي فِيمَا نِيَّيْتُ مِثْلَ غَيْبِي، تَكَلِّمِي بِالْمَجَازِ
إِنَّمَا عِشْرَةُ الْأَنَامِ نِفَاقٌ، وَتَبَاؤُ فِي بَاطِلٍ، وَتَجَازِ
مَعَاشِرَةُ النَّاسِ نِفَاقٌ، وَفِيهَا التَّبَاهِي بِالْبَاطِلِ مِنْ ادِّعَاءِ الْعِلْمِ وَادِّعَاءِ الْفَضْلِ الْخ، وَفِيهَا التَّجَازِي..
أَيُّ أَنَّ كُلَّ خَيْرٍ يَفْعَلُهُ الْمَرْءُ يَرِيدُ عَلَيْهِ مَقَابَلًا

١٥٤ الإيعاز

أَوْعَزَ الدَّهْرُ بِالْفَنَاءِ إِلَى النَّاسِ، فَوَاهَاً لِذَلِكَ الْإِيعَازِ
أَوْعَزَ الدَّهْرُ، أَيُّ أَشَارَ أَمْرًا، إِلَى النَّاسِ بِأَنَّ الْفَنَاءَ مُصِيرُهُمْ، فَيَا لِلْوَعْتِ لِهَذَا الْإِيعَازِ
أَعْرِضُوا عَنْ مَدَائِحِ وَتَهَانٍ، فَالْمِرَاثِي أَوْلَى بِكُمْ وَالتَّعَازِي

١٥٥ التوبة المتأخرة

إِذَا مَا أَسَنَّ الشَّيْخُ أَقْصَاءَ أَهْلِهِ، وَجَارَ عَلَيْهِ النَّجْلُ وَالْعَبْدُ وَالْعَرُسُ
العرس: الزوجة

يَسْبَحُ، كَيْمَا يَغْفِرَ اللَّهُ ذَنْبَهُ، رُوَيْدَكَ فِي عَهْدِ الصَّبَا مِلَى الطَّرْسِ
فِي صَبَاكَ مِلَى الطَّرْسِ، الْوَرَقَةُ، بِالذَّنُوبِ.. وَجِثْتَ تَسْتَغْفِرُ فِي شَيْخُوخَتِكَ!

وَقَدْ كَانَ مِنْ فَرَسَانِ حَرْبٍ وَغَارَةٍ، فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ السِّيفُ وَالرَّمْحُ وَالتَّرْسُ
عَجِبْتُ لِقَبْرِ فِيهِ ضَيْقُ تَزَاحَمَتْ، عَلَى الْكُونِ فِيهِ الْعُرْبُ وَالرُّومُ وَالْفُرْسُ
عَلَى الْكُونِ فِيهِ: لَتَكُونُ فِيهِ

١٥٦ لو اني كلب

لو انِّي كَلْبٌ، لاَ غَتَرْتَنِي حَمِيَّةٌ لِّجَرَوِي، أَن يَلْقَى كَمَا لَقِيَ الْإِنْسُ
أرى الحيَّ جنساً ظلَّ يَشْمَلُ عَالَمِي بِأَنَوَاعِهِ، لا بُورِكَ النُّوعُ والجنسُ
الحي، أي القوم أي البشر، جنس.. وهذا الجنس يشبه كل الأنواع، كل المخلوقات.. وعموماً
لا بورك في النوع ولا في الجنس

١٥٧ لبث حول الماء

لُبْتُ، حَوْلَ الْمَاءِ مِنْ ظَمَأٍ، إِنْ غَرَبِي مَا لَهُ مَرَسُ
طفت حول بثر الماء عطشان، ولكن غربي، أي دلوي، ليس له مرس، أي حبل
مُهَجَّنِي ضِدَّ يُحَارِبُنِي، أَنَا مِنِّي كَيْفَ أَحْتَرِسُ؟
قلبي ضدي.. فكيف أحترس منه؟
إِنَّمَا دُنْيَاكَ غَانِيَّةٌ، لَمْ يُهْنَيْ زَوْجَهَا الْعُرْسُ

١٥٨ مطر يغسل الأرض

هَلْ يَغْسِلُ النَّاسَ عَنْ وَجْهِ الثَّرَى مَطَرٌ، فَمَا بَقُوا لَمْ يُبَارَخْ وَجْهَهُ دَنَسُ
ما بقوا: ما داموا باقين
وَالْأَرْضُ لَيْسَ بِمَرْجُو طَهَارَتُهَا، إِلَّا إِذَا زَالَ عَنْ آفَاقِهَا الْآنَسُ

١٥٩ أنا وطلابي

دُنْيَاكَ دَارُ سُرُورٍ لَا سُرُورَ بِهَا، وَلَيْسَ يَدْرِي أَخُوها كَيْفَ يَحْتَرِسُ
بيننا امرؤ يتوقَّى الذَّئْبَ عَنْ عُرْضٍ أَتَاهُ لِبْتُ، عَلَى الْعَلَاتِ، يَفْتَرِسُ
بيننا: بينما، عن عرض: من ناحية، على العلات: رغم كل شيء
أَلَا تَرَى هَرَمِي وَمَصْرِي، وَإِنْ شَمَخَا، كِلَاهُمَا بَيِّقِينَ سَوْفَ يَنْدَرِسُ
يندرس: يزول.. كل شعراء العرب مصرون على أن بمصر هرمين فقط.. وفيها بالمناسبة أكثر من
مئة هرم

١٦٠ ماذا تريدون؟

يَزُورُنِي الْقَوْمُ، هَذَا أَرْضُهُ يَمَنُّ، مِنْ الْبِلَادِ، وَهَذَا دَارُهُ الطَّبَسُ
الطيس: بلدة بخراسان

يَبْغُونَ مِنِّي مَعْنَى لَسْتُ أَحْسِنُهُ فَإِنْ صَدَقَتْ عَرَّتْهُمْ أَوْجَهُ عُبُسُ
يبدو أنه كان يقول لطلابه «لا أعلم» عندما لا يعلم فتعروهم، تكسوهم، وجوه عابسة
ماذا تريدون؟ لا مالٌ تيسرَ لي فَيُسْتَمَاحُ، وَلَا عِلْمٌ فَيُقْتَبَسُ
يستماح: يُطْلَبُ

١٦١ نقيضان

بَنَاتُ الْعَمِّ تَأْبَاهَا النَّصَارَى وَبِالْأَخَوَاتِ أَغْرَسَتِ الْمَجُوسُ
المسيحيون يكرهون الزواج من بنات العم والخال، وشاع أن المجوس يتزوجون أخواتهم وبناتهم

١٦٢ ضرائب ولا حماية

يَا رَبِّ أَخْرِجْنِي إِلَى دَارِ الرِّضَا عَجِلاً، فَهَذَا عَالَمٌ مَنكُوسُ
دار الرضا: الجنة، منكوس: مقلوب

وَأَرَى مُلُوكاً لَا تَحُوطُ رَعِيَّةً، فَعِلَامَ تَوْخَذَ جَزِيَّةً وَمُكُوسُ؟
الملوك لا يحوطون، لا يحمون، الرعية فلماذا يأخذون الجزية من النصارى والمكوس، الضرائب
من الجميع

١٦٣ الساسة

يَسُوسُونَ الْأُمُورَ بِغَيْرِ عَقْلِ فَيَنْفُذُ أَمْرُهُمْ، وَيَقَالُ: سَاسَةٌ
فَأَفُّ مِنَ الْحَيَاةِ، وَأَفُّ مِنِّي وَمِنْ زَمَنِ رِئَاسَتِهِ خَسَاسَةٌ

١٦٤ الحدس لا اليقين

أَصْبَحْتُ فِي يَوْمِي أُسَائِلُ عَنْ غَدِي مُسْتَخِيرًا عَنْ حَالِهِ مُتَنَدِّسًا
متندساً: متحرياً

أَمَّا الْيَقِينُ، فَلَا يَقِينَ، وَإِنَّمَا أَقْصَى اجْتِهَادِي أَنْ أَظُنَّ وَأُحْدِسَا

١٦٥ يا قصير العمر

وَأَرَدْتُ مُنُونِي أَنْ أَكُونَ مُدَلِّسًا هِيَهَاتَ! غَيْرِي آثَرُ التَّدْلِيسَا
التدليس: ادعاء العلم بالشيء

إِنْ مَاتَ صَاحِبُكُمْ، فَجِدُّوا بَعْدَهُ فِي التُّسْلِكِ، وَاتَّخِذُوا الْخُشُوعَ جَلِيسًا
فَاللَّهُ مَا اخْتَارَ الْبَقَاءَ وَطَوَّلَهُ، إِلَّا لِشَرِّ عِبَادِهِ إِبْلِيسَا

١٦٦ من التراب إلى التراب

وَمَا زَالَ هَذَا الْجِسْمُ، مُذْفَارَقَ الثَّرَى، عَلَى تَعَبٍ، حَتَّى أُعِيدَ إِلَى الرَّمْسِ
مَنْذَرُ أَنْ يَخْلُقَ الْجِسْمُ مِنَ الثَّرَى، ظَلَّ مُتَعَبًا حَتَّى عَادَ إِلَى الرَّمْسِ، الْقَبْرِ، وَإِلَى التَّرَابِ

١٦٧ الجاهر والهامس

دَعَا مُوسَى فَرَّالًا، وَقَامَ عَيْسَى، وَجَاءَ مُحَمَّدٌ بِصَلَاةِ خَمْسِ
وَقِيلَ يَجِيءُ دِينَ غَيْرُ هَذَا، وَأَوْدَى النَّاسُ بَيْنَ غَدٍ وَأَمْسِ
لَوْ سَأَلَ أَبُو الْعَلَاءِ عَنْ هَذَا الدِّينِ الَّذِي سَيَجِيءُ لَرَبَّمَا قَالَ: مَا زَعَمُوهُ مِنْ مَجِيءِ الدِّجَالِ ثُمَّ الْمَسِيحِ
الْمُنْتَظَرِ. وَنَحْنُ نَظُنُّ أَنَّ أَبَا الْعَلَاءِ يَرِيدُ الْقَوْلَ: الْأَدِيَانُ لَمْ تَخْتُمْ وَقَدْ يَجِدُ جَدِيدَ

وَمَهْمَا كَانَ فِي دُنْيَاكَ أَمْرٌ فَمَا تُخْلِيكَ مِنْ قَمَرٍ وَشَمْسٍ
الثَّوَابُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا قَلِيلَةٌ. . . الْقَمَرُ وَالشَّمْسُ مِثْلًا

وَأَخْرِهَا بِأَوَّلِهَا شَبِيهًا، وَتَصْبِحُ فِي عَجَائِبِهَا، وَتُمْسِي
إِذَا قُلْتَ الْمُحَالُ رَفَعْتُ صَوْتِي وَإِنْ قُلْتَ الْيَقِينُ أَطْلُتُ هَمْسِي
إِذَا قُلْتَ أُمُورًا مُسْتَحِيلَةً - لَكِنَّمَا مِمَّا يَعْتَقِدُهُ النَّاسُ - رَفَعْتُ صَوْتِي، وَإِنْ قُلْتَ مَا أَوْقَنَ بِهِ - وَهُوَ ضَدُّ
عَقَائِدِ النَّاسِ - هَمَسْتُ هَمًّا

١٦٨ الشر المستطير

قَدْ فَاضَتْ الدُّنْيَا، بِأَدْنَانِيسَا، عَلَى بَرَايَاهَا وَأَجْنَانِيسَا
أَدْنَانِيسَا: قَاذُورَاتُهَا، بَرَايَاهَا: مَخْلُوقَاتُهَا

وَالشَّرُّ فِي الْعَالَمِ، حَتَّى الَّتِي مَكْسَبُهَا مِنْ فَضْلِ عِرْنَانِيسَا
الشر موجود في العالم كله. . . وموجود حتى في المرأة المتعفة التي تكسب قوتها من عمل
عرناسها، أي مغزلهما

وَكُلُّ حَيٍّ فَوْقَهَا ظَالِمٌ، وَمَا بِهَا أَظْلَمُ مِنْ نَاسِهَا
كل حي فوق الأرض ظالم، والأكثر ظلماً البشر

١٦٩ أفعى وحش

عروسك أفعى، فهَبْ قَرَبَهَا، وَخَفْ مِنْ سَلِيلِكَ، فَهُوَ الْحَنْشُ
زوجتك أفعى وسليك، أي ولدك، حنش، ثعبان

١٧٠ طريق الهدى

طُرُقُ الْغَيِّ سَهْلَةٌ وَاسِعَاتٌ، وَطَرِيقُ الْهُدَى كَسَمُّ الْخِيَاطِ
طرق الضلال واسعة، وطريق الحق ضيق كثقب الإبرة
مَطْلَعُ شَقٍّ، لَا تَكْلَفُهُ الضَّمَمَ - رُ، إِلَّا مَضْرُوبَةً بِالسَّيَاطِ
طريق الحق صاعد شاق لا تسير فيه الخيول المضمرة إلا وهي مضروبة بالسياط

١٧١ بقراط وسقراط

أَعُوذُ بِرَبِّي مِنْ سُخْطِهِ وَتَفْرِيطِ نَفْسِي وَإِفْرَاطِهَا
التفريط: تضييع الحق أو التهاون في العبادات، والإفراط: الإسراف في الضلال
وَمَا دَفَعْتُ حِكْمَاءَ الرُّجَا لِ حَتْفًا بِحِكْمَةٍ بُقْرَاطِهَا
بقراط اليوناني: أبو الطب
وَلَكِنْ يَجِيءُ قَضَاءُ يُرِيكَ أَخَا غَيْهَا مِثْلَ سُقْرَاطِهَا
يأتي القضاء، الموت، فيجعلك ترى الغوي المفسد وسقراط سيان، فكلاهما يموت

١٧٢ الناس كالناس

الْمَوْتُ خَيْرٌ، وَفِيهِ لَامَرِيٌّ دَعَةٌ، إِنْ يُضْرَبِ التُّرْبُ لَا يَحْدُثُ لَهُ وَجَعٌ
في الموت راحة، ويؤول المرء إلى تراب، والتراب إذا ضرب لا يتألم
تَشَابَهَ الْقَوْمُ، فِي عِلْمِي: إِذَا جَبُنُوا فَلَا أَلُومُ، وَلَا أَتُنِّي إِذَا شَجِعُوا
الناس متشابهون فإذا جنوا لا ألومهم، وإذا شجعوا لا أتني عليهم

١٧٣ الطباع الثابتة

تَغَيَّرَ مُلْكُ حَمِيرٍ ثُمَّ كَسَرَى، وَلَمْ تَقْبَلْ تَغْيِيرَهَا الطَّبَاعُ
وجدت الناس في جبلٍ وسهلٍ، كَأَنَّهُمُ الذَّنَابُ أَوِ السَّبَاعُ

١٧٤ ما لا يستطيع

لَبِيبُ الْقَوْمِ تَأَلَّفَهُ الرَّزَايَا، وَيَأْمُرُ بِالرَّشَادِ، فَلَا يُطَاعُ
تألفه الرزايا: تتابعه المصائب دوماً

فَلَا تَأْمُلُ مِنَ الدُّنْيَا صَلاَحاً، فَذَاكَ هُوَ الَّذِي لَا يُسْتَطَاعُ

١٧٥ الخير جميل على كل حال

عَلَيْكَ بِفِعْلِ الْخَيْرِ، لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ الْفَضْلِ إِلَّا حَسَنُهُ فِي الْمَسَامِحِ
لَعَمْرُكَ! مَا فِي عَالَمِ الْأَرْضِ زَاهِدٌ بَقِيناً، وَلَا الرَّهْبَانُ أَهْلُ الصَّوَامِعِ

١٧٦ يكفيك رباعي

نَزَوَّجَ بَعْدَ وَاحِدَةٍ ثَلَاثاً، وَقَالَ لِعِزِّيسٍ يَكْفِيكَ رُبْعِي
فَبُرْضِيهَا، إِذَا قَنِعْتَ بِقُوتٍ، وَيَرْجُمُهَا، إِذَا مَالَتْ لِتَبْعِ
التبع: الخليل
إِذَا مَا أَعْظَمِي كَانَتْ هَبَاءً، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّبُهُ جَنَمِي

١٧٧ تطلق الأم

مَا كَانَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بَنُو زَمَنِ، إِلَّا وَعِنْدِي مِنْ أَخْبَارِهِمْ طَرَفٌ
يُخَبِّرُ الْعَقْلَ أَنَّ الْقَوْمَ مَا كَرُمُوا، وَلَا أَفَادُوا وَلَا طَابُوا وَلَا عَرَفُوا
إِذَا شَقِيتُ، فَجَسَمٌ نَالَهُ نَصَبٌ، وَإِنْ تَرَفْتُ، فَمَاذَا يَنْفَعُ التَّرَفُ؟
نصب: تعب

يَا أُمَّ دَفَرٍ، لِحَاكِ اللَّهَ وَالِدَةً، مِنْكَ الْإِضَاعَةُ وَالتَّفْرِيطُ وَالسَّرَفُ
أم دفر: الدنيا، لحاك الله: لعنك

لَوْ أَنَّكَ الْعِرْسُ أَوْقَعْتَ الطَّلَاقَ بِهَا، لَكُنَّا الْأُمُّ، هَلْ لِي عَنْكَ مُنْصَرَفٌ؟
العرس: الزوجة

١٧٨ شتائم متفرقة

يُنْجَمُونَ، وَمَا يَدْرُونَ لَوْ سُئِلُوا عَنْ الْبَعُوضَةِ، أَنِّي مِنْهُمْ تَقِفُ
المنجمون يدعون العلم، وهم لا يعرفون أين تقف البعوضة على أجسامهم

وَفَرَّقْتَهُمْ، عَلَى عِلَاتِهَا، مِلَلٌ، * وَعِنْدَ كُلِّ فَرِيقٍ أَنَّهُمْ نَاقُوا

تقفوا : ظفروا وفازوا

وَلَوْ دَرَّتْ بِمَخَازِيهِمْ بَيُوتُهُمْ هَوَتْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ تُنْظَرْهُمْ السُّقُفُ

لم تنظروهم : لم تمهلهم، السقف : السقوف

١٧٩ اقرأ كلامي

وَلَا تَقُولَنَّ، إِذَا مَا جِئْتَ مُخْزِيَةً، قَوْلَ الْغَوَاةِ: عَلَى هَذَا مَضَى السَّلَفُ

إذا فعلت فعلة شائنة فلا تقل ما يقوله الضالون من أنهم يسرون على خطي آبائهم

إِقرأ كَلَامِي إِذَا ضَمَّ الثَّرَى جَسَدِي، فَإِنَّهُ لَكَ مِمَّنْ قَالَهُ خَلْفُ

اقرأ كلامي فهو يعبر عني وينوب عني بعد موتي. ها نحن نقرأ..

١٨٠ الفكر والعقل

الْفِكْرُ حَبْلٌ مَتَى يُمَسَّكَ عَلَى طَرَفٍ مِنْهُ يُنْظَرُ بِالشَّرِّاءِ ذَلِكَ الطَّرَفُ

المعني الملموح: بالتفكير تصل إلى نجوم السماء فكانه حبل أوله في يدك وآخره في نجوم الثريا

وَالْعَقْلُ كَالْبَحْرِ، مَا غِيَضَتْ غَوَارِيهُ شَيْئاً، وَمِنْهُ بَنُو الْأَيَّامِ تَغْتَرِفُ

العقل كالبحر ما غيضت، انخفضت وجفت، غواريه، أمواجه، شيئاً، أي قليلاً، ويغترف الناس منه ومع ذلك لا ينقص..

أَبْنِي بِجَهْلِي دَاراً لَسْتُ مَالِكِهَا، أَقِيمُ فِيهَا قَلِيلاً ثُمَّ أَنْصَرِفُ

١٨١ العز عز الآخرة

خَابَ الَّذِي سَارَ عَنْ دُنْيَاهُ مَرْتَجِلاً، وَلَيْسَ فِي كَفِّهِ مِنْ دِينِهِ طَرَفُ

لَا خَيْرَ لِلْمَرْءِ إِلَّا خَيْرُ آخِرَةٍ يُبْقِي عَلَيْهِ، فَذَاكَ الْعِزُّ وَالشَّرَفُ

وَالْفَقْرُ أَرْحَمُ مِنْ مَالٍ تَبَذَّرَهُ، إِنْ افْتَقَرْتَكَ مَأْمُونٌ بِهِ السَّرَفُ

الفقر أرحم من امتلاكك مالاً تبذره، فالفقير آمن من التبذير لأنه لا يستطيعه

١٨٢ النفاق والحلف

أَمْسَى النِّفَاقُ دُرُوعاً يُسْتَجَنُّ بِهَا مِنَ الْأَذَى، وَيُقَوَّى سَرَدُهَا الْحَلِيفُ

النفاق مثل الدروع التي يستجن بها، يُتَوَارَى بها ويحتوى، والذي يقوي سرد هذه الدروع، أي نسجها، الحلف.. فالمرء منافق كاذب ويقوي نفاقه بأن يحلف

١٨٣ الصوفية

صُوفِيَّةٌ مَا رَضُوا لِلصُوفِ نِسْبَتَهُمْ، حَتَّى ادَّعَوْا أَنَّهُمْ مِنْ طَاعَةِ صُوفُوا
الصوفيون لم يرضوا بأن يكون أصل تسميتهم لبسهم الصوف، فزعموا أن الله صافاهم، اصطفاهم
واختارهم، لطاعتهم

١٨٤ ها قد عدنا يا صلاح الدين

تَهَيَّجُ صَغَائِرُ الْأَشْيَاءِ خُطْبًا جَلِيلًا، مَا سَنَاهُ بِمُسْتَشَفٍّ
صغائر الأمور تهيج، أي تثير، أمراً كبيراً لا يكون سناه، ضوءه مستشفاً، بادياً للعيان

وإن القتل في أحدٍ وبذرٍ جَنَى الْقَتْلَيْنِ فِي نَهْرٍ وَطَفٍّ

القتل الذي لحق بقریش في معركتي بدر وأحد كان سبب القتل الذي جري في نهر،
في معركة النهروان بين علي والخوارج، وفي الطف، حيث قتل جند الأمويين
الحسين بن علي وأهله.. أي أن الأحقاد لا تنسى. وقد ذكر المعري «النهر» بلفظ
«النهر» في قصيدة ألقاها على لسان الخيتور أبي هدرش في «رسالة الغفران». تعليق
أ. عبد الرحيم: [هذه فائدة جميلة. قالوا في الخانجي وصادق: لا نعلم ما يريد
بـ«النهر». وتغافل عنه عزيز زند ونصارا وفات بنت الشاطئ ذكر النهروان
بفهرس الأماكن]

١٨٥ العنصر المشترك

تَوَافَقَتِ الْيَهُودُ مَعَ النَّصَارَى عَلَى قَتْلِ الْمَسِيحِ، بِلَا اخْتِلَافٍ
وَمَا اضْطَلَحُوا عَلَى تَرْكِ الدُّنْيَا، بَلْ اضْطَلَحُوا عَلَى شُرْبِ السَّلَافِ
ما اتفق عليه اليهود والمسيحيون ليس ترك الدنيا، الرذائل، بل تحليل شرب السلاف، أي الخمر

١٨٦ رغم عيوبي

لَقَدْ نَفَقَ الرَّدِيُّ، وَرُبَّ مُرٍّ، مِنْ الْأَقْوَاتِ يُجْعَلُ فِي الصُّحَافِ
نفق الرديء، مشى سوقه، وقد ترى الطعام المر الرديء يقدم في صحاف فاخرة

وَأَكْرَمَنِي، عَلَى عَيْبِي، رَجَالٌ، كَمَا رُوِيَ الْقَرِيضُ عَلَى الزَّحَافِ

يحترمني بعض الناس رغم عيوبي، وذلك مثل بعض الشعر الذي يرويه الناس رغم ما وقع فيه من
زحاف، والزحاف تغير في الوزن كجعل متفعلاً بدل مستفعلاً

١٨٧ توحيد السيوف

إِذَا مَا أَلْحَدَتْ أُمٌّ بِجَهْلٍ، فَقَابِلْهَا بِتَوْحِيدِ السِّیُوفِ
يريد توحيد السيوف لمواجهة الملحدين. وثمة طباق كامن هنا، فمقابل التوحيد هناك تعديد غير
مذكور، فبعض المسيحيين يجعل الذات الإلهية ثلاثة أقانيم

وهذِي الْأَرْضُ لِلْمَلِكِ الْمُرَجَّى، نُلِمُّ بِهَا، كإِلِمَامِ الضِّيُوفِ
الأرض لله، ونحن نأتيها ضيوفاً

١٨٨ أيها الوالي

أَيَا وَالِي الْمِضْرٍ لَا تَظْلِمَنَّ فكم جاء مثلك ثم انصرف
تواضع، إذا ما رُزِقْتَ الْعَلَاءَ فذلك مما يزيد الشرف

١٨٩ العزلة

فَوَادُكَ خَفَّاقٌ وَبَرْقُكَ خَافِقٌ وَأَعْيَاكَ فِي الدُّنْيَا خَلِيلٌ مُوَافِقٌ
قلبك يخفق والبرق خافق، وأعجزك في الدنيا العثور على صاحب موافق. الشاعر
العامي قد يبدأ قصيده بشطر لا معنى له.. فقط حتى تقعد القافية فيقول: «يا هويدلك
يا هويدلي.. نارك ولاجنة هلي» وأبو العلاء يصنعها كثيراً. تعليق أ. عبد الرحيم:
[لا أرى هذا المطلع من تلك السبيل، فليس بالحشو. يقول: فؤادك مضطرم برجاء
الآمال، ومنها أن يكون لك خليل موافق مؤنس. في حين أن برقك لامع كذوب،
يُطمعك بلمعانٍ خاطف قبيل الغياب التام لتصير في ظلمة الحياة وحيداً فريداً!]

تَخَيَّرْ، فَلِمَّا وَحْدَةً مِثْلَ مِيتَةٍ، وَإِنَّمَا جَلِيسٌ فِي الْحَيَاةِ مُنَافِقٌ
اختر وحدة تشبه الموت، أو مجالسة المنافقين

١٩٠ سرقة السرور

أَبَى الدَّهْرُ جُوداً بِالسُّرُورِ؛ وَإِنْ دَنَا إِلَيْهِ الْفَتَى أَوْ نَالَهُ فَهَوَ سَارِقُ
أبى الدهر أن يوجد بالسرور؛ فإن نال المرء سروراً أو اقترب منه فهو يسرقه سرقة..

مَرَاذِبُ كِسْرَى مَا وَقَّتْ مُهْجَةً لَهُ وَقِصْرُ لَمْ يَمْنَعْ رَدَّاهُ الْبَطَارِقُ
مراذب كسرى، قادته، لم يحموا نفسه، وقصر لم يمنع موته البطارق، قادته

وَيَغْبُرُ فِي الْأَيَّامِ مَنْ طَالَ عَمْرُهُ، فَتَغْبُرُ، مِنْ طَوْلِ الْبَقَاءِ، الْمَفَارِقُ
يغبر، يبقى، من طال عمره فتغبر مفارق رأسه، يشتعل فيها الشيب الذي هو كالغبار

١٩١ كلنا منافق

أُنافِقُ فِي الْحَيَاةِ كَفَعَلِ غَيْرِي، وَكُلُّ النَّاسِ شَأْنُهُمُ النِّفَاقُ
أَعْلَلُ مَهْجَتِي، وَيَصِيحُ دَهْرِي أَلَا تَعْدُو؟ فَقَدْ ذَهَبَ الرِّفَاقُ
أَعْلَلُ نَفْسِي، أَرْضِيهَا، وَأَقُولُ لَهَا إِنَّ الْبَقَاءَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ نَافِعٌ، وَالزَّمَنُ يَصِيحُ بِي: هَلُمَّ، أَلَا
تَذْهَبُ؟ فَقَدْ ذَهَبَ رِفَاقُكَ

١٩٢ القمر والدرهم

وَلْيَحْذَرْ الدَّعْوَى اللَّيْبُ فَإِنَّهَا لِلْفَضْلِ مَهْلَكَةٌ، وَخَطْبُ مَوْبِقٍ
ادعاء ما ليس فيك ينقص فضلك وهو خطب موبق، مهلك

لَوْ قَالَ بَدْرُ التَّمِّ: إِنِّي دِرْهَمٌ، قَالَتْ لَهُ السُّفْهَاءُ: أَنْتَ مُزَابِقٌ
فَلَوْ قَالَ الْبَدْرُ الْمَكْتَمَلُ إِنِّي دِرْهَمٌ، أَيْ ادَّعَى أَنَّهُ أَقْلُ قِيَمَةٍ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ، لَقَالَ لَهُ
السُّفْهَاءُ: أَنْتَ دِرْهَمٌ مُزَابِقٌ، زَائِفٌ.. فَالْنَّاسُ لَا يَتَرَكُونَكَ.. فَلَا تَزْعُمُ بِأَنَّكَ جَيِّدٌ وَلَا
بِأَنَّكَ سَيِّئٌ.. كَانَ الْأَدِيبُ الْإِنْجِلِيزِيُّ سَوْمَرَسْتُ مَوْمٌ يَتَوَاضَعُ بِالْقَوْلِ إِنَّهُ لَيْسَ أَدِيبًا بَلْ
قَاصٌ.. وَبِسْرَعَةٍ أَخَذَ النِّقَادَ يَتَزَعَّوْنَ عَنْهُ صِفَةَ الْأَدَبِ

١٩٣ اللقاء المؤجل

لَا تَظْلِمُوا الْمَوْتَى وَإِنْ طَالَ الْمَدَى إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَلْتَقُوا
لَا تَظْلِمُوا الْمَوْتَى وَإِنْ طَالَ الْمَدَى يَبْنِكُمْ وَبَيْنَهُمْ، أَيْ مَاتُوا قَبْلَكُمْ بِسِنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ
تَلْتَقُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ

١٩٤ الزناديق

تَسْتَرُّوْا بِأُمُورٍ فِي دِيَانَتِهِمْ، وَإِنَّمَا دِينُهُمْ دِينُ الزَّنَادِقِ
نَكْذِبُ الْعَقْلَ فِي تَصْدِيقِ كَاذِبِهِمْ، وَالْعَقْلُ أَوْلَى بِإِكْرَامِ وَتَصْدِيقِ

١٩٥ التجار قطاع طرق

يَا تَاجِرَ الْمِضْرِ! مَا أَنْصَفْتَ سَائِمَةً، كَذَّبْتَهَا فِي حَدِيثِ مَنْكَ مَنْسُوقٍ
أَيُّهَا التَّاجِرُ فِي الْبَلَدِ مَا أَنْصَفْتَ سَائِمَةً، نَاسًا مَغْفَلِينَ كَالِدَوَابِّ، بِكَلَامِكَ الْمُنْمَقِ
إِنْ تَشْكُ قَطَعَ طَرِيقَ بِالْفَلَاةِ فَكَمْ قَطَعْتَ، مِنْ قَبْلُ، طَرَقَ النَّاسُ فِي السُّوقِ
تَشْكُرُ مِنْ قَطَاعِ الطَّرِيقِ فِي الْفَلَاةِ، الْبَرِّ، وَلَكِنَّكَ قَاطِعَ طَرِيقٍ فِي السُّوقِ تَسْرِقُ النَّاسَ

١٩٦ الله يعلم

أَمَّا الْحَقِيقَةُ، فَهِيَ أَنِّي ذَاهِبٌ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ بِالَّذِي أَنَا لَاقٍ
وَأُظَنُّنِي، مِنْ بَعْدُ، لَسْتُ بِذَاكِرٍ مَا كَانَ مِنْ يُسْرِ وَمِنْ إِمْلَاقٍ
بعد موتي لن أتذكر ما كنت لقيت في الدنيا من يسر، غنى، وإملاق، فقر

١٩٧ لا يعاد له سبك

ضَحِكْنَا، وَكَانَ الضَّحْكُ مَنَّا سَفَاهَةً، وَحَقٌّ لِسُكَّانِ الْبَسِيطَةِ أَنْ يَبْكُوا
يُحَطِّمُنَا رَبُّ الزَّمَانِ كَأَنَّا زَجَاجٌ وَلَكِنْ، لَا يُعَادُ لَهُ سَبْكُ
يحططنا الزمن كأننا الزجاج، ولكن ليس كالزجاج الحقيقي الذي يمكن سبكه مرة أخرى بعد كسره

١٩٨ السبيل الواحد

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سَمَاءٍ فَوْقَنَا بَشَرٌ، فَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ أَوْ مَا تَحْتَهَا مَلَكٌ
إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي السَّمَاءِ بَشَرٌ فَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ أَوْ تَحْتَهَا جِنٌّ
كَمْ حَلَّ حَيْثُ تَبَنَّى الْحَيُّ مِنْ أُمِّمٍ، ثُمَّ انْقَضَوْا، وَسَبِيلًا وَاحِدًا سَلَكُوا
حلت أمم كثيرة حيث تبني، عمر، الإنسان.. وذهبوا جميعاً في طريق واحد هو الموت
إِنْ تَسَأَلَ الْعَقْلَ، لَا يُوْجِدُكَ مِنْ خَيْرٍ عَنْ الْأَوَائِلِ، إِلَّا أَنَّهُمْ هَلَكُوا
العقل يخبرنا بشيء واحد فقط: أن الناس ماتوا، وأما سوى ذلك من أخبار فلا سبيل للعقل عليها

١٩٩ عمل كلا عمل

عَمَلٌ كَلَّا عَمَلٍ، وَوَقْتُ فَائِتٌ، وَيَدٌ إِذَا مَلَكَتْ رَمَتْ مَا تَمْلِكُ
هي الدنيا، نعمل فيها ويذهب أثر عملنا، ويمر الوقت، ونكسب ونرمي ما نكسب.. ثم نذهب
وَشُخُوصُ أَقْوَامٍ تَلُوحُ، فَأَمَّةٌ قَدِمَتْ مُجَدَّدَةً، وَأُخْرَى تَهْلِكُ
وتقوم أمم وتهلك أمم
أَمَّا الْجُسُومُ فَلِلثَّرَابِ مَالُهَا، وَعَيِيَتْ بِالْأَرْوَاحِ أَنَّى تَسْلُكُ
عيت بالأرواح أنى تسلك: عجزت عن فهم مصيرها

٢٠٠ لا تصلوا علي

سَأَفْعَلُ خَيْرًا مَا اسْتَطَعْتُ، فَلَا تُقَمِّمَ عَلَيَّ صَلَاةً، يَوْمَ أَصْبَحُ هَالِكًا

وفي الواقع فقد صلوا على المعري، بل وقف على قبره أربعة وثمانون شعراً يرثونه... وختمت على قبره مئتا ختمة. ذلك أنه كان معلماً، وكان كثير التلاميذ، يا لزمنا الآخرق!

وَيَنْفِرُ عَقْلِي مُغْضَبًا إِنْ تَرَكْتُهُ سُدًى، وَاتَّبَعْتُ الشَّافِعِيَّ وَمَالِكًا

٢٠١ الألوک

حَظَبْتَ إِلَى الدُّنْيَا بِجَهْلِكَ نَفْسَهَا، فَلَمْ تَسْتَطِعْ فِيمَا أُرِدْتَ سُلُوكًا

وَهَلْ يَنْكِحُ الْمَرْءُ الْمَوْفِقُ أُمَّهُ، وَلَوْ أَصْبَحَتْ بَيْنَ الرِّجَالِ هَلُوكَا؟

الهلوک: المتاجرة بجسدها

وَكَمْ حَلَّ فِيهَا مَعْشَرٌ، بَعْدَ مَعْشَرٍ مِنَ النَّاسِ، عَاشُوا سُوقَةً وَمُلُوكًا

السوقة: الناس العاديون الذي لا منصب رفيعاً لهم، والملوك: الولاة وكبار الموظفين في الدولة

فَمَا بَلَّغَتْهُمْ مِنْكَ بَعْدَ رَحِيلِهِمْ أَلُوكٌ، وَلَا أَهْدَوْا إِلَيْكَ أَلُوكًا

ألوک: رسالة

وَقَفْتَ عَلَى أَجْدَائِهِمْ وَسَلَّاتَهُمْ، فَمَا رَجَعُوا قَوْلًا وَلَا سَأَلُوكَا

أجدائهم: قبورهم، رجعوا قولاً: ردوا بكلام

وَلَا عَلِمَ لِي مِنْ أَمْرِهِمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَوْ انْتَبَهُوا مِنْ رَقْدَةٍ عَذَلُوكَا

لو انتبهوا من ضجعتهم القبرية للاموك

تَخَلَّفَتْ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ كَأَنَّهُمْ رَأَوْكَ أَخَا وَهْنٍ فَمَا حَمَلُوكَا

أنت بقيت حياً بعد الظاعنين، الراحلين، فكأنهم رأوك أخا وهن، ذا ضعف، فرفضوا أن يحملوك في القافلة معهم

٢٠٢ الأركّة

بِكُلِّ أَرْضٍ أَمِيرٌ سَوَاءٌ، يَضْرِبُ لِلنَّاسِ شَرًّا سِكَّةً

السكة: النقود

قَدْ كَثُرَ الْغِشُّ، وَاسْتَعَانْتُ بِهِ الْأَشِدَّاءُ وَالْأَرْكَةُ

الأشداء: الأقوياء، الأركّة: الركيكون.. الضعفاء. أنت تعرف لماذا اخترنا هذا البيت؟ لاستطرافنا كلمة الأركّة طبعاً

٢٠٣ ليتك

تَبَارَكَتْ يَا رَبَّ الْعَالَا، أَنْتَ صُغِّتَهَا، فَلَيْتَكَ فِي أَرْزَائِهَا لَمْ تُبَارِكْ

أنت صغت الدنيا يا رب فتباركت، لكن.. ليتك لم تبارك في أرزائها، مصائبها

أَعَانِقُهَا عِنْدَ الْوَدَاعِ تَشَبُّثًا، وَأَيُّ وَدَاعٍ بَيْنَ قَالٍ وَقَارِكِ!

أعانق الدنيا وأنا أودعها متشبثاً بها، وأي وداع هذا بين قائل، كارهه، وفارك، امرأة كارهة لرجلها!

٢٠٤ تحت التراب

بَطْنُ التَّرَابِ كِفَانِي شَرَّ ظَاهِرِهِ، وَبَيْنَ الْعَدَلِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالْمَلِكِ

الدفن تحت التراب يكفيني شر العيش فوقه، والدفن يظهر العدل بين العبد والملك فالأموات
سواسية في قبورهم

قَدْ عَشْتُ عُمْرًا طَوِيلًا، مَا عَلِمْتُ بِهِ جِسًّا يُحَسُّ لِجَنِّي وَلَا مَلَكِ

لم أشعر بوجود الجن ولا الملائكة

٢٠٥ بلا شريكة

مَتَى تُشْرِكْ مَعَ امْرَأَةٍ سِوَاهَا، فَقَدْ أَخْطَأْتَ فِي الرَّأْيِ التَّيْرِكِ

المعنى الملموح: إذا عدّدت على امرأتك أخطأت في الرأي التريك، في تركك الذي تركته وهو
الزواج بواحدة فقط

فَلَوْ يُرْجَى مَعَ الشُّرَكَاءِ خَيْرٌ لِمَا كَانَ الْإِلَهُ بِلا شَرِيكِ

٢٠٦ الدين الحق

سَبَّحْ وَصَلِّ وَطُفْ، بِمَكَّةَ، زَائِرًا سَبْعِينَ، لَا سَبْعًا، فَلَسْتَ بِنَاسِكِ

جَهْلَ الدِّيَانَةِ مَنْ إِذَا عَرَضَتْ لَهُ أَطْمَاعُهُ، لَمْ يُلَفَّ بِالْمُتَمَاسِكِ

٢٠٧ المعصية وثقب اللؤلؤة

فَلَا تُعَلِّمْ صَغِيرَ الْقَوْمِ مَعْصِيَةً، فَذَاكَ وَزْرٌ، إِلَى أَمْثَالِهِ عَدْلُكَ

لا تعلم الصغير المعصية فهذا وزر، أي ذنب، سيعدلك، سيفضي بك، إلى ذنوب أخرى عندما
يمارس الصغير المعاصي كبيراً

فالسُّلْكُ ما اسْتَطَاعَ يوماً ثَقَبَ لُؤْلُؤَةً، لكنْ أَصَابَ طَرِيقاً نَافِذاً، فَسَلَّكَ
تَعْلِيمَ الصَّغِيرِ المَعْصِيَةِ هو فَتَحَ طَرِيقَ لَه للدَّخُولِ إلى المَعَاصِي الكَثِيرَةِ.. اللُّؤْلُؤَةُ غَيْرُ المَثْبُوتَةِ لا
يَدْخُلُ فِيهَا السُّلْكُ، الخِيطُ النَاطِمُ، فإذا ثَقَبْتَهَا فَقَدْ يَسُرَتْ دَخُولُهُ مَراراً

٢٠٨ الصِّباح والليل

الصَّبْحُ أَصْبَحُ، وَالظَّلَا مٌ كَمَا تَرَاهُ، أَحَمُّ حَالِكَ
الصِّباح مَشْرِقٌ، وَالظَّلَامُ أَحَمٌ، أَيُّ أَسْوَدٌ، حَالِكٌ

يَتَبَارَيَانِ وَيَسْأَلُكَ نِ، إِلَى الْوَرَى، ضَيِّقُ الْمَسَالِكِ
وَهُمَا يَتَنَافَسَانِ فِي الدَّخُولِ إِلَى الْوَرَى، النَّاسُ، كَيْ يَفْنِيَا الْأَعْمَارَ

أَسَدَانِ يَفْتَرِسَانِ مَنْ مَرَّ بِهِ، فَأَبَهُ لِذَلِكَ
فَأَبَهُ لِذَلِكَ: انْتَبَهْ لِذَلِكَ

أَوْدَى الْمَلُوكُ عَلَى احْتِرَا سِيهِمْ، وَلَمْ تَبْقَ الْمَمَالِكُ
لَا يُكْذِبَنَّ مُؤَجَّلٌ: مَا سَالَمَ إِلَّا كَهَالِكَ
لَا يَنْخَدَعَنَّ مِنْ تَأْجِلِ مَوْتِهِ، فَالسَّالِمُ مِنْ مِثْلِ الْهَالِكِ

يَا رِضْوَانُ! لَا أَرْجُو لِقَاءَ عَاكَ، بَلْ أَخَافُ لِقَاءَ مَالِكَ
يَا رِضْوَانُ، خَازِنُ الْجَنَّةِ، لَسْتُ رَاجِئاً دُخُولَ جَنَّتِكَ بِقَدْرِ خَوْفِي مِنْ لِقَاءِ مَالِكِ، خَازِنِ جَهَنَّمَ

٢٠٩ تَوَكَّلْ

يَا خَالِقَ الْبَدْرِ وَشَمْسِ الضُّحَى مُعَوِّلِي فِي كُلِّ حَالٍ عَلَيْكَ

كَيْفَ يَفْهَمُ الْمَشْرِقُ هَذَا الْبَيْتَ؟ يَفْهَمُهُ: «يَا خَالِقَ الْقَمَرِ وَالشَّمْسِ، أَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَيْكَ». وَكَيْفَ يَفْهَمُ الْعَرَبِيُّ اللِّسَانَ الْبَيْتَ؟ يَرَى فِيهِ دَعَاءَ مَنْعَمٍ. يَسْتَدْعِي الْبَيْتَ فِي عَقْلِ الْعَرَبِيِّ أَنْشِيدَ كَثِيرَةً وَأَقْوَالاً مِنْ أَقْوَالِ الْمُتَصَوِّفَةِ. يَذْكُرُنِي الْبَيْتَ بِتَلْبِيَةِ حُجَّاجِ بَيْتِ اللَّهِ، لِقَافِيَتِهِ «عَلَيْكَ» = لِيَكِ اللَّهُمَّ لِيَكُ. وَبَدَايَتُهُ بِـ «يَا» الْمَمْدُودَةِ وَبَعْدَهَا «خَالِقُ» الْمَمْدُودَةِ فِيهَا جَارٌ بِالْدَّعَاءِ. الْآنَ فَقَطْ أَدْرِكُ لِمَاذَا أَكْرَهَ كِرَاهِيَةً شَدِيدَةً الْاسْتِشْهَادَ بِالشَّعْرِ فِي اللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ وَفِي الْعَرَبِيَّةِ أَيْضاً.. فِي الْإِنْجِلِيزِيَّةِ لَا أَفْهَمُ مِنْ دَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ، وَمِنْ الْإِشَارَاتِ الْغَامِضَةِ إِلَّا الْقَلِيلَ. وَفِي الْعَرَبِيَّةِ تَأْخُذُنِي آيَاتُ الشَّعْرِ الْوَارِدَةِ فِي سِيَاقِ نَثْرِ بَعِيدٍ.. تَأْخُذُنِي إِلَى عَالَمِهَا الْخَاصِّ، وَلُغَتِهَا الْخَاصَّةِ. وَلِهَذَا السَّبَبُ وَحْدَهُ، فَأَنَا فِي الْمَقْدِمَاتِ الَّتِي أَعْقَدُهَا فِي بَدَايَاتِ الْفُصُولِ أَحَاوِلُ جَاهِداً تَجَنُّبَ الْاسْتِشْهَادِ بِالشَّعْرِ، فَإِنْ اضْطَرَرْتُ إِلَى بَيْتٍ كَتَبْتُهُ خَالِطاً إِيَّاهُ بِالنَّثْرِ، وَلَمْ أَفْرِدْ لَهُ سَطْراً وَحِدهُ، فَأَنَا أَسْتَشْهَدُ بِالْبَيْتِ لِدَاعٍ مَعْنَوِي مُحَضَّرٍ وَلَيْسَ لِكِي أَجْعَلَ قَارِئِي يَعِيشُ أَجْوَاءً. وَأَكْتُبُ ضَمْنَ الْقِصَائِدِ شَرْحَ الْآيَاتِ بِالْحَرْفِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَتَجَنَّبَ الشَّرْحُ مِنْ اسْتِغْنَى عَنْهُ يَسِيرَ

وثمة مسألة أخرى مهمة، للشعر فيها ما ليس للنثر، هي مزية إن شئت، وهي عبء إن شئت. هي «المرجعية الوزنية». وكى أشرحها أقص عليك خبر صديقي ي. م. ن. الذي كان مجنون محمد عبد الوهاب وألحانه - ورغم أن صديقي رجل مصلٌ فقد كان يلقب الموسيقار المعروف «سيدنا محمد». غفر الله له .. الشاهد في الموضوع أن صديقي كان يتذوق لعبد الوهاب أكثر ما يتذوق أغاني الخمسينات من قبيل «علشان الشوك اللي في الورد أحب الورد» وما إليها من نهاونديات كان عبد الوهاب يجاري فيها عصراً جديداً، وبالمقابل فإن ذوقي أنا كان يتسع لأقدم من ذلك بحكم السن، فأنا أحب ما يسمونه بعبد الوهاب القديم، فقد كان موسيقارنا يبعث نفسه من جديد في كل عقد من الزمان حتى يلقي القبض على مستمعين شباب جدد. ورغم أن بينه وبين بليغ حمدي الشاب ثلاثين سنة فقد أخذ عبد الوهاب يباريه في التجديد والتعصير، وكان الميدان حجرة أم كلثوم. ثمة «مرجعية نغمية» لكل واحد منا، عرفها أحمد شوقي جيداً وقال فيها شعراً - ستجده في جزء رابع من كتابنا الكبير هذا، الذي بيدك جزؤه الثالث .. وكان لنا في عصور الشعر العربي المتطاولة «مرجعية وزنية». ها قد اقترنا من الموضوع. كان عربي اللسان يسمع البيت «يا خالق البدر وشمس الضحى» فترن الكلمات في أذنيه رنيناً مزدوجاً .. ترن في أذنه أحرف المد، وعندما يأتي الشطر الثاني «معوّلي في كل حال عليك» يرن في أذنه التشديد في كلمة «معوّلي» فيحس كأن الشاعر يتضرع إلى ربه متشدداً. هذه واحدة. والثانية: يرن في أذن العربي اللسان الوزن .. (تَمْ تَمْ تَمْ - تَمْ تَمْ تَمْ - تَمْ تَمْ) وحتى لو لم يعرف أن هذا الوزن يسمى بالبحر السريع، وأنه في عرف العروضيين (مستقلن مستعلن فاعلن) فهو يحسه، ثم هو يسمعه من شيخه في الكتاب أو أستاذه في المدرسة مقروءاً قراءة صحيحة، ومنغماً. فهذه «المرجعية الوزنية» عنصر آخر يعمق الإحساس بالشعر. ومن ذا قال لك أيها الحدائي إن البشر لا يحبون الإيقاع، ومن ذا قال لك إن الرقص حرام؟ واليوم .. قرر العرب أن يسطّوا أوزانهم، فكان شعر التفعيلة، ثم قرروا مرة أخرى أن يجعلوا الشعر بلا إيقاع وزني، مكتفين بتوالي أحرف المد والشد، وسموا ذلك «الموسيقى الداخلية». عندما يخرج الرزُّ من بين يدي ربة البيت مبرّراً غير ناضج تجرشه الأضراس جرشاً، فخير ما تصنعه تلك السيدة أن تقول لزوجها: هذا رز «آل دانتية» على الطريقة الإيطالية. وعليه أن يصدقها، وأن يستمتع بهذا الجريش

٢١٠ التقمص

يقولون: إِنَّ الْجِسْمَ يُنْقَلُ رُوحُهُ إِلَى غَيْرِهِ، حَتَّى يَهْدُبَهَا النَّقْلُ

أهل التقمص يقولون إن الروح تنتقل بالموت إلى جسم آخر يكون أشرف من الأول إن كان الإنسان صالحاً فالروح تنهدب بالانتقال وتسمو

فَلَا تَقْبَلُنْ مَا يُخْبِرُونَكَ ضِلَّةً، إِذَا لَمْ يُؤَيِّدْ مَا أَتَوَكَ بِهِ الْعَقْلُ

لا تقبل كلامهم المضلل، وحكم عقلك

٢١١ القارئ المترنم

وَكَمْ مِنْ فَقِيهِ خَاطِطٍ فِي ضَلَالَةٍ، وَحُجَّتُهُ فِيهَا الْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ
وَقَارِئُكُمْ يَرْجُو بِتَطَرُّبِهِ الْغِنَى، فَأَصَنَ كَمَا غَنَى لِيَكْسِبَ زُلْزُلُ

قارئ القرآن يترنم به راجياً نيل مال على قراءته، فقد آص، أي أصبح، مثل المغني المشهور «زلزل» الذي يغني ليكسب

٢١٢ الساعات الساعيات

نَقْضِي الْمَآرِبَ، وَالسَّاعَاتُ سَاعِيَةً، كَأَنَّهُنَّ صِعَابٌ تَحْتَنَا ذُلُّ

نقضي المآرب، الحاجات في هذه الدنيا، والساعات تسعى بنا كأنها صعاب، إبل صعبة، لكنها تحتنا ذلل، أي إبل مدللة سهلة القيادة.. فالساعات تسير بنا نحو الموت

وَاللَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يُفْنِي بَرِيَّتَهُ، مِنْ غَيْرِ سَقَمٍ، وَلَكِنْ جُنْدُهُ الْعِلَلُ

يمكن لله إماتتنا بغير المرض، ولكنه يتخذ من العلل، الأمراض، جنداً ينفذون فينا حكم الإعدام

٢١٣ دين وكفر

دِينٌ وَكَفَرٌ، وَأَنْبَاءٌ تُقْصُّ، وَفُرْ قَانَ يُنْصَرُ، وَتَوْرَاةٌ، وَإِنْجِيلُ

ينص: يرفع ويتم إسناده

فِي كُلِّ جِيلٍ أَبَاطِيلٌ يُدَانُ بِهَا، فَهَلْ تَفَرَّدَ يَوْمًا بِالْهُدَى جِيلٌ؟

٢١٤ كلام له ما وراءه

قُلْتُمْ: لَنَا خَالِقٌ حَكِيمٌ، قُلْنَا: صَدَقْتُمْ كَذَا نَقُولُ

زَعَمْتُمُوهُ بِلَا مَكَانٍ وَلَا زَمَانٍ، أَلَا فَقُولُوا:

هَذَا كَلَامٌ لَهُ خَبِيءٌ، مَعْنَاهُ لَيْسَتْ لَنَا عُقُولُ

خبيء: معنى مستر

٢١٥ لو..

مَا أَطْيَبَ الْعَيْشَ عِنْدَ قَوْمٍ لَوْ أَنَّهُ كَانَ لَا يَزُولُ

عند قوم؟ بل عند كل قوم يا عم!

٢١٦ مسيرون لا مخيرون

إِنْ كَانَ مَنْ فَعَلَ الْكِبَائِرَ مُجْبَرًا، فِعِقَابُهُ ظُلْمٌ عَلَى مَا يَفْعَلُ
وَاللَّهُ، إِذْ خَلَقَ الْمَعَادِينَ، عَالِمٌ أَنَّ الْجِدَادَ الْبَيْضَ مِنْهَا تُجْعَلُ

الله يعلم، إذ خلق الحديد، أن السيف الحداد، الحادة، البيضاء اللامعة ستصنع من هذا الحديد .

٢١٧ جهل كله

يَتَحَارَبُ الطَّبْعُ الَّذِي مُزِجَتْ بِهِ مُهْجُ الْأَنَامِ، وَعَقْلُهُمْ فَيَفْلُهُ
الطبع والعقل يتحاربان . . والطبع يثلمه ويغلبه

وَيَظَلُّ يَنْظُرُ، مَا سَنَاهُ يَنَافِعُ، كَالشَّمْسِ يَسْتُرُهَا الْغَمَامُ وَظِلُّهُ
العقل ينظر ولا ينفعه سناه، ضوءه . . فكأنه الشمس التي يستر ضوءها الغيم

حَتَّى إِذَا حَضَرَ الْجَمَامُ، تَبَيَّنُوا أَنَّ الَّذِي فَعَلُوهُ جَهْلٌ كُلُّهُ
وبحضور الموت يتضح للناس أن كل ما فعلوه وفكروا فيه بقولهم جهل

٢١٨ الدهر الهاجي

لَوْ نَطَقَ الدَّهْرُ مَجَا أَهْلَهُ، كَأَنَّهُ الرُّومِيُّ أَوْ دَغِبِلُ
كان الدهر الشاعران الهجاءان ابن الرومي أو دعبيل الخزاعي

فَلَيْتَ حَوَاءَ عَقِيمٍ عَدَتْ لَا تَلِدُ النَّاسَ وَلَا تَحْبِلُ

٢١٩ أبونا الفسل

فَسَلُّ أَبُو عَالَمِنَا آدَمَ، وَنَحْنُ مِنَ الْإِدْنَا أَفْسَلُ
أبونا آدم فسل، أي صغير القدر، ونحن اصغر منه قدراً

وَالْأَرْضُ لِلطُّوفَانِ مُشْتَاقَةٌ، لَعَلَّهَا مِنْ دَرَنِ تُغْسَلُ

درن: وسخ

٢٢٠ حسن الختام

جَمِيعُنَا يَخْبِطُ فِي جِنْدِسٍ، قَدْ اسْتَوَى النَّاشِئُ وَالْكَهْلُ

الجنديس: الظلام

حَانَ رَحِيلُ النَّفْسِ عَنْ عَالَمٍ مَا هُوَ إِلَّا الْعَذْرُ وَالْجَهْلُ
إِنْ خَتَمَ اللَّهُ بِغُفْرَانِهِ فَكُلُّ مَا لَا قَيْثُهُ سَهْلُ

٢٢١ حب الغنى

تَبْغِي الثَّرَاءَ، فَتُعْطَاهُ وَتُخْرِمُهُ، وَكُلُّ قَلْبٍ عَلَى حَبِّ الْغِنَى جُبِيلاً

٢٢٢ العاقل والدين

هَفَّتِ الْحَنِيفَةُ، وَالنَّصَارَى مَا اهْتَدَتْ، وَيَهُودُ حَارَتْ، وَالْمَجُوسُ مُضَلَّلَةٌ

هفت: من الهفوة، غلطت

إِنْسَانٍ أَهْلُ الْأَرْضِ: ذُو عَقْلٍ بِلَا دِينٍ، وَآخِرُ دَبْنٍ لَا عَقْلَ لَهُ

ستعب الملتزمين لك وجه إيمان يا أبا العلاء مع بيت كهذا

٢٢٣ إمام المسجد

طَلَبَ الْخَسَائِسَ، وَارْتَقَى فِي مَنِيرٍ، يَصِفُ الْحِسَابَ لِأُمَّةٍ لِبَهْوَلِهَا

إمام يطلب الرزق الخسيس في مهنته ويصعد المنبر ليهول الناس، أي ليخوفهم، من الحساب في الآخرة

وَيَكُونُ غَيْرَ مُصَدِّقٍ بِقِيَامَةٍ، أَمْسَى يُمَثِّلُ، فِي النَفُوسِ، ذُهُولَهَا

وهو رجل جشع همه معيشته وتحصيل رزقه ولا يصدق في أعماق أعماقه بالقيامة، لكنه يصف لنفوس مستمعيه الذهول الذي يعتري الناس فيها. أ. عبد الرحيم:
[حدثني المسيري، رحمه الله، عن إمام ببلدته دمنهور، كان ملحدًا، وكان يستغفل الناس ويخطب بأشعار البياتي! لا أدري لِمَ البياتي بالذات؟! وكتب هذا في سيرته]

٢٢٤ المفترون

لَا يَكْذِبُ النَّاسُ عَلَى رَبِّهِمْ، مَا حُرِّكَ الْعَرْشُ، وَلَا زُلْزَلَا

فليتورع الناس عن الكذب على ربهم، أي الافتراء بحقه، والقول بأن عرشه يزلزل لما يرتكبه العصاة من الكبائر، فعرض الله لا يزلزل

أَمَلَّنِي الدَّهْرُ بِأَحْدَاثِهِ، فَاشْتَقْتُ، فِي بَطْنِ الثَّرَى، مَنْزِلَا

أسأمني الدهر بمصائبه، وصرت مشتاقاً إلى منزلي في بطن الأرض، أي القبر

٢٢٥ عش بخيلاً

عَشْ بِخَيْلًا، كَأَهْلِ عَضْرِكَ هَذَا وَتَبَالَهُ، فَإِنَّ دَهْرَكَ أَبْلَهُ
تَبَالَهُ: ادَّعِ الْبَلَهَ وَالْغَبَاءَ

إِنْ تُرِدْ أَنْ تَخْصَّ حُرًّا، مِنْ النَّاسِ، بِخَيْرٍ، فَخْصْ نَفْسَكَ قَبْلَهُ

٢٢٦ إمامي عقلي

لَقَدْ صَدِئْتُ أَفْهَامُ قَوْمٍ، فَهَلْ لَهَا صِقَالٌ، وَتَحْتَاجُ الْحُسَامُ إِلَى الصَّقْلِ؟
وَكَمْ غَرَّتْ الدُّنْيَا بَنِيهَا؛ وَسَاءَنِي مَعَ النَّاسِ، مَيَّنْ فِي الْأَحَادِيثِ وَالنَّقْلِ
مَيَّنْ: كَذَبَ

سَأْتَبِعُ مَنْ يَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ جَاهِدًا، وَأَرْحَلُ عَنْهَا، مَا إِمَامِي سِوَى عَقْلِي
إِمَامِي: دَلِيلِي

٢٢٧ تعب الرسل

إِذَا كُنْتَ تُهْدِي لِي، وَأَجْزِيكَ مِثْلَهُ، فَإِنَّ الْهَدَايَا بَيْنَنَا تَعَبُ الرُّسُلِ
مَا دَامَتِ الْهَدَايَا مِثْلًا بِمِثْلِ فَلَيْسَ مِنْ وَرَائِهَا سِوَى تَعَبِ سَعَةِ الْبَرِيدِ

٢٢٨ يضمحل

أَخِلْتُ عَمودَ الدِّينِ فِي الْأَرْضِ ثَابِتًا وَفِي كُلِّ يَوْمٍ يَضْمَحِلُّ عَلَى مَهْلٍ؟

٢٢٩ صلى الله على محمد

دَعَاكُمْ إِلَى خَيْرِ الْأُمُورِ مُحَمَّدٌ، وَلَيْسَ الْعَوَالِي فِي الْقَنَا كَالسَّوَابِلِ
لَيْسَ الرِّمَاحُ الْعَالِيَةُ الْمَصُوبَةُ لِلْأَعْدَاءِ كَالسَّوَابِلِ الْمُنْكَةِ

وَأَلْزَمَكُمْ مَا لَيْسَ يُعْجِزُ حَمْلُهُ أَخَا الضَّعِيفِ مِنْ فَرَضٍ لَهُ وَنَوَافِلِ
الزَّمَكُم بِأُمُورٍ لَا يُعْجِزُ حَمْلُهَا الْإِنْسَانَ الضَّعِيفَ مِنْ فُرُوضٍ وَنَوَافِلِ، عِبَادَاتٍ إِضَافِيَّةٍ

وَحَثَّ عَلَى تَطْهِيرِ جِسْمٍ وَمَلْبَسٍ، وَعَاقَبَ فِي قَذْفِ النِّسَاءِ الْفَوَاضِلِ
عَاقَبَ عَلَى قَذْفِ النِّسَاءِ الْفَاضِلَاتِ، اتِّهَامَهُنَّ بِالْبَاطِلِ

فَصَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ، مَا ذَرَّ شَارِقٌ، وَمَا فَتَّ مِسْكَاً ذِكْرُهُ فِي الْمَحَافِلِ
 صلى الله على محمد كلما ذر شارق، طلعت الشمس، وكلما عطر ذكره المجالس كأنه تفتت
 المسك فيها

٢٣٠ أعاني منفرداً

وَهَوْنٌ أَرْزَاءَ الْحَوَادِثِ أَتْنِي وَحِيدٌ، أَعَانِيهَا بِغَيْرِ عِيَالٍ
 قَدْ عَنِي وَأَهْوَالُ أَمَارِسُ صَنَكْهَا، وَإِيَّاكَ عَنِّي، لَا تَقِفْ بِحِبَالِي
 التسويد من أحمد عبد الرحيم، وأضاف: [هذا بيت شديد]

٢٣١ بعد الخمسين هبوط فقط

إِذَا أَنَا عَلَى الْخَمْسِينَ بِالْعُهَا فَلْيُضْمِرِ الْيَأْسَ مِنْ سَعْدٍ وَإِقْبَالٍ
 إذا أناف المرء، أي زاد، عن الخمسين سنة فليضمّر في قلبه يأساً من السعد، الحظ الحسن،
 والإقبال، إشراق الدنيا في وجهه

٢٣٢ أقدار مرتبة

لَمْ يَسْقِكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ حُسْنِ فَعْلِكُمْ وَلَا حِمَاكُمْ عَمَاماً سَوْءَ أَعْمَالٍ
 لَا يُنْزِلُ اللَّهُ الْمَطَرَ عَلَيْكُمْ لِحَسَنِ فَعْلِكُمْ وَلَا يَحْمِيكُمْ الْغَمَامَ، يَمْنَعُكُمْ مِنَ الْغَيْمِ، لِسَوْءِ أَعْمَالِكُمْ
 وَإِنَّمَا هِيَ أَقْدَارُ مَرْتَبَةٍ، مَا عُلِّقَتْ بِإِسَاءَاتٍ وَإِجْمَالٍ
 هذه أقدار مرتبة سلفاً بقانون لا يتغير، ولا علاقة لها بإساءات أو إجمال، أي بصنع الفعل الجميل
 دَلِيلُ ذَلِكَ أَنَّ الْحُرَّ أَعْوَزَهُ قُوْتُ، وَأَنَّ سِوَاهُ فَازَ بِالْمَالِ
 والدليل على أن الأمر بقانون ثابت أن الشخص الحر يعوزه الطعام، بينما غيره من لثام الناس يثري

٢٣٣ كلهم ساقطون

لَوْ غُرِبِلَ النَّاسُ، كَيْمَا يَعْدِمُوا سَقَطًا - لَمَّا تَحَصَّلَ شَيْءٌ فِي الْغَرَابِيلِ
 لو غربلنا الناس بالغرابيل، المناخل الكبار، لكي يتم التخلص من السقط، الزوان والشوائب،
 لسقط الناس من فتحات الغرابيل لأنهم كلهم شوائب.. وما بقي شيء

هَلْ يَنْظُرُونَ سِوَى الطُّوفَانِ يُهْلِكُهُمْ كَمَا يُقَالُ، أَوِ الطَّيْرِ الْأَبَابِيلِ؟

٢٣٤ كل شيء هالك إلا وجهه

نَمُوتُ لِأَنَّا حُلَفَاءُ نَقْصٍ، وَيَبْقَى مَنْ تَفَرَّدَ بِالْكَمَالِ
حلفاء نقص: ذوو نقص وعيوب

٢٣٥ أبو النزول

عَرَفْتُكَ جَيِّدًا، يَا أُمَّ دَفَرٍ، وَمَا إِنْ زِلْتِ ظَالِمَةً قَزُولِي
أم دفر: الدنيا، ما إن زلت: ما زلت

دُعِيتُ أبا العلاء، وَذَاكَ مَيِّنٌ، وَلَكِنَّ الصَّحِيحَ أَبُو النُّزُولِ
ميين: كذب

٢٣٦ أنا وأنتم وصالح

نَجَّى الْمَعَاشِيرَ مِنْ بَرَاثِنِ صَالِحٍ رَبِّ يُفَرِّجُ كُلَّ أَمْرٍ مُغْضِلٍ
نجى الله الناس من مخالب الأمير صالح بن مرداس، وهو يفرج كل أمر صعب

مَا كَانَ لِي فِيهَا جَنَاحٌ بَعُوضَةٍ، وَاللَّهِ أَلْبَسَهُمْ جَنَاحَ تَفْضُلٍ
وليس لي في الأمر جناح بعوضة، أي أدنى تأثير، والله هو من ألبس الناس جناح فضله وحمايته.
وكان أهل المعرة أرسلوا أبا العلاء شفيعاً إلى صالح في قضية، انظر القطعة ١٠١

٢٣٧ موت الوليد

أَعْجَبْتُ لِلطِّفْلِ الْوَلِيدِ بِمَهْدِهِ، لَمْ يَخْطُ، كَيْفَ سَرَى بِغَيْرِ رَوَاحِلٍ
هل تتعجب من الطفل الوليد في مهده، ولما يمشي، كيف سرى، سار، بغير رواحيل، بدون إبل..
أي أنه مات

قَدْ عَاشَ يَوْمَيْهِ وَعُمُرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ اسْتَرَاخَ مِنَ الْمَدَى الْمُتَمَاحِلِ
المتماحل: البعيد

كَمْ سَارَ مِنْ سَنَةِ أَبُوهِ، فَيَا لَهُ، قَطَعَ الْمَسَافَةَ فِي ثَلَاثِ مَرَاحِلٍ
أبوه سار سنين كثيرة، ولكن الرضيع قطع المسافة في ثلاث مراحل، في ثلاثة أيام فقط.. فكان
الوصول للموت هو النهاية السعيدة

رُفِعَتْ لَهُ لَجَجُ الْبِحَارِ فَعَامَهَا ، وَنَجَا وَأَصْبَحَ سَالِمًا بِالسَّاحِلِ
رفعت، أي ظهرت، للولد لجج البحار، مياها العميقة، فسيح فيها ونجا من شرور الحياة ووصل
سالمًا إلى ساحل الموت

٢٣٨ الأذى الغافل

حَبَّبْنَا الْعَيْشَ، وَالزَّمَانَ غَرِيرٌ وَالْفَتَى مَا اسْتَجَدَّ حُلَّةَ كَهْلٍ
ما أجمل العيش والزمان غرير، صغير غير مجرب.. يقصد الفتى صغير عُمرًا، ولم يجدد لباس
الشباب بلباس الكهولة

وَحُمُولِي يَذُودُ عَنِّي الرَّزَايَا، نَامَ عَنِّي الْأَذَى فَلَمْ يَنْتَبِهْ لِي
حمولي، عدم شهرتي، يذود عني الرزايا، يدرأ عني الشرور، فلا ينتبه لي الأذى

٢٣٩ قريش الزائلة.. ومكة!

سَيَسْأَلُ نَاسٌ: مَا قُرَيْشٌ وَمَكَّةُ، كَمَا قَالَ نَاسٌ: مَا جَدِيسٌ وَمَا طَسْمُ؟
جديس وطسم: من الأمم البائدة

٢٤٠ الاستسقاء العبي

قَضَى اللَّهُ فِي وَقْتٍ مَضَى أَنْ عَامَكُمُ يَقِلُّ حَيَاةُ، أَوْ يَزِيدُ بِهِ السَّجْمُ
قضى الله قديمًا أن عامكم سيقل حياه، أي مطره، أو سيزيد به السجم، المطر

فَقُولُكُمْ «رَبِّ اسْقِنَا»، غَيْرُ مُنْطَرٍ. وَلَكِنْ بِهَذَا دَانَتْ الْعُرْبُ وَالْعُجْمُ
لذا فقولكم: «رب اسقنا» لا يأتي بالمطر.. ولكن هي عادة

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ تَهْجُمُونَ بِجَهْلِكُمْ، وَأَعْيَاكُمُ يَوْمًا، عَلَى رَشْدٍ، هَجْمُ

٢٤١ المجهول

سَارَحَلُ عَنْ وَشِكٍ وَلَسْتُ بِعَالِمٍ، عَلَى أَيِّ أَمْرٍ، لَا أَبَاكَ، أَقْدَمُ
سأرحل قريبًا ولا أعرف إلى أي شيء أنا قادم

فَإِنْ لَمْ تَكُنْ إِلَّا الْحَيَاةُ وَبَيْنُهَا فَلَسْتُ عَلَى أَيَّامِهَا أَتَنَدَّمُ
إن كان الأمر كله هذه الحياة وبينها، رحلي عنها، فلست نادماً على أيامها

٢٤٢ العقيم

إِذَا شِئْتَ يَوْمًا وَضَلَّةً بِقَرِينَةٍ، فَخَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ عَقِيمُهَا

٢٤٣ الناس للناس

النَّاسُ بِالنَّاسِ مِنْ حُضْرٍ وَبَادِيَةٍ بَعْضٌ لِبَعْضٍ، وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا، خَدَمُوا

٢٤٤ ما أعتاكم!

كَمْ تُوعِظُونَ فَلَا تَلِيْنَ قُلُوبُكُمْ، فَتَبَارَكَ الْخَلْقُ، مَا أَعْتَاكُمْ!

ما أعتاكم: ما أشد ظلمكم

إِنَّ الضَّلَالَةَ كَالْغَرِيزَةِ فِيكُمْ، يَأْوِي إِلَيْهَا كَهْلُكُمْ وَفَتَاكُمْ

٢٤٥ أمك ثم أمك

تَصَدَّقْ عَلَى الْأَعْمَى بِأَخْذِ يَمِينِهِ، لِتَهْدِيَهُ، وَامْنُنْ بِإِفْهَامِكَ الصُّمَّ

امنن: تكرر

وَأَعْطِ أَبَاكَ النُّصْفَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَفَضِّلْ عَلَيْهِ مِنْ كِرَامَتِهَا الْأُمَّ

النصف: العدل

أَقْلَكَ خِفًّا، إِذَا أَقْلَتَكَ مُثْقَلًا، وَأَرْضَعَتِ الْحَوْلِينَ وَاحْتَمَلَتْ تِمًّا

أبوك حملك خفيفاً في صلبه، وأمك حملتك ثقيلاً في بطنها، وأرضعتك عامين واحتملت إتمامهما. إشارة إلى الآية «والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين...»

وَأَلْقَتْكَ عَنْ جَهْدٍ، وَأَلْفَاكَ لَذَّةً، وَضَمَّتْ وَشَمَّتْ مِثْلَمَا ضَمَّ أَوْ شَمَّ

ألقتك، ولدتك، عن جهد، بصعوبة، وأما الأب فالقائك لذة. وهي حنت عليك وضمنك وشمكت مثل الأب لا أقل

٢٤٦ ابن وقتي

إِذَا مَرَّ أَعْمَى، فَارْحَمُوهُ وَأَيِّقِنُوا، وَإِنْ لَمْ تُكْفُوا، أَنْ كُلَّكُمْ أَعْمَى

وان لم تكفوا: إن لم تكونوا كفيفين

عَدَوْتُ ابْنَ وَقْتِي، مَا تَقْضَى نَسِيتُهُ وَمَا هُوَ آتٍ لَا أَحِسُّ لَهُ طَعْمًا

٢٤٧ قطع الرحم

نَفَضْتُ عَنِّي تُرَابًا، وَهُوَ لِي نَسَبٌ وَذَاكَ يُحَسِّبُ مِن قَطْعِ الْفَتَى الرَّحِمَا
نفضت التراب عن ثيابي.. وأنا مخلوق من تراب.. فكانني متكر لأصلي وقاطع رحمي

٢٤٨ مقايضة

مِن بَاعَنِي بِحَيَاتِي مِيتَةً سُرْحًا بَايَعْتُهُ، وَأَهَانَ اللَّهُ مَن نَدِمَا
من يفايضني بحياتي ميتة سرحاً، فسوف أقبل المقايضة، ولعن الله من يندم ويتراجع
فَالآنَ شَارَفْتُ جَيْشَ الْحَتَفِ، وَاقْتَرَبْتُ دَارُ أَكَادُ إِلَيْهَا أَرْفَعُ الْقَدَمَا
لقد شارفت جيش الحنف، اقتربت من الموت، واقتربت مني دار أكاد أرفع قدمي لدخولها
وَشَادَ إِيوَانَ كَسْرَى مَعَشَرٌ طَلَبُوا ثَبَاتَهُ، وَتَمَادَى الْوَقْتُ، فَانْهَدَمَا
وشاد إيوان كسرى معشر طلبوا ثباته، وتماذى الوقت، فانهدما

٢٤٩ عدو من صلبك

وَجَدْتُ الْمَوْتَ لِلْحَيَوَانِ دَاءً وَكَيْفَ أَعَالِجُ الدَّاءَ الْقَدِيمَا!
الحيوان: الأحياء من بشر وحيوانات

وَمَا دُنْيَاكَ إِلَّا دَارُ سَوَاءٍ، وَلَسْتُ عَلَى إِسَاءَتِهَا مُقِيمَا
أرى وَلَدَ الْفَتَى عِبْثًا عَلَيْهِ.. لَقَدْ سَعِدَ الَّذِي أَمْسَى عَقِيمَا
أَمَا شَاهَدْتَ كُلَّ أَبِي وَلِيدٍ يَوْمَ طَرِيقَ حَنْفٍ مُسْتَقِيمَا؟
يَوْم: يتجه

فَلَمَّا أَنْ يُرَبِّيهِ عَدُوًّا، وَإِنَّمَا أَنْ يَخْلُقَهُ يَتِيمَا
الأب يربي ابنه ليصبح عدواً له، أو ليموت عنه ويتركه يتيمًا

٢٥٠ جلوس على السياج

قَالَ الْمَنْجَمُ وَالطَّبِيبُ كِلَاهُمَا: لَا تُحَشِّرُ الْأَجْسَادُ. قُلْتُ: إِلَيْكُمَا
إليكما: ابتعدا

إِنْ صَحَّ قَوْلُكُمَا، فَلَسْتُ بِخَائِرٍ، أَوْ صَحَّ قَوْلِي، فَالْخَسَارُ عَلَيْكُمَا

٢٥١ الكذب آخر الدواء

أُصْدَقْ إِلَى أَنْ تَنْظُرَ الصَّدَقَ مَهْلَكَةً وعند ذلك فاقمُدْ كَاذِباً وَثِمَ
ابقِ صادقاً إلى أن تشعر بأن الصدق سيؤدي بك إلى الهلاك فعندئذ اكذب

٢٥٢ لا أعيد

لَعَمْرُكَ، مَا أَسْرُّ بِيَوْمٍ فِظِيرٍ، وَلَا أَضْحَى، وَلَا بِغَدِيرٍ خُبْمٍ
غدير خم: يوم يحتفل فيه الناس، وخصوصاً الشيعة، وعند هذا الغدير برأ النبي ساحة علي من
تهم نسبت إليه، ويقول الشيعة إن النبي أعلن علياً وصياً هناك

وَكَمْ أَبْدَى تَشْيِعَهُ غَوِيٌّ لِأَجْلِ تَنْسُبٍ بِبِلَادٍ قُمْ
كثيراً ما يبدي شخص غوي ضال تشييعه لمجرد انتسابه لقم في إيران، وهي مدينة كان سكانها منذ
القدم من الشيعة

٢٥٣ فرعون كموسى

دَنِيَا مُمَّ نَارٌ بِلَا جَنَّةٍ فَالْقَوْمُ مِنْهَا فِي عَذَابٍ أَلِيمٍ
مَا نَالَ فِرْعَوْنُ بِهَا نِعْمَةً، وَلَا صَفَا عَيْشٌ لِمُوسَى الْكَلِيمِ
الكليم: الذي كلمه الله في سيناء

٢٥٤ كلنا أعمى

خَالِقٌ، لَا يُشَكُّ فِيهِ قَدِيمٌ، وَزَمَانٌ، عَلَى الْأَنَامِ، تَقَادَمَ
جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ آدَمُ هَذَا، قَبْلَهُ آدَمُ عَلَى إِثْرِ آدَمَ
لَسْتُ أَنْفِي عَنْ قَدَرَةِ اللَّهِ أَشْبَا حَ ضِيَاءٍ، بِغَيْرِ لَحْمٍ وَلَا دَمٍ
لا أنفي وجود الملائكة

وَبَصِيرُ الْأَقْوَامِ مِثْلِي أَعْمَى فَهَلُمُّوا فِي حِنْدِسٍ نَتَصَادَمَ
البصير مثلي أعمى فيما يتعلق بعالم الغيب، فتعالوا في هذا الحندس، الظلام، نتصادم

٢٥٥ الحجة والسيف

أَتَوَكَّمُ بِإِقْبَالِهِمْ وَالْحُسَامِ فَشَدَّ بِهِ زَاعِمٌ مَا زَعَمَ
أتاكم الغزاة بإقبالهم، بحظهم الذي أقبل عليهم، وبالسيف؛ فشدوا بالسيف من حجتهم التي زعموها

تَلَوْا بِاطِّلَاءٍ، وَجَلَّوْا صَارِمًا، وَقَالُوا: صَدَقْنَا! فَقُلْتُمْ: نَعَمْ!

تلوا حججهم وهي باطل، وجلوا صارمًا، أظهروا سيفًا، وقالوا صدقنا، فقلتم نعم

أَفَيَقُومُوا، فَإِنْ أَحَادِيثُهُمْ ضِعَافُ الْقَوَاعِدِ وَالْمُدَّعَمُ

أحاديث هؤلاء الغزاة ضعيفة القواعد، لا سند لها ولا دعامة

٢٥٦ مغفرة الله

إِذَا مَدَّحُوا آدَمِيًّا مَدَّحَ تَوْأَى الْمَوَالِي، وَرَبَّ الْأَمَمِ

له سجد الشامخ المشمخر على ما يعرنيته من شمم

سجد لله الشامخ المشمخر، المرتفع المتكبر، رغم ما يعرنيته، بأنفه، من شمم، من ارتفاع

وَمَغْفِرَةُ اللَّهِ مَرْجُوءَةٌ إِذَا حُسِبَتْ أَعْظَمِي فِي الرَّمَمِ

الرمم: الرفات

فِيَا لَيْتَنِي هَامِدٌ، لَا أَقُومُ إِذَا نَهَضُوا يَنْفُضُونَ اللَّمَمَ

اللمم: جمع «لِئمة» وهي شعر الرأس

وَنَادَى الْمُنَادِي عَلَى غَفْلَةٍ فَلَمْ يَبْقَ فِي أُذُنٍ مِنْ صَمَمٍ

وَجَاءَتْ صَحَائِفٌ قَدْ ضُمِّنَتْ كَبَائِرَ آثَامِهِمْ وَاللَّمَمَ

اللمم: جمع «لئمة» الذنوب الصغيرة

٢٥٧ أفضل ثوب

مَا كَانَ فِي الْأَرْضِ مِنْ خَيْرٍ وَلَا كَرَمٍ فَضَّلَ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْأَكْرَمِينَ قَنُوا

لم يكن في الناس كرم ولا خير قط، فقد أخطأ من قال إن الأكرمين قنوا فناء، فهم لم يوجدوا أصلاً

أَغْفَى الْمَنَازِلِ قَبْرٌ يُسْتَرَاخُ بِهِ، وَأَفْضَلُ اللَّبْسِ، فِيمَا أَعْلَمُ، الْكَفَنُ

أغفى: أسهل

٢٥٨ من أين عرفوا؟

يُخْبَرُونَكَ عَنْ رَبِّ الْعُلَى كَذِبًا، وَمَا دَرَى بِشُؤْنِ اللَّهِ إِنْسَانٌ

ما كان، في هذه الدنيا، أخو رشيد ولا يكون، ولا في الدهر، إحسان

٢٥٩ فسد الأمر

بُئْسَتِ الْأُمُّ، لِلْأَنَامِ، هِيَ الدَّنْ يَا، وَبِئْسَ الْبَنُونُ لِلْأُمِّ نَحْنُ
فَسَدَ الْأَمْرُ كُلُّهُ، فَاتَرَكُوا الْإِعْدَ رَبَّابَ، إِنْ الْفَصَاحَةُ الْيَوْمَ لَنَحْنُ

فسد كل شيء فاتركوا تشكيل الكلمات في حديثكم فقد أصبحت الفصاحة في زمننا هي اللحن، الخطأ النحوي. كان لي صاحب يلاقيني فيسألني عن الأحوال فأقول له عبارتي الخالدة: «خالصة مألصة» ومعناها لا شيء جديداً، فيضحك ضحكة صفراء، ثم يبدأ بالشكوى من كل شيء، ويعلم الله أن صديقي ذاك كان مثيراً، وأنه ظل يصعد من حال إلى حال، يشتري الأطيان والعقار، ولكنه لم يغادر الشكوى، وشتم الزمان. وأبو العلاء مثله.. ولكن أبا العلاء فصيح ويركب الكلام تركيبات معجبة، وهو خفيف الظل مَرِحٌ مرحاً خفيفاً.. حتى في تركيب كلماته الشكوية ثمة ألعاب على الكلام، وثمة عبث طفلي بهذه اللغة.. لقد أسلف المعري فدفع ثمناً كبيراً هو انصرافه عن ملذات الدنيا، ويريد مقابل ذلك أن يعذبنا بشكواه وتأفاته

٢٦٠ أنفاس تتقضى

نَفَسٌ بَعْدَ مِثْلِهِ يَتَقَضَّى فَتَمُرُّ الدَّهْوَرُ وَالْأَحْيَانُ
أنفاس الإنسان تتوالى كأنها دقائق القنبلة الموقوتة، وتمر الأحيان، أي الأوقات. هذا يذكّر بيت شوقي: دقائق قلب المرء قاتلة له/إن الحياة دقائق وثوان

قَدْ تَرَامَتْ إِلَى الْفَسَادِ الْبَرَايَا، وَاسْتَوَتْ فِي الضَّلَالَةِ الْأَذْيَانُ
رمت البرايا، المخلوقات، نفسها على الفساد وتساوت الأديان في الضلال

٢٦١ رفض الخمر

لَوْ كَانَتِ الْخَمْرُ جَلًّا مَا سَمَحْتُ بِهَا لِنَفْسِي، الدَّهْرَ، لَا سِرًّا وَلَا عَلَنًا
فَلْيَغْفِرِ اللَّهُ؛ كَمْ تَطْعَى مَآرِبُنَا، وَرُبُّنَا قَدْ أَحَلَّ الطَّيِّبَاتِ لَنَا

٢٦٢ قلة الديانة

جَمَعَجَمَ هَذَا الزَّمَانُ قَوْلًا، وَكُلُّنَا يَرْتَجِي بَيَانَهُ
جمعجم الزمان، تمت وقال كلاماً غير مفهوم، ونحن نرجو بيانه، إفصاحه

وَحَدَّثَتْنَا الشُّيُوخُ أُمْرًا، وَمَا ادَّعَى مَخْبِرٌ عِيَانَهُ
الشيوخ، أي الكبار في السن، حدثونا بأمر ولكن لم يزعم أحد أنه رآه عياناً

دُنْيَاكَ دَارٌ قَدْ اضْطَلَحْنَا فِيهَا عَلَى قِلَّةِ الدِّيَانَةِ

٢٦٣ الانقراض

وخيَلُ اللّٰهُوَ جَامِحَةٌ عَلَيْنَا، يُسَاقِظُنَ الْقَوَارِسَ، إِنْ رُكِبَتْهُ
خيول اللهو جامحة، مستعصية، علينا.. فالفراس الذي يركبها كي يركضها، يروضها، يسقط عنها
وأعجزُ أَهْلِي هَٰذِي الْأَرْضِ غَاوٍ أَبَانَ الْعَجَزَ عَنْ خَمْسٍ فُرْضَنَهُ
أعجز الناس من يعجز عن أداء الصلوات الخمس

قَدْ انْقَرَضَتْ مَمَالِكُ آلِ كِسْرَى سَوَى سَيِّرٍ لَّهُنَّ سَيَنْقَرِضَنَهُ
انقرضت ممالك الفرس وبقيت سيرها، أخبارها، وستنقرض هذه الأخبار أيضاً

مَتَى عَرَضَ الْحِجَا لِلَّهِ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَرَضَنَهُ
متى تعرض الحجا، العقل، للتفكير في الله شعر بضيق المسالك أمامه حتى لو كانت عريضة

عَدَتْ حُجْجُ الْكَلَامِ حَجًّا غَدِيرٍ وَشِيكَا يَنْعَقِدْنَ وَيَنْتَقِضَنَهُ
أصبحت حجج علم الكلام حجا غدير، فقاعات جدول ماء، فما تكاد تتعقد حتى تنتفض وتنفق

٢٦٤ حظ يفلق الصخر

غَنَى زَيْدٌ يَكُونُ لِفَقْرِ عَمْرٍو وَأَحْكَامُ الْحَوَادِثِ لَا يُقَسِّنُهُ
القياس في الرزق أن غنى الغني يسبب الفقر للفقير، ولكن أحكام مصائب الزمن لا قياس لها فهي
فجائية

أَلَمْ تَرَنِي حَمِيْتُ بَنَاتِ صَدْرِي، فَمَا رَوَّجْتُهُنَّ، وَقَدْ عَنَسَنَهُ
حميت بنات صدري، أفكاري، فما أخرجتهن وبقين عوانس.. أي أنني كنت كمن يعضل بناته ولا
يزوجهن ويبقيهن في البيت

وَرُضْتُ صِعَابَ آمَالِي، فَكَانَتْ خُيُولًا، فِي مَرَاتِعِهَا، شَمَسَنَهُ
روضت آمالي الصعاب، التي هي كالخيول الجامحة، فأمالِي شمس، جمحن وتمردن، وهن في
المراع، المراعي

وَلَمْ أُعْرِضْ عَنِ اللَّذَاتِ، إِلَّا لِأَنِّ خِيَارَهَا عَنِي خَسَنَهُ
لم أترك اللذات إلا لأن أفضلها خسر عني، تراجع وانقبض

وَتُقَسَّمُ حُطُوءٌ، حَتَّى صَحُورٌ يُزْرَنَ، فَيُسْتَلَمَنَّ وَيُلَبَّ مَسْنَهُ
والحطوة، الحظ الحسن، قسمة ونصيب، فهناك حتى صخور يصيبها الحظ الحسن فيزورها الناس
ويستلمونها، يقبلونها، ويلمسونها

٢٦٥ المبجلة المجبة

هَوْنٌ عَلَيْكَ، وَلَا تُبَالٍ بِحَادِثٍ يُشْجِيكَ؛ فالأيامُ سائرةٌ بنا

يشجيك: يحزنك

أَعْدَى عَدُوٍّ لَابْنِ آدَمَ نَفْسُهُ ثم ابنه، واقفاهُ يَهْدِمُ ما بنى

هَاتِيكَ تَأْمُرُهُ بِكُلِّ قَبِيحَةٍ وَدَعَاهُ ذَاكَ لِأَن يَضُنَّ وَيَجْبُنَا

نفسه تأمره بالقبيح من الفعال، وابنه يدعوه، يجعله، يضمن، أي ييخل، ويجبن. وجاء في الأثر أن الابن مبجلة مجبة

٢٦٦ الإمكان

والمراءِ لبسٍ بزاهدٍ في عَادَةٍ، لَكِنَّهُ يَتَرَقَّبُ الْإِمْكَانَا

لا يتصرف المراء عن فتاة جميلة زهداً فيها، ولكنه يترقب الفرصة

نَبِكِي وَنَضْحَكُ، وَالْقَضَاءُ مُسَلِّطٌ، ما الدهرُ أَضْحَكُنَا وَلَا أَبْكَانَا

نَشْكُو الزَّمَانَ وَمَا أَتَى بِجِنَايَةٍ، ولو استطاعَ تَكَلَّمَا لَشَكَانَا

٢٦٧ أمل في الغفران

لِيَفْعَلَ الدَّهْرُ مَا يَهْمُ بِهِ، إِنَّ ظُنُونِي بِخَالِقِي حَسَنَةٌ

لَا تَيَأْسُ النَّفْسُ مِنْ تَفْضُلِهِ، ولو أقامت في النارِ أَلْفَ سَنَةٍ

٢٦٨ البدويان

أَيَاتِي نَبِيٍّ يَجْعَلُ الْخَمْرَ طَلَقَةً فَتَحْمِلُ ثِقْلًا مِنْ هُمُومِي وَأَحْزَانِي؟

أياتي نبي يحل الخمر فتحمل بعض همومي؟

وَهِيَهَاتَ، لَوْ حَلَّتْ لَمَّا كُنْتُ شَارِبًا مَخْفَفَةً، فِي الْجَلْمِ، كِفَّةٌ مِيزَانِي

لكن لا، حتى لو كانت حلالاً لما شربتها فهي تخفف في أمر العقل كفة ميزاني

كَأَنِّي نَبْتُ مَرَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَلَيَّ، وَكَانَا مُنْفِضَيْنِ، فَجَزَانِي

كأنني نبات وقد مر علي يوم وليلة، وكانا متفضين، خالي الوعاء من الزاد، فجزاني، قصاني قصاً

هُمَا بَدَوِيَّانِ، الطَّرِيقَ تَعَرَّضَا، وَبُرْدِي، مِنْ نَسْجِ الشَّيْبَةِ، بَرَّانِي

النهار والليل بدويان يعترضان طريق المسافرين، وقد بزاني، أي سلباني، ثوب الشباب

قَوِيَّانِ عَزَّانِي عَلَيْهِ، وَأَوْقَعَا بِغِيرِي مَا بِي أَوْقَعَا، فَعَزَّانِي

وهما قويان وقد عزاني على ثوب الشباب، تغلبا عليّ ونزعا، وصنعا ذلك مع غيري فوجدت العزاء

وَمَا ضَبَقًا أَرْضِي، وَلَكِنْ أَرَاهُمَا إِلَى الضَّنْكِ، مِنْ وَجْهِ الْبَسِيطَةِ، لَزَّانِي

لم يضيق مرور الزمن ممتطيًا الليل والنهار أرضي، ولكنهما لزاني، ألزمانني وحشراني، إلى الضنك، العيشة الصعبة

وَمَا أَكَلَا زَادِي، وَلَكِنْ أَكَلْتُهُ وَقَدْ نَبَّهَانِي لِلسُّرَى وَاسْتَفَرَّانِي

أنا أكلت زادي، ومرور النهار والليل نهني إلى وجوب السرى، سير الليل، وقد استفزاني، حثاني

وَلَمْ يَرْضَبَا إِلَّا بِنَفْسِي مِنَ الْقَرَى، وَلَوْ صُنْتُهُ، عَنْ طَارِقِي، لَأَخْزَانِي

ولم يرضيا بالطعام المعتاد للضيف بل أرادا أن يأكلا نفسي.. ولو صنت هذا ومنعته عن طارقي، الزائرين لي ليلاً، للحق بي الخزي الذي يلحق بمن يمنع أضيافه الطعام

عَزِيزَانِ بِاللَّهِ، الَّذِي لَيْسَ مِثْلُهُ، يَذِلَّانِ فِي مَقْدَارِهِ وَيَعِزَّانِ

النهار والليل عزيزان، قويان، بالله.. وهو الذي يقويهما أو يضعفهما إن شاء

٢٦٩ الناس كالشعر

وَالْإِنْسُ مِثْلُ نِظَامِ الشَّعْرِ، كَمَ رَجُلٍ بِالْجَيْشِ يُفَدَى، وَكَمَ بَيْتٍ بِدِيَوَانٍ!

التسويد وعلامة التعجب لأحمد عبد الرحيم.

٢٧٠ الفارسان

وَلَوْ أَنِّي أَعَدْتُ بِأَلْفِ بَحْرِ لَمَرَّ عَلَيَّ مَوْتُ، فَاحْتَسَانِي

لو أنني مثل ألف بحر لمر على الزمن وشربني

ظَلَامِي وَالنَّهَارُ قَدْ اسْتَمَرَا عَلَيَّ، كَمَا تَتَابَعَ فَارْسَانِ

الليل والنهار يتتابعان ويستمران علي، يعكفان علي، كأنهما فارسان يقاتلاني

٢٧١ الشامي واليماني

سُيْنَسَى كُلُّ مَا الْأَحْيَاءُ فِيهِ وَيَخْتَلِطُ الشَّامِيُّ بِالْيَمَانِي

سينسى كل شيء يخوض فيه بنو الدنيا وسيختلط الشامي باليماني

٢٧٢ قيام قبل الأوان

لَوْ هَبَّ سُكَّانُ التُّرَابِ مِنَ الْكَرَى أَغْيَا الْمَحَلُّ عَلَى الْمَقِيمِ السَّاكِنِ
لو قام أهل القبور لأعيا المحل، ضاق على ساكنيه
لَعَدَّوْا، وَقَدْ مَلَأَ الْبَسِيطَةُ بَعْضُهُمْ وَرَأَيْتَ أَكْثَرَهُمْ بِغَيْرِ أَمَاكِنِ

٢٧٣ نصيحة

هَلْ قَبِلْتُ مِنْ نَاصِحِ أُمَّةٍ تَعْدُو إِلَى الْفُضْحِ بِضُلْبَانِهَا؟
هل قبل النصيحة أمة النصارى التي يخرج أبناؤها في عيد الفصح حاملين الصلبان
كَنَائِسُ يَجْمَعُهَا وَضَلَّةٌ، بَيْنَ عَوَانِيهَا وَشُبَّانِهَا
القاسم المشترك بين هذه الكنائس أنها تصل بين الفتيات والشبان
مَا بَالُهَا عَذْرَاءٌ، أَوْ ثَيِّبًا، كَوَرْدَةِ الْجَانِيِ بِإِبَانِهَا..
ما شأن هذه الفتاة سواء أكانت عذراء أم سبق لها زواج، وهي جميلة وشابة كالوردة التي جناها
جانيتها لإبانها، في وقت تفتحها..

رَاحَتْ إِلَى الْقَسِّ بِتَقْرِيبِهَا، وَبَيْتُهَا أَوْلَى بِقُرْبَانِهَا
ما شأنها قد راحت إلى القس تقدم قرباناً، وكان أولى بها لو قعدت في بيتها تخدمه
وَزَارَتْ الدَّيْرَ، وَأَثْوَابُهَا ضَامِنَةٌ فِتْنَةَ زُهْبَانِهَا
وتزور الدير بثياب وأثوابها ضامنة فتنة زهبانها

٢٧٤ أنا والناس

لَا أَشْرَبُ الرَّاحَ وَلَوْ ضُمَّنْتُ ذَهَابَ لَوَعَاتِي وَأَحْزَانِي
مُخَفِّفًا مِيزَانَ جِلْمِي بِهَا، كَأَنِّي مَا خَفَّ مِيزَانِي
أَجَامِلُ النَّاسَ، وَلَوْ أَنَّنِي كَشَفْتُ مَا فِي السَّرِّ أَحْزَانِي
أَسَيْتُ مِنْ نَقْصِي، وَلَكِنْ مَا يَظْهَرُ مِنْ غَيْرِي عَزَّانِي
أسيت من نقصي، حزنتم لما في من عيوب، ولكن ما ظهر لي من عيوب الناس عزاني

٢٧٥ قطني

نَحْنُ قُطْنِيَّةٌ، وَصُوفِيَّةٌ أَنَا ثُمَّ، فَقُطْنِي مِنَ التَّجْمُلِ قُطْنِي
نحن نلبس القطن، وأنتم صوفية.. وقطني، كفاني من التجميل والادعاء كفاني

تَقْطُمُونَ الْبِلَادَ بَطْنًا وَظَهْرًا، إِنَّمَا سَمِعُكُمْ لِفَرْجٍ وَبَطْنٍ

تسوحون في البلاد، وهذا ليس من عبادة، بل همكم الطعام ومعاشرة النساء

حَاطَنِي خَالِقِي فَعَشْتُ، وَلَوْلَا خَوْفُهُ قُلْتُ: لَيْتَهُ لَمْ يَحْطُنِي

حاطني: رعاني

جَسَدِي خِرْقَةً تُخَاطُ إِلَى الْأَرْضِ، فَيَا خَائِطَ الْعَوَالِمِ خِطْنِي

٢٧٦ قومي ولواني

كَأَنِّي فِي الْعَيْشِ لَدُنَّ الْعُصْوِ نِ، مَنْ شَاءَ قَوْمَنِي أَوْ لَوَانِي

لدن: مرن

وَلَا لَوْنٌ لِلْمَاءِ، فِيمَا يُقَالُ، وَلَكِنْ تَلَوْنُهُ بِالْأَوَانِي

فعلاً يقال ذلك!

٢٧٧ مِثْلُ غَيْرِي

إِذَا سَأَلُوا عَنْ مَذْهَبِي فَهُوَ بَيْنَ وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِثْلُ غَيْرِي أَبْلَهُ؟

خُلِقْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَعَشْتُ كَأَهْلِهَا أَجِدُّ كَمَا جَدُّوْا، وَأَلْهُو كَمَا لَهَوْا

٢٧٨ الدين عادة

وَوَدُّوا الْعَيْشَ فِي زَمَنِ خَوْوِنٍ، وَقَدْ عَرَفُوا أَذَاهُ وَجَرَّبُوهُ

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفُتَيَانِ مَنَّا عَلَى مَا كَانَ عَوْدُهُ أَبْوَهُ

وَمَا دَانَ الْفَتَى بِحِجَابٍ، وَلَكِنْ يُعَلِّمُهُ التَّدْيِينَ أَقْرَبُوهُ

الفتى لا يتدين بما يمليه عليه حجاب، أي عقله، بل بحسب ما يعلمه أقرابه

وِطْفَلُ الْفَارِسِيِّ لَهُ وُلَاةٌ، بِأَفْعَالِ التَّمَجِّسِ دَرَبُوهُ

فطفل الرجل الفارسي له ولادة، أولياء أمر، يدرّبونه على شعائر المجوسية

لَعَلَّ الْمَوْتَ خَيْرٌ لِلْبَرَايَا، وَإِنْ خَافُوا الرَّدَى وَتَهَيَّبُوهُ

أَطَاعُوا ذَا الْخِدَاعِ وَصَدَّقُوهُ، وَكَمْ نَصَحَ النَّصِيحُ، فَكَذَّبُوهُ

وَجَاءَنَا شَرَائِعُ كُلِّ قَوْمٍ، عَلَى آثَارِ شَيْءٍ رَتَّبُوهُ

وَعَبَّرَ بَعْضُهُمْ أَقْوَالَ بَعْضٍ، وَأَبْطَلَتِ النَّهْيُ مَا أَوْجَبُوهُ

يختلفون في الآثار التي وردت عن السلف، ولكن النهي، العقل، يظل ما يعتقدون بوجوب صحته

وَيَدَّلْ ظَاهِرَ الْإِسْلَامِ رَهْطًا، أَرَادُوا الطَّعْنَ فِيهِ وَشَذَّبُوهُ
بعضهم اشتق رموزاً من ظاهر ما قال به الإسلام، فقد أرادوا الطعن في صحة الظاهر، وقد شذبوا
الدين، أي قصوا من أطرافه

رَجَوْا أَلَّا يَخِيبَ لَهُمْ دَعَاءُ وَكَمْ سَأَلَ الْفَقِيرُ فَخَيَّبُوهُ
يرجو المتدينون ألا يخيب دعاؤهم لله، ولكن الفقير يسألهم ويخيّبونه

إِذَا أَصْحَابُ دِينٍ أَحْكَمُوهُ، أَذَالُوا مَا سِوَاهُ وَعَيَّبُوهُ
عندما يجمع الناس دينهم ويرتبونه يذيلون ما سواه من أديان، يرفضونها، ويجدون فيها عيوباً

٢٧٩ المتكبر

وَكَيْفَ يُؤْمَلُ الْإِنْسَانُ رُشْدًا، وَمَا يَنْفَكُ مُتَّبِعًا هَوَاهُ
يَظُنُّ بِنَفْسِهِ شَرَفًا وَقَدْرًا، كَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ سِوَاهُ

٢٨٠ النصارى وطبيعة المسيح

أَسْهَبَ النَّاسُ فِي الْمَقَالِ، وَمَا يَظُنُّ قَرُّ، إِلَّا بِزَلَّةٍ، مُسْهَبُوهُ
الذين يسهون ويكترون من التفسير والتعليل يكثر عندهم الزلل والخطأ

عَجَبًا لِلْمَسِيحِ بَيْنَ أَنَاسٍ وَإِلَى اللَّهِ وَالِدًا نَسَبُوهُ
أَسْلَمَتْهُ إِلَى الْيَهُودِ النَّصَارَى وَأَقْرَأُوا بِأَنَّهُمْ صَلَبُوهُ
يُشْفِقُ الْحَازِمُ اللَّيْبُ عَلَى الطِفْلِ، إِذَا مَا لِدَاتُهُ ضَرَبُوهُ
يضرب مثلاً: الشخص العاقل يشفق على الطفل إذا ضربه لِداته، الأولاد في مثل عمره

وَإِذَا كَانَ مَا يَقُولُونَ فِي عَيْسَى صَحِيحًا، فَأَيْنَ كَانَ أَبُوهُ؟
كَيْفَ خَلَّى وَلِيدَهُ لِلْأَعَادِي، أَمْ يَظُنُّونَ أَنََّّهُمْ غَلَبُوهُ؟
وَإِذَا مَا سَأَلْتَ أَصْحَابَ دِينٍ، غَيَّرُوا بِالْقِيَاسِ مَا رَتَّبُوهُ
لَا يَدِينُونَ بِالْعَقُولِ وَلَكِنْ، بِأَبَاطِيلِ زُخْرَفٍ كَذَّبُوهُ

لم يكن هذا البيت مما اخترت، فكتب أحمد عبد الرحيم: «البيت الأخير المحذوف هو بيت
القطعة» فهي قد أثبتناه

٢٨١ باطل العيش

حَسْبِي، مِنَ الْجَهْلِ، عِلْمِي أَنْ آخِرَتِي هِيَ الْمَالُ، وَأَنْبِي لَا أُرَاعِيهَا
بِكْفَيْتِي جَهْلًا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ الْمَصِيرُ النَّهَائِي، وَمَعَ ذَلِكَ لَا أُرَاعِي آخِرَتِي

وَأَنْ دُنْيَايَ دَارٌ لَا قَرَارَ بِهَا، وَمَا أَزَالُ مُعْنَى فِي مَسَاعِيهَا
رَغْمَ عِلْمِي بِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَرُورٍ لَا اسْتِقْرَارٍ فَأَنَا مُعْنَى، مُتَعَبٌ، وَمُسْتَمِرٌّ فِي الْإِهْتِمَامِ بِهَا

كَذَلِكَ النَّفْسُ، مَا زَالَتْ مُعَلَّلَةً بِبَاطِلِ الْعَيْشِ، حَتَّى قَامَ نَاعِيهَا
بِأُمَّةٍ مِنْ سَفَاهٍ لَا حُلُومَ لَهَا، مَا أَنْتِ إِلَّا كَضَائِنٍ غَابَ رَاعِيهَا
النَّاسُ سَفَهَاءُ لَا حُلُومَ، لَا عَقُولَ، لَهُمْ، وَهُمْ كَالْخِرَافِ بِلَا رَاعٍ. التَّسْوِيدُ لِأَحْمَدَ عَبْدِ الرَّحِيمِ

٢٨٢ ذات القرطين

وَذَاتِ قُرْطَيْنٍ فِي حَلِي تَعُدُّهُمَا قَدْ صَارَ أَجْرًا لِذَاتِ الْعُسْلِ قُرْطَاهَا
رَبُّ امْرَأَةٍ لَهَا قُرْطَانٌ فِي أُذُنَيْهَا، وَهِيَ تَعُدُّهُمَا مِنَ الزَّيْنَةِ. وَمَاتَتْ فَأَصْبَحَ الْقُرْطَانُ أَجْرَةً لِلَّتِي
غَسَلَتْهَا

٢٨٣ التهاون بالمذاهب

تَقَضَّى النَّاسُ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ وَخُلِّفَتِ النُّجُومُ كَمَا تَرَاهَا
تَتَوَالَى الْأَجْيَالُ وَالنُّجُومُ بَاقِيَةٌ

إِذَا رَجَعَ الْحَصِيفُ إِلَى حِجَاهُ تَهَاوَنَ بِالْمَذَاهِبِ وَازْدَرَاهَا
الْحَصِيفُ: الْحَكِيمُ، حِجَاهُ: عَقْلُهُ

وَهَتْ أَدْيَانُهُمْ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، فَهَلْ عَقْلٌ تُشَدُّ بِهِ عُرَاهَا؟

وَهَتْ، أَيُ ضَعُفَتْ، الْأَدْيَانُ مِنْ وَجْهِهِ شَتَّى بِتَقَادُمِ الزَّمَنِ، فَهَلْ عِنْدَ النَّاسِ عَقْلٌ
يُشَدُّونَ بِهِ عُرَى الْأَدْيَانِ، أَيُ أَنْشُوطَاتِهَا. . . وَالْعُرْوَةُ عَقْدَةٌ فِي الْحَبْلِ تَرْتَخِي وَتَحْتَاجُ
إِلَى شَدِّ. وَالْعُرْوَةُ فِي قَمِيصِكَ ثَقْبٌ يَدْخُلُ فِيهِ الزَّرُّ، وَكَانَتْ فِي قَمِيصِ الْأَجْدَادِ خِيْطًا
مَعْقُودًا يَدْخُلُ فِيهِ الزَّرُّ

تَقَدَّمَ صَاحِبُ الثَّوْرَةِ مُوسَى، وَأَوْقَعَ فِي الْخَسَارِ مَنْ افْتَرَاهَا
اِقْتَرَاهَا: تَبِعَهَا

وَقَالَ رَجَالُهُ: وَخِي أَتَاهُ، وَقَالَ الظَّالِمُونَ، بَلِ افْتَرَاهَا

وَكَمْ سَرَّتِ الرَّفَاقُ إِلَى «صَلَاحٍ» فَمَارَسَتْ الشَّدَائِدَ فِي سُرَاهَا
يسري المسافرون مترافقين إلى صلاح، من أسماء مكة، ويمارسون الشدائد، أي يعانون منها،
وهم ماضون في السرى، أي السير ليلاً

يُؤَافُونَ الْبَنِيَّةَ كُلَّ عَامٍ، لِيُلْقُوا الْمُخْزِيَاتِ عَلَى قَرَاهَا
يوافون، يصلون إلى، البنية، أي الكعبة، كل عام، وهمهم أن يلقوا على قراها، حوضها، ذنوبهم
المخزية يحسبون أنها تغفر لهم بمجرد الحج

وَمَا سَيَّرِي إِلَى أَحْجَارِ بَيْتِ كَوْوَسِ الْخَمْرِ تُشْرَبُ فِي ذَرَاهَا؟
وما معنى سيري إلى مكان تشرب في ذراه، في كفه وقربه، الخمر؟

٢٨٤ ليس كمثله شيء

وَإِنَّ الْفَتَى، فِيمَا أَرَى، بِزَمَانِهِ لَا شَبَّهَ مِنْهُ شَيْمَةً بِأَبِيهِ
الرجل يشبه زمانه أكثر من شبهه بأبيه في الشيمة، أي الخلق

وَالدُّنَا هَذَا التَّرَابُ، وَلَمْ يَزَلْ أَبَرَّ يَدًا مِنْ كُلِّ مُنْتَسِبٍ بِهِ
والدنا هو التراب لأننا خلقنا من طين، والتراب أكثر براً وخيراً ممن يتسبون إليه، أي من البشر
يؤدِّي إِلَى مَنْ فَوْقَهُ رِزْقُ رَبِّهِ، أَمِينًا، وَيُعْطِي الصَّوْنَ مُحْتَاجِيهِ
فالتراب يؤدي للناس الذين فوقه الرزق أميناً بإخراجه الزرع، ويصون من يحتجون فيه من الموتى

تَشَابَهَتْ الْأَشْيَاءُ طَبْعًا وَصُورَةً، وَرُبُّكَ لَمْ يُسْمَعْ لَهُ بِشَبِّهِ
الأشياء متشابهة طبعاً، أي في أصلها وحقيقتها، وصورة، أي في شكلها، والله لا شبه له

٢٨٥ الغنائم

وَجَدْتُ غَنَائِمَ الْإِسْلَامِ نَهْبًا، لِأَصْحَابِ الْمَعَارِفِ وَالْمَلَاهِي
الغنائم تذهب لأهل اللهو

وَكَيْفَ يَصِحُّ إِجْمَاعُ الْبَرَايَا، وَهَمَّ لَا يُجْمَعُونَ عَلَى الْإِلَهِ؟
البرايا: البشر

تَنَازَعُنِي إِلَى الشَّهَوَاتِ نَفْسِي، فَلَا أَنَا مُنْجَحٌ أَبَدًا وَلَا هِيَ
نفسى تنازعني لنيل الشهوات، فلا أنا منجح، موفق، في مخالفتها، ولا هي فائزة بالشهوات

٢٨٦ أُملي في الله

كَأَنَّكَ، بَعْدَ خَمْسِينَ اسْتَقَلَّتْ لِمَوْلِدِكَ، الْبِنَاءُ دَنَا لِيَهْوِي
كَأَنَّكَ بَعْدَ خَمْسِينَ سَنَةً اسْتَقَلَّتْ، ارْتَفَعَتْ وَمَضَتْ، مِنْذُ مَوْلَدِكَ بِنَاءُ اقْتَرَبَ كَيْ يَنْهَارَ
وَمَا أَنَا يَا إِسْ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمْدٍ وَسَهْوٍ

٢٨٧ العقل نبي

زَعَمْتُ، أَنْ نَارَهَا مَا خَبَتْ، فَأَرْسُ، وَالْدَهْرُ فِيهِ مَعْنَى خَبِيٍّ
الفرس يزعمون أن النار المقدسة لا تنطفئ أبد الدهر، ولكن الدهر يحمل لهم معاني كانت مخبوءة
عن علمهم فتتنطفئ النار

أَيُّهَا الْغُرُّ، إِنْ خُصِصْتَ بِعَقْلٍ، فَاسْأَلْنَهُ، فَكُلُّ عَقْلٍ نَبِيٌّ
أيها الغر، الجاهل، إن كان عندك عقل فاسأل عقلك فهو نبيك.. أي ينبئك بما يمكن أن يحدث

٢٨٨ الدين لله

وَأَلَقْتُ هَذِهِ الْأَيَّامَ عِلْمًا إِلَيْكَ، فَلَمْ تُصَادِفْ مِنْكَ وَغِيَا
وَدِينُكَ مَا عَلَيَّ الْحُكْمُ فِيهِ، فَأُبْغِي لِلَّذِي أَخْفَيْتَ بَغِيَا
لا أفتش عن حقيقة إيمانك كي أبغي، أطلب، بالتماس ما تخفيه بغيا، ظلماً لك
إِذَا الْإِنْسَانُ كَفَّ الشَّرَّ عَنِّي، فَسَقِيًّا، فِي الْحَيَاةِ، لَهُ وَرَعِيَا
يكفيني أن تكف شرك عني، وعندئذ سقاك الله ورعاك

وَيُدْرُسُ، إِنْ أَرَادَ، كِتَابَ مُوسَى وَيُضْمِرُ إِنْ أَحَبَّ وَلَاءَ شَعْبَا
وللمرء أن يدرس التوراة أو كتاب أشعيا النبي، هو حر. وسفر أشعيا جزء من
الكتاب المقدس، ولكنه ليس ضمن كتب موسى الخمسة (التكوين والخروج واللاوين
والعدد والتثنية). وبعضهم - كأبناء الطائفة السامرية في مدينتي نابلس - لا يؤمن بغير
كتب موسى

٢٨٩ الله يرحمني

سَقِيًّا لِأَيَّامِ الشَّبَابِ، وَمَا حَسَرْتُ مَطِيَّتِيَا
وهاً لأيام الشباب، ولما حسرت، أي لما أنهكت، مطيئي، أي ناقتي.. المعنى: أسفاً على أيام
الشباب الجميلة.. الآن بعد أن أنهكت ساقتي وكبرت

أَيَّامَ أَمَلُ أَنْ أَمْسَ - الْفَرْقَدَيْنِ بِرَاحَتَيَا

كنت في أيام الشباب متوثباً طوحاً أمل أن أَلَسَ الفرقدين، وهما نجمان، بكفّي

فَالآنَ تَفْجِزُهُمَّيْ عَمَّا يُنَالُ بِخُطْوَتَيَا

وَاللَّهُ يَرْحَمُنِي، إِذَا أُودِعْتُ أَضِيقَ سَاحَتَيَا

أرجو رحمة الله عندما أودع في أضيق الساحتين، ساحة الدنيا وساحة القبر، والأضيق القبر

فهرس القوافي، لزوميات المعري (القافية، فرقم القطعة)

٢٣	أَطْرَبُوا	١١	إِرْجَاء
٢٢	الْمُتَكَذِّبُ	١٠	النساء
٢٧	تَابُوا	٢	أَبْدَأُ
٢٤	خُرَابُ	٤	أَسْوَءُ
٢١	صَغْبُ	٩	الذَّمَاءُ
٢٥	عِيُوبُ	١	القُرْبَاءُ
٢٦	يَعْذُبُ	٦	رِيَاءُ
٣٩	الْأَنَابِيِ	٧	رِيَاءُ
٤١	الذُّبَابُ	٣	نَسَاءُ
٣٢	الطَّبُّ	١٤	الحكماءِ
٣٣	المُعَذِّبُ	١٦	الخرساءِ
٣٧	بِالْقَلْبِ	١٥	الرخاءِ
٤٠	عُيُوبِ	١٣	الرُّؤْسَاءِ
٤٥	قَرِيبِ	١٧	النِّقَاءُ
٣٤	مُقَارِبِ	١٢	وقراءةُ
٣٥	هَيُوبِ	٨	صحراؤها
٣٨	وَأَوْصَابِ	٥	مُطْفِئُهَا
٤٧	الرُّتْبُ	٣١	حَبَا
٤٦	الِكِذَابِ	٢٨	قُرْبَا
٣٠	قُرْبَةٍ	٢٩	نَعْبَا

٧٥	التَّارِيحِ	٤٤	ثَوَابِهَا
٧٤	الصَّحَائِحِ	٤٢	عَنِّيَتْ بِهِ
٧٦	تَصْنِخِ	٣٦	لِجَنِّهِ
٦٩	وَشُرُوحِهَا	٤٣	مُرْتَابِهَا
٧٧	الصَّوَارِخِ	٥١	أُخْتُ
٩٢	عَبِيدَا	٥٢	الصَّيْتُ
٩١	كَمْدَا	٤٨	عَنْتُ
٨٢	أَحَدُ	٤٩	فَتَنَّتْ
٨١	الْعَيْدُ	٥٤	السَّمَاوَاتِ
٨٥	الْعِهَادُ	٥٥	نُفَاةُ
٨٧	الْوَلِيدُ	٥٦	وَأَمَّتْ
٨٦	الْيَهُودُ	٥٨	صَفَتْ
٨٩	جَيْدُ	٥٣	تَحْتَهَا
٨٤	صَعِيدُ	٥٠	سُعَاتِهَا
٨٨	مُسْتَزِيدُ	٥٧	فَهَاتِهِ
٨٣	مَوْؤُودُ	٦١	النَّبِيثِ
٧٨	نُشَاهِدُ	٦٠	بِوَعْتِ
٩٠	هَادُوا	٥٩	غُيُوثِ
٨٠	وَجَدُوا	٦٥	أَفْوَاجَا
٧٩	يَبِيدُ	٦٤	مَحْتَاجَا
٩٦	إِسْنَادِ	٦٣	وَالتَّاجَا
٩٤	الْجَسَدِ	٦٢	يَخْتَلِجُ
٩٥	الْجَسَدِ	٦٦	التَّاجِ
٩٨	تُعْدِي	٦٨	هَاجِ
٩٣	جَاحِدِ	٦٧	وَقَرَجِ
٩٩	فَتَهَجِدِ	٧٣	التَّشْرِيحَا
٩٧	لَحْدِ	٧٠	لِيَنْفَتِحَا
١٠٠	مَحْمَدِ	٧٢	مَشْرُوحَا
١٠١	الْحَسَدِ	٧١	نُبْحَا

١٣٣	الكَدَرِ	١٠٢	بِغْدَاذَا
١٣٦	النَارِ	١٩	الْكُرَى
١٣١	يَحَاسِرِ	١٢١	حَضْرَا
١٣٥	يَدِينَارِ	١٢٢	خُبْرَا
١٤٤	تَبْكِيَرِ	١٢٤	قَاهِرَا
١٤٠	تَجَارِ	١١٩	قَبْرَا
١٢٦	جِسْرِ	١٢٠	كُفْرَا
١٣٠	ضَرَائِرِ	١٢٣	يُؤَثِّرَا
١٣٨	مُسَيَّرِ	١١٢	الْأَقْبَرُ
١٤٣	وَالْأَحْبَارِ	١١٠	الثُّبُورُ
١٢٨	وَالْفِكْرِ	١٠٩	الدَّهْوَرُ
١٣٤	يُعِرِ	١٠٧	الصُّورُ
١٤٥	بَرْبَرُ	١٠٨	تَخْيِيرُ
١٤٨	بَسْرُ	١٠٥	تَنْتَقِرُ
١٤٧	ضَمِيرُ	١٠٤	خَطَرُ
١٤٦	وَاسْتَمَرَّ	١٠٣	سَيَّرُ
١٢٥	الْبُرَّةُ	١١٨	سَطَّرُوا
١٣٩	دَهْرِهِ	١١٥	قَيَّارُ
١٣٢	فَدَارِهِ	١١٧	مُدِيرُ
١٥١	يُجَارَى	١٠٦	وَأَسْمَارُ
١٤٩	إِنْجَارُ	١١٤	وَالْأَحْبَارُ
١٥٠	يَجُورُ	١١٣	وَالدَّارُ
١٥٣	الْإِجَارِ	١١٦	وَقِصَارُ
١٥٤	الْإِيعَارِ	١١١	يُعَبَّرُ
١٥٢	يَجْزِي	١٣٧	الْأَظْهَرُ
١٦٥	التَّدْلِيْسَا	١٤١	الْأَعْصَارِ
١٦٤	مُتَدَسَّسَا	١٢٩	الْحَشْرِ
١٥٦	الْإِنْسُ	١٢٧	الدَّهْرِ
١٦٠	الطَّيْسُ	١٤٢	السُّفَارِ

١٨٤	يُمُسْتَشَفَّ	١٦١	المجوسُ
١٨٨	انصَرَفَ	١٥٨	دَنَسُ
١٩١	التَّفَاقُ	١٥٧	مَرَسُ
١٩٣	تَلْتَقُوا	١٦٢	مَنكُوسُ
١٩٠	سَارِقُ	١٥٥	والعِرْسُ
١٨٩	مُوافِقُ	١٥٩	يَحْتَرَسُ
١٩٢	موبِقُ	١٦٦	الرَّمْسِ
١٩٤	الزناديقِ	١٦٧	خَمْسِ
١٩٦	لاقي	١٦٣	ساسَةً
١٩٥	مَنسُوقِ	١٦٨	وأجناسِها
٢٠١	سُلوكا	١٦٩	الْحَنَشُ
٢٠٠	هالِكا	١٨	قَضَى
١٩٩	تَمَلِّكُ	١٧٠	الْخِياطِ
١٩٨	مَلَكُ	١٧١	وإفراطِها
١٩٧	يَتَنَكُّوا	١٧٣	الطَّبَاعُ
٢٠٥	التَّرِيكُ	١٧٢	وَجَعُ
٢٠٦	بِناسِكِ	١٧٤	يُطَاعُ
٢٠٣	تُبَارِكُ	١٧٥	المَسامِعِ
٢٠٤	والمَلِكِ	١٧٦	رُبْعِي
٢٠٨	حَالِكُ	١٨٢	الْحَلِفُ
٢٠٧	عَدَلِكُ	١٧٩	السَّلَفُ
٢٠٩	عَلِيكُ	١٨٠	الطَّرَفُ
٢٠٢	سَيِّكَةُ	١٧٨	تَقِفُ
٢٢١	جُبِلا	١٨٣	صُوفُوا
٢٢٤	زُلْزِلا	١٧٧	طَرَفُ
٢١٩	أَفْسَلُ	١٨١	طَرَفُ
٢١١	المُنَزَّلُ	١٨٥	اختلافِ
٢١٠	النَّقْلُ	١٨٧	السيوفِ
٢١٨	دُعْبِلُ	١٨٦	الصُّحُوفِ

٢٤٤	أَعْتَاكُمُ	٢١٢	ذُلُّ
٢٤١	أَقْدِمُ	٢١٤	نَقُولُ
٢٤٠	السَّجْمُ	٢٢٠	وَالْكَهْلُ
٢٤٣	خَدَمُ	٢١٣	وِإِنْجِيلُ
٢٣٩	طَسْمُ	٢١٥	يَزُولُ
٢٥٢	خُمُ	٢١٦	يَفْعَلُ
٢٥١	وَقُمُ	٢٣٢	أَعْمَالِ
٢٥٦	الْأَمَمُ	٢٢٧	الرُّسُلِ
٢٥٣	أَلِيمُ	٢٢٦	الصَّقْلِ
٢٥٤	تَقَادَمُ	٢٣٣	الْغَرَابِيلِ
٢٥٥	رَعَمُ	٢٣٤	بِالْكَمَالِ
٢٤٢	عَقِيمُهَا	٢٣٧	رَوَاحِلِ
٢٦٦	الْإِمْتِكَانُ	٢٣٠	عِيَالِ
٢٦٥	بِنَا	٢٣٥	فَزُولِي
٢٠	دَنَا	٢٢٩	كَالسَّوَابِلِ
٢٦١	عَلْنَا	٢٣٨	كَهْلِ
٢٥٨	إِنْسَانُ	٢٣٦	مُعْضِلِ
٢٥٧	فَنُوا	٢٢٨	مَهْلِ
٢٥٩	نَحْنُ	٢٣١	وَإِقْبَالِ
٢٦٠	وَالْأَخْيَانُ	٢٢٥	أَبْلَهُ
٢٧٢	السَّاكِنِ	٢٢٣	لِيَهْوَلَهَا
٢٧١	بِالْيَمَانِي	٢٢٢	مُضَلَّلَهُ
٢٦٩	بِدِيَوَانِ	٢١٧	فَقِئْلَهُ
٢٧٠	فَاخْتَسَانِي	٢٤٦	أَعْمَى
٢٧٥	قَطَنِي	٢٤٧	الرَّحِمَا
٢٧٦	لَوَانِي	٢٤٥	الصُّمَّا
٢٦٨	وَأَحْزَانِي	٢٤٩	الْقَدِيمَا
٢٧٤	وَأَحْزَانِي	٢٥٠	إِلَيْكُمَا
٢٦٢	يَيَانَهُ	٢٤٨	نَدِيمَا

٢٧٩	هَوَاهُ	٢٦٧	حَسَنَةً
٢٧٨	وَجَرَّئُوهُ	٢٦٣	رُكِّضْنَهُ
٢٨٤	بِأَيِّهِ	٢٦٤	يُقَسِّنَهُ
٢٨٥	وَالْمَلَاهِي	٢٧٣	بِضُلْبَانِهَا
٢٨٦	لِيَهْوِي	٢٨١	أُرَاعِيهَا
٢٨٩	مَطِئَتِيًّا	٢٨٣	تَرَاهَا
٢٨٨	وَعَيَا	٢٨٢	قُرْطَاهَا
٢٨٧	خَبِيئِ	٢٧٧	أَبْلَهُ
		٢٨٠	مُسْهَبُوهُ

اليتيمة

صاحب هذا الكتاب هو عبد الملك بن محمد أبو منصور الثعالبي (٣٥٠هـ - ٤٢٩هـ)، وهو أديب. والكلمة تعني أنه يحب الأدب وينقده، ويتلذذ بالجيد منه، وله فيه ذوق خاص، وأنه يستهلك الأدب بشخصية قوية تعرف ما تريد، وفي ذهنه ميزان للشعر والنثر، ولديه من مهارات الشعراء والكتاب ما يجعله قادراً على القريض وعلى الإنشاء قدرة تفيد في الحكم والتذوق وإن لم تجعله من متقدمي الشعراء والناثرين. هذا هو الأديب. فإن كان الأديب في مطلع حياته، أو كان محباً للأدب حسن الاستهلاك له، من غير أن يملك البصيرة الأدبية، سميناه متأدباً.

وأديب زمننا قد لا يكون مطالباً بالقريض، على أن هناك مهارة القصص التي اكتسبت في عصرنا صيتاً. فلئن كان عصر الثعالبي يقضي أن يكون من حلية الأديب أن يستطيع سرد الحكايات والنوادر سرداً ممتعاً، فأديب زمننا مطالب بأن يضيف إلى مهاراته - وقد وضع عن ظهره مهارة القريض - مهارة صوغ القصة الواقعية المبتدعة. لا بد للناقد - حتى نسميه أديباً - من أن يكون أدى الخدمة العسكرية في معسكر الأدب.. نقصد أن يكون قد صنع بعض الأدب بنفسه.

فأما الناقد الذي قرأ أدباً ولم يصنعه، فهذا ليس أديباً، ولا ناقدًا، هو مثل فتية المنتديات والفيسبوك يستحسن بعض الشعر أو النثر ويعلق عليه. فأما الأكاديمي الذي لم يصنع شعراً ولا نثراً، لكنه بحكم شهادته يتصدى لدرس تاريخ الأدب - درسته الدوارس - فهو جندي مرتزق نزل إلى الميدان ببندقية خشب.

الثعالبي أديب، كتب كتباً كثيرة. وأهم كتبه اليتيمة، وفيه أشعار مختارة لأهل عصره.

قال أبو منصور الثعالبي في اليتيمة: «أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة إلا أحب في غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه.» وقد ظل صاحبنا يزيد وينقص في كتابه اليتيمة. على أنه لم يسعفنا كثيراً في سرد معلومات عن حياة شعرائه الكثر، واكتفى بعبارات إطراء منمقة طرز منها أسطراً تكثر أو تقل لكل شاعر، ولم يجد فيها مؤرخو الأدب الحقيقيون غناء، ولا نحن وجدنا. وحقق الكتاب شيخ جليل في علمه هو محمد محيي الدين عبد الحميد. واعتذر الشيخ في مقدمته عن عدم وجود التشكيل بأن المطبعة التي اختارها الناشر لا تملك أن تشكل الكتاب. على أن اللمسة السحرية للشيخ الجليل لا تخفى. قد أحسن إلى الكتاب بأجزائه الأربعة.

ورأينا «لليتيمة» طبعات أخرى، ونبذناها، واتخذناها وراءنا ظهرياً.

١ قبله

قال سيف الدولة الحمداني:

أَقْبَلُهُ عَلَى جَزَعٍ كَثُرَ الطَّائِرِ الْفَزَعِ
رَأَى مَاءً فَأَظْمَعَهُ وَخَافَ عَوَاقِبَ الطَّمَعِ
وَصَادَفَ فُرْصَةً فَدَنَا وَلَمْ يَلْتَذَّ بِالْجُرْعِ

٢ تمهيد

وإذا ما الجفاء جهَّزَ جيشاً سبقته طليعةٌ من تجنُّ
قبل أن يجفوك صاحبك يتخذ الذرائع ويتجنى عليك لتبرير جفائه

٣ حاسد لا

قال ذو القرنين ابن ناصر الدولة الحمداني:

إِنِّي لِأَحْسُدُ «لا» فِي أُسْطَرِ الصُّخْفِ إِذَا رَأَيْتُ اعْتِنَاقَ اللَّامِ لِلْأَلْفِ

٤ صفاء

قال منصور بن كيفلغ:

يُدِيرُ مِنْ كَفِّهِ مُدَاماً أَلَذَّ مِنْ عَفْلَةِ الرَّقِيبِ
كَأَنَّهَا إِذْ صَفَّتْ وَرَقَّتْ شَكْوَى حَبِيبٍ إِلَى حَبِيبِ

٥ اضطرار

قال أبو عبيدة:

مَا أَنْتَ إِلَّا كَلَحْمٍ مَيِّتٍ دَعَا إِلَى أَكْلِهِ اضْطِرَارُ

٦ أفعالنا

أَمَامَ مَا يُدْرِيكَ مَا أَفْعَالُنَا وَالْخَيْلُ تَحْتَ النَّفْعِ كَالْأَشْبَاحِ

النفع: الغبار

تَظْفُو وَتَرْسُبُ فِي الدَّمَاءِ كَأَنَّهَا صُورُ الْفَوَارِسِ فِي كُؤُوسِ الرِّاحِ
صور الفرسان المنقوشة على جوانب الكؤس كأنها تظفو وترسب بينما أنت تشرب وينخفض سطح
الشراب أو يميل

٧ ما حيلتي

قال أبو العباس النامي يمدح سيف الدولة:

يَا مُظْمِيَّ الْخَيْلِ أَوْ تَرَوَى ذَوَابِلُهُ وَالْخَيْلُ تَشْرَبُ مِنْ أَشْدَاقِهَا اللَّجْمُ
تجعل الخيل عطشى حتى تروى ذوابلك، أي رماحك، من دم الأعداء، ولجم الخيل، الحوادث في
أفواهها، تشرب دماً من أشداقها، أي مشافرها أي شفاها

قَالَ النَّهَارُ لَهُ، وَالشَّمْسُ مُغْمَدَةٌ وَلِلْمَنَايَا شُمُوسٌ غِمْدُهَا الْقِمَمُ:

النهار يقول لسيف الدولة، بينما الشمس مغمدة، مخفية كالسيف في غمده، وبينما الموت له
شموس هي لمعان السيوف، وهذه الشموس مغمدة في القمم، رؤوس الأعداء.. يقول النهار:

هَذَا عَجَاجٌ فَأَيْنَ الْأَفْقُ وَهُوَ قَنَاءُ؟ وَتِلْكَ خَيْلٌ فَأَيْنَ الْأَرْضُ وَهِيَ دَمٌ؟

هذا عجاج، أي غبار، فأين الأفق؟.. فلا نرى إلا القنا أي الرماح في الجوّ، ونرى الخيل ولا
نرى الأرض، فالأرض غطاها الدم

يَحْدُ سَيْفُكَ، سَيْفَ الدَّوْلَةِ، انْحَطَمَتْ قَوَاعِدُ الشَّرِكِ، وَالْأَرْوَاحُ تَنْحَطُّ

يُحَدِّثُ الذَّنْبَ ذَنْبٌ وَهُوَ مُبْتَهَجٌ وَيُخْجِرُ النَّسْرَ نَسْرٌ وَهُوَ مُبْتَسِمٌ

الذئاب والنسور مبتهجة بما ستأكل من جثث الأعداء. التسويد لأحمد عبد الرحيم

أَمِنْ غَلَا أَمْ مِنْ نَدَى أَدْعُوكَ؟ أَمْ بِهِمَا فَأَنْتَ ذَا، وَالْحَيَا وَالصَّارِمُ الْخَذِمُ

الحيا: المطر، الصارم الخدم: السيف القاطع

إِذَا طَلَبْتُكَ لَمْ أَلْحَقْكَ فِي أَمَدٍ مَا حِيلَتِي، قَدْ تَنَاهَى دُونَكَ الْكَلِمُ

٨ إِنْعام ثَانَوِي

قال النامي:

مَكَارِمُ لَا تَنْفَكُ تُتَعَبُ حَاسِداً يُوْخِرُهُ سَعْيِي لَهَا قَدْ تَقَدَّما
الحاسد متعب لأن المكارم سبقته بمساعيها السالفة لذا أصبح متأخراً عنها

رَكَتُ فِكْرِي فِيهَا، وَأَيْنَعَ هَاجِسِي فَظَلْتُ عَلَى أَهْلِ الْقَرِيضِ مُقَدِّما
زكت فكري، زادت المعاني الشعرية، في مكارمك وأينع هاجسي، تفتحت قريحتي، فظلت، أي ظلت، متقدماً على الشعراء

وَوَلَّدَ شِعْرِي فِيكَ شِعْراً لِمَعَشِرٍ فَكُنْتُ عَلَيْهِمْ مِثْلَ نُعْمَاكَ مُنْعِما
قلدني الشعراء فقالوا العطايا بسبي

٩ يَتَغْيِرُ

قال أبو الحسين الناشئ الأصغر:

لَيْسَ الْحِجَابُ مِنَ الْآلَةِ الْأَشْرَافِ إِنْ الْحِجَابُ مُجَانِبُ الْإِنْصَافِ
وَلَقُلْ مَنْ يَأْتِي فَيُحْجَبُ مَرَّةً فَيَعُودُ ثَانِيَةً بِقَلْبِ صَافٍ

١٠ مَذِيبُ السِّيفِ

أبو القاسم الزاهي:

الْلَيْلُ مِنْ فِكْرِي يَصِيرُ ضِيَاءً وَالسِّيفُ مِنْ نَظْرِي يَذُوبُ حَيَاءً
وَالْخَيْلُ لَوْ حَمَلَتْهَا عِلْمِي بِهَا لَتَرَكْتُهَا تَحْتَ الْعِجَاجِ هَبَاءً
العجاج: الغبار

١١ وَدَاعٍ

أبو الفرج البقاء:

يَا سَادَتِي هَذِهِ نَفْسِي تُودِّعُكُمْ إِذْ كَانَ لَا الصَّبْرُ يُسَلِّحُهَا وَلَا الْجَزَعُ
لَا عَذَّبَ اللَّهُ رُوحِي بِالْبَقَاءِ، فَمَا أَظُنُّنِي بَعْدَكُمْ بِالْعَيْشِ أَنْتَفِعُ

١٢ خليط

أبو الفرج البيهقي:

عَاطِنِيهَا كَالجُلْنَارِ إِذَا مَا كُتِلْتُ مِنْ حَبَابِهَا بِالْأَقَاحِ
 اسقني الخمر وهي تشبه الجلنار، زهر الرمان، وقد كللها الحباب، الفقايع، كأنه أزهار الأتحران
 فَتَدَارِكُ بِهَا حُشَّاشَةً أَفْرَا حَيٍّ، وَحَرَكُ بِهَا سُكُونٌ ارْتِيَا حَيٍّ
 أدرك أفرح قلبي بالخمر كي تستمر
 بَيْنَ وَرْدَيْنِ مِنْ بَنَانٍ وَخَدٍّ وَشَرَابَيْنِ مِنْ رُضَابٍ وَرَاحِ
 بنان المحبوبة، أطراف أصابعها وخدها فيها احمرار كالورد، والشرابان ريقها والخمر
 وَنَشِيدٍ مُسْتَنْبِطٍ مِنْ حَدِيثٍ وَغَنَاءٍ يُغْنِي عَنِ الْإِقْتِرَاحِ
 رب نشيد يتولد من الحديث وغناء جميل لا نحتاج معه إلى أن نقترح على المغنية أصواتاً بعينها
 فَأَلَدُ الْحَيَاةِ مَا خَلَطَ الْعَا قُلُ فِيهِ فِسَادُهُ بِصَلَا حِ
 فالألد الحياة ما خلط العا

١٣ الإمكان

أبو الفرج البيهقي:

وَأَذِرْهَا عَذْرَاءً وَانْتَهِزِ الْإِمَامَ كَانَ مِنْ قَبْلِ عَائِقِ الْإِمْكَانِ
 الخمر العذراء: التي فض الختم عن دنها لتوه
 فِي كُؤُوسٍ كَأَنَّهَا زَهْرُ الْخَشْخَشَةِ خَاشِ ضَمَّتْ شَقَائِقَ النُّعْمَانِ

١٤ نفسي بلغتي

قال البيهقي:

رَسَا فِي ثُرْبَةِ الْعَلْبَاءِ أَصْلِي وَأَبْنَعَ فِي بُرُوجِ الْمَرْزُوعُضِيِّ
 وليس علي غير الجد فيما سَعَيْتُ لَهُ لِأَسْتَفْنِي وَأُغْنِي
 فَلِنْ أَحْرَمَ فَلَمْ أُحْرَمَ لِمَعْجَزِ وَإِنْ أَبْلَغَ فَنَفْسِي بَلَّغْتُنِي

١٥ ذات التشابه

الوأواء الدمشقي:

قَالَتْ وَقَدْ فَتَكْتُ فِينَا لَوْ أَحِظْهَا كَمْ ذَا؟ أَمَا لِقَتِيلِ الْحَبِّ مِنْ قَوْدٍ؟
 تسأل المحبوبة أليس ثمة قود، أي قصاص، لمن قتل العاشق؟ كأنها لا تعرف أنها هي القاتلة!

وَأَسْبَلْتُ لَوْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ، وَسَقَتْ وَزَدَا، وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

العناب: ثمر صغير أطرافه محمرة

إِنْسَانَةً لَوْ بَدَتْ لِلشَّمْسِ مَا طَلَعَتْ مِنْ بَعْدِ رُؤْيَيْهَا يَوْمًا عَلَى أَحَدٍ

١٦ النجوم

قال الواواء:

وَكَأَنَّ النُّجُومَ أَحْدَاقَ رُومٍ رُكِبَتْ فِي مَحَاجِرِ السُّودَانِ

١٧ ندم

الواواء:

مَا حُكِّمَ الْبَيْنُ إِلَّا جَارَ مُحْتَكِمًا وَلَا انْتَضَى سَيْفُهُ إِلَّا أَرَاقَ دَمَا
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي يَوْمَ بَيْنِهِمْ نَدِمْتُ إِذْ لَمْ أَمُتْ فِي إِنْثَرِهِمْ نَدَمَا

١٨ الزُّرْقَةُ

السري الموصلي:

وَقَالُوا بِمُقْلَتِهِ زُرْقَةٌ تَشِينُ فَظْلًا لَهَا مُظَرِّقًا
وَهَلْ يَقْطَعُ السَّيْفُ يَوْمَ الْوَعَى إِذَا لَمْ يَكُنْ مَثْنُهُ أَرْزَقًا

١٩ فساد الحج

أبو طالب الرقي يتغزل:

إِذَا طَافَ بِالْأَرْكَانِ طَافَ بِهِ الْوَرَى فَيَقْضِي وَلَا يَقْضُونَ لِلْحَجِّ مَنَسِكًا
المحجوب يطوف بالكعبة والناس يطوفون حوله ويتبعونه فحجهم فاسد

فَبَا رَائِحًا مِنْهُ بِأَوْقَرِ فِئْتَةٍ تَجْهَرُ لِعَامٍ بَعْدَ هَذَا لَعَلَّكَ
لعلك تغوز بالحج الصحيح

٢٠ دعوة*

كشاجم، أبو نصر بن أبي الفتح:

دَعَانِي كَمَا يَدْعُو الصَّدِيقُ صَدِيقَهُ فَجِئْتُ كَمَا يَأْتِي إِلَى مِثْلِهِ مِثْلِي
فَلَمَّا جَلَسْنَا لِلطَّعَامِ رَأَيْتُهُ يَرَى أَنَّهُ مِنْ بَعْضِ أَعْضَائِهِ أَكْلِي

وَيَفْتَاطُ أَحِبَاناً وَيَشْتُمُ عَبْدَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْغَيْظَ وَالشَّتْمَ مِنْ أَجْلِي
فَأَقْبَلْتُ أَسْتَلُّ الطَّعَامَ مَخَافَةً وَالْحَاظُ عَيْنِيهِ رَقِيبٌ عَلَى فِعْلِي
أُمْدُ يَدِي سَرَأَ لِأَسْرِقَ لُقْمَةً فَيَلْحَظُنِي شَرْراً فَأَعْبَثُ بِالْبَقْلِ
إِلَى أَنْ جَنَى كَفِّي لِحَتْفِي جَنَائَةً وَذَلِكَ أَنَّ الْجُوعَ أَفْقَدَنِي عَقْلِي
فَجَرَّتْ يَدِي لِلْحَيْنِ رَجُلَ دَجَاجَةٍ فَجَرَّتْ كَمَا جَرَّتْ يَدِي رَجُلَهَا رَجُلِي
وَقَمْتُ لَوْ أَنِّي كُنْتُ بَيْتُ نِيَّةٍ رِيحُ ثَوَابِ الصَّوْمِ مَعَ عَدَمِ الْأَكْلِ
* تعليق أ. عبد الرحيم: بثت الدعوة!

٢١ جنازة

عبد المحسن السوري:

قَالُوا: أَلَمْ تَحْضُرْ عَلِيّاً بَعْدَمَا دَفَنُوهُ؟ قُلْتُ: هُنَاكَ بِئْسَ الْمَحْضَرُ
لَا أَسْتَطِيعُ أَرَى الْمَعَالِي بَيْنَكُمْ مَحْمُولَةً، وَأَرَى الْمَكَارِمَ تُقْبَرُ
لَمْ يَمُضْ قَبْلَكَ مَنْ أَرَاهُ أَسْوَةً فَأَقُولُ هَذَا مِثْلُ ذَاكَ فَأَضِيرُ
مَا كَانَ أَكْثَرَهُمْ وَأَنْتَ جَلِيسُهُمْ وَأَقْلَهُهُمْ إِذْ شَيَّعُوكَ وَكَبَّرُوا

٢٢ راحته اليمنى

عبد المحسن السوري:

مَا زَالَ يَبْنِي كَعْبَةً لِلْعُلَا وَيَجْعَلُ الْجُودَ لَهَا رُكْنًا
حَتَّى أَتَى النَّاسُ فَطَافُوا بِهَا وَقَبَّلُوا رَاحَتَهُ الْيُمْنَى

٢٣ احتراف التهنك

أبو الرَّقْعَمَق:

كُفِّي مَلَامَكَ يَا ذَاتَ الْمَلَامَاتِ فَمَا أُرِيدُ بَدِيلًا بِالرَّقَاعَاتِ
أَبْتَهَا اللَّائِمَةُ لِي عَلَى مَجُونِي، لَا أُرِيدُ أَنْ أَتْرِكَ رَقَاعَاتِي، وَالرَّقَاعَةُ حَقٌّ وَوَقَاعَةُ

كَأَنَّنِي وَجُنُودُ الصَّفْعِ تَتَّبِعُنِي وَقَدْ تَلَوْتُ مَزَامِيرَ الرِّطَانَاتِ ..
يَبِثُ مَعَ صَحْبِهِ فَيَصْفَعُونَهُ عَلَى قَذَالِهِ أَيُّ رَقَبَتِهِ مِنْ وَرَاءِ، فَيَقُولُ كَلَاماً غَيْرَ مَفْهُومٍ بِقَهْقَهَاتٍ فَهَذِهِ
مَزَامِيرُهُ ..

قِسْبِسُ دَيْرٍ تَلَا مِزْمَارَهُ سَحَرَا عَلَى الْقُسُوسِ بِتَرْجِيْعٍ وَرَنَاتٍ
فَكَأَنَّهُ فِي هَذِهِ الْعَطْمَةِ قِسْبِسٌ يَتْلُو صَلَاةَ السَّحَرِ عَلَى إِخْوَانِهِ بِتَرْتِيلٍ سَرِيَانِي

وَقَدْ مَجَنْتُ وَعَلَّمْتُ الْمَجُونَ، فَمَا أُدْعَى بِشَيْءٍ سِوَى رَبِّ الْمَجَانَاتِ
رَبِّ الْمَجَانَاتِ: صَاحِبِ الْمَعَابِثَاتِ الْفَاحِشَةِ

وَذَاكَ أَنَّنِي رَأَيْتُ الْعَقْلَ مُطَّرَحًا فَجِئْتُ أَهْلَ زَمَانِي بِالْحَمَاقَاتِ
لَوْ كُنْتُ بَيْنَ كِرَامٍ مَا تَهَضَّمْنِي دَهْرٌ أَنَاخَ عَلَى أَهْلِ الْمُرُوءَاتِ
لَوْ كُنْتُ بَيْنَ كِرَامٍ مَا تَهَضَّمْنِي، ظَلَمْنِي، زَمَنُ أَنَاخَ وَبِرْكَ بِثَقْلِهِ عَلَى الْكِرَامِ

مَا لِي بِلَا سَبَبٍ عُودِرْتُ مُطَّرَحًا وَقَدْ حُرِمْتُ عَطَايَاكَ الْجَزِيلَاتِ
هَذِهِ الْقَصِيدَةُ عَارِضُهَا الشَّاعِرُ الْفِلَسْطِينِي إِبْرَاهِيمُ طَوْقَانُ بِقَصِيدَةٍ أَشَدَّ مِنْهَا رِقَاعَةً
وَتَهْتِكًا وَلَمْ يَطْبِعْهَا فِي دِيْوَانٍ وَلَا فِي جَرِيدَةٍ وَلَا فِي أَيِّ شَيْءٍ. وَتَصْدَى لَهُذِهِ الْقَصِيدَةُ
د. فَوَازُ طَوْقَانُ ابْنُ أَخِي الشَّاعِرِ، وَهُوَ أَسَاطِذَةُ الْإِدْبِ فَصَنَفَ كِتَابًا
سَمَاهُ «الْقَصِيدَةُ الشَّرِيرَةُ» سَاقٍ فِيهِ الْقَرِينَةُ إِثْرُ الْقَرِينَةِ عَلَى أَنَّ الْقَصِيدَةَ لَيْسَتْ لَعْمَةً. وَلَا
أَدْرِي إِنْ كُنْتُ سَاعَرَضْتُ لَهُذِهِ الْقَصِيدَةَ عِنْدَمَا أَتَنَاولُ شِعْرَ إِبْرَاهِيمِ طَوْقَانُ فِي كِتَابٍ لِي
مَا زَالِ «نِصْفُ مَخْطُوطٍ» وَسَمِيَتْهُ «آخِرُ الشَّعْرِ» مِثْلَمَا يَسْمِي النَّاسُ أَوْلَادَهُمْ قَبْلَ أَنْ
يُولِدُوا. وَلَكِنِّي أَقُولُ إِنِّي حَصَلْتُ عَنِ النَّصِّ الْكَامِلِ لِلْقَصِيدَةِ «الشَّرِيرَةِ» مِنْ أَخِي
إِبْرَاهِيمِ طَوْقَانُ «رَحِمِي» مَطْبُوعَةً عَلَى الْآلَةِ الْكَاتِبَةِ، وَسَأَلْتُ أُخْتَ الشَّاعِرِ فَدَوَى عَنِ
نِسْبَةِ الْقَصِيدَةِ، فَأَغْضَتْ إِغْضَاءً قَصِيرَةً، وَقَالَتْ: هِيَ لَهُ. وَأَنَوَّهَ إِلَيَّ أَنَّ الْقَصِيدَةَ تَعُودُ
إِلَى زَمَنِ كَانَ فِيهِ طَالِبًا فِي بَيْرُوتٍ. هَذَا لِلتَّارِيخِ

٢٤ مع نفسه

أَبُو الرِّقْمَقِ:

مَنْ كَانَ ذَا زَوْجَةٍ فَإِنِّي لِشِقْوَتِي زَوْجَتِي يَمِينِي
عُمَيْرَةً قَدْ جَلَدْتُ حَتَّى خَشِيتُ وَاللَّهِ يَجْلِدُونِي
جَلَدَ عُمَيْرَةٍ: مِمَارَسَةُ الذِّكْرِ الْعَادَةِ السَّرِيَّةِ

٢٥ خَلَانِي

وَقَالَ:

وَذِي دَلَالٍ إِذَا مَا شِئْتُ أَنْشَدَنِي وَإِنْ أَرَدْتُ غِنَاءً مِنْهُ غَنَّانِي
مَا زَالَ يَأْخُذُهَا صَفْرَاءُ صَافِيَةً حَتَّى تَوَسَّدَ يُمْنَاهُ وَخَلَّانِي

٢٦ الرضا بالخمول

الحسن التتيسي ابن وكيع:

وإنَّ أَتَوْكَ وَقَالُوا كُنْ خَلِيفَتَنَا فقلْ لَهُمْ إِنِّي عَنْ ذَاكَ مَشْغُولٌ
وَارْضَ الْخُمُولَ فَلَا يَحْظَىٰ بِلَذَّتِهِ إِلَّا أَمْرُؤٌ خَامِلٌ فِي النَّاسِ مَجْهُولٌ
الخمول ضد الشهرة . يقول : لا يحظى بلذته إلا الخامل المجهول

وَلَا تَبِغْ عَاجِلَ الدُّنْيَا بِأَجَلٍ مَا تَرْجُو، فَذَلِكَ أَمْرٌ شَأْنُهُ الطُّوْلُ
يَا خَائِفَ الْإِثْمِ فِيهَا حِينَ يَشْرُبُهَا لَا تَقْنَطَنَّ فَعَفُوَ اللَّهِ مَأْمُولٌ

٢٧ خوفي كخوفك

وقال:

لَا تُكْثِرَنَّ عَلَيَّ، إِنَّ أَخَا الْحِجَا بَرِمٌ بِقُرْبِ الصَّاحِبِ الْمَهْذَارِ
لا تكثر من الكلام فأخو الحجا، صاحب العقل، برم سؤوم من صاحب المهدار، كثير الكلام
الفارغ

خَوَّفْتَنِي بِالنَّارِ جَهْدَكَ دَائِباً وَلَجَجْتَ فِي الْإِرْهَابِ وَالْإِنْذَارِ
لججت: أسرفت

خَوْفِي كَخَوْفِكَ غَيْرَ أَنِّي وَائِقٌ بِجَمِيلِ عَفْوِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ

٢٨ الزهد

وقال:

إِزْهَدْ إِذَا الدُّنْيَا أَنَالَتْكَ الْمُنَى فَهَنَّاكَ زُهْدَكَ مِنْ شُرُوطِ الدِّينِ
وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا رُمْتَهَا فَأَبْتُ عَلَيْكَ كَعِقَّةِ الْعِثْنِ

٢٩ المناسك

القاضي محمد بن النعمان:

رُبَّ خَوْدٍ عَرَفْتُ فِي عَرَفَاتٍ سَلَبْتَنِي فِي حُسْنِهَا حَسَنَاتِي
خود: فتاة ناعمة . . ويذكر مناسك الحج وأماكنه

حَرَّمْتُ يَوْمَ أَحْرَمْتُ نَوْمَ عَيْنِي وَاسْتَبَاحْتُ حِمَايَ بِاللَّحْظَاتِ

وَأَفَاضْتُ مَعَ الْحَجِيجِ فَفَاضَتْ مِنْ جُنُونِي سَوَاكِبُ الْعَبَرَاتِ
وَلَقَدْ أَضْرَمْتُ بِقَلْبِي جَمْرًا حِينَ رَاحَتْ لِلرَّمْيِ بِالْجَمَرَاتِ
لَمْ أُنَلْ مِنْ مَنَى النَّفْسِ حَتَّى خِفْتُ بِالْخَيْفِ أَنْ تَكُونَ وَفَاتِي

٣٠ حسرة

عبيد الله بن أبي الجوع:

أَرَى اللَّذَاتِ تَغْبُرُنِي يَمِينًا، عَلَى رُغْمِي، وَتَغْبُرُنِي شِمَالًا
فَأَجْرُعُ دُونَهَا غُصَصًا لِأَنِّي أَشَاهِدُهَا وَمَا أُعْطِيتُ مَا لَا

٣١ رحيل

نسيم بن معد:

وَمَا أُمُّ خِشْفٍ ظِلٌّ يَوْمًا وَلَيْلَةً بِبَلْقَعَةٍ بَيْدَاءَ ظَمَانَ صَادِيَا
يبدأ تشبهاً طويلاً.. أم خشف: أم ظبي صغير، بلقعة: أرض خلاء، صادي: عطشان

تَهِيمُ فَلَا تَدْرِي إِلَى أَيْنَ تَنْتَهِي مُوَلَّهَةٌ حَيْرَى تَجُوبُ الْفَيَافِيَا
أَضَرَّ بِهَا حَرُّ الْهَجِيرِ فَلَمْ تَجِدْ لِعُلَّتْهَا مِنْ بَارِدِ الْمَاءِ شَافِيَا

الغلة: العطش

إِذَا بَعُدْتُ عَنْ خِشْفِهَا انْعَطَقْتُ لَهُ فَأَلْفَتْهُ مَلْهُوفاً إِلَى الْجُوعِ ظَامِيَا
بِأَوْجَعِ مَنِي يَوْمٍ شَدُّوا رِحَالَهُمْ وَنَادَى مُنَادِي الْحَيِّ أَلَّا تَلَاقِيَا
ليست الظبية العطشى التي معها ولدها الصغير العطشان أكثر توجعاً مني يوم فراقهم

٣٢ الدنيا

أحمد بن عبد ربه الأندلسي:

إِنَّمَا الدُّنْيَا غَضَارَةٌ أَيْكَةٍ إِذَا اخْضَرَّتْ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ
الغضارة: اللين، الأيكة: الشجر الملف

هِيَ الدَّارُ! مَا الْأَمَالُ إِلَّا فَجَائِعُ عَلَيْهَا، وَلَا اللَّذَاتُ إِلَّا مَصَائِبُ
فَكَمْ سَخِنَتْ بِالْأَمْسِ عَيْنٌ قَرِيرَةٌ وَقَرَّتْ عَيُونٌ دَمْعُهَا الْيَوْمَ سَاكِبُ

سختت العين: كان صاحبها قلقاً مهموماً، والعين القريرة: التي صاحبها مطمئن

فَلَا تَكْتَحِلْ عَيْنَاكَ مِنْهَا بِعَبْرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا، فَإِنَّكَ ذَاهِبٌ

٣٣ واكبدا

وقال يرثي ولده:

وَكَبِدَا! قَدْ تَقَطَّعَتْ كَيْدِي وَأَخْرَقْتَنِي لَوَاعِجُ الْكَمَدِ

لواعج: هموم تحرق القلب، الكمد: الغم

مَا مَاتَ مَيِّتٌ لِمَيِّتٍ أَسْفَا أَعْذَرُ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ

أعذر: أوفر عذراً، أي أن الأب لو مات حزناً على ولده لكان معذوراً

يَا رَحْمَةَ اللَّهِ جَاوِرِي جَدْنَا دَقَنْتُ فِيهِ حُشَاشَتِي بِيَدِي

جدت: قبر، حشاشة: قلب

وَنُورِي ظُلْمَةَ الْقُبُورِ عَلَى مَنْ لَمْ يَصِلْ ظُلُمُهُ إِلَى أَحَدٍ

يَا لَوْعَةً لَا يَزَالُ لَاِعْجُهَا يَفْدُخُ نَارَ الْأَسَى عَلَى كَيْدِي

٣٤ العدل والرحمة

أحمد بن محمد بن عبد ربه:

يَا وَيْلَنَا مِنْ مَوْقِفٍ مَا بِهِ أَخَوْفُ مِنْ أَنْ يَمْدِلَ الْحَاكِمُ

أُبَارِزُ اللَّهَ بِعِصْيَانِهِ وَلَيْسَ لِي مِنْ دُونِهِ رَاحِمٌ

يَا رَبِّ عَفِوَا مِنْكَ عَنْ مُذْنِبٍ أَسْرَفَ إِلَّا أَنَّهُ نَادِمٌ

٣٥ الجمع والإنفاق

قال الشاعر:

جَمَعْتُ مَا لَا ففَكَّرُ هَلْ جَمَعْتُ لَهُ يَا جَامِعَ الْمَالِ أَبْوَاباً تُفَرِّقُهُ

الْمَالُ عِنْدَكَ مَخْزُونٌ لِوَارِثِهِ، مَا الْمَالُ مَالُكَ إِلَّا يَوْمَ تُنْفَقُهُ

٣٦ الإبرة

السري الرفاء، وكان يرفو الثياب:

وَكَانَتِ الْإِبْرَةُ فِيمَا مَضَى صَائِنَةً وَجْهِي وَأَشْمَارِي

فَأَصْبَحَ الرِّزْقُ بِهَا ضَيْقًا كَأَنَّهُ مِنْ ثِقْبِهَا جَارٍ

٣٧ السور والسوار

السري الرفاء:

فَلَتَشْكُرَنَّكَ دَوْلَةٌ جَدَّدَتْهَا فَتَجَدَّدَتْ أَعْلَامُهَا وَمَنَارُهَا
حَلَّتْهَا، وَحَمِيَتْ بِيضَةً مُلْكُهَا فَغَرَارُ سَيْفِكَ سَوْرُهَا وَسِوَارُهَا
بيضة ملكها: أصله، غرار سيفك: أي حده، سور للدولة وسوار

٣٨ در وحصى

وقال:

وَالشَّعْرُ بِحَرٍّ نَلْتُ أَنْفَسَ دُرِّهِ وَتَنَافَسَ الشَّعْرَاءُ فِي حَضْبَائِهِ
الحصاء: الحصى

٣٩ اللسان

السري الرفاء يمدح أبا البركات ابن ناصر الدولة ويتظلم من الخالدين:

أَشْكُو إِلَيْكَ حَلِيفِي غَارَةَ شَهْرًا سَيْفَ الشَّقَاقِ عَلَى دِيْبَاجِ أَفْكَارِي
أشكو حليفي غارة، أي صاحبي غارة، قد شهراً سيفاً على أفكاري الجميلة لسرقتها
ذُبِّبِنِ لَوْ ظَفِرًا بِالشَّعْرِ فِي حَرَمٍ لَمَزَقَّاهُ بِأَنْيَابٍ وَأَظْفَارٍ
لو أمسكا بالشعر في مكان محرم لا قتال فيه، لمزقاه تمزيقاً

إِنْ قَلْدَاكَ بِدُرٍّ فَهَوَ مِنْ لُجَجِي أَوْ خَتَّمَاكَ بِيَاقُوتٍ فَأَحْجَارِي
يلبسانك الدر، اللؤلؤ، ولكن هذا اللؤلؤ من لججي، أي من بحاري، ويختمانك، أي يلبسانك
الخواتم، ولكن ياقوت هذه الخواتم من أحجاري الكريمة فهما يسرقان شعري

وَاللَّهُ مَا مَدَحَا حَيًّا، وَلَا رَئِيَا مَيِّنْبًا، وَلَا افْتَحَرَا إِلَّا بِأَشْعَارِي

٤٠ على الأنافي

قال السري يهجو أبا العباس النامي وقيل إنه كان جزاراً:

لَقَدْ شَقِيتَ بِمُدِّيَّتِكَ الْأَضَاحِي كَمَا شَقِيتَ بِغَارَتِكَ الْقَوَافِي
أيها الجزار مثلما شقيت نعاج الأضاحي بسكينك، فإن الأشعار شقيت بإغارتك عليها وسرقتها

وَشَرُّ الشَّعْرِ مَا أَدَّاهُ فِكْرُ تَعَثَّرَ بَيْنَ كَدٍّ وَاعْتِسَافِ
 الشعر السيئ هو الذي يتعب فيه الإنسان ويأتي به مفتعلاً بعد كثير من الكد والتعسف، أي الالتواء
 سأشفي القول منك ينظم شعري تَبَيَّتْ له على مثل الأنافي
 سأشفي وأنصف الشعر منك بهجاء تبئت بسببه على الأنافي، على الحجارة التي توضع تحت القدر

٤١ تكافل

السري الرفاء:

إِذَا الْعِبَاءُ الثَّقِيلُ نَوَزَعْنَهُ أَكْفُ الْقَوْمِ خَفَّ عَلَى الرُّقَابِ

٤٢ مجلس على دجلة

السري:

مَجْلِسٌ فِي فِنَاءٍ دَجَلَةً يَرْتَا حُ إِلَيْهِ الْخَلِيعُ وَالْمَسْتُورُ
 الخليع: الماजन، المستور: الذي يكتُم ملذاته

لَيْسَ فِيهِ إِلَّا خُمَارٌ وَخَمَرٌ وَمَمَاتٌ مِنْ نَشْوَةٍ وَنَشُورُ
 الخمار: صدام الخمر، والنشور: البعث

وَحَدِيثٌ كَأَنَّهُ زَهْرُ الْمَنَى شُورٌ حُسْنًا أَوْ لَوْلُؤٌ مَنُشُورُ
 وجريحٌ مِنَ الدَّنَانِ تَسِيلُ الرَّ- أَحٌ مِنْ جُرْجِهِ، وَقَدَرٌ تَفُورُ
 وعندنا دن جريح، أي خابية خمر ثقت فسالَت منها الخمر الحمراء، وقدر للطعام تغلي
 وَلَكَ الظُّبْيَةُ الْغَرِيرَةُ إِنْ شِئْتَ وَإِنْ عَفَّتْهَا فَظَبْيٌ غَرِيرُ

٤٣ الفضل الحقيقي

وقال:

وَشَمَائِلُ شَهَدَ الْعَدُوُّ بِفَضْلِهَا وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ

٤٤ انتقامها

أبو بكر الخالدي:

حَمْرَاءُ حِينَ جَلَّتْهَا الْكَأْسُ نَقَّطَهَا مِرَاجُهَا بِدَنَانِيرٍ مِنَ الْحَبَبِ
 خمر حمراء حين جلَّتْها الكأس، أي أبرزتها لنا الكأس، نقطها مزجها بالماء بالحب أي الفقاقيع التي
 تشبه الدنانير الذهب

كَانَتْ لَهَا أَرْجُلُ الْأَعْلَاجِ وَاتِرَةٌ بِالْدَّوْسِ، فَانْتَصَفَتْ مِنْ أَرْؤُسِ الْعَرَبِ
داس الأعلاج، الفلاحون الأعاجم، العنب بأرجلهم في عملية العصر فكانهم وتروا
هذا العصير، أي تركوا عنده ثأراً، وصار العصير خمرأ فأخذت الخمر ثأرها من
رؤوس العرب عندما شربوها فدارت رؤوسهم سكرأ

٤٥ العانس

أبو بكر الخالدي:

وَتَمَائِلُ الْجُوزَاءِ يَحْكِي فِي الدُّجَى مَبْلَانْ شَارِبِ قَهْوَةٍ لَمْ تُنْمَجْ

نجوم الجوزاء تهتز في الليل اهتزاز شارب قهوة، أي خمر، صرف لم تمزج

وَتَنْقَبْتُ بِخَفِيفِ غَيْمٍ أبيضِ هِيَ فِيهِ بَيْنَ تَخْفِيرٍ وَتَبْرِجٍ

تنقبت النجوم بنقاب هو الغيم الخفيف، وهي فيه بين تخفير، أي خجل، وتبرج

كَتَنَفْسِ الْحَسَنَاءِ فِي الْمِرَاةِ إِذْ كَمَلْتُ مُحَاسِنَهَا وَلَمْ تَتَزَوَّجْ

هذا يشبه الحسناء تمسك بمرآتها وتنتظر فيها وتنتهد إذ ترى جمالها ولا زوج لها فيغيم وجه المرأة
من بخار تنفسها . . صورة مركبة ممتعة

٤٦ احمرار

وقال أبو بكر الخالدي:

وَأَغْيَدَ رَوْنُهُ الْمُدَامَةَ فَاثْنَى كَمَا يَنْشَنِي مِنْ رِيِّهِ الْغُصْنُ الْغَضُّ

أغيد: ذو قد مياس

فَقَامَ وَفِي أَعْطَافِهِ فَضْلُ سَكْرَةٍ وَفِي عَيْنِهِ مِنْ وَرْدٍ وَجَنَّتِهِ بَعْضُ

قام هذا المحبوب وفي أعطافه، جوانب جسمه، تمايل من فضل سكرة، بقية سكر، وفي عينه
احمرار كأنه بعض ما في خده من الحمرة

٤٧ الدرهم الأخير

وقال:

يَا طَالِباً لِلْكَيمِيَاءِ وَنَفْعِهِ مَذْحُ ابْنِ عَيْسَى الْكِيمِيَاءِ الْأَعْظَمُ

الكيمياء: صنعة كانوا يعتقدون أنها تجعل الحديد ذهبأ

لَوْلَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا دِرْهَمٌ وَمَدَحَتُهُ لِأَتَاكَ ذَاكَ الدَّرْهَمُ

٤٨ العور

أبو عثمان الخالدي:

لو لم يكن ماءٌ عَلِمِي قَاهِراً فَكَّرِي لأَحْرَقْتَنِي فِي نِيرَانِهَا فَكَّرِي
لو لم يكن عَلِمِي بصروف الزمن قَاهِراً لَهُمومي لاحتَرقت بنار الهموم

تَزِيدُنِي قَسْوَةُ الْأَيَّامِ طَيْبَ نَشَأَ كَأَنَّنِي الْمَسْكُ بَيْنَ الْفُجْهِرِ وَالْحَجَرِ
تَزِيدُنِي قَسْوَةُ الزَّمَنِ طَيْبَ نَشَأَ، سُمْعَةً، كَأَنَّنِي الْمَسْكُ بَيْنَ الْحَجَرِ وَالْحَجَرِ وَتَفُوحِ رَائِحَتِهِ الطَّيِّبَةِ مَعَ نَفْتِهِ

أَلِفْتُ مِنْ حَادِثَاتِ الدَّهْرِ أَكْبَرَهَا فَمَا أَعُوجُ عَلَى أَطْفَالِهَا الْأَخَرِ
أَلِفْتُ الْمَصَائِبَ الْكَبِيرَةَ فَلَا أَعُوجُ، لَا أَلْفْتُ، إِلَى صَغَائِرِهَا

لَقَدْ فَرِحْتُ بِمَا عَايَنْتُ مِنْ عَدَمِ خَوْفِ الْقَبِيحَيْنِ مِنْ كِبَرٍ وَمِنْ بَطَرٍ
فرحت بما رأيت من فقري بمقدار خوفي من الكبر، التكبر، والبطر، جحد النعمة والتبذير

وَرَبَّمَا ابْتَهَجَ الْأَعْمَى بِحَالَتِهِ لِأَنَّهُ قَدْ نَجَا مِنْ طَيْرَةِ الْعَوَرِ
فأنا بفرحي بالمصائب الكبيرة كالأعمى الذي يفرح بالعمى لأنه نجا به من العور.. فرغم أن العور أخف من العمى فإن فيه شؤماً

وَلَسْتُ أَبْكِي لِشَيْبٍ قَدْ مُنِيتُ بِهِ يَبْكِي عَلَى الشَّيْبِ مَنْ يَأْسَى عَلَى الْعُمُرِ
وقد نظرت إلى الدنيا بمقلتها فاستصغرتها جُفُونِي غَايَةَ الصَّغَرِ يَبْكِي عَلَى الشَّيْبِ مَنْ يَأْسَى عَلَى الْعُمُرِ

٤٩ الوصي

الخباز البلدي:

أُنْظُرْ إِلَيَّ بَعِينَ الصَّفْحِ عَنْ زَلَلِي لَا تَتْرُكْنِي مِنْ ذَنْبِي عَلَى وَجَلِ
هذا فؤادي لم يَمْلِكْهُ غَيْرُكُمْ إِلَّا الْوَصِيُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِي

٥٠ القرض

وقال:

إِذَا اسْتَنْقَلْتَ أَوْ أَبْعَضْتَ خَلْقاً وَسَرَكَ بُعْدُهُ حَتَّى التَّنَادِي..
إذا وجدت خلقاً، أي شخصاً، بغيباً، وكان يسرك ابتعاده عنك حتى يوم التنادي، يوم القيامة..

فَشَرَّدَهُ بِقَرْضِ دُرِّيهِمَا فَإِنَّ الْقَرْضَ دَاعِيَةُ الْبِعَادِ
فشرده وأقصه عنك بأن تقرضه بعض الدراهم، فالدين داعية، أي سبب، للتباعد

٥١ يأس

قال الوزير المهلي قبل الوزارة:

ألا مَوْتُ يُباعُ فَأَشْتَرِيهِ فهذا العيشُ ما لا خَيْرَ فيه
ألا مَوْتُ لَذِيذُ الطَّعْمِ يَأْتِي يُخَلِّصُنِي مِنَ العيشِ الكَرِهِي
إذا أَبْصَرْتُ قَبْرًا مِنْ بَعِيدٍ وَدِدْتُ لو أَنَّني فيما يَلِيهِ
فيما يليه: بجواره

ألا رَحِمَ الْمُهَيِّمِينَ نَفْسَ حُرٍّ تصدَّقْ بِالْوَفَاءِ على أَخِيهِ

٥٢ العريانة

أبو إسحق الصابي:

يا مَنْ بَدَتْ غُرْيَانَةٌ فَرَأَيْتُ كُلَّ الحَسَنِ منها
كانتْ ثِيَابُكَ عَوْرَةً فَسُتِرَتْ بِالتَّجْرِيدِ عنها

٥٣ الأب والأم

وقال أبو إسحق الصابي:

أُسْرَةُ المَرءِ وَالِدَاهُ وَفِيما بَيْنَ حِضْنَيْهِما الحِياةُ تَطْبُبُ
فإذا ما طَوَّاهُما المَوْتُ عَنْهُ فَهُوَ في النَاسِ أَجَنَبِيٌّ غَرِيبُ

٥٤ سنان

وقال أبو إسحق الصابي يرثي ابنه سناناً:

أَسْعِدَانِي بِالدَّمْعَةِ الحَمراءِ جَلَّ ما حَلَّ بي عن البِيضاءِ
اسعداني، أي ساعداني وواسياني، وابكيا دماً فقد كبرت مصيبي عن الدموع العادية

يُؤْلِمُ القَلْبَ كُلَّ فَقْدٍ، ولا مثـ لَ انْتِقَادِ الآبِاءِ لِلأَبْناءِ
هَذَا رُكْنِي مَثْوَى سِنانٍ، وقد كا نَ يَهْدُ الأَرْكانَ مِنْ أَعْدائِي

مثوى: موت

إِنما كُنْتَ فِلْذَةً مِنْ فُؤادِي خَطَفَتْها المَنونُ مِنْ أَحْشائي

فلذة: قطعة

٥٥ بطن وظهر

وقال أبو إسحق الصابي:

أَسْرُ الْقَرِينَةَ لَيْلَ الْعِنَاقِ وَأَفْتِكَ بِالْقِرْنِ يَوْمَ الطَّعَانِ

القرن: الخصم، الطعان: الطعن بالرمح

فَبَطْنُ الْحَصَانِ وَظَهْرُ الْحِصَانِ عَلَيَّ بِمَا قَلْبُهُ شَاهِدَانِ

الحصان: المرأة المحصنة عن الفاحشة

٥٦ متحضر متوحش

قال الصابي في الحبس:

وَأَنِّي لَقِرْنُ الدَّهْرِ: يَوْمًا تَتَوْبُنِي سَطَاهُ، وَيَوْمًا تَنْجَلِي بِي نَوَائِبُهُ

أنا خصم للزمن يسطو علي مرة وتنجلي مصائبه مرة

وَمَنْ مَدَّ نَحْوَ النَّجْمِ كَيْمَا يَنَالَهُ يَدًا كَيْدِي لَأَقْتَهُ أَيْدٍ تُجَاذِبُهُ

الطموح الذي يريد بلوغ النجوم بيده سيجد أيادي أخرى تنافس يده

وَلَا بُدَّ لِلسَّاعِي إِلَى نَيْلٍ غَايَةٍ مِنَ الْمَجْدِ، مِنْ سَاعٍ تَدْبُ عَقَارِيهُ

الساعي لنيل غاية من غايات المجد سيجد ساعياً آخر تدب عقاريه، تتحفز شروبه

فَمَا كُنْتُ كَالْقِسْطَارِ يُثْرِي بِكَيْسِهِ وَيُمْلِقُ إِنْ أَنَحَى عَلَى الْكَيْسِ سَالِبُهُ

لست كالقسطار، كالصراف الذي يعرف الدراهم الصحيحة من الزائفة، الذي يصبح ثرياً بمال في كيسه، فإذا سرق منه الكيس أملق وافقر

وَلَكِنْ كَلَيْتِ الْغَابِ إِنْ رَامَ ثُرُوءَ حَوْتِهَا لَهُ أَنْيَابُهُ وَمَخَالِبُهُ

أنا كالأسد أسطو وأنال ما أريد بقوتي

يَبِيتُ خَمِيصاً طَاوِياً ثُمَّ يَغْتَدِي مُبَاحاً لَهُ مِنْ كُلِّ طُعْمٍ أَطَايِبُهُ

الأسد يبيت خميصاً طاوياً، أي جائعاً، ثم يغتدي صباحاً فيجد كل طعام مما يصيد مباحاً

وَلِي بَيْنَ أَقْلَامِي وَلُبِّي وَمَنْطِقِي غِنًى قَلَّمَا يَشْكُو الْخَصَاصَةَ صَاحِبُهُ

الخصاصة: الفقر. التسويد: أ. عبد الرحيم

٥٧ رائحة كلماته

وقال أبو إسحق الصابي:

نَطَقَ ابْنُ نَضْرٍ فَاسْتَطَارَتْ جِيْفَةٌ فِي الْخَافِقَيْنِ لِنَتْنٍ فِيهِ الْفَاسِدُ
فَكَانَ أَهْلَ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ قَسُوا مُتَوَاطِئِينَ عَلَى اتِّفَاقٍ وَاحِدٍ

٥٨ السكوت

وقال الصابي:

وَأَيَّامٌ تَعَدُّ عَلَيَّ عَدًّا وَحَظِّي مِنْ رَغَائِبِهَا يَفُوتُ
إِذَا رَامَ الْكَرِيمُ شَكَاةَ بَثٍّ فغَايَتُهُ التَّحْمُلُ وَالسُّكُوتُ
التسويد: أ. عبد الرحيم

٥٩ اللب والذهب

وقال أبو إسحق الصابي:

قَدْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ وَكَيْفَ تَغْفُلُ عَنْهُ حُرْفَةُ الْأَدَبِ
حرفة الأدب: الفقر الذي يسببه احتراف الأدب
حَتَّى انْتَنَتْ وَهِيَ كَالْعَضْبَى تُلَاحِظُنِي شَزْرًا فَلَمْ تُبْقِ لِي شَيْئًا مِنَ النَّشْبِ
حرفة الأدب صارت تنظر إلي شزراً، أي بطرف عينيها بغضب، ولم تبق لي شيئاً من النشب، المال
فَاسْتَيْقَنْتُ أَنَّهَا كَانَتْ عَلَى غَلِطٍ فَاسْتَدْرَكْتُه وَأَفْضَتُ بِي إِلَى الْحَرْبِ
تأكدت حرفة الأدب أنها كانت مخطئة إذ تركتني ومعني مال، فاستدركت الخطأ
وأفضت بي إلى الحرب، انتهت بي إلى التقيشط... في بلدنا كانت الناس تسمي
سلب قطاع الطريق المسافرين مالههم تقشيطاً... والتقيشط في اللغة هو الحَرْبِ
الضَّبُّ وَالنُّونُ قَدْ يُرْجَى التِّقَاؤُهُمَا وَلَيْسَ يُرْجَى التِّقَاءُ اللَّبِّ وَالذَّهَبِ
الضب، حيوان الصحراء، والنون، أي الحوت، يستحيل التقاؤهما طبعاً... لكن التقاؤهما أسهل
من التقاء العقل والذهب عند شخص

٦٠ المستخرج

وقال أبو إسحق الصابي في مستخرج مال كان يرفق به حال مصادره:

مُسْتَخْرَجٌ لِلْمَالِ مُضْطَرٌّ إِلَى اسـ سَتَعْمَالٍ مَا يُرْضِي بِهِ السُّلْطَانَا
كان الخلفاء والأمراء كثيراً ما ينزلون النكبة بالرجل الثري، فيولكون به مستخرجاً يصادر أمواله،
يأخذوه المستخرج إلى بيته أو قصره ويسجنه عنده، ويعذبه حتى يدل على مكان إخفاء المال

منلَطَّفَ في فقرِنا، ولو أنَّه وَجَدَ السَّبِيلَ إلى الغنى أَغْنَانَا
متوعَّرَ الجَنَبَاتِ في استِخراجِهِ وإذا تَعَطَّفَ للمُتَوَّاةِ لانا
متوعر الجنبات، أي قاس، وهو يستخرج المال، وإذا تعطف للفتوة، انثنى نحو النخوة، لان
فتراه في ديوانِهِ مُستأيداً ليثاً، وفي خَلَوَاتِهِ إنساناً

٦١ الوقت المناسب للموت

وقال أبو إسحق الصابي:

إذا لم يَكُنْ للمَرءِ بُدٌّ مِنَ الرَّدَى فأسهله ما جاء والعيشُ أنكدُ
وأصعبُهُ ما جاءهُ وهو رَاتِعٌ تُطِيفُ به اللَّذاتُ والحظُّ مُسْعِدُ
فإنَّ أَكْ شَرَّ العِشَتَيْنِ أَعِيشُهَا فلأني إلى خيرِ المَمَاتَيْنِ أَقْصِدُ

٦٢ النفس الشريفة

وقال أبو إسحق الصابي:

جُمْلَةُ الإنسانِ جِيفَةٌ وهَيُولَاهُ سَخِيفَةٌ
الهيولى: المادة الأبطى التي تتشكل بحسب طريقة التركيب في أشكال شتى..

فلماذا لَبِثَ شِعْري قَبْلَ لِلنَّفْسِ شَرِيفَةٍ

٦٣ الناتف

وقال أبو إسحق الصابي:

كفأك مِنْ ذِلَّتِي للشَّيْبِ حينَ بَدَا أني تَوَلَّيْتُ نَتْفِي لِحَبْنِي بِيَدِي

٦٤ وقت الأذان

أبو أحمد الشيرازي:

إلى اللّهِ أَشْكُو ضَنْيَ شَقْنِي وكم قَبْلَهُ مِنْ ضَنْيٍ قد شَفَانِي
وسُقْمًا أَلَحَّ، فما لي بِمَا أَحَاطَ بِرِجْلَيَّ مِنْهُ يَدَانِ
ما لي به يدان: لا حيلة لي فيه

تراني وقد كُنْتُ ثَبْتُ الجَنَانِ إذا اللَّيْلُ جَنَّ سَلِيبَ الجَنَانِ

أَقْطَعَ آنَاءَهُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَأَرْقُبُ لِلصُّبْحِ وَقْتَ الْأَذَانِ

٦٥ احتساء السرور

قال القاضي التنوخي للأب:

بَاتَ يَسْقِينِي وَيَشْرَبُ ذَهَباً لِلَّهِمْ مُذْهِبُ
شَادِنٌ يَحْمِلُ مَاءَ فِيهِ نَارٌ تَتَلَهَّبُ
شادن: ولد الظبية

لَيْتَ شِعْرِي أُسْرُوراً أَمْ مُدَاماً بِتُ أَشْرَبُ

٦٦ وقوف الفلك

قال ابن لَنَكَّك:

جَارَ الزَّمَانُ عَلَيْنَا فِي تَصَرُّفِهِ وَأَيُّ دَهْرٍ عَلَى الْأَحْرَارِ لَمْ يَجْرِ
عِنْدِي مِنَ الدَّهْرِ مَا لَوْ أَنَّ أَيْسَرَهُ يُلْقَى عَلَى الْفَلَكَ الدَّوَارِ لَمْ يَذْرِ

٦٧ البقر

وقال:

لَا تَخْذَعَنَّكَ اللَّحَى وَلَا الصُّورُ تِسْعَةُ أَعْيُنٍ مَنْ تَرَى بَقَرُ
تَرَاهُمْ كَالسَّحَابِ مَنْتَشِراً وَلَيْسَ فِيهِ لِطَالِبٍ مَطَرُ
فِي شَجَرِ السَّرْوِ مِنْهُمْ مَثَلٌ لَهُ زُوءٌ وَمَا لَهُ ثَمَرُ

٦٨ حاتم

وقال:

عَدُّنَا فِي زَمَانِنَا عَنْ طَرِيقِ الْمَكَارِمِ
مَنْ كَفَى النَّاسَ شَرَّهُ فَهُوَ فِي جُودِ حَاتِمِ

٦٩ الوضيع

قال يهجو أبا ريش:

قُلْ لِلْوَضِيعِ أَبِي رِيَاشٍ لَا تَبْلُ تَهْ كُلَّ تَبْهَكِ بِالْوِلَايَةِ وَالْعَمَلِ
قل للحمير فلان لا تبل، أي لا تبالي ولا تهتم، وازده وتكبر بتولي منصب الوالي وعمل السلطان

ما اَزْدَدْتُ حِينَ وَلَيْتَ إِلَّا حِسَةً كالكلبِ أَنْجَسَ ما يَكُونُ إِذَا اغْتَسَلَ

٧٠ الدفاتر

وقال يهجو شاعراً:

إِنَّ الرُّمَيْلِيَّ بَلِيدٌ خَاطِرُهُ
يَشْعُرُ ما دَامَتْ لَهُ دَفَائِرُهُ
فَالشُّعْرَاءُ كُلُّهُمْ خَوَاطِرُهُ

٧١ البصرة

وقال:

ليس في البصرة حُرٌّ لا، ولا فيها جِوَادُ
إِنَّمَا الْبَصْرَةُ أَنْشَأَ بٌ وَنَخْلٌ وَسَمْنَادُ
النَّشَبُ شَجَرٌ تَتَخَذُ مِنْهُ الْقَيْيَ

٧٢ الكلب والأسد

قال نصر بن أحمد الخيزأرزي:

قد قلتُ إِذْ خَانَ صَبْرِي مَنْ كَلِفْتُ بِهِ ولم يَكُنْ عَنْهُ لِي صَبْرٌ وَلَا جَلْدُ
إِنْ كَانَ شَارَكَنِي فِي حُبِّهِ وَقَحَّ فالنَّهْرُ يَشْرَبُ مِنْهُ الْكَلْبُ وَالْأَسَدُ

٧٣ عساكر الليل

قال ابن التمار الواسطي:

قُمْ فَانْتَصِفْ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ وَالتُّوبِ واجْمَعْ بِكَأْسِكَ شَمْلَ اللَّهْوِ وَالطَّرِبِ
أَمَّا تَرَى اللَّيْلَ قَدْ وَلَّتْ عَسَاكِرُهُ مَهْزُومَةً، وَجُيُوشُ الصَّبْحِ فِي الطَّلَبِ
وَالْبَدْرُ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ تَحَسُّبُهُ قَدْ مَدَّ جِسْرًا عَلَى الشَّطِّينِ مِنْ ذَهَبِ

٧٤ أعناق العشاق

قال أبو عبد الله الحامدي:

سَقَانِي وَحَيَّانِي وَبَاتَ مُعَانِقِي فَيَا عَظْفَ مَعشُوقٍ عَلَى دُلِّ عَاشِقِ

ويا ليلةً باتت سواعِدُنَا بها تدورُ على الأعناقِ دَوْرَ المَخَانِقِ

المخاتق: العقود القصيرة التي كأنها تخنق الرقبة

نَبْتُ مِنَ الشَّكْوَى حَدِيثاً كَأَنَّهُ قَلَائِدُ دُرٍّ فِي نُحُورِ العَوَاتِقِ

العواتق: الفتيات

٧٥ دفين الهواء

قال أبو بكر محمد الأنباري في ابن بَقِيَّةٍ لما قتل وصلب:

عُلُوٌّ فِي الحَيَاةِ وَفِي المَمَاتِ لَحَقَّ تِلْكَ إِحْدَى المُعْجِزَاتِ

كَأَنَّ النَّاسَ حَوْلَكَ حِينَ قَامُوا وَفُودُ نَدَاكَ أَيَّامَ الصَّلَاتِ

كَانَ النَّاسَ حَوْلَكَ وَأَنْتَ مَصْلُوبُ الرُّفُودِ الَّتِي كَانَتْ تَأْتِيكَ لِنَدَاكَ، أَي سَخَاكَ، أَيَّامَ كُنْتَ تَعْطِيهِمُ الصَّلَاتِ، الْعَطَايَا

كَأَنَّكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيباً وَكُلُّهُمْ قِيَامٌ لِلصَّلَاةِ

مَدَدَتْ يَدَيْكَ نَحْوَهُمْ احْتِفَالاً كَمَدَّهِمَا إِلَيْهِمُ بِالْهَبَاتِ

وَلَمَّا ضَاقَ بَطْنُ الْأَرْضِ عَنْ أَنْ يَضُمَّ عِلَاكَ مِنْ بَعْدِ المَمَاتِ

أَصَارُوا الْجَوْ قَبْرَكَ وَاسْتَنَابُوا عَنِ الْأَكْفَانِ ثَوْبَ السَّافِيَاتِ

جَعَلُوا الْجَوْ قَبْراً لَكَ، وَبَدَلَ الْأَكْفَانِ أَنْبَاوِ ثَوْبِ الرِّيحِ السَّافِيَةِ، أَيِ كَفَنُوكَ بِالرِّيحِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي تَحْمِلُ الْغُبَارَ

لِعُظْمِكَ فِي النُّفُوسِ تَبَيَّتْ تُرَعِي بِحُرَّاسٍ وَخُفَاطِ ثِقَاتِ

وَتُشْعَلُ حَوْلَكَ النِّيرَانُ لَيْلاً كَذَلِكَ كُنْتَ أَيَّامَ الحَيَاةِ

رَكِبْتَ مَطِيَّةً، مِنْ قَبْلِ زَيْدٍ عَلَاهَا فِي السَّنِينَ المَاضِيَاتِ

رَكِبْتَ هَذِهِ الْمَطِيَّةَ، الدَّابَّةَ، الَّتِي رَكَبَهَا قَبْلَكَ الْإِمَامُ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ، حِينَ قَتَلَهُ وَصَلَبَهُ الْأُمَوِيُّونَ عَامَ ١٢٢ هـ

وَتِلْكَ قَضِيَّةٌ فِيهَا تَأْسٌ تُبَاعِدُ عَنْكَ تَغْيِيرَ العُدَاةِ

فَلَكَ فِيهِ أَسُوءَةٌ، وَهَذِهِ الْأَسُوءَةُ تَبْعِدُ عَنْكَ تَغْيِيرَ الْأَعْدَاءِ، فَبَعْدَ الْإِمَامِ زَيْدٍ لَمْ يَعُدِ الْإِلْصَاقُ عَاراً

أَسَأَتْ إِلَى النَّوَائِبِ فَاسْتَشَارَتْ فَأَنْتَ قَتِيلُ ثَارِ النَّائِبَاتِ

أَسَأَتْ إِلَى الْمَصَائِبِ بِكَرَمِكَ فَاسْتَشَارَتْ، طَلَبْتَ الثَّأْرَ، فَتَلَكَّ ثَارَهَا

وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ عَلَى قِيَامِي بِفَرَضِكَ وَالْحَقُوقِ الْوَاجِبَاتِ ..

مَلَأْتُ الْأَرْضَ مِنْ نَظْمِ الْقَوَافِي وَنَحْتُ بِهِ خِلَافَ النَّائِحَاتِ

خلاف النائحات: لعله يقصد بالإضافة إلى النائحات. كنت في زمان الطلب هاوي تخطيط، وطلب إلي حثاً صاحب البقالة في بلدة بيرزيت أن أكتب له لافتة. قال لي: أكتب أن عندي الخضار والأدوات المنزلية ونبذ «دير اللطرون»، وكونياك الثلاث سبعات، والمكسرات، وهناك أيضاً.. قلت له: كفى كفى.. هذه لافتة جانبية نصف متر في ربع متر! وكتبت له بعض ما أراد، وحتى لا يزعل، كتبت في ذيل اللافتة «وخلافه»، فصار اسم بقالته عند الطلبة «دكان وخلافه»

وَمَا لَكَ تُرْبَةً فَأَقُولُ تُسْقَى لَأَنَّكَ نُصِبَ هَطْلِ الْهَاطِلَاتِ

لن أدعو لتراب قبرك بالسقيا كالعادة، فأنت نصب الأمطار الهاطلة ولا حاجة بك لمزيد من السقيا

عَلَيْكَ تَحِبَّةُ الرَّحْمَنِ تَتْرَى بِرَحِمَاتِ غَوَادٍ رَائِحَاتِ

تتري: متابعة متواترة، غواد رائحات: جائيات صباحاً ومساءً

٧٦ أنتم الناس

قال ابن زريق:

سَافَرْتُ أَبْغِي لِبَغْدَادٍ وَسَاكِنَهَا مِثْلًا، فَحَاوَلْتُ شَيْئًا دُونَهُ الْيَاسُ
هِيَهَاتَ، بَغْدَادُ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا عِنْدِي، وَسُكَّانُ بَغْدَادٍ هُمْ النَّاسُ

٧٧ فيها فيه عليه

وقال يخاطب أبا عبد الله الكوفي:

إِنَّا رَأَيْنَا حِجَابًا مِنْكَ قَدْ عَرَضَا فَلَا يَكُنْ ذُلُّنَا فِيهِ لَكَ الْعَرَضَا
إِسْمَعْ لِنُضْحِي وَلَا تَغْضَبْ عَلَيَّ، فَمَا أَبْغِي بِقَوْلِي لَا مَالًا وَلَا عَرَضَا
الشُّكْرُ يَبْقَى وَيَفْنَى مَا سِوَاهُ، وَكَمْ سِوَاكَ قَدْ نَالَ مُلْكًا فَانْقَضَى وَمَضَى
فِي هَذِهِ الدَّارِ، فِي هَذَا الزَّوْاقِ عَلَى هَذَا السَّرِيرِ، رَأَيْنَا الْمُلْكَ فَانْقَرَضَا

٧٨ يؤكل أكلًا

قال ابن بُنَاتَةَ السعدي:

يَا مَنْ أَضَرَّ بِحُسْنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فَلَمْ يَدْعُ فِيهِمَا لِلنَّاسِ مِنْ وَطَرٍ
وَطَر: حاجة

نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ بَذْرِ عَلَى غُصْنٍ تَكَادُ تَأْكُلُهُ عَيْنَايَ بِالنَّظَرِ

٧٩ سقام

وقال ابن نباتة السعدي، (وهو غير ابن نباتة الفارقي):

سَقَامٌ مَا يُصَابُ لَهُ طَبِيبٌ وَأَيَّامٌ مُحَاسِنُهَا عَيُوبٌ
وَدَهْرٌ لَيْسَ يَقْبَلُ مِنْ أَدِيبٍ كَمَا لَا يَقْبَلُ التَّأْدِيبَ ذِيبٌ
يُحِبُّ عَلَى الْمَصَائِبِ وَالرَّزَايَا فَلَا كَانَ الْمُحِبُّ وَلَا الْحَبِيبُ

٨٠ المغرور

وقال ابن نباتة السعدي:

ومغرورٍ يَحَاوُلُ نَيْلَ عِرْضِي فَقُلْتُ لَهُ: الْكَوَاكِبُ لَا تُنَالُ
وَيَعْجَبُ أَنْ حَوَيْتُ الْمَجْدَ طِفْلاً أَلَا لِلَّهِ ثُمَّ لِي الْكَمَالُ
أَحْمَلُ ضَعْفَ جِسْمِي ثِقْلَ نَفْسِي وَنَفْسِي لَيْسَ تَحْمِلُهَا الْجِبَالُ

٨١ صلاة لوجهه

وقال ابن نباتة السعدي:

تَضَاءَلَ الدَّهْرُ حَتَّى ضَاعَ فِي هِمَمِي وَاسْتَفْخَلَ الْمَجْدُ حَتَّى صَارَ مِنْ شَيْمِي
فَلَوْ يَكُونُ سَوَادُ الشَّعْرِ فِي ذِمَمِي مَا كَانَ لِلشَّيْبِ سُلْطَانٌ عَلَى اللَّمَمِ
لَوْ كَانَ سَوَادُ الشَّعْرِ فِي ذِمَمِي، فِي حِمَامِي، لَمَا كَانَ لِلشَّيْبِ قُدْرَةٌ عَلَى اللَّمَمِ، شَعْرُ الرَّأْسِ
لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ قُدْرِي فِي زَمَانِهِمْ صَلُّوا لِوَجْهِي وَاشْتَاقُوا ثَرِي قَدَمِي

٨٢ المحارب

وقال ابن نباتة السعدي:

وَلَوْ طَلَبَ النَّاسُ الْمَكَارِمَ كُلَّهُمْ لَكَانَ الْغِنَى كَالْفَقْرِ وَالْعَبْدُ كَالرَّبِّ
الرب: السيد مالك العبد

وَلَكِنَّ أَشْخَاصَ الْمَعَالِي خَفِيَّةٌ عَلَى كُلِّ عَيْنٍ لَيْسَ تَنْظُرُ بِاللُّبِّ
لَقَدْ زَادَنِي حَرْبُ الزَّمَانِ تَجَارِباً فَلَا عِشْتُ فِي يَوْمٍ يَمُرُّ بِلا حَرْبٍ
وَمَنْ يَكُ يَعْتَادُ الْكُرُوبَ فَوَادُهُ فَإِنَّكَ يَا قَلْبِي خُلِقْتَ مِنَ الْكَرْبِ

٨٣ بلا أمل

قال ابن نباتة يمدح سيف الدولة:

قد جُذْتُ لِي بِاللَّهِىَ حَتَّى صَجِرْتُ بِهَا وَكِدْتُ مِنْ صَجَرٍ أَتْنِي عَلَى الْبَحْلِ
اللَّهُى: العطايا

لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شَيْئاً أَوْمَلُهُ تَرَكْتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلا أَمَلٍ

٨٤ سيوف

وقال له:

سِوْفُكَ أَمْضَى فِي النُّفُوسِ مِنَ الرَّدى وَخَوْفُكَ أَمْضَى مِنْ سِوْفِكَ فِي الْعِدا

٨٥ كتاب مفتوح

ومدح ابن نباتة السعدي الوزير المهلي فقال:

جِئْتُه زَائِراً وَقَدْ رَكِبَ الْأَفْ سَلَكَ، وَالنَّجْمُ تَحْتَهُ فِي التُّرابِ
بِمَعَانٍ سَرَفْتُهَا مِنْ عُلاهُ فَكَأَنِّي قَرَأْتُهَا فِي كِتَابٍ

٨٦ كلنا كذلك

وقال:

يَهْوَى الثَّنَاءَ مُبَرِّزٌ وَمَقْصُرٌ حُبُّ الثَّنَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ

٨٧ الزمن الحركة

وقال:

نُعَلِّلُ بِالدَّوَاءِ إِذَا مَرَضْنَا وَهَلْ يَشْفِي مِنَ الْمَوْتِ الدَّوَاءُ
وَنَخْتَارُ الطَّبِيبَ، وَهَلْ طَبِيبٌ يُوَخِّرُ مَا يُقَدِّمُهُ الْقَضَاءُ
وَمَا أَنْفَاسُنَا إِلَّا حِسَابٌ وَمَا حَرَكَاتُنَا إِلَّا فَنَاءُ

٨٨ العفو

قال أبو الحسن السلامي:

تَبَسَّطْنَا عَلَى الْآثَامِ لَمَّا رَأَيْنَا النِّعْمَ مِنَ ثَمَرِ الدُّنُوبِ

٨٩ مباراة في الرجز

وقال في الصاحب بن عباد:

يا مُجْرِيَّ الْفِكْرِ إِلَى أَقْصَى أَمَدٍ
إِسْمَعْ فَقَدْ أَنْجَزَ حُرّاً مَا وَعَدَ
عَذْرَاءَ لَمْ يُقَرَّغْ بِهَا سَمْعُ أَحَدٍ
هذه أرجوزة عذراء لم يطرق سمع أحد شيء مثلها
لو عُرِضَتْ عَلَى أَبِي النَّجْمِ سَجَدَ
أبو النجم العجلي أحد مشاهير الرجاز

٩٠ قصيدة خجلى

وكتب السلامي بهذه القصيدة إلى الشريف الرضي:

أَشْكُو إِلَيْهِ عَشِيَّةً لَمْ نَفْتَرِقْ مِنْهَا عَلَى مَلَلٍ وَلَا اسْتِغْتَابِ
مَا كُنْتُ إِلَّا جَنَّةً فَارَقْتُهَا كُرْهاً فَضَبَّ عَلَيَّ سَوْطُ عَذَابِ
وَحَرِيدَةً عَذْرَاءَ رُحْتُ أَزُقُّهَا مَا بَيْنَ الْفَاطِطِ شَرْفُنَ عَذَابِ
خريدة: فتاة، يعني قصيدة

جاءَتْكَ يَحْمِلُهَا الْجَمَالُ، وَرَبِّمَا وَقَفَ الْحَيَاءُ بِهَا دُوَيْنَ الْبَابِ
تستحي القصيدة دوين الباب، قبل الدخول، وهي تزف إليك فهي عذراء بمعنيين، جديدة غير
مسبوقة والفتاة العذراء من شأنها الحياء، ولكنها تستحي لأنك أنت شاعر كبير
أَهْدَيْتُهَا خَجِلاً إِلَى مُتَغَلِّغٍ أَلِ أَفْكَارٍ مُخَصَّدٍ مِرَّةً الْأَدَابِ
محصد مرة الأداب: ناضج مفتول الحبل في الأدب

لِأَبِي الْقَرِيضِ ابْنِ الْمَعَانِي بَلْ أَخِي أَلِ أَغْرَابٍ حِينَ يَفُوهُ وَالْإِغْرَابِ
لسان الممدوح فصيح كأنه لسان أعرابي، وهو قدير على الإغراب، الإتيان بغريب اللغة
أَنْظُرْ بَعِينَ رِضاً إِلَى مَا صُغْتُهُ وَأَعْرَهُ سَمْعَ مُسَامِحٍ وَهَابِ
وتجاوز الخطأ الشنيع وأخفيه عَنْ نَازِلِ الْمُتَقَيِّهِقِ الْمُعْتَابِ
الرجاء التفاضي عما في قصيدتي من أخطاء، وإخفاء الخطأ عن المتقيق، المتحاذق مدعي العلم
وَاجْهَرْ إِذَا أَنْشَدْتُهَا فِي مَحْفَلٍ فَعَثَرَتْ بَيْنَ عَيُوبِهَا بِصَوَابِ
وارفع صوتك وأنت تنشدها كلما وجدت صواباً بين عيوبها الكثيرة

٩١ السؤدد

وقال:

قد قلت حين أفاض أحمد سببه يا شقوة المتشبهين بأحمد

سببه : عطاؤه

يشرون مثل جياده وعبيده أفيقديرون على ابتياع السؤدد

٩٢ ما تستقر

قال ابن سكرة الهاشمي:

الليالي تسوء ثم تسر وُصروف الزمان ما تستقر

غير أنني عن الحوادث راضٍ بعد سُخطٍ، والعيشُ حُلُوٌّ ومُرٌّ

٩٣ بحار الدموع

وقال ابن سكرة:

لي حبيبٌ كلُّه حسنٌ فعيونُ الناسِ تنهَبُهُ

ضاعَ مِن عيني فمُقلَّتْها في بحارِ الدمعِ تطلُبُهُ

٩٤ الباز الهرم

قال في حبيته «خمرة» وقد كبرت:

لا تسمعوا «خمرة» فقد هَرِمَتْ وانكسرت تلْكُم القواريرُ

وكلُّ بازٍ يَمَسُّهُ هَرَمٌ نخري على رأسه العصافيرُ

٩٥ التَّيَّاه

وقال ابن سكرة الهاشمي:

تَهْتَ علينا ولستَ فينا وليَّ عهدٍ ولا خليفَةٍ

فَتِهَ وزِدْ، ما عليَّ جارٍ يُقَطِّعُ عَنِّي ولا وَظيفَةٍ

ليس عليَّ جارٍ، رزقٌ تجريه عليّ، ولا وظيفة، أي مرتب

ولا تُقَلِّ لیس في عیبٍ قد تُقَذِّفُ الحرَّةُ العَفِيفَةَ

لا تقل إنك خال من العيوب فلذلك لا سبيل للهباء عليك، وحتى لو كنت كذلك فأنت كالحرّة العفيفة ليست بها عيوب ولكن الناس يقذفونها بالباطل، أي أن الشاعر مستعد للاقتراء عليك

الشَّعْرُ نَارٌ بِلا دَخَانٍ وَلِلْقَوَافِي رُقًى لَطِيفَةٌ

الرقى اللطيفة: التعاويذ الصغيرة ذات الأثر الكبير. تسويد أ. عبد الرحيم

كَمْ مِنْ ثَقِيلِ الْمَحَلِّ سَامٍ هَوَتْ بِهِ أَحْرَفٌ خَفِيفَةٌ
لَوْ هَجِيَ الْمَسْكُ، وَهُوَ أَهْلٌ لِكُلِّ مَدْحٍ، لَصَارَ جِيفَةٌ

٩٦ القاعد القائم

وقال:

لَنَا شَيْخٌ يُصَلِّي مِنْ قُعُودٍ وَيَنْكِحُ حِينَ يَنْكِحُ مِنْ قِيَامٍ

٩٧ مدح الورد

وقال ابن سكرة:

لِلْوَرْدِ عِنْدِي مَحَلٌّ لَأَنَّه لَا يُمَمَلُّ
كُلُّ الرِّيَاحِينَ جَنْدٌ وَهُوَ الْأَمِيرُ الْأَجَلُّ
إِنْ غَابَ عَزُّوا وَبَاهَوْا حَتَّى إِذَا عَادَ ذُلُّوا

٩٨ نزلة

وقال:

قُلْتُ لِلنَّزْلَةِ حُلِّيٍّ وَانْزِلِي غَيْرَ لَهَاتِي
النزلة: نزول الالتهاب المسمى بالرشح إلى شعبي الرتين، لهاتي: حلقي
وَاتْرَكِي خَلْقِي بِحَقِّي فَهُوَ دِهْلِيزُ حَيَاتِي

٩٩ العدل

وقال:

الْجَوْعُ يُطْرَدُ بِالرَّغِيفِ الْيَابِسِ فَعَلَامَ تَكْثُرُ حَسْرَتِي وَوَسَاوَسِي
وَالْمَوْتُ أَنْصَفَ حِينَ عَدَلَ قِسْمَةً بَيْنَ الْخَلِيفَةِ وَالْفَقِيرِ الْبَائِسِ

١٠٠ الجفا بعد الوفا

قال ابن الحجاج:

وَلَقَدْ عَهْدْتُكَ تَشْتَهِي قُرْبِي، وَتَسْتَدْعِي حُضُورِي

وَأَرَى الْجَفَا بَعْدَ الْوَفَا مِثْلَ الْفُسَا بَعْدَ الْبَحُورِ

١٠١ قُلْتُ أَقُومُ

وقال ابن الحجاج:

وَذِي هَمَّةٍ فِي حَضِيضِ الْكَنِيفِ وَقَرْنَيْنِ فِي فَلَكِ الْمُشْتَرِي
رَبِّ صَاحِبِ طَمُوحٍ مَنَحْتَ كَأَنَّهُ فِي قَعْرِ الْكَنِيفِ، المرحاض، وله قرنان طويلان يصلان إلى فلك،
أي مدار، المشتري.. والقرنان للرجل كناية عن ديوتة وقلة غيرة على الحرم

دَخَلْتُ عَلَيْهِ انْتِصَافَ النَّهَارِ عَلَى غَفْلَةٍ حِينَ لَمْ يَشْعُرِ
وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَغِيفَانِ مَعِ سُكَّرُجَةٍ كَانَ فِيهَا مُرِي
سكرة: إناء صغير، المُرِي: الصلصة والتوابل يصير بها الطعام مريئاً

فَلَمَّا قَعَدْتُ فَسَا فَسَوَةٌ فَلَمْ تُحْطِ عَضْفَتُهَا مِنْخَرِي
وَأَقْبَلَ يَضْرُطُّ فِي إِثْرِهَا فَقُلْتُ: أَقُومُ وَلَا خَرِي
هذه طريقة ابن الحجاج ونورد أبياته كي نعرض ما وصل إليه الشعر في عصر ذبول الازدهار
العباسي

١٠٢ عَرَفْتُ مَكَانِي

وقال:

رَسَمُوا طِينَ دَنْهَا وَهُوَ رَطْبٌ بِاسْمِ كِسْرَى، كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانِ
عندما كان الطين الذي ختموا به دن الخمر طرياً وَسَمَوْهُ خْتَمًا بِسْمَةِ كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانِ ورسموه
باسمه

يَا خَلِيلِي قَدْ عَطَشْتُ وَفِي الْخَمِ حَرَّةٌ رِيٍّ لِلْحَائِمِ الْعَطْشَانِ
فَاسْقِيَانِي مَخْضَ النَّطْقِ الْوَحْدِ فِي بَنَحْرِيبِهَا مِنَ الْقُرْآنِ
والتي لبس للتأوّل فيها مَذْهَبٌ غَيْرَ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ
يريد خمرة لم يتأوّل لها الفقهاء وجه تحليل

فَاسْقِيَانِي بَيْنَ الدَّنَانِ إِلَى أَنْ تَرِيَانِي كَبَعْضِ تِلْكَ الدَّنَانِ
مُقْعَدًا بَعْدَ خِفَّتِي فِي نُهْوَضِي أَخْرَسًا بَعْدَ كَثْرَةِ الْهَذْيَانِ
سَكْرَةٌ بَعْدَ سَكْرَةٍ تُثَبِّتُ اسْمِي فِي الْمَفَالِيحِ أَوْ مَعَ الْعُمِيَانِ
المفاليح: المصابون بالفالج

إِسْقِيَانِي فِي الْمَهْرَجَانِ وَلَوْ كَأَنَّ لِحَمْسٍ بَقِيْنَ مِنْ رَمَضَانَ
إِسْقِيَانِي فَقَدْ رَأَيْتُ بِعَيْنِي فِي قَرَارِ الْجَحِيمِ أَيْنَ مَكَانِي

١٠٣ دَمْعَةُ الْمَقْهُورِ

وقال:

قُمْ هَاتِيهَا أَصْفَى إِذَا رُقِرْتُ فِي الْكَاسِ مِنْ دَمْعَةِ مَقْهُورٍ

١٠٤ الْخَزَعِبَلَاتُ

وقال:

وَفِي النَّبْكِ الْحَرَامِ خَزَعِبَلَاتٌ قَلِيلاً مَا تَرَاهَا فِي الْحَلَالِ

١٠٥ الْغُوصُ

وقال:

يَا سَادَتِي مَا اسْتَرَقَّ دِينِي شَيْءٌ كَمِثْلِ الْحَرِّ السَّمِينِ
استرق ديني: جعله رقيقاً خفيفاً، الحر: متاع الأثى

لَمَّا أَرَاهُ يَزُولُ عَقْلِي عَنِّي وَيَعْتَاذُنِي جَنُونِي
وَأَشْتَهِي أَنْ أَغُوصَ فِيهِ مِنْ مُشْطِ رِجْلِي إِلَى جَبِينِي
وَكَلَّمَا شِلْتُ مِنْهُ رَأْسِي رُزِقْتُ قَوْماً يُغَوِّصُونِي
أَغِيبُ شَهْراً فَلَا تَرَانِي أَلْ عِيُونَ وَالنَّاسُ يَطْلُبُونِي
حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْدَ شَهْرٍ دَلَّ عَلَى مَوْضِعِي أَنِينِي

١٠٦ مَقَارَنَةُ

وقال:

أَبْرِي عَلَى أَنَّهُ طَوِيلٌ أَقْصَرُ مِنْ بَطْنِهَا بِشْبَرٍ

١٠٧ الْحَذَرُ

قال القاضي ابن معروف:

إِخْذَرْ عَدُوَّكَ مَرَّةً وَاحِذَرْ صَدِيقَكَ أَلْفَ مَرَّةً

فَلَرَبِّمَا انْقَلَبَ الصِّدِيقُ، فَكَانَ أَغْرَفَ بِالْمَضْرَّةِ

١٠٨ الطوامير

قال أبو الفرج الأصفهاني يمدح الوزير المهلي:

وَيَقْتَضِبُ الْمَعْنَى الْكَثِيرَ بِلَفْظِهِ وَيَأْتِي بِمَا تَحْوِي الطَّوَامِيرُ فِي سَطْرِ
الطوامير: لفافات الأوراق

١٠٩ الولاج

قال الشريف الرضي، وكان نجا يوم القبض على الطائع لله وخرج من الدار سليماً:
وَمَنْظِرٍ كَانَ بِالسَّرَّاءِ يُضَحِّكُنِي يَا قُرْبَ مَا عَادَ بِالصَّرَّاءِ يُبْكِينِي
هَيْهَاتَ أَغْتَرَّ بِالسُّلْطَانِ ثَانِيَةً قَدْ ضَلَّ وَلَاجُ أَبْوَابِ السَّلَاطِينِ
ولاج: دخال

١١٠ السباحة في السراب

وقال يمدح الخليفة القادر:

لِمَنِ الْحُدُوجُ تَهْزُهُنَّ الْأَيْنُ وَالرُّكْبُ يَطْفُو فِي السَّرَابِ وَيَغْرُقُ
لمن هذه الحدود، الهودج، التي تهزها النياق التي تحملها، بينما الركب، القافلة، يطفو ويغرق
في سراب الصحراء

أُبْغَاءَ هَذَا الْأَمْرِ إِنْ مَرَامُهُ دَحْضُ يَزِلُّ بِطَالِبِيهِ وَيَزْلُقُ
يا طالبي الحكم إن مطلبه دحض، مائل زلق

وَدَّعُوا مُجَادِبَةَ الْخِلَافَةِ إِنَّهَا أَرْجُ بَغِيرِ ثِيَابِهِمْ لَا يَغْبَقُ
اتركوا الخلافة فهي أرج، عطر، لا يعبق ويفوح إلا بثياب بني العباس

وَأَبُوكُمْ الْعَبَّاسُ مَا اسْتَسْقَى بِهِ بَعْدَ الْقُنُوطِ قَبَائِلُ إِلَّا سُقُوا
جدكم العباس لم يأخذه قوم معهم لصلاة الاستسقاء تبركاً به إلا نزل المطر وسقوا

عَطْفًا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّا فِي دَوْحَةِ الْعَلِيَاءِ لَا نَتَفَرَّقُ
اعطف عطفاً يا أمير المؤمنين، أي مل إلينا، فإننا جميعاً، بني علي وبني العباس، في دوحة
العلياء، في بستان العز معاً

ما بيننا يومَ الفَخَارِ تَفَاوُتٌ أبدأ، كِلَانَا فِي المَعَالِي مُعْرِقٌ

لا فرق بيننا في الفخر، ودوماً كلانا عريق في الشرف

إِلَّا الخِلَافَةُ، مَيَّزَتْكَ فِإِنْسِي أَنَا عَاطِلٌ مِنْهَا وَأَنْتَ مُطَوَّقٌ

فيما عدا الخلافة فهي تميزك وتتخذها إكليلاً، وأنا عاطل منها، غير محلي بها

١١١ دارنا

وقال:

تَوَقَّعِي أَنْ يُقَالَ قَدْ ظَعَنَّا مَا أَنْتِ لِي مِنْزَلاً وَلَا وَطْنَا

ظعن: رحل

يَا دَارُ قُلِّ الصَّدِيقِ فَبِكَ، فَمَا أَحْسَرُّ وَذَأً وَلَا أَرَى سَكَنًا

مَا ضَرَرْنَا أَنْنَا بِلَا جِدَّةٍ وَالْبَيْتُ وَالرَّكْنُ وَالْمَقَامُ لَنَا

لا يضرنا أننا بلا جدة، بلا ثراء، فالأماكن المقدسة المذكورة لنا

١١٢ الأدوات

وقال:

بَنُو هَاشِمٍ عَيْنٌ وَنَحْنُ سَوَادُهَا عَلَى رَغَمٍ مَن يَأْبَى، وَأَنْتُمْ قَذَائُهَا

القذاة: الوسخة في العين... والعلويون والعباسيون هما فرعاً بني هاشم والشاعر علوي من الأشراف

وَأَعْجَبُ مَا يَأْتِي بِهِ الدَّهْرُ أَنْكُمْ طَلَبْتُمْ عَلَاً مَا فِيكُمْ أَدَوَاتُهَا

أدواتها: مقوماتها

١١٣ نائم ليس بنائم

وقال يرثي:

مُغْفٍ وَلَيْسَ لِلذَّةِ إِغْفَاؤُهُ مُغْضٍ وَلَيْسَ لِإِفْكَرَةٍ إِغْضَاؤُهُ

تراه مغفياً ولكن ليست إغفأة للراحة، وتراه مغضياً، أي غاضباً ببصرة، ولكن ليس لأنه يفكر بعمق

وَجْهٌ كَلَمَعَ الْبَرْقِ غَاضٌ وَمِیْضُهُ قَلْبٌ كَصَدْرِ الْعَضْبِ قَلٌّ مَضَاؤُهُ

غاض: جف، العضب: السيف

حَكَمَ الْبِلَى فِيهِ فُلُو يَلْقَى بِهِ أَعْدَاءُهُ لَرَثَى لَهُ أَعْدَاؤُهُ
لو لقي أعداءه بما هو يعانیه من البلى، تحلل الجسم بعد الموت، لَرَثَى له الأعداء

١١٤ حاجات الرجال

وقال:

اشْتَرِ الْعِزَّ بِمَا بِي ع، فَمَا الْعِزُّ بِغَالٍ
لَيْسَ بِالْمَغْبُونِ حَظًّا مُشْتَرِ عِزًّا بِمَالٍ
إِنَّمَا يُدْخِرُ الْعِزُّ - لِحَاجَاتِ الرِّجَالِ
وَالْفَتَى مَنْ جَعَلَ الْأَمَ - حِوَالِ أَثْمَانِ الْمَعَالِي

١١٥ الهبوط الاضطرابي

وقال:

وَسَأَلْتُ لَمَّا طَالَتِ الْحَرْبُ بَيْنَنَا إِذَا لَمْ تُظَفَّرْ فِي الْحُرُوبِ فَسَالِمٍ

١١٦ نخليها

قال أبو الفتح ابن العميد:

دَخَلَ الدُّنْيَا أَنَا قَبْلَنَا رَحَلُوا عَنْهَا وَخَلَّوْهَا لَنَا
فَنَزَلْنَاهَا كَمَا قَدْ نَزَلُوا وَنَخَلَّيْهَا لِقَوْمٍ بَعْدَنَا

١١٧ فيك لي

قال صاحب بن عباد:

وَشَادِنِ ذِي غَنَّجٍ طَاوِي الْحَشَا مُعْتَدِلٍ ..
رب شادن، ظبي صغير، مدلل طاوِي الحشا، ضامر البطن، ذِي قد معتدل ..

أَنْشَدْتُهُ شِعْرًا بَدِيدَ - عَا حَسَنًا مِنْ عَمَلِي
فَقَالَ: فَيَمَنْ وَلِمَنْ فَقُلْتُ: هَذَا فِيكَ لِي
فَطَارَ فِي وَجَنَتِهِ شُعَاعُ نَارِ الْخَجَلِ

تسويد البيتين: أحمد عبد الرحيم، وتعليقه: «حلو»

١١٨ خمر وقده

وقال:

رَقَّ الزَّجَاجُ وَرَقَّتِ الْخَمْرُ فَتَشَابَهَا وَتَشَاكَلِ الْأَمْرُ
فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدَحٌ وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلَا خَمْرُ

١١٩ كاني وماني

وكتب إلى أبي الفضل بن شعيب:

يَا أَبَا الْفَضْلِ لِمَ تَأَخَّرْتَ عَنَّا فَأَسَانَا بِحُسْنِ عَهْدِكَ ظَنًّا
كَمْ تَمَنَّتْ نَفْسِي صَدِيقًا صَدُوقًا فَإِذَا أَنْتَ ذَلِكَ الْمُتَمَنَّى
فَبِغُضِّ الشَّبَابِ لِمَا تَتَنَّى وَبِعَهْدِ الصَّبَا وَإِنْ بَانَ مِنَّا..
كُنْ جَوَابِي إِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي لَا تَقُلْ لِلرَّسُولِ كَانَ وَكُنَّا

كان وكنا: إن عشنا حتى نصدر الجزء الخامس من كتابنا هذا الذي بيدك جزؤه الثالث فسترى الشاعر الأردني «عرار» يقول «يا راهب الدير تبنا عن محبتهم/ وقد أنبنا فلا كاني ولا ماني»

١٢٠ حبيبي

وقال:

لَقَدْ قُلْتُ لِمَا أَتَوَا بِالطَّبِيبِ وَصَادَفَنِي فِي أَحَرِّ اللَّهْيَبِ..
وَذَاوَى فَلَمْ أَنْتَفِعْ بِالدَّوَاءِ: دَعُونِي فَإِنَّ طَبِيبِي حَبِيبِي

١٢١ السوافر

قال أبو سعيد الرستمي:

مَرَرْنَا بِحُزْوَى وَالْجَادِرُ تَرْتَعِي فَلَمْ تَدْرِ حُزْوَى أَيُّهُنَّ الْجَادِرُ

مرت الحسان بحزوى، وهو موضع في نجد، وكانت الجادِر، أي بقرة الوحش، ترعى العشب هناك. فلم يفرق المكان بين النساء والجادِر.. وكلاهما واسع العينين

وَمَالَتْ عَلَى الْأَنْقَاءِ فَاشْتَبَهَتْ بِهَا أَهْنُ النَّقَا أَمْ مَا تَضُمُّ الْمَآزِرُ

مالت الحسان على الأنقاء، كيان الرمل، فاشتبهت بها، وقع لبس بينهما؛ فهل هذه الكتبان هي الكتبان أم ما ضمت مآزر الحسان، من مؤخرات وافرة، هي الكتبان؟

بُدُورٌ زَهَتْهُنَّ الْمَلَاخَةُ أَنْ يُرَى لَهْنٌ نِقَابٌ فَالْجُوهُ سَوَافِرُ

هن بدور زهتهن الملاحة، جعلهن الجمال مزهوات مفتخرات، فلا تراهن بالنقاب بل الوجوه سافرة

١٢٢ بلا فتائل

وقال:

مَرَرْنَا بِأَكْنَافِ الْبَعِيقِ فَأَعْشَبَتْ أَبَاطِحُ مِنْ أَجْفَانِنَا وَمَسَايِلُ
مررنا بأكتاف، أطراف، البعيق قرب المدينة المنورة، فمن دموعنا نبت العشب في الأباطح،
السهول.. وجرت سيول أيضاً

وَكَادَتْ تُنَاجِينَا الدِّيارُ صَبَابَةً وَتَبْكِي كَمَا تَبْكِي عَلَيْهَا الْمَنَازِلُ
فَمِنْ وَاقِفٍ فِي جَفْنِهِ الدَّمْعُ وَاقِفٌ وَمِنْ سَائِلٍ فِي خَدِّهِ الدَّمْعُ سَائِلُ
بعضنا واقف ودمعه واقف يترقرق في عينه ولا يسيل، وبعضنا سائل، أي يسأل الديار عن الأحبة
وأيّن ذهبوا، وفي خده الدمع سائل، أي يسيل

تَأْسٌ بِبِئَاسٍ أَوْ تَعَمَّرَ بِسَلْوَةٍ فَمَا لَكَ فِي أَطْلَالِ عَزَّةٍ طَائِلُ
تأس، أي عز نفسك، بأن تأس من لقائهن، أو عز نفسك بالسלו والنسيان، فلا
فائدة من أطلال عزة. التسويد لأحمد بعد الرحيم، وكنت رأيت في البيت جناسين
ناقصين صدقاني عن تسويده، على أنهما خلعا المعنى ولم يسمجا

كَأَنَّ غَصُونَ التَّرْجِسِ الْغَضُّ بَيْنَهَا نَشَاوَى كَرَى أَعْنَاقَهُنَّ مَوَائِلُ
غصون الترجس الغض، الطري، تتمايل كأنها نشاوى كرى، فيهن ما يشبه السكر من النعاس،
والأعناق مائلة

تَخَالُ أَزَاهِيرَ الرِّيَاضِ خِلَالَهَا مَصَابِيحَ لَيْلٍ مَا لَهْنٌ فَتَائِلُ
وَقَدْ شَرِبْتُ مَاءَ الْغَمَامَةِ فَانْتَنَتْ كَمَا يَتَنَتَّى الشَّارِبُ الْمُتَمَائِلُ
وَقَدْ مَاجَ وَادِي الزُّنْدُرُوزَ بِفَيْضِهِ كَمَا مَاجَ لِلرِّيحِ النَّقَا الْمُتَهَائِلُ
وادي الزندروز، ولم أصل إلى معرفة مكانه، يموج بالماء مثلما يموج بفعل الريح النقا، أي
الكثيب، الذي تهيل رماله

١٢٣ الناقة لكم

قال أبو القاسم الزعفراني:

خَبِمْتُ فِي دَوْلَةٍ مَجْلَدَةٍ خَبِمَ فِيهَا الْوَفَاءُ وَالْكَرَمُ
وَقُلْتُ لِلْسَّفَرِ: قَدْ وَصَلْتُ إِلَى مُنَايَ؛ رَحَلِي وَنَاقَتِي لَكُمْ

١٢٤ الفاتكة

قال أبو الفرج الساوي:

هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِمَلِّءِ فِيهَا: حَذَارِ حَذَارِ مِنْ بَطْشِي وَفَنَكِي
فَلَا يَغُرُّكُمْ حَسَنُ ابْتِسَامِي فَقُولِي مُضْحِكُ وَالْفِعْلُ مُبْكُ
هِيَ الدُّنْيَا أَشَبَّهَا بِشَهْدِ يَسْمُ، وَجِيْفَةٌ طُلَيْتْ بِمَسِّكَ
هِيَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الطِّفْلِ بَيْنَا يُقَهِّقُهُ إِذْ بَكَى مِنْ بَعْدِ ضِحْكِكَ
أَلَا يَا قَوْمَنَا انْتَبِهُوا فَإِنَّا نُحَاسِبُ فِي الْقِيَامَةِ غَيْرَ شَكِّ

١٢٥ العين المغتسلة

قال الثعالبي مؤلف كتاب اليتيمة الذي نختار من أشعاره:

إِنْسَانَةٌ فَتَانَةٌ بَذُرَ الدُّجَى مِنْهَا خَجَلُ
إِذَا زَنَتْ عَيْنِي بِهَا فَبِالدُّمُوعِ تَغْتَسِلُ

١٢٦ سلام عليها

قال أبو الفرج بن هندو:

لَهَا مِنْ ضُلُوعِي أَنْ يُشَبَّ وَقُودُهَا وَمِنْ عَبْرَاتِي أَنْ تُفَضَّ عُقُودُهَا
لِلْمَحْبُوبَةِ أَنْ تَشْعَلَ النَّارَ فِي قَلْبِي بِي ضُلُوعِي، وَأَنْ تَنْزِلَ دُمُوعِي كَأَنَّهَا عَقُودُ انْتَرَتْ لَوْلَوَاتِهَا
بَذَلْتُ لَهَا الدَّمَاعَ الْمَصُونَّ وَإِنْ غَدَتْ تُمَانِعُنِي فِي نَظَرَةٍ أَسْتَفِيدُهَا
سَلَامٌ عَلَيْهَا حَيْثُ حَلَّتْ، فَإِنِّي عَدِمْتُ فُؤَادِي مِنْذُ عَزَّ وَجُودُهَا

١٢٧ حجة نحوي

قال أحمد بن فارس:

مَرَّتْ بِنَا هَيْفَاءَ مَقْدُودَةً تُرْكِيَّةٌ تَنْمِي لِتُرْكِيٍّ

هيفاء: ضامرة البطن، مقدودة: حسنة القد، تنمي: تتشب

تَرْنُو بِطَرْفِ قَاتِرٍ قَاتِنٍ أَضْعَفَ مِنْ حُجَّةِ نَحْوِيٍّ

تنظر بعين فاترة ضعيفة ضعف حجة النحوي الذي يريد تبرير استعمال شاذ

١٢٨ الحريق

قال عمر الهرندي:

لا أَحَبُّ الْمُدَامَ إِلَّا الْعَتِيقَا وَيَكُونُ الْمِزَاجُ مِنْ فِيكَ رِيقًا
بِحَيَاتِي عَلَيْكَ يَا مَنْ سَقَانِي أَرَحِيقًا سَقَيْتَنِي أَمْ حَرِيقًا؟

١٢٩ بائع الفراني

قال شمسويه البصري:

قُلْتُ لِلْقَلْبِ: مَا ذَهَاكَ أَجْبَنِي؟ قَالَ لِي: بَائِعُ الْفَرَانِي فَرَانِي
الفراني: الفطائر، والفُرْيَّة خبزة معجونة بالحليب مسقية بالسمن والعسل ومخبوزة في الفرن، هي ما يسمونه اليوم «الفطيرة الدنماركية».. وبائع الفراني قد فراني أي قَطَعَنِي تَقْطِيعًا

نَاطِرَاهُ فِيمَا جَنَى نَاطِرَاهُ أَوْ دَعَانِي أُمْتُ بِمَا أَوْدَعَانِي
فيا أيها الصديقان ناظراه، اعقدا له مناظرة، بشأن ما جناه علي ناظراه، عيناه. أو دعاني، اتركاني، كي أموت بسبب ما أودعني، حُمَلْتَنِي، عيناه من ألم

١٣٠ الضفادع

قال أحمد بن بندار:

وَقَالُوا يَعُودُ الْمَاءُ فِي النَّهْرِ بَعْدَمَا عَفَّتْ مِنْهُ آثَارُ وَجَعَتْ مَشَارِعُهُ
عفت آثاره: ائمت، جفت مشاريعه: جف مسيله
فَقُلْتُ إِلَى أَنْ يَرْجِعَ الْمَاءُ عَائِدًا وَيُعْشِبَ شَطْأَهُ تَمُوتُ ضَفَادِعُهُ

١٣١ إغلاق الحساب

قال أبو بكر الشيرازي:

مَا عُذْرُ مَنْ جَرَّ، غَاوِيًا، رَسَنَهُ مَا عُذْرُهُ بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً
ما عذر الشخص الذي بالغواية جر رسنه، سار سيرة حرة بلا قيود كالبعير يترك له الرسن أي المقود ليجره ويرعى أينما شاء، ما عذره وقد تجاوز الأربعين؟
قُلْ لِي إِذَا مُتَّ كَيْفَ تَنْقُصُ مِنْ سَيِّئَةٍ أَوْ تَزِيدُ فِي حَسَنَةٍ؟
بعد الموت لا سبيل إلى تقليل سيئاتك أو زيادة حسناتك

١٣٢ يحترم نفسه

وقال الجرجاني:

يقولون لي: فيك انقباضٌ، وإنما رأوا رجلاً عن موقفِ الذلِّ أحجماً
وما زلتُ مُنحازاً بِعِرضي جانباً منَ الذمِّ، أعتدُّ الصَّيانَةَ مَغْنِماً
أصون نفسي عن الدنيا فهذا وحده غنيمة

إذا قيلَ هذا مَشْرَبٌ قلتُ قد أرى، ولكنَّ نفسَ الحرِّ تَحْتَمِلُ الظُّماً
ولم أَقْضِ حقَّ العلمِ إن كانَ كلِّماً بدا طمعٌ صَبْرُهُ لِي سُلْماً
ولم أَتَنَذَلْ في خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي لِأَخْدَمَ مَنْ لَا قِيْتُ لَكِنْ لِأَخْدَمَا
لم أَبْذُلْ قلبي للعلم لكي أخدم السادة، بل لكي أكون عزيزاً مخدوماً
أَشْقَى به عَرْساً وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً إذنُ فَاتْبَاعِ الْجَهْلِ قد كَانَ أَحْزَمَا

١٣٣ لبستها

قال أبو معمر الإسماعيلي:

وَلَبِئَةٍ مِنَ اللَّيَالِي الْقَاسِيَةِ
مَدَّتْ ظِلَاماً كَالْجِبَالِ الرَّاسِيَةِ
فَعَادَرَتْ كُلَّ الْوَرَى سَوَاسِيَةِ
الْبَيْضِ دُهِماً وَالْعُرَّةَ كَاسِيَةِ

هذه الليلة الظلماء ساوت بين الجميع: فالبيض من الناس صاروا دهماً، سوداً، والعرة لابسين
لأننا لا نرى عريهم

لَبِسْتُهَا وَالصَّبْرُ مِنْ لِبَاسِيَةِ
لبست هذه الليلة وتحملتها وصبرت

بِهَمَّةٍ عَلَى الْأَسَى مُوَاسِيَةِ
وعزة نفسي تواسيني في حضور الأسى، أي الحزن

١٣٤ المكسوفان

ينسب إلى قابوس بن وشكمير:

قُلْ لِلَّذِي بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيَّرَنَا هَلْ حَارَبَ الدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ؟

أَمَا تَرَى الْبَحَرَ تَعْلُو فَوْقَهُ جَيْفٌ وَيَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ الدُّرُّ
فَإِنْ تَكُنْ نَثِبَتْ أَيْدِي الزَّمَانِ بِنَا وَنَالَنَا مِنْ تَمَادِي بُؤْسِهِ الضَّرَرُ
فَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ وَلَيْسَ يُكْشَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

١٣٥ فضائل الموت

قال أبو أحمد الكاتب، ونسب البتان لابن الرومي:

قَدْ قُلْتُ إِذْ مَدَحُوا الْحَيَاةَ وَأَسْرَفُوا: فِي الْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَا تُعْرَفُ
مِنْهَا أَمَانٌ لِقَائِهِ بِلِقَائِهِ وَفِرَاقٌ كُلِّ مُعَاشِرٍ لَا يُنْصِفُ

١٣٦ شيطان

أبو منصور الطاهري:

شَيْطَانٍ لَوْ بَكَتِ الدِّمَاءُ عَلَيْهِمَا عَيْنَايَ حَتَّى يُؤْذِنَا بِذَهَابِ
يُؤْذِنَا بِذَهَابِ: يوشكا على الذهاب

لَمْ يَقْضِ الْمِغْشَارَ مِنْ حَقِّيهِمَا: شَرُّ الشَّبَابِ وَفُرْقَةُ الْأَحْبَابِ
لو بكت عيناى الدم على هذين الشئين لما أعطتهما عُشر ما يستحقان.. والشيطان هما شرح
الشباب، أي أوله، وفراق الأجرة

١٣٧ لا سبيل

وينسب لهارون الرشيد، ورأى جارية سكرى فراودها، فقالت له: أمير المؤمنين المهدي
- أي والده - ألم بي:

أَرَى مَاءً وَبِيَّ عَطَشٌ شَدِيدٌ وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُرُودِ

١٣٨ الاشتهااء

قال أبو بكر النيسابوري:

وَهَتْ عَزَمَاتُكَ عِنْدَ الْمَشِيبِ وَمَا كَانَ مِنْ حَقِّهَا أَنْ تَهِيَ
وَأَنْكَرْتَ نَفْسَكَ لِمَا كَبِرْتَ فَلَا هِيَ أَنْتَ وَلَا أَنْتَ هِيَ
فَإِنْ ذُكِرَتْ شَهَوَاتُ النَفُوسِ فَمَا تَشْتَهِي غَيْرَ أَنْ تَشْتَهِيَ

١٣٩ الصّحة

قال أبو أحمد البوشنجي:

إِنَّ تَمَامَ السُّرُورِ لِلْمَرْءِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ طَيِّبَاتِ عَرْسِ يَدِهِ
وَأَنْ يُغَنِّي بِشِعْرِهِ، وَيَلِي خِدْمَتَهُ مَنْ يُحِبُّ مِنْ وَلَدِهِ
يلي: يتولّى

وَقَدْ حَوَى بَعْضُنَا الثَّلَاثَ، وَقَدْ نَقَّصَهَا كُلُّهَا ضَنَى جَسَدِهِ

١٤٠ نريدك مشغولاً

قال أبو الحسن الشيباني:

حَمَلُ الرِّيَاسَةِ مَا عَلِمْتَ ثَقِيلٌ وَالدهرُ يَعْدِلُ تَارَةً وَيَمِيلُ
لَا تَعْتَلِلْ بِالشُّغْلِ إِنَّكَ إِنَّمَا تُرْجَى لِأَنَّكَ دَائِمًا مَشْغُولٌ
وَإِذَا فَرَّغْتَ، وَلَا فَرَّغْتَ، فَغَيْرُكَ الـ مَقْصُودٌ لِلحَاجَاتِ وَالْمَأْمُولِ

١٤١ وطني

قال ابن هزيم:

كَفَّتْنِي ضَيْعَتِي مَدَحَ الْعِبَادِ وَظَنُّنَا فِي الْبِلَادِ بِغَيْرِ زَادٍ
الضّيقة: العزبة، المزرعة الكبيرة، الظعن: الرجل

عَدْتُ سَكْنِي وَخَادِمَتِي وَظُنِّي وَفِيهَا أُسْرَتِي وَبِهَا تِلَادِي
ظنري: مرضعتي، ويقصد أن ضيعته تكفيه حاجته من القوت، والتلاد: المال الموروث

١٤٢ قوارير وقراقير

وقال:

لَمَّا رَأَيْتُ الزَّمَانَ نِكَسًا وَفِيهِ لِلرَّفْعَةِ اتِّضَاعٌ
لَمَّا رَأَيْتُ الزَّمَانَ نِكَسًا، خَسِبًا، وَفِيهِ اتِّضَاعٌ، حَقَارَةٌ، تَصِيبُ الرِّفْعَةِ وَالسُّمُو

كُلُّ رَئِيسٍ لَهُ مَلَالٌ وَكُلُّ رَأْسٍ لَهُ صُدَاعٌ
لَزِمْتُ بَيْتِي وَصُنْتُ عِرْضًا بِهِ عَنِ الذَّلَّةِ امْتِنَاعٌ

تسويد أحمد عبد الرحيم

أَشْرَبُ مِمَّا ادَّخَرْتُ راحاً لها على راحتِي شِعاعُ
 لي مِنْ قَوَارِيرِهَا نَدَامَى وَمِنْ قَرَاظِيرِهَا سَمَاعُ
 قوارير الخمر هي ندماي، وقراظيرها، أي صوتها وهي تصب وتفرق في الكأس هي سماعي،
 والسماع هو الغناء في المجالس. وعلق الثعالبي: هذا بيت القصيدة، وهو أمير شعره

١٤٣ دفتر الطب

وقال:

قد كنتُ أنظرُ قبلَ اليومِ في كتبِ فيها الحكاياتُ والأشعارُ والخُطْبُ
 ودفترُ الطبِّ ممَّا لا أَلِمْ بِهِ إذ لم يكنْ فيه لي مِنْ صِحَّتِي أَرْبُ
 فجاءتِ التَّسَعُ والخَمْسُونَ تُخَوِّجُنِي إلى العلاجِ، فَمَا لي غَيْرُهُ كُتُبُ

١٤٤ العاق

قال أبو القاسم الدينوري:

لو كنتُ أَعْلَمُ أَنِّي والدٌ وَلَدًا يكونُ، لا كانَ، في عيني كالرَّمَدِ
 لَقُلْتُ، لو أَنَّ قولي كانَ يَنْفَعُنِي: يا لَيْتَ أَنِّي لم أُولَدُ ولم أَلِدِ

١٤٥ حنين غريب

وقال:

وَمَا آسَى عَلَى دَهْرٍ تَوَلَّى ولا جِسْمٍ مُبَاحٍ لِلسَّقامِ
 ولا ما فاتَ مِنْ عُمْري وَلَكِنْ، أَجِنُ إِلَى صَلَاةٍ مِنْ قِيَامِ
 إن كان يطالع هذا البيت شاب فليتنظر ثلاثين سنة حتى يصير ثني الركبتين أصعب عليه من ثني
 قضيب السكة الحديد

١٤٦ هوان الشيخ

وقال:

عِشْتُ مِنَ الدَّهْرِ ما كَفَّاني وَمَرَّ ما مَرَّ مِنْ زَمَاني
 وقد حَنَنَنِي وَقَوَّسَنَنِي تَسْعُ وَتَسْمَعُونَ وَأَتَنَنَانِ

حتتي: من الانحاء

وَقَدْ سِئِمْتُ الْحَيَاةَ مِمَّا أَلْقَى مِنَ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ
وَمِنْ أَخٍ كُنْتُ أَرْتَجِيهِ لِحَادِثِ الدَّهْرِ قَدْ قَلَانِي
قلاني: هجرني

وَمِنْ غِلَامٍ إِذَا يُنَادَى تَصَامَمَ النَّذْلُ وَهُوَ دَانٍ
تصامم: ادعى الصمم، دان: قريب

١٤٧ العمر ساعة

قال أبو علي المسبخي:

هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا سَاعَةٌ ثُمَّ تَنْقُضِي بِمَا كَانَ فِيهَا مِنْ عَنَاءٍ وَمِنْ خَفْضِ
الخفض: النعيم

فَهَوْنُكَ لَا تَحْمِلُ مَسَاءَةً عَارِضٍ وَلَا فَرَحَةً سَرَتْ، فَكَلَّتَاهُمَا تَمْضِي
هون عليك ولا تهتم بسوء من عارض، حادث مفاجئ، ولا بفرحة.. فكله سيذهب

١٤٨ أراجيح وموازين

قال أحمد بن المؤمل:

سَقِيًّا لِدَهْرٍ مَضَى إِذْ نَحْنُ فِي شُغْلٍ بِالْعَزْفِ وَالْقَصْفِ عَنْ شُغْلِ السَّلَاطِينِ
كنا سعداء بالعزف والقصف، اللهو، بعيداً عن حضور مجالس السلطان وما فيها من تكلف الوقار

غَدَّوْا صِحَاحاً إِلَى الْحَانَاتِ وَانصَرَفُوا إِلَى الْمَنَازِلِ فِي عَقْلِ الْمَجَانِينِ
عَادُوا أَرَاجِيحَ مِنْ حَانَاتِهِمْ أَصْلاً وَقَدْ غَدَّوْا نَحْوَهَا مِثْلَ الْمَوَازِينِ

١٤٩ التواري

أبو الحسن الإفريقي المتيّم:

وَفَنِيَّةٍ أَدْبَاءٍ مَا عَلِمْتُهُمْ شَبَّهْتُهُمْ بِنُجُومِ اللَّيْلِ إِذْ نَجَمُوا
ما علمتهم: طول مدة معرفتي بهم

فَرَّوْا إِلَى الرَّاحِ مِنْ خَطْبٍ يُلْمُ بِهِمْ فَمَا دَرَّتْ نُوبُ الْأَيَّامِ أَيْنَ هُمْ
نوب: مصائب

١٥٠ النفاق

وقال:

تَلُومُ عَلَى تَرْكِ الصَّلَاةِ حَلِيلَتِي فقلتُ: اغْرُبِي عَن نَّاظِرِي، أَنْتِ طَالِقُ
لِمَاذَا أَصَلَّيْ؟ أَيْنَ بَاعِي وَمَنْزِلِي وأَيْنَ خُيُولِي وَالْحُلَى وَالْمَنَاطِقُ
الباع: القدرة، المناطق: ما يلف على الخصر وتعلق به الخناجر أو توضع فيه الدراهم
وأَيْنَ عَبِيدِي كَالْبَدُورِ وَجُوهُهُمْ وأَيْنَ جَوَارِي الْحِسَانِ الْعَوَاتِقُ
العواتق: الشابات

أَصَلِّي وَلَا فِتْرَ مِنَ الْأَرْضِ يَحْتَوِي عَلَيْهِ يَمِينِي؟ إِنْنِي لَمُنَافِقُ

١٥١ أُمْنِيَاتُ الشَّابِّ

قال أبو طالب المأموني:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مُنَى فِي الْحَشَا تَضَمَّنَ جَنْبَايَ مِنْهَا سَعِيرَا
أَرَانِي ابْنَ عِشْرِينَ أَوْ دُونَهَا وَقَدْ طَبَّقَ الْأَرْضَ شِعْرِي مَسِيرَا
وَلَوْ كَانَ يَفْخَرُ مَيْتٌ بِحَيٍّ لَكَانَ أَبُو هَاشِمٍ بِي فَخُورَا
يتخيل نفسه عاد إلى الشباب وأصبح شاعراً مهماً وغدا مفخرة للناس. ولعل أبا هاشم المقصود هنا
جد العباسيين، فالشاعر كان يصل نسبه بنسب الخليفة المأمون

وَلَوْ كُنْتُ أَخْطُبُ مَا أَسْتَحِقُّ لَمَا كُنْتُ أَخْطُبُ إِلَّا السَّرِيرَا
لو كنت أخطب، أطلب، استحقاقي لطلبت سرير الملك لا أقل

وَلَوْ سِرْتُ صَاحَتُ مُلُوكِ الْبَلَا دِ بَيْنَ يَدَيَّ النَّفِيرِ النَّفِيرَا
يسير الملوك، أي القادة والولاة، أمامي يقولون النفير النفير، يبعدون الناس عن وسط الطريق
لمرور موكب

وَلَكِنِّي مُكْتَفٍ بِالْيَسِيرِ إِذَا سَهَّلَ اللَّهُ ذَاكَ الْيَسِيرَا

١٥٢ بَيْعَةُ وَكْسٍ

قال أبو بكر الخوارزمي، وكتب بها إلى أبي نصر الميكالي بعد إذ حبسه الوالي
ظاهر بن محمد:

كِتَابِي أَبَا نَصْرِ إِلَيْكَ وَحَالَتِي كَحَالِ قَرِينٍ فِي مَخَالِبِ صَيِّغِمِ

غَدُوْتُ أَخَا جُوعٍ وَلَسْتُ بِصَائِمٍ وَرَحْتُ أَخَا عُرْيٍ وَلَسْتُ بِمُحْرِمٍ
وَقَعْتُ بِفَخِّ الْخَوْفِ فِي يَدِ طَاهِرٍ وَقُوعُ سُلَيْكٍ فِي حَبَائِلِ خَنْعَمٍ
سليك الشاعر قتلته قبيلة خنعم

وَمَا كُنْتُ فِي تَرْكِكَ إِلَّا كِتَارِكٍ يَقِينًا، وَرَاضٍ بَعْدَهُ بِالتَّوَهُمِ
وَذِي عِلَّةٍ يَأْتِي عَلِيلاً لِيَشْتَفِي بِهِ وَهُوَ جَارٌ لِلْمَسِيحِ بْنِ مَرِيَمِ
فأنا إذ تركتك مثل المريض الذي يذهب إلى مريض مثله للتداوي بينما هو جار للمسيح، الذي كان يشفي المرضى

لَبِسْتُ ثِيَابَ الصَّبْرِ حَتَّى تَمَرَّقْتُ جَوَانِبُهَا بَيْنَ الْجَوَى وَالتَّنَدُّمِ
الجوى: الحزن

وَقَدْ عَاشَ بَعْدَ الْخُلْدِ فِي الْأَرْضِ آدَمُ فَإِنْ شِئْتَ فَاعِذِرْنِي فَإِنِّي ابْنُ آدَمِ
أنا كجدي آدم الذي أخرج من الخلد، الجنة

وَأَنْتَ الَّذِي صَوَّرْتَ لِي صُورَةَ الْمُنَى وَأَرْكَبَتَنِي ظَهَرَ الزَّمَانِ الْمَذْمُومِ
أنت أريتني الأماني حقيقة واقعة، وجعلتني أقهر الزمان المذموم وأركب ظهره

وَصَيَّرْتَ عِنْدِي أَنْحُسَ الدَّهْرِ أَسْعَدًا وَكَذَّبْتَ عِنْدِي قَوْلَ كُلِّ مُنْجِمٍ

١٥٣ صديق

وقال الخوارزمي أبو بكر محمد بن العباس:

وَصَاحِبِ لِي لَوْ حَلَّتْ رَزِيئَتُهُ بِالطَّيْرِ مَا هَتَفْتُ يَوْمًا عَلَى فَنَنِ
لو حلت مصيته بالطير لما غرد على غصن

عَاشِرَتُهُ عِشْرَةً لَوْ أَنَّهَا وَقَعَتْ بَيْنَ الضُّحَى وَالْذُّجَى سَارَا عَلَى سَنَنِ
عشرتي له كانت جميلة فلو كانت بين النهار والليل للذين لا يلتقيان أبدًا لالتقيا وسارا على سنن
في طريق واحد

حَتَّى إِذَا نِلْتُ سُؤْلِي مِنْ مَوَاهِبِهِ وَصَادَنِي بِشِبَاكِ الْوَصْلِ وَالْمِنَّ
مواهبه: ما يهب لي من العطايا، المنن: العطايا

ثَكَلَتْهُ بَعْدَمَا سَارَتْ مَحَاسِنُهُ فِي الْعِظَمِ وَاللَّحْمِ سَيْرَ الْمَاءِ فِي الْغُصْنِ

١٥٤ فاضل ومتقلب

وقال أبو سعيد في الخوارزمي:

أبو بكر له أدبٌ وَقَضْلٌ ولكن، لا يدومُ على الإخاءِ
مَوَدَّتُهُ إذا دَامَتْ لِخَلٍّ فَمِنْ وَقْتِ الصَّباحِ إلى المِساءِ

١٥٥ عضه الدهر

قال بديع الزمان الهمذاني، وقد قصد هراة وفيها أبو عامر عدنان بن محمد الضبي:

ما لي أرى الحُرَّ ذاهباً دَمُهُ ولا أرى النَّذْلَ ذاهباً دَهْبُهُ
يا سادتي لا تَلِنِ عِظامُكُمْ لِعَضَّةِ الدهرِ إن يَهْجِ كَلْبُهُ
الْكَلْبُ: داء يصيب الكلب فيتوحش وتصبح عضته مميتة

فالدَّهرُ لونا لا يدومُ على حالٍ، سريعٌ بالناسِ مُضْطَرِبُهُ
أتى بِشَرٍّ لم نَرْتَقِبُهُ، كذا يأتي بِخَيْرٍ وليس نَحْتَسِبُهُ

١٥٦ الإبريق

قال الأمير أبو الفضل الميكالي:

ظَنَيْتُ يَحَارُ البرقُ في بَريقِهِ
محبوبة كالظبي وهي مشرقة يحار البرق نفسه في إشراقها
غَنَيْتُ عن إِبْريقِهِ بِريقِهِ
استغنيت بريق المحبوبة عن إبريق الخمر الذي تسقيني منه
فلم أزلُ أَرُشِفُ مِنْ رَحيقِهِ
الرحيق: الخمر... يقصد خمر فمها
حتى شَفِيتُ القلبَ مِنْ حَرِيقِهِ

١٥٧ التصابي

وقال:

أَتَرَكُضُ في ميادينِ التَّصابي وقد ركضَ المَشيبُ على الشبابِ
وكيفَ تَلَدُّ طَعَمَ العيشِ نفسُ غَدَّتْ أَترابُها تحتَ الثُّرابِ
أترابها: مثيلاتها في السن، لِداتها

قال الجوهري صاحب الصحاح:

فَهَا أَنَا يُؤَنَسُ فِي بَطْنِ حَوْتٍ بَنَسَابُورَ فِي ظِلِّ الْعَمَامِ
فَبَيْتِي وَالْفُؤَادُ وَيَوْمَ دَجْنٍ ظِلَامٌ فِي ظِلَامٍ فِي ظِلَامِ
يوم دجن: يوم غائم

١٥٩ آفات الكتب

قال عبد الرحمن بن دوست:

عَلَيْكَ بِالْحِفْظِ دُونَ الْجَمْعِ فِي الْكُتُبِ فَإِنَّ لِلْكَتُبِ آفَاتٍ تُفَرِّقُهَا
الْمَاءُ يُغْرِقُهَا وَالنَّارُ تُحْرِقُهَا وَالْفَارُ يَخْرِقُهَا وَاللِّصُّ يَسْرِقُهَا

١٦٠ الخوف والرجاء

قال أبو محمد الدهان:

خَفَ إِذَا أَصْبَحْتَ تَرْجُو وَارْجُ إِنْ أَمْسَيْتَ خَائِفٌ
رُبَّ مَكْرُوهِ مَخُوفٍ فِيهِ لَلَّهِ لَطَائِفُ

١٦١ ابن من يدري

قال أبو الفتح الكاتب:

جَفَانِي وَهَاجَانِي، وَلَمْ يَخْشَ صَوْلَتِي وَلَا سَطَوَتِي الشَّيْخُ الْعَمِيدُ أَبُو نَصْرِ
وَكَانَ حَرِيًّا أَلَّا يُكَاشِفَ شَاعِرًا وَفِي دَارِهِ يَجْرِي مِنَ الْخِزْيِ مَا يَجْرِي
كَانَ حَرِيًّا: مَا كَانَ أَحْرَاهُ، يَكَاشِفُ: يَدْعُو لِلْمُكَاشَفَةِ وَالتَّشَاتِمِ الصَّرِيحِ
وَقَدْ خَافَ أَوْلَادُ الْعَفَائِفِ جَانِبِي فَمَا أَمْنُهُ إِلَّا يَئِي، وَهُوَ ابْنُ مَنْ يَدْرِي

١٦٢ الموت بعد غدٍ

قال الحسين بن أسد العامري:

يَدِي عَلَى كَبْدِي مِنْ شِدَّةِ الْكَمَدِ كَأَنَّمَا خُلِقْتُ كَفَّائِي مِنْ كَبْدِي
جُودِي لِي الْيَوْمَ أَوْ عُودِي غَدًا دَنَفًا أَوْ انْدُبِي لِقَتِيلِ الْحَبِّ بَعْدَ غَدِ
الدنف: المريض بالعشق

فهرس القوافي (القافية، فرقم القطعة)

٧٣	والطرب	١٠	حياة
٦٥	مذهب	٤٣	الأعداء
٩٣	تنهية	٨٧	الدواء
١٥٥	ذهبة	١٥٤	الإخاء
٥٦	نوائيه	٥٤	البيضاء
٥٨	يقوت	١١٣	إغصاؤه
٧٥	المعجزات	٣٨	حصبائه
٢٣	بالرقاعات	٥٣	تطيب
٢٩	حسانتي	٣٢	جانب
٩٨	لهاتي	٧٩	عيوب
١١٢	قداتها	١٤٣	والخطب
٤٥	تمزج	٩٠	استعاب
١٢	بالأقاح	٥٩	الأدب
٦	كالأشباح	٨٥	التراب
٨٤	العبداء	٤٤	الحبيب
٦١	أنكد	٨٨	الذنوب
٧٢	جلد	٤١	الرقاب
٧١	جواد	٤	الرقب
٥٠	التنادي	١٥٧	الشباب
٥٧	الفاسد	١٢٠	اللهم
٣٣	الكميد	١٣٦	بذهاب
١٣٧	الورود	٨٢	كالرب

٧٠	خَا طِرُهُ	٩١	بِأَحْمَدِ
٣٧	وَمَنَارُهَا	٦٣	بِيَدِي
٧٦	الْيَاسُ	١٤١	زَادِ
٩٩	وَوَسَاوِسِي	١٥	قَوْدِ
٧٧	الْعَرَضَا	١٤٤	كَالرَّمْدِ
٤٦	الْقَصُّ	١٦٢	كَبِيدِي
١٤٧	خَفَضُ	٨٩	أَمْدُ
١٤٢	اتِّصَاعُ	١٢٦	عُقُودُهَا
١١	الْجَزْعُ	١٣٩	يَدُهُ
١	الْفَزْعُ	١٥١	سَعِيرَا
١٣٠	مَسَارِعُهُ	٥	اضْطِرَارُ
١٣٥	تُعْرِفُ	١١٨	الْأَمْرُ
٩	الْإِنْصَافِ	١٢١	الْحَازِرُ
٤٠	الْقَوَافِي	٩٤	الْقَوَارِيرُ
٣	لِلْأَلْفِ	٢١	الْمَحْضَرُ
١٦٠	خَائِفُ	٦٧	بَقَرُ
٩٥	خَلِيفَةُ	٩٢	تَسْتَقِرُّ
٦٢	سَخِيفَةُ	١٣٤	خَطَرُ
١٢٨	رَيْقَا	٤٢	وَالْمَسْتَوْرُ
١٨	مُطَرِّقَا	٣٩	أَفْكَارِي
١٥٠	طَالِقُ	١٠١	الْمُسْتَرِي
١١٠	وَيَغْرَقُ	٢٧	الْمِهْذَارِ
٧٤	عَاشِقِي	١٠٦	بِشِيرِ
٣٥	تُفَرِّقُهُ	١٠٠	خُضُورِي
١٥٩	تُفَرِّقُهَا	١٠٨	سَطْرِ
١٥٦	بَرِيقِهِ	٤٨	فِكْرِي
١٩	مَنْسِكَا	١٠٣	مَقْهُورِ
١٢٤	وَفَتْكِي	١٦١	نَصْرِ
٣٠	شَمَالَا	٣٦	وَأَشْعَارِي
٨٠	تَنَالُ	٧٨	وَطَرِ
٢٦	مَشْغُولُ	٦٦	يَجْرُ
١٢٢	وَمَسَائِلُ	١٠٧	مَرَّةً

١١٩	ظَنَّا	١٤٠	وَرَمِلُ
١١٦	لَنَا	٩٧	يُمْلُ
١١١	وَطْنَا	٨٣	الْبَحْلِ
١٣	الْإِمْكَانِ	١٠٤	الْحَلَالِ
٨٦	الْإِنْسَانِ	١١٤	بِغَالِ
٢٨	الدِّينِ	٢٠	مِثْلِي
١٤٨	السَّلَاطِينِ	١١٧	مُعْتَدِلِ
١٠٥	السَّمِينِ	٤٩	وَجَلِ
١٦	السُّودَانِ	١٢٥	خَجَلِ
٥٥	الطُّعَانِ	٦٩	وَالْعَمَلِ
١٠٢	أَنْثُشِرَوَانِ	١٣٢	أَحْجَمَا
٢	تَجَنُّ	٨	تَقَدَّمَا
١٤٦	رَمَانِي	١٧	دَمَا
٦٤	شَفَانِي	٤٧	الْأَعْظَمُ
١٤	عُضْنِي	٣٤	الْحَاكِمُ
٢٥	عَنَانِي	٧	اللُّجْمُ
١٢٩	فَرَانِي	١٤٩	نَجْمُوا
١٥٣	فَتْنِ	١٢٣	وَالْكَرْمُ
١٠٩	يُبْكِينِي	١٥٨	الْعَمَامُ
٢٤	يَمِينِي	٦٨	الْمَكَارِمِ
١٣١	سَنَّةُ	٨١	شَيْمِي
٥٢	مِنْهَا	١٥٢	ضَبِغَمُ
١٣٨	تَهِي	١١٥	فَسَالِمِ
٣١	صَادِيَا	٩٦	قِيَامِ
١٢٧	لِتُرْكِي	١٤٥	لِلسَّقَامِ
١٣٣	الْقَاسِيَةِ	٦٠	السُّلْطَانَا
٥١	فِيهِ	٢٢	رُكْنَا

دمية القصر

هذا كتاب علي بن الحسن الباخري الذي جمع فيه أشعاراً لأكثر من خمسمئة شاعر معظمهم كان يعيش في زمنه. وقد حقق الكتاب محمد التونجي تحقيقاً مميزاً بالدقة واستيفاء المصادر، وعمق المعرفة بالشعر وباللغتين العربية والفارسية، وكان الباخري ينطق باللسانين.

توفي الباخري في عام ٤٦٧، وجمع في كتابه من الأشعار ما لا نجده في كتاب اليتيمة للثعالبي المتوفى عام ٤٢٩، فكان كتابه كالتكملة لكتاب الثعالبي.

١ قم إليها

أبو كامل تميم بن المفرج الطائي:

قُمْ إِلَى الرَّاحِ مَعَ الصَّبِّ حِ إِذَا قَامَ الْمُمُودُنُ
إِنْ تُسِئْ يَا أَيُّهَا الْعَبُّ دُ فَإِنَّ اللَّأْمَ مُخْسِنُ

٢ استيلاء الجلد

أبو الفضل جعفر بن الحسين الشيبني المكي:

فَأَبْشِرْ بِتَصْرِيفِ الْأُمُورِ وَدَوْلَةٍ نَظَّمْتَ مَعَانِيَهَا كَمَا نُظِمَ الْعَقْدُ
كَأَنِّي بِكَ اسْتَوْلَيْتَ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ عَلَيْهَا كَمَا اسْتَوْلَى عَلَى الْجَسَدِ الْجِلْدُ

٣ سؤال الظبيات

كامل المتفقي:

بِاللَّهِ يَا ظَبْيَاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا: لَيْلَايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ؟

تسويد أ. عبد الرحيم

٤ سرب المها

تميم بن معد صاحب مصر:

أَسِرْبُ مَهَاءَ عَنِّ أَمِ سِرْبُ جِنَّةٍ حَكِيَّتُهُنَّ وَلَسْتُنَّ هُنَّ
حكيتهن: أشبهتهن

إِذَا رُمْنٌ ظُلْمًا فَسُلْطَانُهُنَّ عَلَيْنَا مَلَا حَةَ أَحْدَاقِهِنَّ
التسويد + «حلو» من أ. عبد الرحيم

نَوَاعِمُ لَا يَسْتَطِيعْنَ النُّهُوضَ إِذَا قُمْنَ مِنْ ثِقَلِ أَرْدَاقِهِنَّ

٥ راكب الشوق

أبو القاسم الوزير المغربي:

قَطَعْتُ الْأَرْضَ فِي شَهْرِي رَبِيعٍ إِلَى مَصْرٍ وَعُدْتُ إِلَى الْعِرَاقِ
فَقَالَ لِي الْحَبِيبُ، وَقَدْ رَأَيْتُ: سَبُوقًا بِالْمُضْمَرَةِ الْعِنَاقِ
رَكِبْتَ عَلَى الْبُرَاقِ؟ فَقُلْتُ: كَلَّا وَلَكِنِّي رَكِبْتُ عَلَى اشْتِيَاقِي

٦ رثاء المتنبى

محمد بن عبيد الله بن محمد الكاتب النصيبي يرثي المتنبى ويستجيش عضد الدولة
على قاتله فاتك الأسد:

هَذَا بَنُو أَسَدٍ جَاءَتْ بِمُؤَيَّدَةٍ صَمَاءَ بَائِحَةٍ هَدَّتْ ذُرَا أَحَدٍ
بنو أسد جاءوا بمؤيدة، أي بمصيبة، صماء، المصيبة الصماء التي يصعب احتواؤها، بائحة، أي
ذائعة سمع بها كل الناس، وكادت تهد ذرا، أي قمم، جبل أحد

سَطَّتْ عَلَى الْمُتَنَبِّيِّ مِنْ فَوَارِسِهَا سَبْعُونَ جَاءَتْهُ فِي مَوْجٍ مِنَ الزَّرْدِ
الزرد: الحلقات يتكون منها نسج اللدع

حَتَّى أَتَتْ وَهَوَ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَا يَسِيرُ فِي سَيْتَةٍ إِنْ تُحْصَ لَمْ تَزِدْ
جاءته وهو وادع مع ستة لا أكثر من صحبه

كَرَّتْ عَلَيْهِ سِرَاعًا غَيْرَ وَإِنِّيهِ فَعَادَرَتْهُ رَهِيْنَ الثَّرْبِ وَالشَّادِ
غير وانية: غير متوانية ولا مبطنة، التأد: الثرى.. التراب الندي

مِنْ بَعْدِ مَا أَعْمَلْتُ فِيهِمْ أَسِنَّتُهُ طَعْنَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ

فَاظْلُبْ بِشَارِ فَتَى مَا زِلْتَ تَعْضُدُهُ لَلَّهِ دَرْكٌ مِنْ كَهْفٍ وَمِنْ عَضْدٍ

كهف: ملجأ وحام

أَذْكَ الْعُيُونِ عَلَيْهِمْ أَيْةً سَلَكُوا وَضَيَّقِ الْأَرْضَ وَالْأَقْطَارَ بِالرَّصْدِ

أذك العيون: شدد التجسس، الرصد: الجواسيس

٧ رثاء الابن

أبو الحسن علي بن محمد التهامي:

حُكْمُ الْمَنِيَّةِ فِي الْبَرِيَّةِ جَارٍ مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارٍ قَرَارٍ

بَيْنَا يُرَى الْإِنْسَانُ فِيهَا مُخْبِرًا حَتَّى يُرَى خَبِرًا مِنَ الْأَخْبَارِ

يكون الإنسان مخبراً غيره بالأخبار فيصبح هو نفسه خبيراً إذ يموت

فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالْمَنِيَّةُ بِقُظَّةٍ وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا خِيَالٌ سَارٍ

فَانْقُضُوا مَارَبَكُمْ عَجَالًا إِنَّمَا أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ الْأَسْفَارِ

مآرب: حاجات

يَا كَوَكَبًا مَا كَانَ أَقْصَرَ عُمرَهُ! وَكَذَاكَ عُمرُ كَوَاكِبِ الْأَسْحَارِ

الكواكب وقت السحر، عند الفجر، قصيرة العمر لأن النهار يعاجلها فتختفي

فَكَأَنَّ قَلْبِي قَبْرُهُ، وَكَأَنَّهُ فِي طَبْئِهِ سِرٌّ مِنَ الْأَسْرَارِ

إِنَّ الْكَوَاكِبَ فِي عُلُوٍّ مَحَلُّهَا لَثَرَى صِغَارًا وَهِيَ غَيْرُ صِغَارِ

جَاوَرْتُ أَعْدَائِي، وَجَاوَرَ رَبُّهُ شَتَّانَ بَيْنَ جَوَارِهِ وَجَوَارِي

وَلَقَدْ جَرَيْتُ كَمَا جَرَيْتُ لِغَايَةٍ فَبَلَّغْتَهَا وَأَبُوكَ فِي الْمِضْمَارِ

أنا أجري وأنت تجري نحو غاية هي الموت، وسبقني.. وأنا ما زلت في المضمار، حلبة تضمير الخيل، أي تقوية عضلاتها وتحنيف جسمها، فأنا في المضمار ولم أتهياً للسباق

وَإِذَا نَطَقْتُ فَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْطِقِي وَإِذَا سَكَتُ فَأَنْتَ فِي إِضْمَارِي

أُخْفِي مِنَ الرُّقَبَاءِ نَارًا مِثْلَمَا يُخْفِي مِنَ النَّارِ الزَّنَادُ الْوَارِي

أخفي عن مراقبون سلوكي ناراً كنار الزناد، أي أداة إشعال النار، الواري، المشعل للنار، ويكون الزناد مجرد حجر أو خشبة ولكنه يخفي بداخله شرراً كامناً

وَأُخَفِّضُ الزَّرَقَرَاتِ وَهِيَ صَوَاعِدُ وَأُكْفِكُفُ الْعَبْرَاتِ وَهِيَ جَوَارِ

ثَوْبُ الرَّيَاءِ يَشِفُّ عَمَّا تَحْتَهُ وإذا التَّحَفَّتْ بِهِ فإِنَّكَ عَارٍ

الذي يخفي مشاعره كالمراعي يظهر تجملاً، ولكن الناس تشعر بما يطن

وَتَلْهُبُ الْأَحْشَاءُ شَيْبَ مَفْرِقِي هذا الضياءُ شُعاعُ تِلْكَ النَّارِ

يشبه الشيب في رأسه بشعاع ناتج عن النار التي بين ضلوعه

إِنِّي لَأَرْحَمُ حَاسِدِيَّ لِحَرٍّ مَا ضَمِنْتُ صُدُورَهُمْ مِنَ الْأَوْغَارِ

الأوغار: الأحقاد

نَظَرُوا صَنِيعَ اللَّهِ بِي فَعَبِوْنَهُمْ فِي جَنَّةٍ وَقُلُوبُهُمْ فِي نَارٍ

الحاسدون ينظرون إلى ما بلغته من منزلة رفيعة فعيونهم ترى جنة نجاحي، ولكن قلوبهم تتقلب في نار الحقد

لَا ذَنْبَ لِي قَدْ رُمْتُ كَثْمَ فَضَائِلٍ فَكَأَنَّمَا بَرَّقَتْ وَجْهَ نَهَارٍ

رمت، أي أردت، كتمان فضائلي، ولكنها ظهرت بسهولة فكأنني أردت أن أبرقع وجه النهار، أي أخفيه ببرقع

ذَهَبَ التَّكْرُمُ وَالْوَفَاءُ مِنَ الْوَرَى وَتَصَرَّمَا، إِلَّا مِنَ الْأَشْعَارِ

وَفَشَتْ خِيَانَاتُ الثَّقَاتِ وَغَيْرِهِمْ حَتَّى أَتَهَمْنَا رُيَّةَ الْأَبْصَارِ

وَلَرُبَّمَا اعْتَصَدَ الْحَلِيمُ بِجَاهِلٍ لَا خَيْرَ فِي يُمْنِي بِغَيْرِ يَسَارٍ

قد يقرر الرجل الحليم أن يعتصد، أي يستعين، بجاهل، أي متهور، فاليد اليمنى لا خير فيها بغير اليسرى. وكان يكون في الزمن القديم للفقير سفينة يلازمه ويصد عنه السفهاء حتى لا يتورط الفقيه في ملاستهم

٨ عيون الغانيات

وقال:

بَكَيْتُ فَحَنَّتْ نَاقَتِي فَأَجَابَهَا صَهِيلُ جَوَادِي حِينَ لَاحَتْ دِيَارُهَا

حَظَطْنَا بِأَطْرَافِ الْمَخَاصِرِ أَرْضَهَا فَأَهْدَتْ إِلَيْنَا مِسْكَ دَارَيْنَ دَارُهَا

المخاصر: العصي.. عندما نishنا بالعصي في ديار الحبيبة فاح عطر كأنه المسك المستورد من دارين

وَلَا حَتَّ ثَنَايَا الْأَقْحُوَانِ، وَلَوْ رَأَتْ عَوَارِضَ مَنْ أَهْوَاهُ طَالَ اسْتِتَارُهَا

رأينا ثنايا، أسنان، زهر الأقحوان.. ولو رأت بتلات هذه الأقحوانات عوارض، أسنان، الحبيبة لاستترت واختبأت

تَبَوَّقَ عَيُونَ الْغَانِيَاتِ فَلَيْتَهَا سَيْوْفٌ وَأَشْفَارُ الْجُفُونِ شِفَارُهَا
احذر عيون الحسان فأشفار الجفون، الرموش، هي شفرات سيف تحيط بعيونهن

٩ تعنيف الدهر

الماهر الدمشقي:

بِرَغْمِي أَنْ أَعْنَفَ فِيكَ دَهْرًا قَلِيلًا هَمُّهُ بِمُعْنَفِيهِ
وَأَنْ أَرْعَى النُّجُومَ وَلَسْتُ فِيهَا وَأَنْ أَطَأَ التَّرَابَ وَأَنْتَ فِيهِ
رغمًا عني أسهر محدقًا في النجوم وأنت لست فيها أبها النجم الذي مات، وبرغمي أدوس على
التراب.. وأنت في التراب

١٠ المَتَالِفُ

ابن أبي زرعة:

وَمِنْ خَيْرِ أَيَّامِ الْحَيَاةِ الَّتِي خَلَتْ وَأَطْيَبِهَا يَوْمٌ مِنَ الْعَيْشِ سَالَفُ
لَيْسَنَا بِهِ ظِلُّ الشُّرُورِ فَكَلُّنَا شُرُوبٌ لِمَا تَنْهَاكَ عَنْهُ الْمَصَاحِفُ
وَمَالَتْ فُرُوعُ الْبَانِ بَيْنَ ثِيَابِنَا وَجُرَّتْ عَلَى وَجْهِ الرِّيَاضِ الْمَطَارِفُ
في أحضاننا، وبين ثيابنا، مالت الفتيات اللواتي كأغصان البان، ثم جررت على وجه الروض
المطارف، الأنواب

فَمَا مِثْلُ هَذَا الْيَوْمِ لَوْلَا انْقِصَاؤُهُ وَمَا مِثْلُنَا لَوْ أَخْطَأْتُنَا الْمَتَالِفُ
المتالف: التلف.. الموت

١١ الْحَمُولُ

سعيد بن علي:

خُلِقْتُ حَمُولًا لِلْخُطُوبِ فَلَوْ جَرَى لَهَا مِقُولٌ قَامَتْ بِصَبْرِي تَخْطُبُ
لو تحرك للخطوب مقول، أي لسان، لخطبت خطبة عصماء عن صبري وتحملي
خَلِيلِي مَهْلًا لَا تَلُومًا أَخَاكُمَا فَمَا يَعْرِفُ الْأَيَّامَ مَنْ لَا يُجَرِّبُ

١٢ قَوْسِ السَّعَادَةِ

ابن بابا:

وَمَنْ بَاتَ عَنْ قَوْسِ السَّعَادَةِ رَامِيًا نُحُورَ أَعَادِيهِ رَمَى فَأَصَابَا
من كان يرمي نحور أعدائه عن قوس السعادة، والسعادة هي الحظ، سيصيب

هُوَ الْجَدُّ فَلْيُخَمْسِ الْفَتَى فِي ظِلَالِهِ فلو أَخْطَأَ الْمَجْدُودُ قِيلَ: أَصَابَا

الجد: الحظ، المجدود: المحظوظ

١٣ حسرة

علي بن هبة الله بن محمد بن خالد التبريزي:

أَسْفَيْ عَلَى زَمَنِ تَوَلَّى وَانْقَضَى وقد انقَضَتْ فِيهِ لَنَا أَوْطَارُ
أَيَّامَ تُسَعِّفُنَا اللَّيَالِي بِالْمُنَى وَتُطِيعُ سُعْدَى أَمْرِنَا وَنَوَارُ
أَيَّامَ عُدُودِ الْعَيْشِ أَخْضَرُ مَثْمَرُ فِيهَا، وَكَاسَاتُ الْعُقَارِ تُدَارُ

١٤ قبلات بوارق

قال الشريف الرضي:

بِشْنَا ضَجِيعَيْنِ فِي ثَوْبَيْ هَوَى وَثَقَى يَلُفُّنَا الشَّوْقُ مِنْ قَرْقٍ إِلَى قَدَمِ

الفرق: الخط في وسط شعر الرأس

وَأَمَسَتْ الرِّيحُ كَالْفَغْبَرَى تُجَاوِزُنَا عَلَى الْكَثِيبِ فُضُولَ الرِّيطِ وَاللَّمَمِ
الريح كأنها تغار منا فهي تجذب فضول، أي أطراف، الريط، أي الثياب، واللمم، خصلات الشعر

يَشِي بِنَا الرِّيحُ أَحْيَانًا، وَأَوْنَةً يُضِيئُنَا الْبَرْقُ مُجْتَازًا عَلَى إِضَمِ
الريح يخبر عن مكاننا لأنه ينشر العطر، والبرق القادم من جبل إضم في الحجاز يكشفنا

وَبَاتَ بَارِقُ ذَاكَ الثَّغْرِ يُوضِعُ لِي مَوَاضِعَ اللَّثَمِ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ
ولمعان أسنان الحبيبة يبين لي أماكن اللثم، أي الثقيل في الظلام الدامس

١٥ نسيم كاظمة

الحسن بن مهيار الديلمي:

يَا نَسِيمَ الرِّيحِ مِنْ كَاطِظِمَةٍ شَدَّمَا هَجَّتَ الْبُكَاءُ وَالْبُرْحَا

كاظمة: الكويت حالياً، البرح: العذابات

يَا نَدَامَايَ يَسْلَعُ هَلْ أَرَى ذَلِكَ الْمَغْبِقَ وَالْمُضْطَبِّحَا؟
سلع: موضع بالحجاز، المغبق: مكان الجلوس عشيةً، والمضطبح: مكان الجلوس صباحاً

اذْكُرُونَا ذِكْرَنَا عَهْدَكُمْ رَبِّ ذِكْرِي قَرَّبْتُ مَنْ نَزَحَا
اذْكُرُوا صَبَّأً إِذَا غَنَى بِكُمْ شَرِبَ الدَّمْعَ وَرَدَّ الْقَدَحَا

١٦ عيرتني بالشيب

أبو عبد الله الزنجفري:

عَيْرَتْنِي بِالشَّيْبِ وَهُوَ وَقَارٌ لَيْتَهَا عَيْرَتْ بِمَا هُوَ عَارٌ
إِنْ تَكُنْ شَابِتِ الدَّوَائِبُ مِنِّي فَالليالي تُشِيبُهَا الْأَقْمَارُ
يقولها ناظم الغزالي «فالليالي تزيلها الأقمار»، ولا بأس بها، ولو قال «تتيرها» لكان أفضل

١٧ الغريب

أبو يعلى محمد بن الحسن البصري:

إِنَّ الْغَرِيبَ بِحَيْثُ مَا حَطَّتْ رَكَائِبُهُ ذَلِيلُ
وَيْدُ الْغَرِيبِ قَصِيرَةٌ وَلِسَانُهُ أَبَدًا كَلِيلُ
وَالنَّاسُ يَنْصُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَنَاصِرُهُ قَلِيلُ

اتفق معي أحمد عبد الرحيم في تسويد هذه الأبيات، وقد يتفق معنا ٣٠٠ مليون عربي يعانون من غربة في أوطانهم، وملايين أخرى تعاني غربة في غير أوطانها، ونكتب في مطلع سنة ٢٠١٧، فإن عاش هذا الكتاب بضع سنين أخرى فالأمل أن يقول القارئ لي ولصاحبي: لا تقلقا، قد وجد العرب طريقهم إلى السعادة!

١٨ عناق

أبو الجوائز الحسن بن علي الواسطي:

وَاعْتَنَقْنَا ضَمًّا يَذُوبُ حَصَى الْيَا قَنُوتٍ مِنْهُ وَتَطْمَئِنُّ النُّهُودُ
ثُمَّ هَبَّتْ رُؤْيَحَةُ الْفَجْرِ، وَالْكَأ شِخْ نَاءٍ، وَالْعَاذِلَاتُ رُقُودُ
رويحة: ريح خفيفة

١٩ كافور التجارب

أبو علي بن شبل البغدادى:

قالوا: الْمَشِيبُ، فَقُلْتُ: صَب حُحَّ قَدْ تَنْفَسَ فِي عَيَاهِبُ

إِنْ كَانَ كَأَفُورُ التَّجَا رَبِّ دَرَّ فِي مِسْكِ الدَّوَائِبِ..
الكافور: ذرور أبيض، الذوائب: خصلات الشعر

فَاللَّيْلُ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ إِذَا تَرَصَّعَ بِالْكَوَائِبِ

٢٠ شقيق البدر

ابن بحر البغدادي:

خَلِيلِي مَا أَحْلَى صَبُوحِي بِدَجْلَةٍ وَأَطْيَبُ مِنْهُ بِالصَّرَاةِ عُبُوقِي
الصباح: شرب الصباح، والغبوق: شرب المساء، الصرارة: موضع على نهر في بغداد

شَرِبْتُ عَلَى الْمَاءَيْنِ مِنْ مَاءِ كَرَمَةٍ فَكَانَا كَدُرُ ذَائِبٍ وَعَقِيقِي
شرب شراباً أبيض كأنه اللؤلؤ الذائب، وشراباً أحمر كحجر العقيق

عَلَى قَمَرِي أَفْقِي وَأَرْضِي تَقَابَلَا فَمِنْ شَائِقِ حُلُوِّ الْهَوَى وَمَشُوقِ
قمر السماء شائق، يجعلني اشتاق، وقمر الأرض مشوق، مشتاق إلي

فَمَا زِلْتُ أَسْقِيهِ وَأَشْرَبُ رِيقَهُ وَمَا زَالَ يَسْقِينِي وَيَشْرَبُ رِيقِي
فقلت لبدر التَّم: تعرفُ ذا الْفَتَى؟ فقال: نعم، هذا أَخِي وَشَقِيقِي

٢١ صَرْدَرُ بْنُ صَرَبَعْرٍ

الشریف أبو جعفر بن البیاضی، یهجو الشاعر صَرْدَرُ، وكان لقب أبيه صَرَبَعْرُ:
لِئَن نَبَرَ النَّاسُ قِدْماً أَبَاكَ فَسَمَّوْهُ مِنْ شُحِّهِ صَرَبَعْرَا
نبروه: لقبوه لقب ذم، صر بعرأ: وضع البعر في صرة حفاظاً عليه لشدة بخله

فَإِنَّكَ تَنْثُرُ مَا صَرَّهُ خِلَافاً لَهُ وَتُسَمِّيهِ شُغْرَا

٢٢ عاشق بغداد

أبو سعد الحسن بن الملا (البغدادي) الموصلائي:

خَلِيلِي إِنِّي كُلَّمَا دَرَّ شَارِقُ يَزِيدُ إِلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ جَنِينِي
ذر شارق: طلعت الشمس

وَإِنْ قَابَلْتُنِي نَفْحَةً بِأَبِلِيَّةٍ تَنْمُ بِمَا تُخْفِي الصُّلُوعُ شُؤُونِي
نفحة بابلية: ريح قادمة من بابل بالعراق، شؤوني: مجاري الدمع في عيني

فَمَنْ مُخَيَّرَ أَهْلَ الْعِرَاقِ بِأَنْتَنِي أَبَيْتُ وَمَكْنُونُ الْهَمُومِ قَرِينِي؟
وَإِنِّي مُذْ شَطَطْتُ بِي الدَّارُ عَنْهُمْ أَخُو قَلْقٍ مَا يَنْقُضِي وَأُنِينَ
شطت: نأت وبعدت

أُنَاجِي بَنَاتِ الشَّوْقِ حَتَّى يَقَالَ لِي: بِهِ خُلِطَةُ مِنْ عَارِضٍ وَجُنُونِ
خلطة: اختلاط عقل، العارض: النوبة من صرع أو غيره تعرض للمرء

وَمَا بِي إِلَّا حُبٌّ بِغَدَادَ عَارِضٌ وَحَسْبِي مِنْ دَاءٍ بِذَاكَ دَفِينِ
أَقُولُ وَأَسْبَابُ الْهَوَى تَسْتَفِرُّنِي وَقَدْ شَرِقْتُ بِالدَّمْعِ ذَاتُ مَعِينِ
ذات معين: العين التي دمعها سيال

عَلَى سَاكِنِي الزُّورَاءِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا تَحِيَّةُ مَقْرُوحِ الْفَوَادِ حَزِينِ
الزوراء: لقب بغداد

٢٣ تزوير كلام

أَبُو طَالِبٍ حَمْزَةُ بْنُ غَاضِرَةَ الْأَسَدِيِّ الْبَغْدَادِيِّ:

أَصْبَحْتُ فِي الْحَبِّ كَمَا قَدْ تَرَى مُعَذَّباً مَا بَيْنَ عُذَّالِي
أَعِدُّ مَا شِئْتُ لِيَوْمِ اللَّقَا مِ الْآنَ مِنْ قِيلٍ وَمِنْ قَالِ
حَتَّى إِذَا أَبْصَرْتُهُ مُقْبِلاً لَمْ يَخْطُرِ الْعَثْبُ عَلَى بَالِي

٢٤ الصدارة

أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ أَبِي الْعَلَاءِ الْأَصْفَهَانِيِّ:

إِذَا اجْتَمَعْتُ بِأَهْلِ الْفَضْلِ مَيَّزَنِي سَرُوي وَإِنْ كَانَ سَقْفُ الْبَيْتِ يَجْمَعُنَا
السرو: الشرف الرفيع

فَلَا يَرُوعَنَّكَ أَثْوَابُ لَهُمْ وَكُسَى وَلَا يَهْوَلَنَّكَ أَلْقَابُ لَهُمْ وَكُنَى
لَا تَحْسَبِ الصَّدْرَ حَيْثُ الدَّسْتُ مُطَرِّحُ إِذَا حَضَرْتُ فَإِنَّ الصَّدْرَ حَيْثُ أَنَا
الدست: ما يجلس عليه صاحب الأمر والنهي من سرير أو وسادة أو كرسي

٢٥ المسألة الزنبورية

الكيا الأصفهتوست الديلمي:

يا طالبَ التزويجِ إنك بالذي تبغيه منه جاهلٌ مغرورٌ
هل أبصرتَ عيناكِ صاحبَ زوجةٍ إلا حزيناً ما لديه سُرورٌ؟
لا تبغ في الدنيا نكاحاً لازماً وافعل بها ما يفعلُ الزُّنبورُ
إذ ما تراه حين يُدركُ فرصةً يدنو ويلسعُ لسعةً ويطيرُ؟

٢٦ سعادة السفيرة

الوزير أبو سعد منصور بن الحسين الأبي:

أيا ربَّعَ علوةَ بالمنحني أنتَ بها مُغرَمٌ أم أنا؟
يخاطب محل المحبوبة علوة الراحلة، لماذا أنت قد بليت وهزلت؟ أنت المغرم بها أم أنا؟
ويا ظلَّ الحيِّ ما بالنا لبيستَ البلى وليستَ الضنى؟
أنت بليت تركاً وأنا مرضت عشقاً

أتثني فقالت لأتراها: لنعم الفتى إن ثوى عندنا
فقلتُ لها: أين مَغناكم؟ فقالت، ونحنُ بحزوى: هنا
ولكنَّ من دوننا باسلاً يغار علينا إذا رزنا
تحذره من شاب شديد قوي من قومها

فَسَاوِرْ إذا جئتَ جُنَحَ الظلامِ فأما علينا وإما لنا
ساور: هاجم وائب

فلما امتطينا إليها الدُّجى دُفِعْتُ إلى تربها موهنا
لما ركب الظلام إليها جيء بي موهناً ليلاً إلى صديقتها
وَقَامَتْ تَجُرُّ فُضُولَ الرِّدَاءِ وَتَسْفُرُ لِلْوُضَلِ ما بَيْنَنَا
مشت تجر ذيول رداها وتقوم بدور السفيرة لتصل بيني وبين المحبوبة

٢٧ القلزم

السيد الأجل المرتضى ذو المجددين أبو الحسن المطهر بن علي:

جَانِبَ جَنَابِ البَغْيِ دَهْرَكَ كُلَّهُ واسلُكْ سبيلَ الرُّشْدِ تَسَعُدْ والزَّمْ

مَنْ وَسَّخَتْهُ غَدْرَةٌ أَوْ فَجَّرَتْ لِمَنِ يُنْقِيه بِالرَّحْضِ مَاءُ الْقُلْزُمِ
الرحض: الغسل، القلزم: البحر الأحمر

٢٨ الدنيا والأخرى

أبو هلال العسكري:

ما بال نفسِكَ لا تهوى سَلامَتَها وَأَنْتَ في عَرَضِ الدُّنْيَا تُرَغِّبُها
أراك تَطْلُبُ دُنْيَا لَسْتَ تُدْرِكُها فَكَيْفَ تُدْرِكُ أُخْرَى لَسْتَ تَطْلُبُها؟
تسويد أ. عبد الرحيم

٢٩ قعيد الدكان

وقال:

جُلُوسِي فِي سَوْقٍ أبيعُ وَأشتري دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَنَامَ قُرُودُ
وَلَا خَيْرَ فِي قَوْمٍ يَذِلُّ كِرَامُهُمْ وَيَعْظُمُ فِيهِمْ نَذْلُهُمْ وَيَسُودُ
وَيَهْجُوهُمْ عَنِّي رَنَاءَةٌ كِسُوتِي هِجَاءٌ قَبِيحاً مَا عَلَيْهِ مَزِيدُ

٣٠ الافتداء من الشعراء

أبو الفرج بن أبي سعد بن خلف:

عِنْدِي يَوَاقِيتُ الْكَلَامِ وَدُرُّهُ وَعَلَيَّ إِكْثِلِيلُ الْقَرِيضِ وَتَاجُهُ
وَعَدَاوَةُ الشُّعْرَاءِ دَاءٌ مُعْضِلٌ وَلَقَدْ يَهُونُ عَلَى الْكَرِيمِ عِلَاجُهُ

يعالج الكريم عداوة الشعراء ببذل ماله.. وهذا وضع أفضل من وضع الصحفيين
الحالي في بلدان كثيرة.. حيث لم يعد الصحفي قادراً على تهديد الحاكم بنشر تقارير
صادقة أو كاذبة تفضحه.. هو موظف عند الحاكم، أو سجين في حبسه، أو مشرد
في أوروبا

٣١ دوزان

عبد القاهر الجرجاني:

وَقَدْ يَسْتَقِيمُ الْمَرْءُ فِيمَا يَنْوِيهِ كَمَا يَسْتَقِيمُ الْعُودُ مِنْ عَرَكٍ أَذْنِهِ
العود ينضبط ميزانه بالملاوي التي تشد الأوتار، والمرء ينضبط سلوكه عندما تفرك المصابب أذنه

وَيَرْجَحُ مِنْ فَضْلِ الْكَمَالِ إِذَا مَشَى كَمَا رَجَحَ الْمِيزَانُ مِنْ فَضْلِ وَزْنِهِ
كفنا الميزان القديم تتقلقلان حتى إذا وضع فيهما ثقل استقرتا، والمرء يصبح رزناً بثقل الصفات الحميدة

٣٢ ثوب

أبو سعدٍ محمد بن عبد الرحمن الصيدلاني (الجرجاني):

إِن الْبِرَاغِيَّةَ بِاللَّيَالِي إِذَا تَوَثَّبَنَ فِي الْقِتَالِ
لَمْ تُشْبِهَاتْ عَلَى فِرَاشِي بَزْرَقُطُوناً عَلَى الْمَقَالِي
الْبَزْرَقُطُون: أو بَزْرَقُطُوناً، من البذور العلاجية

٣٣ غالباً سيموت

الحاكم أبو الفضل علي بن أحمد الزيركي الاسترأبادي:

هَجَرْتُ الصَّدِيقَ الْفَقِيرَ الْعَلِيلَا وَقُلْتُ: الَّذِي نَالَهُ لَنْ يَزُولَا
وَأَعْرَضْتُ إِعْرَاضَ مُسْتَحْقِرٍ وَمَنْ ذَا يُجِلُّ الْفَقِيرَ الْمُعِيلَا؟
وَحَدَّثْتُ نَفْسَكَ أَنِّي أَمُوتُ وَلَنْ يَتَعَدَّى الْمُنُونُ الْعَلِيلَا
أهملت عبادتي في مرضي لأنني فقير، ولأنك ظننت أنني سأموت في هذه المرضة فلا لوم عليك في ترك الزيارة

فَتُلْغَى الْعِيَادَةُ وَالْإِعْتِذَارُ إِذَا سَتَرَ التُّرْبُ هَذَا الْخَلِيلَا
وَلَمَّا سَمِعْتَ بِأَنِّي بَرِئْتُ وَأَبْلَى إِلَهِ بَلَاءٍ جَمِيلَا
لما سمعت أنني شفيت وأبلى الله معي بلاء حسناً، أي أنعم علي

قَلَبْتُ الْأُمُورَ لِتَحْتَالَ فِي مَعَاذِرِ تُسْلِي فُؤَاداً نَحِيلَا
أصبحت تلتبس المعاذير لكي أنسى سوء فعلك

وَأَظْهَرْتَ أَنَّكَ ذُو عِلَّةٍ بِعَيْنَيْكَ، حَاشَاكَ مِنْ ذَاكَ قِيلَا
وقلت إنك ذو مرض في عينيك؛ ولكن، حاشاك ذاك قِيلاً، دع عنك هذا القول

وَأَهْدَيْتَ أَبْيَاتَ مُسْتَغْفِرٍ وَطَبِيباً مَلِيحاً رَشِيقاً كَحِيلَا
فَأَغْضَيْتَ عَمَّا تَجَنَّيْتُ إِذْ بَعَثْتَ بِطَبِيبٍ مَلِيحٍ رَسُولَا
أغضيت، أي تغاضيت، عن جنايتك لأنك بعثت أبيات الاعتذار مع غلام وضيء الوجه

٣٤ بازٍ وهدهد

أبو البدر المظفر:

لا تنكيري يا عَزُّ إِنَّ ذَلَّ الْفَتَى ذُو الْأَصْلِ وَاسْتَعْلَى لَثِيمُ الْمَحْتَدِ
المحتد: الأصل

إِنَّ الْبُرَاةَ رُؤُوسُهُنَّ عَوَاطِلٌ وَالتَّاجُ مَعْقُودٌ بِرَأْسِ الْهُدُودِ
البزاة: من الطيور الجارحة. تسويد أ. عبد الرحيم

٣٥ رثاء أم

وقال أبو الحسن البلخي يرثي والدته:

لَحَا اللَّهُ ذِي الدُّنْيَا مَرَاداً وَمَنْزَلاً فَمَا أَغْدَرَ الْمَثْوَى وَمَا أَوْبَأَ الْمَرْعَى
لعن الله الدنيا مراداً، مطلباً، فما أغدر المثنوى، المكان، وما أوبأ المرعى، ما أكثر ضرره
تَدَلَّلُ كَالْحَسَنَاءِ فِي حُسْنٍ وَجْهِهَا وَلَكِنَّهَا فِي قُبْحٍ أَفْعَالِهَا أَفْعَى

٣٦ عندما باض الطموح

عميد الملك أبو نصر منصور بن محمد الكندري:

الْمَوْتُ مُرٌّ وَلَكِنِّي إِذَا ظَمِئْتُ نَفْسِي إِلَى الْعِزِّ مُسْتَحِلٌّ لِمَشْرِبِهِ
أستحلي شرب الموت في طلب العز

رِيَّاسَةً بَاضَ فِي رَأْسِي وَسَاوِسُهَا تَدُورُ فِيهِ وَأَخْشَى أَنْ تَدُورَ بِهِ

كل الساسة باض في رؤوسهم حب الرئاسة ودار «في» هذه الرؤوس، وبعضهم يدور حب الرئاسة «ب» رؤوسهم ويفقدون توازنهم. كل الساسة تدور في رؤوسهم وساسو الرئاسة: بعضهم لا يكون طموحه مقروناً بروية ومن هؤلاء معظم قادة الانقلابات، وبعضهم يريد تحقيق شيء للآخرين بالإضافة إلى الطموح الشخصي وهؤلاء تجدهم، وليس بكثرة، في النظم المستقرة. «تعليق أ. عبد الرحيم: «قال بعض كبار السادة الصوفية: «آخر ما يخرج من قلوب الأولياء حب الرئاسة»».

٣٧ لبن أمها على فمها

أبو عبد الرحمن بن أبي بكر البلخي:

ظَلَلْتُ تَصِيدُ لَبِيبَ الْقَوْمِ لَحَظْتُهَا وَبَعْدُ مِنْ شَفَتَيْهَا يَرِشُّحُ اللَّبَنُ
منذ صغرها، ومنذ حليب أمها على فمها، وهي تصيد قلوب عقلاء القوم بلحظتها، أي بنظرها

كَتَمْتُ حُبِّي . وَمَنْ نَمَّتْ مَدَامِعُهُ فَسِرُّهُ أَبَدًا بَيْنَ الْوَرَى عُلْنُ

٣٨ مَسْبَغُ الْكَافَات

أبو نصر أحمد بن إبراهيم ، الطالقاني :

الْيَوْمَ قُرُّ وَعِنْدِي مِنْ مَصَالِحِهِ سَبْعُ ثَقَلُمُ نَابِ الْبَرْدِ إِنْ نَهَسَا
اليوم قر ، برد ، وعندي مما يصلح لهذا اليوم أشياء ثقلم نياب البرد إن نهس جسي ، أي نهش
حُرُوفُ كَافَاتِهَا فِيهَا مُقَدَّمَةٌ لِمَنْ تَأَمَّلَهَا فِي السَّطْرِ أَوْ دَرَسَا
وكلها تبدأ بحرف الكاف ، فالكافات مقدّمة

كُنْ وَكَيْسٌ وَكَانُونُ وَكَأْسُ طِلَا مَعَ الْكَبَابِ وَكَشَ نَاعِمٌ وَكُسَا
الكن : المنزل ، الكيس : كيس مال ، الكانون : الموقد ، كأس الطلا : كأس الخمر ، الكسا :
الثياب ، والكلمة التي لم نفسرها نتركها لك حتى تزيل نقاطها

٣٩ قصائدي أولادي

محمد بن عبد الله الرزجاني :

وَقَالُوا : عَزِيزٌ أَنْ نَرَاكَ مَعَ الْكِبَرِ بِلَا وَلَدٍ أَنْشَى وَلَا وَلَدٍ ذَكَرُ
وَذَكَرُ الْفَتَى يَبْقَى لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ ، فَقُلْتُ : دَعُونِي ، إِنَّ ذَا كُلَّهُ سَمَرُ
كله سمر : كله مجرد أحاديث لا قيمة لها

وَنَسْلِي إِذَا مَا مُتُّ غُرُّ قَلَاثِدٍ بَنْتُتُ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْعِلْمِ وَالْحَبْرِ
خَوَالِدُ لَا أَخْشَى عَلَيْهِنَّ مِيتَةً إِذَا خِيفَ مَوْتُ أَوْ عُقُوقُ مِنَ الْبَشْرِ

٤٠ الملك الأسير

أبو القاسم الفياض بن علي الهروي :

وَقَصَّرَ لَمَّا أَنْ رَأَى السِّيفَ قَيْصَرُ وَقَدْ خَذَلَتْهُ خَيْلُهُ وَمَوَاكِبُهُ
تَوَلَّى رَجَاءً أَنْ يَفُوتَ بِنَفْسِهِ وَأَنْتَى وَبُرْهَانُ الْخَلِيفَةِ طَالِبُهُ ؟
هرب الملك كي يفوت بنفسه ، ينجو بها ، وكيف له ذلك والذي يطلبه ويلاحقه إنما هو البرهان
الذي يريدُه الخليفة على صحة عزمنا وصحة معتقدنا

وَلَا لَوْمَ أَنْ وَلَّى عَلَى الْوَجْهِ هَارِبًا فَذَلِكَ يَوْمٌ لَا يُعْنَفُ هَارِبُهُ
لا لوم عليه فاليوم ، أي المعركة ، عنيفة جداً

فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُ فِي الْوُقُوفِ سُيُوفُهُ وَلَمْ تُنْجِهِ عِنْدَ النَّجَاءِ نَجَائِبُهُ

لم تنجحه عند النجاء، الركن، نجائبه، خيوله وإبله النجبية الكريمة

وَمَنْ يَرْكَبِ الْبَحْرَ الْخِضَمَّ طَمَى بِهِ عُبابٌ وَأَنْتَى يَأْمَنْ الْبَحْرَ رَاكِبُهُ؟

فَلَمَّا دَنَا مِنْ مَجْلِسِ الْمَلِكِ خُطْوَةٌ وَبَيْنَ يَدَيْهِ تَرْجُمانُ يَحَاطِبُهُ

تَعَفَّرَ مِنْ مَسِّ الشَّرَابِ جَبِينُهُ وَقَدْ عَاشَ ذَهْرًا مَا تَعَفَّرَ حَاجِبُهُ

وَأَهْوَى لَوَجْهِ الْأَرْضِ لَثْمًا وَقَدْ بَدَأَ لَهُ يَوْمٌ بُوْسُ كَالِحِ الْوَجْهِ قَاطِبُهُ

أخذ يلثم، أي يقبل، الأرض، وقد كان يومه كالحاً عابساً ومقطباً

فَلَمْ يَرَهُ السُّلْطَانُ أَهْلًا لِعَيْنِهِ وَقَدْ كَانَ حَقًّا فِي الْهُدَى لَوْ يُعَاتِبُهُ

وَمَنْ عَلَيْهِ بِالْحَيَاةِ تَكْرُمًا عَشِيَّةَ أَظْفَارِ الْمَنُونِ تُنَاشِبُهُ

٤١ إِلَيَّ الْبَا

الخطيب أبو يعلى القرشي الهروي:

لَيْسَ يَنْفِي الْهُمُومَ غَيْرُ الْحُمَيَّا فَاسْقِيَانِي مِنْ كَفِّ طَلْقِ الْمُحَيَّا

الحميا: الخمر

ذَكَرَانِي بِهَا نَسِيمًا وَوَرْدًا وَدَعَانِي مِنْ ذِكْرِ سُغْدَى وَرِيَّا

قَدْ دَعَوْتُ الْغَلَامَ ثُمْتُ نَادِي تْ أَدْرُمَا وَلَا تُبَقِّ عَلِيَّا

وَمَتَى عَافَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ الْكَأْسَ سَ فَأَقْبِلْ بِهَا إِلَيَّ إِلِيَّا

فَتَّرْتُ مُقْلَتِي وَأَوْدَتْ بِلَبِّي وَسَرَتْ فِي الْعِظَامِ شَيْئًا فَشِيَّا

٤٢ دِفَاعُ الْكَاسِ

الأمير أبو أحمد خلف بن أحمد السجري:

يَقُولُونَ: لَا تَشْرَبْ وَلَسْتُ بِصُخْرَةٍ مِنْ الصُّمِّ فِي وَادٍ عَلَى نَشْرِ وَغَرٍ

النشر: الأرض الوعرة. من الأبيات التي نسبت للكثيرين، ويؤلمنا ألا نعرض لها، البيت: سَقُونِي

وقالوا لَا تُغْنُ وَلَوْ سَقَوْنَا جِبَالَ حُتَيْنِ مَا سَقُونِي لَغَنَّتْ

وسترى في الأبيات الفرائد التي يكثر الناس من ترديدها الكثير مما قيل في عصور

انحطاط الشعر العربي، وسبب ذبوعها أنها سهلة، ولكن البيت الذي ذكرناه قد يكون

قديمًا فقد جاء ذكره في العقد الفريد. ثمة بيت أتعب الناس في نسبته إلى قائل:

بلادي وإن جارت علي عزيزة وأهلي وإن ضنوا علي كرام. . وتركانه بلا تشكيل. .

طبعاً. . مثل هذا لا يحتاج

ولكنني من غضبة آدمية كثير هموم القلب مُمتلي الصدر
فلولا دفاغ الكأس عني ودبها لذبت كما ذاب اللجين على الجمر
الذب: الحمامة، اللجين: الفضة

٤٣ تجمد الوحل

الأمير أبو إبراهيم نصر بن أحمد الميكالي:

يا لبرد قد أفقد الماء حتى بلة الوحل في طريق السوق
من البرد تجمد الوحل وفقد البلل

يغهد الماء بايقاً لسكور وهو الآن ساكراً لبشوق
في العادة فإن الماء ييثق السكور، يتدفق كاسراً السدود، وهو الآن يسد البشوق، أي التدفقات.
السكر هو السد، وسكر أي سد وأغلق

جمد الدمع في الشؤون كما قد جمد الماء في مساع الحلو
الشؤون: مجاري الدمع في العيون

٤٤ اسأل علي

أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري:

يا سيداً بالمكرمات ارتدى وانتعل العيوق والفرقد
جعل الكواكب نعلأ له

ما لك لا تجري على مفتضى مودة طال عليها المدي؟
إن غبت لم أطلب، وهذا سلب
فقال: ما لي لا أرى الهدى؟
فقال: ما لي لا أرى الهدى؟

٤٥ الضاحك والباكي

أبو يوسف يعقوب بن أحمد:

رأيت غبيد الله يضحك معطياً ويبكي أخوه الغيث عند عطائه
جعل الغيث الماطر، رمز السخاء، أخاً للممدوح

وكم بين ضحاك يجرود بماله وآخر بكاء يجرود بمائه

٤٦ حاجات الشباب

أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري:

أقول ونُورُ المشيبِ بِعارِضِي قد افترَّ لي عن نابِ أسودَ ساليخِ
أقول وقد نور الشيب في عارضي، أخرج نوره كما يزهر الشجر في سالي، وافتري لي، فتح فمه،
عن ناب كأنه ناب أسود ساليخ، ثعبان ممن يسليخ جلده ويخرج منه

أشيباً وحاجات الشباب كأنها يجيش بها في الصدرِ مِرْجُلُ طايخِ؟
أيأتيني الشيب ورغبات الشباب تعتمل في صدري كما تغلي قدر الطايخ؟

وما كُلُّ حُزْنِي لِلشَّبَابِ الَّذِي هَوَى بِهِ الشَّيْبُ عَنْ طَوْدٍ مِنَ الْأَنْسِ شَامِخِ
طود: جبل

ولكن لِقَوْلِ النَّاسِ: شَيْخٌ وَلَيْسَ لِي على نائباتِ الدهرِ صَبْرُ المَشَايِخِ

٤٧ رحيل مفاجئ

أبو نصر سعيد بن الشاه:

غداً أودِّعُ قوماً أودِّعُوا كَيْدِي نارا، وعهدي بِهِمْ بَرْداً على الكَيْدِ
أبدي التَّجَلُّدَ أحياناً فَيَنْهَرُنِي رَيْقٌ يَجِفُّ، وَخَدٌّ بِالدُّمُوعِ نَدِي
لا أَنْسَ يوماً تَنَارَ عُنَا حَدِيثِ نَوَى وَقَوْلَهَا وَهِيَ تَبْكِي خَانَنِي جَلَدِي
كُنَّا إلى الوَصْلِ أَخْلَدْنَا فَتَنَعَصَهُ هذا الرِّحِيلُ الَّذِي ما دَارَ في خَلَدِي

٤٨ ألوان

أبو القاسم عبد الصمد بن علي الطبري:

حَمْرُ يَدِي بِالكَّاسِ فَالرَّوْضُ مُخَدٌّ حَضْرُ الرُّبَا قَبْلَ اصْفِرَارِ البَنَانِ
اصفرار البنان كناية عن الموت

٤٩ بعض اشتفاء

أبو الحسن علي بن أحمد الزواهي:

وإنِّي لَأَتِي قَبْرَ أُمِّي فَأَشْتَفِي بِرُؤْيَيْهِ، وَالوَجْدُ فِيَّ شَدِيدُ
كما نَظَرْتُ حَنَانَةً نَحْوَ بَوَّاهَا تَسَلَّتْ بِهِ وَالسَّقْبُ مِنْهُ بَعِيدُ

أكون كناية حنانة تصدر صوتاً يسمى «الحنين» وهي تقترب من البو، وهو جلد فصيلها المذبوح وقد
حشاه القوم بالقش ليوهموها الناقة بأنه حي فيدر لينها عليه، وأما سقبا، أي فصيلها، فليس هناك

٥٠ المادح الهاجي

محمد بن علي (السوري) الظفري:

لَا تَأْمَنِ النَّفْثَةَ مِنْ شَاعِرٍ مَا دَامَ حَيًّا عَاقِلًا نَاطِقًا
فَإِنَّ مَنْ يَمْدَحُكُمْ كَاذِبًا يُحْسِنُ أَنْ يَهْجُوَكُمْ صَادِقًا

٥١ يا واحدي

أبو خدّاش محمد بن سعيد بن ميسرة:

يَا وَاحِدِي أَصْبَحْتُ بَعْدَكَ وَاحِدًا لَوْ لَا إِلَهُ الْمُسْتَعَانُ الْوَاحِدُ
مَاذَا أَرَدْتُ إِلَى أَبِيكَ بِتَرْكِهِ يَبْكِي الْعَدُوُّ لَهُ وَيَرْتِي الْحَايِدُ
أَلِفَ الْمَقَابِرِ بَعْدَ فَقْدِكَ وَخَشَةَ لَوْ كَانَ يَأْنَسُ بِالْمَقَابِرِ فَاقِدُ
يَدْعُوكَ مِنْ يَأْسٍ وَلَسْتُ تُجِيبُهُ وَهُوَ الْقَرِيبُ وَسَمْعُكَ الْمُتَبَاعِدُ

٥٢ المرازبة

أبو نصر أحمد بن إبراهيم الكاتب:

وخمير كعين الديك صرّف، دنانها مَرَازِبَةٌ مِنْ آلِ كِسْرَى مَوَائِلُ
الخمير صافية كعين الديك، ودنانها، أي خوابيها الكبيرة، كأنها مرازبة كسرى، قادته، موائل،
حاضرين واقفين

عَلَيْهِنَّ مِنْ طِينِ الْخِتَامِ عَمَائِمٌ وَمِنْ نَسْجِ غَزَلِ الْعَنْكَبُوتِ غَلَائِلُ
غلائل: برود خفيفة

٥٣ القُوراء

أبو العباس محمد بن إبراهيم الكاتب:

دَارٌ حَكَّتْ صَدْرَ رَبِّهَا سَعَةً تُسَافِرُ الْعَيْنُ فِي نَوَاحِيهَا

أوسع دار في الدنيا اليوم، ونكتب في عام ٢٠١٦، هي قصر «نور الإيمان» مقر
سلطان بروناي. ومساحتها ٢٠٠ دونم، أي نحو ٥٠ فداناً بدون الحدائق. هل كتبت
لك هذه الملاحظة كي ترك كتابي وتذهب للإنترنت؟

٥٤ الفيوج

أبو سعيد المعروف بالأسود الزوزني:

تَمَنَّى أَبُو الْعَبَّاسِ لَوْ أَنَّ دُبْرَهُ طَرِيقُ بُحَارَى وَالْفَيْوُجُ أَبْوَرُ
الفيوج: حاملو الرسائل، وما يتلوها من كلام فيه تصحيف

فَيَدْخُلُ أَبْرَثَمَ يَخْرُجُ آخِرُ وَبَعْضُ أَمَانِي الرِّجَالِ غُرُورُ

٥٥ ضيق الصدر

أبو بكر المعروف بكَوْزَخَر:

تَأَوَّيْتُ مِنْ حُبِّ أَسْمَاءَ أَوْلَقُ عِشَاءَ إِلَى أَنْ كَادَتْ الشَّمْسُ تُشْرِقُ
تأوي: انتابني، أولق: جنون

وَمَا فِي طُلُوعِ الشَّمْسِ كَشْفٌ لِكُرْبَةٍ وَلَكِنَّ صَدْرَ الْمَرْءِ بِاللَّيْلِ أَضْيَقُ
تسويد أ. عبد الرحيم

٥٦ تارك الزيارة

القاضي أبو جعفر محمد بن اسحق البهائي:

تَرَكْتُ الزِّيَارَةَ لَا عَنْ قَلَى وَعِغْتُ التَّوَاضُّلَ لَا عَنْ سُلُوْ
القلى: الصدود، السلو: النسيان والانصراف عن العشق .

وَلَكِنْ نَهَانِي عَنْ أَنْ أَزُورَ حَيَاءُ الصَّدِيقِ وَخَوْفُ الْعَدُوْ

٥٧ غربة وحسبة

وقال:

لَمَّا رَأَيْتُ الْفَقْرَ يَنْزِلُ بِالْفَتَى تَحْتَ الثَّرَى، وَمَحَلُّهُ الْجُوزَاءُ..
لما رأيت الفقر يلصق الإنسان بالتراب وبذله، مع أن الفتى عالي القدر ومثله عند نجوم
الجوزاء..

فَارْقُتْ قَوْمِي أَبْتَغِي لَهُمْ عَلَاً يَسْمُو بِهَا الْآبَاءُ وَالْأَبْنَاءُ
وَاخْتَرْتُ دَارَ الْإِغْتِرَابِ يُصِيبُنِي فِي غُرْبَتِي السَّرَّاءُ وَالضَّرَّاءُ
إِنْ نِلْتُ خَيْرًا أَبْتُ أَوْبَةً حَانِمٍ أَوْ مِتُّ لَمْ يَشْعُرْ بِي الْأَعْدَاءُ

٥٨ نزلت جداً

المعيد أبو سهل محمد بن الحسن:

بَلَّغْتُ جَمِيعَ آمَالِي فَكَادَتْ تَزُولُ الْأَرْضُ لَوْ أَنَّ قُلْتُ: زُولِي
وَجَالَسْتُ الْمُلُوكَ عَلَى سَوَاءٍ وَلَوْ زَاخَمْتُهُمْ لَتَحَفَّزُوا لِي
جَالَسْتُ الْمُلُوكَ عَلَى سَوَاءٍ، مَسَاوِيًا لَهُمْ، وَلَوْ زَاخَمْتُهُمْ لَتَحَفَّزُوا لِلتَّصَدِّي لِي
وَكُنْتُ مِنَ الْخِدَاعِ أَطِيرُ زَهْوًا إِلَى أَنْ حَانَ لِي حِينُ النُّزُولِ
فَلَمَّا أَنْ نَزَلْتُ، نَزَلْتُ جِدًّا وَهَلْ بَعْدَ النُّزُولِ سِوَى النُّزُولِ

٥٩ أيضاً

أبو سهل أحمد بن الحسن:

يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّني بِكَ صَبٌّ مُسْتَهَامٌ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَيْضًا
أَهْمُ عَلَى حَقٍّ إِذْ قَالُوا إِنَّ «أَيْضًا» مَا دَخَلَتْ شِعْرًا إِلَّا أَفْسَدَتْ؟

٦٠ السلم الهجائي

أبو عمر المائيز ناباذي:

لَنَا فِي صُحْبَةِ الْأَنْذَالِ سَمْتُ وَفِي حَمْلِ الْأَذَى وَالصَّبْرِ نَهْجُ
سمت: طريقة

فَلَا نَتَعَجَّلُ الشُّكُوى، وَلَكِنْ نُعَاتِبُ ثُمَّ نَغْضِبُ ثُمَّ نَهْجُو

٦١ التسيريح

وقال:

لَقَدْ مَنَّنِي الْإِحْسَاءُ نَ تَعْرِضًا وَتَضْرِيحًا
وَكَانَ الْوَعْدُ يَا مَوْلا يَ فِي كِلْتَايِهِمَا زِيحًا
وَقَدْ قَتَلْتَنِي وَاللَّهِ هَ تَعْذِيبًا وَتَبْرِيحًا
فَإِنْ لَمْ تَنْوِ إِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ.. فَتَسْرِيحًا
من الآية: «فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان»

٦٢ قلبي على ولدي

كتب أحمد بن محمد القائي إلى ابنه:

سَلَامٌ وَرَبِّحَانٌ وَرَوْحٌ وَرَاحَةٌ على الولدِ المَرْضِيِّ عِنْدِي أَبِي نَصْرِ
روح: راحة

فِيَا لَيْتَنِي أَلْقَى صَبَاحاً طُلُوعُهُ وَنُحْسِي وَنَعْدُو سَالِمِينَ مِنَ الْهَجْرِ
وَيَا لَيْتَنِي أَحْبَا إِلَى وَقْتِ عَوْدِهِ وَيَا لَيْتَهُ يَحْبَا إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ

٦٣ الإنصاف

أبو نصر المساح القائي:

إِنِ الْفَتَى كُلَّ الْفَتَى مَنْ لَمْ يُذِغْ أَسْرَارَ يَوْمِ الْوَدِّ يَوْمَ خِلَافِ
فَعَلَيْكَ بِالْإِفْضَالِ ثُمَّ إِنَّ التَّوْتُ أَسْبَابُهُ فَعَلَيْكَ بِالْإِنْصَافِ

٦٤ الغانيات

أبو منصور عبد الرحمن (بن محمد) ابن سعيد:

خُلَّةُ الْغَانِيَاتِ خُلَّةٌ سَوِيَّةٌ «فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأْوَلِيَ الْآلِفُ»
وَإِذَا مَا سَأَلْتُمُوهُنَّ شَيْئاً «فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ»

٦٥ الخبر الجميل

أبو طالب محمد بن أحمد (العلوي) الحسيني:

لَا تَلَحَّظَنَّكَ ضَجْرَةٌ مِنْ سَائِلٍ فَدَوَامُ عِزِّكَ أَنْ تُرَى مَسْؤُولاً
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ صَائِرٌ خَبِيراً، فَكُنْ خَبِيراً يَرُوقُ جَمِيلاً

٦٦ سوسة الدفاتر

أحمد بن فارس بن زكريا:

وَقَالُوا: كَيْفَ حَالُكَ؟ قُلْتُ: خَيْرٌ تُقَضَّى حَاجَةٌ وَتَقُوتُ حَاجُ
إِذَا ارْتَدَحَمْتُ هُمُومُ الْقَلْبِ قُلْنَا عَسَى يَوْمًا يَكُونُ لَهَا انْفِرَاجُ
نَدِيمِي هِرَّتَنِي، وَسُرُورُ قَلْبِي دَفَاتِرُ لِي وَمَعَشُوقِي السَّرَاجُ

٦٧ أخلاقُ ذهب

أبو حاتم السجزي:

تَسْمُو الْعَيُونُ إِلَيْهِ كُلَّمَا انْفَرَجَتْ لِلنَّاسِ عَنْ وَجْهِهِ الْأَبْوَابُ وَالْحُجُبُ
لَهُ خَلَائِقُ بَيْضٌ لَا يُغَيِّرُهَا صَرَفُ الزَّمَانِ كَمَا لَا يَصْدَأُ الذَّهَبُ

فهرس القوافي، دمية القصر (القافية، فرقم القطعة)

٤٩	شَدِيدُ	٥٧	الجَوَزاؤُ
٢٩	قُرودُ	٤٥	عطاِيه
٦	أَحَدُ	١٢	فأَصابا
٤٧	الكَيْدِ	١١	تَحْطُبُ
٣٤	المَحْتَدِ	٦٧	والْحُجُبُ
٢١	صَرَبَعِرا	٦٤	الأَلبابِ
٥٤	أَبورُ	١٩	غَيَاهِبُ
١٣	أَوْطارُ	٢٨	تُرْعَبُها
١٦	عَارُ	٤٠	ومَوَاكِئُه
٢٥	مَغْرورُ	٣٦	لِمَشْرِبِه
٣	البَشْرِ	٦٦	حَاجُ
٧	قَرارِ	٦٠	نَهْجُ
٦٢	نَصْرِ	٣٠	وتَاجُه
٤٢	وَعَرِ	١٥	والْبُرْحا
٣٩	ذَكَرُ	٦١	وتَضْرِيحا
٨	دِيارُها	٤٦	سِالِخِ
٣٨	نَهْسا	٤٤	والْفَرْقَدا
٥٩	أَيضَا	٢	العِقْدُ
٣٥	المَرَعى	١٨	النَهوْدُ
١٠	سالفُ	٥١	الواحدُ

١٤	قَدَمِ	٦٣	خِلَافِ
٢٧	وَالرَّمِ	٩	بِمُعْتَفِيهِ
٢٦	أَنَا	٥٠	نَاطِقًا
٢٤	يَجْمَعُنَا	٥٥	تُشْرِقُ
٣٧	اللَّبَنُ	٤٣	السُّوقِ
٢٢	حَنِينِي	٥	العِرَاقِ
٤٨	الْبَنَانُ	٢٠	عَبُوقِي
١	المُؤَذِّنُ	٦٥	مَسْؤُولًا
٤	هَنَّةَ	٣٣	يَزُولَا
٣١	أُذْنِيهِ	١٧	ذَلِيلُ
٥٦	سُلُوْ	٥٢	مَوَائِلُ
٤١	المُحَيَّا	٣٢	الْقِتَالِ
٥٣	نَوَاحِيهَا	٥٨	زُولِي
		٢٣	عُدَّالِي

البهاء زهير

(٥٥٨١هـ — ٦٥٦هـ)

اشتغلت أياماً بشعر بعض الجاهليين والإسلاميين فأرهقني لغتهم العتيقة
وأتعبتني تفلية المعاجم، فقلت أعطي نفسي إجازة. فهل أسافر وأسوح؟

لست أخا سياحة ولا صاحب متاحف ولا معالم. حططت يوماً على
إستانبول ست ساعات بين طيرة وطيرة، فرأيت الإضاءة في المطار خافتة،
فانقبضتُ، فاشتريت تأشيرة، ومضيت إلى المدينة. قصدت آيا صوفيا، واشتريت
تذكرة دخول من كشك على مدخلها، ودخلت؛ اشرأبتُ ورأيت أسماء
الراشدين، ثم أطرقت ورأيت تحت قدمي البلاط الحجري العتيق، ثم...
خرجت مسرعاً، وعند البوابة فتح صاحب الكشك كفيه رافعاً كتفيه مستغرباً
مستهجناً، يقول بلغة جسمه: دفعت كل هذه الليرات على خمس دقائق!

ثم إنني شربت قهوة، فقط كي أسجل في تاريخ حياتي أنني شربت قهوة
تركية في تركيا، ولا أذكر من تلك القهوة إلا سعرها الغالي وفنجانها الأنيق،
وأنا - وكثيرون غيري - يشربون الفنجان قبل القهوة، فالقهوة مشروب سخيف لا
يعدل الدماغ - فتلك خرافة - ولا يُميله، إذ القهوة الأخرى هي التي تميله، فإذا
قدمت قهوة البنّ في فنجان غريب فإنما تُشرب لفنجانها.

ورجعت إلى مطاري راضياً بكأبته، تاركاً إستانبول لمن حباهم الله موهبة
الاستمتاع بالسياحة.

وقلت أكافئ نفسي، بعد ذلك الجهد مع الجاهليين والإسلاميين، بالإفراط
في لعبة الحاسوب الأثيرة. فوجدتني مفرطاً فيها على كل حال حدّ تقفُّع
الأصابع.

فقلت: أشغل بديوان بهاء الدين زهير. ففي هذا مكافأة.

لا تُكذِّبَنَّ يا قارئ، فأنا لست لحس كتب يجتوي ما في هذه الدنيا من ملاذ. بل لست أعيش إلا كي أجمع اللذة، - كذا أقول: أجمعها جمعاً - وليس لي من مبتغى غيرها. قد يسمى هذا الضرب من البشر إبيقورياً، فالإوناني القديم إبيقور كان لا يريد من دنياه إلا حياة هادئة خالية من: الخوف، والألم، والقيد. وكان مرادف السعادة عنده: اللذة، ومرادف الشقاء: الألم. وزعم أن الآلهة لا تعذب أحداً بعد الموت، فالموت فناء.

فعلام والحالة هذه أشغل نفسي بالبهاء زهير، وأين اللذة في هذا؟

هذا شاعر صاحب صنعة. مضى الشعراء بعد أبي العلاء يصنعون ويصنعون، فتخشب الشعر. وجاء البهاء فلم ينحرف عن الصناعة، لكنه عابث اللغة معابثة جميلة، ورق في لفظه، ورق في معانيه. وخلط صناعته بغير قليل من الفكاهة، وفتح قلبه. قصدت: قال الشعر من قلبه. قصدت: تحدث عن نفسه كثيراً. عن أخلاقه وعاداته، وعن لهوه وعن التماسه ملذات الحياة. كان صريحاً.

وماذا تريد، حضرتك، من الشاعر سوى ذلك؟

ألاّ البهاء زهير الشعر، وكان خاتم الشعراء القدماء؛ فبعده جاء المغول في الشرق، والمماليك في الغرب، وسقط الشعر العربي ستمئة وخمسين سنة في وهدة الركافة والخنثة.

لم يكن البهاء صانعاً متجهماً متفلسفاً متصوفاً كسلفه ابن الفارض، ولا صانعاً يخفي وجهه وراء أقنعة المحسنات اللفظية والألاعيب اللغوية كخلفه صفي الدين الحلي. كان البهاء زهير صانعاً لتلك صنعته، لأنه جعلها وعاء للفكاهة. وكان يحكي عن نفسه، وكان يحب الحياة، ويقول ذلك. يجور على اللغة قليلاً إذا عنّ له ظبي من ظباء الفكاهة الحلوة، ثم تعتدل اللغة على لسانه كأحسن ما يجب أن تعتدل. فالرجل متين اللغة.

إذا كنت ممن يرصف الشعراء في خانات بحسب العصور والدول على طريقة الأستاذ شوقي ضيف الذي علّب لنا العصور الأدبية في كتب اتخذتها كليات الآداب في الجامعات العربية أناجيل، فافرح بالبهاء زهير فهو يؤرخ لك حقبة: هذا الرجل مات في السنة التي ماتت فيها الدولة العباسية. ماتت هي في

صفر ٦٥٦، ومات البهاء زهير في ذي القعدة ٦٥٦. مات وله خمس وسبعون سنة هجرية فقد ولد عام ٥٨١هـ.

كلمة إنصاف: شوقي ضيف علامة. ولن ترانا نصفه بالدكتور - وإن كانه - لأن آلاف الدكاترة الذين جاءوا بعده مرغوا اللقب في تراب التفاهة. هو شوقي ضيف فقط: المؤرخ الأدبي الفذ، الذي كان دارساً ومؤلفاً كبيراً. أتقن النحو وكتب في تيسيره وتجديده، وتبحر في علوم العربية وفي تاريخ أدبها، وله ذائقة طيبة، وكان جاداً، وأفدنا من كتبه كثيراً. لكننا لا نحب أن تطعم كليات الآداب العربية طلابها طعاماً واحداً، فلئن كان يمكن الإنسان أن يعيش على اللبن الحليب وحده، فطالب الآداب لا يعيش حياة فكرية نشطة على كتب شوقي ضيف وحدها.

حياة البهاء زهير (٥٨١ - ٦٥٦هـ) وأشياء أخرى

ولد في الحجاز، وههنا مشكلة له مع مؤرخي الأدب المصريين المعاصرين. فالرجل نشأ في قوص بالصعيد بين قنا والأقصر، فيها ترعى وتعلم وقال الشعر ونىخ، وهو بهذا مصري الثقافة مصري الروح، ليس عندي في ذلك شك. وقد أساير إخوتي المصريين في أنه شرب روح الفكاهة في مصر، فالنكتة وعذوبة الروح وحلاوة الكلام لمصر، وهذا قدرٌ مقدَّر على غير المصريين من العرب، وعليهم أن يتدبروا أمرهم: ليغضب سائر العرب، وليسعوا سعيهم في أن يساوا مصر في هذا، وليجتهد منهم من اجتهد في بث نفحاتٍ من غضبه وحسده وهو ينفي عن مصر ما هو ألصق بها من اسمها، ألا وهو روح النكتة، وليقل من شاء إن متانة اللغة وبلاغة القول موجودة في بلاد أخرى من بلاد العرب - وهذا حق -، فأما خفة الظل فهي لمصر. على أن أدباء مصر المعاصرين لم يُرضهم أن يكون البهاء زهير حجازياً نسباً ومولداً، قال شوقي ضيف إنه «يظن» أن البهاء مصري، وأنه ما ولد في الحجاز إلا لأن أهله كانوا هناك في الحج عندما ولدته أمه. واستشهد غيره - ومنهم مصطفى عبد الرازق - بأبيات للبهاء كثيرة لتثبيت مصريته.

هو مصري يا سادة. مصري بنشأته وبلغته، وفي شعره أكثر من دليل. ولا نلومكم على سعيكم في إثبات مصريته، فهو شاعر كبير، وهو مفخرة. وأنا نفسي رفعت رأسي وتبسمت رضا وزهواً عندما عرفت أن البهاء عاش في مدينتي

الصغيرة نابلس بفلسطين سنة أو أقل. لا بل صرت أنقب في شعره عن تعبير عامي يحسن أن أنسبه لمدينتي... سدى.

وفي دمشق قضى البهاء وقتاً، وفي القاهرة قضى سنوات. كان شاعرنا كاتباً وشبه وزير عند ملوك الأيوبيين، وكان الأيوبيون في زمنه يحكمون مصر والشام والحجاز واليمن وشمال العراق. وكانت هذه كلها بلاداً مفتوحاً بعضها على بعض، إلا ما كان يحتله الصليبيون بين حين وحين، وأمرهم عصرئذ إلى إدبار.

كانت «قوص» التي نشأ بها البهاء كرسي أدب وعلم، تأتي في ذلك الزمن بعد القاهرة فالإسكندرية (والحكم لشوقي ضيف، وأما الشيخ مصطفى عبد الرازق فجعل قوصَ ثانيةً بعد «الفسطاط» في ذلك الزمن). ولد البهاء زهير في مكة أو قريباً منها، وقال له أهله إن نسبهم يرتفع إلى المهالبة (من الأزد)، ولن نخوض في نسب البهاء فلا نفع في هذا، ولم تكن مسألة النسب عند حكام البلاد من الأيوبيين ذات قيمة كبيرة، فهم أنفسهم غير عرب دمأً، وإن نفى بعض متأدبي البيت الأيوبي ما قيل من أنهم أكراد، فقالوا بل نزلنا عند الأكراد فانتسبنا إليهم. نعم، ظل مثقفو ذلك العصر، حتى في مصر، يرون للنسب العربي بعض بريق، فصنعوا للأيوبيين نسباً قرشياً. على أن العصر في مجمله لم يكن عصرأً يحتفل بالأنساب.

أحسن البهاء وهو في الكُتَّاب بالزلزلة التي ألمت بالعالم الإسلامي بموت صلاح الدين الأيوبي، وكانت «زلزلة» كما يصفها القاضي الفاضل، وقد هزت الشام حيث مات صلاح الدين وارتجَّت لها مصر الأيوبية. كان للبهاء من العمر ثماني سنوات. وكان صلاح الدين قد قسم مملكته بين أبنائه قبل موته. كان ولده العزيز عثمان يحكم مصر حتى في حياة أبيه الذي يجاهد في سوريا، وظل يحكمها. ومات العزيز عثمان ولشاعرنا أربع عشرة سنة. وحكم بعده ابنه المنصور ناصر الدين سنة، ثم تغلب على حكم مصر وغير مصر الملك العادل أخو صلاح الدين، وهو شيخ أريب راح يللمل أجزاء المملكة من أبناء صلاح الدين. وظل يحكم حتى بلغ السابعة والسبعين من العمر، ومات ولشاعرنا أربع وثلاثون سنة.

البهاء الآن رجل مكتمل الرجولة، وشاعر رقيق يعرفه الناس. لقد أمضى زمناً وهو يقول الشعر في الغزل ويصف ملذات الحياة، ويمدح والي قوص

اللمطي، ولعله سافر إلى دمشق ومدح بها الملك العادل، ولكنه ظل على اتصاله باللمطي حاكم قوص القوي، فقد كانت قوص بعيدة عن القاهرة، وكان السلطان العادل بعيداً في أوقات كثيرة عن مصر يوسع مملكته في الشرق، فلا غرو والأمر كذلك أن يكون والي قوص ذا نفوذ كبير.

كان البهاء يمدح والي قوص رفعَ عثبٍ، ثم ينصرف سريعاً إلى أوراقه يخط فيها تلك الأبيات الخفيفة في وصف لذاته. كان موظفاً في ديوان الوالي يكتب له، ولكنه لم يكن رجل سياسة. ولعل اللمطي مل من هذا الشاعر الذي لم يكن يهتم بوظيفته كثيراً، فصرفه من خدمته. فترك شاعرنا قوص والصعيد، وسكن القاهرة. وأثبتنا له في مختاراتنا بيتين باردين في الحنين إلى الصعيد لسببين: أولاً حتى نريك أن الشاعر غير سكنه وذهب إلى القاهرة، والثاني حتى يكون لصعيد مصر شيء من الشعر القديم.

والبهاء زهير قليل الارتباط بالمكان، فموطنه هو المكان الذي يجد فيه العيش الناعم.

في القاهرة اتصل بالأمرء ومدح منهم من مدح. وظل يكتب قصائده الخفيفة التي هي أحلى شعره.

اتصل البهاء بالأمير نجم الدين بضع سنين. ثم صار الأمير ملكاً، وعرفه التاريخ باسم الملك الصالح، ولعلك تزداد به معرفة إن علمت أنه زوج شجرة الدر.

كان الملك الصالح، ذات سنة، في نابلس فخانه عساكره بدمشق فانطلق إليها لكنه أخفق في استرجاعها وتحالف عليه بعض أبناء عمومته ثم حبسوه في قلعة الكرك، بجنوب المملكة الأردنية اليوم، حبساً خفيفاً ربما لحمايته من خصوم آخرين أرادوا الفتك به. وتخلف البهاء زهير في نابلس، بفلسطين المحتلة اليوم، مقيماً بها، غير مقبل على خدمة أحد وفاءً لمليكه المحبوس.

ثم تخلص الملك من حبسه بعد أشهر وعاد إلى مصر ملكاً في عام ٦٣٧، فالتحق به البهاء زهير وله من العمر ست وخمسون سنة، وكانت له عند الملك الصالح مكانة جلية.

يصف لنا ابن خلكان صاحب الوفيات لقاءه الحميم بالبهاء، ويطنب في مدح أخلاقه، ويروي أنه توسط لكثيرين عند الملك، وما كان يتوسط إلا في

الخير. ويبدو أن البهاء جمع شعر الشباب بنفسه على الحروف (تخبرنا بذلك نسخة نقل عنها إدورد هنري بلمر في طبعته للديوان بقمبرج «المحمية» - كيمبرج كما نكتبها اليوم - عام ١٨٧٦) وأنشد البهاء ابن خلكان الكثير من أشعاره وأجازه في روايتها، ولكن ابن خلكان قال لنا إن شعر البهاء موجود بأيدي الناس في نسخ كثيرة. وهذا دليل على شهرة البهاء في حياته. ولعلنا، إذ نرى شاعرنا قد لزم الملك الصالح سنوات كثيرة ثم لم نر له مدحاً يذكر في مليكه، نستنتج أن شيئاً من شعره قد ضاع، وأن النسخة المعتمدة - نسخة شرف الدين الموصلي - تستند كثيراً إلى شعر البهاء في شبابه، ثم تضيف على هذا الشعر أشياء منثورة من شعره في كهولته وشيخوخته. لا نحقق ذلك، ونبقى في مساحة الظن، فنحن لسنا ممن يعالج المخطوطات، ونترك لأهل الفراغ من الأكاديميين هذه المسألة غير نادمين على قصائد مدح للبهاء قد تكون ضاعت، فقيمة البهاء في غزله وإخوانياته لا في مدحه.

هاجم الفرنسيون مصر في عام ٥٤٧ هـ، بعث لويس التاسع، «أمين الأمة العيسوية» كما يصف نفسه، رسالة تهديد إلى الملك الصالح، فبعث الصالح رده بقلم كاتبه البهاء زهير، وننقل رسالة الرد لأنها كل ما وصلنا من إنشاء البهاء (أثبتها المقرئ، وأخذناها عن مصطفى عبد الرازق):

(بسم الله الرحمن الرحيم، وصلواته على سيدنا مُحَمَّدٍ رسول الله وآله وصحبه أجمعين. أما بعد، فإنه وصل كتابك وأنت تهتد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك، ونحن أرباب السيوف، وما قُتِلَ مِنَّا قِرْنٌ إِلَّا جَدَّدْنَاهُ، ولا بَغَى علينا باغ إلا دَمَّرْنَاهُ؛ فلو رأَتْ عينك أيها المغرورُ حدَّ سيوفنا، وعَظَمَ خُروبنا، وَفَتَحْنَا مِنكُمُ الحِصُونَ والسواحلَ، وتخريبتنا ديار الأواخر منكم والأوائل؛ لكان لك أن تَعْصُ على أناملِك بالندَم، ولا بدَّ أن تَزِلَّ بك القدم، في يوم أوَّلُه لنا وآخره عليك؛ فهناك تسيء الظنون «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ»، فإذا قرأت كتابي هذا فتكون منه على أوَّل سورة النحل «أَتَى أَمْرٌ لِلَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ»، وتكون على آخر سورة ص «وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدِ حِينٍ»، ونعود إلى قَوْلِهِ تَعَالَى وهو أصدقُ القائلين «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين»، وإلى قول الحكماء: «إن الباغي له مصرع» وبغيك يصرعك وإلى البلاء يسلمك، والسلام.)

ومات الملك الصالح في هذا العام نفسه، عام ٦٤٧، والحرب مع

الفرنسيين على قدم وساق، وتولت الأمر زوجته شجرة الدر مخفية موته شهراً، وحكمت مصر ثمانين يوماً، ثم سلمت الحكم للمماليك، ممالك الملك الصالح. فغلبوا الفرنسيين وأسروا لويس التاسع. ويموت شجرة الدر عام ٦٥٥ ضرباً بالقباقيب، الأحذية الخشبية، دخلت مصر العصر المملوكي. وبعد سنة مات البهاء زهير، فلك أن تقول إنه بموت هذا الشاعر ماتت دولتان: العباسية في بغداد كما أسلفنا، والأيوبية بمصر. فهو آخر شاعر في العصر الذي كان فيه الملوك يقدرون الشعر العربي.

بعد البهاء زهير استمر الجهاد ضد الصليبيين حتى انتهى بانصرافهم مهزومين عن الشرق، وبعد قرنين ونصف من حكم المماليك في مصر والشام، جاء العثمانيون، ثم بعد ثلاثمئة سنة من العثمانيين جاء محمد علي ليحكم مصر، ولم يرجع للشعر العربي بهاؤه إلا في زمن خلفاء محمد علي، على يد محمود سامي البارودي.

إنما نذكر كل هذه التواريخ كي نرى كيف كان البهاء زهير آخر كبار الشعراء القدماء.

ونحن في اختياراتنا، التي ركزناها في اثنين أربعين شاعراً، رأينا أن الشعر العربي العمودي عاش يعلو ويهبط سبعة سنة من الجاهلية حتى انصرام الدولة العباسية، ثم نام سبعة سنة حتى جاء البارودي، ثم انبعث قوياً في مصر والشام والعراق خمسين سنة. ثم قرر العرب أن يتركوا الشعر العمودي، فعاش فيهم شعر التفعيلة خمسين سنة حلوة بل أقل، ثم جاءتنا قبل بضعة عقود قصيدة النثر. ورأينا في عملنا هذا ألا نثقل أنفسنا بدرس الشعر العربي كله في كل عصوره وكل ألوانه، فليس لدينا الوقت، وليست لدينا القدرة على تذوق قصيدة الشر بما يراه أهلها تستحقه.

عملنا مقصور على الشعر العمودي، الذي هو كل قديمنا.

ونعود بك إلى البهاء زهير.

لا نجد في شعره شيئاً ذا بال عما كانت تمر به الأمة الإسلامية في عصره من صراعات كبرى، ففي زمنه كانت القدس تروح وتجيء بين الصليبيين والأيوبيين، وفي عصره كانت الدولة الأيوبية تنحدر سريعاً من القوة إلى الانهيار، وشهد شاعرنا مجالس ملوكها ووزرائها الأقوياء، وعرف عن السياسة

وعن مؤامرات القصور الكثير، لكن هذا لم يجد طريقه إلى شعره. نراه يهني بنصر تهنته رسمية، ويمدح الكبراء مدحاً تقليدياً. ولا يبث حرارة قلبه إلا في ذلك الشعر الخفيف الذي يصف فيه معاشرته لإخوانه، وصحبته للكأس والمرأة، وحرصه على العيش الناعم. ولمن أراد شهادة شعرية على ذلك العصر فلعله يجدها عند ابن مطروح صديق البهاء منذ الصبا وحتى الفراق الأخير.

لقد صرف الملك الصالح في آخر عمره البهاء زهيراً من خدمته، فعاش في القاهرة ثلاث عشرة سنة كاسف البال، فقيراً، فباع كتبه وبعض أثاث بيته. ومات بالوباء الذي حل بمصر عام ٦٥٦.

لغز بيت الشعر العربي

أسكن في فندق في الدور الثالث والثلاثين، وأرى من غرفتي المدينة كلها، أطل عليها لبس من نافذة بل من واجهة كاملة من الأرض إلى السقف، كلها من زجاج. يخالجنني شعور وأنا أتفحص شوارع المدينة تحتي بأنني أملك رؤية استراتيجية، فأقعد مقابل هذه الواجهة الزجاجية وأأمل شؤون العالم. غير أنني أدرك أن لا طعام لي ولا معيشة دون أن أهبط إلى الدور الأرضي كي أكون مع الناس.

هيئت اليوم، وتغديت وعاشرت الناس، ثم رجعت إلى غرفتي فوجدتها تحت الترتيب. وصرفني الخادم قائلاً إن الترتيب يستغرق نصف ساعة. ولو عرفنتي كيف أنام، وكيف أعجن الشراشف والوسائد عجنًا لما عجبت من النصف ساعة، بل لقد يساورك الشك في أن المسكين يكتفي بساعة حتى يخلّص بعض الشراشف من بعض.

نزلت على حكمه، ونزلت إلى بهو الفندق. وأحسست وأنا في المصعد بالندم لأنني لم أصطحب كتاباً. غير أنني خجلت أن أعود، فلا حاجة بالخادم وهو يعالج سريري إلى أن يرى وجهي مرة أخرى.

في بهو الفندق اكتشفت أنني أحمل قلماً. فتناولت منشوراً دعائياً يصرخ عبر صفحاته بأن هذا الفندق خير ما خلق الله من فنادق. وقلبت صفحاته حتى عثرت على بياض. وكتبت أبياتاً.

كنت أعالج في هذا الأوان ديوان البهاء زهير. فقلت لنفسي: أكتب قصيدة كما كان البهاء زهير يكتب القصائد. ولغة الرجل كما ترى قريبة جداً من

فصحانا اليوم. كنت قبل سويغات أتفكر في هذا السهل الممتنع الذي يصنعه البهاء زهير. وأقول لك: هو سهل فعلاً، وممتنع فعلاً على من يحاوله. وسترى كيف امتنع علي.

لكنني نظرت في نادرتين من نوادر الموسيقى الكلاسيكية:

قال موتسارت لنفسه: هيا يا فولفغانغ أماديوس إلى بعض اللهو. فلاكتب قطعة ساخرة أقلد فيها موسيقيي القرى الذين يعزفون في الأسواق ألحانهم الساذجة، ولأروّج عن النفس قليلاً، بعيداً عن السيمفونيات. وألف موتسارت ما سماه «موسيقى ليلية صغيرة». وأحبها الناس، بل أولعوا بها. وبها بدأ المخرج الأميركي فلمه أماديوس، باعتبارها النغم الذي ليس هناك في فيينا إنسان إلا يعرفه ويعرف أنه لموتسارت.

والنادرة الثانية: قال سيرغيه بروكوفيف لنفسه أريد أن أكتب موسيقى بالقلم والورقة، ودون الاستعانة بالبيانو. ولأنني تعمقت مؤخراً في موسيقى هايدن العتيق، فليكن هذا التمرين عبارة عن تقليد لأسلوب هايدن. وكتب بروكوفيف سيمفونيته أثناء الإجازة، وبدون بيانو. وشاء لها الناس أن تكون أحد أشهر أعماله.

وقلت لنفسي، في هذه النصف ساعة التي أجبرت على قضائها في بهو الفندق بعيداً عن غرفتي: هيا اكتب قصيدة على نمط بهاء الدين زهير محاكاةً. وفعلت. وفي نصف ساعة.

ثم إنني تأملت ما كان يجري في عقلي وأنا أكتب. وقلت سأكتب لك القصيدة وسأكتب عما جرى في عقلي بقدر ما أستطيع أن أتذكر. فلعل هذا ينير بعض جوانب هذا اللغز: لغز بيت الشعر.

بدأت بفكرة: الشكّاء الذي يريدك أن تحمل همومه على ظهرك. وكتبت:

وشكّاءٍ وبين يديه كيس من الأسمنت جاء به إلينا

تعليق: كنت أريد تصويره يحمل كيس الأسمنت على ذراعيه ولم يسمح لي الوزن، ولم أكن مسروراً بـ «جاء به إلينا» لكنني كنت حريصاً على ضمير الجمع لأن هذا يفتح باب القوافي. وتعبير «كيس من الأسمنت» رأيت فيه بلادة، وخير منه «كيس أسمنت»، ولكن هذا التوى عليّ. رأيت ما في البيت من مشكلات!

ينوء به ذراعاً واصطباراً ويرفعه ليحمله علينا

تعليق: جئت ههنا بالذراع تعويضاً عن فقدتها في البيت السابق. وجعلت الشكاء متعباً من الكيس، لكن ليس تعباً جسمياً فحسب، لذا قلت: اصطباراً. والشرط الثاني جاء طبيعياً.

رويدك! فوق ظهري حمل بغل وأُذني أثْقَلْتُ طَنّاً وَرَنّاً

تعليق: عدلت إلى ضمير المفرد. لا بأس، كانوا يصنعون ذلك كثيراً. بيت مصنوع، وفيه خلخلة كثيرة.

ويقسم أنه خل محب يُتلفنُ كي علينا يَطمئنّا

تعليق: تخلصت من صورة حامل كيس الأسمنت، ورويت ما حدث حقيقة وهو أنه يتلفن، ويطيل الكلام. رغم التقديم والتأخير في الشرط الثاني فهو طبيعي في سياقته. لكن الشرط الأول بحاجة إلى شغل: الشرط الأول «ويقسم أنه خل محب» ما هو إلا تمهيد للشرط الثاني.

ويغرينا بأن نشكو كأنّا غفلنا عن تحايله.. كأنّا

تعليق: غفلنا يجب أن تكون نغفل، ولكن الوزن حال دونها. و«سنغفل» نقوم بالوزن، ولكننا لا نريد المستقبل بل الحاضر. الماضي حل وسط. ومعنى البيت لا يظهر بوضوح: فالشكاء يشجعنا على الشكوى، وهذه حيلة منه كي يأخذ رخصةً ويشكو بدوره كثيراً.

ولو كنّا شكونا كان ألقى علينا الموجهات بما شكونا

تعليق: بيت ثري بغرض استكمال الفكرة.

نلاينه لنصرفه، ونشقى أليس يُعَدُّ بعض اللين جُبناً

تعليق: «يعد» لا لزوم لها إلا إقامة الوزن.

أرى الشكّاء حل بنا ثقبلاً فخفف يا ثقیل، وحلّ عنا

تعليق: في هذا البيت صناعة من عدة أوجه: فتعبير «حل عنا» العامي هو ما بُني عليه البيت، وقد جئنا بتعبير «حل بنا» الفصيح تمهيداً ولإشعار القارئ بلذة الجناس. وتكرار «ثقیل» مقصود.

الآن أحاول أن أدخل في عقل نفسي أكثر. لو نثرت هذه القصيدة فسوف تصبح بلا شك أبلغ، وأقصر. ولكنها منظومة أحلى لوجود الإيقاع وترقب

القافية.. لكن ليس لهذا فقط. القارئ - وبدون أن يشعر - يتعقب العملية التي تحدث في عقل الشاعر، ويرى كيف خرج من مآزقه التي فرضها عليه الوزن والقافية. وفي هذا لذة مضاعفة.. لذة مشاهدة الشاعر يفكك قيوده، ولذة الفرح باكتشاف الشاعر أسرع وأقصر طريقة للافتكاك.

المنظر مرثياً من جانب الشاعر مختلف.

الشاعر يمكنه - مثلما فعلت - أن يضع الفكرة متثورة في عقله، وأن يصنع القصيدة صناعة. وهذا ليس رديئاً جداً. فهو في سياق الصياغة يتدفق على عقله أساليب اللغة المختلفة التي ملأت وجدانه، ويتخير منها، وقد تمر به لحظات يجد فيها الكلام يأتي هيناً. وهو يكثف ما استطاع التكثيف، ويحمل الكلمة الواحدة من المعنى ما يجعلها تتوهج. لكن المتنبي عندما كتب قصيدته «واحر قلباه» سلك طريقاً آخر. فقد كان متألماً من انصراف سيده سيف الدولة عنه. كان يعيش أزمة نفسية، فالحاسدون كثرون، وهو مثل طفل مدلل يريد أن يحصل على كل الاهتمام. يريد أن يعاتب سيده، ويريد أن يبكي، وأن يرفع صوته عالياً بأنه يستحق معاملة أفضل، وأنه عبقرى. كل هذه المشاعر جعلته يتدفق. وكان له من مخزونه اللغوي ما أعانه على أن يجعل القصيدة صرخة واحدة قوية متماسكة.

هذا لا يتأتى للشاعر كثيراً. ولا تثريب على شاعر لجأ إلى الصناعة.

لغز بيت الشعر العربي يتمثل في القيود المفروضة على الشاعر. فالقصيدة عندما تكتمل تكون حملت في كلماتها القليلة (قل مثلي كلمة) آلاف الرموز. شاهدنا في تلك الكلمات القليلة التي نظمناها الخيارات الكثيرة التي كان يمكن أن يسلكها الشاعر ولم يفعل، ورأينا كيف تلتوي عليه الأفكار ثم يعود لتدارك الأمر، ورأيناه يصارع القافية، كنا نسعد بحصوله على قافية رنانة، ونغفر له قافية قلقة، ونواحذه على قافية لم تقعد في مكانها.

لا نتعب أنفسنا كي نصلح له قصيدته، ولكننا نحس بكل ما كان يعتلج في صدره.

فإذا نشرنا فكرتنا فما الذي نحصل عليه. نحصل على الفكرة صافية. ونحصل على شعور الكاتب صافياً حراً. لو نشر المتنبي قصيدته «واحر قلباه»

لكان لنا من ذلك قطعة جميلة. ولكنها لن تكون حارّة بنفس القدر. ذلك أننا رأينا الشاعر في النسخة المنظومة يعالج أزمة نفسية قاسية وهو في الوقت نفسه يعالج تراكم اللغة، ويعاني الوزن والقافية.. رأينا يحارب على عدة جبهات. كان صراعه المجلوب وغير الطبيعي مع اللغة والوزن والقافية بسيطاً من العشب الأخضر يجعل أزاهير القصيدة تبدو أجمل. وتكبيله نفسه بقيود الوزن والقافية يجعل انفلاتاته أقوى. وفي النسخة المنثورة ليس يوجد كل هذا الصراع، بل المعنى مبسوط بوضوح، وثمة صراع مع اللغة ومفرداتها، لكنه أقل بكثير كمّاً، وهو لون واحد من الصراع لا ألوان.

الصناعة لا تنتج شعراً قوياً. والشعر القوي لمعات برق تنطلق من اللاوعي وتأتي متفرقة، ولا بد لها من سياق. هي كالألماسات التي تتألق عندما تكون معروضة على مخمل أحمر. فالشعر هو الألماس، والأبيات المصنوعة هي المخمل الأحمر، وقيمة الشعر بالقياس إلى الأبيات المصنوعة كقيمة الألماس بالقياس إلى المخمل الأحمر.

ويستحب من الشاعر أن يتجنب كلمات مرذولة تجعل السامع يضحك وتقوض سحر الشعر.. من ذلك طبعاً كلمة الأسمنت.

كلمة عن التسجيلات الصوتية

هذه ساعات مسجلة فيها معظم مختارات كتابي هذا والكتابين اللذين سبقاه في هذه السلسلة الخماسية. وقد أرفقت بكل كتاب مقروءاته. رضيت عن نفسي في هذه التسجيلات من ناحية، وعتبت على نفسي من ناحية أخرى. فأما الرضا فلأنني شحنت صوتي بالمعنى، حتى ليكاد البيت يشرح نفسه. وأما العتب فلأنني كنت على شيء من الكسل فلم أراجع التسجيلات. كنت أحشر نفسي في الاستديرو ساعات أقرأ فيها بلا انقطاع، ثم أوصي مهندس الصوت ألا يضع على التسجيل أي مؤثرات، ولا حتى التعديلات التقنية من خفض ورفع للمستوى. فلا بد أن يكون فرط مني في كل ساعة أو ساعتين غلط. كنت أحب لو أنني ملكت الوقت كي أراجع ما قرأت، ولكن جرى الأمر على غير ذلك. واعترازي بتلك القراءات غير قليل.

قد أسرعت في إنجاز هذه المختارات وشرحها حتى أقرأ الأشعار قبل أن

تذهب الأسنان وقبل أن تدهم صوتي الشيوخة العالية. فلئن كان صوت الشيخ موحياً بالثقة أكثر من صوت الشاب فإنه يعاني ما يعاني من اضطراب مخارج الحروف ومن البطء. ومخارج حروفي ليست أحسن المخارج على كل حال. . لكنني قرأت ما قرأت لك، قرأت وأنا أحس بك، قرأت وأنا مقبل عليك أريدك أن تستمتع بالشعر معي.

سجل لي صوتي محمد ماضي في استديو مركز التدريب الإعلامي لشبكة الجزيرة في قطر، خلا المقروء من المتنبى فقد سجله مهند قعدان قبل نحو ثماني سنوات في استديو مركز تطوير الإعلام في جامعة بيرزيت في فلسطين. ولم يتقاض أي من المركزين ولا أي من المهندسين أجراً، فلهما ولهما الشكر الجزيل.

والآن إلى ما اخترته من ديوان البهاء زهير.

١ لازمني كاسمي

وجاهلٍ طالَ به عنائي
لازمني وذاك من شقائي
كأنه الأشهر من أسمائي
أقبح من وعدٍ بلا وفاء
أثقل من شماتة الأعداء

٢ الرضا بالإياب

وكتب لصديق له غرقت السفينة بتجارته:

لا تَعْتَبِ الدهرَ في شيءٍ رماك به إن استردَّ فِقْدَماً طالما وهبا
حاسِبْ زمانَكَ في حاليِ تصرُّفه تجدّه أعطاك أضعافَ الذي سلّبا
واللّه قد جعلَ الأيامَ دائرةً فلا ترى راحةً تَبْقَى ولا تَعْباً
ورأسُ مالِك، وهَيّ الروحُ، قد سَلِمَتْ لا تأسَفَنَّ لِشيءٍ بعدَها ذَهَباً
ما كنتَ أولَ مَنْمُوٍّ بِحادِثَةٍ كذا مضى الدهرُ لا يَدْعَا ولا عَجَباً

ممنو: مُنّي بالأمر ونكب به

وَرُبَّ مَالٍ نَمَا مِنْ بَعْدِ مَرْزُونَةٍ أَمَّا تَرَى الشَّمْعَ بَعْدَ الْقَطِّ مُلْتَهَبًا

المرزونة: المصيبة. القط: قطع رأس دُبالة الشمعة. هذه الأبيات الستة، التي يبلغ عدد كلماتها ٦٨ كلمة، ترجمها إلى الإنجليزية إدورد هنري بلمر في قصيدة موزونة في ١٠١ من الكلمات. وبلمر هذا شيطان من الشياطين. ويستحق أن أقص عليك طرفاً من قصته، فهو محقق ديوان البهاء زهير وناشره بالعبية و مترجمه كاملاً إلى الإنجليزية. لقد قرأت مقدمته للنسخة العربية من شعر البهاء زهير، فوجدت فيها قلماً ينشئ بالعربية كأنه من فحول كتابها. لم أجد كلمة أو جملة أستشف منها أن الكاتب لم ينشأ في حضن اللغة العربية. وراجعت سيرته فإذا هو قد ترجم القرآن ترجمة مشهورة طبعت مراراً. وإذا هو قد صنع كتاباً للنحو العربي، وقاموساً للغة الفارسية، وله كتب عن اللغة الهندستانية، والرجل يعرف التركية واليونانية واللاتينية والإيطالية. قرأت بعض ما ترجمه من قصائد البهاء زهير، فكادت أحسبه أداها بالإنجليزية بأبرع مما أداها شاعرنا بالعربية، لولا أنه اعتذر كثيراً في مقدمته من أن كل ما اصطنعه من أساليب لنقل حلاوة شعر البهاء لن يوفي البهاء حقه، وفي مقدمته العربية والإنجليزية لشعر البهاء قدم لنا بلمر ثمرة خبرته في ترجمة الشعر، وكذا - ونحن ممن لا يؤمنون بأن الشعر يترجم - نؤمن بأن الشعر يترجم. بلمر احترام الثقافة العربية، وكتب عن القرآن وبلاغته كتابة ترضي المسلم التقى. وله كتب في التاريخ وفي وصف رحلاته في مصر وفلسطين. لا تكفي ثلاثمائة سنة في نظري حتى يجمع امرؤ كل هذه المعرفة وكل هذا الإنتاج، فإذا عرفت أن بلمر عاش اثنتين وأربعين سنة فقط فقد علمت أن الله يعطي بلا حساب. وانتهى بلمر قتيلاً على يد بدو سيئ وهو يخدم أمته في تحريض البدو على عرابي وثورته. وأعفي نفسي من شتمه على نشاطه الاستعماري ذاك فقد كال له عبد الرحمن بدوي ما يستحق من الشتم. على أن ما كتبه بدوي في «موسوعة المستشرقين» عن بلمر فيه استقصاء طيب، وفيه مدح للرجل بما يستحقه، ففيلسوفنا فضل فضلاً طيباً بين انغماس بلمر في السياسة الاستعمارية وبين خدمته العلم

٣ بالمناسبة، كيف قلبي؟

يا صاحبي فيما ينو ب، وأينَ أينَ هناك صَحْبِي

فيما ينوب: فيما يأتي من النواب والمصاب

لو كنتُ لم أعرفِ سِوا كَ من الأنامِ لَكَانَ حَسْبِي
إِنِّي أَدْخَرْتُكَ لِلزَّما نِ، وما عَرَا مِنْ كُلِّ خَطْبِ

عرا: طرأ، خطب: أزمة

قلبي لَدَيْكَ، فكيفَ أُنْـ تَ على البُعَادِ، وكيفَ قلبي؟

٤ أنا بالعاذل ألعب

أَنَا فِيمَا أَنَا فِيهِ وَعَظُولِي يَتَعَتَّبُ
جَهْلَ الْعَاذِلِ أَمْرِي أَنَا بِالْعَاذِلِ أَلْعَبُ
يَا حَبِيبِي وَنَدِيمِي وَاللَّيَالِي تَتَقَلَّبُ
هَاتِ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ وَدَعْ الْعَاذِلَ يَتُعَبُّ

٥ رسالة من المجد

إِلَى كَمِّ مُقَامِي فِي بِلَادِ مَعَاشِرٍ تَسَاوَى بِهَا آسَادُهَا وَكَلَابُهَا
وَقَلَّدَتْهَا الدَّرُّ الثَّمِينُ، وَإِنَّهُ لَعَمْرُكَ شَيْءٌ أَنْكَرْتَهُ رِقَابُهَا
وضعت عقود اللؤلؤ في رقاب الكلاب، فلم تكن لائقة بها

وَمَا ضَاقَتْ الدُّنْيَا عَلَى ذِي مُرْوَةٍ وَلَا هِيَ مَسْدُودٌ عَلَيَّ رِحَابُهَا
فَقَدْ بَشَّرْتَنِي بِالسَّعَادَةِ هَمَّتِي وَجَاءَ مِنَ الْعَلِيَاءِ نَحْوِي كِتَابُهَا
السعادة: السعد والحظ الحسن، همتي: طموحي

٦ واقفاً بالباب

كتب إلى الوزير فخر الدين أبي الفتح عبد الله ابن قاضي داريا، يشكو إليه سوء أدب بعض غلمانه:

سَوَاكَ الَّذِي وَدَّيْ لَدَيْهِ مُضَيِّعٌ وَغَيْرُكَ مَنْ سَعِيَ إِلَيْهِ مُخَيِّبٌ
أَرَدْتُ بِرَدِّ الْبَابِ إِنْ جِئْتُ زَائِرًا فَيَا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ أَهْلٌ وَمَرْحَبٌ؟
وَلَسْتُ بِأَوْقَاتِ الزِّيَارَةِ جَاهِلًا وَلَا أَنَا مِمَّنْ قَرُبُهُ يُتَجَنَّبُ
وَقَدْ ذَكَرُوا فِي خَادِمِ الْقَوْمِ أَنَّهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ يَتَهَذَّبُ
فَهَلَّا سَرَتْ مِنْكَ اللَّطَافَةُ فِيهِمْ وَأَعْتَدْتَهُمْ آدَابُهَا فَتَأَذَّبُوا
أعتدتهم: زودتهم

وَتَصَعَّبُ عِنْدِي حَالَهُ مَا أَلْفَتْهُهَا عَلَى أَنْ بُعِدِي عَنْ جَنَابِكَ أَصْعَبُ
وَأَمْسِكَ نَفْسِي عَنْ لِقَائِكَ كَارِهًا «أَغَالِبُ فِيكَ الشُّوقَ وَالشُّوقُ أَغْلَبُ»
وَأَغْضَبُ لِلْفَضْلِ الَّذِي أَنْتَ رُبُّهُ، لِأَجْلِكَ، لَا أَنِّي لِنَفْسِي أَغْضَبُ

٧ الغصن وحبيب الغصن

أَحَدُّهُ إِذَا غَفَلَ الرَّقِيبُ وَأَسْأَلُهُ الْجَوَابَ فَلَا يُجِيبُ
وَأَطْمَعُ حِينَ أَعْطَفُهُ عَسَاهُ يَلِينُ، لِأَنَّهُ غَصْنٌ رَطِيبٌ
أعطفه: أبعله يعطف، ومعناها أيضاً: أثنيه

فِيَا مَوْلَايَ قُلْ لِي أَيُّ ذَنْبٍ جَنَيْتُ، لَعَلَّنِي مِنْهُ أَتُوبُ
حَبِيبِي فَيْكَ أَعْدَائِي ضُرُوبٌ: حَسُودٌ، عَاذِلٌ، وَاشٍ، رَقِيبٌ

٨ غاية الترحيب برسول الحبيب

رَسُولَ الرِّضَا أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا حَدِيثُكَ مَا أَحْلَاهُ عِنْدِي وَأَطْيَبًا
وَيَا مُهْدِيًا مِمَّنْ أَحَبُّ سَلَامُهُ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
وَيَا مُحْسِنًا قَدْ جَاءَ مِنْ عِنْدِ مُحْسِنٍ وَيَا طَيِّبًا أَهْدَى مِنَ الْقَوْلِ طَيِّبًا
لَقَدْ سَرَّنِي مَا قَدْ سَمِعْتُ مِنَ الرِّضَا وَقَدْ هَزَّنِي ذَاكَ الْحَدِيثُ وَأَظْرَبًا

٩ محمّية غير طبيعية

كَلِفْتُ بِشَمْسٍ لَا تَرَى الشَّمْسَ وَجْهَهَا أَرَاقُبُ فِيهَا أَلْفَ عَيْنٍ وَحَاجِبِ
الشمس حبيته، ولا ترى شمس السماء وجهها لأنها محجوبة. وهو يراقب إذ يلاحقها ألف عين
(جاسوس)، وحاجب (حارس).. والتورية واضحة

مَمْنَعَةٍ بِالْخَيْلِ وَالْقَوْمِ وَالْقَنَا وَتَضَعُفُ كُتُبِي عَنْ زِحَامِ الْكِتَابِ
وَلَوْ حَمَلْتُ عَنِّي الرِّيحَ تَحِيَّةً لَمَّا نَفَذْتُ بَيْنَ الْقَنَا وَالْقَوَاضِ
القنا: الرماح، القواضب: السيوف

١٠ شيب مبكر

وِغَانِيَّةٌ لَمَّا رَأَيْتَنِي أَعْوَلْتُ وَقَالَتْ: عَجِيبٌ يَا زَهِيرُ عَجِيبٌ
رَأَتْ شَعْرَاتٍ لُحْنٌ بِيضًا بِمَفْرِقِي وَغُضْنِي مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ رَطِيبٌ
وَمَا شَبْتُ إِلَّا مِنْ وَقَائِعِ هَجْرِهَا عَلَى أَنْ عَهْدِي بِالصَّبَا لِقَرِيبُ
عَرَفْتُ الْهُوَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يُعْرِفَ الْهُوَى وَمَا زَالَ لِي فِي الْغَيْبِ مِنْهُ نَصِيبُ
وَفَى لِي مَنْ أَهْوَى وَأَنْعَمَ بِالرِّضَا يَمُوتُ بِغَيْظٍ عَاذِلٌ وَرَقِيبُ

فلا عيشَ إِلَّا أن تُدَارَ مُدَامَةً ولا أنْسَ إِلَّا أن يَزُورَ حَبِيبُ
وإنِّي لَيَدْعُونِي الهوى فأَجِيبُهُ وإنِّي لَيَثْنِينِي الثُّقَى فَأَنْيِبُ
أنيب: أرجع عن الغي

١١ في ضوء الشيب

رحلَ الشبابُ ولم أنلْ مِنْ لَذَّةٍ فِيهِ نَصِيبِي
يا طيِّبَهُ لو لم يكنْ مَلَأَ الصَّحَائِفَ بِالذَّنُوبِ
صحائف المرء: كتابه الذي يلقى به الله يوم القيامة، وفيه عمله

أرسلتُ دمعِي خَلْفَهُ فَعَسَاهُ يَرْجِعُ مِنْ قَرِيبِ
هِيَهَاتَ لَا وَاللَّهِ، مَا هُوَ بِالسَّمِيعِ وَلَا الْمَجِيبِ
فقد انجَلَى ليلُ الشبا بٍ وقد بدا صُبْحُ المَشِيبِ
ورأيْتُ فِي أنْوَارِهِ مَا كَانَ يَخْفَى مِنْ عُيُوبِي

١٢ ترحيب بالشيب

سلامٌ على عهدِ الشَّبِيبَةِ والصُّبَا وأَهْلًا وَسَهْلًا بِالمَشِيبِ ومَرْجَبَا
ويا راحِلًا عَنِّي رَحِلْتُ مُكْرَمًا ويا نازِلًا عِنْدِي نَزَلْتُ مُقَرَّبَا
المقرب: المكرَّم، وكان الملك إذا أراد تكريم أحد أجلسه قريباً منه

١٣ حاضراً غائباً.. حبيب

إنْ غَبِثَ عَنِّي أَوْ حَضَرَ تَ فَلَسْتُ عَنْ عَيْنِي تَغِيبُ
لَكِنْ أَرَى عَيْشِي إِذَا مَا غَبِثَ عَنِّي لَا يَطِيبُ
وعلى كِلا الحالَيْنِ مِنْ لَكَ، فَأَنْتَ وَاللَّهِ الْحَبِيبُ

١٤ صحراء عليها باب

قال في امرأة، وطلب منه صاحب أن ينظم في هذا المعنى:

كم ذا التَّصَاغُرُ والتَّصَابِي غَالَطْتَ نَفْسَكَ فِي الْحَسَابِ
لَمْ يَبْقَ فِيكَ بَقِيَّةٌ إِلَّا التَّعَلُّلُ بِالْخِضَابِ
التعلل: التهوين على النفس، الخضاب: صبغ الشعر من حناء وغيره

لَا أَقْتَضِيكَ مَوْدَّةَ رُفَعِ الْخَرَجِ عَنِ الْخَرَابِ
لَا أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَبْذِلَ لِي مَوْدَةً، فهذا غير مفروض عليك مثلما أن الخراج غير مفروض على الأرض الخراب غير المزروعة

ما العيشُ إلَّا في الشِّبَا بٍ وفي مُعَاشَرَةِ الشُّبَابِ
ولقد رأيتُكَ في النَّقَا بٍ، وذاك عنوانُ الكُتَابِ
وسألتُ عَمَّا تحنُّه قالوا: عظامٌ في جِرابِ
وسمعتُ عنكَ فضائِحاً سارتُ بها أيدي الرُّكَّابِ
هذا، وكم من وَقْفَةٍ لك في الأَرْقَةِ لِلْعِتَابِ
واليومَ قالوا: حُرَّةٌ، سيَّتُ الحَرَائِرِ في الحِجَابِ
يا هذهِ ذهبَ الصُّبَا فإلى متى هذا التَّصَابِي
ما أنتِ مِمَّنْ يُرْتَجَى لا في الحُطُوبِ ولا الخِطَابِ

لعل أيليا أبو ماضي قرأ قصيدة البهاء هذه قبل أن يكتب قصيدة في هجاء العجائز الأمريكيات. نقول: ويل للمرأة الجميلة من ذئاب الرجال، وويل لها إن أسنت، فهم ينبذونها نبذاً. يريدونها لعبة. قال الأجنبي: «البتت تحت الحادية والعشرين يحميها القانون، والمرأة فوق الخامسة والستين تحميها الطبيعة، وهي بينهما صيد حلال»

١٥ حبذا تلك الزيارة

وزائِرَةٌ زارَتْ وقد هجَمَ الدُّجَى وكنْتُ لِمْيعَادِ لَهَا مُتَرْقِبَا
فَمَا راعني إلَّا رَخيْمُ كلامِها تقولُ حبيبي، قلتُ أهلاً ومَرحباً
ولم تَرَ عيني ليلةً مثلَ ليلتي فيا سَهْرِي فيها لقد كنتُ طَيِّباً

١٦ لها جفون ما التقت

يا مَنْ لِعَيْنِ أَرَقَّتْ أَوْحَشَها مَنْ عَشِقتُ
مُنْذُ فارقتُ أَحبابَها لَهَا جُفُونٌ ما التَقَّتْ
وَعَادَةٌ كَأَنَّها شمسُ الضُّحَى تَأَلَّقَتْ
كَمْ شَرِقتُ بِدمْعِها عيني لَمَّا أَشْرَقَتْ

١٧ تيتي تيتي

قال من الدوبيت، وهو وزن مستحدث لم يعرفه العرب قديماً:

قد راحَ رَسُولِي ومِثْلَمَا راحَ أَتَى باللهِ متى نَقَضْتُمُ العَهْدَ متى
ما ذا ظَنَّنِي بِكُمْ وَمَا ذا أَمَلِي قد أدْرَكَ فِي سؤْلِهِ مَنْ شِمَتَا
ذا: هذا، سؤله: أمنيته

١٨ تفتيش النسيم

قال يمدح الأمير اللطفي وبهته:

صَفْحاً لِيَصْرِفِ الدهرِ عن هَفَوَاتِهِ إذْ كانَ هذا اليَوْمُ مِنْ حَسَنَاتِهِ
إِنْ كُنْتَ غَبْتَ عَنِ البِلَادِ فَلَمْ تَغِبْ عن خَاطِرِي، إذْ أَنْتَ مِنْ خَطَرَاتِهِ
لو كُنْتَ فَتَشَّتْ النَّسِيمَ وَجَدْتَهُ ودُعَاؤُنَا بِأَتِيكَ فِي طَبَّائِهِ
يُؤْتِي المَنَايا والمُنَى كَاللَّيْثِ فِي غَابَاتِهِ والغَيْثِ فِي غَبَّائِهِ
الأمير يؤتي (يقدم) للأعداء المنايا (الموت) وللأولياء المنى، فهو كالليث، وكالغيث (المطر) وفي غاباته (جيثاته المتفرقات)

يا مَنْسِكَ المعروفِ أَخْرَمَ مَنْطِقِي زَمناً وقد لَبَّأكَ مِنْ مِيقَاتِهِ
الأمير منسك المعروف (المكان المقدس الذي ينعم على الناس)، والشاعر قد أحرم منطقَه (لبس) كلامه ملابس الإحرام استعداداً لتلقي النعم، وقد لبى، وفي الوقت المناسب، مثل تلبية الحجيج

هذا زَهِيرُكَ لا زُهَيْرُ مُزَيْنَةٍ وَاغَاكَ لا هَرِمَاءَ عَلَى عِلَّائِهِ
زهير مزينة: زهير بن أبي سلمى المزني، وكان يمدح هرم بن سنان، وقال فيه «إن تلق يوماً على علاته هرماً/ تلق السباحة منه والندى خلقاً». على علاته (رغم ما يتتابه من ضيق يد)

دَعُهُ وَحَوْلِيَّاتِهِ ثُمَّ اسْتَمِعْ لِزَهِيرِ عَصْرِكَ حُسْنَ لَيْلِيَّاتِهِ
الحوليات: قصائد زهير التي كان يفتق في كل منها حولاً (سنة) ينقحها قبل أن يذيعها في الناس، و«ليليات» البهاء زهير القصائد التي قال الواحدة منها في ليلة واحدة اقتداراً على الشعر، فالقصيدة ابنة ليلتها كما يقولون

لو أَنشِدْتَ فِي آلِ جَفْنَةَ أَضْرَبُوا عَن ذِكْرِ حَسَّانٍ وَعَن جَفَنَاتِهِ
لو أنشدت قصيدتي هذه عند آل جفنة بالشام الذين كان يمدحهم حسان بن ثابت لأضربوا عنه (انصرفوا عنه) وعن جفناته (قصاعه، صحاف الطعام)، وحسان قال في بيت له مشهور: «لنا الجففات الغر يلمعن في الضحى/ وأسيفنا يقطن من نجدة دما»

١٩ الخليفة خادماً

وَلِي لَيْلَةً طَرِقْتُ بِالسُّعُودِ فَحَدَّثْتُ بِمَا شِئْتُ عَنْ لَيْلَتِي
فَقَضَّيْتُهَا فِي الْهَوَى لَيْلَةً إِخَالَ الْخَلِيفَةَ فِي خِدْمَتِي

٢٠ التفات قبل الفوات

جَاءَتْ تُودِّعُنِي وَالذَّمْعُ يَغْلِبُهَا يَوْمَ الرِّحْلِ وَحَادِي الْبَيْنِ مُنْصَلِتُ
حَادِي الْبَيْنِ: سائق الأبل الذي يؤذن بالفراق، منصلت: مسرع

وَأَقْبَلْتُ وَهْيَ فِي خَوْفٍ وَفِي دَهْشٍ مِثْلَ الْغَزَالِ مِنَ الْأَشْرَاكِ يَنْفَلِتُ
فَلَمْ تُطِقْ خَيْفَةَ الْوَاشِي تُودِّعُنِي وَبَيْحَ الْوُشَاةِ لَقَدْ قَالُوا وَقَدْ شَمِتُوا
وَقَفْتُ أَبْكِي وَرَاحَتْ وَهْيَ بَاكِئَةً تَسِيرُ عَنِّي قَلِيلًا ثُمَّ تَلْتَفِتُ

٢١ مبعوث نبياً للعشق ومبعوث بعد الموت

أَنَا فِي الْحُبِّ صَاحِبُ الْمَعْجَزَاتِ جِئْتُ لِلْعَاشِقِينَ بِالْآيَاتِ
البهاء زهير أخذ هذا الجؤ من ابن الفارض، ومنهما أخذ نزار قباني

كَانَ أَهْلُ الْغَرَامِ قَبْلِي أُمَبٌ - بَيْنَ حَتَّى تَلْقَنُوا كَلِمَاتِي
هذا روح نزار قباني

فَأَنَا الْيَوْمَ صَاحِبُ الْوَقْتِ حَقًّا وَالْمُحِبُّونَ شِيعَتِي وَدُعَاتِي
صاحب الوقت: النبي

ضَرَبْتُ فِيهِمْ طُبُولِي وَسَارْتُ خَافِقَاتٍ عَلَيْهِمْ رَايَاتِي
في طفولة البهاء الباكورة تحولت مصر عن التشيع إلى التسنن على يد صلاح الدين الأيوبي، وكان للمتصوفة طبول ورايات تشحن الإسلام السني بشحنة عاطفية توازي مواكب الشيعة

خَلَبَ السَّامِعِينَ سِحْرُ كَلَامِي وَسَرَّتْ فِي عَقُولِهِمْ نَفْسَاتِي
النفسات: نفخات الساحر، أليس ينفخ بعد أن يقول كلماته الغامضة؟ وفي القرآن «النفاثات في العقد» لساحرات الجاهلية، يعقدن خيطاً وينفخن عليه

خُتِمَ الْحُبُّ مِنْ حَدِيثِي بِمِسْكِ رُبَّ خَيْرٍ يَجِيءُ فِي الْخَاتِمَاتِ
لستُ أَرْضَى سِوَى الْوَفَاءِ لَذِي الْوُدِّ - وَلَوْ كَانَ فِي وَفَائِي وَفَاتِي

وَأَلُوفٌ فَلَوْ أَفَارِقُ بُؤْسًا لَتَوَالَّتْ لِفَقْدِهِ حَسْرَاتِي
أنا شديد الألفة لمن يصاحبني حتى لو كان بؤساً. والمعنى للممتني «خلقت ألوفاً لو رجعت إلى الصبا/ لفارقت شبيبي موجع القلب باكياً»

طَاهِرُ اللَّفْظِ وَالشَّمَائِلِ وَالْأَخْرَجَ لَاقَ عَفْ الضَّمِيرِ وَاللَّحْظَاتِ
اللحظات: النظرات

وَمَعَ الصَّمْتِ وَالْوَقَارِ فَلَانِي دَمَتْ الْخُلُقِ طَيِّبُ الْخَلَوَاتِ
يا حبيبِي وَأَنْتَ أَيُّ حَبِيبٍ لَا قَضَى اللَّهُ بَيْنَنَا بِشَتَاتِ
أَنْتَ رُوحِي وَقَدْ تَمَلَّكَتْ رُوحِي، وَحِبَاتِي، وَقَدْ سَلَبْتَ حِبَاتِي
مُتُّ شَوْقًا فَأَحْيَيْتَنِي بِوَصَالِ أَخْبِرِ النَّاسَ كَيْفَ طَعْمَ السَّمَاتِ
فَرَعَى اللَّهُ عَهْدَ مِضْرَ وَحْيًا مَا مَضَى لِي بِمِضْرَ مِنْ أَوْقَاتِ
حَبَّذَا النِّيلُ وَالْمَرَائِبُ فِيهِ مُضْعِدَاتِ بِنَا وَمُنْحَدِرَاتِ
هَاتِ زِدْنِي مِنَ الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِ لِي وَدَعْنِي مِنْ دِجْلَةٍ وَفُرَاتِ
وَلِبَالِي فِي الْجَزِيرَةِ وَالْجَبِ رَزَةٍ فِيمَا اسْتَهَبْتُ مِنْ لَذَاتِ
بَيْنَ رَوْضٍ حَكَى ظُهُورَ الطَّوَاوِدِ سِي، وَجَوْ حَكَى بُطُونِ الْبُرَاةِ
الروض يشبه ظهور الطواويس بألوانه الكثيرة، والجو فيه غيم مقطقط مقطط كأنه بطون الصقور

يَا زَمَانِي الَّذِي مَضَى، يَا زَمَانِي لَكَ مَنِّي تَوَاتُرُ الزَّفَرَاتِ

٢٢ كبرياء

لَوْ أَرَادَ الْبُعْدَ عَنِّي نَوَّرَ عَيْنِي مَا تَبِعْتُهُ
كُلُّ شَيْءٍ مِنْ حَبِيبِي مَا خَلَا الْعَذْرَ اخْتَمَلْتُهُ
أَنَا فِي الْحُبِّ غَيُورٌ ذَاكَ خُلُقِي لَا عَدِمْتُهُ
قَدْ شَكَّرْتُ اللَّهَ فِيمَا كَانَ مِنْكُمْ وَحَمِدْتُهُ
حِينَ خَلَّضْتُ فُؤَادِي مِنْ يَدَيْكُمْ، وَمَلَكْتُهُ

٢٣ لا ترمه قد تحتاجه

لَا تَطْرِحْ خَامِلَ الرِّجَالِ فَقَدْ نَحْتَاجُ يَوْمًا إِلَى كَفَائَتِهِ
فَالْبَيْكُ فِي النَّرْدِ وَهُوَ مُحْتَقَرٌ خَيْرٌ مِنَ الشَّيْشِ عِنْدَ حَاجَتِهِ

البيك: الواحد، والشيش: الستة في حجر النرد

٢٤ حلو وكذاب

يُعَاهِدُنِي لَا خَانَئِي ثُمَّ يَنْكُثُ وَأَحْلِفُ لَا كَلِّمْتُهُ ثُمَّ أَخْنَثُ
أَقُولُ لَهُ صَلِّنِي يَقُولُ: نَعَمْ، عَدَا، وَيَكْسِرُ جَفْنَآ هَارِئَا بِي وَيَعْبَثُ
وَمَا ضَرَّ بَعْضَ النَّاسِ لَوْ كَانَ زَارِنَا وَكُنَّا خَلَوْنَا سَاعَةً نَتَحَدَّثُ
أَمْوَلَايَ إِنِّي فِي هَوَاكَ مُعَذَّبٌ وَحَتَّامَ أَبْقَى فِي الْعَذَابِ وَأُمُكْتُ
أُعِيدُكَ مِنْ هَذَا الْجَفَاءِ الَّذِي بَدَا، خَلَاتُفَكَ الْحُسْنَى أَرْقُ وَأُدْمَتُ

٢٥ سكر الدلال

الْيَوْمَ لِي يَوْمَانِ لَمْ أَرَهُ، وَهَذَا الْيَوْمُ ثَالِثُ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهُ مِمَّنْ تُغَيِّرُهُ الْحَوَادِثُ
مَوْلَايَ مِنْ سُكْرِ الدَّلَا لِي عَبِثَتْ، وَالسَّكَرَانُ عَابَثُ

٢٦ دعاء

يَا رَبِّ مَا أَقْرَبَ مِنْكَ الْفَرَجَا
أَنْتَ الرَّجَاءُ وَإِلَيْكَ الْمُلتَجَا
يَا رَبِّ أَشْكُو لَكَ أَمْرًا مُزْعِجَا
أَبْهَمَ لَيْلُ الْخَطْبِ فِيهِ وَدَجَا
يَا رَبِّ فَاجْعَلْ لِي مِنْهُ مَخْرَجَا

٢٧ رحابتان

قال يمدح الأمير مجد الدين بن إسماعيل بن اللمطي:

أَضْنَى الْفُؤَادَ فَمَنْ يُرِيحُهُ وَحَمَى الرُّقَادَ فَمَنْ يُبِيحُهُ
أضنى (أتعب) المحبوب القلب، وحى الرقاد (منعه)، مثلما يحمي القوم أرضاً فلا يبيحونها
سواهم، فهي لهم حِمَى، والمحبوب قد حوى أرض النوم دوني) -

وَنَضًا مِنَ الْأَجْفَانِ سِيْدُ فَا قَلَّمَا يَبْقَى جَرِيحُهُ

نضا: استل

مُتَمَائِلُ الْأَعْطَافِ كَالْـ غُضَنِ الَّذِي هَزَّتْهُ رِيحُهُ

يَا سَيِّدًا إِخْسَانُهُ مَا غَابَ عَمَّنْ يَسْتَمِيحُهُ

يستمحه: يسأله أن يسمح بمعرفه

يَلْقَى الْوَفُودَ وَصَدْرُهُ رَحْبٌ إِذَا سَأَلُوا، وَسُوحُهُ

سوحه: ساحاته التي ينزل بها المتجمعون الطالبون الردف مع إيلهم، فهي رحبة أي واسعة

٢٨ مكابرة

أَنَا لَا أَبَالِي بِالرَّقَبِ ب، وَلَا بِمَنْظَرِهِ الْقَبِيحِ

عَمَزُ الْحَوَاجِبِ بَيْنَنَا أَخْلَى مِنَ الْقَوْلِ الصَّرِيحِ

٢٩ آداب زيارة المريض

وَعَائِدُهُ وَوُسْقُمٌ لِكُلِّ جَسَمٍ صَحِيحِ

العائد: زائر المريض

لَا بِالْإِشَارَةِ يَذْرِي وَلَا الْكَلَامِ الصَّرِيحِ

وَلَيْسَ يَخْرُجُ حَتَّى تَكَادُ تَخْرُجُ رُوحِي

٣٠ ليلة.. صالحة

وَلَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي الصَّالِحَةِ

بَاتَتْ بِهَا الْهُمُومُ عَنِّي نَازِحَةً

وَعَادَةٌ بِوَضْلِهَا مُسَامِحَةً

مسامحة: سامحة

نَحْفَظُ وَدِّيْ مِثْلَ حِفْظِ الْفَاتِحَةِ

وَأَعْيُنٌ عِنْدَ التَّشَاكِي طَافِحَةً

إِذَا اخْتَصَرْنَا، فَالْدُمُوعُ شَارِحَةً

وَقَدْ بِوَعْدٍ ثِمَ قَامَتْ رَائِحَةً

وَأَوْدَعَتْ قَلْبِي نَارًا لَا فِحَةً

فِيَا صِحَابِي فِي الْخُطُوبِ الْفَادِحَةِ

هَبْكُمْ أَعَنْتُمْ بِدُمُوعِ سَافِحَةِ

ما تَفَعَّلَ الثَّكَلَى بِنَوْحِ النَّائِحَةِ؟

٣١ المعشوقة العمياء

قالوا تعشَّقَتْهَا عَمِيَاءٌ قُلْتُ لَهُمْ: ما شَانَهَا ذَاكَ في عَيْنِي ولا قَدَحًا
بل زادَ وَجْدِي فيها أَنَّهَا أَبَدًا لا تُبْصِرُ الشَّيْبَ في قَوْدِي إذا وَضَحَا
كأنَّما هِيَ بُسْتَانٌ خَلَوْتُ بِهِ وَنَامَ نَاطُورُهُ سَكْرَانٌ قد طَفَحَا
تَفَتَّحَ الْوَرْدُ فيه مِنْ كَمَائِمِهِ وَالترَّجِسُ الْعُضُّ فيه بَعْدُ ما انْفَتَحَا
يشبهون الخدود بالورد، والعيون بالترجس

٣٢ المتجمل بالكفر

وجاهلٍ يَدْعِي في العلمِ فلسفةً قد راحَ يكفِّرُ بالرحمنِ تَقْلِيدًا
يقولُ إنَّ كلامي لستَ تفهَمُهُ، فقلتُ: لستُ سليمانَ بنَ داودَ
أي لا أفهم كلام البهائم كما كان سليمان يفهمه، وهذا هجاء مبطن لمن يتجمل
بالكفر تجملاً. وقد رأينا نفرأ في السبعينات، وكان الفكر الماركسي ثقلية، يتجملون
بالانحراف عن الدين، ورأينا من انحرف عن الدين ولم يكن ممن يتجمل بذلك:
ذهبت مرة لزيارة صديق خطاط في القدس دُيْن وتقي، واتفق أن كان في صحبتي
صديق شيعوي. قلت له في الطريق أحذره: هذا الخطاط متدين. فشمخ صاحبي
برأسه وقال: أنا لست ممن يحمل مَسْئَلَةَ الدين في جيبه. فأكبرته

٣٣ في عشق صنم

صَنَمٌ لَعَمْرُكَ ما بَرَأهُ اللّهُ في ذا الحُسْنِ إِلَّا فِتْنَةً لِّعِبَادِهِ
وَمِنْ العَجَائِبِ فِعْلُهُ بِمُحِبِّهِ يَصْلِيهِ ناراً وَهُوَ مِنْ عُبَادِهِ
يا عاذِلِي ما كنتُ أولَ عاشِقٍ فَتَكَ الغَرامُ بِلُبِّهِ وفؤادِهِ
اللب: العقل، والفؤاد: القلب. ومع ذلك فالفؤاد حشو

٣٤ انتظرونا بعد رمضان

وفي الدَّنِّ لَنَنا رَاحٌ لَهَا تَسْعُونَ أوْ إِحْدَى
للخمر تسعون سنة في دنها (وعائها الفخاري الضخم المطلي بالزفت حتى لا ينز) أو إحدى
وتسعون سنة (وحذف السنة اكتفاء)

وَهَيْفَاءَ كَمَا تَهْوَى تُرِيكَ الْقَدَّ وَالْحَدَّ
وَتَشْجِيكَ بِالْحَانَ تُذِيبُ الْجَلَمَدَ الصَّلْدَا
وَلَفْظُ يُوجِبُ الْغُسْلَ عَلَى السَّامِعِ وَالْحَدَّ
لا بد أن تكون من المحترفات إن كان كلامها يوجب الغسل على الرجل (أي يذيه ويوسخه)،
والحد: العقاب الشرعي

جَزَى الرَّحْمَنُ شَعْبَانًا تَقَضَّى الشُّكْرَ وَالْحَمْدَا
تقضى: نال

وَإِنْ عِشْنَا لِشَوَالٍ أَعَدْنَا ذَلِكَ الْعَهْدَا

٣٥ قلبي عندك

إِنْ كَانَ قَدْ سَارَ عَنْكَ شَخْصِي فَلَنْ قَلْبِي أَقَامَ عِنْدَكَ
وَحَيْثُمَا كُنْتَ كُنْتُ مَوْلَى وَأَيْنَمَا كُنْتَ كُنْتُ عَبْدُكَ
المولى، هنا: السيد. تعليق أ. عبد الرحيم: «عالٍ.. على رفته المفرطة!»

٣٦ الحالبون البدن من أوداجها

قال يمدح الأمير مجد الدين بن إسماعيل بن اللمطي:

جَعَلَ الرُّقَادَ لِكَنِّي يَواصِلَ مَوْعِدَا مِنْ أَيْنَ لِي فِي حَبْوٍ أَنْ أَرْقُدَا
كَمْ رَاحَ نَحْوِي لَا يَمُومُ وَغَدَا، وَمَا رَاحَ الْمَلَامُ بِمِسْمَعِي وَلَا عَدَا
فِي كُلِّ مُعْتَدِلٍ الْقَوَامِ مُهْفَهَفٍ حُلُوِ التَّثْنِيِ وَالثَّنَايَا أَغْيَدَا

يلومونني في كل محبوب معتدل القوام مهفهف (دقيق الخصر)، الثنايا: الأسنان،
الأغيد يتمايل ويتثنى للمرأة وللغصن، هذا هو الغيد، ثم صارت المرأة الغيداء
ناعمة، ثم طرية، ثم جميلة، ثم طويلة مشوقة القوام. يحشرون كل الصفات التي
يجوبها في الكلمة ناقلينها عن معناها الأصلي.. ومن ذا الذي رمانا بهذه الداهية
التي هي شرح الشعر!

يَحْكِي الْغَزَالَ بِهَجَةٍ وَتَبَاعُدًا وَيَقُولُ قَوْمٌ مُقْلَةً وَمُقَلَّدَا

يشبه المحبوب الغزالة في البهجة (الجمال) وفي الابتعاد عن الناس والنفرة منهم،
ويقول آخرون ويشبه الغزالة في المقلة (العين) وفي المقلد (العتق) حيث تلبس
القلادة). في ترجمته الإنجليزية للديوان وضع بلمر هامشاً أشار فيه إلى أن الغزالة في
العربية من أسماء الشمس. رأيانهم لا يعرفون غزالة بآل ويجعلون «غزالة» علماً على
الشمس مثلما ثعالة علم على الثعلب. لعل معنى «غزالة» البعيد خطر ببال البهاء فذكر
التباعد. تلمسك بشرحنا في السطر الأول. تسويد أ. عبد الرحيم

وَكأَنَّ أَنْفَاسَ النَّسِيمِ إِذَا سَرَتْ شَكَرَتْ لِمَجْدِ الدِّينِ مَوْلَانَا يَدَا
يَدَا : فضلاً

يُعْزَى لِقَوْمٍ سَادَةٍ يَمْنِبِيَّةٍ أَعْلَى الْوَرَى قَدْرًا وَأَزْكَى مَحْنِدَا
الورى : البشر، محتد : أصل

الْحَالِبِينَ الْبُدْنَ مِنْ أَوْدَاجِهَا وَالْمُوقِدِينَ لَهَا الْقَنَا الْمُتَقَصِّدَا

يحبون البدن (النياق) من أوداجها (عروق الرقبة/أي يذبونها لضيوفهم)، ويوقدون لها ناراً من القنا المتقصد (الرماح المتكسرة لكثرة حروبهم) فهم كرام وشجعان . ولم يسع النظم الإنجليزي هذا المعنى الدقيق، أو أن يلمر - المستشرق الذي ترجم دوان البهاء وذكرنا خبره في ذيل القطعة الثانية من مختاراتنا هذه من شعر البهاء - استسهل، أو أخطأ، وجعل المعنى: «يحبون الدم من عروق قطعوها، ويوقفون سيلان الدم بقطع من رماحهم»

وَالْغَالِبِينَ عَلَى الْقُلُوبِ مَهَابَةً وَالْوَاصِلِينَ إِلَى الْقُلُوبِ تَوَدُّدَا
وَإِذَا الصَّرِيخُ دَعَاهُمْ لِمِلْمَةٍ جَعَلُوا صَلِيلَ الْمُرْهَفَاتِ لَهُ صَدَى
الصريخ : الاستجداء، صليل المرهفات : صوت السيوف

٣٧ ارتقاب

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ زَمَانِي بَعْدَ ذَا الْبُخْلِ يَجُودُ
يَنْقُضِي يَوْمٌ وَيَوْمٌ فِي حَدِيثٍ لَا يُفِيدُ
فَمَتَى الْيَوْمُ الَّذِي أَبْـ لُغُ فِيهِ مَا أُرِيدُ

٣٨ كذا هي الحياة

كَلَّمَا قُلْتُ اسْتَرْخْنَا جَاءَنَا ثَغْلٌ جَدِيدُ
وَحُطُوبٌ يَنْقُصُ الصَّبْبُ رُ عَلَيْهِهَا، وَتَزِيدُ

٣٩ الطويلة

لَقَدْ عَابَهَا الْوَاشِي فَقَالَ طَوِيلَةٌ، مَقَالَ حَسُودٍ مُظْهِرٍ لِعِنَادِ
فَقُلْتُ لَهُ: بَشَّرْتُ بِالْخَيْرِ إِنَّهَا حَيَاتِي، فَإِنْ طَالَتْ فَذَاكَ مُرَادِي

٤٠ مطالة

قد طَالَ فِي الْوَعْدِ الْأَمَدُ وَالْحُرُّ يُنَجِّزُ مَا وَعَدُ
وَوَعَدْتَنِي يَوْمَ الْخَمِيسِ س، فلا الخميسُ ولا الأَحَدُ
وَإِذَا اقْتَضَيْتُكَ لَمْ تَزِدْ عَنْ قَوْلٍ: إِيَّيَ وَاللَّهِ عَدُ
اقتضيتك: طالبتك بالرفاء

٤١ وحدة ووحشة

أَبْنُ مَوْلَايَ بِرَانِي وَدُمُوعِي فَوْقَ خَدِّي
أَقْطَعُ اللَّيْلَ أَقَاسِي مَا أَقَاسِي فِيهِ وَخَدِي
لَبِئْتَنِي عِنْدَكَ يَا مَوْ لَايَ، أَوْ لَبِئْتُكَ عِنْدِي

٤٢ مع السلامة

يَا مَنْ تَبَدَّلَ فِي الْهَوَى إِنْ كَانَ أَعْجَبَكَ الضُّدُ
وَاعْلَمْ بِأَنِّي لَا أُرِيدُ وَأَنَا الْقَرِيبُ فَلِنْ تَغَيَّرْ -
وَلَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنَّنِي يَهْنِكَ صَاحِبُكَ الْجَدِيدُ
دُ كَذَلِكَ أَعْجَبَنِي الضُّدُ
دُ إِذَا رَأَيْتُكَ لَا تُرِيدُ
رَ صَاحِبِي، فَأَنَا الْبَعِيدُ
لِي فِي الْهَوَى خُلُقٌ شَدِيدُ

٤٣ لذيذ العتاب

إِذَا مَا تَعَاتَبْنَا وَعُدْنَا إِلَى الرِّضَا عَتَبْتُمْ عَلَيْنَا وَاعْتَذَرْنَا إِلَيْكُمْ
وَقُلْتُمْ وَقُلْنَا وَالْهَوَى يَتَأَكَّدُ أَذَلِكَ عَثْبٌ أَمْ رِضًا وَتَوَدُّدُ
وَيَا طِيبَ عَثْبٍ بِالْمَحَبَّةِ يَشْهَدُ وَقَدْ كَانَ ذَاكَ الْعَثْبُ عَنْ فَرْطِ غَيْرَةٍ

٤٤ بيتك أم بيتي؟

قُمْ بِنَا إِنْ شِئْتَ عِنْدِي أَوْ أَكُنْ إِنْ شِئْتَ عِنْدَكَ
شاع عند الأمير كان القول «بيتك أم بيتي؟» عقب عقد اتفاق غرامي في حانة أو مرقص
أَنَا فِي دَارِي وَخَدِي فَتَفَضَّلْ أَنْتَ وَخَدُكَ

٤٥ الثقيل (١)

وَجَلِيسٍ حَدِيثُهُ لِمَسَرَّاتٍ طَارِدُ
مِثْلُ لَيْلِ الشَّتَاءِ فَهوَ وَطَوِيلُ وَبَارِدُ

٤٦ مولاي كن لي

مَوْلَايَ كُنْ لِي وَحْدِي فَإِنَّنِي لَكَ وَحْدُكَ
«وقف الهدهد في باب سليمان بذلة/ قال يا مولاي «كن لي»، عيشتي صارت مملة» شوقي
وَكُنْ بِقَلْبِكَ عِنْدِي فَإِنْ قَلْبِي عِنْدَكَ
لِي فِيكَ قَصْدٌ جَمِيلٌ لَا خَيْبَ اللَّهُ قَصْدُكَ
حَاشَاكَ تُؤْثِرُ بُغْدِي وَلَسْتُ أُوْثِرُ بُعْدَكَ
إِنْ تَنَسَّ عَهْدِي إِنْنِي وَاللَّهِ لَمْ أَتَسَّ عَهْدَكَ
مَا لِي عَلَيْكَ اعْتِرَاضُ أَذْبَ كَمَا شِئْتَ عَبْدَكَ
مَوْلَايَ إِنْ غِبْتَ عَنِّي وَأُسُوءَ حَالِي بِمَعْدَكَ

٤٧ لا أشكو.. إلا هنا

يَا سَائِلِي عَمَّا تَجِدَدَ لِي الْحَالُ لَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَزِدْ
وَكَمَا عَلِمْتَ فَإِنَّنِي رَجُلٌ أَفْنَى وَلَا أَشْكُو إِلَى أَحَدٍ

٤٨ لعنة شاملة

لَعْنِ اللَّهُ صَاعِدَا وَأَبَاهُ فَصَاعِدَا
وَبَنِيهِ فَنَازِلَا وَاحِدَا ثُمَّ وَاحِدَا

٤٩ زفاف قصيدة

قال يهنئ الأمير نصير الدين أبا الفتح ابن اللطفي:

بِكَ اهْتَرَّ لِي غَصْنُ الْأَمَانِيِّ مُثْمِرَاً وَرَقَّتْ لِي الدُّنْيَا وَرَاقَ سِرُورُهَا
وَمَا نَالَنِي مِنْ أَنْعَمِ اللَّهِ نِعْمَةً وَإِنْ عَظُمَتْ إِلَّا وَأَنْتَ سَفِيرُهَا
فَخَذَهَا كَمَا تَهْوَى الْمُعَالِي خَرِيدَةً تُزَفُّ، عَلَيْهَا دُرُّهَا وَحَرِيرُهَا

خذ قصيدتي خريدة (فتاة بكرًا) ترضى عنها المعالي (الأمجاد)، وهي تزف إليك وعليها الدر (اللؤلؤ) والحرير

تَكَادُ إِذَا حَبَّرْتُ مِنْهَا صَحِيفَةً لَذَكَرَاكَ أَنْ تَبَيَّضَ مِنْهَا سَطُورُهَا
وَلِلنَّاسِ أَشْعَارُ تَقَالُ كَثِيرَةً وَلَكِنْ شَعْرِي فِي الْأَمِيرِ أَمِيرُهَا

٥٠ جنابة النسيم

أَعْلِمْتُمْ أَنْ النِّسِيمَ إِذَا سَرَى نَقَلَ الْحَدِيثَ إِلَى الرَّقِيبِ كَمَا جَرَى
وَإِذَا عَ سَرًّا مَا بَرِحْتُ أَصْوَنَهُ وَهَوَى أَنْزَرَهُ قَدْرَهُ أَنْ يُذْكَرَا
ظَهَرْتُ عَلَيْهِ مِنْ عِتَابِي نَفْحَةً رَقَّتْ حَوَاشِيهِ بِهَا وَتَعَطَّرَا
وَأَتَى الْعَذُولُ وَقَدْ سَدَدْتُ مَسَامِعِي بِهَوَى يَرُدُّ مِنَ الْعَوَادِلِ عَسْكَرَا
وَيَلُومُنِي فِيكُمْ وَلَسْتُ أَلُومُهُ هِيَهَاتَ، مَا ذَاقَ الْغَرَامَ وَمَا دَرَى

٥١ جهاد حق لا اقتتال

قال البهاء زهير يمدح الملك الكامل ويذكر انتزاعه ثغر دمياط من الإفرنج:
تَدِينُ لَهُ الْأَمْلَاكُ بِالْكَرْوِ وَالرُّضَا وَتَتَّخِذُهُ الْأَفْلَاكُ فِي النَّهْيِ وَالْأَمْرِ
الأملاك: الملوك، الأفلاك: بروج السماء، وهي تشير في عرفهم إلى ما سيقع من أحداث
وما فَرَحَتْ مِصْرُ بِذَا الْفَتْحِ وَحَدَّهَا لَقَدْ فَرَحَتْ بَغْدَادُ أَكْثَرَ مِنْ مِصْرٍ
وَأَقْسَمُ إِنْ ذَاقْتُ بَنُو الْأَصْفَرِ الْكَرَى فَلَا حَلَمَتْ إِلَّا بِأَعْلَامِهِ الصُّفْرِ
بنو الأصفر: الأوروبيون، وسمى أبو تمام البيزنطيين بني الأصفر، قيل إن لون
جلودهم أقرب إلى الصفرة. معنى البيت للمتنبي: «فكلما حلمت عذراء عندهم/ فإنما
حلمت بالسبي والجمال». وزاد البهاء في المعنى أن شكك في رقادهم، وقابل بين
بني الأصفر والرايات الصفرة، وعلى ما في بيت المتنبي من وحشية عرفتها تلك
الحروب في تلك الأزمان، فهو أحلى

ثَلَاثَةَ أَعْوَامٍ أَقَمْتَ وَأَشْهُرًا تُجَاهِدُ فِيهِمْ لَا بِزَيْدٍ وَلَا عَمْرٍو
فَرَوَيْتَ مِنْهُمْ ظَامِئَ الْبَيْضِ وَالْقَنَا وَأَشْبَعْتَ مِنْهُمْ طَاوِيَّ الذُّبِّ وَالنَّسْرِ
رويت من دمهم البيض (السيوف) والقنا (الرماح) الطامئة، وأشبعت من جثثهم الذئب والنسر
الطاوئين (الجائعين)

كَفَى اللَّهُ دُمِيَاظَ الْمَكَارِهِ إِنَّهَا لَمِنْ قِبَلَةِ الْإِسْلَامِ فِي مَوْضِعِ النَّحْرِ
دمياط بالنسبة لقبلة الإسلام (مكة) في موضع النحر (العنق). ودمياط على الفرع
الشرقي للنيل في مصبه «فرع دمياط»، والنيل يمر بقوص البلد التي نشأ بها البهاء،
وقوص كانت مركزاً تجارياً بين مصر والحجاز عبر البحر الأحمر، فمن هنا سهّل على
البهاء أن يرى دمياط بوابة للحرمين

٥٢ القصيدة الخجولة

كتب إلى الوزير الفاضل فخر الدين ابن قاضي داريا:

سَأشْكُو نَدَىً عَنْ شُكْرِهِ رَحْتُ عَاجِزاً وَمِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ أَشْكُو وَأَشْكُرُ
سَأشْكُو السَّخَاءَ الَّذِي أَصْبَحْتَ عَاجِزاً عَنْ تَقْدِيمِ الشُّكْرِ عَلَيْهِ لِتَوَالِيهِ وَتَدَفُّقِهِ

وَأَوْلَيْتَنِي مِنْ بَرِّ فَضْلِكَ أَنْعَمًا غدا كَاهِلِي عَنْ حَمْلِهَا وَهُوَ مُوقَرٌ
كاهلي: ظهري، موقر: مثقل

سَأشْكُرُهَا مَا دُمْتُ حَيًّا وَإِنْ أُمْتُ سَأُنْشُرُهَا فِي مَوْقِفِي حِينَ أَنْشُرُ
موقفي: وقوفي يوم القيامة للحساب، أنشر: أبعث

وَإِنِّي وَإِنْ أُعْطِيتُ فِي الْقَوْلِ بَسْطَةً وَطَاوَعَنِي هَذَا الْكَلَامُ الْمُحَبَّرُ
لَأَعْلَمُ أَنِّي فِي الثَّنَاءِ مُقْصَرٌّ وَأَنَّ الَّذِي أَوْلَيْتَ أَوْفَى وَأَوْفَرُ
عَلَى أَنَّ شُكْرِي فِيكَ حِينَ أَبُثُّ يَرَوْفُكَ مِنْهُ الرُّوضُ يَزْهُو وَيُزْهَرُ
فَخُذْهَا عَلَى مَا حِكَمْتَ ابْنَةً سَاعَةً أَتَتَكَ عَلَى اسْتِخْيَانِهَا تَتَعَثَّرُ
خذ القصيدة كما حكمت (نسجت) وهي ابنة ساعتها (مرتجلة)

٥٣ ما أخرك؟

بِاللَّهِ قُلْ لِي خَبَرَكَ فَلِي ثَلَاثٌ لِمَ أَرَكُ
يَا أَسْبَقَ النَّاسِ إِلَى مَوَدَّتِي، مَا أَخْرَكَ؟
وَنَاطِرِي عَلَى الطَّرِيقِ قِي لِمَ يَنْزِلُ مُنْتَظِرُكَ

ناظري: بصري. للناس الذين لم يعيشوا، ولم يعرفوا الانتظار وأكاذيب المعشوقة،
وأعذارها التي ينتهي خروج النمل من ثقبه في بيتي ولا تنتهي، نقول: ما رأيكم أن
تركوا هذه الأشعار، وتقرأوا الجريدة مثلاً!

٥٤ أنت المجلس

إِذَا مَا نَسِيتُكَ مَنْ أَدْكُرُ سِوَاكَ بِبَالِي لَا يَخْطُرُ
وَيَوْمٌ سَرُورِي يَوْمٌ أَرَاكَ لِأَنِّي بِوَجْهِكَ أَسْتَبْشِرُ
وَإِنْ غَابَ أَنْسُكَ عَنْ مَجْلِسِي فَمَا لِي أَنْسُ بِمَنْ يَحْضُرُ

٥٥ الفضيحة الطيبة

أَنَا مَنْ تَسْمَعُ عَنْهُ وَتَرَى لَا تُكَذِّبُ عَنْ غَرَامِي خَبَرَا
كُلُّ شَيْءٍ مِنْ حَبِيبِي حَسَنٌ لَا أَرَى مِثْلَ حَبِيبِي فِي الْوَرَى
وَافْتِضَاحِي فِيهِ مَا أَطْيَبُهُ كَانَ مَا كَانَ، وَيَدْرِي مَنْ دَرَى

٥٦ دور وكاسات تدور

حَبَّبَا دُورٌ عَلَى النَّيْمِ لِي وَكَاسَاتٌ تَدُورُ
كَمْ بِهَا قَدْ مَرَّ لِي، أَسَدٌ تَغْفِرُ اللَّهَ، سُورُ
كُلُّ عَيْشٍ، غَيْرَ ذَلِكَ الـ عَيْشٍ فِي الْعَالَمِ، زُورُ

٥٧ لن تعرف خبري..

لَأَجْلِكَ سَعِيٍّ وَاجْتِهَادِي وَخِدْمَتِي وَيَا لَيْتَ هَذَا كُلُّهُ فَيْكَ يُثْمِرُ
تَبِعْتُ الَّذِي يَرْضِيكَ فِي كُلِّ حَالَةٍ فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَبْصِرْهُ فَالِلَّهِ يُبْصِرُ
وَوَاللَّهِ مَا مِثْلِي مُجِبٌّ وَمُثْنِفٌ وَسَوْفَ إِذَا جَرَّبْتَ غَيْرِي تَذْكُرُ

٥٨ لا ينفع إلا وجهاً لوجه

مَا احْتِيَالِي فِي كِتَابٍ ضَاقَ عَمَّا فِي ضَمِيرِي
جَرْتُ لَا أَعْرِفُ مَا أَشَدُّ رَحُ فِيهِ مِنْ أُمُورِي
كَأَدَّ أَنْ يَحْتَرِقَ الْقُرُ طَاسُ مِنْ نَارِ زَفِيرِي
لَيْسَ يَشْفِي مَا بِقَلْبِي مِنْكُمْ غَيْرُ حُضُورِي

٥٩ فاحت رائحتك

قَدْ صَحَّ عِنْدِي مَا جَرَى قَدَّعَ اللَّجَاجَةَ وَالْمِرَا
اللجاجة: الجدل بمكابرة، المرا: المرا، أي المكابرة

كَمْ قَدْ كَتَمْتُ فَلَمْ يُفِدْ حَتَّى دَرَى بِكَ مَنْ دَرَى
يَا غَافِلًا عَنْ نَفْسِهِ أَخَذَتْهُ أَلْسِنَةُ الْوَرَى
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا تَقُلْ فِي النَّاسِ قَالُوا أَكْثَرَا

فاحفظ لسانك تستريح فلقد جرى ما قد جرى

٦٠ مسافر

ليت شعري ليت شعري أي أرض هي قبري
ضاع عمري في اغتراب ورحيل مستمر
ومتى يوم وفاتي ليتني لو كنت أدري

٦١ ساهر مع النجم

قال، وأنشدنيها - يقول شرف الدين راوي شعره - بقلعة القاهرة المحروسة في عام ٦٤١ (وفي هذه الرواية الشخصية ما ينفي الزعم بأنها لابن الفارض):

عبري على السلوان قاذر وسواي في العشاق غادر
لي في الغرام سريرة واللّه أعلم بالسرائر
ومشبه بالعضن قل بي لا يزال عليه طائر
رب معشوق يشبه الغصن، وقلبي عليه طائر (طائر بمعنى طير على الغصن/ وبمعنى قلب ضائع)

خلو الحديث، وإنها لحلاوة شقت مرائر

مرائر: جمع مرارة

أشكو وأشكر فعله فاعجب لشاك منه شاكر
يا تاركي في حبه مثلاً من الأمثال سائر
يا ليل مالك آخر يرجي، ولا للشوق آخر
يا ليل طل يا شوق دُم إني على الحالين صابر
لي فيك أجر مجاهد إن صَحَّ أن الليل كافر

الليل الكافر: الشديد الظلمة

ظرفي وظرف النجم في لك كلاهما ساء وساهر

٦٢ ساهر مع الحبيب

رعى اللّه ليلة وضيّ حلت وما خالط الصّفوف فيها كدّر
ويا قمر الأفق غد راجعاً فقد بات في الأرض عندي قمر

خَلَوْنَا وَمَا بَيْنَنَا ثَالِثٌ فَأَصْبَحَ عِنْدَ النَّسِيمِ الْخَبَرُ

٦٣ الحاضرون الغائبون

يَوْمُنَا يَوْمٌ مَطِيرٌ وَلَنَا كَأْسٌ تَدُورُ
أَخَذْتُ مِنْهَا عَقَارٌ أَخَذْتُ مِنْهَا الدَّهْورُ

العقار (الخمرة) أخذت بعض عقولنا، وهي نفسها قد أخذ منها الزمان، فقل جرمها وازداد صفاؤها
بتوالي السنين

لَطُفْتُ فِي الدَّنِّ حَتَّى قِيلَ سِرٌّ وَضَمِيرٌ

ينظر الشاعر العربي إلى الخمرة نظرتة إلى شيء سحري، فهذا المشروب - دون كل
المشروبات - يفعل في النفس شيئاً غريباً؛ لا بد أن له سرّاً. اليوم نعرف أن مادة
الإيثانول تصعد مع الدم إلى الدماغ وتطلق الدوبامين المخدر للأعصاب، وبعد أن
عرفنا الهيروين وعائلته لم يعد في الخمر سر

فَنَيْتُ إِلَّا يَسِيرًا كُلُّهَا ذَاكَ الْيَسِيرُ

الخمر التي عصرت لتوها تكون عصيراً ثخيناً، وعندما تروق تفقد من جرمها الكثير إذ يرسب ما
يرسب في القاع، والسائل الشفاف يوحى للمرء بأنه غير موجود على الحقيقة

وَكَأَنَّ الْكَأْسَ حَقٌّ وَكَأَنَّ السَّحَابَ زُورٌ
وَيَغِيبُ الْقَوْمُ فِي الْمَجْدِ لِسِ وَالْقَوْمُ حُضُورٌ

٦٤ أين وجهك؟

وَأَحْمَقُ ذِي لِحْيَةٍ كَبِيرَةٍ مُنْتَشِرَةٍ
طَلَبْتُ فِيهَا وَجْهَهُ بِشِدَّةٍ فَلَمْ أَرَهُ
كَمْ قَرِيَةً لِلْقَمَلِ فِي جَافَاتِهَا وَمَقْبَرَةٍ
يُفْسَمُ عَشْرُ عَشْرِهَا يَكْفِي رِجَالاً عَشْرَةَ

٦٥ كلام شوارع

يَا هَذِهِ لَا تَغْلَطِي وَاللَّهِ مَا لِي فِيكَ خَاطِرٌ
وَسَمِعْتُ عَنْكَ قَضِيَّةً قَدْ سُودَّتْ فِيهَا الدَّفَاتِرُ
نُقِلْتُ إِلَيَّ جَمِيعُهَا حَتَّى كَأَنِّي كُنْتُ حَاضِرٌ
فَمَتَى أَرَدْتَ شَرْحُهَا لِكَ بِالْأَدْلَالِ وَالْأَمَائِرُ

إِنْ كُنْتَ أَنْتِ نَسِيَتْهَا فَلَكُمُ لَهَا فِي النَّاسِ ذَاكِرٌ

٦٦ أنا تمام التمام

يَا سَائِلًا عَنْ زَهِيرٍ وَكَيْفَ حَالُ زَهِيرٍ
وَاللَّهِ إِنِّي بِخَيْرٍ مَا دَمْتَ أَنْتَ بِخَيْرٍ

٦٧ حديث الأكياس

وَصَاحِبٍ أَصْبَحَ لِي لِائِمًّا لَمَّا رَأَى حَالَةَ إِفْلَاسِي
قُلْتُ لَهُ إِنِّي أَمْرٌ لَمْ أَزَلْ أَفْنِي عَلَى الْأَكْيَاسِ أَكْيَاسِي
الأكياس: الناس المتمتعون بالكياسة، الأكياس: أكياس النقود

دَعْنِي وَمَا أَرْضَى لِنَفْسِي، وَمَا عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ مِنْ بَاسٍ
لَوْ نَظَرَ النَّاسُ لِأَحْوَالِهِمْ لَاسْتَعْلَلَ النَّاسُ عَنِ النَّاسِ

٦٨ خيبة أمل

قَصِدْتُكُمْ أَرْجُو انتِصَارًا عَلَى الْعِدَى حَسِبْتُكُمْ نَاسًا فَمَا كُنْتُمْ نَاسًا
فَلَمْ تَمْنَعُوا جَارًا وَلَمْ تَنْفَعُوا أَحَاً وَلَمْ تَدْفَعُوا ضَيْمًا وَلَمْ تَرْفَعُوا رَاسًا
في الشام يقول الأب لابنه: أريدك أن ترفع رأسي، وفي مصر يقول: أريدك أن تطيل رقبتني،
والمعنى في كليهما: أريدك أن تجعلني أزهو بك بين الناس

٦٩ يا كل الناس

وَأَنْزَهُ اسْمَكَ أَنْ تَمُرَّ حُرُوفُهُ مِنْ غَيْرَتِي بِمَسَامِعِ الْجُلَاسِ
فَأَقُولُ «بَعْضُ النَّاسِ» عَنْكَ كِنَايَةً خَوْفَ الْوُشَاةِ، وَأَنْتَ كُلُّ النَّاسِ

٧٠ توبة إفلاس

قَالُوا فَلَانٌ قَدْ عَدَا تَائِبًا وَالْيَوْمَ قَدْ صَلَّى مَعَ النَّاسِ
قُلْتُ مَتَى ذَاكَ وَأَتَى لَهُ وَكَيْفَ يَنْسَى لَذَّةَ الْكَاسِ
أَمْسٍ يَهْذِي الْعَيْنِ أَبْصَرُثُهُ سَكَرَانَ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْأَسِ

وَرُحْتُ عَنْ تَوْبَتِهِ سَائِلًا وَجَدْتُهَا تَوْبَةً إِفْلَاسٍ

٧١ لست مستعجلاً

بَا كَثِيرَ الصُّدُودِ وَالْإِعْرَاضِ أَنَا رَاضٍ بِمَا بِهِ أَنْتَ رَاضٍ
إِنَّ لِي حَاجَةً إِلَيْكَ، وَإِنِّي فِي حَيَاءٍ عَنْ ذِكْرِهَا وَانْقِبَاضٍ
أَشْتَهِي أَنْ أَفُوزَ مِنْكَ بِوَعْدٍ وَدَعَ الْعَمَرَ يَنْقُضِي فِي التَّقَاضِي
التقاضي: طلب الوفاء

٧٢ مصر التي في خاطري

وَلَمْ أَرِ مِصْرًا، مِثْلَ مِصْرٍ، يَرَوْقُنِي وَلَا مِثْلَ مَا فِيهَا مِنَ الْعَيْشِ وَالْخَفْضِ
وَبَعْدَ بِلَادِي فَالْبِلَادُ جَمِيعُهَا سَوَاءٌ، فَلَا أَخْتَارُ بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الدَّارِ لِي مَنْ أَحْبَبُهُ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الدَّارِ أَوْ سَائِرِ الْأَرْضِ

٧٣ وداع

وَقَائِلَةٌ لَمَا أَرَدْتُ وَدَاعَهَا: حَبِيبِي أَحَقًّا أَنْتَ بِالْبَيْنِ فَاجْعِي
وَقَامَتْ وَرَاءَ السُّتْرِ تَبْكِي حَزِينَةً وَقَدْ نَقَبْتُهُ بَيْنَنَا بِالْأَصَابِعِ
فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّ الْفِرَاقَ حَقِيقَةٌ وَأَنِّي عَلَيْهِ مُكْرَهُ غَيْرُ طَائِعِ
تَبَدَّثَتْ فَلَا وَاللَّهِ مَا الشَّمْسُ مِثْلُهَا إِذَا أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهَا فِي الْمَطَالِعِ
تُسَلِّمُ بِالْيُمْنَى عَلَيَّ إِشَارَةً وَتَمْسَحُ بِالْيُسْرِ مَجَارِي الْمَدَامِعِ

٧٤ بعد الصلاة

مَائِدَةٌ مُنَوَّعَةٌ وَقَهْوَةٌ مُشْعِشَةٌ
مشعشة: ممزوجة بالماء

وَسَادَةٌ تَرَاضَعُونَ كَأْسُ الْوِدَادِ مُثْرَعَةٌ
تراضعوا: تبادلوا الرضاعة من ثدي واحد، وهؤلاء رضعوا من كأس المودة، بخ بخ... نبحت عن أمثالهم

وَلَا يَزِيدُونَ عَلَى ثَلَاثَةٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ

وَالْيَوْمَ يَوْمٌ لَمْ يَزَلْ يَوْمَ سَكُونٍ وَدَعَا
فِيَا أَخِي كُنْ عِنْدَنَا بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ

٧٥ يا راحلاً

يَا رَاحِلاً لَمْ يُبْقِ لِي مِنْ بَعْدِهِ بِالْعَيْشِ نَفْعًا
ضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ فِيكَ وَضِقتُ بِالْهَجْرَانِ دَرْعًا
وَرَعَيْتُ فِيكَ النَّجْمَ يَا مَنْ كَانَ يَحْفَظُنِي وَيَرْعَى
أَسْهَرْتَنِي مَعَ النَّجْمِ، وَكُنْتُ تَسْهَرُ عَلَيَّ

أَبْكَيْكَ بِالشَّعْرِ الَّذِي قَدْ رَقَّ حَتَّى صَارَ دَمْعًا

٧٦ لم أقل ذلك بالضبط

لَكَ الْيَوْمَ أَمْرٌ لَا أَشْكُ يُرِيبُنِي فَمَا وَجْهَكَ الْوَجْهَ الَّذِي كُنْتُ أَعْرِفُ
لَقَدْ نَقَلَ الْوَائِثُونَ عَنِّي بِاطِلَالٍ وَوَلَّتْ لِمَا قَالُوا، فزَادُوا وَأَسْرَفُوا
بِعَيْشِكَ قُلْ لِي مَا الَّذِي قَدْ سَمِعْتَهُ فَإِنَّكَ تَدْرِي مَا تَقُولُ، وَتُنْصِفُ
فَإِنْ كَانَ قَوْلًا صَحَّ أَنِّي قُلْتُهُ فَلْيَقُولْ نَأْوِيْلٌ وَلِلْقَوْلِ مَصْرُفٌ
مَصْرَفٌ: وَجْهٌ يَنْصَرَفُ إِلَيْهِ وَيَفْسَرُ بِهِ

وَهَبْ أَنَّهُ قَوْلٌ مِنَ اللَّهِ مُنْزَلٌ فَقَدْ بَدَّلَ الثَّوْرَةَ قَوْمٌ وَحَرَّفُوا

٧٧ شماتة

قال في وإل عزل:

عَزَلُوهُ لَمَّا خَانَهُمْ فَقَدْ كَثِيباً مُذْنَقًا
مَذْنَفٌ: مَرِيضٌ

وَيَقُولُ لَمْ أَحْزَنْ لَإِذَا لَمْ أَكُنْ مُتَأَسِّفًا
قُلْنَا كَذِبْتَ لَقَدْ حَزِنْتَ تَ، وَقَدْ «حَزِنْتَ» مُصَحِّفًا

وتصحيف كلمة «حزنت» إما خَزَيْتَ، أي أصابك الخزي، أو بالخاء والراء. والتصحيف هو ذلك التبادل بين الحروف المتشابهة

٧٨ حسنة للطفل

قال البهاء زهير يمدح السلطان الناصر يوسف بن محمد:

إذا كنت لي فالمالُ أهونُ ذاهِبٍ يُعوِضُهُ الإحسانُ منكُ ويُخْلِيفُ
ولا أبتغي إلا إقامةَ حُرْمَتِي ولستُ لشيءٍ غيرها أَتَأَسَفُ
ونفسي بحمدِ اللَّهِ نفسُ أبيَّةٍ فها هي لا تَهْفُو ولا تتلَهَّفُ
وأشرفُ ما تبنيه مجدٌ وسُودَدٌ وأزِينُ ما تَقْنِيهِ سَيْفٌ ومُصْحَفُ
ولكنَّ أطفالاً صِغاراً ونِسْوَةً ولا أَحَدٌ غَيْرِي بِهِمْ يَنْتَلِطِفُ
أغارُ إذا هَبَّ النسيمُ عليهمُ وقلبي لَهُمْ مِنْ رَحْمَةٍ يَتَرَجَّفُ
سروري أن يبدؤَ عليهمُ تَنَعُّمٌ وحُزْني أن يبدؤَ عليهمُ تَقَشُّفُ
إليك، صلاح الدين، أنهبتُ قِصَّتِي ورأيتُك يا مولايَ أعلَى وأشرفُ

صلاح الدين: الملك الناصر حفيد صلاح الدين الأيوبي. القصة: الرقعة التي تحمل شكوى أو ظلامة

٧٩ غربة نفس

قال يمدح صاحب صفي الدين المعروف بابن شكر:

ولي حاجةٌ مِنْ وَضْلِهِ غيرَ أنها مُرَدَّدَةٌ بين الصَّبَابَةِ والتُّقَى
ولستُ تَرى خِلاً مِنَ الغدرِ سالماً ولا تَقْتَنِي يوماً صديقاً فيضدُّها
إذا نِلتُ منه الوُدَّ كان تَكْلُفًا وإن نلتُ منه البِشْرَ كان تَمَلُّقًا
وممَّا دَهَانِي حُرْفَةُ أَدِيبِيَّةٍ عَدَّتْ دُونَ إدراكِ المَطَالِبِ خَنْدَقًا

حرفة الأدب: تعبير قديم يعني أن الأدب حرفة فقر، قالوا: «أدركتني حرفة الأدب» أي افتقرت بسبب انتهاجي طريق الأدب. ولو انتهج القائل حرفة السياسة لكان مصيره القتل. وشاعرنا رأى أدبه بمثابة خندق يحول بينه وبين مراده. وجعلوا الحرفة المذمومة هذه بضم الحاء، ربما لتمييزها عن المهنة

٨٠ كلامي ملحن بلا تلمحين

أَزْحَلُ مِنْ مِضْرٍ وَطِيبٍ نَعِيمِهَا فَأَيُّ مَكَانٍ بَعْدَهَا لِي شَائِقُ
وشاعرنا رحل كثيراً وأحست بوقع قدميه مكة ودمشق ونابلس وآمد والموصل

وكيف! وقد أضحَتْ مِنَ الحُسْنِ جَنَّةٌ زَرَابِيْهَا مَبْثُوثَةٌ والنَّمَارِقُ
الزَّرَابِي: البُسُط مفرد البساط، والنمارق: الوسائد، ومبثوثة: مفروشة هنا وهناك. وهذا كناية عن
الجنة كما في الآية

بِلَادٍ تَرَوْقُ الْعَيْنَ وَالْقَلْبَ بِهِجَةً وَتَجْمَعُ مَا يَهْوَى تَقِيٌّ وَقَاسِقُ
أَسْكَانٍ مِضْرٍ، إِنْ قَضَى اللَّهُ بِالتَّوَي فَتَمَّ عَهْدٌ بَيْنَنَا وَمَوَائِقُ
فَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِي حَنِينٌ مُجَدِّدٌ وَفِي كُلِّ أَرْضٍ لِي حَبِيبٌ مُفَارِقُ
كَلَامِي غَنِيٌّ عَنِ لُحُونِ تَزِينُهُ لَهُ مَعْبَدٌ مِنْ نَفْسِهِ وَمُخَارِقُ
معبد ومخارق: من مشاهير المغنين

لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُ نَصِيبٌ يَخْصُهُ يُبْلِغُهُ مَا فِي طَبْعِهِ وَيُؤَافِقُ

٨١ أمسح دموعي بمنديلك

لَعَلَّ اللَّهَ يَجْمَعُنَا قَرِيباً فَنُصْبِحَ فِي النَّشَامِ وَأَتَّفَاقِ
أَحَدُكُمُ بِأَعْجَبٍ مَا جَرَى لِي وَأَصْعَبُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْفِرَاقِ
خَبَأْتُ لَكُمْ حَدِيثاً فِي فُؤَادِي لِأَتَحِفَّكُمْ بِهِ عِنْدَ التَّلَاقِ

العاشق، وأيضاً غير العاشق، يختزن في غريته أحاديث في عقله، وقد يصوغها في
عبارات أيضاً، ويتحرق للقاء محبوبه كي يحدثه بها. وعبر عن ذلك بحرارة الشاعر
الأديب محسن الخياط عندما قال - وغتها عليّة التونسية في لحن حلبي بكر -: «بس
أما تبجي وأنا احكي لك ع اللي جري/وامسح دموعي بمنديلك ع اللي جري»

٨٢ عيني للطريق

وَزَعَمْتَ أَنْكَ زَائِرِي فَنَرَكْتُ عَيْنِي لِلطَّرِيقِ
وَتَرَكْتَنِي أَبْكِي عَلَيْهِ لَكَ مِنَ الْغُرُوبِ إِلَى الشَّرُوقِ
لَوْ أَنَّ لِي عَيْنَانِ تَنَا مُ قَنِعْتُ بِالطَّيْفِ الطَّرُوقِ
الطروق: الزائر ليلاً

٨٣ سلطان العاشقين الثاني

قال على طريقة المتصوفة:

سِرْتُ فِي الْحَبِّ سِيرَةً لَمْ يَسِرْهَا عَاشِقٌ فِي الْوَرَى عَلَى الْإِطْلَاقِ
وَدُعَاتِي تَجُولُ فِي كُلِّ أَرْضٍ وَطُبُولِي يَضْرِبُنَ فِي الْآفَاقِ

مَثَلُ الْعَاشِقُونَ فَوْقَ بِسَاطِي فِي مَقَامِ الْهَوَى وَتَحْتَ رِوَاقِي
ضُرِبَتْ سِكَّةُ الْمَحَبَّةِ بِاسْمِي وَدَعَتْ لِي مَنَابِرُ الْعِشَاقِ
السكة: النقود، فهو سلطان العشق ولا بد له من نقود تسك باسمه

كَانَ لِلْقَوْمِ فِي الزُّجَاجَةِ بَاقٍ أَنَا وَحْدِي شَرِبْتُ ذَاكَ الْبَاقِي
شَرِبَةً لَا أَزَالُ أَسْكُرُ مِنْهَا لَبِثَ شِعْرِي مَاذَا سَقَانِي السَّاقِي
أَنَا فِي الْحُبِّ أَلْطَفُ النَّاسِ مَعْنَى دَمِثُ الْخُلُقِ ذُو حَوَاشٍ رِقَاقِ
أَعَشَقُ الْحَسَنَ وَالْمَلَاخَةَ وَالظَّرَّ ف، وَأَهْوَى مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ

٨٤ تقبرني

تَعْبِثُ أَنْتَ وَتَبْقَى أَنَا الَّذِي مُتُّ حَقًّا
حَاشَاكَ يَا نَوْرَ عَيْنِي تَلَقَى الَّذِي أَنَا الْقَى
قَدْ كَانَ مَا كَانَ مِنِّي وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى
وَلَمْ أَجْذُبْ بَيْنَ مَوْتِي وَبَيْنَ هَجْرِكَ فَزُقَا
يَا أَنْعَمَ النَّاسِ بِالْأَسْقَى إِلَى مِنِّي فَبِكَ أَشْقَى
سَمِعْتُ عَنْكَ حَدِيثًا يَا رَبِّ لَا كَانَ صِدْقًا
حَاشَاكَ تَنْقُضُ عَهْدِي وَعُرْوَتِي فَبِكَ وَنُقَى
وَمَا عَهْدُكَ إِلَّا مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ خُلُقًا
يَا أَلْفَ مَوْلَايَ مَهْلًا يَمْوُتُ لَا شَكَّ عِشْقًا
لَمْ يَبْقَ مِنِّي إِلَّا بَقِيَّةٌ لَيْسَ تَبْقَى

٨٥ اتركوها لي

تَسَائِلُ عَنْ وَجْدِي بِهَا وَصَبَابَتِي فَقُلْتُ أَمَا يَكْفِيكَ مَوْتِي فَبِكَ
وَكَاثُ تُسَمِّنِي أَخَاهَا تَعْلَلًا فَقُلْتُ لَهَا: أَفَسَدْتَ عَقْلَ أَخِيكَ
تعللاً: تحججاً، هي تتحجج بتسميته أخاها كي تتدلل عليه. آه يا قلبي من هؤلاء النسوة اللاتي
يبدأن الحديث بيا أخي.. ليتهن بقين على ذلك، الآن صرن يقلن يا عمي

تَرَكْتُ جَمِيعَ النَّاسِ فِيكَ مَحَبَّةً فَبِأَيِّ لَيْتَ بَعْضَ النَّاسِ لِي تَرَكُوكِ

٨٦ أفنش في مكانك

قال يرثي ولده:

يَعِزُّ عَلَيَّ حِينَ أُدِيرُ عَيْنِي أَفْتَشُّ فِي مَكَانِكَ لَا أَرَاكَ
لَقَدْ عَجِلْتُ عَلَيْكَ يَدُ الْمَنَايَا وَمَا اسْتَوْفَيْتَ حَظَّكَ مِنْ صِبَاكَ
فَوَاسَفِي لِحَسْمِكَ كَيْفَ يَبْلَى وَيَنْهَبُ بَعْدَ بَهْجَتِهِ سَنَاكَ
فِيَا مَنْ قَدْ نَوَى سَفَرًا بَعِيدًا مَتَى قُلْ لِي رَجُوعُكَ مِنْ نَوَاكَ
فِيَا قَبَرَ الْحَبِيبِ وَوَدْتُ أَنِي حَمَلْتُ، وَلَوْ عَلَى عَيْنِي، ثَرَاكَ
سَقَاكَ الْغَيْثُ هَتَانًا وَالْأُ فَحَسْبُكَ مِنْ دُمُوعِي مَا سَقَاكَ

٨٧ شوق

أَيُّهَا الْغَائِبُ قَدْ آ نَ لِعَيْنِي أَنْ تَرَاكَ
لَسْتُ مُشْتَاقًا إِلَى شَيْءٍ مِنْ الدُّنْيَا سِوَاكَ

٨٨ ما أجملك!

وَيَحْكُ يَا قَلْبُ أَمَا قُلْتُ لَكَ إِيَّاكَ أَنْ تَهْلِكَ فَيَمُنَ هَلْكَ
وَلِي حَبِيبٌ لَمْ يَدْعُ مَسْلَكَ يُشِمْتُ بِي الْأَعْدَاءُ إِلَّا قَدْ سَلَّكَ
بِاللَّو يَا أَحْمَرَ خَدَيْهِ مَنْ عَضَّكَ، أَوْ أَدْمَاكَ، أَوْ أَخْجَلَكَ
مَوْلَايَ حَاشَاكَ تُرَى غَادِرًا مَا أَقْبَعَ الْغَدَرَ، وَمَا أَجْمَلَكَ

٨٩ ما أوقع عينك

كَمْ أَلَاقِي مِنْكَ مَا لَا أَشْتَهِي، لَا قَبِيَتْ حَيْنُكَ!
الْحَيْنُ: الموت

وَعَيُونُ النَّاسِ تَسْتَحْجِرُ بِي، وَمَا أَوْقَعَ عَيْنُكَ

الوقاحة في اللغة: الصلابة، وكانوا يصفون وجه المرء بأنه وقع، أي أنه صلب لا يحمر ولا يتعرق من خجل، وصار الناس يصفون العين بالوقاحة، وهذا قريب، فعين الوقح - حاشاك - لا تنكسر من الفعلة الشنعاء، تراه يرتكب في حقك ما يرتكب وينظر في بؤبؤ عينك بعين له صلبة لا تتحرك. عندما أصف الإسرائيليّين يطيب لي ألا أشير إلى إجرامهم، وهم مجرمون، ولا إلى سفالتهم، وهم سفلة، أقول فقط: ما أوقعهم!

لَعَنَ اللَّهُ طَرِيقاً جَمَعَتْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ

٩٠ الخروج من السباق

أَنَا أُدْرِى بِأَنْنِي قَلَّ قِسْمِي لَدَيْكُمْ
قَسْمِي: نصيبي

فَإِلَى كَمْ تَطْلُعِي وَالْثِفَاتِي إِلَيْكُمْ
مَنْ رَأَيْتِي يَرْقُ لِي ضَائِعاً فِي يَدَيْكُمْ
كَانَ مَا كَانَ بَيْنَنَا وَسَلَامٌ عَلَيْكُمْ

٩١ كشف القناع

يَا حُسْنَ بَعْضِ النَّاسِ مَهْلًا صَيَّرَتْ كُلَّ النَّاسِ قَتْلَى
أَمَرَتْ جَفْوَتَكَ بِالْهَوَى مِنْ كَانَ يَعْرِفُهُ وَمَنْ لَا..
وَكَشَفَتْ فَضْلَ قِنَاعِهِ بِيَدَيَّ عَنْ قَمَرٍ تَجَلَّى
فَلِئِمَّتُهُ فِي خَدِّهِ تَسْمِينَ أَوْ تَسْمِينَ إِلَّا
لثمت: قبْلته، تسعين قبله أو تسعين إلا قليلاً. نسب إلى امرؤ القيس «وقبلتها تسعاً وتسعين قبله/
رواحدة أخرى وكنت على عجل»

وَأَمَّا لَهَا مِنْ سَاعَةٍ مَا كَانَ أَطْيَبَهَا وَأَخْلَى

٩٢ ثَقِيل (٢)

رُبَّ ثَقِيلٍ لِبُغْضٍ طَلَعِهِ أَحْشَاءُ حَتَّى كَانَ أَجَلِي
وَكُلَّمَا قُلْتُ لَا أَشَاهِدُهُ أَلْقَاهُ حَتَّى كَانَهُ عَمَلِي
والمرء يلقى عمله في الآخرة، وقال المنشد متضرعاً إلى الله، من الدوبيت: «مولاي كَتَبَتْ رَحْمَةً
الناس عليك/ ما لي عمل يصلح بالعرض عليك/ إرحم ذلي ووقفتي بين يديك»

٩٣ وأسفا على إسماعيل

قال يمدح الأمير مجد الدين إسماعيل بن اللمطي وقد انفصل عن خدمته:
آيَاتُ مَجْدِكَ مَا لَهَا تَبْدِيلُ وَعُلُوُّ قَدْرِكَ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
فَاقَتْ صِفَاتِكَ كُلَّ جِيلٍ قَدْ مَضَى فِي الْعَالَمِينَ فَكَيْفَ هَذَا الْجِيلُ

يُعْزَى لَكَ الْإِحْسَانُ غَيْرَ مُدَافِعٍ والمحسنونَ كما علمتَ قليلُ
غير مدافع: لا أحد يدفع أو ينكر، هذا الفضل لك، فأنت فيه غير منازع

لا يبتغي الراجي إليك وسيلةً إلا الرجاء وأنت المأمولُ
حَسْبُ امْرِئٍ قَدْ فَازَ مِنْكَ بِمَوْعِدٍ فإذا وعدتَ فأنت إسماعيلُ
هذا هو الشرفُ الذي لا يُدعى هيهات، ما كُلُّ الرجالِ فُحولُ
يدعوك مملوكُ أراك مَلِيتَه أنا ذلك المملوكُ والمملولُ
كن كيف شئتَ فأنت أنت المُرْتَضَى فهوأي فيك هوأي ليسَ يحُولُ
أسْفَى على زمنٍ لديك قطعتهُ وكأئنني للفرقدينِ نَزِيلُ

الفرقدان: نجمان متلازمان قرب النجم القطبي

وكأئنا الأسحارُ منه عَنَبَرُ وكأئنا الأصالُ منه شَمُولُ
يشبه الأسحار، أواخر الليل، بالعنبر تشبيه وقت بلون، وكذا الأصال: وقت الغروب يشبها
بالشمول (الخمير) تشبيه وقت بلون

زمنٌ يَقِلُّ له البكاءُ لِفَقْدِهِ ولو أنْ دمعي دَجَلَةٌ والنيلُ
وإذا انتسبتُ بِخِدْمَتِي لَكَ سَابِقاً فكأنها لِي مَعْشَرٌ وَقَبِيلُ
قَصُرَتْ عَلَيْكَ ثِيَابُ كُلِّ مَدِيحَةٍ وذُبُولُهُنَّ عَلَى سِوَاكَ تَطُولُ
مديحة: قصيدة مدح. فمهما أطب الشاعر في مدحه فالقصيدة أقل من صفاته، وهي كالثوب
القصير، وعلى غيره فهذا الثوب تطول ذيلوه

واعلم بِأَنِّي عن صِفَاتِكَ عاجزُ واعذرُ سِوَايَ، وما عَسَاءُ يَقُولُ؟

٩٤ رتبي في العشق

لَعَلَّكَ تُضْغِي سَاعَةً وَأَقُولُ لقد غَابَ وَاشِ بَيْنَنَا وَعَدُولُ
وفي النفسِ حاجاتٌ إِلَيْكَ كَثِيرَةٌ أرى الشرحَ فيها والحديثَ يَطُولُ

تسويد أ. عبد الرحيم

بِعَيْشِكَ حَدَّثَنِي بِمَنْ قَتَلَ الْهُوَى فإني إلى ذاك الحديثِ أَمِيلُ
وما بلغَ العِشاقُ حالاً بَلَغْتُهَا هناك مَقَامٌ ما إليه سَبِيلُ

الحال في كلام الصوفيين: حالة المرء إذ يتتشي بالدروشة، والمقامات عند الصوفيين مثل الرتب
في الجيوش

وما كُلُّ مَخْضُوبٍ الْبَنَانِ بُعِيْنَةٌ وما كُلُّ مَسْلُوبٍ الْفَوَادِ جَمِيْلٌ
يزكي أ. عبد الرحيم تسويدي، ويضيف: «الله!»

أَحْبَابَنَا هَذَا الضَّنَى قَدْ أَلْفَتْهُ فلو زَالَ لاسْتَوْحِشْتُ حِينَ يَزُولُ
دَعُوا ذَكَرَ ذَاكَ الْعَنْبِ مِنَّا وَمِنْكُمْ إِلَى كَمْ كِتَابٍ بَيْنَنَا وَرَسُولُ
وَرُدُّوا نَسِيماً جَاءَ مِنْكُمْ يَزورُنِي فَلِئَنِّي عَلِيْلٌ وَالنَّسِيْمُ عَلِيْلٌ
أرجعوا هذا النسيم، فهو عليل (ضعيف أي لطيف لا يبلغ أن يكون ريحاً) وأنا عليل (مريض
بحكم)

٩٥ فلا نزل القطر

وَنَحْ صَبٌّ فِي مَحَبَّتِكُمْ كَثُرَتْ فِيهِ الْأَقَاوِيلُ
فإِلَى كَمْ أَنْتَ يَا سَكْنِي كُلُّ وَعْدٍ مِنْكَ مَمْطُوْلُ
وَإِذَا مَا مُتُّ مِنْ ظَمَمٍ لَا جَرَى مِنْ بَعْدِي النَّيْلُ
يلعن أ. عبد الرحيم، محققاً: يا لطيف!

٩٦ تدق هواء وتطحن ماء

وعَاذِلْ أَمِيرٍ بِالصَّبْرِ قَلْتُ لَهُ: إِنِّي وَحَقُّكَ مَشْغُولٌ عَنِ الْعَذَلِ
أَظَلْتُ عَذْلٌ مُحِبٌّ لَيْسَ يَقْبَلُهُ فَكَانَ أَضْيَعُ مِنْ دَمْعٍ عَلَى طَلَلِ

٩٧ اذكرني لديها

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِجَازِ وَأُنْثَنِي كَأَنِّي صَرِيْعٌ يَعْتَرِيهِ خَبَالُهُ
صريع: مصاب بنوبة صرع، خباله: جنونه
وَيَا صَاحِبِي بِالْخَيْفِ كُنْ لِي مُسْعِداً إِذَا آَنَ مِنْ ذَاكَ الْحَجَجِجِ ارْتَحَالُهُ
الخيف: مكان في بني، مسعد: مساعد

وَحُذْ جَانِبَ الْوَادِي كَذَا عَنْ يَمِينِهِ بَعِيْثُ الْقَنَا يَهْتَزُّ مِنْهُ طَوَالُهُ
لعله يعني أن المكان معمور بفرسان القبيلة الذين يرفعون القنا (الرماح) ويهزونها في وجه الغرباء
حماية للعرض

هُنَاكَ تَرَى بَيْتاً لَزِيْنَبَ مُشْرِفاً إِذَا جِئْتَ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ جَلَالُهُ

فَعَرَّضْ بِذِكْرِي حَيْثُ تَسْمَعُ زَيْنَبُ وَقُلْ لَيْسَ يَخْلُو سَاعَةً مِنْكَ بِأَلْهُ
عَسَاهَا إِذَا مَا مَرَّ ذِكْرِي بِسَمْعِهَا تَقُولُ: فَلَانَ عِنْدَكُمْ، كَيْفَ حَالُهُ؟

يعلق أ. عبد الرحيم على البيتين الأخيرين بـ «جميلان!» ولا ينسى أبداً إشارة التعجب. وكان بودي أن أنشئ، بادئاً، كلاماً كثيراً في بيان إعجابي بهذين البيتين، وتعجبي من وقوعهما للشاعر، ولأي شاعر، فهما عندي من كلام ربة الشعر، ألفت بهما في قلب شاعرنا كما هما. تتنابني كلما وصلت إلى «كيف حاله؟» حالة من الافتتان لا أستطيع لها تفسيراً

٩٨ ألف الوصل

أَقُولُ إِذْ أَبْصَرْتُهُ مُقْبِلًا مَعْتَدَلِ الْقَامَةِ وَالشَّكْلِ
يَا أَلْفًا مِنْ قَدْوٍ أَقْبَلَتْ بِأَلْفِهِ كُنُونِي أَلْفِ الْوَصْلِ

حتى هذان البيتان - على ما فيهما من إشارة إلى الحرف العربي - أصر بلمر على ترجمتهما، ودعم الترجمة بحاشية

٩٩ الحبيب السكران

قال البهاء من بحر السلسلة المستحدث، مجزوء اللوبيت:

يَا مَنْ لَعِبْتَ بِهِ الشُّمُولُ مَا أَلْطَفَ هَذِهِ الشَّمَائِلُ

الشمول: الخمر، الشمايل: الخصال

نَشَوَانُ يَهْزُهُ دَلَالٌ كَالْفَصْنِ مَعَ النَّسِيمِ مَائِلٌ
لَا يَمَكُنُهُ الْكَلَامُ لَكِنْ، قَدْ حَمَلَ طَرْقَهُ رَسَائِلُ
مَا أَطْيَبَ عَيْشُنَا وَأَهْنَا وَالْعَاذِلُ غَائِبٌ وَغَافِلُ
عَشَقٌ وَمَسَرَّةٌ وَسُكْرٌ وَالْعَقْلُ بِبَعْضِ ذَاكَ ذَاهِلُ
وَالْعَيْشُ كَمَا نَحْبُ صَافٍ وَالْأَنْسُ بِمَا نَحْبُ كَامِلُ
لِي فِيكَ وَقَدْ عَلِمْتَ عِشْقُ لَا يَفْهَمُ سِرَّهُ الْعَوَاذِلُ
فِي حَبْلِكَ قَدْ بَدَلْتُ رُوحِي إِنْ كُنْتَ لِمَا بَدَلْتُ قَابِلُ
هَذَا عَبْدُكَ وَاقِفٌ ذَلِيلُ بِالْبَابِ يَمُدُّ كَفَّ سَائِلُ
مِنْ وَصْلِكَ بِالْقَلِيلِ يَرْضَى أَلْطَلُّ مِنَ الْحَبِيبِ وَابِلُ

الطل: الرذاذ، الوايل: المطر الكثير. والقصيدة لها لحن قديم، وسترى شرحي في الأبيات والقصائد المقبلة مشتتاً لأن هذا اللحن صار الآن «دودة» في أذني، بحسب تعبير الألمان، وسأرده مكرهاً بيني وبين نفسي

١٠٠ توبة آخر العمر

وقال من بحر السلسلة، وقد أطلق بعضهم على السلسلة اسم الدوبيت، وعكس بعض،
ولهم في تقاعيل هذين الضربين أقوال:

ما أعظمَ حسرتي لِعُمْرٍ	قد ضاعَ ولم أَفْزُ بِطائِلٍ
قد عَزَّ عليَّ سوءُ حالي	ما بفعلٍ ما فعلتُ عاقِلٍ
يا ربِّ وَأَنْتَ بي رَحِيمٌ	قد جُنْتُكَ راجِياً وَآمِلٌ
يا أَكْرَمَ مَنْ رَجَاهُ راجٍ	عن بابِكَ لا بُرْدُ سائِلٍ

١٠١ الله لا الفلك

دَعُوا الوُشَاةَ وما قالوا وما نَقَلُوا	بيني وبينكُم ما ليس ينفصلُ
لَكُمْ سرائِرُ في قلبي مَخْبِئَةً	لا الكُتُبُ تنفَعُنِي فيها ولا الرسلُ

سراير: أسرار. تسويد أ. عبد الرحيم

أُنْسِي وَأصْبِحُ والأشواقُ تلعبُ بي	كأنما أنا منها شاربٌ تَمِلُ
فيا رسولي إلى مَنْ لا أبوحُ به	إنَّ المُهَمَّاتِ فيها يُعرفُ الرجلُ
بَلِّغْ سلامي وبالِغْ في الخِطابِ له	وقَبْلِ الأرضِ عني عندما تَصِلُ
باللَّهِ عَرَفُهُ حالي إنْ خَلَوْتُ به	ولا تُطِلْ فحبيبي عنده مَلَلُ
دَعِ الثَّوانِي في أمرٍ تَهْمُ به	فإنَّ صَرْفَ الليالي سائقٌ عَجَلُ
واهِزِّمِ متى شئتَ، فالأوقاتُ واحدةٌ	لا الرِّيثُ يدفعُ مقدوراً ولا العَجَلُ

لا تؤجل عملاً بحجة أن الوقت غداً أنسب منه اليوم فالأوقات واحدة، فلا الريث (البطء) ولا العجل (السرعة) مما يغير القدر

لا تَرْتُبِ النَّجْمَ في أمرٍ تحاولُه	فاللَّهُ يفعلُ، لا جَدِّي ولا حَمَلُ
---------------------------------------	--------------------------------------

١٠٢ إن بعض الظن..

مَالَهُ عَنِّي مالا	وَتَجَنَّى فَأَطالا
أَتَسَرَّى ذاك دلالاً	مِنْ حَبِيبِي أَوْ مَلالا
هو معذورٌ رأى النسا	مَنْ يَقُولُونَ فَقالا
سبدي لم يُبْقِ لي هجـ	رُكَّ بَيْنَ النَّاسِ حالاً

أَنْتَ رُوحِي لَا أَرَى لِي عَنْكَ يَا رُوحِي انْفَصَالَا
لَا وَحَقُّ اللَّهِ مَا ظَنُّهُ - لَكَ فِي حَقِّي حَلَالَا
إِنْ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ صَدَقَ اللَّهُ تَعَالَى

١٠٣ غربة وكربة

إِلَى كَم فُرَقْتِي، وَكَمْ ارْتَحَالِي؟ فَلَا أَشْكُو لِغَيْرِ اللَّهِ حَالِي
تُجَدِّدُ لِي الْحَوَادِثَ كُلَّ يَوْمٍ رَحِيلاً قَطُّ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِي
وَمَا عَيْشُ الْغَرِيبِ بِإِلَا عِيَالٍ كَعَيْشِ الْقَاطِنِينَ ذَوِي الْعِيَالِ

١٠٤ قضاء الحاجات

وَمِنْ خُلُقِي الْمَشْهُورِ، مَذْكَتُ، أَنَّنِي لِغَيْرِ حَبِيبٍ قَطُّ لَمْ أَتَذَلَّلَا
وَلَمْ يَكُنِ الْعَرَبُ يَخْجُلُونَ مِنَ التَّذَلُّلِ لِلْحَبِيبَةِ

فَمَا فَاتَنِي حَظِّي مِنَ اللَّهْوِ وَالصَّبَا وَمَا فَاتَنِي حَظِّي مِنَ الْمَجْدِ وَالْعُلَى
وَيَا رَبِّ دَاعٍ قَدْ دَعَانِي لِحَاجَةٍ فَعَلْتُ لَهُ فَوْقَ الَّذِي كَانَ أَمَلَا
بَسَطْتُ لَهُ وَجْهًا حَبِيبًا وَمَنْطِقًا وَفِيًّا وَمَعْرُوفًا هَنِيئًا مَعْجَلَا
وَرَاخَ بَرَانِي مَنِعًا مَتَفَضَّلًا وَرَحْتُ أَرَاهُ الْمَنَعَمَ الْمَتَفَضَّلَا

١٠٥ الكبير عبر

أَتَرِيدُ فِي السَّبْعِينَ مَا قَدْ كُنْتُ فِي الْعَشْرِينَ فَاعِلُ
هِيَ هَاتِ، لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثَ عَاقِلُ

١٠٦ خيبة

عَرَفَ الْحَبِيبُ مَكَانَهُ فَتَذَلَّلَا وَقِنِعْتُ مِنْهُ بِمَوْعِدٍ فَتَعَلَّلَا
مَكَانَهُ: مَكَانَتُهُ، تَعَلَّلَ: تَحَجَّجَ

وَأَتَى الرَّسُولُ وَلَمْ أَجِدْ فِي وَجْهِهِ بِشْرًا كَمَا قَدْ كُنْتُ أَعْهَدُ أَوَّلَا

١٠٧ في وصف بغلة

لَكَ يَا صَدِيقِي بَغْلَةٌ لَيْسَتْ تُسَاوِي خَزْدَلَةً

مقدارُ خُطوتِها الطويلِ لِمَ حينَ تُسرِعُ أنْملِكَ
تَهتَزُّ وَهِيَ مَكَانُهَا فكأنَّما هِيَ زَلْزَلَةٌ
أَشْبَهَتْهَا بَلْ أَشْبَهَتْ كَ كَأَنَّ بَيْنَكُمَا صِلَةٌ
تَحْكِي صِفَاتِكَ فِي الثَّقَا لَةِ وَالْمَهَانَةِ وَالْبَلَّةِ

١٠٨ دعوة حبيب

قُمْ بِنا قَدْ طَلَعَ الْفَجْ رُ وَقَدْ أَشْرَقَ نَجْمُهُ
عِنْدَنَا وَرَزْدٌ جَنِيٌّ يُنْعِشُ الْمَيِّتَ شَمُّهُ
جَنِيٌّ: رطبٌ جَنِيٌّ لوقتِه

فَأَجِبْ دَعْوَةَ دَاعٍ أَنْتَ مِنْ دُنْيَاهُ سَهْمُهُ
سَهْمُهُ: نصيبه

فَإِذَا جِئْتَ وَغَابَ النَّـ سٌ طَبْرًا لَا يَهُمُّهُ

١٠٩ في وصف فرس

وَلِي قَرَسٌ أَنْتَ الْعَلِيمُ بِحَالِهَا وبالرغمِ مِنِّي رَبْطُهَا وَمُقَامُهَا
رَبْطُهَا: ارتباطي إياها، واتخاذي إياها مطية

وَلَمْ يُبْقِ مِنْهَا الْجَهْدُ إِلَّا بَقِيَّةٌ فيغْدُو عليها أو يروحُ جِمامُهَا
أي قد تموت في صباحها أو في مساءها

شَكَّنْتَنِي لِكُلِّ النَّاسِ وَهِيَ بِهِيْمَةٌ ولكنْ، لها حَالٌ فَصِيحٌ كَلَامُهَا
شككتني بلسان حالها إذ فقدت لسان مقالها

١١٠ سيحدثن لمن ودعتهم ندم

قال البهاء زهير يمدح مجد الدين بن إسماعيل بن اللطفي سنة ٦٢٩ ويلومه:
أَأَنْكِرُ مَا أَوْلَيْتَنِي مِنْ مَوَاهِبٍ يُقَرُّ بِهَا مِنْ جِسْمِي اللَّحْمُ وَالْدَّمُ
مَوَاهِبٌ: هبات

وَلِي فِي بِلَادِ اللَّهِ مَسْرَى وَمَسْرَحٌ وَلِي مِنْ عَطَاءِ اللَّهِ مَغْنَى وَمَغْنَمُ
وَأَعْلَمُ أَنِّي عَالِطٌ فِي فِرَاقِكُمْ وَأَنْتُمْ فِي ذَاكَ مِثْلِي وَأَعْظَمُ

فَلَا طَابَ لِي عَنْكُمْ مَقَامٌ وَمَوْطِنٌ وَلَوْ ضَمَّنِي فِيهِ الْمَقَامُ وَزَمَزَمُ

المقام الثانية: مقام إبراهيم في الحرم المكي

وَمِثْلُكَ لَا يَأْسَى عَلَى فَقْدِ كَاتِبٍ وَلَكِنَّهُ يَأْسَى عَلَيْكَ وَيُسَدِّمُ
فَمَنْ ذَا الَّذِي تُدْنِيهِ مِنْكَ وَتَصْطَفِي فَيَكْتُبُ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَيَكْتُمُ

يوحى إليك: يخطر ببالك

وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْضِيكَ مِنْهُ فَطَائِفَةٌ تَقُولُ فَيَذَرِي، أَوْ تَشِيرُ فَيَفْهَمُ
وَمَا كُلُّ أَزْهَارِ الرِّبَاضِ أَرْجَبَةُ وَمَا كُلُّ أَطْيَارِ الْفَلَاحِ تَنْزَرُّمُ

١١١ أحبها وأفتخر

صَدَقَ الْوَاشُونَ فِيمَا زَعَمُوا أَنَا مُغْرَى بِهَوَاهَا مُغْرَمُ
غَلَبَ الْوَجْدُ فَلَا أَكْثُمُهُ إِنَّمَا يُكْتَمُ مَا يُكْتَتَمُ
تَعِبَ الْعُدَّالُ بِي فِي حُبِّهَا قُضِيَ الْأَمْرُ وَجَفَّ الْقَلَمُ

جف القلم: أصل التعبير أن ما كتب في اللوح المحفوظ لا يتغير، فالله قدر كل شيء تقديرًا. وهنا جف القلم أي انتهى الأمر

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ وَجْدِي بِهَا إِنَّهُ أَعْظَمُ مِمَّا نَزَعُمُ
ظَنَّ خَيْرًا بَيْنَنَا أَوْ غَيْرَهُ فَحَبِيبِي فِيهِ تَحَلُّو الثُّهْمُ

١١٢ بيتان للصعيد

وَيَرْتَاخُ قَلْبِي لِلصَّعِيدِ وَأَهْلِهِ وَعَيْشُ مَضَى لِي عِنْدَهُمْ وَمُقَامُ
وَأَهْوَى وَرُودَ النِّيلِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَمُرُّ عَلَى قَوْمٍ عَلَيَّ كَرَامُ

١١٣ ثقیل (٣)

كَلِمَا قُلْتُ اسْتَرْخْنَا جَاءَنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ
فَاعْتَرَانَا كُلَّنَا مِنْهُ هَ انْقِبَاضُ وَاحْتِشَامُ
فَهَوَ فِي الْمَجْلِسِ قَدَمٌ وَلِنَا فَهَوٌ فِدَامُ

قدم: بليد الفهم، فدام: سداد يوضع على فم الإبريق، فالشيخ يسد أفواه من بالمجلس إذ يصمتون لحضوره

وَعَلَى الْجَمْلَةِ فَالشَّيْخُ خُ ثَقِيلٌ وَالسَّلَامُ

١١٤ هوّن عليك

أيها الحامل مَمَّا إن هذا لا يسـدوم
مثلما تَفَنَّى المسرا ث، كذا تَفَنَّى الهُموم
إن قسا الدهرُ فإنَّ اللَّـهَ هـ بالناسِ رحيم
أو ترى الخطبَ عظيمًا فكذا الأجرُ عظيم

١١٥ عليها الصلاة والصوم

رَقَّ في الجوِّ النسيمُ فتفضّل يا نديم
وكانَ الفجرَ نهرٌ غرقت فيه النجوم
فاجلُ بالصَّهباءِ ليلاً بقيت منه رؤوم
واسبقِ الشَّمسَ بشمسٍ لا تُوارِيها الغيوم
قَهوة رَقَّتْ مَما في كأسيها إلا نسيم

قهوة: خمر

بنتِ كرمٍ لم يَفُزَ قَطُّ - بها إلا الكَريمُ
وعلى طينَتِها مِن سالفِ الدهرِ خُثومُ

كانوا يطيبون دن الخمر الكبير إمعاناً في تعتيق الخمر في الظلمة الشديدة، ولعلمهم كانوا يخبثون عليها، قال ابن الحجاج: «رسموا طين دنها وهو رطب/باسم كسرى كسرى أنوشروان»

لم يَزَلْ عندَ المجوسي - لها قَذَرٌ عظيم
ولها الراهبُ في الدي - رٍ يُصَلِّي ويصوم

١١٦ إمام العاشقين

لا تَسَلْ في الحبِّ غيري أنا في الحبِّ إمام
لي فيه مذهبٌ يث - بَعُنِي فيه الأنام
أيها العاشقُ إنَّ ال - عشقَ مِن بعدي حرام
كلُّ نارٍ، غيرَ نارِ ال - عشقٍ، بردٌ وسلام

١١٧ اذكره كيفما كان

أَيُّهَا اللَّائِمُ فِيهِ لَا تَقْصُرْ فِي مَلَامِي
فيه: في حبه

فَمَتَى كَرَّرْتَ ذِكْرَا هُ يَزِدُ فِيهِ غَرَامِي

١١٨ من لي سواك

مَنْ لِي سِوَاكَ إِذَا شَكُوْتُ لَكَ، يَرْقُ وَيَرْحَمُ
قَدْ مَتُّ مِنْ شَوْقِي إِلَيْكَ، تَعِيشُ أَنْتَ وَتَسْلَمُ

١١٩ جنته المنصب

وَرَثِيْسٍ ذِي خِصَّةٍ كُلُّ مَنْ شِئْتَ لَائِمُهُ
جَنَّتُهُ وَلَايَةُ قَلِّ فِيهَا مُسَالِمُهُ
قَلْتُ إِذْ رَاحَ غَارِقَا فِي بِحَارِ ثُلَاطِمُهُ
عَنْ قَرِيبٍ تَرَوْنَ حَا سِدَّهُ وَهُوَ رَاحِمُهُ

بعد عزله المرتقب سيرحه (يشفق عليه) من كان يحسده

١٢٠ قلب ذو أمكنة

وَمَا حَلَّ عِنْدِي غَيْرُكُمْ فِي مَكَانِكُمْ لِكُلِّ حَبِيبٍ فِي الْفَوَادِ مَكَانُ

١٢١ إن جاءها الأعمى

خُذْ فَارْغَا وَهَاتِهِ مَلَانَا مِنْ قَهْوَةٍ قَدْ عُنُقَتْ أَزْمَانَا
أَقْلُ مَا مَلَكَهَا مَالِكُهَا أَنْ لَحِقَتْ عَهْدَ أَنْوْثِرَوَانَا
ذَخِيرَةُ الرَّاهِبِ كَيْ يَجْعَلَهَا، إِذَا أَتَتْ أَعْبَادُهُ، قُرْبَانَا
نِكَادُ مِنْ لَأَلَائِهَا إِذْ بَدَتْ تَهْدِي إِلَى مَكَانِهَا الْعُمَيَانَا
وَلِي نَدِيمٌ مَاجِدٌ لَا أَرْضِي عَنْهُ بَدِيلًا كَائِنًا مِنْ كَانَا
أَخُو فُكَاهَاتٍ مَتَى حَاضَرْتُهُ فِي مَجْلِسٍ وَجَدْتُهُ بُسْتَانَا

حاضرتة: ناقلته الأحاديث. والمحاضرة عند القدماء تبادل الأحاديث بين «الحاضرين»، وجعلوا كثيراً من كتبهم مملوءاً بالنوادر اللائقة بمجالس الأمراء، وسموا بعض هذه الكتب محاضرات. والمحاضرة اليوم صارت - في غرب وشرق -

حديثاً طويلاً مملولاً يلقيه شخص بليد على مستمعين يجاهدون في رفع جفونهم،
وتسقط بين الفينة والفينة. وعندما يحين وقت الأسئلة يتصدى لها أسخف الحاضرين
وأشدهم طاووسية، فيلقي محاضرة من عنده، ويعوذها بسؤال ليس بسؤال

١٢٢ لم يبق غيرك فلا تتغير

لَمْ يَبْقَ لِي إِلَّا كَ خَلٍّ مُخْسِنٌ وَعَسَاكَ أَنْ تَبْقَى عَلَى الْإِحْسَانِ
إِنِّي لَأَعْجَزُ أَنْ أَرَى مُتَحَمِّلاً عَدْرَيْنِ: عَدْرَ أَخٍ وَعَدْرَ زَمَانٍ

١٢٣ المكان والإمكان

وقال يمدح الملك المسعود صلاح الدين أبا المظفر يوسف ابن الملك الكامل سنة ٦٢٠:

لَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ مَكَانٌ وَإِمَّاكَانٌ وَمُلْكٌ لَهُ تَعْنُو الْمُلُوكُ، وَسُلْطَانُ
تَعْنُو: تخضع

فَحَسْبُكَ قَدْ وَافَاكَ يَا مِصْرُ يَوْسُفَ وَحَسْبُكَ قَدْ وَافَاكَ يَا نَيْلُ طُوفَانُ
فالممدوح لمصر كيوسف النبي الذي كان وزيراً يدير شؤون المملكة

بِعِزِّمُ تَخَافُ الْأَرْضُ شِدَّةَ وَقْعِهِ وَبِرَتَاغِ ثَهْلَانٍ لَهُ، وَهُوَ ثَهْلَانُ
ثهلان: من جبال العرب

وَتُمْلَأُ أَحْشَاءُ الْبِلَادِ مَخَافَةً وَتَرْتَجُّ بَغْدَادُ لَهُ وَخُرَاسَانُ
فَأَمَّنْتَ تِلْكَ الْأَرْضَ مِنْ كُلِّ رَوْعَةٍ وَقَدْ عَمَّهَا ظُلْمٌ كَثِيرٌ وَطُغْيَانُ
الروعة: الخوف

وَهُمْ يَصِفُونَ الرِّمَحَ أَسْمَرَ ظَامِباً فَهَذَا هُوَ مُحَمَّرٌ لَدَيْكَ وَرِيَانُ
تصف العرب الرمح بأنه أسمر وظامئ (جاف)، ولكن رمح الممدوح محمر وقد ارتوى بدم الأعداء

لَعَمْرُكَ مَا فِي الْقَوْمِ بَعْدِي قَائِلٌ فَهَذَا مَجَالٌ لِلْجِيَادِ وَمِيدَانُ
فَدَغَ كُلُّ مَاءٍ حِينَ يُذَكَّرُ زَمْزَمَ وَدَغَ كُلُّ وَادٍ حِينَ يُذَكَّرُ نَعْمَانُ
نعمان: الوادي الذي تفضوع بطنه مسكاً عندما به مرت زينب وصويحباتها

١٢٤ اذكر الله

أَخْلِصْ لِرَبِّكَ فِيمَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ وَلَيْتَفِقَ مِنْكَ إِسْرَارٌ وَإِعْلَانُ
فَكُلُّ فِكْرٍ لِنَغِيرِ اللَّهِ وَسَوْسَةٌ وَكُلُّ ذِكْرٍ لِنَغِيرِ اللَّهِ نَسِيَانُ

سمعَ الناسُ وقُلنا	وافتَضَحنا واسترخنا
بِتِّ والبَذْرُ نديمي	فَفَعَلنا وتَرَكنا
راحَ يدْعُونَا التَّصَابِي	فَسَمِعنا وأطعنا
وجمَلنا يَقيِنَا	بِعَمَلما قد كان ظَنَّا
لي حبيبٌ لي منه	كُلُّ شَيْءٍ أَتَمُنِّي
فَهُوَ بَدْرٌ يَتَجَلَّى	وَقَوَّ غُضُنُّ يَتَثَنِّي
كان غضباناً فلَمَّا	أن تلاقينا اصطَلَحنا

١٢٦ وفاء

لي صاحبٌ غبْتُ عنه	ولسْتُ أَذْكَرُ مَنْ هُوَ
سَمِعْتُ عنه حديثاً	أَعَاذَنَا اللّهُ مِنْهُ
فَكَمْ أَكَابِرُ عنه	والقولُ يَكْثُرُ عنه
هذا لِيَعْلَمَ أَنِي	في غَيْبِهِ لَمْ أَخُنْهُ

١٢٧ صفحة جديدة

مِنَ اليَوْمِ نَعَارَفُنَا وَنَطْوِي مَا جَرَى مِنَّا
أي كأننا ما تعارفنا إلا اليوم

ولا كَانَ ولا صَارَ	ولا قَلْتُ ولا قُلنا
وإن كَانَ ولا بُدَّ	مِنَ الْعَثْبِ قِبَالَ حُسْنِي
فقد قِيلَ لنا عَنْكُمْ	وقد قِيلَ لَكُمْ عَنَّا
وما أَحْسَنَ أن نَرْجِعَ	عَ لِلْوَصْلِ كَمَا كُنَّا

١٢٨ نم بعيني

قال يرثي فتح الدين عثمان بن حسام الدين والي الإسكندرية، وتوفي ٦٣١:
لقد دَفَنَ الأَقْوَامُ يَوْمَ وفَاتِهِ بَقِيَّةَ معروفٍ وخيرٍ وإحسانٍ

وَوَارَوْهُ وَالذَّكْرَى تُمَثِّلُ شَخْصَهُ كَأَنَّهُمْ وَارَوْهُ مَا بَيْنَ أَجْفَانِي
قال بدوي الجبل يرثي سعد الله الجابري: «ثم بعيني فقد فرشت لك الأحلام مخضلة الورود
طريقاً» ولا نراه سرق المعنى

يُواجِهْنِي أَيْنَ اتَّجَهْتُ خِيَالُهُ كَمَا كُنْتُ أَلْقَاهُ قَدِيمًا وَيَلْقَانِي

١٢٩ في باب الكريم

كَانَ الْبَيَاضُ يَرَوْقُنِي حَتَّى رَأَيْتُ الشَّيْبَ مِنِّي
وَيُقَالُ إِنَّكَ قَدْ كَبِرَ تَ عَنْ الْهَوَى فَأَقُولُ إِنِّي..
وَأَظْلُّ أَقْرَعُ دَائِمًا سِنِّي إِذَا حَقَّقْتُ سِنِّي
قرع السن: كناية عن الندم

حَتَّى انْقَضَى زَمَنُ الصَّبَا فَخَرَجْتُ مِنْ حَزَنِ لِحْزَنِ
وَلَقَدْ صَحَوْتُ، وَتُبْتُ عَنْ خَمْرِ الْهَوَى، وَكَسَرْتُ دَنِّي
وَوَقَفْتُ فِي بَابِ الْكَرِيمِ مِمَّ عَسَاهُ يَسْمَحُ لِي بِإِذْنِ
تعليق أ. عبد الرحيم على البيتين الأخيرين: «عاليان جداً صوفياً»

١٣٠ الغائب ما له نائب

مَا الْعَقْلُ إِلَّا زِينَةٌ سَبْحَانَ مَنْ أَخْلَاكَ مِنْهُ
فَسِمَتْ عَلَى النَّاسِ الْعَقْوُ لُ، وَكَانَ أَمْرًا غَبَتْ عَنْهُ

١٣١ حيائي كافلي

أَحِبُّ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا كَانَ فَائِقًا وَمَا الدُّونُ إِلَّا مَنْ يَمْبِلُ لِدُونِ

كان أديب فلسطين خليل السكاكيني يتخذ هذا البيت شعاراً. تجد في الطبقات
الوسطى ناساً كثيرين يشمخون ويتشبهون بالأثرياء، فلا يلبسون إلا ما غلا ثمنه، ولا
يأكلون إلا أطيب طعام، كأنهم يصرخون بأعلى صوتهم: «نحن لا نتسبب إلى تحت،
بل إلى فوق». ثم قد ترى الشاب الثري فاحشاً والفقير فقراً مدقماً يأكلان من
خشف الطعام ويلبسان الممزق. الطبقة الوسطى أتعبت كارل ماركس كثيراً

وَأَهْجُرُ شُرْبَ الْمَاءِ غَيْرَ مُصَفَّقٍ زُلَالٍ وَأَكُلُ اللَّحْمَ غَيْرَ سَمِينِ
المصفق: المصفى، والزلال: الصافي، اللحم السمين: ذو الدهن، وكان مفضلاً قبل اختراع
الكولسترول

وَإِنْ قَبِلَ لِي هَذَا رَخِصَ تَرْكُهُ وَلَا أَرْتَضِي إِلَّا بِكُلِّ ثَمِينٍ
إِذَا قُلْتُ قَوْلًا كُنْتُ لِلْقَوْلِ فَاعِلًا وَكَانَ حِبَائِي كَافِلِي وَضَمِينِي

١٣٢ دع الطابق مستوراً

مَا قُلْتَ أَنْتَ وَلَا سَمِعْتُ أَنَا هَذَا كَلَامٌ لَا يَلِيقُ بِنَا
إِنَّ الْكَرَامَ إِذَا صَحَبَتْهُمْ سَتَرُوا الْقَبِيحَ وَأَظْهَرُوا الْحَسَنَا

١٣٣ كاد..

لِللَّهِ غَانِيَةٌ يَوْمًا خَلَوْتُ بِهَا فِي مَجْلِسٍ غَابَ عَنَّا فِيهِ وَاشْهَبَا
كُلُّ لُحَاةٍ مِنْ وَضَلِ صَاحِبِهِ لَوْلَا يَسِيرُ حَيَاءٍ كَادَ بِقَضِيهَا
وَلِلْمَعْبُودِينَ رِسَالَاتٌ مُرَدَّدَةٌ تَدْرِي الْقُلُوبَ مَعَانِيهَا وَتُخْفِيهَا

١٣٤ عيون وأفواه

أَفْدِي حَبِيبًا لِسَانِي لَيْسَ يَذْكُرُهُ خَوْفَ الْوُشَاةِ وَقَلْبِي لَيْسَ يَنْسَاهُ
وَالنَّاسُ فِينَا بَعْضُ الْقَوْلِ قَدْ لَهَجُوا لَوْ صَحَّ مَا ذَكَّرُوا مَا كُنْتُ أَبَاهُ
لهجوا: تكلموا كثيراً، أباه: أرفضه

كَادَتْ عَيْوُنُهُمْ بِالْبُغْضِ تَنْطِقُ لِي حَتَّى كَأَنَّ عَيْوَنَ الْقَوْمِ أَفْوَاهُ

١٣٥ كسر الجرة

وَعَرَّضْتُمْ بِأَفْوَالٍ وَمَا نَجْهَلُ مَعْنَاهَا
نَبَشْتُمْ بَيْنَنَا أَشْيَا كُنَّا قَدْ دَقَّنَاهَا
وَكَمْ جَاءَتْ لَنَا عَنْكُمْ أَحَادِيثُ رَدَدْنَاهَا
وَأَشْيَاءُ رَأَيْنَاهَا وَقَلْنَا مَا رَأَيْنَاهَا
فَلَا وَاللَّهِ مَا يَخْسُ بَيْنَ النَّاسِ ذِكْرَاهَا
قَرَأْنَا سُورَةَ الشُّلُوكِ نِ عَنْكُمْ، بَلْ حَفِظْنَاهَا

أي سلوناكم ونسيناكم

وَمَا زِلْتُمْ بِنَا حَتَّى جَسَرْنَا وَقَمَلْنَاهَا

فَرَجُلٌ تَطْلُبُ الْمَسْمَى إِلَيْكُمْ قَدْ مَنَعْنَاهَا
وَعَيْنٌ تَتَمَنَّى أَنْ تَرَاكُمْ قَدْ عَضَضْنَاهَا
وَنَفْسٌ كُلَّمَا اشْتَاقَتْ لِقِيَاكُمْ زَجَرْنَاهَا
وَكَانَتْ بَيْنَنَا طَاقٌ فَهَذَا نَحْنُ سَلَدْنَاهَا

طاق: نافذة

وَلَوْ أَنَّكُمْ جِئْنَا ثَعْدُنِ مَا دَخَلْنَاهَا

١٣٦ في انتظارك .. وعلى مهلك

وَلَمْ أَرْ مَنْ لَهُ حَالٌ كَحَالِي فَأَعْرِفَ فِي الصَّبَابَةِ لِي شَبِيهَا
فَجَذِبَ رِضَاكَ إِنْ رِضَاكَ عَنِّي لَأَعْظِمُ شَهْوَةً أَنَا أَشْتَهِيهَا
وَلِي وَعْدٌ إِلَى سَنَةٍ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا، يَكُنْ فِيمَا يَلِيهَا

١٣٧ غاب القط

رَحَلَ الْوَاشُونَ عَنَا شَكَرَ اللَّهُ الْمَطَايَا
المطايا: الإبل التي ذهبت بهم

خَرَجْتُ تِلْكَ الْأَحَادِيدَ ثُ الثَّيِّ كَانَتْ خَبَايَا
برزت للعلن أحايث الغرام التي كانت مخبأة

وَأَتَيْنَا رُسُلَ الْأَحَدِ بَابَ مِنْهُمْ بِالْهَدَايَا
كَانَ مَا كَانَ، وَمِنْهُ بَعْدُ فِي النَّفْسِ بَقَايَا

١٣٨ شيء في الزاوية

قَالُوا كَبُرَتْ عَنِ الصَّبَا وَقَطَعْتَ تِلْكَ النَّاحِيَةَ
فَدَعِ الصَّبَا لِرَجَالِهِ وَاخْلَعْ ثِيَابَ الْعَارِيَةِ
ثياب العارية: الثياب المستعارة

وَنَعَمْ، كَبُرَتْ وَإِنَّمَا تِلْكَ الشَّمَائِلُ بِأَوِيَةِ
وَيَفُوحُ مِنْ عِظْفِي أَنَا فَاسْ الشَّبَابِ كَمَا هِيَ
عظفي: جانبي

وَيَمِيلُ بِي نَحْوَ الصُّبَا قَلْبٌ رَقِيقٌ الْحَاشِيَّةُ
فَبِهِ مِنَ الطَّرَبِ الْقَدِيدِ سَمَ بِقِيَّةٌ فِي الزَّائِيَّةِ
«في الزاوية» هذه فيها ظرف كثير

١٣٩ امتطاء المعصية

وَقَرَسَ عَلَى الْمَسَا وَيِ كُلُّهَا مُخْتَوِيَّةُ
وَلَيْسَ فِيهَا خَصْلَةٌ وَاجِدَةٌ مُسْتَوِيَّةُ
مُسْتَقْبَحٌ رَكُوبُهَا مِثْلَ رَكُوبِ الْمَعْصِيَّةِ

١٤٠ فرصة وضاعت

لَوْ تَرَانِي وَحَبِيبِي عِنْدَمَا فَرَّ مِثْلَ الظَّبْيِ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ
وَمَضَى يَغْدُو وَأَعْدُو خَلَفَهُ وَتَرَانَا قَدْ طَوَيْنَا الْأَرْضَ طَيَّ
قَالَ: مَا تَرْجِعُ عَنِّي؟ قُلْتُ لَا، قَالَ مَا تَطْلُبُ مِنِّي؟ قُلْتُ: شَيْ
فَانْتَنَى يَحْمَرُّ مِنِّي خَجَلًا وَتَنَاءُ الثَّيْبِ عَنِّي، لَا إِلَيَّ
كَدْتُ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ أَلْثِمَهُ أَوْ لَوْ أَفْعَلُ، مَا كَانَ عَلَيَّ؟

الثمة: أقبَّله

فهرس القوافي، البهاء زهير (القافية، فرقم القطعة)

٢٢	نَبَعْتُهُ	١	عنائي
١٨	حَسَنَاتِهِ	١٥	مُتَرَقِّبًا
٢٣	كَفَايَتِهِ	٨	وأطيبًا
٢٤	أَحْنَتْ	١٢	ومرحبًا
٢٥	نَالَتْ	٢	وَهَبًا
٢٦	الْفَرْجَا	١٣	تَغِيْبُ
٣١	قَدَحَا	١٠	عَجِيْبُ
٢٨	الْقَبِيحِ	٦	مُخَيَّبُ
٢٩	صَحِيحِ	٧	يُجِيْبُ
٣٠	الصَّالِحَةُ	١٤	الحسابِ
٢٧	يُبيِّحُهُ	٣	صَحْبِي
٣٤	إِخْدَى	١١	نَصِيْبِي
٣٦	أَرْقُدَا	٩	وحاجِبِ
٣٢	تَقْلِيْدًا	٤	يَتَعَتَّبُ
٤٨	فَصَاعِدَا	٥	وكلاُبُهَا
٤٢	الْجَدِيْدُ	١٧	مَتَى
٣٨	جَدِيْدُ	٢٠	مُنْصَلِتُ
٤٥	طَارِدُ	٢١	بِالْآيَاتِ
٤٣	يَتَجَدَّدُ	١٩	لَيْلَتِي
٣٧	يَعْوُدُ	١٦	عَشِيْقَتُ

٧٠	الناسِ	٤١	خَدِي
٧١	راضٍ	٣٩	لِعِنَادٍ
٧٢	وَالْخَفْضِ	٤٧	يَزِيدُ
٧٥	نَفْعًا	٤٠	وَعَدُ
٧٣	فَاجِعِي	٣٥	عِنْدَكَ
٧٤	مُشْعِشَةً	٤٤	عِنْدَكَ
٧٧	مُذْنَقًا	٤٦	وَحَدَكَ
٧٦	أَعْرِفُ	٣٣	لِعِبَادِهِ
٧٨	وَيُخْلِفُ	٥٠	جَرَى
٨٤٠	حَقًّا	٥٥	خَبَرًا
٧٩	وَالْتَقَى	٥٩	وَالْجَمْرَا
٨٠	شَائِقُ	٥٦	تَدُورُ
٨٣	الْإِطْلَاقِ	٦٣	تَدُورُ
٨٢	لِلطَّرِيقِ	٥٢	وَأَشْكُرُ
٨١	وَاتَّفَاقِ	٥٧	يُثْمِرُ
٨٦	أَرَاكَ	٥٤	يَخْطُرُ
٨٧	تَرَاكَ	٥٨	ضَمِيرِي
٨٥	فِيكَ	٦٠	قَبْرِي
٨٨	هَلَكُ	٥١	وَالْأَمْرِ
٩٠	لَدَيْكُمْ	٦٥	خَاطِرُ
١٠٤	أَتَذَلُّلًا	٦٦	زُهَيْرِ
١٠٢	فَأَطَالَا	٦١	غَايِزُ
١٠٦	فَتَعَلَّلَا	٦٢	كَدَرُ
٩١	قَتْلِي	٥٣	أَرْكَ
٩٥	الْأَقَاوِيلُ	٦٤	مُنْتَشِرَةٌ
٩٣	سَبِيلُ	٤٩	سُرُورُهَا
٩٤	وَعَدُوُّ	٦٨	نَاسًا
١٠١	يَنْفَصِلُ	٦٧	إِفْلَاسِي
٩٢	أَجَلِي	٦٩	الْجُلَاسِ

١٣٢	بنا	٩٦	العَدَلِ
١٢٧	مِنَّا	١٠٣	حالي
١٢٥	واسترخنا	٩٨	والشكلِ
١٢٠	مَكَانُ	٩٩	الشَّمَائِلِ
١٢٤	وإِعلانُ	١٠٠	بِطَائِلِ
١٢٣	وَسُلطانُ	١٠٥	فاعلُ
١٢٢	الإحسانِ	١٠٧	خَرَدَلَةٌ
١٣١	لِدُونِ	٩٧	حَبَالُهُ
١٢٩	مِني	١١٣	الإمامُ
١٢٨	وإحسانِ	١١٦	إِمامُ
٨٩	حَيْنَكَ	١١١	مُعْرَمُ
١٣٥	معناها	١١٥	نديمُ
١٢٦	من هُوَ	١١٠	والدَّمُ
١٣٠	مِنْهُ	١١٨	وَيَرْحَمُ
١٣٤	يَنسَاهُ	١١٤	يَدومُ
١٣٣	وَأَشِيها	١١٧	مَلامي
١٣٧	الْمَطايا	١١٢	وَمُقامي
١٤٠	يَدَيَّ	١٠٩	وَمُقَامُها
١٣٨	النَّاجِيَةُ	١١٩	لائمَةُ
١٣٦	شَبيها	١٠٨	نَجْمُهُ
١٣٩	مُحتَوِيَةٌ	١٢١	أَزمانا

فهرس القوافي العام

(القافية متبوعة برقم القطعة، ثم اسم الباب)

أبواب الكتاب: ١ ابن الرومي ٢ ابن المعتز ٣ المتنبي ٤ أبو فراس ٥ المعري
(سقط الزند)، ثم (اللزوميات) ٦ يتيمة الدهر ٧ دمية القصر ٨ البهاء زهير

إرجاء ١١ اللزوم	القرباء ١ اللزوم
البُشراء ١٠ الرومي	الكُبراء ٧ السقط
النساء ١٠ اللزوم	رباء ٦ اللزوم
حياء ١٠ اليتيمة	رباء ٧ اللزوم
شعراء ١٥ الرومي	سجواء ١ الرومي
شُفعاء ١٧ الرومي	نساء ٣ اللزوم
فاء ٤ الرومي	سماء ٢ الرومي
والبُصراء ٩ الرومي	إذكاء ٢٦ الرومي
أبدأ ٢ اللزوم	الإخاء ١٥٤ اليتيمة
أسواء ٤ اللزوم	الأغبياء ٧٧ المتنبي
الأعداء ٤٣ اليتيمة	الأقضاء ٣ الرومي
الجزاء ٨ الرومي	البُعداء ٩٧ المتنبي
الجوزاء ٣٤ المتنبي	البيضاء ٥٤ اليتيمة
الجوزاء ٥٧ الدمية	الحكماء ١٤ اللزوم
الدواء ٨٧ اليتيمة	الخرساء ١٦ اللزوم
الدَّمَاء ٩ اللزوم	الرخاء ١٥ اللزوم
الشعراء ٦ الرومي	الرؤساء ١٣ اللزوم

طُبَا ٢٧ المتنبي	السماء ١٨ الرومي
فأصاها ١٢ الدمية	السَّوَاء ٢٥ الرومي
قُرْبًا ٢٨ اللزوم	الْفَرَاء ١٦ الرومي
قَلْبًا ١٠ ابن المعتز	الماء ١ ابن المعتز
لَعَابًا ٤ ابن المعتز	الهجاء ٢٧ الرومي
مُتَرَقِّبًا ١٥ البهاء	شُعْرَاء ٧ الرومي
مُتَابًا ٣٩ الرومي	صَفَاء ٥ الرومي
مُكْتَسِبًا ٦ ابن المعتز	عنائي ١ البهاء
نَعْبًا ٢٩ اللزوم	كالِدَوَاء ١٤ الرومي
وَأَبًا ٤٣ الرومي	نَعْمَاء ١٣ الرومي
وَأَحْسَابًا ٣ ابن المعتز	هَجَائِي ١١ الرومي
وَأَطْيَبًا ٤٩ الرومي	وَالْإِتِّلَاء ٢٢ الرومي
وَأَطْيَبًا ٨ البهاء	النَّقَاء ١٧ اللزوم
وَالْعَرَبًا ٧٤ المتنبي	هَجَاءُهُ ١٩ الرومي
ومرحبًا ١٢ البهاء	وِقْرَاءَةُ ١٢ اللزوم
وَهَبًا ٢ البهاء	إِغْصَاؤُهُ ١١٣ اليتيمة
يَوْوِبًا ٤٨ المتنبي	صَحْرَاؤُهَا ٨ اللزوم
أَطْرَبُوا ٢٣ اللزوم	مُطْفِئُهَا ٥ اللزوم
أَعْجَبَ ١٠٢ المتنبي	أَصْدِقَائِهِ ٢٠ الرومي
إِلْب ٥ أبو فراس	حَضْبَائِهِ ٣٨ اليتيمة
الضَّرَابُ ٨٧ المتنبي	عَطَائِهِ ٤٥ الدمية
الْمُتَكَذِّبُ ٢٢ اللزوم	أَجَابًا ١ أبو فراس
الْمَخْلُوبُ ٥٨ الرومي	الْحَرْبَا ١٠ أبو فراس
الْهَارِبُ ٣٧ الرومي	الدُّنُوبَا ٤٧ الرومي
تَابُوا ٢٧ اللزوم	الرَّغَائِبَا ٣٤ الرومي
تَخْطُبُ ١١ الدمية	الْهَيْذَبَى ١١٨ المتنبي
تَطِيبُ ٥٣ اليتيمة	انْتَسَبَا ٣٣ الرومي
تَغِيبُ ١٣ البهاء	جَلَابِيَا ٢٩ المتنبي
جَانِبُ ٣٢ اليتيمة	حَبَا ٣١ اللزوم

حبيب ١١ أبو فراس
خُرَابُ ٢٤ اللزوم
ربُّ ٤١ الرومي
شَبَابُ ١٠٧ المتنبي
صَغْبُ ٢١ اللزوم
عجيبُ ١٠ البهاء
عَصَائِبُ ٢ أبو فراس
عيوبُ ٢٥ اللزوم
عيوبُ ٧٩ اليتيمة
غَرِيبُ ١٧ المتنبي
كَاتِبُ ٨ أبو فراس
كَذُوبُ ٩ ابن المعتز
مَنَابُ ٣ أبو فراس
مُخَيَّبُ ٦ البهاء
مصلوبُ ٥٤ الرومي
نصيبُ ٣٦ الرومي
وَاجِبُ ٣٠ الرومي
وَالْحُجْبُ ٦٧ الدمية
وَالْخُطْبُ ١٤٣ اليتيمة
وَيَغْذُبُ ٣٨ الرومي
يُجِيبُ ٧ البهاء
يَزْطُبُ ٣٢ الرومي
يَغْذُبُ ٢٦ اللزوم
اسْتِعْتَابُ ٩٠ اليتيمة
الأحبابُ ١٤ ابن المعتز
الأدبُ ٥٩ اليتيمة
الألبابُ ٦٤ الدمية
الأنابيبُ ٣٩ اللزوم
الترابُ ٨٥ اليتيمة

الحَبَائِبُ ٥٣ المتنبي
الحَبِيبُ ٤٤ اليتيمة
الحسابُ ١٤ البهاء
الحُبُّ ٥٢ الرومي
الذُّبَابُ ٤١ اللزوم
الدُّنُوبُ ٨٨ اليتيمة
الرَّقَابُ ٤١ اليتيمة
الرقيبُ ٤ اليتيمة
الشبابُ ١٥٧ اليتيمة
الصَّحَابُ ٤٨ الرومي
الطَّبُّ ٣٢ اللزوم
العذابُ ٤٢ الرومي
اللَّهِيبُ ١٢٠ اليتيمة
المطلوبُ ٥٥ الرومي
المُعَاتِبُ ٤٦ الرومي
المُعَذِّبُ ٣٣ اللزوم
النَّسَبُ ١٢٢ المتنبي
بِالطَّلَبِ ٣٧ اللزوم
بِجَوَابِ ٣٣ السقط
بِذَهَابِ ١٣٦ اليتيمة
بِقَلْبِ ٢٩ الرومي
بِمَشِيبِ ١٢ أبو فراس
بِنَصِيبِ ٧٣ المتنبي
بي ١١ ابن المعتز
بي ٦٠ الرومي
تَعِبُ ٦١ الرومي
حَبِيبُ ٤٠ السقط
ذَهَابُ ١٦ أبو فراس
صَحْبِي ٣ البهاء

طَالِبِ ١٢ ابن المعتز	الْعَصَبِ ٤ أبو فراس
عَجِيبِ ٢٨ الرومي	الِكِذَابِ ٤٦ اللزوم
عَذَابِ ٥١ الرومي	حَجَبِ ١٣ أبو فراس
عُيُوبِ ٤٠ اللزوم	غَيَاهِبِ ١٩ الدمية
قَرِيبِ ٤٥ اللزوم	كَوَاذِبِ ١٣ ابن المعتز
قَرِيبِ ٩ أبو فراس	مُذْهِبِ ٦٥ اليتيمة
كَالرَّبِّ ٨٢ اليتيمة	مُكْتَسَبِ ٣١ الرومي
كِتَابِي ٥ ابن المعتز	وَذَنْبِ ٥٣ الرومي
كَرْبِ ٥٧ الرومي	يَتَعَتَّبِ ٤ البهاء
لَوْلِ ٥٦ الرومي	الطَّرُطَبَةُ ١٢٧ المتنبي
مَحْسُوبِ ٤٤ الرومي	ثَوَابُهُ ٣٥ الرومي
مُخْتَصَبِ ١٥ أبو فراس	قُرْبَةِ ٣٠ اللزوم
مَرْتَقِبِ ١٥ ابن المعتز	تُرْعُبُهَا ٢٨ الدمية
مَعْتَبِ ٤٥ الرومي	تَنْهَهُ ٩٣ اليتيمة
مُقَارِبِ ٣٤ اللزوم	ذَهَبُهُ ١٥٥ اليتيمة
مَكْرُوبِ ٧ أبو فراس	رُبُكُ ٧ ابن المعتز
نَصِييِ ١١ البهاء	سَعْبُهُ ٤٠ الرومي
هَيُوبِ ٣٥ اللزوم	طَالِبُهُ ١٤ أبو فراس
وَأَحْبَابِي ١٧ أبو فراس	نَوَائِيبُهُ ٥٦ اليتيمة
وَالْجَلَائِبِ ٩٨ المتنبي	وَكَلَابُهَا ٥ البهاء
وَالطَّرِبِ ٧٣ اليتيمة	وَمَوَاكِئُهُ ٤٠ الدمية
وَالكُرْبِ ١٦ ابن المعتز	بِهَا ٢ ابن المعتز
وَالْوَصَبِ ٦٢ الرومي	ثَوَابِهَا ٤٤ اللزوم
وَأَوْصَابِ ٣٨ اللزوم	طِلَايَةِ ٥٩ الرومي
وَتَعَضُّبِ ٨ ابن المعتز	عِقَابِهِ ٥٠ الرومي
وَحَاجِبِ ٩ البهاء	عَنِيَتْ بِهِ ٤٢ اللزوم
وَشَرَابِي ٦ أبو فراس	قَلْبِهِ ١٢٩ المتنبي
الرُّتَبِ ٤٧ اللزوم	لِجَنِّهِ ٣٦ اللزوم
العَرَبِ ١٢٣ المتنبي	لِمَشْرِبِهِ ٣٦ الدمية

بَغْتَةُ ٦٥ الرومي	مُرْتَابِهَا ٤٣ اللزوم
تَحْتَهَا ٥٣ اللزوم	وَصَابِ ١٧ السقط
فَرَجَتْ ابن المعتز	تَمَوْنَا ٢٠ ابن المعتز
لَيْتَهُ ٦٣ الرومي	عَادَتَهَا ١٢٥ الرومي
تَبِعَتْهُ ٢٢ البهاء	فَحْيِيْنَا ٣٠ السقط
خَلَقْتُهَا ٦٤ الرومي	مَتَى ١٧ البهاء
سُعَاتُهَا ٥٠ اللزوم	وَأَنَا ١٨ ابن المعتز
قَدَاتُهَا ١١٢ اليتيمة	أُخْتُ ٥١ اللزوم
يَخْلُقَتِكَ ٦٦ الرومي	إِفْلَاطُ ١٩ ابن المعتز
حَسَنَاتِهِ ١٨ البهاء	الصَّيْتُ ٥٢ اللزوم
سَمَتِهَا ٢١ السقط	عَنْتُ ٤٨ اللزوم
فَهَاتِهِ ٥٧ اللزوم	فَتَبْتُ ٤٩ اللزوم
كَرَامَتِهِ ٣٥١ الرومي	مُنْصَلْتُ ٢٠ البهاء
كَفَايَتِهِ ٢٣ البهاء	وَعَانِيْتُ ١٧ ابن المعتز
مَوْصُوفَاتِهَا ٤٦ المتنبي	وَمَمَاتُ ٢٢ السقط
أَخُنْتُ ٢٤ البهاء	يَقُوتُ ٥٨ اليتيمة
النَّبِيْتُ ٦١ اللزوم	أَشْنَاتِ ٦٧ الرومي
بُوعْثِ ٦٠ اللزوم	السَّمَاوَاتِ ٥٤ اللزوم
خَنِثِ ٦٩ الرومي	المُعْجَزَاتِ ٧٥ اليتيمة
غُبُوثِ ٥٩ اللزوم	النُّعَاتِ ٤٠٣ الرومي
ثَالِثِ ٢٥ البهاء	بِالْآيَاتِ ٢١ البهاء
خَبِيْثِ ٦٨ الرومي	بِالرَّقَاعَاتِ ٢٣ اليتيمة
أَفْوَاجَا ٦٥ اللزوم	حَسَنَاتِي ٢٩ اليتيمة
الْفَرَجَا ٢٦ البهاء	لَهَاتِي ٩٨ اليتيمة
مَحْتَاجَا ٦٤ اللزوم	لَيْلَتِي ١٩ البهاء
وَالْتَّاجَا ٦٣ اللزوم	نُقَاةُ ٥٥ اللزوم
وَشَجَا ١٨ أبو فراس	وَأُمْتُ ٥٦ اللزوم
الْعَاجُ ٧٥ الرومي	صَفْتُ ٥٨ اللزوم
حَاجُ ٦٦ الدمية	عَشِيقْتُ ١٦ البهاء

شديد ٢٥ ابن المعتز
 نَهَجُ ٦٠ الدمية
 وأَعُوْجُ ٧٤ الرومي
 وَزَنْجُ ٧٦ الرومي
 يَخْتَلِجُ ٦٢ اللزوم
 الإذْلَاجُ ٢٢ ابن المعتز
 النَّاجُ ٦٦ اللزوم
 نَاجُ ٧٣ الرومي
 تُمَزَّجُ ٤٥ اليتيمة
 هَاجُ ٦٨ اللزوم
 والزَّجَاجُ ٣٦ السقط
 وَفَرَجُ ٦٧ اللزوم
 دَرَجُ ٧٢ الرومي
 بِحَاجَةٍ ٧١ الرومي
 بِمَغْنَوَجَةٍ ٧٠ الرومي
 ضَجَّةُ ٧٧ الرومي
 وَتَاجُهُ ٣٠ الدمية
 التَّشْرِيحَا ٧٣ اللزوم
 تُسَرِّحَا ٨٢ الرومي
 تَقْبِيحَا ٧٨ الرومي
 قَدَحَا ٣١ البهاء
 لِيَنْفَتِحَا ٧٠ اللزوم
 مَشْرُوحَا ٧٢ اللزوم
 نُبْحَا ٧١ اللزوم
 والبُرْحَا ١٥ الدمية
 وَتَضْرِيحَا ٦١ الدمية
 الرُّوحُ ٢٣ المتنبي
 الْمُتَاخُ ٨٥ الرومي
 قَبِيحُ ٢٣ ابن المعتز

واضْطَبَّاحُ ٢٤ ابن المعتز
 التَّبَارِيحُ ٧٥ اللزوم
 الرَّاحُ ٨٣ الرومي
 الرَّمَّاحُ ١٩ أبو فراس
 الشَّحَاحُ ٧٩ الرومي
 الصَّحَائِحُ ٧٤ اللزوم
 الصَّحِيحُ ٢٠ أبو فراس
 الْقَبِيحُ ٢٨ البهاء
 المَدِيحُ ٨١ الرومي
 النَّحُّ ٨٦ الرومي
 بِالْأَفَاحِ ١٢ اليتيمة
 تَلْوِيحُ ٨٧ الرومي
 صَحِيحُ ٢٩ البهاء
 كَالْأَشْبَاحِ ٦ اليتيمة
 مُسْتَرِيحُ ٨٠ الرومي
 مِفْتَاحُ ٨٤ الرومي
 تَصِيحُ ٧٦ اللزوم
 جُنَاحُ ٨٨ الرومي
 والمَسِيحُ ٤٧ السقط
 الصَّالِحَةُ ٣٠ البهاء
 وَشُرُوحُهَا ٦٩ اللزوم
 يُسِيحُ ٢٧ البهاء
 الصَّوَارِخُ ٧٧ اللزوم
 سِبَاخُ ٩٠ الرومي
 السَّلَخُ ٨٩ الرومي
 سَالِخُ ٤٦ الدمية
 أَبْدَا ٢٧ أبو فراس
 إِخْدَى ٣٤ البهاء
 أَرْقَدَا ٣٦ البهاء

الجديدا ٩٢ الرومي

العَدَا ٨٤ اليتيمة

العَدَى ٨٥ المتنبي

بُعْدَا ٢٢ أبو فراس

تَقْلِيدَا ٣٢ البهاء

جُدُودَا ٣٥ المتنبي

رُشْدَا ١١٣ الرومي

رَغْدَا ١٠١ الرومي

عبيدا ٩٢ اللزوم

عِنَادَا ١١ السقط

عَدَا ٢٦ ابن المعتز

فَصَاعِدَا ٤٨ البهاء

كَمَدَا ٩١ اللزوم

مَارِدَا ١٠٢ الرومي

مُقَيَّدَا ١٠٧ الرومي

مُنْفَرِدَا ١٢٤ الرومي

والصدودا ٢٧ ابن المعتز

والفَرَقْدَا ٤٤ الدمية

وَدَا ١٢٧ الرومي

أَحَدُ ٨٢ اللزوم

الْأَسَدُ ١٢٢ الرومي

الْجَدِيدُ ٤٢ البهاء

الْعَيْدُ ٨١ اللزوم

الْعَيْدُ ٢ الدمية

الْعِهَادُ ٨٥ اللزوم

الموعِدُ ٣٠ ابن المعتز

النهوْدُ ١٨ الدمية

الواحدُ ٥١ الدمية

الوليْدُ ٨٧ اللزوم

اليهوْدُ ٨٦ اللزوم

أَنْكَدُ ٦١ اليتيمة

تَجَدَّدُ ٩١ الرومي

تَقَلَّدُ ١٤ المتنبي

تَجْدِيدُ ١١٧ المتنبي

تُجَرَّدُ ١١٨ الرومي

جَدُّ ٤٩ المتنبي

جديدُ ١٢١ الرومي

جَدِيدُ ٣٨ البهاء

جَلْدُ ٧٢ اليتيمة

جَوَادُ ٧١ اليتيمة

جَيِّدُ ٨٩ اللزوم

رَاصِدُ ١٢٦ الرومي

شَدِيدُ ٤٩ الدمية

صَعِيدُ ٨٤ اللزوم

طَارِدُ ٤٥ البهاء

عَمِيدُ ١٢٠ الرومي

عَهْدُ ٥١ المتنبي

فَأَجَادُوا ١٠٨ الرومي

قُرُودُ ٢٩ الدمية

قَوَادُ ٢٩ ابن المعتز

لَمَاجِدُ ٧٢ المتنبي

مُسْتَرِيدُ ٨٨ اللزوم

مَكْدُودُ ٩٥ الرومي

مَوْوُودُ ٨٣ اللزوم

نُشَاهِدُ ٧٨ اللزوم

هَادُوا ٩٠ اللزوم

وَجَدُوا ٨٠ اللزوم

وَسَادُ ٥ السقط

يَبِيدُ ٧٩ اللزوم	يَبِيدُ ٦٣ اليتيمة
يَتَجَدَّدُ ٤٣ البهاء	تُعَدِي ٩٨ اللزوم
يَجُودُ ٣٧ البهاء	جَاجِدُ ٩٣ اللزوم
يُعَدُّ ٢٨ أبو فراس	حَاسِدُ ٢٥ أبو فراس
يَعُودُ ١٥ السقط	حَشِدُ ٩٨ الرومي
يَوَدُّ ١٢٣ الرومي	حَقْدِي ١١٠ الرومي
أُحِدِ ٦ الدمية	خَالِدِ ٩٩ الرومي
إِسْنَادُ ٩٦ اللزوم	خَذِّي ٤١ البهاء
الْتِمَادِي ٢٤ المتنبي	زَادِ ١٤١ اليتيمة
الْتَنَادِي ٥٠ اليتيمة	شَادِ ١٩ السقط
الْجَسَدِ ٩٤ اللزوم	عِنْدِي ٩٦ الرومي
الْجَسَدِ ٩٥ اللزوم	فَتَهَجَّدِ ٩٩ اللزوم
الْحُسَادِ ١٠١ المتنبي	فَقَّدِ ١٠٩ الرومي
السُّودِ ٣٣ ابن المعتز	قَوِّدِ ١٥ اليتيمة
الصَّيْدِ ٩٧ الرومي	كَالرَّمْدِ ١٤٤ اليتيمة
العائدِ ٢٨ ابن المعتز	كَبِدِي ١٦٢ اليتيمة
العَبِيدِ ١٩ المتنبي	لَحَدِ ٩٧ اللزوم
العُقُودِ ٣٢ ابن المعتز	لِخَدِّ ٢٦ أبو فراس
الْفَاسِدِ ٥٧ اليتيمة	لِعِنَادِ ٣٩ البهاء
الْكَبِدِ ٤٧ الدمية	لِلْأَعَادِي ١٢٩ الرومي
الْكَمَدِ ٣٣ اليتيمة	مَحْمَدِ ١٠٠ اللزوم
الْمَخْتَدِ ٣٤ الدمية	وَأَقْصِدِ ١٠٥ الرومي
الْمُشَرَّدِ ٢٤ أبو فراس	وَالْحَدِيدِ ١١٥ الرومي
الْوَالِدِ ١٢٨ الرومي	وَالْفَنَدِ ٢١ أبو فراس
الْوُرُودِ ١٣٧ اليتيمة	وَعْدِ ٣١ ابن المعتز
الْوَهْدِ ١١١ الرومي	يَزِدِ ٤٧ البهاء
اليهودِ ٦ المتنبي	أَحَدُ ٤٦ السقط
بِأَحْمَدِ ٩١ اليتيمة	الْحَسَدُ ١٠١ اللزوم
بِرُقَادِ ٣٥ السقط	الْمُعْتَمِدُ ١١٧ الرومي

أَمَدُ ٨٩ اليتيمة	اِخْتِصَارًا ٨٤ المتنبي
وَعَدُ ٤٠ البهاء	السُّكْرًا ١٢٦ المتنبي
يُجَالِدُ ١٠٠ الرومي	الْقَطْرًا ٣٩ ابن المعتز
الحَسَدَةُ ١١٤ الرومي	الكَرَى ١٩ اللزوم
السَّعَادَةُ ٢٣ أبو فراس	جَرَى ١٢٤ المتنبي
حَدَّكَ ٢٨١ الرومي	جَرَى ٥٠ البهاء
حَمِيدُهُ ١١٦ الرومي	حَجَرًا ١٦٨ الرومي
رَاقِدُهُ ١١٩ الرومي	حَجَرًا ١٨٦ الرومي
رَعَدُكَ ٢٦٦ الرومي	حَضْرًا ١٢١ اللزوم
عِنْدُكَ ٣٥ البهاء	خُبْرًا ١٢٢ اللزوم
عِنْدُكَ ٤٤ البهاء	خَبْرًا ٥٥ البهاء
وَحَدَّكَ ٤٦ البهاء	دُبْرًا ١٣٤ الرومي
أَمَدُهُ ١٠٣ الرومي	سَائِرًا ١٦٣ الرومي
تُرْشِدُهَا ٣ المتنبي	سَعِيرًا ١٥١ اليتيمة
المتنبي جُنْدُهُ ٩٩ المتنبي	شُكْرًا ١٥٣ الرومي
عُقُودُهَا ١٢٦ اليتيمة	صَرَبْعَرًا ٢١ الدمية
كِبْدُهُ ١٠٤ الرومي	قَاهِرًا ١٢٤ اللزوم
وَيَصِيدُهَا ١٠٦ الرومي	قَبْرًا ١١٩ اللزوم
حَسُودُهَا ٩٣ الرومي	كِسْرَى ١٢ الرومي
زَنْدِهِ ٢٠ السقط	كُفْرًا ١٢٠ اللزوم
صَيَّادُهُ ١١٢ الرومي	مُغِيرًا ٣٥ أبو فراس
عَضْدُكَ ٢٨٣ الرومي	وَأَزْرَارًا ٤٥ ابن المعتز
لِإِبَادِهِ ٣٣ البهاء	وَالْأَخْجَارًا ١٤ السقط
وَجَلَدُهُ ٩٤ الرومي	وَالْحِمْرًا ٥٩ البهاء
يَدُهُ ١٣٩ اليتيمة	يُؤَثِّرًا ١٢٣ اللزوم
يَبْغِذَا ١٠٢ اللزوم	أُبُورُ ٥٤ الدمية
جَبْنًا ٣٤ ابن المعتز	اضْطَرَارُّ ٥ اليتيمة
نَقَذَ ١٣٠ الرومي	اعْتَذَارُ ١٧٢ الرومي
اِبْتِدَارًا ٣١ أبو فراس	اعْتَذَارُ ١٧٦ الرومي

الأسير ٣٧ أبو فراس
الأقبر ١١٢ اللزوم
الأمر ١١٨ اليتيمة
الثبور ١١٠ اللزوم
الجاذر ١٢١ اليتيمة
الدهور ١٠٩ اللزوم
الشور ٧١ أبو فراس
الشجر ١٥٢ الرومي
الشواجر ١٤٤ الرومي
الصبر ٤٧ المتنبي
الصور ١٠٧ اللزوم
القوارير ٩٤ اليتيمة
المحضر ٢١ اليتيمة
المظفر ١٨٤ الرومي
المعاشير ١٧٧ الرومي
المقدر ١٣٧ الرومي
أمر ٣٦ أبو فراس
أوطار ١٣ الدمية
بحرا ٤٧ ابن المعتز
بشائر ٢٩ أبو فراس
بقر ٦٧ اليتيمة
تخير ١٠٨ اللزوم
تدور ٥٦ البهاء
تدور ٦٣ البهاء
تسبر ٢٤ السقط
تستقر ٩٢ اليتيمة
تشير ١٣١ الرومي
تكدّر ١٧٠ الرومي
تنتقر ١٠٥ اللزوم

جبار ٩١ المتنبي
خطر ١٠٤ اللزوم
خطر ١٣٤ اليتيمة
ذئ ١٥٦ الرومي
سئر ١٠٣ اللزوم
سظروا ١١٨ اللزوم
سفر ٣٨ ابن المعتز
صابر ١٨٠ الرومي
عار ١٦ الدمية
قذر ١٨١ الرومي
قيار ١١٥ اللزوم
كثير ١٤٨ الرومي
مدير ١١٧ اللزوم
مظهر ١٦٥ الرومي
مغور ٢٥ الدمية
نقر ١٦٦ الرومي
وأسمار ١٠٦ اللزوم
وأشكر ٥٢ البهاء
والأحبار ١١٤ اللزوم
والدائر ١١٣ اللزوم
والشكر ١٤٠ الرومي
والمستور ٤٢ اليتيمة
والمطر ١٨٧ الرومي
والنظر ١٤٩ الرومي
وقصار ١١٦ اللزوم
يتفطر ١٣٨ الرومي
يثير ٥٧ البهاء
يخطر ٥٤ البهاء
يعبر ١١١ اللزوم

بالبَصْرِ ١٧٣ الرومي	أَثَرِي ٢ السقط
بِالسَّتْرِ ١٥٩ الرومي	آخِرِ ١٤١ الرومي
بِحَاسِرِ ١٣١ اللزوم	أَشْهَرِ ١٦٠ الرومي
بِدِينَارِ ١٣٥ اللزوم	أَفْكَارِي ٣٩ اليتيمة
بِشَبْرِ ١٠٦ اليتيمة	الإضْدَارِ ١٧٤ الرومي
تَبْكِيرِ ١٤٤ اللزوم	الْأَظْهَرِ ١٣٧ اللزوم
تِجَارِ ١٤٠ اللزوم	الْأَعْصَارِ ١٤١ اللزوم
جِسْرِ ١٢٦ اللزوم	البَشْرِ ٣ الدمية
حُضُورِي ١٠٠ اليتيمة	البَعِيرِ ٤١ المتنبي
خُبْرِ ٣٢ أبو فراس	التَّضْغِيرِ ١٦٢ الرومي
سَطْرِ ١٠٨ اليتيمة	الجَرَّارِ ٣٧ ابن المعتز
شَاعِرِ ١٤٣ الرومي	الحَشْرِ ١٢٩ اللزوم
شِعْرِي ١٣٣ الرومي	الخَبِيرِ ٤ السقط
ضَرَائِرِ ١٣٠ اللزوم	الخُصُورِ ١٤٥ الرومي
ضَمِيرِي ٥٨ البهاء	الدَّهْرِ ١٢٧ اللزوم
عُسْرِ ١٣٦ الرومي	الدَّهْرِ ١٤٦ الرومي
عَصْرِ ١٣٢ الرومي	الدُّهُورِ ٤٢ ابن المعتز
فَجْرِ ٤٦ ابن المعتز	السُّقَارِ ١٤٢ اللزوم
فِكْرِي ٤٨ اليتيمة	الشَّعْرِ ١٥٤ الرومي
قَبْرِي ٦٠ البهاء	الصَّغَارِ ٣٨ أبو فراس
قَرَارِ ٧ الدمية	الغَدْرِ ٤٨ ابن المعتز
لِلْحَمِيرِ ١٣٥ الرومي	الكَدْرِ ١٣٣ اللزوم
لِلْمَقَابِرِ ١٣٩ الرومي	المُشْتَرِي ١٠١ اليتيمة
مُخْتَارِ ٣٩ أبو فراس	المَطْرِ ٤٣ ابن المعتز
مُشْتَرِ ١٧٩ الرومي	المُفَكِّرِ ١٦٩ الرومي
مَقْهُورِ ١٠٣ اليتيمة	المِهْدَارِ ٢٧ اليتيمة
مُنْتَظَرِ ١٧١ الرومي	النَّارِ ١٣٦ اللزوم
مُيَسَّرِ ١٣٨ اللزوم	النَّصْرِ ٣٥ ابن المعتز
نَصْرِ ١٦١ اليتيمة	النَّضْرِ ١٦١ الرومي

البُرَّةُ ١٢٥ اللزوم	نَضْرٍ ٦٢ الدمية
الصَّرِيرَةُ ١٦٤ الرومي	وأشعاري ٣٦ اليتيمة
النَّظَارَةُ ٤٠ ابن المعتز	والأخبار ١٤٣ اللزوم
صَدْرَةُ ١٥٠ الرومي	والأخبار ١٥٥ الرومي
عُرَّةُ ١٤٢ الرومي	والأمر ٥١ البهاء
كثيرة ٣٤ أبو فراس	والجهر ١٧٥ الرومي
مَرَّةُ ١٠٧ اليتيمة	والصَّدر ١٨٣ الرومي
مُتَشِّرَةُ ٦٤ البهاء	والفكر ١٢٨ اللزوم
والحرَكَةُ ٢٧١ الرومي	وأنوار ١٥١ الرومي
أَحَاذِرُهُ ٣٦ ابن المعتز	وبالكبار ٤١ ابن المعتز
بَاكِرُهُ ١٢ المتنبى	وبكر ٤٤ ابن المعتز
خَاطِرُهُ ٧٠ اليتيمة	وطر ٧٨ اليتيمة
دِيَارُهَا ٨ الدمية	وغر ٤٢ الدمية
سَرَائِرُهُ ٣٠ أبو فراس	ونهار ١٨٥ الرومي
سرورها ٤٩ البهاء	يَجْرِ ٦٦ اليتيمة
ومَنَارُهَا ٣٧ اليتيمة	يجري ١٧٨ الرومي
يَبْهَرُهَا ١٦٧ الرومي	يُعِر ١٣٤ اللزوم
دهره ١٣٩ اللزوم	البَصْرُ ١٣ السقط
فَدَارِهِ ١٣٢ اللزوم	بَرَبْرُ ١٤٥ اللزوم
قِصْرُهُ ١٥٧ الرومي	بَشْرُ ١٤٨ اللزوم
مِقْدَارُهَا ١٥٨ الرومي	خَاطِرُ ٦٥ البهاء
وَبَشْرُهُ ٣٣ أبو فراس	ذَكَرُ ٣٩ الدمية
وجواره ١٨٢ الرومي	زُهَيْرِ ٦٦ البهاء
يُجَاوِزُ ١٥١ اللزوم	ضَمِيرُ ١٤٧ اللزوم
إِنْجَارُ ١٤٩ اللزوم	عَاذِرُ ٦١ البهاء
تُحْتَجِرُ ١٨٩ الرومي	كَذَرُ ٦٢ البهاء
يَجُوزُ ١٥٠ اللزوم	نَظَرُ ١٤٧ الرومي
الإيجاز ١٥٣ اللزوم	واستمر ١٤٦ اللزوم
الإيعاز ١٥٤ اللزوم	أَرْكَ ٥٣ البهاء

الْمُتَحَرِّزُ ١٩٠ الرومي
الْمَكْزُوزِ ١٨٨ الرومي
يَجْزِي ١٥٢ اللزوم
التَّدْلِيسَا ١٦٥ اللزوم
الجُنْدِيسَا ٤٩ ابن المعتز
العَيْسَا ٢١ المتنبي
مُتَقَاعِسَا ١٩٨ الرومي
مُتَنَدِّسَا ١٦٤ اللزوم
نَاسَا ٦٨ البهاء
نَهْسَا ٣٨ الدمية
أَفْطَسُ ١٩٤ الرومي
الْإِنْسُ ١٥٦ اللزوم
الْأَوَانِسُ ١٩٧ الرومي
الطَّبْسُ ١٦٠ اللزوم
المَجُوسُ ١٦١ اللزوم
الْيَاسُ ٧٦ اليتيمة
دَنْسُ ١٥٨ اللزوم
مَرَسُ ١٥٧ اللزوم
مَنْكُوسُ ١٦٢ اللزوم
والْعِرْسُ ١٥٥ اللزوم
يَحْتَرَسُ ١٥٩ اللزوم
يُنْبَسُ ١٩٥ الرومي
إِفْلَاسِي ٦٧ البهاء
الْأَنْبِسِ ١٩٦ الرومي
الْجُلَاسِ ٦٩ البهاء
الرَّمْسِ ١٦٦ اللزوم
المَجَالِسِ ١٩٩ الرومي
النَّاسِ ٧٠ البهاء
النَّفْسِ ١٩٢ الرومي

خَمْسِ ١٦٧ اللزوم
نَفْسِي ١٩١ الرومي
وَوَسَاوِسِي ٩٩ اليتيمة
سَاسَةُ ١٦٣ اللزوم
بِنَفْسِي ١٩٣ الرومي
رَمْسِي ٤٠ أبو فراس
لَا فَرَايِسُكَ ٢٧٥ الرومي
نَفْسِي ١١٤ المتنبي
وَأَجْنَاسِيهَا ١٦٨ اللزوم
تَبْسُ ٢٠٠ الرومي
الْحَنْسُ ١٦٩ اللزوم
فَرَايِسُكَ ٢٨٢ الرومي
الْفَحْصِ ٢٠١ الرومي
عَضَا ٢٠٢ الرومي
الْعَرَضَا ٧٧ اليتيمة
أَيْضَا ٥٩ الدمية
قَضَى ١٦ السقط
قَضَى ١٨ اللزوم
يُرَضَى ٢١٣ الرومي
الْعَضُ ٤٦ اليتيمة
عَوَضُ ٢٠٥ الرومي
مِقْرَاضُ ٢٠٤ الرومي
نَهَضُ ٢٠٦ الرومي
يَرْكُضُ ٢١٠ الرومي
الْعَمَضِ ٢١١ الرومي
بَعَضِ ٢٠٣ الرومي
خَفَضِ ١٤٧ اليتيمة
رَاضِ ٧١ البهاء
عِرْضِي ٢٠٧ الرومي

شَجُّعُوا ٧٠ المتنبي	مِقْرَاضٍ ٢١٢ الرومي
طَبَّعَ ١٠٩ المتنبي	وَالْخَفْضِ ٧٢ البهاء
وَجَّعَ ١٧٢ اللزوم	رَفَضَهُ ٢٠٩ الرومي
يَدْعُوا ٢٣٦ الرومي	تُرْضِهِ ٢٠٨ الرومي
يُطَاعُ ١٧٤ اللزوم	الْحَطَّ ٣١ السقط
يُوضَعُ ٢٣٩ الرومي	تَمْطُو ٢١٦ الرومي
الرَّعَازِ ٢٢٨ الرومي	كَاشِطُ ٢١٥ الرومي
السَّاسِعِ ٢٣٣ الرومي	الْخِيَاطِ ١٧٠ اللزوم
الْفَرْعِ ١ اليتيمة	إِيْرَاطِ ٢١٨ الرومي
اللَّذَعِ ٢٧ السقط	السَّمَطُ ٥٠ ابن المعتز
المَسَامِعِ ١٧٥ اللزوم	تَمْتَشِيطُ ٢١٧ الرومي
المَصَاجِعِ ٢٢٦ الرومي	قَطَّةُ ٢١٤ الرومي
جَزَعِ ٢٢٣ الرومي	مُلْتَقِطَةُ ٢٢٠ الرومي
رُبْعِي ١٧٦ اللزوم	وإِفْرَاطِهَا ١٧١ اللزوم
فَاجِعِي ٧٣ البهاء	المُعَايِظَا ٢٢١ الرومي
مَنْعِي ٢٤١ الرومي	اجْتِمَاعَا ١ المتنبي
الْجَزَعِ ٢٣٧ الرومي	أَرْبَعَا ٣١ المتنبي
سَرِيعِ ٥١ ابن المعتز	أَرْوَعَا ٤١ أبو فراس
سَفَعِ ٢٢٢ الرومي	أَشْرِعَا ٢٣٨ الرومي
صَلِغِ ٢٣١ الرومي	الْمَرْعَى ٣٥ الدمية
الشَّرِيعَةُ ٢٣٢ الرومي	نَفْعَا ٧٥ البهاء
تِسْعَةُ ٢٢٩ الرومي	هَجَعَا ٢٢٤ الرومي
رَكَّاعَةً ٢٣٥ الرومي	وَاسِعَا ٢٣٠ الرومي
سَمِعَةً ٢٢٧ الرومي	يُضْفَعَا ٢٢٥ الرومي
مُشْعَشَعَةً ٧٤ البهاء	اِنْتِضَاعُ ١٤٢ اليتيمة
ضَجِيعَةُ ٢٤٠ الرومي	أَشْبَعُ ٨ المتنبي
ضُرُوعُهَا ٢٣٤ الرومي	أَصْنَعُ ٥٢ ابن المعتز
مَشَارِعُهُ ١٣٠ اليتيمة	الْجَزَعُ ١١ اليتيمة
بَلَعَهُ ٢٤٢ الرومي	الطَّبَاعُ ١٧٣ اللزوم

إِعْصَافًا ٢٤٧ الرومي
أَنَافًا ١١٩ المتنبي
خَفِيفًا ٢٤٦ الرومي
صَدَاقًا ٢٤٨ الرومي
مُذَنَّقًا ٧٧ البهاء
أَعْرِفُ ٧٦ البهاء
الْحَلْفُ ١٨٢ اللزوم
السَّلَفُ ١٧٩ اللزوم
الطَّرَفُ ١٨٠ اللزوم
أَلَوْفُ ٦٦ المتنبي
تُذَرَفُ ٥٣ ابن المعتز
تُغَرَفُ ١٣٥ اليتيمة
تُغَرَفُ ٢٤٩ الرومي
تَقِفُ ١٧٨ اللزوم
خَفِيفُ ٧٦ المتنبي
سَالَفُ ١٠ الدمية
صُوفُوا ١٨٣ اللزوم
طَرَفُ ١٧٧ اللزوم
طَرَفُ ١٨١ اللزوم
وَيُخَلِفُ ٧٨ البهاء
اِخْتِلَافُ ١٨٥ اللزوم
الْإِنصَافُ ٩ اليتيمة
السِّيَوفُ ١٨٧ اللزوم
الصُّحَافُ ١٨٦ اللزوم
الْعَلَفُ ٢٤٤ الرومي
القَوَافِي ٤٠ اليتيمة
بِمُسْتَشَفَّ ١٨٤ اللزوم
خِلَافُ ٦٣ الدمية
دُلَفُ ١٨ المتنبي

لِلْأَلَفِ ٣ اليتيمة
انصَرَفَ ١٨٨ اللزوم
خَائِفُ ١٦٠ اليتيمة
خَلِيفَةُ ٩٥ اليتيمة
سَخِيفَةُ ٦٢ اليتيمة
سَيِّذِنَفُ ٢٤٣ الرومي
شَرَفُ ٢٤٥ الرومي
بِمُعَنَّفِيهِ ٩ الدمية
حَقًّا ٨٤ البهاء
رِيقًا ١٢٨ اليتيمة
شَاقًا ٦٨ المتنبي
مُطَرِّقًا ١٨ اليتيمة
نَاطِقًا ٥٠ الدمية
وَالْتَقَى ٧٩ البهاء
وَمَوْقًا ٥٤ ابن المعتز
أَسْبَقُ ٢٦٤ الرومي
العِنَاقُ ٦٠ الرومي
النِّفَاقُ ١٩١ اللزوم
يُرُوقُ ٢٥٣ الرومي
تَتَرَفَّقُ ٧ المتنبي
تُشْرِقُ ٥٥ الدمية
تَلْتَقُوا ١٩٣ اللزوم
سَارِقُ ١٩٠ اللزوم
شَائِقُ ٨٠ البهاء
ضَيْقُ ٢٥١ الرومي
طَالِقُ ١٥٠ اليتيمة
مُؤَافِقُ ١٨٩ اللزوم
مَوْبِقُ ١٩٢ اللزوم
وَيَغَرَّقُ ١١٠ اليتيمة

أَرَاكَ ٨٦ البهاء	يَسْتَبِقُ ٢٥٩ الرومي
السَّيِّكَا ٢٧٨ الرومي	أَتَقِي ١١ المتنبي
يَذَلِّكَ ٢٧٢ الرومي	اسْتَحْقَاقِ ٢٥٠ الرومي
تَرَاكَ ٨٧ البهاء	الإِطْلَاقِ ٨٣ البهاء
سُلُوكَا ٢٠١ اللزوم	الزَّانِدِي ١٩٤ اللزوم
سِوَاكَ ٢٧٦ الرومي	السَّوَابِقِ ٩٠ المتنبي
شُبَّاطَا ٢١٩ الرومي	السُّوقِ ٤٣ الدمية
عَلَيْكَ ٥٦ ابن المعتز	العراقِ ٢٦٥ الرومي
فَاكَ ١٣٠ المتنبي	العراقِ ٥ الدمية
قَوَاكَ ٢٧٧ الرومي	العَرَقِ ٢٥٦ الرومي
مُنْسِكَ ١٩ اليتيمة	الفراقِ ٢٦٣ الرومي
هَالِكَ ٢٠٠ اللزوم	المآقِي ٥٦ المتنبي
هِنَالِكَ ٢٧٠ الرومي	بَقِي ٨١ المتنبي
تَمْلِكُ ١٩٩ اللزوم	تَحْلِيْقِ ٢٦٢ الرومي
دِيكَ ٢٦٩ الرومي	عَاشِقِ ٧٤ اليتيمة
مَلَكُ ١٩٨ اللزوم	عُقُوقِ ٢٥٤ الرومي
يَتَكُوا ١٩٧ اللزوم	عَبُوقِ ٢٠ الدمية
التَّرِيكَ ٢٠٥ اللزوم	لَا قِ ١٩٦ اللزوم
المُشَارِكِ ٢٨٠ الرومي	للطَّرِيقِ ٨٢ البهاء
بِنَاسِكَ ٢٠٦ اللزوم	مَنْسُوقِ ١٩٥ اللزوم
تُبَارِكِ ٢٠٣ اللزوم	وَاتِّفَاقِ ٨١ البهاء
فِيكَ ٨٥ البهاء	والأشْوَاقِ ٢٥٧ الرومي
كَذَلِكَ ٥٥ ابن المعتز	وَجِذْقِ ٢٥٨ الرومي
وَالْمَلِكِ ٢٠٤ اللزوم	تُحَقِّقُهُ ٢٦١ الرومي
وَفَتَكِي ١٢٤ اليتيمة	تُفَرِّقُهُ ٣٥ اليتيمة
أَخْلَاقُكَ ٢٧٣ الرومي	تُفَرِّقُهَا ١٥٩ اليتيمة
حَالِكَ ٢٠٨ اللزوم	طَرِيقُهُ ٢٥٥ الرومي
عَدَلُكَ ٢٠٧ اللزوم	بَرِيقِهِ ١٥٦ اليتيمة
عَلَيْكَ ٢٠٩ اللزوم	حَدَاتِقِهَا ٢٥٢ الرومي

هَلَكْتُ ٨٨ البهاء	أَتَعَلَّلْتُ ٢٩٠ الرومي
سِجَّةُ ٢٠٢ اللزوم	أَصَالَ ٣٢ السقط
لَدَيْكُمْ ٩٠ البهاء	أُصُولُ ٣٠٦ الرومي
أَتَذَلَّلَا ١٠٤ البهاء	أَغْقَلُ ٢٩١ الرومي
أَشْكَالًا ٢٨٨ الرومي	أَقْسَلُ ٢١٩ اللزوم
الْأَجَلَّا ٩٢ المتنبي	الْأَقَاوِيلُ ٩٥ البهاء
الْجَمَالَا ٣٧ المتنبي	الْبَخِيلُ ٢٩٥ الرومي
الرَّحِيلَا ٢٨ السقط	الْحَيْلُ ٣٠٩ الرومي
المُحَلَّى ٢٨٦ الرومي	الدُّخُولُ ٣٢٣ الرومي
بَدِيلًا ٢٩٩ الرومي	الدُّلُّ ٣٦ المتنبي
تَفْضِيلًا ٣٠١ الرومي	الصَّقِيلُ ٤٩ أبو فراس
جُبَلًا ٢٢١ اللزوم	الْمَتَّبِيقُ ١٢١ المتنبي
خُصْلًا ٣١٢ الرومي	الْمُتَزَّلُ ٢١١ اللزوم
زُلْزَلًا ٢٢٤ اللزوم	النَّقْلُ ٢١٠ اللزوم
شَمَالًا ٣٠ اليتيمة	الْوُحُولُ ٦١ المتنبي
طَوِيلًا ٣٢٤ الرومي	أَمْثَالُ ٣٠٤ الرومي
عَدَلًا ٥ المتنبي	تَعَقُّلُ ٢٩٨ الرومي
فَاطَالَا ١٠٢ البهاء	تُنَالُ ٨٠ اليتيمة
فَتَعَلَّلَا ١٠٦ البهاء	جَبَلُ ٤٢ أبو فراس
فَلَا لَا ٩٣ المتنبي	وَعِبَلُ ٢١٨ اللزوم
قَتَلَى ٩١ البهاء	دُلُّ ٢١٢ اللزوم
لَفْضَلًا ٢٨٩ الرومي	ذَلِيلُ ١٧ الدمية
مُحَوَّلًا ٣٨ المتنبي	رِثْبَالُ ٢٦ السقط
مَسْؤُولًا ٦٥ الدمية	سَبِيلُ ٩٣ البهاء
وَابْتَدَا لَا ١ السقط	طُولُ ٥٧ ابن المعتز
وَالرَّجَالَا ١١٥ المتنبي	طَوِيلُ ٨٢ المتنبي
وَسُهُولًا ٥٥ المتنبي	عَسَلُ ٤٨ أبو فراس
يَزُولَا ٣٣ الدمية	قَبْلُ ١٣ المتنبي
أَوَاهِلُ ٤٤ المتنبي	قُلُّ ٤٤ أبو فراس

الرُّسْلُ ٢٢٧ الزُّوم	قَلِيلُ ٣١٥ الرُّومِي
الصَّقْلُ ٢٢٦ الزُّوم	مَجْبُوءُ ٤٣ السَّقْط
العَدْلُ ٩٦ البهاء	مَشْغُوءُ ٢٦ اليتيمة
العَقْلُ ٢٩٣ الرُّومِي	مَقَاتِلُ ٤٥ أَبُو فِرَاس
الْعَمَلُ ٣١٦ الرُّومِي	مَوَائِلُ ٥٢ الدِّمِيَّة
الْعَوَالِي ٤٧ أَبُو فِرَاس	نَقُولُ ٢١٤ الزُّوم
الغَرَابِيلُ ٢٣٣ الزُّوم	وَالْإِبِلُ ٤٦ أَبُو فِرَاس
الْفَضْلُ ٣١٠ الرُّومِي	وَالْكَهْلُ ٢٢٠ الزُّوم
الْقِتَالُ ٣٢ الدِّمِيَّة	وِإِنْجِيلُ ٢١٣ الزُّوم
اللَّيْلُ ٢٩٤ الرُّومِي	وَتَأْمَلُ ٣٢١ الرُّومِي
الْمَظَلُ ٢٨٥ الرُّومِي	وَعَذُوءُ ٩٤ البهاء
الْمَقُولُ ٣١١ الرُّومِي	وَمَسَائِلُ ١٢٢ اليتيمة
الهِلَالُ ٣٣ المَتْنِي	وَنَائِلُ ١٠ السَّقْط
بِالصَّهِيلِ ٤٤ السَّقْط	وَنَضَالُ ٢٣ السَّقْط
بِالْكَمَالِ ٢٣٤ الزُّوم	وَيُسَاغُلُ ٨٦ المَتْنِي
بِالْمَظَلِ ٣٠٢ الرُّومِي	وَيَمِيلُ ١٤٠ اليتيمة
بِحَالِي ٥١ أَبُو فِرَاس	يُدِيلُ ٥٠ أَبُو فِرَاس
بِغَالِ ١١٤ اليتيمة	يَزُوءُ ٢١٥ الزُّوم
جَهْلُ ١٢٠ المَتْنِي	يَفْعَلُ ٢١٦ الزُّوم
جَهْلِي ٢٩٦ الرُّومِي	يُمَلُّ ٩٧ اليتيمة
حَالِي ١٠٣ البهاء	يَنْفَصَلُ ١٠١ البهاء
رِجَالُ ٣٢٠ الرُّومِي	الْحَالُ ١٠٨ المَتْنِي
رِجَالُ ٤٣ أَبُو فِرَاس	أَجْلِي ٩٢ البهاء
رَوَاحِلُ ٢٣٧ الزُّوم	أَعْمَالُ ٢٣٢ الزُّوم
رُؤْيُ ٥٨ الدِّمِيَّة	الْأَطَاوِلُ ٣٠٨ الرُّومِي
سَبِيلُ ٣٢٢ الرُّومِي	الْأَكْبِيلُ ٧٦ ابْنُ الْمَعْتَزِ
عُدَالِي ٢٣ الدِّمِيَّة	الْأَوْصَالُ ٣١٩ الرُّومِي
عَمَلُ ٣١٧ الرُّومِي	الْبَحْلُ ٨٣ اليتيمة
عِيَالُ ٢٣٠ الزُّوم	الْحَلَالُ ١٠٤ اليتيمة

غَلِيلِي ٣١٨ الرومي
 فَرُؤُلِي ٢٣٥ اللزوم
 قَتَالِ ٦٢ المتنبي
 قِيلِي ٨٠ المتنبي
 كَالسَّوَافِلِ ٢٢٩ اللزوم
 كَالْعِيَالِ ٣٠٠ الرومي
 كَالْقُبَلِ ٦٤ المتنبي
 كَهْلِ ٢٣٨ اللزوم
 لِّلْعَاقِلِ ٦٣ المتنبي
 مِثْلِي ٢٠ اليتيمة
 مِثْلِي ٤ المتنبي
 مُغْتَدِلِ ١١٧ اليتيمة
 مُغْضِلِ ٢٣٦ اللزوم
 مَمِيلِ ٢٩٧ الرومي
 مَهْلِ ٢٢٨ اللزوم
 وَإِقْبَالِ ٢٣١ اللزوم
 وَالْإِبِلِ ٧٨ المتنبي
 وَالشَّكْلِ ٩٨ البهاء
 وَاللِّبَالِي ١٢٨ المتنبي
 وَبِالْبَذْلِ ٣٠٥ الرومي
 وَجَلِ ٤٩ اليتيمة
 وَمَا لِي ٢٥ السقط
 يُبْلِي ٦٥ المتنبي
 اذْخُلُ ٣٠٣ الرومي
 الرُّجَا ٥٨ ابن المعتز
 السَّيْلُ ٣٧ السقط
 الشَّمَائِلُ ٩٩ البهاء
 بِطَائِلِ ١٠٠ البهاء
 خَجِلُ ١٢٥ اليتيمة

فَاعِلُ ١٠٥ البهاء
 وَالْعَمَلُ ٦٩ اليتيمة
 أَبْلَى ٢٢٥ اللزوم
 تُذَلُّ ٥٣ أبو فراس
 خَرَدَلُ ١٠٧ البهاء
 زَوَالُهَا ٤٢ السقط
 فَلَكُ ٧٩ المتنبي
 قَتَلَهُ ٥٧ المتنبي
 لِيَهْوِلَهَا ٢٢٣ اللزوم
 مُذَالَّةُ ٣١٣ الرومي
 مُضَلَّلَةٌ ٢٢٢ اللزوم
 نِصَالُهَا ٢٨٧ الرومي
 نَوَالُهُ ٣٠٧ الرومي
 خَبَاهُ ٩٧ البهاء
 فَيَقُلُّهُ ٢١٧ اللزوم
 قَاتِلُهُ ٥٩ ابن المعتز
 وَأَوَّلُهَا ٥٢ أبو فراس
 بَلْبَالِهِ ٦٧ المتنبي
 يَنْحَوِلُهُ ٣١٤ الرومي
 حَالِكَا ٢٦٧ الرومي
 نَيْلُهُ ٢٩٢ الرومي
 أَحْجَمَا ١٣٢ اليتيمة
 أَعْمَى ٢٤٦ اللزوم
 الرَّجْمَا ٢٤٧ اللزوم
 الصَّمَا ٢٤٥ اللزوم
 الْقَدِيمَا ٢٤٩ اللزوم
 الْهُمَا ٥٨ أبو فراس
 إِلَيْكُمَا ٢٥٠ اللزوم
 تَقَدَّمَا ٨ اليتيمة

سَقَمُ ٧٥ المتنبي	دَمًا ١٧ اليتيمة
طَسْمُ ٢٣٩ اللزوم	لَوْمًا ٣٤٩ الرومي
عَزَمُوا ٥٦ أبو فراس	مُحَرَّمًا ٣٣١ الرومي
عَظِيمُ ٥٤ أبو فراس	مَكَارِمًا ٣٣٧ الرومي
فالرَّيْمُ ٣٤٨ الرومي	نَدِيمًا ٢٤٨ اللزوم
فَمُسْلَمُ ٣٢ المتنبي	وَضَمًا ٤٣ المتنبي
قَادِمُ ٣٣٨ الرومي	أَسَحَمُ ٣٢٥ الرومي
مُتَيِّمُ ٦٩ المتنبي	أَسْلَمُ ٥٠ المتنبي
مُغْرَمُ ١١١ البهاء	أَغْتَاكُمُ ٢٤٤ اللزوم
مِنْهُمْ ٣٠ المتنبي	أُقْدِمُ ٢٤١ اللزوم
مُنِيْمُ ٦٠ ابن المعتز	الْأَنَامُ ٣٥٥ الرومي
نَجَمُوا ١٤٩ اليتيمة	الْأَذَاهُمُ ٣٢٧ الرومي
نَدِيمُ ١١٥ البهاء	الْأَعْظَمُ ٤٧ اليتيمة
وَالْجَلَمُ ١١٢ المتنبي	الْأَلَمُ ٨٣ المتنبي
وَالْدَمُ ١١٠ البهاء	الإِمَامُ ١١٣ البهاء
وَالْعَدَمُ ٦٠ أبو فراس	الحَاكِمُ ٣٤ اليتيمة
وَالكَرْمُ ١٢٣ اليتيمة	السَّجْمُ ٢٤٠ اللزوم
وَعَرَامُ ١٢ السقط	الْعَمَامُ ٦٠ المتنبي
وَيَرْحَمُ ١١٨ البهاء	الْقِدْمُ ٢٦ المتنبي
يَدَوْمُ ١١٤ البهاء	الْقَسَمُ ٩٥ المتنبي
يَدَوْمُ ٦٤ ابن المعتز	الْكَرْمُ ٢٠ المتنبي
يَنَامُ ٤٠ المتنبي	اللُّجْمُ ٧ اليتيمة
لَا اللَّثَامُ ٢٨ المتنبي	الْمَكَارِمُ ٨٨ المتنبي
أَعْمَامِي ٣٤١ الرومي	الْهُمُومُ ١١٣ المتنبي
الأَحْلَامُ ٣٣٣ الرومي	إِمَامُ ١١٦ البهاء
الأَرَاقِمُ ٥٢ المتنبي	تَكَلَّمَ ٣٢٩ الرومي
الْحِمَامُ ١٥ المتنبي	تَنَامُ ٨٩ المتنبي
السَّجَامُ ٣٤٤ الرومي	حَرَامُ ٥٧ أبو فراس
العَالَمُ ٣٥٠ الرومي	خَدَمُ ٢٤٣ اللزوم

الْعَالَمِ ٦٥ ابن المعتز
 الْقَمَامِ ١٥٨ اليتيمة
 الْكَلَامِ ١٠٦ المتنبي
 اللُّوَامِ ٦١ أبو فراس
 الْمَعَاجِمِ ٣٣٥ الرومي
 الْمَكَارِمِ ٦٨ اليتيمة
 النُّجُومِ ٥٤ المتنبي
 النُّعْمِ ٣٣٠ الرومي
 أَمَامِي ٢٩ السقط
 أَمْثَالِي ٣٨ السقط
 أَوْهَامِي ٤٥ السقط
 يَدَمِ ٣٣٩ الرومي
 يَلْغَمِ ٣٥٣ الرومي
 تَسْلَمِ ٣٤٠ الرومي
 حِمَامِي ١٦ المتنبي
 حُخْمِ ٢٥٢ اللزوم
 سَامِ ٥٩ أبو فراس
 سُخَامِ ٣٤٣ الرومي
 سَقِيمِ ٦١ ابن المعتز
 سَلَامِ ٣٣٢ الرومي
 سُمِّيَ ٢٥ المتنبي
 سِيَهَامِي ٣٣٤ الرومي
 شَيْبِي ١٠ المتنبي
 شَيْمِي ٨١ اليتيمة
 ضَيْغَمِ ١٥٢ اليتيمة
 عَظِيمِ ٣٤٢ الرومي
 فَسَالِمِ ١١٥ اليتيمة
 قَتَمِ ٣٩ السقط
 قَدَمِ ١١٠ المتنبي

قَدَمِ ١٤ الدمية
 قِيَامِ ٩٦ اليتيمة
 كَالْهُمُومِ ٣٢٨ الرومي
 كَلَامِ ٣٤٥ الرومي
 نَلْسَقَا ٤٥ اليتيمة
 مُسْتَضَامِ ٦٢ أبو فراس
 مَلَامِي ١١٧ البهاء
 مَنَامِ ٣٤٧ الرومي
 مُيَمَّمِ ١٠٠ المتنبي
 وَالزَّمِ ٢٧ الدمية
 وَقَمِي ٣٥٦ الرومي
 وَقُمِ ٢٥١ اللزوم
 وَمُطَهَّمِ ٦ السقط
 وَمُقَامِي ١١٢ البهاء
 يَوْمِ ٣٢٦ الرومي
 الْأَمَمِ ٢٥٦ اللزوم
 أَلِيمِ ٢٥٣ اللزوم
 يَدَمِ ٦٣ ابن المعتز
 تَقَادَمِ ٢٥٤ اللزوم
 رَعَمِ ٢٥٥ اللزوم
 مَرِيَمِ ٣٥٢ الرومي
 وَادْلَهَمِ ٥٥ أبو فراس
 وَجَمِ ٣٣٦ الرومي
 وَيَنْدَمِ ٣٤٦ الرومي
 عِمَامَةً ٣٥٤ الرومي
 وَمُقَامُهَا ١٠٩ البهاء
 سَاجِمَةً ٥٩ المتنبي
 عَقِيمُهَا ٢٤٢ اللزوم
 لَائِمَةٌ ١١٩ البهاء

لنا ١١٦ اليتيمة	نَجْمُهُ ١٠٨ البهاء
مِنَّا ١٢٧ البهاء	أُمُّكَ ٢٧٩ الرومي
هَانَا ٤٥ المتنبي	تَمَامِهِ ٩ السقط
وَادِينَا ٦٣ أبو فراس	مُلْتَمِئُهُ ٦٢ ابن المعتز
وَاسْتَرْخَنَا ١٢٥ البهاء	يَوْمُكَ ٢٨٤ الرومي
وَرَيَّحَانَا ٣٦٢ الرومي	إِحْسَانًا ١١٦ المتنبي
وَطَنَا ١١١ اليتيمة	أَحْيَانَا ٣٧٨ الرومي
يَجْمَعُنَا ٢٤ الدمية	أَزْمَانَا ١٢١ البهاء
اَكْتَبَانُ ٣ السقط	أَعْلَنَا ٣٩ المتنبي
العيونُ ٣٧٤ الرومي	الِإِذْنَا ٧١ المتنبي
اللَّبْنُ ٣٧ الدمية	الِإِمْكَانَا ٢٦٦ اللزوم
إِنْسَانُ ٢٥٨ اللزوم	الْتَمْنَا ٣٨٠ الرومي
سَكَنُ ١٠٣ المتنبي	الدِّيَوَانَا ٣٨٥ الرومي
قَتُّوا ٢٥٧ اللزوم	السُّلْطَانَا ٦٠ اليتيمة
كَفَنُ ٣٧٧ الرومي	الْفَحْطَبِيَّيْنَا ٣٦٤ الرومي
مَكَانُ ١٢٠ البهاء	الهُونَا ٣٧٦ الرومي
نَحْنُ ٢٥٩ اللزوم	أَنَا ٢٦ الدمية
وَأَحْزَانُ ٧٢ ابن المعتز	إِيذَانَا ٣٧٩ الرومي
وِإِعْلَانُ ١٢٤ البهاء	بِنَا ١٣٢ البهاء
وَالْأَخْيَانُ ٢٦٠ اللزوم	بِنَا ٢٦٥ اللزوم
وَرُمَانُ ٣٥٧ الرومي	دَنَا ٢٠ اللزوم
وَسُلْطَانُ ١٢٣ البهاء	رُكْنَا ٢٢ اليتيمة
أَتَلَفْتَنِي ٣٤ السقط	زَمَانَا ٣٩٢ الرومي
أَرْجُوَانِ ٣٨٢ الرومي	ظَنَّا ١١٩ اليتيمة
إِعْلَانِي ٦٦ ابن المعتز	عَلْنَا ٢٦١ اللزوم
الإِحْسَانِ ١٢٢ البهاء	عَلَيْنَا ٦٥ أبو فراس
الإِخْوَانِ ٦٩ أبو فراس	عَنَانَا ١٠٤ المتنبي
الْأَمَانِي ٦٦ أبو فراس	عَنَى ٦٧ أبو فراس
الِإِمْكَانِ ١٣ اليتيمة	فَكَانَا ٣٦٦ الرومي

دَجْنِ ٣٩١ الرومي	الإنسان ٨٦ اليتيمة
زمان ٦٨ أبو فراس	البَيْن ٦٨ ابن المعتز
زَمَانِي ١٤٦ اليتيمة	الثَّانِي ٩٤ المتنبي
زَمَانِي ٣٨٦ الرومي	الدين ٢٨ اليتيمة
زَهَانِي ٣٦٨ الرومي	الرَّمَانِ ١٢٥ المتنبي
سَكَنِ ٣٥٩ الرومي	الرَّمَانِ ٩ المتنبي
شَفَانِي ٣٦٠ الرومي	الرَّزَمِ ٦٩ ابن المعتز
شَفَانِي ٦٤ اليتيمة	الساكن ٢٧٢ اللزوم
شَهْرَانِ ٣٧١ الرومي	السَّلاطين ١٤٨ اليتيمة
صَبِيَّانِ ٣٨٤ الرومي	السَّمِين ١٠٥ اليتيمة
عَدْنِ ٣٨٨ الرومي	السُّودَانِ ١٦ اليتيمة
عَنِي ٣٨٧ الرومي	الطَّعَانِ ٥٥ اليتيمة
عُضْنِي ١٤ اليتيمة	الطُّغْنِ ١٨ السقط
عَنَانِي ٢٥ اليتيمة	الفُطْنِ ٤٢ المتنبي
فاخْتَسَانِي ٢٧٠ اللزوم	القَمَرَانِ ١٠٥ المتنبي
فَرَانِي ١٢٩ اليتيمة	القِيَانِ ٣٦٩ الرومي
فَنَنْ ١٥٣ اليتيمة	الحُرَّانِ ٣٥٨ الرومي
قَطْنِي ٢٧٥ اللزوم	أَنُوشِرَوَانِ ١٠٢ اليتيمة
لِدُونِ ١٣١ البهاء	بِالْمَيْنِ ٣٧٢ الرومي
لِلْكَفَنِ ٣٧٣ الرومي	بِالْيَمَانِي ٢٧١ اللزوم
لِلْمَجَانِينِ ٦٧ ابن المعتز	بِتَبْيِينِ ٣٦١ الرومي
لَوَانِي ٢٧٦ اللزوم	يَدِيَوَانِ ٢٦٩ اللزوم
مَسْنُونِ ٣٦٣ الرومي	بِقَانِ ٨ السقط
مَبْنِي ١٢٩ البهاء	بِقَلَانِ ٣٦٥ الرومي
وأحزاني ٢٦٨ اللزوم	تَجَنُّ ٢ اليتيمة
وأحزاني ٢٧٤ اللزوم	تَدَانِ ٣٦٧ الرومي
وإحسان ١٢٨ البهاء	تَرَعَانِي ٣٨٩ الرومي
والبيان ٧١ ابن المعتز	خَنِينِي ٢٢ الدمية
والرَّيَّانِ ٣٨١ الرومي	حَوَانِ ٣٧٥ الرومي

والسلطان ٧٧ ابن المعتز
 والوسن ٢ المتنبي
 ودعيني ٧٠ ابن المعتز
 يُبكي ١٠٩ اليتيمة
 يميني ٢٤ اليتيمة
 البنان ٤٨ الدمية
 المؤذن ١ الدمية
 مَحْنُ ٣٩٠ الرومي
 بيانهُ ٢٦٢ اللزوم
 حَسَنَةُ ٢٦٧ اللزوم
 حَيْنَكَ ٨٩ البهاء
 رُكُضَنَةُ ٢٦٣ اللزوم
 سَمِغَنَةُ ٦٤ أبو فراس
 سَنَةُ ١٣١ اليتيمة
 مَعْنَاهُ ٥٨ المتنبي
 هُنَّةُ ٤ الدمية
 والأسِنَّةُ ٤١ السقط
 يُقَسِّنُهُ ٢٦٤ اللزوم
 وَمَوْنُهُ ٣٧٠ الرومي
 إِحْسَانُكَ ٢٦٨ الرومي
 أُذُنُهُ ٣١ الدمية
 بِإِذْنِهِ ٣٨٣ الرومي
 بِضُلْبَانِهَا ٢٧٣ اللزوم
 مِنْهَا ٥٢ اليتيمة
 أَرَاعِيهَا ٢٨١ اللزوم
 تَرَاهَا ٢٨٣ اللزوم
 تَغْشَاهَا ٢٣ الرومي
 صَدَّاهَا ٢٤ الرومي
 قُرْطَاهَا ٢٨٢ اللزوم

مُدَّلَّهَا ٧٣ ابن المعتز
 مَعْنَاهَا ١٣٥ البهاء
 أَبْلَهُ ٢٧٧ اللزوم
 جَنَاهُ ٢١ الرومي
 فَيَأْبَاهُ ٧٥ ابن المعتز
 مُسْهِبُهُ ٢٨٠ اللزوم
 مِنْ هُوَ ١٢٦ البهاء
 مِثْنُهُ ١٣٠ البهاء
 هَوَاهُ ٢٧٩ اللزوم
 وَجَرَّبُوهُ ٢٧٨ اللزوم
 يَنْسَاهُ ١٣٤ البهاء
 بِأَبْيِهِ ٢٨٤ اللزوم
 تَهَيَّ ١٣٨ اليتيمة
 مُكْرَهُ ٧٤ ابن المعتز
 وَالْمَلَاهِي ٢٨٥ اللزوم
 يَقْوَى ٣٩٣ الرومي
 لِيَهْوِي ٢٨٦ اللزوم
 سَلَوْ ٥٦ الدمية
 الشَّهْوَةُ ٣٩٤ الرومي
 وَاشْبِهَا ١٣٣ البهاء
 الْمُحْيَا ٤١ الدمية
 الْمَطَايَا ١٣٧ البهاء
 بِالْعَطَايَا ٣٩٨ الرومي
 رَاضِيًا ١١١ المتنبي
 شِفَاتِيَا ٣٩٦ الرومي
 صَادِيَا ٣١ اليتيمة
 مَطِيَّتِيَا ٢٨٩ اللزوم
 نَاجِيَا ٤٠٠ الرومي
 وَغِيَا ٢٨٨ اللزوم

حَبِي ٢٨٧ اللزوم

لِتُرْكِي ١٢٧ اليتيمة

يَدَي ١٤٠ البهاء

الْقَاسِيَةُ ١٣٣ اليتيمة

الْمَنِيَّةُ ٧٠ أبو فراس

النَّاجِيَةُ ١٣٨ البهاء

شَبِيهَا ١٣٦ البهاء

فِيكَ ٢٢ المتنبي

مُحْتَوِيَةٌ ١٣٩ البهاء

نَافِيَةٌ ٣٩٥ الرومي

الْكَرِيهُ ٣٩٧ الرومي

سَيْرِيكَ ٢٧٤ الرومي

عَلَيْهِ ٤٠٢ الرومي

فِيهِ ٥١ اليتيمة

نَوَاحِيهَا ٥٣ الدمية

يُبَيِّهَا ٣٩٩ الرومي

يَدِيهِ ٤٠١ الرومي

تأليف الشاعر العربي من ابن الرومي حتى سقوط بغداد

نوهج الشعر العربي في ديوان ابن الرومي وابن المعتز، ثم خرج عليه من الصحراء المتنبي الذي قيل إنه أحل ألف شاعر في عصره، أي أطفأ ذكرهم، لشهرته وجودة شعره. لكن أبا فراس الحمداني كان شمساً إلى جانب الشمس. وتألّق. وجاء أبو العلاء المعري بعد هذين الكبيرين فتألّق. واستراح الشعر العربي عقوداً طويلة سمعنا فيها أصواتاً خافتة. وفي هذا الكتاب أنصتنا جيداً، واقتطفنا من شعر هؤلاء أطيبه، ثم جاء البهاء زهير فكان بليلاً، تقرأ شعره فكانه كتب أول أمس.

وصادف أن مات البهاء زهير في السنة التي سقطت فيها بغداد بيد هولاكو، فكان شعره خاتمة عصر الشعر العربي القديم كله، وسنتنظر مئات السنين حتى يبعث الشعر العربي من جديد على يد البارودي.

في هذا الكتاب مئات القصائد والقطع لعشرات الشعراء. عصرنا الدواوين عصرراً، واخترنا أجمل القصائد، وشرحنا ذلك كله شرحاً قصدياً فيه أن يكون ملائماً لقارئ معاصر، وقدمنا لكل شاعر بمقدمة عن حياته وعن شعره، وكنا في مقدمتنا نستطرد فنحدثك عن همونا في زمننا هذا.

- كل باب مذيّل بفهرس للقوافي، وفي آخر الكتاب فهرس عام لها.

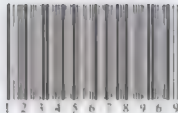
- مرفق مع الكتاب تسجيلات صوتية من قصائد «تألّق الشعر» بصوت المؤلف عارف حجاوي، وهي مرقمة بحسب ترقيمها في الكتاب.

- تم التسجيل في استديوهات مركز الجزيرة للتدريب الإعلامي. مهندس الصوت: محمد ماضي.



القاهرة - المعادي - شارع المعراج

almashreq.books@gmail.com



عَافِي حَاجَوِي



تَحْلِيلُ الشَّعْرِ

نُزْدَةُ الشَّعْرِ الْعَبَّاسِي
مِنْ بَشِيرٍ إِلَى الْخَيْرِي

تجدُّد الشعر

زبدة الشعر العباسي، من بشار إلى البحتري

عارف حجاوي



تَجَدُّدُ الشَّعْرِ

الفهرسة أثناء النشر - إعداد دار المشرق

حجاوي، عارف

تجدد الشعر: زبدة الشعر العباسي، من بشار إلى

البحري/ عارف حجاوي.

٧٦٦ ص.

١. شعر. أ. العنوان.

892

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر
بالضرورة عن وجهة نظر دار المشرق»

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار المشرق
الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٧

دار المشرق

القاهرة - المعادي - شارع المعراج

almashriq.books@gmail.com

أبواب الكتاب

٧	مقدمة .
١٥	بشَّار بن بُرْد (٩١هـ - ١٦٧هـ) .
٨١	أبو العتاهية (١٣٠هـ - ٢١١هـ)
١٤١	العباس بن الأحنف (١٣٣هـ - ١٩٢هـ)
١٦٩	مسلم بن الوليد (١٣٥هـ - ٢٠٨هـ) ..
٢٠١	أبو نواس (١٤٠هـ - ١٩٩هـ)
٢٩٣	دُعْبِل الخزاعي (١٤٨هـ - ٢٤٦هـ)
٣٢١	ديكُ الجِنَّ الحَمِصِيَّ (١٦١هـ - ٢٣٥هـ)
٣٤٣	عليُّ بن الجَهْم (١٨٨هـ - ٢٤٩هـ)
٣٩٩	أبو تمام (١٨٨هـ - ٢٣٢هـ)
٥٨١	البُحْتُريَّ (٢٠٦هـ - ٢٨٤هـ) .
٧٣٩	فهرس القوافي العام

مقدمة

يضم هذا الكتاب ألفاً ومئتي قطعة. تكون القطعة بيتاً وتكون قصيدة كبيرة، أو أي شيء بينهما. هي أشعار انتخبناها من دواوين عشرة شعراء حملوا الشعر العربي وانطلقوا به عالياً كي يحلق في مدار جديد.

البدء ببشار الشاعر المتهتك المتمرد، وكل شعرائي متهتكون متمردون، جزئياً أو كلياً، وانتظر أسطراً وستري. ظل بشار «يتخيل» أنه يحن إلى دين أجداده عبدة النار «الأرض مظلمة والنار مشرقة/ والنار معبودة مذ كانت النار»، هذا رغم نشوئه في أحضان العربية التي لم يعرف لغة غيرها. كان بشار رغم عماء شهبانياً - ومن قال إن الأعمى أبعد عن الشهبانية من أخيه المبصر؟ -، وعبر بشار عن شهبانيته في أشعار كثيرة نقلنا منها الكثير. يحدثنا عن فتاته: «تقول وقد خلوتُ بها: / تكلمْ واكفني يدك».

والمتهتك الثاني مجن سنوات فلائيل ثم انعكس انعكاسة غريبة أنتجت لنا أطرف دواوين الشعر العربي. هذا أبو العتاهية. عاش طويلاً، وعاش وهو في مطلع كل صباح، ومطلع كل قصيدة، يذكر الموت. كان يعشق الحياة عشقاً أنساه أن يعيشها. سوف يلومني بعض القراء لأنني أخذت من أشعار العتاهي كثيراً، ولكنني كنت وأنا أطلع ديوانه أقف حيال معانيه الموتية وقفاتٍ اندهاشية كثيرة. . من أين يأتي هذا الشاعر بكل هذا الدفق من المعاني في موضوع واحد شديد الضيق. الحياة عامرة بالمعاني، والموت معنى واحد. أبو العتاهية يرى موتاً في الحياة «ما ارتد طرف امرئ بلحظته/ إلا وشيء يموت في جسده»، وهو يمر بالمقابر ويقول لنفسه «معقول! أمن المعقول؟ أيعقل أن هؤلاء كانوا ذات يوم بشرًا؟» هذا ما أترجمه أنا عنه لا ما قاله فعلاً. . قال: «ألا تعجبون لأهل القبور/ كأنهم لم يكونوا بشرًا».

ونستريح عند شاعر صحب هارون الرشيد في حله وترحاله، فهو حاضر في مجلسه، ومرافق له ضمن الحاشية. لكنه قصر شعره على الغزل. هذا شاعر عذري في زمن غير عذري. حتى عندما اصطحبه الرشيد معه إلى خراسان فقد تملل وقال شعراً في ذلك، فأعطاه الرشيد مالا وأذن له بالعودة إلى بغداد. نسيت أن أذكر لكم اسمه، هو العباس بن الأحنف. تعجبني للعباس أبيات بالعشرات انتخبته لك ضمن ما انتخبته. ولكنني أذكر لك بيتاً ترنمت به قديماً، وبيتاً أترنم به اليوم كثيراً. بيت اليوم هو «وحدثني يا سعد عنها فزدني/جنونا، فزدني من حديثك يا سعد». والبيت القديم كنت قرأته في إذاعة لندن، البي بي سي، أيام عملت بها. كنت أنشدته مترنماً ممتلئاً بمعناه: «يا من تهادى قلبه في الهوى/سال بك السيل ولا تدري»، وصادف أن كنت في القاهرة أحضر معرض الكتاب، وجاء من أقصى المعرض رجل يبحث عني، وعندما وجدني قال لي: «يا من تهادى قلبه في الهوى/ساال بك السيل ولا تدري» وأنشد البيت مثلما كنت أنشدته، ثم انصرف هازأ رأسه.

ثم تقلب الصفحة إلى فصل يضم أشعار مسلم بن الوليد. هذا الشاعر الذي فتح ورشة لصناعة الشعر وبدأ يصوغ الأبيات مقتنصاً فيها ما استطاع من المحسنات. لم أستطع أن أحبه من النظرة الأولى، غير أنني وقفت ببيت له، أطلت الوقوف، وأطلت التعجب: «يا ليت ماء الفرات يخبرنا/أين تولت بأهلها السفن». ومضيت أحرث ديوان مسلم، وأفك معمياته، وأرهقني. وسعدت بما جنيت منه، ثم شقيت بشرح ما اقتنصته مثلما تشقى وأنت تحل مربع الكلمات المتقاطعة اللغزي. وهذا النوع، عنيت «اللغزي» مشهور في اللغات الأوروبية. يقول لك، مثلاً: مدينة فيها العدل وفيها وحل، ١١ حرفاً. وعليك أن تقول في مخك إن العدل هو «القسط» وإن الوحل «طين»، فالمدينة إذن «القسط ن طين ية».

كان صديقي الشاعر محمد مسعد، جاراً لي في الأيام الخوالي، وكنا نتبادل مربعات الكلمات المتقاطعة، نقطع بها أياماً طويلة من أيام الانتفاضة الفلسطينية الأولى. ذات يوم ثرت به ثورة عارمة، فقد كتب لي «ارتعاش»، وكان علي أن أحزر أن المقصود هو الزعيم الهندي «راجيف غاندي». فكان الارتعاش يجب أن يوحى بالرجفة ثم براجيف. وعندما أصبحت ذات سنة رئيساً لتحرير الصحيفة الرسمية للبلد، كنت أقعد، بعد «تسكير» الصفحة الأولى،

أرتب الكلمات المتقاطعة لنشرها في الأعداد المقبلة. ولما قررنا أن نجعل للفائزين جوائز ساق القدر إليّ عدداً من مهووسي هذا العيث فسعدت بهم أيما سعادة، ولم أكن أضع اسمي بالطبع على هذه الألغاز، فقد كنت أصطنع وقاراً لا بد منه. غير أن خلف وقاري، في كل شؤون حياتي، عبثاً كامناً لن أعفيك منه في أي صفحة من صفحات هذا الكتاب.

عمن كنا نتحدث؟ عن مسلم بن الوليد. قد لخصته لك تلخيصاً وشرحته شرحاً احتسبت تعبي فيه.

ثم نأتي إلى أبي نواس. فهل اقتبسنا شيئاً مما أفحش فيه؟ نعم، قد فعلنا. أشياء لا شيئاً واحداً. كان عصرهم ذاك - عصر هارون الرشيد - عصر استرخاء الدولة، كان «يوم الزينة» في حياة الأمة العربية الإسلامية. وابتلي صاحبنا بالخمير، وبما هو أوبق منها. وحدثناك عنه بحب. قد مات أبو نواس واختلطت عظامه بتراب الأرض، وظل العرب يصرون على التغني بشعره، فعاش. وحقق ديوانه تحقيقاً ممتازاً سليم قهوجي، وأفدنا من تحقيقه ومن شرحه. والديوان ينطلق بالقصيدة الهمزية المشهورة: «دع عنك لومي فإن اللوم إغراء/ ودواني بالتي كانت هي الداء». وقد جعلها قهوجي عشرة أبيات مسقطاً منها بيتاً وجده فاحشاً. نحن لم نسقط البيت.

هذا الكتاب، وكثير مما أكتب، واقع تحت الاتهام بالخروج. الشعر خروج وتمرد. وما كان منه متصالحاً مع المجتمع فهو الشعر الضعيف. لي صاحب يذكر الشاعر الصالح فيترحم عليه، ويذكر الفاسق فيستنزل عليه اللعنة. أنا مخلوق خلقة أخرى. والسلام.

بعد أبي نواس يأتي دُعل الخزاعي. وأنا أرتب الشعراء حسب سنة المولد، لا الوفاة كما درج بعض الدارسين، فالسنوات الأولى من حياة الشاعر هي التي يختمر فيها شعره. عاش دُعل خمساً وتسعين سنة، عاش خمسين منها وهو.. «أحمل خشبتي على كتفي ولا أجد من يصلبني عليها». كيف لا وهو قد هجا ستة خلفاء ونصفاً. هجاهم بالترتيب من الرشيد إلى المتوكل. فأما النصف فهو إبراهيم بن المهدي الذي نصب نفسه خليفة فيما بين مقتل الأمين وقدم المأمون إلى بغداد. ونال نصيبه من لسان شاعرنا. استقبل دُعل تنصيب الخليفة المعتصم بقوله «ملوك بني العباس في الكتب سبعة/ ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب// كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة/ خيار إذا عدوا وثامنهم كلب»،

ومات المعتصم وقام الواثق، فاستقبله دعبل بقوله «خليفة مات لم يحزن له أحد/ وآخر قام لم يفرح به أحد». ومن صناعة دعبل البيت المشهور «لا تعجبي يا سلم من رجل/ ضحك المشيب برأسه فبكي».

ظل يعجبني بيت آخر لدعبل، عن قبيلته خزاعة: «كانت خزاعة ملء الأرض ما اتسعت/ فقص مر الليالي من حواشيها». وكنت في كل مرة أقلب الكتب باحثاً عن هذه القصيدة ناسياً من قالها، فقد عشت ردىاً من الزمن قبل غوغل، ثم ها أنذا أقيد هذه القصيدة تقييداً. ولعل القارئ يحس إحساساً دفيناً بأنني كتبت هذا الكتاب لنفسى لا له. إحساس صادق. أنا منذ سنين كثيرة أألمم الشعر الجميل كي أتنس به، وفي هذا الكتاب فصول كتبتها قبل بضع سنين وأخرى كتبتها قبل بضعة أسابيع، وإنما أسعى في إخراج هذا للناس كي يزيد أنسى بمشاركة محبي الأدب إياي، وكي أزيد حياتي عرضاً، عاجزاً عن زيادتها طويلاً. ولعل القارئ أن يظن أن من بعض أسباب طباعتي لهذا الكتاب أن أضع اسمي على غلافه وأسمي نفسي مؤلفاً. صدق ظنك. أرى القارئ يحدس ببراعة ويعرف كل شيء قبل أن أقوله، تبارك الله.

يمكنني أن أنشر هذا الكتاب على الإنترنت، لكنني أريد الحصول على «مصادقية الورق». فما زال الكتاب الورقي هو الكتاب.

يأتيك بعد دعبل الشاعر الذي قتل زوجته، وهو ديك الجن الحمصي. ولأنه ارتكب هذه الجريمة أسطره الناس، وسار ذكره صاعداً تلال السنين هابطاً وديانها حتى وصل إلينا. ووصل إلينا من شعره ما يشهد له بالشاعرية، وبالوحشية، وبالرقة، وبقلة الدين. قتل زوجته شاكاً فيها ثم رثاها بحرقه «لو كان يدري الميت ماذا بعده/ بالحى حل، بكى له في قبره». ولا نظن زوجته «ورد» بكت له في قبرها، ولكننا - نحن ذكور هذا العالم الناطق بالعربية - نبكي لأمهاتنا وبناتنا وأخواتنا لما يصادفن من شبه الوأد.

ولئن سمع كثيرون باسم ديك الجن فلعل من سمع باسم علي بن الجهم قلة من الناس. هذا رجل مشاكس، شديد الفخر بنفسه وبعائلته، يمدح بعنف ويرثي بعنف، ويتوجع لما أصابه بعنف. وقد لقي الحبس والصلب والضرب واستصفاء الأموال، وظل يقول شعراً من أعلى الشعر. يعرف له الناس «عيون المها بين الرصافة والجسر/ جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري»، لكن له قلائد غيرها لا تقل عنها بحال، وله من الشعر ما يفوق هذه القصيدة جمالاً.

شرحنا شعره شرحاً وافياً.. ولعلك تلاحظ أننا فيما أوردنا لأبي العتاهية لم نشرح إلا قليلاً، ذلك أن شعره كالماء. شعر ابن الجهم كالخمر المعتقد.

الشعراء هم الذين يصنعون اللغة. المعنى لجبران. وشعرائي العشرة في هذا الكتاب هم الذين حفروا في ساحة العربية آباراً، وبنوا فيها قصوراً، وجعلوها لغة عامرة كبيرة، وحملوا كلماتها بالمعاني. والشاعر الذي قرر أن يفكك اللغة العربية ثم يبينها من جديد، مثلما فكك ستالين مليون مصنع ثم أعاد تركيبها شرقاً أمام زحف هتلر، هو أبو تمام.

هو صاحب «السيف أصدق أنباء من الكتب»، وصاحب «ما الحب إلا للحبيب الأول». وأبو تمام قد صعد فوق كتفين عاليتين: كتف مسلم وكتف أبي نواس، وتعلمق في شعره، وجهر كتفيه كي تحملا بعد حين المتنبّي.

وكان لأبي تمام تلميذ نابه التقى به قليلاً. والتلميذ النابه لا يحتاج من أستاذه إلى دروس.. يحتاج فقط إلى الإلهام وإلى أن يرى الأستاذ عالياً في السماء حتى يشرب إليه، ويزاحمه بين النجوم. التلميذ هو البحتري.

كأستاذه كان البحتري معجباً بشعره، يصفه في شعره. يقول «إذا ما بنيت بيتاً تبخترت.. كأني بنيت ذات العماد». وكان أستاذه أبو تمام جعل قوافي القصيدة يغار بعضها من بعض، فهذه قافية استقرت مستريحة في نهاية البيت، وتلك أخرى تريد أن تقعد مكانها، ويكاد الأمر يصل إلى الاقتتال «تغاير الشعر فيه إذ سهرت له/ حتى كأن قوافيه ستقتل».

عاش البحتري ثمانين سنة، ضعف عمر أستاذه. وجاد في أخريات سنيه بقصيدته السينية التي وصف فيها إيوان كسرى. وهي قصيدة تستمد بعض جمالها من أن شاعرنا قالها لا يمدح أحداً ولا يطلب عليها عطاء من أحد. ذهب إلى الإيوان مع ولده وقعد هناك، ورأى وتعجب مما رأى، وقال قصيدة لم تعرف العربية سينية أجمل منها. والطريف أن البحتري بعد حين مدح أحد الأمراء الفرس بقصيدة أحاله فيها على قصيدته في مدح إيوان كسرى، كأنما ندم على أن فوت تلك القصيدة دون أن يضمناها مدحاً يجر عليه بعض المال (قد مدحنا إيوان كسرى وجئنا/ نستثيب النعمى من ابن ثوبة).

هؤلاء شعرائي العشرة الذين جددوا الشعر العربي ونقلوه من البداوة إلى الحضارة. وبقيت فيهم من البداوة بقية، فالناقة ظلت وسيلة المواصلات

المهمة، وبلاد العرب التي قيل فيها هذا الشعر، العراق والشام، كانت، وما زالت، صحراء. لقد نقل هؤلاء اللغة العربية والشعر العربي نقلة قوية، ولكنهم أضمرُوا حيناً للشعر القديم وظلّوا، في القصيدة بعد القصيدة، يتلمظون باللغة القديمة، ويدخلونها في أشعارهم. مثلما ظللنا نفعل حتى اليوم. فالفصحى ضاربة الجذور على عمق ألف وخمسمئة سنة، وفي هذا مشكلتها، وفيه جمالها.

في هذه الحقبة العباسية من تاريخ أدبنا العربي أخذنا عن بلاط كسرى مفهوم «الخدمة». فصار الشاعر إذا سخر منه الخليفة طأطأ رأسه ورأى في هذا تأديباً لا عار فيه ولا شئار، وصار الشاعر إذا اقترب من الخليفة بعض الاقتراب اجترأ على الوزير. لكنه يمدح الوزير، ويخلط في قصيدته المدح بالعتاب وبقليل من شبه الهجاء. فإذا ابتعد الشاعر عن البلاط فهو ماجن متهتك، أو غاضب متهور. شعراؤنا العشرة فيهم العربي وفيهم نصف العربي، وكلهم أبناء هذه اللغة الكبيرة، كلهم خلقوها خلقة جديدة، وحرصوا ألا ينسفوها نسفاً، بل خلقوها من جوفها.

هذا كتابي الثاني من أصل خمسة كتب أعرض فيها للشعر العربي من امرئ القيس إلى إيليا أبو ماضي. فأما الكتاب الأول واسمه «أول الشعر»، فمضيت فيه إلى آخر دولة بني أمية. وسيأتي الكتاب الثالث ليصف عسراً تألق فيه الشعر وتوهج كالنجم الذي يسطع بقوة وهو يفنى. وفني الشعر بضع مئات من السنين، ثم انطلق من تحت رماده ليحيا من جديد، وليكون كتاب رابع يبدأ بالبارودي ويضم، فيما يضم، شوقياً وحافظاً والرصافي والزهاوي. ثم يأتي آخر الشعر العمودي فيصاح إيليا أبو ماضي وبدوي الجبل وأبو ريشة والشابي وعرار وغيرهم كثيرون. ثم يقف الشعر العمودي وقفة طويلة. . وما زال يقفها. ولم أعرض للشعر الحديث لأنه حديث لم تغربله السنين. قلت لنفسي: ليكن هذا الكتاب بأجزائه الخمسة حفل تأبين للشعر العمودي.

كلمة شكر

عرفت الصديق الأديب محمد عبد العزيز الهجين قبل نحو سنتين، وصار كلما التقيت به أهداني كتاباً. وصرت لا أذكر له كتاباً إلا وجدته قد قرأه أو قرأ عنه. وعندما علم أنني بصدد إنهاء كتاب لي باسم «أول الشعر» تصدى لموضوع النشر، وظل يعجلني في إرساله حتى لقد أنساني أن أذكره بكلمة شكر في مقدمة الكتاب. وصنع الصنيع نفسه في هذا الكتاب «تجدد الشعر». أقول له إنني على

سفر، فيقول هات الكتاب، وأقول له مساء الخير، فيقول هات الكتاب. لكن، هاإنني أجد فسحة أكتب فيها أن لقائي به، وما أجده فيه من الذوق المرهف والخلق المتين والثقافة العريضة، كان من حسن طالعي.

أئتما غلطة تجدها في هذا الكتاب فالمسؤول الأول عنها صديقي الشاعر عمران القفني. فقد صحح لي مئات كثيرة من الأغلاط في النحو، والإملاء، وفي فهم المعنى، وفي دقة الأسلوب، وفي الترقيم، وجعل هذا كله في رسالة من خمس وعشرين صفحة كبيرة. كما أثرى الكتاب بنظرات ثاقبة تنم عن تذوق مرهف للشعر. فاما ما أشار إليه من أغلاط فلن تراه، وأما نظراته وآراؤه فقد فرقتها في أماكنها من الكتاب. وفي مقدمتي للفصل الإضافي عن البحري ذكرت شاكرأ جهد اللغوي المدقق الصديق أحمد عبد الرحيم.

ملحة الوداع

كنت راكباً في السيارة بالخرطوم قبل نحو سنتين متوجهاً إلى حفل انتهاء دورة من تلك الدورات الإعلامية التي ابتلي الناس بها. وكتبت على قصاصة أبياتاً لفتيات الخرطوم اللاتي ظللن يخطفن بجمالهن الأخاذ على مدى أسبوع نظر العبد الفقير، وألقيت الأبيات وسط هتاف الفتيات والفتية، وسعداتي بهن وبهم. ثم إن فتاة منهن أخذت القصاصة وصورتها وفسبكتها، ووصل خبري إلى كل مكان قبل أن تحط بي طائرة القفول، فكانت فضيحة صغيرة في المؤسسة الإعلامية التي أعمل بها. وبقيت في الذاكرة أبيات من تلك الأبيات:

مر الزمان على رأسي وخلاني	بغير ستر، وتحت الشمس القاني
يا صاحب الرحل لا تعجل على رجل	قد أنفق العمر في هم وأشجان
ضيعت قلبي في «الخرطوم» في «بحري»	والعقل ضيعته في «أم درمان»
بين الأطباء أضاع العمر حجاوي	الخور أنتن، هذا عمري الثاني
أقسمت بالخمس من أنغام سلمكم	أن الجمال بوادي النيل رباني
دع مصر دع سوريا دع شط لبنان	يا صاحب الرحل إن الحسن سوداني

عارف حجاوي

الدوحة ١٠ يوليو/تموز ٢٠١٦

٥ شوال ١٤٣٧

بَشَّار بن بُرْد

(٩١هـ - ١٦٧هـ)

وقف بشار بن برد على الجرف القاري بين حقتين كبيرتين في مسيرة الشعر العربي، لكن قدميه كانتا راسختين في الحقة المقبلة. أكثروا من القول إنه أول المحدثين وإنه رئيسهم وإنه سيدهم. صدقوا.

جاء على رأس زلزال سياسي كبير هو قيام الدولة العباسية، وكان هذا الحدث نعمة مباركة على دارسي الأدب العربي فقد منحهم فرصة ثمينة لتقطيع العصور الأدبية بالسكين. فكأن الله ساق أبا العباس السفاح رحمة لشوقي ضيف.

والحقيقة أن الزلزال العباسي ترافق بشكل طيب مع الزلزال الأدبي، لأنه هو الذي جلبه لا لأنها كانت صدفة.

انظر إلى كبار الشعراء في العصر السابق، الأموي، ترهم عرباً من تميم والأزد وتغلب. وانظر إلى الشعراء الذين جاءوا مباشرة بعد أن أهوى العباسيون بالسكين سنة مئة واثنين وثلاثين: فماذا ترى؟ بشاراً ومسلماً وأبا نواس وأبا العتاهية ثم ابن الرومي.. كلهم من المنوالي. ويختلطون بالعرب.. فهناك ابن الأحنف ودعبل وابن الجهم والبحري.

في العصر الإسلامي والأموي قعد مئات الآلاف من الفرس مئة سنة يدخلون في الإسلام وفي اللغة العربية. تكلم الأجداد بكلمات عربية قليلة، وتكلم الآباء بعربية مرطونة، وجاء الجيل الثالث عربي اللسان.. ومختلط الثقافة والاعتقاد. جاء العصر العباسي - سياسياً - لأن البيت الأموي استهلك قوته العربية الدافعة. وجاء البيت العباسي عربياً مهجناً، يرفع راية الدين عالياً ويلح عليها لأنه يقوم على عصية مزدوجة عربية خراسانية، فلا سبيل إلى جعل

عصبية الدم أساس الدولة. لا تنس أن مؤسس السلطة العباسية الحقيقي، أبا جعفر المنصور، ولد لأم غير عربية.

كان الحكم العباسي اجتثاثاً للعهد السابق.. شكلياً مثّلت هذا الاجتثاث مذبحة نهر أبي فطرس، شمالي يافا بفلسطين، التي ذبح فيها السفاح وجوه بني أمية. وعلى النطاق الأوسع استطاعت راية الدين أن تُظل جموع الخراسانيين الذين برز منهم كثيرون ممن تعربت ألسنتهم، وكان أبو مسلم الخراساني عربي اللسان فصيحاً. قويت شوكة الأعاجم في حضن الثقافة الأدبية العربية، غير أنهم حملوا لهذه الثقافة ولهذه اللغة الكثير من الروح الفارسية.. وحملوا في أعماق عقولهم آثاراً من أديان أجدادهم. وكان في كل هذا ثراء لهذه اللغة ولهذه الثقافة.

نحن في المئة سنة الأولى من العصر العباسي. وسنرى حضوراً قوياً للفرس ولخراسان، وخراسان منطقة تضم في جغرافية اليوم أفغانستان وتضم معظم إيران وتركمانستان ومساحات من دول مجاورة أخرى.. وعندما نقول الفرس فإنما نقولها على التوسع، فثمة مزيج من الأمم في هذه المناطق الشاسعة. وليت أني مؤرخ حتى أدرس لك هذا الخضم البديع من الشعوب التي جمعتها البوتقة العباسية في شرق الدولة. غير أني لست به، فكل ما أعرضه إنما هو صورة عامة.

كان عصرًا حافلاً بالنظم الاجتماعية، فمن الموالى من هو عبد سُبى في حرب، وأخذ يتردد في أسواق النخاسة في البصرة ثم في بغداد، وهناك الإماء اللائي كن من أنصاف البشر يؤخذن لمتعة الأثرياء وذوي السلطان أو للخدمة، أو لهما معاً، فإذا أتقنت الجارية الغناء والشعر فهي نصف بشر يتقن الغناء والشعر، يزيد هذا في ثمنها ولا يزيد في حريتها. ويعشن ويقبلن بوضعهن، مثلما يقبل كل إنسان بوضعه.

رويث عن سجينة سياسية في بلد عربي شقيق، أنها تلقت نصيحة من سجينة سياسية أقدم منها، قالت لها: لا عليك يا أختي، عندما يطلبونك للتحقيق، فلا تقاومي، افتحي رجلك، وفكري في أي شيء آخر، وعيشي حياتك.

كان في سواد العراق أنباط هم أقنان الأرض لسيد الأرض، فإذا كان السيد كسرى فهم أقنان كسرى، وإن كان المنصور فهم أقنان المنصور. وكانت

لهم لغاتهم ولم يندمجوا سريعاً. فأما الفرس ممن كانت لهم ثقافة عريضة قبل الإسلام فقد سهل عليهم أن يصبوا إرثهم الثقافي في اللغة العربية.

أحسن فلهاوزن عندما سمي كتابه عن الدولة الراشدية ودولة بني أمية «الدولة العربية»، فهكذا كانت. فأما الدولة العباسية فهي الإمبراطورية الإسلامية.

بشار بن بُرْد

سُبي يُرجوخ جد بشار من طُخارستان في شمال أفغانستان. سباه المهلب بن أبي صفرة في أواسط العصر الأموي. وظل عبداً، وزوجه أسياده بأمة من إمائهم لينجب لهم عبداً آخرين، وجاءه بُرد، وكأنما أخذ برد من أسياده الإذن بمزاولة مهنة فكان طياناً يعمل في بناء وترقيع البيوت بالبصرة. وتزوج أمة لعلها كانت رومية. وأنجب بشيراً وبشراً وبشاراً. وولد بشار أعمى. فنال بشار الحرية، ولعل أخويه تحرراً أيضاً، إما بالمكاتبه ودفع مال أو لأنهما كانا يشكوان، كما ذكر القدماء، من علل خلقية كأخيها الأعمى، قيل كان أحدهما أعرج والآخر أتر مقطوع اليد. وعملا في الجزارة. وزعم بشار أن أجداده كانوا من سادة الفرس، وانتمى لكسرى من جهة أبيه ولقيصر من جهة أمه الرومية. بخ بخ. صدقناك.

وتزوج بشار، وكانت له جارية أو أكثر. وكان عماه قبيحاً، وجسمه كبيراً. وكان ذا شخصية. نشأ مدلاً بين نساء بني عُقيل بعد أن حرره القوم من الرق. والأعجمي الفقير لا بد له من ولاء. لا بد أن يلتصق بقوم من العرب. نظام اجتماعي مكين في العصر الأموي، وكان مولد بشار وطفولته وشبابه في العصر الأموي. وقد ظل لهذا النظام أثر في العصر العباسي. إلى أن قويت شوكة الفرس فيما بعد.

تربى بشار بين النساء لأنه أعمى، وسمع كلامهن، وسرعان ما تبين أن هذا الصبي الكفيف رجل بمشاعره، ليس فيه ليونة ولا خنوثة. فبعثته العقليات إلى الرجال يعتنون بشأنه.

في سيرته الذاتية «بيت النار» يقول ابن بلدي نابلس الشاعر علي الخليلي إن أمه كانت تصطحبه إلى حمام السوق طفلاً. وذات مرة تحسس بيده فخذ امرأة، فصاحت بأمه: الولد كبير، لا تأتي به معك من بعد. أو كما قال رَجُلُهُ، الكتاب ليس بين يدي الآن.

ولعل بشاراً ارتحل مع بعض بني عقيل إلى مضاربهم في البادية. كان لسانه فصيحاً. لم يعرف كلمة من لغة أجداده، بل هو عربي اللسان، فصيح، عقيلي النشأة، كأحسن ما يكون الفصيح العقيلي العامري.

ولكنه يعرف من هو: هو مولى، وأصله من طخارستان.

سمع بشار وهو في العاشرة في مجالس بني عُقيل في البادية أن الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز قد مات. وبعد عمر تولى يزيد الثاني، والدولة في أحسن حال. ورجع بشار إلى البصرة، وكانت مسرح شعر وأدب، بلغ بشار الخامسة عشرة وبدأ عهد هشام بن عبد الملك الطويل. وسمع بشار قصائد جرير في مدح الخليفة، وأعجبه في شعر جرير أكثر من المدح تلك الخفة والفكاهة ولا سيما في أبيات الهجاء. أحب جريراً لأنه ينطلق من أسرة متواضعة ضمن قبيلة تميم، ويتنطح لهجاء أصحاب النسب العالي وخصوصاً الفرزدق، ويزعم أنه أعلى منهم شرفاً، ويرميهم بكل فرية. وكان جرير يأتي البصرة وربما مكث فيها زمناً. وكان عشرات الشعراء يتناوشون جريراً بالهجاء ويرد عليهم، ويفحمهم لكنه أيضاً يرفع ذكرهم. وجرب بشار حظه فهجا جريراً، ولكن جريراً استصغره ولم يرد عليه. وظل بشار يتألم لهذا الإهمال نفسياً، لكن الألم الحقيقي كان لضياح الفرصة: فلو رد جرير عليه لأثبت بشار قدمه الشعرية في العصر الأموي بشهادة موثقة، ولكان من شعراء عصر الاحتجاج. لكن القدر شاء أن يكون لبشار تصنيف آخر: فهو رئيس المحدثين وسيدهم. وكفاه. غير أنه كان يرى أوائل النحويين يستشهدون على قواعدهم هذه التي بدأوا يضعونها بأبيات لجرير وللفرزدق، ولا يستشهدون بأبياته هو. ذلك أنه استطاع أن يبقى على قيد الحياة ولحق بالعصر العباسي، وهو مولى، وهم قرروا قاعدة أخرى غير نحوية: هي أن العصر الذي يمكن فيه الاحتجاج بالشعر هو العصر الأموي، وأن كل ما جاء بعده محدث فسدت فيه اللغة. ولكن بشاراً عاش أربعين سنة في العصر الأموي قال فيها شعراً عظيماً رددته الناس. لا، هو مولى. ولم يسلم النحاة من لسانه، فتنازل بعضهم و«تمثل» بشيء من شعره.

تطاول العصر الأموي ومدح بشار فيه القادة، ووصل في نهايته إلى مدح آخر الخلفاء، مروان بن محمد. مدحه وكأناً العصر الأموي سيدوم قروناً. ولكن الدعوة العباسية جاءت من خراسان. من موطن أجداد بشار، كي تهزم آخر خلفاء بني أمية.

وأُسرع بشار، وهو الآن في الأربعين من العمر، وكنتم ما استطاع من شعره القديم ولا سيما قصيدة كان قد شمت فيها بمقتل إبراهيم الإمام العباسي. وتهياً لاستقبال العهد الجديد. لكنه لم يحظ عند المنصور، وكان المنصور منشغلاً بتوطيد الأمر لبني العباس، ثم انشغل ببناء عاصمته بغداد. ولعل بشاراً هجاء فعلاً بقصيدة. ثم لعله فعلاً خاف أن تكون في هذه القصيدة نهايته، فاغتنم فرصة إيقاع المنصور بأبي مسلم الخراساني، فنقل القصيدة إلى هجاء أبي مسلم، وغير فيها وبدل. وربما أن القصيدة كلها كانت فعلاً نفاقاً للمنصور بهجاء قتيله أبي مسلم. وصلتنا القصيدة، واقتبسنا منها هنا أبياتاً.

ولما تولى المهدي الخلافة بعد أبيه المنصور استبشر بشار، فالمهدي يحب الشعر ويسمع الشعراء. وبشار أشهر شاعر في البلاد. رحل بشار إلى بغداد، واتصل بالخليفة الجديد ومدحه، ونال إعطياته. ومدح وهجا في بغداد الجديدة.. مدينة عمرها خمس عشرة سنة.. مملة. أين هي من البصرة؟

يستذكر أيامه بالبصرة.. كان له بيت عامر بالأنس وبالأصدقاء. يأتي الرجال فيسمعون منه آخر أشعاره في هجاء غريمه حماد عجرد، ويروون له ما قال حماد فيه. ويأتيه تلميذه الشاعر سلم الخاسر، ويسمع منه آخر القصائد.

ويحدث أن يقول سلم بيتاً جميلاً، بيتاً سار في كل البلاد وفي كل القرون حتى ليزعم صاحب هذه الأسطر أن القارئ، كائناً من كان، قد سمع بهذا البيت، أو بنصفه الأول. قال سلم: (من راقب الناس مات غمماً/ وفاز باللذة الجسور). وفار مرجل بشار غضباً، وحلف ليقاطعن سلماً، وليفعلنّ ويفعلنّ. وجاء الصحب بسلم إلى بشار. فشمته أقذع شتم، قال له: تسرق بيتي وتضعه في كلام سهل حتى يسير بيتك ويخمل بيتي! فأنا قلت: (من راقب الناس لم يظفر بحاجته/ وفاز بالطيبات الفاتك اللهج) وتأتي وتسرق المعنى. لكن، في الواقع ليس مع بشار حق. فالقانون الذي تواضع عليه النقاد هو أن من يسرق المعنى ويضعه في حلة أجمل كان أولى به.

اعتذر سلم لبشار بحرارة، وقال له: أنا تلميزك وخريجك يا أبا معاذ. فرضي بشار. كان طيب القلب، وكان يحب أصحابه وتلاميذه، على شراسة في خلقه وحدة في مزاجه، وعلى سلاطة في لسانه.

يتذكر بشار أيام البصرة الجميلة، هذه المدينة العتيقة، ليست عتيقة جداً ولكنها عتيقة حقاً بالمقارنة مع بغداد. البصرة التي شهد فيها بعينه، عفواً

بأذنيه، جريراً والفرزدق يتهاجيان في المربد، البصرة التي هواؤها وخم ومستقعاتها ترسل على الناس أسراب البعوض، والتي يشرب الناس فيها الماء عذباً تارة وملحاً تارة، البصرة التي فيها تشكيلة غريبة من القبائل، وفيها النبط وفيها الجواري.

يتذكر كيف كانت تأتيه أمانة جارية بني فلان، وتصحبها عاتكة الفتاة الصغيرة ابنة سيدتها، وتأتيه عبدة جارية بني علان، وفلانة وفلانة من الجواري يأخذن نهار عطلة من الخدمة في بيوت عليّة القوم، ويأتين بشاراً ويجلسن إليه فيسمعهن شعره وأحاديثه التي فيها من الأحماض ما يضحكن ويثير في نفوسهن أموراً لا يحسن ببنيات الحرائر أن يشعن بها. كان مجتمع البصرة يتأفف من هذا الضرير الذي تأتيه الجواري.. لكن، لا بأس، هن جوارٍ. فإذا ذكر في شعره بنتاً من بنات الأحرار، كان السخط كبيراً. لكن يقل هذا السخط حين يعلم الناس أنه كذاب في تعشقه الحرائر، ثم لا بأس.. هو أعمى.

جل هذا الشعر الذي قاله في الغزل كان في العصر الأموي. وكان فيه من جزالة الشعر الأموي، ومن ألفاظه، ولكن.. كان فيه أيضاً كل ما في نفس بشار المتوقدة من بوهيمية ومن خيال جامح ومن شهوانية ومن قلة اكتراث بالمعتقدات، ومن حنين لحرية قديمة لم يعرفها لا هو ولا أبوه في ظل دين قديم. كان شعراً عربياً في لغته وجديداً في روحه. شعر بذيء بقدر ما في الطبقة القاسية والعبودية من بذاءة. ولعل قصائده في البنات الصغيرات من الحرائر كانت تعبر عن اشتهاؤ لا يذاء هذا الطهر الذي حرّمه المجتمع منه.

ليس لأنه سليل عبودية زائلة كان بشار بذيثاً، بل هو رجل خلقه الله غير رومسي. هو شهواني وكفى. لكنه أيضاً ذو خيال ومقدرة، وعقله يحمل ثقافته العربية المتينة، ويحمل أيضاً تلك الأحاسيس بأنه ضيف على ثقافة العرب، وبأن العمق الثقافي له كائن هناك في ثقافة أسلافه الذين زعم أنهم من سلالة كسرى.

لم يكن مرتاحاً في بغداد رغم أن الخليفة المهدي نفسه سمح له بالدخول إلى جواريه كي يحادثهن، فهو أعمى ولا ضير. ولم يسلم الخليفة من سلاطة لسانه، هجا بادئاً وزير الخليفة يعقوب بن داود، ثم كأن الخليفة حرّمه من الصلة مرة بعد مرة، فهجا الخليفة ببيتين. وأي شعر يقوله بشار، حتى لو همس به همساً في حلقة يونس النخوي، لا بد أن ينبت له جناحان. ف شعر بشار فيه اللسعة التي تجدها في نبيذ العنب ولا تجدها في عصير العنب.

وأوصل الوزير يعقوب بن داود البيتين إلى المهدي. فهلك بشار.

سأل عنه المهدي ف قيل له هو بالبصرة. . قد عاد إليها. فانحدر الخليفة إلى البصرة بسفينته. وجيء ببشار ف ضرب سياط التلف. قال لهم الخليفة اجلدوه حتى الموت. فجلدوه وهو يقول حسّ، ومعناها أحّ بعربية البدو. قالوا له: ألا تقول الحمد لله؟ فقال لهم: أهو تريد فأحمد الله عليه؟

تتعدد الروايات في مقتل بشار ولكنها تجمع على أنه قتل قتلاً. وأن جثته ألقيت في الوحل، فأخذه من أخذه وشيعه. ويقولون إن جنازته كانت مكونة من جارية سنديّة، مشّت خلف نعشه تقول: واسيده! ويقولون إن أهل البصرة تصدقوا عندما علموا بموته، لما كان يلحق بهم من الأذى من شعره ومن سلوكه. كان قد أسن وبلغ الخامسة والسبعين أو نحوها، ولم يعد حديثه مسلماً، كان فقط الشيخ البذيء الذي لا نملك نحن أهل البصرة سوى السكوت عليه لأنه ضرير.

مات بشار، ولكن أهل الأدب ظلوا يتناقلون شعره. قيل جمعه في كتاب، وقيل بل لم يجمعه. ولكن أهل الأدب جمعوا بعد سنين طويلة مختارات من شعر بشار أكثر من مرة، فالأغلب والحال هذه أن يكونوا اختاروا ما اختاروه من ديوان. وفي الخمسينات (بين ١٩٥٠ و ١٩٥٧) نشر الشيخ الطاهر بن عاشور التونسي نصف ديوان بشار. إذن لا بد أنه كان هناك ديوان مكتمل.

وحتى يومنا هذا لم نعثر على النصف الثاني.

المخطوط الذي ورثه الشيخ بن عاشور عن جده كان مرتباً على أبجدية المشاركة ويصل شعر بشار إلى أواسط حرف الراء. ويعلم محبو الشعر القديم أن حرف الراء يقع غالباً في منتصف الدواوين. فلا بد أن الديوان الكامل مجلدان. وكان في نشرة الشيخ الجليل، وهو فقيه كبير ومفسر وعالم بالعربية، غناء، خاصة وأنه ألحق بها ما التقطه من أشعار بشار من كتب الأدب. وجاء بعد الشيخ عاشور من زاد زيادات، وصحح شاعر الفحam - في كتاب من مئتي صفحة - بعض أوهام الشيخ، ونشر الديوان إحسان عباس نشرة فيها بعض تصحيحات استفاد فيها من الفحam وزاد زيادة قليلة.

فهذا ما بأيدينا من شعر بشار بن برد.

وقد ترجم له صاحب الأغاني واعتنى به . فكان لبشار في الأغاني مئات الأبيات .

يمكن القول إن ما وصلنا من شعر الرجل سبعة آلاف بيت، وهذا ليس بالشيء القليل للكشف عن طبيعة شعره وشخصيته . ولا ننس أن ما اقتبسته كتب الأدب، في زمن كان فيه شعره موجوداً بين الأيدي، إنما هو من صفوة شعره . ومن كل هذا اخترنا لك ما سترى بعد هذه الصفحات .

١ أبيات فرائد

وَلَسْتُ بِالْحَاسِبِ بَذْلَ النَّدَى إِنَّ الْبَخِيلَ الْكَاتِبُ الْحَاسِبُ

* * *

وَقَدْ هَمَمْتُ بِحَيِّ نَمِ أَدْرَكْنِي حِلْمِي، فَأَسْكَنْتُهَا مُحَمَّرَةً لَهَا

هل كنت في مجلس استحق فيه أحدهم منك كلمة جارحة، لكنك أمسكتها؟ لا بد أنها ظلت جمرة حلقك

* * *

تَرْجُو غَدًا؟ وَغَدٌ كَحَامِلَةٍ فِي الْحَيِّ لَا يَذَرُونَ مَا تَلِدُ

الغد كالمرأة الحامل، وأنت لا تدري ما سيأتي به الغد

* * *

مَا كُلُّ زَلَّةٍ صَاحِبٍ أَغْدُو لَهَا أَتَوَلَّبُ

ستجد أدناه كثيراً من الشعر لبشار في الإغضاء عن هفوة الصديق . لكن أقل كلمة كان يقولها لأصحابه يا ابن الفاعلة . لي صديق لا أقول كلمة إلا فسرهما تفسيراً عجيباً ووئب عليّ يلوم ويعاتب . . شهوة قلبه العتاب، لا يترك صغيرة ولا أصغر منها . . فعلاً أحس أنه يئب على كلامي وئباً . . ووالله إنني لأراعيه مراعاة كرتونة البيض وأنا أحملها من السوبرماركت إلى البيت . . لا فائدة

* * *

إِنِّي مَدَحْتُكَ كَاذِباً فَأَتَّبَنِي لَمَّا مَدَحْتُكَ مَا يُثَابُ الْكَاذِبُ

* * *

فَإِنْ قُلْتَ: «إِنِّي مَاجِدٌ وَابْنُ مَاجِدٍ» فَقَدْ قَالَ خِنْزِيرُ السَّوَادِ: أَنَا الْأَسَدُ

إن مدحت نفسك فلعل الخنزير في سواد العراق يقول: أنا الأسد

* * *

لَا أَشْتَهِي السَّلْوَةَ، إِنِّي أَمُرُّ زَيْنْتُ نَفْسِي بِهَوَى مَنْ هَوَيْتُ

السَّلْوَةُ: نسيان الحبيب

* * *

كَبُرَ نَشْهَى لَذِيذِ النَّكَاحِ وَتَفَرَّقَ مِنْ صَوْلَةِ النَّاكِحِ

الصَّلْوَةُ: الهجمة. تشبيه كهذا لا يخرج إلا من فم بشار

* * *

وَكَانَ جَوَارِي الْحَيِّ إِذْ كُنْتُ فِيهِمْ قَبَاحًا، فَلَمَّا غَبَّتْ صِرْنَ مِلَاحًا

الجمال نسي.. عجبت للفتيات يقبلن على رقعة بنت جميلة جداً.. تكشفهن

* * *

فِي حُلَّتِي جِسْمُ فَتَى نَاجِلٍ لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ لَهُ طَاحًا

* * *

وَيُعْطِيكَ دُلًّا إِذَا رُغْتَهُ كَمَا ذَلَّ لِلْقَدَمِ الْمُرْبُودُ

يهجو حماد عجرد. رعته: أخفته. المرید: سوق بالبصرة كان يرتاده أهل الأدب

* * *

يَزْدَحِمُ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ وَالْمَوْرِدُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الرِّحَامِ

* * *

إِذَا ابْتَسَمَتْ جَادَتْ جُفُونِي بِوَابِلٍ مِنَ الْعَيْثِ أَجْرَتْهُ بُرُوقُ الْمَبَاسِمِ

كان في مبسمها برقاً لبياض أسنانها.. وبعد البرق يأتي وابل المطر، والمطر دموع شاعرنا

* * *

إِذَا حَسَرَ الشَّبَابُ فَمْتُ جَمِيلاً فَمَا اللَّذَاتُ إِلَّا فِي الشَّبَابِ

حسر: انحسر وتلاشى، مت جميلاً: انسحب من حلبة العشق بكرامتك

* * *

إِذَا أَنْشَدَ حَمَّادٌ فَقُلْ أَحْسَنَ بَشَّارُ

يتهم حماد عجرد بسرقة معاني شعره

* * *

وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى أَدَى يَضِيْمُكَ فِيهَا صَاحِبٌ وَتَرَاقِبُهُ

بضيمك: يظلمك. تراقبه: تراه

* * *

دَعَانِي شَيْقِنَاقُ إِلَى خَلْفِ بَكْرَةٍ فَقُلْتُ اتْرُكْنِي فَالْتَفَرُّدُ أَحْمَدُ

شيقناق: شيطان من شياطين الشعراء، وبار لا يريد أن يكون رديفاً على الناقه وراء شيطان شعري، يريد التفرد

* * *

وَيَكَادُ يُظْلَمُ حِينَ يُغَشَى بَيْتُهُ مِنْ لَيْنِ جَانِبِهِ وَلَيْنِ حِجَابِهِ

هذا الممدوح يكتظ عليه طالبو المعروف، فكأنهم يظلمونه، ويستقبلهم ببشاشة للين جانبه، أي طيبته، ولين حجابيه، أي سهولة الدخول عليه وسماحة حاجبه

* * *

الْأَرْضُ مُظْلِمَةٌ وَالنَّارُ مُشْرِقَةٌ وَالنَّارُ مَعْبُودَةٌ مُذْ كَانَتِ النَّارُ

بقية من مجوسية الأجداد الذين عبدوا النار

* * *

مَتَى تَأْبَ الْكَرَامَةَ مِنْ كَرِيمٍ فَمَا لَكَ عِنْدَهُ إِلَّا الْهَوَاؤُ

الكريم بغضب على من يرفض معروفه.. . ولأ سيما إن كان المعروف رمزياً. فإذا دعاك زعيم إلى غداء وقلت له إنك شبعان، فسوف ينتظر فرصة يهينك فيها. رج وكل

* * *

مَتَى يَبْلُغُ الْبُنْيَانُ يَوْمًا نَعَامَهُ إِذَا كُنْتَ نَبْنِيهِ وَعَبْرُكَ يَهْدِمُ؟

* * *

أَعْمَى يَقُودُ بَصِيرًا لَا أَبَالَكُمُ قَدْ ضَلَّ مَنْ كَانَتِ الْعُمَيَانُ تَهْدِيهِ

فصة البيت أن رجلاً جاء يسأل عن مكان فلم يستطع أحد من الجلوس أن يدلّه، فقام بشار وأمسك بيده وأخذه إلى المكان

* * *

مَا قَامَ أَهْرُ حِمَارٍ فَاْمَتَلَا شَبَقًا إِلَّا تَحَرَّكَ عِرْقٌ فِي اسْتِ تَسْنِيمٍ

خطر البيت، الذي يحتاج إلى نقطة، ببال بشار.. . وإذا بتسليم يدخل، فجعله بشار في القافية. وغضب تسليم فقال له بشار: قعدت في طريق القافية

* * *

عَرَّضَنُ لِلذِّي تُحِبُّ بِحُبِّ ثُمَّ دَعَاهُ يَرْوُضُهُ إِبْلِيسُ
بيت أغضب ولالة الأمر كثيراً . فهموا معناه . الرجل يرمي كلمة ، ويترك الفتاة مع كلمته ومع
إبليس ، وبعد حين تلين الفتاة . رأيت فتيات يصنعن ذلك مع الرجال . لكن الرجل ليس في حاجة
إلى إبليس . هو إبليس .

* * *

يا صاح لا تَجْرِ في لُؤْمِي وتأنبيي ما كُلُّ مَنْ لَمْ يُحِبِّ قوماً بِمَغْلُوبِ

٢ نُتِفَ

كثرت النتف - والنتفة هي البتان لا ثالث لهما - في شعر بشار لأن نصف ديوانه
ضاع ، والتقط الناس الأبيات المفردة في كتب الأدب وألحقوها بنصف الديوان
الموجود . وكتب الأدب كثيراً ما تقتبس بيتين بيتين حتى تبرز حرارة القافية

إِنْ عَمَرَا فاعْرِفُوهُ عَرَبِيٌّ مِنْ زُجْجَاجِ
مُظْلَمِ النَّسْبَةِ ، لَا يُغْفَرُ إِلَّا بِالسُّرَّاجِ
عمرو يدعي أنه عربي فق ، لكنه عربي من زجاج ما أسهل أن ينكسر . ونسبته ، أي نسبه ، مظلم غير
واضح . . أهو عربي أم نبطي أم فارسي . . ويحتاج نسبه إلى مصباح

* * *

خَلِيلِيٍّ مِنْ كَعْبٍ أَعَيْنَا أَخَاكُمَا عَلَى دَهْرِهِ إِنْ الْكَرِيمَ مُعِينُ
وَلَا تَبْخَلَا بُحْلَ ابْنِ قُرْعَةَ إِنَّهُ مَخَافَةٌ أَنْ يُرْجَى نَدَاهُ حَزِينُ
شبيه بهذا ما يصنعه المدير عندما يدخل عليه موظف محتج على حرمانه من العلاوة . . يكتسي
وجهه بالحزن ، ويسبق الموظف إلى الشكوى من سوء الأحوال

* * *

مِنْ حُبِّهَا أَتَمَنَى أَنْ يُلَاقِيَنِي مِنْ نَحْوِ بَلَدِهَا نَاعٍ فَبِنَعَاها
كَيْمَا أَقُولَ فِرَاقَ لَا لِقَاءَ لَهُ وَتُضْمِرُ النَّفْسُ يَأْساً ثُمَّ تَسْلَاهَا

* * *

قَالُوا الْعَمَى مَنْظَرٌ قَبِيحٌ قُلْنَا بِفَقْدِي لَكُمْ يَهُونُ
تَاللَّهِ مَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ نَأْسَى عَلَى فَقْدِهِ الْعُيُونُ

* * *

تَمُرْكُمُ يَا سَهِيلُ دُرٌّ ، وَهَلْ يُطْفَأُ مَعَ فِي الدَّرِّ مِنْ يَدَيِّ مُتَعَتِّ؟
يهجو سهيلاً ، فتمره كأنما هو اللؤلؤ . وهل يطعم المرء في لؤلؤ من يدي صاحب عتو وتجبر؟

فَاخْبُنِي يَا سَهِيلُ مِنْ ذَلِكَ التَّمْرِ مِرْ نَوَاةً تَكُونُ قُرْطاً لِيَبْنَتِي
فَاعْطِنِي نَوَاةً لَا تَمْرَةً لَتَكُونَ حَلَقاً فِي أُذُنِ بَتِي

* * *

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ إِنَّ الْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ
ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ يَا قَوْمُ فَالْتَمِسُوا خَلِيفَةَ اللَّهِ بَيْنَ الرِّزْقِ وَالْعُودِ
يعقوب هذا كان من خاصة المهدي، ولعله كان فعلاً بين الرزق، خابية الخمر، والعود، أي كان
يحضر مجالس الطرب. قيل إن البيت تسبب في قتل شاعرنا

* * *

وَالْجِدُّ لَيْسَ بِزَائِدٍ فِي رِزْقٍ مَنْ يَسْعَى، وَلَيْسَ بِنَائِمٍ عَنْ نَائِمٍ
وَيَمُوتُ رَاعِي الضَّأْنِ عِنْدَ تَمَامِهِ مَوْتَ الطَّبِيبِ الْفِيلَسُوفِ الْعَالِمِ
الجد بالكسر المثابرة، فهي لا تزيد رزق الساعي. والرزق نفسه لا ينام عمن ينام عن السعي بل
يأتيه رزقه. كل شيء مقدر، والموت مقدر علينا كلنا

* * *

طَرَقْتَنَا ذَاتُ الْبَنَانِ الْأَحْمَ حَبَّذَا النُّومُ لِلْخِيَالِ الْمُلِمِ
لَوْ سَقَتْنِي سُمًّا لَقُلْتُ دَعُوهَا لَا يَضُرُّ الْحُورَ وَطَآءُ أُمِّ
طرقتنا، أي جاءتنا ليلاً ذات البنان الأحمر، أي الأنامل المسودة من الحناء، وما أجمل النوم في
انتظار طيفها الملم، الزائر. ولو سقتني سماً فلن أتضرر. فالحوار، الجمل الصغير لا يضره أن
تدوس عليه أمه.. معنى قديم سرقه بشار

* * *

وَدَعَجَاءِ الْمَحَاجِرِ مِنْ مَعْدٍ كَأَنَّ حَدِيثَهَا ثَمَرُ الْجِنَانِ
إِذَا قَامَتْ لِمَشْيَتِهَا تَثَنَّتْ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْرِ زَرَانِ
رب دعجاء المحاجر، واسعة العينين، من شعب معد، ذات حديث حلو، وتثنى إذ تقوم كأن
عظامها من خيزران

* * *

رُبَّمَا يَثْقُلُ الْجَلِيسُ وَإِنْ كَانَ نَ خَفِيفاً فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ
قد يكون الجليس ثقیل الظل وإن كان خفيفاً في الميزان، أي تافهاً

كَيْفَ لَا تَحْمِلُ الْأَمَانَةَ أَرْضُ حَمَلَتْ فَوْقَهَا أَبَا سُفْيَانَ

الآية حَمَلَتْ الإنسان الأمانة بعد أن أبنتها السموات والأرض والجبال. وشار يتعجب كيف أبنت الأرض حمل الأمانة وقد حملت هذا الثقل البغيض المكنى بأبي سفيان

* * *

يَا قَوْمُ أَذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ وَالْأَذُنُ تَعَشَّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانًا
قَالُوا يَمَنْ لَا تَرَى تَهْذِي فَقُلْتُ لَهُمْ الْأَذُنُ كَالْعَيْنِ تُؤْتِي الْقَلْبَ مَا كَانَا
الأذن تؤتي القلب: تؤذي إليه ما كان من أمر

* * *

خَلِيفَةٌ يَزْنِي بِعَمَّاتِهِ يَلْعَبُ بِالذُّبُوقِ وَالصَّوْلُجَانِ
أَبْدَلْنَا اللَّهَ بِهِ غَيْرَهُ وَدَسَّ مُوسَى فِي حِرِّ الْخَيْرِزَانِ

الخليفة: المهدي، وهو في زعم بشار يلهو بلعبة الذبوق والصولجان، وهي مثل البولو. . . عصا يحملها رجل فوق فرسه ويلاحق الكرة، وكان لها ميادين خاصة في ذلك العصر. موسى الهادي: ولي العهد، والخيزران أمه. والحر، بغير شدة: متاع المرأة. ولم يخبرنا لا الطبري ولا صاحب الأغاني شيئاً عن عمات المهدي. وكثير من المصادر القديمة تؤكد أن هذين البيتين هما، دون غيرهما، سبب قتل بشار

* * *

أَنْسُ غَرَائِرُ مَا هَمَمَنْ بِرَبِيبَةٍ كَظَبَاءٍ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامٌ
يُحْسِبَنَّ مِنْ لَيْنِ الْحَدِيثِ زَوَانِيًا وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ الْخَنَا الْإِسْلَامُ
أنس غرائر: فتيات أنيسات بريئات، ما نوين علاقة مريبة. لكن حديثهن فيه غنج ولين حتى ليحسبن المرء زانيات، لكن الإسلام يمنعهن من الخنا، أي الفحش

* * *

مِنْ الْمَفْثُونِ بِشَارِ بْنِ بُرْدٍ إِلَى شَيْبَانَ كَهْلِهِمْ وَمُرْدٍ
فَبِإِنَّ فَتَاتِكُمْ سَلَبَتْ فُؤَادِي فَنُصِفْتُ عَنْدَهَا وَالنُّصْفُ عِنْدِي

رسالة من بشار إلى كهول قبيلة شيان ومردها، أي شباهها الذين لم تنبت لحاهم. . . نص الرسالة في البيت الثاني. لو قال «شطرت فؤادي» لكان أليق

* * *

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغِنَى وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدي
أَفْذْتُ، وَأَعْدَانِي فَأَقْتَنَيْتُ مَا عِنْدِي

* * *

إِنْ سَلَمَى خُلِقَتْ مِنْ قَصَبٍ قَصَبِ السُّكَّرِ، لَا عَظَمِ الْجَمَلِ
وَإِذَا أَدْنَيْتَ مِنْهَا بَصَلاً غَلَبَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصْلِ

يفسر القصب، فهو قصب السكر اللين وليس عظم الجمل (والقصب العظم أيضاً،
ألا نسمي اللحم قصباً). والبيت الثاني من فكاهات بشار، ولم يفهم النقاد الغلاظ الطبع الفكاهة
فانتقدوا بشاراً

* * *

كَيْفَ يَبْكِي لِمَحْبَسٍ فِي طُلُولٍ مَنْ سَيَفْضِي لِحَبْسٍ يَوْمَ طَوِيلٍ
إِنَّ فِي الْحَشْرِ وَالْحِسَابِ لَشُغْلاً عَنْ وُقُوفٍ بِكُلِّ رَسْمٍ مُحِيلٍ

كيف يبكي رجل يحبس نفسه عند أطلال الأحبة، وهو سينتهي إلى حبس طويل يوم الحساب ينسيه
كل رسم محيل، كل طلل متحول إلى خراب

* * *

قُلْ لِّشَهْرِ الصِّيَامِ أَنْحَلْتَ جِسْمِي إِنْ مِيقَاتِنَا طُلُوعُ الْهِلَالِ
إِجْهَدِ الْآنَ كُلَّ جَهْدِكَ فِينَا سَتَرَى مَا يَكُونُ فِي شَوَالٍ

ميعادنا يا رمضان هو هلال شوال، فاصنع بنا الآن ما تشاء من جوع ومنع عن اللهو،
وسترى ما نصنع في شوال

* * *

بِشْسِ الْمُرُوءَةِ مِنْ ذَوِي حَسَبٍ جَاعَتْ قَرَابَتُهُمْ وَقَدْ ثَمَلُوا
شَبَّعَ الْأَمِيرَ وَجُوعٌ صَاحِبِهِ عَارُ الْحَيَاةِ، فَأَظْعَمُوا وَكُلُوا

يجوع أقرباؤهم فأما هم فيأكلون ويشربون الخمر حتى الثمالة، والحكمة في النهاية موجزة إيجازاً
حلواً: أظعموا وكلوا

* * *

لَمَّا رَأَيْتُ الْحِظَّ حَظَّ الْجَاهِلِ وَلَمْ أَرِ الْمَغْبُوتَ غَيْرَ الْعَاقِلِ
شَرِبْتُ خَمْساً مِنْ كُرُومِ بَابِلٍ فَبِتُّ مِنْ عَقْلِي عَلَى مَرَاكِـلِ

لما رأيت الجاهل محظوظاً وغنياً، ورأيت العاقل مغبوتاً، مهضوم الحق، شربت خمس كؤوس
من خمر بابل، وابتعدت عن عقلي مراحل. والمرحلة هي المسافة بين موضع وموضع يتم
فيهما تبديل بغل البريد أو إراحته

* * *

وَمِثْلُكَ قَدْ سَيَّرْتُهُ بِقَصِيدَةٍ فَسَارَ وَلَمْ يَبْرَحْ عِرَاصَ الْمَنَازِلِ

رَمِيتْ بِهِ شَرْقاً وَغَرْباً فَأَصْبَحَتْ بِهِ الْأَرْضُ مَلَأَى مِنْ مُقِيمٍ وَرَاحِلٍ
 مثلك يا هذا قد نشرت مخازيه بشعري فسارت سيرته، فكأنه قد سار بنفسه وهو لم يبرح عراض
 المنازل، ساحاتها، لكن امتلات الأرض شرقاً وغرباً بذكره، يسمع به المقيم والمسافر

* * *

يَا ابْنَ نَهْيَا رَأْسِي عَلَيَّ ثَقِيلُ واحتمالُ الرأسينِ حَظْبٌ جَلِيلُ
 أدعُ غيري إلى عِبَادَةِ رَبِّبِ نِ، فَإِنِّي بِوَاحِدٍ مَشْغُولُ
 ينهم بشارُ ابن نهيا، حماد عجرد، بأنه يعبد إلهي الخير والشر على دين المانوية، ويزعم بشار أنه
 هو يعبد إلهاً واحداً

* * *

أَتَتْنِي الشَّمْسُ زَائِرَةً وَلَمْ تَكُ تَبْرَحِ الْفَلَكَ
 تَقُولُ وَقَدْ خَلَوْتُ بِهَا: تَكَلَّمْ وَأَخْفِنِي بِدَكَا
 هذه لا يعرف الشاعر يقولها إلا إن سمعها فعلاً من فتاة «حاول معها»

* * *

عَجَزَاءُ مِنْ سِرِّ بَنِي مَالِكِ لَهَا حِرٌّ مِنْ بَطْنِهَا أَزْفَعُ
 زَيْنَ أَعْلَاهُ بِإِشْرَافِهِ وَانْضَمَّ مِنْ أَسْفَلِهِ الْمَشْرِعُ
 يصف ما لا يوصف من فتاة من سر بني مالك، من أوساطهم، فهي عجزاء ذات عجيذة كبيرة،
 ولها حر، ذلك الشيء الناتئ عن بطنها والمشرف .. إلخ

* * *

خَلِيلِيَّ إِنْ الْمَالَ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا لَمْ يَنْلُ مِنْهُ أَخٌ وَصَدِيقُ
 وَمَا خَابَ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ عَامِلٌ لَهُ فِي الثَّقَى أَوْ فِي الْمَحَامِدِ سُوقُ
 * * *

لَوْ نُكِّحَ اللَّيْثُ فِي اسْتِهِ خَضَعَا وَمَاتَ جُوعاً وَلَمْ يَنْلُ طَمَعَا
 كَذَلِكَ السَّيْفُ عِنْدَ هَزَّتِهِ لَوْ بَصَقَ النَّاسُ فِيهِ مَا قَطَعَا
 معنى دقيق: الإقدام يكون مع الشرف

* * *

إِنْ الْعُرُوقُ إِذَا اسْتَسَرَّتْ فِي الثَّرَى أُنْدَى النَّبَاتُ بِهَا وَطَابَ الْمَرْزُوعُ

وَإِذَا جَهِلْتَ مِنْ أَمْرِي أَعْرَاقُهُ وَقَدِيمَهُ فَاَنْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ
الجدور التي استسرت، اختفت عميقاً في الأرض، تجعل النبات يطيب وينع، وكذا الإنسان، فإن
جهلت امتداد أصله فانظر إلى أفعاله فإن كانت حميدة دلت على أن له أصلاً متيناً

* * *

قَالَتْ لِتَرْبِّيْهَا اذْهَبَا فَتَحَسَّسَا مَا بَالُهُ تَرَكَ السَّلَامَ وَأَعْرَضَا
قَدْ ذُقْتُ أُلْفَتَهُ وَذُقْتُ فِرَاقَهُ فوجدتُ ذا عَسَلًا وَذَا جَمْرَ الْعَصَا
طلبت من رفيقتها التحسس، وهو يشبه التجسس، لمعرفة سبب تركه التحية. وقالت لهما: ذقت
قربه وذقت هجره، فقربه عسل وهجره جمر الغضا، والغضا شجر كبير يصير إلى حطب صلب

* * *

إِبْلِيسُ خَيْرٌ مِنْ أَبِيكُمْ آدَمَ فَتَنَّبَهُوْا يَا مَعْشَرَ الْفُجَّارِ
إِبْلِيسُ مِنْ نَارٍ وَآدَمُ طِينَةٌ وَالْأَرْضُ لَا تَسْمُو سُمُو النَّارِ
قيل إن الناس دسوا البيتين على بشار كي تلتصق به تهمة الزندقة

* * *

يَا خَلِيلِيَّ أَصِيبَا أَوْ ذَرَا لَيْسَ كُلُّ الْبَرْقِ يُهْدِي مَطَرَا
ذَهَبَ الْمَعْرُوفُ إِلَّا ذَكَرُهُ رُبَّمَا أَبْكَى الْفَتَى مَا ذُكِّرَا

* * *

لَا أَظْلِمُ اللَّيْلَ وَلَا أَدْعِي أَنْ نَجُومَ اللَّيْلِ لَيْسَتْ تَغُورُ
لَيْلِي كَمَا شَاءَتْ: فَإِنْ لَمْ تَزُرْ طَالًا، وَإِنْ زَارَتْ فَلَيْلِي قَصِيرُ
لا أقول كالشعراء إن النجوم لا تغرب وإن الليل طويل. فطوله وقصره رهن بزيارة المحبوبة

* * *

وَأَعْرِضْ عَنْ مَطَاعِمٍ قَدْ أَرَاهَا فَأَتْرُكُهَا وَفِي بَطْنِي انْطِوَاءُ
فَلَا وَأَبِيكَ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ
انطواء: جوع

* * *

وَعَيَّرَنِي الْأَعْدَاءُ وَالْعَيْبُ فِيهِمْ وَلَيْسَ بِعَارٍ أَنْ يُقَالَ ضَرِيرُ
إِذَا أَبْصَرَ الْمَرْءُ الْمُرُوءَةَ وَالتَّقَى فَإِنْ عَمَى الْعَيْنَيْنِ لَيْسَ بِضَرِيرُ

* * *

إَرْفُقْ بِعَمْرٍو إِذَا حَرَّكَتْ نَسَبَتُهُ فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ مِنْ قَوَارِيرِ
 إِنْ جَارَ آبَاؤُهُ الْأَنْدَالُ فِي مُضَرٍ جَارَتْ فُلُوسُ بُخَارَى فِي الدَّنَانِيرِ
 عمرو هذا يزعم أنه عربي، ولكن رفقا بانتسابه هذا فهو من قوارير، زجاج. وإن جاز، أي دخل،
 أجداده ضمن قبيلة مضر، فلا غرابة أن تختلط فلوس بخارى بالدنانير دون تميزها عنها

* * *

إِذَا اعْتَذَرَ الْجَانِي إِلَى عِذْرَتِهِ وَلَا سِيَّمَا إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ تَعَمَّدَا
 فَمَنْ عَاتَبَ الْجُهَّالَ أَتَعَبَ نَفْسَهُ وَمَنْ لَمْ يَلَمْ لَا يَعْرِفُ اللَّوْمَ أَفْسَدَا

* * *

خُلِقْتُ عَلَى مَا فِيَّ غَيْرَ مُخْبِرٍ هَوَايَ، وَلَوْ خُبِرْتُ كُنْتُ الْمَهْدَبَا
 أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى، وَأُعْطَى وَلَمْ أُرَدْ وَقَصَّرَ عِلْمِي أَنْ أَنَالَ الْمُغَيَّبَا

* * *

رَبَابَةُ رَبَّةُ الْبَيْتِ تَصُبُّ الْخَلَّ فِي الرِّيزِ
 لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ وَدِيكَ حَسَنُ الصَّوْتِ

بيتان قالهما عن جارتها «ربابة» وكانت تطعمه من بيض دجاجاتها. وسئل بشار عن هذا الشعر
 الخفيف، فقال: هذا عندي أحسن من «قفا نيك»

* * *

طَرَقْتَنِي صَبَاً فَحَرَّكَتِ الْبَا بَ هُدُوءاً فَارْتَعَتْ مِنْهُ ارْتِيَابَا
 فَكَأَنِّي سَمِعْتُ حِسَّ حَبِيبٍ نَقَرَ الْبَابَ نَقْرَةً ثُمَّ غَابَا

ريح الصبا طرقتني، جاءت ليلاً، فطقت الباب طقطقة خفيفة، فأحسست بخوف.. كان الصوت
 كأنه صوت حبيب نقر الباب نقرة ثم غير رأيه ولم يكررها. مثل هذا المعنى الحضري الرهيف لا
 نجده في الشعر ما قبل بشار.. وعنده من مثل هذه اللقطات الكثير.. بيد أنه فصيح مثين اللغة،
 لذا عدّوه آخر المتقدمين وأول المحدثين

* * *

قُلْ لِلْأَمِيرِ جِزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً لَا يُجْمَعُ، الدَّهْرُ، بَيْنَ السَّخْلِ وَالذُّبِ
 السَّخْلُ غَيْرٌ وَهُمْ الذُّبُّ عَقْلَيْتُهُ وَالذُّبُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّخْلِ مِنْ طَبِيبٍ

كلف الأمير حماد عجرد بتأديب ولده، فها هو بشار يحذره من ميول حماد. والسخل صغير العنز
 وهو غر، بريء، والذئب يعرف ذلك. تكلمة القصة أن الأمير سمع البيتين وصرف حماداً

* * *

إني وإن كان جمعُ المالِ يُعجِبُنِي ما يَعدِلُ المالُ عِنْدِي صِحَّةَ الجسدِ
المالُ رَينٌ، وفي الأولادِ مَكْرَمَةٌ والسقمُ يُنسِبُكَ ذَكَرَ المالِ والولدِ

* * *

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنسِي صديقُكَ، إن الرأيَ عَنكَ لَعَارِضُ
وليس أَخِي مَنْ وَدَّني رَأْيِي عَيْنِهِ ولكن أَخِي مَنْ وَدَّني وَهُوَ غَائِبُ
تتوَدد إلى عدوي وتزعم أنني صديقك. . الرأي الصحيح عازب عنك، مجانب لك. وليس أخاً لي
من أظهر المودة في حضوري، بل من بقي على وده وهو غائب عن عيني أيضاً

* * *

وَأَبْنَيْتُ عَمْرًا بَعْضَ مَا فِي جَوَانِحِي وَجَرَّعْتُهُ مِنْ مُرٍّ مَا أَتَجَرَّعُ
ولا بَدَّ مِنْ شَكْوَى إِلَى ذِي حَفِيفَةٍ إِذَا جَعَلْتَ أَسْرَارُ نَفْسِي تَطْلُعُ

أبنتُ عمراً، بُحت له، بما في نفسي. . وجعلته يشاركني في مرارة ما أتجرعه من مشكلات،
والمرء لا يستغني عن الشكوى لذي الحفيظة، صاحب المروءة، عندما تفيض مكنونات نفسه
وتتطلع للخروج. لقطة ذكية. . ولا سيما تحميك صديقك بعض مشكلاتك

* * *

خَاطَ لِي عَمْرٌ وَقَبَا لَيْتَ عَيْنَيْنِيهِ سَوَا
قَلْتُ شِعْراً لَيْسَ يُدْرَى أَمْسَدِيحٌ أَمْ هِجَا

القصة أن عمراً الخياط، وكان أعور، خاط لبشار قباء، ثوباً، وقال له: هذا لا تعرف له وجهاً من
قفا. فقال له بشار سأقول فيك بيتين لا تعرف لهما وجهاً من قفا، أي مدحاً أم ذماً: جعل الله
عينك متساويتين

* * *

تَرَكْتُ عَلَى ابْنِ الْكَسْكَرِيِّ غَضَاضَةً وَسَيَّرْتُهُ بِالشَّعْرِ شَرَّ مَسِيرِ
وَقَدْ عَنَّ لِي الْخُنْثَى، فَقُلْ لِبَعُوضَةٍ: سَقَطَتْ وَلَمْ أَشْعُرْ، وَطَرَتْ فَطِيرِي

غضضت من الكسكري، طأطأت منه وخفضت رأسه وأذلته، ونشرت سيرته بالشعر. وهو مخنث
وقد عَنَّ لي، تعرض لي. . فقل لبعوضة: وقعت علي ولم أشعر ثم طرت. . فطيري

* * *

وَنَدَمَانِ صِدْقٍ قَدْ وَصَلْتُ حَدِيثَهُ بِأَزْهَرِ مَجَاجِ الْمُدَامَةِ نَبَاحِ

إِذَا فَرَعْتُ كَأْسُ امْرِئٍ خَرَّ سَاجِداً وَصَبَّ لَنَا صَفَرَاءُ فِي طَيْبِ ثَفَاحٍ
استمكمت حديث الندمان، أي النديم، بصوت إبريق أزهر، أبيض ولعله من فضة، وهو مجاج،
نافث باسق، للخمير وله صوت خرير. وكلما فرغت كأس أحدهم ثنى الإبريق رأسه وخر، وقع،
كانه يسجد، وصب خمراً

* * *

صَرَخَ بِإِحْدَى كَلِمَتَيْ مِنْ وَخْذِ أَمَانِكَ مِنْ جِهَادِي
صِدْقُ الْبَخِيلِ يَسُرُّنِي وَيَسُوؤُنِي كَذِبُ الْجَوَادِ
أيها الممدوح المتأخر في الدفع: قل نعم أو لا. وعلبك الأمان، ولا تجمعم الكلام.
البخيل الصادق خير من الجواد الكاذب

* * *

وَأَجِيبُ قَائِلَ كَيْفَ أَنْتَ؟ «بِصَالِحٍ» حَتَّى مَلَيْتُ وَمَلَّنِي عُوَادِي
وَمَقَالَ عَاذَلْتِي وَقَدْ عَايَنْتُهَا إِنَّ الْمُرْعَثَ رَائِحٌ أَوْ عَادِ
مللت وأنا أجيب سؤال السائلين عن حالي بكلمة «أنا صالح وبخير». ومل عوادي، زواري،
ومللتهم، ومللت من قول اللاتمة، كلما رأيتهما: إن المرعث، لقب بشار، مصبح أو ممس، وعلى
وشك الموت.. أو كما يقول أهل بلدنا: ماؤه على النار، أي الماء الذي سيغسل به

* * *

عَلَيَّ أَلِيَّةٌ، وَعَلَيَّ نَذْرٌ أَمْسَكِ طَائِعاً إِلَّا بِعُودِ
أَتَيْتُكَ زَائِراً فَوَضَعْتُ كَفِّي عَلَى أَبْرِ أَشَدَّ مِنَ الْحَدِيدِ
علي أليّة، أي بمين، ألا أملك إلا بعود. فقد جئتك زائراً فوضعت يدي على ذلك العضو وهو
صلب. والقصة قصة امرأة أكثر بشار من التودد إليها، فدعته إلى بيتها، وأجلست بشاراً وأمسكت
يده ووضعتها - وبشار أعمى - على متاع زوجها. كان عصرهم عصر عبث حقاً

* * *

لَيْتَ حَظِّي مِنَ الْعِبَادِ، وَمِمَّا خَلَقَ اللَّهُ لَذَّةً لِلْعِبَادِ
رَيْقٌ «حُبِّي» أَحْسُوهُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ مِ شِفَاءٍ لِقَرْحَةٍ بِالْفُؤَادِ
ليت حظي من الملذات ريق الحبيبة أرتشفه سبعة أيام ليشفي جرح قلبي

* * *

أَغْنِيَنِي مِنَ الْهَوَى أَوْ عِدِّي مِنْكَ مَوْعِدَا

أَطْمَعِينَا كَيْمًا نَعِيْدُ شَوْ وَقَوْلِي لَنَا: «غدا»
تقول فيروز: «تعا، ولا تجي، واكذب علي، الكذبة مش خطية»

* * *

إِنِّي وَعَيْشُكَ يَا عَبَّادُ فَاسْتَمِعِي لَوْ أَبْتَغِيْ فَوْقَ هَذَا الْحَبِّ لَمْ أَزِدْ
مَا هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ أَرْضِكُمْ إِلَّا وَجَدْتُ لَهَا بَرْدًا عَلَى الْكَبِدِ
يا عبدة، وحياتك، لا مزيد على حيي لك

* * *

لَعَمْرُكَ مَا تَرَكْتُ الصَّلَاةَ بِمَنْكَرٍ وَلَا الصَّوْمَ إِنْ زَارَتْكَ «أُمُّ مُحَمَّدٍ»
تَكَادُ إِذَا قَامَتْ لِشَيْءٍ تَرِيْدُهُ تَمِيلُ بِهَا الْأُرْدَا فَمَا لَمْ تَشَدَّدْ

* * *

لَيْتَنِي مُتُّ قَبْلَ حُبِّكَ يَا قُرَّ -
فَرَّغَ النَّاسُ مِنْ مُعَالَجَةِ النَّاسِ جَمِيعًا، وَأَنْتِ هَمِّي وَرَبِّي
هَ عَيْنِي، أَوْ عَشْتُ فِي غَيْرِ حُبِّ

* * *

دِينَارُ آلِ سَلِيمَانَ وَدِرْهَمُهُمْ كَالْبَابِلِيِّينَ حُفًّا بِالْعَفَارِيْ
لَا يُوجَدَانِ وَلَا يُرْجَى لِقَاؤُهُمَا كَمَا سَمِعْتَ بِهَارُوتَ وَمَارُوتَ
الدِّينَارَ وَالْدِرْهَمَ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَظْهَرَانِ لِلنَّاسِ أَبَدًا مِثْلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ الْمَلَكَيْنِ اللَّذَيْنِ
يَعْلَمَانِ النَّاسَ السَّحَر، وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِمَا، وَحَوَالِيَهُمَا الْعَفَارِيْ

* * *

أَطْوِي الشُّكَاةَ وَلَا تَصَدَّقْنِي وَإِذَا اشْتَكَيْتُ تَقُولُ لِي: كَذَبَا
عَسَرْتُ خَلَائِقَهَا عَلَى رَجُلٍ لَعِبَ الْهَوَى بِفَوَادِهِ لَعِبَا

أطوي الشكاة: أكنم مرضي بحبها والشكاة هي السقم، وهي لا تصدق أنني لا أشكو، فإن
اشتكت بلساني فعلاً قالت إنني أكذب. خلائقها: طباعها. و«لعب الهوى بفواده لعباً» شطر جميل
في بساطته، ما رأيت شيئاً كه في شعر العصور السابقة

* * *

لَا تُفْشِرْ سِرَّ فِتَاةٍ كُنْتَ تَأْلُفُهَا إِنْ الْكَرِيمَ لَهَا رَاعٍ وَإِنْ تَابَا

واسعد بما قال في الجلم ابن «ذي يزن» يلهو الكرام ولا ينسون أحسابا
الكريم يرعى حرمة فثاته حتى لو تاب عن العشق واقترا. ولا أدري إن كان ابن ذي يزن قد قال
شيئاً كهذا ولكنه حلیم، والتقى بوفد قريش وقيل إنه بشر عبد المطلب ببعثة محمد

* * *

عجل الركوب إذا اعتزته نافض فإذا أفاق فليس بالركاب
وتراه بعد ثلاث عشرة قائماً مثل المؤذن شك يوم سحاب

يصف متاع الرجل، والنافض هي الحمى التي ينتفض لها الجسم، فإن انتفض
صنع شيئاً وإن أفاق فهو لا يصنع. والثلاث عشرة هي - فيما أحسب - ركعات
التراويح، وبعدها يكون لهذا الموصوف شأن. والتشبيه في الشطر الأخير خلاب،
ولا سيما حين يأتيك من أكمه، مولود أعمى. ترى مؤذن القرية فوق مثذنته يريد
أن يرفع الأذان وينظر للشمس فلا يراها، فهو يحرك جسمه يميناً وشمالاً يريد أن
يلمح الشمس في ذلك اليوم الغائم

* * *

وئح نفسي، أكلما دب واشٍ بحديث وثبت للهجر وثبا
ما كذا يصنع المحب فقري، أين منا من لا يقارف ذنبا؟
قري: اهْدأي

* * *

عبيدة هم النفس إن يدن حُبها، وإن تنأ عنها فارق النفس روحها
المحجوبة «عبدة» هي هم نفسي إن دنت، وإن فارقتني فارقتني روحي
فلا هي من شوقي إليها تريحني ولا أنا من طول الرجاء أريحها
لا تريحني من شوقي إليها، ولا أريحها من طول ما أحفظ برجائي فيها ولا أبأس

* * *

لا يؤيسنك من مخدرة قول نفلظهُ وإن جرحا
لا تياس من مخدرة، فتاة محجوبة في سترها، إذا أغلظت لك القول وصدتك

عسر النساء إلى مياسرة والصعب يُمكن بعدما جمحا
فالفتاة ستلين، أليس الجمل الصعب يُمكن صاحبه من ركوبه بالترويض، بعد أن يكون جامعاً

٣ سقى الله تلك الأيام

هَجَرْتُ الْآنَسَاتِ وَهُنَّ عِنْدِي كَمَاءِ الْعَيْنِ فَقَدَهُمَا سَوَاءٌ
فَقَدَهُمَا، أَي فَقَدَ الْآنَسَاتِ وَفَقَدَ مَاءَ الْعَيْنِ، سَوَاءٌ عِنْدِي

وَأَطْبَقَ حُبُّهُنَّ عَلَى فُؤَادِي كَمَا انْطَبَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ السَّمَاءُ
فَقُلْ لِلْغَانِيَاتِ يَقْرَنَ إِنِّي وَقَرْتُ، وَحَانَ مِنْ غَزَلِي انْتِهَاءُ
يَقْرَنَ: يَرْعَوِينَ وَيَهْدَانِ

وَإِنْ أَكُ قَدْ صَحَوْتُ فَرَبِّ يَوْمٍ يَهْزُ الْكَأْسُ رَأْسِي وَالْغِنَاءُ
لَنْ كُنْتُ صَحَوْتُ الْآنَ، أَي فَارَقْتُ الْغَزَلَ وَالشَّرَابَ، فَقَدِيمًا كَانَ الْكَأْسُ وَالْغِنَاءُ يَهْزَانِ رَأْسِي
أَرْوَحُ عَلَى الْمَعَارِفِ أَرْحِيحِيًّا وَتَسْقِينِي بِرِيقَتِهَا النِّسَاءُ
كُنْتُ أَغْنَى دَوْرَ الْقِيَانِ، حَيْثُ الْعَزْفُ وَالْغِنَاءُ بِأَرْحِيحِيَّةٍ وَيَذِلُّ لِلْمَالِ، وَكُنْتُ أَعَاشِرُ النِّسَاءَ وَأُرْتَشِفُ رِيقَهُنَّ

٤ أَيْنَ يَسْقُطُ الطَّيْرُ؟

يَمْدَحُ عُقْبَةَ بْنِ سَلَمٍ:

حَيِّيًا صَاحِبِيَّ أُمَّ الْعِلَاءِ وَاحْذَرَا طَرْفَ عَيْنِهَا الْحَوْرَاءِ
الْحَوْرَاءُ: الَّتِي سَوَادُهَا حَالِكٌ فِي بَيَاضٍ نَاصِعٍ

إِنَّ فِي عَيْنِهَا دَوَاءً وَدَاءً لِمُلِيمٍ، وَالدَّاءُ قَبْلَ الدَّوَاءِ
المَلَمُ: الزَّائِرُ

إِعْرِضَا حَاجَتِي عَلَيْهَا وَقُولَا: أَنْسَيْتِ السَّرَارَ تَحْتَ الرِّدَاءِ
السَّرَارُ: الْمَنَاجَاةُ، وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ يَشْمَلُهُمَا رِدَاءٌ وَهُوَ يَنَاجِيهَا

وَمُقَامِي بَيْنَ الْمَصَلَّى إِلَى الْمَنَى بَرَّ أَبْكِي عَلَيْكَ جَهْدَ الْبَكَاءِ
فَاتَّقِي اللَّهَ فِي فَتَى شَفْنِ الْحُبِّ - وَقَوْلُ الْعِدَى، وَطَوْلُ الْجَفَاءِ
حَرَّمَ اللَّهُ أَنْ تَرَى كَابِنِ سَلَمٍ عُقْبَةَ الْخَيْرِ مُطْعِمِ الْفُقَرَاءِ
يَنْتَقِلُ إِلَى الْمَدْحِ. فَقَدْ قَضَى اللَّهُ أَنْ تَكَرَّرَ عُقْبَةُ أَمْرٍ مُحَرَّمٍ

يَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يَنْتَبِهُرُ الْحَبُّ - وَتُغَشَّى مَنَازِلُ الْكِرْمَاءِ
يَسْقُطُ الطَّيْرُ: يَحْطُ، تَغْشَى: تَزَارُ

لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلَا الْخَوْفِ، وَلَكِنْ يَلْدُ طَعْمَ الْعِطَاءِ

لا، ولا أن يقال «شيمته الجو د»، ولكن طبائع الآباء
إنما لذة الجواد ابن سليم في عطاء ومركب للقاء
لذته أن يعطي الناس مالا، وأن يركب للقاء الخليفة المنصور

لا يهاب الوعى، ولا يعبد الما ل، ولكن يهينه للثناء
يهين ماله للحصول على مدح الشعراء

أزيجي له يد ثمطر النيب ل، وأخرى سُم على الأعداء
النيل: العطاء ينيله الأمير مادحيه والمستجيرين به

قائم باللواء يدفع بالمو ت رجالاً عن حُرمة الخلفاء
وكان عقبة كثير التقتيل للناس في البحرين وعمان والبصرة

فَعلى عُقْبَةَ السَّلام مُقيماً وإذا سارَ تحتَ ظلِّ اللّواءِ

٥ الوضأة

عَلَّليني يا عَبْدَ، أَنْتَ الشِّفاءِ وَاتركِي ما يَقُولُ لي الأعداءُ
عبد: محبوبته عبدة. عليني، أي صبرني تصبيراً، ببذل بعض الوصل فانت شفائي، واطركي ما
يقوله لي، أي عني، الأعداء

كُلُّ حَيٍّ يُقَالُ فِيهِ، وَذو الْحِلِّ سَمِ مَرِيحٌ، وَلِلْسَفِيهِ الشِّقاءُ
مريح: مستريح

أنا مَنْ قَدْ عَلِمْتُ: لا أَنْقُضُ الْعَهْدَ، ولا تَسْتَخِفُّني الْأَهْواءُ
نَعِمْتُ فِي الصَّبَا فلما اسبكرت خَفَّ قُدَامُهَا وَجَلَّ الْوَرَاءُ
اسبكرت: طال قوامها، خف قدامها: صار بطنها ضامراً، جل الوراء: العكس

زَانِهَا مُسْفِرٌ وَتَغْرُ نَقِيٌّ مِثْلُ دُرِّ النِّظامِ فِيهِ اسْتِواءُ
زائها وجه مسفر بلا قناع وفم نقية أسنانه بيض مستوية كأنها اللؤلؤ المنظوم في سلك

وَحَدِيثٌ كَأَنَّهُ قِطْعُ الرُّو ضِ فِيهِ الصَّفراءُ وَالْحَمراءُ
وإذا أَقْبَلْتُ تَهَادَى الْهُوَيْنَى إِشْرَأَبْتُ ثَمَ اسْتَنَارَ الْفَضَاءُ

إذا أقبلت تهادى الهوينى، على مهلها، اشرأت الأعناق، أي ارتفعت لرؤيتها، وبدا في الفضاء
نور. هذا شيء رأيته بعيني في قاعة فيها نحو مئة شخص، ودخلت سيده وضاعة، فكان أن الأنظار
توجهت نحوها، وتشكل نوع من التناغم والاستقطاب فلم يكن ممكناً للمرء إلا أن يوجه نظره تلك
الوجهة، فشعرت أن القاعة أضيت بوجه تلك الحسناء

وسألت النساء: أَبْصَرْنَ مَا أَبْصَرْتُ مِنْ حُسْنِهَا؟ فقال النساء: دُونَ وَجْهِ الْبَغِيضِ وَحَسَنَةُ هَؤُلَ وَعَلَى وَجْهِ مَنْ تُحِبُّ الْبَهَاءُ هذا بالطبع سُلخ لقول عمر بن أبي ربيعة: «حسن في كل عين من تود»

٦ يا ماضغ الماء

قال يهجو يحيى بن صالح:

أَلْزَمْتَ عَيْنَكَ مِنْ بَغْضَائِنَا حَوْلًا لَوْ قَدْ وَسَمْتُكَ عَادَتْ غَيْرَ حَوْلًا
قد صرت تنحرف بنظرك عنا بسبب كرهك لنا، فكأنها حولاء؛ لو قد وسمتك، أي طبعت عليك علامة الذل كتلك التي يسمون بها الماشية، لعادت عينك سليمة. سمح هذا البيت بقوله أعمى أَطْلُبُ رِضَايَ وَلَا تَطْلُبُ مُشَاغَبَتِي لَا يَحْمِلُ الضَّرْعُ الْمُقْوَرُّ أَعْبَائِي
الضرع: الضعيف، المقور: المطلي بالقار، يعيره بالسواد

أَنَا الْمُرْعَثُ لَا أَخْفَى عَلَى أَحَدٍ ذَرْتُ بِيَ الشَّمْسِ لِلدَّانِيِ وَلِلنَّائِيِ
المرعث: لقب بشار لقرط كان في أذنه وهو طفل. ذرت الشمس بي: طلعت الشمس إذ طلعت فلم أكن خافياً على أحد

يَغْدُو الْخَلِيفَةُ مِثْلِي فِي مُحَاسِنِهِ وَلَسْتُ مِثْلِي، فَتَمَّ يَا مَاضِغَ الْمَاءِ
المعنى الملموح: يكر الخليفة لاستقبال من هم مثلي وهو في محاسنه وهيبته، وأنت لست من أمثالي..

٧ الدار وسكانها

أَقُولُ وَالْعَيْنُ بِهَا غُصَّةٌ مِنْ عَبْرَةٍ هَاجَتْ وَلَمْ تُسْكَبِ
دمة تفرقت ولم تنزل

إِنْ تَذْهَبِ الدَّارُ وَسُكَّانُهَا فَإِنْ مَا فِي الْقَلْبِ لَمْ يَذْهَبِ
يا صاح لا تسأل بحُبِّي لها وانظر إلى جسمي ثم اغنجب

٨ التلابة

لَا تَخْشَ عَدْرِي وَلَا مُخَالَفَتِي كُلُّ امْرِئٍ رَاجِعٌ إِلَى حَسَبِهِ
يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ لِلنَّدَى كَمَا يَخْرُجُ ضَوْءُ السَّرَاجِ مِنْ لَهَبِهِ
يصف نفسه: يخرج الكلام من فمه للندي، للحاضرين في مستاده، كأنه النور الذي يتولد من لهب السراج

تَلَمَّابَةٌ تَغْكِفُ النِّسَاءَ بِهِ بِأَخْذِنَ مِنْ جِدِّهِ وَمِنْ لَعِبِهِ

لعوب والنساء يحفن به ويستمتعن بشعره الجاد وبعثه

يَزِدِّجُهُمُ النَّاسُ كُلَّ شَارِقَةٍ بِبَايِهِ مُشْرِعِينَ فِي أَدْبِهِ

والناس يزدحمون كل مشرق شمي، كل يوم، مشرعين في أدبه، واردين وناهلين

٩ اخضبها على الأقل

وقال يعاتب يعقوب بن داود وزير المهدي:

«يَعْقُوبُ» قَدْ وَرَدَ الْعَفَاةَ عَشِيَّةً مُتَعَرِّضِينَ لِسَيْبِكَ الْمُتَنَابِ

ورد العفاة، الفقراء، يطلبون سيك، عطاءك، المتتاب، الذي يأتيهم ويتابهم

فَسَقَيْتَهُمْ وَحَسِبْتَنِي كَمُونَةً نَبَتَتْ لِزَارِعِهَا بِغَيْرِ شَرَابِ

سقيتهم كما يسقي المرء الزرع، وحسبتي نبتة كمون (والكمون قليل الحاجة للماء) فأنت لا تسقيني

تُعْطِي الْغَزِيرَةَ دَرَّهَا، فَإِذَا أَبَتْ كَانَتْ مَلَامَتُهَا عَلَى الْحَلَابِ

الناقة الغزيرة اللبن تمنح لبنها، وإذا لم تعط فاللوم على الحلاب لأنه لا يحلب جيداً... وأنا لا لوم علي لأنني حاولت معك

طَالَ الشَّوَاءُ بِحَاجَةٍ مَحْبُوسَةٍ شَمَطْتَ لَدَيْكَ، فَمُرْ لَهَا بِخَضَابِ

طال الشواء، المكوث، بهذه الحاجة التي حبستها عندك كما يحبس الرجل ابنته بلا زواج حتى تصبح شمطاء قد اختلط سواد شعرها ببياض، فعلى الأقل هل لك أن تأمر لهذه الحاجة بخضاب من حناء مثلاً، بما أنك لم تحقق الطلب الأصلي

١٠ عدمتك يا قلب

عَدِمْتُكَ عَاجِلًا يَا قَلْبُ قَلْبَا أَتَجْعَلُ مَنْ هَوَيْتَ عَلَيْكَ رَبًّا

رباً: مالكا

كَأَنَّكَ لَا تَرَى حَسَنًا سِوَاهَا وَلَا تَلْقَى لَهَا فِي النَّاسِ ضَرْبَا

ضرباً: ضرباً، مثلاً

فَمَا لَكَ فِي مَوَدَّتِهَا نَصِيبٌ سِوَى عِدَّةٍ، فَخُذْ بِيَدَيْكَ تُرْبَا

لا نصيب في يدك منها سوى الوعود، وخير من ذلك أن تأخذ بيدك تراباً

رَأَيْتُ الْقَلْبَ لَا يَأْتِي بَغِيضًا وَيُؤَثِّرُ بِالزِّيَارَةِ مَنْ أَحَبَّا

١١ الغالبة بالدلال

عَلَبَتْكَ «أُمُّ مُحَمَّدٍ» بدلالِها والمُلْكُ يُمَهِّدُ لِلأَعَزِّ الغالبِ
لها الملك والسيطرة عليك لأنها عزيزة غالبة بقوة دلالها
عِلَلُ النساءِ إذا اعتَلَلْنَ كثيرةٌ وسَمَاحُهُنَّ مِنَ العَجِيبِ العَاجِبِ
أعذار النساء كثيرة، وتليتهن الدعوة للوصال شيء عجيب نادر
وَرَضِيَتْ مِنْ طُولِ الرجاءِ بَيَاسِهِ واليأسُ أَمَثَلُ مِنْ عِدَاتِ الكاذِبِ
رضيت بدل الرجاء باليأس، واليأس أفضل من الوعود الكاذبة

١٢ تردد وتعلق

ألا قلْ لَتَلِكِ المَالِكِيَّةِ أَصْحَبِي وإِلَّا فَمَنْبِنَا لِقَاءُكَ، واكْذِبي
أصحبني: أقبلي صحبتي، أو على الأقل امنحيني الأمنيات باللقاء، ثم اكذبي
عِدِينَا، فَإِنَّ النَفْسَ تُخَدِّعُ بِالْمُنَى وَقَلْبُ الْفَتَى كَالطَّائِرِ الْمُتَقَلِّبِ
إذا يشئت نفس امرئ من قرينته تَبَدَّلَ أُخْرَى مَرْكَبًا بَعْدَ مَرْكَبِ
مثلما يبدل المرء ناقته يمكنه أن يبدل الصاحبة
وَإِنِّي - لو شَمَّرْتُ - أَوَّلُ ظَاعِنٍ بِرِخْلِي عَنِ جَذْبٍ إِلَى غَيْرِ مُجَذَّبِ
لو نويت فلن أكون أول ظاعن، راحل، عن المكان الجذيب، المقفر، إلى المكان الخصب
وَلَكِنِّي أَغْضِي جُفُونًا عَلَى الْقَذَى وَأَحْفَظُ مَا حَمَلْتَنِي فِي الْمُعْيَبِ
لكنني لا أنوي الفراق، وأغضض جفوني على القذى، أي أتحمّل دلالك، وأحفظ ما بيننا غير فاضح له

١٣ كأنني غريب

إِذَا نَطَقَ الْقَوْمُ الْجُلُوسُ فَإِنِّي أَكْبُ كَأَنِّي مِنْ هَوَاكَ غَرِيبُ
أجلس وسط المتحدثين صامتاً مكباً، مطرقاً، كأنني غريب لما بقلبي من شغل بك
لَقَدْ شَغَلَتْ قَلْبِي «عَبِيدَةُ» فِي الْهَوَى فَلَيْسَ لِأُخْرَى فِي الْفَوَادِ نَصِيبُ
عبيلة: أي حبسته عبدة
يَقُولُونَ: لو عَزَيْتَ قَلْبَكَ لِأَرْعَوَى فَقُلْتُ: وَهَلْ لِلْعَاشِقِينَ قُلُوبُ
ارعوى: تراجع وثاب إلى رشده

١٤ شد وجذب

بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ يُقَارِبُنِي فِيمَا أَقُولُ وَمَنْ أَقَارِبُهُ
عَجَلُ الْمَلَامَةِ حِينَ أَغْضِبُهُ فَإِذَا غَضِبْتُ يَلِينُ جَانِبُهُ
إِنْ الْمُحِبَّ تَلِينُ شَوْكَتُهُ يَوْمًا إِذَا مَا عَزَّ صَاحِبُهُ
المحب يلين لمحبوبه إذا رآه قد عز، قوي عليه

١٥ حديث مع التراب

ولما فارقننا «أم بكر» وشطّ غُرْبَةً بعد اكْتِنَابِ
شطت: ابتعدت

خَطَطْتُ مِثَالَهَا وَجَلَسْتُ أَشْكُو إِلَيْهَا مَا لَقِيتُ عَلَى انْتِحَابِ
خط في التراب شكلاً شبيهاً بها

أَكَلْتُ لَمَحَةً فِي الثَّرْبِ مِنْهَا كَلَامَ الْمُسْتَجِيرِ مِنَ الْعَذَابِ
كَأَنِّي عِنْدَهَا أَشْكُو إِلَيْهَا هُمُومِي وَالشَّكَاةُ إِلَى الثَّرَابِ

١٦ هجاء بالجملة

قال يمدح روح بن حاتم:

إِذَا لَمْ تَرَ الذُّهْلِيَّ أَنْوَكَ فَالْتَمِسْ لَهُ نَسْبًا غَيْرَ الَّذِي يَتَنَسَّبُ
إذا لم تجد ابن قبيلة ذهل أنوك، أي أحمق، فلا بد أن له نسباً آخر . . فكلهم حمقى

وَفِي جَحْدَرٍ لَوْمٍ، وَفِي آلٍ مِسْمَعٍ صَلاَحٌ، وَلَكِنْ دِرْهَمُ الْقَوْمِ كَوَكْبٍ
وَأَمَّا بَنُو قَيْسٍ فَإِنْ نَبِيذَهُمْ كَثِيرٌ، وَأَمَّا خَيْرُهُمْ فَمُعَيَّبٌ
وَسَيِّدُ تَيْمِ اللَّاتِ عِنْدَ عَدَائِهِ هِزْبَرٌ، وَأَمَّا فِي اللَّقَاءِ فَتُعْلَبُ
أسد يحمي طعامه وقت الغداء، لكنه في اللقاء، المعركة، ثعلب جبان

وَقَدْ كَانَ فِي شَيْبَانَ عَزٌّ فَحَلَقَتْ بِهِ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ عَنَقَاءُ مُغْرِبٍ
عز شيبان القديم طارت به عنقاء مغرب، طير بخرافي، وزال إلى الأبد

لَقَدْ سَادَ أَشْرَافَ الْعِرَاقِ ابْنُ «حَاتِمٍ» كَمَا سَادَ أَهْلَ الْمَشْرِقَيْنِ «الْمُهَلَّبُ»

١٧ رثاء ابن

وقال يرثي ابنه محمداً:

أَجَارَتْنَا لَا تَجْزَعِي وَأَنْيَبِي أَتَانِي مِنَ الْمَوْتِ الْمُطِلُّ نَصِيبِي
أَنْيَبِي: عودي إلى الصبر والهدوء

كَأَنِّي غَرِيبٌ بَعْدَ مَوْتِ «مَحْمَدٍ» وَمَا الْمَوْتُ فِينَا بَعْدَهُ بِغَرِيبٍ
لَعَمْرِي لَقَدْ دَافَعْتُ مَوْتَ «مَحْمَدٍ» لَوْ أَنَّ الْمَنَايَا تَرَعَوِي لِطَبِيبٍ
كنت حاولت درء الموت عن ابني لو أن الموت يرعوي، يتراجع، بتدخل الطبيب

فَأَصْبَحْتُ أَبْدِي لِلْعَيُونِ تَجَلِّدًا وَيَا لَكَ مِنْ قَلْبٍ عَلَيْهِ كَنْيَبٌ
دَعَتْهُ الْمَنَايَا فَاسْتَجَابَ لِصَوْتِهَا فَلِلَّهِ مِنْ دَاعٍ دَعَا وَمُجِيبٌ
عَجِبْتُ لِإِسْرَاعِ الْمَنِيَّةِ نَحْوَهُ وَمَا كَانَ لَوْ مُلِّئَتْهُ بِعَجِيبٍ
أسرع إليه الموت، ولو كان بقي لكي أتملاه، وأسعد برؤيته، لكان هذا أمراً عادياً

رُزِئْتُ بُنَيَّ حِينَ أَوْرَقَ عَوْدُهُ وَأَلْقَى عَلَيَّ الْهَمَّ كُلَّ قُرْبٍ
فَقَدْتُ ابْنِي حِينَ أَوْرَقَ عَوْدِهِ، كَبُرَ وَاشْتَدَّ، وَحَسَدَنِي الْأَقَارِبُ

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ لَنَا كَافِيًا مِنْ فَارِسٍ وَخَطِيبٍ
نُؤْمَلُ عَيْشًا فِي حَيَاةٍ دَمِيمَةٍ أَضَرَّتْ بِأَبْدَانِ لَنَا وَقُلُوبٍ
هذه القصيدة بذرة ستخرج شجرة باسقة عند ابن الرومي عندما سيرثي ولده محمداً

١٨ بنات اليون

يمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك:

فَلَا مَذْهَبٌ عَنْكُمْ لَهُ، شَطٌّ أَوْ دَنَّا، سِوَاكِ، وَفِي الْأَرْضِ الْعَرِيشَةُ مَذْهَبُ
يتنزل قبل المدح: لا مكان لي غيركم شط أو دنا، ابتعد أم اقترُب، مع كثرة الأماكن في هذه الأرض

عَلَى النَّأْيِ مَحْزُونٌ وَفِي الْقَرَبِ مُغْرَمٌ فَيَا كَيْدًا! أَيُّ الطَّرِيقَيْنِ أَرْكَبُ
في بعدكم أنا حزين، وفي قريبكم مغرم، وكلاهما مركب صعب

لَهُ كُلُّ عَامٍ غَزْوَةٌ بِمُسَوِّمٍ يَقُودُ الْمَنَايَا رَأْيُهُ حَيْثُ يَذْهَبُ
يمدح: يغزو كل عام على فرس مسوم، به علامة الحرب، ورأيه، أي رأياته،
تحمل معها الموت للعدو أينما ذهب

كَرَادِيْسُ خَيْلٍ لَا تَزَالُ مُغِيرَةً بِهَا الْمَلِكُ الرُّومِيُّ عَانٍ مُعَذَّبٌ

كراديس الخيل، جماعاتها، تظل تشن الغارات وملك الروم عان، مرهق، منها

كَأَنَّ بَنَاتِ «الْيُون» بَعْدَ إِيَابِهِ مُورَّعَةً بَيْنَ الصَّحَائِبِ رَبْرَبٌ

بنات ملك الروم اليون يؤخذن أسيرات ويتم توزيعهن بين المقاتلين كأنهن الربرب، قطع الظباء

مَوَاهِبُ مَغْبُوطٌ بِهَا مَنْ يَنَالُهَا صَفَايَا سَبَايَا الرُّومِ بِكْرٌ وَثِيْبٌ

مواهب، هدايا، يسعد بها من ينالها، وهن صفايا، غنائم، من سبايا الروم من بين فتاة بكر وغير بكر

١٩ قصيدة التشبيه المعجز

بمدح مروان بن محمد:

أَخُوكَ الَّذِي إِنْ رَبَّتَهُ قَالَ إِنَّمَا أَرَبْتُ، وَإِنْ عَاتَبَتْهُ لَانَ جَانِبُهُ

صديقك الحقيقي هو من إذا ربه، صنعت معه ما يريب، جعل الذنب لنفسه وطن أنه هو المخطن، وإن عاتبته على إساءة لان لك

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الذُّنُوبِ مُعَاتِباً صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ

إن عاتبك الصديق في كل شيء فلن تجد صديقاً أصلاً كي تغير طبعك معه فلا تعود تعاتبه

فَعِشْ وَاحِداً أَوْ صِلْ أَخَاكَ، فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ تَارَةً وَمُجَانِبُهُ

الصديق يذنب مرة ويجتنب الذنب مرة، فلما أن ترضى بذلك أو تعيش بغير صديق

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَى الْقَذَى ظَمِئْتَ، وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ

إن لم تشرب مرة بعد أخرى رغم وجود قذى من قشة أو نحوها في الماء فسوف تظماً، وليس في الناس أحد يجد الصفاء في مشربه دائماً

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضِي سَجَايَاهُ كُلُّهَا؟ كَفَى الْمَرْءُ نُبْلاً أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ

سجاياه: خصاله، يكفي البرء نبلاً أن تكون عيوبه قليلة بحيث يمكن عدها

إِذَا رَكَبُوا بِالْمَشْرِفِيَّةِ وَالْقَنَا وَأَصْبَحَ مَرُوانٌ تُعَدُّ مَوَاكِبُهُ

المشرفية: السيوف، القنا: الرماح

فَأَيُّ امْرِئٍ عَاصٍ وَأَيُّ قَبِيلَةٍ وَأَرْعَنَ لَا تَبْكِي عَلَيْهِ قَرَائِبُهُ؟

العصاة من أفراد وقبائل، والأرعن، أي الجيش، الذي يقاتل الخليفة.. كل أولئك ستبكي عليهم أقاربهم عندما يزحف مروان بجيشه عليهم

وَسَامَ لِمَرَوَانٍ وَمِنْ دُونِهِ الشَّجَا وَهَوَلَ كَلْجِ الْبَحْرِ جَاشَتْ غَوَارِبُهُ

ورب سام، منتطح مواجه، لمروان ودون مسعاه الشجا، الشوك في الحلق... وسواجه من الهول مثل لج البحر وقد جاشت غواربه، أي ماء النهر العظيم وقد ارتفعت أمواجه... وكانت حروب مروان ضد مخالفه في الشام وفي العراق

أَحَلَّتْ بِهِ أُمُّ الْمَنَايَا بَنَاتِهَا بِأَسْيَافِنَا، إِنَّا رَدَىٰ مَنْ نُحَارِبُهُ

أم المنايا جعلت بناتها، أي الميتات المختلفات طعنا وضرباً ودوساً، حلالاً للعدو تزوجه بهن بفعل سيوفنا، فنحن الموت لمن نحاربه

وَمَا زَالَ مِنَّا مُمَسِّكٌ بِمَدِينَةٍ يُرَاقِبُ، أَوْ تُغَرُّ تُخَافُ مَرَازِبُهُ

نحن، رغم العصاة والمتمردين في الداخل، نمسك بالمدن والثغور، أي المواقع الحدودية التي يشملها الخوف من المرازب، قادة حفظ الحدود العجم في زمن كسرى

إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ مَشَيْنَا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ نُعَابِيَهُ

إذا صعر الملك المتجبر خده، أمال رأسه تكبراً، نعايته بالسيوف لا بالكلام. والملك في ذلك العصر هو الوالي الذي يملك مقاطعة، وكان عدد من الولاة قد خرجوا على مروان الثاني وتجبروا وفرضوا سيطرتهم على مناطقهم وقضى مدة خلافته وهي خمس سنين يقارعهم

وَكُنَّا إِذَا دَبَّ الْعَدُوُّ لِسُحْطِنَا وَرَاقِبْنَا فِي ظَاهِرٍ لَا نُرَاقِبُهُ

لا نراقب العدو بل نهاجمه

رَكِبْنَا لَهُ جَهْرًا بِكُلِّ مُثَقَّفٍ وَأَبْيَضُ تَسْتَسْقِي الدِّمَاءَ مَضَارِبُهُ

نركب وبأيدينا الرماح المثقفة، المقومة، والسيوف البيض التي تطلب نصالها أن تسقى بالدماء

وَجَيْشٍ كَجُنْحِ اللَّيْلِ يَزْحَفُ بِالْحَصَىٰ وَبِالشُّوْكِ وَالْخَطِيِّ حُمُرٍ نَعَالِيَهُ

رب جيش كأنه الليل يزحف بالحصى، بالعدد الكبير، وبالشوك، السلاح، والخطي، الرماح، التي نعالها حمراء... وثعلبة الرمح طرف عصاه التي تدخل في السنان الحديدي

عَدَوْنَا لَهُ وَالشَّمْسُ فِي خِدْرِ أُمِّهَا تُطَالِعُنَا وَالطَّلُّ لَمْ يَجْرِ ذَاتِبُهُ

بكرنا لملاقاته والشمس ما تزال في ستر أمها تنظر إلينا بطرفها كالفتاة الخجول تطل برأسها من جانب الستر، لم تشرق الشمس، ولم يبيل الطل، الندى

بِضَرْبٍ يَذُوقُ الْمَوْتَ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ وَتُدْرِكُ مَنْ نَجَى الْفِرَارُ مَثَالِبُهُ

مشينا لهم بضرب مميت لمن أصابه، ومن نجا بالفرار أصيب بالمثالب، العار

كَأَن مُنَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ وَأَسْيَافُنَا لَيْلَ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

النقع، أي الغبار، الذي أثير فوق رؤوس الأعداء كالليل، وترى خلاله سيوفنا تهوي على رؤوسهم كأنها الكواكب تهوي في السماء. وهذا معنى لبشار غير مسبوق ولا ملحق. وكل شاعر مهم أتى بعد بشار حاول أن يصنع بيتاً يأكل بيت بشار أو يساويه، أو يقترب منه، وظل بيت بشار هذه السنوات الألف والثلاثمئة صامداً

بَعَثْنَا لَهُمْ مَوْتَ الْفُجَاءَةِ، إِنَّنَا بَنُو الْمَوْتِ خَفَافٌ عَلَيْنَا سَبَائِبُهُ

قتلناهم، ونحن من لا يهاب الموت، وسبائبه، أي راياته، منشورة تخفق فوقنا

فَرَاخُوا: فَرِيقًا فِي الْإِسَارِ وَمِثْلُهُ قَتِيلٌ وَمِثْلٌ لَأَدِّ بِالْبَحْرِ هَارِبُهُ

أسر بعضهم، وقتل بعض، وبعضهم رمى نفسه في النهر. وسنرى بعد قليل أن هذا هو بالضبط ما حدث لجيش مروان نفسه عندما هزم على الزاب

وَأَرْعَنَ يَغْشَى الشَّمْسَ لَوْنُ حَدِيدِهِ وَتَخَلَّسَ أَبْصَارُ الْكُمَاةِ كَتَائِبُهُ

ورب أرعن، جيش كبير، يسد الشمس فيغلب لون حديده عليها، وتحير أبصار الكماة، المحاربين، كتائبه

تَغْصُ بِهِ الْأَرْضُ الْفُضَاءُ إِذَا عَدَا تُزَاحِمُ أَرْكَانَ الْجِبَالِ مَنَاجِبُهُ

تمتلئ به الأرض السهلة، ويزاحم الجبال بضخامته

تَرْكُنَا بِهِ كَلْبًا وَقَحْطَانًا تَبْتَغِي مُجِيرًا مِّنَ الْقَتْلِ الْمُطْلُ مَقَانِبُهُ

أصبحت قبائل كلب وقحطان العاصية تطلب من يجيرها منه، حيث القتل مطلق عليهم بمقانب هذا الجيش، أي جماعات الخيل

٢٠ مدح المهدي

فَتَى قَرِيشٍ دِينًا وَمَكْرُمَةً وَهَبْتُ وَدَّيْ لَهُ بِمَا وَهَبَا

أعطيه ودي، يقصد مدحي، مقابل ما يهبه من مال

لَمَّا رَأَيْتِي بَدَتْ مَكَارِمُهُ نُورًا عَلَى وَجْهِهِ، وَمَا اكْتَابَا

كَأَنَّمَا جِئْتُهُ أَبْشَرُهُ وَلَمْ أَجِئْ رَاغِبًا وَمُخْتَلِبًا

كأنني جئت أبشره ببشره، لا أنني جئت راغباً في ماله ومختلباً له.. أي خادعاً له.. وكان الخلفاء والأمراء يحبون أن يصفهم الشاعر بأنه يسهل خداعهم لكي يعطوا المال، فهذا من صفات الكريم المتغاضي

٢١ وأبي كسرى

هَلْ مِنْ رَسُولٍ مُخْبِرٍ عَنِّي جَمِيعَ الْعَرَبِ
مَنْ كَانَ حَيًّا مِنْهُمْ وَمَنْ تَوَى فِي الثُّرُبِ
جَدِّي الَّذِي أَسْمُو بِهِ كَسْرَى، وَسَاسَانُ أَبِي
أسمو: أرتفع

وَقَبِصَرُ خَالِي إِذَا عَدَدْتَ يَوْمًا نَسَبِي
قيل إن أم بشار سبية رومية

كَمْ لِي وَكَمْ لِي مِنْ أَبِي بِتَاجِهِ مُغْتَصِبِ
معتصب: لاف رأسه

يَسْعَى الْهَبَانِيُّ لَهُ بِأَنْسِيَاتِ السِّدْهِبِ
الهانيق: الخدم، الآنيات: الأواني

لَمْ يُسَقِّ أَقْطَابَ سِقَى يَشْرِبُهَا فِي الْعُلْبِ
أقطاب سقى: أخلاط ماء ولبن، العلبة: إناء من جلد يحلبون ويشربون به

وَلَا حَادَا قَطُّ أَبِي خَلْفَ بَعِيرٍ أَجْرِبِ
حدا: تغنى بالشعر وهو يسوق الجمل

إِنَّا مُلُوكٌ لَمْ نَزَلْ فِي سَالِفَاتِ الْحَقِّ
نَحْنُ جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ بَلَخٍ بَغِيرِ الْكَذِبِ
حَتَّى إِذَا مَا دَوَّخَسَتْ بِالشَّامِ أَرْضَ الصُّلْبِ
الصلب: الصلبان، وكان جل أهل الشام من قبائل عربية مسيحية

سِرَرْنَا إِلَى مُضَرٍ بِهَا فِي جَحْفَلٍ ذِي لَجَبِ
في جحفل ذي لجب: في جيش ذي ضجج

حَتَّى اسْتَلَبْنَا مُلْكَهَا بِمُلْكِنَا الْمُسْتَلَبِ
سلبنا ملك مصر بدلاً من ملكنا الذي سلبه العرب

ثُمَّ رَدَدْنَا الْمُلْكَ فِي أَهْلِ النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ
نَغْضِبُ لِلَّهِ وَلِلْإِسْلَامِ أَسْرَى الْغَضَبِ
أسرى: أكثر سرواً، والسرو هو الشرف

٢٢ لا أحب الشريك

إِنْ تَكُونِي غَنِيَّةً عَنَّا فَإِنَّا عَنْكَ أَغْنَى، فَيَمُمِّي حَيْثُ شِئْتَ
 إن استغنيت عنا فنحن أكثر استغناء، فيممي، أي اذهبي، حيث شئت

يَا ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ قَدْ كَانَ عَهْدٌ بَيْنَنَا فِي الْهَوَى، وَلَكِنْ نَسِيتَ
 فَادْكُرِي وَدَّنَا، وَذُوقِي سِوَانَا تَذْكُرِينَا وَتُنْدَمِي مَا بَقِيَتْ
 وَإِذَا مَا أَرَدْتَ وَدِّيْ هَنِيئاً فَصِلِينِي بِالصَّبْرِ عَمَّنْ لَقِيتَ
 إن أردت نيل مودتي بهناء فعليك أن تواصليني بأن تصبري عن الآخرين وتهجرهم

أَنْتِ يَأْقُوْتَةُ قَدَرْتُ عَلَيْهَا لَا أَحِبُّ الشَّرِيكَ فِي الْيَأْقُوْتِ

٢٣ لم أستطع الخروج

وَجَارِيَةٌ يَسُورُ بِنَا هَوَاهَا كَمَا سَارَتْ مُشْعَشَعَةٌ كُمَيْتُ
 يسور بنا حبها، أي يثب بنا ويهاجمنا، مثلما تسور الخمر المشعشة، الممزوجة، الكميت،
 الداكنة. فمزج الخمر بالماء يولد في الكأس حركة وبقايع كأن بين الماء والخمر حرباً

يُزَيِّنُ وَجْهَهَا خَلْقاً عَمِيماً وَزَيَّنَ وَجْهَهَا حَسَبٌ وَبَيْتُ
 وجهها الجميل يزین خلقها العميم، وجهها هذا مزین بحسبها وبيتها، أي علو نسبها
 نَسَجْتُ لَهَا الْقَرِيضَ بِمَاءٍ وَدِّي لِتَلْبَسَهُ، وَتَشْرَبَ مَا سَقَيْتُ
 وَدَسْتُ فِي الْكِتَابِ إِلَيَّ: إِنِّي - وَقَيْتُكَ - لَوْ أَرَى خَلْلاً مَضِيئُ
 دسْتُ لي في رسالتها عبارة دعاء (وقيتك)، وقولها إنها لو رأت خللاً، فرصة أو فرجة،
 لمضت من بيت أهلها وزارتنى

يَقُولُونَ: انْعَمِي، وَيَرَوْنَ عَاراً خُرُوجِي إِنْ رَكِبْتُ وَإِنْ مَشَيْتُ
 أهلها يقولون: استريحي، ويرون خروجها من البيت مشياً أو ركوباً عاراً

وَمِنْ طَرَبِي إِلَيْكَ خَشَعْتُ فِيهِمْ كَمَا يَتَخَشَّعُ الْفَرَسُ السُّكَيْتُ
 ومن طربي، لحزني واشتياقي لك، خشعت فيهم، سكت لا أنيس بنت شفة، كأنني الفرس
 السكيت الذي جاء آخراً في السباق

٢٤ التاج الكريه

لَوْتُ حَاجَتِي عِنْدَ اللَّقَاءِ، وَأَنْكَرْتُ مَوَاعِيدَ قَدْ صَامَتْ بِهِنَّ وَصَلَّتِ
 لوت حاجتي: حجبته، وأنكرت مواعيد كانت حلفت عليها بصومها وبصلاتها

وَمَا سُمْتُهَا هَوْنًا فَتَأَبَّى قَبُولُهُ وَلَكِنَّمَا طَالَ الصَّفَاءُ فَمَلَّتْ

ليس السبب أنني سميتها هوناً، عرضتها لما هو مهين، حتى ترفضه، فقط ملّت لطول الصفاء بيننا واشتأقت إلى بعض المناكفة

فَيَا عَجَباً زَيَّنْتُ نَفْسِي بِحُبِّهَا وَزَانَتْ بِهَجْرِي نَفْسَهَا وَتَحَلَّتْ

أزين نفسي، أفتخر، بحبي لها، وتفتخر بهجرها إياي وتتخذ هذا جليّة

فَبَيَّنِي كَمَا بَانَ الشَّبَابُ إِذَا مَضَى وَكَانَتْ يَدٌ مِنْهُ عَلَيَّ فَوَلَّتْ

فبينني، فارقي، كما فارقني الشباب الذي كانت له عليّ يد، أي نعمة، ثم ولت وذهبت هذه النعمة

فَقَدْ كُنْتُ فِي ظِلِّ الْعَذَارَى مُرَفَّلاً أَحَبُّ وَأَعْطَى حَاجَتِي حَيْثُ حَلَّتْ

كنت مدلاً بين البنات مرفلاً، كمن يمشي ويجر ثوبه، وأنال حاجتي فوراً

فَعَيَّرَ ذَاكَ الْعَيْشَ تَاجَ لَيْسَتُهُ وَطَاعَةُ وَالٍ حَرَّمَتْ وَأَحَلَّتْ

فغير ذاك العيش تاج الشيب، وأنا أصبحت أنهب الوالي الذي يحرم ويحلل الأشياء

٢٥ امتناع بأمر الخليفة

يَا مَنْظَرًا حَسَنًا رَأَيْتُهُ مِنْ وَجْهِ جَارِيَةٍ فَذَيْتُهُ

وَدَعَانِي الرَّشَاءُ الْغَرِيبُ رُ إِلَى اللَّعَابِ فَمَا أَتَيْتُهُ

الرشاء الغريب: الغزال البريء، اللعاب: لعبة الغزل والحب

بَعَثْتُ إِلَيَّ تَسْؤُومَنِي لَعِبَ الشَّبَابِ وَقَدْ طَوَيْتُهُ

تسومني: تطلب مني

وَاللَّهُ رَبُّ مُحَمَّدٍ مَا إِنْ غَدَرْتُ وَلَا نَوَيْتُهُ

إِنْ الْخُلَيْفَةُ قَدْ أَبَى وَإِذَا أَبَى شَيْئاً أَبَيْتُهُ

وكان الخليفة المهدي منع بشاراً من التمادي في الغزل

٢٦ وصال مقابل الحسنات

تِلْكَ أَسْقَامِي، وَبُرْئِي مِنْ سَقَامِي لَوْ تَوَاتِي

شفائي أن تواتيني، أي تطاوطني

فَإِذَا قُمْتُ أَصَلِّي عَرَضْتُ لِي فِي صَلَاتِي

لِيَتَنِي أُعْطِيتُ مِنْهَا لَيْلَةً فِي حَسَنَاتِي
 لِيَتَنِي لَقِيَتْهَا مَرَّةً مَقَابِلَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي أَنَالَهَا فِي لَيْلَةٍ عَامِرَةٍ بِالْعِبَادَةِ
 بَلَغَتْ بِي مِنْ هَوَاهَا فَوْقَ مَا سَرَّ عُذَاتِي
 هَوَاهَا أَلْحَقَ بِي مِنَ الْأَذَى أَكْثَرَ مِمَّا يَتِمَّنَاهُ لِي أَعْدَائِي

٢٧ حديث المسواك

«خُشَّابُ» جُودِي جَهَاراً أَوْ مُسَارَقَةً فَقَدْ بَلَيْتُ، وَمَرَّتْ بِالْمُنَى حِجْجُ
 أَيْتِهَا الْحَبِيَّةُ خَشَابَةُ جُودِي عَلَيَّ بِوَصْلِكَ سِراً أَوْ جَهْراً، فَأَنَا قَدْ بَلَيْتُ، أَيَّ هَلَكْتُ، وَقَدْ مَرَّتْ
 حِجْجُ، أَيَّ سَنَوَاتٍ، عَلَى أَمْنِيَاتِي بِالْوَصَالِ
 حَتَّى مَتَى أَنْتِ يَا خُشَّابُ جَالِسَةٌ لَا تَخْرُجِينَ لَنَا يَوْمًا وَلَا نَلِجُ
 إِلَّا أَنْتِ جَالِسَةٌ فِي بَيْتِكَ لَا تَخْرُجِينَ لِي وَلَا أَلِجُ، أَيَّ أَدْخُلُ
 لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ إِنْ كُنَّا كَذَا أَبَدًا لَا نَلْتَقِي، وَسَبِيلُ الْمَلْتَقَى نَهْجُ
 سَبِيلُ الْمَلْتَقَى نَهْجٌ: مَنَسَر

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَارَزَ بِالطَّبِيبَاتِ الْفَاتِكِ اللَّهْجُ
 يَخَاطَبُ نَفْسَهُ: مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ، أَيَّ التَّفَتِ إِلَيْهِمْ، لَمْ يَحَقُقْ أَمْنِيَّتَهُ؛ وَيَفُوزُ بِالطَّبِيبَاتِ الْفَاتِكِ،
 الْمَقْدَامِ، اللَّهْجِ، الْمَوَاطِبِ الْمَوْلَعِ
 وَقَدْ نَهَاكَ أَنْاسٌ، لَا صَفَا لَهُمْ عَيْشٌ، وَلَا عَدِيمُوا خَصْماً، وَلَا فَلَجُوا
 يَنْهَاكَ عَنْ وَصَالِنَا يَا خَشَابَةُ أَنْاسٌ، وَيَدْعُو عَلَيْهِمْ أَلَا يَصْفُو عَيْشَهُمْ وَأَلَا يَعْدِمُوا خَصْراً،
 وَأَلَا يَفْلُجُوا، أَلَا يَنْجُحُوا

قَالُوا: حَرَامٌ تَلَاقَيْنَا، فَقَدْ كَذَبُوا مَا فِي التَّزَامِ وَلَا فِي قُبْلَةٍ حَرَجُ
 الْإِلْتِزَامِ: الْإِضْم

يَا رَبِّ لَا صَبْرَ لِي عَنْ قُرْبِ جَارِيَةٍ نَنَاقَى دَلَالاً، وَفِيهَا إِنْ دَنَتْ غُنْجُ
 تَجَلُّو بِمَسْوَكِهَا عَنْ بَارِدِ رَتْلِ كَذَاكَ خَبَّرَنِي مَسْوَكَهَا الْأَرْجُ
 تَلَمَّعَ بِالمَسْوَكَ صَفَ أَسْنَانِهَا الرَّتْلُ، أَيَّ الْمُسْتَوِيِّ، وَبِالْمُنَاسَبَةِ هَذَا مَا أَخْبَرَنِي مَسْوَكَهَا الْأَرْجُ، الْعِطَرُ

٢٨ أكرمت ثم أمسكت

لَقَدْ زَيْنَ الْإِسْلَامَ مُلْكُ مُحَمَّدٍ وَفِي الْحَرْبِ لِلْأَعْدَاءِ نَارٌ تَأْجُجُ
 زَيْنَتِ الْإِسْلَامَ بِمُلْكِهَا الْخَلِيفَةُ مُحَمَّدُ الْمُهَدِي، وَأَنْتِ نَارٌ مُتَأَجِّجَةٌ عَلَى الْعَدُوِّ

إِمَامَ الْهُدَى أَمْسَكْتَ بَعْدَ كَرَامَتِي وَقَدْ كُنْتَ تُعْطِينِي وَوَجْهَكَ أَبْلُجُ
أَيُّهَا الْإِمَامُ لَقَدْ أَمْسَكْتَ، اِمْتَنَعْتَ عَنْ عَطَائِي، بَعْدَ أَنْ كُنْتَ أَكْرَمْتَنِي، وَكُنْتَ إِذْ تُعْطِينِي مَسْرُوراً
وَوَجْهَكَ أَبْلُجُ، مَشْرِقاً

لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْمَتْتُ بِي غَيْرَ نَائِمٍ فَنَامَ، وَهَمَمِي سَاهِرٌ يَتَوَهَّجُ
جَعَلْتَ الْحَاسِدِينَ يَسْهَرُونَ غَيْظاً، وَالْآنَ بَعْدَ أَنْ أَقْصَيْتَنِي جَعَلْتَهُمْ يَشْتُمُونَ بِي، وَنَامُوا مَسْتَرِيحِينَ،
وَبَقِيَ هَمِي سَاهِراً مَتَوَهِّجاً بِالرَّغْبَةِ

٢٩ مات من يتزوج

وَقَدْ زَادَنِي وَجْداً عَلَيْهَا، وَمَا دَرْتُ، مَجَامِرُ فِي أَيْدِي الْجَوَارِي تَأْجِجُ
زَادَنِي وَجْداً عَلَيْهَا، رَغْبَةً فِيهَا وَحْزناً، تِلْكَ الْمَجَامِرُ الَّتِي تَأْجِجُ وَتَشْتَعِلُ بِالْخُورِ بِأَيْدِي الْبَنَاتِ فِي
عَرَسِ الْحَبِيبَةِ

فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا بَكَتْ مِنْ دُنُوهِ وَقُلْنَ لَهَا: قَوْمِي أَرْكَبِي، الصُّبْحُ أَبْلُجُ
دَنَا مِنْهَا الْفَرَسُ الَّذِي سَيَحْمِلُونَهَا عَلَيْهِ فَبَكَتْ، وَالْبَنَاتُ يَشْجَعْنَهَا عَلَى الرُّكُوبِ، وَيَقُلْنَ إِنْ الصَّبَاحُ رِيَّاحٌ
وَقَدْ دَنَيْتُهَا كَيْمَا تَخْفُفُ، فَأَعْرَضْتُ تَجَشَّمُ مِمَّا سُمْنَهَا وَتَعْنَجُ
قُلْنَ لَهَا «نَفْدِيكَ» كَيْ تَخْفُفَ، تَنْهَضُ لِلرُّكُوبِ، فَامْتَنَعَتْ تَجَشَّمُ، تَعَانِي، مِمَّا سُمْنَهَا، فَضَرْنَ عَلَيْهَا،
وَتَعْنَجُ، تَبْدِي دَلالاً

وَمَا زِلْنِ حَتَّى أَشْرَفْتُ لِعَيُونِهِمْ وَعَنَى الْمُعْنَى وَالْيَرَاغُ الْمُفْلَجُ
وَوَظَلَلْنَ يَقْنَعْنَهَا حَتَّى صَعِدَتْ وَأَشْرَفَتْ، ارْتَفَعَتْ، وَبَدَتْ لِعَيُونِ النَّاسِ، وَغَنَى الْمُغْنَى وَعَزَفَ الْبِرَاعُ
الْمُثَقَّبُ، النَّايَ

إِذَا رَكِبَتْ مِنَّا يَلْبِلُ فَقُلْ لَهَا: عَلَيْكَ سَلَامٌ مَاتَ مَنْ يَتَزَوَّجُ
يَتَأَسَفُ عَلَيْهَا فَلَا غَرَامَ بَعْدَ الْيَوْمِ..

وَلَوْ مُتُّ كَانَ الْمَوْتُ خَيْراً مِنَ الشَّقَا وَمَا لِي لِقَتِي مِمَّا قَضَى اللَّهُ مَخْرَجُ
وَيَكَادُ لَغِيظُهُ يَرَى الْمَوْتَ أَهْوَى مِنَ الشَّقَاءِ بِفِرَاقِ الْحَبِيبَةِ. أَلَا إِنْ أَغْنِيَتِ الْعَرَسُ أَغْنِيَاتِ حُزْنٍ
وَشَجَنَ لِلْفَتَاةِ وَلِرَجَالٍ كَثُرَ يَتَحَسَّرُونَ. الزَّوْجُ أَنْ تَمْشِيَ بِقَدَمَيْكَ إِلَى سَجَنٍ قَدْ يَكُونُ أَبَدياً.
رَدَدَ مَعِيَ «مَاتَ مَنْ يَتَزَوَّجُ»، الزَّوْجُ نِهَايَةً لَا بَدَايَةَ

٣٠ الصديق الحقيقي

خَيْرُ إِخْوَانِكَ الْمُشَارِكُ فِي الْمُرِّ - وَأَيِّنَ الشَّرِيكُ فِي الْمُرِّ أَيْنَا؟

الَّذِي إِنْ شَهِدْتَ سَرَّكَ فِي الْحَيِّ - وَإِنْ غِبْتَ كَانَ أَذْنًا وَعَيْنًا
 أَنْتَ فِي مَعْشَرٍ إِذَا غِبْتَ عَنْهُمْ بَدَّلُوا كُلَّ مَا يَزِينُكَ شَيْنًا
 أَنْتَ تَعَاشِرُ قَوْمًا إِنْ تَغِبَ عَنْهُمْ يَدْلُوا حَسَنَاتِكَ سَيِّئَاتٍ وَ«يَحْثُونُ فِيكَ»
 وَإِذَا مَا رَأَوْكَ قَالُوا جَمِيعًا أَنْتَ مِنْ أَكْرَمِ الرِّجَالِ عَلَيْنَا

٣١ كَأَمَّ الْعُرُوسِ

بَلَوْتُ ابْنَ نَهْيَا فَمَا عِنْدَهُ سِوَى أَنْ سَيَأْكُلُ أَوْ يَسْلُخُ
 بلوت، أي اختبرت ابن نهيا، كنية حماد عجرد، فكل شأنه أنه يأكل ويتغوط
 إِذَا شِئْتَ لَأَقِيَنَّه رَابِضًا عَلَى ظَهْرِهِ رَجُلٌ يَسْبَحُ
 تراه وعلى ظهره رجل
 تَرَاهُ يُسَرُّ بِبَيْتِكَ ابْنِهِ عَلَى أَنَّهُ سُبَّةٌ تَفْضَحُ
 وهو مسرور بأن يكون هذا الشيء مع ابنه أيضاً رغم أن هذا الأمر عار فاضح
 وَمَا كَانَ إِلَّا كَأَمَّ الْعُرُوسِ إِذَا نُكِحَتْ بِنُثْهَا تَفْرَحُ
 قالوا في المثل «فلانة مثل أم العروس: فاضية ومشغولة»، فغلاماً لم يقولوا لنا قط إنها حزينة

٣٢ السعي والحظ

يَعِيشُ بِجَدٍّ عَاجِزٍ وَجَلِيدٍ وَكُلُّ قَرِيبٍ لَا يُنَالُ بِعِيدٍ
 يعيش بحظه العاجز والقوي، وكل شيء قريب لا يستطيع الوصول إليه بعيد في الواقع
 يَفُوتُ الْغَنَى قَوْمًا يَخْفُونَ لِلْغَنَى وَيَلْقَى رِيحًا آخَرُونَ قُوعُودُ
 يفر الغنى من أناس يخفون له، وينهضون لتحقيقه، ويغتني ويربح آخرون قاعدون غير ساعين
 وَلَا يَدْفَعُ الْمَوْتَ الْأَطْبَاءُ بِالرُّقَى وَسَيَّانَ نَحْسٍ يُتَّقَى وَسُعُودُ
 لا يمنع الأطباء الموت بالرقى، الحجب والتمايم، والنحس والسعد سواء فالقدر جار لا يلتفت
 إلى كل ذلك

٣٣ بشار عذرياً

يَا رَبَّ قَائِلَةٍ يَوْمًا لَجَارَتِهَا: إِنَّ الْمُرْعَثَ هَمِّي غَابَ أَوْ شَهِدَا
 تقول لجاراتها إن المرعث، لقب بشار، هو منتهى أمني حاضراً كان أم غائباً

غَابَ الْقَذَى فَشَرِبْنَا صَفْوَ لَيْلَتِنَا حَبِيبِنِ نَلْهُو وَنَخْشَى الْوَاحِدَ الصَّمَدَا
غاب القذى، ما يلوث العين أو الماء من قشة أو نحوها، فشربنا في ليلتنا الصفو من اللقأ،
ونحن حبيبان نلهو ولكننا نتقي الله

قَالَتْ: فَأَنْتَى - بِنَفْسِي - جِئْتَ مُسْتَرِيقًا مِنَ الْعَدُوِّ تَحْطَى الْوَعْرَ وَالْجَدَا
تقول له: كيف جئت خفية، ولم يرك العدو؟ وتخطيت الوعر والجدد، الطريق الممهّد
جَوْرٌ أَتَى بِكَ أَمْ قَصْدٌ؟ فَقُلْتُ لَهَا: مَا زِلْتُ أَقْصِدُ لَوْ تُدْنِينَ مَن قَصَدَا
هل جوراً جئت، انحرافاً عن الطريق بالصدفة، أم قصدتني قصداً، ويرد عليها بأنه يقصدها،
لكن ليتها تقرب القاصد

لَا تَعْجِبِي لِاجْتِيَابِي اللَّيْلَ مُنْسَرِقًا مَا كُنْتُ قَبْلَكَ رَعِيدًا وَلَا بَلْدَا
لا تعجبي من اجتيابي الليل، قطعي المسافة، خفية، فلم أكن قط رعيداً، جباناً، ولا بلداً، متبلداً كمولاً
قَامَتْ تَهَادَى إِلَى أَهْلِ تُرَاقِبُهُمْ مَشْيَ الْبَهِيرِ تَرَى فِي مَشْيِهِ أَوْدَا
ثم إنها قامت تتهادى لثرب الأهل كي لا يكونوا قد رأوا الحبيب المتسلل، ومشت مشي البهير،
المنقطع النفس، الذي في مشيه أود، أي ميل

وَقُمْتُ لَمْ أَقْضِ مِنْهَا إِذْ خَلَوْتُ بِهَا إِلَّا الْحَدِيثَ وَإِلَّا أَنْ أَمَسَ يَدَا
وقمت، ولم يجر بيننا إلا الحديث وإلا لمس اليَدَا

٣٤ الدَّمَلُ

يمدح عقبة بن سلم:

يَا طَلَّلَ الْحَيِّ بِذَاتِ الصَّمَدِ

يا طلل القوم في موضع ذات الصمد

بِاللَّهِ حَدَّثْتُ: كَيْفَ كُنْتُ بَعْدِي؟

كيف أصبحت بعد عهدنا؟

أَوْحَشْتُ مِنْ دَعْدٍ وَتَرْبٍ دَعْدٍ

صرت موحشاً بمغادرة دعد وصويجاتها

عَهْدًا لَنَا، سَقِيًّا لَهُ مِنْ عَهْدِ

إِذْ نَحْنُ أَخْيَافٌ بِمَا نُؤَدِّي

كنا أخيفاً، مختلفين..

يُخْلِفَنَّ وَعْدًا وَنَفِي بِوَعْدِ
فَنَحْنُ مِنْ جَهْدِ الْهَوَى فِي جَهْدِ
فَكَانَ الْغَرَمُ مَرَهَقًا لِلْقَلْبِ لِكَثْرَةِ إِخْلَافِهِنَّ الْوَعُودِ
وَاهَاً لِأَسْمَاءِ ابْنَةِ الْأَشَدِّ
حَسْرَةً عَلَى الْمَحْبُوبَةِ الثَّانِيَةِ «أَسْمَاءُ ابْنَةِ الْأَشَدِّ»

قَامَتْ تَرَاءَى إِذْ رَأَتْنِي وَحْدِي
كَالشَّمْسِ بَيْنَ الزُّبُرِجِ الْمُنْقَدِّ
قامت تعرض طولها وأنا وحدي، وبدت كالشمس بين الزبرج المنقد، السحاب المنفرج تبدو من خلاله الشمس

ضَنْتُ بِخَدٍّ وَجَلْتُ عَنْ خَدٍّ
وكالشمس المظلة من بين السحاب بدا منها خد وضنت، بخلت، بالخد الآخر

مَا ضَرَّ أَهْلَ النَّوْكِ ضَعْفُ الْكَدِّ
يغير الموضوع: لا يضر أهل النوك، الحق، ضعف الكد، المثابرة

وَأَفَقَّ حَظًّا مَنْ سَعَى بِجَدٍّ
فالذي يسعى بجد، يبخت، يوافق نصيباً من التوفيق

الْحَرُّ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ
الحر يكفيه أن تلحاه، تلومه، والعبد لا يرعوي إلا بالعصا

وَلَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ
وليس من علاج للملحف، الملح، سوى الرفض الواضح. لكنّ مثلنا يقول: «لُحِّحْ غَلْبَ مُطِيلٍ»
أي أن الملحاح يغلب المماطل

وَصَاحِبِ كَالِدُمْلِ الْمُمِدِّ
رب صاحب كأنه الدمل الممد، الذي حشر داخله المدة، القبح

أَرْقُبُ مِنْهُ مِثْلَ يَوْمِ الْوَرْدِ
أرقبه متخوفاً كما أرقب يوم الورد، يوم رجوع الحنّى

حَمَلْتُهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي
هذا الصاحب هو كالدمل الذي أحمله في رقعة من جلدي

حَتَّى انْطَوَى غَيْرَ فَقِيدِ الْفَقْدِ

فَإِنْ ذَهَبَ فَلَا أَفْقَدُهُ بِأَسَى

وَمَا دَرَى مَا رَغَبْتَنِي مِنْ زُهْدِي

يفارقني دون أن أكون أشعرته أنا فيه راغب أم زاهد فيه كاره له

اسْلَمَ وَحُيِّتَ أَبَا الْمِلْدِ

يحيى الممدوح عقبة بن سلم، وكنيته أبو الملد

مَا كَانَ مِنْي لَكَ غَيْرُ الْوُدِّ

ثُمَّ ثَنَاءٌ مِثْلُ رِيحِ الْوَرْدِ

كُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ بِمَا يُؤَدِّي

كل امرئ ينال بقدر ما يقدم، والممدوح سخي فهو ينال المدح

وَرُبَّ ذِي تَاجٍ كَرِيمِ الْمَجْدِ

كَأَلٍ كَسْرَى وَكَأَلٍ بُرْدِ

ورب صاحب تاج ومجد، كأنه من آل كسرى أو آل برد

أَنْكَبَ جَافٍ عَنْ طَرِيقِ الرُّشْدِ

وهذا المتوج أنكب، منحرف، وجاف، مبتعد عن طريق الرشد

فَصَلَّتْهُ عَنْ مَالِهِ وَالْوُلْدِ

وأنت أيها الممدوح الشجاع قتلته وفصلته عن عياله. وقصة القصيدة أن عقبة بن ربيعة بن العجاج الراجز ألقى أرجوزة في مجلس الأمير فائتي عليه بشار بأدب جم. فقال عقبة: هذا شيء لا تحسبه يا أبا معاذ. فقال له بشار: بل أحسن منه ما لا يحسن أبوك وجدك. وأبو عقبة هذا هو ربيعة وجده العجاج وهما من أشهر الراجز. وانصرف بشار مغضباً، وصنع لليلة أرجوزة طويلة، هي التي اقتطفنا أجملها أعلاه. وغدا بأرجوزته على الأمير، وكان في المجلس عقبة الراجز. كعادته بصق بشار عن يمينه ثم بصق عن شماله، وابتدأ يرتجز. حتى أتم أرجوزته الفاخرة، فأجازه الأمير وخرج عقبة - وكان راجزاً ضعيفاً - خزيان. والرجز بحاجة إلى مزاج مختلف عن القصيدة، وإليك رجزاً معاصراً قاله الضعيف عندما كان يعمل في مؤسسة جلبت موظفيها من بعيد، ثم عينت مديراً أخذ يضع الهياكل الإدارية ويقيم الناس، ثم يفصل منهم من يفصل، وبعض المحظوظين من أتباعه يبررون أفعاله. وستر الضعيف الفقير اسم المؤسسة: (جاءوا بنا من آخر الآفاق/براتب حُدد باتفاق/ثم أتاننا قاطع الأرزاق/جاءوا به من جزر الوقواق/فَرَأَنَّا والساق فوق الساق/وهيكل الجميع في سياق/ثم إذا بَلَّغْتَ التراقي/جاءوا يطالبوننا بالباقي/وصاحت الغربان غاقٍ غاقٍ/وانعقد الحبل على الخناق/ما الخنجر المغروس في أعماقي/ولا الرصاص عند الاختراق/كنظرة المشنوق للشناق/ويسمون لحظة التلاقي/ويذرفون دموع الفراق/قد خجل النفاق يا رفاقي)

٣٥ القلب فوق الوسائد

ولقد رأيتُ بها الحَرا إذ يتَّصِلْنَ إلى الحَرائِدُ
رأيتُ بالديار الخرائد، الفتيات الناعمات، كثيرات

أيامَ عَبدَةٍ وَسَطَهُنَّ كأنَّها أمُّ الفَرائِدُ
وعبدَة وسطهن كأنه أم الفرائد، اللؤلؤة الكبيرة وسط العقد

يَحْسُدُنْ فَضْلَ جَمالِها لا تَعْدِمِي حَسَدَ الحَواشِدُ
يا شوقَها لِفراقِنا وتَقْلُبي فوقَ الوَسائِدُ
لا تُنْجِزِينَ مَواعِدِي وَيَلِي على تِلْكَ المَواعِدُ

٣٦ الصلاة بالحصي

ثم قالتُ: نلِقاكَ بَعْدَ لَيلٍ والليالي يُبْلِغُ كَلَّ جَدِيدِ
عندها الصبرُ عن لِقائِي، وعندي زَفَرَاتُ يَأْكُلْنَ قَلْبَ الحَديدِ
الحديد: الرجل الشديد، وأحب أن أفهمها على أن الحديد هو الحديد

ما أَصَلِّي إِلَّا وَعندي رَقِيبٌ قائمٌ بِالحَصَى يَعُدُّ سُجُودي
منشغل الذهن بها فلا أدري كم ركعة أصلي، لذا فأنا أطلب من بعضهم أن يرقبني ويضع حصاة عند كل ركعة.. ولم يكن بشار يرى الحصى طبعاً، لأنه أعمى، فلا شك في أن صاحبه كان يعد بصوت عالٍ.. كثير من شعر بشار فيه إشارات لا تصلح لضرب

٣٧ الشايع أخو الجائع

يا عَبدَ باهِلَةٍ الذي يَتَوَعَّدُ أَعَلَيَّ تُبْرِقُ إِذْ شَبِعَتْ وتُرْعَدُ؟
أنت يا باهلي كالعبد تهددني وتبرق وترعد وتحس في نفسك القوة عندما تشبع. لا ينجو الشايع من كلام الناس، يحسونه بطراً أشرأ؛ ولا ينجو الجائع، يقولون: هذا سيختلس. ويفضلون صاحب العز القديم الجديد، من هو من عائلة عريقة، ومن يتمتع بالمال والجاه. أملى مؤسس البنك العربي في مذكراته أنه كان كلما فتح فرعاً لمصرفه في مدينة راح يبحث عن رجل من «أحسن» عائلات المدينة وأغرقها وأغناها لكي يكون مديراً للفرع

عَوَدَتْ نَفْسُكَ أَنْ تُضامَ فَحَلَّها كُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ بِما يَتَعَوَّدُ
عودت نفسك أن تُظلم، فأبق على ذلك، فأنت تستحق ما تعودت عليه

وَأبَى لَكَ الحَسَبُ اللَّئيمُ نَبالَةً وكَساكَ ذِلَّتُهُ أَبْوَكَ القَعْدُ

القعد: الجبان

٣٨ الهائمات بي

أَرْسَلَنَ فِي لُطْفٍ إِلَيَّ أَنْ أُتِنَا غَابَ الرَقِيبُ، وَمَا تَخَافُ وَعِيدَا
أرسلن في لطف، خفية، أن تعال وجالسنا فالرقيب غائب، ولا تهديد

فَأَتَيْتُهُنَّ مَعَ الْجَرِيِّ يَقُودُنِي طَرَبَاءَ، وَيَا لَكَ قَائِداً وَمَقُودَا
جنت تلبية لرسالتهن مع الجري، الرسول، يقودني

لَمَّا التَقَيْنَا قُلْنَ: هَاتِ فَقَدْ مَضَتْ سَنَةٌ نُوْمَلُّ أَنْ نَرَاكَ قَعِيدَا
ظللنا سنة نتطلع إلى أن تجالسنا

حَدَّثَ فَقَدْ رَقَدَ الْوُشَاءُ، وَلَيْتَهُمْ حَتَّى الْقِيَامَةِ يَلْبِسُونَ رُقُودَا
قلت: اقترِحن من الهوى، فسألنني طُرَفَ الْحَدِيثِ فُكَاهَةً وَنَشِيدَا
حدثهن بالطرائف وأنشدتهن شعراً

حَتَّى إِذَا بَعَثَ الْأَذِينَ فِرَاقَنَا وَرَأَيْتُ مِنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ خُودَا
الأذين: المؤذن

جَرَّتِ الدَّمُوعُ، وَقُلْنَ: فِيكَ جَلَادَةٌ عَنَّا، وَنَكْرَهُ أَنْ نَرَاكَ جَلِيدَا
فيك جلادة وصبر عن لقائنا، ونريدك أن تكون متشوقاً دائماً غير صابر

٣٩ بعد أن زاغت عينه

إِنْ نَبَتْ عَيْنِي وَكَانَتْ زَلَّةً فَاغْفِرْهَا قَبْلَ أَنْ أَلْقَى الرَّدَى
إن انحرفت عيني ونظرت لغيرك فاغفري قبل أن أموت

حِلْمُ ذِي الْقُدْرَةِ حَظٌّ زَانَهُ وَالْبَلَايَا لَا تُحَاشِي أَحَدَا
الحلم، والسماحة، عند ذي القدرة زين، والخطأ لا يستني أحداً فاغفري خطأي

رَيْمٌ قَدْ تُبِتُ وَطَالَتْ عَبْرَتِي شَهِدَ اللَّهُ، وَدَمَعِي شَهِدَا
وأنا أتوب عن التطلع إلى غيرك

٤٠ الثوب الجديد

بِجَدِّكَ يَا ابْنَ قُرْعَةٍ نِلْتَ مَالاً أَلَا إِنَّ اللَّئَامَ لَهُمْ جُدُودُ
بحظك نلت المال، واللئام ذوو جدود، حظوظ

كَسَوْتُكَ حُلَّةً مِمَّا أَسَدِّي بُروداً لَا تُقَارِبُهَا بُرودُ

كسوتك ثياباً مما أسدي، مما أنسج.. ثياباً ليست كالثياب

مَلَابِسُ لَا تَرِثُ عَلَى اللَّيَالِي وَلَا تَبْلَى وَإِنْ بَلَيْتْ جُلُودُ

فهي لا ترث، لا تهترئ، مع الزمن، ولا تبلى وإن بليت الجلود

جَلَسْتُ أَحْوَكُهَا وَاللَّيْلُ دَاجٌ مُحَبَّرَةٌ تُبِيدُ وَلَا تَبِيدُ

جلست ساهراً في الليل الداجي، المظلم، أخط هذه الحلة المحبرة، المنمقة، التي تُبِيدُ لابسها ولا تبيد هي. إنها قصيدة هجاء

يُورِثُهَا بَنُوكَ بَنِي بَنِيهِمْ إِذَا هَلَكُوا، وَمَنْشَرُهَا جَدِيدُ

يتوارثها أعقابك، وتظل جديدة ذات أثر.. وتخزيكم جيلاً بعد جيل

كَذَاكَ الدَّهْرُ يُبْلِي كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يَفْنَى عَلَى الدَّهْرِ الْقَصِيدُ

٤١ نصيحة للقصيدة

شَرِبْنَا مِنْ بَنَاتِ الدَّنِّ حَتَّى تَرَكَنَا الدَّنَّ لَيْسَ لَهُ فَوَادُ

شربنا الخمر من الكؤوس التي هي بنات الدن، خاية الخمر الكبيرة، فلم نترك خمرأ في الدن فكاننا أخذنا قلبه

وَجَدْتُ لِبَعْضِهِمْ جُوداً وَبَعْضُ كَمَاءِ الْبَحْرِ أَكْثَرُ لَا يُرَادُ

لا يُراد: لا يُطلب

وَلَيْسَ الْجُودُ مَنْتَحَلاً وَلَكِنْ عَلَى أَحْسَابِهَا تَجْرِي الْجِيَادُ

الجود ميزة لا يتحلها المرء، يستحدثها، فالجباد، الخيل، تجري في السباق بأحسابها، فالسوابق هي ذات الأصلية

وَجَارِيَةٌ مِنَ الْغُرِّ الْعَوَالِي تُزَفُّ إِلَى الْمُلُوكِ وَلَا تُقَادُ

رب قصيدة هي كالفتاة من الغر الغوالي، الوضيئات الغاليات الثمن، تزف إلى الملوك عروساً، ولا تقاد جارية

تُسْرُكُ بِاللِّقَاءِ وَلَا تَرَاهَا وَيُعْطِي مَالَهُ فِيهَا الْجَوَادُ

هي لا ترى، لأنها قصيدة تسمع، ولكن السخي يبذل فيها المال

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ خَرَجْتُ بِلَيْلٍ مُنَاصِحَةً وَلِلنُّصَحِ اجْتِهَادُ

أنصح قصيدتي التي خرجت وأنا ساهر لها ليلاً..

رِدِّي رَوْحاً فَلَنْ تَجِدِي كَرْوَحَ إِذَا أَزِمْتُ بِكَ السَّنَةُ الْجَمَادُ
اقصدي روح بن حاتم، فليس هناك مثله إذا أزمّت بك، ضاقت بك، السنة الجماد، الشدة والمحل

٤٢ الشوكة المحسودة

إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا
قَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظاً بِمَا يَجِدُ
ما يجد: ما في نفسه من وجد وغيط

أَنَا الَّذِي وَجَدُونِي فِي حُلُوقِهِمْ لَا أَرْتَقِي صَعْداً مِنْهَا وَأُزْدَرَدُ
وجدوني في حلوقهم كالشوكة لا أصعد ولا أبلع

٤٣ العود المشقوق

أَقْبَيْصَ لَسْتُ، وَإِنْ جَهِدْتَ بِبَالِغِ سَعْيِ ابْنِ عَمِّكَ ذِي النَّدَى دَاوُدَ
يهجو قبيصة بن روح ويمدح ابن عمه داود بن يزيد: يا قبيصة لن تبلغ سعي، همة،
ابن عمك ذي السخاء داود

دَاوُدَ مَحْمُودٌ وَأَنْتَ مُذَمَّمٌ عَجَباً لِذَاكَ، وَأَنْتُمَا مِنْ عُودٍ
وَلَرُبَّ عُودٍ قَدْ يُشَقُّ لِمَسْجِدٍ نِصْفاً، وَسَائِرُهُ لِحُشٍّ يَهُودِي
الحش: الكنيف، أي المرحاض

٤٤ السخي والشجرة

ظِلُّ الْيَسَارِ عَلَى الْعَبَاسِ مَمْدُودٌ وَقَلْبُهُ أَبْدأً بِالْبَخْلِ مَعْقُودٌ
اليسار: الغنى، العباس: هو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب
إِنَّ الْكَرِيمَ لَتَخْفَى عَنْكَ عُسْرَتُهُ حَتَّى تَرَاهُ غَنِيّاً وَهُوَ مَجْهُودٌ
يخفي الكريم افتقاره، فتراه غنياً وهو متعب في إخفاء فقره

وَلِلْبَخِيلِ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلَلٌ زُرُقُ الْعَيُونِ عَلَيْهَا أَوْجُهُ سُودٌ
البخيل له علل، حجج، يتحجج لعدم الإنفاق بحجج غير مقبولة عقلاً، كأنها العيون الزرق في
الوجوه السود

إِذَا تَكَرَّهْتَ أَنْ تَعْطِيَ الْقَلِيلَ وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى سَعَةٍ لَمْ يَظْهَرْ الْجُودُ
إذا كنت غير قادر على التوسع في العطاء فامتعت عن العطاء القليل فلن يظهر سخاؤك..
السخاء أن تعطي دائماً وبقدر ما عندك

أُورِقْ بِخَيْرٍ تُرَجِّىَ لِلنَّوَالِ فَمَا تُرَجِّىَ الثَّمَارُ إِذَا لَمْ يُورِقِ الْعُودُ
 أخرج يا هذا القليل، فالشجرة في بدء أمرها تورق فيرجى منها الثمر، وبلا ورق فلا ثمر
 بُتَّ النَوَالِ وَلَا تَمْنَعُكَ قِلَّتُهُ فَكُلْ مَا سَدَّ فَقْرًا فَهُوَ مَحْمُودُ
 أخرج النوال، العطاء، حتى لو كان قليلاً، فما سد حاجة فهو جيد

٤٥ مكيدات النساء

لِحَدِيثِكَ مِنْ كَفَيْكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى أَنْ تَرَى وَجَهَ الصَّبَاحِ وَسَادُ
 تضع خديك كل ليلة متوسداً فكيف متفكراً
 تَبَيْتُ تُرَاعِي اللَّيْلَ تَرْجُو نَفَادَهُ وَلَيْسَ لِلَّيْلِ الْعَاشِقِينَ نَفَادُ
 ترجو نفاذ، انتهاء، الليل.. وليل العاشقين لا ينفذ
 إِذَا قُلْتُ إِنِّي قَدْ لَقَيْتُ شَقَاوَةً بِحُبِّكَ قَالَتْ لِي: وَسَوْفَ تَزَادُ
 قالوا بشار لم يسرق أبداً من غيره، وهذا من جميل بثينة
 (إذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي/ من الحب قالت ثابت، ويزيد)
 لَنَا غِلْظَةٌ مِنْهَا وَلَيْنٌ مَقَالَةٌ وَلَوْعَةٌ هَجْرٍ مَرَّةً وَوِدَادُ
 فوالله ما أدري، وكلُّ مُصِيبَةٍ، بِأَيِّ مَكِيدَاتِ النِّسَاءِ نُكَادُ؟
 كل هذا الذي ألقىه منها - الغلظة واللين واللوعة والهجر والوداد - مصائب، ولا أدري بأي
 مكيدات النساء نصاب؟

٤٦ ابنتي والأعرابية

تَقُولُ ابْنَتِي إِذْ فَاخَرْتُهَا غَرِيبَةً مُؤَزَّرَةً بِالْوَبْرِ فِي شَوَذَرٍ قَدَدُ
 ابنتي تفتخر عليها فتاة غريبة الشكل مؤزرة بثوب من وبر، وتلبس شوذراً قدداً، خيلاً مقدود
 الأكماء.. قميصاً خفراً
 لَهَا وَالذُّرَاعُ إِذَا رَاحَ عِنْدَهَا بِأَشْوِيَةٍ مِنْ قَلْبِ صَبٍّ وَمِنْ كَبَدُ:
 أبوها راع يروح، يأتي مساءً، ومعه المشاوي من قلب الصب، الحيوان الصحراوي الزاحف،
 وكبد
 أَبِي نَجْلٍ أَمْلَاكِ وَزُورٍ خَلِيفَةٍ يَلِينُ لَهُ بَابُ الْهُمَامِ إِذَا وَقَدُ
 تقول لها ابنتي: أبي ابن أملاك، ملوك، وزور خليفة، يزور الخليفة، ويفتح له باب الهمام،
 الزعيم، إذا وفد عليه

٤٧ مدية الهوى

عَرَاءُ كَالْقَمَرِ المشهورِ حين بدت لا بل بدا مثلها حين استوى القمرُ
وضاءة كالقمر، بل هو مثلها إذ استوى في وسط السماء

لَمَّا رَأَيْتُ الهوى يَبْرِي بِمُدَيَّتِهِ لَحْمِي، وَخَلَّانِي الزُّوَارُ وَالسَّمَرُ
مديته: سكينه. الحب يجعله هزيل الجسم نحيلاً

أَصْبَحْتُ كَالْحَائِمِ الحَرَّانِ مُحْتَبَساً لَمْ يَقْضِ وَرْداً وَلَا يُرْجَى لَهُ صَدْرُ
أصبحت كالطائر الذي يحوم حران يريد أن يشرب، ويحبسه عن الماء الصائد، فلا يرد الماء ولا يعود عنه

قَالَتْ عُقَيْلُ بْنُ كَعْبٍ إِذْ تَعَلَّقَهَا قَلْبِي فَأَضْحَى بِهِ مِنْ حُبِّهَا أَثَرُ:
قالت لي قبيلة عقيل وقد تعلق قلبي بالمحوبة وأثرت فيه

أَنْتَى - وَلَمْ تَرَهَا - تَصْبُو؟ فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ الْفَوَادَ يَرَى مَا لَا يَرَى الْبَصَرُ
كيف تصبو، أي تعشق، وأنت لم ترها. . قلت لهم: رأيها بفؤادي

٤٨ إغواء

حَسْبِي وَحَسْبُ الَّتِي كَلِفْتُ بِهَا مَنِّي وَمِنْهَا الْحَدِيثُ وَالنَّظَرُ
يكفيني الحديث والنظر ممن كلفت بها، تعلقت بها

أَوْ قُبْلَةً فِي خِلَالِ ذَاكَ وَلَا بَأْسَ إِذَا لَمْ تُحَلَّلِ الْأَزْرُ
وربما قبلة في هذه الأثناء، ولا يضيرني عدم حل الأزر، الثياب

أَوْ لَمَسُ مَا تَحْتَ مِرْطِهَا بِيَدِي وَالْبَابُ قَدْ حَالَ دُونَهُ السُّتُرُ
ربما لمس ما تحت ثوبها، مجرد لمس، والباب عليه ستائر تحول دون التلصص

وَالسَّاقُ بَرَأَقَةً خَلَاخِلُهَا وَالصَّوْتُ عَالٍ فَقَدْ عَلَا الْبُهْرُ
وبساقها خلخال، ولها صوت إذ علا البهر، تقطع الأنفاس

وَاسْتَرْخَتْ الْكَفُّ لِلْغَزَالِ وَقَدْ قَالَ أَلَهُ عَنِّي وَالدمْعُ مُنْحَدِرُ
كفه مسترخية مع الفتاة، وهي تقول اله عني، ابتعد، ودمعها يجري

إِذْهَبْ فَمَا أَنْتَ كَالَّذِي ذَكَرُوا، أَنْتَ وَرَّيْتَنِي مُعَارِكُ أَشِيرُ
اذهب فأنت لست كما قالوا شاعر رقيق، بل أنت معارك فاتك

وَعَابَتْ الْيَوْمَ عَنْكَ حَاضِنَتِي فَاَلَلَهُ لِي الْيَوْمَ مِنْكَ مُنْتَصِرُ
ووصيفتي غائبة وأنت تستغل الموقف فالله يأخذ بحقي منك

يَا رَبِّ خُذْ لِي فَقْدَ تَرَى ضُعْفِي مِنْ قَاسِقِ الْكَفِّ مَا لَهُ شُكْرُ
أَهْوَى إِلَى مِعْضَدِي فَرَضَضَهُ دُو قُوَّةِ مَا يُطَاقُ مُقْتَدِرُ
تقول: هذا الفاسق يمسك معضدي، أعلى الذراع، ويرضه

يُلْصِقُ بِي لَحِيَّةً لَهُ خَشْنَتْ ذَاتُ سَوَادٍ كَأَنَّهَا الْإِبْرُ
حَتَّى عَلَانِي وَإِخْوَتِي غُيِبَتْ وَيَلِي عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ حَضَرُوا
أُقْسِمُ بِاللَّهِ مَا نَجَوْتُ بِهَا إِذْهَبْ فَأَنْتَ الْمُسَاوِرُ الظُّفْرُ
المساور: المهاجم

كَيْفَ بِأُمِّي إِذَا رَأَتْ شَفْتِي وَكَيْفَ إِنْ شَاعَ مِنْكَ ذَا الْخَبْرِ
قُلْتُ لَهَا عِنْدَ ذَلِكَ يَا سَكْنِي لَا بَأْسَ إِنِّي مُجَرَّبٌ حَزْرُ
قُولِي لَهُمْ بَقَّةً لَهَا ظُفْرُ إِنْ كَانَ فِي الْبَقِّ مَا لَهُ ظُفْرُ
فكاهة سمجة طبعاً. وقد أنفق النوبي صفحات كثيرة وهو يقدم إدانة أخلاقية لبشار على هذه القصيدة، فلئن كان مغتصراً الغرام فليس يغتفر إغواء طفلة

٤٩ الاستدراج

بَكَّرَا صَاحِبَيَّ قَبْلَ الْهَجِيرِ إِنْ ذَاكَ النَّجَاحُ فِي التَّبْكِيرِ
بكرا بالرحيل قبل الهجير، الحر..

وَيُقَالُ الْأَعْجَازِ قَطَعْنَ قَلْبِي بِحَدِيثٍ لَذٍّ وَدَهْرٍ قَصِيرِ
وَرَضِيَتْ الْقَلِيلَ مِنْهُنَّ، إِنِّي مِنْ قَلِيلٍ لَوَائِقُ بِكَثِيرِ
يطمع بعد نيل القليل بالتدرج إلى الكثير

لَيْسَ كُلُّ الشُّرُورِ يَبْقَى نَعِيمًا رُبَّ عَيٍّ يَدِبُّ تَحْتَ الشُّرُورِ
ذَهَبَتْ لَذَّةُ النِّسَاءِ فَلَا أَلْ قَى نَعِيمًا إِلَّا حَدِيثَ الذُّكُورِ

٥٠ هجاء الأعراب

سَأَخْبِرُ فَأَخْبَرَ الْأَعْرَابَ عَنِّي وَعَنْهُ حِينَ بَارَزَ لِلْفَخَارِ
سأخبر المفتخر من الأعراب، ويقصد العرب

أَنَا ابْنُ الْأَكْرَمِينَ أَبَا وَأُمًّا تَنَارَ عَنِّي الْمَرَازِبُ مِنْ طُخَارِ
أنا ابن الأكارم أباً وأماً، وقد تجاذب نسي أجداد من مرازب طخارستان، والمرزبان هو القائد
الحدودي في جيوش كسرى، وطخارستان في شمال أفغانستان اليوم

إِذَا انْقَلَبَ الزَّمَانُ عَلَا بِعَبْدٍ وَسَقَلَ بِالْبَطَارِيقِ الْكِبَارِ
البطاريق: قادة الروم، والقادة من غير العرب عموماً

مَلَكُنَاكُمْ فَعَطَّيْنَا عَلَيْكُمْ وَلَمْ نَنْصِبْكُمْ غَرَضاً لِرَّازٍ
كما قد ملكنا العرب قديماً فسترنا أحوالهم ولم نصبهم غرضاً لمن يزري عليهم ويؤذيهم
(وكان الفرس قد سيطروا في الجاهلية على اليمن، وكانت لهم سطوة في العراق حيث تبعثهم
دولة المناذرة)

أَحِينَ لَبِستَ بَعْدَ الْعُرْيِ خَزًّا وَنَادَمْتَ الْكَرَامَ عَلَى الْعُقَارِ..
أعندما لبست الخنز، الحرير، بعد أن كنت عارياً، وحين نادمت الكرام على العقار، الخمر..

تُفَاخِرُ يَا ابْنَ رَاعِيَةٍ وَرَاعٍ بَنِي الْأَحْرَارِ؟ حَسْبُكَ مِنْ خَسَارِ
تفاخر أيها الراعي بني الأحرار، والأحرار كلمة وصف بها بقايا الفرس في اليمن عندما جاء
الإسلام، فقد أسلموا ولم يدخلوا تحت نير العبودية

وَكُنْتَ إِذَا ظَمِئْتَ إِلَى قَرَّاحٍ شَرِئْتَ الْكَلْبَ فِي ذَاكَ الْإِطَارِ
كلما ظمئت إلى ماء قراح، صاف، شاركت الكلب في الإطار، الوعاء

وَتُدَلِّجُ لِلْقَنَافِذِ تَدْرِيبَهَا وَتُنْسِيكَ الْمَكَارِمَ صَيْدُ قَارِ
وتدلج، تخرج ليلاً، للقنافذ تدريبها، تخدعها لتصيدها، وتصيد فتران الصحراء من اليرابيع

وَتَغِيْطُ شَاوِيَّ الْحِرْبَاءِ حَتَّى تَرَوْحُ إِلَيْهِ مِنْ حُبِّ الْقُتَارِ
وتحسد من يشوي الحرباء حتى لتذهب إليه وانت تشتم القنار، رائحة الشواء

وَفَخْرُكَ بَيْنَ يَرْبُوعٍ وَضَبٍّ عَلَى مِثْلِي مِنَ الْحَدَثِ الْكِبَارِ
وفخر، أنت يا من يصيد الضباب واليرابيع، أي فتران البر، حدث كبير

٥١ الجفون القصار

وقال يفخر بمضر وقتل إبراهيم الإمام العباسي سنة ١٣١هـ:

يُرْوَعُهُ السَّرَارُ بِكُلِّ أَمْرٍ مَخَافَةً أَنْ يَكُونَ بِهِ السَّرَارُ
هذا العاشق يخفيه السرار، حديث الوحوشة بين الناس، لأنه يظنهم يتحدثون عنه

كَأَنَّ فِؤَادَهُ كِرَةً تَنْزَرِي حِذَارَ الْبَيْنِ لَوْ نَفَعَ الْحِذَارُ

كان قلبه كرة تنزى، تقفز، خوفاً من الفراق

أَقُولُ وَلَيْلَتِي تَزْدَادُ طُولاً أَمَّا لِلَّيْلِ بَعْدَهُمْ نَهَارُ

جَفْتُ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى كَأَنَّ جَفَوْنَهَا عَنْهَا قِصَارُ

لَنَا بِطَحَاءِ مَكَّةَ وَالْمُصَلَّى وَمَا حَازَ الْمُحَصَّبُ وَالْجِمَارُ

لنا، ويقصد قبائل مضر من عرب الشمال ومنهم قريش، وكان ولاء بشار في عُقيل المضرية، بطحاء مكة، سهلها حيث سكن أشرافها، وما ضمه ذلك الموضعان المحصب والجمار

وَمِيرَاثُ النَّبِيِّ وَصَاحِبِيهِ تِلَاداً لَا يُبَاعُ وَلَا يُعَارُ

ولنا إرث النبي وصاحبيه أبي بكر وعمر، وهذا تلاد، إرث

كَأَنَّ النَّاسَ حِينَ نَغِيْبٍ عَنْهُمْ نَبَاتُ الْأَرْضِ أَخْلَفَهَا الْقَطَارُ

الناس بدوننا كنبات الأرض التي أخلفها، تأخر عنها القطار، أي المطر

أَلَمْ يَبْلُغْ أَبَا الْعَبَّاسِ أَنَا وَتَرَنَاهُ وَلَيْسَ بِهِ اتِّئَارُ

أبو العباس السفاح وهو أخو إبراهيم الإمام الذي قتله آخر خلفاء بني أمية، وقد وترناه، جعلنا له ثأراً بقتلنا أخاه، ولكن ليس به اتئار، لا سبيل لأخذه الثأر

قَتَلْنَا السَّكْسَكِيَّ بِلَا قَتِيلٍ وَهَلْ مِنْ مَقْتَلِ الْكَلْبِ اعْتِذَارُ

وقتلنا معاوية السكسكي الذي نقضبيعة مروان بن محمد بحمص وقتله فقتل

إِذَا مَا أَقْبَلُوا بِسَوَادٍ جَمْعٍ نَفْخْنَا فِي سَوَادِهِمْ قَطَارُوا

يقبل الأعداء علينا أفواجاً ويظهرون من بعيد كالسواد... ونهزمهم

طَرَائِدَ خَيْلِنَا حَتَّى كَفَفْنَا هَوَادِيَهَا وَلَيْسَ بِهَا أَزُورَارُ

طاروا مطرودين بخيلنا التي تتبعهم، نطاردهم بعد كسرهم إلى أن تكف هوادي الخيل، أي أعناقها، دون أن يكون بها ازورار، أي انحراف عن المضي

لَنَا نَارٌ بِشَرْقِيِّ الْمَعَالِي مُضَرَّمَةٌ وَبِالْغَرْبِيِّ نَارُ

أوقدنا نارنا شرقاً وغرباً، والنار علامة شرف وكرم عند العربي فهو بها يعلن عن وجوده واستعداده للإيواء المستجير وإطعام الضيف

٥٢ لم يأتني خبر

حَسْبِي بِمَا قَدْ لَقِيتُ يَا عَمْرُ لَمْ يَأْتِنِي عَنْ حَبِيبَتِي خَبْرُ

يا ليت شِعْري ماتتْ فَأَتَذُبُّهَا أمْ أَحَدَثْتُ صَاحِباً فَأَنْتَحِرُ
لا أَسْتَطِيعُ الهوى وَهَجَرَتْهَا قلبي ضَعِيفٌ، وَقَلْبُهَا حَجَرٌ
لا أَسْتَطِيعُ تَحْمِلُ الهوى وَهَجَرَهَا لِي مَعاً

٥٣ وسم بالنار

أَجَرْنَا الْبَاهِلِيَّ مِنَ الْمَنَايَا فلم يشكرْ لَنَا كَرَمَ الْجَوَارِ
يَفَاخِرُنَا وَنَعْمَتُنَا عَلَيْهِ وَفِيمَ الْبَاهِلِيَّ مِنَ الْفَخَارِ
دَنُوتٌ مَعَ الْكِرَامِ وَلَسَتْ مِنْهُمْ، تَأْخُزُ يَا ابْنَ بَائِكَةِ الْجِمَارِ
يعيرُ أمه بمعاشره حمار، ولك أن تضع نقطة ليم لك المعنى الخسيس، لا تفعل!

خُلِقْنَا سَادَةً وَخُلِقْتَ كَلْباً ككَلْبِ السُّوءِ يَلْحَقُ بِالْقِطَارِ
أنت كالكلب الذي يلحق القطار، القافلة

إِذَا أَنْكَرْتَ نِسْبَةَ بَاهِلِيٍّ فَرَفَّعَ عَنْهُ نَاحِيَةَ الْإِرَارِ
إذا تحيرت في نسب شخص من قبيلة باهلة فارع طرف ثوبه

عَلَى أَسْتَاهِ سَادَتِهِمْ كِتَابٌ «مَوَالِي عَامِرٍ» وَسَمٌ بِنَارٍ
على مؤخره سادتهم مكتوب بوسم، كالوسم بالحديدة المحمأة على الإبل لبيان صاحبها: موالى
قبيلة عامر. وزعم هارون الرشيد لجلسه أن هذا أهجى بيت

سَعَى لِيَكُونَ مِثْلِي بَاهِلِيٍّ وَكَيْفَ سَعَى بِمَجْدٍ مُسْتَعَارِ
أَرَادَ بِلُؤْمِهِ تَدْنِيَسَ عِرْضِي وَأَيْنَ الشَّمْسُ مِنْ دَنَسٍ وَعَارِ

٥٤ الأسد الجائع

مَا بَالُ حَمَادِ بْنِ نَهْيَا يَشْتَهِي مَوْتِي كَأَنِّي بِأَسْتِهِ بَاسُورُ
ما لي أرى حماد عجرد يشتهي موتي؟ فكأنني في مؤخرته الباسور

نُبِّئْتُ أَكْبَلَ خُرْئِهِ يَغْتَابُنِي عِنْدَ الْأَمِيرِ، وَهَلْ عَلَيَّ أَمِيرُ
وَلِي الْمَهَابَةُ فِي الْأَحْبَةِ وَالْعِدَى وَكَأَنَّنِي أَسَدٌ لَهُ تَأْمُورُ

التامور: عرين الأسد

عَرِثْتُ حَلِيلَتُهُ وَأَخْطَأَ صَيْدَهُ فَلَهُ عَلَى لَقَمِ الطَّرِيقِ زَيْرُ
وكان هذا الأسد ترك حليلته، زوجته، غرثي أي جائعة، ولم يتمكن من الصيد، فهو على لقم
الطريق، واللقم الطريق الواضح، يزأر متهيباً للاقتراس

وَيَسْرُتْنِي سَبَقُ الْجَوَادِ إِلَى النَّدَى قَبْلَ السَّوَالِ، فَإِنْ ذَاكَ سُورُ
وَإِذَا أَقْلٌ لِي الْبَخِيلُ عَذَرْتُهُ إِنْ الْقَلِيلُ مِنَ الْبَخِيلِ كَثِيرُ

٥٥ أنا وعبداء والناس

يُزْهِدُنِي فِي حُبِّ عَبْدَةٍ مَعَشْرُ قُلُوبُهُمْ فِيهَا مُخَالِفَةُ قَلْبِي
يزهني في حبا: يقلل حبا في عيني

فَقُلْتُ: دَعُوا قَلْبِي وَمَا اخْتَارَ وَارْتَضَى فَبِالْقَلْبِ لَا بِالْعَيْنِ يُنْصَرُ ذُو اللَّبِّ
وَمَا تُبْصِرُ الْعَيْنَانِ فِي مَوْضِعِ الْهَوَى وَلَا تَسْمَعُ الْأُذُنَانِ إِلَّا مِنَ الْقَلْبِ

٥٦ مدح واصل بن عطاء

تَكَلَّفُوا الْقَوْلَ وَالْأَقْوَامُ قَدْ حَفَلُوا وَحَبَّرُوا خُطْبًا نَاهِيكَ مِنْ خُطْبِ
فَقَامَ مُرْتَجِلًا تَغْلِي بَدَاهَتُهُ كَمِرَجَلِ الْقَيْنِ لَمَّا حُفَّ بِاللَّهَبِ
قام واصل بن عطاء يرتجل ببديهة حارة كأنها تنور القين، الحداد، المحاط باللهب

وَجَانِبَ الرَّاءِ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَ التَّصَفُّحِ وَالْإِعْرَاقِ فِي الطَّلَبِ
وتجنب حرف الراء، وكان واصل يلثغ بالراء، في كل كلماته، ولا يشعر أحد بهذا
إلا بعد طول تفكير وتنقيب. هذا عن مدح بشار لواصل بن عطاء، فأما واصل فقد
وصله عن بشار ما يقوله في الغزل الفاحش فقام وخطب خطبة أخرى - وتجنب فيها
الراء - وقال: (أما لهذا المشنف المكني بأبي معاذ من يقتله؟ أما والله لولا أن الغيلة
سجية من سجايا الغالية لدست إليه من يبيع بطنه في جوف منزله.) فقال المشنف
ولم يقل المرعث، وقال أبا معاذ ولم يقل بشاراً، وقال الغالية ولم يقل الرافضة،
وقال يبيع بطنه لا ييقره، متجنباً الراء في كل كلامه

٥٧ زُرْ غِبًّا تَزِدُّ حَبًّا

لَا تَجْعَلَنَّ أَحَدًا عَلَيْكَ إِذَا أَحَبَبْتَهُ وَهَوَيْتَهُ رَبًّا
رب: سيد

وَصِلِ الْخَلِيلَ إِذَا شَغِفَتْ بِهِ وَاظْوِ الزِّيَارَةَ دُونَهُ غِبًّا
اطو الزيارة دونه غباً: قم بزيارات متفرقة، ولا تكثر

فَلَذَّكَ خَيْرٌ مِنْ مُوَاصَلَةٍ لَيْسَتْ تَزِيدُكَ عِنْدَهُ قُرْبًا

٥٨ صحبة أبدية مع الحزن

أُبْكِي الَّذِينَ أَذَاقُونِي مَوَدَّتَهُمْ حَتَّى إِذَا أَيقَظُونِي فِي الْهَوَى رَقَدُوا
وَأَسْتَنْهَضُونِي فَلَمَّا قُمْتُ مُنْتَضِباً بِثِقَلِ مَا حَمَلُونِي وَدَهُمْ قَعَدُوا
يوقعونني في شرك الحب ثم لا يكملون المشوار معي

لَا أَخْرُجَنَّ مِنَ الدُّنْيَا وَحُبُّهُمْ بَيْنَ الْجَوَانِحِ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ
الْقَيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْحُزَنِ مَعْرِفَةً لَا تَنْقُضِي أَبَداً أَوْ يَنْقُضِي الْأَبَدُ

٥٩ إخفاء البكاء

شَكُوتُ إِلَى الْعَوَانِي مَا أَلَاقِي وَقُلْتُ لَهُنَّ مَا يَوْمِي بَعِيدٌ
قال لهن إن يومه قريب وسيموت عشقاً

فَفَاضَتْ عَبْرَةً أَشْفَقْتُ مِنْهَا تَسِيلُ كَأَنَّ وَابِلَهَا الْفَرِيدُ
نزلت دموعي كأنها الفريد، حبات اللؤلؤ

فَقُلْنَ بَكَيْتَ؟ قُلْتُ لَهُنَّ كَلَّا وَقَدْ يَبْكِي مِنَ الشَّوْقِ الْجَلِيدُ
الجليد: المتماسك

وَلَكِنِّي أَصَابَ سَوَادَ عَيْنِي عُودٌ قَذَى لَهُ طَرَفٌ حَدِيدٌ
أصاب سواد عيني عود طرفه حديد، أي حاد

فَقُلْنَ: فَمَا لِدُمْعِهِمَا سَوَاءٌ أَكِلْنَا مُقْلَتَيْكَ أَصَابَ عُودٌ
قلن له: دمع عينيك سواء، أي متساو بين المقتلين.. فهل أصاب عود كلنا عينك؟ يا كذاب!
فَقَبَّلَ دُمُوعَ عَيْنِكَ خَبَرْتَنَا بِمَا جَمَعْتِ، زَفَرْتُكَ الصَّعُودُ
وقبل أن تبكي أخبرتنا بما جمعت، بما قصدت أن تقول ولم تحسن التعبير، زفرائك الصعود،
الصاعدة من صدرك

٦٠ استخفاف

وَأِنَّنِي فِي الصَّلَاةِ أَحْضَرُهَا ضَحَكُهُ أَهْلِي الصَّلَاةِ إِنْ شَهِدُوا
أَقْعُدُ فِي سَجْدَةٍ إِذَا رَكَعُوا وَأَرْقُعُ الرَّأْسَ إِنْ هُمْ سَجَدُوا
أَسْجُدُ وَالْقَوْمَ رَاكِعُونَ مَعاً وَأُسْرِعُ الْوُثْبَ إِنْ هُمْ قَعَدُوا
ولست أدري إذا إمامهم سَلَّمَ كَمْ كَانَ ذَلِكَ الْعَدَدُ

٦١ الحج إلى زرارَة

أَلَمْ تَرَنِي وَيَحْيَى قَدْ حَجَجْنَا وَكَانَ الْحُجُّ مِنْ خَيْرِ التَّجَارَةِ
خَرَجْنَا طَالِبِينَ خَيْرٍ وَبِرٍّ فَمَالَ بِنَا الطَّرِيقُ إِلَى زُرَّارَةِ
زرارة: خمار من الخمارين

فَعَادَ النَّاسُ قَدْ غَنِمُوا وَحَجُّوا وَأَبْنَا مُوقِرِينَ مِنَ الْخَسَارَةِ
عدنا موقرين: محملين

٦٢ أنا وفطمة

عَجِبْتُ فَطْمَةً مِنْ نَعْتِي لَهَا هَلْ يَجِيدُ النَّعْتَ مَكْفُوفُ الْبَصَرِ
بِنْتُ عَشْرِ وَثَلَاثٍ قُسِّمَتْ بَيْنَ غُضَنِ وَكَثِيبٍ وَقَمَرِ
الغصن قدما المياس، والكثيب مؤخرتها، والقمر وجهها

دُرَّةٌ بَحْرِيَّةٌ مَكْنُونَةٌ مَا زَاهَا التَّاجِرُ مِنْ بَيْنِ الدُّرَرِ
درة بحرية، أي لؤلؤة، كانت مكنونة في الصدفة، فلما رآها التاجر كبيرة وثمينة مازها،
نحاهها جانباً

أَذْرَبَ الدَّمْعَ، وَقَالَتْ: وَبَلَّتِي مِنْ وَلُوعِ الْكَفِّ رَغَابِ الْخَطَرِ
قالت وقد أذرت الدمع وسكبته: وبلي من هذا المولع باللمس الذي لا يبالي الخطر

أُمِّتَا بَلَدَدَ هَذَا لُعْبَتِي وَوِشَاحِي حَلَّهْ حَتَّى انْتَشَرَ
يا أمي قد خرب هذا الرجل لعبتي وحل وشاحي ونثره

فَدَعَيْتَنِي مَعَهُ يَا أُمِّتَا عَلَّانَا فِي خَلْوَةٍ نَقْضِي الْوَطْرَ
فاتركيني معه قليلاً حتى نقضي غرضنا!

أَقْبَلْتُ مُغْضَبَةً تَضُرُّهَا وَاعْتَزَّاهَا كَجُنُونٍ مُسْتَعِزٍّ
بِأَبِي وَاللَّهِ مَا أَحْسَنَهُ دَمْعُ عَيْنٍ يَغْسِلُ الْكُحْلَ قَطْرَ

٦٣ قناديل السماء

فَأَبْلِغْ بَنِي زَيْدٍ وَقُلْ لِسَرَاتِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ سَرَاءٌ تُوقَرُ
قل لسراتهم، سادتهم، وإن لم يكن فيهم سادة يمكن توقيهم واحترامهم

لِأُمِّكُمْ الْوَيْلَاتُ إِنَّ قَصَائِدِي صَوَاعِقُ، مِنْهَا مُنْجِدٌ وَمُعَوِّرٌ

قصائدي صواعق تصل النجود، المرتفعات، والأغوار، المنخفضات

وَلَوْ فَارَقُوا مَا فِيهِمْ مِنْ دَعَارَةٍ لَمَّا عَرَفَتْهُمْ أُمُّهُمْ حِينَ تَنْظُرُ

يريدون الوصول لمسعاتي، مجدي، وأقرب من ذلك عليهم قناديل السماء أي النجوم التي تزهر، تلمع

يريدون الوصول لمسعاتي، مجدي، وأقرب من ذلك عليهم قناديل السماء أي النجوم التي تزهر، تلمع

٦٤ بكاء صديق زنديق

لَعَمْرِي لَيْتُنْ أَصْبَحْتَ فَوْقَ مُشَذِّبٍ طَوِيلٍ تُعْفِيكَ الرِّيحُ مَعَ الْقَطْرِ...

لئن أصبحت مصلوباً مرفوعاً فوق عود مشذب تعفيك، تمحو ملامحك، الرياح والقطر، أي المطر...

لَقَدْ عِشْتَ مَبْسُوطَ الْيَدَيْنِ مُبَرَّرًا وَعُوفِيْتَ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ

فإنك عشت ويداك مبسوطتان بالمعروف، ومتفوقاً... وقد تخلصت بالصُّلب من ضغطة القبر وضيقه

وَأَفْلَتَ مِنْ ضَيْقِ الثَّرَابِ وَعَمَّهِ وَلَمْ تَفْقِدِ الدُّنْيَا، فَهَلْ لَكَ مِنْ شُكْرِ

أفلت من التراب، وبقيت في الدنيا، أي فوق الأرض غير مدفون، فاشكر ذلك

فَمَا تَشْتَفِي عَيْنَايَ مِنْ دَائِمِ الْبُكََا عَلَيْكَ وَلَوْ أَنِّي بَكَيْتُ إِلَى الْحَشْرِ

سأبكيك حتى يوم القيامة

فَطُوبَى لِمَنْ يَبْكِي أَخَاهُ مُجَاهِرًا وَلَكُنَّيْ أَبْكِي لِفَقْدِكَ فِي سِرِّي

مبارك من يبكي أخاه جهراً، غير أنني مضطر لبكائك سراً، لأنك اتهمت بالزندقة وأخاف أن تلصق بي التهمة

٦٥ ثواب على الهجاء

عَلَى وَاسِطٍ مِنْ رَبِّهَا أَلْفُ لَعْنَةٍ وَتِسْعَةُ آلَافٍ عَلَى أَهْلِ وَاسِطٍ

واسط مدينة بالعراق بناها الحجاج

أَيْلَتَمَسُ الْمَعْرُوفُ مِنْ أَهْلِ وَاسِطٍ وَوَاسِطُ مَاوَى كُلِّ عِلْجٍ وَسَاقِطٍ

العلج: الرجل الجلف من غير العرب

وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَنَالَ بِشَتْمِهِمْ مِنَ اللَّهِ أَجْرًا مِثْلَ أَجْرِ الْمُرَابِطِ

المرابط: المقاتل يرباط في بلدة ثغرية حدودية طلباً للأجر

٦٦ من عظم الرقبة

عَبْدَ إِنِّي إِلَيْكَ بِالشَّوْقِ لِقَاقٍ وَكَيْفَ لِي بِالشَّلَاقِ
قيل هذا أول شعر قاله في حبيبته غَبْدَة . . إني إليك : أي مائل إليك

أَنَا وَاللَّهِ أَشْتَهِي سِحْرَ عَيْنَيْكَ وَأَخْشَى مَصَارِعَ الْعُشَّاقِ

أحبوا هذا البيت ورددوه على مسامعي، وقرأته مرة ومرة، ولا أدري هل أحبه بذوقي أنا أم بذوق
استعرتته من الناس

فَاصْبِرِي مِثْلَمَا صَبَرْتُ فَإِنَّ الصَّبْرَ - جَبَرَ حَظَّ مَنْ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ

إِنِّي مِنْ بَنِي عُقَيْلِ بْنِ كَعْبٍ مَوْضِعِ السِّيفِ مِنْ طُلَى الْأَغْنَاكِ

يفتخر بالقبيلة التي هو من موالها فهو من هذه القبيلة بموضع السيف من الطلى، أي الأعناق.
وأهل الأردن يقولون لمن يحبونه «أنت من عظم الرقبة» أي أنت منا، وسمعتها من أخي جميل
عازر عندما التحقت بهيئة الإذاعة البريطانية، وعرفت الرجل بعدها ثلاثين سنة فما رأيت منه
إلا كل خير

٦٧ شهادة أطراف المساويك

يَا أَطْيَبَ النَّاسِ رِيقًا غَيْرَ مُخْتَبَرٍ إِلَّا شَهَادَةَ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ

ريقها طيب ولكنها لم تقبل أحداً فلم يختبر أحد ريقها اللهم إلا من رائحة مسواكها

قَدْ زُرْتَنَا مَرَّةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً عَوْدِي وَلَا تَجْعَلِيهَا بَيْضَةَ الدِّيَكِ

زعموا أن الديك يبيض مرة واحدة في العمر

يَا رَحْمَةَ اللَّهِ حُلِّي فِي مَنَازِلِنَا حَسْبِي بِرَائِحَةِ الْفِرْدَوْسِ مِنْ فَيْكِ

رحمة الله: رحمة الرب، و«رحمة» اسم هذه الفتاة. تورية ساذجة استعملها بعده أبو نواس مشيراً
إلى سلفه في الشعر والتهتك

٦٨ الْأَكْمَةُ

إِذَا وُلِدَ الْمَوْلُودُ أَعْمَى وَجَدْتَهُ وَجَدْتُكَ أَهْدَى مِنْ بَصِيرٍ وَأَجُولَا

وجدك: وحياتك، أجول: أكثر حيلة وتجاوزاً

عَمِيْتُ جَنِينًا وَالدِّكَاءُ مِنَ الْعَمَى فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَعْقِلَا

عمي في بطن أمه أي أنه ولد أعمى، فهذا هو الأكْمَةُ، وهو عجيب الظن أي قوي الحدس ومعقل
العلم أي موطنه

وَشِعْرِ كَنُورِ الرُّوضِ لَاءَمْتُ بَيْنَهُ يَقُولُ إِذَا مَا أَحْزَنَ الشَّعْرُ أَسهَلَا
إذا أحزن الشعر، توعر وصار معقداً، فشعري يسهل

٦٩ عشق حمار

وأنشد له في الأغاني أنه مات له حمار فرآه في النوم فقال له: لماذا مت، ألم
أكن أحسن إليك؟ فقال الحمار:

سَيِّدِي خُذْ بِي أَتَانَا عِنْدَ بَابِ الْأَصْبَهَانِي
يقول الحمار الذي مات عندما جاء بشاراً في الحلم: سيدي خذ بي، أي خذ بشاري، أتاناً،
حمارة، تقف عند باب الأصهباني

تَيَّمَمْتَنِي بِبَنَانٍ وَبَدَلٌ قَدْ شَجَانِي
تيممتي وولهنني ببناها، إن كان للحمارة بنان، وبدلٌ، أي دلال، قد شجاني، وأحزني

تَيَّمَمْتَنِي يَوْمَ رُحْنَا بِثَنَائِهَا الْحَسَانِ
وبثناياها الحسان، أي أسنانها الجميلة

وَبِثْنُجٍ وَدَلَالٍ سَلَّ جِسْمِي وَبَرَانِي
وَلَهَا خَذُّ أَسِيلٍ مِثْلُ خَذِّ الشَّيْفَرَانِ
سئل بشار: يا أبا معاذ، وما الشيفران؟ فقال هذا من غريب الحمار.. أي من الألفاظ المهجورة
في قاموس الحمير

فَلِذَا مُتُّ، وَلَوْ عِشْتُ تِ إِذَنْ طَالَ هَوَانِي
لهذا مت، ولو عشت لطال هواني، أي ذلي (من هجر الحبيبة وليس لأنه حمار)

٧٠ كَأَنَّ مَا كَانَ لَمْ يَكُنْ

وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّارَ وَخَشَاءَ، بِهَا الْمَهَا تَرَوْدُ وَخَيْطَانُ النَّعَامِ تَجُولُ
وجدت أطلال الدار موحشة وفيها المهّا، أي بقرة الوحش، تروء، أي تتجول، وخيطان النعام، أي
قطعان النعام، تتجول

ذَكَّرْتُ بِهَا عَيْشاً فَقُلْتُ لِصَاحِبِي كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ حِينَ يَزُولُ
بَدَا لِي أَنَّ الدَّهْرَ يَقْدَحُ فِي الصَّفَا وَأَنَّ بَقَائِي إِنْ حَيِّتُ قَلِيلُ
الزمن يقدح في الصفا، أي الصخر. أي أن الزمن يأتي على كل شيء فلا شك أنني
لن أبقى طويلاً

٧١ قم يا عمر

وُنُبِّئْتُ قَوْماً بِهَمِّ جَنَّةٍ يَقُولُونَ مَنْ ذَا وَكُنْتُ الْعَلَمَ

قوم بهم جنة، أي جنون، يسألون من أنا، وأنا علم، أي جبل، أي أنتي مشهور

أَلَا أَيُّهَا السَّائِلِي جَاهِداً لِيَعْرِفَنِي أَنَا أَنْفُ الْكَرَمِ

أنا أنف الكرم: قمة الكرم، والأنف هو العلو والشمخ ومنه الأنفة أي الإباء

نَمْتُ فِي الْكَرَامِ بَنِي عَامِرٍ فُرُوعِي، وَأَصْلِي قَرِيشُ الْعَجَمِ

فروعني نمت في بني عامر الذين ربيت فيهم، وأصلي أكرم قوم في العجم، ويقابلون قريشاً عند العرب

فَأَنِّي لِأُغْنِي مَقَامَ الْفَتَى وَأُضْبِي الْفَتَاةَ فَمَا تَغْتَصِمُ

أغني مقام الفتى، أسد مسد الفتى في الفتوة والنخوة، وأضبي الفتاة، أغويها، فلا تعتصم، تمتنع
مني لما عندي من الأصل الطيب و.. الجاذبية

دَعَانِي إِلَى عَمَرٍ جُودُهُ وَقَوْلُ الْعَشِيرَةِ بَحْرٌ خِضَمٌ

بحر خضم: متدفق كرمأ

وَلَوْلَا الَّذِي زَعَمُوا لَمْ أَكُنْ لِأَمْدَحَ رِيحَانَةً قَبْلَ شَمِّ

لولا ما قالوا عنك لما مدحتك، فأنا لا أمدح رجلاً قبل أن أنال عطاءه، مثلما لا يقول المرء «الله»
قبل أن يشم رائحة الريحانة الزكية

فَقُلْ لِلْخَلِيفَةِ إِنْ جِنَّتُهُ نَصُوحاً، وَلَا خَيْرَ فِي مُتَّهَمٍ:

إِذَا أَبْقَظَتْكَ حُرُوبُ الْعِدَا فَنَبَّهَ لَهَا عُمَرَاءُ نَمِّ

بيت مشهور جداً. أيها الخليفة إذا قلت من حروبك مع الأعداء فنبه عُمَرُ بن العلاء لكي يكفيكم
ونم ناعم البال

فَنِي لَا يَنَامُ عَلَى ثَأْرِهِ وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمِّ

٧٢ هتكنا حجاب الشمس

أَبَى ظَلَلُ بِالْجَزَعِ أَنْ يَتَكَلَّمَ وَمَاذَا عَلَيْهِ لَوْ أَجَابَ مُتَيِّمًا

الظل في موضع الجزع أبى أن يتكلم، وماذا كان يخر لو أجاب المتيم الذي وقف به يسأله عن
قوم المحبوبة أين رحلوا؟

وَبِالْفَرْعِ آثَارُ بَقِيْنٍ، وَبِاللَّوَى مَلَاعِبُ لَا يُعْرِفُنَ إِلَّا تَوْهَمًا

وهناك آثار بقيت بالفرع، بالتل، وهناك ملاعب، أي السهول التي تلعب فيها الرياح، في موضع
اللوى.. ولا يعرفها المرء إلا توهماً بغير يقين لأنها تغيرت كثيراً

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضَرِّيَةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ تُمَطِّرُ الدَّمَآ

يفخر بقبيلة مضر الكبرى، وولاؤه في بني عُقِيل وهم من مضر، وغضبة مضر تجعلها تهتك حجاب الشمس، فكأن الشمس فتاة انتصرنا على قومها وهتكنا الستر عنها وسييناها، وإلا فإننا نجعل السماء تمطر دماً يسيل من سيوفنا ورماحنا. دع عنك الشرح فهو يقلل أثر البيت: هذا فخر فاخر

إِذَا مَا أَعَرْنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ ذُرَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا

إذا سمحنا لسيد من قبيلة بأن يتولى ولاية وقام يخطب الجمعة فهو يصلي علينا ويسلم، فهو يصلي على النبي، والنبي مضرى منا

وإِنَّا لَقَوُّومٌ مَا تَزَالُ حِيَادُنَا تُسَاوِرُ مَلَكًا أَوْ تُنَاهِبُ مَغْنَمَا

خيولنا دابئة في مساورة الملوك، مهاجمتهم، وانتهاب المغانم

خَلَقْنَا سَمَاءَ فَوْقَنَا يَنْجُومُهَا سِیُوفًا وَنَقْعًا يَفْرُضُ الطَّرْفَ أَقْتَمَا

خلقنا سماء فوقنا من النقع، الغبار في المعركة، الذي يفرض الطرف، أي يؤذي العين، وهو أقتم، مسود، وفي هذه السماء نجوم هي بريق سيوفنا

٧٣ ليل قصير ونوم قليل

لَمْ يَطُلْ لَيْلِي وَلَكِنْ لَمْ أَنْمِ وَنَفَى عَنِّي الْكَرَى طَيْفٌ أَلَمَ

رأى طيفها الذي ألم به، أي آتاه، في نومه فصحا

وَإِذَا قُلْتُ لَهَا جُودِي لَنَا خَرَجْتُ بِالصَّمْتِ عَنْ لَا وَنَعَمَ

يقول لها جودي لنا بالوصل، فتخلص من القبول أو الرفض بمخرج آخر هو... الصمت

نَفْسِي بِأَعْبَدَ عَنِّي وَأَعْلَمِي أَنَسِي بِأَعْبَدَ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ

إِنْ فِي بُرْدَيَّ جِسْمًا نَاجِلًا لَوْ تَوَكَّأْتُ عَلَيْهِ لَأَنْهَدَمَ

في ثوبيّ جسم ناحل لو توكأت عليه لسقط. وكان بشار طويلاً عريضاً متيناً، قال له رجل من المدينة: كيف تقول هذا وأنت بهذه الخلقة، ولو بعث الله الريح التي عصفت بقوم عاد وثمود ما حركتك؟ قال له بشار: ما زلت أعرف أنكم تلاءم يا أهل المدينة. أو كما قال. (تعليق عمران القفيني: طبخ المتنبي هذا المعنى على طريقته. وكل «نحول» يقودنا فوراً إلى المتنبي). المؤلف: ستكون لنا مع المتنبي وقفة طويلة في الجزء الثالث الذي نوبنا أن نسميه «تألق الشعر»

خَتَمَ الْحَبُّ لَهَا فِي عُنُقِي مَوْضِعَ الْخَاتَمِ مِنْ أَهْلِ الذَّمِّ

لها في عنقي ختم بالمحبة مثل الختم الذي في أعناق أهل الذمة، وكانوا يضعون ختماً على من يستوفون منه الجزية. شيء شبيه بجبر الانتخابات

٧٤ الشورى

أَبَا مُسْلِمٍ مَا طَوَّلَ عَيْشِي بِدَائِمٍ وَلَا سَالِمٌ عَمَّا قَلِيلٍ بِسَالِمٍ
قال هذه القصيدة في هجاء أبي جعفر المنصور وكان مطلعها «أبا جعفر..» ثم حولها إلى هجاء أبي مسلم الخراساني الذي قتله المنصور، فغير فيها هنا وهناك أشياء.. هذا ما قالته بعض الأخبار التي جاءت في الكتب القديمة

عَلَى الْمَلِكِ الْجَبَّارِ يَفْتَحُ الرَّدَى وَيَصْرَعُهُ فِي الْمَازِقِ الْمُتَلَحِّمِ
الموت يفتح على الملك الجبار ويصرعه في المعركة عند التحام السيوف

كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِقَتْلِ مُتَوَجٍّ عَظِيمٍ، وَلَمْ تَسْمَعْ بِفَتْكِ الْأَعَاجِمِ
نَقَسَمَ كَسْرَى رَهْطُهُ بِسَيُوفِهِمْ وَأَمْسَى أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْلَامَ نَائِمٍ
كسرى المقتول هو يزيدجرد آخر الأكاسرة، حكم عشرين سنة، وقتل وهو هارب بعد هزيمة جيشه على يد المسلمين. أبو العباس: الوليد بن يزيد الخليفة الأموي المتهتك الذي قتل قتلاً ١٢٦هـ

مُقِيمًا عَلَى اللَّذَاتِ حَتَّى بَدَثَ لَهُ وَجُوهَ الْمَنَايَا حَاسِرَاتِ الْعَمَائِمِ
المقيم على اللذات هو الوليد بن يزيد، ثم رأى وجوه المنايا، الموت، وقد حسرت العمائم وبدت واضحة

وَقَدْ تَرَدُّ الْأَيَّامُ غُرًّا وَرَبَّما وَرَدَّنْ كُلُّوْحًا بِأَدْيَاتِ الشُّكَايِمِ
الأيام تأتي غرأ، أي غراء مشرقة، أو كلوْحًا، كالحة مكشرة، باديات الشكايم، كأنها الحصان يكشر فتبرز شكيمة وهي الحديد التي في فمه

وَمَرَوَانُ قَدْ دَارَتْ عَلَى رَأْسِهِ الرَّحَى وَكَانَ لِمَا أَجْرَمْتَ نَزَرَ الْجَرَائِمِ
ومروان الثاني آخر خلفاء بني أمية دارت عليه رحى الموت، وكان بالمقارنة مع جرائمك نزر الجرائم، أي قللها

فَأَصْبَحْتَ تَجْرِي سَادِرًا فِي طَرِيقِهِمْ وَلَا تَتَّقِي أَشْبَاهَ تِلْكَ النَّقَائِمِ
تجري سادراً، مستهتراً، في طريق أولئك المقتولين، ولا تتقي أن يقع بك مثل تلك النقائم، المصائب

تَجَرَّدْتَ لِلْإِسْلَامِ تَعْفُو سَبِيلَهُ وَتُعْرِي مَطَاهُ لَلْيُوثِ الضَّرَاعِمِ
تجردت، تفرغت للإسلام تعفو سبيله، تمحو طريقه، وتعري مطاه، تُعْرِي ظهره، لكي تفتريه الأسود

فَمَا زِلْتُ حَتَّى اسْتَنْصَرَ الدِّينُ أَهْلَهُ عَلَيْكَ فَعَادُوا بِالسِّيُوفِ الصَّوَارِمِ
ظللت كذلك حتى طلب الدين النصرة من أهله فجاءوك بالسيوف الصوارم

لَحَى اللّهُ قَوْماً رَأْسُوكَ عَلَيْهِمْ وَمَا زِلْتَ مَرْؤُوساً خَبِيثَ الْمَطَاعِمِ
لحى الله، لعن، من جعلوك رئيساً عليهم، وأنت مجرد مرؤوس لا رئيس وخبيث المطاعم، تطعم
الناس الخبيث من الطعام مثلاً يفعل اللثام

أَقُولُ لِبَسَّامٍ عَلَيْهِ جَلَالَةٌ غدا أَرْجِيَّ عَاشِقاً لِلْمَكَارِمِ
مِنَ الْهَاشِمِيِّينَ الدُّعَاةَ إِلَى الْهُدَى جَهَاراً، وَمَنْ يَهْدِيكَ مِثْلُ ابْنِ هَاشِمٍ
هنا يمدح أبا جعفر المنصور وهو هاشمي، وقيل إن الكلمة في أصل القصيدة «من الفاطميين» .
وابن فاطمٍ وكانت في مدح العلويين أبناء فاطمة الزهراء

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيِ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِزْ بِرَأْيِ نَصِيحٍ أَوْ نَصِيحَةِ حَازِمٍ
يحض على الاستشارة، واستشارة من هو نصيح أمين، أو رجل حازم

وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَإِنَّ الْخَوَافِي قُوَّةٌ لِلْقَوَادِمِ
لا تجعل مشاورة الآخرين انتقاصاً لسيطرتك وسلطانك . . فالخوافي، الريشات الداخلية في جناح
الطائر تعطي القوادم، الريشات الظاهرة، قوة . . وكذا المشورة فهي تقوي السلطان الظاهر

وَمَا خَيْرٌ كَفِّ أَمْسِكَ الْغُلُّ أُخْتَهَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمٍ
لا خير في كف يمسك الغل، القيد، أختها . . فيد واحدة ضعيفة ولا تصفق . . ولا خير في سيف
لا قائم له، لا مقبض . . ولا خير في زعيم لا يقوي نفسه بالمشورة

وَحُلِّ الْهُونَا لِلضَّعِيفِ، وَلَا تُكُنْ نَوْماً فَإِنَّ الْحَزَمَ لَيْسَ بِنَائِمٍ
الهونا: التباطؤ

وَحَارِبٌ إِذَا لَمْ تُعْطَ إِلَّا ظُلَامَةً شَبَا الْحَرْبِ خَيْرٌ مِنْ قَبُولِ الْمَظَالِمِ
حارب إذا لم تعط إلا ظلاماً، ظلماً وانتقاصاً لحقك، فشبا الحرب، والشبا هو حد السنان، خير
من القبول بالظلم

وَأَدْنِ عَلَى الْقُرْبَى الْمُقَرَّبِ نَفْسَهُ وَلَا تُشْهِدِ الشُّورَى امْرَأً غَيْرَ كَاتِمٍ
قرب لك من يقرب نفسه ويريد أن يكون حليفاً، ولا تستشر إلا الكتوم

فَإِنَّكَ لَا تَسْتَظِرُّدُ الْهَمَّ بِالْمُنَى وَلَا تَبْلُغُ الْعَلِيَّابِ بِغَيْرِ الْمَكَارِمِ
الهم لا يمكن طرده بالأمنيات، والعلباء لا تُنال إلا بمكارم الأفعال

وَمَا قَارَعَ الْأَقْوَامَ مِثْلُ مُشَيِّعٍ أَرِيبٍ وَلَا جَلَّى الْعَمَى مِثْلُ عَالِمٍ
لا يقارع الأقوام وينجح في محاربتهم كمن هو مشيع، ذو حلفاء يشايعونه، وأريب داهية، ولا
يكشف المستور ويتغلغل في بواطن الأمور مثل الذي عرف كل المعلومات

وَفَتَى يَشْرَبُ الْمُدَامَةَ بِالْمَا لِي، وَيَمْشِي يَرُومُ مَا لَا يُرَامُ
رب فتى يشرب الخمر ويقتني ماله فيها، ويطلب من الأمور المستحيل..

كَانَ لِي صَاحِبًا فَأَوْدَى بِهِ الدَّهْرُ رُ وَفَارَقْتُهُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ
كان صاحبي وأودى به الدهر، أماته الدهر، فعليه السلام

يَا ابْنَ مُوسَى فَقَدْ الْحَبِيبُ عَلَى الْعَيْنِ مِنْ قَذَاةٍ وَفِي الْفَوَادِ سَقَامُ
يخاطب ابن موسى: فقد الحبيب مثل القذاة في العين، القشة أو الشعرة أو حبة الرمل في العين
هذه هي القذاة

كَيْفَ يَصْفُو لِي النِّعِيمَ وَحِيدًا وَالْأَحْلَاءُ فِي الْمَقَابِرِ هَامُ
هام: موتى، والهامة في الأسطورة العربية شبح يخرج من قبر الميت

نَفْسَتُهُمْ عَلَيَّ أُمُّ الْمَنَايَا فَأَنَامَتْهُمْ بِعُنفٍ فَنَامُوا
نفستهم علي، استكثرتهم علي وحسدتني، أم المنايا فأماتتهم، وشار يجعل للموت أمأ، وقد
جعلها في قصيد سابق تزوج بناتها من الناس

٧٦ وعيد

مَا زَالَ مَا مَنَيْتَنِي مِنْ هَمِّي
ما زال الوعد الذي منيتني إياه من طموحي

الْوَعْدُ غَمٌّ فَاسْتَرَحْ مِنْ غَمِّي
والوعد بالنسبة لك غم يلازمك فاسترح منه بالوفاء به

إِنْ لَمْ تُرِدْ مَدْحِي فَرَاقِبْ دَمِّي
إذا كنت زاهداً في مدحي فراقب، انتظر، ذمي وهجائي

٧٧ لا تُكَ كَالْعِذْرَاءِ

أَرْحَنِي بِأَيَّاسٍ أَوْ بِتَعْجِيلِ حَاجَةٍ وَأَيَّتَ بِهَا لَيْسَ النَّدَى بِمُحَرَّمٍ
أرحني بأن تجعلني أياس من عطائك، أو بتعجيل حاجة كنت وأيت بها، وعدت بها،
والسخاء ليس محرماً بالمناسبة

وَلَا فَبَيِّنْ لِي بِهَا وَجْهَ مَخْرَجٍ كَفَى بَيَانٍ مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ
وإن لم ترد هذا ولا ذاك، فأفهمني مخرجك من هذا الأمر، ما تبريرك؟ التوضيح يكفيني سواء من
فصيح أم من أعجم عبي

وَلَا تَكُ كَالْعَذْرَاءِ يَوْمَ نِكَاحِهَا إِذَا اسْتَوْذَنْتَ فِي نَفْسِهَا لَمْ تَكَلِّمْ
لا تكن كالعذراء البكر يوم تزويجها يسألونها عن قبولها أو رفضها فلا تتكلم. هذا لعمرى أول سهم
في قصيدة هجاء

٧٨ المقرب نفسه

علي وجه معروف الكريم بشاشة وليس لمعروف البخيل بهاء
كان الذي يأتيك من راحتيهما عروس عليها الدر. . والنفساء
الذي يأتيك من يد الكريم كالعروس المزدانة باللولؤ، ومن يد البخيل شيء قميء كالمرأة النفساء
وخير خليليك الذي في لقاءه رَوَّاحٌ وفيه حين شَطَّ عَنَاءٌ
خير صاحبك من تستريح للقياء، وحتى لو شط، أي ابتعد، ففيه لك غناء، أي فائدة

وما القرب إلا للمُقَرَّبِ نفسه ولو وَلَدَتْهُ جُرْهُمٌ وَصَلَاءُ
القريب من المرء هو من يقرب نفسه حتى لو كان بعيداً خافي النسب كأن يكون من قبيلتي جرهم
البائدة وصلاء

ولا خير في وُدِّ امرئٍ مُتَصَنِّعٍ بما ليس فيه، والودادُ صَفَاءُ
سَأَعْتَبُ خُلَانِي وَأَعِذُّ صَاحِبِي بما غَلَبَتْهُ النَّفْسُ وَالْعُلُوءُ
سأعتب أصحابي، أي أرضى عتابهم، وأعذرهم فيما يبدرونهم لأن النفس غلبتهم فأساءوا
وغالوا، أي بالغوا في بعض الأمر

وما لي لا أعفو وإن كان ساءني؟ ونفسي بما تجني يداي تُسَاءُ
وكيف لا أعفو حتى لو ساءني أمرهم؟ فأناني أشعر بالإساءة التي تجنيها يداي على الآخرين

عَنَابُ الْفَنَى فِي كُلِّ يَوْمٍ بَلِيَّةٌ وَتَقْوِيمُ أَضْغَانِ النِّسَاءِ عَنَاءُ
مشكلة أن أشغل نفسي بعتاب الأصدقاء كثيراً، هذا مثل محاولة المرء تقويم أضغان، أي أحقاد،
النساء. والمرأة - في المجتمع الذي يكتبها - تنفس عن وضعها بمداومة الشكوى وبالتنفيس عن
مشاعر مضطربة

تَزِلُّ الْقَوَافِي عَنْ لِسَانِي كَأَنَّهَُا حُمَاتُ الْأَفَاعِي رِيْقُهُنَّ قَضَاءُ
وعندما أغضب فعلاً فالفصائد تخرج عن لساني كأنها حمات الأفاعي، والحمة إبرة السبع وهي
أيضاً السم نفسه

فهرس القوافي (القافية فرقم القطعة)

٢	لَعَا زِبْ	٢	سَوَا
١٨	مَذْهَبْ	٥	الأعداء
١٦	يَتَنَسَّبْ	٢	انْطَوَاءْ
١٥	اكتِثَابْ	٧٨	بهاء
١	الشباب	٣	سَوَاءْ
٢١	العَرَبِ	٤	الْحَوَرَاءِ
١١	الغالبِ	٦	حَوَلَاءِ
٩	المُتَنَابِ	٢	ارْتِيَابَا
٢	بِالرَّكَابِ	٢	المَهْدَبَا
١	بِمَغْلُوبِ	٢	تَابَا
٧	تُسْكِبِ	١٠	رَبَّآ
٢	حُبِّ	٢	كَذَبَا
٥٦	خُطْبِ	١	لَهَبَا
٥٥	قَلْبِي	٢	وُثْبَا
١٧	نَصِيصِي	٢٠	وَهَبَا
١٢	وَكَذِبِي	٥٧	وهويته رَبَّآ
٢	وَالذَّبِيبِ	١	أَتَوَثَّبُ
١٤	أَقَارِبُهُ	١	الحَاسِبُ
١٩	جَانِبُهُ	١	الكَاذِبُ
١	وَتُرَاقِبُهُ	١٣	عَرِيبُ

٥٩	بَعِيدٌ	١	حِجَابِهِ
١	تَلِدُ	٨	حَسَنَهُ
٤٠	جُدُودٌ	٢٣	كُمَيْتٌ
٤٢	حُسِدُوا	٢	الرَّيْتِ
٥٨	رَقَدُوا	٢	بِالْعَفَارِيثِ
٦٠	شَهِدُوا	٢٦	تُونَاتِي
٤١	فُؤَادٌ	٢٢	شَيْبِ
١	فَائِدٌ	٢	مُتَعَتٌ
٤٤	مَعْقُودٌ	٢٤	وَصَلَّتْ
٣٧	وَتُرْعَدُ	١	هَوَيْتُ
٤٥	وَسَادُ	٢٥	فَدَيْتُهُ
٢	أَزِدُ	٢٩	تَأَجَّجُ
٢	الجَسَدِ	٢٧	جَجَجُ
٣٤	الصَّمَدِ	٢٨	نَارُ تَأَجَّجُ
٢	يُعُودُ	٢	زُجَاجُ
٣٦	جَدِيدِ	٢	جَرَخَا
٢	جِهَادِي	١	طَاخَا
٢	دَاوِدِ	٣١	يَسْلُخُ
٤٣	دَاوِدِ	١	النَّايِحِ
٢	عُوَادِي	١	مِلَاحَا
٢	لِلْعِبَادِ	٢	نَبَّاحُ
٢	مَحْمَدِ	٢	رَوْحَهَا
٢	يُعَدِي	٣٩	الرَّذَى
١	الْأَسَدُ	٢	تَعَمَّدَا
٣٥	الْخَرَائِدُ	٣٣	شَهِدَا
٤٦	قَدَدُ	٢	مَوْعِدَا
٢	مَطْرَا	٣٨	وَعِيدَا
٥١	السَّرَارُ	١	أَحْمَدُ
٤٧	القَمَرُ	١	الْمِرْبَدُ
١	النَّارُ	٣٢	بَعِيدُ

٢	الْعَاقِلِ	٥٤	بَاسُورُ
٢	الْمَنَازِلِ	١	بَشَّارُ
٢	الْهِلَالِ	٦٣	تَوْقَرُ
٢	طَوِيلِ	٥٢	خَبِرُ
٢	الْجَمَلِ	٢	ضَرِيرُ
٧٢	مُتَيِّمًا	٤٨	وَالنَّظَرُ
٢	حَرَامُ	٤٩	التَّبْكِيرِ
٢	نَائِمِ	٥٣	الْجَوَارِ
٧٥	يُرَامُ	٢	الْفُجَارِ
١	يَهْدُمُ	٦٤	الْقَطْرِ
١	الْمَبَاسِمِ	٢	قَوَارِيرِ
٢	الْمُلَمِّ	٥٠	لِلْفَخَارِ
٧٤	بِسَالِمِ	٢	مَسِيرِ
٧٧	بِمُحَرَّمِ	٦٢	الْبَصَرِ
١	تَسْنِمِ	٢	تَعُوزُ
٧٦	هَمِي	٦١	التَّجَارَةِ
١	الرَّحَامِ	١	إِبْلِيسُ
٧١	الْعَلَمِ	٢	وَأَعْرَضَا
٧٣	أَلَمَ	٦٥	وَأَسِطَ
٢	أَحْيَانًا	٢	طَمَعًا
٣٠	أَيْنَا	٢	أَتَجَرَّعُ
١	الْهَوَانُ	٢	أَرْفَعُ
٢	مُعِينُ	٢	الْمَزْرَعُ
٢	يَهُونُ	٢	وَصَدِيقُ
٦٩	الْأَصْبَهَانِي	٦٦	بِالتَّلَاقِي
٢	الْجَنَانِ	٢	الْفَلَكََا
٢	الْمِيزَانِ	٦٧	الْمَسَاوِيكِ
٢	وَالصَّوْلَجَانُ	٦٨	وَأَجُولَا
٢	فَيَنْعَاهَا	٧٠	تَجُولُ
١	تَهْدِيهِ	٢	تَمْلُوا
		٢	جَلِيلُ

أبو العتاهية

(١٣٠هـ - ٢١١هـ)

نشأ إسماعيل بن القاسم في الكوفة وعرف من أهله أنهم من قبيلة عنزة. لكن أقرانه عيروه بأن أصلهم من النبط، أولئك الفلاحين الذين كانوا مرتبططين بالأرض يملكهم من يملكها. لكنه نشأ بين العرب لا يعرف إلا العربية، ولم يكن لأهله شغل في الفلاحة بل كانوا يصنعون الجرار من الفخار. ويقول له أهله إنهم عرب تأخر إسلامهم فسابهم خالد بن الوليد وألحقهم بعنزة.

ربما كان إسماعيل يقف في السوق يبيع الجرار لأهله، وربما حملها في قفص على ظهره وطاف بها كما زعم بعضهم، على أنه كان يحضر حلقات الفقهاء في مساجد الكوفة. وكان أيضاً يرافق طلاب الملذات من الشباب ويجاريهم بعض المجارة. وكان في هؤلاء شعراء فصحاء ستراهم بعد حين يملأون العراق بشعر عذب متهتك بعد أن ينضم إليهم أبو نواس.

على أن إسماعيل بن القاسم، وشهرته أبو العتاهية، فارقههم سريعاً. ووجدناه يرتحل إلى بغداد تاركاً الجرارَ لأخ له، والتهتك لأهل التهتك، وكان دون الثلاثين. نراه في أوائل الثلاثين من عمره ينثر شعره السهل في بغداد نثراً.. فيقول بعض السامعين إن كلامه نثر لا شعر، وإنهم لو أرادوا لقالوا مئات القصائد من هذا الطراز دونما عناء، ويتعصب له من يعرفون السهل الممتنع، وبعضهم من كبار أهل اللغة كابن الأعرابي، ويقولون إن شعره في غاية الفصاحة.

ويقف أبو العتاهية بباب الخليفة المهدي مع الشعراء، ويؤذن له، ويقول قصيدة يبدأها بالغزل بجارية المهدي، ويتعجب من جرأته بشار بن برد، شيخ الشعراء وكان بلغ السبعين أو نحوها، وكان حاضراً ذلك المجلس.

لكز بشار تلميذه أشجع السلمي في خاصرته، وقال له: أويستنشد الخليفة هذا الكوفي «الملقب» قبلنا؟ لا جزى الله خيراً من جمعنا به.

أنشد أبو العتاهية أبياتاً يتغزل فيها بعُتْبة جارية المهدي. فقال بشار لتلميذه: لا أدري من أي أمرٍه أعجب: من ضعف شعره، أم من تغزله بجارية الخليفة يسمع ذلك بأذنه؟ ثم أخذ أبو العتاهية في أبيات المدح، وقال «أنته الخلافة منقادة/إليه تجرر أذيالها» فما فرغ حتى قال بشار لتلميذه: ويحك يا أخا سُلَيْم! أترى الخليفة طار عن سريره طرباً لما يأتي به هذا الكوفي؟

وانقضى المجلس ولم يخرج أحد بجائزة سوى أبي العتاهية. (ملاحظة: والله عارف أنني قصصت هذه القصة في أكثر من موضع. . أطلب المَعذرة).

ولم يأبه الخليفة المهدي - وكان غيوراً - لذكر أبي العتاهية جاريته عتبه في شعره لأن الجارية إنما كانت جارية زوجته، وليست من حرمة، ولأن الرجل طلبها وألح في طلبها، وسعى المهدي بنفسه في تزويجها منه، ولكن الجارية رفضت بشدة. فكانت القصة معروفة في بغداد.

ثم كانت بين أبي العتاهية وبشار، الذي يكبره بأربعين سنة مودة، وكان بينه وبين أبي نواس الذي يصغره بعشر سنين مودة. ومدح أبو العتاهية القادة، وحمق فهجاً بعضهم هجاء من النوع الذي لا يقوله الشاعر في ذوي السلطان. فأنت تهجو صاحب السلطان بالبخل، وتفتن في ذلك، فيعطيك فترضى، أو يحرمك ويكون بخل بهجاء والسلام. ولكن أبا العتاهية أفحش وأضحك في هجائه لابن معن بن زائدة عبد الله، وأخيه يزيد. وقيل إن عبد الله بن معن بن زائدة أتى بالشاعر وجعل غلامانه يرتكبون فيه الفاحشة. ثم عرض عليه الصلح والمال فقبل شاعرنا صاغراً. تلك قصة من القصص سقناها كما ساقوها، ولا سبيل إلى معرفة نصيبها من الصحة. غير أن الشعر الذي قاله صاحبنا في ابني معن بن زائدة يدل على شهوة قوية كانت في نفس الشاعر للتشفي، وفي هذا الشعر - وقد اقتبسناه لك - شيء ندر وجوده عند أبي العتاهية، وهو الهجو القائم على جعل المهجو أضحوكة.

ومات المهدي وجاء الرشيد، وبقي في الخلافة ثلاثاً وعشرين سنة، وكان يؤثر أبا العتاهية على كل شاعر. قيل حتى على أبي نواس. ودخل أبو العتاهية في مزاج الزهد. وسجنه الرشيد لأنه أمره أن يقول شعراً في الغزل فامتنع. ثم تغزل صاحبنا بزوجه، على سبيل الحيلة، فأطلقه الرشيد وقد عرف أن أبا

العتاهية قد فرغ من أمر الدنيا . فهل كان شاعرنا يهيئ نفسه للآخرة؟ تلك مسألة شغلت الناس بعض الشغل .

رأى الناس شعر أبي العتاهية مليئاً بدم الدنيا، لكنه لا يشي بالشوق للآخرة . فاتهموه بالانحراف عن الدين، فأظهر لهم آياتاً تكذب ظنونهم، فمنهم من صدق ومنهم من أقام على اعتقاده في اعتقاد الرجل . ونحن نظن أن أبا العتاهية كان يسب الدنيا من فرط محبته لها، ومن عدم يقينه بما يكون من ورائها .

مات الرشيد وجاء الأمين فمدحه أبو العتاهية، ثم جاء المأمون فمدحه . . كل هذا وهو على مذهبه في الزهد وكره الدنيا . لكنه كان يجمع الدنيا في أكياس في بيته . وكان بخيلاً .

هذا شاعر قديم . . أقدم من البحتري والمتنبي والمعري . فكيف - وهو الأقدم - كانت لغته سهلة سهولة تجعل الشارح يتحير ماذا يقول؟

استمد أبو العتاهية مفرداته من معجمه الطبيعي، واستمد الشعراء الذين ذكرناهم مفرداتهم من معاجم مستعارة . وفي هذا شيء من إبداع العتاهي، فهو لم يوسّع على نفسه كي يخرج من مضائق الوزن والقافية باللجوء إلى الكلمات الغريبة .

كل واحد فينا له معجمه الذي يكتب منه . وقد يختار بعض الكاتبيين والناظمين أن يكتب بمعجم طبيعي، ثم قد يزخرف عباراته بأن يحشد فيها التشبيهات الغريبة والمجازات، دون أن يخرج عن المفردة السهلة المألوسة . هذا صنعه في زمننا نزار قباني . فأما أبو العتاهية فلم يلجأ حتى إلى غريب التشبيه والمجاز، ولزم البساطة وجعل يدهشك بدقة الفكرة . هذه بضع فكرات دقيقة من العتاهي: «كلما رمشت عينك مات جزء منك»، «نل كل المال، ونل كل الأمان أيضاً . . وآخر هذا كله ماذا؟ الموت»، «انظروا إلى ساكني القبور . . كأنهم لم يكونوا بشراً»، «سيكرومونك يا هذا بعد موتك فلا تحمل همّاً، وغاية ما سينالك من كرم . . أن يهيلوا التراب عليك»، «الله عزيز قوي ذو جبروت . . ونعصيه . . ولكن الصفح عنده مأمول» . هذه أفكار تحتوي على مفارقات، فيها معان لطاف . فإن أرفقت هذا بتلك اللغة السهلة فما هنا عبقرية أبي العتاهية . ويزداد انتباهنا لهذه العبقرية إذ نرى الرجل جعل كل شعره يدور على موضوع واحد هو الموت .

كان أبو العتاهية الفتى فقيراً منشغلاً بمعاشه، يعين أهله في بيع الجرار، ويقول الشعر ويعجب به أصحابه، وبسرعة وصل إلى الخليفة المهدي، وإلى المال. وكل من نشأ في الحاجة أمسك العتاهية، ولم ترض نفسه ببذل المال. ولو ظل يبيع الجرار لما تدفق بهذا الشعر الموتى، فهو بعد الشراء قد عدم الشغل، وقعد. قعد يفكر في الموت، قعد في عصر ازدهار لم يشهد له العرب مثيلاً. كان كأنه يعيش في حفل بهيج لا ينتهي، فيماذا يفكر؟ أشغل نفسه بسعي لا نهاية له في التقرب إلى السلطان؟ لا، فقد نال من القرب ما يكفي وزيادة، وبائع الجرار السابق لا يريد أكثر من أن يكون جليس الخلفاء، بل لقد نال من ذلك أكثر من بغيته. أغرق نفسه في بحيرة من الخمر كما فعل بعض معاصريه من قلقي المثقفين؟ لا، فبائع الجرار السابق ذاق لذة المجون في شبابه ولم يعجبه أن يتخذ طريقة حياة. فأين يجد بالوعة لتصريف القلق؟ لم يجد. فقعد في بيته ممتعاً بأمان من الفقر تضمنه أكياس المال، وقعد يفكر في الموت. وكلنا يفكر في الموت إن عدم التفكير في غيره.

يقول الفقير المذنب، وقد حصل له من الرزق ما وجد معه أماناً، وبنى بيتاً، وكفَى أمر عياله، وراح ينتظر الموت، ويراقب كل عارض يعرض لجسمه. يقول وقد ودَّع دُملاً كان أطل برأسه من جلده:

قد سلَّم اللّهُ، لا طِبُّ ولا جِرْعُ	فالآن شَمَّر، فما في العمر مَتَسَعُ
قد راعك الدَّمَلُ الكذاب آوَنَة	يا رَبِّ دَمَلٍ صَدِيقٍ سوف يَتَّبَعُ
دع الهواجس واغرس كلما بزغت	في أرض عمرك ذكرى ليس تُقْتَلَع
أطل حياتك بالذكر الجميل فكم	تنهوا للصدى، والصوت ما سمعوا
واجعل نشاطك ترساً دون وهمك، قد	يفجأك الموت لا وهم ولا هلع
أما إذا استل داء سيفه وأتى	وأنت للشغل والإنجاز منقطع
فالشغل سيفك فاشهره بلا وجل	سيف لسيف، ولا يعنيك ما يقع
نسعى، وأشغالنا تسعى بنا، شيعاً	وكلنا في ظلام القبر نجتمع
نسعى، وخير لنا نسعى، فإن قعدت	بنا الهموم أتاناً الموت يختمُ

حقق ديوان أبي العتاهية شكري فيصل ونشره ١٩٦٤. وكان الديوان قد نشر مراراً قبل ذلك؛ لكن، في طبعات هزيلة. وقد كفانا شكري فيصل مؤونة تقلاب الطبعات القديمة.

١ أبيات فرائد

عَجِبْتُ لِمَنْ يَمُوتُ وليس يبكي عَجِبْتُ لِمَنْ تَجِفُّ له دُمُوعُ
أعجب للإنسان الذي مصيره الموت ولا يبكي

* * *

وإذا انقضى هَمُّ امرئٍ فقد انقضى، إن الهُمومَ أَشدُّهُنَّ الأَحَدُ
إذا انصرف الهم فقد انصرف فعلاً حتى لو كان كبيراً، فأشدُّ هَمُّ ليس أكبر هَمُّ بل أحدث الهموم عهداً

* * *

وأفضلُ الزهدِ زُهدٌ كانَ عنِ جِدَّةٍ وأفضلُ العفوِّ عَفْوٌ عندَ مَقْدِرَةٍ
الجدّة: الثراء (أي أن يجد المرء لديه مالاً)

* * *

مَنْ لَمْ يَكُنْ بِالْكَفَافِ مَقْتَنِعاً لَمْ تَكْفِهِ الأَرْضُ، كُلُّهَا ذَهَبُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ بِالْكَفَافِ مَقْتَنِعاً لَمْ تَكْفِهِ الأَرْضُ، كُلُّهَا ذَهَبُ

* * *

نَلَّ كُلَّ مَا شِئْتَ وَعِشْ آمِناً آخِرُ هَذَا كُلُّهُ الْمَوْتُ
نَلَّ كُلَّ مَا شِئْتَ وَعِشْ آمِناً آخِرُ هَذَا كُلُّهُ الْمَوْتُ

* * *

ولقد مررتُ على القبورِ فما مَبَّرْتُ بينَ العبدِ والمولى
المولى: السيد (والكلمة من الأضداد، وتأتي أيضاً بمعنى التابع أو العبد)

* * *

رَبُّ أَمْرٍ يَسُوءُ ثُمَّ يَسُرُّ وَكَذَلِكَ الْأُمُورُ خُلُوٌّ وَوُجُودُ
رَبُّ أَمْرٍ يَسُوءُ ثُمَّ يَسُرُّ وَكَذَلِكَ الْأُمُورُ خُلُوٌّ وَوُجُودُ

* * *

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَقْرَ يُرْجَى لَهُ الْغِنَى وَأَنَّ الْغِنَى يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَقْرَ يُرْجَى لَهُ الْغِنَى وَأَنَّ الْغِنَى يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ

* * *

مَا أَحَمَقَ الْإِنْسَانُ فِي فَخْرِهِ وَهُوَ غَدَاً فِي حُفْرَةٍ يُقْبَرُ
مَا أَحَمَقَ الْإِنْسَانُ فِي فَخْرِهِ وَهُوَ غَدَاً فِي حُفْرَةٍ يُقْبَرُ

* * *

أَمَّا تَعَجِبُونَ لِأَهْلِ الْقُبُورِ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بَشَرُ
أَمَّا تَعَجِبُونَ لِأَهْلِ الْقُبُورِ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بَشَرُ

* * *

أليس الموتُ غايَتنا فأينَ الخوفُ والحدُّ

* * *

إنَّ البخيلَ وإنْ أفادَ غِنًى لَتَرى عليه مَخَايِلَ الفقرِ

مخايل: علامات

* * *

عزمَ الليلِ والنهارِ على أنْ لا يَمَلَّا تَفْرِيقَ كُلِّ جَمَاعَةٍ

* * *

ولا خيرَ فيمَن لا يُواسي بِفَضْلِهِ ولا خيرَ فيمَن لا يُرى وجهُهُ طَلْقًا

وجه طلق: بشوش

* * *

سَيَأْتِيكَ يَوْمٌ لَسْتَ فِيهِ بِمُكْرَمٍ بِأَكْثَرِ مِنْ حَثْوِ التُّرَابِ عَلَيْكَ

سيأتيك يوم يكون منتهى تكرمك فيه أنهم سيهلون عليك من التراب،

فيا له من يوم ويا لها من كرامة

* * *

لَمْ يُشْغَلِ المَوْتُ عَنَّا مِذْ أُعِدَّ لَنَا وَكُلُّنَا عَنْهُ بِاللَّذَاتِ مَشْغُولٌ

* * *

كُلُّ حَيٍّ عِنْدَ مِيتَتِهِ حَظُّهُ مِنْ مَالِهِ الْكَفَنِ

* * *

وَكَمَا تَبْلَى وُجُوهُ فِي الثَّرَى فَكَذَا يَبْلَى عَلَيَّهِنَّ الْحَزَنُ

* * *

كَمْ زَمَانٍ بَكَيْتُ مِنْهُ قَدِيمٍ ثُمَّ لَمَّا مَضَى بَكَيْتُ عَلَيْهِ

* * *

ولا خيرَ فيمَن لا يُوطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ

* * *

قَدْ شَابَ رَأْسِي وَرَأْسُ الْجِرْصِ لَمْ يَشِبْ إِنَّ الْحَرِصَ عَلَى الدُّنْيَا لَفِي تَعَبٍ

* * *

شِيمٌ فَتَحَتْ مِنَ الْمَدْحِ مَا قَدْ كَانَ مُسْتَفْلِقاً عَلَى الْمُدَّاحِ

هذا الممدوح له شيم، أي صفات، فتحت للشعراء المادحين أبواباً من المدح كانت حثاذاك الوقت مغلقة دونهم

* * *

أَرَى الْأَمْسَ قَدْ فَاتَنِي رُدُّهُ وَلَسْتُ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ عَدِي

* * *

أَلَا يَا عَتَبَةَ السَّاعَةِ أَمَوْتُ السَّاعَةَ السَّاعَةَ

بيت شنعوا به على أبي العتاهية كثيراً.. قيل كان أبو العتاهية يكثر الناس بالشعر، فيقولون له: لو أن شعرتنا من مثل «ألا يا عتبه الساعة» لقلنا وأكثرنا

* * *

مَا طَارَ طَيْرٌ وَارْتَفَعَ إِلَّا كَمَا طَارَ وَقَعُ

* * *

عَجَباً لَأَمْرِي بِذُلِّ لِمَخْلُو قِي وَيَكْفِيهِ كُلُّ يَوْمٍ رَغِيفُ

* * *

يَا عُثْبُ مَا لِي وَلَكَ يَا لَيْتَنِي لَسِمَ أَرْكَ

* * *

قال وقد ضربه المهدي لتغزله بعتبة، فأفاق ورآها تطل من سطح:

بَخِ بَخِ يَا عُثْبُ مَنْ مِنْكُمْ قَدْ قَتَلَ الْمَهْدِيَّ فَيَكُمُ قَتِيلُ

بخ بَخ: هيناً لك. بطالبي عمران الفيني بأن أوضح هذا البيت.. حسناً ها قد شرحت البهجة في أوله، فما عساي أضيف؟ أن أبا العتاهية رجل يتفصد شعراً، وبكلمات سهلة، وأنك إذا أردت السهل الممتنع فلا تتجاوز أبا العتاهية؟

* * *

لَمْ يَبْقَ مِنِّي إِلَّا الْقَلِيلُ وَمَا أَحْسَبُهَا تَثْرُكُ الَّذِي بَقِيََا

* * *

الْمَوْتُ بَيْنَ الْخَلْقِ مُشْتَرَكُ لَا سُوقَةَ يَبْقَى وَلَا مَلِكُ

سوقة: كلمة تطلق على كل من ليس بملك، والملك هو الشخص المتصرف في شأنه وشؤون الناس من والٍ أو أمير أو حتى خليفة، والسوقة قد يكون شاعراً أو جوهرياً يملك الملايين

٢ نتف

ألا نحن في دارٍ قليلٍ بقاؤها سريع تداعيها وشيك فناؤها
غداً تخرَّب الدنيا ويذهب أهلها جميعاً، وتطوى أرضها وسماؤها

* * *

ولقد يُكَلِّمُكَ الزمانُ بِاللُّسَنِ عربيةً وأراكَ لست تُجيبُ
أَمَعَ المَمَاتِ يَطِيبُ عَيْشُكَ يا أَخِي هيهاتَ ليس معَ المَمَاتِ يَطِيبُ

* * *

ما لي مررتُ على القبورِ محيياً قَبِرَ الحبيبِ فلم يَرُدَّ جوابي
لو كان ينطقُ بِالْجَوَابِ لَقَالَ لي: أَكَلِ الترابُ مَحاسِنِي وشبابي

* * *

كُلُّ نَفْسٍ سَتُوفَى سَعِيَّهَا وَلَهَا مِيقَاتُ يَوْمٍ قَدْ وَجَبَ
جَفَّتِ الْأَقْلَامُ مِنْ قَبْلُ بِمَا خَتَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَكَتَبَ

أي أن المكتوب على الإنسان في اللوح المحفوظ قد كتب وجفت به الأقلام فالإنسان لا يصنع شيئاً إلا المقدر عليه من قبل

* * *

ألا كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ وَلِلْأَرْضِ مِنْ كُلِّ حَيٍّ نَصِيبٌ
أَرَاكَ لِذُنُوبِكَ مُسْتَوْطِناً أَلَمْ تَذِرْ أَنَّكَ فِيهَا غَرِيبٌ

* * *

تَبْغِي مِنَ الدُّنْيَا الْكَثِيرَ وَإِنَّمَا يَكْفِيكَ مِنْهَا مِثْلُ زَادِ الرَّائِبِ
لَا يُعْجِبَنَّكَ مَا تَرَى فَكَأَنَّهُ قَدْ زَالَ عَنْكَ زَوَالُ أُمْسِ الدَّاهِي

* * *

يا نَفْسُ تُؤَيِّ قَبْلُ أَنْ لَا تَسْتَطِيعِي أَنْ تَتُوبِي
أَمَّا الْحَوَادِثُ فَالرَّيَا حُ بِهِنَّ دَائِمَةُ الْهُبُوبِ

* * *

نَسِيتُ الْمَوْتَ فِيمَا قَدْ نَسِيتُ كَأَنِّي لَا أَرَى أَحَدًا يَمُوتُ

أَلَيْسَ الْمَوْتُ غَايَةً كُلَّ حَيٍّ فَمَا لِي لَا أَبَادِرُ مَا يَفُوتُ
بما أن الموت هو نهاية كل إنسان فلماذا لا أبادر بالصلاة وفعل الخير وهي أمور نفوت
ثم لا ترجع

* * *

نَحْنُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ لَذَّةٍ وَلَكِنَّ أَقَاتِ الزَّمَانِ كَثِيرَاتُ
وَكَمْ مِنْ أَنَاسٍ قَدْ رَأَيْنَا بِغِبْطَةٍ وَلَكِنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ غِبْطَتِهِمْ مَاتُوا

* * *

أَلَيْسَ قَرِيباً كُلُّ مَا هُوَ آتٍ فَمَا لِي وَمَا لِلشَّكِّ وَالشُّبُهَاتِ
أُنَافِسُ فِي طَيِّبِ الطَّعَامِ، وَكُلُّهُ سِوَاءٍ إِذَا مَا جَاوَزَ اللَّهَوَاتِ
اللهوات: الحلوق

* * *

تَمَنَّى الْمُتَنَّى حَتَّى إِذَا مَا بَلَغَتْهَا سَمَوْتَ إِلَى مَا فَوْقَهَا فَتَمَنَّيْنَا
تمنى: أي تمنى، سموت: طمحت

وَمَا لَكَ وَمَا يَلْبَسُ النَّاسُ غَيْرُ مَا كَسَوْتَ وَإِلَّا مَا لَبِستَ فَأَبْلَيْتَا
ليس يحسب لك من الملابس في حسناتك إلا ما كسوت به فقيراً وإلا ما لبسته أنت فأبليت.. فاما
الثياب الفاخرة التي تملأ خزائنك فليست لك بل عليك

* * *

دَعَنْتَنِي إِلَى الدُّنْيَا دَوَاعٍ مِنَ الْهَوَى فَأَرْسَلْتُ دِينِي مِنْ يَدِي وَأَتَيْتُهَا
أرسلت ديني من يدي: تركته

أَقُولُ لِنَفْسِي إِذْ شَكَّتْ ضَيِّقَ بَيْتِهَا كَأَنِّي بِهَا فِي الْقَبْرِ قَدْ ضَاقَ بَيْتُهَا

* * *

لَيْتَ شِعْرِي وَكَيْفَ أَنْتَ مُسَجِّئٌ تَحْتَ رَدَمٍ حَشَاءُ فَوْقَكَ حَاثٍ
يا ترى كيف تكون وأنت تمدد تحت ردم من تراب حشاه، أي أهاله، فوقك من حشاه

لَيْتَ شِعْرِي وَكَيْفَ أَنْتَ وَمَا حَا لُكَ فِيمَا هُنَاكَ بَعْدَ ثَلَاثِ
يا ترى كيف يصبح جسمك بعد ثلاث ليال من الدفن؟

* * *

لَيْسَ يَرْجُو اللَّهَ إِلَّا خَائِفٌ مَنْ رَجَا خَافَ، وَمَنْ خَافَ رَجَا
قَلَّمَا يَنْجُو أَمْرُهُ مِنْ فِتْنَةٍ عَجَباً مِمَّنْ نَجَا كَيْفَ نَجَا

* * *

إِذَا الْعَبْدُ لَمْ يَمْدَحْهُ حَسَنُ فَعَالِهِ فَلَيْسَ لَهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا دُحِ
إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ لَمْ يَصْفُ عَيْشُهُ وَمَا يَسْتَطِيبُ الْعَيْشَ إِلَّا الْمُسَامِحُ

* * *

أَوْمَلُ أَنْ أُحَلِّدَ، وَالْمَنَابِيَا يَثْبُنَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ النَّوَاحِي
يَثْبُنُ: يَقْفِرُنْ

وَمَا أَدْرِي إِذَا أَمْسَيْتُ حَيًّا لَعَلِّي لَا أَعِيشُ إِلَى الصَّبَاحِ

* * *

إِنِّي لَأُكْرَهُ أَنْ تَكُو نَ لِفَاجِرٍ عِنْدِي يَدُ
فَتَجُرُّ مَحَمَّدَتِي إِلَيْهِ هِ وَلَيْسَ مِمَّنْ يُحْمَدُ
الفاجر: الجريء الفتاك الأناني الذي لا يراعي لأحد حرمة. وأكره أن يكون له علي يد، أي
فضل، فلو حدث هذا لشكرته مضطراً وهو لا يستحق الشكر

* * *

أَرَى الْأَمْسَ قَدْ فَاتَنِي رَدُّهُ وَلَسْتُ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ غَدِ
وَأُنِّي لَأَجْرِي إِلَى غَايَةٍ وَأَسْتَقْبِلُ الْمَوْتَ مِنْ مَوْلَدِي
منذ مولدي وأنا أجري نحو هدف محدد هو الموت

* * *

سَلَامٌ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الْهَدَى وَالْمُصْطَفَى وَالْمُؤَيَّدِ
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ أَفْضَلَ مَنْ مَسَى عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُحَلِّدِ

* * *

هَوْنٌ عَلَيْكَ فَلَيْسَ كُلُّ - النَّاسِ يُعْطَى مَا يَوَدُّ
إِنْ كَانَ لَا يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَ مَا لِيُغْنَاكَ حَدُّ

* * *

يَا أَيُّهَا الَّذِي سَتَنْقُلُهُ ال - أَيَّامٌ عَنْ أَهْلِهِ وَعَنْ وَلَدِهِ

ما ارتدَّ طَرْفُ امْرِئٍ يَلْحَظُهُ إِلَّا وَشْيٌ يَمُوتُ مِنْ جَسَدِهِ

ما طرفت عين الإنسان إلا تغير جسمه تغيراً يقربه من الموت

* * *

يا عجباً لي أقمت في وطن ساكنه كلهم على سقر

ساكنه : سكانه

يا ساكني باطن القبور أما للواردين القبور من صدر

أليس لواردي القبور من صدر، أي من عودة

* * *

طلبت المستقر بكل أرض فلم أر لي بأرض مستقراً
أطعت مطاعمي فاستعبدتني ولو أنني قنعت لكنت حراً

* * *

لو عقلنا إذ النهار يسوق الليل، والليل إذ يسوق النهار

لرأيناها بما يمر حثيث بطويان الأعمار والآثار

بمر : بمرور، الآثار : ما يخلفه الإنسان من بيوت ومتاع

* * *

ليت شعري فإنني لست أذري أي يوم يكون آخر علمري

وبأي البلاد تُقبض رُوحِي وبأي البقاع يُحفر قبري

* * *

أمم مزروعة محصودة كل مزروع فللحصد زرع

إنما الدنيا على ما جيلت جيفة نحن عليها نضطرع

* * *

يا جامع المال في الدنيا لإورثه هل أنت بالمال بعد الموت تنتفع

لا تُمسك المال واسترض الإله به فإن حَسْبَكَ منه الرُّيُّ والشُّبُع

* * *

كلُّ يُحاول حيلة يرجو بها دفع المَصْرَّة واجتلاب المنفعة

والمرء لا يأتِيهِ إِلَّا رِزْقُهُ فاقْنَعْ بما يَأْتِيكَ مِنْهُ فِي دَعَا

* * *

ما كُلُّ رَأْيٍ الْفَتَى يَدْعُو إِلَى رَشْدٍ إِذَا بَدَأَ لَكَ رَأْيٌ مُشْكِلٌ فَفَقِّبْ
لِلَّهِ أَهْلٌ قُبُورٍ كُنْتُ أَعْهَدُهُمْ أَهْلَ الْقِبَابِ الرُّحَامِيَّاتِ وَالْعُرْفِ

* * *

لَا تُكْذِبَنَّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَجْتَمِعْ يَتَفَرَّقِ
لا تُكْذِبَنَّ: لا تدع أحداً يكذب عليك ..

وَالْمَوْتُ غَايَةُ مَنْ مَضَى مِنَّا، وَمَوْعِدُ مَنْ بَقِيَ

* * *

إِذَا اعْتَصَمَ الْمَخْلُوقُ مِنْ فِتَنِ الْهَوَى بِخَالِقِهِ نَجَّاهُ مِنْهُنَّ خَالِقُهُ
وَمَنْ هَانَتْ الدُّنْيَا عَلَيْهِ فَإِنِّي لَهُ ضَامِنٌ أَلَّا تُدَمَّ خَلَائِقُهُ

* * *

أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ فِي مَضْبِقٍ فَهَلْ سَبِيلٌ إِلَى طَرِيقِ
أَفْ لِدُنْيَا تَلَاعَبْتُ بِهَا تَلَاعَبَ الْمَوْجِ بِالْفَرِيقِ

* * *

خَيْرُ أَيَّامِكَ إِنْ كُنْتَ تَدْرِي يَوْمَ تُغْشَى يُرْتَجَى الْخَيْرُ مِنْكَ
أَحْسَنَ أَيَّامِكَ يَوْمَ تَوْتِي وَيَرْجَى مِنْكَ الْمَعْرُوفُ

إِغْتَنِمْ حَاجَةً لِرَاجِيكَ فِيهَا قَبْلَ أَنْ يُغْنِيَهُ اللَّهُ عَنْكَ

اغتنم حاجة لمن يرجوك فيها، فبعد حين قد يصبح مستغنياً عنك وتضع فرصة فوزك بالإحسان إليه .. الإحسان للغير مغنم لا مغرم

* * *

إِذَا كُنْتَ تَبْغِي الْبِرَّ فَانْكُفْ عَنِ الْأَدَى وَمَا السِّرُّ إِلَّا أَنْ تَكُفَّ أَذَاكَ
أَخُوكَ الَّذِي مِنْ نَفْسِهِ لَكَ مُنْصِفٌ إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُنْصِفْكَ لَيْسَ أَخَاكَ

* * *

إِنَّ أَخَاكَ الصَّدُوقَ مَنْ كَانَ مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ

الصدق: الحقيقي

وَمَنْ إِذَا رَبُّ الزَّمَانِ صَدَعَكَ شَتَّتَ فِيهِ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ

* * *

مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا دَارَتْ نَجُومُ السَّمَاءِ فِي الْفَلَكَ
إِلَّا لِنَقْلِ السُّلْطَانِ عَنْ مَلِكٍ، قَدْ انْقَضَى مُلْكُهُ، إِلَى مَلِكٍ

* * *

مَا أَقْرَبَ الْمَوْتَ مِنْ أَهْلِ الْحَيَاةِ، وَمَا أَحْجَى اللَّيْبَ بِحُسْنِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
مَا أَحْجَى: مَا أَجْدَرُ

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا وَأَقْبَحَ الْكُفْرَ وَالْإِفْلَاسَ بِالرَّجُلِ

* * *

أَرَى الْمَقَادِيرَ تَعْمَلُ الْعَمَلَا وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ أَمِلُ أَمَلَا
كُلُّ لَهُ عِلَّةٌ يَفُوهُ بِهَا سَبْحَانَ رَبِّي مَا أَكْثَرَ الْعِلَلَا
علة: حجة يتحجج بها المرء لتجنب ما يريد تجنبه من عمل

* * *

اللَّهُ أَكْرَمُ مَنْ رَجَوْتَ نَوَالَهُ وَاللَّهُ أَعْظَمُ مَنْ يُنِيلُ نَوَالَا
مَلِكٌ تَوَاضَعَتِ الْمُلُوكُ لِعِزِّهِ وَجَلَالِهِ، سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى

* * *

يَا رَبُّ شَهْوَةٌ سَاعَةٍ قَدْ أَغْقَبَتْ مَنْ نَالَهَا حُزْنًا هُنَاكَ طَوِيلَا
أغقبته حزنًا: سببت له حزنًا

فَإِذَا دَعَتْكَ إِلَى الْخَطِيئَةِ شَهْوَةٌ فَاجْعَلْ لِطَرَفِكَ فِي السَّمَاءِ سَبِيلَا
طرفك: نظرك

* * *

أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إِلَى الْغَنَى وَكُلُّ غَنِيٍّ فِي الْعَيُونِ جَلِيلُ
إِذَا مَالَتِ الدُّنْيَا إِلَى الْمَرْءِ رُغِبَتْ إِلَيْهِ، وَمَالَ النَّاسُ حَيْثُ يَمِيلُ
إذا مالت الدنيا إلى أحدهم رغب فيها، ومال الناس معه

* * *

خَلِيلِيَّ مَا الدُّنْيَا بَدَارٍ فُكَاهَةٍ وَلَا دَارٍ لَذَاتٍ لِمَنْ صَحَّ عَقْلُهُ
وَلِلْحَقِّ أَهْلٌ لَيْسَ تَخْفَى وَجُوهُهُمْ يَخْفُتُ عَلَيْهِمْ حَيْثُمَا كَانَ حَمْلُهُ
حملة: أي حمل الحق

* * *

وَإِذَا مَا الْفَقِيرُ قَنَّعَهُ اللَّـهُ هُوَ فَسَيَّانٌ بُؤْسُهُ وَالنَّعِيمُ
قنعه الله: جعله قنوعاً

إِنَّمَا النَّاسُ كَالْبَهَائِمِ فِي الرِّزْقِ فِي سَوَاءٍ جَهَوْلُهُمْ وَالْعَلِيمِ

* * *

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هِيَ الْعِزُّ وَالْكَرَمُ فَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الذُّلُّ وَالْعَدَمُ
العدم: الفقر

وَلَيْسَ عَلَى عَبْدٍ تَقِيٌّ نَقِيصَةٌ، إِذَا صَحَّحَ التَّقْوَى، وَإِنْ خَالَكَ أَوْ حَجَمَ
لا انتقاص من شأن التقي الذي تصح تقواه حتى وإن اشتغل حائكاً، خياطاً، أو حجّاماً، يحلق
للناس ويعالجهم بفصد الدم

* * *

وَشَرُّ الْأَخْلَاءِ مَنْ لَمْ يَزَلْ يُعَاتِبُ طَوْرًا وَطَوْرًا يَذُمُّ
يُريكَ النصيحة عند اللقاء وَيُبرِّيك في السَّرِّ بَرِّي الْقَلَمِ

* * *

نَحْنُ فِي دَارٍ يُخَبِّرُنَا عَنْ بِلَاهَا نَاطِقٌ لَسِنُ
بلاها: خرابها

دَارُ سَوْءٍ لَمْ يَذُمُّ فَرَحٌ لَا مُرِيٍّ فِيهَا وَلَا حَزَنُ

* * *

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ نَالَ سُلْطَانًا فَكَأَنَّهُ لَيْسَ الَّذِي كَانَا
مَا أَسْكَرَ الدُّنْيَا لِصَاحِبِهَا وَأَضَرَّهَا لِلْعَقْلِ أَحْيَانَا

* * *

كُلُّ امْرِئٍ فَكَمَا يَدِينُ يُدَانُ سَبْحَانَ مَنْ لَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَكَانُ
مَلِكٌ عَزِيزٌ لَا يُفَارِقُ عِزَّهُ يُعْصَى، وَيُرْجَى عِنْدَهُ الْفُقَرَانُ

* * *

يَا رَبِّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَخَلَقْتَ لِي، وَخَلَقْتَ مِنِّي
 خلقتني، وخلقت لي رزقاً، وخلقت من صلي أبناء
 مَا لِي بِشُكْرِكَ طَاقَةً يَا سَيِّدِي إِنْ لَمْ تُعِنِّي
 يطلب من الله أن يعينه على أداء واجب الشكر

* * *

وَمَا النَّاسُ إِلَّا مِنْ مُسِيءٍ وَمُحْسِنٍ وَكَمِ مِنْ مُسِيءٍ قَدْ تَلَافَى فَأَخْسَنَا
 تلافى: أي تلافى إساءته وتداركها

أَلَيْسَ إِذَا هَانَتْ عَلَى الْمَرْءِ نَفْسُهُ وَلَمْ يَرْعَهَا كَانَتْ عَلَى النَّاسِ أَهْوَنَا
 * * *

أَفْقِهَتْ عَنْ عِبَرِ الزَّمَانِ صِفَاتِهَا هَيْهَاتَ، لَسْتُ أَرَاكَ عَنْهَا تَفْقَهُ
 أَبَدْتُ لَكَ الْأَسْرَارَ مِنْهَا الْأَوْجُهُ
 * * *

أَغْضِ عَنِ الْمَرْءِ وَعَمَّا لَدَيْهِ أَخْوَكَ مَنْ وَقَرْتَ مَا فِي يَدَيْهِ
 أغض، أي اصرف النظر، عن المال الذي عند صاحبك، فإذا وفرت عليه ماله
 فأنت أخوه الصديق الصدوق

مَنْ ظَنَّ بِي الرِّغْبَةَ فِي شَيْئِهِ بَاعَدَنِي مِنْهُ دُنُوي إِلَيْهِ
 * * *

مَا أَذَلَّ الْمُقِلَّ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ لِإِقْلَالِهِ، وَمَا أَقَمَّاهُ
 المقل: الفقير، أقماه: أقماه وأحقره

إِنَّمَا تَنْظُرُ الْمَيُوتُ مِنَ النَّاسِ إِلَى مَنْ تَرْجُوهُ أَوْ تَخْشَاهُ
 * * *

يَا وَاعِظَ النَّاسِ قَدْ أَصْبَحَتْ مُتَّهَمًا. إِذْ عُبِتَ مِنْهُمْ أُمُورًا أَنْتَ تَأْتِيهَا
 وَأَعْظَمُ الْإِثْمِ بَعْدَ الشُّرْكِ نَعْلُمُهُ فِي كُلِّ نَفْسٍ عَمَّا هَا عَنْ مَسَاوِيهَا
 * * *

عِلْمِي بِأَنِّي أَذُوقُ الْمَوْتَ نَعَصَ لِي طَيِّبَ الْحَيَاةِ فَمَا تَصَفُّو الْحَيَاةَ لِيَا

يَبْلَى مَعَ الْمَيِّتِ ذِكْرُ الذَّاكِرِينَ لَهُ مَنْ غَابَ غَيْبَةً مَنْ لَا يُرْتَجَى نُسْبًا

* * *

لَأُبْكِيَنَّ عَلَى نَفْسِي وَحَقَّ لِيَّهَ يَا عَيْنُ لَا تَبْخَلِي عَنِّي بِعَبْرَتِيَهْ

لَأُبْكِيَنَّ لِفِقْدَانِ الشَّبَابِ وَقَدْ نَادَى الْمَشِيبُ عَنِ الدُّنْيَا بِرِحْلَتِيَهْ

نادى المشيب بدنو رحلتي، أي ارتحالي، عن الدنيا

* * *

يمدح يزيد بن مزيد:

وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرَهْ لَيَعْلَمُ فِي الْهَيْجَاءِ فَضْلَ غَنَائِكَا

الهيحاء: الحرب، غنائك: قيامك بالمطلوب

كَأَنَّكَ عِنْدَ الْكَرِّ فِي الْحَرْبِ إِنَّمَا تَفَرُّ مِنَ السَّلَامِ الَّذِي مِنْ وَرَائِكَا

* * *

يمدح الرشيد:

خَيْرُ مَنْ يُرْجَى وَمَنْ يَهْبُ مَلِكٌ دَانَتْ لَهُ الْعَرَبُ

وَحَقِيقُ أَنْ يُدَانَ لَهُ مَنْ أَبَوْهُ لِلنَّبِيِّ أَبُ

أبو الرشيد، أي جده الأعلى، العباس عم النبي، والعمومة كالأبوة

* * *

يَقُولُ أَنَا لَوْ نَعَتَ لَنَا الْهَوَىٰ وَوَاللَّهِ لَا أُدْرِ لِهَمْ كَيْفَ أَنْعَتْ

إِذَا اشْتَدَّ مَا بِي كَانَ أَفْضَلَ حِيلَتِي لَهُ وَضَعَ كَفِّي فَوْقَ خَدِّي وَأَسْكُتُ

* * *

اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَوْلَاتِي أَبَدْتُ لِي الصَّدَّ وَالْمَلَالَاتِ

لَا تَغْفِرُ الذَّنْبَ إِنْ أَسَأْتُ وَلَا تَقْبَلُ عُذْرِي وَلَا مُؤَاتَاتِي

* * *

يهجو يزيد بن معن:

بَنَى مَعْنٌ وَيَهْدِيهِ يَزِيدُ كَذَاكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ

معن بن زائدة من مشاهير الأسخياء الشجعان وقد بنى مجدأ، ويقول الشاعر إن ابنه يزيد يهدم هذا المجد. وقد هجا أبو العتاهية أخا يزيد هذا بهجاء مر (القطع ٩٣، و ٩٥، و ٩٦)

فَمَعْنُ كَانَ لِلْحُسَّادِ غَمًّا وَهَذَا قَدْ يُسَرُّ بِهِ الْحُسُودُ

* * *

قال وقد أهدى إلى الفضل بن الربيع نعلًا:

نَعْلٌ بَعَثْتُ بِهَا لِتَلْبَسَهَا تَسْعَى بِهَا قَدَمٌ إِلَى الْمَجْدِ
لَوْ كَانَ يَصْلُحُ أَنْ أَشْرَكَهَا خَدْيِي جَعَلْتُ شِرَاكَهَا خَدْيِي

لو نفع أن أصنع من خدي شراكاً لنعلك، والشراك سير من جلد على ظهر النعل يمسك بالقدم، لفعلت. بيت أعجب القدماء فرأيت أن أختاره كي يرى القارئ الطبيعة الكمروية للحكم في هذا العصر، هذا التذلل للحاكم الذي لم يكن موجوداً في عصر بني أمية، فتسرب إلى دولة بني العباس بالاتصال بالفرس. قبض الشاعر على البيتين عشرة آلاف درهم

* * *

الشَيْبُ كُرْزَةٌ، وَكُرْزَةٌ أَنْ يُفَارِقَنِي أَعْجِبْ بِشَيْءٍ عَلَى الْبَغْضَاءِ مَوْدُودِ
يَمْضِي الشَّبَابُ وَقَدْ بَاتَنِي لَهُ خَلْفٌ وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ مَفْقُوداً بِمَفْقُودِ

* * *

وَلَمَّا نَدِمْتَ عَلَى سَكُوتِكَ مَرَّةً فَلَقَدْ نَدِمْتَ عَلَى الْكَلَامِ مِرَارًا
إِنْ السَّكُوتُ سَلَامَةٌ وَلَرُبَّمَا زَرَعَ الْكَلَامُ عِدَاوَةً وَضَرَارًا

* * *

وقال يخاطب الشاعر سلماً الخاسر، وقد حج العتاهي وكانت محبوبته عتبه حاجّة:

وَاللَّهِ وَاللَّهِ مَا أَبَالِي مَتَى مَا مُتُّ يَا سَلَمُ بَعْدَ ذَا السَّفَرِ
أَلَيْسَ قَدْ طُفْتُ حَيْثُ طَافْتُ وَقَبَّ - لَمْتُ الَّذِي قَبَّلْتُ مِنَ الْحَجَرِ

* * *

يَا خَاضِبَ الشَّيْبِ بِالْحِنَاءِ تَسْتُرُهُ سَلِّ الْمَلِيكَ لَهُ سَتْرًا مِنَ النَّارِ
لَنْ يَرْحَلَ الشَّيْبُ عَنْ دَارٍ يَحِلُّ بِهَا حَتَّى يَرْحَلَ عَنْهَا صَاحِبُ الدَّارِ

* * *

كَأَنَّ عَتَابَةَ مِنْ حُسْنِهَا دُومِيَّةٌ قَسَّ قَتَنَتْ قَسَّهَا
عتابة هي محبوبته عتبه، وكأنها تمثال من تماثيل النصارى لحسنها، وقد فتن بها القس

يَا رَبِّ لَوْ أَنْسَيْتَنِيهَا بِمَا فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ لَمْ أَنْسَهَا

* * *

قال في السحاقات:

لَعَنَ الْإِلَهُ سَوَاحِقَ الرَّأْسِ فَلَقَدْ فَضَّخْنَ حَرَائِرَ الْإِنْسِ
أَبْدَيْنَ حَرْباً لَا طِعَانَ بِهَا إِلَّا اتَّقَاءَ الثُّرُسِ بِالثُّرُسِ

* * *

إِلْبَسَ جَمِيعَ النَّاسِ مُحْتَمِلًا لِلْعَالَمِينَ، وَكَنْ لَهُمْ أَرْضًا

البس الناس: تحملهم، مثلما تتحمل الأرض كل شيء، فكل شيء وقع على الأرض لا وقوع له من بعد

فَلَمَّا غَضِبْتَ لِكُلِّ حَادِثَةٍ تُرْمَى بِهَا، فَلَقَلَّمَا تَرْضَى

* * *

كتب أبو العتاهية إلى أحمد بن يوسف:

أَبَا جَعْفَرٍ هَلَّا اقْتَطَعْتَ مَوَدَّتِي فَكُنْتَ مُصِيبًا فِيَّ أَجْرًا وَمَضْنَعًا
هَلَّا قُبِلْتَ مَوَدَّتِي إِقْطَاعًا لَكَ، أَيْ مَنَحَةً، وَلَكِ فِي هَذَا أَجْرٌ وَمَصْنَعٌ، أَيْ مَعْرُوفٌ تَصْطَنَعُهُ

فَكُمُ صَاحِبٍ قَدْ جَلَّ عَنْ قَدْرِ صَاحِبٍ فَأَلْقَى لَهُ الْأَسْبَابَ فَارْتَفَعَا مَعَا
الأسباب: الحبال. يقول له اربطني بك فترتفع معاً

* * *

قال للرشيد وقد ألزمه بقول الغزل وترك النسك:

يَا ابْنَ عَمِّ النَّبِيِّ سَمْعًا وَطَاعَةً قَدْ خَلَعْنَا الْكِسَاءَ وَالْدُرَّاعَةَ
الدراعة: كساء الزهاد

وَرَجَعْنَا إِلَى الصُّنَاعَةِ لَمَّا كَانَ سُخْطُ الْإِمَامِ تَرَكُ الصُّنَاعَةَ
الصناعة: قول الشعر

* * *

قال في عتبة:

كَأَنَّهَا مِنْ حُسْنِهَا دُرَّةٌ أَخْرَجَهَا الْيَمُّ إِلَى السَّاحِلِ
كَأَنَّ فِي فِيهَا وَفِي طَرْفِهَا سَوَاحِرًا أَقْبَلْنَ مِنْ بَابِلِ
سواحر: جمع ساحرة. أي أن كلامها ساحر، وعينيها ساحرتان

* * *

قال في أبي جعفر أحمد بن يوسف:

في عِدَادِ المَوْتَى وفي سَاكِنِي الدنـ يا أبو جعفرٍ أَخِي وَخَلِيلِي
لَمْ يَمُتْ مِيتَةَ الوَفَاءِ، وَلَكِنْ ماتَ عَنْ كُلِّ صَالِحٍ وَجَلِيلِ

* * *

حجبه عمرو بن مسعدة مراراً، ثم طلبه، فلم يجبه أبو العتاهية، وقال:

كَسَلَنِي اليَأْسُ مِنْكَ عَنْكَ، فَمَا أَرْفَعُ ظَرْفِي إِلَيْكَ مِنْ كَسَلِ
إِنِّي إِذَا لَمْ يَكُنْ أَخِي ثِقَةً قَطَعْتُ مِنْهُ حَبَائِلَ الأَمَلِ

* * *

قال في أبي جعفر أحمد بن يوسف، وقد حجبه بدعوى أنه نائم:

لَيْسَ عُدْتُ بَعْدَ اليَوْمِ إِنِّي لَظَالِمٌ سَأَصْرِفُ نَفْسِي حَيْثُ تُبْغَى المَكَارِمُ
مَتَى يَظْفِرُ العَادِي إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ وَنِصْفُكَ مَحْجُوبٌ وَنِصْفُكَ نَائِمٌ

* * *

قال يرثي حميد بن عبد الحميد الطوسي:

أَبَا غَانِمٍ أَمَّا ذَرَاكَ فَوَاسِعٌ وَقَبْرُكَ مَعْمُورُ الجَوَانِبِ مُحَكَّمٌ
ذَرَاكَ: سَاحَتِكَ وَكَفَنِكَ

وَمَا يَنْفَعُ المَقْبُورَ عُمرَانُ قَبْرِهِ إِذَا كَانَ فِيهِ جِسْمُهُ يَتَهَدَّمُ

* * *

مَنْ لَمْ يَذُقْ لِصَبَابَةِ طَعْمَا فَلَقَدْ أَحْظَتْ بِطَعْمِهَا عِلْمَا
يَا عُتْبُ مَا أَنَا عَنْ صَنِيعِكَ بِي أَغْمَى، وَلَكِنْ الهَوَى أَغْمَى

* * *

تَلَاعَبْتَ بِي يَا عُتْبُ ثُمَّ حَمَلْتَنِي عَلَى مَرْكَبٍ بَيْنَ المَنِيَّةِ وَالسُّقْمِ
يُصَابُ فَوَادِي حِينَ أَرْمَى وَرَمِيَّتِي تَعُودُ إِلَى نَحْرِي وَيَسْلُمُ مَنْ أَرْمِي

* * *

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا إِلَى نَفْسِهَا تَنَحَّ عَنْ خُطْبَتِهَا تَسْلَمُ
إِنَّ السَّيَّءَ تَخْطُبُ عَرَّارَةً قَرِيبَةً العُرْسِ مِنَ المَأْتَمِ

* * *

كان المأمون يرسل إليه كل سنة دراهم ودنانير جلدأ، ثم أخلفه سنة، فقال:
 خَبَرُونِي أَنْ مِنْ ضَرَبِ السَّنَةِ جُدْداً بِيضاً وَصُفْراً حَسَنَةً
 أُخْدِثْتُ لَكُنْنِي لَمْ أَرَهَا مِثْلَمَا كُنْتُ أَرَى كُلَّ سَنَةٍ
 ووصل الشعر إلى المأمون فعجل بإرسال المال

* * *

بَا خَلِيلِي مِنْ بَنِي شَيْبَانٍ أَنَا لَا شَكَّ مَبِيتُ فَا بِكَيْانِي
 إِنْ رُوحِي لَمْ يَبْقَ مِنْهَا سَوَى شَيْءٍ بِسِيرٍ مَعْلَقٍ بِلِسَانِي

* * *

عِزَّةُ الْحَبِّ أَرْثُهُ ذَلَّتِي فِي هَوَاهُ وَلَهُ وَجْهٌ حَسَنُ
 وَلِهَذَا صِرْتُ مَمْلُوكاً لَهُ وَلِهَذَا شَاعَ مَا بِي، وَعَلَنُ

* * *

يَا مَنْ تَبَعَنِي زَمَناً صَالِحاً صَلاَحُ هَارُونَ صَلاَحُ الزَّمَنِ
 كُلُّ لِسَانٍ هُوَ فِي مُلْكِهِ بِالشَّكْرِ فِي إِحْسَانِهِ مُرْتَهَنُ

* * *

هَزَزْتُكَ لَا أَنِّي وَجَدْتُكَ نَاسِياً لَوْغِدٍ وَلَا أَنِّي أَرَدْتُ التَّقَاضِيَا
 هَزَزْتُكَ: أَي دَعْوَتِكَ لِلْعَطَاءِ مُحَرَّكاً فَيَكُ الْأَرِيحِيَّةُ

وَلَكِنْ وَجَدْتُ السِّيفَ عِنْدَ انْتِضَائِهِ إِلَى الْهَزِّ مُحْتَاجاً وَإِنْ كَانَ مَاضِياً

* * *

مَا لِي أَرَى الْأَبْصَارَ بِي جَافِيَةً لَمْ تَلْتَفِتْ مِنِّي إِلَى نَاجِيَةٍ
 لَا يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَى الْمُبْتَلَى وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْعَافِيَةِ

٣ سؤال اللحية

أَرَاكَ وَكُلَّمَا أَغْلَقْتَ بَاباً مِنْ الدُّنْيَا فَتَحْتَ عَلَيْكَ بَاباً
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ كُلَّ صَبَاحٍ يَوْمٌ يَزِيدُكَ مِنْ مَنِيَّتِكَ اقْتِرَاباً
 وَمَا مِنْكَ الشَّبَابُ وَلَسْتُ مِنْهُ إِذَا سَأَلْتُكَ لِحَيْتَكَ الْخَضَابَا

سَأَلْتُكَ: طَلَبْتُ مِنْكَ، الْخَضَابُ: الصَّيْغُ

٤ بعد مسير خمسين

إِذَا مَا خَلَوْتُ، الدَّهْرَ، يَوْمًا فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ، وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ
وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ يُغْفِلُ مَا مَضَى وَلَا أَنْ مَا يَخْفَى، عَلَيْهِ يَغِيبُ
إِذَا مَا مَضَى الْقَرْنُ الَّذِي كُنْتَ فِيهِمْ وَخُلِّفْتُ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبٌ

القرن: الجيل

وَإِنَّ أَمْرًا قَدْ سَارَ خَمْسِينَ حِجَّةً إِلَى مَنَهْلٍ، مِنْ وَرْدِهِ لَقَرِيبٌ

المنهل: موضع الماء، الورد: الورود والإتيان

٥ الواثبون

لِكُلِّ أَمْرٍ جَرَى فِيهِ الْقَضَا سَبَبٌ وَالدَّهْرُ فِيهِ وَفِي تَصْرِيفِهِ عَجَبٌ
مَا النَّاسُ إِلَّا مَعَ الدُّنْيَا وَصَاحِبِهَا فَكَيْفَمَا انْقَلَبْتُ يَوْمًا بِهِ انْقَلَبُوا
يُعَظِّمُونَ أَخَا الدُّنْيَا، وَإِنْ وَثَبْتُ يَوْمًا عَلَيْهِ بِمَا لَا يَشْتَهِي وَثَبُوا

٦ لا غنيمة ولا إياب

أَلَا لِلَّهِ أَنْتَ مَتَى تَتَوْبُ وَقَدْ صَبَعْتَ ذَوَائِبَكَ الْخُطُوبُ

ذوائبك: خصلات شعرك.. صبغتها المصابب باللون الأبيض، الشيب

لَعَمْرُكَ مَا تَهْبُ الرِّيحُ إِلَّا نَعَاكَ مُصْرَحًا ذَاكَ الْهُبُوبُ
أَرَاكَ تَغِيبُ ثُمَّ تَتَوَوَّبُ يَوْمًا وَيُوشِكُ أَنْ تَغِيبَ وَلَا تَتَوَوَّبُ

٧ ألا ليت الشباب..

بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ بِدَمْعِ عَيْنِي فَلَمْ يُغْنِ الْبُكَاءُ وَلَا النَّحِيبُ
فَيَا أَسَفًا أَسِفْتُ عَلَى شَبَابٍ نَعَاهُ الشَّيْبُ وَالرَّأْسُ الْخَضِيبُ
عَرِيتُ مِنَ الشَّبَابِ، وَكَانَ عَضًّا كَمَا يَعْرِى مِنَ الْوَرَقِ الْقَضِيبُ

غضن: طري

فَيَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ

٨ الهجوم الثاني

لِدُوا لِلْمَوْتِ، وَابْتُوا لِلْخَرَابِ فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى تَبَابٍ
لدوا: أنجوا الأولاد، تباب: هلاك

لِمَنْ نَبْنِي وَنَحْنُ إِلَى تَرَابٍ نَصِيرُ كَمَا خُلِقْنَا مِنْ تَرَابٍ
أَلَا يَا مَوْتُ لَمْ أَرْ مِنْكَ بُدْأً أَبَيْتَ فَلَا تَحْيِفُ وَلَا تُحَابِي
تحيف: تظلم، تحابي: تخص المرء بأكثر مما يستحق

كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيبِي كَمَا هَجَمَ الْمَشِيبُ عَلَى شَبَابِي

٩ الحفر المسترة

مَا لِلْمَقَابِرِ لَا تُجِيبُ إِذَا دَعَاهُنَّ الْكَثِيبُ
حُفَرٌ مُسْتَرَّةٌ عَلَيَّ هِنَّ الْجَنَادِلُ وَالْكَثِيبُ
الجنادل: الصخور، الكتيب: كوم الرمل

فِيهِنَّ وَلَدَانٌ وَأَطْمَ فَالٌ وَشُبَّانٌ وَشِيبُ
كَمْ مِنْ حَبِيبٍ لَمْ تَكُنْ نَفْسِي بِفُرْقَتِهِ تَطِيبُ
غَادَرْتُهُ فِي بَعْضِهِنَّ - مُجَدَّلًا وَهُوَ الْحَبِيبُ
مجدلاً: مطروحاً صريعاً

وَسَلَوْتُ عَنْهُ، وَإِنَّمَا عَهْدِي بِرُؤْيَايَةِ قَرِيبُ

١٠ انبتات الصلات

وَلَمْ أَرْ فَضلاً تَمَّ إِلَّا بِشِيْمَةٍ وَلَمْ أَرْ عَقْلاً صَحَّ إِلَّا عَلَى أَدَبٍ
شيمة: خلق

وَلَمْ أَرْ فِي الْأَعْدَاءِ حِينَ خَبَرْتُهُمْ عَدُوًّا لِعَقْلِ الْمَرْءِ أَعْدَى مِنَ الْغَضَبِ
وَلَمْ أَرْ بَيْنَ الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ خِلْطَةً وَلَمْ أَرْ بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ مِنْ سَبَبٍ

١١ الطالب والمطلوب

المرءُ يَطْلُبُ وَالْمَنْبِيَّةُ تَطْلُبُهُ وَيَدُ الزَّمَانِ تُدِيرُهُ وَتُقَلِّبُهُ
ليس الحريصُ بِزَائِدٍ فِي رِزْقِهِ اللَّهَ يَقْسِمُهُ لَهُ وَيُسَبِّبُهُ

الْمَوْتُ حَوْضٌ لَا مَحَالَهَ دُونَهُ مُرٌّ مَذَاقُهُ كَرِيهٌ مَشْرَبُهُ
وَتَرَى الْفَتَى سَلِسَ الْحَدِيثِ بِذِكْرِهِ وَسَطَ النَّدِيِّ كَأَنَّهُ لَا يَرْهَبُهُ
النَّدَى: المجلس

مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا مِنْ أَكْبَرِ هَمِّهِ نَصَبَتْ لَهُ مِنْ حُبِّهَا مَا يُتَعَبُهُ
فَاصْبِرْ عَلَى الدُّنْيَا وَطَوَّلْ عُيُومَهَا مَا كُلُّ مَنْ فِيهَا يَرَى مَا يُعْجِبُهُ
مَا زَالَتْ الْأَيَّامُ تَلْعَبُ بِالْفَتَى طَوْرًا تُخَوِّلُهُ وَطَوْرًا تُسَلِّبُهُ
تخوله: تمنحه الخَوْل أي الخَدَم

مَنْ لَمْ يَزَلْ مُتَعَجِّبًا مِنْ كُلِّ مَا تَأْتِي بِهِ الْأَيَّامُ طَالًا تَعْجِبُهُ

١٢ لَا مَفَرَ

نُفَاسٌ فِي الدُّنْيَا وَنَحْنُ نَعِيبُهَا لَقَدْ حَذَرْتُنَاهَا لَعَمْرِي خُطُوبُهَا
تتنافس على خيرات الدنيا مع أننا نلعنها، وقد حذرتنا منها مصائبها

أَيَا هَادِمِ اللَّذَاتِ مَا مِنْكَ مَهْرَبٌ تُحَازِرُ نَفْسِي مِنْكَ مَا سَيُصِيبُهَا
هادم اللذات: الموت

كَأَنِّي بِرَهْطِي يَحْمِلُونَ جِنَازَتِي إِلَى حُفْرَةٍ يُحْنِي عَلَيَّ كَثِيبُهَا
يحنى: يهال، والكثيب: الرمل

فَكَمْ ثَمٌّ مِنْ مُسْتَرْجِعٍ مُتَوَجِّعٍ وَيَا كَيْفَ يَغْلُو عَلَيَّ نَحِيبُهَا
مسترجع: قائل «إنا لله وإنا إليه راجعون»

وَدَاعِيَةٌ حَرَّى تُنَادِي وَإِنِّي لَفِي غَفْلَةٍ عَنْ صَوْتِهَا مَا أُجِيبُهَا
رَأَيْتُ الْمَنَابِيَا فَرَّقَتْ بَيْنَ أَنْفُسٍ، وَنَفْسِي سَيَاتِي بَعْدَهُنَّ نَصِيبُهَا

١٣ هَذَا إِنْ ثَبِتَ

نَحْنُ فِي دَارِ بَلَاءٍ وَأَذَى وَشَقَاءٍ وَعَنَاءٍ وَعَنْتَ
العنت: العناء

مَنْزِلٌ مَا يَثْبُتُ الْمَرْءُ بِهِ سَالِمًا إِلَّا قَلِيلًا... إِنْ ثَبِتَ
بَيْنَمَا الْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا لَهُ حَرَكَاتٌ مُسْرِعَاتٌ... إِذْ خَفَّتْ

١٤ قلة الأصدقاء

أَحِبُّ مِنَ الْإِخْوَانِ كُلِّ مُؤَاتٍ وفي يَغْضُ الطَّرْفَ عَنْ عَثْرَاتِي
مؤات: موافق

يُؤَافِقُنِي فِي كُلِّ خَيْرٍ أُرِيدُهُ ويحفظُنِي حَيًّا وبعْدَ وَفَاتِي
تَصَفَّحْتُ إِخْوَانِي فَكَانَ أَقْلُهُمْ - على كَثْرَةِ الْإِخْوَانِ - أَهْلَ ثِقَاتِ

١٥ كان فمات

إِيَّتِ الْقُبُورَ فَنَادَاهَا أَصْوَاتَا فلِذَا أَجَبْنَ فَسَائِلِ الْأَمْوَاتَا:
أَيْنَ الْمَلُوكُ بَنُو الْمَلُوكِ؟ وَكُلُّهُمْ أُمْسَى وَأَصْبَحَ فِي التَّرَابِ رُفَاتَا
كَمْ مِنْ أَبِي وَأَبِي أَبٍ لَكَ بَيْنَ أَظْ - بَاقِ الثَّرَى، قَدْ قِيلَ كَانَ فَمَاتَا

١٦ المكاره والسرور

كَمْ مِنْ مُؤَخَّرٍ غَايَةٍ قَدْ أُمَكَّنَتْ لِقَدِّ، وَلَيْسَ غَدُّ لَهُ بِمُؤَاتٍ
مؤات: موافق

حَتَّى إِذَا فَاتَتْ وَفَاتَ طِلَابُهَا ذَهَبَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ حَسَرَاتٍ
تَأْتِي الْمَكَارِهُ حِينَ تَأْتِي جُمْلَةً وَأَرَى السُّرُورَ يَجِيءُ فِي الْفَلَتَاتِ

١٧ المتزاهد

أَلَا مَنْ لِنَفْسٍ فِي الْهَوَى قَدْ تَمَادَتْ إِذَا قَلْتُ قَدْ مَالَتُ عَنِ الْجَهْلِ عَادَتْ
تَزَاهَدْتُ فِي الدُّنْيَا وَإِنِّي لَرَاغِبٌ أَرَى رَغْبَتِي مَمْرُوجَةً بِزَهَادَتِي
تَزَاهَدْتُ: تظاهرت بالزهد

وَعَوَّدْتُ نَفْسِي عَادَةً فَلَزِمْتُهَا أَرَاهُ عَظِيمًا أَنْ أَفَارِقَ عَادَتِي

١٨ انصراف العوائد

عِشْ مَا بَدَا لَكَ أَنْ تَعِيشَ يَغْبِطُهُ مَا أَقْرَبَ الْمَحْيَا الطَّوِيلَ مِنَ الْمَمَاتِ
أَيْنَ الْمَلُوكُ ذُوو الْمَنَابِرِ وَالِدَسَا كِرِ وَالْعَسَاكِرِ وَالْقُصُورِ الْمُشْرِفَاتِ
الِدَسَاكِرِ: العَرْبِ، الْفَرَى الصَّغِيرَةُ بِمَا فِيهَا مِنْ أَقْنَانِ، الْمُشْرِفَاتِ: الْعَالِيَاتِ

هل فيكم من مُخِيرٍ حيث استقرَّ - قرارُ أرواحِ العظامِ البالياتِ؟
 هل من يخبرني أين استقرت الأرواح التي كانت تلازم الناس بعد موتهم واهترأ عظامهم؟
 فَلَقَلَّمَا لَيْثَ الْعَوَائِدُ بَعْدَكُمْ وَلَقَلَّمَا ذَرَفَتْ عَيُونُ الْبَاكِياتِ
 بعد موتكم لا تمكث العوائد، زائرات المريض، إلا قليلاً، والبكاء عليكم يكون قليلاً

١٩ لا انفلات

أَنَسَاكَ مَحْيَاكَ الْمَمَاتَا فَطَلَبْتَ فِي الدُّنْيَا الثَّبَاتَا
 يَا مَنْ رَأَى أَبَوَيْهِ، فَيَا مَا قَدْ رَأَى، كَانَا قَمَاتَا
 هل فيهما لك عبرة أم خِلْتَ أَنَّ لَكَ انْفِلَاتَا

٢٠ الراح الغادي بيننا

أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أَنْ - الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ
 الحمد لله أن الخطايا ليست بذات رائحة، وإلا كانت رائحتها قتلنا

سَبِصِيرُ الْمَرْءِ يَوْمًا جَسَدًا مَا فِيهِ رُوحُ
 بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ حَيٍّ عَلِمُ الْمَوْتِ يَلُوحُ
 كُلُّنَا فِي غَفْلَةٍ وَالْمَوْتُ يَفْتَدُو وَيَرُوحُ
 نَحْ عَلَى نَفْسِكَ يَا مِسْ كَيْنُ، إِنْ كُنْتَ تَنُوحُ
 لَتَمُوتَنَّ وَإِنْ عُمُّ - رُتْ مَا عُمُّرَ نَوْحُ

٢١ البرهان

أَلَا إِنَّنَا كُلُّنَا بَائِدُ وَأَيُّ بَنِي آدَمَ خَالِدُ
 فَيَا عَجَبًا كَيْفَ بَعْصِي الْإِلَ هَ أَمْ كَيْفَ يَجْهَدُ الْجَا حِدُ
 وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ عَلَيْنَا وَتُسْكِينَةٍ شَاهِدُ
 وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ نَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

آية: برهان

٢٢ السهام الصائبة

الموت لا والدًا يُبْقِي ولا وَلَدًا ولا صغيراً ولا شيخاً ولا أحداً

كَانَ النَّبِيُّ فَلَمْ يَخْلُدْ لِأُمَّتِهِ لَوْ خَلَّدَ اللَّهُ حَيًّا قَبْلَهُ خَلَّدَا
لِلْمَوْتِ فَبِنَا سَهَامٌ غَيْرُ مُخْطِئَةٍ مَنْ قَاتَهُ الْيَوْمَ سَهْمٌ لَمْ يَفْتُهُ غَدَا
مَا ضَرَّ مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا وَغَرَّتْهَا أَلَّا يُنَافِسَ فِيهَا أَهْلَهَا أَبَدَا
غَرَّتْهَا : خَدَاعُهَا

٢٣ كَانَهُمْ مَا كَانُوا

كَأَنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ لَمْ يَسْكُنُوا الدُّ - وَرَّ، وَلَمْ يَخْيَ مِنْهُمْ أَحَدُ
وَلَمْ يَكُونُوا إِلَّا كَهَيْئَتِهِمْ لَمْ يُولَدُوا قَبْلَهَا وَلَمْ يَلِدُوا
يَا نَاسِيَّ الْمَوْتِ وَهَوَ يَذْكُرُهُ هَلْ لَكَ بِالْمَوْتِ إِنْ أَتَاكَ يَدُ
تَبْكِي عَلَى مَنْ مَضَى وَأَنْتَ غَدَا يُوْرِدُكَ الْمَوْتُ فِي الَّذِي وَرَدُوا

٢٤ جِدًّا

مَا أَقْرَبَ الْمَوْتَ جِدًّا أَتَاكَ بِشْتَنْدُ شَدًّا
يَا مَنْ يُرَاحُ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ طَوْرًا وَيُغْدَى
يَرَّاحُ عَلَيْهِ وَيَغْدَى : يُوْتِي مَسَاءً وَصَبَاحًا

هَلْ تَسْتَطِيعُ لِمَا قَدْ مَضَى مِنَ الْعَيْشِ رَدًّا
تَمُوتُ فَزُرْدًا وَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَزُرْدًا

٢٥ لَا تَمُدَّهَا

سُئِلِمُكَ السَّاعَاتُ فِي بَعْضِ مَرَّهَا إِلَى سَاعَةٍ لَا سَاعَةً لَكَ بَعْدَهَا
مَرَّهَا : مَرُورُهَا

مَدَدْتَ الْمُنَى طَوْلًا وَعَرْضًا، وَإِنَّهَا لَتَدْعُوكَ أَنْ تَهْدَا وَأَنْ لَا تَمُدَّهَا
وَمَا لَتْ بِكَ الدُّنْيَا إِلَى اللَّهْوِ وَالصَّبَا وَمَنْ مَالَتْ الدُّنْيَا بِهِ كَانَ عَبْدَهَا
لِنَفْسِكَ قَبْلَ النَّاسِ فَأَعْنِ فَإِنَّهَا تَمُوتُ إِذَا مَاتَتْ وَتُبْعَتْ وَخُدَهَا
فَاعِن : فَكُنْ مَعْنِيًا

٢٦ الْمَتَّبِخِيرِ

يَا أَيُّهَا الْأَشْيَبُ الَّذِي قَدْ حَذَّرَهُ شَيْبُهُ وَأَنْذَرَ

خَذْ مَا صَفَا مِنْ جَمِيعِ أَمْرِ الدُّ - نِيَا وَدَعْ عَنْكَ مَا تَكْذُرُ
وَالطُّفَ لِكُلِّ أَمْرٍ بِرَفَقٍ وَأَقْبَلْ مِنَ النَّاسِ مَا تَيْسَرُ
يَا رَبِّ ذِي أَعْظَمِ رُفَاتٍ كَانَ إِذَا مَا مَشَى تَبَخَّرَ
رفات: محطمة. أي رب صاحب عظام بالية مسجى في قبره، قد كان في حياته يمشي ويتبختر

٢٧ الأنس بالأذى

إِذَا أَنَا لَمْ أَقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ كُلِّ مَا تَكَرَّهْتُ مِنْهُ طَالَ عَتَبِي عَلَى الدَّهْرِ
تَعَوَّدْتُ مَسَّ الضَّرِّ حَتَّى أَلْفَتُهُ وَأُخَوِّجَنِي طَوْلَ الْعَزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ
وَوَسَّعَ صَدْرِي بِالْأَذَى الْأَنْسُ بِالْأَذَى وَقَدْ كُنْتُ أَحْيَانًا يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي
الأنس بالأذى: تعوُّده

وَصَيَّرَنِي يَأْسِي مِنَ النَّاسِ رَاجِيًا لِسُرْعَةِ لُطْفِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أُدْرِي

٢٨ النتيجة.. تعادل

طُوبَى لِمَنْ هَمُّهُ الْمَعَادُ وَمَا أَخْبَرَهُ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ خَبَرِهِ
بورك من اهتم لأمر المعاد، البعث والحساب، واهتم بما أخبره الله من خبر المعاد وكيفيته، فهو
مؤمن مصدق.. كآني أرى أبا العتاهية يقول: ليتني كنت مصدقاً لتفاصيل المعاد

قَدْ يَنْبَغِي لِأَمْرِي رَأْيٌ نَكَبَا بِي الدَّهْرُ أَلَّا يَنَامَ مِنْ حَذَرِهِ
بِقَدْرِ مَا ذَاقَ ذَائِقٌ لَصَفَا ۖ فِي الْمَيْشِ يَوْمًا يَذُوقُ مِنْ كَدَرِهِ
إِذَا تَوَى فِي الْقُبُورِ ذُو خَطَرٍ فَرَزُهُ فِيهَا وَانْظُرْ إِلَى خَطَرِهِ
ذو خطر: ذو نفوذ

مَا أَسْرَعَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي سَمْعِهِ وَفِي بَصَرِهِ
وَفِي خُطَاةٍ وَفِي مَفَاصِلِهِ نَعَمَ وَفِي شَمْرِهِ وَفِي بَشَرِهِ
البشر: البشارة

٢٩ المرارة في القاع

الْمَرْءُ بِأَمَلٍ أَنْ يَمِيَّ شَ وَطَوَّلُ عُمُرٍ قَدْ يَضُرُّهُ
تَفَنَّنِي بِشَاشَتِهِ وَيَبِّ قَى بَعْدَ حُلُوِّ الْمَيْشِ مُرُّهُ

وتخونهُ الأيامُ حتّى - - - لا يرى شيئاً يسُرُّهُ

٣٠ الانقراض

قد أردنا فأبى الله لنا وأراد الله شيئاً فمضى
مضى: حدث

رُبَّ أمرٍ بئْتُ قد أبرمته ثم ما أصبحت حتى انتقضا
رُبَّ عيشٍ لأناسٍ سَلَفُوا كان، ثم انقروا وانقراضا

٣١ من ليس يشبع

ألم تر أن الناسَ في غفلاتِهِمْ وأن المنيا بينَهُمْ تَتَفَقَعُ
أيا بائِي الدنيا! لغيرِكَ تَبْتَنِي ويا جامع الدنيا! لغيرِكَ تَجْمَعُ
أرى المرءَ وثاباً على كلِّ فِرْصَةٍ وللمرءِ، يوماً، لا مَحَالَةَ مَضْرُوعٍ
تبارك مَنْ لا يَمْلِكُ المُلْكُ غَيْرُهُ متى تَنْقُضِي حاجاتُ مَنْ ليس يَشْبَعُ؟
وما هُوَ إِلَّا النُّعْشُ لو قد دَعَوْا بِهِ ثَقُلُ قَتْلَقَى فوقَهُ ثم تُرْفَعُ
وما زِلْتُ أُرْمَى كلَّ يومٍ بِعِبرَةٍ تكادُ لها صُمُّ الجبالِ تَصَدَّعُ
فما بالُ عَيْنِي لا تَجُودُ بِمائها وما بالُ قلبي لا يَرِقُّ وَيَخْشَعُ

٣٢ صعوبة الزهد

قد بَلَوْنَا الناسَ في أخلاقِهِمْ فَرَأَيْنَاهُمْ لِذِي المَالِ تَبَعٌ
بلونا: جربنا

أَحْمَدُ اللهَ على تَقْدِيرِهِ قَدَّرَ الرِّزْقَ فَأَعْطَى وَمَنَعَ
سُئِمْتُ نَفْسِي وَرَعاً تَصُدَّقُهُ فَنَهَاها النُّقْصُ عن ذاكِ الوَرَعِ

سمت نفسي، أي أجبرتها، على الورع وعلى أن تصدق فيه، ولكن النقص الذي جبل عليه الإنسان نهاني عن الورع

فَلِنَفْسِي عِلَلٌ لا تَنْقُضِي وَلَهَا مَكْرٌ لَطِيفٌ وَخِدَعٌ
ولِنَفْسِي غَفَلَاتٌ لَمْ تَزَلْ وَلَهَا بِالشَّيْءِ أَحْيَاناً وَلَعٌ
ولِنَفْسِي حين تُعْطَى فَرَحٌ واضطرابٌ عند مَنعٍ وَجَزَعٌ

٣٣ اليوم الفظيع

حُبِّبَ الْأَكْلُ وَالشَّرَابُ إِلَيْنَا وَبِنَاءِ الْقُصُورِ وَالتَّجْمِيعِ
وَصَنُوفِ اللَّذَاتِ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ وَالْفَنَاءِ مُقْبِلٌ عَلَيْنَا سَرِيعٌ
كُلُّ حَيٍّ سَيَظْعَمُ الْمَوْتَ كُرْهًا ثُمَّ خَلَفَ الْمَمَاتِ يَوْمَ فَظْطِيعِ
يَظْعَمُ: يَأْكُلُ

٣٤ الصراع على الجيفة

أَمَّا بُيُوتُكَ فِي الدُّنْيَا فَوَاسِعَةٌ فَلَبِيتَ قَبْرَكَ بَعْدَ الْمَوْتِ يَتَسَّعُ
مَا لِي أَرَى النَّاسَ لَا تَسْلُو ضَعْفَانِئُهُمْ وَلَا قُلُوبُهُمْ فِي اللَّهِ تَجْتَمِعُ
تَسْلُو ضَعْفَانِئُهُمْ: تَهْمِدُ أَحْقَادَهُمْ وَكَأَنَّهُا نَسِيتَ أَنْ تَظْهَرَ
إِذَا رَأَيْتَ لَهُمْ جَمْعًا تُسَرُّ بِهِ فَإِنَّهُمْ حِينَ تَبْلُو شَأْنَهُمْ شَبِيعُ
حِينَ تَبْلُو: حِينَ تَجْرِبُ، شَبِيعُ: أَحْزَابُ مُتَصَارِعَةٍ

٣٥ الحصاد

حَتَّى مَتَى يَسْتَفِرُّنِي الطَّمَعُ أَلَيْسَ لِي بِالْكَفَافِ مُتَسَّعُ
مَا أَفْضَلَ الصَّبَرَ وَالْقَنَاعَةَ لِلنَّاسِ جَمِيعًا لَوْ أَنَّهُمْ قَنِعُوا
وَأَخَذَعَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِأَقْفِ حَوَامِ أَرَاهُمْ فِي الْعَيِّ قَدْ رَتَعُوا
لِلَّهِ ذُرُّ الدُّنْيَا لَقَدْ لَعِبَتْ قَبْلِي بِقَوْمٍ فَمَا تُرَى صَنَعُوا
بَادُوا وَوَفَّقْتُهُمُ الْأَهْلَةَ مَا كَانَ لَهُمْ وَالْأَيَّامُ وَالْجَمْعُ
بَادُوا وَأَعْطَتْهُمْ الْأَهْلَةُ، جَمَعَ هَلَالُ أَيِّ الشُّهُورِ، وَالْأَيَّامُ وَالْجَمْعُ، أَيُّ الْأَسَابِيعِ، أَعْطَتْهُمْ مَا كَانَ
لَهُمْ مِنْ عَمْرِ وَافِيًا

أَثَرُوا فَلَمْ يُدْخِلُوا قُبُورَهُمْ شَيْئًا مِنَ الثَّرْوَةِ الَّتِي جَمَعُوا
غَدًا تُوَفَّى النُّفُوسُ مَا كَسَبَتْ وَيَحْصُدُ الزَّارِعُونَ مَا زَرَعُوا

٣٦ الترقيع

الْمَرْءُ فِي شَهَوَاتِ عَقْلِيَّةٍ وَالْدَهْرُ يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ
وَمُدَافِعُ لِلشَّيْبِ يَخْضِبُهُ وَالشَّيْبُ نَحْوَ الْمَوْتِ يَدْفَعُهُ
رَبِّ شَخْصٍ يَدْفَعُ الشَّيْبَ بَعِيدًا عَنْهُ بِالْخَضَابِ، الصَّبْغِ، وَالشَّيْبُ يَدْفَعُهُ نَحْوَ نَهَائِهِ

وَالْعَيْشُ كُلُّ جَدِيدِهِ خَلَقَ كُلُّ لَهُ عَيْشٌ يُرَقَّمُهُ
كل شيء يجد في الحياة خلق، ثوب عتيق، وكلنا يرقع عيشته ترقيعاً

٣٧ الطمع هم وغيبظ

طَلَبْتُ الْغِنَى فِي كُلِّ وَجْهِ فَلَمْ أَجِدْ سَبِيلَ الْغِنَى إِلَّا سَبِيلَ التَّعَفُّفِ
إِذَا كُنْتَ لَا تَرْضَى بِشَيْءٍ تَنَالُهُ وَكُنْتَ عَلَى مَا فَاتَ جَمَّ التَّلَهُّفِ
فَلَسْتُ مِنَ الْهَمِّ الْعَرِيضِ بِخَارِجٍ وَلَسْتُ مِنَ الْغَيْظِ الطَّوِيلِ بِمُشْتَفٍ

٣٨ قانون السماحة

أَوْدَى الزَّمَانُ بِأَسْلَافِي وَخَلَّفَنِي وَسَوْفَ يُلْحِقَنِي يَوْمًا بِأَسْلَافِي
لَا تَمْشِ فِي النَّاسِ إِلَّا رَحْمَةً لَهُمْ وَلَا تَعَامِلْهُمْ إِلَّا بِإِنصَافٍ
وَاقْطَعْ قُوَى كُلِّ حَقْدٍ أَنْتَ مُضْمِرُهُ إِنْ زَلَّ ذُو زَلَّةٍ أَوْ إِنْ هَفَا هَافٍ
وَارْعَبْ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا صَلَاحَ لَهُ وَأَوْسِعِ النَّاسَ مِنْ بَرٍّ وَإِلْطَافٍ
ارغب بنفسك، أي ابتعد، عن الأمر الذي لا سبيل إلى إصلاحه

وَإِنْ يَكُنْ أَحَدُ أَوْلَاكَ صَالِحَةً فَكَافِهِ فَوْقَ مَا أَوْلَى بِأَضْعَافٍ
إِنْ أَوْلَاكَ، أعطاك، أحدهم صالحة، معروفاً، فكافته بأضعافها

وَلَا تُكْشِفْ مُسِيئًا عَنْ إِسَاءَتِهِ وَصِلْ جِبَالَ أَخِيكَ الْقَاطِعِ الْجَانِي
مَا أَحْسَنَ الشُّغْلَ فِي تَدْبِيرِ مَنْفَعَةٍ أَهْلُ الْفَرَاغِ ذُو خَوْضٍ وَإِرْجَافٍ
انشغال المرء، جيد في تحصيل المنافع، فأما أهل الفراغ الذين ليس لهم شغل يشغلهم فهو
يخوضون في شؤون الآخرين، ويرجفون، ينشرون الذعر

٣٩ رغم كثرتهم

طَلَبْتُ أَخًا فِي اللَّهِ فِي الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ فَأَعَوَزَنِي، هَذَا عَلَى كَثَرَةِ الْخَلْقِ
فَصِرْتُ وَحِيدًا بَيْنَهُمْ مُتَصَبِّرًا عَلَى الْغَدْرِ مِنْهُمْ وَالْمَلَالَةِ وَالْمَذَقِ
المذق: الغش

وَكَمْ مِنْ أَخٍ قَدْ ذُقْتُه ذَا بَشَاشَةٍ إِذَا سَاعَ فِي عَيْنِي يَعْصُ بِهِ حَلْقِي
وَلَمْ أَرْ كَالدُّنْيَا وَكُشْفِي لِأَهْلِهَا فَمَا انْكَشَفُوا لِي عَنْ وِفَاءٍ وَلَا صِدْقٍ

٤٠ يوم العرق

يَا مَنْ بَنَى الْقَصْرَ فِي الدُّنْيَا وَشَيَّدَهُ أَسَّسَتْ قَصْرَكَ حَيْثُ السَّيْلُ وَالْعَرَقُ
كُلُّ أَمْرٍ لَهُ رِزْقٌ سَيَبْلُغُهُ وَاللَّهُ يَرْزُقُ لَا كَيْفَ وَلَا حُمُقُ

الكيس: الكياسة

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا لَا نَفَادَ لَهُ النَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا لَهُ خُلِقُوا
وَفِي الدِّينِ أَنَّ النَّاسَ خَلَقُوا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ، «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»

مَا أَغْفَلَ النَّاسَ عَنْ يَوْمِ ابْتِعَاثِهِمْ وَيَوْمِ يُلْجِمُهُمْ فِي الْمَوْقِفِ الْعَرَقُ
النَّاسُ غَافِلُونَ عَنْ يَوْمٍ يَبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ لِلْحِسَابِ، وَيَوْمَ يُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ، أَيِ يَسْكُنُهُمْ كَانَهُ
اللَّجَامُ.. فَقَدْ رَوَى بَعْضُهُمْ أَنَّ الْعَصَا يَعْزِقُونَ بِتَفَاوُتِ نَفْثَةٍ مِنْ يَعْزِقُ حَتَّى عَقِيهِ أَوْ حَتَّى رَكْبَتِهِ أَوْ
صَدْرِهِ.. وَثَمَّةٌ مِنْ يَصِلُ الْعَرَقُ إِلَى فَمِهِ فَيُلْجِمُهُ الْإِجَامُ، فِي الْمَوْقِفِ، أَيِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

٤١ أحسنت يا إبليس!

كُلُّ رِزْقٍ أَرْجُوهُ مِنْ مَخْلُوقٍ يَعْتَرِيهِ ضَرْبٌ مِنَ التَّغْوِيْقِ
وَأَنَا قَائِلٌ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ - مِثَالُ الْمَجَازِ لَا التَّحْقِيقِ
لَسْتُ أَرْضَى مِنْ فِعْلِ إبْلِيسَ شَيْئًا غَيْرَ تَرْكِ الشُّجُودِ لِلْمَخْلُوقِ

٤٢ نموذج الحسن

إِنَّ الْمَلِيكَ رَأَى أَحْسَنَ خَلْقِهِ وَرَأَى جَمَالَكَ..
اللَّهُ رَأَى أَحْسَنَ خَلْقِهِ وَرَأَى جَمَالَكَ..

فَحَذَا بِقُدْرَةِ نَفْسِهِ حُورَ الْجِنَانِ عَلَى مِثَالِكَ
فَعَذَا، أَيِ قِصَصِ وَصْنِ، حُورِ الْجِنَانِ مِتْخَذًا إِيَّاكَ شَابِلُونَهُ

٤٣ الباكون المقتسمون

أَتَطْمَعُ أَنْ تُخَلِّدَ لَا أَبَاكَ أَمِنْتُ مِنَ الْمَنِيَةِ أَنْ تَنَالَكَ
أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ لَهَا رَسُولًا وَأَقْسَمُ لَوْ أَنَّكَ لَمَّا أَقَالَكَ
كَأَنِّي بِالتَّرَابِ عَلَيْكَ رَذْمًا وَبِالْبَاكِينَ يَقْتَسِمُونَ مَالَكَ

٤٤ ألوان الكذب

إِيَّاكَ مِنْ كَذِبِ الْكَذُوبِ وَإِفْكِهِ فَلَرُبَّمَا مَزَجَ الْبَقِيْنَ بِشَكِّهِ

وَلَرُبَّمَا ضَحِكَ الْكَذُوبُ تَكَلُّفًا وَبَكَى مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُبْكِهِ
ولربما صمتَ الكذوبُ تَخَلُّفًا وشكا مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُشْكِهِ
ولربما كذبَ امرؤُ بكلامِهِ وبصمته وبكائه وبضحكه

٤٥ الزمان المؤدَّب

الآنَ يا دنيا عرفتُكَ فاذْهَبِي يا دارَ كُلِّ تَشَتُّتٍ وَزَوَالٍ
قَطَّعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ وَحَظَّظْتُ عَنْ ظَهْرِ الْمَطِيِّ رِحَالِي
نطعت جبلَ الأملِ منك، وأنزلت رِحالي ومتاعي عن ظهرِ المطي، أي الأبل، فأنا لا أريد الرحيل
نحوك... أي أنه يريد هجران الدنيا

وَالآنَ صَارَ لِي الزَّمَانُ مُؤَدِّبًا فَعَدَا عَلَيَّ وَرَاحَ بِالْأَمْثَالِ
وَإِذَا تَنَاسَبَتِ الرِّجَالُ فَمَا أَرَى نَسَبًا يُقَاسُ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ
تناسبت الرجال: أخذت تذكر أنسابها

لَلَّهِ يَوْمٌ تَقْشَعُرُ جُلُودُهُمْ وَتَشِيْبُ مِنْهُ ذَوَائِبُ الْأَطْفَالِ
يَوْمُ النِّوَازِلِ وَالزَّلَازِلِ، وَالْحَوَا مَلُ فِيهِ إِذْ يَقْذِفْنَ بِالْأَحْمَالِ
يوم النوازل، أي المصائب، يوم القيامة عندما تسقط الحوامل أجنتها

٤٦ إن اضطررت!

حَيْلُ ابْنِ آدَمَ فِي الْحَيَاةِ كَثِيرَةٌ وَالْمَوْتُ يَقْطَعُ حِيلَةَ الْمُحْتَالِ
قِسْتُ السُّؤَالَ فَكَانَ أَعْظَمَ قِيَمَةً مِنْ كُلِّ عَارِفَةٍ جَرَتْ بِسُؤَالِ
سؤال الناس صعب وهو أعظم من أي عارفة، معروف، تناله بسؤالك

فَإِذَا ابْتُلِيَتْ بِبَذْلِ وَجْهِكَ سَائِلًا فَايْذُلُهُ لِلْمُتَكَرِّمِ الْمِفْضَالِ
وَإِذَا خَشِيَتْ تَعَذُّرًا فِي بَلَدِهِ فَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِعَاجِلِ التَّرْحَالِ

٤٧ الرحيل الرحيل

مَا أَثْقَلَ الْحَقُّ عَلَى مَنْ نَرَى، لَمْ يَزَلِ الْحَقُّ كَرِيهًا ثَقِيلَ
نَزَوَدَنَ لِلْمَوْتِ زَادًا فَقَدَ نَادَى مُنَادِيهِ: الرَّحِيلَ الرَّحِيلَ
مَا أَقْتَلَ الدُّنْيَا لِأَرْوَاجِهَا نَعُدُّهُمْ عَدًّا قَتِيلًا قَتِيلَ

٤٨ تعالى الله

نَعَى نَفْسِي إِلَيَّ مِنَ اللَّيَالِي تَصَرَّفُهُنَّ حَالاً بَعْدَ حَالٍ
فَمَا لِي لَسْتُ مَشْغُولاً بِنَفْسِي وَمَا لِي لَا أَخَافُ الْمَوْتَ مَا لِي
لَقَدْ أَيقَنْتُ أَنَّي غَيْرُ بَاقٍ وَلَكِنِّي أَرَانِي لَا أَبَالِي
سَأَفْنَعُ مَا بَقِيَتْ بِقُوتِ يَوْمٍ وَلَا أَبْغِي مُكَائِرَةً بِمَالِي
المكائرة: التفاوض بالكثرة

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمَ بْنَ عَمْرٍو أَذَلَّ الْحِرْصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ

سلم بن عمرو هو الشاعر الملقب بالخاسر. والحرص: البخل. وقد كان سلم يقول إن أبا العتاهية أشعر الجن والإنس، ثم لما سمع هذا الشعر غضب، وقال: ويلى على ابن الفاعلة الزنديق، زعم أنني حريص، وقد كنز المال، وأنا لا أملك غير ثوبي هذين. ورد سلم بشعر: (ما أقيح التزهيد من واعظ// يزهّد الناس ولا يزهّد) وانحرف عن أبي العتاهية

هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوَاً أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَاكَ إِلَى الزَّوَالِ

هب: افرض، عفواً: بسهولة

٤٩ معاداة الرجال

خَبِرْتُ النَّاسَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ فَلَمْ أَرْ غَيْرَ خَتَالٍ وَقَالِ

قرن: جيل، ختال: غادر، قال: هاجر

وَذُقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ طُرّاً فَمَا طَعَمْتُ أَمْرًا مِنَ السُّؤَالِ
وَلَمْ أَرْ فِي الْأُمُورِ أَشَدَّ وَقْعاً وَأَصْعَبَ مِنْ مُعَادَاةِ الرِّجَالِ
وَلَمْ أَرْ فِي عِيُوبِ النَّاسِ عِيباً كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى الْكَمَالِ

وهذا البيت يشبه بيت المتنبي، فكان المتنبي سرقه. ولكن البيت ليس موجوداً في كل نسخ ديوان أبي العتاهية، أفلا يكون أعداء المتنبي دسوه على أبي العتاهية في نسخة متأخرة ليكون شاهد زور على سرقه لم يرتكبها المتنبي؟

٥٠ سؤال عن الزاد

يَا سَاكِنَ الْقَبْرِ عَنْ قَلِيلٍ مَاذَا تَزَوَّدَتْ لِلرَّحِيلِ

عن قليل: بعد قليل

إِنَّا لَمُسْتَوطِنُونَ دَاراً نَحْنُ بِهَا عَابِرُونَ سَبِيلِ

دَارَ أَذَى لَمْ يَزَلْ عَلِيلٌ يَشْكُو أَذَاهَا إِلَى عَلِيلٍ

٥١ القيل والقال

أَبْقَيْتَ مَالَكَ مِيرَاثاً لِيَوَارِثِهِ فَلَيْتَ شِعْرِي مَا أَبْقَى لَكَ الْمَالُ
الْقَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسْرُهُمْ فَكَيْفَ بَعْدَهُمْ دَارَتْ بِكَ الْحَالُ
مَلُّوا الْبُكَاءَ، فَمَا يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ وَاسْتَحْكَمَ الْقَيْلُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْقَالَ

أنت تتخيل أنهم بعدك سيقتلون أنفسهم بكاءً، وسينسون أن هناك ميراثاً؟ يا مسكين! اقرأ شعر أبي العتاهية

٥٢ لا أرى أحداً

كَمْ مِنْ عَزِيزٍ قَدْ رَأَيْتُ الْحَرَصَ صَيَّرَهُ ذَلِيلًا
فَتَجَنَّبَ الشَّهَوَاتِ وَاحِدٌ لَذَرَ أَنْ تَكُونَ لَهَا قَتِيلًا
فَلَرُبَّ شَهْوَةٍ سَاعَةٍ قَدْ أَوْرَثَتْ حُزناً طَوِيلًا
مَنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مُنْصَفَاً فِي الْوَدِّ، فَاغْبِ بِهِ بَدِيلًا
كَشَفْتُ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ لِي، وَذُقْتُهُمْ جِيلاً فَجِيلًا
إِضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ فَلَا تَرَى إِلَّا بِخِيلًا

٥٣ السراب

يَجْرِي الْجَدِيدَانِ وَالْأَقْدَارُ بَيْنَهُمَا تَغْدُو وَتَسْرِي بِأَرْزَاقٍ وَأَجَالٍ
الجدیدان: الليل والنهار، أي الزمن. والأقدار تغدو صباحاً وتسري ليلاً ضمن الزمن فتوزع الرزق والموت أيضاً

يَا مَنْ سَلَ عَنْ حَبِيبٍ بَعْدَ غَيْبَتِهِ كَمْ بَعْدَ مَوْتِكَ مِنْ نَاسٍ وَمِنْ سَالٍ
كَأَنَّ كُلَّ نَعِيمٍ أَنْتَ ذَائِقُهُ مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ يَحْكِي لَمَعَةَ الْآلِ

الآل: السراب

٥٤ الحرام ألدُّ

أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ إِنَّمَا الدُّنْيَا كَفَيَّ الظَّلَالِ
رُبَّ مُغْتَرِّبٍ بِهَا قَدْ رَأَيْنَا نَعَشَهُ فَوْقَ رِقَابِ الرِّجَالِ
عَجَباً مِنْ رَاغِبٍ فِي حَرَامٍ لَمْ تَضِقْ عَنْهُ وَجْوهُ الْحَلَالِ

٥٥ القليل مع الكرامة

أَتَدْرِي أَيُّ ذُلٍّ فِي السُّؤَالِ وَفِي بَذْلِ الْوَجْهِ إِلَى الرِّجَالِ
إِذَا كَانَ النَّوَالُ بِبَذْلِ وَجْهِ فَلَا قُرْبَتْ مِنْ ذَاكَ النَّوَالِ
مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ خُلُقٍ دَنِيٍّ يَكُونُ الْفَضْلُ فِيهِ عَلَيَّ لَا لِي
إِذَا كَانَ الْقَلِيلُ يَسُدُّ فَقْرِي وَلَمْ أَجِدِ الْكَثِيرَ فَلَا أَبَالِي

٥٦ مجيء الغاسل بعد استرخاء المفاصل

وَكَمْ قَدْ عَزَّ مِنْ مَلِكٍ يَحُفُّ بِهِ قَنَابِلُهُ
قنابله: جماعات من خيوله

يَخَافُ النَّاسُ صَوْلَتَهُ وَيُرْجَى مِنْهُ نَائِلُهُ
وَيُثْنِي عِظْفُهُ مَرَحاً وَتُعْجِبُهُ شَمَائِلُهُ
فَلَمَّا أَنْ أَتَاهُ الْحَقُّ - وَلَّى عَنْهُ بَاطِلُهُ
فَعَمَّضَ عَيْنَهُ لِلْمَوْتِ وَاسْتَرْخَتْ مَفَاصِلُهُ
فَمَا لَبِثَ السِّيَاقُ بِهِ إِلَى أَنْ جَاءَ غَاسِلُهُ
السِّيَاقُ: الاحتضار... ما طال احتضاره حتى مات وجاء من يغسله

٥٧ الخلاصة الزهدية

رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي بِفِكْرِي لَعَلَّهَا تُفَارِقُ مَا قَدْ عَرَّهَا وَأَذَلَّهَا
فَقُلْتُ لَهَا يَا نَفْسِ مَا كُنْتَ آخِذاً مِنَ الْأَرْضِ لَوْ أَصْبَحْتَ أَمْلِكُ كُلَّهَا؟
فَهَلْ هِيَ إِلَّا شَبَعَةٌ بَعْدَ جَوْعَةٍ وَإِلَّا مُنَى قَدْ حَانَ لِي أَنْ أَمْلُهَا
وَمُدَّةٌ وَقْتُ لَمْ يَدْعُ مَرُّ مَا مَضَى عَلَيَّ مِنَ الْأَيَّامِ إِلَّا أَقْلُهَا
أَرَى لَكَ نَفْساً تَبْتَغِي أَنْ تُعِزَّهَا وَلَسْتُ تُعِزُّ النَّفْسَ حَتَّى تُذِلَّهَا

٥٨ غضب وغضب

إِذَا غَضِبَ الْحَلِيمُ فَفِرَّ عَنْهُ وَإِنْ غَضِبَ اللَّئِيمُ فَلَا تُبَالِهِ
وَلَمْ تَرَ مُثْنِيّاً أَتْنَى عَلَى ذِي فِعَالٍ قَطُّ أَفْصَحَ مِنْ فِعَالِهِ
وَأَسْرَعُ مَا يَكُونُ الشَّيْءُ نَقْصاً فَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ إِلَى كَمَالِهِ

٥٩ سنة محمد

أهلاً وسهلاً بِالْمَشِيبِ مُؤَدِّباً وعلى الشبابِ تحيةً وسلاماً
ولقد غَنِيَتْ مِنَ الشَّبابِ بِغِطَّةٍ ولقد كَسَاكَ وَقَارُهُ الْإِسْلَامُ
ومحمدٌ لَكَ إِن سَلَكَتْ سَبِيلَهُ في كلِّ خيرٍ قَائِدٌ وَإِمَامُ
ما كُلُّ شَيْءٍ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ إِلَّا وَقَدْ جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ
أي كل ما حدث أو سيحدث إنما هو مرقوم في اللوح المحفوظ قد كتب وجفت به الأقلام

٦٠ موعدا القيامة

أَمَّا وَاللَّهِ إِن الظَّلَمَ لَوُمٌ وما زالَ المُسِيءُ هُوَ الظُّلُومُ
لوم: لؤم

إلى دَيَّانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمْضِي وعندَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
سَتَعْلَمُ فِي الْحَسَابِ إِذَا التَّقِينَا غداً عندَ الْإِلَهِ مِنَ الْمَلُومُ

٦١ شرط الصبحة

أَيَا مَنْ بَيْنَ بَاطِيَةٍ وَدَنٍّ وَعُودٍ فِي يَدَيَّ عَاوٍ مُغَنٍّ
يا من يقضي وقته بين باطية، وعاء خمر، ودن، خاية خمر كبيرة، وعود في يدي مغنٍ ضال
إِذَا لَمْ تَنْهَ نَفْسَكَ عَنْ هَوَاهَا وَتُحْسِنَ صَوْنَهَا، فَلَيْلِكَ عَنِّي
إليك عني: ابتعد عني

وَأَيُّ قَبِيحٍ أَفْبَحُ مِنْ لَبِيبٍ يُرَى مُتَطَرِّباً فِي مِثْلِ سِنِّي

٦٢ شكوى

فَيَا رَبَّ إِنَّ النَّاسَ لَا يُنْصِفُونَنِي وكيف، ولو أَنْصَفْتُهُمْ ظَلَمُونِي
وإن كان لي شيءٌ تَصَدَّقُوا لِأَخِيهِ وإن جِئْتُ أَبْغِي شَيْئَهُمْ مَنَعُونِي
وإن نَالَهُمْ رِفْدِي فَلَا شُكْرَ عِنْدَهُمْ وإن أنا لَمْ أَبْذُلْ لَهُمْ شَتْمُونِي
وإن وَجَدُوا عِنْدِي رَحَاءً تَقَرَّبُوا وإن نَزَلْتُ بِي شِدَّةً خَذَلُونِي
وإن طَرَقْتَنِي نَكْبَةً فَكُفُّوا بِهَا وإن صَحِبْتَنِي نِعْمَةً حَسَدُونِي
سَأَمْنَعُ قَلْبِي أَنْ يَجَنَّ إِلَيْهِمْ وَأُحْجِبُ عَنْهُمْ نَاطِرِي وَجُفُونِي

٦٣ السجون

يا ليت شعري إذا ما دُفِنْتَ كَيْفَ تَكُونُ
 إن القُبُورَ سُجُونٌ ما مِثْلُهُنَّ سُجُونُ
 ما في المقابرِ وَجْهٌ عن التُّرابِ مَضُونُ
 لا تدفعُ الموتَ عَمَّنْ حَلَّ الحُصُونُ الحُصُونُ
 الحصون لا تمنع الموت أن ينزل بمن حلها

ما لِلْمَنايَا سُكُونٌ عَنَّا، وَنَحْنُ سُكُونُ
 ليس للموت سكون، ونحن عنه سكون، أي ساكنون ساكنون

٦٤ انعدام الوفاء

يا خليلي لا أَذُمُّ زَماني غيرَ أَنِّي أَذُمُّ أَهْلَ زَماني
 لستُ أَخْصي كم مِنْ أخ كان لي مند هُمْ قَليلَ الوفاءِ حُلُوَ اللِّسانِ
 لم أَجِدْهُ مُؤاتِياً فَتَصَدَّقْ تَ بِحَظِّي مِنْهُ على الشَّيْطانِ
 ليت حَظِّي مِنْهُ وَمِنْ مِثْلِهِ أَنْ لا تَراه عَيْنِي وَأَنْ لا يَرائي

٦٥ مودة بميزان الذهب

لِلَّهِ دَرُّ أَسِيكَ أَيُّ زَمَانٍ أَصْبَحْتَ فِيهِ وَأَيُّ أَهْلِ زَمَانٍ
 كُلُّ يَوازِنِكَ المَوَدَّةُ دائِباً يُعْطِي وَيَأْخُذُ مِنْكَ بِالمِيزانِ
 فإذا رَأى رُجْحانَ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مَالَتْ مَوَدَّتُهُ مَعَ الرُّجْحانِ

وقال مثلاً: «كل شيء قرضه ودين، حتى دموع العينين». والمعنى عند شاعرنا أدق، فبعض خلق الله يضمن عليك بالكلمة الطيبة

٦٦ دعاء

إِلَهي لا تُعَذِّبْني فَإِنِّي مُقِرٌّ بِالذي قد كان مِنِّي
 وَمَا لِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجائي وَعَفوكَ إن عَفوتَ وَحُسْنَ ظَنِّي
 فكم مِنْ زَلَّةٍ لِي في البَرايا وَأَنْتَ عَلَيَّ ذو فَضْلٍ وَمَنْ
 إذا فَكَرْتُ في نَدَمي عَلَيْها عَضَضْتُ أَنامِلي وَقَرَعْتُ سِنِّي
 يَظُنُّ النَاسُ بي خَيْراً وَإِنِّي لَشَرُّ النَاسِ إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي

٦٧ أريدك للدنيا

أما عَلِمْتَ جَزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً وَزَادَكَ اللَّهُ خَيْرًا يَا «ابْنَ يَقْطِينِ»
 أَنِّي أُرِيدُكَ لِلدُّنْيَا وَعَاجِلِهَا وَلَا أُرِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ لِلدِّينِ
 حَتَّى مَتَى، لَيْتَ شِعْرِي، يَا ابْنَ يَقْطِينِ أَتُنِي عَلَيْكَ بِشَيْءٍ لَسْتُ تُؤَلِّينِي؟
 حَتَّى مَتَى أَتُنِي عَلَيْكَ بِالسَّخَاءِ وَأَنْتَ لَا تُؤَلِّينِي، تَمْنَحُنِي، مِنْ هَذَا الَّذِي أَتُنِي عَلَيْكَ بِهِ شَيْئًا؟
 إِنْ السَّلَامَ وَإِنْ الْبِشْرَ مِنْ رَجُلٍ فِي مِثْلِ مَا أَنْتَ فِيهِ لَيْسَ يَكْفِينِي
 السَّلَامَ وَالْبِشَاةَ مِنْ رَجُلٍ فِي مَرْكَزِكَ لَا يَكْفِيَانِ، فَلَا بَدَ مِنْ عَطَاءِ

٦٨ كأنك لم تكن

يَا أَيُّهَا الْمُتَسَمِّنُ قُلْ لِي لِمَنْ تَتَسَمَّنُ
 وَغَدًا تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ رِمْحَانًا وَمُكَفَّنُ
 أَحَدْتُ لِرَبِّكَ تَوْبَةً فَسَبِيلُهَا لَكَ مَمَكُنُ
 فَكَأَنَّ شَخْصَكَ لَمْ يَكُنْ فِي النَّاسِ سَاعَةً تُدْفَنُ
 عند دفنك تصيح كأنك لم تكن موجوداً أصلاً

وَكَأَنَّ أَهْلَكَ قَدْ بَكَّوْا جَزَعًا عَلَيْكَ وَرَنُّوْا
 رَنُّوْا: نَاحُوا

فَإِذَا مَضَتْ لَكَ جُمُعَةٌ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَحْزَنُوا
 النَّاسُ فِي غَفْلَاتِهِمْ وَرَحَى الْمَنْبِيَّةِ تَطْحَنُ
 الرحى: حجر الطاحون

٦٩ العزيز والذليل

مَا أَنَا إِلَّا لِمَنْ بَغَانِي أَرَى خَلِيلِي كَمَا يَرَانِي
 لَسْتُ أَرَى مَا مَلَكَتْ طَرْفِي مَكَانَ مَنْ لَا يَرَى مَكَانِي
 لن أرى - ما دمت أملك عينين - مكاناً واحتراماً لمن لا يرى لي مثل هذا
 وَلِسِي إِلَيَّ أَنْ أُمُوتَ رِزْقُ لَوْ جَهْدَ الْخَلْقِ مَا عَدَانِي
 ما عداني: ما تعدّاني وتخطّاني

لَا تَرْتَجِ الْخَيْرَ عِنْدَ مَنْ لَا يَصْلُحُ إِلَّا عَلَى الْهَوَانِ

لا خير في شخص لا يستقيم حاله إلا إذا أمين وتعرض للتوبيخ والتأنيب. بعض الناس «يسمون على الإهانة» كما يقول المثل في بلدي. الواقع أن بعض الناس لا يتقبلون احترامك لهم، ويفضلون أن تعاملهم بترفع، فهذا يعفيهم من المسؤولية.. هذا اختيار. هناك ناس هكذا بالطبع أو بالتربية. وأبو العتاهية يحذرننا من التماس الخير عند هؤلاء

فَالْمَالُ مِنْ حِلِّهِ قَوَامٌ لِلْعِرْضِ وَالْوَجْهِ وَاللِّسَانِ

من حله: من موضع يكون فيه حلالاً.. فالمال يقيم الشرف، وبقي المرء بذل وجهه، وبقي لسانه السؤال

وَالْفَقْرُ ذُلٌّ عَلَيْهِ بَابٌ مِفْتَاحُهُ الْعَجْزُ وَالتَّوَانِي

يَا رَبِّ لَمْ نُبِكَ مِنْ زَمَانٍ إِلَّا بَكَيْنَا عَلَى زَمَانٍ

كلما بكينا من قسوة الزمن الحاضر بكينا أسفاً على زمن ماضٍ كان أفضل

٧٠ علامة الضياع

إِنْ كَانَ عِلْمُ امْرِئٍ فِي طَوْلِ تَجَرِبَةٍ فَإِنَّ دُونَ الَّذِي جَرَّبَتْ يَكْفِينِي

وَمِنْ عَلَامَةِ تَضْيِيعِي لِأَخِرَتِي أَنْ صِرْتُ تُغْضِبُنِي الدُّنْيَا وَتُرْضِينِي

يَا مَنْ تَشَرَّفَ بِالدُّنْيَا وَطَيَّبَتْهَا لَيْسَ التَّشَرُّفُ رَفَعَ الطِّينَ بِالطِّينِ

من أصبح شريف القدر بما نال من خير الدنيا الذي هو طين فهذا ليس الشرف الحقيقي لأن الإنسان مخلوق من طين، فالطين لا يرفع قدر الطين

إِذَا أُرِدْتَ شَرِيفَ النَّاسِ كُلُّهُمْ فَانْظُرْ إِلَى مَلِكٍ فِي زِيٍّ مَسْكِينٍ

وَذَاكَ الَّذِي عَظُمَتْ فِي اللَّهِ حُرْمَتُهُ وَذَاكَ يَصْلُحُ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ

٧١ الناس مع الواقع

مَا النَّاسُ إِلَّا لِلْكَثِيرِ الْمَالِ أَوْ لِمُسَلَّطٍ مَا دَامَ فِي سُلْطَانِهِ

فَإِذَا الزَّمَانُ رَمَى الْفَتَى بِمُلْكِهِ كَانَ الثُّقَاتُ عَلَيْهِ مِنْ أَعْوَانِهِ

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لَا تُلَايِمُ كُلَّ مَنْ أَلْقَى إِلَيْكَ تَلْهُفًا بِلِسَانِهِ

وَإِذَا تَوَانَى عَنْ صِيَانَةِ نَفْسِهِ رَجُلٌ تَنْقُصَ وَاسْتُخِفَّ بِشَانِهِ

٧٢ الفضة والذهب

وَاعِمِدْ إِلَى صِدْقِ الْحَدِيدِ ثِ فَإِنَّهُ أَرْكَى فُنُونِهِ

والصمْتُ أَجْمَلُ بِالْفَتَى مِنْ مَنْطِقِي فِي غَيْرِ حِينِهِ
لا خَيْرَ فِي حَشْوِ الْكَلَا م إِذَا اهْتَدَيْتَ إِلَى عُيُونِهِ

٧٣ سيستكملونها

أَلَا رَبُّ آمَالٍ إِذَا قِيلَ قَدْ دَنَتْ رَأَيْتَ صُرُوفَ الدَّهْرِ قَدْ حُلْنَ دُونَهَا
لَعَمْرُكَ مَا تَنْفُكُ تُهْدِي جِنَازَةً إِلَى عَسْكَرِ الْأَمْوَاتِ حَتَّى تَكُونَهَا
ذَوِي الْوُدِّ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ عَلَيْكُمْ سَلَامٌ، أَمَا مِنْ دَعْوَةٍ تَسْمَعُونَهَا
سَكَنْتُمْ ظُهُورَ الْأَرْضِ حِينًا يَنْضَرَّةً فَمَا لَبِثْتَ حَتَّى سَكَنْتُمْ بُطُونَهَا
وَلِلنَّاسِ أَجَالٌ قِصَارٌ سَتَنْقُضِي وَلِلنَّاسِ أَرْزَاقٌ سَيَسْتَكْمِلُونَهَا

٧٤ الاستغناء

أَرَى الدُّنْيَا لِمَنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ عَذَابًا كُلَّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ
تُهَيِّنُ الْمُكْرِمِينَ لَهَا بِصُغْرِ وَتُكْرِمُ كُلَّ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ
إِذَا اسْتَفْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ قَدَعَهُ وَخُذْ مَا أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ

٧٥ اللعبة يريد بها الطفل

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ رَبُّ أَمْرِي حَتْفُهُ فِيمَا تَمَنَّاهُ
مَا أَقْرَبَ الْمَوْتَ فِي الدُّنْيَا وَأَفْطَعَهُ وَمَا أَمَرَّ جَنَى الدُّنْيَا وَأَخْلَاهُ
كَمْ نَافَسَ الْمَرْءُ فِي شَيْءٍ وَكَأَيْدٍ فِيهِ هِ النَّاسِ ثُمَّ مَضَى عَنْهُ وَخَلَّاهُ

٧٦ أهزوجة الاحتضار

وَإِذَا أَفْنَى سِنِيهِ إِلَى مَرءٍ أَفْنَتْهُ سِنُوهُ
وَكَاَنَّ بِالْمَرءِ قَدْ يَبَى كَيْ عَلَيْهِ أَقْرَبُوهُ
وَكَاَنَّ بِالْقَوْمِ قَدْ قَا مُوَا فَقَالُوا أَذْرِكُوهُ
سَائِلُوهُ كُلُّمُوهُ حَرِّكُوهُ لَقِّنُوهُ
فَإِذَا اسْتَيْبَسَ مِنْهُ إِلَى قَوْمٍ قَالُوا حَرِّفُوهُ

حرفوه: أميلوه ووجهوه إلى القبلة فيموت على هذه الهيئة

حَرَّفُوهُ وَجَّهُوهُ مَدَّدُوهُ غَمَّضُوهُ
عَجَّلُوهُ لِسْرَحِيل عَجَّلُوا لَا تَخْبِسُوهُ
أَرْفَعُوهُ غَسَّلُوهُ كَفَّنُوهُ حَنَّطُوهُ
فَإِذَا مَا لُفَّ بِالْأَكْ فَمِنْ قَالُوا فَأَخْمِلُوهُ
أَخْرِجُوهُ فَوْقَ أَعْوَا دِ الْمَمْنَايَا شَيِّفُوهُ
فَإِذَا صَلُّوا عَلَيْهِ قَبِلَ هَاتُوا وَاقْبُرُوهُ
فَإِذَا مَا اسْتَوْدَعُوهُ أَرْضَ رَهْنًا تَرْكُوهُ
خَلَّفُوهُ تَحْتَ رَذَمٍ أَوْقَرُوهُ أَثَقَّلُوهُ
أَوْقَرُوهُ: أَثَقَّلُوهُ

أُبِعَدُوهُ أَسْحَقُوهُ أَوْحَدُوهُ أَفَرَّدُوهُ
أَسْحَقُوهُ: عَمَّقُوا لَهُ

وَدَّعُوهُ فَارْقُوهُ أَسْلَمُوهُ خَلَّفُوهُ
وَأَثْنُوا عَنْهُ وَخَلُّو هُ كَأَنْ لَمْ يَمُرُّوهُ
يُكْرَمُ الْمَرْءُ، وَإِنْ أَمَّ لَمَقَ أَقْصَاهُ بَنُوهُ
أَمَلَقَ: افْتَقَرَ

لَوْ رَأَى النَّاسُ نَبِيًّا سَائِلًا مَا وَصَلُوهُ
وَهُمْ لَوَطَمُوا فِي زَادِ كَلْبٍ أَكَلُوهُ
أَفْضَلُ الْمَعْرُوفِ مَا لَمْ تُبَدَّلْ فِيهِ الْوُجُوهُ
أَنْتَ مَا اسْتَفْنَيْتَ عَنْ صَا حِبِّكَ الدَّمَرُ أَخُوهُ
فَإِذَا احْتَجَّجْتَ إِلَيْهِ سَاعَةً مَجَّكَ فُوهُ

مجك: لفظك. القصيدة فيها تكرار يليق بالموقف. فالرجل في موقف تخويف ونفطع وإرهاب وتحذير وحسرة قابضة للقلب. وهو يترنم بهذه الألفاظ مثلما تترنم النكلى بلحن سريع فيه فرح وهي تندب، والنادبات قد يقطن كلاماً أبي العتاهية يصفن فيه الميت. سمعت نائحة تنوح على ميت كان في الصباح قد طلب مبرة يبري بها قلماً. ثم مات. ففعدت النائحة تقول كلاماً سخيلاً عن المبرة والقلم في لحن سريع فرح. وظننت هذا مما لا يجوز إلى أن سمعت الشيخ إمام يندب غيفارا في مقطع «عيني عليه ساعة القضا من غير رفاقة تودعه» فإذا هو يصنع صنعها في لحنه

٧٧ يوميات زاهد

رَغِيفٌ خَبَزَ بِابَسٍ تَأْكُلُهُ فِي زَاوِيَةٍ
وَكَوْزٌ مَاءٍ بَارِدٍ تَشْرِبُهُ مِنْ صَافِيَةٍ
وَعُرْقَةٌ ضَيِّقَةٌ نَفْسُكَ فِيهَا خَالِيَةٌ
أَوْ مَسْجِدٌ بِمَغْزِلٍ عَنِ الْوَرَى فِي نَاحِيَةٍ
تَذْرُسُ فِيهِ دَفْتَرًا مُسْتَنَدًا لِسَارِيَةٍ
مُغْتَبِرًا بِمَا مَضَى مِنَ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ
خَيْرٌ مِنَ السَّاعَاتِ فِي فَيِّءِ الْقُصُورِ الْعَالِيَةِ
فَاسْمَعْ لِنُضْحِ مُشْفِقٍ يُدْعَى أَبَا الْعَتَاهِيَةِ

٧٨ أرجوزة «ذات الأمثال»

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى تَقْدِيرِهِ وَحُسْنِ مَا صَرَّفَ مِنْ أُمُورِهِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ بِحَسَنِ صُنْعِهِ شُكْرًا عَلَى إِعْطَائِهِ وَمَنْعِهِ
حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ الْقُوَّةُ مَا أَكْثَرَ الْقُوَّةَ لِمَنْ يَمُوتُ
إِنْ كَانَ لَا يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَ فَكُلْ مَا فِي الْأَرْضِ لَا يُغْنِيكَ

يغنيك : يقنعك

الْفَقْرُ فِيمَا جَاوَزَ الْكَفَافَا مَنْ عَرَفَ اللَّهَ رَجَا وَخَافَا
اللَّهُ حَسْبِي فِي جَمِيعِ أُمُورِي بِهِ غَنَائِي وَإِلَيْهِ فَقْرِي
لَنْ تُصْلِحَ النَّاسَ وَأَنْتَ فَاسِدٌ هَبْهَاتَ مَا أَبْعَدَ مَا تُكَابِدُ
لِكُلِّ مَا يُؤْذِي وَإِنْ قَلَّ أَلَمٌ مَا أَطَوَّلَ اللَّيْلَ عَلَى مَنْ لَمْ يَنْمُ
مَنْ جَعَلَ النَّوْمَ عَيْنًا هَلَكَا مُبْلِغَكَ الشَّرَّ كَبَاغِيَهُ لَكَا
الْمَكْرُ وَالْخَبُّ أَذَاهُ الْغَادِرِ وَالْكَذِبُ الْمَخْضُ سِلَاحُ الْفَاجِرِ
أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ أُمُورِي كُلَّهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ رَبِّي لَهَا فَمَنْ لَهَا؟
مَا عَيْشٌ مَنْ أَفْتَهُ بِقَاوُهُ نَعَصَ عَيْشًا طَيِّبًا فَنَاوُهُ
إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَةٍ

الجدّة : الغنى، فمن «وجد» المال فهو ذو «جدّة»

يَا لِلشَّبَابِ، المَرْحِ، التَّصَابِي
 كان الجاحظ يترنم بهذا البيت. تجسر على الشباب وعلى المرح وعلى التصابي، أي اللهو

هِيَ المَقَادِيرُ فَلَمَنِي أَوْ قَدَرُ
 إِنْ الفَسَادَ ضِدَّهُ الصَّلَاحُ
 مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغِيبُ
 لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدِنٌ وَجَوْهَرُ
 مَنْ لَكَ بِالمَحْضِ وَلَيْسَ مَحْضُ
 يَخْبُثُ بَعْضُ وَيَطْيِبُ بَعْضُ

المحض: الصافي. . . والصابي من كل شيء غير موجود، لا من بشر ولا من أشياء

إِنَّكَ لَوْ تَسْتَنَشِيقُ الشَّحِيحَا
 يَا عاشقَ الدنيا تَسَلَّ عَنْهَا
 وَلِلمَوْتِ بِي جِدٌّ وَأَيُّ جِدٍّ
 أفلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ تَفَكُّرُ
 وَجِدَّتْهُ أَنْتَنَ شَيْءٍ رِيحَا
 وَيَلِي عَلَى الدنيا وَيُلِي مِنْهَا
 وَلَسْتُ لِلْمَوْتِ بِمُسْتَعِدٍّ
 مَا كُلُّ ذِي عَيْشٍ يَرَى مَا يُبْصِرُ

ذي عيش: إنسان

مَا انْتَفَعَ المرءُ بِمَثَلِ عَقْلِهِ
 نَطْلُبُ أَنْ نَبْقَى وَلَيْسَ نَبْقَى
 لَا تَبْغِ مَا يُجْزِيكَ مِنْهُ دُونَهُ
 وَإِنْ رَأَيْتَ النَّاسَ يَطْلُبُونَهُ
 وَخَيْرُ ذُخْرِ المرءِ حُسْنُ فِعْلِهِ
 كُلُّ سَيَلَقَى اللّهَ حَقًّا حَقًّا
 وَنَطْلُبُ أَنْ نَبْقَى وَلَيْسَ نَبْقَى

بجزيك: أي يجزئك أي يعوضك. والمعنى: لا تطلب شيئاً يعوضك عنه شيء أقل منه، واكتف بالموجود ما دام يسد الحاجة

مَا زَالَتِ الدُّنْيَا لَنَا دَارَ أَذَى
 لَيْسَلَمَ النَّاسُ جَمِيعاً مِنْكَ
 يَا رَبِّ أَشْعِدْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي
 قَدِّمَ لِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ قَدِّمَ
 لَا سَعَةَ أَوْسَعُ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ
 أَسْلَمَ مَقْبُوراً مُشَبِّعُوهُ
 سَاعَةً سَوَوْا تُرْبَهُ عَلَيْهِ
 خَلَا أَخُ عَنْكَ فَلَا تُخَلِّه
 مَمْرُوجَةً الصَّفْوِ بِأَلْوَانِ القَدَى
 وَارْضَ لَعَلَّ اللّهَ يَرْضَى عَنْكَ
 وَلَا تُهِنِّي بَعْدَ إِذْ أَكْرَمْتَنِي
 أَفْ وَتُفَّ لِعَبِيدِ الدُّرْهِمِ
 مَنْ اعْتَدَى تَاءَ وَمَنْ تَاءَ حَمَقُ
 أَنْصَرُّوا عَنْهُ وَخَلَّفُوهُ
 وَلَوْ وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ
 مَنْ لَكَ يَوْمًا بِأَخِيكَ كُلَّهُ

*** تكملة الديوان/ غير الزهد/ ولا يخلو المقبل من زهد وأكفان.. هذا

أبو العتاهية ***

٧٩ استراق البكاء

مَنْ لَمْ يَذُقْ حُرَقَ الْهَوَى لَمْ يَذُرْ مَا جَهْدُ الْبَلَاءِ
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ لِي أَسَا رِقُّهُ الْبُكَاءِ مِنَ الْحَيَاءِ
فَإِذَا تَفَطَّنَ لَأَمْنِي فَأَقُولُ مَا بِي مِنْ بُكَاءِ
لَكِنْ ذَهَبْتُ لِأَرْتَدِي فَطَرَفْتُ عَيْنِي بِالرَّدَاءِ
حَتَّى أَشْكَّكَ فَيَسُ كُتَّ عَنْ مَلَامِي وَالْمِرَاءِ

المراء: المجادلة

٨٠ قطع السحاب

بمدح الرشيد وقد فتح هرقله:

أَلَا نَادَتْ هَرْقَلَةَ بِالْخَرَابِ مِنَ الْمَلِكِ الْمُؤَفَّقِ لِلصَّوَابِ
هرقله: مدينة في بلاد الروم غزاها الرشيد وخربها بعد قصته مع نفقور قائد الروم

غدا هَارُونُ يُرْعِدُ بِالْمَنَايَا وَيُبْرِقُ بِالْمُذَكَّرَةِ الْقِضَابِ
المذكرة القضااب: السيف

وَرَايَاتٍ يَحِلُّ النَّصْرُ فِيهَا تَمُرُّ كَأَنَّهَا قِطْعُ السَّحَابِ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَفِرَتْ فَاسْلَمَ وَأَبْشُرُ بِالْغَنِيمَةِ وَالْإِيَابِ

٨١ تستعطف قاتل ابنها

قال على لسان زبيدة يخاطب المأمون، وكان المأمون قتل الخليفة محمد الأمين
أخاه لأبيه وابن زبيدة:

أَصَابَتْ بِرَبِّ الدَّهْرِ مَنِّي يَدِي يَدِي فَسَلَّمْتُ لِلْأَقْدَارِ، وَاللَّهْ أَحْمَدُ
وَقُلْتُ لِرَبِّ الدَّهْرِ إِنْ هَلَكْتُ يَدٌ فَقَدْ بَقِيَتْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لِي يَدٌ

إِذَا بَقِيَ الْمَأْمُونُ لِيْ فَالرَّشِيدُ لِيْ وَلِيْ جَعْفَرٌ لَمْ يُفْقَدْ، وَمُحَمَّدٌ
بِقَاؤِكَ أَيُّهَا الْمَأْمُونُ يَجْعَلُنِي أَشْعَرُ أَنْ أَبَاكَ الرَّشِيدُ بَقِيَ لِيْ وَبَقِيَ لِيْ جَعْفَرُ أَبِي وَمُحَمَّدُ ابْنِي . كَذَا
نَسَاءُ الْقُصُورِ اللَّائِي عَرَفْنَ طَعْمَ السُّلْطَانِ . . هَذِهِ سَيِّدَةُ هَاشِمِيَّةٌ جَلِيلَةٌ، أَبُوهَا جَعْفَرُ بْنُ الْمَنْصُورِ
وَزَوْجُهَا هَارُونُ الرَّشِيدُ وَابْنُهَا مُحَمَّدُ الْأَمِينُ الْخَلِيفَةُ الَّذِي قَتَلَهُ أَخُوهُ الْمَأْمُونُ . وَبَعْدَ مَقْتَلِ ابْنِهَا
وَجَدَتْ جَفَاءً مِنَ الْخَلِيفَةِ الْجَدِيدِ - ابْنِ ضَرَّتْهَا الْمَأْمُونُ - فَبَعَثَتْ إِلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةِ أَنْ يَرْقُقَ قَلْبَهُ
بِشَعْرِ، فَكَانَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ . وَسَمِعَهَا الْمَأْمُونُ فَدَخَلَ عَلَى زَيْبَةَ وَقَبَلَ رَأْسَهَا وَعَظَفَ عَلَيْهَا

٨٢ استعطاف السجين

يَا رَشِيدَ الْأَمْرِ أَرْشِدْنِي إِلَى وَجْهِ نُجْجِي لَا عَدِمْتَ الرَّشْدَا
أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ الرَّشِيدُ، الَّذِي أَمُورُهُ رَشِيدَةٌ، أَرْشِدْنِي إِلَى وَجْهِ نَجْجِي، طَرِيقَ خِلَاصِي
لَا أَرَاكَ إِلَّا سُوْءًا أَبَدًا مَا رَأْتُ مِثْلَكَ عَيْنٌ أَحَدًا
وَابِلَائِي مِنْ دَعَاوَى أَمَلٍ كُلَّمَا قَلْتُ تَدَانِي بَعْدَا
يَا لِلْبَلَاءِ مِنْ أَمَلٍ يَدْعُونِي إِلَيْهِ فَأَقُولُ قَدْ دَنَا الْإِفْرَاجُ، ثُمَّ يَتَعَدُّ الْأَمَلُ وَيَطُولُ سَجْنِي
كَمْ أُمْنَى بَعْدَ بَعْدٍ يَنْقُذُ الْعَمْرُ وَلَمْ أَلْقَ عَدَا

٨٣ ولاية العهد

قال حين عقد الرشيد لأولاده الأمين والمأمون والمؤمن ولاية العهد:

تَجَافَى عَنِ الدُّنْيَا وَأَيَقَنَ أَنَّهَا مُفَارَقَةٌ لَيْسَتْ بِدَارٍ خُلُودٍ
ابْتَعَدَ الرَّشِيدُ عَنِ الدُّنْيَا لِأَنَّهُ أَيْقَنَ أَنَّهَا مَفَارَقَةٌ، سَيَفَارِقُهَا الْمَرْءُ

وَشَدَّ عُرَى الْإِسْلَامِ مِنْهُ بِفَتِيَةٍ ثَلَاثَةَ أَمْثَالِكِ وَلَاةٍ عُهْدٍ
وَعَيْنَ ثَلَاثَةِ وَلَاةٍ لِلْعَهْدِ شَدَّ بِهِمْ عُرَى الْإِسْلَامِ، وَالْعُرْوَةُ هِيَ الْأَنْشُوطَةُ يَشْدُهَا الْمَرْءُ عَلَى عُنُقِ الدَّابَّةِ
فَنَضِيقُ فَلَا تَقْلُتُ الدَّابَّةُ، وَفِي لُغَتِنَا الْيَوْمَ الْعُرْوَةُ هِيَ الْفُتْحَةُ الَّتِي يَدْخُلُ فِيهَا الزَّرُّ

بَنُو الْمُصْطَفَى هَارُونَ حَوْلَ سَرِيرِهِ فَخَيْرُ قِيَامٍ حَوْلَهُ وَقُعُودٍ
تُقَلِّبُ أَلْحَاطَ الْمَهَابَةِ بَيْنَهُمْ عُيُونُ ظِبَاءٍ فِي قُلُوبِ أَسْوَدٍ
نَظَرَاتُ الْهَيْبَةِ تَقْلِبُهَا عَيُونُهُمُ الْجَمِيلَةُ الَّتِي كَعْيُونُ الظِّبَاءِ لَكِنْ تَرَفُّدُهَا قُلُوبُ شَجَاعَةٍ

٨٤ رسالة السجين إلى سجانِهِ

كتب للرشيد حين حبسه:

أَنَا الْيَوْمَ لِيِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَشْهُرُ يُرَاحُ عَلَيَّ الْهَمُّ مِنْكُمْ وَيَبْكُرُ

تَذَكَّرْ أَمِينَ اللَّهِ حَقِّي وَحُرْمَتِي وما كنتُ ثُولِيْنِي، لَعَلَّكَ تَذَكَّرْ

توليْنِي: تعطيني

لِيَالِي تُذْنِي مِنْكَ بِالْقُرْبِ مَجْلِسِي وَوَجْهُكَ مِنْ مَاءِ الْبَشَاشَةِ يَقْطُرُ
فَمَنْ لِي بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً إِلَيَّ بِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ

٨٥ تضاحك في الميدان

جَرَى لَكَ مِنْ هَارُونَ بِالسَّعْدِ طَائِرُهُ إِمَامُ اعْتِزَامٍ لَا تُخَافُ بَوَادِرُهُ
جرى لك يا أبا العتاهية طائر السعد، رمز التفاؤل، من الخليفة هارون الرشيد، وهو إمام ذو عزيمة
ولا يخشى المرء بواده، أي مفاجآته غادراً

وَأَوْسَطُ بَيْتٍ فِي قُرَيْشٍ لَبَيْتُهُ وَأَوَّلُ عِزٍّ فِي قُرَيْشٍ وَآخِرُهُ
وَزَخِيفٌ لَهُ نَحْكِي الْبُرُوقِ سُبُوفُهُ وَنَحْكِي الرُّعُودِ الْقَاصِفَاتِ حَوَافِرُهُ
لمعان سيوفه كالبروق، وأصوات حوافر خيله كالرعود

إِذَا حَمِيَتْ شَمْسُ النَّهَارِ تَضَاحَكْتُ إِلَى الشَّمْسِ فِيهِ بَيْضُهُ وَمَغَافِرُهُ
كَانَ الْبَيْضُ، أَيْ الْخُودُ، وَالْمَغَافِرُ، بَقَايَا الْخُودِ الْمُنْسَدَلَةِ عِنْدَ الْقَذَالِ خَلْفَ الرَّأْسِ، تَتَبَادَلُ
الضحكات مع الشمس

إِذَا نَكَبَ الْإِسْلَامُ يَوْمًا بِنَكْبَةٍ فَهَارُونَ مِنْ بَيْنِ الْبَرِيَّةِ نَاصِرُهُ

٨٦ الليل الطويل

يَا رَبِّ لَيْلٍ طَوِيلٍ بِتُّ أَرْقُبُهُ حَتَّى أَضَاءَ عَمُودُ الصُّبْحِ فَانْفَجَرَا
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ، إِلَّا مُذْ عَرَفْتُكُمْ، أَنَّ الْمَضَاجِعَ مِمَّا يُنْبِتُ الْإِبْرَا
وَاللَّيْلُ أَطْوَلُ مِنْ يَوْمِ الْحِسَابِ عَلَى عَيْنِ الشَّجِيِّ إِذَا مَا نَوْمُهُ نَفَرَا

٨٧ الجنة الأرضية

لَهْفِي عَلَى الزَّمَنِ الْقَصِيرِ بَيْنَ الْخَوَزَنَقِ وَالسَّدِيرِ
إِذْ نَحْنُ فِي غُرَفِ الْجَنَّا نِ نَعُومُ فِي بَحْرِ السُّرُورِ
فِي فِتْيَةٍ مَلَكَوْا عِنَّا نَ الدَّهْرِ، أَمْثَالِ الصُّفُورِ
يَسْتَعَاوِرُونَ مُدَامَةً صَهْبَاءَ مِنْ حَلَبِ الْعَصِيرِ

يتعاورون: يتبادلون

عذراء رَئَاهَا شُوعَا عُ الشَّمْسِ فِي حَرِّ الْهَاجِرِ
لَمْ تُذَنْ مِنْ نَارٍ وَلَمْ يَغْلَقْ بِهَا وَضْرُ الْقُدُورِ
لم يطبخ عنب تلك الخمر، ولم يقترب من وضر، وسخ، القدور

وَمُقَرَّطِي يَمْشِي أَمَا مَ الْقَوْمِ كَالرَّشَاءِ الْغَرِيرِ
رب فنى يلبس قرطاً، قميصاً أبيض، كأنه الرشأ الغرير، الطبي الصغير البريء، وهو يمشي بـ..
بِرُجَاجَةٍ تَسْتَخْرِجُ السَّ - رَّ الدَّفِينِ مِنَ الضَّمِيرِ
يمشي بزجاجة، أي بكأس، خمر تجعل الشارب يبوح بسرّه

وَمُخَصَّراتِ رُزْنَنَا بَعْدَ الْهُدُوِّ مِنَ الْخُدُورِ
مخصرات: ذوات خصور نحيلة، وجئن بعد الهدو، العتمة، من خدورهن، من وراء ستورهن
رِيَّا رَوَادِفُهُنَّ يَلُّ - بَسَنَ الْخَوَاتِمَ فِي الْخُصُورِ
الأرداف ريا كبيرة، والخصور نحيلة حتى ليكدن يلبسن فيها الخواتم

مُتَنَعِّمَاتٍ فِي النِّعَبِ مَ مُضْمَخَاتٍ بِالْعَبِيرِ
مَا إِنْ يَرَيْنَ الشَّمْسَ إِلَّا - الْفَرْطَ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ
لا يرين الشمس إلا الفرط، قليلاً، من الشقوق بين الستور

٨٨ اهتزازها من تحت الثياب

إِذَا مَا بَدَتْ وَالْبَدْرَ لَيْلَةً تَمُّه رَأَيْتَ لَهَا فَضلاً مُبِيناً عَلَى الْبَدْرِ
إذا ظهرت المحبوبة «عُتْبَةً» مع البدر أدركت أنها أجمل منه

وَنَهْتَزُ مِنْ تَحْتِ الثِّيَابِ كَأَنهَا قَضِيبٌ مِنَ الرِّيحَانِ فِي وَرَقِ خُضْرِ
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ أَمُوتَ صَبَابَةً بِسَاحِرَةِ الْعَيْنَيْنِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ
النشر: الرائحة

٨٩ فتنفتست

قَالَ لِي أَحْمَدٌ وَلَمْ يَذَرْ مَا بِي أَتَجِبُ الْغَدَاةَ عُتْبَةً حَقًّا
فَتَنَفَّسْتُ ثُمَّ قُلْتُ نَعَمْ حُبًّا - أَا جَرَى فِي الْعُرُوقِ عِرْقًا فَعِرْقًا
قَدْ لَعَمْرِي مَلَّ الطَّبِيبُ وَمَلَّ الـ أَهْلُ مِنِّي مِمَّا أَقَاسِي وَأَلْقَى

لِيَتَنِي مُتٌ فَاسْتَرَحْتُ فَإِنِّي أَبْدَأُ مَا حَيْثُ مِنْهَا مُلْقَى

ملقى: مصاب بالشرور

٩٠ الشوق إلى قعيدة بيتي

حبسه الرشيد واشترط عليه أن يقول في الغزل حتى يطلقه، وأصر أبو العتاهية ألا يفعل، ثم تغزل بزوجه حتى ينال حرته:

مَنْ لِقَلْبٍ مُتَيِّمٍ مُشْتَاكِ شَفُّهُ شَوْقُهُ وَطُولُ الْفِرَاقِ
طَالَ شَوْقِي إِلَى قَعِيدَةِ بَيْتِي لَيْتَ شِعْرِي فَهَلْ لَنَا مِنْ تَلَاقٍ
هِيَ حَظِّي قَدْ اقْتَصَرْتُ عَلَيْهَا مِنْ ذَوَاتِ الْعُقُودِ وَالْأَطْوَاكِ
الطوق: العقد الضيق، كطوق الحمامة. وفي زمننا أطلقوه على قوس يجس الشعر فوق رأس الفتاة

جَمَعَ اللَّهُ عَاجِلًا بِكَ شَمْلِي عَنْ قَرِيبٍ وَفَكَّنِي مِنْ وَثَاقِي

٩١ خبز بلا إدام

قال يذم السحاقيات:

أَلَا يَا ذَوَاتِ السَّحَقِ فِي الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ أَفَقَنْ فَإِنَّ النَّبْكَ أَشْفَى مِنَ السَّحَقِ
ذاك الشيء المكتوب مصحفاً أشفى، أكثر إرواء، مما أنتن فيه

أَفَقَنْ فَإِنَّ الْخُبْزَ بِالْأَدَمِ يُشْتَهَى وَلَيْسَ يَسُوءُ الْخُبْزُ بِالْخُبْزِ فِي الْخَلْقِ
الأدم: الإدام

أَرَاكُنَّ تَرْقَعَنَّ الْخُرُوقَ بِمِثْلِهَا وَأَيُّ لَبِيبٍ يَرْقَعُ الْخَرْقَ بِالْخَرْقِ
وهل يضلح المهراسُ إلا بعُودِهِ إِذَا احتججَ منه ذاتُ يومٍ إِلَى الدَّقِّ
المهراس: الهاون الذي فيه تدق الأبار والبن

٩٢ شكوى المطايا

يمدح عمر بن العلاء، من قادة المهدي:

إِنِّي أَمِنْتُ مِنَ الزَّمَانِ وَرَيْبِهِ لَمَّا عَلِقْتُ مِنَ الْأَمِيرِ حَبَالَا
لَوْ يَسْتَطِيعُ النَّاسُ مِنْ إِجْلَالِهِ لَحَذَّوْا لَهُ حُرَّ الْوُجُوهِ نِعَالَا
لشدة تعظيمهم له لا يمانعون أن يحذوا، أي يقصوا، حر وجوههم، أي أواسطها، نعالاً له

ما كان هذا الجود حتى كنت يا عمرؓ، ولو يوماً تَزُولُ لَزَالَا
 إن المَطَايَا تَشْتَكِيكَ لَأَنَّهُمَا قَطَعْتَ إِلَيْكَ سَبَاباً وَرِمَالَا
 قطعت الإبل السباب، الصحارى، كي تلفاك أيها الممدوح

فإذا أَتَيْنَ بِنَا أَتَيْنَ مُخَفَّةً وإذا رجعنَ بِنَا رجعنَ ثِقَالَا
 تأتي بنا الإبل خفيفة وتعود ثقيلة بما حملنا عليها من عطايك

٩٣ ما تصنع بالسيف؟

يهجو عبد الله بن معن بن زائدة:

لَقَدْ بُلِّغْتُ مَا قَالَا فَمَا بَالَيْتُ مَا قَالَا
 قُضِعَ مَا كُنْتَ حَلَيْتُ بِهِ سَيْفَكَ خَلَجَالَا
 فما تُصْنَعُ بِالسَّيْفِ إذا لَمْ تَكُ قَتَّالَا

٩٤ أتنه الخلافة منقادة

يمدح المهدي:

أَلَا مَا لِسَيِّدَتِي مَا لَهَا أَذَلًّا؟ فَأُخْمِلُ إِذْ لَهَا
 ما للمحبة؟ أهو الدلال الذي يجعلها تصد عنا؟ فهذا نتحملة بسرور

وَأَلَّا فَفَهِمَ تَجَنُّتُ، وَمَا جَنَيْتُ، سَقَى اللَّهُ أَطْلَالَهَا
 فإن لم يكن مجرد دلال فلماذا تتجنى علي؟ وماذا جنيت أنا، ويدعو لبيوتها بالسقيا

أَلَا إِنَّ جَارِيَةَ لِإِلَامَا مِ قَدْ أَسْكِنَ الْحُسْنَ سِرْبَالَهَا
 يتغزل بعتبة وهي جارية من جواري الإمام، أي المهدي، وكان المهدي حاول تزويجها من أبي
 العتاهية فرفضت الجارية بشدة، يقول: الجمال سكن في سربالها، أي ثوبها

مَشَتْ بَيْنَ حُورٍ قِصَارِ الْخُطَا تُجَاذِبُ فِي الْمَشْيِ أَكْفَالَهَا
 مشت بين صوحيباتها اللاتي يمشين ببطء بخطا قصيرة، وهي تجذب أكفالها يميناً وشمالاً

وَقَدْ أَتَعَبَ اللَّهُ نَفْسِي بِهَا وَأَتَعَبَ بِاللَّوْمِ عُذَالَهَا
 كَأَنْ بَعَيْنِي فِي حَيْثُ مَا سَلَكْتُ مِنَ الْأَرْضِ تِمثَالَهَا
 أَتَنَّهُ الْخِلَافَةَ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تُجَرَّرُ أَذْيَالَهَا

يمدح المهدي:

وَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا

وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرَهُ لَزُلْزِلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا
 وَلَوْ لَمْ تُطِغْهُ بَنَاتُ الْقُلُوبِ لَمَا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا
 وَإِنَّ الْخَلِيفَةَ مِنْ بُغْضٍ «لَا» إِلَيْهِ لَيُبْغِضُ مَنْ قَالَهَا
 واستحسن بشار أبيات المديح في هذه القصيدة التي هي من أشهر قصائد أبي العتاهية

٩٥ أخت بني شيبان

قال يهجو عبد الله بن معن بن زائدة:

سُبْحَانَ مَنْ خَصَّ ابْنَ مَعْنٍ بِمَا أَرَى بِهِ مِنْ قِلَّةِ الْعَقْلِ
 قَالَ ابْنُ مَعْنٍ وَجَلَا نَفْسَهُ عَلَى الْقَرَابَاتِ مِنَ الْأَهْلِ
 يشبهه بالمرأة التي تجلو نفسها، أي تظهر نفسها بكل زينتها، على صوحيباتها مدلةً بجمالها
 أَنَا فِتْنَةُ الْحَيِّ مِنْ وَائِلٍ فِي الشَّرَفِ الشَّامِخِ وَالنُّبْلِ
 نفتخر بأنها من خير فرع في قبيلة وائل

مَا فِي بَنِي شَيْبَانَ أَهْلُ الْحَجَا جَارِيَةٌ وَاحِدَةٌ مِثْلِي
 وقبيلة شيبان من وائل، أهل الحجا: أهل العقل

يَا لَيْتَنِي أَبْصَرْتُ دَلَالَةً تَدُلُّنِي الْيَوْمَ عَلَى فَحْلٍ
 وَيُلِي وَيَا لَهْفِي عَلَى أَمْرٍ يُلْصِقُ مِنِّي الْقُرْطَ بِالْحَجَلِ
 الأمرد: الشاب لم تنبت بعد لحيته، تريده أن يلصق قرطها، حلق أذنها، بحجلها، بخلخالها

صَافَحْتُهُ يَوْمًا عَلَى خَلْوَةٍ فَقَالَ دَعْ كَفِّي وَخُذْ رِجْلِي
 يقول أبو العتاهية إنه صافح عبد الله هذا في خلوة، وهما وحدهما، فأراد منه عبد الله أن يترك كفه ويأخذ برجله

أَخْتُ بَنِي شَيْبَانَ مَرَّتْ بِنَا مَمْشُوطَةً كُورًا عَلَى بَغْلٍ
 يعود إلى تشبيهه بالفتاة التي مرت راكبة بغلاً، والكور مما يوضع فوق ظهر الدابة

تُكْنَى أَبَا الْفَضْلِ وَيَا مَنْ رَأَى جَارِيَةً تُكْنَى أَبَا الْفَضْلِ
 قَدْ نَقَطَتْ فِي وَجْهِهَا نُقْطَةً مَخَافَةَ الْعَيْنِ مِنَ الْكُحْلِ
 إِنَّ زُرْتُمُوهَا قَالِ حَجَابُهَا نَحْنُ مِنَ الرُّؤَايَا فِي شُغْلِ
 مَوْلَانَا مَشْفُوءَةٌ عِنْدَهَا بَعْلٌ وَلَا إِذْنَ عَلَى الْبَعْلِ

يَا بِنْتَ مَعْنِ الْخَيْرِ لَا تَجْهَلِي وَأَيْنَ إِقْصَارٌ عَنِ الْجَهْلِ
لا تكوني منهورة حائقة، وإن كان الإقصار والكث من الجهل بعيداً منك

أَتَجْلِدُ النَّاسَ وَأَنْتَ امْرُؤٌ تُجْلَدُ فِي الدُّبْرِ وَفِي الْقُبْلِ
يعود إلى مخاطبته بضمير المذكر: كيف تجلد الناس، ويبدو أن الرجل أمر بجلد أبي العتاهية،
وأنت تتلقى الجلد هنا وهنا!

مَا يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَنْسَبُوا مَنْ كَانَ ذَا جَوْدٍ إِلَى الْبَخْلِ
لا ينبغي اتهامك بالبخل..

يَبْذُلُ مَا يَمْنَعُ أَهْلُ النَّدَى هَذَا لَعَمْرِي مُنْتَهَى الْبَذْلِ
فأنت تسخو بما يمنعه أهل الندى والسخاء.. أنت تبذل الفاحشة..

مَا قُلْتُ هَذَا فَيْكَ إِلَّا وَقَدْ جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ مِنْ قَبْلِي

٩٦ يلحس بصقته

قال في صلحه مع عبد الله بن معن بن زائدة، وكان عبد الله جاء بأبي العتاهية
وأمر غلمانهم ففعلوا به الفاحشة لأنه هجاه، ثم قال له هل لك في عشرة آلاف درهم
ويكون الصلح أم تقيم على الحرب؟ فاختر العتاهي الصلح، فقال له عبد الله: أسمعني
ما تقول في الصلح، فقال:

عَذَلُونِي فِي اغْتِفَارِي لَا بِنَ مَعْنٍ وَاحْتِمَالِي
كُلُّ مَا قَدْ كَانَ مِنْهُ فَلِقُبْحٍ مِنْ خِلَالِي
خلالي: صفاتي

إِنَّمَا كَانَتْ يَمِينِي صَرَمْتُ جَهْلًا شِمَالِي
صرمت: قاطعت وهجرت

قُلْ لِمَنْ يَعْجَبُ مِنْ حُسْنِ رِجْوَعِي وَإِنِّي قَالِي
قَدْ رَأَيْنَا ذَا كَثِيرٍ جَارِيًا بَيْنَ الرِّجَالِ
رُبُّ وَضَلٍ بَعْدَ صَدٍّ وَقَبْلِي بَعْدَ وَضَالٍ
القلبي: الهجر

٩٧ أقول الأصمعي

أَسِفْتُ لِفَقْدِ الْأَصْمَعِيِّ، لَقَدْ مَضَى حَمِيداً، لَهُ فِي كُلِّ صَالِحَةٍ سَهْمٌ
تَقَضَّتْ بِشَاشَاتُ الْمَجَالِسِ بَعْدَهُ وَودَّعْنَا، إِذْ وَدَّعَ، الْأَنْسُ وَالْعِلْمُ
وَدَّعْنَا الْأَنْسُ وَالْعِلْمُ إِذْ وَدَّعَا الْأَصْمَعِي

وَقَدْ كَانَ نَجْمَ الْعِلْمِ فِيْنَا حَيَاتَهُ فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَامُهُ أَقْلَ النَّجْمِ

٩٨ حجبوها عن الرياح

حَجَبُوهَا عَنِ الرِّيحِ لِأَنِّي قُلْتُ يَا رِيحُ بَلِّغِيهَا السَّلَامَا
لَوْ رَضُوا بِالْحِجَابِ هَانَ، وَلَكِنْ مَنَعُوهَا يَوْمَ الرَّحِيلِ الْكَلَامَا
وَزَادَ مَانِي الْمَوْسُوسَ :

فَتَنَفَّقْتُ ثُمَّ قُلْتُ لِطَبِيفِي وَيَاكَ لَوْ زُرْتَ طَبِيفَهَا إِلَمَا
حَبَّهَا بِالسَّلَامِ سِرّاً، وَإِلَّا مَنَعُوهَا لِشِقْوَتِي أَنْ تَنَامَا
أَبْيَاتُ يَغْنَى بِهَا فِي زَمَنَاتَا

٩٩ أنت أكبر همي

قُلْ لِمَنْ لَسْتُ أَصْمِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي
بِأَبِي أَنْتَ لَقَدْ أَصَا بَحَثَ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّي
مَنْ يَكُنْ يَجْهَلُ مَا أَلْ مَقَى فَإِنَّ الْحَبَّ سُقْمِي
إِنْ رُوحِي لَسِبَ غَدَا دَ وَبِالْكُوفَةِ جِسْمِي

١٠٠ غدر الزمان وأهله

أَجْفَوْتَنِي فِيمَنْ جَفَانِي وَجَعَلْتَ شَأْنَكَ غَيْرَ شَانِي
وَلَطَالَمَا أَمْنَتَنِي مِمَّا أَرَى كُنْلاً الْأَمَانَ
أَمْتَنِي الْأَمَانَ كُلَّهُ مِمَّا أَرَى مِنْ مَصَائِبِ

حَتَّى إِذَا انْقَلَبَ الزَّمَانُ نُنْ عَلَيَّ صِرْتُ مَعَ الزَّمَانِ

١٠١ الشجوي والخلي

أَخْلَايَ بِي شَجَوُ وَلَيْسَ بِكُمْ شَجَوُ وَكُلُّ أَمْرِي عَنْ شَجَوِ صَاحِبِهِ خَلَوُ
وَمَا مِنْ مُحِبٍّ نَالَ مِنْ يَحِبُّهُ هَوَى صَادِقاً إِلَّا سَيَذْخُلُهُ زَهُوُ

المرأة إذا أوقعت الرجل في حبها تزهو وتفتخر وتصد

وَعَلَّقْتُ مَنْ يَزْهُو عَلَيَّ تَجَبُّراً وَإِنِّي عَلَى كُلِّ الْخِصَالِ لَهُ كُفُوُ
رَأَيْتُ الْهَوَى جَمَرَ الْغَضَا غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ عِنْدَ صَاحِبِهِ خُلُوُ

١٠٢ الانتصار على نفقور

يمدح الرشيد بعد أن أخضع نفقور:

لَكَ اسْمَانِ شُقَا مِنْ رَشَادٍ وَمِنْ هُدَى فَأَنْتَ الَّذِي تُدْعَى رَشِيداً وَمَهْدِيّاً
فَضَى اللَّهُ أَنْ يَبْقَى لِهَارُونَ مُلْكُهُ وَكَانَ قِضَاءُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ مَقْضِيّاً
تَحَلَّبَتِ الدُّنْيَا لِهَارُونَ بِالرِّضَا وَأَصْبَحَ نِفْقُورٌ لِهَارُونَ ذِمِّيّاً

تحلبت: سالت، ذمياً: أي تابعاً يدفع الجزية

١٠٣ مدح الأمين

قال حين جلس الأمين في الخلافة:

يَا ابْنَ عَمِّ النَّبِيِّ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ إِنَّمَا أَنْتَ رَحْمَةٌ لِلرَّعِيَّةِ
يَا إِمَامَ الْهُدَى الْأَمِينَ الْمَصْقَى يَا أُبَابَ الْخِلَافَةِ الْهَاشِمِيَّةِ
لَكَ نَفْسُ أَمَارَةٍ لَكَ بِالْخَيْرِ بِرٍ وَكَفٍّ بِالْمَكْرُمَاتِ نَدِيَّةِ

١٠٤ أصدقاء وقت الرخاء

أَرَى قَوْماً وَجُوهُهُمْ حَسَنَانْ إِذَا كَانَتْ حَوَائِجُهُمْ إِلَيْنَا
وَإِنْ كَانَتْ حَوَائِجُنَا إِلَيْهِمْ يُقَبِّحُ حُسْنَ أَوْجُهُهُمْ عَلَيْنَا
فَلَنْ مَنَعَ الْأَشِيعَةَ مَا لَدَيْهِمْ فَلِإِنَّا سَوْفَ نَمْنَحُ مَا لَدَيْنَا

١٠٥ الواعظ والمتعظ

أَلَا مَنْ لِي بِأُنْسِكَ يَا أَخِيَا وَمَنْ لِي أَنْ أُبَشِّكَ مَا لَدَيَا

طَوَّتْكَ خَطُوبُ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرِ	كَذَاكَ خَطُوبُهُ نَشْرًا وَطَيًّا
فَلَوْ نَشَرْتَ قُورًا لِي الْمَنَايَا	شَكُوتُ إِلَيْكَ مَا صَنَعْتَ إِلَيَّا
بَكَيْتُكَ يَا عَلِيُّ بَدَمَعَ عَيْنِي	فَمَا أَغْنَى الْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئًا
كَفَى حُزْنًا بِدَفْنِكَ، ثُمَّ إِنِّي	نَفَضْتُ تُرَابَ قَبْرِكَ مِنْ يَدَيَّا
وَكُانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ	وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا

فهرس القوافي (القافية فرقم القطعة)

١	تَعَبِ	٧٨	الأرجوزة
٢	جَوَابِي	٧٩	البَلاءِ
٨٠	لِلصَّوَابِ	٢	فَنَافِئُهَا
١٠	أَدَبِ	٢	عَنَائِكَا
٢	وَجَبِ	٣	بَابَا
١٢	خُطُوبُهَا	٦	الخُطُوبُ
١١	وَتُقَلَّبُهُ	٢	العَرَبِ
١٥	الْأَمْوَآتَا	٩	الْكُثِيبُ
١٩	الثَّبَاتَا	٧	النَّحِيبُ
٢	فَتَمَنَّنَيْتَا	٢	نُجِيبُ
١	المَوْتُ	١	تُنُوبُ
٢	أَنْعَتُ	١	ذَهَبُ
٢	كَثِيرَاتُ	٥	عَجَبُ
٢	يَمُوتُ	٤	قِيبُ
١٨	المَمَاتِ	٢	نَصِيبُ
١٦	بِمَوَاتِ	٢	الرَّائِكِ
١٧	عَادَتِ	٨	تَبَابِ
١٤	عَثَرَاتِي	٢	تَتَوَيِّ

٢	عَدِ	مَقْدِرَةٌ ١	
٢	مَوْدُودٍ	وَالشُّبُهَاتِ ٢	
٢	وَالْمُؤَيَّدِ	وَالْمَلَالَاتِ ٢	
٢٥	بَعْدَهَا	وَعَنْتِ ١٣	
٢	وَلَدِيْهٖ	وَأَتَيْتُهَا ٢	
٧٨	ذَاتِ الْأَمْثَالِ	بِعَبْرَتِيْهٖ ٢	
٢	النَّهَارِ	تَأْتِيْهَا ٢	
٨٦	فَانْفَجَرَا	الْأَحَدُتِ ١	
٢	مِرَارًا	حَاثٍ ٢	
٢	مُسْتَقَرًّا	رَجَا ٢	
١	وَالْحَذَرُ	تَفْوُحُ ٢٠	
١	وَمُرٌّ	مَا دِخَ ٢	
٨٤	وَيَبْكُرُ	الْمُدَّاحِ ١	
٨٨	الْبَدْرِ	النَّوَاحِي ٢	
٢٧	الدَّهْرِ	عَدِ ١	
٢	السَّفَرِ	أَحَدًا ٢٢	
١	الْفَقْرِ	الرَّشْدَا ٨٢	
١	الْفَقْرِ	شَدًّا ٢٤	
٢	النَّارِ	أَحَدُ ٢٣	
٢	سَفَرِ	أَحْمَدُ ٨١	
٢	عُمَرِي	خَالِدُ ٢١	
٨٧	وَالسَّيْرِ	يَدُ ٢	
١	يُقْبِرُ	يُرِيدُ ٢	
١	بَشَرُ	يَوَدُّ ٢	
٢٦	وَأَنْذَرُ	الْمَجْدِ ٢	
٨٥	بَوَادِرُ	خُلُودِ ٨٣	

٢	فَقِيفَ	٢٩	يَضْرُهُ
٨٩	حَقًّا	٧٨	أُمُورِهِ/الأرجوزة
١	طَلَقًا	٢٨	خَبِرَهُ
٤٠	وَالْغَرْقُ	٢	الْإِنْسِ
٤١	التَّعْوِيقِ	٢	فَسَّهَا
٣٩	الْمَخْلُوقِ	٣٠	فَمَضَى
٩١	السَّحْقِ	٢	أَرْضًا
٩٠	الْفِرَاقِ	٢	التَّقَاضِيَا
٢	طَرِيقِ	٢	وَمَصْنَعَا
٢	يَتَفَرَّقِ	٣١	تَتَمَقَّقُ
٢	تَفَقُّهُ	٢	تَتَفَقُّعُ
٢	خَالِقُهُ	١	دُمُوعُ
٢	أَذَاكَ	٣٥	مُتَسَّعُ
١	عَلَيْكََا	٣٤	يَتَسَّعُ
٢	مِنْكََا	٣٢	تَبَّعُ
١	مَلِكُ	٢	زُرْعُ
١	أَرْكَ	١	وَقَعُ
٢	الْفَلَكِ	١	السَّاعَةُ
٢	لِيَنْفَعَكَ	٢	الْمَنْفَعَةُ
٤٤	بِشْكِهِ	١	جَمَاعَةُ
٢	أَمَلَا	٢	لِيَنْفَعَكَ
٩٢	جِبَالَا	٢	وَالدُّرَاعَةُ
٥٢	ذَلِيلَا	٣٦	وَيَرْفَعُهُ
٢	طَلُوبِلَا	١	رَغِيْفُ
٩٣	قَالَا	٣٧	التَّعَقُّفِ
٢	نَوَالَا	٣٨	بِأَسْلَافِي

٥٦	قَتَابِلُهُ	١	والمولى
٥٨	تُبَالُهُ	٥١	الماءُ
٩٨	السَّلامَا	٢	جَلِيلُ
٢	عِلْمَا	١	مَشْغُولُ
٦٠	الظَّلُومُ	٥٥	الرجالِ
٢	المَكَارِمُ	٢	السَّاحِلِ
٩٧	سَهْمُ	٥٤	الظَّلَالِ
٢	مُحَكَّمُ	٩٥	العَقْلِ
٢	والتَّعِيمُ	٤٦	المُحْتَالِ
٥٩	وسلامُ	٤٨	حالِ
٢	تَسْلِمُ	٢	كَسَلِ
٢	والتَّقِيمُ	٥٠	للرحيلِ
٩٩	وَأُمِّي	٥٣	وَأَجَالِ
٢	وَالْعَدَمُ	٩٦	واِحْتِمَالِي
٢	يَذُمُ	٢	والعملِ
١٠٤	إِلَيْنَا	٢	وَحَلِيلِي
٢	فَأَحْسَنَا	٤٥	وَزَوَالِ
٢	كَانَا	٤٩	وَقَالَ
١	الْكَفْنُ	٤٧	ثَقِيلُ
٦٨	تَتَسَمَّنُ	١	قَتِيلُ
٦٣	تَكُونُ	٩٤	إِذْلَالُهَا
٢	لَيْسُنُ	٢	الْفَلَكَ
٢	مَكَانُ	٤٣	تَنَالَكَ
٦٥	رَمَانِ	٤٢	جَمَالَكَ
٦٤	زَمَانِي	٥٧	وَأَذَلَّهَا
١٠٠	شَانِي	٢	عَقْلُهُ

٧٢	فُنُونُهُ	٦٢	ظَلْمُونِي
٢	أَقْمَاهُ	٢	فَابْكِيَانِي
١	وَجْهُهُ	٦١	مُعَنَّ
١٠١	خِلْوُ	٢	مِنِّي
٧٦	سِنُوهُ	٦٦	مِنِّي
١	بَقِيَا	٦٩	يراني
١٠٥	لَدَيَا	٦٧	يَقْطِينِ
٢	لِيَا	٧٠	يَكْفِينِي
١٠٢	وَمَهْدِيَا	١	الْحَزَنُ
٧٧	زَاوِيَةُ	٢	الرَّزَمَنُ
١٠٣	لِلرَّعِيَّةِ	٢	حَسَنُ
٢	نَاحِيَّةُ	٧٥	تَمَنَّاهُ
١	عَلَيْهِ	٢	حَسَنَةُ
٧٤	لَدَيْهِ	٧٣	دُونَهَا
٢	يَدَيْهِ	٧١	سُلْطَانِيهِ

العباس بن الأحنف

(١٣٣هـ - ١٩٢هـ)

يقول ريجيس بلاشير في تصديره لديوان العباس بن الأحنف، مخاطباً تلميذته محفقة الديوان عائكة الخزرجي: «لعل العباس لم يحي في مغامراته التي أنشدها في شعره، ومن المحقق أنه لم تكن لتلك المغامرات ما رسمه من صور، ولكنه تخيلها في ألوان رقيقة مثلثها له أشواقه العلوية، فلما استحالت شعراً أصبحت حقيقة، ولذا فقد حافظ شعره على ميزة نادرة، وهي قدرته على أن يثير أصداء حية في وجداننا العصري، وهو بالغ ذلك دون عناء، على جناح لغة سلسلة لا تكلف فيها. . هو صوت يتردد بنبرات صافية لا ثقل فيها ولا فضول». اهـ

ونحن نوافق على حكم بلاشير على شعر العباس بن الأحنف، فإن كنت قرأت لنا نقداً لحكم هذا المستشرق عينه على شعر المتنبي فذلك لأن بين شعر المتنبي وشعر العباس بؤناً. فبلاشير الفرنسي المتأدب بأداب العربية منذ يفاعته، يفهم العربية ويحسنها، وقد تربى تربية فرنسية فهو يفهم المشاعر الرقيقة التي يشترك فيها كل البشر الموجودة في شعر العباس، ولكننا لم نأمنه على شعر المتنبي الذي هدم اللغة العربية ثم بناها بناء جديداً، والذي عبر عن مشاعر تختلط فيها حرية البداوة بثقافة عريضة وفرها له عصره. باختصار وحتى لا يقعد كلامي على قلبك: المتنبي شيء آخر.

فأما العباس بن الأحنف فشاعر رقيق وشخص رقيق. ولئن تقدم العباس المتنبي بمئة وخمسين سنة فإن لغته كانت أسهل من لغة المتنبي، بل هي كانت أسهل بسبب ذلك التقدم. فما وصلت اللغة العربية إلى زمن المتنبي في النصف الأول من القرن الهجري الرابع حتى كانت قد تضمخت بالثقافة والسياسة

والحضارة. فأما شاعرنا العباس فقد عاش في الزمن الأول من أزمنة التأليف، ومات ولما يكتب الجاحظ كتابيه الكبيرين «الحيوان» و«البيان والتبيين».

جولة في الإنترنت

قد جُلت جولة في الإنترنت فرأيت ما فيه عن العباس بن الأحنف من نُقولٍ عن الأغاني والديوان. ولم أجد سوى قلة ممن تنبهوا إلى النسخة المحققة المتينة من الديوان. جلت هذه الجولة حتى أضمن أن أقدم لك في هذه المقدمة شيئاً مختلفاً. وكنت قبلئذ وعيت ما قالته الكتب القديمة عن العباس، وهو قليل. وقرأت ما كتبه بلاشير في «موسوعة الإسلام» المستشرقية عن شاعرنا. ويبقى تحقيق عاتكة الخزرجي للديوان (صدر بمصر ١٩٥٤) أهم المراجع. نضيف إليه الصفحات العشرين التي في الأغاني. وما سوى ذلك مما في كتب الأدب القديم فالتفتة بعد التفتة، والاقتراسات الكثيرة من شعره، هنا بيتان وهناك ثلاثة، وهلم جرا. وفي ذلك نفع لنا عظيم. فنحن من خلال هذه المقتبسات نرى القدماء يعرضون علينا أذواقهم، وتتفاعل معهم ويتعمق شعورنا بروعة البيت الفلاني، أو ننفر من البيت الفلاني لأنهم ما أكثروا اجتراحه إلا لنكتة بلاغية سطحية. ولا يندر أن يلفتنا القدماء إلى بيت لم نكن نتذوق فيه شيئاً حلواً، فتتأثر بهم ونعثر على ذلك الشيء الحلو، وهماً منّا، أو لمعنى خفي في ذلك البيت كان فاتنا التنبُّ إليه.

ونحن هنا في شرحنا لما اخترناه من أبيات لا نقول لك تحت كل بيت إن هذا مما استحسنة فلان، ولا نقص عليك تلك الحكايات التي ألصقها القدماء بأبيات بعينها، فاستيفاء ذلك يقتضي منا بحثاً أطول مما نريد، كما يقتضي الخوض في شتى الروايات، فلكل قصة ولكل أسطورة روايات. ونحن ندرك أن مما يزيد متعة المتأدبين أن يعرفوا رأي الأصمعي وابن المعتز وأبي نواس في هذا البيت أو ذاك، وفي هذه القصيدة أو تلك. لم نورد من ذلك إلا القليل. مجالنا مجال شعر لا مجال نوادر. وكتبنا الأدبية القديمة عامرة بالنوادر، فقد كانت في معظمها كتب «محاضرة». . وضعها واضعوها كي يزودوا الناس بمادة «يحضرون» بها المجالس ويروحون بها عن الأمراء والكبراء. عليك بالأغاني والشعر والشعراء والموشح والكامل والإمتاع والمؤانسة والعقد الفريد، فهناك النوادر.

حياة العباس بن الأحنف

كان عم أبيه «حاجب بن قدامة»، وأبوه «الأحنف بن الأسود بن قدامة» من صفار المتصرفين التابعين للأمير العجوز نصر بن سيار الوالي الأموي في خراسان. والعائلة من بني حنيفة، فهم مثل الوالي الأموي عرب أقحاح، وكانت خراسان في دولة بني أمية محكومة بالعرب كما هو الحال في معظم مناطق الدولة الأموية. وأصبح هؤلاء العرب يديرون البلاد الشاسعة بصعوبة مع بروز العناصر الوطنية واكتسابها اللغة العربية ودخولها في الجيوش. على أن المنافس الحقيقي للوالي الأموي كان عربياً أيضاً. كان هذا المنافس الدعوة العلوية التي لا تفتأ تبرز بين الحين والحين على شكل خروج على السلطان يقوده أحد العلويين. ثم اشتدت الدعوة العباسية، وتحالف العباسيون والعلويون، أو قل إن العباسيين تولوا عن العلويين أمر الثورة، وخرجوا على السلطان باسم العلويين، تحت راية هاشمية عريضة.

ويبدو أن حاجباً الحنفي، العم، انحاز إلى رجال الثورة العباسية فكان من رجال أبي مسلم الخراساني، وأبو مسلم رجل عربي الثقافة خراساني الأصل. وخراسان آنذاك تضم أفغانستان الحاضرة وجزءاً من إيران وأجزاء من الدول المجاورة. ولعل والد شاعرنا أيضاً انضم إلى الدعوة العباسية. على أنه مع انتصار هذه الدعوة في عام ١٣٢هـ تحول إلى البصرة. وفي البصرة ولد العباس سنة ١٣٣هـ.

نشأ العباس بن الأحنف في البصرة. ولم يطرأ عليه ولا على أسرته اضطراب نعرفه عندما قُتل الخليفة المنصور أبا مسلم، وللعباس أربع سنين. فقد كانت الأسرة قد خرجت من الولاء لأبي مسلم، ودخلت في ولاء الدولة العباسية التي سرعان ما استقرت. ولعل هذه الأسرة تنفست الصعداء بمقتل باني الدولة العباسية، فما مات أبو مسلم إلا بعد أن قتل ستمئة ألف إنسان (قيل قتلهم كلهم صبراً أي إعداماً، ولا نصدق الرقم، فلنجعله ستين ألفاً، أو حتى ستة آلاف؛ هذا كثير حقاً).

لعل الأحنف والد العباس حمل ولده إلى بغداد بعيد إنشائها، فقد أتم الخليفة المنصور تشييد عاصمته الجديدة في عام ١٤٩ ونزلها مع قواده، وتأخر سكن العامة فيها بضع سنين.

كان العباس، شاعرنا، في السادسة عشرة من عمره عندما انتقلت الأسرة

إلى بغداد. وسرعان ما توفي الوالد. وبقي العباس مع أعمامه في بغداد، يتعلم كما يتعلم أبناء الطبقة الوسطى على أيدي المؤدبين، أو يحضر الدروس في المساجد. ولعله كان يساجل في الشعر بعض أنسابه من آل الصولي الذين كان قد بدأ يعلو نجمهم في دولة الأدب ودولة السياسة.

فمن المؤكد على هذا أن إجماع المصادر على عبارة «نشأ في بغداد» ليس صحيحاً. ومن طرائف بعض «الباحثين» أنه جعل ميلاد العباس قبل بناء بغداد بخمسين سنة، ثم قال بعد سطر واحد إنه نشأ ببغداد.

غير أن العباس تعلم الشعر في البصرة بالتأكيد، فهو معاصر أبي نواس الذي تعلم الشعر بالبصرة على أيدي مجانها. فأما العباس فلم يختلط بالمجان، فيما نحسب، ولكننا على شبه يقين من أنه سمع شعرهم، وسمعوا شعره. سمع بشار شعره وقال فيه عندما سمع قصيدته «أرأيت عيناً للبكاء تعار»: «ما زال غلام بني حنيفة يدخل نفسه فينا ويخرجها حتى قال هذا الشعر». وكان بشار قد ملأ البصرة شعراً.

في بغداد - التي تصر كل المراجع على أن العباس نشأ فيها، ولم ينشأ فيها بل دخلها يافعاً - كان العباس من «أولاد الذوات». كانت أسرته على صلة بدار الخلافة. ولكن العباس نشأ شاعراً، فلم تشأ له جيناته أن يصبح قائداً ولا وزيراً ولا عاملاً.

نعرف أنه اتصل بهارون الرشيد، وأن الرشيد كان يسمع أشعاره ويقدرها، غير أن الخليفة العباسي الخامس كان يفضل أبا العتاهية على العباس بن الأحنف.

للعباس بن الأحنف مواقف في مجلس الرشيد، ففي هذا المجلس كانت له مع الأصمعي مناكفة. وأحب المغنون شعر العباس حباً جماً، فكأنه شعر وضع كي يغنى فيه. لذا كان للعباس حضور مضاعف في مجالس الخليفة فهو حاضر على حناجر كبار المغنين أحياناً، وحاضر بجسمه أحياناً. واصطحبه هارون الرشيد إلى خراسان، مثلما يصطحب السلطان المرافقون الذين تسميهم الكتب «الحاشية». وعندما أراد الرشيد أن يمضي إلى أرمينية قال العباس شعراً يشكو فيه من هذه الصحبة الطويلة «قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا، ثم القفول. فقد جئنا خراساناً!» فقال له الرشيد: قد اشتقت يا عباس! وأذن له بالعودة، ومنحه ثلاثين ألف درهم.

كان العباس من حاشية هارون الرشيد الذي تولى الخلافة ثلاثاً وعشرين سنة. وكان شاعر الغزل الذي لا يطلب منه مدح الخليفة. كان للرشيد شعراء كثر، ولم يكن بحاجة إلى شاعر آخر، لا يحسن المدح أصلاً.

والتقى العباس بأبي نواس الذي كان أيضاً شاعر الرشيد المدلل، وكان النواصي يتفلسف من مجلس الخليفة كراهة لما يوجبه هذا المجلس من أصول ورسميات.

عاش العباس لشعره. وقصر شعره على الغزل. لا يصدق بلاشير مغامرات العباس بن الأحنف. ونصدقها. فلا بد أن هناك تلك الفتاة التي سماها العباس فوزاً. شعره فيها صرخات عشق لا نظنها تنبعث من فراغ. نصدق أنهما تبادلا القبلات صغاراً كما صرح في قصيدة. ثم حجبوها. ثم بدأ يرأسلها، ونشأ بينهما ذلك الحب الذي يمكن وصفه بأنه من طرف واحد ونصف. فهي تبادله الغرام، ولكن نصف مبادلة، والنصف الباقي تسلية. وشاعرنا. . يتقلّى.

لعل العباس بن الأحنف كان راضياً بهذه العلاقة رضى أحمد رامى بعلاقته بأم كلثوم. فقد كان بها مغرمًا، ويتقلّى ويبعد القصائد، وكانت هي تنتفع بعذابات الصغيرة. كانا يلعبان لعبة الحب اليائس، ويتجان فناً.

لعل العباس تزوج، ولعله اقتنى جارية، ولعله كان يفرغ طاقته الجنسية كيفما شاء. لكن فوزاً ظلت حبه اليائس الذي يساعده في «إنتاج» الشعر. لم يكن ذاك هيام قيس، ذلك الهيام الذي تحول إلى بقعة دم جامدة في قلب المجنون، أودت به في النهاية. ولم يكن غرام جميل بثينة الذي شرده غرامه عن وطنه، لا ولم يكن غرام عمر بن أبي ربيعة الذي هو هيام بالحسن وبالمراة. كان شيئاً بين جميل وعمر. فصاحبنا ابن الأحنف أحب فتاة أخرى هي «ظلوم». وأغلب الظن أنه أحبها بعد أن تزوجت فوز، أو ارتحلت مع أهلها إلى الحجاز. وكان حبه لظلوم شبحاً باهتاً من حبه لفوز. وكان يجفوها مثلما تجفوه، ولعلها كانت من جواري القصور. فأما فوز فيغلب على الظن أنها كانت ابنة عائلة ترى نفسها فوق عائلة العباس، فلم يكن من سبيل إلى الزواج، ولا إلى الوصال. وفي بعض شعره ما يوحي بأن ظلوم كانت جارية لفوز، وأنها كانت المرسال بينهما، فعندما ذهبت فوز ارتضى جارتها عشيقه.

في هذا الذي كتبناه عن حياة العباس بن الأحنف بعض الافتراضات. نحن لا نعلم يقيناً أن فوزاً تزوجت، ولا أنها ارتحلت إلى الحجاز، بعضهم ذكر

ذلك على كل حال. وحديثنا عن كونه من أولاد الذوات إنما يستند إلى علاقته بالخليفة، وإلى وصف معاصريه لأناقته وسلوكه الملوكي، وترفه، وتهذيبه البالغ.

وكل هذا الذي ذكرناه من سيرة شاعرنا قليل الأهمية. فالرجل لم يصنع التاريخ، بل صنع شعراً. لذلك فديوانه هو ما يهمنا حقاً.

هذه آهات عاشق ملوع الفؤاد، يذل لمعشوقته، ويرضاها طول الوقت، وهي عنه لاهية. وأحب الناس هذا النمط. لا نقول إن العباس بن الأحنف مؤسس هذا اللون من ألوان الغزل. فعند عمر وجميل شيء من هذا. ولكن البيئة المدنية البغدادية المترفة جعلت العباس يوصل هذا اللون إلى غايته. وسيظل الشعراء يضعون خدودهم على الأرض لكي تدوس المحبوبة عليها ألف سنة من بعد العباس بن الأحنف. سامحه الله.

ديوانه كما وصلنا متوسط الجرم، وقالوا إنه ضاع من شعره كثير. لا بأس، فما بقي هو أفضل شعره. والرجل، بعد، لم يكن من عبيد الشعر. كان من فئة الهواة، ونحشره مع علي بن الجهم وديك الجن من أبناء زمنه، وعمر أبو ريشة وإبراهيم طوقان من أبناء زمننا. هناك شعراء يقولون الشعر احترافاً واكتساباً كأبي تمام والبحري والمتنبي، وهناك الهواة الذين يعيشون حياتهم مستمتعين بها ويقولون القصيدة بعد القصيدة.

مات العباس بن الأحنف عن ستين عاماً كما يموت الناس، فإن شئت الأساطير فثمة من اخترع بعضاً منها كي يجعل ميته شاعرنا ميته شاعرية. والخوض في هذه الأساطير ليس من شرط عملنا.

باب الواقعة في الأكاديميين

نبدأ بحمد من يستحق الحمد. تلك عاتكة الخزرجي التي حققت ديوان العباس بن الأحنف، وأهدته «إلى أستاذنا الشيخ الجليل والعلامة الكبير المستشرق الفرنسي الشهير، ر. بلاشير». فهذه الفتاة العراقية تنال دكتوراه الدولة من السوربون عن هذا التحقيق وهي في الثلاثين من العمر. ثم تمضي لكي تكون الشاعرة المعروفة. لكنها عندما توفيت عام ١٩٩٧ عن ثلاث وسبعين سنة كانت مغمورة؛ بسبب أحداث العراق، وبسبب نازك الملائكة. فقد التزمت عاتكة الشعر العمودي، وشهدت موته على يد أبناء بلدها السياب ونازك

الملائكة والبياتي. على أن لها شعراً في حب بغداد جميلاً حقاً، وفصيلاً جداً، وذا قوافٍ بديعة، وفيه فيض حب بريء. وهي فصيحة جداً، وعربيتها مما تقرأه لكي تحس به، وتفهمه، ولكي.. تتفرج على حسنه.

ترى في تحقيقها للديوان شرحاً في غاية الإيجاز، لكنه شرح صادق. تشرح لك الكلمة الصعبة، لا كأولئك الدجالين الذين يشرحون الكلمة السهلة ويتركون الصعبة. وهي دقيقة في هوامشها وإحالاتها وفهارسها. تحقيق حقيقي.

ذهب ذلك الجيل، وجاء جيل من الأكاديميين الرقعاء، ولم نسّم أحداً منهم هنا. لو كنت زائراً قادماً من المريخ وأردت أن تزور الجامعات العربية فسوف نقول لك: تفضل إلى الصحراء. في العلوم المادية أبدع أكاديميون في استخراج شهادات الدكتوراة من الجامعات العربية والأجنبية لكي يصبحوا مجرد معلمي صبيان، ولا ابتكار ولا اختراع، ولا مختبرات حقيقية ولا مشاركة في التصنيع. يعلمون طلبتهم المعادلات ويمتحانهم، ويشهدون لهم، كي ينطلق الطلبة لتعليم تلاميذ المدارس، ولا ارتباط بين تلك العلوم وبين المصنع. ونظّل نستورد كل شيء. وفي العلوم الإنسانية يلقي الأكاديميون دروسهم على الطلبة، ويكتبون لهم دوسيهات حقيرة يسمونها كتباً. وينقلون عن القدماء، أو عن الأجانب نقلاً مختلاً. ويذهب الأستاذ بعد انتهاء المحاضرات إلى منزله كي يتغدى ويتمدّد. ثم لا شيء. ثم يموت. ويترك الأكاديميون تحقيق كتب التراث لصبية المطابع. وبالمناسبة فإن صبية المطابع يحملون أيضاً شهادات الدكتوراه. ما هذه المصيبة التي نحن فيها؟

هي حالة من التردي شاملة.

١ أحق من الموتى

لَعَمْرِي لِأَهْلِ الْعَشْرِ فِيمَا يُصَيِّهُمُ أَحَقُّ بِأَنْ يُبْكِيَ عَلَيْهِم مِّنَ الْمَوْتَى

٢ إذا خلا بيكائه

مَا يَصْنَعُ الصَّبُّ الْحَزِينُ مَنْ جَفَاهُ أَهْلُ صَفَائِهِ
لَا شَيْءَ إِلَّا صَبْرُهُ حَتَّى يَمُوتَ بِدَائِهِ
أَوْ يَشْتَغِي مِمَّا يُجِنُّ - إِذَا خَلَا بِبِكَائِهِ

يجن: يكتم

٣ حلم يقظة

إِنَّ الْهَوَىٰ لَوْ كَانَ يَنْبَغُ
لَطَلَبْتُهُ وَجَمَعْتُهُ
فَقَسَمْتُه بَيْنِي وَبَيْنِ
فَنَعِيشُ مَا عِشْنَا عَلَىٰ
حَتَّىٰ إِذَا مُتْنَا جَمِيعًا
مَاتَ الْهَوَىٰ مِنْ بَعْدِنَا،
فَقَدْ فِيهِ حُكْمِي أَوْ قَضَائِي
مِنْ كُلِّ أَرْضٍ أَوْ سَمَاءٍ
نَحْبِيبِ نَفْسِي بِالسَّوَاءِ
مَحْضِ الْمَوَدَّةِ وَالصَّفَاءِ
عَمَّا، وَالْأُمُورُ إِلَىٰ فَنَاءِ
أَوْ عَاشَ فِي أَهْلِ الْوَفَاءِ

٤ حلم واثق بالجنة

أَيَا فَوْزُ لَوْ أَبْصَرْتَنِي مَا عَرَفْتَنِي
وَأَنْتَ مِنَ الدُّنْيَا نَصِيبِي، فَإِنْ أُمْتُ
لِطَوَّلِ شَجُونِي بَعْدَكُمْ وَشُحُوبِي
فَلَيْتَكَ مِنْ حُورِ الْجَنَانِ نَصِيبِي

٥ العاذلات الكائدات

وَقَدْ قَالَ لِي نَاسٌ: تَحْمَلُ دَلَالَهَا
وَإِنِّي لِأَقْلِي بِذَلِكَ غَيْرِكَ فَاعْلَمِي
فَكُلُّ صَدِيقٍ سَوْفَ يَرْضَىٰ وَيَغْضَبُ
وَيُخْلِكُ فِي صَدْرِي أَلْذَّ وَأَطْيَبُ
أَقْلِي: أَتَجَنَّبُ

وَإِنِّي أَرَىٰ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ نِسْوَةً
عَرَفْنَ الْهَوَىٰ مَنَّا فَأَصْبَحْنَ حُسْدًا
شَبَبْنَا لَنَا فِي الصَّدْرِ نَارًا تَلْهَبُ
يُخْبِرُنَا عَنَّا مَنْ يَجِيءُ وَيَذْهَبُ
تُبَلِّغُكُمْ عَنِّي الْحَدِيثَ وَتَكْذِبُ
وَإِنِّي ابْتَلَانِي اللَّهُ مِنْكُمْ بِخَادِمٍ

٦ الحبيبة الغضوب

وَإِنَّ الْوُدَّ لَيْسَ بِكَادٍ يَبْقَىٰ
خَفَضْتُ لِمَنْ يَلُودُ بِكُمْ جَنَاحِي
إِذَا كَثُرَ التَّجَنُّبِي وَالْعَتَابُ
وَتَلَفَّقُونِي كَأَنَّكُمْ غَضَابُ
تَقَرَّبْتُ مِنَ الْقَرِيبِينَ مِنْكَ إِكْرَامًا لَكَ، وَتَلَقَّيْتَنِي كَأَنَّكَ غَاضِبَةٌ

٧ دعاء عليها بالحب

وَقَائِلَةٌ بِالْجَهْلِ: يَا لَيْتَ أَنَّهَا
تُلَاقِي الَّذِي تَلْقَىٰ مِنَ الْجَهْدِ وَالْكَرْبِ
إِحْدَىٰ قَرِيبَاتِي تَقُولُ، وَيَا لَجَهْلَهَا، لَيْتَ أَنَّكَ يَا مَحْبُوبَتِي تَلَاقِينَ مِنَ الْجَهْدِ (التعب) وَالْكَرْبِ
(البلاء) مَا أَلْقَىٰ

فقلتُ لها: ما أَشتهي أن يُصيبها بلائي، ولكنَّ بعضُ ما بي من الحُبِّ

٨ دعاء على الحب

أباحَ حِمِّيَ قلبي الهوى فأذَلَّهُ ألا ليتَ لم أخلَقْ ولم يُخلَقِ الحُبُّ

٩ العاتب والملول

لو كنتَ عاتبةً لَسَكَّنَ لوعتي أَمَلِي رضاك، وزُرْتُ غيرَ مُراقِبٍ

غير مراقب: غير مهتم بالأمر، لأنه مجرد عتب

لكنَّ مَلَلتِ، فلم تُكُنْ لي حيلةً، صَدُّ المَلُولِ خِلافُ صَدِّ العاتِبِ

١٠ فرح بخبر

إذا قيلَ تُقربِكَ السَّلامَ تَماسَكَتْ حُشاشةٌ قلبي، وأنجَلَتْ غَمْرَةُ الكَرْبِ

حشاشة قلبي: البقية الباقية منه، غمرة الكرب: سحابة الغم

١١ قلبي الذاهب

كيف احتبالي لِإنسانٍ بُليتُ به يَجني الذُّنوبَ فإنَّ عاتبته غَضِبا؟

يهوى خِلافي، فلو أني أَكلَفُهُ على الظَّما مِنْهُ شُرْبَ الماءِ ما شَرِبا

تخالفني لمجرد الخلاف، فلو قلت: اشربي، وهي عطشى، لما شربت

أبكِي ظُلومَ وأبكِي ما فُجِعْتُ به منها، وأبكِي على قلبي الذي ذَهَبَا

١٢ دائي الطبيب

أَغْيَانِي السَّادِنُ الرَّيبُ أَكْتُبُ أَشْكو ولا يُجيبُ

الشادن: ولد الغزالة، الريب: النعم في حضن والديه

مِنْ أَيْنَ أَبْغِي دواءَ ما بي وإنما دائي الطَّبيبُ

١٣ حاضر في قلبي

أما والذي لو شاءَ لم يَخْلُقِ النوى لئن غَبَّتْ عن عيني لَمَّا غَبَّتْ عن قلبي

١٤ أنتِ الدنيا

غَضِبْتُ عَلَيْكَ سِيدَتِي وما لِلْعَبْدِ وَالْغَضَبِ

هَجَرْتُكَ عَادِيًّا طَوْرِي فَلَمْ أَرْشُدْ وَلَمْ أَصِبِ
أَمَّا وَاللَّهِ رَبِّ الْبَيْتِ وَالْأَسْتَارِ وَالْحُجُبِ
لَقَدْ طَابَتْ بِكَ الدُّنْيَا وَلَوْ لَا أَنْتَ لَمْ تَطِيبِ

١٥ العيش على الرجاء

رَجَاءُ كَشِبِهِ الْيَأْسُ أَمْسَى يَقُوْنِي أَذُبُّ بِهِ عَنِّي الرَّدَى وَأَغَالِبُهُ
أَرْجُو وَصَلَ الْحَبِيبِ وَلَكِنَّ رَجَاءَ شِبْهِ الْيَأْسِ لَضَعْفُهُ، وَلَكِنَّ يَقُوْنِي (يَعِيشَنِي)، وَأَذُبُّ (أَدْفَعُ) بِهِ
الْمَوْتَ عَنْ نَفْسِي، وَأَغَالِبُ الْمَوْتَ (أَقَاوِمُهُ)

١٦ حب من طرف واحد

مَا زِلْتُ أَسْخَرُ مَنْ يُحِبُّ مَنْ لَا يُحِبُّهُ
حَتَّى ابْتُلَيْتُ بِمَنْ لَا يُحِبُّنِي وَأَحِبُّهُ
يَهْوَى بِعَادِيٍّ وَهَجْرِي وَمُنَيْتِي الدَّهْرَ قَرْبُهُ
الدَّهْرُ: طَوَّلَ الدَّهْرَ

فَلَيْتَ قَلْبِي لَهُ كَأَنَّ نَ مِثْلَ مَا لِي قَلْبُهُ

١٧ القصيدة الواغلة

نسب صاحب المستطرف إلى العباس بن الأحنف أبياتاً، وقد استطاب مصطفى الشكعة هذه الأبيات جداً ضمن خمسين صفحة عقدها للعباس في كتابه «الشعر والشعراء في العصر العباسي»، ونقلت الأبيات عاتكة الخزرجي في تحقيقها للديوان، ولم ينقلها كرم البستاني، فلعله رأى فيها ما نراه من أن عليها ويسم عصر الإشبهي (ويبعد سبع مئة سنة عن عصر العباس) (لا نظن العباس ولا عصر العباس يقولان: «كل شيء ضده»، و«مبغوضاً»، و«نبحت عليه»، و«كشرت أنيابها»)، على أننا نقل الأبيات لطرافتها، وللشطر الثاني من البيت الثاني:

يَمْشِي الْفَقِيرُ وَكُلُّ شَيْءٍ ضَدَّهُ وَالنَّاسُ تُغْلَقُ دُونَهُ أَبْوَابُهَا
وَتَرَاهُ مَبْغُوضاً وَلَيْسَ بِمَذْنِبٍ وَيَرَى الْعَدَاوَةَ لَا يَرَى أَسْبَابُهَا
حَتَّى الْكِلَابُ إِذَا رَأَتْ ذَا ثَرْوَةٍ خَضَعَتْ لَدَيْهِ وَحَرَّكَتْ أَذْنَابُهَا
وَإِذَا رَأَتْ يَوْماً فَقِيراً عَابِراً نَبَحَتْ عَلَيْهِ وَكَشَّرَتْ أَنْيَابُهَا

١٨ حلاوة الهجران

وأحسن أيام الهوى يومك الذي تُرَوِّعُ بِالْهَجْرَانِ فِيهِ وَبِالْعَتَبِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبِّ سَخَطٌ وَلَا رِضًا فَإِنَّ حَلَاوَاتِ الرِّسَائِلِ وَالْكِتَابِ

١٩ دعاء في الصلاة

يَا فَوْزُ هَلْ لِي مِنْكُمْ مَجْلِسٌ تَقَرَّرْ عَيْنِي فِيهِ قَبْلَ الْمَمَاتِ
يَا بِأَبِي أَنْتَ لَقَدْ سَرَّنِي مَا كَانَ مِنْ قَوْلِكَ لِلْعَاذِلَاتِ
وَاللَّهِ لَا أَسْمَعُ فِي حَبِّكُمْ حَتَّى أَذُوقَ الْمَوْتَ قَوْلَ الْوُشَاةِ
هَمِّي مِنَ الدُّنْيَا خُلُويَ بِهَا بِذَاكَ أَدْعُو خَالِقِي فِي الصَّلَاةِ

٢٠ قصة عاشق وعاذلة

إِنَّ الَّتِي حَدَّثْتُكَ قَدْ كَذَبَتْ وَأَدْرَكْتُ عِنْدَكَ الَّذِي طَلَبْتُ
إِسْتَفْهِمِي قِصَّتِي وَقَصَّتْهَا أَخْبَرْتُكَ عَنْهَا بِقُبْحِ مَا صَنَعْتُ
أَقْبَلْتُ أَسْعَى إِلَيْكَ مَكْتَتِمًا فَأَعْرَضْتَ دُونَكُمْ وَقَدْ عَلِمْتُ ..
أَنْ لَيْسَ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ يَعْدِلُكُمْ عِنْدِي، وَتَوَكَّدَ أَمْرُنَا شَهْدْتُ ..
هَذِهِ الْمَرْأَةُ اعْتَرَضَتْ طَرِيقِي وَأَنَا مَقْبِلٌ عَلَيْكَ، وَتَأَكَّدْتُ مِمَّا بَيْنَنَا مِنَ الْحُبِّ، وَأَرَادَتْنِي لِنَفْسِهَا ..
فَقُلْتُ كَالْمَشْتَهِي لِمَا ذَكَرْتُ: إِنِّطْلِقِي اتَّبِعْكَ فَاِنِطْلَقْتُ
فَنَظَاهَرْتُ بِأَنِّي قَابِلٌ لِعَرْضِهَا، فَقُلْتُ أَذْهَبِي وَسَوْفَ أَتْبَعُكَ ..

أَخْلَفْتُهَا وَعَدَهَا وَجِئْتُكُمْ فَعِنْدَهَا يَا حَبِيبَتِي غَضِبْتُ
وَلَمْ أَذْهَبْ إِلَيْهَا بَلْ جِئْتُكَ أَنْتِ، فَغَضِبْتُ هِيَ
فَأَقْسَمْتُ لَا تَزَالُ جَاهِدَةً تُفِيدُ مَا بَيْنَنَا . وَقَدْ فَعَلْتُ
قِصَّةَ صَغِيرَةٍ مِنْ تَوَافِهِ قِصَصِ الْمُحِبِّينَ، وَهِيَ جَمَالُهَا، وَقِيمَتُهَا الْأَدَبِيَّةُ

٢١ عبد المرأة

وَلَقَدْ قُلْتُ وَالْهَمُومُ رُكُودٌ وَدُمُوعِي عَلَى الرَّدَاءِ تَجُودُ
الْهَمُومُ رَاكِدَةٌ فَوْقَ صَدْرِي، وَدُمُوعِي تَبِلُ رَدَائِي
يَا بَنِي آدَمِ تَعَالَوْا تُنَادِي: إِنَّمَا نَحْنُ لِلنِّسَاءِ عَبِيدُ

مَنْ يَلْمُنِي عَلَى النِّسَاءِ أَلَمُهُ أَنَا وَاللَّهُ لِلنِّسَاءِ وَدُودُ

٢٢ البكاء بماء البحر

لَقَدْ شَقِيتُ لَئِنْ دُمْنَا كَذَا أَبَدًا إِذَا سَعَيْتُ لِإِصْلَاحِ الْهَوَى فَسَدَا
مَا تَظَرَّفْتُ الْعَيْنُ إِلَّا وَهْيَ وَإِكْفَةٌ لَوْ كُنْتُ أَبْكِي بِمَاءِ الْبَحْرِ قَدْ نَفِدا
واكفة: تسيل بالدمع

وَلَا تَنْفَسْتُ إِلَّا ذَاكِرًا لَكُمْ لَا شَيْءَ يَشْغَلُنِي عَنْ ذِكْرِكُمْ أَبَدًا
يَا رَبِّ ذِي حَسَدٍ يَا فَوْزُ يُظْهِرُهُ، لَوْ كَانَ يَعْلَمُ حَظِّي مِنْكَ مَا حَسَدَا

٢٣ دلال المريضة

قَالَتْ مَرَضْتُ فَعَدْتُهَا، فَتَبَرَّمْتُ وَهِيَ الصَّحِيحَةُ، وَالْمَرِيضُ الْعَائِدُ
العائد: زائر المريض

وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ كَقُلُوبِهَا مَا رَقَّ لِلْوَلَدِ الصَّغِيرِ الْوَالِدُ
لَمَا رَأَيْتُ اللَّيْلَ سُدَّ طَرِيقُهُ عَنِّي، وَعَذَّبَنِي الظَّلَامُ الرَّاكَدُ
الراكد: الجاثم، الضاغط على الصدر

وَالنَّجْمُ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ كَأَنَّهُ أَعْمَى تَحَيَّرَ مَا لَدَيْهِ قَائِدُ
نَادَيْتُ مَنْ طَرَدَ الرِّقَادَ بَنُوْمِهِ عَمَّا أَعَالِجُ، وَهُوَ خَلَوُ هَاجِدُ
ناديت حبيبي الذي أبعد عن عيني الرقاد لأنه نام عما أعالج، أي أهمل همومي، وهو خلي من
الهموم هاجد نائم

يَا ذَا الَّذِي صَدَعَ الْفَوَادَ بِصَدِّهِ أَنْتَ الْبَلَاءُ طَرِيقُهُ وَالتَّالِدُ
الطريف: الجديد، التالد: القديم

يَقْعُ الْبَلَاءُ وَيَنْقُضِي عَنْ أَهْلِهِ وَبَلَاءُ حَبِّكَ كُلِّ يَوْمٍ زَائِدُ

٢٤ لا حديث له سواها

يَا مَنْ شَكَأ شَوْقَهُ مِنْ طُولِ غَيْبَتِهِ إِصْبِرْ لَعَلَّكَ أَنْ تَلْقَى الْحَبِيبَ غَدَا
لَنْ يَسْتَطِيعَ الْفَتَى كِتْمَانَ خَلَّتِهِ حَتَّى يَحْدُثَ عَنْهَا أَيْنَمَا قَعَدَا
خلته: مشكلته

هِيَ الْمُنَى لِيْ أَهْوَآهَا وَأَطْلُبُهَا وَسَائِرُ النَّاسِ يَهْوِي الْمَالَ وَالْوَلَدَا

٢٥ شيء بين الجوانح

أَبْكِي الَّذِينَ أَذَاقُونِي مَوَدَّتَهُمْ حَتَّى إِذَا أَبْقَطُونِي لِلْهَوَى رَقَدُوا
وَاسْتَنْهَضُونِي فَلَمَّا قَمْتُ مُنْتَضِباً بِثِقَلِ مَا حَمَلُوا مِنْ وَدْهِمْ قَعَدُوا
جَارُوا عَلَيَّ وَلَمْ يُوفُوا بِعَهْدِهِمْ قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُهُمْ يُوفُونَ إِنْ عَهَدُوا
لَاخْرُجَنَّ مِنَ الدُّنْيَا وَحُبُّهُمْ بَيْنَ الْجَوَانِحِ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدُ
أَلْفِيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْهَمِّ مَعْرِفَةً لَا تَنْقُضِي أَبَداً أَوْ يَنْقُضِي الْأَبَدُ

٢٦ ختم الحب

إِنِّي لِأَحْسَبُ، وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ أَنِّي وَإِيَّاكَ مِثْلُ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ
حَتَّى سَعَتْ بَيْنَنَا يَا فَوْزٌ سَاعِيَةٌ مَشْهُورَةٌ عُرِفَتْ بِالنَّفْثِ فِي الْعُقَدِ
النَّفْثُ بِالْعَقْدِ: السَّحَرُ، يَعْنِي الْكَيْدَ

يَا فَوْزٌ لَا تَسْمَعِي مِنْ قَوْلِي وَاشِيَةٍ لَوْ صَادَقْتُ كَيْدِي عَصَّتْ عَلَى كَيْدِي
إِنَّ الْمُحِبِّينَ قَوْمٌ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ وَسَمٌ مِنَ الْحَبِّ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ

٢٧ أحس بأنني ملك

مَا إِنْ لِمَا بِي دَوَاءٌ غَيْرُ رُؤْيَيْهَا، دَوَاءٌ مَا بِي عَزِيزٌ غَيْرُ مَوْجُودٍ
مَا إِنْ لِمَا بِي دَوَاءٌ: لَيْسَ لِمَا أَعَانِيهِ دَوَاءٌ

يَا شُغْلَ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا وَبِهَجَّتِهَا مَا تَأْمُرِينَ بِصَبِّ الْقَلْبِ مَعْمُودٍ
يَخَاطِبُهَا، فَهِيَ شُغْلَ نَفْسِهِ، مَعْمُودٌ: مَبْتَلَى بِالْحَبِّ

كَأَنَّهُ يَوْمَ يَأْتِيهِ رَسُولُكُمْ قَدْ نَالَ مُلْكُ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ

٢٨ يا سعد

وَحَدَّثْتَنِي يَا سَعْدُ عَنْهَا فِرْدَتْنِي جُنُوناً، فِرْدَنِي مِنْ حَدِيثِكَ يَا سَعْدُ
هَوَاهَا هَوَى لَمْ يَعْلَمْ الْقَلْبُ غَيْرَهُ فَلَيْسَ لَهُ قَبْلُ وَلَيْسَ لَهُ بَعْدُ

٢٩ الحب الخالد

كُلَّ يَوْمٍ لَنَا عِتَابٌ جَدِيدٌ وَهَوَانَا عَلَى الْعِتَابِ يَزِيدُ
كُلُّ حُبٍّ يَبِيدُ يَوْمًا فَيَفْتَنِي وَهَوَانَا وَهَجْرُنَا لَا يَبِيدُ

٣٠ وظيفة الدموع

أَبَيْتُ مُسَهَّدًا قَلْبًا وَسَادِي أَخَفَّفُ بِالدموعِ عَنِ الفؤَادِ

٣١ منتهى اليأس

يَا مُوقِدَ النَّارِ بِالْهِنْدِيِّ وَالْعَارِ هَيَّجَتْ لِي حَزَنًا يَا مُوقِدَ النَّارِ
بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْمِيدَانِ أَرْقُبُهَا شُبْتُ لِعَازِنَةٍ بِيضَاءِ مِغْطَارِ
أَرْقُبُ نَارًا أُخْرَى بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَكَانَيْنِ، وَقَدْ أَوْقَدْتَ لَتِلْكَ الْغَانِيَةِ، كَأَنَّمَا يَصِفُ مِشَاعِلَ قَصْرِهَا لَيْلًا

هَاجَتْ لِي الرِّيحُ مِنْهَا نَفْحٌ رَائِحَةٌ أَخْبَتْ عِظَامِي وَهَاجَتْ طُولَ تَذْكَارِي
أَخْبَرُ النَّاسَ أَنِّي قَدْ سَلَوْتُكُمْ وَاللَّهِ يَعْلَمُ مَا مَكْنُونُ إِضْمَارِي
مَا تَطْعَمُ النَّوْمَ عَيْنِي مِنْ تَذَكُّرِكُمْ فَمَا أَنَامُ إِذَا مَا نَامَ سُمَارِي
أَنَا وَعَمُّكَ مِثْلُ الْمَهْرِ يَمْنَعُهُ مِنْ قُوَّتِهِ مَرْبِضُ الْمُسْتَأْسِدِ الضَّارِي
عَمَهَا يَمْنَعُهُ الزَّوْجُ مِنْهَا، فَكَأَن شَاعَرْنَا مَهْرًا، وَعَمَهَا الْأَسَدُ الضَّارِي الَّذِي يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَرَعَاهُ

لَوْ كُنْتُ يَا عَمُّهَا حَرَّانَ سَرَّكَ أَنْ نَحْيَا بِإِظْمَاءِ إِيرَادٍ وَإِصْدَارِ
المعنى الملموح: لو جربت العطش لسرَّكَ أَنْ تَرِدَ الْمَاءَ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

فَمَا أَخُو سَفَرٍ فِي الْبَيْدِ مُرْتَهِنٍ قَدْ كَانَ فِي رُفْقِي شَتَّى لَأَمْصَارِ
بداية تشبيه طويل. هذا مسافر رافق أقواماً مختلفين في بلاد شتى

أَخْطَا الطَّرِيقَ وَأَفْتَى الزَّادَ وَانْقَطَعَتْ عَنْهُ الْمَنَاهَلُ فِي يَهْمَاءِ مِقْفَارِ
وفي الصحراء انفرد عن رفاقه وتاه. وانقطعت عنه مناهل الماء،
في هذه اليهماء المقفار (الصحراء الجافة)

يَدْعُو بِصَوْتٍ شَجِيٍّ لَا أَنْيَسَ لَهُ قَدْ غَابَ عَنْهُ أَنْيَسُ الْأَهْلِ وَالْجَارِ
حَتَّى أَتَى الْمَاءَ بَعْدَ الْيَأْسِ تُحْرِزُهُ رَيْدَاءُ مَكْسُوءَةِ أَطْوَاقِ أَحْجَارِ
ثم وجد ماءً، والماء تحرزه (تحفظه) ورياء (بئر قديمة غطاها التراب) حولها طوق من حجارة

لَمَّا تَبَيَّنَ أَنْ لَا ذُلَّوَ حَاضِرَةً وَلَا رِشَاءَ وَلَا عَهْدَ لَأَنَارِ

اكتشف أن لا دلو ولا رشاء (حبلى)، وليس هناك آثار أقدام لناس حول البئر

دَلَّى عِمَامَتَهُ حَتَّى إِذَا انْقَشَعَتْ عَمَامَةُ الْمَاءِ عَنْ عَذْبٍ وَمَوَارٍ

دَلَّى عِمَامَتَهُ فِي الْبُئْرِ حَتَّى إِذَا انْزَاخَتْ طَبَقَةُ الْغُبَارِ الَّتِي عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ وَتَبَيَّنَ أَنَّ تَحْتَهَا مَاءٌ عَذْبٌ
موار (متحرك)

أَهْوَى يُقَلِّبُهَا فِي الْمَاءِ مَغْتَبِطاً يَكُرُّهَا فِيهِ طَوَّراً بَعْدَ أَطْوَارٍ

بدأ يقلب العمامة حتى تشرب بالماء

حَتَّى إِذَا هُوَ رَوَّاهَا وَأَخْرَجَهَا وَقَالَ قَدْ نِلْتُ يُسْرَاً بَعْدَ إِعْسَارٍ

وَجَرَّهَا، صَوَّبَتْ فِي الْبُئْرِ رَاجِعَةً وَاسْتَقْبَلَتْ نَفْسُهُ الدُّنْيَا بِإِنْكَارٍ

وهو يخرجها صوبت (رجعت) إلى البئر، فقامت الدنيا في عينيه

يَوْمًا بِأَجْهَدَ مِنِّي حِينَ تَمَنُّعُنِي لِغَيْرِ جُزْمٍ لُبَانَاتِي وَأَوْطَارِي

هذا الشخص الذي قصص قصته ليس أكثر تعباً مني وأنت تمنعني لباناتي (حاجاتي) وأوطاري (حاجاتي)

٣٢ ادفنوني عندكم

يَا أَهْلَ قَوْزٍ ادفنوني بين دُورِكُمْ نَفْسِي الْفِدَاءَ لِتِلْكَ الدُّوْرِ مِنْ دُورٍ

٣٣ الأمور الكبار

نَزَفَ الْبُكَاءُ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْتَمِرَّ عَيْنَاً لِغَيْرِكَ دُمْعُهَا يَذْرَأُ

مَنْ ذَا يُعْبِرُكَ عَيْنُهُ تَبْكِي بِهَا، أَرَأَيْتَ عَيْنَاً لِلْبُكَاءِ تُعَارُ؟

الْحُبُّ أَوَّلُ مَا يَكُونُ لِحَاجَةٍ نَأْتِي بِهِ وَتَسْوُقُهُ الْأَقْدَارُ

لحاجة: إلحاح طاري

حَتَّى إِذَا اقْتَحَمَ الْفَتَى لُجَجَ الْهُوَى جَاءَتْ أُمُورٌ لَا تُطَاقُ كِبَارُ

وَإِذَا نَظَرَتْ إِلَى الْمَجِبِّ عَرَفَتْهُ وَبَدَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْهُوَى آثَارُ

قُلْ مَا بَدَا لَكَ أَنْ تَقُولَ فَرَبِمَا سَاقَ الْبَلَاءُ إِلَى الْفَتَى الْإِقْدَارُ

يَا قَوْزُ هَلْ لَكَ أَنْ تَعُودِي لِلَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ مِنْذُ نَحْنُ صِغَارُ

هَلْ تَذْكُرِينَ بِدَارٍ بَكَرٍ لَهَوْنَا وَلَسْنَا بِذَلِكَ مَخَافَةً وَحِذَارُ

مُتَطَاعِمِينَ بِرِيقِنَا فِي خَلْوَةٍ مِثْلَ الْفِرَاحِ تَرْقُهَا الْأَطْيَارُ
أَمْ تَذْكُرِينَ لِدَلَجَتِي مَتَنَكِّرًا وَعَلَيَّ فَرَوَا عَاتِقِي وَخِمَارُ
تذكرين دلجتي (دخولي ليلاً) وأنا أضع فروي عاتق (فروتين تليسان على العاتق أي الظهر)
وخماراً، يبدو انه أراد إخافتها في الليل وهما صغيران

فَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّيْلَ دَامَ، وَأَنَّهُ ذَهَبَ النَّهَارُ فَلَا يَكُونُ نَهَارُ
ليت تلك الليلة طالت

مَا تَأْمُرِينَ، فَذَلِكَ نَفْسِي، فِي فَتَى مَا تَلْتَقِي لِجُفُونِهِ أَشْفَارُ
أي أن رموش عينه لا تلتقي فهي مفتوحة فهو ساهر لا ينام

صَرَمَ الْأَحَبُّ حَبْلَهُ فَكَأَنَّهُ إِذْ غَادَرُوهُ وَضَرَّهُ الْإِضْرَارُ..
صرم، قطع، الأحبة حبله، أي هجره، وفي هذا ضرر

رَجُلٌ تَطَاوَلَ سُقْمُهُ فِي غُرْبَةٍ نَزَحَتْ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ الْأَسْفَارُ..
بدأ هنا تشبيهاً طويلاً، فهو مثل رجل مرض في الغربة

حَتَّى أُتِيحَ لَهُ، وَذَاكَ لِحَيْنِهِ رَكِبَ رَمَتْ بِهِمُ الْفَجَاجُ تِجَارُ..
فأتيح له ركب، أي قافلة، من التجار رمت بهم الفجاج (الطرق). وهذا لحينه (لهلاكه)،
وسنرى كيف ذاك..

حَمَلُوهُ بَيْنَهُمْ نَحِيلاً جَسْمُهُ عَارِي الْعِظَامِ ثِيَابُهُ أَظْمَارُ..
الأطمار: الثياب المهترئة

فَشَوَى تُقَلِّبُهُ الْأَكْفُفُ مُلَقِّفًا وَلَهُ تُشَدُّ وَتُوضَعُ الْأَكْوَارُ..
ثوى (مكث) يتلقفونه محاولين حمله على الجمل، ويشدون الأكوار (أخشاب الرحل) كي يركب
هذا المريض

حَتَّى إِذَا سَلَكُوا بِهِ فِي مَهْمِهِ قَفَرٍ تَضِلُّ بِهِ الْقَطَا وَتَحَارُ..
ومشوا به في مهمه (طريق موحشة) تضل به القطا وتحار (والقطا من طير الصحراء فإذا ضلت في
الطريق فهو موحش جداً لا شك)

عَرَضُوا مِنَ النَّضْوِ الْعَلِيلِ فَعَطَّلُوا مِنْهُ الرِّكَابَ، وَخَلَّفُوهُ وَسَارُوا
في هذا الطريق غرضوا من النضو (ملؤا من المريض)،
فخلصوا منه القافلة وتركوه وساروا

٣٤ بشارة وحيرة

ولمّا رأت أن لا وصولَ إلى الهوى تراءت من السطح الرفيع المُحَجَّرِ
يبدو أنها أطلت عليه من سطح بيتها

فقلتُ لها يا قَوْزُ هل لي إليكمُ سبيلٌ فقالت بالإشارة أبشِرْ
وقفتُ لها في ساحةِ الحَيِّ ساعةً أشيرُ إليها بالرداءِ المُعْضَفِ
نَظَرْتُ إلى ما لم تَرَ العينُ مثله إلى قمرٍ في رَازِقِي ومُتَزَرِ
الرازقي: ثوب كتان أبيض، والمتزّر: الثوب

إذا ماتَ عباسٌ وفوزٌ فإنَّه يموتُ الهوى واللَّهُوُ مِنْ كُلِّ مَعَشَرِ

٣٥ الحب قدري

أخفي الهوى وَهُوَ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ إِنِّي لُمُسْتَتِرٌ فِي غَيْرِ مُسْتَتِرِ
كأني مستر لكن بلا مستر (استار)
فأَكْثِرُوا أَوْ أَقِلُّوا مِنْ مَلَامِكُمْ فكلُّ ذَلِكَ مُحْمُولٌ عَلَى الْقَدَرِ
الحب الذي يعذبني هو قضاء وقدر، فلا تزيله إرادتي فكفوا عن اللوم

٣٦ سال بك السيل

يَا مَنْ تَمَادَى قَلْبُهُ فِي الْهَوَى سَالَ بِكَ السَّيْلُ وَلَا تَدْرِي
يَحْذَرُ الْعَرَبُ مِنَ النُّومِ فِي مَجْرَى السَّيْلِ، لِأَنَّهُ يَفَاجِئُ، وَيَجْرِفُ جَرَفًا
إِنَّ الَّذِي أَظْهَرَ عِنْدَ الَّذِي أَضْمِرُ كَالنَّقْطَةِ فِي الْبَحْرِ
ما أظهره من العشق هو بالنسبة لما أضمره نقطة في بحر

اليَوْمُ مِثْلُ الْعَامِ حَتَّى أَرَى وَجْهَكَ، وَالسَّاعَةُ كَالشَّهْرِ
أَفْسَدَ قَلْبِي شَادِنٌ أَخَوَزُّ يَسْحَرُ بِالْعَيْنَيْنِ وَالشَّغْرِ
كُنْتُ أَهَادِيهِ سَلَامِي فَلَا يَدْخُلُهُ شَيْءٌ مِنَ الْكِبَرِ
حَتَّى إِذَا خَاطَبْتُهُ بِالْهَوَى خَاطَبَنِي بِالسَّبِّ وَالزُّجْرِ
فَلَيْتَهُ عَادَ وَعُذْنَاهُ لَه بِمِثْلِ مَا كُنَّا إِلَى الْحَشْرِ

٣٧ ملء البصر

وَأَحْذَرُ أَنْ تَطْعَى إِذَا بُحْتُ بِالْهَوَى فَأَكْتُمُهَا جَهْدِي هَوَاهَا، وَيَظْهَرُ

وما عَرَضْتُ لِي نَظْرَةً مُذْ عَرَفْتُهَا فَأَنْظُرَ إِلَّا مُثُلْتُ حَيْثُ أَنْظُرُ
 فَيَا وَائِقًا مِنِّي بِمَا قَدْ بَدَأَ لَهُ، وَأَكْثَرُ مِنْهُ مَا أُجِنُّ وَأُضْمِرُ..
 تَفَكَّرْ! فَمَا تَدْرِي، لَعَلَّكَ تُبْتَلَى بِمَا بِي، وَيَصْحُو عَنْكَ قَلْبِي وَيَصِيرُ
 أَلَا أَيُّهَا النَّاهُونَ عَنْهَا سَفَاهَةً قَدْ ازدَادَ وَجْدِي مُذْ نَهَيْتُمْ، فَأَقْصِرُوا

٣٨ أفاعي الصدر

قَدْ ضَاقَ بِالْحَبِّ صَدْرِي وَأَنْفَقَ الشَّوْقُ صَبْرِي
 أَنْفَقَ: أَفْرَغَ

فِي الصَّدْرِ حَيَّاتٌ هَمٌّ بَيْنَ الْجَوَانِحِ تَسْرِي

٣٩ الحزن الخالد

إِذَا مَا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ وَالْبُكَاءَ أَجَابَ الْبُكَاءُ طَوْعًا، وَلَمْ يُجِبِ الصَّبْرُ
 فَإِنْ نَقَطْعَمِي مِنْكَ الرَّجَاءَ فَإِنَّهُ سَيَقِي عَلَيْكَ الْحَزْنَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ

٤٠ الحورية

يَا قَوْزُ يَا مُنْتَهَى هَمِّي وَغَايَتَهُ وَيَا مُنَايَ وَيَا سَمْعِي وَيَا بَصْرِي
 صَارَتْ رِسَالَتُكُمْ يَا قَوْزُ نَادِرَةً بَعْدَ التَّنَائُعِ بِالْأَصَالِ وَالْبُكْرِ
 يَا مَنْ يُسَائِلُ عَنْ قَوْزٍ وَصُورَتِهَا إِنْ كُنْتُ لَمْ تَرَهَا فَاَنْظُرْ إِلَى الْقَمْرِ
 لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا لَهَا شَبَهًا إِنِّي لِأَحْسَبُهَا لَيْسَتْ مِنَ الْبَشَرِ

٤١ فاسق النظر

أَتَأْذَنُونَ لِصَبِّ فِي زِيَارَتِكُمْ فَعِنْدَكُمْ شَهَوَاتُ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ
 لَا يُضْمِرُ السُّوءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ عَفْتُ الضَّمِيرَ وَلَكِنْ، فَاسِقُ النَّظَرِ
 أَفَاضَ الْقِدَمَاءُ فِي مَدْحِ هَذَا الْبَيْتِ، وَهَلَّلَ لَهُ زَكِي مَبَارَكٌ فِي كِتَابِهِ «العشاق الثلاثة»

٤٢ القمر والحجر

أَيَا مَنْ وَجْهُهُ قَمَرٌ وَيَا مَنْ قَلْبُهُ حَجَرٌ
 وَيَا مَنْ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا لِنَفْسِي، غَيْرَهُ، وَطَرُ

أَغْرَكَ أَنْ حَبَّكَ فِي صَمِيمِ الْقَلْبِ يَسْتَعِيرُ

٤٣ أنت الناس

ما أَسَمَجَ النَّاسَ فِي عَيْنِي وَأَقْبَحَهُمْ إِذَا نَظَرْتُ فَلَمْ أَبْصُرَكَ فِي النَّاسِ
حَتَّى مَتَى كَيْدِي حَرَى مُعْطَشَةٌ وَلَا يَلِينُ لِشَيْءٍ قَلْبُكَ الْقَاسِي
يَا قَادِحَ الزَّنْدِ قَدْ أَعْيَا قَوَادِحُهُ إِقْبِسْ إِذَا شِئْتَ مِنْ قَلْبِي بِمُقْبَاسِ
يَا مَنْ يَقْدَحُ الزَّنْدَ (حجر النار) الَّذِي أَعْجَزَ الْقَادِحِينَ خَذْ شُعْلَةً مِنْ قَلْبِي بِمُقْبَاسِ (يعود أو نحوه)

٤٤ لا شيء مثله

جَرَّبْتُ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا شِدَائِدَهَا مَا مَرَّ - مِثْلَ الْهَوَى - شَيْءٌ عَلَى رَاسِي

٤٥ انصداع القلب

عَدَلْتُ مِنَ اللَّهِ أَبْكَانِي وَأُضْحَكُكُمْ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَلْتُ كُلُّ مَا صَنَعَا
الْيَوْمَ أَبْكِي عَلَى قَلْبِي وَأَنْدُبُهُ قَلْبُ أَلَحَّ عَلَيْهِ الْحَزَنُ فَاَنْصَدَعَا

٤٦ الود بشفاعه

إِذَا أَنْتَ لَمْ يَعْطِفْكَ إِلَّا شَفَاعَةُ فَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ يَكُونُ بِشَافِعِ

٤٧ ليتني كنت الميت

الْحَسَنُ مِنْكَ سَجِيَّةً مَطْبُوعَةً وَمِنْ النِّسَاءِ تَخَلُّقٌ وَتَصْنَعُ
يَوْمَ الْجِنَازَةِ لَوْ شَهِدْتُ تَمَتَّعْتُ عَيْنِي بِهَا وَلَقَلَّمَا تَمَتَّعُ
خَرَجْتُ وَلَمْ أَشْعُرْ بِذَاكَ فَلَيْتَنِي كُنْتُ الْجِنَازَةَ، وَهِيَ فِيمَنْ يَتَبَعُ

٤٨ اليأس بعد التعشيم

قَلْبِي إِلَى مَا ضَرَّنِي دَاخٍ يُكْثِرُ أَسْقَامِي وَأَوْجَاعِي
كَيْفَ احْتِرَاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي
مَا أَقْتَلَ الْيَأْسَ لِأَهْلِ الْهَوَى لَا سِيَّامًا مِنْ بَعْدِ إِطْمَاعِ
الْيَأْسَ مِنَ الْفَوْزِ بِقَلْبِ الْحَبِيبِ صَعْبٍ، وَخَاصَّةً إِذَا كَانَ الْحَبِيبُ أَطْمَعَكَ (عَشَمَكَ) فِي وَصْلِهِ

٤٩ المحطة الأخيرة

طاف الهوى بعباد الله كلهم حتى إذا مرَّ بي من بينهم وقف
إذا جحدت الهوى يوماً لأدفعه في الصدر، ثم عليّ الدمعُ مُعْتَرِفاً
لم ألقَ ذا صفةٍ للحُبِّ ينفعُهُ إلاَّ وجدْتُ الذي بي فوقَ ما وصفا

٥٠ أُملي أراك

إنِّي لأملُ أن أراك، وإنني من أن أموتَ ولا أراكِ لَخَائِفُ
يا غايَةً في الحُسْنِ إنِّي غايَةٌ في الحب. ليس يُطيق ما بي وأصفُ

٥١ كان لي قلب

نامَ مَنْ أُمَدَى لِي الأرقا مُسنريحاً سَامِنِي فَلَقَا
كان لي قلبٌ أَعِيشُ به فاضطَلَى بالحبِّ فاحترقا

٥٢ الطريق المسدود

يا فَوْزُ قد طالَتْ بكمُ شِقوتي يا فَوْزُ قد حُمِلْتُ ما لا أُطيقُ
واكْرَبْنَا مِنْ حَرِّ هذا الهوى كأنما في الجوفِ منه حريقُ
لا يَهْتَدِي قلبي إلى غيرِكُمْ كأنما سُدَّ عليه الطريقُ

٥٣ أنشقها

وأكبرُ حظِّي منكِ أنِّي إذا جرتُ لي الریحُ مِنْ تِلْقاءِكُمْ أَتَنَشَّقُ

٥٤ احتراق

أنا الذي لا تنامُ عيني، ولا تَرَقاً دُموعي ما دامَ بي رَمَقُ
ترقا: تجف

صِرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نُصِبَتْ نُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ
ذبالة: ما ظهر من فتيل المصباح

٥٥ متعلق بقشة

هلاً رَجِئْتُمْ مَوْقِفِي بِفَنائِكُمْ متحيراً، لِنَسِيمِكُمْ أَتَنَشَّقُ

مُتَلَدِّدًا أَرْنُو إِلَى مَنْ مَرَّ بِي مِثْلَ الْغَرِيقِ بِمَا لَقِي يَتَمَلَّقُ
متلددًا : متلفئًا

٥٦ الدموع الفاضحة

يَمْنَعُكَ الصَّبْرَ إِذَا رُمْتَهُ تَذْكَارُ مَنْ خَلَقْتَ بِالرَّافِقَةِ
الرافقة : الرقة العراقية، على الفرات

قَدْ كُنْتَ عَنْ وَصْفِ الْهَوَى سَاكِتًا فَفَضَحْتَكَ الْأَدْمُعُ النَّاظِقَةُ

٥٧ ظنونهم

عَنْ ابْنِ خَلِّكَانَ أَنَّ ابْنَ الْمَعْتَزِ قَالَ : أَحْسَنَ الشُّعْرِ قَوْلُ الْمُبَاسِّ بْنِ الْأَحْنَفِ :
(وَلَيْسَتْ فِي الدِّيَوَانِ)

قَدْ سَحَبَ النَّاسُ أَذْيَالَ الظُّنُونِ بَنَا وَفَرَّقَ النَّاسُ فِينَا قَوْلَهُمْ فِرْقًا
فَكَاذِبٌ قَدْ رَمَى بِالظَّنِّ غَيْرَكُمْ وَصَادِقٌ لَيْسَ يَدْرِي أَنَّهُ صَدَقَا

٥٨ طبل تحت الثوب

وَإِنِّي وَإِيَّاهَا كَمَا شَقَّنَا الْهَوَى لِأَهْلِ جِفَاظٍ لَا يُدْنَسُ بِالْجَهْلِ
وَإِنِّي وَكِتْمَانِي هَوَاهَا وَقَدْ قَشَا كَذِي الْجَهْلِ تَحْتَ الثَّوْبِ يَضْرِبُ بِالطَّبْلِ
أنا وكتماني لحبي إياها، بعد إذ ذاع أمر ذلك الحب،
كمن يخفي الطبل تحت ثوبه ويضرب به

٥٩ قصتنا تطول

كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ شَجَنًا لِفَوْزٍ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيَّ لَهَا عَوِيلُ
وَلَمْ نَجْلِسْ جَمِيعًا فِي خِلَاءٍ نُسِرُ بِمَا أَقُولُ وَمَا تَقُولُ
وَلَوْ حُدُّتُمْ عَنِّي وَعَنْهَا عَلِمْتُمْ أَنَّ قَصَّتْنَا تَطُولُ
وَكُنَّا آيَةً لِلنَّاسِ دَهْرًا إِذَا وُصِفَ الْخَلِيلَةُ وَالْخَلِيلُ
وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّا سَوْفَ نَبْلَى وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ لَا يَزُولُ
أَلَا يَا فَوْزُ أَنْتَ صَرْمَتِ حَبْلِي وَصَرْمَتُكَ عِنْدَنَا خَطْبٌ جَلِيلُ

٦٠ أثقلني حملي

يقولون لي واصل سواها لعلها تغار، وإلا كان في ذاك ما يُسلي
يقولون: اعشق غيرها حتى تغار، وإن لم تغر فقي عشق سواها ما يُسليك (بنسبك)

ووالله ما في القلبِ مثقالُ ذرَّةٍ لأخرى سواها، إنَّ قلبي لفي شغلٍ
حملتُ الهوى حتى إذا قمتُ بالهوى خَرَزْتُ على وجهي وأثقلني حملي
بحُرْمَةٍ ما قد كانَ بيني وبينكم من الودِّ إلا ما رجعتُم إلى الوصلِ
وإلا اقتلونني أَسْتَرِخَ مِنْ عَذَابِكُمْ عذابكم عندي أشدُّ مِنَ القتلِ
وكم مِنْ عدوٍّ رَقَّ لي وتكشَّفتْ حُزُونُهُ لي عن ثرى جانبٍ سهلٍ
لشدة ما ألقى من عذاب العشق رق لي قلب الأعداء، فكثيراً ما اكتشفت عدوًّا تحولت حزوته
(وعورته) لي إلى أرض سهلة

ومُجْتَهِدَاتٍ فِي الْفَسَادِ حَوَاسِدٍ لَهَا، وَهِيَ مِمَّا قَدْ أَرَدَنْ عَلَى جَهْلِ
تَأَزَّرْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ فَجِئْنَهَا، عَلَى وَجْهِ إِقَاءِ النَّصِيحَةِ، لِلْمَحَلِ
للمحل: للخداع

يُعَرِّضْنَ طَوْرًا بِالتَّعَاضِي، وَتَارَةً وَمَا زِلْنَ حَتَّى نِلْنَ مَا شِئْنَ بِالرُّقَى
وحتى أَصَاحَتْ لِلْخَدِيعَةِ وَالْخُتْلِ الرُّقَى: التعاويذ، يقصد كثرة الرُّقَى عليها، أصاحت: أصغت

وحتى بَدَتْ مِنْهَا الْمَلَالَةُ وَالْقِلَى وَعَهْدِي بِفَوْزٍ لَا تَمَلُّ وَلَا تَقْلِي
القلَى: التجنب

فَلَمَّا انْقَضَى الْوَصْلُ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا شِمِئَتْ جَمِيعاً وَاسْتَرْخَنَ مِنَ الْعَذْلِ
وَأَرْضَتْ بِسُخْطِي مَعْشَرًا كَانَ سُخْطُهُمْ يَهُونُ لَدَيْهَا فِي رِضَايَ وَمِنْ أَجْلِي

٦١ أنا لها وحدها

سأهجر طائعاً في حبِّ فوزٍ نساء العالمين ولا أبالي

٦٢ التمادي

يقول عواذلي عَنْكَ التَّمَادِي فَإِنَّكَ مِنْ هَوَى فَوْزٍ قَتِيلُ
عنك: دع عنك

فَقُلْتُ لَهُمْ دَعُوا نَضْحِي وَلَوْمِي فَلَانِي حَيْثُمَا مَالَتْ أَمِيلُ

٦٣ الملول ملول

سَبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْمَلُولَ مَلُولًا لَا يَسْتَطِيعُ إِلَى الْوَفَاءِ سَبِيلًا
لَوْ كُنْتُ أَصْبِرُ، مَا كَتَبْتُ صَحِيفَةً يَوْمًا إِلَيْكَ وَلَا بَعَثْتُ رَسُولًا

٦٤ الحب المستحيل

لَعَمْرِي لَقَدْ جَلَبَتْ نَظْرَتِي إِلَيْكَ عَلَيَّ بَلَاءٌ طَوِيلًا
فَبَا وَيْحَ مَنْ كَلِفَتْ نَفْسُهُ بِمَنْ لَا يُطِيقُ إِلَيْهِ سَبِيلًا
هِيَ الشَّمْسُ مَسْكُنُهَا فِي السَّمَاءِ فَعَزَّ الْفَوَادَ عِزَاءً جَمِيلًا
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولَ

٦٥ عن أصدقائي

حَفِظَ اللَّهُ مَعَشَرَ فَارَقُونِي لَا يُطِيعُونَ فِي الْهَوَى مَنْ يَلُومُ
إِنْ يَكُنْ يَنْفَعُ الْبُكَاءُ عَلَيْهِمْ فَابُكَ حَتَّى تَمُوتَ يَا مُحْرُومُ
لَا تُطِيقُ الْجِبَالَ يَا مَعَشَرَ النَّاسِ مِنْ الْحَبِّ مَا تُطِيقُ الْجُسُومُ
هَلْ لَكُمْ أَنْ نَقُومَ نَبْكِ جَمِيعًا وَنَشُقَّ الْجُبُوبَ؟ بِاللَّهِ قُومُوا
لَا وَرَبَّ الْوُفُودِ لِلْبَيْتِ تَهْوِي بِهِمُ الْعَيْسُ قَدْ بَرَّاهَا الرَّسِيمُ ..

وَرَبُّ الْوَافِدِينَ إِلَى الْكَعْبَةِ الَّذِينَ تَهْوِي (تسرع) بِهِمُ الْعَيْسُ (الجمال) الَّتِي بَرَى أَخْفَافُهَا الرَّسِيمُ (السَّيْرُ السَّرِيعُ) ..

مَا تَغَيَّرْتُ بَعْدَ فَوْزٍ، وَلَا كَمَا نِ فَوَازِي بِغَيْرِ فَوْزٍ يَهِيمُ
إِنْ عَدَدْتُمْ هَوَايَ ذَنْبًا فَلَانِي أَشْهَدُ اللَّهَ أَنَّ ذَنْبِي عَظِيمُ

٦٦ ظلوم

أَنَاسِيَّةٌ مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَقَاطِعَةٌ حَبَلَ الصَّفَاءِ ظُلُومُ
تَعَالَى نَجْدُ دَارِ الْوَصْلِ بَيْنَنَا كَلَانَا عَلَى طُولِ الْجَفَاءِ مَلُومُ

٦٧ نائم ويقظان

بَلَّغْنِي يَا رِيحُ عَنَّا أَهْلَ بَغْدَادَ السَّلَامَا
بِأَبِي مَنْ حَرَّمَ النَّوْ مَ عَلَى عَيْنِي وَنَامَا
إِنَّ مَنْ نَامَ لَعَمْرِي يَحْسَبُ النَّاسُ نِيَامَا

٦٨ يعرف مكان السهم

قَالَتْ ظُلُومُ سَمِيَّةَ الظُّلَمِ مَا لِي رَأَيْتُكَ نَاجِلَ الْجَسَمِ
يَا مَنْ رَمَى قَلْبِي فَأَقْصَدَهُ أَنْتَ الْعَلِيمُ بِمَوْجِ السَّهْمِ
أَقْصَدَهُ: أَصَابَهُ فِي مَقْتَل

٦٩ وأنفك راغم

تَحْمَلُ عَظِيمَ الذَّنْبِ مِمَّنْ نَحْبُهُ وَإِنْ كُنْتَ مَظْلُومًا فَقُلْ أَنَا ظَالِمٌ
فَلِإِنَّكَ إِلَّا تَغْفِرِ الذَّنْبَ فِي الْهَوَى بِفَارِقِكَ مَنْ تَهْوَى، وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ

٧٠ شيء بيننا وحدنا

تُحَدِّثُ عَنَّا فِي الْوَجُوهِ عِيُونُنَا وَنَحْنُ سُكُوتٌ وَالْهَوَى يَتَكَلَّمُ
وَنَغْضَبُ أَحْيَانًا وَنَرْضَى بِظَرْفِنَا وَذَلِكَ فِيمَا بَيْنَنَا لَيْسَ يُعْلَمُ
هَذَا كَلَامُ الْمُحِبِّينَ بِلُغَةِ الْعَيُونِ، يَعْرِفُ هَذِهِ اللَّغَةَ مَنْ عَشَقَ

٧١ المستخفة بي

إِنْ كَانَ يَنْفَعُكُمْ مَا تَصْنَعُونَ بِنَا وَسَرَّكُمْ طَوْلُ مَا نَلْقَى فَرِيدُونَا
يَا قَوْرُ مَا مَلَّنِي حَقًّا رَسُولُكُمْ حَتَّى مَلَلْتُكُمْ، وَمَا كُنْتُمْ تَمَلُّونَا
وَلَا اسْتَخَفَّ بِأَمْرِ لِي أُعْظِمُهُ حَتَّى رَأَكُم بِأَمْرِي تَسْتَخَفُّونَا
وَأَنْتُمْ أَهْلُ وَدِّي قَدْ شَغَفَتْ بِكُمْ نَبَلَى عِظَامِي وَأَنْتُمْ لَا تُبَالُونَا
وَمَا مَرَرْتُ بِقَوْمٍ فِي مَجَالِسِهِمْ إِلَّا سَمِعْتُهُمْ فِينَا يَخُوضُونَا
وَقَدْ أَمِنَّا عَلَى أَسْرَارِنَا نَفْرًا كَانُوا كَأَوْلَادٍ يَعْقُوبُ يَخُونُونَا

أَوْلَادُ يَعْقُوبَ خَانُوهُ وَالْقَوَا أَخَاهُمْ يُوسُفُ فِي الْجُبِّ

وَيَحِ الْمَحِبِّينَ مَا أَشَقَى جَدودَهُمْ إِنْ كَانَ مِثْلُ الَّذِي بِي بِالْمَحِبِّينَا
جدودهم: حظوظهم

يَشْقَوْنَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِعَشْقِهِمْ لَا يُدْرِكُونَ بِهِ دُنْيَا وَلَا دِينَا

٧٢ كرامة وهوان

وَرَاضِيَ الْقَلْبَ غَضْبَانَ اللِّسَانَ لَهُ خُلُقَانِ مَا يَتَشَابِهَانِ
يُسِرُّ مَوَدَّتِي وَيُطِيلُ غَبْطِي وَيَمْرُجُ لِي الْكَرَامَةَ بِالْهَوَانِ

٧٣ الحزن الحقيقي

سَبَحَانَ رَبِّ الْعُلَا مَا كَانَ أَغْفَلَنِي عَمَّا رَمْتَنِي بِهِ الْأَيَّامُ وَالزَّمَنُ
مَنْ لَمْ يَذُقْ فُرْقَةَ الْأَحْبَابِ ثُمَّ يَرَى آثَارَهُمْ بَعْدَهُمْ لَمْ يَذُرْ مَا الْحَزَنُ

٧٤ الحب شيء..

وَالْحُبُّ شَيْءٌ قَلَّ مَنْ يَقْوَى عَلَى كَثْمَانِهِ

٧٥ غريب الدار

يَا غَرِيبَ الدَّارِ عَنْ وَطَنِ مُفْرَدًا يَبْكِي عَلَى شَجْنِهِ
شَفَّهُ مَا شَفَّنِي فَبَكَى كُلُّنَا يَبْكِي عَلَى سَكْنِهِ
وَلَقَدْ زَادَ الْفَوَادُ شَجَاً طَائِرٌ يَبْكِي عَلَى فَنَنِ
كُلَّمَا جَدَّ الْبُكَاءُ بِهِ دَبَّتِ الْأَسْقَامُ فِي بَدَنِهِ

قل هذا آخر شعر قاله . رأى طائراً يغرد فوق غصن فخاطبه

٧٦. فقد جئنا خراسانا

قَالُوا خُرَاسَانُ أَقْصَى مَا يُرَادُ بِنَا ثُمَّ الْقُفُولُ. فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانَا!

صحب العباس هارون الرشيد إلى خراسان، واستطال المكث فيها، فقال هذا الشعر فسمعه الرشيد، وأذن له بالرجوع إلى بغداد. بيت فيه من الدلال والإدلال الكثير. يقول: «قلتم لي سنصل إلى خراسان ثم نعود. طيب! ها قد وصلنا خراسان!»

مَتَى يَكُونُ الَّذِي أَرْجُو وَأَمْلُهُ أَمَّا الَّذِي كُنْتُ أَخْشَاهُ فَقَدْ كَانَا

ما أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُذْنِبِي عَلَى شَحِطٍ جِيرَانٍ دَجَلَةٌ مِنْ جِيرَانِ جَيْحَانَا
على شحط: على بُعْدٍ

يا لَيْتَ مَنْ نَتَمَنَّى عِنْدَ خَلَوَتِنَا إِذَا خَلَا خَلْوَةٌ يَوْمًا تَمَنَّانَا

٧٧ أعز من الأمنيات

يا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ وَصْفِهَا لَقَدْ وَصَفْنَا لَوْ بَلَّغْنَاهَا
إِنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَهَا مَرَّةً أَجْلَلْتَهَا أَنْ تَتَمَنَّاهَا
لَمْ نَذِرْ مَا الدُّنْيَا وَمَا طَيِّبُهَا وَحَسْنُهَا حَتَّى رَأَيْنَاهَا
فَقُلْ لِقَوْمٍ حُرِّمُوا أَنْ يَرَوْهَا وَجَهَ ظُلُومٍ اسْتَرْزَقُوا اللَّهَ

فهرس القوافي (القافية فرقم القطعة)

١	الموتى	١	الموتى
١٩	الممات	٣	قضائي
٢٠	طلبت	٢	صفائه
٢٤	غدا	١١	غَضِبَا
٢٢	فَسَدَا	٧	الْحُبُّ
٢٣	العائد	٦	والعتاب
٢١	تجود	٥	ويغضب
٢٥	رَقْدُوا	١٢	يُجِيبُ
٢٨	سعد	١٠	الْكَرْبِ
٢٩	يزيد	١٣	قلبي
٣٠	الفؤاد	٩	مُراقِبِ
٢٧	موجود	١٤	والغضب
٢٦	والجسد	٦	والْكَرْبِ
٣٩	الصبر	١٨	وبالعتب
٤٢	حجر	٤	وشحوبي
٣٣	مِذْرَارُ	١٧	أبوابها
٣٧	ويظهر	١٥	وَأَغَالِيهِ
٣٤	المُحَجَّرِ	١٦	يُجِبُّهُ

٥٦	بِالرَّافِقَةِ	٣١	النَّارِ
٦٣	سَيِّلا	٤٠	بصري
٦٤	طويلا	٣٦	تَدْرِي
٥٩	عَوِيلُ	٣٢	دورِ
٦٢	قَتِيلُ	٣٨	صبري
٦١	أُبَالِي	٣٥	مَسْتَرِّ
٥٨	بِالْجَهْلِ	٤١	والبصرِ
٦٠	يُسْلِي	٤٣	النَّاسِ
٦٧	السَّلَامَا	٤٤	راسي
٦٩	ظَالِمُ	٤٥	صنعا
٦٦	ظَلُومُ	٤٧	وَتَصْنَعُ
٧٠	يَتَكَلَّمُ	٤٦	بِشَافِعِ
٦٥	يَلُومُ	٤٨	وَأَوْجَاعِي
٦٨	الجَسَمِ	٤٩	وَقَفَا
٧٦	خُرَاسَانَا	٥٠	لَخَائِفُ
٧١	فَزِيدُونَا	٥٧	فِرَقَا
٧٣	وَالزَّمَنُ	٥١	قَلَقَا
٧٢	يَتَشَابَهَانِ	٥٣	أَتَنَشَّقُ
٧٧	بَلَّغْنَاهَا	٥٥	أَتَنَشَّقُ
٧٥	شَجْنِهِ	٥٤	رَمَقُ
٧٤	كِتْمَانِهِ	٨	يُخْلِقِ
		٥٢	أُطِيقُ

مسلم بن الوليد (١٣٥هـ - ٢٠٨هـ)

كرهت مسلم بن الوليد ثم أحببته، ثم كرهته ثم أحببته، مرات كثيرة. وآخر كرهة كرهتها كانت قبل ساعتين، وآخر حب كان قبل ساعة.

كرهته لكثرة ما يتلاعب بالألفاظ ولكثرة ما يصصر على أن يحشو أبياته بالمعاني حشواً فيه اقتسار، وفيه صنعة. وكنت أنصرف عنه انصرافاً عندما يكون مزاجي رائقاً، وأكون محتاجاً إلى أن أقرأ شعراً فيه لمسة وجدانية. وكنت أنصرف عنه عندما يكون مزاجي متوتراً، ذلك أنني أكون بنصف قواي العقلية فلا أريد أن أنشغل بحل ألغازه.

وكنت أحبه عندما أكون في مزاج معابثة، وما أكثر ما يعتادني هذا المزاج.

وقبل ساعة أقبلت على شعر مسلم باسماء، وجعلني أقبل عليه أنني تذكرت ذلك الألماني روكارت الذي ترجم إلى لغته ديوان امرئ القيس والحماسة ومقامات الحريري، وكنت قصصت قصته في كتابي السابق «أول الشعر» الذي تناولت فيه العصر الجاهلي والإسلامي والأموي. وأعيد عليك فقط قصة صغيرة عن روكارت: لقد نزل الثلج على قريته في شمال بافاريا ذات سنة في نيسان/أبريل.. حادثة غريبة، والأغرب منها أن صاحبنا نظم فيها ثمانين وثلاثين قصيدة. كان روكارت مجنون شعر.. كان يلعب باللغة، ولا يكاد يجد فرقاً بين شعر فيه الأعيب وشعر عاطفي. فذاك يهز العقل، وهذا يهز الوجدان.

أقبلت على شعر مسلم أقرأ وأبتسم لهذه الألاعيب البديعية، والبيانية.. فقد قرر علماء اللغة أن البديع هو المحسنات اللفظية من جناس وطباق، بينما البيان يتضمن المحسنات المعنوية من تشبيه وتورية. ولا أرى كبير فرق.

أقبلت أشرح أشعار الرجل فإذا هي كومة خيوط دقيقة تعقدت وتشلبكت .
نعم حتى تلك التي اخترتها بنفسى . في فكها متعة ، وفيه عناء . ومن ذا قال إن
الشعر وجدان فقط . على أن في شعر مسلم بن الوليد شهوانية ، وفيه انصراف
عن الشهوانية ، وفيه بعض عبث ، ومدح غث لكنه حافل بتلك الألاعيب . وفيه
بعض انقباض . وكان في الرجل ، كما قالوا لنا ، انقباض .

كان مسلم يحكك شعره ، ولا يرسله على السجية كبشار بن برد . كان
يجري في شعره على أساليب القدماء في اللفظة ومعناها المباشر ، لكنه أسرف
في الصناعة إذ يركب الألفاظ لتنتج المعاني الثانوية .

والد مسلم كان مولى للخزرج ، ودرج الناس على تسمية شاعرنا «مسلم بن
الوليد الأنصاري» . وقد ولد بعيد ولادة الدولة العباسية ، وما شب حتى كان
للموالي شأن في الدولة ، وكان منهم الشعراء والقادة وعلماء اللغة ، فسيبويه
يصغر شاعرنا بعشر سنين أو عشرين ، وبشار المولى كان كهلاً عند ميلاد مسلم ،
ومن معاصريه ولداؤه أبو نواس وأبو العتاهية .

لم يشعر مسلم بما شعر به بشار من حنين إلى أديان الفرس القديمة ، ولا
إلى الثقافة المغلوبة . قد انخرط في هذه الثقافة الجديدة للدولة الناشئة ، أو قل
انسلخ عن أصول لا يربطه بها رابط قوي . ساعده في ذلك أنه ألحق نفسه بقوة
بمواليه الأنصار ، وأنه حقق النجاح في بلاط الخليفة ، وفي مجالس الوزراء .

سار على سنة النابغة وزهير وكل شعراء العرب في أن يمدح ويهجو
ويعاتب ويستجدي .

استطراد قصير

كدت أظن شعرنا العربي تخلص من المديح في هذا الزمن لولا أنني رأيت
شعراء يقولون شعراً ظاهره مدح الوطن وباطنه مدح الحاكم .

تهتك مسلم بعض التهتك وسائر أبا نواس ، ولكنه لم ينخرط في المجون .
ولم ينحرف نحو وصف مجالس الخمر والعبث إلا نظرفاً . وعرفنا أنه تزوج
وأنجب ، وأحب زوجته ، ورثاها بحرقة . كان تلميذه دعبيل الخزاعي يلم به
ويتعلم منه ، ولكن دعبلاً شخصية قلقة ، وقد فارق أستاذه وتعتابا بعد سنين بشعر
يشبه الهجاء .

نجح مسلم في بلاط الرشيد نجاح أبي نواس، ولكنه لم يكن مقرباً للأمين، ولم نعرف له حضوراً في بلاط المأمون. فمع انقضاء عهد الرشيد كان مسلم في نحو الستين من العمر، ونال من الفضل بن سهل، وكان يمدحه ويمدح أباه، تعييناً في جرجان: قيل جعله الفضل على البريد هناك. وترك مسلم الشعر، كأنما استوفى ما في جعبته من الألاعيب البيانية، واسترخى في جرجان. وبها مات وقد تجاوز السبعين.

تريد أن تشهد الليلة التي دخل فيها البديع إلى الشعر العربي من الباب الواسع، حسناً.. معك ههنا مسلم بن الوليد، اخترت لك أجمل شعره. وفي هذا الشعر أبيات جميلة، وفيه صنعة كثيرة وذكية، وهو الشعر الذي أسس تأسيساً لاتجاه الإغراق في البديع، فإن كنت تعرف أن هذا الاتجاه أصبح سيلاً عارماً جرف الشعر العربي معه قروناً فيما بعد، فأنت الآن تعرف من الذي شق لهذا السيل طريقه من أعلى الجبل إلى أسفل الوادي. مراراً وتكراراً يقول لك ابن المعتز في كتابه «البديع» - وهذا اسم الكتاب - إن البديع موجود في اللغة شعرها ونثرها وقرآنها منذ القدم. ونقول له: موجود نعم، ومسلم بن الوليد لم يخترعه، ولكن مسلماً هو الذي نقل البديع نقلة نوعية: نقله من التألق العفوي إلى الصنعة. جعله همه وشغله الشاغل. ونحن لا نذكر لك في شرحنا الألاعيب اللغوية ولا نسميها بأسمائها.. نحن نشرح البيت وأنت تدرك ما فيه من تورية أو استعارة. قد عاهدنا أنفسنا في هذه الأشياء التي نكتبها في عرض الشعر القديم وشرحه ألا ننحرف بالشرح عن المعنى، وألا ندخل في النحو ولا في البلاغة ولا في التاريخ ولا العروض إلا إذا دعا داع لصيق بالمعنى.

نشر شعر مسلم بن الوليد سامي الدهان بشرح قديم للطبيخي الأندلسي، وانتفعنا بالشرح على تصريده. ونحن في شرحنا لهذه المختارات فعلنا العكس، فأسرفنا في التفسير واللغو، لما كنا نحس به من صعوبة وتعقد هذا الشعر، ولعل هذا أن يضجر القارئ الذي له ألفة بالشعر القديم، فهذا اعتذار له.

استطرد آخر

قد حسبت السنين.. ورأيت أنني سأبدد الكثير منها وأنا اشرح مثل هذا الشرح المفصل لشعراء كثر - وأنا بصدد شرح مختاراتي من اثنين وأربعين شاعراً - فقراري على أن أقلل في مقبل الأعمال من الشرح كثيراً.. وأن أكتفي

بشرح ما هو مغلق أو ما فيه كلمات مهجورة. وسنرى إن كنت سأنفذ هذا. حقاً
شعرت بأنني أكتب لمن لا يريدون أن يسمعوا، فلأسترح قليلاً.

١ أبيات فرائد

أَرَادُوا لِيُخَفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ فَطِيبُ تَرَابِ الْقَبْرِ دَلٌّ عَلَى الْقَبْرِ

* * *

قُبِحَتْ مَنَاطِرُهُ فَحِينَ خَبِرْتُهُ حَسُنَتْ مَنَاطِرُهُ لِقُبْحِ الْمَخْبَرِ

* * *

فَالْكَلْبُ إِنْ جَاعَ لَمْ يُعْذِمَكَ بَصْبَصَةٌ وَإِنْ يَنْلُ شُبْعَةٌ يَنْبَعُ عَلَى الْأَثَرِ

البصصة تحريك الذنب

* * *

بمدح الرشيد:

يَغْدُو عَدُوُّكَ خَائِفاً فَلِذَا رَأَى أَنْ قَدْ قَدَّرْتَ عَلَى الْعِقَابِ رَجَاكَ

* * *

أَقْرُ بِالذَّنْبِ مِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُهُ كَيْمَا أَقُولَ كَمَا قَالَتْ فَتَنْفِقُ

* * *

سَبَقْتُ بِمَعْرُوفٍ وَصَلَّى ثَنَائِيَا فَلَمَّا تَمَادَى جَرِينَا صِرْتُ تَالِيَا

سبقتني بالعطاء، فصلّى ثنائي، أي جاء ثانياً.. والمصلي هو الحائز على المرتبة الثانية في سباق
الخيال، فلما تمادى بنا السباق وطال صرت أنت بعدي أي أن مدحي لك صار أكثر من عطائك

* * *

مُسْتَعْبِرٌ يَبْكِي عَلَى دِمْنَةٍ وَرَأْسُهُ يَضْحَكُ فِيهِ الْمَشِيبُ

مستعبر: بالك، دمنة: خربة. هذا معنى سرقه دعل، تلميذ مسلم. انظر البيت الثاني من القطعة رقم
٣٧ من باب «دعل» في هذا الكتاب

* * *

رَفَعْتُ «بُنُو النَّجَّارِ» بَيْتِي فِيهِمْ ثُمَّ انْتَمَيْتُ فَأُقْسَحُوا فِي الْمَجْلِسِ

رفع بنو النجار من الأنصار بيتي ضمن عشيرتهم، وكنت بعد ذلك كلما انتميت، أي ذكرت نسبي
الأنصاري، أفسح الأقوام لي في مجالسهم

* * *

وَأَكْثَرُ مَا تَلَقَّى الْأَمَانِي كَوَاذِباً فَإِنْ صَدَقَتْ جَارَتْ بِصَاحِبِهَا الْقَدْرَا

الأمانيات كاذبة غالباً، فإذا صدقت تجاوزت بالتمني القدر، أي القدر المتوسط،
فقال أكثر مما تمنى

٢ نَتَف

نَنَا كَعَرَفِ الطَّيِّبِ يُهْدَى لِأَهْلِهِ وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا بَنِي خَالِدٍ أَهْلُ

عرف الطيب: رائحته الذكية، ولا يستحق هذا الثناء إلا بنو خالد

فَإِنْ أَغَشَّ قَوْماً بَعْدَهُمْ أَوْ أَزْرَهُمْ فَكَالْوَحْشِ يُدْنِيهَا مِنَ الْقَانِصِ الْمَحْلُ

إن غشيت غيرهم، أتيتهم، فللضرورة فقط... مثلما يقرب المحل والقحط الوحش، من ظبي
أو حمار وحش، من قانصه، أي صائده

* * *

يهجو العباس بن الأحنف الشاعر:

بَنُو حَنِيفَةَ لَا يَرْضَى الدَّعِيَّ بِهِمْ فَاتْرُكْ حَنِيفَةَ وَاطْلُبْ غَيْرَهَا نَسَبَا

الدعي، المدفوع النسب، نفسه لا يرضى ببني حنيفة فاترك هذه القبيلة يا عباس

وَإِذَا هَبَّ إِلَى عَرَبٍ تَرْضَى بِنَسَبَتِهِمْ إِنِّي أَرَى لَكَ خَلْقاً يُشَبِّهُ الْعَرَبَا

هجاء مزدوج: للشخص بأنه دعي، وللقبيلة بأنها خسيصة لا يرضى حتى الأدعياء الانتساب إليها؛
ومع هذا فقد سبق في ثوب النصيحة. الهجاء العباسي فيه هذا التفنن وتعقيد المعنى، وانتظر لترى
ما سيصنع دعبل وأبو تمام والبحري، وكلهم في هذا الكتاب؛ ثم انتظر ما سنورده عليك في كتابنا
المقبل «تألق الشعر» من أهاجي سيد الهجائين ابن الرومي

* * *

يمدح يزيد بن مزيد الشيباني:

سَلَّ الْخَلِيفَةُ سَيْفًا مِنْ «بَنِي مَطَرٍ» يَمْضِي فَيَخْتَرُقُ الْأَجْسَادَ وَالْهَامَا

الهام: الرؤوس

كَالدَّهْرِ لَا يَنْشَنِي عَمَّنْ يَهُمُّ بِهِ قَدْ أَوْسَعَ النَّاسَ إِنْْعَاماً وَإِرْغَامَا

هذا القائد مثل الدهر لا يتراجع عمن ينوي الإيقاع به، فيزيد بن مزيد قد أوسع الناس، أي
ملاهم، بالنعمة للصديق وبالإرغام، الإذلال، للعدو

* * *

يمدح هارون الرشيد:

وَقَفَّتْ عَلَى النَّهْجِ الظُّنُونُ فَصَرَّحَتْ وَأَدَّى إِلَيْكَ الْحُكْمَ كُلُّ مُشَرَّدٍ
أَوْفَتْ الظُّنُونُ والتوقعات على النهج الصحيح فصرحت هذه الظنون، أي صارت وقائع صريحة،
وكل من كان مشرداً عن الطاعة مبتعداً عنها أدى إليك مقاليدها

إِذَا اخْتَلَفَتْ أَهْوَاءُ قَوْمٍ جَمَعَتْهُمْ عَلَى الْعَفْوِ أَوْ حَذَّ الْحَسَامِ الْمَهْنِدِ
تجمع الناس عندما تضطرب الأهواء والميول، إما بالعفو عنهم أو بالسيف للعصاة

* * *

يمدح الفضل بن جعفر بن يحيى البرمكي:

أَبُوكَ اسْتَرَدَّ الشَّامَ إِذْ نَفَرْتَ بِهِ، مُلَقَّحَةً، شَعْوَاءَ لَيْسَ لَهَا بَعْلُ
أبوك استرد الشام بعد أن نفرت وابتعدت بالشام فتنة شعواء، أي منتشرة، وقد نفرت وهي ملقحة
(والحرب تُلْقَحُ أي تهيج) مع أنه ليس لها بعل

بِجَيْشٍ كَأَنَّ اللَّيْلَ بَعْضُ حديدِهِ تَهَادَى الرَّدَى فِيهِ الْفَوَارِسُ وَالرَّجُلُ
بجيش يسير في الليل فتحسب سواد الليل بعض حديد الجيش، وتتهادى، تتبادل أخذاً وإعطاءً،
الفرسان والمشاة في هذا الجيش الموت مع الأعداء

* * *

رَأْنِي بِعَيْنِ الْجُودِ فانتَهَزَ التِّي ظَلَبْتُ، وَلَمْ أَفْتَحْ إِلَيْهِ بِهَا فَمَا
رأني بعين سخائه فانتهاز، أي استبق، طلبني قبل أن أطلب
ظَلَمْتُكَ إِنْ لَمْ أَجْزِكَ الشُّكْرَ بَعْدَمَا جَعَلْتَ إِلَى شُكْرِي نَوَالَكَ سُلْماً
جعلت عطاءك السلم والوسيلة لنيل شكري ومدحي

* * *

وَيُخْطِئُ عُذْرِي وَجَهَ جُرْمِي عِنْدَهَا فَأَجْنِي إِلَيْهَا الذَّنْبَ مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرِي
اعتذر لها بشيء لا يتعلق بالذنب الذي أذنبته، فأحمل ذنباً آخر دون أن أدري

إِذَا أَذْنَبْتُ أَعْدَدْتُ عُذْرًا لَذَنْبِيهَا فَإِنْ سَخِطْتَ كَانَ اعْتِذَارِي مِنَ الْعُذْرِ
وعندما تذنّب هي فأنا أتأهب بعذر لها لأنها ستغضب وعليّ أنا دائماً أن أعتذر، فإن سخطت من
عذري كان عليّ أن أعتذر من هذا العذر... كذا دلالة الحية

* * *

سَقَى اللَّهُ أَيَّاماً لَنَا لَسْنَ رُجْعاً وَسَقِياً لِعَصْرِ الْعَامِرِيَّةِ مِنْ عَصْرِ
لِيَالِي أَجْرَزْتُ الْبِطَالََةَ مِقْوَدِي تَمُرُّ اللَّيَالِي وَالشُّهُورُ وَلَا أُدْرِي
ليالي، أي في ذلك الزمن، أجرت البطالة مقودي.. أعطيت اللهو المقود كي يذهب بي أنى شاء

* * *

وَكَبِدًا! أَحْرَقَ الْهُوَى كَبِدِي عِيلَ اضْطِبَارِي، وَخَانَنِي جَلْدِي
أَغْشَبَ خَدِّي مِنَ الْبُكَاءِ، وَقَدْ أَوْزَقَ غَصْنُ الْهُوَى عَلَى كَبِدِي

* * *

أُمُرٌ بِالْحَجَرِ الْقَاسِيِ فَأَغْطُهُ لِأَنَّ قَلْبَكَ عِنْدِي يُشْبِهُ الْحَجَرَ
أغبطه: أحسده

أُحِبُّتُ مِنْ حُبِّهَا مَنْ كَانَ يُشْبِهُهَا حَتَّى لَقَدْ صِرْتُ أَهْوَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ.
ولماذا «حتى»؟ كلنا نحب الشمس والقمر

* * *

وَكَمْ مِنْ مُعِدٍّ فِي الضَّمِيرِ لِي الْأَذَى رَأْنِي فَأَلْقَى الرُّعْبُ مَا كَانَ أَضْمَرَا
هَذَا لِقَضَاءِ الْجَلْمِ جَهْلُ جَهْلَتُهُ عَلَيْهِ، وَلَوْ حَالَمْتُهُ لَتَجَبَّرَا
أرشده للتأني جهل جهلته، أي رعونة من جانبي وتهور، ولو كنت تلطفت به لتجبر

* * *

جَلَبْتُ لَكَ الثَّنَاءَ فَجَاءَ عَفْوَاً حَيَاةً لِلْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي
أمدحك عفو خاطر لأن في ذلك إحياء للمكارم وليس لغرض آخر

وَتَرَجَعْنِي إِلَيْكَ - وَإِنْ نَأَتْ بِي دِيَارِي عَنْكَ - تَجَرِبَةُ الرُّجَالِ

* * *

ظَرَفْتُ عَيُونَ الْعَانِيَاتِ، وَرُبَّمَا أَمَلَنْ إِلَيَّ الظَّرْفَ كُلَّ مَمِيلِ
الآن منطري بؤذي عيون الحسان كأنه يطرفها، وكن في الماضي يملن إلي بعيونهن إعجاباً
وما الشيب إلا شعرة، غير أنه قَلِيلٌ قَذَاةُ الْعَيْنِ غَيْرُ قَلِيلِ
الشيب شيء صغير.. مجرد بياض في الشعر، ولكن القذاة في العين مؤذية وإن صغرت

* * *

ذَاكَ ظَبْيٍ تَحَيَّرَ الْحُسْنُ فِي الْأَرْكَانِ مِنْهُ، وَحَلَّ كُلَّ مَكَانٍ
عَرَضَتْ دُونَهُ الْحِجَالُ فَمَا يَلِدُ حَقَاكَ إِلَّا فِي النُّوْمِ أَوْ فِي الْأَمَانِي
حالت دون الوصول إليه الحجال، المستور، فلا تراه إلا في المنام أو الأمنيات

* * *

أَلَا يَا نَخْلَةً بِالسَّفْهِانِ حِجٍّ مِنْ أَكْنَافِ جُرْجَانٍ
أَلَا إِنِّي وَإِيَّاكَ بِجُرْجَانٍ غَرِيبَانِ
قالهما في جرجان بعيداً عن الوطن

٣ الجماجم تيجاناً

بمدح يزيد بن مزيد الشيباني:

أَجْرَرْتُ حَبْلَ خَلِيعٍ فِي الصَّبَا عَزَلٍ وَشَمَّرْتُ هِمَمُ الْعُدَالِ فِي الْعَذَلِ
أَجْرَرْتُ، أي تَرَكْتُ لِي الْحَبْلَ لِأَصْنَعُ مَا أَشَاءُ فَكُنْتُ خَلِيعاً، مُسْتَهْتِراً كَأَوَّلِكَ الَّذِي كَانَتْ تَخْلَعُهُمْ
قَبَائِلُهُمْ وَتَتَبَرَّأُ مِنْهُمْ، وَكُنْتُ غَزِلاً، أَيِ مُتَغَزِلاً بِالنِّسَاءِ، وَشَمَّرْتُ الْعُدَالَ بِهَمَّةٍ يُلُومُونِي

عَاصَى الْعِزَاءِ غَدَاةَ الْبَيْنِ مُنْهَمِلٌ مِنْ الدَّمُوعِ جَرَى فِي إِثْرِ مُنْهَمِلٍ
عَاصَى الْعِزَاءِ، مَنَعَ التَّعْزِي وَالنِّسْيَانِ، صَبِيحَةُ الْفِرَاقِ الدَّمْعُ الْمُنْهَمِرُ يَجْرِي بِعَضِهِ إِثْرَ بَعْضِ

لَوْلَا مُدَارَاةُ دَمْعِ الْعَيْنِ لَانْكَشَفْتُ مِنْنِي سَرَائِرُ لَمْ تَظْهَرْ وَلَمْ تُخَلِّ
وَلَوْلَا أَنَّ دَارَيْتُ دَمْعِي لَانْكَشَفْتُ سَرَائِرِي، مُشَاعِرٌ دَفِينَةٍ، لَمْ يَكُنْ قَطُّ مُتَوَقِّعاً أَنَّ تَظْهَرُ

مَاذَا عَلَى الدَّهْرِ لَوْ لَانَتْ عَرِيكَتُهُ وَرَدَّ فِي الرَّأْسِ مِنْنِي سَكْرَةَ الْعَزَلِ
مَاذَا يُضِيرُكَ يَا زَمَنُ لَوْ لَانَتْ عَرِيكَتُكَ، كُنْتُ لَيْناً لَطِيفاً مَعِي، وَرَدَدْتُ فِي رَأْسِي ذَلِكَ الْإِحْسَاسَ

قَدْ كَانَ دَهْرِي - وَمَا بِي الْيَوْمَ مِنْ كِبَرٍ - شُرْبُ الْمُدَامِ وَعَزَفُ الْقَيْنَةِ الْعُطْلِ
كَانَ زَمَنِي الْمَاضِي - وَلَسْتُ مُسْنِئاً الْآنَ - شَرِبْتُ الْخَمْرَ وَالْإِسْتِمَاعَ إِلَى الْقَيْنَةِ الْعُطْلِ، الْمَغْنِيَةِ غَيْرِ
الْمَحَلَّةِ بِالْعُقُودِ وَرَبِمَا أَيْضاً غَيْرِ الْمَحَلَّةِ بِكَثِيرٍ مِنَ الثِّيَابِ

إِذَا شَكُوتُ إِلَيْهَا الْحَبَّ خَفَرَهَا شَكْوَايَ فَاحْمَرَّ خَدَاها مِنَ الْخَجَلِ
خَفَرَهَا: جَعَلَهَا تَخْجَلُ

فِيمَ الْمُقَامِ وَهَذَا النِّجْمُ مُعْتَرِضاً دَنَا النَّجَاءُ وَحَانَ السَّيْرُ فَارْتَحِلْ
لِمَاذَا أَبْقَى هُنَا، فَهِيَ قَدْ اعْتَرَضَ النِّجْمُ فِي السَّمَاءِ، وَفِي اللَّيْلِ يَكُونُ السَّفَرُ لِبُرُودَتِهِ، وَقَدْ دَنَا
النِّجَاءُ، سَيْرَ الْإِبِلِ، فَهِيَ لِلرَّحِيلِ

يَا مَائِلَ الرَّأْسِ إِنَّ اللَّيْثَ مُفْتَرِسٌ مِيلَ الْجَمَاجِمِ وَالْأَعْنَاقِ، فَاعْتَدِلْ

يا مائل الرأس تيهاً وتكبراً. . الليث يفترس الرؤوس المائلة والأعناق فاعتدل

حَذَارٍ مِنْ أَسَدٍ ضِرْغَامَةٍ بَطُلٍ لَا يُوَلِّغُ السِّيفَ إِلَّا مُهْجَةَ الْبَطْلِ

هذا الأسد لا يولغ السيف، لا يجعله يلغ أي يلغ، إلا في دم البطل من الأعداء

سَلَّ الْخَلِيفَةُ سَيْفًا مِنْ «بَنِي مَطَرٍ» أَقَامَ قَائِمُهُ مَنْ كَانَ ذَا مَيْلٍ

سل الخليفة يزيد بن يزيد من بني مطر، سله سيفاً أقام قائمه، أي مقبضه،

من كان مائلاً ومنحرفاً عن الحق

سَدَّ الثُّغُورَ «يَزِيدُ» بَعْدَمَا انْفَرَجَتْ بِقَائِمِ السِّيفِ لَا بِالْخَتْلِ وَالْحِجْلِ

سد يزيد الثغور، حمى الحدود، بعد أن انفرجت وانكشفت للعدو، وقد سدّها بالقتال لا بالختل،

الخداع والمفاوضات

يَغْشَى الْوَعَى وَشِهَابُ الْمَوْتِ فِي يَدِهِ يَرْمِي الْقَوَارِسَ وَالْأَبْطَالَ بِالشُّعْلِ

يأتي المعركة ويده سيف كشهاب يحمل الموت ويرمي به الأعداء

يَفْتَرُّ عِنْدَ افْتِرَارِ الْحَرْبِ مَبْتَسِمًا إِذَا تَغَيَّرَ وَجْهُ الْفَارِسِ الْبَطْلِ

عندما تفر الحرب، تفتح ثغرها، فهو يفر، يفتح فمه بابتسامة، بينما تغير وجوه الأبطال وتكون عابسة

مُوفٍ عَلَى مُهَجٍ فِي يَوْمٍ ذِي رَهَجٍ كَأَنَّهُ أَجَلَ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ

يأتي على مهج الناس، أي قلوبهم، في يوم ذي رهج، أي غبار، كأنه الأجل الذي يبدد أمل الأعداء

يَنَالُ بِالرَّفَقِ مَا يَبْعَا الرِّجَالُ بِهِ كَالْمَوْتِ مُسْتَعْجَلًا يَأْتِي عَلَى مَهَلٍ

بسرعة ولطف يحقق ما يعيا، يعجز عنه الرجال، فهو كالموت مستعجل ولكنه متمهل واثق

إِنْ شِيمَ بَارِقُهُ حَالَتْ خَلَاتِقُهُ بَيْنَ الْعَطِيَّةِ وَالْإِمْسَاكِ وَالْعِلَلِ

إن شيم بارقه، اختبر برقه إن كان يحمل مطراً أم لا، حالت خلايقه، حالت طباعه، ووقفت حائلًا

بين العطية من جهة وبين الإمساك والنع والعلل، أي الحجج، من جهة أخرى. فطباعه تمنع

التحجج والبخل من الوقوف في وجه السخاء. إن كنت رأيت بارقه وخلائقه، ومهج ورهج في

البيت قبل السابق، وهذا الالتواء في التعبير باتخاذ شتى المحسنات فهذا هو مسلم بن الوليد الذي

أسرف في البديع وفتح الطريق لأبي تمام كي يأتي ويجن الناس

يَقْرِي الْمَنِيَّةَ أَرْوَاحَ الْكُمَاةِ كَمَا يَقْرِي الضُّيُوفَ شُحُومَ الْكُومِ وَالْبُزْلُ

يقري: يطعم الضيف، الكمأة: المسلحون، الكوم: الجمال الكبيرة، البزل: الجمال التي بزلت

أي خرجت أسنانها. يقول: يزيد يقدم الأعداء المسلحين طعاماً للموت، مثلما يطعم الضيوف

شحم الجمال

يَكْسُو السِّیُوفَ دِمَاءَ النَّاكِثِينَ بِهِ وَيَجْعَلُ الْهَامَ تِجَارَةَ الْقَنَا الذَّبِيلِ
الذي يكتنون بالعهد ويثرون على الدولة يكسو سيوفه بدمائهم، ويجعل للقنا الذيل، أي الرماح
المجففة، تيجاناً على أستها من هام، أي رؤوس الأعداء

يَغْدُو فَتَغْدُو الْمَنَابِيَا فِي أَسْنَتِهِ شَوَارِعاً تَتَحَدَّى النَّاسَ بِالْأَجَلِ
الموت يمشي معه في أسنة الرماح، والرماح شوارع، أي مشرعة ممدودة،
تتحدى الناس بتقريب آجالهم

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثَقَنَ بِهَا فَهَنْ يَتَّبَعْنَهُ فِي كُلِّ مُرْتَحَلٍ
عود النسر عادات مؤكدة هي أنه سيقتل الأعداء،
فالجوارح تتبعه في كل ارتحال له كي تأكل من الجثث

تَرَاهُ فِي الْأَمَنِ فِي دِرْعٍ مُضَاعَفَةٍ لَا يَأْمَنُ الدَّهْرُ أَنْ يُدْعَى عَلَى عَجَلٍ
حتى في حال الأمن يكون لباساً درعاً مضاعفة النسيج، فهو الدهر، أي طول الدهر، لا يأمن من
أن يستدعى على عجل للقيام بمهمة

فَأَفْخَرُ فَمَا لَكَ فِي شَيْبَانَ مِنْ مَثَلٍ كَذَلِكَ مَا لِبَنِي شَيْبَانَ مِنْ مَثَلٍ
لِلَّهِ مِنْ «هَاشِمٍ» فِي أَرْضِهِ جَبَلٌ وَأَنْتَ وَابْنُكَ رُكْنَا ذَلِكَ الْجَبَلِ
لبنی هاشم، ومنهم العباسيون، جبل متين في حكمهم، ويزيد وابنه ركننا هذا الجبل، فمتان فيه
يا رَبِّ مَكْرُمَةٍ أَصْبَحَتْ وَاحِدَهَا أَعْيَتْ صَنَادِيدَ رَأْمُوهَا فَلَمْ تُنَلِّ
الصناديد: الشجعان، راموها: حاولوا نيلها

تَشَاغَلَ النَّاسُ بِالْأَنْبِيَا وَزُخْرُفِهَا وَأَنْتَ مِنْ بَذَلِكَ الْمَعْرُوفِ فِي شُغْلٍ
صَدَّقْتَ ظَنِّي وَصَدَّقْتَ الظُّنُونَ بِهِ وَحَظَّ جُودُكَ عَقْدَ الرَّحْلِ عَنْ جَمَلِي
صدقت ظني بسخائك، وصدقت ظنون الآخرين بظني، فهم سينالون مني بعض ما أعطيتني.
وجودك جعلني أنزل الرحل عن جملي، إذ لن أحتاج للرحيل والبحث عن رزق آخر فقد كفيته

٤ رَاكِبَ اللَّيْلِ وَمَرْكُوبَهُ

سَلِّ النَّاسَ إِنِّي سَائِلُ اللَّهِ وَحْدَهُ وَصَائِرُ عِرْضِي عَنْ فُلَانٍ وَعَنْ فُلٍ
نحن اليوم نقول فلان وفلان وعلان

إِذَا رَكِبَ اللَّيْلُ الضَّعَافَ رَكْبُهُ زَمِيلِي السَّرَى وَالرَّدْفُ عَزْمِي وَمُنْصَلِي
الليل يركب بهوموه الضعاف، فأما أنا فأركبه ويزاملني السرى، أي سير الليل، ويكون ردفي، أي
رفيقي الذي أردفه خلفي، العزم والمنصل، أي نصل السيف

وقد عَجَمْتُ مِنِّي الْخُطُوبُ ابْنَ هِمَّةٍ متى ما تُرِيهِ مَنْزِلَ السُّوءِ يَرْحَلِ
لقد عجمت، أي جربت، الخطوب في شخصي ابن همة، صاحب طموح، متى أرته الخطوب
متزلاً يسيء إليه فسرعان ما يرحل

بَلَّغْنَا «بِسَهْلٍ» ثُرُوءَ وَوَسِيلَةَ إِلَى وَفَرٍ مَالٍ وَاسِعٍ وَتَفَضَّلِ
حصلنا من سهل على ثروة و«واسطة» تقرّبنا من الخليفة مما سيعود علينا بوفر وفضل كبيرين
فَتَى كَرَمٍ يُعْطِي وَإِنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا يَتَّقِي طُلَابَهُ لَا يَحْتَمِي مِنْ طَالِبِي الْعِطَاءِ، بِالْتَّمَلِ، بِالتَّحَجُّجِ
يعطي المال حتى وإن قل بيده، ولا يتقي طلابه، لا يحتمي من طالبي العطاء، بالتأمل، بالتحجج
وَلَسْتُ بِهَجَّاءٍ إِذَا السَّيْبُ رَأَتْني وَلَا حَامِلٍ مَدَحِي عَلَى غَيْرِ مَحْمَلٍ
ولست هاجياً إذا السيب، العطاء، رائتي، تأخر علي، ولست أحمل مدحي على محمل العتاب
ولست هاجياً إذا السيب، العطاء، رائتي، تأخر علي، ولست أحمل مدحي على محمل العتاب
مثلاً أو الوعيد المبطن

ه الماشي في الوحل

أَدِيرَا عَلَيَّ الرَّاحَ لَا تَشْرَبَا قَبْلِي وَلَا تَطْلُبَا مِنِّي عِنْدَ قَاتِلَتِي ذَحْلِي
يخاطب صاحبيه: أديرَا علي كؤوس الخمر ولا تشربا قبلي، وأنتما تعلمان أن هذه الفاتنة ستقتلني
بجها فلا تطلبا عندها ذحلي، أي ناري

أَحِبُّ النِّي صَدَّتْ وَقَالَتْ لِتَرِبَهَا: دَعِيهِ! الثَّرِيَّا مِنْهُ أَقْرَبُ مِنِّي وَصَلِي!

أحبها وهي تصد عني وتقول لتربها، أي ريفقتها، اتركيه فنجوم الثريا أقرب إليه من وصلي

أَمَاتَتْ وَأَحْبَتْ مُهْجَتِي، فَهِيَ عِنْدَهَا مُعَلَّقَةٌ بَيْنَ الْمَوَاعِيدِ وَالْمَطْلِ

أماتتني وأحبتني، فمهجتي، أي قلبي، معلقة بين المواعيد، والمطل، التسويف

وَمَا نَلْتُ مِنْهَا نَائِلًا غَيْرَ أَنَّنِي بِشَجْوِ الْمُحِبِّينَ الْأَلَى سَلَفُوا قَبْلِي

لم أنل منها شيئاً.. وقد خرجت من هذه العلاقة بشجو، أي حزن، المحبين الذين سبقوني، يشير
على الأغلب إلى مشاهير العشاق الذين أحبوا ولم ينالوا شيئاً، ولعله يشير إلى محبي هذه الفتاة
الذين خرجوا من حبهم لها بلا طائل ولا نائل

كَتَمْتُ تَبَارِيحَ الصَّبَابَةِ عَادِلِي فَلَمْ يَذَرِ مَا بِي فَاسْتَرَحْتُ مِنَ الْعَذْلِ

كتمت تباريح، آلام، الصبابة، العشق، عن العاذل اللاتم فاسترحت من لومه

وَمَانِحَةِ شُرَابِهَا الْمُلْكَ قَهْوَةَ مَجُوسِيَّةِ الْأَنْسَابِ مُسْلِمَةَ الْبَعْلِ

ورب قهوة، خمر، تمنح شاربيها شعوراً بأنهم ملوك، وهي مجوسية الأنساب، قد بدأ تعتيقها أيام
عز فارس في ظل المجوسية، ولكن شاربيها وشاربيها مسلم فهو بعلمها الذي ملكها ونزوجها

رَبِيبَةَ شَمْسٍ لَمْ تُهَجِّنْ عُرُوقَهَا بِنَارٍ، وَلَمْ يُقَطِّعْ لَهَا سَعَفُ النَّخْلِ

الخمير ربيبة شمس، نضج عنها في كرومه فهي ابنة الشمس، ولم تهجن بالنار، لم يعيبها الطبخ بالنار. . . وكانوا ربما ساعدوا في تفكيك العنب بطبخه مع عروقه قبل تعتيقه، فهذا يعطيك طعم مزازة زائداً من عصارة العروق، وأما الخمير الجيدة فيعصرون عنها عصراً رقيقاً فلا يتسلل طعم العروق إلى الخمير؛ ولم يقطع سعف النخل لجني ثمارها، فهي ليست نبيذ التمر الذي أحله بعض فقهاء العراق، بل خمير العنب

تَصُدُّ بِنَفْسِ الْمَرْءِ عَمَّا يَغْمُهُ وَتُنْطِقُ بِالْمَعْرُوفِ أَلْسِنَةُ الْبُخْلِ

تبتعد بالنفس عن الغنوم وتجعل لسان البخيل ينطق بالمعروف، السخاء

بَعَثْنَا لَهَا مَنَّا خَطِيباً لِبُضْعِهَا فَجَاءَ بِهَا يَمْشِي الْعِرْضَنَةُ فِي مَهْلِ

بعثنا رجلاً كي يخطب بضعها، يطلب يدها. . . والبضع فرج المرأة يستحله الرجل بالزواج، فجاء بها مفتخراً يمشي العرضنة، مشية المفتخر المتمايلة

مُعْتَقَةً لَا تَشْتَكِي وَظَاءً عَاصِرٍ حَرُورِيَّةً فِي جَوْفِهَا دُمُهَا يَغْلِي

معتقة، ولم تعاني من دوس العاصر برجليه، فخير الخمير ما سال عصير عنها قبل الدوس بالأرجل، وهي حرورية، متهجة كالرجل الحروري أي الخارجي المتحمس للقتال، وكان دمها يغلي

أَقَامَتْ لَنَا الصَّهْبَاءُ صَدْرَ قَنَاتِهَا وَمَالَتْ عَلَيْنَا بِالْخَدِيعَةِ وَالْخَنْثَلِ

أقامت لنا صدر قناتها، أي رمحها، فكانها المحارب يرفع الرمح عالياً ولا يصوبه تصويماً. . . فكانه يطلب المهادنة، لكنها مالت علينا بعد ذلك بالخديعة والخنثل، الخداع، فصرعنا دون طعن

إِذَا مَا عَلَتْ مِنَّا ذُؤَابَةُ شَارِبٍ تَمَشَّتْ بِهِ مَشْيَ الْمُقْبِدِ فِي الْوَحْلِ

إذا ركبت ذؤابة الشارب، أي أعلاه. . . أي لعبت برأسه، فهي تجعله يمشي مترنحاً كأنه الرجل الذي في ساقبه قيد ويمشي في الوحل. تعجب هارون الرشيد من هذا البيت وقال لمسلم: ما أَرْضَاكَ أَنْ قِيدَتْهُ حَتَّى جَعَلْتَهُ يَمْشِي فِي الْوَحْلِ

وَسَاقِيَةَ كَالرَّيْمِ هَيْفَاءَ طِفْلَةٍ بَعِيدَةِ مَهْوَى الْقُرْطِ مُفْعَمَةِ الْحِجْلِ

رب ساقية كالريم، الغزال، هيفاء، ضامرة البطن، طفلة، طرية بضة، بعيدة مهوى القرط، قرطها الذي يزين أذنها إذا هوى فهو يهوي مسافة حتى يصل إلى كنفها. . . كناية عن طول عنقها، مفعمة الحجل، مليئة الخلخال، أي أنها غليظة الساق

تَنْزَرُهُ طَرْفِي فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهَا إِذَا احْتَثَّتِ الطَّاسَاتُ يُغْنِي عَنِ النَّقْلِ

تنزه نظري في جمال وجهها عندما تسرع بشرب الكؤوس يغني عن النقل، المازة. . . أي ما يرافق الشرب من خفيف المأكّل

هل العيشُ إلّا أن أروحَ مع الصِّبا وأغدو صريعَ الرّاح والأعْيُن النُّجْل؟

هل لذة العيش سوى أن أروح، أمسي، مع الصبا، اللّهُو، وأن أغدو، أصبح، صريعاً للخمر وللأعين النجل، الواسعة؟ سمع الرشيد البيت فقال لمسلم بن الوليد: فأنت صريع الغواني. والتصق به اللقب

٦ القاتلة الماكرة

وساحِرةِ العَيْنين ما تُحَسِّنُ السَّحْرا تُواصِلُنِي سِرّاً وَتَقْطَعُنِي جَهْرا

هي ليست ساحرة حقاً لكن عينها تسحراني، وهي تواصلني في السر وتصد في العلن

أَتَتْنِي على خَوْفِ العَيونِ كأنَّها خَذُولٌ تُراعي النَّبْتَ مُشْعَرةٌ دُغْرا

أتتني تسللاً خوفاً من الرقباء، فكانها ظبية خذول، متخلفة عن القطيع، تأكل العشب وهي تشعر بالذعر لانفرادها

إذا ما مَشَتْ حَاثَتْ نَمِيمَةً حَلِيها تُداري على المَشْيِ الخَلاخيلَ والعِظْرا

تخاف أن ينم ما تلبس من الحلبي عليها إذ تمشي، فهي تتحسب من صوت الخلاخيل ومن فوحان عطرها

فَبِتُّ أَسِرُّ البَدْرَ طَوَراً حَديثها وَطَوَراً أَناجِي البَدْرَ أَحْسَبها البَدْرا

بت وأنا أكلمها مخفياً حديثي عن القمر، ثم بعد ذلك أكلم البدر نفسه وأنا أظن البدر محبوبتي. بيت مصنوع جتنا به كي نريك ما الذي بدأ يصنعه مسلم بن الوليد بالشعر

وَبِنْتُ مَجُوسِي أبوها حَلِيلها إذا نُسِبَتْ لِمَ تَعُدُّ نِسْبَها «النَّهْرا»

رب خمرة كأنها ابنة لهذا المجوسي إذ هو يربّيها بتعتيقها، وأبوها هو حليلها، زوجها، فهو قد اشتراها وأصبحت ملكه. . واعتقد المسلمون أن الرجل عند المجوس يحل نفسه الزواج بابتته. . ونسبة هذه الخمر هي النهر، فهي تتسب إلى ماء النهر الذي سقاها. . أو أن النهر اسم موضع قريب. تفسير آخر من الشارح القديم، أبي العباس الطيخي: هذه الخمر أبوها الذي سقاها في كرومها هو الماء، والماء هو حليلها الذي تمزج به قبيل شربها

أَخَصُّ النَّدَامَى عندها وَأَحَبُّهُمُ إليها الذي لا يَعْرِفُ الظَّهْرَ والعَصْرا

تحب الخمر النديم الذي يقعد لها ولا يصلي

بَعَثَتْ لها خُطابَها فَأَتَوْا بها وَسُقْتُ لها عَنْهُمْ إلى رَبِّها المَهْرا

خطبتها من عند بائعها ودفعت المهر

وما زالَ خَوْفاً مِنْهُمْ في جُحُودها يُقَرِّبُهُمْ فتراً وَيُبْعِدُهُمْ شِبرا

وكان الذين ذهبوا للإتيان بها يخشون أن تجحدهم وترفض طلبهم، وكان خوفهم يقربهم فتراً ويبعدهم شبراً وهم ذاهبون مترددين لجليلها

إِلَى أَنْ تَلَاقَوْهَا بِخَاتِمِ رَبِّهَا مُحَدَّرَةً قَدْ عُنُقَتْ حِجْجاً عَشْراً
ثم وجدوها مختومة بخاتم ربها، كأنها البنت البكر، وهي مخدرة، محجوبة كالمرأة، وقد عُنُقَتْ
عشر سنين

إِذَا مَسَّهَا السَّاقِيُ أَعَارَتْ بَنَانَهُ جَلَابِيبَ كَالْجَادِي مِنْ لَوْنِهَا صُفْراً
يمس الساقى الكأس فترتدي أصابعه جلابيب صفراً كالجادي، أي الزعفران.. فالخمر تعكس
لونها على أصابعه

قُلُوبُ النَّدَامَى فِي يَدَيْهَا رَهِيْنَةٌ يَصِيدُونَهَا قَهْرًا، وَتَقْتُلُهُمْ مَكْرًا
قلوب الشاربين مرهونة للخمر وهم يصيدونها بالقوة بشرائنها،
وهي تقتلهم بالمكر إذ تسلل إلى رؤوسهم

وَدَارَ بِهَا ظَبْيِي مِنَ الْإِنْسِي نَاعِمٌ تَرُودُ عُيُونُ الشَّرْبِ جَانِبَهُ شَرْراً
يدور بكؤوس الخمر ظبي إنسي، أي فتاة، وينظر الشرب، أي الشاربون، إلى الساقية شراً،
بأطراف عيونهم، يسترقون النظر استراقاً. قد نيفت على الستين، ولكنني لم أصل بعد إلى أن أقول
ما قاله ونستون تشرشل وهو عجوزٌ فَإِنْ لَاحَدَى الْجَمِيلَاتِ فِي حِفْلِ، قَالَ لَهَا: وَجْهَكَ جَمِيلٌ جَدًّا
هل تضيقين بأن أحقق فيك؟ ما زلت مثل مسلم بن الوليد استرق النظر استراقاً

٧ رسالة الخمر إلى الضمير

لَا تَسْقِنِي الْمَاءَ الْقَرَّاحَ، وَهَاتِهَا عِذْرَاءَ صَافِيَةَ الْأَدِيمِ شَمُولًا
لا تسقني الماء القراح، وأعطني خمرًا عذراء قد فُضَ دنها للتو، صافية الأديم، والأديم الجلد..
فخمره ليست بها شوائب، وهي شمول باردة

بَعَثْتُ إِلَى سِرِّ الضَّمِيرِ فِجَاءَهَا سَلِسًا عَلَى هَذِرِ اللِّسَانِ مَقُولًا
ترسل الخمر رسالة إلى الضمير، ما يخفيه الإنسان، فتأتيها الأسرار سلسة يقولها اللسان

لَطْفَ الْمِرْأَجِ لَهَا فَرَزَيْنَ كَأْسَهَا بِقِلَادَةٍ جُعِلَتْ لَهَا إِكْلِيلًا
بمزجها بالماء أصبحت ألطف على الحلق، وتزين كأسها بقلادة من الفقايع جاءت كالإكليل على
أعلى الكأس

لَوْ أَنَّ قَوْمًا يُخْلَقُونَ مَنِيَّةً مِنْ بِأَسِيهِمْ كَانُوا «بَنِي جَبْرِيلَا»
ينصرف إلى المديح: لو أن قوما خلقهم الله موتاً للأعداء لشدة قوتهم وبأسهم لكانوا بني جبريل

قَوْمٌ إِذَا حَمَى الْهَجِيرُ مِنَ الْوَغَى جَعَلُوا الْجَمَاجِمَ لِلْسَيْفِ مَقِيلًا
إذا حمى الهجير، القيط.. الشمس، في الوغى، المعركة، فإن السيف يكون قد حان وقت
قيلولتها.. وهي تجدد المقييل، مكان قيلولتها، في رؤوس الأعداء

إِذْ لَا حِمَى إِلَّا الرِّمَاحُ وَبَيْنَهَا خَيْلٌ يَطَّانُ بِقَائِلٍ مَفْتُولَا
ولا مكان يحتمي به المرء إلا في ظل الرماح، وبين الرماح ثمة خيول تطأ المقتولين وعلى
صهواتها يركب القاتلون

٨ السيف الراضية

لولا سيوف «أبي الزُّبَيْرِ» وخيلُهُ نَشَرَ «الْوَلِيدُ» بِسَيْفِهِ «الضَّحَّاكَ»
لولا سيوف وخيول أبي الزبير، يزيد بن يزيد، لكان الوليد بن طريف الشاري ذلك المتمرّد على
الدولة قد نشر، أي بعث من القبر، ذلك العاصي القديم الضحّاك الخارجي الذي تمرد على
الأمويين وقُتل في زمن مروان الثاني

رَضِيَتْ سِيوْفُكَ عَنْكَ يَوْمَ لَقِيَتْهُمْ وَأَجَبَتْ دَاعِيَ الْمَوْتِ حِينَ دَعَاكَ
كنت شجاعاً وأرضيت سيوفك، وخضت المعركة غير عابئ بالموت. وقد قتل يزيد بن يزيد
الوليد بن طريف ورثته أخته بقصيدة «شجر الخابور»، وشرحنا الحلّ من أبياتها في كتابنا
«أول الشعر»

إِنْ الرِّفَاقَ أَتَيْتَ تَلْتَمِسُ الْغِنَى وَالْبَحْرُ لَوْ يَجِدُ السَّبِيلَ أَتَاكَ
يأتونك يلتسون المال، وأنت بحر سخاء،
ولكن البحر نفسه كان سيأتيك التماساً لعطائك لو استطاع

٩ نظرات المحبين

أَدِيرِي عَلَيَّ الرَّاحَ سَاقِيَةَ الْخَمْرِ وَلَا تَسْأَلِينِي وَاسْأَلِي الْكَأْسَ عَنْ أَمْرِي
ستخبرك الخمر بكل أموري.. فعندما أسكر أبوح بكل شيء

كَأَنَّكَ بِي قَدْ أَظْهَرْتَ مُضْمَرَ الْحَشَا لَكَ الْكَأْسُ حَتَّى أَطْلَعَتْكَ عَلَى سَرِّي
جعلنا علامات المودّة بيننا مصابيد لحظ هُنَّ أَخْفَى مِنَ السَّحْرِ
أصطاد الحبيبة وتصطادني بالنظرات الخفية خفاء أسرار السحر

فَأَعْرِفُ مِنْهَا الْوَصَلَ فِي لَيْلٍ طَرَفُهَا وَأَعْرِفُ مِنْهَا الْهَجَرَ بِالنَّظَرِ الشَّرُّ
إذا نظرت نظرات لينة فهذا بشير بالوصل، وإذا نظرت من جانب العين، شزراً، فهذا نذير بالهجر

وَفِي كُلِّ يَوْمٍ خَشْيَةٌ مِنْ صُدُودِهَا أَبَيْتُ عَلَى ذَنْبٍ وَأَغْدُو عَلَى عُذْرٍ
في كل يوم خوف من صدودها عني، أبيت شاعراً بالذنب، وأغدو،
أي أصبح صباحاً، وأنا متهميٌّ بعذر

١٠ السخي المقتدر والسخي الهيوب

خُذْ مِنْ شَبَابِكَ لِلصَّبَا أَبَامَهُ هَلْ تَسْتَطِيعُ اللَّهُوَ حِينَ تَشِيبُ؟
الصبا: اللهو

وَإِذَا الزَّمَانُ عَدَا عَلَيْكَ كَفَاكَهُ مِنْ آلِ سَعْدَانٍ أَغَرُّ نَجِيبُ
إذا ضامك الزمن فإن سيداً أغر، وجهياً أبيض مشهوراً، نجيباً من آل سعدان سيكفيك ضيمه
يُعْطِيكَ مُقْتَدِراً عَلَى أُمُوالِهِ لَا كَالَّذِي يُعْطِيكَ وَهُوَ هَيُوبُ

١١ خلق من الريح

دَلَّتْ عَلَى عَيْبِهَا الدُّنْيَا وَصَدَّقَهَا مَا اسْتَرْجَعَ الدَّهْرُ مِمَّا كَانَ أَعْطَانِي
الدنيا دلّنتي بنفسها على عيبها، وأبرز لي صدقها استرجاع الدهر ما كان أعطانيه من شباب
وسرور. زعم مسلم أنه أخذ معنى بيته هذا من التوراة

إِذَا تَرَيْنِي أَرْجِي الْعَيْسَ مَنَظَرًا وَعَدَّ الْمُنَى أَرْتَعِي فِي غَيْرِ أَوْطَانِي ..
إن تري أنني الآن أرجي العيس، أدفع بالنياق إلى بلد غريب، وأقعد فيه أنتظر العطاء، وأنا
أرتعي، أرتزق بالكفاف، في غير وطني ..

فَقَدْ أَرْوَحُ نَدِيمَ الدَّهْرِ يَمْزُجُ لِي كَأْسَ الْهَوَى وَيُحْيِيْنِي بِرِيحَانِ
.. فقد كنت في الماضي راضياً عن الزمن، وكان الزمن نديمي ويمزج لي الخمر في كأس
الهوى، ويحييني بعروق الريحان كما يحيي الندماء بعضهم بعضاً

أَيَّامَ لِلْعَذَلِ إِكْثَارٌ وَمَعْصِيَةٍ وَالرَّاحُ تُسْرِعُ فِي عَقْلِي وَأَحْزَانِي
أيامئذ كان اللوم كثيراً وكنت أعصي اللاتمين وأستمر في لهوي، والخمر تسرع في مسح عقلي
ومسح أحزاني

وَلَيْلَةٌ مَا يَكَادُ النَّجْمُ يَسْهَرُهَا سَامِرُتُهَا بِقَتُولِ الدَّلِّ مِفْتَانِ
رب ليلة طويلة لا يكاد النجم نفسه يسهرها، وقد سامرتها بفتاة قتول الدل، مغناج، مفتان، فاتنة
فَالْآنَ أَقْصَرْتُ إِذْ رَدَّ الزَّمَانُ يَدِي وَنَافَرْتَنِي اللَّيَالِي بَعْدَ إِذْعَانِ
الآن أقصرت، كفتت، فقد رد الزمان يدي، كفها عن اللهو، ونافرتني الليالي، عاداني الزمن، بعد
أن كان مدعناً مطيعاً لي

إِلَى الْإِمَامِ تَهَادَانَا بِأَرْحُلِنَا خَلَقَ مِنَ الرِّيحِ فِي أَشْبَاحِ ظُلُمَانِ
تهادانا بأرحلنا، تأتي بنا نحن ومتاعنا، إلى الإمام، الخليفة هارون الرشيد، خلق من الريح، إبل
كأنها مخلوقة من الريح لسرعتها، ولكنها إبل مهزولة لطول السفر فكأنها أشباح ظلمان، والظلمان
جمع ظليم وهو ذكر النعام

لَمْ يُغْمِدِ السِّيفَ مُذْ نِيطَتْ حَمَائِلُهُ يَوْمًا وَلَا سَلَّهُ إِلَّا عَلَى جَانِ
لَمْ يَغْمِدِ الْخَلِيفَةُ سَيْفَهُ فِي قَرَابِهِ مِنْذُ أَنْ عُلِقَتْ حَمَائِلُهُ بِكَتْفِهِ، وَلَمْ يَسْلِهِ إِلَّا لِمُعَاقِبَةِ أَحَدِ الْجَنَاحِ

١٢ لا سراويلات

وَيَوْمَ مِنَ اللَّذَاتِ خَالَسْتُ عَيْشَهُ رَقِيبًا عَلَى اللَّذَاتِ غَيْرِ مُعْقِلِ
رَبِّ يَوْمٍ خَالَسْتُ عَيْشَهُ رَقِيبًا، سَرَقْتُ الْعَيْشَ فِي لَذَاتِهِ سَرَقَةً مِنْ رَقِيبٍ، وَكَانَ الرَّقِيبُ مَتَبِّهَا غَيْرُ
مَغْفَلٍ غَيْرِ أَنْتِي غَافِلَتُهُ

فَكُنْتُ نَدِيمَ الْكَأْسِ حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ تَعَوَّضْتُ عَنْهَا رِيقَ حَوْرَاءَ عَيْطِلِ
وَصَاحِبَتِ كَأْسِ خَمْرٍ، حَتَّى إِذَا نَفَدَتْ الْخَمْرُ، اسْتَعْضَتْ عَنْهَا بِرِيقِ فَتَاةٍ حَوْرَاءَ، شَدِيدَةِ سَوَادِ
الْعَيْنَيْنِ فِي شِدَّةِ بَيَاضٍ، وَهِيَ عَيْطِلُ أَيِّ غَيْرِ مَرْتَدِيَةِ الْحَلِيِّ لَا اسْتِغْنَانَهَا عَنْهَا بِجَمَالِهَا

نَهَانِي عَنْهَا حُبُّهَا أَنْ أَسُوءَهَا بِلَمْسٍ، فَلَمْ أَفْتِكْ وَلَمْ أَتَبَلَّلِ
لِحَبِي لِفَتَاةٍ لَمْ أَمَادَ مَعَهَا لِمَسًّا، فَلَمْ أَكُنْ فَانِكًا مُعْتَدِيًا... لَكُنْتِي لَمْ أَكُنْ مَتَبَّلًا شَدِيدِ التَّعَفُّفِ

أَخَذْتُ لِطَرْفِ الْعَيْنِ مِنْهَا نَصِيبَهُ وَأَخْلَيْتُ مِنْ كَفِّي مَكَانَ الْمُخْلَخَلِ
أَخَذْتُ لِعَيْنِي نَصِيبَهَا مِنَ النَّظَرِ، لَكُنْتِي أَخْلَيْتُ كَفِّي، مَنَعْتُهَا، مِنْ مَكَانِ الْخُلْخَالِ... أَيِّ لَمْ أَلَسْ
لِلْفَتَاةِ سَاقًا

سَقَتْنِي بِعَيْنَيْهَا الْهَوَى وَسَقَيْتُهَا فَدَبَّ دَبِيبَ الرَّاحِ فِي كُلِّ مَفْصِلِ
الْهَوَى دَبَّ فِي جَسْمِنَا وَتَغْلَغَلَ كَمَا تَدْبُ الْخَمْرُ بَعْدَ أَنْ تَسَاقِيَانَا بِالْعَيُونِ

وإِنْ شِئْتُ أَنْ أَلْتَدَّ نَازِلْتُ جِيدَهَا فَعَانَقْتُ دُونَ الْجِيدِ نَظْمَ الْقَرْنَفُلِ
كَتُّنَا أَنْزَلُ، أَغَالِبُ وَأَصَارِعُ عُنُقَهَا، وَأَعَانِقُ تَحْتَ الْعُنُقِ الْعَقْدَ الْمَنْظُومَ مِنَ الْقَرْنَفُلِ

أَنَازِعُهَا سِرَّ الْحَدِيثِ وَتَارَةً رُضَابًا لِذِيذِ الطَّعْمِ عَذْبَ الْمُقْبَلِ
أَنَازِعُهَا، أَبَادِلُهَا، الْحَدِيثَ الْحَلُوهَ، وَأَحْيَانًا الرُّضَابَ، الرِّيقَ اللَّذِيزَ مِنَ الْمُقْبَلِ الْعَذْبِ، وَالْمُقْبَلُ هُوَ
الثَّغَرُ أَيُّ الشَّفَتَيْنِ

١٣. الرِّيحُ الْحَيْرَى

وَقَالَ يَمْدَحُ دَاوُدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ حَاتِمِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْمَهْلَبِ:

لَا تَدْعُ بِي الشُّوقَ إِنِّي غَيْرُ مَعْمُودٍ نَهَى النَّهْيَ عَنْ هَوَى الْهَيْفِ الرَّعَادِيدِ
لَا تَقُلْ يَا صَاحِبِي إِنِّي ذُو شُوقٍ، فَأَنَا غَيْرُ مَعْمُودٍ، غَيْرُ عَاشِقٍ، وَقَدْ نَهَانِي النَّهْيُ، أَيُّ الْعَقْلِ، عَنْ
حُبِّ الْفَتَيَاتِ الْهَيْفِ، جَمْعِ هَيْفَاءَ، الرَّعَادِيدِ، الْمَرْتَجَاتِ الْمُؤَخَّرَاتِ

لَا أَجْمَعُ الْجَلْمَ وَالصَّهْبَاءَ، قَدْ سَكَنْتُ نَفْسِي إِلَى الْمَاءِ عَنِ مَاءِ الْعَنَاقِيدِ
لَا أَجْمَعُ مَا بَيْنَ حَلْمِي وَوَقَارِي وَبَيْنَ الْخَمْرِ، وَقَدْ سَكَنْتُ نَفْسِي وَرَضِيْتُ بِالْمَاءِ بَدِيلاً عَنْ مَاءِ
الْعَنْقُودِ، أَيِ الْخَمْرِ

لَمْ يَنْهَنِي فَنَدُّ عَنْهَا وَلَا كِبَرُ لَكِنْ صَحَوْتُ وَعُصْنِي غَيْرُ مَخْضُودٍ
لَيْسَ الَّذِي نَهَانِي عَنِ الْخَمْرِ الْفَنَدُ، أَيِ اللَّوْمِ، وَلَا الْكِبَرُ فِي السِّنِّ. . . لَكِنِّي صَحَوْتُ وَتَرَكْتُهَا
وَعُصْنِي غَيْرَ مَخْضُودٍ، مَكْسَرٌ ضَعِيفٌ، فَقَدْ تَرَكْتُهَا فِي عَفْوَانِي

وَمَجْهَلٌ كَاطِرَادِ السِّيفِ مُحْتَجِزٌ عَنِ الْأَدْلَاءِ مَسْجُورِ الصَّيَاخِيدِ
وَرَبُّ مَجْهَلٍ، خَلَاءٌ. . . مُفْرَدٌ مُجَاهِلٌ، أَمْلَسُ صَحْرَاوِي كَأَنَّهُ امْتَدَادُ السِّيفِ الصَّقِيلِ، وَهُوَ مُحْتَجِزٌ
عَنِ الْأَدْلَاءِ، حَتَّى الدَّلِيلُ الْمُرْشِدُ يَكُونُ مُحْتَجِزاً غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى الْإِهْتِدَاءِ بِهِ، وَهَذَا الْقَفَرُ مَسْجُورٌ
الصَّيَاخِيدِ، أَيِ مُشْتَغَلٌ الصَّخُورَ لِشِدَّةِ الْحَرِّ

تَمْشِي الرِّيحُ بِهِ حَسْرَى مُؤَلَّهَةً حَيْرَى تَلُودُ بِأَكْنَافِ الْجَلَامِيدِ
تَمْشِي الرِّيحُ فِيهِ حَسْرَى مُؤَلَّهَةً، مُتَعَبَةٌ حَزِينَةٌ، حَائِزَةٌ، وَهِيَ تَلْجَأُ إِلَى أَكْنَافِ، جِهَاتِ، الْجَلَامِيدِ،
أَيِ الصَّخُورِ. . . فَلَا شَجَرٍ وَلَا بَشَرٍ فِي هَذَا الْقَفَرِ فَالرِّيحُ لَا تَجِدُ أَغْصَاناً تَلَاعِبُهَا فَكَأَنَّمَا تَكْتَفِي
بِالْتَّمَسِخِ بِأَطْرَافِ الصَّخُورِ

قَرَيْتُهُ الْوَحْدَ مِنْ خَطَاةٍ سُرْحٍ تَفْرِي الْفَلَاةَ بِإِرْقَالٍ وَتَوْخِيدِ
قَرَيْتُهُ، قَدَمْتُ لِهَذَا الْقَفَرِ، الْوَحْدَ، السَّيْرَ السَّرِيعَ، مِنْ نَاقَةِ خَطَاةٍ سُرْحٍ، مَشَاءَةً خَفِيفَةً، تَفْرِي
الْفَلَاةَ، تَقْطَعُ الصَّحْرَاءَ، بِالْإِرْقَالِ وَالتَّوْخِيدِ، وَهِيَ نَوَاعَانُ مِنْ سَيْرِ الْإِبِلِ

إِلَى بَنِي حَاتِمٍ أَدَى رَكَايَبِنَا خَوْضُ الدُّجَى وَسَرَى الْمَهْرِيَّةِ الْقُودِ
خَوْضُ الدُّجَى، اللَّيْلِ، وَالسَّرَى، سَيْرُ اللَّيْلِ، عَلَى ظَهْرِ الْمَهْرِيَّةِ الْقُودِ، الْإِبِلِ الْكَرِيمَةِ الذَّلُولِ
الْمَطِيعَةِ، أَدَى بَرَكَائِبِنَا وَمَطَايِنَا وَأَوْصَلَهَا إِلَى بَنِي حَاتِمٍ

لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى أَدْنَى بِلَادِهِمْ أَلْقَى إِلَيْكَ الْأَقَاصِي بِالْمَقَالِيدِ
يَخَاطَبُ الْمَمْدُوحَ دَاوُدَ الْمَهْلَبِيَّ: لَمَّا نَزَلَتْ فِي أَوَّلِ بِلَادِ الْعَدُوِّ فَإِنْ أَقْصَى هَذِهِ الْبِلَادِ أَلْقَى إِلَيْكَ
بِالْمَقَالِيدِ، الْمَفَاتِيحِ، فَسَلِمُوا لَكَ خَوْفاً

لَمَسْتَهُمْ بِيَدٍ لِلْعَفْوِ مُتَّصِلٍ بِهَا الرَّدَى بَيْنَ تَلْيِينٍ وَتَشْدِيدٍ
لَمَسْتَهُمْ بِيَدِكَ الَّتِي تَحْمِلُ الْعَفْوَ عَنْهُمْ، لَكِنْ هَذِهِ الْيَدُ تَعْرِفُ كَيْفَ تَقْتُلُ أَيْضاً، وَكُنْتَ ذَا حِيلَةٍ تَمَارَسُ
اللَّيْنَ وَالشَّدَّةَ

تَجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ أَنْتَ الضَّنِينُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ
تَجُودُ بِنَفْسِكَ فِي الْمَعْرَكَةِ غَيْرَ خَائِفٍ مِنَ الْمَوْتِ، فِي حِينِ أَنْتَ ضَنْينٌ بِنَفْسِكَ، حَرِيصٌ عَلَيْهَا،
وَهَذَا مُتَّهِىُ السَّخَاءِ

إِذَا عَزَمْتَ عَلَى أَمْرٍ بَطَشْتَ بِهِ وَإِنْ أَنْلَتْ فَنَيْلًا غَيْرَ تَصْرِيدٍ
إذا حسمت أمرك فأنت تأخذ الأمور غلاباً وببطش، وإن أعطيت الناس فأنت تجعلهم ينالون العطاء
بغير تصريد، بدون تقليل وتقتير

عَوَّذْتَ نَفْسَكَ عَادَاتٍ خُلِقَتْ لَهَا صَدَقَ الْحَدِيثُ وَإِنْ جَاَزَ الْمَوَاعِيدُ

١٤ يا ليت ماء الفرات يخبرنا..

أَيَا سُرُورٍ وَأَنْتَ يَا حَزَنُ لِمَ لَمْ أُمْتَ حِينَ سَارَتْ الظُّعُنُ
أيها السرور وأيها الحزن لماذا لم أمت عندما سارت الظعن، النساء الراحلات

أَطَالَ عَمْرِي؟ أَمْ مُدٌّ فِي أَجَلِي أَمْ لَيْسَ فِي الطَّاعِنِينَ لِي شَجْنُ؟
هل لأن عمري طويل بقضاء وقدر، أم مد الله في أجلي كي أرى رحيلهم؟ أم أنني لا أشعر بحزن

يَا لَيْتَ مَاءَ الْفُرَاتِ يُخْبِرُنَا: أَيْنَ تَوَلَّتْ بِأَهْلِهَا السُّفُنُ؟
أنا وحدي الذي يرى في هذا البيت جمالاً وفتنة؟

مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ عِنْدَ فُرْقَتِهِمْ وَأَقْبَعَ الْعَيْشَ بَعْدَمَا ظَفَعُوا
ظعنوا: رحلوا

هَذِي الْحَمَامَاتُ إِنْ بَكَتْ وَدَعَتْ أَسْعَدَهَا فِي بَكَائِهَا الْفَنَنُ
الحمام إذ يبكي ويدعو، أي ينادي.. وقيل الحمام ينادي ابناً له ضاع منذ سنين، أسعدها الفنن،
أي ساعدها الغصن بحركته وميلانه بها

فَمَنْ عَلَى صَبُوتِي يُسَاعِدُنِي إِذَا جَفَانِي الْحَبِيبُ وَالسَّكَنُ؟
فمن يساعدهني على صبوتي، عثقي، وقد تركني الحبيب الذي كنت أسكن إليه؟

عَذَّبَنِي حُبُّ طِفْلَةٍ عَرَضَتْ فِيهَا وَفِي حُبِّهَا لِي الْفِتْنُ
عذبني حب فتاة طفلة، طرية بضة، وكان لي فيها وفي حبها فتنة

إِذَا دَنَيْتَ لِلضَّجِيعِ لَذَّةً لَهُ مِنْهَا اعْتِنَاقٌ وَلَذَّةٌ مُحْتَظَنُ
يستمتع النائم بجانبها بالعناق وبالضم

كَحَلَاءٍ لَمْ تَكْتَحِلْ بِكَاحِلَةٍ وَسَنَانَةُ الظَّرْفِ مَا بِهَا وَسَنُ
كحلاء بكحل رباني، وطفها وسنان، أي فاتر، وليس بها وسن، أي نعاس

قِيلَ لَهَا إِنَّهُ أَخُو كَلْفٍ بِحُبِّكُمْ هَائِمٌ وَمُفْتَنُ
قيل لها إنني صاحب كلف، غرام، ومفتون بها

فَاعْرَضْتُ لِلصُّدُودِ قَائِلَةً: يَقُولُ مَا شَاءَ، شَاعِرٌ لَسِنْ

فصدت وقالت: فليقل ما شاء فهو شاعر ذلق اللسان

مَا كَانَ فِيمَا مَضَى بِمُؤْتَمَنٍ عَلَى هَوَانَا فَكَيْفَ يُؤْتَمَنُ؟

لم يكن في السابق مؤتمناً على حينا، فلا تأتمنه الآن

١٥ دوام ليلي

وقال يمدح زيد بن مسلم الحنفي من وائل:

إِذَا شِئْتُمَا أَنْ تَسْقِيَانِي مُدَامَةً فَلَا تَقْتُلَاهَا، كُلُّ مَيِّتٍ مُحَرَّمٌ

لا تقتلا الخمر، بمزجها بالماء، فالميتة، أي الذبيحة التي ماتت قبل ذبحها، يحرم تناولها

وَقَافِيَةٌ أَحْيَيْتُ فِي أَخَوَاتِهَا وَفِيهَا نَجْوَى اللَّيْلِ وَالنَّاسِ نَوْمٌ

رب قصيدة أحييت فيها الليل ساهراً أنظمتها

بَعَثْتُ لَهَا قَلْبًا ذَكِيًّا وَفِطْنَةً وَقَوْلَ لِسَانٍ صَادِقٍ لَيْسَ يُفْحَمُ

فلما أثنيتني مستقيماً قريضها مُثَقَّفَةَ الْبُنْيَانِ وَالْأُسُ مُحْكَمٌ...

لما جاءني القصيدة وقريضها، شعرها، مستقيم، وبنيانها مثقف، مشذب، وأساسها محكم متين..

حَبَوْتُ بِهَا زَيْدًا فَزَيَّنْتُ ذِكْرَهُ كَمَا زَيَّنَ السَّلَكُ الْجُمَانُ الْمُنْظَمُ

حبوت بها زيداً، أهديتها إليه، فزينت ذكره وسمعته مثلما يزين اللؤلؤ المنظوم السلك الذي

يسلكونه فيه

إِذَا الْقَرْمُ زَيْدٌ لَمْ يَقِفْكَ عَلَى النَّدَى فُمْتُ، فَالنَّدَى مِنْ غَيْرِ زَيْدٍ مُحَرَّمٌ

إذا القرم، السيد، زيد لم يقفك على الندى، لم يعرفك بالسخاء، فمت بلا ارتزاق، فالسخاء محرم

على غير زيد، ولا يحسنه أحد كزيد

١٦ سكر وعبث

لَقَدْ تَرَكْتُ الْوَجْدَ نَفْسِي بِهَا تَمَوْتُ مِرَاراً وَتَحِيًّا مِرَاراً

الشغف بالمحبة جعلني أموت وأحيا مراراً بين الحزن والأمل

كَلَانَا مُحِبٌّ وَلَكِنِّي عَلَى الْهَجْرِ مِنْهَا أَقْلٌ اصْطَبَاراً

أنا أقل صبراً منها على البعد

شَرِبْتُ وَنَادَمْتُ شَادِنٌ صَغِيرٌ، وَإِنِّي أَحَبُّ الصَّغَارِ

شادن: صغير الظبي

فَمَا زِلْتُ أُسْقِيهِ حَتَّى إِذَا ثَنَى طَرْفَهُ نَشْوَةً وَاسْتَدَارَا
سَقِيَهَا حَتَّى ثَنَتْ طَرْفَهَا، أَيْ مَالَتْ بَعِينَهَا، مِنْ النَّشْوَةِ، النَّشْوَةُ هِيَ السُّكْرُ، وَاسْتَدَارَتْ
نَهَضْتُ إِلَيْهِ فَقَبَّلْتُهُ وَعَانَقْتُهُ وَحَلَلْتُ الْإِزَارَا
الْإِزَارُ: الثَّوبُ دُونَ الْخَصْرِ

١٧ الواثقة برأسمالها

وَقَدْ قَالَتْ لِـبَيْضِ آنَسَاتٍ يَصِدْنَ قُلُوبَ شُبَّانٍ وَشَيْبٍ:
قَالَتْ لَزِمِلَاتِهَا الْبَيْضُ الْآنَسَاتُ، الْوَدِيعَاتُ، اللَّائِي يَصِدْنَ قُلُوبَ الشَّبَابِ وَالْكُهُولِ:
أَنَا الشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ حِينَ تَبْدُو وَلَكِنْ لَسْتُ أَعْرِفُ بِالْمَغِيبِ
أَنَا شَمْسٌ، وَلَكِنِّي لَا أَغِيبُ كَالشَّمْسِ
بَرَانِي اللَّهُ رَبِّي إِذْ بَرَانِي مُبْرَأَةً سَلِمْتُ مِنَ الْعُيُوبِ
بَرَانِي: خَلَقَنِي

فَلَوْ كَلَّمْتُ إِنْسَانًا مَرِيضًا لَمَّا احتَاجَ الْمَرِيضُ إِلَى الطَّبِيبِ
وَخَلَقَنِي مَسْكَةً عُجِنْتُ بِبَانٍ فَلَسْتُ أُرِيدُ طِيبًا غَيْرَ طِيبِي
أَنَا مَخْلُوقَةٌ مِنْ مَسْكٍ مَعْجُونٍ بِزَيْتِ الْبَانِ الْعَطْرِيِّ، فَلَا احتَاجُ إِلَى الطَّيِّبِ

وَجِلْدِي لَوْ يَدِبُّ عَلَيْهِ دَرٌّ لَأَذْمَى الدَّرُّ جِلْدِي بِالدَّبَنِيبِ
وَأَنَا نَاعِمَةٌ وَجِلْدِي حَسَّاسٌ لَوْ يَمِشِي عَلَيْهِ النَّمْلُ الصَّغِيرُ لِأَذْمَاهُ بِمِشْيِهِ عَلَيْهِ. كَانَتْ عَمَتِي رَحِمَهَا اللَّهُ
تَقُولُ عَنِ الْفَتَاةِ الْمُعْتَزَةِ بِجَمَالِهَا: رَأْسَمَالَهَا قَوِي

١٨ الخروج من الجنة

مَا زَالَ يَدْعُونِي بِمُقْلَةٍ سَاحِرٍ مِنْهُ وَيَنْصِبُ لِلْفَوَادِ حَبَالَا
ظَلَّ يَدْعُونِي بِعَيْنِي السَّاحِرَتَيْنِ، وَيَنْصِبُ حَبَالًا، مَصَانِدًا، لِقَلْبِي
حَتَّى خَضَعْتُ لِحُبِّهِ فَاقتَادَنِي وَأَذْلَسَنِي بِصُودُودِهِ إِذْ لَا
حَتَّى خَضَعْتُ فَاقتَادَنِي ثُمَّ أَذْلَسَنِي بِصُودُودِهِ

مَا مَرَّ بِي شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْهُوَى سَبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْهُوَى وَتَعَالَى
يَا رَبُّ خِذْنِي قَدْ قَرَعْتُ جَبِينَهُ بِالطَّاسِ وَالْإِبْرِيقِ حَتَّى مَالَ
رَبِّ خَدْنٍ، صَاحِبَةٍ، قَرَعْتُ جَبِينَهَا بِالطَّاسِ وَالْإِبْرِيقِ، سَقِيَهَا حَتَّى الثَّمَالَةِ، فَمَالَتْ سَكْرًا

أَنهَضْتُهُ مِنْ بَعْدِمَا أَسْكَنْتُهُ فَمَشَى كَأَن بِرِجْلَيْهِ عُقَّالًا
 أَوْقَفْتُهَا سَاكِرَةً فَمَشَتْ وَكَأَن بِرِجْلِهَا عُقَّالًا، والعمال داء في قوائم الإبل يمنعها المشي القويم
 بَارَزْتُهُ وَسِلَاحُهُ خَلَخَالَهُ حَتَّى قَضَضْتُ بِكَفِّي الْخَلَخَالَ
 بارزت المعشوقة وسلاحها الذي تقاومني به خلخالها، أي لا مقاومة لديها،
 وقضضت الخلخال بكفي

هَذَا النِّعِيمُ فَكَيْفَ لِي بِدَوَامِهِ أَنَّى يَدُومُ وَعَيْشُهُ قَدْ زَالَ
 هذا كان جتي.. وكيف تدوم وقد زال العيش الذي يصلح به ذلك الحال بزوال الشباب
 أَصْبَحْتُ كَالثُوبِ اللَّيْسِ قَدْ اخْلَقْتُ جِدَاتُهُ مِنْهُ فَعَادَ مُذَالًا
 أصبحت كالثوب الملبوس الذي أخلقت جداته، اهترأ ولم يعد جديداً، وصار مذالاً، بالياً
 وَبَقِيَْتُ كَالرَّجُلِ الْمُدْلَى عَقْلُهُ أَشْكُو الزَّمَانَ وَأَضْرِبُ الْأَمْثَالَ
 وبقيت مدلهأً، مولهأً ذاهب العقل، كلامي شكوى الزمان وضرب الأمثال

١٩ ليلة بقمريين

يَا لَيْلَةً نِلْتُ فِيهَا اللّهُوَ وَالْوَطْرَا كُرِّيَ عَلَيْنَا وَإِلَّا فَاظْرُدِي الذِّكْرَا
 أيتها الليلة التي لهوت فيها ونلت فيها الوطر، الحاجة، ارجعي لنا.. أو على الأقل اطردي
 الذكريات عنك التي تجعلنا نتحسر

لَمَّا التَقِينَا افْتَرَعْنَا فِي تَعَاتِبِنَا مِنَ الْحَدِيثِ وَمِنْ لَذَاتِهِ الْعُذْرَا
 لما التقينا افترعنا العذر، فضضنا الأختام وتقاتحنا، في العتاب والحديث

سَادَّعَنِي ذَنْبٌ غَيْرِي كَيْ يُصَدِّقَنِي مَنْ لَا أَرْجِي لَدَيْهِ الْعَفْوَ إِنْ قَدَّرَا
 كي يصدقني المحبوب سأعترف بذنب ارتكبه غيري.. فهو لا يصدق قط أنني بريء
 أَسْهَرْتُ مَوْنِي أَنَامَ اللّهُ أَعَيْنَكُم لَسْنَا نُبَالِي إِذَا مَا نِمَتْ مَنْ سَهَرَا
 أسهرتني بحبها.. لكنني أدعو لها بالنوم الهنيء

فَاسْتَضَحَّكَتْ ثُمَّ قَالَتْ: لَا تَكُنْ نَزِقًا وَاکْتُمْ حَدِيثَكَ لَا تُعْلِمْ بِهِ بَشَرَا
 تضحكت وقالت: لا تكن نزقاً متوتراً ودعك من حديث الذنب هذا

فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ الذَّنْبَ الَّذِي رَعَمُوا لَا بَارَكَ اللّهُ فَيَمَنْ بَعْدَ ذَا غَدَرَا
 غفرت لك ما زعموه ذنباً، ولا بارك الله فيمن يغدر بصاحبه

وَقَصَّرَ اللَّيْلُ عَنْ حَاجَاتِ أَنْفُسِنَا كَذَاكَ لَيْلُ التَّلَاقِي رُبَّمَا قَصُورًا

ما بنا من شوق لم يسعه الليل بطوله

لَمَّا بَدَا الْقَمَرُ اسْتَحْيَتْ فَقُلْتُ لَهَا: بَعْضَ الْحَيَاءِ، فَإِنَّ الْحَبَّ قَدْ ظَهَرَ

خجلت لما كشف وجهها وجسمها نور القمر، فقلت لها: بعض الحياء، أي كفي عن هذا الخجل، فقد بدا ما بك من عشق

أَلَقْتُ عَلَى وَجْهِهَا هُدَابَ خَامَتِهَا وَنَازَعْتَنِي بِكَأْسِ الْوَحْشَةِ الْخَفَرَا

ألقيت هدايب خامتها، أي طرف ثوبها الذي به الأهداب، على وجهها وتبادلت معي الخفر، أي الخجل، وبيننا وحشة لما ألم بنا من مشاعر متأججة.. المعنى الملموح

تُكَاتِمُ الْقَمَرَ الْوَجْهَ الَّذِي ضَمِنَتْ وَالْوَجْهَ مِنْهَا تَرَى فِي مَائِهِ الْقَمَرَا

تخفي عن قمر السماء الوجه الذي ضمته، أي الذي خابت، وإنك لترى في ماء وجهها، في نضارته، قمرًا

قَامَتْ تَمْشِي الْهُوَيْنَا نَحْوَ قُبَّتَيْهَا وَقُمْتُ أَمْشِي خَفِيَّ الشَّخْصِ مُسْتَتِيرَا

ثم قامت تمشي ببطء نحو قبعتها، خيمتها، وقمت مستخفياً كي أغادر خلصة

قَالُوا: اسْتَهْزَتْ، فَقُلْتُ: الْحَبُّ صَاحِبُهُ مَنْ لَا يَزَالُ بِهِ فِي النَّاسِ مُشْتَهَرَا

٢٠ فلتخرب

وقال يمدح محمداً الأمين:

شُغِّلِي عَنِ الدَّارِ أَبْكِيهَا وَأَرْثِيهَا إِذَا خَلَّتْ مِنْ حَبِيبٍ لِي مَغَانِيهَا

لن أنشغل بالدار فأرثيها وأبكيها إذا خلت مغانيها، ربوعها، من الحبيب

دَعِ الرِّوَامِسَ تَسْفِي كُلَّمَا دَرَجَتْ تُرَابَهَا وَدَعِ الْأَمْطَارَ تُبْلِيهَا

دع الرياح تسفي التراب كلما درجت على الديار المهجورة، ودع الأمطار تخربها

إِنْ كَانَ فِيهَا الَّذِي أَهْوَى أَقَمْتُ بِهَا وَإِنْ عَدَاهَا فَمَا لِي لَا أُعَدِّيَهَا

إن نزل بها المحبوب نزلت، وإن عداها، وتركها، فلماذا لا أتركها أنا؟

أَحَقُّ مَنْزِلَةٍ بِالتَّرْكِ مَنْزِلَةٌ تَعَطَّلَتْ مِنْ هَوَى نَفْسِي نَوَادِيهَا

أحق مكان بالترك المكان الذي تعطلت نواديه، خلت مجالسه، من حبيب القلب

وَقُلْتُ حِينَ أَدَارَ الْكَأْسَ لِي قَمْرٌ: الْآنَ حِينَ تَعَاطَى الْقَوْسَ بَارِيهَا

حين أدارت الكأس علينا فتاة قمر قلت: الآن أخذ القوس باريها، أي قام بالأمر الشخص المناسب

يَا أَمْلَحَ النَّاسِ كَفًّا حِينَ يَمَزُجُهَا وَحِينَ يَأْخُذُهَا صِرْفًا وَيُعْطِيهَا
أَمْلَحَ النَّاسِ حِينَ يَمَزُجُ الْخَمْرَ، وَحِينَ يَتَنَاوَلُهَا وَيَنَاوَلُهَا صِرْفًا غَيْرَ مَمْرُوجَةٍ

وَمُخْطَفِ الْخَصْرِ فِي أَرْدَافِهِ عَمَمٌ يَمِيسُ فِي خَامَةٍ رَقَّتْ حَوَاشِيهَا
رَبِّ حَيْبٍ خَصْرِهِ مَخْطَفٍ، نَحِيلٍ، وَأَرْدَافِهِ عَمِيمَةٌ كَبِيرَةٌ، يَمِيسُ، يَتَمَايَلُ فِي خَامَةٍ، ثَوْبٍ، رَقِيقِ الْحَوَاشِي

إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ تَاءَ عَنْ نَظَرِي وَإِنْ شَكَّوْتُ إِلَيْهِ زَادَنِي تَيْهَا
أَنْظُرْ إِلَيْهِ فَأَرَاهُ قَدْ تَاهَ، ضَلَّ وَابْتَعَدَ، عَنْ نَظَرِي، وَأَشْكُو إِلَيْهِ فَيَزِيدُنِي تَيْهًا، أَيْ تَكْبَرًا

حَلَّتْ قُرَيْشُ الْعُلَا مِنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ وَحَلَّ بَيْتُكَ فِي أَعْلَى أَعَالِيهَا
هَذَا بَيْتٌ مَدْحٌ: قُرَيْشٌ فِي أَعْلَى الْمَكَارِمِ، وَبَيْتُكَ الْهَاشِمِيُّ فِي أَعْلَى الْأَعَالِي

٢١ لَا تَفَاضِلَ بَيْنَنَا

بِمَدْحِ الْحَسَنِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ عُمَرَ الطَّائِي:

وَإِنِّي لَا أَقْفُو الشَّنَاءَ بِغَيْرِهِ وَلَا أَبْتَغِيهِ قَبْلَ أَنْ يُبْتَغَى عِنْدِي
أَنَا لَا أَتَّبِعُ الْمَدْحَ بِهَجَاءٍ، وَلَا أَطْلُبُ مَدْحَ شَخْصٍ مَا لَمْ يَسْعَ إِلَى نَيْلِ مَدْحِي

أَهْبْ يَا ابْنَ عِمْرَانَ بِشُكْرِي فَإِنِّي سَمِيعٌ إِلَى الدَّاعِي قَرِيبٌ عَلَى الْبُعْدِ
أَهْبْ بِشُكْرِي، أَرْفَعُ الصَّوْتَ شَاكِرًا لِي، فَأَنَا قَرِيبٌ وَسَامِعٌ

فَمَا مِنْ يَدٍ قَدَّمَتْهَا قَلْتُ مُثْنِيًّا وَلِكِنِّي هَزَزْتُكَ لِلْمَجْدِ
فَأَنَا لَمْ أَمْدَحْكَ لِقَاءَ يَدِ قَدَمَتِهَا، مُقَابِلَ عَطَاءٍ، وَلَكِنِّي هَزَزْتُكَ لِلْمَجْدِ، حَرَكْتُكَ حَتَّى تَدْفَعَ الْمَالَ
مُقَابِلَ نَيْلِ مَجْدِ الْمَدِيحِ

فَإِنْ شِئْتَ أَلْقَيْنَا التَّفَاضُلَ بَيْنَنَا وَقُلْنَا جَمِيلًا وَاقْتَصَرْنَا عَلَى الْوُدِّ
وَالْآنَ وَقَدْ امْتَنَعْتَ فَإِذَا شِئْتَ فَلْتَرْكِ التَّفَاضُلَ بَيْنَنَا، فَلَا أَنْتَ أَفْضَلُ مِنِّي وَلَا أَنَا أَفْضَلُ مِنْكَ، وَلِنَقُلْ
قَوْلًا حَسَنًا وَلِنَقْتَصِرَ عِلَاقَتَنَا عَلَى الْوَدِّ

٢٢ الْمَحْبُوبُ الذَّمِيمُ

يَهْجُو سَعِيدَ بْنِ سَلَمٍ:

وَأَحْبَبْتُ مَنْ حُبَّهَا الْبَاخِلِيُّ نَ حَتَّى وَمَقَّتْ ابْنُ سَلَمٍ سَعِيدًا

لِحُبِّي لِهَذِهِ الْفَتَاةِ الْبَخِيلَةِ بِوَصْلِهَا صَرَتْ أَحَبَّ الْبَخَلَاءِ فَوَمَقَّتْ، أَحْبَبْتُ، سَعِيدَ بْنَ سَلَمٍ. هَذَا هَجَاءٌ
مُغْلَفٌ بِغِلَافٍ مُخْتَلَفٍ، فَكَانَ الْهَجَاءُ غَيْرَ مَقْصُودٍ، لَكِنَّهُ هُوَ فَقَطُ الْمَقْصُودِ. هَذَا الْأَسْلُوبُ سَمَاءُ أَبُو
تَمَامٍ «الْأَسْطَرَادُ»، وَتَعَلَّمَهُ مِنْهُ الْبَحْثَرِيُّ، وَجِئْنَا فِي شَرْحِنَا لِأَبِي تَمَامٍ بَعْدَهُ قَطَعَ فِيهَا هَذَا الْأَسْلُوبُ

إِذَا سِيلَ عُرْفًا كَسَا وَجْهَهُ يُيَاباً مِنَ اللُّؤْمِ حُمْراً وَسُوداً
الآن هجاء صريح: إذا سئل بذل معروف أخذ وجهه يتلون بالحمرة والسواد من لؤمه وشعوره
بالحرج لأنه لا يريد أن يعطي شيئاً

يُغَيِّرُ عَلَى الْمَالِ فِعْلَ الْجَوَادِ وَتَأْبَى خَلَائِقُهُ أَنْ يَجُودَا
هو يشن غارة على الأموال فينهبها، وتأبى له خلايقه، أي طباعه، أن يجود بالمال

٢٣ شكوى لصورتها

وَإِنِّي لَأَخْلُو مُذْ فَقَدْتُكَ دَائِباً فَأَنْقُشُ تِمَثَالاً لِيُوجِّهَكَ فِي الثَّرِبِ
يخلو بنفسه دوماً منذ فقد وصالها، ويخط صورتها في التراب

فَأَسْقِيهِ مِنْ عَيْنِي وَأَشْكُو تَضَرُّعاً إِلَيْهِ بِمَا أَلْقَاهُ مِنْ شِدَّةِ الْكَرْبِ
فيسقي صورتها بدمعه ويشكو تضرعاً، تذلاً، لشدة ما نزل به من كرب وبلاء

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي بِمَا أَنَا مُذْنِبٌ إِلَيْكَ سِوَى الْإِفْرَاطِ فِي شِدَّةِ الْحَبِّ
فإن كان ذا ذنبي الذي تدعينه فلا فرج الرحمن ذلك من ذنبي

٢٤ مفقوداً بمفقود

نَامَ الْعَوَاضِلُ وَاسْتَكْفَيْنَ لَائِمَتِي وَقَدْ كَفَّاهُنَّ نَهْضُ الْبَيْضِ فِي السُّودِ
نامت العاذلات، كففن عن لومي، وكفاهن اللوم قيام الشعرات البيض وسط السود في رأسي..
فهذا إيذان بانتهاء الغزل

الشَّيْبُ كُرْهُ وَكُرْهُ أَنْ يُفَارِقَنِي أَعْجَبَ بِشَيْءٍ عَلَى الْبَغْضَاءِ مَوْدُودِ
أكره الشيب وأكره أن يفارقني بالموت، فما أعجب هذا الشيء الذي توده رغم البغضاء، الكره

يَمْضِي الشَّبَابُ وَقَدْ يَأْتِي لَهُ خَلْفٌ وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ مَفْقُوداً بِمَفْقُودِ
الشباب يذهب، وقد تخلفه عيشة هائلة في الشيخوخة، بيد أن الشيب يذهب مفقوداً وأنا مفقود معه

٢٥ هجاء قريش

هجا مسلم قريشا وفخر بالأنصار فقال:

فَاخْرَجْنَا لَمَّا بَسَطْنَا لَهَا الْفَخْرَ رَ قُرَيْشٍ، وَفَخَرُهَا مُسْتَعَارُ

نفخر قريش علينا، نحن الأنصار، ونحن من سبب لها الفخر، ففخرها مستعار منا

ذَكَرَتْ عِرْهَا! وما كان فيها قَبْلَ أَنْ تَسْتَجِيرَنَا مُسْتَجَارُ

تتكلم قريش عن عزها.. لكن لم يكن لديها مستجار، قوة تجير بها أحداً، قبل أن تطلب منا أن نجيرها. فقد أجارت الأنصار النبي وصحبه بعد الهجرة

فَلَنَا الْعِزُّ قَبْلَ عِزِّ قُرَيْشٍ وَقُرَيْشٌ يَلُكُ الدَّهْوَ تَجَارُ

فلنا عز سابق على عز قريش في وقت كانت فيه قريش جماعة من التجار

٢٦ الميت المنشور

أَمَّا الْقُبُورُ فَلِإِنَّهُنَّ أَوَانِسُ بِجِوَارِ قَبْرِكَ وَالْدِيَارُ قُبُورُ

القبور المجاورة لقبرك تشعر بالأنس، وأما البيوت التي خلت من وجودك فهي موحشة كالقبور

عَمَتْ قَوَاضِلُهُ وَعَمَّ مَصَابُهُ فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَأْجُورُ

فواضله، عطاياه وفضله، كانت قد عمت الناس فبموته عم الناس الشعور بالحزن والمصيبة.. لذا فكل الناس ينالون أجراً بحزنهم وصبرهم على المصيبة، وفي الإسلام أن الصابر على مصيبته ينال ثواباً. هذا البيت والذي بعده نسباً لغير مسلم في حماسة أبي تمام. انظر القطعة رقم ١٠٢ فيما اخترناه من الحماسة في كتابنا «أول الشعر»

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ

صنائه، إحسانه، ردت إليه الحياة لأنه مذكور على كل لسان. فكأنه من نشرها، من راثحتها، منشور، أي مبعوث حياً

٢٧ تنويم البدر

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي، وَإِنِّي لَسَائِلٌ بِمَكَّةَ أَهْلَ الْعِلْمِ هَلْ فِي الْهَوَى وَرُزُّ

سأسال علماء مكة هل في الهوى ذنب

وهل في اكتحال العين بالعين ريبٌ إِذَا مَا التَقَى الْإِلْفَانِ؟ لَا بَلْ بِهِ أَجْرُ

وهل في اكتحال العين بالعين، رؤية المرء عيني محبوبه فكأنه يحكل عينه بعينه، هل في هذا ريبة، شبهة ارتكاب معصية، عندما يلتقي الإلفان، الحبيبان؟ لا والله بل فيه أجر وثواب

وَبَيْنَنَا عَلَى رَغَمِ الْحَسُودِ وَبَيْنَنَا حَدِيثُ كَرِيحِ الْمِسْكِ شَيْبَ بِهِ الْخَمْرُ

بيننا معاً رغم الحاسد، وبيننا كلام كأنه رائحة المسك التي شيب بها، خلط بها، الخمر

فَوَسَّدَتْهُ كَفِّي وَبِئْتُ ضَجِيعَهُ وَقُلْتُ لِلَّيْلِ: طُلْ فَقَدْ رَقَدَ الْبَدْرُ

جعلت كفي وساداً للحبيب واستلقينا معاً، وقلت لليل طل كما شئت أن تطول فإن البدر نائم

فَلَمَّا أَضَاءَ الصُّبْحُ فَرَّقَ بَيْنَنَا وَأَيُّ نَعِيمٍ لَا يُكَدِّرُهُ الدَّهْرُ
ضوء الصبح فرق بيننا . . والزمن يكدر كل سعادة

٢٨ هل كان يحلم شاعر عن شاعر؟

وقال في الحَكَم ابن قنبر الشاعر وكانت بينهما مهاجاة قاسية:

حَلَمَ ابْنُ قُنْبَرٍ حِينَ أَقْصَرَ جَهْلُهُ هَلْ كَانَ يَحْلُمُ شَاعِرٌ عَنْ شَاعِرٍ؟
حين قَصَّر ابن قنبر في الجهل، الرعونة، أراد أن نتعامل بالحلم واللين، فهل كان الشاعر يرفق
بالشاعر؟ لا بل هي الهزيمة

لَا تُرْبِعَنَّ لَحْمِي لِسَانَكَ بَعْدَهَا إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ شَفْرَةَ جَازِرٍ
لا تُرثع لحمي لسانك، لا تجعل لحمي مرتعاً للسانك أي لا تذكرني بسوء بعد اليوم، فانا أخاف
عليك أن أغضب فأذبحك بهجائي الذي كأنه شفرة جازر، سكين قصاب

وَاسْتَغْنِمِ الْعَفْوَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ، لَا تَأْمَنْنَ عُقُوبَةً مِنْ قَادِرٍ
واغتنم فرصة العفو التي نلتها . والشرط الثاني حكمة: لا تأمن العقوبة ممن يقدر عليها

٢٩ أبكيك

وقال في مراثية، وجاءت الأبيات في الشعر والشعراء:

أَبْكَيْكَ لِأَيَّامٍ حِينَ تَجَهَّمْتُ طَلْبِي، وَلَمْ يَكْ لِي وَرَاءَكَ مَنْجَعُ
أبكيك وقد رأيت الزمن قد تجهم طلبي، كثر في وجه رغباتي، وكنت لي في حياتك المنجع،
الملاذ، ولم يكن لي ملاذ غيرك

قَدْ كُنْتُ لِي سَيِّباً وَعَيْشاً صَائِباً وَيَدَا أَضْرُّ بِهَا الْعَدُوَّ وَأَنْفَعُ
كنت لي سيئاً، عطاء، ومطراً صائباً، والصبوب هو المطر، وبدأ، أي قوة، أضربها العدو وأنفع،
أي أنفع الصديق . . لكنه حذف اكتفاء

فَاصْعُدْ إِلَى الْغُرَفَاتِ، يَوْمُكَ وَاقِعٌ بِالشَّامِتِينَ، لِكُلِّ جَنْبٍ مَضْرَعُ
فاصعد إلى غرفات الفردوس، وليكن يومك، موتك، واقعاً بمن شمتوا فيك، وكل إنسان له يومه

٣٠ التصادق والتناقض

وَلَا خَيْرَ فِي وُدِّ امْرِئٍ مُتَكَارِهِ عَلَيْكَ، وَلَا فِي صَاحِبٍ لَا تُوَافِقُهُ

لا خير في ود صاحب يصحبك وكأنه كاره لصحبتك، ولا في آخر ينعدم بينكما التوافق

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَبْذُلْ مِنَ الْوُدِّ مِثْلَمَا بَذَلْتُ لَهُ فَاعْلَمْ بِأَنِّي مُفَارِقُهُ

اعلم أنني سأفارق من لا يبادلني الود بمثله

فَإِنْ شِئْتَ فَاصْحَبْهُ فَلَا خَيْرَ عِنْدَهُ وَإِنْ شِئْتَ فَاجْعَلْهُ صَدِيقًا تَمَازِقُهُ

إن صحبت من لا يبادلك الود بالتساوي فاعلم أنه لا خير عنده، وربما جعلته صديقاً تمازقه، تبادل
الود نفاقاً . . تتناقضان

٣١ طليق عرضه

يرد على دعبل، وكان دعبل تلميذه، فجفاه مسلم فتهاجبا هجاء خفيفاً، وكان دعبل
يدعى وهو صغير مياساً:

مَيَّاسُ! قُلْ لِي أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْوَرَى لَا أَنْتَ مَعْلُومٌ وَلَا مَجْهُولٌ

قل لي يا مياس، ما وضعك في الوري، أي الناس، فلا أنت معلوم بفعل خير، ولا أنت مجهول
لأن مخازيك كثيرة

لَوْ كُنْتَ مَجْهُولًا جَعَلْتُكَ مُعْلَمًا أَوْ كُنْتَ مَعْلُومًا لَعَالِكَ عُولٌ

ولو كنت مجهولاً حقاً فسوف أعرف الناس بمخازيك، وإن كنت معلوماً فسوف يهجم عليك قولي
هجوم الغول

أَمَّا الْهَجَاءُ فَدَقُّ عِرْضِكَ دُونَهُ وَالْمَدْحُ عَنْكَ - كَمَا عَلِمْتَ - جَلِيلٌ

الهجاء صعب فيك لأن شرفك دقيق لا يصمد للهجاء، والمدح - وأنت خير العارفين - كبير عليك

فَاذْهَبْ فَإِنَّتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ عِرْضُ عَزْرَتِ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلٌ

فاذهب فأنت طليق عرضك، أنت حر بسبب رداءة عرضك، فهو عرض نجوت بسببه وإن كان
يلحق بك الذل

٣٢ تفاحة

تُفَّاحَةٌ شَامِيَّةٌ مِنْ كَفِّ ظَنَبِي غَزَلٌ

الغزل: المقبل على الغزل المستمتع به

مَا خُلِقَتْ مُذْ خُلِقْتُ تِلْكَ لِغَيْرِ الْقُبَلِ

التفاحة حرام فيها الأكل، فلشبهها بالخدود لا تصلح إلا للتقبل

كَأَنَّمَا حُمِرْتُهَا حُمْرَةً خَدَّ خَجَلٍ

٣٣ صريع الغواني

وسأله رجل لم تدعى صريع الغواني فقال:

إِنْ وَرَدَ الْخُدُودِ وَالْحَدَقَ النَّجْدُ لَمْ وَمَا فِي الشُّعُورِ مِنْ أَفْحُوانٍ ..
الخدور الوردية والعيون الواسعة، والأفحوان الذي في شفاة الحسان ..

وَأَعْوِجَاجَ الْأَصْدَاغِ فِي ظَاهِرِ الْخَدِّ .. وَمَا فِي الصَّدُورِ مِنْ رُؤْمَانٍ ..
واعوجاج الشعر في الأصدغ، السوالف، ورومان الصدور ..

تَرَكْتُنِي بَيْنَ الْغَوَانِي صَرِيْعاً فَلِهَذَا أُدْعَى صَرِيْعَ الْغَوَانِي
كل هذا تركني صريعاً، ملقى أرضاً، بين الغواني، الحسان اللاتي استغنين بجمالهن عن الزينة،
فهذا سبب تلقيبي بصريع الغواني

فهرس القوافي (القافية فرقم القطعة)

٢٦	قُبُورُ	٢	نَسَبَا
٢٥	مُسْتَعَارُ	١٠	تَشْيِبُ
٢٧	وِزْرُ	٢٣	الثَّرِبُ
٢	أَدْرِي	١	الْعِقَابِ
١	الْأَثَرِ	١٧	وَشَيْبِ
١	الدَّارِ	١	المَشْيِبِ
١	القَبْرِ	٢٢	سَعِيدَا
١	المَخْبِرِ	١٣	الرَّعَادِيدِ
٩	أَمْرِي	٢٤	السُّودِ
٢٨	شَاعِرِ	٢	جَلْدِي
٢	عَصْرِ	٢١	عَنْدِي
٢٩	مَنْجَعُ	٢	مُشَرَّدِ
١	فَتَتَفَقُّ	٢	أَضْمُرَا
٣٠	تُؤَافِقُهُ	٢	الْحَجَرَا
٨	الصَّحَاكَا	١٩	الذُّكْرَا
١	رَجَاكَا	١	الْقَدْرَا
١٨	جِبَالَا	٦	جَهْرَا
٧	شَمُولَا	١٦	مِرَارَا

٢	والهاما	٢	أَهْلُ
١٥	مُحَرَّمٌ	٢	بَعْلُ
١٤	الطُّعْنُ	٣١	مَنْجُوهٌ
١١	أَعْطَانِي	٣	الْعَذَلِ
٣٣	أُقْحَوَانِ	٥	ذَخْلِي
٢	جُرْجَانِ	٣٢	عَزَلِ
٢	مَكَانِ	١٢	مُعَقَّلِ
٢	وأوطانِ	٢	مَمِيلِ
١	تَالِيَا	٢	والمَعَالِي
٢٠	مغانيها	٤	وعنْ فُلِ
		٢	فَمَا

أبو نواس (١٤٠هـ - ١٩٩هـ)

أرجأت هذه المختارات من أبي نواس سنتين قضيتهما كسلان. وقد أتممتها وأنا أجز رجلِي جرّاً. وقبل أن أكتب هذه المقدمة كافأت نفسي بيومي كسل، مضيت فيهما إلى الدكتور صموئيل جونسون الناقد والأديب الإنجليزي الذي مات قبل نحو مئتين وثلاثين سنة (١٧٨٤). جددت عهدي بسيرته المشهورة التي كتبها مريده بوزويل، وأحدثت عهداً بكتابه عن شعراء الإنجليز. والرجل تناول في كتاب ضخّم اثنين وخمسين شاعراً ممن زينوا اللغة الإنجليزية وصنعوها على مدى قرنين ونصف، وأنا ماض في اصطفاء أشعار اثنين وأربعين من أعظم شعراء العربية على مدى ألف وخمسمئة سنة. يضاف إلى هؤلاء الشعراء ثمانية مجاميع شعرية رأيتها تنصف الشعراء المغمورين أو المقلين، فقد تم لي بهذا خمسون فصلاً، تقارب في العدد فصول الدكتور جونسون.

يقول جونسون، وكان كسولاً مشهوراً بالتسويق، إن الأحق فقط هو من يكتب حرفاً إلا من أجل المال. وبالفعل لا نراه يكتب إلا بعد أن يثق من أن ما سيكتبه سيأتيه ببعض المال. ليس أنه كان حصيفاً، فقد طلب في كتابه عن شعراء الإنجليز مئتي جنيه، ويكاد النقاد المعاصرون يجمعون على أنه لو طلب الألف لنالها.

أما أنا فأكتب هذا للتسلية فقط. فالناشر العربي عندما يراك داخلاً من باب مكتبه يسألك، قبل «كيف الحال»، كم ستدفع؟

لنغادر سريعاً رنة الشكوى هذه، فقد أسمعتك شبيهاً لها في أماكن أخرى مما كنت كتبت. أعجبتني أمور كثيرة في كتاب صموئيل جونسون عن شعراء بلاده. فهو يحلل بعمق، وينقد. وهو يبحر في الكتب لكي يقدم لك المعلومات

الدقيقة عن مولد الشاعر وعن اسم أمه وأبيه وأجداده، ووضعه الاجتماعي. وهو يقتبس من الأشعار ما يناسب المقام، ويقدم نقداً جارفاً. وقد شابه جونسون في طريقته نقادنا القدامى في جانب مهم. قد تراه يكره شخصية الشاعر، ويبغض سلوكه، ويخالفه في معتقده الديني (وكان جونسون أنجليكانياً متشدداً، يَعدُّ التدين رأس الفضائل)، لكنك تراه يفصل فصلاً قوياً بين شعر الشاعر وبين شخصيته ومعتقداته. كذا كان ابن قتيبة الناقد والفقير، ففي كتبه يورد أشعار المجان في الخمر والعشق، وفي الزنا واللواط أيضاً، ويحكم على الشعر بالجودة إن كان جيد السبك حسن سياقة المعنى، ومثله كان أستاذه الجاحظ، ومثلهما كان نقاد الأدب عندنا في العصور الزاهرة. وعندما دَوَّت حضارتنا ذوى التسامح في النقد الأدبي.

لا أمعن في النقد مثلما أمعن جونسون، ذلك أنني شرطت على نفسي أن أنتخب لكل شاعر خير ما عنده. ولا أسجل حياة الشاعر بدقة مثلما كان يفعل جونسون، فعصرنا عصر الإنترنت، والتفاصيل ثمّ، كما أن شعراءنا الذين أتناولهم أعتق كثيراً من شعراء جونسون، ولم يصلنا من تفاصيل حياتهم إلا قليل.

أنا في دراستي أبا نواس عِيَالٌ على عبد الرحمن صدقي. فهذا الأديب المصري المغخور قد كتب كتابين عن أبي نواس أحدهما عن حياته، والثاني عن خمرياته ومجونه.

عبد الرحمن صدقي أولاً: هذا رجل مظلوم. له أسلوب طه حسين لكن بلا ثرثرة، والمنفلوطي لكن مع ثقافة واسعة ضاربة في أعماق الأدب العربي والأدب الفرنسي والجغرافيا والكيمياء. اسمعه يصف «دساكر الخمارين» في عصر أبي نواس: «وكان أصحاب هذه الدساكر لا يدعون سبباً من أسباب الفتنة يجتذب إليهم القوم ويغريهم بإطالة المقام والتخرُّق في النفقة إلا توسَّلوا به. فهم يتخذون في حاناتهم السقاة المُردان، والساقيات الشاطرات الحسان. ويزيد بعضهم فيحْضرونهم المسمِعاتِ العازفات من الجواري القيان، والملهين من ضُرَابِ الطنابير والعيدان، ليستخف القومُ الطربُ ويحلوا لهم مجلس الشرب فيكثروا من الشراب، ويحيفوا على أنفسهم فيه، يُفرغونه في أجوافهم أرتالاً شرباً دِراكاً لا يفترون عنه، ولا يزالون كالمولَّهين يقربون بين الأقداح يستحثونها من أَيْدي الملاح، على ترجيع الغناء ونقر الدفوف ونغم الأوتار الفصاح، حتى

تغلبهم على عقولهم العقار، فيخلعوا ما بقي من حشمة وفضل عذار. « اهـ.

من عبد الرحمن صدقي أقبلُ السجع، فهو لا يمضي به إلى الغاية بل يترنم به بين الحين والحين، ثم تراه يصف لك أنواع التبيذ وصفاً مفصلاً لم أر أحداً قاربه فيه، فما احتاج إليه في «علم الخمر» من كلمات فرنسية أو حتى لاتينية ساقه، ثم يظل في العصر العباسي واصفاً كل نوع وصفاً دقيقاً.

وكنت صددت عن كتاب صدقي هذا، واسمه «ألحان الحان»، سنوات بسبب عنوانه. فقد رأيت في سجعة العنوان غثاء، ولكنني فوجئت به عندما بدأت أقرأه.

وكتاب عبد الرحمن صدقي الآخر عن حياة أبي نواس فيه أسلوبه الجميل، وفيه كثير من ملء الفراغات. فالمؤلف يروي حياة أبي نواس وكأنه عاصره، وكلما وجد ثغرة تخيل أحداثاً تسد الخلل.

وقبل أن ننصرف عن عبد الرحمن صدقي نذكر لك أن له كتاباً عن الشاعر الفرنسي بودلير وآخر عن الشاعر الألماني غوته، وكتاباً بعنوان «ألوان من الحب»، وآخر عن طاغور شاعر الهند، وله شعر رقيق.

قد انتهينا من جونسون ومن صدقي. فهل آن أن نفرغ لأبي نواس؟ لا.

قد طوّحت بي النوى في الآفاق. ووجدت نفسي قعيد فندق في مشرق بلاد العرب. ولا يسعني أن آتس بديوان أبي نواس في هذه الغربة لأنني عاكف على تأليف كتاب يشبه كتاباً آخر للدكتور جونسون. فها قد عدنا إلى الرجل.

وأبدأ بكتاب جونسون ثم أحدثك عن كتابي.

اجتمع ستة من ناشري لندن وقرروا أن يطبعوا قاموساً للغة الإنجليزية التي كانت مفرداتها لعهدهم بعر شياء منشوراً في الفناء، كل امرئ يرسم كل كلمة على هواه ويحملها من المعنى ما يشاء. كأنما لم يكن في أدب شكسبير الذي هلك قبل مئة وأربعين سنة ما يضبط اللغة. وقبل جونسون. وبعد تسع سنين ولد معجمه المشهور الذي صار نقطة البداية للمعجم الإنجليزي الحقيقي، وجعل كل ما سبقه مجرد دفاتر مفردات باهتة.

أنا قاعد في الدوحة أكتب قاموساً. لكنه ليس أول قاموس عربي محكم.

فلغتنا تعرف هذا اللون من التأليف قبل الإنجليز بقرون. وجهد جونسون المعجمي كان أصيلاً وعميقاً، فقد أتبع طريقة ابن منظور والمعجميين العرب الكبار في استخلاص معاني المفردات من النصوص. جمع جونسون، يساعده ستة من الناسخين والباحثين، آلاف مؤلفة من الفقر المنتخبة من كتب الأدب خاصة، ومن أعلى ما كتب في اللغة الإنجليزية بياناً، ومنها استخلص معاني الكلمات. وكان رجلاً راسخ العلم في اللاتينية والإغريقية، فأثقل الإنجليزية بالمأخوذ عن تينك اللغتين، وكان لديه ناشرون اجتمعوا عليه ودفعوا له كي يؤلف القاموس.

ها قد عدنا إلى الشكوى.

لا، بل أنا قاعد هنا أكتب قاموسي ولي على قعدتي مرتب.

وقاموسي قاموس صغير لا يذكر الكلمات كلها ولا يذكر كل معاني المفردات التي اخترتها. هو قاموس لغوامض اللغة، ولما يخطئ فيه الناس. كتاب يعين المذيع والمحرم ويسرد معلومات عن مهنة الإعلام. فلا يتوهم أحد أنني سأخرج عليه بكتاب من أمهات الكتب. هو كتاب والسلام. (ملاحظة مقحمة فيما بعد: صدر هذا الكتاب باسم «اللغة العالية» في أربعمئة صفحة وتمة ملزمة. ولقي صدى حسناً) وأشتهي أن أعود إلى أبي نواس فأكتب له مقدمة جلية. فإن عدتُ فستراها في الصفحات المقبلة، وإلا فإنني عصرت لك ديوانه عصرراً جاعلاً رواية الصولي بتحقيق خليل سليم قهوجي الممتاز المرفق بشرح واف إماماً، ورواية حمزة الأصبهاني بتحقيق المستشرقين الألمان ونشر دار المدى سنداً. على أنني وجدت أشعاراً كثيرة للنواسي منشورة في كتب الأدب وغير موجودة في أي من الروايتين، فكنت أخرج من تضمينها إلا ما ندر. وأبو نواس، بعد، من أكثر الشعراء الذين حُمل عليهم شعر.

وما أقوله لك عن حياة أبي نواس، الحسن بن هانئ، بضاعة أنقلها لك نقلاً من كتاب أبي هقان «أخبار أبي نواس» بتحقيق عبد الستار فراج، وفضيلة الكتاب أن المؤلف عاصر أبا نواس وعرفه، ونقيصته أنه عتيق، فالكتاب مطبوع عن نسخة يتيمة كتبت قبل قرنين ونصفاً والأصل مكتوب قبل هذه النسخة بتسعمئة سنة، فلو عبث كل ناسخ بكلمة لما سلم من الكتاب كلمة. على أنك تشم في الكتاب رائحة بغداد أيام الرشيد، وتجد فيه ما لا تجد في كتاب ابن منظور عن أبي نواس من ألفاظ وطريقة عيش العباسيين الأوائل في بغداد. ولا

نس أن بغداد التي نزلها أبو نواس بعد البصرة فالكوفة، كانت عاصمة جديدة لم يمض على بنائها سوى سنوات. خذ هذه الطرفة من أبي هِثَّان: «كان أول اتصاله بالرشيد أن دخل وهو شاب بعض المساجد عشاء فوجد الإمام في الصلاة فصلَّى خلفه فقرأ الإمام: قل يا أيها الكافرون، فقال أبو نواس: ليك فتاوب الناس إليه وشهدوا عليه بالكفر. ورفع خبره إلى الرشيد.» وتتمة الخبر أن ابن حمدويه صاحب الزندقة قال إن هذا الشاب «يُشْبِهُ أنه رجل ماجن ليس بزندق»، فأطلقه الرشيد.

وأمضي بك إلى كتاب عبد الرحمن صدقي الذي جعل مولد أبي نواس في سنة ١٤١هـ، وحقق ذلك تحقيقاً حسناً في الهامش، حتى يحفظ على متن كتابه، الذي يسير كالجدول الرقراق مكتوباً بأعذب أسلوب وأحلاه، رونقه. ولد في قرية بيت النار بفارس، لأب لعله كان حقاً من قبيلة حكم اليمنية، ولعله كان من مواليها، ولأم فارسية هي جلبان.

ارتحل أهل أبي نواس، أمه وأبوه وثلاثة إخوة سواه أو أربعة، إلى البصرة ولشاعرنا سنتان من العمر. وسرعان ما مات أبوه، فعملت أمه مرضعاً، أرضعت غلاماً من ثقيف بلبان أبي نواس. ثم عملت في الحرفة القديمة. كنا نود لو سترنا عليها، ولكن حرفتها أثرت في حياة ابنها وفي نفسيته. ليس أننا نشايح الدكتور محمد النويهي في إنفاقه نحواً من ثلاثمئة صفحة وهو يطبق نظريات علم النفس الحديثة على أبي نواس تطبيقاً فيه كثير من الطرافة، وكثير من التعسف، ولا أننا نشايح العقاد في تطبيقه نظريات علم النفس على شاعرنا بطريقة مختلفة في كتابه عنه، ونلفتك إلى معركة أدبية صغيرة خاضها من طرف واحد الدكتور النويهي مع العقاد الذي نشر كتابه بعد كتاب النويهي بأشهر عديدة، واشتركا في تناول أبي نواس تناولاً عِلْمَنَسِيٍّ محض، غير أن العقاد لم يشر إلى كتاب النويهي الذي كان قد لقي بعض الصدى وكتب عنه طه حسين في الأهرام. ولعل العقاد كان فعلاً يستحق اللوم، غير أن النويهي لم يقل أبداً إن العقاد نقل عنه لا فكرة ولا نصاً. وأعجب ظني أن كتاب العقاد كان شبه مكتمل عندما صدر كتاب النويهي، فعز على العقاد أن يقر بأنه مسبوق. ويُقرأ الكتابان كلاهما لما فيهما من طرافة تطبيق النظريات النفسية الحديثة على شاعر عتيق لم يصلنا عنه الكثير، وحمل عليه شعر كثير فلا نكاد نجزم بأن هذا البيت أو ذاك له، اللهم إلا ما أورده معاصروه الذين وصلتنا كتبهم بنسخ متواترة حسنة التوثيق

كالجاحظ. والجاحظ ينقل كثيراً عن معاصره أبي نواس، ويحب أبياتاً كثيرة له. ويعرف قدره. نُقل عن الجاحظ أنه قال: «أنا أسنُّ من أبي نواس بسنة». ولا نصدق هذه العبارة، فهي تجعل حياة الجاحظ تمتد مئة وخمس عشرة سنة. على أننا نرى جميلاً أن يذوق الجاحظ أدب معاصره هذا الذوق وأن يقدره.

نرى في زمننا نحن الذي برز فيه شاعر انفتح له من أبواب المجاز والتشبيه ما لم يفتح لغيره في كل العصور، عَنَيْتُ نزار قباني، نرى النقاد والشعراء والكتبة يتسابقون إلى رمي نزار قباني بكل تهمة: فهو شعبي وابن شارع في الأدب، وهو زير نساء، وهو ليس بشيء. ليس فيهم جاحظ واثق بنفسه لا يقوم حجاب المعاصرة بينه وبين أهل الأدب.

قلت: لا أشايح النوبي والعقاد في إمعانهما في تطبيق نظريات علم النفس الحديثة على أبي نواس، ولهما العذر في أن عصرهما، النصف الأول من القرن العشرين، كان عصر فرويد؛ وكان، في مصر، عصر الاهتمام المبالغ فيه بعلم النفس حين ترجمت وألفت كتب كثيرة في كل منحنى من مناحي هذا العلم - أهو علم بالمناسبة؟ -، وقامت جمعيات تعنى كل منها بفرع معين من فروعه. ثم إن الكاتبين رأيا رجلاً فيه شذوذ جنسي يعيش في عصر مليء بالشذوذ الجنسي والتهتك والخلاعة، عصر استرخاء الخلافة العباسية وتنعّمها في ظلال الاستقرار وتدفق الثروات على بغداد، فهالهما الأمر لأن عصرهما هما لم يكن عصر تهتك كعصر أبي نواس. والرجلان عباً من أدب الأنجلوسكسون الكثير، وعرفا الإنجليز معرفة عميقة؛ النوبي عاشرهم، والعقاد عاقرهم في كتبهم. على أن إنجلترا الخمسينات كانت ترتجف رعباً من المثلية الجنسية، إنجلترا التي سحنت أوسكار وايلد لمثليته، والتي لم يجرؤ ابنها الروائي سومرست موم على البوح بمثليته الجنسية حتى مات، ومات سنة ١٩٦٥، وإنجلترا التي انتحر فيها أبو الحاسوب ألان تورينغ عام ١٩٥٤ بعد أن جرّموه بالشذوذ الجنسي.

غير أننا عرفنا تلك البلاد في التسعينات وفي أوائل القرن الحادي والعشرين، فرأينا فيها ممثلاً مشهوراً هو ستيفن فراي يقول: مذ خرجت من رحم أُمي صممت ألا أعود إلى ذلك المكان. ورأينا كثيرين من المثليين، ومن الشائين، ورأينا المجتمع يسعى إلى إقناع نفسه بتقبلهم. ولم نستعجن ذلك، ولم نبحت له في كتب فرويد عن نظريات.

مفيد أن يقرأ المرء كتابي النوبي والعقاد. وممتع جداً أن يقرأ ذلك النوع

من الكتابة ودينك الأسلوبين الجميلين. أحقاً كان في العرب من يكتب بهذا الجمال وبهذا التدفق. معهم حق الذين سمو ذلك الزمن بالزمن الجميل. وعلى القارئ أن يحترس من الأحكام الجارفة التي أطلقها الكاتبان.

نعم، دخل القلق نفس أبي نواس عندما رأى أمه تجمع الرجال والنساء في بيتها. وعندما تزوجت رجلاً يقال له العباس أحس الفتى أن أمه لم تعد له. وقد عبره لِداته بأمه، ولم يجد في جَعْبته رداً سوى أن ينخلع من كل النظام الأخلاقي السائد في حوارِي ومساجد البصرة، وأن يعلنها: أُمِّي زانية وأنا زان وابن زانية، فاستريحوا. لم يقل ذلك، لكن نحن نقولها على لسانه.

لقد أحسنت إليه أمه أن دفعته وهو طفل صغير إلى مكتب خَفْص المؤدب. فتعلم الكتابة والقراءة، وكان ذكياً. وشعر بتفوقه وهو طفل لم يبلغ. وعندما صح له أن يوصف بالصبي كان يتردد على مؤدب حضرمي علمه جِسْبَةً، ما تقاضى أجراً، وخرَّجه وقال له: اذهب فأنت أقرأ أهل البصرة. وعى أبو نواس القرآن كأحسن ما يكون، وانصرف إلى اللغة والشعر. كان يحضر حلقات أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة وهما أعلم الناس بالعربية، ثم انثنى إلى مجلس خلف الأحمر أشهر راوية للشعر في البصرة. فكيف إذا عرفت أن البصرة كانت أهم حاضرة عربية في ذلك الزمن؟ ذلك زمن لم يكن فيه لبغداد بعد شأن فهي مدينة وليدة. والبصرة قد سبقت الكوفة في العلم زمناً. وعمل أبو نواس صبيَّ عطار. ومن دكان العطار التقطه الشاعر الماجن والبّة بن الحُباب، وأخذه إلى الكوفة وهو فتى في نحو الخامسة عشرة من العمر، وهذا تقدير «صديقي».

هناك في الكوفة اكتملت حلقة المجان: مطيع بن إياس، وحماد عجرد، ويحيى الحارثي، وكلهم ماجن متهتك، وما منهم أحد إلا وله في الغلمان مثلما له في الجوّاري من فاحش القول. ولا ندري عن الفعل. ثم جاءهم والبّة بأبي نواس الذي سيغرس عما قليل راية المجنون على قمة لم يبلغها أحد قبله ولا بعده.

لقد أفسد والبّة الغلام أبا نواس، ولكن شاعرنا كان متهيئاً لذلك مقبلاً عليه، ولا نظن أنهما كانا كالذئب والحمل كما زعم عبد الرحمن صديقي.

كان خماسي المجنون هذا: النواسي ووالبة وحماد عجرد ويحيى الحارثي ومطيع بن إياس، يقضي الوقت الطويل في تناشد الأشعار على السكر مجوناً وهجاءً وعبثاً، فكان شعراً سهلاً فيه فن القول وليس فيه تلك المعاني والألفاظ

الصلبة التي أصر شعراء العرب على أن يتوارثوها. على أن ما تعلمه أبو نواس من أهل اللغة في البصرة، وما حفظه من الشعر القديم، وكان في سعة الحفظ أسطورة، جعله أفصح القوم لساناً وأقومهم عربية، وأعرفهم بإرث الشعر العربي، وتمكن فيما بعد من أن يقول شعراً يجمع السهولة والمتانة على نحو لم يسبقه إليه أحد، وتبعه فيه نزار قباني في عصرنا الذي كان شعره من البلاغة بمكان تقصر دونه الأعناق، مع سلاسة نادرة.

أحب أبو نواس جارية في الكوفة، وقال فيها: «حامل الهوى تعب يستخفه الطرب»، وقيل إن هذا من أول ما عمل من شعر. ولعله في هذه الفترة كان قد استقر جنسياً على «الثنائية» الجنسية مع الأزواج إن صحت عندك هذه العبارة. فهو ثنائي يشتهي الغلام والفتاة، ومزدوج يشتهي أن يؤتى وأن «ياتي»، قَوْلُهُ الشاعر.

ثم قالوا إن أبا نواس رحل إلى بادية بني أسد وأقام سنة. ثم عاد إلى البصرة التي بها نشأ. وعاد إلى حلقات الدرس، وفيها سيبويه والخليل بن أحمد والأخفش ويونس وأبو زيد وأبو عبيدة والأصمعي والجاحظ وبشار بن برد. وأبو نواس قد «نظر في نحو سيبويه» - عبارة صاحب نزهة الألباء -، لكنه ربما كان فعل ذلك بعد حين، إذ لا نعلم بالضبط متى دوّن سيبويه علمه وعلم الخليل وعلم يونس في هذا الكتاب المشهور. كانت العلوم العربية في طور التكوين أو إن شئت التدوين، وكانت البصرة مهد العلوم العربية. على أن الأستاذ الذي لزمه أبو نواس كان خلفاً الأحمر الذي قيل إنه معلم الأصمعي، وكان «أفرس الناس ببيت شعر»، وقيل إنه وضع شعراً كثيراً على شعراء قدماء ثم تاب ونسك. وقيل إن خلفاً هو الذي كَتَبَ الحسن بن هانئ بابي نواس.

وسوى علوم اللغة والأدب كان القوم آنذاك قد بدأوا يتداولون علوم الهند وفارس واليونان، ونشأت في البصرة مدرسة فلسفية عظيمة الأثر في الفكر العربي والإسلامي كله هي الاعتزال، وعرف شاعرنا أحد كبار رؤوسها وهو إبراهيم النظام، وتعرض له في شعره. كان المعتزلة الرد الإسلامي على الزنادقة. الفكر الاعتزالي متحرر يذهب في تأويل النص بعيداً، لكنه كان إسلامياً وإن استفاد من منطق اليونان، وكان أبو نواس وعصبته الماجنة في برزخ بين الاعتزال وبين الزنادقة، فسلمت لهم رؤوسهم عندما أئخن المهدي في الزنادقة. وفي عصر هارون الرشيد كان المعجون من آلة الفتى فأما الزنادقة فهي

كفر بالدولة، فالزنادقة هم من يحملون في صدورهم حنيناً إلى الأديان القديمة: المزدكية والزرذشتية والمانوية. وأما الماجنون فليصنعوا ما شاءوا حتى لو مدحوا إبليس، المهم ألا يتزندقوا، فهذا قدح في الملك. قد عرف أبو نواس سجن الزنادقة، ولكنه كان يتزندق نظراً لا اعتقاداً.

في البصرة أحب أبو نواس جنان، وهي جارية. وتخبرنا أشعاره أن ذلك الحب كان صادقاً. وهام بها، ولم يظفر بها. وكانت قصة حب عذري، وانتهت برحيل الشاعر إلى بغداد بعد يأسه من جنان. وجعل طريقه على الكوفة، ولم يترك حانة أو ديراً يقدم الخمر إلا حل به وشرب أياماً، كأنما أراد أن يغرق خيبته في الحب في كؤوس الشراب. ويروي لنا الجاحظ في البخلاء حكاية عن أبي نواس وهو مقبل على بغداد في سفينة، وفيها إشارة إلى أن الرجل قد ألمّ بعلم الكلام إلاماً حسناً.

انسل العلماء والأدباء من البصرة إلى بغداد، وكان أبو نواس معهم. جذبهم كلهم بلاط المهدي ثم هارون الرشيد. ويبدو أن أبا نواس وصل إلى بغداد متأخراً، وصلها مع وصول الرشيد إلى سدة الخلافة، ذلك سنة ١٧٠هـ.

وبعد عشرين سنة في بغداد كان فيها يلهو ويغشى الخمارات في القرى المجاورة، ويمدح الرشيد بين الحين والحين ويمدح ثم يهجو البرامكة، توجه إلى مصر في سنة ١٩٠. وفيها مدح عامل خراجها الخصيب. ولعله مكث في مصر سنة أو سنتين. ثم رجع إلى بغداد ماراً بحمص التي أعجبه ما فيها من خمر. ومضى في طريق عودته إلى بغداد يتنقل من حانة إلى حانة ومن دير إلى دير. وفي بغداد حبسه الرشيد لأبيات بلغته، ثم حبسه لأبيات أخرى. لكنه كان يحبه. ومات الرشيد سنة ١٩٣، وأبو نواس في الحبس. وخلفه ابنه الأمين، فجاء العصر الذهبي لأبي نواس. كان المهدي فابنه الرشيد فابنه الأمين ممن يتذوقون الشعر العربي أحسن تذوق. فجعل الأمين أبا نواس نديمه. وكان للأمين قدرة على الشراب لا يسبقه فيها سوى أبي نواس. فإذا سكر الأمين عربد على جلسائه.

وصنع أبو نواس في الخمر والعبث بالعقائد القصائد الكثيرة في هذا الزمن، وناله من العقاب في عهد الأمين ما كان ناله في عهد الرشيد، فحبس مراراً، فرغم أن الأمين مهتك ماجن فقد آذاه سياسياً انتشار أشعار أبي نواس، إذ كان أخوه المأمون الخارج عليه في خراسان يتخذ من ذكر أبي نواس

وأشعاره دعاية سياسية ضد أخيه الخليفة ببغداد. ولم يطل عهد الأمين فقد أجدت به في بغداد جيوش المأمون، وقتل في عام ١٩٨هـ. وعاش بعده أبو نواس سنة، ثم مات في عام ١٩٩.

من متذوقي شعر أبي نواس المعاصرين طه حسين، وله في حديث الأربعاء نظرات نافذة نقلنا بعضها ونحن نشرح لك ما اخترناه من الشعر.

أبو نواس شاعر قديم، وشعره قديم. وفي شعره حلاوة لا نجدتها في شعر معاصريه، كان شعوبياً حيناً متعصباً للعرب اليمانية حيناً. لكنه كان في كل شأنه عابثاً، يحب الحياة ويحمل على كتفيه ثقل فكرة الفناء، فكان يقرض الأبيات الزهدية كلما مل من العبث. عاش تسعاً وخمسين سنة. ضائعاً. ولو عرفنا سر الحياة للمنا أبا نواس.

أبو نواس عبقرية شعرية. وعندنا من الشعراء العباقرة ما ليس عند أمة. هنيئاً لنا.

وبعد، فهذه باقة من شعر أبي نواس، مرتبة على حروف المعجم. وأغراضها قليلة محصورة في ذكر الخمر والغزل بنوعيه، فلا حاجة إلى كشف أغراض. وقد لبثت هذه المجموعة بين يدي ثلاث سنين، لا أقدر على إتمام العمل فيها، فاقبلها مني على عوارها. وقد أدني تشكيلها وكرهتها، ولم أكن منشراح البال وأنا أشرحها. صرت أحن إلى زمن كان المرء فيه يمسك بالقلم ويكتب ولا يعاني من «تجدد» برامج الطباعة على الحاسوب ما أعانيه.

اغفر لي - إن استطعت - هذه الركاكة وهذا التشتت الذهني اللذين منعاني، في هذه المقدمة، من أن أقص عليك قصة حياة أبي نواس بسلاسة.

قد انتفعت في فهم أشعار أبي نواس وشرحها بالديوان الذي حققه قهوجي، وحاولت ألا أسرق كلامه ولا عناوينه، فإن فعلت وأخذت منه عبارة فهي بين إشارتي تنصيب، وهي منسوبة إليه.

١ كاني قد هجوت الأدعياء

يَهْجُو الهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ:

مررتُ بهيْثَمَ بْنَ عَدِيٍّ يوماً، وقَدْماً، كنتُ أَمْنَحُهُ الصَّفَاءَ
قَدْماً: سابقاً، فيما مضى

فَأَعْرَضَ هَيْثُمْ لَمَّا رَأَيْتِي ، كَأَنِّي قَدْ هَجَوْتُ الْأَذْعِيَاءَ

الأدعياء: (مفردها دَعِي) المنسوبون إلى غير آبائهم

وَقَدْ آلَيْتُ لَا أَهْجُو دَعِيًّا ، وَلَوْ بَلَغَتْ مُرْوَةُ السَّمَاءِ

آليت: حلفت

٢ دَعْ عَنْكَ لَوْمِي

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي، فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءٌ وَدَاوِنِي بِالنَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ

اترك اللوم، فاللوم يغريني بالتماذي؛ وداوني من أثر الخمر بالخمر. قالوا إن خير دواء لصداق السكر عند الصحو شرب بعض الخمر

صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ الْأَحْزَانُ سَاحَتَهَا ، لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَاءُ

سراء: سرور

قَامَتْ بِإِبْرِيْقِهَا، وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ، فَلَاخَ مِنْ وَجْهَهَا فِي الْبَيْتِ لِأَلَاءِ

وقفت الساقية ويدها الإبريق لجولة جديدة، والليل معتكر (مظلم) فلاخ (ظهر) من وجهها الجميل لألاء (بريق) في جو البيت

فَأَرْسَلْتُ مِنْ فَمِ الْإِبْرِيْقِ صَافِيَةً ، كَأَنَّمَا أَخَذَهَا بِالْعَيْنِ إِغْفَاءً

فأرسلت (صبت) من فم الإبريق خمرًا صافية، كأن أخذك هذه الخمر بعينيك (رؤيتك لها) إغفاء

رَقَّتْ عَنِ الْمَاءِ، حَتَّى مَا يَلَانِئُهَا لَطَافَةٌ، وَجَفَا عَنْ شَكْلِهَا الْمَاءُ

الخمر أرق من الماء - الذي لا شيء في رفته وشفافيته -، حتى إنه لم يعد يلائمها لطافة، فجفا عنها (لم يختلط بها). أبو نواس يصف ضرباً من الويسكي العباسي، ومزج الويسكي بالماء يصنع في الكأس منظرًا يظهر فيه عدم الاختلاط الفوري بينهما

فَلَوْ مَزَجْتَ بِهَا نُورًا لِمَارَاجِهَا حَتَّى تَوَلَّدَ أَنْوَارٌ وَأَضْوَاءُ

فأما لو مزجت بالخمر نوراً فسيمتزج بها لأنه من شكلها، فتولد (تولد) حيثزد أنوار وأضواء. تستمعني في التسجيل الصوتي أجعل «تولد» مرفوعة.. كأنني أردت أن أنأى بها عن الفعل الماضي

دَارَتْ عَلَى فِتْنَةٍ دَانَ الزَّمَانُ لَهُمْ، فَمَا يُصِيبُهُمْ إِلَّا بِمَا شَاءُوا

دارت الخمر على فتية دان (خضع) الزمان لهم. نشوة الخمر تجعل المرء يظن أن المصائب مستحيلة الوقوع

مِنْ كَفِّ ذَاتِ حِرٍّ فِي زِيٍّ ذِي دَكْرٍ لَهَا مُحَبَّبَانِ لُوطِيٍّ وَزَنَاءٍ

تدور الخمر من كف فتاة ذات حر (فرج)، ترتدي زي فتى ذي ذكر (عضو الذكورة)، ولذا يحبا اللوطي والزناء (الممارس مع النساء). وهذا البيت قد تخرج قهوجي من إثباته، وأثبتناه نحن، ليس حرصاً على الأمانة العلمية، بل لأننا أحبيناه

لِيُنَلِّكَ أَبُوكِي، وَلَا أَبُوكِي لِمَنْزِلَةٍ كَانَتْ تَحُلُّ بِهَا هِنْدٌ وَأَسْمَاءُ

أبكي إذ أذكر مجلس الخمر، ولا أبكي كبقية الشعراء لمنزلة (منزل) كانت تنزل بها هند وأسماء

حَاشَا لِدَرَّةٍ أَنْ تُبْنَى الْخِيَامُ لَهَا، وَأَنْ تَرُوحَ عَلَيْهَا الْإِبِلُ وَالشَّاءُ

درة (الخمرة) أعلى قدراً من أن تبنى لها الخيام، وأن تروح عليها (تعود إليها من مراعيها) الإبل والشاء (الأغنام). ونزع عن «درة» آل التعريف لجعله إياها علماً، كقولك: رأيت أسامة، تعني الأسد. وسموها «درة» لأنها محلوبة من العنب، كما يدر حليب الناقة. وخالفنا قهوجي الذي جعلها «درة» أي لؤلؤة

فَقُلْ لِمَنْ يَدَّعِي فِي الْعِلْمِ فَلَسَفَةً حَفِظْتَ شَيْئاً، وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ

قل لمن يتفلسف (ويعني إبراهيم النظام المعتزلي): حفظت شيئاً (من ظاهر الدين)، وغابت عنك أشياء (من المقاصد والجوهر)

لَا تَحْظُرِ الْعَفْوَ إِنْ كُنْتَ امْرَأً حَرَجاً فَإِنَّ حَظْرَكَ بِالذِّينِ إِزْرَاءُ

لا تحظر العفو لمجرد أنك حرج (متشدد)، فهذا الحظر إزراء (استخفاف) بالدين

٣ صلاة السكاري

وَنَدَمَانِ يَرَى غُبْنًا عَلَيْهِ بِأَنْ يُلْفَى، وَلَيْسَ بِهِ انْتِشَاءُ

رب ندمان (نديم) يرى غبناً عليه (ظلماً له) بأن يلقى صاحباً ليس به انتشاء (سكر)

إِذَا نَبَّهْتَهُ مِنْ نَوْمِ سُكْرٍ كَفَّاهُ مَرَّةً مِنْكَ النُّدَاءُ

إذا أردت إيقاظه من نومة سكر، فناده مرة واحدة برفق

فَلَيْسَ بِقَائِلٍ لَكَ: إِيهِ دَعْنِي! وَلَا مُسْتَخْبِرٍ لَكَ: مَا تَشَاءُ؟

فهو لن يقول لك: اتركني، ولن يقول لك: ما الذي تريد

وَلَكِنْ سَقَّنِي؛ وَيَقُولُ أَيْضاً: عَلَيْكَ الصَّرْفُ، إِنْ أَغْيَاكَ مَاءٌ

ولكن، سيقول لك: سقني (اسقني)، ويضيف: هات خمرة صرفاً إن أغيأك الحصول على ماء

إِذَا مَا أَدْرَكَتُهُ الظُّهْرُ صَلَّى، وَلَا عَصْرٌ عَلَيْهِ، وَلَا عِشَاءُ

إذا لحقته الظهر (صلاة الظهر) صاحباً صلاها، ولا يصلي ما بعدها

يُصَلِّيْ هَذِهِ فِي وَقْتِ هَذِي ، فَكُلُّ صَلَاتِهِ أَبَدًا قَضَاءٌ
يُصَلِّي بِلا مراعاة لأوقات الصلوات، وكل صلواته قضاء (يقضي صلاة في وقت أخرى)

٤ أسماؤها الحسنى

أَتْنِ عَلَى الْخَمْرِ بِأَلَانِهَا ، وَسَمَّهَا أَحْسَنَ أَسْمَائِهَا
امدح الخمر بألانيها (نعمها التي تسبغها علينا)، وسمها بأحسن أسمائها. التفت طه حسين في حديث الأربعاء إلى ما في هذا من تحدٍّ للدين، فالآلاء آلاء الله، والأسماء الحسنى أسماء الله

لَا تَجْعَلِ الْمَاءَ لَهَا قَاهِرًا ، وَلَا تُسَلِّطْهَا عَلَى مَائِهَا
لا تزد الماء فيطنى على الخمر، ولا تقهقه كثيراً فتطنى هي عليه

كَرْخِيَّةٌ، قَدْ عُنْتُقَتْ حَقْبَةً ، حَتَّى مَضَى أَكْثَرُ أَجْزَائِهَا
هذه خمر كرخية (من محلة الكرخ ببغداد)، معتقة، وقد تبدد معظمها وبقيت خلاصتها

فَلَمْ يَكْذُ يُذْرِكُ خَمَّارُهَا مِنْهَا سِوَى آخِرِ حَوْبَائِهَا
فكان صاحب الخمارة لحقها في النزاع الأخير فأدرك آخر حوبائها (روحها)

دَارَتْ فَأَحْيَتْ، غَيْرَ مَذْمُومَةٍ ، نَفُوسَ حَرَّاهَا وَأَنْضَائِهَا
دارت فأحيت، نفوس حراها (العطاش لها) وأنضائها (المتعين لتأخرها عنهم)

وَالْخَمْرُ قَدْ يَشْرِبُهَا مَعَشَرٌ لِّبُسُوا، إِذَا عُذُّوا، بِأَكْغَفَائِهَا
وللاسف فالخمر يشربها بعض الناس الذي ليسوا أكغفاء لها. والكفء هو الرجل الموازي للمرأة
نسباً ومالاً فيمكنه الزواج بها

٥ التعلل بالأمانى

رَسُولِي قَالَ: أَوْصَلْتُ الْكِتَابَا ، وَلَكِنْ، لَيْسَ يُعْطُونَ الْجَوَابَا
فقلتُ: أَلَيْسَ قَدْ قَرَأُوا كِتَابِي؟ فَقَالَ: بَلَى، فَقُلْتُ: الْآنَ طَابَا
الآن طاب خاطري

فَارْجُو أَنْ يَكُونُوا هُمْ جَوَابِي ، بِلا شك، إِذَا عَرَفُوا الْخُطَابَا
أَجِدُ لَكَ الْمُتَى، يَا قَلْبُ، كَيْ لَا تَمُوتَ عَلَيَّ غَمًّا وَاكْتِنَابَا
أجد: أجدد

٦ شربت من عينيه

أَعَاذِلْ، أَعْتَبْتُ الْإِمَامَ، وَأَعْتَبَا وَأَعْرَبْتُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ، وَأَعْرَبَا
يا عاذلتي (لا تمني) لقد أعتبت الإمام (أرضيته)، فأعتبني (رضي عني)، وأعرب كل منا عما يريد
وَقُلْتُ لِسَاقِيهَا أَجْزَاهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِإِبْنِ أَبِي أُمَيَّرٍ الْمُؤْمِنِينَ وَأَشْرَبَا
وقلت للساقى أجزها (مرزها عني، ولا تقدم لي كأساً)، فليس لي أن يرفض الخليفة شرابي الخمر
وأخالفه

فَجَوَزَهَا عَنِّي عُقَّاراً تَرَى لَهَا إِلَى الشَّرَفِ الْأَعْلَى شُعَاعاً مُطْنَباً
فجوزها عني (مر بالخمير دون أن يسقيني)، وهي عقار (خمير) ترى لها شعاعاً مطنباً (مرتفعاً) إلى
الشرف (العلو) الأعلى

إِذَا عَبَّ فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خِلْتَهُ يُقْبَلُ، فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ، كَوَكْبَا
إذا عب (شرب) الشارب منها حسبته يقبل كوكباً في ليل داج (مظلم). فالكأس تلمع في ظلمة
المجلس كالكوكب، والشارب كأنه يقبله

تَرَى، حَيْثُمَا كَانَتْ مِنَ الْبَيْتِ، مَشْرِقاً، وَمَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ مِنَ الْبَيْتِ، مَغْرِباً
في مكان الخمر في زاوية البيت يوجد شروق، وفي كل مكان غيره غروب

يَدُورُ بِهَا سَاقٍ أَعَزُّ تَرَى لَهُ عَلَى مُسْتَدَارِ الْأَذْنِ صُدْعاً مُعْقَرِباً
يدور بكؤوس الخمر ساقٍ فيه صوته غنة، وترى عند مستدار الأذن (دائراً حول أذنه) صدعاً معقرباً
(سالفاً لتلف خصلة شعر منه كأنها العقرب)

سَقَاهُمْ، وَمَنَانِي بِعَيْنَيْهِ مُنِيَّةً، فَكَانَتْ، إِلَى قَلْبِي، أَلَذُّ وَأَطْيَبَا
سقاهاهم الساقى خمراً، وأرسل لي غمزة فيها وعد بتحقيق أمنية أخرى غير الشراب، فكانت غمزته
ألذ من الخمر بالنسبة إلي

٧ حسرتي على أيام البصرة

عَفَا الْمُصَلَّى، وَأَقْوَتِ الْكُثْبُ مِنِّي، فَالْمِرْبَدَانِ، فَالْلَبِّبُ
عفا (امحى) المصلى (مكان في البصرة) وأقوت (صارَت مَقْفُرة خالية) الكُثْب من وجودي وكذا
خلا مني الميربدان واللبيب (مواضع في البصرة)

فَالْمَسْجِدُ الْجَامِعُ الْمَرْوَةَ وَالذَّ - يَنْ عَفَا، فَالْصَّحَّاحُ، فَالْرُحْبُ
وعفا المسجد الذي يجمع المروءة والدين، وكذا الصحاح (الساحات) والرحب (الساحات)

مَنَازِلُ قَدْ عَمَرْتُهَا، يَفْعَاءُ، حَتَّى بَدَا فِي عِذَارِي الشَّهْبُ
هذه منازل (أماكن) عمرتها (استوطنتها) يفعاً (فتى) إلى أن ظهرت في عذاري (سألني) الشَّهْبُ
(بوادر الشيب)

فِي فِتْيَةٍ كَالسُّيُوفِ، هَرَّهْمُ شَرَّخُ شَبَابٍ، وَزَانَهُمُ أَدَبُ
كنت ضمن فتية قوام كل منهم كالسيف، وقد هزم شبابهم، وتزينوا بالأدب

ثُمَّ أَرَابَ الزَّمَانُ، فَانْصَدَعُوا أَيْدِي سَبَا فِي الْبِلَادِ، فَانْشَعَبُوا
ثم أراب الزمان (غدر) فانصدعوا أيدي سبا (تعبير معناه: تشتتوا كقوم سبا) فانشعبوا (تفرقوا)

لَنْ يُخْلِفَ الدَّهْرُ مِثْلَهُمْ أَبَدًا عَلَيَّ، هِيَهَاتَ، شَأْنُهُمْ عَجَبُ
لم يخلف (يعوض) الدهر علي بمثلهم، وكان شأنهم عجباً (يعجب الناس)

لَمَّا تَيَقَّنْتُ أَنَّ رَوْحَتَهُمْ، لَيْسَ لَهَا، مَا حَيِّتُ، مُنْقَلَبٌ..
عندما أيقنت أن ذهابهم ليس له منقلب (عودة) ..

أَبْلَيْتُ صَبْرًا، لَمْ يُبْلِهِ أَحَدٌ، وَاقْتَسَمْتَنِي مَآرِبُ شُعْبُ
أبليت بلاء حسناً في الصبر، وتوزعتني مآرب (أغراض) شعب (متشعبة)

فُطِرْتُ لِمَرْبَعِي، وَلِي بِقُرَى الْكَرْخِ مَصِيفٌ، وَأُمِّي الْعِنَبُ
فطرتل (قرية كثيرة الخمارات) مربعي (موطني)، وأقضي الصيف في قرى الكرخ، وأمي هي العنب
التي منها تُعصر الخمر

تُرْضِعُنِي دَرَّهَا، وَتَلْحَفُنِي بِظِلِّهَا، وَالْهَجِيرُ يَلْتَهَبُ
وهذه الأم ترضعني درها (حليبها)، وتلحفني بلحاف ظلها في كرومها، بينما الهجير (القيظ) يلهب

فَاسْتَوْسَقَ الشُّرْبُ لِلدَّامِي، وَأَجْرُ رَاهَا عَلَيْنَا اللَّجِينُ وَالْغَرَبُ
استوسق الشرب (تم) للدامي، وأجرى الخمر علينا اللجين (الفضة) والغرب (الذهب). أي أنهم
شربوا بكؤوس فضية. مذهبة

أَقُولُ لَمَّا تَحَاكَيَا شَبَهَا أَئِيَهُمَا، لِلتَّشَابِهِ، الذَّهَبُ
أقول وقد تحاكيا (تشابها) أيهما الذهب؟ أهو ذلك الطلاء أم الخمر نفسها؟

مُلْسٌ، وَأَمْثَالُهَا مُحَفَّرَةٌ، صُورَ فِيهَا الْقُسُوسُ وَالصُّلْبُ
الكؤوس ملساء وثمة كؤوس محفرة بالنقوش عليها صور القسوس وصلبانهم

يَتَلَوْنَ إِنْجِيلَهُمْ، وَفَوْقَهُمْ سَمَاءُ خَمْرٍ، نُجُومُهَا الْحَبُّ
الحب: الفقايع

كَأَنَّهَا لَوْلَوْ تُبَدَّدُهُ أَيْدِي عَذَارَى أَفْضَى بِهَا اللَّعِبُ
كَأَنَّ الْفَقَاقِعَ، وَهِيَ تَفْجَرُ وَيَتَصَاعَدُ رِذَاذُهَا لَأَلْيَهُ تَبَدُّدُهَا (تَقْذِفُ بِهَا) أَيْدِي الْعَذَارَى اللَّاهِيَاتِ.
تَاللَّهِ لَقَدْ كَانُوا يَشْرَبُونَ الشِّمْبَانِيَا!

٨ تأليف النسب

يَهْجُو أَشْجَعَ السُّلَمِيِّ:

أَلَا يَا حَادِثًا فِيهِ، لِمَنْ يَتَعَجَّبُ، الْعَجَبُ
لَأَسْمَاءٍ يُسَمِّيهِنَّ - «أَشْجَعُ» حِينَ يَنْتَسِبُ
أَسْمَاءَ أَجْدَادِهِ عَجِيبَةً

تَعَلَّمَهَا وَإِخْوَتَهُ، فَكُلُّهُمْ بِهَا ذَرِبُ
لَقَدْ تَعَلَّمَ، هُوَ وَإِخْوَتُهُ، هَذِهِ الْأَسْمَاءَ تَعَلُّمًا، وَكُلَّهُمْ ذَرِبَ (سَرِيعَ اللِّسَانِ) فِي تَرْدَادِهَا

لَقَدْ زَنَنُوا عَجُوزَهُمْ وَلَوْ زَنَيْتُهَا غَضِبُوا
وَلَأَنَّهَا لَيْسَتْ أَسْمَاءَ أَجْدَادِهِمْ الْحَقِيقَةِ فَكَأَنَّهُمْ يَتَهَمُونَ عَجُوزَهُمْ (أَهْمُ) بِالزَّنَا؛ وَلَكِنْ، لَوْ اتَّهَمْتُهَا
أَنَا بِالزَّنَا لَغَضِبُوا مِنِّي

٩ قمة السكر

وَنَدَمَانِ صِدْقٍ بَاكِرَ الرَّاحِ سُحْرَةً، فَأَضْحَى، وَمَا مِنْهُ اللِّسَانُ وَلَا الْقَلْبُ
رَبُّ نَدَمَانٍ (نَدِيمٍ) صِدْقٍ (صَادِقٍ) بَكَرَ إِلَى الرَّاحِ (الْخَمْرِ) عِنْدَ السَّحَرِ (قَبِيلِ الْفَجْرِ) فَمَا جَاءَ
الضُّحَى إِلَّا وَلِسَانُهُ وَقَلْبُهُ لَيْسَا مِنْهُ (أَيَّ صَارَ سَكْرَانٌ طَبِئَةً)

تَأْنِيَّتُهُ كَيْمَا يُفِيقَ، وَلَمْ يُفِيقْ إِلَى أَنْ رَأَيْتُ الشَّمْسَ قَدْ حَازَهَا الْغَرْبُ
تَأْنِيَّتُهُ (تَرَفَّقَتْ بِهِ) كَيْ يَفِيقَ، فَلَمْ يَفِيقْ حَتَّى الْغُرُوبِ

فَقَامَ يَخَالُ الشَّمْسَ لَمَّا تَرَحَّلَتْ، فَنَادَى: صَبُوحًا! وَهِيَ قَدْ قَرُبَتْ تَخْبُو
ثُمَّ أَفَاقَ وَهُوَ يَخَالُ (يُظَنُّ) الشَّمْسَ لَمْ تَشْرِقْ بَعْدَ، فَنَادَى صَبُوحًا (عَلَيَّ بِشْرَابِ الصَّبَاحِ)، هَذَا بَيْنَمَا
الشَّمْسُ فِي الْوَاقِعِ كَادَتْ تَخْبُو (تَنْطَفِئُ وَتَغِيبُ)

وَحَاوَلَ نَحْوَ الْكَأْسِ مَشْيًا، فَلَمْ يُطِقْ، مِنْ الضَّعْفِ، حَتَّى جَاءَ مُخْتَبِطًا يَحْبُو
وَمِنْ سَكْرِهِ صَارَ يَحْبُو مُخْتَبِطًا (مَتَمَايِلًا) نَحْوَ الْكَأْسِ

فَقُلْتُ لِسَاقِينَا اسْقِهِ، فَانْبَرَى لَهُ، رَفِيقٌ بِمَا سُمِّنَاهُ مِنْ عَمَلٍ، نَذْبُ
فَأَمَرْتُ السَّاقِيَّ بِأَنْ يَسْقِيَهُ، فَانْبَرَى السَّاقِيُّ لَهُ مُتَرَفِّقًا بِمَا سُمِّنَاهُ (كَلَفَنَاهُ) مِنْ عَمَلٍ، وَنَذْبُ (نَشِيطُ)

فَنَازَلَهُ كَأْسًا جَلَّتْ عَنْ خُمَارِهِ، وَأَتْبَعَهَا أُخْرَى، فَثَابَ لَهُ لُبٌّ
فَسَقَاهُ كَأْسًا جَلَّتْ عَنْ خُمَارِهِ (ذهبت بصداق السكر)، وكأساً أخرى أرجعت له عقله

١٠ لها حق الانتخاب

مَا هَوَى إِلَّا لَهُ سَبَبٌ يَبْتَغِي مِنْهُ، وَيَنْشَعِبُ
فَتَنَّتْ قَلْبِي مُحَجَّجَةً وَجْهَهَا بِالْحَسَنِ مُنْتَقِبُ
تعلق عمران القفيني: أليس من هنا أخذ المتنبي «على الوجه المكفّن بالجمال»؟
خُلِّيتُ وَالْحَسَنَ، تَأْخُذُهُ... تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ
تُرَكَتْ مَعَ الْجَمَالِ وَصَارَتْ تَنْتَقِي أَجْمَلَ الْجَمَالِ لِيَكُونَ لَهَا

١١ بين الحليب والخمر

دَعِ الْأَطْلَالَ تَسْفِيهَا الْجَنُوبُ وَتُبْلِي عَهْدَ جِدَّتِهَا الْخُطُوبُ
اترك الأطلال تسفيتها (تثير ترابها) ريح الجنوب، ودعها كي تبلي الخطوب (الأحداث) جديدها
وتجعلها بانداً

وَحَلَّ لِرَاكِبِ الْوَجْنَاءِ أَرْضاً تَحُبُّ بِهَا النَّجِيبَةَ وَالنَّجِيبُ
واترك لراكب الناقة الوجناء (القوية) تلك الأرض الصحراوية التي تحب بها الناقة النجيبه
(الأصيلة) والجمال النجيب

بِلَادَ نَبْتُهَا عُشْرٌ وَطَلْحٌ، وَأَكْثَرُ صَيْدِهَا ضَبُعٌ وَذَيْبُ
تلك بلاد نباتها عشر (شجر صمغي) وطلح (نبات شائك)،
وأكثر ما يُصَاد فيها الضبع، والذئب

وَلَا تَأْخُذْ عَنِ الْأَعْرَابِ لِهَوَاً، وَلَا عَيْشاً، فَعَيْشُهُمْ جَدِيبُ
دَعِ الْأَلْبَانَ يَشْرَبُهَا رَجَالٌ، رَقِيقُ الْعَيْشِ بَيْنَهُمْ غَرِيبُ
العيش الرقيق غريب عند هؤلاء البدو

إِذَا رَابَ الْحَلِيبُ فُبُلٌّ عَلَيْهِ وَلَا تَخْرُجْ، فَمَا فِي ذَاكَ حُوبُ
راب: تخثر، لا تخرج (لا تخش حمل إثم)، فما في هذا حوب (إثم)

فَأَطِيبُ مِنْهُ صَافِيَةٌ شَمُولٌ، يَطُوفُ بِكَأْسِهَا سَاقٍ أَدِيبُ
شمول: خمرة باردة

أَقَامَتْ حِقْبَةً فِي قَعْرِ دَنْ، تَفُورُ، وَمَا يُحْسُنُ لَهَا لَهَيْبُ
أقامت: مكثت، دن: وعاء التخمر الكبير المختوم

كَأَنَّ هَدِيرَهَا فِي الدَّنِّ يَحْكِي قِرَاءَةَ الْقَسِّ قَابِلَهُ الصَّلِيبُ
يحكي: يشبه، قراءة: قراءة

تَمَدُّ بِهَا إِلَيْكَ يَدَا غَلَامٍ أَغْنَى، كَأَنَّهُ رَشَاءُ رَبِيبُ
أغن: في صوته غنة أنفية مستعذبة، رشأ: ولد الغزال، ربيب: مدلل

يَنْوُو بِرِدْفِهِ، فَإِذَا تَمَشَّى تَنَنَّى فِي غَلَائِلِهِ قَضِيبُ
ينوء (يتعب) وهو يحمل أردافه، فإذا مشى تننى بداخل غلائله (ملابسة الواسعة) قضيب (غصن)

يَمُدُّ لَكَ الْعِنَانَ، إِذَا حَسَاها، وَيَفْتَحُ عَقْدَ تَكْتِهِ الدَّبِيبُ
يمد هذا الغلام لك العنان (الحبل) ويتساهل معك إذا حساها (شربها)، ويفتح عقدة تكته (حزام وسطه) الدبيب (تغلغل أثر الخمر في جسمه) كذا فسرها قهوجي، وثالثه لأبو نواس أوسخ من هذا خيالاً، وللدبيب معنى آخر هو أن يحب المرء في ظلام المجلس، والسكرارى غافون على أرائكهم، في اتجاه محبوبه لينال منه

يَكَادُ مِنَ الدَّلَالِ إِذَا تَنَنَّى عَلَيْكَ، وَمِنْ تَسَاقُطِهِ يَذُوبُ
يكاد هذا الغلام لكثرة دلاله وتساقطه (من تأثير الخمر يسقط رأسه على صدرك، وتسقط يدها في حبرك، ولك أن تتخيل تهاوي أعضاء الساكر لارتخاء مفاصله)، وهذا التني والتساقط يجعلك ترى كأن الغلام... يذوب

فَهَذَا الْعَيْشُ لَا خِيَمَ الْبُودَايِ، وَهَذَا الشَّرْبُ لَا اللَّبْنَ الْحَلِيبُ

١٢ حامل الهوى تعب

حَامِلُ الْهَوَى تَمِيبُ يَسْتَخِفُّهُ الطَّرَبُ
الطرب: الحزن، أي لشدة حزنه يصير مرتعش السلوك

إِنْ بَكَى يَحِقُّ لَهُ لَيْسَ مَا بِهِ لَمِبُ
فيروز تقول «بحق له» بضم الحاء، وهذا وجه قاله اللسان، وهيهات أن تغلط فيروز في اللغة؛ على أنها بعد أن مات زوجها وأشاحت عن سلفها، زلت زلتين

كَلَّمَا انْقَضَى سَبَبُ مِنْكَ عَادَ لِي سَبَبُ
تَعْجِبِينَ مِنْ سَقَمِي صَحَّتِي هِيَ الْعَجَبُ
نَضْحَكِينَ لَا هَيْبَةَ وَالْمَجِبُ يَنْتَحِبُ

١٣ كي أكون صادقاً..

نسب في بعض النسخ إلى أبي نواس:

سقاني أبو بشرٍ من الراحِ شربةً لها لذةٌ ما ذقتها لِشَرابٍ
وما طَبَخوها غيرَ أنَّ غلامَهُمْ سَعَى ليلةً في كَرَمِها بِشَهابٍ
شهاب: مصباح

١٤ خمر وقينة

قامتُ تُريني، وأمرُ الليلِ مجتمِعٌ، صُباحاً تولَّدَ بين الماءِ والعَنَبِ
قامت تريني، والليل قد تكاثف ظلامه، ضوءاً كضوء الصبح تولد من خلط الماء بالخمرة التي
أصلها من العنب

كَأَنَّ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا حَضَباءُ دُرٌّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ
كان فواقعها (فقايعها) الصغيرة والكبيرة حصباء در (حصى من لؤلؤ) متثورة على أرض من الذهب
كَأَنَّ تُرْكَاءَ صُفُوفاً فِي جِوَانِبِهَا، تَوَاتَرُ الرَّمْيِ بِالنُّشَابِ مِنْ كَثَبٍ
وتنفجر الفقايع تباعاً فكأنها على وجه الكأس جنود من الأتراك يصطفون ويواترون (يواصلون)
الرمي بالنشاب (بالسهام) من كثب (من قرب)

مِنْ كَفِّ سَاقِيَةٍ، نَاهِيكَ سَاقِيَةٍ، فِي حُسْنٍ قَدْ، وَفِي ظَرْفٍ، وَفِي أَدَبٍ
كانت ليرب قبان ذي معالنة بالکَشخِ مُحترَفٍ، بالكَشخِ مُكتَسِبِ
هذه الجارية الساقية كان يملكها رب قبان (رجل يحتفظ في بيته بالمغنيات لتسلية الناس بأجر)،
وهو ذو معالنة (يعلمها صراحة ولا يستتر)، فهو محترف الكشخ (بذل نسائه/الديانة) ومكتسب به

فَقَدْ رَأَتْ وَوَعَتْ عَنْهُنَّ، وَاخْتَلَفَتْ. مَا بَيْنَهُنَّ وَمَنْ يَهْوِيَنَّ بِالْكُثْبِ
وكان من شأنها وهي عند ذلك الرجل أن خبرت أحوال القيان، وأن اختلفت (ترددت رائحة جاثية)
بينهن وبين من يحببن بالكتب (بالرسائل)

حَتَّى إِذَا مَا غَلَا مَاءُ الشَّبَابِ بِهَا، وَأُفْعِمَتْ فِي تَمَامِ الْجِسْمِ وَالْقَصَبِ
فعندما غلا ماء شبابها (فارت)، وأفعمت (امتلات وتكوّرت) وتم جسمها وقصبها (عظمها)

وَجُمِشَتْ بِخَفِيِّ اللَّحْظِ، فَانْجَمَشَتْ، وَجَرَّتِ الْوَعْدَ بَيْنَ الصَّدْقِ وَالْكَذِبِ
وعندما جمشت (دوعبت) بخفي اللحظ (بالنظرات المبروقة) فانجمشت (تجاوبت مع المداعبة)،
وعندما أصبحت ناضجة في الحرفة تعطي أنصاف الرعود للعشاق

تَمَّتْ، فَلَمْ يَرَ إِنْسَانًا لَهَا شَبَهًا، فِي مَنْ بَرَى اللَّهُ مِنْ عُجَمٍ وَمَنْ عَرَبٍ
عندئذ اكتملت فلم يعد لها شبيه فيمن خلق الله من عجم أو عرب

تِلْكَ الَّتِي لَوْ خَلَقْتَ مِنْ عَيْنٍ قِيَمِهَا، لَمْ أَقْضِ مِنْهَا، وَلَا مِنْ حُبِّهَا أَرْبِي
مثل هذه الجارية، حتى لو خلقت من عين قيمها (لو تخلصت من مراقبة قوادها)، لما اكتفيت منها
لشدة شغفي بها

١٥ إن طاعني قلبي

وَفَاتِنٍ بِالنَّظَرِ الرَّطْبِ يَضْحَكُ عَنْ ذِي أَشْرِ عَذْبٍ
فتى في عينيه نداوة يضحك فتبدو أشره (أسنانه ذات التحزيز لصغر السن)

خَالِيَتُهُ فِي مَجْلِسٍ لَمْ يَكُنْ ثَالِثُنَا، فِيهِ، سِوَى الرَّبِّ
خاليتته (اختليت به)

فَقَالَ لِي، وَالْكَفُّ فِي كَفِّهِ، بَعْدَ التَّجَنِّي مِنْهُ وَالْعَثْبِ
تُحِبُّنِي؟ قُلْتُ مُجِيبًا لَهُ: وَفَوْقَ مَا تَرْجُو مِنَ الْحَبِّ
قَالَ أَتَقِي اللَّهَ، وَدَغْ ذَا الْهَوَى فَقُلْتُ: إِنَّ طَاوَعَنِي قَلْبِي

١٦ كيف أكلك للضب؟

إِذَا مَا تَمِيمِي أَنَاكَ مُفَاخِرًا فَقُلْ: عَدُّ عَنْ ذَا، كَيْفَ أَكَلْتُكَ لِلضَّبِّ؟
عد عن ذا: دعنا من هذا الكلام، والتميمي مضري من عرب الشمال،
وأبو نواس يتزين بالانتساب إلى اليمنية

تُفَاخِرُ أَبْنَاءَ الْمُلُوكِ سَفَاهَةً، وَيُوَلِّكَ يَجْرِي فَوْقَ سَاقِكَ وَالْكَعْبِ
فَنَحْنُ مَلِكُنَا الْأَرْضَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا، وَشَيْخُكَ مَاءٌ فِي التَّرَائِبِ وَالصُّلْبِ
نحن أهل اليمن، وربما عنى الفرس، ملكنا الأرض وشيخك (جدك الأعلى) ما زال لم يولد
موجوداً نطفة في الترائب (عظام بأعلى الصدر) والصلب (الظهر)

١٧ عن تجربة

لَا تَحْمَدَنَّ أَمْرًا حَتَّى تُجَرِّبَهُ، وَلَا تَذُمَّنَّهُ مِنْ غَيْرِ تَجْرِبٍ

١٨ الرغيف الرديد

قد علا الديوانَ كَابَةً، مُذْ تَوَلَّى ابْنُ سِيَابَةٍ
كابة: كآبة

يا غُرَابَ البَيْنِ فِي الشُّؤْ مِ، وَمِيزَابَ الْجَنَابَةِ
ميزاب: مسيل ماء

يا رَغِيفاً رَدَّهُ الْبَقَّ - مَالُ يُبْسَأُ وَصَلَابَةُ
أعاده البقال للخباز ولم يرض بتسويقه في دكانه

١٩ رثاء والبة بن الحُباب

فَاضَتْ دَمُوعُكَ سَاكِبَةً جَزَعاً لِمَضْرَعٍ وَالْبَةِ
قَامَتْ بِمَوْتِ أَبِي أَسَا مَةً، فِي الرَّفَاقِ، النَّادِبَةِ
فُجِعَتْ بَنُو أَسَدٍ بِهِ، وَبَنُو زَارٍ قَاطِبَةِ
بِلْسَانِهَا، وَزَعِيمِهَا، عِنْدَ الْأُمُورِ الْحَازِبَةِ
فجعت بشاعر كان ناطقاً عنها في الأمور الحازبة (الشديدة الحاسمة)

٢٠ احتضان الرغيف

رَغِيفٌ سَعِيدٌ عِنْدَهُ عِذْلٌ نَفْسِهِ يُقَلِّبُهُ طَوْرًا، وَطَوْرًا يُلَاعِبُهُ
وَيُخْرِجُهُ مِنْ كُمِّهِ، فَيَشُمُّهُ، وَيُجْلِسُهُ فِي جَنْبِهِ وَيَخَاطِبُهُ
وَإِنْ جَاءَهُ الْمِسْكِينُ يَطْلُبُ فَضْلَهُ، فَقَدْ تَكَلَّثَتْ أُمُّهُ وَأَقَارِبُهُ
إن جاءه فقير يطلب فضله (حسنة زائدة عن حاجته)، فهو يشتمه بشكلك أمك

يَكُرُّ عَلَيْهِ السَّوْطُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَتُكْسَرُ رِجْلَاهُ، وَيُنْتَفُ شَارِبُهُ

٢١ الكلب الأفعى

لَمَّا تَبَدَّى الصُّبْحُ مِنْ حِجَابِهِ
كَظَلَعَةِ الْأَشْمَطِ مِنْ جِلْبَابِهِ
الأشمت: الذي اختلط سواد شعره بياض

وَأَنْعَدَلَ اللَّيْلُ إِلَى مَآبِهِ
تراجع الليل إلى مكان عودته

كَالْحَبَشِيِّ افْتَرَّ عَنْ أَنْيَابِهِ
هَجْنَا بِكَلْبٍ طَالَمَا هَجَّنَا بِهِ
هَجْنَا بِكَلْبٍ: حركناه من موضعه

يَنْتَسِفُ الْمَقُودَ مِنْ كَلَابِهِ
يتسف (يتنزع) المقود (الزمام/الحبل) من كلابه (قِيَمَه)
كَأَنَّ مَتْنِيَهُ لَدَى أَنْسِلَابِهِ
كَأَنَّ مَتْنِيَهُ (جانبي ظهره) عند أنسلابه (إسراعه)

مَتْنًا شَجَاعٌ لَجَّ فِي أَنْسِيَابِهِ
كَأَنَّهُمَا مَتْنًا (جانبا ظهره) شجاع (ثعبان) لجَّ في أنسيابه (أسرف في الزحف)

تَرَاهُ فِي الْحُضْرِ، إِذَا هَاهَا بِهِ
تراه في الحضر (الركض) إِذَا هَاهَا (صاح) صاحبه به
يَكَادُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ إِهَابِهِ
إِهَابِهِ: جلده

٢٢ هجاء جعفر البرمكي

لَقَدْ غَرَّنِي مِنْ جَعْفَرٍ حُسْنُ بَابِهِ وَلَمْ أَذِرْ أَنْ اللَّؤْمَ حَشَوُ إِهَابِهِ
حسن بابه: سهولة الدخول عليه، حشو إهابه: ملأ جلده
فَلَسْتُ، وَإِنْ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِ جَعْفَرٍ، بِأَوَّلِ إِنْسَانٍ خَرِي فِي ثِيَابِهِ

٢٣ بل نحن خير من قريش

وقيل حبسه الرشيد على هذه القصيدة، التي ستلي، حبساً طويلاً:

لَسْتُ لِذَا رٍ عَفْتُ وَعَظَّرَهَا ضَرَبَانٍ مِنْ قَطْرِهَا وَحَاصِبِهَا
لست ممن يبكي على طول دار عفت (خربت) وتغيرت معالمها بضربين (نوعين) هما القطر
(المطر) والحاصب (الريح ذات التراب والحصى)

بَلْ نَحْنُ أَرْبَابُ نَاعِطٍ، وَلَنَا صَنْعَاءُ، وَالْمِسْكُ فِي مَحَارِبِهَا
نحن أرباب (أصحاب) ناعط (حصن باليمن) ولنا صنعاء التي يكثر المسك في محاربها (منازلها)
دلالة على الثروة

أَحِبِّ قُرَيْشًا لِحُبِّ أَحْمَدِهَا ، وَاعْرِفْ لَهَا الْجَزَلَ مِنْ مَوَاهِبِهَا
أَحِبِّ قُرَيْشًا (فلتحب يا هذا قريشاً) لحبك لأحمدها (الرسول)، واعرف لها الجزل من مواهبها
(عطاياها الكثيرة)

إِنْ فَاحَرْتَنَا فَلَا افْتِحَارَ لَهَا إِلَّا التُّجَارَاتُ مِنْ مَكَاسِبِهَا
وإنَّهَا إِنْ ذَكَرْتَ مَكْرُمَةً جَاءَتْ تِجَارٌ لَهَا بِغَالِبِهَا
مكارم قريش سببها في الغالب التجار (التُّجَار)

فَاهْجُ نِزَارًا وَأَفْرِ جِلْدَتَهَا ، وَهَتِّكِ السُّتَرَ عَنْ مَثَالِبِهَا
نزار: جد عرب الشمال، أفر جلدها: قطع، مثالها: مساونها

٢٤ مبهوت برؤية الحبيب

رَبْعُ الْبِلَى أَخْرَسُ، عَمِيْتُ ، مُسْتَلَبُ الْمَنْطِقِ، سَكَيْتُ
ربع البلى (منزل الخراب/الطلل) أخرس أعمى

أَعَارَهُ حَيْرَتُهُ عَاشِقٌ ، رَأَى حَبِيبًا ، فَهُوَ مَبْهُوتٌ

٢٥ من الجنس الثالث

يَا لَاعِبًا بِحَيَاتِي وَهَاجِرًا مَا يُؤَاتِي
يؤاتي: يطاوع

وَالْقُدُّ قَدْ غُلَامٌ ، وَالْغُنْجُ غُنْجٌ فَتَاةٌ
مُذَكَّرٌ حِينَ يَبْدُو مُؤَنَّثُ الْخَلَوَاتِ

٢٦ منتهى التمرد

قَالُوا ظَفِرَتْ يَمَنُ تَهْوَى ، فَقُلْتُ لَهُمْ : الْآنَ أَكْثَرُ مَا كَانَتْ صَبَابَاتِي
وَدَاهِرِي سَمَا فِي فَرْعٍ مَكْرُمَةٍ مِنْ مَعْشَرٍ خُلِقُوا فِي الْجُودِ غَايَاتٍ
وداهري (شاب من فرع داهر بكناة) سما في فرع مكرومة (نشأ في سلالة كريمة)

فَقُلْتُ وَاللَّيْلُ يَجْلُوهُ الصَّبَاحُ كَمَا يَجْلُو التَّبَسُّمُ عَنْ غُرِّ الثَّنِيَّاتِ :
غر الثنيات: الأسنان البيض

يَا أَحْمَدَ الْمُرْتَجَى فِي كُلِّ نَائِبَةٍ قُمْ ، سَيِّدِي ، نَعْصِ جَبَّارَ السَّمَاوَاتِ

يا أحمد الذي أرجو عونك في كل مصيبة، قم نشرب الخمر ما أكثر ما يقتبسون البيت، ثم يشتمونه رفعاً للإثم عن ظهورهم، أو خوفاً من التكفير، فهم كمن يأكل الرشا ثم ينفذ ثوبه ويقول: تلك هدية. وتحليلنا النفسي لمن قال البيت ولمن نقله هو أن البيت صادم صارخ بالتمرد. وأي تمرد! ليس على الدين ولا على التقاليد بل على رب السماوات. والمرء يهفو للتمرد، ولذا الوصول إلى أقصى غاياته، وحبذا لو كان الواصل إلى هذه الغايات شخصاً آخر حتى لا نحمل الإثم نحن. وقيل إن الرشيد أراد أن يعاقب أبا نواس على هذا البيت، فقال أبو نواس: لم أكفر، ففي البيت إقرار بجبار السماوات

٢٧ لا فرج الله عني

لَا فَرَجَ اللَّهُ عَنِّي إِنْ رَفَعْتُ يَدِي إِلَيْهِ أَسْأَلُهُ مِنْ حُبِّكَ الْفَرَجَا
وَلَا طَعِمْتُ بِكَ السُّلْوَانَ، يَا أَمَلِي، وَحَلَّ حُبُّكَ فِي قَلْبِي، وَمَا خَرَجَا
لَا أَطْعَمَنِي اللَّهُ السُّلْوَانَ (النسيان) وَلِيَحْلَ حُبُّكَ فِي قَلْبِي مَقِيماً فِيهِ لَا يَخْرُجُ

٢٨ يقتاتون المزاح والفكاهة

وَحَدِيدٍ لَذَاتٍ، مُعَلِّلٍ صَاحِبٍ، يَقْتَاتُ مِنْهُ فُكَاهَةً وَمُزَاحَا
رُبَّ خَدِينٍ لَذَاتٍ (ملازم للملذات)، مُعَلِّلٍ صَاحِبٍ (ساقٍ لصاحبه) يَتَسَلَّى بِفُكَاهَاتِهِ
نَبْهَتُهُ، وَاللَّيْلُ مُلْتَبِسٌ بِهِ، وَأَزْحَتْ عَنْهُ حَثَاثَةٌ فَانْزَاحَا
أَيَقُظْتُهُ وَاللَّيْلُ مُلْتَبِسٌ بِهِ (مشوش لتفكيره ونظيره) وَأَزْحَتْ عَنْهُ حَثَاثَةٌ (غفوته)
قَالَ ابْغِنِي الْمِصْبَاحَ، قُلْتُ لَهُ أَتَيْدُ! حَسْبِي وَحَسْبُكَ ضَوْؤُهَا وَمِصْبَاحَا
اتنبد: ترو

شَكَّ الْبِرَّالُ فُؤَادَهَا، فَكَأَنَّمَا أَهْدَتْ إِلَيْكَ بِرِيحِهَا تُفَاحَا
البرال: مثقب الدن، ريحها: رائحتها

٢٩ هدية من فرح

وَمُدَامَةً سَجَدَ الْمَلُوكُ لَهَا، بَاكَرْتُهَا، وَالذِّيكُ قَدْ صَدَحَا
صِرْفٍ، إِذَا اسْتَبْطَنْتَ سَوْرَتَهَا، أَهْدَتْ إِلَى مَعْقُولِكَ الْفَرَحَا
صرف: خالصة، سك بلا مزج، استبطنت سورتها: جعلت هياجها في بطنك، معقولك: عقلك

٣٠ ضمانة ضد الزمان

قال أبو نواس يمدح الفضل بن الربيع:

وَكَلَّتْ بِالذَّهْرِ عَيْنًا غَيْرَ غَافِلَةٍ، من جُودِ كَفْكَ تَأْسُو كُلَّمَا جَرَحَا

كلفت عينك الساهرة بمتابعة مصائب الدهر، ورحت تأسو (تعالج)
بجودك ما يخلفه الدهر من جراح

أنت الذي تَأْخُذُ الْأَيْدِي بِحُجْزَتِهِ، إذا الزَّمَانُ عَلَى أَوْلَادِهِ كَلَحَا

بحجزته: بحزامه، كلع: عبس

٣١ نسوة الزمن الثاني

أَيَّةَ نَارٍ قَدَحَ الْقَادِحُ وَأَيَّ جِدٍّ بَلَغَ الْمَارِحُ

ما هذه النار التي أشعلها مشعلها في رأسي شيئاً، وما هذا الجد الذي بلغنا إليه مع الكهولة بعد
كل ذلك المزاح في الشباب

لَلَّهِ دَرُّ الشَّيْبِ مِنْ وَاعِظٍ، وَنَاصِحٍ، لَوْ سَمِعَ النَّاصِحُ

يَأْبَى الْفَتَى إِلَّا اتَّبَعَ الْهَوَى، وَمَنْهَجُ الْحَقِّ لَهُ وَاضِحٌ

فَاسْمُ بَعِيْنِيْكَ إِلَى نِسْوَةٍ، مُهُورُهُنَّ الْعَمَلُ الصَّالِحُ

اسم: تطلّع

لَا يَجْتَلِي الْحَوَازَاءُ مِنْ خِذْرِهَا إِلَّا انْزُرُوا مِيزَانَهُ رَاجِحُ

مَنْ اتَّقَى اللَّهَ، فَذَاكَ الَّذِي سِيقَ إِلَيْهِ الْمُتَجَرُّ الرَّابِحُ

شَمَّرُ، فَمَا فِي الدِّينِ أُغْلُوْطَةٌ، وَرُخَ لِمَا أَنْتَ لَهُ رَائِحُ

٣٢ من حديث القدح والإبريق

بَا إِخْوَتِي ذَا الصَّبَاحِ، فَاصْطَبِحُوا، فَقَدْ تَفَنَّتْ أَطْيَارُهُ الْفُصْحُ

هُبُّوا خُدُّوْهَا، فَقَدْ شَكَّانَا إِلَى الـ إِبْرِيقِ، مِنْ طَوْلِ نَوْمِنَا، الْقَدْحُ

صِرْفًا، إِذَا شَجَّهَا الْمِرَاجُ بِأَيْدِ لَدِي شَارِبِيْهَا تَوَلَّدَ الْفَرَحُ

تكون الخمر صرفاً (غير ممزوجة) فإذا شجها المزج (جرح رأسها) فرحت نفوس الشاربين . نعم
فمزج الخمر بالماء يلون الكأس كما يتلون رأس شججته بحجر

حَتَّى تُرِيكَ الْحَلِيمَ ذَا طَرَبٍ، يَهْزُهُ فِي مَكَانِهِ الْمَرْحُ

٣٣ خمرة تذكر نوحاً

قال يمدح العباس بن عبيد الله الهاشمي:

غَرَّدَ الذِّبْكُ الصَّادُوحُ، فَاسْقِنِي! طَابَ الصَّبُوحُ
 واشقيني حتى تراني حَسَناً عِنْدِي القَبِيحُ
 قَهْوَةٌ تَذْكُرُ نُوحاً حِينَ شَادَ الْفُلُكَ نُوحُ
 أنا في دُنْيَا مِنَ الْعَبِّ - لَاسِي أَغْـدُو وَأَرْوَحُ
 بُحَّ صَوْتُ الْمَالِ مِمَّا مِنْكَ يَشْكُو، وَيَصِيحُ:
 «مَا لِهَذَا آخِذٌ فَوْقَ يَدَيْهِ، أَوْ نَصِيحُ!»
 آخذ فوق يديه: مانع إياه

٣٤ روحان في بدن

مَا زِلْتُ أَسْتَلُّ رُوحَ الدَّنِّ فِي لُطْفٍ وَأَسْتَقِي دَمَهُ مِنْ جَوَافِ مَجْرُوحٍ
 ظللت أسحب روح الدن (وعاء الخمر الكبير الذي يتقب وتؤخذ منه الخمر) وأشرب دمه من جو
 وهو مجروح

حَتَّى انْتَنَيْتُ وَلِي رُوحَانٍ فِي بَدَنِ وَالِدَّنْ مُنْطَرِحَ جَسَماً بِلا رُوحٍ
 حتى انتنيت (أصبحت) وعندي روحان، ولم يعد في الدن خمر، فالخمر روحه

٣٥ سهر البارحة

تَفْعِيرُ عَيْنَيْكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّكَ تَشْكُو سَهَرَ الْبَارِحَةِ
 عَلَيْكَ وَجْهٌ سَيِّئٌ حَالُهُ، مِنْ لَبْلَةٍ بِتَ بِهَا صَالِحَةُ
 وَنَفْحَةُ الْخَمْرِ وَأَنْفَاسُهَا، وَالْخَمْرُ لَا تَخْفَى لَهَا رَائِحَةُ

٣٦ موجات من الحسن

وَذَاتِ خَزْدٍ مُـوَرَّدٍ فَتَّانَةِ الْمُتَجَرِّدِ
 المتجرد: المعرى

تَأْمَلُ الْعَيْنُ مِنْهَا مُحَاسِنًا لَيْسَ تَنْقُذُ
 تأمل: تأمل

الْحَسَنُ فِي كُلِّ جِزْءٍ مِنْهَا مُعَادٌ مُرَدَّدٌ

فَبَعْضُهُ يَتَنَاهَى، وَبَعْضُهُ يَتَوَلَّى

٣٧ درع دون المصائب

قال يمدح عبيد الخادم مولى أم جعفر:

يا ابنة القوم لا تُراعي بِرَّيْبٍ، واسلَمِي رَحْصَةَ الْأَنَامِلِ رَوْدًا
رخصة الأنامل: لينة الأصابع، رَوْد: لينة

لا تَخَافِي عَلَيَّ صَرْفَ اللَّيَالِي، إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُنَّ عُبَيْدًا

٣٨ عطشوا من عهد عاد

سُمْتُهَا عِنْدَ يَهُودِيٍّ - خَصِيبِ الْمُسْتَرَادِ

ساومت في الخمرة في حانوت يهودي كثير عنده المستراد (ما يريده الناس بشدة)

فَشَرِبْنَا شَرْبَ قَوْمٍ عَطِشُوا مِنْ عَهْدِ عَادٍ

٣٩ النار المتأخر*

يهجو هاشم بن حديج الذي كان جده قتل محمد بن أبي بكر الصديق:

يا هاشِمَ بْنَ حُدَيْجٍ لَيْسَ فخرُكُمْ بِقَتْلِ صِهْرٍ رَسُولِ اللَّهِ بِالسَّدِيدِ

إِنْ تَقْتُلُوا ابْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَدْ قَتَلْتُمْ حُجْرًا بِدَارَةِ مَلْحُوبٍ بَنُو أَسَدٍ

بنو أسد قتلوا في الجاهلية حجراً أبا امرئ القيس الشاعر وسيد قبيلة كندة

وَطَرَدُوكُمْ إِلَى الْأَجْبَالِ مِنْ أَجْلِ، طَرَدَ النَّعَامُ إِذَا مَا تَأَهَّ فِي الْبَلَدِ

وَكُلُّ كَنْدِيَّةٍ قَالَتْ لَجَارَتِهَا، وَالدَّمْعُ يَنْهَلُ مِنْ مَثْنَى وَمِنْ وَحْدٍ

من مثنى ومن واحد: يسيل الدمع من جهتي العينين أو من جهة واحدة فقط من كل عين

أَلْهَى امْرَأًا الْقَيْسَ تَشْبِيبَ بَغَانِيَةٍ عَنْ ثَارِهِ، وَصِفَاتُ الثُّؤْيِ وَالْوَدِّ

*العنوان للمحقق سليم فهرجي

٤٠ التصليب بالرغبة

سَقْفِيَا لِغَيْرِ الْعُلِيَاءِ وَالسَّنَدِ وَغَيْرِ أَطْلَالِ مَيِّ بِالْجَرَدِ

يستذكر بيت النابغة «يا دار مية بالعلياء فالسند»، ويطلب السبقيا، رحمة السماء، لأي مكان سوى هذين المكانين، وسوى أطلال مي بالجرد (الأرض الخلاء)

ويا صَبِيبَ السَّحَابِ إِنْ كُنْتَ قَدْ جُدْتَ اللَّوَى، مَرَّةً، فَلَا تَعُدِ

صبيب السحاب: المطر

أَحْسَنُ عِنْدِي مَنْ انْكِبَابِكَ بِالْـ فِهْرٍ مُلِحًّا بِهِ عَلَى وَتَدِ

الفهر: الحجر

وَقُوفُ رِيحَانَةٍ عَلَى أُذُنٍ، وَسَيْرُ كَأْسٍ إِلَى فَمٍ بِبَيْدِ
يَسْقِيكَهَا مِنْ بَنِي الْعِبَادِ رَشَاءً مُنْتَسِبٌ عَيْدُهُ إِلَى الْأَحَدِ

بنو العباد: مسيحيون كانوا بالحيرة، رشا: ظبي

إِذَا بَنَى الْمَاءُ فَوْقَهَا حَبَبًا، صَلَّبَ فَوْقَ الْجَبِينِ بِالزَّبْدِ

الجب: الفقاع

أَشْرَبُ مِنْ كَفِّهِ شَمُولًا، وَمِنْ فِيهِ رُضَابًا يَجْرِي عَلَى بَرْدِ

الشمول: الخمر، الرضاب: الريق

٤١ لي نشوتان

لَا تَبِكْ لَيْلَى، وَلَا تَطْرُبْ إِلَى هِنْدِ وَأَشْرَبْ عَلَى الْوَرْدِ مِنْ حَمَاءِ كَالْوَرْدِ

اشرب على الورد: كانوا حريصين في مجلس الشراب على وجود الرياحين

كَأْسًا إِذَا انْحَدَرَتْ فِي خَلْقِي شَارِبَهَا، أَجْدَنَّهُ حُمَرَتُهَا فِي الْعَيْنِ وَالْخَدِّ

أجدته: أعطته. فيحمر من الخمر خدا وعينا شاربها (لمن لم يجرب)

فَالْخَمْرُ يَاقُوتَةٌ، وَالْكَأْسُ لَوْلُؤَةٌ مِنْ كَفِّ جَارِيَةٍ مَمْشُوقَةِ الْقَدِّ

نَسْقِيكَ مِنْ طَرَفِهَا خَمْرًا، وَمِنْ يَدِهَا خَمْرًا، فَمَا لَكَ مِنْ سُكْرَيْنِ مِنْ بُدِّ

لِي نَشُوتَانِ، وَلِلنَّدَمَانِ وَاحِدَةٌ، شَيْءٌ خُصِصْتُ بِهِ، مِنْ دُونِهِمْ، وَحَدِي

٤٢ لن تجد مثله

قُولَا لِهَارُونَ إِمَامِ الْهُدَى، عِنْدَ احْتِفَالِ الْمَجْلِسِ الْحَاشِدِ

نَصِيحَةُ الْفَضْلِ وَإِشْفَافُهُ أَخْلَى لَهُ وَجْهَكَ مِنْ حَاسِدِ

الفضل بن يحيى البرمكي لا حاسد له عندك لأنه صادق النصيحة ومنشفق (حريص)

بِصَادِقِ الطَّاعَةِ، دِيَانِهَا، وَوَاحِدِ الْغَائِبِ وَالشَّاهِدِ

طاعته لك صادقة، وهو ديان (منصف عادل)، وما يقوله في وجهك مثل ما يقوله في غيبتك

أَنْتَ، عَلَى مَا بِكَ مِنْ قُدْرَةٍ، فَلَسْتَ، مِثْلَ الْفَضْلِ بِالْوَاحِدِ
أَوْحَدَهُ اللَّهُ، فَمَا مِثْلُهُ لِطَالِبِ ذَاكَ، وَلَا نَاشِدِ
لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ

تعليق الشاعر عمران القفيني: «ظل الشعراء يلوكون هذا المعنى.. آخرهم نزار قباني على ما أظن». وأظنه يقصد ما قاله نزار في رثاء جمال عبد الناصر، ١٩٧٠، قال: (قتلناك يا آخر الأنبياء/ قتلناك ليس جديداً علينا اغتيال الصحابة والأولياء/ فكم من رسول قتلنا، وكم من إمام ذبحناه وهو يصلي صلاة العشاء/ فتاريخنا كله محنة/ وأيامنا كلها كربلاء)، والقصيدة طويلة ولك أن تتمتع بقوافيها الجميلة وبعبودية نزار قباني، ولك أن تسمع رأياً في جمال عبد الناصر. أولاً رأي في نزار قباني: هذا شاعر كانت العربية بين يديه صلصالاً يصنع به أي شيء أراد، سبحانه من خلقه. ورأيي في عبد الناصر رأي رجل حضر أيامه فتى، وتعقب حسناته وسيئاته كهلاً. قد أحبه الوطن العربي كله، لأنه رأى فيه القوة والإخلاص. وأحبه المصريون لأنه بنى المصانع وفتح المدارس. شهدت حواراً بين صديق مصري ووالدته المتعلمة. كان يرمي عبد الناصر بأقبح النعوت وهي تترحم عليه، فلولا عبد الناصر لما كانت تعلمت. وكره عبد الناصر خصومه السياسيون الذين آذاهم، وكرهه عباس العقاد لأنه كان مستبداً، وقف العقاد عند كلمة عبد الناصر «لقد منحتكم الكرامة» وتقرز منها. صنع عبد الناصر دولة بوليسية، صنعها هو وشعبه، وصنعها وشعوب العرب تصفق. من يشتمون الرجل ومن يمدحونه سواء في قله بضاعتهم من الفطنة السياسية

٤٣ خمارة البلد

عَاجَ الشَّقِيَّ عَلَى رَسْمِ يُسَائِلُهُ، وَعُجْتُ أَسْأَلُ عَنْ خَمَّارَةِ الْبَلَدِ
عَاجَ (مَال) الشَّقِيَّ عَلَى رَسْمِ (طَلَّلَ مَنَازِلَ الْحَبِيبَةِ) يَكْلِمُهُ، وَمِلْتُ أَنَا أَسْأَلُ: أَيْنَ خَمَّارَةُ الْبَلَدِ؟

يَبْكِي عَلَى طَلَّلِ الْمَاضِينَ مِنْ أَسَدٍ، لَا دَرَّ دَرُّكَ، قُلْ لِي مَنْ بَنُو أَسَدٍ؟
لَا دَرَّ دَرُّكَ: عبارة تفرّج، وهي عكس العبارة المألوفة «لله درك»

وَمَنْ تَمِيمٌ؟ وَمَنْ قَيْسٌ وَلِفْهُمَا؟ لَيْسَ الْأَعَارِبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ
لفهما: جماعتهما

لَا جَفَّ دَمْعُ الَّذِي يَبْكِي عَلَى حَجَرٍ وَلَا صَفَا قَلْبُ مَنْ يَصْبُو إِلَى وَتَدٍ
كَمْ بَيْنَ نَاعَتِ خَمْرٍ فِي دَسَاكِرِهَا وَبَيْنَ بَاكِ عَلَى نُؤْيٍ وَمُنْتَضِدٍ
دساكرها: قراها (وكانت الخمارات في قرى محاذية للمدن)، النؤي: قناة حول الخيمة يحفرونها كي تمنع ماء المطر من الدخول للخيمة، منتضد: ساكن من السكان

دَعُ ذَا عَدِمْتُكَ، وَاشْرَبْهَا مَعْتَقَةً صفراءُ تَفْرُقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ

تعليق عمران القفيني: كلمة صفراء قبيحة جداً. يقول المؤلف: فعلاً، أليست تذكر الإنسان السوي بالبول؟ على أن كارعي الويسكي قد يرون رأياً آخر، وهذا مشروب سكوتلندي قوي يجعل الحصان يمشي على اثنتين، والرجل على أربع

مَنْ كَفَّ مُحْتَصِرِ الزَّنَارِ مُعْتَدِلٍ كغصنٍ بَانٍ تَشْتَنِي غَيْرَ ذِي أَوْدٍ
مختصر الزنار: واضح الحزام على خصره، وكان غير المسلمين ملزمين بالحزام تمييزاً لهم، غير ذي أود: غير معوج القوام

لَمَّا رَأَيْتُ أَبُوهُ قَدْ قَعَدْتُ لَهُ حَيًّا، وَأَيَقَنَ أَنِّي مُثْلِفٌ صَفْدِي
صفدي: عطائي (ما نلته من مال كراتب أو كهبة)

فَجَاءَنِي بِسُلَافٍ لَا يَحِفُّ لَهَا وَلَا يُمَلِّكُهَا إِلَّا يَدًا بِيَدٍ
سلاف: أجود الخمر، وهو ما يسيل أولاً عند عصرها، لا يحف لها: لا يملأها حتى الحافة ضناً بها

وَاسْتَوَقَّتِ الْخَمْرُ أَحْوَالاً مُجَرَّمَةً وَافْتَرَّ عَيْشُكَ عَنْ لَذَائِكَ الْجُدِّ
أحوالاً مجرمة: أعواماً كاملة، افتر: تبسم

فَاشْرَبَ وَجُدَّ بِالَّذِي تَحْوِي يَدَاكَ لَهَا لَا تَذْخِرِ، الْيَوْمَ، شَيْئاً خَوْفَ فَقْرٍ عَدِ
يا عاذلي، قد أتتني منك بادرةٌ فَإِنْ تَعَمَّدَهَا عَفْوِي فَلَا تَعُدِ
أتتني منك بادرة: بدر منك قول

لَوْ كَانَ لَوْمُكَ نُصْحًا كُنْتُ أَقْبَلُهُ لَكِنَّ لَوْمَكَ مَحْمُولٌ عَلَى الْجَسَدِ

٤٤ نفعل في المسجد

وَعَاشِقَيْنِ التَّفَّ خَدَاهُمَا عِنْدَ النَّثَامِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ
النثام: تقبيل

فَاسْتَفَيَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْتِمَا، كَأَنَّمَا كَانَا عَلَى مَوْعِدِ
لَوْلَا دِفَاعُ النَّاسِ إِيَّاهُمَا، لَمَا اسْتَفَاقَا، آخِرَ الْمُسْنَدِ
المسند: الدهر

ظَلَمْنَا كِلَانَا سَاتِرَ وَجْهِهِ، مِمَّا يَلِي جَانِبَهُ، بِالْيَدِ
نفعل في المسجد ما لم يكن يفعلهُ الأبرارُ في المسجدِ

٤٥ في عيد الأضحى

يا فَرَحَةً جَاءَتْ مَعَ الْعِيدِ وفى الذى أَهْوَى بِمَوْعُودِي
جاءَ مِنَ الْأَغْيُنِ مُسْتَخْفِيًا، مِنْ بَعْدِ إِخْلَافٍ وَتَنْكِيدِ
حتى إِذَا الرَّاحُ جَرَتْ بَيْنَنَا، أَمِنْتُ مِنْ خُلْفٍ وَتَرْدِيدِ
ظِلٌّ وَلِيَّ الْعَهْدِ فِي حُطْبَةٍ، وَظِلْتُ بَيْنَ الرَّاحِ وَالْعُودِ
صَارَ مُصَلًّا رِيَا حِينَنَا، وَنَحْرُنَا بِنْتَ الْعِنَاقِيدِ
كان صلاتنا أصبح الرياحين المثورة في مجلس الشراب، وبذل أن نحر شاة في عيد الأضحى
نحرنَا بِنْتَ الْعِنَاقِيدِ (الخمير). كانوا يثقبون الدن الكبير فتدق منه الخمر حمراء

وصارَ رِذْفُ الطَّنْبِي لِي مِنْبَرًا أَحْسَنَ مِنْ عُوْدٍ عَلَى عُوْدٍ
لِلنَّاسِ عِيدٌ عَمَّهُمْ وَاحِدٌ، وصارَ لِي عِيدَانِ فِي عِيدِ

٤٦ لا عدمت تقويم مثلي

كتب في حبسه إلى الفضل بن الربيع، فسعى في إطلاقه:

أَنْتَ يَا ابْنَ الرَّبِيعِ أَلْزَمْتَنِي النُّسْدَ لَكَ، وَعَوَّدْتَنِيهِ، وَالْخَيْرُ عَادَةٌ
فَارْعَوَى بَاطِلِي، وَأَقْصَرَ جَهْلِي، وَتَبَدَّلْتُ عِقَّةً وَزَهَادَةً
ارعوى: تراجع، أقصر جهلي: عدت إلى الصواب

لَوْ تَرَانِي ذَكَرْتَ بِي الْحَسَنَ الْبَضَّ رِيًّا فِي حُسَيْنِ سَمْتِهِ، أَوْ قَتَادَةَ
قتادة: بصري، من الحفاظ المعدودين

مِنْ خُشُوعٍ أَزِينُهُ بِتُحُولٍ، وَاضْفِرَارٍ مِثْلِ اصْفِرَارِ الْجَرَادَةِ
الْمَسَابِيحُ فِي ذِرَاعِيٍّ، وَالْمُضَّ حَفْتُ فِي لَبَّتِي، مَكَانَ الْقِلَادَةِ
لبتي: أعلى صدري

وَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَرَى طُرْفَةَ تَعَفٍ حَبَّبَ مِنْهَا، مَلِيحَةً، مُسْتَفَادَةً
فَادُعُ بِي، لَا عَدِمْتَ تَقْوِيمَ مِثْلِي، وَتَمَقَّطُنْ لِمَوْضِعِ السَّجَّادَةِ
السجادة: بقعة في الجبين من أثر السجود

تَرَ سِيمَا مِنَ الصَّلَاةِ بِوَجْهِي، تَوَقَّنُ النَّفْسُ أَنَّهَا مِنْ عِبَادَةٍ
لَوْ رَأَاهَا بَعْضُ الْمُرَائِيْنَ يَوْمًا، لَاشْتَرَاهَا يُعِدُّهَا لِلشَّهَادَةِ
للشهادة: لتقبل شهادته أمام القاضي

ولقد طَالَ مَا شَقِيتُ، ولكنْ أَذْرَكْتَنِي عَلَى يَدَيْكَ السَّعَادَةَ

٤٧ شياطين الراح

وَإِذَا رَامَ نَدِيمٌ عَرَبِيَّةً فَأَقْرَعَنُ بِالصُّرْفِ مِنْهَا كَيْدَهُ
اسقه الخمر صرفاً غير ممزوجة لكي ينخمد ولا يعربد

كَرَّرَ الْخَمْرَ عَلَيْهِ بَحْتَةً كَيْ تَقِيمَ الْخَمْرُ مِنْهُ أَوْدَهُ
أوده: اعوجاجه

ثُمَّ وَسَّدَهُ، إِذَا مَا غَلَبَتْ سَوْرَةُ الرَّاحِ عَلَيْهِ، عَضُدَهُ
إذا غلبت شدة الخمر هذا العرید فوسده عضده (اجعل من ذراعه وسادة له واتركه ينم)

خَلَّتَا سُوءَ تَشِينَانِ الْفَتَى حَيْثُمَا حَلَّ: الْخَنَا وَالْعَرَبِيَّةُ
الخنا: الفحش

٤٨ قفوا نشتم

يهجو هاشم بن حديج:

قِفُوا مَعْشَرَ الرَّاحِلِينَ اسْمَعُوا، أَنْبَأْتُكُمْ عَنْ فَتَى كِنْدَةَ
أيها المسافرين، بدل أن أستوقفكم للبقاء على الأطلال قفوا اسمعوا خبر هاشم هذا المنتسب
لقبيلة كندة

وَرَدَّنَا عَلَى هَاشِمٍ مِضْرَةً، فَبَارَتْ تِجَارَتُنَا عِنْدَهُ
رَأَيْتُكَ عِنْدَ حُضُورِ الْخَوَانِ، شَدِيداً عَلَى الْعَبْدِ وَالْعَبْدَةِ
لِذَا وَكْرَةً مِنْكَ مَعْلُومَةً، وَذَا نَقْفَةً، وَلِذَا قَفْدَةً

وكرة: دفعة، نقفة: ضربة بالإصبع، قفدة: صفة

وَتَحْتَدُّ حَتَّى يَخَافَ الْجَلِيسُ شَذَاكَ عَلَيْهِ مِنَ الْحِدَّةِ
شذاك: أذاك

وَتَحْتِمُ ذَاكَ بِفَخْرِ عَلَيْهِ، بِكِنْدَةٍ، فَاسْلُخْ عَلَى كِنْدَةٍ
اسلخ: تغوَّظ

فَإِنَّ حُدَيْجاً لَهُ هَجْرَةٌ، وَلَكِنَّهَا، زَمَنَ الرَّدَّةِ
جدكم، أي نعم، من المهاجرين. لكن ليس مع الرسول بل زمن الردة

وَمَا كَانَ إِيمَانُكُمْ بِالرُّسُولِ سِوَى قَتْلِكُمْ صِهْرَهُ بَعْدَهُ
وأجداد المهجو قتلوا محمداً بن أبي بكر الصديق

٤٩ سليل السادة

قال يمدح إبراهيم بن عبيد الله الحجي:

قُلْ لِمَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ، قَبْلَهُ، ثُمَّ، قَبْلَ ذَلِكَ، جَدُّهُ
وَأَبُو جَدِّهِ، فَسَادَ إِلَى أَنْ تَتَلَقَّى نِزَارُهُ وَمَعْدُهُ

نزار ومعد: من أجداد العرب

فَاهْتَبِلْ عِنْدِي الصَّنِيعَةَ وَادْخُرْ نِي لِقَوْلٍ أَجِيدُهُ وَأَجِدُهُ

اهتبل: اغتم، الصنعة: المعروف، أجده: آتي به جديداً

٥٠ ضيوفاً عند الصقر

ذُو غُرَّةٍ، مَنْ يَرَهُ يُفَقِّدُهُ

لهذا الصقر بياض في جبينه، فمن رآه قال: أفديه

يَرْنُو إِذَا الصَّيْدُ ارْتَأَى مِنْ بُعْدِهِ

ارتأى: بان

بِمُقْلَةٍ تَلْحَقُ قَبْلَ شَدِّهِ

تسبق عينه شده: يرى طريقه الذي سيخلق فيه

فَصَادَنَّا، قَبْلَ انْتِصَافِ جَهْدِهِ

صاد لنا طيوراً قبل أن يبلغ نصف ما عنده من طاقة

خَمْسِينَ أَحْصَتْهَا يَدَا مُعْتَدِهِ

صاد خمسين طيراً أحصتها يدا معتده (الذي يعد فرائسه)

فَنَحْنُ فِي نَائِلِهِ وَرِفْدِهِ

نحن ضيوف عند هذا الصقر تتمتع بنائله (عطاياه) وورفده (عطاياه)

أَبُو عِيَالٍ قَاتَهُمْ بِكَدِّهِ

فَكُلُّ خَيْرٍ عِنْدَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ

يَا لَكَ مِنْ بَازٍ نَسِيجٍ وَخِدِيْ

٥١ حالة حصار

طَبَابَ الْهُوَى لِعَمِيْدَةٍ لَوْلَا اعْتِرَاضُ صُدُوْدَةٍ
العَمِيْدُ: الَّذِي مَلَأَ الْعَشْقَ عَقْلَهُ

وَقَادَنِيْ نَحْوَ رِيْمٍ مُهْفَهَفِ الْكَشْحِ، رُوْدَةٍ
مُهْفَهَفُ الْكَشْحِ: ضَامِرُ الْخَصْرِ، رُوْدَةُ: لَيْتَهُ (لِلْمَرْأَةِ حَرَكَةُ لَيْسَتْ لِلرَّجُلِ، تَحْرُكُ جَذْعُهَا يَمِيْنًا
وَعَجِزَتُهَا يَسَارًا، وَيَكُوْنُ «مَحْوَرُ الْحَرَكَةِ» الْخَصْرُ، فَمَنْ اَمْتَلَكَتِ الْخَصْرَ النَّحِيْلَ كَانَتْ هَذِهِ الْحَرَكَةُ
عِنْدَهَا وَاَضْحَى وَخَلِبَتْ بِهَا عُقُولُ الرِّجَالِ)

بَدَا يُدِلُّ عَلَيْنَا، بِمُقْلَتَيْهِ وَجِيْدَةٍ
فَاصْطَادَنِيْ لِحِمَامِيْ تَخْطَارُهُ فِي بُرُوْدَةٍ
لِحِمَامِيْ: لِمَوْتِيْ، تَخْطَارُهُ: تَبْخُتُهُ، بُرُوْدَةُ: ثِيَابُهُ

فَقَمْتُ نُضْبَ عَدُوٍّ قَاسِيِ الْفُؤَادِ، كَنُوْدَةٍ
نَضْبُ: أَمَامُ، كَنُوْدَةُ: جَاحِدُهُ

لَا أَسْتَطِيْعُ فِرَارًا مِنْ بَرْقِهِ وَرُعُوْدَةٍ
حَتَّى إِذَا سَدَّ طُرْقِيْ بِقَيْثٍ بَيْنَ سُدُوْدَةٍ
وَعَسْكَرِ الْحُبِّ حَوْلِيْ بِخَيْلِهِ وَجَنُوْدَةٍ
فَإِنْ عَدَلْتُ يَمِيْنًا خَشِيْتُ وَقْعَ وَعِيْدَةٍ
وَأِنْ شِمَالًا، فَمَوْتُ، لَا بَدَلِيْ مِنْ وَرُوْدَةٍ
وَأِنْ رَجَعْتُ وَرَائِيْ، خَشِيْتُ زَأْرَ أُسُوْدَةٍ
وَنُضْبَ عَيْنِيْ طَوْدٌ، فَكَيْفَ لِيْ بِصُعُوْدَةٍ
طَوْدٌ: جَبَلٌ

وَتَحَتَّ رِجْلِيْ بِخَرٍّ يَجْرِي الْهُوَى بِمُذُوْدَةٍ
مَذُوْدَةُ: مِيَاهُهُ الْمَتَقَدِّمَةُ نَحْوَ الْبَرِّ

وَفَوْقَ رَأْسِيْ كَمِيٍّ، مُقَنَّعٌ فِي حَدِيْدَةٍ
كَمِيٌّ: شَخْصٌ مُسَلَّحٌ، مُقَنَّعٌ فِي حَدِيْدَةٍ: يَلْبَسُ الْخُوْذَةَ الْحَدِيْدِيَّةَ الَّتِي يَسِيْلُ مِنْهَا زَرْدٌ عَلَى جَانِبِي الْوَجْهِ

مُجَرَّدٌ لِي سَيْفًا، وَنِلاهُ مِنْ تَجْرِيدِهِ
فَلَسْتُ أَرْفَعُ طَرْفِي، حِذَارَ مَاضِي حَديدهِ
طرفي: نظري، حذار ماضي حديده: حذراً من سيفه الحاد

وَلِي خُشُوعُ الْمُصَلِّي فِي دَيْسِرِهِ يَوْمَ عِيدِهِ
كَأَنَّنِي مُسْتَهَامٌ ضَلَّ الطَّرِيقَ بِبَيْدِهِ
مستهام: هائم على وجهه لا يدرى طريقه في البيد (الصحارى)

لَوْلَاخَ لِي مِنْهُ نَهْجٌ، رَكِبْتُ نَهْجَ صَعِيدِهِ
نهج: طريق، نهج صعيده: طريقه المرتفع

فَالْوَيْلُ لِي كَيْفَ أَنْجُو مِنْ حُمْرِ مَوْتٍ وَسُودَةٍ!
الموت الأحمر بالسيف، والأسود خنقاً

٥٢ قوم تواسوا بالشر

قَالُوا تَنَسَّكَ بَعْدَ الْحَجِّ، قُلْتُ لَهُمْ: أَرْجُوا إِلَهَهُ، وَأَخْشَى طَيْرَ نَابَاذَا
طيز ناباذ: موضع عامر بالكروم والمعاصر والخمارات

أَخْشَى قُضِيبَ كَرَمٍ أَنْ يُنَازِعَنِي فَضْلَ الْخُطَامِ، وَإِنْ أَسْرَعْتُ إِغْدَاذَا
أخشى أن ينازعني فضل الخطام (طرف مقود البعير) غصن دالية عنب حتى وإن أسرع إغذاذا
(إسراعاً)

فَإِنْ سَلِمْتُ، وَمَا قَلْبِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ السَّلَامَةِ، لَمْ أَسْلَمْ بِبَعْدَاذَا
مَا أَبْعَدَ النَّسْكَ مِنْ قَلْبٍ تَقَسَّمُهُ قُطْرُبُلٌ فَقَرَى بِنَا، فَكَلَّوَادَى
هذه المواضع العامة بالملاهي وبيوت الخمر تنقسم قلبي فيما بينها فلا يبقى فيه مكان للنسك
قومٌ تَوَاصَوْا بِتَرْكِ الْبِرِّ بَيْنَهُمْ، تَقُولُ ذَا شَرُّهُمْ، بَلْ ذَاكَ، بَلْ هَذَا
تواسوا (أوصى أحدهم الآخر) بترك البر (الخير)، وتحار أبهم شر من أخيه

٥٣ ينابيع الخمر

وَقَائِلٌ هَلْ تَرِيدُ الْحَجَّ؟ قُلْتُ لَهُ: نَعَمْ، إِذَا فَنَيْتَ لَذَاتُ بَغْدَادِ
أَمَّا وَقُطْرُبُلٌ مِنْهَا بَحِيثٌ أَرَى فَقُبَّةُ الْفِرْكَ مِنْ أَكْنَافِ كَلَّوَادِ
أماكن يكثر فيها بيع الخمر وتعاطيها، وتعاطي ما يصحبها من أمور اللهو

فَالصَّالِحِيَّةُ، فَالكَرْخُ الَّتِي جَمَعْتُ شُدَّادَ بَغْدَادَ، مَا هُمْ لِي بِشُدَّادٍ
الشذاذ هنا من شد عن قيم المجتمع

فَكَيْفَ بِالْحَجِّ لِي مَا دَمْتُ مُنْعَمِيساً فِي بَيْتِ قَوَادَةِ أَوْ بَيْتِ نَبَّازٍ؟
نباذ: صانع نبيذ

وَهَبْكَ مِنْ قَصْفِ بَغْدَادِ تُخَلِّصُنِي، كَيْفَ التَّخَلُّصُ لِي مِنْ طَيْرِزَنَابَازٍ؟
القصف: الجلبة في اللهو (يقول اللسان إن الكلمة ربما كانت مولدة)

٥٤ يا كبير الذنب

يَا نُوَاسِيَّ تَوَقَّرْ وَتَجَمَّلْ، وَتَصَبَّرْ
سَاءَكَ الدَّفْعُ بِشَيْءٍ، وَبِمَا سَرَّكَ أَكْثَرُ
يَا كَبِيرَ الذَّنْبِ، عَفُوْا لهُ مِنْ ذَنْبِكَ أَكْبَرُ
لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ، إِلَّا مَا قَضَى اللَّهُ وَقَدَّرُ

٥٥ التجاسر

لَقَدْ كُنْتُ، وَمَا فِي النَّاسِ مِنْهُ لِيْلَهُوْىَ أَشْتَرُ
كنت وليس أحد يستر الهوى مثلي
فَلَمَّا أَظْهَرُوا أَمْرِي، وَقَدْ مَأْكَانَ لَا يَظْهَرُ
قَدْماً: قبل ذلك

وَأَغْرُوا بِي تَأْنِيْباً مِنَ الْمُقْبِلِ وَالْمُذْبِرِ
تَجَاسَرْتُ، فَأَقْدَمْتُ عَلَى كَشْفِ الْهَوَى الْمُضْمَرِ

٥٦ النغمة الحبيسة

إِذَا أَنْتَ لَمْ يَدْعُ الْهَوَى فَتَجِيْبُهُ، وَلَمْ تَأْتِهِ طَوْعاً خَرَجْتَ بِلَا وَطَرٍ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَلْبِ نِدَاءَ الْحُبِّ، وَلَمْ تَسْتَجِبْ لَهُ بِمَلءِ إِرَادَتِكَ كَانَتْ حَيَاتُكَ بِلَا هَدَفٍ (التفسير
للمحقق القهوجي)

وَحَلَفْتُكَ الْإِيْقَاعُ تَطَرَّبُ سَادِراً، وَصِرْتُ كَنْعَمٍ تَاهُ فِي الْحَلْقِ لَمْ يَدُرْ
سادراً: هائماً

وما فوقَ ظَهْرِ الأرضِ أَنْعَمَ عَيْشَةً، وَأَعْرَضُ دُنْيَا مِنْ مُحِبٍّ إِذَا اقْتَدَرَ
فَإِنْ قَلَّتْ فِي الْحَبِّ الشَّقَاوَةُ وَالْبَلَاءُ، وَفِيهِ مُقَاسَاةُ الْمَكَارِهِ وَالْغَيْرِ
الغیر: المصائب

فَفِيهِ مُوَاتَاةُ الْحَبِيبِ، وَعَظْفُهُ، عَلَيْكَ، وَفِيهِ الشَّمُّ وَالذَّوْقُ وَالنَّظَرُ

٥٧ عندما نصبح عبرة

أَيَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ ذَوِي الْبَأْسِ وَالْخَطَرِ
سَائِلُوا عَنْهُمْ الْمَدَا ئِنْ وَاسْتَبْجِثُوا الْخَبَرَ
سَبَقُونَا إِلَى الرَّحِيحِ لِي، وَإِنَّمَا عَلَى الْأَثَرِ
مَنْ مَضَى عِبْرَةً لَنَا، وَغَدَاً نَحْنُ مُفْتَبَّرُ
إِنَّ لِلْمَوْتِ أَخْذَةً، تَسِيقُ اللَّمَحَ بِالْبَصَرِ
رَحِمَ اللَّهُ مُسْلِمًا ذَكَرَ اللَّهَ، فَازْدَجَرَ

٥٨ نار الشمس

دَغْ لِبَاكِهَا الدِّيَارَا، وَأَنْفٍ بِالْخَمْرِ الْخُمَارَا
اشرب خمرًا لتفي الخمار (صداع الخمر)
بَنَتْ عَشْرَ لَمْ تُعَايِنُ غَيْرَ نَارِ الشَّمْسِ نَارَا
خمر عتقت عشر سنين، وغير مطبوخة إلا ما كان من حرارة الشمس على كرمها

٥٩ الجريء المفتري

أَيَا مَنْ بِحُبِّي عَلَيَّ اجْتَرَا، وَمَنْ بِلِسَانِي عَلَيَّ افْتَرَى
وَمَنْ بِيَدِي غَلَنِي لِبَلْهَوَى، فَأَصْبَحْتُ لِلْحُبِّ مُسْتَأْسَرَا
غلني: قيدني، وإنما قيدت نفسي بيدي، مستأسر: أسير

٦٠ ليل طويل ونهار طويل

مَلَكَتْ قَلْبِي فَأَغْرَيْتِ الْهَمُومَ بِهِ، وَقَلَّتْ: لَا تَعْدَمِ الْأَحْزَانَ وَالْفِكَرَا
لا تعدم: تدعو عليه بأن يلازم الحزن وطول التفكير

أرى نهاراً وليلاً قالَ رُبُّهُمَا: طُولا! فقد أَتَيَا مِنْ ذَاكَ مَا أَمَرَا

٦١ المركب الوعر

أَعِزَّ شِعْرَكَ الْأَطْلَالَ وَالْدَّمَنَ الْقَفْرَا فقد طالَمَا أُرْزَى بِهِ نَعْتُكَ الْخُمْرَا
الدمن القفر: بقايا البيوت الخربة

دَعَانِي إِلَى نَعْتِ الطُّلُولِ مُسَلِّطٌ، تَضَيِّقُ ذِرَاعِي أَنْ أَجُوزَ لَهُ أَمْرَا
فَسَمِعَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَطَاعَةً، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ جَشَّمْتَنِي مَرْكَبًا وَغَرَا

٦٢ في ضيافة السموأل

وَفُثْيَانِ صِدْقٍ قَدْ صَرَفْتُ مَطْبَهُمْ إِلَى بَيْتِ خَمَارٍ نَزَلْنَا بِهِ ظَهْرَا
صرفت مطبهم (وجهت مطاياهم)

فَلَمَّا حَكَى الزُّنَارُ أَنْ لَيْسَ مُسْلِمًا، ظَنَنَّا بِهِ خَيْرًا، فَظَنَّ بِنَا شَرًّا
كانوا يلزمون غير المسلم بزنا على خصمه

فَقُلْنَا: عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمَ؟ فَأَعْرَضَ مُزَوَّرًا، وَقَالَ لَنَا هُجْرَا
الهجر: الكلام غير اللائق

وَلَكِنْ يَهُودِيٌّ، يُحِبُّكَ ظَاهِرًا، وَيُضْمِرُ فِي الْمَكْنُونِ مِنْهُ لَكَ الْغَدْرَا
فَقُلْتُ لَهُ: مَا الْأِسْمُ؟ قَالَ: سَمَوَّالٌ، وَلَكِنِّي أَكْنَى بِعَمْرٍو، وَلَا عَمْرَا
كنيته أبو عمرو وليس له ولد بهذا الاسم

وَمَا شَرَّفْتَنِي كُنْبَةً عَرَبِيَّةً، وَلَا أَكْسَبْتَنِي لَا سَنَاءَ وَلَا فَخْرَا
سناء: علواً

وَلَكِنَّهَا خَفْتُ، وَقَلْتُ حُرُوفُهَا، وَلَيْسَتْ كَأُخْرَى إِنَّمَا خُلِقَتْ وَقُرَا
أبو عمرو خفيفة على اللسان، وليست كالسموأل التي هي وقر (ثقل في السمع)

فَقُلْتُ لَهُ عُجْبًا بِظَرْفِ لِسَانِهِ أَجَدْتُ، أَبَا عَمْرٍو، فَجَوَّدَ لَنَا الْخُمْرَا
فَأَذْبَرَ كَالْمُزَوَّرِ، يَقْسِمُ طَرَفَهُ لَأَرْجُلِنَا شَطْرًا، وَأَوْجِهَنَا شَطْرَا
أدبر: استدار، المزور: المنحرف متحاشياً لنا

وقال: لَعَمْرِي لَوْ أَحْطَظْتُ بِأَمْرِنَا لَلْمَنَّاكُمْ، لَكِنْ سَتُوسِعُكُمْ عُذْرًا
والله لو عرفتم ما عندنا من الخمر الجيدة للمناكم على استهانتكم بنا، ولكن لكم العذر لأنكم لم
تذوقوا خمرنا بعد

فجاءَ بِهَا زَيْنَبَةُ، دَهَبِيَّةٌ، فَلَمْ نَسْتَطِعْ دُونَ السُّجُودِ لَهَا صَبْرًا
خَرَجْنَا، عَلَى أَنَّ الْمَقَامَ ثَلَاثَةٌ، فَطَابَ لَنَا حَتَّى أَقْمَنَّا بِهَا شَهْرًا
عِصَابَةٌ سَوَاءٌ لَا تَرَى، الدَّهْرَ، مِثْلَهُمْ، وَإِنْ كُنْتُ مِنْهُمْ لَا بَرِيئًا، وَلَا صِفْرًا
سوء: فساد، ليس مثلنا في طول الزمن، ولست بَرِيئًا من صفاتنا ولا خاليًا منها، ففي كل إنسان ما
فينا من الإقبال على الشهوات

إِذَا مَا دَنَا وَقْتُ الصَّلَاةِ رَأَيْتَهُمْ يَحُثُّونَهَا، حَتَّى تَفُوتَهُمْ سُكْرًا
يحثون الخمر: يعجلون بكرةها

٦٣ فيم حبستني؟

كتب للخليفة محمد الأمين من حبسه:

تَذَكَّرْ، أَمِينَ اللَّهِ، وَالْعَهْدُ يُذَكَّرُ مَقَامِي، وَإِنْ شَادِيكَ، وَالنَّاسُ حُصَّرَ
حُصَّرَ: عاجزون عن الكلام

مَضَتْ لِي شُهُورٌ، مُذْ حُبِسْتُ، ثَلَاثَةٌ كَأَنِّي قَدْ أَذْنَبْتُ مَا لَيْسَ يُغْفَرُ
فَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَذْنَبْ، فَفِيمَ حَبَسْتَنِي؟ وَإِنْ كُنْتُ ذَا ذَنْبٍ فَعَفْوُكَ أَكْبَرُ

٦٤ كلاكما بحر

يمدح الخصب والي مصر:

أَنْتَ الْخَصِيبُ، وَهَذِهِ مِصْرُ فَتَدَقُّقًا فِكْلَاكُمَا بَحْرُ
لَا تَقْعُدَا بِي عَنْ مَدَى أَمْلِي شَيْئًا، فَمَا لَكُمَا بِهِ عُذْرُ
يخاطب الخصب ومصر: لا تقعدا بي (تقصرا)، عن إبلاغي مأمولي، فلا عذر لكما
وَيَحِقُّ لِي، إِذْ صِرْتُ بَيْنَكُمَا، أَلَّا يَحِلَّ بِسَاحَتِي فَقْرُ

٦٥ قل لي هي الخمر

أَلَا فَاسَقْنِي خَمْرًا، وَقُلْ لِي: هِيَ الْخَمْرُ وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَمَكَّنَ الْجَهْرُ

وَلَا تَسْقِيَنَّ مِنْهَا الْمُرَائِيْنَ قَطْرَةً لِأَنَّ رِيَاءَ النَّاسِ عِنْدِي هُوَ الْهُجْرُ
الهجر: الكلام البذيء

فَعَيْشُ الْفَتَى فِي سَكْرَةٍ بَعْدَ سَكْرَةٍ، فَإِنْ طَالَ هَذَا عِنْدَهُ قَصُرَ الدَّهْرُ
وَمَا الْغَبْنُ إِلَّا أَنْ تَرَانِي صَاحِبِيًّا، وَمَا الْغُنْمُ إِلَّا أَنْ يُتَغَتَّعَنِي السُّكْرُ
الغبن: الخسران، يتعتني السكر: يفكفك مفاصلي

فَبُحْ بِاسْمِ مَنْ أَهْوَى وَدَعْنِي مِنَ الْكُنَى فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ
وَلَا خَيْرَ فِي فَتْكِ بِدُونِ مَجَانَةٍ، وَلَا فِي مُجُونٍ لَيْسَ يَتَّبَعُهُ كُفْرُ
الفتك: الهجوم على الملذات المحرمة، المجانة والمجون: المجاهرة بالخروج على الخط المرسوم
بِكُلِّ أَخِي فَتْكِ كَأَنَّ جَبِينَهُ هَلَالٌ، وَقَدْ حَفَّتْ بِهِ الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
أخو الفتك: صاحب الفتك الجريء على الملذات المحرمة، الزهر: المضئ

وَحَمَارَةٌ نَبَّهْتُهَا بَعْدَ هَجْعَةٍ وَقَدْ غَابَتِ الْجَوَازِءُ، وَارْتَفَعَ النَّسْرُ
هجة: رقدة

فَقَالَتْ: مَنِ الطَّرَاقُ؟ قُلْنَا عِصَابَةٌ خِفَافُ الْأَدَاوَى، تُبْتَغَى لَهُمْ خَمْرُ
الطراق: زوار الليل، عصابة: جماعة، خفاف الأدوى: فارغو أوعية الخمر. فهم يريدون ملاها
وَلَا بَدَأَ أَنْ يَزْنُوا، فَقَالَتْ: أَوِ الْفِدَا بِأَبْلَجٍ كَالدِّينَارِ فِي طَرْفِهِ فَتْرُ؟
قالت نفتدي النساء بشاب أبلج: وضيء الوجه كالدينار الذهبي، وفي عينيه فتور ودلال

فَقُلْنَا لَهَا هَاتِيهِ، مَا إِنَّ لِمِثْلِنَا، فَدَيْنَاكَ بِالْأَهْلِينَ، عَنْ مِثْلِ ذَا، صَبْرُ
فَجَاءَتْ بِهِ كَالْغَصَنِ يَهْتَرُّ رِدْفُهُ، تَخَالُ بِهِ سِحْرًا، وَلَيْسَ بِهِ سِحْرُ
لَهُ شَبَهٌ بِالْبِدْرِ لَيْلَةً تَمُّهُ، مُهْفَهْفٌ أَعْلَى الْكَشْحِ، فِي ثَغْرِهِ أَشْرُ
الأشْر: تحزير في الأسنان يكون عند الصغار

فَقَمْنَا إِلَيْهِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، فَكَانَ بِهِ، مِنْ صَوْمِ غُرْبَتِنَا، الْفِطْرُ
فَيْنَا يَرَانَا اللَّهُ شَرَّ عِصَابَةٍ، نُجَرَّرُ أَذْيَالَ الْفُسُوقِ، وَلَا فَخْرُ

٦٦ فلك نجومه الطاسات

إِذَا الطَّاسَاتُ كُرَّ بِهَا عَلَيْنَا، تَكُونُ بَيْنَنَا فَلَكٌ يَدُورُ
إذا دارت الكؤوس على الشاربين، كانت كأنها النجوم تدور في فلكها (جوها)

تَسِيرُ نَجْوْمُهُ عَجَلًا وَرَيْثًا، مُشْرِقَةً، وَتَارَاتِ تَغُورُ

٦٧ لا للعتاب

قَدْ مَلِلْنَا الْعِتَابَ وَهُوَ كَثِيرٌ فاقصدي قصدا ما عليه ندور
واجعلي للعتاب يوماً سوى ذا، وانهضي، لا لوجهك التصغير
واجعلي للفراش منك نصيباً، فهو مما به يتم السرور
فاستقلت على الفراش ببرز: حلل حشوهن طيب ونور
استقلت: صعدت، البرز: الثياب

فَنَسِينَا عِتَابَنَا وَتَوَاهَبْ نَا إِسَاءَاتِنَا، وَصَحَّ الضمير
تواهبا إساءاتنا: وهب كل إساءته للآخر فتم التراضي
ما ذكرنا من كل ما كان شيئاً بعد أن دُمِيَ الغزال الغريز

٦٨ مفضوح

كُلُّ مُحِبٍّ سِوَايَ مُسْتَوْرٍ، والناس، إلا عن قصتي، عور
كَأَنَّ طَرْفِي عَيْنٌ عَلَيَّ لَهُمْ، فكل طي، لذي، منشور
كَأَنَّ عَيْنِي عَيْنَ (جاسوس) لَهُمْ يَخْبِرُهُمْ بِمَا فِي قَلْبِي
مَا إِنْ يَغُوبُ الْفَعَالُ أَفْعَلُهُ، حتى تهاده (تداوله) البيوت
يَخْرُجُ مِنْ هَذِهِ، وَيَدْخُلُ فِي تلك، وعنه القناع محسور
فَمَا احْتِبَالِي! وَقَدْ خُلِقْتُ فَتَى تجري بما ساءني المقادير

٦٩ حوار مع إبليس

وقال أبو نواس وهي مما لم تتضمنه نسخة القهوجي (وهي عن الصولي):

لَمَّا جَفَانِي الْحَبِيبُ وَامْتَنَعْتُ عني الرسالات منه والخبر
إِسْتَدَّ شَوْقِي فَكَادَ يَقْتُلْنِي ذكر حبيبي، والهَمُّ، والفكر
دَعَاؤُ إِبْلِيسَ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ، في خلوة والدموع تنهمر:
أَمَا تَرَى كَيْفَ قَدْ بُلِيتُ، وَقَدْ أقرح جفني البكاء والسهر
أقرح: جرح

إِنْ أَنْتَ لَمْ تُلْقِ لِي الْمَوَدَّةَ فِي صَدْرِ حَبِيبِي، وَأَنْتَ مُقْتَدِرٌ،
لَا قَلْتُ شِعْراً، وَلَا سَمِعْتُ غِنَاءً، وَلَا جَرَى فِي مَفَاصِلِي السَّكْرِ
السكر: الخمر

وَلَا أَزَالُ الْقُرْآنَ أَدْرُسُهُ أَرُوحُ فِي دَرِسِهِ وَأَبْتَكِرُ
وَأَلْزُمُ الصُّومَ وَالصَّلَاةَ، وَلَا أَزَالُ، دَهْرِي، بِالْخَيْرِ آتِمُرُ
فَمَا مَضَتْ بَعْدَ ذَلِكَ ثَالِثَةٌ حَتَّى أَتَانِي الْحَبِيبُ يَعْتَذِرُ

٧٠ أبو نواس في مصر

أَجَارَةَ بَيْتِنَا أَبُوكَ غَيُورٌ وَمَيْسُورٌ مَا يُرْجَى لَدَيْكَ عَسِيرُ
أجارة بيتنا: يا جارتنا في السكن، وفي النسب

وَإِنِّي لَطَرْفُ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ زَاجِرٌ، فَقَدْ كَدْتُ لَا يَخْفَى عَلَيَّ ضَمِيرُ
أنا زاجر (ممارس للفراشة) أنظر لعيون الناس بعيني فأعرف مكنون ضمائرهم

تَقُولُ الَّتِي عَنْ بَيْتِهَا خَفَّ مَرْكَبِي: عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نَرَاكَ تَسِيرُ،
تقول التي رحلت عنها: يصعب أن نراك تغادرنا

أَمَّا دُونَ مِضْرٍ لِلْغِنَى مُتَطَلَّبٌ؟ بَلَى، إِنَّ أَسْبَابَ الْغِنَى لَكَثِيرُ
فَقُلْتُ لَهَا، وَاسْتَعْجَلْتُهَا بِوَادِرٍ، جَرْتُ، فَجَرَى فِي جَرْيِهِنَّ عَبِيرُ:
بوادر: دموع

ذَرِينِي أَكْثُرُ حَاسِدِيكَ بِرَحْلَةٍ، إِلَى بَلَدٍ فِيهِ الْخَصِيبُ أَمِيرُ
فَتَى يَشْتَرِي حَسَنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ نَدُورُ
فَمَا جَاذَهُ جُودٌ، وَلَا حَلَّ دُونَهُ، وَلَكِنْ بِصِيرُ الْجُودِ حَيْثُ يَصِيرُ
الكرم لا يتجاوزه ولا يقصر عنه، بل هو الكرم مجسداً

سَمَوْتَ لِأَهْلِ الْجَوْرِ فِي حَالِ أَمْنِهِمْ، فَأَضْحَوْا وَكُلُّ فِي الْوِثَاقِ أَسِيرُ
سموت: نهضت

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى جَاهِلاً بِمَقَالَتِي، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَبِيرُ
وَمَا زِلْتُ تُؤَلِّيه النَّصِيحَةَ يَافِعاً إِلَى أَنْ بَدَأَ فِي الْعَارِضِينَ قَتِيرُ
ظلت تنصح أمير المؤمنين منذ أن كنت شاباً حتى بدا في عارضيك (جاني رأسك) القتير (الشيب)

إِذَا غَالَهُ أَمْرٌ، فِيمَا كَفَيْتَهُ، وَإِمَا عَلَيْهِ بِالْكِفَاءِ تُشِيرُ

غاله الأمر: فاجأه

إِلَيْكَ رَمَتْ بِالْقَوْمِ هُوجٌ كَأَنَّمَا جَاجَتْهَا، تَحْتَ الرُّجَالِ، قُبُورٌ

رمتك بنا هوج (نياق مسرعات)، جآجتها (صدورها) تحت راكبيها مثل القبور

زَهَا بِالْخَصِيبِ السِّيفِ وَالرَّمْعِ فِي الْوُغَى وَفِي السَّلْمِ يَزْهُو مِنْبَرٌ وَسَرِيرٌ

وَإِنِّي جَدِيرٌ، إِذْ بَلَّغْتُكَ، بِالْمَنَى، وَأَنْتَ، بِمَا أَمَلْتُ مِنْكَ، جَدِيرٌ

فَإِنْ تُؤَلِّنِي مِنْكَ الْجَمِيلَ فَأَهْلُهُ، وَإِلَّا فَلِنَسِي عَاذِرٌ وَشَكُورٌ

إِنْ أَوْلَيْتِي (أَعْطَيْتِي) الْجَمِيلَ (المعروف) فَأَنَا أَهْلُهُ (مستحق له)، وَإِنْ لَمْ يَحْدِثْ ذَلِكَ عَذْرَتُكَ
وَكُنْتُ لَكَ شَاكِرًا

٧١ أَعْطِنِي كَيْلًا يَشْمَتُوا بِي

قال يمدح العباس بن عبد الله الهاشمي:

إِلَيْكَ عَدْتُ بِي حَاجَةً لَمْ أَتُخَّ بِهَا، أَخَافُ عَلَيْهَا شَامِتًا، فَأُدَارِي

فَأُرْخِ عَلَيْهَا سِتْرَ مَعْرُوفِكَ الَّذِي سَتَرْتُ بِهِ، قَدَمًا، عَلَيَّ عَوَارِي

عواري: عيبي

٧٢ أَبُو نَوَاسٍ يَقْرَأُ ضَمِيرَ جَنَانٍ

يَا ذَا الَّذِي عَنْ جَنَانٍ ظَلَّ يَخْبِرُنِي، بِاللَّهِ قُلْ وَأَعِذْ، يَا طَيِّبَ الْخَبْرِ

قَالَ اسْتَكْنَكَ، وَقَالَتْ: مَا بُلِّيتُ بِهِ؟ أَرَاهُ مِنْ حَيْثُمَا أَقْبَلْتُ فِي أَثَرِي

ما هذا الذي ابتليت به؟ أراه في كل مكان يلاحقني

وَيُعْمِلُ الطَّرْفَ نَحْوِي إِنْ مَرَرْتُ بِهِ حَتَّى لِيُخَجِّلَنِي مِنْ حِدَّةِ النَّظَرِ

وَإِنْ وَقَفْتُ لَهُ كَيْمًا يُكَلِّمَنِي فِي الْمَوْضِعِ الْخُلُوِّ لَمْ يَنْطِقْ مِنَ الْحَصْرِ

الحصر: انحباس الكلام

مَا زَالَ يَفْعَلُ بِي هَذَا، وَيَدْمِنُهُ حَتَّى لَقَدْ صَارَ مِنْ هَمِّي وَمِنْ وَطْرِي

٧٣ التَّعَالِي

وَمُسْتَنْفِيدِ إِخْوَانِهِ بِشَرَائِهِ لَبِسْتُ لَهُ كِبْرًا أَتَرُّ عَلَى الْكِبَرِ

تكبرت عليه تكبراً أبر (زاد) على التكبر نفسه

إِذَا ضَمَّنِي يَوْمًا وَإِيَّاهُ مَحْفِلٌ رَأَى جَانِبِي وَعَرًّا يَزِيدُ عَلَى الْوَعْرِ
أَخَالَفُهُ فِي شَكْلِهِ، وَأَجَرُهُ عَلَى الْمَنْطِقِ الْمَنْزُورِ، وَالنَّظَرِ الشَّرِّ

أخالفه في شكله (في طبيعته)، وأجره

(أقطع لسانه/ وكانوا يُجرون لسان صغير الأبل حتى لا يرضع)

وأجره على المنطق المنزور (الكلام القليل) والنظر الشر (النظر من جانب العين)

وَقَدْ زَادَنِي تِبْهًا عَلَى النَّاسِ أَنَّنِي أَرَانِي أَغْنَاهُمْ، وَإِنْ كُنْتُ ذَا فَقْرٍ
فَوَاللَّهِ لَا يُبْدِي لِسَانِي حَاجَةً إِلَى أَحَدٍ حَتَّى أُغَيَّبَ فِي قَبْرِ
فَلَا تَطْمَعَنَّ فِي ذَاكَ مَنِّي سَوْقَةً، وَلَا مَلِكُ الدُّنْيَا الْمَحْجَبُ فِي الْقَصْرِ

المحجب: الذي اتخذ حاجباً

فَلَوْ لَمْ أَرِثْ فَخْرًا لَكَانَتْ صِبَانِي فَمِنْ عَنِ سَوَالِ النَّاسِ حَسْبِي مِنَ الْفَخْرِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ لَدِي مَالٌ مَوْرُوثٌ أَفْخَرُ بِهِ فَإِنِّي أَفْخَرُ بِأَنِّي أَصُونُ نَفْسِي عَنِ سَوَالِ النَّاسِ

٧٤ ما مشاك في أثري؟

لَا شَيْءَ أَحْسَنَ مِنِّي قَالٌ مُلْتَفِتًا وَقَدْ تَغَضَّبَ: مَا مَشَاكَ فِي أَثْرِي؟
كَأَنَّمَا كَلَّمْتَنِي الشَّمْسُ ضَاحِيَةً، إِذْ قَالَ مَا قَالَ لِي، أَوْ شِقَّةُ الْقَمَرِ

ضاحية: بارزة

ظَبِيٌّ لَهُ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ نَابِتَةٌ مِنَ الْمَوَدَّةِ تُجْنِي أَطِيبَ الثَّمَرِ
نَابِتَةٌ: غرسة، تُجْنِي: تؤتي

إِذَا بَدَأَ رَمَتْ الْأَبْصَارُ جَانِبَهُ مَعًا، فَلَمْ تَخْتَلَفْ عَيْنَانِ فِي النَّظَرِ

٧٥ أنت دون أن تهجي

بِمَا أَهْجَوْتُ؟ لَا أَدْرِي! لِسَانِي فِيكَ لَا يَجْرِي
إِذَا فَكَّرْتُ فِي عَرَضٍ لَكَ أَشْفَقْتُ عَلَى شِعْرِي

٧٦ في وصف طنجرة

رَأَيْتُ قُدُورَ النَّاسِ سُودًا مِنَ الصَّلَى، وَقَدَرَ الرُّقَاشِيَيْنَ زَهْرَاءَ كَالْبَدْرِ

الصلى: اللهب، زهراء: بيضاء

تَبَيَّنَ فِي مِخْرَاشِهَا أَنَّ عُدَّةَ سَلِيمٍ، صَحِيحٌ، لَمْ يُصِبهُ أَذَى الْجَمْرِ

المخراش: أداة تقليب الجمر

يُبَيِّنُهَا لِلْمُعْتَفِي بِفَنَائِهِمْ ثَلَاثٌ كَنَقَطِ الثَّاءِ مِنْ نَقَطِ الْجِبْرِ

يبرز القدر للمعتفي (للقير) ثلاثة حجارة صغيرة كأنها نقط حرف الثاء، وهي الأثافي التي توضع فوقها هذه القدر المتناهية الصغر

وَلَوْ جِئْتَهَا مَلَأَى عَبِيطًا مَجْرَلًا، لَأَخْرَجْتَ مَا فِيهَا عَلَى طَرَفِ الظُّفْرِ

العبيط المجزل: اللحم المقطع

إِذَا مَا تَنَادَوْا لِلرَّحِيلِ سَعَى بِهَا، أَمَامَهُمُ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّرِّ

الحولي: الذي مضى عليه عام، من ولد الذر: النمل. [والحولي من البهائم هو صغارها، وأما النمل فالحولي منها كبير العمر، ولعل أبا نواس قصد «صغار النمل» قياساً على الإبل]

٧٧ الحاطب على ظهر نفسه

حَسْبِي جَوَىٰ إِنْ ضَاقَ بِي أَمْرِي ذِكْرِي لِرَحْمَةٍ وَهْيَ لَا تَدْرِي

و«رحمة» في أشعار أخرى فتى كان النواصي يتغزل به، لكن «رحمة» هنا علم على جارية يبدو أنها كانت مملوكة لرجل يخرج قيانه للناس بثمن. يقول: يضيق صدري فأذكر رحمة هذه، وفي هذا ما يكفي من الجوى والحزن

وَأَخَافُ أَنْ أَبْدِي مَوَدَّتَهَا، فَيَعَارُ مَوْلَاهَا وَيَسْتَشْرِي

يستري: يغضب

وَأَكُونُ قَدْ سَبَّبْتُ فَرْقَنًا، وَحَطَبْتُ مَجْتَهِدًا عَلَى ظَهْرِي

وَيَلُومُنِي فِي حُبِّهَا نَفَرٌ خَالُونَ مِنْ شَجْوِي وَمِنْ ضُرِّي

شجوي: حزني، ضري: معاناتي

لَمْ يَعْرِفُوا حَقَّ الْهَوَىٰ، فَلَحَّوْا، لَوْ جَرَّبُوهُ تَبَيَّنُوا عُذْرِي

لحوا: لاموا

إِنِّي لَأُبْغِضُ كُلَّ مُصْطَبِرٍ عَنْ إِلْفِهِ فِي الْوَصْلِ وَالْهَجْرِ

الْمُصْبِرُ يَحْسُنُ فِي مَوَاضِعِهِ، مَا لِيْلَفْتِي الْمَشْتَاقِ وَالصَّبْرِ؟

٧٨ الله لا الجسد

يَا سَائِلَ اللَّهِ فَزَتْ بِالظُّفْرِ وَبِالنَّوَالِ الْهَنِيِّ لَا الْكَبِيرِ

وَارْعَبْ إِلَى اللَّهِ، لَا إِلَى جَسَدٍ مُنْتَقِلٍ مِنْ صَبَأٍ إِلَى كِبَرٍ
 إِنَّ الَّذِي لَا يَخِيبُ سَائِلُهُ جَوْهَرُهُ غَيْرُ جَوْهَرِ الْبَشَرِ
 مَا لَكَ بِالتُّرَّهَاتِ مُشْتَغَلًا، أَفِي يَدَيْكَ الْأَمَانُ مِنْ سَقَرٍ؟

٧٩ حديث خرافة

مما نسبته ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» إلى أبي نواس قائلاً: «ومما كفر به أو قارب»، البيتان:

تَعَلَّلُ بِالْمَنَى إِذْ أَنْتَ حَيٌّ وَبَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ لَبَنِ وَخَمْرِ
 حَيَاةً ثُمَّ مَوْتٌ ثُمَّ بَعَثٌ حَدِيثُ خُرَافَةٍ يَا أُمَّ عَمْرٍو

٨٠ السجن قبرا

قال أبو نواس يمدح الفضل بن الربيع (وقد شفع فيه فأطلقه من السجن):
 إِنِّي أَتَيْتُكُمْ مِنَ الْقَبْرِ وَالنَّاسُ مُحْتَبِسُونَ لِلْحَشْرِ
 لَوْلَا أَبُو الْعَبَّاسِ مَا نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَى وَلَدٍ، وَلَا وَفْرِ
 لَوْلَا أَنَّهُ أَطْلَقَنِي لَمَا رَأَيْتُ أَوْلَادِي وَلَا تَمَتَّعْتُ بِوَفْرِي (مالي)

٨١ يتقي كما يشاء من قلوبنا

إِنِّي صَرَفْتُ الْهَوَى إِلَى قَمَرٍ لَمْ تَبْتَذِلْهُ الْعُيُونُ بِالنَّظَرِ
 مَبَاحَةً سَاحَةً الْقُلُوبِ لَهُ، يَأْخُذُ مِنْهَا أَطَايِبَ الثَّمَرِ

٨٢ الزائدة الدودية

قُلْ لِمَنْ يَدَّعِي سُلَيْمًا سَفَاهَا لَسْتُ مِنْهَا، وَلَا قُلَامَةً ظُفْرِ
 إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ سُلَيْمٍ كَوَاوٍ أُلْحِقْتُ فِي الْهَجَاءِ ظُلْمًا بِعَمْرٍو
 أنت بالنسبة لقبيلة سليم كالواو التي ألحقت في الهجاء (الإملاء) باسم «عمرو»،
 فهي واو زائدة لا تنطق

٨٣ التراضي الصامت

أَزُورُ مُحَمَّدًا، فَإِذَا التَّقِينَا تَكَلَّمَتِ الضَّمَاثُ فِي الصَّدُورِ

فَارْجِعْ لِمَ أَلَمْتُ، وَلَمْ يَلْمَنِي، وَقَدْ رَضِيَ الضَّمِيرُ عَنِ الضَّمِيرِ
أَمُورٌ لَيْسَ يَعْرِفُهَا سِوَانَا، يُحَيِّرُ لَطْفُهَا بَصَرَ الْبَصِيرِ

٨٤ بعد رد العارية

وَعَظَّمْتُكَ وَاعْظَمْتُ الْقَتِيرَ وَنَهَشْتُكَ أَبْهَةً الْكَبِيرِ
القَتِيرُ: الشَّيْبُ، أَبْهَةٌ: وَقَارٌ

وَرَدَدْتَ مَا كُنْتَ اسْتَعَسَرْتُ تَ مِنْ الشَّبَابِ إِلَى الْمُعِيرِ

٨٥ صفات النديم

قَالَ أَبُو نَوَاسٍ وَهُوَ مِمَّا لَمْ يُوْرِدْهُ قَهْوجِي فِي نَسْخَتِهِ الْمَرْفُوعَةِ إِلَى الصَّوْلِيِّ:
حَقُوقُ الْكَأْسِ وَالنَّدَمَانِ خَمْسُ فَأُولَئِهَا التَّزْيِينُ بِالْوَقَارِ
النَّدَمَانُ، بَفَتْحِ النَّونِ الْأُولَى: النَّدِيمُ

وِثَانِيهَا مَسَامِحَةُ النَّدَامَى وَكَمْ حَمَتِ السَّمَاحَةُ مِنْ ذِمَارِ
ذِمَارٌ: حَمَى (مَا يَحْمِيهِ الْمَرْءُ مِنْ عَرَضٍ وَمَالٍ)

وِثَالُثُهَا - وَإِنْ كُنْتَ ابْنَ خَيْرٍ أَلِ - بَيْرِيَّةٌ مُحْتَدًا - تَرَكُ الْفَخَارِ
ثَالِثُ الْحَقُوقِ الْوَاجِبَةِ عَلَى حَاضِرِ مَجْلِسِ الشَّرَابِ أَنْ يَتْرَكَ الْإِفْتَخَارَ حَتَّى لَوْ كَانَ ابْنُ أَفْضَلِ الْبَشَرِ
مُحْتَدًا، أَيْ نَسْبًا

وِرَابِعُهَا فَلِلنَّدَمَانِ حَقٌّ سِوَى حَقِّ الْقِرَابَةِ وَالْجَوَارِ
إِذَا حَدَّثَتْهُ فَأَكْسُ الْحَدِيثِ أَلِ - الَّذِي حَدَّثَتْهُ ثَوْبٌ اخْتِصَارِ
وَانْظُرْ إِلَى مَا فِي هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي يَتَحَدَّثُ عَنِ الْإِخْتِصَارِ مِنْ حِثِّهِ

وَخَامِسُهَا يَدُلُّ بِهِ أَخُوهُ عَلَى كَرَمِ الطَّبِيعَةِ وَالنَّجَارِ
خَامِسُ هَذِهِ الصِّفَاتِ يَدُلُّ بِهِ أَخُوهُ (صَاحِبُهُ) عَلَى كَرَمِ النَّجَارِ (الْأَصْلُ)

كَلَامُ اللَّيْلِ يَنْسَاهُ نَهَارًا فَإِنَّ الذَّنْبَ فِيهِ لِلْعُقَارِ
العُقَارُ: الْخَمْرُ

وَلِلْقِطْعَةِ مِمَّا أَضْيَفَ إِلَى أَبِي نَوَاسٍ فِي رِصْفِ كَلَامِهَا شَيْءٌ مِنْ حِزْلَقَةٍ يَجْلُ عَنْهَا الْحَسَنُ بْنُ
هَانِيٍّ، وَإِنَّمَا أَوْرَدْنَاهَا لِأَنَّ فِيهَا دُسْتُورَ الشَّارِبِينَ

٨٦ العفو عند المقدرة

داوٍ يحيى من خُمَارِهِ بِإِبْنَةِ الدُّنِّ وَقَارِهِ
 بِشَرَابِ خُسْرَوِيٍّ، مَا تَعَنَّنُوا بِاعْتِصَارِهِ
 خسروي: منسوب إلى خسرو (كسرى)، تعنوا: تعبوا. وأجود الخمر يسيل قبل أن يداس بالأرجل
 طَبَحَتْهُ الشَّمْسُ لَمَّا بَخِلَ الْعِلْجُ بِنَارِهِ
 العالج: غير العربي، غير المسلم
 وَتَدِيمِي كُلُّ خِرْقٍ، زَانَهُ عِنْتُ نَجَارِهِ
 خرق: سخي، عنتى نجاره: طيب أصله
 وَعَزَالٍ تَشْرُهُ النَّفْ سُ إِلَى حَلِّ إِزَارِهِ
 بَسَطَتْهُ سَوْرَةُ الرَّا حَ لَنَا بَعْدَ اِزْوَارِهِ
 سورة الراح: هجمة الخمر، ازواراه: نفوره
 فَأَظْفَنَّا بِنَوَاحِيهِ، وَلَمْ نَعْرِضْ لِدَارِهِ

٨٧ لا أذود الطير

يمدح العباس بن عبد الله الهاشمي:

أَيُّهَا الْمُنتَابُ عَنْ عُفْرِهِ لَسْتُ مِنْ لَيْلِي، وَلَا سَمَرِهِ
 أيها المنتاب (الزائر) عن عفوه (بعد ابتعاده زمناً)، لست من أصدقاء ليلي ولا من ندماي الآن.
 وقالها أبو نواس في حبيبة خاتنه، ثم جاءت بعد زمن تزوره فصرفها
 لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ، قَدْ بَلَوْتُ الْمُرَّ مِنْ ثَمَرِهِ
 لن أحذر الآخرين من تلك الخائنة، كما لا يرمى المرء شجرة ذات ثمر مر ولا يذود (يبعد) الطير عنها
 خَابَ مَنْ أَسْرَى إِلَى بَلَدٍ غَيْرِ مَعْلُومِ مَدَى سَفَرِهِ
 محكوم بالفشل على من يبدأ علاقة لا يعرف منتهأها
 فَاْمُضِ لَا تَمُنَّنْ عَلَيَّ يَدَا، مَنُّكَ الْمَعْرُوفَ مِنْ كَدَرِهِ
 فاذهب (يقصد اذهبي) ولا تمنني علي بأيام لهو قضيتها، فالمن (تحميل الجميل) يكدر المعروف
 وَابْنُ عَمٍّ لَا يُكَاشِفُنَا، قَدْ لَبِسْنَاهُ عَلَى غَمَرِهِ
 رب شخص لا يجاهر بعداوته، احتملناه على غمره (رغم رداءته)

كَمَنَّ الشَّنَانُ فِيهِ لَنَا، كُكْمُونِ النَّارِ فِي حَجَرِهِ

الشَّنَانُ (الكراهية) كامنة في صدره لنا، ككمون النار في حجر القدح. فكان الشرر كامن في هذا الحجر البارد، ولكنه يتطاير فور ضرب الحجر بحجر آخر، تشبيه قن القدماء واعترضوا كثيراً على تذكير أبي نواس لكلمة «نار»

وَرُضَابٍ بِتُّ أَرَشُفُهُ، يَنْقَعُ الظَّمَانُ مِنْ خَصْرِهِ

رب رضاب (ريق) بت أترشفه من فم المحبوب، وهو ينقع (يروى) العطشان من خصره (لبرودته)

عَلَّنِيهِ خَوْطُ إِسْحَلَةٍ، لَانَ مَثْنَاهُ لِمُهْتَصِرِهِ

عليه (سقاني إياه) خوط إسحلة (غصن شجرة المساويك «الإسحل»)، الذي لان (كان ليناً) مثناه (جانباها) لمهتصره (لمن يجتذبه)

كَيْفَ لَا يُدْنِيكَ مِنْ أَمَلٍ مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ نَفَرِهِ!

يمدح العباس، وهو من بني هاشم،: كيف لا يقربك من مأمولك هذا الرجل الذي رسول الله من نفره (من قومه)؟

فَاسْأَلْ عَنْ نَوْوٍ تُؤَمِّلُهُ، حَسْبُكَ الْعَبَّاسُ مِنْ مَطَرِهِ

اسل (انس) النوء (المطر) الذي تؤمله (تنتظره)، وكفى بالعباس مطراً

تَتَأَيَّا الطَّيِيرُ غُدُوَّتَهُ، ثِقَّةً بِالشَّبْعِ مِنْ جَزَرِهِ

تتأيا (تقصد) الطيور غدوته (خروجه صباحاً للقتال) لأنها تثق بأن شتبع من جزره (قتلاه في الحرب)

٨٨ عند أطلال الساكرين

وَدَارِ نَدَامَى عَطَلُوهَا، وَأَدْلَجُوهَا، بِهَا أَثَرُ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسُ

رب دار كان فيها ندامى وعطلوها (غادروها) وأدلجوا (انصرفوا ليلاً)، وبها أثر منهم ما زال جديداً، وأثر آخر قديم مهدم

مَسَاحِبُ مِنْ جَرِّ الرِّقَاقِ عَلَى الثَّرَى، وَأَضْفَاثُ رِيحَانٍ جَنِيٍّ وَيَاسَسُ

مساحب: (ماذا تسمي آثار عجلات السيارة على الأسفلت بعد حفلة تفحيص،

تفحيط، تخميس، أحياها شبان فرحون بشبابهم؟) أبو نواس يسمي الآثار التي

يتركها سحب زقاق الخمر على الأرض المتربة «مساحب». وكان زق الخمر - كما

وصفه الأعشى قبل مئة سنة - كبيراً مثل الجوالق ذي المئة كيلوغرام اليوم،

«جوالق الخط الأحمر»، وكانت الخمر تنقل بمثل هذه الأوعية المطلية من الخارج

بالزفت، «القار». وقد تحمل الخمر من فلسطين إلى الشام على ظهور الإبل في

هذه الزقاق كما يخبرنا الأخطل. لنعدل عن هذا السانح ولنعد إلى تفسير البيت:

فأثار القوم كانت مساحب على التراب، وأضفاث (باقات) ريحان جني

(حديث الجني/ القطف) ويابس

ولم أَدْرِ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَا شَهِدَتْ بِهِ ، بِشَرْقِي سَابَاطُ ، الدِّيَارُ الْبَسَاسُ
لم أعرف شيئاً عن الذين كانوا هنا قبلنا سوى ما شهدت عليهم به - شرقي ساباط (مكان قرب
إيوان كسرى) - الديار البساس (المهجورة)

حَبَسْتُ بِهَا صَحْبِي فَجَدَدْتُ عَهْدَهُمْ وَإِنِّي عَلَى أُمَثَالِ تِلْكَ لَحَاسِ
أوقفت صحتي بهذا المكان لكي نجدد عهد أولئك الندامي الذين هجروه

أَقْمْنَا بِهَا يَوْمًا ، وَيَوْمًا ، وَثَالِثًا ، وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرَحُّلِ خَامِسُ
أقمنا أربعة أيام ، وفي الخامس رحلنا
أحسبه أقام مع صحبه ساعتين شربوا فيهما من باطية كانت معهم ثم انصرفوا ، ولكن القافية
(خامس) جعلته يحبس صحبه خمسة أيام

تَدُورُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسْجَدِيَّةٍ ، حَبَّتْهَا بِالْوَانِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ
تدور علينا الخمر في كؤوس عسجدية (مذهبة) ، حبتها حضارة فارس بأنواع من الرسوم والنقوش
قَرَارَتْهَا كِسْرَى ، وَفِي جَنَابَاتِهَا مَهَا تَدْرِيهَا بِالقِسِيِّ الْفَوَارِسُ
ففي الجزء الأسفل من الكؤوس صورة لكسرى ، وفي الجوانب صور للمها (بقر الوحش) تدريها
(تصيدها بالتخفي) الفرسان بالقسي (الأقواس)

فَلِلْخَمْرِ مَا زُرْتُ عَلَيْهِ جِيُوثُهُمْ ، وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ
وفي هذه الكؤوس تصب الخمر حتى الأزوار عند أعناق الفرسان ، ويصب الماء حتى القلانس
(أغطية الرأس). كان الجاحظ - معاصر أبي نواس - شديد الافتان بهذه الأبيات

٨٩ إصلاحه خلقه من جديد

بهجو العباس الخزاعي :

قُلْ لِبَنِي الْأَشْعَثِ لَنْ تُصْلِحُوا ، بِاللُّومِ ، عِنْدِي ، أَمَرَ عَبَاسٍ
حتى تردوهُ إِلَى رَبِّهِ يَطْبَعُهُ خَلْقًا مِنَ الرَّاسِ
اللُّومُ عَبَاسًا عَلَى بُخْلِهِ ، كَأَنَّ عَبَاسًا مِنَ النَّاسِ
وَأَنَّمَا الْعَبَّاسُ فِي قَوْمِهِ ، كَالثُّومِ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْآسِ

٩٠ ذل المفلس

الْحَمْدُ لِلَّهِ ! أَلَمْ تَنْهَنِي تَجْرِبَةُ النَّاسِ عَنِ النَّاسِ ؟
فَأَمْنَعَ النَّفْسَ هَوَاهَا ، فَقَدْ أَذَلَّنِي لِلنَّاسِ إِفْلَاسِي
ألم يحزن الوقت لأمنع نفسي من طيعتها في بذل المال

سَكَتٌ لِلدَّهْرِ وَأَحْدَائِهِ ، حَتَّى خَرَى النَّاسُ عَلَى رَاسِي

٩١ ما شَمَطْتُ يَدِي

وَإِذَا عَدَدْتُ سِنِّي كَمْ هِيَ ، لَمْ أَجِدْ لِلشَّيْبِ عُذْرًا فِي النُّزُولِ بِرَاسِي
قَالُوا شَمِطْتُ ، فَقُلْتُ مَا شَمِطْتُ يَدِي عَنْ أَنْ تَحُكَّ إِلَى فَمِي بِالكَاسِ
شَمَطْتُ : أَصْبَحْتُ أَشْمَطَ يَخْتَلَطُ بِيَاضُ شَعْرِكَ بِسَوَادِهِ

فَالرَّاحُ طَيِّبَةٌ ، وَلَيْسَ تَمَامُهَا إِلَّا بِطَيِّبِ خَلَائِقِ الْجُلَاسِ
فَإِذَا نَزَعْتَ عَنِ الْغَوَايَةِ فَلْيَكُنْ لِّلْهِ ذَاكَ النَّزْعُ لَا لِلنَّاسِ

٩٢ اجلس ، لا جلست !

قال أبو نواس (من كتاب حمزة الأصفهاني ، بتحقيق إيفالد فاغنز) :

قُلْ لِمَنْ يَبْكِي عَلَى رِسْمِ دَرَسٍ وَاقِفًا ، مَا ضَرَّ لَوْ كَانَ جَلَسَ
تَصِيفُ الرَّبْعِ وَمَنْ حَلَّ بِهِ مِثْلَ سَلَمَى وَلُبَيْنَى وَخَنَسَ
أَتْرُكُ الرَّبْعَ وَسَلَمَى جَانِبًا وَاصْطَبَحَ كَرِخِيَّةً مِثْلَ الْقَبَسِ
كَرِخِيَّة : خمر من الكرخ ببغداد

٩٣ الجوعى بخلاً

أَمَاتَ اللَّهُ مِنْ جَوْعٍ رُقَاشًا ، فَلَوْلَا الْجَوْعُ مَا مَاتَتْ رُقَاشُ
يَدْعُو عَلَيْهِم بِالْمَوْتِ جَوْعًا ، فَهَمْ قَوْمٌ لَا يَمُوتُونَ بِحَرْبٍ لَجِبْنَهُمْ
وَلَوْ أَشْمَمْتَ مَوْتَاهُمْ رَغِيْفًا ، وَقَدْ سَكَنُوا الْقُبُورَ ، إِذِنْ لَعَاشُوا
وَمَعَ ذَلِكَ ، لَوْ مَاتُوا ، لَقَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ إِذَا شَمُوا رَغِيْفًا

٩٤ هجاء البرامكة

إِنِّي لَوْلَا شِقَاءُ جَدِّي مَا مَاتَ مُوسَى كَذَا سَرِيعًا
لَوْلَا شِقَاءُ حَظِي لَمَا مَاتَ مُوسَى الْهَادِي (الخليفة العباسي الرابع ، وكانت خلافته سنة وثلاثة
أشهر ، وكان مبعوضاً للبرامكة وسجن يحيى البرمكي زماناً)
وَلَا طَوُّهُ الْيَمَنُ حَتَّى أَرَى بَنِي بَرْمَكٍ جَمِيعًا . .

قَدْ دَسَمَ اللَّهُ مِنْ خُصَاہُمْ بِشَاطِئِي دِجْلَةَ الْجُدُوعَا
 لَيْتَ الْمُنُونِ (الموت) لَمْ يَأْخُذْ مُوسَى إِلَّا وَقَدْ خَصَى الْبِرَامِكَةَ جَمِيعاً وَجَعَلَ خِصَامَهُمْ سِمَاداً لَجُذُوعِ
 النَّخِيلِ عَلَى شَاطِئِي دِجْلَةَ. شَرْحُ قَهْوجِي: صَلِبُهُمْ فِي الْجُذُوعِ وَتَدَلَّتْ خِصَامُهُمْ عَلَى هَذِهِ الْجُذُوعِ
 تَدَسَّمَهَا (تَلَطَّخَهَا)

هَذَا زَمَانُ الْقُرُودِ، فَاخْضَعْ، وَكُنْ، لَهُمْ، سَامِعاً مَطِيعاً

٩٥ المكاس ضراعة

أَعَاذَلْ! مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ لَذَّةٍ، وَلَا قَلْتُ لِلْخَمَارِ كَيْفَ تَبِيعُ؟
 أَسَامَحُهُ، إِنَّ الْمِكَّاسَ ضَرَاعَةٌ، وَيَرْحُلُ عِرْضِي عَنْهُ وَهُوَ جَمِيعُ
 المكاس: الفصال وطلب الحطيطة من الثمن، ضراعة: ذل، جميع: غير مدنس

٩٦ رثاء خَلَفَ وهو حي

قال أبو نواس يرثي أستاذه خلفاً الأحمر، وهو حي. قال له خلف: ارثني، فرثاه
 أبو نواس بهذه الأرجوزة، فاستجادهما خلف. قال له أبو نواس: مُتْ، ولك خير منها.
 قال خلف: كأنك قصرت؟ قال أبو نواس: لا، ولكن أين داعي الحزن؟:

أَوْدَى جِماعُ الْعِلْمِ مُذْ أَوْدَى خَلَفَ
 مَنْ لَا يُعَدُّ الْعِلْمُ إِلَّا مَا عَرَفَ
 قَلَيْدَمٌ مِنَ الْعِيَالِيمِ الْخُسُفِ

قليدَم: بئر، العياليَم: الآبار الصخرية الغزيرة، الخسف: العميقة.
 والقليدَم عند ابن فارس قلهدم لا غير

فَكُلَّمَا نَشَأَ مِنْهُ نَعُتْرِفُ
 رِوَايَةً لَا تُجَنِّئُنِي مِنَ الصُّحُفِ

٩٧ انتظر حتى أشكرك

يُمدح العباس بن عبد الله الهاشمي:

قَدْ قَلْتُ لِلْعَبَّاسِ مَعْتَذِراً، مِنْ ضَعْفِ شُكْرِيهِ، وَمُعْتَرِفاً:
 أَنْتَ امْرُؤٌ جَلَّلْتَنِي نِعَمًا، أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفَا
 لَا تُسَدِّدَنَّ إِلَيَّ عَارِفَةً، حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا

٩٨ الرغيف عند رفاء الثياب

قال أبو نواس يهجو إسماعيل بن نوبخت:

حُبِرَ إسماعيلُ كالوَشِّ إِذَا مَا انشَقَّ يُرْفَا

الوشي: النسيج الفاخر، يرفا: يخط بقطب مخفية

عَجِباً مِنْ أَثَرِ الصَّنْ عَةٍ فِيهِ كَيْفَ يَخْفَى

إِنَّ رَفَاءَكَ هَذَا، أَحَذُّقُ الْأُمَّةِ كَمَّا

فَإِذَا قَابَلَ بِالنُّصْفِ مِنْ الْجَرْدَقِ نَصْفَا

الجرّدق: الرغيف

يُلْصِقُ النِّصْفَ بِنِصْفِ، فَإِذَا قَدْ صَارَ إِلْفَا

إلف: متكافئ متماسك

أَلْطَفَ الصَّنْعَةَ، حَتَّى لَا تَرَى مِغْرَرَ إِشْفَى

إشفى: مخرز

مِثْلَمَا جَاءَ مِنَ التَّنْدِ - وَرَ مَا عَادَرَ حَرْفَا

وَلَهُ فِي الْمَاءِ أَيْضاً عَمَلٌ أَبْدَعُ ظَرْفَا

مَزْجُهُ الْعَذَبَ بِمَاءِ الْ - بئر كني يَزْدَادُ ضِعْفَا

أبو نواس بصري النشأة، ولأهل البصرة مع الماء العذب والماء الملح قصص كثيرة رواها الجاحظ ابن البصرة ومعاصر أبي نواس. أليس في البصرة قد مرج الله البحرين يلتقيان؟

فَهُوَ لَا يَسْقِيكَ مِنْهُ، مِثْلَمَا يَشْرَبُ، صِرْفَا

٩٩ رحي السرور

وَرَحِيمُ الدَّلَالِ كَادَ مِنَ الرَّقْ - لَةِ يُدْمِي أَدِيمَهُ وَقَعُ ظَرْفِ

هذا الصبي رخيّم الدلال (لين الثني)، كاد لرقته يجرح أديمه (جلده) وقع الطرف (النظرة)

حَلَّ مِنْهُ الصَّلِيبُ فِي مَوْضِعِ الْجِيْدِ، فَقَدْ خَصَّهُ عَلَى كُلِّ إِلْفِ

إلف: صديق

فَأَدْرَنَا رَحَى السُّرُورِ ثَلَاثاً، وَوَصَلْنَا الْخُصُورَ كَفّاً بِكَفِّ

كان أبو نواس يغشى الخمارات الملحقة بالأديرة، ويمكث ثمّ أياماً مع عصابة الفساق

١٠٠ الخمر في الرمق الأخير

وَمُدَامَةً تَحْيَا النُّفُوسُ بِهَا، جَلَّتْ مَآثِرُهَا عَنِ الْوَصْفِ
 قَدْ عُنُقْتُ فِي دَنْهَا حَقَبًا، حَتَّى إِذَا آلَتْ إِلَى النُّصْفِ
 سَلَبُوا قِنَاعَ الطِّينِ عَنْ رَمَقٍ حَيِّ الْحَيَاةِ، مُشَارِفِ الْحَتَفِ

١٠١ يا ابن الموتى!

أَخِي، مَا بَالُ قَلْبِكَ لَيْسَ يَنْقَى؟ كَأَنَّكَ لَا تَنْظُرُ الْمَوْتَ حَقًّا
 أَلَا يَا ابْنَ الَّذِينَ قَنُوا وَبَادُوا، أَمَا وَاللَّهِ، مَا بَادُوا لِيَتَبَقَى
 وَمَا لَكَ، فَاغْلَمَنْ، فِيهَا مُقَامٌ إِذَا اسْتَحْكَمْتَ أَجَالًا وَرِزْقًا
 وَمَا لَكَ غَيْرَ مَا قَدَّمْتَ زَادٌ إِذَا جَعَلْتَ إِلَى اللَّهَوَاتِ تَرْقَى
 لَا زَادَ لَكَ إِلَّا مَا قَدِمْتَ مِنْ تَقْوَى إِذَا بَدَأَتْ رُوحَكَ تَرْقَى (تصعد) إِلَى اللَّهَوَاتِ (الحلق)
 وَمَا أَحَدٌ يَزَادُكَ مِنْكَ أَحْظَى وَمَا أَحَدٌ يَذْنِبُكَ مِنْكَ أَشْقَى

١٠٢ القلب الطائر

أَيَا مَنْ سَارَ مِنْطَلِقًا، وَزَوَّدَ مَقْلَتِي الْأَرْفَا
 سَلَبْتُ الظَّبْيَ مَقْلَتَهُ وَلَمْ تَتْرَكْ لَهُ الْعُنُقَا
 أَيُّ أَنْ عَيْنَكَ كَعَيْنِ الظَّبْيِ وَعُنُقَكَ كَعُنُقِهِ

وَقَالُوا مَنْ عَشِقْتُ؟ فَقُلْ خَيْرٌ وَشَرٌّ مِنْ عَشِقَا
 فَخَيْرُهُمْ مَعًا خَلَقَا، وَشَرُّهُمْ مَعًا خُلِقَا
 تَضَمَّنْ بِالْعَبِيرِ قَمِيءٌ ضُهُ حَتَّى اسْتَكَى الْعَرَقَا
 وَسَالَتْ مِنْ عَقِيصَتِهِ، سَلَابِلُ كُسْرَتِ خَلَقَا

عقيصته: ضفيرته

عَلَى بَشَرٍ كَأَنَّ الدَّرَّ - يَغْلُوهُ إِذَا عَرِقَا

بشر: بشرة/ ظاهر الجلد

فَلَوْ أَبْصَرْتَهُ لَخَرَزَ تَ عِنْدَ دُنُوِّهِ صَعِقَا
 مِنَ الْآيَةِ: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا. وَمِنْ الدُّوِّ بَيْتُ الْقَائِلِ الشَّاعِرِ:

لو صادف نوحٌ دمع عيني غرقاً أو جرب لوعتي الخليل احترقاً
أو حملت الجبال ما أحمله صارت دكا وخر موسى صعقاً
وهذه أبيات كثيرة يغنونها بادئين بـ «يا غصن نقا مكللاً بالذهب»، غناها القدماء على الهزام، إيقاع
آغر أقصاق التركي المعدل (٥ على ٤) وغناها بنو زمانتا على إيقاع السنكين السماعي (٦ على ٤)
فأخذوا بذلك نفساً

١٠٣ يتعاطون الناس

رَكِبَ تَسَاقَوْا عَلَى الْأَكْوَارِ بَيْنَهُمْ كَأْسَ الْكَرَى، فَانْتَشَى الْمَسْقِيُّ وَالسَّاقِي
ركب (قوم مسافرون) تساقوا (سقى بعضهم بعضاً) على الأكوار (على سروج الإبل) كأس الناس،
فانتشوا جميعاً ونعسوا لطول السفر الليلي

كَأَنَّ أَرْؤُسَهُمْ، وَالنَّوْمُ وَاضِعُهَا عَلَى الْمَنَاكِيبِ، لَمْ تُوصَلْ بِأَعْنَاقِ
وضع النوم رؤوسهم على أكتافهم فكانهم بلا أعناق ترفعها
خَاضُوا إِلَيْكُمْ بِحَارَ اللَّيْلِ، آوَنَةً، حَتَّى أَنَاخُوا إِلَيْكُمْ فَلَّ أَشْوَاقِ
.. وصلوا عندكم وأناخوا إليهم فل أشواق (مهزومين من شدة شوقهم)

وَالْحُسْنُ مِنْكَ يَطُوفُ الْعَاشِقُونَ بِهِ، فَأَنْتَ مُوسِمٌ رُؤَادٍ وَعُشَّاقِ

١٠٤ الطباخ ابن الذوات

قال في رجلٍ اسمه حمران، اضطرته ظروفه إلى تولي مطبخ الصقر بن الصفاق:
ذَاكَ أَمِيرٌ جَلَّ سُلْطَانُهُ فِي مَطْبَخِ الصَّقْرِ بْنِ صَفَّاقِ
فَلَوْ تَرَاهُ وَهُوَ فِي قُرْطُقِي، مُشْمِراً فِيهِ عَنِ السَّاقِ
قرطوق: من ملابس الغلمان

تَسْمَعُ لِلْمِخْوَرِ فِي كَفِّهِ مَا شَتَّ مِنْ طَاقٍ وَطَرُطَاقِ
المخور: الشوبك الذي به يُرْقُ المعجين

إِنْ رَأَيْتَهُ، مِنْ نَارِهِ، رَائِبٌ، أَوْ نَالَ مِنْهَا عَيْنُهُ فَاقِي
إذا أحس بشك في النار وكانت غير معتدلة الاشتعال، لها شرر يقق العين لعدم استواء الحطب
بَاشَرَهَا بِالْحُرِّ مِنْ وَجْهِهِ، لَيْسَ لَهُ، مِنْ دُونِهَا، وَاقِ
يأشرها بصفحة وجهه يعالجها

أَبْعَدَ سِرْبَالٍ أَمْرِي عَالِمٍ ، أَضْبَحْتَ فِي سِرْبَالٍ مَرَّاقٍ؟
سربال: ثوب، مرق: طباخ يعالج المرق

وَبَعْدَ سَعْيٍ لَأَكْتَسَابِ الْعُلَى ، تَغْدُو عَلَى زَنْدٍ وَحُرَّاقٍ
زند: عود الحك لإشعال النار، الحراق: القش الذي هو بدء الاشتعال

حَاسِرَ كُمِّكَ عَلَى هَاوِنٍ لِدَقِّ ثُومٍ أَوْ لِسُمِّاقٍ؟
الهاون: المهراس، السماق: من الأبار

إِذَا انْتَهَى الْقَوْمُ إِلَى شُبُعِهِمْ فَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنَ الْبَاقِي
تأكل ما يفضل بعد أكلهم

١٠٥ الغلامية

قال أبو نواس في جارية اسمها معشوق:

غُلامٌ، وَإِلَّا فَالْغُلامُ شَبِيهٌهَا ، وَرِيحَانُ دُنْيَا، لَذَّةٌ لِلْمُعَانِقِ
تَجَمَّعَ فِيهَا الشُّكْلُ وَالزِّيُّ كُلُّهُ ، فَلَيْسَ يُوقِي وَصْفُهَا قَوْلُ نَاطِقٍ
فِطَانَةُ زَنْدِيٍّ، وَلَخِظَةُ قَيْنَةٍ ، بِعَيْنِ الَّذِي تَهْوَى، وَمُنْيَةُ عَاشِقٍ
وَتَقْطِيبُ سِجْنِيٍّ، وَتَكْرِيبُ شَاطِرٍ، وَنَظَرَةُ جِنِّيٍّ، وَزِيٌّ مُنَافِقٍ
سجني: سجان، التكريه: إهمال اللباس، شاطر: لص

١٠٦ الاختناق الحق

يَا عَمْرُو مَنْ لَمْ يَخْتَنِقْ بِالْبَيْنِ لَمْ يَخْتَنِقْ
يَا عَمْرُو، لَا لَاقِيَتْ مَا لَاقَيْتُ فِي مُنْطَلَقِي
مَا سَرْتُ مَذْجَاوَرْتُ مَبْ لَأَ دَارَ ذَاكَ الْخَرَقِ
الخرق: الكذوب

إِلَّا وَدَاعِي حُبِّهِ يَثْنِي إِلَيْهِ عُتْقِي

١٠٧ النطف الخائفة

قال يمدح هارون الرشيد:

لَقَدْ اتَّقَيْتَ اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَجَهَدْتَ نَفْسَكَ فَوْقَ جَهْدِ الْمُتَّقِي

وَأَخَفْتُ أَهْلَ الشُّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ لَتَخَافُكَ التُّطْفُ الْتِي لَمْ تُخْلَقِ
وَبِضَاعَةِ الشُّعْرَاءِ إِنْ نَقَّطَتْهَا نَفَقْتُ، وَإِنْ أَكْسَدَتْهَا لَمْ تَنْفُقِ

١٠٨ معاكسة

يَا أَيُّهَا الْمُبْطِلُونَ مِعْذِرَتِي أَرَأَيْتُمْ اللَّهَ وَجَهَ تَصْدِيقِي...
... يَا مَنْ تَرْضَوْنَ عَذْرِي... أَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَرْيَكُم صَدْقِي...

نَمَّ بِمَا كُنْتُ لَا أَبُوحُ بِهِ عَلَى لِسَانٍ، بِالْدمْعِ مِنْطِيقِ
لَقَدْ نَمَّ صَدْقِي بِسَرِي عَلَى لِسَانٍ فَصِيحٍ مَادَتَهُ الدَّمْعُ لَا الْكَلَامُ.
أَيَّ أَنْ دَمَعَهُ قَامَ مَقَامَ لِسَانِهِ فِي بَيَانِ عَذْرِهِ

شَوْقاً إِلَى حَسَنِ صُورَةِ ظَفِيرْتِ، مِنْ سَلَسَبِيلِ الْجِنَانِ، بِالرَّيْقِ
أَبْكِي شَوْقاً إِلَى وَجْهِ حَسَنِ، أَخَذَ صَاحِبَةُ مِنْ سَلَسَبِيلِ الْجِنَانِ (نَيْعُ الْجَنَّةِ) رَيْقَهُ

وَصَيَّفُ كَأْسٍ، مُحَدِّثٌ، وَلَهَا نَيْهٌ مُغْنٍ، وَظَرْفُ زَنْدِيقِ
هَذِهِ الْفَتَاةُ سَاقِيَةٌ، وَمُحَدِّثَةٌ لِبَقَّةٍ، وَلَهَا تَيْهٌ (تَكْبَرٌ) مُغْنٍ وَظَرْفُ زَنْدِيقِ

وَرَدُّفُهَا كَالْكَثِيبِ، نَيْطٌ إِلَى خَضِرِ رَقِيقِ اللَّحَاءِ، مَمْشُوقِ
رَدَفُهَا كَكَثِيبِ الرَّمْلِ، وَهُوَ مُوَصُولٌ بِخَضِرِ رَقِيقِ اللَّحَاءِ (قَلِيلُ الشَّحْمِ)

أَمْسِي إِلَى جَنْبِهَا أَزَاجُهَا عَمْدًا، وَمَا بِالطَّرِيقِ مِنْ ضَبِيقِ

١٠٩ عدو في ثياب صديق

أَيَا رَبُّ وَجْهِ، فِي التُّرَابِ، عَتِيقِ وَيَا رَبُّ حَسَنِ، فِي التُّرَابِ، رَقِيقِ
عَتِيقٌ: جَمِيلٌ

أَرَى كُلَّ حَيٍّ هَالِكاً وَابْنَ هَالِكٍ، وَذَا نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ، عَرِيقِ
فَقُلْ لِقَرِيبِ الدَّارِ إِنَّكَ ظَاعِنٌ إِلَى مَنْزِلِ نَائِي الْمَحَلِّ سَحِيقِ
سَحِيقٌ: بَعِيدٌ

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لِبَيْتٍ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

١١٠ عشق النصراني

عُلِّقْتُ مِنْ شِقْوَتِي وَمِنْ نَكْدِي مُزَنَّرًا، وَالصَّلِيبُ فِي عُنُقِهِ
مُزَنَّرًا: مُتَخَذًا زَنَارًا، فَهُوَ نَصْرَانِي

فقلتُ: من أنت؟ بالمسيح وبالـ
وبالصَّليبِ الذي تَدينُ له،
إنجيلِ سَطَرَتُهُ على وَرَقِهِ
فقالَ: بدرُ السماءِ في أَفْقِهِ

١١١ لعلَّك!

كنْ معَ اللّهِ يَكُنْ لَكَ واثقِ اللّهِ لَعَلَّكَ..
أي لعلك تنجو

لا تَكُنْ إِلَّا مُعِدًّا لِمُنابِيا فَكَأَنَّكَ..
أي فكأنك قد لقيت الموت

١١٢ أحقاً أنك رحلت؟

أَحَقًّا مِنْكَ أَنَّكَ لَنْ تَرانِي، على حالٍ، وَأَنْي لَنْ أراكا
وَأَنَّكَ غائِبٌ فِي قَعْرِ لَحْدٍ، وما قد كُنْتَ تَعْلُوهُ عَلاكا
فلا ضَحِكْتُ، وقد عُيِّتْ، سِنِّي، ولا رَقَأْتُ مَدَامِيعَ مَنْ سَلاكا
رَقَات: جَفَّتْ

١١٣ عين الرضا*

فَدَيْتُكَ قَدْ جُبِلْتُ عَلَى هَوَاكَ، فَنَفْسِي لَا تُنَارِ عُنِي سِوَاكَ
فَلَيْتَ النَّاسَ أَعْمُوا عَنْكَ، غَيْرِي، فَاَمَنْ أَنْ يَرَوْكَ كَمَا أَرَاكَ
وَيَسْمُجُ مِنْ سِوَاكَ الشَّيْءُ عِنْدِي، فَتَفْعَلُهُ، فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَ
*العنوان لقهوجي

١١٤ لن أهجوك.. لو تموت

قال بهجو الفضل الرقاشي:

قُلْ لِلرُّقَاشِيِّ، إِذَا جَشْتَهُ، لَوْ مُتَّ، يَا أَحْمَقُ، لَمْ أَهْجُكَ
لَأَنْسِي أَكْرِمَ عِرْضِي، وَلَا أَقْرِنُهُ يَوْمًا إِلَى عِرْضِكَ
إِنْ تَهْجُنِي تَهْجُ فَتَيَّ مَا جِدَّا، لَا يَرْفَعُ الطَّرْفَ إِلَى مِثْلِكَ
دُونَكَ عِرْضِي، فَاهْجُهُ رَاشِدًا، لَا تَذْنَسُ الْأَعْرَاضُ مِنْ هَجُوكَا

وَاللَّهِ، لَوْ كُنْتُ جَرِيرًا لَمَّا كُنْتُ بِأَهْجَى لَكَ مِنْ أَضْلِكَ

١١٥ عبوس البخيل

رَأَيْتُ الْفَضْلَ مَكْتُئِبًا يِنَاغِي الْخُبْزَ وَالسَّمَكَ

يناعي: يكاغي، كما يكاغي المرأة الوليد

فَقَطَّبَ حِينَ أَبْصَرَنِي، وَتَكَّسَ رَأْسَهُ، وَبَكَى

فَلَمَّا أَنْ حَلَفْتُ لَهُ بِأَنِّي صَائِمٌ ضَحِكَ

١١٦ كيمياء العشق

سمع أبو نواس من غلام كان يتعشقه كلاماً قاسياً فيه زجر وتأنيب فخطب نفسه

قائلاً:

عَجَزْتُ يَا مَهْجُورُ أَنْ تَذْهَلَ وَمِنْ ذَوِي نُضْجِكَ أَنْ تُقْبَلَ

يا من هجرك الحبيب قد عجزت عن أن تذهل (تسي)، وأن تقبل النصح

سَجِيَّةٌ لَسْتَ لَهَا تَارِكاً، إِذَا تَوَلَّوْا عَنْكَ أَنْ تُقْبَلَ

عادة لا تقلع عنها وهي أن ينصرف المحبون عنك ولكنك تبقى مقبلاً عليهم

وَتَذْرِفُ الْعَيْنُ، إِذَا مَا نَأَوَا، وَإِنْ أَسَاءُوا، الدَّهْرَ، أَنْ تُجْمَلَ

تبكي على بعدهم. وإن أساءوا لك طول الدهر فانت تجمل (تُحسن) لهم

إِنِّي، وَإِنْ لَمْ أَكُ مُسْتَحْسِناً مِنِّي لَذَا الْهَجْرِ، وَمُسْتَجْمِلاً

أنا - مع أنني لا أستحسن مقابلي هجر الحبيب بهجر، ولا أراه لائقاً ...

فَالْمَوْتُ أَنْ يُزْرَى عَلَى عَاشِقِي، يَقَالُ قَدْ كَانَ، وَلَكِنْ سَلَا

أرى الموت أسهل من أن يعاب علي بالقول إن هذا عاشق سابق، وقد سلا (نسي) الآن معشوقه

١١٧ حلو على علاقته

يَا مَنْ تَمَرَّةٌ عُمْدًا فَكَانَ لِلْعَيْنِ أَمْلًا

تمره: لم يحتل، أصبح أجمل ويملاً العين أكثر

وَفِي الشُّمُوءَةِ أَرَبَى، فَكَانَ أَحْلَى، وَأَحْلَى!

وزاد في الشعوثة (ترك الهندام) فكان أحلى في العين

أردت أن تزدريك الـ مـيـون هـيـهات، كلاً
تركّت جسمي عليلاً، من القليل أقللاً
يكاد لا يتجزأ، أقل في اللفظ من «لا»

نحل جسمي حتى صار مثل الذرة التي لا تتجزأ (وكان وصل إلى العباسيين من علم اليونان هذه الفكرة بأن الشيء يصل في نقطة معينة إلى جسيم لا تمكن تجزئته. وتُطيف بي فكرة تلخّ علي إلحاحاً شديداً ملخصها: مثلما أن الكون واسع ويمكننا، بكثير من الصعوبة، أن نتخيله لانهائياً - ذلك أننا لا نفهم اللانهائي أبداً، فمفهوم اللانهائي غير موجود في أي شيء نعرفه - فكذلك ثمة لانهائية في الصفر، ولا حاجة للوقوف عند حد في تجزئة المادة إلا لغرض وظيفي. الفكرة موجودة في الرياضيات وفي الفلسفة، ولكن علماء الفيزياء يحبون التوقف في التجزئة في المحطات التي تخدم فرضياتهم. وقفوا طويلاً عند البروتون والنيوترون والإلكترون، ومنذ حين أخذوا يحطمون هذا ويضيفون إليه «دقائق» كثيرة أوصلها بيل برايسون إلى ١٥٠ جسيماً جديداً افترضوا وجودها داخل الذرة)

١١٨ كلم أخاك

كتب أبو نواس من سجنه لأخي كاتب الفضل بن الربيع مستشفعاً:

حيّ الديّار وأهلها أهلاً واربع، وقلّ لمُفْنِدٍ مهلاً
اربع: أقم، المفند: العاذل

حُبّ المدامّة، مُذْ لَهَجْتُ بِهَا، لم يُبْقِ فَيٍّ، لِغَيْرِهَا، فَضْلاً
إِنِّي نَدَبْتُ لِحَاجَتِي رَجُلًا صَافِي السَّمَاحَةِ، وَاحْتَوَى الثُّبْلَا
كَلَّمْ أَخَاكَ يُكَلِّمُ الْفَضْلَا وَلِيَبْلُغَنِي حَسَنًا كَمَا أَبْلَى
ليلني: ليخبرني

إِنِّي وَصَلْتُ بِكَ الرَّجَاءَ عَلَى بُعْدِ الْمَدَى، إِذْ كُنْتُ لِي أَهْلًا
وَإِذَا وَصَلْتَ بِعَاقِلٍ أَمَلًا كَانَتْ نَتِيجَةُ قَوْلِكَ الْفِعْلَا

١١٩ نسير نحوه

إِنَّ الَّذِي رَدَّ الشَّبَابَ كُهُولًا لَا أَمَلًا يُبْقِي وَلَا مَأْمُولًا

١٢٠ لا مثيل له

مَا لِي فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ مَثَلُ مَائِي عُقَارًا، وَنُقْلِي الْقُبْلُ
مائي عقار (خمر)، ونقلي (مازتي) ما أتلى به على الشراب) القبلات

دَائِي، حتى إذا العيونُ هَدَتْ، وَحَانَ نَوْمِي فَمَفْرَشِي كَفَلُ
هذا هو دايي (عادتي)، فإذا نام الناس وهدأت عيونهم وحان نومي فأنا أقرش كفل الحبيب

١٢١ تصبّب وأنت ساكت

إِنِّي وَذِكْرِي مِنْ «حُسْنٍ» مُحَاسِنَهَا، مَثَلُ الَّذِي قَالَ: مَا أَخْلَاكَ يَا عَسَلُ!
أَحَدْتُ النَّاسَ أَنِّي قَدْ وَقَعْتُ لَهُمْ مِنْ وَجْهِ «حُسْنٍ» عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي جَهِلُوا
قَدْ اكْتَفَى النَّاسُ مِنْ عِلْمِي بَعْلِمِهِمْ، فَالَرُّدُّ مِنِّي عَلَيْهِمْ عَلِمَهُمْ ثِقَلُ
لا تفضّل جمالها للناس فهذا ثقل (ثقل دم)، فكلهم رأها وأدرك محاسنها

١٢٢ حجاً مبروراً وسعياً مشكوراً

لَمْ يُنْسِنِي السَّعْيُ وَالطَّوْافُ وَلَا الدَّ - أُعُونَ لَمَّا ابْتَهَلْتُ وَابْتَهَلُوا
قَضِيبَ بَانٍ إِنْ قَامَ يَنْخَزِلُ، وَإِنْ تَوَلَّى فَكُلُّهُ كَفَلُ
ينخزل: ينقطع

نَخَالُ خَدْيِهِ لَأَحْمَرِإِرِهِمَا يُفْتَحُ الْوَرْدَ فِيهِمَا الْخَجَلُ

١٢٣ لِصِّي الْمَفْضِل

نَجَوْتُ مِنَ اللَّصِّ الْمُغِيرِ بَسِيفِهِ، إِذَا مَا رَمَاهُ بِالتَّجَارِ سَبِيلُ
نجوت من قاطع الطريق إذا ما رماه الطريق (صادف) بالتجار
وَسَلَّطْتُ خَمَّاراً عَلَيَّ بِكَأْسِهِ، فَرَاخَ بِأَسْلَابِي، وَرُخْتُ أَمِيلُ
وسلّطت عليّ صاحب الخمارة فذهب بأسلابي (ملايسي) وتمايلت سكرأ

١٢٤ العنيفة

لَا تُعَرِّجْ بِدَارِسِ الْأَطْلَالِ وَاسْقِنِيهَا رَقِيقَةَ السُّرْبَالِ
رقيقة السربال: رقيقة الثوب، أي أن الخمر شفاقة مركزة

مَاتَ أَرْبَابُهَا، وَبَادَتْ قُرَاهَا، وَبَرَّاهَا الزَّمَانُ بَرِّي الْخِلَالِ
الخلال: المساويك، ويضرب بها المثل في الدقة بعد بريها

عُتِقْتُ فِي الدَّنَانِ حَتَّى اسْتَفَادَتْ نُورَ شَمْسِ الضُّحَى، وَبَرَدَ الظَّلَالِ

١٢٥ زيارة خمارة ليلاً

أَمَالِكُ، بَاكِرِ الصَّهْبَاءِ، مَالٍ وَإِنْ عَالُوا بِهَا ثَمناً فَعَالٍ
مالٍ: ترخيم مالك

وَأَشْمَطُ، رَبِّ حَانُوتٍ، تَرَاهُ، لِنَفْخِ الزُّقِّ، مُسَوِّدَ السَّبَالِ
وصاحب حانوت (خمارة) أشمط (اختلط سواد شعره ببياض) تراه مسود الشاربين لكثرة نفخه في الزق. ويبدو أنهم كانوا ينفخون في زق الخمر المطلي بالقار لاستخراج بقية ما فيه من خمر دعوت، وقد تحوَّنه نَعَاسٌ، فَوَسَّدهُ بِرَاحَتِهِ الشَّمَالِ
أنته وقد تحونه (أخذ) النعاس فجعل هذا النعاس راحته اليسرى وسادة لرأسه

فَقَامَ لِدَعْوَتِي فَرِغاً مَرُوعاً، وَأَسْرَعَ نَحْوَ إِشْعَالِ الذُّبَالِ
الذبال: الفتيل

فَلَمَّا بَيَّنَّنِي النَّارُ حَيًّا تَحِيَّةً وَامِقٍ لَطْفِ السَّوَالِ
وامق: محب

وَأَفْرَحَ رُوعُهُ، وَأَفَادَ بِشْرُهُ، وَهَرَّهَرَ ضَاحِكاً جَذْلَانِ بَالٍ
أفرح روعه: هدأت مخاوفه، هرر: قرقر وكركر كالقط مسروراً، جذلان البال: فرحان الخاطر يُلَايِمُنِي الْحَرَامُ، إِذَا اجْتَمَعْنَا وَأَجْفُو عَنْ مَلَاءَمَةِ الْحَلَالِ

١٢٦ في وصف طنجرة أخرى

وَدَهْمَاءَ تُثْفِيهَا رَقَاشُ، إِذَا شَتَّتْ، مُرَكَّبَةَ الْأَذَانِ، أُمَّ عِيَالٍ

رب قدر دهماء (سوداء) تملكها عائلة رقاش التي تثفيها (تضعها على الأثافي/ حجارة الموقد) عند الشتاء، والقدر ذات آذان وهي أم عيالهم التي تطعمهم

يَغْصُ بِحَيَزُومِ الْجَرَادَةِ صَدْرُهَا، وَيُنْضِجُ مَا فِيهَا اتِّقَادَ ذُبَالٍ

صدر هذه القدر يغص (يمتلئ) لو وضع فيها حيزوم (صدر) جرادة، ويكفي لإنضاج ما فيها اتقاد ذبال (فتيل).. هذا لأنها قدر متناهية الصغر

وَتَغْلِي بِذِكْرِ النَّارِ مِنْ غَيْرِ حَرِّهَا، وَيُنْزِلُهَا الطَّاهِي بِغَيْرِ جِعَالٍ

لمجرد ذكر كلمة نار تغلي هذه القدر، وتنزلها الطاهي عن حجارة القدر بدون جعال (جرقة)

وَلَوْ جُنَّتْهَا مَلَأَى عَبِيْطاً مُجَزَّلاً، لِأَخْرَجَتْ مَا فِيهَا بِعُودٍ خِلَالِ

ولو جندتها ملأى بالعبيط المجزل (اللحم المقطع) لأخرجت محتوياتها على عود مسواك.

بيت مكرر مع تغيير كلمتين سنتظر بضعة عقود لنرى ابن الرومي يصنع العجائب

على هذه الطريقة الكاريكاتيرية

١٢٧ ادفنوني تحت أرجلهم

قال أبو نواس، وليس في نسخة الصولي التي عنها أخذ قهوجي:

خَلِيلِي بِاللَّهِ لَا تَحْفِرَا لِي الْقَبْرَ إِلَّا يَقْطُرُئِلِ
خِلَالَ الْمَعَاصِرِ بَيْنَ الْكُرُومِ وَلَا تُدْنِيَانِي مِنَ السُّنْبُلِ
يريد أن يدفن بين كروم العنب ومعاصره لا بين سنابل القمح
لَعَلِّي أَسْمَعُ فِي حُفْرَتِي إِذَا عُصِرَتْ ضَجَّةُ الْأَرْجُلِ
وكانوا يعصرون العنب بدوسه بالأقدام

١٢٨ فضيحة العاشق

من رواية حمزة الأصباهاني:

دَمْعَةٌ كَاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ بِي عَلَى الْخَدِّ الْأَسْبِلِ
قَطَرَتْ فِي سَاعَةِ الْبَيْدِ مِنْ مِّنَ الطَّرْفِ الْكَحْبِلِ
إِنَّمَا يُفْتَضِّحُ الْعَا شَقُّ فِي وَقْتِ الرَّحْبِلِ

١٢٩ تجميش مبتكر

أَزَاجُهُ إِذَا صَلَّى لَتَمَسَّحَ رِجْلَهُ رِجْلِي
وَأَطْلُبُ تَحْتَهُ نَعْلِي وَمَا إِنْ تَبَحَّثَهُ نَعْلِي
فَهَلْ أَبْصَرْتُمْ شَخْصاً يُجَمِّشُ هَكَذَا قَبْلِي؟
يجمش: يداعب بخشونة تشبه خشونة كلمة «تجميش»

١٣٠ طيش الشباب والشيخوخة

كَانَ الشَّبَابُ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ وَمُحَسَّنَ الضَّحِكَاتِ وَالْهَزْلِ
كان الشباب مركباً للجهل، وكان يجعل الهزل جميلاً

وَالْبَاعِثِي، وَالنَّاسُ قَدْ رَقَدُوا، حَتَّى أَكُونَ خَلِيفَةَ الْبَعْلِ
في الليل كان الشباب يبعثني (يحملني) على أن أكون خليفة البعل (أن أنوب عنه في سرير الزوجة)
وَالْأَمِيرِي، حَتَّى إِذَا عَزَمَتْ نَفْسِي أَعَانَ يَدِي بِالْفِعْلِ
يأمرني الشباب بالبعث، ويساعدني عليه عندما أقرر

فَالآنَ صِرْتُ إِلَى مَقَارِبَةٍ، وَحَطَطْتُ عَنْ ظَهْرِ الصَّبَا رَحْلِي

مقاربة: تقارب الخطوات، كمشي الشيخ

وَالرَّاحُ أَهْوَاهَا، وَإِنْ رَزَّاتُ بُلُغَ الْمَعَاشِ، وَقَلَّتْ فَضْلِي
وأهوى الخمر حتى لو رزأت (خسفت) بلغ المعاش (بقايا المال)، وقللت فضلي (أضرت بسمعي)

صَفَرَاءُ، مَجَّدَهَا مَرَاذِبُهَا، جَلَّتْ عَنِ النَّظَرَاءِ وَالْمِثْلِ
المراذب: كبار قادة كسرى

فَاعْزِرْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَرَنْتُ مَسَامِعُهُ عَلَى الْعَذْلِ

١٣١ خبز إسماعيل

عَلَى خُبْزِ إِسْمَاعِيلَ وَاقِيَةُ الْبُخْلِ فَقَدْ حَلَّ فِي دَارِ الْأَمَانِ مِنَ الْأَكْلِ

وما خبزُهُ إِلَّا كَأَوَى يُرَى ابْنُهُ، وَلَمْ يَرِ آوَى فِي حُزُونٍ وَلَا سَهْلٍ
«ابن آوى» حيوان معروف وموجود، ولكن «آوى» - أباه - ليس في الوجود، ففي اللغة «ابن آوى»
حيوان معروف، وليس في اللغة «آوى» بهذا المعنى

وَمَا خُبْزُهُ إِلَّا كَعَنْقَاءٍ مُغْرِبٍ، تُصَوِّرُ فِي بُسْطِ الْمُلُوكِ، وَفِي الْمَثَلِ

نشهد عنقاء مغرب في بسط الملوك وفي المثل (القصص) لكنها خرافية

يَحْدُثُ عَنْهَا النَّاسُ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، سَوَى صُورَةٍ مَا إِنْ تُمِرُّ وَلَا تُحْلِي

ما إن تمر ولا تحلي: لا نفع منها، ولا حقيقة لها

وَمَا خُبْزُهُ إِلَّا كَكَلْبٍ بَنٍ وَائِلٍ، لِيَالِي يَحْمِي عِزَّهُ مَنِيتَ الْبَقْلِ

خبز هذا الرجل محمي كمنبت البقل (المرعى) الذي كان كلب يمنعه بعزه وجبروته فلا ينال منه
أحد

وَإِذْ هُوَ لَا يَسْتَبُّ خَصْمَانِ عِنْدَهُ، وَلَا الصَّوْتُ مَرْفُوعٌ بِجِدٍّ وَلَا هَزَلٍ

كذا كانت هية كلب، فلم يكن ليجرؤ القوم على أن يتشائموا في مجلسه

فَإِنْ خَبِزَ إِسْمَاعِيلَ حَلَّ بِهِ الَّذِي أَصَابَ كَلْبِيًّا لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنْ ذَلِكَ

وكان جساس قد قتل كلبياً

وَلَكِنْ قَضَاءٌ لَيْسَ يُسْتَطَاعُ رُدُّهُ بِحِيلَةٍ ذِي مَكْرٍ، وَلَا فِكْرٍ ذِي عَقْلِ

أي أن خبزه لو تعرض لبعض الأذى فمن قضاء وقدر، وليس لأن إسماعيل هذا قصر في رد
الأيدي عنه

١٣٢ المذكرة

بَا رَبُّعٌ، شُغْلَكَ، إِنِّي عَنْكَ فِي شُغْلٍ لَا نَاقِتِي فِيكَ، لَوْ تَدْرِي، وَلَا جَمَلِي
أَيُّهَا الرَّبْعُ الَّذِي فَارَقَهُ أَهْلُهُ الزَّمَ شُغْلَكَ فَأَنَا عَنْكَ مَشْغُولٌ، وَلَيْسَ لِي فِيكَ نَاقَةٌ وَلَا جَمَلٌ
عَلَيَّ عَيْنٌ وَأُذُنٌ مِنْ مُذَكَّرَةٍ، مَوْصُولَةٌ بِهَوَى اللَّوْطِيِّ وَالْعَزَلِ
علي من يراقبني في هوى هذه الفتاة الغلامية ذات القدر الذكوري، وهي موضع عشق اللوطي
والعزل (مغازل النساء)

١٣٣ الحرام والحلال

يَا رَبُّ صَاحِبِ حَانَةٍ قَدْ رُعْتُهُ، فَبَعَثْتُهُ مِنْ نَوْمِهِ الْمَتَزَمِّلِ
رَبِّ خَمَّارٍ أَخَفْتَهُ بِزِيَارَتِي اللَّيْلَةَ، فَقَامَ مِنْ نَوْمِهِ الَّذِي تَزَمَّلَ (تَلَفَّفَ) فِيهِ بِالْغَطَاءِ

عَرَفْتُ بَيَاتَ الطَّارِقِينَ كَلَابُهُ، فَيَبْتَغِي عَنْ سَنَنِ الطَّرِيقِ بِمَعَزِلٍ
كَلَابُ هَذَا الْخَمَّارِ تَعْرِفُ عَادَةَ الطَّارِقِينَ (زَائِرِي اللَّيْلِ)، فَهِيَ تَنَامُ بِمَعَزِلٍ عَنْ سَنَنِ الطَّرِيقِ
(وَسَطُ مَعْرِزِ الْحَانَةِ) تَارِكَةً طَرَأَقَ اللَّيْلَ يَدْخُلُونَ بِسَلَامٍ

مَا زِلْتُ أَمْتَحِنُ الدَّسَاكِرَ دُونَهُ، حَتَّى دُفِعْتُ إِلَى خَفِيِّ الْمَنْزِلِ
ظَلَلْتُ أَتَفْحَصُ الدَّسَاكِرَ (مَنَازِلَ الْقُرَى) دُونَهُ (قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ)، ثُمَّ دَلُونِي عَلَى الْمَنْزِلِ الْخَفِيِّ
(الْخِمَارَةِ الْمُتَوَارَةِ)

فَعَرَفْتُهُ، وَاللَّيْلُ مُلْتَبِسٌ بِنَا، بِرَفِيفٍ صَلَعْتَهُ وَشَيْبِ الْمَسْحَلِ
عَرَفْتُ الْخَمَّارَ - رَغِمَ أَنْ اللَّيْلَ مُلْتَبِسٌ بِنَا (مَخَالَطٌ لَنَا وَيَغْطِينَا) - وَذَلِكَ بِرَفِيفٍ (لِمَعَانٍ) صَلَعْتُهُ
وَبَشِيبِ الْمَسْحَلِ (جَانِبِ اللَّحْيَةِ)

يَا صَاحِبَ الْحَانَوَاتِ لَا تَكُ مُشْعِيًّا، إِنَّ الشَّرَابَ مُحَرَّمٌ كَمُحْلَلٍ
يَا صَاحِبَ الْحَانَوَاتِ (الْحَانَةِ) لَا تَكُنْ مُشْعِيًّا (مَدْقَقًا)، أَيْ لَا تَدَقِّقْ فِي تَفَاصِيلِ النَّبِيذِ الْمَحْرَمِ (نَبِيذِ
الْعَنْبِ) وَالنَّبِيذِ الْمَحْلَلِ بِحَسَبِ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ (نَبِيذِ التَّمْرِ وَالزَّيْبِ). فَالْمَحْرَمُ فِي فِعْلِهِ مِثْلُ الْمَحْلَلِ

فَدَعِ الَّتِي نَبَذَتْ يَدَاكَ، وَعَاطِنِي لَلَّهِ دَرَكٌ، مِنْ نَبِيذِ الْأَرْجُلِ
اتْرَكَ النَّبِيذَ الَّذِي نَبَذْتَهُ (جَعَلْتَهُ نَبِيذًا) يَدَاكَ (وَهُوَ نَبِيذُ التَّمْرِ أَوِ الزَّيْبِ)، وَعَاطِنِي (نَاوِلْنِي) نَبِيذَ
الْأَرْجُلِ (نَبِيذِ الْعَنْبِ الَّذِي دَاسَهُ النَّبَاذُونَ بِأَرْجُلِهِمْ عَصْرًا)

مِمَّا تَخَيَّرَهُ التَّجَارُ؛ تَرَى لَهَا قَرَصًا، إِذَا ذِيقْتُ، كَقَرَصِ الْفُلْفُلِ
هَاتِ مِمَّا انْتَقَاهُ التَّجَارُ (تُجَارَ الْخَمْرِ)، خَمْرَةٌ تَلْسَعُ اللِّسَانَ كَلْسَعِ الْفُلْفُلِ

ولها دبيبٌ في العِظامِ كأنَّهُ قَبْضُ النُّعاسِ، وأخذُهُ بِالْمَفْصِلِ

وتسلل إلى العظام كما يتسلل النعاس ويرخي المفاصل

عَبَقَتْ أَكْفُهُمْ بِهَا، فَكأنما يتنازعونَ بها سِخَابَ قَرْنُفِلٍ

فاح عبيرها في أكف الشارين، فكأنهم إذ يتنازعون (يتبادلون كؤوسها) يتبادلون سخاب (قلائد) القرنفل

١٣٤ موقف نفسي

لَأَعْذِلَنَّ فؤادي أَقْبَحَ الْعَذْلِ حتى أَنهْنِهْهُ عن مثلِ ذا العملِ

سألوم قلبي حتى أنهنه (أكفه) عما قام به

مَنَانِي الصَّبْرِ، لا يَأْلُو، لِيُوقِعَنِي حتى إذا صارَ بي في مَقْطَعِ السُّبُلِ

قلبي مَناني بالصبر ولم يكن يألو (يقصر)، فكان هدفة إيقاعي.

وقد أوقع بي وانقطع بي السيل في العشق

إلى الذي لم يَشْنُهُ غَيْرٌ واحدةٍ مَقَالُهُ: ما لِبَاغِي الوصلِ مِنْ عَجَلٍ

ولا يشين (يعيب) الحبيب إلا شيء واحد هو قوله إن طالب الوصل لا يجوز أن يستعجل

فما تَذَكَّرَ أَهْلُ الْعِشْقِ بَيْنَهُمْ حَسَنَ الصَّفَاءِ مِنَ الْخُلَّانِ وَالْخَلَلِ ..

كلما ذكر العاشقون في أحاديثهم حسن الصفاء الذي يلاقونه من الخلان، وحسن الخلل (الخصال) ..

إِلَّا نَكْتُ حَيَاءَ سَاعَةٍ بِيَدِي، وَانْصَمَّ بَعْضِي إِلَى بَعْضٍ مِنَ الْخَجَلِ

ما ذكروا ذلك إلا نكتُ (عبثت بما أمامي/ دليلاً على الإطراق والخجل)، وانكمشت من الخجل

١٣٥ فاسق فاتك

وَخِيمةٌ نَاطُورٍ بِرَأْسِ مُنِيفَةٍ، تَهُمُّ يَدَا مَنْ رَامَهَا بِزَلِيلٍ

ربّ خيمة ناطور (حارس زرع) في رأس منيفة (تلة) تكاد يدا من طلب صعودها أن تزل وتزلق

حَطَطْنَا بِهَا الْأَثْقَالَ فَلَّ هَجِيرَةٌ عَبُورِيَّةٌ، تُذَكِّي بِغَيْرِ فَتِيلٍ

وضعنا متاعنا هناك فلّ هجيرة (مُتعبِي ظهيرة) عبورية

(هجيرة ظهرت في مساءاتها الشرى العبور وهي النجم الذي يظهر عند اشتداد الحر)،

وهذه الظهيرة تشتعل من غير فتيل لشدة الحر

حَلَبْتُ لِأَصْحَابِي بِهَا دِرَّةَ الصَّبَا، بِصَفَرَاءَ مِنْ مَاءِ الْكُرُومِ شُمُولٍ

حلبت لأصحابي بالخيمة درة الصبا (حليب الشباب/ يقصد الخمرة)، وهي عبارة عن خمرة صفراء

شمول (باردة)

إذا ما أتت دونَ اللّٰهَةِ مِنَ الْفَتَى ، دعا هُمُّهُ من صدره برحيل

إذا نزلت تحت اللّٰهَةِ (لحمة الحلق) من الفتى تداعت الهموم في صدره إلى الرحيل

فلما تَوَفَّى اللَّيْلُ جُنْحاً مِنَ الدُّجَى ، تصابيتُ ، واستجمَلْتُ غيرَ جَمِيلٍ

فلما توفى (استغرق) الليل جانباً من العتمة، تصابيت (تصرفت كأنني في سن الصبا)، واستجملت (استفحلت كالجمال) غير جميل (ولم أكن مجاملاً). المعنى الملموح أنه مع نزول الليل أبدى عن شهوراته لمن معه

وَعَاطَيْتُ مِنْ أَهْوَى الْحَدِيثِ كَمَا بَدَأَ ، وَذَلَّلْتُ صَعْباً كَانَ غَيْرَ ذُلُولٍ

وبادلت مع الحبيب الحديث على عواهنه بغير تحفظ، وذللت البعير الصعب الذي لم يكن ذلولاً. يشير إلى أنه لبن قلب محبوبه وأزال تحفظه

فَأَنْزَلْتُ حَاجَاتِي بِحَقْوَيِّ مُسَاعِدٍ ، وَإِنْ كَانَ أَدْنَى صَاحِبٍ ، وَدَخِيلٍ

أنزلت حاجاتي (أفرغت شهواتي) بحقوي (خصري) شخص مساعد (معين لي وغير متمنع)، وإن كان أيضاً صاحباً ودخيلاً (خليلاً)

وَأَصْبَحْتُ أَلْحَى السُّكْرِ ، وَالشُّكْرُ مُحْسِنٌ ، أَلَا رَبُّ إِحْسَانٍ عَلَيْكَ ثَقِيلٍ

وصرت ألحى (الوم) السكر، والسكر في الواقع قد أحسن إليّ، ومن الإحسان ما يكون ثقيلاً في ميزان المعاصي

كَفَى حَزْناً أَنَّ الْجَوَادَ مُقْتَرٌّ عَلَيْهِ ، وَلَا مَعْرُوفَ عِنْدَ بَخِيلٍ

يكفينا حزناً أن الرجل الكريم مقتر عليه (فقير)، والبخيل طبعاً لا يعطي

سَأْبَغِي الْغَنَى ، إِمَّا جَلِيسَ خَلِيفَةٍ نَقُومُ سَوَاءً ، أَوْ مُخِيفَ سَبِيلٍ

سأسعى للغنى بمجالسة الخليفة نقوم سواء (يساويني بنفسه في مجلس اللهو)، أو مخيف سبيل (قاطع طريق)

بِكُلِّ فِتْنَى لَا يُسْتَطَارُ جَنَانُهُ ، إِذَا نَوَّهَ الرَّخْفَانِ بِاسْمِ قَتِيلٍ

سأقطع الطريق بكل فتى لا يستطار جنانه (لا يخاف قلبه)، إذا ذكر القتل بين الفريقين.

المعنى الملموح: يريد صحبة فتية لا يخافون قطع الطريق حتى مع خطر القتل

لِنَحْمُسَ مَالِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ فَاجِرٍ أَخِي بِطَنَةِ اللَّطِيبَاتِ أَكُولٍ

كي نأخذ الخمس من أموال الفاجر (والخمس هو ما فرض للرسول من الغنائم)

أخي بطنة (سمين) تعود أكل الطيات

١٣٦ عاد خائباً

وَلَوْ رَدَّتْ جَنَانٌ رَدْ خَيْرٍ ، تَبَيَّنَ ذَاكَ فِي وَجْهِ الرَّسُولِ

١٣٧ دار زينب

بمدح الحسين الخادم مولى الرشيد:

يا خليلي، ساعةً، لا تريمًا، وعلى ذي صَبَابَةٍ، فأقيما

لا تريمًا: لا تبتعدا، أقيما: ابقيَا

ما مررنا بِدارِ زينب، إلَّا فَضَحَ الدمعُ مَرَّنا المكتوما

تنجافى حوادثُ الدهرِ عَمَّنْ كان في جانبِ الحُسَيْنِ مُقيما

حوادث الدهر (المصائب) تنجافى (تبتعد) عن كان ملازمًا للحسين

قالَ لي الناسُ إذ هَزَزْتُكَ لِلحَا جَعَةً: أبشِرْ فقد هَزَزْتُ كريما

كان الكرام يفتخرون بأن الناس يهزونهم (بخادعونهم عن أموالهم)، وبأنهم ينخدعون للناس

فاسأَلْنُهُ، إذا سَأَلْتَ، عَظِيمًا، إِنَّمَا يُسْأَلُ العَظِيمُ العَظِيمَا

١٣٨ شَمَّ وَلَا تَذُقْ

قالها بعد أن نهاه محمد الأمين عن شرب الخمر وعزم عليه أصحابه أن يتناولوها:

أيها الرائحانِ باللَّوْمِ، لُوما لا أذوقُ المُدَامَ إلَّا شَمِيمَا

لن أذوق الخمر، وحسي رائحتها

نالني بِالْمَلَامِ فيها إِمَامٌ، لا أرى لي خِلافَهُ مُسْتَقِيمَا

لامني الإمام (ال خليفة) في الخمر، ولست أرى مخالفته أمرًا مستقيمًا

فاضْرَفَاها إلى سِوَايَ، فإِنِّي لَسْتُ إلَّا على الحديثِ نديما

كُجُرُ حَظِي منها، إذا هِيَ دارُ، أن أراها، وأن أَشُمَّ النَّسِيمَا

فكأنِّي، وما أَزِنُ منها، قَعْدِي يُزَيِّنُ التَّحْكِيمَا

كأنني إذ أشجع على الخمر قعدي (خارجي ممن لا يقاتل صاحب السلطة) ممن يزینون التحكيم (من أولئك الخوارج الذين عادوا عن الرأي القديم وأصبحوا يؤيدون التحكيم الذي حدث قديما فيما بين علي ومعاوية)

كَلَّ عن حَمَلِهِ السِّلَاحَ إلى الحرِّ بِ فَأَوْصَى الْمُطِيقَ إلَّا يُقِيمَا

هذا القعدي كَلَّ (عجز) عن حمل السلاح،

فأوصى من يطبقون القتال بألا يقعدوا بل يقاتلوا

١٣٩ إكرام المطايا

يمدح الأمين:

يا دارُ، ما فعلت بك الأيامُ ضامتكِ، والأيامُ ليس تضامُ

ضامتك: ظلمتك

عَرَمَ الزمانُ على الذين عهدتُهُم بِكَ قاطنينَ، وللزمانِ عَرامُ

عرم: قسا

أيامَ لا أغشى لأهلك منزلاً، إلا مُراقبَةً، عليّ ظلامُ

أغشى: أزور، ألا مراقبة: إلا وأنا مترقب حذر

ولقد نهزتُ مع الغواةِ بذلُومهم، وأسمنتُ سَرَحَ اللّهُو حيثُ أساموا

نهزت: ألقى الدلو، أسمنت سرح اللهو: سرحت الماشية لترعى/ أي أرسلت نفسي لستمع بالملذات

وبلغتُ ما بلغَ امرؤُ بِشبابِهِ، فإذا عُصَاةُ كلِّ ذاكِ أُنَامُ

وتَجَشَّمتُ بي هَوْلُ كلِّ تُنُوفَةٍ، هَوَجَاءُ فيها، جُرْأَةً، إقدامُ

تجشمت (تحملت المشقة) بي أهوال كل تنوفة (صحراء) ناقة هوجاء (سريعة) فيها إقدام لجرأتها

تَذَرُ المَطيَّ وراءَها، فكأنَّها صَفٌّ تَقَدَّمُهنَّ، وَهِيَ إِمَامُ

لسرعتها ترك المطي (الرواحل/المطايا) وراءها سابقة فكان الأبل صف واحد وهي أمامهن كالإمام يقف أمام المصلين

وإذا المَطيُّ بنا بلغنَ محمداً، فظهورُهُنَّ على الرِّحالِ حَرامُ

إذا بلغت الإبل محمداً الأمين، فحرام وضع الرحال (السروج ولوازم السفر) على ظهورها إكراماً لها، ولأننا لن نسافر من بعد لأن كل الخير عنده

قَرَّبْنَا من خَيْرٍ من وَطئِ الحَصَى، فلها علينا حُرْمَةٌ وذِمَامُ

هذه المطايا لها فضل أنها قربتنا من خير البشر، لذا فنحن نحفظ لها هذه الحرمة والعهد

١٤٠ أهابك

أموتُ، ولا تدري، وأنت قتلتنِي، ولو كنتَ تدري، كنتَ لا بُدَّ تَرَحَّمُ

أهابُك أن أشكو إليك صابتي، فلا أنا أبديها، ولا أنتَ تعلمُ

١٤١ هجاء بمدح القدر

يهجو الفضل الرقاشي:

أَظَرِفُ بِقِدْرِكَ لَوْلَا أَنَّهَا عَبَّرَتْ، وَمَا تَطَوَّرُ بِهَا نَارٌ وَلَا دَسَمُ
 ما أظرف (ما أجذ/والطريف هو الجديد) قدرك، لولا أنها قديمة، ذلك أنها ما تطور (تقترب)
 منها نار ولا يقترب منها دسم. يقول: طنجرتك جديدة في شكلها مع أنها قديمة العهد،
 فهي لم تستعمل

كَأَنَّهَا الْبَدْرُ لَوْلَا خَالَ جَنْبَيْهِ، وَمَا بِقِدْرِكَ لَا خَالَ وَلَا وَصَمُ
 هي كالبلدر إشراقاً ولمعاناً لولا خال (شامة سوداء) في جبهة البلدر،
 فأما قدرك فلا خال فيها ولا وصم (أذى)

لَوْ أَنَّ عَرَضَكَ ذَا فِي طُحْرٍ قِدْرِكَ مَا دَانَاكَ فِي الْمَجْدِ لَا كَعْبٌ وَلَا هَرَمُ
 لو كان عرضك طاهراً كقدرك لما داناك (قاربك) كعب بن مامة ولا هرم بن سنان (وكعب هو الذي
 آثر صاحبه بآخر شربة ومات عطشاً، وهرم هو ممدوح زهير بن أبي سلمى)

١٤٢ مت بداء الصمت

خَلَّ جَنْبَيْكَ لِإِرَامٍ وَامْضِ عَنْهُ بِسَلَامٍ
 اترك جسمك لمن يريد أن يرميه، ولا تعاد من عاداك

مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
 رَبِّمَا اسْتَفْتَحْتَ بِالْمَزْحِ حَ مَغَالِيقَ الْجَمَامِ
 قد تفتح بالمزح أقفال الموت

إِنَّمَا السَّالِمُ مِنْ آلٍ جَمَ قَاهُ بِلِجَامِ
 فَالْبَسِ النَّاسَ عَلَى الصَّخْرِ - مِ مِنْهُمْ، وَالسَّقَامِ
 البس الناس: خالطهم

شَبَّتْ يَا هَذَا، وَمَا تَنْدُ - رُكَ أَخْلَاقَ السُّفْلَامِ
 وَالْمَنْيَا أَكَلَاتُ، شَارِبَاتُ لِلْأَنَامِ

١٤٣ لو صُبَّتْ عَلَى اللَّيْلِ

إِسْقِنَا، إِنَّ يَوْمَنَا يَوْمُ رَامٍ وَلِإِرَامٍ فَضْلٌ عَلَى الْأَيَّامِ
 يوم رام: الحادي والعشرون من كل شهر، وكانت القوس تجعله يوم سرور وشرب

مِنْ شَرَابٍ أَلَذَّ مِنْ نَظَرِ الْمَغْ شَوْقٍ فِي وَجْهِ عَاشِقٍ بِابْتِسَامٍ
بُنْتُ عَشْرِ صَفَتْ، وَرَقْتُ فُلُو صُبَّ - ثَ عَلَى اللَّيْلِ رَاحَ كُلُّ ظَلَامٍ

قد تريد أن تفعل فعل القدماء فتفهم: «صبت على الليل»، على أن الخمر صبت في الكؤوس «على الليل» أي «مع حضور الليل»، فـ «على» هنا بمعنى الباء (أي بالليل)، أو بمعنى في (في الليل/ كقوله على حين غفلة)، أو تعني المصاحبة (أي مع الليل/ كقوله ويطعمون الطعام على حبه). ولكننا نحس أن النواصي يريد أن يصب الخمر «فوق» الليل، فهذه وثبة خيال جامحة

١٤٤ أيها الشعراء

صِفَةُ الطُّلُولِ بِلَاغَةُ الْقَدَمِ فَاجْعَلْ صِفَاتِكَ لَابْنَةِ الْكَرَمِ

صفة (وصف) الطلول هي بلاغة القدم (الأحق)، فصف ابنة الكرم (الخمر). وكان الشعراء يعرضون بلاغتهم بوصف الطلول

لَا تُخْدَعَنَّ عَنِ النَّبِيِّ جُعِلَتْ سُقْمُ الصَّحِيحِ، وَصِحَّةُ السُّقْمِ
لَا تُخْدَعَنَّ: لَا تَكُنْ مَنْخَدَعًا

صَهْبَاءُ فَضَّلَهَا الْمَلُوكُ عَلَى نُظَرَائِهَا بِفَضِيلَةِ الْقَدَمِ

صهباء: صفراء فاتحة اللون، وتفضلها الملوك للقدم (القدم). وهذه خمرة العنب التي تكون معتقة ولونها يميل للصفرة وهي أفضل من خمرة التمر التي حللها بعض الفقهاء

فَعَلَامَ تَذْهَلُ عَنْ مُشْعَشَعَةٍ، وَتَهَيِّمُ فِي طَلَلٍ، وَفِي رِسْمٍ؟

تذهل عنها: تغفلها، مشعشة: التي تلمع بالمزج، رسم: طلل

نَصِيفُ الطُّلُولِ عَلَى السَّمَاعِ بِهَا، أَفْذُو الْعِيَانِ كَأَنَّتْ فِي الْعِلْمِ؟

أيها الشاعر الذي يصف الطلول تقليداً للشعراء القدامى،

وما رآها عياناً أنت كمن عاين الشيء ووصفه

وَإِذَا وَصَفْتَ الشَّيْءَ مَتَّبِعاً، لَمْ تَخُلْ مِنْ زَلَلٍ، وَمَنْ وَفَمِ

١٤٥ تأليب

يهجو إسماعيل بن صبيح كاتب الأمين (وكان أهله من موالي بني أمية):

أَلَا قُلْ لِإِسْمَاعِيلَ إِنَّكَ شَارِبٌ بِكَأْسِ بَنِي مَاهَانَ ضَرْبَةً لَازِمٌ

بنو ماهان (لعل المقصود عيسى بن ماهان، وكان الرشيد عزله وجسه غير أن الأمين أطلقه ورفع له لدن تسنمه الخلافة، ولعل القصيدة قيلت قبل تولي الأمين بقليل) ضربة لازم: بالتأكيد

أَتُسَمِّنُ أَوْلَادَ الطَّرِيدِ وَرَقِطَهُ، بِإِهْزَالِ آلِ اللَّهِ مِنْ نَسْلِ هَاشِمٍ

تعطي المال لكي يسمن أولاد الطريد

(مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ووطورد بعد هزيمته بالعراق ثم قتل في مصر)

ورعطه (قومه)، وذلك على حساب بني هاشم الذين هزلوا فقراً

وإن ذُكِرَ الْجَعْدِيُّ أَذْرَيْتَ عَبْرَةً، وَقُلْتَ أَذَالَ اللَّهُ مِنْ كُلِّ ظَالِمٍ

الجعدي (مروان بن محمد، منسوباً إلى مؤدبه الجعد بن درهم وقد أعدم متهماً بالخروج عن

الدين)، أذال الله: انتقم الله

فإن يَسْرِ إِسْمَاعِيلُ فِي فَجَرَاتِهِ، فَلَيْسَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِنَائِمٍ

فإن مضى إسماعيل في فجراته (أفعاله الفاجرة) فالخليفة ليس نائماً عنه

١٤٦ ثم قصت قصة الأمم

يا شقيقَ النَّفْسِ مِنْ حَكَمٍ نَمَتَ عَنْ لَيْلِي، وَلَمْ أُنَمِ

يا شقيق روعي من قبيلة حَكَم، قد نمت في هذا الليل الذي نصطحب فيه، وأنا صاح

نسبت القصيدة إلى والبة بن الحُباب، وقيل إن والبة يخاطب فيها أبا نواس

(وأبو نواس ينسب نفسه لقبيلة حكم اليمنية)

فَاسْقِنِي الْبَكْرَ الَّتِي اخْتَمَرْتُ بِخِمَارِ الشَّيْبِ فِي الرَّحِمِ

اسقني الخمرة البكر (العذراء التي تم فض دنها الليلة) وكانت داخل الدن فكأنها كانت في رحم أمها، والدن وعاء كبير للخمر مطلي من الخارج بالقار الأسود، وكان الدن مكسواً بغبار أبيض

تفسير آخر: خمارها، أي غطاء رأسها، هو الشيب. يقصد الفقاقيع الفضية التي على وجه الكأس.

تفسير ثالث: دالية العنب تكون أوراقها مكسوة بزغب أبيض عندما تبدأ حبات العنب بالتكون،

والعنب هو الخمر في رحم أمها

ثُمَّتْ انْصَاتِ الشَّبَابُ لَهَا بَعْدَمَا جَاَزَتْ مَدَى الْهَرَمِ

ثمت (بعدئذ) انصات الشباب للخمرة عندما مزجت وأخرجت الفقاقيع بنشاط، وذلك بعد

أن جازت (تجاوزت) مدى (غاية) الهرم (الشيخوخة)

فَهِيَ لِليَوْمِ الَّذِي بُزِلَتْ، وَهِيَ تَرْبُ الدَّهْرِ فِي الْقَدَمِ

فالخمرة يوم بزلت (نُقب دنها كي تسيل) كانت تَرْبُ الدهر (من جيل الدهر.. عمرها كعمره)

عُتِّقْتُ حَتَّى لَوْ اتَّصَلْتُ بِلِسَانٍ نَاطِقٍ وَفَمٍ..

كانت قد عتقت، فلو اتصلت بلسان وفم (كان موصولاً بها لسان وفم) ..

لَاخْتَبَتْ فِي الْقَوْمِ مَائِلَةً نَمَّ قَصَّتْ قِصَّةَ الْأُمِّ

لاحتبت (جلست القرفصاء وقد جمعت ركبتيها إلى ظهرها بشال) وسط القوم وقصت عليهم قصة
الأم الغابرة

قَرَعَتْهَا بِالْمِزَاجِ يَدٌ خُلِقَتْ لِلسَّيْفِ وَالْقَلَمِ

قرعتها (أصابتها) بالمزج يد رجل شجاع ومثقف

فِي نَدَامَى سَادَةِ زُهْرٍ أَخَذُوا اللَّذَاتِ مِنْ أُمِّ

يحدث هذا وسط ندامى من السادة الزهر (البيض، يعني ذوي الأصل الطيب)، الذين أخذوا
اللذات من أم (من أقرب سبل)

فَتَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِهِمْ كَتَمَشِّي الْبُرْءِ فِي السَّقَمِ

فتغلغلت الخمرة في مفاصلهم مثلما يتسلل البرء (الشفاء) رويداً رويداً في السقم (المرض) فيحل محله

فَعَلْتُ فِي الْبَيْتِ إِذْ مُزِجْتُ مِثْلَ فِعْلِ الصَّبْحِ فِي الظُّلَمِ

أضأت المكان عندما مزجت بالماء وتلونت بالوان عدة

وَاهْتَدَى سَارِي الظَّلَامِ بِهَا كَاهْتِدَاءِ السَّفَرِ بِالْعَلَمِ

السفر: المسافرون، العلم: الجبل يهتدي به المسافرون

١٤٧ خير في الإسراف

ضَعِيفَةٌ كَرَّ الطَّرْفِ، تَحَسَّبُ أَنَّهَا حَدِيثُهُ عَهْدٍ بِالْإِفَاقَةِ مِنْ سُقَمٍ

يصف ساقية في حانة: تنقل طرفها (نظرها) من شخص إلى شخص ببطء

(كذا يكون منتهى الدلال)، وكأنها قامت لتوها من مرض

تَفَوَّقَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ، تَفَوَّقِي الصَّهْبَاءَ مِنْ حَلَبِ الْكُرْمِ

تفوق مالي (تستزفه) الطريف (المكتسب) والتالد (الموروث)، مثلما أتفوق أنا (أترشّف) الخمر
المحلوبة من كرم العنب

وَإِنِّي لَأَتِي الْأَمْرَ مِنْ حَيْثُ يُتَّقَى، وَتَعْلَمُ قَوْسِي، حِينَ أَنْزَعُ، مِنْ أَرْمِي

أنا آتي الأمر (أفعله) من حيث يتقى (يخشى الناس إتيانه)، وتعلم قوسي حين أنزع (حين أشد
الوتر) أين هو الهدف

١٤٨ اعتذار عن هجاء

يعتذر لهاشم بن حديج الكندي وكان هجاء وهجا اليمن:

أَهَاشِمُ! خُذْ مِنِّي رِضَاكَ؛ وَإِنْ أَتَى رِضَاكَ عَلَى نَفْسِي، فَغَيْرُ مَلُومٍ

خذ مني ما يرضيك، ولو أتى ذلك على نفسي (أهلكني) فلا لوم عليك

فَأُقْسِمُ مَا جَاوَزْتُ بِالشَّئْمِ وَالِدِي وَعِرضِي، وما مَزَّقْتُ غَيْرَ أَدِيمِي
فَأَنَا شَتَمْتُ نَفْسِي بِشَتْمِكَ وَمَزَقْتُ أَدِيمِي (جلدي)

وَلَا كُنْتُ إِلَّا كَالَّذِي كَشَفَ اسْتُهُ بِمَرَأَى عُيُونٍ مِنْ عِدَى وَحَمِيمٍ
فحين هجوتك كنت كمن كشف مؤخرته بمراى من العدو والحميم (الصدق)، وفضح نفسه

فَعُدْتُ بِحَقْوِي هَاشِمٍ، فَأَجَارَنِي، كَرِيمٌ أَرَاهُ فَوْقَ كُلِّ كَرِيمٍ
عدت بحقوي هاشم (لجأت إلى جَنَّتِي هاشم) فحماني من انتقام قومه

وإن امرأاً أَعْصَى عَلَى مِثْلِ ذَلَّتِي، وَإِنْ جَرَحَتْ فِيهِ، لَجِدُّ حَلِيمٍ

١٤٩ بنينا على كسرى سماء مدامة

يمدح الفضل بن الربيع:

لِمَنْ دِمْنٌ تَزْدَادُ حُسْنُ رُسُومٍ عَلَى طَوْلٍ مَا أَقْوَتْ، وَطِيبَ نَسِيمٍ
لمن هذه الأطلال التي تزداد رسومها (خراثبها) حسناً رغم طول إقوائها (خلوها من السكان)

وَكَأْسٍ كَعَيْنِ الدَّيْكِ بَاتَتْ تَعْلُنِي عَلَى وَجْهِ مَعْبُودِ الْجَمَالِ، رَخِيمٍ
رب كأس صافية مثل عين الديك باتت تسقيني الخمر وأنا أنظر إلى وجه رخيـم (ناعم) لشخص
جماله معبود

إِذَا قُلْتُ عَلَّلْنِي بِرَيْقِكَ أَقْبَلْتُ مَرَاشِفُهُ، حَتَّى يُصِيبَنَ صَمِيمِي
عللني: اسقني، مراشفه: شفتاه، صميمي: قلبي

بَنَيْنَا عَلَى كِسْرَى سَمَاءَ مُدَامَةٍ، مُكَلَّلَةً حَافَاتُهَا بِنُجُومٍ
الكأس مرسوم عليها صورة لكسرى، وقد بنينا فوقه سماء من الخمر (أي ملأنا الكأس) وحافات
هذه السماء مكلفة بالنجوم وهي الفقاقيع

فَلَوْ رُدُّ فِي كِسْرَى بْنِ سَاسَانَ رُوحُهُ إِذْنُ لَا صُطْفَانِي دُونَ كُلِّ نَدِيمٍ

١٥٠ القانص واليؤيؤ

قَدْ أَغْتَدِي، وَالصَّبْحُ فِي مُكْتَمِهِ

أغتدي: انطلق باكراً، مكتمه: ظلمته

بِیُؤْيُؤٍ أَسْفَعَ يُدْعَى بِاسْمِهِ

يؤيؤ: طائر جارح يتخذ للصيد، أسفع: مسود اللون، وهو ذكي وينادي باسمه فيجيب

مَقَابِلٍ مِنْ خَالِهِ وَعَمِّهِ

مقابل: كريم النسب من جهته

وَقَانِصٍ أَحَقَى بِهِ مِنْ أُمِّهِ

قانص: صائد، أحفى به من أمه: أكثر اهتماماً باليؤى من أم اليؤى

لَوْ يَسْتَطِيعُ قَاتُهُ بِلَحْمِهِ

لو استطاع أطمعه من لحم بلده لشدة تعلقه به

يَقِيهِ مِنْ بَرْدِ النَّدَى بِكُفِّهِ

تَوْقِيَةَ الْأُمِّ ابْنَهَا فِي ضَمِّهِ

١٥١ الماء والخضرة والوجه الحسن وشيء رابع

أَرْبَعَةٌ يَحْيَا بِهَا قَلْبٌ، وَرُوحٌ، وَبَدَنٌ

الماء، والبُستان، والـ خمره، والوجه الحسن

١٥٢ رفض الصلح

دَسْتُ لَهُ طَيْفَهَا كَيْمَا تُصَالِحُهُ، فِي النُّومِ حِينَ تَأْتِي الصُّلْحَ يَقْظَانَا

رأها في المنام... جاءت تصالحه

فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَ طَيْفِي طَيْفَهَا قَرَجًا، وَلَا رَأَى لِتَشْكِيهِ، وَلَا لَنَا

حَسِبْتُ أَنْ خَيَالِي لَا يَكُونُ، لِمَا أَكُونُ مِنْ أَجْلِهِ غَضْبَانٌ، غَضْبَانًا

هَلْ ظَنَنْتُ أَنْ خَيَالِي، عَقْلِي الْبَاطِنُ الَّذِي يَتَجَلَّى وَأَنَا نَائِمٌ، لَا يَغْضِبُ لَغَضْبِ عَقْلِي الْوَاعِي؟

جَنَانٌ لَا تَسْأَلِنِي الصُّلْحَ مُسْرِعَةً، فَلَمْ يَكُنْ هَيِّنًا مِنْكَ الَّذِي كَانَا

١٥٣ ربما تصدق الأحلام

إِذَا التَّقَى فِي النَّوْمِ طَيْفَانَا عَادَ لَنَا الْوُضْلُ كَمَا كَانَا

يَا قُرَّةَ الْعَيْنَيْنِ، مَا بَالُنَا نَشْقَى، وَيَلْتَذُّ خَيَالَانَا؟

لَوْ شِئْتَ، إِذْ أَحْسَنْتَ لِي نَائِمًا، أَتَمَمْتَ إِحْسَانَكَ يَقْظَانَا

يَا عَاشِقَيْنِ اصْطَلَحَا فِي الْكَرَى، وَأَصْبَحَا غَضَبِي وَغَضْبَانَا

كَذَلِكَ الْأَحْلَامُ غَرَارَةٌ، وَرَبَّمَا تَصْدُقُ أَحْيَانَا

١٥٤ سكرأ أو صحوأ، لكن لا بد!

وغزالٍ عاطِئْتُهُ الرَّاحَ حَتَّى فَتَّرْتُ مِنْهُ مُقْلَةً وَلِسَانًا
عاطيته: ناولته، فتَّرت: أدخلت الفتور على العينين واللسان

قال لا تُسْكِرَنَّيْ، بِحَيَاتِي! قلتُ: لا بدَّ أن تُرَى سَكْرَانَا
إِنْ لِي حَاجَةٌ إِلَيْكَ، إِذَا نِمَ -تَ، فَإِنْ شِئْتَ فاقْضِهَا، يَقْطَانَا
فَتَلَكَّا تَلَكُّوًّا فِي انْخِنَافٍ، ثُمَّ أَصْعَى لِمَا أَرَدْتُ، فَكَانَا

١٥٥ الممتطي نعله

بمدح الفضل بن يحيى البرمكي:

أطالَ قَصِيرُ اللَّيْلِ، يَا رَحِمَ، عِنْدَكُمْ؟ فَإِنَّ قَصِيرَ اللَّيْلِ قَدْ طَالَ عِنْدَنَا
رحم: هو صديقه رحمة بن نجاح

وَمَا يَعْرِفُ اللَّيْلَ الطَّوِيلَ وَغَمَّهُ مِنَ النَّاسِ، إِلَّا مَنْ تَنَجَّمَ، أَوْ أَنَا
تنجم: احترف التنجيم

خَلِيُونَ مِنْ أَوْجَاعِنَا يَعْدِلُونَا، يَقُولُونَ لِمَ تَهَوُّونَ؟ فَلَنَا لِذُنُبِنَا
يَقُومُونَ فِي الْأَقْوَامِ يَحْكُونَ فَعَلْنَا سَفَاهَةَ أَحْلَامٍ، وَسُخْرِيَةً بِنَا
أولئك العذال يقفون وسط الناس يقلدوننا في حركاتنا سخرية منا

فَلَوْ شَاءَ رَبِّي لَابْتَلَاهُمْ بِمَا بِهِ أَبُ -تَلَانَا فَكَانُوا لَا عَلَيْنَا وَلَا لَنَا
لو شاء الله لابتلاهم بالعشق فكفوا أذاهم عنا

سَأَسْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ هَوَاكَ، لَعَلَّ الْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
وقالوا إن الفضل عندما سمع هذا البيت قال لأبي نواس: ما زدت على أن جعلتني قواداً

إِلَيْكَ، أبا العباس، مِنْ دُونِ مَنْ مَشَى عَلَيْهَا، امْتَنَطَيْنَا الْحَضْرَمِيِّ الْمَلْسَنَا
دون كل الناس الذين يمشون في الأرض أتيناك وقد امتطنا الحضرمي الملسنا (النعل الحضرمي ذا الزائدة الملتوية إلى أعلى في مقدمه). يشكو أنه لا يملك راحلة أو بغلاً ويمتطي نعله أي يأتي ماشياً

فَلَا تُصَلِّ لَمْ تُسْقِطْ جَنِينًا مِنَ الْوَجَى، وَلَمْ تَذَرِ مَا قَرَعُ الْفَنَيْقِ وَلَا الْهَنَا
هذه النعال هي قلائص (إبل) لا تسقط حملها لأن السير أجهدا ولحق بها الوجى (الحفا/أي حفيت خفافها)، ولا هي تعرف قرع الفنيق (تلقيح الفحل لها)، ولا تعرف الهناء (أي القطار الذي تطلق الإبل به من الجرب)

١٥٦ شراب الطالحين

يا ابنة الشيخ اصبحينا ما الذي تنتظرينا؟
اصبحنا: اسقينا خمره الصباح

قد جرى في عودك الماء فأجري الخمر فينا
جرى في عودك الماء: أنت في ريعان الشباب

إنما نشرب منها، فاعلمي ذاك يقينا،
كل ما كان خلافاً لشراب الصالحين
نشرب الخمر المحرمة لا شراب الصالحين (وكان بعض الصالحين يحلل شرب نبيذ النمر زاعماً حله)
واضرب فيها عن بخيل، دان بالإمساك ديننا

١٥٧ ذاك عيش!

غننا بالطلول كيف بلينا واسقنا نعطك الثناء الثمينا
غننا بشعر فيه ذكر الطلول وكيف بليت (خربت)

من سلاف كأنها كل شيء، يتمنى مخير أن يكونا
أكل الدمر ما تجسم منها، وتبقى لبابها المكنونا
تبقى: أبقى

فإذا ما اجنلينا، فهباء يمنع الكف ما يبيع العيونا
اجنلينا: نظرت إليها

ثم شجت، فاستضحكت عن لال لو تجمعن في يد لاثنين
شجت: ضربت في رأسها، أي مزجت بالماء فتلونت بالحمرة، فضحكت الخمرة في كأسها مبدية
أستانها. وهذه ما هي إلا فقايعها الفضية التي هي مثل اللالئ تماماً، ولو كانت تثبت في اليد
لاقتناها الناس

في كؤوس كأنهن نجوم جاريات، بروجها أيدينا
الكؤوس كأنها نجوم السماء التي تدور في مداراتها، وما بروجها (مواقعها السماوية) سوى أيدي
الشاربين

طالعات مع السقا علينا، فإذا ما غربن يغربن فينا
تطلع هذه النجوم مع بروز السقا، وعندما تغرب فهي تغرب فينا إذ نبتلع ما فيها من خمر

لو تَرَى الشَّرْبَ حَوْلَهَا مِنْ بَعِيدٍ، قَلْتُ قَوْمٌ، مِنْ قِرَّةٍ، يَضْطَلُّونَا
الشرب: الشاربون، من قرة: من بَرْد، يسطلون: يتدفأون

وَعِزَالٍ يَدِيرُهَا بِبَنَانٍ نَاعِمَاتٍ يَزِيدُهَا الْعَمَزُ لَنَا
الساقى يدير كؤوس الخمر علينا بأصابع ناعمة يزيدُها العمز (عشنا ولمساتنا) لنا

كَلَّمَا شِئْتُ عَلَنِي بِرَضَابٍ، يَتْرُكُ الْقَلْبَ لِلسُّرُورِ حَدِينَا
علني: سقاني، حَدِينَا: خليلاً مصاحباً

ذَاكَ عَيْشٌ لَوْ دَامَ لِي؛ غَيْرَ أَنِّي عَفْتُهُ مُكْرَهًا، وَخِفْتُ الْأَمِينَا
ذاك عيش (عيش جميل) لو كان دام، لكنني عفته (تركته) مضطراً خوفاً من الخليفة الأمين
(وكان نهاء عن الشرب في الحانات)

١٥٨ اعتذار للرشد

كتب للرشد من حبسه:

بِعَفْوِكَ، بِلِ بَجُودِكَ عُذْتُ، لَا، بَلْ بِفَضْلِكَ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
فَلَا يَتَعَذَّرَنَّ عَلَيَّ عَفْوٌ، وَسِعَتْ بِهِ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ
فَإِنِّي لَمْ أَخُنْكَ بِظَهْرِ غَيْبٍ، وَلَا حَدَّثْتُ نَفْسِي أَنَّ أَخُونَا
لَقَدْ أَرَهَبْتَ أَهْلَ الشَّرْكِ حَتَّى تَرَكْتَهُمْ، وَمَا يَتَرَمَّرُونَا
يترمرمون: يفتحون أفواههم بأي كلام

تَزُورُهُمْ بِنَفْسِكَ، كُلَّ عَامٍ، زِيَارَةً وَاصِلٍ لِلْقَاطِعِينَ
كان الرشد يغزوهم بانتظام وكأنه يقضي حق الزيارة لمن قاطعوه فلا يزورونه

وَلَوْ شِئْتُ اكْتَنَنْتُ إِلَى نَعِيمٍ، وَقَاسَى الْأَمْرَ، دُونَكَ، آخِرُونَا
اكتنت: ركنت واسترحت

١٥٩ غزو وحج

بمدح الرشد:

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فِي الْقُلُوبِ مِثَالَهُ، فَكأنَّمَا لَمْ يَخُلْ مِنْهُ مَكَانٌ
مَا تَنْطَوِي عَنْهُ الْقُلُوبُ بِفَجْرَةٍ، إِلَّا يُكَلِّمُهُ بِهَا اللَّحْظَانُ
لا يخفي عنه أحد فجرة (خيانة) إلا اكتشفها من اللحظان (حركة العينين)

فِي كُلِّ عَامٍ غَزْوَةٌ وَوَفَادَةٌ، تَنْبَتْ، بَيْنَ نَوَاهُمَا، الْأَقْرَانُ
 فِي كُلِّ عَامٍ غَزْوَةٌ وَوَفَادَةٌ (حجة) وَبَيْنَ نَوَاهُمَا (المسافة بينهما) تَنْبَتْ (تقطع) الْأَقْرَانُ (الحبال)

١٦٠ إغواء

وَذِي حَلِيفٍ بِالرَّاحِ قُلْتُ لَهُ: اضْطَجِعْ، فَلَيْسَ عَلَى أَمْثَالِ تِلْكَ يَمِينُ
 رَجُلٍ حَلَفَ أَلَا يَشْرِبَهَا، وَيَدْعُوهُ إِلَى الْإِصْطَبَاحِ (شرب الصباح)
 لِأَنَّ الْقَسَمَ سَاقِطٌ عَنْ مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ

شَمُولًا، تَخَطَّطَهَا الْمَنُونُ، فَقَدْ أَتَتْ سِنُونُ لَهَا فِي دَنْهَا، وَسِنُونُ
 أَشْرَبَهَا شَمُولًا (باردة)، هَرَمَتْ وَلَكِنْ الْمَوْتُ لَمْ يَصْبِهَا

تُرَاثُ أَنْاسٍ عَنْ أَنْاسٍ تُخْرَمُوا، تَوَارَثَهَا بَعْدَ الْبَنِينَ بَنُونَ
 هِيَ مَوْرُوثَةٌ عَنْ أَنْاسٍ تَخْرَمُوا (ماتوا)

فَعَادَرَ مِنْهَا الْغَابِرُونَ حُشَاشَةً، لَهَا هَيَجَانٌ، مَرَّةً، وَسُكُونُ
 تَرَكَ لَنَا الْغَابِرُونَ (الماضون) حُشَاشَةً (بقية الروح)، وَهِيَ تَهِيْجُ مَرَّةً وَتَسْكُنُ مَرَّةً إِذْ تَسْكَبُ فِي كَأْسِهَا

كَأَنَّ سُطُورًا فَوْقَهَا جَمِيرِيَّةً، تَكَادُ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ، تَبِينُ
 كَأَنَّ مَا تَرَسَّمَهُ مِنْ فِقَاقِيعِ سَطُورٍ بِالْخَطِّ الْحَمِيرِيِّ (ولم يكن العرب في عصر أبي نَوَاسٍ يَفْكُونُهُ)،
 يَكَادُ الْمَرءُ رَغْمَ طَوْلِ عَهْدِهَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا مِنْ كَلِمَاتٍ

فَلَمَّا رَأَى نَعْتِيْ ارْعَوَى، وَاسْتَعَادَنِي، فَقُلْتُ خَلِيلُ عَزَّ ثَمَّ يَهُمُونُ
 ارْعَوَى: تَرَجَّعَ عَنْ يَمِينِهِ، وَطَلَبَ مِنِّي أَنْ أَكْرُرَ الْوَصْفَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي إِنَّهُ صَدِيقٌ عَزَّ (تَمْنَعُ) ثُمَّ
 هَا هُوَ يَهُونُ (يَصْبَحُ سَلَاً)

فَصَدَّقَ ظَنِّي، صَدَّقَ اللَّهُ ظَنَّهُ إِذَا ظَنَّ خَيْرًا، وَالظُّنُونُ فُنُونُ
 وَبِالْفِعْلِ صَدَقَ ظَنِّي، وَمَا كُلُّ ظَنٍّ يَصْدُقُ فَالظُّنُونُ فُنُونٌ وَأَشْكَالٌ

١٦١ فخر ك نخلة وفخري سيف

قَالَ وَقَدْ عَابَهُ نَاسٌ بِالْبَصْرَةِ بَعْدَ أَنْ خَرَجَ مِنْهَا:

أَلَا كُلُّ بَصْرِيٍّ يَرَى أَنَّهَا الْعُلَى مُكَمَّمَةٌ سُحْقٌ لَهَا جَرِينُ
 كُلُّ بَصْرِيٍّ يَرَى أَنَّ الْمَجْدَ هُوَ فِي أَشْجَارِ النَّخْلِ الْمَكَمَّمَةِ (التي غَطِيَتْ قُطُوفُهَا) السُّحْقُ (العالية)
 الَّتِي لَهَا جَرِينٌ (يَبْدُرُ لَجْمَعِ الْمَحْصُولِ)

فَإِنْ تَغْرَسُوا نَخْلًا، فَإِنَّ غِرَاسَنَا ضِرَابٌ وَطَعْنٌ فِي النُّحُورِ سَخِينُ
نحن نغرس الضرب السخين (الموجع) بالسيف والطنع بالرمح في النحور
وَإِنْ أَكَّ بَصْرِيًّا، فَإِنَّ مُهَاجِرِي دِمَشْقُ، وَلَكِنَّ الْحَدِيثَ شُجُونُ
المهاجر: موضع الهجرة الأصلي (وكان والد أبي نواس من جند آخر خلفاء بني أمية)

١٦٢ افتراء على زميل

يهجو الشاعر أبان بن عبد الحميد اللاهقي:

جَالَسْتُ يَوْمًا أَبَانًا، لَا دَرَّ دُرٌّ أَبْ—
فَقُلْتُ: سَبْحَانَ رَبِّي، فَقَالَ: سَبْحَانَ مَانِي
ماني: نبي قال ياله للخير وإله للشر، وكان أتباعه ملاحقين عصرئذ
فَقُلْتُ: مُوسَى نَجِيٌّ إِلَهُ مُهَيِّمٌ الْمَنَانِ
النبي موسى نجي الله (الذي نجاه الله وكلمه)
فَقَالَ: رُبُّكَ ذُو مُقْفَلَةٍ إِذْنُ، وَلِسَانِ!
وَقَمْتُ أَسْحَبُ ذَيْلِي، عَنْ هَازِلٍ بِالْقُرَّانِ
القرآن: القرآن

عَنْ كَافِرٍ يَتَمَرَّى بِالْكَفْرِ بِالرَّحْمَنِ
يتمرى: يتجمل ويفتخر
يُرِيدُ أَنْ يَتَسَاوَى بِالْعُضْبَةِ الْمُجَانِ
يكفر أبان متشبهاً بالماجنين

١٦٣ مجرد سؤال

أَسْأَلُ الْقَادِمِينَ مِنْ حَكَمَانَ كَيْفَ خَلَّفْتُمُ أَبَا عَثْمَانَ
حكمان: موضع بالبصرة. أبو عثمان: أخو مولى جنان محبوبه الشاعر، وصاحب رقها
وَأَبَا مَيَّةَ الْمَهْدَبَ وَالْمَأْمُولَ وَالْمُرْتَجَى لِرَيْبِ الزَّمَانِ؟
أبو مية: مولى جنان

فَيَقُولُونَ لِي: جَنَانٌ كَمَا سَرَّ - لَكُ مِنْ حَالِهَا، فَسَلْ عَنْ جَنَانِ
أسألهم عن ذنك الرجلين فيجيئون عن جنان لأنهم يعرفون أنها هي فقط من يهمني

مَا لَهُمْ، لَا يُبَارِكُ اللَّهُ فِيهِمْ، كَيْفَ لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ كَيْتَمَانِي؟

صَرْتُ كَالْتَيْنِ يَشْرَبُ الْمَاءَ، فِيمَا قَالَ كَسْرَى، بِعِلَّةِ الرِّيحَانِ

شجرة التين تقول لهم: اسقوا نباتات الريحان القريبة، وهي تريد أن تشرب الماء، فهي تشربه بعلقة الريحان. ويزعم أبو نواس أن هذا المثل قاله كسرى. وأبو نواس يتحجج بالسؤال عن أبي عثمان لكي يجرهم إلى الحديث عن جنان

أَوْ كَمَا قِيلَ قَبْلُ إِيَّاكَ أَعْنِي فَاسْمَعُوا، يَا مَعَاشِرَ الْجِيرَانِ!

١٦٤ سماء تمطر ذهباً

بمدح الخصب عامل خراج مصر للرشيد:

ذَكَرَ الْكَرْخَ نَازِحَ الْأَوْطَانِ فَبَغَى صَبُوءَ، وَلَاتَ أَوَانَ

النازح عن وطنه ذكر الكرخ (موضع ببغداد)، فبكى صبوة (اشتياقاً)، وقد فات أوان ذلك العهد الطيب

لَيْسَ لِي مُسْعِدٌ بِمُضَرَ عَلَى الشُّوْ قِي إِلَى أَوْجِهِ هُنَاكَ حِسَانِ

مسعد: مساعد يخفف عني

نَازِلَاتٍ مِنَ الصَّرَاةِ فَكَرَّحَا يَا إِلَى الشُّطِّ ذِي الْقُصُورِ الدَّوَانِي

يذكر مسير النسوة على ضفاف نهري الصراة وكرخايا في بغداد

إِذْ لِبَابِ الْأَمِيرِ صَدْرُ نَهَارِي، وَرَوَاحِي إِلَى بُيُوتِ الْقِيَانِ

يَا ابْنَتِي أَبْشِرِي بِمِمْرَةِ مُضَرٍ، وَتَمَنِّي، وَأُسْرِفِي فِي الْأَمَانِي

ذكروا لأبي نواس أبناء، ولكنه هنا يوجه الخطاب إلى ابنة مجازية جرباً على عادة الشعراء في طمأنة عيالهم إلى أنهم سينالون الخير العيم من الممدوح ليعودوا به لأسرهم

أَنَا فِي ذِمَّةِ الْخَصِيبِ مُقِيمٌ، حَيْثُ لَا تَهْتَدِي صُرُوفُ الزَّمَانِ

كَيْفَ أَخْشَى عَلَيَّ غَوْلَ اللَّبَالِي، وَمَكَانِي مِنَ الْخَصِيبِ مَكَانِي

كُلَّ يَوْمٍ عَلَيَّ مِنْهُ سَمَاءٌ ثَرَّةٌ، تَسْتَهْلُ بِالْعِقْيَانِ

ثرة: غزيرة، تستهل: تمطر، العقيان: الذهب

١٦٥ أراه ولا يراني

بمدح محمد بن الفضل بن الربيع:

أَخَذْتُ بِحَبْلِ مِنْ جِبَالِ مُحَمَّدٍ أَمِنْتُ بِهِ مِنْ نَائِبِ الْحَدَثَانِ

اتصلت بمحمد فكان لي أماناً من مصائب الزمن

تَغَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ ، فَعَيْنِي تَرَى دَهْرِي ، وَلَيْسَ بِرَافِي
فَلَوْ تُسَالَّ الْأَيَّامُ مَا اسْمِي لَمَّا دَرَّتْ ، وَأَيْنَ مَكَانِي ، مَا عَرَفَنَ مَكَانِي

١٦٦ فرد في الحسن

يَا ظَبِيَّ آلِ سِنَانٍ وَزَيْنَ صَفِّ الْقِيَانِ
كان أبو نواس عند محمد بن سنان، فأخرج لصاحبه قِيَانَهُ يَغِينُ، وجلس بينهما ولد لصاحب البيت جميل الطلعة، ففَتَنَ أَبَا نَوَاسٍ

خُلِقْتُ فِي الْحَسَنِ قَرْدًا ، فَمَا لِحُسْنِكَ ثَانٍ
كَأَنَّمَا أَنْتَ شَيْءٌ حَوَى جَمِيعَ الْمَعَانِي
لَيَنْفَعَنَّكَ وَهْمِي ، إِذْ كَلَّ عَنْكَ لِسَانِي
عَلِقْتُ مَنْ جَلَّ عَنِّي وَشَأْنُهُ غَيْرُ شَانِي
مَنْ لَيْسَ يَطْمَعُ فِيهِ إِلَّا فُلَانُ الْفُلَانِي

١٦٧ فوق الممدح

قال يمدح الأمين:

إِذَا نَحْنُ أَتَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ ، فَأَنْتَ كَمَا تُشْنِي ، وَفَوْقَ الَّذِي تُشْنِي
وَإِنْ جَرَبَ الْأَلْفَاظُ يَوْمًا بِمَدْحَةٍ ، لَيَغْبِرَكَ إِنْسَانًا ، فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي

١٦٨ شبع مني المعاصي

أَيَا مَنْ بَيْنَ بَاطِلِيَّةٍ وَزُقٍّ وَغُودٍ فِي يَدَيَّ غَاوٍ يُغْنِي
يا من يجلس بين باطلية (قنية خمر) وزُقٍّ (قربة كبيرة تنقل فيها الخمر)

إِذَا لَمْ تَنْهَ نَفْسَكَ عَنْ هَوَاهَا ، وَتُحْسِنَ صَوْنَهَا فإِلَيْكَ عَنِّي
إليك عني: ابتعد

فإِنِّي قَدْ شَبِعْتُ مِنَ الْمَعَاصِي ، وَمِنْ لَذَائِهَا ، وَشَبِعَنَ مِنِّي
وَمَنْ أَسْوَأَ ، وَأَقْبَحَ مِنْ لَبِيبٍ يُرَى مُتَطَرِّبًا فِي مِثْلِ سِنِّي؟

١٦٩ منتهى المجون

يَا سَلِيمَانُ عَنِّي ، وَمِنْ الرَّاحِ فَاسْقِنِي !

فَإِذَا دَارَتْ السُّرُجَا جَبْتُ خُذَهَا، وَأَعْطِنِي
عَاطِنِي كَأْسَ سَلْوَةٍ عَنْ أَذَانِ الْمَسْوَدِّ
ناولي كأساً أسلو بها، أي أنسى، الأذان
إِسْقِنِي الْخَمَرَ جَهْرَةً وَالْإِظْنِي، وَأَزْنِنِي

١٧٠ خمرة في رقة ديني

إِسْقِنِي يَا ابْنَ أَذِينِ مِنْ سُلَافِ السُّرَّجُونِ
ابن أذين: اسم الخمار، الزرجون: الكرم

عُتِّقْتُ فِي الدَّنِّ حَتَّى هِيَ فِي رِقَّةٍ دِينِي
يصفون الخمر بأنها تصبح رقيقة وشفافة بعد تعتيقها، فهي في رقة دينه، ويصفون دين الماجن بأنه رقيق
ثُمَّ شَجَّجْتُ، فَأَذَارْتُ حَوْلَهَا مِثْلَ الْعُيُونِ
مزجت فأخذت الفقايع تدور حولها كأنها العيون

حَدَقْنَا تَرْنُو إِلَيْنَا، لَمْ تُحَجَّجْ بِجُفُونِ
هذه عيون تنظر إلينا لكن لا تحيط بها محاجر أو جفون

بِيَدَيِ سَاقٍ عَلَيْهِ حِلْيَةً مِنْ يَاسَمِينِ
وَرَدَّتْ أَدْرُوسًا وَعَلَى الْأُذُنَيْنِ مِنْهُ
غَايَةً فِي الشَّكْلِ وَالظَّرْ فِ، وَفَرَّدَ فِي الْمُجُونِ

١٧١ خمرة وساق

وَبِكْرِ سُلَافَةٍ فِي قَعْرِ دَنْ، لَهَا دِرْعَانِ مِنْ قَارٍ وَطِينِ
سلافة (خمرة جيدة) بكر (لم يثقب دنها من قبل) في قعر الدن (فمع القدم نقص حجمها) وهي
تلبس درعين (قميصين) واحد من الطين (الفخار) وواحد من القار (الزفت)

تَحَكَّمْ عَلِجُهَا، إِذْ قُلْتُ سُمْنِي، عَلَى غَيْرِ الْبَخِيلِ، وَلَا الضَّنِينِ
تحكم العليج (الخمار الأعجمي) عندما قلت له سمني (قدر علي الثمن)، وإنما تحكمه على رجل
غير بخيل ولا ضنين بماله هو أنا

شَكَّكْتُ بُزَالَهَا، وَاللَّيْلُ دَاجٍ، فَدَرَّتْ دِرَّةَ الْوَدَجِ الطَّعْمِينَ
نقبتها من البزال (موضع ثقب الدن) في ظلام الليل، فدرت (حلبت) كما يتزف الودج (أحد عرقين
في العنق) الطعين (المطعون)

يَكْفُ أَغْنَى، مَخْتَضِبٍ بَنَانًا، مُذَالِ الصَّدْعِ، مَضْفُورِ الْقُرُونِ
سالت الخمر بكف غلام ساق ذو غنة في صوته، ومخضوب البنان بالحناء، وصدغه مذال أي له
سالفان مسترسلان، وشعره مضفور القرون (الخصلات)

لَنَا مِنْهُ بِعَيْنَيْهِ عِدَاتٌ، يُحَاطِبُنَا بِهَا كَسْرُ الْجُفُونِ
عدات: وعود

١٧٢ إهانتها إكرام لها

أَلَا دَارِهَا بِالْمَاءِ، حَتَّى تُلْبِنَهَا فَلَنْ تُكْرِمَ الصَّهْبَاءَ حَتَّى تُهِنَهَا
أَعَالِي بِهَا، حَتَّى إِذَا مَا مَلَكْتُهَا، أَهْنَتْ لِأَكْرَامِ النَّدِيمِ مَصُونَهَا
وَصَفْرَاءَ قَبْلَ الْمَرْجِ، بِيضَاءَ بَعْدَهُ، كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ يَلْقَاكَ دُونَهَا
وشمطاء حلَّ الدهرُ عنها بِنَجْوَةٍ دَلَفْتُ إِلَيْهَا، فَاسْتَلْتُ جَنِينَهَا
شمطاء (اختلط بياضها بسواد)، ههنا يصف خابية الخمر (الوعاء الكبير) فقد علا سواد قارها غبار
أبيض، وقد ابتعدت عن يد الدهر فنجت منه، وقد دلف (دخل رويداً) أبو نواس فاستل جنين
الخابية وهو الخمرة

١٧٣ فارسها وصريعها

يَا لَيْلَةَ بَثُّهَا أَسَقَّاهَا أَلْهَجَنِي طَيْبُهَا بِذِكْرَاهَا
ألهجني (جعلني أكرر ذكرها)
نَغْلِبُهَا أَوَّلًا، وَتَغْلِبُنَا، فَنَحْنُ فُرْسَانُهَا، وَصَرَعَاهَا
تَلْتَهِبُ الْكَفَّ مِنْ تَلْهِبِهَا، وَتَحْسُرُ الْعَيْنُ أَنْ تَقْصَّاهَا
تصطبغ كف شارب الخمر بلونها وهي في الكأس الشفافة، ولكن العين تحسر (تعجز) عن تأمل
تفاصيلها لتألولها
كَانَ لَهَا الدَّهْرُ مِنْ أَبِي خَلْفَاءَ، فِي حِجْرِهِ صَانُهَا، وَرَبَّاهَا
خمرة قديمة جداً فليس لها أب، أبوها هو الزمن نفسه

١٧٤ خوف وخوف وأمان

قال للأمين وقد حبسه:

قَدْ كُنْتُ خِفْتُكَ ثُمَّ أَمَّنِي مَنْ أَنْ أَخَافَكَ خَوْفُكَ اللَّهَ

١٧٥ جلد على عظم وبتيه

لَا تَفْرُغِ النَّفْسُ مِنْ شُغْلٍ بِدُنْيَاهَا رَأَيْتُهَا لَمْ يَنْلُهَا مَنْ تَمَتَّاهَا
حَذَرْتُكَ الْكِبَرَ لَا يَغْلِقُكَ مِيسَمُهُ، فَإِنَّهُ مَلْبَسٌ نَارَعَنَهُ اللَّهُ

الكبر: التكبر، ميسمه: طابعه، والله وحده المتكبر، وهذا من أسماءه الحسنى

يَا بُؤْسَ جِلْدٍ عَلَى عَظْمٍ مُخَرَّقَةٍ فِيهِ الْخُرُوقُ، إِذَا كَلَّمْتَهُ نَاهَا
يا لبؤس الإنسان وهو مجرد جلد على عظم وفيه خروق للعينين والأذنين، وإذا كلمه أحد تاه (استكبر)

يَرَى عَلَيْكَ لَهُ فَضلاً يَبِينُ بِهِ، إِنْ نَالَ فِي الْعَاجِلِ السُّلْطَانَ وَالْجَاهَا
يظن أن له الفضل عليك (أي هو أفضل منك) وبين بهذا الفضل المزعوم (يجعل بينه وبينك بوناً)
إِنْ نَالَ فِي الْعَاجِلِ (الدنيا) سُلْطَاناً وَجَاهاً

مُثْنٍ عَلَى نَفْسِهِ، رَاضٍ بِسِيرَتِهَا؛ كَذَبْتُ، يَا خَادِمَ الدُّنْيَا وَمَوْلَاهَا

١٧٦ ليت الأرض تبتلعه

مَتْنَايَ بِجَمَالِهِ صَلِفٌ، لَا يُسْتَطَاعُ كَلَامُهُ تِيهَا
متنايه (متكبر) صلف (متكبر)

لِلْحُسْنِ فِي وَجَنَاتِهِ بِدَعٍ، مَا إِنْ يَمَلُّ الدَّرْسَ قَارِيهَا
ينظرون في وجهه بتفحص ودرس وتكرار ويقراون آيات الجمال

لَوْ تَسْتَطِيعُ الْأَرْضُ لَانْقَبَضَتْ حَتَّى يَكُونَ جَمِيعُهُ فِيهَا
أمنية غريبة للأرض أن تبتلعه لكي تحتوي كل جماله، لعل هذه أمنية دفينه في نفس الشاعر أن
يموت هذا الشخص الجميل لكي يتخلص الشاعر من توتره بالنظر إلى جماله البعيد المنال

١٧٧ نعصي الله ونطيعك أنت!

أُثْبِهَا الْعَمَاتِبُ فِي الْخَمِ بِرِ مَنَى صَرَتْ فِقِيهَا
لَوْ أَطْعَمْنَا ذَا عَنَابٍ لِأَطْعَمْنَا اللَّهَ فَبِهَا

١٧٨ رقيقة الحاشية

لَأَعْطِفَنَّ إِلَى الصَّهْبَاءِ عَنْ دِمَنِ، لَمْ يَبْقَ مِنْ عَهْدِهَا إِلَّا أَثَافِيهَا
لأعطفن (لأميلن) ولأذهبن إلى الصهباء (الخمر) كي أصفها مبتعداً عن وصف الدمن (الطلول) التي
لم يبق من عهدها القديم سوى أثافيا (حجارة الموقد)

مَوْصُوفَةٌ بِفُنُونِ الطَّيِّبِ طَالَ لَهَا عُمْرٌ، فَلَمْ تَعُدْ أَنْ رَقَّتْ حَوَاشِيهَا
 الخمر موصوفة بفنون الطيب (أنواع شتى من الطيب من رائحة ومذاق) وقد طال عمرها ولكن هذا
 لم يفسدها بل رقق حواشيها (رقة الحاشية/ أي الجنب كناية عن اللطف في الإنسان)

١٧٩ عديم المثال

لَوْ صَحَّ عَقْلِي قَلَّ أَشْبَاهِي أَجَلْ، وَلَمْ أَلِهْ مَعَ اللَّاهِي
 لو تعقلت لكنت عبقرياً لا شبيه له، ولما لهوت من اللاهين

لَا تَتَنَاهَى النَّفْسُ عَنْ عَيْهَا مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا لَهَا نَاهٍ
 لِلَّهِ دُرُّ الْمَوْتِ مِنْ خُطْئَةٍ فِيهَا اسْتَوَى الْأَحْمَقُ وَالذَّاهِي
 إِنَّا لَنَنْسَاهَا وَقَدْ مُرِّتْ مِنَّا بِأَسْمَاعٍ وَأَفْوَاهٍ
 ننسى خطة الموت (تدبيره) مع أنها - ولأنها - مرنت (كُرِّرت) على أسماعنا وفي أفواهنا

١٨٠ العاشق فاضح نفسه

مَا رَأَيْنَا مَنْ قَلْبُهُ فِي يَدَيْهِ لَا، وَلَا عَاشِقًا هَوَاهُ إِلَيْهِ
 مَرَّةً عَاشِقًا، وَآخَرَى حَلِيًّا، مُظْهِرًا غَيْرَ مَا الضَّمِيرُ عَلَيْهِ
 ليس هناك عاشق يستطيع أن يخفي ما به من عشق

١٨١ التوبة

دَبَّ فِي الْفَنَاءِ سُفْلًا وَعُلُوًّا وَأَرَانِي أُمُوتُ غَضُوءًا، فَعُضُوءًا
 لَيْسَ مِنْ سَاعَةٍ مَضَتْ لِي إِلَّا نَقَصْتَنِي بِمَرِّهَا بِي جُزُوءًا
 جزواً: جزءاً

ذَهَبَتْ جِدَّتِي بِطَاعَةِ نَفْسِي، وَتَذَكَّرْتُ طَاعَةَ اللَّهِ نِضُوءًا
 ذهب شبابي في طاعة شهواتي، وتذكرت طاعة الله مهزولاً مسناً

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى لَيَالٍ وَأَيَّامٍ تَمَلَّيْتُهِنَّ لَعْبًا وَلَهْوًا
 تملتين: تماردين فيهن

قَدْ أَسَأْنَا كُلَّ الْإِسَاءَةِ فَالَلَّ هُمْ صَفْحًا عَنَّا، وَغَفَرَا وَعَفَوْا

١٨٢ ذل وخوف

قال يهجو غالب بن الصغدي:

مَنْ سَلَطَ اللَّهُ، يَا حُسَيْنُ، عَلَى مُهْجَتِهِ شَاعِرًا، فَقَدْ خَزَيَا
مهجته: نفسه

وَيْلٌ لِّلْعَلْبُودِ، إِنَّهُ شَقِيحَا فَكَيْفَ بِالدُّلِّ وَالْبَلَا رَضِيَا
أَشْرَبْتُهُ الدُّلَّ وَالْمَخَافَةَ، مَا بَقِيَتْ حَيًّا، لَهُ، وَمَا بَقِيَا

١٨٣ هجاء كأنه لابن الرومي

زُنْبُورُ يَا خِنْزِيرُ يَا ابْنَ الزَّانِيَةِ شَرَفٌ لِّأُمِّكَ أَنْ تُسَمَّى زَانِيَةً
قَدْ كُنْتُ، مِنْ هَذَا الْبَلَاءِ، بِمَعَزِلٍ، يَا ابْنَ الزَّانِئِ، فَلَمْ تَسْغُكِ الْعَافِيَةُ
فَلَتَأْتِيَنَّكَ مِنْ لِسَانِي شُرْدٌ تَبْلَى الْجِبَالَ وَإِنَّهَا لَكَمَا هِيَ
شرد: قصائد سائرة في البلاد

١٨٤ أخوة الشراب

وقال أبو نواس (من رواية حمزة الأصباهاني):

وَلَسْتُ بِقَائِلٍ لِّنَدِيمٍ صِدْقٍ وَقَدْ أَخَذَ الشَّرَابُ بِمُقْلَتَيْهِ
تَنَاوَلَهَا وَإِلَّا لَمْ أَذُقْهَا فَيَأْخُذُهَا، وَقَدْ ثَقُلْتُ عَلَيْهِ
وَلَكِنِّي أُدِيرُ الْكَأْسَ عَنْهُ وَأَصْرِفُهَا بِقَمَرَةٍ حَاجِبِيهِ
وَأِنْ مَدَّ الْوَسَادَ لِنَوْمٍ سُكْرِ دَفَعْتُ وَسَادَتِي أَبْضًا إِلَيْهِ
فَذَلِكَ مَا حَبِيبٌ لَهُ، وَإِنِّي أَبْرُ بِمِثْلِهِ مِنْ وَالِدَيْهِ

١٨٥ قتيل واقف بالباب

يَا قَمْرًا أَبْصَرْتُ فِي مَاتَمٍ، يَسْدُبُ شَجْوًا بَيْنَ أَتْرَابِ
شجوا: حزناً، أتراب: أصحاب

بِبَكِيٍّ فَيَنْزِي الدُّرَّ مِنْ نَرَجِسٍ وَيَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُنَابِ

يبكي فيذري (بيدد) الدر (اللؤلؤ/الدمع) من نرجس (أي من عينيه، ويشبهون العين بالنرجس)،
ويلطم الورد (خده) بعناب (ثمر كأطراف البنان منحمر أعلاه كأنه محتى)

لا تَبِكْ مَيْتاً حَلَّ فِي حُفْرَةٍ، وَابِكْ قَتِيلًا لَكَ بِالْبَابِ

١٨٦ يا رب

يا رَبِّ إِن عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً	فلقد علمتُ بأنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ	فَبِمَنْ يَلُودُ وَيَسْتَجِيرُ الْمَجْرِمُ
أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعاً	فَإِذَا رَدَدْتَ يَدَيَّ فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا	وَجَمِيلُ عَفْوَكَ، ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمٌ

فهرس القوافي (القافية فرقم القطعة)

١٨	سِيَابَةٌ	١	الصَّفَاء
١٩	وَالِيَةٌ	٢	الدَّاءُ
٢٠	يُلَاعِبُهُ	٣	اِنْتِشَاءُ
٢٢	إِهَابِهِ	٤	أَسْمَائُهَا
٢١	حِجَابِهِ	٥	الجَوَابَا
٢٣	وَحَاصِبِهَا	٦	وَأَعْرَبَا
٢٤	سِكِّيتُ	١١	الْخُطُوبُ
٢٦	صَبَابَاتِي	١٢	الطَّرَبُ
٢٥	يُؤَاتِي	٨	الْعَجَبُ
٢٧	الْفَرَجَا	٩	الْقَلْبُ
٣٠	جَرَحَا	٧	فَاللَّبُّ
٢٩	صَدَحَا	١٠	وَيَنْشَعِبُ
٢٨	وَمَزَاحَا	١٨٥	أَثْرَابِ
٣٣	الصَّبُوحُ	١٧	تَجْرِبِ
٣٢	الْفُصْحُ	١٥	عَذْبِ
٣١	الْمَازِجُ	١٣	لِشْرَابِ
٣٤	مَجْرُوحِ	١٦	لِلضَّبِّ
٣٥	الْبَارِحَةُ	١٤	وَالْعِنْبِ

٧٠	عَسِيرُ	٣٧	رَوْدَا
٦٨	عُورُ	٤٤	الْأَسْوَدُ
٦٧	نَدُورُ	٤٣	الْبَلَدُ
٦٩	والخَبِيرُ	٤٢	الحَاشِدِ
٦٦	يَدُورُ	٣٨	الْمُسْتَرَادِ
٧٤	أَثَرِي	٤٠	بِالْجَرَدِ
٧٢	الخَبِيرِ	٣٩	بِالسَّدِ
٨٣	الصدورِ	٤٥	بِمَوْعُودِي
٧٣	الْكَبِيرِ	٤١	كَالْوَرْدِ
٨٤	الْكَبِيرِ	٣٦	الْمُتَجَرِّدِ
٧٨	الْكَلِيرِ	٤٦	عَادَةً
٨١	بِالنَّظَرِ	٤٧	كَبِدَةً
٨٥	بِالْوَقَارِ	٤٨	كِنْدَةً
٧٧	تَدْرِي	٤٩	جَدَّةً
٨٢	ظُفْرِ	٥١	صُدُودَةً
٧١	فَأُدَارِي	٥٠	يُقَدَّةً
٧٦	كَالْبَدْرِ	٥٢	طَبِيزَنَابَادًا
٨٠	لِلْحَشْرِ	٥٣	بَغْدَادِ
٧٩	وَحْمَرِ	٥٩	أَفْتَرَى
٧٥	يَجْرِي	٥٨	الْخُمَارَا
٥٥	أَسْتَرُ	٦١	الْخَمْرَا
٥٧	وَالْخَطَرُ	٦٢	طُهْرَا
٥٤	وَتَصَبَّرُ	٦٠	وَالْفِكْرَا
٥٦	وَطَرُ	٦٥	الْجَهْرُ
٨٧	سَمَرَةٍ	٦٤	بَخْرُ
٨٦	وَقَارَةٍ	٦٣	حُصْرُ

١١٣	سِوَاكَا	٨٨	وَدَارِسُ
١١٧	أَمَلَا	٩٠	النَّاسِ
١١٦	تَقَبَّلَا	٩١	بِرَاسِي
١١٩	مَأْمُولَا	٨٩	عَبَاسِ
١١٨	مَهَلَا	٩٢	جَلَسُ
١٢٠	الْقُبْلُ	٩٣	رُقَاشُ
١٢٣	سَبِيلُ	٩٤	سَرِيْعَا
١٢١	عَسَلُ	٩٥	تَبِيعُ
١٢٢	وَابْتَهِلُوا	٩٧	وَمُعْتَرِفَا
١٢٨	الْأَسِيلِ	٩٨	يُرْفَا
١٣١	الْأَكْلِ	١٠٠	الْوَصْفِ
١٣٦	الرَّسُولِ	٩٩	طَرَفِ
١٢٤	السَّرْبَالِ	٩٦	خَلَفَ
١٣٤	الْعَمَلِ	١٠٢	الْأَرْقَا
١٣٣	الْمَتَزَمِّلِ	١٠١	حَقًّا
١٣٥	بِزَلِيلِ	١٠٧	الْمُتَّقِي
١٢٧	بِقُطْرَيْلِ	١٠٨	تَصْدِيقِي
١٣٢	جَمَلِي	١٠٩	رَقِيقِ
١٢٩	رِجْلِي	١٠٤	صَفَاقِ
١٢٦	عِيَالِ	١٠٥	لِلْمُعَانِقِ
١٢٥	فَعَالِ	١٠٣	وَالسَّاقِي
١٣٠	وَالْهَزْلِ	١٠٦	يَخْتَنِقِ
١١١	لَعَلَّكَ	١١٠	عُنُقَهْ
١٣٨	شَمِيمَا	١١٢	أَرَاكَا
١٣٧	فَأَقِيمَا	١١٤	أَهْجُكَا
١٤٠	تَرْحَمَ	١١٥	وَالسَّمَكَا

١٦٥	الْحَدَّثَانِ	١٣٩	تَضَامُ
١٧٠	الرَّزْجُونِ	١٤١	دَسَمُ
١٦٦	الْقِيَانِ	١٨٦	أَعْظَمُ
١٦٤	أَوَانِ	١٤٣	الْأَيَامِ
١٦٣	عَثْمَانِ	١٤٤	الْكَرْمِ
١٦٩	فَاسِقِنِي	١٤٦	أَنِمَ
١٦٧	نُتْنِي	١٤٢	بِسْلَامِ
١٧١	وَطِينِ	١٤٧	سُقِمَ
١٦٨	يُغْنِي	١٤٥	لَا زِمَ
١٥١	رَوَيْدُنْ	١٤٨	مَلُومَ
١٧٢	تُهْنِيهَا	١٤٩	نَسِيمَ
١٧٤	اللَّهِ	١٥٠	مُكْتَمَهُ
١٧٣	يَذْكُرَاهَا	١٥٧	الْثَمِينَا
١٧٥	تَمَنَّاها	١٥٨	المؤمنينا
١٧٩	الْأَلَاهِي	١٥٦	تَنْتَظِرِينَا
١٨٠	إِلَيْهِ	١٥٥	عِنْدَنَا
١٨١	فَعُضُوا	١٥٣	كَانَا
١٨٢	خَزِيَا	١٥٤	وَلِسَانَا
١٧٨	أَنَا فِيهَا	١٥٢	يَقْطَانَا
١٧٦	تِيهَا	١٦١	جَرِينُ
١٧٧	فَقِيهَا	١٥٩	مَكَانُ
١٨٣	زَانِيَةُ	١٦٠	يَمِينُ
١٨٤	بِمُقْلَتِيهِ	١٦٢	أَبَانِ

دِعْبِلُ الْخَزَاعِيِّ

(١٤٨هـ - ٢٤٦هـ)

نصر كتب الأدب القديمة على أن دعبلاً مات عن ثمان وتسعين سنة قمرية، فهذه خمس وتسعون سنة شمسية. . وهذا كثير على شاعر قتل قتلاً بعد أن هجا ستة خلفاء ما تجرأ أحد من شعراء عصره على هجاء أحد منهم. لكنه نقل عن دعبل أنه قال إنه يحمل خشبته على كتفه منذ خمسين سنة لا يجد من يصلبه عليه. فزعنا إلى كتاب عمر فروخ الممتاز في تاريخ الأدب العربي، ثم عدنا ومسحنا عدسة النظارة ونظرنا في ديوان دعبل - الذي صنعه مما تيسر له من شعر دعبل المحقق المدقق عبد الكريم الأشر، وصنعه صنعة تنم عن علم غزير وصبر على البحث والتنقيب قل أن تلقاهما حتى عند كبار المحققين، فأما الفسول الذي يسمون أنفسهم محققين للدواوين في هذه الأيام فننبذهم ظهرياً، آمليين أن نعود إليهم في فقرة مقبلة كي نلهب ظهورهم بالسياط -، فلم نجد في مقدمة المحقق للديوان ما يشكك في أن دعبلاً عُمِّرَ هذا التعمير. نظرت هنا ثم هنا، ثم قلت: أرى كيف حقق المستشرقون تاريخ ولادة شاعرنا وتاريخ وفاته، فوجدت المقالة عنه في دائرة المعارف الإسلامية مشحونة بالأغلاط مكتوبة بقلم مستسهل قليل المعرفة قليل التدقيق. وعلى كل حال فكل هؤلاء أجمع على أن دعبلاً عاش ثمانين وتسعين سنة قمرية. فقلت قد عاشها، ألم يخنق الفرزدق التسعين؟

ولد دعبل في الكوفة أو قرقيسيا قرب دير الزور. وهو رجل عربي من خزاعة اليمانية. واسمه دِعْبِلُ بن علي بن رَزِين الخزاعي. رافق المجان في الكوفة في شبابه الباكر، وارتكب جريمة قتل فطلب بها فهرب، وعاش حتى مات كل أولياء الثأر فرجع إلى الكوفة، وقد أسنَّ، آمناً.

تمذهب دعبل بالمذهب الشيعي، والتشيع ليس مذهباً دينياً فحسب؛ فحتى في ذلك الزمن المبكر، مطلع القرن الثالث الهجري، فقد غدا التشيع هوية وانتماء سياسياً وحالة نفسية. وأصبحت «مقاتل الطالبيين» جزءاً من العقيدة؛ فكل طالبي، من نسل أبي طالب عم الرسول، يخرج عن الخلافة ويقاتل ويقتل يترك وراءه خيطاً من الدم يدخل في نسيج العقيدة الشيعية. وقد بذل الخليفة المأمون جهداً نظنه صادقاً، رغم ما كان وراءه من هدف سياسي، في تمزيق هذا النسيج الدموي، واستفاد من جهده سياسياً، واستطاع أن يهدئ الأجواء، لكن ما صنعه كانت حبة أسبرين.

اتخذ شاعرنا من هذا الشرخ في الأمة الإسلامية سترأ هجا من وراءه الخلفاء، واجداً لنفسه أقواماً وأشرافاً يحمونه. كان دعبل يحتمي وراء التشيع ووراء خزاعة، وساعده في الإفلات من يد الطلب أن الخلافة كانت قد تمفصلت في عصر هارون الرشيد وازدادت تمفصلاً بعده فاستقل كل أمير ناحية بإمارته بعض استقلال.

مدح دعبل كثيراً وهجا أكثر، وكان عرف من أستاذه في الشعر مسلم بن الوليد أن الهجاء أعود على الشاعر من المدح، فهجاؤك أحدهم يجعل غيره يعطيك مسرعاً عندما تمدحه خوفاً من أن يهجي. وذكروا أن دعبلاً نظم قصيدة هجاء وتركها تنتظر المهجو المقبل، حتى إذا نشأت الحاجة إليها ركب فيها اسم المهجو وأذاعها.

جعل صاحب الأغاني سيرة دعبل في خمسين صفحة، وهي تصور لنا الشاعر شخصاً متمرداً له إيمان الأعراب بالدين، وهو إيمان خفيف، وله غرام بالمناكفة. مؤمن بموهبته وعارف بالشعر، فإذا ما وقف أمام جدار خرساني من موهبة فذة لشاعر يصغره بأربعين عاماً، عنينا أبا تمام، ناكف قليلاً ثم سلم تسليمًا. ومضى يناكف غيره. خاض خصومة طويلة مع الشاعر أبي سعيد المخزومي، الذي كان يجاري دعبلاً في السفه، ويطاوله في الموهبة، ولكن دعبلاً أخمله.

سمع هارون الرشيد شعر دعبل، ودعبل يسير نحو الأربعين، وقربه وأعطاه. ومات الرشيد ودعبل في الخامسة والأربعين فهجاه بعد موته، وجاء الأمين فهجي الأمين. وجاء المأمون فسمع شعر دعبل وأجازه. . ليس يهم الملك أن تكون هجوت أباه وأخاه.

هذه قاعدة فاحفظها إن شئت.

ثم هُجِّي المأمون حياً، وكان سمحاً فلم يطلب دعبلاً، بل لقد كان يضحك كلما سمع شعر دعبل في هجاء كاتبه المتوتر الغضوب أبي عباد. سأل المأمون جليسه يوماً عما أحدث «شاعر خزاعة»، فقيل له: من يعني أمير المؤمنين؟ أبا الشيص أم ابنه أم طاهراً أم عبد الله بن طاهر، أم دعبلاً؟ فقال المأمون: ومن عسى في هؤلاء أن يُسأل عن شعره سوى دعبل؟

أتى دعبل، وهو ابن خمسين، مصر ومدح أميرها المطلب بن عبد الله الخزاعي، فعينه على أسوان، ثم لما بلغه هجاء قاله دعبل فيه عزله شر عزل، فهجاه دعبل أمر هجاء.

وأقام دعبل زمناً في كنف علي بن موسى الرضا الإمام الثامن الذي ولاه المأمون عهده. وكان يكثر من زيارة قم، وكانت هذه المدينة بلد الشيعة، لم يكد يسكنها أحد من غيرهم، قديماً مثلماً حديثاً. كان هذا في حياة المأمون.

ومات المأمون وتولى المعتصم فنال من دعبل هجاء ما ناله خليفة قبله. وكان دعبل يحتمي وقتئذ في مدن وقرى فارس الشيعية دائم الترحال حاملاً خشبته على كتفيه ينتظر أن يصلبه أحد عليها. ومات المعتصم وجاء الواصل فنال من هجاء دعبل فور توليه الخلافة ما ناله سابقوه، على أن الواصل أحسن إلى الطالبين وأكرمهم وقربهم، فلما مات جاء المتوكل فرفع عن الطالبين ما كان أحاطهم به أخوه وسلفه الواصل من رعاية، فنال نصيبه من لسان دعبل، ولم يبلغنا من هجاء دعبل للمتوكل سوى بيت واحد: (ولست بقاتل قَدْعاً، ولكن/ لأمر ما يُعَدُّ لك العبيد) ويروى البيت أيضاً (تعبّدك العبيد)، يلمح إلى الأبناء، ولعله غير رأيه عندما بلغه أن لدى المتوكل أربعة آلاف جارية زعم الزاعمون أنه وطنهن كلهن.

وكان إبراهيم بن المهدي قد نصب نفسه خليفة في بغداد فيما بين مقتل الأمين وقدم المأمون إلى العاصمة، ونال من دعبل سخرية ظل يحققها عليه.. وظل المأمون يضحك منها زمناً.

وقد نقلنا لك بعضاً من كل ذلك الهجاء في المختارات التي تجدها بعد هذه المقدمة المفككة، التي رأينا - عجزاً وكسلًا - ألا نحكمها إحكاماً، فقد عاش شاعرنا قرناً ومرت به أحداث كثيرة، ولم نشأ أن تقتحم لجج التفاصيل.

والشعر الذي نوردته عليك بعد أسطر مسرود بحسب ترتيب الديوان، ولم

نشأ أن نرتب الأشعار زمنياً، مع أن محقق الديوان وضع إشارات كثيرة إلى الزمن التقريبي الذي قيلت فيه أهم أشعار الديوان. فافقراً شعر دعبل بما هو شعر، وحسبك ما في هذه المقدمة من معلومات عن حياة الشاعر. غير أنك تريد أن تعرف كيف مات.

هجا دعبل مالك بن طوق التغلبي، هذا الأمير الذي كان من أركان الدولة منذ عهد الرشيد إلى ما بعد عهد المتوكل، والذي بلغ من مكانته أن مدحه أبو تمام والبحري. هجاه دعبل مرات وبالع في الشتم واصلاً إلى التزنية. فأخذه والي البصرة بإيعاز من مالك بن طوق، وضربه ضرباً مبرحاً وبلّعه سلحه. وهرب دعبل إلى الأهواز، فبعث إليه مالك من اغتاله بحربة مسمومة.

١ من أين جاء؟

يهجو القاضي أحمد بن أبي دؤاد:

إِنْ هَذَا الَّذِي دُؤَادُ أَبُوهُ وَإِيَادُ، قَدْ أَكْثَرَ الْأَنْبَاءَ
سَاحَقَتْ أُمُّهُ وَلَا طَ أَبُوهُ لَيْتَ شِعْرِي عَنْهُ، فَمِنْ أَيْنَ جَاءَ؟

٢ كأسان وميزان

وَكَأْسٍ قَدْ شَرِبْنَاهَا بِلُطْفٍ تَخَالَ شَرَابَنَا فِيهَا هَوَاءُ
وَزَنَّا الْكَأْسَ فَارَغَةً وَمَلَأَى فَكَانَ الْوِزْنُ بَيْنَهُمَا سَوَاءُ
أَكثَرُوا مِنْ وَصْفِ الْخَمْرِ بِأَنَّا بِلَا وَزْنٍ، كَأَنَّمَا لَشْدَةُ صَفَائِهَا، وَالْمَاءُ أَصْفَى

٣ خط الرجعة

قال لصديق جفاه:

فَلَا تَكُ كَالرَّائِكِبِ السَّيِّعِ كِي يُهَابُ، وَأَنْتَ لَهُ أَهْيَبُ
فَأَبْصِرْ لِنَفْسِكَ كَيْفَ النِّزْوِ لُ فِي الْأَرْضِ عَنْ ظَهْرِ مَا تَرَكْبُ

٤ ثامنهم كلب

يهجو المعتصم:

بَكَى لِشَتَاتِ الدِّينِ مُكْتَتِبٌ صَبٌّ وَقَاضٍ بِفَرْطِ الدَّمْعِ مِنْ عَيْنِهِ غَرَبٌ
الغرب: الدلو، والغرب أيضاً العين

وقام إمام لم يكن ذا هداية فليس له دين وليس له لب
وما كانت الأنبياء تأتي بمثله يملك يوماً أو تدين له العرب
ملوك بني العباس في الكتب سبعة ولم تأتينا عن ثامن لهم كتب
والمعتصم هو ثامن خلفاء بني العباس

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة خيار إذا عدوا وثامنهم كلب
وإني لأعطي كلبهم عنك رفعة لأنك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع أمر الناس إذ ساس ملوكهم وصيف وأشناس وقد عظم الكرب
وصيف وأشناس من قادة الأتراك

٥ القدر الطروب

الحمدُ فرَّقَ مالي في الحقوق، فما أبقيتُ دماً، ولا أبقيتُ لي نسباً
تفريقي المال لكسب الحمد لم يترك علي دماً، لكنه أيضاً لم يترك لي نسباً، أي ثروة
قالت سلامة دُعْ هَذي اللَّبُونُ لَنَا لِيَصْبِيَةَ مِثْلِ أَفْرَاحِ الْقَطَا زُغْبَا
تطلب منه امرأته أن يترك الناقة الحلوب للصبية الضعاف كأنهم أفراح طير القطا الزغب،
التي بدأ يبت ريشها

قلتُ احسبِهَا ففِيهَا مُتَعَةٌ لَهُمْ إِنْ لَمْ يُنْخِ طَارِقُ يَبْغِي الْقِرَى سَغْبَا
قلت احسبها للصبية كي يتمتعوا، يستفيدوا، من حليبها ما لم يأت طارق، زائر ليل، وينبخ دابته
ببانا وهو يطلب القرى سغباً، أي جانعاً

لَمَّا احْتَبَى الضَّيْفُ وَاغْتَلَّتْ حَلُوبُهَا بَكَى الْعِيَالُ وَغَنَّتْ قِدْرُنَا طَرَبَا
وجاء الضيف، واحتى، أي جلس وجمع ساقية إلى ظهره بशल، ولم يكن في ناقتنا حليب، فبكى
العيال لأنني سأذبحها، ولكن القدر غنت طرباً بما فيها من ماء بدأ يغلي

هَذي سِبْلِي، وَهَذَا فَاعَلَمِي خُلُقِي فَارْضَنِي بِهِ أَوْ فَكُونِي بَعْضَ مَنْ غَضِبَا
أَسْعَى لِأُطْلِبَهُ، وَالرِّزْقُ يَطْلُبُنِي وَالرِّزْقُ أَكْثَرُ لِي مِنِّي لَهُ طَلَبَا
أطلب الرزق وهو يطلبني، بل يطلبني أكثر مما أطلبه

قَوْمٌ جَوَادُهُمْ قَرْدٌ، وَقَارِسُهُمْ قَرْدٌ فَارْدٌ وَشَاعِرُهُمْ قَرْدٌ إِذَا نَسَبَا
أنا من قوم جوادهم فرد، أي متفرد. . وهو حاتم الطائي ذلك أنه من قبيلة يمانية كدعلج، وفارسهم
فرد، وهو عمرو بن معديكرب، وشاعرهم إذا نسب فرد، ونظته عن نفسه

٦ قديموني للجحيم

إِنَّمَا الْعَيْشُ فِي مُنَادَمَةِ الْإِخْوَانِ، لَا فِي الْجُلُوسِ عِنْدَ الْكَعَابِ
العيش الحقيقي هو في مجالسة الرجال لا في الجلوس عند الفتاة الكعاب، البارزة النهدين
وَيَصِرْفٍ كَأَنَّهَا أَلْسُنُ الْبَرِّ قِذَا اسْتَعْرَضَتْ رَقِيقَ السَّحَابِ
والعيش تناول خمر صرف، غير ممزوجة، لونها كألجنة البرق تلمع بين السحاب

إِنْ تَكُونُوا تَرَكْتُمْ لَذَّةَ الْعَبْدِ شِذَا رَ الْعِقَابِ يَوْمَ الْعِقَابِ
فَدَعُونِي وَمَا أَلَذُّ وَأَمْوَى وَادْفَعُوا بِي فِي نَحْرِ يَوْمِ الْحِسَابِ

٧ لَا أَلَحْ

دخل على عبد الله بن طاهر، فقال:

جِئْتُ بِلا حُرْمَةٍ وَلَا سَبَبٍ إِلَيْكَ إِلَّا بِحُرْمَةِ الْأَدَبِ
فَاقْضِ ذِمَامِي فَإِنِّي رَجُلٌ غَيْرُ مُلِحٍّ عَلَيْكَ فِي الطَّلَبِ
ذمامي: حقي

٨ كلب بافلوف الخزاعي

إِذَا نَبَحَ الْأَضْيَافُ كَلْبِي تَصَبَّيْتُ يَنَابِيعُ مِنْ مَاءِ السَّرُورِ عَلَى قَلْبِي
ماء السرور هذا كماء الملام عند أبي تمام الذي دار عليه لفظ كثير شاركتنا فيه فيما كتبناه عن أبي تمام
فَأَلْقَاهُمْ بِالْبِشْرِ وَالْبَرِّ وَالْقَرَى وَيَقْدُمُهُمْ نَحْوِي يُبَشِّرُنِي كَلْبِي
مثلاً جعل بافلوف كلبه يربط شرطياً بين صوت الجرس وقدم الطعام فيسيل لعابه قبل تقديم
الطعام، كذا كلب دعبل يربط شرطياً بين قدم الأضياف وتوفر الطعام الذي لا بد أن يصيب منه

٩ رزق الكلبة

يهجو المطلب بن عبد الله الخزاعي:

وَلَوْ خُصَّ بِالرِّزْقِ نَجْلُ الْكِرَامِ لَمَّا نِلْتَ خَيْطاً وَلَا هُدْبَةً
الهدبة: الخيط منسولاً من طرف الثوب

وَلَكِنَّهُ رِزْقٌ مِّنْ رِّزْقِهِ يَعُمُّ بِهِ الْكَلْبَ وَالْكَلْبَةَ
لكن هذا الرزق الذي نلته هو رزق الله الذي يعطيه حتى للكلب والكلبة

١٠ مدارس آيات

قصيدة ذات شهرة مدوية، أنشدتها دعبيل علي بن موسى الرضا الإمام الثامن:

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزَلٌ وَخِي مُقْفَرُ الْعَرَصَاتِ

أماكن لدرس آيات القرآن خلت من التلاوة، وموضع بالحجاز حيث كان ينزل الوحي أصبح مقفر
الساحات بسبب المحن التي تعرض لها آل البيت

لِآلِ رَسُولِ اللَّهِ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَىٰ وَيَالرُّكْنِ وَالتَّعْرِيفِ وَالْجَمَرَاتِ

هذه أماكن في الديار المقدسة

قِفَا نَسَائِلَ الدَّارِ الَّتِي خَفَّ أَهْلُهَا مَتَىٰ عَهْدُهَا بِالصُّومِ وَالصَّلَوَاتِ؟

خف أهلها: رحلوا

وَأَيْنَ الْأَلَى شَطَّتْ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَىٰ أَفَانِينَ فِي الْآفَاقِ مُفْتَرِقَاتِ؟

أين الذي شطت، ابتعدت، بهم غربة النأي والفراق أفانين، متفرقين

وَمَا النَّاسُ إِلَّا حَاسِدٌ وَمُكَذِّبٌ وَمُضْطَغِنٌ ذُو إِخْنَةٍ وَتِرَاتِ

الناس إما حاسد لهم على منزلتهم العلية أو مكذب بحقوقهم أو مضطغن، حاقد، ذو إحنة، أي
حقد، وترات، أي ثارات

إِذَا ذَكَرُوا قَتَلَىٰ بِبَدْرِ وَخَيْبَرٍ وَيَوْمِ حُنَيْنٍ أَسْبَلُوا الْعَبْرَاتِ

إذا ذكر الأعداء، قتلهم ببدر وخيبر وحنين بكوا، وكان كثيرون من قريش وغيرها من أعداء
الرسول في هذه المعارك قبل أن يسلموا، ولكنهم ظلوا يتذكرون هزائمهم قبل إسلامهم

وَكَيْفَ يُحِبُّونَ النَّبِيَّ وَأَهْلَهُ وَقَدْ تَرَكُوا أَحْشَاءَهُمْ وَغِرَاتِ

كيف يحبون النبي وأهله وقد تركوا أحشاء هؤلاء الأعداء وغرات، مثقلات بالحقد

لَقَدْ لَا يَنْوَهُ فِي الْمَقَالِ وَأَضْمَرُوا قُلُوبًا عَلَى الْأَحْقَادِ مُنْطَوِيَاتِ

أسلموا ولانوا في كلامهم مع الرسول، والحقد في قلوبهم

مَلَأَمَكَ فِي أَهْلِ النَّبِيِّ فَإِنَّهُمْ أَحِبَّائِي مَا عَاشُوا وَأَهْلُ ثِقَاتِي

كف عن لومك لأهل النبي

فِيَا رَبِّ زِدْنِي مِنْ يَقِينِي بِصِيرَةٍ وَزِدْ حُبَّهُمْ يَا رَبِّ فِي حَسَنَاتِي

وَأَكْتُمُ حُبِّيَكُمْ مَخَافَةَ كَاشِحٍ عَنِيدٍ، لِأَهْلِ الْحَقِّ غَيْرِ مُؤَاتِ

أكتم حبي لكم يا آل النبي خوفاً من كاشح، مضر للعداوة، وليس مواتياً، أي موافقاً، لأهل الحق

لَقَدْ حَقَّتِ الْأَيَّامُ حَوْلِي بِشَرِّهَا وَإِنِّي لَأَرْجُو الْأَمْنَ بَعْدَ وَفَاتِي

يرجو الجنة بسبب نصرته لآل النبي

أَرَى فَيْئَهُمْ فِي غَيْرِهِمْ مُتَقَسِّمًا وَأَيْدِيَهُمْ مِنْ فَيْئِهِمْ صَفِرَاتٍ

فيء آل النبي، نصيبهم من الغنائم، مقسم في غيرهم، وأيديهم صفرات، خاليات، منه

فَأَلَّ رَسُولُ اللَّهِ نُحْفَ جُسُومُهُمْ وَأَلَّ زِيَادُ حُفْلِ الْقَصَرَاتِ

آل زياد، أخي معاوية بن أبي سفيان لأبيه، حفل القصرات، غلاظ الرقاب من النعمة

إِذَا وَتَرُوا مَدُّوا إِلَى وَاتِرِيهِمْ أَكْفًا عَنِ الْأَوْتَارِ مُنْقَبِضَاتٍ

إذا وتروا، ووجهوا بالعداء وطلب الثأر، مدوا إلى الواترين، طالبي الثأر، أكفاً منقبضة عن الثارات

سَأَقْصُرُ نَفْسِي جَاهِدًا عَنْ جِدَالِهِمْ كَفَانِي مَا أَلْقَى مِنَ الْعِبَرَاتِ

لن أجادل الأعداء، وكفاني ما بي من دموع

أَحَاوِلُ نَقْلَ الشَّمْسِ مِنْ مُسْتَقَرِّهَا وَإِسْمَاعَ أَحْجَارٍ مِنَ الصَّلِدَاتِ

فإنقاعهم شبيه بنقل الشمس من مكانها أو إسماع الأحجار الصلدة، الصلبة

فَمِنْ عَارِفٍ لَمْ يَنْتَفِعْ وَمُعَانِدٍ يَمِيلُ مَعَ الْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ

وهم بين عارف بحق آل البيت لكنه لم ينتفع بمعرفته، وبين معاند يميل مع أهوائه ومصالحه وشهوات الانتقام في نفسه

قُصَارَايَ مِنْهُمْ أَنْ أُؤَوِّبَ بِغُصَّةٍ تَرَدَّدُ بَيْنَ الصَّدْرِ وَاللَّهَوَاتِ

قصاراي، أقصى ما أناله، من جدالهم أن أووب، أي أرجع، بغصة في الحلق تتردد بين الصدر واللهوات، آخر الحلق

١١ أنا والضيف والقصيدة الصعبة

نَفْسِي تُنَافِسُنِي فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ إِلَى الْمَعَالِي، وَلَوْ خَالَفْتُهَا أَبَتْ

وَكَمْ رَحِمْتُ طَرِيقَ الْمَوْتِ مُعْتَرِضًا بِالسِّيفِ صَلْتًا فَأَدَّانِي إِلَى السَّعَةِ

صلتاً: ملولاً

وَالْجَوْدُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْذُ عَاهَدَنِي مَا خُنْتُهُ وَقَتَ مَيْسُورِي وَمَعْسِرَتِي

مَا يَرْحَلُ الضَّيْفُ عَنِّي غَبَّ لَيْلَتِهِ إِلَّا بِزَادٍ وَتَشْبِيعٍ وَمُعْذَرَةٍ

يرحل الضيف غب ليلته، بعد قضائه الليلة عندي، وقد زودته بزاد لرحلته، وشيعة واعتذرت إليه عن أي تقصير

قَالَ الْعَوَازِلُ أَوْدَى الْمَالُ، قُلْتُ لَهُمْ مَا بَيْنَ أَجْرِ الْقَاءِ وَمَحْمَدَةَ
 قَالَ الْعَاذِلُونَ: قَدْ ذَهَبَ مَالُكَ، فَقُلْتُ لَهُمْ: أَلَا قِي عَلَيْهِ الْأَجْرُ مِنْ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ مِنَ النَّاسِ
 أَفْسَدَتْ مَالُكَ، قُلْتُ: الْمَالُ يُفْسِدُنِي إِذَا بَخِلْتُ بِهِ وَالْجُودُ مَصْلَحَتِي
 لَا تَعْرِضَنَّ بِمَرْحٍ لِمَرْئِي سَفِيهِ مَا رَاضَهُ قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِي الشَّفَةِ
 لَا تَمْرَحْ مَعَ سَفِيهِ يَفْوَهِ بِكُلِّ شَيْءٍ يَتَرَدَّدُ فِي نَفْسِهِ دُونَ تَفْكِيرٍ

فَرُبَّ قَافِيَةٍ بِالْمَرْحِ جَارِيَةٍ مَشْبُوبَةٍ لَمْ تُرِدْ إِنَّمَاءَهَا نَمَتْ
 رَبُّ قَصِيدَةٍ جَرَتْ عَلَى لِسَانِكَ مَرْحاً وَهِيَ حَارَةٌ حَادَّةٌ، وَلَمْ تَقْصِدْ إِلَى إِشَاعَتِهَا، لَكِنَّا شَاعَتْ..
 المعنى الملموح

رَدُّ السَّلَى مُسْتَتِمًّا بَعْدَ قَطْعَتِهِ كَرَدُّ قَافِيَةٍ مِنْ بَعْدِمَا مَضَتْ
 إِنْ رَدَّ السَّلَى مُسْتَتِمًّا، إِعَادَةُ الْمَشِيمَةِ بِحَالِهَا سَلِيمَةً، إِلَى جُوفِ الْمَرْأَةِ بَعْدَ أَنْ قَطَعْتَ عَنِ الطِّفْلِ
 مُسْتَحِيلٌ، وَكَذَا رَدُّ قَصِيدَةٍ قِيلَتْ وَانْتَشَرَتْ

إِنِّي إِذَا قُلْتُ بَيْتًا مَا تُقَالُهُ وَمَنْ يُقَالُ لَهُ، وَالْبَيْتُ لَمْ يَمُتْ

١٢ البائدون العائدون

قال يهجو ابن أبي دؤاد:

تَرَى طَسْمًا تَعُودُ بِهَا اللَّيَالِي إِلَى الدُّنْيَا كَمَا رَجَعَتْ إِيَادُ
 لَا عَجَبَ أَنْ تَرَى قَوْمَ طَسْمِ الَّذِينَ بَادُوا قَدْ عَادُوا إِلَى الدُّنْيَا مِثْلَمَا عَادَتْ قَبِيلَةُ إِيَادَ

قَبَائِلُ جُذْ أَصْلُهُمْ فَبَادُوا وَأَوْدَى ذِكْرُهُمْ زَمَنًا فَعَادُوا
 هَذِهِ قَبَائِلُ جُذْ، قَطَعَ، أَصْلُهُمْ وَيَادُوا، وَيَادَ ذِكْرَهُمْ.. ثُمَّ عَادُوا

وَكَانُوا عَرَّزُوا فِي الرَّمْلِ بَيْضًا فَأَمْسَكَهُ، كَمَا عَرَّزَ الْجَرَادُ
 كَانَهُمْ وَضَعُوا فِي الرَّمْلِ بَيْضًا فَأَمْسَكَ الرَّمْلُ مِثْلَمَا يَغْرُزُ الْجَرَادُ بَيْضَهُ فِي الرَّمْلِ، وَبَعْدَ أَنْ يَذْهَبَ
 الْجَرَادُ يَقُومُ مِنَ الرَّمْلِ جَرَادٌ جَدِيدٌ

عَدَا تَأْتِيكَ إِخْوَتُهُمْ جَدِيدِينَ وَجُرْهُمُ قُصَّراً، وَتَعُودُ عَادُ
 وَتَعُودُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ قَبَائِلُ جَدِيدِينَ وَجُرْهُمُ وَعَادُ.. وَكُلُّهَا مِنَ الْعَرَبِ الْبَائِدَةِ

فَتَعَجَّزَ عَنْهُمْ الْأَمْصَارُ ضَيْقًا وَتَمَتَّلَى الْمَنَازِلُ وَالْبِلَادُ
 وَلَمْ أَرْ مِثْلَهُمْ قَلُّوا فَرَادُوا وَلَمْ أَرْ مِثْلَهُمْ بَادُوا فَعَادُوا
 لَمْ أَرْ مِثْلَ قَبِيلَةِ إِيَادَ الَّذِي قَلَّ عِدْدُ نَاسِهَا، ثُمَّ زَادُوا.. وَبَادُوا ثُمَّ عَادُوا.. يَشْكُكُ فِي نَسَبِ إِيَادَ
 الَّتِي يَنْسَبُ إِلَيْهَا الْمَهْجُو

١٣ مات المشؤوم عاش المشؤوم

قال في موت المعتصم وقيام الواثق:

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا صَبْرَ وَلَا جَلْدَ وَلَا عِزًّا إِذَا أَهْلُ الْبَلَاءِ رَقَدُوا
لا حاجة إلى الصبر والجلد، الصبر، ولا إلى التعزي إذا أهل البلاء ماتوا.. فلا حزن عليهم
خليفة مات لم يحزن له أحدٌ وآخر قام لم يفرح به أحدٌ
فمرَّ هذا ومرَّ الشؤوم يتبعه وقام هذا فقام الهم والنكد

١٤ هجاء العالمين

ذَمُّنُكَ أَوَّلًا حَتَّى إِذَا مَا بَلَوْتُ سِوَاكَ عَادَ الذَّمُّ حَمْدًا
بلوت: اختبرت

فَلَمْ أَحْمَدْكَ مِنْ خَيْرٍ وَلَكِنْ رَأَيْتُ سِوَاكَ شَرًّا مِنْكَ جَدًّا
فَعُدْتُ إِلَيْكَ مُجْتَدِيًّا ذَلِيلًا لِأَنِّي لَمْ أَجِدْ مِنْ ذَاكَ بُدًّا
مجتدياً: سائلاً

كَمْ جُهِودٍ تَحَامَى لَحْمَ مَيْتٍ فَلَمَّا اضْطُرَّ عَادَ إِلَيْهِ شَدًّا
مجهود: مرهق، شداً: مسرعاً

١٥ لا أرى أحداً

مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَا بَلَّ مَا أَقْلَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقُلْ فَنَدًا
فندا: باطلاً

إِنِّي لَأَفْتَحُ عَيْنِي حِينَ أَفْتَحُهَا عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَدًا

١٦ قتلنا أخاك

قال يهدد الخليفة المأمون:

أَيَسُومُنِي الْمَأْمُونُ خُطَّةً عَاجِزٍ أَوْ مَا رَأَى بِالْأَمْسِ رَأْسَ مُحَمَّدٍ؟
أيكلني الخليفة المأمون أمراً أكون فيه العاجز.. ألم ير قبل حين رأس أخيه محمد الأمين؟

لَأَنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سَيُوقَهُمْ قَتَلْتُ أَخَاكَ وَشَرَفْتِكَ بِمَقْعَدٍ

أنا من بني خزاعة الذين قتلوا أخاك وشرفوك بالخلافة، وكان القائد طاهر الخزاعي، من قوم دعلج
أو من مواليتهم، قتل الأمين فألت الخلافة للمأمون

رَفَعُوا مَحَلَّكَ بَعْدَ طَوِيلِ خُمُولِهِ وَاسْتَنْقَذُوكَ مِنَ الْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ
قومي رفعوك إلى الخلافة بعد أن كنت خاملًا، مغمورًا غير معروف، وأنقذك من الحضيض
الأوهد، الأسفل

١٧ أبو عباد

قال يهجو أبا عباد ثابت بن يحيى كاتب المأمون:

أَوَّلَى الْأُمُورِ بِضَيْعَةٍ وَفَسَادٍ أَمْرٌ يُدَبِّرُهُ أَبُو عَبَّادٍ
يَسْطُو عَلَى كُتَابِهِ بِدَوَاتِهِ فَمُرْمَلٌ وَمُضْمَخٌ بِمِدَادٍ
مرمل: ملطخ بالدم

فَكَأَنَّهُ مِنْ دَيْرٍ هَزَقِلَ مُفْلِتٌ حَرْدٌ يَجْرُسُ سَلَسِلَ الْأَقْيَادِ
دير هزقل: بيت المجانين، حرد: غاضب. وكان المأمون يتذكر هذه الأبيات ويضحك كلما رأى
كاتبه أبا عباد هذا

١٨ نصيحة للمماطلين

إِيَّاكَ وَالْمَظْلَ أَنْ تُقَارِفَهُ فَإِنَّهُ آفَةٌ لِكُلِّ يَدٍ
إياك واقتراف المماطلة فهي تعيب كل يد، أي كل نعمة

إِذَا مَظَلْتَ أَمْرًا بِحَاجَتِهِ فَاْمُضْ عَلَى مَظْلِهِ وَلَا تَحْدِ
إذا ماطلت شخصًا فاثبت على المنع ولا تحد، لا تنحرف، ولا تعطه شيئاً.

فَلَسْتَ تَلْقَاهُ شَاكِرًا لِيَدٍ قَدْ كَذَّهَا الْمَظْلُ آخِرَ الْأَبْدِ
فلو أعطيته بعد مماطلة لما وجدته شاكرًا آخر الدهر لنعمة قد كدها، أتعبها، المظل

١٩ الذواقة

إِنِّي وَجَدْتُكَ فِي الْهَوَى ذَوَاقَةً لَا تَصْبِرِينَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ

٢٠ ذقتهم جميعاً

قَدْ بَلَّوْتُ النَّاسَ طُرًّا لَمْ أَجْذِ فِي النَّاسِ حُرًّا
بلوت: جربت، طرأ: جميعاً

صَارَ أَخْلَى النَّاسِ فِي الْعِي بِنِ إِذَا مَا ذِيَقَ مُرًّا

٢١ عذر بني أمية

قال يرثي الإمام الثامن علي بن موسى الرضا:

لو كنتُ أركنُ للدنيا وزينتها إذن بكيتُ على الماضينَ مِنْ نَفْري
بعضُ أقامَ وبعضُ قد أَهَابَ به داعيُ المنيةِ والباقي على الأثرِ
بعضُ قومي أقامَ في الحياة، وبعضهم أَهَابَ به، أي دعاه، داعي الموت، والباقيون سيبعون
أَمَّا الْمُقِيمُ فَأَخْشَى أَنْ يُفَارِقَنِي ولستُ أُوْبَةُ مَنْ وَلَّى بِمُنْتَظَرِ
الأوبة: الرجعة

لولا تَشَاغُلُ نَفْسِي بِالْأَلَى سَلَفُوا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ أَقِرِ
لولا انشغال فكري بمن سلف من آل البيت لما استقر بي الحال ولا نشغلت بمن مات من أهلي..
المعنى المملوح

أَرَى أُمِّيَّةً مَعْذُورِينَ أَنْ قَتَلُوا وَلَا أَرَى لِبَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ عُذْرِ
بنو أمية كانت لهم ثارات مع آل الرسول لذا قتلوا الحسين وغيره من بني علي، فما عذر بني
العباس وقد قتلوا عدداً من العلويين؟

٢٢ اللطيف الخبير

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَحِبُّكَ حُبًّا ظَاهِرَ الْوُدِّ لَيْسَ بِالتَّقْصِيرِ
وَإِذَا مَا خَبِرْتَهُ شَهِدَ الظَّرْ فَ عَلَى حُبِّهِ بِمَا فِي الضَّمِيرِ
الطرف: العين والنظر

وَإِذَا مَا بَحَثْتَهُ قَلْتَ هَذَا ثِقَّةٌ لِي وَرَأْسُ مَالٍ كَبِيرِ
فَإِذَا مَا سَأَلْتَهُ رُبَعَ فَلَسِ أَلْحَقَ الْوُدَّ بِاللَّطِيفِ الْخَبِيرِ

٢٣ الطوامير

يهجو ابن الزيات، ومدحه فلم يكافته بما يرضيه، بل كان يستمع إلى المدح وهو
يقلب لفافة ورق ويدنيه من شفته:

يَا مَنْ يُقَلِّبُ طُومَاراً وَيَلْثِمُهُ مَاذَا بِقَلْبِكَ مِنْ حُبِّ الطَّوَامِيرِ
الطومار: الورقة الملفوفة بهيئة أسطوانة، كالتي نراها في المسلسلات التاريخية، يلثمه: يقبله
فِيهِ مَشَابَهُ مِنْ شَيْءٍ تُسَرُّ بِهِ طُولاً بِطُولٍ وَتَذْوِيراً بِتَذْوِيرِ

٢٤ السخاء الحق

لَيْسَ كُنْتَ لَا تُؤَلِّي يَدًا دُونَ أَمْرَةٍ قَلَسْتَ بِمُؤْلِ نَائِلًا آخِرَ الدَّهْرِ
إن كنت لا تولي، تعطي، يداً، نعمة، دون أمرة، أي رخاء وسعة في العيش، فلن تعطي نائلاً،
عطاء، لأحد أبداً

فَأَيُّ إِنَاءٍ لَمْ يَفِضْ عِنْدَ مَلِيهِ وَأَيُّ بَخِيلٍ لَمْ يُنِيلْ سَاعَةَ الْوَفْرِ
الإناء يفيض بشكل طبيعي عندما يمتلئ والبخيل إذا أثرى جداً فهو يعطي.. هذا ليس بالسخاء..
هذا مجرد تفريغ..

وَلَيْسَ الْفَتَى الْمُعْطِي عَلَى الْيُسْرِ وَحْدَهُ وَلَكِنَّهُ الْمُعْطِي عَلَى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
الذي يعطي فقط عندما يكون موسراً لا يعد سخياً..
فالسخي حقاً من يعطي في حالي العسر واليسر

٢٥ أهزوجة

قال بهجو أبا سعد المخزومي:

يَا أَبَا سَعْدٍ قَوْصَرَةٌ زَانِي الْأُخْتِ وَالْمَرَّةِ
القوصرة: صندوق من قصب للتمر، وكانت الكلمة لقب أبي سعد المخزومي
أَبَدَ الدَّهْرِ خَلْفَهُ فَارِسٌ فِي الْمُؤَخَّرَةِ

٢٦ دماؤهم مطلولة

بهجو مالك بن طوق:

دِمَاؤُهُمْ لَيْسَ لَهَا طَالِبٌ مَطْلُولَةٌ مِثْلَ دَمِ الْعُدْرَةِ
دماء قومك لا يطالب بها أحد فهي مطلولة، مهدورة، مثل دم العذرة، البكارة..
فأنتم ضعاف جبناء لا تأخذون بثأركم
وَجُوهُهُمْ بَيَضٌ وَأَخْسَابُهُمْ سُودٌ وَفِي آذَانِهِمْ صُفْرَةٌ

٢٧ الخطيب الأخرس

مَا كُنْتُ إِذْ طَلَبْتُ يَدَايَ بِكَ الْغِنَى إِلَّا كَطَالِبٍ خُطْبَةٍ مِنْ أَخْرَسٍ
كنت إذ طلبت منك مالاً كمن يطلب من الأبكم الأخرس أن يلقي خطبة
يَا رَبِّ، إِنَّ غِنَى اللَّثِيمِ يَسْوِئُنِي فَاصْرِفْ غِنَاهُ إِلَى الْجَوَادِ الْمُفْلِسِ

٢٨ عصا لا سيف

يهجو أبا نصر بن حميد الطوسي:

إِنِّي هَزَزْتُكَ لَا أَلَوْكَ مُجْتَهِدًا لَوْ كُنْتُ سَيْفًا، وَلَكِنِّي هَزَزْتُ عَصَا
هَزَزْتُكَ لِلْعَطَاءِ، مَدَحْتُكَ وَحَثْتُ أَرْحِيكَ عَلَى الْعَطَاءِ، لَا أَلَوْكَ، لَا أَقْصِرُ فِي الْهَزْ . . . ظَنَنْتَنِي أَهْز
سَيْفًا لَيَقْطَعُ، فَإِذَا بِي أَهْزَ عَصَا

٢٩ مرتبات الجنود

يهجو إبراهيم بن المهدي، لما بوع بالخلافة وقل عنده المال فشغب عليه الجند:

يَا مَعْشَرَ الْأَجْنَادِ لَا تَقْنَطُوا خُذُوا عَطَايَاكُمْ وَلَا تَسْخَطُوا
أَيُّهَا الْجُنُودُ لَا تَيَاسُوا مِنْ نِيلِ أُعْطَايَاكُمْ

فَسَوْفَ يُعْطِيكُمْ حُنَيْنِيَّةً يَلْتَذُّهَا الْأَمْرَدُ وَالْأَشْمَطُ
سيعطيكم هذا الذي نصب نفسه خليفة، وهو مغنٍّ، حنينية، أغنية لحنين، يطرب لها الجميع من
أمرد لم تثبت لحيته وأشمط، اختلط بياض شعره بسواده

وَالْمَعْبَدِيَّاتُ لِقَوَادِكُمْ لَا تَدْخُلُ الْكَيْسَ وَلَا تُرْبِطُ
والمعبديات، أغاني المطرب المشهور معبد، للقواد، وهي نقود لا تدخل الكيس ولا تربط الكيس عليها
وَهَكَذَا يَرْزُقُ أَصْحَابَهُ خَلِيفَةُ مُضَحَفَةِ الْبَرْبِطِ
هكذا يعطي الخليفة الذي مصحفة البربط، العود، أصحابه مرتباتهم

٣٠ كنت ذراعي وقطعتها

كتب بها إلى مسلم بن الوليد، وكان دعبل قصده بجرجان فجفاه مسلم:

أَبَا مَخْلَدٍ كُنَّا عَقِيدِي مَوْدَّةً هَوَانًا وَقَلْبَانَا جَمِيعًا مَعًا
كنا عقيدي مودة، كانت تربطنا وتعقد بيننا المودة

أَحْوِطُكَ بِالْوُدِّ الَّذِي أَنْتَ حَائِطِي وَأَيَّجُعُ إِشْفَاقًا لِأَنْ تَتَوَجَّعَا
نتبادل الود، وأنوجع لما تنوجع منه

فَصَيَّرْتَنِي بَعْدَ انْتِكَائِكَ مُتْهِمًا لِنَفْسِي، عَلَيْهَا أَرْهَبُ الْخَلْقُ أَجْمَعَا
فلما انتككت، قطعت العهد، جعلتني أتهم نفسي بأنني فعلت فعلة شنعاء،
وصرت راهباً لكل الناس قلقاً

فَلَا تَعْذُلْنِي لَيْسَ لِي فِيكَ مَطْمَعٌ تَخَرَّقْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ فِيكَ مَرْقَعًا

فلا تلمني، لم يعد لي فيك مطمع، أمل،

فأنت كالثوب الذي تخرق حتى لم يعد يصلح فيه حتى الرقع

فَهَبْكَ يَمِينِي اسْتَأْكَلْتُ فَاحْتَسَبْتُهَا وَجَشَّمْتُ قَلْبِي قَطَعَهَا فَتَشَجَّعًا

افترض أنك ذراعي اليمينى وقد استأكلت، التهبت وسرى فيها الشلل، فاحتسبت أجراها عند الله

وجشمت قلبي عناء قطعها فتحمل

٣١ الشرب على ذكراهم

قالها في زياد الساقى:

يَقُولُ زِيَادٌ قِفْ بِصَحْبِكَ مَرَّةً عَلَى الرَّيْعِ. مَا لِي وَالْوَقُوفَ عَلَى الرَّيْعِ؟

لا يريد الوقوف على الأطلال

أَدْرِهَا عَلَى فَقْدِ الْحَبِيبِ فَرُبَّمَا شَرِبْتُ عَلَى نَائِي الْأَحَبَّةِ وَالْفَجْعِ

أدر الكأس ونحن نتذكر فقدنا للحبيب، وربما، أي كثيراً ما، شربت الخمر متذكراً نائي الأحبة والفجع، حزن الفقد

فَمَا بَلَعْتَنِي الْكَأْسُ إِلَّا شَرِبْتُهَا وَإِلَّا سَقَيْتُ الْأَرْضَ كَأْسًا مِنَ الدَّمَغِ

٣٢ وضع بالخلقة

يهجو يحيى بن أكنم:

رُفِعَ الْكَلْبُ فَأَتَضَّعَ لَيْسَ فِي الْكَلْبِ مُضْطَنَعٌ

اتضع: كان وضعياً، مضطنع: مكان للمعروف

إِنَّمَا قَضَرُ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا طَارَ أَنْ يَقْضَغَ

قصر كل شيء: نهايته

لَعَنَ اللَّئِمَةُ نَحْوَةً صَارَ مِنْ بَعْدِهَا ضَرْغٌ

النخوة: التكبر، الضرع: الذلة

٣٣ ضيف على الضيف

بَا تَارِكَ الْبَيْتِ عَلَى الضَّيْفِ وَهَارِباً مِنْهُ مِنَ الْخَوْفِ

ضَيْفُكَ قَدْ جَاءَ بِزَادٍ لَهُ فَارْجِعْ وَكُنْ ضَيْفًا عَلَى الضَّيْفِ

٣٤ الشكر للوسيط

قال وقد شفع له رجل في مسألة:

وإن امرأ أسدى إليّ بِشَافِعٍ إِلَيْهِ، وَيَرْجُو الشُّكْرَ مِنِّي لِأَحْمَقُ
الذي يسدي إلي، يعطيني مالاً، بعد أن اتخذت إليه شافعاً، واسطة،
ثم يرجو مني أن أشكره أحمق..

شَفِيعَكَ فَاشْكُرْ فِي الْحَوَائِجِ إِنَّهُ يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا وَهُوَ يَخْلُقُ
المراء يشكر شفيعه، واسطته، لأن الشفع يصون وجهك عن ذل السؤال، ويخلق وجه نفسه، بذل
نفسه وهو يشفع لك

٣٥ عَشَّمْتَنِي

استدعى والٍ من بني هاشم دعبلاً إلى الشام فجاهه دعبل، فجاهه الهاشمي:
دَلَّيْتَنِي بِغُرُورٍ وَعَدَيْكَ فِي مُتَلَاظِمٍ مِنْ حَوْمَةِ الْفَرَقِ
دلّيتني كالدلو في حومة الماء المتلاطم الموج إذ غررتني وخدعتني بوعدك..

وَحَسِبْتَنِي فَقْعاً بِقَرْقَرَةٍ فَوَطِئْتَنِي وَظَاءً عَلَى حَنْقٍ
ظننتني حقيراً كالققع، الفطر النابت، في قرقرة، الأرض السهلة، فوطئتني،
دست عليّ على حنق، بقسوة

وظَنَنْتَ أَرْضَ اللَّهِ ضَبَقَةً عَنِّي، وَأَرْضُ اللَّهِ لَمْ تَضُقْ
مِنْ غَيْرِ مَا جُرِمَ سِوَى ثِقَةٍ مِنِّي بِوَعْدِكَ حِينَ قُلْتَ ثِقُ
مَا أَطْوَلَ الدُّنْيَا وَأَعْرَضَهَا وَأَدْلَنِي بِمَسَالِكِ الطُّرُقِ

٣٦ فاسق عن فاسق

قال في إبراهيم المهدي حين جعل نفسه خليفة:

إن كان إبراهيم مُضْطَلَعاً بِهَا فَلَتَضْلَحْنَ مِنْ بَعْدِهِ لِمُخَارِقِ
إن كان إبراهيم بن المهدي، وكان مغنياً، مضطلعاً بالخلافة، قادراً عليها، فلا جرم فهي تصلح بعد
ذلك لمخارق المغني

أَتَى يَكُونُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَائِنٍ يَرِثُ الْخِلَافَةَ فَاسِقٌ عَنْ فَاسِقٍ
فكيف يرث الخلافة هذا الفاسق عن الفاسق الذي سبقه، محمد الأمين، وكان صاحب لهو أيضاً؟

٣٧ ضحك وبكاء

أَيْنَ الشَّبَابِ وَأَيَّةَ سَلَكَا؟ لا، أَيْنَ يُطَلَّبُ؟ ضَلَّ، بل هَلَكَا
أين الشباب، وأي طريق سلك وذهب؟ وهل يمكن طلبه واسترجاعه؟
لا، قد ضل، لا بل قد هلك هلاكاً

لا تَعَجَّبِي يَا سَلَمَ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

يا سلمى . . لا تعجبي من رجل ضحك رأسه بالمشيب، فقد ابيض شعره كابيضاض الوجه عندما يفتر
المرء عن أسنانه ويضحك، فبكى الرجل لضحك المشيب برأسه . سئل أبو تمام، وكان خصماً لدعبل:
ما نسب دعبل؟ فقال: دعبل صاحب ضحك المشيب برأسه فبكى، فهذا البيت البديع نسب لصاحبه

قد كان يَضْحَكُ فِي شَبِيبَتِهِ فَأَتَى الْمَشِيبُ، فَقَلَّمَا ضَحِكَا

يَا سَلَمَ مَا بِالشَّيْبِ مَنْقَصَةٌ لا سَوْقَةً يُبْقِي وَلَا مَلِكَا

الشيب ليس عاراً فهو يلم بالسوقة، كل من لم يكن صاحب ولاية أو ملك، وبالملك

يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ نَوُومُكُمَا يَا صَاحِبَيَّ إِذَا دَمِي سَفِكََا

كيف تنامان وقد قتلني المحبوبة عشقاً؟

لا تَأْخُذَا بِظُلَامَتِي أَحَدًا قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي اشْتَرَكَا

لا تأخذا أحداً بظلامتي، لا تتأرا من أحد . . فقلبي وعيني اشتركا في سفك دمي

٣٨ منك الرؤوس ومنهم السيوف

يهجو المطلب بن عبد الله الخزاعي والي مصر:

أَمْطَلِبُ أَنْتَ مُسْتَعَذِبٌ حُمَاتِ الْأَفَاعِي وَمُسْتَقْتَلٌ

أأنت ترى حمات الأفاعي، لدغاتهما، عذبة، أطلب لنفسك القتل بمعاداتي؟

فَإِنْ أَشْفِ مِنْكَ تَكُنْ سُبَّةً وَإِنْ أَعَفُ عَنْكَ فَمَا تَعْمَلُ

إن شفيت نفسي منك بالهزاء فسوف يكون ذلك سبة وعاراً عليك، وإن عفوت عنك فستجن
جنوناً . . المعنى الملموح

وَضَعْتُ رِجَالًا فَمَا ضَرَّهُمْ وَشَرَّفْتُ قَوْمًا فَلَمْ يَنْبُلُوا

لقد وضعت رجالاً، أذللتهم، فما ضرهم ذلك، وشرفت قوماً فما صاروا نبلاء

تَنْوُطُ مِصْرُ بِكَ الْمُخْزِيَاتِ وَتَبْصُقُ فِي وَجْهِكَ الْمَوْصِلُ

تنوط، تعلق، مصر بك المخازي وتلفظك الموصل

وَيَوْمَ الشُّرَاةِ تَحَسَّيْتَهَا يَطِيبُ لَدَى مَثَلِهَا الْحَنْظَلُ

يوم تصدبت للشراة، أي الخوارج، تحسيتها، شربتها هزيمة نكراء، وكانت مرة فالحنظل بالنسبة إليها طيب

تَوَلَّيْتُ رَكْضاً وَفَتْيَانُنَا صُدُورُ الْقَنَا فِيهِمْ تَغْسِلُ

فررت ركضاً على فرسك، وشبابنا تندق فيهم رؤوس الرماح وتغسل، تتحرك متمايلة

إِذَا الْحَرْبُ كُنْتَ أَمِيرًا لَهَا فَحَظُّهُمْ مِنْكَ أَنْ يُقْتَلُوا

فَمِنْكَ الرُّؤُوسُ غَدَاةَ اللَّقَاءِ وَمِمَّنْ يُحَارِيكَ الْمُنْصَلُ

المنصل: السيف

شِعَارُكَ فِي الْحَرْبِ يَوْمَ الْوَعَى إِذَا انْهَزُمُوا: عَجَلُوا عَجَلُوا

٣٩ العنز

كتب إلى رجل بعث إليه بأضحية مهزولة:

بَعَثْتُ إِلَيَّ بِأُضْحِيَّةٍ وَكُنْتَ حَرِيًّا بِأَنْ تَفْعَلَ

وَلَكِنَّهَا خَرَجَتْ غَثَّةً كَأَنَّكَ أَرْعَيْتَهَا حَرْمَلًا

غثة: مهزولة، الحرمل: نبات كالسمسم لا ترعاه إلا المعزى

فَإِنْ قَبِلَ اللَّهُ قُرْبَانَهَا فَسُبْحَانَ رَبِّكَ مَا أَغْذَلَا

٤٠ سأخبرهم بالتاكيد

وكتب إلى عبد الله بن طاهر، وربما إلى أبي دلف العجلي:

مَاذَا أَقُولُ إِذَا انْصَرَفْتُ وَقِيلَ لِي: مَاذَا أَقَدْتُ مِنَ الْجَوَادِ الْمُفْضِلِ؟

إِنْ قُلْتُ أَعْطَانِي كَذِبْتُ، وَإِنْ أَقُلْتُ ضَنَّ الْجَوَادُ بِمَالِهِ لَمْ يَجْمُلِ

فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَا أَقُولُ فَإِنِّي لَا بُدَّ مُخْبِرُهُمْ، وَإِنْ لَمْ أُسْأَلِ

٤١ ابن الجوادة

قال يرد على مروان بن أبي حفصة:

قُلْ لَابِنِ خَائِنَةِ الْبُعُولِ وَابِنِ الْجَوَادَةِ وَالْبَخِيلِ

قل لمن أمة تخون أباه، ومن أمة سخية على عشاقها بينما أبوه بخيل بماله

إِنَّ الْمَذْمَةَ لِلْوَصِيِّ - هِيَ الْمَذْمَةُ لِلرَّسُولِ
من يذم الوصي، علي بن أبي طالب، كمن يذم الرسول، وكان مروان ناصباً شديداً للطلابين

٤٢ الرغيف في أمان الله

إِنْ هَذَا الْفَتَى يَصُورُ رَغِيفاً مَا إِلَيْهِ لِنَظَرٍ مِنْ سَبِيلِ
هُوَ فِي سُفْرَتَيْنِ مِنْ أَدَمِ الطَّا ثَفٍ، فِي سَلَّتَيْنِ، فِي مِنْدِيلِ
الرغيف ملفوف بسفرتين، والسفرة هي ما يبسطه المسافر تحت طعامه، من أدم الطائف، من جلد
الطائف، وموضوع في سلتين وهما ملفوفتان بمنديل

خُصِمَتْ كُلُّ سَلَّةٍ بِرِصَاصٍ وَسُيُورٍ قُدِذَنَ مِنْ جِلْدِ فِيلٍ
كل سلة مختومة بالرصاص ومربوطة بسيور، شرائط، قطعن من جلد فيل. . الختم بالرصاص ظل
شائعاً حتى عهد قريب: يُربط الشيء، أنبوبة الغاز مثلاً، بسلك والسلك عليه معدن الرصاص
الطري وعلى المعدن ختم

فِي جِرَابٍ فِي جَوْفِ تَابُوتِ مُوسَى وَالْمَقَاتِيحُ عِنْدَ إِسْرَافِيلَ
إسرافيل هو الذي سيفخ في الصور يوم القيامة

٤٣ دينار خالي

سَأَلْتُهُ مَنْ أَبُوهُ فَقَالَ دِينَارٌ خَالِي
فَقُلْتُ دِينَارٌ مَآذَا؟ فَقَالَ وَالِي الْجَبَالِ

٤٤ بيت واحد ومقدمة له

سَأَفْضِي بِبَيْتٍ يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ وَيَكْثُرُ مِنْ أَهْلِ الرِّوَايَةِ حَامِلُهُ
يَمُوتُ رَدِيءُ الشَّعْرِ مِنْ قَبْلِ أَهْلِهِ وَجَبْدُهُ يَبْقَى وَإِنْ مَاتَ قَائِلُهُ

٤٥ لعل له عذراً

نَأَنَّ وَلَا تَعْجَلْ بِلُؤْمِكَ صَاحِباً لَعَلَّ لَهُ عُذْراً وَأَنْتَ تَلُؤْمُ

٤٦ معادلة

إِضْرِبْ نَدَى طَلْحَةِ الطَّلَحَاتِ مُبْتَدِئاً بِلُؤْمٍ مُطْلَبٍ فِينَا وَكُنْ حَكَمًا
طلحة الطلحات: طلحة الخزاعي أحد الأسخياء المعدودين، والمطلب المهجو: المطلب بن
عبد الله الخزاعي. المعنى: اخلط كرم طلحة بلؤم المطلب واحكم..

تَخْرُجُ خُرَاعَةٌ مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ فَلَا تَعُدُّ لَهَا لُؤْمًا وَلَا كَرَمًا

بعد هذا الخلط ستخرج قبيلة خُرَاعَةٌ لا لؤمٌ لديها ولا كرم.. فبقدر ما عند طلحة من كرم يوجد عن المطلب لؤم

٤٧ المشغول بنسبه

قال يهجو مالك بن طوق التغلبي:

النَّاسُ كُلُّهُمْ يَسْعَى لِحَاجَتِهِ مَا بَيْنَ ذِي فَرْحٍ مِنْهُمْ وَمَغْمُومٍ
وَمَالِكَ ظَلٌّ مَشْغُولًا بِنَسَبَتِهِ يَرِمُ مِنْهَا خَرَابًا غَيْرَ مَرْمُومٍ

نسبه: نسبه، يرم: يصلح

يَبْنِي بُيُوتًا خَرَابًا لَا أَنْيَسَ بِهَا مَا بَيْنَ طَوْقٍ إِلَى عَمْرٍو بَيْنَ كُلُّثُومٍ

يحاول المهجو أن يصل نسب أبيه طوق بنسب شاعر تغلب الجاهلي عمرو بن كلثوم.. وبينهما زمن بعيد ومالك هذا يبيّن بين النسيب بيوتاً خربة لوصل طرفي النسب

٤٨ محمد للمسلمين

قال ينقض قصيدة الكميث التي هجا فيها اليمن:

أَفِيقِي مِنْ مَلَامِكِ يَا ظَعِينَا كِفَاكِ اللَّؤْمِ مَرُّ الْأَرْبَعِينَا
أَفِيقِي مِنْ لَوْمِكَ وَاتْرَكِيهِ يَا ظَعِينِ، يَا امْرَأَةً.. أَمَا يَغْنِيكَ عَنْ لُومِي أَنِّي جَاوَزْتُ الْأَرْبَعِينَ؟

إِذَا لَمْ تَتَّعِظْ بِالشَّيْبِ نَفْسِي فَمَا تُغْنِي عِظَاتُ الْوَاعِظِينَا
عَلَى أَنِّي وَإِنْ وَقَرْتُ شَيْبِي أَشَاقُ إِذَا لَقِيتُ الْوَامِقِينَا
أَوْقَرُ شَيْبِي وَلَكِنِّي أَحْسَ بِشَوْقِ كُلِّمَا التَّقِيْتُ بِالْوَامِقِينَ، الْمُحِبِّينَ

وَأَهْوَى أَنْ تُخَبِّرَنِي سُلَيْمَى وَأَخْبِرَهَا بِمَا كُنَّا لَقِينَا
أَحَبُّ ذَخِيرَةٍ وَأَحَبُّ عِلْقٍ إِلَيَّ الْغَائِبَاتُ وَإِنْ غَنِينَا
أحب ما أذخره من ذكريات وأحب علق، شيء نفيس، إلى نفسي النساء حتى وإن غنين، استغنين عني

وَكُلُّ بُكَاءٍ رُبْعٌ أَوْ مَشِيبٌ تُبَكِّيه فَهَنَّ بِهِ عُنِينَا
كل بكاء نبكيه على أطلال أو لحلول المشيب فنحن نفعل ذلك لرغبتنا في النساء..
إيه يا دعبل.. إيه

أَحِبُّ الشَّيْبَ لَمَّا قِيلَ ضَيْفٌ لِحُبِّي لِلضُّيُوفِ النَّازِلِينَا

وَمَا نَيْلُ الْمَكَارِمِ بِالتَّمَنِّيِ وَلَا بِالْقَوْلِ يُبْلِيِ الْفَاعِلُونَ
ييلي: يفعل

لَقَدْ عَلِمَتْ نِزَارُ أَنْ قَوْمِي إِلَى نَصْرِ النُّبُوَّةِ سَابِقِينَ
قبائل نزار تعلم أن قومي، خزاعة وهي من قبائل اليمن، سبقوا إلى نصر النبوة،
فالأوس والخزرج من اليمن

تَظَهَّرَ مِنْ أَفَاضِلِنَا رَجَالٌ وَحُبُّ اللَّهِ لِمُتَظَهِّرِينَ
وَأَنْزَلَ آيَةً أَنْ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمْ بِأَيْدِيكُمْ فُنُونَا
يشير إلى الآية: «قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين»
ونزلت في قتال المسلمين لمشركي قريش

وَيُخْزِرُهُمْ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ
يكمل الآية

فَإِنْ قُلْتُمْ رَسُولُ اللَّهِ مِنَّا فَإِنَّ مُحَمَّدًا لِلْمُسْلِمِينَ
مِنْ أَيِّ ثَنِيَّةٍ طَلَعَتْ قُرَيْشٌ وَكَانُوا مَعْشَرًا مُتَنَبِّطِينَ
من أي ثنية، أي طريق جبلي، طلعت علينا قريش؟ وكانوا من المتنبتين، أشباه النبط الذين هم
فلاحو العراق الكلدانيون الذي عوملوا أنصاف عبيد

٤٩ نَعَزٌ

نَعَزٌ فَكَمْ لَكَ مِنْ أَسْوَةٍ تُبَرِّدُ عَنْكَ غَلِيلَ الْحَزَنِ
نعز، التمس المواساة، فلك الكثير مما تتأسى به كي تبرد غليل حزنك، حرارته

بِمَوْتِ النَّبِيِّ وَقَتْلِ الْوَصِيِّ وَذَبْحِ الْحُسَيْنِ وَسَمِّ الْحَسَنِ
موت النبي وقتل علي بن أبي طالب وذبح الحسين بن علي ووضع السم للحسن بن علي... كل
هذا يجعلك ترى مصائبك صغيرة

٥٠ دعاء على مدينة

قال في بناء سر من رأى:

بَغْدَادُ دَارُ الْمُلُوكِ كَانَتْ حَتَّى دَهَاها الَّذِي دَهَاها
مَا سُرَّ مَنْ رَأَى بِسُرٍّ مَنْ رَأَى بَلْ هِيَ بُؤْسَى لِمَنْ يَرَاهَا
عَجَلُ رَبِّي لَهَا خَرَابًا بِرَغَمِ أَنْفِ الَّذِي ابْتَنَاهَا
والذي ابتناها المعتمد لجنوده الأتراك عندما ضاقت بهم بغداد

٥١ كانت خزاعة ملء الأرض

قال يرثي نصر بن حمزة الخزاعي:

كَانَتْ خَزَاعَةٌ مِلءُ الْأَرْضِ مَا اتَّسَعَتْ فَقَصَّ مَرُّ اللَّيَالِي مِنْ حَوَاشِيهَا

قبيلتي خزاعة كان كبيرة فقص مرور الزمن أطرافها

هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ الثَّوَالِي بِبَلْقَعَةٍ تَسْفِي الرِّيحَ عَلَيْهِ مِنْ سَوَافِيهَا

هذا أبو القاسم الثاوي، الرائد، في بلقعة، أرض مقفرة، تسفي الرياح عليه التراب

هَبَّتْ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنْ لَا هُبُوبَ بِهِ وَقَدْ تَكُونُ حَسِيرًا إِذْ يُبَارِيهَا

هبت الرياح الآن وهي تعلم أنها لم تكن تجرؤ على الهبوب وهو حي لأنه يباريها وينافسها فتصبح حسيراً، ضعيفة. . وكانوا يطعمون الطعام إذا هبت الريح وجفت ضروع الماشية لعدم العشب، واشتهر الأسخياء الذين يطعمون الطعام لهبوب الريح، ومنهم الشاعر لبيد

أَضْحَى قِرَى لِّلْمَنَايَا إِذْ نَزَلْنَ بِهِ وَكَانَ فِي سَالِفِ الْأَيَّامِ يَقْرِِيهَا

بعد أن كان يطعم الناس أصبح الفقيد قرى للمنايا، طعاماً للموت، وكان في سالف الزمن يقري المنايا، يطعمها من لحم أعدائه

رَمَتْ خَزَاعَةٌ عَنْهَا قَوْسَ نَجْدَتِهَا لَمَّا أَمَاطَ الرَّدَى السَّهْمَ الَّذِي فِيهَا

رمت خزاعة بموته القوس التي فيها نجدتها، شهامتها ونخوتها، عندما أماط الموت، أزال، السهم الذي كان في تلك القوس. فضل البحري دعبلاً على مسلم بن الوليد لأن طريقته في الشعر أشبه بطريقة العرب. . وهذه القصيدة أبرع مثال للشعر على الطريقة القديمة، فإن سألك سائل عن الشعر الجزل، فلا تجب. . أنشده هذه الأبيات

٥٢ السائل عن دارهم

يهجو مالك بن طوق:

سَأَلْتُ عَنْكُمْ يَا بَنِي مَالِكٍ فِي نَازِحِ الْأَرْضَيْنِ وَالْدَّانِيَةِ

سألت عنك في نازح الأرضين، الأراضي البعيدة، والدانية، القرية

طُرّاً فَلَمْ تُعْرِفْ لَكُمْ نِسْبَةً حَتَّى إِذَا قُلْتُ بَنِي الزَّانِبَةِ..

طراً، جميعاً، فلم يعرفكم أحد. . ثم إنني قلت: بني الزانية. . فعرفوكم

قَالُوا قَدْ دَخَّ دَاراً عَلَى يَمْنَةٍ وَتَلَكَّهَا دَارُهُمْ نَائِبَةً

فقال لي الناس: أها. . اترك داراً عن اليمين، وتلك هناك دارهم الثانية

٥٣ قوة القصيدة

قال وقد حجب عن باب مالك بن طوق:

لَعَمْرِي لئن حَجَبْتَنِي الْعَبِيدُ لَمَا حَجَبْتَ دُونَكَ الْقَافِيَةَ
حجبتني عبيدك، ولكنهم لن يحجبوا شعر الهجاء عنك

سَأْرْمِي بِهَا مِنْ وَرَاءِ الْحِجَا بِ شَنْعَاءَ تَأْتِيكَ بِالذَّاهِيَةِ
تُصِمُّ السَّمِيعَ وَتَغْمِي الْبَصِيرَ وَتُسْأَلُ مِنْ مِثْلِهَا الْعَافِيَةِ
الذي يسمعها سيقول: اللهم عافنا

٥٤ عبرتني بالشيب

تَعَجَّبْتُ أَنْ رَأْتُ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا لَا تَعْجَبِي، مَنْ يَظُلُّ عُمرُ بِهِ يَشِبُ
شَيْبُ الرِّجَالِ لَهُمْ زَيْنٌ وَمَكْرَمَةٌ وَشَيْبُكَ لَكُنَّ الْعَارُ فَامْتَنَبِي
فِينَا لَكُنَّ وَإِنْ شَيْبٌ بَدَأَ أَرَبٌ وَلَيْسَ فَيَكُنَّ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنْ أَرَبٍ
الرجال يطلبون وصل المرأة وقد نزل بهم الشيب، وليس لهم أرب، غاية، عند امرأة شاب شعرها

٥٥ احتجاب ماتريوشكا

قال في هجاء كاتب:

إِذَا مَا أَتَيْتَنَاهُ فِي حَاجَةٍ رَفَعْنَا الرِّقَاعَ لَهُ وَالْكَثْبُ
لَهُ حَاجِبٌ دُونَهُ حَاجِبٌ وَحَاجِبٌ حَاجِبِهِ مُخْتَجِبٌ

٥٦ الإعراض

في هجاء طاهر بن الحسين:

وَذِي يَمِينَيْنِ وَعَيْنٍ وَاحِدَةٍ
لقب المهجو ذو اليمينين

نُقْصَانُ عَيْنٍ وَيَمِينٍ زَائِدَةٌ
نَزَرُ الْعَطِيَّاتِ قَلِيلُ الْفَائِدَةِ
نزر: قليل

أَعْصَهُ اللَّهُ بِبَظَرِ الْوَالِدَةِ

هذا من مسبات العرب أن يدعو المرء على غريمه بأن يعض ذلك الموضع من أم الغريم

٥٧ العُلَيجان

في هجاء دينار بن عبد الله ويحيى بن أكنم:

مَا زَالَ عَصِيَانُنَا لِلَّهِ يُسْلِمُنَا حَتَّى دُفِعْنَا إِلَى يَحْيَى وَدِينَارِ
إِلَى عَلَيجَيْنِ لَمْ تُقَطَّعْ ثِمَارُهُمَا قَدْ طَالَ مَا سَجَدَا لِلشَّمْسِ وَالنَّارِ
إِلَى عَلَيجَيْنِ: إلى علجين من المجوس، لم تقطع ثمارهما: لم يختنا لأنهما أسلما كبيرين

٥٨ ضيف عمرو

أَضْيَافُ سَالِمٍ فِي خَفْضٍ وَفِي دَعَا وَفِي شَرَابٍ وَلَحْمٍ غَيْرِ مَمْنُوعِ
سالم يكرم ضيوفه فهم في خفض، أي نعمة، ودعة، راحة
وَضَيْفُ عَمْرٍو وَعُمْرُو يَسْهَرَانِ مَعَا عَمْرُو لِبَطْنَتِهِ وَالضَيْفُ لِلْجُوعِ
عمرو يسهر لبطنته، لكثرة ما أكل وضيفه يسهر من الجوع

٥٩ محتار مع ضيفي

كَيْفَ احْتِيَالِي لِبَسْطِ الضَّيْفِ مِنْ خَجَلٍ عِنْدَ الطَّعَامِ؟ فَقَدْ ضَاقَتْ بِي حِيلِي
كيف أفعل لكي ينسط الضيف ويترك خجله عند الطعام؟ قد أعتيتي الحيلة
أَخَافُ تَرْدَادَ قَوْلِي كُلِّ فَأَخْشِيهِ وَالصَّمْتُ يُنْزِلُهُ مِنِّي عَلَى الْبَخْلِ
أخاف أن أردد قولي له: كل، فأخشيه، أخجله، وإن صمتُ ظنني بخيلاً

٦٠ النذير بعزرائيل

أَلْقَى عَصَاهُ وَأَرْخَى مِنْ عِمَامَتِهِ وَقَالَ: ضَيْفٌ، فَقُلْتُ: الشَّيْبُ؟ قَالَ أَجَلُ
كأي ضيف ألقى عصا التسيار، وفك العمامة.. فإذا به الشيب..

فَقُلْتُ أَخْطَأْتُ دَارَ الْحَيِّ، قَالَ: وَلَمْ؟ مَضَتْ لَكَ الْأَرْبَعُونَ الْوَفْرُ، ثُمَّ نَزَلَ
قلت له أخطأت البيت، قال: لم هذا؟ لقد مضت لك أربعون سنة وافرة.. ثم نزل بي هذا الضيف

فَمَا شَجِيتُ بِشَيْءٍ مَا شَجِيتُ بِهِ كَأَنَّمَا اعْتَمَ مِنْهُ مَفْرَقِي بِجَبَلٍ
ما شجيت بشيء، حزنت له، مثلما حزنت بنزول الشيب،
فكأنما اعتم رأسي، تعمم بعمامة، هي الجبل ثقلاً

٦١ هي وساوس فقط

لَا تَحْمَدُنْ حَسَنًا بِالْجُودِ إِنْ مَطَرَتْ كَفَّاهُ جَزْلاً وَلَا تَذُمُّهُ إِنْ رَزَمَا
لا تشكر «الحسن» على جوده إن مطرت كفاه بالعطاء الجزل، ولا تعبه إن رزم: ضم يده ولم
يخرج شيئاً

فَلَيْسَ يَبْخُلُ إِشْفَاقًا عَلَى جِدَّةٍ وَلَا يَجُودُ لِفَضْلِ الْجُودِ مُغْتَنِمَا
فهو لا يبخل إشفاقاً، أي خوفاً، على جدّة، على مال، ولا يسخر اغتناماً منه لفضل السخاء
لَكِنَّهَا خَطَرَاتٌ مِنْ وَسَاوِسِهِ يُعْطِي وَيَمْنَعُ لَا بُخْلًا وَلَا كَرَمًا
هي كلها وساوس تعترية فلا هو بخيل ولا هو كريم

٦٢ المهين نفسه

إِذَا مَا أَهَانَ امْرُؤٌ نَفْسَهُ فَلَا أَكْرَمَ اللَّهُ مَنْ يُكْرِمُهُ

فهرس القوافي (القافية فرقم القطعة)

١٦	مُحَمَّدٍ	١	الأنباء
١٩	واحدٍ	٢	هَوَاءَ
١٨	يَدٍ	٥	نَسَبًا
٥٦	وَاحِدَةً	٣	أَهْيَبُ
٢٠	حُرًّا	٤	عَرَبُ
٢٤	الدَّهْرِ	٧	الأدبِ
٢٣	الطَّوامِرِ	٦	الكعابِ
٢٢	بِالتَّقْصِيرِ	٨	قَلْبِي
٢١	نَقْرِي	٥٤	يَشِبُ
٥٧	ودِينارٍ	٥٥	والكُتُبُ
٢٦	العُدْرَةَ	٩	هُدْبَةً
٢٥	والمَرَّةِ	١١	أَبَتْ
٢٧	أُخْرَسِ	١٠	العَرَصَاتِ
٢٨	عَصَا	١٤	حَمْدًا
٢٩	نَسْخَطُوا	١٥	فَنَدَا
٣٠	معا	١٢	إِيَادُ
٣١	الرَّيْعِ	١٣	رَقَدُوا
٥٨	مَمْنُوعِ	١٧	عَبَادِ

٤٤	حَامِلَةٌ	٣٢	مُضْطَنَعٌ
٤٦	حَكَمًا	٣٣	الْخَوْفِ
٦٠	رَزَمًا	٣٤	لَأَحْمَقُ
٤٥	تَلُومٌ	٣٥	الْعَرَقِ
٤٧	وَمَغْمُومٍ	٣٦	لِمُخَارِقِ
٦١	يُكْرِمُهُ	٣٧	هَلَكًا
٤٨	الْأَرْبَعِينَ	٣٩	تَفْعَلًا
٤٩	الْحَزَنُ	٣٨	وَمُسْتَفْتِلُ
٥٠	دَهَاها	٤٠	الْمُفْضِلِ
٥٣	الْقَافِيَةُ	٤٣	خَالِي
٥٢	وَالدَّائِيَةُ	٤٢	سَبِيلِ
٥١	حَوَاشِيهَا	٤١	وَالْبَخِيلِ
		٥٩	أَجَلُ

ديك الجنّ الجفصيّ

(١٦١هـ - ٢٣٥هـ)

في كثير من شعراء الشيعة اجترأ على الدين . كأنهم - في ظل حكم يتخذ السنة طريقاً - يتمرّدون على الحاكم وعلى مذهبه، وربما أيضاً على الأكثرية التي كانت في بقاء وعصور شتى على مذهب السّنة. فتراهم لا يذكرون النبي إلا لأنه جد الحسين، ويتهاونون بالمعتقدات والعبادات، لأنها معتقدات مشتركة بينهم وبين أهل السنة، فأين خصوصيتهم فيها؟ خصوصيتهم في أنهم لا يجعلون أبا بكر وعمر وعثمان، وفي أنهم يكون الحسين بدموع أحر من التي يبكيه بها أهل السنة. وبكاء الحسين وعامة آل البيت فيه تنفيس عن «مظلومية» لا يفتأون يشعرون بها، وبعضها حق وبعضها مغالاة. وقد سار ديك الجن خطوة أخرى فأعلن شكه في صلب العقيدة. وقد سامحه أبو العلاء المعري فأدخله في «رسالة الغفران» الجنة، ربما لأنه كان مثله في هذا الأمر. وقد اهتم الشيعة حديثاً وقديماً بشعر ديك الجن اهتمام المسيحيين بشعر الأخطل، فكان في هذا الاهتمام حفظ لشعره واهتمام بالتنقيب عنه، وصنع له ديوانه بعض أبناء حمص وأطلعنا من ذلك على ما صنعه مظهر الحجبي (٢٠٠٤)، ولمطلوب والجبوري نشرة للديوان (١٩٦٤).

على أن أهل السنة لم يقصروا في الاهتمام بشعر ديك الجن، ونظروا إليه من حيث هو شعر، هكذا فعل ابن خلكان في وفيات الأعيان.

ونحن في هذه المختارات لا نؤاخذ الشاعر على غلوه، وننظر إلى شعره. على أننا لا نحب في ديك الجن عنجهيته التي وصلت الذروة عندما قتل زوجته لمجرد أنه شك في إخلاصها.

ديك الجن الحمصي

هو عبد السلام بن رَغْبَان. عربي الأصل، لكن جدّاً له سبي - ربما لأنه كان مع العرب الذين قاتلوا في جيش هرقل عند فتح الشام - فكان هذا الجد مولى قوم آخرين، أو لعله لم يكن، فنشأ ديك الجن غير معتر بنسبه العربي.

لقب ديك الجن لوصفه ديكاً أو لعينيه الخضراوين، وعاش في زمن الشعراء الكبار، فلقي أبا نواس وأبا تمام وعاصر البحري، غير أنه لم يبرح حمص وجوارها. كان شاعر الأقاليم، ولم يحضر مجالس بغداد أيام كانت حاضرة الدنيا فقد عاصر ديك الجن، واعياً، هارون الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والوائق وحضر بضع سنوات من عهد المتوكل. كل هذا كان يحدث في بغداد وسامراء، وديك الجن قابع في حمص، قصاره أن يلم بسَلَمِيَّة على بعد خمسين كيلومتراً فيمدح أخوين هاشميين وينال بعض العطاء. على أن شاعرنا ورث مالا عن آباءه وأتلفه في ملذاته.

لئن لم يحظ ديك الجن بالشهرة لعدم وروده دار الخلافة فإنه حازها من طريق آخر. فقد قتل زوجته وحبيته وقال في ذلك شعراً استطرفه الناس على مر الزمن وتناقلوه، وحاكوا حوله الأساطير.

تزوج فتاة نصرانية اسمها «ورد»، أو أن اسمها كان «دنيا»، واتهمها بخيانه فقتلها بسيفه دون أن يتثبت، فعاش مضطرب النفس، غير مستقر على يقين في أمرها. وليعش مضطرب النفس أو ليعش في جحيم، أليس قاتلاً؟ فأما تراثنا الأدبي - وأكاد أقول كله - فقد جعله بطلاً عاشقاً، وما رأيت أحداً التفت إلى أن هذا الشاعر الخليع المتوتر إنما ارتكب جريمة.

كان صاحب ملذات، قليل الإيمان بالآخرة، متشيعاً تشيعاً وصفوه بالحسن، وكان صحيح اللغة محلّق الخيال، آخذاً في الشعر بمذهب مسلم بن الوليد في الاعتناء بالمحسنات، وقيل إنه كان قدوة أبي تمام. وقد اقتطف المتنبي من حديقته عدداً من المعاني.

١ مشية الصهباء

وكأسٍ صهباءٍ صِرْفٍ ما سَرَتْ بِيدٍ إلى فمٍ قَدَرَى ما طَعُمُ ضَرَاءٍ
رب كأس صهباء، خمر، صرف، خالصة غير ممزوجة، ما سرت، مشت، من يد إلى فم قدرى
هذا القم طعم الضراء، الأذى

كَأَنَّ مَشِيَّتَهَا فِي جِسْمِ شَارِبِهَا تَمَشَّى الصَّبْحُ فِي أَحْشَاءِ ظُلُمَاءِ
كَأَنَّ مَشِيَّهَا التَّدْرِيجِي فِي جِسْمِ شَارِبِهَا تَسْلُلُ الصَّبْحُ إِلَى أَحْشَاءِ الظُّلْمَةِ

٢ مَسْئُولُ الصِّيَانَةِ

وَالسَّرُّوْ تَحْسَبُهُ الْعَيُونُ غَوَانِيَاً قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَوْقِهَا أَنْوَابِهَا
السُّرُو: شَجَرٌ يَسْمَقُ عَالِيَاً نَحِيلاً مُسْتَقِيماً، وَالسَّوْقُ: السِّقَاظُ
وَنَبَاتٌ بِاقِلَاءٍ يُشَبِّهُ لَوْنَهُ زُرْقَ الْحَمَامِ مُشْبِلَةً أَذْنَابِهَا
مشيلة: رافعة

لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ لِلرِّيَاضِ صِيَانَةً يَوْمَاً لَمَّا وَطِئَ اللَّثَامُ تَرَابِهَا
لو ملكت أن أصون الرياض لصنتها عن دخول اللثام إليها

٣ لَا أُرِيدُ أَجْرًا

يُرِثِي جَعْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ الْهَاشِمِي:

أَلَا أَيُّهَا الرُّكْبَانُ، وَالرَّدُّ وَاجِبٌ، قَفُّوا حَدَّثُونَا مَا تَقُولُ النَّوَادِبُ
قفوا أيها الركابون إيلكم، وحدثونا بما تقولوه النادبات في تعداد محاسن الفقيده
أَخَا كُنْتُ أَبْكِيهِ دَمًا وَهُوَ نَائِمٌ حِذَارًا، وَتَعْمَى مُقْلَتِي وَهُوَ غَائِبٌ
كان لي أخا، وكنت أبكيه دمًا وهو نائم خوفًا عليه، وأما إن غاب فمقلتي تصاب بالعمى لشدة
حزني عليه..

أَأَسْعَى لِأُحْظَى فَبِكَ بِالْأَجْرِ إِنَّهُ لَسَعَى إِذْنٌ مِنِّي لَدَى اللَّهِ خَائِبٌ
والآن إذ مات هل أسعى في تشييعه طمعًا بأن أنال أجرًا عليه؟ هذا سعي خائب

يَقُولُونَ: مِقْدَارٌ عَلَى الْمَرْءِ وَاجِبٌ فَقُلْتُ: وَإِعْوَالٌ عَلَى الْمَرْءِ وَاجِبٌ
يقولون الموت مقدر على الإنسان واجب الحدوث، وليس للمرء أن يبالغ في الحزن، فقلت لهم:
والإعوال عليه واجب أيضًا

٤ شَقِيقَةُ الْقَمَرِ

وَمَجْدُولَةٍ أَمَّا مَلَاتُ إِزَارَاهَا قَدِغَصُ، وَأَمَّا قَدُّهَا فَقَضِيبُ
رب فتاة مجدولة القد، ملأت إزارها دغص، أي موضع لف التورة من جسمها ككتيب الرمل،
وقدّها قضيب، غصن

لَهَا الْقَمَرُ السَّارِي شَقِيقٌ، وَإِنَّهَا لَتَظْلُعُ أَحْيَانًا لَهُ فِيغِيبُ
القمر شقيقها وقد تطلع هي فيغيب حتى لا يقارن الناس بينه وبينها فتكون أجمل منه

٥ حليب الجمر

وَدَمْعَةٌ فِي الْخَدِّ مَسْفُوحَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ جَمْرَةٍ تُحْلَبُ
كأن الدمعة، لحرارتها، تحلب من جمرة

مَا امْتَنَعَ الدَّمْعُ وَإِسْبَالُهُ عَلَيَّ لَمَّا امْتَنَعَ الْمَطْلَبُ
عندما امتنع حصولي على مطلبي من وصل الحبيبة فلن يمتنع علي إسبال الدمع وإسالته

٦ العارفون بقدري

مَا شِدَّةُ الْحَرَصِ مِنْ شَأْنِي وَلَا طَلْبِي وَلَا الْمَكَاسِبُ مِنْ هَمِّي وَلَا أَرْبِي
الحرص على العطاء ليس شأني، والمكاسب المادية ليس أربي، أي غابني

لَكُنْ نَوَائِبُ نَابَتَنِي وَحَادِثَةٌ وَالدهرُ يَطْرُقُ بِالْأَحْدَاثِ وَالنُّوبِ
لكنني أصبت بنوائب ونوب، أي بمصائب

وَلَيْسَ يَعْرِفُ لِي قَدْرِي وَلَا أَدْبِي إِلَّا امْرُؤٌ كَانَ ذَا قَدْرٍ وَذَا أَدَبٍ
لَا يُفْلِتَنَّكَ شُكْرِي إِذْ ظَفِرْتَ بِهِ فَإِنَّهَا فُرْصَةٌ وَافَتْكَ مِنْ كَثَبٍ
إن واثقت فرصة لنيل شكري، أي مدحي لك، فلا تفوتها

٧ زواج الطيور

مَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ حَبِيبٍ فَحَيَاتُهُ فِيهَا حَيَاءٌ غَرِيبٍ
أَوْ مَا تَرَى الطَّيْرِينَ كَيْفَ تَزَاوَجَا مِنْ غَيْرِ خَاطِبَةٍ وَغَيْرِ خَاطِبٍ

٨ عن أبي بكر وعمر

يَا عَيْنُ لَا لِلْغَضَا وَلَا الْكُثْبِ بُكَاءُ الرِّزَايَا سِوَى بُكَاءِ الطَّرَبِ
لا تبكي يا عيني لشجر الغضا وكثبان الرمل حيث الأجرة، فبكاء الرزايا، المصائب الحقيقية، غير
بكاء الطرب، أي الحزن لفراق الأجرة

يَا عَيْنُ فِي كَرْبَلَا مَقَابِرُ قَدْ تَرَكْنَ قَلْبِي مَقَابِرَ الْكُرْبِ
في كربلاء مقابر لآل البيت جعلت قلبي مقبرة دفن فيها الكرب والحزن

لَا بُدَّ أَنْ يُحْشَرَ الْقَتِيلُ وَأَنْ يُسْأَلَ ذُو قَتْلِهِ عَنِ السَّبَبِ

لا بد أن يحشر الله القاتل وأن يسأل ذو قتله، الذي قتله، عن سبب القتل

مَا كَانَ تَيْمٌ لِهَاشِمٍ بِأَخٍ وَلَا عَدِيٌّ لِأَحْمَدٍ بِأَبٍ

تيم، جد قبيلة أبي بكر الصديق، ليس أخاً لهاشم، جد قبيلة هاشم التي منها الرسول، ولا عدي، جد قبيلة عمر بن الخطاب، من آباء أحمد، أي الرسول

فَمَا يَدْعَوِي فِي الظُّلَمِ غَالِيَةً وَحُجَّةٍ جَزَلَةٍ مِنَ الْكَذِبِ

قام الصديق وعمر بدعوى، هي طلب الخلافة، وهي ظالمة، وحجتها فيها جزلة، صلبة كبيرة لكنها كاذبة

٩ القاتل الحزين

لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ لِعَظْفِكَ نِلْتُ وَإِلَى ذَلِكَ الْوِصَالِ وَصَلْتُ

ليتني ما كنت أحببتك

قَالَ ذُو الْجَهْلِ قَدْ حَلُمْتُ وَلَا أَعُدُّ لَمْ أَنِّي حَلُمْتُ حَتَّى جَهِلْتُ

الجاهل ظنني حلمت، صرت عاقلاً، لكنني ما عقلت حتى وقعت في الجهل، أي التهور

لَا يُمْ لِي بِجَهْلِهِ، وَلِمَ أَذَا أَنَا وَحْدِي أَحَبُّتُ ثُمَّ قَتَلْتُ

يلومني جاهلاً ويقول إنني أنا وحدي من أحب ثم قتل المحبوبة.. فهو لا يعرف السبب

سَوْفَ آسَى طَوَلَ الْحَيَاةَ وَأَبْكِي لِكَ عَلَى مَا فَعَلْتُ لَا مَا فَعَلْتُ

سآسى، سأحزن، على فعلت أنت لا ما فعلت أنا

١٠ حدود المعشوقين

أَعَشَقُ الْمُرْدَ وَالنَّكَارِشَ وَالشَّبَّابَ، وَعِنْدِي مِثْلُ الْبَنِينِ الْبَنَاتُ

المرد: الفتية لم يثبت لهم شعر وجه بعد، النكاريش: الملتحون من الشباب، ولا فرق عندي بين البنين والبنات

حَدُّ مَا يُشْتَهَى وَيُعْشَقُ عِنْدِي حَيَوَانٌ تَحِلُّ فِيهِ الْحَيَاةُ

الحمد لله أنه لم يدخل النبات في المعادلة

١١ ما فوق الشهوة الحيوانية

حَدُّ مَا يُنْكَحُ عِنْدِي حَيَوَانٌ فِيهِ رُوحٌ

أَنَا مِنْ قَوْلِي مَلِيحٌ أَوْ قَبِيحٌ مُسْتَرِيحٌ

ليس عندي قبيح ولا مليح

كُلُّ مَنْ يَمْشِي عَلَى وَجْدٍ الثَّرَى عِنْدِي مَلِيحٌ

١٢ مقت الحاسدين

فَلَوْ قَالَتِ الْأَيَّامُ هَلْ لَكَ حَاجَةٌ لَقُلْتُ لَهَا أَنْ لَا يُسَرَّ حَسُودٌ

١٣ رثاء ديك الإنس

دَعَانَا أَبُو عَمْرٍو عُمَيْرُ بْنُ جَعْفَرٍ عَلَى لَحْمِ دِيكِ دَعْوَةٍ بَعْدَ مَوْعِدٍ

فَقَدَّمَ دِيكًا عَذْمُلِيًّا مَلْدَحًا مُبَرَّنَسَ أَثْوَابٍ مُؤَذَّنَ مَسْجِدٍ

قدم لنا ديكاً عذملياً، عتيقاً، ملدحاً، مضروباً جريحاً، مبرنس أثواب، ثوبه من الريش له برنس أي غطاء رأس هو عرف الديك، والديك يصيح وقت الفجر فهو كمؤذن المسجد

أَيُذْبَحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مُؤَذَّنٌ مُقِيمٌ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ؟

١٤ جس الطبيب

وَدَّعْتُهَا وَلَهَيْبُ الشَّوْقِ فِي كَيْدِي وَالْبَيْنُ يُبْعَدُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ

فَكَانَ أَوَّلُ عَهْدِ الْعَيْنِ يَوْمَ نَأَتْ بِالْدَمْعِ آخِرَ عَهْدِ الْقَلْبِ بِالْجَلْدِ

أول عهد عيني بالدمع لفراقها هو آخر عهد قلبي بالجلد، أي الصبر

جَسَّ الطَّبِيبُ يَدِي جَهْلًا فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ الْمَحَبَّةَ فِي قَلْبِي فَخَلَّ يَدِي

١٥ رثاء المحبوبة القتيلة

قَالَ يَرْتِي زَوْجَتَهُ بَعْدَ أَنْ قَتَلَهَا:

أَسَاكِنَ حُفْرَةٍ وَقَرَارٍ لَحْدٍ مَفَارِقَ خُلَّةٍ مِنْ بَعْدِ عَهْدٍ

خلة: حبيب

أَجِئْنِي إِنْ قَدَرْتَ عَلَى جَوَابِي بِحَقِّ الْوُدِّ كَيْفَ ظَلِمْتَ بَعْدِي

وَأَيْنَ حَلَلْتَ بَعْدَ حُلُولِ قَلْبِي وَأَحْشَائِي وَأَضْلَاعِي وَكِبْدِي

أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ عَايَنْتَ وَجْدِي إِذَا اسْتَعْبَرْتُ فِي الظُّلَمَاءِ وَحْدِي

لو رأيت وجدي، حزني، إذا استعبرت، بكيت، في الظلمة وحدي

وَجَدْتُ نَفْسِي وَعَلَا زَفِيرِي وَفَاضَتْ عَبْرَتِي فِي صَحْنِ خُدِّي
إِذْ لَعَلِمْتُ أَنِّي عَنْ قَرِيبٍ سَتُخْفَرُ حُفْرَتِي وَيُشَقُّ لَحْدِي
وَيُعْذَلْنِي السَّفِيهُ عَلَى بَكَائِي كَأَنِّي مُبْتَلَى بِالْحَزَنِ وَخُدِي
يَقُولُ: قَتَلْتَهَا سَفَهًا وَجَهْلًا وَتَبْكِيهَا بُكَاءَ لَيْس يُجْدِي
كَصَيَّادِ الطُّيُورِ لَهُ انْتِحَابٌ عَلَيْهَا وَهُوَ يَذْبَحُهَا بِحَدِّ

١٦ تناولها من خده

بِهَا، غَيْرَ مَعْدُولٍ، فَذَاوِ خُمَارَهَا وَصِلْ بِعَشِيَّاتِ الْغُبُوقِ ابْتِكَارَهَا
عَالِجِ الْخُمَارِ، أَيْ صَدَاعِ الْخَمْرِ، بِشَرْبِ مَزِيدٍ مِنَ الْخَمْرِ، وَصَلَ عَشِيَّاتِ الْغُبُوقِ، وَالْغُبُوقُ شَرَابُ
الْمَسَاءِ، بِالابْتِكَارِ صَبَاحًا وَالشَّرْبِ

وَنَلَّ مِنَ عَظِيمِ الْوِزْرِ كُلَّ عَظِيمَةٍ إِذَا ذُكِرَتْ خَافَ الْحَفِيطَانِ نَارَهَا
نَلَّ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَخَافُ حَتَّى الْحَفِيطَانَ، الْمَلَكَانَ الْقَائِمَانِ عَلَى كَتْفَيْكَ، مِنَ النَّارِ الَّتِي
سَتُشَوِّكُ شَيْئًا بِسَبَبِ هَذِهِ الذَّنُوبِ

فَقَامَ تَكَادُ الْكَأْسُ تُحْرِقُ كَفَّهُ مِنْ الشَّمْسِ أَوْ مِنْ وَجْتِيهِ اسْتَعَارَهَا
قَامَ الْمَحْبُوبُ وَبِيَدِهِ الْكَأْسُ وَفِيهَا خَمْرَةٌ تَلْقَى بِلُونِهَا عَلَى كَفِّهِ فَكَأَنَّهُ تَكَادَ تَحْرِقُهَا . . وَكَأَنَّهُ اسْتَعَارَ
هَذِهِ الْخَمْرَ مِنَ الشَّمْسِ أَوْ مِنْ وَجْتِيهِ الْحَمْرَاوِينَ

ظَلَّلْنَا بِأَيْدِينَا نُسْتَعِيعُ رُوحَهَا فَتَأْخُذُ مِنْ أَقْدَامِنَا الرَّاحُ نَارَهَا
نُسْتَعِيعُ، نَهْزُ بِنَعْفٍ، وَنَهْلِكُ الْخَمْرَ إِذْ نَشْرِبُهَا، وَلَكِنَّا تَتَأَرَّ مِنْ أَقْدَامِنَا وَتَجْعَلُنَا نَمْشِي مَتَمَائِلِينَ سَكْرًا

مُورَدَةٌ مِنْ كَفِّ ظَبْيٍ كَأَنَّمَا نَنَاوَلُهَا مِنْ خَدِّهِ فَأَذَارَهَا
قِيلَ مَرَّ أَبُو نَوَاسٍ بِحَمَصٍ فِي طَرِيقِهِ إِلَى مِصْرَ، فَعَرَجَ عَلَى دَيْكِ الْجَنِّ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ شَاعِرًا حَتَّى
لَا يَظْهَرُ أَنَّهُ مَقْصُرٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَبِي نَوَاسٍ، فَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ لِلْجَارِيَةِ: قُولِي لَهُ إِنَّكَ فَتَنْتَ أَهْلَ الْعِرَاقِ
بِقَوْلِكَ «تَنَاوَلُهَا مِنْ خَدِّهِ فَأَذَارَهَا» فَخَرَجَ دَيْكُ الْجَنِّ وَاسْتَقْبَلَ أَبَا نَوَاسٍ

١٧. النَّائِمُ وَالصَّاحِي

مَنْ نَامَ لَمْ يَدْرِ طَالَ النَّوْمُ أَمْ قَصُرَا لَا يَعْرِفُ اللَّيْلَ إِلَّا عَاشِقٌ سَهْرَا

١٨ هِجَاء

وَقَالَ يَهْجُو ابْنَ عَمِّهِ أَبَا الطَّيِّبِ:

سَبَحَانَ مَنْ يُمَسِّكُ السَّمَاءَ عَلَى الْـ أَرْضٍ وَفِيهَا أَخْلَاقُكَ الْقَذِيرَةُ

١٩ اسألا أو لا تسألا

سَلا هَلْ كَمَجْدِي أَوْ كَفَخْرِي لِفَاجِرٍ وَعِنْدَكُمَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسْأَلَ خَبَرَ

٢٠ الحق أبلج

وقال يمدح علياً ويرثي آله:

مَا أَنْتَ مِنِّي وَلَا رَبِّعَاكِ لِي وَطَرُ الْهَمُّ أَمْلَكُ بِي وَالشُّوقُ وَالْفِكْرُ
الحبيب وربوع الحبيب ليست وطري، فقد ملكني الهم والشوق والتفكير

وَرَاعَهَا أَنْ دَمْعاً فَاضَ مُنْتَثِراً لَا، أَوْ تَرَى كَيْدِي لِلْحُزْنِ تَنْتَثِرُ
راعها، أفرعها حزناً، أن ترى دمعي منتثراً على خدي، لا يكفيني هذا وجدير بها أن ترى كيدي
تتشقق وتنتثر حزناً

أَيْنَ الْحَسِينُ وَقَتْلَى مِنْ بَنِي حَسَنِ وَجَعْفِرٍ وَعَقِيلٍ غَالَهُمُ غَمْرُ
اغتيال هؤلاء الطالبين غمر، جاهل حاقد

قَتَلَى يَحْنُ إِلَيْهَا الْبَيْتُ وَالْحَجَرُ شَوْقاً، وَتَبْكِيهِمُ الْآيَاتُ وَالسُّورُ
الكعبة والحجر الأسود يحنان شوقاً لهؤلاء وتبكيهم آيات القرآن وسوره

مَاتَ الْحَسِينُ بِأَيْدٍ مِنْ مَغَائِظِهَا طُولٌ عَلَيْهِ وَفِي إِشْفَاقِهَا قِصْرُ
مات الحسين بأيد طويلة لكثرة غيظها، ولكنها كانت قصيرة عن أي إشفاق أو رحمة

لَا دَرَّ دُرُّ الْأَعَادِي عِنْدَمَا وَتَرُوا وَدَرَّ دُرُّكَ مَا تَحْوِينَ يَا حُفْرُ
وتروا: أنهضوا ثأراً

رَدُّوا هَنِئاً مَرِيئاً آلَ فَاطِمَةَ حَوْضَ الرَّدَى فَارْتَضُوا بِالْقَتْلِ وَاصْطَبَرُوا
أبكيكم يا بني بنت الرسول، ولا عفت محللكم الأنواء والمطر
لا عفت محللكم، لا خبرته، الأنواء، أي الأمطار

مَا لِي فَرَاخٌ إِلَى عَثْمَانَ أَنْذُبُهُ وَلَا شَجَانِي أَبُو بَكْرٍ وَلَا عَمْرُ
كفى بأن أناة الله واقعة يوماً، ولله في هذا الوري نظير
المعنى الملموح: الله يمهل ولا يهمل

مَنْ ذَا الَّذِي كَلَّمَتْهُ الْبَيْدُ وَالشَّجَرُ وَسَلَّمَ الرَّبُّ إِذْ نَادَاهُ وَالْحَجَرُ
يصف مآثر علي بن أبي طالب ويعدد كراماته

حتى إذا أَبْصَرَ الْأَحْيَاءُ مِنْ يَمَنِ بُرْهَانُهُ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ مَا كَفَرُوا
أَمْ مَنْ حَوَى قَصَبَاتِ السَّبْقِ دُونَهُمْ يَوْمَ الْقَلِيبِ وفي أَغْنَاقِهِمْ زَوْرُ
يوم القليب: يوم بدر حين دفن قتلى قريش في القليب أي البئر، وقد ازورّت، أي مالت، أغناقهم

أَمْ مَنْ رَسَا يَوْمَ أُحُدٍ ثَابِتًا قَدَمًا وفي حُنَيْنٍ وَسَلَعَ بَعْدَ مَا عَثَرُوا
سلع: جبل تحصن به المسلمون في غزوة الخندق، وعنده بارز علي عمرو بن ود

اليس قامَ رَسُولُ اللَّهِ يَخْطُبُهُمْ وقال: مَوْلَاكُمْ ذَا أَيُّهَا الْبَشَرُ
أَضْبَعُ غَيْرَ عَلَيَّ كَانَ رَافِعُهُ مُحَمَّدُ الْخَيْرِ أَمْ لَا تَعْقِلُ الْحُمْرُ؟
أما رفع الرسول ضبع علي، أي عضده، كي يراه الناس؟

دَعُوا التَّخَبُّطَ فِي عَشَوَاءٍ مُظْلِمَةٍ لم يَبْدُ لَا كَوَكَبٍ فِيهَا وَلَا قَمَرُ
عشواء: ليلة لا يبصر المرء فيها

الْحَقُّ أَبْلَجُ وَالْأَعْلَامُ وَاضِحَةٌ لو آمَنْتُ أَنْفُسُ الشَّانِينَ أَوْ نَظَرُوا
أبلج: واضح، الأعلام: الجبال، الشانين: الشانين الكارمين

٢١ خدور المعاصر

وراحَ كَرِيحِ الْمِسْكِ يَنْزُو حَبَابُهَا كَنْزُو الدَّبَى مَطْبُوخَةٌ بِالْهَوَاجِرِ
الخمير ينزو حبابها، تقفز فقاقبها، كقفز الدبى، أي الجراد، مطبوخة بالهواجر، أي أن الجراد محترق
من الفيظ الشديد فلذا يقفز، وكذا ظن الأخطل، ونحن نظن الجراد قافراً حتى لو في القطب الجنوبي

عَرُوسٌ تَبَدَّتْ فِي قَمِيصٍ مُعْصَفَرٍ وفي كِلَّةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ جَبَائِرِ
الخمير بدت عروساً في قميص معصفر، مصبوغ بالعصفر الأصفر المحمر، ويصف العروس فهي
داخل كلة صفراء ذات جبائر، أي ستار منصوب بعصي

أَتَتْنَا بِهَا الدَّايَاتُ فِي يَوْمِ عُرْسِهَا تُزِفُ إِلَيْنَا مِنْ خُدُورِ الْمَعَاصِرِ
أتتنا الدايات، هنا الوصيفات، بالعروس وزفتها إليها.. لكن عروستا لم تأت من خدور أهلها،
والخدور هي الستور التي تخفي وراءها النساء في البيوت، بل جاءت عروستا من خدور
المعاصر.. إذ هي الخمر

٢٢ الصحراء

يَا رَبُّ خَرَقٍ كَأَنَّ اللَّهَ قَالَ لَهُ إِذَا طَوَّتَكَ رِقَابُ الْقَوْمِ فَاثْنَشِرِ
الخرق: الصحراء. والصحراء لا تشبه الثوب الذي تطويه فينطوي، بل أنت تطويها فتراها انتشرت
أمامك.. هي بلا نهاية.

٢٣ سابقوك وما سبقوك

أَصْبَحْتُ جَمَّ بِلَالِ الصَّدْرِ وَأَبَيْتُ مُنْطَوِيًّا عَلَى الْجَمْرِ
بلايل الصدر: همومه

إِنْ بُحْتُ يَوْمًا طُلَّ فِيهِ دَمِي وَلِئِنْ كَتَمْتُ يَضِقُّ بِهِ صَدْرِي
مِمَّا جَنَاهُ عَلَى أَبِي حَسَنِ عُمَرُ وَصَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ
أبو حسن: علي بن أبي طالب

جَعَلُوكَ رَابِعَهُمْ أَبَا حَسَنِ ظَلَمُوا وَرَبَّ الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ
«والشفع والوتر» من القرآن

وَعَلَى الْخِلَافَةِ سَابِقُوكَ وَمَا سَبَقُوكَ فِي أَحَدٍ وَلَا بَدْرٍ

٢٤ الضحك والبكاء

وَتَمَايَلْتُ فَضَحِكْتُ مِنْ أَرْدَافِهَا عَجَبًا، وَلَكِنِّي بَكَيْتُ لِحَضَرِهَا
اخترنا هذا البيت لترى سماجة الشعراء عندما يتغزلون بأرداف النساء

٢٥ الندم

قَمَرٌ أَنَا اسْتَخْرَجْتُهُ مِنْ دَجْنِهِ لِبَلْبَيْتِي وَجَلَوْتُهُ مِنْ خِذْرِهِ
استخرجت هذا القمر من دجنه، أي ظلمته، فكانه أخذ القمر من وسط السماء المظلمة المحيطة به، وكانت «ورد» فتاة مسيحية أحبها فتزوجها، ولكنه اكتشف أنه ابتلى نفسه. جلوته من خدره:
أي أبرزته من الستر الذي تستر به المرأة

فَقَتَلْتُهُ وَلَهُ عَلَيَّ كَرَامَةٌ مِلءُ الْحَشَا وَلَهُ الْفُؤَادُ بِأَسْرِهِ
عَهْدِي بِهِ مَيْتًا كَأَحْسَنِ نَائِمٍ وَالْحَزَنُ يَسْفَحُ عِبْرَتِي فِي نَجْرِهِ
يسفح عبرتي: يسكب دمعتي

لَوْ كَانَ يَدْرِي الْمَيِّتُ مَاذَا بَعْدَهُ بِالْحَيِّ حَلٌّ، بَكَى لَهُ فِي قَبْرِهِ
عُصْصُ تَكَادُ تَفِيطُ مِنْهَا نَفْسُهُ وَتَكَادُ تُخْرِجُ قَلْبَهُ مِنْ صَدْرِهِ
تفيط النفس: تخرج بالموت

٢٦ نصف ندم

قُلْ لِمَنْ كَانَ وَجْهُهُ كَضِيَاءِ الشَّمْسِ - حَسِرَ فِي حُسْنِهِ وَبَدْرٍ مُنِيرٍ

كُنْتُ زَيْنَ الْأَحْيَاءِ إِذْ كُنْتُ فِيهِمْ ثُمَّ قَدْ صِرْتُ زَيْنَ أَهْلِ الْقُبُورِ
بِأَبِي أَنْتَ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَوْتِ وَتَحْتَ الثَّرَى وَيَوْمَ النُّشُورِ
أَفْدِيكَ بِأَبِي فِي حَيَاتِكَ وَمَوْتِكَ وَإِذْ أَنْتَ دَفِينٌ، وَيَوْمَ النُّشُورِ، أَيُّ الْبَعْثِ

خُخْتُنِي فِي الْمَغِيبِ وَالْخَوْنُ نَكْرٌ وَذَمِيمٌ فِي سَالِفَاتِ الدُّهُورِ
فَشَفَانِي سِنْفِي وَأَسْرَعَ فِي حَزٍّ - التَّرَاقِي قُطْعاً وَحَزُّ النُّحُورِ
التَّرَاقِي: عِظَامُ أَعْلَى الصَّدْرِ

٢٧ قطرات النفس

لَيْسَ ذَا الدَّمْعِ دَمْعَ عَيْنِي، وَلَكِنْ هِيَ نَفْسِي تُذِيبُهَا أَنْفَاسِي

٢٨ عين اللص

يَرْقُدُ النَّاسُ آمِنِينَ وَزَيْنُ الدَّ - هَرِيرِ يَرَعَاهُمْ بِمُقْلَةٍ لَصٍّ
أَنَا أَحْصِي فِيكَ النُّجُومَ، وَلَكِنْ لِذُنُوبِ الزَّمَانِ لَسْتُ بِمُحْصٍ
سَاهِرٍ بِسَبِيكَ أَعْدُ النُّجُومَ، وَأَمَّا ذُنُوبُ الزَّمَنِ الَّتِي عَذَبَنِي بِحَبِّكَ فَلَا حَصْرَ لَهَا

٢٩ ندم بلا تبرير

وَأَنَسَ عَذَابِ الثَّنَايَا وَجَدْتُهَا عَلَى خَطَةِ فِيهَا لِذِي اللَّبِّ مَثَلُفٌ
أَنَسَ عَذَابَ الثَّنَايَا، الْأَسْنَانَ، وَجَدْتُ أَنَّهَا تَتْلَفُ عَقْلَ الْإِنْسَانِ

فَأَصْلَتْ حَدَّ السِّيفِ فِي حُرٍّ وَجْهَهَا وَقَلْبِي عَلَيْهَا مِنْ جَوَى الْوَجْدِ يَرْجُفُ
أَصْلَتْ السِّيفِ، أَيُّ جَرْدَتِهِ، وَجَعَلَتْهُ فِي حَرٍّ وَجْهَهَا، أَيُّ وَسْطِهِ، وَقَلْبِي يَرْتَجِفُ وَجْداً وَحُبّاً لَهَا
فَخَرَّتْ كَمَا خَرَّتْ مَهَاةٌ أَصَابَهَا أَخُو قَنْصٍ مُسْتَعِجِلٌ مُتَعَسِّفٌ
خَرَّتْ، سَقَطَتْ، كَبْقَرَةٍ وَحَشَّ أَصَابَهَا أَخُو قَنْصٍ، صَائِدٌ، مُتَعَجِّلٌ وَمُتَعَسِّفٌ، ظَالِمٌ

سَيَقْتُلُنِي حُزْناً عَلَيْهَا تَأْسُفِي وَهَيْهَاتَ، مَا يُجْدِي عَلَيَّ التَّأْسُفُ

٣٠ المبتليك هو المعافي

إِذَا شَجَرَ الْمَوَدَّةَ لَمْ تَجِدْهُ سَمَاءُ الْبَرِّ أَسْرَعَ فِي الْجَفَافِ

تَجَدُّهُ: تَمَطَّرُهُ

هِيَ الدُّنْيَا وَقَدْ نَعِمُوا بِأُخْرَى وَتَسْوِيفُ النُّفُوسِ مِنَ السَّوَافِ
 هذه دنيانا، ويتمتع الناس بتذكر الجنة في الآخرة، ولكن تسويف النفوس، تأخيرها، من السواف
 من الهلاك

فَإِنْ كَذَبُوا أَمِنْتُ وَإِنْ أَصَابُوا فَإِنَّ الْمُبْتَليكَ هُوَ الْمُعَافِي
 إن كذبوا بشأن الجنة فأنا آمن، وإن أصابوا وصدقوا فإن ابتلاني بهذا الشك هو من يعافيني
 ويقبضني من العذاب

وَأَصْدَقُ مَا أَبُثُّكَ أَنَّ قَلْبِي بِتَصْدِيقِ الْقِيَامَةِ غَيْرُ صَافٍ

٣١ المقسومة نصفين

وَمُمَشَّقِ الْحَرَكَاتِ تَحَسَّبُ نِصْفُهُ لَوْلَا التَّمَنُّطُ مَائِلًا عَنْ نِصْفِهِ
 لولا أنها تتخذ نطاقاً على خصرها لظننت جسمها مقسوماً نصفين

يَسْعَى إِلَيَّ بِكَأْسِهِ فَكَأْنَمَا يَسْعَى إِلَيَّ بِدُرَّةٍ فِي كَفِّهِ

٣٢ رثاء الحسين

جَاءُوا بِرَأْسِكَ يَا ابْنَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ مُتَرَمِّلاً بِدُمَائِهِ تَرَمِيلاً
 مترملاً: ملطخاً

وَكَأْنَمَا بَكَ يَا ابْنَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ قَتَلُوا جَهَاراً عَامِدِينَ رَسُولاً
 قتلوك عَظْشَانَا وَلَمَّا يَرْقُبُوا فِي قَتْلِكَ التَّنْزِيلَ وَالتَّأْوِيلَا
 وَيُكَبِّرُونَ بِأَنْ قُتِلْتَ وَإِنَّمَا قَتَلُوا بِكَ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَا

٣٣ مقام علي

إِنَّ الرِّسُولَ لَمْ يَزَلْ يَقُولُ وَالْخَيْرُ مَا قَالَ بِهِ الرِّسُولُ
 إِنَّكَ مِنِّي يَا عَلِيُّ الْأَبِي بِحَيْثُ مِنْ مُوسَاهُ هَارُونُ النَّبِي
 لَكِنَّهُ لَيْسَ نَبِيٍّ بَعْدِي فَأَنْتَ خَيْرُ الْعَالَمِينَ عِنْدِي
 وَأَنْتَ لِي أَخٌ وَأَنْتَ الصُّهْرُ زَوْجَكَ الَّذِي إِلَيْهِ الْأَمْرُ
 رَبُّ الْعُلَى بِفَاطِمِ الزَّهْرَاءِ ذَاتِ الْهُدَى سَيِّدَةَ النِّسَاءِ

٣٤ تعزية

يعزي جعفر بن علي الهاشمي في زوجته:

نَفَقْلُ وَالْأَيَّامُ لَا تَغْفُلُ وَلَا لَنَا فِي زَمَنِ مَوْئِلُ

موئل: ملاذ وملجأ

وَالدَّهْرُ لَا يَسْلَمُ مِنْ صَرْفِهِ أَغْصَمُ فِي الْقُنَّةِ مُسْتَوْعِلُ

لا يسلم من مصائب الزمن الوعل الأعصم، تيس الجبل الذي في معاصمه أسفل القوائم بياض، المحتمي بالقننة، أي القمة

يَتَّخِذُ الشُّعْرَى شِعَاراً لَهُ كَأَنَّمَا الْأَفْقُ لَهُ مَنَزَلُ

هذا الوعل يتخذ من الشعري، بعض النجوم، شعاراً له، والشعار اللباس الداخلي الملاصق لشعر البدن

جَادَ عَلَى قَبْرِكَ مِنْ مَيِّتٍ بِالرَّوْحِ رَبُّ لَكَ لَا يَبْخُلُ

جاد: أطر، الروح: الرحمة

عَيْتُ تَرَى الْأَرْضَ عَلَى وَبْلِهِ تَضْحَكُ إِلَّا أَنَّهُ يَهْمُلُ

جاد قبرها الغيث، المطر، الذي تضحك الأرض من بيله، انهماره، لأنها تخرج الرياحين غب المطر، على أن المطر يهمل، ييكي.. اصطيد متعب للطباق

٣٥ الفادي الشجاع

وَمَنْ كَعَلِيٍّ فَدَى الْمُصْطَفَى بِنَفْسٍ، وَنَامَ فَمَا يَخْفُلُ

افتدى علي النبي عندما نام في فراشه ليلة هجرة النبي من مكة

عَشِيَّةَ جَاءَتْ قُرَيْشٌ لَهُ وَقَدْ هَاجَرَ الْمُصْطَفَى الْمُرْسَلُ

وَمَنْ كَعَلِيٍّ إِذَا مَا دَعَوْا نَزَالَ، وَقَدْ قَلَّ مَنْ يَنْزِلُ

دعوا نزال: صرخوا هيا للمبارزة

سَطَا يَوْمَ بَذَرَ بِقَرَضَابِهِ وَفِي أَحَدٍ لَمْ يَزَلْ يَخْمِلُ

قرضابه: سيفه، يحمل: يشن حملة على العدو

وَمِنْ بَأْسِهِ فُتِحَتْ خَيْبَرُ وَلَمْ يُنْجِهَا بَابُهَا الْمُقْفَلُ

٣٦ ما الحب إلا للحبيب الأخير

نَقْلُ فَوَادِكَ حَيْثُ شِئْتَ فَلَنْ تَرَى كَهْوَى جَدِيدٍ أَوْ كَوْضَلٍ مُقْبِلِ

مِقَّتِي لِمَنْزِلِي الَّذِي اسْتَحْدَثْتُهُ أَمَّا الَّذِي وَلَّى فَلَيْسَ بِمَنْزِلِي
مَقَّتِي: المِقَّةُ هي الحب. وفي البيتين رد على أبي تمام القائل: نقل فؤادك حيث شئت من الهوى/
ما الحب إلا للحبيب الأول

٣٧ إن لم تكن ذنباً

لَا تَقِفْ لِلزَّمَانِ فِي مَنْزِلِ الضَّيْبِ م، وَلَا تَسْتَكِنْ لِرِقَّةِ حَالِ
لا تقف موقف ضيم تكون فيه مضيعاً مظلوماً، وبإاك والاستكانة لركة الحال، أي الفقر
وَإِذَا خِفْتَ أَنْ يُرَاهِقَكَ الْعُدُ مُ فَعُدْ بِالْمُثَقَّفَاتِ الْعَوَالِي
إن خفت أن يراهقك، يرهقك باستمرار، العدم، أي الفقر، فعذ بالمتقفات العوالي،
فالجأ إلى الرماح المشدبة

وَأَهِنْ نَفْسَكَ الْكَرِيمَةَ لِلْمَوْتِ تِ وَقَحْمٍ بِهَا عَلَى الْأَهْوَالِ
قحم: اقحم
فَلَعَمْرِي لِلْمَوْتِ أَزِينُ لِلْحَرِّ - مِّنَ الذُّلِّ ضَارِعاً لِلرَّجَالِ
ضارعاً: ذليلاً

أَيُّ مَاءٍ يَدُورُ فِي وَجْهِكَ الْحَرِّ - إِذَا مَا امْتَهَنَتْهُ بِالسُّؤَالِ
ماء الوجه: الكرامة، امتهنته بالسؤال: أهنته بالاستجداء

غَاضَتِ الْمَكْرُمَاتُ وَانْقَرَضَ النَّاسُ س، وَبَادَتْ سَحَائِبُ الْإِفْضَالِ
غاضت المكرمات، جفت كما تجف مياه البئر، وانقرض الناس الكرام، وبادت غيوم الفضل
والسخاء

فَقَلِيلٌ مِنَ الْوَرَى مَنْ تَرَاهُ يُرْتَجَى، أَوْ يَصُونُ عِرْضاً بِمَالِ
ذَهَبِ النَّاسِ فَاطْلُبِ الرِّزْقَ بِالسَّيِّئِ ف، وَإِلَّا فَمُتْ شَدِيدَ الْهَزَالِ
الناس، أي الناس الكرام، ومن هنا قول أحمد شوقي «أنتم الناس أيها الشعراء»

٣٨ التَّجَمُّلُ بِالْحَرَامِ

أَنَا مَا لِي وَلِلصِّيَامِ وَقَدْ حَبَا نَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ شَهْرُ الصِّيَامِ
تَارِكاً لِلْجِهَادِ وَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ رَةَ وَالْجِلَّ رَاغِباً فِي الْحَرَامِ
وَاسْقِنِي يَا أَخَا الْمُدَامَةِ كَأْساً مِنْكَ مَمْرُوجَةً بِمَاءِ الْعَمَامِ

واقِفاً بَيْنَ فَتْكَةٍ وَمُجَوِّدٍ رَاقِصاً فِي الصَّلَاةِ خَلْفَ الْإِمَامِ
أَنَا لَا أَطْلُبُ الْحَلَالَ لِأَنِّي قَدْ وَجَدْتُ الْحَرَامَ خَيْرَ طَعَامٍ

٣٩ المختفي عشقاً

قَدْ سَمِعْتُمْ أَنِّي مِنْ بَعِيدٍ فَاطْلُبُوا الشَّخْصَ حَيْثُ كَانَ الْآنِي
ابحثوا عن الشخص مستدلين عليه بأني

مَا تَرَاهُ الْعَبُودُ إِلَّا ظُنُوناً هُوَ أَخْفَى مِنْ أَنْ تَرَاهُ الْعَبُودُ
فهذا العاشق صار نحيلاً فلم يعد يبدو للعين . . . سيسبح المتني بعد عقود كثيرة في هذه البركة
لَمْ يَعِشْ أَنَّهُ جَلِيدٌ وَلَكِنْ دَقَّ جِدّاً فَمَا تَرَاهُ الْمُنُونُ
هذا العاشق لم يستمر في الحياة لأنه صبور، بل لأن جسمه دق، صغر، إلى درجة أن الموت لم
يعد يراه . مبالغة طريفة

٤٠ طاقة الإخفاء

وَلَوْ أَنَّ أَحْدَاثَ الزَّمَانِ أَرَدَتْني بِخَيْرٍ وَشَرٍّ مَا عَرَفُنَّ مَكَانِي
لشدة هزال العاشق اختفى شخصه فلم تعد أحداث الزمن تعثر عليه

٤١ هو والصيام

مَا زَالَ مِنْ بُغْضِ الصَّيَامِ مُبْغِضاً يَوْمَ الْخَمِيسِ إِلَيَّ وَالْإِثْنَيْنِ
ومن أجبرك على صيامهما؟ قال الشاعر: إذا جحد الله والمرسلين فكيف نعاتبه في عمر؟

٤٢ أعرف نفسي

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنِّي لَسْتُ بِبِي أَخْبَرَ مِنِّي
أَنَا إِنْسَانٌ بَرَانِي الـ لَهُ فِي صُورَةِ جَنِّي
بل أَنَا الْأَسْمَجُ فِي الْعَيْنِ نِ، فِدْعُ عَنْكَ التَّظَنِّي
التظني: التخمين

أَنَا لَا أَسْلَمُ مِنْ نَفْسِي سَيِّ فَمَنْ يَسْلَمُ مِنِّي

٤٣ خنت سري فموتي علانية

قال يتهم زوجته القتيلة بالخيانة:

لَكَ نَفْسٌ مُوَاتِيَّةٌ وَالْمَنَايَا مُعَادِيَّةٌ

نفسك مواتية، مقبلة على الحياة، ولكن الموت عدو يترصدك

أُيْهَا الْقَلْبُ لَا تَعُدْ لِهَوَى الْبَيْضِ ثَانِيَّةٌ

البیض: الحسان

لَيْسَ بَرْقٌ يَكُونُ أَخْـ لَبٍّ مِنْ بَرْقِ غَانِيَّةٍ

البرق الخلب، الذي لا يأتي بعده مطر، ليس أكثر خداعاً من الحسناء

خُنْتُ سِرِّي وَلَمْ أَخُنْـ كِ فَمُوتِي عَلَانِيَّةٌ

٤٤ رثاء أبي تمام

فُجِعَ الْقَرِيضُ بِخَاتَمِ الشُّعْرَاءِ وَغَدِيرٌ رَوَّضَتْهَا حَبِيبُ الطَّائِي

ماتا معاً فتجاوزاً في حُفْرَةٍ وكذاك كانا قبل في الأحياء

٤٥ الدخول في الإيمان من النافذة

بِأَبِي فَمُ شَهِدَ الضَّمِيرُ لَهُ قَبْلَ الْمَذَاقِ بِأَنَّهُ عَذُبُ

أفدي بأبي فمأ عذباً أحس بعدوبته قبل القبلة. الشاعر العربي كان يتغنى بالشفاه وبالقبلة وبالبريق العذب، ونسي أن القبلة إنما تعذب إذا استقبلها ثغر الحبيبة مشتاقاً إليها، يقول المثل الإنجليزي: لا بد من اثنين لرقصة التانغو

كَشَّهَادَتِي لِلَّهِ خَالِصَةً قَبْلَ الْعِيَانِ بِأَنَّهُ رَبُّ

العيان: الرؤية

٤٦ فتنة الحواج

فَوْقَ الْعَيُونِ حَوَاجِبُ زُجْ تَحْتَ الْحَوَاجِبِ أَعْيُنُ دُعُجْ

زج: مزججات مدببات، الأعين الدعج: الواسعة السوداء في شدة بياض

وَإِذَا نَظَرْنَ رَمَقْنَ عَنْ مُقَلِّ تَسْبِي الْعَيُونِ فَحَشَوْهَا غُنْجُ

وَأَفَيْنَ مَكَّةَ لِلْحَجَّيجِ فَلَمْ يَسْلَمْ بِهِنَّ لِمُسْلِمٍ حَجُّ

٤٧ خوش حجة

يَا بَدِيعَ الدَّلِّ وَالْغَنَجِ لَكَ سُلْطَانٌ عَلَى الْمُهْجِ
إِنَّ بَيْتاً أَنْتَ سَاكِنُهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى الشُّرْجِ

السرج: جمع سراج

وَجْهَكَ الْمَعشُوقُ حُبَّتُنَا يَوْمَ يَأْتِي النَّاسُ بِالْحُبَجِ

إذا طلبت منا حجة يوم القيامة لتبرير عشقنا وتغزلنا فوجهك هو الحجة لأنه لا يقاوم، سنقول لله: خلقت مثل هذا الوجه وتريدنا ألا ننظر؟

٤٨ من خده تعصر

وَقَهْوَةٌ كَوَكْبُهَا يَزْهَرُ يَنْفُخُ مِنْهَا الْمِسْكَ وَالْعَنْبَرُ

يزهر: يضيء، قهوة: خمر، ينفخ: تفوح رائحته

وَرْدِيَّةٌ يَحْمِلُهَا شَادِنٌ كَأَنَّهَا مِنْ خَدِّهِ تُعْصَرُ

الخمر وردية يحملها شادن، أي غزال، وخده أحمر فكان الخمر عصرت من خده

٤٩ خرافة

أَتَرَكُ لَذَّةَ الصَّهْبَاءِ عَمْدًا لِمَا وَعَدُوهُ مِنَ لَبْنٍ وَخَمْرٍ

حَيَاةٌ ثُمَّ مَوْتُ ثُمَّ بَعَثٌ حَدِيثُ خُرَافَةٍ يَا أُمَّ عَبْرُو

خرافة: اسم رجل كان يحدث الناس بالمستحيلات، فسموا كل حديث مستحيل «حديث خرافة» ثم صاروا يقولون «خرافة»

٥٠ التعفير ثم السعير

قال في نصرانية:

لَمَّا نَظَرْتُ إِلَيَّ عَنْ حَدَقِ الْبَهَاءِ وَبَسَمْتُ عَنْ مُتَفَتِّحِ النُّوَارِ

نظرت إلي بعينيك المشبهتين عيون بقر الوحش الواسعة، وبسمت عن ثغر كأنه الزهر المتفتح

وَعَقَّدْتُ بَيْنَ قَضِيبِ بَانَ أَهْيَفٍ وَكَثِيبِ رَمْلِ عُقْدَةِ الزُّنَارِ

وعقدت بين جذعك الذي يشبه غصن البان وبين عجزتك المشبهة كثيب الرمل بزوار

عَفَرْتُ خَدِّي فِي الثَّرَى لَكَ طَائِعاً وَعَزَمْتُ فِيكَ عَلَى دُحُولِ النَّارِ

٥١ المبادرة

وَحَمْرَاءَ قَبْلَ الْمَرْجِ صَفْرَاءَ بَعْدَهُ أَتَتْ بَيْنَ ثَوْبِي نَرْجِسٍ وَشَقَائِقِ
يصف الخمر وكيف يتغير لونها بالمرج وأنها تقدم في مجلس فيه النرجس والشقائق

حَكَتْ وَجَنَةَ الْمَعشُوقِ صِرْفًا فَسَلَطُوا مِزَاجًا عَلَيْهَا فَاكْتَسَتْ لَوْنَ عَاشِقِ
كانت حمراء كوجنة المعشوق، خده، فمع المزج صارت صفراء كلون المريض عشقاً

فَقُمْ وَاغْتَنِمِ واشْرَبْ عَلَى كُلِّ رَوْضَةٍ وَفِي كُلِّ بَسْتَانٍ وَبَيْنَ الْحَدَائِقِ
فَمَا الْعَمْرُ إِلَّا صِحَّةٌ وَشُبَيْبَةٌ وَكَأْسٌ وَقُرْبٌ مِنْ حَبِيبٍ مُوَافِقِ
وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ لَمْ يَغْتَرِرْ بِهَا وَبَادَرَ بِاللَّدَاتِ قَبْلَ الْعَوَائِقِ

٥٢ موانع التوبة

يَقُولُونَ: ثُبِّ وَالْكَأْسُ فِي كَفِّ أَغْيَدٍ وَصَوْتُ الْمَثَانِي وَالْمَثَالِثِ عَالٍ
يقولون تب عن اللهو وأنا أرى الكأس في كف فتاة غيداء، مثنية غنجاً، وصوت المثنائي
والمثالث، الأنغام، عالي

فَقُلْتُ لَهُمْ: لَوْ كُنْتُ أَضْمَرْتُ تَوْبَةً وَعَايَنْتُ هَذَا فِي الْمَنَامِ، بَدَأَ لِي
قلت لهم: لو كنت نويت التوبة ثم رأيت هذا في المنام لبدا لي،
«بدا لي» معناها التقديم «غيرت رأيي»

٥٣ حياة ثم موت ثم بعث

لَا مُتَّ قَبْلِي، بَلْ أَحْيَا وَأَنْتِ مَعَاً وَلَا أَعِيشُ إِلَى يَوْمِ تَمُوتِينَا
لَكِنْ نَعِيشُ بِمَا نَهْوَى وَنَأْمُلُهُ وَيُرْغَمُ اللَّهُ فِينَا أَنْفَ وَآشِينَا
حَتَّى إِذَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مِيتَتَنَا وَحَانَ مِنْ أَمْرِنَا مَا لَيْسَ يَعْدُونَا
ما ليس يعدونا: ما لن نفر منه

مُنْنَا جَمِيعاً كَغُضُنِّي بَانَةً ذُبْلًا مِنْ بَعْدِ مَا نَضَرَا وَاسْتَوْسَقَا حِينَا
استوسقا: أثمرنا

ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْنَا فِي مَضَاجِعِنَا حَتَّى نَعُودَ إِلَى مِيزَانِ مُنْشِينَا
مضاجعنا: قبورنا، منشينا: خالقنا

فَإِنْ نَنَلْ عَفْوَهُ فَالْحُلْدُ يَجْمَعُنَا إِنْ شَاءَ، أَوْ فِي لَظَى إِنْ شَاءَ يُلْقِينَا

حتى يقول جميع الخالدين بها يَا لَيْتَ أَنَا مَعاً كُنَّا مُجِبِّينَا
سيحسنا الخالدون في النار لأننا ظللنا معاً. كأنه واثق من أن هناك «اختلاطاً» في الجحيم!

٥٤ الأحلام والأمانى

تَمَتَّعَ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ فَإِنْ وَإِنَّكَ فِي أَيْدِي الْحَوَادِثِ عَانَ
عان: أسير

فإني رأيت الدهر يسرع بالفتى وينقله حاليين يختلفان
فأما الذي يمضي فأحلام نائم وأما الذي يبقى له فأمانى

٥٥ قتلها لثلا يراها الحسود

يَا طَلْعَةَ طَلَعَ الْجَمَامُ عَلَيْهَا وَجَنَى لَهَا ثَمَرَ الرَّدَى بِيَدَيْهَا
يا لطلعتها البهية التي طلع عليها الموت، وجنى لها ثمرته، أي قطف لها ثمرة الموت، بسبب ما
صنعتة هي

رَوَيْتُ مِنْ دَمِهَا الثَّرَى وَلَطَّالْمَا رَوَى الْهَوَى شَفَتَيَّ مِنْ شَفَتَيْهَا
قد بات سيفي في مجال وشاحها ومدامعي تجري على خديها
وضعت سيفي في مكان وشاحها، عند خصرها

فَوَحَّقْ نَعْلَيْهَا، وَمَا وَطِئَ الْحَصَى شَيْءٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَعْلَيْهَا
ما كان قتلها لاني لم أكن أبكي إذا سقط الذباب عليها
لم أقتلها لهوانها علي، بل لقد كنت أبكي جزعاً إذا سقطت عليها ذبابة

لَكِنْ ضَنْنْتُ عَلَى الْعَيُونِ بِحُسْنِهَا وَأَنْفَتُ مِنْ نَظَرِ الْحَسُودِ إِلَيْهَا

فهرس القوافي (القافية فرقم القطعة)

١٤	وَالْجَسَدِ	٤٤	الطَّائِي
١٧	سَهْرًا	١	ضَرَاءِ
٤٨	وَالْعَنْبُرُ	٣	النَّوَادِبُ
٢٠	وَالْفِكْرُ	٥	تُحْلَبُ
٢٣	الْجَمْرِ	٤٥	عَذْبُ
٥٠	النَّوَارِ	٤	فَقْضِيبُ
٢١	بِالْهَوَاجِرِ	٦	أَرْبِي
٢٢	فَانْتَشِرِ	٨	الطَّرَبِ
٢٦	مُنِيرِ	٧	غَرِيبِ
٤٩	وَحَمْرِ	٢	أَثْوَاهَا
١٩	خَبَرُ	١٠	الْبَنَاتِ
١٦	ابْتِكَارَهَا	٩	وَصَلَتْ
١٨	الْقَدِيرَةَ	٤٦	دُعُجُ
٢٥	خَذِرِهِ	٤٧	الْمُهْجِ
٢٤	لِخَضْرَاهَا	١١	رَوْحُ
٢٧	أَنْفَاسِي	١٢	حَسُودُ
٢٨	لِصِّ	١٥	عَهْدِ
٢٩	مَتَلَفُ	١٣	مَوْعِدِ

٣٨	الصيامِ	٣٠	الجفافِ
٥٣	نَموتِنا	٣١	نِصفِهِ
٣٩	الأنينُ	٥١	وشَقائِقِ
٥٤	عَانِ	٣٢	تَرَمِيلًا
٤٠	مَكَانِي	٣٣	الرسولُ
٤٢	مِنيَّ	٣٤	مَوْتِلُ
٤١	والإثنينِ	٣٥	يَحْفِلُ
٤٣	مُعَادِيَّةُ	٣٧	حَالِ
٥٥	بِيدِهَا	٥٢	عَالِ
		٣٦	مُقْبِلِ

علي بن الجهم

(١٨٨هـ - ٢٤٩هـ)

أنام هذه الأيام على محيط المحيط .

أقول «هذه الأيام»، لا «هذه الليالي» لأنني لا أعرف متى أنا، ولا متى أصبحو. أخلع ساعتني، ثم تضل ولا أهتدي إلى مكانها. فأتظاهر بأنني أبحث عنها، وإن في قرارة نفسي لرغبة جامحة في ألا أجدها. تضع الساعة، ويتقد في قلبي الفرح .

توقد في قلبي شمس

ينسيني يومي أمس

قلبي عرس

تمضي الساعات لا أحس بها، تخبرني النافذة - التي يكاد يلتصق بها جدار البناية المجاورة التصاقاً - بأن الليل حل، وأمارس من عاداتي وهواياتي ما أمارس: أقرأ وأكتب وألحن وأتفرج في النت. وبعد حين أقول في نفسي: لعل الليل قد هبط الآن ثقيلاً؛ أنظر في معصمي الأيسر فلا أجد الساعة الضالة، فأنظر إلى النافذة فأرى جدار البناية الملاصقة أصفر لا أسود، وسرعان ما يؤكد لي المؤذن أنه الفجر الصادق.

وأثناء.. . أليس قد بزغت الشمس!

وأتحايل على النعاس بشطيرة تشغل معدتي، فيطير النوم، وأتمنى أن أستطيع ما كنت أستطيعه في سنوات خلت من وصل الليل بالنهار، والبقاء في حضن الصحو ثماني وأربعين ساعة. غير أن كل ما أستطيعه اليوم هو أن أسرق من الصباح، بعد سهر الليل بطوله، بضع ساعات قد توصلني إلى الظهر قبل أن يفرض الفراش نفسه فرضاً.

وقد شقيت زمناً بمخدتين، أجعل الطرية منهما من تحت فتتقلقل المخدة الصلبة فوقها كأنها مركب يتهادى على سطح الماء، ثم أجعل الصلبة من تحت فيغوص رأسي في الطرية المحشوة بالصوف الصناعي فأخترّ ويتصب عرقي. ثم إنني صرت أجعل محيط المحيط تحت مخدتي الصلبة فأرقد على صلب فوق صلب.

ولا أضع محيط المحيط تحت مخدتي إلا بعد أن أقلب صفحاته ملياً. وهو يفعل في أحياناً فعل الشطيرة، فيحبس عني النوم ساعة أو أكثر.

هذا معجم كتبه بطرس البستاني قبل مئة وخمسين سنة، وطبعه في ألف صفحة من القطع الكبير والحرف الصغير. وسأعود إلى الحديث عنه.

كان أول معجم اقتنيت «المنجد» للأب لويس المعلوف. وكان، بأحرف الحديث، وبما بذله فيه اليسوعيون من عناية، وما ألحقوا به من ملاحق، خير رفيق. ثم عرفت معجم مجمع القاهرة «الوسيط»، فاكشفت أنه يلتقي مع المنجد في تعريفات كثيرة. ثم عندما عرفت القاموس المحيط للفيروزآبادي فهمت أن المنجد والوسيط شربا من نبع واحد. وكنت أُمِرُّ بطبعة قديمة لمحيط المحيط في المكتبة العامة فلا أعيره كبير اهتمام، ربما لذلك البنط الطباعي البائد.

وصدرت طبعة جديدة لمعجم بطرس البستاني محيط المحيط، وصدرت تصويراً عن الطبعة الأصلية بتلك الحروف العتيقة نفسها، ولعلها ازدادت تآكلًا في التصوير بالأوفست، على أنني عندما اقتنيتها فرحت بها وبأنها صورة طبق الأصل. فلا أريد من أحد أن «يعتني» بهذا المعجم، ولا أن يغير فيه شيئاً. لقد سبق محيط بطرس منجد المعلوف بأربعين سنة، وسبق الوسيط بتسعين سنة. وكان أول معجم عربي يؤلّف في زمن المطبعة.

في السطر الثاني من مقدمته - المكونة من صفحة واحدة - يقر المؤلف بأن معجمه مستند إلى قاموس الفيروزآبادي. لا بل هو يقر بذلك في اسم المعجم، فقد سماه محيط المحيط مذكراً بالقاموس المحيط. وليته لم يكن تواضع هذا التواضع. فبطرس صنع في كتابه العجب. لقد وصف اللغة كما هي في عصره، وأضاف إلى مفرداتها الكثير كي يصف ما ولدته العلوم الجديدة من مفاهيم وأدوات. وكان فحلاً من فحول علم الصرف. وكان محباً للشعر فاستشهد بنحو أربعة آلاف بيت (فتحت على الصفحة المئة، كعادتي كلما أردت فحص كتاب، فوجدت فيها أربعة شواهد شعرية، ثم على الصفحة مئتين فوجدت أربعة

شواهد، ثم على الصفحة ثلاثمئة فوجدت خمسة شواهد شعرية)، ولا تسل عن الشواهد القرآنية، ولا عن الأحاديث النبوية فهي بالآلاف.

في الشواهد الشعرية خرج المعلم بطرس عن قيد «عصر الاحتجاج» الذي يقف عند نهاية العصر الأموي، فتراه يستشهد بأبيات لكل شاعر فصيح من كل العصور، وهو بذلك قد جرح قاعدة سخيفة أساسها فكرة أن اللغة جامدة ويجب أن تبقى جامدة، وهو بهذا النوع من الاستشهاد الحر قد خرج من طوق الأبيات الشاذة التي كانت وبالأعلى النحو، وعلى الصناعة المعجمية. وهو بذلك يعرض علينا ذوقه الطيب، فإذا فسح لنفسه المجال راح يختار الأبيات التي لم يلجئ فيها الوزن والقافية الشاعر إلى ارتكاب الشذوذ، فكان استشهاده بريئاً وجميلاً. الرجل محب للأدب.

فإن علمت أن «المعلم بطرس» - وهذا لقبه وهو به جدير - كتب أيضاً ستة أجزاء هي نصف موسوعة علمية، مات عن نصفها الثاني، وتعرض فيها لقوانين الفيزياء وتفاصيل الكيمياء والأحياء، فقد عرفت أن صاحبنا ذو باع في المعرفة العامة أعانه في كتابة معجم حقيقي. فصاحب المعجم يجب أن يكون صاحب حياة لا نابش قبور، ويجب أن يكون صاحب معرفة عريضة لا أخا نحو وصرف وناقة وبعير.

وقد برئ المعلم بطرس في معجمه من تشدد المعلوف إزاء المدارك الإسلامية. كان المعلوف يمر بالمفردات التي فيها رائحة الإسلام مرور الفار من ذئب مفترس. ولا كذلك المعلم بطرس. كان بطرس، كمعاصره وزميله في مهنة التعليم ناصيف اليازجي، محباً لثقافة الإسلام بما هي ثقافة عربية. لم يكن متشجعاً. وآية سماحته أنه عندما قامت المذابح الطائفية في لبنان، عام ١٨٦٠، كان من أهل المساعي الخيرة لنبذ الطائفية، وأنفق في ذلك العمر والمال، وسمى المدرسة التي أنشأها المدرسة الوطنية لتضم الطلبة من كل الملل. كانت المدرسة الوطنية تعلم الطلبة ست لغات، ولكنها جعلت العربية في الصدارة.

لعل بطرس البستاني كان يجامل الحكم العثماني في بلادنا بعض المجاملة - وقد نال من السلطان دعماً لطبع معجمه، ونال منه عليه الوسام المجيدي الثالث - بيد أن المعلم بطرس، الذي تكاد تحسبه حفظ القرآن حفظاً لكثرة استشهاده بآياته، وعب من كتب الحديث عباً، كان من القوم الذين تصالحوا مع اللغة العربية وهي تتشكل تشكلاً جديداً بعد الإسلام الذي منح لغتنا كتابها،

وكان ممن تصالحوا معها وهي تخوض في تعريب ما جد من مفردات في عصر العلم، وممن تصالحوا مع شعرائها القدامى والمحدثين الذي صنعوا لهذه اللغة ديوانها بما فيه من حكمة ووحشية وقتل وفضائل وحماقات.

قف لحظة وانظر إلى بعض المتشددین من مسلمين ومسيحيين ترهم يريدون العودة باللغة إلى عصر نأثاة الإسلام، هذا عن المسلمين، فأما بعض المتشددین المسيحيين فقد ودوا لو عادوا بها إلى الجاهلية فلا يكون فيها لا قرآن ولا حديث.

سعادتي ببطرس وهو يستمسك بالعربية كما تطورت متلذذاً باستشهاداته القرآنية وبإيراده المئات من الكلمات العامة للتعبير عن دقائق المعاني الحياتية، هي كسعادتي وأنا أراه يترجم الكتاب المقدس، ويصوغه بعربية حلوة للمؤمنين. وسعادتي هاتان تشبهان سعادتين أخريين: سعادتي بمارون عبود وهو يرى في محمد بن عبد الله، نبي المسلمين، نبياً للعرب أيضاً - ومشى مارون خطوة أخرى فسمى ولده الثاني محمداً فقامت عليه القيامة - . وقد شاء لي الحظ الطيب أن التقيت بحفيد مارون عبود في بيت جده الذي صار متحفاً، وكان يحدثني عن العائلة ذاكرًا، فيما ذكر، «عمي محمد» . كنت أراها تخرج من فمه غريبة حلوة في ذلك الجو المسيحي. وسعادتي الثانية بمارون عبود إذ أقرأه يكتب كتباً كثيرة عن قريته المسيحية وتراثها المسيحي وعن كتب الصلاة المكتوبة بالسريانية. لم يكن مارون تقياً ولا متديناً بحال، لا إسلامياً ولا مسيحياً، لكنه كان يحب تراثه بكل مكوناته.

لقد أنجزتُ وثائقاً تلفزياً عن نهوض لبنان باللغة العربية، هذه اللغة التي تتحول صورتها الفصحى في لبنان الآن إلى هيكل عظمي، وسميته مورياً «عظام العربية في لبنان». ولم أتعرض فيه بكلمة لا لبطرس البستاني ولا لعبد الله البستاني ولا لسليمان البستاني، ولا لوديع البستاني الشاعر العلامة الذي نعه نحن، الفلسطينيين، فلسطينياً لنضاله المشرف وتضحيت أمام الهجمة الصهيونية. خشيتُ أن أغرق في بحر المعرفة والتسامح والحب الذي أسبغه أبناء هذه الأسرة على الثقافة العربية، خشيتُ أن يأكلوا برنامجي. ضاق فتر عن مسير.

قد عرفتُ الآن لماذا أنام مرتاحاً. تحت رأسي معجم يغنيني عن القاموس المحيط، بل حتى عن لسان العرب.

شيء عن زراعة الشعر

سأنقلك من لبنان إلى الشام. سأعرفك برجل زرع الشعر في رأس أكبر شاعر عربي معاصر. والشعر يزرع مثلما يزرع مصحفه.

أترك الشاعر الأكبر يحدثك عن أستاذه، كتب نزار قباني: «إنه لمن نعمة الله عليّ وعلى شعري معاً، أن معلم الأدب الأول الذي تتلمذت عليه، كان شاعراً من أرق وأعذب شعراء الشام، وهو الأستاذ خليل مردم بك. هذا الرجل ربطني بالشعر منذ اللحظة الأولى، حين أملى علينا في أول درس من دروس الأدب مثل هذا الكلام المصقول كسبيكة الذهب: «إنّ التي زعمت فؤادك ملأها خلقت هواك كما خلقت هوى لها/ منعّت تحيتها فقلت لصاحبي ما كان أكثرها لنا.. وأقلها». واستمر خليل مردم يقطف لنا من شجرة الشعر العربي عشر زهرات جديدة في كل درس من دروسه، حتى كانت ذاكرتنا الشعرية في نهاية العام بستاناً يموج بالأخضر، والأصفر، والأحمر. لقد جئنا هذا الشاعر الكبير، بذوقه المترف وإحساسه المرهف، السير على حجارة أكثر الشعر الجاهلي، ونباتاته الصحراوية الشائكة، ودلنا على طرقات ظليّة، وواحات في الشعر العربي، أنستنا متاعب الرحلة. ومن حسن حظي، أنني كنت من بين التلاميذ الذين تعهدهم هذا الشاعر المفرط في حساسيته الشعرية، وأخذهم معه في نزحاته القمرية، ودلّهم على الغابات المسحورة التي يسكن فيها الشعر. إنني أدین لخليل مردم بك بهذا المخزون الشعري الراقي الذي تركه على طبقات عقلي الباطن. وإذا كان الذوق الشعري عجيبة تتشكل بما نراه ونسمعه ونقرؤه في طفولتنا، فإن خليل مردم كان له الفضل العظيم في زرع وردة الشعر تحت جلدي، وفي تهيئة الخمائر التي كوّنت خلاياي وأنسجتي الشعرية».

الآن عرفت سر فصاحة نزار. كنت أغوص تحت سطح تشبيهاته المركبة، وتحت تعبيراته الراقصة، وتحت صناعته المبهرة، فأرى لغة عربية سليمة؛ صحيح أنها تنهادى لابسة شفوفاً معجبة، وتعبق بعطور باريسية، غير أنها لغة صحيحة فصيحة ليس فيها خلل ولا زلل.

الآن عرفت من أين أتى نزار بهذا.

ألمست أنني أتحدث عن هؤلاء الكبار بلسان الحسد؟ قد أصبت. فأنا رغم سهر الليالي، أسعى في اتجاهات شتى، حركة بلا بركة. فإذا ما وقع بين يدي أحد الكبار الذين دفعوا ثقافتنا ومعارفنا إلى الأمام وقفت وقفة لأداء

التحية، ولتأنيب نفسي، ولاستنهاض همة شاب يملك ما لم أعد أملكه من فسحة في العمر وسعة في الذاكرة وشحنة من الرغبة.

كبيرنا الثالث هو خليل مردم بك الذي كان معلماً وشاعراً، ثم وزيراً ثم رئيساً لمجمع دمشق العلمي الذي كان نشطاً قبل أن يذبحه الحزبيون والأكاديميون بالسكين.

كتب خليل مردم بك كتباً قليلة وصغيرة، أقرأها للاستمتاع بلغته الجميلة، ولأنه يقول ما يريد بكل أناقة، ولأنه قليل الادعاء. له عن شعراء الشام مقالة في نحو مئة صفحة، وله عن ناثري العراق، ابن المقفع والصاحب بن عباد وابن العميد، كتب تجد فيها قلم المؤرخ والأديب.

وقد حقق دواوين ابن الخياط وابن عنين وعلي بن الجهم. وموضوعنا الأصلي - بعد إذ أخذناك في الصفحات السابقة في الباص السياحي الذي يفلك من ميدان الطرف الأغر لتجد نفسك بعد ساعتين في . . ميدان الطرف الأغر - هو علي بن الجهم.

علي بن الجهم

أولاً أحدثك عن تحقيق خليل مردم بك لديوانه. فهذا الشاعر الدمشقي، الذي علّم نزار قباني الجمال، كتب مقدمة ضافية للديوان، وحققه ودققه بروح الأديب واللغوي معاً. وقد يلفتك بعبارة صغيرة إلى معنى جميل، وهو يشعرك وأنت تمسك بالديوان أن هذا الذي بين يديك هو ثمرة عمل رجل يحب عمله ويخلص له.

وقد كتب السيد أحمد صقر نقداً للتحقيق في مجلة الكاتب تضمن بعض الاجتهادات في قراءة بعض الكلمات. وأفدنا من بعض ذلك.

علي بن الجهم شاعر كبير.

يلوي الكلام ليّ المتنبي، ويحمل المفردة أحياناً أكثر مما تطيق، فعل أبي تمام. لكن شاعريته تتجلى في أنه مدح صادقاً وهجا صادقاً ووصف ومجن وتوجع صادقاً. لقد جعل حياته ميداناً لشعره.

ولد علي بن الجهم عام ١٨٨هـ، فهو لدة أبي تمام. وشهد وهو صبي في العاشرة اضطراب بغداد الذي انتهى بقتل الخليفة الأمين وتغلب أخيه المأمون.

كان علي في هذا الوقت يغدو إلى الكُتَّاب مع أولاد و«بنات» الحي. وكانت قد بدت عليه أمارات النجابة وحب الشعر. وقد كان بيته عامراً بالثقافة والشعر والسياسة: أبوه ذو منصب كبير، وأخوه الأكبر محمد من كبار مثقفي بغداد، مولع بالكتب ولا سيما ما يتعلق بعلوم اليونان، غير أنه يروي الشعر. وبلغ من ثقافة هذا الأخ أن الجاحظ نقل عنه عدة آراء في أكثر من موضع، كما يخبرنا خليل مردم بك في مقدمته النفيسة للديوان.

كان الأخ الأكبر محمد هذا يحضر مجلس الخليفة الجديد المأمون، وعندما نبغ الأخ الأصغر علي في الشعر وصل خبره إلى مسامع الخليفة فسأل أخاه عنه، وبعث إليه معه دراهم.

الأسرة تنتسب إلى فرع ضعيف من قبيلة قريش..

أراني أكتب لك كتابة ضعيفة ركيكة وأنا أحدثك عن حياة شاعرنا، ذلك أن مقدمة خليل مردم بك تكبلني. فهي وافية ساطعة سامقة. ولكنني سأمضي في كتابتي الضعيفة، فلا أحب أن أنسخ نسخاً ما قاله المردم الكبير، ولا أن أقتبس اقتباسات طويلة مما سطره صاحب الأغاني. على أن لي بعض الآراء الخاصة التي لن أعفيك منها.

هذه الأسرة قرشية من فرع يسمى بني سامة أو بني ناجية أو قريش العازبة، أي الذاهبة بعيداً، ذلك أن هذا البطن القرشي نزح إلى البحرين قديماً. وبهذا النسب القرشي فخر شاعرنا كثيراً، وراح أعداؤه يشككون في انتساب بني سامة إلى قريش. على أن الأسرة كانت ذات جاه عريض.

وكانت الأسرة قد رحلت من البحرين إلى خراسان، (وخراسان هي اليوم في شرق إيران وتضم معظم أفغانستان وقطعة من تركمانستان وطاجيكستان ومعظم أوزبكستان) واستقرت في مرو (تركمانستان اليوم).

ومن خراسان انطلقت الدعوة العباسية بقيادة أبي مسلم الخراساني. وبانتساب أسرته إلى خراسان يفخر علي بن الجهم، فأهل خراسان هم من نصر الدعوة العباسية قبل مولده بأكثر من خمسين سنة.

مع تقلد والد شاعرنا المناصب المختلفة في الدولة انتقل إلى بغداد، وبها نشأ علي. وفي كتابتيها ومساجدها تعلم الشعر وقاله. وكان يحضر مجالس المحدثين والفقهاء، وله في حلقة أحمد بن حنبل حضور موثق. وله مجلس

مشهور مع الشعراء في بغداد، ومما دار في هذا المجلس أن رجلاً غريباً التحق به ذات يوم وأنشد الناس فأعجبهم، فسألوه عن اسمه فقال: أنا أبو تمام، فرفعوا قدره ورحبوا به، وانعقدت بينه وبين علي بن الجهم صداقة وطيدة.

في حلقة أحمد بن حنبل وفي حلقات فقهاء بغداد ترسخ الاتجاه الفكري الديني للشاعر. كان المحدثون مضطهدين يتعرضون لمحنة طويلة على يد الخليفة المعتزلي المأمون وخلفه المعتصم ثم الواثق، وعلى يد وزرائهم الذين كانوا على مذهب الدولة وهو الاعتزال. فكان علي بن الجهم في صف المضطهدين.

لقد مدح شاعرنا المعتصم وهناؤه بفتح عمورية، ومدح الواثق بأبيات قليلة، وكان أخوه الأكبر محمد يتولى الشرطة في بغداد للواثق. لكن علياً ظل سنياً يكره الاعتزال ويكره التشيع. وكانت العامة من أهل بغداد تعطف على فقهاء السنة وتجد في ابن حنبل الزعيم الروحي.

ثم تولى الخلافة المتوكل، فأقصى المعتزلة وأعاد الدولة إلى حظيرة الإسلام السني. لم يكن الخليفة المتوكل فقيهاً ولا عالماً كما كان أخوه الواثق وعمه المأمون. كان يكره أخاه ووزير أخيه ابن الزيات كرهاً شديداً. كان شاباً لاهياً يطيل شعره كشباب اليوم، لكنه كان متمذهباً بمذهب الشافعي، ويؤثر أهل السنة. وفجأة مات أخوه الواثق رافضاً في مرضته الأخيرة أن يولي عهده أحداً، فأسرع القاضي أحمد بن أبي دؤاد وتحايل حتى وضع البيعة في رقة المتوكل بن المعتصم أخي الواثق.

انطلقت أشعار علي بن الجهم مدوية في مدح المتوكل الذي أعاد الدولة إلى مذهب أهل السنة، وكرّم ابن حنبل، وقرب المحدثين. ونادم ابن الجهم المتوكل سبع سنين. وله فيه مدح كثير. غير أن أبلغ شعره وأجمله سيأتي بعد أن يتعرض هو للمحنة.

كان مجلس المتوكل عامراً يحضره البحتري، والحسين بن الضحاك، ومروان بن أبي الجنوب من الشعراء، ويحضره من الكبراء طبيب الخليفة بختيشوع بن جبرائيل وفرج الرخجي وابن حمدون. وكان ابن الجهم متعالياً عليهم، يهجو الشعراء فلا يجيبهم، ويهجو الكبراء مدلاً بنسبه وقربه من الخليفة. صنع من الأعداء ما يكفي لإسقاطه. شاعرنا لم يكن حصيفاً. كان

تياهاً كثير الاعتداد بنفسه، حتى لقد كان يعد الشعر - وهو بلا شك أئمن ما يملك - دون مستواه.

كان صاحب قيل وقال. كان ذلك الابن المدلل لعائلة ثرية ونافذة، تعتد بنسب قرشي. وحدث ما يجب أن يحدث. تأمر عليه أعداؤه، ولم يجد له صاحباً. أوغروا صدر الخليفة عليه، فأقصاه، ثم فرض عليه ما يشبه الإقامة الجبرية. ثم حبسه، ثم أمر به فقيد في محبسه، ثم أمر فصدورت أمواله. ولم يكتف الأعداء بذلك فقالوا للمتوكل إن علياً هجاء، وكان سهلاً أن يصدق المتوكل ذلك، فعلي بن الجهم اجتراً على ابن الزيات وزير الوائق وهجاء، فما يمنعه من أن يهجو الخليفة؟ فأمر المتوكل بنفي الشاعر إلى خراسان، وأمر واليه عليها طاهر بن عبد الله بن طاهر بحبس الشاعر، ثم بصلبه عارياً على مرأى من الناس يوماً كاملاً، ونفذ الوالي الأمر. وبعد حين كتب المتوكل بإخراجه من السجن.

لم يمدح شاعرنا المتعالي الوالي الذي نفذ الأمر بصلبه، ولم يهجه، فهو عبد مأمور، بل هدده تهديداً شعرياً بأنه سيهجوّه إن لم يحسن إليه. فأحسن الوالي إليه وجعله في حاشيته، ومكث شاعرنا في خراسان زمناً. لكنه كان كثيراً، وشاهده بعضهم جالساً في مقبرة.

وعاد علي بن الجهم إلى بغداد. وبما لدى أسرته من مال وفير أخذ يلهو ويغشى بيوت القيان، وله في ذلك شعر من ضمنه قصيدة بديعة يصف فيه ما يشبه أن يكون ماخوراً من مواخير أهل اليسار. وله شعر يهجو فيه جلساءه الذين عربدوا عليه. لم يعد الشاعر إلى مجلس الخليفة في سامراء. كان قد أدرك أن منزلته سقطت. (إذا رفع السلطان قوماً ترفعوا/ وإن هدم السلطان مجدداً تهدما).

مكث علي بن الجهم في لهوه سبع سنين بعيداً عن مجلس الخليفة حتى مات المتوكل. فقال شاعرنا قصيدة من أبدع الشعر في رثاء الخليفة الذي أعاد للدين رونقه. قصيدته في رثاء المتوكل تستحق وقفة تقدير لخلق الشاعر، فبعد اضطهاد استمر سنوات بكى الشاعر المتوكل بحرقه. قد ربطته بالخليفة رابطة حب تشبه ما سيربط المتنبي بسيف الدولة.

كان علي بن الجهم يقترب من الستين عند مقتل المتوكل. ولم يسع شاعرنا إلى الاتصال بالخليفة الجديد، المنتصر بن المتوكل، الذي تأمر على

قتل أبيه. لا بل عرّض في شعره بخيانة الابن لأبيه. ومات المنتصر بعد سنة أشهر، وظل شاعرنا في بغداد يعيش حياة اللهو. كان رجلاً وسيماً قوي البنية. ولكن الستين جعلته برماً بحياته. فلما ثار الناس في بغداد لخبر جاءهم بأن الروم توغلت في أرض الإسلام انطلق علي بن الجهم غازياً.

وقبل الوصول إلى الثغر خرجت على الغازين جماعة من الأعراب في مكان يدعى خُصافاً. وقاتل علي بن الجهم بشجاعة. وخرج الأعراب عليهم مرة أخرى فقاتل وأصيب بجرح مميت. ونقلوا عنه بضعة أبيات وهو جريح. ومات فجراً.

مثلما سيكون أحسن شعر أبي فراس رومياته وهو في الأسر، فكَذلك أحسن شعر علي بن الجهم ما قاله وهو في الحبس.

لم نرتب الأشعار زمنياً، وكان يسيراً علينا أن نفعل، بل تركناها تتوالى كما توالى في الديوان، فهذا الذي نقدمه لك كتاب شعر لا كتاب تاريخ. ولكل قصيدة أن تقف وحدها وتعلن عما فيها من شعر.

١ إمامي

قال علي بن الجهم يمدح المعتصم:

خَلِيلِي الْهُوَى خُلُقٌ كَرِيمٌ تُقَصِّرُ عَنْهُ أَخْلَاقُ اللَّئَامِ

العشق يصحبه الخلق الكريم الذي لا يتحلى به اللئام

وَفَاءٌ إِنْ نَأَتْ بِالْجَارِ دَارٌ وَرَغِيًّا لِلْمَوَدَّةِ وَالذَّمَامِ

إن نأى المحبوب، أي ابتعد، فله الوفاء، وأرعى المودة والذمام، أي العهد

أَلَا طَرَقْتُ تِلْوَمُكَ أَمْ عَمُرُو، وَمَا لِلْغَانِيَاتِ وَلِلْمَلَامِ!

طرقت: جاءت ليلاً، وجاءت تلوم..

أَعَاذَلْ! لَوْ أَضَافَكَ جَنَحُ لَيْلٍ إِلَيَّ، وَأَنْتِ وَاضِعَةُ اللَّئَامِ..

يا عاذلتني لو كنت ضيفة لدي في الليل وأنت واضعة اللئام، أي سافرة، و"وضع" تعني ارتدى وتعني خلع..

لَسَرَّكَ أَنْ يَكُونَ اللَّيْلُ شَهْرًا وَأَلْهَاكَ السُّهَادُ عَنِ الْمَنَامِ

لسررت بقربي وألهاك السهاد، السهر، عن النوم

أَعَاذِلْ مَا أَعَزَّكَ بِي إِذَا مَا أَتَاكَ اللَّيْلُ وَخَشِيَ الْكَلَامُ
يا عاذلتي ما أكثر ما استشعرين بعزتي إذا سهَّل لي الليل الكلام الوحشي، الغريب الذي فيه خلق
وإبداع.. هذا المعنى الملموح

وَعَنْتَ كُلَّ قَافِيَةٍ شَرُودٍ كَلِمَحِ الْبَرْقِ أَوْ لَهَبِ الضُّرَامِ
وعنت، أي مرت ببالي، كل قصيدة شرود، سيارة يتناقلها الناس وتسير من بلد إلى بلد، كأنها
البرق أو اللهب

عَلَى أَعْجَازِهَا قَرَمٌ، إِذَا مَا عَنَاهُ الْقَوْلُ أَوْجَزَ فِي تَمَامِ
وخلف هذه القافية قرم، سيد شريف، إذا نوى أن يقول فهو يوجز ويتمم المعنى

شَوَارِدُ إِنْ لَقِيتُ بِهِنَّ جَيْشًا صَرَفَنَ مَعَرَّةَ الْجَيْشِ اللَّهَامِ
هذه الأبيات سيارة تواجه معرة الجيش اللهام، قسوة الجيش القوي الذي يلتهم كل ما أمامه

وَإِنْ نَارَعَتْهُنَّ الشَّرْبَ كَانَتْ مُدَامًا، أَوْ أَلَذَّ مِنَ الْمُدَامِ
وإن تداولت الأبيات مع الشرب، جلساء الشراب، فالأبيات كأنها الخمر بل ألد من الخمر

نَشَزْنَ عَلَى أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ فَمَا أَحَدٌ يَقُومُ بِهَا مَقَامِي
أبياتي نشزت على امرئ القيس، صعب عليه الإتيان بمثلها، وليس لها إلّا (رواية مردم بك
«يثرن» ورأى ناقد تحقيقه أن نشزن أفضل)

لَأَنْتُمْ يَا بَنِي الْعَبَّاسِ أَوْلَى بِمِثْرَاتِ النَّبِيِّ مِنَ الْأَنَامِ
كان العلويون ينازعون بني العباس الشرعية نزاعاً خفياً أو غير خفي، والشاعر يثبت الشرعية لبني
العباس فهم وارثو النبي من بين كل الأنام، أي الخلق

مَوَدَّتْكُمْ تُمَحِّصُ كُلَّ ذَنْبٍ وَتُقَرِّنُ بِالصَّلَاةِ وَبِالصِّيَامِ
موددة الناس لكم تمحص، تزيل وتنفي، كل ذنب لهم فهي قرينة صلاتهم وصيامهم

وَرَافِضَةٌ تَقُولُ: بِشُعْبِ رَضْوَى إِمَامٌ؛ خَابَ ذَلِكَ مِنْ إِمَامِ
ورب رافضة (جماعة من الشيعة تبعوا زيد بن علي ثم تركوه عندما أبى التبرؤ من أبي بكر وعمر)
وهؤلاء يقولون إن في شعب رضوى إماماً غائباً (قالوا إن محمد بن الحنفية لم يمت بل غاب،
وسيعود)

إِمَامِي مَنْ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْأَثَرِائِ مُشْرَعَةُ السَّهَامِ
الإمام الذي يعترف به شاعرنا هو المعتصم الذي له جيش كبير. في نهاية الحرب العالمية الثانية
قال تشرشل البريطاني لستالين السوفياتي إن عليه مراعاة رأي الفاتيكان فيما يتعلق برسم خريطة
أوروبا الشرقية بعد الحرب، رد ستالين: «كم فرقة عسكرية يملك بابا روما؟»

٢ شقاء المال

وقال يمدح الواصل:

وَوَثَّقْتُ بِالْمَلِكِ الْوَاثِقِ بِاللَّهِ النَّفْسُ
مَلِكٌ يَشْقَى بِهِ الْمَاثِقُ وَلَا يَشْقَى الْجَلِيسُ

يشقى به المال لأنه يفرقه على الناس

يَا بَنِي الْعَبَّاسِ يَا أَبَى الْوَاثِقِ إِلَّا أَنْ تَسُوسُوا

٣ التنصل

لَوْ تَنَصَّلْتُ إِلَيْنَا لَعَفَرْنَا لَكَ ذَنْبَكَ

التنصل: أن تزعم أنه لا ذنب لك، ومن فعل ذلك فكأنه يقر للأخر باليد العليا. كنت أشتغل في مصنع بألمانيا وأنا شاب. جئت متأخراً يوماً، فسألني كبيرهم عن سبب تأخري، فقلت له: راحت عليّ نومة. ففصلني من العمل. فصلني لأنني لم أتنصل، ولم أكذب. فلو كذبت لرأى في ذلك الخضوع المطلوب

لَيْتَنِي أُمْلِكُ قَلْبِي مَثَلَمَا تُمْلِكُ قَلْبَكَ
سَيِّدِي مَا أَبْغَضَ الْعِيْدُ شَخْصًا إِذَا فَارَقْتُ قُرْبَكَ

٤ الرافع الواضع

وَلَمَّا رَمَى بِالْأَرْبَعِينَ وَرَاءَهُ وَقَارَعَ مِ الْخَمْسِينَ جَيْشًا عَرَفَرَمًا
لما تجاوز سنوات الأربعين وبدأ يقارع سنوات الخمسين وكأنه يقاوم جيشاً عرمرماً، كبيراً..
و«م» هذه اختصار لـ من

تَذَكَّرَ مِنْ عَهْدِ الصَّبَا مَا تَصَرَّمًا وَحَنَّ فَلَمْ يَتْرِكْ لِعَيْنَيْهِ مُسْجَمًا
تذكر ما تصرم ومضى من عهد الشباب، وحن فلم يدع لعينيه مُسْجَمًا، أي دمعاً، إلا وسال

وَجَرَّ خِطَامًا أَحْكَمَ الشَّيْبُ عَقْدَهُ وَقَدَّمَ رَجُلًا لَمْ تَجِدْ مُتَقَدِّمًا
وجر خطاماً، حبلاً، قد عقده الشيب بعنقه عقداً، وقدم رجلاً ولكنها لم تجد لها موضعاً في أماكن اللهور

وَأَنْكَرَ إِغْفَالَ الْعَيُونِ مَكَانَهُ وَقَدْ كُنَّ مِنْ أَشْيَاعِهِ حَيْثُ يَمَّمَا
واستهجن التجاهل الذي لقيه، وكانت العيون من أشياعه حيث يمم، تشايحه وتلاحقه أينما ذهب

خَلِيلِي مِنْ قَرَعِي قُرَيْشٍ رُزَيْتُمَا فَتَى قَارَعَ الْأَيَّامَ حَتَّى تَلَّمَا

يا صديقي من قرعي قریش (من قریش البطاح وقریش الظواهر)، قد رزيتما، أي فقدتما، فتى
تصدى للزمن وقارعه حتى تلم وتفلل حده كالسيف الذي يتلثم لكثرة الضرب به

وَأَحْكَمَهُ التَّجْرِبُ حَتَّى كَانَمَا يُعَايِنُ مِنْ أَسْرَارِهَا مَا تَوَهَّما

لكثرة ما جرب صار يرى أسرار الأيام بعينه بعد أن كان يتوهمها مجرد توهم، فهو في صغره كان يحس ويحس، وبعد التجربة صار يرى بيقين

وَمَنْ ضَعُفَتْ أَعْضَاؤُهُ اشْتَدَّ رَأْيُهُ وَمَنْ قَوِّمَتْهُ الْحَادِثَاتُ تَقَوَّما

من كبر في السن وضعف جسمه قوي رأيه وصار حكيماً، ومن ربه الأيام فإنه يتربى

خُذَا عِظَةً مِنْ أَحْوَذِي تَقَلَّبَتْ بِهِ دَوْلُ الْأَيَّامِ بُؤْسًا وَأَنْعُمًا

خذا عظة من أحوذى، داهية حاذق، تقلبت عليه الأيام وتداولته بين بؤس ونعيم

إِذَا رَفَعَ السُّلْطَانُ قَوْمًا تَرْفَعُوا وَإِنْ هَدَمَ السُّلْطَانُ مَجْدًا تَهْدَمَا

خير من يسوق هذه الحكمة شاعرنا لكثرة ما لقي من عقوبات السلطان

وَلَمْ أَرْ قَرَعًا طَالَ إِلَّا بِأَصْلِهِ وَلَمْ أَرْ بَدْءَ الْعِلْمِ إِلَّا تَعَلُّمًا

وَمَنْ قَارَعَ الْأَيَّامَ أَوْفَرَ لُبَّهُ وَمَنْ جَاوَرَ الْقَدَمَ الْعَيَّ تَفَدَّمًا

من صادم الأيام أوفر له، زاد في عقله وحكمته، ومن جاور القدم، الغبي، أصبح مثله

وَمَنْ طَلَّبَ الْمَعْرُوفَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ أَطَالَ عَنَاءُ أَوْ أَطَالَ تَنَدُّمًا

وَمَنْ شَكَّرَ الْعُرْفَ اسْتَحَقَّ زِيَادَةً كَمَا يَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ مَنْ كَانَ مُنْعِمًا

شاكر المعروف يستحق الزيادة، تماماً مثلما يستحق باذل المعروف الشكر

وَمَنْ سَامَحَ الْأَيَّامَ يَرْضَ حَيَاتَهُ وَمَنْ مَنَّ بِالْمَعْرُوفِ عَادَ مُذَمَّمًا

الإنسان السامح يعيش راضياً، ومن كدر معروفه بالمن والتذكير به كان مستحقاً الذم

وَمَنْ نَاقَشَ الْإِخْوَانَ قَلَّ صَدِيقُهُ وَمَنْ لَامَ صَبًّا فِي الْهَوَى كَانَ أَلْوَمًا

من ناقش الإخوان، أي جادلهم وصمم على فرك قرن فلل في عيونهم عندما يخطئون، قل صديقه، أي قل أصدقاؤه. ومن لام العاشق كان أحق باللوم منه. مجموعة حكم منظومة في سلك «من ومن ومن..» محاكاة لزهير في معلقته، محاكاة باهتة

٥ الفرح بالنعمة المقبلة

يمدح الخليفة جعفرًا المتوكل (٢٣٢هـ - ٢٤٧هـ):

قَالُوا أَتَاكَ الْأَمَلُ الْأَكْبَرُ وَفَارَ بِالْمُلْكِ الْفَتَى الْأَزْهَرُ

الأزهر: الأبيض، والياض صفة الرجل السيد عند العرب

وَاکْتَسَتِ الدُّنْيَا جَمَالًا بِهِ فَقُلْتُ قَدْ قَامَ إِذْنُ جَعْفَرُ

ذَاكَ الَّذِي كَانَتْ إِلَى مُلْكِهِ أَبْصَارُنَا طَامِحَةً تَنْظُرُ

٦ بركة تطلب ثأرها

يمدح المتوكل ويصف القصر الهاروني، (وهذه البركة نفسها وصفها البحرني في قصيدة مشهورة. ولن ندلك على موضعها من الكتاب لثلاث تفعّل فعل الأكاديميين إذ يطلبون من طلبتهم دراسة القصيدتين والمقارنة بينهما. اقرأ كل قصيدة وحدها واستمع بهذا الشعر وبذاك الشعر):

وَمَا زِلْتُ أَسْمَعُ أَنَّ الْمَلُو كَ تَبْنِي عَلَى قَدْرِ أَخْطَارِهَا
أخطارها: مقاماتها

وَأَعْلَمُ أَنَّ عَقُولَ الرِّجَا لِي يُقْضَى عَلَيْهَا بِأَثَارِهَا
فَلَمَّا رَأَيْنَا بِنَاءَ الْإِمَامِ رَأَيْنَا الْخِلَافَةَ فِي دَارِهَا
وَأَنْشَأَتْ تَحْتَجُّ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى مُلْجِدِيهَا وَكُفَّارِهَا
ببناك القصر أقيمت الحجة على القاتلين بأن المجد الحقيقي كان للفرس ببشائهم وقصورهم الدالة على حضارة زاهرة

بَدَائِعُ لَمْ تَرَهَا فَارِسٌ وَلَا الرُّومُ فِي طُولِ أَعْمَارِهَا
صُحُونُ تُسَافِرُ فِيهَا الْعَيُونُ وَتُخَيَّرُ عَنْ بُغْدِ أَقْطَارِهَا
صحون: ساحات، وتحسر الأبصار: أي تقطع دون رؤية أقاصي الساحات

وَقُبَّةٌ مُلْكِكَ كَأَنَّ النُّجُومَ مَ تَفْضِي إِلَيْهَا بِأَسْرَارِهَا
يبدو أن القبة كان فيه زجاج فالنجوم ترى منها

وَفَوَارَةٌ ثَأْرَهَا فِي السَّمَاءِ فَلَيْسَتْ تُقْصَرُ عَنْ ثَأْرِهَا
يصف البركة تقذف بمائها فكان للماء ثأراً في السماء وهو يطلبه. ولا ندري كيف جعل مهندسو البركة النافورة ترشق ماءها عالياً. . غير أننا نفترض أنهم جعلوا الماء في خزان في أعلى القصر، ووصلوا الأنابيب منه إلى أصل النافورة

تَرُدُّ عَلَى الْمُزْنِ مَا أَنْزَلَتْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ صَوْبٍ مِدْرَارِهَا
البركة تعيد للمزن، أي السحب، ما أنزلت السحب من صوب مدرارها، من مطرها المنهمر

تَرَاهَا إِذَا صَعِدَتْ فِي السَّمَاءِ تَعُودُ إِلَيْنَا بِأَخْبَارِهَا
فَلَا زَالَتِ الْأَرْضُ مَعْمُورَةً بِعُمْرِكَ يَا خَيْرَ عُمَّارِهَا

نَبَوَاتُ بَعْدَكَ قَعَرَ السَّجُونِ وَقَدْ كُنْتُ أَزْثِي لِرُؤُوسِهَا
 إنا أنا - يقول الشاعر - فقد قعدت في السجن بعد أن كنت أرثي لنزلائه . وكان المتوكل سجن
 الشاعر أكثر من مرة

٧ الحسن الحيران

وقال في بركة القصر الهاروني:

أَنْشَأْتُهَا بِرُكَّةٍ مُبَارَكَةٍ فبَارَكَ اللَّهُ فِي عَوَاقِبِهَا
 بارك الله في عواقبها: جعل بناءها بركة لما يعقب ويأتي من الأيام

كَأَنَّهَا، وَالرِّيَاضُ مُحَدِّقَةٌ بِهَا، عُرُوسٌ تُجَلَّى لِخَاطِبِهَا
 محذقة: محيطة

مِنْ أَيِّ أَقْطَارِهَا أَتَيْتَ رَأَيْتَ مَتَّ الْحُسْنَ حَيْرَانَ فِي جَوَانِبِهَا
 من أي أقطارها، أي جوانبها أتيت فسترى الجمال ماشياً حيران لا يدري أين يذهب
 قَدَّرَهَا اللَّهُ لِلْإِمَامِ، وَمَا قَدَّرَ فِيهَا عَيْبًا لِعَائِبِهَا

٨ الوجه والقدر

يمدح المتوكل:

إِغْتَنِمْ جِدَّةَ الزَّمَانِ الْجَدِيدِ وَاجْعَلِ الْمَهْرَجَانَ أَيْمَنَ عِيدِ
 وَخُذِ الْكَأْسَ مِنْ يَدَيَّ كُلِّ مَيَّا سِ الْخُطَى مُخْطَفِ الْحَشَا مَقْدُودِ ..
 مياس الخطى: تمايل المشية، مخطف الحشا: ضامر البطن، مقدود: مقطوع .. وتكملة المعنى
 في البيت التالي

مِثْلَ قَدْ الْقَضِيْبِ إِنْ هَزَّ عِظْفِيْ هِ وَمِثْلِ الْغَزَالِ فِي حُسْنِ جِيْدِ
 هذا الساقى مقدود جسمه مثل قَدْ القضيب، أي الغصن، وعنفه كعنف الغزال

مَا رَأَيْنَا الْوُجُوْهَ تَحْسُنُ إِنْ لَمْ يَتَّصِلْ حُسْنُهَا بِحُسْنِ الْقُدُوْدِ
 حَبْذَا مَجْلِسٌ تَدُوْرُ عَلَيْنَا فِيْهِ كَأْسَانِ بَيْنَ نَائِي وَعُوْدِ
 مِنْ شَرَابٍ يَعَافُهُ الْمَسْلُومُ الْعَفْ وَتَحْطَى بِهِ أَكْفُ الْيَهُودِ
 يَا بَنِي هَاشِمٍ بَنِ عَبْدِ مَنَافٍ نَسَبُهُ حُبُّهَا مِنَ التَّوْحِيدِ
 أَنْتُمْ خَيْرُ سَادَةٍ يَا بَنِي الْعَبِّ نَاسٍ فَانْقُوْا، وَنَحْنُ خَيْرُ عَبِيدِ

نحن أشياعُكم من أهل خُراسا ن أولو قُوَّة وبأسٍ شديدٍ

يذكر العباسيين بابتداء أمرهم حين كان أهل خراسان القوة التي أسست دولتهم

نحن أبناء هذه الخِرَقِ السُّو د وأهل التَّشيعِ المَحمودِ

السواد في اللباس شعار بني العباس، ومثلما يتخذ موظف المصرف اليوم ربطة حول عنقه كان كل من يحضر لقاء رسمياً في العصر العباسي يتخذ «سواداً»: وشاحاً أو عمامة... والمهم اللون. ويشير الشاعر إلى أن قومه أهل تشيع معتدل لا يصل إلى تفضيل العلويين على العباسيين

إن رضيتُمُ أمراً رَضِينا، وإن تَأ بُوا أَبِينا لَكُم إِبَاء الأُسودِ

حَسْبُنَا اللَّهُ والخليفةُ مِنْ بَعَد دُ وَمِنْ بَعْدِهِ وُلاَةُ العُهودِ

عَرَسُ كَفِّكَ يا ابنَ عَمِّ رسولِ الد لَّه أنشأتني وأوزقت عودي

أوزقت عودي: جعلت غصني يُخرج الورق بما أنعمت عليّ

أنت كثرْتَ حاسِدِيّ، وقد كُن تَ زماناً لا أهُتدي لحُسودِ

من إنعامك عليّ كثر من يحسدني بعد أن كنت خاملاً غير محسود

٩ وليس من أبنائها

هذا العَقِيقُ، فَعَدَّ أي دِي العِيسِ عن غُلَوَائِها

يتشوق إلى المدينة المنورة وبها «العقيق»، فإن وصلت العيس، أي الإبل إليها فعد أيديها عن غُلَوَائِها: أي امنع أيدي الإبل عن نشاطها وسيرها واجعلها تمكث في المكان

وامنع نَوَاجِيها النَّجَا ءَ، فَلاتَ حينَ نَجائِها

امنع النواجي، الإبل السريعة، النجاء، المسير سريعاً، فلات حين نجائها، أي انتهى وقت سرعتها لأننا وصلنا

وإذا مَرَرْتَ بِبِئْرِ عُر وَة فَاسقِنِي مِنْ مَائِها

بئر عروة في العقيق بالمدينة

واجنَحْ إلى السَّمُراتِ أو ل لسفحِ مِنْ جَمَائِها

امض بنا إلى السمرات، شجر السَّمَر الكبير، أو لسفح الجماء وهو جبل صغير قرب المدينة

إنَّا وعِيشِكَ ما ذَمُّم نَا العِيشَ في أَفنائِها

ما شكونا من العيش في أفناء ونواحي المدينة

أَيَّامَ لَمْ تَجْرِ النَّوَى بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَائِهَا
في تلك الأيام لم يتسرب البعاد إلينا كحالنا اليوم، إذ البعاد يجري بين الفصن وبين لحائه،
أي أنه متغلغل فينا

سَقِيَا لِيَلَّكَ مَعَاهِدًا إِذْ نَحْنُ فِي أَرْجَائِهَا
سقى الله تلك المعاهد، الأماكن التي كنا نعهدا ونعرفها

مَا كَانَ أَنْسَهَا وَأَشْءَ عَفَّ أَسَدَهَا بِظَبَائِهَا
ما كان أكثر أنس تلك البقاع، وما كان أشعف، والشفع مثل الشفخ، أسودها بظبانها، الأسود
الرجال والظباء النساء في التشبه المعروف

وَقَصِيدَةُ غَرَاءَ يَفْءُ مَنَى الدَّهْرُ قَبْلَ قَنَائِهَا
رب قصيدة غراء مشرقة خالدة على الدهر

تَبْقَى عَلَى أَيَّامٍ نُضْءُ مَبَّ صَبَاحِهَا وَمَسَائِهَا
تبقي ماثلة مع مرور الأيام منتصبة تشهد الصباح والمساء

لَمْ تَسْتَمِخْ أَيْدِي الرِّجَالِ لِإِمْدَحِهَا وَهَجَائِهَا
لم تستمخ، تلتمس، نيل العطايا من أيدي الرجال بما فيها من مدح أو هجاء
(والهجاء من وسائل الاستمناع أيضاً)

بَاتَتْ تُصَانُ، فَإِنَّ أَنْ تُهْدَى إِلَى أَكْفَائِهَا
باتت القصيدة مصونة وأن أن تهدي لمن يستحقها.

حَتَّى إِذَا كَمُلْتُ وَغَبَّ - الرَّأْيُ فِي إِنْقَائِهَا
فإذا اكتملت لدي واستقر رأيي بعد تشذيبها. هذا هو المعنى الملموح، وقد وضع المحقق عدة
احتمالات لقراءة البيت، وجاء ناقده فزاد عليها

خُصَّ الْخَلِيفَةُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِثَنَائِهَا
مَلِكُ أَعَدَّتْهُ الْمُؤَلُّو كُ لِحَوِّفِهَا وَرَجَائِهَا
مَا زَالَ مُذْ وَلِيَ الْخِلا فَةً وَارْتَدَى بِرَدَائِهَا
مُتَوَكِّلًا فِيهَا عَلَى مَنْ خَصَّهُ بِسَنَائِهَا
السناء: العلو

تُذْنِيهِ أُمَّةٌ أَحْمَدُ لِلثَّارِ مِنْ أَعْدَائِهَا

مِنْ بَعْدِ مَا طَعَنْتُ قُرُو نُ الشَّرْكَ فِي أَحْشَائِهَا
وَتَحَكَّمَ الزِّيَّاتُ فِي أُمُوالِهَا وَدِمَائِهَا

الزيات: محمد بن عبد الملك الزيات: وزير المعتصم فالوائق، وقد قتله المتوكل بعد أشهر من استخلافه

زَارَ عَلَى سُنَنِ النَّبِيِّ - يَجِدُ فِي إِطْفَائِهَا
زار: أي عائب. كان ابن الزيات على الاعتزال، مذهب الدولة، وتحولت الدولة مع المتوكل إلى
طريقة أهل السنة

وَالرُّخْجِيُّ الْأَعْوَرُ الدَّ - جَاءَ مِنْ أُمَرَائِهَا

الرخجي: عمر بن فرج الرخجي، من أعوان الوائق، وجبهه وصادره المتوكل بعد حين من
استخلافه

يُمْضِي الْأُمُورَ مُعَانِدًا لَّهُ فِي إِمضَائِهَا
يُغْرِي بِقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ، وَلَيْسَ مِنْ أَبْنَائِهَا

إيه يا ابن الجهم، والله إنك لهجاء تعرف كيف تضع عدوك.. «وليس من أبنائها».. هذه لفظة هجو نادرة

كَانَتْ غَيَاهِبُ فِتْنَةٍ وَالنَّاسُ فِي عَمِيائِهَا
كانت، أي حدثت، غياهب، أي ظلمات، فتنة وكان الناس في عميائها، أي ظلامها..

مُتَحَيِّرِينَ كَمَا تَحَا رُ الْبَهُمْ بَعْدَ رِعَائِهَا
البهم: صغار الضأن، تتحير بعد رعائها: بعد غياب الرعاة

بَيْنَا كَذَلِكَ إِذْ أَضَا الْحَقُّ فِي ظُلُمَائِهَا
بيننا: أي بينما

وَاخْتَارَ رَبُّكَ جَعْفَرًا نَ مُحَمَّدٍ لِحَبْلَائِهَا

١٠ مظلوم!

قال يمدح جعفرًا المتوكل وهو في السجن:

قَالَتْ حُبِسَتْ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرِي حَبْسٌ، وَأَيُّ مُهَنْدٍ لَا يُغْمَدُ؟
لا يضيرني الحبس مثلما لا يضير السيف أن يغمد، يدخل في قرابه

أَوْ مَا رَأَيْتِ اللَّيْثَ يَأْلَفُ غِيْلَهُ كِبْرًا، وَأَوْبَاشُ السَّبَاعِ تَرَدَّدُ
الأسد يألف غيله، غابته، كبرًا، وأنفة، بينما أوباش السباع، أي الوحوش الصغيرة،
تردد وتسرح في البراري

وَالشَّمْسُ لَوْلَا أَنَّهَا مَحْجُوبَةٌ عَنْ نَاطِرِيكَ لَمَّا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ

والشمس تحتجب أيضاً، ولهذا يبدو لك الفرقد، من النجوم

وَالغَيْثُ يَحْضُرُهُ الْغَمَامُ فَمَا يُرَى إِلَّا وَرَيْقُهُ يُرَاحُ وَيُرْعَدُ

المطر يكون محصوراً في الغيوم، ثم ما يلبث ريقه، أوله، أن يراح، تهب عليه الريح، ثم يردد، يصوت فيه الرعد فيهطل

وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَحْبُوءَةٌ لَا تُضْطَلَّى إِنْ لَمْ تُثْرَها الْأَزْنُدُ

والنار تكون كأنها مختبئة داخل حجر الصوان ولا يمكن الاصطلاء، أي الاستدفاء، بها إلا بعد أن تثيرها من مكنها الأزند، آلات إشعال النار بالاحتكاك

وَالزَّاعِيَّةُ لَا يُقِيمُ كُعُوبَهَا إِلَّا النُّقَافُ وَجَذْوَةٌ تَتَوَقَّدُ

والرماح الزاعية لا يتم تقويمها إلا بالنقاف، بالقشر والتقويم، ويجذوة نار متقدة يعرض لها خشب الرماح. . يقول الشاعر إن الحبس ليس عاراً فكل تلك الظواهر التي ذكرها فيها اختفاء ثم ظهور، والرمح لا يصبح جيداً حتى يتعرض للقشر والنار

غَبَرُ اللَّيَالِي بِإِدْنَاتٍ عَوْدُ وَالْمَالُ عَارِيَّةٌ يُفَادُ وَيَنْفَدُ

مصائب الليالي تبدأ وتعود، والمال عارية، مستعار يملكه المرء فكانه يقترضه، فهو يفيد، أي يكسبه، والمال بعد ذلك ينفد، يتبدد

وَلِكُلِّ حَالٍ مُعْقِبٌ وَلَرُبَّمَا أَجْلَى لَكَ الْمَكْرُوهُ عَمَّا يُحْمَدُ

لكل حال معقب، نتيجة، وربما أجلى الأمر المكروه، أي أبدي، عن أمر حميد

لَا يُؤْيِسُنَّكَ مِنْ تَفَرُّجِ كُرْبَةٍ خُطْبُ رَمَاكَ بِهِ الزَّمَانُ الْأَنْكَدُ

يؤيسنك: يجعلك تيأس

كَمْ مِنْ عَلِيلٍ قَدْ تَخَطَّاهُ الرَّدَى فَتَجَا وَمَاتَ طَبِيبُهُ وَالْعَوْدُ

العود: زوار المريض

صَبْرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ يُعْقِبُ رَاحَةً وَيَدُ الْخَلِيفَةِ لَا تُطَاوِلُهَا يَدُ

وَالْحَبْسُ مَا لَمْ تَغْشَهُ لِذَنبِيَّةٍ شَنْعَاءَ، نِعَمَ الْمَنْزِلِ الْمُتَوَرَّدُ

الحبس منزل جيد وروده إن لم تغشه، تأته، لذنية شنعاء، للذنم مخل بالشرف

بَيْتٌ يُجَدِّدُ لِلْكَرِيمِ كَرَامَةً وَيُزَارُ فِيهِ وَلَا يَزُورُ وَيُحْفَدُ

يحفد: يخدم

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي السَّجَنِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَسْتَذِلُّكَ بِالْحِجَابِ الْأَعْبُدُ

لو لم يكن للسجن من المزايا إلا أنه ليس فيه ذلك الذل الذي تعانيه من الحجاب الأعبد، العبد،
على أبواب الأمراء.. لكان جيداً

يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُرَّادٍ إِنَّمَا تُدْعَى لِكُلِّ عَظِيمَةٍ يَا أَحْمَدُ

يستجد بالوزير أحمد بن أبي دؤاد.. وسرى أنه بعد مدة سيهجو هجاء مرأً وسيشت به

بَلِّغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَدُونَهُ خَوْضُ الْعِدَى، وَمَخَافُ لَا تَنْقُذُ

بلغ رسالتي أمير المؤمنين، ودون وصولي إليه بحر من الأعداء علي أن أخوضه،
ومخاوف لا تنتهي

أَنْتُمْ بَنِي عَمِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ أَوْلَى بِمَا شَرَعَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ

أنتم، يا بني عم النبي، أولى بشريعته.. ومن ضمنها العفو

مَا كَانَ مِنْ حَسَنِ فَأَنْتُمْ أَهْلُهُ طَابَتْ مَغَارِسُكُمْ وَطَابَ الْمَحْتَدُ

المحتد: الأصل

أَمِنْ السَّوِيَّةِ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ خَضَمْتُ تُقَرُّهُ، وَآخِرُ تُبْعِدُ؟

أمن السوية، العدل، تقرب أحد الخصمين وإبعاد الآخر.. وكان القاضي يسوي بين الخصمين
وسمعهما. وخصوم شاعرنا في بلاط الخليفة وجدوا من المتوكل إذناً مصغية،

كما ستعلم بعد بيتين

إِنَّ الَّذِينَ سَعَوْا إِلَيْكَ بِبَاطِلٍ أَعْدَاءُ نِعْمَتِكَ الَّتِي لَا تُجْحَدُ

شهدوا وغبنا عنهم، فتحكموا فينا، وليس كغائب من يشهد

لَوْ يَجْمَعُ الْخَصْمِينَ عِنْدَكَ مَشْهَدُ يَوْمًا لَبَانَ لَكَ الطَّرِيقُ الْأَقْصَدُ

الأقصد: الأعدل

فَلَيْتَ بَقِيْتُ عَلَى الزَّمَانِ وَكَانَ لِي يَوْمًا مِنَ الْمَلِكِ الْخَلِيفَةِ مَقْعَدُ

لو أتيح لي يوماً مقعد، مكان، من الخليفة..

وَاحْتَجَّ خَصْمِي وَاحْتَجَجْتُ بِحُجَّتِي لَفَلَجْتُ فِي حُجَجِي وَخَابَ الْأَبْعَدُ

فلجت: غلبت

وَاللَّهُ بَالِغُ أَمْرِهِ فِي خَلْقِهِ وَإِلَيْهِ مَصْدَرُنَا غَدًا وَالْمَوْرِدُ

الله بالغ أمره، منفذ لمشيئته، ومنه مصدرنا وإليه موردنا

وَلَيْزَنَ مَضَيْتُ لَقَلَّمَا يَبْقَى الَّذِي قَدْ كَادَنِي، وَلَيَجْمَعُنَا الْمَوْعِدُ

لئن مت فالذي دبر لي مكيدة لن يبقى طويلاً، وسيجمعنا الله يوم القيامة

فَبِأَيِّ ذَنْبٍ أَصَبْتُ أَعْرَاضُنَا نَهَباً يُشِيدُ بِهَا اللَّيْمُ الْأَوْعَدُ

يشيد هنا معناها ينشر

١١ سَلِ الدَّمْعَ

سَلِ الدَّمْعَ عَنْ عَيْنِي وَعَنْ جَسَدِي الْمُضْنَى وَهَلْ لَقِيتُ عَيْنَايَ بَعْدَكُمْ غُمْضَا

وَأَيْنَ الْهَوَى مِنِّْي وَقَدْ عَصَبَتِ النَّوَى عَلَى كَيْدِي الْحَرَى بِأَنْيَابِهَا عَصَا

كيف أصبحت حالي مع الحب بعد وقوع النوى، الفراق؟

تَكُذُّ بِنَا بَرّاً وَبَحْراً تَعْسُفَا وَتُورِدُنَا أَرْضاً وَتُضْدِرُنَا أَرْضَا

النوى ترهقنا في البر والبحر تعسفاً، أي سيراً شديداً

فَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالْجِبَالِ تَضَعُضَعَتْ وَبِالْمَاءِ لَمْ يَعْذُبْ وَبِالنَّجْمِ لَا نَقْضَا

سَأَخْلَعُ ثَوْبَ اللَّهْوِ بَعْدَ أَحْبَّتِي وَأَرْفُضُ طِيبَ الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ رَفْضَا

١٢ خلاخيل الرجال

خَلِيلِي مَا لِلْحُبِّ يَزْدَادُ جِدَّةً عَلَى الدَّهْرِ وَالْأَيَّامُ يَبْلَى جَدِيدُهَا

وَمَا لِعَهْدِ الْغَائِيَاتِ ذَمِيمَةٌ وَلِيْلَى حَرَامٌ أَنْ تُذَمَّ عَهْدُهَا

مواعيد الحسان مذبذومة لكثرة ما يخلفن، فلماذا يحرم عليّ أن أذم مواعيد ليلي؟

أَلَمْتُ وَجُنَحُ اللَّيْلِ مُرْخٌ سُدُولُهُ وَلِلْسَجْنِ أَحْرَاسٌ قَلِيلٌ هُجُودُهَا

ألمت، زارت، في الليل، وللسجن حراس متيقظون قليلو النوم.. فالذي زاره هو طيفها في المنام

فَقُلْتُ: لَهَا أَنِّي تَجَشَّمْتُ خُطَّةً يُحَرِّجُ أَنْفَاسَ الرِّيحِ رُودُهَا

قلت لها: كيف تجشمت هذا القدوم الذي يحرّج، أي يضيق الأنفاس حتى لو كانت أنفاس الرياح

فَقَالَتْ: أَطْعَنَا الشَّوْقَ بَعْدَ تَجَلُّدٍ وَشَرُّ قُلُوبِ الْعَاشِقِينَ جَلِيدُهَا

قالت: أطعت شوقي لك بعد التجلد، والتصبر، وليس حسناً في قلوب العاشقين أن تكون صبورة

وَأَعْلَنْتِ الشَّكْوَى وَجَالَتْ دَمُوعُهَا عَلَى الْخَدِّ لَمَّا التَفَّ بِالْجِدِّ جِيدُهَا

فَقُلْتُ لَهَا وَالدَّمْعُ شَتَّى طَرِيقُهُ وَنَارُ الْهَوَى بِالشَّوْقِ يُذَكِّي وَفُودُهَا

الدمع يتزل ويصنع طرقاً شتى، متعددة، على الخدين، يذكى: يوقد

إِذَا سَلِمَتْ نَفْسُ الْحَبِيبِ تَشَابَهَتْ صُرُوفُ اللَّيَالِي سَهْلُهَا وَشَدِيدُهَا
فَلَا تَجْزَعِي إِمَّا رَأَيْتِ قُبُودَهُ فَإِنَّ خَلَاحِيلَ الرِّجَالِ قُبُودُهَا
وَلَا تُنْكِرِي حَالَ الرِّخَاءِ وَقَوَّتَهُ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُعِيدُهَا
لا تنكري انقضاء أيام العز والرخاء، فأمر المؤمنين جدير بأن يعيد تلك الأيام

١٣ في بيت القيان

نَزَلْنَا بِبَابِ الْكَرْخِ أَفْضَلَ مَنْزِلٍ عَلَى مُحْسِنَاتٍ مِنْ قِيَانِ الْمُفْضَلِ
نزلنا في «باب الكرخ»، وهو موضع ببغداد، نزولاً حلواً على مغنيات مجيدات يملكن «المفضل»
في بيته. وكان بعض «أشباه القوادين» يملكون في بغداد بيوتاً يغشاها سراة القوم للسمع ولغير
السمع

فَلَا بُنِ سُرْنَجٍ وَالْعَرِيضِ وَمَعْبَدٍ وَذَاتُ فِي آذَانِنَا لَمْ تُبَدِّلِ
لدى أولئك المغنيات الحان كبار الملحنين قد حفظنها،
وهن يستودعننا آذاننا يؤدينها كما هي بغير تبديل

أَوَانِسُ مَا لِلضَّيْفِ مِنْهُنَّ حِشْمَةٌ وَلَا رَبُّهُنَّ بِالْمَهِيْبِ الْمُبَجَّلِ
فتيات أنيسات لا يحتشم ولا يخجل منهن الضيف، وربهن، صاحبهن، ليس ذا هية ووقار..
بل يسمح للضيف بالعبث

يُسَرُّ إِذَا مَا الضَّيْفُ قَلَّ حَيَاؤُهُ وَيَغْفُلُ عَنْهُ وَهُوَ غَيْرُ مُغْفَلٍ
يسعد المفضل صاحب القيان إذا اجتراً الضيف، ويتغافل عنه، ولكنه ليس بالمغفل

وَيُكْثِرُ مِنْ دَمِّ الْوَقَارِ وَأَهْلِهِ إِذَا الضَّيْفُ لَمْ يَأْنَسْ وَلَمْ يَتَبَدَّلِ
يذم المفضل الوقار تشجيعاً للضيف الذي لم يشعر بعد بالأنس ولم يتبدل، أي لم يأخذ راحته

وَلَا يَدْفَعُ الْأَيْدِي السَّفِيهَةَ غَيْرَةً إِذَا نَالَ حَظًّا مِنْ لُبُوسٍ وَمَأْكَلٍ
لا يرُدُّ أيدي الضيوف العابثة شرط أن ينال من ضيوفه الهدايا من ثياب وفواكه

وَيُطَرِّقُ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ مَهَابَةً لِيُطْلِقَ طَرَفَ النَّظِيرِ الْمُتَأَمِّلِ
يطرق المفضل خافضاً بصره إطراق الشجاع، أي الثعبان الذي يغض بصره ولكنه منتهب لكل حركة،
والغرض أن يطلق الضيف نظره ويتمتع بالقيان

فَاعْمَلْ بَدَأَ فِي بَيْتِهِ وَتَبَدَّلَنْ وَعَدَّ عَنِ الْمَوْلَى، وَمَا شِئْتَ فَاَفْعَلِ
فالمس بيدك، وتبدلن، اتركن الحياء، وافعل ما شئت معهن متجنباً المولى، سيد البيت

أَشِيرَ بَيْدٍ وَأَعْمِزَ بِطَرْفٍ وَلَا تَخَفْ رَقِيباً إِذَا مَا كُنْتَ غَيْرَ مُبَحِّلٍ
وَأَعْرِضْ عَنِ الْمَصْبَاحِ وَالْهَجْ بِذِمَّةِ فَإِنْ خَمَدَ الْمَصْبَاحُ فَادْنُ وَقَبِّلْ
ابتعد عن المصباح، واشغل حديثك بذمة مشيراً إشارة غير مباشرة إلى ضرورة إطفائه،
فإن أطفئ فاقترُب وقبِّل

وَسَلِّ غَيْرَ مَمْنُوعٍ وَقُلْ غَيْرَ مُسَكَّتٍ وَنَمْ غَيْرَ مَذْعُورٍ وَقُمْ غَيْرَ مُعْجَلٍ
لَكَ الْبَيْتُ مَا دَامَتْ هَدَايَاكَ جَمَّةً وَدُمْتَ مَلِيّاً بِالشَّرَابِ الْمُعَسِّلِ
البيت بيتك ما دامت هداياك كثيرة، وما دمت ملياً، قادراً،
على الإنفاق على النبيذ الحلو

١٤ الخليفة الشهيد

يصف سحابة، ثم يرثي المتوكل. يقول محقق الديوان: «في القسم الأول من القصيدة موقف شعري عجيب يستدعي النظر والتأمل». هذه القصيدة تحفة من تحف الشعر العربي، تقف بجانب القصائد الشوامخ الكبرى.. وهي تبدأ بوصف مفصل لسحابة تمطر وتنمش العراق.. كأنما هي الخير العميم الذي ناله الشاعر من المتوكل، ثم يأتي بعد ذلك رثاء المتوكل:

وَسَارِيَةٍ تَرْتَادُ أَرْضاً تَجُودُهَا شَغَلْتُ بِهَا عَيْنًا قَلِيلاً هُجُودُهَا
رب سحابة سارية، تسير ليلاً، ترتاد، تطلب، أرضاً تجودها، تمطرها؛ وقد شغلت بها عيني التي
قل هجودها، أي نومها

أَتُنْنَا بِهَا رِيحُ الصَّبَا وَكَأَنَّهَا فَتَاةٌ تُرَجِّبُهَا عَجُوزٌ تُقُودُهَا
جاءتنا بها ريح الصبا، فكان السحابة فتاة لاهية تزججها، أي تدفعها، عجوز هي الريح

تَمِيسُ بِهَا مَيْساً فَلَا هِيَ إِنْ وَنَتْ نَهَتْهَا وَلَا إِنْ أَسْرَعَتْ تَسْتَعِيدُهَا
تميس، أي تتمايل، الريح بالسحابة، فإن ونت السحابة، أي أبطأت، لم تنهها عن الإبطاء، وإن
أسرعت لا تستعیدها، لا تطلب منها العودة. كأنه منظر عجوز في حديقة وأمامها حفيدتها ترقص
وتلعب والمعجوز وراءها ترقبها بحب ولا تمنعها من اللهو

إِذَا فَارَقَتْهَا سَاعَةً وَلِهَتْ بِهَا كَأَمْ وَلِيدٌ غَابَ عَنْهَا وَلَيْدُهَا
إذا ابتعدت السحابة ولهت بالمعجوز، أي الريح، وقلقت كأَمْ طفل غاب عنها طفلها

فَلَمَّا أَضْرَّتْ بِالْعَيُونِ بُرُوقُهَا وَكَادَتْ تُصِمُّ السَّامِعِينَ رُعُودُهَا..
وبعد البرق الذي يخطف البصر، والرعد الذي يصم الآذان..

وَكَادَتْ تَمِيدُ الْأَرْضُ إِمَّا تَلْهَفًا وَإِمَّا جِذَارًا أَنْ يَضِيعَ مُرِيدُهَا..

وبعد أن كادت الأرض تميل: إما تلهفًا وشوقًا للمطر، وإما خوفًا من أن يضيع مريدها، أي هذا المطر الذي يريد الأرض ويبحث عنها

فَلَمَّا رَأَتْ حُرَّ الثَّرَى مُتَعَقِّدًا بِمَا رَلَّ مِنْهَا وَالرُّبَى تَسْتَزِيدُهَا..

لما رأت السحابة حر الثرى، وسط التراب، متعقدًا بالرداذ الذي سقط منها، ورأت الرُبَى تريد زيادة من المطر..

وَأَنَّ أَقَالِيمَ الْعِرَاقِ فَقِيرَةٌ إِلَيْهَا، أَقَامَتْ بِالْعِرَاقِ تَجْوُدُهَا

ولما رأت أن أقاليم العراق مفتقرة إليها.. مكثت بالعراق تجود أقاليمه، أي تمطرها.. والجؤد هو المطر

فَمَا بَرِحَتْ بَغْدَادُ حَتَّى تَفْجَرَتْ بِأَوْدِيَةٍ مَا تَسْتَفِيقُ مُدْوَدُهَا

ما لبثت بغداد أن تفجرت بسيل لا تستفيق مدودها، لا يكف جريانها

وَحَتَّى رَأَيْنَا الطَّيْرَ فِي جَنَابَاتِهَا نَكَادُ أَكُفَّ الْغَائِنَاتِ تَصِيدُهَا

رأينا الطير في جنبات السبول، نواحيها، تطير منخفضة حتى تستطيع أيدي الغيات الصغيرات الإمساك بها

وَحَتَّى اكْتَسَتْ مِنْ كُلِّ نَوْرٍ كَانَتْهَا عَرُوسٌ زَهَاهَا وَشُبُّهَا وَبُرُودُهَا

واكتست بغداد من كل نور، نوار النبات، كأنها عروس زهاها، ملأها زهواً، ما عليها من ثياب موشاة

وِدْجَلُهُ كَالدَّرْعِ الْمُضَاعَفِ نَسْجُهَا لَهَا حَلَقٌ يَبْدُو وَيَخْفَى حَدِيدُهَا

غدا نهر دجلة متموج السطح كالدرع المنسوجة نسجاً مضاعفاً، تبدو أطراف حلقاتها وكأنها ليست من حديد

فَلَمَّا قَضَتْ حَقَّ الْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ أَتَاهَا مِنَ الرِّيحِ الشَّمَالِ بَرِيدُهَا

لما قضت السحابة حق العراق، أتاهها بريد عاجل، هو عبارة عن ريح الشمال، ليسوقها مبتعدة

فَمَرَّتْ تَفَوْتُ الطَّرَفِ سَبَقًا كَانَمَا جُنُودٌ عَبِيدُ اللَّهِ وَلَتْ بُنُودُهَا

مرت السحابة مسرعة تسبق الطرف، النظر، فكأنها جنود عبيد الله وقد انصرفت بنودها، راياتها، هاربة. عبيد الله بن يحيى وزير المتوكل الذي جاءه خبر الهجوم على الخليفة فقرر ألا يفعل شيئاً، وقعد في زورق طلباً للنجاة

وَخَلَّتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُجَدَّلًا شَهِيدًا وَمِنْ خَيْرِ الْمُلُوكِ شَهِيدًا

تركت السحابة أمير المؤمنين مجدلاً، مطروحاً قتيلًا، شهيداً

وَكَانَ أَضَاعَ الْحَزْمَ وَاتَّبَعَ الْهَوَىٰ وَوَكَّلَ غِرًّا بِالْجُيُوشِ يَقُودُهَا

المتوكل لم يكن حازماً عندما وكل غراً، غشياً غير خبير، بقيادة الجيش

كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ بَيْعَةَ أَحَاطَتْ بِأَعْنَاقِ الرِّجَالِ عُقُودُهَا

كانهم لم يدركوا أن البيعة للخليفة هي عهد في أعناق الرجال

فَلَمَّا اقْتَضَاهَا لَيْلَةَ الرَّوْعِ حَقَّهُ جَرَتْ سُنْحًا سَادَاتُهَا وَمَسُودُهَا

فلما اقتضى المتوكل في ليلة الخوف تلك من رجاله احترام البيعة والقيام بحققها جرت سنحاً، فرت سريعاً، السادات والأتباع

وَيَأْتَتْ خَبَايَا كَالْبَغَايَا جُنُودُهُ وَفِي زُرُوقِ الصَّيَادِ بَاتَ عَمِيدُهَا

واختبأت الجنود اختباء المومسات عن أعين رجال الشرطة، وعميد الجنود قعد في زورق صياد ناجياً بنفسه

بَلَىٰ وَقَفَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ وَقْفَةً؛ فَأَعْذَرَ مَوْلَىٰ هَاشِمٍ وَتَلِيدُهَا

على أن الوزير الأول للمتوكل الفتح بن خاقان وقف وقفة شجاعة وقتل دون سيده. فأعذر، أي قدم العذر ورفع عن نفسه المذمة، هذا المولى لبني هاشم والتلید فيهم أي المولود بينهم

وَجَادَ بِنَفْسٍ حُرَّةٍ سَهَّلَتْ لَهُ وَرُودَ الْمَنَايَا حَيْثُ يُخْشَىٰ وُرُودُهَا

جاد بنفسه الحرة التي سهلت عليه الموت لأنها حرة أبية

وَقَرَّ عُبَيْدُ اللَّهِ فِيمَنْ أَطَاعَهُ إِلَى سَقَرِ اللَّهِ الْبَاطِنِيِّ خُمُودُهَا

وفر عبيد الله فيمن، أي مع من، أطاعه من الجند، ومضيرهم جهنم

وَلَمْ تَخْضَرْ السَّادَاتُ مِنْ آلِ مُصْعَبٍ فَيُعْزِي عَنْهُ وَعْدُهَا وَوَعِيدُهَا

ولم تحضر لنجدة السادات من آل مصعب، أبناء عبد الله بن طاهر، فلم ينفعه ما لديهم من قوة الوعد والوعد

وَلَوْ حَضَرَتْهُ عُضْبَةٌ طَاهِرِيَّةٌ مُكْرَمَةٌ أَبَاؤُهَا وَجُدُودُهَا..

ولو حضره آل طاهر ذوو الأصل الماجد..

لَعَزَّ عَلَى أَيْدِي الْمَنُونِ اخْتِرَامُهُ وَإِنْ كَانَ مَحْتُومًا عَلَيْهِ وَرُودُهَا

لعز، أي صعب، على الموت اخترامه، قتله، رغم أن الموت مكتوب على كل إنسان

أَوَّلِيكَ أَرْكَانَ الْخِلَافَةِ إِنَّمَا بِهِمْ ثَبَتَتْ أَطْنَابُهَا وَعُمُودُهَا

آل طاهر أركان الخلافة، وبهم ثبتت أطنابها، الأطناب حبال الخيمة، وعمودها

فَبَا لِحُنُودٍ ضَبِعَتْهَا مُلُوكُهَا وَيَا لِمُلُوكٍ أَسْلَمَتْهَا جُنُودُهَا

هذه جنود ضيعتها ملوكها، قادتها، ويا لملوك أسلمتها الجنود ولم تحمها

أَيُقْتَلُ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ جَعْفَرُ عَلَى فُرْقَةٍ صَبْرًا وَأَنْتُمْ شُهِودُهَا

أَيقتل الخليفة في دار الخلافة صبراً، حبساً، وأنتم متفرون عنه وشاهدون على قتله

فَلَا طَالِبٌ لِلشَّارِ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ وَلَا دَافِعٌ عَنْ نَفْسِهِ مَنْ يُرِيدُهَا

لا أحد يطالب بئاره ولا أحد دافع عن نفسه من يريد سلب هذه النفس.. وكان المتتصر، ابن الخليفة المتوكل، متواطئاً على قتل أبيه

بَنُو هَاشِمٍ مِثْلُ النُّجُومِ وَإِنَّمَا مُلُوكُ بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْهَا سُعُودُهَا

بنو هاشم كالنجوم، وملوك بني العباس هي نجوم السعد بين هذه النجوم (وفي الكواكب - ولا فرق عند القدماء بين نجم وكوكب - ما هو عنوان سعد كالمشتري، وما هو عنوان نحس كزحل، واختلفوا في المريخ)

بَنِي هَاشِمٍ صَبْرًا فَكُلُّ مُصِيبَةٍ سَبَبِي عَلَى طُولِ الزَّمَانِ جَدِيدُهَا

عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نَرَى سَرَوَاتِكُمْ تَفَرَّى بِأَيْدِي النَّاكِثِينَ جُلُودُهَا

صعب علينا أن نرى سرواتكم، سادتكم، تفرى، تقطع، جلودهم بأيدي الناكثين بالبيعة. هذه نبوءة.. فبعد المتوكل أصبح قتل الخلفاء على أيدي قاداتهم أو عبيدهم أمراً مألوفاً

وَلَكِنْ بِأَيْدِيكُمْ تُرَاقِ دِمَاؤُكُمْ وَيَحْكُمُ فِي أَرْحَامِكُمْ مَنْ يَكِيدُهَا

بأيديكم تقتلون.. وفي هذا إشارة إلى تواطؤ ابن المتوكل مع قتلة أبيه

أَلْهَفًا وَمَا يُغْنِي التَّلْهَفُ بَعْدَهَا أَذِلَّتْ لِضِبْعَانِ الْفَلَاةِ أَسُودُهَا

ماذا يغني التلهف بعد أن ذلت الأسود لضباع الفلاة، الصحراء

عَبِيدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَتَلْتَهُ وَأَعْظَمُ آفَاتِ الْمُلُوكِ عَبِيدُهَا

١٥ القرفصى

عَلَامَ قَعَدَتِ الْقَرْفُصَى تَعْدِلِينِي كَأَنِّي جَانٍ كُلَّ ذَنْبٍ وَجَارِحُهُ

أَقْلِي فَإِنَّ اللُّومَ أَشْكَلَ وَاضِحُهُ وَمَا مِنْ نَصِيحٍ لَا تَمَلُّ نَصَائِحُهُ

خففي من لومك فإن دواعي اللوم أصبحت غائمة ذات إشكال، ولا يوجد ناصح إلا كانت نصائحه مملولة بعد حين

١٦ الصبر في الضيق

للدهرِ إدْبَارٌ وإِقْبَالٌ وكلُّ حالٍ بعْدُهَا حَالٌ
وصاحبُ الأيامِ في غَفْلَةٍ وليس لآيَامٍ إِغْفَالٌ
ما أَحْسَنَ الصَّبْرَ ولا سَيِّمًا بِالْحُرِّ إن ضَاغَتْ به الحَالُ
يَشْهَدُ أعدائي بِأَنِّي فَتَنَى قَطَّاعُ أَسْبَابٍ وَوَصَّالٌ
قطع أسباب وأوصال: مجرب داهية

لا تَمْلِكُ الشَّدَّةُ عَزْمِي ولا يُبْطِرُنِي جَاءٌ ولا مَالٌ

١٧ المتوكل يعود إلى السنة

وقائلُ أَيُّهُمَا أَنْوَرُ الشَّمْسُ أم سَيِّدُنَا جَعْفَرُ
قُلْتُ لَقَدْ أَكْبَرْتَ شَمْسَ الضُّحَى جَهْلًا، وما أَنْصَفْتَ مَنْ تَذْكُرُ
إذ شبهته بالشمس فقد عظمت قدر الشمس لأنه، بالطبع، أنور منها

قَامَ وأهْلُ الأَرْضِ فِي رَجْفَةٍ يَخْبِطُ فِيهَا الْمُقْبِلُ المُدْبِرُ

قام المتوكل، أي أصبح خليفة، وفي الناس رجفة، فتنة، وهم يتخبطون (فدين الدولة الاعتزال والناس أميل إلى السنة، والعامّة ببغداد تميل ميلاً شديداً عن الاعتزال وتؤثر مذهب أحمد بن حنبل)

وَنَبَذَ الشُّوْرَى إِلَى أَهْلِهَا لَمْ يَثْنِهِ خَشْيَةُ مَا حَذَرُوا

ترك مشاورة كبار رجال الدولة، والاعتزال مذهبهم، ولم يخش ما حذروه منه إذا ترك مذهب الاعتزال

وَانْفَضَّتِ الأَعْدَاءُ مِنْ حَوْلِهِ كَحُمْرٍ أَنْفَرَهَا قَسُورُ

الأعداء خافوه وفروا من وجهه كحمر وحشية أنفراها قسور، شتت جمعها أسد، من الآية «كانهم حمرٌ مستنفرة، فرت من قسورة»

وَصَاحَ إبْلِيسُ بِأَصْحَابِهِ: حَلِّ بِنَا مَا لَمْ نَزَلْ نَحْذَرُ

مَا لِي وَلِلْعَرَّ بَنِي هَاشِمٍ فِي كُلِّ دَهْرٍ مِنْهُمْ مُنْذِرُ

أَكُلَّمَا قُلْتُ خَبَا كَوَكَبٌ مِنْهُمْ بَدَا لِي كَوَكَبٌ يَزْهَرُ

لَمْ يُلْهِهِ عَنِّي الشَّبَابُ الَّذِي يُلْهِيَ وَلَا الدُّنْيَا الَّتِي تُعَمِّرُ

وَاللَّهِ لَوْ أَمْهَلَنَّا سَاعَةً مَا هَلَّلَ النَّاسُ وَلَا كَبَّرُوا

يقول إبليس: لو أمهلنا المتوكل قليلاً لنشرنا الكفر ولم يبق من يهلل، يقول «لا إله إلا الله»، ولا من يكبر

يَا أَعْظَمَ النَّاسِ عَلَى مُسْلِمٍ حَقًّا وَيَا أَشْرَفَ مَنْ يَفْخَرُ
الرَّدَّةُ الْأُولَى ثَنَى أَهْلِهَا حَزْمُ أَبِي بَكْرٍ وَلَمْ يَكْفُرُوا
وَهَذِهِ أَنْتَ تَلَا فَيْتَهَا فَعَادَ مَا قَدْ كَادَ لَا يُذْكَرُ

وهذه الردة الثانية على يد المعتزلة تلافيتها أنت فعاد الإيمان الصحيح الذي كاد ينتهي ولا يعود يذكره أحد

١٨ التوبة

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ إِلَّا حُرْمَةً تَعُوذُ بِعَفْوِكَ أَنْ أُبْعَدَا؟
أليس لي حرمة تعوذ بعفوك، تلتجئ إليه، فلا ينالني الإقصاء؟

لِئِنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتَمِدْهُ فَأَنْتَ أَجَلٌّ وَأَعْلَى يَدَا
لم أعتمده: لم اتعمده

أَقْلَنْيَ أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَقِيكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى
أَلَسْتُ الَّذِي كَانَ يُرْضِي الْوَلِيَّ وَيُشْجِي الْعَدُوَّ إِذَا أَنْشَدَا؟
ألسنت الذي كان يرضي الحليف ويشجي، أي يحزن، العدو بشعره؟

فَصُنْ نِعْمَةً أَنْتَ أَنْعَمْتَهَا وَشُكْرًا عَدَا غَائِرًا مُنْجِدَا
صن النعمة التي أنعمتها علي، وصن شكري لك الذي أصبح متشراً عبر شعري... غائراً في
الوديان ومنجداً في التلال

وَلَا عُذْتُ أَعْصِيكَ فِيمَا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ أَرَى فِي الثَّرَى مُلْحَدَا
لا أعصي لك أمراً حتى يواريني التراب

١٩ كلهم ضدي

نَوَكَّلْنَا عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ وَسَلَّمْنَا لِأَنْبَابِ الْقَضَاءِ
وَوَطَّنَّا عَلَى غَيْرِ اللَّيَالِي نَفُوساً سَامَحَتْ بَعْدَ الْإِبَاءِ
وطَّنا نفوسنا، أي ذللناها، كي تقبل غير الليالي ومصائبها، وهذه النفوس سامحت، أصبحت
سمحة لينة، بعد الشموخ والإباء

وَأَفْنِيَةُ الْمُلُوكِ مَحْجَبَاتٌ وَبَابُ اللَّهِ مَبْذُولُ الْفِنَاءِ
ساحات الملوك عليها حُجَاب، ولكن باب الله مفتوح لمن يدعو

فَمَا أَرْجُو سِوَاهُ لِكَشْفِ ضُرِّي وَلَمْ أَفْرَعْ إِلَى غَيْرِ الدُّعَاءِ
لا أرجو سوى الله، ولا أفزع، أي ألجأ، إلا إلى الدعاء

وَلَمْ لَا أَشْتَكِي بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى مَنْ لَا يَصَمُّ عَنِ النُّدَاءِ
هِيَ الْأَيَّامُ تَكْلِمُنَا وَتَأْسُو وَتَجْرِي بِالسَّعَادَةِ وَالشَّقَاءِ
الأيام تكلمنا، وتجرحنا، وتأسو، تداوي..

فَلَا طَوْلَ الثَّوَاءِ يَرُدُّ رِزْقاً وَلَا يَأْتِي بِهِ طَوْلُ الْبَقَاءِ
طول الثواء، المكوث، لا يرد الرزق ويحجبه، وطول العمر لا يضمن الرزق

وَلَا يُجْدِي الثَّرَاءُ عَلَى غِنَى إِذَا مَا كَانَ مَحْظُورَ الْعَطَاءِ
لا فائدة للغني في ماله إذا كان مانعاً العطاء عن الناس

وَلَيْسَ يَبِيدُ مَالٌ عَنْ نَوَالٍ وَلَا يُؤْتَى سَخِيٌّ مِنْ سَخَاءٍ
لا ينفى المال من النوال الذي يخرج المرء للناس، ولا يؤتى، أي يصاب بضرر، السخي بسبب سخائه

كَمَا أَنَّ السُّؤَالَ يُذِلُّ قَوْماً كَذَاكَ يَعِزُّ قَوْمٌ بِالْعَطَاءِ
حَلَبْنَا الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ وَمَرَّتْ بِنَا عُقْبُ الشَّدَائِدِ وَالرِّخَاءِ
حلبنا الدهر أشطره، جربناه وخبرناه كمن يحلب ضرع الناقة حتى لا يبقى فيها شيء من لبن،
ومرت بنا عقب، نتائج، أوقات الشدة وأوقات الرخاء

وَلَمْ نَدَعْ الْحَيَاءَ لِمَسِّ ضُرٍّ وَبِعَضِّ الضَّرِّ يَذْهَبُ بِالْحَيَاءِ
لم نترك حيائنا إذ وقعت بنا مصيبة.. وما أكثر ما تذهب المصيبة بالحياء

وَجَرَّبْنَا وَجَرَّبَ أَوْلُونَا فَلَا شَيْءَ أَعَزُّ مِنَ الْوَفَاءِ
أولونا: أجدادنا

تَوَقَّ النَّاسَ يَا ابْنَ أَبِي وَأُمِّي فَهُمْ تَبَعُ الْمَخَافَةِ وَالرَّجَاءِ
احذر الناس يا أخي فهم بين خائف من بطش قوي وراج عطاء سخي، ولا مكان عندهم لحب
يكون حياً في الله والله، أو حياً يكون لك لذاتك وللأس بحسن معشرك

وَلَا يَغُرُّكَ مِنْ وَغْدٍ إِخَاءٌ لِأَمْرِ مَا غَدَا حَسَنَ الْإِخَاءِ
لا تغتر بإخاء وغد، فهو يؤاخيك لغرض

أَلَمْ تَرَ مُظْهِرِينَ عَلَيَّ غِشًّا وَهُمْ بِالْأَمْسِ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ
ألا ترى الذين يظهرون لي الغش، وكانوا بالأمس يظهرون الصفاء؟

بَلَيْتُ بِنَكْبَةٍ فَغَدَوْتُ وَرَاحُوا عَلَيَّ أَشَدَّ أَسْبَابِ الْبَلَاءِ

بليت بنكبة فكانوا من أشد أسباب معاناتي

أَبَتْ أَخْطَارُهُمْ أَنْ يَنْصُرُونِي بِمَالٍ أَوْ بِجَآءٍ أَوْ بِرَاءٍ

أبت عليهم أخطارهم، مناصبهم، أن ينصروني بمال أو بجاء أو براء، أي برأي ومشورة

وَخَافُوا أَنْ يُقَالَ لَهُمْ خَذَلْتُمْ صَدِيقًا فَادَّعَوْا قِدَمَ الْجَفَاءِ

لثلاثتهم أحد بخذلان صديق أصبحوا يزعمون أن الجفاء بيني وبينهم قديم

تَضَافَرَتِ الرُّوَافِضُ وَالتَّنَصَّارِيُّ وَأَهْلُ الْإِعْتِرَالِ عَلَى هِجَايِي

تضافر وتعاون الروافض، أي المتشددون في التشيع، والنصارى (ومنهم الطيب بخيشوع)

والمعتزلة على هجائي

فَبَخْتِيشُوعَ يَشْهَدُ لَابْنِ عَمْرٍو وَعَزُّونَ لِهَارُونَ الْمُرَائِي

وعابوني وما ذنبي إليهم سوى علمي بأولاد الزنأ

إِذَا مَا عُدَّ مِثْلُهُمْ رِجَالًا فَمَا قُضِلَ الرِّجَالُ عَلَى النِّسَاءِ

عليهم لعنة الله ابتداءً وعوداً في الصباح وفي المساء

إِذَا سَمَّيْتُهُمُ لِلنَّاسِ قَالُوا أَوْلَيْكَ شَرٌّ مَن تَحْتَ السَّمَاءِ

أنا المتوكل لي هو رأياً وما بالوائقية من خفاء

أنا من أنصارك أيها المتوكل، وأولئك كانوا حاشية الخليفة السابق الواصل.. وكان الواصل قد أذل

أخاه المتوكل وأقصاه، وجاء المتوكل فكان كارهاً للواصل، كارهاً لمذهبه، الاعتزال

وَمَا حَبَسُ الْخَلِيفَةِ لِي بِعَارٍ وَلَيْسَ بِمُؤَيَّسٍ مِنْهُ التَّنَائِي

حبس الخليفة لي ليس عاراً.. ولن أياس من عفوهِ رغم التناهي، البعد

٢٠ البديهة والفكرة

بَدِيهَتُهُ وَفِكْرُهُ سَوَاءٌ إِذَا مَا نَابَهُ الْخَطْبُ الْكَبِيرُ

الآراء المرتجلة لهذا الممدوح، وآراؤه الصادرة بعد تفكير، متساوية في حصافتها عندما تحل به

مشكلة كبيرة

وَأَحْزَمُ مَا يَكُونُ الدَّهْرَ رَأْيًا إِذَا عَيَّ الْمُشَاوِرُ وَالْمُشِيرُ

وقد تميز بحزمه عندما عي الناس، أي تبللت ألسنتهم وتحيروا،

سواء في ذلك الذي يستشير أو الذي يشير

وصدَّرُ فيه لِّلْهَمِّ اتِّسَاعٌ إذا ضَاقَتْ بِما فيها الصدورُ
وصدره واسع يتلَع الهموم بينما تضيق صدور الناس

٢١ جاء من الدنيا

إلى اللّهِ فيما نَابَنَا نرفعُ الشكوى ففي يده كشفُ الضَّرورةِ والبَلوى
نابنا: حل بنا، الضرورة: الضرر

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى
إذا جاءنا السَّجَانُ يوماً لِحاجةٍ عَجَبْنَا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرحُ بالرؤيا فَجُلٌ حديثنا، إذا نحن أصبحنا، الحديثُ عن الرؤيا
فإن حَسُنَتْ لم تَأْتِ عَجَلَى وأَبْطَأَتْ وإن قُبِحَتْ لم تَخْتَسِ وَأَتَتْ عَجَلَى

٢٢ في هجاء مغنٍّ

كنتُ في مجلسٍ فقالَ مُغَنِّي الـ قُومِ كم بيننا وبينَ الشتاءِ
هذا من شعر مجالس اللّهُو.. المغني ثقيل الظل وهو يسأل الحاضرين عن موعد قدوم الشتاء..
ولا نظنه سأل، بل هي توطئة للنكتة الباردة من شاعرنا

فَذَرَعْتُ البِساطَ مِنِّي إِلَيْهِ قلتُ: هذا المِقْدَارُ قَبْلَ الْغِنَاءِ
مثبت على طول البساط مني إلى المغني.. وقلت له: بيننا وبين الشتاء بمثل هذا القدر..
أي أنك أنت الشتاء يا بارد يا ثقيل!

فإذا ما عَزَمْتَ أَنْ تَتَغَنَّى آذَنَ الْحَرُّ كُلُّهُ بِانْقِضَاءِ
فإذا بدأت تغني فقد حل بنا الشتاء لبردك وثقل دمك

٢٣ منتهى البخل

ما كنتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْخَبَرَ فَاكِهَةٌ حتَّى نَزَلْتُ على زَيْدِ بْنِ مَنْصُورٍ
خبزه عزيز لخبله فكأنه فاكهة

الحابِسِ الرُّوثِ في أَغْصَانِ بَغْلَتِهِ خوفاً على الْحَبِّ مِنْ لَقِطِ الْعَصَافِيرِ
هذا البخل يحبس روث البغلة في أغصانها، في أدنى معاها، خوفاً أن تلتقط العصافير حب الشعير
المتخلف في الروث

٢٤ قاعدين يرضعون

الوردُ يَضَحَكُ والأوتارُ تَضْطَجِبُ والتَّايُّ يَنْدُبُ أشجاناً وينتَجِبُ
والراحُ تُعْرِضُ في نَوْرِ الربيعِ كما تُجَلِّي العروسُ عليها الدُّرَّ والذَّهَبُ
تقدم الخمر بين النوار الربيعي، وكانوا يجعلون في مجلس الشراب الرياحين

وكَلِّما انسَكَبَتْ في الكأسِ آنيَّةٌ أقْسَمْتُ أن شعاعَ الشمسِ ينسَكِبُ
آنيَّة: حارة. وقلما شربوا النبيذ حاراً، ولا سيما في وقت الربيع، ولعله رأها تزيد فكانها تغلي،
أو لعله قصد طعمها المزم، فالخمر كأكل المطاعم الهندية يقدمونه بارداً وهو يتوابعه حار

والقومُ إِخْوانٌ صِدْقٍ بَيْنَهُمْ نَسَبٌ مِنَ المَوَدَّةِ لَمْ يُعَدَّلْ بِهِ نَسَبُ
تَرَضَّعُوا دِرَّةَ الصَّهْبَاءِ بَيْنَهُمْ وَأَوْجَبُوا لِرَضِيعِ الكأسِ ما يَجِبُ
هم إخوة في الرضاع.. لكنه رضاع درة، أي لبن، واللبن الخمر.. وهم يحفظون ما يجب أن
يحفظ لإخوة رضاعة الكأس

لَا يَحْفَظُونَ على السَّكرانِ زَلَّتُهُ وَلَا يَرِيبُكَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ رِيبُ
عندما ينطوي مجلس الشراب ينطوي ما دار فيه من عريضة أو سقطات لسان

٢٥ العاشق وطيبه

تَنَكَّرَ حَالَ عِلَّتِي الطَّبِيبُ وَقَالَ أرى بِجِسْمِكَ ما يَرِيبُ
فما هذا الذي بكِ هاتِ قُلْ لي فكانَ جَوابُهُ مِنِّي النَّحِيبُ
وَقُلْتُ أبا طَبِيبُ الهَجْرُ دائِي وقلبي يا طَبيبُ هُوَ الكَثِيبُ
فَحَرَّكَ رَأْسَهُ عَجَباً لِقَوْلِي وقالَ الحُبُّ ليسَ له طَبيبُ

٢٦ استرضاء

ما زِلْتُ أُسْتَرْضِئُهُ مِنْ ذَنْبِهِ فَلَيْسَ يَرْضَى وَهُوَ المُذْنِبُ

٢٧ الشرف طبع

ما الجودُ عن كَثْرَةِ الأموالِ والنَّسَبِ ولا البلاغةُ في الإِكْثارِ والحُطْبِ
النَّسَب: المال

ولا الشجاعةُ عن جِسْمٍ ولا جَلْدٍ ولا الإِمَارَةُ إِذْ تُعْنَى عَنْ أبٍ فَأَبٍ

لَكُنَّهَا هِمَمٌ أَذَتْ إِلَى رَفْعٍ وَكُلُّ ذَلِكَ طَبْعٌ غَيْرُ مَكْتَسَبٍ

٢٨ حكاية

قيل إن علي بن الجهم قال لامرأة:

قالوا عَشِقتَ صَغِيرَةً فَأَجَبْتُهُمْ أَشْهَى الْمَطِيِّ إِلَيَّ مَا لَمْ يُرْكَبِ
يقولون إنك عشت فتاة صغيرة، فأجبتهم: أشهى المطي، الدواب، إلى قلبي ما لم يركب قبلي
كَمْ بَيْنَ حَبَّةِ لَوْلُؤٍ مَثْقُوبَةٍ نُظِمَتْ وَحَبَّةِ لَوْلُؤٍ لَمْ تُثَقَّبِ
واللؤلؤة المثقوبة والمنظومة في عقد أقل قيمة من لؤلؤة لم تثقب

وقيل إن المرأة أجابه قائلة:

إِنَّ الْمَطِيَّةَ لَا يَلْذُّ رُكُوبُهَا حَتَّى تُذَلَّلَ بِالْخِطَامِ وَتُرْكَبَا
الدابة لا يكون ركوبها لذياً إلا بعد تذليلها وترويضها بالخطام، المقود

وَالدُّرُّ لَيْسَ بِنَافِعٍ أَرْبَابَهُ حَتَّى يُجَمَعَ فِي النِّظَامِ وَيُثَقَّبَا
والدر، اللؤلؤ، لا ينفع أصحابه حتى ينظم في عقد بعد تثقبه. هي حكاية مما يضعه الناس للتسلية
في المجالس

٢٩ أنت والمذنب!

لَمَّا بَدَأَ أَيْقَنْتُ بِالْعَظَبِ فَسَأَلْتُ رَبِّي خَيْرَ مُنْقَلَبٍ
لما ظهر الحارثي أيقنت بالهلاك فسألت الله خير منقلب، خير مصير

لَمْ يَظْلُعَا إِلَّا لِأَبَدَةٍ الْحَارِثِيُّ وَكُوكِبُ الذَّنْبِ
صادف أن جاء الحارثي في وقت بدا فيه كوكب الذنب، لعله مذنّب هالي الذي كانوا يتشاءمون به،
ولا بد أن الحارثي والمذنب ظهرا معاً لأبدية، لمصيبة وشيكة

٣٠ وصف سفينة

عَجِبْتُ كُلَّ الْعَجَبِ مِنْ سَيْرِ هَذَا الْمَرْكَبِ
وماله عينن ولا رُوحٌ جَرَتْ فِي عَصَبِ
لِجَامِهِ مِنْ خَلْفِهِ مُرْكَبٌ فِي الذَّنْبِ
يشبه السفينة بالدابة ولكن لجام السفينة، يقصد سكانها أي دفتها، من الخلف

إِذَا اسْتَحَثُّهُ مَجَا ذَيْفُ لَهُ فِي الطَّلَبِ

إذا حثته المجاذيف على السير في الطلب، في طلب اللحاق بمن سبقه أو طلب الصيد

أَغْنَقَ فَوْقَ الْمَاءِ فِي هَمْلَجَةٍ أَوْ خَبَبِ

أعنى المركب، أي مد عقه وأسرع، وسار سير الهملجة أو الخبب، وهما من أوصاف سير الإبل

لِلْمَاءِ فِي حَيْزُومِهِ مِنْ صَوْتِ مَوْجٍ صَخِبِ..

للماء في حيزومه، صدره، من صوت الموج الصاخب..

حَشْرَجَةٌ كَالرَّعْدِ فِي عَارِضٍ غَيْبٍ لَجِبِ

للماء حشرجة كالرعد في عارض، أي سحاب، مطر لجب، مصحوب بضجيج رعده

٣١ هجاء ابن الزيات

لَعَائِنُ اللَّهِ مُتَابِعَاتِ

متابعات: متلاحقات

عَلَى ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الرِّيَّاتِ

عَرَّضَ شَمْلَ الْمُلِكِ لِلشَّنَاتِ

وَأَنْفَذَ الْأَحْكَامَ جَائِرَاتِ

عَلَى كِتَابِ اللَّهِ زَارِيَاتِ

أحكامه تزري، أي تعيب، كتاب الله، وذلك لمذهب ابن الزيات في الاعتزال ولبطشه المعروف

يَرْمِي الدَّوَاوِينَ بِتَوَقِيعَاتِ

مَعْقَدَاتِ كَرُقَى الْحَيَّاتِ

يوقع الوزير ابن الزيات - وهو شاعر فصيح، وفيه حذقة - في ذيول الكتب الديوانية بكلام معقد كأنه الرق، التعاويذ الشعوذية، التي يجعلونها في البيوت للوقاية من الأفاعي

هَارُونَ يَا ابْنَ سَيِّدِ السَّادَاتِ

هارون: الخليفة الواثق

أَمَّا تَرَى الْأُمُورَ مُهْمَلَاتِ

تَشْكُو إِلَيْكَ عَدَمَ الْكُفَاةِ

فَعَاجِلِ الْعِلْجِ بِمُرْهَفَاتِ

عاجل هذا العالج، الرجل الجافي الغليظ، بمرهفات، بسيوف

من بعد ألفٍ صُحِّبِ الأضواءِ
ولا تضره بالسيف إلا بعد أن تجلده ألف جلدة ذات صوت صاخب
بمُثْمِرَاتٍ غيرِ مُورِقَاتٍ
اجلده بسياط في أطرافها عُقْدَ فكأنها الثمار، لكنها ثمار بلا أوراق

٣٢ بيت عن تسعين

أَحْسَنُ مِنْ تِسْعِينَ بَيْتًا سُدَى جَمْعُكَ مَعْنَاهُنَّ فِي بَيْتٍ
مَا أَحْوَجَ الْمُلْكَ إِلَى مَطَرَةٍ تَغْسِلُ عَنْهُ وَضَرَ الزَّيْتِ
الملك محتاج إلى مطر يغسل عنه وضر، وسخ، الزيت. . . تعريض بالوزير ابن الزيات

٣٣ رق الهوى

أَنْفَسُ حُرَّةً وَنَحْنُ عَبِيدُ إِنْ رَقَّ الْهَوَى لَرِقُّ شَدِيدُ

٣٤ شماتة وتأليب

وقال لما قُبِضَ على عمر بن الفرج الرخجي وأسلم إلى نجاح بن سلمة لبيّاده،
أي يعذبه لاستخراج ما عنده من مال:

أَبْلِغْ «نَجَاحًا» فَتَى الْفَتِيَانِ مَالَكَةً تَمْضِي بِهَا الرِّيحُ إِصْدَارًا وَإِيرَادًا
مألكة: رسالة

لَنْ يَخْرُجَ الْمَالُ عَفْوًا مِنْ يَدَيَّ «عَمْرٍ» أَوْ يُعَمَدَ السِّيفُ فِي فَوْذِيهِ إِغْمَادًا
لن ييوج بمكان إخفائه المال إلا بتهديده بإغماد السيف في فوذه، سالفه

الرُّخَجِيُّونَ لَا يُوفُونَ مَا وَعَدُوا وَالرُّخَجِيَّاتُ لَا يُخْلِفْنَ مِيعَادًا
تعريض بعفة نساء هذه الأسرة

٣٥ أنت وابنك

وقال يهجو القاضي أحمد بن أبي دؤاد الذي كان معتزلاً يقول بالعدل والتوحيد،
ولكنه كان من نصب المتوكل خليفة فغفر له ماضيه واستبقاه بعد أن أقصى المعتزلة،
ويهجو الشاعر ابن القاضي وكنيته «أبو الوليد»:

مَا هَذِهِ الْبِدْعُ الَّتِي سَمَّيْتَهَا بِالْجَهْلِ مِنْكَ الْعَدْلَ وَالتَّوْحِيدَا؟
ما هذه البدع التي سميتها «العدل والتوحيد»؟

أَفْسَدَتْ أَمْرَ الدِّينِ حِينَ وَلِيَتْهُ وَرَمَيْتَهُ «بِأَبِي الْوَلِيدِ» وَلَيْدًا
أَفْسَدَتْ الدِّينَ حِينَ تَوَلَّيْتُ أَمْرَهُ، وَرَمَيْتِ الدِّينَ بِابْنِكَ أَبِي الْوَلِيدِ وَهُوَ وَلِيدٌ، صَغِيرُ السِّنِّ، حِينَ
عَيَّنْتَهُ عَلَى الْمَظَالِمِ فِي سَامِرَاءَ

شَرِّهَا، إِذَا ذُكِرَ الْمَكَارِمُ وَالْعُلَا ذَكَرَ الْقَلَايَا مُبْدِيًا وَمُعِيدًا
ابْنُكَ شَرُّهُ فَإِذَا تَذَاكُرَ الْقَوْمَ أَحَادِيثَ الْمَكَارِمِ ذَكَرَ لَهُمُ الْقَلَايَا، الْمَقَالِي، وَلَا يَمْلُ مِنَ الْحَدِيثِ عَنِ الطَّعَامِ

وَيَوَدُّ لَوْ مُسِخَتْ «رَبِيعَةٌ» كُلُّهَا وَبُنُو «إِيَادٍ» صَحْفَةً وَثَرِيدًا
يُودِ ابْنُكَ لَوْ مَسَخَتْ قِبَائِلَ رَبِيعَةٍ وَقَبِيلَةَ إِيَادٍ صَحْفَةً، قِصْعَةً، وَثَرِيدًا

وَإِذَا تَرَبَّعَ فِي الْمَجَالِسِ خِلَّتُهُ ضُبْعًا وَخِلَتْ بَنِي أَبِيهِ قُرُودًا
يَتَرَبَّعُ فِي الْمَجَالِسِ كَالضَّبْعِ الْمَفْتَرَسَةِ، وَحَوْلَهُ أَبْنَاءُ قَوْمِهِ كَالْقُرُودِ

وَإِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا شَبَّهَتْهُ شَرْقًا تَعَجَّلَ شُرْبُهُ مَزُودًا
مَزُودًا: مَذْعُورًا

لَا أَصْبَحْتُ بِالْخَيْرِ عَيْنٌ أَبْصَرْتُ تِلْكَ الْمَنَاخِرَ وَالثَّنَايَا السُّودَا
الثَّنَايَا: الْأَسْنَانُ

٣٦ منتهى الشَّمَاةِ

وَقَالَ لَمَّا فُلِحَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَوَادٍ:

لَمْ يَبْقَ مِنْكَ سِوَى خَيَالِكَ لَا مَعَاً فَوْقَ الْفَرَاشِ مُمَهَّدًا بِوَسَادٍ
لَمْ يَبْقَ مِنْ عِزِّكَ الْقَدِيمِ سِوَى شِبْحِكَ لَا مَعَاً، أَيْ بَادِيًا، فَوْقَ فَرَاشِكَ وَقَدْ سَوِيَ بِالْوَسَائِدِ

فَرِحْتُ بِمَضْرَعِكَ الْبَرِّيَّةُ كُلُّهَا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُوقِنًا بِمَعَادٍ
فَرِحَ الْبَشَرُ كُلُّهُمْ بِقُرْبِ هَلَائِكَ. . . قَدْ فَرِحَ الْمُؤْمِنُونَ الْمَوْقِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَالْبَعَثَ

كَمْ مَجْلِسٍ لِلَّهِ قَدْ عَطَّلْتُهُ كَيْ لَا يُحَدَّثَ فِيهِ بِإِسْنَادٍ
عَطَّلْتُ مَجَالِسَ أَهْلِ السَّنَةِ الَّذِينَ يَرَوْنَ الْأَحَادِيثَ بِأَسْنَادِهَا

وَلَكُمْ مَصَابِيحٌ لَنَا أَطْفَأْتُهَا حَتَّى نَحِيدَ عَنِ الطَّرِيقِ الْهَادِي
أَطْفَأْتُ مَصَابِيحَ الْهَدَايَةِ بِتَعْرِضِكَ أَهْلَ السَّنَةِ لِلْمَعْنَةِ

وَلَكُمْ كَرِيمَةٌ مَعْشَرٍ أَرْمَلْتُهَا وَمَحْدُثٍ أَوْثَقْتُ فِي الْأَقْيَادِ
الْأَقْيَادُ: الْقَيُودُ

إِن الْأَسَارَى فِي السَّجُونِ تَفَرَّجُوا لَمَّا أَتَتْكَ مَوَاكِبُ الْعُودِ

تفرجوا: استبشروا بالفرج، لما أتتك مواكب العائدين كناية عن اشتداد مرضك

وَعَدَا لِمَضْرَعِكَ الطَّيِّبُ فَلَمْ يَجِدْ لِدَوَاءِ دَائِكَ حِيلَةَ الْمُتَرَادِ

فَذُقِ الْهَوَانَ مَعْجَلًا وَمُؤَجَّلًا وَاللَّهِ رَبُّ الْعَرْشِ بِالْمِرْصَادِ

لَا زَالَ فَالْجُكَّ الَّذِي بِكَ دَائِبًا وَفُجِئَتْ قَبْلَ الْمَوْتِ بِالْأَوْلَادِ

ليبق بك الفالج مستمراً، وليفجعك الله بأولادك قبل موتك، وكما يقول صاحب مروج الذهب فإن ابن أحمد بن أبي دؤاد المعروف بأبي الوليد، وهو من مهجوي ابن الجهم، مات قبل أبيه بعشرين يوماً.. كان ذلك سنة ٢٤٠هـ

٣٧ سيوفهم تفني وتغني وتفقرو

وخرج إلى الشام في قافلة، فخرجت عليهم الأعراب في خساف فهرب من كان في القافلة من المقاتلة، وثبت هو فقاتلهم قتالاً شديداً، فرجع الناس إليه وثنوا ولم يحظ الأعراب بشيء. فقال في ذلك:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْمَوْتَ تَهْفُو بِنُودِهِ وَبَانَتْ عَلَامَاتُ لَهُ لَيْسَ تُنْكِرُ

لما رأيت الموت تهفو بنوده، أي تحرك راياته، وبانت علاماته التي لا شك فيها

وَأَقْبَلَتِ الْأَعْرَابُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَثَارَ عَجَاجٌ أَسْوَدُ اللَّوْنِ أَكْثَرُ

وأقبل الأعراب من كل جانب وثار عجاج، غبار، أسود

بِكُلِّ مُشِيحٍ مُسْتَمِيتٍ مُشْمَرٍ يَجُولُ بِهِ طَرْفٌ أَقْبُ مُشْمَرٌ

جاءوا بكل مشيح، منحرف نحو الجنب استعداداً للظعن، يجول به طرف، أي فرس، أقب، أي نحيل، مشمر، أي مستعد

بِأَرْضٍ «خُسَافٍ» حِينَ لَمْ يَكْ دَافِعٌ وَلَا مَانِعٌ إِلَّا الصَّفِيحُ الْمَذْكُورُ

في تلك الأرض حيث لا شيء يدفع الأذى عن المرء إلا الصفيح المذكور،

السيف المصنوع من حديد ذكر

فَقَلَّلَ فِي عَيْنَيَّ عُظْمَ جُمُوعِهِمْ عَزِيمَةً قَلْبٍ فِيهِ مَا جَلَّ يَصْغُرُ

ما قلل في عيني كثرتهم عزيمة قلبي الذي يصغر بالنسبة له كل جليل

بِمُعْتَرِكٍ فِيهِ الْمَنَايَا حَوَاسِرُ وَنَارُ الْوَعْيِ بِالْمَشْرِفِيَّةِ تُسْعَرُ

هذا في معركة المنايا فيه حواسر، كاشفة عن رأسها وبادية للعيان،

ونار الحرب تشتعل بالمشرفية، السيوف

فَمَا صُنْتُ وَجْهِي عَنْ ظَبَاتِ سَيُوفِهِمْ وَلَا انْحَزْتُ عَنْهُمْ وَالْقَنَا تَتَكَسَّرُ

لم أحفظ وجهي من ظبات، شفرات، سيوفهم، ولا انحزت، ابتعدت جانباً،
بينما الرماح تتكسر في أتون المعركة

مَنَعْتُهُمْ مِنْ أَنْ يَنَالُوا قُلَامَةً وَكُنْتُ شَجَاهُمْ وَالْأَسِنَّةُ تَقْطُرُ

منعتهم من نيل حتى قلامة، شيء حقيق، من متاعنا، وكنت شجاهم، شوكة في حلقهم،
بينما أسنة الرماح تقطر دماً

أَبَتْ لِي قُرُومٌ أَنْجَبْتَنِي أَنْ أَرَى وَإِنْ جَلَّ خَطْبٌ خَاشِعاً أَنْضَجَرُ

أبت لي قروم، سادة، أنجبتني أن أرى خاشعاً ذليلاً أنضجر من خوض الحرب

أُولَئِكَ أَلَّ اللَّهُ فَهَرُ بْنُ مَالِكٍ بِهِمْ يُجْبَرُ الْعَظْمُ الْكَسِيرُ وَيُكْسَرُ

والسادة الذين أنجبوني هم آل فهر، قريش، الذين يجبر بهم العظم الكسير، يصلح بهم ما اختل
من الأمور، ويكسر العظم، فهم يكسرون عظم أعدائهم

هُمْ الْمَنْكِبُ الْعَالِي عَلَى كُلِّ مَنَكِبٍ سَيُوفُهُمْ تُفْنِي وَتُغْنِي وَتُقْفِرُ

٣٨ الأم واحدة والآباء كثر

واجتمع مع قوم في مجلس، فمربد عليه بعضهم، فغضب وخرج، واتصل الشر

بينهم حتى تقاطعوا وهجروه وعابوه واغتابوه. فقال يهجوهم:

بَنِي مُتَيْمٍ هَلْ تَذُرُونَ مَا الْخَبْرُ وَكَيْفَ يُسْتَرُّ أَمْرٌ لَيْسَ يَسْتَتِرُ

حَاجِيَتُكُمْ مَنْ أَبُوكُمْ؟ يَا بَنِي عُصْبٍ شَتَى، وَلَكِنَّمَا لِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ

حاجيتكم، أي حرزكم، وطرحت عليكم أحجية، من هو أبوكم؟ يا بني عصب شتى، يا أبناء
جماعات مختلفة، طبعاً لا تعرفون، والآب العاهر له الحجر (وبحسب تفسير الحديث الشريف
«الولد للفرأش وللعاهر الحجر»: العاهر الذي هو الأب البيولوجي له الإهمال ولا حق له في الولد)

قَدْ كَانَ شَيْخُكُمْ شَيْخاً لَهُ خَطَرٌ لَكِنَّ أَمَكُمْ فِي أَمْرِهَا نَظَرُ

أبوكم المعلن له خطر، له مكانته، لكن أمكم في أمرها نظر، أي لعلها علقت بكم من غيره

وَلَمْ تَكُنْ أُمَّكُمْ - وَاللَّهُ يَكْلُوهَا - مَحْجُوبَةً دُونَهَا الْحُرَّاسُ وَالسُّتُرُ

يكلوها: يحفظها

كَانَتْ مُعْنِيَةَ الْفُتَيَانِ إِنْ شَرِبُوا وَغَيْرَ مَمْنُوعَةٍ مِنْهُمْ إِذَا سَكَرُوا

وَكَانَ إِخْوَانُهُ غَرّاً غَطَارِفَةً لَا يُمَكِّنُ الشَّيْخُ أَنْ يَعْصِيَ إِذَا أَمَرُوا

كان إخوان شيخكم، أصحاب أيبكم، غراً غطارفة، سادة نبلاء، ولا يستطيع أن يعصي لهم أمراً

قَوْمٌ أَعْفَاءُ إِلَّا فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنَّهُ فِي مَثَلِهَا قَدْ تُخْلَعُ الْعُدْرُ
 هم أَعْفَاءُ إِلَّا فِي بُيُوتِكُمْ، ففي هذه البيوت قد تخلع العذر، يُترك الحياء بالتأكيد، و«قد» هنا تأكيد
 لا شك

فَأَصْبَحَتْ كَمِرَاحِ الشُّوْلِ حَافِلَةً مِنْ كُلِّ لَاقِحَةٍ فِي بَطْنِهَا دِرْرُ
 أصبحت أمكم كمراح الشول، كالناقة الحامل في مبركها، حافلة، أي مليئة، وفي بطنها من كل
 تلقيح ذكرى درر، جمع درة وهي اللبن، ويقصد مني الفحول

فَجِئْتُمْ عُصْبَاءُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ نَوْعٌ، مَخَانِيثٌ فِي أَعْنَاقِهَا الْكَبَرُ
 ولدتكم جماعات مختلفي الأنواع، وإنكم لمختون وفي أعناقكم الكبر، أي الطبل الصغير الشبيه
 بالدريكة الذي يتحلى به المختون

فَوَاحِدٌ كَسُرُويٍّ فِي قَرَّاطِقِهِ وَآخَرُ قُرَشِيٍّ حِينَ يُخْتَبَرُ
 فأحدكم كسروي الهيئة فارسي في قراطقه، أثوابه، وآخر عربي الهيئة كأنه من قرش

مَا عَلِمَ أَمُّكُمْ مَنْ حَلَّ مِثْرَازَهَا وَمَنْ رَمَاهَا بِكُمْ يَا أَيُّهَا الْقَذْرُ
 قَوْمٌ إِذَا نُسِبُوا فَالْأُمُّ وَاحِدَةٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْأَبَاءِ إِذْ كَثُرُوا
 لم تعرفوا الظعن إلا في أسافلِكُمْ وأنتم في المخازي فتية صبر
 تصبرون على المخازي لأنكم تعودتم عليها

أَخْبَبْتُ إِغْلَامَكُمْ أَنِّي بِأَمْرِكُمْ وَأَمْرٍ غَيْرِكُمْ مِنْ أَهْلِكُمْ خَيْرُ
 خير: خير

تَفَكَّهُوْنَ بِأَعْرَاضِ الْكِرَامِ وَمَا أَنْتُمْ وَذِكْرُكُمْ السَّادَاتِ يَا عُرْرُ
 عرر: جمع عرّة، وعرة قومه أدناهم وأحقهم

هَذَا الْهَجَاءُ الَّذِي تَبَقَّى مَيَاسِمُهُ عَلَى جِبَاهِكُمْ مَا أَوْرَقَ الشَّجَرُ
 مياسمه: علاماته المشبهة بميسم الإبل بحديدة النار

٣٩ لا فرار من الشعر

وقال بهجو أبا أحمد بن الرشيد وكان مدحه فلم يعطه شيئاً:

يَا أَبَا أَحْمَدَ لَا يُنْـ جِي مِنَ الشَّعْرِ الْفِرَارُ
 لِبَنِي الْعَبَّاسِ أَحْلَا مَ عِظَامٌ وَوَقَارُ
 أحلام: عقول

وَلَهُمْ فِي الْحَرْبِ إِقْدَا مٌ وَرَأْيٍ وَاضْطَبَّارُ

وَلَهُمْ أَلْسِنَةٌ تَبِي - رِي كَمَا تَبْرِي الشَّفَارُ
وَلِعِظْفَيْكَ عَنِ الْمَجْدِ - لِشِمَاسٍ وَأَزْوَارُ
لعطفيك، لجانيك، شماس، نفور، وازورار، ميل، عن المجد

إِنْ تَكُنْ مِنْهُمْ بِلا شَكٍّ - فَلِلْعُودِ قُتَارُ
قتار: دخان

وَلِصَفْوِ الْمَاءِ أَقْذَا - وَلِلْخَمْرِ حُمَارُ
الخمار: صداع الخمر

٤٠ وارحمنا للغريب

وقبل هذا آخر شعر قاله:

وَارْحَمْنَا لِلْغَرِيبِ فِي الْبَلَدِ النَّ - زِحِ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا
فَارِقْ أَحِبَّاءَهُ فَمَا انْتَفَعُوا - بِالْعِيشِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا انْتَفَعَا
كَانَ عَزِيزاً بِقُرْبِ دَارِهِمْ - حَتَّى إِذَا مَا تَبَاعَدُوا خَشَعَا
خنع: ذلَّ

يَقُولُ فِي نَأْيِهِ وَغُرَبَتِهِ: عَذَلٌ مِنَ اللَّهِ كُلُّ مَا صَنَعَا

٤١ الأشراف لا تعتدي على الأشراف

وجرت بينه وبين أبي طالب الجعفري وحشة ثم أرسل أبو طالب يعتذر إليه،
فكتب إليه علي بن الجهم:

لَمْ تُذِقْنِي حَلَاوَةَ الْإِنْصَافِ - وَتَعَسَّفْتَنِي أَشَدَّ اعْتِسَافِ
تعسفتني: ظلمتني

وَتَرَكْتَ الْوَفَاءَ جَهْلًا بِمَا فِيهِ - فَاسْرَفْتَ غَايَةَ الْإِسْرَافِ
غَيْرَ أَنِّي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى حَقٍّ - بَنِي هَاشِمٍ بَيْنَ عِبْدٍ مَنَافِ
لَمْ أَجِدْ لِي إِلَى التَّشَفُّي سَبِيلًا - بِقَوَافٍ وَلَا بِغَيْرِ قَوَافِ
لِي نَفْسٌ تَأْبَى الدَّيْنَةَ وَالْأَشْ - رَافُ لَا تَعْتَدِي عَلَى الْأَشْرَافِ

دعك من المعنى، وإنه لمعنى شريف، وانظر في صياغة هذا البيت وفي إحكام صنعه. اسمعه
مثلما تسمع الموسيقى. وانظر إلى البيت الذي قبله. . انظر إلى معناه وإلى هذا التكرار الجميل
لكلمة قواف، ثم يأتي تكرار الأشراف. . ألا ترى البيتين يرقصان رقصاً!

٤٢ لست متروكاً

وقال يهجو عمر بن الفرج الرخجي:

جمعتَ أمرينِ ضاعَ الحزمُ بينهما تيةَ المُلوكِ وأفعالَ المَماليكِ
أردتَ شكرًا بلا برٍّ ومِرزَنةٍ لقد سَلَكْتَ طريقاً غيرَ مَسْلوكِ

أردت أن أشكرك، أي أن أمدحك، بلا بر وعطاء من جانبك وبلا مرزنة، بدون خسارة تخسرها من مالك، وهذا طريق لا يسلكه المرء مع الشاعر

ظَنَنْتَ عِرْضَكَ لَا يُرْمَى بِقَارِعَةٍ وما أراكَ على حَالٍ بِمَثْرُوكِ

القارعة: المصيبة

٤٣ التفضل والتجمل

يمدح المتوكل:

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَتَحَمَّلُ وللدمرِ أيامٌ تَجُورُ وتَعْدِلُ

تجور: تنحرف، تعدل: تسير مستقيمة

وعاقِبَةُ الصبرِ الجميلِ جميلةٌ وأفضَلُ أخلاقِ الرجالِ التَّفَضُّلُ

خير أخلاق الرجال التفضل، أي إعطاء الآخر فوق ما يستحق كرمًا ونيلًا... والنيل حقاً ليس من يقايضك قيراطاً بقيراط، بل الذي يتفضل ويسخو بماله وبوقته وببشره

ولا عارَ أنْ زَالَتْ عن الحُرِّ نِعْمَةٌ ولكنَّ عاراً أنْ يَزُولَ التَّجَمُّلُ

التجمل: الصبر على المكروه، وأن يقسو الكريم على نفسه فلا يظهر الشكوى بل يوسع صدره لشكاوى الناس

ومَا المَالُ إِلَّا خَسْرَةٌ إِنْ تَرَكْتَهُ وَغُنْمٌ إِذَا قَدَّمْتَهُ مُتَعَجِّلُ

إن تركت المال في كيسك فهو خسارة في قلبك، وإن خرجت عنه للأخريين فهو غنيمة لك. وقد رأيت في مقدمتنا معاييب لا تحصي في شخصية علي بن الجهم، لكنه كان يتوق توقاً شديداً إلى أخلاق النبلاء ويحسن وصفها

وللخيرِ أهلٌ يَسْعَدُونَ بِفَعْلِهِ وللناسِ أحوالٌ بِهِمْ تَتَنَقَّلُ

وللهِ فينا عِلْمٌ غَيْبٍ وَإِنَّمَا يُوقِّقُ مِنَّا مِنْ يَشَاءُ وَيَخْذِلُ

وَأَقْوَمُ خَلْقِ اللَّهِ لِلَّهِ بِالَّذِي يُحِبُّ وَيَرْضَى «جَعْفَرُ الْمُتَوَكِّلُ»

فَتَى جَمَعَتْ فِيهِ الْمَكَارِمُ شَمَلَهَا فما فاتَه منها أخيرٌ وأوَّلُ

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِهِ وَأَعْدَلُهُمْ فِيمَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ
عَنَائَتُهُ بِالْدِينِ تَشْهَدُ أَنَّهُ يَقُوسُ رَسُولَ اللَّهِ يَرْمِي وَيَنْصُلُ
يرمي بقوس الرسول، يسير على سته، وينصل، ثبتت عود سهمه في النصل الذي هو حديدة مديّة
في الرأس

إِذَا مَا رَأَى رَأْيًا تَيَقَّنْتَ أَنَّهُ بِرَأْيِ ابْنِ عَبَّاسٍ يُقَاسُ وَيُعَدَّلُ
آرَؤُهُ فِي الدِّينِ تَقَاسٌ وَتَعَدُّلٌ، تَقَارَنَ وَتَوَازَنَ، بَآرَاءُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ الْمَعْرُوفُ بِسَعَةِ عِلْمِهِ
لَهُ الْمِنَّةُ الْعَظْمَى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَطَاعَتُهُ فَرَضٌ مِنَ اللَّهِ مُنْزَلٌ
أَعَادَ لَنَا الْإِسْلَامَ بَعْدَ دُرُوسِهِ وَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَالْأَمْرُ مُهْمَلٌ
دروسه : اندثاره

وَأَثَرَ أَثَارِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَقَالَ بِمَا قَالَ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ
وَأَلَّفَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِمُنْمِهِ وَأَظْفَأَ نِيرَانًا عَلَى الدِّينِ تُشْعَلُ
يُعَاقِبُ تَأْدِيبًا وَيَعْفُو تَطَوُّلاً وَيَجْزِي عَلَى الْحُسْنَى وَيُعْطِي فَيُجْزَلُ
إِذْ يَعَاقِبُنِي الْمُتَوَكِّلُ فَعَقَابَهُ مِنْ بَابِ تَأْدِيبِ الرَّئِيسِ لِلْمَرْوُوسِ وَلَا عَارَ فِي ذَلِكَ،
ويعفو تطولاً، تفضلاً منه

وَلَا يُتَّبِعُ الْمَعْرُوفَ مَنًّا وَلَا أَذَى وَلَا الْبَخْلُ مِنْ عَادَاتِهِ حِينَ يُسْأَلُ
يُضِيءُ لِأَبْصَارِ الرِّجَالِ كَأَنَّهُ صَبَاحٌ تَجَلَّى يَزْحَمُ اللَّيْلَ مُقْبِلُ
تَأْمُلُ تَرَى لِلَّهِ فِيهِ بَدَائِعًا مِنَ الْحُسْنِ لَا تَخْفَى وَلَا تَتَبَدَّلُ
فَتَضُرُّهُ وَجْهٌ يَقْصُرُ الطَّرْفُ دُونَهُ وَظَرَفٌ وَإِنْ لَمْ يَأْلَفِ الْكُحْلُ أَكْحَلُ
وجهه ناضر وفيه هبة تغض طرف، عين، الناظرين إليه، وله طرف أكحل بلا كحل: عين كحلاء
كحلاً رياناً

وَمُعْتَصِمِي الْخَلْقِ لِلْسَيْفِ وَالْقَنَاءِ عَلَيْهِ بَهَاءٌ حِينَ يَبْدُو وَيُقْبَلُ
خلقه، أي جسمه وخلقه، يشبه جسم المعتصم، وكان جسيماً قوياً، وبهي الإقبال وهو يتحلى
بسلاحه

إِذَا نَحْنُ شَبَّهْنَاكَ بِالْبَدْرِ طَالِعاً بِخَسَنَّاكَ حَظًّا أَنْتَ أَبْهَى وَأَجْمَلُ
وَنَظْلِمُ إِنْ قَسْنَاكَ بِاللَّيْثِ فِي الْوَعَى فَإِنَّكَ أَحْمَى لِلذِّمَارِ وَأَبْسَلُ
أنت تحمي الذمار، الشرف، أكثر من الليث وأنت أبسل منه بسالة

وَلَسْتَ بِبَحْرِ، أَنْتَ أَعَذْبُ مَوْردَا وَأَنْفَعُ لِلرَّاجِي نَدَاكَ وَأَشْمَلُ

ولا وَصَفَ إِلَّا قَدْ تَجَاوَزْتَ حَدَّهُ ولا سَيَّبَ إِلَّا سَيَّبَ كَفْكَ أَفْضَلُ

السبب: العطاء

رَعَاكَ الَّذِي اسْتَرْعَاكَ أَمْرَ عِبَادِهِ وكَا فَاكَ عَنَّا الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ

كافاك: كافاك

٤٤ تهديد غير مبطن

أطلقه طاهر بن عبد الله أمير خراسان من السجن بأمر المتوكل، فمكث علي بن الجهم في خراسان زمناً، وقال للأمير قبل رحيله عائداً إلى بغداد:

أَطَاهَرُ إِنِّي عَنْ خُرَاسَانَ رَاحِلٌ وَمُسْتَخْبِرٌ عَنْهَا فَمَا أَنَا قَائِلٌ؟

سيئالوني في بغداد عن خراسان، فماذا سأقول لهم عنك وعن سخاكت أم بخلك؟

أَصْدُقُ، أَمْ أَكْثِي عَنِ الصَّدْقِ؟ أَيُّمَا تَخَبَّرْتُ أَذْنُهُ إِلَيْكَ الْمَحَافِلُ

أقول الصدق أم أئف على الحقيقة بكلام ممغض؟ الأمر عائد إليك فإن أكرمتني قلت ذلك صراحة وإلا فأنتي سأقول كلاماً يفهم سامعه أنك بخلت.. وعلى كل حال سيصلك كلامي، إذ ستردد شعري مجالس الأدب

وَسَارَتْ بِهِ الرُّكْبَانُ وَاضْطَفَقَتْ بِهِ أَكْفُ قِيَانٍ وَاجْتَبَتْهُ الْقَبَائِلُ

يسير المسافرون الراكبون الإبل حاملين شعري من بلد إلى بلد، وستغيبه القيان، المغنيات، ويصفقن وهن يغنيته، وستجيبه القبائل، ستختاره لكي تضمه إلى الأشعار التي تتردد في مجالسها

أَلَا مُنْصَفٌّ إِنْ لَمْ نَجِدْ مُتَفَضِّلًا عَلَيْنَا، أَلَا قَاضٍ مِنَ النَّاسِ عَادِلٌ

إن لم نجد من يفضل ويعطي فوق الكفاية فعلى الأقل نريد من ينصفنا ويعطينا ما نستحق لا غير

فَلَا تَقْطَعَنَّ غِيظًا عَلَيَّ أَنَا مِلًّا فَقَبْلَكَ مَا عَضَّتْ عَلَيَّ الْأَنَامِلُ

لا تعض على أناملك لشدة الغيظ إن قلت فيك كلاماً أصف فيه بخلك - هذا إن بخلت -، وقبلك كثيراً ما عض القوم أناملهم لشدة وقع كلامي

أَطَاهَرُ إِنْ تُحْسِنَ فِإِنِّي مُحْسِنٌ إِلَيْكَ، وَإِنْ تَبْخُلْ فِإِنِّي بَاخِلٌ

٤٥ أنا والسري

كَمْ قَدْ تَجَهَّمَنِي السَّرِيُّ وَأَزَالَنِي لَيْلَ يَنْوُءُ بِصَدْرِهِ مُسْتَطَاوِلٌ

كثيراً ما أرهقني السري، سير الليل، وأزالني من بلدي الليل الطويل الذي ينوء بصدري، يتقل علي كأنه جاثم بصدري علي

وَهَزَزْتُ أَعْنَاقَ الْمَطِيِّ أَسْوَمُهَا قَصْداً وَيَحْجُبُهَا السَّوَادُ الشَّامِلُ
وهززت أعناق الإبل وأنا أحنها على السير وأسومها قصداً، أكلفها سيراً نحو مقصدي،
بينما الليل يشملنا

حَتَّى تَوَلَّى اللَّيْلُ ثَانِيَّ عِظْفِهِ وَكَأَنَّ آخِرَهُ خِضَابٌ نَاصِلُ
وتولى الليل وانصرف ثانياً من جنبه، كما ينصرف المرء فيثني جسمه ويولينا ظهره، وآخر الليل
سواد وبياض كصبغة الشعر الناصلة قد نبت الشعر أبيض تحت الصبغ

وَخَرَجْتُ مِنْ أَعْجَازِهِ وَكَأَنَّمَا يَهْتَرُّ فِي بُرْدَيَّ رُمُحٌ ذَابِلُ
وخرجت من أعجاز الليل، وأاخره، قائماً نحيلاً لطول السفر كأنني الرمح الذابل،
الجاف المشذب

٤٦ ذنبي وحرمتي

وكتب إلى طاهر بن عبد الله من الحبس:

إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَلِي حُرْمَةٌ وَالْحَقُّ لَا يَدْفَعُهُ الْبَاطِلُ
وَحُرْمَتِي أَغْظَمُ مِنْ زَلَّتِي لَوْ نَالَنِي مِنْ عَدْلِكُمْ نَائِلُ
وَلِي حَقٌّ غَيْرُ مَجْهُولَةٍ يَعْرِفُهَا الْعَاقِلُ وَالْجَاهِلُ
وَسِيرَةُ الْأَمْلاكِ مَنْقُولَةٌ لَا جَائِرٌ يَخْفَى وَلَا عَادِلُ
سيرة الملوك تتناقلها الناس، ولا يخفى الظالم ولا العادل

وَقَدْ تَعَجَّلْتَ الَّذِي خِفْتُهُ مِنْكَ وَلَمْ يَأْتِ الَّذِي أَمَلُ
عجلت عليّ بالعقاب، وكنت أخشى ذلك، ولم يأتي منك الخير، وكنت آمله

٤٧ ليل الجريح

وقال ليلة وفاته وهو جريح:

أَزِيدَ فِي اللَّيْلِ لَيْلُ أَمْ سَالَ بِالصَّبْحِ سَيْلُ؟
هل زاد طول الليل عن المعهود، أم ذهب سيل جارف بالصبح فلم يعد يأتي؟

بَا إِخْوَتِي بِدُجَيْلٍ وَأَبْنِ مَنِّي دُجَيْلُ
دجيل: المحلة التي كان يسكنها ابن الجهم في بغداد

٤٨ تبرير المصلوب

حبس المتوكل علي بن الجهم ثم نفاه إلى خراسان وكتب إلى أميرها طاهر بن عبد الله بن طاهر بأن يصلبه إذا ورد لها يوماً إلى الليل. فلما وصل إلى الشاذياخ حبسه طاهر بها ثم أخرج فصلب يوماً إلى الليل مجرداً ثم أنزل فقال:

لَمْ يَنْصَبُوا بِالشَّاذِيَاخِ صَبِيحَةَ الْإِنْسَانِ مَغْمُوراً وَلَا مَجْهُولاً
لَمْ يَصْلُبُوا رَجُلًا مَغْمُوراً أَوْ مَجْهُولَ الْمَكَانَةِ، وَكَانَ الصَّلْبُ عِقَابَ اللُّصُوصِ، وَعِقَابُ كِبَارِ
الْمُتَمَرِّدِينَ عَلَى الدَّوْلَةِ أَيْضاً

نَصَبُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مِلَّةَ عِبُونِهِمْ شَرَفًا وَمِلَّةَ صُدُورِهِمْ تَبْجِيلاً
مَا أَزْدَادَ إِلَّا رَفْعَةً بِنُكُولِهِ وَأَزْدَادَتِ الْأَعْدَاءُ عَنْهُ نُكُولاً
ازداد هذا المصلوب رفعة بما ناله من تنكيل، وازداد أعداؤه خوفاً منه وإحجاماً عنه . . . والشرح من
محقق الديوان

هَلْ كَانَ إِلَّا اللَّيْثَ فَارَقَ غِيْلَهُ فَرَأَيْتَهُ فِي مَحْمَلٍ مَحْمُولاً
كَانَ كَأَنَّهُ الْأَسَدَ فَارَقَ غَابَتَهُ، فَجِيءَ بِهِ مَحْمُولاً مَرْفُوعاً!

لَا يَأْمَنُ الْأَعْدَاءُ مِنْ شِدَائِهِ شِدًّا يُفْضِلُ هَامَهُمْ تَفْصِيلاً
هَامَهُمْ: رُؤُوسَهُمْ

مَا عَابَهُ أَنْ بُزَّ عَنْهُ لِبَاسُهُ فَالْسَيْفُ أَهْوَلُ مَا يُرَى مَسْلُولاً
العري لم يعبه، فالسيف يكون مخيفاً أكثر وهو عار من غمده

إِنْ يُبْتَذَلْ فَالْبَدْرُ لَا يُزْرِي بِهِ أَنْ كَانَ لَيْلَةً تَمُّ مَبْذُولاً
إِنْ ابْتَذَلُونِي، أَيْ أَبْرِزُونِي، فَالْبَدْرُ لَيْلَةٌ تَمَامُهُ بَارِزٌ مَبْذُولٌ لِكُلِّ ذِي عَيْنَيْنِ

أَوْ يَسْلُبُوهُ الْمَالَ يُحْزَنُ فَقْدُهُ ضَيْفًا أَلَمَّ وَطَارِقًا وَنَزِيلاً
إِنْ سَلَبُونِي مَالِي فَهَذَا يُحْزَنُ الضَّيْفُ الَّذِي يَلْمُ بِي، يَأْتِينِي، وَيَنْزِلُ عِنْدِي لِأَنَّهُ لَا يَجِدُ قَرَى أَوْ عَوْنًا

أَوْ يَحْبِسُوهُ فَلَيْسَ يُحْبَسُ سَائِرٌ مِنْ شِعْرِهِ يَدْعُ الْعَزِيزَ ذَلِيلًا
إِنْ حَبَسُونِي فَلَنْ يَحْبِسُوا شِعْرِي السَّائِرَ، السَّرِيعَ الْإِتِّشَارَ، الَّذِي يَذِلُّ الْعَزِيزَ إِنْ هَجَى بِهِ

إِنْ الْمَصَائِبَ، مَا تَعَدَّتْ دِينَهُ، نَعَمْ وَإِنْ صَعَبَتْ عَلَيْهِ قَلِيلًا
وَاللَّهُ لَيْسَ بِغَافِلٍ عَنْ أَمْرِهِ وَكَفَى بِرَبِّكَ نَاصِرًا وَوَكِيلًا

لن تسلبوه - وإن سلبتم كل ما خَوَّلْتُمُوهُ - وَسَامَةٌ وَقَبُولَا
لن تسلبوني - وإن سلبتم كل ما خولتُموني، أي منحتموني من عبيد وخدم - لن تسلبوني الوسامة
في الشكل وحسن القبول لدى الناس

هَلْ تَمْلِكُونَ لِدِينِهِ وَيَقِينِهِ وَجَنَانِهِ وَبَيَانِهِ تَبْدِيلًا
الجنان: القلب

لَمْ تَنْقُصُوهُ وَقَدْ مَلَكَتُمْ ظُلْمَهُ مَا النِّقْصُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ جَهُولًا
لن ملكتم ظلمي، استطعتم أن تظلموني، فلم تنقصوا قدري

كَادَتْ تَكُونُ مُصِيبَةً لَوْ أَنَّكُمْ أَوْضَحْتُمْ ذَنْبًا عَلَيْهِ جَلِيلًا
كانت ستكون مصيبة حقاً لو أثبتتم عليّ ذنباً حقيقياً

إِنْ كَانَ سَفًّا إِلَى الدَّنِيَّةِ أَوْ رَأَى غَيْرَ الْجَمِيلِ مِنَ الْأُمُورِ جَمِيلًا
كان أكون سفت، نزلت، إلى فعلة خسية، أو ارتكبت ما لا يجمل بالشريف ارتكابه

لَوْ تُنْصِفُ الْأَيَّامُ لَمْ تَعْثُرْ بِهِ إِذْ كَانَ مِنْ عَثَرَاتِهِنَّ مُقِيلًا
لو أنصفي الزمن لما عثر بي هذه العثرة، أي السقطة،
خاصة أنني كنت أقيل الناس عثرات الأيام

وَلَتَعْلَمَنَّ إِذَا الْقُلُوبُ تَكْشَفَتْ عَنْهَا الْأَكِنَّةُ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا
ستعلمون إذا انكشفت الأكِنَّة، السُّور، عن القلوب وتبين الحق، من هو الذي كان على ضلال:
أنا أم الذين سَعَا بي

٤٩ سؤال السؤل

أَعَاذَلْ لَيْسَ الْبَخْلُ مِنِّي سَجِيَّةً وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْفَقْرَ شَرًّا سَبِيلَ
لَمَوْتُ الْفَتَى خَيْرٌ مِنَ الْبَخْلِ لِلْفَتَى وَلِلْبَخْلِ خَيْرٌ مِنْ سَوَالِ بَخِيلِ
لَعَمْرُكَ مَا شَيْءٌ لِيُوجِهَكَ قِيمَةً فَلَا تَلَقَ مَخْلُوقًا بِوَجْهِ ذَلِيلِ
وَلَا تَسْأَلَنَّ مَنْ كَانَ يَسْأَلُ مَرَّةً فَلَلَمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ سَوَالِ سَوُولِ

٥٠ خضوع

لَيْسَ عِنْدِي وَإِنْ تَغَضَّبْتَ إِلَّا طَاعَةٌ حُرَّةٌ وَقَلْبٌ سَلِيمٌ
لن غضبت علي فلن تجد مني إلا الطاعة الحرة، الخالصة، والقلب السليم، الخالي من الحقد

وَانْتَظَرُ الرِّضَا فَإِنْ رِضَا السَّاءُ دَاتِ عِزٍّ وَعَتَبُهُمْ تَقْوِيمُ

ومستجدي متظراً رضاك عني، فرضا السادة عز لمن هو دونهم،
وعتب السادة هو بمثابة التقويم والتأديب

٥١ رثاء أبي تمام

غَاضَتْ بَدَائِعُ فِظْنَةِ الْأَوْهَامِ وَعَدَتْ عَلَيْهَا نَكْبَةُ الْأَيَّامِ
غاضت، جفت، بدائع فطنة الأوهام، وعدت عليها وأذنتها نكبات الأيام، أي الزمن

وَعَدَا الْقَرِيضُ ضَّيْلَ شَخْصٍ بَاكِياً يَشْكُو رَزِيئَتَهُ إِلَى الْأَقْلَامِ
أصبح القرىض، أي الشعر، متضائلاً باكياً يشكو رزيته، مصيبته، إلى الأقلام

وَتَأَوَّهَتْ غُرُرُ الْقَوَافِي بَعْدَهُ وَرَمَى الزَّمَانُ صَحِيحَهَا بِسَقَامِ
أودى، مات، مثقف القوافي، مقومها، ومروض صعابها وغدير روضتها أبو تمام.. وكان أبو تمام
صديقاً لعلّي بن الجهم وله فيه شعر مودة

٥٢ إلى شقيق الروح

الْعَيْنُ بَعْدَكَ لَمْ تَنْظُرْ إِلَى حَسَنِ وَالنَّفْسُ بَعْدَكَ لَمْ تَسْكُنْ إِلَى سَكَنِ
كَأَنَّ نَفْسِي إِذَا مَا غَبَّتْ غَائِبَةٌ حَتَّى إِذَا عُذْتُ لِي عَادَتْ إِلَى بَدَنِي

٥٣ البلاء

قال لما هجاه مروان الأصغر في مجلس المنوكل:

بَلَاءٌ لَيْسَ يُشَبِّهُهُ بَلَاءٌ عَدَاوَةٌ غَيْرِ ذِي حَسَبٍ وَدِينِ
يُبْهِحُكَ مِنْهُ عِرْضاً لَمْ يَصُنْهُ وَيَرْتَعْ مِنْكَ فِي عِرْضٍ مَصُونِ
إذا قعدت على كيس فحم فتضيره قليلاً ويضريك كثيراً

٥٤ لا أريد معروفاً يذلني

لَلْبُسِ نَوْبَيْنِ بِالْيَمِينِ وَطَيُّ يَوْمٍ وَلَيْلَتَيْنِ
طي يوم وليلتين: جوع يدوم هذا الزمن

أَيْسَرُ مِنْ مَنَّةٍ لِقَوْمٍ أَغْضُ مِنْهَا جُفُونَ عَيْنِي

٥٥ المحبّرة في التاريخ

وهي قصيدة طويلة، ومن أول ما نُظِم في التاريخ، واجتزأنا بقليل:

الحمدُ لِلَّهِ الْمُعِيدِ الْمُبْدِي حمداً كثيراً وَهُوَ أَهْلُ الْحَمْدِ
المعيد المبدى، من أسماء الله الحسنى، فهو بدأ الخلق وهو يعيده يوم القيامة

أخْبَرَنِي قَوْمٌ مِنَ الثَّقَاتِ أُولُو عُلُومٍ وَأُولُو هَيئَاتِ
أَنَّ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَمَنْ لَهُ الْعِزَّةُ وَالْبَقَاءُ
أَنْشَأَ خَلْقَ آدَمَ إِنْشَاءً وَقَدْ مِنْهُ زَوْجُهُ حَوَاءُ
قَدْ: قطع

مبتدئاً ذلك يومَ الْجُمُعَةِ حتى إذا أكملَ منه صُنْعَهُ
أَسْكَنَهُ وَزَوْجَهُ الْجَنَانَا فكَانَ مِنْ أَمْرِهِمَا مَا كَانَ
غَرَّهُمَا إِبْلِيسُ فَاغْتَرَا بِهِ كَمَا أَبَانَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ
دَلَّاهُمَا الْمَلْعُونُ فِيمَا صَنَعَا فَأَهْبِطَا مِنْهَا إِلَى الْأَرْضِ مَعَا
دلاهما، أي أنزلهما، إبليس بسبب ما صنعا من إطاعتها له

وَبَايَعَ النَّاسُ الْإِمَامَ جَعْفَرًا خَلِيفَةَ اللَّهِ الْأَعَزَّ الْأَزْهَرَا
بعد ثلاثين ومِئَتِي عام وبعْدَ حَوْلَيْنِ سَوَى أَيَّامِ
بويج للمتوكل سنة ٢٣٢هـ، قبل انقضاء هذه السنة بستة أيام بحسب المسعودي في مروج الذهب،
فعلى هذا يكون توليه بعد ثلاثة أحوال سوى أيام لا «بعد حولين سوى أيام»

قَدْ سَكَّنَ اللَّهُ بِهِ الْأَطْرَافَا فَمَا تَرَى فِي مُلْكِهِ خِلَافَا
ثُمَّ تَوَلَّى قَتْلَهُ الْفَرَاغِنَةُ وَسَاعَدَتْهُمْ غُصْبَةُ فَرَاغِنَةُ
الفراغنة: قوم من فرغانة، في أوزبكستان اليوم، وساعدتهم جماعة فراغنة، متجبرين

وَبَايَعُوا مِنْ بَعْدِهِ لِلْمُنْتَصِرِ فَأَصْبَحَ الرَّابِعُ مِنْهُمْ قَدْ خَيْرُ
المنتصر ابن المتوكل وتواطأ مع القتلة

فَعَاشَ فِي السُّلْطَانِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَخْرَجَهُمْ مِنْ مُلْكِهِ وَالْعَسْكَرُ
عاش المنتصر في الحكم ستة أشهر حاول فيها إخراج قتلة أبيه من مواقعهم خوفاً على نفسه منهم
ثُمَّ أَتَاهُ بَغْعَتَةُ جِمَامُهُ سَبْحَانَ مَنْ يُعَاجِلُ انْتِقَامُهُ
يعاجل انتقام الله الظالمين

٥٦ عيون المها

عَيُونُ الْمَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْجِسْرِ جَلَبْنَ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلَا أَدْرِي
الرصافة: على الجانب الشرقي لدجلة ببغداد، والجسر جسر على دجلة

أَعْدَنَ لِي الشَّوْقَ الْقَدِيمَ وَلَمْ أَكُنْ سَلَوْتُ وَلَكِنْ زِدَنَ جَمْرًا عَلَى جَمْرِ
سَلِمَنْ وَأَسْلَمَنْ الْقُلُوبَ كَأَنَّمَا تُشَكُّ بِأَطْرَافِ الْمُثَقَّفَةِ السُّمْرِ
يدعو لهم بالسلامة مع أنهم أسلمن القلوب، أسلمنها للعدو، فهي تتألم كأنما تشك بأطراف
المثقفة السمر، الرماح

وَقُلْنَ لَنَا نَحْنُ الْأَهْلَةُ إِنَّمَا نُضِيءُ لِمَنْ يَسْرِي إِلَيْنَا وَلَا نَقْرِي
نحن الأهلة، جمع هلال، نضيء لمن يسري، يسير ليلاً، ولا نقري، لا نطعم الضيف.. أي أننا
من أهل «شم ولا تنق»

فَلَا بَذْلَ إِلَّا مَا تَزَوَّدَ نَاطِرٌ وَلَا وَصَلَ إِلَّا بِالْخَيْالِ الَّذِي يَسْرِي
ما نبذله للعاشق هو ما يتزوده بعينه فقط، أو خيالنا يأتيه في أحلامه

أَحِينَ أَرْزَلَنَ الْقَلْبَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ وَأَلْهَبَنَ مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالصَّدْرِ
صَدَدُنْ صُدُودَ الشَّارِبِ الْخَمَرِ عِنْدَمَا زَوَى نَفْسَهُ عَنْ شُرْبِهَا خَيْفَةَ السُّكْرِ
بعد أن زلزلن القلب صددن عنه مثلما يصد شارب الخمر ويزوي نفسه عنها
ويتعد خيفة أن يسكر

أَلَا قَبْلَ أَنْ يَبْدُو الْمَشِيبُ بَدَأْتَنِي بِبِاسٍ مُبِينٍ أَوْ جَنَحَنَ إِلَى عَذْرِ
لبنهن بدأنني، قبل أن أشيب، بإشعاري بالبأس من وصالهن أو ملن إلى الغدر، ففي الشباب يجد
للمرء متسعاً للثبور على بديل، وعند المشيب هي الحسرة لا غير

فَإِنْ حُلْنَ أَوْ أَنْكَرْنَ عَهْدًا عَهْدَهُ فَعِغِيرُ بَدِيعٍ لِلْعَوَانِي وَلَا نُكْرٍ
حلن: تحولن، غير بديع: غير غريب ولا منكر عليهن الغدر

وَلَكِنَّهُ أَوْدَى الشَّبَابُ وَإِنَّمَا تُصَادُ الْمَهَا بَيْنَ الشَّبَابَةِ وَالْوَفْرِ
أودى الشباب ومات، والمها، بقر الوحش أي النساء الجميلات الأعين، تصاد في وقت يجتمع
للمرء فيه الشباب والوفر، أي الغنى

كَفَى بِالْهَوَى غَيًّا وَبِالشَّيْبِ زَاجِرًا لَوْ أَنَّ الْهَوَى مِمَّا يُنْهَنُهُ بِالزَّجْرِ
الهوى نفسه غي، والشيب يزجر المرء ويردعه عن التماذي في العشق.. ولكن ليت العشق ينهه،
يُردِّع، بالزجر!

أَمَّا وَمَشِيْبٍ رَاعَهُنَّ لَرُبَّمَا عَمَرْنَ نِيَاماً بَيْنَ سَحْرِ إِلَى نَحْرِ
لئن كان شيبى راعهن، أبعدهن وثأهن عني، فكثيراً بقيت الحسان نائمات بين سحري ونحري،
بين صدري وأعلى الصدر

وَبِثْنَا عَلَى رَغَمِ الْحَسودِ كَأَنَّا خَلِيطَانِ مِنْ مَاءِ الْغَمَامَةِ وَالْخَمْرِ
بتنا متعاقبين اختلط جسمانا كما يمتزج ماء المطر بالخمير

خَلِيلِي مَا أَحَلَّى الْهَوَى وَأَمَرُهُ وَأَعْلَمَنِي بِالْحُلُوِّ مِنْهُ وَبِالْمُرِّ
بِمَا بَيَّنَّنَا مِنْ حُرْمَةٍ هَلْ رَأَيْتُمَا أَرْقَ مِنَ الشَّكْوَى وَأَقْسَى مِنَ الْهَجْرِ
وَأَفْضَحَ مِنْ عَيْنِ الْمُحِبِّ لِسَرِّهِ وَلَا سِيَّماً إِنْ أَظْلَقْتَ عَبْرَةً تَجْرِي؟
أهناك ما هو أكثر فضحاً لسر المحب من عينه، وخصوصاً إذا أطلقت دمعاً؟

وَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَى ظُلُومَ وَقَوْلَهَا لِحَارَتِهَا مَا أَوْلَعَ الْحُبَّ بِالْحُرِّ
قالت لِحارته ما أشد ولم وتعلق الحب بقلب الرجل الحر

فَقَالَتْ لَهَا الْأُخْرَى فَمَا لِصَدِيقِنَا مُعْنَى وَهَلْ فِي قَتْلِهِ لَكَ مِنْ عُذْرِ؟
قالت لها: ما له معنى متعب؟ وهل لك عذر في قتله بصدورك عنه؟

عَدِيهِ لَعَلَّ الْوَضْلَ يُخَيِّبُهُ وَاعْلَمِي بِأَنَّ أَسِيرَ الْحَبِّ فِي أَوْتَنِ الْأَسْرِ
عديه: أعطيه وعداً باللقاء

فَقَالَتْ أَذَارِي النَّاسَ عَنْهُ وَقَلِّمًا يَطِيبُ الْهَوَى إِلَّا لِمُنْهَتِكَ السُّتْرُ
هي تحاول إبعاد الناس عن كشف سر عشقه، ولكن الهوى لا يطيب إلا لمن يتمادى فيه ويحلوه
أن ينهتك سترة وينكشف أمر عشقه

وَأَيَقَنَّا أَنْ قَدْ سَمِعْتُ فَقَالَتَا مَنْ الطَّارِقُ السَّارِي إِلَيْنَا وَلَا تَدْرِي؟
فَقُلْتُ فَتَيَّ إِنْ شِئْتُمَا سَتَرَ الْهَوَى وَلَا فَخْلَاعُ الْأَعْنَةِ وَالْعُذْرِ
خلاع الأعنة والعذر، متهور

عَلَى أَنَّهُ يَشْكُو ظُلُومَ وَبُخْلَهَا عَلَيْهِ بِتَسْلِيمِ الْبَشَاشَةِ وَالْبِشْرِ
يشكو أنها تبخل عليه بالسلام والبشاشة

فَقَالَتْ هُجِينَا، قُلْتُ قَدْ كَانَ بَعْضُ مَا ذَكَرْتَ لَعَلَّ الشَّرَّ يُدْفَعُ بِالشَّرِّ
فَقَالَتْ كَأَنَّا بِالقَوَافِي سَوَائِرُ يَرِدْنَ بِنَا مِصْرًا وَيَصُدُّنَ عَنْ مِصْرِ

كَأَنَّ القصائد التي ستهجوننا بها سائرة منتشرة
من مصر إلى مصر، من بلد إلى بلد

فَقُلْتُ أَسَاتِ الظَّنِّ بِي لَسْتُ شَاعِرًا وَإِنْ كَانَ أَحْيَانًا يَجِيشُ بِهِ صَدْرِي
صَلِّيْ وَاسْأَلِي مَنْ شئتَ يَخْبِرَكَ أَنَّنِي عَلَى كُلِّ حَالٍ نِعَمٌ مُسْتَوْدَعُ السَّرِّ
وَمَا الشَّعْرُ مِمَّا أَسْتَظِلُّ بِظِلِّهِ وَلَا زَادَنِي قَدْرًا وَلَا حَطَّ مِنْ قَدْرِي
وَمَا أَنَا مِمَّنْ سَبَّرَ الشَّعْرُ ذِكْرَهُ وَلَكِنْ أَشْعَارِي بِسَبْرِ بِهَا ذِكْرِي
وَلِلشَّعْرِ أَتْبَاعٌ كَثِيرٌ وَلَمْ أَكُنْ لَهُ تَابِعًا فِي حَالِ عُصْرِ وَلَا يُسِرُّ
وَلَا كُلُّ مَنْ قَادَ الْجِيَادَ يَسُوسُهَا وَلَا كُلُّ مَنْ أَجْرَى يُقَالُ لَهُ مُجَرِّ

مع أن للشعر أتباعاً جعلوه محور حياتهم فليس كل شاعر بشاعر حقاً، كما أنه ليس كل من قاد الخيل قادراً على سياستها والقيام عليها، ولا كل من أجرى الخيل، سابق بها، يسمى مجرياً. . وفي الشطر الأول فخر بأنه يقود الخيل ويركبها لكنه يترفع عن خدمتها

وَلَكِنْ إِحْسَانَ الْخَلِيفَةِ جَعْفِرٍ دَعَانِي إِلَى مَا قُلْتُ فِيهِ مِنَ الشَّعْرِ
فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بِلْدَةٍ وَهَبَّ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

سار شعري في كل مكان كأنه الشمس، وهب كالريح

وَلَوْ جَلَّ عَنْ شُكْرِ الصَّنِيعَةِ مُنْعَمٌ لَجَلَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الشُّكْرِ
فَتَى تَسْعُدُ الْأَبْصَارُ فِي حُسْنِ وَجْهِهِ كَمَا تَسْعَدُ الْأَيْدِي بِنَائِلِهِ الْعُمَرُ

النازل الغمر: العطاء الجزيل

بِهِ سَلِمَ الْإِسْلَامُ مِنْ كُلِّ مُلْحِدٍ وَحَلَّ بِأَهْلِ الزَّيْنِ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ

الزِين: الضلال

إِمَامٌ هُدَى جَلَّى عَنِ الدِّينِ بَعْدَمَا تَعَادَتْ عَلَى أَشْيَاعِهِ شَيْعُ الْكُفْرِ

هذا الإمام، المتوكل، جلى عن الدين، أي كشف وجهه الحقيقي، بعدما تعادت، تكالبت، على أشياعه، أنصاره، شيع الكفر، جماعات الضلال

وَفَرَّقَ شَمْلَ الْمَالِ جُودَ يَمِينِهِ عَلَى أَنَّهُ أَبْقَى لَهُ أَجْمَلَ الذِّكْرِ

إِذَا مَا أَجَالَ الرَّأْيَ أَذْرَكَ فِكْرَهُ غَرَائِبَ لَمْ تَخْطُرْ بِبَالٍ وَلَا فِكْرٍ
وَلَا يَجْمَعُ الْأَمْوَالَ إِلَّا لِبَذْلِهَا كَمَا لَا يُسَاقُ الْهَدْيُ إِلَّا إِلَى النَّحْرِ

الهدى: الماشية تُهدى لتنحر في موسم الحج

وَمَنْ قَالَ إِنْ الْبَحْرَ وَالْقَطْرَ أَشَبَّهَا نَدَاهُ فَقَدْ أَتْنَى عَلَى الْبَحْرِ وَالْقَطْرِ
وَلَوْ قُرِنْتَ بِالْبَحْرِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ لَمَا أَذْرَكَتْ جَدْوَى أَنَامِلِهِ الْعَشِيرِ

الجدوى: العطاء

وَإِنْ ذُكِرَ الْمَجْدُ الْقَدِيمُ فَإِنَّمَا يَقْصُصُ عَلَيْنَا مَا تَنَزَّلَ فِي الزُّبْرِ
المتوكل عليم بما ورد في الزبر، كتب الدين القديمة

فَإِنْ كَانَ أَمْسَى جَعْفَرٌ مُتَوَكِّلًا عَلَى اللَّهِ فِي سِرِّ الْأُمُورِ وَفِي الْجَهْرِ
لَقَدْ شَكَرَ اللَّهُ الْخَلِيفَةَ جَعْفَرًا وَأَعْطَاهُ مِمَّا لَا يَبِيدُ عَلَى الدَّهْرِ
وَوَلَّى عُهْدَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةً يُحْيَوْنَ بِالتَّأْيِيدِ وَالْعَزِّ وَالنَّصْرِ
أَغْيَرَ كِتَابَ اللَّهِ تَبْعُونَ شَاهِدًا لَكُمْ يَا بَنِي الْعَبَّاسِ وَالْمَجْدِ وَالْفَخْرِ

أتطلبون شاهداً غير كتاب الله وغير المجد والفخر؟

كَفَاكُمْ بِأَنَّ اللَّهَ فَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَيْكُمْ وَأَوْحَى أَنْ أُطِيعُوا أُولِي الْأَمْرِ
وَلَنْ يُقْبَلَ الْإِيمَانُ إِلَّا بِحُبُّكُمْ وَهَلْ يَقْبَلُ اللَّهُ الصَّلَاةَ بِلا طَهْرٍ
وَمَنْ كَانَ مَجْهُولَ الْمَكَانِ فَإِنَّمَا مَنَازِلُكُمْ بَيْنَ الْحُجَّوْنَ إِلَى الْحَجْرِ

منازلكم القديمة في مكة بين هذين المكانين

وَمَا زَالَ بَيْتُ اللَّهِ بَيْنَ بُيُوتِكُمْ تَذُبُّونَ عَنْهُ بِالْمُهَنْدَةِ الْبُثْرِ
الكعبة بين بيوتكم وتذبون عنها، تدافعون عنها، بالمهنة البتر، بالسيف القاطعة

سَقَيْتُمْ وَأَطْعَمْتُمْ وَمَا زَالَ فَضْلُكُمْ عَلَى غَيْرِكُمْ فَضْلَ الْوَفَاءِ عَلَى الْغَدْرِ
سقيتم وأطعتم، لكم السقاية والرفادة للحجيج، وفضلكم على غيركم مطلق كفضل الوفاء على الغدر

وَجُوهُ بَنِي الْعَبَّاسِ لِلْمَلِكِ زِينَةٌ كَمَا زِينَتِ الْأَفْلاكُ بِالْأَنْجُمِ الزُّهَرِ
وَلَا يَسْتَهْلُ الْمَلِكُ إِلَّا بِأَهْلِهِ وَهَلْ تَرْجِعُ الْأَيَّامُ إِلَّا إِلَى الشَّهْرِ
يستهل : يبدأ

فهرس القوافي (القافية فرقم القطعة)

٣٥	والتَّوْحِيدَا	٢١	والبُلُوَى
٣٤	وإِيرَادَا	٢٢	الشتَاءِ
٣٣	شَدِيدُ	١٩	القَضَاءِ
١٠	يُعَمِّدُ	٩	عُلَوَائِهَا
٥٥	الحَمْدِ	٢٨	وَتُرْكِبَا
٣٦	بِوَسَادِ	٢٦	المُذْنَبِ
٨	عِيدِ	٢٤	وَيَتَجَبُّ
١٢	جَدِيدُهَا	٢٥	يَرِبُّ
١٤	هُجُودُهَا	٣٠	المَرَكَبِ
٥	الْأَزْهَرُ	٢٩	مُنْقَلَبِ
٣٩	الْفِرَارُ	٢٧	وَالْخُطْبِ
٢٠	الكَبِيرُ	٢٨	يُرَكَّبِ
٣٧	تُنَكَّرُ	٣	ذَنبِكَ
١٧	جَعْفَرُ	٧	عَوَاقِبِهَا
٣٨	يَسْتَرُّ	٣٢	بَيْتِ
٥٦	أَدْرِي	٣١	مُتَابَعَاتِ
٢٣	مَنْصُورِ	١٥	وَجَارِحُهُ
٦	بِأَثَارِهَا	١٨	أُبْعَدَا

٤٣	وَتَعْدِلُ	٢	النَّفُوسُ
١٣	الْمُقَصِّلِ	١١	عُمْضًا
٤٩	سَبِيلِ	٤٠	صَنَعًا
٥٠	سَلِيمٍ	٤١	اعْتِسَافٍ
٤	عَرَمَرَمًا	٤٢	الْمَمَالِيكِ
٥١	الْأَيَّامِ	٤٨	مَجْهُولًا
١	اللَّثَامِ	٤٦	الْبَاطِلُ
٥٢	سَكْنِ	١٦	حَالُ
٥٣	وَدِينِ	٤٧	سَبِيلُ
٥٤	وَلَيْلَتَيْنِ	٤٤	قَائِلُ
		٤٥	مُتَطَاوِلُ

أبو تمام (١٨٨هـ - ٢٣٢هـ)

أيها القارئ، بعد عشرة أيام تنقضي سنة ١٤٣٢ هجرية. فهل سمعت أحداً احتفل في هذه السنة بمرور ألف ومئتي عام على وفاة أبي تمام؟ أنا وأنت فقط. (كُتبت هذه المقدمة للمختار من شعر أبي تمام عام ٢٠١١).

ستجد - إن فتشت - من يقدّم أبا تمام، حبيب بن أوس الطائي، على كل شعراء العرب، وستجد من يجعله ثانياً أو ثالثاً أو رابعاً. وستجد من ينفي عنه التقدم في الشعر ويلصق به الحكمة، لكن الإجماع يكاد ينعقد على أنه من أهم شعراء العرب، وعلى أنه الشاعر المحترف الذي اكتمل على يديه تحول الشعر إلى صناعة؛ وفي هذا من القدح ما فيه، فأبو تمام - أكثر من المتنبي والبحتري وابن الرومي - هو المسطرة التي ظل شعراء العرب يقصّون عليها أشعارهم ألفاً ومئة سنة.

أقدم إليك فصلاً ضافياً يضم أكثر من مجرد مختارات من أشعار أبي تمام. في كتابي هذا أرحلُ معك في شعر أبي تمام، ونخوض فيه خوفاً.

طُبِعَ ديوان أبي تمام مرات كثيرة، وشرحه في القديم والحديث شراح كثير. وبلغ بكل أولئك الناسخين والشارحين الكسل أن لم يتزحزح أي منهم - فيما أعرف - عن الترتيب الذي وضعه الصولي للأشعار. كما لم يكلف أي منهم نفسه عناء شرح الديوان شرحاً يحسن أن نسميه شرحاً، إن هي إلا نتف من التعقيبات المتفرقة.

ولأن شعر أبي تمام أصعب شعر، وأعقد شعر، وأغمض شعر، ففي وسعك القول إن ديوان أبي تمام بقي مغلقاً. وما صنعته هنا أنني اخترت أطايب الديوان، وصنفت ما اخترته تصنيفاً يسير مع مراحل حياة الشاعر، وشرحت

الآيات شرحاً وافياً سهلاً، واضحاً شرح كل بيت تحته. وجعلت كلمات الشرح تسير بموازاة كلمات البيت، حتى لو رَكِبْتُ في سبيل ذلك الركابة، ووقفت عند كل كلمة صعبة مفسراً معناها بمرادف وضعته بين قوسين.

لماذا أبو تمام في ربيع طويل؟

بدأت أخط هذه المقدمة فور فراغي من اختيار ألف وميتين وثمانية وستين بيتاً من ديوان أبي تمام، فكنت أكتب الفقرة بعد الفقرة، وأنا في هذه الأثناء عاكف على ما اخترته من أبيات، أشكلها وأضبط نهاياتها حتى تستقيم على وجه الورقة بلا اعوجاج، ثم أشرحها.

ثم إذا بالربيع العربي يربط أيدينا جميعاً، ويجعلنا غير قادرين على التركيز في شيء سواه.

انقطعْتُ عن المقدمة نحو سنة، شهدت فيها ثورتَي تونس (قد يصلح يوم ١٤ يناير/جانفي ٢٠١١ يوم ذكرى لها)، ومصر التي جعلوا يوم بدئها (٢٥ يناير ٢٠١١) يوماً مذكوراً. والتقطت القلم من جديد والثورات مشتتة في بلدان أخرى. وانتصرت ثورة ليبيا بثمن باهظ دفعه شعبها، وثمن مؤجل سيدفعه، وأنا أحاول أن أتخلص من هذه المقدمة ومن كل ما يتبعها سريعاً.

ستلاحظ في الفقرات المقبلة تخليطاً كثيراً، فهي مرآة لذهني الموزع بين عمل أرتزق منه، وهو عمل صحافي شديد الالتصاق بالثورات العربية، وبين أحلامي كرجل يتمنى لقومه من أهل هذه البلاد العربية مستقبلاً أفضل.

عجزت عن التفكير في أبي تمام، وفي هذا الشعر العتيق المصنوع المفبرك، المحبوك حبكاً، والمقدم في رفاق الذل لئيل ذهب الخلفاء والولاة.

رأيت أبناء الوطن العربي يتقاربون، ورأيت وسائل الإعلام الأجنبية تذكر مصطلح «العالم العربي» بعد دهر مضى عليها وهي لا تقول إلا «الشرق الأوسط». ورأيت مراسلي الفضائيات يفزعون إلى ما درسوه في المدارس من شعر قديم يستشهدونه على ما يمر من أحداث جسام.

وآخر بيت سمعته استعمله المراسل كي يصم وفود المحاورين الذين يلتقي بهم أولو الأمر في مصر بأنهم لا يمثلون الجماهير الشابة المتظاهرة، قال المراسل: (وكلُّ يدَّعي وصلاً بليلى/وليلي لا تُقرُّ لهم بذكا). ويبدو على هذا

البيت أنه من أبيات العصر الباهت في الشعر العربي، العصر الذي جاء بعد انهيار الشعر، وانتثار عقد الدولة العربية الإسلامية.

رأيت نفسي أعود إلى أبي تمام.

نحن نستعذب فكرة أننا أصحاب إرث قديم. نجد في حلوقنا لذة إذ نستشهد بيت عتيق.

وانظر إلى شعر أبي تمام، على كل ما ذكرناه عنه من أنه مصنوع محبوبك مفبرك إلخ، ألا ترى شباباً وفتيات يقولون كلما حنوا إلى حب قديم: (نقل فؤادك حيث شئت من الهوى/ ما الحب إلا للحبيب الأول)؟
فهذا لأبي تمام.

وللرجل نظرات في الحياة وفي اليأس والرجاء وفي الشقاء والكدر وضعها في أبيات تفتح القلب، وإن له لشخصية متميزة.
ما نحتاج إليه ليس أن نطلق تراثنا بالثلاث، بل أن نضعه في مكانه. وألا نخيل أنه معوق للنهوض والتنمية.

يقولون للضيف عندنا إذا شبع من الطعام، ثم جاءت الكنافة فأراد أن يرفع يده عنها: «كلّ عيش له كُرْش». أي أن لكل لون من الطعام معدة خاصة به، فإذا امتلأت معدة الهريسة والكشري والمقلوبة، ظلت معدة الكنافة فارغة تنتظر حصتها.

ولعل موقفاً كهذا من التراث أن يكون معقولاً: لنفرغ مئة بالمئة من طاقتنا للعلم، ولنلتق بكل أصناف الروحانيات في معدة أخرى من معد عقولنا. وهذا شبيه بالطفل نظنه غير قادر على تعلّم لغتين في آن معاً، ثم نُفاجأ بأنه قادر على تعلم لغات عديدة معاً دون أن تُدخل إحداها «الضيف على الأخرى» كما قال الجاحظ.

على أنني لا أدعو إلى إحياء الشعر العمودي كي يهزم القوالب الشعرية الجديدة، ولست أدعو إلى القديم دون الجديد. فقط أريده حاضراً في مدارسنا حضوراً جميلاً، وقليلًا.

ومدارسنا تحتفل بالشعر القديم مثلما احتفلت حكوماتنا عبر إعلامها الرسمي بأخبار القضية الفلسطينية: كلمة حق أريد بها باطل. وإليك التفصيل:

كي تتجنب كل دولة من الدول العربية اشتغال وسائل الإعلام الرسمية فيها بإخفاقاتها الداخلية - من فقر وفساد وخضوع لإملاءات صندوق النقد الدولي، ومن ديون، وتدمير للاستثمارات الاستراتيجية كالصناعة والزراعة لصالح استثمارات خدمية كالقرى السياحية - درجت على تخصيص مساحة واسعة للقضية الفلسطينية يتم فيها توجيه سيل من الشائم إلى إسرائيل. فهذه الطريقة تحرف تلك الأنظمة الأنظار عما يجري محلياً، وتضرب عصفوراً آخر بهذا الحجر إذ تستعيز عن اتخاذ مواقف حقيقية من القضية الفلسطينية بالشتم والاستنكار.

ومؤلفو المناهج الدراسية الرسميون، القابضون مرتباتهم من وزارة المعارف، يكثر من الشعر القديم في الكتب المدرسية كي يطغى على الأدب الجديد، فهم من جهة قوم محافظون لا يحترمون الشعر الجديد، وهم من جهة أخرى يسايرون الأنظمة التي لا تحب الأدب الجديد الجريء. وفي بعض الدول العربية - بل عليّ أن أعمم وأقول في كل الدول العربية - يعمد مؤلفو مناهج اللغة العربية والأدب العربي إلى أشعار عمودية ضعيفة لشعائير معاصرين، أشعار ضعيفة في المبنى والمعنى صاغها ناسٌ أطفالٌ فكرياً، بعضهم ضعيف في عربيته لا يقيم الوزن إلا بارتكاب كل الجوازات، ثم يستر ضعفه وركاكته بكلمات صعبة ينزعها من بطن القاموس نزعاً فتبدو في قصيدته بشعة كأنها العجوز الدرديس في «الكوفي شوب»، وبعضهم إمعة في عقله وفي سلوكه يقول الرأي وهو يتلفت يميناً وشمالاً، ومعظمهم يجمع الركاكة والفهاة إلى الضحالة والتفاهة؛ وقد يدرك مؤلفو الكتب المدرسية، وقلما يدركون، أن هذا الشعر العمودي المعاصر ضعيف، ولكنهم سعداء بأنه يؤدي رسالة تربوية: فهو شعر ديني، أو اجتماعي، يحض على التقوى أو على تماسك الأسرة؛ يعمدون إليه فيملأون به كتب المدارس.

لست أشك طرفة عين في أن الوطن العربي محتاج إلى نهضة كبيرة وحقيقية. نهضة في الصناعة وفي الزراعة؛ ونهضة في مكافحة الأمية، ونهضة في الثقافة العالية: وأعني بها توسيع النخب لكي يكون في كل بلد آلاف المستنيرين الواقعيين القادرين على قراءة جداول الإحصاءات قراءة صحيحة، والمندمجين مع الدنيا في معارفها، والشاعرين بضرورة البحث عن مصادر بديلة للطاقة، والمطلعين على التطور العلمي والتقني في العالم، هذا بالإضافة إلى

تخصصاتهم، إذ قد تجد أحد أفراد هذه النخب عاملاً أو طبيباً أو معلماً أو ربة منزل أو نقابياً أو محامياً. فما أكثر المتخصصين في بلادنا وما أقل المثقفين الأحرار. تجد الواحد منهم طبيباً بارعاً في تخصصه، وتناقشه في سياسة أو في أدب أو في فكر فتراه مرعوباً بفعل دوغمات استقرت في عقله. والأدب معول ثقافي مهم، يهدم طبقات الكلس المترسبة في العقول، ويفتح الطريق للأكسجين.

المطلوب في البلدان الناطقة بالعربية أن تتعب كثيراً لتنهض نهضة عاقلة. فأما النهضة المباركة التي شهدها الوطن العربي في أوائل القرن العشرين، بعد انتهاء الحكم العثماني فكانت ضعيفة؛ وأما نهضته في الأربعينات والخمسينات بعد التخلص من الشكل المباشر للاستعمار فكان فيها من العواطف أضعاف ما فيها من عناصر النهوض الحقيقية، وهي مباركة أيضاً. لكننا مللنا من النهضات المباركة، ونريد نهضة «غير مباركة»، نريد نهضة طويلة النفس.

وماذا يصنع أبو تمام هنا؟

لا شيء متميزاً. لا أبو تمام، ولا البحتري. هذا كله ترف يرافق النهضات، وهو من لوازم الحضارة. الناس في كل الدنيا يدرسون تراثهم القديم لمجرد التسلية في الغالب. لست أزعم لك أن مئات الكتب التي صدرت ولا تزال تصدر عن شكسبير تؤثر في الصناعة الحاسوبية في بلاد الإنجليز. ولكنني أؤكد أن كل إنجليزي يحفظ من شكسبير عشرات الأبيات، وأن صحافتهم تستعمل شكسبير يومياً في التعبير عن عواطف ومواقف شتى. وفي انتفاضة مصر الحاضرة سمعت مراسلة تستعمل بيت أبي الطيب المتنبي: «نامت نواطير مصر عن ثعالبها/ فقد بشمن وما تفنى العناقيد». (كنت ظننت الثعلب لا يأكل إلا الدجاج، ثم كشفت في «غوغل» فإذا هو يأكل كل أنواع الفواكه مع تفضيله للحم).

يزعجني أنني عاكف على الكتابة عن أبي تمام وشعره. أريد أن أكتب عن التنمية في الوطن العربي، وأن أستكشف الطرق المفصلة إلى تقوية مثل هذه التنمية. ولكن هذا قد لا يكون مفيداً جداً لأنني غير متخصص في شيء.

لذا أكمل كتابتي عن أبي تمام.

ما زال العالم العربي مشتتلاً: ليبيا قتلت القذافي، وفي جوفها رجل

يغلي بالتناقضات، واليمن يحاول جاهداً بدء حربه الأهلية، أو منعها - الأمر يعتمد على المكان الذي تنظر منه إلى الوضع -، وسوريا تستولي على مقدمة نشرات الأخبار منذ أزيد من ستة أشهر وقد وصل عدد قتلى الأحداث فيها إلى ثلاثة آلاف، والبحرين غير هادئة، ولا الأردن، ولا المغرب، وفي مصر يستمر التوتر بين المجلس العسكري وشباب الثورة والإخوان المسلمين، والتيارات الليبرالية الضعيفة. وتونس أجرت انتخابات جمعيتها التأسيسية وفاز إسلاميو حركة النهضة بأكثر من أربعين في المئة، وهي مرشحة أكثر من غيرها للسير على طريق الاستقرار.

والسودان الذي فقد ثلث أرضه في مطلع العام يعيش قلقاً في الثلثين الباقيين، ويعالج مسائل جديدة قد تؤدي إلى ما ينسبه حروبه الجنوبية التي امتدت عقوداً. والصومال مر بمجاعة كبيرة في الصيف. والجزائر هادئة، كأنما لأنها دفعت الفاتورة في حرب أهلية بشعة في التسعينات، والعراق ما زال منذ ثماني سنين يدفع فاتورة تاريخه الطويل، ودول الخليج ترتجف.

وأبو تمام؟

هو شاعر البلاط الذي لبس قناعاً طول عمره. لا أدعوك إلى تقييمه لا فكرياً ولا خلقياً، فصاحبنا كتلة من الكذب في مواقفه. لا أعرف شاعراً ذكر كلمة «الإسلام» أكثر منه، ولم يكن مؤمناً ولا تقياً ولا مصلحاً ولا صوماً، وأغلب الظن أن تحوله عن النصرانية كان تحولاً نفعياً بحتاً. كان كتلة من الكذب في شعره: وإلا فماذا تسمي هذا الإغراق في الصناعة؟

كان مستجدياً أبشع استجداء، يمدح بأبيات يلصق فيها خده بالتراب كي يداس، ثم في آخر القصيدة يطلب المال بقحة، فإذا لم يعط مالاً عاتب كالمومس المقتضية، ثم يأتي الهجاء. يا لاشمزازي منه وهو يراوح بين المدح والوعيد! يا لقرفي منه وهو يذكر السبايا ويتلمظ تلمظ المغتصب.

لكنه إنسان: سافل، نعم، (والأفضل كلمة ضيع)، وشيق إلى المال والشهرة، وفنان. وما بالنا نمضي في هذا الهذر. ألا نفعل مثلما فعل الأقدمون فنقيم الشعر تقييماً فنياً، وننسى كل الاعتبارات الأخلاقية؟

نعم، يحسن بنا أن نفعل. ولأننا نفعل، نكتب عن أبي تمام، وندرس شعره.

الشاعر ذو الأسلوب الملتوي

أساير لك أبا تمام، أمشي معه في النظم كلمة فكلمة. أذهب معه إلى مكان الجريمة، وأطلب إليه تمثيلها.

كيف لي أن أفهم أصعب وألغز شاعر عربي دون اللجوء إلى أدوات كهذه.

فأما الشارحون القدامى فلا كبيرَ تعويل عليهم: التبريزي جاء ببعض ما يُحسن من تحليل نحوي، وعدا في الشرح على كثير مما سبقه إليه المرزوقي. والصولي أفادنا في مناسبات القصائد مستفيداً من المعاصرة. والشارح المحدثون استناموا إلى السرقة من القدامى. ولئن كان القديم يسرق ذكياً، إذ إن كتابه لن يُنسخ إلا بضع عشرات من النسخ، وقد يموت الشارح ولما يكتشف أحد سرقاته، فإن المحدثين يسرقون أغبياء وهم يرون الكتب التي سرقوا منها مطبوعة ومنشورة بأيدي الناس.

هؤلاء الشراح المحدثون قوم اشتروا شهادات جامعية، نالوا بها وظائف جامعية تقوتهم وتدفع الجوع عن أولادهم، ثم ألحت عليهم شهوة أن يظهروا أمام تلامذتهم بمظهر المؤلفين الذين يضعون أسماءهم مسبوقة بحرف الدال على أغلفة الكتب، فشرحوا أشعار القدماء سارقين، غير مفكرين كبير تفكير في معاني الشعر.

لم نعثر على شرح معاصر لأبي تمام ينقع الغلة، وينفي العلة. فعبد السلام هارون شرح همزيات أبي تمام فقط في ستين صفحة، ورغم علو كعبه في فهم الشعر واللغة القديمة فلم يقدم نموذجاً في شرحه. ذلك أن أبا تمام شاعر قديم ذو طرائق في التعبير مختلفة عن طرائق القدماء. وبطرس البستاني شرح مقاطع قليلة من قصائد قليلة. وههنا موضع التنويه بهذا المتأدب الذواقة ذي الحس الجميل العميق. كنت أتمنى لو ترك «مدرسة الحكمة»، وترك طلابه، وتفرغ لدواوين الشعراء، فهو نافذ الفهم، صادق، جميل العبارة في شرحه. وقد عثرت على شرح للبناني آخر هو ملحم إبراهيم الأسود، ظفرت بالجزء الأول من شرحه لديوان أبي تمام وهو مطبوع سنة ١٩٢٨، ولعله لم يُصدر سوى نصف الديوان لأن عمر فروخ في ثبوت المراجع (في «تاريخ الأدب العربي») لا يذكر سوى الجزء الأول لشرح الأسود. على أنه أفضل من شروح الدكاترة الذين تدفقوا علينا في الزمن الأخير. كان ملحم الأسود صادقاً ومجتهداً: أخذ عن قدماء الشارحين، وأي ضير في ذلك، لكنه لم ينسخ نسخاً غيباً.

ولإيليا الحاوي كتاب طريف اسمه «أبو تمام: فنه ونفسيته وشعره»، طرافته أنه يقع في ستمئة وخمسين صفحة، وأنه كان يمكن أن يكون مئة صفحة. ولو أنفق الحاوي شطر جهده في هذا الكتاب في شرح الديوان شرحاً وافياً عوضاً عن ذلك الشرح الذي نشره في كتاب آخر وحشر فيه كل غلطة مطبعية ممكنة وملاه بـ «عدم الشرح» - أقصد بتجنب الأماكن الوعرة، والاكتفاء بإعطاء المعنى العام - لكان أدى لديوان أبي تمام خدمة جليلة. لكن كتابه الأول ممتع؛ أحبت فيه حماسة المؤلف الشديدة وهو يدافع عن أبي تمام وحداثته. وأحببت لغة الكاتب وجراته.

جملة القول أن ديوان أبي تمام بحاجة إلى شرح جديد كامل.

أعود إلى شرح التبريزي المشهور الذي طبعه محمد عبده عزام سنة إحدى وخمسين. لقد قرأت شعر أبي تمام أول ما قرأته بهذا الشرح. وكانت قراءتي تلك في لندن، واستعرت الشرح جزءاً بعد جزء من مكتبة «مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية» التي كان عزام يعمل بها وقت إصداره تحقيق شرح التبريزي. ولعل تلك النسخة التي استعرتها هي عين النسخة التي قدمها عزام إلى المكتبة. فأما عمله كمحقق فهو في النهاية من الجودة، وأما ما أضافه إلى التبريزي فيكاد يكون عدماً. ولا نطالب المحقق بأن يزيد في الشرح؛ حسبه أن يحقق وأن يدقق، وفي هذا من النصب ما حدثنا أهل التحقيق عنه كثيراً.

والتبريزي في شروحه المختلفة (الحماسة وديوان أبي تمام والمفضليات والمعلقات الخ) تخطف بصره النكت النحوية، وهو يهبط من سماء القصيدة إلى أفق البيت، ثم ينحط إلى دركة اللفظة. فيشرح شرحاً لغوياً فيه نفع، وفيه زيغ. على أنه في شرحه لديوان أبي تمام زاد واحدة: فهو يشرح بيتاً ويترك أبياتاً، ويشرح واضحاً ويدع غامضاً، فكأنه من شراحنا المعاصرين.

ولم أر شرح الصولي أنفع من شرح التبريزي، فهو مجتزأ. بدأه صاحبه نشاطاً يشرح من القصيدة أبياتاً كثيرة، لكنه بعد بضع قصائد فتر وأصبح يشرح بيتاً هنا وبيتاً هناك. وإذا صلح هذا مع بعض الشعراء فلا كذلك مع أبي تمام. أبو تمام اللغز فقير إلى شرح مستفيض.

ما كان أحوجنا إلى شرح من أبي العلاء لأبي تمام. وقد وصلتنا بعض آراء أبي العلاء من تلميذه التبريزي، ومن شذرات في كتابه «ذكرى حبيب».

وأحسن من شرح أبا تمام الأعلام الشَّتَمَرِي. وعندما قرأت شرحه المطبوع في المغرب في جزأين (ط ١: ٢٠٠٤) رأيته منكباً على المعنى تاركاً النكت البلاغية والنحوية. فما أشبه طريقته بما ارتضيناه لأنفسنا. على أن الأعلام الشتَمري صنع صنيع كل شراح أبي تمام القدامى، فبدأ شرحه نشاطاً يأخذ كل بيت وحده، ولم يتجاوز بضع عشرات من الصفحات حتى أخذ يلخص الثلاثة الأبيات والأربعة والخمسة تلخيصاً. ونسخة الشتَمري من الديوان ناقصة نقصاً كبيراً، ويقول طابع الشرح إنها تستند إلى نسخة الإفليلي المستندة إلى قراطيس كتبها أبو تمام بخطه وجلبها أبو علي القالي إلى الأندلس مضيفاً إليها ما رواه عن ابن درستويه. على أننا تعقبنا رواية هذا الشرح للأبيات التي وقع خلاف في بعض كلماتها فيها فلم نجدها أفضل مما ورد في الشروح المشرقية.

كنت أتمنى، وقد كتبت ما كتبت أعلاه، أن أشمر لشرح ديوان أبي تمام كاملاً. لكنني - أنا الناعي على الكسالى كسلهم، وعلى الجهلة جهلهم - لا أملك ما يكفي من الوقت، ولا ما يكفي من العلم ولا أي قدر من الدربة في علاج المخطوطات لكي أتصدى لهذا الأمر. أنا رجل أحب الشعر وأختار منه الرائق المدهش، وأشرح ما أختار، وحسب. ولأنني ملأت عقلي بمعلومات كثيرة غير نافعة في مجال اللغة القديمة والشعر القديم لم يبق في ذاكرتي حيز كاف؛ ولأنني لحقت لقمتي في ميادين الصحافة عشرات السنين، ولأنني قليل الصبر، تجدني ناقص الأداة مضطراً إلى القواميس والشروح القديمة أتكى عليها جميعاً. وتجدني أصطنع أداة أخرى أحسبها طريفة لفهم الشعر القديم:

أساير الشاعر: أسير معه منذ ما قبل النظم إلى ما بعد تمام التحكيك. أراه فوق ناقته قاصداً الممدوح. وأراه يفكر في المعاني، وأشهد جبريله يلقنه أبعاض أبيات، وأشاهده مغمض العينين رافعاً رأسه إلى أعلى كفرخ حمامة أعمى يريد أن يلتقط كل إلهامٍ تسقط عليه من السماء فيلبسها كلمات. وأدخل في عقله، وأجاده في كل كلمة يختارها، وأفهم عنه لماذا أثرها على سواها. وأراه صاغ البيت وارتضى له قافية. كل هذا يحدث وأنا أقرأ القصيدة. ثم أكر كرة أخرى فأنفي من القصيدة أبياتاً كثيرة هي كلام. وأستخرج الأبيات التي هي شعر. ثم أسعى في الربط ما بين الأبيات التي هي شعر، فأضطر إلى اقتباس أبيات كلامية هنا وهناك حتى تستقيم القصيدة. ثم أعود لأستذكر رحلتي مع الشاعر وهو ينظم ويستلهم. وأشرح شعره بكلام أقصد أن يكون مفهوماً لقارئ

القرن الحادي والعشرين. وقد أخالف القدماء في شرحهم. فأما إذا كان الشارح شاعراً فذاً - وهذا نادر جداً ولم يقع لي غير مرة واحدة - فلسأله أخالفه.

هذه المرة كانت مع أبي العلاء المعري. فقد شرح المعري شعر المتنبي. ومن حسن حظ الأدب أن شرح المعري وصلنا. وقد شكك بعض النقاد في نسبة هذا الشرح إلى المعري بعض تشكيك. وها أنا أقول لهم: دعكم من كل هذا. دعكم من مقارنة النسخ الخطية، وحشد الحجج، واقرأوا شرح المعري للمتنبي تروه شرح رجل يعرف الشعر. ولا أتذكر أنني خالفت المعري في شرحه على المتنبي (وهو شرح كامل لكل بيت) إلا في بيت واحد زعمت لنفسي ولقرائي أنه شرحه متسرعاً. وذلك البيت هو:

إن التي سفكت دمي بجفونها لم تدر أن دمي الذي تتقلد

وكنت كتبت عن المتنبي، وفي سياق شرحي لذلك البيت قلت إن الشروح الستة لديوان المتنبي التي كنت فارشها أمامي قد أساءت فهم البيت.

وأعود بك إلى أبي تمام

أعود إلى بيت اضطرب فيه الشارحون. وأبين لك طريقتي في الفهم وفي الشرح.

يصف أبو تمام غيمة مدرارة وأرضاً عطشى:

(ديمة سمحة القياد سكوب مستغيث بها الثرى المكروب)

تلبدت السماء بالغيوم، ورأى أبو تمام غيمة عظيمة أخذت تسخّ سحاً؛ مطر جاء في غير أوانه، وقد عم الجفاف واقشعر وجه التراب يبساً. قال أبو تمام «ديمة» والديمة هي الغيمة التي «يدوم» مطرها. وقال «سمحة القياد» يريد أن يصف الغيمة بالسماحة والكرم (والسمح من الرجال هو الذي يسمح بماله): إنها غيمة سلسة. نعم هي سلسلة سلاسة عجيبة في إدرار المطر، ولكن كلمة «القياد» جاءت فوراً بعد «سمحة»، فالغيمة «سمحة القياد»، إنها مأمورة بقائد هو الريح. والغيمة سكوب تسكب المطر. والثرى المكروب من الجفاف مستغيث بهذه الغيمة. يرى أبو تمام في ذهنه صورة التراب الجاف وقد ارتفعت منه يدان تستغيثان، وتطلبان المطر.

(ديمة سمحة القياد سكوب مستغيث بها الثرى المكروب)

الثرى يريد أكبر قدر ممكن من الماء من هذه الغيمة العابرة التي جاءت في
أوان الجفاف. الثرى مقيم في مكانه لا يستطيع أن يسير ويلحق هذه الغيمة التي
نسح وهي ماشية ومنصرفه عنه.

ثم يأتي البيت الثاني (وهو موطن الشاهد):

(لو سعت بقعة لإعظام نعى لسعى نحوها المكان الجديب)

يقول أبو تمام: لو أن بقعة أرض تستطيع المشي لإدامة نعمة المطر
وإعظامها (الاستكثار منها) لخف المكان الجديب الجاف وركض مع الغمامة
سائراً تحتها أنى توجهت.
انتهى شرحنا.

ونظرت في ما شئت من الكتب التي اقتبست هذه الأبيات، والأبيات
مشهورة، ورأيت أن الذين شرحوا هذا البيت الثاني قليلون، وأن كل من شرحه
جعل كلمة الإعظام تعني (التبجيل). فالأرض العطشى تريد أن تمشي مع الغيمة
لكي «تبجلها» حسبما يريدون.

ولست أرى ذلك. بل أرى أن كلمة (إعظام) تعني التكثير والازدياد.

فأما إن قلت لي إن البحري عندما سرق هذا المعنى جعل المنبر يسير
باتجاه الخليفة اشتياقاً، وإن قلت لي إن البلاذري الذي سرق معنى البحري
جعل البُرد يظن ما ظنه تبجيلاً، فهذا كله لا يجعل سير الثرى عند أبي تمام
بغرض التبجيل. لا، ولا أقول إن البحري أساء فهم بيت أبي تمام. بل لعله
فهمه كما فهمته، وسرقه ومال به إلى معنى التبجيل، فالشاعر يسرق روح المعنى
لا تفاصيله.

ولي في هذا السياق كلمة أخيرة: عندما ألتقي بأبي تمام في الحياة
الأخرى قد يقول لي: أنت واهم. عندئذ سأقول: كان هذا مبلغ اجتهادي.
لكن، من يدريك، فقد تلمع عينا شاعرنا، ويقول لي: يا صاح، قد والله
قصدت التبجيل، ولكنك أرشدتني إلى معنى أجمل وأقرب إلى سياق كلامي.

هاك حكايتين على هذا:

نظم شوقي لعبد الوهاب أغنية قال فيها عن البلبل:

مجروح من ساقه، ومن طوقه ما دري بالشوك من شوقه

فخلط عبد الوهاب بين القاف والكاف فجعلها (ما دري بالشوق من شوقه)
فصنف شوقي طرباً، وقال له: هذه أحلى. البلبل لشدة شوقه لم يدر بأنه
مشتاق، أبقيها كذلك. وهكذا سمعناها من عبد الوهاب.

والثانية:

كان شوقي يتمشى في «المنتزه» بالإسكندرية، وعبد الوهاب يحاول اللحاق
به، فشوقي يسير هائماً مسرعاً وهو ينظم. ثم وقف شوقي، وكان يعالج نظم
قصيدة يرثي بها حافظ إبراهيم، وقف وقال لعبد الوهاب: اسمع المطلع:

قد كنت أوتر أن تقول رثائي (يا منصف الأموات والأحياء)

فسكت عبد الوهاب. فأطرق شوقي. ثم قال: بل نجعلها: (يا منصف
الموتى من الأحياء). وهذه، ولا شك، أوقع وأجمل.

ماذا عن أبي تمام؟

قد شرحت لك في الأسطر السابقة أن الذي قادني إلى هذا الفهم لبيت
الديمة مسائرتي أبا تمام في تفكيره. ولا أزعم أنني فتحت فتحاً، فكل شارح
يصنع ذلك. كل شارح يحس بالمعنى ويفهمه، ثم يفصله. لكن رجلاً كأبي تمام
بحاجة إلى أن تتيقظ معه، فهو قين لغة، وصيقل معان، وهو من عبید الشعر
الذين لا ينفع معهم أن تلّمح معنى البيت لمحا، وتمضي في تسطير شرحه.

مرهق هذا الشاعر، وقد عبده القدماء. وقضوا بضع مئات من السنين
يفضلونه على المتنبي. وبضع مئات أخرى - بعد أن غدا المتنبي قديماً بما يكفي
لنيل شرف التقديم - متحيرين أي الشعارين أسبق. وجاء العصر الحديث ففضل
ناسة المتنبي لأنه ناثر، وكان العرب في النصف الأول من القرن العشرين ناثرين
يظنون أنفسهم على أعتاب نهضة كبيرة فعبدوا أبا الطيب، وأطاحوا بأبي تمام
عن عرش الشعر. ثم جاء الحداثيون، ورأوا في غرابة أبي تمام شيئاً، رأوا
كلماته المثقلة بالمعاني الظاهرة والباطنة، رأوا الكلمة عند أبي تمام تشع
بالمعاني، وأطياف المعاني، وتحتمل الكثير من التفسيرات. أعجبهم أن كلمته
باب صغير وراءه دهليز، ووراء الدهليز دهاليز. وانشغلوا به. وتعلموا من النقاد
الفرنسيين (ولا أتكلم على إيليا الحاوي وحده) أن الشعر ليس فقط الصرخة

النابعة من القلب، بل هو أيضاً الشعور الهادئ المستكن في العقل، فأعادوا إلى أبي تمام الاعتبار.

هذا شاعر العقل، شاعر العبارة الذكية. شاعرٌ يحب أن يلعب باللغة وبالمعاني، ويلهو بالمحسنات، وهو الأستاذ الحقيقي للمتنبي.

قال المتنبي لجلسائه عند الوزير المهلبى (فيما روي لنا): مَنْ أبو تمامكم هذا؟ قالها إنكاراً لا استنكاراً، وهذا أسخف. هو ينكر أنه يعرف أبا تمام! قدك يا أبا الطيب! والله لنشم ريح أبي تمام في كل قصيدة قلتها.

فأما أن أبا تمام أستاذ البحترى فهذه معروفة. طريقة البحترى غير طريقة أبي تمام. البحترى سرق خمسمئة بيت من أبي تمام (كيلاً نغضب صاحب «الموازنة» المؤثر للبحترى نجعلها مئة فقط، وفي هذا كفاية)، ولكنه صاحب ديباجة حلوة سلسة. وليس له من التفكيك والتركيب ما لأستاذه. وأحسن شيخ المعرفة في قوله «إن أبا تمام والمتنبي حكيمان، والشاعر: البحترى». ونُلحقه هو بالحكيم. كل شعرائنا حكماء، وكلهم سفهاء. ولا أدري أيوجد شعر لا يكثر تردده بين السفاهة والحكمة!

أكتب هذا الكلام بعد أن قرأت أبا تمام، سوى قراءة لندن الأولى تلك قبل عشرين سنة، قراءات أخرى في شروح وكتب أخرى، وبعد أن عشت معه في حارة دمشقية، وفي دكان حائك، وسعيت معه في طرقات الفسطاط وقعدت معه في ناحية من جامع عمرو، وقرأت معه شيئاً من كتب اللغة التي كانت ترد مصر في ذلك الزمن من بغداد، أو التي كان يكتبها علماء مصر، ورافقته على ناقته العجفاء متنقلاً بين ممدوحيه. ورأيت رجلاً سفير، فقد الإحساس الذي يحسه معظم الناس بالمكان، واهتزت الأرض تحت قدميه، وصار المكان بالنسبة إليه موقعاً افتراضياً.

أبو تمام نفسه شخصية افتراضية

كان أبو تمام يعيش في «سكند لايف» على هيئة ما. ونراه يحذر أحد ممدوحيه من منحه عقاراً، فهو يريد المال. لكنه كان يفرق المال تفريقاً على الناس. على أنه في ختام حياته طلب بريد الموصل فأعطيه. واستقر في الموصل سنتين، وصار له بها قبر. لست بحاجة إلى جهد كبير وأنت تلمس قلق المتنبي عند أبي تمام. هو قلق جداً، وجوبه الفيافي فيه سعي للمال، لكنه

ليس ذلك السعي الساذج الذي يحدثنا عنه أصحاب الكتب المدرسية عندما يقولون إن شاعرنا كان مداحة نواحة، يركض وراء الدرهم. لعل أبا تمام كان يجشم جسمه عناء الأسفار هارباً من السؤال الوجودي القبيح: ما مصيرنا؟ فصاحبنا لم ينعم باليقين، ولم يكن صاحب صلاة ولا صوم. ها هو المتنبي مرة أخرى يطل برأسه. وصاحبنا أبو تمام متعصب في شعره للإسلام تعصباً عجيباً. في تعصبه سياسة، وفيه إرغام الذات على ارتداء الانتماء الجديد.

ولا قبل لي بالمضي في هذا الحديث دون أن أحدد موقفاً من دين أبي تمام، وأشرح نصرانيته وإسلامه. وسيأتي ذلك.

استطراد

لكنني الآن أمضي في قلبي إنني أكتب هذا الكلام كله بعد قراءة الرجل وسيري معه، وبعد قراءتي ما كتبه الصولي والبيدي عن القديم، وما قاله ياقوت وغير ياقوت ممن نقل عن الكتب القديمة. وبعد قراءة مئات الصفحات مما كتبه الحداثيون عن الرجل. وبعد أن غسلت يدي مما كتبه بعض اللاهثين وراء التدكتر.

أهيب بك أن تقرأ شعر أبي تمام الذي اخترته لك، وأن تزلّ بعينك سطرأ لتنظر في شرحي عليه كلما نشطت لذلك، فلن أضن بما يعن لي من أفكار وتأويلات لمعاني شعره ومعاني حياته.

كان انتقاء أبيات من أبي تمام أمراً صعباً. ما أكثر ما أخذت أبياتاً جافة سقيمة كي أسند بها أبياتاً لامعة. وما أكثر ما اخترت أبياتاً ضعيفة لأن معارك نقدية عنيفة دارت حولها. قد تيسر لأبي تمام نقاد من أهل اللغة والنحو أعجبوا بأبيات لصعوبتها، أو أولعوا بها لتعقدها، فهي المرقاة التي يتخذونها لإبراز فحولتهم في ميادين اللغة والنحو. وهذه الميادين ليست ميادين الشعر.

وكل شعر أبي تمام مشهور معروف. ولأنه سرق كثيراً وسرق منه الكثير، فأبياته كلها موضع جدل في الكتب القديمة. ولكنني حاولت ألا أختار إلا ما يحتوي على شعر وخيال.

إذا أردت أن تطل على أجمل وأحلى ما قال الرجل من شعر فهذا على مبعدة صفحات منك، وأما إن كنت تريد درس عيوبه فلن تجد إلا قليلاً من الأبيات السخيفة هنا، اذهب إلى الآمدي صاحب الموازنة وستجده يطلق على

شعر أبي تمام - وعلى مدى ألف وخمسمئة صفحة - قطعاً من كلاب الصيد.

وستجد عندي بعض تعقيده وسخفه، ليس أنني قصدت إلى تضمين ذلك، بل هو مكثّر في الرديء إكثاراً، وهو يخلط الرديء بالجيد خلطاً عجيباً. ما أصدق البحتري عندما قال: «جيده خير من جيدي، ورديئي خير من رديئه».

حياة أبي تمام - المصادر

أبو تمام شخص افتراضي. مثل الذين تصادفهم في غرف الشات. يقول لك الواحد إنه رجل مهيب ذو شنب شنيب، ويكون في الواقع مرافقاً قريب عهد بالحليب.

نأخذ بقول الأب لويس شيخو أخذاً ذريعاً، فشيخو لا مصلحة كبيرة له في نسبة هذا المارق إلى المسيحية، لأنه ارتد عنها ارتداداً ونطق في شعره بالحط من قدر الصليب. والأب شيخو يغص بأقل من هذا. ونأخذ برواية هلموت ريتز في دائرة المعارف الإسلامية، فهو يلخص أقوال القدماء وينتخب منها. على أننا ألمان بما قال صاحب «الأغاني» وياقوت والبديعي صاحب «هبة الأيام» والصولي صاحب «أخبار أبي تمام»، وبأقوال من أخذوا عنهم من المحدثين (أقصد المحدثين الذين نحترم علمهم كعمر فروخ، وليس أولئك البائسين من غربان الجامعات النعّ).

نأخذ بذلك كله ثم نمضي في افتراضنا الذي لا يخرج في أي جزء من أجزائه عن أقوال القدماء والمحدثين. فنحن لا نزعّم أننا وقعنا على مخطوط نادر، ولا أننا ضربنا في الرمل فعرّفنا ما لم يعرفه غيرنا. على أننا نستدرك: فدرسنا لشعر أبي تمام جعلنا نأخذ رواية ونترك رواية. وتلفيقنا لروايتنا من الروايات المتضاربة إنما يسنده، ويسد خلله، ما استقيناه من شعر الرجل من فهم لنفسيته. هذا بقدر ما تيسر لنا من فهم، ومن وقت.

حياة أبي تمام (١٨٨ - ٢٣٢)

نشأ أبو تمام ولداً مسيحياً في قرية جاسم بين دمشق وطبريا، في منطقة من هذا الشرق المعقد، هي أشد تعقيداً من سائرته. فعلى مقربة من هذا المكان انهمز الروم عند نهر اليرموك، وتبع فلولهم خالد بن الوليد حتى لحقوا بأسيا الصغرى (تركيا الحديثة)، وبقيت عائلات رومية في دمشق، وعلى الأخص في

قراها، فالناس الذين ترتبط حياتهم بالزراعة يفضلون البقاء في الأرض عند حدوث هزيمة عسكرية تغير وجه التاريخ والمجتمع كتلك الهزيمة؛ يفضلون أن يتأقلموا مع الأحكام الجدد، وقد يغفرون دينهم إذا استقر الوضع سنوات طويلة للأحكام الجدد، أو إذا مارس هؤلاء الأحكام الاضطهاد الديني. والأحكام المسلمون آنذاك كانوا معنيين بيسط نفوذ الدولة الجديدة، ولم يضطهدوا الناس اضطهاداً دينياً بل ساروا فيهم سيرة غريبة على ذلك الزمن، إذ فرضوا ضريبة مقابل الإعفاء من الخدمة في الجيش، تلك هي الجزية، وأضيف إليها فيما بعد الخراج. ولكن، ظلت العائلات المسيحية على مسيحياتها، وحتى المسيحيون العرب (من تغلب وبكر وتنوخ) فالكثير منهم بقي على دينه في سوريا كلها. وكان في تلك المنطقة الوعرة جبالها، الخصبة سهولها، الواقعة بين دمشق وطبريا اختلاط عرقي وديني ساعد في المستقبل على استيطان حركات وعقائد أخرى.

كان تدوس النصراني شاباً متعثراً الحظ من شبان قرية جاسم، لا يملك أرضاً زراعية، بل يشتغل في مزارع الناس بالأجر. وكان كبير القرية من قبيلة طيء المشهورة. وقد اشترى من دمشق جارية سوداء نوبية، كان استرقها من استرقها وباعها من باعها صغيرة، ووصلت في قافلة إلى دمشق واشتراها كبير قرية جاسم، وأتى بها إلى بيته للخدمة. فإذا هي حادة المزاج حادة الذكاء، لكنها خرقاء لا تحسن عملاً. وعندما بلغت زوجها كبير القرية (ولعله كان نصرانياً) من تدوس النصراني بمهر ضئيل. فولدت له ولداً سماه «حبيباً»، اختار اسماً حبيباً إلى قلوب نصارى المنطقة، لكنه يجوز في المسلمين أيضاً. وولدت له «سهماً»، اختار له اسماً بعيداً عن الأسماء الرومية، كاسمه تدوس، لكنه ليس من الأسماء الإسلامية.

ونزح تدوس بأسرته إلى دمشق وعمل فيها في دكان خمار. لا، لم يملك حانة، فلو أنه ملك حانة لجعل ابنه حبيباً يساعده فيها. لكنه اشتغل عند خمار، وشغل حبيباً عند حائك. وعاش حبيب صباه في حارة دمشقية، وتعلم أن يكون محترساً، وأن يكون ابن سوق.

لكنه اشتعل حباً باللغة العربية حتى قبل الهجرة إلى دمشق. وما زال في تلك المنطقة بجنوب دمشق، التي قضى فيها أبو تمام طفولته، من ينطقون العربية أحلى نطق ويخرجون حروفها أجمل مخرج حتى يوم الناس هذا، بل في

تلك المنطقة قرى يقترب حديث أهلها في أيامنا هذه من الفصحى اقتراباً لا تجده في أي مكان في هذا العالم.

لم يعرف حبيب من لغة سوى العربية. وعشقها وهو يسمعها في حلقات المسجد الأموي، وكان لدمشق عراقة لم تكن لبغداد. فهي، وإن خملت وقبعت في الظل بعد بناء بغداد على يدي المنصور قبل خمسين سنة، ما زالت مدينة كبيرة. وسرى المتوكل بعد بضعة عقود يزورها مفكراً في اتخاذها عاصمة بدلاً من سامراء، غير أنه بدا له. كانت دمشق تحتزن تراث تسعين سنة هي عُمر الدولة الأموية، وتراث مئات السنين قبل الإسلام، إذ مرت بها حضارات عربية وسريانية ورومانية ويونانية تركت في نفوس أهلها تحضراً تتبدل اللغات ويبقى كامناً.

حبيب صبي أسمر داكن السمرة، اختلطت في سحنته ملامح أمه النوبية بملامح أبيه الرومي فإذا هو جائز في العرب بسحنته المحيرة. طويل نحيل، لا يهيم الطعام. حاد الذكاء قوي الحفظ، لا يدخل أذنيه بيت شعر ويخرج.

تعلم في دمشق أيضاً أن العرب هم الكبراء، وأن بقية الناس فعلة. ولعله سمع كثيراً عن نفوذ الفرس في بغداد، ولعله سمع أيضاً أن الخليفة العربي هارون الرشيد نكبهم نكبة كبرى قبل سنة أو ستين من ولادته. ثم إن عدداً من كبار قادة الجيوش هم من العرب: من طيء ومن شيبان ومن بكر بن وائل. والجو في الشام أعرب منه في العراق.

كان يرى أباه إذا سأله سائل: ممن الرجل؟ يقول: من طيء. وصار حبيب يقول للداته إنه من طيء. وصنع عمود نسب يصله بجذ القبيلة، صنعه على عجل فجاء ناقصاً ستة أجداد.

لم يكن الدين من همّ تدوس الأب، فلقمة العيش جعلته مسيحياً بالاسم فقط. ولم ينتبه الولد حبيب إلى أن الإنسان عندما يولد يجب أن يكون على دين معين. ترعرع في حارته الدمشقية ولدّاً طائياً، دينه الشعر العربي. انحفرت في ذاكرته لمزات بعض اللامزين في جاسم وهو صغير، ثم في دمشق. كان يعرف حق المعرفة أن أباه نصراني، وأن أمه جارية تربت في كنف طيء. لكنه لبس وجهاً من حجر قابل به العالم. فهو لا يتكلم إلا الفصحى، وإن فاتته حلاوة الصوت؛ إذ كان صوته أجش، وكانت في لسانه حبة.

كان واضحاً لحبيب أن اللغة والشعر مستقبله. فرأى دكان الحائك سجنًا، ورأى دمشق سجنًا. ولم يكن يعرف عن بغداد إلا أنها ذلك البلد البعيد. لكنه سمع عن مصر من أمه. لم تكن تتذكر حقاً عن مصر إلا خيالات وأطيافاً (فقد جاءت إلى الشام وهي في السادسة من عمرها)، لكنها عرفت من الناس أنها قادمة من بلد فيه نهر عظيم هو النيل، وفيه خير كثير، وليس فيه برودة جاسم ولا وعورة منطقتها، جعلوها ترسم لمصر في ذهنها صورة بديعة، نقلتها إلى ولدها.

وتيسرت قافلة ذات يوم، وكان صديق حبيب ذاهباً فيها، وأصر حبيب على الالتحاق بها زميلاً لصديقه على ناقته. وانتهى في الفسطاط. ورأى حلقات الدرس في جامع عمرو بن العاص عامرة، فتخلف عن القافلة وهي قافلة، وأقام يسقي الطلبة الماء مقابل جراية ضئيلة، أرغفة قليلة؛ ثلاث سنين وهو يسمع الدروس، ويتنقل من حلقة إلى حلقة. وبدأ يقرزم، واتصل بعياش بن لهيعة أحد قادة الشرطة، فلم يعطه ما يرضيه، فعاتبه وألح عليه، ولكنه لم يحصل على ما كان يؤمل. أمضى على هذه الحال ثلاث سنوات يقرأ كتب الشعر، ويهاجي شعراء مصر قاعداً على باب عياش.

في مصر أتم أبو تمام خروجه من شخصيته الواقعية، ودخوله في شخصيته الافتراضية. وهو الآن عربي طائفي مسلم؛ وسنراه عما قليل شديد المحاماة عن دولة الإسلام. والإسلام بالنسبة إليه قومية أكثر مما هو دين.

بعد ست سنوات في مصر رجع حبيب إلى الشام شخصاً راسخاً في إطاره الجديد. واتخذ اللباس العربي، وتمسك به طول عمره، على ما في ذلك من غرابة في أسواق وقصور بغداد وسامراء وخراسان التي سیرتادها عما قليل. لكنه رجل انعقد منه العزم على أن يعيش حياته في جلد فضله لنفسه.

لم يمكث في دمشق، ولم يرد أن يمكث فيها وفي ذكرياتها التي تعيد إلى ذهنه جلده الأصلي، بل انطلق إلى حمص المزدهرة سياسياً وأدبياً، وزار شاعرها ديك الجن، وهو أسن منه بعشرين أو ثلاثين سنة، وعرض عليه شعره.

وديك الجن شاعر رقيق الدين وكانت له معرفة بأبي نواس، ولقي تقديرًا من دعبل، ودعبل أسن من ديك الجن بنحو عشر سنوات، ولكنه عاش طويلاً ليصبح خصماً لتلميذ ديك الجن أبي تمام.

في حمص تسلى أبو تمام بهجاء عياش بن لهيعة الموظف المصري بأبيات أجود كثيراً من أبياته القديمة في مدحه؛ لعله فضل ما بين الصدق والكذب.
كل ما مر عن حياة أبي تمام محض افتراء مني.

فلم أقرأ في أي مكان أن أمه نوبية، ولم أحقق أن أباه كان خماراً أم عطاراً، على أنني أستبعد أن يشتغل بالطبارة رجل قروي حديث عهد بالمدينة، فهذه مهنة تتعاطاها فيما أقدر أسرة راسخة القدم في حياة المدينة، فأنا أختار الرواية التي قالت إنه كان خماراً. ولم يقل لي أحد إن أباً تمام ذهب إلى مصر في قافلة تجارية. هذا محض افتراء، لكنه ممكن. ثم إنه حقاً ذهب إلى مصر، وحقاً أقام فيها ست سنوات. عرفت أنه أسمر طويل، وأنه يتكلم الفصحى بصوت أجش وأن في لسانه حبسة، وأنه يحرص على الزي العربي البدوي المستغرب. وعرفت أنه سقى الماء في جامع عمرو بالفسطاط، وأنه قال في مصر شعراً. وأنه ذهب إلى حمص والتقى بديك الجن. وكل ما سوى ذلك من عندي. وما سوى ذلك قليل من حيث الحقائق الظاهرية، فأما من حيث نفسيته فنصيب الإفتاء في كلامي أكبر.

ذهبت مع لويس شيخو وعمر فروخ إلى أن شاعرنا نصراني. وخالفت شيخو وأبا الفرج الأصفهاني في أنه عربي قح من طيء. ومن عندي جعلت هذا الشاب الذكي يتمص شخصية صنعها لنفسه، وجعلته يعيش الدور.

ولعل عمر فروخ وهلموت ريتز على صواب في أن أباً تمام ذهب إلى مصر شاباً لا صبيّاً. وأنه عاش مدة في حمص قال فيها شعراً قبل مصر. ولكنني قررت أن أجعله يذهب إلى مصر صغيراً: فهذا أخلق بمن يسقي الماء لطلبة العلم في جامع عمرو، وثمة من نص على أنه رثا من رثا من آل حميد بعد عودته من مصر، وثمة من قال إنه ذهب مع أبيه إلى مصر. وينقل الصولي في «أخبار أبي تمام» عن البحري أن أباً تمام قال: «أول شعر قلته: بقي جمحتي لست طوع مؤنبي، ومدحت بها عياش بن لهيعة وأعطاني خمسة آلاف درهم». وعياش بمصر. وإذا كان أبو تمام قد قعد بحمص للشعراء يأتون إليه ويعرضون شعرهم (وكان من بينهم البحري) فلا بد أنه كان شاعراً ذا مكانة وصيت، على أن للقاءه بالبحري قصة أخرى تناقض هذه، فقد قيل إنه لقيه أول مرة في مجلس أبي سعيد الثوري.

أن يكون بدأ بحمص صغيراً ثم رحل إلى مصر، ثم عاد إلى حمص فأمر

لا ندفعه. القرائن في الاتجاهين كثيرة. ولكنني رأيت شعره في التشوق للشام وهو مقيم بمصر شعر شاب رقيق، بينما شعره في آل حميد شعر شاعر قد استكمل أدواته، واستحكمت فيه مزايا وعيوب الشاعر المحترف.

أقول هذا وأنا على ثقة من أن مزيداً من الدرس خليق بأن يوقفنا على سلسلة زمنية (كروولوجيا) دقيقة لحياة أبي تمام وشعره. ونترك هذا لأهل الاختصاص الجامعي، شرط ألا يكونوا مثل ذلك الشارح الدكتور الذي سود أربعاً وسبعين صفحة في شرح حياة وفن أبي تمام في مقدمة الديوان أتحننا فيها ببعض الآراء النقدية من قبيل: «عارض فيها أبو تمام قصيدة أبي فراس الحمداني: أراك عصي الدمع...» وأبو تمام «يحاكي ما في الروميات...» وفي ظني أن طول ألفته لشعر أبي فراس قد علمته صياغة مثل هذه المواقف، ويذكر شعراً لأبي فراس الحمداني يزعم أن أبا تمام قلده.

فإذا علمت أن أبا فراس - الذي طال ألفة أبي تمام لشعره! - ولد بعد موت أبي تمام بتسعين سنة، رأيت كيف يعبث ويعيث ويُرث هؤلاء الدكاترة، بينما نحن، هواة الأدب، ننتظر شيئاً من التحقيق والتدقيق يأخذون ثمنه معاشات من جامعاتهم، ولا يكتبون لنا إلا هذا الهراء.

في دار الخلافة

عندما ذهب أبو تمام إلى بغداد وجد نفسه من ناحية الدين والتدين والمعتقد. نهاية الجملة. فبغداد تلك كانت عاصمة الدنيا. وكانت تمر بالفكر والفلسفة والاعتزال، وتتوهج بالاسترخاء الحضاري. الحرب مستمرة على الثغور، لكنها حرب مناوشات اعتيادية ما فتئت دائرة منذ عقود طويلة، والدولة الإسلامية قوية تكسب في المناوشات أكثر مما تخسر. وفي بغداد والبصرة والموصل حياة مستقرة، والخليفة قوي متمكن يترع على عرش تؤيده عناصر القوة من عرب وفرس وترك. الاسترخاء مستمر ولما يبدأ الترهل، ولما يبدأ الاضطراب في مراكز القوى. مات قبل سنوات قلائل أبو نواس، وشاخ أو مات صحبه الفتاك. ولكن مجالس اللهو لم تمت. ولن يعيش أبو تمام ليحضر عصر التهتك المقبل في بلاط المتوكل. لكن بغداد، ثم سامراء، ظلت في زمة تعيش استرخاء سياسياً وحياة ترف لذيذة كأنها نومة الضحى يوم الجمعة.

كان الوزراء والكتاب، وحتى أمراء الحرب، يفهمون الشعر ويتذوقونه،

وعندما وصل أبو تمام إلى بغداد كان الخليفة المأمون من كبار متذوقي الشعر. أسماء كبيرة في الدولة: القاضي أحمد بن أبي دؤاد، الوزير محمد بن عبد الملك الزيات، القائد أبو دلف العجلي، ومن هم دون هؤلاء من طبقة الكتاب أيضاً، كلهم كانوا يفهمون الشعر، وينقدونه بذائقة فاحصة، وبعضهم كان يقرضه. تعيش في وجداناتهم أشعار الجاهلية ويقدمسونها، ويعجبون كيف أن تلك الجزالة غدت عصية على التقليد. لكنهم مع ذلك تذوقوا بساطة أبي نواس واختراعاته في جانب المعاني. وأصغوا إلى ما ابتدعه مسلم بن الوليد من توسع في البديع، وهتفوا له، واستعدت ذائقتهم لجرعة أكبر من البديع، فجاءهم أبو تمام شحمة على فطيرة. رحبوا في مجالسهم بهذا الشاعر الشاب الذي بلغ السابعة والعشرين، ويقول شعراً مختلفاً، وتباهوا بفهم دقائق أبياته.

شاعر الخليفة

قال في المأمون قصيدة بالشام والمأمون قافل من غزوة رومية، ولكنه لقي الزجر على باب الخليفة فازدجر. وقال قصيدتين أخريين أو ثلاثاً لم تصادف عند المأمون أذناً مصغية. ثم مات المأمون، وجاء المعتصم، الخليفة شبه الأمي الذي لا يتذوق الشعر، ولا يتقن سوى الحرب. لكن القدر كان قد ابتسم لأبي تمام فباضت حماسته على الود. كان لا بد للخليفة من شعراء، فأخواه اللذان سبقاه في الخلافة كان لهما شعراء رفعوا ذكرهما، وأبوه الرشيد كان له شعراء. حسناً، فليكن للمعتصم شعراء. أوصل القاضي أحمد بن أبي دؤاد أبا تمام إلى المعتصم فمدحه، وبعد حين رافقه في حملته التي ظفر فيها بعمورية وأحرقها، وأنشد قصيدته المشهورة «السيف أصدق أنباء». وصنع في الخليفة قصائد أخرى، ومدح وزراءه وقواد جيوشه بعشرات القصائد.

قبل الاتصال بالخليفة وبعده ارتحل أبو تمام في الأقاليم.

سافر إلى أرمينيا، وإلى خراسان (وخراسان هي نيسابور وطوس الموجودتان اليوم شمال شرق إيران، وهرات وبلخ الموجودتان اليوم شمال غرب أفغانستان، وبخارى وسمرقند في أوزبكستان، ومرو في تركمانستان)، وسافر إلى منطقة الجزيرة في شمال شرق سوريا الحاضرة متجهاً أميرها التغلبي.

كان يذرع الدولة الإسلامية المترامية الأطراف بلا توقف. ولو رافقتك الخريطة، وأنت تقرأ ديوانه، لملائتها بالخطوط المتقاطعة.

عشر سنوات وأبو تمام يعيش على ظهر ناقته، مثلما يعيش بعض رجال الأعمال اليوم في الطائرة.

الحركية وورشة صناعة الشعر

قد نريد أن نضيف إلى ما أسلفنا، من أن الرجل كان قلقاً لا يجد في نفسه حاجة إلى الارتباط بمكان بعينه، أمراً آخر هو أنه كان ذا طبيعة حركية.

يقسم بعض التربويين المعاصرين الناس إلى فئات فيما يتعلق بطريقة اكتسابهم المعارف: فهناك «البصري» الذي يكتسب المعلومات عبر عينيه، فهو إذا رأى المعلومة ممثلة في لوحة أو خريطة أو فلم تلفزي كان سريعاً إلى فهمها والاحتفاظ بها، وهناك «السمعي» الذي ترن الكلمات والأصوات في أذنيه ويخترنها، وهناك «الحركي»: وهو ذلك الشخص الذي يجلس في الاجتماع فلا يترك القلم من يده، يكتب كلمات ويرسم رسومات، وهو لا يستوعب درسه إلا إذا لخصه على الورق، ثم لا يضيئه بعد ذلك إن رمى بالورق، فالمهم عنده أن يصنع شيئاً وهو يفكر؛ وهذا الشخص كثير الحركة: إذا انشغل ذهنه قام ومشى، وإذا لم يجد شيئاً يصنعه قضم أظفاره، أو ابتدع طرائق للعبث بجسمه.

ونظن أن أبا تمام كان من هذا النوع «الحركي». لم يكن يقرأ شعر القدماء ويحفظه إلا ويديه قلم. وقيل لنا إنه ترك عدة مجموعات شعرية انتخبها من شعر الأقدمين. وقد لإحداها أن تصبح أشهر مجموعة منتخبات شعرية عرفتها اللغة العربية، وأن تكون أم هذا الباب من أبواب التأليف الأدبي: تلك هي الحماسة.

لم يكن من هم أبي تمام دفع مجموعاته المنتخبة إلى الوراقين ليصنعوا منها النسخ. فقد كتبها لنفسه، لأنه لم يكن يحسن أن يقرأ الشعر القديم قراءة حفظ ودرس وتبصر إلا وهو يكتب على الورق. وإلا فماذا كان يدعو أبا تمام، وهو أهم وأشهر شعراء عصره، وأروجهم سوقاً، وأقلهم ثباتاً في بلد بعينه، إلى أن يجمع في كراريس «أشعار القبائل»، و«نقائض جرير والأخطل»، و«فحول الشعراء»، و«الوحشيات»، و«الاختيار من شعر الشعراء»؟ يخبرنا التبريزي في مقدمة شرحه على الحماسة أن آل سلمة، الذين دوّن أبو تمام حماسته الأشهر وهو ضيف عليهم، احتفظوا بالحماسة: «إن كتاب الحماسة بقي في خزائن آل سلمة، يضمنون به ولا يكادون يبرزونه لأحد، حتى تغيرت أحوالهم». وعلى هذا

فإن أبا تمام لم يأخذ «الحماسة» معه عندما ودع آل سلمة، بل تركها زاهداً في الورق، وحمل في عقله ألفاظ ومعاني ذلك الشعر القديم.

فلا تَسْلُكَنَّ أبا تمام في المؤلفين، إن هو إلا رجل حركي كان يدرس الشعر القديم مثلما يدرس التلميذ فصول كتابه استعداداً للامتحان، فلا يعرف يدرس إلا وهو يلخص مادة الكتاب.

ومن حسن طالعنا أن أبا تمام كان يلخص تلخيصاً، ولا ينسخ نسخاً. كان في تلخيصه ينتخب أجمل الأبيات وأقواها. كان يدخل في عقل الشاعر، ويعيد نظم القصيدة معه، وقد يُصلح الأشعار، ويغير كلمة هنا وكلمة هناك. وانتقده الأقدمون على هذا الصنيع، وأقره كثيرون عليه. وطارت شهرة عبارة التبريزي: «أبو تمام في حماسته أشعر منه في شعره». كان أبو تمام يدخل في ورشة تدريسية بين الحين والحين يشذب فيها علمه بالشعر. فالشعر عند صاحبنا صنعة. ليس أنه لم يكن يعرف قيمة الإلهام، وقيمة الانخراط في الحدث والشعور به؛ فهو، ولا شك، رأى كيف جاءت قصيدته في فتح عمورية آية في القوة والبلاغة والحرارة؛ وهو، ولا شك، عرف أن مصدر ذلك المعاشة، (كان فخوراً بهذه القصيدة أكثر من إنشادها). على أنه لم يستغن عن الصنعة، وفي قصيدة عمورية نفسها كثير من الصنعة. ثم إنه كان يمدح الناس للمال ويضطر إلى شعر كثير ليس صادراً عن شعور حق، فهنا لا بد من الصنعة. ومن أدوات الصنعة تلك المحسنات البديعية التي أفرط فيها. ومن أدواتها ترصيع القصيدة بالمعارف التاريخية والأدبية. وأبو تمام من أكثر الشعراء احتفالاً بأخبار الشعراء القدامى في شعره. فهو يذكر الشعراء القدامى ويشير إليهم وإلى شعرهم. وللأحداث التاريخية في شعره مكان يستلفت النظر.

بشخصيته المصطنعة التي حدثناك عنها لم يكن في مقدور أبي تمام أن يستدعي إلى ورشته الشعرية عنصراً مهماً هو البراءة. فالرجل الذي صب نفسه في قالب من صنع يديه بعيد عن البراءة. قسا وجفا صاحبنا. قسا على نفسه أولاً. وعاشر الناس بعينين مفتوحتين. فلم يغف في أحضان مجتمع حانٍ، ولم يكن ابن المدينة الذي يشكو ويثن ويفرح ويحزن كابن الرومي البغدادي الذي كتب قصيدة من ١٨٢ بيتاً يحتج بأعلى صوته مستجيراً من قطيعة من كبرى الفطائع: وهي أن الممدوح طلب منه القدوم من بغداد إلى سامراء (١٢٠ كم)، وابن الرومي يريد أن يمكث في بغداد ويرسل قصيدة المدح بالبريد إلى سامراء.

ولم يكن أبو تمام ابن القرية الذي يجمع المال لكي يشتري البيوت
لأولاده كما فعل البحري. أبو تمام أشبه بالمتنبي في قلقه وفي تنقله. وهو أقل
منه حرارة، وأكثر احتفالاً بالصنعة.

شاعر له لغته

وفي غياب التدفق، وحضور الصنعة، ميز شاعرنا نفسه باستخراج المعاني
الدقيقة والباسها حلة من اللفظ المختصر. كان يحشر في الكلمتين والثلاث
جملة من المعاني. ولا يندر في شعره أن يصطرع معنيان وأكثر على عبارة، فلا
تعرف ما الذي قصده الشاعر. ولعل أدب كل لغة محتاج في مرحلة من مراحلها
إلى أديب يدق أعناق الألفاظ ويجدها ويلبسها معاني غير ما ألفه أهل اللغة،
فتصبح له لغته الخاصة كما يقولون. شكسبير صنع بالإنجليزية هذا الصنيع،
«سكّ نحو ألفي لفظة، ومنحنا ما لا يحصى من العبارات، ولم يلعب أحد بأي
لغة من اللغات لعب شكسبير بالإنجليزية» والكلام لبيبل برايسون، وبعضهم جعل
ما اخترعه شكسبير من الألفاظ ألفاً وستمئة كلمة). وعبد الوهاب صنع
بموسيقانا شيئاً شبيهاً. وأنت لو سمعت الموسيقى المصرية في مطلع القرن
العشرين لرأيته تجمدت على أنماط معلومة، ومقامات وأجناس تلتقي وتفرق
في هيئة يسهل توقعها. وجاء عبد الوهاب، وعبث بالمقامات عبثاً ذريعاً وهو
عارف ما يفعل، متقن كل ما سبقه من فنون النغم، وصاغ لغة موسيقية جديدة.

سترى أبا تمام ضمن شعراء النصرانية، وستراه ضمن شعراء الشيعة.
وستراه مبعلاً عند السلفيين لأجل عمورية ولأجل شماتته بالأفشين المتهم
بالزندقة. ولكن الوصف الأدق هو أن الرجل كان شاعر السلطان.

وسوى ذلك، فأبو تمام عرف الشذوذ مع الغلمان مثلما عرفه تلميذه
البحري وخليفته الأول المأمون، لكن شعره لا يفيدنا كثيراً في مدى تعلقه بهذا
الامر. ونعرف أنه كان يشرب الخمر، ولكننا لا نصدق أنه كان سكيراً، حتى
وإن أخبرنا أنه فقد وعيه في مجلس شراب وكسر الآنية.

أبو تمام مسودة المتنبي

عالج أبو تمام اللغة علاجاً عجيماً، وحشر في الكلمة من المعاني فوق ما
تحتمل، وراكم الضروب البديعية، من طباق وجناس على الأخص، مراكمة

تجعل البيت أحجية. وأسرف في لعبة «التداعي الحر»: يترك اللفظ يجره إلى معنى، فلفظ، فمعنى. وجاء البحثري فتعلم منه وتبعه في كثير من هذه الأمور، ولكنه لم يسرف إسرافه. وجاء المتنبي فاقتدى بأبي تمام في صنعه ولم يسرف إسرافه، وكان مثله قلقاً وجواب آفاق، فقال شعراً يشبه في نواح منه شعر أبي تمام في الشكل وفي المضمون. وجاء أبو العلاء المعري فاستعمل كل سخافة لفظية ممكنة في سقطه ولزومياته، وأعجز كل من أتى بعده، أو كاد. وسنرى أن هذا اللعب بالألفاظ أنهك الشعر العربي وسلبه عافيته مئات السنين بعد أبي العلاء، فعرفت العربية من ضروب البديع أنواعاً لا أحسب أن لغة أخرى من لغات العالم جمعتها. وعليك بمقامات الحريري وبالمنظومات المسماة البديعيات أمثلة.

أبو تمام هو من فتح هذا الباب على مصراعيه، ولنقل - احتراضاً من المبالغة - إن مسلم بن الوليد شق الباب شقاً من قبل.

لكنه شاعر مهم

سوف تصادفك عقبات وأنت تقرأ شعره. ولكنك لن تنفذ إلى روح الشعر العربي العباسي المتأخر، وشعر السنوات الألف التي فصلت أبا تمام عن أحمد شوقي إلا إذا عرفت شعر أبي تمام. وهذه المختارات التي أقدمها إليك مشروحة شرحاً معاصراً لا تمثل كل سخافات أبي تمام وألغائه. فأنا اخترت أجود شعره. على أن الرجل آلى ألا يترك بيتاً إلا وضع فيه شيئاً من طريقته. فافقرأ هذه المختارات فهي خير شعر أبي تمام، وهي تمثله تمثيلاً طيباً.

وأنبهك إلى الحذف المعنوي وإلى الالتفات. فأما الحذف المعنوي - وهو أعم من «الحذف» المذكور في كتب البلاغة - فهو أن الرجل يقول لك عبارة صغيرة، ويستند إلى معرفتك بتقاليد الشعر العربي وحياة العرب لفهم أضعاف هذه العبارة. يقول لك مثلاً:

حتى إذا مَخَضَ اللَّهُ السَّيْنَ لَهَا مَخْضَ الْبَخِيلَةِ، كَانَتْ زُبْدَةُ الْحَقْبِ

وعليك أن تفهم ما يلي: ظل رب الكون يهز سني هذا الدهر مثلما تهز البخيلة كرشة الخروف المملوءة باللبن الحليب؛ تهزها كثيراً لأنها بخيلة تريد ألا تترك شيئاً من الزبدة؛ وبعد هذا جاءت عمورية ووقعت بأيدينا فكانت زبدة الحقب.

وأما الالتفات فهو كقوله في بيتين متتالين لا يفصل بينهما فاصل:

(مضى) طاهر الأثواب لم تبقَ روضةٌ غداةً ثوى إلا اشتَهتْ أنها قبرُ

(عليك) سلامُ اللهِ وفقاً فإنني رأيتُ الكريمَ الحرَّ ليس له عُمرُ

فهو في البيت الأول يتكلم عنه، ويقول «مضى». ثم نراه في البيت الثاني يخاطبه ويقول «عليك سلام الله». وهذا أمر مألوف في الشعر القديم، ولكن كثرت تعب القلب. وقد تمر بك في هذه المختارات أبيات كهذين البيتين، فلا تحسب أنني قصصت أبياتاً فيما بين البيتين كان من شأنها أن تجعل السياق مطرداً. كنت أختار بعناية شديدة، ولا أقطع سياقاً حتى لو كلفني الأمر اختيار أبيات ضعيفة كي يستقيم المعنى.

على أنني في الشرح اجتهدت أن أزيل اللبس، وأعوضك بعبارات سهلة عما في القصائد من حذف والتفات.

ما الذي أعجب القدماء في أبي تمام؟

أولاً نعود إلى التذكير بما أعجب المحدثين: أعجبوا بثويره للغة، وبتحميله الألفاظ فوق ما تحتمل، فكأنه أضاف إلى المعجم العربي معاني جديدة ألحقت بالألفاظ المعروفة. هو قد وسع طاقة اللغة التعبيرية. وهنا موضع يحسن فيه اقتباس عبارة لأدونيس، قال إن أبا تمام «أفرغ الكلمات من معناها المؤلف، وخلصها من الحتمية وأسلمها إلى الاحتمال». ولا أرى رأيه في النصف الثاني من العبارة، على جمال صياغته. أرى أن أبا تمام ألبس الكلمات حتميات جديدة. وأما تحيرنا في فهم معانيه فمرده إلى ما عنده من حذف معنوي، وما عندنا من قصور عن متابعته كي نحقق الفهم، فنكتفي بلمح المعنى من وراء ستر. والتحليق في الخيال، مع الوصول بالإيجاز إلى الغاية التي ما بعدها غاية يوهمان المرء بأن أبا تمام يستعمل الكلمة استعمالاً قلماً.

فأما القدماء فأحسبهم افتنوا به لشيئين: معانيه المبتكرة، وجزالته.

ففي العصر العباسي الزاهر، أخذ الشعراء يولدون المعاني الجديدة. ونقصد بكلمة «المعاني» التشبيهات الجديدة والصور الطريفة. ومثال ذلك قول أبي تمام الذي مر بنا: (حتى إذا مخض الله السنين لها/ مخض البخيلة جاءت زبدة الحقب). وقول أشجع السلمي: (وعلى عدوك يا ابن عم محمد/ رصدان: ضوء الصبح والإظلام// فإذا تنبه رعته، وإذا غفا/ سلت عليه سيوفك الأحلام). وقول المتنبي: (بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها/ وقوف شحيح ضاع في

الترب خاتمه). أخذ النقاد يجعلون للمعاني أنساباً، ونشأ ما يمكن أن نسميه بحق «علم السرقات» في نقد الشعر. صاروا يدرسون ديوان الشاعر درساً دقيقاً، ويستخرجون منه المعاني، أي الصور والأفكار، ويعرضونها على محفوظهم، ويا لمحفوظهم في ذلك الزمن الذي لم يكن فيه إنترنت! كانوا يحفظون من الشعر فوق ما يتصور عقلنا المستطیع بغيره. ثم كانوا يصنفون المعاني أصنافاً، ويوبونها أبواباً. ثم يأتون إلى المعنى المحدد، فيقولون إن الشاعر أخذه من فلان، وفلان أخذه من فلان حتى يصلوا بالمعنى إلى شاعر جاهلي. فإذا وقع للشاعر المحدث معنى طريف لم يسبقه إليه أحد راحوا يبحثون عن معنى في باب آخر استلهمه الشاعر وقلبه قلباً، فيقولون إنه أخذه وعدل به عن وجهه. ويختلفون في الأمر ويسفه بعضهم بعضاً بحسب عصبياتهم. فكان الناقد منهم يتعصب لشاعر وصاحبه يتعصب لشاعر آخر، وتقوم المعارك الأدبية الطريفة.

هذا الأمدي في «الموازنة بين الطائيين»: أبي تمام والبحري يناصر البحري مناصرة خفية. ويرد في كتابه على من زعم أن البحري سرق مئآت المعاني من أبي تمام. وفي عصر المتنبّي وبعده رسخ علم السرقات، وسودت فيه أوراق كثيرة، فالمتنبّي والبحري، وأبو تمام قبلهما، من كبار السراق. كان أبو تمام صاحب قريحة جيدة. وكان دارساً للشعر القديم، وأما أنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة كما زعموا فما لا يقبله عقلنا المعاصر، ولا عقل أي عصر. وكان صانعاً للشعر. سرق الكثير واعياً، والكثير غير واع. لكنه اجتهد في صناعة معاني جديدة. فإذا كان منفعلًا بموضوعه جاءت معانيه المبتكرة حارة تلبس ثوباً جميلاً، وإذا كان شديد الاتكاء على نفسه - كما وصفه أحد معاصريه - جاءت معانيه جافة تلبس ثوباً ضيقاً يزعجها ويقيد حركتها، وكانت صعبة على الفهم، ناتئة على السمع.

قال بعض القدماء إن لأبي تمام مئة وخمسين بيتاً سائرة على كل لسان، لا تجد أحداً إلا يحفظها، وأضاف أنه ليس لشاعر قديم ولا محدث مثل ذلك.

وهذه السيرورة ليست ابنة المعاني المبتكرة فحسب، هي ابنة القريحة الطيبة. فالسائر من شعر أبي تمام يكون أو لا يكون ذا معنى مبتكر، لكنه في معظم الأحوال سهل رائق. أنشد معي: (وإذا أراد الله نشر فضيلة/ طُويت، أتاح لها لسان حسود).

وثمة من شعر أبي تمام ما سار في كتب الأدب سيرورة كبيرة لغثائه

وصعوبته. صرنا نحفظ له أبياتاً من الصعب المرذول لأن النقاد أسرفوا في تقريره عليها. ولا تخلو مختاراتنا من أمثال هذه الأبيات. هذه واحدة: (هن عوادي يوسف وصواحيه/ فعزماً، فقدماً أدرك السؤل طالبه)، القطعة رقم ١٠٨، والبيت مطلعها.

تلك واحدة أحب القدماء أبا تمام لها: المعاني الجديدة.

وأما الثانية فهي الجزالة. وما نقصده بالجزالة - فأما كتب المدارس فالله وحده يعرف ما الذي تقصده عندما تصف القصيدة بالجزالة - ما نقصده نحن هو قوة التعبير، وإيجازه، وشبهه باللغة العربية العتيقة. كل هذا هو الجزالة. والشعر الجزل هو كالخطب الجزل: والخطب الجزل هو الخطب القاسي الذي يدوم اشتعاله مدة طويلة.

لقد خرج أبو العتاهية وأبو نواس عن الجزالة خروجاً مستفظعاً. جاءوا بشعر سهل سلس؛ معانيه قريبة إلى الفهم. ويشار الذي عاش شطر عمره في العصر الأموي كان يمسك بالجزالة بيد وبالرقة بيد.

اسمعوا هذه الحكاية عن بشار وأبي العتاهية في مجلس المهدي:

«قال أشجع السلمي: أذن المهدي للناس في الدخول عليه فدخلنا، فأمرنا بالجلوس، فاتفق أن جلس بجنبي بشار بن برد، وسكت المهدي فسكت الناس، فسمع بشار حساً فقال لي: من هذا؟ فقلت: أبو العتاهية، فقال: أترأه ينشد في هذا المحفل؟

فقلت: أحسبه سيفعل، فقال: فأمره المهدي أن ينشد، فأنشد:

ألا ما لسيدتي ما لها أدلاً فأحمل إدلالها.

قال: فنخسني بشار بمرفقه وقال: ويحك! أرأيت أجسر من هذا؟ ينشد مثل هذا الشعر في مثل هذا الموضع. حتى بلغ أبو العتاهية إلى قوله:

أنته الخلافة منقادةً إليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها

فقال لي بشار: انظر ويحك يا أشجع، هل طار الخليفة عن سريره (يقصد سروراً بالشعر)؟ قال أشجع: فوالله ما انصرف أحد عن هذا المجلس بجائزة غير أبي العتاهية. «(سقنا هذه القصة في شرحنا للمختار من شعر العتاهي، لكننا هنا أردناها لتشهد على شيء، فاحتملها منا).

قد بدأ العتاهي قصيدته بنسيب على طريقة القدماء، لكنه نسيب سهل مخنث. وعندما مدح الخليفة ظل على سهولته في اللفظ، وكانت ألفاظه على قدّ معانيه على نحو أعجب بشاراً.

وانقضى زمن بشار، وجاء زمن أبي العتاهية وأبي نواس، ورق الشعر. واستعذب الخلفاء والوزراء هذا الشعر الجديد. كانت بغداد لعهد المهدي فالهادي فالرشيد ترقص الفالس في حلبة الازدهار الإمبراطوري. وفي الوقت نفسه كان أهل اللغة والنحو يدرسون اللغة العربية والشعر القديم، ويجمعون أشعار القدماء جمعاً حثيثاً. كان العصر عصر دراسة، وعصر تجميع وتقنين. ونشأ عن جهود هؤلاء الدارسين تجميد اللغة العربية. وسرى ابن فارس بعد سنوات يقول، في كتابه «الصاحبي»، إن ألفاظ العربية محدودة لا تتغير ولا تتجدد، فالله علم آدم كل الألفاظ، وبالعربية، وبقيت على حالها، وكل ما هو جديد فهو إما فاسد وإما أن له في العربية أصلاً. بهذا النوع من التفكير خاض الدارسون في العربية وفي شعر العربية.

في الشعر كان وضع القوانين أصعب. كان منهم من أوعزت إليه روحه السمحة بقبول كل شعر جميل: أعني الجاحظ. ليس أنه لم يكن ابن عصره في تقدّيس الشعر القديم، لكنه كان يستعذب أشياء كثيرة لأبي نواس وأبي العتاهية. وقد ضمن الجاحظ كتابيه الكبيرين «الحيوان» و«البيان والتبيين» أبياتاً لأبي تمام في أكثر من عشرين موضعاً، وهذا برهان على تقديره العالي له، والمرء - وخصوصاً في ذلك العصر - لا يحفل بشعر المعاصرين حفل به شعر القدماء، فإذا عرفت أن الجاحظ كان أسبق مولداً من أبي تمام بنحو ثلاثين سنة تبين لك أنه كان يعرف قدر الشاعر الشاب، ويحله مكاناً عالياً.

وكان من أهل النقد واللغة المتشدد الذي رفض كل جديد. كانوا يريدون من الشعر أن يشهد على ألفاظ اللغة، لأنهم أهل لغة لا شعر. وكانوا ذوي مكانة عند الخلفاء. وتأثر الشعراء بتشددهم وينفوذهم، وانحرف الشعر عن سهولته.

تأثر أبو تمام بهذا الجو الأكاديمي الجاف وجاراه. ولأنه من كبار الحفاظين للشعر القديم، وكبار العارفين بألفاظ اللغة، فقد استطاع أن يأتي بشعر مختلف. شعر قلّد فيه جزالة القدماء تقليداً.

سكّ أبياتاً تقولها هي جاهلية في أسلوبها. ولم يعزب عن إدراك أهل النقد

واللغة ما في شعر أبي تمام من جزالة، فأقبلوا عليه. وتوجعوا كثيراً لما فيه من مغايرة لطريقة القدماء وخروج عن عمود الشعر: من إغراق في البديع، ومن تعقيد في المعنى، فهم يعشقون جزالته، وينقبضون عن محسناته البديعية. وما حكى عن ابن الأعرابي ذو دلالة:

كان تلميذه الطوسي يقرأ عليه الأراجيز القديمة فأدخل فيها أرجوزة أبي تمام: (وعاذل عدلته في عدله/ فظن أني جاهل من جهله) زاعماً أنها من شعر قديم، فأمره ابن الأعرابي أن يكتبها، فشرع في كتابتها، ثم توقف وقال لأستاذه إن الأرجوزة لأبي تمام فقال ابن الأعرابي كلمته المشهورة: خرَّق خرَّق!

وأجمل نقد قرأته لشعر أبي تمام، في أوجز عبارة، ما كتبه المستشرق الألماني هلموت ريتز في دائرة المعارف الإسلامية، وهاك ترجمته:

«نضم قصائد أبي تمام، علاوة على وثبات الخيال البارة التي هي أساس شهرته، الكثير من المنغصات. فإلى غرامه بالمفردات الشاذة كان مولعاً بالتركيب المفتعلة التي كثيراً ما تكون ملتوية معقدة، وقد أرهق فهمها الشارحين العرب. ومما يزعج القارئ التشخيص غير الموفق للأفكار المجردة، والاستعارات البعيدة المصطنعة وغير المقنعة، فهي تتلاحق بيتاً بعد بيت إلى أن يعثر القارئ بتعبير شعري رائع. يضاف إلى هذا نزعة مؤسفة إلى الجناس والطباق كثيراً ما يضحى من أجلها بوضوح وجاذبية عبارته.» اه ريتز.

وهلموت ريتز هذا - والحديث ذو شجون - مستشرق ألماني ولد عام ١٨٩٢ ودرس العربية على بروكلمان، المستشرق الخطير، ولبث في ألمانيا حتى الرابعة والثلاثين من العمر متخصصاً في العربية والفارسية والتركية. ثم رحل إلى إستانبول، ودرس التراث التركي درساً عنيفاً وتخرج على يديه كوكبة من الأكاديميين الأتراك (كان يفرض على طلابه أن يتعلموا لغة جديدة في كل سنة.. فتأمل). ولا نستطيع أن نثمن جهوده في مجال التراث التركي، غير أنه مكث في تركيا أربعين سنة ولا نشك في أنه ترك أثراً عظيماً هناك، على أننا نعرف أنه تغلغل في اللغة العربية والأدب العربي بعمق مدهش من شواهدة تحقيقه «أسرار البلاغة» للجرجاني. وريتز ليس سوبرماناً، ولا هو أذكى من الأكاديميين العرب - نكلُتهم - لكنه امتلك المنهجية، وامتلك حرية الفكر، ولم يكن مكبلاً بالوساوس، وامتلك النشاط.

قد أنقلت عليك، في الفقرات السابقة التي كتبتها منجمة على مدى سنة. فأغض عما فيها من تكرار، فإنني اجتهدت في التخلص منه فوفقت حيناً، وأخفقت حيناً.

قد رتبت الأشعار على نحو يساعدك في تتبع سيرة أبي تمام بعض الشيء. جعلت أشعاره المصرية والحمصية في باب، ثم أشعاره في ولاية الأقاليم في باب، ثم أشعاره في دار الخلافة في باب.

ولا يقوم هذا الترتيب بالتسلسل الزمني كل القيام وإن كان يراعيه بعض المراعاة. فشاعرنا مدح المأمون والشاعر في مطلع شبابه، ولكننا ضمنا هذا الشعر إلى الباب الثالث حتى يكون مدحه للخلفاء قريباً بعضه من بعض. وجعلنا قصائد كل أمير أو والٍ أو خليفة متتابعة. وجعلنا أشعاره في الأفشين وبابك في موضع واحد لأنها تروي قصة واحدة.

ولم نرتب القصائد هنا على الأحرف، مع ما في هذا من اليسر علينا، ففهرس قوافٍ يغني، وقد زدنا الكتاب به. وقد تركنا في رأس كل قصيدة السطر الذي يضيء مناسبتها مثلما ورد في شروح القدامى. ولم نسرد من الأحداث التاريخية إلا ما لا بد منه لفهم معنى أو إزالة لبس.

وستجد فهرساً للأغراض، يرشدك بنظرة إلى كل ما يحتويه الباب من شعر في الفخر، أو في الغيوم والأمطار، أو في الغزل، أو في الجهاد. وثمة فهرس للقصائد بعنوانينها، يحمل أيضاً وصفاً موجزاً ويدلك على كبريات القصائد، ومشهوراتها.

لم آل في تدقيق هذه المجموعة جهداً، والكمال لمن خلقنا ناقصين.

١٧ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١١

٢٠ ذي الحجة ١٤٣٢

١ فيضان حسب الطلب

قال يمدح عيَّاش بنَ لَهَيْعَة بمصر، ويعاتبه (وعياش صاحب شرطة مصر، وهو رجل يمانى النسب، كأبي تمام في نسبه الذي ارتضاه لنفسه، وسليل أسرة من القضاة والعلماء، وكان ذا أدب وفقه):

وَحَيَاةُ الْقَرِيضِ إِحْيَاؤُكَ الْجُودَ دَ، فَإِنْ مَاتَ الْجُودُ، مَاتَ الْقَرِيضُ

القريض: الشعر

كُنْ طَوِيلَ النَّدَى، عَرِيضاً، فَقَدْ سَا رَ ثَنَائِي فِيكَ الطَّوِيلُ الْعَرِيضُ
إِنَّمَا صَارَتِ الْبُحُورُ بُحُوراً أَنَّهَا كُلَّمَا اسْتَفِيضَتْ تَفِيضُ

البحور: الأنهار، وكانوا يستفيضون النيل (يطلبون فيضانه) بالدعاء أو بشعوذات فرعونية بقيت
حتانث. وقيل القصيدة في مصر بلد النيل، وكانوا - وما يزال كثيرون في مصر - يسمون النيل
بحراً، وكان شعراء العرب القدامى يصفون الفرات بالبحر

٢ لو كنت حبلً لولدت

وقال يعاتب عياش بن لهيعة:

قَتَلْتُهُ سِرّاً، ثُمَّ قَالَتْ جَهْرَةً قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ: لَا يَطْبُنِي أَغْفَرُ
المحبة قتلت حبيبها سراً بهجرانها إياه، وقالت شامة قول الفرزدق: فلتلحق المصيبة به لا يَغْفِيهِ
منها حتى أهون شيء كظني أغفر (لونه كلون التراب). وبيت الفرزدق: أَقُولُ لَهُ لَمَّا أَتَانِي نَعِيَهُ/يُو
لَا يَطْبُنِي فِي الصَّرِيمَةِ أَغْفَرَا

نَظَرْتُ إِلَيْهِ، فَمَا اسْتَتَمَّتْ لَحْظَهَا حَتَّى تَمَنَّتْ أَنَّهَا لَمْ تَنْظُرِ
يبدو أنها صُدمت لهول منظره، ونحوه الشديد

وَرَأْتُ شُحُوباً، رَابِهَا، فِي جَسَمِهِ؛ مَاذَا يَرِيبُكَ مِنْ جَوَادٍ مُضْمَرٍ
رأبها: أثار ربيتها واستغرابها؛ يفاخر بنحوه وكثرة أسفاره، فهو كالحصان المضمر النحيل

مَا إِنْ يَزَالُ بِجَدِّ حَزْمٍ مُقْبِلٍ مُتَوَطِّئاً أَعْقَابَ رِزْقٍ مُدْبِرٍ
يقول الشاعر عن نفسه: ظل بجدّ (بحظّ) أساسه الحزم المقبل (الإيجابي) متوطئاً (ماشياً) في
أعقاب (خلف) رزق مدبر (فاز). يقول: أنا بكل عزم ألاحق رزقاً يفر مني، وحظي ليس حظاً،
بل هو إصراري

كَمْ ظَهَرَ مَرَّتٍ مُقْفِرٍ جَاوَزْتُهُ، فَحَلَلْتُ رَبْعاً مِنْكَ لَيْسَ بِمُقْفِرٍ
ما أكثر ما عبرت ظهر مرتٍ مقفِرٍ (أرضٍ صحراوية) قفرة، كي أحل في ربك غير المقفر أيها الممدوح

الْفِطْرُ وَالْأَضْحَى قَدْ انْسَلَخَا، وَلِي أَمَلٌ بِبَابِكَ صَائِمٌ لَمْ يُفْطِرْ
انسلخا: مضيا

عَامٌ وَلَمْ يُنْتِجْ نَدَاكَ، وَإِنَّمَا تُتَوَقَّعُ الْحُبْلَى لِتَسْعَةَ أَشْهُرٍ
يُنْتِج (يولد)

جَشُّ لِي بِبَحْرِ وَاحِدٍ، أَغْرِفَكَ فِي مَدَحِ أَجِيْشُ لَهُ بِسَبْعَةِ أَبْحُرٍ
جش: تدفق

قَصَّرُ بِبَذْلِكَ عُمَرَ مَطْلِكَ تَحَوِّ لِي حَمْدًا، يُعَمِّرُ عُمَرَ سَبْعَةَ أَنْسُرٍ
قصر المماثلة بالبذل، تحو لي (تأخذ مني) حمداً شعرياً يعمر عمر سبعة نسور. ويضرب المثل
بنسور لقمان السبعة التي وعده الله بحياة بقدر أعمارها جميعاً على التعاقب

كَمْ مِنْ كَثِيرِ الْبَذْلِ قَدْ جَازَيْتُهُ شُكْرًا، بِأَطْيَبِ مِنْ نَدَاهُ وَأَكْثَرِ
ما أكثر الأسخياء الذين جازيتهم بمدح أطيب من سخائهم

شَرُّ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ ذِمَّةٌ لَمْ تُصْطَنِعْ، وَصَنِيعَةٌ لَمْ تُشْكَرْ
أسوأ شيء عند الأولين والآخرين ذمة (عهد) لم يصطنع (لم يُرْعَ)،
وصنيعة (معروف) لم تُشْكَرْ

٣ كل أمري فيك منتقض

وقال يعاتب عياش بن لهيعة:

ذُلُّ السُّؤَالِ شَجَى فِي الْحَلْقِ مُعْتَرِضٌ مِنْ دُونِهِ شَرَقٌ، مِنْ خَلْفِهِ جَرَضٌ
شجى (شوكة)، الجرض (غصة الموت)

مَا مَاءٌ كَفَّكَ، إِنْ جَادَتْ وَإِنْ بَخَلَتْ، مِنْ مَاءٍ وَجْهِي، إِذَا أَفْنَيْتُهُ، عَوْضٌ
ماء كفك (عطاؤك) سواء جدت أم بخلت، لا يعوض ماء وجهي (كرامتي) إذا فقدته

مَنْ أَشْتَكِي، وَإِلَى مَنْ أَعْتَزِّي، وَنَدَى مَنْ أَجْتَدِي؟ كُلُّ أَمْرِي فِيكَ مُتَنَقِضٌ
أعتزي (أنتسب)، منتقض (مبعثر، مفكك)

٤ المَطْوَلُ والملحِف

وقال يعاتب عياشاً:

لَا تَنْسَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ أَنْضَيْتُهَا دَأْبًا، وَأَنْضَيْتُنِي إِلَيْكَ وَنَيْفًا
أنضيتها: أنعبتها

بِقِصَائِدٍ لَمْ يَزِرْ بِحَرَكٍ وَرُدُّهَا، وَلَوْ الصَّفَا وَرَدَّتْ، لَفَجَرَتِ الصَّفَا
قصائد لم يرز (ورودها الماء وشربها) بحرك شيئاً، لأنك لم تعطني شيئاً عليها،
ولو وردت قصائدي الصفا (الصخر) لفجرت منه ماء

إِنِّي أَخَافُ بِلَحْظَتِي عُقْبَاكَ أَنْ تُدْعَى الْمَطُولَ، وَأَنْ أَسْمَى الْمُلْحِفَا
 إِنِّي أَخَافُ بِلَحْظَتِي (بانتظارِي) عِقْبَاكَ (نتيجتك) أَنْ تَسْمَى الْمَطُولَ (المماطل) وَأَنْ أَسْمَى أَنَا
 المُلْحِفَ (الملح)

٥ الْبِشْرُ رَوْضٌ، وَالْعِطَاءُ غَدِيرٌ

وقال يعاتب عياش بن لهيعة:

لَيْسَ يَدْرِي إِلَّا اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ أَيَّ شَيْءٍ تُطَوِّى عَلَيْهِ الصَّدُورُ
 وَيَقُولُونَ: إِنَّكَ الْمَرْءُ، بِالْغَيْدِ بِ مِحَامٍ عَنِ الصَّدِيقِ نَصُورُ
 يقولون إنك تدافع عن الصديق وتنصره في غيته

فَإِذَا جِئْتُ زَائِرًا حَجَبْتُ وَجْهَ هَكَ عَنِّي كَأَبَةٍ وَبُسُورُ
 وَلَكِنِّي أَتَيْكَ فَيَحْتَجِبُ وَجْهَكَ عَنِّي بِكَأَبَةٍ وَبُسُورِ (عبوس)

فَتَطَّلَقْتُ، مَعَ الْعِنَايَةِ؛ إِنَّ الْـ بَشِيرَ، فِي أَكْثَرِ الْأُمُورِ، بَشِيرُ
 فتطلق (أفرد وجهك) مع العناية (البذل)، فالبشر (البشاشة) بشير بالخير

إِنَّ فِي الْبِشْرِ رَوْضَةً، فَإِذَا كَا نَ بِبَذَلٍ: فَرَوْضَةٌ وَعَدِيرُ

٦ لَا رَضِيْتُمْ

وقال يهجو عياش بن لهيعة:

أَشْكِيْتُمُونِي، فَلَمَّا أَنْ شَكَوْتُكُمْ غَضِبْتُمْ؛ دَامَ ذَاكَ السُّخْطُ وَالْعَضْبُ!
 أشكيتموني (اضطرتموني إلى الشكوى) فلما شكوتكم غضبتكم، فلا رضيتم

بَنِي لَهْيَعَةٍ! مَا بَالِي وَبِالْكُمُ، وَفِي الْبِلَادِ مَنَادِيحٌ وَمُضْطَرَبٌ
 مناديع: بدائل، مضطرب: مجال للحركة

عِيَّاشُ! مَا لَكَ فِي أَكْرُومَةِ أَرَبٍ، وَلَا لِأَكْرُومَةِ فِي سَاقِطِ أَرَبٍ
 أَرَب: حاجة

يَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَغَدَاً، حَشْوُهُ خُلْفٌ، وَأَكْثَرَ النَّاسِ قَوْلًا، كُلُّهُ كَذِبٌ

٧ ظَلَمْتُكَ

وقال يهجو عياش بن لهيعة:

أَعْيَاشُ أَرْعَ، أَوْ لَا تَرْعَ، حَقِّي وَصِلْ، أَوْ لَا تَصِلْ، أَبَدًا وَسِيلِي
 وسيلي: قرابتي (يشير إلى اشتراكهما في النسب اليماني)

وَأَعْكَفْتُ الْمَنَى فِي ذَاتِ صَدْرِي عُكُوفُ اللَّحْظِ فِي الْحَدِّ الْأَسِيلِ
جعلت الأمانى مخزونة في صدري لا تتحرك مثلما يثبت النظر في الخد الأسيل (الطويل)
متمعنًا في جماله

فَصِرْتُ أَذَلَّ مِنْ مَعْنَى دَقِيقٍ بِهِ فَقَرُّ إِلَى ذَهْنٍ جَلِيلٍ
فصرت ذليلاً كمعنى شعري دقيق لم يتيسر له ذهن جليل لكي يصوغه

فَمَا أَذْرِي عَمَائِي عَنِ ارْتِيَادِي دَهَانِي، أُمَّ عَمَّاكَ عَنِ الْجَمِيلِ
لا أدري! هل الذي دهاني هو عمائي عن ارتياد المكان الصحيح،
أم عماك أنت عن صنع المعروف

مَتَى طَابَتْ جَنَى، وَزَكَتْ فُرُوعُ إِذَا كَانَتْ خَبِيثَاتِ الْأُصُولِ؟
الجنى: الثمر، الفروع: الفصون، الأصول: الجذور

نَذْبُثُكَ لِلْجَزِيلِ، وَأَنْتَ لَعُوٌّ؛ ظَلَمْتُكَ؛ لَسْتُ مِنْ أَهْلِ الْجَزِيلِ
ندبتك: دعوتك، الجزيل: العظيم، لغو: ساقط من الحساب

٨ الغيرة على الأرغفة

وقال يهجو عياشاً:

صَدَّقْ أَلَيْتَهُ، إِنْ قَالَ مُجْتَهِدًا: لَا وَالرَّغِيفِ! فَذَاكَ الْبِرُّ مِنْ قَسَمِهِ
صدق أليته (قسمه) إن قال مجتهداً (متحمساً): لا والرغيف!
فعلندك يكون صادقاً في الخلف

فَإِنْ هَمَمْتَ بِهِ، فَافْتِنِكَ بِخُبْرَتِهِ، فَإِنْ مَوَّعَهَا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ
إن هممت بإيذاه فافتك بخبرته

قَدْ كَانَ يُعْجِبُنِي لَوْ أَنَّ غَيْرَتَهُ عَلَى جَرَادِقِهِ كَانَتْ عَلَى حُرْمَةٍ
الجرادق: الأرغفة

٩ جردت في ذميك خيل قصائد

يهجو عياش بن لهيعة:

عَيَّاشُ إِنَّكَ لِلنَّسِيمِ، وَإِنْسِي، مُذْ صِرْتَ مَوْضِعَ مَطْلَبِي، لِلنَّسِيمِ
أنت لئيم، وأنا صرت مثلك عندما قصدتك

السُّحْتُ أَطِيبٌ مِنْ نَوَالِكَ مَطْعَمًا وَالْمُهْلُ وَالْغُسْلَيْنِ وَالزَّقُومُ

السحت: المال الحرام، المهل والغسلين والزقوم: هذا كله شراب وطعام أهل النار، ولا حاجة بنا إلى شرحه، وقد اختلف المفسرون فيه

نَجِسٌ تُدَبِّرُ أَمْرَهُ شَيْمٌ لَهُ شُكْسٌ، يُدَبِّرُ أَمْرَهُنَّ اللُّومُ
شيم شكس: صفات نكدة، اللوم: اللوم

وَمَنَازِلٌ لَمْ يَبَقْ فِيهَا سَاحَةٌ إِلَّا وَفِيهَا سَائِلٌ مُحْرَمٌ
عَرَصَاتٌ سُوءٌ، لَمْ يَكُنْ لِسَيِّدٍ وَطَنًا، وَلَمْ يَزْتَعْ بِهِنَّ كَرِيمٌ
عرصات: ساحات

لَمَا بَدَأَ لِي مِنْ صَمِيمِكَ مَا بَدَأَ، بَلْ لَمْ يُصَبِّ لَكَ، لَا أَصِيبُ، صَمِيمٌ..
لما بدا لي من صميمك (أصلك) ما بدا، بل لم يصب (لم يُعثر) لك،
«وإن شاء الله عمره ما يُعثر»، على أصل..

جَرَدْتُ فِي ذَمِّكَ خَبِلَ قَصَائِدِي جَالَتْ بِكَ الدُّنْيَا، وَأَنْتَ مُقِيمٌ
عندئذ جردت (خصصت مفرزة من الجند والخيال) في ذمي إياك خيلاً من القصائد، جالت بك الدنيا وأنت قاعد في مكانك

١٠ أَيْدٍ صُخُورٌ وَأَعْرَاضٌ قَوَارِيرُ

يهجو عياش بن لهيعة:

صَرَّدُ وَنَكَّدُ وَزَنَّدُ، أَنْتَ مَعْدُورُ، أَسَدُ الشَّرَى لَيْسَ تَنْمِيهَا الْخَنَازِيرُ
صرد: خفف العطاء، زند: ضيق، أسد الشرى: أسود تستوطن مكاناً اسمه «الشرى»، تنميتها: تنجها

أَنْظُرْ إِلَيْهِمْ، كَفَانَا اللَّهُ أَمْرَهُمْ: أَيْدٍ صُخُورٌ، وَأَعْرَاضٌ قَوَارِيرُ
انظر إلى هؤلاء الأمراء: أيديهم صلبة كالصخر فلا يعطون شيئاً، وأعراضهم هشة كالقوارير
(كالزجاج)

١١ القبر المقبور

يهجو عياش بن لهيعة بعد موته:

أَعَزُّ بِعَيَّاشٍ عَلَيَّ مُعَيَّبًا؛ فِي غَيْرِ حُفْرَتِهِ الْحِجَابُ وَالْخَيْرُ
أعز علي (ما أصعب الأمر علي) إذ عياش مغيب في قبره؛ تلك حفرة يوجد الحجا (العقل)
والخير (الفضل) في غيرها، أي أنه لم يكن عاقلاً ولا فاضلاً

وَأَرَى نَكِيرًا صَدَّ عَنْكَ، وَمُنْكَرًا ظَنًّا بِأَنَّكَ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ
وَتَضَوَّرَ الْقَبْرُ الَّذِي أُسْكِنْتَهُ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ الْمَقْبُورُ
تصور: تلوى من الألم

١٢ الغريب.. والعجيب

يهجو يوسف السراج الشاعر المصري:

سَمِعْتُ بِكُلِّ دَاهِيَةٍ نَادٍ وَلَمْ أَسْمَعْ بِسَرَاجٍ أَدِيبٍ
سمعت بكل داهية نادٍ (عظيمة) ولكتني لم أسمع بسراج (صانع سروج) أديب،
قتلك من كبريات الدواهي

أَمَّا لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ كَانَ عِلْمًا إِذْنًا لَنَفَذْتَ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ
وَمَا لَكَ بِالْغَرِيبِ يَدٌ، وَلَكِنْ تَعَاطَيْكَ الْغَرِيبَ مِنَ الْغَرِيبِ

الغريب: فرع في الدراسات اللغوية والدينية يتناول غريب اللغة، أي ألفاظها المهجورة، وغريب الحديث وغريب القرآن. وعلى ذكر الدراسات فإن الدكتور محمد عبده عزام (ولم يضع لقب دكتور على غلاف كتابه) سها في هذا البيت فرواه «تعاطيك الغريب هو الغريب»، وهذه رواية نسخة من النسخ، وهي بالطبع غلط سخي يمكن لأي تلميذ أن يصححه. سها عزام فنسخها كما هي، ولم يقع في الغلطة محقق شرح الصولي؛ ولكننا ابتلينا بدكتورين آخرين نسخا الغلط بلا أدنى تفكير. بكلمة واحدة: ديوان أبي تمام بحاجة إلى تحقيق، وإلى شرح، ونحن في عملنا هذا نرسل التنبيه إثر التنبيه على وجود هذه الثغرة، ولكننا نعتزف بأننا لم نراجع المخطوطات، بل اعتمدنا على أولئك الناسخين الذين يسمي الواحد منهم نفسه محققاً لكي يوافونا بنص الديوان، وانظر ماذا يفعلون! ولست أشك طرفة عين في أنني سهوت في شرحي لهذه المجموعة في أكثر من موضع؛ لكن السهو شيء، والإهمال شيء

١٣ الشامي المغترب في مصر

يصف تعذر الرزق عليه بمصر:

أَصِيبٌ بِحُمَيَّا كَأَسْهَى مَقْتَلِ الْعَذْلِ تَكُنْ عَوْضًا، إِنْ عَنَّثُوكَ، مِنْ التَّبَلِ
أصيب بحميًا (بشدة) الخمر مقتل العذل (اللوم)، تكن هذه الخمر عوضاً لك من التبل (الانتقام) إن عنفوك ووبخوك على سلوكك. يقول: اقتل اللوم بشربك الخمر فهي انتقامك من لومهم، فأنت تسكر ولا تدرك نوبيخهم فكأنك قتلتهم

وَكَأْسٍ كَمَعْسُولِ الْأَمَانِيِّ شَرِبْتُهَا وَلَكِنهَا أَجَلَتْ، وَقَدْ شَرِبْتُ عَقْلِي
أجلت: انكشفت، بمعنى فرغت الكأس

إِذَا عَوَّتَتْ بِالماءِ، كان اعتذارُها لهيباً، كَوَقَعِ النَّارِ فِي الحَطَبِ الجَزَلِ
يعاتبون الخمرة بالماء (يمزجونها)، فتعذر عن عتابهم بلهيب (لونها يتوهج)، كاللهيب الذي يبدو
عندما تنقد النار في الحطب الجزل (الصلب)

إِذَا هِيَ دَبَّتْ فِي الفَتَى، خَالَ جِسْمَهُ، لِمَا دَبَّ فِيهِ، قَرِيَةً مِنْ قُرَى النَّمْلِ
ديبب الخمر في الجسم يجعلك تشعر هكذا، تنميل في كل الجسم

إِذَا ذَاقَهَا، وَهِيَ الحَيَاةُ، رَأَيْتُهُ يُعَبِّسُ تَعْبِيسَ المَقْدَمِ لِلقَتْلِ
يذوق الفتى الخمر، أول رشفة، فتفيض مرارتها ومُزَوِّزُهَا قسماث وجهه، ويعبس كأنما جيء به لقتل

إِذَا اليَدُ نَالَتْهَا بِوَتَرٍ تَوَقَّرْتُ عَلَى ضِغْنِهَا، ثُمَّ اسْتَفَادْتُ مِنَ الرَّجُلِ
إذا نالت اليد الخمرة بوتر (سببت لها ما يوجب الثأر) توقرت الخمرة (أذعت الوقار) على ضغنها
(رغم حقدها) ثم استفادت (انقضت) من الرجل. يقول: يدك ترتكب جريمة في الخمرة بمزجها،
ومزج الخمرة قتل لها في عرف شعراء العرب، فتمكث الخمرة برهة كاتمة حقدها، ثم تدب في
جسمك، وتنتقم من رجلِك إذ تجعل مِشيتك صعبة

سَقَى الرَّائِحِ العَادِي المَهْجُرَ بِلَدَةٍ سَقَنِي أَنْفَاسَ الصَّبَابَةِ، وَالْحَبْلِ
سقى السحاب الرائح (المقبل ليلاً) العادي (المقبل صباحاً) المهجر (المقبل في الهاجرة أي
ظهراً)، سقى بلدة (وسنعرف لاحقاً أن هذه البلدة هي موطنه في الشام) كانت سقتني أنفاس الصبابة
(العشق) والحبل (جنون الغرام)

سَحَابٌ، إِذَا أَلْقَتْ عَلَى خَلْفِهِ الصَّبَا يَدَا، قَالَتْ الدُّنْيَا: أَتَى قَاتِلُ المَحَلِ
هذا سحابٌ إذا ألقت ريح الصبا يدها على خلفه (ضربه/ ثديه) فكان الريح تريد أن تحلبه، عندئذ
تقول الدنيا أتى قاتل المحل

إِذَا مَا ارْتَدَى بِالبَرْقِ، لَمْ يَزَلِ النَّدَى لَهُ تَبَعاً، أَوْ يَرْتَدِي الرُّوْضُ بِالبَقْلِ
يرتدي السحاب حلة بلمعان البرق فيه، فيظل الندى، أي المطر، متواصلاً إلى أن يرتدي الروض
بالقل، أي العشب

تَرَى الأَرْضَ تَهْتَزُّ ارْتِياحاً لَوَقْعِهِ كَمَا ارْتَا حَتِ البِكْرُ الهَدْيُ إِلَى البَغْلِ
ترتاح الأرض لوقع المطر كما ترتاح - يزعم أبو تمام - البكر (العذراء) الهدي (المهداة إلى زوجها)
للبلع (للزواج)

فَلَمْ يُبْقِ مِنْ أَرْضِ البِقَاعَيْنِ بُقْعَةً وَجَادَ قُرَى الجَوْلَانِ بِالمُسْبِلِ الوَبْلِ

لم يبق المطر بقعة بأرض البقاعين إلا رواها، وجاد (أمطر/ و«الجود» المطر). قرى الجولان
بالمسبل (المنساب)، الوبل (الهاطل)

البقاع في لبنان الآن بقاع شمالي وبقاع جنوبي، وكانا في عصر أبي تمام بقاع لبنان وبقاع بعلبك

بِنَفْسِي أَرْضُ الشَّامِ، لَا أَيْمَنُ الْحِمَى، وَلَا أَيْسَرُ الدَّهْنَا، وَلَا وَسَطُ الرَّمْلِ

يفدي أرض الشام، دون غيرها من بلاد العرب

وَلَمْ أَرِ مِثْلِي، مُسْتَهَاماً بِمِثْلِكُمْ، لَهُ مِثْلُ قَلْبِي، فِيهِ مَا فِيهِ، لَا يَغْلِي

لم أر مثلي مستهاماً (مغرمًا) بمثلكم، وله قلب كقلبي، وفيه من الشوق ما فيه، ولا يغلي غلياناً

نَأَيْتُ: فَلَا مَالاً حَوَيْتُ، وَلَمْ أَقِمْ فَأُمْتَعْتُ، إِذْ فُجِعْتُ بِالْمَالِ وَالْأَهْلِ

نأيت (بُعدت) فلا مالاً حويت (حُزنت)، ولم أقم (أُمكث) فاستمتع بمكوئي (في مصر) بعد أن فُجعت (حزنت) بعدم المال ومفارقة الأهل

بَخِلْتُ عَلَى عِرْضِي بِمَا فِيهِ صَوْنُهُ رَجَاءُ اجْتِنَاءِ الْجُودِ مِنْ شَجَرِ الْبُخْلِ

وَلَوْ أَنَّني أَعْطَيْتُ يَأْسِي نَصِيبَهُ، إِذْنٌ لِأَخَذْتُ الْحَزَمَ مِنْ مَأْخِذِ سَهْلٍ

لو أعطيت اليأس نصيبه من الاعتبار (لو يشت باكرًا من الارتزاق في مصر)، لكنت حازماً

١٤ فما يهتدي إلا لأصغرها الشعر

يفخر بقومه عند انصرافه من مصر:

بَكَّتْهُ بِمَا أَبْكَتْهُ أَيَّامَ صَدْرُهَا خَلِيٍّ، وَمَا يَخْلُو لَهُ مِنْ جَوَى صَدْرٍ

عندما عزم على الرحيل بكته المحبوبة بدموع كانت أبكته بمثلها عندما كان صدرها خليًا، وكان هو آنذاك عاشقًا وفي صدره جوى (ألم)

وَقَالَتْ أَتَنْسَى الْبَدْرَ؟ قُلْتُ، تَجَلْدُ: إِذَا الشَّمْسُ لَمْ تَغْرُبْ، فَلَا طَلَعَ الْبَدْرُ

قالت: أتُنسى البدر (تعني نفسها)، فقال تجلداً (متصنعاً الصبر): إذا الشمس لم تغرب، فلا طلع البدر (إذا كان طموحي موجوداً فلا أبالي بالنساء)

وَمَا الدَّمْعُ ثَانٍ عَزَمْتِي، وَلَوْ أَنَّهَا سَقَى خَدَّهَا، مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَهَا، نَهْرٌ

جَمَعْتُ شِعَاعَ الرَّأْيِ، ثُمَّ وَسَمْتُهُ بِحَزَمٍ، لَهُ فِي كُلِّ مُظْلِمَةٍ فَجْرٌ

جمعت شعاع الرأي (ما تفرق منه)، ثم وسمته (ختمت عليه) بحزم يضيء كل مظلمة (ليلة مظلمة) ويحيلها فجراً

وَصَارَعْتُ عَنْ مِصْرٍ رَجَائِي، وَلَمْ يَكُنْ لِيَصْرَعَ عَزْمِي غَيْرَ مَا صَرَعَتْ مِصْرُ

صارعت رجائي في تحصيل المجد بمصر، وما كان عزمي ليصرع غير الرجاء الباطل الذي صرعته مصر في صدري

وما القفرُ بالبيدِ القواءِ، بلِ التي نَبَتْ بي، وفيها ساكنوها، هي القفرُ

ليس القفر هو البيداء القواء (الخالية)؛ بل البلد التي نبت بي (لفظتي)، بينما ساكنوها فيها، هي القفر الحقيقي. بعد مئة سنة سيقول المتنبي مثل ذلك

وَمَنْ قَامَرَ الْأَيَّامَ عَنْ ثَمَرَاتِهَا، فَأَحْجَ بِهَا أَنْ تَنْجَلِي، وَلَهَا الْقَمَرُ

ومن قامر الأيام (لعب معها القمار ليفوز بخيراتها)، فأحج بها (حري بالأيام) أن تنجلي ولها القمر (أن تنكشف ولها الفوز)

مَقَامَاتُنَا وَقَفَ عَلَى الْحِلْمِ وَالْحِجَا، فَأَمَرَدُنَا كَهْلٌ، وَأَشْيَبُنَا حَبْرٌ

مقاماتنا (مواقفنا) وقف على الحلم والحجا (مخصوصة برجاجة العقل)؛ فأمردنا (فانا) الذي لم تظهر لحيته (كهل في رجاجة عقله، وأشيبنا حبر (عالم كبير)

أَلْنَا الْأَكُفَّ بِالْعَطَاءِ، فَجَاوَزَتْ مَدَى اللَّيْلِ، إِلَّا أَنْ أَعْرَاضَنَا الصَّخْرُ

ألنا أكفنا بالعطاء (جعلناها لينة تعطي الآخرين) حتى الغاية القصوى، بيد أن أعراضنا صخر

إِذَا زِينَةُ الدُّنْيَا مِنَ الْمَالِ أَعْرَضَتْ، فَأَزِينُ مِنْهَا، عِنْدَنَا، الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ

أبى قدرنا في الجود إلا نباهة، فليس لِمَالٍ عندنا أبداً قدر

لِيُنْجَحَ بِجُودٍ مَنْ أَرَادَ، فَإِنَّهُ عَوَانٌ لِهَذَا النَّاسِ، وَهُوَ لَنَا بِكُرٌ

لِيُنْجَحَ بجود (ليحقق مجده بالسخاء) من أراد، فالسخاء عوان للناس (مستعمل غير جديد/والعوان المرأة التي سبق لها الزواج)، وهو بكر لنا (أي أننا نحن بداناه/والبكر العذراء)

جَرَى حَاتِمٌ فِي حَلْبَةٍ مِنْهُ، لَوْ جَرَى بِهَا الْقَطَرُ شَاوَأً، قِيلَ أَيُّهُمَا الْقَطَرُ

جرى حاتم الطائي في حلبة من الجود لو جرى بها القطر (المطر) شأواً (شوطاً) لساوى حاتماً ولم يزد عليه

فَتَى، ذَخَرَ الدُّنْيَا أَنْاسٌ، وَلَمْ يَزَلْ لَهَا بَاذِلًا، فَانْظُرْ: لِمَنْ بَقِيَ الذُّخْرُ

الناس ذخروا الدنيا (اكتنزوا المال) وحاتم بذله، فبقى لحاتم وحده كنز من السمعة الطيبة

فَمَنْ شَاءَ فَلْيَفْخَرْ بِمَا شَاءَ مِنْ نَدَى؛ فَلَيْسَ لِحَيٍّ، غَيْرَنَا، ذَلِكَ الْفَخْرُ

جمعنا العلى بالجود بعد افتراقها إلينا، كما الأيام يجمعها الشهر

جمعنا بجودنا أطراف المعالي إلينا

بِنَجْدَتِنَا أَلْقَتْ بِنَجْدٍ بَعَاعَهَا سَحَابُ الْمَنَايَا، وَهِيَ مُظْلِمَةٌ كُذِرُ

ولنا نجدة (معونة في الحرب) وبنجدتنا ألفت سحب الموت في نجد بعاعها (وابلها)، وهي سحب سود مكدرة اللون

بِخَبْلٍ لَزِيدِ الْخَيْلِ، فِيهَا فَوَارِسٌ إِذَا نَطَقُوا فِي مَشْهَدِ خَرَسِ الدَّهْرِ
حدث هذا بخيل لزيد الخيل (فارس طيء المشهور) وهذه الخيل فيها فوارس (فرسان) ينطقون
بالسيوف والرماح في مشهد الحرب، فيخرس الدهر

مَسَاعٍ يَضِلُّ الشَّعْرُ فِي كُنْهِ وَصْفِهَا فَمَا يَهْتَدِي، إِلَّا لِأَصْغَرِهَا، الشَّمْرُ
هذه مساع (أمجاد) يضل (يضيع) الشعر في كنه وصفها (حقيقة صفتها)، وكل ما قيل فهو وصف
لأصغرها فقط

١٥ مجد طيء

وقال يصف قومه ويفتخر بهم:

أَلَا صَنَعَ الْبَيْنُ الَّذِي هُوَ صَانِعٌ فَإِنْ تَكَّ مِجْزَاعاً، فَمَا الدَّهْرُ جَارِعٌ
أُسَيءُ عَلَى الدَّهْرِ الثَّنَاءُ، فَقَدْ قَضَى عَلَيَّ بِجَوْرِ صَرْفُهُ الْمَتَابِعُ
أسيء الثناء (أعيب)

وَعَاوِ عَوَى، وَالْمَجْدُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَهُ حَاجِزٌ دُونِي، وَرُكْنٌ مُدَافِعٌ
وعاوٍ عوى (رب هاج يهجوني)، ومجدي حاجز يحول بيني وبينه، ويدفعه عني بلا تعب من جانبي

أَنَا ابْنُ الَّذِينَ اسْتَرْضِعَ الْجُودَ فِيهِمْ، وَسُمِّيَ فِيهِمْ، وَهُوَ كَهْلٌ وَيَافِعٌ
استرضع الجود فيهم (كان عندهم رضيعاً) واتخذ عندهم اسمه، وظل فيهم يافعاً وكهلاً

سَمَا بِي أَوْسٌ فِي السَّمَاءِ، وَحَاتِمٌ وَزَيْدُ الْقَنَا، وَالْأَثْرَمَانِ، وَرَافِعٌ
ارتفع بي إلى السماء هؤلاء الأجداد

وَكَانَ إِيَّاسٌ - مَا إِيَّاسٌ - وَعَارِقٌ، وَحَارِثَةٌ، أَوْفَى الْوَرَى، وَالْأَصَامِعُ
الأصامع: حي من طيء

نُجُومٌ طَوَالِيعٌ، جِبَالٌ فَوَارِعٌ غُبُوثٌ هَوَامِيعٌ، سُيُولٌ دَوَافِعُ

فوارع: عالية، غبوث هوامع: أمطار هاطلة، سيول دوافع: متدفقة. يتجمل أبو تمام بهذا الزحاف الجاهلي الذي لم يعد أحد يركبه في العصر العباسي. لكن الرجل يحب أن «يتبدى»، نسبة إلى البادية؛ ويريدنا أن نحلف بالله العظيم أننا نصدق نسبته إلى قبيلة طيء. وسنجد في الطويل أحياناً، وفي البسيط كثيراً، يركب هذا الزحاف المستكره المهجور. وقد أسرع محقق «هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام» إلى «تصحيح» الكلمتين اللتين وقع فيهما الزحاف فجعلهما «طواليع» و«هواميع». وقال في الحاشية إن البيت مكسور. ولا نرى إلا أن شاعرنا كبر وهلل عندما جاءته هذه السجعة الداخلية المزدوجة (التجزئة بحسب مصطلح صفي الدين الحلي)، ولما رآها تقتضيه زحافاً عتيقاً كبر وهلل مرة أخرى

مَضَوْا، وَكَأَنَّ الْمَكْرُمَاتِ لَدَيْهِمْ، لِكثْرَةِ مَا أَوْصَوْا بِهِنَّ، شَرَانِعُ
فَأَيُّ يَدٍ فِي الْمَجْدِ مُدَّتْ، فَلَمْ تَكُنْ لَهَا رَاحَةٌ مِنْ جُودِهِمْ وَأَصَابِعُ
هُمْ اسْتَوْدَعُوا الْمَعْرُوفَ مَحْفُوظَ مَالِنَا، فَضَاعَ، وَمَا ضَاعَتْ لَدَيْنَا الْوَدَائِعُ
وَضَعُوا مَالَنَا الْمَحْفُوظَ وَدِيعَةً عِنْدَ الْمَعْرُوفِ، فَضِيعَ الْمَعْرُوفِ الْمَالِ لِسَخَاتِنَا، وَلَكِنَّا لَا نَضِيعُ وَدَائِعَ
النَّاسِ وَحَقُوقَهُمْ

بِهَالِيلُ، لَوْ عَايَنْتَ فَضْلَ أَكْفُهُمْ لَايَقْنَتَ أَنَّ الرِّزْقَ فِي الْأَرْضِ وَاسِعٌ
بِهَالِيلُ: سَادَةٌ كَرَامٌ، تَرَى فَضْلَ أَكْفِهِمْ (مَا يَنْفَقُونَ) فَتَحَسِبُ أَنَّ الرِّزْقَ وَاسِعٌ فِي الدُّنْيَا

إِذَا طَيَّءٌ لَمْ تَطْوِ مَنْشُورَ بَاسِهَا فَأَنْفُ الَّذِي يُهْدِي لَهَا السُّخْطَ جَادِعُ
إِذَا لَمْ تَطْوِ طَيَّءَ بِأَسْهَا، بَلْ نَشْرَتْهُ، فَهِيَ تَجْدَعُ أَنْفٌ مِنْ سَبَبِ لَهَا السُّخْطَ (تَقْطَعُهُ إِذْ لَا لَهُ).
وَالْأَنْفُ الْجَادِعُ: أَيُّ الْمَجْدُوعِ

بِكُلِّ فَتَى: مَا شَابَ مِنْ رَوْعٍ وَقَعَةٍ، وَلَكِنَّهُ قَدْ شَبِنَ مِنْهُ الْوَقَائِعُ
تَصْنَعُ طَيَّءَ ذَلِكَ بَفْتِيَانٍ لَا يَشْبِيُونَ مِنْ رَوْعٍ وَقَعَةٍ (خَوْفٍ مَعْرَكَةٍ)، وَلَكِنْ الْمَعَارِكُ تَشْبِي مِنْ شَجَاعَتِهِمْ

إِذَا مَا أَغَارُوا، فَاحْتَوَوْا مَالَ مَعْشَرٍ، أَغَارَتْ عَلَيْهِمْ، فَاحْتَوَتْهُ، الصَّنَائِعُ
يَغِيرُونَ غَازِينَ فَيَحْتَوُونَ مَالَ الْقَبَائِلِ (الْمَالُ هُوَ الْإِبِلُ)،
ثُمَّ تَغْيِرُ عَلَيْهِمُ الصَّنَائِعُ (الْمَعْرُوفُ) فَتَسْلِبُهُمُ الْمَالَ

فَقُطْعِي، الَّذِي تُعْطِيهِمُ الْخَيْلُ وَالْقَنَاءُ، أَكُفْتُ لِإِرْثِ الْمَكْرُمَاتِ مَوَانِعُ
أَكْفُهُمُ الْحَامِيَةَ لِإِرْثِ الْمَكَارِمِ تُعْطِي النَّاسَ الْمَالَ الَّذِي أُعْطِيَهُمْ إِيَّاهُ الْخَيْلُ الْغَازِيَةُ وَالْقَنَاءُ (الرَّمَاحُ)

يَمْدُونَ بِالْبَيْضِ الْقَوَاطِعِ أَيْدِيًا، وَهُنَّ سَوَاءٌ وَالسِّيُوفُ الْقَوَاطِعُ
يَمْدُونَ بِالْبَيْضِ الْقَوَاطِعِ (بِالسِّيُوفِ) أَيْدِيًا هِيَ فِي عَزْمِهَا كَالسِّيُوفِ

إِذَا أَسْرَوْا، لَمْ يَأْسُرِ الْبَاسُ عَفْوَهُمْ، وَلَمْ يُمَسِّ عَانٍ فِيهِمْ وَهُوَ كَانِعُ
يَأْسُرُونَ الرِّجَالَ فِي الْحَرْبِ، وَلَكِنْ عَفْوُهُمْ لَيْسَ أَسِيرًا، وَلَا يَبِيتُ الْعَانِي (الْأَسِيرُ) فِيهِمْ كَانِعًا
(مَنْقَبُضُ النَّفْسِ)

إِذَا أَطْلَقُوا عَنْهُ جَوَامِعَ غُلِّهِ تَيَقَّنَ أَنَّ الْمَنْ أَيْضًا جَوَامِعُ
إِذَا أَطْلَقُوا عَنْهُ جَوَامِعَ غُلِّهِ (قِيُودُهُ) أَصْبَحَ مَتِيقَنًا أَنَّ الْمَنْ (الْإِحْسَانَ) هُوَ أَيْضًا جَوَامِعُ (قِيُودُ)..
وَالْمَرْءُ يَقِيدُ أَخَاهُ، أَوْ خَصْمَهُ، بِإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ

أَلَا إِنَّ نَفْسَ الشَّعْرِ مَاتَتْ، وَإِنْ يَكُنْ عَدَاهَا حِمَامُ الْمَوْتِ، فَهِيَ تُنَازِعُ
عَدَاهَا (تَجَاوِزُهَا)

سَأْبُكِي الْقَوَافِي بِالْقَوَافِي، فَإِنَّهَا عَلَيْهَا - وَلَمْ تَظْلِمِ بِذَاكَ - جَوَازِعُ

جوازع: حزينة

كَشَفْتُ قِنَاعَ الشَّعْرِ عَنْ حُرِّ وَجْهِهِ وَطَيَّرْتُهُ عَنْ وَكْرِهِ، وَهُوَ وَقِيعُ

كشفت القناع عن حر وجه الشعر (صفحة وجهه البارزة)، وطيرت الشعر عن وكرهه بعد أن كان واقعاً (هابطاً غير محلوق)

بَغُرَّ يَرَاهَا مَنْ يَرَاهَا بِسَمْعِهِ، فَيَذْنُو إِلَيْهَا ذُو الْحِجَا، وَهُوَ شَاسِعُ

بغر: بقصائد غراء، الحجا: العقل

يَوْدُ وَدَاداً أَنَّ أَعْضَاءَ جَسْمِهِ، إِذَا أُنْشِدَتْ، شَوْقاً إِلَيْهَا، مَسَامِعُ

١٦ أدركتني حرفة الأدب

مَا يَحْسِمُ الْعَقْلُ، وَالدُّنْيَا تَسَاسُ بِهِ، مَا يَحْسِمُ الصَّبْرُ فِي الْأَحْدَاثِ وَالنُّوبِ

النوب: المصائب

الصَّبْرُ كَاسٍ، وَيَظُنُّ الْكَفَّ عَارِيَةً؛ وَالْعَقْلُ عَارٍ، إِذَا لَمْ يُكْسَ بِالنَّشَبِ

الصبر يكون كاسياً (لابساً/مستوراً) حتى ويطن الكف عارية من المال، والعقل يظل عارياً بدون النشب (المال)

مَا أَضْيَعَ الْعَقْلَ إِنْ لَمْ يَرَعْ ضَيِّعَتَهُ وَفَرَّ، وَأَيُّ رَحَى دَارَتْ بِلَا قُطْبِ

ضائع هو العقل (الذكاء والفهم والكياسة) إن لم يرع ضييعته (يحفظ ضيعته (قرينته) وفر (مال)، ورحى الطاحونة لا تدور بغير قطب (محور)

كَمْ دُفْتُ فِي الدَّهْرِ مِنْ عُسْرٍ وَمِنْ يُسْرٍ، وَفِي بَنِي الدَّهْرِ مِنْ رَأْسٍ وَمِنْ ذَنْبٍ

أَغْضِي، إِذَا صَرَفُهُ لَمْ تُغْضِ سَوْرَتُهُ عَنِّي، وَأَرْضَى إِذَا مَا لَجَّ فِي الْعَصَبِ

أغضي (أغاضي) عندما لا تغاضي سورة (هجنة) الدهر عني، وعندما يلج (يبالغ) الدهر في الغضب فإنني أرضى

وَإِنْ بُلِيْتُ بِجِدٍّ مِنْ حُزُونَتِهِ سَهَّلْتُه، فَكَأَنِّي مِنْهُ فِي لَعِبٍ

إن كان الدهر جاداً في حزنوته (وعورته)

فإنني أسهل الأمر فيبدو كأنني في لعب (مزاح)

مُقَصِّرٌ خَطَرَاتِ الْهَمِّ فِي بَدَنِي، عِلْماً بِأَنِّي مَا قَصَّرْتُ فِي الطَّلَبِ

أقصر بذلك خطرات (جولات) الهم في بدني، علماً بأنني حاولت، وما قصرت

ماذا عَلَيَّ، إذا ما لم يَزُلْ وَتَرِي فِي الرَّمْيِ، أَنْ زُلْنَ أَغْرَاضِي فَلَمْ أَصِبْ؟
ماذا عَلَيَّ (ما ذنبي) إذا لم يزل (لم ينقطع) وتر قوسي وأنا أرمي، ولكن أغراضي (الأهداف) نفسها
زالت، فلذلك لم أصب؟

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَظَافِيرِي مُقَلَّلَةً تَسْتَنْبِطُ الصُّفْرَ لِي مِنْ مَعْدِنِ الذَّهَبِ

مقللة: مثلمة، تستنبط: تستخرج، الصفرة: النحاس، معدن الذهب: خاماته في منجمه. يقول:
أحفر منجم الذهب وتتلم أظافري، ولا يخرج لي إلا النحاس

إِذَا قَصَدْتُ لِشَأْوٍ خِلْتُ أَنِّي قَدْ أَدْرَكْتُهُ، أَدْرَكْتَنِي حِرْفَةُ الْأَدَبِ

إذا قصدت لشأو (لغاية) أظن نفسي أدركته (حققته)، أدركتني (لحقت بي) حرفة الأدب
(لعنة الاشتغال بالأدب)

مَا آبَ مَنْ آبَ لَمْ يَظْفَرْ بِبُغْيَتِهِ؛ وَلَمْ يَغِبْ طَالِبٌ لِلنُّجْحِ لَمْ يَخِبْ

بعارته الملتوية يقول شاعرنا: الذي رجع غير ظافر ببغيته (طلبه) فكأنه ما آب (رجع)؛ والذي طلب
النجاح (تحقيق المبتغى) وأنجزه بلا خيبة فكأنه ما غاب عن أهله ولا تجشم عناء السفر. يقول:
العائد فاشلاً كأنه لم يعد إلى وطنه، والذي نجح فكأنه لم يغترب ولم يواجه المشقات. وبعبارة
أوجز: الناجح كأنه ما غاب، والفاشل كأنه ما آب

١٧ مَنَا أَمِيرُهَا

هَلْ اجْتَمَعْتُ عَلَيَّا مَعَدٌّ وَمَذْجٌ بِمُلْتَحَمٍ، إِلَّا وَمَنَا أَمِيرُهَا؟

هل اجتمعت عليا معد ومذج (أشرف قبائل معد العدنانية ومذج اليمانية) بملتحم (بمعركة) إلا
وأمرها من قبيلتنا طيء؟

بَلِ الْبَيْمَنُ اسْتَعَلَّتْ لَدَى كُلِّ مَوْطِنٍ، وَصَارَ لِطَيْئٍ نَاجِهَا وَسَرِيرُهَا

السريـر (العرش)

مُحَرَّمَةٌ أَكْفَالُ خَيْلِي فِي الْوَعَى وَمَكْلُومَةٌ لَبَّائِهَا وَنُحُورُهَا

محرمـة (محمية من الإصـابة) أكفـال خيـلي (مؤخراتها) لأنني لا أفرُّ، ومكـلومـة (جريحـة) لبائـها
(صدورها) ونحورها (ما فوق الصدر) لأنني دائماً أواجه الأعداء

١٨ الرَّئِيسُ وَالْمَرْؤُوسُ

وَقَالَ يَمْدَحُ أَبَا الْمَغِيثِ مُوسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ الرَّافِقِيِّ، وَكُتِبَ بِهَا إِلَيْهِ:

إِبْهَأْ دِمَشْقُ! فَقَدْ حَوَيْتِ مَكَارِمًا بِأَبِي الْمَغِيثِ، وَسُودَدَا قُدُمُوسَا

إبهاً دمشق (زيدينا يا دمشق)، فقد ضمنت، بوجود أبي المغيث، مكارم وسوددا قدموساً (قديماً)

وَأَرَى الزَّمَانَ غَدًا عَلَيْكَ بِوَجْهِهِ جَذْلَانِ بَسَامًا، وَكَانَ عَبُوسًا

نظر الزمن إليك بوجهه جذلان (فرحاً) باسمًا، وكان من قبل عبوساً

لَمْ يَشْعُرُوا حَتَّى طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ بَدْرًا، يَشُقُّ الظُّلْمَةَ الْحِنْدِيْسَا

لم يشعروا إلا وقد طلعت عليهم مثل البدر الذي يشق الظلمة الحنديس (الشديدة)

مَا فِي النُّجُومِ سِوَى تَعَلَّةٍ بَاطِلٍ قَدَمْتُ، وَأُسِّسَ إِنْكُهَا تَأْسِيْسَا

قراءة العرافين حركات النجوم هي منذ القدم تعلقة باطل (سبب باطل لوقوع الأحداث المقبلة)، وإفكها (كذبها) مؤسس تأسيساً في الأذهان

إِنَّ الْمُلُوكَ هُمْ كَوَاكِبُنَا الَّتِي تَخْفَى وَتَطْلُعُ، أَسْعُدًا وَنُحُوسَا

الملوك (الولاة) هم كواكبنا التي تجلب السعد أو النحر. وكانوا يمدحون الوالي بأنه مسبب للخير وللشر معاً، وبأنه يمنح ويمنع

فَتَنٌّ جَلَوَتْ ظِلَامُهَا، مِنْ بَعْدِ مَا مَدُّوا عُيُونًا نَحْوَهَا، وَرُؤُوسَا

تلك كانت فتناً جلوت ظلامها، من بعد ما مدوا نحو الفتن عيونهم ورؤوسهم، فكلُّ يريد أن يستفيد من الأوضاع المضطربة

كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ: إِنَّمَا نَفَقَاتُهُمْ مَالٌ، وَقَوْمٌ يَنْفَقُونَ نَفُوسَا

ما أكبر الفارق بين قوم ينفقون من مالهم، وبين قوم ينفقون نفوسهم ويخاطرون في المعارك

سَارَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ، مُوسَى، سِيرَةً سَكَنَ الزَّمَانُ لَهَا، وَكَانَ شَمُوسَا

سيرته الحسنة هذأت الأحوال، وكان الزمان قبله شمساً (معانداً)

أَلْوَى، يُذِلُّ الصَّعْبَ إِنْ هُوَ سَاسَهُ، وَيَلْسِنُ جَانِبَهُ إِذَا مَا سَيَّسَا

المدوح ألوى (شديد)، يذل البعير الصعب إن ساسه (رؤضه)، - يقصد أنه يجعل الخصم ذلواً منقاداً للطاعة - ولكن المدوح في الوقت نفسه يلين لمن يكون رئيساً له فهو منضبط

مَنْ لَمْ يُقَدِّ، فَيَطِيرَ فِي خَيْشُومِهِ رَهْجُ الْخَمِيْسِ، فَلَنْ يَقُودَ خَمِيْسَا

من لم يكن جندياً مقدداً، ولم يجرب كيف يطير رهج الخميس (غبار الجيش) في خيشومه (أنفه)، فلن يستطيع قيادة جيش

١٩ المَدَّاحُ الْمُحْتَرَفُ

يمدح أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي:

الآن جُرِّدَتِ المَدَائِحُ، وَانْتَهَى فَيَضُ الْقَرِيضُ إِلَى عُبَابِ الْوَادِي

الآن جردنا فصائد المدح (استلناها كالسيوف)، وانتهى فيض القرىض (الشعر) إلى عباب الوادي (خضم الوادي/ أي إلى المدوح الذي هو وادي الجود)

وَتَبَجَّسْتَ لِلْجُودِ مِنْ نَفَحَاتِهِ قُلْبٌ يَكْذَنُ يَقْلُنُ: هَلْ مِنْ صَادٍ؟
تبجست (نفجرت) للكرم من نفحاته (عطاياه) قُلْبٌ (آبار) تكاد لغزارة مياهها تقول: هل بقي من
صاد (عطشان) لم يشرب بعد؟

لَمْ أَبْقِ حَلْبَةَ مَنْطِقِي إِلَّا وَقَدْ سَبَقْتُ سَوَابِقَهَا إِلَيْكَ جِيَادِي
لم أترك حلبة منطقي (قول) إلا وقد سبقت سوابق هذه الحلبة (جياذها السابقة) جيادي أنا (قصائدي)
أَبْقَيْنَ فِي أَعْنَاقِ جُودِكَ جَوْهَرًا أَبْقَى مِنَ الْأَطْوَاقِ فِي الْأَجْيَادِ
هذه القصائد هي جواهر في أعناق كرمك، وستدوم أكثر من أطواق الأجياد (الرقاب). فطوق عنق
الحمامة خلقة ولا يزول كباقي الأطواق

٢٠ صحراء عليها باب

يهجو أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي:
فَاضَ اللَّثَامُ، وَغَاضَتِ الْأَحْسَابُ وَاجْتُنَّتِ الْعَلْيَاءُ، وَالْآدَابُ
غاضت: نشفت؛ الأحساب: الأمجاد، اجنّت: اقلعت
هَبْ مَنْ لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ حِجَابَهُ، مَا بَالُ لَاشِيٍّ عَلَيْهِ حِجَابٌ؟
هب (افرض) أن من عنده سلطة يريد وضع حاجب على بابه، فما بال الذي يملك «لاشيء» قد
وضع عليه حجاباً؟

مَا إِنْ سَمِعْتُ، وَلَا أَرَانِي سَامِعًا، أَبْدَأُ بِصَحْرَاءٍ عَلَيْهَا بَابُ
مَنْ كَانَ مَفْقُودَ الْحَيَاءِ، فَوَجْهُهُ، مِنْ غَيْرِ بَوَابٍ، لَهُ بَوَابُ

٢١ أمدحك مع الخلق وأهجوك وحدي

وقال بمدح أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي، ويعتذر إليه:
أَتَانِي مَعَ الرُّكْبَانِ ظَنٌّ ظُنِنْتُهُ، لَفَقْتُ لَهُ رَأْسِي حَيَاءً مِنَ الْمَجْدِ
جاءني مع الركبان (الوافدين) ظن (تهمة) ظننتها (اتهمت بها) ففطيت وجهي خجلاً من مجدك
وكيف! وما أَخْلَلْتُ بِعَدِّكَ بِالْحِجَا، وَأَنْتَ، فَلَمْ تُخْلِلْ بِمَكْرَمَةٍ بَعْدِي؟
وكيف يكون ذلك، وأنا ما أَخْلَلْتُ (قصرت) بالحقا (التعقل)، وأنت لم تخلل بالمكارم؟
أَلْبَسُ هُجَرَ الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ إِذْنٌ لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي؟
فهل يمكنني أن ألبس (أكسو) هجر القول (القول المعيب/الهجاء) شخصاً لو هجوته لكان معروفاً
إليّ هجاء لي

كَرِيمٌ مَنَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالْوَرَى مَعِي، وَمَتَى مَا لُئِمْتُهُ لُئِمْتُهُ وَحَدِي
 وَلَوْ لَمْ يَزْعُمْنِي عَنْكَ غَيْرَكَ وَازْعُ لَأَعْدَيْتَنِي بِالْحِلْمِ، إِنَّ الْعُلَى تُعْدِي
 لو لم يزعمني (يردعني) عن ذلك الهجاء المزعوم وازع (رادع) سواك، لكان كافياً أنك نقلت إليّ
 عدوى الحلم، والعلی (المكارم) تعدي

أَرُدُّ يَدِي عَنْ عَرَضٍ حُرٍّ وَمَنْطِقِي، وَأَمْلَأُهَا مِنْ لِبْدَةِ الْأَسَدِ الْوَرْدِ
 خير لي أن أضع يدي في لبدة (فروة رأس) الأسد الورد (الضارب للحمرة) من أن أمس بها عرض
 رجل حر، أو أن أتعرض له بمنطقي (بقولي)

٢٢ رياض الباطل

يهجو موسى بن إبراهيم الرافقي:

كَمْ مِنْ لَثِيمٍ قَدْ عَزَّزْتُهُ قِصَائِدِي وَدَأْبَنَ فِيهِ، فَمَا ظَفِرُنَ بِطَائِلِ
 غزوته بالقصائد محاولاً نيل عطائه، عبثاً

لَا خَفَّفَ الرَّحْمَنُ عَنِّي، إِنَّنِي أَرْتَعْتُ ظَنِّي فِي رِيَاضِ الْبَاطِلِ
 أرتعت ظني: جعلته يرتع ويرعى

مَا أُنْسَلْتُ حَوَاءً أَحْمَقَ لِحَبَّةٍ مِنْ سَائِلٍ يَرْجُو الْغِنَى مِنْ سَائِلِ
 سائل: مستجد

٢٣ السلام عليك، يا أبا تمام!

وقال في سياق مدح أبي نصر سليمان بن نصر، وقالها في حمص:

كُلُّ قَدَمٍ أَخَافُ حِينَ أَرَاهُ مُقْبِلاً أَنْ يَشْجَنِي بِالسَّلَامِ
 قدم: غبي، يشجني: يجرح رأسي

رَافِعاً كَفَّهُ لِبَرِّي، فَلَا أَحَدَ سَبُّهُ جَاءَنِي لِغَبْرِ اللَّطَامِ
 لبري: للإحسان إليّ بطرح السلام، اللطام: الصفع

٢٤ ما كل رؤيا تصدق

وقال يهجو عتبة بن أبي عاصم، شاعر أهل حمص:

أَخْرَسَتْ إِذْ عَايَنْتَنِي، حَتَّى إِذَا مَا غِبْتَ عَنْ بَصْرِي، ظَلَلْتَ تَشْدُقُ
 عندما رأيته سكثت، حتى إذا ما ابتعدت عنك ظلمت تشدق (تفصح) بالكلام

عَيْرٌ رَأَى أَسَدَ الْعَرِينِ، فَهَالَهُ حَتَّى إِذَا وَلَّى، تَوَلَّى يَنْهَقُ
 أَنْتَ كَالْعَيْرِ (الحمار) الَّذِي رَأَى أَسَدَ الْعَرِينِ فَهَالَهُ، فَلَمَّا وَلَّى الْأَسَدُ تَوَلَّى (بدأ) الْحَمَارُ يَنْهَقُ
 هَيْهَاتَ! غَالِكَ أَنْ تَنَالَ مَآثِرِي إِسْتَبَ بِهَا سَعَةً، وَبَاعَ ضَيْقُ
 بُغْذِكَ! لَقَدْ غَالِكَ (أهلكك) قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَى مَآثِرِي (أفعالي) فَفَقْهَ وَاسِعَةً (فَأَنْتَ مِمَّنْ يَلَاظُ بِهِ)
 وَبَاعَ ضَيْقُ (قَدَّرَ سَافِلُ)

وَتَنَقَّلُ مِنْ مَعْشَرٍ فِي مَعْشَرٍ، فَكَأَنَّ أَمَّكَ أَوْ أَبَاكَ الزُّبَيْقُ
 وَأَعْجَزَكَ عَنِي تَنَقُّلُ بَيْنِ الْأَقْوَامِ فِي النَّسَبِ، لِأَنَّكَ دَعَيْ
 وَفُسُوقُ وَالِدَةٍ، حَسَتْ جُرْعَ الرَّدَى، وَأَظْنُهَا فِي اللَّحْدِ أَيْضًا تَفْسِيقُ
 حَسَتْ جُرْعَ الرَّدَى: لَعَقَتْ جُرْعَاتِ الْمَوْتِ

جَذَعًا لَأَنْفِ طِيٍّ إِنْ فُتَّهَا، وَلَوْ أَنَّ رُوحَكَ بِالسَّمَاءِ مَعَلَّقُ
 فَلْتُجْدَعْ (لَتَقَطَعْ) أَنْوْفَ قَبِيلَةِ طِيٍّ إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَفُوتُهَا وَيَسْبِقُهَا

إِنِّي أَرَاكَ حَلُمْتَ أَنَّكَ سَالِمٌ مِنْ بَطْشِهِمْ؛ مَا كُلُّ رُؤْيَا تَصْدُقُ
 إِيَّاكَ يَعْينِي الْقَائِلُونَ بِقَوْلِهِمْ: «إِنَّ الشَّقِيَّ بِكُلِّ حَبْلٍ يُخْنَقُ»
 نُسِبَ الشُّطْرُ لِلْمَسَاوِرِ بْنِ هَنْدٍ، وَالْيَتِ بِتَمَامِهِ: شَقِيَتْ بَنُو أَسَدٍ بِشَعْرِ مَسَاوِرٍ/ إِنْ الشَّقِيَّ بِكُلِّ حَبْلٍ يَخْنَقُ

سِرٌّ أَيْنَ شَتَّ مِنَ الْبَلَادِ، فَلِي بِهَا سُورٌ عَلَيْكَ، مِنَ الرِّجَالِ، وَخُنْدَقُ
 أَخَذْنَا بِرَوَايَةِ الْجَا حِظِّ، فِي الْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ، لِهَذَا الْبَيْتِ، دُونَ رَوَايَاتِ الدِّيْوَانِ بِنَسْخِهِ الْمَخْتَلِفَةِ
 وَقَصَائِدُ تَسْرِي إِلَيْكَ كَأَنَّهَا أَحْلَامُ رُغْبٍ، أَوْ خُطُوبُ طُرُقُ
 خُطُوبُ: مَصَائِبُ، طُرُقُ: قَادِمَاتُ لَيْلٍ

مِنْ مُنْهَضَاتِكَ، مُقْعِدَاتِكَ، خَائِفًا مُسْتَوْهَلًا، حَتَّى كَأَنَّكَ تَطْلُقُ
 قَصَائِدِي تَقْبِلُكَ وَتَقْعِدُكَ وَأَنْتَ خَائِفٌ مُسْتَوْهَلٌ (خَائِفٌ)، كَأَنَّكَ الْمَرْأَةَ الَّتِي تَطْلُقُ قَبِيلَ الْوَلَادَةِ
 مِنْ شَاعِرٍ وَقَفَ الْكَلَامُ بِبَابِهِ، وَاکْتَنَنَ فِي كَنَفِي ذَرَاهُ الْمُنْطِقُ
 اكْتَنَنَ: احْتَمَى، ذَرَاهُ: كَنَفُهُ وَحِمَايَتُهُ

٢٥ لَا لِلْمَشَاتِمَةِ

يَهْجُو عَتَبَةَ بْنِ أَبِي عَاصِمٍ:

نُبِّئْتُ عُتْبَةَ يَغْوِي كِي أَشَاتِمَهُ اللَّهُ أَكْبَرُ! أُنَى اسْتَأْسَدَ النَّقْدُ
 النَّقْدُ: صَغَارُ الْغَنَمِ

إِنِّي لَأَعْجَبُ مِمَّنْ فِي حَقِيبَتِهِ مَنِ الْمَيِّ بُحُورٌ، كَيْفَ لَا يَلِدُ؟
 حقيبتة: هنا معناها «جوفه».. بيت منسوب إلى كثر، ولعلنا - غفلة منا - قد ضممناه في مختاراتنا
 إلى غير شاعر

٢٦ بلى، تموت فتستريح

يهجو عتبة بن أبي عاصم:

بنو عبد الكريم نجومٌ عَزَّ، تُرى في طَيِّءٍ أبداً تلوحُ
 إذا كان الهجاءُ لَهُمْ ثَوَاباً، فأخِرَني: لِمَنْ خُلِقَ المديحُ؟
 وما لك حيلةٌ فيهِمْ، فتُجدي عليك؛ بَلَى، تموتُ فتستريحُ

٢٧ أحيا وأمات في الصحارى

يهجو عتبة بن أبي عاصم:

فإنَّكَ إِنْ تُسَاجِلْنِي تَجِدْنِي لِرَأْسِكَ جُنْدَلاً، وَلِفِيكَ ثُرْباً
 الجنْدَل: الصخر

تَجِدُ صِلَاً تَخَالُ بِكُلِّ عَضْوٍ لَهُ مِنْ شِدَّةِ الحركاتِ قلباً
 الصل: الثعبان

أخَا الفَلَوَاتِ، قد أَخْيَا وَأَزْدَى رِكَاباً فِي صَحَاصِحِهَا، وَرَكَبَا
 تجدني أخا (قرين) الفلوات (الصحارى)، الذي أحيا في صحاصحها (براريها)
 ركاباً (إبلًا) وَرَكَبَا (وراكبين) بالوصول بها وبهم إلى الأمان، وأردى (أَمَات)
 إبلًا وأصحاباً لم يتحملوا المشقات

٢٨ نحن مادة السَّمَر

يمدح عمر بن عبد العزيز الطائي من أهل حمص:

يا هذه أَقْصِرِي، ما هذه بَشْرُ ولا الخَرائدُ من أَتْرابِها الأَخْرُ
 يا هذه العاذلة أقصري (كُفِّي) فهذه الفتاة ليست من البشر لحسنها النادر، وكذا الخرائد (الحسان)
 من أترابها (صاحباتها)

لولا العيونُ وَتَفَاحُ الخدودِ إِذْنُ ما كان يحسُدُ أَعْمَى مَنْ لَهُ بَصَرُ

بِالشَّعْرِ طَوَّلٌ إِذَا اصْطَلَكْتَ قَصَائِدَهُ فِي مَعْشَرٍ، وَبِهِ عَنْ مَعْشَرٍ قِصَرٌ

يطيل الشاعر في مدح من يستحقون المدح. وينقل شرف الدين المستوفي (في الصفحة ٤٨ من الجزء الثاني من مخطوطته «النظام») عكس ذلك في الشرح: فالشعر يكون أطول من بعض الناس لأنهم دونه في القامة، ويكون قصيراً عن القوم الكرام. وهذا - فيما نرى - بعيد. لكنه يخبرنا بين المعنيين؛ وقد اخترنا

هَلْ أَوْرَقَ الْمَجْدُ إِلَّا فِي بَنِي أَدَدٍ، أَوْ اجْتُنِي مِنْهُ، لَوْلَا طَيِّءٌ، ثَمَرُ؟

المجد يورق عندهم

لَوْلَا أَحَادِيثُ، بَقَّتْهَا مَأَثَرُنَا، مِنَ النَّدَى وَالرَّدَى لَمْ يُعْجِبِ السَّمَرُ

لولا ما تركت مآثرنا للناس من الأحاديث عن الكرم وقتل الأعداء ما كان السمر يعجب الناس

٢٩ فافعل ما تشاء

يَعْرَضُ بَعْضُ بَنِي حَمِيدٍ، بَعْدَ مَقْتَلِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمِيدٍ، وَلَمْ يَصِرْ بِهَجَائِهِ، لِأَنَّهُ كَانَ مَدْحُهُمْ، وَلِأَنَّهُ طَائِيٌّ، وَثَمَّةُ شَكٍّ فِي نِسْبَةِ هَذِهِ الْآيَاتِ:

إِذَا جَارَيْتَ فِي خُلُقٍ ذَنْبِيًّا فَأَنْتَ وَمَنْ تُجَارِيهِ سَوَاءٌ

رَأَيْتُ الْحُرَّ يَجْتَنِبُ الْمَخَازِي وَيَحْمِيهِ عَنِ الْقَدْرِ الْوَقَاءُ

وَمَا مِنْ شِدَّةٍ، إِلَّا سَيَّأَتِي لَهَا مِنْ بَعْدِ شِدَّتِهَا رَخَاءُ

لَقَدْ جَرَّبْتُ هَذَا الدَّهْرَ، حَتَّى أَفَادَتْنِي التَّجَارِبُ وَالْعَنَاءُ

إِذَا مَا رَأَسُ أَهْلِ الْبَيْتِ وَلَّى بَدَا لَهُمْ مِنَ النَّاسِ الْجَفَاءُ

يَعِيشُ الْمَرْءُ، مَا اسْتَحْيَا، بِخَيْرٍ وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللَّحَاءُ

في النبات يبقى الغصن مورقاً نضراً ما بقي له لحاؤه، وكذا فالمرء يظل بخير ما بقي مستوراً بالحياء

فَلَا وَاللَّهِ، مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ، وَلَا الدُّنْيَا، إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي، وَلَمْ تَسْتَحْيَ، فَافْعَلْ مَا تَشَاءُ

٣٠ انتجاع الموت

يُرْثِي بَنِي حَمِيدٍ بْنُ قَحْطَبَةَ:

أَيُّ الْقُلُوبِ عَلَيْكُمْ لَيْسَ يَنْصَدِعُ وَأَيُّ نَوْمٍ عَلَيْكُمْ لَيْسَ يَمْتَنِعُ؟

يَنْتَجِعُونَ الْمَنَايَا فِي مَنَابِتِهَا، وَلَمْ تَكُنْ قَبْلَهُمْ فِي الدَّهْرِ تُنْتَجِعُ

يتنجعون المنايا (يزورون الموت وكأنهم يذهبون للرعي)

لَوْ خَرَّ سَيْفٌ مِنَ الْعَيُوقِ مُنْصَلِتاً مَا كَانَ إِلَّا عَلَى هَامَاتِهِمْ يَقَعُ

لو خر سيف من العيوق (نجم في السماء) منصلاً (مجرداً من غمده) ما وقع إلا على رؤوسهم. فهم محترفو حرب لا يموتون حتف أنوفهم

إِذَا هُمْ شَهِدُوا الْهَيْجَاءَ هَاجَ بِهِمْ تَغَطَّرْتُ فِي وُجُوهِ الْمَوْتِ يَطْلِعُ

الهيحاء: الحرب، تغطرف: اعتزاز، يطلع: يبرز

وَأَنْفُسٌ تَسْعُ الْأَرْضَ الْفُضَاءَ، وَلَا يَرْضُونَ أَوْ يَجْشِمُوهَا فَوْقَ مَا تَسْعُ

نفوسهم كبيرة، ومع ذلك لا يرضون إلا أن يجشموها (يحملوها) فوق طاقتها

يُودُّ أَعْدَائِهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ قُتِلُوا، وَأَنَّهُمْ صَنَعُوا بَعْضَ الَّذِي صَنَعُوا

أعداؤهم يتمنون لو أبدوا مثل شجاعتهم حتى لو كان القتل هو الشن

عَهْدِي بِهِمْ تَسْتَنْبِرُ الْأَرْضُ إِنْ نَزَلُوا فِيهَا، وَتَجْتَمِعُ الدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعُوا

ويضحك الدهر منهم عَنْ غَطَارِقَةٍ كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ أُنْسِهَا جُمِعَ

يضحك الدهر منهم (يضحك بسببهم) عن غطارقة (سادة)،

وأيامهم مليئة بالأنس، فكانها كلها يوم جمعة

فِيمَ السَّمَاةِ إِعْلَاناً بِأَسَدٍ وَعَیْ، أَفْنَاهُمْ الصَّبْرُ إِذْ أَبْقَاكُمُ الْجَزَعُ

فلماذا تشمتون بهم علانية وهو أسود الوعى (الحرب)، لقد صبروا حتى الموت، وأنتم عشتم لأنكم فررتهم خوفاً

٣١ ثم انثنى فتقطعا

يرثي أبا نصر محمد بن حميد الطائي:

أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي، وَإِنْ كَانَ أَسَمَعَا وَأَصْبَحَ مَغْنَى الْجُودِ، بَعْدَكَ، بَلَقَعَا

الناعي (ناقل خبرك) أصمنا بالخبر (جعلنا صماً لهول الخبر)، لكننا سمعناه، وأصبح مغنى (مكان) الجود بعدك بلقاعاً (قفرأ)

فَتَى، كُلَّمَا ارْتَادَ الشُّجَاعُ مِنَ الرَّدَى مَفَرّاً غَدَاةَ الْمَازِي، ارْتَادَ مَضَرَعَا

إِذَا سَاءَ يَوْمٌ فِي الْكَرِيهَةِ مَنْظَرًا تَصَلَّاهُ، عِلْمًا أَنَّ سَيَحْسُنُ مَسْمَعَا

الكرية: الحرب، تصلاه: اصطلى بناره

فَإِنْ تَرَمَّ عَنْ عُمُرٍ تَدَانَى بِهِ الْمَدَى فَخَانَكَ، حَتَّى لَمْ تَعُدْ فِيهِ مَنْزَعًا..

فإن كنت ترمي بقوسك، ووتره عمرك الذي وصل مداه، وخانك الوتر ولم يبق فيه منزع (مدى لمزيد من الشد)..

فَمَا كُنْتُ إِلَّا السِّيفَ لَأَقِيَ ضَرْبِيَّةَ فَقَطَّعَهَا، ثُمَّ انْثَنَى فَتَقَطَّعَهَا

فما كنت إلا سيفاً لآقي ضربة (ضحية السيف المضروبة به) فقطّعها، ثم تقطع هو. هذا أقصى ما استطعنا فهمه. وفي أبي تمام تشحك المفردات بمشاعر ومعان تؤلف فيما بينها صورة أو تصنع جواً. ولا تحاول أن تفسرها بالبحث عن مقابل موضوعي دقيق فتفسدها، فأنت معه كالمتفرج على آلاف الصبية في ستاد الأولمبياد يحملون لوحات ملونة تصنع صورة ضخمة، ثم تتموج وتتحرك بشكل عجيب، فإذا اقتربت فقدت جمال المنظر. لقد ظن عبد السلام هارون بأبي تمام شراً، وحسبه غير دقيق في استخدام اللغة، ثم درسه من كتب فغير رأيه، ووصل به الاقتناع بأبي تمام أن شرح همزياته في كتاب مستقل ونشره، خطوة أولى لشرح الديوان، لكنه مات وترك سبعة وعشرين حرفاً نعالج منها ما نعالج. وافتتن إيليا الحاوي بأبي تمام افتتاناً، فشرح ديوانه شرحاً رديئاً فيه العمومية المفرطة وفيه نسخ لأوهام من سبقه واجتهاداتهم، وفيه إسقاط بيت هنا وبيت هناك من باب الغفلة، وفيه مئات الأغلاط المطبعية، ومع كل هذا الذي قلناه فإيليا الحاوي رجل يعرف الأدب العربي القديم معرفة حسنة ويتذوقه؛ ثم وضع إيليا كتاباً ضخماً عن أبي تمام فيه هيام بهذا الشاعر «الحدائثي». والحق أن أبا تمام شاعر متفرد؛ ومع أنني وصمته في المقدمة بعيوب كثيرة، فهو شاعر يجعل المعنى يتوقد في المفردة، ويردفها بغيرها على نحو يزيد المعنى بهاء وإن لم يزد وضوحاً، وما ينتهي البيت إلا وقد تكونت في قلبك حالة نفسية متكاملة صاخبة، وتكونت في عقلك صور شتى تنظر إليها معاً فتفهم، وتحاول التحقق منها فرادى فلا تجد شيئاً خطيراً. أبو تمام شاعر الإيحاء. وقد أزعج هذا النقاد القدماء كثيراً، فتعقبوه وعابوه وتسقطوا أخطاءه، لكن المؤلفين ظلوا يقتبسون في كتبهم أبياتاً كثيرة له. وظل شعره حياً. وكما ذكرت في ملاحظة سابقة، فإن الله لم يوفق أحداً إلى شرح ديوان أبي تمام شرحاً تقليدياً حرفياً يصل بقارئه إلى الفهم الدقيق للمفردة ومعناها ثم يضعها في مكانها من البيت. وسبب ذلك لغة الرجل المتفجرة، واحتمالاتها الكثيرة، ومَوَازَن هذه المفردات بالمعاني وظلال المعاني. وقد حاولت في هذه المختارات التي لا تتعدى العشرين بالمئة من ديوان الرجل أن أشرح الشرح الحرفي كي يصل القارئ إلى الصورة الكاملة والحالة النفسية بعد تمام الفهم، ووصلت إلى هذا البيت فذكرني بأن أبا تمام صعب وبأنه مختلف، وانظر إلى البيت الأخير، فكيف نشرحه؟ هل نصور لك بطلاً أسطورياً نزل الميدان كي يفني الأعداء وعندما أفتانهم انتهى مبرر وجوده فوق الأرض فقرر الوفاء للأسطورة فتبخر في الجو مفنياً نفسه لكي يتحول إلى ذكرى أسطورية رائعة، بطل لا يشيخ، بطل حياته صراع، بطل هو سيف لا إنسان، بطل يمثل لك مفهوماً: مفهوم أن كل الحياة فوق الأرض صراع. هو رمز لسر الحياة، وسر المجتمع الإنساني: رمز للصراع؟ لا بل نشرح البيت بكلمات بسيطة ونترك لك أن تستمتع به. فعلنا مثل هذا في عشرات الأبيات المشحونة بأمثال هذه اللوحات النفسية. شرحناها شرحاً لغوياً، وتركناك معها لتعيش حياتك. وأمامي في عطلتي الحالية من عملي ستة أيام، فإن لم أجد شيئاً أصنعه فسوف أكر راجعاً على كثير من الأبيات التي شرحتها شرحاً لغوياً ظاهرياً فأضيف إليها بعض التفلسف، وأحليها بتأملاتي في مغازيها. قد أجد من يقول لي: عافاك الله، الأمر أهون مما تظن!

٣٢ قتيل الحفاظ

يرثي محمد بن حميد، وأخاه قحطبة:

هنيهات! لا يأتي الزمان بمثليه، إنَّ الزمانَ بمثليه لبخيلُ
يا ليت شعري بالمكارمِ كلِّها، ماذا، وقد فقدت نداك، تقول؟
يا يومَ قحطبةٍ لقد أبقيت لي حرقاً، أرى أيامها ستطوون
لما رأى جمعاً قليلاً في الوغى؛ وأولو الحفاظ من القليل قليل..
رأى أصحابه في الحرب قلة، وأولو الحفاظ (الذين يحفظون الشرف) قليل من القليل

لاقى الكريهة، وهو مُغمِذُ روعه فيها، ولكن سيفه مسلون
لاقى الحرب وقد أغمد (خبأ) روعه (خوفه)، ولكنه استل سيفه

ومشى إلى الموت الزؤام، كأنما هو، في محبته إليه، خليلُ
الموت الزؤام: السريع

٣٣ عبث

يرثي بعض بني حميد في مريثة أبي الفضل الحميدي:

لو يعلم الناس علمي بالزمان، وما عاثت يده؛ لما ربوا ولا ولدوا

٣٤ الموت ولا المذلة

يرثي جعفر الطائي:

رحم الله جعفرأ، فلقد كان أبياً، شهماً، وكان رحيماً
مثل الموت بين عيني، والذل - فكلأه رأه خطباً عظيماً
ثم سارت به الحمية قداماً فأما العدى، ومات كريماً

٣٥ كذا فليجل الخطب

يرثي محمد بن حميد الطوسي الطائي الذي قتل في خلافة المأمون وهو يحارب
الخرمية:

كذا فليجل الخطب، وليفدح الأمر فليس لعين لم يفيض ماؤها عذراً
هكذا فلتكن المناحات، وليكن الأمر جليلاً وفادحاً، ولا عذر لعين لم تبك على الميت

تُوَفِّيَتِ الْأَمَالَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ، وَأَصْبَحَ فِي شُغْلٍ عَنِ السَّفَرِ السَّفَرُ
 ماتت آمال الناس بعد محمد بن حميد، وانشغل السفر (المسافرون) عن بدء سفرهم أو إكماله
 وما كَانَ إِلَّا مَالٌ مِّنْ قَلٍّ مَّالُهُ، وَذُخْرًا لِّمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ لَهُ ذُخْرُ
 كان محمد مالا للفقير، وذخراً (كنزاً مذكوراً) لمن ليس له كنز

وَمَا كَانَ يَدْرِي مُجْتَدِي جُودٍ كَفَّهُ إِذَا مَا اسْتَهَلَّتْ أَنَّهُ خُلِقَ الْعُسْرُ
 المجتدي (المستجدي) من كف محمد إذا ما استهلّت (أمطرت) بالمال كان ينسى أن في الدنيا
 عسراً (فقراً)

أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ عُظْلَتْ لَهُ فِجَاجُ سَبِيلِ اللَّهِ، وَانْتَعَرَ الثَّغَرُ
 مات في سبيل الله هذا الذي تعطلت بموته الفجاج (الطرق الجبلية) المؤدية إلى الجهاد، وانتعر
 الثغر (اختلت الحدود مع الأعداء)

فَتَى كُلَّمَا فَاضَتْ عِيُونُ قَبِيلَةٍ دَمًا، ضَحِكْتُ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالذُّكْرُ
 تبكيه القبائل دماً، ولكن سُمعته ضاحكة

فَتَى دَهْرُهُ شَطْرَانِ فِيمَا يَنْوِبُهُ: فِي بَأْسِهِ شَطْرٌ، وَفِي جُودِهِ شَطْرُ
 فتى كان دهره مقسوماً شطرين (نصفين) نصف للبأس (الشجاعة والقسوة) ونصف للسخاء

فَتَى مَاتَ بَيْنَ الضَّرْبِ وَالطَّعْنِ مِيتَةً نَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ، إِذْ فَاتَهُ النَّصْرُ
 وما ماتَ حتى ماتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ مِنْ الضَّرْبِ، وَاعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا السَّمَرُ
 ما مات حتى تلثم سيفه من الضرب، واعتلت (مرضت وتلفت) القنا (الرماح) السمر

وَقَدْ كَانَ قَوْتُ الْمَوْتِ سَهْلًا، فَرَدَّهُ إِلَيْهِ الْحِفَاطُ الْمَرُّ، وَالْخُلُقُ الْوَعْرُ
 كان فوت (تجنب) الموت سهلاً، ولكن الحفاظ (حفظ الشرف) المرّ رَدَّهُ إلى الموت ومنعه من
 الفرار، وكذا خلقه الوعر (الشديد)

وَنَفْسٌ تَعَاَفَ الْعَارَ، حَتَّى كَأَنَّهُ هُوَ الْكَفَرُ يَوْمَ الرَّوْعِ، أَوْ دُونَهُ الْكُفْرُ
 ومما رَدَّهُ إلى الموت أيضاً في يوم الروع (يوم المعركة)
 نفس تعاف العار فكأنه الكفر

فَأَبَّتْ فِي مُسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ وَقَالَ لَهَا: مِنْ تَحْتِ أَخْمَصِكَ الْحَشْرُ
 عرف أن الموقف موقف النهاية فَبَّتْ رِجْلَهُ في هذا المستنقع وقال لها تحت أخمصك يوم الحشر،
 أي أنه وعد نفسه بالجنة

غدا غُدُوَّةٌ وَالْحَمْدُ نَسْجُ رِدَائِهِ ، فلم يَنْصَرِفْ إِلَّا وأكفأه الأجرُ
غدا غدوة (صباحاً) وهو يرتدي رداء من الحمد (الشعور بالكرامة)، وما انصرف عن موقفه ذاك إلا
وهو مكفن ليس بثوب بل بأجر وثواب لأنه شهيد

تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْرًا، فما أتى لها اللَّيْلُ، إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ
ليس كفنًا أحمر من دمه، وما جاء الليل إلا والكفن من سندس (حرير) أخضر،
لباس أهل الجنة

كَأَنَّ بَنِي نَبْهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجُومٌ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ
كان قومه نجوم فقدت قمرها

يُعَزَّوْنَ عَنْ ثَاوٍ تُعَزَّى بِهِ الْعُلَى ، وَيَبْكِي عَلَيْهِ الْجُودُ وَالْبَاسُ وَالشُّعْرُ
يعزيهم الناس عن ثاو (مقيم بلا حراك)، والعلی (الأمجاد) أيضاً تُعَزَّى به لأنها فقدته

وَأَتَى لَهُمْ صَبْرٌ عَلَيْهِ، وقد مضى إلى الموتِ، حَتَّى اسْتَشْهِدَا هُوَ وَالصَّبْرُ !
كيف لهم أن يصبروا عليه وقد كان مثلاً للصبر، فلما استشهد مات الصبر نفسه معه

فَتَى كَانَ عَذَبَ الرُّوحِ لَا مِنْ غَضَاضَةٍ، وَلَكِنَّ كِبْرًا أَنْ يُقَالَ: بِهِ كِبْرُ !
كان أنيساً ولكن ليس من غضاضة (ذل)؛
ومن الكبر (الإثم) القول إنَّ به كِبْرًا (تكبراً)

أَمِنْ بَعْدِ طَيِّ الْحَادِثَاتِ مُحَمَّدًا يَكُونُ لِأَثْوَابِ النَّدَى أَبَدًا نَشْرُ؟
إِذَا شَجَرَاتُ الْعُرْفِ جُدَّتْ أَصُولُهَا فَفِي أَيِّ فَرْعٍ يَوْجَدُ الْوَرَقُ النَّضْرُ؟
إذا جذت (قطعت) شجرات العرف (المعروف) من أصولها (جذورها)،
فكيف يكون على الفروع ورق؟

لِئِنْ أَبْغَضَ الدَّهْرُ الْخَوَوْنَ لِفَقْدِهِ لَعَهْدِي بِهِ يَمَنَّ يُحِبُّ لَهُ الدَّهْرُ
لِئِنْ أَلْبَسَتْ فِيهِ الْمَصِيبَةَ طِيءٌ لَمَّا عَرِيتَ مِنْهَا تَمِيمٌ وَلَا بَكْرُ
كَذَلِكَ مَا نَنْفُكُ نَفَقْدُ هَالِكًا يَشَارِكُنَا فِي فَقْدِهِ الْبَدْوُ وَالْحَضْرُ
مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ؛ لَمْ تَبْقَ رَوْضَةٌ، عَدَاةٌ ثَوَى، إِلَّا اسْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ
طاهر الأثواب: عفيف، ثوى: همد

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَقَفًا، فَإِنِّي رَأَيْتُ الْكَرِيمَ الْحُرَّ لَيْسَ لَهُ عُمُرُ
وقفاً (مخصصاً بك)

٣٦ حوار مع ميت

يرثي محمد بن حميد:

مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْلَقَتْ رِمْمُهُ أُرَيْقَ مَاءِ الْمَعَالِي مُذْ أُرَيْقَ دَمُهُ
أخَلقت: اهترأت، رemme: بقايا جثته

رَأَيْتُهُ بِبِنَجَادِ السِّيفِ مُحْتَبِيًّا، كَالْبَدْرِ حِينَ انْجَلَتْ عَنْ وَجْهِهِ ظِلْمُهُ
رأيتُه جالساً يسند ظهره بحماثل السيف، فكانه البدر وقد انجلى عن وجهه الغمام، والاحتباء أن
تضع مقعدتك على الأرض وتجمع ظهرك إلى ركبتيك بشال أو نحوه

فِي رَوْضَةٍ قَدْ عَلَا حَافَاتُهَا زَهْرٌ، عَلِمْتُ عَنْدَ انْتِبَاهِي أَنَّهَا نِعْمَةٌ
رأيتُه (أبو تمام يتخيل أنه رآه) في روضة يحفظها الزهر، ولكنني عندما انتبهت (صحوت من نومي)
فسررت الزهر بأنه معروفه الذي أنعم به علي الناس

فَقُلْتُ، وَالْدَّمَغُ، مِنْ حُزْنٍ وَمِنْ فَرَحٍ، يَجْرِي، وَقَدْ مَلَأَ الْخَدَيْنِ مُنْسَجِمُهُ:
منسجمه: سائله

أَلَمْ تَمُتْ يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مُذْ زَمَنْ؟ فَقَالَ لِي: لَمْ يَمُتْ مَنْ لَمْ يَمُتْ كَرَمُهُ

٣٧ مزاحفة الأيام

يمدح نوح بن عمرو السكسكي من كندة:

يَوْمَ الْفِرَاقِ! لَقَدْ خُلِقْتَ طَوِيلًا لَمْ تُبْقِ لِي جَلْدًا وَلَا مَعْقُولًا
يا يوم الفراق لم تبق لي جلدًا (صبراً)، ولا معقولا (عقلاً)

قَالُوا: الرَّحِيلَ، فَمَا شَكَّكَ بِأَنَّهَا نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا تَرِيدُ رَحِيلًا
الرحيل: قرأها كم شئت من الطبقات ومن الكتب بالضمّة،
وقرأتها بالفتحة على تقدير «تريد»، إغراء

أَتُظَنُّنِي أَجْدُ السَّبِيلِ إِلَى الْعَرَا؛ وَجَدَ الْحِمَامُ إِذْنِي إِلَى سَبِيلَا
أتظنني أجد طريقة للعزاء (النسيان)؟ فليجد الحمام (الموت) إذن طريقه إليّ لو فعلت

رَدُّ الْجَمُوحِ الصَّعْبِ أَسْهَلَ مَطْلَبًا مِنْ رَدِّ دَمْعٍ قَدْ أَصَابَ مَسِيلًا
إن ردّ الجموح الصعب (الحصان الهائج) إلى هدوئه، أسهل من ردّ (منع) دمع قد أصاب (وجد)
مسيلًا (طريقاً)

إِنِّي تَأَمَّلْتُ النَّوَى، فَوَجَدْتُهَا سَيْفًا عَلَيَّ، مَعَ الْهَوَى، مَسْلُولا

لا تَأْخُذْنِي بِالزَّمَانِ، فَلَيْسَ لِي تَبَعًا، وَلَسْتُ عَلَى الزَّمَانِ كَفِيلًا
لا تأخذيني بالزمان (لا تعاتيني بذنوب الزمان) فالزمان ليس تابعاً لإرادتي، ولست كفيلاً بتغيير
صروفه

مَنْ زَاخَفَ الْأَيَّامَ، ثُمَّ عَبَا لَهَا غَيْرَ الْقَنَاعَةِ، لَمْ يَزَلْ مَفْلُولًا
من زاحف الأيام (من حارب أحداث الأيام زاحفاً بجيشه عليها) ثم عبا لها (جهز لها) سلاحاً
سوى القناعة لم يزل (ظل) مفلولاً (مهزوماً)

مَنْ كَانَ مَرَعَى عَزَمِهِ وَهَمُومِهِ رَوْضُ الْأَمَانِيِّ، لَمْ يَزَلْ مَهْزُولًا
من كان رَوْضُ الْأَمَانِيِّ (أحلام اليقظة) المرعى الذي ترتاده همومه (طموحاته) سيظل مهزولاً في
مثل ذلك المرعى

لَوْ جَاَزَ سُلْطَانُ الْقُنُوعِ وَحُكْمُهُ فِي الْخَلْقِ، مَا كَانَ الْقَلِيلُ قَلِيلًا
لو جاز (نفذ) سلطان القنوع (قوة القناعة) في البشر لما وجدوا المال القليل قليلاً

الرِّزْقُ: لَا تَكْمَدُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَأْتِي، وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيْهِ رَسُولًا
تكمد: تحزن

لَا تَدْعُونَ نُوحَ بْنَ عَمْرٍو دَعْوَةً لِلْحَظْبِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ جَلِيلًا

لا تستنجد بنوح بن عمرو في الخطوب (المشكلات) الصغيرة بل في الكبيرة. (جاء رجل
إلى سيد من سادات العرب وقال له: أريد منك خدمة صغيرة، فأجابه: اذهب والتمس
لها رجلاً صغيراً. ومن أدب الإنجليزي أنه يقصدك في معاملة يومية بسيطة فيبدأك
بالقول: هل لك أن تسدي إليّ معروفاً كبيراً؟ ثم يطلب تأجيل الاجتماع ربع ساعة، مثلاً)

لَوْ أَنَّ طُولَ قَنَاتِهِ يَوْمَ الْوَعَى مِيلٌ، إِذْنُ نَظَمَ الْفَوَارِسَ مِيلًا

يقول: لو كان طول رمحه ميلاً لشك في الرمح أجسام الفرسان، مثلما تشك قطع
اللحم في سيخ الشّيء، ميلاً كاملاً. الميل: قياس روماني من ألف خطوة، وجعله
قدماً العرب ثلث فرسخ، نحو ثلاثة كيلومترات؛ وفيه أقوال أخرى. البيت غير
موجود عند التبريزي والصلولي والحاوي، وأورده محبي الدين الخياط؛ وتنسبه بعض
المصادر لبكر بن النطاح، وخلو النسخ الموثوقة منه يعزز هذه النسبة

٣٨ ولا عذرٌ لطائيٍّ لئيم

يمدح بعض بني عبد الكريم الطائيين:

وَمِمَّا ضَرَمَ الْبُرْحَاءُ: أَنِّي شَكَوْتُ، فَمَا شَكَوْتُ إِلَى رَحِيمٍ
ضرم (أشعل)، البرحاء (الثَّدَّة)

وليلٍ بَتْ أَكَلَوْهُ، كَأَنِّي سَلِيمٌ، أَوْ سَهَرْتُ عَلَى سَلِيمٍ
رب ليل بت أكلوه (أرقبه) كأني سليم (ممدوغ)، أو ساهر على شخص ممدوغ. وكانوا يسهرون
على من لدغته أفعى حتى لا ينام فيسرع سريان السم فيه

فَأَقْسِمُ: لَوْ سَأَلْتَ دُجَاهُ عَنِّي لَقَدْ أَنْبَأَكَ عَنْ وَجْدٍ عَظِيمٍ
دجاء (ظلامه)، أنباك (أخبرك)

أَنْخَنَا فِي دِيَارِ بَنِي حَبِيبٍ بَنَاتِ السَّيْرِ، تَحْتَ بَنِي الْعَزِيمِ
بنات السير (الإبل)، بنو العزيم (نحن، ذوو العزيمة القوية)

لِكُلِّ مَنْ بَنِي حَوَاءَ عُنْزٍ، وَلَا عُذْرَ لِبَطَائِي لَثِيمٍ
أَحَقُّ النَّاسِ بِالكَرَمِ امْرُؤٌ لَمْ يَرْزَلْ يَأْوِي إِلَى أَصْلِ كَرِيمٍ

٣٩ من كان يألفهم في المنزل الخشن

وقال في أبي الحسن علي بن مر:

قَوْمٌ إِذَا هَظَلْتُ جُوداً أَكْفُهُمْ عَلِمْتَ أَنَّ النَّدَى، مُذْ كَانَ، فِي الْيَمَنِ
كَمْ وَقَعَةٍ لَكَ، مَا يَنْفَكُ يَذْكُرُهَا خَلِيفَةُ اللَّهِ، فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنِ
وقعة: معركة

لَمْ يَبْقَ مِنْ شَجَرِ الْبَغْيِ، الَّتِي غُرِسَتْ بِجَانِبِ الشَّامِ، مِنْ جِذْمٍ وَلَا فَنٍّ
جذم: جذر، فن: غصن

وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ شَيْءٌ يَكُونُ بِهِ فَسَادُهُ؛ وَفَسَادُ الْكَلْبِ فِي السَّمَنِ
أي أن العصاة أكلوا من مال الدولة وسمنوا فكان في ذلك فسادهم

لِي حُرْمَةٌ بِكَ، فَاحْفَظْهَا، وَجَارِ بِهَا يَا حَافِظَ الْعَهْدِ، وَالْعَوَادِ بِالْمَنْنِ
المنن: المعروف العواد: الزائرون

أَوَّلَى الْبَرِيَّةِ حَقًّا أَنْ تُرَاعِيَهِ، عِنْدَ السُّرُورِ، الَّذِي آسَاكَ فِي الْحَزَنِ
آساك: واساك

إِنَّ الْكَرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَثِينِ
أسهلوا: تحسنت أحوالهم

٤٠ الكبيرة للكبير

وقال في مرض إلياس بن أسد:

اللَّهُ عَافَاكَ مِنْهَا عِلَّةٌ عَرَضًا لَمْ تَنْحُ أَظْفَارُهَا إِلَّا عَلَى الْكَرَمِ
عافاك الله من مرض عارض لم تنح (تنجه) أظفاره إلا إلى الكرم المتمثل فيك

إِنَّ الرِّيَّاحَ إِذَا مَا أَعْصَفَتْ قَصَفَتْ عِيدَانٌ نَجْدٍ، وَلَمْ يَعْْبَأَنَّ بِالرَّثَمِ
العيدان: النخلات، الرثم: نبات دقيق الساق

قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبَلَوَى، وَإِنْ عَظُمَتْ، وَيَبْتَلِي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنَّعَمِ

٤١ عندما يفكر الدهر

وقال يمدح أبا المستهل محمد بن شقيق الطائي:

تَحَمَّلَ عَنْهُ الصَّبْرُ يَوْمَ تَحَمَّلُوا وَعَادَتْ صَبَاهُ فِي الصَّبَا وَهِيَ شَمَالُ

تحمل: حمل متاعه على الجمال متأهباً للرحيل، الصبا: ريح طيبة، الشمال: ريح تشتت السحاب، وهي مذكومة. يقول: رحل صبر العاشق يوم رحل الأحباب، وأصبحت رياح الشباب المنعشة رياحاً ذميمة

بِیَوْمٍ كَطُولِ الدَّهْرِ فِي عَرَضٍ مِثْلِهِ وَوَجْدِي، مِنْ هَذَا وَهَذَاكَ، أَطُولُ

كان يوم الرحيل طويلاً عريضاً، وكان وجدي (حزني) أكبر من طوله ومن عرضه

تَحَمَّلْتُ مَا لَوْ حُمِلَ الدَّهْرُ شَطْرَهُ لَفَكَّرَ دَهْرًا: أَيُّ عِبَائِهِ أَثْقَلُ

تحملت من الأسى ما لو حمل الدهر شطره (نصفه) لقضى دهرًا يفكر أي العباين (الحملين) أثقل: عبء كونه دهرًا، أم العبء الجديد. لمن يقرأون الشروح المختلفة ويحققون، ويهمهم التنقيب: شرح هذا البيت المرزوقي، وسرق شرحه التبريزي، وسرقه الحاوي، وسرقه صبحي، وشرحه شرف الدين المستوفي، وعلق على البيت بكلام كثير الآمدي ولم يشرح العباين. وجاءت حاشية غفل في نسخة من النسخ، وفيها شرح يوافق ما ذكرناه (أوردنا محقق شرح الصولي خلف رشيد نعمان في الهامش). وأما الشرح الذي تهافت عليه القوم ففطير. لنفترض أن «مبدعه» سها، ألا وقفة ثوان معدودات قبل السطو؟ جاء في الشرح الفطير: (الدهر وقف حائرًا أمام النصفين لكي يختار أخفهما). فهل يقوم هذا بقوله «عباينه»؟ ثم إن الدهر فكَّرَ «بعد» أن حمل النصف، وليس «قبل». ورأينا الشتمرى قد فهم البيت كما فهمناه فاطمان القلب. والله أعلم

لِيَهْنِ امْرَأً أَثْنَى عَلَيْكَ بَأْنُهُ يَقُولُ، وَإِنْ أَرَبَى، فَلَا يَتَقَوَّلُ
هنيئاً لمن يثني عليك، فمهما قال حتى لو أربى (زاد في المدح)
فهو لا يتقول (لا يفتري)

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْخَيْرَ مِنْكَ سَجِيَّةٌ، وَلَكِنَّ خَيْرَ الْخَيْرِ عِنْدِي الْمَعْجَلُ

٤٢ الأفاعيل

وينسب إلى أبي تمام القول:

وَدَهْرٌ أَسَاءَ الصُّنْعَ، حَتَّى كَأَنَّمَا يُقْضَى نُدُوراً فِي مَسَاءَتِي الدَّهْرُ
كَانَ الزَّمَنُ يَفِي بِنَدْرِ نَدْرِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَهُوَ أَنْ يَسِيءَ إِلَيَّ

فَعَلُّنْهُمْ بِأَبْنَاءِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ أَفَاعِيلَ، أَدْنَاهَا الْخِيَانَةُ وَالْغَدْرُ
وَمِنْ قَبْلِهِ أَخْلَفْتُمْ لَوْصِيَّهِ بِدَاهِيَةِ دَهْيَاءٍ لَيْسَ لَهَا قَدْرُ
وصي النبي: علي بن أبي طالب

وَشُدَّ بِهِ أَزْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ، كَمَا شُدَّ مِنْ مُوسَى بِهَارُونِهِ الْأَزْرُ

٤٣ الليث يفترس الكلب

يهجو مفران المباركي:

رَجَا أَنْ يُنَجِّيهِ خَسَاسَةُ قَدْرِهِ وَلَمْ يَذَرِ أَنَّ اللَّيْثَ يَفْتَرَسُ الْكَلْبَا
رجا هذا الرجل أن ينجيه شيء هو خسارة قدره، ولكنني مستعد للنزول إلى مستواه،
فالأسد يفترس الكلب

٤٤ حزناً على السيدة الحنون

يهجو مفران المباركي:

إِمْرَأَةً مَفْرَانٌ مَاتَتْ بَعْدَ مَا شَابَا فَحَسَّتِ السَّلْعَ الْفَتْيَانُ، وَالصَّابَا
بموتها حسَّت (شرَّبت) الفتيان السلع (شجر ثمره مُرٌ)
والصاب (نبات عصارتها بيضاء مُرَّة)

لَمْ يَبْقَ خَلْقٌ بِبَابِ الشَّامِ نَعْرِفُهُ بِالْفَتَكِ، مُذْ هَلَكْتَ، إِلَّا وَقَدْ تَابَا
الفتك (التجرؤ على المعارم)

يَا نَكْبَةً هَشَمْتَ أَنْفَ السُّرُورِ بِهَا، وَمِيتَةً أَبَقْتَ الْعُرَّابَ عُرَّابَا

النكبة بها (بموتها) هشمت أنف سرور أولئك العراب، فقد ظلوا عرَّاباً بعد موتها. هذا فن من الشعر حذق فيه أبو تمام، وعلمه تلميذه البحرى. أنشد أبو تمام تلميذه البحرى أبياتاً يصف فيها الفرس، ويصف حوافره الصلبة، وختم بالقول: «أَبَقْتُ، إِنَّ لَمْ تَنْبُتْ، أَنَّ حَافِرَهُ/ مِنْ صَخْرٍ تَذْمُرُ أَوْ مِنْ وَجْهِ عُثْمَانَ». ثم قال له: ما هذا الشعر؟ فقال البحرى: لا أدري. قال أبو تمام: هذا الاستطراد. فالشاعر يوهمننا بأنه يصف الفرس ثم يختم القطعة بالقول إن حافر الفرس في صلابته يشبه وجه عثمان. وصلابة الوجه تعني: الوقاحة. و«الاستطراد» في الشعر غيره في النثر. ففي النثر هو الخروج من موضوع إلى موضوع. أما في الشعر فهو ما مربك. ويكون أقوى ما يكون إذا خرج الشاعر إلى الهجاء. فهنا يكون أشبه شيء بالنكتة. (انظر القطع: ٤٥، ٤٦، والبيت الأول من ٤٨، والقطعة ٥٠، ففيها كلها أسلوب الاستطراد)

٤٥ فيما يقال..

يهجو مَقران المباركي:

يَا زَوْجَةَ الْمُسْكِينِ مَقْرَانَ الَّتِي عَظُمْتَ عَلَى الْمُتَظَرِّفِينَ وَقَاتُهَا

المتظرفين، بالطاء المعجمة، قراءة. وما يبدي من طبعات راوح بين منظرين ومتظرفين. فإذا أنكرت أن يفعل المتظرف ما يرميه به أبو تمام فاسمع أبا نواس يضرب المثل بـ «تیه مغن وظرف زندیق»

خَلَّتِ الْقُبُورُ بِظَبْيَةٍ، عَهْدِي بِهَا، فِيمَا يُقَالُ، لَذِيذَةٌ خَلَوَاتُهَا

تَرَكَتْ عَلَى الْمُسْكِينِ عِدَّةَ صَبْيَةٍ مِثْلَ الْفِرَاحِ، تُخَرِّمَتْ أُمَاتُهَا

تخرمت (ماتت) أماتها (أمهاتها/ تستعمل لغير العاقل)

لَوْ كَانَ أَحْصَى بَابَهُ، أَوْ دَارَهُ، قَلَّتْ بَنُوهَا عِنْدَهُ، وَيَنَاتُهَا

هذا أسلوب الاستطراد في الشعر، (انظر القطع: ٤٤، ٤٦، والبيت الأول من ٤٨، والقطعة ٥٠، ففيها كلها أسلوب الاستطراد الذي تراه في هذه القطعة)

٤٦ يا ذا القرنين

يهجو محمد بن يزيد الأموي الشاعر:

يَا ابْنَ تِلْكَ الَّتِي بِحَرَآنَ، لَمَّا نَبَيْتَ، أَنْبَيْتَ عُصُونَ السَّفَاحِ

أي أن السفاح (الزنا) ولد معها

لَا تَهْوِلَنَّكَ الْكِبَاشُ، فَقَدْ أَعْرَ طَيِّتَ مَا شِئْتَ مِنْ أَدَاةِ النُّطَاحِ

أي أنك ذو قرنين مثل الكيش. والقرنان رمز للرجل المخدوع عن حريمه، أو الديوث.
(انظر القطع: ٤٤، ٤٥، والبيت الأول من ٤٨، والقطعة ٥٠، ففيها كلها أسلوب الاستطراد الذي تراه في هذه القطعة)

٤٧ أَشْرَجْتَ وَأُنْحَفْتَ

يهجو محمد بن يزيد:

أَشْرَجْتَ قَلْبَكَ مِنْ بُغْضِي عَلَى حُرْقٍ أَضَرَّ مِنْ حُرْقَاتِ الْهَجْرِ فِي الْجَسَدِ

أشرجت: خيَّطت، أي أنك كتمت في قلبك الغيظ الشديد مني

أُنْحَفْتَ جِسْمَكَ، حَتَّى لَوْ هَمَمْتُ بِأَنْ أَلْهُو بِصَفْعِكَ يَوْمًا، لَمْ تَجِدْكَ يَدِي

٤٨ الْعِقَابُ الْجَمَاعِي لِلْبَشَرِيَّةِ

يهجو ابن الأعمش:

لَوْ يَقْدِرُ الْمُسْكِينُ، وَمِمَّا بِهِ، لَا سَتَدْخَلَ الْفَيْشَةَ بِالْعَرْضِ

لو يقدر المهجو، مما به من إدمان على اللواط، لطلب إدخال الفيشة (ذلك الشيء) ليس بالطول ولكن بالعرض.. فتأمل، (انظر القطع: ٤٤، ٤٥، ٤٦، و٥٠، ففيها كلها أسلوب الاستطراد الذي تراه في هذا البيت)

لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ الرَّدَى كُلَّهُ حَتْمٌ عَلَى الرَّاتِعِ فِي عِرْضِي

قد بلغه علمٌ بذلك في البيت السابق

كَوْنُكَ فِي صُلْبِ أَبِيْنَا الَّذِي أَهْبَطْنَا جَمْعًا إِلَى الْأَرْضِ

كونك موجوداً في صلب أبينا (أي: في صلب آدم، وسينجبك أحد أحفاده) هو الذي جعلنا نهبط من الجنة. النسخة الموسومة بالحرف «ر» تريد أن تزيدنا علماً: فالرجل الذي كان في الجنة هو آدم، فوضعت كلمة «آدم» مكان كلمة «الذي» في البيت، وليذهب علم العروض إلى الجحيم؛ وقد اعتمدها عزام بدون إشارة هامشية، واعتمدها بعده الدكاترة الناسخون، رغم إشارة بعضهم في الهامش إلى الرواية التي أوردناها هنا (وهي رواية الصولي) والتي بها يقوم البيت معنىً ومبنىً. وعلى ذكر العروض يحسن بأحد الدكاترة أن يراجع الكامل المرفل، ويعلم أنه لا يكون إلا مجزوءاً؛ فأما ما وسمه بالكامل المرفل فهو تام لكنه أخذ في ضربه وعروضه، وقد يكون مضرباً في الضرب أو لا يكون، هذا في موضع آخر فأما هذه القطعة فهي من السريع

٤٩ أيها الدميم

قال في ابن الأعمش:

كُحِلْتُ بِقُبْحِ صَوْرَتِهِ، فَأَضْحَى لَهَا إِنْسَانٌ عَيْنِي فِي السَّيَاقِ
اكتحلت عيني بصورته القبيحة فأضحى إنسان عيني (بؤبؤها) في السياق (في النزاع الأخير)
مَسَاوٍ لَوْ قُسِمْنَ عَلَى الْعَوَانِي لَمَّا جُهِزْنَ إِلَّا بِالطَّلَاقِ
مساو (مساوي)

قُبُحَتْ، وَزِدَتْ فَوْقَ الْقُبْحِ، حَتَّى كَأَنَّكَ قَدْ خُلِفْتَ مِنَ الْفِرَاقِ

٥٠ رحمها الله

يهجو معدان:

لَا تَرَكْنَنِي إِلَى الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا فَإِنَّ أَوْطَانَهَا لَيْسَتْ بِأَوْطَانِ
وَامْهَدْ لِنَفْسِكَ مِنْ قَبْلِ الْمَمَاتِ، وَلَا يَغْرُزُكَ كَثْرَةُ أَصْحَابِ وَإِخْوَانِ
لَوْ أَنَّهُمْ نَفَعُوا خَلْقًا لِحُرْمَتِهِ لَدَافَعُوا الْمَوْتَ عَنْ إِمْرَأَةِ مَعْدَانَ
الخلاصة: زوجة معدان كانت كثيرة الأصحاب والإخوان، رحمها الله. (انظر القطع: ٤٥، ٤٦،
والبيت الأول من ٤٨، ففيها كلها أسلوب الاستطراد الذي تراه في هذه القطعة)

٥١ واجاريتاه

يرثي جارية له:

أَلَمْ تَرْنِي خَلَيْتُ نَفْسِي وَشَانَهَا وَلَمْ أَخْفِلِ الدُّنْيَا، وَلَا حَدَثَانَهَا
حدثانها: مصائبها

لَقَدْ خَوَّفْتَنِي النَّائِبَاتِ صُرُوفُهَا، وَلَوْ أَمْنَتْنِي مَا قَبِلْتُ أَمَانَهَا
وكيف على نار اللبالي مُعَرَّسِي! إِذَا كَانَ شَيْبُ الْعَارِضِينَ دُخَانَهَا
كيف يكون على نار اللبالي (عذاب الزمن) معرسي (نزولي وإقامتي)، وشيب العارضين (السالفين)
بكل قسوته هو مجرد دخان تلك النار. ولك أن تتخيل الشيب في أوائله رمادياً كالدخان في لونه

أَصِبتُ بِخَوْدٍ، سَوْفَ أَغْبُرُ بَعْدَهَا حَلِيفَ أَسَى، أَبْكِي زَمَانًا زَمَانَهَا
خود: فتاة ناعمة، أغبر: أصبح، حليف أسى: ملازماً للحزن

يَقُولُونَ: هَلْ يَبْكِي الْفَتَى لِخَرِيدَةِ مَتَى مَا أَرَادَ اغْتَاضَ عَشْرًا مَكَانَهَا؟
خريدة: لؤلؤة

وَهَلْ يَسْتَعِضُّ الْمَرْءُ مِنْ خَمْسٍ كَفَّهُ؟ وَلَوْ صَاعٌ مِنْ حُرِّ اللَّجَيْنِ بَنَانَهَا

خمس كفه: أصابعه الخمس، حر اللجين: الفضة الخالصة

٥٢ كان الذي خفت أن يكونا

يرثي ابناً له (وفي نسبة القصيدة شك):

كَانَ الَّذِي خِفْتُ أَنْ يَكُونَا إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَ
حِينَ انْتَهَى، وَاسْتَوَى شَبَاباً وَحَقَّقَ الرَّأْيَ وَالظُّنُونَا
أَصِيبْتُ فِيهِ، وَكَانَ عِنْدِي عَلَى الْمَصِيبَاتِ أَنْ يُعِينَا
كَانَ مَفْرُوضاً أَنْ يَعِيتَنِي عَلَى الْمَصَائِبِ، لَا أَنْ يَكُونَ مَوْتُهُ أَحَدَهَا

كَنتُ عَزِيزاً بِهِ كَثِيراً، وَكُنْتُ صَبّاً بِهِ ضَنِينَا
كَنتَ بِهِ عَزِيزاً، وَكَنتَ بِهِ كَثِيراً، أَي صَاحِبَ عَزْوَةٍ وَكَثِيرَ الْأَنْصَارِ

دَافَعْتُ، إِلَّا الْمَمْنُونَ، عَنْهُ؛ وَالْمَرْءُ لَا يَدْفَعُ الْمَمْنُونَا
يَشْخَصُ، طَوَّراً بِنَاطِرِيهِ، وَتَارَةً يُطَبِّقُ الْجُفُونَا
ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ، فَأَمْسَى فِي جَدَثٍ لِلثَّرَى دَفِينَا
بُنَيَّ يَا وَاحِدَ الْبَنِينَا! غَادَرْتَنِي مُفْرِداً حَزِينَا
هَوْنٌ رُزْنِي بِكَ الرَّزَايَا عَلَيَّ فِي النَّاسِ أَجْمَعِينَا
بِمَوْتِكَ لَمْ أَعِدْ أَهْتَمِ لِأَيَّةِ مَصِيبَةٍ أُخْرَى

٥٣ لله الحاظه والموت يكسرهما

لِلَّهِ الْحَاظُهُ، وَالْمَوْتُ يَكْسِرُهَا كَأَنَّ أَجْفَانَهُ سَكْرَى مِنَ الْوَسَنِ

شكوتُ الله عذابي وأنا أرى الحاظه (نظراته) والموت يكسرهما؛

كَانَ أَجْفَانُهُ بِهَا سُكْرٌ مِنَ الْوَسَنِ (النَّعَاسِ)

يَرُدُّ أَنْفَاسَهُ كُرْهَاءَ، وَتَعَطِّفُهَا يَدُ الْمُنِيَّةِ عَطَفَ الرِّيحِ لِلْغُصْنِ
يَا هَوْلَ مَا أَبْصَرْتُ عَيْنِي، وَمَا سَمِعْتُ أُذُنِي؛ فَلَا بَقِيَتْ عَيْنِي، وَلَا أُذُنِي
لَمْ يَبْقَ مِنْ بَدَنِي جُزْءٌ عَلِمْتُ بِهِ إِلَّا وَقَدْ حَلَّهَ جُزْءٌ مِنَ الْحَرَنِ

٥٤ أصبحت الأرض إذن سماء

يصف المطر:

أَلَا تَرَى مَا أَصْدَقَ الْأَنْوَاءَ

أصدق: أقوى، الأنواء: الأمطار

قَدْ أَقْنَيْتِ الْحَجْرَةَ وَاللَّوَاءَ

الحجرة: سنة القحط، اللواء: الشدة

فَلَوْ عَصَرْتَ الصَّخْرَ صَارَ مَاءً

مِنْ لَيْلَةٍ بَيْنَنَا بِهَا، لَيْلَاءَ

إِنْ هِيَ عَادَتْ لَيْلَةً عَدَاءَ

عداء: على التوالي

أَصْبَحَتِ الْأَرْضُ إِذْنُ سَمَاءَ

٥٥ غيمة

وقال يصف غيثاً:

لَمَّا بَدَتْ لِلْأَرْضِ مِنْ قَرِيبٍ

تَشَوَّفَتْ لِوَبْلِهَا السَّكُوبِ

تشوفت الأرض (تطلعت) لوبلها (مطرها) السكوب (المدرار)

تَشَوَّفَ الْمَرِيضُ لِلطَّبِيبِ

وَطَرَبَ الْمُحِبُّ لِلْحَبِيبِ

وَفَرَحَ الْأَدِيبُ بِالْأَدِيبِ

وَحَيَّمَتْ صَادِقَةُ الشُّؤْبُوبِ

صادقة: قوية، الشؤبوب: الزخ والتدفق

فَقَامَ فِيهَا الرِّعْدُ كَالْخَطِيبِ

وَحَنَّنَ الرِّيحُ حَنِينَ النَّيْبِ

حنين النيب: أنين النياق

كَأَنَّمَا تَهْمِي عَلَى الْقُلُوبِ

كأن هذه الغيمة تهمني (تمطر) على القلوب لشدة فرحنا بهطولها

٥٦ اليأس من الناس

إصْبِرِي أَيُّتُهَا النَّفْسُ س، فَإِنَّ الصَّبْرَ أَخْجَى
أحجى: أزلى

نَهْنِهِي الْحُزْنَ، فَإِنَّ الْـ حُزْنَ، إِنْ لَمْ يُنْهَ، لَجَا
نهني: خففي عنك، إن لم ينه: إن لم يمنع، لج: ألح
وَالْبَسِيَ الْيَأْسَ مِنَ النَّاسِ س، فَإِنَّ الْيَأْسَ مَلَجَا
ملجا: ملجأ

٥٧ برق ومطر

بصف المطر:

يَا سَهْمُ! لِلْبَرْقِ الَّذِي اسْتَطَارَا
يا سهم (اسم أخي أبي تمام) عجباً للبرق الذي يتطاير. وذكر أبو تمام أخاه سهماً في شعره أربع
مرات فيما أحصينا

بَاتَ، عَلَى رَغَمِ الدُّجَى، نَهَارَا
حتى إذا ما أَنْجَدَ الْأَمْصَارَا
وَبَلَاً جَهَارَا، وَنَدَى سِرَارَا
يمطر الأرض بالوابل علانية، وبالندى سراً

أَضَ لَنَا مَاءٌ، وَكَانَ نَارَا
هذا البرق أض لنا ماء (صار) لنا ماء وكان ناراً

أَرْضَى الثَّرَى، وَأَسْحَطَ الْغُبَارَا
أرضى المطر التراب، وأسخط الغبار لأنه أهبطه وأنهى وجوده

٥٨ أقرضني ثم اقتضى

أَسْحَطَنِي دَهْرِي بَعْدَ الرِّضَا وَارْتَجَعَ الْعُرْفَ الَّذِي قَدْ مَضَى
لَمْ يَظْلِمِ الدَّهْرُ، وَلَكِنَّهُ أَقْرَضَنِي الْإِحْسَانَ، ثُمَّ اقْتَضَى
اقتضى: طلب رد الدين

٥٩ هذه الغرام

أَعْطَاكَ دَمْعُكَ جَهْدَهُ فَشَكَافُوا ذَكَ وَجْدَهُ
حَمَلْتَ جِسْمَكَ فِي الْهَوَى مَا لَمْ يُطِيقْهُ، فَهَدَهُ
يَا شَامِتاً بِي إِذْ رَأَى هَجَرَ الْحَبِيبِ وَصَدَهُ
لَا تَشْمَتَنَّ، فَإِنَّهُ مَوْلَى يُؤَدِّبُ عَبْدَهُ

مولى: سيد

٦٠ نزهة اليد

لَا شَيْءَ أَحْسَنَ مِنْهُ لَيْلَةً وَضَلْنَا وَقَدْ اتَّخَذْتُ مِخْدَةً مِنْ خَدِّهِ
وَقَمِي عَلَى فَمِهِ، يُسَامِرُ رِيقَهُ، وَيَدِي تَنْزَرُهُ فِي حَدَائِقِ جِلْدِهِ

٦١ كأنها من خده تعصر

وَقَهْوَةٌ كَوَكَّبُهَا يَزْهَرُ يَسْطَعُ مِنْهَا الْمُسْكُ وَالْعَنْبَرُ
قهوة: خمرة، يزهر: يلمع، يسطع: يفوح

وَرْدِيَّةٌ يَحْتَثُّهَا شَاوِدٌ كَأَنَّهَا مِنْ خَدِّهِ تُغْصَرُ

يحتثها: يسرع بها، شادن: ولد الظبية. احتثاث الخمر شيء رأيناه عند أبي نواس الذي قال: إذا ما دنا وقت الصلاة رأيتهم/يحتثونها حتى تفوتهم سكرًا// وقال: قالوا شمطت فقلت ما شمطت يدي/عن أن تحت إلى فمي بالكأس// . ولم أجد في اللسان ولا في التاج ولا في القاموس ولا في الصحاح، ولا في تنبيه ابن بري عليه، شيئاً في مادة «حت» يتعلق بالخمرة. ولكن دوزي التقط فعل «حت» وقال فيه: «وحين يكون الشارب أو الكأس مفعول حث فإن معناه يكون أعجله إجماعاً متصلاً بحيث إن الكؤوس تتابع مسرعة»، ثم يقول ناقلاً: «بدأت القينة تغني فصار من الغريب أن حث شربه هو عليه وأظهر الطرب» وينقل: «ممن دينة حث الكأس». اهـ رينهارت دوزي. ولعلنا بعد هذا نقول إن الحث هو الموالاة في الشراب، فالساكر يشعر ببديب الخمر، فيطلب المزيد سعياً لاستتمام النشوة، فهذا هو الحث. وأما عندما تغدر به الخمر وتفقد عيه فباب آخر

٦٢ عذبت قلب الشاعر

أَعْمَدُ عَنِ الْمُهْجَاتِ سَيْفِ النَّاطِرِ فَلَقَدْ فَتَرَنَ مِنَ اللَّحَاطِ الْفَاتِرِ
أعمد سيف الناظر (العين) عن المهجات (القلوب)، فلقد فترت قلوبنا (ضعفت) من اللحاط (النظر) الفاتر. يقول: أيتها الحسناء أدخلني سيف عينك في عمده وارجعيني

كَيْفَ اغْتَدَلْتُ مَعَ اغْتِدَالِ الْغُضَنِ فِي حَرَكَاتِهِ، وَقَعَلْتُ فِعْلَ الْجَائِرِ
اعتدل قوامك فكان كالغصن ولكن فعلك هو فعل الجائر الظالم (طباقي بين العادل والظالم)
يا شاعراً في طَرْفِهِ وبِهَائِهِ وَجَمَالِهِ، عَذَّبْتُ قَلْبَ الشَّاعِرِ

٦٣ الوجه والقفا

ونسبت لأبي نواس:

يا أبا جعفر! خُلِقْتَ بَدِيعاً فَاقَ حُسْنَ الْوَجْهِ حُسْنَ قَفَاكَ
يا أبا جعفر! هَلِ النَّأْيُ يُنْجِي مِنْكَ؟ هَيْهَاتَ! بَلْ يَزِيدُ هَلَاكَ

٦٤ محاسنه في وجنتيك

بَعَثْتُكَ رَائِداً، فَسَرَقَتْ مِنْهُ مُحَاسِنُهُ بِلَخْطَةِ نَاطِرِيكَ
بعثتك أيها الرسول رائداً تفتح لي الطريق فرقت محاسن المحبوب بنظرك إليه
وَجِئْتَ تَقُولُ: لَمْ أَرَهُ، وَهَذِي مُحَاسِنُهُ تَلُوحُ بِوَجْنَتَيْكَ
وزعمت أنك لم تره، ولكنني أرى محاسنه في وجنتيك

٦٥ ما الحب إلا للحبيب الأول

وقال:

الْبَيْنُ جَرَّعَنِي نَقِيعَ الْحَنْظَلِ وَالْبَيْنُ أَثْكَلَنِي، وَإِنْ لَمْ أَثْكَلِ
نقيع الحنظل: الماء المر الذي نقيع فيه الحنظل
مَا حَسَرْتَنِي أَنْ كَذْتُ أَقْضِي، إِنَّمَا حَسَرَاتُ نَفْسِي أَنَّي لَمْ أَفْعَلِ
نَقْلُ فُؤَادِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ بِأَلْفِهِ الْفَنَى وَحَنِينُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ

٦٦ في دعوة الأحلام

إِسْتَزَارَتْهُ فِكْرَتِي فِي الْمَنَامِ فَأَتَانِي فِي خُفْيَةٍ، وَاكْتِنَامِ
استزارته فكرتي (طلبت منه أفكاره وعقلي الزيارة)
يَا لَهَا لَذَّةٌ تَنْزَهَتْ الْأَرْوَاحُ فِيهَا سِرّاً مِنْ الْأَجْسَامِ
هي متعة تنزهت الأرواح فيها، سرّاً من (مع التكميم على) الأجسام

مَجْلِسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ غَيْرَ أَنَّا فِي دَعْوَةِ الْأَحْلَامِ

٦٧ تكسير أبصار

أَلَيْسَ عَجِيباً أَنَّ بَيْتاً يَضُمْنِي وَإِيَّاكَ، لَا نَخْلُو وَلَا نَتَكَلَّمُ
إِشَارَةُ أَقْوَاهُ، وَغَمْرُ حَوَاجِبِ وَتَكْسِيرُ أَبْصَارِ، وَطَرَفُ يُسَلِّمُ

٦٨ زدني ألما

أَنْتَ فِي حِلٍّ، فَزِدْنِي سَقَمًا أَفْنِ صَبْرِي، وَاجْعَلِ الدَّمْعَ دَمًا
وَارِضَ لِي الْمَوْتَ بِهَجْرِكَ، فَإِنْ لَمْ أُمْتُ شَوْقًا، فَزِدْنِي أَلْمًا
مِخْنَةُ الْعَاشِقِ فِي ذُلِّ الْهَوَى، وَإِذَا اسْتُودِعَ سِرًّا كَتَمًا
لَيْسَ مِنَّا مَنْ شَكَا عِلَّتَهُ؛ مَنْ شَكَا ظَلَمَ حَبِيبٍ ظَلَمًا

٦٩ تساكنتا

لِخَدَّيْهِ دَقَائِقُ لَوْ تَرَاهَا إِذَنْ لَسَأَلْتُ عَنْهَا فِي الْمَعَانِي
دقائق: تفاصيل دقيقة، في المعاني: في علم المعاني بما فيه من تعقيدات
تَسَاكَنْتَا، وَقَلْبَانَا جَمِيعًا بِأَلْفَاظِ الْهَوَى يَتَكَلَّمَانِ
تساكنتا: تبادلنا السكوت

٧٠ قتل العيون

بَلِيَّ الْجِسْمِ، لَكِنْ الشَّوْقُ حَيٌّ لَيْسَ يَبْلَى، وَلَيْسَ تَبْلَى الشُّجُونُ
إِنْ لَلَّهُ فِي الْعِبَادِ مَنَابَا سَلَّطْنَهَا عَلَى الْقُلُوبِ الْعَيُونُ!

٧١ مكانك مصون

لَعَمْرِي لَئِنْ قَرَرْتُ بِقُرْبِكَ أَغْنِيَنَّ لَقَدْ سَخَنْتُ بِالْبَيْنِ مِنْكَ غَيُونُ
فَمِيرْ أَوْ أَقِمْ، وَقِفْ عَلَيْكَ مَحَبَّتِي مَكَانُكَ مِنْ قَلْبِي عَلَيْكَ مَصُونُ

٧٢ الأصل في بدني

الْحُسْنُ جُزْءٌ مِنْ وَجْهِكَ الْحَسَنِ يَا قَمَرًا مُوفِيًا عَلَى غُضُنِ
موفياً: مشرفاً ومعتلياً

إِنْ كُنْتَ فِي الْحَسَنِ وَاحِداً، فَأَنَا، يَا وَاحِدَ الْحُسْنِ، وَاحِدُ الْخَزَنِ
كُلُّ سَقَامٍ نَرَاهُ فِي أَحَدٍ فَذَاكَ قَرْعٌ، وَالْأَصْلُ فِي بَدَنِي
كَوَامِلُ الْحَبِّ، قَبْلَ كَوْنِكَ فِي أَفِيدَةِ الْعَاشِقِينَ، لَمْ تَكُنْ

٧٣ اقشعرارهن من الشيب

أَرَى أَلْفَاتٍ قَدْ كُتِبْنَ عَلَى رَاسِي بِأَقْلَامِ شَيْبٍ، فِي مَهَارِقِ أَنْفَاسٍ
أَرَى أَحْرَفَ الْأَلِفِ (شعرات بيض) قَدْ كُتِبْنَ عَلَى رَأْسِي فِي مَهَارِقِ (أوراق) أَنْفَاسٍ (مسودة بالحبر).
فِي هَذَا التَّشْبِيهِ الْوَرَقَةُ سَوْدَاءُ وَالْحَبْرُ أَبْيَضُ

فَإِنْ تَسْأَلِينِي: مَنْ يَخْطُ حُرُوفَهُ؟ فَأَيُّدِي اللَّيَالِي، تَسْتَمِدُّ بِأَنْفَاسِي
الَّذِي يَخْطُ هَذِهِ الْحُرُوفَ هُوَ أَيْدِي اللَّيَالِي (المصائب)
وَهِيَ تَسْتَمِدُّ (تستقي المداد، أي الحبر) مِنْ أَنْفَاسِي

جَرَتْ فِي قُلُوبِ الْغَانِيَاتِ، لِشَيْتِي، قُشْعَرِيرَةٌ، مِنْ بَعْدِ لَيْلٍ وَإِنَاسٍ
كَانَتِ الْفَتَيَاتُ الْحَسَنَاتُ يَأْنِسْنَ بِي وَالْآنَ تَجْرِي قُشْعَرِيرَةٌ اِشْتِرَازٍ فِي قُلُوبِهِنَّ مِنِّي

٧٤ الفعل لمالك والشهرة للغيوم

يَمْدَحُ مَالِكُ بْنُ طُوقٍ التَّغْلَبِيَّ:

بَنَى بِهِ اللَّهُ، فِي بَدْوٍ وَفِي حَضَرٍ، لِيَوَائِلِ سُورٍ عِزٌّ غَيْرَ مُنْهَدِمٍ
لَوْ كَانَ يَأْمُلُ عَمْرُوٌ مِثْلَهُ شَبْهًا مِنْ صُلْبِهِ، لَمْ يَجِدْ لِلْمَوْتِ مِنْ أَلَمٍ
لَوْ كَانَ عَمْرُو بْنُ كَلْثُومٍ الْفَارَسِيُّ الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ، يَأْمُلُ أَنْ يَكُونَ فِي ذِرْتِهِ الْمَقْبَلَةُ رَجُلًا يَشْبَهُ
كَمَالِكَ بْنِ طُوقٍ، لَمَاتَ مُسْتَرِيحًا بَلَا أَلَمٍ

وَلَا أَرَى دِيمَةً أَمْحَى لِمَسْغَبَةٍ مِنْهُ؛ عَلَى أَنَّ ذِكْرًا طَارَ لِلدَّيَمِ
لَا غَيْمَةً أَكْثَرَ مَحْوًا لِمَسْغَبَةٍ (الجوع) مِنْ مَالِكِ بْنِ طُوقٍ، وَلَكِنْ..
لِلْأَسَفِ اسْتَأْثَرَتِ الدَّيَمُ (الغيوم) بِالذِّكْرِ (الشهرة)

٧٥ صادق معك، كاذب مع غيرك

يَمْدَحُ عَمْرُو بْنُ طُوقٍ التَّغْلَبِيَّ:

نَفَقَ الْمَدِيحُ بِبَابِهِ، فَكَسَوْتُهُ عِقْدًا مِنَ الْيَاقُوتِ غَيْرَ مُثَقَّبٍ
نَفَقَ الْمَدِيحُ (رَاجَ) بِيَابَهُ (عنده) فَكَسَوْتُهُ قَصِيدَةً كَأَنَّهَا عَقْدُ يَاقُوتٍ لَكِنَّهَا تَتَمَيَّزُ بِأَنَّ يَاقُوتَهَا غَيْرُ مَثْقُوبٍ
فَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ أَيْبَاتِ شَعْرٍ

غَرَبْتُ خَلَائِقَهُ، وَأَغْرَبَ شَاعِرٌ فِيهِ، فَأَحْسَنَ مُغْرِبٌ فِي مُغْرِبِ

خلائقه (صفاته) غريبة بسموها، وشعري غريب بجودته

لَمَا كَرُمْتَ نَطَقْتُ فِيكَ بِمَنْطِقٍ حَقٍّ، فَلَمْ أَتَمِّ وَلَمْ أَتَحَوِّبْ
لأنك كريم حقاً فلم أتجاوز الحق في مدحك، لذا ليس عليّ إثم الكذب ولا حوبه (إنمه أيضاً)

وَمَتَى امْتَدَحْتُ سِوَاكَ كُنْتُ مَتَى يَضِقُّ فِي وَصْفِهِ صِدْقُ الْمَقَالَةِ أَكْذِبِ
تعليق عمران القفيني: (هذا البيت هدم معنى سابقه. ما الذي يقنعني أنه لم يكذب في البيت
السابق، وقد أقر أنه كذاب أثير ههنا؟ في كل واد يهيمن)

٧٦ أَيْتُكَ مَضْطَرَأً

يمدح مالك بن طوق ويستبطنه:

قَفَّ بِالطَّلُولِ الدَّارَسَاتِ «عُلَانَا» أَمَسَتْ حِبَالُ قَطِينِهِنَّ رِثَانَا

قف يا «علانة» (غلام أبي تمام) بالطلول الدارسات (المحموة) التي أصبحت حبال قطينهن
(ساكنيهن) رثاناً (رثة مهترئة). أي أن الصلة انقطعت بين المكان وساكنيه فغداً أطلاقاً

قَسَمَ الزَّمَانُ رُبُوعَهَا: بَيْنَ الصَّبَا وَقَبُولِهَا وَدُبُورِهَا، أَثْلَاثَا
قسم الزمان ربوع هذه الديار ما بين الرياح الثلاث: الصبا والقبول والدبور، فلكل ريع ثلث في التخریب

عَمَرُوا بَنُ كُلْثُومٍ بِنِ مَالِكِ الَّذِي تَرَكَ الْعُلَى لِبَنِي أَبِيهِ ثُرَانَا
عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة الذي ورث أحفاده المجد..

أَلْقَى عَلَيْهِ نِجَارَهُ، فَأَتَى بِهِ يَقْظَانٌ، لَا وَرَعاً وَلَا مُلْتَأَا
عمر بن كلثوم ألقى بنجاره (بأصله الطبيب) على الممدوح، فأنجبه متيقظاً، وليس ورعاً (جباناً)،
ولا ملتأناً (بطيئاً بليداً)

وَزَعُوا الزَّمَانَ وَهُمْ كُھُولٌ جِلَّةٌ وَسَطُوا عَلَى أَحْدَاثِهِ أَخْدَانَا
هؤلاء الأحفاد وزعوا الزمان (ردعوا الزمان عن الإتيان بشر) وهم كهول أجلاء، وتحكموا في سير
أحداثه وهم أحداث (ناشون)

يَا مَالِكُ ابْنُ الْمَالِكِينَ! أَرَى الَّذِي كُنَّا نُوْمِلُ مِنْ عَطَانِكَ رَأَا
راث (أبطأ)

لَوْلَا رَجَاؤُكَ كُنْتُ ذَا مَنْدُوحَةٍ عَنْ «بَرْقَعِيدٍ» وَأَرْضِ «بَاعِيْنَانَا»
لولا ترقبي عطايك لكنت ذا مندوحة (مستغنياً) عن القدم إلى برقعيد وباعيننا

والكَامِخِيَّةُ لَمْ تَكُنْ لِي مَنَزِلًا، فَمَقَابِرُ اللَّذَاتِ مِنْ قَبْرَانَا

ولا كنت نزلت به «الكامخية»، ولا قبرت لذاتي في «قبرات»

لَمْ آتِهَا، مِنْ أَيِّ وَجْهِ جِئْتُهَا، إِلَّا حَسِبْتُ بَيوتَهَا أَجْدَاثَا

أجداث (قبور)

بَلَدُ الْفِلَاحَةِ، لَوْ أَتَاهَا جَرَوُلٌ، أَعْنِي الْحُطَيْئَةَ، لَاغْتَدَى حَرَانَا

هذه بلد فلاحة لا شيء آخر فيها، ولو أتاه الشاعر الحطيئة جرول بن أوس، الذي قال في شعره إنه لم يمتن الحراثة، لغدا حراناً

تَضَدَا بِهَا الْأَفْهَامُ بَعْدَ صِقَالِهَا، وَتَرَدُّ ذُكْرَانُ الْعُقُولِ إِنَانَا

يصيب الصدا العقول في هذه الأرض، والعقل الذكر (السديد) يتحول إلى عقل أنثى

أَرْضٌ خَلَعْتُ اللَّهْوُ، خَلَعِي خَاتِمِي، فِيهَا، وَطَلَّقْتُ السُّرُورَ ثَلَاثَا

٧٧ الغباء والتغابي

يمدح مالك بن طوق التغلبي (ويشفع لديه في قبيلة من تغلب شقت عصا طاعته):

لَا جُودَ فِي الْأَقْوَامِ يُعْلَمُ، مَا خَلَا جُوداً حَلِيفاً فِي بَنِي عَنَابٍ

لا يوجد كرم نعرف عنه إلا الحليف (الملازم) في بني عناب (فرع من تغلب، وهم قوم الممدوح)

مَتَدَفَّقاً صَقَلُوا بِهِ أَحْسَابَهُمْ؛ إِنْ السَّمَاحَةَ صَيَّقَلُ الْأَحْسَابِ

جودهم متدفق وبه صقلوا أحسابهم (شرفهم العريق)، فالسماحة (السماح ببذل المال) صيقل، والصيقل هو الصاقل، الأصل الطيب

لِلْجُودِ بَابٌ فِي الْأَنَامِ، وَلَمْ تَزَلْ يُمْنَاكَ مِفْتَاحاً لِذَاكَ الْبَابِ

فَأَقِلْ «أَسَامَةً» جُرْمَهَا، وَاصْفَحْ لَهَا عَنْهُ، وَهَبْ مَا كَانَ لِلْوَهَابِ

أقل قبيلة أسامة (وهي جزء من بني تغلب أيضاً) جرمها (اجعلها تنهض من عثرتها)، وسامحها، وامسح ما فعلته بلمحتك الطيبة

لَا رِقَّةَ الْحَضَرِ اللَّطِيفِ عَذَّتْهُمْ، وَتَبَاعَدُوا عَنْ فِطْنَةِ الْأَعْرَابِ

فهم لا يتمتعون برقة أهل المدن، وليس فيهم ما في الأعراب من فطنة ونباهة

فَإِذَا كَشَفْتَهُمْ وَجَدْتَ لَدَيْهِمْ: كَرَمَ النُّفُوسِ، وَقِلَّةَ الْأَدَابِ

نفوسهم كريمة، لكن عندهم قلة أدب جعلتهم يخالفون أوامر

لَيْسَ الْعَبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ، لَكِنْ سَيِّدُ قَوْمِهِ الْمُتَغَابِي

السيد يكون فاهماً ما يدور حوله، ولكنه يتصنع عدم الفهم أريحية منه وسماحاً

فَاضْمُمْ أَقَاصِيَهُمْ إِلَيْكَ، فَإِنَّهُ لَا يَزْخَرُ الْوَادِي بِغَيْرِ شِعَابٍ
ضَمَّ تَحْتَ كَفْكَ أَقَاصِيَهُمْ (من ابتعد منهم عن طاعتك) فهم سند لك، والوادي لا يزخر ويتدفق
بدون شعاب (روافد)

وَالسَّهْمُ بِالرِّيشِ اللَّوَامِ، وَلَنْ تَرَى بَيْتاً بِلَا عَمَدٍ وَلَا أَطْنَابٍ
السهم يصح جيداً بالريش اللوام (المتلائم)، والبيت (الخيمة) لا تقوم بلا أعمدة وبلا أطناب
(جبال). يقول: لا يكتمل السؤدد إلا بلوازمه الفرعية، فالسهم الجيد محتاج إلى الريش الذي يلائم
بعضه بعضه (والقبيلة المذكورة تلائم الممدوح لأنها من تغلب مثله)

يَا خَاطِباً مِدْحِي إِلَيْهِ بِجُودِهِ؛ وَلَقَدْ خَطَبْتَ قَلِيلَةَ الْخُطَّابِ
مدحي (قصائدي المدحية) كالعذارى، وأنت خطبتها إليك بكرمك؛ ولا يقدر على خطبتها سوى
القليلين لأنها غالية

خُذْهَا ابْنَةُ الْفِكْرِ الْمَهْدَبِ فِي الدُّجَى وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةِ الْجِلْبَابِ
خذ هذه القصيدة فهي وليدة فكر مهذب لها في الدجى (بشذوها في ساعات الليل، ساعات الإبداع)
عندما يكون الليل حالك الثوب. والمهذب بكسر الذال قراءتي، وخالفت فيها التبريزي والصولي
والأسود اللبثاني، وكلهم قَتَحَ

بِكُرّاً تَوَرَّثَ فِي الْحَيَاةِ، وَتَنَشَنِي فِي السَّلْمِ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْأَسْلَابِ
قصيدي العذراء هذه (الجديدة المخصصة لك) يمكن لك توريثها لأولادك وأنت حي، فهي
تكسبهم جميعاً مجداً وحسنَ ذكر، وتعود عليهم بأسلاب (غنائم) كثيرة دون حرب، وهذه الغنائم
هي السمعة الطيبة. كذا قرأت البيت: بفتح الراء من (تورث)، وخالفت التبريزي والصولي والأسود
الذين كسروها جميعاً. والشاعر العربي لا يتباهى بأن قصيدته عادت عليه بالمال الكثير، بل بأنها
سُكِّبَ الممدوح صيتاً وستبقى على الأجيال. والله أعلم

وَيَزِيدُهَا مَرُّ اللَّيَالِي جِدَّةً، وَتَقَادُمُ الْأَيَّامِ حُسْنَ شَبَابٍ
وقصيدي خالدة على مر الأيام

٧٨ وليس لي عمل زاك فأدخلها

يمدح مالك بن طوق:

قُلْ لَابِنِ طَوْقٍ، رَحَى سَعْدٍ إِذَا خَبَطْتُ نَوَائِبُ الدَّهْرِ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا ..
قل لمالك بن طوق: إذا ضربت مصائب الدهر رحى الطاحون في قبيلة سعد (رمز المنعة للقبيلة/
والرحى هي القبيلة القوية) من شقها الأعلى وشقها الأسفل ..

أَضْبَحَتْ حَاتِمَهَا جُوداً، وَأَخْنَفَهَا جِلْماً، وَكَيَّسَهَا عِلْماً وَدَغَفَلَهَا ..
عندئذ فانت كحاتم الطائي في الجود، وكالأخنف بن قيس في الحلم، وكزيد بن الكيس
و«دغفل النشابة» في علمهما بالأنساب

ما لي أرى الحُجْرَةَ الفَيْحَاءَ مُقْفَلَةً عَنِّي، وقد طالما اسْتَفْتَحْتُ مُقْفَلَهَا!
لماذا تبقى الحجرة الفيحاء مقفلة دوني، مع أنني كثيراً ما استفتحت (حاولت فتح) مقفلها
(حالتها وهي مقفلة) بما أقوله من شعر المدح

كأنها جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مُعْرِضَةٌ، وليس لي عَمَلٌ زَاكِ فَأَدْخُلُهَا
معرضة: مائلة، زاك: طيب

٧٩ إفراط الحزن لا يليق بالسادة

بمدح مالك بن طوق، ويعزيه عن أخيه القاسم بن طوق:

أَمَالِكُ! إِفْرَاطُ الصَّبَابَةِ تَارِكٌ جَنًّا، وَاغْوِجَاجًا فِي قَنَاةِ الْمَكَارِمِ
الصبابة: الحزن، جنا: انحناء

تَأْمَلْ رُوَيْدًا! هَلْ تَعُدُّنَّ سَالِمًا، إِلَى آدَمَ، أَمْ هَلْ تَعُدُّ ابْنَ سَالِمٍ؟
لا أحد من الآن ورجوعاً حتى آدم سلم من الموت

مَتَى تُزْعِ هَذَا الْمَوْتَ عَيْنًا بَصِيرَةً تَجِدُ عَادِلًا مِنْهُ شَبِيهَا بِظَالِمٍ
تُزْعِ الأمر عينك: تجعل عينك ترعاه وترافقه

خُلِقْنَا رِجَالًا لِلتَّصَبُّرِ وَالْأَسَى، وَتِلْكَ الْغَوَانِي لِلْبُكََا وَالْمَاتِمِ

٨٠ السمع السخي

يرثي القاسم بن طوق:

فَتَى لَمْ تَكُنْ تَغْلِي الْحُقُودَ بِصَدْرِهِ وَتَغْلِي الْأَضْيَافِ الشَّيْءَ مَرَاكِهُ
مراجله: قدوره، فهو يطعم الأضياف

٨١ إن الألمعي منجم

بمدح مالك بن طوق حين عزل عن الجزيرة:

حَسَدُ الْقَرَابَةِ لِلْقَرَابَةِ قَرْحَةٌ أَعْيَتْ عَوَانِدَهَا، وَجُرْحُ أَقْدَمِ
قرحة: جرح، أعيت عواندها: أعجزت جروحها الأطباء

تِلْكَ قُرَيْشٌ: لَمْ تَكُنْ آرَاؤُهَا تَهْفُو، وَلَا أَحْلَامُهَا تَتَقَسَّمُ
لم تكن آراء قريش تهفو (تخطئ)، ولم تكون أحلامهم (عقولهم) تشتت

حتى إذا بُعِثَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فِيهِمْ، عَدَّتْ شَحَاؤُهُمْ تَتَضَرَّعُ
شحناؤهم تتضرع: أحقادهم تشتعل

لَمَا أَقَامَ الْوَحْيُ بَيْنَ ظُهُورِهِمْ وَرَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمَدَ مِنْهُمْ...
عَزَبَتْ عُقُولُهُمْ؛ وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ إِلَّا وَهُمْ، مِنْهُمْ أَلْبٌ وَأَحْزَمُ
عزبت عقولهم (ابتعدت عنهم)، وأصبح كل معشر ألب (أعقل) منهم وأكثر حزمًا

إِنْ تَذَهَّبُوا عَنْ مَالِكٍ، أَوْ تَجْهَلُوا نُعْمَاهُ، فَالرَّحِمُ الْقَرِيبَةُ تُعْلَمُ
كَانَتْ لَكُمْ أَخْلَاقُهُ مَغْسُولَةً، فَتَرَكْتُمُوهَا وَهِيَ مِلْحٌ عَلَقَمٌ
حتى إذا أَجَنَّتْ لَكُمْ، دَاوَتْكُمْ مِنْ دَائِكُمْ؛ إِنَّ الشَّقَافَ يَقُومُ
حتى إذا أخلاقه أجنّت لكم (تغيرت عليكم)، داوتكم من أحقادكم، والشقاق (بري الرمح) يقوم
فَقَسَا لِرَدِّجِرْوَا، وَمَنْ يَكُ حَازِمًا فَلْيَقْسُ أَحْيَانَا، وَحِينًا يَرْحَمُ
لتزدجروا: ليكون في فعله زجر لكم وتقريع

وَأَخَافُكُمْ كَيْ تُغْمِدُوا أَسْبَافَكُمْ، إِنَّ الدَّمَ الْمَغْتَرَّ يَحْرُسُهُ الدَّمُ
أخافكم كي توقفوا التهور بينكم، فالدم المغتر (الأقارب المتهورون) يحرسه الدم (بجميعهم من
تهورهم أقارب آخرون)

وَلَقَدْ جَهَدْتُمْ أَنْ تُزِيلُوا عِزَّهُ، فَلِذَا أَبَانَ قَدْرَسَا، وَيَلْمَلِمُ
علمتم على إزالة عزه فإذا هو راسخ راسٍ مثل جبل «أبان» و«يللم»

وَلَقَدْ عَلِمْتُ، لَكُنْ لَجَجْتُمْ، أَنَّهُ مَا بَعْدَ ذَاكَ الْعُرْسِ إِلَّا الْمَاتَمُ
قد علمت عندما لججتم (عاندتم) أنه سيكون بعد عرس العصيان ماتم

عِلْمًا طَلَبْتُ رُسُومَهُ فَوَجَدْتُهَا فِي الظَّنِّ، إِنَّ الْأَلْمَعَ مُنْجَمُ
معرفتي هذه طلبت رسومها (بحثت عن أصلها في آثارها). فوجدت ذلك في الظن، أي أنني اهتمت
إلى ذلك بمجرد التفكير، والشخص الذي يتنبأ بما سيكون، فكأنه منجم

٨٢ غفلات الشباب

يمدح أبا سعيدٍ محمد بن يوسف الثغري:

مِنْ سَجَايَا الطُّلُولِ أَلَّا تُجِيبَا فَصَوَابٌ مِنْ مُقْلَةٍ أَنْ تَصُوبَا
من سجايا (صفات) الطلول ألا تجيبك وأنت تسألها عن الأحباب، ولذا من الصواب أن تصوب
مقلتك (تمطر بالدمع)

فَاسْأَلْنَهَا، وَاجْعَلْ بُكَاءَكَ جَوَاباً، تَجِدِ الشَّوْقَ سَائِلاً وَمُجِيباً

ومع ذلك فاسأل الأطلال، وليكن الجواب منك بكاءً،
فهذا تجد أن السائل والمجيب هما شوقك لأحبائك

قَدْ عَهِدْنَا الرُّسُومَ وَهِيَ عُكَاظٌ لِلصَّبَا، تَزْدَهِيكَ حُسْنًا وَطِيبًا

عهدنا الرسوم (الأطلال) وهي عكاظ (مزدحمة كسوق عكاظ) للشباب، تزدهيك (تفتك) بحسنها وطيبها

أَكْثَرَ الْأَرْضِ زَائِراً وَمَزُوراً وَصَعُوداً مِنَ الْهَوَى وَصُبُوباً

عهدناها أكثر أماكن الأرض ازدحاماً بمن هو زائر ومن هو مزور، وأكثر البقاع صعوداً (تلة) مما
فيها من الهوى والحب وصبوباً (منخفضاً) فلك الأطلال كانت مسارج للحب، فيها وعورته
وعذابه، وفيها سهولته وجماله

وَكَمَاباً كَأَنَّمَا أَلْبَسْنَاهَا عَفَلَاتُ الشَّبَابِ بُرْداً قَشِيباً

وكانت الأطلال أكثر البقاع كعاباً (فتيات) ألبسهن عفلات الشباب (براءة الفتيات)
برداً قشيباً (ثوباً جديداً)

بَيْنَ الْبَيْنِ فَقَدَمَا. قَلَّمَا تَغُفُّ رِفْ فَقَدْ أَلِ الشَّمْسِ حَتَّى تَغِيْبَا

بين لي البين (الفراق) فقد أولئك الفتيات (قيمتهن).
وأنت قليلاً ما تدرك قيمة الشمس إلا بعد أن تغيب

لَعِبَ الشَّيْبُ بِالْمَفَارِقِ، بَلْ جَدَّ - فَأَبْكَى تَمَاضِراً وَلَعُوباً

لعب الشيب بمفارق رأسي، بل هو جاد لا لاعب، فقد أبكى «تماضراً» و«لعباً» أسفاً

خَضَبَتْ حَدَّهَا إِلَى لُؤْلُؤِ الْعِقْفِ حِدَ دَمًا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيْبَا

الحبيبة خضبت (لونت) خدها بدمع ممزوج بالدم وصل حتى عقدها لأنها رأت شواتي (جلدة
رأسي) خضياً (مخضوبة: مصبوعة لستر الشيب)

كُلُّ دَاءٍ يُزَجِّي الدَّوَاءَ لَهُ، إِلَّا - الْفَظِيْعَيْنِ: مِيتَةً وَمَشِيْبَا

لو رأى الله أن للشيب فضلاً جاورته الأبرارُ في الخلدِ شيباً

إذن ففي الجنة ستسود شعورنا! شكرًا أبا تمام على المعلومة. هل يكتسي الأصلع شعراً أيضاً؟

كُلَّ يَوْمٍ تُبْدِي صُرُوفَ اللَّيَالِي خُلُقًا مِنْ أَبِي سَعِيدٍ رَغِيْبَا

رغيب: مرغوب فيه

سَبَقَ الدَّهْرَ بِالتَّلَادِ، وَلَمْ يَنْتَ تَحْظُرِ النَّائِبَاتِ حَتَّى تَنْوَبَا

سبق الدهر بالتلاد، ولم ينتَ يبذل التلاد (المال الموروث)،

ولا ينتظر أن تأتي الحاجة الماسة حتى يعطي

فَإِذَا مَا الْخَطُوبُ أَغْفَتْهُ كَانَتْ رَاحَتَاهُ حَوَادِثًا وَخُطُوبًا

فإذا لم تأت خطوب (مصائب)، كانت يده حوادث ومصائب على الأعداء

وَصَلِيبُ الْقَنَاةِ وَالرَّأْيِ وَالْإِسْلَامِ، سَائِلٌ بِذَاكَ عَنْهُ الصَّلِيبُ

قناته صلبة (عزيمته قوية)، وكذا رأيه وتمسكه بالإسلام، وأسأل الصليب
(فقد لقي منه الروم حرباً شرسة)

لَقَدْ انْصَعَتْ، وَالشِّتَاءُ لَهُ وَجْهٌ يَرَاهُ الْكُمَاءُ جَهْمًا قُطُوبًا

لقد انصعت (مضيت) والشتاء ذو وجه قطوب (مكفر) كما يراه الكماء (المسلحون)

فِي لَيَالٍ تَكَادُ تُبْقِي بِخَدِّ الشَّمْسِ - مِمَّنْ، مِنْ رِيحِهَا الْبَلِيلُ شُحُوبًا

في ليالٍ ترك في خد الشمس شحوباً من ريحها البليل (الباردة المحملة بالمطر)

فَضَرَبْتَ الشِّتَاءَ فِي أَخْذَعَيْنِهِ ضَرْبَةً غَادَرْتَهُ عَوْدًا رَكُوبًا

ضربت الشتاء في أخدعيه (عرقين في العنق) ضربة غادرته (جعلته) عوداً (جَمَلًا) ركوباً (مذلاً).
أي أنك طوعت فصل الشتاء للحرب

وَأَرَادُوكَ بِالْبَيَاتِ، وَمَنْ هَذَا يُرَادِي مُتَالِعًا وَعَسِيبًا

أرادوك بالبيات (أرادوا خداعك والهجوم ليلاً)، ومن ذا الذي يرادي (يرجم بالحجارة) متالِعاً
وعسيباً (هذين الجبلين الكبيرين)، فأنت أكبر من خدعة كهذه

فَرَأَوْا قَشَعَمَ السِّيَاسَةِ قَدْ ثَقَّفَ - فَمِنْ جُنْدِهِ الْقَنَا وَالْقُلُوبَا

رأوا قشعم (نسراً مستأً محنكاً) السياسة (سؤس الناس وقيادتهم) قد ثقف (قَوِّمَ) من جنوده القنا
(الرماح) والقلوب أيضاً

أَنْضَرْتُ أَيْكَتِي عَطَايَاكَ، حَتَّى صَارَ سَاقًا عُودِي وَكَانَ قَضِيبًا

عطايك جعلت أيكتي (روضتي) ناضرة،
وصار عودي ساقاً مخضرة بعد أن كان قضيباً عارياً من الورق

مُمْطِرًا لِي بِالْجَاهِ وَالْمَالِ، لَا أَلْ- قَمَّاكَ إِلَّا مُسْتَوْهَبًا، أَوْ وَهُوبًا

أنت تمطر لي إما بجاهك أو بمالك: فأراك تستوهب لي المال (تطلب من الآخرين إعطائي)،
أو تهيه لي

فَإِذَا مَا أَرَدْتَ كُنْتَ رِشَاءً، وَإِذَا مَا أَرَدْتَ كُنْتَ قَلِيبًا

فأنت إما رشاء (حبل الدلو) - أي واسطة للعتاء - أو قليب (بئر)

٨٣ السيوف المغيظة

يمدح أبا سعيد الثغري:

قَلُّوا، وَلَكِنَّهُمْ طَابُوا، فَأَنْجَدَهُمْ جَيْشٌ مِنَ الصَّبْرِ، لَا يُحْصَى لَهُ عَدَدُ
قُلْ عَدَدُهُمْ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا صَادِقِينَ، فَكَانَ الصَّبْرُ جَيْشاً لَهُمْ: جَيْشاً بِلَا جُنُودٍ فَلَا عَدَدَ لَهُ كَيْ تَحْصِيَهُ

إِذَا رَأَوْا لِلْمَنَايَا عَارِضاً لَبَسُوا مِنَ الْيَقِينِ دُرُوعاً مَا لَهَا زَرْدُ
إِذَا رَأَوْا لِلْمَنَايَا عَارِضاً (سَحَاباً مَاطِراً) لَبَسُوا لَاتِقَاتِهِ دُرُوعاً مِنَ الْيَقِينِ (الْإِيمَانِ) لَيْسَ لَهَا زَرْدُ
(حَلَقَاتُ)

نَأَوَّا عَنِ الْمُضْرِخِ الْأَدْنَى، فَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا السِّيُوفُ، عَلَى أَعْدَائِهِمْ مَدَدُ
ابْتَعَدُوا عَنِ الْمَصْرَخِ (الْمَنْجَدِ) الْأَدْنَى لِتَوَغْلَهُمْ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ، فَلَمْ يَبْدَ لَهُمْ مَدَدُ (نَجْدَةُ) إِلَّا السِّيُوفُ

وَلَّى مُعَاوِيَةُ عَنْهُمْ، وَقَدْ حَكَمَتْ فِيهِ الْقَنَا، فَأَبَى الْمَقْدَارُ وَالْأَمَدُ
هَرَبَ مُعَاوِيَةَ (اسْمُ بَابِكِ الْخُرْمِيِّ/ أَوْ اسْمُ أَخِيهِ)، وَقَدْ حَكَمَتْ فِيهِ الْقَنَا (الرَّمَاخُ) بِالْمَوْتِ، وَلَكِنْ
الْمَقْدَارُ (الْقَدَرُ) وَالْأَمَدُ (مُدَّةُ الْعُمُرِ) مَنَحَاهُ عُمُرًا قَفَرًا سَالِمًا

نَجَّاكَ فِي الرُّوعِ مَا نَجَّى سَمِيكَ فِي صَفِينٍ، وَالْخَيْلُ بِالْفُرْسَانِ تَنْجَرِدُ
نَجَّاكَ يَا مُعَاوِيَةَ فِي الْحَرْبِ مَا نَجَّى سَمِيكَ (الْمِمَّاثِلُ لَكَ فِي الْاسْمِ: مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ) فِي
مَعْرَكَةِ صَفِينٍ عِنْدَمَا كَانَتِ الْخَيْلُ تَنْجَرِدُ (تَعْدُو) بِالْفُرْسَانِ

إِنْ تَنْقَلَيْتُ، وَأَنْوُفَ الْمَوْتِ رَاغِمَةً، فَادْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ الرِّكْضِ يَا لَبْدُ
فَلْتَنْ هَرَبْتَ رَغْمَ أَنْفِ الْمَوْتِ الَّذِي يَطْلُبُكَ، فَأَنْتَ طَلِيقُ الرِّكْضِ (نَاجٍ بِسَبَبِ الْفِرَارِ) يَا لَبْدُ (يَا طَوِيلَ
الْعُمُرِ: وَلَبْدٌ هُوَ سَابِعُ نَسْرِ لِقْمَانَ، إِذْ قَبِلَ لِلْقِمَانِ: اتَّخَذَ سَبْعَةَ نَسْرٍ تَعِشُ بِقَدْرِ عُمُرِهَا، فَكَانَ
يَتَّخِذُ نَسْرًا بَعْدَ نَسْرٍ، وَكَانَ سَابِعُهَا «لَبْدٌ» أَطْوَلُهَا عُمُرًا، وَبِمَوْتِهِ مَاتَ لِقْمَانُ)

لَا يَوْمَ أَكْثَرَ مِنْهُ مَنْظَرًا حَسَنًا، وَالْمَشْرِفِيَّةُ فِي هَامَاتِهِمْ تَخِذُ
المشرفية: السيوف، تخذ: تركض

كَأَنَّهَا وَهْيٌ فِي الْأَوْدَاجِ وَالْغَةِ، وَفِي الْكُلَى، تَحِذُ الْغَبِظَ الَّذِي نَحِذُ
كَأَنَّ السِّيُوفَ وَهْيٌ فِي الْأَوْدَاجِ (عُرُوقِ الْعُنُقِ) وَالْكُلَى (شَارِبَةُ) تَحْسُ بِالْغَيْظِ الَّذِي نَجَدُهُ فِي
صُدُورِنَا مِنْ هَذَا الْعَدُوِّ

كَأَنَّ بَابَكَ بِالْبَدَّيْنِ بَعْدَهُمْ نُؤْيٍ أَقَامَ خِلَافَ الْحَيِّ أَوْ وَتَدُ
كَأَنَّ بَابَكَ الْخُرْمِيِّ فِي الْبَدَّيْنِ (اسْمُ مَكَانٍ) بَعْدَ الْمَعْرَكَةِ نُؤْيٍ (قَنَاةُ الْخِيْمَةِ: يَحْفَرُونَ قَنَاةً تَدُورُ حَوْلَ
الْخِيْمَةِ لِكَيْ يَنْزِلَ فِيهَا الْمَطَرُ، وَلَا يَدْخُلُ الْخِيْمَةَ)، أَوْ وَتَدُ بَقِي مَوْجُودًا بَعْدَ رَحِيلِ الْحَيِّ (الْقَوْمِ).
أَيُّ أَنْ وَضَعَ بَابَكَ صَارَ مَهْتَرًا كِبَقَايَا الْمَنْزِلِ بَعْدَ رَحِيلِ أَهْلِهِ

بِكُلِّ مُنْعَرَجٍ مِنْ فَارِسٍ بَطْلٍ، جَنَاجِنٌ فَلَقٌ فِيهَا قَنَا قَصْدُ
في كل منعرج (طريق منعطف) جناجن فلق (عظام صدر مفلقة) لفارس بطل،
وفيه قنا قصد (رماح مكسرة)

لَمَّا عَدَا مُظْلِمَ الْأَحْشَاءِ مِنْ أَشْرِ أَسْكَنْتَ جَانِحَتَيْهِ كَوَكَبًا يَقْدُ
لما أصبح الفارس مظلم الأحشاء (القلب) من أشر (بطلر بالنعمة) أسكنت جانحتيه (جانبي صدره)
كوكباً يقد (كوكباً متقدماً: سنان الرمح)

يَوْمٌ بِهِ أَخَذَ الْإِسْلَامُ زِينَتَهُ بِأَسْرِهِا، وَاكْتَسَى فَخْرًا بِهِ الْأَبَدُ
لَمْ تَبْقَ مُشْرِكَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَتْ، إِنَّ لَمْ تَنْبُ، أَنَّهُ لِلْسَّيْفِ مَا تَلِدُ
فَأَفْخَرُ، فَمَا مِنْ سَمَاءٍ لِلنَّدَى رُفِعَتْ إِلَّا وَأَفْعَالُكَ الْحُسْنَى لَهَا عَمَدُ
عمد: أعمدة

وَاعِزُّ حَسُودَكَ فِيمَا قَدْ خُصِصَتْ بِهِ؛ إِنَّ الْعُلَى حَسَنٌ فِي مِثْلِهَا الْحَسَدُ

٨٤ مداراة الرؤساء

يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري:

عَدَا الْهَمُّ مُحْتَطًا بِفُودَيَّ خِطَّةَ طَرِيقِ الرَّدَى، مِنْهَا إِلَى النَّفْسِ، مَهْيَعُ
أصبح الهم وقد اختط في فودي (سالفِي) خطة (طريقاً) يعني الشيب، وهذا الطريق يمر منه الردى
(الموت) إلى المرء، وهو طريق مهيع (واسع)

لَهُ مَنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَبْيَضُ نَاصِعٌ، وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ
أسفع: مسود

وَنَحْنُ نُنْزِجِيهِ، عَلَى الْكُرْهِ وَالرَّضَا؛ وَأَنْفُ الْفَتَى مِنْ وَجْهِهِ، وَهُوَ أَجْدَعُ
نحن نزجي (نتماشى معه) رضيماً أم أينا؛ وأنفك منك وإن كان أجدع (هذا مثل معناه: عليك أن
ترضى بقسمتك، والأجدع المشروم)

لَقَدْ آسَفَ الْأَعْدَاءُ مَجْدُ ابْنِ يَوْسُفَ وَذُو النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا، بِذِي الْفَضْلِ، مُوَلَّعُ
مجد الرجل أحرز أعداءه، والناقص مولع (مغرئ/مناكف) بذِي الْفَضْلِ

هُوَ السَّيْلُ: إِنَّ وَاجِهَتَهُ انْقَدَّتْ طَوْعَةً، وَتَقْتَادُهُ مِنْ جَانِبَيْهِ فَيَتَّبَعُ
إن عاندته فهو كالسيل يقودك ويجرفك، وإن داريت السيل وجته من الجانبين استقيت من مائه،
وكذا الرئيس فلا تواجهه مواجهةً، بل احرص على مداراته كي يليي رغباتك. كثيرون من مدراء
الدوائر في أيامنا يظنون أنفسهم من ولادة العصر العباسي فيعاندون الموظفين ويعطلون مطالبهم إذا
واجهوهم بصراحة، ويفضلون الموظف المتملق. ومثل هؤلاء رؤساء وملوك لا يزالون يحكمون
شعوباً عربية بعقلية الوالي العباسي

ولم أَرْ نَفْعاً عِنْدَ مَنْ لَيْسَ ضَائِراً، وَلَمْ أَرْ ضُرّاً عِنْدَ مَنْ لَيْسَ يَنْفَعُ

الزعيم الذي ينفَعُك هو من له سطوة، فينفع المقرين ويضر الأعداء

رَأَى الْبُخْلَ مِنْ كُلِّ فَظِيعاً، فَعَاقَهُ عَلَى أَنَّهُ، مِنْهُ، أَمْرٌ وَأَفْظَعُ

قد رأى الممدوح البخل فظيعاً من كل الناس، ولأنه كريم فالبخل مستفزع منه أكثر من غيره

وَكُلُّ كُسُوفٍ فِي الدَّرَارِيِّ شُنْعَةٌ، وَلَكِنَّهُ فِي الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ أَشْنَعُ

فكل كسوف في الدراري (النجوم) شنع، ولكن الكسوف في الشمس والبدر أشنع، لما لهما من بهاء

مَعَادُ الْوَرَى بَعْدَ الْمَمَاتِ؛ وَسَيِّبُهُ مَعَادُ لَنَا قَبْلَ الْمَمَاتِ وَمَرْجِعُ

معاد الوري (مبعث الناس) يكون بعد موتهم، ولكن سيبه (عطاءه) هو لنا كالمبعث، ولما نُمْتُ

٨٥ رَأْيِي كَالشَّعْلَةِ، شَعْلَةٌ كَالسِّيفِ

يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري:

قَطَبَ الْخُشُونَةَ وَاللِّيَانَ بِنَفْسِهِ قَعْدًا جَلِيلًا فِي الْقُلُوبِ لَطِيفًا

قطب (مزج) داخل نفسه خشونة وليناً، فأصبح في قلوب الناس مبعلاً؛ لكن، محبوباً في الوقت نفسه

هَزَّتْهُ مُغْضِلَةُ الْأُمُورِ، وَهَزَّهَا، وَأَخِيفَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ، وَخِيفَا

هزته الأمور المعضلة (الجسيمة)، لكنه هزها أيضاً بالتصدي لها،

وهو يخاف الله ويتقيه، والناس يهابونه

يَقْظَانُ أَحْصَدَتِ التَّجَارِبُ حَزْمَهُ شَزْرًا، وَتُقَفَّ عَزْمُهُ تَشْقِيفًا

أحصدت التجارب (أحكمت قتل الحبل) حزمه شزراً (قتلاً)، وتُقَفَّ عزمه تشقيفاً (ثُذِبَ)

وَاسْتَلَّ مِنْ آرَائِهِ الشُّعْلَ الَّتِي لَوْ أَنَّهُنَّ طُيْعْنَ كُنَّ سُيُوفًا

٨٦ أمدحك بسهولة

يمدح أبا سعيد الثغري:

سَيَّرْتُ فِيكَ مَدَائِحِي، فَتَرَكْتُهَا غُرْرًا تَرُوحُ بِهَا الرُّوَاةُ وَتَغْتَدِي

أذعْتُ فِي مَدْحِكَ قِصَائِدَ غِرَاءٍ يَرُويهَا الرُّوَاةُ رَوَاحًا وَغُدُوًّا (مساءً وصباحاً)

مَا لِي إِذَا مَا رُضْتُ فِيكَ غَرِيبَةً جَاءَتْ مَجِيءَ نَجِيبَةٍ فِي مَقُودٍ!

ما لي كلما رضت (حاولت ترويض) غريبة (قصيدة صعبة كالفرس الصعبة الترويض) جاءتني

كالنجيبة (الفرس الأصلية) ويعنفها المقود

وإذا أَرَدْتُ بِهَا سِوَاكَ فَرَضْتُهَا، واقتَدْتُهَا بِثَنَائِهِ، لَمْ تَنْقُدْ!
وَلِرَاحَتِيهِ دِيمَتَانِ: قَدِيمَةٌ لِي بِالْوَدَادِ، وَدِيمَةٌ بِالْعَسْجِدِ
لِرَاحَتِكَ سَحَابَتَانِ وَاحِدَةٌ تَمْطُرُنِي وَوَادًا، وَوَاحِدَةٌ عَسَجَدًا (ذَهَابًا)

٨٧ دفاعاً عن الاغتراب

يمدح محمد بن يوسف، أبا سعيد الثغري:

سَرَتْ تَسْتَجِيرُ الدَّمَعَ خَوْفَ نَوَى عَدِي وَعَادَ قَتَادًا عِنْدَهَا كُلُّ مَرْقَدٍ
سرت (أُصِغْتُ) تستعين بالدمع خوفاً من فراق الغد، وأُصِغَ مرقدها قَتَادًا (شَوْكًا)

وَأَنْقَذَهَا مِنْ غَمْرَةِ الْمَوْتِ أَنَّهُ صُدُودُ فِرَاقٍ، لَا صُدُودُ تَعَمُّدٍ
وَأَنْقَذَهَا مِنْ غَمْرَةِ الْمَوْتِ (هَجْمَةِ الْمَوْتِ) أَنْ صُدُودِي هُوَ لَوْجُوبُ مَفَارِقَتِي الْبَلَدِ، وَلَيْسَ صُدُودًا
مَتَعَمِّدًا عَنِ الْمَرْأَةِ

هِيَ الْبَدْرُ، يُغْنِيهَا تَوَدُّدُ وَجْهِهَا إِلَى كُلِّ مَنْ لَاقَتْ، وَإِنْ لَمْ تَوَدِّدْ
هي بدر، وفي وجهها تودد وبشاشة طبيعية تواجه بها الناس، وتغنيها عن التودد المصطنع

وَلَكِنِّي لَمْ أَحُوْ وَفَرًا مُجْمَعًا فَفَزْتُ بِهِ، إِلَّا بِشَمْلٍ مُبَدِّدٍ
لَكِنِّي لَمْ أَحُو (لَمْ أَنْلِ) وَفَرًا مُجْمَعًا (مَالًا) إِلَّا بِتَبَدُّدِ الشَّمْلِ وَبِالرَّحِيلِ

وَلَمْ تُعْطِنِي الْأَيَّامُ نَوْمًا مُسَكَّنًا أَلَذُّ بِهِ، إِلَّا بِنَوْمٍ مُشَرَّرٍ
وَلَمْ يَهْدُ بِالْيَ، وَلَمْ أَنْمِ، إِلَّا بَعْدَ السَّهْرِ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي

وَطَوَّلَ مَقَامَ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ لِذِي بَاجَتِيهِ. فَاعْتَزَبَ تَتَجَدَّدُ
طَوَّلَ مَكَثَ الرَّجُلِ فِي الْحَيِّ (مَعَ الْقَوْمِ) مُخْلِقٌ لِذِي بَاجَتِيهِ (يُطْلِي خَدْيِهِ: يَجْعَلُهُ خَامِلًا مَمْلُوءًا).
فَاعْتَزَبَ تَتَجَدَّدُ

فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَيْدَتْ حُبَّةً إِلَى النَّاسِ، أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ
سَرْمَدٌ: أَبَدِيَّةٌ

حَلَفْتُ بِرَبِّ الْبَيْضِ تَذْمِي مَتُونُهَا، وَرَبِّ الْقَنَا الْمُنَادِ وَالْمُتَقَصِّدِ
حَلَفْتُ بِرَبِّ (بِصَاحِبِ) الْبَيْضِ (السُّيُوفِ) الَّتِي يَسِيلُ الدَّمُ مِنْ مَتُونِهَا (نِصَالِهَا)، وَبِرَبِّ الْقَنَا (الرَّمَاحِ)
الْمُنَادِ (الْمَعْرُوجِ لِكثْرَةِ الطَّعْنِ بِهِ) وَالْمُتَقَصِّدِ (الْمَكْتَرِ)

لَقَدْ كَفَّ سَيْفُ الصَّامِتِيِّ مُحَمَّدٍ تَبَارِيحَ ثَارِ الصَّامِتِيِّ مُحَمَّدٍ
لَقَدْ كَفَّ سَيْفُ مُحَمَّدِ الصَّامِتِيِّ (الْمَمْدُوحِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوْسُفَ) تَبَارِيحَ (الْأَلَامِ) ثَارِ مُحَمَّدِ الصَّامِتِيِّ
(مُحَمَّدِ بْنِ حَمِيدٍ)، وَكِلَاهُمَا يَتَسَبَّانِ إِلَى جَدِّ وَاحِدٍ هُوَ «الصَّامِتُ»

عَطَطْتُ، عَلَى رَغَمِ الْعِدَا، عَزَمَ بَابِكَ يَصْبِرُكَ، عَطَّ الْأَتْحِمِيَّ الْمُعْضِدُ

عططت (شقت) عزم بابك (معنوياته)، عط الأتحمي المعضد (كشق القماش المخطط)

فَلَا يَكُنْ وَلَّى بِشَلْوٍ مُقَدِّدٍ هُنَاكَ، فَقَدْ وَلَّى بِعَزْمٍ مُقَدِّدٍ

فلئن لم يكن فر بشلو مقدد (بعضو ممزق) فقد فر بعزم ممزق

وَقَدْ كَانَتْ الْأَرْمَاحُ أَبْصَرْنَ قَلْبَهُ فَأَرْمَدَهَا سَيْتَرُ الْقَضَاءِ الْمُمَدِّدُ

لقد رأت الرماح موضع قلبه واتجهت نحوه، ولكن سترأ من القضاء والقدر أرمدها (أصابها بالرمد، فلم تعد ترى)

رَأَى سَدِيدَ الرَّأْيِ وَالرُّمَحِ فِي الْوَعَى تَأَزَّرُ بِالْإِقْدَامِ فِيهِ وَتَرْتَدِي

رأى بابك سديد الرأي (حكيماً) وسديد الرمح، وتأزرز بالإقدام في الوعى (الحرب) وترتدي (تلبس الشجاعة إزاراً ورداء)

وَلَيْسَ يُجَلِّي الْكَرْبَ رَأْيٌ مُسَدِّدٌ إِذَا هُوَ لَمْ يُوْنَسْ بِرُمَحٍ مُسَدِّدٍ

لا بد للحكمة من رمح مسدد يؤنسها ويعينها

وَكَانَ بَعِيدَ الْقَعْرِ مِنْ كُلِّ مَاتِحٍ فَعَاذَرْتَهُ يُسْقَى، وَيُشْرَبُ بِالْيَدِ

كان العدو كالبئر البعيدة القعر على كل ماتح (مستقى) فتركته قريباً كماء بئر يمكن شربه باليد دون حاجة إلى دلو. يقول: كان يبدو أن النيل من بابك مستحيل، فجعلته يبدو سهلاً

فَمَهْمَا تَكُنْ مِنْ وَقْعَةٍ، بَعْدُ، لَا تَكُنْ سِوَى حَسَنِ مِمَّا فَعَلْتَ، مُرَدِّدٍ

فالمعارك المقبلة ستكون مجرد تكرار لهذه

مَحَاسِنُ أَصْنَافِ الْمَغْنَيْنِ جَمَّةٌ، وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِمَعْبِدٍ

والمهم من الرجال السابق. فالمغنون المجيدون أكثر،

ولكن السابق الذي رسم لهم الطريق هو «معبد»

إِلَيْكَ هَتَكْنَا جُنْحَ لَيْلٍ، كَأَنَّهُ قَدْ اكْتَحَلَتْ مِنْهُ الْبِلَادُ بِإِثْمِدٍ

جنناك وقد هتكنا جنح ليل (خرقنا جناح الليل) كأنه قد كحل البلاد بالإثمد (الكحل)

نَقْلَقُلْ بِي أَدُمَ الْمَهَارَى وَشَوْمَهَا عَلَى كُلِّ نَشْزٍ مُتَلَبِّبٍ وَفَدَفَدٍ

تقلقل (تهتز) بي المهاري (الإبل) الأدم (الداكنة) والشوم (السود) على كل نشز (مرتقى) متلبب (مرتفع) وفدقد (صحراء)

نُقَلِّبْ فِي الْآفَاقِ صِيلاً، كَأَنَّمَا يُقَلِّبُ فِي فَكِّهِ شِقَّةَ مِبْرَدٍ

هذه الإبل تقلبني في البلاد؛ وإني لصل (ثعبان)؛ وإني لأقلب في فمي لساناً كشقة (قطعة) المبرد

تَلَا فَي جَدَاكَ الْمُجْتَدِينَ فَأَصْبَحُوا وَلَمْ يَبْقَ مَذْخُورٌ، وَلَمْ يَبْقَ مُجْتَدٍ
تلافي جذاك المجتدين (أدرك عطاؤك السائلين)، فأصبحوا ولم يبق عندك شيء مذكور (مذكّر)،
ولم يبق فيهم مجتد (سائل فقير)

إِذَا مَا رَحَى دَارَتْ، أَذَرْتُ - سَمَاحَةً - رَحَى كُلِّ إِنْجَازٍ عَلَى كُلِّ مَوْعِدٍ
إذا ما دارت الرحى (حجر الطاحون) فأنت تدبر لسماحتك (كرمك) رحى الإنجاز على كل موعد
(وعد). فأنت تطحن الوعود وتلغيتها بتحقيقها

٨٨ سله كيف نجا

بمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري الطائي، ويذكر وقعته بالخرمية:

لَمَّا قَرَأَ النَّاسُ ذَاكَ الْفَتْحَ قُلْتُ لَهُمْ: وَقَائِعُ حَدَّثُوا عَنْهَا، وَلَا حَرْجًا
عندما قرأ الناس رسالة البشير بنصرك قلت لهم: حدثوا بما علمتم، ولا حرج عليكم، فهو صحيح

أَضَاءَ سَيْفِكَ، لَمَّا اجْتَثَّ أَصْلُهُمْ، مَا كَانَ مِنْ جَانِبِي تِلْكَ الْبِلَادِ دَجَا
أضأت بسيفك - عندما اجتثت أصلهم (قطعت أصل الأعداء) - ما كان قد دجا (أظلم) في جانبي البلاد

لَمَّا أَبَوْا حُجَجَ الْقُرْآنِ وَاضِحَةً كَانَتْ سَيْوُفُكَ فِي هَامَاتِهِمْ حُجَجًا
بيض (سيوف) وسمر (رماح) إذا غمرة زخرت للموت (سيل طما/مصيبة مميتة وقعت) فإنك عندئذ
تخوض بأسلحتك أرواح الأعداء ونفوسهم

إِنْ يَنْجُ مِنْكَ أَبُو نَصْرِ فَمَنْ قَدِيرٍ تَنْجُو الرُّجَالُ، وَلَكِنْ سَلُهُ كَيْفَ نَجَا
لئن استطاع أبو نصر (أحد قادة الأعداء/وقيل هو بابك نفسه) أن ينجو فإنما هذا من صنع القدر،
لكن أسأله كيف نجا! لقد نجا مذعوراً تاركاً سلاحه

قَدْ حَلَّ فِي صَخْرَةٍ صَمَاءٍ مُعْنِقَةٍ فَانْجَثَّ بِرَأْيِكَ فِي أَوْعَارِهَا دَرْجَا
اعتصم القائد الهارب بصخرة صماء معنقة (عالية)؛ فانجث برأيك (بتدبيرك) في هذا المرتقى الوعر
درجا يوصلك إليه. وكانت لبابك قلعة حصينة

وَعَادِهِ بِسَيْوِفٍ طَالَمَا شُهِرَتْ فَأَخْلَفَتْ مُتَرَفًا مَا كَانَ قَبْلَ رَجَا
وغاديه (بكر إليه) بسيوف كثيراً ما شهرت (جُرِّدت) فأخلفت ظن المترف (الذي لا قبل له بالحرب)
فيما كان يرجوه من النجاة

وَشُرِّبَ مُضْمَرَاتِ طَالَمَا خَرَقَتْ مِنْ الْقَتَامِ الَّذِي كَانَ الْوَعَى نَسَجًا
وبكر إليه أيضاً بشرب مضمرات (خيل نحيفة) كثيراً ما خرقت (مزقت) القتام (الغبار) الذي نسجه
الوغي (الحرب)

٨٩ كم ترك الأول للآخر

يمدح أبا سعيد الثغري:

لَا زِلْتَ مِنْ شُكْرِي فِي حُلَّةٍ لَا يَسُهَا ذُو سَلْبٍ فَاجِرٍ
أَدْعُو أَنْ تَظَلَّ لَا بَسًا حِلَّةً (ثوباً) مِنْ مَدَائِحِي، وَلَا بَسَهَا ذُو سَلْبٍ (ثوب) فَاجِرٍ

يَقُولُ مَنْ تَفَرَّغَ أَسْمَاعُهُ: كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ
يقول من يسمع قصائدي: ما أكثر ما ترك الأول (الشعراء الأقدمون) للآخر (للشعراء المعاصرين)
من معانٍ!

٩٠ أمد إليك آمالاً طوالا

يعاتب أبا سعيد ويستبطنه:

إِذَا مَا الْحَاجَةُ انْبَعَثَتْ يَدَاهَا جَعَلْتَ الْمَنْعَ مِنْكَ لَهَا عَقْلًا
حَاجَتِي كَالنَّاقَةِ الَّتِي انْبَعَثَتْ يَدَاهَا (تَحَرَّكَتْ قُدَمَاهُ)؛
وَجَعَلْتَ أَنْتَ مَنَعَكَ عَقْلًا (رِبَاطًا) لَهَا يَكْفِيهَا عَنِ السَّيْرِ

فَأَبْنَ قَصَائِدُ لِي فِيكَ تَأَبَى، وَتَأْنِفُ، أَنْ أَهَانَ، وَأَنْ أَذَالَ
مِنْ السَّحْرِ الْحَلَالَ لِمُجْتَنِبِهِ، وَلَمْ أَرْ قَبْلَهَا سِخْرًا حَلَالًا
فَلَا يَكْذُرُ غَدِيرُكَ لِي، فَإِنِّي أُمِدُّ إِلَيْكَ أَمَالًا طَوَالًا

٩١ إعصار على حيطان القسطنطينية

يمدح أبا سعيد الثغري:

لَا أَنْتَ أَنْتَ، وَلَا الدِّيَارُ دِيَارُ خَفَّ الْهَوَى، وَتَوَلَّى الْأَوْطَارُ

تغير كل شيء، ورحل شبابك يا أبا تمام، وخف الهوى (رحل) وتولت (ذهبت) الأوطار (الرغبات). رواية الصولي «أنت» بقاء مفتوحة، وقد اخترناها على رواية التبريزي التي يخاطب فيها مؤنثاً، فالشاعر يرى نفسه ويخاطب نفسه. والحيية رحلت من زمن بعيد فلا وجه لتخيل أنها تغيرت، بل الوجه أن يظل يراها الشاعر شابة، لأن صورتها ثبتت في خياله على ما كانت. وقد لحق بالتبريزي أحد الدكاترة، ولكن إيليا الحاوي وإبراهيم الأسود ومحيي الدين الخياط فتحوها مع الصولي

قَدْ صَرَّحَتْ عَنْ مَحْضِهَا الْأَخْبَارُ، وَاسْتَبَشَّرَتْ بِفُتُوحِكَ الْأَمْصَارُ

يمدح: صرحت الأخبار عن محضها (كشفت عن حقيقتها، كما يكشف اللبن الحليب عن حقيقته) بانقشاع الرغوة، واستبشرت نواحي البلاد بفتوحك

قُدَّتِ الْجِيَادُ، كَأَنَّهُنَّ أَجَادِلُ، بِقَرَى «دَرُولِيَّةٍ» لَهَا أَوْكَارُ

قُدت الخيل كأنها أجادل (صقور) لها أوكار في الجبال التي تقع فيها قرى درولية

حَتَّى التَّوَى، مِنْ نَقَعٍ قَسَطَلَهَا عَلَى حَيْطَانٍ قُسْطَنْطِينَةَ، الإِعْصَارُ

قُدت الجياد حتى تلوى من نقع قسطلها (غبار/غبارها) إعصار وصل سور القسطنطينية

إِلَّا تَكُنْ حُصِرَتْ، فَقَدْ أَضْحَى لَهَا، مِنْ خَوْفِ قَارِعَةِ الْحِصَارِ، حِصَارُ

فلئن لم تكن القسطنطينية قد حوصرت فعلاً،

فقد أصبح خوفها من قارعة (مصبية) الحصار حصاراً

خَشَعُوا لِصَوْلَتِكَ الَّتِي هِيَ عَنْدهُمْ كَالْمَوْتِ بِأَنِّي لَيْسَ فِيهِ عَارُ

خشعوا هناك لصولتك (لهجمتك)، وهي بالنسبة لهم شبيهة بالموت: فيه ألم ولكن ليس فيه عار،
لأنه مكتوب لا مفر منه

فَالْمَشْيِ هَمْسٌ، وَالنَّدَاءُ إِشَارَةٌ خَوْفِ انتِقَامِكَ، وَالْحَدِيثُ سِرَارُ

فأصبح مشيهم همساً (الهمس: صوت المشي الخفيف)، وأصبحوا ينادون بعضهم بالإشارة خوف
انتقامك، وأصبح حديثهم سراراً (وشوشة)

٩٢ شجاعة الصدر والقفا

يمدح أبا سعيد الثغري:

هَلْ اجْتَمَعَتْ أَحْيَاءُ عَدْنَانَ كُلِّهَا بِمُلْتَحَمٍ، إِلَّا وَأَنْتَ أَمِيرُهَا؟

ما تجتمع قبائل عدنان في ملتحم (معترك) إلا وأنت أميرها (والأمير الممدوح من طيء اليمنية،
وعدنان غير يمانية)

بِكَ الْيَمَنِ اسْتَعَلَّتْ عَلَى كُلِّ مَوْطِنٍ، فَصَارَ لِطَيِّ تَاجُهَا وَسَرِيرُهَا

السريـر: العرش

مُحَرَّمَةٌ أَكْفَالُ خَيْلِكَ فِي الْوَعَى، وَمَكْلُومَةٌ لِبَآئِهَا وَنُحُورُهَا

أنت لا تنهزم فأكفال خيلك (مؤخراتها) محرمة لا تصاب، ولكن لبائتها (صدورها) ونحورها
(صدورها) مكلومة (معجوجة)

حَرَامٌ عَلَى أُرْمَاحِنَا طَعْنُ مُذِيرٍ وَتَنْدَقُ فِي أَعْلَى الصُّدُورِ صُدُورُهَا

ورماحنا لا تطعن المدير (الفار)، ولكن تندق صدور صدور الرماح

(أعاليتها) في صدور الأعداء

٩٣ حقن ماء الوجه

يمدح أبا سعيد الثغري:

رَدَدْتَ رَوْنَقَ وَجْهِهِ فِي صَحِيفَتِهِ رَدَّ الصَّقَالِ بَهَاءَ الصَّارِمِ الْحَذِمِ
الصقال: الصقل؛ الصارم، والخزم: السيف القاطع

وما أُبَالِي، وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ، حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِ، أَوْ حَقَنْتَ دَمِي

٩٤ الثلثة بين الرايين

يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف وقد غاب عنه:

مَتَى كَانَ سَمْعِي خُلْسَةً لِلَّوَائِمِ؟ وَكَيْفَ صَغَتْ لِلْعَاذِلَاتِ عَزَائِمِي؟
منذ متى كان سمعي خلسة (نهباً متاحاً) للوائم (العاذلات)، وكيف صغت (مالت) للعاذلات عزيزتي؟

إِذَا الْمَرْءُ أَبْقَى بَيْنَ رَأْيَيْهِ ثُلْمَةً نُسِدْتُ بِتَعْنِيفٍ، فَلَيْسَ بِحَازِمٍ
إذا المرء ترك ثغرة بين رأيين يكون محتاراً بينهما - وبالطبع سيملا الناس هذه الثغرة بالتعنيف والتدخل في شؤونه - فليس حازماً

فَتَى فَيُضِلِّي الْعَزِمَ، يَغْلَمُ أَنَّهُ نَشَأَ رَأْيُهُ بَيْنَ السُّيُوفِ الصَّوَارِمِ
يمدح: هذا الفتى عزمه منسوب للفصيل (السيف)، ورأيه نشأ (ارتفع) ما بين السيوف القواطع

أَسَاءَتْ يَدَاهُ عِشْرَةَ الْمَالِ بِالنَّدَى، وَأَحْسَنَتَا فِينَا خِلَافَةَ حَاتِمِ
أساء عشرة الأموال فهو يبددها، وهو خير خلف لحاتم الطائي

٩٥ بشق النفس

يمدح أبا سعيد الثغري وقد قدم من مكة:

إِنَّ عَهْدًا لَوْ تَعَلَّمَانِ دَمِيمًا أَنْ تَنَامَا عَنْ لَيْلَتِي، أَوْ تُنِيمَا
أيها الصديقان إنه لذميم (معيب) في العهد (رابطة الأخوة بيتنا) أن تناما أنتما وأنا أقاسي ليلتي الصعبة، أو حتى أن تتركا أحداً ينام، بل شاركانني السهر والحزن

كَنتُ أَرْعَى الْبُدُورَ، حَتَّى إِذَا مَا فَارَقُونِي، أَمْسَيْتُ أَرعى النُّجُومَا
كنت أرقب (أراقب) البدور (وجوه الأحبة)، وصرت بعد فراقهم أراقب نجوم السماء ساهراً

أَصْبَحْتُ رَوْضَةَ الشَّبَابِ هَشِيمًا وَغَدْتُ رِيحَهُ الْبَلِيلِ سَمُومًا
هشيماً: يابسة العشب، ريحه البليل: نسيمه المنعش، السموم: ريح حارة سافية

شُعْلَةً فِي الْمَفَارِقِ اسْتَوْدَعْتَنِي، فِي صَمِيمِ الْفؤَادِ، تُخْلَا صَمِيمَا
الشَّيْبِ مِثْلَ الشُّعْلَةِ فِي الْمَفَارِقِ (الرَّأْسِ) وَقَدْ اسْتَوْدَعْتَنِي (تَرَكْتُ لِي) فِي صَمِيمِ قَلْبِي إِحْسَاسًا بِشَكْلِ
(فَقَدْ) الشَّبَابِ

حَلَمْتَنِي - زَعَمْتُمْ - وَأَرَانِي، قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ، كُنْتُ حَلِيمًا
شُعْلَةُ الشَّيْبِ تَزْعُمُونَ أَنَّهَا حَلَمْتَنِي (جَعَلْتَنِي حَلِيمًا وَقَوْرًا)، لَكُنْتِي حَلِيمٌ مِنْ يَوْمِي
لَنْ يَنَالَ الْعُلَى خُصُوصًا مِنَ الْفِتَنِ يَانِ مَنْ لَمْ يَكُنْ نَدَاهُ عُمُومًا
نَشَأْتُ مِنْ يَمِينِهِ نَفَحَاتٌ، مَا عَلَيْهَا إِلَّا تَكُونُ غُيُومًا
يَتَكَلَّمُ عَنِ الْمَدُوحِ: ارْتَفَعَتْ مِنْ يَدِهِ نَفَحَاتُ (هَبَاتُ رِيحٍ)، فَلَمْ لَا تَحْوِلْ إِلَى غَيُومٍ (عَطَايَا سَخِيَّةٍ)؟

قَدْ بَلَّوْنَا أَبَا سَعِيدٍ حَدِيثًا، وَبَلَّوْنَا أَبَا سَعِيدٍ قَدِيمًا
فَعَلِمْنَا أَنْ لَيْسَ، إِلَّا بِشَيْقُ النَّدِّ - نَفْسٍ، صَارَ الْكَرِيمُ يُدْعَى كَرِيمًا
طَلَبَ الْمَجْدُ يُوْرِثُ الْمَرْءَ خَبَلًا وَهُمُومًا تُقْضِضُ الْحَيُزُومَا
السَّعْيُ لِلْمَجْدِ يُوْرِثُ الْمَرْءَ خَبَلًا (جُنُونًا)، وَهُمُومًا تُقْضِضُ (تَكْسُرُ) الْحَيُزُومَ (الْمَدْرَ)
فَتَرَاهُ، وَهُوَ الْخَلِي، شَجِيحًا وَتَرَاهُ، وَهُوَ الصَّحِيحُ، سَقِيمًا
الْخَلِي: الْفَارِغُ الْبَالِ، الشَّجِي: الْمَهْمُومُ

تَيَمَّمْتُهُ الْعُلَى، فَلَيْسَ يَعُدُّ الْـ جُبُوسٌ بُؤْسًا، وَلَا النَّعِيمَ نَعِيمًا
أَجْدَرُ النَّاسِ أَنْ يُرَى وَهُوَ مَغْبُورٌ نٌ؛ وَهَيْهَاتَ أَنْ يُرَى مَظْلُومًا
هُوَ أُخْرَى النَّاسِ أَنْ تَرَاهُ مَغْبُورًا (يَحِبُّ - لِسَخَاةٍ - أَنْ يَتَغَاْفَلَ النَّاسُ وَيَأْخُذُوا أَمْوَالَهُ)،
لَكِنَّهُ أَبْيُّ يَرْفُضُ أَنْ يُظْلَمَ

وَإِذَا كَانَ عَارِضُ الْمَوْتِ سَحًّا خَضَلًا بِالرَّدَى، أَجَشَّ هَزِيمًا ..
إِذَا كَانَ عَارِضُ (سَحَابِ) الْمَوْتِ سَحًّا (هَاطِلًا)، خَضَلًا (نَدِيًا) بِالرَّدَى، أَجَشَّ (رَاعِدًا) هَزِيمًا (رَاعِدًا) ..
وَاكْتَسَتْ ضُمُرُ الْجِيَادِ الْمَذَاكِي مِنْ لِبَاسِ الْهَيْجَا دَمًا وَحَمِيمًا
وَاكْتَسَتْ ضُمُرُ الْجِيَادِ (الْخِيُولُ النَّحِيلَةُ) الْمَذَاكِي (الْمَكْتَمَةُ النَّمُو) مِنْ لِبَاسِ الْهَيْجَاءِ (الْمَعْرَكَةِ) دَمًا
وَحَمِيمًا (عَرَقًا) ..

فِي مَكْرٍ تَلَوَّكُهَا الْحَرْبُ فِيهِ، وَهِيَ مُقَوَّرَةٌ تَلَوَّكَ الشَّكِيمَا
وَالْخَيْلُ فِي مَكْرٍ (مَعْتَرِكٍ) تَلَوَّكُهَا الْحَرْبُ، بَيْنَمَا هِيَ مُقَوَّرَةٌ (ضَامِرَةٌ نَحِيلَةً) تَلَوَّكَ الشَّكِيمِ (الْحَدَادَتِ)
فِي أَفْوَاهِهَا) ..

قُمْتُ فِيهَا بِحُجَّةِ اللَّهِ، لَمَّا أَنْ جَعَلْتَ السُّيُوفَ عَنْكَ خُصُومًا
عِنْدَئِذٍ قَاتَلْتَ وَقُمْتَ بِحُجَّةِ اللَّهِ (بَنَصَرَ دِينَهُ وَإِثْبَاتَ صَحَّتِهِ)، وَذَلِكَ عِنْدَمَا جَعَلْتَ السُّيُوفَ خُصُومًا
عَنْكَ (نَوَّابًا عَنْكَ فِي مَجَالِ الْحِجَاجِ وَالْإِحْتِكَامِ)

٩٦ وداع فصيام

يمدح أبا سعيد الثغري ويذكر غمه بفراقه:

لَأَوْدَعَنَّكَ، ثُمَّ تَدَمَّعَ مُقْلَتِي إِنَّ الدُّمُوعَ هِيَ الْوَدَاعَ الشَّانِي
وَأَصُومُ بَعْدَكَ عَنْ سِوَاكَ، وَأَعْتَدِي مُتَقَلِّدًا صَوْمَيْنِ فِي رَمَضَانِ

٩٧ الهيق

وقال يمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني:

لَيْسَنَ ظِلِّينِ: ظِلٌّ أَمِنَ مِنَ الدَّ - هَرٍ، وَظِلًّا مِنْ لَهْوِهِ وَدِدِهِ
هؤلاء الفتيات المنعمات الغنيات يتفیان بأمن من الزمن، وباللهو والدد (اللعب)

فَهُنَّ يُخْبِرُنَ عَنْ بُلْهَنِيةِ ال - عَيْشِ، وَيَسْأَلْنَ مِنْهُ عَنْ جَحْدِهِ
ويستطعن إخبارك عن بلهنية العيش (العيش الرغد) فهن يعرفنه، لكنهن يسألن عن جحد العيش .
(العيش القاسي) لجهلهن به

سَأَخْرِقُ الْخَرْقَ بِابْنِ خَرْقَاءَ، كَال - هَيْقِ إِذَا مَا اسْتَحَمَّ فِي نَجْدِهِ
سأخترق الخرق (الصحراء) بجمل ابن خرقاء (ناقة سريعة) كالهيق (النعام) إذ يستحم في نجده (عرقه)
والنعام لا تعرق، بل تلهث كالكلب إذا احترت. والجمل لا يعرق عرقاً نراه، بل
ينز قليلاً تحت فروته عند اشتداد الحر ولا يرى له عرق، فضلاً عن الاستحمام به.
ولو كان يستحم في عرقه لما كان سفينة الصحراء، ولا ضُرب به المثل في تحمل
العطش. ما اقتبست لك البيت إلا كي يوصلنا إلى الممدوح. وكنت أحب أن أتمس
العذر لأبي تمام فأجعل ابن الخرقاء هذا حصاناً (فمن معاني الخرقاء: الأرض
الخلا)، والحصان يعرق، ولكن الأمر لم يستقم لي لأن شاعرنا مضى في وصف
سنام الجمل فقطع علينا الطريق. وتناول البيت الأمدي - وهو الناقد المتحامل
على أبي تمام المفتش عن عيوبه - وجعل الاستحمام استجماماً بالجم، ولكنه شرح
النجد بالعرق، وقال: ابن خرقاء: يريد بغيراً. ولم ير في المعنى، مع ذلك، ما رأينا
من خلل. لا بل عَقِبَ على البيت وإخوة له قائلاً: «وهذه معان صحيحة، ولكن
النسج لا حلاوة له، ولا طلاوة عليه.» ويندر من الأمدي أن يجد لأبي تمام معاني
صحيحة، فإن وجد هذا المعنى صحيحاً فهو يفتح نافذة على الشك في نقدنا نحن.
وسأكون مسروراً أن يتعقبني أحد في هذا فيرشدني إلى ما قد يكون غاب عني.
(لاحقاً لهذا التحليل الطويل وجدت من يتعقبني، ها هي ملاحظة عمران القفيني:
«تعال نتفاوض: ألا يكون هذا من «الإحالة» التي يعيب بها النقاد على الشعراء
مبالغاتهم؟ أي أن هذه التي لا تعرق في الصحراء: النعام والجمل، سأمطيها حتى
تستحم في عرقها وصولاً إلى الممدوح. أو ربما سأقطع صحارى لا قبل لجمل ولا
لنعام بقطعها وصولاً إليه، حتى أنها استحمت بعرقها من طول الطريق أو
صعوبتها؟»)

إِلَى الْمُفَدَّى أَبِي يَزِيدَ الَّذِي يَصِلُ غَمْرُ الْمُلُوكِ فِي ثَمِدَةٍ
فَاصِداً أَبَا يَزِيدَ الَّذِي يَضِيعُ غَمْرُ الْمُلُوكِ (ماؤهم الغامر أي عطاؤهم الكثير) فِي ثَمِدَةٍ (مائه القليل).
فَقَلِيلُ عَطَائِهِ أَكْثَرُ مِنْ كَثِيرِ عَطَائِهِمْ

ظِلُّ عَفَاةٍ، يُحِبُّ زَائِرَهُ حُبَّ الْكَبِيرِ الصَّغِيرَ مِنْ وَلَدِهِ
هُوَ ظِلٌّ يَسْتَظِلُّ بِهِ الْعَفَاءُ (الْفُقَرَاءُ)، وَيَحِبُّ زَائِرِهِ حُبَّ الْأَبِ الْمُتَقَدِّمِ فِي السِّنِّ أَصْغَرَ أَوْلَادِهِ
إِذَا أَنَاخُوا بِبَابِهِ أَخَذُوا حُكْمِيهِمْ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ
إِذَا أَنَاخَ الْوَافِدُونَ إِلَيْهِمْ فِي بَابِهِ أَخَذُوا حُكْمَهُمْ (مَا شَاءُوا) مِنْ لِسَانِهِ تَرْحِيماً، وَمِنْ يَدِهِ مَالاً

٩٨ القصيدة المغرورة

يَمْدَحُ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدٍ الشَّيْبَانِيَّ:

مَضَوْا وَهُمْ أَوْتَادُ نَجْدٍ وَأَرْضِيهَا، يُرَوْنَ عِظَاماً كُلَّمَا عَظُمَ الْخَطْبُ
انصرفت أيامهم وكانوا أوتاد نجد (ركائزها)، وكنا نراهم عظاماً على مستوى الحدث
وَمَا كَانَ بَيْنَ الْهَضْبِ، فَرْقٌ، وَبَيْنَهُمْ؛ سَوَى أَنَّهُمْ زَالُوا، وَلَمْ يَزَلِ الْهَضْبُ
لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْهَضَابِ الرَّاسِخَةِ فَرْقٌ إِلَّا أَنَّهُمْ مَاتُوا وَبَقِيَ الْهَضَابُ

فَيَا وَشَلَ الدُّنْيَا بِشَيْبَانَ لَا تَغْضُ، وَيَا كَوَكَبَ الدُّنْيَا بِشَيْبَانَ لَا تَحُبُّ
يَا وَشَلَ الدُّنْيَا (مَا تَبَقِيَ مِنْ مَائِهَا) لَا تَغْضُ (لَا تَجْفُ) بِشَيْبَانَ (بِجَفَافِ شَيْبَانَ، فَهَمَّ كُلُّ مَا تَبَقِيَ مِنْ خَيْرِ
فِي الدُّنْيَا)، وَيَا كَوَكَبَ الدُّنْيَا لَا تَحُبُّ (لَا تَحْمَدُ) بِشَيْبَانَ (بِخُمُودِ شَيْبَانَ)، فَخُمُودُهُمْ خُمُودٌ لِلدُّنْيَا
فَمَا دَبَّ إِلَّا فِي بُيُوتِهِمْ النَّدَى وَلَمْ تَرْبُ إِلَّا فِي حُجُورِهِمْ الْحَرْبُ
فَمَا دَبَّ (مَشَى) الْكُرْمُ إِلَّا فِي بُيُوتِهِمْ، وَلَمْ تَرْبُ (تَكْبَرُ وَتَتَرَعَّرُ) الْحَرْبُ إِلَّا فِي حُجُورِهِمْ (أَحْضَانَهُمْ)
أَوَّلَاكَ بَنُو الْأَحْسَابِ، لَوْلَا فَعَالُهُمْ، دَرَجَنَ، فَلَمْ يُوجَدْ لِمَكْرُمَةٍ عَقَبُ
أَوَّلَاكَ (أَوَّلُكَ) بَنُو الْأَحْسَابِ (الشُّرَفِ)، وَلَوْلَا فَعَالُهُمْ (أَمْجَادُهُمْ) لَدَرَجَنَ (لَدَرَجَتْ الْأَحْسَابُ، أَيْ
انْقَرَضَتْ)، وَلَمَّا لَقِيتُ عَقِباً (جَيْلاً جَدِيداً) لِلْمَكَارِمِ

لَهُمْ يَوْمٌ ذِي قَارٍ، مَضَى وَهُوَ مُفَرَّدٌ وَجِيدٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ، لَيْسَ لَهُ صَحْبُ
حَارِبُوا فِي يَوْمِ ذِي قَارٍ ضِدَّ الْفَرَسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ فَرِيداً لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا قَرِينَ

بِهِ عَلِمَتْ صُهْبُ الْأَعَاجِمِ أَنَّهُ بِهِ أَغْرَبَتْ عَنْ ذَاتِ أَنْفُسِهَا الْعُرْبُ
عَلِمَتْ الْأَعَاجِمُ الصُّهْبُ (الشُّعْرُ) فِي هَذَا الْيَوْمِ أَنَّ الْعَرَبَ تَرِيدُ أَنْ تَعْرِبَ عَنْ بَأْسِهَا وَحَقِيقَةِ
مُشَاعَرِهَا الْإِسْتِقْلَالِيَّةِ

هُوَ الْمَشْهُدُ الْفَضْلُ الَّذِي مَا نَجَا بِهِ لِكِسْرَى بْنِ كِسْرَى لَا سَنَامٌ وَلَا صَلْبٌ
كان مشهداً فاصلاً ولم ينج فيه لكسرى ابن الأكاسرة لا سنام ولا صلب (فقد كسرى كل شيء: فسنام
الجميل يذوب مع طول الرحلة ويعود للنمو بالراحة والجمام، لكن كسرى فقد السنام والظهر نفسه أيضاً)

أَقُولُ لِأَهْلِ الثَّغْرِ: قَدْ رُبَّبَ الثَّأْيُ، وَأُسْبِغَتِ النِّعْمَاءُ، وَالتَّامَ الشَّعْبُ
أقول لساكني الثغر (مناطق الحدود) لقد ربب الثأى (رتق الخرق)، وأسبغت النعماء (وزعت
الأموال)، والتأم الشعب (التحم الكسر)

فَسَيِّحُوا بِأَطْرَافِ الْفَضَاءِ وَأَرْتِعُوا؛ قَنَا خَالِدٍ، مِنْ غَيْرِ دَرْبٍ، لَكُمُ دَرْبٌ
فاسرحوا وأرتعوا (اجعلوا مواشيكم ترتع)، قنا خالد (رماحه) هي دريكم (جبلكم) إذا لم يكن لكم
جبل يقيمكم عدوان الروم. والدرب هو الممر الجبلي المفضي إلى بلاد الروم، واستعارها لكل جبل

فَتَى عِنْدَهُ خَيْرُ الثَّوَابِ وَشَرُّهُ، وَمِنَ الْإِبَاءِ الْمِلْحُ، وَالكَرْمُ الْعَذْبُ
عنده الثواب والعقاب، وإبائه ملح (مالح)، وكرمه عذب

أَشْمُ شَرِيكِي، يَسِيرُ أَمَامَهُ، مَسِيرَةَ شَهْرٍ، فِي كِتَائِبِهِ الرُّعْبُ
أشم شريكي (منسوب إلى «شريك» أحد أجداده) يسبقه الربع مدة شهر قبل وصوله إلى الأعداء.
جاء في الحديث: «نصرت بالربع مسيرة شهر»

وَلَمَّا رَأَى تُوفِيلُ رَايَاتِكَ الَّتِي إِذَا مَا اتَّلَا بَتَّ لَا يُقَاوِمُهَا الصُّلْبُ
لما رأى توفيل (توفلس قائد الروم) راياتك التي إذا اتلأت (تلاحقت) لا تستطيع الرايات الموسومة
بالصلبان أن تقاومها..

تَوَلَّى، وَلَمْ يَأَلِ الرَّدَى فِي اتِّبَاعِهِ، كَأَنَّ الرَّدَى فِي قَضِيهِ هَائِمٌ صَبٌّ
.. تولى (انصرف) ولم يأل (لم يتوان) الردى (الموت) في اللحاق به، فكان الموت هائم به صب
(محب) له

عَدَا خَائِفًا يَسْتَنْجِدُ الْكُتْبَ، مُذْعِنًا، عَلَيْكَ، فَلَا رُسْلٌ ثَنَتْكَ، وَلَا كُنْتُ
خاف وصار يستجد عليك الكتب (رسائل الحوار وطلبات التفاوض)، ولكن هذا لم يثنك (لم
يردك عن عزيمتك)

وَمَا الْأَسَدُ الضَّرْعَامُ يَوْمًا بِعَاكِسٍ صَرِيْمَتَهُ إِنْ أَنْ، أَوْ بَصْبَصَ الْكَلْبُ
الأسد لا يعكس (يغير) صريمته (عزمه) إذا صدر من الكلب أنين أو بصيص (حرك ذنبه مستعطفاً)

جُعِلَتْ نِظَامُ الْمَكْرُمَاتِ، فَلَمْ تَدُرْ رَحَى سُودْدٍ إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا قُطْبُ
أنت نظام (عقد) المكرمات (الفضائل) تجمعها جمعاً، وإذا دارت رحى سودد (حجر طاحون
السيادة) فأنت لها القطب الذي هو محور دورانها

وسيارة في الأرض، ليسَ بِنَازِحٍ على وَخْدِهَا حَزْنٌ سَحِيقٌ ولا سَهْبٌ
ورب قصيدة (هي قصيدتي هذه) سيارة (تسير على كل لسان بكل بلد)، وليس بنازح (ببعيد) على
وخدها (سيرها السريع) حزن سحيق (جبل بعيد) ولا سهب (سهل)

إذا أَتَشِدَّتْ فِي الْقَوْمِ ظَلَّتْ كَأَنَّهَا مُسِيرَةٌ كَبِيرٌ، أَوْ تَدَاخَلَهَا عُجْبٌ
عندما يجري إنشادها تكون القصيدة نفسها فخورة وكأنها مسرة كبر (مخفية زهواً وإعجاباً بنفسها)
أو كأنه تداخلها عجب (دخل قلبها الغرور). هذا تشخيص طريف وأيم الحق

٩٩ خرّ صريعاً بين أيدي القصائد

بمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني:

يقول أناسٌ في «حَبِينَاءَ» عَايَنُوا عِمَارَةَ رَحْلِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ:
يقول هؤلاء الذين عاينوا (رأوا) في «حبييناء» عمارة رحلي (حمولة جملي) التي فيها الطريف
(الجديد) والتالد (الموروث)

أَصَادَفْتُ كَنْزاً أَمْ صَبَحَتْ بِغَارَةٍ ذَوِي غَرَّةٍ حَامِيهِمْ غَيْرُ شَاهِدٍ؟
يقولون: أصادفت كنزاً، أم صبحت بغارة (هجمت صباحاً) أناساً ذوي غرة (غافلين) وفرسانهم
الذين يحمونهم غائبون؟

فَقُلْتُ لَهُمْ: لَا ذَا، وَلَا ذَاكَ دَيْدَنِي، وَلَكِنِّي أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ خَالِدٍ
ديدني: عادي

جَذَبْتُ نَدَاهُ غُدْوَةَ السَّبْتِ جَذْبَةً فَخَرَّ صَرِيعاً بَيْنَ أَيْدِي الْقَصَائِدِ
فَأَلْبَسَنِي مِنْ أَمَّهَاتِ بِلَادِهِ وَالْبَسْتُهُ مِنْ أَمَّهَاتِ قَلَائِدِي

تلاده: ماله القديم، قلائدي: قصائدي. للآمدي صاحب «الموازنة» في هذه الأبيات
أسطر نقدية ما زالت تضحكني كلما قرأتها وهاكها بحرفها: «ومن رديء خروجه لفظاً
ومعنى قوله: «يقول أناس في حبييناء عاينوا/ عمارة رحلي من طريف وتالد// أصادفت
كنزاً أم صبحت بغارة/ ذوي غرة حاميمهم غير شاهد// فقلت لهم لا ذا ولا ذاك ديدني/
ولكنني أقبلت من عند خالد» وهذا من معاني العوام أن يقولوا لمن رأوا حاله قد
حسن: على من أغرت، أو أي كنز وجدت. وما ظننت مثل هذا يُنْظَمُ شعراً. وقوله:
«أقبلت من عند خالد» كلام كالفارغ. وإنما كان ينبغي لمن ابتلاه الله بهذا المعنى أن
يقول في جوابهم: نعم كنز خالد، وأغار على ندى خالد. ولكنه، لعمرى، بيّن المعنى
في البيت الثاني، وعرفهم سبب عمارة رحله بأن قال: «جذبت نداء غدوة السبت
جذبة/ فخر صريعاً بين أيدي القصائد». وهذا، وأبيه، معنى متناوٍ في برده وغثائه
وركاكته، ولشتمته الممدوح عندي بالزنى أحسن وأجمل من جذب نداء حتى يخثر
صريعاً. ولو لم يُعلمنا أن ذلك كان غدوة السبت كيف كان يتم بَرْدُ المعنى؟ وحبييناء
اسم موضع، في غاية القبح والهجانة. فإنهم وإن كانوا قالوا ما قالوا في هذا الموضع
فإنه لم يك مضطراً إلى ذكره، كما أنه لم يك مضطراً إلى ذكر غدوة السبت» اهـ الآمدي

١٠٠ الخلود الدنيوي

يمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني:

راحَتْ غَوَانِي الْحَيِّ، عَنْكَ غَوَانِيَاً يَلْبَسْنَ نَأِيّاً تَارَةً وَصُدُودَا
أصبحت غواني الحي (حسانه) مستغنيات عنك، يبدن النأي (البعد) والصدود

أَخْلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعاً مَنْ كَانَ أَشْبَهُهُمْ بِهِنَّ خُدُودَا
أكثر ما تحب المرأة في الرجل أن يكون شاباً ناعم الخدين مثلها

فَاطْلُبْ هُدُوءاً بِالتَّقَلُّقِ، وَاسْتَشِرْ بِالْعَيْسِ مِنْ تَحْتِ الشَّهَادِ هُجُودَا
فاطلب الهدوء (العيش الهانئ) بالتقلقل (التنقل)، وعليك أن تستشير - بالعيس (بالإبل) التي تحمل بك - الهجود (النوم الهادئ) من تحت السهاد (السهر). الراحة تأتيك بأن تسافر، والنوم الهادئ تنتزعه من سهرك (وكانوا يسرون ليلاً طلباً للبرودة، فيفضون ليلهم ساهرين سائرين فوق الإبل)

نَسَبَ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نُوراً، وَمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عَمُودَا
يمدح خالد بن يزيد الشيباني: نسبه مشرق، كأنَّ عليه من فلق الصباح (انشقاق الفجر) عموداً (ضوء الفجر)

وَإِذَا رَأَيْتَ أَبَا يَزِيدٍ فِي نَدَى، وَوَعَى، وَمُبْدِيَّ غَارَةٍ وَمُعِيدَا
أَيَقْنَتَ أَنَّ مِنَ السَّمَاحِ شَجَاعَةً تُدْمِي، وَأَنَّ مِنَ الشَّجَاعَةِ جُودَا
إذا رأيته في السخاء وفي الحرب أدركت أن السماح (الكرم) تخرج منه شجاعة تدمي العدو، وأن الشجاعة يرافقها الجود

وَإِذَا سَرَحْتَ الظَّرْفَ حَوْلَ قَبَائِهِ لَمْ تَلَقْ إِلَّا نِعْمَةً وَخُسُودَا
إذا أجلت نظرك حول بيوته رأيت نعمة على الناس بسبه، ورأيت من يحسده على عظمته
وَمَتَى حَلَلْتَ بِهِ أَنَا لَكَ جَهْدُهُ، وَوَجَدْتَ بَعْدَ الْجَهْدِ فِيهِ مَزِيدَا
أنالك: أعطاك، جهده: أقصى استطاعته

أَبْقَى يَزِيدٌ وَمَزِيدٌ وَأَبُوهُمَا وَأَبُوه، رُكْنَكَ فِي الْفَخَارِ شَدِيدَا
يا خالد: أبوك يزيد وجدك مزيد وأبوهما، أي أبا جدك، وأبوه أي جد جدك أبقوا لك ركناً شديداً من المجد تفخر به

سَلَفُوا يَرَوْنَ الذِّكْرَ عَقَباً صَالِحاً وَمَضَوْا يَعُدُّونَ الثَّنَاءَ خُلُودَا
مضوا وهم يعدون الذكر (حسن السيرة) عقباً صالحاً (مثل الأحفاد الصالحين)، ويعتبرون ثناء الناس عليهم خلوداً

١٠١ حُطَّ الرِّحْلُ وَالظَّنُّ

يرثي خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني:

لِتَبْكِ الْقَوَافِي شَجْوَهَا بَعْدَ خَالِدٍ بَكَاءَ مُضِلَّاتِ السَّمَاحِ نَوَاشِدٍ

لتبك القصائد شجوها (حزنها) بعد خالد بكاء من ضاع منه السماح (الجود) فهو ينشده (يبحث عنه). يقول: القصائد مضلات الجود (قد ضيعته فهن يبحثن عنه بعد موت خالد)

تَقْلَصَ ظِلُّ الْعُرْفِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَأُطْفِئَ فِي الدُّنْيَا سِرَاجُ الْقَصَائِدِ

العرف: المعروف

وَيَا شَائِمًا بَرَقًا خَدُوعًا، وَسَامِعًا لِرَاعِدَةٍ دَجَّالَةٍ فِي الرَّوَاغِدِ..

يا شائماً (مرتقباً) برقاً خادعاً من سحابة لن تمطر،

ويا سامعاً لسحابة راعدة لكنها كاذبة ولن تمطر..

أَقِمْ، ثُمَّ حُطَّ الرِّحْلُ وَالظَّنُّ، إِنَّهُ مَضَتْ قِبْلَةُ الْأَسْفَارِ مِنْ بَعْدِ خَالِدٍ

أقم (امكث ولا ترحل)، وأنزل رحلك (متاعك) أرضاً، وكذلك أنزل ظنك (رجاءك) أرضاً، فموت خالد لم يعد هناك قبلة للمسافرين لكي يقصدها طلباً للعطاء

فَيَا وَخْشَةَ الدُّنْيَا، وَكَانَتْ أَنْيَسَةً، وَوَحْدَةً مَنْ فِيهَا لِمَضْرَعٍ وَاحِدٍ

١٠٢ يَا كَاسِرِي كَسْرِي!

يمدح أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي:

عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبُعٍ وَمَلَاعِبٍ أُذِيلَتْ مَصُونَاتُ الدَّمُوعِ السَّوَائِبِ

على مثل هذه الأطلال من الأربع (الرُبُوع، الأماكن) والملاعب (الأماكن التي تلعب فيها الرياح) أذيلت (أهينت) الدموع السواكب (المنهجرة) التي كانت مصونة من قبل. يقول: لست أول من ييكي على الأطلال، فقد بكى على مثلها أناس قبلي

وَرَكِبٍ يُسَاقُونَ الرِّكَابَ زُجَاجَةً مِنْ السَّيْرِ، لَمْ تَقْصِدْ لَهَا كَفَّ قَاطِبٍ

رب ركب (مسافرين) يساقون (يشربون ويسقون) الركاب (الإبل) من زجاجة (كأس) هي عبارة عن السير، وهذه الزجاجة لم تتناولها يد قاطب (مازج لها بالماء). يقول: نحن نتساقى مع إبلنا كؤوس السير فنسكر تعباً لكن: بالسير لا بالخمير

فَقَدْ أَكَلُوا مِنْهَا الْعَوَارِبَ بِالسَّرَى، فَصَارَتْ لَهَا أَشْبَاحُهُمْ كَالْعَوَارِبِ

لقد أكل المسافرون غوارب الإبل (أسنمتها) بالسرى (سير الليل)، وصارت أشباحهم (أجسامهم المهزولة) وهم يركبون إبلهم كأنها أسنمة لها. وسنام الجمل يذوب مع قلة الأكل وشدة التعب. على بعد ما بين طرفه بن العبد وأبي تمام فكلاهما عايش الناقة وسافر عليها

إِذَا الْعِيسُ لَاقَتْ بِي أَبَا دُلْفٍ، فَقَدْ تَقَطَّعَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَابِ
 إِذَا الْعِيسُ (الإبل) جعلتني أبا دلف، فقد انقطع ما بيني وبين المصاب لأنه سيكفيني شرها
 هَذَاكَ تَلَقَى الْجُودَ حَيْثُ تَقَطَّعَتْ تَمَائِمُهُ، وَالْمَجْدُ مُرَخَى الدَّوَابِ
 عند أبي دلف تلقى الجود، فعنده ترعرع الجود وقطعت عنه توائمه (أزيلت الأحرار والحُجُب
 والتعاويد من عقه كما تزال من عنق الصبي عندما يكبر)، وتلقى المجد مرخى الدواب (منسدل
 الخصلات شاباً يافعاً)

تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جَنُونُهَا إِذَا لَمْ يُعَوِّذْهَا بِنِعْمَةِ طَالِبٍ
 تكاد عطاياه (أمواله المجهزة للإعطاء) تجن جنوناً إذا لم يعوذها (يضع عليها تعويذة، تيممة) هي ..
 عبارة عن نعمة طالب (سؤال طالب للطاء)

إِذَا حَرَّكَتُهُ هَزَّةُ الْمَجْدِ غَيَّرَتْ عَطَايَاهُ أَسمَاءَ الْأَمَانِيِّ الْكَوَاذِبِ
 إذا اهتز الممدوح تمهيداً للطاء فإن عطاياه تغير أسماء الأمانى الكاذبة (مثل أمانة،
 ورجاء، واحتمال) وتجعلها حقائق (مثل فوز، وظفر، ونجاح). والإنسان الكريم إذا
 عزم على دفع مبلغ كبير اهتز جسمه، كأنه بجسمه يريد أن يمنع عقله من التراجع عن
 نيته، وما أكثر ما وصف الشعراء اهتزاز الممدوح طرباً أو كرماً. الأريحي يهتز كتفاه
 ويبدل، والشحيج يجمد جسمه ويصمت عقله بوجل في مواقف النجدة

تَكَادُ مَغَانِيهِ تَهْشُ عِرَاصُهَا، فَتَرْكَبُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى كُلِّ رَاكِبٍ
 مغانيه (بيوته) تكاد عراصها (ساحاتها) تهش (تبسط أساريها فرحاً)، فكان هذه الساحات تريد أن
 تركب الناقة لتصل إلى الفقير بدل أن يركب هو الناقة ليصل إليها

يَرَى أَقْبَحَ الْأَشْيَاءِ أَوْبَةَ آيِبٍ كَسَتْهُ يَدُ الْمَأْمُولِ حُلَّةَ خَائِبٍ
 أقيح شيء عند الممدوح أن يرى أوبة (رجمة) الزائر وقد كست يد المأمول (الممدوح) حلة (لباس) الخيبة
 وَأَحْسَنُ مِنْ نَوْرِ نُفُتْحِهِ الصَّبَا بَيَاضُ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ
 أجمل من نور (زهرة الشجر) الذي تفتحه ريح الصبا، العطايا البيضاء التي تصادف مطالب (حاجات)
 سوداً. فالعطايا بيض مشرقات ومطالب الناس سود لشدة الفقر والحاجة

إِذَا أَلْجَمَتْ يَوْمًا لُجَيْمٌ، وَحَوْلَهَا بَنُو الْحِصْنِ، نُجْلُ الْمُحْصَنَاتِ النَّجَائِبِ ..
 إذا ألجمت قبيلة لجم خيلها (وضعت اللجام على فم كل حصان استعداداً للحرب)، ومعهم بنو
 الحصن من أقاربهم، وهؤلاء هم نُجْلُ (أنجال) النساء المحصنات (الطاهرات) النجائب (أمهات
 النجباء) .. فعندئذ ..

فَإِنَّ الْمَنَايَا وَالصَّوَارِمَ وَالْقَنَا أَقَارِبُهُمْ فِي الرَّوْعِ دُونَ الْأَقَارِبِ
 .. فإن المنايا (الموت للأعداء) والصوارم (السيوف) والقنا (الرماح) تصبح جميعاً أقاربهم أكثر
 من الأقارب المعروفين

يَمْدُونُ مِنْ أَيْدِ عَوَاصِ عَوَاصِمِ تَصُولُ بِأَسْيَافِ قَوَاضٍ قَوَاضٍ
يمدون ما شئت من الأيادي العواصي (الآية) العواصم (المجيرة الحامية) التي تصول بسيف
قواض (تقضي بإرادتها، وتجبر الأعداء على حكمها) قواضب (قاطعة)

إِذَا الْخَيْلُ جَابَتْ قَسْطَلَ الْحَرْبِ صَدُّعُوا صُدُورَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ الْكُتَاتِبِ
إذا الخيل جابت قسطل الحرب (غبارها) صدعوا (كسروا) صدور العوالي (أطراف الرماح) في
صدور الكتائب (في صدور جنود الكتائب)

إِذَا افْتَحَرْتُ يَوْمًا تَمِيمٌ بِقَوْسِهَا، وَزَادَتْ عَلَى مَا وَطَّدَتْ مِنْ مَنَاقِبٍ..
إذا افتحرت قبيلة تميم بقوس حاجب بن زرارة (وكان كسرى طلب رهنًا من سيد تميم لشأن كان
بينهما، فأعطاه قوسه، فضحك أصحاب كسرى، فقال لهم: خذوها، فإنه لا يتركها. فأخذوا
القوس. ثم إن حاجبًا وفى، واستردَّ قومه القوس)، وإذا زادت تميم بعض الزيادة على مناقبها
(فضائلها) الحقيقية التي وطدتها (رسختها) ..

فَأَنْتُمْ بِذِي قَارٍ أَمَأَلْتُمْ سِيوفُكُمْ عُرُوشَ الَّذِينَ اسْتَرْهَنُوا قَوْسَ حَاجِبٍ
.. فأنتم في موقعة ذي قار أطختم إطاحةً بعرش كسرى الذي أخذ قوس «حاجب» رهينة

وقد مر بك في القطعة ٩٨ أن بني شيبان هزموا كسرى في ذي قار،
فاعلم أنه كان معهم بنو عجل أيضاً

مَحَاسِنُ مِنْ مَجْدٍ مَتَى تَقَرَّنُوا بِهَا مَحَاسِنُ أَقْوَامٍ تَكُنْ كَالْمَعَايِبِ
محاسنكم عظيمة، إذا قورنت بمحاسن غيركم تبدو محاسن الغير صغيرة كأنها العيوب

مَكَارِمُ لَجَّتْ فِي عُلوٍّ، كَأَنَّهَا تُحَاوِلُ ثَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ
مكارمكم لجت (تمادت) في العلو، وكأنها تريد إدراك ثار عند بعض الكواكب

وَقَدْ عَلِمَ الْأَفْشِينُ، وَهُوَ الَّذِي بِهِ يُصَانُ رِذَاءُ الْمَلِكِ عَنْ كُلِّ جَاذِبٍ،
قد علم القائد الأفشين، وهو الذي يسان (يحفظ) به الملك عمن يريد اجتذابه لنفسه واغتيابه ..

بَأَنَّكَ، لَمَّا اسْحَنْتَكَ الْأَمْرُ، وَاكْتَسَى أَهَابِي تَسْفِي فِي وُجُوهِ التَّجَارِبِ،
.. علم بأنك - لما اسحنتك الأمر (ادلهم واسودَّ الموقف) - واكتسى الأمر أهابي (أثرية) تسفي
(تثور ونهب) في وجوه التجارب. فالموقف صعب وفيه غبار يعمي عيون التجارب، ولا ينفع
الإنسان طول خبرته في مثل هذه المواقف ..

تَجَلَّلَتْهُ بِالرَّأْيِ، حَتَّى أَرَيْتَهُ بِهِ مِلءَ عَيْنَيْهِ مَكَانَ الْعَوَاقِبِ
تجللت الموقف بالرأي (علوت على الموقف بالحكمة والبصر الثاقب)، حتى أريت الأفشين برأيك
الثاقب ملء عينيه مكان (العواقب) النتائج المحتملة

سَلَلْتُ لَهُ سَيْفَيْنِ: رَأْيَا وَمُنْصَلَاً وَكُلُّ كَنْجَمٍ فِي الدُّجْنَةِ ثَاقِبٍ
 سللت لخدمة القائد الأفشين سيفين: أحدهما رأيك، وثانيهما نصل سيفك الحقيقي، وكلاهما لأمع
 كالنجم الثاقب (المشتعل)

إِلَيْكَ أَرْحُنَا عَازِبَ الشَّعْرِ، بَعْدَمَا تَمَهَّلَ فِي رَوْضِ الْمَعَانِي الْعَجَائِبِ
 هذا الشعر العازب (السارح يرعى في الخلاء) أرحناه (جعلناه يعود مساء) إليك بعد أن تمهل (رعى
 مرتاحاً) في روض المعاني، وجمع لك أجملها

عَرَائِبُ لَأَقْتُ فِي فِنَائِكَ أَنْسَهَا مِنْ الْيَوْمِ، فَهِيَ الْآنَ غَيْرُ عَرَائِبٍ
 هذه معان شعرية غريبة وجديدة، وفي جوارك أصبحت أنيسة غير غريبة. واعلم أن «غرائب الإبل»
 هي التي تضل وتأتي قوماً غير قومها، فهم يضربونها لتبتعد عنهم وتبتعد معها شبهة السرقة؛
 واستئناس الوحشي من الحيوان هو تدجينه. وأبو تمام يشبه معانيه المصنوعة العجيبة - وإنها
 لكذلك - بالإبل الشاردة، ولكنها تأتس بالممدوح، وتصبح داجنة عنده لأنه يستحقها

وَلَوْ كَانَ يَفْنَى الشَّعْرُ أَفْنَاءَ مَا قَرَّتْ حِيَاضُكَ مِنْهُ فِي الْعُصُورِ الذَّوَاهِبِ
 لو كان الشعر يفنى لأفناه ما قرت (جمعت) حياضك (أحواضك) منه في السنين المنصرمة. يقول:
 لكثرة ما مدحك الشعراء لم يتركوا معنى إلا طرقوه، ولو كان الشعر يفنى لفنى بسبب ذلك..
 وَلَكِنَّهُ صَوَّبَ الْعُقُولَ، إِذَا انْجَلَّتْ سَحَابَاتُ مِنْهُ أَعْقَبَتْ بِسَحَابٍ
 ولكن الشعر صوب (مطر) العقول، فإذا انقشعت غيومه أعقبت (أردفت) بغيوم جديدة

١٠٣ الطرف القلقل

وقال لأبي دلف القاسم بن عيسى المجلي:

عَجِبْتُ، لَعَمْرِي، أَنَّ وَجْهَكَ مُعْرِضٌ عَنِّي، وَأَنْتَ بِوَجْهِ نَفْعِكَ مُقْبِلٌ
 عجيب أن تبتعد بوجهك عني، مع أن منفعتك مقبلة عليّ

بِرُّ بَدَأَتْ بِهِ، وَدَارَ بِأُهَا لِلْخَلْقِ مَفْتُوحٌ، وَوَجْهَكَ مَقْفَلٌ
 هذا برُّ بدأت به (قدمته قبل السؤال)، ودارك مفتوحة لكل الناس ووجهك مقفل لا يش
 أَوْ لَا تَرَى أَنَّ الطَّلَاةَ جُنَّةٌ مِنْ سُوءٍ مَا تَجْنِي الطُّنُونُ، وَمَقْفَلٌ؟
 ألسنت ترى أن الطلقة (البشاشة) جنة (وقاية) ومقفل (حصن) ضد الطنون السيئة وما تجنيه؟

حَلِي الصَّنِيعَةِ أَنْ يَكُونَ لِرَبِّهَا لَفْظٌ يُحَسِّنُهَا، وَطَرَفٌ قُلُقُلٌ

حلي (زينة) الصنعة (العطية) أن يكون لربها (صاحبها) لفظ يحسنها (كلام يزيد بها جمالاً) وطرف
 (نظر) قلقل (متذبذب). فالمضيف الكريم الشوش لا يركز نظره في وجه ضيفه فيحرجه، بل يرد
 النظر إليه مرة بعد مرة. وقال التبريزي إن أبا تمام لم يسبق إلى استعارة هذه اللفظة. ولعمري، إنه
 لبيت دقيق المعنى

إِنْ تُعْطِ وَجْهًا كَاسِفًا، مِنْ تَحْتِهِ كَرَمٌ، وَحِلْمٌ خَلِيقَةٌ لَا تُجْهَلُ...
 إن تعط الناس وجهاً كاسفاً (حزيناً)، وتحت كرم، وحلم خليفة (سماحة طبع)
 معروفة عنك وغير مجهولة...

فَلَرُبَّ سَارِيَةٍ عَلَيْكَ مَطِيرَةٍ، قَدْ جَادَ عَارِضُهَا، وَمَا يَتَهَلَّلُ
 قرب سارية (غيمة) ماطرة جاد (هطل) عارضها (سحابها)،
 بدون أن يتهلل (يتسمم/ أي يرسل البرق قبل المطر)

١٠٤ السكوت وعد

يعاتب أبا دلف وقد حجه، وقيل هي في عبد الله بن طاهر:
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّائِي بِرُؤْيَيْهِ، وَجُودُهُ لِمُرْجِي جُودِهِ كَثُبُ
 رؤيته صعبة، وسخاؤه لراجيه كثيب (قريب)
 لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لِي أَمَلًا؛ إِنَّ السَّمَاءَ تُرْجَى حِينَ تَحْتَجِبُ
 الحجاب (وجود الحجاب، وإغلاق الأبواب) ليس مقصياً (مبعداً) أملي فيك، فالسماء عندما
 تحتجب بالغيوم ترجى (يرتجى منها المطر)
 مَا دُونَ بَابِكَ لِي بَابٌ أَلُوذُ بِهِ وَلَا وَرَاءَكَ لِي مَثْوًى وَمُطْلَبُ
 ليس قبل بابك ولا بعده باب ألوذ به، وليس لي مثنوى (إقامة) أو طلب عند أحد سواك
 يَا خَيْرَ مَنْ سَمِعْتُ أُذُنً بِهِ، وَرَأْتُ عَيْنً، وَمَنْ وَرَدَتْ أَبْوَابُهُ الْعَرَبُ
 أمّا السكوت، فمطوي على عدة؛ وفي كلامك غر المال ينتهب
 سكوتك مطوي على عدة (وعد)، وعندما تتكلم وتأمر بالعطاء فكلامك يجعلنا نهب المال نهياً

١٠٥ تهديد بالرحيل الغاضب

يعاتب أبا دلف:
 أبا دُلْفِ! لَمْ يَنْقُ طَالِبٌ حَاجَةً مِنْ النَّاسِ غَيْرِي؛ وَالْمَحَلُّ جَدِيدُ
 لم يبق طالب حاجة إلا أخذها سواي، والمكان جديد وبنا حاجة
 يَسْرُكُ أَنِّي أَبْتُ عَنْكَ مُحَيَّبًا؟ وَلَمْ يَرْ خَلْقٌ، مِنْ جَدَاكَ، يَخِيبُ
 أبت: رجعت
 وَأَنِّي صَيَّرْتُ الثَّنَاءَ مَذْمَةً، وَقَامَ بِهَا فِي الْعَالَمِينَ خَطِيبُ؟

أَقَمْتُ شُهْرًا فِي فَنَائِكَ خَمْسَةً لَقَيْ، حَيْثُ لَا تَهْمِي عَلَيَّ جَنُوبُ

أقمت لقي: مكنت مهملاً، تهمي: تمطر، جنوب: ريح الجنوب

فَإِنْ نِلْتُ مَا أَمَلْتُ فَبِكَ، فَإِنَّنِي جَدِيرٌ، وَإِلَّا فَالرَّحِيلُ قَرِيبُ

١٠٦ قطعة من الجاه

قال لإسحق بن أبي ربيعي كاتب أبي دلف، وقد شَفَّعه في أمر:

إِنَّ الْأَمِيرَ بَلَاكَ فِي أَحْوَالِهِ فَرَآكَ أَهْزَعَهُ عِدَاةُ نِضَالِهِ

بلاك (جربك) الأمير في حالات شتى، فوجدك أهزعه (السهم الأخير في كنانته) صيحة نضاله

أَسَيْتُهُ فِي الْمَكْرُمَاتِ، وَلَمْ تَزَلْ رُكْنًا لِمَنْ هُوَ مُتَمَسِّكٌ بِحَبَالِهِ

أسيته (أشبهته) في المكرمات، وظللت ركناً لمن هو متمسك بالولاء للأمير

فَعَدَوْتُ مُحِبُّوْبًا إِلَى أَضْيَافِهِ، وَغَدَوْتُ مَقْلِبِيًّا إِلَى عُذَّالِهِ

مقلياً: مكروهاً

فَمَتَى النُّهُوضُ بِحَقِّ شُكْرِكَ إِنْ جَنَتْ بِالْغَيْبِ كَفُّكَ لِي ثِمَارَ فِعَالِهِ؟

فمتى سأنهض بشكرك (سأقوم بشكرك) إذا جنث (قطفت) لي كفك، بالغيب (وأنا غائب) ثمار الأمير وعطاياه؟ هذا شكر مشروط. فهو يسأل: متى سأتمكن من شكرك، لكن بشرط أن تستطيع تحقيق مطلبي، عندما تكلم الأمير بشأني بينك وبينه، في غيابي؟

فَلَقَيْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ حُلُوْ عَطَائِهِ وَلَقَيْتُ بَيْنَ يَدَيَّ مُرَّ سُؤَالِهِ

وعندئذ أكون قد لقيت من يدك عطاء الأمير وهو حلو، ولقيت أنت عندي سؤال الأمير، والسؤال مرٌّ وكره دائماً

وَإِذَا امْرُؤٌ أَسَدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ، فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ

١٠٧ خائف على عنقي

بمدح إسحق بن أبي ربيعي:

بَا مِنَّةً لَكَ، لَوْلَا مَا أَخَفَّفَهَا بِهِ مِنَ الشُّكْرِ، لَمْ تُحْمَلْ وَلَمْ تُنْطَقِ

منة: معروف

بِاللَّهِ أَذْفَعُ عَنِّي حَقَّ قَادِحِهَا، فَإِنَّنِي خَائِفٌ مِنْهَا عَلَى عُنُقِي

قادحها: ثقيلها

١٠٨ وركب كأطراف الأسنّة

يمدح أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب:

هُنَّ عَوَادِي يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُهُ؛ فَعَزَمًا، فَقِدَمًا أَدْرَكَ السُّؤْلَ طَالِبُهُ

النساء عوادي النبي يوسف (صارفاته عن عزمه)، وصواحيبه (المذكورات معه). فلا تلتفت للنساء وتخوفيهن إياك من الرحيل ومحاولة صرفك عن همتك، واعقد عزمًا؛ فقدمًا (دومًا، منذ القَدَم) أدرك السؤل (الأمنية) من يطلبه. يقول أبو تمام إن النساء هن من عرفناهن في قصة يوسف، فقد حاولت زليخا إغواءه، ثم اجتمعت النساء ينظرن إلى جماله وقطعن أيديهن، (ويذكرنا بحديث النبي إذ وافته المنية، فراجعت عائشة وحفصة في شأن من يصلي بالناس فقال: «إنكُنَّ لأنتنَّ صواحب يوسف»). لست تدري وأنت تفسر أبا تمام ما الذي يشير إليه. ليس بالضرورة أن يكون المعنى في بطن الشاعر، فشاعرنا ممتلئ بالثقافة العربية الإسلامية، والكلمة تقفز إلى ذهنه ثم تستقر في بيته وقد تكون آتية من أكثر من مكان، فلا غرو أن يتنازع البيت أكثر من معنى. وهذا البيت لم يلق قبولاً من أبي العميل مسؤول الشعراء في حاشية الأمير، في قصة طويلة، ملخصها أنه قال لأبي تمام: لم لا تقول ما يفهم؟، فقال له أبو تمام: ولم لا تفهم ما يقال؟ (والتعليق منسوب لأبي سليمان الضير في رواية أخرى) وأما الشطر الثاني فقد استرذله الأمدى، وأتى بأربعة بدائل كلهن أرى أجود منه. هذا، ولم نذكر الخرم في أول البيت

أَعَاذَلْتِي! مَا أَخَشَنَ اللَّيْلَ مَرْكَبًا. وَأَخْشَنُ مِنْهُ فِي الْمُلَمَّاتِ رَاكِبُهُ

أبنتها اللاتمة لي على السفر! ألا فاعلمي أن الليل مركب خشن (ناقة صعبة)، وأخشن من الليل وأقسى منه من يركبه في الملمات (في الأزمات)

دَرِينِي وَأَهْوَالَ الزَّمَانِ أَفَانِيهَا، فَأَهْوَالُهُ الْمُعْظَمَى تَلِيهَا رَغَائِبُهُ

أتركيني مع أهوال الزمان كي أفانيها (أحارها حرب فناء)، فأهوال الزمان تأتي بعدها رغائبه (مسرته)

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الزَّمَاعَ عَلَى السَّرَى أَخُو النَّجْحِ، عِنْدَ النَّائِبَاتِ، وَصَاحِبُهُ؟

الزمام (التصميم)، على السرى (سير الليل)، أخو النجح (مرافق للإنجاز)

دَعِينِي عَلَى أَخْلَاقِي الصُّمِّ لِلَّتِي هِيَ الْوَفْرُ، أَوْ سِرْبُ تُرْنُ نَوَادِبُهُ

أتركيني على أخلاقي الصم (التي لا تسمع اللوم) لتحقيق الغاية التي هي الوفرة (الغنى)، أو أموت ويأتي سرب من النسوة تُرْنُ نوابده (تنوح نادباته)

وَقَلْقَلْ نَائِي مِنْ خُرَاسَانَ جَاشِهَا، فَقُلْتُ: أَطْمِئِنِّي، أَنْضِرُ الرُّوْضِ عَازِبُهُ

قلقل نائي من خراسان جاشها (هز خبر جاءني من خراسان، بوجود الذهاب إليها، قلبها)، فقلت لها: اطمئني، فإن أنضر روض عازبه (بعيدته). فالروض البعيد عن المواشي يكون نضراً نامي العشب، وكذا خراسان فهي بعيدة لا يغشاها الشعراء كثيراً، وفيها للشاعر المادح خير كثير

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَيْسَنَةِ عَرَسُوا عَلَى مِثْلِهَا، وَاللَّيْلُ تَسْطُو غَيَابُهُ

رب ركب (مسافرين) نحيلين، فكانهم أطراف أسنة الرماح، وقد عرسوا (قضوا الليل) على مثلاً (على ظهور نياق هزيلة لطول الرحلة فهي أيضاً مثل أطراف الأُسنة)، وكانت غياهب الليل (ظلماته) تسطو (تهجم). فهؤلاء القوم مسافرون يقضون الليل فوق ظهور الجمال لاجتهادهم في السير، والسير الليلي فيه اجتناب للحر

لَأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ

لقد ركبوا الجمال من أجل أمر عليهم (واجبهم) أن تتم صدوره (مقدماته)، وأما عواقبه (ناتجه) فليست بيدهم. طبعاً هي بيد الممدوح الذي يرجى منه أن يكون سخيّاً

عَلَى كُلِّ رَوَادٍ الْمِلَاطِ، تَهْدَمْتُ عَرِيكَتُهُ الْعَلِيَاءِ، وَانْضَمَّ حَالِبُهُ

سافرنا على ظهر كل جمل رواد الملاط (متحرك الأكثاف، إذ يسير حثيثاً)، وقد تهدمت (اهترأت) عريكته العليا (سنامه)، وانضم حالبه (لهزال الجمل تتقارب عروق بطنه)

رَعْنَةُ الْفَيَافِي، بَعْدَ أَنْ كَانَ حِقْبَةً رَعَاهَا، وَمَاءُ الرُّوْضِ يَنْهَلُ سَاكِبُهُ

رعت الفيافي (الصحراء) جسم هذا الجمل وأنهكته، فكانها أكلته، وكان الجمل حقةً من الزمن يرمى عشب الفيافي في زمان انسكاب المطر

إِلَى مَلِكٍ لَمْ يُلْقَ كُلُّكَ بِأَيْسِهِ عَلَى مَلِكٍ إِلَّا وَلِلذَّلِ جَانِبُهُ

سافرنا إلى ملك (أمير أو قائد/ وكل صاحب سلطة عصرئذ «ملك») لم يضع كللك بأسه (صدر جبروته) على قائد آخر، إلا والحقّ الذل بجانب ذلك القائد

سَمَا لِلْعُلَى مِنْ جَانِبَيْهَا كِلَيْهِمَا سُمُوْ عُبَابِ الْمَاءِ جَاشَتْ غَوَارِبُهُ

ارتفع هذا القائد للمجد من كلا طرفي المجد مثلما يرتفع الماء عالياً وقد جاشت (اصطخبت) غواربه (أمواجه). والتعبير بالمشئ «من جانبيها» يعني الإحاطة فكأنه يقول: من الشرق والغرب، أو من اليمين واليسار

فَنَوَّلَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُنِيلُهُ، وَحَارَبَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يَحَارِبُهُ

نول (أعطى) حتى لم يبق من هو بحاجة للعطاء، وحارب حتى أفنى الأعداء

وَيَوْمَ أَمَامَ الْمَلِكِ دَحْضٌ وَقَفَّتُهُ وَلَوْ خَرَّ فِيهِ الدِّينُ لَانْهَالَ كَاتِبُهُ

رب يوم دحض (زلق) وقفت فيه أمام الملك (هنا تعني الخليفة) مدافعاً عنه، ولو كان الدين قد خر (سقط) في ذلك اليوم لانْهَالَ كاتبه (كثييه)

جَلَوْتُ بِهِ وَجْهَ الْخِلَافَةِ، وَالْقَنَا قَدْ اتَّسَعَتْ بَيْنَ الصُّلُوعِ مَذَاهِبُهُ

جلوت بهذا اليوم وجه الخلافة (بيضت وجهها)، وكانت الرماح قد اتسعت مذهبها (ممراتها) بين ضلوع المتحاربين

فَلَوْ نَطَقَتْ حَرْبٌ لَقَالَتْ مُحِقَّةٌ: أَلَا هَكَذَا فَلْيَكْسِبِ الْمَجْدَ كَاسِبُهُ

لو كان للحرب أن تتكلم لقات، وهي على حق، هكذا يكون كسب المجد

وَيَا أَيُّهَا السَّاعِي لِیُدْرِكَ شَأْوَهُ تَزَحْزَحُ قَصِيًّا؛ أَسْوَأُ الظَّنِّ كَاذِبُهُ

يا من يسعى لإدراك شأو (مدى) هذا القائد، ورائك... ترحزح بعيداً، فأسوأ الظن (الأماني) ما كان كاذباً

١٠٩ مطلع الجود

وقال في عبد الله بن طاهر وقد خرج إليه:

يَقُولُ فِي «قَوْمَسٍ» صَحْبِي، وَقَدْ أَخَذْتُ مِنَّا السَّرَى، وَخُطَا الْمَهْرِيَّةِ الْقَوْدِ

يقول صحبي ونحن في «قومس»، وقد نالت منا السرى (سير الليل)، وخطا المهرية القود (الإبل الكريمة الطويلة الأعناق)

أَمَطَّلَعَ الشَّمْسُ تَنَوَّى أَنْ تَوْمَ بِنَا؟ فَقُلْتُ: كَلَّا، وَلَكِنْ مَطَّلَعَ الْجُودِ

يقولون: هل توم بنا (تقودنا إلى) مكان طلوع الشمس (إلى اللانهاية)؟ فقلت لهم: كلا، بل مطلع الجود

١١٠ الشواهد والشمائل

وقال يرثي ابني عبد الله بن طاهر وكانا صغيرين:

نَجْمَانِ شَاءَ اللَّهُ أَلَّا يَظْلُعَا إِلَّا ارْتِدَادَ الظَّرْفِ، حَتَّى يَأْفُلَا

طلع هذا النجمان بقدر طرفة العين، ثم أفلا

إِنْ الْفَجْجِيَّةَ بِالرِّيَاضِ نَوَاضِرَا لَأَجَلُ مِنْهَا بِالرِّيَاضِ ذَوَابِلَا

لو يُنْسَانِ، لَكَانَ هَذَا غَارِبَا لِمَكْرُمَاتِ، وَكَانَ هَذَا كَاهِلَا

ينسان: يوجلان، الغارب: الظهر، الكاهل: أعلى الظهر ما بين الكتفين

لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الشَّوَاهِدِ فِيهِمَا، لَوْ أُمِهَلْتُ حَتَّى تَكُونَ شَمَائِلَا

واحسرتا على الشواهد (البشائر) على نجابة الولدين، لو كان الزمن أمهلها حتى تصبح شمائل (صفات)

إِنَّ الْهَلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نُصُوءَهُ أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَكُونُ بَدْرًا كَامِلًا

١١١ إخفاء المعروف سرقة

يمدح أبا زيد كاتب عبد الله بن طاهر، ويشكر سعيه له في حاجة:

وَأَخَفْتُ مَا جَسَمَ امْرُؤٌ، وَسَعَى لَهُ يَوْمًا لِذِي النُّعْمَى، النَّئَاءُ الصَّادِقُ

جسم: تجشم وتحمل (أقل واجبك علينا أن نتني عليك)

أَأَرَى الصَّنِيعَةَ مِنْكَ، ثُمَّ أُسِرُّهَا! إِنِّي، إِذْنُ، لِيَدِ الْكِرَامِ لَسَارِقُ .

الصنِيعَة: المعروف، أسرها: أخفيها، اليد: المعروف

١١٢ التضاد

يمدح عبد الحميد بن غالب، والفضل بن محمد بن منصور، وإبراهيم ابن وهب،
كتاب عبد الله بن طاهر:

والحادثاتُ، وَإِنْ أَصَابَكَ بُؤْسُهَا، فَهُوَ الَّذِي أَنْبَاكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا

١١٣ كل غانية هند

يمدح محمد بن الهيثم بن شبانة:

إِذَا انصَرَفَ المحزُونُ قَدْ قَلَّ صَبْرُهُ سَوَّالُ المَغَانِي، فالبكاءُ لَهُ رَدُّ
إِذَا انصَرَفَ (أصبح) الحزين قد هزم صبره سؤال المغاني (الديار) عن الأحباب الراحلين، فالجواب
الوحيد هو أن يبكي. أخذنا برواية الصولي لكلمة «رد»، بفتح الراء

فَلَا تَحْسَبَا هِنْدًا لَهَا الغدُرُ وحدهَا سَجِيَّةٌ نَفْسٍ. كُلُّ غَانِيَةٍ هِنْدُ
رَقِيقٌ حَوَاشِيِ الحِلْمِ، لَوْ أَنَّ حِلْمَهُ بِكَفْقَيْكَ مَا مَارَيْتَ فِي أَنَّهُ بُرْدُ
يمدح: هذا الرجل حلِيم، فكأن حلمه ثوب حواشيه (أطرافه) رقيقة، ولو لمست حلمه لما ماريت
(جادلت) في أنه حقاً برد (ثوب)

وَذُو سَوْرَةٍ تَفْرِي الفَرَى شَبَاتُهَا؛ وَلَا يَقْطَعُ الصَّمْصَامُ لَيْسَ لَهُ حَدُّ
على أنه ذو سورة (هجمة) تفري الفري (تفعل الأفاعيل) شباتها (نصلها)؛ وَلَا يَقْطَعُ الصَّمْصَامُ
(السيف) الذي ليس له حد. فالسيف أيضاً ناعم لامع فيه رقة، ولكن له حداً قاطعاً

فَقَدْ نَزَلَ المُرْتَادُ مِنْهُ بِمَاجِدٍ مَوَاهِبُهُ عَوْرٌ، وَسُوْدُدُهُ نَجْدُ
لقد نزل المرتاد (طالب العطاء) منه بماجد، أي نزل بمن هو ماجد، مواهبه غور (عطاياه) أرض
مطمئنة فياضة)، وسووده نجد (سيادته هضبة لا ينالها العدو)

١١٤ الحب المنكوح

يمدح محمد بن الهيثم بن شبانة:

وَقَالَتْ: نِكَاحُ الحُبِّ يُفْسِدُ شَكْلَهُ، وَكَمْ نَكَحُوا حُبًّا وَلَيْسَ بِفَاسِدٍ!

هي ترى أن المعاشرة الجسدية تفسد الحب، ويقول لها شاعرنا إن الاثنين يسيران معاً

سَاوِيْ بِهَذَا الْقَلْبِ مِنْ لَوْعَةِ الْهَوَى إِلَى ثَغْبٍ مِنْ نُطْفَةِ الْيَاسِ بَارِدٍ

سألجأ بقلبي، للتخفيف من لوعة الهوى، إلى ثغب (جدول ماء)
بارد هو عبارة عن نطفة (قطرة) الياس

وَأَرْوَعَ لَا يُلْقِي الْمَقَالِدَ لَامَرِيْ، فَكُلُّ امْرِيْ يُلْقِي لَهُ بِالْمَقَالِدِ

رب أروع (شجاع) لا يلقي المقالد (يسلم المفاتيح/ يسلم أموره) لأحد، بل الناس تكل إليه أمورها

بَصْدٌ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا عَنَّ سُوْدُدٌ، وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيِّ عَذْرَاءٍ نَاهِدٍ

يصد عن ملذات الدنيا إن عَنَّ (ورد) واجب يعزز السؤدد (الشرف)، ولو برزت إليه الدنيا مغربة
كانها عذراء ناهد (ارتفع صدرها)

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَزْهَدْ، وَقَدْ صُبِغَتْ لَهُ بِعَصْفُرِهَا الدُّنْيَا، فَلَيْسَ بِزَاهِدٍ!

إذا المرء لم يزهد في الدنيا، وقد صبغت له ملابسها بالعصفر (تزيئاً)، فليس زاهداً حقيقياً. يقول:
الزهد أن تزهد والدنيا مؤاتية؛ وكان الكبراء العباسيون عندما يريدون الجلوس للشرب والفرح
يلبسون ثياباً معصورة صفراء

أَذَابَتْ لِي الدُّنْيَا يَمِينُكَ، بَعْدَمَا وَقَفْتُ عَلَى شُحْبٍ مِنَ الْعَيْشِ جَامِدٍ

جعلت يمينك الدنيا (النعمة) تذوب لي مثلما يذوب في الفم التمر أو حتى الدم، بعد أن وقفت
على (ثلث) الشُحْب (دفقة من حليب الناقة وقت حلبها)، وكان قليلاً كأنه جامد

أَفْضَتْ عَلَى أَهْلِ الْجَزِيرَةِ نِعْمَةً إِذَا شُهِدَتْ لَمْ تُخْزِهِمْ فِي الْمَشَاهِدِ

جَعَلَتْ صَمِيمَ الْعَدْلِ ظِلًّا، مَدَدَتْهُ عَلَى مَنْ بِهَا مِنْ مُسْلِمٍ أَوْ مُعَاهِدٍ

المعاهد: الذمي

سَأَجْهَدُ حَتَّى أُبْلِغَ الشَّعْرَ شَأْوَهُ، وَإِنْ كَانَ لِي طَوْعًا، وَلَسْتُ بِجَاهِدٍ

سأتعب نفسي حتى أبلغ بالشعر شأوه (غايته) في مدحك،
على أن الشعر الجيد يأتيني طوعاً بلا تعب

فَإِنْ أَنَا لَمْ يَحْمَدْكَ عَنِّي صَاغِرًا عَدُوُّكَ فَاعْلَمْ أَنَّنِي غَيْرُ حَامِدٍ

فإن لم يجعل شعري عدوك يحمذك صاغراً (مجبراً)، بروايته هذا الشعر العظيم، فلا والله لا أكون
وفيتك حقك. سيأتي البحري ويسرق هذا المعنى ويجيد كل الإجابة، ويزيد زيادة:

لِيُؤَاصِلَنَّكَ رَكْبُ شِعْرِ سَائِرٍ بِرُؤْيِيهِ فَيْكَ، لِيُحْسِنِيهِ، الْأَعْدَاءُ

فَتَقْطُلُ تَحْمُذُكَ الْمَلُوكُ الصَّيْدُ بِي، وَأَظْلُ يُحْسِنُنِي بِكَ الشُّعْرَاءُ

١١٥ كاش، لو سمحت

يملح أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شُبَّانة:

عَفَتْ آيَاتُهُنَّ، وَأَيُّ رَبِّعٍ يَكُونُ لَهُ عَلَى الرَّمَنِ الْخِيَارُ؟
عفت (امتحت) آيات الديار (علاماتهن/ معالمهن)، وهل هناك ربع له الخيار (يملك خياره) فبصد
على مرور الزمن؟

أَثَافٍ كَالْخُدُودِ لَطِمْنَ حُرْنًا، وَنُؤْيٍ مِثْلَمَا انْفَصَمَ السَّوَارُ

هذه أثاف (حجارة الموقد المسودة) تشبه الخدود التي لطمتها النسوة حرناً، فاختلط
الكحل بالدمع فاسودت؛ وهذا نُؤْي (قناة تدور حول الخيمة لمنع المطر)
قد اندثر بعضه فصار شبيهاً بسوار قد انفصم

وَكَاثَتْ لَوْعَةٌ، ثُمَّ اظْمَأَنْتِ، كَذَاكَ لِكُلِّ سَائِلَةٍ قَرَارُ

كانت (حدثت) لوعة بقلبي ثم هدأت، وكل شيء سائل له استقرار بمكان منخفض فلا يعود يسيل.
ههنا مضرب مثل، فإن تجعل السائلة الدمعة تكن ضيَّعت أبا تمام

مَضَى الْأَمْلاُكُ فَأَنْقَرَضُوا، وَأَمْسَتْ سَرَاةٌ مُلُوكِنَا وَهُمْ تَجَارُ
الأملاك (الملوك) الحقيقيون انقرضوا، وأصبح سراة ملوكنا (الأشراف منهم) تجاراً يكتزون المال،
ولا يذلونه

وُقُوفٌ فِي ظِلَالِ الذَّمِّ تُحْمَى دَرَاهِمُهَا، وَلَا يُحْمَى الذَّمَارُ

واقفون تحت معرَّة الذم: فالدرهم مصونة، والذمار (الشرف) غير مصون

فَلَوْ ذَهَبَتْ سِنَاتُ الدَّهْرِ عَنْهُ وَأَلْقِيَ عَنْ مَنَاكِبِهِ الدُّنَارُ..

لو ذهبت سنات (غفوات) الدهر عنه، وخلع عن مناكبه (جوانبه) الدنار (الغطاء)..

لَعَدَّلَ قِسْمَةَ الْأَرْزَاقِ فِينَا، وَلَكِنْ دَهَرْنَا هَذَا حِمَارًا

لقسم الأرزاق بالعدل، لكن الدهر حمار (بليد)

نَوْمُ أبا الحسين، وَكَانَ قِدْمًا فَتَى أَعْمَارُ مَوْعِدِهِ قِصَارُ

نوم (نقصد) أبا الحسين، وهو من قديم رجل أعمار وعوده قصيرة، لأنه يفي بها فلا تعود مجرد وعود

لَهُ خُلِقَ نَهْيُ الْقُرْآنِ عَنْهُ وَذَاكَ عَطَاؤُهُ السَّرَفِ الْبِدَارُ

ومن أخلاقه (خصاله) خلق نهى عنه القرآن، وهو الإسراف والبدار (الإسراع) في العطاء

وَلَمْ يَكْ ذَاكَ إِصْرَارًا، وَلَكِنْ تَمَادَتْ فِي سَجِيَّتِهَا الْبِحَارُ

وهذا ليس إصراراً على مخالفة الشرع، ولكن البحار (الأنهار) تتمادى في سجيَّتها (طبيعتها)

أَرَى الدَّالِيَّتَيْنِ عَلَى جَفَاءٍ لَدَيْكَ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ نَضَارُ
أرى قصيدتي الداليتين (وقد سبقتا في مجموعتنا هذه) مجفوتين (منبوذتين) عندك،
وكل واحدة منهما نضار (ذهب)

إِذَا مَا شِعْرُ قَوْمٍ كَانَ لَيْلًا تَبَلَّجَتَا كَمَا انْشَقَّ النَّهَارُ
تبلجتا (أشرقتا)

أَعْرَثَهُمَا، وَغَيْرُهُمَا مُحَلَّى بِجُودِكَ، وَالْقَوَافِي قَدْ تَغَارُ
جعلت القصيدتين تغاران إذ القصائد الأخرى عليها الحلي من كرمك.
والقوافي - تَرَى - تغار مثل النساء

وَكَانَ الْمَظْلُ، فِي بَدْءٍ وَعَوْدٍ، دُخَانًا لِلصَّنِيعَةِ وَهِيَ نَارُ
المطل (المماثلة) هو كالدخان للصنعة (الإحسان)، والإحسان نفسه هو النار،
فالمطل مؤذ كالـدخان

نَسِيبُ الْبُخْلِ مَذْكَانًا، وَإِلَّا يَكُنْ نَسَبٌ قَبَيْتَهُمَا جَوَارُ
المطل نسب (صهر) للبخل منذ وجداء، وإن لم يكن نسيبه فجاره الملازم له

لِذَلِكَ قِيلَ: بَعْضُ الْمَنَعِ أَذْنَى إِلَى كَرَمٍ، وَبَعْضُ الْجُودِ عَارُ
بعض المنع أدنى (أقرب) إلى الكرم إذا كان منعاً صريحاً بلا تسويف،
وبعض الجود عار إن كان مصحوباً بالتسويف

فَدَعْ ذِكْرَ الضِّيَاعِ، فَبِي شِمَاسٍ إِذَا ذُكِرْتَ، وَبِي عَنْهَا نِفَارُ
اترك الكلام عن منحي ضيعة، فبي شماس (صدود) ونفار (صدود)
لدى قولك إنك ستمنحني أرضاً

وَمَا لِي ضَيَعَةٌ إِلَّا الْمَطَايَا، وَشِعْرٌ لَا يُبَاعُ وَلَا يُعَارُ
وضيعتي (عزيتي) هي في الواقع المطايا (الإبل) وشعري

وَمَا أَنَا وَالْعَقَارُ، وَلَسْتُ مِنْهُ عَلَى ثِقَةٍ، وَجُودُكَ لِي عَقَارُ
وما شأني والعقار! إنني لا أثق به، وعقاري الحقيقي هو سخاؤك

١١٦ السواد الأعظم

يمدح ابن شبابة أبا الحسين محمد بن الهيثم:

إِنْ شِئْتَ أَنْ يَسْوَدَ ظَنُّكَ كُلُّهُ فَاجْلُهُ فِي هَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ

ليس الصَّدِيقُ بِمَنْ يُعِيرُكَ ظَاهِرًا مُتَبَسِّمًا، عَنْ بَاطِنٍ مُتَجَهِّمٍ

١١٧ ثقل الشكر وثقل تركه

يمدح أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شُبَّانة من أهل مرو:

ولو أَنِّي اسْتَطَعْتُ لَقَامَ عَنِي بِشُكْرِكَ مَنْ مَشَى فَوْقَ التُّرَابِ
فَمَهْمَا شَكَرْتَ فَلَنُنِي لَنْ أَفِيكَ حَقَّكَ

فَأَشْفِي مَنْ صَمِيمِ الشُّكْرِ نَفْسِي وَتَرُكُ الشُّكْرِ أَثْقَلَ لِلرَّقَابِ

فعندئذ سأشفي نفسي من صميم (قلب) الشكر، فإن عدم شكر النعمة يجعلها ثقلة على الإنسان، كأنها قيد في رقبته/ وقد قرأنا أشفي منصوبة على السببية ولم نشايح الصولي والتبريزي والأسود في ضبطهم، والله أعلم

١١٨ ظهور العيس أوطاني

يمدح محمد بن حسان الضبي:

مَا الْيَوْمُ أَوْلَ تَوْدِيعٍ وَلَا الشَّانِي الْبَيْنُ أَكْثَرَ مِنْ شَوْقِي وَأَحْزَانِي
أَكْثَرُ: كَثُرَ، زَادَ. يَقُولُ: أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ وَدَعَتْ الْأَحْبَابَ وَانْكَبَتْ بَنَارُ الْوَدَاعِ

دَعِ الْفِرَاقَ، فَإِنَّ الدَّهْرَ سَاعِدَهُ فَصَارَ أَمْلَكَ مِنْ رُوحِي بِجُثْمَانِي
الْفِرَاقُ، وَسَاعِدُهُ الدَّهْرُ، صَارَ أَشَدَّ تَحْكَمًا بِجَسْمِي مِنْ رُوحِي

خَلِيفَةُ الْخَضِرِ؛ مَنْ يَرْبِعُ عَلَى وَطَنِ فِي بَلَدَةٍ، فَظُهُورُ الْعَيْسِ أَوْطَانِي
أنا خليفة النبي الخضر المشهور بأسفاره التي لا تنقطع؛ هناك من يربع (يمكث) في وطن معين، أما أنا فأوطاني ظهور العيس (الإبل)

بِالشَّامِ أَهْلِي، وَبِغَدَادِ الْهُوَى، وَأَنَا بِالرَّقَّتَيْنِ، وَبِالْفُسْطَاطِ إِخْوَانِي
بِالرَّقَّتَيْنِ: هُنَاكَ رَقَّةٌ فِي ثَلَاثِ دُولٍ عَرَبِيَّةٍ فِيمَا نَعْرِفُ، وَلَعَلَّهُ قَصِدَ بِلَدَتَيْنِ بِهَذَا الْاسْمِ فِي دِيَارِ بَكْرِ، وَالفُسطاط هي أصل قاهرة اليوم

وَمَا أَظُنُّ النَّوَى تَرْضَى بِمَا صَنَعْتُ حَتَّى تُطَوِّحَ بِي أَقْصَى خُرَاسَانَ
وَلَيْسَ يَعْرِفُ كُنْهَ الْوَصْلِ صَاحِبُهُ حَتَّى يُعَادَى بِنَائِي، أَوْ بِهِجْرَانِي
لا يعرف العاشق حقيقة الوصل حتى يغاديه (يصبحه) نأي أو هجران

١١٩ كذلك قدرة الضعفاء

بمدح محمد بن حسان الضبي (وكان والياً على ممالك الجزيرة وقنشرين ثم الموصل وأرمينية):

«قَدْكَ. اتَّبْتُ. أَرَبَيْتَ فِي الْغُلَواءِ.» كم تعذِّلونَ، وأنتم سُجَرائِي؟

تقولون لي: «قدك (حسبك/كفى) اتب (استح) فقد أربيت (بالغت) في الغلواء (التمادي)»، إلى متى ستظلون تعذلونني (تلومونني) بهذه الكلمات وأنتم سجرائي (أصدقائي)؟ خالفنا في تفسيرنا: التبريزي، والصولي، والأعلم الشنمري، وعبد السلام هارون، ومحبي الدين الخياط، وإبراهيم الأسود، واثنين من الدكاترة. وجميعهم رأى أن أبا تمام يخاطب صديقاً له ويقول له: يكفيك، واستح، وبالغت كثيراً، ثم يلتفت ويخاطب جماعة أصدقاء قائلاً: إلى متى اللوم، وأنتم أصحابي؟ ورغم أن هذا النوع من الالتفات مألوف عند أبي تمام، والبيت التالي فيه التفات وهو يعزز ما ذهب إليه الأفاضل جميعاً، فإنني أراه وضع في البداية كلماتهم الموجهة إليه، ثم عاتبهم. فذلك مثل قول الولد لأبيه: «اسكت، اقعده، ادرس.. إلى متى هذه الأوامر؟» والله أعلم

لا تَسْقِنِي ماء الملام، فإنني صَبُّ قَدِ اسْتَعَذَّبْتُ ماء بُكَائِي

لا تلمني فأنا صب (عاشق) استعذبت (تلهذت) ماء بكائي (دمعي). قيل: أراد رجل أن يسخر من أبي تمام، فجاء بكوب وقال له: اسكب لي شيئاً من «ماء الملام». فرد عليه أبو تمام: إيتني أولاً بريشة من جناح الذل. فأفحمه. يشير أبو تمام إلى الآية: «واخفض لهما جناح الذل من الرحمة». انس كل النكات التي أطلقها الناس على عبارة (ماء الملام)، وانس رد أبي تمام الذي وصفوه بالمفحم؛ وانظر إلى عبارة (ماء بكائي)، فأني فن في وصف الدموع بماء البكاء؟ ستقول لي: إنه قالها كي يوازن بها ماء الملام. فلماذا قال «ماء الملام» أصلاً؟ أنا أقول لك: قالها لكي يأتي بعدها بماء البكاء. وههنا السخف حقاً. مثال ذلك: أن يذهب المرء إلى الدكان، ويشترى قنبلة يدوية، ثم يقتل بها ذبابة مزعجة. نسأله لماذا اشترى قنبلة، فيقول: كي أقتل الذبابة. ونسأله: لماذا قتلت الذبابة؟ فيقول: لأنني اشترى قنبلة. هو سخيف لأنه قال ماء الملام، سخيف لأنه قال ماء البكاء، سخيف لأنه اشترى كلمة الماء أصلاً، فهي ليست اللفظة المناسبة لقتل الذبابة. والتشبيه القرآني، الذي احتج به أبو تمام، بعيد كل البعد عن هذا، وهو بليغ وجميل: تشبه الآية الإنسان بطائر يخفض جناحه لأبويه تذلاً، فلا يرفرف ولا يحلق أمامهما، وهذا التذلل ليس من ذل بل من رحمة لهما في كبرهما. لكن، أبا تمام كان موصوفاً بالجواب السريع اللاذع. وما كل من أفحم كان محقاً. ما أتينا بهذا البيت، وسودناه، إلا لأن معركة نقدية حامية الوطيس دارت عليه

وَمُعَرَّسٍ لِلْغَيْثِ تَخْفُقُ فَوْقَهُ رَايَاتُ كُلِّ دُجْنَةٍ وَطَفَاءٍ

رب معرس (موضع) للمطر، تلوح فوقه رايات كل دجته (غيمة داكنة) وطفاء (ذات ذيول متدلّية)

صَبَحَتْهُ إِسْلَافَةٌ، صَبَحْتُهَا إِسْلَافَةُ الْخُلَطَاءِ وَالنُّدْمَاءِ
صَبَحَتْ هَذَا الْمَوْضِعَ بِسِلَافَةٍ (بِخَمْرٍ صَافِيَةٍ)، وَصَبَحَتْ هَذِهِ الْخَمْرَ بِسِلَافَةِ الْخُلَطَاءِ، أَيِ بَأْضَى
الرِّفَاقِ وَالنُّدْمَاءِ

بِمُدَامَةٍ تَغْدُو الْمُنَى لِكُؤُوسِهَا خَوَلًا، عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
هَذِهِ الْخَمْرُ تَصْبِيحُ الْمُنَى خَوَلًا (خَدَمًا) لِكُؤُوسِهَا، فَالْمُنَى تَطُوفُ حَوْلَ كُؤُوسِ الْخَمْرِ، وَتُعْطِي
الشَّارِبِينَ الْفَرَحَ، سِوَاهُ أَكَانُوا مُسْرُورِينَ قَبْلَهَا أَمْ حَزَانِي

رَاحٌ، إِذَا مَا الرَّاحُ كُنَّ مَطِيَّهَا، كَانَتْ مَطَايَا الشُّوقِ فِي الْأَحْشَاءِ
رَاحَ (خَمْرٍ) إِذَا كَانَتْ الرَّاحُ (الْأَكْثَفُ) مَطِيًّا لَهَا (نِيَاقًا تَرْكِيهَا الْكُؤُوسَ)، فَإِنَّ الْخَمْرَ تَصْبِيحُ مَطَايَا
(نِيَاقًا) تَحْمِلُ الشُّوقَ، وَتَبَثُّ فِي الْأَحْشَاءِ (الْقُلُوبِ)

عَنْبِيَّةٌ، ذَهَبِيَّةٌ، سَبَكَتْ لَهَا ذَهَبَ الْمَعَانِي صَاغَةَ الشُّعْرَاءِ
خَمْرٌ مِنَ الْعَنْبِ، وَهِيَ ذَهَبِيَّةُ اللَّوْنِ، وَطَالَمَا صَاغَ الشُّعْرَاءُ لَهَا الشُّعْرَ الْحَافِلَ بِالْمَعَانِي الشَّيْبَةِ
بِالْحَلِيِّ الذَّهَبِيَّةِ الثَّمِينَةِ

أَكَلَ الزَّمَانُ، لِيَطُولَ مُكُثٌ بِقَائِلِهَا، مَا كَانَ خَامَرَهَا مِنَ الْأَقْدَاءِ
مَعَ تَعْتِيقِ الْخَمْرِ وَمَكُونِهَا طَوِيلًا، أَكَلَ الزَّمَانُ كُلَّ مَا خَامَرَهَا (خَالَطَهَا) مِنْ أَقْدَاءٍ (شَوَائِبِ)
صَعُبْتُ، وَرَاضَ الْمَرْجُ سَيِّءَ خُلُقِهَا، فَتَعَلَّمْتُ مِنْ حَسَنِ خُلُقِ الْمَاءِ
هَذِهِ الْخَمْرُ صَعْبَةٌ كَالْفَرَسِ الْجَامِحَةِ الصَّعْبَةِ، وَلَكِنْ مَزَجَهَا بِالْمَاءِ رَوَّضَهَا . تَعْلِيْقُ عِمْرَانَ الْقَفِينِي: يَا سَلَامُ!
خَرَقَاءُ يَلْعَبُ بِالْعُقُولِ حَبَائِبُهَا، كَتَلَعَبِ الْأَفْعَالِ بِالْأَسْمَاءِ
خَرَقَاءُ (عَابَثَةٌ) هَذِهِ الْخَمْرُ وَيَلْعَبُ حَبَائِبُهَا (فَقَاقِيْعَهَا) بِالْعُقُولِ، مِثْلَمَا تَلْعَبُ الْأَفْعَالُ بِالْأَسْمَاءِ فَتَزْدِي
إِلَى نَصَبِهَا وَرَفْعِهَا إلَى

وَضَعِيفَةٌ، فَلِذَا أَصَابَتْ فِرْصَةً قَتَلْتُ، كَذَلِكَ قُدْرَةُ الضَّعْفَاءِ
وَكَأَنَّ بِهَجَّتِهَا، وَبِهَجَّةٍ كَأَيْسِهَا، نَارٌ وَنُورٌ قُبْدًا يَوْعَاءِ

أَوْ دُرَّةٌ بِيضَاءُ بِكُرٍّ أَطْبَقْتُ، حَبَلًا، عَلَى يَاقُوتَةٍ حُمْرَاءِ
كَانَ الْكَأْسُ الزَّجَاجِيَّةُ دُرَّةً بِيضَاءَ، لَكِنَّا حَبَلِي تَحْمِلُ فِي أَحْشَائِهَا يَاقُوتَةَ حُمْرَاءَ هِيَ الْخَمْرُ
لَمَّا رَأَيْتُكَ قَدْ غَدَوْتَ مُودَّتِي بِالْبَشْرِ، وَاسْتَحْسَنْتَ وَجْهَ ثَنَائِي..
لَمَّا رَأَيْتُكَ قَدْ غَدَوْتَ (كَافَأْتَ) مُودَّتِي لَكَ بِالْبَشْرِ (بِالْتَّرْحَابِ)، وَاسْتَحْسَنْتَ مَدِيحِي لَكَ..

أَنْبَطْتُ فِي قَلْبِي لِوَأَيْكَ مَشْرَعًا ظَلَلْتُ تَحُومُ عَلَيْهِ طَيْرُ رَجَائِي
أَنْبَطْتُ (حَفَرْتُ) فِي قَلْبِي لِوَأَيْكَ (لِوَعْدِكَ) مَشْرَعًا (مُورِدًا مَاءً)، وَأَخَذْتُ طَيْرَ الرِّجَاءِ، رَجَائِي
بِالثَّوَابِ، تَحُومُ عَلَى هَذَا الْمُورِدِ

فَثَوَيْتُ جَاراً لِلْحَضِيضِ، وَهَمَّيْتُ قَدْ طَوَّقْتُ بِكَوَاكِبِ الْجَوَازِ
وثويت أنا (مكثت) مجاوراً للقاء، ولكن هممتي (طموحي) عالية وتلتف حول عتقها كواكب الجوزاء
يَسَّرُ لِقَوْلِكَ مَهْرَ فِعْلِكَ، إِنَّهُ يَنْوِي افْتِضَاضَ صَنِيعَةِ عَذْرَاءِ
وفر لوعدك مهراً هو فعلك، وهذا الفعل سيكون عبارة عن صنعة (جائزة) عذراء لم يسبق لأحد أن
أعطى مثلاً.. بحث الممدوح على إعطائه جائزة كبيرة

١٢٠ ضميره يتبسم

يمدح محمد بن حسان الضبي:

لَمْ يَنْأَ عَنِّي مَطْلَبٌ، وَمُحَمَّدٌ عَوْنٌ عَلَيْهِ، أَوْ إِلَيْهِ سُلْمٌ
لم يبعد عني مطلب (حاجة) إذا كان محمد معيناً لي عليه، أو مسلماً إليه (واسطة لتحقيقه)
يَمِّنُ إِذَا مَا الشَّعْرُ صَافَحَ سَمْعَهُ يَوْمًا رَأَيْتَ ضَمِيرَهُ يَتَبَسَّمُ
إذا سمع الشعر فوجهه يشرق بنشوة تخرج من أعماقه

١٢١ الحسناء الخجول

يمدح أبا العباس نصر بن منصور بن سيار:

فَلَا دَمْعَ مَا لَمْ يَجْرِ فِي إِثْرِهِ دَمٌ، وَلَا وَجَدَ مَا لَمْ تَعْنِ عَنْ صِفَةِ الْوَجْدِ
البكاء الحقيقي هو ما سحب الدم فيه الدمع، والوجد (الحزن الذي «يجده» الإنسان في قلبه) هو
ما تعيا (تعجز) عن صفته (وصفه)

تُعْصِفُ خَدَّيْهَا الْعَيُونُ بِحُمْرَةٍ إِذَا وَرَدَتْ كَانَتْ وَبَالاً عَلَى الْوَرْدِ
العيون الناضرة إلى هذه الفتاة تعصف (تصيف) خديها بحمرة الخجل، وهذه الحمرة المحببة إذا وردت
(جاءت) كانت وبالاً (مصبية) على الورد، فحمرة الورد يتضاءل حسنهما بجانب حمرة خدي الفتاة

إِذَا أَزْهَدْتَنِي فِي الْهَوَى، خِيفَةَ الرَّدَى، جَلَبَتْ لِي عَنْ وَجْهِ يُزْهَدُ فِي الزُّهْدِ
كلما جعلتني هذه الفتاة أزهد في الهوى وأتركه مخافة الموت عشقاً، كشفت عن وجه يجعلني أزهد
في زهدي، وأغبر رأبي

١٢٢ الليل الطويل

يمدح نصر بن منصور بن سيار:

أَفْنَى، وَلَيْلِي لَيْسَ يَفْنَى آخِرُهُ هَاتَا مَوَارِدُهُ، فَأَيْنَ مَصَادِرُهُ؟
هاتا: هذه، الورد: القدوم نحو الماء، والصدور: الرجوع بعد سقي الإبل. يقول: رأيت الليل
يقبل، ولكن هيهات أن يدبر

لا شيء ضائرٌ عاشقٍ، فإذا نأى عنه الحبيبُ فكلُّ شيءٍ ضائرٌ

١٢٣ ترمي بأشباحنا

يمدح أبا الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي:

لَسْتُ مِنَ الْعَيْسِ، أَوْ أَكَلَفُهَا وَخِذاً يَدَاوِي الْمَرِيضَ مِنْ وَصْبِهِ
لست من العيس (فسروها فقالوا: لست بصاحب هذه النياق) إن لم أجتئها وخداً (سيراً سريعاً)
يداوي المريض من علته (يداويني من فقري). أفهم أن يحلف المرء فيقول «لست من طيء إن لم...»
فهو ينفي نفسه عن قبيلته ما لم يفعل كذا وكذا، أما أن ينفي نفسه عن العيس فذلك خروج بالتعير
عن طريقته. هكذا أنقذه على طريقة الأمدى، وإن لم يتعرض الأمدى للبيت بتقد، مع أنه أورده

تَرْمِي بِأَشْبَاحِنَا إِلَى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدَبِهِ

النياق ترمي بأشباحنا (توصل أجسامنا المهزولة من طول السفر) إلى ملك (صاحب ولاية، وكل من
يملك أمراً سموه في تلك الحقبة ملكاً) نأخذ من ماله ومن أدبه. وقد عرف العصر العباسي وزراء
متنفذين كثيراً ورأينا ابن الرومي والبحري وأبا تمام، ومن بعدهم المتنبّي، يمدحون الملوك بعلمهم،
وليس فقط بسخائهم

نَجْمُ بَنِي صَالِحٍ، وَهُمْ أَنْجُمُ الدَّعَايِمِ: مِنْ عُجْمِهِ وَمِنْ عَرَبِهِ

رَهْطُ الرَّسُولِ الَّذِي تَقَطَّعَ أَسَدُ جَبَابِ الْبَرَايَا غِداً سِوَى سَبَبِهِ

بنو صالح رهط (قوم) الرسول الذي ستقطع أسباب (واسطات/شفاعات) الخلق كلهم سوى شفاعته

مُهَذَّبٌ، قُدَّتِ النُّبُوَّةُ وَالْإِسْلَامُ، قَدَّ الشِّرَازُ، مِنْ نَسَبِهِ

مذهب (مثقّف) قدت (قُطعت) النبوة والإسلام من نسبه، كما يقد الشراك (الشريط) من قطعة الجلد

مَنْ ذَا كَعْبَاسِهِ، إِذَا اصْطَلَكْتَ الْإِسْلَامَ، أَمْ مَنْ كَعْبِدِ مُطَّلِبِهِ؟

من من الناس يشبه العباس أو عبد المطلب عمّي النبي - وهما من أجداد الممدوح فهما عباس
وعبد مطلبه - إذا اصطكت الأحساب (قورن فيما بين مناقب الناس)

١٢٤ الطامسة الصوى

يمدح حُبَيْش بن المعافى قاضي نَصِيبِينَ ورأس عين:

نَسَائِلُهَا أَيَّ الْمَوَاطِنِ حَلَّتِ وَأَيَّ دِيَارٍ أَوْطَنْتَهَا وَأَيَّتِ

نسأل المحبوبة أين حلت، وأي ديارٍ أوطنت المحبوبة (اتخذت وطناً)

وماذا عليها لو أشارت، فَوَدَّعَتْ، إَلَيْنَا بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ، وَأَوَمَّتْ؟

أومت (أومات/أشارت)

عليها سلامُ اللّهِ أَنَّى اسْتَقَلَّتْ ، وَأَنَّى اسْتَقَرَّتْ دَارُهَا ، واطْمَأَنَّتِ

استقلت (ارتفعت فوق البعير ورحلت)

وَمَجْهُولَةَ الأَعْلَامِ طَامِسَةِ الصَّوَى إِذَا اعْتَسَفَتْهَا الْعَيْسُ بِالرَّكْبِ ضَلَّتْ

رب صحراء مجهولة الأعلام (المعالم) طامسة (=مطموسة) الصوى (جمع صَوَة: صخور مميزة يستدل بها على الطريق)، إذا اعتسفتها العيس (سارت فيها الإبل على غير هدى) بالركب (براكبيها) ضلت الطريق

إِذَا مَا تَنَادَى الرُّكْبُ فِي فَلَوَاتِهَا أَجَابَتْ نِدَاءَ الرُّكْبِ فِيهَا ، فَأَصْدَتْ

إذا نادى المرتحلون في فلواتها (أراضيها المقفرة) بعضهم بعضاً أجابت الصحراء نداءهم فأصدت (صنعت صدى)

تَعَسَفَتْهَا وَاللَّيْلُ مُلْتِي جِرَانِهِ وَجَوَزَاؤُهُ فِي الأفقِ حِينَ اسْتَقَلَّتْ

تعسفتها (سرت فيها على غير هدى) والليل قد ألقى جرائه (عنفه/أي تقدم وحل)، وجوزاء الليل قد ظهرت في الأفق حين استقلت (هنا معناها: ارتفعت)

بِمُفْعَمَةِ الأنْسَاعِ ، مُوجَدَةِ القَرَا أُمُونِ السَّرَى ، تَنْجُو إِذَا الْعَيْسُ كَلَّتْ

لقد سرت بناقة مفعمة الأنساع (ممتلئة السيور الجلدية التي تشدُّ الرحل على الناقة/أي أنها ناقة سميئة)، موجدة القرا (قوة الظهر) أمون السرى (مأمونة في السير الليلي)، تنجو (تسير) إذا العيس كلت (الإبل تعب)

إِلَى خَيْرٍ مَنْ سَاسَ الرِّعِيَّةَ عَدْلُهُ وَوَطَّدَ أَعْلَامَ الْهُدَى فَاسْتَقَرَّتْ

أعلام الهدى (جبال يهتدى بها). فالمدحود قد ثبت للناس مناهج الحق كأنها الجبال التي يعرف بها السائر في الصحراء طريقه

أَقَرَّ عَمُودَ الدِّينِ فِي مُسْتَقَرِّهِ وَقَدْ نَهَلَتْ مِنْه اللَّيَالِي وَعَلَّتْ

ثبت عمود الدين (والعمود هو الأساس وسط الخيمة، فإذا استقر استقر كل شيء) في موضعه، بعد أن نهلت الليالي وعلت منه (بعد أن شرب منه الزمن مرة أولى ثم مرة ثانية/أي بعد اضطرابه)

وَأَخْيَا سَبِيلَ الْعَدْلِ بَعْدَ دُثُورِهِ وَأَنْهَجَ سُبُلَ الْجُودِ حِينَ تَعَفَّتْ

دثوره (اندثاره)، أنهج (أوضح النهج أي الطريق)، تعفت (امتح)

وَيَجْزِيكَ بِالْحُسْنَى إِذَا كُنْتَ مُحْسِنًا وَيَعْتَغِرُ الْعُظْمَى ، إِذَا التَّغْلُ زَلَّتْ

العظمى (الزلة الكبيرة) إذا النعل زلت (إذا انزلقت قدمك/بكناية عن ارتكاب خطأ، أو الوقوع في الفقر)

١٢٥ قلادة السؤدد

يمدح أبا عبد الله حفص بن عمر الأزدي:

أَنْخْتُ، إِلَى سَاحَاتِهِمْ وَجَنَابِهِمْ، رِكَابِي، وَأَضْحَى فِي دِيَارِهِمْ وَقُدِي
أَنْخْتُ إِبْلِي فِي جَوَارِهِمْ، وَغَدَا وَقُدِي (قُدومي) حَاصِلًا فِي دِيَارِهِمْ

إِلَى سَيْفِهِمْ حَفْصِ، وَمَا زَالَ يُتَنَضَّى لَهُمْ مِثْلُ ذَاكَ السَّيْفِ مِنْ ذَلِكَ الْغَمْدِ
أَنْخْتُ إِبْلِي إِلَى سَيْفِهِمْ حَفْصِ، وَقَدْ ظَلَّ يُتَنَضَّى (يُسَلَّ) لَهُوَ الْقَوْمُ سَيْفَ كَهَذَا السَّيْفِ، مِنْ غَمْدِ
كَذَلِكَ الْغَمْدِ (يقول: ظلوا يتوارثون السيادة أبا عن جد)

فَلَمْ أَغْشَ أَبَا أُنْكَرْتَنِي كَلَابُهُ، وَلَمْ أَتَشَبَّثْ بِالْوَسِيلَةِ مِنْ بُعْدِ .
فَلَمْ أَغْشَ (أَتِ) أَبَا أُنْكَرْتَنِي كَلَابَهُ (فَأَنَا لَسْتُ غَرِيبًا، ثُمَّ إِنَّ كَلَابَ الْكَرِيمِ لَا تَنْبَحُ الضَّيْفَ لِأَلْفَتِهَا
الْأَضْيَافِ)، وَلَمْ أَتَشَبَّثْ بِوَاسِطَةٍ بَعِيدَةٍ لِلتَّقَرُّبِ فَأَنَا قَرِيبٌ مِنْهُمْ

فَأَصْبَحْتُ: لَا ذُلَّ السُّؤَالِ أَصَابَنِي، وَلَا قَدَحْتُ فِي خَاطِرِي رَوْعَةُ الرَّدِّ
لَمْ أَشْعُرْ بِذُلٍّ لِلسُّؤَالِ (طَلَبِ الرِّفْدِ)، وَلَا قَدَحْتُ (خَطَرْتُ) بِيَالِي رَوْعَةَ الرَّدِّ (خَشْيَةَ الصَّدِّ)

وَأَنْتَ، وَقَدْ مَجَّتْ خُرَاسَانَ دَاءَهَا وَقَدْ نَعَلْتُ أَطْرَافَهَا نَعْلَ الْجِلْدِ .
أَنْتَ، وَقَدْ مَجَّتْ (لَفْظَتْ) خُرَاسَانَ دَاءَهَا (أَيَ ظَهَرَتْ مُشْكَلَاتُهَا)، وَنَعَلْتُ (تَلَفْتُ) نَوَاحِيهَا كَمَا
يَتَلَفُ وَيَتَهَرَّأُ الْجِلْدُ .

لِيَالِي بَاتَ الْعِزُّ فِي غَيْرِ بَيْتِهِ وَعُظِّمَ وَغَدُّ الْقَوْمِ فِي الزَّمَنِ الْوَعْدِ
. حَدَّثَ هَذَا لِيَالِي (فِي زَمَنِ) انْتَقَلَ الْعِزُّ فِيهِ إِلَى مَنْ لِيَاسَا لَهُ بِأَهْلِ، وَعِنْدَمَا أَصْبَحَ السَّفَلَةُ مَبْجِلِينَ
فِي هَذَا الزَّمَنِ السَّافِلِ

وَرَامُوا دَمَ الْإِسْلَامِ، لَا مِنْ جَهَالَةٍ وَلَا خَطَأٍ، بَلْ حَاوَلُوهُ عَلَى عَمْدٍ
.. وَعِنْدَمَا رَامُوا (طَلَبُوا) إِرَاقَةَ دَمِ الْإِسْلَامِ لَيْسَ جَهْلًا، وَلَا خَطَأً، بَلْ عَمْدًا .

ضَمَمْتُ إِلَى قَحْطَانَ عَدَنَانَ كُلِّهَا وَلَمْ يَجِدُوا، إِذْ ذَاكَ، مِنْ ذَاكَ مِنْ بُدِّ
أَنْتَ عِنْدَئِذٍ ضَمَمْتَ كُلَّ الْعَرَبِ، الْقَحْطَانِيَّةَ وَالْعَدْنَانِيَّةَ، تَحْتَ لَوَائِكَ، وَمَا وَجَدُوا بَدَأَ مِنَ التَّوْحِيدِ

وَمَا كُنْتُ ذَا فَقْرٍ إِلَى صُلْبِ مَالِهِ، وَمَا كَانَ حَفْصٌ بِالْفَقِيرِ إِلَى حَمْدِي
وَمَا كُنْتُ ذَا فَقْرٍ (مُحْتَاجًا) إِلَى مَالِهِ، وَلَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى حَمْدِي (مَدْحِي)

وَلَكِنْ، رَأَى شُكْرِي قِلَادَةَ سُؤدَدٍ، فَصَاغَ لَهَا سِلْكَاً بَهِيًّا مِنَ الرُّفْدِ
رَأَى شُكْرِي (مَدْحِي) لَهُ) قِلَادَةَ سُؤدَدٍ (عَقْدَ سَيَادَةٍ وَمَجْدٍ)، فَصَاغَ لِهَذَا الْعَقْدِ سِلْكَاً (الْخِيطَ الَّذِي
تَنْظُمُ فِيهِ الْجَوَاهِرُ/ وَلَمْ يَكُنْ أَيَّامَهَا سُلُوكُ كَهْرَبَاءٍ) هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الرِّفْدِ (الْعَطَاءِ)

فَمَا فَاتَنِي مَا عِنْدَهُ مِنْ حَبَائِهِ ، وَلَا فَاتَهُ مِنْ فَاخِرِ الشَّعْرِ مَا عِنْدِي

الحبَاء : العطاء

١٢٦ صاعاً بصاع

بمدح مهدي بن أصرم:

أَقِيلِي، قَدْ أَضَاقَ بُكَائِكَ دَرْعِي، وَمَا ضَاقَتْ بِنَازِلَةٍ ذِرَاعِي
خَفِي مِنْ بَكَائِكَ أَيْتَهَا الزَّوْجَةُ، فَقَدْ ضَاقَ بِهِ ذَرْعِي، وَلَكِنْ مَا ضَاقَتْ بِأَيَّةٍ نَازِلَةٍ (مَصِيبَةٍ) ذِرَاعِي (لَمْ)
أَقْدُ الصَّبْرَ عَلَى الْمَصَائِبِ

أَلْفَةَ النَّحِيبِ! كَمْ افْتِرَاقٍ أَظْلٌ، فَكَانَ دَاعِيَةً اجْتِمَاعٍ!
كَمْ افْتِرَاقٍ أَظْلٌ (مَا أَكْثَرَ مَا رَمَى الْفِرَاقُ ظِلَّهُ) فَكَانَ دَاعِيَةً (سَبَباً) لِعُودَةِ الْلِقَاءِ

وَلَيْسَتْ فَرَحَةً الْأَوْبَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَجِ الْوَدَاعِ
الْأَوْبَاتِ (الْأَوِيَّةُ: الْعُودَةُ)، مَوْقُوفٍ عَلَى (مَخْصُوصٍ بـ)، تَرَجٍ (حَزَنٍ)

تَوَجَّعُ أَنْ رَأَتْ جِسْمِي نَحِيفاً، كَأَنَّ الْمَجْدَ يُذْرِكُ بِالصُّرَاعِ
تَوَجَّعَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ لِنَحَافَتِي، وَلَكِنَّ الْمَجْدَ لَا يَدْرِكُ
(يَتِمُّ إِحْرَازُهُ) بِالصُّرَاعِ (إِلْقَاءِ الْخَصْمِ أَرْضاً)

بِمَهْدِيٍّ بِنِ أَضْرَمَ عَادَ عُودِي إِلَى إِيرَاقِهِ، وَامْتَدَّ بَاعِي
بِهَذَا الْمَمْدُوحِ عَادَ عُودِي (غَضَنِي) إِلَى إِيرَاقِهِ (اِكْتِسَانَهُ بِالْوَرَقِ)، وَامْتَدَّ بَاعِي (اتَّسَعَ رِزْقِي)

أَطَالَ يَدِي عَلَى الْأَيَّامِ، حَتَّى جَزَيْتُ صُرُوفَهَا صَاعاً بِصَاعٍ
جَعَلَ يَدِي طَوِيلَةً فِي مَخَاصِمِ الْأَيَّامِ (الْأَحْدَاثِ)، فَصَرْتُ أُرْدَ لَهَا الصَّاعَ بِالصَّاعِ

إِذَا أَكْثَدْتُ سَوَامَ الشَّعْرِ أَضَحَّتْ عَطَايَاهُ، وَهَنَّ لَهَا مَرَاعٍ
إِذَا افْتَقَرْتُ سَوَامَ الشَّعْرِ (الْمَوَاشِي/ يَشْبُهُ الْقَصَائِدُ بِالْمَوَاشِي) فَإِنَّ عَطَايَا الْمَمْدُوحِ تَصْبِحُ كَالْمَرْعَى،
وَيَعُودُ الشَّعْرُ نَاضِراً قَوِيّاً

وَلَمْ يَحْفَظْ مُضَاعَ الْمَجْدِ شَيْءٌ، مِنْ الْأَشْيَاءِ، كَالْمَالِ الْمُضَاعِ
الْمَجْدُ الَّذِي ضِيعَ أَهْلُهُ لَا يَحْفَظُهُ شَيْءٌ كَمَا يَحْفَظُهُ تَفْرِيقُ الْمَالِ عَلَى النَّاسِ، فَفِي هَذَا اسْتِعَادَةُ
لِلْمَجْدِ بِالسَّخَاءِ

فَلَوْ صَوَّرْتُ نَفْسَكَ، لَمْ تَزِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ

١٢٧ مات شاباً

برثي محمد بن الفضل الحميري:

إِنَّ رَبَّ الزَّمَانِ يُحْسِنُ أَنْ يُهْـ
لِدِي الرَّزَايَا إِلَى ذَوِي الْأَحْسَابِ
الرزايا: المصائب، الأحساب: الأمجاد

أَنْزَلَتْهُ الْأَيَّامُ عَنْ ظَهْرِهَا، مِنْ بَعْدِ إِبْثَاتِ رَجُلِهِ فِي الرُّكَابِ
كان قد وضع رجله في ركاب الفرس (الأنشطة التي تساعد الفارس في اعتلاء الفرس)، ولم يكدر
يفعل ذلك حتى جاءه الموت. يقول: مات شاباً

حِينَ سَامَى الشَّبَابُ، وَاعْتَدَّتِ الدُّنَى بِيَا عَلَيْهِ مَفْتُوحَةَ الْأَبْوَابِ
سامى (علا ووصل)

قَصَدْتُ نَحْوَهُ الْمَنِيَّةُ، حَتَّى وَهَبْتُ حُسْنَ وَجْهِهِ لِلتَّرَابِ

١٢٨ ساعات الدهر تفترسنا

برثي هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي:

لَنِمْنًا، وَصَرُفُ الدَّهْرِ لَيْسَ بِنَائِمٍ خُزْمَنَا لَهُ قَسْرًا بَغِيرِ خَزَائِمِ
لنمنا (والله لقد نمنا) ولكن مصائب الدهر لا تنام، وقد خُزِمْنَا للدهر (ذللنا له) بغير خزائم (بدون
الحلقات التي تجعل في أنف البعير بغرض تذليله)

أَلَسْتُ تَرَى سَاعَاتِهِ، وَاقْتِسَامَهَا نُفُوسَ بَنِي الدُّنْيَا اقْتِسَامَ الْغَنَائِمِ
هذه المشاعر الوجودية سناها أقوى عند المتنبّي، ثم سيوصلها أبو العلاء إلى غاية الغايات
إِذَا فُقِدَ الْمَفْقُودُ مِنْ آلِ مَالِكٍ تَقَطَّعَ قَلْبِي رَحْمَةً لِلْمَكَارِمِ
رحمة لـ (شفقة على)

١٢٩ إني انتجعتك

يعاتب جعفر بن دينار:

مَلِكُكَ، إِذَا مَا الشَّعْرُ حَارَ بِبَلَدَةٍ، كَانَ الدَّلِيلَ لِطَرْفِهِ الْمَتَحَيِّرِ
ملك (حاكم) إذا تحير الشعر فهو الدليل الذي يهديه، لأنه سخي يحب الشعر ويثيب عليه

إِنِّي أَنْتَجَعْتُكَ يَا أَبَا الْفَضْلِ الَّذِي بِالْجُودِ قَرَّبَ مُورِدِي مِنْ مَصْدَرِي
انتجعتك (قصدتك سائلاً)، وبجودك تقرب بين موطني ومورد رزقي

وَأَعُوذُ بِاسْمِكَ أَنْ تَكُونَ كَعَارِضٍ لَا يُرْتَجَى، وَكَنَابِتٍ لَمْ يُشْمِرِ
العياذ باسمك أن تكون كعارض (سحاب) لا رجاء منه أن يطر، وكنبات لا ثمر له

١٣٠ التصدق بالخمير

يعاتب أبا علي موسى القمي في نبيذ أهدها إليه:

فَاجَأْتَنَا كَذَرَاءً، لَمْ تُسَبِّ مِنْ تَسْبِ خَنِيمٍ جَرِيَالِهَا، وَلَا سَلْسَبِيلٍ
فوجئنا بخمرك كدراء (غير صافية)، لم تسب (تؤخذ) من تسنيم (عين صافية في الجنة) جريالها
(خمرها)، ولا من سلسيل (عين صافية في الجنة)

وَهِيَ نَزْرٌ، لَوْ أَنَّهَا مِنْ دُمُوعِ الصَّدِّ - بَّ لَمْ تَشْفِ مِنْهُ حَرَّ الْغَلِيلِ
نزر: قليلة، الغليل: الاحتقان

وَكَأَنَّ الْأَنْمَالَ اغْتَصَرَتْهَا، بَعْدَ كَدٍّ، مِنْ مَاءٍ وَجْهِ الْبَخِيلِ
اِحْتِسَاباً بَذَلْتَهَا؟ أَمْ تَصَدَّقُ - سَتْ بِهَا رَحْمَةً عَلَى ابْنِ السَّبِيلِ؟
احتساباً: لوجه الله

١٣١ يكون غلاماً لغلمانه

يعاتب يحيى بن عبد الله:

أَبَا جَعْفَرٍ، وَأَصُولُ الْفَتَى تَذُلُّ عَلَيْهِ بِأَغْصَانِهِ
أصول الإنسان تدل على قيمته بواسطة أغصانه (الناس المقربين إليه)، فالأغصان هي التي نراها
وتدل على الجذور

أَلَيْسَ قَبِيحاً بِأَنَّ أَحَاكَ رَجَاكَ لِحَادِثِ أَرْزَمَانِهِ
فَتَأْمُرُ أَنْتَ بِإِعْطَائِهِ، وَيَأْمُرُ فَتَحُ بِحِرْمَانِهِ
فتح، خادمك، يعني ما أمرت لي به

وَلَسْتُ أَحِبُّ الشَّرِيفَ الظَّرِيفَ يَكُونُ غُلَاماً لِغُلْمَانِهِ

١٣٢ صدقت، ولكن..

مَا ابْيَضَّ وَجْهُ الْمَرْءِ، فِي طَلَبِ الْعُلَى، حَتَّى يُسَوِّدَ وَجْهَهُ فِي الْبَيْدِ
وَصَدَقَتْ: إِنَّ الرِّزْقَ يَطْلُبُ أَهْلُهُ، لَكِنْ بِحِيلَةٍ مُتَعَبٍ مَكْدُودٍ
حقاً الرزق المقدر لك مقدر لك، لكنه لا يأتي إلا بحيلة صاحب الرزق المتعب المكدود (المتعب)

١٣٣ جَدْعُ الْأُنُوفِ

لَيْسَ جَدْعُ الْأُنُوفِ جَدْعًا، وَلَكِنْ بَعْضُ مَنْ نَضَطَفِيهِ جَدْعُ الْأُنُوفِ
 جدع (قطع) الأنوف ليس هو الجدع الحقيقي، بل بعض من نضطفيه (نصادقه)
 هو جدع الأنوف (أي الذلل)

لَوْ بِأَسَدِ الْعَرِيفِ نِيطَتْ عُرَى الْمَنِّ - لَذَلَّتْ رِقَابُ أَسَدِ الْعَرِيفِ
 لو نيطت (علقت) عرى (حلقات) المن (التعبير بالعطاء) بأسود منطقة العريف لذلت رقابها

١٣٤ شَكْوَى الْغَرِيبِ

يُصِفُ سُوءَ مَطْلَبِهِ بِنِسَابِ بَوْرٍ وَيَشْكُو الدَّهْرَ:

صَرِيعُ هَوًى، تُغَادِيهِ الْهُمُومُ بِنَيْسَابُورَ لَيْسَ لَهُ حَمِيمٌ
 صريع غرام تغاديه (تباكره صباحاً) الهموم، وليس له في نيسابور حميم (صديق)

غَرِيبٌ، لَيْسَ يُؤْنِسُهُ قَرِيبٌ، وَلَا يَأْوِي لِغُرَبَاتِهِ رَحِيمٌ
 فَقَدْ فَارَقْتُ بِالْغَرِيبِ دَاراً بِأَرْضِ الشَّامِ، حَفَّتْ بِهَا النَّعِيمُ
 الغريب: لم أعرفها، سوى أن الشام تقع غرباً عندما يكون المرء في نيسابور

هِيَ الْوَطْنُ الَّذِي فَارَقْتُ فِيهِ، وَقَارَقَنِي، الْمَسَاعِدُ وَالنَّدِيمُ
 وَكُنْتُ بِهَا الْمَمْنَعُ، غَيْرَ وَغْدٍ وَلَا نَكِيدٍ، إِذَا حَلَّ الْعَظِيمُ
 المنع (المحامي)، العظيم (البلاء الكبير)

إِذَا أَنَا لَمْ أَلَمْ عَثَرَاتِ دَهْرٍ أَصِبتُ بِهَا الْعَدَاةَ، فَمَنْ أَلُومُ

١٣٥ أَشْعَرُ الثَّقَلَيْنِ

يُصِفُ حُجَّةً حُجَّاهَا:

وَقَدْ أَمَّمْتُ بَيْتَ اللَّهِ نِضْوَاً عَلَى عَيْرَانَةٍ حَرْفٍ سَعُومٍ
 أمت (قصدت) بيت الله نضواً (مهزولاً) على عيرانة (ناقة شديدة كالبعير) حرف (ناقة ضامرة)
 سعوم (سريعة)

وَبَدَّلَهَا السَّرَى بِالْجَهْلِ جِلْمًا وَقَدْ أَدِيمَهَا، قَدْ الْأَدِيمُ
 جعلها السرى (سير الليل) هادئة وكانت جهولاً (مستارة)، وهذا السير قد أديمها (شقق جلدها) قد
 الأديم (كقطعتك الجلد المدبوغ)

طَوَاهَا طَيِّهَا الْمُؤْمَاةَ وَخَدَاً إِلَى أَجْبَالِ مَكَّةَ وَالْحَطِيمِ

طواها (أهزلها) طيها المومة (قطعها الصحراء) وخداً (جرباً)

قاصدة جبال مكة والحطيم (بناء قرب الكعبة)

أَقُولُ لَهَا، وَقَدْ أَوْحَتْ بِعَيْنٍ إِلَيَّ، تَشْكِي الدَّنْفِ السَّقِيمِ ..

أقول لها وقد أوحى (أومات) بعينها كما يشكي الدنف (المريض) ..

بِكُورِكَ أَشْعَرُ الثَّقَلَيْنِ طُرّاً، وَأَوْفَى النَّاسِ فِي حَسَبِ صَمِيمِ

بكورك (على سرجك) يركب أشعر الثقلين (الإنس والجن) طراً (جميعاً)، وأوفى الناس مع حسب

صميم (نصب متين)

فَمَرَّتْ مِثْلَمَا يَمْشِي شَهِيدٌ سَوِيّاً فِي صِرَاطِ مُسْتَقِيمِ

يبدو أن الناقه فهمت كلامه .. فعندئذ مرت مسرعة

كالشهيد الذي يقطع الصراط المستقيم سوياً (معتدلاً)

١٣٦ العصر الذهبي

يمدح المأمون:

أَهْلًا وَسَهْلًا بِالْإِمَامِ وَمَرْحَبًا، سَهَّلْتَ حُزُونََهُ كُلَّ أَمْرٍ قَرَدَدِ

حزونة: وعورة، قردد: أرض مرتفعة

فِي دَوْلَةٍ لَحَظَ الزَّمَانُ شُعَاعَهَا فَارْتَدَّ مُنْقَلِبًا بِعَيْنَيْ أَرْمَدِ

رأى الزمان (بمصيبياته ومشكلاته) شعاع دولتكم فراجع وفي عينيه رمد

مَنْ كَانَ مَوْلِدُهُ تَقَدَّمَ قَبْلَهَا، أَوْ بَعْدَهَا، فَكَانَ لَمْ يُؤَلَدِ

وَأَرَى الْأُمُورَ الْمَشْكِلَاتِ تَمَرَّقَتْ ظِلْمَاتُهَا عَنْ رَأْيِكَ الْمَتَوَقَّدِ

عَنْ مِثْلِ نَضْلِ السِّيفِ، إِلَّا أَنَّهُ مُذْ سُلَّ أَوَّلَ سَلَةٍ لَمْ يُغْمَدِ

تمزقت المشكلات عن رأيي هو مثل نصل السيف، غير أنه منذ اسلَّ أول مرة لم يعد إلى غمده بل ظل مسلولاً

لَوْ يَعْلَمُ الْعَافُونَ كَمْ لَكَ فِي النَّدَى مِنْ لَذَّةٍ أَوْ فَرْحَةٍ لَمْ نُحْمَدِ

لو عرف العافون (الفقراء) مقدار الفرح الذي يتناكب عندما تعطيمهم المال لم يشكروك

١٣٧ الإمام العادل

قال في المأمون:

لَمْ يُذَكِّرِ الْجُودُ إِلَّا خُضَّتْ وَادِيَهُ وَلَا انْتَضَى السِّيفُ إِلَّا خَافَكَ الْقَدَرُ

ما ضَرَّ مَنْ أَصْبَحَ الْمَأْمُونُ سَائِسَهُ أَنْ لَمْ يَسُسْهُ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ
وما على الأرضِ، والمأْمُونُ يَمْلِكُهَا أَنْ لَا تُضَيَّءَ لَنَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرُ

١٣٨ فكانها وكأنهم أحلام

يملح المأمون:

دِمْنُ أَلَمَ بِهَا فَقَالَ: سَلَامٌ كَمْ حَلَّ عُقْدَةً صَبِرِهِ الْإِلِمَامُ

هذه دمن (أطلال) المحبوبة، وقد أَلَمَ بها العاشق (زارها) وسلم عليها،
وهذا الإلمام حل العقدة عن صبره، كما يحل المرء عقدة القربة،
فتدفق الصبر ولم يبق لدى العاشق صبر

نُجِرَتْ رِكَابُ الْقَوْمِ، حَتَّى يَغْبُرُوا رَجَلَى؛ لَقَدْ عَنُفُوا عَلَيَّ وَلَا مُوَا.
أدعو الله أن تُنَحَّرَ رِكَابُ (إبل) أصحابي الذين وقفوا معي بالأطلال حتى يغبروا (يصبحوا) رجلى
(مترجلين يسرون على أقدامهم)، فقد كانوا عنيفين في لومي وتقريعي

وَلَقَدْ أَرَاكَ، فَهَلْ أَرَاكَ بِغُبْطَةٍ وَالْعَيْشُ غَضٌّ، وَالزَّمَانُ غَلَامٌ؟
وإني لأنظر إليك أيتها الديار الخربة! فهلا رأيتك بعين أخرى سعيدة إذ أنت عامرة، وإذ العيش
غض (طري)، والزمان غلام (أي عندما كنت شاباً وكان الزمان شاباً مثلي)؟

أَعْوَامٌ وَضَلَّ، كَانَ يُنْسِي طَوْلَهَا ذُكْرُ النَّوَى، فَكَأَنُّهَا أَيَّامٌ
هلا رأيتك أيتها الديار في أعوام وصل المحبوبة، وكانت أعواماً طويلة، وكان ذكر النوى (الفراق)
ينسيني طولها، فكانها كانت أياماً فقط

ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ، وَأَهْلُهَا فَكَأَنُّهَا، وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامُ
اللَّهُ أَكْبَرُ! جَاءَ أَكْبَرُ مَنْ جَرَتْ، فَتَحَيَّرْتُ، فِي كُنْهِهِ الْأَوْهَامُ

الله أكبر! جاء أكبر من جرت في كنهه الأوهام فتحيرت
(من سعت العقول لإدراك حقيقته، فتحيرت)

مَنْ شَرَّدَ الْإِعْدَامَ عَنْ أَوْطَانِهِ بِالْبَذْلِ، حَتَّى اسْتَطَرَفَ الْإِعْدَامُ
جاء الذي شرد (طرد) الإعدام (الفقر) عن أوطانه (أماكن وجوده) ببذل البهال،
حتى لقد استطرف (غُدَّ نادراً) الفقر

وَتَكَفَّلَ الْإِيْتَامَ عَنْ آبَائِهِمْ حَتَّى وَدِدْنَا أَنَّنَا أَيْتَامُ

١٣٩ شماتة الأعداء

قال يمدح خالد بن يزيد الشيباني. وأراد المعتصم معاقبته فألغى قراراً بتوليته على الحرمين، فاستأذن خالد في التوجه إلى مكة للحج فأذن له. ثم شفع فيه أحمد بن أبي دؤاد، فرضي المعتصم عنه وخلع عليه، ولكنه لم يمنحه ولاية الحرمين. فحسنت حاله، واستقر في العراق، ولم يقصد مكة، لا حاجاً ولا بالياً:

قد كان خطبٌ عائرٌ، فأقاله رأيُ الخليفةِ كوكبِ الخلفاءِ
أقاله: يعني أقالك منه، أي عفا عنك

فخرجتَ منه كالشهابِ؛ ولم تزلْ، مُذْ كُنْتَ، خَرَّاجاً من الغَمَاءِ
الغماء: المصيبة

ما سرّني بِخِذَاجِها من حَجَّةٍ ما بينَ أُنْدُلُسٍ إلى صنِعاءِ
سررت بخداج (إجهاض) هذه الحجة إلى مكة أكثر من سروري لو كنت ملكت البلاد بين الأندلس وصنعاء. قد جعلها الصولي «حجة» بضم الحاء، وفسر أنها حجة خصم الممدوح الذي كاد له عند المعتصم. ونقل التبريزي تفسير الصولي دون تغيير. وقد ذكر شرف الدين المستوفي أن الأصح حجة بفتح الحاء وقال إن الصولي صَّحَف. وهي «حجة» أيضاً في نسخة الإسكوريال التي أطنب محمد عبده عزام محقق شرح التبريزي في وصفها بالدقة. ونعود للصولي فإنه بعد أن فسرنا ذلك التفسير، راح يشرح قصة خالد والحجة التي لم يحجها إلى مكة. وعاد وفسر البيت على ضوء هذا مناقضاً نفسه. وأبى التبريزي إلا أن يصنع صنيعه فقد عاد في ذيل شرحه للبيت ونقل رواية «حجة» بفتح الحاء وفسرها التفسير الصحيح وناقض نفسه. هذا هذا؛ أما شارحو الديوان المحدثون من الدكاترة فنقلوا الغلط واكتفوا به. وأورد التفسير على وجهه ملحم الأسود اللبناني؛ وزاد عبد السلام هارون أن جعلها «حجة» بكسر الحاء مفسراً أنها المرة من الحج على غير قياس. وكتاب هارون صدر قبل طبع شرحي الصولي والتبريزي. وأغلب الظن أنه استقى المتن من طبعة محيي الدين الخياط، و«حجة» عند الخياط غير مشكولة. وهي غير مشكولة في طبعة شاهين عطية ١٨٨٩. وإنما أوردنا عليك هذا كله حتى تطمئن نفسك إلى أننا نخدم الأبيات قدر الاستطاعة، وعندما ترانا لا نورد كل هذه التفاصيل والاختلافات بين الشروح في أبيات أخرى ستسعد لأننا أسقطنا عنك المؤنة، وسيبقى في قلبك الاطمئنان

أجرٌ. ولكنْ، قد نظرتُ فلم أجِدْ أجراً يَفِي بِشِماتَةِ الأعداءِ
قد فانك أجر (ثواب) الحج. ولكنْ، لا ثواب يفي (يواري) بشماتة الأعداء

١٤٠ السيف أصدق أنباء

يمدح المعتصم، ويذكر انتصاره على الروم في موقعة عمورية:

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتبِ في حدِّه الحدُّ بينَ الجِدِّ واللَّعِبِ

السيف أصدق من «الأنباء» التي نقلها المنجمون من كتبهم، وحد السيف هو الحد الفاصل بين الخير الحقيقي وبين اللعب (كلام العرافين). قارن أبو تمام بين أنباء ينقلها السيف وهي صحيحة قطعاً لأن السيف فاعل، وبين أنباء في كتب العرافين. والتقط حقيقة أن السيف والكتب يجوز عليهما حمل الأنباء، لكن، كلاً بطريقته. وصنع جناساً تاماً بين حد السيف، والحد الفاصل بين صدق وكذب، وزاد بجناس ناقص مع كلمة الجد. وبدأ هذا المطلع بكلمة ألسيف، وهمزتها همزة وصل، ولكنك مضطر إلى قطعها، وفي الشطر الثاني تصنع الشدات إيقاعاً فيه تقطيع حاذٍ يشبه وضع حدود فاصلة بسيف قاطع. هذا بيت يمكن الكلام كثيراً على قوته وتأثيره. وكل شطر في البيت يتضمن حكماً قائماً بذاته يحسن السكوت عليه، وهذا من محاسن الشعر في رأي نقادنا القدماء، ولكنه هنا بالفعل أمر مستحسن لأن المناسبة تحتاج إلى القطع والبت. والطباق بين الجد واللعب ظاهر

بيضُ الصفائحِ، لا سودُ الصفائحِ، في مُتُونِهِنَّ جِلاءُ الشُّكِّ والرَّيبِ

الصفائح البيض (السيف)، وليس الصفائح السود (أوراق العرافين)، هي التي في متونها (نصالتها) جلاء (كشف) الشكوك. مضى أبو تمام في مقارنة السيف بالكتب، فالتقط كلمتي «الصفائح» و«الصفائح» وصنع منهما جناساً. وجاء بكلمة «متون» وهي كلمة مشتركة أيضاً فالكتاب له متن والسيف له متن

والعلمُ في شُهْبِ الأَرمَاحِ لامعةٌ بينَ الخَمِيسَيْنِ، لا في السَّبعَةِ الشُّهْبِ

المعلومة الحقيقية قابضة في سنان الرماح اللامعة كالشهب وهي تتحرك فيما بين الخميسين (الجيشين) المتقاتلين، وليست المعلومة قابضة في الشهب السبعة (الكواكب السبعة في عرف ذلك الزمان). التقط أبو تمام تشبيهاً مطروحاً لأسنة الرماح بالشهب، لكنه زاد فقارنها بالشهب (الكواكب) السماوية السبعة المعروفة آنذاك. سترى في القصيدة عشرات الشواهد على الصناعة اللفظية - المعنوية، وهي قادرة على أن تقوي المعنى وترفع الشعر، وقادرة أيضاً على تبديد حرارته وجعله مفتعلاً. ولأبي تمام من كل نصيب. غير أنه في هذه القصيدة جمع بين الأستاذية في الصناعة والتدفق الشعري كما لم يفعل في أي قصيدة أخرى له

أينَ الرُّوايةُ؟ بل أينَ النجومُ؟ وما صاغوه من زُخُوفٍ فيها، ومن كَذِبٍ؟

أين رواية المنجمين، وأين نجومهم، وأين ما صاغوه من كلام مزخرف كاذب؟

تَحَرُّصاً، وأحاديثاً ملفَّقةً ليستَ بِنَبْعٍ إذا عُذَّتْ، ولا غَرَبَ

صاغوه تحرصاً (كذباً) وصاغوه أحاديث ملفقة (مركبة من هنا وهناك)، وهي ليست بنبع (شجر صلب) ولا غرب (شجر ضعيف). يقول: ليست أحاديث صحيحة، ولا ضعيفة، بل مجرد أكاذيب

عَجَانِباً زَعَمُوا أَيَّامَ مُجْهِلَةٍ عَنْهُمْ فِي صَفَرِ الْأَصْفَارِ، أَوْ رَجَبٍ
زعموا أن هناك عجائب ستجفل عنها الأيام (ستنصرف الأيام وتمضي، فتكشفها)، وذلك في شهر
صفر الأصفار (صفر ذاك الذي علمتموه بنحسه المعروف) أو في رجب

وَحَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ إِذَا بَدَأَ الْكَوْكَبُ الْغَرْبِيُّ ذُو الذَّنْبِ
خوفوا الناس من دهياء (مصيبة) عندما يبدو الكوكب الغربي ذو الذنب (مذنب «هالي» فيما قبل،
ورأينا هذا المذنب يظهر في هذا الوقت في شعر علي بن الجهم معاصر أبي تمام)

وَصَبَّرُوا الْأَبْرَجَ الْعُلْبَا مَرْتَبَةً مَا كَانَ مُنْقَلِباً، أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبٍ
وجعلوا أبراج السماء مرتبة، فبعضها سموه منقلباً وبعضها غير منقلب، ورتبوا لها أدواراً في التأثير
في سير الأحداث. أخذنا برواية (مرتبة) بفتح التاء، فيها استقام لنا السياق، وبغيرها لم يستقم

يَقْضُونَ بِالْأَمْرِ عَنْهَا، وَهِيَ غَافِلَةٌ مَا دَارَ فِي فَلَكٍ مِنْهَا، وَفِي قُطْبٍ
يتكلمون باسم النجوم وهي لا تدري بهم، سواء الدوائر منها في فلك (مدار) أو ما كان جزءاً من
قطب تدور حوله نجوم آخر

لَوْ بَيَّنَّتْ قَطُّ أَمْراً قَبْلَ مَوْقِعِهِ لَمْ تُخَفِ مَا حَلَّ بِالْأَوْتَانِ وَالصُّلْبِ
لو كانت الأبراج تكشف المستقبل لكانت كشفت للمنجمين ما حل بالتماثيل والصلبان في عمورية
من تدمير قبل أن يقع

فَتَحَ الْفُتُوحَ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ نَظْمٌ مِنَ الشَّعْرِ، أَوْ نَثْرٌ مِنَ الْخُطْبِ
هذا فتح عظيم، تعالى (جل) عن أن يصفه بالتفصيل الشعر أو الشر

فَتَحَ تَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ لَهُ، وَتَبَرُّزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقُشْبِ
فتح تفتح له أبواب السماء بهجة، وتبرز الأرض بأثواب قشبية (جديدة) من العشب والزهر

يَا يَوْمَ وَقَعَةِ عَمُورِيَّةَ، انْصَرَفَتْ مِنْكَ الْمُنَى حُفْلاً مَعْسُولَةً الْحَلَبِ
يا هذا اليوم لقد انصرفت (رجعت) الأمانى بعدك وقد تحققت، فكانها ضروع الناقة الحافلة
المتملئة بالحليب المعسول (الحلو المذاق)

أُبْقِيَتْ جَدُّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صَعْدٍ، وَالْمَشْرِكِينَ وَدَارَ الشَّرِّكَ فِي صَبَبٍ
يا هذا اليوم لقد أقيت جد (حظ) المسلمين في صعد (مكان عال)، وأقيت المشركين ودار الشرك
(ببلادهم) في صيب (مكان منخفض)

أُمُّ لَهُمْ، لَوْ رَجَوْا أَنْ تُقْتَدَى جَعَلُوا فِدَاءَهَا كُلَّ أُمٍّ بَرَّةٍ وَأَبٍ
عمورية أم لهم (معقل مهم، ومكان تاريخي)، ولو كان لديهم أي رجاء في إنقاذها لافتدوها بكل
أم برة (بارة) وكل أب

وَبَرَزَةُ الْوَجْهِ قَدْ أَغَيْتْ رِيَاضَتُهَا كِسْرَى، وَصَدَّتْ صُدُوداً عَنْ أَبِي كَرْبٍ
برزة (جميلة) الوجه أنعب ترويضها كسرى، وصدت عن أبي كرب (ملك اليمن) فلم يستطع
امتلاكها. بدأ أبو تمام يشبهها بالفتاة

يَكْرُ، فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفَّ حَادِثَةٍ، وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النُّوبِ

عذراء، لم تفتزعها (تفتض بكارتها) حادثة (نكبة)،
ولا تجرأت أن ترقى إليها همة النوب (تطلعات المصائب)

مِنْ عَهْدِ إِسْكَندَرٍ، أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ، قَدْ شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي، وَهِيَ لَمْ تَشِبْ

منذ القدم شابت نواصي (سوالف) الليالي السود فايضت،
ولكن عمورية شابة لم يحل برأسها الشيب

حَتَّى إِذَا مَخَضَ اللَّهْ السُّنَيْنَ لَهَا مَخَضَ الْبَخِيلَةِ، كَانَتْ زُبْدَةَ الْحَقْبِ

ظل رب الكون يهز سني هذا الدهر مثلما تهز البخيلة القربة المملوءة باللبن الحليب؛
تهزها كثيراً لأنها بخيلة تريد ألا تترك شيئاً من الزبدة؛ وبعد هذا جاءت عمورية
ووقعت بأيدينا فكانت زبدة الحقب (الأزمان). مخض بدون شدة فانتبه، وكل محقق
الشروح زينوها بالشدّة، والمخض يستدعي مَخَضَ. قد صفق النقاد لهذا البيت، ولم
يستطع أحد فيما علمت أن يجد له أباً عند القدامى، وقال التبريزي «هذه استعارة لم
تستعمل قبل الطائي»

أَتَتْهُمْ الْكُرْبَةُ السُّودَاءُ سَادِرَةً مِنْهَا، وَكَانَ اسْمُهَا قَرَّاجَةُ الْكُرْبِ

جاءت للروم الكربة (المصيبة) السوداء سادرة (هوجاء) من عمورية، وكانوا يتفادلون بها ويسمونها
فارجة المصائب

جَرَى لَهَا الْفَالُ بَرَحًا يَوْمَ أَنْقَرَةٍ إِذْ غُودِرَتْ وَحْشَةَ السَّاحَاتِ وَالرُّحْبِ

جرى لها الفال برحاً (كان طالعها سيئاً) بعد يوم أنقرة التي غودرت وحشة الساحات والرحب
(الساحات). فقد هزم الروم أولاً قرب أنقرة وهجرها أهلها

لَمَّا رَأَتْ أَخْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ

كم بين حيطانها من فارسٍ بطلٍ قَانِي الدَّوَائِبِ مِنْ آتِي دَمٍ سَرِبِ
داخل أسوار عمورية أبطال كثر، تلطخت ذائبهم (خصال شعرهم) بالدم القاني (الأحمر) الآني
(الحار) السرب (المتدفق)

بِسُنَّةِ السَّيْفِ وَالْخَطِي، مِنْ دَمِهِ، لَا سُنَّةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ، مُحْتَضِبِ

هذا البطل الرومي شعره مختضب (مصبوغ) بدمائه، وذلك على سنة (شرع) السيف والخطي
(الرمح)، وليس مختضباً بالحناء على سنّة الدين الإسلامي

لقد تَرَكْتُ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بها للنارِ يوماً ذليلَ الصخرِ والخشبِ

تركت أيها المعتصم بعمورية يوماً ذا خشب وصخر ذليلاً يهدم البيوت، المبنية بالخشب والحجارة. فهو يوم خشبه وحجارته ذليلة. ويجوز لك أن تجعل كلمة «يوماً» زائدة، وهذا أشبه بالشعر القديم

غَادَرَتْ فِيهَا بَهِيمَ اللَّيْلِ وَهُوَ ضَحَى يَسْأَلُهُ وَسَطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ

تركت الليل البهيم (الأسود) وهو ضحى منير، والذي يشل (يطرد) الليل وسط عمورية صبح صناعي سببه اللهب لا الشمس

حَتَّى كَأَنَّ جَلَابِيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ عَنْ لَوْنِهَا، أَوْ كَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبْ

فكان جلابيب (ملابس) الليل رغبت عن لونها (كرهت لونها)، أو كان الشمس لم تغرب في ذلك اليوم

ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ، وَالظُّلُمَاءُ عَاكِفَةٌ وَظُلْمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضَحَى شَحِبِ

النار تضيء رغم الظلمة العاكفة (الماكئة)، والظلام إنما يأتي من الدخان وسط هذا الضحى الشاحب

فَالشَّمْسُ طَالَعَةُ مِنْ ذَا، وَقَدْ أَقْلَتْ وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا، وَلَمْ تَحِبْ

الشمس طالعة من ذا (من اللهب)، مع أنها في الواقع أقلت (غربت)؛ والشمس واجبة (غاربة) من ذا (من الدخان)، لكنها لم تحب (لم تغرب) بسبب اللهب

تَصْرَحَ الدَّهْرُ، تَصْرِيحَ الْعَمَامِ، لَهَا عَنْ يَوْمٍ هَيَجَاءُ مِنْهَا طَاهِرٌ جُنِبِ

تصرح (تكشف) الزمن مثلما يتكشف الغيم وتصفو السماء، وأرأينا يوم هيجاء (حرب) طاهراً لكنه أيضاً جنب (هذا اليوم لحقته الجنابة بالجماع) ..

لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ فِيهِ يَوْمَذَاكَ عَلَى بَانٍ بِأَهْلِ، وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى عَرَبِ

عندما طلعت الشمس لم يكن في جنودنا أحد قد بنى بأهل (اتخذ زوجة)، وعندما غربت الشمس كان كل جندي قد فارق العزوبة وتزوج البنات المسيبات تعرضن للسي وللاغتصاب بحسب أعراف ذلك الزمان. وربما أيضاً بحسب أعراف هذا الزمان. فالجنود الغائبون عن النساء مدة طويلة - عمورية تبعد ١٢٠٠ كم عن سامراء - فعلوا ما وصفه أبو تمام مفتخراً به. وفي حرب البوسنة فعل الجنود بالنساء ذلك. ولعل من أول واجبات الفقيه المسلم الجديد، الذي نرجو أن يبعثه الله، أن يفتينا فتوى معقولة في هذا الأمر غير المعقول. نقرأ هذا الشعر ونقدر أنه قيل في زمن غابر، ولكن هذه الحيوانية في الإنسان تظل مصدر توتير لنا. لكننا نعود ونقول: لن نقيس الشعر بمقاييس الأخلاق. ولن نرضى أن يسرف الغرب المجرم في تعبيرنا بتفاصيل كهذه. فجريمة الغرب في الكونغو - ولا أريد تسمية بلد عربي - يقشعر لها البدن. لأجل معاندها الثمينة يصنع الغرب هناك الحروب الأهلية وغير الأهلية، والنتيجة مقتل خمسة ملايين إنسان. لا تشعر بالفتقر من ملحمة أبي تمام هذه بأكثر مما يجب، فالعرب في الجاهلية كانوا يسبون نساء بعضهم بعضاً. والروم كانوا يسبون المسلمين أيضاً

ما رَنُغَ مَيَّةً، مَعْمُوراً، يُطِيفُ بِهِ غَيْلَانُ أَتَيْهُ رُبَيٌّ مِنْ رَبْعِهَا الْخَرِبِ
ليس ربع (موطن) «مِة» إذ هو معمور أهل بسانه ويطيف (يطوف) به غيلان (ذو الرمة الشاعر،
حيب مية) ليس هذا الربع بأجمل في عيني غَيْلَان من عمورية إذ هي خربة محترقة في عيون
جنودنا، فما أحلى خرابها وانتصارنا عليها

ولا الخدودُ، وإنْ أَدْمِينَ مِنْ حَجَلٍ، أَشْهَى إِلَى نَاطِرٍ مِنْ خَدِّهَا التَّرِبِ
ولا الخدود المحمرة من خجل، فكأنها دامية، أشهى منظراً من خد عمورية المغبر

سَمَاجَةٌ غَنِيَتْ مِنَّا الْعُيُونُ بِهَا عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَدَأَ، أَوْ مَنْظَرٍ عَجَبٍ
هذه سماجة (فتح) استغنت به عيوننا عن كل جمال أو منظر عجيب

وَحُسْنٌ مُنْقَلَبٌ تَبَدُّو عَوَاقِبُهُ، جَاءَتْ بِشَاشَتُهُ عَنْ سُوءٍ مُنْقَلَبٍ
وهذا حسن منقلب (نتيجة طيبة) تظهر عواقبه (نتائج)، وجماله ناشئ عن سوء منقلب الروم

لَوْ يَعْلَمُ الْكُفْرُ كَمْ مِنْ أَعْصَرٍ كَمَنْتَ لَهُ الْمَنِيَّةُ بَيْنَ السُّمْرِ وَالْقُضْبِ
لو يعلم الكفر كم من عصور مرت والمنية (الموت) كامنة له بين السمر (الرماح) والقضب
(السيف) تنتظر البروز

تَدْبِيرٌ مَعْتَصِمٌ بِاللَّهِ، مُنْتَقِمٌ لِلَّهِ، مُرْتَقِبٌ فِي اللَّهِ، مُرْتَهَبٌ
ما حدث تدبير رجل معتمصم بالله (محتم بالله)، مرتقب لأمر الله، ويرهب عذاب الله

وَمُطْعَمُ النَّصْرِ، لَمْ تَكْهَمْ أَسْنَتُهُ يَوْمًا، وَلَا حُجِبَتْ عَنْ رُوحٍ مُحْتَجِبٍ
وهو تدبير مطعم النصر (الذي أطعمه الله نصراً) ولم تكهم أسنته (لم تخطيء) ولا حُجِبَتْ عن روح
جندي العدو المحتجب بدرعه وترسه

لَمْ يَغْزُ جَبِشًا، وَلَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ، إِلَّا بَقْدَمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ
ينهد: ينهض

لَوْ لَمْ يَقْدُ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَعَى، لَقَدَا، مِنْ نَفْسِهِ وَحَدَّهَا، فِي جَحْفَلٍ لِحَبٍ
لحب: كثير الضجيج، أي أنه جيش كبير

رَمَى بِكَ اللَّهُ بُرْجِيهَا فَهَدَمَهَا؛ وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللَّهِ لَمْ تُصِبِ

لا أدري إن كان أحد قد فطن لهذا البيت وقت انهدام البرجين الكبيرين في نيويورك في حادي عشر
سبتمبر أيلول عام ٢٠٠١. وما قد كادت تمر سنوات عشر على تلك الجريمة البشعة (وأنا أكتب في
يناير كانون الثاني ٢٠١١)، ولكن القلب غير مطمئن إلى هوية الفاعلين. وأستحسن هنا الاستدلال
بالتائج على الأسباب: فما سعت واشنطن إلى تحقيقه وما حققتة فعلاً في أعقاب، وبذريعة، تلك
الفعلة يدل بعض الدلالة على أن لها ضلعاً

من بعد ما أَشْبُوها وَاثْقِينِ بِها. وَاللَّهُ مِفْتَاحُ بابِ المَعْقِلِ الْأَشِيبِ

لقد تهدمت عمورية من بعد ما أشبوها (حصنها) وثقوا بها. ولكن الله يفتح باب المعقل الحصين

وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ: لَا مَرْتَعٌ صَدَدٌ لِلسَّارِحِينَ، وَلَيْسَ الْوَرْدُ مِنْ كَثَبِ

قال رئيس الروم: لا يوجد مرتع (مرعى) صدد (قريب) للمسلمين عند عمورية ليسرحوا بمواشيهم، وليس الورد (مورد الماء) من كَثَب (قريب)، لذا فلن يتمكنوا من حصارها وسيذهبون عنها

أَمَانِيًا سَلَبَتْهُمْ نُجَجَ هاجِسِها ظُبَى السِوْفِ، وَأَطْرَافُ الْقَنَا السُّلْبِ

كانت هذه أمانيتهم ولكن، سلبتهم نُجَج (تحقق) هذه الهواجس ظبي السيوف (نصالتها) وأسنة القنا (الرماح) السلب (الطويلة)

إِنَّ الْحِمَامَيْنِ، مِنْ بِيضٍ وَمِنْ سُمرٍ، ذَلُّوا الْحَيَاتَيْنِ مِنْ ماءٍ وَمِنْ عُشْبِ

إن الموتين: من بيض (سيوف) ومن سمر (رماح)، هما مثل دلوين لحياتين: حياة بالماء وحياة بالعشب. أي أن المسلمين حققوا بأسلحتهم أسباب الحياة، ونالوا الماء والعشب لمواشيهم بالنصر

لَبِيتَ صَوْتًا زَبْطَرِيًّا، هَرَقْتَ لَهُ كَأْسَ الْكُرَى، وَرَضَابَ الْخُرْدِ الْعُرْبِ

أيها المعتصم لقد لبيت صوت المرأة العربية في زِبْطَرَة التي صرخت وامعتصماه، وقد هرقت (أرقت) في سبيل ذلك كأس الكرى (النوم) فسهرت وأنت تقطع المسافة الطويلة وتسير ليلاً، وأرقت أيضاً رضاب الخرد (الفتيات) العُرب (المتحبيات للأزواج) فلم تعاشر النساء. ومن عادات العرب الغضاب أن يحلفوا ألا يمسوا النساء إلا بعد خوض المعركة. وقيل: عندما نقل إلى المعتصم خبر المرأة التي صرخت «وامعتصماه» كانت بيده كأس فوضعها، وسار من فوره ليتجهز للزحف، وحفظت له الكأس ليشربها بعد عودته

عَدَاكَ حَرُّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ بَرْدِ الثُّغُورِ، وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْحَصْبِ

حرارة الثغور (المواقع الحدودية) المستضامة (المظلومة) عداك (صرفك) عن برد الثغور (أفواه النساء)، وعن سلسالها (مائها العذب) الحصب (الذي يترقق بين الحصى). يشبه ثغور النساء وما فيها من ريق وأسنان بجدول يترقق فيه الماء بين الحصى

أَجَبْتُهُ مُعَلِّمًا بِالسِّيفِ مُنْصَلِنًا وَلَوْ أَجَبْتَ بِغَيْرِ السِّيفِ لَمْ تُجِبْ

أجبت صوت المرأة وأنت معلم (واضع علامة كالريشة التي كان الفارس الشجاع يضعها على رأسه في الحرب) وعلامتك كانت السيف، وكان السيف منصلياً (مسلولاً)، ولو كنت أجبت جواباً بغير السيف لما كان مقتعاً

حَتَّى تَرَكْتَ عَمُودَ الشَّرْكِ مُنْقَعِرًا وَلَمْ تُعَرِّجْ عَلَى الْأَوْتَادِ وَالطَّنْبِ

تركت (جعلت) عمود الشرك منقعرًا (مقتلاً) ولم تذهب للأوتاد والطنب (حبال الخيمة). فأنت قصدت أكبر مدنها كمن يريد هدم الخيمة فيقتلع عمودها، ولا يأبه بأوتادها وحبالها

لما رأى الحرب، رَأَى الْعَيْنِ، تُوفِّلِسْ؛ وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرْبِ ..
لما أدرك قائدهم توفلس أنها الحرب الحقيقية؛
والحرب مشتقة من الحرب (سلب الأموال) ..

عَدَا يُصَرِّفُ بِالْأَمْوَالِ جِرْيَتَهَا، فَعَزَّهُ الْبَحْرُ ذُو التِّيَّارِ وَالْعُيُبِ ..
أصبح يبذل المال (محاولاً إغراء المعتصم به) ويريد أن تجري الحرب على هواه بأمواله،
ولكن غلبه التيار والعباب (تيار الزحف الجارف)

قد رأينا تفسير الصولي لجريتها، وتفسير التبريزي المشتق منه، وفسرنا بما فتح الله علينا
هيهات! زُعِزَعَتِ الْأَرْضُ الْوُقُورُ بِهِ عَنْ غَزْوِ مُحْتَسِبٍ، لَا غَزْوِ مُكْتَسِبٍ
الأرض الوقور (الثابتة) تزعزعت من تحت توفلس، فالغازي محتسب ثواب ربه، وليس مكتسباً
للمال

لَمْ يُنْفِقِ الذَّهَبَ، الْمُرَبِّي بِكَثْرَتِهِ عَلَى الْحَصَى، وَبِهِ فَقَرُّ إِلَى الذَّهَبِ
والمعتصم الذي أنفق في تجهيز الجيش المال العربي (الزائد)
عن الحصى كثرة ليس مفترراً للذهب

إِنَّ الْأَسْوَدَ، أَسْوَدَ الْعَابِ، هِمَّتُهَا يَوْمَ الْكَرْبَةِ فِي الْمَسْلُوبِ، لَا السَّلْبِ
مسمى الأسود يوم الكربة (الحرب) يكون لنيل روح الشخص المسلوب نفسها وليس لنيل السلب
(الثياب والمال)

وَلَى، وَقَدْ أَلْجَمَ الْخَطِيئَ مَنْطِقَهُ بِسَكْنَةِ تَحْتَهَا الْأَحْشَاءُ فِي صَحْبِ
ولى (فرّ) قائدهم وقد ألجم (أخرس) الخطي (الرمح) منطق (كلامه)، فأسكنه السلاح سكنة كانت
تحتها أحشاؤه تصطبغ من القلق والرعب

أَحْذَى قَرَابِيْنَهُ صِرْفَ الرَّدَى، وَمَضَى يَحْتَثُّ أَنْجَى مَطَايَاهُ إِلَى الْهَرَبِ
أحذى (أعطى) قرايينه (المقربين منه) صرف الردى (الموت الصافي)، ومضى يحتث (يبحث) أنجى
مطاياه (أسرع خيله) هارباً

مُوكَّلًا بِسِقَاعِ الْأَرْضِ يُشْرِفُهُ مِنْ خِقَّةِ الْخَوْفِ، لَا مِنْ خِقَّةِ الظَّرَبِ
موكلاً (معنياً) بسقاع الأرض (المرتفع من الأرض) يشرفه (يعتليه) ليراقب هل يلحق به أحد بسبب
خوفه، لا بسبب شعوره بالطرب لنجاته

إِنْ يَغْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدُوَ الظَّلِيمِ، فَقَدْ أَوْسَعَتْ جَا حِمَاهَا مِنْ كَثْرَةِ الْحَطَبِ
إن يركض من حرّها عدو الظليم (ذكر النعام) فإنك مكثت تملأ جاحمها (جحيماها) بالحطب
الذين هم جنوده ..

يَسْعُونَ أَلْفًا، كَأَسَادِ الشَّرَى، نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ، قَبْلَ نَضِجِ التِّينِ وَالْعِنَبِ

قتلت حرقاً تسعين ألف نسمة من أبطال الروم، ونضجت جلودهم قبل نضج التين والعنب اللذين قال المنجمون إن الحظ لن يتسم للمعتصم إلا عند موسم نضجهما

يَا رَبِّ حَوْبَاءَ لَمَّا اجْتُنَّتْ دَابِرُهُمْ طَابَتْ، وَلَوْ ضُمَّخَتْ بِالْمِسْكِ لَمْ تَطِبْ

رب حوباء (نفس) طابت (استراحت) لما تم اجتثاث الأعداء، ولو كانت ضمخت (لطخت) بالمسك لما طابت. والعربي إذ يذهب للحرب يقسم لا يمس الطيب ولا النساء إلا إذا ظفر. فالمعتصم كان غير متطيب بالطيب. وطيه الحقيقي كان قتل الروم

وَمُغْضِبٍ رَجَعَتْ بِيضُ السِّيفِ بِهِ حَيَّ الرِّضَا عَنْ رَدَاهُمْ، مَيَّتَ الْعَضْبِ

ورب مغضب (غاضب)، هو المعتصم، جعلته السيوف البيض يعود وقد أصبح رضاه حياً وغضبه ميتاً بقتل العدو

وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَازِقٍ لَجِجٍ، تَجْتُوُ الرِّجَالُ بِهِ صُغْرًا عَلَى الرُّكْبِ

الحرب مشتعلة في مازق (مضيق من الأرض) لجج (ضيق)، تجتو في الرجال (تقعي) على ركبهم صغراً (مائلين بأجسامهم) لشدة القتال. يتخيل المحاربين إذا اشتدت المبارزة ووقع أحدهم فواصل المبارزة وهو على ركبته وجسمه يعمل يمينا ويساراً. هذا ما فتح الله به علينا وللشراح أقوال وروايات كثيرة

كَمْ نِيلَ تَحْتَ سَنَاها مِنْ سَنَا قَمَرٍ، وَتَحْتَ عَارِضِها مِنْ عَارِضِ شَنِبِ

كم نال جنودنا تحت سنا (ضوء هذه الحرب المحرقة) من سنا قمر (من فتاة مضينة الوجه)، وكم نالوا تحت عارض الحرب (غماتها الماطرة بالموت) من عارض شنب (أسنان عذبة لفتاة سية)

كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسْبَابِ الرِّقَابِ بِهَا إِلَى الْمَخْدَرَةِ الْعَذْرَاءِ مِنْ سَبَبِ

وكم قد كان في قطع أسباب (عروق) الرقاب في هذه الحرب من سبب (وسيلة) للوصول إلى عذراء مخدرة (مستورة)

كَمْ أَحْرَزَتْ قُضْبُ الْهِنْدِيِّ، مُصْلَتَهُ تَهْتَزُّ، مِنْ قُضْبِ تَهْتَزُّ فِي كُثْبِ

وكم قد أحرزت قضب الهندي (السيوف) وهي مصلثة (مسلولة) ومهتزة من فتيات هن كالقضب (الأغصان) التي تهتز في الكثب (في كتيبان الرمل). يشبه جسم الفتاة بجذع نحيل كالغصن يتمايل فوق أرداف كبيرة ككثيب الرمل

بِيضٌ إِذَا انْتَضَيْتْ مِنْ حُجْبِها رَجَعَتْ أَحَقَّ بِالْبَيْضِ أَبْدَانًا مِنَ الْحُجْبِ

بيض (سيوف) إذا انتضيت (سحبت) من حجبها (أغمادها) رجعت أحق بالبيض أبداناً (الفتيات البيض أجساماً) من الحجب (من الستور التي تحتجب وراءها النسوة)

خَلِيفَةُ اللَّهِ! جَاوَزَى اللَّهُ سَعِيكَ عَنْ جُرْثُومَةِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالْحَسَبِ
يا خليفة الله، أثابك الله عن سعيك (دفاعك) عن جرثومة الدين (أصله)، وعن الحسب (ذلك أنهم
قالوا إن المرأة العربية التي صرخت «وامتعصماه» كانت هاشمية ذات حسب ونسب)
بَصُرْتَ بِالرَّاحَةِ الْكَبِيرَى، فَلَمْ تَرَهَا تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرِ مِنَ الثَّعَبِ
إن كان بين صُروف الدهر من رَجِم مَوْصُولَةٍ، أو ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبٍ..
إن كان بين صُروف الدهر (أحداثه) رحم (نُسب) أو ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبٍ (حُرمة غير مقطوعة)..
فَبَيْنَ أَيَامِكَ اللَّاتِي تُصِرْتَ بِهَا، وَبَيْنَ أَيَامِ بَدْرِ، أَقْرَبُ النَّسَبِ
.. فَبَيْنَ أَيَامِ نَصْرِكَ هَذَا وَبَيْنَ أَيَامِ مَعْرَكَةِ بَدْرِ قَرَابَةٌ

أَبَقْتُ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمَمْرَاضِ، كَأَسْمِهِمْ، صَفَرُ الْوُجُوهِ، وَجَلَّتْ أَوْجُهُ الْعَرَبِ
أيام نصرك أبقت (جعلت) بني الأصفر الممرض (الروم، وهم أبناء جدهم المسمى «الأصفر» وهو
كثير المرض) جعلتهم صفر الوجوه من الرعب مثل اسمهم، وهذه الأيام جلَّت (بيضت) أوجه
العرب. يقول: جعلتهم أيام نصرك صفر الوجوه مثل اسمهم، فاسمهم بنو الأصفر الممرض،
وأيام نصرك يبيضت أوجه العرب

١٤١ دنيا معاش للورى

يمدح المعتصم:

رَقَّتْ حَوَاشِي الدَّهْرِ، فَهِيَ تَمَرَّمُرُ وَغَدَا الثَّرَى فِي حَلِيهِ يَتَكَسَّرُ
صارت أطراف الزمن تتمرمر (تتموج) لما نحن فيه من نعمة وسرور، وأصبح التراب يتكسر
(يتشقق) في حليه (في زينتته/ بسبب ما يخرج منه من نبات)

مَطَرٌ يَذُوبُ الصَّخْوُ مِنْهُ، وَبَعْدَهُ صَخْوٌ يَكَادُ مِنَ الْغَضَارَةِ يُنْطِرُ
مطر يلغي الصخو، ثم يأتي صخو يكاد من الغضارة (الخصب) يطر، فالدنيا طرية والمطر مقطع
لكنه ليس بقليل

مَا كَانَتْ الْأَيَّامُ تُسَلِّبُ بِهِجَةً لَوْ أَنَّ حُسْنَ الرُّوْضِ كَانَ يُعَمَّرُ
يا صاحبي! تَقْصِيًا نَظْرِيكُمَا تَرَيَا وَجُوهَ الْأَرْضِ كَيْفَ تَصَوَّرُ
يا صاحبي! تقصيا نظريكما (انظرا بعيداً) تريا كيف تتخذ وجوه الأرض في الرياض المختلفة صوراً شتى
تَرَيَا نَهَاراً مُشْمِساً قَدْ شَابَهُ زَهْرُ الرَّبِيِّ، فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقْمِرُ

النهار مشمس، وبوجود الأزهار البهيجة وشمس الربيع اللطيفة والنبات المتكاثف (حيث
تكتسي الأشجار ورقاً)، فكأن النهار مقمر لا شمس وإنما جعله مقمراً لوجود الأزهار
التي هي كالنجوم. والذي التقط العلاقة بين القمر النهاري وبين وجود الأزهار من بين
الشرح هو الأعلام الششمري، ومنه التقطناها، ونزيد فنقول: النجوم توصف بأنها «زهر»
ولعل قوله «زهر الربى» جعل عقله الباطن يفكر بالنجوم الزهر فجاء إليها بقمر

دُنِبَا مَعَاشُ لِلْوَرَى، حَتَّى إِذَا حَلَّ الرَّبِيعُ فَلِئَمَّا هِيَ مَنظَرُ

هذه الدنيا معاش للناس (مخلوقة ليعيشوا فيها)، فإذا حل الربيع أصبحت لوحة تتمتع فيها العين...
هذا بيت عن ديوان

أَضَحَّتْ تَصَوُّغُ بَطُونُهَا لظَهْوِهَا نَوْرًا تَكَادُ لَهُ الْقُلُوبُ تُنَوِّرُ

أصبح بطن الأرض يصوغ لظهورها نوراً (براعم وأزهار) تجعل القلوب تنور (تزهو). كأنه جعل في
باطن الأرض مصنعاً ينتج الأزاهير

مِنْ كُلِّ زَاهِرَةٍ تَرَفَّرُقُ بِالنَّدَى، فَكَأَنَّهَا عَيْنُ إِلَيْكَ تَحَدَّرُ

الأزهار يترقق فيها الندى، فكان كل زهرة عين إليك (ناظرة إليك)
تحدّر (تبكي وينحدر دمعها)

تَبْدُو وَيَخْجُبُهَا الْجَمِيمُ، كَأَنَّهَا عَذْرَاءُ، تَبْدُو نَارَةً وَتَخْفَرُ

تبدو الزهرة ثم يحجبها الجميم (خضرة النبات) مع تحرك الأغصان، فكانها عذراء تبدو ثم تتخفر
(تخجل وتتوارى)

حَتَّى غَدَتْ وَهْدَاتُهَا وَنَجَادُهَا فِئْتَيْنِ فِي خِلْعِ الرَّبِيعِ تَبَخَّرُ

حتى أصبحت وهديات الأرض (سهولها) ونجادها (رباهها) فئتين (شكلين مختلفين/ فئات السهول)
مختلف عن نبات الربى العالية) وكلتاها تبختر في خلع (ملابس) الربيع

مُضْفَرَّةٌ مُحْمَرَّةٌ، فَكَأَنَّهَا عُصْبٌ تَيْمَنُ فِي الْوَعَى وَتَمَضَّرُ

أصبحت الأرض مصفرة محمرة بألوان الأزهار فكانها عصب (جماعات) تيمين وتتمضر (فرايات)
اليمين صفر، ورايات مضر حمر)

فِي الْأَرْضِ، مِنْ عَدَلِ الْإِمَامِ وَجُودِهِ وَمِنْ النَّبَاتِ الْغَضِّ، سُرْجٌ تُزْهِرُ

عدل الإمام وكرمه، والنبات الغض (الطري) هذه سرج (مصاييح)
تزهو (تلمع كالنجوم الزاهرة)

سَكَنَ الزَّمَانُ: فَلَا يَدُّ مَذْمُومَةً لِلْحَادِثَاتِ، وَلَا سَوَامٌ يُذْعَرُ

سكن الزمان (كفَّ شروره المعتادة)، وقصّرت يد الحادثات (المصائب)، وحتى السوام (المواشي)
لم يعد ذنب يذعرها

نَظَّمَ الْبِلَادَ، فَأَصْبَحَتْ وَكَأَنَّهَا عِقْدٌ، كَأَنَّ الْعَدَلَ فِيهِ جَوْهَرُ

الإمام (الخليفة) نظم البلاد كأنها عقد، وكأن عدله جواهر العقد

١٤٢ إِلَّا أَنهَا لَمْ تُقَاتِلْ

أبو تمام يشهد للأفشين بالشجاعة:

لَقَدْ لَبَسَ الْأَفْشِينُ قَسْطَلَةَ الْوَغَى مُحْشَأً بِنَصْلِ السِّيفِ، غَيْرَ مُوَاعِلٍ
لبس القائد «الأفشين» قسطلة (غبار) الوغى (الحرب) لبساً، لبسها مُحْشَأً (محرّكاً الجمر بالمحش/ الحديدية التي يحرك بها الجمر) ولكنه يُحْشُّ بنصل السيف لا بحديدة، ولبس غبار الحرب غير مواكل (غير متكل على غيره بل مباشراً الحرب بنفسه)

وَمُحْشَأً بضم الميم قراءتنا، وانفردنا بها (ومن قرأ بكسر الميم أو بإبدال الحاء خاء أعنت نفسه في تعليق الجار والمجرور بعدها)

وسارث به، بين القنابل والقنا، عزائمُ كانت كالقنا والقنابل
القنابل (جماعات الخيل المندفعة)، القنا (الرماح)

قَدْ ظَلَّلْتُ عِقْبَانَ أَعْلَامِهِ ضَحَى بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلٍ
كان يرفع رايات العقاب (راية سوداء من صوف قيل إنها راية الرسول) وكانت تطير فوقها وتظللها عقبان حقيقية تنتظر وقوع قتلى لكي تنهل (تشرب) من الدم

أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ، حَتَّى كَانَهَا مِنْ الْجَيْشِ، إِلَّا أَنهَا لَمْ تُقَاتِلْ
أقامت (مكثت) العقبان مع الرايات، فكانها جزء من الجيش، إلا أنها لم تقاتل

عَشِيَّةَ صَدِّ الْبَابِكِيِّ عَنِ الْقَنَا صُدُودَ الْمُقَالِي، لَا صُدُودَ الْمُجَابِلِ
حدث هذا عشية (عندما) صد البابكي (بابك الخرمي) عن الرماح صدود المقالي (الكاره) لا صدود المجامل (الذي يفعل الفعل الجميل ويكره قتل الأعداء)

تَحَدَّرَ مِنْ لَهْبَيْهِ يَرْجُو غَنِيمَةً بِسَاحَةِ لَا الْوَانِي وَلَا الْمَتَخَاذِلِ
تحدّر (نزل) من لهيه (المضيقين بين الجبال) راجياً الغنيمة، لكنه نزل بساحة الأفشين الذي لم يكن وانيا (بطيئاً) ولا متخاذلاً (متراجعاً)

فَكَانَ كَشَاةَ الرَّمْلِ؛ قَيِّضُهُ الرَّدَى لِقَانِصِهِ، مِنْ قَبْلِ نَصْبِ الْحَبَائِلِ
فكان بابك كشاة الرمل (البقرة الوحشية). وقد قيضه الردى (يسره الموت) لقانصه، قبل أن ينصب القانص حباله (شبكته)

وَعَاذَ بِأَطْرَافِ الْمَعَاقِلِ مُعَصِّمًا وَأُنْسِي أَنْ اللَّهَ فَوْقَ الْمَعَاقِلِ
عاذ (التجأ) بابك بمعاقله (حصونه) معصماً (طالباً الحماية) ناسياً أن الله أقوى من الحصون، فهو عدو الله

فَوَلَّى، وَمَا أَبْقَى الرَّدَى مِنْ حُمَاتِهِ لَهُ غَيْرَ أَشَارِ الرَّمَاكِ الذَّوَابِلِ

هرب وما أبقي له الموت من أصحابه الذين يحتمي بهم سوى أسار (بقايا) الرماح الذوابل (الجافة الدقيقة). يقول: لم يبق منهم سوى البقية التي أخطأها الرماح. أخذنا بشرح الخارزنجي للبيت الذي اقتنع به شرف الدين المستوفي. والمستوفي هذا عالم جليل صادق. يفهم الشعر أدق فهم، ويعرض للشروح المختلفة وينسب كل شرح إلى صاحبه. إنه من القلة الذين لا يسرقون أفكار واجتهادات الناس. ولم يطبع - فيما نعلم - كتابه عن أبي تمام والمتنبي، ولكن محققي الشروح الأخرى ينقلون عنه في الحواشي. ونحن نقل بين الفينة والفينة شيئاً من أقواله من الجزء الثاني من كتابه الموجود بصورته المخطوطة على النت في موقع «ودود»

أَمَّا وَأَبِيهِ - وَهُوَ مَنْ لَا أَبَا لَهُ يُعَدُّ - لَقَدْ أَمْسَى مُضِيءَ الْمَقَاتِلِ

وأحلف بأبيه - وليس له أب ذو قيمة أصلاً - أنه صار مكشوف المقاتل، فكان المواضع التي يمكن أن يؤتى منها غدت مضیئة وواضحة للعيان

١٤٣ الأفيشين واصطياد بابك

يمدح الأفيشين:

لَمْ يُقَرَّ هَذَا السَيْفُ هَذَا الصَّبْرَ فِي هَيْجَاءٍ إِلَّا عَزَّ هَذَا الدِّينُ

لم يقر (يُطعم) سيفك ما عندك من صبر في الحرب إلا رأينا الدين يزداد عزاً

مَلِكُ تُضْيِءِ الْمَكْرُمَاتِ، إِذَا بَدَا لِمَلِكٍ مِنْهُ غُرَّةٌ وَجَبِينُ

لَأَنْتَ مَهْرَتُهُ، فَعَزَّ؛ وَإِنَّمَا يَشْتَدُّ بِأَسُ الرُّمَحِ حِينَ يَلِينُ

لان الممدوح وسهل اهتزازه للمكارم فازداد عزاً؛ وأجود للرمح أن يكون ليناً

وَتَرَى الْكَرِيمَ يَعْزُّ حِينَ يَهُونُ وَتَرَى اللَّئِيمَ يَهُونُ حِينَ يَهُونُ

لَوْ أَنَّ هَذَا الْفَتْحَ شَكٌّ لَأَشْتَفَتْ مِنْهُ الْقُلُوبُ، فَكَيْفَ وَهُوَ يَقِينُ؟

وَأَخَذَتْ بَابَكَ حَاثِرًا دُونَ الْمَنَى؛ وَمُنَى الضَّلَالِ مِيَاهُهُنَّ أُجُونُ

بابك: قائد العصيان بابك الخُرْمِي؛ أجون: معكدة

وَرَجَا بِلَادَ الرُّومِ، فَاسْتَعَصَى بِهِ أَجَلُ أَصَمُّ، عَنِ النَّجَاءِ حُرُونُ

حاول اللحاق ببلاد الروم ولكن أجله الذي لا يسمع أمانيه استعصى به (منعه)، فهذا الأجل مثل الحصان الحرون (العنيد) الممتنع عن النجاء (الركض)

هَيْهَاتَ! لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّكَ لَوْ تَوَى بِالصَّيْنِ، لَمْ تَبْعُدْ عَلَيْكَ الصَّيْنُ

توى: أقام

١٤٤ الظفر ببابك الخرمي

وقال يمدح المعتصم ويذكر فتح الخرمية (أصلها ٨٨ بيتاً وهي من ملاحمه):

أَلَتْ أُمُورَ الشُّرْكِ شَرًّا مَالٍ وَأَقْرَّ، بَعْدَ تَحْمُطِ وَصِيَالٍ
أَلَتْ أُمُورَ الشُّرْكِ شَرًّا مَالٍ (مصور)، وأقر الشرك بالوحدانية وبسلطة الدولة بعد تخمط (هياج)
وصيال (اندفاع)

عَظِبَ الْخَلِيفَةُ لِلْخِلَافَةِ عَظْبَةً رَحَصَتْ لَهَا الْمُهْجَاتُ، وَهِيَ غَوَالٍ
المهجات (القلوب)، غوال (غالية)

لَمَّا انْتَضَى جَهْلَ السِّيُوفِ لِبَابِكَ أَغْمَدَنَ عَنْهُ جَهَالَةَ الْجُهَّالِ
عندما انتضى (استل) الخليفة جهل السيوف (غضبها) لبابك الخرمي المنشق عن الدولة أغمدت هذه
السيوف عن الخليفة (أخَفَتْ) جهالة الجهال من أنصار بابك وغيرهم من العصاة

فَلَاذْرَبِيَّجَانِ اخْتِيَالٍ، بَعْدَمَا كَانَتْ مُعَرَّسَ عِبْرَةٍ وَنَكَالٍ
فاختالت أذربيجان مسرورة بعد أن كانت معرس (موضع) عبرة (تأديب) ونكال (تنكيل)

أَظْلَقْتُهَا مِنْ كَيْدِهِ، وَكَأَنَّمَا كَانَتْ بِهٍ مَعْقُولَةً بِعِقَالٍ
أطلقتها من كيد بابك، وكان قد قيدها تقيداً بثورته

قَدْ أَتْرَعَتْ مِنْهُ الْجَوَانِحُ رَهْبَةً بَطُلَتْ لَدَيْهَا سَوْرَةُ الْأَبْطَالِ
أتفعت (امتلات) جوانح (أعضاء) بابك رهبة أبطلت سورة (هجمة) الأبطال من رجاله

لَوْ لَمْ يَزْحَفِ الْخَلِيفَةُ رَدًّا عَلَى زَحْفِ رِجَالِ بَابِكَ، لَزَحَفَتْ عَلَيْهِمُ الْأَوْجَالُ (الرعب) الَّذِي فِي
قلوبهم من بطش الخليفة

يَا يَوْمَ أَرَشَقْ! كُنْتَ رَشَقَ مَنِيَّةٍ لِلْخُرْمِيَّةِ صَائِبِ الْأَجَالِ
يا يوم معركة «أرشق»، لقد كنت كرشقات سهام تحمل الموت للخرمية (أصحاب بابك الخرمي)،
وكانت سهاماً مسددة صائبة تأتي بأجالهم

أَسْرَى بَنُو الْإِسْلَامِ فِيهِ، وَأَذْلَجُوا بِقُلُوبِ أَسَدٍ فِي صُدُورِ رِجَالِ
في هذا اليوم (المعركة) أسرى المسلمون (ساروا ليلاً)، وأدلجوا (ساروا قبيل الفجر) بقلوب أسود

مَا طَالَ بَعْغِي قَطُّ إِلَّا عَادَرَتْ غُلَاوَاهُ الْأَعْمَارَ غَيْرَ طَوَالٍ
ما طال البغي (الظلم) واستمر إلا غادرت (جعلت) غلواؤه (تماديه) أعمار أهله قصيرة

أُبْنَا بِكُلِّ خَرِيدَةٍ، قَدْ أُنْجِزَتْ فِيهَا عِدَاتُ الدَّهْرِ بَعْدَ مِطَالِ
أَبْنَا (رجعنا) بكل خريدة (بفتيات جميلات)، وبنيها أنجزت لنا عدات (وعود)
الدهر بعد طول مطالة

خَاضَتْ مَحَاسِنَهَا مَخَافُ، غَادَرَتْ مَاءَ الصُّبَا وَالْحُسْنِ غَيْرَ زُلَالِ
وهذه الفتيات خاضت المخاوف في محاسنهن (مثلما يخوض المرء في ماء البركة فيعكرها)، وهذه
المخاوف غادرت (جعلت) ماء الصبا والحسن في وجوههن غير زلال (غير صاف)

أَعْجَلْنَ عَنْ شَدِّ الْإِزَارِ، وَرَبِمَا عُوذْنَ أَنْ يَمْشِينَ غَيْرَ عَجَالِ
عندما تم سبي هؤلاء النسوة جاء الأمر على عجل فلم يشددن أزرن (أرديتهن)، وكن قبلن يمشين
الهونا غير مستعجلات

مُسْتَرْدَقَاتٍ فَوْقَ جُرْدٍ أَوْقَرَتْ أَكْفَالُهَا مِنْ رُجَحِ الْأَكْفَالِ
مستردفات فوق جرد (راكبات على أرداف الخيل)، وقد أوقرت (أثقلت) أكفال الخيل من الفتيات
الراجحات الأكفال (الكبيرات المؤخرات)

وَنَجَا ابْنُ خَائِنَةِ الْبُعُولَةِ، لَوْ نَجَا، بِمُهْفَهْفِ الْكَشْحَيْنِ وَالْأَطَالِ
ونجا ابن خائنة البعول (الأزواج/ أي ابن الزانية)، هذا لو كان نجا حقاً، بمهفف الكشحين
(بحصان خفيف الماصرتين) والأطال (الخواصر أيضاً)

لاحظ أن أبا تمام، وقد ذكر الأرداف الثقيلة في البيت السابق، راح هنا يذكر الحصان الرشيق،
فشاعرنا يعشق الطباق (إيراد المعنى وعكسه) إيماناً

مَا زَالَ مَغْلُولَ الْعَزِيمَةِ، سَادِرًا حَتَّى عَدَا فِي الْقَيْدِ وَالْأَغْلَالِ
ظل مغلول (مقيد) العزيمة، سادراً (حائراً)، حتى أصبح فعلاً مقيداً وتم القبض عليه

مَا نِيلَ حَتَّى طَارَ مِنْ خَوْفِ الرَّدَى كُلَّ الْمَطَارِ، وَجَالَ كُلَّ مَجَالِ
ما نيل (أخذ أسيراً) حتى طار خائفاً، وتجول في البلاد

وَالنَّحْرُ أَصْلَحُ لِلشُّرُودِ، وَمَا شَفَى مِنْهُ كَنَحْرٍ بَعْدَ طُولِ كَلَالِ
والنحر (الذبح) أصلح للجمل الشرود الكثير الفرار، وليس شيء يشفي الغليل من هذا الجمل
كذبحه بعد طول التعب في ملاحقته

لَاقَى الْحِمَامَ بِسُرٍّ مَنْ رَأَى الْتِي شَهِدَتْ لِمَصْرَعِهِ بِصَدْقِ الْفَالِ
لقي بابلك الحمام (الموت) بسر من راء (سر من رأى)، التي كان اسمها فالاً طياً بمصرعه لأن
هذا المصراع سر من راء

قُطِعَتْ بِهِ أَسْبَابُهُ لَمَّا رَمَى بِالطَّرْفِ بَيْنَ الْفِيلِ وَالْفَيَالِ

وقد قطعت به أسبابه (حباله التي يتعلق بها بهذه الدنيا) عندما رمى بصره بين الفيل وقائده الفيال (فقد أركب على فيل للتشهير به وعرضه على الناس، والتشهير به سيعقبه قتله، ولا مجال بعدها لاستبقائه). وللقارئ أن يرى في بابك الخرمي رأي أبي تمام شاعر الدولة؛ وله أن يرى فيه رأي المتدينين في زمننا، من أنه إياحي وعدو للإسلام، وخائن اتصل بالروم للاستقلال عن الدولة الإسلامية؛ وله أن يرى فيه شعوبياً حريصاً على تراث قومه المتآكل بتأثير توليفة ثقافية مركزية فيها عناصر تركية وعربية وفارسية. على أننا نقرأ هذه القطعة من التاريخ في شعر أبي تمام وهمنا متجه إلى الناحية الفنية، واعلم - حفظك الله - أن المعتصم سيقتل القائد الأفشين بعد قليل متهماً بإياه بالزندقة. واعلم أن مؤرخينا القدامى كانوا أصدق من المعاصرين المشحونين بأحقاد عجيبة وتعصب سخيف، فقد وصف القدامى ما جرى بدقة وتفصيل، فأما المعاصرون فيوردون الأحداث مفرقة وسط أكوام من العبارات المائجة الممتلئة بالفضب للدين، فلا تفهم منهم إلا أن عليك أن تلعن فلاناً وأن تعصب ضد فلان

١٤٥ قتل الأفشين

وقال يمدح المعتصم ويذكر إحراق الأفشين (خيلر بن كاوس) وصلبه:

الْحَقُّ أَبْلَجُ، وَالسُّيُوفُ عَوَارٍ فَحَذَارٍ مِنْ أَسَدِ الْعَرِينِ، حَذَارٍ
الحق أبلج (واضح) والسيوف عوار (عارية مسلولة)، فاحذروا أسد العرين

يَا رَبُّ فِتْنَةٍ أُمَةٍ قَدْ بَزَّهَا جَبَّارُهَا فِي طَاعَةِ الْجَبَّارِ
رب فتنه حدثت في الأمة يزها (غلبها) جبار الأمة (المعتصم) طاعة لله

جَاءَتْ بِخَيْذَرٍ جَوْلَةُ الْمِقْدَارِ فَأَحْلَلَهُ الطُّغْيَانُ دَارَ بَوَارٍ
المقدار (القضاء)، بوار (هلاك)

كَمْ نِعْمَةٍ لِلَّهِ كَانَتْ عِنْدَهُ، فَكَأَنَّهَا فِي غُرْبَةٍ وَإِسَارٍ
كُسِيتْ سَبَائِبُ لُؤْمِهِ، فَتَضَاعَتْ كُنْضَاؤِلُ الْحَسَنَاءِ فِي الْأَطْمَارِ
كسيت نعمة الله عنده سبائب (أثواب) لؤمه، فتضاعت النعمة (أصبحت قيمته) مثلما تتضاءل الحسناء في الأطمار (الملابس الرثة)

صَادَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِزْبَرْجٍ فِي طَيْهِ حُمَةُ الشُّجَاعِ الضَّارِي
صادى (دارى) الأفشين المعتصم بزبرج (خداع) في طيه حمة الشجاع الضاري
(زبانى الثعبان الشرس)

مَكْرَأَ بَنِي رُكْنَيْهِ، إِلَّا أَنَّهُ وَطَدَ الْأَسَاسَ عَلَى شَفِيرِ هَارٍ
مكر مكرأً وبني ركنيه (أي أركانه، وأبو تمام كثيراً ما يعبر بالمتى عن الشمول)، غير أنه وطد
(ثبت) أساس بنائه على شفير هار (حافة منهارة)

حَتَّى إِذَا مَا اللَّهُ شَقَّ ضَمِيرَهُ عَنْ مُسْتَكِنِ الْكُفْرِ وَالْإِضْرَارِ
إذا ما شق الله ضميره عن الكفر المستكن (الكامن) والإصرار عليه

وَنَحَا لِهَذَا الدِّينِ شَفْرَتَهُ، ائْتَنَى وَالْحَقُّ مِنْهُ قَانِيءُ الْأُظْفَارِ
وعندما نحا (وجّه) الله للدين شفرته (نصله القاطع)، ائتنى (غدا) الأفشين وقد أصبح الحق قانيء
(محمّر) الأظفار من دمه

مَا كَانَ، لَوْلَا فُحْشُ عَذْرَةِ خَيْدَرٍ، لِيَكُونَ فِي الْإِسْلَامِ عَامٌ فِجَارٍ
لولا غدره خيدر (الأفشين) الفاحشة ما كان ليكون في الإسلام عام فيجار (كعام الفجار في
الجاهلية الذي وقعت فيه الحرب في الأشهر الحرم)

مَا زَالَ سِرُّ الْكُفْرِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ حَتَّى اصْطَلَى سَرَّ الزَّنَادِ الْوَارِي
ظل سر الكفر كامناً في قلبه حتى اصطلى سرّ (حشّو) الزناد (أداة قذح الشر) الواري (المشتعل).
ويصر الشارحون الستة الذين ننظر في شروحهم، ونحن نكتب هذا، على أن «سر» الثانية مكسورة
السين كالأولى، وهذا لا معنى له؛ ولا نظنهم التفتوا إلى هذا المعنى الدقيق لـ«سَرَّ» رغم وجوده
في المعاجم، ورغم أن البيت يوجّه الذهن إليه

نَاراً يُسَاوِرُ جِسْمَهُ مِنْ حَرِّهَا لَهَبٌ، كَمَا عَصَفَرَتْ شِقَّ إِزَارٍ
اصطلى ناراً يساور (يوائب ويهاجم) جانب جسمه من حرها لهب مثلما تعصفر (تصبغ بالعصفر
الأصفر) شق إزار (الصف الطولي للوب)

طَارَتْ لَهَا شُعْلٌ، يُهْدَمُ لَفْحُهَا أَرْكَانَهُ هَذِمًا بِغَيْرِ غُبَارٍ
للهِ مِنْ نَارٍ رَأَيْتُ ضِيَاءَهَا ضَاقَ الْفَضَاءُ بِهِ عَلَى النُّظَارِ
الضوء المتولد من هذه النار أضاء الفضاء فملأه كله في أعين الناظرين

مَشْبُوبَةٌ، رُفِعَتْ لِأَعْظَمِ مُشْرِكٍ، مَا كَانَ يَرْفَعُ ضَوْءَهَا لِلْسَّارِي
موقدة هذه النار لمشرك لم يكن يوقد ناراً للساوي (الساير ليلاً) لكي يهتدي وينال الطعام الواجب
تقديمه للضيف

صَلَّى لَهَا حَيًّا، وَكَانَ وَقُودَهَا مَيْتًا، وَيَدْخُلُهَا مَعَ الْفُجَّارِ
هذا من بدائع التقسيم، فاليبت كعقد: لؤلؤته الأولى الصلاة أثناء الحياة، والثانية الوقود في
الموت، والثالثة الدخول بعد البعث. . . والسلك الناظم هو. . النار. . . ولا تنس التسلسل: حياة،
فموت، فبعث. هذا الجواهرجي أبو تمام في أمثل حالاته

وَكَذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ فِي الدُّنْيَا، هُمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، جُلُّ أَهْلِ النَّارِ
أهل النار (المجوس)

يَا مَشْهَدًا صَدَرَتْ بِفَرَحِهِ إِلَى أَصْصَارِهَا الْقُصُوى بَنُو الْأَمْصَارِ
صدرت (رجعت)

رَمَقُوا أَعَالِي جِذْعِهِ، فَكَأَنَّمَا وَجَدُوا الْهَلَالَ عَشِيَّةَ الْإِفْطَارِ
رأوا أعالي جذعه (الخشب التي صلب عليها) ففرحوا كأنهم رأوا هلال شوال المؤذن بعيد الفطر
وَاسْتَنْشَقُوا مِنْهُ قُتَارًا، نَشْرُهُ مِنْ عَنَبَرٍ ذَفِيرٍ وَمِسْكِ دَارِي
استنشقوا منه قُتَارًا (رائحة الشواء) نشره (عيره) كأنما هو من العنبر الذفير (النفاذ) والمسك الداري
(المجلوب من دارين)

قَدْ كَانَ بَوَاهُ الْخَلِيفَةُ جَانِبًا مِنْ قَلْبِهِ حَرَمًا عَلَى الْأَقْدَارِ
كان الخليفة بواه (أنزله) مكانًا من قلبه آمنًا لا يصل إليه حتى القضاء والقدر

فَسَقَاهُ مَاءَ الْخَفْضِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ، وَأَنَامَهُ فِي الْأَمْنِ غَيْرَ غَرَارٍ
وسقاه ماء الخفض (الرفاهية) غير مصرد (غير مقلل وغير بعيد عن الإرواء)، وجعله ينام في حضن
الأمّن نوماً غير غرار (غير قصير)

فَإِذَا ابْنُ كَافِرَةٍ يُسِرُّ بِكُفْرِهِ وَجَدًا، كَوَجَدِ الْفَرْزْدَقِ بِنَوَارٍ
فإذا هذا الرجل يسر (يخفي) بكفره وجدًا (غراماً) كغرام الفرزدق بزوجه نوار

يَا قَابِضًا يَدَ آلِ كَاؤُسٍ، عَادِلًا أَتْبَعَ يَمِينًا مِنْهُمْ بَيْسَارٍ
أيها الخليفة الذي قبض يد هذه العائلة، وقوض نفوذها، اقبض على اليد الأخرى. وإنك لعادل
فيما تفعل

وَاعْلَمْ: بِأَنَّكَ إِنَّمَا تُلْقِيهِمْ فِي بَعْضِ مَا حَفَرُوا مِنَ الْأَبَارِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْسَّامِرِيِّ قَبِيلُهُ مَا خَارَ عَجَلُهُمْ بِغَيْرِ خَوَارٍ
لولا أن قبيل (قوم) السامري كادوا له (دبروا له) لما خار عجلهم (أصدر صوته، وهو الخوار)
بدون خوار (ذلك أنهم أعطوه ذهب نسانهم ليصنع العجل المقنوب الذي يصدر صوتاً كالخوار
لمرور الريح فيه، وما هو بخوار حقيقي)

وَتَمُودُ لَوْ لَمْ يُدْهِنُوا فِي رَبِّهِمْ لَمْ تَدَمْ نَاقَتُهُ بِسَيْفِ قُدَارٍ
وقوم تمود لو لم يدهنوا (ينافقوا) في ربهم لما دميت ناقة ربهم، التي أرسلها لهم لتشبعهم لبناً،
وذبحت سيف «قدار بن سالف»

ولقد شَفَى الْأَحْشَاءَ مِنْ بُرَحَائِهَا أَنْ صَارَ بَابُكَ جَارَ مَازَارٍ
شَفَى الْأَحْشَاءَ (القلب) من برحائها (عذابها) أَنْ صَارَ بَابُكَ المصلوب جذعه منذ ستين (٢٢٣هـ)
جاراً لِمَازِيَارٍ (وهو قائد آخر قبض عليه مع الأفشين عام ٢٢٥هـ)

ثَانِيهِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ، وَلَمْ يَكُنْ لِاثْنَيْنِ ثَانٍ إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ
صار ثانياً له في كيد (وسط) السماء. ولكن «الاثنين» صاحبي الغار ليس لهما «اثنين» آخرين
يكونان زوجاً ثانياً، فشتان بين الرسول وأبي بكر في الغار أثناء الهجرة، وبين هذين الاثنين

وَكَأَنَّمَا انْتَبَذَا، لِكَيْمَا يَطْوِيَا عَنْ «نَاطِسٍ» خَبِراً مِنَ الْأَخْبَارِ
كأنهما انتبذا (ابتعدا) كي يطويا (يخفيا) حديثهما عن ناطس (شقي ثالث كان مصلوباً في مكان
الصلب هذا)

سُودُ الثِّيَابِ، كَأَنَّمَا نَسَجَتْ لَهُمْ أَيْدِي السَّمُومِ مَدَارِعاً مِنْ قَارِ
وهؤلاء المصلوبون الثلاثة كانت ثيابهم مسودة، فكأنما نسجت لهم ريح السموم مدارع (ثياباً) من
قار (قطران)

بَكَرُوا وَأَسْرَوْا فِي مُتُونِ ضَوَامِرٍ قِيدَتْ لَهُمْ مِنْ مَرْبِطِ النَّجَارِ
كأنهم خرجوا باكراً راكبين متون ضوامر (ظهور خيل مضرة نحيلة) لكنها خيل جُرَتْ لهم بقيودها
من مربط النجار لا من مربط سائس الخيل (فهي أعواد خشبية لا خيول)

لَا يَبْرَحُونَ؛ وَمَنْ رَأَاهُمْ خَالَهُمْ أَبْدَأُ عَلَى سَفَرٍ مِنَ الْأَسْفَارِ
غير أنهم لا يبرحون (لا يتحركون) وإن كان من رآهم ظنهم يزعمون سفرأ

فَاشْدُدْ بِهَارُونَ الْخِلَافَةَ، إِنَّهُ سَكَنُ لِحَوْشَتِهَا، وَدَارُ قَرَارِ
اشدد ساعد الخلافة بابنك هارون (الوائق) فهو يسكن وحشتها (واستوحشت بعد خيانة وإعدام
القائدين الأفشين ومازيار)، ويأتي لها بالاستقرار

بِفَتَى بَنِي الْعَبَّاسِ، وَالْقَمَرِ الَّذِي حَقَّقَتْهُ أَنْجُمُ يَغْرُبُ وَنِزَارِ
هو قمر تحيط به نجوم (كبار القوم) من يعرب (قبائل اليمن) ونزار (قبائل عدنان)

لَيْسَ سِيرَ فِي الْأَفَاقِ سِيرَةً رَافِيَةً وَيَسُوسُهَا بِسَكِينَةٍ وَوَقَارِ
فَالصَّيْنُ مَنْظُومٌ بِأَنْدَلُسٍ، إِلَى حَيْطَانِ رُومِيَّةٍ، فَمُلْكُ دِمَارِ
وكان المعتمصم ينوي غزو الأندلس وضمها إلى ملكه ومات عن ذلك. ودمار مملكة يمنية، ورومية
هي القسطنطينية، وقد وصل المعتمصم قريباً من أسوارها فعلاً

وَلَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنَّ ذَلِكَ مَعْصَمٌ مَا كُنْتَ تَتَرُكُهُ بِغَيْرِ سِوَارِ
وإنك قد علمت أَنَّ الخلافة معصم (رسغ اليد) وكنت لا بد أن تحليه بسوار هو الواائق

فَالْأَرْضُ دَارٌ أَقْفَرْتُ، مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ هَاشِمٍ رَبِّ لَيْلِكَ الدَّارِ
سُورُ الْقُرْآنِ الْغُرُّ فَيَكُنْ أَنْزَلْتُ، وَلَكُمْ تُصَاغُ مَحَاسِنُ الْأَشْعَارِ
القرآن: القرآن

١٤٦ اقتال القوافي

بمدح المعتصم بالله:

بِالْقَائِمِ الثَّامِنِ الْمُسْتَخْلَفِ اطَّأَدْتُ قَوَاعِدُ الْمَلِكِ، مُتَدَّأً لَهَا الطَّوْلُ
بالخليفة القائم (الحالي)، وهو ثامن بني العباس في الخلافة، اطَّأَدْتُ (توطدت) دعائم الملك،
وامتد لها الطول (الحبل) أي دامت زمناً طويلاً

يَهْنِي الرِّعْيَةَ أَنَّ اللَّهَ، مُفْتَدِرًا، أَعْطَاهُمْ، بِأَبِي إِسْحَقَ، مَا سَأَلُوا
هنيئاً للرعية! فالله باقتداره أعطاهم في شخص أبي إسحق (المعتصم) أمانهم

لَوْ كَانَ فِي عَاجِلٍ مِنْ آجِلٍ بَدَلٌ، لَكَانَ فِي وَغْدِهِ مِنْ رِفْدِهِ بَدَلٌ
لو كان العاجل ينوب عن الآجل، لكان مجرد وعده يكون بديلاً من رفده، ذلك أنه إذا وعد فلا مجال
للخلف. يسأل الأمدي في «الموازنة»: ولماذا لا يكون في العاجل بدل من الآجل؟ ولو أردنا أن نسأل
أبا تمام عن كل معنى معقد له لما غادرنا بيتاً في ديوانه إلا وعلقتنا عليه الأسئلة تعليقاً

تَغَايَرَ الشُّعْرُ فِيهِ، إِذْ سَهَرْتُ لَهُ، حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَتَقْتَلُ

غارت الأبيات بعضها من بعض وأنا سهران أنظم فيه الشعر، وظننت القوافي ستقتل
لتقعده في أمانتها. وحق «قوافيه» أن تكون «قوافيه» بالنصب مفعولاً أول لظن، ولكن:
الضرورة شيء خبره من نظم الشعر: تأتي الكلمة البديعة التي تكون قافية مجلجلة في
آخر البيت، ثم يأتي البيت الذي يليه فيطلب الكلمة نفسها، ويضطرع عليها البيتان؛
أو تأتي كلمات كثيرات كل منها رائع ويصلح لموضع القافية، وتتصارع القوافي
للحلول في نهايات الأبيات. وقد يصنع الشاعر قائمة بالكلمات المناسبة للقافية،
والويل للكلمة التي فاتها قطار القصيدة، ولم تجد لها مكاناً. لم أر شاعراً عبر عن
هذا بأوجز وأحلى من أبي تمام هنا (لهذا البيت قصة، وقصصناها في شرحنا لقصيدة
البحري ذات الرقم ١٠٤ في هذا الكتاب)

شَرِسْتُ، بَلْ لِنْتُ، بَلْ قَانَيْتُ ذَاكَ بِذَا، فَأَنْتَ، لَا شَكَّ، فِيكَ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ
كنت شرساً، بل لبنياً؛ لا، بل قانيت (خلطت) بينهما، ففبك الصفتان

وَمَشْهَدٍ بَيْنَ حُكْمِ الذُّلِّ مُنْقَطِعٍ صَالِيهِ، أَوْ بِجِبَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلٌ..

رب مشهد حربي صاليه (المكتوي بناره) منقطع (منكسر) محكوم عليه بالذل إذا جبن، أو يكون
شجاعاً وعندئذ يصح قريباً من الموت

جَلَيْتَ، والموت مُبْدٍ حُرٍّ صَفَحْتِهِ، وقد تَفَرَّعَنَ فِي أَوْصَالِهِ الْأَجَلُ

هذا المشهد جلّيته (كشفته) بينما الموت كاشف عن حُرِّ صفحته (البارز من وجهه) وقد تفرعن (طغى كفرعون) الموت في أوصال (مفاصل) هذا الموقف. تعليق عمران القفيني: (وقتها قامت قيامة أبي تمام، فضحوه على «تفرعن» لأنها «ليست فصيحة»، ثم مضى زمن طويل وأصبحت الكلمة سائرة لا يخطر ببال أحد أنها لا تستقيم والقياس ولا حتى السماع. سيأتي زمن يا صديقي يترك فيه الناس ما تتسلى به أنا وأنت من غريب اللغة وفصيحها. وهذا الكلام.. إني - وحياتك - أراه قريباً). المؤلف: موافق

آل النَّبِيِّ، إِذَا مَا ظَلَمَةٌ طَرَقَتْ، كَانُوا لَنَا سُرُجًا، أَنْتُمْ لَهَا شُعْلٌ

آل النبي هم سرج (مصاييح) الظلمات، وأنتم (يا بني العباس) الشعلة نفسها

يَسْتَعْدِبُونَ مَنَايَاهُمْ، كَأَنَّهُمْ لَا يَبْأَسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

١٤٧ وقفنا على جمر الوداع

يمدح المعتصم:

أَجَلْ! أَيُّهَا الرَّبُّعُ الَّذِي خَفَّ أَهْلُهُ لَقَدْ أَدْرَكْتَ فَبِكَ النَّوَى مَا تُحَاوِلُهُ

نعم، أيها الربع (المكان) الذي خف (رحل) أهله (سكانه)، لقد أدركت النوى (حَقَّقَ الفراق) ما تحاوله (فك) فبك (ضدك)، فما قد أصبحت مقفراً خرباً

وَقَفْتُ، وَأَخْشَائِي مَنَازِلُ لِلْأَسَى بِهِ، وَهُوَ قَفَرٌ قَدْ تَعَفَّتْ مَنَازِلُهُ

وقفت بهذا الربع وجوفي قد أصبح منزلاً للحزن، والربع نفسه قفر قد تعفت (امّحت) منازل

أَسْأَلُكُمْ: مَا بَالُهُ حَكَمَ الْبَلَى عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَاتْرُكُونِي أَسْأَلُهُ

فيا أصحابي! لماذا حكم البلى (ال تلف) على هذا الربع؛ وإلا (ألا تجيبوني: إن لم تجيبوني) فاتركوني أسأله!

وَقَفْنَا عَلَى جَمْرِ الْوَدَاعِ عَشِيَّةً، وَلَا قَلْبَ إِلَّا وَهُوَ تَغْلِي مَرَاجِلُهُ

وفي الكَلَّةِ الصَّفْرَاءِ جُوْذُرُ رَمْلَةٍ عَدَا مُسْتَقِيلاً، وَالْفِرَاقُ مُعَادِلُهُ

وداخل الكلة (الستر) التي تجلج الهدج جُوْذُرُ رَمْلَةٍ (فتاة شبيهة بصغير البقرة الوحشية التي تعيش في الصحراء) أصبح مستقلاً (راكباً)، والفراق معادل (راكب يعادله على الجهة الأخرى). فالفاتة ركب البعير وركب معها الفراق. ولو شاء أبو تمام لجعل الفراق يبقى في الربع وكفى النقاد القدامى ما خاضوا فيه من قول في هذا البيت

أَتَتْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ أَتَى عَلَيْهَا الْمَلَا: أَدْمَانُهُ وَجَرَاوِلُهُ

أتتك ناقتي يا أمير المؤمنين بعد أن أتى عليها وأنهكها الملا (الأرض الواسعة) بأدمانه (سهوله) وجراوله (حجارته)

رَعَى اللّٰهُ فِيهِ لِلرَّعِيَّةِ رَأْفَةً تَزَايِلُهُ الدُّنْيَا، وَلَيْسَتْ تُزَايِلُهُ

عند الخليفة رافة بالرعية قد حرسها الله، وهذه الرافة تبقى معه طول عمره

وَقَامَ، فَقَامَ الْعَدْلُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ خَطِيئاً، وَأَصْحَى الْمُلْكُ قَدْ شُقَّ بَازِلُهُ

شق بازل البعير: برز نابه، أي كبر وترعرع

وَجَرَدَ سَيْفَ الْحَقِّ، حَتَّى كَانَتْهُ مِنْ السَّلِّ مُودٍ غِمْدُهُ وَحَمَائِلُهُ

جرد السيف على الأعداء بالحق، وظل مسلولاً حتى ظن المرء أنه مود (منعدم) غمده (جرايه) وحمائله (سيوره التي بها يعلق)

وَكَمْ نَاكِثٍ لِلْعَهْدِ قَدْ نَكَّثَتْ بِهِ أَمَانِيهِ، وَاسْتَخَذَى لِحَقِّكَ بَاطِلُهُ

فَأَمَكَّنْتَهُ مِنْ رُمَّةِ الْعَفْوِ رَأْفَةً وَمَغْفِرَةً، إِذْ أَمَكَّنَتْكَ مَقَاتِلُهُ

فأمكنته من الإمساك برمة (حيل) العفو بعد أن تمكنت منه

وَحَاطَ لَهُ الْإِقْرَارُ بِالذَّنْبِ رُوحَهُ وَجُثْمَانَهُ، إِذْ لَمْ تَحْطُهُ قَبَائِلُهُ

وحاط (حمى) له اعترافه بالذنب روحه وجسمه، إذ لم تحمه قبائله

إِذَا مَارِقَ بِالْغَدْرِ حَاوِلَ غَدْرَةٍ فَذَاكَ حَرِيٌّ أَنْ تَنْسِمَ حَلَائِلُهُ

تسيم: تترمل، حلائله: أزواجه

فَإِنْ بَاشَرَ الْإِضْحَارَ، فَالْبَيْضُ وَالْقَنَا قِرَاءَهُ، وَأَحْوَاضُ الْمَنَايَا مَنَاهِلُهُ

فإن بدأ بالإضحار (الخروج إلى الصحراء عاصياً) فالبيض (السيف) والقنا (الرماح) قراه (طعامه)، وأحواض الموت مناهله (مواضع شربه)

وَلِنْ يَبْنِ حَيْطَانًا عَلَيْهِ، فَإِنَّمَا أَوْلِيكَ عُقَّالَاتُهُ، لَا مَعَايِلُهُ

عقالاته: العقال داء يصيب الفرس فيعطله عن السير

يُيْمِنُ أَبِي إِسْحَاقَ طَالَتْ يَدُ الْعُلَى، وَقَامَتْ قَنَاةُ الدِّينِ، وَاشْتَدَّ كَاهِلُهُ

كاهله: ظهره

هُوَ الْيَمُّ: مِنْ أَيِّ النَّوَاحِي أَتَيْتُهُ فَلَجَّتُهُ الْمَعْرُوفُ، وَالْجُودُ سَاحِلُهُ

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ ثَنَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أَنَامِلُهُ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ لَجَادَ بِهَا، فَلَيْتَنِي اللّٰهُ سَائِلُهُ

عَطَاءً لَوْ اسْطَاعَ الَّذِي يَسْتَمِيحُهُ لِأَصْبَحَ، مِنْ بَيْنِ الْوَرَى، وَهُوَ عَاذِلُهُ

يستميحه: يطلب عطاءه. يقول: إن عطاءه كبير حتى ليكاد المحظوظ ينبله يعذله (يلومه) على إسرافه فيه

١٤٨ المشكاة والنبراس

يمدح أحمد ابن الخليفة المعتصم:

ما في وقوفك ساعةً من بَاسٍ نَقْضِي ذِمَامَ الْأَرْبَعِ الْأُدْرَاسِ
لا بأس بوقوفك ساعةً عند أطلال الحبيبة لقضاء ذمام (عهود) الأربع (المنازل) الأدراس
(الدارسة، الممحوة الأثر)

فلعلَّ عينك أن تُعَيِّنَ بِمائها؛ والدمعُ منه: خَاذِلٌ ومُواسٍ
خاذل: مقصر عن النجدة، مواسٍ: الذي يواسي

بَذَرٌ أَطَاعَتْ فِيكَ بَادِرَةَ النوى وَلَعَاءٌ وَشَمْسٌ أُولِعَتْ بِشَمَاسٍ
الحبيبة بدر، وقد أطاعت فيك (ضدك) بادرة (مصيبة) النوى (الفراق) وَلَعَاءٌ (كَيْدًا)؛ يقول: هي بدر
وقد أطاعت الفراق ففارتكت، وهي شمس، وقد أولعت (أغرمت) بالشماس (العناد)

وَإِذَا مَسَّتْ تَرَكْتُ بِصَدْرِكَ ضِعْفَ مَا بِحُلِيِّهَا مِنْ كَثْرَةِ الْوَسْوَاسِ
عندما تمشي المحبوبة تترك في قلبك من الوسواس (القلق) ضعف ما يصدره عليها من الوسواس
(خشخشة الأساور والعقود)

قالت، وقد حُمَّ الْفِرَاقُ، فَكَأْسُهُ قَدْ خُوِّلِطَ السَّاقِي بِهَا وَالْحَاسِي:
قالت لي، وقد حم (فُدِّرَ) الفراق، وكأس الفراق قد خولط (جُنَّ) بسبيها الساقى والشارب معاً
(المفارق والماتك كلاهما حزين). جعلها في هذا البيت حزينة أيضاً

لَا تَنْسِينَ تِلْكَ الْعُهُودَ، فَإِنَّمَا سُمِّيتَ إِنْسَانًا لِأَنَّكَ نَاسِي
قالت: لا تنس عهودنا.. تناقض؟ في البداية نراها معاندة ومولعة بالصدود، ثم إذا هي قد جنت
للفراق، وتوصيه بحفظ العهد. مَنْ خَيْرَ الحسان يعرف أن هذا من شأنهن، فلا تناقض

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْخَلَائِقَ قَاتَهَا أَقْوَاتَهَا لِتَصْرُفِ الْأَحْرَاسِ
الله يوتي المخلوقات أرزاقها لتصرف الأحراس (بسبب تقلب الدهور)، فتقلب الدهر إحساناً لناس
وظلماً لناس يسبب الرزق لكل الناس

فَالْأَرْضُ مَعْرُوفُ السَّمَاءِ قَرَى لَهَا، وَبَنُو الرَّجَاءِ لَهُمْ بَنُو الْعَبَّاسِ
فالأرض - وهي من مخلوقات الله - يعطيها الله قراها (رزقها) من معروف السماء (المطر)، وبنو
الرجاء (الناس) والناس دوماً على رجاء وترقب) ليس لهم إلا بنو العباس

الْقَوْمُ ظِلُّ اللَّهِ، أَسْكَنَ دِينَهُ فِيهِمْ، وَهُمْ جَبَلُ الْمُلُوكِ الرَّاسِي
بنو العباس ظل الله على الأرض. هم حماة الدين، والجبل الراسي الراسخ الذي يحتمي به الملوك
(والملوك في القاموس العباسي هم الولاة وحكام الأقاليم، وكل من يملك قراراً)

أُبْلِيَتْ هَذَا الْمَجْدَ أَبْعَدَ غَايَةٍ فِيهِ، وَأَكْرَمَ شَيْمَةً وَنَحَاسٍ
أُبْلِيَتْ أَيُّهَا الْمَمْدُوحُ بِلَاءَ حَسَنًا فِي الْمَجْدِ فَوَصَلَتْ إِلَى أَبْعَدَ مَدَى، وَحَقَّقَتْ الْأَمَلَ مِنْ أَكْرَمَ شَيْمَةٍ
(خَصْلَةٌ) وَنَحَاسٍ (طَبِيعَةٌ)

إِقْدَامُ عَمْرٍو، فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ، فِي جِلْمٍ أَحْتَفَ، فِي ذِكَاةِ إِيَّاسٍ

لك شجاعة عمرو (بن معديكرب الزبيدي)، وسماحة (سَخَاء) حاتم (الطائي)، وحلم
الأحنف (بن قيس)، وذكاء القاضي إياس (بن معاوية). تقول القصة التي رواها كل
من كتب عن أبي تمام، منذ الصولي حتى يومنا هذا: بعدما أنشد أبو تمام هذا
البيت، اعترض أحد جلساء الأمير، وقال: كيف تشبه الأمير بهؤلاء السوقة (يقصد
بالسوقة أنهم ليسوا أمراء)؟ فأكمل أبو تمام إنشاده.. بقية القصة في البيتين التاليين..

لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ

لا تنكروا أنني أضرب له مثلاً شَرُودًا (سائراً) مثبِّهاً إياه في الندى (الكرم) والبأس (الشجاعة) بمن
هو دونه في القدر. وهنا يطلب الشاعر ألا ينكر المنكرون عليه ضرب أمثلة للأمير ممن هم دونه
في المثلة..

فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ

فالله ضرب لنوره مثلاً من المشكاة (التجويف في الجدار) والنبراس (المصباح
الموضوع فيها).. «الله نور السموات والأرض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح..»
الآية. خير مثال على ضرب المثل ممن هو أدنى لمن هو أعظم أن الله شبه نوره بنور
مصباح! تنمّة القصة التي بدأناها قبل بيتين: عندما أنهى أبو تمام إنشاد قصيدته،
نظروا في الرقعة التي بيده، فلم يجدوا البيتين السابقين. فعجبوا لحدة ذهنه وسرعة
بديته، فقد ارتجل البيتين، وإنهما لَمِنَ فاخر الشعر، ارتجالاً. ولما خرج أبو تمام
من المجلس، قال الكندي الفيلسوف: هذا الرجل قد استفرغ ذهنه حتى جاء بهذين
البيتين، ولا أراه يعيش بعدهما طويلاً (عبارة صاحب «العمدة»: هذا رجل ينحت من
قلبه). وفعلاً مات أبو تمام بعد أربعين يوماً. من شبه المؤكد أن القصة بكاملها
مصنوعة، رغم أنها - بل لأنها - طريفة، فأبو تمام ارتحل بعد هذه القصيدة إلى
الموصل وعاش بها ستين قبل أن يموت

غَلَبَ السُّرُورُ عَلَى هُمُومِي بِالَّذِي أَظْهَرَ مِنْ بَرِّي، وَمِنْ إِيْنَاسِي

إيناسي: تبديد قلقي

١٤٩ صاحب القلادة الجديد

يمدح الواثق ويهته بالخلافة، ويرثي أباه المعتصم بالله:

لَا قَدْحَ فِي عُودِ الْإِمَامَةِ بَعْدَمَا مَثَّتْ إِلَيْكَ بِحُرْمَةٍ وَذِمَامٍ

لا عيب في الخلافة بعد أن مت إليك (ارتبطت بك) بعهد يحرم نقضه

هَيْهَاتَ! تِلْكَ قِلَادَةُ اللَّهِ الَّتِي مَا كَانَ يَتْرُكُهَا بِغَيْرِ نِظَامٍ

هيهات أن ينالها عيب، فهي قلادة الله (عقده) التي لا يتركها تنتثر

لَسْنَا مُرِيدِي حُجَّةٍ تَشْفِي بِهَا، مِنْ رَبِيبَةٍ، سُقْمًا مِنَ الْأَسْقَامِ

لا نبحث عن حجة لنشفي أي سقم (خلل) نرتاب في وجوده

الصُّبْحُ مَشْهُورٌ بِغَيْرِ دَلَائِلٍ، مِنْ غَيْرِهِ ابْتِغَيْتَ، وَلَا أَعْلَامُ

الصبح لا يشكك فيه أحد، ولا يحتاج دليلاً عليه يُطلب من غير نفسه، ولا أعلاماً (جبالاً): وهي عند العرب معالم يستدلون بها في صحاريهم

١٥٠ في بعض القلوب عيون

يمدح الواصل بالله:

جَعَلَ الْخِلَافَةَ فِيهِ رَبُّ قَوْلُهُ، سُبْحَانَهُ، لِلشَّيْءِ: كُنْ، فَيَكُونُ

ولقد رأيناها له بقلوبنا؛ وَظُهُورُ خَطْبٍ، دُونَهُ، وَبُطُونُ

رأينا الخلافة لا تصلح إلا له؛ في وقت كانت بعيدة جداً عنه، ودونه (بينه وبينها) ظهور الخطب (الأمم) وبطونه.. أي أن كل الدلائل كانت تشير إلى أن الخلافة لن تكون له

وَلِذَاكَ قِيلَ: مِنَ الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ صِدْقٌ، وَفِي بَعْضِ الْقُلُوبِ عُيُونُ

جلية: حقيقة (ألسنا نقول جليلة الأمر؟)

جَاءَتْكَ، مِنْ نَظْمِ اللِّسَانِ، قِلَادَةٌ سِمْطَانٍ، فِيهَا اللُّلُؤُ الْمَكْنُونُ

فصيدتي كقلادة مزدوجة من سمطين (سلكين)، وفيها اللؤلؤ المكنون (الذي كان مخبأً في محاراته)

إِنْسِيَّةٌ، وَخَشَبِيَّةٌ، كَثُرَتْ بِهَا حَرَكَاتُ أَهْلِ الْأَرْضِ وَهِيَ سَكُونُ

فصيدتي فيها المأنوس من الألفاظ وفيها الوحشي (الغريب)، ويرويه الناس ويتناقضونها وهي سكون (ساكنة)

أَمَّا الْمَعَانِي: فَهِيَ أَبْكَارٌ إِذَا نُصِّتَتْ، وَلَكِنَّ الْقَوَافِي عَوْنُ

المعاني أبكار (عذارى/ مبتكرة) إِذَا نُصِّتَتْ (فُحِصَ عَنْهَا)، ولكن القوافي عون (سبق لها الزواج/ استعملها قبلي الشعراء)

أَخَذَاكَهَا صَنَعُ اللِّسَانِ، يُمِدُّهُ جَفَرٌ، إِذَا نَضَبَ الْكَلَامُ، مَعِينُ

أخذاكها (أعطاكها) صنع اللسان (حاذق اللسان)، يُمِدُّهُ جفر (بشر) يظل معيناً (غزيراً) عندما ينضب الكلام (يجف)

وَيُسِيءُ بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا، لَا كَمَنْ هُوَ، بِإِذْنِهِ وَيَشْغَرُهُ، مَفْتُونٌ
وهذا الشاعر يسيء الظن بأشعاره، لأنه يسعى دائماً للأفضل، وليس ممن هو مفتون (معجب)
بشعره افتتانه بأولاده

١٥١ السيل حرب للمكان العالي

يمدح الحسن بن رجاء:

كُفِّي وَعَاكِ، فَإِنْسِي لِكَ قَالٍ لَيْسَتْ هَوَادِي عَزَمَتِي بِتَوَالٍ
كفي عني وعاك (صخبك/ والوغي على الأصل الصخب) فإني قال لك (هاجر)، فهوادي (طلائع)
عزيمتي ليست بالتوالي (المتأخرة في ذيل القافلة)

يقول: عزيمته مثل طلائع الركب المتقدمة، لا مثل التوالي التي في الخلف

أَنَا ذُو عَرَفٍ، فَإِنْ عَرَّتْكَ جَهَالَةٌ فَأَنَا الْمَقِيمُ قِيَامَةَ الْعُذَالِ
أنا ذو (الذي/ بلغة طيء) عرف، فإن عرتك (تداخلتك) جهالة بي، فاعلمي أنني شديد على العذال
(اللائمين)

لَا تُنْكِرِي عَطَلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغَنَى فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي

العطل: الخلو من المكياج والإكسسوارات، والفتاة العاطل هي التي لم تلبس الأساور ولم تزين،
مستغنية بجمالها. يقول: لا تنكري أن يكون الكريم الأصل فاقداً الغنى، فالسيل (المال) حرب
(عدو) للمكان العالي. يقول: السيولة المالية تهرب من الكريم مثلما ينزلق ماء السيل عن الأماكن
المرتفعة

وَتَنْظُرِي خَبَبَ الرِّكَابِ يَنْصُهَا مُحْيِي الْقَرِيضِ إِلَى مِمِّتِ الْمَالِ

ترقي خبب الركاب (سير الإبل) ينصها (يحثها على السير) محيي القريض (الشعر) إلى مميت المال
(الممدوح الذي يفني الأموال ببذلها)

لَمَّا بَلَّغْنَا سَاحَةَ الْحَسَنِ انْقَضَى عَنَّا تَعَجْرُفُ دَوْلَةِ الْإِمْحَالِ

انقضى عنا (زال) تعجرف (قسوة) دولة الإمحال (عهد الفقر)

وَرَأَيْتَنِي، فَسَأَلْتُ نَفْسَكَ سَبَبَهَا لِي، ثُمَّ جُدَّتْ، وَمَا انتظرتْ سُؤَالِي

سببها: عطاها

كَالْغَيْثِ، لَيْسَ لَهُ، أُرِيدَ عَمَامُهُ أَوْ لَمْ يُرَدْ، بُدُّ مِنَ التَّهْطَالِ

أنت كالمطر الذي ينزل سواء أَرَادَهُ الناس أم لا

١٥٢ ابتسام الرأي والأدب

يمدح الحسن بن سهل:

أَبَدْتُ أَسَى أَنْ رَأَيْتِي مُخْلِسَ الْقُصْبِ وَآلَ مَا كَانَ مِنْ عُجْبٍ إِلَى عَجَبٍ
حزنت هذه المرأة عندما رأيتي مخلص (مختلط) القُصْب (الخصلات) - أي شابٍ شعري الشيب -
وقد آل (تحول) عجبها (إعجابها بي) إلى عجب (تعجب)

سِتُّ وَعِشْرُونَ تَدْعُونِي فَأَتَّبِعُهَا إِلَى الْمَشِيبِ، وَلَمْ تَظْلِمِ وَلَمْ تَحِبْ
ست وعشرون سنة تجرني نحو الشيب، ولم تظلمني ولم تحب (والحوب هو الظلم)، فالسنوات
ليست هي سبب الشيب بل الهموم

وَلَا يُورِّقُكَ إِيْمَاضُ الْقَتِيرِ بِهِ فَإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ
لا تَأْرُقُ لإيماض (لمعان) القتير (الشيب) برأسك، فالشيب كأنه ابتسام الرأي (الحكمة) والأدب

١٥٣ أنا والشعر

يعاتب أبا القاسم بن الحسن بن سهل:

أَيَّايَ جَارَى الْقَوْمِ فِي الشَّعْرِ! ضَلَّةٌ! وَقَدْ عَايَنُوا تِلْكَ الْقَلَائِدَ مِنْ نَظْمِي
أيجاروني في الشعر؟ أضلهم الله! بعد أن رأوا تلك القلائد التي هي قصائدي

طَلَعْتُ طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ كُلِّ تَلْعَةٍ وَأَشْرَفْتُ إِشْرَافَ السَّمَاءِ عَلَى الْخَصْمِ
طلعت عليهم من وراء كل تلعة (تلة) طلوع الشمس، وأشرفت على خصمي كالسماك (نجم بعيد)

وَمَا أَنَا بِالْغَيْرَانِ، مِنْ دُونِ جَارِهِ، إِذَا أَنَا لَمْ أَصْبِحْ غَيُورًا عَلَى الْعِلْمِ
لا أكون غيوراً على جاري (المتجبر بي) حامياً له، إن لم أكن غيوراً على العلم

لَصِيقُ فُؤَادِي، مُذْ ثَلَاثُونَ حِجَّةً، وَصَيْقُلُ ذِهْنِي، وَالْمَرَّوْحُ عَنْ هَمِّي
العلم (والشعر عندهم علمٌ نحوٍ وصرفٍ ومفردات) لصيق بقلبي منذ ثلاثين سنة، وهو صَيْقُل (صاقل) ذهني، ومخفف همي

١٥٤ أخو الأسفار

يمدح الحسن بن سهل:

وَعَرَبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ وَشَرَّقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ الْمَغَارِبَا
حُطُوبٌ إِذَا لَاقِيَتْهُنَّ رَدَدَنِّي جَرِيحاً، كَأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الْكَتَائِبَا

وكنْتُ امرأً أَلْقَى الزَّمانَ مُسَالِماً، فَالَيْتُ لا أَلْقَاهُ إِلَّا مُحَارِباً
أَلَيْتُ: حلفت

١٥٥ حلاوة القصائد

يعاتب محمد بن سعيد كاتب الحسن بن سهل:
لَمْ تُشَقِّ، بَعْدَ الْهَوَى، مَاءً عَلَى ظَمَأٍ كَمَاءٍ قَافِيَةٍ يَسْقِيْكَهَا فَهْمُ
باستثناء الهوى، ليس شيء يرويك رأي الشارب وهو ظمآن،
مثل قصيدة تسمعها من شاعر فهم (ذكي)

مِنْ كُلِّ بَيْتٍ، يَكَاذُ الْمَيْتُ يَفْهَمُهُ حُسْنًا، وَيَحْسُدُهُ الْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
مَا لِي وَمَا لَكَ شِبْهَ حِينَ أَنْشِدُهُ، إِلَّا زُهَيْرٌ، وَقَدْ أَصْغَى لَهُ هَرَمُ
أنا وأنت «كزهير بن أبي سلمى» وهو يمدح «هرم بن سنان»

١٥٦ الإخوة والإخوان

يمدح سليمان بن وهب، ويشفع في سليمان بن رزين بن أبي دعلب الخزاعي:
ذُو الْوُدِّ مَنِّي، وَذُو الْقُرْبَى يَمْنَزِلُهُ وَإِخْوَتِي أُسْوَةٌ، عِنْدِي، وَإِخْوَانِي
الإخوة: الأشقاء؛ الإخوان: الأصدقاء

عِصَابَةٌ جَاوَرَتْ آدَابَهُمْ أَذْبِي، فَهَمُّ، وَإِنْ فُرِّقُوا فِي الْأَرْضِ، جِيرَانِي
أَرْوَا حُنَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ؛ وَغَدَتْ أَبْدَانُنَا فِي شَأْمٍ، أَوْ خُرَاسَانٍ

١٥٧ قلبي لكم، وقلبي لغيركم

يمدح سليمان بن وهب:
كُلُّ شَيْعٍ كُنْتُمْ بِهِ، آلَ وَهْبٍ، فَهُوَ شَيْعِي، وَشَيْعُ كُلِّ أَدِيبٍ
شعب: طريق

لَمْ أَرَلْ بَارِدَ الْجَوَانِحِ مُذْ خَضَ حَضَّتْ دَلْوِي فِي مَاءِ ذَاكَ الْقَلْبِ
ظلمت بارد الجوانح (مرتوباً)، منذ خضضت (حركت) دلوي في ماء ذاك القلب (البئر). يقول:
منذ نلت عطاءكم وأنا مرتو

إِنْ قَلْبِي لَكُمْ لَكَالْكَبِدِ الْحَرِّ - ي، وَقَلْبِي لِغَيْرِكُمْ كَالْقُلُوبِ
قلبي حارٌّ من حبكم كأكباد العاشقين، ولغيركم.. عادي

١٥٨ يا فصيح، يا بليغ

يمدح الحسن بن وهب ويصف غلاماً أهده له :

وَإِذَا رَأَيْتُكَ، وَالْكَلَامَ لَآلِيٍّ تُوْمُ فَيَكُرُّ فِي النِّظَامِ وَثِيْبٌ
إِذَا رَأَيْتَكَ وَالْكَلَامَ يَتَسَاقَطُ مِنْ فَمِكَ مِثْلَ اللَّالِيِّ التَّوْمِ (التَّوْمَةُ اللَّوْلُؤَةُ الْكَبِيرَةُ)، فَمِنْهَا فِي النِّظَامِ (العقد)
لَوْلُؤَةٌ لَمْ تَقْبَ مِنْ قَبْلِ فَهِيَ بَكْرٌ، وَمِنْهَا لَوْلُؤَةٌ مَثْقُوبَةٌ فَهِيَ ثِيْبٌ (المرأة التي سبق لها زواج) ..
فَكَأَنَّ قُسًا فِي عُكَازٍ يَخْطُبُ، وَكَأَنَّ لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةَ تَنْدُبُ
.. فَكَأَنِّي إِذْ ذَاكَ أَرَى قَسَ بْنَ سَاعِدَةَ يَخْطُبُ فِي سَوْقِ عَكَازٍ، أَوْ كَأَنِّي أَرَى لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةَ تَنْدُبُ
حَبِيْبَهَا تَوْبَةً مِنَ الْحَمِيْرِ

وَكَثِيْرٌ عَزَّةٌ يَوْمَ بَيْنِ يَنْسُبُ، وَابْنُ الْمَقْفَعِ فِي الْيَتِيْمَةِ يُسْهِبُ
وَكَأَنِّي بِرُؤْيَيْكَ تَتَكَلَّمُ أَرَى كَثِيْرَ عَزَةٍ (كثيْرُ عَزَةٍ) يَوْمَ بَيْنِ (فراق) يَنْسَبُ (يتغزل)، وَابْنُ الْمَقْفَعِ فِي
رِسَالَتِهِ «الْيَتِيْمَةُ» يَسْهَبُ فِي الْقَوْلِ

١٥٩ أفسدتك النعمة

يعاتب الحسن بن وهب :

أَلْهَيْتُكَ، عَنْ حَاجَةٍ ضَيِّعَتْ حُرْمَتَهَا، وَلاِيَةً؛ وَدَوَاعِي النَّفْسِ تُثْنِمُ
مَنْصَبَ الْوَلَايَةِ أَهْلَاكَ عَنْ حَاجَاتِنَا، وَدَوَاعِي النَّفْسِ (مَا يَدْعُو النَّفْسَ إِلَى قَلَةِ الْمَرْوَةِ) هِيَ السَّبَبُ
الَّذِي نَتْنِمُهُ (نظله)

أَنْشَبْتَ نَفْسَكَ فِي ظُلْمَاءٍ مُسْدِفَةٍ، وَأَفْسَدْتَكَ عَلَى إِخْوَانِكَ النَّعْمِ
أَنْشَبْتَ (وَرَطْتَ) نَفْسَكَ فِي ظُلْمَاءٍ مُسْدِفَةٍ (كثيفة)، وَأَفْسَدْتَكَ النِّعْمَةَ عَلَى أَصْحَابِكَ
دُنْيَا! وَلَكِنَّهَا دُنْيَا سَتَنْصَرِمُ، وَآخِرُ الْحَيَاوَانِ الْمَوْتُ وَالْهَرَمُ
سَتَنْصَرِمُ: سَتَنْتَهِي، الْحَيَاوَانُ: كُلُّ حَيٍّ

١٦٠ أسير كرم آبائه

يمدح الحسن بن وهب، ووجه بها إليه من الموصل :

وَإِبْنُ الْكَرِيْمِ مُطَالِبٌ بِقَدِيْمِهِ عَلِيقٌ، وَصَافِي الْعَيْشِ لَابِنِ الزُّمَلِ
عَلِيقٌ: أَسِيرٌ تَعَدَّرَ فِدَاؤُهُ، الزُّمَلُ: الضَّعِيفُ

وَالْحَمْدُ شَهْدٌ، لَا تَرَى مُشْتَارَةً يَجْنِيهِ إِلَّا مِنْ نَقِيعِ الْحَنْظَلِ
مُشْتَارُ الْعَسَلِ: جَانِيهِ مِنْ خَلَايَاهُ، نَقِيعُ الْحَنْظَلِ: مَاءُ الْحَنْظَلِ الْمَرِّ: يَقُولُ إِنْ السَّمْعَةَ الطَّيْبَةَ عَسَلَ،
وَلَكِنْ لَا بَدَّ قَبْلَ الْحَصُولِ عَلَيْهِ مِنْ تَجَرُّعِ مَاءِ الْحَنْظَلِ أَيْ بِذَلِكَ الْجَهْدِ الْكَبِيرِ

١٦١ صاحب الحظوة

بمدح الحسن بن وهب:

تَشْكَى الْأَيْنَ مِنْ نِصْفِ سَرِيعٍ إِذَا قَامَتْ، وَمِنْ نِصْفِ بَاطِلٍ
تشكى هذه المرأة عند قيامها الأين (التعب) من نصف سريع (نصفها الأعلى) ومن نصف بطيء.
(مؤخرتها الكبيرة)

وَمَحْدُودِ الذَّرِيعَةِ سَاءَهُ مَا تَرَشَّحَ لِي مِنَ السَّبَبِ الْحَظِي
رب شاعر محدود الذريعة (محروم من الوساطة) قيل قصد بذلك دعلاً الشاعر) وقد ساء ما ترشح
لي (وصلني) من السبب الحظي (العلاقة والحظوة)

يَدِبُ إِلَيَّ فِي شَخْصٍ ضَّئِيلٍ، وَيَنْظُرُ مِنْ شَفَا طَرْفٍ خَفِيٍّ
يأتيني متضائلاً، وينظر إلي بحسد من شفا (طرف) (نظر) خفي. يقول: ينظر إلي بطرف عينه حاسداً

وَيُثْبِعُ نِعْمَتِي بِكَ عَيْنَ ضِعْنٍ، كَمَا نَظَرَ الْيَتِيمُ إِلَى الْوَصِيِّ
الضغن: الحقد

رَجَاءٌ أَنَّهُ يُوْرِي بِرْزَنْدِي إِلَيْكَ، وَأَنَّهُ يَفْرِي فَرِيٍّ
يتمنى أن يوري (يشعل ناره) بزندي (بأداة إيقادي/ ولاعتي)، ويتمنى أن يفري فريي (يفعل فعلي)

وَذَاكَ لَهُ إِذَا الْعَنْقَاءُ صَارَتْ مَرْبَّهً، وَشَبَّ ابْنُ الْخَصِيٍّ
هذا يحدث إذا صارت العنقاء (الطائر الخرافي) مربية (داجنة)، وإذا كبر ابن الخصي (والخصي لا يولد له). أبو تمام يتسلى بمبالغة مضاعفة، فالعنقاء مستحيلة أصلاً، ولكنه يريد بها مثل الدجاجة؛ وابن الخصي غير ممكن أصلاً، ويريد أن يشب ويترعز

أَرَى الْإِخْوَانَ، مَا عُيِّتَ عَنْهُمْ، بِمَسْقَطِ ذَلِكَ الشَّعْبِ الْقَصِيِّ
عندما تغيب أيها الأمير عن الإخوان الشعراء فهم نكرات كأنهم قاعدون في مسقط (آخر) ذلك
الشعب (الطريق) القصي

وَمَرْدُودٌ صَفَاؤُهُمْ عَلَيْهِمْ، كَمَا رَدَّ النَّكَاحُ بِلَا وَلِيٍّ
ولا أريد صفاءهم (صداقتهم) بل أردته رداً مثلما يرُدُّ الفقيه الزواج لعدم وجود ولي (فالحسن بن وهب وليهم الذي يرر وجودهم في مجلس الأدب)

وإِنَّ لَهُمْ لِإِحْسَانًا، وَلَكِنْ جَرَى الْوَادِي، فَطَمَّ عَلَى الْقَرِيِّ
بعضهم شعراء محسنون، ولكن أنا سيل الوادي الذي يطم على القرى (يغمر الجدول الصغير).
رغم أنه مات عن أربع وأربعين سنة فإن أبا تمام حقق في حياته شهرة عظيمة، يكفي أن معاصره
الجاحظ (وهو أسنُّ منه بنحو ثلاثين سنة) ينقل أبياتاً له كثيرة في «الحيوان» و«البيان والتبيين» في
نحو عشرين موضعاً

وَهَلْ مَنْ جَاءَ بَعْدَ الْفَتْحِ يَسْعَى كَصَاحِبِ هِجْرَتَيْنِ مَعَ النَّبِيِّ؟

هل الذي أسلم بعد فتح مكة متأخراً كمن أسلم باكراً وهاجر مرة إلى الحبشة ومرة إلى يثرب، ورافق النبي

١٦٢ انزلاق النظر

يمدح الحسن بن وهب، ويصف فرساً حمله عليه:

دِمْنٌ لَوْتُ عَزَمَ الْفُؤَادِ، وَمُرَّتْ فِيهَا دُمُوعُ الْعَيْنِ كُلُّ مُمَرِّقٍ

هذه الدمن (أطلال المحبوبة) نثت عزمي عن المضي في السير واستوقفتني، وتمزقت (تفرقت) فيها دموع العين

تَأْبَىٰ مَعَ التَّضَرِيدِ إِلَّا نَائِلًا إِلَّا يَكُنْ مَاءَ قَرَاحًا، يُمَذِّقُ

تأبى المحبوبة مع التصريد (قطع شرب المرء قبل الري) إلا أن تعطينا نائلاً (وصلاً) مغشوشاً: فهو إما ماء قراح (صاف)، أو في أحسن الحالات حليب ممذوق (ممزوج بماء). وهم يعيون على المرء أن يقدم لضيفه ماء صافياً، فالضيف يريد لبناً

نَزْرًا، كَمَا اسْتَكْرَهَتْ عَائِرَ نَفْحَةٍ مِنْ فَارَةِ الْمَسْكِ الَّتِي لَمْ تُفْتَقِ

ونوالها نزر (قليل)، فهو كما استكرهت (اجتلبت بالإكراه) عائِر نفحة (شمّة ضالة) من فارة المسك التي لم تفتق (الجلدة التي تحتوي المسك قبل فضاها)

يقول: وصلها قليل جداً فهو مثل تشميك شمّة من فارة مسك قبل فتحها. ويعدون هذا البيت من معاني أبي تمام المبتكرة التي لا يماري أحد في سبقه إليها

صَافِي الْأَدِيمِ، كَأَنَّمَا أَلْبَسْتُهُ مِنْ سُنْدُسٍ بُرْدًا، وَمِنْ إِسْتَبْرَقٍ

يصف الفرس: صافي الأديم (الجلد)، كأنه يلبس برداً (ثوباً) من سندس وإستبرق (من الديباج)

إِمْلِيسُهُ إِمْلِيدُهُ، لَوْ عُلِّقَتْ فِي صَهْوَتَيْهِ الْعَيْنُ لَمْ تَتَعَلَّقِ

إمليسه إمليده (هذا الفرس أملس، وأملد: ناعم)، وكأن العين تنزلق عن صهوته (جانبي ظهره) لملاسته

١٦٣ شاب رأسي

يمدح أحمد بن أبي دؤاد:

شَابَ رَأْسِي، وَمَا رَأَيْتُ مَشِيبَ الرَّ - أَسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفُؤَادِ

من فضل (بسبب)

وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ، فِي كُلِّ بُؤْسٍ وَنَعِيمٍ، طَلَاعُ الْأَجْسَادِ

فالقلب، في الخير والشر، يسبق الجسد، فهو كطليلة الجيش التي تسبقه للاستطلاع

طَالَ إِنْكَارِي الْبَيَاضِ، وَإِنْ عُمِدَ - رَزْتُ شَيْئاً أَنْكَرْتُ لَوْنَ السَّوَادِ

مدة طويلة والبياض بشعري قليل فأنا أنكره (أستغرب وجوده)، وإن طال عمري قليلاً سأرى السواد في رأسي غريباً

١٦٤ تنصّل من غير جرم

قال يمدح القاضي أحمد بن أبي دؤاد الإيادي، ويعتذر إليه مما نسب إليه من الافتخار على مضر، وأبو تمام ينسب نفسه إلى طيء اليمانية:

لَقَدْ أَنْسَتُ مَسَاوِيَّ كُلِّ دَهْرٍ مُحَاسِنُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُؤَادٍ

وَمَا سَافَرْتُ فِي الْأَفَاقِ، إِلَّا وَمِنْ جَدَوَاكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي

جدواك: عطاوك

مَقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي، وَإِنْ قَلِقْتُ رِكَابِي فِي الْبِلَادِ

ظني (أملتي) مقيم عندك، وإن قلقنت (تقلقلت وتحركت) ركابي (إبلي) في البلاد

أَتَانِي عَائِرُ الْأَنْبَاءِ تَسْرِي عَقَارِبُهُ بِدَاهِيَةٍ نَادٍ

جاءني عائر الأنباء (النبا المنتشر) وعقارب هذا النبا تسري وتحمل معها داهية ناداً (موجعة)

نَنَا خَبِرْ كَأَنَّ الْقَلْبَ أُمْسَى يُجَرِّبُهُ عَلَى شَوْكِ الْقَتَادِ

الداهية هي ننا خبر (انتشار خبر) أصبح القلب بسببه كأنه يجر على شوك نبات القتاد الشائك

بِأَنِّي نِلْتُ مِنْ مُضَرٍّ. وَخَبَّتْ إِلَيْكَ شَكِيَّتِي حَبَبَ الْجَوَادِ

والخبر هو أنني انتقصت من مضر. وقد خبت (أسرعت) إليك شكواي من ظلم ناقلي الخبر إسرار الفرس في عدوه/هذا هو المعنى الذي ألمحه

وَمَا رَبُّهُ الْقَطِيعَةَ لِي بِرَبْعٍ وَلَا نَادِي الْأَذَى مِنِّي بِنَادٍ

النادي: المجلس

وَأَيْنَ يَجُورُ عَنْ قَضْدِ لِسَانِي وَقَلْبِي رَائِحٌ بِرِضَاكَ غَادٍ؟

وكيف يجور (يتحول) عن قصد (عن السيل المستقيم) لساني بينما قلبي دائم الرضا منك

وغيري يَأْكُلُ الْمَعْرُوفَ سُحْتًا وَتَسْحُبُ عَنْدَهُ بِيضُ الْأَيَادِي

سواي يأكل المعروف سحتاً (ينال الأعطيات مالاً حراماً بلا شكر عليه)، وتصبح الأيدي البيض (الإحسان) شاحبة عنده (متغيرة اللون مكدره بالانكران)

تَثَبَّتْ. إِنَّ قَوْلًا كَانَ زُورًا أَتَى الثُّعْمَانَ قَبْلَكَ عَنْ زِيَادٍ

فاستوثق من الخبر. فقديمًا جاء الملك النعمان خير كاذب عن زياد (النابعة الدياني)

إِلَيْكَ بَعَثْتُ أَبْكَارَ الْمَعَانِي يَلِيهَا سَائِقُ عَجَلٍ وَحَادٍ

بعثت إليك قصيدة معانيها أبكار (عذارى لم يقلهن شاعر من قبل) يليها (يتبعها) سائق يسوقها ومعها حادٍ (منشد) يحدوها

شِدَادَ الْأَسْرِ، سَالِمَةَ النَّوَاحِي مِنَ الْإِقْوَاءِ فِيهَا وَالسُّنَادِ

هذه المعاني هي أبيات شعر شديدة الأسر (قوية)، وسالمة من عيوب الشعر كالإقواء والسناد

يُذَلِّلُهَا بِذِكْرِكَ قِرْنُ فِكْرٍ إِذَا حَرَنْتَ فَتَسْلَسُ فِي الْقِيَادِ

يذلل هذه الأبيات (يروضها)، إذا حرنت (استعصت)، شاعر هو قرن فكر (صاحب تمحيص للشعر) فيصبح قيادها سلساً

مَنْزَرَةً عَنِ السَّرْقِ الْمَوْرَى مُكْرَمَةً عَنِ الْمَعْنَى الْمُعَادِ

أبيات منزرة عن السرقة المموهة، ومرتقية عن أن تكون معانيها مكررة

تَنْصَلَّ رُبُّهَا مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ إِلَيْكَ، سَوَى النَّصِيحَةِ وَالْوَدَادِ

رب هذه الأبيات (صاحبها) تنصل من ذنب لم يرتكبه أصلاً، وليس لديه سوى النصيحة والوداد

وَمَنْ يَأْذُنُ إِلَى الْوَاشِينَ تُسَلِّقُ مَسَامِعُهُ بِالسِّنَةِ حِدَادِ

ومن يأذن (من يعطِ أذنه) للواشين يسلقوا سمعه بالسنتهم الجادة

١٦٥ فائدة الحسود

بمدح أحمد بن أبي دؤاد، ويعتذر إليه، ويستشفع بخالد بن يزيد:

ظَلَعْنَا فَكَانَ بُكَايَ حَوْلًا بَعْدَهُمْ ثُمَّ ارْعَوَيْتُ، وَذَاكَ حُكْمُ لَبِيدٍ

ظلعنا (رحلوا) فكان بكائي بعدهم سنة، ثم ارعويت (امتعت)، وذاك حكم لبيد الشاعر القائل: ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

أَجْدِرُ بِجَمْرَةٍ لَوْعَةٍ إِطْفَاؤُهَا بِالذَّمِّعِ أَنْ تَزْدَادَ طُولَ وَقُودِ

ما أجدر جمرة اللوعة التي يكون إطفائها بالذم أن تنقد أكثر

يَا أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُؤَادٍ حُطَّتَنِي بِحَيَاظَتِي وَلَدَدَتْنِي بِلَدُودِي

يا أحمد بن أبي دؤاد قد حطتي (رعيتني) بما يناسب قدرتي، ولددنتني (داويتني) باللدود (بالدواء المناسب)

لَمَّا أَظَلَّتْنِي غَمَامُكَ أَصْبَحْتَ تِلْكَ الشُّهُودُ عَلَيَّ وَهِيَ شُهُودِي

لما أظلتني غمامات رضاك أصبح الذين يشهدون ضدي عندك يشهدون معي

مِنْ بَعْدِ أَنْ ظَنُّوا بِأَنْ سَيَكُونُ لِي يَوْمٌ بِبَغْيِهِمْ كَيَوْمِ عَبِيدِ

وكانوا يظنون أن بغيمهم سيجعل لي يوماً كيوم عيد بن الأبرص

(الذي جاء الملك في يوم يؤسه فكان نصيبه القتل)

نَزَعُوا بِسَهْمِ قَطِيعَةٍ يَهْفُوبُهُ رِيشُ الْعُقُوقِ، فَكَانَ غَيْرَ سَدِيدِ

نزعوا (شدوا وتر القوس) بسهم قطعة (وأرادوا أن يرسلوا من قوسهم سهم الوقعة) ويهفو (يطير)

بهذا السهم ريش هو العقوق، فكان السهم طائشاً

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ، أُنَاحَ لَهَا لِسَانُ حُسُودِ

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعْرَفُ طِيبُ عَرَفِ الْعُودِ

العرف (الرائحة الذكية)

لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ تَزَلْ لِلْحَاسِدِ النُّعْمَى عَلَى الْمَحْسُودِ

لولا التخوف للعواقب (التائج الوخيمة) لظل الحاسد أعلى قدراً من المحسود لأنه هو الذي يظهر

فضل المحسود بحسده إياه

حُذِّهَا مُثَقَّفَةً الْقَوَافِي، رَبُّهَا لِسَوَابِغِ النِّعْمَاءِ غَيْرُ كُنُودِ

خذ هذه القصيدة مثقفة القوافي (محككة ومشذبة)، ربها (صاحبها) غير كنود (غير جاحد) لسوابغ

النعماء (للنعم الكثيرة)

كَالطَّعْنَةِ النَّجْلَاءِ مِنْ يَدِ ثَائِرٍ بِأَخِيهِ، أَوْ كَالضَّرْبَةِ الْأَخْذُودِ

هذه القصيدة مثل الطعنة النجلاء (الواسعة) من يد ثائر بأخيه (أخذ بئراً أخيه)، أو هي كالضربة

الأخذود (التي تصنع أخذوداً أي شقاً)

كَالدَّرِّ وَالْمَرْجَانِ، أُلْفَ نَظْمُهُ بِالشَّدْرِ فِي عُنُقِ الْفَتَاةِ الرُّودِ

قصيدتي كالدر (اللؤلؤ الكبار) والمرجان (اللؤلؤ الصغار) المنظوم مع الشدر (قطع الذهب الصغار)

في عقد يزين عنق الفتاة الرود (الناعمة)

يُعْطِي بِهَا الْبُشْرَى الْكَرِيمُ، وَيَحْتَبِي بِرِدَائِهَا فِي الْمَحْفَلِ الْمَشْهُودِ

الكريم يعطي من يشره بهذه القصيدة حلواناً، ويحتني بها كالرداء في المحافل (والاحتباء أن تجمع

ظهرك إلي، سافيك بردائك وأنت جالس، فكانك مُسند ظهرك)

١٦٦ المهم رضاك أنت

يمدح القاضي أحمد بن أبي دؤاد:

معشراً أصبحوا حُصُونُ المعالي، ودُرُوعُ الأحسابِ والأغراضِ
كَمْ ظَلَامٍ عَنِ الْعُلَى قَدْ تَجَلَّى بِكَ، والمَكْرُمَاتُ عَنْكَ رَوَاضِ
كَمْ مَعَانٍ وَشَيْئُهَا فَيْكَ قَدْ أُمِدَّ سِتًى، وَأَضَحَّتْ ضَرَائِرُا لِلرِّيَاضِ
ما أكثر المعاني التي وشيتها (زيتها) في مدحك ثم أصبحت ضرائراً (منافسات) للرياض في جمالها
بِقَوَافٍ هِيَ الْبَوَاقِي عَلَى الدَّهْرِ، وَلَكِنْ أَثْمَانُهُنَّ مَوَاضِ
لقد زينت هذه المعاني ضمن قواف (قصائد) هي البواقي (الخالدات)، ولكن أثمانهن من العطايا
مواض (ذاهبات)

ما أُبَالِي، بَعْدَ انبِساطِكَ بِالمَعْدِ رَوِفٌ، مَنْ كَانَ مِنْهُمْ ذَا انْقِبَاضِ

١٦٧ بناء الجار قبل الدار

يمدح أبا الوليد أحمد بن أبي داؤد الإيادي:

بَوَاتُ رَحْلِي فِي الْمَرَادِ الْمُبْقِلِ فَرَتَعْتُ فِي إِثْرِ الْعَمَامِ الْمَسْبِلِ
بوات رحلي (أنزلت متاعي) في المراد المبقل (في المرعى الذي نبت فيه البقل) ورتعت في إثر
(عقب) الغمام المسبل (الهاتل)

مَنْ مُبْلِعٌ أَفْنَاءَ يَغْرُبُ كُلُّهَا أَنِّي ابْتَنَيْتُ الْجَارَ قَبْلَ الْمَنْزِلِ
أفناء: ساحات

هَتَكَ الظَّلَامَ أَبُو الْوَلِيدِ يَغْرُو فَتَحْتُ لَنَا بَابَ الرِّجَاءِ الْمَقْفَلِ
مزق الممدوح ستر الظلام بغرة (بوجه مشرق) فتحت لنا باب الرجاء المقفل

بِأَتَمِّ مِنْ قَمَرِ السَّمَاءِ، وَإِنْ بَدَا بَدْرًا، وَأَحْسَنَ فِي الْعُيُونِ وَأَجْمَلَ
مزق الممدوح الظلام بوجه هو أتم استدارة من القمر - حتى والقمر بدر تام الاستدارة -،
والممدوح عندنا أجمل من البدر

١٦٨ الحمد لله على السلامة

وقال في علة أحمد بن أبي دؤاد:

لَا نَالَكَ الْعَثْرُ مِنْ دَهْرٍ، وَلَا الزَّلْزَلُ وَلَا يَكُنْ لِلْعُلَى فِي فَقْدِكَ الشَّكْلُ
العثر/والزلل: السقوط، لا يكن: أدعو الله أن لا يكون

تَضَاءَلِ الْجُودُ مُذْ مُدَّتْ إِلَيْكَ يَدٌ مِنْ بَعْضِ أَيْدِي الضَّنَى، وَاسْتَأْسَدَ الْبَحْلُ

الضنى: المرض، استأسد البَحْل: ظهرت شراسة البَحْل

لَمْ يَبْقُ فِي صَدْرِ رَاجِي حَاجَةٍ أَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ ذَابَ سُقْمًا ذَلِكَ الْأَمَلُ

بَيْنَا كَذَلِكَ، وَالدُّنْيَا عَلَى خَطَرٍ، وَالْعُرْفُ فَيْكَ إِلَى الرَّحْمَنِ يَبْتَهِلُ

العرف: المعروف

سُقْمٌ أُتِيحَ لَهُ بُرْءٌ، فَذَعَذَعَهُ؛ وَالرَّمْحُ يَنَادُ حِينًا، ثُمَّ يَعْتَدِلُ

ذعذه: هزه هزاً عنيفاً، يناد: يعوّج

وَحَالَ لَوْنٌ، فَردَّ اللَّهُ نَصْرَتَهُ وَالنَّجْمُ يَحْمُدُ شَيْئًا، ثُمَّ يَسْتَعِلُّ

حال: تغير وتحول

١٦٩ شريعة الشعر

يمدح أحمد بن أبي دؤاد:

يُنَالُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ، وَهُوَ جَاهِلٌ وَيُكْدِي الْفَتَى فِي دَهْرِهِ، وَهُوَ عَالِمٌ

ينال الفتى كفايته من الرزق رغم أنه جاهل، ويكدي الفتى رغم أنه عالم

وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْزَاقُ تَجْرِي عَلَى الْحِجَا هَلَكَنَ إِذْنٌ، مِنْ جَهْلِهِنَّ، الْبَهَائِمُ

لو كانت الأرزاق توزع بحسب الحجا (وفرة العقل) لهلك البهائم لجهلها

فَلَمْ يَجْتَمِعْ شَرْقٌ وَغَرْبٌ لِقَاصِدٍ، وَلَا الْمَجْدُ فِي كَفِّ امْرِئٍ وَالدَّرَاهِمُ

وكما لا يمكن للقاصد (المسافر) أن يتجه شرقاً ويتجه غرباً في وقت واحد، كذلك لا يجتمع

المجد والمال في كف المرء

وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ: تُدْعَى حَقُوقُهُ مَغَارِمَ فِي الْأَقْوَامِ، وَهِيَ مَغَانِمُ!

لم أر كالمعروف (إعطاء المال): يزعم بعضهم أن بذله بحق للناس هو مغارم (مخاسر مالية)، بينما

هو غنيمة تعود على السخي بالسمعة الطيبة

وَلَا كَالْعُلَى: مَا لَمْ يُرَ الشَّعْرُ بَيْنَهَا، فَكَأَلْأَرْضٍ غُفْلًا لَيْسَ فِيهَا مَعَالِمُ

ولم أر كالعلى (الأمجاد): فإذا لم يكن الشعر شاهداً على الأمجاد كانت كالأرض الغفل (الجرداء)

ليس فيها معالم

وَمَا هُوَ إِلَّا الْقَوْلُ يَسْرِي فَتَغْتَدِي لَهُ غُرَّرٌ فِي أَوْجِهِ، وَمَوَاسِمُ

ما إن يسري القول (الشعر) حتى يصبح له غرر (الغرة: بياض محمود في وجه الفرس)، وله أيضاً

مواسم (الميسم: علامة تكوى كيّاً على جلد البعير ليعرف صاحبه). يقول: الشعر يبيض وجوه

قوم، ويسود وجوه قوم

يُرَى حِكْمَةً مَا فِيهِ، وَهُوَ فُكَاهَةٌ؛ وَيُقَضَّى بِمَا يَقْضِي بِهِ، وَهُوَ ظَالِمٌ!

يكون الشعر مجرد فكاهة فيصير الناس أن يروا فيه حكمة؛ ويظلم الشعر قوماً في هجاء، فيكون قوله فيهم حُكماً قاطعاً. هذه قيمة الشعر وأثره. وفسر المرزوقي الشطر الأول كما يلي: «ترى الكلمة فيه يكون ظاهرها مزحاً فتوجد في الحقيقة حكمة» وهذا تفسير من لم يقرأ البيت على وجهه. وأبو تمام إنما يقول: إن حقيقة الشعر تكون الفكاهة، ولكن الناس يعتبرونه حكمة لشدة تأثيره في نفوسهم. وأما التبريزي فقد سرق تفسير المرزوقي على جاري عادته، فقال: «أي ترى الكلمة فيه يكون ظاهرها مزحاً فتوجد في الحقيقة حكمة»

لَهُ مِنْ إِيَادِ قِمَّةِ الْمَجْدِ حَيْثُمَا سَمَتْ، وَلَهَا مِنْهُ الْبِنَا وَالِدَعَائِمُ
للقاضي أحمد بن أبي دؤاد قمة المجد في قبيلة إياد حيثما سمت (في المكان العالي الذي سمت إليه)، وهو دعائمها وراعيا

أَخَذَتْ بِأَعْضَادِ الْعُرْبِ، وَقَدْ خَوَتْ عُيُونَ كَلِيلَاتٍ، وَذَلَّتْ جَمَاجِمُ
أخذت بأعضاء (بأيدي) العرب (العرب) وقد خوت (فرغت) عيونهم الكليلة (المتعبة) من بريق المجد، وذلت رؤوسهم، لأن العناصر الأخرى من فرس وترك بدأت تغلب على الدولة

فَأُضْحَوْا: لَوْ اسْتَطَاعُوا لِفَرَطٍ مُحِبَّةٍ لَقَدْ عُلِقْتُ، خَوْفًا عَلَيْكَ، التَّمَائِمُ
فأصبح العرب لو استطاعوا لعلقوا عليك التمام (الحُب والرقي)

وَلَوْ عَلِمَ الشَّيْخَانِ، أَدَّ وَيَعْرُبُ، لَسَرْتُ إِذْنُ تِلْكَ الْعِظَامِ الرَّمَائِمُ
لو علم جدًّا العرب «أد» و«يعرب» بنصرك للعرب لسرت عظامهما البالية

فَمَا بَالُ وَجْهِ الشَّعْرِ أَغْبَرَ قَاتِمًا؟ وَأَنْفُ الْعُلَى، مِنْ عُطَلَةِ الشَّعْرِ، رَاغِمٌ؟
فما بال الشعر مهملاً؟ ولماذا يبقى أنف العلى راغماً (ذليلاً) من عطلة الشعر (لأنه عاطل، غير محلّى بالقصائد)؟

تَدَارَكُهُ. إِنَّ الْمَكْرُمَاتِ أَصَابِعَ، وَإِنَّ حُلَى الْأَشْعَارِ فِيهَا خَوَاتِمُ
تداركه: أنجد الشعر

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْفَظْهُ لَمْ يَكْ بِدَعَةٍ، وَلَا عَجَبًا، أَنْ ضَبَّعَتْهُ الْأَعَاجِمُ
فقد هَزَّ عِطْفِيهِ الْقَرِيضُ تَوَقَّعًا لِعَدْلِكَ مُذْ صَارَتْ إِلَيْكَ الْمِظَالِمُ
هز عطفيه: هز خصره، المِظَالِم: ديوان المظالم

وَلَوْلَا خِلَالُ سَنِّهَا الشَّعْرُ مَا دَرَى بُغَاةُ النَّدَى مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى الْمَكَارِمُ
لولا أخلاقيات سنّها الشعر (جعلها سنة وشرعاً) لما عرف بغاة الندى (الراغبون في بذل مالهم) كيف يحصلون على المكارم

١٧٠ المطر على جثة عطشان

يعاتب ابن أبي دؤاد ويستبطئه وعداً له عليه:

وَمَا نَفْعُ مَنْ قَدْ مَاتَ بِالْأَمْسِ صَادِيًّا إِذَا مَا سَمَاءُ الْيَوْمِ طَالَ أَنْهَمَارُهَا
صَادِيًّا: عطشان

وخيبرُ عِدَاتِ المرءِ مُخْتَصِرَاتُهَا، كما أَنَّ خَيْرَاتِ اللَّيَالِي قِصَارُهَا

١٧١ هذا هو التهديد

يهجو أبا الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد:

أَتَذْهَبُ أَيَّ بَارِقَةٍ تَشِيْمُ وَمَهْلَكَةٍ إِلَيْهَا تَسْتَنِيْمُ
بارقة (غيمة فيها برق) تشيم (تتظر)، مهلكة (مصيبة)، تستنيم (تطمئن)

فإِنَّكَ لَمْ تُعَوِّذْ مِنْ سُهَادِي إِذَا مَا عَانَقَ السَّنَةَ النَّوْمُ
أنت لم تتعود على سهادي (سهرى) بينما يعانق السنة (النوم) النوم. يقول: أنت لا تعرفني عندما
أسهر وينام النائمون..

وَمِنْ تَقْلِيْبِ قَلْبِي عَنْ لِسَانِي إِذَا بَاتَتْ تُقْلِبُهُ الْهَمُومُ
ولا تعرف كيف يقوم قلبي بتقليب المعاني على لساني إذا بات يتقلب مهموماً

فَمَا أَنْتَ اللَّئِيْمُ، إِذَنْ، وَلَكِنْ زَمَانٌ سُدَّتْ فِيهِ هَوَ اللَّئِيْمُ
أَنْطَمَعُ أَنْ تُعَدَّ كَرِيْمٌ قَوْمٌ وَبَابُكَ لَا يُطِيفُ بِهِ كَرِيْمٌ؟
لَنْمَتْ، وَنَامَ عِرْضُكَ، وَالْقَوَافِي سَوَاحِطٌ، لَا تَنَامُ، وَلَا تُنِيْمُ
لنمت: والله لقد نمت

١٧٢ ديمة سمحة القياد

يمدح محمد بن عبد الملك الزيات:

دِيْمَةُ سَمْحَةِ الْقِيَادِ سَكُوبٌ مُسْتَغِيْثٌ بِهَا الثَّرَى الْمَكْرُوبُ

هذه ديمة (سحابة) سمحة القياد (سلسة في حركتها) سكوب (ماطرة). ويستغيث بها الثرى (التراب)
المكروب (المصاب بالجفاف)

لَوْ سَعَتْ بُقْعَةً لِإِعْظَامٍ تُعْمَى لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانُ الْجَدِيبُ

لو أنه يعقل أن تسير بقعة من الأرض، لसार وراء هذه السحابة المكان الجديب (المقفر) لإعظام النعمى (لتكثير نصيبه من نعمة الماء). وقد فسر الشراح البيت على أن إعظام تعني «تعظيم وشكر» ولا وجه لذلك، وإن كانت كلمة «إعظام» توحى بهذا المعنى. ومن قال إن أبا تمام يقصد إلى القريب؟ لا تنس أن السحابة سلسلة في سيرها، وهي تروي المكان وتسير عنه، فجدير بالمكان أن يفكر في اللحاق بها ليشرّب أكثر، أما أن يسير المكان فقط ليشرّكها فليس مما يستدعي السير. فليشرّكها المكان فاعداً في محله ما شاء له، فلماذا يسير؟ وقد تتبعنا هذا البيت المشهور وتفسيره في كل موطن - مثلما تتبع المكان الجديب السحابة - فلم نجد شارحاً وقع على المعنى الذي بسطناه لك، والذي نظنه هو المعنى

لَذْ شُؤْبُوبُهَا، وَطَابَ فَلَوْ تَسَّ طَبِيعُ قَامَتْ فَعَانَقَتْهَا الْقُلُوبُ

لذ (طاب) شؤبوبها (زخّها) فلو استطاعت قلوب الناس لغادرت صدورهم كي تعانق هذه السحابة

فَهِيَ مَاءٌ يَجْرِي، وَمَاءٌ يَلِيهِ، وَعَزَالٍ تُنْشَأُ، وَأُخْرَى تَذُوبُ

فالسحابة ماء يجري، ثم ماء آخر بعده، إنها مثل عزالٍ (الأفواه السفلى للقرية) تُنْشَأُ (تُرفَع) وأُخْرَى تذوب (تسكب الماء). حار الرواة في «نُشَأ» فجعلوها تهمي (هذه القراءة عند الصولي وأخذها إيليا الحاوي)، ولم يشرح البيت التبريزي. وشرحه - وليته أغفله - الأسود. ولمن يحب الاستقصاء ها-شرحنا مفصلاً: العزلاء: هي الفتحة السفلى للقرية، ويجعلونها لإفراغ القرية من الماء عندما يصلون إلى بئر عذبة ويريدون التخلص مما في قريهم من ماء قد تغير طعمه. وجمعها عَزَالٍ. نُشَأ: أي تُنْشَأُ، سَهَلَتْ همزتها: ومعناها تُرْفَع. (واليك عبارة ابن فارس في «مقاييس اللغة» - وإنما نأخذ المعنى عنه لأن ابن فارس يدل على معنى الجذر في مهده - يقول: «النون والشين والهمزة أصل صحيح يدل على ارتفاع في شيء وسمو، ونُشَأُ السحاب ارتفع. وأنشأه الله رفعه.» اهـ). ولسان ابن منظور لهجّ بها المعنى. وعليك أن تتخيل سَفْراً وردوا بئراً واستيقنوا من عذوبة مائها، ثم راح كل منهم يفك الوكّاء (السير الجلدي) عن فم قريته، ثم الوكّاء السفلي عن عزلائها (فتحتها السفلى) كي يتدفق الماء الآسن بقوة وبسرعة؛ نرى الرجل منهم يرفع القرية إلى الأعلى ويهزها بعض الهز حتى يتخلص من مائها، بينما آخر قد أوشكت قريته تنفخ. وهكذا قرية وراء قرية، والماء يتدفق. ويتخيل شاعرنا أن سحابته الماطرة ترخ زخات متوالية، لا تكاد الزخة تهدأ حتى تأتي زخة أخرى كقوم واقفين وكل منهم يفرغ قريته

كَشَفَ الرُّوضُ رَأْسَهُ، وَاسْتَسَرَّ الـ مَحَلُّ مِنْهَا، كَمَا اسْتَسَرَّ الْمَرِيبُ

أطل الروض برأسه (خرجت براعمه مع المطر)، واستسر المحل (اختبأ) كأنه الشخص المريب (المطلوب بجنابة)

فَإِذَا الرَّيُّ بَعْدَ مَحَلٍّ؛ وَجُرْجَا نٌ لَدَيْهَا يَبْرِينُ أَوْ مَلْحُوبٌ :

فإذا بالري (الارتواء) قد حل بعد المحل (الجذب). وإذا بـ«جرجان» لدى هطول هذه السحابة وكأنها «يرين» أو «ملحوب» الغيتان بالكلاً. وقد هام التبريزي والصولي وإليلا الحاوي في صحراء التأويلات. ولسنا نشك في أن إتيان أبي تمام يبلدتين في فارس ومكانين في بلاد العرب هو بعض الأعيه، غير أن المعنى هو ما ذكرنا، لا ينطق البيت بغيره

أَيُّهَا الْغَيْثُ حَيَّهْلًا بِمَغْدَا لَكَ، وَعِنْدَ السُّرَى، وَحِينَ تَوُوبُ

أيها المطر حيَّهلاً بمغداك (مرحبا بقدمك صباحاً)، وعند السرى (مساء)، وحين تَوُوب (حين تأتي ليلاً)

لَأَبِي جَعْفَرٍ خَلَائِقُ تَحْكِيهِ هِنٌّ؛ قَدْ يُشْبِهُ النَّجِيبَ النَّجِيبُ

للممدوح خلائق (صفات) تحكيهن أيها المطر (تشبههن)، فالمطر يشبه الممدوح في السخاء؛ ولا عجب فقد يشبه النجيب النجيب

أَنْتَ فِينَا فِي ذَا الْأَوَانِ غَرِيبٌ، وَهُوَ فِينَا فِي كُلِّ وَقْتٍ غَرِيبٌ

أنت أيها المطر غريب إذ تأتي في غير وقتك، وأبو جعفر في كل وقت غريب فهو يفعل من المكارم ما لا يفعل غيره

يَأْخُذُ الزَّائِرِينَ قَسْرًا، وَلَوْ كَفَّ - دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَإِذْ خَصِيبٌ

يصر على استضافة الزائرين، ولو لم يصرَّ لدعاهم إلى زيارته واديه الخصب بسخائه

غَيْرَ أَنَّ الرَّامِي الْمَسْدَدَ يَخْتَا ط، مَعَ الْعِلْمِ أَنَّهُ سَيُصِيبُ

فمع أنهم سيأتون على كل حال فهو يأخذهم قسراً، مثل رامي السهم المسدد (المصوب تصويماً صحيحاً) يأخذ حيطته ويدقق التصويب رغم اطمئنانه إلى أنه سيصيب

١٧٣ وصف القلم

وقال أبو تمام في محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم وصديق أبي تمام. وهو أديب، وسنراه يرثي أبا تمام بأبيات عذبة بعد سنوات:

مَتَى أَنْتَ عَنْ ذُهْلِيَّةِ الْحَيِّ ذَاهِلٌ وَقَلْبُكَ مِنْهَا مُدَّةُ الدَّهْرِ آهْلٌ؟

متى ستذهل (ستنسى) المرأة المقيمة في حي بني ذهل، وقلبك آهل (مملوء) منها طول الزمن؟

مِنْ الْهَيْفِ، لَوْ أَنَّ الْخَلَائِلَ صِيرَتْ لَهَا وَشَحًّا، جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَائِلُ

هذه الفتاة من الهيف (جمع هيفاء أي رشيقة) ولو أن الخلائيل في رجليها صيرت وشحاً (جمع وشاح يلف كفتها وخصرها) لجالت (تحركت) عليها الخلائيل لدقة خصرها

أبا جعفر! إِنَّ الجَهَالَةَ أُمُّهَا وَلَوْدٌ، وَأُمُّ الْعِلْمِ جَدَّاءُ حَائِلٌ
الجهالة منتشرة فأمها كثيرة الأولاد، وأم العلماء جداء (صغيرة الصدر) حائل (غير حبل)
أرى الحَشَوَ والدَّهْمَاءَ أَضْحَوْا كَانَتْهُمْ شُعُوبٌ تَلَاقَتْ دُونَنَا وَقَبَائِلُ
الحشو والدهماء: الرعاع

عَدُّوا وَكَأَنَّ الْجَهْلَ يَجْمَعُهُمْ بِهِ أَبٌ، وَدَوُو الْأَدَابِ فِيهِمْ نَوَاقِلُ
أصبح الرعاع مجتمعين متلاحمين وكان الجهل أب لهم جميعاً فسيهم لذلك واحد، بينما أهل
الأدب بين الرعاع نواقل (متقلون بين القبائل لا نسب لهم)

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابِهِ تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّي وَالْمَفَاصِلُ
أيها الوزير لك القلم الأعلى قدراً الذي تصاب بشبابه (بسنة) الكلّي والمفاصل
(فهو يفعل فعل سن الرمح)

لَهُ الْخَلَوَاتُ اللَّاءُ لَوْلَا نَجِيئُهَا لَمَّا اخْتَفَلَتْ لِلْمُلِكِ تِلْكَ الْمَحَافِلُ
لقلمك خلوات تختلي به فيهن، ولولا نجيتها (المناجاة بين سن القلم ووجه الورقة في هذه
الخلوات) لما اختفلت (اهتمت) المحافل والمجالس بالملك

لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ، وَأَزْيُ الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ
لعاب قلمك (حبره) كلعاب الأفاعي، أو هو كالأري (العسل) الذي تشتاره (تجنّيه) الأيدي
العواسل (التي تجمع العسل)

لَهُ رَيْقَةٌ طَلٌّ، وَلَكِنَّ وَقَعَهَا، بِأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ، وَابِلٌ
ريق قلمك كالطل (الندى) ولكن أثره في كل مكان مثل وابل المطر

فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ، وَأَعْجَمٌ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلٌ
إذا طلبت من قلمك أن ينطق وهو راكب أصابعك فهو فصيح، وإن كان راجلاً (مترجلاً)
فهو أعجم (لا ينطق)

إِذَا مَا امْتَطَى الْخَمْسَ اللَّطَافَ، وَأَفْرَغَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ، وَهِيَ حَوَائِلُ..
إذا ركب قلمك الأصابع الخمس اللطاف (الدقيقة) وأفرغت عليه شعاب الفكر (جداول أفكارك)،
وهي حوافل (زاخرة مملوءة) ..

أَطَاعَتْهُ أَطْرَافُ لَهَا، وَتَقَوَّضَتْ لِنَجْوَاهُ، تَقْوِضُ الْخِيَامِ، الْجَحَافِلُ
عندئذ تطيعه أطراف الأصابع، وتقوض (تهدم) لنجواه (لهمساته فوق الورق) جحافل الجنود مثلما
تقوض الخيام

إِذَا اسْتَغْزَرَ الذَّهْنَ الذَّكِيَّ، وَأَقْبَلَتْ أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ أَسْفَلُ..

إذا استغزر القلم (طلب المدد الغزير) من الذهن الذكي، وأقبلت أعالي القلم لتصبح أسفل على القرطاس (الورق)، أي عندما يصبح سن القلم، وهو أعلاه، منكساً للأسفل استعداداً للكتابة..

وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخِنْصَرَانِ، وَشَدَّدَتْ ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ..

وعندما ترفد القلم (تدعمه) الخنصران (الإصبع الصغير والمجاور له)، وعندما تشد على جهاته الثلاث الأنامل الثلاثة الباقية. لعلك تحسب القلم مستديراً وليست له ثلاث جهات؟ قد أصبت. ولكن، عندما تمسكة بأناملك الثلاث تصبح له ثلاث جهات

رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنَهُ، وَهُوَ مُرْهَفٌ ضَنْئِيٌّ؛ وَسَمِينًا خَطْبُهُ، وَهُوَ نَاجِلٌ

عندئذ ستري شأنه عظيماً رغم أنه مرهف (رفيع) ضئياً (تعباً)، وسترى خطبه (أثره) سميناً رغم نحوله. رفعت كل الروايات التي بأيدينا «شأنه»، و«خطبه»، على الفاعلية للصفة المشبهة، وفي هذا حرمان «رأى» القلبية من أحد مفعوليها بارزاً، واعتبار الصفة المشبهة نائيةً مناب مفعولين، وهذا الوجه البعيد، أو اعتبار المفعول الأول مستتراً بعد «رأى» كأنه قال «رأيته جليلاً شأنه»، وهو الوجه القريب. كأنهم وقفوا بوجل أمام من قال إن الصفة المشبهة رافعة فاعلها حتماً، ومن منع تأخر ما أصله الفاعل في مفعولي «رأى» عما أصله المفعول، ولا نرى المنع مع توفر القرينة. وقد قرأنا البيت بإضمار فاعل الصفة المشبهة، وإبراز المفعول الأول المؤخر لرأى القلبية. ذلك أن الذهن يتقرب مفعولاً ثم لا يجده، ولا بد للمرء من العود إلى البيت وقراءته مرتين أو ثلاثاً قبل أن تنجلي له الصورة القريبة «رأيته جليلاً شأنه». ورأينا قراءتنا توصل إليك المعنى سائفاً من المرة الأولى، والله أعلم

أَرَى ابْنَ أَبِي مَرْوَانَ: أَمَّا عَطَاؤُهُ فَطَّامٌ، وَأَمَّا حُكْمُهُ فَهُوَ عَادِلٌ

عطاء الممدوح طام (طافح كثير غير معتدل)، وحكمه عادل ليس فيه زيادة ولا نقصان

هُوَ الْمَرءُ: لَا الشُّورَى اسْتَبَدَّتْ بِرَأْيِهِ، وَلَا قَبَضَتْ مِنْ رَاحَتَيْهِ الْعَوَاضِلُ

الشورى لا تجعله متردداً بل يظل له رأي قاطع، والعوادل (اللائمون له على جوده) لا يقبضون يده عن السخاء

أَبَا جَعْفَرٍ! إِنَّ الْخَلِيفَةَ، إِنَّ يَكُنْ لِرُؤَادِنَا بَحْرًا، فَإِنَّكَ سَاحِلٌ

الخليفة هو البحر (يقصد النهر) للواردين منا، وأنت ساحل هذا البحر

وَلَوْ حَارَدَتْ شَوْلٌ عَذَرْتُ لِقَاحَهَا، وَلَكِنْ حُرِمْتُ الدَّرَّ، وَالضَّرْعُ حَافِلٌ

لو حاردت (امتنعت من الحلب) شول (مجموعة نياق قليلة اللبن) لعذرت لقاحها (ناقاتها)، ولكنني حرمت الدَّرَّ (اللبن) وضرع الناقة حافل (ممتلئ لبناً)

مَنْحَنُكُهَا تَشْفِي الْجَوَى، وَهُوَ لَا عِجَّ وَتَبَعْتُ أَشْجَانَ الْفَتَى، وَهُوَ ذَاهِلٌ

منحك هذه القصيدة التي تشفي الجوى (الحزن) وهو لا عِجَّ (محرق)، والتي تبعث أشجان (نحيب) أشجان الفتى وهو ذاهل (ناسٍ) عن الحزن

فَكَيْفَ إِذَا حَلَّيْتَهَا بِحُلِيِّهَا تَكُونُ، وَهَذَا حُسْنُهَا وَهِيَ عَاطِلٌ؟
فكيف تكون قصيدتي لو أنك حليتها بما يناسبها من الحلي (أي العطايا)، وهي حسنة جداً الآن وهي عاطل (بدون حلي)؟

أَكَابِرْنَا عَظْفًا عَلَيْنَا، فَإِنَّا بِنَا ظَمًا مُرِدًا، وَأَنْتُمْ مَنَاهِلُ
مرد (ميمت)، مناهل (موارد الماء)

فلما قرأ محمد بن عبد الملك الزيات هذه القصيدة استعجبا من جفائه، لكنه احتج على صديقه الشاعر بأنه مدح غيره ممن هم دونه، وبأن إكثار مدحه الناس زهد فيه، فقال ابن الزيات:

رَأَيْتُكَ سَمَحَ الْبَيْعِ سَهْلًا، وَإِنَّمَا يُغَالِي، إِذَا مَا ضَنَّ بِالشَّيْءِ، بَائِعُهُ
رأيتك سمح البيع (متساهلاً)، ويجب على البائع أن يغالي (يرفع سعر) الشيء إذا كان حقاً يضمن به (يقدره عالياً)

فَأَمَّا الَّذِي هَانَتْ بَضَائِعُ بَيْعِهِ، فَيُوشِكُ أَنْ تَبْقَى عَلَيْهِ بَضَائِعُهُ
والذي تهون عليه بضائعه يوشك أن يراها كاسدة وباقية عنده، يقول: كذلك الأشعار إن مدحت بها الكثيرين زهدنا فيها، وكسدت

فقال أبو تمام وكتبها إليه:

أَبَا جَعْفَرٍ إِنْ كُنْتُ أَضْبَحْتُ شَاعِرًا أَسَاهِلُ فِي بَيْعِي لَهُ مَنْ أَبَايَعُهُ
فقد كنت قبلي شاعراً تاجراً به تُسَاهِلُ مَنْ عَادَتْ عَلَيْكَ مَنَافِعُهُ
فَصِرْتُ وَزِيرًا، وَالْوِزَارَةُ مَكْرَعٌ يَغْصُ بِهِ بَعْدَ اللَّذَازَةِ كَارِعُهُ
بعد أن كنت شاعراً صرت وزيراً، والوزارة مكرع (مشرب) يلذه كارهه (الشارب منه) حيناً ثم يغص به
وَكَمْ مِنْ وَزِيرٍ قَدْ رَأَيْنَا مُسَلِّطًا، فَعَادَتْ، وَقَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِ مَطَالِعُهُ
كثيراً ما رأينا وزيراً متسلطاً ثم بعد ذلك سدت عليه مطالعه (انسدت الأبواب في وجهه وعزل)

وَلِلَّهِ قَوْسٌ لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا وَلِلَّهِ سَيْفٌ لَيْسَ تَنْبُو مَقَاطِعُهُ

عقب محمد عبده عزام محقق «شرح التبريزي على ديوان أبي تمام» تعقياً طيباً على هذه القطعة الأخيرة، فشك في أنها لأبي تمام، فلا يجترئ المرء هذا الاجترار على رجل كابن الزيات الذي نعرف كيدته وبطشه. وقد يزيديني شكاً في القطعة الأخيرة أن ابن الزيات لاقى فعلاً هذا المصير فقد قتله المتوكل شر قتلة، فكان الأبيات وُضعت وضعاً بعد مقتل ابن الزيات لتكون كأنها النبوءة. ويحكي لنا الجاحظ أن ابن الزيات اتخذ تنوراً من حديد فيه مسامير بارزة إلى الداخل يضع الناس فيه ويعذبهم حتى الموت. ثم إن المتوكل وضعه في تنوره وقتله بعد أن أذاقه سوء العذاب. وكان ابن الزيات - وهذا ما يقلل من شكنا في أن القطعة الأخيرة قيلت له - شاعراً رقيقاً يحب الشعراء، وكان لأبي تمام صديقاً، وكانت في أبي تمام جرأة على الوزراء المتأدبين، عليها هنا في

مجموعتنا شواهد (القوائد رقم: ١١٥، و١٣٠، و١٥٩، و١٧٠، و١٨٠)

١٧٤ الخوض في لجة اللؤم

يمدح إسحق بن إبراهيم المصعبي:

والدهرُ ألامُ مَنْ شَرِقَتْ بِلُؤْمِهِ، إِلَّا إِذَا أَشْرَقَتْهُ بِكَرِيمِ
الدهرُ ألامُ ما وقف في حلقك وشرقت به، والحل أن تُشرقَه (أن تجعله هو يشرق) بشخص كريم
يكف أذاه عنك

ولقد نَكُونُ، ولا كريمَ نَنَالُهُ حَتَّى نَخُوضَ إِلَيْهِ أَلْفَ لَثِيمِ

مثلاً تفتح آلاف المحارات وترميها حتى تأتي المحارة التي تضم لؤلؤة، نحن نخوض في بحر طام
من أبيات أبي تمام المفتعلة؛ لماذا يا ترى؟ لكي نعر على بيت رائع كهذا يتحدث عن الخوض في
ألف لثيم قبل العثور على كريم

١٧٥ ولي الأمر

قال في إسحق بن إبراهيم:

وَلَيْتَ الْمُسْلِمِينَ فَلَمْ تُضَيِّعْ أُمُورَهُمُ الصَّغَارَ، وَلَا الْكِبَارَ
إِذَا مَا كَانَ جَارَكَ مُضَعَبِيًّا فَلَا ضَيْرًا تَخَافُ، وَلَا افْتِقَارًا

١٧٦ الويل للذهب وللفضة

يمدح إسحق بن إبراهيم، ويذكر إيقاعه بالمحبرة بأصحاب بابك، وكانوا تواعدوا
إلى موضع علم به، فوقف لهم فيه، فكل من جاء قتل وحرّز أذنه، حتى وجّه إلى
المعتصم بستين ألف أذن:

أَلَا إِنَّ النَّدَى أَضْحَى أَمِيرًا عَلَى مَالِ الْأَمِيرِ أَبِي الْحُسَيْنِ
إِذَا يَدُهُ بِنَائِلِهِ اسْتَهَلَّتْ فَوَيْلٌ لِلنُّضَارِ وَلِلْجَيْنِ

استهلت: أمطرت، بنائله: بعبائه، النضار: الذهب، اللجين: الفضة

نَوَالِكَ رَدَّ حُسَّادِي فُلُولًا، وَأَضْلَحَ بَيْنَ أَيَّامِي وَبَيْنِي

١٧٧ لات حين تنصّل

يمدح إسحق بن إبراهيم، قائد شرطة بغداد:

مَشَتْ قُلُوبُ أَنْاسٍ فِي صُدُورِهِمْ لَمَّا تَرَاءَوْكَ تَمْشِي نَحْوَهُمْ قُدَمَا
تحركت قلوب بعض الناس داخل صدورهم، خوفاً، لما تراءوك (راءوك متجهاً نحوهم

أَمْطَرْتَهُمْ عَرَمَاتٍ: لو رَمَيْتَ بها، يَوْمَ الْكَرْبَةِ، رُكِّنَ الدَّهْرُ لَانْهَدَمَا
يوم الكربة (المعركة)

رَاحَ التَّنَصُّلُ مَعْقُوداً بِالسُّنَنِمْ لَمَّا عَدَا السَّيْفُ فِي أَعْنَاقِهِمْ حَكَمًا
كَانُوا عَلَى عَهْدِ كَسْرَى فِي الزَّمَانِ، وَلَنْ
فِي الزَّمَانِ؟ لَعَلَّ هَؤُلَاءِ الْعَصَا كَانُوا فِي بِلَدٍ لَمْ يَحْكَمْهُ كَسْرَى (فِي الشَّامِ مَثَلًا) وَلِذَلِكَ قَالَ «فِي
الزَّمَانِ» أَيَّ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى زَمَانٍ كَسْرَى، لَكِنْ لَمْ يَثُورُوا عَلَى كَسْرَى نَفْسَهُ؟ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
فِي كُلِّ جَوْشَنِ دَهْرٍ مِنْهُمْ فِئَةً تُرْحِي رَحَى فِتْنَةٍ قَدْ أَشْجَتِ الْأُمَمَا
فِي جَوْشَنِ (صَدْر) كُلِّ عَصْرٍ فِتْنَةٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْعَصَا تَرْحِي (تَدِير) رَحَى (حَجَرٍ طَاحُونٍ) فِتْنَةً أَشْجَتِ
(أَقْلَقَتْ) الْأُمَمَ

حَتَّى إِذَا أَيْنَعَتْ أُنْمَارُ مُدَّتِيهِمْ أَرْسَلَكَ اللَّهُ لِلْأَعْمَارِ مُضْطَرِمًا
حَتَّى إِذَا أَيْنَعَتْ (نَضَجَتْ) أُنْمَارُهُمْ وَبَرَزَ عَصِيَانُهُمْ جَلِيًّا، أَرْسَلَكَ اللَّهُ لَكَ تَصْطَرِمُ (تَقْطَعُ) أَعْمَارَهُمْ
أَطَعَتْ رَبِّكَ فِيهِمْ؛ وَالْخَلِيفَةُ قَدْ أَرْضَيْتُهُ، وَشَفَيْتِ الْعُرْبَ وَالْعَجَمَا
نَرَكْتَهُمْ سَبْرًا، لَوْ أَنَّهَا كُنِبَتْ لَمْ تَبْقَ فِي الْأَرْضِ قِرْطَاسًا وَلَا قَلَمًا
جَعَلْتَهُمْ فِي خَيْرِ كَانٍ، مَجْرَدِ سِيرٍ (أَخْبَارٍ) لَكِنَّا كَثِيرَةٌ وَمِلَّةٌ بِالتَّفَاصِيلِ

سَمَاهُمْ الْبَطْرُ الْأَسَدَ الْغَضَابَ، فَلَمْ تَهْجَعْ سَيُوفُكَ حَتَّى صَبَّروا نَعْمًا
بَطْرُهُمْ (جُحُودُهُمُ النِّعْمَةُ) جَعَلَهُمْ فِي عَيُونِ النَّاسِ شُجْعَانًا، فَلَمْ تَهْجَعْ (تَنْمِ) سَيُوفُكَ حَتَّى جَعَلْتَهُمْ
نَعْمًا (مَوَاشِي مَذَلَّةً)

وَلَتْ شِبَاطِيْنُهُمْ عَنْ حَدٍّ مَلْحَمَةٍ كَانَتْ نَجُومُ الْقَنَا فِيهَا لَهُمْ رُجْمًا
هَرَبَتْ شِبَاطِيْنُهُمْ عَنْ مَعْرَكَةٍ كَانَتْ فِيهَا أَسْنَةُ الرَّمَاحِ كَالنَّجُومِ، وَكَانَتْ لَهُمْ رُجْمًا (شَهَابًا يَرْمِي بِهَا اللَّهُ
الشَّيَاطِيْنَ)

١٧٨ كلمات تنهمر من عينيها

وقال يعرّض بإسحق بن إبراهيم المصعبي لأنه حجة:

بَسَطْتُ إِلَيَّ بَنَانَةً أُسْرُوعًا تَصِفُ الْفِرَاقَ، وَمُقَلَّةً يَنْبُوعًا
أَشَارَتْ إِلَيَّ بِنَانَةً (أَنْمَلَةً) كَالْأَسْرُوعِ (كَالدَّودَةِ) فَكَأَنَّ هَذِهِ الْإَصْبَعَ النَحِيلَةَ تَصِفُ الْفِرَاقَ (تَنْبِيءًا) عَمَّا
سَيَعْمَلُهُ الْفِرَاقُ بِجَسْمِي مِنْ نَحُولٍ وَكَانَتْ مَقْلَتَهَا يَنْبُوعًا مِنَ الدَّمْعِ. هَذَا هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي لِمَحْتِهِ،
وَلَمْ أَوْفُقْ إِلَى خَيْرٍ مِنْهُ. وَتَشْبِيهُ أَصَابِعِ الْفَتَيَاتِ بِالْأَسَارِيعِ (الذِّيدَانِ) سَنَةً سَنَهَا أَمْرُ الْقَيْسِ فِي
مَعْلَقَتِهِ، وَحَقٌّ لِلْأَمْدِيِّ أَنْ يَسْتَقِلَّ هَذَا مِنْ أَبِي تَمَامٍ

كَادَتْ لِعِرْفَانِ النَّوَى أَلْفَاظُهَا، مِنْ رِقَّةِ الشَّكْوَى، تَكُونُ دُمُوعاً
لمعرفتها بوشك الفراق كادت كلماتها أن تكون دموعاً

وَمُحَجَّبٍ حَاوَلَتْهُ، فَوَجَدْتُهُ نَجْماً عَلَى الرُّكْبِ الْعُقَاةِ شُسُوعاً
رب أمير محبوب حاولت الاتصال به فوجدته نجماً شُوعاً (بعيداً) عن الركب (المقبلين من سفر)
العقاة (الفقراء)

لَمَّا عَدِمْتُ نَوَالَهُ، أَعْدَمْتُهُ شُكْرِي، فَرَحْنَا مُعْدِمِينَ جَمِيعاً
المعديم: الفقير

١٧٩ الشكوى فائض البلوى

بستبطيني إسحق بن إبراهيم:

شَكْوْتُ، وَمَا الشَّكْوَى لِمِثْلِي عَادَةً، وَلَكِنْ تَفِيضُ النَّفْسِ عِنْدَ امْتِلَائِهَا

١٨٠ وسائل شعر

يعاتب ويمدح إسحق بن إبراهيم بن مصعب المصعبي الخزاعي (صاحب شرطة
بغداد لعهد المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، وله حملات مهمة خارج بغداد
وتوفي سنة ٢٣٥):

إِنِّي، وَإِنْ كَانَ قَوْمٌ مَا لَهُمْ سَبَبٌ إِلَّا قَضَاءُ كَفَاهُمْ دُونِي السَّبَبَا ..
الذين فازوا بالعطايا لم يكن لهم سبب، واسطة، بل كان لهم حظ، بقضاءٍ وَقَدَرٍ، وكفاهم القضاء
السبب، عوضهم القضاء عن وجود واسطة، دوني (أي بخلافي، فأنا صاحب واسطة هي أدبي
الغزير وقربي من الممدوح) ..

لَمُضْمِرٍ غُلَّةٌ فِي الْقَلْبِ، يُضْرِمُهَا أَنِّي سَبَقْتُ، وَتُعْطِي غَيْرِي الْقَصَبَا
إني لمضمر في قلبي غلة (حقداً) يضرمها (يشعلها) أنني أنا السابق، ومع ذلك يأخذ القصة غيري.
وكانوا في سباق الخيل يفرسون في الأرض قصة فمن سبق نزاعها وعاد بها، ومن هنا قولنا «فاز
بقصب السبق»

وَنَادِبٌ رِفْعَةً قَدْ كُنْتُ أَمْلُهَا لَدَيْكَ؛ لَا فِضَّةً أَبْكِي وَلَا ذَهَباً
أندب (أبكي) رفعة شأن كنت أمل الحصول عليها عندك، فلم أكن أطمع في فضة ولا في ذهب

إِحْفَظْ وَسَائِلَ شِعْرِ فَيْكِ، مَا ذَهَبَتْ خَوَاطِفُ الْبَرْقِ إِلَّا دُونََ مَا ذَهَبَا
احفظ وسائل شعر (أشعار كانت وسائل لنيل العطية) قلتها فيك، وقد انتشرت بمدحك في الآفاق
أكثر من انتشار البرق الخاطف

فلا تُضِعْهَا؛ فما في الأرضِ أحسنُ مِن نَظْمِ القَوافي إذا ما صادفتَ حَسَبًا
يَعْدُونَ مُعْتَرِبَاتٍ فِي البِلَادِ، فما يَزَلْنَ يُؤْنِسْنَ فِي الآفاقِ مُعْتَرِبًا
هذه الأشعار تغترب في البلاد، وتؤنس في الآفاق (المناطق القصية) الغبراء

أَدْعُوكَ دَعْوَةَ مَظْلُومٍ وَسَيَلَتَهُ. إن لم تُكُنْ بِي رَحِيمًا، فَارْحَمِ الأَدْبَا
أدعوك دعوة شخص مظلوم وسيلته (مظلوم حقه، وقد أنكرت عليه الوسيلة التي بها يتوسل، أي
تجاهلت قصائده). وقد قرأنا البيت قراءتنا، وللصولي والتبريزي فيه كلام

١٨١ ليتني كنت ترابا

أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ مَالَتْ بِصَغُورِهَا إِلَى خَطَرَاتٍ قَدْ نَتَجَنَّ أَمَانِيَا:
أقول لنفسي حين مالت بصغورها (بميلها) إلى خطرات (أفكار) قد نتجن (وُلدَن) على شكل
أمانيات...

هَبِّينِي مِنَ الدُّنْيَا ظَفِرْتُ بِكُلِّ مَا تَمَنَّيْتُ، أَوْ أُعْطِيتُ فَوْقَ أَمَانِيَا
افرضي، يا نفسي، أنني نلت كل ما أتمنى، وزيادة

أَلَيْسَ اللَّيَالِي غَاصِبَاتِي بِمُهْجَتِي؟ كَمَا غَصَبَتْ قَبْلِي الْقُرُونُ الْخَوَالِيَا
أليست الليالي ستغصبي (تسلبي) روحي؟ ككل من مضى قبلي؟

فَبَا لَيْتَنِي، مِنْ بَعْدِ مَوْتِي وَمَبْعَثِي، أَكُونُ رُفَاتًا: لَا عَلَيَّ، وَلَا لِيَا
أَخَافُ إِلَهِي، ثُمَّ أَرْجُو نَوَالَهُ، وَلَكِنْ خَوْفِي قَاهِرٌ لِرَجَائِيَا
ولولا رَجَائِي، وَاتِّكَالِي عَلَى الَّذِي تَوَحَّدَ لِي بِالصَّنْعِ كَهْلًا وَنَاشِيَا...
الصنع: الإحسان، ناشياً: ناشئاً

لَمَّا سَاعَ لِي عَذْبٌ مِنَ الْمَاءِ بَارِدٌ، وَلَا طَابَ لِي عَيْشٌ، وَلَا زِلْتُ بِأَكْيَا
عَلَى إِثْرِ مَا قَدْ كَانَ مِنِّي صَبَابَةً لَيَالِي فِيهَا كُنْتُ لِلْوَغَاصِيَا
صباة: شغفاً

١٨٢ إخوة في الأدب

يمدح علي بن الجهم الشاعر، وقد جاء علي يودعه لسفرٍ أرادَه علي، وكان له
صديقاً:

وَإِذَا فَقَدْتَ أَخَا، وَلَمْ تَفْقِدْ لَهُ دَمْعًا وَلَا صَبْرًا، فَلَسْتَ بِفَاقِدٍ

إِنْ يُكْدِ مُطَرَفُ الْإِخَاءِ، فإِنَّا نَغْدُو وَنَسْرِي فِي إِخَاءِ تَالِدِ
 (يفشل) مطرف الإخاء (الصداقة الجديدة)، فنحن نغدو ونسري (نذهب صباحاً ونعود مساءً)
 في صداقة تالدة (قديمة)

أَوْ يَخْتَلِفُ مَاءُ الْوِصَالِ فَمَاؤُنَا عَذْبٌ تَحَدَّرَ مِنْ غَمَامٍ وَاحِدٍ
 وإذا اختلف ماء الوصال (ها قد جعل للوصال ماء)، فماؤنا تحدر (انصب) من غمام واحد
 أَوْ يَفْتَرِقُ نَسَبٌ، يُؤَلَّفُ بَيْنَنَا أَدَبٌ أَقْمَنَاهُ مَقَامَ الْوَالِدِ
 وإذا اختلفنا نسباً أُلِّفَ بيننا (جمعنا) الأدب الذي جعلناه في مقام الوالد (النسب)

١٨٣ الشعر والكيمياء

يَعَاتِبُ عَلِيٌّ بَنَ الْجَهْمِ وَيَطْلُبُ إِلَيْهِ انْتِجَازَ وَعْدٍ مِنْ عَثْمَانَ بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ بَدْرِ الشَّامِيِّ:
 بِأَيِّ نُجُومٍ وَجْهِكَ يُسْتَضَاءُ أَبَا حَسَنِ! وَشَيْمُكَ الْإِبَاءُ
 نريد أن نستضيء بك، ونتنفع نفعاً لا يضرك ولا ينقص منك شيئاً، نريدك واسطة فقط؛ ونحن نعلم
 أن خلقك الإباء ولهذا صعب عليك التوسط

أَتَتْرُكُ حَاجَتِي غَرَضَ التَّوَانِي؟ وَأَنْتَ الدَّلُوفُ فِيهَا، وَالرِّشَاءُ
 أترك حاجتي غرضاً للتواني (للكسل)، وأنت لها كل شيء: الدلو والرشاء (الحبل)

تَأَلَّفَ آلَ إِدْرِيسَ بْنِ بَذْرِ؛ فَتَسْبِيبُ الْعَطَاءِ هُوَ الْعَطَاءُ
 تألف القوم (اجعل قلوبهم ودودة لنا)، فالواسطة لتسبب العطاء هي كالعطاء نفسه

وَحُذِّهِمْ بِالرُّقَى، إِنَّ الْمَهَارِي يُهَيِّجُهَا عَلَى السَّيْرِ الْحُدَاءِ
 وخذهم بالرقى (التعاويذ/ يقصد الكلام اللطيف)، فالمهاري (الإبل الأصيلة) يحثها الحداء (الغناء
 الموقع) على السير

فَإِمَّا جَارَ مِنِّي الشَّعْرُ فِيهِمْ، وَإِمَّا جَارَ مِنْكَ الْكِيمِيَاءُ
 فإما أن ينفع شعري في تليينهم، أو ينفع منك الكيمياء (التحايل)

١٨٤ ملتقى الدموع

يمدح إسماعيل بن شهاب ويشكره:

دِمْنٌ طَالَمَا التَّقَتْ أَدْمُعُ الْمَرْءِ نِ عَلَيْهِا، وَأَدْمُعُ الْعُشَّاقِ
 أطلال المحبوبة يسقيها دمع المزن (السحاب) وتسقيها دموع العشاق، فيلتقي المطر والدمع فيها

حَفِظَ اللّٰهُ، حَيْثُ يَمَمَ، إِسْمَا عَيْلُ، وَلَيْسَقِهِ مِنَ الْغَيْثِ سَاقِ

ليحفظ الله إسماعيل أين يمم (حيثما توجه)، وليسقه الغيث

قَدْ سَقَتْنِي الْأَيَّامُ مِنْ يَدِهَا سُمًّا - أَا، لِفَقْدِي لَهُ، بِكَأْسٍ دِهَاقِ

كأس دهاق (ممتلئة)

وَشَجَّتْ بَيْنَنَا الْأُخُوَّةُ؛ إِنَّ الْ - وَدَّ عِرْقُ زَاكِ مِنَ الْأَعْرَاقِ

وشجت (تشابكت)

لَوْ تَرَى ذَبَّهُ هُنَالِكَ دُونِي لَمْ تَلْمَنِي فِي حُبِّ أَهْلِ الْعِرَاقِ

ذبه دوني: محاماته عني

١٨٥ سال بك السيل

يهجو عبد الله الكاتب:

إِثْطَعُ جِبَالِي، فَقَدْ بَرِمْتُ بِكََا وَخَلَّنِي، حَيْثُ شِثْتُ، مِنْ يَدِكََا

أَنْتَ كَثِيرُ الْأَلْوَانِ مُشْتَرَكٌ فَاطْلُبْ خَلِيلًا سِوَايَ مُشْتَرَكَا

أنت شخص متلون، ومشارك (لا تخلص الود للصديق، بل تشارك في أسراره الآخرين)

فَاذْهَبْ، إِلَى حَيْثُ شِثْتُ، مُنْطَلِقًا سَالَ بِكَ السَّيْلُ حَيْثُمَا سَلَكََا

١٨٦ فوق الشرك

يهجو عبد الله الكاتب:

هَلِ اللّٰهُ لَوْ أَشْرَكْتُ كَانَ مُعَذِّبِي بِأَكْثَرٍ مِنْ أَنِّي لِجَاهِكَ آمِلُ

١٨٧ ما أضيق الغمد بغير نصله

يهجو صالح بن عبد الله الهاشمي:

وَسُوقَةٌ فِي قَوْلِهِ وَفَعَلِهِ

سوقة: سوقي

بَذَلْتُ مَذْحِي فِيهِ، بَاغِي بَذْلِهِ

طالباً بذله (عطائه)

فَجَذَّ حَبْلَ أَمْلِي مِنْ أَضْلِهِ

جذَّ: قطع

مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَعْبَدَنِي بِمَظْلِهِ

مطله : ماطلته

يَا وَاحِدًا مَقْتَدِرًا بِعَدْلِهِ

أَلْبَسَتْهُ الْغِنَى فَلَا تُمَلِّهِ

جعلته غنياً فلا تمله (لا تجعله يتمتع طويلاً)

مَا أَضْيَقَ الْغَمْدَ بِغَيْرِ نَصْلِهِ

ما أضيق (ما أشد ضيق وانزعاج) الغمد عندما يدخل فيه نصل غير نصله الأصلي

وَالشُّعْرَ، مَا لَمْ يَكْ عِنْدَ أَهْلِهِ

وكذا الشعر ما أشد انزعاجه عندما يكون عند من لا يستحقونه

١٨٨ إن كنت ممن يفكر

وقال في الوعظ والزهد :

وَقَدْ يَسْتُرُ الْإِنْسَانُ بِاللَّفْظِ فِعْلَهُ فَيُظْهِرُ مِنْهُ الطَّرْفُ مَا كَانَ يَسْتُرُ

الطرف : النظر

تَذَكَّرْ، وَفَكَّرْ فِي الَّذِي أَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهِ عَدَاً، إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يُفَكِّرُ

فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَصِيرَ لِحُفْرَةٍ بِأَثْنَائِهَا تُظَوِّي، إِلَى يَوْمٍ تُنْشَرُ

بأثنائها : في داخلها، تنشر : تُبعث يوم القيامة

تم الشرح في ثاني أضحى عام ١٤٣٢، الموافق للثامن من نوفمبر/تشرين الثاني عام ٢٠١١

فهارس أبي تمام

فهرس القوافي

(القافية فرقم القطعة)

والْعَصْبُ ٦	الأنواء ٥٤
وَيْبُ ١٥٨	الإباء ١٨٣
أَدِيبٍ ١٢	سواء ٢٩
أَدِيبٍ ١٥٧	الخلفاء ١٣٩
الأَحْسَابِ ١٢٧	سُجْرَانِي؟ ١١٩
الترابِ ١١٧	امتلائها ١٧٩
السَّوَاكِبِ ١٠٢	السَّيِّا ١٨٠
عَتَّابٍ ٧٧	الْكَلْبَا ٤٣
عَجَبٍ ١٥٢	المغَارِيا ١٥٤
مُتَقَبٍ ٧٥	ثُرْبَا ٢٧
واللَّعِبِ ١٤٠	تَصُوبَا ٨٢
والثُّوبِ ١٦	والصَّابَا ٤٤
طَالِيَهُ ١٠٨	الْحَطْبُ ٩٨
وَصِيَهُ ١٢٣	المكروِبُ ١٧٢
وَأَيَّتِ ١٢٤	جَدِيبُ ١٠٥
وَفَاتَهَا ٤٥	كَيْبُ ١٠٤
رِنَانَا ٧٦	والآدَابُ ٢٠

وَجَدَهُ ٥٩	أَحْبَى ٥٦
خَدَهُ ٦٠	حَرَجًا ٨٨
وَدِدَهُ ٩٧	تَلَوُّحُ ٢٦
يَدِكَ ١٨٥	السَّفَاحِ ٤٦
اسْتَظَّارَا ٥٧	وَصُدُودًا ١٠٠
الْكِبَارَا ١٧٥	النَّقْدُ ٢٥
الْأُخْرُ ٢٨	رَدُّ ١١٣
الْأَوْطَارُ ٩١	عَدَدُ ٨٣
الْخَنَازِيرُ ١٠	وَلَدُوا ٣٣
الْخِيَارُ؟ ١١٥	الْبَيْدِ ١٣٢
الدَّهْرُ ٤٢	الْجَسَدِ ٤٧
الصدورُ ٥	الفؤادِ ١٦٣
الْقَدْرُ ١٣٧	الْقُودِ ١٠٩
صَدْرُ ١٤	المجدي ٢١
عُذْرُ ٣٥	الوادي ١٩
والخيرُ ١١	الوَجْدِ ١٢١
والعَبْرُ ٦١	بِفَاسِدٍ! ١١٤
يَتَكَسَّرُ ١٤١	بِفَاقِدٍ ١٨٢
يَسْتُرُ ١٨٨	دُؤَادٍ ١٦٤
أَغْفَرِ ٢	قَرَدَدٍ ١٣٦
الْفَائِرِ ٦٢	لَيْبِ ١٦٥
الْمَتَحَيِّرِ ١٢٩	مَرْقَدٍ ٨٧
حَذَارٍ ١٤٥	نَوَاشِدٍ ١٠١
فَاجِرٍ ٨٩	وَنَالِدٍ: ٩٩
أَمِيرُهَا؟ ١٧	وَتَعْتَدِي ٨٦
أَمِيرُهَا؟ ٩٢	وَقُدِي ١٢٥

عَقَالَا ٩٠	انْهَمَارُهَا ١٧٠
مَعْقُولَا ٣٧	مَصَادِرُهُ؟ ١٢٢
يَأْفَلَا ١١٠	قُدْمُوسَا ١٨
التَّكَلُّ ١٦٨	الْأَدْرَاسِ ١٤٨
الطَّرُّ ١٤٦	أَنْقَاسِ ٧٣
آمِلُ ١٨٦	مَضَى ٥٨
أَهْلُ؟ ١٧٣	الْقَرِيضُ ١
شَمَائِلُ ٤١	جَرَضُ ٣
لَبْخِيلُ ٣٢	بِالْعَرَضِ ٤٨
مُقْبِلُ ١٠٣	وَالْأَعْرَاضِ ١٦٦
أَنْكَلِ ٦٥	بَلَقْعَا ٣١
التَّبَلِ ١٣	يُنْبُوْعَا ١٧٨
الرَّزْمِلِ ١٦٠	جَارِعُ ١٥
المَسْبِلِ ١٦٧	مَهْبِغُ ٨٤
يَتَوَالِ ١٥١	يَمْتَنِعُ؟ ٣٠
بِطَائِلِ ٢٢	ذِرَاعِي ١٢٦
سُلْسِيلِ ١٣٠	لَطِيفَا ٨٥
مَوَاكِلِ ١٤٢	وَنَبَقَا ٤
وَصِيَالِ ١٤٤	الْأُنُوفِ ١٣٣
وَسِيلِي ٧	الصَّادِقُ ١١١
وَأَسْفَلُهَا .. ٧٨	تَشَدَّقُ ٢٤
تُحَاوِلُهُ ١٤٧	تُطْقِ ١٠٧
مَرَاكِجُهُ ٨٠	السِّيَاقِ ٤٩
نِضَالِهِ ١٠٦	مُمَرَّقِي ١٦٢
وَفَعْلِهِ ١٨٧	الْعُشَاقِ ١٨٤
تُنِيمَا ٩٥	قَفَاكََا ٦٣

وَأُحْتَمِمْ ٦٦	دَمًا ٦٨
وَذِمَامٍ ١٤٩	رَحِيمًا ٣٤
دَمُهُ ٣٦	قُدَمًا ١٧٧
نَعِيمُهَا ١١٢	أَقْدَمُ ٨١
قَسِمَةُ ٨	الإِلْمَامُ ١٣٨
رَاجِعُونَا ٥٢	تَتَهُمُ ١٥٩
الَّذِينَ ١٤٣	تَسْتَنِيْمُ ١٧١
الشُّجُونُ ٧٠	حَمِيمٌ ١٣٤
عُيُونُ ٧١	سُلْمُ ١٢٠
فَيَكُونُ ١٥٠	عَالَمُ ١٦٩
الثَّانِي ٩٦	فَهُمْ ١٥٥
الحَسِينِ ١٧٦	لَلَّيْمُ ٩
المَعَانِي ٦٩	تَتَكَلَّمُ ٦٧
الْوَسَنِ ٥٣	الأَعْظَمِ ١١٦
الْيَمَنِ ٣٩	الْحَذِمِ ٩٣
بِأَوْطَانِ ٥٠	الكَرَمِ ٤٠
غُضَنِ ٧٢	المَكَارِمِ ٧٩
وَأَحْزَانِي ١١٨	بِالسَّلَامِ ٢٣
وِإِخْوَانِي ١٥٦	بِكَرِيمِ ١٧٤
أَمَانِيَا: ١٨١	خَزَائِمِ ١٢٨
زَمَانَهَا ٥١	رَحِيمِ ٣٨
بِأَغْصَانِهِ ١٣١	سُعُومِ ١٣٥
بِطَيِّ ١٦١	عَزَائِمِي؟ ٩٤
نَاطِرِيكََا ٦٤	مُنْهَدِمِ ٧٤
	نَظْمِي ١٥٣

القطع المنتخبة بأسمائها وأوصافها

الأرقام أرقام القصائد لا الصفحات

- ١ فيضان حسب الطلب: ٣ أبيات/ لعياش بن لهيعة بمصر
- ٢ لو كنتَ حبلى لولدت: ١١ بيتاً/ فيها نسيب وعتاب مر مع سخرية
- ٣ كل أمري فيك متقضى: ٣ أبيات/ فيها قلقه بمصر
- ٤ المطول والملحف: ٣ أبيات/ في عتاب عياش
- ٥ البشر روض والعطاء غدیر: ٥ أبيات/ عن العبوس والبشاشة
- ٦ لا رضىبتم: ٤ أبيات/ هجاء ناعم لعياش
- ٧ ظلمتك: ٦ أبيات/ وهجاء أقوى قليلاً
- ٨ الغبرة على الأرغفة: ٣ أبيات/ هجاء ساخر من عياش
- ٩ جردت في ذمك خيل قصائد: ٧ أبيات/ هجاء حائق لعياش بن لهيعة
- ١٠ أيدٍ صخور وأعراضٌ قوارير: بيتان/ فيهما حنق
- ١١ القبر المقبور: ٣ أبيات/ في هجاء لعياش بعد موته
- ١٢ الغريب.. والعجيب: ٣ أبيات/ في هجاء الشاعر السراج
- ١٣ الشامي المغترب في مصر: ١٦ بيتاً/ مرارة الغربة بمصر وشوق للشام
- ١٤ فما يهتدي إلا لأصفرها الشعر: ١٩ بيتاً/ في اليأس من مصر وفخر طائي قبلي
- ١٥ مجد طيء: ٢٣ بيتاً/ من الفخر القبلي الصرف
- ١٦ أدركتني حرفة الأدب: ١٠ أبيات/ يائس وفقير، نهم للمال
- ١٧ منأ أميرها: ٣ أبيات/ من الفخر اليماني ..
- ١٨ الرئيس والمرؤوس: ١٠ أبيات/ مدح قائد دمشقي
- ١٩ المداح المحترف: ٤ أبيات/ يمدح القائد ويمدح شعره

- ٢٠ صحراء عليها باب: ٣ أبيات/محبوباً ساخطاً
- ٢١ أمدحك مع الخلق وأهجوكم وحدي: ٦ أبيات/مدح مشهور له
- ٢٢ رياض الباطل: ٣ أبيات/خية أمل من الممدوحين
- ٢٣ السلام عليك، يا أبا تمام!: بيتان/رجل يسلم عليه وأبو تمام لا يريد
- ٢٤ ما كل رؤيا تصدق: ١١ بيتاً/هجاء شاعر حمص، وسخرية وفخر بطيء
- ٢٥ لا للمشاتمة: بيتان/هجاء شاعر حمص
- ٢٦ بلى، تموت فتستريح: ٣ أبيات/فخر وهجاء في حمص
- ٢٧ أحيا وأمات في الصحارى: ٣ أبيات/هجاء وفخر ابن الصحراء بقسوته
- ٢٨ نحن مادة السَّمر: ٥ أبيات/فخر فاخر
- ٢٩ فافعل ما تشاء: ٨ أبيات/قصيدة مشهورة في الحياء والأخلاق
- ٣٠ انتجاع الموت: ٩ أبيات/مدح للطائنين وفخر
- ٣١ ثم انثنى فقطعا: ٥ أبيات/رثاء المجاهد محمد بن حميد
- ٣٢ قتيل الحفاظ: ٦ أبيات/رثاء المجاهد نفسه
- ٣٣ عبث: بيت واحد/حكمة
- ٣٤ الموت ولا المذلة: ٣ أبيات/رثاء طائي مجاهد
- ٣٥ كذا فليجل الخطب: ٢٥ بيتاً/الرثائية الكبرى المشهورة، رثاء محمد بن حميد
- ٣٦ حوار مع ميت: ٥ أبيات/رثاء محمد بن حميد، صورة في منتهى العذوبة
- ٣٧ مزاحفة الأيام: ١٢ بيتاً/نسب وحكمة وقليل من مدح
- ٣٨ ولا عذر لطائي لثيم: ٦ أبيات/توجع وسهر وفخر بطيء
- ٣٩ من كان يالفهم في المنزل الخشن: ٧ أبيات/صديقه أصبح قائداً وهو يقتضيه
- ٤٠ الكبيرة للكبير: ٣ أبيات/تهنئة بالشفاء فيها بيت سائر جداً
- ٤١ عندما يفكر الدهر: ٥ أبيات/نسب وشكوى ومدح في كبسولة
- ٤٢ الأفاعيل: ٤ أبيات/في حب آل رسول الله ﷺ
- ٤٣ الليث يفترس الكلب: بيت مفرد/فيه هجاء وحكمة
- ٤٤ حزناً على السيدة الحنون: ٣ أبيات/هجاء ساخر وقذف (أسلوب الاستطراد)
- ٤٥ فيما يقال...: ٤ أبيات/هجاء ساخر وقذف (أسلوب الاستطراد)
- ٤٦ يا ذا القرنين: بيتان/هجاء ساخر وقذف (استطراد)

- ٤٧ أشرجت وأنحفت: بيتان/ هجاء شاعر وسخر منه
- ٤٨ العقاب الجماعي للبشرية: ٣ أبيات/ هجاء ابن الأعمش، فاحش وساخر
- ٤٩ أيها الدميم: ٣ أبيات/ في ابن الأعمش
- ٥٠ رحمها الله: ٣ أبيات/ هجاء قذف مبطن (فن الاستطراد عند أبي تمام)
- ٥١ واجاريتاه: ٦ أبيات/ رثاء جاريتيه
- ٥٢ كان الذي خفت أن يكونا: ٩ أبيات/ رثاء ولده (منسوبة إليه)
- ٥٣ لله الحافظه والموت يكسرها: ٤ أبيات/ في رثاء ولده
- ٥٤ أصبحت الأرض إذن سماء: ٦ أشطر/ أرجوزة في المطر
- ٥٥ غيمة: ٩ أشطر/ أرجوزة في غيمة ماطرة
- ٥٦ اليبأس من الناس: ٣ أبيات/ يأس من الناس
- ٥٧ برق ومطر: ٦ أشطر/ أرجوزة في المطر
- ٥٨ أقرضني ثم اقتضى: بيتان/ تسليم بالقدر
- ٥٩ هذه الغرام: ٤ أبيات/ عذاب العاشق
- ٦٠ نزهة اليد: بيتان/ لذة الوصل
- ٦١ كأنها من خده تعصر: بيتان/ خمر وغزل
- ٦٢ عذبت قلب الشاعر: ٣ أبيات/ غزل
- ٦٣ عن أبي نواس أنه قال: بيتان/ مجون
- ٦٤ محاسنه في وجنتيك: بيتان/ غزل مصنوع
- ٦٥ ما الحب إلا للحبيب الأول: ٤ أبيات/ الأبيات المشهورة «نقل فؤادك..»
- ٦٦ في دعوة الأحلام: ٣ أبيات/ غزل
- ٦٧ تكسير أبصار: بيتان/ غزل
- ٦٨ زدني ألما: ٤ أبيات/ غزل كأنه للبهاء زهير
- ٦٩ تساكنتا: بيتان/ غزل
- ٧٠ قتيل العيون: بيتان/ غزل
- ٧١ مكانك مصون: بيتان/ غزل
- ٧٢ الأصل في بدني: ٤ أبيات/ غزل فيه جملجة أبي تمام
- ٧٣ اقشعرارهن من الشيب: ٣ أبيات/ تشبيه معقد في وصف الشيب
- ٧٤ الفعل لمالك والشهرة للغيوم: ٣ أبيات/ مدح في ختامه نكتة لطيفة
- ٧٥ صادق معك، كاذب مع غيرك: ٤ أبيات/ مدح مالك بن طوق

- ٧٦ .. أتيتك مضطراً: ١٢ بيتاً/مدح لتغلب، وشكوى من المنطقة الزراعية ..
- ٧٧ الغباء والتغابي: ١٣ بيتاً/إصلاح فيما بين الأقارب، ومدح لقصيدته
- ٧٨ وليس لي عمل زاك فأدخلها: ٤ أبيات/لماذا هذا الحجاب؟ ..
- ٧٩ إفراط الحزن لا يليق بالسادة: ٤ أبيات/ذم الزمان، وتعزية ..
- ٨٠ السمع السخي: بيت مفرد/مدح بدوي ..
- ٨١ إن الألمعي منجم: ١٣ بيتاً/المشكلة مع الأقارب، مالك بن طوق يربّي أقاربه ..
- ٨٢ غفلات الشباب: ٢٣ بيتاً/قصيدة كبيرة، أطلال وشيب وجهاد، ومدح ..
- ٨٣ السيوف المغيظة: ١٥ بيتاً/مواجهة مع بابك الخرمي، حرب وضرب ..
- ٨٤ مداراة الرؤساء: ٩ أبيات/شيب وحكمة ومدح
- ٨٥ رأي كالشعلة، شعلة كالسيف: ٤ أبيات/مدح الثغري بالشجاعة وبعد النظر ..
- ٨٦ أمدحك بسهولة: ٤ أبيات/مدح الثغري وموقف من النظم
- ٨٧ دفاعاً عن الاغتراب: ٢٢ بيتاً/أبيات مشهورة، مدح وفخر وحكمة ..
- ٨٨ سله كيف نجا: ٨ أبيات/أبو سعيد يواجه بابك الخرمي ..
- ٨٩ كم ترك الأول للآخر: بيتان/يمدح شعره ..
- ٩٠ أمد إليك آمالاً طوالاً: ٤ أبيات/عتاب لأبي سعيد ..
- ٩١ إعصار على حيطان القسطنطينية: ٧ أبيات/أبو سعيد يحارب الروم ..
- ٩٢ شجاعة الصدر والقفا: ٤ أبيات/مدح وفخر بطيء ..
- ٩٣ حقن ماء الوجه: بيتان/الحرص على الكرامة ..
- ٩٤ الثلمة بين الرأيين: ٤ أبيات/مدح أبي سعيد، مدح عدم التردد ..
- ٩٥ بشق النفس: ١٧ بيتاً/مقدمة في الشيب ثم وصف جهاد الثغري
- ٩٦ وداع فصيام: بيتان/مدح ووداع ..
- ٩٧ الهيق: ٦ أبيات/قطعة مدحية مكثفة ..
- ٩٨ القصيدة المغرورة: ١٩ بيتاً/مدح شيان بيوم ذي قار، وجهاد الروم ..
- ٩٩ خرّ صريعاً بين أبدي القصائد: ٥ أبيات/مدح خالد بن يزيد ..
- ١٠٠ الخلود الدنيوي: ١٠ أبيات/مدح بالنسب ..
- ١٠١ حطّ الرجل والظن: ٥ أبيات/رثاء عذب لخالد بن يزيد الشيباني ..
- ١٠٢ يا كاسري كسرى!: ٢٦ بيتاً/قصيدة كبيرة، فيها كل عناصر المدح التمامي
- ١٠٣ الطرف القلقل: ٦ أبيات/يعاتب أبا دلف على عبوسه

- السكوت وعد: ٥ أبيات/ يعاتب الحجاب، وتشبيه طريف للحجاب بالغيوم... ١٠٤
- تهديد بالرحيل الغاضب: ٥ أبيات/ عتاب قوي لأبي دلف ١٠٥
- قطعة من الجاه: ٦ أبيات/ شكر للسكرتيرة لأنها أوصلته للمدير ١٠٦
- خائف على عنقي: بيتان/ شكر ١٠٧
- وركب كأطراف الأسنة: ١٧ بيتاً/ قصيدة كبيرة، الرحيل إلى عبد الله بن طاهر... ١٠٨
- مطلع الجود: بيتان/ مشهوران جداً ١٠٩
- الشواهد والشماثل: ٥ أبيات/ رثاء ولدين لعبد الله بن طاهر ١١٠
- إخفاء المعروف سرقة: بيتان/ شكر الكاتب الواسطة ١١١
- التضاد: بيت مفرد/ التصبر ١١٢
- كل غانية هند: ٥ أبيات/ أطلال، فمدح ١١٣
- الحب المنكوح: ١٠ أبيات/ مدح ابن شبانة، وغزل عجيب ١١٤
- كاش، لو سمحت: ١٩ بيتاً/ أطلال، وتنديد ببخل الأمراء ١١٥
- السواد الأعظم: بيتان/ يأس من الناس ١١٦
- نقل الشكر ونقل تركه: بيتان/ شكر ابن شبانة ١١٧
- ظهور العيس أوطني: ٦ أبيات/ شكوى فيها حرقه من الغربة ١١٨
- كذلك قدرة الضعفاء: ١٧ بيتاً/ وصف الخمر ١١٩
- ضميره يتبسم: بيتان/ مدح الضبي ١٢٠
- الحسناء الخجول: ٣ أبيات/ غزل ١٢١
- الليل الطويل: بيتان/ طول ليل العاشق ١٢٢
- نرمي بأشباحنا: ٦ أبيات/ مدح هاشمي، ومجاملة للعباسيين ١٢٣
- الظامسة الصوى: ١١ بيتاً/ صحراء وناقة ثم ممدوح حلیم ١٢٤
- قلادة السؤدد: ١١ بيتاً/ قمع فتنه/ ومدح معتدل جداً ١٢٥
- صاعاً بصاع: ٩ أبيات/ الممدوح يساعده على الدهر ١٢٦
- مات شاباً: ٤ أبيات/ رثاء فتى ١٢٧
- ساعات الدهر نفترسنا: ٣ أبيات/ رثاء وزهد ١٢٨
- إني انتجعتك: ٣ أبيات/ مدح بارد ١٢٩
- التصدق بالخمير: ٤ أبيات/ سخرية وعتاب على خمر رديئة ١٣٠
- يكون غلاماً لغلمانة: ٤ أبيات/ غضب من المرمطة ١٣١
- صدقت، ولكن...: بيتان/ القسوة في طلب الرزق ١٣٢

١٣٣	جدع الأنوف: بيتان/ ذم بعض الأصحاب
١٣٤	شكوى الغريب: ٦ أبيات/ حنين إلى الشام
١٣٥	أشعر الثقلين: ٦ أبيات/ ناقته تحمله إلى مكة
١٣٦	العصر الذهبي: ٦ أبيات/ مدح المأمون
١٣٧	الإمام العادل: ٣ أبيات/ المأمون الشمس والقمر
١٣٨	فكانها وكأنهم أحلام: ٨ أبيات/ مدح المأمون
١٣٩	شماتة الأعداء: ٤ أبيات/ مشكلة خالد بن يزيد في العاصمة
١٤٠	السيف أصدق أنباء: ٧١ بيتاً/ (ملحمة أبي تمام الكبرى)
١٤١	دنيا معاش للورى: ١٤ بيتاً/ وصف الربيع
١٤٢	إلا أنها لم تُقاتل: ٩ أبيات/ جيش الأفشين في حرب بابك
١٤٣	الأفشين واصطياد بابك: ٨ أبيات/ القبض على بابك
١٤٤	الظفر يبابك الخرمي: ٢٢ بيتاً/ ملحمة في السياسة الشرقية لدولة المعتصم
١٤٥	قتل الأفشين: ٤٠ بيتاً/ قصيدة كبيرة، ملحمة إعدام الأفشين وصلبه
١٤٦	اقتال القوافي: ٩ أبيات/ مدح حزم المعتصم
١٤٧	وقفنا على جمر الوداع: ٢٠ بيتاً/ مدح المعتصم، أبيات رفعها النقاد للسماء
١٤٨	المشكاة والنبراس: ١٤ بيتاً/ قال الفيلسوف: بيتان قتلا أبا تمام، وهما هنا
١٤٩	صاحب القلادة الجديد: ٤ أبيات/ تهنئة الواثق بالخلافة
١٥٠	في بعض القلوب عيون: ٨ أبيات/ مدح الواثق
١٥١	السيل حرب للمكان العالي: ٦ أبيات/ مدح مشهورة أبياته جداً
١٥٢	ابتناسم الرأي والأدب: ٣ أبيات/ كلام في الشيب
١٥٣	أنا والشعر: ٤ أبيات/ الشعر اختصاصه وروحه
١٥٤	أخو الأسفار: ٣ أبيات/ جواب الآفاق يحارب الزمن
١٥٥	حلاوة القصائد: ٣ أبيات/ أنا كزهر وأنت كهزم
١٥٦	الإخوة والإخوان: ٣ أبيات/ الصداقة
١٥٧	قلبي لكم، وقلبي لغيركم: ٣ أبيات/ يا أولياء نعمتي
١٥٨	يا فصيح، يا بليغ: ٣ أبيات/ مدح الحسن بن وهب
١٥٩	أفسدتك النعمة: ٣ أبيات/ عتاب مر لصديقه الذي وصل
١٦٠	أسير كرم آبائه: بيتان/ حكمة
١٦١	صاحب الحظوة: ١٠ أبيات/ بيت غزل، ثم فخر بتفوقه على الشعراء

١٦٢	انزلاق النظر: ٥ أبيات/وصف فرس
١٦٣	شاب رأسي: ٣ أبيات/في الشيب
١٦٤	تنصّل من غير جرم: ١٦ بيتاً/اعتذار لأحمد بن أبي دؤاد، وفخر بشعره
١٦٥	فائدة الحسود: ١٣ بيتاً/فيها بيتان هما أشهر ما قيل في الحسد
١٦٦	المهم رضاك أنت: ٥ أبيات/مدح ابن أبي دؤاد
١٦٧	بناء الجار قبل الدار: ٤ أبيات/مدح ابن أحمد
١٦٨	الحمد لله على السلامة: ٦ أبيات/تهنئة بشفاء أحمد بن أبي دؤاد
١٦٩	شريعة الشعر: ١٦ بيتاً/موقف من الشعر ومن دعم ابن أبي دؤاد للعرب
١٧٠	المطر على جثة عطشان: بيتان/استعجال وفد أحمد
١٧١	هذا هو التهديد: ٦ أبيات/تهديد الوليد بهجاء مر
١٧٢	ديمة سمحة القيادة: ١١ بيتاً/وصف غيمة ومدح ابن الزيات
١٧٣	وصف القلم: ٢٦ بيتاً/مدح ابن الزيات وعتاب، وأخذ ورد
١٧٤	الخوض في لجة اللؤم: بيتان/حكمة السائلين
١٧٥	ولي الأمر: بيتان/مدح قائد الشرطة
١٧٦	الويل للذهب وللفضة: ٣ أبيات/فائدة القرب من السلطة
١٧٧	لات حين تنصّل: ١٠ أبيات/مدح قانع الفتنة
١٧٨	كلمات تنهمر من عينيها: ٤ أبيات/تعريض بقائد الشرطة
١٧٩	الشكوى فائض البلوى: بيت مفرد/حكمة جميلة
١٨٠	وسائل شعر: ٥ أبيات/في عتاب المصعبي
١٨١	لبتي كنت تراباً: ٨ أبيات/توبة ورجاء
١٨٢	إخوة في الأدب: ٤ أبيات/في صديقه علي بن الجهم الشاعر
١٨٣	الشعر والكيمياء: ٥ أبيات/عتاب لصديقه الشاعر
١٨٤	ملتقى الدموع: ٥ أبيات/شكر الصديق العراقي
١٨٥	سال بك السيل: ٣ أبيات/برم وتأفف من كاتب سمج
١٨٦	فوق الشرك: بيت مفرد/هجاء الكاتب
١٨٧	ما أضيق الغمد بغير فصله: ٨ أشطر/أرجوزة هجاء
١٨٨	إن كنت ممن يفكر: ٣ أبيات/في الزهد

فهرس الأغراض (أبو تمام)

الأرقام أرقام القصائد لا الصفحات

(المدح المباشر مستثنى من هذا الفهرس، لأنه موجود في معظم القطع)

أطلال: ١٨٤/١٦٢/١٤٨/١٤٧/١٣٨/١١٥/١١٣/١٠٢/٨٢/٧٦

اعتذار: ١٦٤/٢١

بخل: ١٣٠/١١٥/٨٤/٢٢/٢٠/١٣/١٠/٩

جهاد: ١٤٥/١٤٤/١٤٣/١٤٠/١٢٥/١٢٤/١٠٨/٩٨/٩٥/٩١/٨٨/٨٣/٨٢/٣٥/١٤٦

حازم عازم: ١٥١/٩٤/٢٧/١٤

حجاب: ١٧٨/١٠٤/٧٨/٢٠/٥

حكمة: ٩٨/٩٥/٨٧/٨٥/٨٤/٨٣/٨٢/٨١/٧٩/٧٧/٥٠/٤٠/٣٩/٣٣/٢٩/١٠٦/١٠٢/١٦٤/١٥١/١٤٣/١٣١/١٢٨/١١٩/١١٦/١١٤/١١٢/١١١/١١٠

١٨٨/١٧٩/١٧٤/١٧٣/١٧٠/١٦٩/١٦٥

خمر: ١٣٠/١١٩/١٣

ذل السؤال: ٧/٣

رثاء: ١٢٨/١٢٧/١١٠/١٠١/٨٠/٧٩/٥٣/٥٢/٥١/٣٦/٣٥/٣٤/٣٢/٣١/٣٠

رحيل: ١٧٨/١٥٤/١٥١/١٢٦/١١٨/١٠٨/١٠٢/١٠٠/٨٧/٦٥/٣٧/١٤/٦

زمن وغد: ١٧٤/١٧١/١٣٤/١١٥/٣٣/٢٠

زهد: ١٨١/١٨٨/١١٤/٥٦/٥٠

سحاب ومطر: ١٦٧/١٥١/١٤١/١٢٩/١١٩/١٠٣/١٠١/٧٤/٥٧/٥٥/٥٤/١٣/١٧٢/١٧٠

سخرية: ٤٩/٤٨/٤٧/٤٦/٤٥/٤٤/٤٣/٢٦/٢٥/٢٤/٢٣/٢٠/١٢/١١/١٠/٨/١٨٦/١٦١/١٣٠/٥٠

سياسة: ١٨/٤٢/٧٧/٨١/٨٣/٨٧/٨٨/٩١/١٠٢/١٠٨/١١٤/١٢٣/١٢٤/١٢٥/
١٣٦/١٣٧/١٣٨/١٣٩/١٤٠/١٤٢/١٤٣/١٤٤/١٤٥/١٤٦/١٤٧/١٤٨/١٤٩/
١٥٠/١٧٣/١٧٥/١٧٧

شجاعة: ٣٠/٣١/٣٢/٣٤/٣٥/٣٦

شحة الرزق: ٢/١٦/٣٧/٨٧/١٣٢

عن الشعر: ١/٢/٤/٧/٩/١٤/١٦/١٩/٢٤/٢٨/٧٥/٧٧/٨٩/٩٠/٩٩/
١٠١/١٠٢/١١٤/١١٥/١٢٠/١٢٥/١٢٦/١٢٩/١٣٥/١٤٦/١٥٠/١٥٣/١٥٥/
١٦١/١٦٤/١٦٥/١٦٦/١٦٩/١٧١/١٧٣/١٨٠/١٨٧

شكر: ١٠٦/١٠٧/١١١/١١٧

شكوى من المماطلة: ٢/٣/٤/٦/٧/٨/٩/٢٢/٤١/٧٨/٧٦/٩٠/١١٥/
١١٩/١٣١/١٧٠/١٧٣/١٨٧/١٨٠

شكوى: ١٣/٢٩/٣٨/٤١/٤٢/٥٨/٧٦/١١٩/١٣٤/١٥٤/١٧٩

شيب: ٧٣/٨٢/٨٤/٩٥/١٥٢/١٦٣

صحراء: ٢/٢٧/٨٧/٩٧/١٠٢/١١٥/١١٨/١٢٣/١٢٤/١٣٢/١٣٥/١٤٧

صداقة: ٣٩/١١٦/١٣٣/١٥٦/١٥٩/١٨٢/١٨٣/١٨٤/١٨٥

عبوس المملوح: ٤/١٠٣

عتاب: ٢/٣/٤/٥/٢٩/٣٩/١٠٥/١٣٠/١٨٣/١٥٩

عوام وسوقة: ٢٣/٣٩/١١٦/١٧٣

فخر بقبيلة طيء: ١٤/١٥/١٧/٢٨/٣٥/٣٨/٩٢

قسوته على نفسه في السعي للرزق: ٢/١٤/١٦/٨٧/٩٤/١٠٨/١٢٤/١٣٢/١٥٤

قمع الفتنة: ١٨/٣٩/٨١/٨٣/٨٧/٨٨/١٢٥/١٤٢/١٤٤/١٤٧/١٧٧

كرامة المرأة: ٣/٩٣

مرض: ٤٠/٥٣/١٦٨

نسب وغزل: ٢/١٤/٢٨/٣٧/٤١/٥٩/٦٠/٦١/٦٢/٦٣/٦٤/٦٥/٦٦/٦٧/٦٨

٦٩/٧٠/٧١/٧٢/٧٣/٨٢/٨٧/٩١/٩٥/٩٧/١٠٠/١٠٨/١١٤/١٢١/١٢٢

١٢٤/١٢٦/١٤٧/١٤٨/١٥١/١٥٢/١٦١/١٦٢/١٦٥/١٧٣/١٧٨

هجاء: ٦/٧/٨/٩/١٠/١١/١٢/٢٠/٢٢/٢٣/٢٤/٢٥/٢٦/٢٧/٢٩/٤٣/٤٤

٤٥/٤٦/٤٧/٤٨/٤٩/٥٠/١٦١/١٧١/١٨٥/١٨٦/١٨٧

وداع: ٩٦/١١٨/١٤٧/١٨٤

وطن: ١٣/٦٥/١١٨/١٣٤

وصف: ١٤١/١٧٢/١٧٣

البُحْثَرِيُّ

(٢٠٦هـ - ٢٨٤هـ)

سماه أهله الوليد. وَكَتَّوْهُ صَغِيرًا - على عاداتهم - فكان أبا عبادة؛ كنية بدوية، سنراه يتظرف في بغداد ويجعلها أبا الحسن، ثم يعود إليها لأن أبا عبادة أميز.

فاسمه على هذا: أبو عُبَادَةَ، الوليد بن عُبَيْد بن يحيى البُحْثَرِيُّ. جده الأعلى (بُحْثَرٌ)، وهو من قبيلة طِيٍّ. وإذ ينقسم العرب إلى عاربة من اليمن، ومستعربة من الشمال، فطيء من العرب العاربة، من عرب اليمن؛ وقد رحلوا إلى الحجاز قبل الإسلام، وشَعَوْا شمالاً وشرقاً، وفي كل مكان. ومن العرب العاربة الأوس والخزرج، ومنهم الغساسنة والمناذرة، وحتى يوم الناس هذا يحلو لبعضهم تقسيم العرب إلى قيس ويمن.

حدثني رجل مسيحي يبيع العَرَق والفسق في بلدة بيرزيت الفلسطينية قال إنهم من القيس، وإن أهالي قرية كذا من اليمن. وعجبت كيف بقيت هذه القسمة موجودة في النفوس لا تعبأ بالدين، ولا بالاحتلال. وكانت حماتي رحمها الله، وهي مقدسية، تسمي الحلوى التي تصنعها من طبقة من الحليب المعقود، فوقها طبقة من عصير البرتقال، المعقود أيضاً، بـ «قيس ويمن»، ذلك أن راية القيس كانت حمراء وراية اليمن بيضاء. فلا نعجب إذا رأينا البحتري يتحدث عن «حيمية شعب جاهلي»، ويفتخر بقومه افتخاراً جاهلياً.

ولد البحتري في قرية زَرْدَفَنَةِ القرية من مَنبِج بشمال سوريا اليوم. ولد سنة ٢٠٦، وتوفي في منبج سنة ٢٨٤. ولثلا يغير النظام الحاسوبي مواضع خانات الأرقام هاكها بالحروف: ولد سنة مئتين وست، وتوفي سنة مئتين وأربع وثمانين، فيكون عاش ثمانياً وسبعين سنة قمرية أي ستاً وسبعين سنة من السنين

التي نقيس بها أعمارنا اليوم. (فإن أنقصت سنة من تاريخ مولده وزدت مثلها على تاريخ وفاته وصلت به إلى ثمانين سنة قمرية. وهذا شيء قال به بعض من أرخ حياة البحري).

وصنعتة الوحيدة، التي لم يعرف غيرها، الشعر. كان وهو صغير يسير في طرقات البلدة ينشد الشعر، يقوله لأهل السوق «لأصحاب البصل والباذنجان».

مزاجه مزاج البدوي الذي سكن قومه قرية، واستقروا فيها وزرعوا وعرفوا حياة الفلاحة.

تعلم في كُتّاب قرينته القرآن والعربية والتقط عدوى الشعر المزمنة صغيراً فيما يبدو، ربما من شيخ الكُتّاب الذي كان ينشد الأولاد القصائد. وساعدته لهجة القبيلة القريبة من الفصحى. ولعله حضر مجالس القاضي والفقيه صبيّاً، يجلس صامتاً، فعرف عن ماضي القبيلة. وكانت القرى والبلدات في بلاد الشام، ولا تزال، مسكونة بناس من أصول قبلية متقاربة.

أربعة أوطان

امتلاً البحري بالولاء لقبيلة طيء. فهي وطنه أولاً، ومنبع وطنه ثانياً، والعروبة وطنه الثالث؛ على أنه كان قابلاً الموالي قبولاً حسناً يمدح الوزراء والقواد من ذوي الأصل الفارسي بلا حرج، ويشيد بماضي الفرس مرتاحاً، غير متخذ موقفاً عروبياً ضد شعوبية ذلك الزمن؛ ذلك أن وطنه الرابع هو الإسلام، رغم ما كان في الرجل من رقة دينٍ لازمته عمره، وكان مبعثها البداءة لا الزندقة.

لعله كان لأبيه أرض يفلحها في زردفنة، ثم تركها سريعاً وعاش في منبع. فالبحري لا يذكر في شعره زردفنة هذه. ومنبع هي الجغرافيا التي يحن إليها، ويَعُدُّها المكان الذي يجب أن تستقر فيه عظامه. ولعل الأسرة رحلت إلى حلب، على بعد مئة كيلومتر، والبحري فتى يافع. وفي حلب عشق علوة، ولها معها.

كان فتى ذكياً، ذا مزاج عامي. عرف شظف العيش في صغره، فبخل في كبره. وعرف قدر الدرهم فصانه. ولكنه انجرف في حبه للشعر انجرافاً منعه من التفكير في زراعة أو حرفة. ولعل مما صرفه عن الزراعة أن الأسرة انصرفت

عن هذا الأمر في طفولته الباكرة؛ ولعل مما صرفه عن الحرفة أن العرب تحتقر المهنة، وليس من شك في أن البحترى قرأ وحفظ صبيّاً الكثير مما قاله جرير والفرزدق في هذا المعنى. ثم إن الشعر كان رائجاً في ذلك الزمن. فما إن بلغ البحترى الثانية عشرة من عمره حتى كان يسمع في مجالس قومه ذكر شاعر القبيلة أبي تمام الذي غدا أشهر شاعر في الدنيا. وكان علي بن الجهم آنذاك يأخذ عطايا الخلفاء ويتولى لهم الأعمال. وكان الناس يرددون أشعار دِغِيل ويعجبون بتمرده وسلطنة لسانه. وليس من شك في أن ديك الجن، الذي لزم بلدته حمص، كان من المذكورين في مجالس القوم. ولعلهم خاضوا في قصته من محبوبته التي قتلها، مثلما خاض فيها نقاد الأدب مئآت السنين، وكانت القصة في صبا البحترى طازجة، والأشعار التي قيلت فيها متداولة. ولم تكن قد مرت على وفاة أبي نواس، والبحترى فتىّ واعٍ، سوى سنوات قلائل، وأقل منها على وفاة أبي العتاهية.

بداية الطريق

تدرج البحترى في المدح. قد لا تريد أن تأخذ على محمل الجد أنه مدح بائعي البصل والبادنجان، فلنبداً من الكُتّاب والقواد والأثرياء في منبج وحلب وحمص. سنّ البحترى أسنانه عليهم. وامتطى الشعر للوصول إلى المال. لكنه كان أيضاً يقول الشعر في هذه السن الطرية في التغزل بعلوة الحلبية، وهي فتاة صباه، وكانت تغني في حفلات الأغنياء تصحبها أمها زريقة التي تشتغل في النهار في غسل ثياب الناس. وهذا افتراض من جانبنا له في شعر البحترى وأخباره أساس.

وعلوة وزريقة هاتان من البشر الذين كان يستنسخهم العصر العباسي من أمهات بلا آباء خارج نطاق القبائل، ويرميهم في سوق الخدمة والغناء والدعارة.

في تلك الفترة افتخر البحترى بقبيلته التي قال لها الله في الحرب «كوني حجارة أو حديداً». وقال شعراً جميلاً في الفخر. ثم التقى بشاعر طيء الكبير، وشاعر شعراء العرب في زمنه أبي تمام. لعله التقى به في حمص، ورواية المرزباني هي أقرب الروايات إلى العقل، وأجودها سنداً وأقربها عهداً، والمرجع كتابه «الموشح».

البحتري وأبو تمام

لقي البحتري أبا تمام في حمص، فشجعه أبو تمام وأثنى على شعره، ووضع رجله على أول طريق التكسب، وعلمه أشياء صغيرة وثمينة. كان أبو تمام ذا بصر بالشعر، قد اتخذ شهوة وصناعة وفتناً، وحياة. وقُدِّر للبحتري أن يكون في هذه شبيهاً بأبي تمام. فهو ناقد للشعر جيد، وقد عاناه طول عمره المديد وسارت له نقذات حارقة، أوجب منها قوله في رد حكم نقدي لشعلب: «ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه، ممن يحفظ الشعر ولا يقوله، وإنما يعرف الشعر من دُفع إلى مضايقه». وأحبَّ النقاد القدامى كلمة له في المقارنة بينه وبين أبي تمام؛ قال البحتري: «جيدٌ خير من جيدي، ورديثي خير من رديته».

وعندما قال له أحدهم: يقول القوم إنك أشعر من أبي تمام، قال البحتري: «والله ما ينفعني هذا القول، ولا يضر أبا تمام، والله ما أكلت الخبز إلا به، ولوددت أن الأمر كان كما قالوا، ولكني والله تابع له آخذٌ منه لائدٌ به، نسيمي يركد عند هوائه، وأرضي تخفض عند سمائه.» وهذه عبارة بليغة جداً لا يقولها المرء بل يكتبها. وأغلب ظني أنها من صياغة النقاد اللاحقين. على أن أخبار اعتراف البحتري لأستاذه بالتفوق والإمامة متواترة. وانظر في ديوان البحتري تجذبه سرق عشرات المعاني من أبي تمام - قيل سرق منه معاني خمسمئة بيت - (ساعد على هذا وفاة أبي تمام المبكرة، فالبحتري عاش بعده خمسين سنة مشغول اليدين بتناول ما لذ وطاب من ديوان أستاذه).

اتصل البحتري بأبي تمام سبع سنوات تقريباً، لكنه لم يلتقه فيها سوى مرات قليلة فيما نقدر. ومرة تكفي. الشاعر لا يحتاج إلى أن يتعلم الشعر تدريساً وتلقيناً، بل تكفيه الكلمة العابرة، ويكفيه التشجيع إن كان لديه الميل، ويكفيه المثال يحتذيه. وقد رأيت في زماني ذكاترة - عديمهم - يحملون شهادات في الأدب العربي لا يذوق الواحد منهم شعراً ولا يقيم بيتاً.

شاعر متفرد

لم يأكل التكسب بالشعر عقل البحتري تماماً. وإلا لما عدناه شاعراً كبيراً. كان يحب شعره كثيراً ويفتخر به: (فإذا ما بنيت بيتاً تبخرت كأني بنيت ذات العماد). وله في وصف الذئب قصيدة مهمة. خذ منها قوله «كلانا بها ذئب»، واعرف للرجل قدره في الشعر، ولا يحملك الهوى على أن تعصف به،

وتسقطه من حسابك، كما صنع بعض النقاد الذين يشتطون في رفع الشاعر أو في إسقاطه، وكأن الله لم يخلق بين سمائه وأرضه فضاء واسعاً.

أما الأقدمون فسرُّوا بدباجة البحرى. فهو يسوق الكلام سوقاً عربياً، لا يصوغ في شعره المعاني الفلسفية ولا يجعل البيت لغزاً من الألغاز. جاء متوسطاً بين شاعرين معاصرين له صنعا بعض ذلك: أبي تمام قبله بسنوات قليلة، وابن الرومي بعده بسنوات قليلة في الميلاد. وقد عرفهما كليهما، وتأثر بهما. ولكن طبيعته وتربيته لم تتيح له أن يقلد أيّاً منهما في التعمق وفي تجريح وجه الشعر بالعمل. أحبه الأقدمون، وظلوا يختلفون في شأنه وشأن أبي تمام: أيهما أفضل. وكأنه سباق لا بد فيه من معرفة الفائز الأول حتى نعطيه الكأس. وقال الأمدى صاحب الكتاب الضخم في الموازنة بين الشاعرين الطائيين إن البحرى أفضل. قالها في ألفي صفحة. وقال كثيرون غيره العكس.

نعود إلى قصة البحرى: التقى بأبي تمام في حمص، فقال له الشاعر المشهور: قم فأنت شاعر. فاكسب ثقة بنفسه. وتدرج في المدح.

استطراد

نقول شيئاً قلناه أكثر من مرة في أكثر من كتاب سابق. (ملاحظة استطراية داخل الاستطراد: كنت أنوي نشر مختاراتي لكل شاعر على حدة في كتاب مستقل، وعدلت عن هذا، فصرت أضخم شعراء كل عصر في كتاب كبير). نقول: الشاعر بجيده لا برديته. فنحن نُعني النفس بدراسة الخمسة عشر ألف بيت التي قالها البحرى، ثم نأخذ في الموازنة. ونتعب في مقابلة القصيدة الحسنة بالقصيدة الرديئة، والبيت الجيد بالبيت الضعيف؟ ثم نهمل الضعيف وننظر في الجيد، فإذا كان عالياً سررنا به واستمتعنا، واخترناه، ولا يندر أن نترك الكثير من الجيد، ولا سيما في ديوان كبير كديوان البحرى، فالغرض انتقاء الدرر الثمينة. اسمع ما يقول البحرى لممدوحه: (ليواصلنك ركب شعر سائر/ ترويه فيك لحسنه الأعداء/ فتظل تحسدك الملوك الصَّيد بي/ ويظل يحسدني بك الشعراء). هذه دباجة بدیعة، وأما المعنى.. فطبعاً من أبي تمام.

إلى العراق

قطع البحرى الثلاثين كيلومتراً التي تفصل منبج عن نهر الفرات، وعبره ثم سار نحو متين من الكيلومترات إلى رأس العين. وجال في هذه المنطقة - منطقة

الجزيرة الفراتية - متكسباً بشعره، لا يهमे التنقل ولا شطف العيش، فهو قد تربى في كنف القلّة. وصل إلى القادة والزعماء الطائيين بسهولة لأنه طائي، ووصل إلى غيرهم مع اتساع شهرته. ووصل إلى الموصل، ثم انحدر إلى بغداد ووصل إلى علي بن يحيى المنجم. وقبل أن يبلغ البحري الثلاثين من العمر أوصله هذا الأخير إلى الفتح بن خاقان وزير الخليفة المتوكل. ثم وصل إلى المتوكل.

وما كررنا كلمة (وصل) في الفقرة المنصرمة إلا لنقول لك إن الرجل كان وصولياً. فرش البحري في بغداد بساطاً من كرامته وسار عليه إلى بلاط المتوكل، وافاه وهو في بداية خلافته. وقال في ثلاث عشرة سنة قصائد كثيرة في المتوكل. كلها في ديوانه. وقليل فيها المدح الجميل. وظل البحري يمدح الفتح بن خاقان الوزير أو يعاتبه أو يعتذر إليه، وأشعاره في الوزير خير من أشعاره في الخليفة، وقد طرب ابن المعتز كثيراً لشعر الاعتذار الذي قاله البحري للفتح بن خاقان الوزير.

ظل البحري يمدح كبار رجال الدولة في بغداد غير مكتفٍ بأنه الشاعر المقرب للخليفة. المهم أن يدفعوا الإتاوة التي فرضها عليهم أبو عباد. وكان يتجرأ فيشتد في مخاطبتهم وتقريعهم، وهم بالطبع يخشون معرفة لسانه، ويحسبون له حساباً لأنه «واصل» ويحضر مجلس الخليفة. لهذا تراه لا يتورع عن قدح من يحرمه.

وكان البحري على ارتباط مستمر بمنبج. لم ينس قط وهو بالعراق أنه رجل شامي. وفي منبج كان يشتري الأراضي ويبني البيوت شأن المغتربين في دول الخليج في الستين سنة الفائتة.

في هذه السنوات الذهبية من حياة البحري ببغداد كان لاهاً ساكراً حاضراً مجالس الغناء. لم يكن متكبراً. ولم يترفع عن معاشرته الناس. ظل ابن بلد.

لم يكن قارئ كتب فلسفية، ولا صبوراً على مجالس العلم. على أنه ما كان يستطيع - في بغداد تلك - أن يهرب من الثقافة، فهي تلقاء وجهه أيا ن ذهب. وبالتأكيد فقد أقبل على كتب الشعر، يردد النظر فيها عند الوراقين، ويستعير الكتب ويعيدها. ولم يكن يعتني باقتنائها لأنه بخيل ولأنه مقيم طاعن، ولأنه تربى بدوياً. لعل استعارته الكتب دون شرائها هي ما دفعة إلى تدوين الأبيات الجميلة حتى يحتفظ بها. ونظن أن كتابه الموسوم بحماسة البحري نشأ هكذا، ثم إنه نسخته للفتح بن خاقان.

وصف البحري عظمة موكب المتوكل، ووصف بركته المترامية الأطراف. وذكر في شعره الأحداث السياسية في معرض مدحه للخليفة.

وفي سنة ٢٤٧ قتل المتوكل ذبحاً بالسيف. تأمر عليه مع القادة ولده المنتصر، فقتله الأتراك في مجلسه، وقتلوا معه الفتح بن خاقان وزيره عندما وقع عليه يحميه بجسده. وأما البحري فقليل إنه كان حاضراً المجلس وإنه اختبأ وراء باب. لكنه عاش بحمد الله لكي يصف المشهد بقصيدة بدعية.

بعد المتوكل حج البحري، وذهب إلى منبج قبلها أو بعدها. ثم عاد إلى بغداد. ومدح المنتصر الذي تولى الخلافة بعد مقتل أبيه. كانت ولاية المنتصر ستة أشهر. ومات (٢٤٨هـ) وجاء المستعين من عمومته خليفة، فمدحه البحري. وعُزل المستعين وجاء المعتز (٢٥٢هـ) فمدحه البحري وهجا المستعين المعزول. وأرسل المعتز بعد عدة أشهر رجلاً إلى سجن المستعين فذبحه ذبحاً.

وجاء المهتدي بالله (٢٥٥هـ) فمدحه. كان البحري آنذاك في الخمسين من عمره. مضى عصره الذهبي مع الخلفاء بذهاب المتوكل. لكنه حريص على بغداد وعلى ما تدره عليه من مال، وحريص على الخلفاء، مهتم بما يكسبه من حضوره مجالسهم من مكانة اجتماعية. وقد ظل يفتخر طول عمره بأنه جليس الخلفاء.

وجاء المعتمد على الله سريعاً (٢٥٦هـ) فمدحه. وبقي المعتمد في الخلافة أكثر من عشرين سنة. وحدثت في أيامه ثورة الزنج، وكان خراب البصرة. وكان مغلوباً على أمره، وهذا الخليفة هو صاحب البيت الشهير الذي اقتبسه شوقي: (وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً/ وما من ذاك شيء في يديه). لم يكن للمعتمد سيطرة على أموال الدولة كما كان الأمر في عهد المعتز. كان يأخذ مصروفه من أخيه الموفق طلحة القائد المسيطر على الأمور. على هذا ليس مستغرباً ألا نجد للبحري مدحاً كثيراً في المعتمد مع أنه بقي في الخلافة فوق العشرين سنة. ظل البحري يمدح القادة والوزراء والكتاب. هذه حرفته، وهو يمارسها.

هذا يذكرني بصاحب محل في بلدي نابلس كان وكيلاً لشركة سبيني الإنجليزية التي تصنع الحلوى والبسكوت. وعندما احتل اليهود المدينة سنة ٦٧ جاء الرجل ببضاعة من عندهم لبيعها، فانتقده الناس لأن البسكوت مادة كمالية

ويمكن الاستغناء عنها، فلماذا يستوردها من العدو؟ فقال لهم: بالنسبة لكم هي كذلك، وبالنسبة لي هي تجارتي التي لا أعرف سواها.

ونظن البحري كان - لو اقتضى الأمر - يرجع إلى أصحاب البصل والبادنجان يمدحهم.

على أننا لا نسرف على الرجل، فله في الشعر غير هذا المدح الباهت الرديء البارد؛ ففي هذه الفترة من هبوط الخلافة ذهب أبو عبادة مع ولده أبي الغوث يحيى في زيارة إلى إيوان كسرى على بعد كيلومترات قليلة جنوب بغداد، وقعد على حجر هناك وقال لولده افتح باطية النيذ واسقنا شربة. وشرب. وقال قصيدة بادَ إيوانُ كسرى وستبید القصور الرئاسية التي تلتها، والقصيدة حية. قال السينية العظيمة. ليس فيها مدح لأحد، بل هي شعر رائق وحسب. هناك، في نحو سنة ٢٧٠هـ، قال البحري أعظم قصيدة له. وقد اقتبسناها لك كاملة وتنوَّقا في شرحها. وكلما بلغ كارهو البحري ومنتقدوه هذه القصيدة عضوا على شفاههم، وسكتوا. فهي من الشعر الذي يخلد به الشاعر طول الزمن. اسمعه يقول في البيت الثاني: (وتماسكتُ حين زعزعتني الدهر)، هذا كلام قوي وبلغ جداً.

كان البحري قد جاوز السبعين بسنوات عندما رثا العلاء بن صاعد (القطعة رقم ١٨٩) قائلاً إن هذه الدنيا متقلبة فكأنها ليست من صنع واحد حكيم بل من صنع اثنين: أحدهما حكيم والآخر أخرق. وفي هذا ما يدل على قلة دين، وفيه استهتار. ثار العامة في بغداد على البحري بتحريض من بعض الفقهاء. فقال شاعرنا لولده أبي الغوث: قم بنا نذهب إلى منبج حتى تهدأ هذه الثائرة. فذهبا. وظل البحري هناك. وشكا من شعوره بالغربة في موطنه بعد عودته. قد كان يجالس الخلفاء في بغداد وها هو يقول لوالي منبج: أيها الأمير!

عُزل المعتمد، ومات سريعاً بعد عزله، وكان أخوه المتسلط الموفق قد مات قبله بقليل، فتولى الخلافة المعتضد ابن الموفق (٢٧٩هـ) وكان البحري قد مدحه قبل توليه الخلافة بقليل بقصيدة ربما كان أرسلها من منبج. كان المعتضد جباراً قاسياً كأبيه. وكان عادلاً، وشديداً في الدين تقياً. ولم يفد عليه البحري بل بقي في منبج شيخاً غنياً ذا خدم وعبيد، يحس بمرارة. في قلبه حسرة لما باع من ماء وجهه في بغداد. ولكنه مستمتع بالثروة، باقٍ على بخله. يعتني

بالأراضي والبيوت كي ينالها الوارثون. وهو في غير حاجة إلى مدح من أحد لذا لا يعطي أحداً. هو سيد المديح، وسيد الزمارين في بلاطات الخلفاء. وإذا راق مزاجه قال شعراً وجدانياً يعرف هو قيمته، ويحبه.

وَصَلْنَا دِيوانه سالماً

نعم، كان يحب شعره، ويحرص على تدوينه وجمعه، ويجد في ذلك مساعدة من ولده (أبي الغوث يحيى بن الوليد) الذي كان راوية ممتازاً لشعر أبيه، شديد الغيرة عليه، يأبى تغيير كلمة فيه حتى لو تبين له أن في البيت خللاً عروضياً. وحفظ لنا شعر البحتري أيضاً علماء بغداد. فنسقه الصولي ونسقه حمزة الأصبهاني. وبين أيدينا ديوان كامل نظيف. لا تقدر فيه أسطورة أن البحتري طلب من ولده إحراق قصائد الهجاء حتى لا يتضرر بها عقبه. فتلك قصة ينفى وجود هجاء كثير في الديوان، ولا نظن أن أبا الغوث قالها إلا دفعاً لتهمة أن البحتري ضعيف في الهجاء. وهذه تهمة ظل النقاد يرددونها. ولا أراها صحيحة. كان البحتري مقبلاً على المدح إقبالاً شديداً لما فيه من فائدة. ولم تكن أبياته المدحية عظيمة، والجميل البارع في قصائده المدحية ما فيها من وصف. وكان كثير المعاتبة. وله شعر جميل في التقرير والتهديد بالهجاء، وهذا لغرض انتفاعي أيضاً: فهو يهز العصا للممدوح المتأخر عن دفع المال. فأما الهجاء المحض فلم يكن من شأن البحتري. كانت نفسيته متوازنة، وكان يحاول الحفاظ على علاقاته في غربته البغدادية حتى يستمر في استدراار المال من الناس. ولعل التهمة بضعف هجائه قد جاءت من مقارنته بمعاصريه ابن الرومي ودعبل، فقد كانا هجاءين خطيرين. وينطلق النقاد في إصاق تهمة الضعف في الهجاء بأبي عباد من قصة له مع ابن الرومي.

هجاء ابن الرومي عدة مرات، فأرسل إليه البحتري هدية، ثم اجتمعا وتناشدا. وحذر ابن الرومي البحتري - الذي يكبره بخمس عشرة سنة - من الهجاء قائلاً إنه لن يبلغ فيه مبلغاً مهماً، وهكذا ترك البحتري الهجاء لابن الرومي. هذه الواقعة مروية في الكتب القديمة على نحو يشعر بأنهما حدثت فعلاً، ولكنها لا تعني أن البحتري ترك الهجاء آخذاً بنصح زميله.

مات البحتري في منبج بالسكته في عام ٢٨٤هـ.

كان قوالاً فصيحاً. قيل كان قذر الثوب، زري الهيئة. وهذه خصلة

شخصية واجتماعية في آن معاً. فالبحتري غير أنيق خلقة. والبشر اثنان: أنيق بالولادة، وزرّي بالولادة. الأنيق يظل أنيقاً حتى لو افتقر، والزرّي الهيشة يبقى زرّيها حتى لو اغتنى. هذا عن الجينات. وأما الأساس الاجتماعي لقلة أناقته ولقدارة ملبسه فهو أنه تربى في أحضان الفقر الريفي. وحياة الريف غير حياة المدينة، وفقر الريف أبعد عن الأناقة ونظافة الملبس من مياسيره، ومن فقراء المدن. وكان فيه سذاجة. لا نرجعها إلى نشأته الريفية إلا قليلاً. فابن الرومي المدني البغدادي القح كان ساذجاً بطريقته. لكن البحتري كان على بعض الجفاء في معاملة الناس وفي اقتضائهم، وفي مطالبتهم باستحسان شعره. وكانوا يضحكون لذلك ويستقلونه في آن.

عملنا في هذا الكتاب

إن كنت تدرس البحتري لإعداد بحث عنه فاعلم أن كتابنا هذا لا يضم شعر البحتري كله، ولا نصفه، ولا رבעه، بل أقل. كتابنا يضم (٨٪) ثمانية بالمئة من شعر البحتري فقط. يضم أبدع وأرق ما قاله ابن منبج العظيم. لكنك أيها الدارس ستجد عندنا من الشرح ومن التدقيق ما نرجو أن يرضيك.

وأما إن كنت محباً للشعر القديم، غير آبه بتلك الأوراق التي توزعها الجامعات على من يدفع القسط السنوي، وتسميها شهادات، فقد وصلت إلى بئر عذبة.

قد تخيرت لك من الخمسة عشر ألف بيت التي تركها لنا البحتري نحو ألف بيت. وشرحتها لك شرحاً بسيطاً سلساً بلغة معاصرة كالتي تقرأها في الجريدة. وقصصت عليك مناسبات القصائد بحسب ما جاء في الكتب القديمة. وقد أشركك في رأيي عن لي هنا أو هناك، قد أستطيب بيتاً فأهتف بك أن انظر فيه ملياً وتأمل بديع صنعه. وما ذاك إلا رغبة في التواصل معك، والتحدث إليك.

استطراد ثانٍ

يا قارئ! أنا تعبان معك. أكتب مسدود النفس. كنت كتبت لك كتاباً عن أحمد شوقي في خمسمئة صفحة سميته (شاعر الألف سنة) مخضت لك فيه العشرين ألف بيت التي قالها أحمد شوقي وتخيرت زبدة الزبدة وشرحت شرحاً

ذريعاً. ثم كتبت كتاباً عن المتنبي في ثلاثمئة صفحة سميته (عصارة المتنبي)، عصرت لك فيه روح أبي الطيب، وصنعت كما صنعت مع شوقي. ولم يقرأ كتابي أحد. ولم يقل فيهما أحد شيئاً. فإن كنت تظن أنني أكتب لنفسي أو للأجيال المقبلة فاعلم أن لا. لتذهب الأجيال المقبلة إلى سقر. وبعد أن أضع رأسي على طويتي لن يهمني أقال في الناس خيراً أم شراً، أداؤوا على قبري أم وضعوا عليه الورد.

وما أنا أعود وأقدم لك البحترى مختصراً مشروحاً شرحاً أزعم أنه واف بالغرض. وكنت قلت إنني أخطط لتقديم دواوين كثيرة من الشعر القديم بهذه الطريقة. والآن فترت همتي. كنت أريد أن أختصر حقبة شعرية هي أطول وأعظم حقبة شعرية عرفها البشر. حقبة تمتد ألفاً وخمسمئة سنة من التراث الشعري العربي العمودي.

ذلك أن الشعر العمودي مات بالسكته قبل ستين سنة. وصدرت على مدى هذه السنوات الستين شهادات وفاة تثبت أن قلبه توقف عن النبض. واستبدل به العرب شعراً آخر. خرجوا من ثوبهم القديم ولبسوا ثوباً جديداً. كان لشعر التفعيلة عصره الذهبي. وولّى. وجاء شعر آخر منثور. ونهض الشعر العامي بقوايله المتعددة: القديمة المعتمدة على الأشطار المتساوية، أو الجديدة التي استفادت من الشعر الحديث مفاوئة بين شطر وشرط في الطول، وتوزيعاً حراً للقوافي. تجرأ الشعر العامي الآن في كل بلد عربي، وعزز شرعيته. في العراق تسمع قصائد رنانة تحكي الوجع اليومي وترجم المشهد السياسي، وفي الخليج يعيش الشعر النبطي أياماً زاهية، وفي مصر وفلسطين ولبنان وسوريا وبلاد الغرب شعر عامي حار.

التقيت قبل نحو شهر في الدوحة - وأنا أكتب لك في مارس آذار ٢٠١٠ - بالشاعر الشعبي الحمصي عمر الفراء صاحب (ما أريدك) وقرأ لي قصيدة سياسية بالفصحى، ونُبذاً من جديده بالعامية. رأيته جالساً في الردهة ينتظر سيارة تُقلّه إلى مكان احتفال ضمن مهرجان في الدوحة، فجلست إليه وحيته وآتسته حتى تأتي سيارته، لم يهن علي أن يجلس شاعر وحده ينتظر. رأيته في البحترى. صناعته الشعر، وهو يحفظ كل شعره، ويعيب على الشاعر ألا يحفظ كل ما قال.

العرب يعيشون سنوات الحيرة بين العامية والفصحى. وقد تظل هذه الحقبة

معنا بضعة قرون، فنحن بطيئون في حسم الأمور. والمشكلة عميقة وذات رؤوس كثيرة. وها أنا ذا أكتب إليك بالفصحى، ولا أدري لو قرأ كلامي قارئ بعد مئة سنة أكان سيفهم كثيراً من هذه الأسطر.

المهم في كل هذا أن الشعر العربي العمودي عاش حقبة مذهلة في طولها وفي ثرائها. ألفاً وخمسمئة سنة ونحن نقول الشعر على نظام ثابت: ستة عشر بحراً وشطران متساويان، وقافية تختتم الشطر الثاني.

الطريف أن شاعرنا الذي نخصص له هذا الكتاب - البحترى - هو الذي أوحى بتسمية «الشعر العمودي». فقد قال أبو عبادة عندما سئل عن الفرق بينه وبين أبي تمام: (كان أغوص على المعاني مني، وأنا أقوم بعمود الشعر منه).

وما عناه البحترى بعمود الشعر: تقاليده الموروثة، فأبو تمام خرج عن هذا الأساس واستولد المعاني وجدد في طريقة صوغها، وابن الرومي في العصر نفسه خرج عن طريقة القدماء في التعبير كثيراً، وقبلهما كان لأبي نواس خروجه المشهور. فجاء البحترى وراعى عمود الشعر، واحترم تقاليده. وفي زمننا نستعمل تعبير الشعر العمودي اسماً لكل شعر موزون مقفى على بحور الخليل. والسلام.

لقد انتهى الشعر العمودي. وأصبح في مقدورنا أن ننظر إلى كل هذا التراث الهائل من عل.

لم ننقطع عن ذلك التراث انقطاعاً مطلقاً. ولم يكن الشعر العامي منقطعاً عن الشعر العمودي. رأيت صديقي الشاعر الشعبي الخليجي ينظر إليّ نظرة في غاية الذكاء والحدة وأنا أنشده أبياتاً من الشعر العمودي، واستعادني بيتاً عويصاً فأعدته عليه، وعرفت من نظرته أنه فهم وأنه يريدني أن أتابع. علمتني نظرته تلك أن الشعر شعر. وأن الشاعر يحب الشعر كله. وعلمتني أيضاً أن العربي يحب الشعر، وأن الشاعر الشعبي يحب الفصيح ويتعلم منه ويزيد عليه من روحه. وكثير من شعراء الفصحى في لبنان قالوا الزجل. وفي مصر، شوقي مثال ساطع. وفي الأندلس قالوه.

على أن الشعر العمودي مات. والشعر العربي الآن يتخذ معايير جديدة ويضطرب في اتخاذها كثيراً. نعيش معمة. ما زال أحمد مطر يقول شعر التفعيلة ويبقيه حياً. وقد استقرت معايير هذا اللون من الشعر. أقصد المعايير

الشكلية. فأما في معاني الشعر فإن محمود درويش المتأخر هاجر إلى الرمز والإيحاء، واقترب من شعراء النثر في هذا الأمر، ولو عاش لكان هجر التفعيلة أيضاً فيما نقدر.

لأننا في معمعة شعرية، في فترة انتقالية كما يقولون، فإنه مريح للقلب أن يجمع المرء دواوين القدماء والمحدثين من أهل العمودي، ويضعها حوله مثلما يتحصن المقاتل بأكياس الرمل؛ شيء يُشعر بالاستقرار.

وقد أدمنت قراءة هذه الأشعار. وقدمت البسيط المفهوم منها في الإذاعة والتلفزيون سنوات طويلة. وآلمني أن تطور اللغة جعل الكثير من هذا الشعر عصياً على الفهم، فقلت: أنتقي زبدته وأشرحه للناس.

(استطرد متأخراً: أكتب هذا الاستطرد في يوليو تموز ٢٠١٦، وكنت شاركت على مدى الأشهر الماضية في برنامج تلفزيوني اسمه «فصاحة» بثه تلفزيون قطر. كنت عضو لجنة تحكيم، شاركني فيها الأستاذان أحمد الشيخ وعبد الله العذبة.

سافرنا جميعاً إلى تونس والتقينا بـ ١٨٩ شاباً وفتاة واختبرناهم جميعاً، وسافرنا إلى عُمان والتقينا بعشرات الشباب والفتيات هناك، ثم ثوبنا في الدوحة نستقبل العشرات ونمتحنهم.. كل هذا قبل أن يرسو اختيارنا على ستة وثلاثين شاباً وفتاة قام عليهم البرنامج، وبعد إحدى عشرة حلقة، طول الحلقة منها بين الساعة والنصف والساعتين، فاز محمد ياسين صالح بالنصف مليون ريال قطري، وفازت زينب المحمود بثلاثمئة ألف، وفازت غادة تهيمش بمئتي ألف، وفاز أحمد الكلباني بجائزة طيبة. وفزنا نحن أعضاء لجنة التحكيم بلذة الاستماع إلى فصحاء العرب في هذا الزمن. والشاهد في حكايتي كلها أننا، بعد استعراضنا نحواً من ثلاثمئة من شباب العرب، أصبنا بصدمة. فبرنامجنا برنامج نثر، وهو يسعى جاهداً إلى تمييز نفسه عن برامج شبيهة كانت مخصصة للشعر، كنا نريد أن نبرز فصاحة الفصحاء في النثر لا في الشعر. فإذا شباب العرب يتدفقون بالشعر تدفقاً، رغم أنفنا وأنف البرنامج. ووجدنا الكثيرين ممن يتقنون صوغ معانيهم في شعر عمودي.. أكثر بكثير ممن يقولون شعر التفعيلة.

كانت معانيهم وتشبيهااتهم واستعاراتهم قريبة القرب كله من طريقة شعراء التفعيلة، وكانت في أشعارهم رقة وشموخ وتمرد الشعر الجديد، لكن معظم ما سمعناه كان شعراً عمودياً. ونظن أن السبب في هذا قرب عهدهم بما حفظوه

في المدارس من الشعر العمودي، ونظن أنهم سيعدلون بشعرهم إلى التفعيلة، وربما إلى قصيدة النثر بعد حين).

رجع الكلام إلى البحري

تعلم البحري من معاصره علي بن الجهم شيئاً: اجتمع بابن الجهم يوماً، واستعرضا قصيدة لأشجع السلمي فانتقدها ابن الجهم قائلاً: أشجع (يخلي). ولم يفهم البحري المقصود بكلمة يخلي، واستحيا أن يسأل. ذهب إلى بيته، وأمر على ذهنه شعر أشجع. فرأه عادياً لا يكاد يمر فيه بيت بديع. فعلم أن هذا هو المراد بكلمة (يخلي). والكلمة تقال لرامي السهام يضل سهمه عن الهدف فيقال إنه أخلى.

على أن البحري لم يعرف كيف يجعل شعره محكماً مكتنزاً. هو نفسه يخلي كثيراً. تمر بك أبيات كثيرة مغسولة ليس فيها معنى بديع ولا لفظ شريف. وتمر بك قصائد كاملة باردة أو فاترة. ثم يمر بك بيت يجعلك تفق إن كنت قاعداً. وتمر بك قصيدة تجعلك تترنم بأبياتها. ولم يسلم من ذلك أي من الشعراء المداحين. ونعود فنقول: الشاعر بجيده لا برديئه.

طبقات الديوان

قرأت ديوان البحري بصفحاته التي تزيد عن ثلاثة آلاف ومئتين في طبعة حسن كامل الصيرفي الثالثة (واستفاد في هذه الطبعة من ملاحظات عبد السلام هارون الكثيرة التي بلغت أن ملأت كتاباً نشره هارون). والديوان محقق تحقيقاً ممتازاً لا يدانيه تحقيق لديوان، وألحقت به الملاحق والفهارس الكثيرة التي تجعلك تصدق ما قاله المحقق في المقدمة من أنه أنفق السنين في عمله. وقد فسر الصيرفي بعض الألفاظ، ولكنه ظل يهرب من المعاني الصعبة. ولا نلومه، فهو محقق لا شارح.

وانتفعت بشرح محمد ألتونجي (١٩٩٣) الذي أقر بجهد الصيرفي. ومتن ألتونجي مطابق لمتن الصيرفي. غير أنه شرح معاني الأبيات، وفي شرحه علة: يشرح لك البيت بكلام عام يهمل المعاني الدقيقة، ولا يندر أن يقع في شرحه بعيداً. في هذا الشرح قدر من الكسل. إنه في معظم الأحوال يلخص مغزى البيت ولا يشرحه. ولو كرس ألتونجي من وقته للشرح ما كرسه الصيرفي

للتحقيق لكان بين أيدينا الآن شرح لديوان البحري يشابه ما بأيدينا من شروح للمتنبى. ولا نلوم التونجي كثيراً، فطبعته مضبوطة بالشكل ضبطاً جيداً ومماثلاً لضبط الصيرفي.

وأما طبعة دار صادر فكنت قرأت شعر البحري القراءة الأولى فيها، وعندما رجعت إليها هذه المرة، لم أجدها تضيف شيئاً. ومثلها في هذا طبعة الجوائب وطبعة هندية، والطبعات البيروتية والمصرية المشتقة منهما. حمانا تضبيع الوقت في كل ذلك حسن كامل الصيرفي، فطبعته جوف الفرا، تحتوي كل ما عداها وتزيد زيادة وافرة.

إذن ما فضيلة كتابنا هذا؟

له فضيلتان: الاختيار والشرح. فقد تعمقت روح البحري. عشت معه، وعشت مع نقاده، مع الأمدي في كتاب الموازنة بين الطائيين بأجزائه الثلاثة، ومع المرزباني وأبي الفرج الأصفهاني وابن خلكان وياقوت وابن الأثير، والقاضي الجرجاني في اختياراته. وقرأت ما كتب المحدثون عن البحري: مارون عبود، والمقدسي، وشلق، وشرف الدين. ولطه حسين فصل طيب عن شاعرنا، ولزكي مبارك موازنة مدرسية بين سينية البحري وسينية شوقي. ورأيت رسالتين جامعيتين عن البحري أسدِلَ على صاحبيهما ستر الله، وأحتسب عنده الساعات التي قضيتها وأنا أفتش فيهما عن رأي أو معلومة مفيدة.

ولم أعد قراءة حماسة البحري، وكنت قرأتها قبل نحو من ثلاثين سنة. لم أرد أن أجدد معرفتي بذوق البحري في الشعر، فموضوعي هو شعر الرجل وكيف تذوّقه الناس في عصره وبعد عصره. على أنني تصفحت الكتاب بطبعة شيخو حتى لا يكون فاتني فيه شيء. واستفدت، عرفت شيئاً عن ثقافة الرجل الشعرية.

أقول، عشت في جو البحري زمناً. ثم أقبلت على شعره، أقرأه من جديد بذوق أرهفته آراء القدامى والمحدثين دون أن تستولي عليه. قد فات زمن أن يستولي على ذوقي أحد. واخترت لك ما قاله البحري من قلبه، واخترت ما قاله بفن وصنعة. اخترت ألف بيت تزيد قليلاً، هي خير ما قال شاعرنا.

هذا عن الاختيار.

ثم إنني شرحت الأبيات التي اخترتها شرحاً مفصلاً. ثم رتبت الشعر كله ترتيباً زمنياً. فأنت تقرأ كتابي هذا وتمضي مع البحري وتراه شاباً فرجلاً

فشيخاً، واستعنت في هذا بتواريخ تقريبية اجتهدتها محقق الديوان الصيرفي. على أن محققنا تحير في المقطعات الغزلية فرماها في صبا البحري رمي الثامة.

وقد شكلت الأبيات وطبعت الشروح بنفسى على الحاسوب، ثم راجعت كل ذلك مرات كثيرة إلى أن أصبحت أشتي أجد غلطة. لكنها موجودة. لا بد أنها موجودة. فإن عثرت عليها ففرحتك بليها مكافأتك. وبعد هذا وضعت لكل قطعة عنواناً حتى يكون لها اسم تتسمى به، ثم رقماً لأجعله المعتمد في الفهرسة. على أنني تركت السطر الذي يصف كل قصيدة على حاله في معظم الأحيان. ثم كتبت هذه المقدمة.

وسأمضي الآن إلى فهرسة الكتاب. وستجد في ذيله فهرساً للقوافي، وكشافاً لأغراض الشعر، وفهرساً عاماً لمحتويات الكتاب.

الدوحة ١٩ مارس/ آذار ٢٠١٠

ملحق بالمقدمة:

ضحك إليّ الزمن في سبتمبر أيلول ٢٠١٥، عندما بعثت إلى صديقي اللغوي المدقق أحمد عبد الرحيم نسخة من مختاراتي البحثية، فأعادها إلي بعد أيام قلائل وبها إشارات بثلاثة ألوان. أشار إلى أخطاء في النحو، وفي الصرف، وفي الرسم، وفي التاريخ، وعارضني في فهم أبيات كثيرة. أعاد إلي النسخة وبها نحو من ألف إشارة. كل هذا بعد أن ذكرت لك في المقدمة أعلاه أنني راجعت كثيراً إلى أن «أصبحت أشتي أجد غلطة».

كثير من تلك الإشارات كان يتعلق بخلاف بيننا في رسم التنوين أو الكسرة تحت الياء، لكن كثيراً منها كان يتعلق بأخطاء في النحو والإملاء والمعلومات يجب أن تصحح.

قد صححتها.

وقد تعلمت أن أضبط أكثر، وأن أتواضع أكثر. وحملت همّاً: فسوف أسير في عملي من الآن فصاعداً ببطء أكبر وشبح أحمد عبد الرحيم ماثلاً أمامي، فإن تفضل ووضع أفلامه الثلاثة في أشغالي المقبلة فهذا هذا، وإلا سأظل أراها تتفافز أمامي، كسيوف الرشيد المسلولة على أعناق أعدائه، إن أفلتوا منها في صحوهم وأروها في منامهم. ولن يرى القارئ ما صححه لي صاحبي، فهذا قد استتر، ولكنه سيرى أثره في تذوق بعض الأبيات، فقد استجاد أحياناً بعينها

لم أكن سودتها، فأنا أسودها ذاكراً له يده البيضاء على هذا الباب .

ملحق آخر: ابتسم لي الزمن ثانية في أواسط عام ٢٠١٦ فقرأ هذا الباب - وكل أبواب هذا الكتاب - صديقي الشاعر عمران الفيني، فكان لهذا الباب قلم رابع تعقب ما بقي فيه من أخطاء .

أقول: إذا كانت أخطائي بهذا القدر، فلماذا لا أريح نفسي وإياكم، وأترك هذا العناء كله؟ على أنني اخترت أن أجتهد. اخترت أن أتعلم من صديقين يصغرنني أحدهما بعشرين، والثاني بثلاثين.. ليتها كانت من الأشهر.. هي من السنين. ولعلي أفتخر أنني شخت وما زلت أتعلم. على أن ما سأنجزه من أبواب وكتب من بعد سيكون أفضل ضبطاً.. قد تعلمت كثيراً.

١ أمجاد بحتر

قال البحتر في صباه الباكر:

تَحْمِلُنِي الْإِيَّامُ مَا لَا أُطِيقُهُ وَتَحْمِلُنِي مِنْهَا عَلَى مَرْكَبٍ وَغَيْرِ
الزمن يحمِّلني ما لا طاقة لي به، ثم يجعلني أركب بعيراً صعباً هو مصائب الزمن. فأنا على هذا حامل الصعب، محمول على الصعب في آن معاً

بَنُو بُحْتَرٍ قَوْمِي، وَمَنْ يَكُ بُحْتَرٌ أَبَاهُ يَكُنْ فِي مُنْتَهَى الْمَجْدِ وَالْفَخْرِ
وما نحن إلا كالقضاء، فإننا ضربنا جميع الناس بالخير والشر
بنو بحتر مثل القضاء يصيبون الناس بالخير وبالشر. وكان الشاعر القديم يفتخر بأن قومه نفاعون ضرارون، المهم أن يكونوا ذوي أثر، ولهم احترام وهبة

أَبَدْنَا جُمُوعَ الرُّومِ حِينَ تَنَازَعَتْ فَوَارُسْنَا الْهَيْجَاءَ فِي وَقْعَةِ الْجِسْرِ

أبدنا جموع الروم إبادة بعد أن تداول فوارسنا (فرساننا) الهيجاء (الحرب) في وقعة (معركة) الجسر. لا بد أن تكون هذه وقعة الجسر المشهورة في زمن عمر (سنة ١٣ - ١٤هـ)، فالبحتر يذكّر الوقعة في قصيدة له أخرى ويصرح فيها باسم «عمر»: (وولي فتح الجسر إذ أغري به// عمر، وفاعل تلكم الفعلات)، ووقعة الجسر تلك حارب فيها رجال من طيء، قبيلة البحتر. وغريب هنا أمران: أولهما أن وقعة الجسر كانت مع الفرس لا مع الروم، وثانيهما أن العرب هُزموا فيها، فلا موضع للفخر. على أن هناك موضعاً قرب منبج، بلدة البحتر، اسمه (جسر منبج)، ومنبج على حدود دولة الروم. ها مسألة لمؤرخ أدب يحلها ويكتب فيها مقالاً، أو أطروحة، فتاريخ الأدب في جامعات العرب قد آل إلى أوراقٍ تافهة يكتبها تلامذة خائبون وينالون عليها الدرجات الرفيعة، ثم يحتلون كراسي التدريس في الجامعات ليعيدوا إنتاج خيبة أساتذتهم، هابطين عنهم دركة. ولعلك تريد أن تنصب (فوارسنا) على المفعولية فتكون الهيجاء قد تنازعتهم وطحتهم في وقعة الجسر مع الفرس

سَمَوْنَا لَهُمْ فِي عُصْبَةٍ بُحْثَرِيَّةٍ يَكْرُونُ؛ لَيْسُوا يَعْرِفُونَ سِوَى الْكَرِّ

سمونا (برزنا) للأعداء في عصبة (جماعة) يكرون (يهجمون)، ولا يعرفون سوى الهجوم

لَنَا حَسَبٌ لَوْ كَانَ لِلشَّمْسِ لَمْ تَغِبْ وَلِلْبَدْرِ مَا اسْتَوَلَى الْمَحَاقُ عَلَى الْبَدْرِ

لنا حسب (مجد) لو كان للشمس مثله لما غابت في الليل، ولو كان للبدر مثله لما لحق به المحاق

فَأَبْخَلْنَا بِالْمَالِ نَدُّ لِحَاتِمِ وَأَجَبْنَا فِي الرُّوعِ أَشْجَعُ مِنْ عَمْرٍو

أبخل شخص في فرع بحت من قبيلة طيء ند (مساو) لحاتم الطائي المشهور بجوده، وأكثرنا جناً أشجع في الروع (الحرب) من عمرو بن معديكرب الفارس المشهور

٢ مخصوص بالهوى

طَافَ الْهَوَى بَيْنَ خَلْقِي اللَّهُ كُلَّهُمْ حَتَّى إِذَا مَرَّ بِي مِنْ بَيْنِهِمْ، وَقَفَا

قد قلت لما رأيْتُ الموتَ ينزلُ بي وكاد يهتِفُ بي ناعِي، أو هتفا:

إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ قَلْبٍ يُحِبُّكُمْ وَمَا يَرَى مِنْكُمْ وَدًّا وَلَا لُطْفًا

٣ الهدف بناتهم

لَعَمْرُكَ مَا يَنْفَكُ يَخْطُرُ بَيْنَنَا مَعَ الرُّومِ حَرْبٌ بِالقَنَا وَالْمَنَاصِلِ

القنا (الرماح)، المناصل (السيوف)

نُقَارِعُهُمْ بِالمَوْتِ دُونَ بَنَاتِهِمْ مُقَارَعَةً الْأُسْدِ الْغَضَابِ الْبَوَاسِلِ

كان السبي فاشياً بين الطرفين في حروب تلك الأزمنة. وقد سبى الروم النساء المسلمات، ولعلمهم باعوهن رقيقاً، ولكن المؤرخ والشاعر العربيين صمتا عن ذلك

٤ الدَّلَّ

وَقَدْ وَثِقْتُ بِالْوَصْلِ مِنْكَ، فَأَصْبَحْتَ تَزِيدُكَ يُغْدَا كَلِّمَا زِدَتْهَا قُرْبًا

٥ يأس وانتظار

سَأَرْحَلُ عَنْكَ مُعْتَصِماً بِيَاسٍ وَأَقْنَعُ بِالَّذِي لِي فِيهِ قُوْتُ

سأرحل عنك أيها الأمير معتصماً بيأس (مستعيناً بشعور اليأس من عطائك)، وسأقنع بمجرد الحصول على قوتي

وَأُمِّلْ دَوْلَةَ الْأَيَّامِ حَتَّى تَجِيءَ بِمَا أُؤَمِّلُ، أَوْ أَمُوتْ
وسأمل دولة الأيام (تبدل الأيام) حتى تأتيني بآمالي أو يأتيني الموت. واختار المعري في «عبث
الوليد» رفع (تجيء) فرفعناها. تعليق عمران القفيني: رفعها المعري حتى يرفع أموت معطوفة عليها
فلا يقع إقواء

٦ غربة العاشق

أَنَا فِي أَسْرَتِي وَأَهْلِي كَأَنِّي بَيْنَهُمْ، حِينَ لَا أَرَاكَ، غَرِيبُ
أعيش بين أبناء أسرتي ومع أهلي كالغريب عندما لا أراك أيتها المحبوبة

مِنْ قُرُوحٍ نَبَتْنَ فِي كَبِدِي، جَا دَ عَلَيْنَهَا مِنَ الْبُكَاءِ شُؤْبُوبُ
هذا بسبب قروح (جراحات) نبتت بكبدي التي جاد (أفطر) عليها شؤبوب (رُخ) من الدمع
فَأَهْيَنِي أَوْ أَكْرِمِي، فَلَعَمْرِي مَا لِأُنْثَى سِوَاكِ عِنْدِي نَصِيبُ
أهيني بحبك أو أكرمني، فليس لأنثى غيرك نصيب في قلبي

٧ عَذَّبُوا

قال في علوة حببية الصبا:

فَإِنْ سَاءَ كُمْ مَا بِي مِنَ الضَّرِّ، فَارْحَمُوا وَإِنْ سَرَّكُمْ هَذَا الْعَذَابُ، فَعَذَّبُوا

٨ عندما يحدث الحديد الحديد

قال يفتخر بنفسه وبقومه، وهذه عندنا (الفخرية الكبرى):

إِنَّمَا الْغَيُّ أَنْ يَكُونَ رَشِيدًا فَانْقُصَا مِنْ مَلَامِهِ، أَوْ فَزِيدَا
الغي (الضلال) بالنسبة لهذا العاشق هو أن يكون رشيداً (عاقل)، فانقصا أيها العاذلان في لومه أو
زيدا (أكثر منه)، فهذا لا يهمه

خَلِّيَاهُ وَجِدَّةَ اللَّهِ، مَا دَا مَ رِذَاءُ الشَّبَابِ غَضًّا جَدِيدًا
خلياه (أتركاه) مع جدّة اللهو (اللهو الذي جاء جديداً إلى حياته) ما دام رداء (ثوب) الشباب غضاً
(طرياً) وجديداً

إِنَّ أَيَّامَهُ مِنَ الْبَيْضِ بَيْضٌ مَا رَأَيْنَ الْمَفَارِقَ السُّودَ سُودًا
أيام هذا العاشق بيضاء سعيدة مع الفتيات الحسان البيض ما رأين (ما دمن يرين) مفرق رأسه
الأسود ما زال أسود. الفتيات يحفظن الود شرط ألا يهجم الشيب على رأس الفتى

أَيُّهَا الدَّهْرُ! حَبِّدَا أَنْتَ دَهْرًا؛ قِفْ حَمِيدًا، وَلَا تُؤَلِّ حَمِيدًا

ما أجملك أيها الزمن! قف وأنت في أزهى حالاتك، ولا تول (لا تتصرف) عندما تصل إلى الذروة. ما أكثر ما يردد البحري هذا المعنى. كلما رأى الزمن حلولاً طلب منه أن يقف. وقد أبدع شاعر الكلثومية اليتيمة جورج جرداق عندما ختم كلثوميته بقوله: ملء قلبي شوق، وملء كياني/هذه ليلتي، فقف يا زماني

كُلَّ يَوْمٍ تَزْدَادُ حُسْنًا، فَمَا تَبُـ عَثُ يَوْمًا إِلَّا حَسِبْنَاهُ عَيْدًا
ما أجمل هذا البيت رديفًا للذي قبله، فافقراهما معاً وترنم

إِنَّ فِي السَّرْبِ، لَوْ يُسَاعِفُنَا السَّرُّ بُ، شُمُوسًا يَمْشِينَ مَشْيًا وَثِيدًا
السرب: سرب الجميلات، يساعفنا: يحنُّ علينا ولا يعبُرنا، وثيداً: بطيئاً

رُحْنٌ، وَاللَّيْلُ قَدْ أَقَامَ رُوقًا، فَأَقْمَنَ الصَّبَاحُ فِيهِ عُمُودًا
رحن (رُحْنٌ) بالتعبير العامي، أي انصرفن (مساءً)، وقد عقد الليل فوق الرؤوس رواقاً (سقفًا) من الظلمة، وبظهورهن كنَّ مثل عمود الصبح (الضوء الساطع في الصباح، بخلاف الضوء الخفيف الذي يسمونه الفجر الكاذب)

بِمَهَاةٍ مِثْلِ الْمَهَاةِ، أَبَتْ أَنْ تَصِلَ الْوَضْلَ، أَوْ تَصُدَّ الصُّدُودَا
رحن وبرفقتن مهاة (المحبوبة التي تشبه بقرة وحشية) وهي مثل المهاة حقاً، وقد رفضت أن تصلنا وصلًا حقيقياً، كما أنها لا تصد صدوداً تاماً

ذَاثُ حُسْنٍ، لَوْ اسْتَرَادَتْ مِنَ الْحُسْنِ حِنْ إِلَيْهِ لَمَّا أَصَابَتْ مَزِيدًا
حسناً، لو طلبت زيادة في الحسن (الجمال) لما أصابت (لما وجدت) زيادة تضيفها إلى حسنها

فَهِيَ الشَّمْسُ بِهَجَةٍ، وَالْقَضِيبُ الْـ غَضُّ لَيْنًا، وَالرُّثْمُ طَوْقًا وَجِيدًا
القضيب (الغصن)، الغض (الطري)، الرثم (الغزال)

يَا ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ! كَيْفَ يَرَى قَوْ مُكِ عَذْلًا أَنْ تَبْخَلِي، وَأَجُودَا؟
أجود (أكون جواداً كريماً)

إِنَّ قَوْمِي قَوْمُ الشَّرِيفِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، أَبُوءُ وَجُودًا

قومي هم قوم من كان قديمه وحديثه شريفاً، هم قوم من كان شريف الآباء والأجداد. لِمَنْ النحْوُ مِنْ هَمَّةٍ: الشريف هنا صفة مشبهة عاملة. والأسلوب يشبه قولك: هؤلاء الرجال هم أبناء العظيم أباً، والأسلوب معوج بعض الشيء. فلو أنه قال أنا الشريف قديماً وحديثاً لكان أقرب إلى الذهن

ذَهَبَتْ طَيِّءٌ بِسَابِقَةِ الْمَجْدِ إِدِ عَلَى الْعَالَمِينَ بِأَسَا وَجُودًا
قبيلة طيء نالت سابقة المجد (الأولية، والأسبقية) على كل الناس في البأس (القوة) وفي الكرم

مَعَشَرَ أَمْسَكْتَ حُلُومَهُمُ الْأَرَضِ ضَنْ، وَكَادَتْ مِنْ عِزِّهِمْ أَنْ تَمِيدَا
حلومهم (عقولهم الراجعة) راسخة كالجبال وقد ثَبَّتَتْ الأرض في مكانها، ولكن هذه الأرض
كادت من عزهم (قوتهم) أَنْ تَمِيدَ (تتزعزع). والعربي في صحرائه يرى كثبان الرمل تتحرك ويتخيل
أَنْ الجبال هي التي تمسك الأرض، ويشبهون الحلوم أو الأحلام (العقول الرزينة) بالجبال.
وعندما تجرأ أبو تمام وشَبَّهَ الحلوم بشيء غير الجبال قامت عليه قيامة النقاد القدامى

نَزَلُوا كَاهِلَ الْحِجَازِ، فَأَضْحَى لَهُمْ سَاكِئُوهُ طَرًّا عَبِيدَا
نزل قومي من طيء كاهل (ظهر) الحجاز، قادمين من اليمن، وجعلوا سكانه طَرًّا (جميعاً) عبيداً لهم
مَنْزِلًا قَارَعُوا عَلَيْهِ الْعَمَالِبِ قَى، وَعَادَا فِي عِزِّهَا، وَتُمُودَا
اتخذوا الحجاز منزلاً (بلداً) وقارعوا (نافسوا) عليه العمالق (القوم الكبار الأجسام الذين قيل إنهم
سكنوا الجزيرة قبل العرب)، ونافسوا قوم عاد وقوم ثمود

وَلُبُوثٌ مِنْ طَيِّءٍ وَغُبُوثٌ لَهُمُ الْمَجْدُ طَارِفًا وَتَلِيدَا
اللبيوث (الأسود)، الغبوث (الأمطار)، الطارف (الجديد)، التليد (الموروث)

فَإِذَا الْمَحَلُّ جَاءَ، جَاءُوا سُبُولًا وَإِذَا النَّفْعُ ثَارَ، ثَارُوا أَسُودَا
المحل (القحط) النفع (الغبار، يقصد غبار المعركة)

يَحْبِسُنُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ وَالْأَحَادِي ثُ، إِذَا حَدَّثَ الْحَدِيدُ الْحَدِيدَا
ذُكِّرهم والحديث عنهم حسن، ولا سيما عندما يتكلم الحديد مع الحديد
(عندما تشتبك السيوف في المعركة)

عَدَلُوا الْهَضْبَ مِنْ نِهَامَةٍ أَحْلَا مَا يُثْقَلًا، وَرَمَلَ نَجْدٍ عَدِيدَا
عدلوا (ساووا) الهضب (المرتفعات) من جبال تهامة بأحلامهم الثقيلة (عقولهم الراجعة)، وساووا
حبات رمل نجد في كثرة عددهم

مَلَكَوْا الْأَرْضَ قَبْلَ أَنْ تُمْلِكَ الْأَرْضُ ضَنْ، وَقَادُوا فِي حَافَتَيْهَا الْجُنُودَا

قبل أَنْ يملك الفرس والروم الأرض ملكها بنو طيء، وقادوا الجنود في حافتيها. [أرض
البحثري قطعة مستوية لها حافتان. ولم يُلَقَّ أبو عبادة بالأل للفرغاني الذي كَوَّرَ الأرض
قبل سَنِيَّهَاتِ قلائل (في عصر المأمون، عندما كان عمر البحثري ١١ سنة، كتب
الفرغاني كتابه «الحركات السماوية وجوامع علم النجوم»). واثم بأرقام الفرغاني (سموه
ألفراغانوس باللاتينية) بعد بضع مئات من السنين كولومبوس خالطاً بين الميل العربي
والميل الروماني. وفي كتاب لنا بعنوان «جولة في خريطة العالم السياسية» أوردنا أن
يحيى بن أبي منصور قاس، في عهد المأمون أيضاً، محيط الكرة الأرضية بدقة مذهلة]

وَجَرَوْا، عِنْدَ مَوْلِدِ الدَّهْرِ، فِي السُّؤِّ دَدٍ وَالْمَكْرُمَاتِ شَأَوًا بَعِيدًا

قبيلة طيء، كما يخبرنا البحري، كانوا ثَمَّ عند مولد الزمان، وجروا في حلبة (ميدان الخيل)
السؤدد (السيادة) والمكرمات شأواً (شوطاً) بعيداً

سَائِلِ الدَّهْرِ مُذْ عَرَفْنَاهُ: هَلْ يَعْرِفُ مِنَّا إِلَّا الْفَعَالُ الْحَمِيدُ؟

سائل (اسأل) الزمن منذ أن عرفناه، هل رأى منا سوى الفعال الحميد (الأمجاد)

قَدْ، لَعَمْرِي، سُدَّنَاهُ كَهْلًا وَشَيْخًا وَشَبِيبًا وَنَاشِئًا وَوَلِيدًا

كانوا سادة الزمن في كل مراحلهم

نَحْنُ - أَبْنَاءُ يَعْزُبٍ - أَعْرَبُ النَّاسِ لِسَانًا، وَأَنْضَرُ النَّاسِ عُودًا

نحن - أعني أبناء يعرب (ويعرب جد العرب العاربة القحطانيون/ وطيء قبيلة قحطانية يمنية) -
أعرب (أفصح) الناس لساناً، وأنضر الناس عوداً (غصناً). في البيت فخر قحطاني على العدنانيين،
والكتب المدرسية تجعله فخراً عربياً عاماً

وَكَأَنَّ الْإِلَهَ قَالَ لَنَا: فِي الْحَرْبِ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا

من الآيتين: (وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنّا لمبعوثون خلقاً جديداً/ قل كونوا
حجارة أو حديدًا)، وأخذ أبو عبادة أخذاً حلواً. هذه القصيدة: هذا البحري في
أفصح حالاته، وأخذنا معظم أبيات هذه القصيدة. وفيها عربيته الصافية القوية
الفخمة، وفيها حرارة شاعريته وتدفق عصييته، وفيها أيضاً ما أخذه من أبي تمام من
الخروج إلى المجاز، وجعل اللغة ترقص. وفيها خيال وشطح معجبان. وإن يكن
حقاً أنه قالها وهو في السادسة عشرة من عمره، وهذا ينقله الصيرفي عن مصدر قديم
ويطلب إلينا تصديقه، فتلك العجيبة الثامنة. البحري شيطان شعر وفصاحة. ثم إن أبا
الغوث بن الوليد (ابن البحري) قال للصولي - الذي رواها في كتابه «أخبار
البحري» -: (من أول أشعار أبي قوله وهو حدث يفتخر: إنما الغي أن يكون
رشيداً)، فهي من أوائل أشعاره، وكان زمانه (حدثاً). والحدث هو الشاب والغلām،
في وصف صاحب اللسان

٩ اعصِ .. واخضع

إَقْبِلْ مَعَاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِرًا إِنَّ بَرَّ عِنْدَكَ فِيمَا قَالَ، أَوْ فَجَرًا

اقبل معاذير (أعذار) المعتذر، سواء أبرَّ (أصدق) أم فَجَرَ (كذب)

فقد أطاعك مَنْ أَرْضَاكَ ظَاهِرُهُ وقد أَجَلَّكَ مَنْ يَعَصِيكَ مُسْتَتِرًا

فمجرد تظاهره بالسعي لإرضائك يعني أنه مطيع لك، والذي يخالفك في السر يجلك ويجد في نفسه هيبتك. ويروي الصيرفي البيت واضعاً كلمة «أضلك» مكان أَجَلَّكَ. ويصر عليها. وقد وجدها «أَجَلَّكَ» في كتاب «عين الأدب والسياسة» فعلق في الحاشية: «هذا تحريف وصوابه «أضلك» فأَي ضلال في فهم الشعر هذا! وتابعه في هذا الضلال محمد ألتونجي. ولم ترد الأبيات لا في طبعة هندية للبرقوقي، ولا في طبعة الجوائب. على أنها وردت في كتب كثيرة منها السمت والعقد مع اختلاف في الرواية، فبعضهم جعل «أطاعك» في المصراع الثاني، وهذا يقوم بحق الذوق الأدبي. ولم يتعرض لهذه الهنة عبد السلام هارون في نقده للصيرفي، فهو وقف دون حرف الرءاء بكثير في نقد تحقيق الديوان. ونحن اخترنا ألا نأخذ الصيرفي بأغلاطه التي أخذها بها هارون. انظر المزيد عن نقد هارون في أثناء شرحنا القصيدة المقبلة

خَيْرُ الْخَلِيلَيْنِ مَنْ أَغْضَى لِصَاحِبِهِ ولو أَرَادَ انْتِصَاراً مِنْهُ لَانْتَصَرَ

خير صاحبك الذي يغضي (يتغاضى) عن ذنبك، في حين أنه لو أراد الانتقام لوسعه ذلك. «خير الخليلين»: أسلوب في التعبير يفترض وجود نوعين متضادين من الجنس نفسه، كأن تقول: (شر الأميرين المتعجل بالعقاب)

١٠ الفرع بالإبداع

إِنْ تَرَنِني تَرَنِ حُسَاماً صَقِيلاً مَشْرِفِيّاً مِنَ السُّيُوفِ الْجِدَادِ

مشرفياً (سيفاً)، الجِدَاد (الحادة)

ثَانِي اللَّيْلِ، ثَالِثَ اللَّيْلِ وَالسَّيِّ حَرِّ، نَدِيمَ النُّجُومِ، تَرَبَّ السَّهَادِ

ثاني الليل (أي مصاحباً لليل، فالليل أَوَّل وأنا ثانيه)، وثالث الليل (الصحاري) والسير، وجلس النجوم في ليل الصحراء، وترب (قرين) السهاد (السهر)

كَلَّمَ الْخَضِرُ لِي، فَصَبَّرَنِي بَعْدَ لَدِّكَ عَيْنًا عَلَى عِبَارِ الْبِلَادِ

كَلَّمَ بعضهم الْخَضِرَ (النبي الجوال المستور) لي (بشأنني/توسط لي) فجعلني بعد فراقك أيتها المحبوبة عيناً (رقيباً) على عبار البلاد (نظام البلاد). يقول: إنه صار بعد انقضاء الهوى جوالاً كثير الأسفار. ولعمري للإخفاق في الحب يزعج المرء إلى غربة بعد غربة. خص عبد السلام هارون في نقده المثة والأربع والتسعين على تحقيق الصيرفي لديوان البحرني هذا البيت بنقدية. يريد هارون أن يكون معنى عبار البلاد (كثرة الانفلات والمجيء والذهاب في الأرض). وله سند في لسان العرب، وهو لم يقصر في تعصيد رأيه بأكثر مما جاء في لسان العرب، على أنه لم يجعلني أرى المعنى الذي أراد، وإن شككتني. وقد كتب عبد السلام هارون مئة صفحة في نقد الجزء الأول من تحقيق الصيرفي لديوان البحرني. وهذه الصفحات المئة شاهد على فحولة هارون، وتمكنه من أدب العربية ولغتها على نحو يرفعه درجات فوق من عاصره. وقد عاش ومات لا يعرفه سوى قلة من مدمني العربية وحرّسها المخلصين. وله في التحقيق والتأليف مئة وواحد وعشرون كتاباً ليس كمثلها شيء. وما مضى هارون إلا وقد حقق لنا جل المتوفر من كتب الجاحظ. وكنت أتمنى لو كان حقق كتب الشعر، لأنه كان في الشعر علامة قل نظيره

لَيْلَةٌ بِالشَّامِ، ثُمَّتْ بِالْأَمِّ وَارِ يَوْمًا، وَلَيْلَةٌ بِالسَّوَادِ

أقضي ليلة بالشام، ثم يوماً في الأهواز (في إيران، على حدود عراق اليوم)، وليلة بالسواد (ما بين النهرين بالعراق)

وَطَنِي حَيْثُ حَطَّتِ الْعَيْسُ رَحْلِي، وَذِرَاعِي الْوِسَادُ، وَهِيَ مِهَادِي

شردني هواك المبتور فصرت بلا وطن؛ وطني أي مكان تحط الجمال فيه رحلي (متاعي) عن ظهورها، ووسادتي ذراعي، وذراعي هي مهادي (فراشي) أيضاً

لِي مِنَ الشَّعْرِ نَخْوَةٌ وَاعْتِزَازٌ وَهُجُومٌ عَلَى الْأُمُورِ الشَّدَادِ

رأسمالي شعري، وبه تقوى نفسي وأقدم على الأمور الصعبة

فَإِذَا مَا بَنَيْتُ بَيْتًا تَبَخَّرْتُ ثُ، كَأَنِّي بَنَيْتُ ذَاتَ الْعِمَادِ

فإذا قلت بيتاً من الشعر تبخترتُ معتزاً به كأنني بنيت ذات العماد (إرم ذات العماد: مدينة ذات جمال أسطوري وصفها القرآن، وخسفها الله خسفاً) لا يفوتك ما في هذا البيت من جمال. يجعل البحترى بيت الشعر يُبنى بناء، لا يُقال قولاً. وفي هذا البيت تعبير عن لذة الخلق. يصحو الشاعر من نومه ملهوفاً على أبيات قالها في الليلة الفائتة، يسترجعها في ذاكرته، أو في ورقته، وينبض قلبه بحب المولود الجديد نبضاً يعرفه المبدع الفنان. لعل هذه اللفظة هي الخط الفاصل بين الفنان والحرفي

أَوْ كَأَنِّي أَحْوُكُ حَوْكَ زِيَادٍ أَوْ كَأَنِّي أَبُو دُؤَادِ الْإِيَادِي

كأنني أحوك (أنسج) القصيد حوك زياد (النابعة الذبياني)، أو كأنني أبو دؤاد الإيادي (الشاعر الجاهلي)

لِي مُعِينَانِ: هِمَّةٌ وَاعْتِزَامٌ تِلْكَ مِنْ طَارِفِي، وَذَا مِنْ تِلَادِي

لي مساعدان: همة (طموح) وعزم؛ فالطموح هو طارفي (جديدي، أي مما اكتسبته أنا)، والعزم تلادي (موروثي)

لِي نَدِيمَانِ: كَوَكْبٌ وَظَلَامٌ، لَا يَخُونَانِ صُحْبَتِي وَوِدَادِي

لِي مِنَ الدَّهْرِ كُلُّ يَوْمٍ عَنَاءٌ: فُرَقْتَنِي مَعْشَرِي، وَقَلَّةُ زَادِي

كل يوم يعاني من الغربة ومن الفقر

١١ لذة الشهرة

إِنَّ شِعْرِي سَارَ فِي كُلِّ بَلَدٍ وَاشْتَهَى رِقَّتَهُ كُلُّ أَحَدٍ

فُلْتُ شِعْرًا فِي الْغَوَانِي حَسَنًا تَرَكَ الشَّعْرَ، سِوَاهُ، قَدْ كَسَدَ

١٢ سيوف بلا رجال

قال يرثي قومه:

أَبْعَدَ «مُبَشِّرٍ» وَ«أَبِي عُبَيْدٍ» وَ«مَعْيُوفٍ» الْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي
وَبَعَدَ أَبِي «أَبِي الْعَطَّافِ» أَرْجُو وَفَاءَ الدَّهْرِ، أَوْ عَهْدَ اللَّيَالِي؟
وَرِثْتُ سَيُوفَهُمْ، وَمَضَوْا كِرَامًا، وَمَا نَفْعُ السِّيُوفِ بِلَا رِجَالٍ؟
التسويد لصديقي ومصححي «أحمد عبد الرحيم»، وأنا: موافق

١٣ لا أستطيعها

وَنَدِيمِ حُلُوِّ الشَّمَائِلِ كَالدَّبِّ خَارٍ، مَحْضِ النَّجَارِ، عَذْبٍ مُصَقَّى
الشماثل (الصفات)، كالدينار (حتى الآن بعضهم يشبه الشخص الجيد بالليرة الذهب)، محض
النجار (خالص الأصل)

لَمْ أَزَلْ بِالْخِدَاعِ أَسْقِبِهِ، حَتَّى وَضَعَ الْكَأْسَ مَائِلًا يَتَكَفَّى
يتكفأ (يتمايل)

قُلْتُ: عَبْدَ الْعَزِيزِ! تَقْدِيكَ نَفْسِي، قَالَ: لَبَّيْكَ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ أَلْفَا
هَآكِهَآ. قَالَ: هَآيَهَآ. قُلْتُ: خُذْهَا قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُهَا، ثُمَّ أَهْفَى
هاكها (خذها)

لم يقل أحد في أدب المنادمة أجمل ولا أرق ولا أحلى من هذه الأبيات.
ورغم الظاهر من نثرية الحوار فالموقف كله يغلي بالشعر غلياناً. هذا شاعر يصف موقفاً مع صديق
أو ربما حبيب له. وأغلب ظني أن البحري ينقل ما حدث نقلاً كما لو بكاميرا فيديو. وسبك
الموقف سبكاً بديعاً

١٤ تمرين في الاستطراد

يمدح مالك بن طوق التغلبي:

فَتَى شَقِيَّتْ أَمْوَالُهُ بِسَمَاحِهِ كَمَا شَقِيَّتْ بَكْرُ بِأَرْمَاحِ تَغْلِبِ
هذا الفتى أمواله شقيت (تعذبت) من سماحه (كرمه) كما شقيت قبيلة بكر برماح قبيلة تغلب،
والممدوح تغلبي. وقد اتكأ البحري على المدح ليخرج إلى هجاء طرف آخر، وهذا أسلوب
الاستطراد في الشعر - كما سماه أبو تمام وبصر البحري به

١٥ حَيَّ عَلَى الرَّحِيلِ

يمدح مالك بن طوق:

مَا لِي وَلِلْأَيَّامِ! صَرَفَ صَرَفُهَا حَالِي، وَأَكْثَرَ فِي الْبِلَادِ تَقْلِبِي
صرف صرفها (بدلت حوادثها)، تقلي (تقلبي)

فَأَكُونُ طَوْرًا مَشْرِقًا لِلْمَشْرِقِ الْـ أَقْصَى، وَطَوْرًا مَغْرِبًا لِلْمَغْرِبِ
أكون في أقصى المشرق فأكون شرقاً له، وأكون كالمغرب بالنسبة للمغرب/ يقول إنه يذرع البلاد
من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب

وَإِذَا الزَّمَانُ كَسَاكَ حُلَّةً مُعْدِمٍ فَالْبَسْ لَهُ حُلَلَ النَّوَى، وَتَغَرَّبْ
إذا البسك الزمان حلة (ثوب) معدم (فقير)، فالبس حلل (أنواب) النوى (الفراق)، وتغرب

كان أبو تمام حبيب المرء في الرحيل قائلاً: (ألم تر أن الشمس زيدت محبة/ إلى الناس أن ليست
عليهم بسرمد)، وهذا البحري يتدرب على معاني أبي تمام، وليس معه شمس. ستشرق شمس
البحري فيما بعد، وسيؤسس لنفسه طريقة. امض في المطالعة

١٦ مجد مرفوع مع رفع السماء

يمدح أحمد بن إبراهيم الأزدي:

اللَّهُ أَكْحَسَبَكَ الْمَحَامِدَ مُكْمِلًا لَكَ كُلَّ إِنْسَانِيَّةِ الْإِنْسَانِ
رَفَعَ السَّمَاءَ وَمَجَّدَ فَخْرَكَ، قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ بِوَضْعِ الْأَرْضِ وَالْمِيزَانِ
يبدأ: يبدأ، جاء في الذكر: «والسما رفعها ووضع الميزان» الرحمن ٧

إِنِّي أَتَيْتُ مُودِّعًا؛ وَأَقُولُ: لَوْ لَمْ آتِ فَضْلَكَ طَالِبًا، لَأَتَانِي

١٧ خير المجانين

يهجو دحمان بن نهيك:

أَمُرُّ عَلَى (حَلَبٍ) ذَاتِ الْبَسَاتِينِ وَالْمَنْظَرِ السَّهْلِ، وَالْعَيْشِ الْأَقَانِينِ
مَا كَانَ فِي عُقَلَاءِ النَّاسِ لِي أَمَلٌ فَكَيْفَ أَمَلْتُ خَيْرًا فِي الْمَجَانِينِ؟
لَا تَفْخَرَنَّ، فَلَمْ يُنْسَبْ أَبُوكَ إِلَى بَهْرَامِ جُورٍ، وَلَا بَهْرَامِ شُوبِينَ

يستعرض البحري معرفته بتاريخ الفرس: بهرام جور هو بهرام الخامس الساساني الذي انتهى
حكمه عام ٤٣٨م، وبهرام شوبين هو بهرام السادس الذي حكم سنة انتهت في عام ٥٩١م، لكنه
كان قائداً مهماً قبل اغتصابه الملك

١٨ أنا والذئب والصحراء

إِذَا جُرُزَتْ صَحْرَاءُ الْغَوِيرِ مُعَرِّبًا وَجَارَتْكَ بَطْحَاءُ السَّوَاجِيرِ يَا سَعْدُ
إذا تخطيت صحراء «الغوير»، وأصبحت وراءك بطحاء السواجير
(مسيل الماء عند نهر الساجور قرب منبج) يا سعد..

فَقُلْ لِبَنِي الصَّحَاكِ: مَهْلًا، فَإِنَّنِي أَنَا الْأَفْعَوَانُ الصَّلُّ، وَالضَّيْعُمُ الْوَرْدُ
.. فقل لبني الضحاك (قبيلة الحسن بن رعاء): إني أنا، البحرى، الأفعوان الصل (الثعبان
الخبيث)، والضيعم الورد (الأسد المحمر اللون)

يَوَدُّ رِجَالٌ أَنَّنِي كُنْتُ بَعْضَ مَنْ طَوَّتُهُ الْمَنَايَا، لَا أَرُوحُ وَلَا أَغْدُو
بعض أعدائي يودون أن الموت طواني وأصبحت لا رواح ولا مجيء لي على ظهر الأرض

وَلَيْلٍ كَأَنَّ الصُّبْحَ فِي أَخْرِيَاتِهِ حُشَّاشَةٌ نَّصُلِ ضَمَّ إِفْرِنْدُهُ غِمْدُ
ورب ليل كأنه في أواخره حشاشة نصل (بقية سيف) بقيت ظاهرة تلمع
وقد دخل معظم إفرند السيف (صفحته) في الغمد. يشبه بداية الشروق بنصل سيف
خرج قليلاً من غمده

تَسَرَّبَلْتُهُ، وَالذَّئْبُ وَسَنَانٌ هَاجِعٌ بَعَيْنِ ابْنِ لَيْلٍ مَا لَهُ بِالْكَرَى عَهْدُ
هذا الليل تسربلته (لبسته)، بينما الذئب وسنان (ناعس) هاجع (راقد) بعين ابن ليل (لص) ليس له
عهد قريب بالكرى (النوم). فالذئب نائم بعين لص، أي نصف نائم وأخذ حذره

وَأُطْلَسَ مِلْءُ الْعَيْنِ يَحْمِلُ زَوْرَهُ وَأَضْلَاعُهُ، مِنْ جَانِبَيْهِ شَوَى نُهْدُ
ورب ذئب أطلس (مغبر اللون كالتراب) يملأ العين مهابة، يحمل زوره (أعلى صدره) وأضلاعه
(عظام قفصه الصدري) شوى (قوائم) نهْد (مرتفعة). [أظن هذا هو المعنى]

لَهُ ذَنْبٌ مِثْلُ الرِّشَاءِ يَجْرُهُ وَمَتْنٌ كَمَتْنِ الْقَوْسِ أَعْوَجُ مُنَادُ
له ذئب مثل الرشاء (الحبل) يجره جراً على الأرض،
ومتن (ظهر) كمتن القوس أعوج مناد (معوج)

طَوَاهُ الطَّوَى حَتَّى اسْتَمَرَّ مَرِيرُهُ فَمَا فِيهِ إِلَّا الْعَظْمُ وَالرُّوحُ وَالْجِلْدُ
طواه الطوى (أرهقه الجوع)، حتى استمر مريره (اشتد عزمه)،
فلم يبق فيه إلا العظم والجلد.. والروح. وإضافة (الروح) إلى العظم
والجلد من بدائع البحرى

يُقْضِضُ عَصَلاً فِي أَسْرَتِهَا الرَّدَى كَقَضْقَضَةِ الْمَقْرُورِ أَرْعَدَهُ الْبَرْدُ

يقضض عَصَلاً (يقعقع بأنياه المعوجة)، وفي أَسْرَةٍ هذه الأنياب (في حُزُوزِها) يقبع الردى (الموت)، وهو في قعقعته بأنياه يشبه المقرور (البردان) الذي يرتعش من البرد. لو كان طه حسين نقد هذا البيت لقال: «واسمعه يصف ذنباً يحرق أنياه واسمعه يشبهه بإنسان مقرور، خَصِر، تصطك أسنانه اصطكاكاً متصلاً متتابعاً لا يكاد ينقطع، وردد على نفسك أو على جليسك إن كان لك من تجالس كلمة واحدة؛ أو فلها في قلبك واجعل أذنك تسمعها أو كأنها تسمعها؛ لا إخالك إلا عرفت الكلمة التي إليها أقصد وإياها أعني. إنها كلمة (كقضقضة). انظر في حروفها كيف تخرج من كل مخرج يخرج منه حرف، وتأمل هيأتك وأنت تجاهد فمك في إخراجها جهاداً. وأنا زعيم لك أن ستحس في جسمك رعدة المقرور»، نعتذر عن محاكاة طه، فهو في حديث الأربعاء وقف قبل عصر البحرى بقليل، وإن قال إن خير ما قاله البحرى كان في مدح المتوكل

سَمَا لِي، وَبِي مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ مَا بِهِ، بَيْدَاءَ لَمْ تُحَسِّنْ بِهَا عَيْشَةَ رَغْدُ
سما لي (برز إليّ) - وبى مثل ما به من شدة الجوع - في بيداء لم يشعر الناس فيها قط بعيشة رغد (هنية)

كِلَانَا بِهَا ذُنْبٌ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِصَاحِبِهِ، وَالْجَدُّ يُتَمِصُّ الْجَدُّ
كلانا في هذه البيداء ذنب يحدث نفسه بصاحبه (بييت الغدر بصاحبه)، والجد (الحظ) يتمصسه الجد (يغلبه حظ مضاد له)، أي أن المسألة مسألة حظ: من سيقتل الآخر ويفوز بلحمه؟

عَوَى ثَمَّ أَقْمَى، فَارْتَجَزْتُ، فَهَجْتُهُ فَأَقْبَلَ مِثْلَ الْبَرْقِ يَنْتَبِعُهُ الرَّعْدُ
عوى الذئب ثم أقمى على قائمته الخلفيتين، فارتجزت (قلت أشطاراً حماسية من الرجز)، فهجته (هيجته)، فأقبل عليّ سريعاً كالبرق، عاوياً بصوت كالرعد

فَأَوْجَرْتُهُ خَرْقَاءَ تَحْسَبُ رِيشَهَا عَلَى كَوَكِبٍ يَنْقُضُ وَاللَّيْلُ مُسَوَّدُ
فأوجرته خرقاء (ألغمته حربة غير صائبة) كأنها - والريش بذيلها - كوكب يهوي في سواد الليل

فَمَا اِزْدَادَ إِلَّا جُرَاءً وَصَرَامَةً، وَأَيَقَنْتُ أَنَّ الْأَمْرَ مِنْهُ هُوَ الْجَدُّ
فزاده ذلك جرأة وصرامة، وتأكدت أنه جاد في مهاجمتي

فَاتَّبَعْتُهَا أُخْرَى، فَأَضْلَلْتُ نَصْلَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللَّبُّ وَالرُّعْبُ وَالْحَقْدُ
فاتبعت الحربة الأولى بأخرى صائبة، فانغرس نصلها في مكان اللب (الفهم) والرعب والحقْد (أي في القلب)

فَحَرَ، وَقَدْ أَوْرَدْتُهُ مَنَهْلَ الرَّدَى، عَلَى ظَمَأٍ؛ لَوْ أَنَّهُ عَذَّبَ الْوَرْدُ
فخر (فوق) سريعاً - بعد أن جعلته يرد منهل (مورد) الموت - على ظمأ (عطشان)؛ لو أنه عذَّب الورد (ليته كان ورد ماء عذباً بعد هذا العطش، لا بل قد سقيته الموت)

وَقُنْتُ فَجَمَعْتُ الْحَصَى، وَاشْتَوَيْتُهُ عَلَيْهِ، وَلِلرَّمْضَاءِ مِنْ تَحْتِهِ وَقَدْ

شويته بعدئذ على الحصى، والرمضاء (الحصى الحارة) متقدة تحت

وَنَلْتُ خَسِيساً مِنْهُ ثُمَّ تَرَكْتُهُ، وَأَقْلَعْتُ عَنْهُ وَهُوَ مُنْعَفِرٌ فَرْدٌ

نلت خسيساً (قليلاً) من لحمه لسد جوعي وتركته، ثم أقلت عنه (فارقته) وهو منعفر بالتراب ومتروك وحده

لَقَدْ حَكَمْتُ فِينَا اللَّيَالِي بِجَوْرِهَا وَحُكْمُ بَنَاتِ الدَّهْرِ لَيْسَ لَهُ قَصْدٌ

هذا حكم الليالي (الزمن) فينا وهو حكم جائر (ظالم)؛ وحكم بنات الدهر (مصائب الزمن) ليس فيه قصد (عدل)

قارن خليل شرف الدين قصيدة البحري هذه في وصف الذئب بقصيدة الشاعر الفرنسي ألفرد دو فيني (مصرع الذئب). وهي قصيدة رومنسية قصصية بلغت في الطول خمسة أضعاف قطعة البحري هذه. ليفرح دو فيني في قبره إذ تقارن قصيدته بقصيدة أحد كبار شعرائنا. ولترك لكل ناس شعرهم، فالشعر لا يترجم. علموا أولادكم الشعر العربي الجديد وبعض القديم، ولا تنسوا هذه القصيدة. وإذا علمتموهم شعر الأقوام الآخرين في المدارس المستوردة فغايتهم فيه أن يكونوا أضيافاً في بيت خال لا يستطيعون مزاحمتهم بأبٍ جليلٍ كما قال الحماسي. من لنا أن نزاحم الإنجليز في تدويعهم شكسبير؟ ومن قال إن شكسبير خير من المتنبي؟ أو أن دو فيني خير من البحري؟ في الشعر قعقة ألفاظ لا يحسها سوى أبناء اللغة. واترك - من فضلك - بيت «كفضضة» السابق، وخذ بيت: عوى ثم أقمى، في هذه القصيدة، وانظر بعينك إلى هذا المشهد المتلاحق، وزه كيف أن الألفاظ تتوالى وتساهم بصوتها - وليس فقط بمعناها - في خلق المشهد

١٩ التنازع في الرئاسة

برثي قومه:

إِنَّ التَّنَازُعَ فِي الرِّئَاسَةِ زَلَّةٌ لَا تُسْتَقَالُ، وَدَعْوَةٌ لَمْ تُنْصَرِ

التنازع في الرئاسة زلة (سقطة)، لا تستقال (لا تقال عثرتها، لا قيام منها)، ودعوة لا تجد أنصاراً

أَفْنَى أَوَائِلَ جُرْهُمِ إِفْرَاطِهِمْ فِيهِ، وَأَسْرَعَ فِي مَقَاوِلِ حِمِيرٍ

أفنى قبيلة جرهم البائدة هذا التنازع، وأسرع في إفناء (أي في إفناء) مكاويل قبيلة حمير (رؤسائها)

٢٠ الانسحاب في الوقت المناسب

يمدح أبا الخطاب الطائي:

رَفَعْتُ مِنَ السَّجْفِ الْمُتَيْفِ، وَسَلَّمْتُ بِأَنَامِلٍ فِيهِنَّ دَرَسُ خِضَابِ

رفعت السجف المتيف (الستار العالي)، وسلمت بأنامل فيهن درس خضاب (بقايا حناء)

وَتَعَجَّبْتُ مِنْ لَوْعَتِي، فَتَبَسَّمْتُ عَنْ وَاضِحَاتِ، لَوْ لُثِمْنَ، عَذَابٍ
تيسمت عن واضحات (أسنان بيض)، ولهن طعم عذب لو لثمن (قُبلن)

لَوْ تُسْعِفِينَ، وَمَا سَأَلْتُ مَشَقَّةً، لَعَدَلْتُ حَرَّ هَوَى بِبَرْدِ رُضَابٍ
لو تساعدين - وما سألت مشقة (ما طلبت طلباً صعباً) - لخففت حرارة الهوى في قلبي ببرد
الرضاب (اللعباب) من فمك

وَلَيْنُ شَكُوتُ ظَمَائِي، إِنَّكَ لَلَّتِي قَدْماً جَعَلْتِ مِنَ السَّرَابِ شَرَابِي
لئن شكوت ظمائي، فأنت سابقاً جعلت شرابي سراباً (يعني: كانت وعودك كاذبة كالسراب)

وَلَقَدْ عَلِمْتُ، وَلِلْمُحِبِّ جَهَالَةٌ، أَنْ الصَّبَا، بَعْدَ الْمَشِيبِ، تَصَابٍ
أنا علمت - رغم جهالة العاشق - أن الصبا (اللهو)، بعد مشيب الرأس، هو من التصابي

وَأَمَّا لَوْ أَنَّ الْغَدَرَ يَجْمُلُ فِي الْهَوَى لَسَلَوْتُ عَنْكَ وَفِيَّ بَعْضُ شَبَابِي
لو كان يجمل (يليق) بي الغدر في الحب لسلوت عنك (نسيتك) في وقت كانت لدي فيه بقية من الشباب

٢١ مطر على خربة

يمدح أبا الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي:

فُوَادُ مَلَاهُ الْحَزْنَ حَتَّى تَصَدَّعَا، وَعَيْنَانِ قَالَ الشَّوْقُ: جُودَا مَعَا
لِمْنَ ظَلَّلُ جَرَّتْ بِهِ الرِّيحُ ذَيْلَهَا وَحَنَّتْ عِشَارُ الْمُزْنِ فِيهِ فَأَمْرَعَا

لمن هذا الظلل (بقية الدار) الذي جرَّت به الريح ذيلها فعلاه التراب، وحنَّت عشار المزن (الغيوم التي
تشبه النياق الحوامل في شهرها العاشر، وحليها يدر غزيراً)، فأمرع (صار خصباً). وحين الناقة على
ولدها يأتي بعده الحليب مدراراً. يشبه الغيوم بالنياق في آخر أيام حملها وقد امتلات ضروعها بالحليب

لِلَّيْلَاكَ، إِذْ لَيْلَى تُعَلِّكَ رِبْقَهَا وَتَسْقِيكَ مِنْ فِيهَا الرَّحِيقَ الْمُشْعَشَعَا
هذا الظلل لليلاك، إذ كانت ليلى تسكن هنا وتعلك (تُرثفك) ربقها، وتسقيك من فيها ما يشبه
الرحيق (الخمير) المشعشع (الممزوج بالماء)

٢٢ الوطن .. الحضرن الدافئ

يمدح أبا الحسن بن عبد الملك بن صالح الهاشمي:

يَا بَرَقُ أَسْفِرْ عَنْ (قُورَيْقٍ)، (فَطَرَّتْنِي حَلَبٍ)، فَأَعْلَى الْقَصْرِ مِنْ (بِطْيَاسِ)
يا برق أسفر عن (اكشف) هذه المناطق، والطرة (جانب الوادي). والبرق إذ يلمع ليلاً يكشف
الأشياء؛ معظمنا لم يعد يرى هذا إلا في الأفلام

أَرْضٌ إِذَا اسْتَوْحِشْتُ ثُمَّ أَتَيْتُهَا حَشَدْتُ عَلَيَّ، فَأَكْثَرْتُ إِنْسَاسِي

إذا أحسست بالوحشة والغربة في قلبي وجئت هذه الأماكن جشدت علي وآتسني
(والمرء يأنس إذ يحتشد حوله الأهل بعد أوبته من غربته، ومن لذيد الاختصار واللمح أن جعل
البحري الأرض «تحشد عليه». أليس هو القائل: والشعر لمح تكفي إشارته/ وليس بالهذر طُولُ
خُطْبَةٍ (القصيد ١٦٥)

الْيَوْمَ حَوَّلَنِي الْمَشِيبُ إِلَى النَّهْيِ وَذَلَّلْتُ لِلْعُذَالِ بَعْدَ شِمَاسِ

اليوم نقلني الشيب إلى النهي (التعقل)، وذللت للعذال (الناصحين اللائمين) بعد شماس
(تمرد)

وَرَفَعْتُ مِنْ نَظَرِي إِلَى أَهْلِ الْحِجَا وَلَوَيْتُ عَنْ أَهْلِ الْعَوَايَةِ رَاسِي

ورفعت نظري متطعماً إلى أهل الحجا (العقل)، ولويت رأسي مبتعداً عن أهل الغواية (الاستهتار)

٢٣ عبث الزمن

يمدح سعيد بن محمد:

إِن الْخُطُوبَ طَوَّيْنَنِي وَنَشَرْنَنِي عَبَثَ الْوَلِيدِ بِجَانِبِ الْقِرْطَاسِ

طوتني الخطوب (المصائب) ونشرتني كعبث الطفل الوليد بالقرطاس (الورقة). والورقة
المفردة في زمنهم تكون ملفوفة، كما نراها في المسلسلات التاريخية، وأتخيل أن
الطفل من شأنه أن ينشرها ثم يتلذذ وهو يراها تكرر راجعة إلى حالتها الأسطوانية مرة
بعد مرة. وقد أوحى هذا البيت إلى المعري - وهو رجل في قلبه عبث كثير رغم قناع
الكآبة الذي اتخذه - بأن يسمي كتابه في نقد شعر البحري «عبث الوليد»، فأصاب
المعري عدة عصافير بهذا الحجر، فاسم البحري «الوليد»، ورأى المعري في شعره
أنه رقيق وأنه يعد كالعبث إذا قيس بشعر المتنبي، وثالثة: أن المعري سلخ من بيت
البحري كلمتين أسمى بهما كتابه

مَا شَبَّتُ مِنْ طُولِ السِّنِّينَ، وَإِنَّمَا طُولُ الْمَلَامَةِ فِيكَ شَيْبَ رَاسِي

٢٤ كان البكاء طويلاً

يمدح أبا جعفر محمد بن علي بن عيسى القمي:

ذَاكَ (وَادِي الْأَرَاكِ) فَاحِشٍ قَلِيلاً مُقْصِراً مِنْ مَلَامَتِي، أَوْ مُطِيلًا

احبس ناقتك يا صاحبي (أجبرها على الوقوف) سواء أختصرت في لومي أم أطلت

إِنَّ بَيْنَ (الْكُثَيْبِ) (فَالْجَزْعِ) (فَالْأَمِّ) رَمَاحاً لَآلٍ هِنْدٍ مُجِيلًا

فيما بين هذه الأماكن ربع (منزل) مجيل (خرب) لأهل المحبوبة هند

وَحِلَافُ الْجَمِيلِ قَوْلُكَ لَلَّذَا كِرَ عَهْدَ الْأَحْبَابِ: صَبْرًا جَمِيلًا
ومن غير الجميل (المناسب) أن تقول لمن يتذكر أحبابه: اصبر صبراً جميلاً، بل اتركه ولوعة قلبه
لَا تَلْمُهُ عَلَى مُوَاصَلَةِ الدَّمِّ ع، فَلَوْمْ لَوْمُ الْخَلِيلِ الْخَلِيلَا
لا تلمه على الاستمرار في ذرف الدموع، فلؤم من الخليل (الصاحب) لؤم خليله
عَلَّ مَاءَ الدَّمْعِ يُخَمِّدُ نَارًا مِنْ جَوَى الْحُبِّ، أَوْ يَبْلُ غَلِيلَا
لعل الدمع يخمد ناراً سببها جوى (حرقة) الحب أو يبل غليلاً (عطشاً)
لَمْ يَكُنْ يَوْمَنَا طَوِيلًا بِنَعْمَا نَ، وَلَكِنْ، كَانَ الْبُكَاءُ طَوِيلَا
لكل شاعر عندي بيت أسميه المدهش لأنه يدهشني إدهاشاً. أبو نواس أدهشني إذ قال: (من كف
ذات حر في زي ذي ذكر/ لها محبان لوطي وزنأه)، وبدوي الجبل أدهشني إذ قال: (الخالدان،
ولا أَعُدُّ الشَّدَّ / مَسَّ، شعري والزمان)، وإبراهيم بن هرمة أدهشني بيته: (أسأل الله سكرة قبل
موتي/ وصياح الصبيان يا سكران). وهذا بيت البحري الذي أدهشني

٢٥ الأضحية الحمارية

وقال لأبي جعفر القمي يستهديه أضحية:

جُعِلْتُ فِدَاكَ، لِي خَبَرٌ طَرِيفٌ؛ وَأَنْتَ بِكُلِّ مَكْرُمَةٍ خَبِيرُ
عَدَاةَ النَّحْرِ يَنْحَرُ كُلُّ قَوْمٍ، وَلَا شَأْءَ لَدَيَّ وَلَا بَعِيرُ
بَلَى عِنْدِي جِمَارٌ لِي، فَقُلْ لِي: أَتَقْبَلُ مِنْ مُضْحِيهَا الْحَمِيرُ؟
لَئِنْ لَمْ تَفِدِهِ، تَفْدِيكَ نَفْسِي، بِذَبْحٍ، فَهُوَ فِي عَدِيهِ نَحِيرُ
ذبح (أضحية)، نحير (منحور، مذبوح)

٢٦ يرويه فيك لحسنه الأعداء

يمدح أبا جعفر محمد بن علي بن عيسى القُمِّي الكاتب:

لَيْسَ الَّتِي ضَلَّتْ تَمِيمٌ وَسَطَهَا «الدَّ - هَنَاءٌ»، لَا بَلْ صَدْرُكَ الدَّهْنَاءُ
ليست الصحراء التي قيل إن قبيلة تميم تاهت فيها هي الدهناء، بل صدرك أنت الدهناء (صحراء
واسعة بنجد). يقول: صدرك أيها الممدوح واسع

مَلِكٌ أَعْرُ، لَالٍ طَلْحَةَ نَجْرُهُ، كَفَّاهُ أَرْضُ سَمْحَةٍ، وَسَمَاءُ
القمي الممدوح ملك أعر (بارز/ وأصل «الأعر» الحصان ذو الغرة البيضاء)؛ ونجره (أصله) يعود
لآل طلحة، وكفَّاه معطاءان كالأرض السمحة (الخيرة)، وكالسماء الممطرة

أَحْسَمْتَنِي بِنَدَى يَدَيْكَ، فَسَوَدَتْ مَا بَيْنَنَا تِلْكَ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ
أحسمتني (أخجلتني) بكرم يديك، فسودت العلاقة ما بيننا هذه اليد البيضاء (المعروف)
لشدة الإحراج

وَقَطَعْتَنِي بِالْجُودِ، حَتَّى إِنَّنِي مُتَخَوِّفٌ أَلَّا يَكُونَ لِقَاءُ
وقطعتني، إذ وصلني بالجدود الغامر، حتى إنني أخاف ألا يحدث بيننا لقاء آخر
صِلَّةٌ غَدَتْ فِي النَّاسِ وَهِيَ قَطِيعَةٌ، عَجَباً، وَبِرٌّ رَاحَ وَهُوَ جَفَاءُ
صلتك هذه غدت معروفة بين الناس بأنها سببت القطيعة، فيا للعجب،
والبر (أي المعروف) أصبح جفاء

لِيُوَاصِلَنَّكَ رَكْبٌ شِعْرِ سَائِرٍ يَرْوِيهِ فَيْكَ، لِحُسْنِهِ، الْأَعْدَاءُ
ليواصلنك (والله سيصلك تكراراً) ركب شعر (قافلة قصائد) سائر (شعر مشهور يسير بين الناس)
ويروي هذا الشعر، لجماله، حتى أعداؤك

حَتَّى يَتِمَّ لَكَ الثَّنَاءُ مُخَلِّدًا أَبَدًا، كَمَا تَمَّتْ لِي النِّعْمَاءُ
حتى يكون الثناء عليك خالداً لخلود شعري، مثلما صارت نعمتك عليّ تامة

فَتَظَلُّ تَحْسُدُكَ الْمُلُوكُ الصَّيْدُ بِي، وَأَظَلُّ يَحْسُدُنِي بِكَ الشُّعْرَاءُ
وستظل الملوك الصيد (الكرام) تحسدك بي (بسبي)، ويظل الشعراء يحسدونني بسبيك. إن قال
أحد إن شعر الملاح خير فيه فأنشده له هذه الأبيات الثلاثة الأخيرة. وإذا قالت الكتب إن لشعر
البحثري ديباجة وعذوبة وإنه سلاسل الذهب إلخ، فهذه الأبيات برهان وأنموذج. وأصل المعنى
من أبي تمام، ولكن البحثري امتلكه بهذه الديباجة

٢٧ العدو الكامن، والصديق النافر

يمدح إبراهيم بن الحسن بن سهل:

وَمُكَائِدٍ لِي بِالْمَغِيبِ رَمَيْتُهُ بِصَرِيمَةٍ كَالنَّجْمِ فِي مُنْقَضِهِ
رب مكائد لي بالمغيب (متأمر عليّ في غيبي) قد رميته بصريمة (بقطيعة)
كأنها النجم في منقذه (انقضاضه)، أي مثل الشهاب الهاوي، الذي يرجم الله به الشيطان،
بحسب التفسير الحرفي للآية

أَمْضَيْتُ مَا أَمْضَيْتُ فِيهِ، وَلَوْ ثَنَى بِإِشَارَةِ أَمْضَيْتُ مَا لَمْ أَمْضِهِ
اتخذت فيه القرار الحاسم، ولكنه لو كان ثنى بإشارة (رجع عن غوايته) لكنت اتخذت قراراً آخر
أكثر تسامحاً [كذا فهمت البيت]

وَعِتَابٍ خِلٍّ قَدْ سَمِعْتُ، فَلَمْ أَكُنْ جِلْدَ الضَّمِيرِ عَلَى اسْتِمَاعِ مُمِضِهِ
ورب عتاب سمعته من خل (صاحب) فلم أكن جلد الضمير (قاسي الوجدان) لأحتمل المفض
(الجارج) من هذا العتاب، فلذلك رددت رداً قاسياً

أَنْبَوْتُ عَنْكَ بِزَعْمِهِمْ؟ وَمَتَى نَبَأٌ فِي حَالَةٍ بَعْضُ امْرِئٍ عَنْ بَعْضِهِ
أنبوتُ عنك (هل هجرتك) كما يزعمون؟ ومتى استطاع - في كل الحالات - أن ينبو (يهجر) جزء
من الإنسان عن سائر الأجزاء!. يقول: هيهات أن أهجرك فانت جزء مني

٢٨ عندما سَكِرَتِ الرماح

يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري الطائي:

حَجَبُوهَا حَتَّى بَدَتْ لِفِرَاقٍ كَأَنَّ دَاءَ لِعَاشِقٍ وَدَوَاءَ
حجبوها حتى بدت لفراق (في يوم رحيلهم)، فكان الفراق داء لقلبي لكنه كان أيضاً دواء
لأنه أتاح لي رؤيتها ساعة ركبت للرحيل

أَضْحَكَ الْبَيْنُ يَوْمَ ذَاكَ وَأَبْكَى كُلَّ ذِي صَبْوَةٍ؛ وَسَاءَ
وهكذا أضحك البين الفراق وأبكى - كل ذي صبوة (غرام)؛ وسرتني وساءني في آن معاً

وَوَشَّتْ بِي إِلَى الْوُشَاةِ دُمُوعُ الْعَيْنِ، حَتَّى حَسِبْتُهَا أَعْدَاءَ
وشت بي (فضحت سري) للوشاة (النمامين) دموعي، حتى حسبت هذه الدموع أعداء لي

كَيْفَ تُنْثِي عَلَى ابْنِ يَوْسُفَ . لَا ، كَيْفَ سَرَى مَجْدُهُ، فَفَاتَ الثَّنَاءُ؟
يسأل الشاعر نفسه: كيف تنثي على ابن يوسف؟ ثم يقول: لا، بل الأجدد بنا أن نتعجب كيف
سرى (مشى) مجده، فسبق كل ثناء

جَادَ حَتَّى أَقْنَى السُّؤَالَ، فَلَمَّا بَادَ مِنَّا السُّؤَالُ، جَادَ ابْتِدَاءً
جاد (كُرم) حتى لم يعد هناك محتاج يسأل ويستجدي، فعندما باد (اختفى) سؤالنا واستجدأنا،
جاد (أعطى) ابتداءً (مبتدئاً) بلا سؤال من طرفنا)

أَحْسَنَ اللَّهُ فِي ثَوَابِكَ عَنْ ثَغْرِ مِضَاعٍ، أَحْسَنْتَ فِيهِ الْبَلَاءَ
أحسن الله مكافأتك عن ثغر (موقع حدودي) مضاع (مهمل بلا حماية)
أحسنْتَ فيه البلاء (قتال الأعداء)

لَمْ يَكُنْ جَمْعُهُمْ عَلَى الْمَرْجِ إِلَّا زَبْدًا، طَارَ عَنْ قَنَاكَ جُفَاءً
لم تكن جموع الأعداء على المرج (السهل) سوى زبد (رغوة)، وطار هذا الزبد عن قناك (رامحك)
جُفَاءً (فَصْلَاتٍ وَزَوَائِدَ)

حِينَ أَبَدْتَ إِلَيْكَ (خَرَشَنَةً) الْعُدَّ يَا مِنَ الثَّلْجِ هَامَةً شَمَطَاءَ

عندما أظهرت لك مدينة خرشنة العليا من ثلوجها ما يشبه الهامة الشمطاء
(الرأس الذي شابه شيب) ..

مَا نَهَاكَ الشِّتَاءُ عَنْهَا، وَفِي صَدِّ رِكَ نَارٍ لِلْحَقْدِ تُنْهِي الشِّتَاءَ

.. عندئذ لم ينهك (لم يمنعك) الشتاء عن مهاجمتها، ففي صدرك نار الحقد التي تُنهي الشتاء

طَالَعْتُكَ الْأُبْنَاءَ مِنْ شُرَفِ الْأَبِّ رَاجٍ زُرْقًا إِذْ تَذْبَحُ الْآبَاءَ

برز لك أبناء القوم من شُرَفَات أبراج المدينة زُرْقًا (زارقين بعيونهم أي ينظرون من أطراف عيونهم
لأنهم مائلون بوجوههم خوف السهام/ هذا المعنى الذي لمحت) ورأوك تذبح آباءهم خارج أسوارها

فِي نَوَاحِي (بُرْجَانٍ) إِذْ أَنْكَرُوا التَّكَّ بَسِيرًا، حَتَّى تَوَهَّمُوهُ غِنَاءَ

حدث هذا في نواحي منطقة برجان حيث الروم لا يعرفون التكبير (قوله الله أكبر) فتوهموا تكبير
الجنود (ظنوه) غناء

حَيْثُ لَمْ تُورِدِ السِّبْوَ عَلَى خِمِّ سِ، وَلَمْ تُصْدِرِ الرِّمَاحَ ظِمَاءَ

وهناك لم تجعل سبوك تصل بطيئة، على خمس (كالإبل التي تأتي الماء خامس يوم من أيام
العطش)، ولم تصدر أنت الرماح (تُرْجِعُهَا مِنَ الْمَوْرِدِ) ظُمًا، بل جعلتها ترتوي من دماءهم

بَتَعَثَّرْنَ فِي النُّحُورِ وَفِي الْأَوِّ جُهُ، سُكْرًا، لَمَّا شَرِبْنَ الدِّمَاءَ

تعثثر رماحك كيفما اتفق في النحور (أعالي الصدور) وفي الوجوه،
كانها سكرانة مما شربت من دماء

وَأَزَّرْتَ الْخِيُولَ قَبْرَ (أَمْرِئِ الْقَيْسِ سِ)، سِرَاعًا، فَعُذْنَ مِنْهُ بِطَاءَ

وأزرت الخيول (جعلتها تزور) قبر امرئ القيس الشاعر (وقيل مات ودفن هناك) مسرعة للقاء
العدو، ولكنها مكثت مدة في الحرب فعادت من بلادهم بطاء (بطيئة)

وَجَلَبَتِ الْحَسَانَ حَوْأً وَحُورًا آيَسَاتٍ، حَتَّى أَغْرَتِ النِّسَاءَ

وجلبت الحسان حوأً (سراوات الشفاه) وحورًا (بيضا) وآيسات (فتيات)، حتى لقد غارت زوجات
المسلمين من هؤلاء السبايا

٢٩ القمر الضائع بين وجوههن

إِسْتَوَى الْحُبُّ بَيْنَنَا، فَعَدَا الْبَدْهُ رُقَصِيرًا، وَاللَّهُوُ غَيْرَ قَصِيرٍ

نادر أن يتساوى مقدار الحب بين العاشق والعاشق؛ لكنه تساوى بيننا، فأصبح الدهر سريع الجريان
قصيرا، فأما اللهو فغير قصير

أَنْخِيلُ «بِعَالِجٍ»، أَمْ سَفِينٌ عَائِمَاتٌ، أَمْ أَوْلِيَّاتُ خُدُورٍ؟
هل هذه نخلات رشقات، أم سفن عائمت تمشي وتتهادى ببطء، أم هن أوليات خدور
(ذوات ستور/أي نساء)؟

ضَعَفَ الدَّهْرُ عَنْ هَوَانَا، وَمَا الدَّهْرُ رُ عَلَى كُلِّ دَوْلَةٍ بِقَدِيرٍ
ضعف الدهر فلم يستطع أن يُنكِّد هوانا؛ والدهر، الموصوف بأنه قاهر كل دولة، لم يقهر دولة
العشق هذه المرة

حَسَنْتُ لَيْلَةَ الْكَثِيبِ، فَكَانَتْ لِي أَنْسَاءً، وَوَحْشَةً لِلْغَيُورِ
بقدر ما لقيت من أنس في ليلة الكتيب (عندما التقيت محبوبتي على كتيب الرمل) وجد الغيور
الحاسد وحشة في قلبه

ضَلَّ بِدْرِ السَّمَاءِ، أَوْ كَادَ، لَمَّا وَاجَهْتُهُ وَجُوهَ تِلْكَ الْبُدُورِ

٣٠ المِعْمُ الْمُخُولُ

يمدح إبراهيم بن الحسن بن سهل:

مَلِكٌ، إِذَا افْتَحَرَ الشَّرِيفُ بِسُوقَةٍ، عَدَّ الْمُلُوكَ خُؤُولَةً وَعُمُومًا
إذا كان أشراف الناس يفتخرون بسوقة (بناس عاديين) فهذا الملك يعدُّ ضمن أسلافه من جهتي الأم
والأب ملوكاً سابقين. أبوه وعمه كانا قائدَين مشهورين في الدولة العباسية، كما أن أصولهم
الفارسية القديمة أصول شريفة

نَزَلُوا بِأَرْضِ الزَّعْفَرَانِ، وَعَادَرُوا أَرْضاً تَرُبُّ الشَّيْخَ وَالْقَيْصُومَا
هم نازلون بأرض فارس التي ينبت فيها الزعفران، تاركين أرضاً ترُبُّ الشيخ والقيصوم
(النباتين الصحراويين). هم فُرس لا عرب

وَابْنُ الَّذِي ضَمَّ الطَّوَائِفَ، بَعْدَمَا افْتُتِرَقَتْ؛ فَعَادَتْ جَوْهَرًا مَنْظُومًا
وإبراهيم الممدوح هذا ابن الحسن الذي ضم طوائف المسلمين بعد فتنة الأمين والمأمون، فرجعت
الخلافة إلى وحدتها

وَرَدَ الْعِرَاقَ، وَمُلْكُهَا أَيْدِي سَبَا، فَاسْتَارَ سِيرَةَ أَرْدَشِيرَ قَدِيمًا
كان الحسن بن سهل ورد العراق من خراسان مع المأمون، والحكم يومئذ أيدى سبا (تعبير معناه:
مشتت)، فاستار (سار) سيرة أردشير (الملك الفارسي القديم)

٣١ العثور على الشوق التائه

يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري الطائي:

أَخَذَتْ ظُهُورُ (الصَّالِحِيَّةِ) زِينَةً عَجَبًا، مِنْ الصَّفَرَاءِ وَالْحَمْرَاءِ
أخذت ظهور (هضاب) الصالحية زينة عجباً (مُعْجِبَةً) مكونة من الأزهار الصفراء والحمراء

نَسَجَ الرَّيْعُ لِرَبْعِهَا دِيْبَاجَةً مِنْ جَوْهَرِ الْأَنْوَارِ، بِالْأَنْوَاءِ
نَسج الربيع لربع الصالحية (موقعها) ديباجة (سجادة حريرية) مكونة من الأنوار (نوار النباتات) الذي
يشبه الجواهر؛ وأداة النسيج هي الأنواء (الأمطار)

فَاشْرَبَ عَلَى زَهْرِ الرِّيَاضِ، يَشُوبُهُ زَهْرُ الْخُدُودِ وَزُهْرَةُ الصَّهْبَاءِ
فاشرب الخمر على مرأى زهر الحدائق الذي يشوبه (يتخلله) زهر خدود الحسان، وزهرة الصهباء
(صفاء الخمر). وكانوا يشربون الخمر في مجلس مزين بالرياحين والأزهار

مِنْ قَهْوَةٍ تُنْسِي الْهُمُومَ وَتَبْعُثُ الشَّوْ - حَوْ الَّذِي قَدْ ضَلَّ فِي الْأَحْشَاءِ
اشرب.. من قهوة تنسي الهموم وتثير الشوق الكامن الذي كأنه ضل وضاع في الأحشاء
(باطن الإنسان/قلبه)/[ضل في الأحشاء] هذه.. بديعة]

يُخْفِي الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا، فَكَأَنَّهَا فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنَاءٍ
لون الخمر يخفي الزجاجاة (الكأس)، فكان الخمر قائمة في الكف بدون إناء [أكثر القدماء لوم
البحثري على هذا المعنى، وقالوا: لو كان الذي في الزجاجاة دسباً لتلونت الزجاجاة بلونه، فما
الغريب في هذا؟ على أننا نراه معنى جميلاً مطروحاً سبق في لفظ خفيف جميل]

إِنَّ الْأَمِيرَ مُحَمَّدًا لَمْ يَهْذُبْ إِلَّا أَفْعَالٍ، فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
مَا زِلْتُ تَقْرَعُ بَابَ (بَابِكَ) بِالْقَنَا وَتَزُورُهُ فِي غَارَةِ شَمُوءٍ
أيها الأمير ظللت تقرع باب بابك الحُرْمِيِّ (الخارج على الدولة) بالقنا (بالرماح)، وظللت تزوره
مغبراً عليه غارة شعواء (متشعبة واسعة)..

حَتَّى أَخَذْتُ، بِتَنْصِلِ سَيْفِكَ عَنَوَةً، مِنْهُ الَّذِي أَغْيَا عَلَى الْخُلَفَاءِ
حتى أخذت منه، بقوة السيف، ما أغيا (أعجز) الخلفاء

٣٢ نضوب الدمع

يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري:

فِيمَ ابْتِدَأْرُكُمُ الْمَلَامَ وَلُوعَا؟ أَبَكَيْتُ إِلَّا دِمْنَةً وَرُبُوعَا؟
لماذا ابتدأركم (بدؤكم) اللوم ولوعاً به وإقبالاً عليه؟ فهل بكيت سوى دمنة (خربة)
ومنازل مهجورة؟

عَذَلُوا، فَمَا عَذَلُوا بِقَلْبِي عَنْ هَوَىٍّ وَدَعَوَا، فَمَا وَجَدُوا الشَّجِيَّ سَمِيعَا
عذلوا (لاموا) فما عذلوا بقلبي (مالوا بقلبي) عن هواه، ودعوني للبنيان فما وجدوا الشجي
(الحزين) سميعاً لدعوتهم

يَا دَارُ، غَيَّرَهَا الزَّمَانُ وَفَرَّقَتْ عَنْهَا الْحَوَادِثُ شَمْلَهَا الْمَجْمُوعَا،
لَا تَخْطُبِي دَمْعِي إِلَيَّ، فَلَمْ يَدْعُ فِي مُقْلَتَيَّ جَوَى الْفِرَاقِ دُمُوعَا .

٣٣ الوشاح الجوال

يمدح أبا نوح عيسى بن إبراهيم:

أَمْزُجُ كَأْسِي بِجَنَّا رِيْقِهِ وَإِنَّمَا أَمْزُجُ رَاحاً بِرَاحِ .
أَمْزَجَ كَأْسِي بَجَنَّا (بِقَطَاف) رِيقَ الْمَحْبُوبِ . وَرِيْقُهُ رَاحَ (خَمْر) كَالْخَمْرِ الَّتِي فِي كَأْسِي
إِنْ لَانَ عِظْفَاهُ قَسَا قَلْبُهُ أَوْ ثَبَتَ الْخَلْخَالُ جَالَ الْوِشَاحُ
لَنْ كَانَ عِظْفَاهُ (جَانِبَاهُ) لِيُثَبِّتَ قَلْبَهُ قَاسَ . وَلَنْ ثَبَتَ الْخَلْخَالُ فِي أَسْفَلِ سَاقِ الْمَحْبُوبِ
(لَأَنْ سَاقَهُ مِمْتَلِئَةٌ) فَإِنْ وَشَّاحَهُ (الْوِشَاحُ هُوَ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِذَلِكَ الشَّرِيطِ الَّذِي تَتَخَذُهُ مَلَكَاتُ
الْجَمَالِ مَائِلاً عَلَى جُسُومِهِنَّ) يَجُولُ عَلَى جِسْمِهِ لِرِشَاقَتِهِ

٣٤ بين شراب وطبيخ

يمدح الحسن بن وهب، وكان الواثق نكب آل وهب وأخذ منهم ألف ألف دينار:

لَنَا فِي الدَّهْرِ أَمَالٌ طَوَالٌ نُرْجِيهَا، وَأَعْمَارٌ قِصَارٌ
وَأَهْوَنُ بِالْخُطُوبِ عَلَى خَلِيعٍ إِلَى اللَّذَاتِ لَيْسَ لَهُ عِذَارٌ
مَا أَهْوَنُ الْخُطُوبِ (الْبَلَايَا) عَلَى خَلِيعٍ (مُسْتَهْتَرٍ) يَلْحَقُ لَذَاتَهُ، لَيْسَ لَهُ عِذَارٌ (تَعْبِيرٌ مَعْنَاهُ: مَتَهَتَكَ)
نَزَلْنَا مَنْزَلَ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ وَقَدْ دَرَسْتُ مَعَانِيهِ الْقِفَارُ
نَزَلْنَا مَنْزَلَ (مَحَلَّة) الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ وَقَدْ دَرَسْتُ (أَمَحْتُ) مَعَانِي هَذَا الْمَنْزَلِ (مَحَاسِنَهُ)
وَصَارَ قَفْراً (خَرَاباً)

تَلَقَّيْنَا الشُّتَاءَ بِهِ، وَزَرْنَا بَنَاتِ اللَّهِوِ إِذْ قُرْبَ الْمَزَارِ
هَنَّاكَ اسْتَقْبَلْنَا الشَّتَاءَ، وَزَرْنَا بَنَاتِ اللَّهِوِ - وَكَانَ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ دَوْرٌ لِلْمَحْتَرَفَاتِ - لِقُرْبِهِنَّ مِنَ
الْمَكَانِ

أَقْمَنَا؛ أَكَلْنَا أَكْلُ اسْتِغْلَابٍ هُنَاكَ، وَشَرِبْنَا شُرْبَ بِدَارٍ
مَكْنَتُنَا هُنَاكَ، وَأَكَلْنَا أَكْلٌ سَرِيعٌ كَأَنَّهُ انْتِهَابٌ، وَشَرِبْنَا شَرْبَ مُتَوَاصِلٍ سَرِيعٍ نَبَادِرُهُ بِدَاراً
تَنَازَعْنَا الْمُدَامَةَ وَهِيَ صِرْفٌ وَأَعْجَلْنَا الطَّبَائِخَ وَهِيَ نَارٌ
لَقَدْ تَنَازَعْنَا الْخَمْرَةَ وَهِيَ صَافِيَةٌ، وَاسْتَعْجَلْنَا فَأَكَلْنَا مَا فِي الْقَدُورِ مِنْ طَبِيخٍ وَهُوَ حَارٌّ كَالنَّارِ

وَلَمْ يَكْ ذَاكَ سُخْفًا، غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ الشَّرْبَ سُخْفُهُمُ الْوَقَارُ

وهذا ليس سخفاً، فأنأ أرى الوقار للشرب (شاربي الخمر) هو السخف الحق

رَضِينَا، مِنْ (مُخَارِقَ) وَ(ابْنِ خَيْرٍ)، بِصَوْتِ الْأَثَلِ إِذْ مَتَعَ النَّهَارُ

رضينا من مخارق وابن خير (بدلاً منهما، وهما مغنيان) بصوت شجر الأثل إذ تحركه الريح عندما متع (توسَّطَ) النهار

تُرْغِزُهُ الشَّمَالُ، وَقَدْ تَوَافَى عَلَى أَنْفَاسِهَا قَطْرُ صَعَارُ

تحركه ريح الشمال، وقد توارد على أنفاس (هبات) هذه الريح رذاذ خفيف

عَدَاةٌ دُجْنَةٌ لِلْغَيْثِ فِيهَا خِلَالُ الرُّوضِ حَجٌّ وَاعْتِمَارُ

حدث هذا غداة (صبيحة) دجئة (ليلة معتمة) كان للغيث فيها صخب في الروض كصخب الحجاج والمعتمرين

كَأَنَّ الرِّيحَ وَالْمَطَرَ، الْمُتَنَاجِي خَوَاطِرَهَا، عِتَابٌ وَاعْتِذَارُ

كأن الريح والمطر اللذين يناجيان خواطر الغصون (أي الغصون التي تخطر وتتحرك) عتاب واعتذار

أَصَابَ الدَّهْرُ دَوْلَةً آلَ وَهَبٍ وَنَالَ اللَّيْلُ مِنْهُمْ وَالنَّهَارُ

أنزل الدهر مصيبة بدولة آل وهب، ونال منهم الليل والنهار (الزمن)

أَعَارَهُمْ رِدَاءَ الْعِزِّ حَتَّى تَقَاضَاهُمْ، فَرَدُّوا مَا اسْتَعَارُوا

أعارهم الدهر ثياب العز ثم تقاضاهم إياها (استردها منهم) فردوها

وَمَا كَانُوا فَأَوَّجُهُمْ بُدُورُ لِمُخْتَبِطٍ، وَأَيْدِيهِمْ بِحَارُ

وما كانوا (طيلة وجودهم في السلطة) كانت أوجههم بدوراً يهتدي بها المختبط (الساري ليلاً) وأيديهم كانت بحاراً (سخية بالعطاء)

٣٥ وأعمراً

عَادَيْتُ مِرَاتِي، فَأَذْنَتْهَا بِالْهَجْرِ، مَا كَانَتْ وَمَا كُنْتُ

عاديت مرآتي فأذنتها (أبلغتها) بالهجر طول حياتي وطول حياتها.

كأن مرآته حيية وهو يريد أن يهجرها

كَانَتْ تُرِينِي الْعُمَرَ مُسْتَقْبَلًا وَهِيَ تُرِينِي الْقَوْتَ مُذْ شَبْتُ

كانت تربني وجهي شاباً والعمر مقبلاً علي، والآن أصبحت المرأة تربني القوت (الذهاب)

منذ حل بي المشيب

وَأَعْمُرَا، نَوْحًا لِفِقْدَانِهِ، سَيَّانٍ عِنْدِي شَبْتُ أُمُّ مُثْ
واعمرا (حسرة على العمر)، أنوح لذهابه، ويتساوى عندي حلول الشيب والموت

٣٦ هكذا التعزية!

قال يعزي أبا نهشل محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي عن ابته:

ظَلَمَ الدَّهْرُ فَيْكُمُ، وَأَسَاءَ فَعَزَاءَ (بَنِي حُمَيْدٍ)، عَزَاءَ
ظالم هذا الدهر فيما أصابكم به يا بني حميد من وفاة ابتكم، فأنا أعزيكم. وانتظر بقية القصيدة
لترى كيف يعزيهم!

يا (أبا القاسم)، المَقْسَمُ فِي النَّجْدِ سِدَّةَ وَالْجُودِ وَالنَّدَى أَجْزَاءَ
يا أبا القاسم، وأنت مقسم النفس بين النجدة (النخوة) والكرم..

وَالْهَزْبُ الَّذِي، إِذَا دَارَتْ الْحَرُّ بُوْهُ، صَرَفَ الرَّدَى كَيْفَ شَاءَ
.. ويا أيها الهزبر (الأسد) الذي، عندما تدور الحرب بك، تُوجِّه الردى (الموت) نحو أعدائك
كيفما شئت..

الْأَسَى وَاجِبٌ عَلَى الْحُرِّ: إِمَّا نَيَّْةَ حُرَّةً، وَإِمَّا رِيَاءَ
الحزن واجب على الحر، إما حقيقة،
وإما رياء (بإظهار الحزن دون وجود حزن حقيقي)

وَسِفَاهُ أَنْ يَجْزَعَ الْمَرْءُ مِمَّا كَانَ حَنَمًا عَلَى الْعِبَادِ قَضَاءَ
وسفاه (خُتْمٌ) أَنْ يَجْزَعَ (يتهيج حزناً) الْإِنْسَانُ مِنْ حَنَمٍ (محتوم) عَلَى كُلِّ النَّاسِ (الموت)

أَتُبْكِي مَنْ لَا يُنَازِلُ بِالسَّيْفِ مُشِيحًا، وَلَا يَهْزُ اللَّوَاءُ؟
هل تُبْكِي (تُبْكِي) شخصاً لا يحارب بالسيف مشيحاً (مُتَقِدِّمًا)، ولا يرفع لواء (راية الحرب)؟ يقول:
هل تبكي امرأة؟

وَالْفَتَى مَنْ رَأَى الْقُبُورَ، لِمَا طَا فَ بِهِ مِنْ بَنَاتِهِ، أَكْفَاءَ

الفتى (الرجل الحقيقي) هو الذي يعتبر القبور الأكفاء الحقيقيين لمن طاف حوله من بناته.
والكفاء، في اعتبار فقهاء ذلك الزمن، الرجل المناسب مالا ونسباً ودينياً للزواج من امرأة بعينها.
عمران القفيني يقول: يرجى شتم البحري على هذا البيت. قد فعلنا

لَسَنَ مِنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ، كَعَدِّ الْـ لَوْنِهَا الْأَمْوَالِ وَالْأَبْنَاءِ

البنات لسن من زينة الحياة، كما عدَّ الله في الآية زينة الحياة الدنيا
فكانت المال والبنين فقط

قَدْ وَلَدَنَ الْأَعْدَاءَ قَدَمًا، وَوَرَّثَ مَنِ التَّلَادِ الْأَقَاصِيَّ الْبُعْدَاءَ
زَوَّجْنَا بَنَاتَنَا قَدَمًا (قديمًا) لغرباء وجاء أبناءُهم أعداءُ لنا، وهن يورثن نصيبهن من التلاد (الميراث)
للأزواج الأَقَاصِي (الغرباء)

لَمْ يَزِدْ كُثْرَهُنَّ (فَقِيسُ تَمِيمٍ) عَيْلَةً، بَلْ حَمِيَّةٌ وَإِبَاءٌ
ولم يَقم قيس بن عاصم (رئيس قبيلة تميم) بوأد كثرهن
(معظمهن): قِيلَ وَأَدُّ ثَمَانِي بَنَاتٍ، وَقِيلَ اثْنَتِي عَشْرَةَ بِنْتُاً فِي الْجَاهِلِيَّةِ (عَيْلَةً (فقراً)،
بَلْ حَمِيَّةٌ (حفاظاً على الشرف) وإِبَاءٌ (رفضاً للذل)

وَشُعَيْبٌ مِّنْ أَجْلِهِنَّ رَأَى الْوَحْشَ مَدَّةً ضَعْفًا، فَاسْتَأْجَرَ الْأَنْبِيَاءَ
والنبي شعيب كان عنده بنتان، ولا ذكور، ولكنه مع ذلك شعر بالوحدة والضعف،
فاستأجر النبي موسى

وَاسْتَزَلَّ الشَّيْطَانُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ - لَمَّا أَغْرَى بِهِ حَوَاءَ
استزَلَّ الشيطان آدم: أوقعه في الزلل (الخطأ)

وَلَعَمْرِي، مَا الْعَجَزُ عِنْدِي إِلَّا أَنْ تَبَيَّتَ الرِّجَالُ تَبْكِي النِّسَاءِ
عَجَزٌ مِنَ الرَّجُلِ أَنْ يَبْكِيَ امْرَأَةً مَاتَتْ

٣٧ احتجاج للشيب

قال يمدح الشيب:

بَكَرَتْ تُعَبِّرُنِي (نَوَارٌ) سَفَاهَةً وَضَحَ الْمَفَارِقِ، وَابْيَضَّ الْمُسْحَلِ
بكرت (جاءت) نوار تعبرني، لسفاهتها، وضح المفاقر (بياض مفرق الرأس)
وبياض المسحل (السالف)

وَيُكْمُ! بَيَاضُ الصُّبْحِ أَحْسَنُ مَنَظَرًا، فِي الْعَيْنِ، مِنْ ظُلُمَاءِ لَيْلٍ أَلْيَلِ
ويكم! (ويحكم) البياض في العين (إذ تراه العين) أجمل من السواد

وَالصَّارِمُ الْمَصْفُولُ أَحْسَنُ حَالَةً، يَوْمَ الْوَعَى، مِنْ صَارِمٍ لَمْ يُصْقَلِ
الصارم (السيف) المصقول اللامع، يكون أفضل في الوعى (الحرب) من سيف صدئ

وَالشَّمْسُ، لَوْلَا ضَوْؤُهَا، مَا اسْتُحْسِنَتْ وَالْبَدْرُ، لَوْلَا نُورُهُ، لَمْ يَجْمَلِ
وكذا الشمس والقمر جمالهما في ضوتهما

٣٨ قاهر الروم

بمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الصامت:

نَكْرَهُ الْعَاجِزَ الضَّعِيفَ إِذَا جَا ءَ؛ وَكُنْتَ الْقَوِيَّ، فِينَا، الْأَمِينَا
ثَبَّتَ اللَّهُ وَظَاةَ لَكَ، أَمَسَتْ جَبَلًا رَاسِيًا عَلَى الْمُشْرِكِينَا
رُبَّمَا وَقَعَةٍ شَمَلَتْ بِهَا الرُّوْمَ مَ، فَبَاتُوا أَذْلَةً خَاضِعِينَا
ربما (رَبِّ)

قَدْ أَمِنَّا أَنْ يَأْمُنُوكَ، عَلَى حَا لٍ، وَلَوْ صَبَّرُوا النُّجُومَ حُصُونَا
قد أمتنا (تأكدنا) أنهم لن يأمنوك (لن يكونوا في أمان منك) مهما كان، حتى لو جعلوا النجوم
حصوناً لهم

فَرَزَعُوا بِاسْمِكَ الصَّبِيِّ، فَعَادَتْ حَرَكَاتُ الْبُكَاءِ مِنْهُ سُكُونَا
يخوفون باسمك الصبي عندهم، فإذا بكى الولد ذكروا له اسمك، كما تذكر اليوم للولد الغول،
فيكف عن البكاء خوفاً

وَتَوَافَتْ خَبْلَاكَ مِنْ أَرْضِ (طَرُسُو سَنَ) وَ(قَالِي قَلَا)، (بَارَدْنُونَا)
جاءت طائفتان من خيلك من طرسوس وقالي قلا لتحل في أردندون

عَابِسَاتٍ يَحْمِلْنَ يَوْمًا عَبُوسًا لِأَنَاسٍ عَنْ خَطْبِهِ غَافِلِينَ
الخيال عابسة لشدة تعبها، وهي تحمل نذيراً عابساً للأعداء الغافلين عما سيحل بهم

مَا أَطَاقُوا دَفْنَ الَّذِي أَظْهَرُوهُ؛ كَبُرَ الْحَقْدُ أَنْ يَكُونَ دَفِينَا
لم يستطع الأعداء إخفاء حقدهم لأنه كبير

بَعْضَ بَعْضَائِكُمْ! فَلَيْسَ مُفِيقًا، أَوْ يَرُدُّ الْأَدْيَانَ، بِالسَّيْفِ، دِينَا
بعض بغضائكم (خففوا من كرهكم)! فلن يُفِيقَ (يكف) أبو سعيد إلا عندما يرد (يحول) الأديان
بالسيف ديناً واحداً، بأن يدخل الجميع في الإسلام

وَلَعَمْرِي! مَا مَاءٌ زَمَزَمَ أَحَلَّى عِنْدَهُ مِنْ دَمٍ «بِزَارْمِينَا»
الدم المراق في تلك المعركة في زارمين أطيب عنده من ماء زمزم

يَجْعَلُ الْبَيْضَ، حِينَ يَأْسِرُ، أَغْلَا لَا لِأَسْرَاهُ، وَالْمَنَايَا سُجُونَا
يجعل أبو سعيد البيض (السيف) بمثابة أغلال (قيود) للأسرى - أي يقتلهم -،
ويجعل الموت لهم سجنًا

٣٩ الجود عند المقدرة

يمدح الحسن بن وهب:

يَا صَيَقِلَ الشَّعْرِ، الْمُقَلَّدُ بِالذِّي يُخْتَارُ مِنْ قَلْعِيَّهِ وَيَمَانِهِ

يا صيقل (صانع السيوف) الشعر المقلد (المتخذ قلادة: عقداً) بأجود الشعر المختار. والقلمي واليماني نوعان من السيوف. يقول: أنت شاعر وعارف بالشعر الجيد وتتقلد القصائد المختارة الجميلة التي يمدحك بها المادحون كما يتقلد صانع السيوف أفضل الأنواع

إِسْمَعُهُ مِنْ قَوْلِهِ تَزْدَدُ بِهِ عُجْبًا، وَطِيبُ الْوَرْدِ فِي أَغْصَانِهِ

اسمع الشعر من قائله (صاحبه) يزدد إعجابك به، لأنه طازج. والورد على غصنه أطيب منه مقطوفاً

أَحْسَنْتُ فِيهِ مُبَرَّرًا، فَجَفَوْتَنِي وَتَبَّرَ أَقْوَامًا عَلَى اسْتِحْسَانِهِ

أنا أحسنت في الشعر وبررت (تفوقت) فجفوتني (أبعدتني) وفي الوقت نفسه تكافئ الناس على استحسانك الشعر

وَالْأَرْضُ تَبْدُلُ فِي الرَّبِيعِ نَبَاتَهَا، وَكَذَلِكَ بَدُلَ الْحُرُّ فِي سُلْطَانِهِ

الأرض تكون معطاء في الربيع، وكذلك الرجل الحر يكون معطاء في زمن سلطانه

وَأَعْلَمَ بِأَنَّ الْغَيْثَ لَيْسَ بِنَافِعٍ لِلنَّاسِ، مَا لَمْ يَأْتِ فِي إِيَّانِهِ

والغيث (المطر) لا ينفع الناس إلا إذا جاء في إيانه (وقته)

٤٠ لست من أكفائه

يهجو أحدهم في معرض مدحه يوسف بن محمد الثغري:

وَمُؤَمَّرٍ صَارَ غُثُّهُ عَنْ عُرْفِهِ فَوَجَدْتُ (قُدْسَ) مُعَمَّمًا بِعَمَائِهِ

رب مؤمر (صاحب إمارة) صار غثته عن عرقه (جاهدت للحصول على مال منه)، فوجدته جامداً كجبل قدس المعمم عند قمته بعمائه (بغيومه)

جِدَّةٌ يَذُودُ الْبُخْلُ عَنْ أَطْرَافِهَا، كَالْبَحْرِ يَذْفَعُ مِلْحَهُ عَنْ مَائِهِ

لديه جدلة (غنى) يذود البخل عن أطرافها (يحميها البخل)،

مثل ماء البحر الذي يحميه ملحه من أن نشربه

خَطَبَ الْمَدِيحَ، فَقُلْتُ: حَلَّ طَرِيقَهُ لِيَجُوزَ عَنْكَ؛ فَلَسْتُ مِنْ أَكْفَائِهِ

طلب هذا البخيل مديحي كمن يخطب عروساً، فقلت له: اترك طريق المدح، فلست كفتاً له (والرجل يخطب المرأة إذا كان لها كفتاً من حيث المال والنسب والدين)

٤١ رقيب اللقم

يهجو بعض بني حميد:

جَزَلُ الرِّقَاعَةِ، قَدَمٌ، يَدَّعِي أَدْبَاً وَلَيْسَ يَفْرُقُ بَيْنَ الثَّيْنِ وَالطَّيْنِ
جزل الرقاعة (كثير الحمافة) قدم (غبي) يدعي الذوق الأدبي، لكنه لا يفرق بين الثين والطين

جَهْمٌ عُبُوسٌ، عَلَى ظَهْرِ الْخَوَانِ لَهُ تَفْرِيقٌ لِحَظٍ كَأَطْرَافِ السَّكَاكِينِ
جهم (عبوس)، يكون له على المائدة إذ يدعو الناس تفريق لحظ (توزيع نظرات) كأنها أطراف السكاكين. رجل بخيل يرشق ضيوفه بنظرات حادة وهم يأكلون

٤٢ الغزو بجيش القوافي

يعاتب إبراهيم بن الحسن بن سهل على عريضة كانت منه عليه:

أَمَّا اسْتَحْيَيْتَ مِنْ مِدَحِ سَوَارٍ بِوَصْفِكَ فِي التَّهَائِمِ وَالنُّجُودِ؟
ألم تستحي من مدح (قصائد مدح) سوار (ساريات مسافرات) تسافر - حاملة وصفك - في التهائم (المرتفعات) والنجود (الأغوار)؟

تَوَدُّ بِأَنَّهَا لَكَ فِيَّ عُجْباً بِجَوْهَرِهَا الْمُفْصَّلِ فِي النَّشِيدِ
أنت تود لو أنك أنت قلت هذه القصائد في مدحي أنا، فأنت تضحى بمدح ذاتك لإعجابك بهذه الدرر التي يُبرز روعتها الإنشاد. [هذا المعنى الذي لمحت]

بَنَتْ لَكَ مَعْقِلاً فِي الشَّعْرِ ثَبْتاً، وَأَبَقَتْ مِنْكَ ذِكْراً فِي الْقَصِيدِ
على أن قصائدي بنت لك حصناً ثابتاً في دنيا الشعر، وتركت لك ذكراً منقوشاً بالشعر

وَتَبَدَّهْنِي إِذَا مَا الْكَأْسُ دَارَتْ بِنَزَقَاتٍ تَجِيءُ عَلَى الْبَرِيدِ
وتبددني (تفاجئني) إذا دارت الكأس بنزقات (عريصات) يشيع ذكرها ويذهب بها البريد إلى كل مكان. [هذا المعنى الذي لمحت]

وَمَا لِي قُوَّةٌ تَنْهَاكَ عَنِّي وَلَا أَوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدِ
وليس لي قوة تنهاك (تكفك) عني، ولا ظهر لي يسندني من أذاك

سَوَى شَعْلٍ يَخَافُ الْحُرَّ مِنْهَا لَهِيْباً غَيْرَ مَرْجُوِّ الْخُمُودِ
اللهم إلا شعلاً نارياً (آيات هجاء) يخاف منها الحر الحريص على سمعته لهيباً لا يرجى له انطفاء

وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ - وَأَنْتَ تُرَبِّي عَلَيَّ - لَثُرْتُ ثَوْرَةَ مُسْتَقِيدِ
ولو شئت - رغم أنك تربني (تزيد) عني في البأس - لثرت ثورة مستفيد (طالب للقصاص)

ظَلَمْتُ أَخَا لَوْ التَّمَسَّ انْتِصَارًا عَزَاكَ مِنَ الْقَوَافِي فِي جُنُودٍ
ظلمت أخاً (صاحباً) لو التمس (طلب) انتصاراً (انتقاماً) لغزاك بجنود هي عبارة عن أبيات الهجاء

٤٣ العراق أنت

مودعاً أبا نهشل:

لَا أَطِيقُ السُّلُوَ عَنْكَ، وَلَوْ أَنَّ - فُؤَادِي مِنْ صَخْرَةٍ مَرْمَرِيْسٍ
السلو (النسيان)، مرمريس (ضخمة)

لَيْسَ حُزْنِي عَلَى الْعِرَاقِ، وَمَا يُدْ - بِسُهَا الدَّهْرُ مِنْ نَعِيمٍ وَبُوسٍ
بوس (بؤس)

مَا تُرَابُ الْعِرَاقِ بِالْعَنْبَرِ الْوَرْ دِ، وَلَا مَاءٌ دِجْلَةٍ بِمَسُوسٍ
فتراب العراق ليس من العنبر الورد (الوردي اللون)، ولا ماء دجلة المسوس (الترياق الشافي)
غَيْرَ أَنِّي مُخَلَّفٌ، مِنْكَ، فِي آ خِرٍ بَعْدَادَ، فَضْلَ عِلْقٍ نَفِيسٍ
لكنني خلفت (تركت ورائي) في بغداد منك (أي مثلاً بك) فضل علق نفيس (بقية جوهر ثمين)،
أَيَّ أَنْكَ جَوْهَرَةٌ غَالِيَةٌ عَلَى قَلْبِي

٤٤ نفوسنا تتبعك

قال في وداع سليمان بن وهب:

وَذِي رَاحَةٍ مِثْلِ صَوْبِ الْغَمَا مِ، لَيْسَ لَهُ فِي الْعِلَا مُؤْنِسُ
رُبُّ صَاحِبِ رَاحَةٍ (كفّ) تشبه صوب الغمام (مطر الغيم)، يجلس في العلا (المجد) وحيداً ليس
معه أحد يؤنسه، لأنه لا يوجد من هو في علوه

تَحَمَّلْ نَحْوَ بِلَادِ الشَّآ مِ، يَحْمِلُهُ مَهْمَةٌ أَمْلَسُ
تحمل (زم متاعه للرحيل) نحو الشام، وحمله مهمه أملس (صحراء جرداء)

إِذَا مَجَّهْ بِلْدٌ بِسَبَسُ تَلَقَّمَهُ بِلْدٌ بِسَبَسُ
في ترحاله كان يمجه (يقذفه) بلد بسبس (مقفر) ليتلقفه بلد بسبس آخر

أَقُولُ لَهُ عِنْدَ تَوْدِيعِنَا وَكُلُّ بِحَاجَتِهِ مُبْلِسُ:

أقول له عند الوداع، وبينما كل شخص مبلس (قلق ومشغول) بحاجته (بشأنه)، فهو رجل راحل
وهومومه أمامه، وأنا مقيم ولي شغل يشغلني مختلف عن شغله هو، أقول له..

لَئِنْ قَعَدْتَ عَنْكَ أَجْسَامُنَا لَقَدْ سَافَرْتَ مَعَكَ الْأَنْفُسُ

.. لئن بقينا بأجسامنا، فإن أنفسنا (أرواحنا) تسير معك

هذا شأن من يودع عزيزاً، فهو يتابعه بقلبه؛ فأما من يودّع غير عزيز فهو يترقب انتهاء لحظة الوداع ليعود إلى شأنه ويسقط من حسابه - ولو إلى حين - الشخص المرتحل

٤٥ رابعها لا ثالثهما

بمدح محمد بن عبد الملك الزيات:

يَا نَدِيمِي بِالسَّوَاجِيرِ مِنْ وَدِّ - ابْنِ مَعْنٍ وَبُخْتَرِ بْنِ عُثُودِ

يا صاحبي في منطقة السواجير (قرب نهر الساجور عند منبج بشمال سوريا)

أُظْلِمَا ثَالِثاً سِوَايَ، فَإِنِّي رَابِعُ الْعَيْسِ وَالْدُجَى وَالْيَمِيدِ

اتركاني وابحثا عن ثالث لكما، فأنا رابع العيس (الجمال) والدجى (الليل) والييد (الصحارى).

يقول إنه رجلٌ سَفَرٍ ومغامرة

٤٦ القنفذ

بمدح يوسف بن محمد بن يوسف:

وَمُخْتَرِسٍ، مِنْ أَيْنَ رُمْتَ اغْتِرَارَهُ وَجَدْتَ لَهُ سَهْمًا إِلَيْكَ مُفَوَّقًا

هذا رجل محترس؛ من أي جهة رمت (أردت) اغتراره (خداعه) رأيته قد سدّد إليك سهماً مفوقاً (مفلوج الذيل كي يثبت فيه الوتر، أي جاهزاً للإطلاق)

٤٧ مع السلطان.. ضد الخارجي

بمدح أبا سعيد محمد الثغري، ويذكر قتاله محمد بن عمرو الشاري الخارجي:

أَفَاقَ صَبٍّ مِنْ هَوًى، فَأُفَيْقًا؟ أَمْ خَانَ عَهْدًا، أَمْ أَطَاعَ شَفِيقًا؟

أفاق (كفّ)، صب (عاشق)، الشفيق (المشفق عليه)

إِنَّ السُّلُوَ، كَمَا تَقُولُ، لَرَّاحَةٌ لَوْ رَاحَ قَلْبِي لِلْسُّلُوِّ مُطِيقًا

مثلما تقول أيها المشفق فإن السلو (السيان) راحة، هذا لو أطاق (احتمل) قلبي السلو

عَدَّتِ الْجَزِيرَةُ فِي جَنَابِ مُحَمَّدٍ رِيًّا الْجَنَابِ، مَغَارِبًا وَشُرُوقًا

الجزيرة (منطقة في شمال شرق سوريا) رياء الجناب (مرتوية الأنحاء)

رَفَعَ الْأَمِيرُ أَبُو سَعِيدٍ ذِكْرَهَا وَأَقَامَ فِيهَا لِلْمَكَارِمِ سُوقًا

يَسْتَمْطِرُونَ يَدَا يَفِيضُ نَوَالُهَا فَيَغْرِقُ الْمَحْرُومَ وَالْمَرْزُوقَا
الناس يستمطرون (يطلبون المطر والخير) من يده التي يفيض نوالها (عطاؤها) فيعم المحروم والمرزوق

كُنَّا نَكْفُرُ مِنْ أُمِّيَّةٍ غَضَبَةٌ طَلَبُوا الْخِلَافَةَ، فَجَرَّةٌ وَفُسُوقَا
كنا نكفر جماعة من بني أمية سعوا لأخذ الخلافة فجرة (كذباً) وفسوقاً

وَنَلُومُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ كُلِّيهِمَا وَنُعَنْفُ الصَّدِيقَ وَالْفَارُوقَا
ونلوم طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، ونوبخ أبا بكر الصديق وعمر الفاروق، وكل هؤلاء
يعدمهم الشيعة مخطئين في مسألة حق آل البيت في الخلافة

وَهُمْ قُرَيْشُ الْأَبْطَحِينَ إِذَا انْتَمَوْا طَابُوا أَصُولاً فِيهِمْ وَعُرُوقَا
نلومهم مع أنهم من قريش الأبطحين (قريش ساكنة البطاح، ونسبها أعلى من بطون قريش الأخرى)

وَنَقُولُ تَيْمٌ قَرَبْتُ وَعَدِيْهَا أَمراً بعيداً، حَيْثُ كَانَ، سَحِيقَا
وكنا نقول إن تيماً (فرع أبي بكر الصديق) وعدياً (فرع عمر بن الخطاب) قربا الخلافة مع أنها بعيدة
بعداً سحيقاً عن استحقاقهم

حَتَّى عَدَتْ جُشْمُ بْنُ بَكْرٍ تَبْتَغِي إِرْتَ النَّبِيَّ، وَتَدَّعِيهِ حُقُوقَا
والآن تريد قبيلة جشم بن بكر (قبيلة محمد الشاري الطامع في الخلافة) إرث النبي وتراه حقها، فيا
للمسخرة!

جَاءُوا بِرَاعِيهِمْ لِيَتَّخِذُوا بِهِ عَمْدًا، إِلَى قَطْعِ الطَّرِيقِ، طَرِيقَا
جاءوا برجل منهم هو راعي إبل أو غنم وجعلوا مطالبته بالخلافة طريقة لقطع الطريق والنهب

وَأَقَامَ يَنْفُذُ فِي الْجَزِيرَةِ حُكْمَهُ وَيَظُنُّ وَعَدَ الْكَاذِبِينَ صَدُوقَا
وأقام بالجيزة مسلطاً، وهو يظن وعد حلفائه بمساندته صدقاً

حَتَّى إِذَا مَا الْحَيَّةُ الذَّكْرُ انْكَفَا مِنْ «أَرْزَنِ» حَنِقًا، يَمُجُّ حَرِيقَا
حتى إذا ما انكفا (رجع) الحية الذكر (الرجل القوي المذبر) من منطقة أرزن وهو حق (غاضب)
يمج (ينفث) النار..

عَدَرْتُ أَمَانِيَّ بِهِ، وَتَمَزَّقْتُ عَنْهُ غَيَابَةً سُكْرِهِ تَمْزِيقَا
.. عندئذ غدرت أمانى المشق به، وتمزقت غيابة سكرة (يقصد غيابه عن وعيه سكرًا) والغيابة في
المعجم القعر

طَلَعْتُ جِيَادُكَ مِنْ رَبَا الْجُودِيِّ، قَدْ حُمِّلَنْ مِنْ دُفْعِ الْمُنُونِ وَسُوقَا
طلعت جياذك (خيولك) من ربا جبل الجودي (جبل يقع جنوب شرق تركيا الحديثة)، وهي محملة
وسوقاً (أحمالاً) من دفع المنون (زخات الموت)

يَظْلُبْنَ ثَأَرَ اللَّهِ عِنْدَ عِصَابَةٍ خَلَعُوا الْإِمَامَ، وَخَالَفُوا التَّوْفِيقَا
الإمام (ال خليفة)

٤٨ ترفع عن الشتم

يمدح أبا نهشل محمد بن حميد الطوسي وبعاتبه:

لَا لَ حُمَيْدٍ مَذْهَبٌ فِيَّ، لَمْ أَكُنْ لَأَذْهَبَهُ فِيهِمْ، وَلَوْ جَدَعُوا أَنْفِي
لَا لَ حميد طريقة في معاملتي ما كان يمكن أن أتبعها معهم ولو جدعوا أنفي

وَلَمْ أَرُمْ إِلَّا كَانَ عَرَضُ عَدُوِّهِمْ مِنَ النَّاسِ قُدَّامِي، وَأَعْرَاضُهُمْ خَلْفِي
لم أكن أرمي بسهامي (بشعري وهجائي) إلا وأعراض أعدائهم أمامي أرميها، وأما أعراضهم هم
فهي خلفي أحميها

جَعَلْتُ لِسَانِي دُونَهُمْ، وَلَوْ أَنَّهُمْ أَهَابُوا بِسَيْفِي كَانَ أَسْرَعَ مِنْ طَرْفِي
جعلت لساني دونهم (حامياً لهم)، ولو أهابوا (طلبوا) أن أنصرهم بالسيف لكان سيفي أسرع من
طرفي (نظري). أي أنني كنت نصرتهم بأسرع من رمشة العين

رَجَعْتُ إِلَى حِلْمِي، وَلَوْ شِئْتُ شُرِدْتُ نَوَافِدُ تَمْضِي فِي الدَّلَاصِيَةِ الرَّغِيفِ
وبعد أن دافعت بالهجاء عن هؤلاء القوم رجعت إلى حلمي (مسامحتي)، ولو شئت لشردت
(لأطلقت) سهام نوافذ (نافذة) تمضي (تدخل) في الدلاصية الرغيف (الدرع الواسعة). يقصد لو
شئت لأسرفت في الشتم، ولكن..

أَبَى لِي الْعَبِيدُونَ الثَّلَاثَةُ أَنْ أَرَى رَسِيلَ لَيْثِيمٍ فِي الْمُبَادَاةِ وَالْقَذْفِ
.. أبى لي العبيدون الثلاثة (أسلافه ومنهم أبوه عبيد) أن يراني الناس رسيل (شريك) لثيم في
المباداة (تبادل البذاءات) والقذف (الشتم)

وَأَجْبُنُ عَنْ تَعْرِضِ عِرْضِي لِجَاهِلٍ وَإِنْ كُنْتُ فِي الْإِقْدَامِ أَطْعَمُ فِي الصَّفِّ
أنا جبان عن تعرض عرضي لجاهل (سفيه)، وإن كنت في الحرب أطعم صف الأعداء

وَلَمَّا تَبَايَذْنَا فَرَزْتُ مِنَ الْخَنَا بِأَشْيَاحِ صِدْقٍ، لَمْ يَقْرُوا مِنَ الرَّحْفِ
لما تبايذنا (تبادلنا الشتم البذيء) هربت من الخنا (الفحش) متقذاً من العار ذكرى أشياع صدق
(أسلاف ذوي مكانة)، كانوا شجعاناً لا يفرون من الزحف

وَلِئَلِّي لَيْثِيمٌ إِنْ تَرَكْتُ لِأُسْرَتِي أَوَابِدَ تَبَقَى فِي الْقَرَّاطِيسِ وَالصُّحُفِ
سأكون لثيماً لو تركت لأحفادي أوابد (قصائد خالدة) يقولها الأعداء في هجائنا وتبقى في
القرطيس والصحف (الأوراق)

وَأَنِّي لَأَسْتَبْقِي وَدَادَكَ لَلَّتِي تُلِمُّ، وَأَرْضِي مِنْكَ دُونَ الَّذِي يَكْفِي
يا أبا نهشل: إني أبقي على الود معك لوقت الملمات، وأما بالنسبة للعطايا والمكافآت المالية
فأنا أرضى منك بأقل مما يكفي حاجتي

وَأَسْأَلُكَ النِّصْفَ اخْتِجَازًا؛ وَرَبِّمَا أَبَيْتُ، فَلَمْ أَسْمَحْ لِغَيْرِكَ بِالنِّصْفِ
أسألك النصف (أن تنصفني فلا تزيد عن الحد الأدنى) اختجأً (فضاً للخلاف)، ومن غيرك لا
أقبل بالحد الأدنى

فَلَا تَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ رِقًّا، فَإِنَّا خُلِقْنَا نُجُومًا لَيْسَ يُمْلِكُنَّ بِالْعُرْفِ
فلا تجعل معروفك عبودية لي، فنحن نجوم لا يملكننا المال

٤٩ تقويم الأضلاع

يملح يوسف بن محمد بن يوسف:

مَا أَحْسَنَ الْأَيَّامَ! إِلَّا أَنَّهَا يَا صَاحِبِي! إِذَا مَضَتْ لَمْ تَرْجِعِ
كَانُوا جَمِيعًا، ثُمَّ مَرَّقَ شَمْلَهُمْ بَيْنَ، كَتَقْوِيضِ الْجَهَامِ الْمُفْلِحِ
بين (فراق)، كتقويض (كتشتيت) الجهام (السحاب غير الماطر) المفلح (المتبدد)

وَوَرَاءَهُمْ ضُعْدَاءُ أَنْفَاسٍ، إِذَا ذُكِرَ الْفِرَاقُ أَقْمَنَ عُوجَ الْأَضْلُعِ
وبعد ذهابهم كنت أزفر الأنفاس الحرى التي تكاد لشدها تقوم أضلاع صدري المعوجة. أخذ
المعنى إيليا أبو ماضي في قوله: (لقد توشك الحُمى، إذا جَدَّ جِدُّهَا/ تَقُومُ مِنْ أَضْلَاعِي الْمُتَأَوِّدَا)

مَدَّتْ وَلايَةُ يَوْسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ سُورًا عَلَى ذَاكَ الْقَضَاءِ الْبَلَقِ
ولاية هذا الرجل كانت بمثابة سور أحاط بالقضاء البلقع (الأرض الواسعة الفارغة) فحمى البلاد
من الأعداء

وَأَعِنَّةُ الْإِسْلَامِ فِي يَدِ حَازِمٍ قَدْ قَادَهَا زَمَنًا، وَلَمْ يَتَرَعَّرِعِ
أعنة (مقاود، حبال تقاد بها الإبل الخ)

وَلَتَهْنِكَ الْآنَ الْوِلَايَةُ، إِنَّهَا طَلَبْتُكَ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ الْمَنْزَعِ
هنيئاً لك الولاية، فهي التي طلبتك وكنت في بلد بعيد المتزع (المرمى، الموقع)

لَمْ تُعْطِهَا أَمَلًا، وَلَمْ تَشْغَلْ بِهَا فِكْرًا، وَلَمْ تَسْأَلْ لَهَا عَنْ مَوْضِعِ
لم تكن الولاية ضمن أمنيائك، ولم تكن تفكر فيها

وَرَأَيْتَ نَفْسَكَ فَوْقَهَا، وَهِيَ الَّتِي فَوْقَ الْعَلِيِّ مِنَ الرُّجَالِ الْأَرْفَعِ

وَصَلَّتْكَ حِينَ هَجَرْتَهَا، وَتَزَيَّنْتَ بِأَعْرَ وَافِي السَّاعِدَيْنِ سَمِيدِعِ
أنت هجرت المنصب وهو جاءك. وتزين المنصب بك وأنت رجل أعر (بارز) وافي الساعدين
(قوي) سميدع (شريف)

٥٠ نحن محاويج للمباهيج

أَمَّا فُؤَادِي! فَعِنْدَ اللَّهِ حِسْبَتُهُ فَقَدْ تَقَسَّمَهُ الْغُرُّ الْمَبَاهِجُ
عند الله حسبة قلبي (ثوابه عن معاناته/ وفي الدين أن الذي يعاني يؤجر حتى لو لم يصنع خيراً)
فقد اقسام قلبي الغر (اليض) المبايج (الحسان)

الْعَانِيَاتُ اللّوَاتِي قَدْ رَزَقْنَ غَنًى عَنَّا، وَنَحْنُ إِلَيِهِنَّ الْمَحَاوِجُ
هؤلاء الحسان رزقهن الله غنى عنا (هكذا يظن أبو عبادة)، وأما نحن فنحتاج إليهن

٥١ الشيب الأسود

يمدح أبا أيوب:

وَفُتُوَّةَ جَمَعَ الثَّقَى أَطْرَافَهَا وَنَدَى أَحَاظَ بِجَانِبَيْهِ السُّؤْدُ
هذه فتوة (شباب مع شهامة) ولكنها محاطة من أطرافها بالثقوى، وندى (كرم) وهو محاط من
جانبه بالسؤدد (السيادة)

وَشَبِيبَةٌ فِيهَا النُّهَى، فَإِذَا بَدَتْ لِذَوِي التَّوَسُّمِ، فَهِيَ شَيْبٌ أَسْوَدٌ
وشبيبة (شباب) فيها النهى (العقل)، فإذا رأها ذوو التوسم (أهل الفراسة) عرفوا أنها شبيبة عاقلة،
فكان أصحابها شابوا ولكن.. شيئاً أسود. رأيت كيف يلوي البحرني اللغة لئلا حتى يختصر
المعنى ويجعله يرقص داخل عبارة ترقص

٥٢ وما عليّ إذا لم تفهم البقر

يمدح علي بن مرّ الطائي:

فِي الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ، لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ، وَوَاعِظٌ مِنْهُ، لَوْلَا أَنَّهُ حَجَرٌ
يخاطب نفسه كأنه يخاطب شخصاً غائباً: في الشيب زجر (ردع) له لو كان يرتدع، وفي الشيب
واعظ ذاتي له، ولكن هذا الرجل حجر لا يتعظ

إِبْيَضَ مَا أَسْوَدَ مِنْ فُؤَادِيهِ، وَارْتَجَعَتْ جَلِيَّةُ الصُّبْحِ مَا قَدْ أَغْفَلَ السَّحَرُ
ابيض ما كان مسوداً من فؤديه (سالفه)، واسترجعت جليلة الصبح (انجلاء الصباح) ما كان أغفله
السحر (قبيل الفجر). يقول إن بقايا شعرات سود كانت ما زالت باقية على سوادها، ثم طلع عليها
فجر المشيب فيبيضها

وَلِلْفَتَى مُهْلَةٌ فِي الْحُبِّ وَاسِعَةٌ مَا لَمْ يَمُتْ فِي نَوَاحِي رَأْسِهِ الشَّعَرُ

للفتى مهلة طويلة لكي يعيش، ولكن قبل أن يموت الشعر (يبيض) في جوانب رأسه

قَالَتْ: مَشِيبٌ وَعَشَقٌ رُحْتَ بَيْنَهُمَا، وَذَاكَ فِي ذَاكَ ذَنْبٌ لَيْسَ يُغْتَفَرُ!

قالت له العاشقة: أنت معلق بين مشيب وعشق، والعشق مع وجود الشيب ذنب لا يغفر

عَزَى عَنِ الْحِظِّ أَنَّ الْعَجْزَ يُدْرِكُهُ، وَهَوْنُ الْعُسْرِ عِلْمِي فِيمَنْ الْيُسْرُ

عزاني عن قلة حظي أن المحظوظ سيؤول يوماً إلى عجز عندما يسن، وهون علي العسر (الفقر) علمي في أي الناس يحل الغنى. فالأغنياء هم السفلة، لذلك لست أسفاً على فوات الغنى

لَمْ يَبْقَ مِنْ جُلِّ هَذَا النَّاسِ بَاقِيَةٌ يَنَالُهَا الْوَهْمُ إِلَّا هَذِهِ الصُّورُ

لم يبق من معظم هؤلاء الناس بقية ينالها الوهم (يتصورها العقل) إلا هذه الصور الزائفة

بُخْلٌ وَجَهْلٌ، وَحَسْبُ الْمَرْءِ وَاحِدَةٌ مِنْ تَيْنٍ حَتَّى يُعْقَى خَلْفُهُ الْأَثَرُ

فيهما بخل وجهل، وتكفي المرء واحدة من تين (هاتين) حتى يعقى (يزال) خلفه أثر أقدامه لئلا يكرّ عائداً

إِذَا مَحَاسِنِي اللَّاتِي أَدُلُّ بِهَا كَانَتْ ذُنُوبِي، فَقُلْ لِي: كَيْفَ أَعْتَذِرُ؟

إذا كانت محاسني اللاتي أدل بها (أفخر بها) معدودة في الذنوب،

فكيف أعتذر (كيف أجد تسويغاً لمطالبي)

أَهْزُ بِالشَّعْرِ أَقْوَاماً ذَوِي وَسَنِ فِي الْجَهْلِ، لَوْ ضَرَبُوا بِالسَّيْفِ مَا شَعَرُوا

أهز بشعري (أبعث النخوة) أناساً ذوي وسن (نعاس) نائمين في جهلهم، لو ضربوا بالسيف لما شعروا

شعروا لتحجر مشاعرهم

عَلَيَّ نَحْتُ الْقَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِهَا وَمَا عَلَيَّ إِذَا لَمْ تَفْهَمْ الْبَقْرُ

عليّ نحت القوافي من أماكن قطعها في الصخر، ولا ذنب علي إن لم تفهم البقر شعري أخذنا رواية «الموازنة» لهذا البيت لأنها أحلى

٥٣ بغال البشر

يخاطب سعيد بن معاوية:

أَشْرَقُ أَمْ أَغْرُبُ يَا سَعِيدُ وَأَنْقُصُ مِنْ زَمَاعِي، أَمْ أَزِيدُ؟

زماعي.: عزمي

تَقَادُفُ بِي بِلَادٌ عَنْ بِلَادٍ كَأَنِّي بَيْنَهَا جَمَلٌ شَرُودٌ

البلاد تتقاذفني كما يتجول الجمل الشroud (الفار) بين الخيام، وكل قوم يضربونه لئيتعد عنهم درءاً لشبهة السرقة

وَحَلَفْنِي الزَّمَانُ عَلَى أَنَاْسٍ وَجُوهُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ حَدِيدُ

تركني الزمان لكي أرى ناساً وجوههم كثرة وأيديهم جامدة بخلاً

لَهُمْ حُلٌّ حَسَنٌ، فَهَنْ بِيضٌ وَأَفْعَالٌ سَمُجَنٌ، فَهَنْ سُوْدُ

لهم حلل (ثياب) حسن (جَمَلُن) فهن بيض، ولهم أفعال سمجة (قبيحة) فكانها سوداء

وَأَخْلَاقُ الْبَغَالِ؛ فَكُلَّ يَوْمٍ يَعْزُّ لِبَعْضِهِمْ خُلُقٌ جَدِيدُ

ولهم أخلاق البغال. ونقل لنا الجاحظ: «البغل كثير التلون.. وهو مع هذا قتال لصاحبه»، وصنع في كتابه المعروف قائمة بمن قتلهم بغالهم

وَأَكْثَرُ مَا لِسَائِلِهِمْ لَدَيْهِمْ إِذَا مَا جَاءَ قَوْلُهُمْ: تَعُودُ

أكثر شيء لديهم يعطونه لسائلهم (المستعطي منهم) قولهم: تعود (فوت علينا بكرة)

أَنَاسٌ لَوْ تَأَمَّلَهُمْ لَبِيدٌ بَكَى الْخَلْفَ الَّذِي يَشْكُو لَبِيدُ

أناس لو تأملهم الشاعر لبكى وترحم على الخلف (الجيل الجديد الطالح) في زمنه الذين هجاهم لسوتهم إشارة إلى بيت لبيد بن ربيعة، وقد أَسْنُ كثيراً: (ذهب الذين يُعَاش في أكتافهم/ ويقت في خلف كجلد الأجر)، فلبيد يتأفف من معاصري شيخوخته لأن الأكارم من السلف ماتوا ولم يبق سوى ناس متعفين رديئين كجلد البعير الأجر. والبحري يقول: هؤلاء الناس في زماني أنا لو رأيهم لبكى على المتعفين شوقاً إليهم، فمعاصري أردأ بكثير

أَلَا لَيْتَ الْمَقَادِرَ لَمْ تُقَدَّرْ وَلَمْ تَكُنِ الْأَحَاطِي وَالْجُدُودُ

ليت الأقدار لم تقدر بشكلها الحالي، وليت لم تكن موجودة الأحاطي (الحظوظ) والجدود (جمع الجَد وهو الحظ). ذلك أن الحظوظ في نظره هي التي ترفع بعضاً وتخفض بعضاً

فَنَنْظُرُ أَيُّنَا يَضْحِي وَيُمْسِي لَهُ هَذِي الْمَوَائِبُ وَالْعَبِيدُ

فلو حدث ذلك لرأينا من الذي يكون له هذه الموابك والعبيد

فَلَوْ كَانَ الْغِنَى حَظًّا كَرِيماً لَأَخْطَأَهُ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ

لو كان الغنى شيئاً مشرفاً لما وجدنا أغنياء بين النصارى واليهود

٥٤ فقر الأنبياء

قال ضمن معاتبته يوسف بن محمد:

مَنْ كَانَ يَحْمَدُ أَوْ يَذُمُّ زَمَانَهُ هَذَا، فَمَا أَنَا لِلزَّمَانِ بِحَامِدٍ

فَقَرُّ كَفَقْرِ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَرِبَةٌ، وَصَبَابَةٌ؛ لَيْسَ الْبَلَاءُ بِوَاحِدٍ

صباية (اشتياق)

٥٥ الهجاء بعد المديح

يهجو ابن بنت أبي منصور الكاتب:

زَنْتَ زَمَانًا فَلَمَّا عَنَّسَتْ هَرَمًا قَادَتْ عَلَى كُلِّ قَوَادٍ وَخَمَارٍ

زنت (فعلت الزنا) وهي شابة، فلما كبرت وهربت بلا زواج قادت (صارت قوادة تضارب بنشاطها) على كل خمار وقواد

فهي لم تكتف بالقيادة (أي قيادة النساء للرجال والعكس، يبعاً للجنس وشراء) بل قادت على الخمارين والقوادين فضاربت عليهم في صناعتهم

لَرَهْرَةً مِنْ غَوِيٍّ فِي مَضَارِطِهَا أَشْهَى إِلَى قَلْبِهَا مِنْ أَلْفِ دِينَارٍ

الرهز (الهزُّ والدفع)، الغوي (الضال)، مضارطها (اختر الفتحة الأنسب لمعنى الكلمة)، وقد أسرف البحري، ومعاصره ابن الرومي في هجاء أمهات الناس، وأوردوا هذا المعنى: أن المومس تلتذد الجنس، ومما يخبرنا به علماء الاجتماع في زمننا نقلاً عن المحترقات أنهم لا يجدن في الجنس مع الرجال المشتريين له أي متعة

جَاءَتْ بِنَغْلٍ وَقَاحٍ بَارِدٍ وَضِرٍ ذِي مَوْلِدٍ نَجِسٍ مِنْ غَيْرِ تَطْهَارٍ

وولدت نغلاً (ابن زنا) وقاح (وقح) بارد (ثقل الدم) وضر (وسخ)، وقد ولدته في فراش النجاسة من غير تطهار (طهارة)، لا يريد بها البحري أن تكون اغتسلت بعد النفاس؟ هذا المعنى الملموح

وَلَيْسَ يَصْلُحُ، إِنْ كَشَفْتَ هِمَّتَهُ، إِلَّا لِفَاحِشَةٍ، أَوْ حَمَلٍ مِزْمَارٍ

لا يصلح هذا الرجل - إذا كشفت هيمته (طموحه) - إلا لتفعل فيه الفاحشة، أو لعزف المزمارة

مَا زَحَّتُهُ، غَيْرَ ذِي عِلْمٍ بِخُسَّتِهِ، فِي نَظْمٍ مَمْدَحَةٍ مِنْ حُرِّ أَشْعَارِي

نظمت فيه قصيدة مدح على سبيل المزاح، وأنا لا أعلم مدى خسته (حقارته)

فَأَظْهَرَ التَّيَّةَ مِنْ جَهْلِي، وَقَابَلَنِي بِسَبْيٍ لَمْ يَكُنْ مِنْ حَقِّ مِقْدَارِي

فأظهر التية (التكبر) لجهله، وقابلني بالسوء

يَا ابْنَ الَّتِي ضَرَطْتُ مِنْ تَحْتِ (بَائِكِهَا) ضَرَطَ الْحِمَارِ ضَعَاً مِنْ كَيْ بِيْطَارٍ

يا ابن التي فعلت كذا تحت كذا (صَحَفَ الباء)، فعل الحمار ضعفاً (نهق) عندما كواه البيطار (الطبيب البيطري)

إِخْدَى النُّوَادِرِ مِنْ قِرْدٍ تَعَرَّضُهُ، مِنْ غَيْرِ مَقْدَرَةٍ، لِلْقَسُورِ الضَّارِي

إن من النوادر (العجائب) التي نراها من القرد أن يتعرض (بتصدي) بغير مقدرة منه للقصور الضاري (للأسد المفترس)

٥٦ مددت يدي .. لكن للصديق

قال في أبي مسلم الكجّي وأسد بن جهور:

أَهْوَى الثَّرَاءُ، وَكَمْ مِنْ ثُرُوءٍ كَسَبْتُ لِي الْعَدَاوَةَ مِنْ رَهْطِي وَمِنْ وَلَدِي
رَهْطِي (قومي)

حَتَّى لَأَنْكَرْتُ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ مِنَ الْأَخْلَاءِ، وَاسْتَوَحَشْتُ مِنْ بَلَدِي
الْأَخْلَاءُ (الأصدقاء)

وَكَمْ أَضَفْتُ، وَمَا أَشَقَقْتُ مِنْ بُلْغٍ، وَلَا مَدَدْتُ، إِلَى غَيْرِ الصَّدِيقِ، يَدِي
كثيراً ما أضفت (افتقرت)، ولكنني ما أشققت (خفت) من العيش على بُلْغٍ (تصيرات)، وما مددت
يدي إلا لصديق

٥٧ توليد الذهب من الحديد

يمدح مُرَّ بْنَ عَلِي الطائي:

أَقِيمُوا بَنِي الدِّيَّانِ مِنْ سَفَهَائِكُمْ فَقَدْ طَالَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ مَحِيدُهَا
أقيموا (قوموا) يا بني الديان اعوجاج سفهائكم، فقد طال معيدهم (انحرفهم) عن قصد السبيل
(الطريق القويم)

أَمَّا أَنْ يَنْهَى عَنِ الْجَهْلِ وَالْحَنَّا قِيَامُ الْمَنَآيَا فَبِكُمْ وَقَعُودُهَا؟
أما حان الوقت كي ينهاكم عن الجهل (الطيش)
والحناء (البذاءة) استفحال القتل فيكم

قَرَأَبَتَكُمْ، لَا تَظْلِمُوها، فَتَبْعُوا عَلَيْكُمْ صُدُوراً مَا تَمُوتُ حُقُودُهَا
احفظوا أقرباءكم ولا تظلموهم، لئلا تبعوا (تثيروا) عليكم صدوراً لا يموت فيها الحقد،
ولا تنسى الإساءة

لَهَا الْحَسَبُ الرَّازِكِي الَّذِي تَعْرِفُونَهُ وَفِيهَا طَرِيفَاتُ الْعُلَا وَتَلِيدُهَا
قرابتكم فيها الحسب الرازي (السمعة الطيبة) وفيها من المعالي طريفها (مكتسبها) وتليدها
(موروثها)

فَلَا تَسْأَلُوهَا عَنْ قَدِيمِ تَرَائِهَا فَعَسَجَدُهَا مِمَّا أَفَادَ حَدِيدُهَا
ولا تسألوا هؤلاء الأقارب عما ورثوه من خير، فمعسجدهم (ذهبهم) اكتسبوه بحديدهم. أي أنهم
نالوا الأموال بالسيف

٥٨ قتيل الكلاب

يرثي حميداً الطوسي:

وَلَمَّا رَأَوْا بَعْضَ الْحَيَاةِ مَذَلَّةً عَلَيْهِمْ، وَعَزَّ الْمَوْتُ غَيْرَ مُحَرَّمٍ
أَبَوْا أَنْ يَذُوقُوا الْعَيْشَ، وَالذَّمُّ وَاقَعَ عَلَيْهِ، وَمَاتُوا مَيِّتَةً لَمْ تُذَمِّ

رفضوا أن يذوقوا العيش وصفة الذم واقعة عليه (ملتصقة به)،

وماتوا ميتة شريفة غير مذمومة

سَلامٌ عَلَى تِلْكَ الْخَلَائِقِ، إِنَّهَا مُسَلَّمَةٌ مِنْ كُلِّ عَارٍ وَمَأْنَمٍ
وَلَا عَجَبَ لِلْأُسْدِ أَنْ ظَفَرَتْ بِهَا كِلَابُ الْأَعَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ
فَحَزْبُهُ وَخَشْيَ سَقَتْ حَمَزَةَ الرَّدَى، وَخَفَّ عَلَيَّ فِي حُسَامِ ابْنِ مُلْجَمٍ
وحشي، وهو من العبيد، قتل حمزة عم النبي بحرته؛ وابن ملجم قتل علياً بسيفه، فلا عجب أن
يُقتل الشريف بيد الوضع

أَبَا مُسْلِمٍ لَا زِلْتَ بَيْنَ مُودَعٍ مِنَ الْمَزْنِ مَسْكُوبِ الْحَيَا، وَمُسْلَمٍ
لا زلت (أبقاك الله) بين نوعين من المزن (السحاب): مودع ذاهب بعد أن سكب الحيا (الماء)،
ومسلم (قادم يطرح السلام لكي يهطل). وكانوا يدعون للميت بالسقيا

وَمَا جَدْتُ فِيهِ ابْتِسَامَكَ لِلنَّدَى، إِذَا أَظْلَمَتْ أَجْدَاثُ قَوْمٍ، بِمُظْلِمٍ
والجدث (القبر) الذي يضم الابتسامة - التي كانت ترسم على وجهك وأنت تعطي الناس - قبر
مضيء، في حين قبور الآخرين مظلمة. التسويد من أحمد عبد الرحيم

٥٩ فعي إن شئت أو طبري

حُلِّي سَعَادُ غُرُوضِ الْعَيْسِ، أَوْ سِيرِي وَأَنْجِدِي فِي التِّمَاسِ الْحَظَّ، أَوْ غُورِي
فكي يا سعاد غروض العيس (حبال النياق) وانزلي بالمكان، أو سيرى وارحلي؛ وأنجدي (اصعدي
الهضاب) في التماس (طلب) الحظ، أو غوري (انزلي الوديان)

كُلُّ الَّذِي نَتَرَجَّاهُ وَنَأْمُلُهُ مُضْمَنٌ فِي صَرُورَاتِ الْمَقَادِيرِ

فكل شيء بقدر محتوم

فَمَا يُقَرَّبُ تَقْرِيبي شَوَاسِعَهَا وَلَا يُبَاعَدُ مَا أَذْنَيْنِ تَأْخِيرِي
لا يقرب تقريبي (التقريب: السير السريع على الناقة) شواسع المقادير (النائي منها)، ولا يباعد ما
أذنته (قربته) الأقدار تأخيرى

تَغْدُو الْكِلَابُ وَلَا فَضْلٌ يُعَدُّ لَهَا سِوَى الَّذِي بَانَ مِنْ نَقْصِ الْخَنَازِيرِ
 كذا هي الحظوظ: فضيلة الكلاب هي معرفتنا أنها أقل نقصاً (عيباً) من الخنازير، ليس أن الكلاب
 ذات فضل حقاً

قَدْ قُلْتُ لِلرَّخَمِ الْمَرْدُولِ مَكْسَبُهَا: خَسَّ الْجَدَا، فَقَعِيَ إِنْ شِئْتُ، أَوْ طِيرِي
 قلت للرخم (نوع طير يأكل المستقذرات) ذات الطعام المردول (الحقير): لقد خَسَّ (قلَّ) الجدا
 (العطاء)، فقعي (اهبطي واقعةً) أو طيري، فلا يهمني الأمر. يقول: هؤلاء الشعراء الذين يمدحون
 الكبراء لقاء درهمات قليلة لا يهتموني، ولن أناقشهم في مكسبهم الخسيس

٦٠ بدر ينير النقرى

يعاتب علي بن يحيى المنجم، ويستبطئ الفتح بن خاقان:
 وَمَا مَنَّ الْفَتْحُ بِنِ خَاقَانَ نَيْلُهُ وَلَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ تُعْطِي وَتَحْرِمُ
 النبل (العطاء)

سَحَابٌ خَطَانِي جَوْدُهُ، وَهُوَ مُسْبِلٌ وَبَحْرٌ عَدَانِي فَيْضُهُ، وَهُوَ مُفْعَمٌ
 سحاب خطاني (تخطاني) جوده (مطره)، وهو مسبل (هاطل)؛ وبحر عداني (نهر) عداني (تعداني) فيضانه
 مع أنه مفعم (مليء)

وَبَدَّرَ أَضَاءَ الْأَرْضِ شَرْقاً وَمَغْرِباً وَمَوْضِعَ رِجْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلِمٌ
 أَأَشْكُو نَدَاهُ بَعْدَمَا وَسِعَ الْوَرَى؟ وَمَنْذَا يَذُمُ الْغَيْثَ إِلَّا مُذَمِّمٌ!

٦١ هيبة اللقاء

بمدح الفتح بن خاقان، ويصف دخوله إليه وسلامه عليه:
 وَلَيْلَةٌ هَوَمْنَا عَلَى الْعَيْسِ، أَرْسَلْتُ بِطَيْفٍ خَيَالٍ يُشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ
 في الليلة التي هومنا (نعسنا) فيها فوق العيس (الجمال) أرسلت المحبوبة طيفها الذي هو باطل
 وخيال ولكنه أشبه الحق لشدة شعوري به

فَلَوْلَا بَيَاضُ الصُّبْحِ طَالَ تَشَبُّثِي بِعِظْفَيْ غَزَالٍ، بَتْ وَهْنًا أَغَاظِلُهُ
 ولولا طلوع الصباح لبقيت متشبثاً بعظفي (جاني) غزال بت وهناً (ليلاً) أغاظله في أحلامي

وَقَدْ قُلْتُ لِلْمُعْلِيِّ إِلَى الْمَجْدِ طَرَفُهُ: دَعِ الْمَجْدَ، فَالْفَتْحُ بِنِ خَاقَانَ شَاغِلُهُ
 قلت للرافع طرفه (نظره) باتجاه المجد يريد: اترك المجد فهو من نصيب الفتح بن خاقان وحده

سِنَانُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَيْفُهُ وَسَيْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَنَائِلُهُ
 هو سنان (طرف رمح) الخليفة وسيفه، وهو سيبه (عطاؤه)، ونائله (عطاؤه)

وما السَّيْفُ إِلَّا بَرْزُ غَادٍ لِرِزِينَةٍ، إذا لم يَكُنْ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَامِلُهُ

ليس السيف سوى بز (ثوب فاخر) لرجل غاد لزيته (ذاهب لحفل)
إذا لم يكن حامل السيف أَمْضَى من سيفه. يقول: السيف مجرد زينة كالثوب الفاخر،
ولكنه يصبح سيفاً حقاً إذا كان حامله شجاعاً

ولما حَضَرْنَا سُدَّةَ الْإِذْنِ أُخْرِتْ رِجَالُ عَنِ الْبَابِ الَّذِي أَنَا دَاخِلُهُ

لما حضرنا إلى سدة الإذن (القاعة الخارجية التي يؤذن لنا فيها بالدخول على الأمير) كنت من
المتقدمين، وبعضهم أخر عني

فَأَفْضَيْتُ، مِنْ قُرْبٍ، إِلَى ذِي مَهَابَةٍ أَقَابِلُ بَدْرَ الْأَفْقِ حِينَ أَقَابِلُهُ

فأفضيت (وصلت) قريباً من رجل ذي هبة، كأنني أقابل البدر إذ أقابله

فَسَلَّمْتُ، وَاعْتَاقْتُ جَنَانِي هَيْبَةً تُنَازِعُنِي الْقَوْلَ الَّذِي أَنَا قَائِلُهُ

طرحت السلام، ثم اعتاقت جناني (أعاقت قلبي) هيته،
فصارت هيته تجاذبني كلامي وتمنعي الإفصاح

فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ الطَّلَاةَ، وَأَنْشَنِي إِلَيَّ بِبِشْرِ، أَنْسَنِي مَخَايِلُهُ

فلما تأملت (رأيت) الطلقة (الانسراح) في وجهه، أنستني (شرحت صدري) مخايله (ملامحه)

دَنَوْتُ، فَقَبَّلْتُ النَّدَى فِي يَدِ امْرِئٍ جَمِيلٍ مُحَيَّاهُ، سَبَاطُ أَنَامِلُهُ

اقتربت وقبلت يده فكأنني قبلت الندى (الكرم)، وهو جميل الطلعة،
وسباط أنامله (طويلة أصابعه/ كناية عن الكرم)

٦٢ في بغداد العاصمة

قال البحري (ولعله قالها في أول سنواته ببغداد):

إِخْلَعْ بِبَغْدَادَ الْعِذَارَا وَدَعْ التَّنَسُّكَ وَالْوَقَارَا

اخلع العذار (تهتك، وضح)

فَلَقَدْ بُلِيتَ بِعُضْبَةٍ مَا إِنْ يَرَوْنَ الْعَارَ عَارَا

ففيها ابتليت بعصبة (بجماعة) لا يرون العار عاراً

لَا مُسْلِمِينَ، وَلَا يَهُودَ، وَلَا مَجُوسَ، وَلَا نَصَارَى

هم على دين أبي نواس رحمه الله!

٦٣ قل لي ماذا أفعل

قال، وهي من أوائل ما مدح به الفتح بن خاقان:

لَكَ النِّعْمَاءُ، وَالْخَطَرُ الْجَلِيلُ وَمِنْكَ الرَّقْدُ، وَالنَّيْلُ الْجَزِيلُ
الخطر (القدر)، الرد (العطاء)

أَمِرْتُ بِأَنْ أُقِيمَ عَلَى انْتِظَارِ لِرَأْيِكَ، إِنَّهُ الرَّأْيُ الْأَصِيلُ
أمرني أفراد حاشيتك أن أنتظر

وَرَأَقِبْتُ الرَّسُولَ، وَقُلْتُ بِأَتِي بِتَبَيَّانٍ؛ فَمَا جَاءَ الرَّسُولُ
فليس، بِغَيْرِ أَمْرِكَ، لِي مَقَامٌ، وَلَا، عَنْ غَيْرِ رَأْيِكَ، لِي رَحِيلُ
وقد أَوْقَفْتُ عَزْمِي وَالْمَطَايَا فَقُلْتُ شَيْئاً، لِأَفْعَلَ مَا تَقُولُ
أوقفت عزمي والمطايا (الدواب) رهن إشارتك، قل لي أأرحل أم أبقي؟

٦٤ الإنذار الأخير

يعاتب الحارثي الشاعر:

وَمَا أَنَا بِالظُّمَّانِ فِيكَ إِلَى التِّي أَرَى بَيْنَ قُطْرَيْهَا لِحْنَبِكَ مَضْرَعَا
لست شديد التوق إلى حزة يكون بين طرفيها مصرعك [كذا فهمت المعنى]

أَعَارُ عَلَى مَا بَيْنَنَا أَنْ يَنَالَهُ لِسَانُ عَدُوٍّ لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَظْمَعَا
أغار على الود الذي بيننا أن يتأوله لسان عدو لم يكن يطمع في إلحاق الأذى بك سابقاً

مَلَكْتُ عِنَانَ الْهَجْرِ أَنْ يَبْلُغَ الْمَدَى وَنَهْنَهُتُ قَوْلَ الشُّعْرِ أَنْ يَتَسَرَّعَا
أمسكت بعنان (بحبل) الهجر ومنعته أن يبلغ مداه، ونهنت (خففت) من الشعر حتى لا يتسرع بهجائك

فَإِنْ تَدْعُنِي لِلشَّرِّ أَسْرِعْ، وَإِنْ تُهَبْ بِصُلْحِي فَقَدْ أَبْقَيْتُ لِلصُّلْحِ مَوْضِعَا
فإن فعلت ما يدعوني إلى الشر (المهاجاة) سأسرع، وإن تُهَبْ (تبادر) بالصلح فلأنني تركت للصلح موضعاً

٦٥ الخميس الخامس

قال في علي بن يحيى المنجم:

مَا أَنْصَفْتُ بَغْدَادَ حِينَ تَوَحَّشْتُ لِنَزِيلِهَا، وَهِيَ الْمَحَلُّ الْآئِسُ
توحشت (أصبحت موحشة)

لَمْ يَرْعَ لِي حَقَّ الْقَرَابَةِ طِيءٌ فِيهَا، وَلَا حَقَّ الصَّدَاقَةِ فَارِسُ
 لَمْ يَرِاعِ حَقَّ الْقَرَابَةِ أَبْنَاءَ قَبِيلَةِ طِيءٍ (وهي قبيلة البحري)، وَلَا حَقَّ الصَّدَاقَةِ فَارِسُ (الْفُرس)
 أَعْلِيَّ! مَنْ يَأْمُلُكَ بَعْدَ مَوَدَّةٍ ضَيَّعْتُهَا مِنِّي، فَإِنِّي آيِسُ
 يَا عَلِي! إِنْ كَانَ هُنَاكَ مَنْ يَأْمُلُ خَيْرِكَ بَعْدَ تَضْيِيعِكَ مَوَدَّتِي، فَإِنِّي أَنَا آيِسُ (يَائِس) وَلَا أَمَلُ خَيْرِكَ

وَأَعَدَّتْنِي يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَقَدْ مَضَى مِنْ بَعْدِ مَوْعِدِكَ الْخَمِيسُ الْخَامِسُ
 قَدَّمْتُ قُدَّامِي رِجَالًا، كُلُّهُمْ مُتَخَلِّفٌ عَنْ غَايَتِي مُتَقَاعِسُ
 لَبِيتَ طُلُبَاتِ رِجَالٍ آخَرِينَ، وَكُلُّهُمْ مُتَخَلِّفٌ عَنْ غَايَتِي (مُنْخَفِضٌ عَنْ قَدْرِي)،
 مُتَقَاعِسُ (مُتَقَهِّقَر، أَيْ أَدْنَى مَرْتَبَةٍ)

وَأَنَا الَّذِي أَوْضَحْتُ، غَبَرَ مَدَافِعَ، نَهَجَ الْقَوَافِي، وَهِيَ رَسْمٌ دَارِسُ
 وَأَنَا الَّذِي أَوْضَحْتُ غَيْرَ مَدَافِعَ (بَلَا مَنَازِعَ) نَهَجَ الْقَوَافِي (طَرِيقَ الشَّعْرِ)، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ رَسْمًا دَارِسًا
 (مَعَالِمٌ مَحْوَةٌ)

وَشُهِرْتُ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا فَكَأَنَّنِي فِي كُلِّ نَادٍ جَالِسُ

٦٦ عليه اعتمادي

وقال بمدح الفتح بن خاقان:

كَفَّانِي نَائِبَاتِ الدَّهْرِ أَنِّي عَلَى الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ اعْتِمَادِي
 وَلِي هَمَّانٍ مِنْ ظَنَنِ وَلَبَّيْ وَكُلُّ قَدْ أَخَذْتُ لَهُ عَتَادِي
 لِي نِيَّةٌ فِي الظَّنِّ (الرَّحِيلِ) وَنِيَّةٌ أُخْرَى فِي اللَّبِّ (الإِقَامَةِ)، وَلِلْحَالِينَ أَخَذْتُ اسْتِعْدَادِي
 فَإِنْ أُوطِنُ، فَقَدْ وَطَّذْتُ رُكْنِي وَإِنْ أُرْحَلَ، فَقَدْ وَقَّرْتُ زَادِي
 فَإِنْ أُوطِنَ (إِنْ أَقِمَ) فَأَنْتَ قَدْ وَطَّذْتَ رُكْنِي بِعَطَايَاكَ، وَإِنْ أُرْحَلَ فَقَدْ زَوَّدْتَنِي مَا يَكْفِينِي

٦٧ تفاوت الرجال

يمدح الفتح بن خاقان وابنه أبا الفتح:

وَلَمْ أَرْ أَشْأَلَ الرَّجَالَ تَفَاوُتَ إِلَى الْفَضْلِ، حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدِ
 لَمْ أَجِدْ مِثْلَ الرِّجَالِ فِي التَّفَاوُتِ فِي الْفَضْلِ، فَالرَّجُلُ الْوَاحِدُ قَدْ يَكُونُ بِأَلْفِ رَجُلٍ

وَلَنْ تَسْتَبِينَ، الدَّهْرَ، مَوْضِعَ نِعْمَةٍ إِذَا أَنْتَ لَمْ تُدَلِّلْ عَلَيْهَا بِحَاسِدِ
 وَلَنْ تَعْرِفَ الدَّهْرَ (طَوْلَ الدَّهْرِ) مَكَانَ النِّعْمَةِ عِنْدَ شَخْصٍ إِلَّا إِذَا حَسَدَهُ حَاسِدٌ فَذَلِكَ عَلَيْهَا. هَذَا
 يَبْتَ سُرْقٌ فِيهِ الْبَحْتَرِيُّ مَعْنَى أَسْتَادِهِ أَبِي تَمَامٍ، فَوْقَ دُونِهِ. وَمَا أَكْثَرَ مَا سُرِقَ مِنْ أَبِي تَمَامٍ

٦٨ المنعم المحسود

بمدح أبا نوح عيسى بن إبراهيم:

قَلْبٌ مَشُوقٌ عَنَاهُ الْبَثُّ وَالْكَمْدُ وَمُقَلَّةٌ تَبْذُلُ الدَّمْعَ الَّذِي تَجِدُ
قَلْبَ مَشْتَاقٍ عَنَاهُ (أُنْعِبْ) الْبَثُ (الْبُوح) كَمَا أَتَعِبَ الْكَمْدَ (الْكُتْمَانُ)، وَعَيْنٌ تَرِيقُ الدَّمْعَ الَّذِي يَتَسَرَّ لَهَا
تَدْنُو سُلَيْمَى، وَلَا يَدْنُو اللَّقَاءُ بِهَا، فَيَسْتَوِي فِي هَوَاهَا الْقُرْبُ وَالْبُعْدُ
تَقْتَرِبُ سَلِيمَى مَكَاناً وَلَكِنْ اللَّقَاءُ بِهَا لَا يَكُونُ مَيَسُوراً، فَلِهَذَا يَتَسَاوَى عِنْدِي قَرِيبُهَا وَبَعْدُهَا
أَلَيْتُ لَا أَجْعَلُ الْإِعْدَامَ حَادِثَةً تُخْشَى، وَعَيْسَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ لِي سَنَدُ
أَلَيْتُ (حَلَفْتُ) أَنْ لَا أَجْعَلَ مِنَ الْإِعْدَامِ (الْفَقْرِ) حَادِثَةً (مُعْضَلَةً) أَتَخَوَّفُ مِنْ حُلُولِهَا مَا دَامَ عَيْسَى بْنُ
إِبْرَاهِيمَ سَنَدًا لِي

وَلَا يُؤَخَّرُ شُغْلَ الْيَوْمِ يَذْخَرُهُ إِلَى غَدٍ؛ إِنَّ يَوْمَ الْأَعْجَازِ غَدٌ
وَلَا يُؤَخَّرُ إِنْجَازُ مَا يَجِبُ إِنْجَازُهُ الْيَوْمَ وَلَا يَذْخَرُهُ (يَخْبِئُهُ) لِلْغَدِ؛ وَالتَّأْجِيلُ لِلْغَدِ حِيلَةٌ الْأَكْثَرُ عَجْزاً
مِنَ النَّاسِ

مُحَسَّدٌ بِخِلَالٍ فِيهِ فَاضِلَةٌ؛ وَلَيْسَ تَفْتَرِقُ النَّعْمَاءُ وَالْحَسَدُ
مُحْسَدٌ (مُحْسُودٌ) بِخِلَالٍ (بِصَفَاتٍ) فِيهِ فَاضِلَةٌ (مُتَمَيِّزَةٌ)؛ وَالنَّعْمَةُ دَائِمًا مَقْرُونَةٌ بِحَسَدِ الْحَاسِدِينَ
لصاحبها

٦٩ التصديق بالمديح

قال يخطب محمد بن نصر بن منصور بن بسام:

رَأَيْتُكَ تَهْوَى اقْتِنَاءَ الْمَدِيحِ وَتَجْهَلُ مِقْدَارَ إِيجَابِهِ
(إيجابه (ما يوجب عليك من دفع مقابل)

وَكَيْفَ تُرَجِّي وَصُولاً إِلَيْهِ وَلَمْ تَتَوَصَّلْ بِأَسْبَابِهِ؟
كَيْفَ تَأْمَلُ الْوَصُولَ لِلْمَدِيحِ، وَلَمْ تَتَوَصَّلْ بِأَسْبَابِهِ (تَحْصُلْ عَلَى لَوَازِمِهِ)

لَئِنْ كُنْتُ أَمْنَحُهُ الْأَكْرَمِينَ فَمَا أَنْتَ أَوَّلُ أَرْبَابِهِ
أَرْبَابِهِ (أَصْحَابِهِ)

وَأِنْ أَتَطَلَّبَ بِهِ نَائِلًا فَلَسْتُ مَلِيًّا بِإِظْلَالِهِ
إِنْ أَتَطَلَّبُ (أَطْلُبُ) بِالْمَدِيحِ الَّذِي أَدْقَمُهُ نَائِلًا (عَطَاءً)، فَأَنْتَ يَا هَذَا لَسْتَ مَلِيًّا (جَدِيرًا) بِإِظْلَالِهِ
(بِتَحْقِيقِهِ)

وَأِنْ أَتَصَدَّقْ بِهِ حِسْبَةٌ فَإِنَّ الْمَسَاكِينَ أَوْلَىٰ بِهِ
وإن كنت أتصدق به حبة (لوجه الله)، فالماكين أولى به منك

٧٠ صحراء بسبعة أبواب

لَنْ تَرَانِي لَكَ الْعَيُونُ بِبَابٍ لَيْسَ مِثْلِي يُطِيقُ رَدَّ الْحِجَابِ
لن أقف ببابك بعد الآن منتظراً إذن الدخول، فلست ممن يحتمل ردّ الحجاب إياه خائباً

يَا أَمِيرًا عَلَى جَرِيبٍ مِنَ الْأَرْضِ لَهُ سَبْعَةُ مِنَ الْأَبْوَابِ
أنت أمير على جريب (أرض يكفيها جراب من البذور لزراعتها)، ومع ذلك لك سبعة أبواب، باباً وراء باب، مغلقة تمنع الوصول إليك

جَالِسًا فِي الْخَرَابِ يُحْجَبُ عَنْهُ؛ مَا سَمِعْنَا إِمَارَةً فِي خَرَابٍ
يجلس في خراب ويُحْجَبُ عنه (يحجب الحجاب الناس عن لقائه)، فما هذه الإمارة في الخراب؟

٧١ تَغَيَّرَ بَعْدَمَا أَتَى

قال معاتباً:

وَذِي ثِقَةٍ تَبَدَّلَ حِينَ أَتَى، وَمِنْ شَيْمِي مُرَاقِبَةُ الثُّقَاتِ

رب صاحب أثق به تبدل حين صار ثرياً، ومن شيمي (صفاتي) مراقبة الثقات
(الاهتمام بأهل الثقة). المراقبة هنا معناها الاهتمام الإيجابي وليس الفرجة السلبية

فَقُلْتُ لَهُ: عَتَبْتَ بِغَيْرِ جُرْمٍ فِرَارًا مِنْ مَوْوَنَاتِ الْعِدَاتِ

فقلت له: قد عتبت علي ولا جرم (ذنب) لي، وعتبك هو طريقة لكي تنهرب من مؤونات العداة
(مستلزمات الوعود التي كنت قدمتها)

فَعُدْ لِمَوَدَّتِي، وَعَلَيَّ إِلَّا أَبْشَكَ حَاجَةً حَتَّى الْمَمَاتِ

فارجع لمودتي، ولك عليّ ألا أبشك حاجة من حاجاتي حتى الموت

٧٢ مصير العاشق

يمدح أبا نوح عيسى بن إبراهيم:

لَوْ زَارَ، فِي غَيْرِ الْكَرَى، لَشَفَاكَ مِنْ حَبْلِ الْغَرَامِ، وَمِنْ جَوَى بُرَحَائِهِ

لو زار المحبوب بجسمه، وليس في الكرى (في النوم، وأنت تحلم به)، لشفاك من خبل (جنون)
الغرام، ومن جوى (ألم) برحائه (آلامه)

فَدَعَ الْهَوَى، أَوْ مُتَّ بِدَائِكَ؛ إِنَّ مِنْ شَأْنِ الْمُتَيِّمِ أَنْ يَمُوتَ بِدَائِهِ

فاترك الحب، أو مت بالداء الذي سببه لك؛
ومن شأن المتيم (طبيعي للعاشق) أن يموت بداء العشق

٧٣ الغزل بالأصابع

قال البحرى لأبي صالح بن عمار يداعبه:

مُنِعِطُ الطَّرْفِ، لَا يَزَالُ يُوَالِي لَحَظَاتٍ يُحْبِلُنْ قَبْلَ النُّكَاحِ

منعظ (متنصب، كما متاع الرجل) الطرف (العين)، يوالي (يكبر) لحظات (نظرات) يحبلن (يؤدين) إلى الحب (يحب) قبل حصول الجماع. فصاحبه هذا نظراته فيها انتصاب

وَمُنْفِرٌ عَلَى الْأَصَابِعِ بِاللَّمِّ سِي لَهَا فِي أَسَافِلِ الْأَقْدَاحِ

ويشن غارات على أصابعها يتلمسها بأصابعه في أسفل القدح. لا بد أن أبا عبادة صنع ذلك بنفسه أو رآه، فصعب اختلاق موقف كهذا

٧٤ سمن على غسل

بمدح الفتح بن خاقان:

وَجَدْتُ نَفْسَكَ مِنْ نَفْسِي بِمَنْزِلَةٍ هِيَ الْمُصَافَاةُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالرَّاحِ

يشبهون سهولة الامتزاج بين روحين بسهولة الامتزاج بين الماء والخمر. ولو خلطت زيتاً بماء لطفأ الزيت لخشته، فأما الخمر والماء فكثافتها متقاربة. وأرى أنهم يعنون بالراح، وبالخمر أيضاً، ضرباً من المشروب أقرب إلى العرق والويسكي (نسبة الكحول في كل منهما نحو ٤٠٪)؛ ولهذا فهم يتغنون بمزجها، فأما النبيذ (نسبة الكحول من ١٢،٥٪ - ١٤٪) فلا يخلطه بالماء عاقل

٧٥ السر المفضوح

بمدح الفتح بن خاقان:

عَلَاقَةُ حُبِّ كُنْتُ أَكْتُمُ بِثَّهَا إِلَى أَنْ أَدَاعَتْهَا الدَّمُوعُ الْهَوَامِغُ

الهوامع (الهاملات)

إِذَا عَيْنُ الرَّاحِ وَهِيَ عَيْنٌ عَلَى الْجَوَى فَلَيْسَ بِسِرٍّ مَا تُسِرُّ الْأَصَالِغُ

إذا عين المرء راحت (أصبحت) وهي عين (جاسوس) تنفض ما يكنه قلبه من الجوى (الحزن) فلا يعود سراً ما تسر (تخفي) الأصالغ (الفضلوع)

٧٦ القفل المستعصي

يهجو السيي (وبها مدح الحسن بن مخلد):

لَنَا مَوَاقِفُ فِي أَفْنَاءِ عَرَصَتِهِ تَهَانُ أَحْطَارُنَا فِيهَا وَتُطْرَحُ
لَنَا وَقُوفٌ فِي أَفْنَاءِ عَرَصَتِهِ (في نواحي ساحته) تَهَانُ أَحْطَارُنَا (أقدارنا) فِيهَا وَتُطْرَحُ (تُرمى)
نَعْشَاهُ، لَا نَحْنُ مُشْتَاقُونَ مِنْهُ إِلَى أَنْسِ، وَلَا هُوَ مَسْرُورٌ بِنَا فَرِحُ
نَعْشَاهُ (نأتي إليه) لَيْسَ لَشَوْقِنَا إِلَى أَنْسِهِ، وَلَا هُوَ يَفْرَحُ بِنَا

إِذَا طَلَبْنَا بِلَجِينِ الْقَوْلِ غُرَّتُهُ طَلَبْنَا نُعَالِجُ قُفْلًا لَيْسَ يَنْفَتِحُ
إِذَا قُلْنَا لَهُ كَلَامًا لِنَا لَتَنْبِطَ لَنَا غُرَّتُهُ (وجهه/ليهش لنا) فَإِنَّمَا نَعَالِجُ قُفْلًا عَصِيًّا، أَيْ نَحَابِلُ عَلَيْهِ
أَعْيَا عَلَيَّ، فَلَا هَيَّابَةَ فَرِقُ مِنْ الْهَجَاءِ، وَلَا هَشٌّ فَيُمْتَدِّحُ
أَعْيَا عَلَيَّ (أعجزني)، فَلَا هُوَ هَيَّابَةٌ (خوف) فَرِقُ (خوف) مِنْ الْهَجَاءِ، وَلَا هُوَ هَشٌّ (منشرح)
فِيَلِيقُ بِهِ الْمَدْحُ

٧٧ الأهزوجة المشؤومة

بمدح المتوكل على الله:

عَنْ أَيِّ نَغْرٍ تَبْتَسِمُ؟ وَيَأَيَّ طَرْفٍ تَحْتَكِمُ؟
أَيُّهَا الْمَحْبُوبُ مَا هَذَا النِّغْرُ (القم) الْجَمِيلُ الَّذِي تَطْلُقُ مِنْهُ الْابْتِسَامَةُ؟ وَمَا هَذَا الطَّرْفُ (النظر) الَّذِي
تَرْمِقُنَا بِهِ فَتَحْتَكِمُ (تَمْلِي مَا تَشَاءُ)

أَفْدِيهِ مِنْ ظُلْمِ الْوُشَا وَ، وَإِنْ أَسَاءَ، وَإِنْ ظَلَمَ
قُلْ لِلْخَلِيفَةِ جَعْفَرِ الْـ مُتَوَكِّلِ بْنِ الْمُغْتَصِمِ:
يَا بَانِي الْمَجْدِ الَّذِي قَدْ كَانَ قُوضَ فَإِنَّهُمْ
إِسْلَمَ لِدِينِ مُحَمَّدٍ فَإِذَا سَلِمْتَ فَقَدْ سَلِمَ

قصيدة مشهورة لقصبتها . هذه القصيدة في بساطتها وجمال نغمها تذكرني بقصيدة أبي
الغضائفي التي أنشدها المهدي (أنته الخلافة). وقصة قصيدة البحري أنه كان يلقيها
وهو يميل ذات اليمين وذات الشمال مختلاً معجباً بنفسه (وكانت هذه طريقتة في
الإنشاد). فلما فرغ منها بدأ يعيدها . فغمز الخليفة المتوكل شويعراً يقال له أبو
العنيس، فقام أبو العنيس وبدأ يقول: (من أي سلح تلتقم// وبأي كف تلتطم) والسلح
هو ما يخرج من الدبر . وراح يردد أبياتاً على هذا الوزن، والكل يضحك . وانصرف
البحري غاضباً وأبو العنيس يصرخ في إثره (وعلمت أنك تنهزم). ونال أبو العنيس
جائزة البحري . شكا البحري إلى صديق له ما جرى، وسأله: أأذهب إلى منبج بغير
إذن؟ فهوّن الصديق عليه، وقال له: الملوك تمزح بأكثر من هذا . وأخذه إلى الفتح بن
خاقان وزير المتوكل فهوّن عليه وأعطاه مالا

٧٨ قبله على خوف

لِي حَبِيبٌ قَدْ لَجَّ فِي الْهَجْرِ جِدًّا وَأَعَادَ الصُّدُودَ مِنْهُ، وَأَبْدَأَ
لَجَّ (بَالْتَمَعُ)، أَعَادَ وَأَبْدَأَ (عَادَ وَزَادَ)

ذُو فُنُونٍ، يُرَبِّكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ خُلُقًا مِنْ جَفَائِهِ مُسْتَجِدًّا
وَبِنَفْسِي أَقْدِي، عَلَى كُلِّ حَالٍ، شَادِنًا لَوْ يُمَسُّ، بِالْحُسْنِ أَغْدَى
شَادِنًا (غَزَالًا صَغِيرًا)، لَوْ يَمَسُّ لِأَعْدَى بِالْحُسْنِ (لَوْ أَمَكُنْ لَمَسَ الْمَحْبُوبَةَ لِجَعَلْتُ مِنْ يَلَمْسُهَا
جَمِيلًا بِالْعَدْوَى لَشَدَّةَ جَمَالِهَا)

مَرَّ بِي خَالِيًّا، فَأَظْمَعَ فِي الْوَضِّ لِي، وَعَرَّضْتُ بِالسَّلَامِ، قَرْدًا
مَرَّ بِي خَالِيًّا (وَحْدَهُ)، فَأَظْمَعْنِي (جَعَلَنِي أَظْمَعَ) فِي وَصْلِهِ، وَعَرَّضْتُ بِالسَّلَامِ (طَرَحْتُ السَّلَامَ
خَفِيَّةً)، لَكِنَّهُ - وَبِالْمُفَاجَأَةِ الْحُلُوةِ - رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ

وَنَنَى خَدَّهُ إِلَيَّ عَلَى خَوْفٍ، فَقَبَّلْتُ جُلْنَارًا وَوَرْدًا
الجلنار: زهر الرمان

٧٩ المنافسون الحاسدون

بمدح الفتح بن خاقان:

وَإِنِّي، وَإِنْ بَلَّغْتَنِي شَرَفَ الْعُلَا وَأَعْتَقْتَ مِنْ ذُلِّ الْمَطَامِعِ أَخْدَعِي
رَغْمَ أَنَّكَ أَوْصَلْتَنِي إِلَى شَرَفٍ (مَرْتَفَعٍ) الْعُلَا وَحَرَرْتَ أَخْدَعِي (بَعْنِي عَنِّي) مِنْ ذُلِّ الْمَطَامِعِ الْمَالِيَةِ
فَمَا أَنَا بِالْمَغْضُوضِ فِيمَا أَتَيْتَهُ إِلَيَّ، وَلَا الْمَوْضُوعِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِي
رَغْمَ ذَلِكَ فَلَسْتُ بِالْمَغْضُوضِ (الْمَحْتَقَرِّ) بِسَبَبِ مَا أَتَيْتَهُ إِلَيَّ (أَعْطَيْتَنِي)، وَلَسْتُ أَخَذًا فَوْقَ اسْتِحْقَاقِي

وَقَدْ نَافَسْتَنِي غُضْبَةً: مِنْ مُقْصِرٍ وَمُنْتَحِلٍ مَا لَمْ يَقُلْهُ، وَمُدَّعٍ
وَالْمُنَافِسُونَ لِي مِنَ الشُّعْرَاءِ هُمْ بَيْنَ مُقْصِرٍ عَنِ التَّجْوِيدِ، وَمُنْتَحِلٍ لِمَعَانِي الْآخَرِينَ، وَمُدَّعٍ لَيْسَ
بشاعر أصلاً

٨٠ المضيئة للمصباح

وقال بصف مغنية (في قصيدة يمدح بها أبا مسلم البصري):

فَأَضَاءَتْ تَحْتَ الدُّجْنَةِ لِلشَّرِّ بٍ، وَكَادَتْ تُضِيءُ لِلْمُضْبَاحِ
الشرب (الشاربون)

وأشارت مَعَ الْغِنَاءِ بِالْحَا ظَ مِرَاضٍ، مِنْ التَّصَابِي، صَحَاح
أشارت بغمز من الحاظ مراض (نظرات مسترخية)، وذلك من التصابي (دلال الصبايا)،
ولكن نظراتها صحيحة بيولوجياً. يقول: نظراتها مريضة مسترخية من الدلال، وعيناها ليس فيهما
علة جسمية

فَطَرَبْنَا لَهُنَّ قَبْلَ الْمَثَانِي وَسَكَرْنَا مِنْهُنَّ قَبْلَ الرَّاحِ
طربنا من نظراتها قبل طربنا من المثاني (الموسيقى)، وسكرنا بنظراتها قبل أن نسكر من الراح (الخمر)

٨١ الكريم لثيماً

يهجو البجحاني المغني:

إِذَا رَامَ التَّخَلُّقَ، جَادَبْتُهُ خَلَائِقُهُ إِلَى الطَّبْعِ الْقَدِيمِ
إذا رام (أراد) التخلق (الطبع بغير طبعه) جذبته خلأقه (أخلاقه) إلى الطبع القديم

تُعَرِّبُ غَيْرَ مُحْتَسِمٍ، وَتَشْدُو فَلَا تَأْتِي بِلَحْنٍ مُسْتَقِيمٍ
أيها المغني أنت تعربد غير خجلان، وتغني ولا يستقيم لك اللحن

فَتُخْطِئُ فِي الْغِنَاءِ عَلَى الْمُغَنِّي وَتُخْطِئُ فِي النَّدَامِ عَلَى النَّدِيمِ
مخطئ في غنائك، ومخطئ في كلامك فلست تعرف حرمة الندام (المنادمة على الشراب). ولم
أفهم مقصده في (على المغني)

نَهَيْتُكَ عَنْ تَعَرُّضٍ عَرَضٍ حُرٍّ فَإِنَّ الدَّمَ مِنْ شَأْنِ الذَّمِيمِ
مَتَى أُخْرِجْتَ ذَا كَرَمٍ تَخْطِئُ إِلَيْكَ بِبَغْضِ أَخْلَاقِ اللَّئِيمِ
إذا أخرجت الكريم تجاوز عادته وأذاك بأفعال هي في الأصل من أفعال اللئام

٨٢ المطرب البغيض

يهجو أحمد بن أبي العلاء المغني:

مُغَنِّيكَ لِلْبُغْضِ فِيهِ سِمَةٌ تَلُوحُ عَلَى خِلْقَةٍ مُبْهَمَةٍ
في مغنيك سمة (علامة مكوية بالحديد المحمى) هي خاتم رسمي بالبغض (كونه بغيضاً كريهاً)،
وهذه العلامة تبدو في خلقته المبهمة (المختلطة)

تَزِيدُ الْإِهَانَةَ فِي شَأْنِهِ صَاحاً، وَتُفْسِدُهُ التَّكْرِمَةَ
يُرْعَشُ لَحْيِيهِ عِنْدَ الْغِنَاءِ كَأَنَّ بِهِ النَّافِضَ الْمُؤْلَمَةَ
يرتمش حنكاه وهو يغني كأنه يعاني النافض (الحمى الراعشة)

وَأَنْفٍ إِذَا اخْمَرَ فِي وَجْهِهِ وَقَامَ تَوَهَّمَتَهُ مِخْجَمَةٌ
مِخْجَمَةٌ (كأس زجاج للحجامة ينزل فيه الدم فيحمر الكأس)

إِذَا صَاحَ سَأَلَتْ لَهُ مَخْطَةً عَلَى الْعُودِ، وَانْقَلَعَتْ بَلْعَمَةٌ
يُبْظَرُمُهُ الْقَوْمُ، مِنْ بُغْضِهِ، جَهَارًا؛ وَقَلَّتْ لَهُ الْبَظَرَمَةُ
لأنه بغض يظمره القوم (يقولون له غَضٌ يَظُرُ أَمَكُ) جهاراً، وهذا قليل عليه

هَرَّاشٌ نُعَانِيهِ طُولَ النَّهَارِ فَمَجْلِسُنَا مَعَهُ مَلْحَمَةٌ
يَجِيءُ بِمَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ فَلَوْلَا الْحَيَاءُ كَسَرْنَا فَمَهُ
كسرنا فمه: كسرنا أسنانه

٨٣ لَمْشَى إِلَيْكَ الْمَنْبَرِ

يمدح المتوكل، ويصف موكبهُ يوم العيد، والبداية غزل:

أَخْفِي هَوًى لَكَ فِي الضُّلُوعِ، وَأُظْهِرُ؛ وَالْأَمُّ فِي كَمَدٍ عَلَيْكَ، وَأَعْزُرُ
خفي هواك أيتها المحبوبة حيناً وأظهره حيناً؛ ويلومونني في الكمد (التكدر) البادي عليَّ بسبك،
ويعذرونني حيناً

وَأَرَاكِ خُنْتِ عَلَى النَّوَى مَنْ لَمْ يَخُنْ عَهْدَ الْهَوَى، وَهَجَرْتِ مَنْ لَا يَهْجُرُ
وَطَلَبْتُ مِنْكَ مَوَدَّةً لَمْ أُعْطَهَا؛ إِنَّ الْمُعْنَى طَالِبٌ لَا يَظْفَرُ
المعنى (الموجع)

هَلْ دَبْنُ عَلْوَةٍ يُسْتَطَاعُ، فَيُقْتَضَى؟ أَمْ ظُلْمُ عَلْوَةٍ يَسْتَفِيقُ، فَيُقْصَرُ؟
هل تستطيع المحبوبة «علوة» أن تقضي دينها (وعدها) وتفي به؟ أم هل - على الأقل - يفيق ظلمها
من جنونه ويقصر (يكف)

بَيْضَاءُ يُعْطِيكَ الْقَضِيبُ قَوَامَهَا وَيُرِيكَ عَيْنَيْهَا الْغَزَالُ الْأَحْوَرُ
علوة بيضاء. وأنت ترى القضيب (الغصن) فيعطيك (يمثل لك) قوامها، وترى الغزال الأحمر (ذا
العينين الواسعتين الصافيتين) فترى فيه عينها

تَمْشِي فَتَحْكُمُ فِي الْقُلُوبِ بِدَلِّهَا وَتَمِيسُ فِي ظِلِّ الشَّبَابِ فَتَخْطُرُ
تمس (تمايل)

وَتَمِيلُ مِنْ لَيْنِ الصَّبَا فَيُقِيمُهَا قَدْ يُؤْنِتُ تَارَةً، وَيُذَكِّرُ

تمایل هذه الغدورة الحلية سكرى بخمر شبابها، ثم تعتدل بقدر جميل هو قد أنثى في مقاييسه، وقد غلام في رشاقتة. وكانوا يحبون الفتاة الرسحاء (الخفيفة من وراء) الرشقة ويقولون إنها غلامية. والبحتري من هؤلاء الذين أشبهوا أبا نواس في ميلهم للولدان. وكان لأبي عبادة مع الغلمان قصص شتى، وإن لم ينحرف في الأمر انجراف النواسي

إِنِّي، وَإِنْ جَانَبْتُ بَعْضَ بَطَالَتِي وَتَوَهَّمِ الْوَاشُونَ أَنِّي مُقْصِرٌ،

رغم أنني جانبت (هجرت) بعض بطالتي (استهتاري)، ورغم أن الواشين (النمامين) توهموا أنني مقصر (منقطع عما كنت فيه)..

لَيْشَوْقُنِي سِحْرُ الْعُيُونِ الْمُجْتَلَى وَيَرُوقُنِي وَرْدُ الْخُدُودِ الْأَحْمَرِ

.. مع ذلك يشوقني سحر العيون المجتلى (البادي للرائي) وتروقي حمرة الخدود

اللَّهُ مَكَّنَ لِلْخَلِيفَةِ جَعْفَرٍ مُلْكًا يُحَسِّنُهُ الْخَلِيفَةُ جَعْفَرُ

الآن ينتقل إلى مدح الخليفة جعفر المتوكل: لقد مكَّن له الله ملكاً وهو يحسِّنه (يجعله أكثر حسناً) بكونه على رأس هذا الملك). للشاعر ما ليس لأحد: له أن يخاطب الخليفة باسمه مجرداً

نُعْمَى مِنَ اللَّهِ اصْطَفَاهُ بِفَضْلِهَا وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَيَفْدُرُ

الله اصطفى (اختار) المتوكل لنيل فضل هذه النعمة

بِالْبِرِّ صُمْتُ، وَأَنْتَ أَفْضَلُ صَائِمٍ، وَبِسُنَّةِ اللَّهِ الرَّضِيَّةِ تُفْطِرُ

مصحوباً بعمل الخير كان صيامك رمضان أيها الخليفة، والآن على سنة الله تحفل بعيد الفطر. لا أدري إن غاب عني شيء من المعنى؛ أليس كل صوم يكون براً، وأليس كل فطر يكون بسُنَّةِ الله؟ كذا البحتري، يقول أبياتاً حلوة اللفظ رشيقة، والمعنى قد يكون عادياً أو - كمثل هذا البيت - نافلاً. لم أره في هذا البيت أتى بشيء، إلا بالدباجة البحترية المشهورة. هذا يذكرني بالمذيعين الذين يصرون على «أسعد الله أوقاتكم... بالخير» وكأن السادة المستمعين لا تكون أوقاتهم سعيدة إلا بركوب الكباثر، فالمذيع يؤكد أنه يدعو لهم بسعادة مشروطة بالخير

فَانْعَمَ بِيَوْمِ الْفِطْرِ عَيْنًا، إِنَّهُ يَوْمٌ أَعْرُ مِنْ الزَّمَانِ مُشْهَرٌ

فيوم الفطر هذا أعر (وضي) ومشهر (بارز بين أيام الزمان)

أَظْهَرْتَ عِزَّ الْمُلْكِ فِيهِ بِجَحْفَلٍ لَعِبٍ يُحَاظُ الدِّينُ فِيهِ وَيُنْصَرُ

أبرزت عز الخلافة بجحفل (جيش) لعب (صخب لكثرة جنوده) يحاط (يحمى) به الدين وينصر

خَلْنَا الْجِبَالَ تَسِيرٌ فِيهِ، وَقَدْ غَدَتْ عُودًا يَسِيرُ بِهَا الْعَدِيدُ الْأَكْثَرُ

خلنا (توهمنا) الجبال تسير مع الجيش وقد غدت الجبال عدداً (سلاحاً وعتاداً)، ويسير بها الجنود الكثر

فَالْخَيْلُ تَصْهَلُ، وَالْفَوَارِسُ تَدْعِي وَالْبَيْضُ تَلْمَعُ، وَالْأَسِنَّةُ تَزْهَرُ
الخيال تصهل، والفوارس تدعي (الفرسان يتسبون إلى قبائلهم أو شعوبهم بفخر)، والبيض (الخوذ)
تلمع، والأسنة (رؤوس الرماح) تزهر (تتلألأ)

وَالْأَرْضُ خَاشِعَةٌ تَمِيدُ بِثِقَلِهَا وَالْجَوُّ مُعْتَكِرُ الْجَوَانِبِ أَغْبَرُ
والأرض خاشعة من هذا الحشد تميد (تميل) بما أثقل ظهرها، والجو معتكر مغبر، وقال
المؤرخون إن ذلك اليوم كان حقاً بهذه الصفة أثناء ذلك الاستعراض العسكري

وَالشَّمْسُ مَاتِعَةٌ تَوَقَّدُ فِي الضُّحَى طَوْرًا، وَيُطْفِئُهَا الْعَجَاجُ الْأَكْثَرُ
الشمس كانت ماتعة (مرتفعة) متوقدة في وقت الضحى (قبيل الظهر)، ولكنها كانت أحياناً تغمى
بسبب العجاج (الغبار) الأكثر (القاتم)

حَتَّى طَلَعَتْ بِضَوْءِ وَجْهِكَ، فَانْجَلَى ذَاكَ الدُّجَى، وَانْجَابَ ذَاكَ الْعَثِيرُ
حتى طلعت على الحشد بضوء وجهك فانجلي الظلام، وانجاب (زال) العثير (الغبار)

وَأَفْتَنَّ فِيكَ النَّاطِرُونَ: فَإِصْبَعْ يَوْمًا إِلَيْكَ بِهَا، وَعَيْنٌ تَنْظُرُ
فتنت الناظرين فهذه إصبع يوماً (بشار) بها إليك، وتلك عين تنظر

ذَكَرُوا بِطَلْعَتِكَ النَّبِيِّ، فَهَلَّلُوا لَمَّا طَلَعْتَ مِنَ الصُّفُوفِ، وَكَبَّرُوا
خطر ببال الجمع النبي عندما طلعت عليهم فهللوا (قالوا لا إله إلا الله)، وكبروا (قالوا الله أكبر)

حَتَّى انْتَهَيْتَ إِلَى الْمُصَلَّى لَا بِسَاءَ نَوْرَ الْهُدَى يَبْدُو عَلَيْكَ وَيُظْهَرُ
وَمَشَبَتْ مِشْبَةً خَاشِعٍ مُتَوَاضِعٍ لِّهِ، لَا يُزْهَى، وَلَا يَنْكَبَّرُ
يزهى (يتكبر)

فَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ، لَمَشَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرُ

إذ أنت تمشي نحو المنبر ودَّ المنبر لو مشى هو نحوك ليلايك، لو كان ذلك مستطاعاً.
بيت أعجب الأقدمين كثيراً. وأخذ البحري معناه من بيت أبي تمام: (لو سعت بقعة
للإعظام نعمي/ لسمي نحوها المكان الجديد) يقول أبو تمام إن المكان المجذب لو
استطاع أن يمشي للازدياد من نعمة المطر لمشى في اتجاه تلك الغيمة الماطرة
ولحقها. وتفنن الشعراء في الإتيان بالمعنى نفسه في قوالب مختلفة فقال البلاذري
يمدح المستعين بعد أن تحداه المجلس في الإتيان بمعنى البحري في بيت أحسن من
بيت البحري: (ولو أن برد المصطفى إذ لبسته/ يظن، لظن البرد أنك صاحبته)، وثنى
البلاذري ببيت جميل رقيق: (وقال، وقد أعطيته ولبسته: / نعم هذه أعطاه ومناكبته)

أَيَّدَتْ مِنْ فَضْلِ الْخُطَابِ بِخُطْبَةٍ تُنْبِئُ عَنِ الْحَقِّ الْمُبِينِ وَتُخْبِرُ
وَقَّعت من فضل الخطاب (الخطب التي تبدأ بالتحميد ثم بعبارة أما بعد) إلى خطبة تنبي (تبلغ) عن الحق

وَوَقَفَتْ فِي بُرْدِ النَّبِيِّ مُذَكَّرًا بِاللَّهِ، تُنْذِرُ تَارَةً وَتُبَشِّرُ
 ووقفت وأنت ترتدي برد النبي (الثوب الموروث عن النبي فيما زعموا)، وذُكِّرتَ الناس بالله،
 وسقت إليهم الوعد والوعيد. هذه القصيدة أحبها القدماء، ومؤلفو كتب المدارس أيضاً، حباً جمّاً
 لجمال ألفاظها وسلاستها. لم لا

٨٤ مشاور السيف

يمدح يوسف بن محمد:

رَأَيْتُ أَبَا يَعْقُوبَ، وَالنَّاسُ: ذُو حِجَاً يُؤَمِّلُهُ، أَوْ ذُو ضَلَالٍ يُحَازِرُهُ..
 الناس في شأن أبي يعقوب نوعان: ذو حجا (عقل) يرجو خيره، وذو ضلال يحذر أذاه، وقد رأيته..

إِذَا وَقَعْتُ بِالْقَرْبِ مِنْهُ مُلِمَّةٌ نَنَى طَرَفُهُ نَحْوَ الْحُسَامِ يُشَاوِرُهُ
 رأيته إذا اقتربت منه ملمة (مشكلة) انتنى بعينه نحو السيف يشاوره في أمرها، فهو يسارع إلى الحسم

وَمَا كَانَ (بُقْرَاطُ بْنُ أَشُوطَ) عِنْدَهُ بِأَوَّلِ عَبْدٍ أَسْلَمَنَهُ جَرَائِرُهُ
 القائد الأرمني «بقراط بن أشوط» ليس أول أسير لأبي يعقوب أسلمته جرائره (أدت ذنوبه إلى
 تسليمه لعدوه)

وَقَدْ شَاغَبَ الْإِسْلَامَ خَمْسِينَ حِجَّةً فَلَا الْخَوْفَ نَاهِيَهُ، وَلَا الْجَلْمَ زَاجِرُهُ
 فقد ظل يناوش الدولة الإسلامية خمسين سنة لا هو خائف، ولا حلم المسلمين (تغاضيه) عنه
 زاجره (ناهيه)

وَلَمَّا التَّقَى الْجَمْعَانِ لَمْ تَجْتَمِعْ لَهُ يَدَاهُ، وَلَمْ يَثْبُثْ عَلَى الْبَيْضِ نَاطِرُهُ
 عندما التحم الجيشان اضطربت يدا القائد الأرمني، ولم يثبت على البيض (السيوف) ناظره
 (بصره)، أي زاغ بصره رعباً

وَلَمْ يَرْضَ مِنْ (جُرْزَانَ) حِرْزاً يُجِيرُهُ وَلَا فِي جِبَالِ الرُّومِ رَيْدًا يُجَاوِرُهُ
 لم يرض هذا القائد الأرمني من «جرزان» حرزاً يجيره (مقلاً يحميه)، ولا رضي ريداً (جرفاً
 جبلياً) في جبال الروم يجاوره (ياوي إليه)

فَجَاءَ مَحِيءَ الْعَبِيرِ، قَادَتْهُ حَبِيرَةٌ إِلَى أَهْرِتِ الشُّدْقَيْنِ تَدْمَى أَظْفَرُهُ
 بل جاء إليك مثلما يجيء العير (حمار الوحش) لشدة حيرته نحو الأسد الأهرت الشدقين (الواسع
 القم) الدامي الأظافر

فَإِنْ أَذْرَكَتُهُ بِالْعِرَاقِ مَنِيَّةٌ فَقَاتِلْهُ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ آسِرُهُ
 فإن قرروا في العراق قتله، فإن الذي تمكن منه وقتله، عند الخليفة (بالنسبة للخليفة)، هو الذي أسره

بِتَدْبِيرِكَ الْمَيِّمُونَ أَغْلِقَ كَيْدُهُ عَلَيْهِ، وَكَلَّتْ سُمْرُهُ وَبَوَاتِرُهُ
بتدبيرك الميمون (المبارك) أغلق صندوق كيد هذا العدو عليه، وكلت (ضعفت) سمره (رماحه
السم) وبواتره (سيوفه القاطعة) عن نصره

وَلَمْ يَبْقَ بِطَرِيقٍ لَهُ مِثْلُ جُرْمِهِ (بِأَرَانٍ) إِلَّا عَازِبُ اللَّبِّ طَائِرُهُ
لم يبق في «أران» طريق (قائد رومي) له مثل جرمه (ذنبه) إلا وهو عازب اللب (شارد العقل)
وطائر القلب

كَسَرْتَهُمْ كَسَرَ الرُّجَاجَةِ بَعْدَهُ؛ وَمَنْ يَجْبُرُ الْوَهْيَ الَّذِي أَنْتَ كَاسِرُهُ؟
بعد أسرك بقراط ذاك كسرتهم مثلما تكسر الزجاجاة، ومن يستطيع جبر (إصلاح) الوهي (الشرح)
الذي صنعتته؟

وَقَدْ عَلِمَ الْعَاصِي، وَإِنْ أَمَعَنْتَ بِهِ مَحَلَّتُهُ فِي الْأَرْضِ، أُنْكَ زَائِرُهُ
وقد علم كل عاصي آخر، مهما أمعنت به محلته (ابتعدت منطقته)، أنك قادر على القدوم إليه

٨٥ المكرمات وجديس وجرهم

بمدح الفتح بن خاقان:

لَقَدْ جَشِمَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ خُطَّةً مِنْ الْمَجْدِ، مَا يَسْطِيعُهَا الْمُتَجَشِّمُ
جشم (تكفل) الفتح بن خاقان بخطة مجد (أمر مجيد) لا يستطيعها (يستطيعها) المتجشم (المتكفل)
غير ما في طبعه)

رَبَا فِي حُجُورِ الْمُلْكِ، يُغْرِيه بِالْحِجَا خَلَائِفُ مِنْهُمْ مُرْشِدٌ وَمُقَوِّمٌ
حجور (أحضان)، الحجا (العقل)، خلايف (خلفاء)

فَاضَ كَمَا آضَ الْحُسَامُ، تَرَادَفَتْ عَلَيْهِ الْقُيُونُ، فَهُوَ أَبْيَضُ مِخْدَمٌ
آض (أصبح) كالسيف الذي ترادف عليه (توالى عليه) القيون (الحدادون)، فأصبح مصقولاً أبيض
مخدماً (قاطعاً)

وَلَوْ بَلَغَ الْجَانِي أَقَاصِي حِلْمِهِ لَأَعْقَبَ بَعْدَ الْحِلْمِ مِنْهُ التَّحَلُّمُ
لو وصل الجاني إلى أقصى موقع في حلم (صفح) الفتح بن خاقان، لأعقب (لتلا) بعد وصول
الحلم مداه التحلم (تكلف الحلم). يقول: لو كانت الجنابة مما لا يحتمله صفح الفتح فإن التحلم
سيأتي بعد الحلم لينقذ الجاني

أَرَى الْمَكْرَمَاتِ اسْتُهْلِكَتْ فِي مَعَاشِرٍ وَبَادَتْ، كَمَا بَادَتْ جَدِيسٌ وَجُرْهُمُ
المكرمات انتهت وانقرضت كانقراض قوم جديس وقوم جرهم

وَمُشْرِقَةً فِي النَّظْمِ غَرًّا، يَزِيدُهَا بَهَاءً وَحُسْنًا أَنَّهَا لَكَ تُنْظَمُ
 ورب قصيدة مشرقة غراء (بيضاء الجبين كالفرس ذات الغرة البيضاء)، يزيدنها جمالاً أنها منظومة
 في مدحك

٨٦ ليلة مع الحبيب

بَرَّحَ بِي حُبُّكَ الْمُعَنَّيَ وَعَرَّنِي مِنْكَ مَا يَغُرُّ
 برَّح بي حبك (أوجعني) المعنّي (المؤلم)، واغتررت بك

تَذْكُرُكُمْ لَيْلَةٌ لَهَوْنَا فِي ظِلِّهَا، وَالزَّمانُ نَضُرُّ؟
 غَابَ دُجَاهَا، وَأَيُّ لَيْلٍ يَذْجُو عَلَيْنَا وَأَنْتَ بَذُرُّ؟
 دجاها (سوادها)

تَمْرُجُ لِي رِبْقَةً بِخَمَرٍ؛ كِلَا الرُّضَابَيْنِ مِنْكَ خَمْرُ

٨٧ الأموال الفضيحة

قال في ضرب صالح بن وصيف «أحمد بن إسرائيل» و«أبا نوح»:

نَهَيْتُكُمْ عَنْ صَالِحٍ، فَأَبَى بِكُمْ لَجَّاجُكُمْ إِلَّا اغْتِرَّارًا بِصَالِحٍ
 نهيتكم أيها الناس عن اتهام صالح فأبى لكم لجاجكم (عنادكم) إلا اغتراراً (انخداعاً)
 بأن صالحاً غافل عنكم

فَقَدْ ظَهَرَتْ أُمُوالُكُمْ، بَعْدَ سَتْرِهَا وَبَعْدَ تَخْفِيفِهَا، ظُهُورَ الْفَضَائِحِ
 والآن ظهرت أموالكم - التي كتمت سترونها - كما تظهر الفضائح

دَخَائِرُ ذِيْدِ الْحَقِّ عَنْهَا، وَأُرْتَجَتْ عَلَيْهَا مَعَالِيْقُ الصُّدُورِ الشَّحَائِحِ
 إنها ذخائر (مدخرات) ذيد (أبعد) الحق عنها، وأرتجت (أغلقت) عليها مغاليق (أقفال) الصدور
 الشحائع (البخيلة)

أَبَا الْفَضْلِ! لَا تَعْدَمْ عُلُوءًا مَتَى اعْتَدَى لِسَانُ عَدُوٍّ، أَوْ صَغَا قَلْبُ كَاشِحٍ
 يا أبا الفضل! لا حرمت من العلو كلما اعتدى عليك لسان عدو، وكلما صغا (أشاح) عنك قلب
 كاشح (مبطن العداوة)

تَقَطَّعَتِ الْأَسْبَابُ بِالْقَوْمِ، وَانْتَهَوْا إِلَى حَدَثٍ مِنْ نَبْوَةِ الدَّهْرِ فَادِحِ
 تقطعت الأسباب بالقوم (تفرقوا) وانتهوا (آل بهم المال) إلى حدث فادح من نبوة الدهر (المصيبة)

فَلَمْ تَبْقَ إِلَّا سَطْوَةٌ مِنْ مُطَالِبٍ بِأَضْغَانِيهِ، أَوْ نِعْمَةً مِنْ مُسَامِحٍ
 وكل ما بقي بالنسبة لهم سطوة رجل يطلب الاشتفاء من أضغانه (أحقاده)، أو نعمة رجل يسامحهم
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تُضْرِبْ عَنِ الْحَقْدِ لَمْ تَفُزْ بِذِكْرٍ، وَلَمْ تَسْعَدْ بِتَقْرِيطِ مَادِحٍ
 إذا لم تضرب (تكف) عن الحقد، فلن تفوز بالذكر (السمعة الحسنة)،
 ولن تسعد بتقريط (بمدح) مَادِحٍ

وَلَنْ يُرْتَجَى فِي مَالِكٍ غَيْرِ مُسْجِحٍ فَلَا حَ، وَلَا فِي قَادِرٍ غَيْرِ صَافِحٍ
 ولن يرتجى فلاح من رجل ذي نفوذ لكنه غير مسجح (متسامح)، ولا فلاح أيضاً لرجل قادر لا
 يصفح. وهذا كلامُ النثر أليقُ به من الشعر. فالبحتري يخاطب صالح بن وصيف كي يصفح عن
 المخطئين، ولكن ديباجة البحتري الجميلة تجعل المرء يصغي إليه

٨٨ الشرب على غير عطش

مَرَّتْ بِالْبَحْتَرِيِّ الْجَارِيَةِ بُرْهَانَ وَمَعَهَا كُوزُ مَاءٍ. سَأَلَهَا: لِمَنْ تَأْخُذِيهِ؟ فَقَالَتْ:
 لِسَنِي قَبِيحَةٍ. وَقَبِيحَةٌ هِيَ جَارِيَةُ الْمُتَوَكِّلِ الْأَثِيرَةِ، فَأَخَذَ الْكُوزَ وَصَبَهُ فِي حَلْقِهِ عَابثًا.
 فَعَرَفَ الْمُتَوَكِّلُ الْخَبَرَ (بِحَسَبِ رَوَايَةِ أَبِي الْفَرَجِ) فَقَالَ لِلْبَحْتَرِيِّ: قُلْ فِي هَذَا شِعْرًا.
 فَقَالَ:

مَا قَهْوَةٌ مِنْ رَحِيقٍ كَأَسْهَأَ ذَهَبٌ جَاءَتْ بِهَا الْخُورُ مِنْ جَنَاتِ رِضْوَانٍ
 قهوة (خمر)، رحيق (خمر)، رضوان (اسم حارس الجنة)

يَوْمًا بِأَطْيَبِ مِنْ مَاءٍ، بِلَا عَطَشٍ، شَرِبْتُهُ، عَبَثًا، مِنْ كَفِّ بُرْهَانٍ

٨٩ الملك فيه وفي بنيه

وقال يمدح المتوكل (٢٤٠هـ): وقيل إن المتوكل وهبه خاتماً كان بيده، فنظر
 البحتري إلى يد الخليفة الأخرى وفيها خاتم، وأطرق، فسأله المتوكل: ماذا بك؟ فقال:
 أفكر بأبيات أستخرج بها الخاتم الآخر. ثم قال هذا الشعر، وأخذ الخاتم الثاني.
 والقطعة تنسب أيضاً إلى علي بن الجهم:

بِسُرٍّ مَنْ رَأَى لَنَا إِمَامٌ تَغْرِفُ مِنْ بَحْرِهِ الْبِحَارُ
 بسر من را (بسامراء) لنا إمام (خليفة) كريم كالبحر، بل إن البحر يحتاج إلى أن يغرف منه

خَلِيفَةُ يُرْتَجَى وَيُخْشَى كَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَنَارُ
 كَلِمَتَا يَدِيهِ تَفِيضُ سَحًّا كَأَنَّهَا ضَرَّةٌ تَغَارُ

كل يد من يديه تفيض سحاً (مطولاً) كأن كل يد ضرة للأخرى وتغار منها

فَلَيْسَ تَأْتِي الْيَمِينُ شَيْئاً إِلَّا أَتَتْ مِنْهَا الْيَسَارُ
فَالْمُلْكُ فِيهِ وَفِي بَنِيهِ مَا بَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
ما بقي (طيلة بقائه). أين بنو العباس اليوم؟ يقول عبود الشالجي في كتابه (موسوعة العذاب) إنه لا يُعرَف في العراق اليوم سوى عائلتين تنتسبان إلى بني العباس، واحدة ببغداد وواحدة بالبصرة

٩٠ مذهبولون بأبهة الخلافة

يمدح المتوكل، ويذكر وفد الروم عليه:

عَرَّجَ عَلَى حَلَبٍ فَحَيَّ مَحَلَّةً مَأْنُوسَةً، فِيهَا لِعَلْوَةٍ مَنْزِلُ
يحيي في حلب محلة (حيّاً) مأنوسة (معمورة بأهلها، وليست خبرة كالأطلال التي يحييها الشعراء عادة)، وفي هذا الحي يوجد منزل علوة

وَأَعَزُّ، ثُمَّ أَذِلُّ ذِلَّةً عَاشِقِي، وَالْحُبُّ فِيهِ تَعَزُّزٌ وَتَذَلُّلُ
إِنَّ الرَّعِيَّةَ لَمْ تَزَلْ فِي سَبْرَةٍ عُمَرِيَّةٍ مُذْ سَاسَهَا الْمُتَوَكِّلُ
اللَّهُ أَثَرُ بِالْخِلَافَةِ جَعْفَرًا وَرَأَاهُ نَاصِرَهَا الَّذِي لَا يُخَذَّلُ
آثر (خَصْر)

هِيَ أَفْضَلُ الرُّتَبِ الَّتِي جُعِلَتْ لَهُ دُونَ الْبَرِيَّةِ، وَهُوَ مِنْهَا أَفْضَلُ
لَا يَغْدَمَنَّكَ الْمُسْلِمُونَ، فَإِنَّهُمْ فِي ظِلِّ مُلْكِكَ أَذْرَكُوا مَا أَمَلُوا
فَازَيْتَ بِالْأَسْرَى، وَقَدْ عَلِقُوا، فَلَا مَنْ يُنَالُ، وَلَا فِدَاءَ يُقْبَلُ
غلَقُوا (احتبسوا بلا فداء)، مَنْ (عفو)

وَرَأَيْتُ وَفَدَ الرُّومَ، بَعْدَ عِنَادِهِمْ، عَرَفُوا قَضَائِكَ الَّتِي لَا تُجْهَلُ
لَحَظُّوكَ أَوَّلَ لَحْظَةٍ، فَاسْتَصَفَرُوا مَنْ كَانَ يُعْظَمُ فِيهِمْ وَيُبْجَلُ
من النظرة الأولى إلى طلعتك استصغر أفراد وفد الروم رؤساءهم الذين كانوا حثّاء مبعجلين في عيونهم

حَضَرُوا السَّمَاطَ، فَكَلَّمَا رَامُوا الْقَرَى مَالَتْ بِأَيْدِيهِمْ عُقُولٌ ذَهَلُ
حضرُوا السماط (المائدة) فكلما راموا القرى (التمسوا الطعام)، مالت أيديهم لأن عقولهم ذاهلة من عظمة المشهد

نَهَوِي أَكْفُهُمْ إِلَى أَفْوَاهِهِمْ فَتَجَوَّرُ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَتَعْدِلُ
تتجه أكفهم إلى أفواههم ثم تضل الطريق، وتعدل (تنحرف)، لذهولهم

وَيُودُّ قَوْمَهُمُ الْأَلَى بَعَثُوا بِهِمْ لَوْ ضَمَّهُمْ بِالْأَمْسِ ذَاكَ الْمَحْفِلُ
وكان يودُّ الروم في القسطنطينية الذين أرسلوا هذا الوفد أن يكونوا هم في هذا المحفل بدلاً من
رُسُلهم

٩١ الحب الأخير

يمدح الفتح بن خاقان:

وَلَمَّا تَزَايَلْنَا مِنْ «الْجَزْعِ»، وَانْتَأَى مُشْرِقُ رَكْبٍ مُضْعِداً عَنْ مُغْرَبٍ
لما تزايلنا عن (فارقنا) موضع «الجزع»، وانتأى (ابتعد) الركب (القافلة) المشرق، وهو صاعد
هضبة، عن الركب المغرب ..

تَبَيَّنْتُ أَنْ لَا دَارَ مِنْ بَعْدِ «عَالِجٍ» تَسُرُّ، وَأَنْ لَا خَلَّةَ بَعْدَ زَيْنَبٍ
تبينت (تأكدت) أن لا دار سترني بعد «عالج»، ولا خلة (صاحبة) سترني بعد زينب

٩٢ دماء ودموع وحمية جاهلية

يمدح المتوكل، ويذكر صلح بني تغلب:

مُنَى النَّفْسِ فِي أَسْمَاءَ لَوْ تَسْتَطِيعُهَا، بِهَا وَجَدَهَا، مِنْ غَادَةٍ، وَوُلُوعُهَا
منأى (منحصر) في أسماء لو أنني أستطيع الوصول إليها. وجد نفسي وولوعها هو بأسماء،
ويا لها من غادة

وَقَدْ رَاعَنِي مِنْهَا الصُّدُودُ، وَإِنَّمَا تَصُدُّ لَشَيْبٍ فِي عِذَارِي يَرُوعُهَا
راعني صدودها، وسببه الشيب في عذارى (سألي)

حَمَلْتُ هَوَاهَا يَوْمَ (مُنْعَرَجِ اللَّوَى) عَلَى كَيْدٍ قَدْ أَوْهَنْتَهَا صُدُوعُهَا
أوهنتها صدوعها (أضعفت كبدي الشقوق التي فيها)

وَكُنْتُ تَبِيعَ الْغَانِيَاتِ، وَلَمْ يَزَلْ يَذُمُّ وَقَاءَ الْغَانِيَاتِ تَبِيعُهَا
تبيع (ملاحق)

وَحَسَنَاءَ لَمْ تُحْسِنِ صَنِيعاً، وَرُبَّمَا صَبَوْتُ إِلَى حَسَنَاءَ سِيءٍ صَنِيعُهَا
صبوت (اشتقت)، سيء (ساء)

عَجِبْتُ لَهَا: تُبْدِي الْقَلَى، وَأَوْدُهَا؛ وَلِلنَّفْسِ: تَعْصِينِي هَوَى، وَأُطِيعُهَا
عجبت لأسماء تبدي القلى (الصدود) وأبستم في حبي لها، وعجبت لنفسى تعصيني عندما أريد
الفكاك من هذا الحب .. وأطيعها

أَسِيَتْ لِأَخْوَالِي (رَبِيعَةً) إِذَا عَفَتْ مَصَانِعُهَا مِنْهَا، وَأَقَوْتُ رُبُوعَهَا
أَسِيَتْ (تَأَلَّمَتْ) لِأَخْوَالِي مِنْ قَبِيلَةِ رَبِيعَةٍ إِذَا عَفَتْ (خَرِبَتْ) مَصَانِعُهَا (مَبَانِيهَا)، وَأَقَوْتُ رِبُوعَهَا
(أَقْفَرَتْ مَنَازِلَهَا)

بِكُرْهِمِي أَنْ بَاتَتْ خَلَاءَ دِيَارِهَا، وَوَحْشَاءَ مَغَانِيهَا، وَشَتَّى جَمِيعُهَا
أَنَا كَارَةٌ أَنْ أَصْبَحَتْ دِيَارُ رَبِيعَةٍ مَهْجُورَةً، وَمَغَانِيهَا (مَنَازِلُهَا الْعَامِرَةُ) مَوْحِشَةً،
وَجَمِيعُهَا (اجْتِمَاعُ شَمْلِهَا) شَتَّى (مُتَفَرِّقًا)

إِذَا افْتَرَقُوا عَنْ وَقْعَةٍ جَمَعَتْهُمْ لِأُخْرَى دِمَاءٌ مَا يُطْلُ نَجِيئُهَا
إِذَا انْتَهَتْ وَقْعَةٌ (مَعْرَكَةٌ) اجْتَمَعُوا لِيَخُوضُوا غَيْرَهَا بِسَبَبِ دِمَاءٍ أُرِيقَتْ فِي الْمَعْرَكَةِ الْأُولَى يَرِيدُونَ
الْثَّأْرَ لَهَا، مَا يُطْلُ (لَا يَذْهَبُ هَذَرًا) نَجِيعُهَا (دِمَاسُهَا)

تَذُمُّ الْفَتَاةُ الرُّودُ شَيْمَةً بَعْلِهَا إِذَا بَاتَ دُونَ الثَّأْرِ وَهُوَ ضَاحِيُهَا
الْفَتَاةُ الرُّودُ (النَّاعِمَةُ) تَذُمُّ شَيْمَةً (خُلُقًا) بَعْلِهَا إِذَا بَاتَ مَعَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ الثَّأْرَ

حَمِيَّةُ شَعْبٍ جَاهِلِيٍّ، وَعِزَّةٌ كُلَيْبِيَّةٌ أَغْيَا الرِّجَالَ خُضُوعُهَا
هَذِهِ حَمِيَّةُ شَعْبٍ جَاهِلِيٍّ الطَّبِيعِ، وَعِزَّةُ كُلَيْبِيَّةٍ (كَاعْتِرَازِ كُلَيْبٍ، وَائِثْلِ أَخِي الْمَهْلَهْلِ وَقَتْلِ جَسَاسٍ،
بِنَفْسِهِ) أَغْيَا الرِّجَالَ إِخْضَاعُهَا

وَفُرْسَانُ هَبِجَاءٍ تَجِيشُ صُدُورُهَا بِأَحْقَادِهَا، حَتَّى تَضْبِقَ دُرُوعُهَا
هَؤُلَاءِ فُرْسَانُ هَبِجَاءٍ (حَرْبٍ) تَجِيشُ صُدُورَهُمْ بِأَحْقَادِهَا (تَضْطَرِمُ بِالْحَقْدِ) فَيَكَادُ الْحَقْدُ يَخْرُجُ مِنَ
الدَّرُوعِ الَّتِي يَلْبَسُونَهَا

تُقَتِّلُ مِنْ وَتَرٍ أَعَزَّ نُفُوسِهَا عَلَيْهِا، بِأَيْدٍ مَا تَكَادُ تُطْبِعُهَا
هَؤُلَاءِ الْفُرْسَانُ يَقْتُلُونَ مِنْ وَتَرٍ (لِغَرَضِ الثَّأْرِ) أَنَا سَاءٌ مِنْ أَقَارِبِهِمْ عَزِيزِينَ عَلَيْهِمْ، يَقْتُلُونَهُمْ بِأَيْدٍ لَا
تَكَادُ تُطْبِعُهُمْ فِي عَمَلِهِمْ هَذَا

إِذَا احْتَرَبَتْ يَوْمًا، فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرْتُ الْقُرْبَى، فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا
إِذَا احْتَرَبَتْ الْفُرْسَانُ يَوْمًا فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرْتُ صِلَةَ الْقَرَابَةِ فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا

شَوَاجِرُ أَرْمَاحٍ تُقَطِّعُ بَيْنَهُمْ شَوَاجِرُ أَرْحَامٍ مَلُومٌ قُطُوعُهَا
شَوَاجِرُ أَرْمَاحٍ (رَمَاحٍ مُشْتَبِكَةٍ) تَقَطِّعُ صِلَاتِ الرَّحِمِ الْمُشْتَبِكَةِ، الَّتِي يَلَامُونَ عَلَى قَطْعِهَا

فَلَوْلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَطُولُهُ لَعَادَتْ جُيُوبُ وَالِدَمَاءِ رُدُوعُهَا
لَوْلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَطُولُهُ (قُدْرَتُهُ) لَعَادَتْ الْجُيُوبُ (الْمَلَابِسُ) وَالِدَمَاءُ رُدُوعُهَا (زَعْفَرَانُهَا)،
فَالْمَلَابِسُ كَانَتْ تَنْطِيبُ بِالدَّمِ بَدَلًا مِنَ الزَعْفَرَانِ قَبْلَ تَدَخُّلِ الْخَلِيفَةِ

وَلَا عُذْرَ إِلَّا أَنْ جِلْمَ حَلِيمِهَا تَسْقَهَ فِي شَرِّ جَنَاهُ خَلِيعُهَا

وليس للمتقاتلين من عذر سوى أن الحليم دخل في السفاهة والحقاقة بسبب جنايات جناها الخليع
(المستهتر المنشق عن القبيلة)

وَمُشْفِقَةٍ تَخْشَى الْجِمَامَ عَلَى ابْنِهَا لِأَوَّلِ هَيْجَاءٍ تَلَاقَى جُمُوعُهَا

ورب امرأة مشفقة (خائفة) على ابنها من الموت في أول مرة يدخل فيها الحرب..

رَبَطَتْ بِصُلْحِ الْقَوْمِ نَافِرَ جَاشِئِهَا، فَفَقَرَتْ حَشَاهَا، وَاطْمَأَنَّتْ ضُلُوعُهَا

.. ربطت، أيها الخليفة بالصلح الذي عقدته، جأش هذه المرأة النافر (قلها المضطرب)، فاستقر
حشاها (قلها) واطمأنت (سكنت) ضلوعها

٩٣ بين أطلال سعدى

قِفِ الْعِيسَى، قَدْ أَذْنَى خُطَاهَا كَلَالُهَا وَسَلْ دَارَ سَعْدَى، إِنَّ شَفَاكَ سُؤَالُهَا

قف (أوقف) العيس (الإبل) فقد أذنى خطاها كلالها (جعل خطواتها متقاربة تعبها)،
واسأل بقايا دار سعدى عن الحبيبة الراحلة، إن كان في مجرد السؤال شفاء لنفسك؛
فأما الجواب، فلا جواب

وَمَا أَعْرِفُ الْأَطْلَالَ مِنْ بَطْنٍ (تُوضِحْ) لِيَطُولَ تَعَفُّيْهَا، وَلَكِنْ إِخَالُهَا

لا أكاد أتعرف على بقايا الديار في هذه المنطقة لطول تعفيها (خرايبها)،
لكن إخالها (أخمن مكانها تخميناً)

إِذَا قُلْتُ: أُنْسَى دَارَ لَيْلَى عَلَى النَّوَى، تَصَوَّرَ فِي أَقْصَى ضَمِيرِي مِثَالُهَا

كلما قلت إنني سأنسى دار ليلي (بغير الشاعر اسم محبوبته في القصيدة الواحدة.. عادي) مع
النوى (الفراق)، تمثلت صورتها في أعماق قلبي

تَمَنَيْتُ لَيْلَى بَعْدَ قَوْتٍ، وَإِنَّمَا تَمَنَيْتُ مِنْهَا خُطَّةً لَا أَنْالُهَا

فوت (فوات الأوان)، خطة (أمر)

٩٤ السقوط من الحظوة

يعاتب الفتح بن خاقان، ويعتذر إليه:

عَذِيرِي مِنَ الْأَيَّامِ رَتَقَنْ مَشْرِبِي وَلَقَّيْنِنِي نَحْساً مِنَ الطَّيْرِ أَشْأَمَا

عذيري (عبارة شعرية معناها: منذ الذي يقبل عذري) فلاأيام (الزمن) رتقن (كدرن) مشربي،
ولقّينني (جلبن علي) نحساً أشام من نحس الطير (إذ تنجه شمالاً، وهذا نحس)

وَأَكْسَبَنِي سُخْطَ امْرِئٍ بَثَّ مَوْهِنًا أَرَى سُخْطَهُ لَيْلًا مَعَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا
واكسبني الأيام سُخْطَ رجل، هو الفتح بن خاقان، بَثَّ مَوْهِنًا (ليلاً)
وأنا أرى سُخْطَهُ يزيد الليل سواداً

تَبْلَجَ عَنِ بَعْضِ الرِّضَا، وَأَنْطَوَى عَلَى بَقِيَّةِ عَنَبٍ شَارَفَتْ أَنْ تَصْرَمًا
تبلج (أشرق) وجه الفتح عن قليل من الرضا عليّ، ثم انطوت نفسه على بقية عتاب شارفت
(كادت) أَنْ تَصْرَمَ (تتقضي)

إِذَا قُلْتُ يَوْمًا: قَدْ تَجَاوَزَ حَدَّهَا تَلَبَّثَ فِي أَعْقَابِهَا، وَتَلَوَّمَا
كلما قلت قد تجاوز الفتح حدَّ بقية العتاب، إِذَا به يَتَلَبَّثُ (يبطئ) في أعقابها (أواخرها)
وَيُتَلَوَّمُ عليّ باللوم

وَأَصِيدَ إِنْ نَازَعْتُهُ اللَّحْظَ، رَدَّهُ كَلِيلًا، وَإِنْ رَاجَعْتُهُ الْقَوْلَ جَمَجَمَا
رب أصيد (عزيز) إِنْ نَازَعْتُهُ اللحظ (اصطادات عيني عنه مرة بعد أخرى) رد لحظه كليلًا (ضعيفاً)
وانصرف بنظره عني، وإذا راجعته بالقول فيما بيننا جمجم (تمتم)

ثَنَاهُ الْعِدَى عَنِّي، فَأَصْبَحَ مُعْرِضًا وَأَوْهَمَهُ الْوَاشُونَ، حَتَّى نَوَّهَمَا
ثناه العدى عني (صرفه الأعداء) فأعرض، ودس له الواشون الأوهام حتى علقت بقلبه

وَقَدْ كَانَ سَهْلًا وَاضِحًا، فَتَوَعَّرْتُ رُبَاهُ؛ وَطَلَقًا ضَاحِكًا، فَتَجَهَّمَا
كان سهل المعاملة معي واضحاً (مكشوفاً)، فأصبحت رباه وعرة، وكان ضاحكاً لي فتجهم (كشر)

يُخَوِّفُنِي مِنْ سُوءِ رَأْيِكَ مَعَشَرٌ، وَلَا خَوْفَ إِلَّا أَنْ تَجُورَ وَتَظْلِمَا
يخوفني قوم من سوء رأيك معشر، والخوف الحقيقي هو أَنْ تَجُورَ (تظلم)، وهذا بالطبع غير وارد...

أُعِيدُكَ أَنْ أَخْشَاكَ، مِنْ غَيْرِ حَادِثٍ تَبَيَّنَ، أَوْ جُرِمَ إِلَيْكَ تَقَدُّمًا
اعيدك (أجلك) أَنْ أَخْشَاكَ دون أَنْ يكون بدر مني حادث أو جرم، فَأَنْتَ لَا تَظْلَمَ بلا سبب

أَلَسْتُ الْمُوَالِيَّ فَبِكَ نَظَمَ قَصَائِدٍ هِيَ الْأَنْجُمُ، افْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجُمًا؟
ألسْتُ الموالي (المواصيل) فبك قصائد المدح التي تشبه النجوم

فَلَوْ أَنَّنِي وَقَّرْتُ شِعْرِي وَقَارَهُ وَأَجَلَلْتُ مَذْحِي فَبِكَ أَنْ يَتَهَضَّمَا
يُتَهَضَّمُ (يُظْلَمُ)

لَأَكْبَرْتُ أَنْ أُوْمِيَ إِلَيْكَ بِإِصْبَعٍ تَضَرَّعُ، أَوْ أَذْنِي لِمَعْذِرَةٍ فَمَا
لوجدتها كبيرة أَنْ أُوْمِيَ (أشير) إِلَيْكَ بِإِصْبَعٍ تَضَرَّعُ (تتوسل)، أَوْ أَنْ أَذْنِي (أقرب) الاعتذار من فمي

وكانَ الذي يَأْتِي به الدَّهْرُ هَيِّنًا عَلَيَّ، ولو كانَ الحِمَامَ المُقَدِّمًا

ولكان كل ما يَأْتِي به الزمن هيناً عَلَيَّ حتى لو كان الموت العاجل

ولِكِنِّي أُعْلِي مَحَلَّكَ أَنْ أُرَى مُدِيلاً وَأَسْتَحْيِيكَ أَنْ أَتَعَظَّمَا

ولكنني مع ذلك أنزعج، لأن مقامك أعلى من أن أدلّ عليك (أتمادى عليك)، وأستحي منك أن أتعظم (أستكبر)

أَعِدْ نَظْرًا فِيمَا تَسَخَّطْتَ؛ هَلْ تَرَى مَقَالًا دَنِيًّا أَوْ فَعَالًا مُذَمَّمًا؟

راجع نفسك في الذي أغضبك، فهل رأيته قلت قولاً دنيئاً فيك، أو فعلت فعلاً ذمياً

رَأَيْتُ الْعِرَاقَ أَتَكَرَّنِي؛ وَأَقْسَمْتُ عَلَيَّ صُرُوفُ الدَّهْرِ أَنْ أَتَشَامَا

تكررت لي العراق، وحلفت عليّ مصائب الزمن لأذهبن إلى الشام

وكانَ رَجَائِي أَنْ أُؤُوبَ مُمْلِكًا، فَصَارَ رَجَائِي أَنْ أُؤُوبَ مُسْلَمًا

كنت أرجو أن أرجع إلى موطني بالشام وأنا ذو أملاك، فصار أقصى رجائي أن أعود سالماً

وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْمَرْءَ لَمْ تَكُنْ تُحَلِّلُ بِالظَّنِّ الذِّمَامَ الْمُحَرَّمَا

أكبر ظني أنك ذلك المرء الذي لا يحلل بمجرد الظن الذمام (العهد والعشرة) الذي يحرم نقضه

وَلَمْ أَعْرِفِ الذَّنْبَ الَّذِي سُوِّتَنِي لَهُ فَاقْتُلْ نَفْسِي حَسْرَةً وَتَنَدُّمَا

لم أعرف سبب سخطك عليّ حتى أقتل نفسي حسرة وتندماً

أَذْكُرُكَ الْعَهْدَ الَّذِي لَيْسَ سُودَدًا تَنَاسِيهِ، وَالْوَدَّ الصَّحِيحَ الْمُسْلِمَا

أقر بما لم أجنيه مُتَنَصِّلاً إِلَيْكَ، عَلَيَّ أَنِّي إِخَالَكَ الْوَمَا

إنني أقر بذنب لم أجته ولا أعرفه، وأتصل منه تقريباً إليك، وأغلب ظني أنك أنت أولى باللوم مني

وَمِثْلُكَ إِنْ أَبَدَا الْفَعَالُ أَعَادَهُ وَإِنْ صَنَعَ الْمَعْرُوفَ زَادَ وَتَمَّمَا

ومثلك إذا أبداً (بدأ) بفعل طيب كرره، وإن صنع المعروف أكمله وزاد عليه

٩٥ الموت ولا الشيب

حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ يَوْمَ التَّفَرُّقِ وَبِالْوَجْدِ مِنْ قَلْبِي بِهَا الْمُتَعَلِّقِ

حلفت لها بوجد قلبي المتعلق بها

وَبِالْعَهْدِ، مَا الْبَذْلُ الْقَلِيلُ بِضَائِعِ لَدَيَّ، وَلَا الْعَهْدُ الْقَدِيمُ بِمُخْلِقِ

حلفت لها بأن البذل القليل (العتاء القليل. منها) لا يضيع لدي، والعهد القديم لا يخلق (يهترئ)

وَإِنِّي، وَإِنْ ضَنْتُ عَلَيَّ بِوُدِّهَا، لَأَرْتَاحُ مِنْهَا لِلْخَيَالِ الْمُؤَرَّقِ
أرتاح لطيفها الذي يأتيني فيؤرقني (يذهب بنومي)

أَجِدُّكَ! مَا وَضَلُ الْعَوَانِي بِمُطْمَعٍ، وَلَا الْقَلْبُ مِنْ رِقِّ الْعَوَانِي بِمُعْتَقٍ
أجدك (تعبير للقسم معناه: وحياتك) ليس وصل الغواني مما يطمع (يجعلني أطمع في الوصل)،
ولا القلب من رق (عبودية) الغواني (الحسان) بمعق (متحرر)

وَدِدْتُ بَيَاضَ السَّيْفِ، يَوْمَ لَقَيْتَنِي، مَكَانَ بَيَاضِ الشَّيْبِ كَانَ بِمَفْرَقِي
لبت بياض صفحة السيف - يوم لقيتني الحسان - كان بمفرق رأسي بدلاً من بياض الشيب

وَصَدَّ الْعَوَانِي عِنْدَ إِيْمَاضِ لِمَتِي وَقَصَّرَنَ عَنْ: «لَبَّيْكَ» سَاعَةً مَنُطِقِي
صدت النساء عني عند إيماض (إشراق) لمتي (شعري) بياض الشيب،
ولم يعدن يقلن لبيك عندما أكلهن

إِذَا شِئْتَ أَلَّا تَعْذِلَ، الدَّهْرَ، عَاشِقًا عَلَى كَمَدٍ مِنْ لَوْعَةِ الْحُبِّ، فَاعْشَقِ
تعذل (تلوم)، الدهر (طول الزمن)، كمد (حزن)

٩٦ دمشق الجميلة

يمدح المتوكل عند قدومه إلى دمشق: (٢٤٤هـ)

الْعَيْشُ فِي لَيْلٍ دَارِيًّا إِذَا بَرَدَا وَالرَّاحُ تَمْزُجُهَا بِالْمَاءِ مِنْ بَرَدَى
العيش الحقيقي إنما هو في ليل داريًا (قرية بغوطة دمشق) عندما يبرد الجو في هذا الليل، ونحن
في هذه الأثناء نمزج الخمر بماء بارد (نهر دمشق)

قُلْ لِلإِمَامِ الَّذِي عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ شَرْقًا وَغَرْبًا، فَمَا نُحْصِي لَهَا عَدَدًا:
الإمام: الخليفة المتوكل على الله، فواضله: خيرات (وهي في الأساس الأموال التي يجمعها له
جنوده وولاته بحد السيف من الفلاحين الفقراء ويوزعها على أعوانه وشعرائه بحمق)

اللَّهُ وَلَآكَ عَنْ عِلْمٍ خِلَافَتُهُ وَاللَّهُ أُعْطَاكَ مَا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا
قل للمتوكل إن الله ولاه الخلافة عالمًا بقدرته عليها وحقه فيها

وَمَا بَعَثْتَ عِتَاقَ الْخَيْلِ فِي سَفَرٍ إِلَّا تَعَرَّفْتَ فِيهِ الْيُمْنَ وَالرَّشْدَا
عتاق الخيل (الخيال الأصيلة)، اليمن (البركة). ما أرسلت الخيل في سفر إلا وأنت تعرف أن في
السفر خيرًا

أَمَّا دِمَشْقُ فَقَدْ أَبَدَتْ مُحَاسِنَهَا وَقَدْ وَفَى لَكَ مُطَرِّيَهَا بِمَا وَعَدَا
أبدت دمشق محاسنها، ووفى لك مطريها (مادحها) بوعده. وكان القوم وصفوا للمتوكل جمال
دمشق، فهي هو يتبين صدق وصفهم. وخطر للمتوكل أن يجعل دمشق عاصمته، ثم غير رأيه
إِذَا أَرَدَتْ مَلَأَتِ الْعَيْنَ مِنْ بَلَدٍ مُسْتَحْسَنِ، وَزَمَانٍ يُشْبِهُ الْبَلَدَا
ما أجمل المكان والزمان

يُمَسِّي السَّحَابُ عَلَى أَجْبَالِهَا فِرْقًا وَيُضْبِحُ النَّبْتُ فِي صَحْرَائِهَا بَدَا
الغيوم تسمى (تكون في المساء) متفرقة فوق جبالها، والنبات يصبح صباحاً وهو في صحراء دمشق
بدداً (متفرقاً). ذلك أن الغيوم تمطر وتجعل النبات ينمو في الصحراء

فَلَسْتُ تُبْصِرُ إِلَّا وَكِفًا خَضِلًا أَوْ يَانِعًا خَضِرًا، أَوْ طَائِرًا غَرْدَا
الواكف الخضل (المبتل الندى)، اليانع الخضِر (الطري الأخضر). باختصار: الماء والخضرة والجمال

٩٧ أُنْبِيكَ عَنْ عَيْنِي وَطُول سَهَادِهَا

قال يذكر جارية له ماتت بدمشق:

أُنْبِيكَ عَنْ عَيْنِي، وَطُول سَهَادِهَا، وَحُرْقَةَ قَلْبِي بِالْجَوَى، وَاتَّقَادِهَا
أُنْبِيكَ (أخبرك) عن طول سهاد (سهر) عيني، وعن حرقة قلبي بالجوى (الهجران) واتقاد هذه الحرقة

وَأَنَّ الْهُمُومَ اعْتَدَنْ بَعْدَكَ مَضْجَعِي وَأَنْتِ الَّتِي وَكَّلْتَنِي بِاعْتِيَادِهَا
وَأَنَّ الهموم اعتدن (أتين) بعد فراقك مضجعي (فراشي)، وأنت كنت حملتني الهموم في حياتك
لعشقي لك

٩٨ حيرت قلبي معك

يمدح الفتح بن خاقان ويمعته:

يُرِيبُنِي الشَّيْءُ نَأْتِي بِهِ وَأَكْبِرُ قُدْرَكَ أَنْ أَسْتَرِيبَا
يريبني (يجعلني مرتاباً متخوفاً) الشيء - الذي - تأتي به (تفعله)، ولكنني أجلك عن إبداء شكوكي

أَكْذَبُ ظَنِّي بِأَنْ قَدْ سَخِطْتَ وَمَا كُنْتُ أَعْهَدُ ظَنِّي كَذُوبَا
متحير البحري في الفتح بن خاقان، فهو لا يعرف لسخط الوزير سبباً؛ يكذب ظنه، ولكنه يعلم في
قرارة نفسه أن ظنه لا يكذبه

وَلَوْ لَمْ تَكُنْ سَاخِطًا لَمْ أَكُنْ أَذُمُّ الزَّمَانَ وَأَشْكُو الْخُطُوبَا

سخطك عليّ هو السبب الوحيد لذمي الزمان وشكواي من الخطوب (المصائب)

وَلَا بُدَّ مِنْ لَوْمَةٍ أَنْتَحِي عَلَيْكَ بِهَا، مَخِطًا أَوْ مُصِيبًا

ولا بد من لومة أنتحي عليك بها (أوجهها لك)،
سواء أصبت أم أخطأت، فأنت تحيرني

أُصْبِحُ وَرْدِي فِي سَاحَتَيْكَ طَرْقًا، وَمَرْعَايَ مَخْلًا جَدِيدًا؟

أصبح وردي (مائي الذي أريدُه) في ساحتيك (يقصد: عندك) طَرْقًا (مكدرًا ملوثًا)، ويصبح مرعاي
الذي أرعى فيه لديك ممحلًا مجددًا؟

وَلَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ ذَنْبًا، لَمَّا تَخَالَجَنِي الشُّكُّ فِي أَنْ أُتُوبَا

لو عرفت ذنبًا اقترفته لما تخالجني (داخلني) الشك في وجوب التوبة

سَأَصِيرُ حَتَّى أَلَاقِي رِضًا كَ، إِمَّا بَعِيدًا، وَإِمَّا قَرِيبًا

سيأتيني رضاك في النهاية أكان بعيداً عني أم قريباً مني. هذه من قصائد البحري
للفتح بن خاقان التي تخلط الاعتذار بالعتاب خلطاً طريفاً. وقد أعجب القدماء
بهذه القصائد، وعدها ابن المعتز من أجمل ما قيل في هذا الباب منذ اعتذارات
الناطقة للنعمان. ولم أر القدماء نوهوا بهذا الخلط بين الاعتذار والعتاب مع تأكيد
المحبة. فأجبت أن أكتب في هذا كلمة. والواقع أن قضية الخلط هذه موجودة
في غرضين آخرين - وفي قصائد أخرى للبحري - ذاك الغرضان هما المدح
والهجاء. تراه يمدح أحدهم فيخرج إلى العتاب، ومنه إلى لسعات هجاء لا
تخفى، كأنه يريد أن يذيقه بعض ما يمكن أن يصيبه إن هو تأخر في دفع
المستحقات. وهذا شأن بشري طبيعي. ترى الموظفة تدخل على مديرها بوجه
مختلط تصعب قراءته، وتقول له: يا سيد الكل، جئت أطرح السلام، ودائرتنا -
ما شاء الله - أحسن دائرة بوجودك. ودعك عن كل ما يقولون. يتدخل المدير
ويقول: وما هذا الذي يقولون؟ ومن هم؟ تقول له: لا، ليس له قيمة. أنا مثلاً،
صحيح أنني لم أنل ما أستحق من زيادة، ولكنني أعرف أنك تخطط على المدى
البعيد. هنا ينشغل عنها المدير بتفحص شاشته وصندوق رسائله، فتمضي إلى
القول: لقد رأيت أمس في الندوة عضو مجلس الإدارة فلاناً. وهو أيضاً يسمع
عما سماه نجاحات. لكنني أكدت له عدم وجود شيء كهذا. ملخص الأمر أن
تلك الموظفة تعطي مديرها موشحاً يخلط الطاعة بالتمرد، والمدح بالعتاب
بالتهديد. الناس فيهم كثير من هذا. ولا أقول الكرام من الناس. فالكرام
يكاشفون، ولا يسترون إلا ما يقدمونه من خير. والبحري لم يكن من كرام
الناس. كان جشعاً لا يشبع

٩٩ الحلال المخلوط

في العشق ضمن مدح للمتوكل:

عَادَةً بِتَّ أَحْمِلُ اللَّوْمَ فِيهَا، وَعَنَاءُ الْمُحِبِّ طَوْلُ الْمَلَامِ

أُنْتُتْ ثُمَّ دُكِّرَتْ فِيهَا ذُلٌّ - فَتَاةٌ رُوْدٌ، وَقَدْ غُلَامٌ

فيها من صفات الفتاة الرود (الناعمة) الدلال، ولها من الغلام قده الرشيقي. وكان بعض أهل ذلك الزمن في بغداد يحبون الفتاة التي ضمرت أكفاله فكانها غلام في قدها؛ أما قدماء الشعراء فكانوا يمدحون اكتناز العجيزة

وَلِحُسْنِ الْحَلَالِ فَضْلٌ، إِذَا مَا شَابَهُ، فِي الْعُيُونِ، ظَرْفُ الْحَرَامِ

الحلال يكون فيه فضل (زيادة) إذا شابه (اختلط به) قليل من الحرام الظريف

١٠٠ لست من أنداده

وقال في مدح المتوكل:

قَدْ قُلْتُ لِلْعَيْمِ الرُّكَّامِ، وَلَجَّ فِي إِبْرَاقِهِ وَأَلَحَّ فِي إِرْعَادِهِ

قلت للعيم المتراكم، وقد لجج (استمر) في إبراقه وألحج في إرعاده

لَا تَعْرِضَنَّ لِجَعْفَرٍ مُتَشَبِّهًا بِنَدَى يَدَيْهِ، فَلَسْتُ مِنْ أُنْدَادِهِ

لا تعرضن (لا تعرض) لجعفر (للمتوكل) متشبهًا بكرم يديه، فلست نداء له

١٠١ واهب «البدر»

قال يمدح المتوكل:

تَنَاءَتْ دَارُ عُلُوَّةٍ، بَعْدَ قُرْبٍ، فَهَلْ رَكْبٌ يُبَلِّغُهَا السَّلَامَا؟

وَرُبَّتْ لَيْلَةٌ قَدْ بَتَّ أَسْقَى بِعَيْنَيْهَا وَكَفَيْهَا الْمُدَامَا

ربت (رب)

قَطَعْنَا اللَّيْلَ، لَثَمًا وَاعْتِنَاقًا وَأَفْنَيْنَاهُ، ضَمًّا وَالتِّزَامَا

لثما (تقيلاً)، التزماً (معانقة)

لَئِنْ أَضَحَّتْ مَحَلَّتُنَا عِرَاقًا مُشَرَّقَةً، وَجَلَّتْهَا شَامَا

الحلة والمحلة (المكان الذي يقيم به القوم)

فَلَمْ أُحْدِثْ لَهَا إِلَّا وَدَادًا، وَلَمْ أَرْدَدْ بِهَا إِلَّا غَرَامَا

خِلَافَةً جَعْفَرٍ عَدْلٌ وَأَمْنٌ وَجِلْمٌ لَمْ يَزَلْ يَسْعُ الْأَنَامَا

إِذَا وَهَبَ الْبُدُورَ رَأَيْتَ وَجْهًا تَخَالُ بِحُسْنِهِ الْبَدْرَ التَّمَامَا

البدور (أكياس النقود، وقيل البدره الواحدة ألف درهم). يمنح المال وهو مبتسم

عَنِّي أَنْ يُفَاخِرَ أَوْ يُسَامِيَ جَلِيلٌ أَنْ يُفَاخَرَ أَوْ يُسَامَى
 غني (مستغن) أن يفاخر أحداً أو أن يساميه (يعلو فوقه)، وهو جليل القدر عن أن يفاخره أحد أو
 يعلو عليه

١٠٢ الفتح يواجه الأسد

يمدح الفتح بن خاقان، ويذكر منازلته الأسد:

وَمَا نَقَمَ الْحُسَادُ إِلَّا أَصَالََةً لَدَيْكَ، وَفِعْلاً أَرِيحِيًّا مُهَذَّبًا
 ما نقم الحساد (اغتاظوا من) إلا أصالة لديك (رأياً ثاقباً)، وإلا فعلاً أريحياً (فيه انشراح للمعروف)
 مهذباً (متمدين حضارياً). والرجل المهذب في شعر القدماء هو الذي ليس فيه جفاء الأعراب، بل
 عنده إتيكيت السلوك الحضري

وَقَدْ جَرَّبُوا بِالْأَمْسِ مِنْكَ عَزِيمَةً فَضَلَّتْ بِهَا السَّيْفَ الْحُسَامَ الْمُجَرَّبَا

وقد رأوا بأعينهم مؤخراً عزيمتك التي فضلت بها الحسام (تفوقت على السيف) المجرب

عَدَاةً لَقِيتَ اللَّيْثَ، وَاللَّيْثُ مُخِيرٌ يُحَدِّدُ نَاباً لِلْقَاءِ وَمِخْلَبَا

حدث هذا صبيحة لقائك الأسد وهو مخدر (قابع في خدره، مَحْيَا) يحدد ناباً (يشحد) نابه ومخلبه
 لهذا اللقاء

يُحَصِّنُهُ، مِنْ نَهْرٍ (نَيْزِكَ)، مَعْقِلٌ مَنِيْعٌ تَسَامَى غَابُهُ وَتَأَشَّبَا

كان يحصن الأسد معقل منيع (حصن حصين) هو عبارة عن نهر نيزك، وهذا الحصن تسامى
 (ارتفع) غابه (قصبه) وتأشب (صار منيعاً). ونهر نيزك قناة جرها المتوكل إلى منطقة الجحر في
 سامراء. وكانت بها غابة كبيرة فيها الوحوش على أنواعها فيما يشبه حديقة حيوان. ونهر نيزك كان
 يصب في بركة ضخمة سرى البحري يصفها في قصيدة مشهورة (رقم ١٠٤ هنا)

إِذَا شَاءَ عَادَى عَانَةً، أَوْ عَدَا عَلَى عَقَائِلِ سِرْبٍ، أَوْ تَقَنَصَ رَبْرَبَا

إذا شاء هذا الأسد غادى (أغار صباحاً) عانة (سرباً من حمر الوحش)، أو عدا على (هاجم)
 عقائل سرب (إنائه)، أو تقنص (اصطاد) ربرباً (بقرة وحشية)

يَجْرُ إِلَى أَشْبَالِهِ كُلِّ شَارِقٍ عَيْبَطًا مَدْمَى، أَوْ رَمِيلاً مُخَضَّبَا

يجر الأسد إلى أشباله كل شارق (صباح) عيبطاً مدمى (ذبيحاً ملطخاً بدمه)، أو رميلاً مخضباً
 (ذبيحاً مرغاً بالرمل وملطخاً بدمه)

وَمَنْ يَبْغِ ظُلْمًا فِي حَرِيمِكَ يَنْصَرِفْ إِلَى تَلَفٍ، أَوْ يَتَّخِذَ حَزْبًا أَوْ يَتَّخِذَ حَزْبًا

والذي يريد أن يظلم حريمك (من هم في جوارك وحرملك، أي هذه الحيوانات) يؤول إلى تلف
 (هلاك)، أو يتنهي (يرتد) بالخزي والخيبة

شَهِدْتُ لَقَدْ أَنْصَفْتَهُ يَوْمَ تَنْبَرِي لَهُ مُصْلِتًا عَضْبًا مِّنَ الْبَيْضِ مِقْضَبًا
أشهد أنك أنصفت الأسد (أعطيته جزاءه) عندما انبريت له مصلتاً عضباً (موجهاً سيفاً) من البيض
(السيف) مقضباً (ماضياً)

فَلَمْ أَرْ ضِرْعَامَيْنِ أَصْدَقَ مِنْكُمَا عِرَاكًا، إِذَا الْهَيَّابَةُ النَّكْسُ كَذَّبًا

لم أر أسدين أشد منكما عراكاً، في حين الهياة (الخواف الجبان) النكس (الدون من الرجال) يكذب إذ يتحدث عن شجاعة مزعومة. انتقد القدماء البحري على هذا البيت. وقالوا: الأجدر أن يقول: إن الشجاع يكذب وأما أنت أيها الفتح فأشجع من الشجاع؛ فأما القول إنك أشجع من الجبناء فليس فيه مدح. وأنا أرى أن البحري لا يقارن بل هو كمن يقول: أنت العظيم الشجاع، وليخسأ الجبناء. وجاء شيء كهذا كثيراً في شعر العرب

هَزِيرٌ مَشَى يَبْغِي هَزْبَرًا، وَأَغْلَبُ مِّنَ الْقَوْمِ يَغْشَى بَاسِلَ الْوَجْهِ أَغْلَبًا

هزير (أسد) مشى يريد هزبراً مثله، وأغلب من الناس (ذو رقة غليظة/ ووصف العرب القدماء سادتهم بهذا الوصف) يغشى (يدهم) باسل الوجه (مكشّر الوجه) أغلب (غليظ الرقة) و«الأغلب» من أسماء الأسد على كل حال

فَأَحْجَمَ، لَمَّا لَمْ يَجِدْ فَبِكَ مَطْمَعًا وَأَقْدَمَ، لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبًا

أحجم الأسد عندما وجد أنه لا سبيل للطمع في قهره، لكنه عاد فتقدم إذ لم يجد عنك مهرباً

فَلَمْ يُغْنِهِ، أَنْ كَرَّ نَحْوَكَ مُقْبِلًا وَلَمْ يُنْجِهِ، أَنْ حَادَ عَنْكَ مُنْكَبًا

فلم يفده، ولا نجّاه أن حاد (انحرف) عنك منكباً (متجنباً). وقد وضعنا فاصلة (،) في الشطر الأول، ومثلها في الثاني بغير حاجة ماسة يحوجها توصيل المعنى، لكننا أردنا أن ندلك على طريقة البحري في تقسيم أبياته. وكثيراً ما وضعنا أمثال هذه الفواصل لتكشف صنعة البحري في هذا التقسيم المتوازن المتناظر الجانبين. فكانه الخطاط محمد حسني، الذي كانت لوحاته آيات في التوازن و«التوزيع» بتعبير الخطاطين، فإذا نظرت إلى اللوحة عن بعد رأيت فيها هندسة تروق العين. ووصف بعض القدماء شعر البحري بأن تقسيماته أحسن من تقسيمات إقليدس

حَمَلْتُ عَلَيْهِ السَّيْفَ، لَا عَزْمُكَ انْتَهَى وَلَا يَدُكَ ارْتَدَّتْ، وَلَا حَدُّهُ نَبَا

حملت عليه السيف (هجمت) فلا عزمك تراخى، ولا يدك رجعت بالخيبة، ولا حد السيف نبا (انحرف)

١٠٣ لِدَات أَبِي ثُمَّ لِدَاتِي

يفتخر ويمتاب قوماً من أهل بلده:

أُبْنِي! إِنِّي قَدْ نَضَوْتُ بَطَالَتِي فَتَحَسَّرْتُ، وَصَحَوْتُ مِنْ سَكْرَاتِي

يا بني! أنا نضوت (خلعت) بطالتي (عشي) فتحسرت (انحسرت وزالت)

نَظَرْتُ إِلَيَّ الْأَرْبَعُونَ فَأَصْرَخْتُ شَيْبِي، وَهَزَّتْ لِلْحُنُوِّ قَنَاتِي

نظرت إليّ الأربعون سنة (وهي عمري) فأصرخت شبيبي (جعلته يصرخ/ والشيب عند بعض شعرائنا القدامى يعلن عن نفسه بالصراخ)، وهزت هذه الأربعون للحنو قناتي (جعلت قامتني تهتز، وجعلتها محنية). كان الفرزدق قال: والشيب ينهض في الشباب كأنه/ ليل يصبح بجانيه نهار.. وللفرزدق في هذا «الصباح» عند النهار مسوغ إذ هو يلمح إلى صباح الديك في النهار، وصراخ «البحثري» من باب آخر، ولعله يقصد بأصرخت: أنجذت.. ولم نجد لها وجهاً

وَأَرَى لِدَاتِ أَبِي تَتَابَعَ كُثْرُهُمْ فَمَضَوْا، وَكَرَّ الدَّهْرُ نَحْوَ لِدَاتِي

وأرى لدات أبي (مجايليه/ المولودين وقت مولده) قد تتابع كثرم (أكثرهم) نحو الموت، وكر الدهر (هجم) نحو لداتي أنا

وَمِنْ الْأَقَارِبِ مَنْ يُسَرُّ بِمِيتَتِي سَفْهَاءَ، وَعِزُّ حَيَاتِهِمْ بِحَيَاتِي

من أقاربي من يسرون بموتي لأنهم سفهاء، فحياتي تجلب العز لهم

إِنْ أَبَقَ، أَوْ أَهْلِكَ، فَقَدْ نِلْتُ التِّي مَلَأَتْ صُدُورَ أَصَادِقِي وَعُدَاتِي

سواء أبقى أم هلكت فإنني نلت الأمان التي ملأت صدور أصادقي (أصدقائي) بالسرور، وصدور عداتي (أعدائي) بالغضب

وَعَنِيْتُ، نَدَمَانَ الْخَلَائِفِ، نَابِهَا ذِكْرِي، وَنَاعِمَةَ بِهِمْ نَشْوَاتِي

غنيت (تمتعت) وأنا ندمان (نديم) الخلفاء (الخلفاء)، وذكرى نابه (صيتي منتشر)، ونشواتي (جلسات الخمر) ناعمة بهم (لذيذة مع الخلفاء) يقول: تمتعت وأنا نديم للخلفاء، أجالسهم على الخمر، وتمتعت بالشهرة

وَشَفَعْتُ فِي الْأَمْرِ الْجَلِيلِ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْجَلِيلِ، فَأَنْجَحُوا طَلَبَاتِي

وكنت أشفع للخلفاء في الأمر المهم بعد الأمر المهم، وأنجحوا طلباتي

وَصَنَعْتُ فِي الْعَرَبِ الصَّنَائِعَ عِنْدَهُمْ مِنْ رِفْدِ طُلَّابٍ، وَفَكَ عُنَاةٍ

وصنعت الصنائع (حققت الخدمات) للعرب لدى الخلفاء، ومن ذلك رفق الطلاب (تزويد طالبي الحاجات) وفك العناة (إطلاق الأسرى). والعرب أيامئذ هم بدو الشام، ومنهم البحثري، وبدو العراق؛ وكانوا مستضعفين فقراء مع تغلب العنصر الفارسي ثم التركي في عاصمة الخلافة. وكانوا يقتتلون أو يتمردون على الدولة، ويتعرضون للأسر في الحاليتين. وعند شاعرنا وصف طيب لنزاعاتهم اخترنا منه قطعة على حرف العين (القصيد رقم ٩٢) هي من أجمل شعره وأكثره حرارة

جَدِّي الَّذِي رَفَعَ الْأَذَانَ (بِمَنْبِجٍ) وَأَقَامَ فِيهَا قِبْلَةَ الصَّلَاةِ

جدي هو الذي أدخل الإسلام في منبج (مدينة بشمال سوريا)، وأقام محراباً للصلاة يتجه للقبة

١٠٤ وصف بركة المتوكل

يمدح المتوكل، ويصف البركة:

مِيلُوا إِلَى الدَّارِ مِنْ لَيْلَى نُحْيِيهَا نَعَمْ، وَنَسْأَلُهَا عَنْ بَعْضِ أَهْلِهَا
ميلوا (عرجوا) إلى الدار، دار ليلي نحييها، ونسألها عن بعض أهلها (عن ليلي التي رحلت عنها)

يَا دِمْنَةَ جَادِبَتْهَا الرِّيحُ بِهِجَّتَهَا تَبَيَّتْ تَنْشُرُهَا طَوْرًا، وَتَطْوِيهَا
يا دمنة (خربة) جاذبتها الريح بهجتها (أخذت الريح تشد بهجتها منها، فالريح تشد والدار تشد ويتجاذبان حتى فقدت الدار بهجتها)، والريح تنشر الرمل على آثار الدار الخربة ثم تطويه، فكأنها تنشر الديار ثم تطويها

قَدْ أَطْرُقَ الْعَادَةُ الْحَسَنَاءُ مُقْتَدِرًا عَلَى الشَّبَابِ، فَتُضَيِّنِي وَأُضِيئُهَا
قد أطرق العادة الحسنة (أزورها ليلاً)، وأنا ممتلئ بطاقة الشباب، فتضيئني (تستهويني) وأضيئها
فِي لَيْلَةٍ، لَا يَنَالُ الصُّبْحُ آخِرَهَا، عَلِقْتُ بِالرَّاحِ أَسْقَاهَا وَأَسْقِيهَا
لطول الليلة لا يكاد الصبح يصل بها إلى نهايتها؛ وأنا متعلق بالخمير، والمحبوبة تصب لي، وأنا أصب لها

عَاطَيْتُهَا غَضَّةَ الْأَطْرَافِ مُرْهَفَةً، شَرِبْتُ مِنْ يَدِهَا خَمْرًا، وَمِنْ فِيهَا
عاطيتها (أخذت وأعطيت الخمر) مع غضة الأطراف مرهفة (فتاة ناعمة الأطراف)،
كأنه ينظر بعين خياله إلى أصابعها وهي تناوله القدح)، وشربت الخمر من يدها،
ومن فمها أيضاً

يَا مَنْ رَأَى الْبِرْكََةَ الْحَسَنَاءَ رُؤْيَتْهَا، وَالْأَنَسَاتِ، إِذَا لَاحَتْ مَغَانِيهَا
يا من رأى البركة الحسنة رؤيتها (التي تحسن رؤيتها)، ورأى الفتيات، إذ بدت مغانيها (أماكنها)،
وقال بطرس البستاني إنه كان للجواري مقصورات للاغتسال حول البركة

بِحَسْبِهَا أَنَّهَا، مِنْ فَضْلِ رُبَّتِهَا، نَعْدُ وَاحِدَةً، وَالْبَحْرُ ثَانِيهَا
يكفي البركة أنها، لعلو منزلتها، تعتبر واحدة (الأولى)،
والبحر (نهر دجلة) يأتي ثانياً بعدها

مَا بَالُ دِجْلَةَ كَالْغَيْرَى تُنَافِسُهَا فِي الْحُسْنِ طَوْرًا، وَأَطْوَارًا تُبَاهِيهَا؟
ما بال دجلة غيرى تنافس البركة في الحسن وطوراً وتباهيها؟

أَمَّا رَأَتْ كَالِإِسْلَامِ يَكْلُوْهَا مِنْ أَنْ تُعَابَ، وَبَانِي الْمَجْدِ يَبْنِيهَا؟
ألم تر دجلة كالي (حامي) الإسلام يكلوها من أن يلحق بها عيب (ذلك هو المتوكل على الله)

كَأَنَّ جِنَّ سُلَيْمَانَ الَّذِينَ وَلُوا إِبْدَاعَهَا، فَأَدَقُّوا فِي مَعَانِيهَا
 كَانَ الْجَنِّ الَّذِينَ سَخَّرُوا لِسُلَيْمَانَ وَبَنُوا لَهُ الْقُصُورَ هُمُ الَّذِينَ وَلُوا (تَوَلَّوْا) إِنْشَاءَ الْبَرَكَةِ، فَأَدَقُّوا
 (تَفَنَّنُوا) فِي مَعَانِيهَا (فِي رَمُوزِهَا، فَهِيَ رَمَزُ لِعَظَمَةِ الْخَلِيفَةِ)

فَلَوْ تَمَرُّ بِهَا بِلَقَيْسٍ عَنْ عُرْضٍ قَالَتْ: هِيَ الصَّرْحُ، تَمْثِيلًا وَتَشْبِيهًا
 لو مرت الملكة بلقيس بالبركة عن عرض (من جانبها) لقاتل إن البركة هي الصرح
 (القصر الزجاجي الذي بناه سليمان). وكانت بلقيس ظنت أرضية البهو، عندما وردت
 على سليمان، مغمورة بالماء فرفعت طرف ثوبها، ولكن الأرض كانت من زجاج
 و.. جافة

تَنْحَطُّ فِيهَا وَفُودُ الْمَاءِ مُعْجَلَةً كَالْخَيْلِ خَارِجَةً مِنْ حَبْلِ مُجْرِيهَا
 تنحط (تنصب هابطة) في البركة المياه وافدة من دجلة كأنها الوفود المعجلة (التي وراءها من
 يستعجلها)، وهي تشبه خيل السباق عندما تخرج متدفعة إذ يفلت الشخص الذي يجريها لها الحبل
 إيذاناً ببدء السباق

كَأَنَّمَا الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ، سَائِلَةٌ مِنْ السَّبَائِكِ، تَجْرِي فِي مَجَارِيهَا
 كأن الفضة البيضاء - وهي سائلة من سبائكها عند الصائغ - تجري في قنوات المياه القادمة من
 دجلة إلى البركة

إِذَا عَلَتْهَا الصَّبَا أَبْدَتْ لَهَا حُبُكًا مِثْلَ الْجَوَاشِينِ، مَصْفُولًا حَوَاشِيهَا
 إذا مرت ريح الصبا فوق البركة أظهرت حبكاً (تموجات) مثل الجواشن (الدروع)
 التي صقلت حواشيتها (أطرافها)، شبه سطح الماء المتموج بالدروع المنسوجة
 من حلقات الحديد

فَرَوْنَقُ الشَّمْسِ، أَحْيَانًا يُضَاحِكُهَا وَرَيْقُ الْغَيْثِ، أَحْيَانًا يُبَاكِبُهَا
 رونق الشمس (ضوءها) يصاحك البركة أحياناً وينعكس فوقها، وريق الغيث (أول المطر) أحياناً
 يباكيها (يقطر على سطحها فتستجيب لقطراته)

إِذَا النُّجُومُ تَرَاءَتْ فِي جَوَانِبِهَا لَيْلًا، حَسِبْتَ سَمَاءً رُكِبَتْ فِيهَا
 لا يَبْلُغُ السَّمَكُ الْمَحْضُورُ غَايَتَهَا لِبُعْدِ مَا بَيْنَ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا
 واسعة هذه البركة فلا يكاد السمك المحصور فيها يصل إلى آخرها. لست أعرف سرعة ذلك
 السمك ولا حيوته، على أن (الأغاني) يخبرنا أنه بلغ من اتساع هذه البركة أن كان المتوكل يعث
 بالشاعر الماجن أبي العبر فيأمر بأن يُقذف به بالمنجنق من شاطئ البركة فيقع فيها. لا بد أنها
 كانت كبيرة

يَعْمُنَ فِيهَا بِأَوْسَاطٍ مُجَنَّحَةٍ، كَالطَّيْرِ تَنْفُضُ فِي جَوْ خَوَافِهَا

تعموم الأسماك ووسط جسمها مجنح بالزعانف، فكانها الطير التي تنفض في الجو خوافها (ريشاتها)، وخوافها حقها النصب بفتحة على الباء واضطر الشاعر. (كنت في نحو العشرين من العمر عندما عهد إليّ بإخراج الكتاب السنوي للجامعة، وكنت في السنة الثانية. وجدت صورة لفتاة من الخريجات، كانت الفتاة محجبة، فلما أخذت لها صورة لنشرها في الكتاب السنوي خلعت الحجاب. فإذا هي نور على نور. فكبرت الصورة وجعلتها في صفحة وحدها، وكتبت تحتها «طيف أأناني في المنام وقال... هيهات أن يخفي الحجاب جمالا». ومرت أربعون سنة. وجاءني الصديق خالد سليم، وهو لغوي مدقق، وأشدني هذا البيت. فابستمت، فاستفسر. فقلت له: هذا البيت لي. وقصصت عليه قصته. ولم يترك القصة تمر كنادرة طريفة جاءته بعد أربعين سنة، فقال: «أن يخفي» حقها أن تكون «أن يخفي» بفتحة على الباء. فأفسد عليّ بيتي. على أنني أقول: المضارع الواوي واليائي أحمل نصبه الشعراء كثيراً، ويقع فيه المذيعون ليل نهار. وثمة بيت فيه معنى من أبدع المعاني وسأقص قصته: اجتمع الناس وفيهم أبو الشيص الشاعر ببغداد يتناشدون الأشعار. فإذا شاب في أخريات المجلس يشدهم، ومر في إنشاده بيت يصف فيه شعره: (تغاير الشعر فيه إذ سهرت له/ حتى ظننت قوافيه سقتل)، فكان أبيات الشعر غار أحدها من الآخر وأصبحت كلمات القافية تقتل لكي تحل في مواضعها. عندما مر هذا البيت عقد أبو الشيص خنصره. ثم انفض المجلس. وعلق أحد الحاضرين: للآن ما دريت أعقد أبو الشيص خنصره لروعة البيت أم لأن الشاب المنشد لم ينصب كلمة (قوافيه) اضطراراً. وللآن لا ندري لم عقد أبو الشيص خنصره. لكننا ندري أن ذلك الشاعر الشاب كان أبا تمام

لَهُنَّ صَحْنٌ رَحِيبٌ فِي أَسَافِلِهَا إِذَا انْحَطَطْنَ، وَبَهُؤٍ فِي أَعَالِيهَا
للسمك صحن (قاع) واسع في أسفل البركة إذا انحططن (هبطن)، ولهن بهو (صالة) في الأعلى

صُورٌ إِلَى صُورَةِ الدُّلْفَيْنِ، يُؤْنَسُهَا مِنْهُ انْزِوَاءٌ بِعَيْنَيْهِ، يُوَارِيهَا
الأسماك صور (مائلات) تنظر بخوف إلى تمثال الدلفين بجانب البركة، ولكنها تطمئن إذ ترى عينيه منزويتين إلى الجهة الأخرى، فهذا الانزواء كأنه يوارى الأسماك عنه. كل الطبعات تصر على أنها (يوازها) بالزاي، وأنا أقرأ (يوارها) بالراء. وقراءتي تجعل للبيت معنى جميلاً. وأما يوازها فليست بشيء. إذا لقينا البحر في جنة أو في نار فسوف نسأله أي الوجهين يختار، ويغلب على ظني أنه سيقول: أنستني أهوال الموقف كل شعري

تَغْنَى بَسَاتِينُهَا الْقُصْوَى، بِرُؤْيَيْهَا، عَنِ السَّحَائِبِ مُنَحَلًّا عَزَالِيهَا

تغنى (تستغني) بساتين البركة القصوى (البعيدة) بمجرد رؤيتها للبركة عن الغيوم التي انحلت عزاليها (العزالي: فتحات القرب السفلية، فإذا أرادوا إفراغ القربة من مائها لملئها بماء جديد فكوا فمها، وفكوا عزلاتها، فينزل الماء من العزلة سريعاً) مرة أخرى بعضهم أراد بدل (برؤيتها) (برؤيتها). أي أن البركة تروي البساتين البعيدة. وهذا ليس شعراً بل زراعة وبستنة. فأما أن تكون البساتين - البعيدة - تكتفي بمجرد رؤية البركة وتستغني عن المطر فهذا، أي نعم، شعر

كَأَنَّهَا حِينَ لَجَّتْ فِي تَدْفُقِهَا يَدُ الْخَلِيفَةِ، لَمَّا سَالَ وَادِيهَا

قنوات البركة عندما لجت (تلاطمت) متدفقة بالمياه كأنها يد الخليفة المتدفقة بالمال

وَزَادَهَا زِينَةً، مِنْ بَعْدِ زِينَتِهَا، أَنَّ اسْمَهُ، حِينَ يُدْعَى، مِنْ أَسَامِيهَا
زاد القنوات جمالاً فوق جمالها أن اسم الخليفة هو بعض أسمائها (واسمه جعفر، وجعفر بعض
أسماء الجدول، ومعنى جعفر «النهر الصغير»)

مَحْفُوفَةٌ بِرِيَاضٍ، لَا تَرَالُ تَرَى رِيشَ الطَّوَاوِيسِ تَحْكِيهِ وَيَحْكِيهَا

البركة محفوفة (محاطة) برياض. وأنت ترى ريش الطواويس فتجده يحكيها (يشبهها)

إِذَا مَسَاعِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَدَتْ لِلْمَوَاصِفِينَ، فَلَا وَصْفَ يُدَانِيهَا

مساعي (أمجاد)

إِنَّ الْخِلَافَةَ، لَمَّا افْتَرَزَ مِنْبَرُهَا بِجَعْفَرٍ، أُعْطِيَتْ أَقْصَى أَمَانِيهَا

يتولى جعفر الخلافة نال هذا المنصب كل ما يتمنى من عز وقوة

أَبْدَى التَّوَاضُعَ لَمَّا نَالَهَا، رِعَةً مِنْهُ، وَنَالَتُهُ فَاخْتَالَتَ بِهِ نَبِيهَا

لما نال جعفر المتوكل على الله الخلافة أبدى التواضع رعة (ورعاً وتقوى)؛ وأما الخلافة فعندما
نالت جعفرًا اختالت (تكبرت) نبيها (غروراً)

مَا ضَبَعَ اللَّهُ، فِي بَدْوٍ وَلَا حَضَرٍ، رَعِيَّةً أَنْتَ، بِالْإِحْسَانِ، رَاعِيهَا

وَأُمَّةٍ كَانَ قُبْحُ الْجَوْرِ يُسْخِطُهَا دَهْرًا، فَأَصْبَحَ حُسْنُ الْعَدْلِ يُرْضِيهَا

رب أمّة كان الجور (الظلم) يغضبها، أصبحت راضية بعدلك. وقبل المتوكل كان أخوه الواثق
شديداً، وكان كثير الإهانة للمتوكل، بل كان يأمر الوزير ابن الزيات بتوبيخه، وجاء المتوكل فقتل
ابن الزيات بعد بضعة أشهر تعذيباً، ورجع عن سياسة أخيه في مسألة خلق القرآن فاستراح أهل
السنة. ولكنه شدد على الطالبين فامتعض الشيعة من حكمه. وفي أيام المتوكل كان الشعراء
يقذحون في أخيه الواثق والمتوكل راضٍ مسرور (علي بن الجهم: أنا المتوكلي هوى ورأياً/ وما
بالواقفية من خفاء).

مَا زِلْتُ تُرْجَى لِعَافِيَا، فَكَيْفَ وَقَدْ قَابَلْتَنَا وَلَكَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا؟

كنت رجاء لعافينا (فقيرنا) يرجوك رجاء قبل الخلافة، فكيف الآن وأنت تقابلنا ولك الدنيا وما
فيها؟ «قابلتنا» هذه قلقه، وأحسن منها (أتيتنا) لو كان قالها، لكن لم ترد لا عند الصيرفي ولا
الجوانب ولا البرقوقي

أَعْطَاكَهَا اللَّهُ عَنْ حَقِّ رَأَاكَ لَهُ أَهْلًا، وَأَنْتَ بِحَقِّ اللَّهِ تُعْطِيهَا

أعطاك الله الدنيا (متاع الدنيا والأموال) وهي حق لك، وأنت أهل له، وأنت تمنح الأموال للناس
بالحق

١٠٥ فساد العمال

قال في رجل كان يتولى بريد الرقة واسمه نهشل:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَمَّا غِيَاثُ نُؤْمَلُهُ؛ فَقَدْ طَالَ الْقُنُوطُ؟

غياث (إعانة)

أَبَى عُمَّالُنَا إِلَّا فُسُوقاً لِكُلِّ مِنْ أَحَبَّتْهُمْ شُرُوطُ

المقربون للولاة يشترطون.. وشروطهم واضحة من البيت التالي..

فَمِنْ وَالٍ يُلَاطُ بِهِ فَتَحْزَى رَعِيَّتُهُ، وَمِنْ وَالٍ يَلُوطُ

تخزي (يصيبها العار). وكان اللواط في ذلك الزمن منتشرًا

وكان مجتمع الطبقة الحاكمة متساهلاً بشأنه

١٠٦ إما عدل وإما عفو

يمدح المتوكل:

شَرَفًا بَنِي الْعَبَّاسِ إِنَّ أَبَاكُمْ عَمُّ النَّبِيِّ وَعِيْضُهُ الْمُتَفَرِّعُ

فلتشرّفوا شرفاً يا بني العباس، فأبوكم (جدكم الأعلى) هو عم النبي، وعيْضه (شجرته العظيمة) المتفرع، أي العالي. يقصد أن العباس من «أصول» النبي، والعم من الأصول. سيقول شوقي بعد ألف سنة (شرفاً أبا العباس، هذا مُلْكُ مصرَ وذي خزائنه، وذلك دَسْتُه) في مدح الخديوي توفيق، وكان شوقي من المفتونين بالبحثري

وَأَرَى الْخِلَافَةَ، وَهِيَ أَعْظَمُ رُتْبَةٍ، حَقًّا لَكُمْ، وَوِرَاثَةً مَا تُنْزِعُ

الخلافة حق لكم بالوراثة. وكان الشعراء في عهد هارون الرشيد قد استنفدوا هذا المعنى وقرروا أن بني العم أحق بالوراثة من بني البنت؛ أي أن العباسيين، بني العباس عم النبي، أولى بالخلافة من العلويين أبناء بنت الرسول فاطمة (مروان بن أبي حفصة: أنى يكون وليس ذاك بكائن/ لبني البنات وراثة الأعمام). وهذه مساهمة بسيطة من البحثري، رغم ما قيل من أنه كان يميل شيئاً ما إلى آل البيت. إن كان مؤسفاً أن يدور نقاش كهذا في عصر زاهر كالعصر العباسي، فاقراً ما يكتبه شبابنا الناهض في منتديات الإنترنت عن حق الخلافة بين الشيعة والسنة واستحمد العصر العباسي وتغفر له سيئاته؛ اقرأ الشتائم التي يتبادلها أبناء الطوائف والأديان، واقرأ وراءها كمية الحقد الدفين

مَا زَالَ لِي مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ مَوْئِلٌ أَوْيَ إِلَيْهِ مِنَ الْخُطُوبِ، وَمَفْزَعُ

ما زال لي من حسن رأيك (مضاك) موئل (ملجأ) من المصائب، ومفزع (ملجأ)

فَعَلَامَ أَنْكَرْتَ الصَّدِيقَ، وَأَقْبَلْتَ نَحْوِي رِكَابَ الْكَاشِحِينَ تَطْلَعُ؟

فلماذا أنكرت من هو لك صديق، وجاءتني ركاب الكاشحين
(وفود المبطنى العداوة) يتطلعون إليّ بشماتة

وَأَقَامَ يَطْمَعُ فِي تَهْضُمِ جَانِبِي مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ فِيهِ يَطْمَعُ؟

وأقام (صار) يطمع في تهضم جانبي (انتقاص حقي) من لم يكن يجرو على ذلك وأنت عليّ راضٍ

إِلَّا يَكُنْ ذَنْبٌ، فَعَدْلُكَ وَاسِعٌ أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ، فَعَفْوُكَ أَوْسَعُ

إن لم يكن لي ذنب فعذلك واسع، وإن كان لي ذنب عفوك أوسع. استشهد ابن زيدون في رسالته الجدية بهذا البيت. وسترانا في كتب خمسة نورد فيها زبدة الشعر العربي لا نلتفت إلى الأندلس. كانوا مقلدين. ويجعل الأكاديميون في زمننا ابن زيدون على رأس شعراء الأندلس، وقد لزمناه مدة، وخلصنا إلى أنه مقلد، وله فلتات قليلات كقوله (يقرع السن على أن لم يكن.. زاد في تلك الخطى إذ ودعك) أي أنه نادم لأنه لم يسر مع المحبوب خطوات إضافية ساعة الوداع. وقصيدته التي لا تمل كتب المدارس من تعذيب الطلبة بها (أضحى الثنائي) ليست سوى تمرين في التناظر النصفى.. فكل شطر قد حلف يميناً بالله أن يكون عكس الشطر المقابل له.. شيء يغني النفس. هذا شيء ليس بحسن، ولا حتى في الزخرفة. لأمر ما أحب ابن زيدون هذا البيت المتناظر نصفياً للبحري. وعند أبي عبادة كثير من التقسيم.. لكنه خفيف على القلب

١٠٧ المتوكل القتيل

قال يرثي المتوكل:

مَحَلٌّ عَلَى (الْقَاطُولِ) أَخْلَقَ دَائِرُهُ وَعَادَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ جَيْشًا تُغَاوِرُهُ

هذا الموقع على نهر القاطول (قصر الجعفري الذي فيه قتل المتوكل) قد أخلق (بلي) دائره (ما دثر وتهدم من بنائه)، وعادت صروف (مصائب) الزمن وكأنها جيش يغاوره (يشن الغارات عليه). اضح من هذا المطلع أن رثاء المتوكل جاء بعد مدة طويلة من قتله، فالقصر متهدم. وفي هذه المدة مات المنتصر ابن الخليفة الذي تأمر على أبيه، وزال الخطر عن البحري. وأما ما قاله بعض النقاد (ثعلب)، ونقلنا كلامه من زهر الآداب) من أن البحري «صرح تصريح من أذهلته المصائب عن تخوف العواقب» فلا يستقيم مع ما عُرف عن البحري من جبن. والأمثل أن البحري قال الرثاء الحار ضمن هذه القصيدة يوم مقتل المتوكل أملاً أن يتولى المعتز الخلافة، ثم آل الأمر سريعاً إلى المنتصر، فحبس البحري القصيدة. وبعد زمن طويل أضاف إليها وصف أطلال قصر الجعفري، ثم أظهرها. ويقول زكي مبارك في «الموازنة بين الشعراء» إن البحري كان في قصيدته هذه «من أشجع الناس وأوفاهم..». ويورد كلمة ثعلب. أما الشجاعة فلم يذكرها أحد للبحري قبل زكي مبارك.. وأما الوفاء فنحب أن نورد عليك ما قاله شارل بللا في دائرة المعارف الإسلامية: «خلفاً لكل توقع لا يبدو أن البحري رثا أبا تمام الذي كان أول من شجعه، وكان أبرز من تعلم البحري على

يديه، وهذه أولى بوارد النكران والانتهازية؛ وسيقدم البحري لاحقاً الدليل الساطع عليهما. (ط ١٩٨٦ ليدن، ص ١٢٩٠، ج ١). ولعل المحصلة هي أن البحري لحق به الغم بعد مقتل المتوكل فحج البيت، ثم عاد سريعاً ليمدح ابنه، المتأمر على قتله، المنتصر. ومات المنتصر بعد ستة أشهر من مقتل أبيه. وروى الصولي في أخبار البحري أنه سأل ابن المعتز: أكان البحري يجسر أن يقول لما قتل المتوكل في يوم المنتصر: لنعم الدم المسفوك. (وروى ثلاثة أبيات) فقال [ابن المعتز]: إنما عمل هذه الأشعار في أيام المعتز، يتقرب بها إليه. «وملاحظة الصيرفي محقق الديوان مهمة إذ يقول: «والأبيات التي ذكرت هنا فيها حرارة متصلة بالحرارة التي تصدر القصيدة كلها. ولو كان قد نظمها في أيام المعتز لفترت حرارتها. «إن كافة الأدلة موجودة في كلمات القصيدة، وكلما أمعن المرء فيها استخرج براهين جديدة على الأوقات التي نظمت فيها شذراتها

كَأَنَّ الصَّبَا تُوْفِي نُدُورًا إِذَا انْبَرَتْ تَرَاوِحُهُ أَذْيَالُهَا وَتَبَاكِرُهُ
ريح الصبا، التي تمر على هذا الموقع مرة بعد مرة، مصممة على تهديمه، فكانها توفي نذراً نذرته بأن تُخَرَّبَ القصر، وأذْيَالُ هذه الريح تراوح القصر وتباكره (تأتيه بكرة وعشياً)

وَرُبَّ زَمَانٍ نَاعِمٍ ثُمَّ عَهْدُهُ تَرَقُّ حَوَاشِيهِ، وَيُونِقُ نَاصِرُهُ
ورب زمان ناعم (رغد) ثم (هناك) كان عهده، وكان زماناً ترق حواشيه (تهنأ أيامه) ويونق ناصره (تسر القلب نضارته)

تَغَيَّرَ حُسْنُ الْجَعْفَرِيِّ، وَأَنَسُهُ وَقُوضَ بَادِي الْجَعْفَرِيِّ، وَحَاضِرُهُ
انقلب حال قصر الجعفري، وتقوض (انهدم) باديه وحاضره (أي كل شيء فيه). البدو والحضر هم كل الناس بحسب مفهوم ذلك الزمان. فإذا قلت البادي والحاضر فكأنك تقول الأخضر واليابس، أي كل شيء، ومن أتى بالتقيضين فقد شَمَلَ

تَحَمَّلَ عَنْهُ سَاكِنُوهُ فُجَاءَةً فَعَادَتْ سَوَاءَ دُورُهُ وَمَقَابِرُهُ
تحمل (رحل) ساكنو القصر فجأة بعد مقتل المتوكل، فأصبحت سواء (متساوية) الدور والمقابر فيه

إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهُ أَجَدَّ لَنَا الْأَسَى وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يَبْهَجُ زَائِرُهُ
إذا زرناه الآن أجدّ (جدد) لنا الأسى (الحزن)، وكان في أيام عزه يهيج (يتنهج) زائره

وَلَمْ أَنَسْ وَخَشَ الْقَصْرَ إِذْ رِيعَ سِرُّهُ وَإِذْ ذُعِرَتْ أَطْلَاؤُهُ وَجَاذَرُهُ
لم أنس الوحوش هناك إذ ريع سربها (أخيفت ففترت)، وإذ ذعرت الأطلاء (صغار الطباء) والجاذر (صغار المها). وقيل إن ذلك الموضع كان فيه شبه حديقة حيوان، وكان فيها من كل الحيوانات حتى الأسود. ولا أرى تفسيراً للبيت غير ما فسرت

وَإِذْ صَبَحَ فِيهِ بِالرَّحِيلِ فَهَتَّكَتْ، عَلَى عَجَلٍ، أَسْتَارُهُ وَسَرَائِرُهُ

لم أنس عندما صاح القوم بالرحيل، فهتكت (خلعت) بسرعة الستائر، وما كان أكثرها في الجعفري، لحجب النساء، وسرائره (ما يخفيه من أسرار) هتكت أيضاً. وقال لنا بعض المؤرخين إن المتوكل كان لديه أربعة آلاف جارية، وزادوا بأنه وطهن كلهن

وَوَحْشَتُهُ، حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يُقِمْ بِهِ أُنَيْسٌ، وَلَمْ تَحْسُنْ لِعَيْنٍ مَنَاطِرُهُ

وَلَمْ أُنْسَ وَحْشَةَ الْقَصْرِ، فَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَزْلاً لِلأُنَيْسِ (البشر)، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَطَّ جَمِلاً

كَأَنَّ لَمْ تَبْتَ فِيهِ الْخَلَافَةُ طَلْقَةً بَشَاشَتُهَا، وَالْمُلْكُ يُشْرِقُ زَاهِرُهُ

وَكَانَ الْخَلَافَةُ لَمْ تَكُنْ مَقِيمةً فِيهِ طَلْقَةً (سعيدة) ذَاتَ بَشَاشَةٍ، وَالْمُلْكُ زَاهِراً

وَلَمْ تَجْمَعِ الدُّنْيَا إِلَيْهِ بِهَاءِهَا وَبَهْجَتِهَا، وَالْعَيْشُ غَضٌّ مَكَاسِرُهُ

وَكَانَ جَمَالُ الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ يَجْتَمِعُ فِي ذَلِكَ الْقَصْرِ، هَذَا عِنْدَمَا كَانَ الزَّمَانُ غَضُّ الْمَكْسَرِ (طري العود/أي كان زمناً حلواً). بِالطَّبِيعِ، كَانَ الْخَرَاஜُ يَجْبَى مِنَ الْفَلَاحِينَ فِي الْبِلَادِ وَيُصَبُّ فِي حِضْنِ الْخَلِيفَةِ لِيُنْفَقَ عَلَى نِسَائِهِ وَشِعْرَائِهِ. كَانَتْ حَقّاً تَجْمَعُ الدُّنْيَا لِنَتِصَبِّ فِي الْجَعْفَرِيِّ. وَإِذَا بَدَتْ لَكَ عَزِيزِي الْقَارِئُ هَذِهِ الْمَلَاخِظَةُ اشْتِرَاكِيَّةً فَاسْمَعِ الْجَوَاهِرِي، وَكَانَ شُيُوعِيّاً، يَتَوَجَّعُ لِلْجَعْفَرِيِّ عِنْدَمَا زَارَ أَطْلَالَ: (وَلَقَدْ شَجَّنِي عِبْرَةُ رُقْرُقَةٍ/ حَيْرَانَةٍ فِي الْعَيْنِ عِنْدَ دُخُولِهِ). عَلَى أَنَّا لَا نَحَاكُمُ عَصراً بِمَعَايِيرِ عَصَرِ آخَرٍ

فَأَيْنَ الْحِجَابُ الصَّعْبُ حَيْثُ تَمَنَعْتُ بِهِيَبَتِهَا أَبْوَابُهُ وَمَقَاصِرُهُ؟

أَيْنَ الْحِجَابُ الصَّعْبُ (مَنْعَ الْقَاصِدِينَ مِنَ الدُّخُولِ إِلَّا بِإِذْنٍ شَدِيدٍ)؟، وَكَانَ هَذَا الْحِجَابُ يَسْبِغُ عَلَى أَبْوَابِ الْقَصْرِ وَمَقَاصِرِهِ (غُرْفَةٍ) هِيئةً كَبِيرَةً

وَأَيْنَ عَمِيدُ النَّاسِ فِي كُلِّ نَوْبَةٍ تَنْوُبُ، وَنَاهِي الدَّهْرِ فِيهِمْ وَآمِرُهُ؟

وَأَيْنَ عَمِيدُ النَّاسِ (مَرْجِعُهُمْ) فِي كُلِّ نَوْبَةٍ (مَشْكَلَةٍ) تَتَوَبَّعُهُمْ (تَعْرِضُ لَهُمْ)، وَالَّذِي كَانَ يَنْهَى وَيَأْمُرُ الزَّمْنَ، فَيُطِيعُهُ الزَّمَنُ؟

تَخْفَى لَهُ مُغْتَالُهُ تَحْتَ غِرَّةٍ، وَأَوَّلَى لِمَنْ يَغْتَالُهُ لَوْ يُجَاهِرُهُ

تَخْفَى لَهُ مُغْتَالُهُ تَحْتَ غُرَّةٍ (خُدْعَةٍ)، وَأَوَّلَى بِالْقَاتِلِ أَنْ يَكُونَ شَجَاعاً فَيُجَاهِرُ الْخَلِيفَةَ وَيَنَازِلُهُ وَلَا يَتَأَمَّرُ. أَبَا عِبَادَةَ! إِذْنُ لَا يَعُودُ هَذَا اغْتِيَالاً!

فَمَا قَاتَلْتُ عَنْهُ الْمُنُونُ جُنُودَهُ وَلَا دَافَعْتُ أَمْلَاكُهُ وَذَخَائِرَهُ

لَمْ تَتَصَدَّ جُنُودُ الْخَلِيفَةِ لِلْمُنُونِ (الْمَوْتِ) دِفَاعاً عَنْهُ، وَلَا دَافَعْتُ عَنْهُ مَمْلَكَاتِهِ وَكُنُوزَهُ

وَلَا نَصَرَ الْمُعْتَرِّ مَنْ كَانَ يُرْتَجَى لَهُ؛ وَعَزَّيْزُ الْقَوْمِ مَنْ عَزَّ نَاصِرُهُ

وَلَمْ يَنْصُرِ الْأَمِيرَ الْمُعْتَرِّ ابْنَ الْمُتَوَكَّلِ مَنْ كَانَ يَرْتَجَى أَنْ يَنْصُرَهُ، (وَلِلَّذَلِكَ فَازَ الْمُتَنَصِّرُ ابْنَهُ الْآخَرَ بِالْخَلَافَةِ، ثُمَّ عَزَلَ أَخُوهُ الْمُعْتَرِّ وَالْمُؤَيَّدُ عَنْ وَلايَةِ الْعَهْدِ؛ وَالْعَزِيزُ هُوَ مَنْ يَجِدُ لَهُ سِنْدًا قَوِيًّا

تَعَرَّضَ رَبُّبُ الدَّهْرِ مِنْ دُونِ «فَتْحِهِ» وَغُيِّبَ عَنْهُ فِي خُرَاسَانَ «طَاهِرُهُ»

اعْتَرَضَ رَبِيبُ الدَّهْرِ (الْمُصِيبَةُ) لِفَتْحِهِ (الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ وَزِيرَ الْمُتَوَكَّلِ الَّذِي قَتَلَ مَعَهُ)، وَكَانَ قَاتِلَهُ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ غَائِباً فِي خُرَاسَانَ

وَلَوْ عَاشَ مَيِّتٌ، أَوْ تَقَرَّبَ نَازِحٌ لَدَارَتْ مِنَ الْمَكْرُوهِ نَمَّ دَوَائِرُهُ

ولو عاش له الفتى، أو كان طاهر قريباً، لكانت الدوائر دارت ثم (هناك) على المعتدين

وَلَوْ لِعُبِيدِ اللَّهِ عَوْنٌ عَلَيْهِمْ لَصَاقَتْ عَلَى وَرَادٍ أَمْرِ مَصَادِرُهُ

ولو وجد عبيد الله، أخو الفتى، أنصاراً لصاقت على المهاجمين الواردين طريق الصدور (العودة) بعد تنفيذ خطتهم

حُلُومٌ أَضَلَّتْهَا الْأَمَانِي، وَمُدَّةٌ تَنَاهَتْ، وَحَنَفٌ أَوْشَكْتُهُ مَقَادِرُهُ

حُلُوم (عقول) أضلتها الأماني، فكل ما قلت في الآيات السابقة أمانيات مستحيلة؛ هذا أجلُ تحققٍ وغمر وصل متناه، وحنف (موت) أوشكته مقاديره (أسرعت به أفدائه). التسويد من أحمد عبد الرحيم، وكتب: «هذا بيت قصيد القصيدة»

وَمُتَّصَبٌ لِلْقَتْلِ لَمْ يُخْشَ رَهْطُهُ وَلَمْ يُحْتَشَمْ أَسْبَابُهُ وَأَوَاصِرُهُ

هذا الخليفة الذي قتل غصباً (بغير رضا الفقهاء ولا مشورة أحد) لم يخش قاتلوه رهطه (قومه) ولم يحتشموا (يراعوا) أسبابه (مرجعيتيه وأحققيته) وأواصره (أقاربه). وزراء وكبراء وقواد كثر قتلوا في العشرين سنة التي سبقت مقتل المتوكل وفي عشرات السنين التي تلتها، وكانت مؤسسة الخلافة حريصة دائماً على نيل صك فقهى بقتلهم، سواء برضا الفقهاء الحقيقي أم بختلهم. واضطر الخلفاء في عدة نوبات إلى قتل الكبراء بالعطش، يقدمون لهم الطعام الفاخر ويمنعونهم الماء، ويحرصون على ألا يظهر على الجنة أثر لتعذيب. وسيموت بالتعطيش ابن المتوكل المعتز بالله بعد سنوات قليلة. لعل البحري استعمل كلمة (مغتصب) ليشير إلى أن قتل المتوكل كان اغتصاباً وخروجاً عن مألوف

صَرِيحٌ تَقَاضَاهُ السُّيُوفُ حَشَاشَةً يَجُودُ بِهَا وَالْمَوْتُ حُمُرٌ أَظَافِرُهُ

صريح (ملقى أرضاً) تقاضاه السيوف حشاشة (تأخذ منه السيوف بقية روحه)، وهو يجود بروحه بينما الموت يطل عليه بأظافر حمر

أَدَافِعُ عَنْهُ بِالْيَدَيْنِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَشْنِي الْأَعَادِي أَعَزَلَ اللَّيْلِ حَاسِرُهُ

البحري هنا يتكلم عن نفسه، فقد حضر المقتلة. ويقول إنه دافع القتل بيديه، ولكن لم يكن ليشيهم (يرددهم) رجل أعزل في تلك الليلة وحاسر (لا يلبس خوذة). قيل: بل اختبأ البحري خلف الباب

وَلَوْ كَانَ سَيْفِي سَاعَةَ الْقَتْلِ فِي يَدِي دَرَى الْقَاتِلُ الْعَجَلَانُ كَيْفَ أُسَاوِرُهُ

لو كان سيفي - يقول أبو عباد - في يدي ساعة قتلوا المتوكل لعرف القاتل المستعجل كيف أساوره (أوابه، وأبارزه)

حَرَامٌ عَلَى الرَّاحِ بَعْدَكَ، أَوْ أَرَى دَمًا بِدَمٍ يَجْرِي عَلَى الْأَرْضِ مَائِرُهُ

أحرم على نفسي الراح (الخمر) بعدك، حتى أرى دم قاتلك يجري على الأرض مائره (المائر: المترقق) مقابل دمك

وَهَلْ أَرْتَجِي أَنْ يَطْلُبَ الدَّمَ وَاتِرٌ، يَدَ الدَّهْرِ؛ وَالْمَوْتُورُ بِالدَّمِ وَاتِرُهُ؟

وهيهات أن يطلب الدم واتر (قاتل) يد الدهر (طول الزمن)؛ والموتور (المطالب بالنار) في حالتنا هذه هو الواتر (القاتل)

أَكَانَ وَلِيَّ الْعَهْدِ أَضْمَرَ عَذْرَةً؟ فَمِنْ عَجَبٍ أَنْ وَلِيَّ الْعَهْدِ عَادِرُهُ

فهل كان ولي العهد (المنتصر) قد أضمر (بَيَّت) غدرًا؟ وعجيب أن يوليَّ العهد من يغدر، سوَّدنا هذا البيت، وإن لم نجد فيه معنى لافتًا، إكراماً لظه حسين الذي كان شديد الإعجاب به

فَلَا مُلِّيَ الْبَاقِي تَرَاثَ الَّذِي مَضَى وَلَا حَمَلَتْ ذَاكَ الدُّعَاءَ مَنَابِرُهُ

فلا مُلِّيَ (استمتع) الباقي تراث من مضى، ولا حملت منابر الخطباء في المساجد الدعاء له، وكانوا يدعون في آخر خطبة الجمعة للخليفة. وفي هذه الآيات ما يبعث على الظن بأن البحترى قال الشعر في عهد المنتصر المتأمر على أبيه. ولعله قالها فعلاً قبل موت المنتصر، ثم بعدئذ أضاف إليها الآيات الأولى السابقة في وصف خراب القصر، ثم أذاع القصيدة في الناس بعد انقضاء عهد المنتصر

وَلَا وَالَ الْمَشْكُوكُ فِيهِ، وَلَا نَجَا مِنْ السَّيْفِ نَاضِي السَّيْفِ، عَذْرًا، وَشَاهِرُهُ

ولا وال (نجا) المشكوك في أنه المجرم، ولا نجا من السيف من نضاه (سلَّه) وشهره غدرًا

لِنِعْمَ الدَّمُ الْمَسْفُوحُ لَيْلَةً جَعْفَرٍ هَرَقْتُمْ وَجُنَحَ اللَّيْلِ سُودٌ دِيَا جِرُهُ

نعم الدم دم الخليفة جعفر المتوكل الذي هرقتم (أرقتم) بينما جنح الليل سُود دياجره (ظلامه)

كَأَنَّكُمْ لَمْ تَعْلَمُوا مَنْ وَلِيُّهُ وَنَاعِيهِ تَحْتَ الْمُرْهَفَاتِ وَثَائِرُهُ

كانكم لم تعلموا من ولي ذلك الدم (المطالب به)، ومن سينعاه في ظل السيوف المرفهة (الحادة) وثائره (الآخذ بثأره)

وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تُرَدَّ أُمُورُكُمْ إِلَى خَلْفٍ مِنْ شَخْصٍ لَا يُعَادِرُهُ

وأرجو أن يعود أمر الخلافة إلى امرئ يكون فعلاً خليفة للمتوكل لا يغادر خطه (يقصد ابنه المعتز الذي كان ولي عهد ثم خلعه المنتصر المتأمر)

مُقَلِّبٍ آرَاءٍ تُخَافُ أَنَاتُهُ إِذَا الْأَخْرَقُ الْعَجْلَانُ خِيَقَتْ بَوَادِرُهُ

هذا المرجو للخلافة متأن، ولكن أناته مرهوبة لما سيتمخض عنها من أفعال، وليس كالأخرق الذي يخاف المرء من بواده (غضباته). هذه الآيات الأخيرة تشي بأن أجزاء شتى من هذه القصيدة إنما قيلت بعد تولي المعتز. وكأن البحترى قصد إلى الإيهام بأنه قال القصيدة كلها بُعيد مقتل المتوكل، ولكن شعره دل عليه

١٠٨ مدح القاتل

يمدح الخليفة المنتصر بالله:

وما أَنَسَ لَا أَنَسَ عَهْدَ الشَّبَابِ وَعَلَوَةَ إِذْ عَيَّرْتَنِي الْكِبَرَ
مهما نسيت فلن أنسى عهد الشباب وعلوة، إذ عيرتني بالتقدم في السن

وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ إِحْدَى اثْنَتَيْ - ن: إِمَّا الشَّبَابِ، وَإِمَّا الْعُمُرِ
في نهاية المطاف يجب على المرء أن يترك الشباب ويكبر، أو يترك العمر ويموت

حَجَجْنَا الْبَنِيَّةَ شُكْرًا لِمَا حَبَّانَا بِهِ اللَّهُ فِي الْمُنْتَصِرِ
حججنا البنية (الكعبة) شكرًا لما حبانا به الله في شخص «المنتصر» الخليفة

تَطَوَّلَ بِالْعَدْلِ لَمَّا قَضَى وَأَجْمَلَ فِي الْعَفْوِ لَمَّا قَدَّرَ
تطوّل (تفضل) بالعدل، وكان له عفو جميل عندما تمكن له الأمر

تَلَاقَى الرَّعِيَّةُ مِنْ فِتْنَةٍ أَظْلَهُمْ لَيْلَهَا الْمُعْتَكِرُ
جَنَّبَ النَّاسَ الْفِتْنَةَ الَّتِي أَظْلَهُمْ (خيم عليهم) ليلها المعتكر (الدامس). هذا بعد مقتل والده المتوكل. قال من شئت من المؤرخين إن للمنتصر اليد الطولى في تدبير قتل والده. كان أبوه المتوكل يقول له ساخرًا: (سميتك المنتصر وسماك الناس لحملك المنتظر، وصرت الآن المستعجل) يشير إلى أنه مستعجل موت أبيه لكي يخلفه

سَدَادٌ فَتَلَّتْ بِهِ يَوْمَذَا لَكَ حَبْلَ الْخِلَافَةِ حَتَّى اسْتَمَرَ
كان عندك سداد (حكمة) فتلت به حبل الخلافة حتى استمر (قوي)

وَسَطَّوْا نَبْتَ بِهِ قَائِمًا عَلَى كَاهِلِ الْمُلْكِ حَتَّى اسْتَقَرَّ
وعندك سطو (بطش) جعلك تثبت على كاهل (كتف) الملك حتى استقر. رأينا البحر يبعد موت المنتصر (الذي مات بعد توليه بسة أشهر) يقول قصيدة طويلة يرثي بها المتوكل ويتهم المنتصر بالتأمر لقتله. مطلعها: (مَحَلٌّ عَلَى الْقَاطُولِ أَخْلَقَ دَائِرَةً/ وَعَادَتْ ضُرُوفُ الدَّهْرِ جَيْشًا تَغَاوَرَهُ). وقد اخترنا منها هنا قدرًا صالحًا، ووضعناها قبل هذه لأن الظن أنه قال قسمًا منها فور مقتل المتوكل ولكنه لم يظهرها إلا بعد موت المنتصر (انظر القصيدة ١٠٧)

١٠٩ لا سؤال ولا جواب

يمدح محمد بن عبد الله بن طاهر:

وَقَفْنَا عَلَى دَارِ الْبَخِيلَةِ فَانْبَرَتْ بَوَادِرُ قَدْ كَانَتْ بِهَا الْعَيْنُ تَبْخُلُ

وقفنا على دار المحبوبة التي كانت بخيلة بوصلها، فانبرت (خرجت) بواوير (بدايات الدموع) كانت العين بخيلة بها من قبل

فَلَمْ يَذَرِ رَسْمُ الدَّارِ كَيْفَ يُحْيِيْنَا ، وَلَا نَحْنُ مِنْ فَرْطِ الْجَوَى كَيْفَ نَسْأَلُ

رسم الدار (بقايا الدار المهجورة)

١١٠ لا فائدة منك

قال لعلني بن يحيى الأرمني:

وَلَمْ أَرِ مِثْلِي قَيْدَ بِالْمَظِلِّ وَالْمُنَى وَلَا مِثْلَ نَفْسِي لِلدَّنِيئَةِ ذَلَّتْ

لم أر مثلي قيد (تم اقتياده) بالمظل (المماطلة) والأمانى،

ولا مثل نفسي التي ذلت للعطايا الدنيئة (القليلة)

وَقَدْ كَانَ عِنْدِي لِلصَّنِيعَةِ مَوْضِعٌ لَوْ أَنَّ سَمَاءَ مِنْ نَدَاكَ اسْتَهَلَّتْ

وقد كان عندي للصنعة موضع (كنت جديراً بوضع الإحسان عندي) لو أن سماء نذاك (كرمك)

استهلت (أمطرت)

تَرَكَّاكَ ، لَا يُبْكِي الرَّجَاءُ الَّذِي أَنْقَضَى وَلَا تُنْدِبُ الْآمَالُ حِينَ اضْمَحَلَّتْ

تركناك ونحن لا نبكي رجاءنا الذي مضى، ولا نندب (نتحسر على) الآمال التي اضمحلت

وَمَا فِيكَ لِلرَّكْبِ الْمُرْجَيْنِ مَرْعَبٌ فَتُلْقَى ، وَلَكِنَّ الرُّكَّائِبَ كَلَّتْ

وليس فيك للركب (المسافرين) الراجين للعطاء مرغب (رغبة) فيأتوا للقائك؛ ولكنهم

ظلوا مقيمين في بلدك لأن الركائب (الإبل) كلت (تعبت). فهم يستريحون فقط استعداداً

للمرحيل عنك. أخى القارئ لا تستطل الشرح، فوالله ما أركب الركافة والتطويل إلا من

أجلك؛ على أنني أقول لك: لا تقرأ الشرح إلا بعد أن تقرأ البيت مرة ومرة، فالشعر

والفصاحة موجودان في البيت، ولسنا نشرح هذا الشرح الفاضح المفصل إلا لتعزير

جمال الشعر في نفسك، ولنتنقلك من حال الاستمتاع بإيقاع البيت إلى حال الاستمتاع

بإيقاعه وبمعناه معاً. وكائن رأينا صاحباً يتغنى ببيت شعر، ويقول يا سلام! متعجباً من

جماله، وهو يفهم منه عكس ما أراد الشاعر. ولا بأس. لا بأس أن يترنم المرء

بما يريد أن يترنم به، وأن يطرب على طريقته مخطئاً أم مصيباً. على أن معاني الشعر

العربي القديم واضحة المعالم، وخير لنا ألا نغالي في القوة الإيحائية لللفظة

١١١ اشتغل بها عنهم

وقال يهجو الشاعر علي بن الجهم:

إِذَا مَا حُصِّلَتْ عَلِيًّا قُرَيْشٌ فَلَا فِي الْعِيرِ أَنْتَ وَلَا التَّنْفِيرِ

إذا ما حصلت (عُزِّلَتْ) عليا قریش (أي قریش العليا، وليس الفروع الأدنى منها) عندئذ لا نراك

في العير ولا في التنفير (لا شأن لك بالأمر). وعلي بن الجهم قرشي من بني سامة، وليسوا من

قریش العليا، وفي نسبهم بعض مغز

لَأَيَّةِ حَالَةٍ تَهْجُرُ عَلِيًّا بِمَا لَفَّقْتَ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ؟
 وكان علي بن الجهم يطعن على علي بن أبي طالب وعلى العلويين في زمن المتوكل الذي عاضى
 العلويين

أَمَا لَكَ فِي اسْتِكَ الْوَجَعَاءِ شُغْلٌ يَكْفُكَ عَنْ أَذَى أَهْلِ الْقُبُورِ؟
 استك الوجعاء (الاست والوجعاء بمعنى، وكلاهما: فتحة الدبر). يهجو به بأنه يلاط به

١١٢ تفنن في التعذيب

يهجو علي بن الجهم:

يَا ثَقِيلاً عَلَى الْقُلُوبِ، إِذَا عَنَّ - لَهَا أَيْقَنْتَ بِطَوْلِ الْجِهَادِ
 أيها الثقيل على القلوب، الذي إذا عَنَّ (ذُكِر) أيقنت القلوب بطول الجهاد (المعاناة)

يَا رُكُودًا فِي يَوْمٍ غَيْمٍ وَصَيْفٍ يَا وَجُوهَ الثُّجَارِ يَوْمَ الْكَسَادِ
 أنت مثل الركود (الجو القابض للنفس) في يوم غيم في فصل الصيف، وأنت مثل وجوه التجار في
 يوم الكساد

خَلَّ عَنَّا، فَإِنَّمَا أَنْتَ فِيْنَا وَأَوْ عَمَرُوْهُ أَوْ كَالْحَدِيثِ الْمُعَادِ
 «افرقنا» يا هذا، فأنت لا قيمة لك كحرف الواو غير المنطوق في كلمة «عمرو»،
 أو كالحديث المكرر

أَمْضِ، فِي غَيْرِ صُحْبَةِ اللَّهِ مَا عِشْ - مَلَقْتَنِي فِي كُلِّ فِجٍّ وَوَادٍ
 اذهب ولا صحبتك سلامة الله طول عمرك، ولتكن ملقئ (منكوباً) في كل فج (طريق) وواد

يَتَخَطَّى بِكَ الْمَهَامَةَ وَالْبَيْدَ - لَدَ دَلِيلٍ أَعْمَى كَثِيرُ الرُّقَادِ
 وليصحبك في المهامة (الصحارى) دليل أعمى، كثير النوم والسهو. لم يكتف أن جعل دليله أعمى
 حتى جعله غافلاً لا يهتدي

خَلَفَكَ الثَّائِرُ الْمُصَمَّمُ بِالسَّيْفِ - وَرِجْلَاكَ فَوْقَ شَوْكِ الْقَتَادِ

وليكن خلفك طالباً رأسك ثائر (طالب ثار) يحمل سيفاً، ولتكن رجلاك فوق شوك القتاد
 الشوكي. هذا هجاء من لون نادر. فيه تقليل شأن، وفيه اشمزاز من المهجو،
 وفيه دعاء عليه مبالغ فيه كثيراً بقصد السخرية، وفيه تصوير كثير وفن. وعلي بن
 الجهم رجل فيه صلف، وكان شاعراً مهمماً ومقلداً معاصراً للبحتري، ومزاحماً له عند
 الممدوحين. وابن الجهم - على شاعريته القوية - كان رجلاً صلب الوجه (أي وقحاً)
 بحسب تعبير القدماء. وقد أخرج ديوانه خليل مردم بك، واخترنا منه أبياتاً كثيرة، في
 باب سابق في هذا الكتاب. وهو، بعد، صاحب (عيون المها بين الرصافة والجسر)

١١٣ تأليب

من قصيدة يمدح بها الخليفة المستعين، يهجو أحمد بن الخصب:

لَا بِنِ الْخَصْبِ الْوَيْلُ، كَيْفَ أَنْبَرَى بِإِفْكِهِ الْمُرْدِي وَإِبْطَالِهِ؟

الويل لأحمد بن الخصب كيف ظهر بإفكه (كذبه) المردي (الميمت) وإبطاله (تعطيله الخيرات). وكان ابن الخصب وزيراً للمتتصر ثم للمستعين بعده، وسريعاً ما نكبه المستعين ونفاه إلى إقريطش (جزيرة كريت). وكان ابن الخصب وزيراً متجبراً كثير الشر، قيل: رفض رجلاً جاءه بشكوى في صدره فقتله

فَأَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ زِقْمَةً غَيَّرَتِ النُّعْمَةَ مِنْ حَالِهِ

يَا نَاصِرَ الدِّينِ! انْتَصِرْ مُوشِكَا مِنْ كَائِدِ الدِّينِ وَمُغْتَالِهِ

أيها المستعين انتصر (انتقم) موشكاً (مرعاً) من الذي يكيد للدين ويغتاله

فَهُوَ حَلَالُ الدِّمِّ وَالْمَالِ، إِنْ نَظَرْتَ فِي بَاطِنِ أَحْوَالِهِ

فدمه حلال وماله حلال للمصادرة إن تعمقت في باطنه، إذ يطن الغدر والفسق. تعليق أحمد عبد الرحيم: «أهذا شعر؟»

وَالرَّأْيُ كُلُّ الرَّأْيِ فِي قَتْلِهِ بِالسَّيْفِ، وَاسْتِصْفَاءِ أَمْوَالِهِ

والرأي الحضيف قتله واستصفاء (مصادرة) أمواله. نقل المرزباني في الموشح عن أحمد بن أبي طاهر بسند يطمئن إليه القلب: «ما رأيت أقل وفاء من البحري ولا أسقط، رأيت قائماً ينشد أحمد بن الخصب مدحاً له فيه، فحلف عليه ليجلسن، ثم وصله واسترضى له المنتصر وكان غضبان عليه... ثم نكّب المستعين أحمد ابن الخصب بعد هذا بشهور، فلعهدي به [بالبحتري] قائماً ينشده: ما الغيث... كان ابن العليجة فقيهاً يفتي الخلفاء في قتل الناس، نزحه الله، ثم ختم القصيدة بقوله: والرأي كل الرأي في قتله...». تعليق أحمد عبد الرحيم على القصيدة: «قطعة لا جمال، ولا شعر فيها البتة!»

١١٤ أحلى من النوم والأمنيات

يمدح الخليفة المعز بالله:

أَيُّهَا الْآمِرِي بِتَرْكِ التَّصَابِي! رُمْتَ مِنِّي مَا لَيْسَ مِنْ إِمْكَانِي

وَنَدِيمِ نَبْهَتُهُ، وَدَجَى اللَّيْلِ لِي وَضُوءُ الصَّبَاحِ يَعْتَلِجَانِ

نبهت نديمي من نومه بينما عتمة الليل وضوء المصباح يعتلجان (يتصارعان)

قُمْ نَبَادِرْ بِهَا الصِّيَامَ، فَقَدْ أَفَ حَمَرَ ذَاكَ الْهَلَالَ مِنْ شَعْبَانَ
قم نادر بها الصيام (نسابق بالخمير الصيام) فهلال شعبان صار قمراً، أي أن شعبان انتصف ولم
يبق على رمضان سوى نصف شهر

بَنْتُ كَرَمَ، يَذْنُو بِهَا مُرْهَفُ الْقَدِّ - غَرِيرُ الصَّبَا، خَضِيبُ الْبَنَانِ
بنت كرم (خمرة) يقترب بها ليسقينا شخص مرهف القد (رشيق القوام) غرير الصبا (بريء لصفر
السن) خضيب البنان (على رؤوس أصابعه الحناء) فهو إذن بنت

أَرْجَوَانِيَّةٌ، تُسَبِّهُ فِي الْكَأْسِ بِشُقَّاحٍ خَدَّهِ الْأَرْجَوَانِي
الخمير أرجوانية (حمراء)

بَاتَ أَحْلَى لَدَيَّ مِنْ سِنَةِ النَّوْمِ، وَأَشْهَى مِنْ مُفْرِحَاتِ الْأَمَانِي
بات الحبيب وهو أحلى عندي من سنة النوم (الإغفاء) ومن الأمانى المفرحة

١١٥ فما يكلم إلا حين يتسم

يمدح المعتر بالله:

لِلَّهِ مُعْتَمِدٌ عَلَى اللَّهِ اكْتَفَى بِاللَّهِ وَالرَّأْيِ الْأَصِيلِ الْأَوْثَقِ
طَلَّقَ، فَإِنْ أَبْدَى الْعُبُوسَ تَطَاطَأَتْ شُوسُ الرَّجَالِ، وَخَفَضَتْ فِي الْمَنْطِقِ
طلق (باسم) فإن عبس تطاطأت رؤوس شوس الرجال (الرجال ذوو النظرات الحادة الغاضبة)،
وخفضوا أصواتهم لهية الخليفة

١١٦ خلف الدجاج

وقال يمدح المعتر، ويهجو المستعين (وكان المعتر يرى أن المستعين خرب
الملك خراباً لا يتجبر بعده، وكان يحب أن يسمع ثلبه، وأدرك البحترى ذلك فتقرب
إلى المعتر به، وكان المعتر يذوق الشعر، ويرى في البحترى زيادة في أبهة خلافته):

بَكَى الْمَنْبِرُ الشَّرْقِيُّ، إِذْ خَارَ فَوْقَهُ عَلَى النَّاسِ ثَوْرٌ، قَدْ تَدَلَّتْ عَبَاغِبُهُ
بكى المنبر الشرقي (مركز الخلافة في بغداد أو سامراء) عندما خار (صوّت الثور، وصوته هو
الخوار) من فوقه ثور تدلت غباغبه (جلدة ما تحت العنق في الثور)

ثَقِيلٌ عَلَى جَنْبِ الثَّرِيدِ، مُرَاقِبٌ لِشَخْصِ الْخَوَانِ يَبْتَدِي فَيُؤَاثِبُهُ

وهو ثقیل في جلوسه على الثريد، ويراقب الخوان (المائدة) يشغف ثم يبدأ فيؤايبه (يصارعه).
«يؤايبه» كلمة جرّتها القافية، ولكنها تصنع صورة حلوة لرجل يأتي المائدة لكي يخوض مع طعامها
مباراة مصارعة: يثب على الطعام، والطعام يثب عليه

إِذَا مَا احْتَشَى مِنْ حَاضِرِ الرَّادِّ لَمْ يُبَلِّ أَضَاءَ شَهَابِ الْمُلِكِ، أَمْ كُلَّ ثَاقِبِهِ

فإذا حشا جوفه من الطعام الحاضر أمامه لم يبل (لم يبال) أضاء شهاب الملك (ازدهرت الخلافة)
أَمْ كُلَّ ثَاقِبِهِ (أَمْ ضَعُفَ بَرِّقُهُ الثَّاقِبِ الْمُشْتَعِلِ)

وَلَمْ يَكُنِ الْمُعْتَرِّ بِاللَّهِ إِذْ سَرَى لِيُعْجِزَ، وَ(الْمُعْتَرِّ بِاللَّهِ) طَالِبُهُ

هذا المعتز بالله (الذي غره تأخر جزاء الله) لم يكن إذ سرى (مضى) في طريقه المعوج ليعجز الناس
عن إصلاح الأمر، خصوصاً وأن المعتز بالله يطلبه ويتعقبه

رَمَى بِالْقَضِيبِ عَنُودَهُ وَهُوَ صَاغِرٌ وَعُرِّيَ مِنْ بُرْدِ النَّبِيِّ مَنَاقِبُهُ

رمى المستعين، الخليفة المخلوع، بالقضيب (صولجان الخلافة) عنوداً (غضباً عنه) وهو صاغر
(ذليل)، وعُرِّيَ من برد النبي (من عباءة النبي المتوارثة) مناكبه (أكتافه). انظر التعليق اللاحق
بالبیت الثالث قبل الأخير من القصيدة (٨٣) وفيه بيتان للبلاذري يصف فيهما لبس المستعين لبرد
النبي، وفيه كلمة (مناكبه)، وبيتا البلاذري منسوجان على منوال بيت للبحتري، وهنا يأخذ البحتري
من البلاذري العبارة

وَقَدْ سَرَّنِي أَنْ قِيلَ: وَجْهٌ مُسْرِعاً إِلَى الشَّرْقِ تُحْدِي سُفْنُهُ وَرَكَائِبُهُ

سرنى أن قيل إنه أرسل إلى الشرق تحدى (تساق) سفنه وركائبه (إبله)

إِلَى (كَسَكِرِ) خَلْفَ الدَّجَاجِ، وَلَمْ تَكُنْ لَتَنْشَبَ، إِلَّا فِي الدَّجَاجِ، مَحَالِبُهُ

وأرسل إلى كسكر (الواقعة بين البصرة والكوفة، والمشهورة بالفرايج)، وهو لا يصلح إلا لأكل
الدجاج. تكلمة القصة أن الخليفة المعتز بعث بـرجل ليذبح عنه المستعين.. وذبحه

١١٧ في العجلة السلامة

قال يمدح المعتز بالله ويعتذر للموالي:

عَاجِلُ بِنَا الرَّاحِ وَالرَّيْحَانِ مُبْتَكِراً فَلَيْسَ يَحْسُنُ إِلَّا فِيهِمَا الْعَجَلُ

الراح (الخمر) وكانوا يشربونها في مجلس يزينونه بالرياحين

وَاشْرَبَ عَلَى دَوْلَةِ الْمُعْتَرِّ، إِنَّ لَهَا حَظًّا مِنَ الْحُسْنِ، لَمْ تَسْعَدْ بِهِ الدُّوَلُ

اشرب نخب دولة المعتز بالله. كانوا يشربون على الخمر المفرح والقصيدة الجميلة والأغنية الرائقة

أَمَّا الْمَوَالِي فَجُنْدُ اللَّهِ، حَمَلَهُمْ أَنْ يَنْصُرُوكَ، فَقَدْ قَامُوا بِمَا احْتَمَلُوا

الموالي (أنصار وقواد الخليفة غير العرب)

بَقَاؤُهُمْ عِصْمَةُ الدُّنْيَا، وَعِزُّهُمْ سِتْرٌ عَلَى بَيْضَةِ الْإِسْلَامِ مُنْسَدِلٌ

بقاء هؤلاء القادة عصمة (حماية) في هذه الدنيا، وعزهم ستر منسل (نازل) على بيضة الإسلام
(تعبير يقصد به حماية ما هو هش وجاذب للأعداء)

١١٨ العدو في ثوب صديق

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُنْكِرُهُ مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يُسْرِ
كُتِرَ هُمُ الْإِخْوَانُ الَّذِينَ لَا تَسْتَكِرُّ مِنْ تَصَرُّفَاتِهِمْ شَيْئاً مَا دُمْتَ غَنِيّاً

مُتَّصِنٌ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ يَلْقَاكَ بِالتَّرْحِيبِ وَالْبِشْرِ
يكون الواحد منهم متصنعاً في حبه لك، يلقاك بالترحيب والبشر (الانشرح)

فَإِذَا عَدَا - وَالذَّهْرُ ذُو غَيْرٍ - دَهْرٌ عَلَيْكَ، عَدَا مَعَ الدَّهْرِ
فإذا عدا (هجم) عليك الزمن، والزمن ذو غير (تقلب)، عدا (هجم) هذا الصديق عليك مع الزمن

١١٩ الحلاف المهين

سَأَلُونِي الْيَمِينَ، فَارْتَعْتُ مِنْهُمْ لِيَقْرُوا بِذَلِكَ الْإِزْبَاعِ
طلبوا مني أن أحلف اليمين، فارتعت (خفت) منهم مراعاة فقط، ليقروا (ليطمئن بهم) من ارتياحي، ويشعروا أنني رجل أرى اليمين شيئاً عظيماً

ثُمَّ أَمَرَزْتُهَا كَمُنْحَدِرِ السَّبَبِ لِي تَهَاوَى مِنَ الْمَكَانِ الْبَفَاقِ
ثم أطلقت اليمين لتمر من فمي كالسيل المنحدر الذي يهوي من مكان مرتفع

١٢٠ الدين أنتم

وقال يمدح المعتر:

قَدْ لَبِسْتُ الْهَوَى، وَإِنْ كَانَ ضُرّاً وَتَحَمَّلْتُه، وَإِنْ كَانَ ثِقْلاً
وَتَذَلَّلْتُ، جَاهِداً، لِمَلِيكِي وَقَلِيلٌ مِنْ عَاشِقِي أَنْ يَذِلَّ
أَضَبَحْتُ رُتْبَةَ الْخِلَافَةِ لِلْمُغْدِ تَرَى بِاللَّهِ مَنْزِلاً وَمَحَلّاً
جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهَا فِي يَدَيْهِ وَرَأَاهَا لَهَا مَكَاناً وَأَهْلاً
لَا يَسُّ حُلَّةَ الْوَقَارِ: وَمِنْ أَبَى - هَذِهِ السَّيْفِ أَنْ يَكُونَ مُحَلِّى
مَنْ أَبِي حُبِّكُمْ فَلَيْسَ مِنَ الدِّ - هُوَ، وَلَوْ صَامَ أَلْفَ عَامٍ وَصَلَّى

١٢١ مدح المعتر

سَلَاهَا: كَيْفَ ضَيَّعَتِ الْوَصَالَ وَبَيَّتَتْ مِنْ مَوَدَّتِنَا الْجِبَالَ؟
بَيَّتَتْ (قطعت)

وَلِي كِبِدٌ تَلِينُ عَلَى التَّصَابِي وَتَأْبَى فِي الْهَوَى إِلَّا اشْتِعَالَا
وَقَدْ عَلِمَ الْوُشَاةُ ثَبَاتَ عَهْدِي، إِذَا عَهْدُ الَّذِي أَهْوَاهُ حَالَا
حَالٌ (تحول)

وَأَنِّي لَمْ أَزَلْ كَلِيفاً بِلَيْلَى عَلَى كُرْهِ الْوُشَاةِ، وَلَنْ أَزَالَا
كلف (مشغوف)، على كره (رغم أنف)

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! وَأَنْتَ أَرْضَى عِبَادِ اللَّهِ، عِنْدَ اللَّهِ، حَالَا
إِذَا الْخُلَفَاءُ عُدُّوا يَوْمَ فَخْرٍ وَبَرَزَ مَجْدُهُمْ، فَسَمَا وَظَالَا
سما (ارتفع)

عَدَوْتُ أَجَلَهُمْ خَطِراً وَذِكْراً وَأَغْلَاهُمْ وَأَشْرَفَهُمْ فَعَالَا
خطراً (أهمية)

وَمَا حَسَنْتُ نَوَاحِي الْأَرْضِ حَتَّى مَلَكَتِ السَّهْلَ مِنْهَا وَالْجِبَالَا
بِوَجْهِ يَمْلَأُ الدُّنْيَا ضِيَاءً وَكَفَّ تَمْلَأُ الدُّنْيَا نَوَالَا
نوالاً (عطاء)

فُتُوخٌ يَدْرِكُنَ مِنَ النَّوَاحِي كَمَا أَدْرَكَ السَّحَابُ إِذَا تَوَالَى
يَدْرِكُنَ (يتابعن)

وَجَاءَكَ بِالرَّغَائِبِ مَالٌ مُضِرٍ فَلَمْ أَرِ مِثْلَهَا ظَفِيراً وَمَالَا
الرغائب (النفائس)

يُحَسِّنُ مِنْ مَدِيحِي فَبِكَ أَنِّي مَتَى أَعْدُدُ عُلاكَ أَجْدَ مَقَالَا
ما يجعل مديحي أجود أنني أجد مادة للقول فأمجاده كثيرة. التسويد لأحمد عبد الرحيم

وَلَسْتُ أَلَامُ فِي تَقْصِيرِ شُكْرِي وَقَدْ حَمَلْتَنِي الْمِنَّةَ الثَّقَالَا
لست ملوماً إذا قصرت في الشكر فإنك حملتني عبئاً كبيراً بإحسانك الكثير الذي لا يوازيه شكر

لَقَدْ نَوَّهْتَ بِي شَرْقاً وَغَرْباً وَقَدْ حَوَّلْتَنِي جَاهاً وَمَالَا
نوهت بي (جعلتني مشهوراً)، حولتني (جعلت في خدمتي) الجاه والمال

وَمَا أَلْفٌ بِأَكْثَرِ مَا أَرْجِي وَأَمْلُ مِنْ نَدَاكَ إِذَا تَوَالَى
والألف ليست أقصى ما أرجو وأمل من نذاك، أي كرمك

وَبَكَتْ، فَاسْتَنَارَ مِنِّي بُكَاهَا زَفْرَةً مَا تُطَبِّقُهَا أَضْلَاعِي

١٢٣ جيوش ملأ الأرض

يمدح المعتر بالله:

أَقَامَ قَنَاءَ الدِّينِ بَعْدَ اعْوِجَاجِهَا وَأَرْبَى عَلَى شَعْبِ الْعَدُوِّ الْمُشَاغِبِ
أَقَامَ قَنَاءَ الدِّينِ (جعل رمح الدين مستقيماً)، وَأَرْبَى (فَاقَ) فِي الشَّدَّةِ عَلَى مَا أَبْدَاهُ الْعَدُوُّ مِنْ شَغَبِ
أَخُو الْحَزْمِ قَد سَاسَ الْأُمُورَ، وَهَذَّبَتْ بَصِيرَتَهُ فِيهَا صُرُوفُ النُّوَابِ
إِنَّهُ أَخُو حَزْمٍ (ذُو حَزْمٍ) وَقَدْ سَاسَ الْأُمُورَ (أَدَارَهَا)، وَقَدْ أَدَّتْ صُرُوفُ النُّوَابِ (تَفَاصِيلُ الْمَصَائِبِ)
إِلَى تَشْذِيبِ بَصِيرَتِهِ (رَأْيِهِ)

إِمَامٌ هُدًى، عَمَّ الْبَرِيَّةَ عَدْلُهُ فَأَصْحَى لَدَيْهِ آمِنًا كُلُّ رَاهِبٍ
إِمَامٌ يَهْتَدِي بِهِ النَّاسُ وَقَدْ عَمَّ (شَمَلَ) الْبَرِيَّةَ (الْخَلْقَ) عَدْلُهُ، فَأَصْبَحَ كُلُّ رَاهِبٍ (خَائِفٍ)
آمِنًا فِي مَلَكِهِ

تَدَارَكَ، بَعْدَ اللَّهِ، أَنْفُسَ مَعْشَرٍ أَطْلَلْتُ عَلَى حَتْمٍ مِنَ الْمَوْتِ وَاجِبٍ
تَدَارَكَ (أَنْقَذَ) - بِفَضْلِ اللَّهِ - أَرْوَاحَ أَنَاسٍ كَانَتْ مُوشِكَةً عَلَى مَوْتٍ مُحْتَمٍ

وَقَالَ: لَعَا لِلْعَاثِرِينَ، وَقَدْ رَأَى وَثُوبَ رِجَالٍ فَرَطُوا فِي الْعَوَاقِبِ
وَقَالَ لِلْعَاثِرِينَ (الْمُتَعَثِّرِينَ بِأَغْلَاطِهِمْ) لَعَا (كَلِمَةً تُقَالُ لِمَنْ يَتَعَثَّرُ. كَمَا نَقُولُ الْيَوْمَ: «اللَّهُ» أَوْ «اسْمُ اللَّهِ عَلَيْكَ»)، وَهُوَ يَرَى وَثُوبَ (تَمَرْدَ) رِجَالٍ فَرَطُوا فِي الْعَوَاقِبِ (تَجَاهَلُوا نَتَائِجَ أَعْمَالِهِمْ)

تَجَافَى لَهُمْ عَنْهَا، وَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ لَعَنَفَ بِالتَّثْرِيبِ، إِنْ لَمْ يُعَاقِبْ
تَجَافَى لَهُمْ عَنْهَا (غَفَرَهَا لَهُمْ)، وَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ فِي مَكَانِهِ لَعَنَفَ الْمَذْنِبِينَ بِالتَّثْرِيبِ (بِالتَّوْبِيخِ)، هَذَا إِنْ لَمْ يُعَاقِبْهُمْ

وَلَوْلَا تَلَاْفِيكَ الْخِلَافَةَ لَانْبَرَتْ لَهَا هِمَمُ الْعَاوِينَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
لَوْلَا تَلَاْفِيكَ الْخِلَافَةَ (إِنْقَاذُكَ إِيَّاهَا) لَتَصَدَّتْ لَهُذِهِ الْخِلَافَةُ هَمُّ الْغَاوِينَ (طُمُوحَاتِ الضَّالِّينَ) مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

فَمَا زِلْتُ حَتَّى أَذْعَنَ الشَّرْقُ عَنُوءَ وَدَانَتْ عَلَى صُغْرِ أَعَالِي الْمَغَارِبِ
ظَلَلْتُ مَصْصَمًا حَتَّى أَذْعَنَ الشَّرْقُ (مَنَاطِقَ الدَّوْلَةِ شَرْقِي الْعِرَاقِ) بِالْقُوَّةِ، وَدَانَتْ (أَذْعَنْتَ) عَلَى صُغْرِ
(يُذَلُّ) أَعَالِي الْمَغَارِبِ (مَنَاطِقَ الدَّوْلَةِ غَرْبِي الشَّامِ)

جُيُوشٌ مَلَأْنَ الْأَرْضَ، حَتَّى تَرَكْنَهَا وَمَا فِي أَقْاصِيهَا مَفَرٌّ لِهَارِبٍ
مَدَدَنْ وَرَاءَ (الْكُوكَبِيِّ) عَجَاجَةً أَرْتُهُ نَهَاراً طَالِعَاتِ الْكُوكَبِ

مدت هذه الجيوش وراء الكوكبي (متنمرد علوي على الدولة) عجاجة (سحابة غبار) جعلته يرى في
النهار الكواكب الطالعة (لمعان السيوف والأسنة وسط الغبار مثل الكواكب)

وَقَدْ أَفْنِ (الصَّفَّارُ) حَتَّى تَطْلَعَتْ إِلَيْهِ الْمَنَايَا فِي الْقَنَا وَالْقَوَاضِ
وقد أفن (حُمق) الصفار (يعقوب الصفار المتنمرد) إلى أن رأى المنايا (الموت) في القنا (الرماح)
والقواضب (السيوف)

حَنَوْتُ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ أَشْرَفَ الرَّدَى عَلَى نَفْسٍ مُزَوَّرٍ عَنِ الْحَقِّ نَاكِبٍ
حنوت عليه (ضمته برفق) بعد أن كاد الموت يقضي على نفسه، وهو المزور (المتنمرد) عن الحق
الناكب عنه (المجتنب له)

تَأَنِّيْتُهُ حَتَّى تَبَيَّنَ رُشْدُهُ وَحَتَّى اكْتَفَى بِالْكُتُبِ دُونَ الْكِتَابِ
تأنيته (ترفتت به) إلى أن عرف رشده، وصار يكفي بالكتب (بالرسائل)
ولم يعد يلجأ للكتائب

بِلُطْفٍ تَأْتُ مِنْكَ مَا زَالَ ضَامِناً لَنَا طَاعَةَ الْعَاصِي وَسِلْمَ الْمُحَارِبِ
فعلت هذا بلطف تأت منك (بالمحاسبة والإقناع)، وهذا التأني يضمن لنا دوماً طاعة العاصي
(المخالف) وسلم (مسالمة) المحارب

فَعَادَ حُسَاماً عَنْ وَلِيِّكَ ذُبُهُ وَحَدَّ سِنَانٍ فِي عِدْوِكَ نَاشِبٍ
فعاد (فأصبح) العاصي حساماً، ذبه (دفاعه) عن وليك (نصيرك)، وأصبح العاصي حدَّ سنان (رأس
رمح) ناشب (منغرس) في قلب عدوك

١٢٤ فراق من أجل اللقاء

بُودِّي لَوْ يَهْوَى الْعَدُوُّ، وَيَعْشُقُ فَيَعْلَمُ أَسْبَابَ الْهَوَى، كَيْفَ تَعْلُقُ
أسباب (حبال)

أَرَى خُلُقاً، حُبِّي لِعُلُوِّ دَائِمَا إِذَا لَمْ يَذُمَّ بِالْعَاشِقِينَ التَّخَلُّقُ
حبي لعلو صار كأنه خلق (طبع من طباعي)،
وليس مجرد تطبع زائل كحال العاشقين الآخرين

فَأَحْسِنَ بِنَا وَالِدَمْعِ بِالْدَّمْعِ وَاشْبِجْ تَمَارُجُهُ، وَالْخَدُّ بِالْخَدِّ مُلْصَقُ
أحسِن بنا (ما أجملنا) ودمعي مختلط بدمعها، وخدي على خدها

وَمِنْ قُبَلٍ، قَبْلَ التَّشَاكِي وَبَعْدَهُ، نَكَادُ لَهَا، مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ، نَشْرُقُ
 هذه الـ «ومن» في أول البيت أسلوب بحريّ. انظر قوله: (ومن شجر رد الربيع لباسه. .)،
 وستأتيك بعد بضع صفحات (القصيد ١٣٠). المعنى: كانت بيننا قُبْلٌ قَبْلُ أَنْ نَتَبَادَلَ الشَّكْوَى
 وبعده، ومن شدة الوجد (الشوق) نكاد نشرق بقبلاتنا

فَلَوْ فَهِمَ النَّاسُ التَّلَاقِي، وَحُسْنَهُ لَحَبَّبَ مِنْ أَجْلِ التَّلَاقِي التَّفَرُّقُ

١٢٥ بقي منها تذكُّرها

بمدح المعنز بالله ويذكر علوة:

كَمْ لَيْلَةٍ فِيكَ بِتْ أَسْهَرُهَا وَلَوْعَةٍ فِي هَوَاكِ أَضْمَرُهَا
 وَحُرْقَةٍ وَالْدُمُوعُ تُظْفِئُهَا ثُمَّ يَعُودُ الْجَوَى فَيُسْعِرُهَا
 يسعرها (يوقدها)

يَا عَلُو! عَلَّ الزَّمَانَ يُعْقِبُنَا أَيَّامَ وَضَلٍ نَظْلُ نَشْكُرُهَا
 يا علو (يا علوة)، يعقبنا (يكافئنا)

بَيْضَاءُ رُودُ الشَّبَابِ، قَدْ غُمِسَتْ فِي خَجَلٍ ذَائِبٍ يُعَصْفِرُهَا
 رود الشباب (ناعمة)، يعصفرها (يجعلها صفراء محمرة خجلاً، ونبات العصفر أصفر مشوب بحمرة)
 مَجْدُولَةٌ هَزَّهَا الصُّبَا، فَشَفَى قَلْبَكَ مَسْمُوعُهَا وَمَنْظَرُهَا
 مجدولة (قوامها متناسق)

لَا تَبْعَثُ الْعُودَ تَسْتَعِينُ بِهِ وَلَا تَبِيتُ الْأَوْتَارَ تَخْفَرُهَا
 لا تبعث في طلب عودٍ لتستعين به في غنائها، ولا تريد من أوتاره أن تخفرها (تحرسها) من النشاز

اللَّهُ جَارٌ لَهَا، فَمَا امْتَلَأَتْ عَيْنِي إِلَّا مِنْ حَيْثُ أَبْصَرُهَا
 الله يحميها! فلا يملأ عيني إلا رؤيتها

إِنَّ قُورَيْقًا لَهُ عَلَيَّ يَدٌ بِالْأَمْسِ بَيْضَاءُ، لَسْتُ أَكْفُرُهَا
 نهر قويق له علي يد بيضاء (معروف)، ولست أجحدها

وَلَيْلَةَ الشُّكِّ، وَهُوَ ثَالِثُنَا، كَانَتْ هَنَاتٌ وَاللَّهُ يَغْفِرُهَا
 في ليلة الشك (الليلة التي يرقب فيها الناس هلال رمضان) كان نهر قويق هو الثالث معي أنا
 وعلوة، وقد حدثت هنات (أمور بسيطة) والله يغفرها. ما أجمل هذا الاستقبال لرمضان! وهي -
 بعد - هنات، ثم إن رمضان لم يدخل!

أَيَّامُ لَهْوٍ فِي جَانِبَيْ حَلْبٍ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا تَذْكُرُهَا
لم يبق من أيام اللهو في حلب إلا الذكرى

١٢٦ عشيرتي

أَقْرِي الْحَوَادِثَ، إِنْ حَلَلَنْ، تَجَلَّدَا؛ وَأَعُدُّ شَأْنَ عَشِيرَتِي مِنْ شَانِي
أقري (أقدم الطعام للضيف). إذا حلت الحوادث (المصائب) فإني أقدم لهذا الضيف النازل تجلداً
(صبراً)؛ وأنا أعد ما يهم عشيرتي شأناً من شؤوني

قَوْمٌ تَرَى أَرْمَاحَهُمْ، يَوْمَ الْوَعَى، مَشْغُوفَةً بِمَوَاطِنِ الْكِثْمَانِ
قومي تندق رماحهم في الحرب في مواطن الكتمان (في القلوب)

١٢٧ أنطق القوافي

وقال يمدح يونس بن بغا:

سَبِّدْ أَنْطَقَ الْقَوَافِي بِنُغْمَا هُ، وَكَانَتْ، مِنْ قَبْلُ، ذَاتَ وَجُومٍ
عطاياه أنطقت الشعراء بالقصائد، وكانت القصائد قبل ذاك واجمة (ساكنة)

١٢٨ زبدة قريش

يمدح الخليفة المهتدي بالله، وهو أزهد خلفاء بني العباس:

قَضَى اللَّهُ أَنِّي مِنْكَ ضَامِنٌ لَوْعَةٍ تَقَضَّى اللَّيَالِي، وَهِيَ بَاقٍ مُقِيمُهَا
قضى الله عليّ بأنني ضامن (مضمر) لوعة في قلبي منك (بسيك)، تنقضّ (تنقضي) الليالي واللوعة
باقية مقيمة. باقٍ مقيمها معناها (مقيم مقيمها)، وهذا أسلوب قديم في الشعر العربي للوصول إلى
القافية، أعان الله الشعراء

أَمِيلُ بِقَلْبِي عَنْكَ، ثُمَّ أَرُدُّهُ وَأَعِزُّ نَفْسِي فَيْكَ، ثُمَّ أُلُومُهَا
إِذَا الْمُهْتَدِي بِاللَّهِ عُدْتُ خِلَالُهُ حَسِبْتَ السَّمَاءَ كَاثَرْتُكَ نُجُومُهَا
خلاله (مزاياه)، كاثرتك (فاخرتك بالكثرة)

لَقَدْ خَوَّلَ اللَّهُ الْإِمَامَ مُحَمَّدًا خُصُوصَ مَعَالٍ، فِي قُرَيْشٍ عُمُومُهَا

خول الله الخليفة (أعطاه) الأمجاد المخصوصة الفريدة التي عمومها في قريش. قريش ذات مجد،
ولكن المهتدي له زبدة هذا المجد

بَنُو هَاشِمٍ فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرَبٍ كِرَامُ بَنِي الدُّنْيَا، وَأَنْتَ كَرِيمُهَا

بنو هاشم (وهم فرع من قريش) هم أكرم الخلق، وأنت كريم بني هاشم الأول

تَذَارَكَ مَظْلُومُ الرَّعِيَّةِ حَقَّهُ وَخَلَّى لَهُ وَجَهَ الطَّرِيقِ ظَلُومُهَا

أدرك المظلوم من الرعية حقه، وأما الظلوم (الظالم) فقد اضطر إلى ترك طريق الظلم

وَقَدْ أَعْطَتِ الرُّومُ الَّذِي طُوْلِبَتْ بِهِ (بِإِيرِيقَ) لَمَّا خُبِّرَتْ مَنْ غَرِبَها

والروم رضيت بشروط الصلح في منطقة (إيريق) عندما علمت أنك أنت غريمها (خصمها)

هَجَرَتْ الْمَلَاهِي حِسْبَةً، وَتَفَرَّدَا بِآيَاتِ ذِكْرِ اللَّهِ يُثْلَى حَكِيمُهَا

هجرت الملاهي (اللهو) حسبة (اختساباً للثواب عند الله) وكي تخصص الوقت كله لذكر الله. كان الخليفة المهتدي العباسي زاهداً حقاً، لذا لم يدم حكمه سوى سنة.. وقتل بعصر الخصيتين

١٢٩ نهر بين النهرين

يمدح سليمان بن عبد الله بن طاهر، وكان السلطان أقطعه (المخرم) ببغداد فقال

فيه البحترى هذا الشعر، وسأله إقطاع ناحية منه يبني بها منزلاً فأقطعه ألف ذراع في ألف ذراع:

شَفِيعِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَعُمْدَتِي سُلَيْمَانُ، أَحْبُوهُ الْقَرِيضَ الْمُنْمَنِمَا

أحبوه القريض المنمنم (أهديه الشعر المنثق)

فَصَائِدُ، مَنْ لَمْ يَسْتَعْرِ مِنْ حُلِيِّهَا تُخَلِّفُهُ مَحْرُوماً مِنَ الْحَمْدِ، مُحْرِمَا

من لم يستعر بعض أبياتي كي يتحلى بها يظل محروماً من الحمد مُحْرِمَا

(لابساً ثوب الإحرام الذي لا زينة فيه)

وَكَمْ لَبِسْتُ مِنْكَ الْعِرَاقُ صَنِيعَةً يُشَارِفُ مِنْهَا الْأَفْقُ أَنْ يَتَغَيَّمَا

أنعمت على العراق حتى لقد إن أفق السماء يشارف (يكاد) أن يظهر فيه الغيم (والغيم بركة)

تَلَثَّتْ فُرَاتَيْنِهَا بِجُودِ سَجِيَّةٍ. وَجَدْنَاكَ أَوْلَى بِالتَّدَقُّقِ مِنْهُمَا

كنت ثالث الفراتين (دجلة والفرات) بجود سجية (كرم طابع). وقد وجدناك أولى بالتدقيق من هذين النهرين لكثرة عطايك

١٣٠ أذاك الربيع

وقال يمدح الهيثم بن عثمان الغنوي:

أَلَسْتُ تَرَى مَدَّ الْفُرَاتِ، كَأَنَّهُ جِبَالُ (شَرَوْرَى) جِثْنُ فِي الْبَحْرِ عَوْماً؟

ألا ترى مد الفرات وفيضانه كأنه جبال شرورى وقد حملها البحر (النهر) عاتمة فيه؟

وَلَمْ يَكُ مِنْ عَادَاتِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ رَأَى شَيْمَةً مِنْ جَارِهِ، فَتَعَلَّمَا
ولم يكن هذا من عادة القرات، ولكنه رأى شيمة (طبعاً) من جاره الهيثم هي الفيضان بالعطايا
فتعلم منه

وَمَا نَوَّرَ الرَّوْضَ الشَّامِيُّ؛ بَلْ قَتَى تَبَسَّمَ مِنْ شَرْقِيٍّ فَتَبَسَّمَا
وليس هذا النوار نوار روض شامي، بل إن ابتسام هذا الفتى شرق الشام (أي في العراق) أعدى
الرياض فتبسمت

أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلُقُ، يَخْتَالُ ضَاحِكًا مِنْ الْحُسْنِ، حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَا
جاءك الربيع الطلق (الباسم) يختال (يتختر) من شدة جماله، حتى كاد أن يتكلم لقوة ما فيه من تعبير
وَقَدْ نَبَّهَ النَّوْرُوزُ فِي غَلَسِ الدُّجَى أَوَائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بِالْأَمْسِ نُومًا
نبه النوروز (عيد الربيع) في غلس الدجى (في ساعات الليل) أوائل ورد (براعم) كانت أمس
مضمومة نائمة فخرجت في آخر الليل زهوراً نراها مع إشراقة الصبح

يُفْتَقُّهَا بَرْدُ النَّدى، فَكَانَ يَبُثُّ حَدِيثًا كَانَ أَمْسٍ مُكْتَمًا
يفتق الندى البارد النوار، فكان الندى يشيع حديثاً كان بالأمس سراً مكتوماً. يشبه بروز الأزهار
بشكل يلفت الأنظار بقوة لما فيها من ألوان وبهجة، بشيوع السر الذي كان من قبل مكتوماً ثم إذا
به يملأ المجالس

وَمِنْ شَجَرٍ رَدَّ الرَّبِيعُ لِبَاسَهُ عَلَيْهِ، كَمَا نَشَرَتْ وَشْيًا مُنَمَّمًا
وهذا شجر أعاد له الربيع أوراقه، فكانها مع الزهر وشي منمم (قمماش مطرز). هذه الـ «ومن»
تبدو معلقة، ولها عند البحري مثيلات. وقد تكون معطوفة على «من الحسن» قبل بيتين. أي أن
الربيع يختال ضاحكاً من شجر ارتدى لباساً جديداً من الورق.

أَحَلَّ، فَأَبْدَى لِللَّعِبِينَ بَشَاشَةً وَكَانَ قَدْ دَيَّ لِلْعَيْنِ، إِذْ كَانَ مُحْرِمًا
أحل الشجر (خلع لباس الإحرام البسيط وليس الملابس المزركشة)، فأبدى للعبين بشاشة بعد أن
كان منظره قدى للعين يؤذيها وهو مُحْرِم

وَرَقَّ نَسِيمُ الرَّبِيعِ، حَتَّى حَسِبْتَهُ بِحِجِيٍّ بِأَنْفَاسِ الْأَحِبَّةِ نَعْمًا
رق النسيم حتى حسبناه يحمل أنفاس الأحباب نِعْمًا (وهم مسرورون/ وهذا غير الزفرات الحري
المعتادة في الأحبة)

١٣١ الرعاع

وقال يهجو قوماً من غَنِي:

بَنِي عُثْمَانَ أَنْتُمْ فِي «غَنِيٍّ» رَعَاعٌ، وَهِيَ فِي «قَيْسٍ» رَعَاعٌ
أنتم رعاع (حثة) عشيرة غني، وهم رعاع قبيلة قيس

مَتَى يُقْرَى السَّدِيفُ بِسَاحَتَيْكُم مُمْرُ الْمَاءِ عِنْدَكُم يُبَاعُ؟
منذ متى يقرى (يقدم للأضياف) السديف (شحم السنام) في دياركم، وأنتم الذين تبيعون الماء المرّ بيعاً؟

١٣٢ التقي السّاطي

وقال يمدح المهدي بالله:

عَلِمَ اللَّهُ سِيرَةَ الْمُهْتَدِي بِأَلِّهِ فَاخْتَارَهُ لِمَا يَخْتَارُ
علم الله أن الخليفة المهدي سيكون تقياً فاختاره للخلافة

ولديه، نَحْتَ السَّكِينَةِ وَالْإِخْوَ . بَاتِ، سَطَوُ عَلَى الْعِدَى وَافْتِدَارُ
ولديه، نحت السكينة (الوقار) والإخبات (الخشوع) سطو (بطش) على الأعداء وقدرة

١٣٣ الوصل

وقال بتغزل ضمن قصيدة يمدح بها الخليفة المعتمد على الله:

جَائِرٌ فِي الْحُكْمِ، لَوْ شَاءَ قَصَدُ أَخَذَ النَّوْمَ، وَأَعْطَانِي السَّهْدُ
جائر (ظالم)، قصد (عدل)، السهد (السهر)

كَيْفَ يَخْفَى الْحُبُّ مِنَّا، بَعْدَمَا قَامَ وَاشٍ بِهَوَانَا وَقَعَدُ؟
واش (نمام)، قام بهوانا وقعد (اشتغل بنا وبحبنا)

لَسْتُ أَنْسَى لَيْلَتِي مِنْهُ، وَقَدْ أَنْجَزْتَ عَيْنَا بِخَيْلٍ مَا وَعَدُ
لن أنسى ليلتي تلك منه (مع المحبوب)، وقد أنجز عيننا بالبخل (يقصد حبيته، وما أكثر ما وصفوا
المحبة بالبخل) وعده. فهي في تلك الليلة أعطته ما أراد. وكلمة تنبيه: كان البحري ممن يتعشق
الغلمان، ولكن شعره يشي بأن ذلك لم يكن متمكناً من نفسه، كان فقط يجاري تقليعة العصر

عَلِقْتُ كَفَّ بِكَفِّ بَيْنَنَا وَاعْتَنَقْنَا، فَالتَّقَى خَدُّ وَخَدُ
وَتَشَاكَيْنَا مِنَ الْحُبِّ جَوَى مَلَأَ الْأَحْشَاءَ نَاراً تَنْقِذُ
تشاكينا: تبادلنا الشكوى، جوى: حزن

١٣٤ هارب من الفراق

وقال في أبي جعفر بن سهل المروزي، وتفارقا بلا وداع، فكتب إليه:

اللَّهُ جَارُكَ فِي انْطِلَاقِكَ تَلَقَاءَ شَامِكَ، أَوْ عِرَاقِكَ
لَا تَعْذُلْنِي فِي مَسِيرِي يَوْمَ سِرَّتْ، وَلَمْ أَلَاقِكَ

إِنِّي خَشِيتُ مَوَاقِفَ اللَّبِثِ تَسْفَحُ غَرْبَ مَاقِكَ

خشيت مواقف البين (الفراق) التي تسفح (تُريق) غرب ماقلك (دمع عينك)

وَعَلِمْتُ أَنَّ بُكَاءَنَا حَسَبَ اشْتِيَاقِي وَاشْتِيَاقِكَ

وَذَكَرْتُ مَا يَجِدُ الْمُودُّ - عُنْدَ ضَمِّكَ وَاعْتِنَاقِكَ

فَتَرَكْتُ ذَاكَ تَعَمُّدًا وَخَرَجْتُ أَهْرُبُ مِنْ فِرَاقِكَ

النكتة في هذه الأبيات موجودة هنا: أَهْرُبُ مِنْ فِرَاقِكَ

١٣٥ أصبحت العراق عراقي

يملح إبراهيم بن المدير:

حَفِظَ الْقَرِيضُ فَمَا يُضَيِّعُ حَقَّهُ أَبَدًا، وَأَنْتَ لَهُ مِنَ الْعُشَّاقِ

القرىض (الشعر)

هَآ إِنَّهُ وَعَطَاؤُكَ الْجَمُّ اللّٰهِي أَخَوَانٍ: ذَا فَنٍ، وَهَذَا بَاقٍ

ها إن الشعر يواخي ويلازم عطاءك الجم (الكثير) الله (العطاء)، والعطاء يفنى والشعر خالد

أُنِّي عَلَيْكَ بِمَا بَسَطْتَ بِهِ يَدِي وَحَلَلْتَ مِنْ أَسْرِ الزَّمَانِ وَثَاقِي

أنني عليك بالعطاء الذي جعلت به يدي مبسطة لأعطي الآخرين، وحللت به وثاقي (قيدي) الذي أسرنى به الزمان

كُنْتُ الْغَرِيبَ، فَمَذُّ عَرَفْتُكَ عَادَ لِي أَنَسِي، وَأَصْبَحْتَ الْعِرَاقَ عِرَاقِي

١٣٦ تجاربي

وَجَرَّبْتُ حَتَّى مَا أَرَى الدَّهْرَ مُغْرِبًا عَلَيَّ بِصَرْفٍ لَمْ يَكُنْ فِي تَجَارِبِي

مغرباً (أتياً بشيء غريب)، صرف (موقف صعب). هذا البيت يتنازعه أكثر من شاعر

وَمَا غَرَّنِي حُسْنُ الْمَبَادِي، لِأَنَّهُ مِنْ الدَّهْرِ مَخْتَوْمٌ بِسُوءِ الْعَوَاقِبِ

المبادي (بدايات الأمور)، سوء العواقب (النتائج السيئة)

١٣٧ انحدار وارتفاع

يملح إبراهيم بن المدير:

فَذَنْكَ أَكْفُ قَوْمٍ مَا اسْتَطَاعُوا مَسَاعِيكَ الَّتِي لَا تُسْتَطَاعُ

لنفذك أكف الناس الذين لم يستطيعوا من مساعيك (أمجادك) ما استطعت أنت

عَلَوْتَهُمْ بِجَمْعِكَ مَا أَشْتَوَا مِنْ الْعَلْيَا، وَحِفْظِكَ مَا أَضَاعُوا
تفوت عليهم بأنك جمعت من المجد ما فرقوا، وحفظت منه ما ضيعوا

دَنَوْتُ تَوَاضَعًا، وَبَعُدْتُ قَدْرًا فَشَأْنَاكَ: انْحِدَارٌ وَارْتِفَاعٌ
لتواضعك فأنت قريب، ولعظمتك فأنت عالٍ، فهذان متناقضان فيك: انحدار وارتفاع
كَذَلِكَ الشَّمْسُ تَبْعُدُ أَنْ تُسَامَى وَيَذْنُو الصَّوُّ مِنْهَا وَالشَّعَاعُ
فأنت في هذا كالشمس بعيدة فلا تُسَامَى (لا يعلوها شيء)، ولكن ضوءها قريب يغمرنا

١٣٨ اجعلها مزدوجة

يمدح إبراهيم بن المدير:

وَمَا زَالَتِ الْعَيْسُ الْمَرَايِلُ تَنْبَرِي فَيُقْضَى، لَدَى آلِ الْمُدَبِّرِ، حَاجُهَا
ظلت العيس (الإبل) المراسيل (السهلة في سيرها) تنبري (تهزل ويبريها طول السير) - وعليها
راكبوها - فيقضي آل المدير حاجاتها

أُنَاسٌ، قَدِيمُ الْمَكْرُمَاتِ وَجَدْتُهَا لَهُمْ؛ وَسَرِيرُ الْعُجَمِ فِيهِمْ وَتَاجُهَا
أناس لديهم المكرمات (الأمجاد) القديمة، وفيهم سرير (عرش) العجم وتاجهم

إِذَا خَيَّمُوا فِي الدَّارِ ضَاقَتْ رِبَاعُهَا وَإِنْ رَكَبُوا فِي الْأَرْضِ نَارَ عَجَاجُهَا
وهم كثر (والقدماء يفتخرون بكثرة العدد) تضيق بهم رباع الدار (ربوع المحلة التي ينزلون بها)،
وإن ركبو الخيل نار عجاج الأرض (غبارها)

مَلِئُونَ أَنْ تُسْقَى الْبِلَادُ غِيَاثُهَا بِأَوْجُهِهِمْ حَتَّى تَسِيلَ فِجَاجُهَا
ملئون (جديرون) أن تُسْقَى البلاد بالمطر ببركة وجوهم حتى تسيل فجاجها (وديانها)

فَإِنَّ عَلَى بَغْدَادَ ظِلَّ غَمَامَةٍ بِجُودِ أَبِي إِسْحَقَ، يَهْمِي أَنْتِجَاجُهَا
وفوق بغداد غمامة (غيمة) - تمثل بكرم أبي إسحق - يهمي (يهطل) انتجاجها (زُخْها)

يَدُ لَكَ عِنْدِي قَدْ أَبَرَّ ضِيَاؤُهَا عَلَى الشَّمْسِ حَتَّى كَادَ يَخْبُو سِرَاجُهَا
لك عندي يد (معروف) أبرّ (زاد) ضوءها على ضوء الشمس حتى كاد يخبو سراج الشمس لسطوع معروفك

هِيَ الرَّاحُ تَمَّتْ فِي صَفَاءٍ وَرَقَةٍ فَلَمْ يَبْقَ لِلْمَصْبُوحِ إِلَّا مَزَاجُهَا
هذه النعمة منك هي مثل الراح (الخمر) صافية ورقيقة (والخمر الجيدة فيها رقة، وليست كثيفة ولا
لزجة، فاعلم!)، ولم يبق للمصبوح (الشارب الخمر صباحاً) إلا مزج الخمر بالماء. يقول: نعمتك
عظيمة، ولم يبق سوى القليل لكي تكون تامة

فَإِنْ تُلْحِقِ التُّعْمَى بِتُّعْمَى، فَإِنَّهُ يَزِينُ اللَّالِي فِي النَّظَامِ أَزْدَوَاجَهَا

فإن تلحق التعمى (المعروف) بنعمى أخرى فهذا يتممها، فاللآلى في النظام (العقد) تزداد حسناً بازدواجها (بأن تكون مضاعفة فكل لؤلؤة في الجانب الأيمن تقابلها مثيلة لها في الأيسر). سيأخذ أحمد شوقي بعد ألف سنة الشطر الثاني ليهجو المويلحي. في كتابنا الرابع من هذه السلسلة الخمسية سنعرض لشعر شوقي، أما هذا فالكتاب الثاني

١٣٩ قبل أن يتلون الألوانا

أَمَّا الْعُدَاةُ فَقَدْ أَرَوْكَ نُفُوسَهُمْ فَأَقْصِدْ بِسُوءِ ظُنُونِكَ الْإِخْوَانَا

قد عرفت يا بحرّي الأعداء وكشفوا لك صفحتهم، فالآن كن سيء الظن بالإخوان (الأصدقاء)

وَأَخِفُّ عَنْ كَتِفِ الصَّدِيقِ نَزَاهَةٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَلَوْنَ الْأَلْوَانَا

إنني أخفف حضورى عند الصديق متزهاً متزهاً، قبل أن يتلون ويتغير علي

وَأَخْ أَرَابَ، فَلَمْ أَجِدْ فِي أَمْرِهِ إِلَّا التَّمَّاسُكَ عَنْهُ، وَالْهَجْرَانَا

ورب أخ أراب (صار مريباً) فلم أجد من سلوك سوى التماسك (الانقباض عنه) والابتعاد عنه

أَغْبَبْتُهُ أَنْ أَسْتَمِيعَ لَهُ يَدًا أَوْ أَنْ أُعْنِيَ فِي مِنْهُ لِسَانَا

أغيبته (أقللت رؤيته) فلم أستمع يده (لم أطلب معرفته) ولم أكلفه بأي كلام في الاعتذار

وَأَرَاهُ، لَمَّا لَمْ أَطَالِبْ نَفْعَهُ، أَنْشَأَ يَضُرُّ تَغْيِبًا وَعِيَانَا

وأراه الآن - وأنا لا أكلفه أي عطاء - قد أنشأ (بدأ) يسمى في ضرري تغيباً (في غيبي) وعياناً (وفي حضوري)

وَكَمَا يَسْرُكُ لِيَنْ مَسِّي رَاضِبًا فَكَذَاكَ، فَاخْشَ خُشُونَتِي غَضَبَانَا

مثلما تسرك ليوتى في وقت الرضا فليكن أن تخشى خشونتي عندما أغضب

١٤٠ مرسل الريح

قال في ريح خرجت من وهب بن سليمان في حضرة الوزير:

أَبِينِي لَنَا أَيُّهَا الْوَاسِعَةُ أَعَاصِيَةٌ أَنْتِ أَمْ طَائِعَةٌ؟

يكلم البحرّي فقحة وهب. يسألها: أنت عاصية له أم مطيعة؟

فَقَدْ أَنْكَرَ النَّاسُ مَا قَدْ جَنَيْتِ فَهَلْ أَنْتِ فِي مِثْلِهَا رَاجِعَةٌ؟

فقد أنكر الناس الجناية التي بدرت منك، فهل ستعودين إلى مثلها؟

أَيَا وَهْبُ! لِمَ هَتَفْتَ بِالْوَزِيرِ؟ لَعَلَّكَ بَيَّتَهَا جَائِعَةً
يا وهب! لماذا تركتها تهتف في حضرة الوزير؟ هل جعلتها تبيت جائعة (قصده أن الرجل لم
يستدخل شيئاً من دبر)

فَجَاءَتْ تَظَلُّمٌ مِّنْ ظَالِمٍ إِلَى مُنْصِيفٍ أَذْنُهُ سَامِعَةٌ
فجاءت تظلم (ترفع شكواها) لمن ينصفها ويسمع منها

١٤١ قف يا زماني

يمدح أبا الحسين محمد بن صفوان العقيلي:

لِلَّهِ أَيَّامُنَا مَا كَانَ أَحْسَنَهَا لَوْ أَنَّ دَهْرًا تَوَلَّى ذَاهِبًا وَقَفَا
لله تلك الأيام ما كان أحسنها، لو أن الزمن الذي انقضى قد توقف ولزم حاله الأولى
لَا تُكَذِّبَنَّ! فَمَا الدُّنْيَا بِرَاجِعَةٍ مَا فَاتَ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَمَا سَلَفَا
لا يكذبن عليك أحد! فليست الدنيا راجعة (مُرْجِعَة) ما فات (ذهب) من ملذاتها

١٤٢ تفريط الطبيب

يمدح أبا المعمر الهيثم بن عبد الله:

أَمَّا (لِرَبِيعَةِ الْفَرَسِ) انْتِهَاءٌ عَنِ الزَّلْزَالِ فِيهَا، وَالْحُرُوبِ؟
ألا تنتهي هذه القبيلة عن الزلزال (المصائب) فيها والحروب؟

وكَانُوا رَقَعُوا أَيَّامَ سَلَمٍ عَلَى تِلْكَ الْقَوَارِحِ وَالنُّدُوبِ
وكانوا جعلوا بضعة من أيام السلم رقعا تغطي تلك القوارح (الجروح) والندوب (آثار الجروح)

إِذَا مَا الْجُرْحُ رُمَّ عَلَى فَسَادٍ نَبَّيْنَنَ فِيهِ تَفْرِيطُ الطَّبِيبِ
ولكن الجرح إذا رم (تم ترميمه) على فساد (دون تنظيف)، فيظهر تفريط (إهمال) الطبيب

يُشَقُّ الْجَنْبُ، ثُمَّ يَجِيءُ أَمْرٌ يُصَغَّرُ فِيهِ تَشْقِيقُ الْجِيُوبِ
يُشق الجنب (يمزق القميص)/وفي المصيبة كانوا يمزقون أقمصتهم، ويأتي بعدئذ أمر أخطر مما
سبق، يصبح تمزيق الأقمصة هينا بالنسبة إليه

وَفِي حَرْبِ الْعَشِيرَةِ مُؤَيَّدَاتٍ تُضَعِّعُ تَالِدَ الْعِزِّ الْمَهِيْبِ
في الحرب العشائرية مؤيّدات (مصائب) تضعضع تالد (موروث) العز المهيّب

١٤٣ قتل القروذ

يرثي أخا الصابوني قاضي أنطاكية، وكان قَتَلَهُ سيما الطويل حاكمها:
وَنُنَكِّرُ أَنْ تَطَّرَقْنَا الْمَنَايَا، كَأَنَّا قَدْ خُلِقْنَا لِلْخُلُودِ
تَطَّرَقْنَا (تعترض طريقنا)

وَمَا بَرِحْتُ صُرُوفُ الدَّهْرِ حَتَّى أَرْتَنَا الْأَسَدَ قَتَلَى لِلْقُرُودِ
ما زالت صروف الدهر (مصائبه) تتابنا حتى أرتنا الأسود قتلى بيد القروذ

١٤٤ يا صاحب البريد

يهجو ابن أبي قماش:

دَهَتْكَ بَعْلَةٌ الْحَمَامِ فَوُزَّ وَمَالَتْ فِي الطَّرِيقِ إِلَى سَعِيدِ
دهتك (خدعتك) بعلة (بحجة) الحمام فوز زوجتك، ومالت في طريقها إلى سعيد. قالت لزوجها
إنها ذاهبة للحمام العمومي!

أَرَى أَخْبَارَ بَيْتِكَ عَنْكَ تُطْوَى، فَكَيْفَ وَلَيْتَ أَخْبَارَ الْبَرِيدِ؟
أخبار بيتك تطوى (تحجب) عنك، فكيف وليت (توليت) ديوان البريد!

١٤٥ الحمار المرزوق

يمدح صاعد بن مخلد، ويهجو يعقوب بن أحمد بن صالح بن شيرزاد:

وَإِخَاءٍ مِنْهُ لَوْ يُغَرِّضُ لِلْـ بَيْعٍ فِي سُوقِ الثُّلَاثَا مَا نَفَقَ
لا أحد يريده. إخاءه (صدافته)، فلو عرضت صداقته للبيع في هذه السوق الأسبوعية - لا أدري لعلها
سوق للماشية - ما نفقت (ما بيعت)

لَا تَعَجَّبْ أَنْ تَرَى خَاتِمَهُ وَعَلَيْهِ: «الْجَحْشُ بِاللَّهِ يَنْقُ»!
لا تعجب (تتعجب) أن ترى خاتمه منقوشاً عليه عبارة «الجحش بالله ينق». وكانوا في القديم يتخذ
كل أحد شعاراً ينقشه على خاتمه

لَوْ صَفَرْنَا عَبَّ فِي الْمَاءِ، وَلَوْ مَرَّ مُجْتَازاً عَلَى الْأَثْنِ نَهَقَ
هذا المهجو له إحساس الحمار، فلو صفرنا له كما نفعل للحمار عب في الماء (شرب)، ولو كان
مجتازاً (ماراً) على الأثن (إناث الحمير) لنهق

إِنْ مَشَى هَمَلَجٌ، أَوْ صَاحَ إِلَى صَاحِبِ عَشَرَ، أَوْ مَاتَ نَفَقٌ
وهذه هي المفردات الثلاثة به: هملج (مشى رويداً، وهي للحمار والبغل)، عَشْرَ (نَهَقَ عَشْرًا)، نفق (مات، وتستعمل للحِوان)

تُخْطِئُ الدُّنْيَا الْمَقَادِيرَ، فَفِي الْـ جَوَّ مَنْ لَمْ يَكُ فِي قَعْرِ النَّفَقِ
الدنيا تخطئ في فهم مقادير الناس (أقدارهم) فيكون أحدهم في أعالي الجو بينما مقداره لا يجيز له أن يكون حتى في قعر النفق

كَانَ يُخَيِّ مَيِّتًا مِنْ ظَمَأٍ فَضُلٌ مَا أُوبَقَ مَيِّتًا مِنْ غَرَقٍ
كان يمكن أن يحيي الميت من العطش فضلُ (بقية) الماء التي أوبقت (أهلكت) الآخر غرقاً.
يقول: بعض يموت عطشاً وبعض يموت غرقاً، فإلى سوء التوزيع. وكان يمكن للمياه التي غرقت هؤلاء أن تروي أولئك. (أكتب هذه الإضافة في ٢٠ أغسطس آب ٢٠١٠، وقد بلغ قتلى الفيضان في باكستان ألفاً وخمسمئة، بينما الناس في النيجر يموتون عطشاً)

١٤٦ إذا جحد الله والمرسلين..

يهجو أحمد بن صالح وولده:

عَلَيْجٌ يَدِينُ بِأَنَّ لَا إِلَهَ وَأَنَّ لَا قَضَاءَ، وَأَنَّ لَا قَدَرَ
عليج (علج حقيق/ العلوج هم العواثم من غير العرب) يدين (يعتقد) بعدم وجود الله، ولا يؤمن بقضاء ولا يقدر

وَشَتَامَةٌ لِصِحَابِ النَّبِيِّ - يُزَجِّرُ عَنْهُمْ فَمَا يَنْزَجِرُ
وهو شتامة (كثير الشتم) للصحابه، ويُزجر (يعتف) عن شتمهم فلا ينزجر

إِذَا جَحَدَ اللَّهُ وَالْمُرْسَلِينَ فَكَيْفَ نُعَاتِبُهُ فِي عَمَرٍ؟
وهو ينكر الله والأنبياء فكيف نعابه في عدم احترام عمر بن الخطاب؟

١٤٧ أرميهم باسمك

يمدح إسماعيل بن بلبل الوزير:

وَإِنِّي لَمَرْفُودٌ عَلَى كُلِّ تَلْعَةٍ بِنَصْرِ ابْنِ خَالٍ، يَحْمِلُ السَّيْفَ، أَوْ عَمَّ
إنني مرفود (حاصل على العون) فوق كل تلعة (ربوة) إذ ينصُرني أبناء الخؤولة والعمومة بسيوفهم

وَمَا أَبْهَجْتَنِي كِبَوَةُ الْجَحْشِ، إِذْ كَبَا لِفِيهِ، لَوْ أَنَّ الْجَحْشَ أَقْلَعَ عَنْ ظُلْمِي
وما كنت أبتهج لكبوة الجحش (سقطه) الجحش إذ سقط لفيه
(على فمه، على وجهه) لو أنه كان كفَّ عن ظلمي

فَلَوْلَا أَبُو الصَّقْرِ الْأَعْرُ وَجُودُهُ، رَضِيتُ قَلِيلِي، واقتَصَرْتُ عَلَى قِسْمِي

لولا أبو صقر الأعر (المشرق) ولولا جوده لرضيت بالقليل واقتصرت على ما قسم الله لي من الرزق

كَأَنَّكَ مِنْ جِذْمٍ مِنَ النَّاسِ وَاحِدٍ، وَسَائِرَ مَنْ يَأْتِي الدَّنِيَّاتِ مِنْ جِذْمٍ
كَأَنَّكَ، يا أبا الصقر، مخلوق من جذم (أصل) من بين هؤلاء الناس، وسائر الذين يقدمون على
الدنيات (أفعال السوء) من أصل مختلف

وَكَمْ دُذْتُ عَنِّي مِنْ تَحَامُلِ حَادِثٍ وَسُورَةِ أَيَّامٍ حَزَزْنَ إِلَى الْعَظَمِ
كثيراً ما دذت عني (دَقَفْتُ عَنِّي) تحامل حادث (وطأة مصيبة) وسورة (هجمة) أيام صعبة حزت
لحمي ووصلت إلى العظم

أَحَارِبُ قَوْمًا لَا أَسْرُ بِسُوءِهِمْ، وَلَكِنِّي أَرْمِي مِنَ النَّاسِ مَنْ تَرْمِي
إنني أحارب أناساً لا عداوة بيني وبينهم، ولست أسرُّ بأن يلحق بهم السوء، وذلك نصرة لك، فأنا
أرمي بأسهم من ترمي أنت

١٤٨ مشغول بقطع الأرزاق

يمدح أبا الصقر إسماعيل بن بلبل ويهجو أحمد بن صالح بن شيرزاد:

وَصَلَنْ الْعَوَانِي حَبْلَهُ وَهُوَ نَاشِئٌ وَقَارَضْنَهُ الْهَجْرَانَ وَالشَّيْبُ وَاخِطُهُ
وصلت العواني حبله (بادلته الحسان الغزل) وهو ناشئ (شاب)، وقارضنه الهجران (تعاملن معه
بالهجر) والشيب واخطه (والشيب متسلل إلى رأسه)

لَعَمْرُكَ مَا فِي شِيرَزَادَ وَلَا ابْنِهِ مَكَانٌ تُدَانِيهِ الْعُلَا أَوْ تُخَالِطُهُ
ليس في هذا الرجل ولا في ابنه موضع يقترب منه المجد

يَبِيتُ مُعْنَى النَّفْسِ، مِنْ لُؤْمٍ أَضْلِهِ، بِأَنْ يُقْبِضَ الرِّزْقُ الَّذِي اللَّهُ بِأَسْطُهُ
للؤم أصله يبيت شيرزاد معنى النفس (مُتَعَباً نَفْسِيًّا) وهو يفكر كيف يقطع الرزق الذي بسطه الله
لأحد الناس

١٤٩ أتعبت شكري

يمدح إسماعيل بن بلبل:

أَتَعَبْتُ شُكْرِي، فَأَضْحَى مِنْكَ فِي نَصَبٍ فَادْهَبْ، فَمَا لِي فِي جَدَوَاكَ مِنْ أَرْبٍ
جعلت شكري في نصب (تعب)، فادْهَبْ فما لي في جدواك (عطائك) أرب (غرض)

لا أَقْبَلُ، الدَّهْرَ، نَيْلًا لَا يَقُومُ بِهِ شُكْرِي، وَلَوْ كَانَ مُسْدِيهِ إِلَيَّ أَبِي
لا أقبل الدهرَ (طول الدهرِ) نَيْلًا (عطاء) لا يقوم به شكري (لا يوازيه شكري)، حتى لو كان مسديه
(مقدمه) إلي والدي

١٥٠ عمري شباب وزماني ربيع

قال في وداعه أبا غانم الشاه ابن ميكال عند خروجه إلى البصرة:

رُكْنِي بِآلَاءِ أَبِي غَانِمٍ ثَبْتُ، وَكَهْفِي فِي ذَرَاهُ مَنِيعٌ
ركني (دعامتي) بسبب آلاء (نعم) أبي غانم ركن ثابت، وكهفي (يقصد حمايتي) في ذراه (في كنفه)
منيع (حصين)

كَمْ أَدَّتِ الْإِيمَامُ لِي ذِمَّةً مَحْفُوظَةً فِي ضِمْنِهِ مَا تَضِيعُ
كم أدى الزمن إلي ذمة (أمانة) كانت محفوظة في كفاله لا ضياع لها

وَكَمْ لَبِسْتُ الْخَفْضَ فِي ظِلِّهِ عُمُرِي شَبَابٌ، وَزَمَانِي رَبِيعٌ
كثيراً ما تمتعت بالخفض (الدعة) في ظله. عمري شباب وزماني ربيع (هذا الشطر الثاني شعر رائع جداً)

١٥١ ابن أصل

يمدح إسماعيل بن بلبل:

لَا تُلْحِقَنَّ إِلَى الْإِسَاءَةِ أَحْتَهَا شَرُّ الْإِسَاءَةِ أَنْ تُسِيءَ مُعَاوِدًا
وارفع يدك إلى السَّامَاةِ مُفْضِلًا إِنَّ الْعُلَا فِي الْقَوْمِ لِلْأَعْلَى يَدًا
مفضلاً (متمكراً)

وَيَسُرُّنِي أَنْ لَيْسَ يَكْرُمُ شَيْمَةً، مِنْ مَعْشَرٍ، مَنْ لَيْسَ يَكْرُمُ وَالِدًا
شيمة (خُلُقًا)

١٥٢ أشق الأفعال

يمدح بني مخلدٍ وكاتب ابن لَيْثَوَيْه:

ثَقُلْتُ وَطْأَةَ الزَّمَانِ عَلَى جَا نِبٍ وَفَرِي، وَأَقْسَمْتُ لَا تَخِفُ
الوفر (الغنى)

وَأَشَقُّ الْأَفْعَالِ أَنْ تَهَبَ الْأَنْفُ مَنْ مَّا أُغْلِقَتْ عَلَيْهِ الْأَكْفُ
من أصعب الأشياء على النفوس أن تهب (تمنح) مالاً حصل في كيسها

يَفْسُدُ الْأَمْرُ، ثُمَّ يَضْلُجُ مِنْ قُرْبٍ؛ وَلِلْمَاءِ كَذْرَةٌ ثُمَّ يَضْفُو

من قرب (من أهون سبيل)

١٥٣ استرقاق بالجوذ

يملح ابن الفرات:

كُلَّمَا قَلْتُ: أَعْتَقَ الْمَذْحُ رِقِّي، رَجَعْتَنِي لَهُ أَيْدِيهِ عَبْدًا

كلما ظننت أن مدحي له خلصني من عبوديتي لإحسانه رجعتني (أرجعتني) أيديه (أعطياته) عبداً له

١٥٤ اغتتم الفرصة

وقال لصاعدي، وقد طالبه بإقطاع:

بَيْنَنَا حُرْمَةٌ وَعَهْدٌ وَثِيقٌ وَعَلَى بَعْضِنَا لِبَعْضٍ حُقُوقٌ

فَاغْتَنِمُ فُرْصَةَ الزَّمَانِ، فَمَا يَدُ رِي مُطِيقٌ لَهَا، مَتَى لَا يُطِيقُ

لا يدري المطيق للفرصة (الذي يستطيع استغلالها) متى تفلت منه

١٥٥ كل شيء بقدر

لَنْ تَنَالَ الْمَزُورِيَّ عَنْكَ بِتَذْيِيرٍ، وَلَنْ تَضَعَدَ السَّمَاءُ بِحِيلَةٍ

المزوي عنك (المنوع عنك)

وَإِذَا مَا اُعْتَبَرْتَ ظَاهِرَ حَالِي كَانَ خُطْباً مِنَ الْخُطُوبِ الْجَلِيلَةِ

١٥٦ لعنه الله من كار

وقال يستبطن جماعة من كتاب الجبل، وكان أنفذ إليهم بغلامه نصرٍ لتنجز رسومه

فأبطأ عليه:

وَصَدَّتْ (رَبِيعَةً) عَنْ شَاعِرٍ يُسَمِّي (رَبِيعَةً) أَخْوَالَهُ

فَلَا بُورِكَ الشُّعْرُ مِنْ صَنَعَةٍ وَمَنْ قَبِلَ فِيهِ، وَمَنْ قَالَ

١٥٧ الكنيف

يهجو أبا أحمد بن المنجم:

بَلَوْتُ أَبَا أَحْمَدٍ مَرَّةً فَأَلْفَيْتُ مِنْهُ بَخِيلًا سَخِيفًا

بلوت (جربت)، ألفيت منه (ألفيته)

ولولا الضَّرُورَةُ لَمْ آتِهِ وَعِنْدَ الضَّرُورَةِ آتَى الْكَئِيفَا
الكئيف (المرحاض)

١٥٨ النجيب حقاً

يمدح إسحاق بن إسماعيل نوبخت:

وَأَرَى النَّجَابَةَ لَا يَكُونُ تَمَامُهَا لِنَجِيبٍ قَوْمَ لَيْسَ بِابْنِ نَجِيبٍ
النجابة (الذكاء والنجاح) لا تتم لشخص إلا إذا كان أبوه نجيباً أيضاً

١٥٩ خوش تعزية

يعزي أبا الحسن بن الفرات عن ابنته:

وَمِنْ نِعَمِ اللَّهِ، لَا شَكَّ فِيهِ، بَقَاءُ الْبَنِينَ، وَمَوْتُ الْبَنَاتِ
لِقَوْلِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَا مُ: دَفَنُ الْبَنَاتِ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ
والحديث يتردد في الكتب ولكنه في رأي الثقات ضعيف، وقال ابن الجوزي إنه موضوع. [انظر
مثلاً آخر لتعزية البحرى في الأثنى (القصيد ٣٦)]

١٦٠ الداهية الأريب

يمدح إسحاق بن إسماعيل بن نوبخت:

أَحْكَمْتَ مَا دَبَّرْتَ بِالتَّجَبُّدِ، وَالتَّ - قَرِيبِ، وَالتَّضَعِيبِ، وَالتَّسْهِيلِ
لقد ضبطت أمورك بكثير من الحيلة وابتاع طرق شتى مع أناس شتى
لَوْلَا التَّبَائِنُ فِي الطَّبَائِعِ لَمْ يَقُمْ بُنْيَانُ هَذَا الْعَالَمِ الْمَجْهُولِ
التباين (الاختلاف) في طبائع الناس هو أساس العالم

١٦١ الخِذْلَان

وما زال خَذَلَ الدهرِ حَتَّى تَوَقَّعْتُ يَمِينِي، غَدَاةَ النَّصْرِ، خَذَلَ شِمَالِي
ظل خذل (خِذْلَان، وعدم مساعدة) الزمن يريني عجائبه حتى توقعت يدي اليمنى غداة النصر (وقت
الحاجة للنصرة) أن تخذلها يدي اليسرى

عَلَى أَنَّ لِي سُلْطَانَ رَغْبٍ وَرَهْبَةٍ أَصُولُ بِهِ فِي الْعِزِّ كُلِّ مَصَالٍ
لكن لي سلطان ترغيب وترهيب بشعر المدح والهجاء، وأنا أصول وأجول كل مصال (صولان) في
ميدان العز بسبب سلطة شعري

١٦٢ صديق الكلب ضاربه

يمدح محمد بن بدر:

الأَرْضُ أَوْسَعُ مِنْ دَارِ أَلِطَ بِهَا، وَالنَّاسُ أَكْثَرُ مِنْ خِلِّ أَجَاذِبُهُ
الأرض أوسع من دار أَلِطَ بها، والناس أكثر من مجرد خل أجاذبه (صديق أخذ
وأعطي معه)

أَعَاتِبُ الْمَرْءَ، فِيمَا جَاءَ، وَاحِدَةً ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْهِ، لَا أَعَاتِبُهُ
أعاب المرء فيما جاء (فيما فعل) مرة واحدة، ثم أفء عنه ولا أعود لعتابه

وَلَوْ أَحَفْتُ لِثِمِّ الْقَوْمِ جَنَّبَنِي أَذَاتُهُ؛ وَصَدِيقُ الْكَلْبِ ضَارِبُهُ
ولو كنت أخيف لثيم القوم جئبني أذاه، كالكلب الذي يصادق من يضربه

١٦٣ حبذا لو يقف الزمان

يمدح علي بن محمد بن الفياض:

شَطَّ مِنْ سَاكِنِ (الْعُؤَيْرِ) مَزَارُهُ وَطَوَّئَهُ الْبِلَادُ، فَالَّلَهُ جَارُهُ
شط (ابتعد) مزار (مكان) سكان «الغوير» لرحيلهم، وقد طوتهم البلاد فالله الآن جارهم، فقد
أصبحوا بعيدين ولم يعودوا جيرانني

كُلَّ يَوْمٍ عَنْ (ذِي الْأَرَاكِ) خَلِيطٍ يَلْتَوِي وَضْلُهُ، وَتَعْفُو دِيَارُهُ
في كل يوم يرحل عن وادي «ذي الأراك» خليط (قوم) فيلتوي وصلهم (يتعذر اللقاء بهم)، وتعفو
ديارهم (تمحي آثار مخيماتهم)

يَبْتَغِي الْمَرْءُ وَقْفَةَ الْعَيْشِ، وَالْعَيْدِ شُ سَجَالٍ كَثِيرَةً أَطْوَارُهُ
يتمنى المرء أن يقف الزمن وقفة لينعم بلذة اللحظة الهائلة، ولكن العيش سجال (مقلب) كثير
الأطوار

لَبِثْتُ شِعْرِي عَنِ اللَّثِيمِ إِذَا لَبِثَ سَمَ عَلَى قَرْطٍ بُخْلِهِ، مَا اعْتِدَارُهُ؟
لیم (تلقى اللوم). بيت وجدناه رافقاً في القصيدة وسط حشف كثير فالصقناه في ذيل القطعة

١٦٤ كل ممنوع..

لَيْسَ يَحْلُو وَجُودُكَ الشَّيْءَ تَبْغِيهِ إِهَ النِّمَاسُ، حَتَّى يَعْزَّزَ طِلَابُهُ

ليس حلواً وجودك الشيء تبغيه (عشورك عليه) الذي تريده وتلتمسه (تطلبه) إلا إذا عز طلابه (صعب مناله)

١٦٥ كلفتمونا حدود منطقكم

وقال يهجو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر (وهو من كبراء الدولة، وكان شاعراً، وقد هجا البحري، فرد عليه البحري بهذه القصيدة. وبحسب شرح طويل في ذيل تحقيق الصيرفي للديوان فإن ابن الرومي والأمير تعاونوا في هجاء البحري). وفي القصيدة أدناه ينال البحري من ابن الرومي وتطويله في الشعر دون أن يسئبه:

لَا الدَّهْرُ مُسْتَفْتَدٌ، وَلَا عَجَبُهُ تَسْؤُمُنَا الحَخْفَ كُلُّهُ نُوبُهُ
الدهر ليس مستفدّاً (متهاً) وكذلك أعاجيبه، وتسومنا ألوان الخسف (ترغماً على الذل) نوب
(مصابه) الدهر

نَالَ الرِّضَا مَادِحٌ وَمَمْدَحٌ فَقُلْ لِهَذَا الْأَمِيرِ مَا غَضَبُهُ؟
المادح والمدح راضيان، فعلام غضب هذا الأمير؟

وَنَحْنُ مَنْ لَا تُطَالُ هَضْبَتُهُ وَإِنْ أَنَاكَتْ بِفَاخِرٍ رُتْبُهُ
نحن من لا تطال هضبته (لا أحد يبلغ شرفنا)، مهما أناكت (ارتفعت) بالفاخر (الذي يفخر علينا) رتبه

لَوْ أَعْرَبَ النُّجْمُ عَنْ مَنَاقِبِهِ لَمْ يَتَجَاوَزْ أَحْسَابَنَا حَسْبُهُ
لو أن النجم نفسه كشف مناقبه (محاسنه)، لما تجاوز حسبه (مجده) أحسابنا

لَوْلَا غَرَامِي بِالْعَفْوِ قَدْ لَقِيَ الظُّ - أَلَمْ شَرّاً، وَسَاءَ مُنْقَلَبُهُ
لولا حبي للعفو للقي الظالم جزاء ظلمه، وساء منقلبه (عوقب نتيجة فعله)

وَخَيْرَتِي عَقْلٌ صَاحِبِي، فَمَتَى سُقْتُ الْقَوَافِي فَخَيْرَتِي أَذْبُهُ
خيرتي (ما يهمني فأختاره) عقل صاحبي، ولكنني إذا قلت شعراً فالذي يهمني ما عنده من فهم للأدب

كَلَفْتُمُونَا حُدُودَ مَنْطِقِكُمْ وَالشَّعْرُ يُغْنِي عَنْ صِدْقِهِ كَذِبُهُ
أيها النقاد والمتحذلقون بشأن معاني الشعر قد كلفتمونا حدود (تعريفات) المنطق؛ والشعر يغني فيه الكذب عن الصدق (فيه خيال ووهم كثير)

وَلَمْ يَكُنْ ذُو الْقُرُوحِ يَلْهَجُ بِالْ - مَنْطِقٍ: مَا نَوْعُهُ وَمَا سَبَبُهُ؟
ولم يكن ذو القروح (لقب امرئ القيس) يلهج (يتكلم) بالمنطق والفلسفة، والأسباب والنتائج

وَالشَّعْرُ لَمْحٌ تَكْفِي إِشَارَتُهُ وَلَيْسَ بِالْهَذَرِ طَوَّلُ خُطْبِهِ
الشعر لمح تكفي إشارته (تلميح بالمعنى وليس استقصاء منطقياً)، وليس بالهذر (اللغو) المطول.
ولو فتحت ديوان ابن الرومي - وهو المعروض به في هذه القصيدة - لوجدت قصائده تطول حتى تبلغ المتي بيت والثلاثمئة

واللفظ حلِّي المعنى، وليس يُرَبِّـكَ الصُّفْرُ حُسْنًا يُرِيكَ ذَهَبَهُ

اللفظ حلية للمعنى. وليس يريك الصفر (نوع من النحاس) ذلك الجمال الذي يريك إياه الذهب. بيت ملتوي المعنى حصيلة: أن اللفظ والمعنى كليهما مهم، فالذهب فيه خواص دفيئة، وعليه رونق ظاهري ليسا كلاهما في النحاس

١٦٦ المدح المجاني

يمدح علي بن محمد بن الحسين بن الفياض كاتب ابن كنداج:

أَبْعَدَمَا أَعْلَقَ الْأَقْوَامُ مِيسَمَهُمْ بِصَفْحَتِي، وَقَتَلْتُ الْأَرْضَ عِرْقَانَا؟

هل بعد أن وضع كل قوم على وجهي ميسمهم (حديدتهم المحمأة بالنار علامة الملكية)، وبعد أن قتلت الأرض معرفة بها..

يَرْجُو الْبَخِيلُ اغْتِرَارِي، أَوْ مُخَادَعَتِي، حَتَّى أَسُوقَ إِلَيْهِ الْمَدْحَ مَجَّانًا؟

.. أبعد ذلك يرجو البخيل اغتراري (خداعي) لكي أمدحه مجاناً؟ نعم، قد مدح البحترى بائعي البصل والبادنجان وهو صغير، ومدح صغار القواد، ونال العطايا بالدراهم القليلة، وتدرج إلى أن مدح سبعة خلفاء ضمن العشرات الذين مدحهم، فهذا التاجر الماهر في سوق المدح لم يعد يغتر بالبخلاء

١٦٧ اللياذ بالله

يمدح ابن الفياض:

كُلُّ مَاضٍ أَنَسَاهُ، غَيْرَ لَيَالٍ مَاضِيَاتٍ لَنَا (بِبَارَى) وَ(بِنَا)
مُغْرَمٌ بِالْمُدَامِ، أَتَرَعُ كَأْسًا سَاطِعًا ضَوْؤُهَا، وَأُنْرِفُ دَنَّا
أَتَرَعُ (أَمْلًا)، أُنْرِفُ دَنَّا (أَفْرَغُ دَنَّا) وَالِدَن خَايَةِ الْخَمْرِ الْكَبِيرَةِ

حَيْثُ لَا أَزْهَبُ الزَّمَانَ، وَلَا أُلْـ قِي إِلَى الْعَاذِلِ الْمُكْثَرِ أَذْنَا
يَزْعُمُ الْبِرَّ فِي التَّشَدُّدِ، وَالْأَسْـ مَحُ أَحْجَى لَأَنْ يُبَرَّ وَيُدْنَى
العاذل يزعم أنه مخلص في تشدده باللوم، ولكن الشخص السمع أحجى (أجدر) أن يبر (يُحَسَّنَ إليه) وبأن يكون صديقاً مقرباً

لَمْ تَلْمَنِي أَنِّي سَمَحْتُ، وَلَكِنْ، لُمْتُ أَنِّي أَحْسَنْتُ بِاللَّهِ ظَنًّا

فيا أيها المتشدد! أنت لا تلومني لسماحتي وتساهلي في شرب الخمر، ولكنك تلومني لأنني أحسن الظن بالله وغفرانه. وهكذا الشاربون الساكرون، يزعمون أن الله لا شغل له إلا أن يغفر لهم، والمتشددون المتوعدون يزعمون أن الله لا شغل له إلا عد الكؤوس على شاربها

١٦٨ ماوية وكثيبها

يمدح عبدون بن مَخْلَد:

خَيَالُ مَاوِيَّةَ الْمُطِيفُ أَرَقَ عَيْنَا لَهَا وَكَيْفُ
وَكَيْفُ (مطول دمع)

أَكْثَرَ لَوْمِي عَلَى هَوَاهَا رَكِبْتُ عَلَى دِمْنَةٍ وَفُوفُ
لامني على حبها الركب (الراكبون إيلهم) الذين وقفوا معي لتحية الدمنة (الخربة)

يَرْتَجُّ مِنْ خَلْفِهَا كَثِيبٌ يَغِيَا بِهِ خَصْرُهَا الضَّعِيفُ
ماوية هذه يرتج من خلفها كتيب (مؤخرة شبيهة في كبرها بكثيب الرمل)، وهذا الكتيب يعيا به (يتعب بسببه) خصرها الضعيف

وَاهْتَزَّ فِي بُرْدِهَا قَضِيبٌ مُعْتَدِلٌ قَدُّهُ قَضِيفُ
واهتز داخل بردها (ثوبها) قوامها الشبيه بالقضيب (الفصن) المعتدل القضيف (النحيل)

أَصْبَحَ فِي الْحَارِثِ بِنِ كَغِبٍ طَوْدٌ عَلَى مَذْجِجٍ مُنِيفُ
أصبح في (ممثلاً بـ) الحارث طودٌ (جبل) منيف (مشرف) على قبيلة مذحج

تُرْجَى الرِّغِيَّاتُ فِي ذَرَاهُ وَيُؤْمَنُ الْحَادِثُ الْمَخُوفُ
الرغيات (العطايا)، ذراه (كفه)

لِلْهِ عَبْدُونَ! أَيُّ قَدْ! تَخِفُّ عَنْ وَزْنِهِ الْأَلُوفُ
فذ (متفرد) يوزن بالآلوف الناس

تَرَى أَجْلَاءَ كُلِّ قَوْمٍ وَهُمْ عَلَى رِفْدِهِ عُكُوفُ
على رفده عكوف (عاكفون على عطائه)

١٦٩ الإيوان: الزيارة الصغرى

يمدح عبدون بن مَخْلَد:

لَا جَدِيدُ الضُّبَا، وَلَا رَيْعَانَةٌ رَاجِعُ، بَعْدَمَا تَقْضَى زَمَانُهُ
ربعانه (أوله)

يَذْهَبُ الْبَرْقُ حَيْثُ شَاءَ بِلُبِّي إِنَّ بَدَا الْبَرْقُ، أَوْ بَدَا لِمَعَانُهُ
والبرق يذكر العاشق بحبيته التي رحلت في أيام البرق والرعد لأن قوما بدو رُحُل يلحقون المطر

وَإِذَا صَحَّتِ الرَّوِيَّةُ يَوْمًا فَسَوَاءٌ: ظَنُّ امْرِئٍ، وَعِيَانُهُ
 إذا صحت الروية (التدبر) تساوى ظن المرء وعيانه (تقديره للأمور يصبح دقيقاً كأنه يراها عياناً)
 إِنْ تَعَطَّى عَنْكَ الْأَصَادِقُ، تُبْدِي شِدَّةَ الدَّهْرِ، عَنْهُمْ، وَلِيَانُهُ

إذا تغطى عنك الصادقون ولم تعد تميز بين الناس،
 فالذي يبرزهم تقلب الزمن بين شدة وليان (لين)

يُعْرِفُ السَّيْفُ بِالضَّرْبَةِ يَلْقَا هَا، وَيُنْبِي عَنِ الصَّدِيقِ امْتِحَانُهُ
 السيف تُعرف جودته بالضربة (المضروبة/ العتق مثلاً)
 وينبي (يخبر) عن حقيقة الصديق امتحانه في الأزمان

وَإِذَا مَا أَرَابَ دَهْرٌ، فَمِنْ أَعْدَاءِ شَاجِ بِرَيْبِهِ إِخْوَانُهُ
 إذا ما أراب (أصاب) الدهرُ أحداً أصبح من أعداء هذا الشاجي (الحزين) إخوانه (أصحابه)
 قَالَهُ عَنْ نَبْوَةِ الْأَخْلَاءِ، إِذْ كَانَ عَتِيداً فِي كُلِّ عَوْدٍ دُخَانُهُ
 قاله (فعليك أن تلهو وتنسى) عن نبوة الأخلاء (انحراف الأصدقاء)، ولا تفكر في ذلك فعتيد
 (موجود) في كل عود دخانه. نظرية القدماء أن الدخان الذي سيتصاعد من العود عند حرقه موجود
 في داخله كامن ينتظر الفرصة للظهور

حَفِظَ اللَّهُ، حَيْثُ أَصْبَحَ عَبْدُ اللَّهِ، أَوْ حَيْثُ أَصْبَحَتْ أَوْطَانُهُ
 ليحفظه الله أينما حل. يبدو أن عبد الله هذا سافر قبل قدوم البحري عليه بقليل فلم يتمكن من
 لقائه (ولك في عبد الله النصب والرفع على اعتبارين متقاربين)
 غَبِثُ عَنْهُ، فَعَابَ عَنِّي سُورِي إِنَّمَا يَجْمَعُ الشُّرُورَ مَعَانُهُ
 معانه (منبعه)

نِيَّةٌ عَقَّبَتْ بِحِرْمَانٍ حَظٌّ، رُبَّ نَاءٍ يَنْأَى بِهِ حِرْمَانُهُ
 نويت مقابلته وحرمت منها، والنائي (البعيد) إنما ابتعد به حرمانه المقدور

سَعِدَ الشَّاهِدُ الْمُقِيمُ، وَمِنْ أَسَدِ عَدِ قَوْمٍ بِوَايِلٍ حَيْرَانُهُ
 الشاهد الذي حضر يسعد بالعطية، كالقوم الذين يكون وابل المطر قريباً منهم فيستفيدون منه

زُورَةٌ قُبِضَتْ لِإِيْوَانٍ كَسَرَى لَمْ يُرْذَهَا كَسَرَى، وَلَا إِيْوَانُهُ
 قبضت (نهأت). لعل موقع هذه القصيدة بعد قصيدته السينية في إيوان كسرى (رقم ١٨٥). أم هي
 زيارة أولى للإيوان؟

١٧٠ الخضاب بالمقراض

بمدح علي بن محمد بن الحسين بن الفياض كاتب ابن كنداج:
ليس يرضى عَنِ الزمانِ مُرَوٌّ فيه، إِلَّا عَنِ غَفْلَةٍ أَوْ تَغَاضٍ
مُرَوٍّ (متأمل)

والبَواقِي على اللَّيالي - وَإِنْ خَا لَفَنَ شَيْئاً - فَمُشَبِّهَاتُ المَوَاضِي
الأوقات المقبلة - وإن اختلفت قليلاً - فهي تشبه ما مضى

وَإِذَا مَا امْتَعَضْتُ مِنْ وَلَعِ الشَّيْءِ بِرَأْسِي لَمْ يَثْنِ مِنْهُ امْتِعَاضِي
شَعْرَاتٌ أَقْصَاهُنَّ، وَيَرْجِفُ نَ رُجُوعِ السَّهَامِ فِي الْأَغْرَاضِ
أقص الشعرات البيض ويرجعن للطلوع، كأنهن سهام في الأغراض (الأهداف).
للبيت ثلاثة تفسيرات عند المرتضى كما نقل الصيرفي. وأختار تفسيراً منها: الغرض
هو الهدف المنسوب للتدرب على الرماية، وهو - كما في حانات بلاد الإنجليز -
مصنوع من الفلين أو ما أشبهه، ويرمي الرامون سهامهم، ثم يتزعونها ثم يرمونها،
وتظل تقع على هذا الهدف غير مقلعة عنه

وَأَبَتْ تَرْكِيَّ الغُدَيَاتِ وَالْأَصَالِ صَالٌ حَتَّى خَضَبْتُ بِالمِقْرَاضِ
لم يتركني كر الزمن غُدَيَاتِ وَأَصَالاً (صباحات ومساءات) وبقيت حياً، وصرت
أخضب شعري بالمقراض (بالملقط). أي أنه بدل أن يصبغ شعره صار ينزع الشعرات
البيض بالملقط. وقولته (حتى خضبت بالمقراض) فيها خيال وصنعة. ونقل عن
البحري قوله: «مكثت في (خضبت بالمقراض) أربعين سنة حتى أتممتها»

١٧١ الدنيا وأحوالها

بمدح صاعد بن مخلد:

يُفَاوِتُ مِنْ تَأْلِيْفِ شِعْبِي وَشِعْبِهَا تَنَاهِي شَبَابِي، وَابْتِدَاءُ شَبَابِهَا
المعنى الذي ألمحه: يواعد شعبي (طريقي)
من طريقها أن شبابي وصل إلى نهايته بينما شبابها في أوله

مَتَى تَسْتَرِدُّ فَضْلاً مِنَ العُمَرِ تَعْتَرِفُ بِسَجْلِيكَ مِنْ شَهْدِ الخُطُوبِ وَصَابِهَا
إذا نلت فضلاً (زيادة) من العمر فسوف تعترف بسجلك (بِدَلْوَيْكَ) من شهد الأحداث ومن صابها
(مُرَّها)

يُسَرُّ بِعُمَرَانِ الدِّيَارِ مُضَلَّلٌ وَعُمَرَانِهَا مُسْتَأْنَفٌ مِنْ خَرَابِهَا
الذي يسره كون الديار عامرة مضلل (مخطئ)،
فالعمران مستأنف بعد خراب سابق، وبالطبع سيتبعه خراب

ولم أَرْضِ الدنيا أَوَّانَ مَجِبَتِهَا فَكَيْفَ ارْتَضَائِيهَا أَوَّانَ ذَهَابِهَا؟

لم أَرْضَ (لم أَرْضَ) الدنيا أَوَّانَ مَجِبَتِهَا (عندما كنت شاباً) فكيف ارتضائي إياها وهي ذاهبة؟

١٧٢ البضاعة وصلت

قال لبعض ولد يزيد بن المهلب:

وَلَا مَجْدَ إِلَّا حِينَ تَحْسِنُ عَائِدًا، وَكُلُّ فَتَى فِي النَّاسِ يُحْسِنُ بَادِيًا

المجد الحقيقي أن تكرر الإحسان، فكل إنسان يبدأ بالإحسان مرة،

المهم ألا يندم عليها وأن يكررها

وَمَا لَكَ عُذْرٌ فِي تَأْخُرِ حَاجَتِي لَدَيْكَ، وَقَدْ أَرْسَلْتُ فِيهَا الْقَوَافِيَا

ليس لك عذر الآن بعد أن مدحتك. يجب تسديد الحساب

١٧٣ ارتقاب المكروه

أَجِدْكَ! مَا الْمَكْرُوهُ إِلَّا ارْتِقَابُهُ، وَأَبْرَحُ مِمَّا حَلَّ مَا يُتَوَقَّعُ

واللَّوْ إن المكروه الحقيقي هو توقعه، وأبرح (أسوأ) مما حل حقاً ما يتوقع المرء حلوله. قال أحمد شوقي: (قد قال من علّمه اختبارة/السعي للموت ولا انتظاراً)

١٧٤ القبول بالحد الأدنى

يعاتب العلاء بن صاعد:

شَرَطِي الْإِنْصَافَ لَوْ قِيلَ: اشْتَرِطْ وَعَدُوِّي مَنْ إِذَا قَالَ قَسَطْ

شرطي الإنصاف فقط ولا أريد زيادة، وعدوي من يقول قولاً ثم يقسط (بظلم)

أَدْعُ الْفَضْلَ فَلَا أَطْلُبُهُ حَسْبِي الْعَدْلُ مِنَ النَّاسِ فَقَطْ

أنا أترك طلب الفضل (الزيادة فوق الحق) وأريد فقط العدل

وَسَطُ الْإِخْوَانِ لَا يَدْخُلُ لِي فِي حِسَابٍ، وَأَخُو الدُّونِ الْوَسَطُ

الوسط من الصحاب لا يدخل في حسابي، فالوسط هو أخو الدون (مثل المنحط)

وَالْمُعْنَى مَنْ تَمَنَّى خَالِيًا نَقَلَ أَخْلَاقِي مِنْ بَعْدِ الشَّمْطِ

المعنى (المتعب) هو الذي يتمنى خالياً (بينه وبين نفسه) نقل أخلاقي (أن أغير طباعي) بعد الشمط (اختلاط بياض الشعر بسواده)

١٧٥ الحازم بالبدية

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ تَبْدَهُكَ بِالْحَزْمِ وَالْحِجَا قَرِيبَتُهُ، لَمْ تُغْنِ عَنْكَ تَجَارِبُهُ
إذا المرء لم تبدهك (تطالعك فوراً) قريته (بديته) بالحزم والحجا (العقل) - أي أنه كان حازماً
وعاقلاً على البدية وبطبعه - فلا تغني عنه كثرة تجاربه

١٧٦ قسمة المدح والذم

بمدح عبدون بن مَخْلَدٍ، ويعتذر إليه:

حَارَبْتَنِي الْأَيَّامُ، حَتَّى لَقَدْ أَضْأَ بَحَّ حَرْبِي مَن كُنْتُ أَعْتَدُّ سِلْمِي
حربي (عدوي)، سلمي (مسالماً لي)

غَيْرَ أَنِّي أَدَافِعُ الدَّهْرَ عَنِّي بِاخْتِقَارِي لِصَرْفِهِ الْمُسْتَدَمَّ
أدافع الدهر عني (أصد الزمن عني) باختقاري لصرفه المستدم (لأحداثه المذمومة)

وَحَدِيثِي نَفْسِي بِأَنْ سَوِّفَ أَكْفِي حَيْفَ قَاضِيٍّ، وَاسْتَطَالَةَ خَصْمِي
وأصد الزمن بحدِيثي نفسي (بأن أقول لنفسي) أنني سوف أكفي حيف قاضي (سوف أجد ما يحميني
من ظلم القاضي الذي يفصل بيني وبين خصمي)، واستطالة (استقواء) خصمي

إِنْ أَحَسَّتْ تِلْكَ الْحَقَائِقُ حَظِّي، أَجْزَلْتُ هَذِهِ الْأَمَانِي قِسْمِي
إن أحست (قللت) الحقائق الواقعة حظي، فإن أمنياتي قد أجزلت (كثرت) قسمي (نصبي)

وَإِذَا مَا أَبَى الْحَبِيبُ مُوَاتَا نِي تَبَلَّغْتُ بِالْخَيَالِ الْمُلِمِ
إذا رفض الحبيب موَاتاتي (مطاوعتي) تبلغت (تصبرت بالقليل)،
والقليل هو خيال المحبوب الذي يزورني ليلاً

مِنْ عَطَاءِ الْإِلَهِ بَلَّغْتُ نَفْسِي صَوْنَهَا، ثُمَّ مِنْ عَطَاءِ ابْنِ عَمِّي
مما أعطاني الله وصلت بنفسي إلى صونها (حفظها)، وكذلك من عطاء ابن عمي (يقصد الممدوح)

كُلَّمَا قُلْتُ: أَيْبَسَ الْمَحْلُ أَرْضِي، وَلَيْتَنِي غَمَامَةٌ مِنْهُ تَهْمِي
كلما ظننت أن المحل (الفقط) سيجعل أرضي يابسة، وليتني غمامة منه تهمي (تهطل)

فَلَهُ مِنْ مَدَائِحِي حُكْمُهُ الْأَوْفَى، وَلِي مِنْ نَوَالِهِ الْعَمْرِ حُكْمِي
له من قصائد المدح حكمه الأوفى (بقدر ما يريد)، ولي من نواله الغمر (عطائه الكثير) ما أشاء

بِأَبِي أَنْتَ عَاتِبًا، وَقَلِيلٌ لَكَ مِنِّي أَبِي، فِدَاءً، وَأُمِّي
بأبي أنت (أفديك بأبي) أيها العاتب علي، وقليل لك أن أفديك بأبي وبأمي أيضاً

لَمَتْنِي أَنْ رَمَيْتُ فِي غَيْرِ مَرْمَى؛ وَعَزِيزٌ عَلَيَّ تَضْيِيعُ سَهْمِي

لمتني لأنني رميت بلا هدف (أي مدحت غيرك)؛ وفعلاً، عزيز علي تضييع سهمي سدى

إِنْ أَكُنْ حُبْتُ فِي سُؤَالِ بَخِيلٍ، فَبِكْرْهِي ذَاكَ السُّؤَالُ وَرُغْمِي

إن كنت حبت (ظلمت نفسي) إذ سألت بخيلاً عطاء، فإن ذلك كان بكرهي ورغمي (رغماً عني)

وَالَّذِي حَطَّنِي إِلَى أَنْ بَلَغْتُ الْمَاءَ، مَا كَانَ مِنْ تَرْفُعِ هَمِّي

الذي حطني (أنزلني) حتى بلغت الماء واستطعت أن أشرب هو ترفع همي (علو طموحي)،

فالطموح الكبير جعلني فقيراً ومحتاجاً إلى النزول لكي أنال ما أبل به رمقي

ثُمَّ حَالَتْ حَالٌ، تَكَلَّفْنِي قِسْمَ حَمَّةٍ حَمْدِي، بَيْنَ الرَّجَالِ، وَذَمِّي

ثم تغيرت الأحوال فصرت أقسم مدحي وذمي بين الرجال، أمدح بعضهم وأمجو بعضهم

فَعَلَامَ التَّثَرِيبِ وَاللُّومِ، إِذْ عِنْدَ حُكِّ فِيمَا أَقُولُهُ مِثْلُ عِلْمِي؟

فعلام (على ماذا) التثريب (اللوم) وأنت تعلم الحال مثلما أعلمها أنا

وَكَأَنَّ الْإِعْرَاضَ عَنِّي قَضَاءٌ فَاصِلٌ عَنِ الْيَةِ مِنْكَ حَتْمٍ

كان إعراضك عني جاء بقضاء وقدر فاصل (صادر) عن آية (قَسَم) منك محترم

حِينَ لَا مَلْجَأَ سِوَاكَ أَرْجِيهِ تَجَهَّمْتَنِي، وَلَسْتَ بِجَهْمٍ

حينما لم يعد لي ملجأ سواك أرجو (كشرت في وجهي)، مع أنك لست كجهم

وَإِذَا مَا سَخِطْتَ وَالْمُخُّ رَارٌ، رَقٌّ عَنْ أَنْ يُطِيقَ سُخْطَكَ عَظْمِي

وإذا ما سخطت والمخ رار (حشو العظم جاف ذاهب/ كناية عن المحل والهزال جوعاً)

فعندئذ سيكون عظمي أرق من أن يحتمل سخطك

١٧٧ زيارة قصيرة

يمدح أحمد بن علي الإسكافي:

دَعِ الْمَطِيَّ مُنَاخَاتٍ بِأَرْحُلِهَا لَمْ يُنْصَ عَنْهُمْ تَضْدِيرٌ وَلَا حَقَبٌ

اترك المطي (الإبل) مناخات (باركات) بأرحلها (بمتاعها من كسوة وجبال)، لم يُنْصَ عنهم (لم

يُخْلَعْ عن الإبل) تصدير (حبل يشد إلى صدر البعير) ولا حقب (حبل مؤخرة البعير)

فَمَا تَزِيدُ عَلَى إِمَامَةٍ خُلِسَ بِأَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ، ثُمَّ تَنْقَلِبُ

فأنت لن تزيد عن الإمامة خلِس (زيارة خاطفة)، ثم تنقلب (ترجع) بعدها

قَضَاءٌ حَقٌّ، وَمَا نَقْضِي بِطَاقَتِنَا مِنْ ذَلِكَ الْحَقِّ، إِلَّا بَعْضَ مَا يَجِبُ
نَقْضِي الْحَقَّ (الواجب)، ولَسْنَا نَقْضِي إِلَّا بَعْضَ الْوَاجِبِ.. بحسب طاقتنا

١٧٨ اجعلها ألفاً

يعاتب بعض إخوانه ويستبطئه:

دَاعَبَنِي بِالْمَظْلِ مُسْتَأْنِيًّا وَعَدَّهُ مِنْ فِعْلِهِ ظَرْفًا

داعبني بالمظل (المماطلة) مستأنياً (طالباً مني التمهّل)، وهو يعد ذلك ظرفاً منه. مثل
الذي تطلب منه حاجة فيمازحك ويقول لك: خلها للغد، ويضحك ويمرح لأنه يملك
تنفيذها ولكنه يداعبك ويتظارف عليك. ستجد أمثال هؤلاء الناس في كل مكان، وهم
في الطبقة الوسطى بين اللثام والكرام، والحر يراهم أقل على صدره من اللثام

قَدْ كُنْتَ مِنْ أَبْعَدِهِمْ هِمَّةً عِنْدِي، وَمِنْ أَجْوَدِهِمْ كَفًّا

كنت أعتبرك أكبر الناس همة (قدراً) وأجودهم

الْمِئَةُ الدِّينَارُ مَنْسِيَّةٌ فِي عِدَّةٍ أَشْبَعَتْهَا خُلْفًا

المئة الدينار منسية، وهذا وعد أشبعت إخلافاً

إِنْ كُنْتَ لَا تَنْوِي نَجَاحاً لَهَا فَكَيْفَ لَا تَجْعَلُهَا أَلْفًا؟

إن كنت لا تنوي نجاحاً للمئة الدينار، فليكن وعدك لي بألف دينار

هَلْ لَكَ فِي الصُّلْحِ، فَأَعْغِيكَ مِنْ نِصْفٍ وَتَسْتَأْنِفُ لِي نِصْفًا؟

هل لك في حل بيننا؟ ادفع لي نصف المئة فقط وأنا راضي. لمن يسأل عن نصب
(وتسأنف): على العطف على محل (فأعغيك)، التي وجب انتصابها بفاء السببية،
ولكن أبا عبادة أعفاها من الفتحة ضرورة. وعدم تحلية المضارع اليائي أو الواوي
بفتحة عندما يكون في محل نصب شنشنة وجدناها عند أبي تمام والمتنبي والبحري
وعند أحمد شوقي في مواضع قليلة. وهي ليست نادرة في شعر الأقدمين. أما عند
المعاصرين فحدث ولا حرج. انظر في مختاراتنا هذه بيت السينية فيه واو يبدو غير
ذات فتحة (يتظنى من الكأبة أن يـ/دو لعيني مصبح أو ممسي) (القصيد ١٨٥)

أَوْ تَشْرُكُ الْوُدَّ عَلَى حَالِهِ وَتَسْتَسْوِي أَقْدَامُنَا صَفًّا

أو حل آخر: نقي الود على حاله بيننا، ولكننا نصبح نذّين متساوين، فلا أحد متفضل
على الآخر. ولمن يفكر في إدانتنا لأننا نختار مثل هذا الشعر الذي فيه مقايضة
ومتاجرة بالشعر نقول: ويحك، هذه المعاتبات والمتاجرات أثنى من قصائد المدح
الفخيمة العظيمة. وهنا تبرز النفوس، وهنا نرى طمع الشاعر وضيقة، وحرصه على
نصف كرامته، فهو قد فقد نصفها على باب الممدوح، ويحاول أن يقبض ثمن النصف
الباقى. هذه عواطف ومخاوف ومطامع ومواقع بشرية. وما الشعر إن لم يكنّها؟

١٧٩ القوافي قوارير الأمجاد

بمدح محمد بن العباس الكلابي:

عَجِبْتُ لِحَيْرَتِي وَضَلَالِ رَأْيِي؛ وَكُنْتُ أَرَادُ لِلرَّأْيِ الرَّشِيدِ

عجبت لضلالي، وكنت في الماضي أطلب لكي أزود الناس بالرأي السديد

وَمِنْ قَضْدِي لِرَأْسِ الْعَيْنِ أَسْعَى إِلَى حَظَرِ بَعْقَوْتِهَا زَهِيدِ

وعجبت من ذهابي للبلدة «رأس العين» ساعياً للحظر (شجر شائك) بعقوتها (بساحتها) زهيد (قليل النفع). ورأس العين قرية في الطريق بين منبج والموصل، وهي الآن في شمال سوريا على الحدود مع تركيا

وَبَعْضُ السَّعْيِ لِلْمُرْتَادِ حَيْنٌ وَبَعْضُ الصَّنْعِ فِي بَعْضِ الْقُودِ

بعض السعي يكون من الحين (الموت)، وبعض الصنع (الرشاد) يكون في المكوث في المكان

عُلِبْتُ عَلَى الصَّوَابِ، وَصَفَّدْتَنِي ضَرُورَاتُ الْمَطَامِعِ وَالْجُدُودِ

صفدتني (قيدتني)، الجدود (الحظوظ)

وَمَا تَرَكِي لِمُنْبِجٍ وَاخْتِيَارِي لِرَأْسِ الْعَيْنِ فِعْلٌ مِنْ مُرِيدِ

لم يكن تركي لمنبج وذهابي لرأس العين بإرادتي

وَمَا الْخَابُورُ لِي بَدَلًا رَضِيًّا مِنْ السَّاجُورِ، لَوْ كُنْتُ قُبُودِي

الخابور (نهر يمر برأس العين)، الساجور (نهر بمنبج)

أَلَا إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ حَبَانِي بِنُعْمَى أَظْهَرَتْ بُؤْسَى حَسُودِي

الممدوح ابن عباس جباني (منحني) بنعمى أبرزت بؤسى (حزن) حسودي

مَنَاقِبُ لَا يَزَالُ الشَّعْرُ فِيهَا طَوَالَ الدَّهْرِ فِي شُغْلٍ جَدِيدِ

له مناقب (مزايا) يظل الشعر مشغلاً في وصفها طول الزمن

وَأَلْفَيْتُ الْقَوَافِي كَالْأَوَاحِي ضَمِنَ غَوَابِرَ الشَّرَفِ التَّلِيدِ

وقد وجدتُ القوافي (القصائد) كالأواحي (الذمم) تضمن بقاء غواير الشرف (ما سلف من مجد) التليد (الموروث) وتجعله يستمر مذكوراً

نُضَيِّعُ فِي الْحَدِيثِ عَلَى أَنَاكِ إِذَا قَدَّمْتُ، وَتُحَفِّظُ فِي النَّشِيدِ

غواير الشرف هذه تلاشى في الحديث (في الكلام المنثور) بالتقادم ويفقدوا الوراثة، ولكن النشيد (الشعر) يحفظها

وَلَمْ يَذْخَرْ لِأُسْرَتِهِ كَرِيمٌ عَتَاداً مِثْلَ قَافِيَةِ شُرُودِ

لم يذخر الكريم لأسرته من عتاد مثل قافية شرود (قصيدة سائرة ومشتهرة)

أَبَا مُوسَى! وَمَا بِكَ مِنْ نُبُوٍّ عَنِ الْحَقِّ الْمُلِمِّ، وَلَا جُمُودِ

يا أبا موسى! وليس بك نبو (ابتعاد) عن الحق الملم (الذي جاء وقت إحقاقه) ولا جمود (إهمال)

فَأَيْنَ بِحَاجَتِي عَنْ وَشْكِ نُجْجٍ وَقَدْ أَوْشَكَتَ حَاجَاتِ الْوُفُودِ؟

أفين وشك النجج (سرعة التنفيذ) عن حاجتي؟ وأنت قد أوشكت (سارعت بتلبية) حاجات الوفود (الوافدين عليك)

يُدَافِعُ (مُسْلِمٌ) عَنْهَا، وَيَكْنِي عَنِ الْإِقْرَارِ فِيهَا، بِالْجُحُودِ

ووكيلك «مسلم» يصدني عن نيل حاجتي، ويكني (يلمح تلميحاً) عن الإقرار فيها (بدلاً من الإقرار بشأنها) بالجهود (بنكرانها). فالوكيل يلمح بالنكران تلميحاً

يُحِيلُ عَلَى سَعِيدٍ؛ وَاعْتِمَادِي عَلَى مِثَّتَيْكَ لَا مِثَّتِي سَعِيدِ

وهو يحيلني على أخيك سعيد، وأنا معتمد على مِثَّتِي الدينار التي وعدتني بها أنت لا التي وعدني بها سعيد

١٨٠ عافى الله من عافى

بمدح أبا جعفر الطائي:

تَصُدُّقُنَا الْمَنَعَ سَعْدَى حِينَ نَسْأَلُهَا نَيْلًا، وَتَكْذِبُنَا بَدَلًا وَإِسْعَافًا

حيث تمنعنا من الوصل تكون سعدى صادقة، وحين تكلم عن البذل والإسعاف تكذب

قَضَى لَنَا اللَّهُ بَلَوَى فِي نَوَاطِرِهَا تَقْضِي عَلَيْنَا، وَعَافَى اللَّهُ مَنْ عَافَى

قضى علينا الله أن نبلى ببلى تقضى علينا، والبلى موجودة في عينها الجميلتين. وعافى الله بعض الناس ممن لم يلاقوها، أو لم يقعوا في أسرها

١٨١ الطريق الطريق

يمازح علي بن جبير التميمي من أهل رأس العين:

زَائِرُ زَارَنِي، لَيْسَ أَلْ عَنْ حَا لِي، كَمَا يَسْأَلُ الصَّدِيقُ الصَّدِيقَا

كيف حالي، وقد غدا ابنُ جَبِيرٍ لِي، دُونَ الْجِيرَانِ، جَاراً لَصِيقَا؟

غادياً رايحاً عَلَيَّ، فَمَا يَشْ رُكْنِي أَنْ أُرِيحَ، أَوْ أَنْ أُفِيقَا

يَقْتَضِينِي الْعَدَاءُ، وَالشَّمْسُ لَمْ تَبْدُ زُرْغُ طُلُوعاً، وَلَمْ تَبْلُغْ شُرُوقاً
يقتضيني (يطالبني بـ)

مِفْدَةٌ أَوْلِيَّةٌ كَرَحَى الْبُرِّ - تُلْقَى حَبًّا، وَتُلْقَى دَقِيقاً
معدته أولية (لعل معناها: شديدة، ولعل فيها تصحيفاً) مثل مطحنة القمح، تلقى (تلقم) الحب
وتلقيه طحيناً

وَيَدُّ لَا تَزَالُ تَرْمِي بِأَحْجَا رِ مِنْ اللَّقْمِ تُعْجِزُ الْمَنْجَنِيْقَا
ويده ترمي في فمه باللقم التي يعجز عن حجمها المنجنيق

صَاحَ بُلْعُومُهُ، فَخَلَّنَا الْمُنَادِي صَاحَ فِي حَلْقِهِ: الطَّرِيقَ الطَّرِيقَا
وهو يأكل نجشاً من حلقة فظننا منادي الزعيم يصيح أمام موكب: الطريق الطريق (افتحوا الطريق)

وَكَأَنَّ الْفَتَى يَطْمُ رَكَيَا قَدْ تَهَوَّرْنَ، أَوْ يَسْدُ بُشُوقَا
كانه إذ يأكل يطم (يردم) ركايا (آباراً)، مهدومة، أو يسد بشوقاً (انهدامات في الأرض)

وَإِذَا جِيءَ بِالْخَوَانِ تَخَوَّفْتُ وَأَشْفَقْتُ أَنْ يَمُوتَ خَنِيْقَا
إذا حضر الخوان (السفرة) خفتُ عليه أن يموت اختناقاً لشدة أكله. تعليق أحمد عبد الرحيم:
«قطعة رديئة جداً»

١٨٢ العيش المؤبد

بمدح صاعد بن مخلد وابنه أبا عيسى:

عَيْشٌ لَنَا (بِالْأَبْرَقَيْنِ)، تَأَبَّدْتُ أَيَّامُهُ، وَتَجَدَّدْتُ ذِكْرَاهُ
تأبدت (خلدت)

وَالْعَيْشُ مَا قَارَقَتْهُ فَذَكَّرْتُهُ لَهْفًا، وَلَيْسَ الْعَيْشُ مَا تَنْسَاهُ

١٨٣ يَا عَلُو لَوْ شِئْتَ

يَا عَلُو لَوْ شِئْتَ أَبْدَلْتِ الصُّدُودَ لَنَا وَضَلًّا، وَلَانَ لَصَبِّ قَلْبِكِ الْقَاسِي
علو (علوة الحلية حبيته)

أَمْدُ كَفِّي لَأَخْذِ الْكَاسِ مِنْ رَشَاٍ وَحَاجَتِي كُلَّهَا فِي حَاوِلِ الْكَاسِ
رشاً (غزال). التوسيد لأحمد عبد الرحيم

يَبْرُدُ أَنْفَاسِهِ أَشْفَى الْغَلِيلِ إِذَا دَنَا فَقَرَّبَهَا مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي
الغليل (العطش)

١٨٤ قتل القاتل

يمدح أبا عيسى العلاء بن صاعد:

أَقُولُ: أَرِيدَ مِنْ سُقْمِ فُؤَادِي؟ وَهَلْ يَزْدَادُ مِنْ قَتْلِ قَتِيلٍ؟
هل زيد (ازداد) قلبي من السقم؟ هذا مستحيل فقد وصل غاية السقم، وهل يزداد القاتل من القتل؟

لِنَا فِي كُلِّ ذَهْرٍ أَصْدِقَاءُ تَعُودُ عِدَّتِي، وَحَالَاتُ تَحُولُ
تحول (تتحول)

وَمَا فُقِدَ الْجَمِيلُ لِقُرْبِ عَهْدٍ فَتَسَالَ عَنْهُ، بَلْ نُسِيَ الْجَمِيلُ
وَيَلُومُ سَائِلُ الْبُخْلَاءِ، حِرْصاً وَإِشْفَاقاً، كَمَا لَوْمَ الْبَخِيلِ
الذي يطلب المال من البخلاء لثيم مثلهم فهو حريص على العطية مشفق من الحرمان منها

١٨٥ وصف إيوان كسرى

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدْتَسُّ نَفْسِي وَتَرَفَعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جَبْسٍ
صنت نفسي عما يدنس نفسي، وترفعت عن جدا (عطاء) كل جبس (لثيم)

وَتَمَاسَكْتُ، حِينَ زَعَزَعَنِي الدَّهْرُ رُ التَّمَاسَا مِنْهُ لِنَفْسِي، وَنُكْسِي
وتماسكت عندما زعزعني الدهر (عصف بي) التماساً منه (سعياً منه) لتعسي ونكسي (إضعافي)

بُلَغَ مِنْ صُبَابَةِ الْعَيْشِ عِنْدِي، طَفَفَتْهَا الْأَيَّامُ تَطْفِيفَ بَخْسٍ
كانت عندي بلغ (بقايا) من صبابة العيش (من قليل المال)، طففتها الأيام (بدها الزمن) تطفيف
بخس (إنقاص)

وَبِمَعِيدٍ مَا بَيْنَ وَارِدِ رِفِهِ، عَلَلَّ شُرْبُهُ، وَوَارِدِ خَمْسٍ
الفرق كبير بين بعير يرد الماء ليشرب وورود رفه (يرد في أي وقت يشاء) ويكون شربه عللاً
(مضاعفاً)، وبين وارد خمس (وارد الماء في اليوم الخامس بعد عطش أربعة أيام)

وَكَاَنَّ الزَّمَانَ أَصْبَحَ مَحْمُومًا لَأَهْوَاهُ مَعَ الْأَخْسَرِ الْأَخْسَرِ

صار ميل الزمان باتجاه أخسر الناس. تخير القاضي عبد القاهر الجرجاني من أشعار
البحري ما مقداره خمسون صفحة، (ضمن طرائف الميمني ٢ في طبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر)، ولم يعجبه في هذه القصيدة سوى هذا البيت. وأما ياقوت
الحموي في معجم الأدباء فقد أتى على أبياتها، رغم أن ترجمته للبحري جاءت في
خمس صفحات فقط

وَاشْتَرَانِي الْعِرَاقَ خُطَّةً غَبْنٍ، بَعْدَ بَيْعِي الشَّامَ بَيْعَةً وَكُسٍ
شرائي العراق (ذهابي إليه) خطة غبن (أمر غلبت فيه) بعد بيعي الشام (مفارقة الشام) بيعة وكس
(بيع خسارة). فهو خسر عندما باع الشام وخسر عندما اشتري العراق

لَا تَرُزْنِي مُزَاوِلًا لاختِبَارِي، عِنْدَ هَذِي الْبَلْوَى، فَتُنْكَرَ مَسِي
لا ترزني (تفحصني، كما يروز المرء شيئاً بيده ليقدر وزنه) مزاولاً (ساعياً) لاختبار أحوالي في
وقت البلاء هذا، فإنك إذًا ستنكر مسي (ملمسي)

وَقَدِيمًا عَهْدَتْنِي ذَا هَنَاتٍ، آيَاتٍ، عَلَى الدَّنِيَّاتِ، شُمْسٍ
وكنْتَ تعهدني في الماضي صاحب هَنَات (مزايا) آيات على الدنيات (رافضات للقليل الخسيس)،
شُمس (متعردة)

وَلَقَدْ رَابَنِي نُبُو ابْنِ عَمِّي، بَعْدَ لَبِنٍ مِنْ جَانِبِيهِ، وَأُنْسٍ
رابني (شككتني) نبو (تغير مشاعر) ابن عمي بعد أن كان جانبه لينا، وكان يأنس بي (ربما قصد
«بابن عمه» عبدون بن مخلد. وقد وصفه في قصيدة أخرى على النون بابن عمه)

وَإِذَا مَا جُفِيتُ كُنْتُ حَرِيًّا أَنْ أَرَى غَيْرَ مُضِجٍ حَيْثُ أُنْسِي
إذا ما جفيت (أحسست بالجفاء والتجهم لي) كنت حرياً (جديراً) أن لا أبيت في المكان نفسه، بل
أنصرف فوراً

حَضَرْتُ رَحْلِي الْهُمُومُ، فَوَجَّهْتُ إِلَى أَبْيَضِ الْمَدَائِنِ عُنْسِي
حضرت رحلي الهموم (أسرعت الهموم ركضاً وحُضراً بمتاعي)، فوجهت عنسي (إيلي) إلى أبيض
المدائن (القصر الأبيض في المدائن قرب بغداد)

أَتَسَلَّى عَنِ الْحُظُوظِ، وَأَسَى لِمَحَلٍّ مِنْ آلِ سَاسَانَ، دَرَسٍ
أتسلى عن حظي الرديء، وأسى (أتعظ) بمحل لآل ساسان الفرس درسٍ (خرب)

ذَكَرْتَنِيهِمُ الْخُطُوبُ الثَّوَالِي، وَلَقَدْ تُذَكِّرُ الْخُطُوبُ وَتُنْسِي
ذكرتني بهم المصائب المتتالية؛ وقد تذكرنا الخطوب لكنها أيضاً قد تنسي

وَهُمْ خَافِضُونَ فِي ظِلِّ عَالٍ، مُشْرِفٍ يُخْسِرُ الْعُيُونَ، وَيُخْسِي
تذكرتهم إذ هم خافضون (متنعمون) في ظل قصر عالٍ، مشرف (مرتفع) يحسر العيون (يتعب النظر
لعلوّه)، ويخسي (يخسي البصر: يتعبه)

مُغْلَقٍ بَابُهُ عَلَى جَبَلٍ (الْقَبْ - حَقِ)، إِلَى دَارَتِي (خِلَاطٍ) وَ(مَكْسٍ)
باب هذا القصر مغلق على جبل القبق (أي كأنه يضم داخله جبل القبق الكبير)، إلى (أي إضافة
إلى) دارتي «خِلَاط ومكس» (فهو عال ضخم، وواسع أيضاً كان في جوفه كل تلك المناطق)

حِلَلٌ، لَمْ تَكُنْ كَأَطْلَالِ سَعْدَى فِي قِفَارٍ مِنَ الْبَسَائِسِ، مُلْسِ
حل (أماكن) لم تكن (ليست) مثل أطلال سعدى (اسم بدوي لفظة) في البسابس المقفرة الملساء
(الصحارى الجرداء)

وَمَسَاعٍ، لَوْلَا الْمُحَابَاةُ مِنِّي، لَمْ تُطِقْهَا مَسْعَاةٌ عَنَسٍ وَعَبَسٍ
ومساع (أمجاد) عظيمة للفرس؛ ولولا المحابة من جانبي لقلت إن مسعاة (مفاخر) قبيلتي عنس
وعبس لا تقارن بها

نَقَلَ الدَّمْرُ عَهْدَهُنَّ عَنِ الْجِدِّ - هَ، حَتَّى غَدَوْنَ أَنْضَاءَ لَبْسٍ

هذه الأمجاد نقل الزمن عهدهن عن الجدة (صارت قديمة)،
حتى غدون (أصبحن) أنضاء لبس (نياقاً مهزولة في الظلام). يشبه الإنجازات المادية للفرس
(فصر كسرى بعد خرابه) بنياق مهزولة لكثرة سيرها لدى رؤيتك إياها عند اللبس (اختلاط الظلام)

فَكَأَنَّ (الْجِرْمَازَ)، مِنْ عَدَمِ الْإِنْسَانِ سِي وَإِخْلَاقِهِ، بَنِيَّةٌ رَفْسٍ

كان الجرماز (اسم أطلقه القدماء على ذلك الأثر فيما يبدو) من عدم الإنس (عدم
وجود البشر)، ومن إخلاقه (خرابه) بنية رمس (بناء قبر). الجرماز: يقول الصيرفي
محقق ديوان البحري، ويتابعه إحسان عباس في تحقيقه لمعجم الأدباء لياقوت،
إن كرمازي بالفارسية تعني القصر، والصيرفي ينقلها عن القدماء. ويقول معجم
لغت نامه دهخدا (أوسع معاجم اللغة الفارسية) إن الجرماز مبنى كان موجوداً
بجانب الإيوان ولم يبق منه شيء. ويحيلنا المعجم الفارسي (وراجع لي مشكوراً
الصادق الإيراني حسين شهدي - إضافة لاحقة في يوليو تموز ٢٠١٦: توفي
الصادق حسين في أبريل/نيسان ٢٠١٤) إلى معجم البلدان وإلى تاج العروس،
فتأمل!

لَوْ تَرَاهُ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيَالِي جَعَلْتَ فِيهِ مَاتِمًا، بَعْدَ عُرْسٍ

كان الليالي (الزمن) جعلت فيه ماتماً بعد أن كان بهيجاً كان فيه عرساً

وَهُوَ يُنْسَبُكَ عَنْ عَجَائِبِ قَوْمٍ، لَا يُشَابُ الْبَيَانَ فِيهِمْ بِلَبْسٍ

ولكنه مع ذلك ينسبك عن عجائب قوم لا يشاب (يختلط) البيان (القول) في شأنهم بأي
التباس، فعظمتهم لا شك فيها

فَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَا كِيَّةً، ارْتَعَتْ بَيْنَ رُومٍ وَفُرْسٍ

فإذا رأيت صورة مرسومة على الجدار للحرب في أنطاكية ارتعت
(أحسست بخوف) وأنت ترى جنود الروم والفرس. وتلك حرب بين الإمبراطوريتين
وقعت قبل الإسلام بنحو سبعين سنة

وَالْمَنَايَا مَوَائِلَ، وَأَنْشُورَ وَأَنْ يُزَجِّي الصُّفُوفَ، تَحْتَ الدَّرَفْسِ

وترى المنايا (الموت) موائل (حاضرات)، وترى كسرى أنوشروان يزجي (يرسل) صفوف العسكر وهو تحت الدرفس (الراية الضخمة). أنوشروان (وتعني الروح الخالد) أعظم ملوك الأسرة الساسانية/ وهو كسرى الأول العادل الذي روى العرب الكثير من قصص عدله وحكمته، وقد حكم أقل بقليل من خمسين سنة، بدأها بما سمي الصلح الدائم مع الرومان، وختمها بمساع للصلح معهم، وفيما بين الصلحين أنك الطرفان قواهما حرباً وضرباً، كما يصف البحترى. قال أحمد شوقي في مقدمة نثرية لقصيدته التي يعارض بها هذه البحرية إن هذا البيت قد انعقد الإجماع على أنه البديع الفرد من أبياتها، وسأله زكي مبارك في كتابه الموازنة: ومن هو الذي عقد هذا الإجماع؟

فِي اخْضِرَارٍ مِنَ اللَّبَاسِ عَلَى أَصْدَ فَرٍّ، يَخْتَالُ فِي صَبِغَةٍ وَرْسٍ

تراه في لباس أخضر مصفر، يختال في صبغة (لباس مصبوغ) ورس (نبات يستعمل للصبغ)

وِعِرَاكُ الرَّجَالِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فِي خُفُوتٍ مِنْهُمْ، وَإِعْمَاضٍ جَرَسٍ

ويمثل لعينيك عراك الرجال بين يديه في خفوت منهم (بصمت)، وإعماض جرس (خفوت صوت)، ذلك أنك ترى اللوحة الجدارية فحسب. وهي صامته «تماماً» بالطبع، ولكن البحترى لشدة انفعاله بها تخيل أن الصوت فيها.. خافت

مِنْ مُشِيحٍ، يُهْوِي بِعَامِلٍ رُمَحٍ وَمُليحٍ، مِنَ السَّنَانِ، بِثُرْسٍ

فهذا رجل مشيح (مقبل مائلاً جسمه مستقيماً رمحه) بعامل رمح (برأس رمح)، وذاك رجل مليح (ملوّح) بترسه ليتقي به السنان (سن الرمح)

تَصِفُ الْعَيْنُ أَنَّهُمْ جَدُّ أَحْيَا ءِ، لَهُمْ بَيْنَهُمْ إِشَارَةٌ خُرْسٍ

العين تراهم وكأنهم جد أحياء، ولكن يتكلمون بالإشارة، وهذا سبب انعدام الصوت

يَفْتَلِي فِيهِمْ ارْتِيَابِي، حَتَّى تَتَقَرَّاهُمْ يَدَايِ بِلَمْسٍ

يفتلي (يزداد) ارتيابي حتى تتقراهم يداي باللمس لأنأكد أنهم مجرد صور منقوشة نائرة

قَدْ سَقَانِي، وَلَمْ يُصَرِّدْ، أَبُو الْغُوْثِ ثِ، عَلَى الْعَسْكَرَيْنِ، شُرْبَةً خَلْسٍ

لقد سقاني ولم يصرد (يقلل) ابني أبو الغوث، وأنا أشاهد العسكرين، شربة خلس (شربة خمر سريعة)

مِنْ مُدَامٍ، تَقُولُهَا هِيَ نَجْمٌ أَضْوَاءُ اللَّيْلِ، أَوْ مُجَاجَةٌ شَمْسٍ

سقاني من مُدام (خمر) تقولها (تحسبها) نجماً أضاء الليل، أو مجاجة (بصقة) من الشمس

وَتَرَاهَا، إِذَا أَجْدَتْ سُرُوراً وَارْتِيَا حَاً لِلشَّارِبِ الْمُتَحَسِّيِّ،

وترى الخمر إذا أجدت (جددت) السرور والارتياح لشاربها المتحسي (المتهمز عليها)..

أَفَرِغْتَ فِي الرُّجَاجِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ فَهِيَ مَحْبُوبَةٌ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ
.. تراها وكأنما هي عصارة قلوب الناس تم إفراغها في الكأس الزجاجية، ولذلك فكل قلب
يحبها لأن فيها منه شيئاً

وَتَوَهَّمْتُ أَنْ كَسْرَى أَبْرُوزٍ رَزْ مُعَاطِيٍّ، وَالْبَلَهَبُ أَنْسِي
لقد توهمت وأنا أشرب أن كسرى أبروز (خسرو بيروز بالفارسية، هو عظيم الفرس الذي كتب إليه
النبي يدعوهُ إلى الإسلام) هو معاطي (الشارب معي، يعطيني خمرأ وأعطيه)، وتخيلت أن البلهبد
(مغني كسرى المشهور) أنسي (أنيسي)

حُلْمٌ مُطْبِقٌ عَلَى الشَّكِّ عَيْنِي، أَمْ أَمَانٌ عَبَّرَنَ ظَنِّي وَحَدَسِي؟
أهذا حلم يجعل عيني تنطبقان على شك، أم هي آمانيات غير ظني وحدي (جعلن تفكيري يخل)
وَكَأَنَّ الْإِيوَانَ، مِنْ عَجَبِ الصَّنْ مَعَةٍ، جَوَّبَ فِي جَنْبِ أَرَعَنْ جِلْسٍ
كان الإيوان (المجلس، المفتوح بلا باب من جهة واحدة) بنقوشه والصنعة العجيبة التي فيه جوب
(ترس) في جنب أراعن (جبل) جلس (راسخ) هو القصر نفسه

يُتَظَنَّى، مِنَ الْكَاتِبَةِ، أَنْ يَبْ ذُو لِعَيْنَيَّ مُصَبِّحٍ، أَوْ مُمَسِّي،
يتظنى (يلوح) من كاتبته، وهو يبدو لعيني الشخص في الصباح أو في المساء..

مُرْعَبًا بِالْفِرَاقِ عَنْ أَنْسِي إِلْفٍ عَرَّ، أَوْ مُرْهَقًا يَنْطَلِيقُ عِرْسٍ
.. يلوح وكأنه مزعج بالفراق (مضطر للرحيل) عن أنس إلِف (اليف، ليف) عَرَّ (أصبح عزيزاً
ممتنعاً)، أو كأنه مرهق (مكتئب) بعد طلاق عرس (زوجة)

عَكَسَتْ حَظَّهُ اللَّيَالِي، وَبَاتَ الـ مُشْتَرِي فِيهِ، وَهُوَ كَوَكَبُ نَحْسٍ
عكس الزمن حظه، فبات المشتري واقعاً فيه وهو كوكب نحس. (هذا اليوم الذي
أدق في الشرح، ٥ يوليو تموز ٢٠١٦، شهد حلول مركبة فضاء - «المسبار جونو» -
في مدار حول كوكب المشتري.. نرجو ألا يلحقها نحسه المزعوم، وعند بعضهم أن
المشتري كوكب سعد، وزحل عندهم كوكب نحس)

فَهُوَ يُبْدِي تَجَلُّدًا، وَعَلَبِهِ كَلْكَلٌ، مِنْ كَلَاكِلِ الدَّهْرِ، مُرْسٍ
فالقصر يظهر تجلداً (صبراً) بينما يقعي فوقه كلكل (صدر) من كلاكل الدهر الراسية.
وكانوا إذا أرادوا تصوير الهم الجاثم فوق القلب تخيلوا ناقة تقعد بصدرها فوق
الإنسان. مؤكداً أن الحدائين سيعجبهم هذا البيت لما فيه من تشخيص. وهو حلو،
فالبحتري يتكلم عن القصر وعن حظه التمس ويشفق عليه كأنه إنسان

لَمْ يَعْبه أَنْ بُزَّ مِنْ بُسْطِ الدِّيبِ بَاجٍ، وَاسْتُلَّ مِنْ سُتُورِ الدِّمَقْسِ
لم يعبه (يلحق به العار) أنه بز (انثرع) من بسط الديباج (الحرير)، واستل (انثرع) من ستائر
(الدمقس). وهل فرق بين أن يُنثرع القصر منها أو تُنثرع هي من القصر؟

مُشْمَخِرٌ، تَعْلُو لَهُ شُرَفَاتٌ رُفِعَتْ فِي رُؤُوسِ (رَضَوِي) وَ(قُدْسِي)
فهو مشمخر (عالٍ) وتعلو شرفاته المرفوعة كأنها مبنية على رؤوس الجبال كجبل رضوى وجبل قدس

لَا يَسَاتُ مِنَ الْبَيَاضِ، فَمَا تُبْ صِرُّ مِنْهَا إِلَّا فَلَاتِلَ بُرْسٍ
وشرفاته مرتدية اللون الأبيض، فلا ترى منها إلا فلاتل برس (شلال قطن)

لَيْسَ يُدْرَى: أَصْنَعُ إِنْسٍ لِحْنٌ سَكْنُوهُ، أَمْ صُنْعُ جِنٍّ لِإِنْسٍ
لا تدري هل هو بناء بناه الإنسان ليسكنه الجن (لوحشته وخلوه)، أم بناء الجن للبشر (لعظمته)،
والجن فيما نقل من أخبار النبي سليمان بناءون مهرة

عَبَّرَ أَنِّي أَرَاهُ يَنْهَدُ أَنْ لَمْ يَكْ بَانِيهِ، فِي الْمُلُوكِ، يَنْكُسِ
على كل حال فهو يشهد أن من بناء من الملوك لم يكن نكساً (ضعيفاً)

فَكَأَنِّي أَرَى الْمَرَازِبَ، وَالْقَوُ مَ، إِذَا مَا بَلَفْتُ آخِرَ حَسِّي
إذ أنظر إلى المجلس أتخيل المرازب (قادة الفرس/المرزبان هو القائد الحدودي)،
وأتخيل القوم (الناس العاديين) موجودين فعلاً، هذا عندما أصل بخيالي إلى آخر حسي
(إلى الحد بين الحقيقة والوهم)

وَكَأَنَّ الْوُفُودَ ضَاحِينَ حَسْرَى، مِنْ وَقُوفٍ، خَلْفَ الزَّحَامِ، وَخُنْسٍ
كأنني أرى الوفود ضاحين (جالسين في الشمس قبل الدخول على كسرى) حسرى (كاشفي
الرؤوس)، بعضهم واقفون خلف الزحام، وبعضهم خنس (بعيدون عن الجمع)

وَكَأَنَّ الْقِيَانَ، وَسَطَ الْمَقَاصِبِ رَ، يُرَجَّحْنَ بَيْنَ حُوٍّ وَلُغْسٍ
وكأنني أرى القيان (المغنيات) وسط المقاصير (الغرف)، متأرجحات بين الحواء واللعساء (كلاهما
بمعنى التي في شفتيها سُمرة)

وَكَأَنَّ اللَّقَاءَ أَوَّلَ مِنْ أَمْسٍ سَ، وَوَشَكَ الْفِرَاقُ أَوَّلَ أَمْسٍ
وكأنه لقاء سريع مقتضب حدث قبل يومين وانتهى قبل يوم: نترك لأهل اللغة تفسير الفرق بين (أول
من أمس) وبين (أول أمس)

وَكَأَنَّ الَّذِي يُرِيدُ اتِّبَاعاً طَامِعٌ فِي لُحُوقِهِمْ صُنْعَ خَمْسٍ
ولقرب عهدهم فكأن المتخلف عن ركبهم والذي يريد اللحاق طامع أن يلحق بركبهم بعد أربعة أيام
ليصل صبح اليوم الخامس

عَمَرْتُ لِلْسُرُورِ دَهْرًا فَصَارَتْ لِلتَّعْزِي، رَبَاعُهُمْ، وَالتَّاسِي
رباعهم (ديارهم) كانت عامرة ملاهى بالسرور دهرًا ثم صارت مكاناً للتعزي (ليعزي المرء نفسه عن
ظلم حاق به) والتاسي (الانعاظ)

فَلَهَا أَنْ أَعِينَهَا بِدُمُوعٍ مُوقَفَاتٍ عَلَى الصَّبَابَةِ حُبْسٍ

لهذه الديار عليّ عهدٌ أن أساعدها بدموع عيني الموقفات (المكرسات) الحبس (المخصصات) للصباة (للشوق)

ذَاكَ عِنْدِي، وَلَيْسَتْ الدَّارُ دَارِي بِاقْتِرَابٍ مِنْهَا، وَلَا الْجِنْسُ جِنْسِي

هذا شأني والموطن ليس موطني (فموطني الشام غير قريب منها)،
ولا الجنس جنسي (فهم فرس وأنا عربي)

غَيْرَ نُعْمَى لِأَهْلِهَا عِنْدَ أَهْلِي غَرَسُوا مِنْ ذَكَائِهَا خَيْرَ غَرَسٍ

سوى النعمى (المساعدة) التي قدمها أهل هذه الدار لأهلي، فقد غرسوا من ذكائها (بركتها) أطيب غرس. والمساعدة المذكورة هي إمداد الفرس أهل اليمن بالعسكر لصد الاحتلال الحبشي الذي استمر سبعين سنة، والعون الفارسي الذي استجلبه سيف بن ذي يزن كان قبل الإسلام بنحو خمسين سنة. والبحتري من قبيلة طيء اليمانية الأصل

أَيَّدُوا مُلْكَنَا، وَشَدُّوا قُوَاهُ بِكُمَاةٍ، تَحْتَ السَّنَوَرِ، حُمُسٍ

أيد الفرس ملكك أهل اليمن بكماة (مسلحين) تحت السنور (العتاد)، حمس (أشداء)

وَأَعَانُوا عَلَى كَتَائِبِ (أَرِيَا ط) بِطَعْنٍ عَلَى النُّحُورِ، وَدَعَسِ

وأعانونا على كتائب القائد الحبشي أرياط، وذلك بحرب كان فيها طعن في النحور (أعالي الصدور) ودعس (طعن بالمداعس أي الرماح الغليظة).

وَأَرَانِي، مِنْ بَعْدُ، أَكْلَفُ بِالْأَشْرِ رَافٍ طُرّاً، مِنْ كُلِّ سِنَخٍ وَأَسٍّ

واني لأرى نفسي أكلف (أغرم) بالأشراف طُرّاً (جميعاً) من كل سنخ (جنس) وأس (أصل)

١٨٦ بيت مالي في لساني

بمدح أبا العباس بن ثوابه:

لَا تَخَفْ عَيْلَتِي، وَتِلْكَ الْقَوَافِي بَيْتُ مَالٍ مَا إِنَّ أَخَافَ ذَهَابَهُ

لا تخف عيلتي (افتقاري) فالشعر بيت مال لدي لا يفتنى

قَدْ مَدَحْنَا إِيوَانَ كِسْرَى، وَجِئْنَا نَسْتَثِيبُ النُّعْمَى مِنْ ابْنِ ثَوَابِهِ

المدح كان لقصر كسرى، وجئنا لابن ثوابه نستثيب النعمى (نأخذ ثواباً على ما قدمنا من المدح). قالها بعد أن كان وصف إيوان كسرى بقصيدة ليس في الدنيا أحلى منها (القصيدة السابقة مباشرة، رقم ١٨٥)

وَإِذَا مَا أَلَطَ بِالْحَقِّ قَوْمٌ فَمِنَ الْحَقِّ أَنْ تَنْوِبَ الْقَرَابَةُ

وإذا ما ألتط بالحق بعضهم (منعوه)، فجدير بأقاربهم أن يتوبوا عنهم. وآل ثوابه من الفرس، فعليهم إذن أن يدفعوا ثمن مديح إيوان كسرى. حلوة هذه منك يا أبا عبادة، كنا امتدحنا كثيراً قولك تلك القصيدة البديعة التي ليس فيها شيء من المديح، فما أنت تطلب لها ثمناً. «يظل ذبل الكلب أعوج ولو وضعوه في سبعين قالباً» قولة عمة أبي

١٨٧ عبادة العباد

يعاتب العلاء بن صاعد:

مَلَّنَا، أَمْ نَبَا بِنَا، أَمْ جَفَانَا أَمْ قَلَانَا، فَأَعْتَاضَ مِنَّا سِوَانَا؟
سَاخِطٌ، نَبْتَغِي رِضَاهُ، وَلَا يَسْ أَلْ عَنْ سُخْطِنَا، وَلَا عَنْ رِضَانَا
مَا لَنَا نَعْبُدُ الْعِبَادَ، إِذَا كَا نَ إِلَى اللَّهِ فَقُرْنَا وَغِنَانَا؟

١٨٨ أواخر الشهوات

يمدح أبا العباس بن بسطام:

مَغَانِي سُلَيْمَى بِالْعَقِيقِ وَدُورَهَا أَجَدَّ الشَّجَى إِخْلَاقَهَا وَدُورَهَا
مغاني (ربوع) سليمة ودورها في «العقيق» أجده (جده) الشجى (الحن) إخلاقها (خرايها) ودورها (اندثارها)

وَأَلْحَقَنِي بِالشَّيْبِ فِي عُقْرِ دَارِهِ مَنَاقِلُ فِي عُرْضِ الشَّبَابِ أُسِيرُهَا
وجعلني ألحق بالشيب في عقر داره (أي أشيب تماماً)، مناقل (مراحل) سرتها في عرض الشباب (وسطه)

مَضَتْ فِي سَوَادِ الرَّأْسِ أَوْلَى بَطَالَتِي فَدَعْنِي بِصَاحِبِ وَخْطِ شَيْبِي أَخِيرُهَا
مضت مرحلة بطالتي (استهتاري) الأولى أيام كان الشعر أسود، فدعني لأقضي أواخر أيام الاستهتار في وقتٍ وَخْطٍ (أسرع) الشيب فيه في رأسي

وَمَا صَرَعَنِي الْكَأْسُ حَتَّى أَعَانَهَا عَلَيَّ بِعَيْنَيْهِ الْعَدَاةَ مُدِيرُهَا
ما صرعتني الكأس (ألقني أرضاً) إلا بعد أن ساعدها عليّ مديرها (ساقها) الذي يدور بها على (الشاربين) بنظرات عينه

لَقَدْ كُوْثِرَتْ مِنْكَ الْقَوَافِي بِمُنْعِمٍ يُكَابِلُهَا، حَتَّى يَقِلَّ كَثِيرُهَا
لقد كوثر (غلبت) القوافي (القصائد) من جانبك فأنت منعم عليّ يكيل لي العطايا مقابل القصائد حتى تبدو القصائد قليلة بجانب العطاء

أَحِبُّ اانتظاراتِ المَواعِدِ؛ والتي تَجِيءُ اختلاسا لا يدومُ سُرورها
أحب انتظار الوعد بالعطاء. فانتظار الأعطيات حلو. وأما العطاء الذي يأتي اختلاسا (فجأة) فلا
يكون السرور به طويلا

وإنَّ جِمامَ الماءِ يَزْدَادُ نَفْعُها إذا صَكَ أَسْماعَ العِطاشِ خَريرُها
وجمام الماء (دقاته الكثيرة) يزيد نفعها عندما يسمع العطاش لها خريراً قبل الشرب

١٨٩ دنياوان

يرثي أبا عيسى العلاء بن صاعد:

أَخِي! مَتَى خَاصَمْتَ نَفْسَكَ فَاحْشِدْ لَهَا، وَمَتَى حَدَّثْتَ نَفْسَكَ فَاصْدُقْ

يا أخي إذا شددت الحساب على نفسك فاحشد لهذا التشديد كل قوتك، وكن صادقا مع نفسك

أَرَى عِلَلِ الْأَشْيَاءِ شَتَّى، وَلَا أَرَى التَّـ. جَمْعَ إِلَّا عِلَّةً لِلتَّفَرُّقِ

أرى علل (أسباب) الأحداث شتى (متفرقة)، وأرى التام الشمل بحد ذاته سببا للتفرق (كأن يقول
المرء إن الصحة هي سبب المرض)

أَرَى الْعَيْشَ ظِلًّا تُوْشِكُ الشَّمْسُ نَقْلَهُ فَكَيْسَ فِي ابْتِغَاءِ الْعَيْشِ كَيْسُكَ، أَوْ مَقِ

أرى العيش مؤقتاً وغير حقيقي مثل الظل الذي توشك الشمس بحركتها أن تنقله وتذهب به، فكس
(كن كيساً حكيماً في طلب الرزق) بما أوتيت من حكمة، أو مق (كن مائتاً أحق) فلا فرق،
فالعيش كله ظل زائل

أَرَى الدَّهْرَ غَوْلًا لِلنَّفُوسِ، وَإِنَّمَا يَبْقِي اللَّهُ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ مَنْ يَبْقَى

فَلَا تُتْبِعِ الْمَاضِيَ سُؤَالَكَ لِمَ مَضَى؟ وَعَرِّجْ عَلَى الْبَاقِي فَسَائِلُهُ: لِمَ بَقِيَ؟

لا تسأل عن الشخص الماضي (الذاهب الميت) لِمَ (لِمَ) ذهب، فهذا هو الطبيعي، بل اسأل الباقي لِمَ بقي

وَلَمْ أَرْ كَالدُّنْيَا حَلِيلَةً وَامِقٍ مُحِبِّ، مَتَى تَحْسُنْ بِعَيْنَيْهِ تَطْلُقِ

لم أر مثل الدنيا حليلة وامق (زوجة رجل محب لها)، عندما يراها جميلة في عينيه يقع بينهما الطلاق

تَرَاهَا عِيَانًا، وَهِيَ صَنْعَةٌ وَاحِدٍ، فَتَحْسِبُهَا صُنْعِي لَطِيفٍ وَأَخْرَقِ

إنك لترى الدنيا بعينيك، وهي خلق الله الواحد، فتحسبها - لتبدل أحوالها - مِنْ خَلْقِ اثْنَيْنِ
أحدهما لطيف (متقن)، والآخر أخرق (مهمل). هاج العامة على البحري بسبب هذا البيت
عندما فسره لهم بعض أعداء البحري بأنه ينم عن إيمان البحري بالثنوية، دين ماني نبي
الفرس القديم، فاضطر إلى ترك بغداد، والرجوع إلى بلده منبج. هاك ما أورده المرزباني
على لسان أبي الغوث ابن البحري: «كان أبي قد قال في قصيدته التي رثا فيها أبا عيسى بن
صاعد أبياتاً وجد بها بعض أعدائه عليه مقالاً فشنع عليه أنه ثنوي ودارت في الناس.
وكانت العامة حينئذ غالبية ببغداد، فخافهم على نفسه، فقال لي: قم بنا يا بني حتى نطفئ
عنا هذه الثائرة بخرجة نلم فيها بيلدنا، ونعود، قال: فخرجنا وأقام فلم يعد.» اهـ المرزباني

١٩٠ آخر زمن

يمدح إسماعيل بن بلبل، وكتب بها إلى المبرّد:

مَضَى جَعْفَرُ وَالْفَتْحُ، بَيْنَ مَرَمَلٍ وبين ضَجِيعِ بِالدَّمَاءِ مُضَرَّجٍ
رحل جعفر المتوكل (ال خليفة المقتول)، والفتح بن خاقان (وزيره الذي قتل معه)، بين مرمّل
(معفر) وبين ضجيع (مطروح أرضاً) مضرج بدمه

أَأْطَلْبُ (أَنْصَاراً) عَلَى الدَّهْرِ، بَعْدَمَا ثَوَى مِنْهُمَا فِي الدَّهْرِ أَوْسِي وَخَزْرَجِي
فهل أطلب «أنصاراً» على مصائب الزمن بعد أن ثوى (اندفن) منهما (ممثلاً في المتوكل والفتح)
أوسي وخزرجي (كل أنصاري على الزمن، كما أن الأوس والخزرج يشكلون كل الأنصار)

مَضَوْا أَمَّامًا قَصْدًا، وَخُلِفْتُ بَعْدَهُمْ أَخَاطِبُ بِالتَّأْمِيرِ وَالْيَ (مَنْبِجٍ)
كل أنصاري مضوا أمماً (قُدماً) قصداً (دغري، سيده، قُبْلَ)، وخلفت (أُقبِت) بعدهم لكي أخاطب
بالتأمر والي منبج (أقول له أيها الأمير) فيا لتغير الزمان، بعد أن كنت أقول للمتوكل: يا أمير
المؤمنين!

١٩١ البضاعة

يمدح أبا عبد الله محمد بن غالب الأصباهاني:

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! عَمَّرَكَ اللَّهُ لِيُعْرِفَ عَمَمَتْنَا بِاصْطِنَاعِهِ
أطال الله عمرك لمعروف شملتنا باصطناعه (ببذله)

إِنَّ هَذَا الْقَرِيضَ نَبْتُ مِنَ الْقَوِ لِيَزِيدَ الْفَعَالَ فِي إِينَاعِهِ
القریض (الشعر) مثل النبات لكنه نبات من كلام، والفعل (أي العطاء) يزيد في إيناعه (نضوجه)

هُوَ عَلِقُ تَاجِرَتْنِي فِيهِ بِالْحَبِ لِيَحْتِ غَبْنَتْنِي بِإِيتِيَاعِهِ
الشعر علق (جوهر ثمين) ساومتني فيه وتحاليت علي، حتى غبنتني (غلبتني) في شرائك إياه. أي
لم تعطني ما يكفي

١٩٢ كل مصيبة تهون

قال في غلامه:

عَسَى آيسٌ مِنْ رَجَعَةِ الْبَيْنِ يُوَصَّلُ وَدَهْرٌ تَوَلَّى بِالْأَحِبَّةِ يُقْبَلُ
رب آيس (يائس) من رجوع الحبيب بعد البين (الفراق) يوصل (يتصل بحبيبه)، ورب دهر ذهب
بالأحبة يقبل علينا ويعيدهم إلينا

فَلَا تَعْجَبَنَّ أَنْ لَمْ يَغْلُ جِسْمِي الضَّنَى وَلَمْ يَخْتَرِمِ نَفْسِي الْحِمَامُ الْمُعْجَلُ
لا تعجب إذا لم يغل (لم يقتل غيلة) الضنى (الهزال) جسمي، وإذا لم يخترم (يقتل) نفسي الموت
المعجل

فَقَبْلَكَ بَانَ الْفَتْحُ عَنِّي مُودِعًا وَفَارَقَنِي شَفْعًا لَهُ الْمُتَوَكِّلُ
فقبلك بان (فارق) الفتح بن خاقان قتيلاً، وفارقني شفعا له (تالياً له) المتوكل الخليفة قتيلاً، رمى
الفتح نفسه على المتوكل يحميه فقتل، ثم قتل المتوكل

فَمَا بَلَغَ الدَّمْعُ الَّذِي كُنْتُ أَرْتَجِي، وَلَا فَعَلَ الْوَجْدُ الَّذِي خِلْتُ يَفْعَلُ
فما بلغ دمعي ما كنت أرجو أن يبلغ في البكاء عليهما، ولا قلني الوجد (الحرقه) كما ظننت
وما كلُّ نيرانِ الجوى تُحْرِقُ الحشا وَلَا كُلُّ أدْوَاءِ الصَّبَابَةِ تَقْتُلُ
أدواء (جمع داء)

١٩٣ علام التعب

من قصيدة يرثي فيها القائد الموفق ويمدح ابنه أبا العباس المعتضد، وبعد
القصيدة بأشهر يموت الخليفة المعتمد أخو الموفق فيتولى المعتضد الخلافة ٢٧٩هـ:

نَسَعَى، وَأَيْسَرُ هَذَا السَّعْيِ يَكْفِينَا، لَوْلَا تَكَلُّفُنَا مَا لَيْسَ يَغْنِينَا
نشقى بالسعي في هذه الدنيا مع أن أقل السعي يكفيها،
إلا أننا رغم ذلك نتكلف أموراً لا أهمية لها

نَرُوضُ أَنْفُسَنَا أَقْصَى رِيَاضَتِهَا عَلَى مُوَاتَاةٍ دَهْرٍ، لَا يُوَاتِينَا
نروض (نروض) أنفسنا ونعودها بأقصى ما نستطيع على مواتاة (مسايرة) زمن لا يسايرنا

١٩٤ غريب في موطني

يمدح جعفر بن عبد الغفار:

وَأَخْ رَابِنِي فَأَضْرَبْتُ عَنْهُ؛ أَيُّ إِخْوَانِكَ الَّذِي لَا يَرِيبُ؟
رب أخ (صديق) رابني (شككتني في مودته) فأضربت عنه (أهملت إساءته). وَمَنْ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ
لا يريب (يفعل الفعلات المريبة)؟

أَنَا بِالشَّامِ مَوْطِنِي، غَيْرَ أَنِّي بَعْدَ عَهْدِ الْعِرَاقِ فِيهَا غَرِيبُ
موطني الشام (والبخري من منبج بشمال سوريا الحديثة)، غير أنني أصبحت غريباً في وطني بعد
أن قضيت زمناً في العراق. التسويد لأحمد عبد الرحيم

نَبَوَاتٌ مِنَ الصَّدِيقِ يَرُوغُ عَنْ جَنَابِي، كَمَا يَرُوغُ الْمَشِيبُ
الآقي نبوات (تجاهلات/إهمالات) من الصديق يروغن جنابي (يُخَفِّنِي) مثلما يخيفني المشيب حين
أفاجأ بانتشاره

١٩٥ غراب الشباب

عَوَّلَ عَلَى الصَّبْرِ، وَاتَّخَذَ سَبَباً إِلَى اللَّيَالِي، فَإِنَّهَا دُوْلُ
عول (استند) إلى الصبر، واتخذ سبباً (طريقة) إلى الليالي (الزمن)، فالزمن يتداوله الناس يوماً لهذا
ويوماً لذلك. يقول: اصبر، واجتهد واصنع أسباب النجاح، فالزمن متقلب وستأتي فرصتك فكن
مستعداً لها

مَا أَبْعَدَ الْمَكْرُمَاتِ عَنْ رَجُلٍ عَلَى سُؤَالِ الرَّجَالِ يَتَّكِلُ
سؤال الرجال (طلب الحاجات منهم)

فَكُنْ عَلَى الدَّهْرِ فَارِساً بَطْلاً فَإِنَّمَا الدَّهْرُ فَارِسٌ بَطْلُ
طَارَ غُرَابُ الشَّبَابِ مُرْتَحِلاً وَحَلَّ شَيْبٌ فَلَيْسَ يَرْتَحِلُ
غراب الشباب (الشعر الأسود)

إِيَّاكَ وَالنَّاسَ أَنْ تُحْمِلَهُمْ فَوْقَ الَّذِي الْآدَمِيُّ يَحْتَمِلُ
إِيَّاكَ وَالْبُخْلَ عِنْدَ مَكْرُمَةٍ وَإِنْ رَأَيْتَ الرَّجَالَ قَدْ بَخِلُوا
وقالوا: كان البحري من أبخل خلق الله

١٩٦ لذیذة على كل حال

وينسب إلى البحري:

مُنَى، إِنْ تُكُنْ حَقًّا تُكُنْ أَعَذَبَ الْمُنَى، وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغَدًا
الأماني، ويسمونها اليوم «أحلام اليقظة»، لا غنى لعائل عنها. البحري أحلام يقظته واقعية:
فإن تكن حقاً (واقعية، وتحققت) فهذا عذب جداً، وإلا (إن لم تتحقق) فقد عشنا بها
زمناً رغداً (سعيداً)

١٩٧ هاتِ عمراً للمال

ينسب إلى البحري:

يَا جَامِعاً مَا نِعَاءً، وَالدَّهْرُ يَرْمُقُهُ مُفَكَّرًا أَيَّ بَابٍ فِيهِ يَطْرُقُهُ
يا جامع المال المانع لإتفاقه! الزمن يقف مفكراً من أي باب يدخل عليك لينكبك

جَمَعْتَ مَالاً، فَفَكَّرَ هَلْ جَمَعْتَ لَهُ ، يَا جَامِعَ الْمَالِ، أَيَّاماً تُفَرِّقُهُ؟

جمعت مالا، فهل جمعت عمراً كي تنفق كل هذا المال فيه؟ الجواب طبعاً عند البحري نفسه: فقد جمع مالا واشترى ضياعاً ودوراً خلّفها لأولاده. وأشبهت هجرته من منبج بشمال سوريا إلى بغداد هجرتنا إلى دول الخليج في فورة النفط؛ أنينها وقلنا لأرباب العمل فيها: طال عمرك! ثم عدنا إلى بلداننا وبيننا بيوتاً سنموت عنها وتؤول إلى أولادنا، (وأنا أكتب هذه الكلمات في الدوحة في الأول من فبراير ٢٠١٠). وقد نهض البحري بأسرته، وأصبح أولاده وأحفاده نابهين في المجتمع، حتى لقد مدح المتنبي اثنين من أحفاد البحري، يَخِ يَخِ أبا عبادة!

١٩٨ أي الرجال المهذب؟

إِذَا مَا صَدِيقِي رَابِنِي سُوءٌ فَعَلِهِ وَلَمْ يَكْ عَمَّا رَابِنِي بِمُفِيقِ
رأبني (أزعجني)، مفیق (كاف)

صَبَرْتُ عَلَى أَشْيَاءَ مِنْهُ تَرِبْنِي مَخَافَةً أَنْ أَبْقَى بِغَيْرِ صَدِيقِ

١٩٩ شبهه الباطل

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْمَوْتِ حَقًّا؛ كَأَنَّهُ، إِذَا مَا تَخَطَّطَهُ الْأَمَانِي، بَاطِلُ
ليس شيء محتوم كالموت، وفي الوقت نفسه عندما تتخطاه (تتجاوزه) آميات الإنسان يصبح كأنه باطل (غير مؤكد). يقول: الموت مؤكد، ولكننا برغباتنا، أو إن شئت بتفكيرنا الرغائبي، نجعله يبدو أمراً مشكوكاً في حدوثه

٢٠٠ عرفت خيرك

وَيَرْجِئُنِي إِلَيْكَ، وَإِنْ تَنَاءْتُ دِيَارِي عَنْكَ، تَجَرِبَةُ الرَّجَالِ
يرجعني إليك (يرجعني)، وإن تناءت (بعدت) دياري عنك، أنني أجرب الرجال وأرى ما عندهم من رديء الأفعال. التسويد لأحمد عبد الرحيم

٢٠١ بلدة مثل بلدة

إِذَا نِلْتُ فِي أَرْضٍ مَعَاشاً، وَإِنْ نَأْتُ، فَلَا تُكْثِرُنْ فِيهَا نِزَاعاً إِلَى الْوَطَنِ
نزاعاً (حينئذ)

فَمَا هِيَ إِلَّا بَلَدَةٌ مِثْلُ بَلَدَةٍ وَخَيْرُهُمَا مَا كَانَ عَوْنًا عَلَى الزَّمَنِ

٢٠٢ أعطنا حقنا أو تصدق علينا

إِيْهَذَا الْأَمِيرُ قَدْ مَسَّنَا الضَّرُّ - وَمُدَّتْ يَدُ الْخُطُوبِ إِلَيْنَا

وَلَدَيْنَا بِضَاعَةٌ مُّزْجَاةٌ قَلَّ خُطَابُهَا، فَبَارَتْ لَدَيْنَا

الضر (الجوع)، مزجاة (كاسدة)، وبضاعتنا قل خطابها (مريدوها) وبارت (كسدت). لا يجيز أهل العروض للشاعر مثل هذا الزحاف في عروض البيت، لكن البحري ارتكبه وارتكب غيره. وأبو تمام أستاذ له هنات عروضية، ذكرها القدماء في كتبهم. وكان أبو العتاهية عندما يراجعونه في شيء كهذا يقول: أنا أكبر من العروض

أَيُّهَذَا الْأَمِيرُ أَوْفَ لَنَا الْكَيْلَ لَ، بِمَا شِئْتُ، أَوْ تَصَدَّقْ عَلَيْنَا

يقول: إن لم ترد مكافأتنا على الشعر، فتصدق علينا صدقة على الأقل. هذه الأبيات تنظم الآية: «فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز منا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين» يوسف ٨٨

٢٠٣ ضحك يوم بكاء سنة

ينسب إلى البحري:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَرْضَ مَا أَمَكَّنَهُ وَلَمْ يَأْتِ مِنْ أَمْرِهِ أَزَيْنَهُ

إذا المرء لم يرض بالممكن المتاح، ولم يفعل الفعل الحسن

وَأُعْجِبَ بِالْعُجْبِ، فَاقْتَادَهُ وَتَاهَ بِهِ التَّيُّهُ، فَاسْتَحْسَنَهُ

وإذا أعجب بالعجب (التكبر) فقادته تكبره، وتاه (ضل) به تيهه (تكبره)، واستحسن التكبر

فَدَعَهُ، فَقَدْ سَاءَ تَدْبِيرُهُ سَيَضْحَكُ يَوْمًا، وَيَبْكِي سَنَةً

فاتركه عندئذ فقد ساء تدبيره، ويسعد يوماً ويبكي سنة

٢٠٤ عاقدة اللسان

وقال في الخمرة:

مَا أَبَالِي إِذَا شَرِبْتُ ثَلَاثًا مَنْ عَدَا رَاضِيًا، وَلَا مَنْ جَفَانِي

مِنْ سُلَافٍ عَنِيْقَةٍ سَلْسَبِيلٍ بِنْتُ عَشْرِ، تُجِيدُ عَقْدَ اللِّسَانِ

سلاف (خمر صافية)، سلسيل (صافية)، بنت عشر (معتقة عشر سنين)، والخمرة تحسب عقد اللسان فشاربها يبلغ الحروف ويمطها

تَرَكْنِي، عَلَى فَصَاحَةٍ تُطْقِي، وَأَنَا مُخَوِّجٌ إِلَى تَرْجُمَانٍ

تركتني الخمرة رغم فصاحتي وأنا محتاج إلى من يترجم كلامي لصحي كي يفهموني

هِيَ نَعَمَ الرَّفِيقُ لِي إِنْ دَهَنَنِي نَائِبَاتُ الزَّمَانِ وَالْأَحْرَانِ

فإذا ما أردت رُشدي، فخذ لي مِنْ صُرُوفِ الرَّدَى كِتَابَ الْأَمَانِ
 إذا أردتني أن أسلك سبيل الرشاد وأترك الخمرة فخذ لي من صروف (مصائب) الزمان كتاباً
 بالأمان، وهذا مستحيل بالطبع، فسوف إذن أواصل شربها

٢٠٥ قاطعو النور

إِنَّ الزَّمَانَ زَمَانٌ سَوٌّ وَجَمِيعُ هَذَا الْخَلْقِ بَوٌّ
 سَوٌّ (سوء)، بَوٌّ (جلد مسلوخ، يحشى بالتبن، ويقرب من الناقة لتظن أنه ولدها الذي ذبحوه
 ليأكلوه، فيدر لبنها فيحلبها بنو آدم)، والبو على هذا زائف وكذا جميع البشر في رأي البحري
 لَوْ يَمْلِكُونَ الضَّوْءَ، بُخٌّ لَا لَمْ يَكُنْ لِلْخَلْقِ ضَوْ
 ذَهَبَ الْكَرَامُ بِأَسْرِهِمْ وَبَقِيَ لَنَا لَيْتٌ وَلَوْ
 بقي (بقي)

فهرس القوافي (القافية فرقم القطعة)

١٥	تَقْلِي	٣٦	عَزَاء
٢٠	خِضَابِ	٢٨	وَدَوَاء
٩١	مُعَرِّبِ	٢٦	اللَّهْنَاء
١٥٨	نَجِيبِ	٣١	والحمراءِ
١٤٢	والحُرُوبِ؟	٧٢	بُرْحَانِهِ
١٨٦	دَهَابُهُ	٤٠	بِعَمَائِهِ
١٦٢	أُجَاذِبُهُ	٩٨	أَسْتَرِيبَا
١٧٥	تَجَارِبُهُ	٤	قُرْبَا
١٦٤	طِلَابُهُ	١٠٢	مُهَذَّبَا
١١٦	عَبَاغِيهِ	١٧٧	حَقْبُ
١٦٥	نُوبُهُ	٦	غَرِيبُ
٦٩	إِيْجَابِهِ	٧	فَعَذُّبُوا
١٧١	شَبَابِهَا	١٩٤	يُرِيبُ؟
٥	قُوتُ	١٤٩	أَرَبِ
٣٥	كُنْتُ	٧٠	الْحِجَابِ
١٥٩	الْبَنَاتِ	١٢٣	المُسَاغِبِ
٧١	الثَّقَاتِ	١٣٦	تَجَارِيْبِي
١١٠	ذَلَّتِ	١٤	تَغْلِبِ

١٤٤	سَعِيد	١٠٣	سَكَرَاتِي
٤٥	عُتُود	٥٠	المَبَاهِجُ
١٤٣	لِلْخُلُودِ	١٩٠	مُضَرَّجٌ
٤٢	وَالنُّجُودِ؟	١٣٨	حَاجُهَا
٥٦	وَلَدِي	٧٦	وَتُطْرَحُ
١١	أَحَدُ	٧٣	النِّكَاحِ
١٣٣	السَّهْدِ	٨٧	بِصَالِحِ
١٤٦	قَدَرُ	٨٠	لِلْمِضْبَاحِ
٥٧	مَحِيدُهَا	٧٤	وَالرَّاحِ
١٠٠	إِرْعَادِهِ	٣٣	بِرَاحِ
٩٧	وَاتَّقَادِهَا	٩٦	بَرَدِي
٩	فَجَرَا	١٩٦	رَغْدَا
٦٢	وَالْوَقَارَا	١٥٣	عَبْدَا
٨٩	الْبِحَارُ	٨	فَزِيدَا
٥٢	حَجَرُ	١٥١	مُعَاوِدَا
٢٥	خَيْرُ	٧٨	وَأَبْدَا
٣٤	قِصَارُ	٥٣	أَزِيدُ؟
٨٣	وَأَعْذَرُ	٥١	السُّودْدُ
١٣٢	يَخْتَارُ	٦٨	تَجِدُ
٨٦	يَغُرُّ	١٨	سَعْدُ
١١١	النَّفِيرِ	٦٦	اعْتِمَادِي
١٩	تُنْصَرِ	١١٢	الْجِهَادِ
٥٩	غُورِي	١٠	الْجَدَادِ
٢٩	قَصِيرِ	١٧٩	الرَّشِيدِ
٥٥	وَحَمَّارِ	٥٤	بِحَامِدِ
١	وَعَرِ	٦٧	بِوَاحِدِ

١٧٣	يَتَوَقَّعُ	١١٨	يُسْرِ
٧٩	أَخَذَعِي	١٠٨	الْكِبَرُ
١٢٢	أَضْلَاعِي	١٢٥	أُضْمِرُهَا
١١٩	الْأَرْتَبَاعِ	١٠٧	تُعَاوِرُهُ
٤٩	تَرْجِعِ	١٦٣	جَارُهُ
٥٠	مَنِيْعٍ	١٨٨	وَدُثُورُهَا
١٤٠	طَائِعُهُ؟	٨٤	يُحَاذِرُهُ
٩٢	وَوُلُوعُهَا	٦٥	الْأَيْسُ
١٩١	بِاضْطِنَاعِهِ	٢٣	الْقِرْطَاسِ
١٥٧	سَخِيْفًا	٤٤	مُؤْنِسٍ
١٧٨	ظَرْفًا	٢٢	(بِطِّيَاسِ)
١٣	مُصَفًى	١٨٣	الْقَاسِي
١٨٠	وِإِسْعَافًا	١٨٥	جَبَسٍ
١٤١	وَقَفًا	٤٣	مَرْمَرِيْسٍ
١٥٢	تَخَفْتُ	١٧٠	تَغَاضِي
١٦٨	وَكَيْفُ	٢٧	مُنْقَضُهُ
٤٨	أَنْفِي	١٠٥	الْقُنُوطُ؟
١٨١	الصَّدِيقَا	٧٤	فَسَطُ
٤٧	شَفِيقًا؟	١٤٨	وَإِخْطُهُ
٤٦	مُقَوِّفًا	٦٤	مَضْرَعًا
١٢٤	تَعَلَّقُ	٢١	مَعًا
١٥٤	حُقُوقُ	٣٢	وَرُبُوعًا؟
١١٥	الْأَوْثَقِ	١٠٦	الْمُتَفَرِّعُ
١٣٥	الْعُسَّاقِ	٧٥	الْهَوَامِغُ
٩٥	الْمُتَعَلِّقِ	١٣٧	نُسْتَطَاعُ
١٩٨	بِمُفِيقٍ	١٣١	رَعَاغُ

٩٤	أَشْأَمَا	١٨٩	فَاضِدُقِ
١٠١	السَّلَامَا؟	١٤٥	نَقَقُ
١٢٩	الْمُنَمَّنَمَا	١٩٧	يَطْرُقُهُ
١٣٠	عُومَا؟	١٣٤	عِرَاقُكَ
٣٠	وَعُمُومَا	١٢١	الْحِبَالَا؟
٨٥	الْمُنَجَّشُمُ	١٢٠	ثِقَلَا
٦٠	وَتَحْرِمُ	٢٤	مُطِيلَا
٨١	الْقَدِيمِ	٦٣	الْحَزِيلُ
٩٩	الْمَلَامِ	١١٧	الْعَجَلُ
١٧٦	سِلْمِي	١٩٩	بَاطِلُ
١٤٧	عَمَّ	١٠٩	تَبَخَلُ
٥٨	مُحَرَّمِ	١٩٥	دَوُلُ
١٢٧	وُجُومِ	١٨٤	قَتِيلُ؟
٧٧	تَحْتَكِمُ؟	٩٠	مَنْزِلُ
٨٢	مُبْهَمَةٌ	١٩٢	يُقْبِلُ
١٢٨	مُقِيمُهَا	٢٠٠	الرَّجَالِ
١٣٩	الْإِخْوَانَا	٣٧	الْمِسْحَلِ
٣٨	الْأَمِينَا	١٦١	شِمَالِي
٢٠٢	إِلَيْنَا	١٦٠	وَالْتَّسْهِيلِ
١٨٧	سِوَانَا؟	١٢	وَالْمَعَالِي
١٦٦	عِرْفَانَا؟	٣	وَالْمَنَاصِلِ
١٦٧	و(بِنَا)	١٥٦	أَخْوَالُهُ
١٩٣	يَعْنِينَا	١٥٥	بِحِيلَةٍ
١٧	الْأَقَانِينِ	٦١	بَاطِلُهُ
١٦	الْإِنْسَانِ	٩٣	سُؤَالُهَا
١١٤	إِمْكَانِي	١١٣	وِإِبْطَالِهِ؟

١٦٩	زَمَانُهُ	٢٠٤	جَفَانِي
٣٩	وَيَمَانِهِ	٨٨	رِضْوَانِ
١٨٢	ذِكْرَاهُ	١٢٦	شَانِي
٢٠٥	بَوَّ	٤١	وَالْطَّيْنِ
١٧٢	بَادِيَا	٢٠١	الْوَطَنِ
١٠٤	أَهْلِيهَا	٢٠٣	أَزْيَنَهُ

فهرس الأغراض (البحري) (الأرقام كلها أرقام القصائد لا الصفحات)

العشق والغزل وتوابعهما

جمال الدنيا: ١٩٦/١٤١/٨٦/٣٤/٢٩/٨

خمر ومجلسها: ٢٠٦/١٨٨/١٨٥/١٦٧/١١٧/١١٤/١٠١/٨٠/٤٢/٣٤/٣١/١٣

عذاب العاشق: ٩٠/٨٣/٧٥/٧٢/٦٨/٤٧/٣٢/٢٨/٢٤/٢١/٢٠/٧/٦/٤/٢

١٦٣/١٢٨/١٢٥/١٢٤/١٢٢/١٢١/١٢٠/١٠٩/٩٧/٩٥/٩٣/٩٢

غزل: ٨٨/٨٦/٨٣/٨٠/٧٨/٧٧/٦١/٥٠/٣٧/٣٣/٢٩/٢٤/٢٣/٢١/٢٠/٨

/١٨٨/١٨٢/١٨٠/١٦٨/١٣٣/١٢٥/١٢٤/١٠٨/١٠٤/١٠١/٩٩/٩٢/٩١/٩٠

٢٠٢/٢٠١

غناء: ١٢٥/٨٢/٨١

استهتار: ٢٠٦/١٨٩/١٦٧/١٤٠/١٢٥/١١٩/١٠٥/٩٩/٧٢/٦٢/٣٤/٨

فكاهة: ١٨١/١٤٥/١١٢/٨٨/٨٢/٧٣/٢٥ (هذه أرقام القصائد)

طبائع ومشاعر

غربة وترحال: ١٠/١٥/١٨/٤٤/٤٥/٥٣/٥٤/٥٩/٦٥/٦٦/١٧٩/١٨٥/١٩٤
(غربة في الوطن)/٢٠٣

حنين إلى الشام: ٢٢/٤٣/٦٥/٩٤/٩٦/١٠١/١٢٥/١٣٥/١٧٩/١٨٢/١٨٥
شكوى من الزمن: ١/٢٣/٣٤/٣٥/٤٩/٥٢/٥٤/٥٩/٨٥/٩٤/١٠٧/١٣٩/١٤٥
١٤٧/١٥٢/١٥٥/١٦١/١٦٣/١٦٥/١٧٠/١٧١/١٧٦/١٧٩/١٨٥/١٨٩
١٩٠/١٩٢/١٩٣/١٩٥/١٩٧

شيب: ٨/٢٠/٢٢/٣٥/٣٧/٥٢/٩٢/٩٥/١٠٣/١٤٨/١٧٠/١٧١/١٨٢/١٨٨
١٩٥

هجاء البشر: ٥٢/٥٣/٥٤/٥٨/٢٠٧ (هذه أرقام القصائد)
حكمة: ٩/١٨/٦٧/٧١/٨١/١٣٦/١٤٣/١٥٨/١٦٠/١٦٤/١٧٣/١٧٥/١٩٩
٢٠٠/٢٠٥

صديق: ٩/١٣/٢٧/٤٢/٤٤/٥٦/٦٤/٧١/٧٤/١١٨/١٣٤/١٣٩/١٦٢/١٦٩
١٧٤/١٧٨/١٨٤/١٩٤/١٩٨

مدح وقدح، وحرب وضرب

مدح: ١٦/٢٦/٢٨/٣٠/٣١/٣٨/٤٣/٤٤/٤٦/٤٧/٤٩/٥١/٦١/٦٦/٦٨/٧٤
 ٧٧/٨٣/٨٤/٨٩/٩٠/٩٦/١٠٠/١٠١/١٠٢/١٠٤/١٠٦/١٠٨/١١٥
 ١٢٠/١٢١/١٢٣/١٢٧/١٢٨/١٢٩/١٣٠/١٣٢/١٣٤/١٣٥/١٣٧/١٣٨/١٤٧
 ١٥٠/١٥١/١٦٠/١٦٨/١٦٩/١٧٦/١٧٧/١٧٩/١٩١/٢٠٠ (هذه أرقام القصائد)

مدح الفرس: ٣٠/٦٥/١١٧/١٣٨/١٨٥

عتاب: ٥/٢٧/٣٩/٤٢/٤٨/٦٠/٦٣/٦٤/٧١/٩٤/٩٨/١٠٦/١١٠/١٦٥/١٧٦
 ١٨٧/١٧٨

مطالبة بالعطاء: ٢٥/٣٩/٤٠/٤٨/٦٠/٦٩/٧٦/٨٩/٩٤/٩٨/١٠٤/١١٠/١٢١
 ١٣٥/١٣٨/١٣٩/١٥٤/١٦٣/١٦٦/١٧٢/١٧٤/١٧٦/١٧٩/١٨٦/١٨٨/١٩١
 ٢٠٤

شكر: ٢٦/١٤٩/١٥٠/١٥٣

رثاء: ٣٤/٣٦/٥٨/١٠٧/١٥٩/١٨٩/١٩٢

سياسة: ٤٧/٤٩/٨٣/٨٤/٨٧/٩٠/١٠٤/١٠٥/١٠٦/١٠٧/١٠٨/١١٣/١١٦
 ١١٧/١٢٠/١٢١/١٢٣/١٣٢/١٤٣/١٦٠

تشيع: ٤٧/١١١/١٤٦ (هذه أرقام القصائد)

حرب وضرب وجيش: ٨/٢٨/٣١/٣٨/٨٣/٨٤/٩٢/١٢٣/١٢٦/١٨٥

شؤون القبائل: ١٩/٤٧/٤٩/٥٧/٩٢/١٢٣/١٤٢/١٥٦

ضد الروم: ٣/٢٨/٣٨/٨٤/٩٠/١٢٨

هجاء: ١٤/١٧/٤٠/٤١/٤٧/٥٥/٦٩/٧٠/٧٦/٨١/٨٢/١١٠/١١١/١١٢
 ١١٣/١١٦/١٣١/١٤٠/١٤٤/١٤٥/١٤٦/١٤٨/١٥٦/١٥٧/١٧٨

وصف

الحيوان: الأسد: ١٤٣/١٠٢، الذئب: ١٨، الحمار: ١٤٧/١٤٥/٥٥/٢٥،
البقر: ٥٢، البغل: ٥٣، الجمل: ٥٣/٥٩، الكلب: ٥٩، الخنزير: ٥٩،
السك: ١٠٤، الدلفين: ١٠٤، الجؤذر: ١٠٧، الطيبي: ١٠٧، الدجاج:
١١٦، القرد: ١٤٣

وصف الطبيعة: ١٦٩/١٣٨/١٣٠/١٠٤/١٠٢/١٠٠/٩٦/٨٣/٣٤/٣١ (هذه أرقام
القصاصد)

وصف العمران: ١٨٥/١٠٧/١٠٤

وضع المرأة: ١٥٩/٣٦/٢٨/٣

فخر

فخر بالشعر: ١٠/١١/٢٦/٣٩/٤٢/٥٢/٦٥/٧٩/٨٥/١٢٩/١٣٥/١٦١/١٦٥/

١٨٦

فخر بالقبيلة: ١/٨/١٢/٤٨/٥٧/١٠٣/١٢٦/١٤٧/

فخر بالنفس: ١٠/١٨/٤٥/٥٦/٧٠/١٠٣/١٠٧/١٤٩ (هذه أرقام القصائد)

فهرس القواني العام

أبواب الكتاب: ١ بشار ٢ العتاهي ٣ العباس ٤ مسلم ٥ أبو نواس ٦ دعبل
٧ ديك الجن ٨ ابن الجهم ٩ أبو تمام ١٠ البحري

الموتى ١ العباس	اُنْتِشَاء ٣ أبو نواس
الأنباء ١ دعبل	اُنْطَوَاء ٢ بشار
الأنباء ٥٤ أبو تمام	سَوَاء ٢٩ أبو تمام
الصفاء ١ أبو نواس	سَوَاء ٣ بشار
سَوَاء ٢ بشار	البلاء ٧٩ العتاهي
عزاء ٣٦ البحري	الحوراء ٤ بشار
هواء ٢ دعبل	الخلفاء ١٣٩ أبو تمام
والبلوى ٢١ ابن الجهم	الشتاء ٢٢ ابن الجهم
ودواء ٢٨ البحري	الطائي ٤٤ ديك الجن
الإباء ١٨٣ أبو تمام	القضاء ١٩ ابن الجهم
الأرجوزة ٧٨ العتاهي	حَوْلَاء ٦ بشار
الأعداء ٥ بشار	سُجْرَائِي؟ ١١٩ أبو تمام
بهاء ٧٨ بشار	ضَرَاء ١ ديك الجن
الداء ٢ أبو نواس	قضائي ٣ العباس
الدّهْناء ٢٦ البحري	والحمراء ٣١ البحري

لَهَا ١ بشار	فَنَاؤُهَا ٢ العتاهي
مُهَذَّبًا ١٠٢ البحتري	أَسْمَائُهَا ٤ أبو نواس
نَسَبًا ٢ مسلم	امْتَلَائُهَا ١٧٩ أبو تمام
نَشَبًا ٥ دعلج	بُرَحَائِهِ ٧٢ البحتري
وَأَعْرَبًا ٦ أبو نواس	بِعَمَائِهِ ٤٠ البحتري
وَالصَّابَا ٤٤ أبو تمام	صَفَائِهِ ٢ العباس
وَتُرْكِبًا ٢٨ ابن الجهم	غُلَوَائُهَا ٩ ابن الجهم
وَنُبًا ٢ بشار	غَنَائِكَا ٢ العتاهي
وَهَبًا ٢٠ بشار	ارْتِيَابًا ٢ بشار
وهويته رَيًّا ٥٧ بشار	أَسْتَرِيَا ٩٨ البحتري
أَتَوْتُبُ ١ بشار	الجوابا ٥ أبو نواس
الحاسِبُ ١ بشار	السَّيَا ١٨٠ أبو تمام
الحُبُّ ٧ العباس	الْكَلْبَا ٤٣ أبو تمام
الْخَطْبُ ٩٨ أبو تمام	المَغَارِيَا ١٥٤ أبو تمام
الْخُطُوبُ ١١ أبو نواس	المُهَذَّبَا ٢ بشار
الْخُطُوبُ ٦ العتاهي	بَابَا ٣ العتاهي
الْقَرَبُ ١٢ أبو نواس	تَابَا ٢ بشار
الْعَجَبُ ٨ أبو نواس	تُرِيَا ٢٧ أبو تمام
الْعَرَبُ ٢ العتاهي	تَصُوبَا ٨٢ أبو تمام
الْقَلْبُ ٩ أبو نواس	رَبًّا ١٠ بشار
الْكَاذِبُ ١ بشار	غَضِبَا ١١ العباس
الْكَنِيْبُ ٩ العتاهي	قُرْبَا ٤ البحتري
المُذْنَبُ ٢٦ ابن الجهم	كَذْبَا ٢ بشار

المكروب ١٧٢ أبو تمام

التَّحِيْبُ ٧ العتاهي

النَّوَادِبُ ٣ ديك الجن

أَهْيَبُ ٣ دعل

تُجِيبُ ٢ العتاهي

تُحَلِّبُ ٥ ديك الجن

تَشِيبُ ١٠ مسلم

تُؤَبُّ ١ العتاهي

جَدِيدُ ١٠٥ أبو تمام

حَقْبُ ١٧٧ البحري

ذَهَبُ ١ العتاهي

عَجَبُ ٥ العتاهي

عَذْبُ ٤٥ ديك الجن

عَرَبُ ٤ دعل

غَرِيبُ ١٣ بشار

غَرِيبُ ٦ البحري

قَالَئِبُ ٧ أبو نواس

فَعَذَّبُوا ٧ البحري

فَقَضِيْبُ ٤ ديك الجن

قِيْبُ ٤ العتاهي

كَيْبُ ١٠٤ أبو تمام

لَعَازِبُ ٢ بشار

مَذْهَبُ ١٨ بشار

نَصِيْبُ ٢ العتاهي

والآدابُ ٢٠ أبو تمام

والعتابُ ٦ العباس

والغَضْبُ ٦ أبو تمام

وَيْبُ ١٥٨ أبو تمام

ويغضبُ ٥ العباس

ويَتَجِيبُ ٢٤ ابن الجهم

ويَنَشَعِبُ ١٠ أبو نواس

يَنَسَّبُ ١٦ بشار

يُجِيبُ ١٢ العباس

يُرِيبُ ٢٥ ابن الجهم

يُرِيبُ؟ ١٩٤ البحري

أَثْرَابُ ١٨٥ أبو نواس

أَدِيبُ ١٢ أبو تمام

أَدِيبُ ١٥٧ أبو تمام

أَرَبُ ١٤٩ البحري

أَرَبِي ٦ ديك الجن

اِكْتِثَابُ ١٥ بشار

الأَحْسَابُ ١٢٧ أبو تمام

الأدبُ ٧ دعل

الترابُ ١١٧ أبو تمام

الثَّرَبُ ٢٣ مسلم

الحِجَابُ ٧٠ البحري

حُبُّ ٢ بشار	الرَّاكِبِ ٢ العتاهي
خِصَابِ ٢٠ البحتري	السَّوَائِبِ ١٠٢ أبو تمام
خُطْبِ ٥٦ بشار	الشَّبَابِ ١ بشار
عَتَابِ ٧٧ أبو تمام	الظَّرَبِ ٨ ديك الجن
عَجَبِ ١٥٢ أبو تمام	العَرَبِ ٢١ بشار
عَذْبِ ١٥ أبو نواس	العِقَابِ ١ مسلم
غَرِيبِ ٧ ديك الجن	الغَالِبِ ١١ بشار
قَلْبِي ١٣ العباس	الكَرْبِ ١٠ العباس
قَلْبِي ٥٥ بشار	الكَعَابِ ٦ دعلج
قَلْبِي ٨ دعلج	المَرْكَبِ ٣٠ ابن الجهم
لِشْرَابِ ١٣ أبو نواس	المُشَاغِبِ ١٢٣ البحتري
لِلصَّوَابِ ٨٠ العتاهي	المُتَنَابِ ٩ بشار
لِلضَّبِّ ١٦ أبو نواس	بِالرَّكَّابِ ٢ بشار
مُثَقَّبِ ٧٥ أبو تمام	بِمَغْلُوبِ ١ بشار
مُرَاقِبِ ٩ العباس	تَبَابِ ٨ العتاهي
مُغَرَّبِ ٩١ البحتري	تَتَوْبِي ٢ العتاهي
مُنْقَلَبِ ٢٩ ابن الجهم	تَجَارِيبي ١٣٦ البحتري
نَجِيبِ ١٥٨ البحتري	تَجْرِيبِ ١٧ أبو نواس
نَضِيبي ١٧ بشار	تُسْكَبِ ٧ بشار
وَكَذِيبِي ١٢ بشار	تَعَبِ ١ العتاهي
وَالْحُرُوبِ؟ ١٤٢ البحتري	تَغْلِيهِ ١٤ البحتري
وَالْخُطْبِ ٢٧ ابن الجهم	تَقْلُوبِي ١٥ البحتري
وَالذِّيبِ ٢ بشار	جَوَابِي ٢ العتاهي

تَجَارِيَةُ ١٧٥ البحتري	وَالْعَنْبِ ١٤ أبو نواس
جَانِيَةُ ١٩ بشار	وَالْقَضْبِ ١٤ العباس
خُطُوبُهَا ١٢ العتاهي	وَالكَرْبِ ٦ العباس
طَالِيَةُ ١٠٨ أبو تمام	وَاللَّعِبِ ١٤٠ أبو تمام
طِلَابَةُ ١٦٤ البحتري	وَالنُّوْبِ ١٦ أبو تمام
عَبَاغَةُ ١١٦ البحتري	وبالعَنْبِ ١٨ العباس
نُوءُ ١٦٥ البحتري	وَشُحُوبِي ٤ العباس
وَأْغَالِيهِ ١٥ العباس	وَشَيْبِ ١٧ مسلم
وَتُرَاقِيَةُ ١ بشار	يُرْكَبِ ٢٨ ابن الجهم
وَتُقْلَبَةُ ١١ العتاهي	يَشِبِ ٥٤ دعل
يُحِبُّهُ ١٦ العباس	أَدَبِ ١٠ العتاهي
يُلَاعِبُهُ ٢٠ أبو نواس	الْمَشِيبِ ١ مسلم
إِهَابِهِ ٢٢ أبو نواس	وَالْكُتْبِ ٥٥ دعل
إِيْجَابِهِ ٦٩ البحتري	وَجَبِ ٢ العتاهي
حِجَابِهِ ١ بشار	أَبْوَابُهَا ١٧ العباس
حِجَابِهِ ٢١ أبو نواس	أَثْوَابُهَا ٢ ديك الجن
حَسَبِهِ ٨ بشار	ذَنْبِكَ ٣ ابن الجهم
شَبَابُهَا ١٧١ البحتري	ذَهَابُهُ ١٨٦ البحتري
عَوَاقِبُهَا ٧ ابن الجهم	سَيَابَةُ ١٨ أبو نواس
وَحَاصِبُهَا ٢٣ أبو نواس	هُدْبَةُ ٩ دعل
وَصَبِيَّ ١٢٣ أبو تمام	وَالِيَّةُ ١٩ أبو نواس
الْأَمْوَاتَا ١٥ العتاهي	أُجَاذِيَةُ ١٦٢ البحتري
الثَّبَاتَا ١٩ العتاهي	أَقَارِبُهُ ١٤ بشار

سَكَرَاتِي ١٠٣ البحري

شَيْبَ ٢٢ بشار

صَبَابَاتِي ٢٦ أبو نواس

عَادَتِ ١٧ العتاهي

عَثَرَاتِي ١٤ العتاهي

مُتَابَعَاتِ ٣١ ابن الجهم

مُتَعَتَّ ٢ بشار

مَقْدِرَةَ ١٩ العتاهي

وَالشُّبُهَاتِ ٢ العتاهي

وَالْمَلَالِ ٢ العتاهي

وَأَيَّتِ ١٢٤ أبو تمام

وَصَلَّتِ ٢٤ بشار

يُؤَاتِي ٢٥ أبو نواس

المماتِ ١٩ العباس

طَلِبْتُ ٢٠ العباس

هَوَيْتُ ١ بشار

وَعَنَتِ ١٣ العتاهي

فَدَيْتُهُ ٢٥ بشار

وَأَتَيْتُهَا ٢ العتاهي

وَفَاتُهَا ٤٥ أبو تمام

بِعَبْرَتِي ٢ العتاهي

تَأْتِيهَا ٢ العتاهي

رَثَانًا ٧٦ أبو تمام

الموتى ١ العباس

فَتَمَنَّنِي ٢ العتاهي

الْبَنَاتِ ١٠ ديك الجن

الموتِ ١ العتاهي

أَنَعْتُ ٢ العتاهي

سَيَّكَيْتُ ٢٤ أبو نواس

فُوتُ ٥ البحري

كَثِيرَاتُ ٢ العتاهي

كُمَيْتُ ٢٣ بشار

كُنْتُ ٣٥ البحري

وَصَلْتُ ٩ ديك الجن

يَمُوتُ ٢ العتاهي

أَبَتِ ١١ دعل

الْبَنَاتِ ١٥٩ البحري

الثَّقَاتِ ٧١ البحري

الرَّزِيَّتِ ٢ بشار

الْعَرَصَاتِ ١٠ دعل

المماتِ ١٨ العتاهي

بِالْعَفَارِي ٢ بشار

بِمُؤَاتِ ١٦ العتاهي

بَيْتِ ٣٢ ابن الجهم

تُؤَاتِي ٢٦ بشار

ذَلَّتِ ١١٠ البحري

تَفْرُحُ ٢٠ العتاهي	الأخَذْتُ ١ العتاهي
تَلُوحُ ٢٦ أبو تمام	حَاثُ ٢ العتاهي
رُوحُ ١١ ديك الجن	أَحْجَى ٥٦ أبو تمام
مَادِحُ ٢ العتاهي	الْفَرَجَا ٢٧ أبو نواس
وَتُطْرَحُ ٧٦ البحري	حَرَجَا ٨٨ أبو تمام
يَسْلُحُ ٣١ بشار	رَجَا ٢ العتاهي
السَّفَاحُ ٤٦ أبو تمام	المَبَاهِجُ ٥٠ البحري
المُدَّاحُ ١ العتاهي	تَأَجَّجُ ٢٩ بشار
النَّاحِجُ ١ بشار	حَجَّجُ ٢٧ بشار
النِّكاحُ ٧٣ البحري	دُعُجُ ٤٦ ديك الجن
النَّواحِي ٢ العتاهي	نَارُ تَأَجَّجُ ٢٨ بشار
بِصَالِحِ ٨٧ البحري	المُهَجِّجُ ٤٧ ديك الجن
عَدِ ١ العتاهي	زُجَاجُ ٢ بشار
لِلْمِضْبَاحِ ٨٠ البحري	مُضَرَّجُ ١٩٠ البحري
مَخْرُوجُ ٣٤ أبو نواس	حَاجُّهَا ١٣٨ البحري
مِلَاحًا ١ بشار	جَرَحَا ٢ بشار
نَبَّاحُ ٢ بشار	جَرَحَا ٣٠ أبو نواس
وَالرَّاحُ ٧٤ البحري	صَدَحَا ٢٩ أبو نواس
بِرَاحُ ٣٣ البحري	طَاحَا ١ بشار
الْبَارِحَةُ ٣٥ أبو نواس	وَمَزَاحَا ٢٨ أبو نواس
رُوحَهَا ٢ بشار	الصَّبُوحُ ٣٣ أبو نواس
وَجَارِحُهُ ١٥ ابن الجهم	الْفُصْحُ ٣٢ أبو نواس
أُبْعَدَا ١٨ ابن الجهم	الْمَازِحُ ٣١ أبو نواس

أحدًا ٢٢ العتاهي	أحد ٢٣ العتاهي
الرَّدى ٣٩ بشار	أحمد ١ بشار
الرَّشدا ٨٢ العتاهي	أحمد ٨١ العتاهي
بردى ٩٦ البحري	أزید؟ ٥٣ البحري
تعمدا ٢ بشار	السُّودد ٥١ البحري
حمدًا ١٤ دعلب	العائد ٢٣ العباس
رعدًا ١٩٦ البحري	المريد ١ بشار
رودًا ٣٧ أبو نواس	النقد ٢٥ أبو تمام
سعيدًا ٢٢ مسلم	إياد ١٢ دعلب
شدًا ٢٤ العتاهي	بعيد ٣٢ بشار
شهدًا ٣٣ بشار	بعيد ٥٩ بشار
عبدًا ١٥٣ البحري	تجد ٦٨ البحري
غدا ٢٤ العباس	تجود ٢١ العباس
فزيادًا ٨ البحري	تلد ١ بشار
فسدًا ٢٢ العباس	جدود ٤٠ بشار
فندًا ١٥ دعلب	حسيدوا ٤٢ بشار
معاودًا ١٥١ البحري	حسود ١٢ ديك الجن
موعدا ٢ بشار	خالد ٢١ العتاهي
وأبدا ٧٨ البحري	رد ١١٣ أبو تمام
والتوحيدًا ٣٥ ابن الجهم	رقدوا ١٣ دعلب
وإيرادًا ٣٤ ابن الجهم	رقدوا ٢٥ العباس
وصدودًا ١٠٠ أبو تمام	رقدوا ٥٨ بشار
وعيدا ٣٨ بشار	سعد ١٨ البحري

الحاشد ٤٢ أبو نواس	سعد ٢٨ العباس
الحدا ١٠ البحتري	شديد ٣٣ ابن الجهم
الحمد ٥٥ ابن الجهم	شهدوا ٦٠ بشار
الرشي ١٧٩ البحتري	عد ٨٣ أبو تمام
الرعايد ١٣ مسلم	فؤاد ٤١ بشار
السود ٢٤ مسلم	قائد ١ بشار
الصمد ٣٤ بشار	معقود ٤٤ بشار
الفؤاد ١٦٣ أبو تمام	وترعد ٣٧ بشار
الفؤاد ٣٠ العباس	وساد ٤٥ بشار
القوم ١٠٩ أبو تمام	ولكوا ٣٣ أبو تمام
المجد ٢ العتاهي	يد ٢ العتاهي
المجد ٢١ أبو تمام	يريد ٢ العتاهي
المسترا ٣٨ أبو نواس	يزيد ٢٩ العباس
الوادي ١٩ أبو تمام	يغم ١٠ ابن الجهم
الوخد ١٢١ أبو تمام	يود ٢ العتاهي
بالجر ٤٠ أبو نواس	أزد ٢ بشار
بالسد ٣٩ أبو نواس	اعتماد ٦٦ البحتري
بحايد ٥٤ البحتري	الأسود ٤٤ أبو نواس
بعود ٢ بشار	البلد ٤٣ أبو نواس
بقاسد! ١١٤ أبو تمام	البيد ١٣٢ أبو تمام
بفاقيد ١٨٢ أبو تمام	الجسد ٢ بشار
بمؤعودي ٤٥ أبو نواس	الجسد ٤٧ أبو تمام
بواحد ٦٧ البحتري	الجهاد ١١٢ البحتري

مَرْقَدِ ٨٧ أبو تمام	بِوسَادِ ٣٦ ابن الجهم
مُشَرَّرِ ٢ مسلم	جَدِيدِ ٣٦ بشار
موجودِ ٢٧ العباس	جَلْدِي ٢ مسلم
مَوْدُودِ ٢ العتاهي	جِهَادِي ٢ بشار
مَوْعِدِ ١٣ ديك الجن	خُلُودِ ٨٣ العتاهي
نَوَاشِدِ ١٠١ أبو تمام	دَاوُدِ ٢ بشار
وَاحِدِ ١٩ دعبِل	دَاوُدِ ٤٣ بشار
وَالجَسَدِ ١٤ ديك الجن	دُؤَادِ ١٦٤ أبو تمام
وَالجَسَدِ ٢٦ العباس	سَعِيدِ ١٤٤ البحري
وَالْمُؤَيَّدِ ٢ العتاهي	عَبَّادِ ١٧ دعبِل
وَالنُّجُودِ؟ ٤٢ البحري	عُتُودِ ٤٥ البحري
وَتَالِدِ: ٩٩ أبو تمام	عُنْدِي ٢١ مسلم
وَتَغْتَدِي ٨٦ أبو تمام	عَهْدِ ١٥ ديك الجن
وَفْدِي ١٢٥ أبو تمام	عُؤَادِي ٢ بشار
وَلَدِي ٥٦ البحري	عِيْدِ ٨ ابن الجهم
يَدِ ١٨ دعبِل	عَدِ ٢ العتاهي
يُعْدِي ٢ بشار	قَرَدَدِ ١٣٦ أبو تمام
أَحَدُ ١١ البحري	كَالْوَزْدِ ٤١ أبو نواس
الْأَسَدِ ١ بشار	لَبِيدِ ١٦٥ أبو تمام
الْخَرَائِدِ ٣٥ بشار	لِلْخُلُودِ ١٤٣ البحري
السَّهْدِ ١٣٣ البحري	لِلْعَبَادِ ٢ بشار
الْمُتَجَرِّدِ ٣٦ أبو نواس	مُحَمَّدِ ١٦ دعبِل
قَدَدِ ٤٦ بشار	مُحَمَّدِ ٢ بشار

أَضْمَرَا ٢ مُسْلِم	قَدَرُ ١٤٦ الْبَحْتَرِي
اِقْتَرَى ٥٩ أَبُو نَوَاس	بَعْدَهَا ٢٥ الْعَتَاهِي
الْحَجَرَا ٢ مُسْلِم	عَادَةُ ٤٦ أَبُو نَوَاس
الْحُمَارَا ٥٨ أَبُو نَوَاس	كَبِدَهُ ٤٧ أَبُو نَوَاس
الْحَمْرَا ٦١ أَبُو نَوَاس	كِنْدَةُ ٤٨ أَبُو نَوَاس
الذِّكْرَا ١٩ مُسْلِم	وَاحِدَةُ ٥٦ دَعْبِل
الْقَدْرَا ١ مُسْلِم	وَجْدُهُ ٥٩ أَبُو تَمَام
الْكِبَارَا ١٧٥ أَبُو تَمَام	جَلْدُهُ ٤٩ أَبُو نَوَاس
النَّهَارَا ٢ الْعَتَاهِي	جَدِيدُهَا ١٢ ابْنُ الْجَهْم
جَهْرَا ٦ مُسْلِم	مَجِيدُهَا ٥٧ الْبَحْتَرِي
حُرًّا ٢٠ دَعْبِل	هُجُودُهَا ١٤ ابْنُ الْجَهْم
سَهْرَا ١٧ دِيكَ الْجَنْ	إِرْعَادِهِ ١٠٠ الْبَحْتَرِي
ظُلهْرَا ٦٢ أَبُو نَوَاس	خَدُّهُ ٦٠ أَبُو تَمَام
فَانْفَجَرَا ٨٦ الْعَتَاهِي	صُدُودُهُ ٥١ أَبُو نَوَاس
فَجَرَا ٩ الْبَحْتَرِي	وَاتَّقَادِهَا ٩٧ الْبَحْتَرِي
مِرَارَا ١٦ مُسْلِم	وَدَدُهُ ٩٧ أَبُو تَمَام
مِرَارَا ٢ الْعَتَاهِي	وَلَدُهُ ٢ الْعَتَاهِي
مَسْتَقَرًّا ٢ الْعَتَاهِي	يَدِيكَ ١٨٥ أَبُو تَمَام
مَطْرَا ٢ بَشَار	يُفْدُهُ ٥٠ أَبُو نَوَاس
وَالْفِكْرَا ٦٠ أَبُو نَوَاس	ذَاتُ الْأَمْثَالِ ٧٨ الْعَتَاهِي
وَالْوَقَارَا ٦٢ الْبَحْتَرِي	طَيْرِنَابَاذًا ٥٢ أَبُو نَوَاس
الْأَخْرُ ٢٨ أَبُو تَمَام	بَغْدَادِ ٥٣ أَبُو نَوَاس
الْأَزْهَرُ ٥ ابْنُ الْجَهْم	اسْتِظَارَا ٥٧ أَبُو تَمَام

الأوطار ٩١ أبو تمام	خبر ٥٢ بشار
البحار ٨٩ البحري	خبر ٢٥ البحري
الجهز ٦٥ أبو نواس	صذر ١٤ أبو تمام
الخنزير ١٠ أبو تمام	ضرب ٢ بشار
الخيار؟ ١١٥ أبو تمام	عذر ٣٥ أبو تمام
الدهر ٤٢ أبو تمام	عسير ٧٠ أبو نواس
السرا ٥١ بشار	عور ٦٨ أبو نواس
الصبر ٣٩ العباس	قبور ٢٦ مسلم
الصدور ٥ أبو تمام	قصار ٣٤ البحري
الفرا ٣٩ ابن الجهم	مذار ٣٣ العباس
القدر ١٣٧ أبو تمام	مستعار ٢٥ مسلم
القمر ٤٧ بشار	ندور ٦٧ أبو نواس
الكبير ٢٠ ابن الجهم	وأعذر ٨٣ البحري
النار ١ بشار	والحذر ١ العتاهي
باسور ٥٤ بشار	والخير ٦٩ أبو نواس
بحر ٦٤ أبو نواس	والخير ١١ أبو تمام
بشار ١ بشار	والعنب ٤٨ ديك الجن
تذكر ٣٧ ابن الجهم	والعنب ٦١ أبو تمام
توقر ٦٣ بشار	والفكر ٢٠ ديك الجن
جعفر ١٧ ابن الجهم	والنظر ٤٨ بشار
حجر ٤٢ العباس	وزر ٢٧ مسلم
حجر ٥٢ البحري	ومر ١ العتاهي
حضر ٦٣ أبو نواس	ويكر ٨٤ العتاهي

وَيَظْهَرُ ٣٧ العباس	الْفَائِرِ ٦٢ أبو تمام
يَتَكَسَّرُ ١٤١ أبو تمام	الْفُجَّارِ ٢ بشار
يَخْتَارُ ١٣٢ البحري	الفَقْرِ ١ العتاهي
يَدُورُ ٦٦ أبو نواس	الفَقْرِ ١ العتاهي
يَسْتَرُّ ٣٨ ابن الجهم	القَبْرِ ١ مسلم
يَسْتُرُّ ١٨٨ أبو تمام	الْقَطْرِ ٦٤ بشار
يُغَرُّ ٨٦ البحري	الْكَبْرِ ٧٣ أبو نواس
أَثَرِي ٧٤ أبو نواس	الكَبِيرِ ٨٤ أبو نواس
أَدْرِي ٢ مسلم	الْكَدْرِ ٧٨ أبو نواس
أَدْرِي ٥٦ ابن الجهم	الْمُتَحَيِّرِ ١٢٩ أبو تمام
أَغْفَرِ ٢ أبو تمام	الْمُحَجَّرِ ٣٤ العباس
الْأَثَرِ ١ مسلم	الْمَخْبِرِ ١ مسلم
البدرِ ٨٨ العتاهي	النَّارِ ٢ العتاهي
التَّبَكُّيرِ ٤٩ بشار	النَّارِ ٣١ العباس
الْجَمْرِ ٢٣ ديك الجن	النَّفِيرِ ١١١ البحري
الجِوَارِ ٥٣ بشار	النَّوَارِ ٥٠ ديك الجن
الخبرِ ٧٢ أبو نواس	أَمْرِي ٩ مسلم
الدارِ ١ مسلم	بِالْتَّقْصِيرِ ٢٢ دعبل
الدُّفْرِ ٢٤ دعبل	بِالنَّظَرِ ٨١ أبو نواس
الدهرِ ٢٧ العتاهي	بِالْهَوَاجِرِ ٢١ ديك الجن
السَّفْرِ ٢ العتاهي	بِالْوَقَارِ ٨٥ أبو نواس
الصدورِ ٨٣ أبو نواس	بصري ٤٠ العباس
الظَّوَامِيرِ ٢٣ دعبل	تَدْرِي ٣٦ العباس

تَقْرِي ٢١ دَعْبِل	تَدْرِي ٧٧ أَبُو نَوَاس
وَالْبَصْرِ ٤١ الْعَبَّاس	تُنْصَرِ ١٩ الْبَحْتَرِي
وَالسَّدِيرِ ٨٧ الْعَتَاهِي	حَذَارِ ١٤٥ أَبُو تَمَام
وَحَمَّارِ ٥٥ الْبَحْتَرِي	دَوْرِ ٣٢ الْعَبَّاس
وَحَمْرِ ٤٩ دِيكَ الْجَن	سَقَرِ ٢ الْعَتَاهِي
وَحَمْرِ ٧٩ أَبُو نَوَاس	شَاعِرِ ٢٨ مُسْلِم
وَدِينَارِ ٥٧ دَعْبِل	صَبْرِي ٣٨ الْعَبَّاس
وَعَرِ ١ الْبَحْتَرِي	طُفَرِ ٨٢ أَبُو نَوَاس
يَجْرِي ٧٥ أَبُو نَوَاس	عَصْرِ ٢ مُسْلِم
يُسْرِ ١١٨ الْبَحْتَرِي	عُمَرِي ٢ الْعَتَاهِي
يُقْبَرُ ١ الْعَتَاهِي	عُورِي ٥٩ الْبَحْتَرِي
أَسْتَرُ ٥٥ أَبُو نَوَاس	فَاخِرِ ٨٩ أَبُو تَمَام
الْبَصْرِ ٦٢ بَشَار	فَأْدَارِي ٧١ أَبُو نَوَاس
الْكَبْرِ ١٠٨ الْبَحْتَرِي	فَانْتَشِيرِ ٢٢ دِيكَ الْجَن
بَشَرِ ١ الْعَتَاهِي	قَصِيرِ ٢٩ الْبَحْتَرِي
تَغُورُ ٢ بَشَار	قَوَارِيرِ ٢ بَشَار
خَبَرُ ١٩ دِيكَ الْجَن	كَالْبَدْرِ ٧٦ أَبُو نَوَاس
وَالْحَطَرُ ٥٧ أَبُو نَوَاس	لِلْحَشْرِ ٨٠ أَبُو نَوَاس
وَأَنْذَرُ ٢٦ الْعَتَاهِي	لِلْفَخَارِ ٥٠ بَشَار
وَنَصِيرُ ٥٤ أَبُو نَوَاس	مَسْتَرِ ٣٥ الْعَبَّاس
وَطَرُ ٥٦ أَبُو نَوَاس	مَسِيرِ ٢ بَشَار
ابْتِكَارَهَا ١٦ دِيكَ الْجَن	مَنْصُورِ ٢٣ ابْنُ الْجَهْم
التَّجَارَةُ ٦١ بَشَار	مُنِيرِ ٢٦ دِيكَ الْجَن

الْمُذَرَّةُ ٢٦ دَعْبِل	الْأَنْسُ ٦٥ الْبَحْتَرِي
الْقَذَرَةُ ١٨ دِيك الْجَن	الْقِرْطَاسِ ٢٣ الْبَحْتَرِي
وَالْمَرَّةُ ٢٥ دَعْبِل	مُؤْنَسُ ٤٤ الْبَحْتَرِي
أُضْمِرُهَا ١٢٥ الْبَحْتَرِي	وَدَارِسُ ٨٨ أَبُو نَوَاس
أَمِيرُهَا؟ ١٧ أَبُو تَمَام	(بِطْيَاسِ) ٢٢ الْبَحْتَرِي
أَمِيرُهَا؟ ٩٢ أَبُو تَمَام	أُخْرَسِ ٢٧ دَعْبِل
أَنْهَمَارُهَا ١٧٠ أَبُو تَمَام	الْأَذْرَاسِ ١٤٨ أَبُو تَمَام
بَوَادِرَةُ ٨٥ الْعَتَاهِي	الْإِنْسِ ٢ الْعَتَاهِي
تَغَاوِرَةُ ١٠٧ الْبَحْتَرِي	الْقَاسِي ١٨٣ الْبَحْتَرِي
جَارَةُ ١٦٣ الْبَحْتَرِي	النَّاسِ ٤٣ الْعَبَّاس
مَصَادِرَةُ؟ ١٢٢ أَبُو تَمَام	النَّاسِ ٩٠ أَبُو نَوَاس
وَدُثُورُهَا ١٨٨ الْبَحْتَرِي	الثُّفُوسُ ٢ ابْنُ الْجَهْم
يُحَاذِرَةُ ٨٤ الْبَحْتَرِي	أَنْفَاسِي ٢٧ دِيك الْجَن
يَضْرُهُ ٢٩ الْعَتَاهِي	أَنْقَاسِ ٧٣ أَبُو تَمَام
أُمُورِهِ/الْأَرْجُوزَةُ الْعَتَاهِي ٧٨	بِرَاسِي ٩١ أَبُو نَوَاس
بَثَّارُهَا ٦ ابْنُ الْجَهْم	جَبْسِ ١٨٥ الْبَحْتَرِي
خَبِيرَةُ ٢٨ الْعَتَاهِي	رَاسِي ٤٤ الْعَبَّاس
خِذْرُو ٢٥ دِيك الْجَن	عَبَّاسِ ٨٩ أَبُو نَوَاس
سَمَرُهُ ٨٧ أَبُو نَوَاس	مَرْمَرِيْسِ ٤٣ الْبَحْتَرِي
لِخْضَرِهَا ٢٤ دِيك الْجَن	جَلَسَ ٩٢ أَبُو نَوَاس
وَقَارُهُ ٨٦ أَبُو نَوَاس	قَسَّهَا ٢ الْعَتَاهِي
قُدْمُوسَا ١٨ أَبُو تَمَام	رُقَاشُ ٩٣ أَبُو نَوَاس
إِبْلِيسُ ١ بَشَار	عَصَا ٢٨ دَعْبِل

مَصْرَعًا ٦٤ البحري	لِصِّ ٢٨ ديك الجن
مَعَا ٢١ البحري	عُمُضًا ١١ ابن الجهم
مَعَا ٣٠ دعل	فَمَضَى ٣٠ العتاهي
وَرُبُوعًا؟ ٣٢ البحري	مَضَى ٥٨ أبو تمام
وَمَضْنَعًا ٢ العتاهي	وَأَعْرَضًا ٢ بشار
يُنْبِوعًا ١٧٨ أبو تمام	الْقَرِيضُ ١ أبو تمام
أَتَجَرَّعُ ٢ بشار	جَرَضُ ٣ أبو تمام
أَرْقَعُ ٢ بشار	بِالْعَرَضِ ٤٨ أبو تمام
الْمُتَفَرِّعُ ١٠٦ البحري	تَغَاضٍ ١٧٠ البحري
الْمَزْرَعُ ٢ بشار	وَالْأَعْرَاضِ ١٦٦ أبو تمام
الْهَوَامِيعُ ٧٥ البحري	أَرْضًا ٢ العتاهي
تَبِيعُ ٩٥ أبو نواس	التَّغَاضِيَا ٢ العتاهي
تَقَعَّقُ ٣١ العتاهي	مُنْقَضُهُ ٢٧ البحري
تُسْتَطَاعُ ١٣٧ البحري	الْقُنُوطُ؟ ١٠٥ البحري
تَنْتَفِعُ ٢ العتاهي	تَسْخُطُوا ٢٩ دعل
جَازِعُ ١٥ أبو تمام	وَاسِطُ ٦٥ بشار
دُمُوعُ ١ العتاهي	قَسَطُ ١٧٤ البحري
رَعَاغُ ١٣١ البحري	وَإِخْطَةُ ١٤٨ البحري
مُتَسَّعُ ٣٥ العتاهي	بَلَقَعَا ٣١ أبو تمام
مَنْجَعُ ٢٩ مسلم	سَرِيعًا ٩٤ أبو نواس
مَهَيَّعُ ٨٤ أبو تمام	صَنَعًا ٤٠ ابن الجهم
وَتَصْنَعُ ٤٧ العباس	صَنَعًا ٤٥ العباس
يَتَسَّعُ ٣٤ العتاهي	ظَمَعًا ٢ بشار

وَيَرْقَعُهُ ٣٦ العتاهي	يَتَوَقَّعُ ١٧٣ البحري
بِاضْطِنَاعِهِ ١٩١ البحري	يَمْنَعُ؟ ٣٠ أبو تمام
سَخِيفًا ١٥٧ البحري	أُخْدَعِي ٧٩ البحري
ظَرْفًا ١٧٨ البحري	أَضْلَاعِي ١٢٢ البحري
لطيفا ٨٥ أبو تمام	الازْتِياعِ ١١٩ البحري
مُصَفَّى ١٣ البحري	الرَّبْعِ ٣١ دعل
وإِسْعَافًا ١٨٠ البحري	بِشَافِعِ ٤٦ العباس
وَقَفًا ١٤١ البحري	تَرْجِعِ ٤٩ البحري
وَقَفًا ٤٩ العباس	ذِرَاعِي ١٢٦ أبو تمام
وَمُعْتَرَفًا ٩٧ أبو نواس	مَمْنُوعِ ٥٨ دعل
وَنَيْفًا ٤ أبو تمام	وَأَوْجَاعِي ٤٨ العباس
يُرْفًا ٩٨ أبو نواس	تَبَعِ ٣٢ العتاهي
تَخِفْتُ ١٥٢ البحري	زُرْعُ ٢ العتاهي
رَغِيفُ ١ العتاهي	مُضْطَنَعُ ٣٢ دعل
لَحَائِفُ ٥٠ العباس	مَنِيعُ ١٥٠ البحري
مَتَلَفُ ٢٩ ديك الجن	وَقَعَ ١ العتاهي
وَكَيْفُ ١٦٨ البحري	السَّاعَةُ ١ العتاهي
اعْتِسَافِ ٤١ ابن الجهم	الْمَنْفَعَةُ ٢ العتاهي
الْأَنُوفِ ١٣٣ أبو تمام	جَمَاعَةُ ١ العتاهي
التَّعَفُّفِ ٣٧ العتاهي	طَائِعَةٌ؟ ١٤٠ البحري
الجَفَافِ ٣٠ ديك الجن	لِيَنْفَعَكَ ٢ العتاهي
الخَوْفِ ٣٣ دعل	وَالدَّرَاعَةُ ٢ العتاهي
الوصفِ ١٠٠ أبو نواس	وَوُلُوعُهَا ٩٢ البحري

لَأَحْمَقُ ٣٤ دعبل	أَنْفِي ٤٨ البحري
وَالْعَرَقُ ٤٠ العتاهي	بِأَسْلَافِي ٣٨ العتاهي
وَصَدِيقُ ٢ بشار	طَرَفِ ٩٩ أبو نواس
الْأَوْثَقُ ١١٥ البحري	فَقِيفِ ٢ العتاهي
التَّغْوِيْقُ ٤١ العتاهي	خَلَفَ ٩٦ أبو نواس
الْخَلْقُ ٣٩ العتاهي	نِصْفِهِ ٣١ ديك الجن
السَّخِي ٩١ العتاهي	الْأَرْقَا ١٠٢ أبو نواس
الْعُشَاقُ ١٣٥ البحري	الصَّادِقُ ١١١ أبو تمام
الْعَرَقُ ٣٥ دعبل	ق ١ الصَّدِيقَا ١٨١ البحري
الْفِرَاقُ ٩٠ العتاهي	تَسْدُقُ ٢٤ أبو تمام
الْمُتَعَلِّقُ ٩٥ البحري	حَقًّا ١٠١ أبو نواس
الْمُتَّقِي ١٠٧ أبو نواس	حَقًّا ٨٩ العتاهي
بِالتَّلَاقِي ٦٦ بشار	شَفِيقًا؟ ٤٧ البحري
بِمُفِيقِ ١٩٨ البحري	طَلَقًا ١ العتاهي
تَصْدِيقِي ١٠٨ أبو نواس	فِرْقَا ٥٧ العباس
تُطْقِي ١٠٧ أبو تمام	قَلَقًا ٥١ العباس
رَالسِّيَاقِ ٤٩ أبو تمام	مُفَوِّقًا ٤٦ البحري
رَقِيقِ ١٠٩ أبو نواس	أَتَشَّقُّ ٥٣ العباس
صَفَاقِ ١٠٤ أبو نواس	أَتَشَّقُّ ٥٥ العباس
طَرِيقِ ٢ العتاهي	تَعَلَّقُ ١٢٤ البحري
فَاضِدُ ١٨٩ البحري	حُقُوقُ ١٥٤ البحري
لِلْمُعَانِقِ ١٠٥ أبو نواس	رَمَقُ ٥٤ العباس
لِمُخَارِقِ ٣٦ دعبل	فَتَنَّقُ ١ مسلم

سِوَاكَ ١١٣ أَبُو نَوَاس

عَلَيْكَ ١ الْعَتَاهِي

قَفَاكَ ٦٣ أَبُو تَمَام

مِنْكَ ٢ الْعَتَاهِي

هَلَكَا ٣٧ دَعْبِل

مَلِكُ ١ الْعَتَاهِي

أَرْكَ ١ الْعَتَاهِي

الْفَلَكُ ٢ الْعَتَاهِي

الْمَسَاوِيكُ ٦٧ بَشَار

الْمَمَالِيكُ ٤٢ ابْنُ الْجَهْم

لِيَنْفَعَكَ ٢ الْعَتَاهِي

بَشَكَه ٤٤ الْعَتَاهِي

الْحَبَالَا ؟ ١٢١ الْبَحْتَرِي

أَمَلَا ١١٧ أَبُو نَوَاس

أَمَلَا ٢ الْعَتَاهِي

تَرْمِيَلَا ٣٢ دِيكُ الْجَن

تَفْعَلَا ٣٩ دَعْبِل

تَقْبَلَا ١١٦ أَبُو نَوَاس

يُقْلَا ١٢٠ الْبَحْتَرِي

حَبَالَا ١٨ مُسْلِم

حَبَالَا ٩٢ الْعَتَاهِي

ذَلِيلَا ٥٢ الْعَتَاهِي

سَبِيلَا ٦٣ الْعَبَّاس

مَمَرَّقُ ١٦٢ أَبُو تَمَام

وَالسَّاقِي ١٠٣ أَبُو نَوَاس

وَشَقَاتِي ٥١ دِيكُ الْجَن

يَتَفَرَّقُ ٢ الْعَتَاهِي

يُخْتَبِئُ ١٠٦ أَبُو نَوَاس

يُخْلَقُ ٨ الْعَبَّاس

الْعُشَّاقُ ١٨٤ أَبُو تَمَام

أَطِيقُ ٥٢ الْعَبَّاس

نَفَقُ ١٤٥ الْبَحْتَرِي

بِالرَّافِقَةِ ٥٦ الْعَبَّاس

تَفَقُّهُ ٢ الْعَتَاهِي

تَوَافَقُهُ ٣٠ مُسْلِم

خَالِقُهُ ٢ الْعَتَاهِي

يَطْرُقُهُ ١٩٧ الْبَحْتَرِي

عِرَاقُكَ ١٣٤ الْبَحْتَرِي

عُنُقُهُ ١١٠ أَبُو نَوَاس

أَذَاكَ ٢ الْعَتَاهِي

أَرَاكَ ١١٢ أَبُو نَوَاس

الضَّحَّاكَ ٨ مُسْلِم

الْفَلَكَا ٢ بَشَار

أَهْجُكَ ١١٤ أَبُو نَوَاس

وَالسَّمَا ١١٥ أَبُو نَوَاس

رَجَاكَ ١ مُسْلِم

أَهْلُ ٢ مُسْلِم	شَمُولَا ٧ مُسْلِم
أَهْلُ؟ ١٧٣ أَبُو تَمَام	طَوِيلَا ٢ الْعَتَاهِي
بَاطِلُ ١٩٩ الْبَحْتَرِي	طَوِيلَا ٦٤ الْعَبَّاس
بَعْلُ ٢ مُسْلِم	عَقَلَا ٩٠ أَبُو تَمَام
تَبَخَّلُ ١٠٩ الْبَحْتَرِي	قَالَا ٩٣ الْعَتَاهِي
تَجُولُ ٧٠ بَشَار	مَأْمُولَا ١١٩ أَبُو نَوَاس
ثَمِلُوا ٢ بَشَار	مَجْهُولَا ٤٨ ابْن الْجَهْم
جَلِيلُ ٢ الْعَتَاهِي	مُطِيلَا ٢٤ الْبَحْتَرِي
جَلِيلُ ٢ بَشَار	مَغْفُولَا ٣٧ أَبُو تَمَام
حَالُ ١٦ ابْن الْجَهْم	مَهَلَا ١١٨ أَبُو نَوَاس
دَوَّلُ ١٩٥ الْبَحْتَرِي	نَوَالَا ٢ الْعَتَاهِي
سَبِيلُ ١٢٣ أَبُو نَوَاس	وَأَجُولَا ٦٨ بَشَار
سِيلُ ٤٧ ابْن الْجَهْم	وَالْمَوْلَى ١ الْعَتَاهِي
شَمَأُلُ ٤١ أَبُو تَمَام	يَأْفُلَا ١١٠ أَبُو تَمَام
عَسَلُ ١٢١ أَبُو نَوَاس	الْبَاطِلُ ٤٦ ابْن الْجَهْم
عَوِيلُ ٥٩ الْعَبَّاس	الشُّكْلُ ١٦٨ أَبُو تَمَام
قَائِلُ ٤٤ ابْن الْجَهْم	الْجَزِيلُ ٦٣ الْبَحْتَرِي
قَتِيلُ ٦٢ الْعَبَّاس	الرَّسُولُ ٣٣ دِيكَ الْجَن
قَتِيلُ؟ ١٨٤ الْبَحْتَرِي	الطَّوْلُ ١٤٦ أَبُو تَمَام
لَبَخِيلُ ٣٢ أَبُو تَمَام	الْعَجَلُ ١١٧ الْبَحْتَرِي
مُتَطَاوِلُ ٤٥ ابْن الْجَهْم	الْقُبْلُ ١٢٠ أَبُو نَوَاس
مَجْهُولُ ٣١ مُسْلِم	الْمَالُ ٥١ الْعَتَاهِي
مَشْغُولُ ١ الْعَتَاهِي	أَمِلُ ١٨٦ أَبُو تَمَام

العمل ١٣٤ أبو نواس	مُقْبِلُ ١٠٣ أبو تمام
الْمَتَزَمِّلُ ١٣٣ أبو نواس	مَنْزُلُ ٩٠ البحري
المُحْتَالِ ٤٦ العتاهي	مَوْئِلُ ٣٤ ديك الجن
المُسْبِلُ ١٦٧ أبو تمام	وَابْتَهَلُوا ١٢٢ أبو نواس
المُسْحَلِ ٣٧ البحري	وَتَعْدِلُ ٤٣ ابن الجهم
المُفْضَلُ ١٣ ابن الجهم	وَمُسْتَقْبِلُ ٣٨ دعبل
المُفْضِلُ ٤٠ دعبل	يَخْفِلُ ٣٥ ديك الجن
الْمَنَازِلُ ٢ بشار	يُقْبِلُ ١٩٢ البحري
الْهَلَالِ ٢ بشار	أُبَالِي ٦١ العباس
بالجهل ٥٨ العباس	أَتْكُلُ ٦٥ أبو تمام
يَتَوَالِ ١٥١ أبو تمام	الْأَسِيلُ ١٢٨ أبو نواس
يَزْلِيلُ ١٣٥ أبو نواس	الْأَكْلُ ١٣١ أبو نواس
يَطَائِلُ ٢٢ أبو تمام	التَّبَلُّ ١٣ أبو تمام
يَقْطُرُبِلُ ١٢٧ أبو نواس	الرَّجَالُ ٢٠٠ البحري
جَمَلِي ١٣٢ أبو نواس	الرجال ٥٥ العتاهي
حَالِ ٣٧ ديك الجن	الرَّسُولُ ١٣٦ أبو نواس
حَالِ ٤٨ العتاهي	الرُّمْلُ ١٦٠ أبو تمام
حَالِي ٤٣ دعبل	السَّاحِلُ ٢ العتاهي
دَخْلِي ٥ مسلم	السَّرْبَالُ ١٢٤ أبو نواس
رَجَلِي ١٢٩ أبو نواس	الظَّلَالُ ٥٤ العتاهي
سَبِيلُ ٤٢ دعبل	العَاقِلِ ٢ بشار
سَبِيلُ ٤٩ ابن الجهم	العَدْلُ ٣ مسلم
سَلْسَبِيلُ ١٣٠ أبو تمام	العَقْلُ ٩٥ العتاهي

وَصِيَالِ ١٤٤ أَبُو تَمَام	شِمَالِي ١٦١ الْبَحْتَرِي
وَعَنْ قُلِّ ٤ مُسْلِم	طَوِيلِ ٢ بَشَار
وَقَالَ ٤٩ الْعَتَاهِي	عَالِ ٥٢ دِيكَ الْجَن
يُسْلِي ٦٠ الْعَبَّاس	عِيَالِ ١٢٦ أَبُو نَوَاس
وَسِيلِي ٧ أَبُو تَمَام	غَزَلِ ٣٢ مُسْلِم
أَجَلُ ٥٩ دَعْبِل	فَعَالِ ١٢٥ أَبُو نَوَاس
الْجَمَلُ ٢ بَشَار	كَسَلِ ٢ الْعَتَاهِي
ثَقِيلُ ٤٧ الْعَتَاهِي	لِلرَّحِيلِ ٥٠ الْعَتَاهِي
قَتِيلُ ١ الْعَتَاهِي	مُعَقَّلِ ١٢ مُسْلِم
أَخْوَالُهُ ١٥٦ الْبَحْتَرِي	مُقْبِلِ ٣٦ دِيكَ الْجَن
إِذْلَالُهَا ٩٤ الْعَتَاهِي	مَمِيلِ ٢ مُسْلِم
الْفَلَكَ ٢ الْعَتَاهِي	مُوَائِلِ ١٤٢ أَبُو تَمَام
بِحِيلَةٍ ١٥٥ الْبَحْتَرِي	وَأَجَالِ ٥٣ الْعَتَاهِي
تَنَالُكَ ٤٣ الْعَتَاهِي	وَاحْتِمَالِي ٩٦ الْعَتَاهِي
جَمَالَكَ ٤٢ الْعَتَاهِي	وَالْبَخِيلِ ٤١ دَعْبِل
لَعَلُّكَ ١١١ أَبُو نَوَاس	وَالْتَّسْهِيلِ ١٦٠ الْبَحْتَرِي
وَأَذْلُهَا ٥٧ الْعَتَاهِي	وَالْعَمَلِ ٢ الْعَتَاهِي
وَأَسْفَلُهَا ٧٨ أَبُو تَمَام	وَالْمَعَالِيِ ١٢ الْبَحْتَرِي
بَاطِلُهُ ٦١ الْبَحْتَرِي	وَالْمَعَالِيِ ٢ مُسْلِم
تُحَاوِلُهُ ١٤٧ أَبُو تَمَام	وَالْمَنَاصِلِ ٣ الْبَحْتَرِي
حَامِلُهُ ٤٤ دَعْبِل	وَالْهَزْلِ ١٣٠ أَبُو نَوَاس
سُؤَالُهَا ٩٣ الْبَحْتَرِي	وَحَلِيلِي ٢ الْعَتَاهِي
عَقْلُهُ ٢ الْعَتَاهِي	وَزَوَالِ ٤٥ الْعَتَاهِي

والهاما ٢ مسلم	قَتَابُهُ ٥٦ العتاهي
وَعُمُومًا ٣٠ البحري	مَرَايِلُهُ ٨٠ أبو تمام
أَفْذَمُ ٨١ أبو تمام	نَبَالُهُ ٥٨ العتاهي
الإلمام ١٣٨ أبو تمام	نِضَالُهُ ١٠٦ أبو تمام
الظُّلُومُ ٦٠ العتاهي	وَبِطَالُهُ؟ ١١٣ البحري
الْمُتَجَسِّمُ ٨٥ البحري	وفعله ١٨٧ أبو تمام
الْمَكَارِمُ ٢ العتاهي	أَشْأَمًا ٩٤ البحري
تُتَهُمُ ١٥٩ أبو تمام	السَّلَامَا ٦٧ العباس
تَرَحَّمُ ١٤٠ أبو نواس	السَّلَامَا ٩٨ العتاهي
تَسْتَنِيْمُ ١٧١ أبو تمام	السَّلَامَا؟ ١٠١ البحري
تُضَامُ ١٣٩ أبو نواس	الْمُنْمَنَمَا ١٢٩ البحري
تَلُومُ ٤٥ دعبل	تُنِيْمًا ٩٥ أبو تمام
حَرَامُ ٢ بشار	حَكَمًا ٤٦ دعبل
حَمِيْمُ ١٣٤ أبو تمام	دَمًا ٦٨ أبو تمام
دَسَمُ ١٤١ أبو نواس	رحيما ٣٤ أبو تمام
سَلَمُ ١٢٠ أبو تمام	رَزَمًا ٦٠ دعبل
سَلِيْمُ ٥٠ ابن الجهم	شَمِيْمًا ١٣٨ أبو نواس
سَهْمُ ٩٧ العتاهي	عِلْمًا ٢ العتاهي
ظَالِمُ ٦٩ العباس	عُومًا؟ ١٣٠ البحري
ظَلُومُ ٦٦ العباس	فَأَقِيْمًا ١٣٧ أبو نواس
عَالِمُ ١٦٩ أبو تمام	فَمًا ٢ مسلم
عَرَمَرَمًا ٤ ابن الجهم	قُدَمًا ١٧٧ أبو تمام
فَوِيْمُ ١٥٥ أبو تمام	مُتِيْمًا ٧٢ بشار

لَلْنِّيمُ ٩ أبو تمام	المَبَاسِمِ ١ بشار
مُحَرَّمُ ١٥ مسلم	المَكَارِمِ ٧٩ أبو تمام
مُحَكَّمُ ٢ العتاهي	المَلَامِ ٩٩ البحري
نَائِمِ ٢ بشار	المُلِمِّ ٢ بشار
نَتَكَلَّمُ ٦٧ أبو تمام	أَنَمِ ١٤٦ أبو نواس
وَالنَّعِيمِ ٢ العتاهي	بِالسَّلَامِ ٢٣ أبو تمام
وَتَحَرِّمُ ٦٠ البحري	بِسَالِمِ ٧٤ بشار
وَسَلَامُ ٥٩ العتاهي	بِسَلَامِ ١٤٢ أبو نواس
يَتَكَلَّمُ ٧٠ العباس	بِكَرِيمِ ١٧٤ أبو تمام
أَعْظَمُ ١٨٦ أبو نواس	بِمُحَرَّمِ ٧٧ بشار
يُرَامُ ٧٥ بشار	تَسْلَمِ ٢ العتاهي
يَلُومُ ٦٥ العباس	تَسْنِيمِ ١ بشار
يَهْدِي ١ بشار	خَزَائِمِ ١٢٨ أبو تمام
الأَعْظَمِ ١١٦ أبو تمام	رَحِيمِ ٣٨ أبو تمام
الأيامِ ١٤٣ أبو نواس	سَعُومِ ١٣٥ أبو تمام
الأيامِ ٥١ ابن الجهم	سُقْمِ ١٤٧ أبو نواس
الجسَمِ ٦٨ العباس	سِلْمِي ١٧٦ البحري
الْحَذِمِ ٩٣ أبو تمام	عَزَائِمِي؟ ٩٤ أبو تمام
الصيامِ ٣٨ ديك الجن	عَمِّ ١٤٧ البحري
الْقَدِيمِ ٨١ البحري	مُحَرَّمِ ٥٨ البحري
الكَرَمِ ١٤٤ أبو نواس	لَازِمِ ١٤٥ أبو نواس
الكَرَمِ ٤٠ أبو تمام	مَلُومِ ١٤٨ أبو نواس
اللُّثَامِ ١ ابن الجهم	مُنْهَدِمِ ٧٤ أبو تمام

الإخوانا ١٣٩ البحري	نَسِيم ١٤٩ أبو نواس
الأربعينا ٤٨ دعل	نَظْمِي ١٥٣ أبو تمام
الأمينا ٣٨ البحري	هَمِّي ٧٦ بشار
الشمينا ١٥٧ أبو نواس	واكْتِنَام ٦٦ أبو تمام
المؤمنينا ١٥٨ أبو نواس	والسُّقْم ٢ العتاهي
إلينا ١٠٤ العتاهي	وأُمِّي ٩٩ العتاهي
إلينا ٢٠٢ البحري	وَجُوم ١٢٧ البحري
أينا ٣٠ بشار	وَذِمَام ١٤٩ أبو تمام
تَمَوْتِينَا ٥٣ ديك الجن	وَمَعْمُوم ٤٧ دعل
تَنْتَظِرِينَا ١٥٦ أبو نواس	الرَّحَام ١ بشار
خُرَاسَانَا ٧٦ العباس	العَلَم ٧١ بشار
راجِعونَا ٥٢ أبو تمام	أَلَم ٧٣ بشار
سِوَانَا؟ ١٨٧ البحري	تَحْتَكِمُ؟ ٧٧ البحري
عِرْفَانَا؟ ١٦٦ البحري	والعَدَم ٢ العتاهي
عندَنَا ١٥٥ أبو نواس	يَذَمُّ ٢ العتاهي
فَأَحْسَنَا ٢ العتاهي	مُبْهَمَةٌ ٨٢ البحري
فَزِيدُونَا ٧١ العباس	دَمُهُ ٣٦ أبو تمام
كانَا ١٥٣ أبو نواس	مُقِيمُهَا ١٢٨ البحري
كانَا ٢ العتاهي	نَعِيمُهَا ١١٢ أبو تمام
و(بِنَّا) ١٦٧ البحري	يُكْرِمُهُ ٦١ دعل
ولِسَانَا ١٥٤ أبو نواس	قَسَمِهِ ٨ أبو تمام
يَغْنِينَا ١٩٣ البحري	مُكْتَمِّهِ ١٥٠ أبو نواس
يَقْطَانَا ١٥٢ أبو نواس	أَحْيَانَا ٢ بشار

الْأَنْبِيَاءُ ٣٩ ديك الجن	الْإِنْسَانِ ١٦ البحري
الدِّينُ ١٤٣ أبو تمام	الثاني ٩٦ أبو تمام
الشُّجُونُ ٧٠ أبو تمام	الْحَيْنَانِ ٢ بشار
الْطُّغْرُ ١٤ مسلم	الْحَدَثَانِ ١٦٥ أبو نواس
الْكَفَرُ ١ العتاهي	الحسين ١٧٦ أبو تمام
الْهَوَانُ ١ بشار	الرَّزْجُونِ ١٧٠ أبو نواس
تَسَمُّنُ ٦٨ العتاهي	الْقِيَانِ ١٦٦ أبو نواس
تَكُونُ ٦٣ العتاهي	المعاني ٦٩ أبو تمام
جَرِينُ ١٦١ أبو نواس	الميزانِ ٢ بشار
عُيُونُ ٧١ أبو تمام	الْوَسْنِ ٥٣ أبو تمام
فَيَكُونُ ١٥٠ أبو تمام	الْيَمَنِ ٣٩ أبو تمام
لَيْسَ ٢ العتاهي	إِمْكَانِي ١١٤ البحري
مُعِينُ ٢ بشار	أَوَانِ ١٦٤ أبو نواس
مَكَانُ ١٥٩ أبو نواس	بِأَوْطَانِ ٥٠ أبو تمام
مَكَانُ ٢ العتاهي	جُرْجَانِ ٢ مسلم
وَالزَّمَنُ ٧٣ العباس	جَفَانِي ٢٠٤ البحري
يَمِينُ ١٦٠ أبو نواس	رِضْوَانِ ٨٨ البحري
يَهُونُ ٢ بشار	زَمَانِ ٦٥ العتاهي
أَبَانِ ١٦٢ أبو نواس	زَمَانِي ٦٤ العتاهي
أَعْطَانِي ١١ مسلم	سَكَنِ ٥٢ ابن الجهم
أَفْخَوَانِ ٣٣ مسلم	شَانِي ١٠٠ العتاهي
الْأَصْبَهَانِي ٦٩ بشار	شَانِي ١٢٦ البحري
الْأَفَانِينِ ١٧ البحري	ظَلْمُونِي ٦٢ العتاهي

يَقْطِينِ ٦٧ العتاهي	عَانِ ٥٤ ديك الجن
يَكْفِينِي ٧٠ العتاهي	عثمانِ ١٦٣ أبو نواس
الْحَزَنُ ١ العتاهي	غُصْنِ ٧٢ أبو تمام
الْحَزَنُ ٤٩ دعبِل	فابِئِكَانِي ٢ العتاهي
الرَّزْمَنُ ٢ العتاهي	فاسِقْنِي ١٦٩ أبو نواس
الْوَطْنُ ٢٠١ البحري	مُغْنُ ٦١ العتاهي
حَسَنُ ٢ العتاهي	مَكَانِ ٢ مسلم
رَوَيْدُنُ ١٥١ أبو نواس	مَكَانِي ٤٠ ديك الجن
وَالصَّوْلَجَانُ ٢ بشار	مِنِّي ٢ العتاهي
أَزَيْتَةُ ٢٠٣ البحري	مِنِّي ٤٢ ديك الجن
أَمَانِيَا: ١٨١ أبو تمام	مِنِّي ٦٦ العتاهي
بَلَّغْنَاهَا ٧٧ العباس	نُثْنِي ١٦٧ أبو نواس
تَمَنَّاهُ ٧٥ العتاهي	وأحزاني ١١٨ أبو تمام
تُهَيْنَهَا ١٧٢ أبو نواس	وإخواني ١٥٦ أبو تمام
حَسَنَةُ ٢ العتاهي	والإثنينِ ٤١ ديك الجن
دُونَهَا ٧٣ العتاهي	والطَّيْنِ ٤١ البحري
زَمَانَهَا ٥١ أبو تمام	وأوطانِ ٢ مسلم
زَمَانُهُ ١٦٩ البحري	ودِينِ ٥٣ ابن الجهم
بِأَغْصَانِهِ ١٣١ أبو تمام	وطِينِ ١٧١ أبو نواس
سُلْطَانِهِ ٧١ العتاهي	وَلَيْلَتَيْنِ ٥٤ ابن الجهم
شَجِنَهُ ٧٥ العباس	يَتَشَابِهَانِ ٧٢ العباس
فُنُونُهُ ٧٢ العتاهي	يراني ٦٩ العتاهي
كِتْمَانِهِ ٧٤ العباس	يُغْنِي ١٦٨ أبو نواس

وَيَمَانِهِ ٣٩ البحري	بَطِّي ١٦١ أبو تمام
اللَّهُ ١٧٤ أبو نواس	تَهْدِيهِ ١ بشار
يَذْكُرُهَا ١٧٣ أبو نواس	أَثَافِيهَا ١٧٨ أبو نواس
تَمَنَّاها ١٧٥ أبو نواس	تِيهَا ١٧٦ أبو نواس
دَهَاها ٥٠ دعبل	فَقِيها ١٧٧ أبو نواس
فَيَنْعَاها ٢ بشار	القَافِيَةُ ٥٣ دعبل
أَقَمَاهُ ٢ العتاهي	زَانِيَةُ ١٨٣ أبو نواس
ذُكِرَاهُ ١٨٢ البحري	زَاوِيَةُ ٧٧ العتاهي
الَلَاهِي ١٧٩ أبو نواس	لِلرَّعِيَّةِ ١٠٣ العتاهي
إِلَيْهِ ١٨٠ أبو نواس	مُعَادِيَةُ ٤٣ ديك الجن
وَجْهُهُ ١ العتاهي	مَغَانِيها ٢٠ مسلم
فَعَضُوا ١٨١ أبو نواس	نَاحِيَةُ ٢ العتاهي
خَلُّهُ ١٠١ العتاهي	نَاطِرِيكَا ٦٤ أبو تمام
بَوَّ ٢٠٥ البحري	وَالدَّائِيَةُ ٥٢ دعبل
سِنُوهُ ٧٦ العتاهي	بِمُقْلَتِيهِ ١٨٤ أبو نواس
بَادِيَا ١٧٢ البحري	يَبْدِيها ٥٥ ديك الجن
بَقِيَا ١ العتاهي	أَهْلِيها ١٠٤ البحري
تَالِيَا ١ مسلم	حَوَاشِيها ٥١ دعبل
خَزِيَا ١٨٢ أبو نواس	عَلَيْهِ ١ العتاهي
لَدَيَا ١٠٥ العتاهي	لَدَيْهِ ٧٤ العتاهي
لِيَا ٢ العتاهي	يَدَيْهِ ٢ العتاهي
وَمَهْدِيَا ١٠٢ العتاهي	

تجارب الشعر: من بداية الشعر العربي إلى الحاضر

يضم هذا الكتاب ألفاً ومشي قطعة، تكون القطعة بيتاً وتكون قصيدة كبيرة، أو أي شيء بينهما. هي أشعار التخبث من دواوين عشرة شعراء حملوا الشعر العربي وانطلقوا به عالمياً كي يخلق في مدار جديد. البدء ببشار، الشاعر المتهتك المتمرد، وكل شعرائي متهتكون متمردون، جزئياً أو كلياً. ظل بشار «بنخيل» أنه يحن إلى دين أحداه عبدة النار «الأرض مظلمة والنار مشرقة» والنار معبودة مذ كانت النار، «هذا رغم نشوته في أحضان العربية لم يعرف لغة غيرها. كان بشار رغم عمه شهوانياً ومن قال إن الأعمى أبعد عن الشهوانية من أخيه المبصر؟»، وعبر بشار عن شهوانيته في أشعار كثيرة نقلنا منها الكثير. يحدثنا عن فتاته: «تقول وقد خلوتُ بها: تكلم واكفني يدك». والمتهتك الثاني يحن سنوات قلائل ثم انعكس انعكاس غريبة أنتجت لنا أطراف دواوين الشعر العربي. هذا أبو العتاهية، عاش ضويلاً، وعاش وهو في مطلع كل صباح ومطلع كل قصيدة يذكر الموت. كان يعشق الحياة عشقاً أنساه أن يعيشها...

- كل باب مذيّل بفهرس للقوافي، وفي آخر الكتاب فهرس عام للقوافي

- مرفق مع الكتاب تسجيلات صوتية من قصائد «تجدد الشعر» بصوت المؤلف عارف حجاوي، وهي مرقمة بحسب ترقيمها في الكتاب

- تم التسجيل في استديوهات مركز الجزيرة للتدريب الإعلامي. مهندس الصوت: محمد ماضي

المشرق

القاهرة - المعادي - شارع المعراج

almashriq.books@gmail.com



9 781287 329992

2020

8.1.2020

عافى بحاوي

إحياء الشعيرة

البرودي والزهاوي وشوقي
وحافظ والصافي والجوهري

المشرق

إحياء الشعر

البارودي والزهاوي وشوقي وحافظ والرصافي
والجواهري

عارف حجاوي

المشرق

إحياء الشعر

الفهرسة أثناء النشر - إعداد دار المشرق

حجاوي، عارف

إحياء الشعر: البارودي والزهاوي وشوقي وحافظ
والرصافي والجواهري/ عارف حجاوي.

٦٣٩ ص.

١. شعر. أ. العنوان.

???

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر
بالضرورة عن وجهة نظر دار المشرق»

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار المشرق
الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٨

دار المشرق

القاهرة - المعادي - شارع المعراج

almashriq.books@gmail.com

أبواب الكتاب

٧ مقدمة وعرفان
١٧ محمود سامي البارودي (١٨٣٩م - ١٩٠٤م)
٧٧ جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣م - ١٩٣٦م)
١٣٩ أحمد شوقي (١٨٦٨م - ١٩٣٢م)
٤٠٣ حافظ إبراهيم (١٨٧١م - ١٩٣٢م)
٤٨٥ معروف الرصافي (١٨٧٥م - ١٩٤٥م)
٥٥٩ محمد مهدي الجواهري (١٩٠٢م - ١٩٩٧م)
٦٢١ فهرس القوافي العام

مقدمة

نفخ البارودي في صورهِ وأقام الشعر العربي من قبرهِ، فنهض يفرك عينهِ،
ولبس جبته، واعتجر عمامته وركب ناقته.
لا، ليس كذلك بالضبط.

أريد أن أدخل إلى أشعار هذا العصر من باب أكاديمي، ولو على سبيل
التغيير. هذا العصر الذي يتناول كتابنا أشعاره عصر قريب منا، بعضنا عاشه،
وكلنا عايشه. فآخر من تناولنا من شعراء هذا العصر توفي عام ١٩٩٧، وله
حضور قوي بصوته وصورته، ذلك هو الجواهري. وكل شعرائنا في هذا
الكتاب - وهو الكتاب الرابع من سلسلة الزبدة - ماتوا في القرن العشرين.
وسترى أننا في الكتاب الخامس والأخير سنعرض لشعراء ماتوا جميعاً في القرن
العشرين أيضاً. سيعترض أحدهم قائلاً: ما أراك جعلت القرن العشرين في
كتابين إلا لأن المادة كثرت عليك، فلم يكن لك بد من القسمة. في هذا
الاعتراض شيء من الحق. وليس كل الحق.

سأقنع القارئ بأن ثمة فارقاً بين هذا الكتاب الرابع، وبين الخامس الذي
سيبعثه. ومن هنا التمسث مدخلاً أكاديمياً. والكلمة المفتاح هنا هي الكلاسيكية.

عندما انتصف إنتاج بيتهوفن ركبه عفريت «التعبير». صار يعبر في موسيقاه
عن الحنان والرقّة والغضب. تسمعه في سيمفونياته المتأخرة ويدك على مفتاح
الصوت حتى تخفضه خفضاً سريعاً عندما يجن جنون صاحبنا وتأخذ الأوركسترا
تصرخ بطبولها ونحاسها بغضب.. أنت لا تريد أن يدق لك ساكن الشقة
المجاورة على الحائط.

خرج صاحبنا من الكلاسيك إلى نمط جديد، سيسميه أهل الصناعة
«الرومنس».

الكلاسيك انضباط ووقار، والتزام بالأعراف الفنية في الشكل وفي المشاعر. والرومنس حرية في التعبير عن مكنونات الفؤاد، وقسط من الحرية في الخروج عن الشكل المعروف.

في الشعر العربي أعراف راسخة من حيث الشكل، فالأوزان أوزان الخليل، واللغة لغة الخليل، فإذا أدخل الشاعر في قصيدته لفظة عامية فلا يكون ذلك إلا من باب التطرف، وسرعان ما يستغفر آلهة اللغة ويعود إلى الفصحى المعجمية.

عندما «أحيا» البارودي الشعر العربي لم يخرج عن الكلاسيك، بل عاد به إلى زمن أوغل في القدم من زمن مجاليه. لا بل جعل معظم شعره مصبوحاً في قوالب الشعراء القدامى تقليداً في الشكل واللغة، ومجاراة في المعاني وطريقة سوقها.

الكلاسيك انضباط، والرومنس تحرر. لكن، حنانيك، الرومنس ليس فلتاناً. فيه تحرر عظيم في المشاعر وفي التعبير عنها، ولكنه يتخذ لنفسه ضوابط. فماذا لو مل الشعراء من الرومنس، وابتغوا التجديد؟

سأعيدك إلى الموسيقى هنيهة. بعد بيهوفن، الذي جاء عند مسمار المقص بين الكلاسيك والرومنس، أتحننا أهل الرومنس بموسيقى بديعة فسمعنا برليوز وتشايكوفسكي وبيزيه. ثم حدثت أشياء.

المشعوزون

في سنة ١٩٥٢ قُدمت على مسرح في نيويورك قطعة موسيقية غريبة اسمها ٣٣:٤. جلس العازف إلى البيانو، وصمتت القاعة. وضع العازف النوبة الموسيقية أمامه بعناية، وأخرج من جيبه ساعة وقف، وضغط على الزر. وظل جالساً أربع دقائق وثلاثاً وثلاثين ثانية، لم يلمس البيانو. ثم قام. هذه القطعة «الموسيقية» هي موسيقى بلا صوت. يقول «الموسيقار» جون كيج إن الموسيقى في قطعه تلك «ليست صوتاً منبعثاً من البيانو، بل هي همهمات الجمهور». فإذا كنت تملك حاسوباً وكان عندك إنترنت فاكتب ٣٣:٤ وستسمع تلك القطعة العبقريّة. وستسمع أن الجمهور لم يهمهم ولا صنع شيئاً بل قعد مؤدباً وصفق للعازف، الذي لم يعزف، عندما قام - قامت قيامته - عن البيانو. ولك أن تسمع هذه الموسيقى الفريدة معزوفة - بغير صوت - على أوركسترا كاملة.

ولي مع هؤلاء الدجالين تجربتي الخاصة. كان ذلك في الإسكندرية في نحو عام ٢٠٠٩. وكان ملتقى إعلامياً - فنياً في شبه قرية سياحية قرب بحيرة مريبوط. حضر من لبنان بعض مشاهير الممثلين، حضرت نضال الأشقر وحضر روجيه عساف، ومن فلسطين حضرت ممثلة عن مؤسسة يبوس، ومن تونس حضرت فتاة لا أذكر اسمها، وكنت أمثل مؤسسة إعلامية عربية، وحضر من مصر كثيرون بالطبع؛ لكن المصيبة كانت لبنانية.

جرى نقاش حاد في إحدى الجلسات عن الأعمال الفنية وحظها من الظهور إعلامياً. وصعد الحاضرون رأسي بكلمات من قبيل الفضائات والمديّات والإبداع والجديد وما بعد الجديد والحدّات والحرائة في السباح. فقلت في مداخلتي إن ما يهمني عرضه إعلامياً - وكنت أشغل موقع مدير البرامج في مؤسستي - هو الفن الذي يصل إلى الجمهور ويحمل قضية أو فيه على الأقل متعة، ويجعل المشاهد يشاهد. ولعلي أيضاً مسحت بلاط القاعة بتلك المصطلحات التي أراها بضاعة الضعيف. وانبرت لي الفتاة التونسية. تكلمت واقفة ومتشجّعة، وشتت هجوماً عليّ كاد أن يكون شخصياً. ولأنها تصغرنى كثيراً فقد آثرت أن يكون ردي رد الشيوخ الهادئين المحتملين نزوات الشباب. وانتهت تلك الجلسة.

وقبل ختام المنتدى دعينا إلى حفل موسيقي. حملونا في حافلة كبيرة إلى وسط الإسكندرية. الفرقة لبنانية. وعلى المسرح أشياء عجيبة. وفي الصالة مجموعتنا الكبيرة، وراهبان، وبضعة أشخاص آخرين. وبدأ العزف. بدأ «العزف» على لوح فيه ترانزستورات وأسلاك ويصدر أصوات صعقات كهربائية مصحوبة ببعض الشرر، وهناك آلة نفخ في الزاوية تقول شيئاً واحداً أعفع أعفع. وفي الوسط منشار كهربائي راح يلوّث الجو بضجيجيه. بدأ الناس ينسلون واحداً واحداً، وخرجت الراهبان بعد نحو عشر دقائق. وصبرت أنا حتى أرى آخرتها. وانتهى العرض. ولا أتذكر إن كان الخمسة أو الستة الباقون قد صفقوا.

في طريق العودة إلى منتجعنا كنت جالساً في الحافلة صامتاً. وسمعت من خلف ظهري الفتاة التونسية تقدم لي اعتذاراً.

وسأنقلك إلى الرسم حتى تكتمل لديك صورة الحدّات وما بعدها. لعلك تقف متأدّباً أمام تلك اللوحات الخرابيش؟ مؤكداً أن تقف متأدّباً. أنا مثلك. لا أحب أن أقول للرسام: إلى الجحيم بك وبلوحاتك يا مشعوذ.

قد أحتمل سلفادور دالي، فلديه الريشة وجنون التعبير، ولديه الشكل. وقد أحتمل بيكاسو مع بعض التفسير. لكن فن الرسم أصبح شعوذة خالية من أي شكل ومن أي معنى، اللّهُمَّ إلا تلك المعاني التي يجب أن يقولها لك الرسام، بيد أنك لا تراها في لوحته.

كلاسيك الكراسي

كنا في سن اليفاعه نشتغل في مشغل في الحي نقشش الكراسي بقشور الخيزران. القشة طولها نحو متر وعرضها مليمتران، وننسج القش في ست طبقات: الأولى عرضية بأجر قرشين، والثانية طولية بأجر قرشين، والثالثة موروبة قطرية بستة قروش، والرابعة تكرر للأولى بقرشين، والخامسة طولية بثمانية قروش (السبب أن القشة في هذه الطبقة يجب أن تقتحم ما بين الأولى والرابعة)، والسادسة موروبة قطرية بستة قروش. ولربط القشة بالقشة طريقة معينة، ولا بد من بلّ القش بالماء باستمرار وشده شداً. ويخرج الكرسي بخلاياه السداسية المميزة آية في الجمال. كلاسيك. ثم أخذ أصحاب المقاهي يسترخصون، فيطلبون وضع قطعة من الخشب المعاكس، الأبلكاج، بدل القش، فيخرج الكرسي قبيحاً، وغير مريح. لكن، البشر تفننوا في الكراسي، وإنك لتجد تصميمات بالعشرات للكراسي بتوقيع جماعة الباو هاوس المعمارية المشهورة، وفيها تفنن كثير، وبعضها يعتمد النقشيس الذي كنا نصنعه بالخلايا السداسية نفسها.

صادف في مدينة دارمشتادت بألمانيا ذات سنة أن كنت في جلسة لعب ورق مع الشباب العرب، وذكر صديقي المخضرم في البلد - كان في السنة السادسة عشرة من دراسته. - تلك ألمانيا التي كانت تبتلع الشاب العربي ابتلاعاً - أن له صديقاً ألمانياً يملك كراسي موروثه ثمينة ولكن للأسف! لقد تخرق القش عليها، ولا سبيل لتجديده لأن إنتاج هذ النوع من الكراسي توقف منذ زمن طويل. في اليوم التالي كانت الكراسي عندي في غرفتي، وجلبت القش الفرنسي الملائم، وبعد أيام كنت أدفئ جيبي ببعض الماركات.

للكلاسيك رونقه. وأنت لا تطلب من الشعر أن يشبع معدتك، لا بد من الجمال، ولا بد للجمال من شكل، ومن ضوابط.

كتابنا هذا يضم الكلاسيك الجديد، وكتابنا المقبل يضم الرومنس المنضبط

عمودياً. . فأما عندما خرج الشعر العربي إلى التفعيلة، وهذا نمط جميل وله انضباطه وإيقاعه الحلو، فقد اجترح فعلاً صახباً وكبيراً، وسيحتاج شعر التفعيلة إلى بضعة عقود كي تبرز قممه، فالزمن يغربل كل الأشياء. عندها سيكون الأمر، والعمر، قد خرج من يدنا. نعم، قد قصرنا جهودنا على الشعر العمودي التقليدي في هذه السلسلة الخماسية كلها.

شعراء الإحياء

كان البارودي يعيش طفولته وصباه في برج عاجي هو طبقته المتميزة عن بقية الناس. فهو من الجراكسة، ولكنه أتيح له أن يكون عربي اللسان، وأن يكون متعلقاً بالأدب منذ الطفولة. واتصل سريعاً بحماسة الشعر القديم. . لم يدرس - لحسن حظه - المتون والحواشي، وعاش يقرأ الفصح من كلام الفصحاء القدامى. وقلدهم. وليس البارودي طفرة بأي حال. ففي زمنه وقبل زمنه كانت الأشعار تجري على ألسنة الفصحاء. في لبنان نسمع مدائح الشعراء في أمراء الجبل، ونسمع أكثر ما نسمع تهادي الشعراء بقصائد المدح، وهذه القصائد من أركّ ما ورد في باب «الإخوانيات»، وفي مصر انتشر شعر الإخوانيات في غياب السلطان الذي يفهم الشعر أو يقدره. وطرق الشعر باب الهزل، والغزل، وباب الرقاعة.

لكنه لم يقيض للشعر رجل تلقى الفصاحة عن غير طريق حلقات المساجد حتى جاء البارودي. كان ضابطاً فوزيراً، وكان يشعر في أعماقه بأنه من حكام البلاد، وكان يعيش في بلد مستقل استقلالاً لا بأس به عن الدولة العثمانية وله جيشه ويملك إلى حد بعيد قراره، وكان ثائراً عانى النفي الطويل. . فجعله كل ذلك - الذي لم يتوفر لغيره - أكبر شاعر عربي في القرن التاسع عشر. زودته تجاربه الحربية ووضعه الطبقي بالشموخ، وزودته المعمة الثورية - المتمثلة في اشتراكه بعض الاشتراك في ثورة عرابي وما تلا ذلك سريعاً من العيشة القاسية في المنفى - برقة ومرارة وبعمق فهم للطبيعة البشرية.

لا، لم يقل البارودي للشعر العربي قم فقام. لكن ظروفه جعلته المرشح لاستهلال شعور العربي بذاته في عالم الشعر.

وفي العراق بدأ الزهاوي يقول الشعر في أواخر القرن التاسع عشر، لم يكن الزهاوي صاحب سيف، لكنه كان صاحب قلم وكتاب، وكان من كبار

المثقفين، وبدأ يشم ريح التحرر ضمن الدولة العثمانية مع الدستور، ١٩٠٨، ثم ربح الاستقلال السياسي للعراق مع الحكم الفيصلي، وكان مهادناً للإنجليز كمليكه. لكنه كان يشاق إلى أن يتحرر العربي من الجهل ومن الأمية ومن الخرافات ومن حجب المرأة عن النشاط الاقتصادي والاجتماعي. كأنما لم ير الزهاوي أن الاستقلال السياسي سيكون شيئاً عظيم الأهمية في حضور الجهل والأمية والتخلف الاجتماعي. وستصدق السنين. وكالزهاوي في فكره كان الرصافي في العراق، مع اختلاف في المزاج، ومثلهما كان الجواهري في الفكر وفي أشواق الانعتاق من أسر التخلف؛ ولكنهم، ثلاثتهم، تمسكوا بالشكل الشعري الكلاسيكي. الأقدمان منهما كانا مع سهولة اللفظ، والجواهري ابن القرن العشرين ميلاداً كان أميل إلى اللفظة القديمة، وإن عاقه السير في طرق ملتوية لبلوغ المعنى الدقيق عن أن يبلغ صاحبيه في الفصاحة.

وفي مصر كان شوقي ابن ثقافة واسعة، وبيئة مترفة. أحس في نفسه بشموخ واستقلال لأن أميره الذي يمدحه ابن بلده. نعم، قد مدح سلطان الدولة العثمانية ونال منه رتبة البكوية؛ لكن، كان له في مصر من دواعي الفخر الكثير، فبنى صرح فخره على صخر الفراعنة، وأحس بما في مصر من نهضة تبشر بعودة النهضة الأولى في عصر محمد علي، والثانية في عصر إسماعيل فافتخر ببنك مصر وبما كانت مصر تعالجه من وضع دستور جديد وحياة سياسية نشطة. ورغم أن شوقي كان من كبار المثقفين، فلم يكن في جرأة الزهاوي. على أن ثقافة شوقي العريضة، وخياله الواسع، وتبحره في شعر القدماء فتحت له أبواب القول، فديوانه بستان. لم يجعله شعر البارودي - وهو أكثر شعر أثر في نفسه، على اختلافه في السياسة مع البارودي - ينظر نظرة مراجعة في مسألة تقليد القدماء. لا، بل مضى يصب الشعر في قوالبهم. لكن، ديوان شوقي ليس نمطاً واحداً، ففيه أشعار في أولاده، وفيه أناشيد للأطفال، وفيه تلك المسرحيات، التي جعلها ضعفة النقد ميزته الكبرى. شوقي دنيا شعرية جميلة، وقد أنفقنا صفحات كثيرة معه في كتابنا، عرضنا فيها أحداث ذلك الزمن، وتتبعناها تتبعاً من خلال شعره.

وقرين شوقي حافظ إبراهيم صوت شعري رنان. ولم يكن حافظ بأقل محافظة من شوقي. كان إمعة في مسائل الفكر والمجتمع، وكثير التحفظ في جانب السياسة، لا سيما بعد أن نال الوظيفة السمينية.

بثلاثة من مصر، وثلاثة من العراق قام الشعر العربي في القرن العشرين، وقبله بقليل، ليكون صوتاً لضمير أمة خرجت بعد أربعمئة سنة من القمم العثماني، وأخذت تفرك عينيها. ترى في هذا الشعر الأمة العربية تتوق إلى التقدم والاستقلال، وترى أيضاً أنها غير واثقة، وأنها لا ترى معالم الطريق الذي يؤدي إلى اللحاق بالأمم المتقدمة. أعاد شعراؤنا الستة إلينا بعض الثقة بأن لغتنا الفصحى لم تمت، فها هي على ألسنتهم تترنم بشعر جميل. لكنهم أدركوا وأدركنا أن شعرهم شعر النخبة. فلئن كانت الفصحى لغة حية وقادرة على أداء كل المعاني فإن عامة الناس لا يتقنونها، لا قولاً ولا فهماً، إلا بقدر.

حال بين الناس وبين إتقان الفصحى أن قواعد النحوية ليست كقواعد لهجاتهم، وأن مفردات اللغة الأدبية تختلف اختلافاً غير هين عما يستعملون من مفردات. وحال بينهم وبين شعر الفصحى الذي أتاها به هؤلاء الرواد، علاوة على القواعد والمفردات، أن أوزان الشعر العربي خرجت من آذانهم منذ قرون. قال شوقي، فيما نقل إلينا، «أخشى على الفصحى من بيرم». واعترف الرصافي للملا عبود الكرخي الشاعر العامي بأن أشعاره العامية هي ما يفهمه الناس.

لكننا لا نقول إن الفصحى كائن لا مبرر لوجوده، ليس فقط لأننا نكتب هذه الأسطر بها، بل لأنها هي ما يجمع العرب. هذا مظفر النواب يعد نفسه شاعر العامية البغدادية، ويقول إنه لا يعرف العروض، ثم رأيناه في السبعينات، عندما دعت دواعي النضال والسياسة، يقول أشعاراً فصيحة موزونة على التفعيلة مع قليل جداً من التجاوزات، فيتسامع بشعره العالم العربي كله، ويخرج من ضيق بغداد إلى رحاب العالم العربي، ويعبر عن أوجاع العرب السياسية أحر تعبير وأقواه.

المعركة بين الفصحى والعامية مستمرة في مجال الشعر، وفي كل مجال.

عرفان

صحوت على موظفة المصرف تقول لي «البوليس». وبما أنني «صحوت» فلا شرطة ولا بوليس، هو كابوس. والذي فتح الباب للكابوس أمران: الأول أكلة دسمة شبت منها وبقيت في الطبق بقية، لا هي تصلح للثلاجة، ولا أنا

أصلح أن أرمي طعاماً في كيس القمامة، فرميت بالباقي في معدتي. والثاني أنني كنت في المصرف فعلاً قبل هذه القيلولة الثقيلة.

للمرة الكذا يعيدون لي صكوك أجرة المنزل.. ويطلبونني لفرع المصرف كي أوقع أمامهم. لكن هذه المرة، وهي المرة الكذا، كانت مختلفة. أحالي الموظف إلى الموظفة ذات الخال كي أسجل بضمتي في الحاسوب، فمنذ اليوم لن يُقبل مني أي توقيع. وعلي، أسوة بالحاجة فلانة والحاج فلان، أن أبصم بإبهامي الأيمن. وفرحت. وبعد طول استعلام، كانت المسألة قد وصلت إلى نائب المدير. وانشغل نصف موظفي المصرف بهذه القضية العجيبة. (هذا ليس الكابوس، بل هو ما حدث فعلاً).

ثم تبين أن البصمة غير مقبولة في الصكوك.

أخذ نائب المدير بنفسه يدريني على توقيع جديد. وتوقعي الجديد مثل القديم، هو كتابة اسمي ليس غير. لكنني مبتلى بمرض لم يكن مكتشفاً حتى ظهر اليوم: أنا لا أستطيع التوقيع مرتين بنفس الطريقة. وأنا عارف هذا الشيء عن نفسي، فقد واجهت مشكلات في معاملاتي في أكثر من مناسبة للسبب نفسه. لكن مصرفي الحالي أراد أن يداويني. وبعد أن اتفقنا على صورة مبسطة جداً لكتابتي اسمي، أخذت أندرب على ورقة وموظف الصندوق يرفع أمامي النموذج قبل أن يعتمد في الحاسوب.

ثم وقعت. ثم ذهب الموظف إلى نائب المدير، ثم عاد وهو يمزق ورقة المعاملة. ومرة أخرى وقعت. وهذه المرة مشت المعاملة مع شفتين تتحركان من الموظف المرهق. وعندما ستكون لي معاملة مقبلة فسوف تتكرر المأساة.

لم أقل لأحد في المصرف إنني كنت أعمل ذات سنة خطأً في وزارة حكومية، تلك وزارة الدفاع في الكويت في أواخر السبعينات. ولم أقل لهم إنني رجل صحب القلم والورقة سنين طويلة قبل دخول الحاسوب في حياتنا. فلم يكن ينقصهم المزيد من الأعاجيب في تلك الظهيرة.

قواعد الخط العربي

القواعد في الخط العربي مقيسة قياساً دقيقاً بالنقاط التي تضبط النسبة بين عرض القلم وحجم الحرف، وهي ترشد الخطاط حتى يكتب الحرف في كل مرة بالكيفية نفسها. وتعلمت هذه القواعد وسرت عليها وأصبحت خطاطاً. لكن

علتي ليست في أصابعي فحسب، هي في عقلي أيضاً. والخطاط الجيد يضبط عقله ضبطاً محكماً فيسكب الحرف على وجه الورقة سكباً من قالب ذهني لا يتغير. وأقص هنا قصة عن خطاط لم أر أضبط من ذهنه، هو المرحوم عبد الغني الباشا، وكان لي زميلاً في القدس، يعمل خطاطاً في جريدة الشعب، وكنت فيها محرراً.

ذات يوم زرت صديقاً لي يعمل أستاذاً في مدرسة الأمة في ضواحي القدس. وبينما نحن نهبط الدرجات رأيت على مبعدة مجلات الحائط. قلت لصاحبي: تلك المجلة هل تراها! يبدو أن أحد الطلبة من أقارب الخطاط عبد الغني، فخطوط عناوينها بقلم عبد الغني. صاح بي الصديق: هذه خطوط بأقلام ملونة رفيعة، فلوماستر، وكيف حكمت من هذه المسافة أنها من خطوط عبد الغني؟ وعبد الغني أهم خطاط في القدس. وتحققنا من الأمر - ولم يكن بي حاجة للتحقق أصلاً - فتيقن صاحبي أنني على حق، وتعجب. فشرحت له أنني أميز خط الرجل ولو من حرف واحد. لكن أحداً لا يميز خطي أنا، لا من حرف ولا من فقرة فهو شديد الثقل.

أنا لا أصنع كوب شاي ولا طبخة مقلوبة مرتين بنفس الطريقة.

عزيزي القارئ، أكتب لك فقرة من هذا الكلام، وأنصرف بعدها إلى ورقة بجانب الحاسوب أتدرب على توقيعي المبسط الجديد.

لهذه العلة في ذهني، ولعلة أخرى، عرفت باكراً أنني لن أصبح خطاطاً ماهراً. العلة الأخرى أن يدي غير ثابتة الثبات المطلوب من يد الخطاط.

العرفان الآن

في الكابوس - وقبل أن تتوعدني الموظفة بالـ «بوليس» - سألتها وماذا يكون شأن رصيدي في المصرف وأنتم قد حجزتم عليه؟ فقالت لي ببساطة: اشتر به لوحة فنية. وثمرت بها ثورة عارمة ربما هي التي أدت إلى ذلك التهديد. وعندما سأنام الليلة سأقول للموظفة في الكابوس المقبل: يا فالحه، عندما سأشتري لوحة فنية سأكتب للبائع صكاً بالمبلغ وأوقع عليه، وسيعود الصك مرفوضاً. ألم تفكري في هذا؟

خليق بمن يكتب كتاباً أن يكون لديه ميزان في رأسه، بحيث يضبط الإملاء فلا يكتب بعض الكلمات كتابة مختلفة في كل مرة. وأنا قد اعتمدت في هذا

الكتاب على أخي الشاعر عمران القفيني، اعتمدت عليه في الإملاء، وفي ضبط النحو والصرف، وفي بضعة أمور أخرى، منها مراجعة فهمي المنحرف لبعض الأبيات. في كل مرة يصحح لي خطأ في النحو أقول في نفسي: لعلي معذور، فأنا أشكل بعض الكلمات «على الوهم». وهذا من معاذير قدامى الكتاب. ولعله يقول في نفسه: حسناً، هذا مشكول خطأ «على الوهم». ثم أسمعه بأذن التوهم يردف قائلاً: ما أكثر أوهامك يا أخي!

قد قرأ عمران معي هذا الكتاب منجماً لم يغادر منه باباً، وأشرت القارئ في ملاحظاته واستحساناته حتى يقرأ ما يقرأ وكأنه جالس إلينا.

وللصديق محمد عبد العزيز الشكر الجزيل لأنه يأبى أن يتركني بحالي، فهو يلح علي أن أوافيه بالمخطوط حتى يدفعه إلى المطبعة. وما إن يطبع الكتاب في بلد بعيد حتى أراه تجشم أجر البريد السريع - وهو أجر غير هين - لكي يأتيني بنسخة سريعة. لعله رأى فيّ، أنا الكسول المتواني، فرخاً في العش لم ينبت ريشه، فهو يزقني زقاً، أو سيارة تعطلت في الطريق الصحراوي، فهو يزقها زقاً.

محمود سامي البارودي

(١٨٣٩م - ١٩٠٤م)

كان محمود سامي البارودي - الذي تعبت الأقلام وهي تصفه بأنه الشاعر الذي قاد عملية «إحياء الشعر العربي» - زعيم حركة شعرية رجعية. خرج من الركافة التي وجدها في شعر زمانه ماشياً إلى الوراء. ركب «آلة الزمن» وضغط على الزر الخطأ فأعاده تسعمئة سنة، فرأى من النافذة رياضاً حسنة فتزل.

هذا قدر، ولا نناقش في القدر. ولا نقول لو.

كان البارودي شاعراً. كان في قلبه شعر حق، وكانت نفسه نفس شاعر، وكان ذا خيال خصب. وكان لديه من خفة الدم قدر صالح، لعله كان صالحاً جداً. . غير أن اصطناع شاعرنا اللغة القديمة عقْد لسانه.

مشكلة البارودي - ومشكلتنا جميعاً، المستمرة حتى اليوم، ومشكلتي وأنا أكتب هذا الكلام - أن إرثنا اللغوي قديم ومكتنز، فنحن لا نريد أن نخلع ذلك الثوب خلعاً. لا نريد أن نكتب باللهجة التي تعلمناها من أمهاتنا، بالعامية كيما كانت، باللهجة التي نتحدث بها في الشارع وفي الجلسة الثقافية، وفي كل مكان. باللهجة التي ليس فيها «تشكيل»، وليست فيها ألفاظ وأساليب عتيقة. نحن كلنا - حتى دعاة الحداثة، وحتى كاتبو قصيدة النثر - نكتب بالفصحى. والفصحى ليست لساننا البريء. وقد ورثنا، ضمن ما ورثنا، شعراً كثيراً طال تردادنا له في المدارس، وهذا الشعر ذو رائحة نفاذة، وهو طيبخ معقد فيه مكونات كثيرة وتوابل، له أوزان كثيرة ولهذه الأوزان قواعد صارمة. وله طرائق في التعبير بناها القدماء عبر قرون كثيرة. فكل عصر شعري يتخذ من كل ما سبقه أساساً، ويضيف مدمكاً.

انظر إلى شعر إيليا أبو ماضي في بواكيره، وستفتح عينيك دهشة. . ستسمع صليل السيوف، وستقابل لغة متبثية.

البارودي قدّر شعر الفصحى. قدر هذا الشعر أن يستأنف مسيرته الطويلة بعملية «مراجعة». عز علينا أن نرمي ما بقي في القدر من طبخة الأمس - التي وضعنا فيها ألواناً من التوابل وبالغنا في تجويدها بمقادير محسوبة من المكونات المختلفة - ونطبخ طيخاً جديداً؛ فأضفنا إلى طبخة الأمس بعض الخضار ورفعنا القدر على النار.

قد وفر البارودي على نفسه كثيراً من الجهد إذ جعل الشعر العباسي وحده نموذجاً، وهذا واضح من «مختاراته» التي لم تضم شيئاً سوى الشعر العباسي. على أن الشعر العباسي يحمل في جوفه قدراً كبيراً من طبخة أول أمس. فهو امتداد للشعر الأموي والجاهلي.

حتى الطرماح والكميت، اللذان عاشا في قلب العصر الأموي، كانا موضع انتقاد لأنهما كانا يحاولان تمثل القديم ويسعيان في ذلك سعيًا. وحتى الفرزدق، فهو كان يحفظ الشعر الجاهلي ويطلع شعره عليه.

هذه السمة الرجوعية التي نجدها بتفاوت في شعرنا العربي كله جعلت من هذا الشعر إراثاً واحداً، وجعلته لوحة جدارية ضخمة يروعك وأنت تنظر إليها من بعيد ذلك التماسك رغم كثرة التفاصيل. وهذه الجدارية البديعة هي ما أدى بنا إلى تعقب أكثر من أربعين شاعراً في سلسلة «الزبدة» هذه، التي بيدك الجزء الرابع منها. . أردنا أن ننظر إلى اللوحة التي اكتملت تشكيلها وقعدت داخل إطارها. فأما لو نظرت إلى الشعر الذي قلناه بعد أن طلقنا العمودي فسوف ترى لوحة أخرى مختلفة، ولعلها لم تكتمل بعد.

المتنبى والبارودي والمتقمصات الهنديات

ترفع سماعة الهاتف وأنت في بيتك في كاليفورنيا، عذراً للتعبير العتيق. . بل أنت تدق الرقم على موبايلك. تريد أن تعرف عن العرض المغري الذي طرحته شركة السيارات. ويأتيك على الخط صوت فتاة رقيقة تحدثك بلهجة نيويورك وتشرح لك العرض وشروطه، وتجيب عن أسئلتك. هذه الفتاة ليست من نيويورك، وليست أميركية. هي تعيش في شقة ضيقة في نيودلهي بالهند على مسافة ١٢ ألف كيلومتر. وهذه الفتاة تعيش حياة غريبة. . تلبس الملابس التي تلبسها فتيات نيويورك، وتصبغ شعرها كشعورهن، وتتعاطى مساحيق تبييض البشرة، وتنفق ساعات عمرها وهي تتقمص شخصية فتاة نيويورك، وتتخذ

لنفسها اسماً ملائماً للحالة.. تسمى نفسها ماري مثلاً. وتخوض مع نفسها صراعاً، قد تجده لذيذاً، لتقمص شخصية أخرى، ونقطة البداية هي «دي إنديانايزشن» أي «نزع الهنديّة»، تخلع الفتاة شخصيتها الهندية، وتتعلم طريقة الكلام النيويوركية من حيث اللهجة ومن حيث الكلمات المستعملة، ومن حيث اتخاذ الموقف الأميركي من الأشياء. وفي النهاية تنجح.. وآلاف نجحن. عندما تطلب رقاقة بيتزا من المطعم المجاور لبيتك في سان فرانسيسكو فالفتاة الهندية على بعد اثني عشر ألف كيلومتر ستسألك إن كانت البيتزا التي تريدها رقيقة أم منفوخة، وستخوض معك في الزوائد التي تريدها فوق بيتزتك.. لائحة المطعم محفوظة في عقلها.

تعيش «ماري» هندية في الصباح ونيويوركية في الليل. قد لا تستطيع أن تتخلى عن الكاري والماسالا لصالح البيتزا الرديئة التي تبيعها، لكنها تستطيع أن تفرض على إنسانيتها شيزوفرينا لذيذة.

في حياته اليومية كان المتنبي إنساناً يعيش عصره، فإذا جنه الليل أوقد شمعته وكتب أبياتاً يستحضر فيها روح الشعراء القدامى وأساليبهم.

والبارودي عاش فصامه، يتقمص الشعراء القدامى حيناً ويحاكيهم حيناً. ومثلما كانت تبرز شخصية المتنبي الحقيقية عندما يغضب كانت شخصية البارودي الحقيقية تظهر عندما يحزن. فأما إن غضب البارودي فكان يستعير ثوب المتنبي ليغضب فيه.

عارض البارودي أبا فراس الحمداني في قصيدته (أراك عصي الدمع)، فقال قصيدة في بحرهما وقافيتها، ولم نأخذ من قصيدة البارودي شيئاً. وسترانا - إذا قرأت ما صنعناه عن أبي فراس - نأخذ أبياتاته الأربعة والخمسين كلها، لم نترك منها بيتاً واحداً. أعود الآن وأقرأ قصيدة أبي فراس، يا لها قصيدة! هذا شيء لا يحاكي.

لئن جازت الهندية المتقمصة قميصَ نيويورك في الأميركيات فإن الشاعر المحاكي لا يجوز في الشعراء الأصل.

الآن، كيف أخلع نفسي من أبي فراس ومن المتنبي ومن أبي نواس وأعود إلى البارودي المقلد؟ هل أستطيع بعد الشوكولاتة السويسرية والبلجيكية أن أعود إلى شوكولاتة بلدنا التي كنا نمضغها طويلاً وتأبى أن تذوب.

أضع القلم. وأنتظر سائحة أكمل فيها هذه المقدمة.

الإمساك بالقلم

فلماذا، بعد كل هذا الذي قلته عن البارودي المقلد، أختار من شعره وأكتب مقدمة عنه؟ لا بل لماذا أهتم أصلاً بكل الشعر العربي الذي قيد نفسه بقيود محاكاة القديم؟

هذا كله تاريخنا، وهذا ما عندنا من زاد شعري. وقد قرأت أمس مقالة لأحمد أمين شن فيها حرباً هوجاء على الشعر العربي، وطالب بأن لا ندرس التلاميذ إلا أقل القليل منه. وكنت طالبت بذلك كثيراً، وقد فرحت إذ وجدت من يؤيدني. وثمة شيء آخر. أنا نفسي نتاج كل هذا التاريخ. فلا تظن أبداً أنني لا أستمتع بشعر المتنبي، وبشعر شوقي، و.. بشعر البارودي أيضاً. أنا عتيق في ذوقي الشعري. هكذا رمتني رحم أمتي. هكذا شكلتني العصور السابقة. ومثلما أشتهي أن أعتمر طربوش جدي، وأرتدي بذلته ذات الصدرية، وأن أضع في جيب تلك الصدرية ساعة بسلسلة مثل ساعته، أشتهي أن أطالع الشعر القديم. لكنني لا أرتدي ملابس جدي، ربما خشية أن أصبح أضحوكة في البلد. فلماذا أطالع الشعر القديم؟ ثمة ههنا أمران: فائدة تاريخية، فالشعر القديم أبلغ في وصف عصوره المختلفة من كتابات المؤرخين، وومضات شعورية، فكل شعر - حتى ذلك الذي يحاكي في موضوعاته، وأسلوبه، ومفرداته العصور السابقة عليه - فيه شيء من نبض الشاعر، وفيه قدر من مشاعره.

حياة البارودي

سماء محمود شاكر «الإمام الأول» الذي «رد الشعر إلى شباب فقده في عصور متتابعة». ومدحه مصطفى صادق الرافعي كثيراً، ونبهنا إلى أن البارودي ولد شوقي. وقال فيه العقاد إنه «وثب بالعبارة الشعرية وثبة واحدة من طريق الضعف والركاكة إلى طريق الصحة والمتانة. . . فإذا أرسلت بصرك خمسمئة سنة وراء عصر البارودي لم تكد تنظر إلى قمة واحدة تساميه أو تدانيه» فهو «الإمام القدير» و«الفضل الذي له على عصره أكبر من الفضل الذي لعصره عليه. . . وذلك وحده خليف أن يبوئه زعامة جيله، ويقدمه إلى طليعة معاصريه وتابعيه». وفي الكلمة الأخيرة «تابعيه» يريد العقاد أن يجعل البارودي أعلى من شوقي مقاماً.

ذكروا في تاريخ مولده ثلاثة أعوام ميلادية متتالية، فإن صح ما اتفقوا عليه من أنه ولد في رجب عام ١٢٥٥ للهجرة فقد ولد محمود سامي البارودي عام ١٨٣٩.

ولد جركسياً ابن جركسي وجركسية. وهؤلاء من بعض المماليك. وكان محمد علي باشا قد قتل قادة المماليك في مذبحه القلعة قبل ولادة شاعرنا بشمان وعشرين سنة. قتل منهم بضع مئات غيلة وغدرًا، ثم تعقبهم جنوده بالقتل في أنحاء مصر. واستتب الأمر لمحمد علي. والبقية الباقية من المماليك الذي لجأوا إلى دنقلة بشمال السودان ظلوا فيها حتى بعد أن اكتسحتها جنود محمد علي. واحتفظ الصف الثاني من المماليك بمزارعهم وبوظائفهم وخدموا دولة محمد علي جنوداً وموظفين، فهذا الحاكم الباطش دخيل على مصر وقادته دخلاء، والمماليك دخلاء. بانتهاء سطوة المماليك دخلت بقيتهم في خدمة الدولة، ومن هؤلاء والد شاعرنا حسن حسني بك أحد أمراء المدفعية.

لعل العائلة منسوبة إلى إيتاي البارود في مديرية البحيرة بمصر، ولعله كان لها أملاك في الدلتا، وفي القاهرة، فقد قيل لنا إن محمود سامي ولد في القاهرة. وقد ذاق اليتيم باكراً، فأبوه يعيش في دنقلة بالسودان وهو يعيش عند أخواله بمصر، وما بلغ السابعة حتى توفي أبوه في دنقلة.

تهدنا هذه السنوات السبع الأولى في حياة البارودي، وفي حياة كل إنسان نحاول أن نفهمه. لقد عاش فيها مدلاً عند أخواله، ولا نظنه عانى كل ما يعانيه يتيم الأب. وكان خاله إبراهيم شاعراً. وبخاله افتخر في الشعر، كأنما أراد أن يقول إنني من بيت فيه شعر. وخير ما صنعه له بيت خاله أنه جنبه دخول تلك المدارس التي كانت موجودة في القاهرة آنذاك - وسيأتي زمن تغلق فيه، ثم سيأتي زمن تفتح فيه من جديد -، لقد درس في البيت. درس على خاله وعلى معلمين كانوا يَعتشون ذلك البيت. وطالع كتب النحو والصرف والعروض والبلاغة. (وقد مزق الباحثون الجادون أسطورة، اخترعها حسين المرصفي وتلقاها دون تمحيص الرافي، بأن البارودي لم يعرف شيئاً من علوم اللغة). على أن دراسة البارودي كانت تلك الدراسة الحرة التي تؤتي ثمراتاً أطيب بكثير من الدراسة المقيدة في المدارس.

لعله بين السابعة والثانية عشرة لم يقرأ سوى الأشعار والقصص، على أنه بعد ذلك ثقف نفسه بعلوم العربية، ما وسعه.

في الثانية عشرة دخل المدرسة الحربية أسوة بأبناء الجراكسة. وتخرج بعد

أربع سنين وعمره ست عشرة سنة. وأصبح ضابطاً في الجيش. في تلك السنة نفسها تولى سعيد باشا عرش مصر.

وهو طفل يقرأ القصص في بيت خاله كان البارودي يسمع عن أمجاد محمد علي العجوز الذي حكم مصر قرابة خمسين سنة، وما دخل المدرسة الحربية إلا وعباس الأول على عرش مصر، وتخرج منها وسعيد في الحكم. ومكث البارودي بضع سنوات لاهياً، ثم توجه إلى إستانبول، والتحق بوزارة الخارجية، وفي عاصمة الدولة العثمانية - وكانت مصر تتبعها بعض التبعية - أتقن البارودي التركية، وتعلم الفارسية، وزعموا أنه قال شعراً في اللغتين، غير أنه لم يصلنا شيء من هذا. ولا نظنه إلا قد انشغل بما في إستانبول من كتب عربية مطبوعة ومخطوطة، ولا سيما دواوين الشعراء القدامى.

ومات سعيد باشا، وتولى عرش مصر إسماعيل، وفي سنة توليه الحكم توجه إسماعيل باشا إلى إستانبول، ليعود منها وبصحبه محمود سامي البارودي الذي كان بلغ الرابعة والعشرين. وترقى البارودي في الجيش، وحضر دورة عسكرية في فرنسا وأخرى في بريطانيا، وكانت هاتان الدولتان قد بدأنا تعدان الخطط لتضييق الخناق على مصر التي كانت تُحفر فيها قناة السويس، وتعد بموقع استراتيجي متزايد الأهمية.

وكان إسماعيل باشا (وسنقول «الخدوي» إسماعيل منذ سنة ١٨٦٦ حين نال اللقب من السلطان العثماني، ونال معه الحق في توريث العرش لأكثر أبنائه) قد بدأ نهضة كبيرة في التعليم والعمران ذُكرت الناس بجده محمد علي. في هذه السنة نفسها قامت في جزيرة كريت (في اليونان حالياً) ثورة على الحكم العثماني، فأرسل إسماعيل جيشاً لقمعها كان من بين ضباطه البارودي. وأخمدت الثورة. وقال البارودي في ذلك شعراً، غير عالم أنه سيشارك عما قليل في ثورة ستُخمد، وسيقول فيها شعراً من نوع آخر.

ثم استرخى البارودي في مزرعته، يلهو ويقول الشعر، ويتصل بأقطاب البيان في مصر، وأهمهم الشيخ حسين المرصفي، صاحب الكتاب التعليمي المدرسي المهم «الوسيلة الأدبية»، وأهم شيء في هذا الكتاب على الإطلاق أنه احتوى على قصائد عديدة للبارودي. كان حسين المرصفي شيخ العربية في دار العلوم التي أنشئت في أواسط عهد إسماعيل. وكانت داراً للعلوم حقاً، وفيها عدد من الأساتذة الأوروبيين وخصوصاً الفرنسيين يدرسون العمارة والسكة

الحديد والآلات والفلك والتاريخ. وجاءها المرصفي من الأزهر، وهو شيخ معمم أعمى يحب اللغة ويحب الأدب، ويعرف كيف يصيخ بسمعه إلى شعر متين السبك حتى لو جاء من شاب يافع. وباعتناء الشيخ بأشعار الشاب ونشره لها في كتابه الخطير عرف شوقي أن الشعر العربي المتين يمكن له أن يولد في هذا الزمن أيضاً. ويخبرنا الرافعي بأن تأثر شوقي بالبارودي أهم من تأثره بالمتنبي والبحري لما بين شوقي والبارودي من معاصرة.

في هذه الفترة عب البارودي من شعر القدماء ما شاء له أن يعب.

ولما كنا قلنا «ما شاء له» وهي عبارة طه حسين الأثرية، فنحن نذكر المرصفي الآخر «سيد بن علي المرصفي» الذي تلقى عليه طه حسين وعدد من كبار الأدباء في زمنه علمهم، وكان سيد المرصفي محباً للأدب راعياً للشباب كابن قريته حسين المرصفي.

اثنا عشرة سنة وضع فيها البارودي السيف في قرابه، وراح يدرس الأدب، ويحفظ روائع الشعر القديم، وقد يقوم بمهام دبلوماسية إلى إستانبول، وقد يخلد إلى مزرعته يلهو ويشرب، ويقول في ذلك الشعر. ثم قامت حرب البلقان بين روسيا والدولة العثمانية سنة ١٨٧٨، فأرسل البارودي، وهو الآن ضابط مهم في نحو الأربعين من عمره، إلى الجبهة. وقال في ذلك شعراً كثيراً.

بعد هذه الحرب بقليل نُحي إسماعيل عن الحكم بضغط من فرنسا وبريطانيا، وتولى عرش مصر ابنه توفيق. وكان البارودي قريباً من توفيق وهو ولي عهد. فترقى البارودي وأصبح مديراً للأوقاف، ثم جمع إليها الحربية. ثم اختلف مع رئيس النظار (رئيس الوزراء) رياض باشا، فاستقال، وجيء بشريف باشا، فعاد البارودي، ثم استقال شريف، فعين البارودي في عام ١٨٨٢ رئيس وزراء لأربعة أشهر. وسميت وزارته «وزارة الثورة» لأنها ضمت ثلاثة من أقطاب الثورة.

كان الجيش متململاً، يشعر ضباطه أن أقدار البلاد ومقدراتها تتسرب لتكون بيد الإنجليز والفرنسيين. وكان في الجيش سخط على عدم إعطاء الوطنيين، وعلى رأسهم أحمد عرابي، المكانة التي يستحقون بإزاء الجراكسة. ومع أن البارودي كان رأس الجراكسة فقد كان محبوباً من الجميع، وكان يعطف على قضية الجيش في وجه التضيق الأوروبي.

كانت ديون مصر كثيرة، فقد أسرف إسماعيل في الاستدانة ليني البنايات وينشئ المدارس ويقوي الجيش، و.. ليكون مسرفاً.. واتخذ الأوروبيون من

هذه الديون حجة للاستيلاء على مصر التي جعلت لها قناة السويس من الموقع الاستراتيجي ما أسال لعاب أوروبا.

أراد الجيش خلع الخديوي توفيق، ولكن عرابي تلكاً في إعلانها صريحة، ولعل حلم السلطة نما في عقل البارودي، ولكنه أثر الاكتفاء بالتعاطف مع الجيش، دون التقدم خطوة أخرى نحو الانقلاب على توفيق.

ودخل الإنجليز مصر، وهزموا جيش عرابي، وحكموا عليه وعلى البارودي وعلى بعض كبار الضباط بالنفي. وعلى سفينة إنجليزية حُمل الضباط إلى جزيرة سيلان، سرنديب.

قضى البارودي سبع سنين في كولمبو، ولما استفحل الشقاق بين الضباط وتراشقوا بالاتهامات بشأن أسباب فشل حركتهم، انتحى البارودي في «كاندي» في وسط الجزيرة (و١٤٪ من سكانها الآن، بحسب الويكيبيديا، مسلمون). وراح يعلم المسلمين العربية ويؤمهم في صلاتهم. وقيل إنه تعلم الإنجليزية هناك. ومن سرنديب (جزيرة سيلان، وهي الآن دولة سريلانكا) كان البارودي يتصل بمصر بالبريد، ويتساجل مع الأدباء كالأمير شكيب أرسلان.

كان منفاه السرنديبي سبع عشرة سنة قال فيها بعض أجمل شعره، ورجع بعدها إلى مصر بعفو في مايو/أيار ١٩٠٠، وفي القاهرة توفي في ديسمبر/كانون الأول ١٩٠٤.

خدم البارودي شعره بأن جمعه قبل وفاته، وكتب له مقدمة. وقد غير في أبياته بعض التغيير، وخفف من غلواء الغزل والمجون بعض التخفيف، ويبدو هذا واضحاً من خلال مقارنة أبيات الديوان بأبيات نشرها المصرفي في «الوسيلة الأدبية». كان البارودي في آخر سنواته قد فقد بصره، على أن بيته أصبح مجلساً عامراً بأهل الأدب.

وقد طبع ديوانه بعد وفاته، طبعته أرملته، وطُبعت مختاراته التي هي قصائد لثلاثين شاعراً عباسياً جمعها البارودي ورتب شعراءها تاريخياً، وهي تملأ ثلاثة مجلدات كبيرة.

عاش شعر البارودي، واخترنا منه صفحات كثيرة رغم ما قلنا عن صاحبه من أنه رجع للوراء. . فقد عاش شعر البارودي لأنه شعر جميل فيه قوة وفيه تعبير صادق عما في نفس صاحبه من فرح وألم. هذا شعر طيب، فإن كنت ما زلت تحت تأثير كلامنا الأول فهذه دعوة إلى الاتزان: شعر البارودي شعر ذكي، وفصيح.

١ شقيقة القمرين

يا هاجري مِنْ غيرِ ذَنْبٍ فِي الهوى ، مهلاً ، فهجرُكَ والمنونُ سَوَاءُ
المنون: الموت

أَغْرَيْتَ لَحْظَكَ بِالْفَوَادِ فَشَفَّهُ وَمِنْ الْعَيُونِ عَلَى النَفُوسِ بَلَاءُ
أغریت نظرك بفؤادي فشفه (براه برياً فجعله شفافاً)، وقد يقع البلاء على النفوس من عيون
الجماليات

هِيَ نَظْرَةٌ، فَاْمُنُّنْ عَلَيَّ بِأَحْتِهَا فَالْخَمْرُ، مِنْ أَلَمِ الْخُمَارِ، شَفَاءُ
انظر إليَّ أيها المحبوب مرة أخرى تشفيني من النظرة الأولى، فهذا مثل الخمر التي تصيب المرء
بالخمار (صداع السكر) فيداويه بشرب مزيد من الخمر

لَا أَنْتَ تَرْحَمُنِي، وَلَا نَارُ الْهَوَى تَخْبُو، وَلَا لِلنَّفْسِ عَنْكَ عَزَاءُ
فِيْ قَلْبٍ كُلِّ فَتًى غَرَامٌ كَامِنٌ وَيَعْظِفُ كُلُّ مَلِيحَةٍ خِيَلَاءُ
العطف: الخصر، الخيلاء: الزهو والتشي

فَدَعَ التَّكْهُنَ يَا طَبِيبُ، فَإِنَّمَا دَائِي الْهَوَى، وَلِكُلِّ نَفْسٍ دَاءُ
أَلَمِ الصَّبَابَةِ لَذَّةٌ تَحْيَا بِهَا نَفْسِي، ودائي لو علمت دواء
حَكَمَ الْجَمَالَ لَهَا بِمَا نَخْتَارُهُ فَتَحَكَّمْتُ فِي النَّاسِ كَيْفَ تَشَاءُ
أَشْشِيقَةَ الْقَمَرَيْنِ! أَيُّ وَسِيلَةٍ تُذْنِي إِلَيْنَا، فليس لي شُفْعَاءُ
يا شقيقة الشمس والقمر، كيف أتقرب منك؟ فليس لي من يشفع عندك

وَالنَّاسُ أَشْبَاهُ، وَلَكِنْ فَرَّقَتْ مَا بَيْنَهُمْ فِي الرُّتْبَةِ الْآرَاءُ
الناس متشابهون جسماً، والفوارق بينهم في المنزلة قائمة على الآراء (الفكر والمواقف). التسويد
لعمران القفيني

وَالنَّفْسُ إِنْ صَلَحَتْ زَكَتْ، وَإِذَا خَلَّتْ مِنْ فِطْنَةٍ لَعِبَتْ بِهَا الْأَهْوَاءُ
النفس الصالحة تزكو (تسمو وتنمو)، وإذا خلت من الفطنة تميل مع شتى الأهواء

كَيْفَ الْوَثُوقُ بِذِمَّةٍ مِنْ صَاحِبٍ وَبِكُلِّ قَلْبٍ نُقْطَةٌ سَوْدَاءُ؟
كيف أتق بصاحب وكل امرئ له قلب وكل قلب فيه نقطة سوداء (يشير إلى تعبير سوداء القلب أي
وسطه/إن فلقت قلب دجاجة رأيت النقطة السوداء)

فَانْفُضْ يَدَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ فَالْسَّعْيُ فِي طَلَبِ الصَّدِيقِ هَبَاءُ

٢ الصغيرة الواسعة

قال يمدح الخديوي عباس حلمي الثاني:

أَوْلَيْتَنِي مِنْكَ الرِّضَا، وَجَلَوْتُ لِي وَجْهًا قَرَأْتُ الْبِشْرَ فِي أَثْنَائِهِ
أُولَيْتَنِي: منحتني، جلوت لي: بينت لي

الْعَدْلُ مِنْ أَخْلَاقِهِ، وَالْعِلْمُ مِنْ أَوْصَافِهِ، وَالْحِلْمُ مِنْ أَسْمَائِهِ
هذا الخديوي عادل عالم حليم، والحلم من أسمائه إشارة إلى اسمه المركب «عباس حلمي»
لَا غَرَوَ أَنْ جَمَعَ الْمَحَامِدَ يَافِعًا وَسَمَا بِهِمَّتِهِ عَلَى نَظَائِرِهِ
لا غرو: لا عجب، يافعا: فتى، وارتفع بهمته (طموحه) على أقرانه

فَالْعَيْنُ وَهِيَ صَغِيرَةٌ فِي حَجْمِهَا تَسَعُّ الْفَضَاءَ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ
فهو في صغره واسع المعرفة والطموح، ولا عجب فالعين على صغرها ترى الأرض والسماء
فكانها تسعها

٣ في الواقع .. هي نار

قال يذكر أياماً مضت له بالجيزة:

حُمَرَاءُ دَارَ بِهَا الْحَبَابُ، كَأَنَّهَا شَفَقَتْ بَدَتْ فِيهِ نَجُومُ سَمَاءِ
خمر حمراء دار على وجه كأسها الحباب (الفقايع)، فكان الخمر بحمرتها شفق الشمس عند
المغيب، وكان الفقايع نجوم تتلألأ

وَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْبَاقِينَ فَإِنَّهَا نَارٌ تَحَلَّلَ جِسْمُهَا فِي مَاءِ
وفي الواقع فالخمر بلونها الأحمر ومذاقها اللاسع كالنار، وعند مزجها بالماء فكان جسمها يتحلل
فيه

تَجْرِي فَتَفْعَلُ بِالْمَقُولِ كَوُوسُهَا مَا نَفْعَلُ الْأَلْحَاطُ بِالْأَحْشَاءِ

التسويد لعمران البقيني

هِيَ جَمْرَةُ الْفُرْسِ الَّتِي سَجَدَتْ لَهَا أَمْلَاكُهَا فِي سَالِفِ الْآنَاءِ
الخمر كنار المجوس التي كان يسجد لها أملاكها (ملوكها) في سالف الآناء (الآزمان)

أَنَا فِي زَمَانٍ غَادِرٍ، وَمَعَاشِيرِ يَتَلَوَّنُونَ تَلَوَّنَ الْحَرَبَاءِ
شَقِيَّ ابْنُ آدَمَ فِي الزَّمَانِ بِعَقْلِهِ إِنَّ الْفَضِيلَةَ أَفَةُ الْعُقَلَاءِ

٤ حفل زفاف

أَلَا عَاطِنِيهَا بِنْتُ كَرَمٍ تَزَوَّجَتْ عَلَى نَعَمَاتِ الْعُودِ بِابْنِ سَمَاءٍ

عاطنيتها (بادلني كؤوسها) بنت كرم (معصورة من عنب الكروم) وقد مزجت بالماء الذي هو ابن السماء، وهكذا تزوجت بنت الكرم ابن السماء على نعمات العود في مجلسنا هذا

إِذَا اتَّقَدْتُ فِي الْكَأْسِ خِلْتِ وَمِیْضَهَا عَلَى وَتَرَاتِ الْكَفِّ نَضَحَ دِمَاءٍ

تشعل الخمر في الكأس بلونها الأحمر وتظن وميضها إذ ينعكس على وترات الكف (الجلد الذي بين الأصابع) نضح دماء (دم مرشوش)

أَبِي آدَمَ بَاعَ الْجِنَانَ بِحَبَّةٍ وَيَعْتُ أَنَا الدُّنْيَا بِجُرْعَةٍ مَاءٍ

آدم أخرجه من الجنة تفاحة، وأنا بعث دنياي بشربة ماء (يعبث بالتعبير العامي، وهنا تورية لطيفة، فشربة الماء هي الخمر، وهي أيضاً أنه باع الدنيا بسهولة.. بشربة ماء). التسويد لعمران الفيني

٥ إلا أقلهم

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ تَرَاهُ سَلِيمًا بِهِ لِلْحُقُودِ دَاءٌ عَيَاءٍ

سليماً: بريئاً، الحقود: الأحقاد، داء عياء: أعياء الأطباء

فَاخْذِرِ النَّاسَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّ النَّاسَ، إِلَّا أَقْلَهُمْ، أَعْدَاءُ

٦ سواي

قال في صباه يَرُوضُ القول:

سِوَايَ يَتَخَنَّنُ الْأَغَارِيدَ يَطْرُبُ وَغَيْرِي بِاللَّذَاتِ يَلْهُو وَيُغْجَبُ

لست أنا من يهتم بالأغاريد (الأغاني) وبالم لذات.. فأنا أخو حرب وضرب

وَمَا أَنَا مِمَّنْ تَأْسِرُ الْخَمْرُ لُبَّهُ وَيَمْلِكُ سَمْعِيهِ الْبِرَاعُ الْمُثْقَبُ

ولا تستولي الخمر على قلبي (يشربها لكن دون أن يكون عبداً لها)، ولا يستولي على سمعي البراع المثقب (القصة ذات الثقوب، أي الناي، أي الموسيقى)

وَلَكِنْ أَخُوهُمْ، إِذَا مَا تَرَجَّحَتْ بِهِ سَوْرَةٌ نَحْوَ الْعُلَا رَاحَ يَذَابُ

لكنني أخوهم (صاحب طموح) إذا ترجحت به (تأرجحت) سورة (فورة نشاط وغضب) تؤدي نحو المجد فهو يحث خطاه

نَفَى النَّوْمَ عَنْ عَيْنَيْهِ نَفْسٌ أَبْيَّةٌ لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَطْلَبُ

أسهرته نفسه الأبية (الرافضة لما يشين) التي تجد مطلبها في الكفاح بين الأسنان (أطراف الرماح)

وَمَنْ تَكُنِ الْعَلِيَاءُ هِمَّةً نَفْسِهِ فِكْلُ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبٌ

من تكن العلياء (المجد) همة نفسه (طلبه ومطمحه) أحب الصعوبات التي يلقاها في سبيل الوصول

إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ الْمَكَارِمَ حَقَّهَا فَلَا عَزَنِي خَالٌ، وَلَا ضَمَنِي أَبٌ

إذا لم أبدأ للمكارم (الأمجاد) ما تستحق من جهد فليس لي أن أعتر بأحوال ولا أعمام

وَلَا حَمَلْتُ دِرْعِي كُمَيْتٌ طِمْرَةً وَلَا دَارَ فِي كَفِّي سِنَانٌ مُدْرَبٌ

ولا معنى لركوبي، لباساً درعي، الكميت (الفرس الداكنة اللون) الطمرة (الفرس العالية)، ولا لحملي الرمح ذا السنان المدبب الحاد

خُلِقْتُ عَيْوُفًا لَا أَرَى لِابْنٍ حُرَّةً لَدَيَّ يَدًا أَغْضِي لَهَا حِينَ يَغْضَبُ

خلقت عيوفاً (أبياً) لا أرى لأحد يداً علي (فضلاً يمن به) بحيث أغضي (أطأطى رأسي) عند غضبه

فَلَسْتُ لِأَمْرٍ، لَمْ يَكُنْ، مُتَوَقِّعًا وَلَسْتُ عَلَى شَيْءٍ مَضَى أَتَعْتَبُ

لا أترقب بخوف أمراً لم يحدث بعد، ولا أتعجب (أندمر) على شيء حدث وانتهى

أَسِيرُ عَلَى نَهْجٍ يَرَى النَّاسُ غَيْرَهُ، لِكُلِّ أَمْرٍ فِيمَا يَحَاوُلُ مَذْهَبٌ

طريقي خلاف ما يرى الناس، ولكل إنسان في تحقيق أغراضه طريق

وَبَحْرٍ مِنَ الْهَيْجَاءِ خُضَّتْ عُبابُهُ وَلَا عَاصِمٌ إِلَّا الصَّفِيحُ الْمُسْتَطَبُ

ورب هيجاء (حرب) كأنها البحر، وقد خضت عبابه (موجه) إذ لم يكن هناك ما يعصم المرء (يقيه) إلا الصفيح المشطب (السيف ذو الحزوز)

تَظَلُّ بِهِ حُمْرُ الْمَنَايَا وَسُودُهَا حَوَاسِرَ فِي أَلْوَانِهَا تَتَقَلَّبُ

وبحر الحرب هذا فيه المنايا الحمر والسود (الموت جرحاً أو خفياً)، وهذه المينات حواسر (كاشفة رؤوسها) وتقلب بين المتحاربين آخذة هذا وذاك

تَوَسَّطْتُهُ وَالْخَيْلُ بِالْخَيْلِ تَلْتَقِي وَبِيضُ الظُّبَا فِي الْهَامِ تَبْدُو وَتَغْرُبُ

دخلت وسط القتال حيث الخيل تلتقي بالخيل، وحيث بيض الظبا (شفرات السيوف) تظهر ثم تغرب (تغيب) داخل الرؤوس

فَمَا زِلْتُ حَتَّى بَيَّنَّ الْكُرَّ مَوْقِفِي لَدَى سَاعَةِ فِيهَا الْعُقُولُ تَغَيَّبُ

ظللت في المعركة أقاتل حتى بدأ الكر (التقدم) فشوهدتُ هاجماً بعد إذ كنت مختفي الشخص في الالتحام، وهذه ساعة تغيب فيها العقول لهولها

لَدُنْ غُدْوَةٍ حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ، وَالتَّقَى عَلَى غَيْهَبٍ مِنْ سَاطِعِ النَّقْعِ غَيْهَبٌ

هذا عند غدوة (باكراً) . . ثم استمر القتال حتى الليل فالتقى غيهب (ظلام) ساطع النقع (الغبار المرتفع) بظلام الليل

يَوَدُّ الْفَتَى مَا لَا يَكُونُ طَمَاعَةً وَلَمْ يَذَرِ أَنْ الدَّهْرَ بِالنَّاسِ قُلُوبَ

المرء يتمنى ما لا يكون (المستحيل) طمعاً، غير مدرك أن الزمن يتقلب بالناس

وَلَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ مَا فِيهِ نَفْعُهُ لِأَبْصَرَ مَا يَأْتِيهِ وَمَا يَتَجَنَّبُ

ولو علم المرء سلفاً الأمر الذي فيه فائدة له، لكان عرف ما الذي يجب أن يأتيه (يفعله) وما الذي يجب أن يتجنبه. التسويد لعمران القفني

٧ ذو الهية والبدية

في مدح الخديوي إسماعيل:

ذُو هَيْبَةٍ تَكْفِيهِ سَوْقَ جُنُودِهِ وَبِدِيهِ تَغْنِي عَنِ التَّجْرِبِ

له هيبة لا حاجة به معها إلى أن يقود الجنود ليحارب عدواً، فالدعوى لا يجرو على تحديه أصلاً، وله بدية (فكر فطري) يجعله يدرك الأمور قبل أن يجربها

٨ نعاشر من لقينا

قال يذكر أيام الشباب:

زَمَانٌ كُلَّمَا لَاحَتْ بِفِكْرِي مَخَايِلُهُ بَكَيْتُ لِفَرْطِ مَا بِي

مخاييله: صوره المنطبعة في الخيال

مَضَى عَنِّي وَغَادَرَ بِي وَلُوعاً تَوَلَّدَ مِنْهُ حُزْنِي وَاكْتِئَابِي

الْوَلُوعُ، ونقول اليوم الوُلُوعُ، وهي أقيس: شدة التعلق

وَكَيْفَ تَلَدُّ بَعْدَ الشَّيْبِ نَفْسِي وَفِي اللَّذَاتِ إِنْ سَنَحْتُ عَذَابِي

إن أتيت اللذات وجدتها تعذبني لأنني شبت

أَصْدُ عَنْ النَّعِيمِ صُدُودَ عَجَزٍ وَأُظْهِرُ سَلُوءَ، وَالْقَلْبُ صَابٍ

أتجنب الحياة المرفهة عجزاً عن الاستمتاع بها، وأبدي سلوة (انصرافاً عنها)، مع أن قلبي يصبو (يحن)

حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ مَلَبّاً وَذُقْتُ الْعَيْشَ مِنْ أَرِيٍّ وَصَابٍ

حلبت الدهر أشطره (تمرت واحتكت) ملياً (كثيراً)، وذقت الأري (العسل) والصاب (المِر)

فَمَا أَبْصَرْتُ فِي الْإِخْوَانِ نَذْباً يَجِلُّ عَنِ الْمَلَامَةِ وَالْعِتَابِ

لم أجد في الأصدقاء نذباً (مبادراً للنصرة) يرتفع قدره عن اللوم والعنب

ولكنّا نَعاشرُ مَنْ لَقِينَا على حُكْمِ المُرُوَّةِ والتَّغَابِي

نعاشر من تلقى ونستعمل معهم المروءة والتغابي (التغاضي بادعاء الغباء)

٩ انتهاء العمران بدء الخراب

قال وهو بِسَرْنَدِيْب يتشوق إلى مصر، ويرثي صديقه الشيخ حسباً المَرَصَفِي، وعبد الله باشا فكري:

كُلُّ شَيْءٍ يَسْأَلُوهُ ذُو اللَّبِّ إِلَّا مَا ضَيَّ اللّهُو فِي زَمَانِ الشَّبَابِ
ينصرف العاقل عن كل شيء إلا ذكرى لهوه في شبابه

فَلَيْسَ زَالٌ، فَاسْتَبَاقِي إِلَيْهِ، مِثْلُ قَوْلِي، بَاقٍ عَلَى الْأَحْقَابِ
زال الشاب ولكن اشتياقي إليه باق على مرور الأزمان، وكذا شعري... فشعري باق على الزمان

يَا نَدِيمِي مِنْ «سَرْنَدِيْب» كُفَّا عَنْ مَلَامِي، وَخَلِيَانِي لِمَا بِي
سرنديب: جزيرة سيلان، وهي دولة سريلانكا، وكان البارودي منفياً فيها

كَيْفَ لَا أُنْدُبُ الشَّبَابَ وَقَدْ أَضْمَ بَحْتُ كَهْلًا فِي مِحْنَةٍ وَاعْتِرَابِ
أَخْلَقَ الشَّيْبُ جِدَّتِي، وَكَسَانِي خِلْعَةً مِنْهُ رَثَّةَ الْجِلْبَابِ
أخلق (أبلى، وهرا/ من الاهتراء) الشيب ما كان جديداً من جسمي ونفسي، وكساني خلعاً (ثوباً) رثة (مهترئة)

وَلَوَى شَعْرَ حَاجِبِي عَلَى عِبْءِ نَيِّ، حَتَّى أَطَّلَ كَالْهَدَابِ
الهداب: الشراشيب، الخيوط المتدلّية من أطراف النسيج

لَا أَرَى الشَّيْءَ حِينَ يَسْنَحُ إِلَّا كَخَيَالٍ كَأَنَّنِي فِي ضَبَابِ
أرى الأشياء حين تسنح (تبدو) خيلاً كأن حولي الضباب لضعف بصري

وَإِذَا مَا دُعِيتُ حِرْزْتُ كَأَنَّنِي أَسْمَعُ الصَّوْتَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ
إذا ناداني أحد تحيرت لا أعرف مصدر الصوت، كأنه يناديني من وراء ستر

كَلَّمَا رُمْتُ نَهْضَةً أَقْعَدْتَنِي وَنِيَّةٌ لَا تُقِلُّهَا أَعْصَابِي
إذا رمت (ابتغيت) نهضة (قياماً) أقعدتني ونية (ضعف) لا تحملها أعصابي

لَمْ تَدْعُ صَوْلَةَ الْحَوَادِثِ مِنِّي غَيْرَ أَشْلَاءٍ هَمَّةٍ فِي ثِيَابِ
هجمة الحوادث (المصائب) علي تركتني أشلاء همة (بقايا عزيمة)

فَجَمَعْنِي بِوَالِدَيَّ، وَأَهْلِي ثُمَّ أَنْحَتْ تَكْرُّ فِي أَتْرَابِي
فَجَعَتِي المصائب بأبوي وأهلي، ثم أنحت (مالت) تكرر (تهجم) على أترابي (من هم في سني، لداتي)

أَيْنَ مِنِّي (حُسَيْنُ) بَلْ أَيْنَ (عَبْدُ) الـ لَهُ رَبُّ الْكَمَالِ وَالْآدَابِ؟
لَمْ أَجِدْ مِنْهُمَا بَدِيلًا لِنَفْسِي غَيْرَ حُزْنِي عَلَيْهِمَا وَاكْتِنَابِي
ليس لي من يعوضني عن فقدهما، وبقي لي منهما الحزن والاكْتِنَابُ

قَدْ لَعَمْرِي عَرَفْتُ دَهْرِي، فَأَنْكَرُ ثُ أُمُورًا مَا كُنُّ لِي فِي حِسَابِ
وَتَجَنَّبْتُ صُحْبَةَ النَّاسِ حَتَّى كَانَ عَوْنًا عَلَى الثَّقَاةِ اجْتِنَابِي
اجتنابي الناس أعانني على التقوى

لَا أَبَالِي بِمَا يُقَالُ، وَإِنْ كُنْتُ ثُ مَلِيًّا بِرَدِّ كُلِّ جَوَابِ
ملياً: قادراً

قَدْ كَفَانِي بُعْدِي عَنِ النَّاسِ أَنِّي فِي أَمَانٍ مِنْ غَيْبَةِ الْمُغْتَابِ
لَيْسَ يَخْفَى عَلَيَّ شَيْءٌ، وَلَكِنْ أَتَغَابِي، وَالْحَزْمُ إِلْفُ التَّغَابِي
الحصافة مصاحبة للتغابي، فمن أراد أن يكون حازماً فعليه أن يتغاضى عن السفاسف، وهو مدرك
إياها

وَكَفَى بِالْمَشِيبِ، وَهُوَ أَخُو الْحَزْ مِ دَلِيلًا إِلَى طَرِيقِ الصَّوَابِ
إِنَّمَا الْمَرْءُ صُورَةٌ سَوْفَ تَبْلَى وَانْتِهَاءُ الْعُمُرَانِ بَدْءُ الْخَرَابِ

١٠ سبب فيضان النيل

قال يَرُوضُ القول:

إِذَا لَمْ تُعِينُونِي وَأَنْتُمْ عَشِيرَتِي فَسِيرُوا، وَخَلُّونِي، فَلَسْتُ بِذَاهِبِ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْصُرْ أَخَاهُ بِنَفْسِهِ لَدَى كُلِّ مَكْرُوهِ فَلَيْسَ بِصَاحِبِ
لَعَمْرُكَ مَا فِي الْأَرْضِ، وَهِيَ رَحِيبةٌ كَغَزْلَانِ هَذَا الْحَيِّ عُذْرٌ لِنَاسِبِ
ليس في الدنيا على اتساعها من عذر للناسب (المتغزل) مثل غزلان (فتيات) هذا الحي (هؤلاء
القوم). فمن يتغزل معذور لفرط جمالهن

فَلَا تَطْلُبَنَّ الْحُسْنَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ فَأَبْدَعْ مَا فِي الْأَرْضِ حُسْنَ الْأَعَارِبِ
فَهَنَّ الْأَلَى عَوْدَنَ قَلْبِي عَلَى الْهَوَى وَأَخْلَقَنَ ظَنِّي بِالْعِدَاتِ الْكَوَاذِبِ
عودن قلبي على الهوى، ثم أعطيتني الوعود الكاذبة

وما زَادَ ماءُ النِّيلِ إِلَّا لِأَتْنِي وَقَفْتُ بِهِ أَبْكِي فِرَاقَ الْحَبَائِبِ
يقول إن دموعه رفعت منسوب مياه النيل. أواثق يا محمود باشا من هذا؟ مبالغة قد يراها بعضهم
سمجة، لكنها جارية على طريقة القدماء في صنع صورة كاريكاتيرية

١١ ملكت حلمي

وقال وهو بسرنديب:

أَضَعْتُموْنِي وَكَانَتْ لِي بِكُمْ ثِقَةٌ مَتَى خَفَرْتُمْ ذِمَامَ الْعَهْدِ يَا عَرَبُ؟

خفرتم ذمام العهد: نقضتم العهد

أَبَيْتُ فِي غُرْبَةٍ لَا النَّفْسُ رَاضِيَةٌ بِهَا، وَلَا الْمُلتَقَى مِنْ شِيعَتِي كَتَبُ

أصبحت في غربة فلا نفسي راضية، ولا اللقاء بشيعتي (أصحابي) كتب (قريب)

فَلَا رَفِيقٌ تَسُرُّ النَّفْسُ طَلْعَتُهُ وَلَا صَدِيقٌ يَرَى مَا بِي فَيَكْتَتِبُ

فَهَلْ دِفَاعِي عَنْ دِينِي وَعَنْ وَطَنِي ذَنْبٌ أَدَانُ بِهِ ظُلْمًا وَأَغْتَرِبُ؟

فَلَا يَظُنُّ بِي الْحَسَادُ مَنْدَمَةً فَإِنِّي صَابِرٌ فِي اللَّهِ مُحْتَسِبٌ

مندمة: ندم، محتسب: راض بنيل الثواب من الله

لَا يَخْفِضُ الْبُؤْسُ نَفْسًا وَهِيَ عَالِيَةٌ وَلَا يُشِيدُ بِذِكْرِ الْخَامِلِ النَّشْبُ

الخامل: غير المعروف، النشب: الشب: المال

إِنِّي أَمْرٌ لَا يَرُدُّ الْخَوْفُ بَادِرَتِي وَلَا يَحِيفُ عَلَى أَخْلَاقِي الْغَضَبُ

بادرتي: إقدامي، يحيف: يجني ويتقص

مَلَكْتُ حِلْمِي فَلَمْ أَنْطِقْ بِمُنْدِيَةٍ وَصُنْتُ عِرْضِي فَلَمْ تَغْلُقْ بِهِ الرِّيبُ

مندية: كلمة مخجلة يندى لها الجبين، الريب: الشبهات

١٢ في المعركة

وَلَمَّا تَدَاعَى الْقَوْمُ، وَاشْتَبَكَ الْقَنَا وَدَارَتْ كَمَا تَهْوَى عَلَى قُطْبِهَا الْحَرْبُ..

لما دعا القوم بعضهم بعضاً، واشتبكت القنا (الرمح)، ودارت الحرب كما تهوى على قطبها (دون أن يتحكم بها أحد) على قطبها (محورها) مثلما تدور الرمح فتطحن..

وَزَيْنَ لِلنَّاسِ الْفِرَارُ مِنَ الرَّدَى وَمَاجَتْ صُدُورُ الْخَيْلِ، وَالتَّهَبَ الضَّرْبُ..

زين للناس الفرار (صار حسناً في عيونهم الهرب) من الموت، وصارت صدور الخيل تتلاقى كال موج، واشتد الضرب بالسيوف..

وَدَارَتْ بِنَا الْأَرْضُ الْفَضَاءَ كَأَنَّا سُقِينَا بِكَأْسٍ لَا يُفِيقُ لَهَا شَرِبٌ . .

. . ودارت بنا الأرض الفضاء (الواسعة) كأننا سقينا بكأس لا يصحو لها شرب (شاربون) . .

صَبَرْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ سَمَاوُهَا وَإِنِّي صَبُورٌ إِنْ أَلَمَ بِي الْخَطْبُ

عندئذ صبرت حتى انجلت سماء المعركة وركد غبارها، وأنا صبور إن ألم بي (عرض لي) خطب ومصيبة

١٣ الجود بالنفس والمال

لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا مَنْ إِذَا هَتَفَتْ بِهِ الْحَمِيَّةُ هَزَّ الرِّمَحَ وَانْتَصَبَا

يَسْتَسْهَلُ الصَّعْبَ إِنْ هَاجَتْ حَفِيزَتُهُ وَلَا يُشَاوِرُ غَيْرَ السِّيفِ إِنْ غَضِبَا

حفيظته : غضبه

إِنْ حَلَّ أَرْضاً حَمَى بِالسِّيفِ جَانِبَهَا وَإِنْ وَعَى نَبَأَةً مِنْ صَارِخٍ رَكِبَا

إن وعى نبأ (سمع صوتاً خفيفاً) يطلب النجدة، ركب حصانه لتلبية النداء

فَذَاكَ إِنْ يَحْيَى تَحَى الْأَرْضُ فِي رَعْدٍ وَإِنْ يَمُتْ يَنْقَلِبُ صِدْقُ الْمُنَى كَذِبَا

فَاحْمِلْ بِنَفْسِكَ تَبْلُغْ مَا أَرَدْتَ بِهَا فَالْيَتُّ لَا يَرَهَبُ الْأَخْطَارَ إِنْ وَثَبَا

لَا يَقْعُدُ الْبَطْلُ الصَّنْدِيدُ عَنْ كَرَمٍ مَنْ جَادَ بِالنَّفْسِ لَمْ يَبْخُلْ بِمَا كَسَبَا

الصنديد (الشجاع) لا يقعد (لا يتوانى) عن كرم، فمن يجود بروحه لا يبخل بماله

١٤ صوني القناة

أَفْتَانَةَ الْعَيْنَيْنِ كُفِّي عَنِ الْقَلْبِ وَصُونِي حِمَاهُ، فَهُوَ مَنْزِلَةُ الْحُبِّ

منزلة : موضع

وَلَا تُسْلِمِي عَيْنِي لِلشَّهْدِ وَالْبُكَاءِ فَإِنَّهُمَا مَجْرَى هَوَاكِ إِلَى قَلْبِي

١٥ يَا حُسْنَهُ مِنْ حَدِيثٍ

قَالَتْ، وَقَدْ سَمِعْتُ شِعْرِي فَأَعْجَبَهَا: إِنِّي أَخَافُ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ أَبِي

تخاف عليه من سطوة أبيها

أَرَاهُ يَهْتَفُ بِاسْمِي غَيْرَ مُكْتَرِثٍ وَلَوْ كُنْتُ لَمْ يَدْعُ لِلظَّنِّ مِنْ سَبَبٍ

لو كنتي: لو تحايل ولم يذكر الاسم صراحة

فكيف أصنع إن ذاعت مقالته ما بين قومي، وهم من سادة العرب؟
 فنارعتها فتاة من صواحيها قولاً يؤلف بين الماء واللهب
 نازعتها (خالفتها) صديقها بقول توفيقي يجمع بين المتناقضين

قالت دعيه يصوغ القول في جمل من الهوى، هي آيات من الأدب
 وما عليك وفي الأسماء مشتركة إن قال في الشعر يا ليلي ولم يعب؟
 يا حسنه من حديث شف باطنه عن رقة ألبستني خلعة الطرب
 ما أجمل حديث صاحبها

١٦ النائحات

قال وقد مرّ بصحراء القرافة، فرأى نسوة ينحن على ميت:
 رأيتُ بصحراء القرافة نسوة نوازع، لا يأوين حُزناً إلى بيت
 نوازع: خارجات من بيوتهن
 ينحن على ميت سيبغن أثره ومن عجب ميت ينوح على ميت

١٧ براءة بلا براهين

قال يمدح النبي ﷺ:

أبيت أرعى نجوم الليل في ظلم يخشى الضلالة فيها كل مدلج
 أراقب النجوم في ظلمات ليل يخشى أن يضل فيه كل مدلج (سائر ليلاً)
 كأن أنجمه والجو معتكر غيد بأخبية ينظرون من فرج
 كأن النجوم والجو معتكر (مسود) عيون الغيد (الحسان) وهن ينظرن من فرج (شقوق) الأخبية
 (الخيام)

ليل غياهبه خيرى، وأنجمه حسرى، وساعاته في الطول كالجحج
 ليل غياهبه (ظلماته) حيرى، أي يتحير فيها المرء، ونجومه حسرى (متعبة)، أي تتعب في مراقبتها
 العين، وساعاته طويلة كأنها كالجحج (السنوات)

فليت من لا مني لانت شكيمته فكف عني فضول المنطق السمج
 ليت اللائم لانت شكيمته (خفف تشده)، فكف عني فضول المنطق (أي الزائد من الكلام)
 هيها يسلك لوم العاذلين إلى قلب يحب رسول الله ممترج

يَا رَبِّ بِالْمُصْطَفَى هَبْ لِي، وَإِنْ عَظُمَتْ جَرَائِمِي، رَحْمَةً تُغْنِي عَنِ الْحُجَجِ
 أعطني يا رب، بشفاعَةِ النبي، رحمة تغني عن تقديم الحجج (البراهين على براءتي) مهما كبرت ذنوبي
 مَا لِي سِوَاكَ وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، إِذَا ضَاقَ الزَّحَامُ غَدَاةَ الْمَوْقِفِ الْحَرَجِ
 ما لي سوى شفاعَةِ النبي في زحمة الموقف الحرج (يوم القيامة)

١٨ حسام الفجر

قال يوازن قصيدة ابن النيه (يا ساكني السفح كم عين بكم سفحت):
 خَفَّتْ مَعَاطِفُهَا لَكِنْ رَوَادِفُهَا بِمَثَلِ مَا حَمَلْتَنِي فِي الْهَوَى رَجَحْتُ
 معاطفها (خصرها) رقيقة، وأردافها ثقيلة وراجحة مثل الهم الذي حملتني إياه في حبها
 وَلَيْلَةٍ سَالَ فِي أَعْقَابِهَا شَفَقٌ كَأَنَّهَا بِحُسَامِ الْفَجْرِ قَدْ دُبِحَتْ
 ليلة جاء بعدها شفق (غسق، النور الخفيف المؤذن بالفجر) كأنه دم سال عندما ذبح سيف الفجر
 ظلمة الليل

طَالَتْ وَقَصَّرَهَا لَهْوِي بِغَانِيَةٍ إِنْ أَعْرَضْتُ قَتَلْتُ، أَوْ أَقْبَلْتُ فَضَحْتُ
 طالت الليلة وأحسست أنها قصيرة وأنا ألهو مع غانية (جميلة)، إعراضها يقتلني وإقبالها علي
 يفضحني (يفضح شهواتي، أو يفضحني بين الناس)
 دَارَتْ عَلَيْنَا بِهَا الْكَاسَاتُ مُتْرَعَةً بِخُمُرَةٍ لَوْ بَدَتْ فِي ظُلْمَةٍ قَدَحَتْ
 مترعة: مملوءة

١٩ ابنة الفرخ

قال علي وزن مخترع:

إِمْلَأِ الْقَدَحَ وَاغْصِ مَنْ نَصَخَ
 وَارِوْ غُلَّتَنِي بِابْنَةِ الْفَرَخِ
 غلتي: عطشي

وَهَمِّي إِنْ سَرَرْتُ فِي الْعَلِيلِ صَخ

٢٠ روح بلا جسد

وقال في الروح بعد مفارقة الجسم:

بَلَّغْتَ مَدَاكِ مِنْ أَرْبٍ فَسِيحِي فَأَنْتِ الْيَوْمَ فِي جَوْ فَسِيحِ
 بلغت أيتها الروح، بعد موت الإنسان، أقصى المدى من أربك (مبتغاك) فانطلقني

فَعَادَتْ صُورَةُ الْجُثْمَانِ عُظْلًا لِفَقْدِكَ مِثْلَ دِينَارٍ مَسِيحٍ
أصبح الجسم معطلاً من روحه، فهو كالدينار الذهبي المسيح (الممسوح، فلا كتابة ولا صورة عليه)

فَلَيْتَكَ تَرْجِعِينَ لَنَا بِصَدْقٍ يُبَاغِتُ كُلَّ خَتَّالٍ مَسِيحٍ
ليتك ترجعين للجسم في البعث فيفاجأ كل منكر ختال (ماكر) مسيح (دجال)

بِرَبِّكَ هَلْ وَجَدْتَ كَمَا وَجَدْنَا خِلَافًا بَيْنَ أَحْمَدَ وَالْمَسِيحِ؟
سؤال للروح: هل ثمة فعلاً خلاف بين دين أحمد، الإسلام، ودين المسيح؟

٢١ عش عزيزاً

قال بفخر ويمرّض بالمظالم على عهد الحكومة الاستبدادية:

رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا لَا أَوْدُهُ وَأَيُّ امْرِئٍ يَقْوَى عَلَى الدَّهْرِ زَنْدُهُ
رضيت من الدنيا بما لا أرغب فيه فعلاً، وليس هناك إنسان يستطيع زنده (ذراعه) أن يلوي ذراع
الدهر

أَحَاوَلْتُ وَضْلًا، وَالصُّدُودُ خَصِيْمُهُ وَأَبْغَيْتُ وَفَاءً وَالطَّبِيعَةُ ضِدُّهُ
أحاول وصل المليحة، ولكن الصدود يعترضني، وأطلب الوفاء ولكن طبع الأشياء ضد الوفاء
حَسِبْتُ الْهَوَى سَهْلًا، وَلَمْ أَذِرْ أَنَّهُ أَخُو عَدَرَاتٍ يَتَّبَعُ الْهَزْلَ جِدُّهُ
وما الحبُّ إلّا حاكمٌ غيرٌ عادلٍ إذا رامَ أمراً لم يجدْ مَنْ يَصُدُّهُ
لَعَمْرِي لَقَدْ وَلَّى الشَّبَابُ، وَحَلَّ بِي مِنَ الشَّيْبِ خَطْبٌ لَا يُطَاقُ مَرَدُّهُ
حل بي من الشيب خطب (مصيبة) لا سبيل إلى مقاومته

وَكَيْفَ أَلُومُ النَّاسَ فِي الْعَدْرِ بَعْدَمَا رَأَيْتُ شَبَابِي قَدْ تَغَيَّرَ عَهْدُهُ؟
كيف ألوّم الناس على الغدر وشبابي غدر بي، وذهب

أَطَالِبُ إِيَّامِي بِمَا لَيْسَ عِنْدَهَا وَمَنْ طَلَبَ الْمَعْدُومَ أَعْيَاهُ وَجَدَهُ
أعياء وجهه: أعجزه إيجاده والعثور عليه

أَبَى الدَّهْرُ إِلَّا أَنْ يَسُودَ وَضِيعُهُ وَيَمْلِكَ أَعْنَاقَ الْمَطَالِبِ وَغَدُهُ
أبى الدهر إلا أن يجهل الوضع يصبح في موقع سيادة، وأن يتحكم اللوغد في الأرزاق

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْفَعْ يَدَ الْجَوْرِ إِنْ سَطَّتْ عَلَيْهِ، فَلَا يَأْسَفُ إِذَا ضَاعَ مَجْدُهُ
من لم يقاوم يد الجور (الظلم) عندما تسطو عليه فلا يأسف عندما يضع مجده

وَأَقْتُلْ ذَا رُؤْيَا الْعَيْنِ ظَالِمًا يُسِيءُ وَيُتَكَلَّى فِي الْمَحَافِلِ حَمْدُهُ
مما يؤدي المرء أن يرى ظالماً مسياً ومع ذلك يشيدون به في المجالس

عَفَاءٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعِشْ بِهَا بَطْلاً يَحْمِي الْحَقِيقَةَ شُدُّهُ
عفاء على الدنيا (لتنذهب إلى الجحيم) إذا لم يعش المرء بطلاً يحمي شُدُّهُ (إقامته) الحقيقة
(الشرف)

أَبْتٌ لِي حَمَلُ الضَّيْمِ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ وَقَلْبٌ إِذَا سِيمَ الْأَذَى شَبٌّ وَقُدُّهُ
نفس الأبوة ترفض تقبل الظلم، وقلبي إذا سيم الأذى (تعرض للأذى) شبت ناره غضباً

وَحَسْبُ الْفَتَى مَجْدًا إِذَا طَالَبَ الْعُلَا بِمَا كَانَ أَوْصَاهُ أَبُوهُ وَجَدُّهُ
كفى المرء مجداً أن يطلب من المكارم ما كان أوصاه به أبوه وجده

أَصْدُ عَنِ الْمَرَمَى الْقَرِيبِ تَرْفَعًا وَأَطْلُبُ أَمْرًا يُعْجِزُ الطَّيْرَ بُعْدُهُ
أترك المرامي (الأهداف) السهلة مترفعاً عنها، وأطلب البعيد العالي الذي لا يصل إليه الطير في
سمائه

وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ تَلَاعَبَ بِالْقَنَا أُسُودَ الْوَعَى فِيهِ وَتَمَرَحَ الْجُرْدُ جُرْدُهُ
لا بد من يوم تتلاعب بالرماح فيه أسود الوعى (الحرب)، وتمرح الجرد (الخيال)

يُمَزَّقُ أَسْتَارَ النَّوَاطِرِ بَرْقُهُ وَيَقْرَعُ أَصْدَافَ الْمَسَامِيعِ رَعْدُهُ
لمعان السيوف يمزق أستار النواظر (العيون) والعيون مستورة بغبار المعركة، ويقرع رعد الضرب
صواوين الأذان التي كالأصدا ف

تُدَبِّرُ أَحْكَامَ الطَّعَانِ كُھُولُهُ وَتَمْلِكُ تَصْرِيفَ الْأَعْنَةِ مُرْدُهُ
الكهول يدبرون سير المعركة، والمرد (الشباب الذين لم تنبت لحاهم بعد) يصرفون الأعنة
(يتحكمون في مقاود الخيل). أي أن التخطيط للكهول والقتال للشباب

فَإِمَّا حَيَاةً مِثْلُ مَا تَشْتَهِي الْعُلَا وَإِمَّا رَدًى يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ وَقُدُّهُ
إما حياة عزيزة ترضى عنها المكارم، وإما موت يشفي وفده (قدومه) ما بالنفس من حمية ضد الظلم

٢٢ مسحتها وخلبتها

وقال على روي قصيدة النابغة الذبياني التي أولها «أمن آل مية رائح أو مغتد»:

قالوا غداً يوم الرحيل، وَمَنْ لَهُمْ خَوْفُ التَّفَرُّقِ أَنْ أَعِيشَ إِلَى عَدِّ؟
قالوا سيرحلون غداً، فقلت إنني لشدة خوفي من فراقهم قد لا أعيش إلى يوم الغد

هِيَ مُهْجَةٌ ذَهَبَ الْهُوَى بِشَغَافِهَا مَعْمُودَةٌ، إِنْ لَمْ تَمُتْ فَكَأَنَّ قَدْ
 مهجتي (قلبي) ذهب الهوى بشغافها (غشاء القلب) وهي معمودة (منهكة حباً) إِنْ لَمْ تَمُتْ نَفْسِي
 فَكَأَنَّ قَدْ (كادت)

يَا أَهْلَ ذَا الْبَيْتِ الرَّفِيعِ مَنَارُهُ أَدْعُوكُمْ يَا قَوْمُ دَعْوَةً مُقْصِدٍ
 يَا أَهْلَ الْبَيْتِ الْعَالِي أَدْعُوكُمْ دَعْوَةً رَجُلٍ مُقْصِدٍ (مصাব بطعنة)

إِنِّي فَقَدْتُ الْيَوْمَ بَيْنَ بُيُوتِكُمْ عَقْلِي، فَرُدُّوهُ عَلَيَّ لِأَهْتَدِي
 أَوْ فَاسْتَقِيدُونِي بِبَعْضِ قِيَانِكُمْ حَتَّى تَرُدُّ إِلَيَّ نَفْسِي أَوْ تَدِي
 استقيديني (ادفعوا دية قلبي) بإعطائي بعض قيانكم (إحدى فتيانكم)، حَتَّى تَرْجِعَ لِي نَفْسِي أَوْ تَدِي
 (تدفع الدية)

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْحَرْبَ فِي إِبَانِهَا وَلَبِئْسَ رَاعِي الْحَيِّ إِنْ لَمْ أَشْهَدْ
 شهدت الحرب في إبانها (في عزِّ انتهابها)، وَسَاكُونَ بَنَسَ رَاعِي الْحَيِّ (حامي القوم) لَوْ لَمْ أَشْهَدْهَا

بِمُضْمَرٍ أَرِنِ كَأَنَّ سَرَاتَهُ بَعْدَ الْحَمِيمِ سَبِيكَةً مِنْ عَسْجِدٍ
 شهدت الحرب بمهر مضمر (مدربٌ نحيل اكتملت عضلاته بالجري) أَرِنِ (ممرح) كَأَنَّ سَرَاتَهُ
 (ظهره) بَعْدَ الْحَمِيمِ (العرق) سَبِيكَةً عَسْجِدٍ (ذهب)، فَجَسَمَهُ يَلْمَعُ مَعَ الْعَرَقِ

خَلَصَتْ لَهُ الْيُمْنَى وَعَمَّ ثَلَاثَةٌ مِنْهُ الْبَيَاضُ إِلَى وَظِيفٍ أَجْرَدٍ
 قائمته اليمنى خلصت من البياض، فَلَوْنُهَا كَلَوْنِ سَائِرِ جَسَمِهِ، وَالْقَوَائِمُ الثَّلَاثُ الْآخَرَى فِيهَا بَيَاضٌ
 مِنْ الْحَافِرِ حَتَّى الْوُظِيفِ (الساق تحت الركبة) الْأَجْرَدِ (ذِي الشَّعْرِ الْقَصِيرِ)

فَكَأَنَّمَا انْتَزَعَ الْأَصِيلَ رِدَاءَهُ سَلْبًا، وَخَاضَ مِنَ الضُّحَى فِي مَوْرِدٍ
 كأنه بلونه المحمر قد انتزع من الأصيل (وقت الغروب) رداءه سلباً (أي غنيمَةً)، وَكَأَنَّهُ خَاضَ
 شَمْسَ الضُّحَى بَدَلَ أَنْ يَخُوضَ مَوْرِدَ الْمَاءِ، فَلَوْنُهُ مَحْمَرٌ عَلَى أَصْفَرٍ

مُتَلَفِّئًا عَنْ جَانِبَيْهِ، يَهْرُهُ مَرَحُ الصَّبَا كَالشَّارِبِ الْمُتَعَرِّدِ
 يتلفت بمرح كأنه شارب خمره يترنم

فَإِذَا ثَنَيْتَ لَهُ الْعِنَانَ وَجَدْتَهُ يَمْطُو كَسِيدِ الرَّدْهَةِ الْمُتَوَرِّدِ
 إِنْ ثَنَيْتَ عَنَانَهُ (مقوده) وَشَدَدْتَهُ فَهُوَ يَمْطُو (يسير حثيثاً) كَسِيدِ الرَّدْهَةِ (كثب الراية) الْمُتَوَرِّدِ (الوردي
 اللون)

وَإِذَا أَطْلَتَ لَهُ الْعِنَانَ زَايَتَهُ يَطْوِي الْمَهَامَةَ فَذَفْدًا فِي فَذْدَفٍ
 وَإِذَا أَرَخِيتَ مَقُودَهُ أَسْرَعَ وَصَارَ يَطْوِي الْمَهَامَةَ (الصَّحَارَى) فَذَفْدًا بَعْدَ فَذْدَفٍ (فَلَاةٌ بَعْدَ فَلَاةٍ)

نِعَمَ الْعَتَادُ إِذَا الشَّفَاءُ تَقَلَّصَتْ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْعَجَاجِ الْأَرَبِ
المهر خير عتاد (عدة الحرب) إذا اشتد القتال وتقلصت شفاء المحاربين لشدة التوتر في يوم
الكرهية (الحرب) وسط العجاج (الغبار) الأربد (القاتم)

بَلْ رُبَّ غَانِيَةٍ طَرَفَتْ خِبَاءَهَا وَالنَّجْمُ يَظْهَرُ عَنْ لَوَاحِظٍ أَرْمَدٍ
رب غانية طرقت خيائها (أتيت خيمتها ليلاً) بينما النجم يظهر كأنه لواظ (عيون) شخص
مصاب بالرمد تطرف

قَالَتْ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيَّ: فَضَخْتُني فَارْجِعْ لِشَانِكَ فَالرَّجَالُ بِمَرَصِدٍ
فَمَسَخْتُهَا حَتَّى اطْمَأَنَّ فَوَاضَاهَا وَنَفَيْتُ رَوْعَتَهَا بِرَأْيٍ مُخَصَّدٍ
مسحتها مثلما يسمح الحالب ضرع البقرة لتهديتها عند الحلب، ونفيت روعتها (خوفها) برأي محصد
(سديد). تعليق عمران القفيني: هل أنت متأكد أن البارودي كان يفعل هذا؟ الجواب: لعله!

وَحَلَبْتُهَا بِالْقَوْلِ حَتَّى رُضُّهَا وَطَوَيْتُهَا طَيَّ الْحَبِيرَةِ بِالْيَدِ
وحلبتها (فتتها) بالكلام حتى روضتها، ثم ضممتها كما يضم المرء الحبيرة (الثوب) بيدي. البيت
أسقطه البارودي عندما جمع ديوانه، لكنه موجود في كتاب الوسيلة الأدبية للمرصفي

وَوَجَّهْتُ أَخْتَرِقُ الصُّفُوفِ مِنَ الْعِدَا مَتَلَثِّمًا وَالسَيْفُ يَلْمَعُ فِي يَدِي

٢٣ سرى البرق

وَقَالَ وَهُوَ بِأَقْرِطُش (جزيرة كريت) أَيَّامَ الْحَرْبِ يَتَشَوَّقُ إِلَى مِصْرَ (١٨٦٥ م):
سَرَى الْبَرْقُ مِصْرِيًّا، فَأَرَفَنِي وَحْدِي وَأَذْكُرْنِي مَا لَسْتُ أَنْسَاهُ مِنْ عَهْدِ
سرى البرق (سار ليلاً) أتياً من مصر فسهرت له وحدي، وذكرني بعهود لن أنساها
فيا برقُ حدِّثني، وأنت مُصَدِّقٌ، عَنِ الْآلِ وَالْأَصْحَابِ: مَا فَعَلُوا بَعْدِي

٢٤ صؤول ضروب

وَقَالَ وَهُوَ فِي حَرْبِ الرُّوسِ مَعَ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ ١٨٧٧م، وَأَرْسَلَ بِهَا إِلَى الشَّيْخِ حَسَنِ
المرصفي:

وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِي تَصَدَّعَتْ لِعِزَّتِهِ الدُّنْيَا، وَذَلَّلَتْ لَهُ الْأَسَدُ
يقول إن نفسه كبيرة شديدة عزيزة تتصدع (تشقق وتتكسر) لها الدنيا وتذل الأسود
وَمِنْ شِيَمِي حُبُّ الْوَفَاءِ سَجِيَّةٌ وَمَا خَيْرُ قَلْبٍ لَا يَدُومُ لَهُ عَهْدُ
سجيتي وشيمتي (خُلقي وطبعي) الوفاء، وما خير (لا خير في) قلب لا يدوم له عهد

ولكنَّ إخواناً بمصرَ ورُقَّةَ نَسُونَا، فَلَا عَهْدَ لَدَيْهِمْ وَلَا وَغْدَ
فِيَا سَاكِنِي الْفُسْطَاطِ مَا بَالُ كُتُبِنَا ثَوَتْ عِنْدَكُمْ شَهْرًا وَلَيْسَ لَهَا رَدُّ؟
الفسطاط: القاهرة القديمة، ثوت: قعدت

نَأَتْ بِي عَنْكُمْ غُرْبَةً، وَتَجَهَّمَتْ بِوَجْهِ أَيْامٍ خَلَائِفُهَا نُكْدُ
أبعدتني عنكم غربة، وكشرت بوجهي أيام خلافتها (طباعها) نُكْد (مشاكسة)
أَدُورُ بِعَيْنِي لَا أَرَى غَيْرَ أُمَّةٍ مِنَ الرُّوسِ بِالْبَلْقَانِ يُخْطِئُهَا الْعَدُوُّ
الروس: يعني السلافين بشكل عام

جَوَاثٍ عَلَى هَامِ الْجِبَالِ لِغَارَةٍ يَطِيرُ بِهَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ إِذَا يَبْدُو
هؤلاء القوم جواث (جاثون رابضون) على رؤوس الجبال مستعدون لغارة، يطرون فيها من جبالهم
مع بزوغ شمس الصباح

إِذَا نَحْنُ سِرْنَا صَرَخَ الشَّرُّ بِاسْمِهِ وَصَاحَ الْقَنَا بِالْمَوْتِ، وَاسْتَقْتَلَ الْجُنْدُ
إذا مشينا إلى أعدائنا غدا واضحا أن شرأ سيقع، واستدعى القنا (الرماح) الموت استدعاء، ورمى
الجنود أنفسهم على الموت

إِذَا اشْتَبَكُوا، أَوْ رَاجَعُوا الرَّخْفَ، خَلَّتْهُمْ بُحُورًا تَوَالَى بَيْنَهَا الْجَزْرُ وَالْمَدُّ
ففي الاشتباك، وفي الكر والفر، تحسب جموع الجند مثل بحر يعتوره الجزر والمد

فَهُمْ بَيْنَ مَقْتُولٍ طَرِيحٍ، وَهَارِبٍ طَلِيحٍ، وَمَأْسُورٍ يُجَاذِبُهُ الْقَدُّ
الجنود موزعون بين مقتول مطروح أرضاً وبين فار طليح (مرهق) ومأسور يجاذب القد (القيد
المصنوع من سير جلدي)

نَرُوحُ إِلَى الشُّورَى إِذَا أَقْبَلَ الدُّجَى وَنَعْدُو عَلَيْهِمْ بِالْمَنَايَا إِذَا نَعْدُو
في الليل تشاور ونخطط، ونعدو (نتطلق صباحاً) ومعنا للأعداء المنايا (الموت)

وَنَقَعُ كُلِّجِ الْبَحْرِ خُضْتُ عِمَارَهُ وَلَا مَعْقِلٌ إِلَّا الْمَنَاصِلُ وَالْجُرْدُ
رب نقع (غبار) كلج البحر (مائه) خضت في غماره (مياهه العميقة)، وليس من معقل (حصن
يحميني) إلا المناصل (السيوف) والجرد (الخيول)

صَبِرْتُ لَهُ وَالْمَوْتُ يَحْمَرُّ تَارَةً وَيَنْغَلُ طَوْرًا فِي الْعَجَاجِ فَيَسْوَدُ
صبرت وحولي الموت يحمر بدم القتلى تارة، وينغل (يتغلغل) طوراً وسط العجاج (الغبار) فيكون
موتاً أسود

فَمَا كُنْتُ إِلَّا اللَّيْثَ أَنْهَضَهُ الطَّوْىِ وَمَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ فَارَقَهُ الْغَمْدُ
كنت كالليث نهض شرساً للصيد بفعل الطوى (الجوع)، وكالسيف الذي فارق غمده (بيته)

صَوُولٌ وَلِلْأَبْطَالِ هَمْسٌ مِنَ الْوَنَى ضَرُوبٌ وَقَلْبُ الْقِرْنِ فِي صَدْرِهِ يَعْدُو
صوُول (هاجِم) بينما الأبطال يهمسون من الونى (التعب)، وضارب بينما قلب القرن (الخصم)
يركض في صدره خوفاً

فَمَا مُهَجَّةٌ إِلَّا وَرُمَحِي ضَمِيرُهَا وَلَا لَبَّةٌ إِلَّا وَسِيفِي لَهَا عِقْدُ
رمحي دخل في كل مهجة (قلب) فصار كأنه ضمير لها مختبئ فيها، ولا لبة (عنق) إلا جعلت
سيفي لها مثل العقد

إِذَا الْقَلْبُ لَمْ يَنْصُرْكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ فَمَا السِّيفُ إِلَّا آلَةٌ حَمَلُهَا إِدُ
إذا لم يكن قلبك قوياً فينصرك فلا نفع في السيف وحده، فهو فقط أداة حملها إد (يؤودك ويتعبك)

٢٥ الصبا في وادي الفناء

وقال يَرُوضُ الشعر:

تَوَلَّى الصَّبَا عَنِّي، فَكَيْفَ أَعِيدُهُ وَقَدْ سَارَ فِي وَادِي الْفَنَاءِ بَرِيدُهُ
البريد هو البغل، وكانت البغال تحمل الرسائل من بلد إلى بلد. المعنى: ذهب عهد الصبا ولا
عودة له، فقد سار عني إلى .. وادي الفناء ..

أَحَاوَلُ مِنْهُ رَجْعَةً بَعْدَ مَا مَضَى، وَذَلِكَ رَأَيْ غَابَ عَنِّي سَدِيدُهُ
أحاول إرجاع الصبا وهذا ليس بالرأي السديد

وَفِي الْحَيِّ ظَبْيِي إِنْ تَرَنَّمْتُ بِاسْمِهِ تَنَمَّرَ وَاشِيَهُ وَهَاجَ حَسُودُهُ
في الحي (القوم) فتاة حسناء إن ترنمت باسمها في شعري تنمر الواشي (تحفز) واستنفر الحسود
تَهَيَّمُ بِهِ أَسْتَارُهُ وَخُدُورُهُ وَتَغَشَّقُهُ أَقْرَاطُهُ وَعُقُودُهُ
تهيم بالظبي أستاره وخدوره (تلفه وتحوطه) والخدر بيت داخل البيت، أو خيمة داخل الخيمة،
كانت المرأة تستتر بها عن الغرباء قديماً/واليوم لبست المرأة في بلادنا خيمتها)، وتعلق بالظبي
المحجوب. أقراطه (والقرط الحلق) وعقوده

تَأْتَقُ فِيهِ الْحُسْنُ فَامْتَدَّ فَرْعُهُ إِلَى قَدَمَيْهِ، وَاسْتَدَارَتْ نُهُودُهُ
الجمال تأتق في صوغ هذا الظبي فطال فرع (شعره) ووصل إلى قدميه، واستدارت أنداؤه

فَلِلْمِسْكِ رِيَاهُ، وَلِلْبَانِ قَدُّهُ وَلِلوَرْدِ خَدَّاهُ، وَلِلظَّبِيِّ جِيدُهُ
رياه (رائحته) منسوبة للمسك، وقده منسوب لغصن البان، وخداه في حمرتها كالورد، وجيده
كجيد الظبي

أَضَاحِكَ وَجْهَ الْمَرْءِ يَغْشَاهُ بِشْرُهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْقَلْبَ تَغْلِي حُقُودُهُ

حكمة: أبادل المرء الضحك إذا كان يغشى (يغطي) وجهه البشر والانشراح، مع أنني أعلم أن الحقوق (الأحقاد) تغلي في قلبه. التسويد لعمران القفنيي.. وأبني لأنني لم أكن سودته، في المسودة، فهي قد سودناه يا سيدي

وَمَنْ لَمْ يُدَارِ النَّاسَ عَادَاهُ صَحْبُهُ وَأَنْكَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ مَنْ يَسُودُهُ

لكن من لا يداري الناس يعاديه مصاحبه، ويستكر أفعاله من قومه من هو سيد لهم، والسيد يجب أن يكون بشوشاً، حليماً لا يعادي الناس بسهولة

٢٦ رجال السياسة

وقال يذم رجال الحكومة الاستبدادية في عهد إسماعيل خديوي مصر:

لَنْ يَسُودَ الْفَتَى وَلَوْ مَلَكَ الْحِكْمَ حَمَّةٌ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَجْوَادِ

السيادة ليست بامتلاك الحكمة فقط، بل لا بد من أن يكون المرء أيضاً من الأجواد (الأسخياء)

رُبَّ خِلٍّ تَرَاهُ طَلَّقَ الْمُحْيَا وَهُوَ جَهْمُ الضَّمِيرِ بِالْأَحْقَادِ

رب خل (صديق) تراه طلق المحيا (بشوشاً) وضميره جهم (مسود) بالأحقاد

فَتَأْمَلُ مَوَاقِعَ اللَّحْظِ تَعَلَّمَ مَا طَوَّنَتْهُ صَحَائِفُ الْأَكْبَادِ

فأتمعن النظر في مواقع اللحظ (النظرات) فالعيون تفضح ما طوته صحائف الأكباد من حقد ونية غدر (شبه الكبد بكتاب له صحائف مكتوبة فيها أشياء)

إِنَّ فِي الْعَيْنِ وَهْيَ عُضْوٍ صَغِيرٍ لَدَلِيلًا عَلَى خَبَايَا الْفُؤَادِ

أَنَا مَا بَيْنَ نِعْمَةٍ وَحَسُودٍ وَالْمَعَالِي كَثِيرَةُ الْحُسَادِ

فَلْيَمُوتُوا بِغَيْظِهِمْ، فَاحْتِمَالُ الْغَيْظِ مَوْتُ لَهُمْ بِلا مِيعَادِ

الغيط للحاسدين عقاب، فهو كالموت جاءهم قبل مواعده

كَيْفَ تَنْبِيضُ مِنْ أَنْاسٍ وَجُودِ صَبَغَ اللَّوْمِ عَرَضَهُمْ بِسَوَادِ؟

فَتَرَى الْمَرْءَ مِنْهُمْ ضَاحِكُ السَّنِّ - وَفِي ثَوْبِهِ دِمَاءُ السَّعْبَادِ

مَعَشَرَ لَا وَلِيْدَهُمْ طَاهِرُ الْمَهِّ - وَلَا كَهْلُهُمْ عَفِيفُ الْوَسَادِ

حَكَمُوا مِصْرَ وَهِيَ حَاضِرَةُ الدُّنَى - يَا، فَأَمَسَتْ وَقَدْ خَلَّتْ فِي الْبَوَادِي

أَضْبَحَتْ مَنْزِلَ الشَّقَاءِ، وَكَانَتْ جَنَّةً لَيْسَ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ

وَقَلِيلًا مَا يَصْلُحُ الْمَرْءُ لِلْجِدِّ - إِذَا كَانَ سَاقِطَ الْأَجْسَادِ

٢٧ رثاء الزوجة

وقالي يرثي زوجته وقد ورد إليه نعيها وهو بسرنديب، وتوفيت سنة ١٨٨٣ بالقاهرة:

أَيْدَ الْمَنُونِ! قَدَحَتْ أَيْ زِنَادٍ وَأَطْرَتْ أَيْةً شُعْلَةً بِفُؤَادِي
يا يد الموت، قدحت أي زناد (حجر النار)! فأوقعت الحريق بقلبي

أَسْتَنْجِدُ الزَّفَرَاتِ وَهِيَ لَوَافِحُ وَأَسْفُهُ الْعَبَرَاتِ وَهِيَ بَوَادٍ
أطلب النجدة من زفراتي اللوافح (الحارة)، وأسفهُ الدموع (لا أدرك وجودها) وهي ظاهرة

لَا لَوْعَتِي تَدْعُ الْفُؤَادَ، وَلَا يَدٌ تَقْوَى عَلَى رَدِّ الْحَبِيبِ الْعَادِي
لا لوعتي ترك قلبي، ولا يدي تستطيع رد الحبيب الغادي (المفارق)

يَا دَهْرُ فِيمَ فَجَعْتَنِي بِحَلِيلَةٍ كَانَتْ خُلَاصَةً عُدَّتَنِي وَعَنَادِي
فيم (لماذا) فجعتني يا دهر بحليلة (زوجة) كانت خلاصة عدتي في هذه الحياة. تعليق عمران
الفقيني: (رغم أنه استخدم «حليلة» بدل «حبيبة»، إلا أن البيت يبقى تحفة.. انظر إليه تراه يقطر
نفجاً)

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَائِي لِبُعْدِهَا أَفْلا رَحِمْتَ مِنَ الْأَسَى أَوْلَادِي
أَفْرَدْتَهُنَّ فَلَمْ يَنْمُنْ تَوَجُّعاً قَرَحَى الْعَيُونَ، رَوَّاجِفَ الْأَكْبَادِ
بناتي أصبحت في وحدة، وعيونهن قرحى من البكاء (مجرحة)، وأكبادهن راجفة

أَلْقَيْنَ دُرَّ عُقُودِهِنَّ، وَصِغْنَ مِنْ دُرِّ الدَّمُوعِ قَلَائِدَ الْأَجْيَادِ
رمين لآلئ العقود واستبدلن بها لآلئ هي الدموع في الأجياد (الأعناق)

وَلَهِيَ عَلَيْكَ مُصَاحِبٌ لِمَسِيرَتِي وَالدَّمْعُ فِيكَ مُلَازِمٌ لِيُوسَادِي
ولهي عليك (حزني) مصاحبني في مسيرة النهار، ودمني فيك يلازم وسادتي ليلاً

فَإِذَا انْتَبَهْتُ فَأَنْتِ أَوَّلُ ذِكْرَتِي وَإِذَا أَوَيْتُ فَأَنْتِ آخِرُ زَادِي
التسويد لعمران الفقيني. وعبارته: أدرك هذا البيت بالتسويد

فَلَيْتُنَّ «لَبِيدُ» قَضَى بِحَوْلٍ كَامِلٍ فِي الْحَزَنِ فَهُوَ قَضَاءُ غَيْرِ جَوَادٍ
ليبد الشاعر، الذي يقول إن الذي يبكي حولاً (سنة) قد بلغ المدى واكتفى، لم يكن جواداً
(سخياً).. فالسنة لا تكفي

كُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا مُلَاقٍ رَبِّهِ وَالنَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَلَى مِيعَادٍ
الناس في دنياهم ماكنون على ميعاد يكون في الآخرة حين يلاقون ربهم

فاسْتَهْدِ «يا محمود» رَبِّكَ، والتمس منه المَعُونَةَ فَهُوَ نِعَمَ الْهَادِي
يا محمود سامي البارودي اطلب الهداية من ربك واستعن به

٢٨ واكبيدي يا علي بعدك

وقال يرثي ولده علياً من زوجته الثانية التي تزوجها وهو في المنفى أواخر سنة
(١٨٨٥):

كَيْفَ طَوَّنْتَ الْمَنُونُ يَا وَلَدِي؟ وَكَيْفَ أَوْدَعْتُكَ الثَّرَى بِيَدِي؟
وَاكْبِدِي يَا «عَلِيٌّ» بَعْدَكَ! لَوْ كَانَتْ تَبُلُّ الْغَلِيلَ «وَاكْبِدِي»
فَقَدْ كُ سَلَّ الْعِظَامَ مِنِّي وَرَدَّ- الصَّبْرَ عَنِّي، وَفَتْ فِي عَضْدِي
فت في عضدي: أنهكني

كَمْ لَيْلَةٍ فِيكَ لَا صَبَاحَ لَهَا سَهَرْتُهَا بِاَكْيَا بِلَا مَدَدٍ

٢٩ رثاء الوالد

وقال في صباه يرثي والده:

أَبِي، وَمَنْ كَأَبِي فِي الْحَيِّ نَعْلَمُهُ أَوْفَى وَأَكْرَمُ فِي وَعْدٍ وَإِعَادِ
والدي ليس في الحي (القوم) مثله، وهو وفِّيَّ عندما يعد وعندما يوعد (يهدد)

لَا يَسْتَبْدُ بِرَأْيٍ قَبْلَ تَبْصِرَةٍ وَلَا يَهْمُ بِأَمْرٍ قَبْلَ إِعْدَادِ
كان حصيماً لا يستبد برأيه إلا بعد التبصرة (إدامة النظر)، ولا يهم بتنفيذ أمر إلا وقد أعد له عدته
نَرَاهُ ذَا أُهْبَةٍ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ كَاللَّيْثِ مَرْتَقِباً صَيْدَا بِمِرْصَادِ

٣٠ حوار العاشق مع سيفه

وقال وهو بسرنديب يتشوق إلى مصر:

وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ أَنِّي مُوَلِّعٌ بِمَنْ لَيْسَ يَعْنِيهِ بُكَائِي وَلَا سُهْدِي
أَبَيْتُ عَلِيلاً فِي «سَرَنْدِيبٍ» سَاهِراً أَعَالِجُ مَا أَلْقَاهُ مِنْ لَوْعَتِي وَخُدِي
وَلَا صَاحِبٌ غَيْرُ الْحُسَامِ مَنُوطَةٌ حَمَائِلُهُ مِنِّي عَلَى عَاتِقِي صَلْدِ
صاحبي الوحيد السيف المنوطة حمائله (المعلقة سيوره) على عاتقي (كفي) الصلد (الشديد)
لَقَدْ كُنْتُ لِي عَوْنًا عَلَى الدَّهْرِ مَرَّةً فَمَا لِي أَرَاكَ الْيَوْمَ مُنْتَلِمَ الْحَدِّ

فَقَالَ: إِذَا لَمْ تَسْتَطِيعَ سَوْرَةَ الْهَوَى وَأَنْتَ جَلِيدُ الْقَوْمِ، مَا أَنَا بِالْجَلِيدِ
قال السيف: إِذَا لَمْ تَقَوْ عَلَى سُورَةِ (هَجْمَةِ) الْهَوَى، وَأَنْتَ الْجَلِيدُ (الصَّبُور) فَأَنَا لَنْ أَكُونَ أَصْبَرَ
منك

وَهَلْ أَنَا إِلَّا شِقَّةٌ مِنْ حَدِيدَةٍ أَلَحَّ عَلَيْهَا الْقَيْنُ بِالطَّرْقِ وَالْحَدِّ؟
ما أنا - يقول السيف - سوى قطعة حديد بالغ القين (الحداد) في طرقها وتمضية شفرتها
فَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنَّنِي وَاهِنُ الْقَوَى أَعْلَقْتُ فِي خَبِيطٍ وَأُخْبِسُ فِي جَلْدٍ
وَأَنَا جَمَادٍ - يقول السيف - وَلَوْلَا أَنَّنِي ضَعِيفُ الْقَوَى لَمَا عَلَّقْتُ بِخَبِيطٍ، وَلَمَا حَبَسْتُ فِي قِرَابٍ مِنْ
جلد

فَدُونُكَ غَيْرِي، فَاسْتَعِنْتُ عَلَى الْجَوَى وَدَعَنِي مِنَ الشَّكْوَى فَدَاءُ الْهَوَى يُعْدي
دونك (التمس) غيري ليعينك على الجوى (حزن العاشق)، واطركني بحالي فداء الهوى يعدي

٣١ ما لي وللناس

لَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ مَا أَضْمَرَتْ أَحْبَابُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ الْعِدَا
لو علم الإنسان ما تضرع له الأحباب من غدر لهان عليه الأعداء

مَا لِي وَلِلنَّاسِ وَأَعْمَالِهِمْ؟ كُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ حِسَابٍ عَدَا
نصبنا رهن على الظرفية، ولك أن تنصّبها على أنها مفعول مطلق، ولك الرفع على الإخبار فعل
شارحي الديوان

هَلْ هِيَ إِلَّا مَدَّةٌ تَنْقُضِي؟ وَكُلُّ نَفْسٍ خُلِقَتْ لِلرَّدَى

٣٢ طلب اللّهُ

هَلْ فِي التَّصَابِي عَلَى امْرِئٍ فَنَدُ؟ أَمْ هَلْ يَعْيبُ الْكَرِيمَ دَدُ؟
هل في التصابي (لهو الكهل) فند (خطأ) أم هل يعيب الفتى الكريم دد (لعب)؟

وَأَيُّ لَوْمٍ عَلَى امْرِئٍ طَلَبَ اللَّبَّ هُوَ وَأَنْوَابُ عَمْرِهِ جُدُ؟
وهل ثمة لوم على من التمس اللّهُ وأنوَابُ عمره جديدة (وهو شاب)؟

فَاصْغَعْ لِمَا شِئْتَ غَيْرَ مُتَّئِدٍ فَلَنْ يَحُوزَ الْكَمَالَ مُتَّئِدٌ
اصنع ما شئت غير متئد (بلا إبطاء)، فالمتردد لا يصل إلى الكمال

٣٣ اللوم في الحب من الحسد

دَعْنِي مِنَ اللُّومِ إِنْ كُنْتُ أَمْرًا قَطِنًا فاللومُ في الحبِّ مَعْدُودٌ مِنَ الْحَسَدِ
لو كان للمرء عقلٌ يَسْتَدِلُّ بِهِ على الحقيقة لم يَعْتَبْ على أَحَدٍ

التسويد لعمران القفيني

إِنْ كُنْتُ ذَا إِمْرَةٍ فَإِنَّهُ الصَّبَابَةُ عَنْ قلبي لَتَغْنَمَ سُكْرِي آخَرَ الْأَبَدِ
إِنْ كُنْتُ ذَا إِمْرَةٍ (قدرة) فاجعل الصبابة (الغرام) تنتهي عن الحلول بقلبي، وأنا لك شاكر

أَوْ لَا، فَدَعْنِي وَلَا تَغْنُفْ عَلَيَّ فَمَا أَمْرِي إِلَيَّ، وَلَا حَكْمُ الْهَوَى بِيَدِي
وإلا فاتركني، فليس أمر الهوى طوع يدي

٣٤ عنصراً الدنيا

وما الدنيا سوى عَجْزٍ وَحِرْصٍ هما أَصْلُ الْخَلِيقَةِ فِي الْعِبَادِ
فلولا العجزُ ما كان التَّصَافِي ولولا الحرصُ ما كان التَّعَادِي
عجز المرء عن مقارعة عدوه يلجئه إلى التصافي (المصالحة)، وحرص المرء على جرّ النفع إلى نفسه يوقعه في معاداة الآخرين. وكل شيء سوى هذين تفاصيل، الحياة صراع

٣٥ واحدة بواحدة

قال يصف أيام الربيع ويذكر مواسم اللهو في عصر الشباب:

وقد شاقني، والصُّبْحُ فِي خِذْرِ أُمِّهِ، حَنِينُ حَمَامَاتٍ تَجَاوِزُنَّ فِي وَكْرِ
شاقني (أهاج شوقي) والصبح لم يطلع بعد صوت حمامات يتردد في عشن

هَتَفْنَ فَأَطْرَبْنَ الْقُلُوبَ كَأَنَّمَا تَعْلَمُنَ الْحَانَ الصَّبَابَةَ مِنْ شِعْرِي
فَبَادِرُ لِمِيقَاتِ الصَّلَاةِ، وَمِلُّ بِنَا إِلَى الْقَصْفِ مَا بَيْنَ الْجَزِيرَةِ وَالنَّهْرِ
لنصل أولاً، ثم لنذهب للقصف (اللهو) في ذلك المكان على النيل

إِذَا مَا قَضَيْنَا وَاجِبَ الدِّينِ حَقَّهُ فليس علينا في الخلاعة مِنْ وَزْرِ
لا إثم علينا في الخلاعة بعد أن أدينا واجب الدين

لدى روضة رَيَّا الغصونِ تَرْتَحُّ مَعَاظُهَا رَقْصًا عَلَى نَعْمَةِ الْقُمْرِي
نلهو في روضة ريا (طرية) الغصون، تترنح جنباتها على نعمة القمر (الحمام)

تدور علينا بالمُدَامَةِ بَيْنَهَا تَمَائِلُ إِلَّا أَنَّهَا بَيْنَنَا تَجْرِي

تدور الفتيات الشبهات بالتمايل لحسنهن علينا بكؤوس الشراب

لَوَى قَدْهَا سُكْرُ الْخَلَاعَةِ وَالصَّبَا فَمَالَتْ بِشَطْرِ، وَاسْتَقَامَتْ عَلَى شَطْرِ
تلوي قدود الفتيات نشوة اللهو والشباب، فنصف الجسم الأسفل معتدل والنصف الأعلى يتمايل.
أو العكس. للرجل الذي لم يفهم معنى البيت نقول: استعمل عينك

وَعَلَّمَهَا وَخِي الدَّلَالِ كَهَانَةً فَإِنْ نَطَقَتْ جَاءَتْ بِشِيءٍ مِنَ السُّحْرِ
الدلال أوحى للفتيات بكهانة (سحر) فينطقن بكلام يذيب قلوبنا

٣٦ قلبي ولساني: سراج وسيف

وَلَا تَحَسَبَنَّ الْجِلْمَ يَمْنَعُ أَهْلَهُ وَفُوقَ الْأَذَى، فَالْمَاءُ وَالنَّارُ مِنْ صَخْرٍ
لا تظنن أن الشخص الحليم السمع يتمتع من إيقاع الأذى بالآخرين، ففي الإنسان كل المتناقضات
فهو مثل الصخر الذي ينبس منه الماء، لكنه أيضاً يخرج الشر عندما يُقدح

بَلَفْتُ مَدَى خَمْسِينَ وَازْدَدْتُ سَبْعَةً جَعَلْتُ بِهَا أَمْشِي عَلَى قَدَمِ الْخَضِرِ
عمري سبع وخمسون سنة، وطفلت بلاداً كثيرة كأنني أرافق النبي «الخضر»، النبي الرحالة

فَكَيْفَ تَرَانِي الْيَوْمَ أَخْشَى ضَلَالَةً وَشَيْبِي مَصْبَاحٌ عَلَى نُورِهِ أُسْرِي؟
لا أخشى أن أضل عن الطريق السوي فشيبني مصباح أسري (أسير ليلاً) على نوره. يعني أنه أصبح
رزيناً وتقياً يمتعه الشيب من العبث

أَقُولُ بِطَبْعٍ لَسْتُ أَحْتَاجُ بَعْدَهُ إِلَى الْمَنْهَلِ الْمَطْرُوقِ، وَالْمَنْهَجِ الْوَعْرِ
أقول الشعر عن طبع، فلا أضطر إلى المنهل المطروق (الحوض الذي يرده الناس) ولا إلى المنهج
الوعر (الطريق الوعر)، أي أنه لا يأتي بالمعاني المعروفة المطروقة ولا بالمعاني الملتوية

وَلِي مِنْ جَنَانِي، إِنْ عَزَمْتُ، وَمَقُولِي سَرَاجٌ وَعَضْبٌ: ذَا يُضِيءُ وَذَا يُفْرِي
جناني (قلبي) ومقولي (لساني) هما لي كالسراج والسيف: قلبي يضيء لي الطريق، ولساني يفري (يقطع)

إِذَا جَاشَ طَبْعِي فَاضَ بِالْدَّرِّ مَنْطِقِي وَلَا عَجَبٌ فَالْدَّرُ يَنْشَأُ فِي الْبَحْرِ
إذا جاش طبعي (زخر وماج) فاض من كلامي الدر (اللؤلؤ)، أليس اللؤلؤ يتكون في البحر؟

سَيَذْكُرْنِي بِالشَّعْرِ مَنْ لَمْ يُلَاقِنِي وَذِكْرُ الْفَتَى بَعْدَ الْمَمَاتِ مِنَ الْعُمُرِ

من لم يلتق بي في الحياة سيذكرني من شعري، وذكر المرء (شهرة الحسنه) امتداد
لعمره بعد إذ يموت. تعليق عمران القفيني: (قال المتنبي: ذكر الفتى عمره الثاني
وحاجته/ ما قاته وفضول العيش أشغال، وسيأتي أحمد شوقي ويقول: فاحفظ لنفسك
بعد موتك ذكرها/ فالذكر للإنسان عمر ثان، ولا نعلم من سيمضغ هذا المعنى لاحقاً)

٣٧ دوران الكرة الأرضية

وَقُلْنَا لِإِسَاقِينَا أَدْرِهَا، فَإِنَّمَا بقاء الفتى بعد الشبابِ يَسِيرُ
أدز كؤوس الشراب فالحياة قصيرة

إذا ما شربناها أَقَمْنَا مَكَانَنَا وظَلَّتْ بنا الأرضُ الفضاءُ تَدُورُ
نشرب الخمر، ونمكث في مجلسنا قاعدين، ولكننا نشعر أن الأرض تدور بنا

٣٨ عندي أمل

وقال بعد وصوله إلى جزيرة سَرَندِيب، وقد رأى ابته الوسطى في المنام:
صَبْرْتُ عَلَى كُرْهِ لِمَا قَدْ أَصَابَنِي وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَدْوَحَةً فَهُوَ صَابِرٌ
من لم يجد مندوحة (بديلاً) فلا بد له من الصبر

وَمَا الْجَلْمُ عِنْدَ الْخَطْبِ، وَالْمَرْءُ عَاجِزٌ، بِمَسْتَحْسَنِ كَالْجَلْمِ وَالْمَرْءُ قَادِرٌ
الحلم والتسامح عند وقوع الخطب (المصيبة) ليس مصدر فخر عندما يكون الإنسان عاجزاً، فهو إذ
ذاك مضطر للحلم، ولا كذلك الحلم عندما يكون المرء مقتدرًا

وقد يَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ بَعْدَ اغْوِجَاجِهِ وَتَنْهَضُ بِالْمَرْءِ الْجُدُودُ الْعَوَائِرُ
قد تنصلح الأحوال، وقد تنهض بالمرء الجدود العوائر (الحظوظ المتعثرة)

وَلِي أَمَلٌ فِي اللَّهِ تَحِيًّا بِهِ الْمُنَى وَيُشْرِقُ وَجْهُ الظَّنِّ، وَالْخَطْبُ كَاشِرٌ
أملِي في الله يحيي في قلبي الأمنيات ويجعل وجه الظن يشرق بينما الخطب كاشر (المصيبة
صعبة مكشرة)

وَلَوْ لَا تَكَالِيفُ السِّيَادَةِ لَمْ يَخْبُ جَبَانٌ، وَلَمْ يَخَوْهُ الْفَضِيلَةُ نَائِرٌ
لولا تكاليف السيادة (متطلباتها) لكان كل الناس سادة، وكان الجبان لا ييؤ بالخيبة، ولما كان
الناثر على الظلم يعد ذا فضل. المعنى: صعوبة الوصول إلى السيادة تكشف معدن الإنسان،
وتجعل الجبان يقصر عنها، والناثر على الظلم ينالها

وَلَوْ رُمْتُ مَا رَامَ امْرُؤٌ بِخِيَانَةٍ لَصَبَّحَنِي قِسْطٌ مِنَ الْمَالِ غَامِرٌ
لو طلبت ما يطلبه الإنسان عن طريق ارتكاب الخيانة لجاؤني صباحاً المال الغامر الكثير

وَلَوْ أَنَّ أَسْبَابَ السِّيَادَةِ بِالْغِنَى لَكَاتَرَ الْغَنَى رَبَّ الْفَضْلِ بِالْمَالِ تَاجِرٌ
ولو كانت السيادة بالغنى لكاتر (افتخر) التاجر الغني رب الفضل (صاحب الفضل)

٣٩ تاريخ اللّهُ

فَيَا لَهَا لَيْلَةً كَانَتْ بِرَوْنَقِهَا تَارِيخٌ لَّهُوَ، لِمَا أَحْرَزْتُ مِنْ وَطَرٍ
حوت تلك الليلة برونقها (بهاثها) كل عناصر اللّهُ فهي تاريخ اللّهُ كله، وقد نلت فيها وطري
(بغيتي)

لو كَانَ يَسْمَحُ لي دَهْرِي بِعَوْدَتِهَا لَبِغْتُ فِيهَا لِذِيذِ النَّوْمِ بِالسَّهْرِ

٤٠ لا تكلني لمن يعذبني

وقال، ولعله قالها وقد لجأ إلى عزته بعد إخفاق حركة عرابي:

صُبْحُ مَطِيرٌ، وَنَسْمَةٌ عَطِرَةٌ وَأَنْفُسٌ لِلصَّبُوحِ مُنْتَظِرَةٌ
الصباح: شرب الخمر عند الصباح

فَيَا ابْنَ وُدِّي هَلُمَّ نَقْتَسِمِ اللّٰهَ وَ، فَنَفْسِي إِلَى الصَّبَا حَسِرَةٌ
يا صديقي تعال للّهُ فنفسى تتحسر على انقضاء الشباب

وَحَلَّلْنَا مِنْ سِيَاسَةٍ دَرَجَتْ بَيْنَ أَنْاسٍ قُلُوبُهُمْ وَغَرَّةٌ
وغرة: حاكمة

يَقْضُونَ أَيَّامَهُمْ عَلَى خَطَرٍ فَيُبْسِ عُقْبَى السِّيَاسَةِ الْخَطِرَةَ
السياسة يحيط بحياتهم الخطر، وبس عقبي السياسة (نتيجتها)

مَا لِي وَلِلنَّاسِ، لَا لَدَيَّ لَهُمْ حَقٌّ يُؤَدِّي، وَلَا عَلَيَّ تَرَةٌ
ليس للناس عندي حقوق، ولا ترات (ثارات)

يَا رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الْكِرَامَةِ مَا يَسُرُّ نَفْسِي، فَإِنَّهَا وَجِرَةٌ
وجرة: خائفة

وَلَا تَكِلْنِي لِمَنْ يُعَذِّبُنِي فَإِنَّ نَفْسِي إِلَيْكَ مُفْتَقِرَةٌ

٤١ كرم العنصر

صَبَرْتُ عَلَى رَبِّ هَذَا الزَّمَانِ وَلَوْلَا الْمَعَاذِرُ لَمْ أَضِيرِ
المعاذر: السعي لتجنب اللوم

فَلَا تَحْسَبْنِي جَهِلْتُ الصَّوَابَ وَلَكِنْ، هَمَمْتُ فَلَمْ أَقْدِرِ

وَكُنَّا جَمِيعاً، فَلَمَّا وَقَعْتُ صَبِرْتُ وَغَادَرَنِي مَعْشَرِي

كنا معاً فلما وقعت في المشكلة صبرت وغادرني صحابي

وَلَوْ أَنَّنِي رُمْتُ إِعْنَاتَهُمْ لَقُلْتُ مَقَالَةً مُسْتَبْصِرٍ

لو قصدت إعناتهم (إرهاقهم) لقلت قول مستبصر يعرف حقيقة تخاذلهم

وَلَكِنَّنِي حِينَ جَدَّ الْخِصَامُ رَجَعْتُ إِلَى كَرَمِ الْمُنْصُرِ

لكنني حين اشتد الخصام رجعت إلى طيب أصلي فلم أقل شيئاً

٤٢ معاكسة في «شبرة»

سَمُرَاءُ تَهْفُو بِقَدِّ كَالرَّمَحِ لِيناً وَسُمْرَةً

تتحرك بقد مثل الرمح في لينه ولونه الأسمر

مَرَّتْ عَلَيَّ تَهَادَى مِثْلَ الْمَهَاءِ بِشُبْرَةٍ

مرت تهادى كالمهاة (البقرة الوحشية) في حي شبرا بالقاهرة

فَقُلْتُ يَا نَوْرَ عَيْنِي! مَا لِي عَلَى الصَّبْرِ قُدْرَةٌ

فَنَقَّبْتُ وَجَنَّتِيهَا يَدُ الْحَيَاءِ بِحُمْرَةٍ

يد الحياء وضعت نقاباً من الحمرة على خديها. أي أنها احمر وجهها خجلاً

٤٣ أعطيه فرصة بعد فرصة

أَصَافِي خَلِيلِي مَا صَفَا لِي، فَإِنْ جَفَا عَتَبْتُ عَلَيْهِ غَيْرَ جَافٍ وَلَا وَغَرٍ

أصافي خليلي (أعامل صاحبي بصفاء نية) ما دام لي مصافياً، فإن جفا وابتعد عتبت عليه بلا جفاء وبلا خشونة

فَإِنْ عَادَ لِي بِالْوُدِّ عُذْتُ، وَإِنْ أَبَى صَبِرْتُ لِأَرْعَى ذِمَّةَ الْوُدِّ بِالصَّبْرِ

فإن عاد إلى الود عدت، وإن رفض صبرت احتراماً لذمة الود (العهد المودة السابق)

فَإِنْ زَادَنِي هَجْراً ضَرَبْتُ عَلَى اسْمِهِ، وَأَمْسَكْتُ عَنْ سُخْطِي عَلَيْهِ وَعَنْ شُكْرِي

فإن زاد في الهجر ضربت على اسمه (محوت اسمه)، ولم أكن لا ساخطاً ولا شاكراً

وَمَا تِلْكَ مِنِّي نَبْوَةٌ، غَيْرَ أَنَّنِي أَنْزَعُ نَفْسِي عَنْ مُلَابَسَةِ الْعَدْرِ

وهذا اللين من جانبي ليس نبوة وليس انحرافاً في الخلق، ولا ضعفاً.. بل إنني أترفع عن ملابسة (مخالطة) الغدر

٤٤ نعيش مرة واحدة

فَخُذْ فِي أَفَانِينِ الْخَلَاعَةِ وَالصَّبَا وَدَعْنِي مِنْ زَيْدِ النُّحَاةِ وَمِنْ عَمْرٍو

مارس أفانين (صنوف) الخلاعة والصبا (العبث)، واترك هذا العلم العتيق

وكيف يعيشُ المرءُ في الدهرِ آمناً وللموتِ فينا وثبةُ اللَّيْثِ والنَّمْرِ؟

على أن الإنسان لا يعيش آمناً وهو يرى الموت يختطف الناس، ويثب عليهم كأنه أسد أو نمر

٤٥ العصامي والعظامي

أَتَلَفْتَ دُنْيَاكَ الَّتِي أُوتَيْتَهَا وَلَسَوْفَ تَهْلِكُ حَسْرَةً فِي الْآخِرَةِ

أتلقت دنياك التي أعطيتها بما ارتكبت، وسوف تهلك حسرة (حزناً) في الآخرة

حَتَّامٌ تَفْخَرُ بِالْجُدُودِ، وَلَمْ تَنْلُ مَا أَحْرَزْتَ تِلْكَ الْجُدُودُ الْفَآخِرَةَ؟

إلى متى تظل تفخر بجودك، وأنت لم تحرز ما أحرزته تلك الجودود؟

فَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ فَعَالِكَ شَاهِداً يُغْنِيكَ عَنْ ذِكْرِ الْعِظَامِ الْفَآخِرَةِ

ليكن شاهدك فعالك أنت، بحيث تستغني عن ذكر عظام أجداد الناحرة (المنخورة). انظروا من يقول هذا!

٤٦ سلطان الشعر

لِلشَّعْرِ فِي الدَّهْرِ حُكْمٌ لَا يُغَيَّرُ مَا بِالْحَوَادِثِ مِنْ نَقْضٍ وَتَغْيِيرٍ

الشعر يحكم على الحوادث حكماً يبقى على الدهر

لَوْلَا أَبُو الطَّيِّبِ الْمَأْثُورُ مَنْطِقُهُ مَا سَارَ فِي الدَّهْرِ يَوْماً ذُكِرَ كَافُورٍ

لولا المتنبي ذو القول المأثور الخالد لما سار لكافور الإخشيدي ذكر ولما سمع به أحد

٤٧ صفة الحاكم

وقال في ما يجب على الحاكم:

إِذَا سُدَّتْ فِي مَعْشَرٍ فَاتَّبِعْ سَبِيلَ الرَّشَادِ وَكُنْ مُخْلِصاً

إن كنت سيداً لقوم فكن رشيداً مخلصاً

وَوَالِ الْكَرِيمَ، وَدَارِ السَّفِيَةَ وَصِلْ مَنْ أَطَاعَ، وَخُذْ مَنْ عَصَى

حالف الكريم الأصل، ودار السفية مداراة، وصل (كافئ) المطيع وخذ (عاقب) العاصي

وَنَقَّبَ لِتَعْلَمَ غَيْبَ الْأُمُورِ فَإِنَّ مِنَ الْحَزْمِ أَنْ تَفْحَصَا

تعقب الأمور لتعرف الخفايا

وَلَا تُبْقِيَنَّ عَلَى فَاجِرٍ فَإِنَّ اللَّئَامَ عَبِيدُ الْعَصَا

لا تبقي (لا تترك بدون عقوبة) الفاجر الذي لا يبالي بأي أخلاق، فاللائام لا يرتدون إلا بالعقوبة

وإِنْ خَفِيَ الْحَقُّ فَاصْبِرْ لَهُ وَبَادِرْ إِلَيْهِ إِذَا حَضَرَ حَضَا

اصبر حتى تتبين وجه الحق، فإذا حضر حضر (ظهر) فأسرع إليه

٤٨ سطور على وجه الماء

قال يَرُوضُ القول:

وَمَرْبَعٌ، لِنَسِيمِ الْفَجْرِ هَيْئَةً فِيهِ، وَلِلطَّيْرِ لَفْطٌ أَرْجَائِهِ لَفْطُ

رب مربع (مكان معشوب) لنسيم الفجر فيه هيئة (غمغمة، همس) وللطيور لفظ (كلام غير مفهوم)

كَأَنَّمَا الْقَطَرُ دُرٌّ فِي جَوَانِبِهِ يَكَادُ مِنْ صَدَفِ الْأَزْهَارِ يُلْتَقِطُ

كأن حبات المطر في أنحائه لآئى، نلتقطها من أوراق الأزهار الشبيهة بالأصداف

وَلِلنَّسِيمِ خِلَالَ النَّبْتِ غُلْغُلَةٌ كَمَا تَغْلُغَلُ وَسَطَ اللَّمَّةِ الْمُشْطُ

ويتغلغل النسيم خلال النبات كما يتغلغل المشط في اللمة (الشعر)

وَالرِّيحُ تَمْخُو سُطُوراً ثُمَّ تُثْبِتُهَا فِي النَّهْرِ، لَا صِحَّةَ فِيهَا وَلَا عِلْطُ

والريح تصنع على وجه مياه النهر أمواجاً صغيرة كأنها السطور. . لكنها سطور ليس فيها كلمات صحيحة وكلمات خطأ

٤٩ فيم اقتناء الدرع؟

قال يروض القول:

فَلَا تَحْسَبَنَّ الدَّهْرَ لُعْبَةً هَازِلٍ فَمَا هُوَ إِلَّا صَرْفُهُ وَالْفَجَائِعُ

ليس الدهر لعبة، ولا هزل فيه، فكله صروف (أحداث مؤلمة) وفجائع (مصائب)

فِيَا رَبِّمَا بَاتَ الْفَتَى وَهُوَ آمِنٌ وَأَصْبَحَ قَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَطَالِعُ

قد بنام المرء شاعراً بالأمان، ويأتي عليه الصباح وقد سدت في وجهه المطالع (الطرق)

فَفِيمَ اقْتِنَاءِ الدَّرْعِ وَالسَّهْمِ نَافِذٌ؟ وَفِيمَ ادِّخَارِ الْمَالِ وَالْعَمْرِ ضَائِعٌ؟

لماذا نفتني الدرع والسهم ستنفذ في جسمنا؟ ولماذا ندخر المال والعمر كله زائل؟

٥٠ شيب القلب

إذا شَابَ رأسُ المرءِ شَابَ فؤاده ولم يَبْقَ فيه للبَشاشةُ مَوْضِعُ
فعلاً لا نرى شيخاً مستبشراً ضاحكاً إلا في الفلتات. فإن رأيت شيخاً هازلاً لاعباً فهو بالتأكيد ذو
صحة جيدة أولاً، وذو عقل خفيف.. أو ربما كان فيلسوفاً عرف أن الدنيا شيء سخيف

٥١ النصح التقرير

لكلِّ قولٍ مَنَارٌ يستقيمُ به عند الخطابِ فَمَلْفُوظٌ ومُسْمُوعُ
لكل قول ميزان يوزن به: عندما يقال، وعندما يصل إلى أذن السامع
فَالْعُتْبُ إن جازَ حَدَّ الْعَدْلِ مَقْطَعَةً والنُّصْحُ ما لم يكن في السرِّ تَفْرِيعُ
العتاب الذي يتجاوز حد العدل (درجة التوسط) مقطعة (يؤدي للقطعة)؛ والنصح العلني تقرير
(توبيخ)

٥٢ همي بين أضلاعي

قال وهو بسرنديب:

وَيْلَاهُ من حاجةٍ في النفسِ هَامَ بها قلبي، وَقَصَّرَ عن إدراكِها بَاعِي
الويل لي من حاجة لنفسي لا يدركها باعي (لا أستطيع تحقيقها)
يا هل أراني بذاك الحَيِّ مجْتَمِعاً بِأهلِ وُدِّي مِن قَوْمِي وأشْياعي؟
يا هل أراني (يا هل ترى) أَجْمَعَ بذاك الحي (القوم) من أحبابي وأشْياعي (رفاقي)
وهل أسوقُ جَوَادِي للطَّرَادِ إلى صيدِ الْجَاذِرِ في خَضِرَاءِ مِمْرَاعٍ؟
وهل يتاح لي أن أسوق حصاني للطراد (الصيد) فأصيد الجاذر (بقر الوحش) في أرض خضراء
ممرعة (خصبة)؟

منازلُ كنتُ منها في بُلْهَنِيَّةٍ مُمْتَعاً بين غِلْماني وأتباعي
منازل (مواضع) كنت أعيش فيها في بلهنية (رخاء) مستمتعاً بالحياة بين غلماني وأتباعي
فاليومُ أَصْبَحْتُ لا سَهْمِي بِذِي صَرْدٍ إذا رَمِيتُ، ولا سيفي بِقِطَاعِ
اليوم أصبحت عاجزاً: لا سهمي ذو صرد (صائب)، ولا سيفي قاطع
لا في «سَرَنْدِيبٍ» خِلُّ أَسْتَعِينُ به على الهمومِ إذا هَاجَتْ، ولا رَاعِ
لا صديق بسرنديب يعينني على الهموم إن تكاثرت علي، ولا من يرعاني

يَظُنُّنِي مَن يَرَانِي ضَاحِكًا جَذَلًا أَنِّي خَلِيٌّ، وَهَمِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي
 مَن رَأَى ضَاحِكًا جَذَلًا (مُشْرَحًا) ظَنَ أَنِّي خَلِيٌّ مِنَ الْهَمِّ، وَلَكِنْ هُمُومِي مَكُونَةٌ دَاخِلَ صَدْرِي
 فَإِنْ يَكُنْ سَاءَ نِي دَهْرِي، وَغَادَرَنِي رَهْنُ الْأَسَى بَيْنَ جَذَبٍ بَعْدَ إِشْرَاعٍ ..
 إِنْ كَانَ دَهْرِي قَدْ سَاءَنِي وَتَرَكَنِي بِيَدِ الْأَسَى فِي جَذَبٍ رُوحِيٍّ بَعْدَ زَمَنِ الْخُصْبِ ..
 .. فَإِنَّ فِي مِصْرَ إِخْوَانًا يَسْرُهُمْ قُرْبِي، وَيُعْجِبُهُمْ نَظْمِي وَإِبْدَاعِي
 فَهَنَّاكَ فِي مِصْرَ مِنْ يَسْرِهِ قُرْبِي وَمَنْ يَعْجِبُهُ شِعْرِي

٥٣ العثور على صديق

وقال يجيب رجلاً عن نصيدة أرسلها إليه من الهند يخطب بها مودته:

قَلِيلٌ بِآدَابِ الْمَوَدَّةِ مِنْ يَفِي فَمَنْ لِي بِخُلٍّ أَصْطَفِيهِ وَأُكْتَفِي؟
 مَا أَقَلُّ مِنْ لَدَيْهِمُ الْوَفَاءُ وَمِرَاعَاةُ أَدَبِ الْمَوَدَّةِ، فَكَيْفَ لِي بِالْحَصُولِ عَلَى صَاحِبِ أَصْطَفِيهِ وَأُكْتَفِي
 بِصَحْبَتِهِ؟

بَلَوْتُ بَنِي الدُّنْيَا، فَلَمْ أَرْ صَاحِبًا يَدُومُ عَلَى وَدٍّ بِغَيْرِ تَكَلُّفٍ
 بلوت (جربت) الناس فلا صاحب يدوم على الود الخالي من التكلف

رَضِيتُ بَمَنْ لَا تَشْتَهِي النَّفْسُ قُرْبَهُ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَنْدُوحَةً يَتَكَلَّفُ
 رَضِيتُ بِالْمَتَّاحِ الَّذِي لَا أَشْتَهِي مَعَاشِرَتَهُ؛ وَمَنْ لَمْ يَجِدْ بَدِيلًا فَهُوَ يَتَكَلَّفُ (يَتَجَسَّمُ مَا لَا يَرِيدُ)
 أَدِيبٌ لَهُ فِي جَنَّةِ الشُّعْرِ دَوْحَةٌ أَفَاءَتْ عَلَى الدُّنْيَا بِأَجْمَلِ زُخْرُفٍ
 هَذَا أَدِيبٌ لَهُ دَوْحَةٌ (شَجَرَةٌ وَارِفَةٌ) فِي عَالَمِ الشُّعْرِ، أَفَاءَتْ (ظَلَّلَتْ) عَلَى الدُّنْيَا بِظِلَالِ مَزْخَرَفَةٍ بَدِيعَةٍ

تَأَلَّفَ نَفْسِي بَعْدَمَا زَالَ أَنْسُهَا وَنَوَّةٌ بِاسْمِي بَعْدَمَا كَادَ يَخْتَفِي
 تَأَلَّفَ نَفْسِي (جَعَلَهَا الْبِفَةِ) بَعْدَ أَنْ تَوَحَّشَتْ وَزَالَ مِنْهَا الْأَنْسُ، وَذَكَرَ اسْمِي بِخَيْرٍ بَعْدَ أَنْ نَسِيتِي
 النَّاسَ

تَوَسَّمْتُ فِيهِ الْخَيْرَ قَبْلَ لِقَائِهِ وَأَحْمَدْتُ مِنْهُ الْخُبَرَ بَعْدَ التَّعَرُّفِ
 تَأَمَّلْتُ خَيْرًا مِنْهُ قَبْلَ الْلِقَاءِ بِهِ، وَأَحْمَدْتُ الْخَبَرَ (وَجَدْتُ حَقِيقَتَهُ حَمِيدَةً) بَعْدَ التَّعَرُّفِ عَلَيْهِ

٥٤ .. وقامتي ألف

وِعِصَابَةٌ غَلَبَ الْكِمَالُ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ، وَغَذَّاهُمْ التَّعَرُّفُ
 رَبُّ جَمَاعَةٍ فِيهِمْ كِمَالُ الْأَخْلَاقِ، وَنَشَأُوا عَلَى التَّرَفِ

لِلَّهِ أَيَّامٌ بِهِمْ سَلَفَتْ لو أَنَّهَا بِالْوَصْلِ تُؤْتَنَفُ
ما كان أجمل الأيام القديمة بصحبهم، ويا ليتها توتف (تستأنف)

إِذِ لِمَّتِي فَيَنَانَةٌ، وَيَدِي فَوْقَ الْأَكْفِ، وَقَامَتِي أَلْفُ
أيامئذ كانت لمتي (شعري) فينانة (طويلة، كأنها ذات أعصان)، وكانت يدي فوق الأكف (كنت
محسناً للناس/فاليد العليا خير من اليد السفلى)، وكانت قامتي معتدلة كحرف الألف

٥٥ استخفاف

قَلْبِي عَلَيْكَ يَرِفُ وَعَبْرَنِي لَا تَجِفُ
وَأَنْتَ يَا نُورَ عَيْنِي بِلَوْعَتِي تَسْتَخِفُ

٥٦ خذي ما بقي

عُودِي بِوَصْلِي، أَوْ خُذِي مَا بَقِيَ فَقَدْ تَدَاعَى الْقَلْبُ مِمَّا لَقِيَ
عودي للوصل أو خذي ما بقي من قلبي، فهو قد تداعى (تهدم) مما لقي من هجرانك
عَلَّمَنِي الذَّلَّ، وَكُنْتُ أَمْرًا أَفْعَلُ مَا شِئْتُ وَلَا أَتَّقِي
علمتني الذل في العشق وكنت أفعل ما أشاء لا أحسب حساب أحد

٥٧ وحيداً في سرنديب

وقال وهو بسرنديب يتشوق إلى وطنه:

قَدْ كَانَ أَبْقَى الْهُوَى مِنْ مُهَجَّتِي رَمَقًا حَتَّى جَرَى الْبَيْنُ فَاسْتَوَلَى عَلَى الْبَاقِي
الهوى كان قد استولى على مهجتي مبقياً رمقاً (بقية قليلة)، ثم جاء البين (الفراق) فذهب بهذه
البقية

حُزْنُ بَرَانِي، وَأَشْوَاقُ رَعَتْ كِبْدِي يَا وَنَحَ نَفْسِي مِنْ حُزْنٍ وَأَشْوَاقٍ
الحزن أنحلني وبرى جسدي، والشوق أكل كبدي فيا ويلي

لَا فِي «سَرَنْدِيبٍ» لِي خِلٌّ أَلَوْذُ بِهِ وَلَا أَنْيْسُ سِوَى هَمِّي وَإِطْرَاقِي
ليس لي بسرنديب صديق ألجأ إليه وآتس به، اللهم إلا الهم والإطراق بالرأس في تفكير

يَا قَلْبُ، صَبِرًا جَمِيلًا، إِنَّهُ قَدَرٌ يَجْرِي عَلَى الْمَرَّةِ مِنْ أَسْرِ وَإِطْلَاقٍ
يحث قلبه على الصبر، فالأسر والإطلاق قضاء وقدر

لا بد للضيق بعد اليأس من فرج وكل داجية يوماً لإشراق
كل ليلة داجية (مُظلمة) ستؤول إلى إشراق

٥٨ الخذلان

وقال يعرّض برؤساء الجند الذين تخاذلوا في الثورة العرابية:

بَلَوْتُ بني الدنيا فلم أرَ صادقاً فأين لَعْمَرِي الأكرمون الأصادق؟
بلوت: جربت

أحاولُ أمراً قَصَرْتُ دونه النُّهى وشابْتُ، ولم تَبْلُغْ مداهُ، المَفَارِقُ
أسمى لتحقيق أمر قَصَرْتُ دونه النهى (العقول)، وشابت المفارِق (الرؤوس) قبل أن تبلغ آخره
وأعْظَمُ ما تَرْجُوهُ ما لا تَنَالُهُ وأكثرُ مَنْ تَلْقَاهُ مَنْ لا يُوافِقُ
الأمنيات الكبرى تبقى بلا تحقق، وأكثر من تلقى من الناس من لا يوافق طبعه طبعك. التسويد
لعمران القفيني

مَعاشِرُ سَادُوا بِالنِّفاقِ، وما لَهُمْ أَصُولُ أَظْلَلَتْها فُرُوعُ بَواسِقُ
قوم وصلوا إلى السيادة بالنفاق، وليس لهم أنساب عريقة تكون لهم كالجنود التي لها فوقها
أغصان بواسق (عالية) ترمي بظلالها

طَلاقَةٌ وَجْهِ تَحْتَهَا الغَيْظُ كاشِرٌ وَنَعْمَةٌ وَدُ بَيْنَها الغَدْرُ ناعِثُ
يتسمون لك ويكتمون غيظاً مكشراً، ويتكلمون بنعمة ود، ولكنها تكتم نبيق الغدر

تَعَلَّمْتُ كَظَمَ الغَيْظِ فِيهِمْ، وإنه لَحِلْمٌ، ولكنَّ لِلحَفِيفَةِ ما حِجُّ
تعلمت بوجودي بينهم أن أظلم غيظي، وهذا من الحلم (التسامح) ولكنه يمحى الحفيظة (الغضب
للشرف)

دَعَوْنِي إلى الجُلَى فمِئْتُ مُبادِراً وإنِّي إلى أمثالِ تِلْكَ لَسابِقُ
دعوني إلى الجلى (العمل العظيم) فأسرت وبادرت، وأنا لمثل هذا مبادر سابق

على أَنني حَذَرْتُهم غِبَّ أمرِهِمْ وَأَنذَرْتُهم لو كانَ يَفْقَهُ مائِقُ
لكنني حذرتهم غب (عاقبة) أمرهم، وأنذرتهم لو كان المائق (الأحمق) يفقه

فيا لِيَتَنِّي راجِعْتُ حِلْمِي ولم أَكُنْ رَعِيماً، وعاقَتْنِي لِذاكَ العَوائِقُ
ليتني كنت راجعت حلمي (عقلي) ولم أرض بالزعامة، وليتها كانت عاقنتي العوائق عن ذلك

هُمْ عَرَّضُونِي لِلْقَنَا ثُمَّ أَعْرَضُوا سِرَاعاً، وَلَمْ يَطْرُقْ مِنَ الشَّرِّ طَارِقٌ

لقد عرضوني للقنا (الرماح) ثم أعرضوا سريعاً وقبل أن يلم بهم أي خطر

وَقَدْ أَقْسَمُوا أَلَّا يَزُولُوا، فَمَا بَدَا سَنَا الْفَجْرِ إِلَّا وَالنِّسَاءُ طَوَالِقُ

وكانوا قد أقسموا بالطلاق ألا يزولوا (يفروا)، فما إن بدا سنا الفجر (ضوءه) حتى فروا، فلذا نساؤهم يجب أن يكنَّ طوالق!

وَلَكِنْ دَعَتْهُمْ نَبَأَةٌ فَتَفَرَّقُوا كَمَا انْقَضَ فِي سِرْبٍ مِنَ الطَّيْرِ بَاشِقُ

دعتهم نبأ (مهمة بسيطة) فتفرق جمعهم، كأنهم سرب طيور انقض عليه باشق (طير كاسر)

إِذَا أَبْصَرُوا شَخْصاً يَقُولُونَ جَحْفَلٌ وَجُبْنُ الْفَتَى سَيْفٌ لِعَيْنَيْهِ بَارِقُ

إذا رأوا شخصاً قالوا هذا جحفل (جيش)، والجبن سيف مسلط يبرق أمام عيني الجبان ويخيفه

أَسْوَدُ لَدَى الْأَبْيَاتِ بَيْنَ نِسَائِهِمْ وَلَكِنَّهُمْ عِنْدَ الْهِيَاجِ نَقَانِقُ

أسود في بيوتهم، وعند الهياج (المعركة) نقانق (نعام)

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْهَضْ بِقَائِمٍ سَيْفِهِ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ تُحْمَى الْحَقَائِقُ؟

إذا المرء لم ينهض وقائم سيفه (مقبضه) بيده، فكيف تُحمى الحقائق (الشرف)

٥٩ الصديق الحق

إِذَا مَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْفَعْ أَخَاهُ عَلَى الْحَالَيْنِ فِي سَعَةٍ وَضِيقٍ..

من لم ينفع صديقه، سواء أكان في سعة من الرزق أم في ضيق..

فَدَعُهُ غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْهِ فَخِيرٌ مِنْهُ إِخْوَانُ الطَّرِيقِ

فاتركه، فأحسن منه إخوان الطريق (زملاء السفر الذين تنتهي صحبتهم بانتهاء السفر)

٦٠ العين بالعين

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَرْمِ الْهَنَاءَ بِمِثْلِهَا لِيَذْفَعَ ضَيْمًا فَهُوَ بِالذَّلِّ أَخْلَقُ

إذا لم يرد الإنسان على الهناء (الإساءة) بمثلها كي يذفع الظلم، فهو خليق (مستحق) بالذل

وَمَنْ شَهِدَ الْهَيْجَاءَ مِنْ غَيْرِ آلَةٍ يَذُودُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ فَهُوَ أَحْمَقُ

فهو كمن يشهد الحرب بغير سلاح

٦١ أنا والشعر

وما كَلَفَنِي بِالشُّعْرِ إِلَّا لِأَنَّهُ مَنَارٌ لِّسَارٍ، أَوْ نَكَالٌ لِأَحْمَقِ
كَلَفِي بالشعر (غرامي به) إنما هو لأنه ينير الطريق للساري (الساثر ليلاً)، أو يمثل تقريباً وتنكيلاً
بالأحمق وهجاء له

عَلِقْتُ بِهِ طِفْلاً وَشَبْتُ، وَلَمْ يَزَلْ شَدِيداً بِأَهْدَابِ الْكَلَامِ تَعَلَّقِي
تعلقت بالشعر منذ الطفولة، وقد شاب رأسي وما زلت شديد التعلق بأهداب الكلام (شديد الشغف به)
بَلَعْتُ بِشِعْرِي مَا أَرَدْتُ، فَلَمْ أَدْعُ بَدَائِعَ فِي أَكْمَامِهَا لَمْ تُفْتَقِ
بلغت بشعري ما أردت من ذبوع الصيت، ولم أترك إبداعاتي مخبأة كالزهر الذي ظل في أكمامه لم
يفتح

٦٢ تبرير بعد الهزيمة

كَفَى بِمُقَامِي فِي «سَرَنْدِيبَ» غُرْبَةً نَزَعْتُ بِهَا عَنِّي ثِيَابَ الْعَلَائِقِ
كفى بهذه الغربة في جزيرة سرنديب (سيلان) أنني نزعت بها عني صلاتي بكل من كنت أعرف
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ رَنْقَنَ مَشْرِبِي وَتَلَمَّنْ حَدِّي بِالْخَطُوبِ الطَّوَارِقِ ..
إن يكن الزمن قد رنق مشربي (كدر عيشتي)، وتلمن حدي (أضعفي) بالخطوب الطوارق (المصائب
التي تهجم ليلاً) ..

فَمَا غَيَّرْتَنِي مِحْنَةً عَنْ خَلِيقَتِي وَلَا حَوَّلْتَنِي خُدْعَةً عَنْ طَرَائِقِي
فالمحنة لم تغير أخلاقي، والخداع لم يحرفني عن طريقي في الحياة

فَحَسْرَةُ بُعْدِي عَنْ حَبِيبٍ مُصَادِقٍ كَفَّرَحَةَ بُعْدِي عَنْ عَدُوٍّ مُمَادِقٍ
فالحزن لبعدي عن الحبيب يقابله الفرح ببعدي عن العدو المماذق (المخادع). التسويد لعمران
القفايني

فَتِلْكَ بِهَذِي، وَالنَّجَاةُ غَنِيمَةٌ مِنَ النَّاسِ، وَالدُّنْيَا مَكِيدَةٌ حَادِقٍ
فهذه واحدة بواحدة، والنجاة من الناس غنيمة، والدنيا كلها كأنها مكيدة من تدبير حاذق (ذكي)

يَقُولُ أَنَاسٌ إِنَّنِي ثُرْتُ خَالِيعاً وَتِلْكَ هَنَاتٌ لَمْ تَكُنْ مِنْ خَلَائِقِي
يقولون إنني ثرت خاليعاً طاعة من. ولاني الأمر، وهذه هنات (صفات) ليست من أخلاقي

وَلَكِنَّنِي نَادَيْتُ بِالْعَدْلِ طَالِباً رَضَا اللَّهُ وَاسْتَنْهَضْتُ أَهْلَ الْحَقَائِقِ
فأنا ناديت بالعدل طالباً لرضا الله، واستنهضت أهل الحقائق (الشرف) وأهبت بهم للخروج

فَإِنْ كَانَ عِصْيَانًا قِيَامِي، فَإِنِّي أَرَدْتُ بِعِصْيَانِي إِطَاعَةً خَالِقِي
فَإِنْ كَانَ قِيَامِي بِمَا قَمْتُ بِهِ عِصْيَانًا فَلَمْ أَرِدْ بِهِ إِلَّا طَاعَةَ اللَّهِ

عَلَى أَنَّنِي لَمْ أَلْ نُضْحًا لِمَعَشَرٍ أَبَى غَدْرُهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا قَوْلَ صَادِقٍ
لَكُنْتِي لَمْ أَلْ (لَمْ أَقْصِر) نَضْحًا لِلْقَوْمِ، وَلَكِنْ غَدْرَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ قَبُولِ نَصَحِي

فَلَمَّا اسْتَمَرَّ الظُّلْمُ قَامَتْ عِصَابَةٌ مِنَ الْجُنْدِ تَسْعَى تَحْتَ ظِلِّ الْخَوَافِقِ
فَلَمَّا اسْتَمَرَّ الظُّلْمُ قَامَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْجُنُودِ تَسْعَى لِتَحْقِيقِ الْعَدْلِ تَحْتَ ظِلِّ الْخَوَافِقِ (الرايات)

وَشَايَعَهُمْ أَهْلُ الْبِلَادِ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِمْ سِرَاعًا بَيْنَ آتٍ وَلاَحِقٍ
وَشَايَعَهُمْ (نَاصِرُهُمْ) أَهْلُ الْبِلَادِ فَالْتَفَوْا حَوْلَهُمْ بَيْنَ مَبَادِرٍ سَرِيعًا وَلاَحِقٍ بِهِ فِيمَا بَعْدَ

يَرُومُونَ مِنْ مَوْلَى الْبِلَادِ نَفَادًا مَا تَأَلَّاهُ مِنْ وَعْدٍ إِلَى النَّاسِ صَادِقٍ
يَطْلُبُونَ مِنْ مَوْلَى الْبِلَادِ (الْخَدِيوِي) تَنْفِيزَ مَا تَأَلَّاهُ (أَقْسَمَ عَلَيْهِ) مِنْ وَعْدٍ

فِيَا مِصْرُ مَدَّ اللَّهُ ظِلَّكَ، وَارْتَوَى ثَرَاكَ بِسَلْسَالٍ مِنَ النِّيلِ دَافِقٍ
يَدْعُو لِمِصْرٍ بِدَوَامِ النِّعَمِ، وَلِثَرَاكِ بِالْإِرْتَوَاءِ مِنْ سَلْسَالِ النَّيْلِ (مَائِهِ الْمَتَدَفِّقِ)

فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ سَاءَتْ ضُرُوفُهَا فَإِنِّي بِفَضْلِ اللَّهِ أَوَّلُ وَائِقٍ
فَقَدْ يَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ بَعْدَ اغْوِجَاجِهِ وَيَرْجِعُ لِلْأَوْطَانِ كُلِّ مُفَارِقٍ

٦٣ تحريض

وَقَالَ يَذِمُّ سِيرَةَ الْحُكَّامِ، وَيَحْضِ النَّاسَ عَلَى طَلَبِ الْعَدْلِ فِي الْأَحْكَامِ، وَذَلِكَ فِي عَهْدِ
الْخَدِيوِي إِسْمَاعِيلَ:

فَانْهَضْ إِلَى صَهَوَاتِ الْمَجْدِ مُعْتَلِيًا، فَالْبَازُ لَمْ يَأُو إِلَّا عَالِي الْقُلَلِ
قَمُّ لِعَتْلَاءِ صَهَوَاتِ الْمَجْدِ، وَالْبَازُ (الطَيْرُ الْجَارِحُ) لَا يَسْكُنُ إِلَّا الْقُلُلَ (الْقِمَمَ) الْعَالِيَةَ. صَهَوَاتُ
النَّخِيلِ ظُهُورُهَا، وَجَعَلَهَا صَهَوَاتِ مَجْدٍ، وَعِنْدَمَا انْصَرَفَ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْبَازِ خَلَطَ طَيْرًا بِدَابَّةٍ فَجَعَلَ فِي
الْبَيْتِ طَعْمًا شَتَّى كَذَلِكَ الطَّبَاحُ الَّذِي حَشَا جُوفَ الْخُرُوفِ بِدَيْكٍ رُومِيٍّ فَاضْطَرَبَ مَذَاقُ طَبِخَتِهِ

وَدَعَّ مِنَ الْأَمْرِ أَدْنَاهُ لِأَبْعَلِيهِ، فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ مَا يُغْنِي عَنِ الْوَشَلِ
أَتْرَكَ الْأَمْرَ الْقَرِيبَ لِصَالِحِ الْأَمْرِ الْبَعِيدِ، فَفِي لُجَّةِ الْبَحْرِ (وَسَطِهِ) مِنَ الصَّيْدِ وَاللُّؤْلُؤِ مَا يُغْنِيكَ عَنِ
الْوَشَلِ (الْمَاءِ الضَّحَلِ)

حَلَبْتُ أَشْطَرَ هَذَا الدَّهْرِ تَجْرِبَةً وَذُقْتُ مَا فِيهِ مِنْ صَابٍ وَمِنْ عَسَلٍ
حَلَبْتُ ضُرُوعَ هَذَا الزَّمَنِ مِثْلًا يَحْلِبُ الْمَرْءُ الْبَقْرَةَ لِكَثْرَةِ مَا جَرَبَتْ، وَذُقْتُ الصَّابَ (الْمَرْ) وَالْعَسَلَ

فَمَا وَجَدْتُ عَلَى الْأَيَّامِ بَاقِيَةً أَشْهَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ حُرِّيَّةِ الْعَمَلِ
أَشْهَى شَيْءٌ أَنْ يَعْمَلَ الْمَرْءُ بَحْرِيَّةً وَدُونَ أَنْ يَتَّقِدَ بِتَنْفِيزِ أُمُورٍ سَخِيفَةٍ يَرِيدُهُ عَلَيْهَا مَدِيرُهُ أَوْ رَئِيسُهُ .
فَعَلَا الْمَرْءُ يَسْتَمْتِعُ بِالْعَمَلِ الْحَرِّ، فَمِهْنَةُ اللَّصِّ أَمْتَعُ مِنْ مِهْنَةِ الشَّرْطِيِّ، وَمِهْنَةُ الرِّوَاثِيِّ أَمْتَعُ مِنْ مِهْنَةِ
كَاتِبِ الْمَحْكَمَةِ

لَكُنَّا نَعْرِضُ لِلشَّرِّ فِي زَمَنِ أَهْلِ الْعُقُولِ بِهِ فِي طَاعَةِ الْخَمَلِ
نَحْنُ هَدَفُ لِلشَّرِّ فِي زَمَنِ يَسِيطِرُ فِيهِ الْخَمَلُ (الْخَامِلُونَ الْبَلِيدُونَ) عَلَى أَهْلِ الْعُقُولِ، وَيَجْعَلُونَهُمْ
عَامِلِينَ فِي طَاعَتِهِمْ

قَامَتْ بِهِ مِنْ رِجَالِ السُّوءِ طَائِفَةٌ أَدْهَى عَلَى النَّفْسِ مِنْ بُؤْسٍ عَلَى تَكْلِ
قَامَتْ بِهِ (بِهَذَا الزَّمَنِ) مَجْمُوعَةٌ مِنْ رِجَالِ السُّوءِ وَأَخَذَتْ تَحْكُمَ، وَهِيَ أَسْوَأُ تَأْثِيرًا عَلَى نَفْسِ
الْإِنْسَانِ مِنْ بُؤْسٍ يَأْتِي بَعْدَ تَكْلِ (فَقْدَانِ عَزِيزِ)

مِنْ كُلِّ وَغْدٍ يَكَادُ الدَّسْتُ يَدْفَعُهُ بُغْضًا، وَيَلْفِظُهُ الدِّيَوَانُ مِنْ مَلَلٍ
هَؤُلَاءِ مَكُونُونَ مِنْ كُلِّ وَغْدٍ يَكَادُ الدَّسْتُ (الْمَنْصُوبُ) يَرْفُضُهُ كِرَاهَةً لَهُ، وَيَكَادُ دِيَوَانُ الْوِزَارَةِ يَلْفِظُهُ
(يَطْرُدُهُ) لِأَنَّهُ مَمْلُوكٌ

ذَلَّتْ بِهِمْ مَصْرُ بَعْدَ الْعِزِّ، وَاضْطَرَبَتْ قَوَاعِدُ الْمُلْكِ حَتَّى ظَلَّ فِي خَلَلٍ
وَلَا تَلْجُوا إِذَا مَا الرَّأْيُ لَاحَ لَكُمْ إِنَّ اللَّجَاجَةَ مَدْعَاةٌ إِلَى الْفَسَلِ
يَا صَحْبِي لَا تَلْجُوا (لَا تَكْثُرُوا الْجَدَلَ) إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى الرَّأْيِ الصَّحِيحِ، فَالْجَاجَةُ مَدْعَاةٌ (سَبَبٌ)
لِلْفَسَلِ (الْجَبْنِ)

وَلَا تَخَافُوا نَكَالًا فِيهِ مَنْشُوكُمْ فَالْحَوْثُ فِي الْيَمِّ لَا يَخْشَى مِنَ الْبَلَلِ
لَا تَخَافُوا النِّكَالَ (الْعُقُوبَةَ) فَقَدْ نَشَأْتُمْ فِي ظِلِّ الْعُقُوبَاتِ وَالْمِظَالِمِ، فَانْتُمْ مَتَعُودُونَ، وَمِثْلُكُمْ فِي هَذَا
مِثْلُ الْحَوْثِ الَّذِي لَا يَخَافُ مِنَ الْبَلَلِ لِأَنَّهُ نَشَأَ فِي جُوفِ الْبَحْرِ

٦٤ مَضَى اللّهُو

وَقَالَ، وَكَتَبَ بِهَا إِلَى الشَّيْخِ حَسَنِ الْمَرْصُفِيِّ:

مَضَى اللَّهْوُ، إِلَّا أَنْ يُخَبَّرَ سَائِلٌ وَوَلَّى الصَّبَا إِلَّا بَوَاقِي فَلَائِلُ
انْتَهَى زَمَنُ اللَّهْوِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا كَلَامُ أَقْوَالِهِ جَوَابًا لِسُؤَالٍ مِنْ يَسْأَلُنِي، وَوَلَّى عَهْدَ الشَّبَابِ إِلَّا بَقِيَّةً
قَلِيلَةً

رَضِينَا بِحُكْمِ الْحُبِّ فِينَا، وَإِنَّا لَلَّذُ إِذَا التَّقُّتْ عَلَيْنَا الْجَحَافِلُ
رَضِينَا بِحُكْمِ الْحُبِّ فِينَا، مَعَ أَنَّا لَدِ (شَدِيدُو الْخِصَامِ) فِي الْحَرْبِ حَيْثُ تَلْتَفَّ عَلَيْنَا جَمُوعُ الْجُنْدِ

وَأَنَا رِجَالٌ تَعَلَّمُ الْحَرْبَ أَنَّنَا بَنُوها، وَيَدْرِي الْمَجْدُ مَاذَا نَحَاوُلُ

نحن أبناء الحرب، وهي تعلم ذلك؛ ويعلم المجد ما الذي نسعى إليه

إِذَا مَا ابْتَنَى النَّاسُ الْحُصُونَ فَمَا لَنَا سَوَى الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ اللَّدَانِ مَعَاقِلُ

الناس يبنون الحصون يحتمون بها، ونحن نحتمي بالبيض (السيف) والسمر اللدان (الرمح السمراء اللينة) فهي فقط معاقلنا

إِذَا أَنْتَ أَعْظَمْتَكَ الْمَقَادِيرُ حُكْمَهَا فَأَضْيَعُ شَيْءٍ مَا تَقُولُ الْعَوَاذِلُ

إذا أتاح لك حسن طالعك أن تسيطر على مجريات الأمور، عجزت العواذل عنك وضاع كلامها سدى. والعواذل كالفوارس تصلح لجماعة الذكور و لجماعة الإناث

بَلَوْتُ ضُرُوبَ النَّاسِ طُرّاً فَلَمْ يَكُنْ سَوَى الْمَرْصُفِيِّ الْحَبْرِ فِي النَّاسِ كَامِلُ

جربت صنوف الناس طراً (جميعاً) فلم يكن فيهم من كامل سوى الحبر (العالم) الشيخ حسين المرصفي

٦٥ تصديق الأباطيل

لَا تَحْسَبِ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى ثِقَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، بَلْ عَلَى ظَنٍّ وَتَخْيِيلِ

يظهر لك الواحد من الناس وكأنه واثق من كل شيء، كلام فارغ.. كل أمورهم قائمة على الظنون والتخيل (الوهم)

حُبُّ الْحَيَاةِ وَيُبْغِضُ الْمَوْتَ أَوْرَثَهُمْ جُبْنَ الطَّبَاعِ وَتَصْديقَ الْأَبَاطِيلِ

حب الحياة وكره الموت أورثهم (زودهم) الجبن في الطبع، وتصديق كل باطل. كأنني ألمح بادرة جحد عند البارودي في هذين البيتين اللذين وردا وحدهما، كأنه يقول إن حب الحياة والخوف من الموت جعل الناس يتخيلون حياة أخرى، لا نضع الكلام في فمه، بل نحاول قراءته، والبارودي في شعره من أشد الناس إيماناً بالله وتمسكاً بالإسلام، لكن كذلك كان أبو العتاهية وقالوا في دينه ما قالوا

٦٦ عدو في ثياب صديق

لَيْسَ الصَّدِيقُ الَّذِي تَعْلُو مَنَاسِبُهُ بَلِ الصَّدِيقُ الَّذِي تَزْكُو شَمَائِلُهُ

ليس صديقك الحق من كان ذا نسب عال، بل من كان ذا شمائل زكية (طبائع طيبة)

لَا كَالَّذِي يَدَّعِي وُدّاً وَبَاطِلُهُ بِجَمْرِ أَحْقَادِهِ تَغْلِي مَرَايِلُهُ

فهذا ليس كمن يدعي الود بينما باطنه كالمرجل الذي يغلي بجمر الحقد

يَذُمُّ فَعَلَ أَخِيهِ مُظْهِراً أَسْفاً لِيَوْهَمَ النَّاسَ أَنَّ الْحُزْنَ شَامِلُهُ

هذا النوع من الناس يؤنبك على أفعالك وهو يظهر الأسف، ليوهم الناس أنه حزين من أجلك

وَذَاكَ مِنْهُ عَدَاءٌ فِي مُجَامَلَةٍ فَاحْذَرُهُ، وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ خَائِذُكُمُ

فهذا عداء من جانبه يسوقه سَوَقُ المجاملة، فاحذر منه فسوف يخذل الله مسعاه. في هذه الآيات
لقطة بارعة لما عند أهل النفاق من طباع

٦٧ هجاء الصَّعْل

وقال يهجو عثمان رفقى، وهو ناظر الحربية الذي عزله الخديوي توفيق وعين بدلاً منه
البارودي:

صَغُرَتْ رَأْسُهُ، وَأَفْرَطَ فِي الطُّو لِي شَوَاهُ وَعُنُقُهُ، فَهَوَ صَعْلُ

رأسه صغير وشواه (أطرافه) وعنقه طويلة، فهو صَعْل (أي صغير الرأس). وأنت الرأس على العامة
المصرية، وعلى وجه ضعيف في الفصحى

أَبْرَزَتْ قُدْرَةُ الطَّبِيعَةِ مِنْهُ شَكْلَ لُؤْمٍ، إِنْ كَانَ لِللُّؤْمِ شَكْلٌ

قدرة الطبيعة أرتنا شكل اللؤم في شخصه، هذا إن كان للؤم شكل

هَدَفٌ لِلْعُيُوبِ، فِي كُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ سَهْمٌ لِلطَّاعِنِينَ وَنَضْلٌ

في كل عضو من جسمه هدف لأسهم ونصال الطاعنين

نَسَلَتْهُ مِنْ أَسْتِهَا أُمُّ سُوءٍ مَا لَهَا غَيْرُ طَائِفٍ اللَّيْلِ بَعْلٌ

ولدت أمه من خلف، وهي أم سوء ليس لها زوج سوى شخص يطوف ليلاً ويدخل عليها

نَارَعَتْكَ الْيَهُودُ وَاخْتَلَفَتْ فِيكَ لَكَ النَّصَارَى، فَأَنْتَ لَا شَكَّ بَعْلٌ

اليهود تدعيك لنفسها والنصارى مختلفون هل أنت منهم أم لا، فأنت كالبعول أبوه حمار وأمّه فرس

إِنَّ بَيْتَ الْوَزَّانِ لَمْ يَزِنُوا شَيْبًا شَاءً، وَلَكِنْ فِيهِمْ عَلَى ذَاكَ ثِقْلٌ

أسرة الوزان لم تزن شيئاً (ليس لها وزن ولا قيمة)، ومع ذلك فهم ثقلاء. من هذه

الأسرة، والأغلب أنها كانت يهودية، مصطفى رياض الذي أصبح رئيس وزراء في

عهد توفيق، وكان البارودي يعد عثمان رفقى من أقارب هذه الأسرة. . ولم أجد

مصدراً يصل نسب رفقى بأسرة الوزان

كَثُرُوا عِدَّةً، وَلَوْ أَحْصَنَ الْبَا بَ أَبْوَهُمْ عَنِ الزُّنَا لَقَلُّوا

عدهم كثير، ولو كان أبوهم أحصن الباب (أغلقه) ولم يسمح للزناة بالدخول، لقلوا. . أي أنهم أولاد زنا

لَوْ عَزَّوْنَا كُلَّ امْرِئٍ لِأَبِيهِ مِنْ فِرَاحِ الْوَزَّانِ لَمْ يَبْقَ نَسْلٌ

لو نسبنا أولاده لأبائهم الحقيقيين لم يبق للوزان نسل

كُلُّ وَغْدٍ أَهْدَى إِلَى اللُّؤْمِ مِنْ بَا زٍ، وَلَكِنْ مِنَ الْجِمَارِ أَضْلُ
كل وغد منهم أهدى (أكثر اعتداء) إلى اللؤم من الباز (الطير الجارح ذي البصر الحديد) ولكنه أكثر
ضلالاً من حمار

كُنْتُ لَا أَحْسِنُ الْهَجَاءَ، وَلَكِنْ عَلَّمْتَنِي صِفَاتَهُمْ كَيْفَ أَتْلُو
لم أكن أحسن الهجاء، ولكن صفاتكم علمتني كيف أتلوه

٦٨ ها هي الأهرام

ذَهَبَ الصُّبَا وَتَوَلَّتِ الْأَيَّامُ فَعَلَى الصُّبَا وَعَلَى الزَّمَانِ سَلَامٌ
تَجْرِي عَلَيْنَا الْكَأْسُ بَيْنَ مَجَالِسٍ فِيهَا السَّلَامُ تَعَانَقُوا وَلَزَامُوا
في مجالس الشراب تلك كان سلامنا عناقاً ولزماً (بالأحضان)

حَتَّى انْتَبَهْنَا بَعْدَمَا ذَهَبَ الصُّبَا أَنَّ الْخَلَاعَةَ وَالصُّبَا أَحْلَامُ
لَا تَحْسَبَنَّ الْعَيْشَ دَامَ لِمُتَرَفٍ هِيَهَاتَ، لَيْسَ عَلَى الزَّمَانِ دَوَامُ
تَأْتِي الشُّهُورُ وَتَنْتَهِي أَيَّامُهَا لَمَعَ السَّرَابِ وَتَنْقُضِي الْأَعْوَامُ
فَادِرًا هُمُومَ النَّفْسِ عِنكَ إِذَا اغْتَرَّتْ بِالْكَأْسِ فَهِيَ عَلَى الْهَمُومِ حُسَامُ
ادراً (ادفع) عنك الهموم بالكأس فهي سيف مضت على الهموم

مِنْ خَمْرَةٍ تَذُرُّ الْكَبِيرَ إِذَا انْتَشَى بَعْدَ اسْتِعَالِ الشَّيْبِ وَهُوَ غُلَامُ
حُسِبَتْ بِأَكْلَفٍ لَمْ يَقُمْ بِفَنَائِهِ نُورٌ وَلَمْ يَبْرَحْ عَلَيْهِ ظَلَامُ
حبست الخمر في دن أكلف (جرة كبيرة مغبرة اللون) في قبو مظلم لم يظهر نور في فناءه، وما برح
الظلام سائداً حوله

فَاطْمَحْ بِطَرَفِكَ هَلْ تَرَى مِنْ أُمَّةٍ خَلَدَتْ، وَهَلْ لَابِنِ السَّبِيلِ مَقَامُ؟
اطمح بطرفك (ارفع رأسك وانظر بعينيك) هل ترى أمة خلدت؟ وهل لابن السيل (المسافر) مكوث؟

هَذِي الْمَدَائِنُ قَدْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا بَعْدَ النِّعِيمِ، وَهَذِهِ الْأَهْرَامُ

هذه المدن خلت من أهلها الأولين، وها هي أمامك الأهرام . . كل قوم إلى زوال . يواز
زكي مبارك بين قصيدة البارودي هذه وبين قصيدة أبي نواس (يا دار ما فعلت بك الأيام)،
وينصف ديباجة البارودي الجميلة، ولا يعجبه وصفه للخمر، فهو ليس منغمساً في حماتها
انغماساً مقنعاً، فأما أبو نواس ففي شعره حرارة جعلت زكي مبارك يقف عند البيت (وبلغت
ما بلغ امرؤ بشبابه/ فإذا عصارة كل ذاك أنام) قائلاً: «الله أكبر، هذا هو الشعر، وذلك هو
الشاعر، أبو نواس!» وعن وصف الشاعرين للخمر يقول زكي مبارك: «إن خمرة البارودي
هذه لن تهوي بأحد إلى الجحيم، ولن يسأل عنها يوم الحساب، أما خمريات أبي نواس
فقد صيرت قبره سعيراً لا يخمد له أوار، وسيكون يوم الدين جبلاً يتفجر بالبراكين»

٦٩ لذات فانيات

وقال يصف روضة المقياس:

وَمَنْزِلَةٌ لِلْأُنْسِ كُنَّا نَحُلُّهَا وَنَرَعَى بِهَا اللَّذَاتِ رَعَى السَّوَائِمِ
رب مكان أنس ولهو كنا نحل فيه ونستمع باللذات كأننا نرعاها رعي السوائم (المواشي)

عَفْتُ وَكَأَنْ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ، وَالتَّقْتُ عَلَيْهَا أَعَاصِيرُ الرِّيحِ الْهَوَاجِمِ
هذه المنزلة (المكان) عفت (امّحت) كأنها لم تكن عامرة بالأمس، والتقت فيها الرياح الهاجمة عليها فغيرت معالمها

وَمَا خَيْرُ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لِعَهْدِهَا وَمَا طِيبُ عَيْشٍ رَبُّهُ غَيْرُ سَالِمٍ؟
ما خير دنيا (لا خير في دنيا) لا يبقى لها عهد، ولا طيب لعيش ربه (صاحبه) غير سالم، فلا بد له بعد العيش من موت

٧٠ إلى كم تنام؟

وقال، وكتب بها من حرب الدولة العثمانية مع روسيا (١٨٧٧م) إلى صديقه الشيخ حسين المرصفي:

يَا نَاعِسَ الطَّرْفِ إِلَى كَمْ تَنَامُ؟ أَسَهَرْتَنِي فَيْكَ وَنَامَ الْأَنَامُ
يا أيها المحبوب الناعس الطرف (النائم)، أسهرني عشقي لك، ونام الناس

أَوْشَكَ هَذَا اللَّيْلُ أَنْ يَنْقُضِي وَالْعَيْنُ لَا تَعْرِفُ طِيبَ الْمَنَامِ
اللّه في عيني جفاها الكرى (هجرها النوم) فيكم (بسيكم)، وفي قلب براه (أنهكه) الغرام
اتق الله في عيني التي جفاها الكرى (هجرها النوم) فيكم (بسيكم)، وفي قلب براه (أنهكه) الغرام

طَالَ النَّوَى مِنْ بَعْدِكُمْ، وَانْقَضَتْ بِشَاشَةُ الْعَيْشِ، وَسَاءَ الْمَقَامُ
طال النوى (البعاد) وذهبت بشاشة العيش (طيبه)، وساء وجودي هنا

أَرْتَاخُ إِنْ مَرَّ نَسِيمُ الصَّبَا، وَالْبُرْءُ لِي فِيهِ مَعَاً وَالسَّقَامُ
نسيم الصبا يذكرني بك فهو لي براء (شفاء)، لكنه أيضاً سقام (مرض)

يَا لَيْتَنِي فِي السَّلَكِ حَرَفٌ سَرَى أَوْ رِيْشَةٌ بَيْنَ خَوَافِي الْحَمَامِ
ليتني حرف يسير في سلك التلغراف فأصل إليك بشخصي، أو ليتني ريشة بين خوافي الحمام (الريشات الداخلية في الجناح)

حَتَّى أُوَافِيَ مِضْرَ فِي لَحْظَةٍ أَقْضِي بِهَا فِي الْحُبِّ حَقَّ الذَّمَامِ
حتى آتي إلى مصر فأقضي حق الذمام (العهد) للحب

٧١ عذر العاشق

أَلَا لَا تَلَمَّ صَبًّا عَلَى طَوْلِ سُقْمِهِ وَدَعُهُ فَلَيْسَ الْأَمْرُ فِيهِ لِحُكْمِهِ
لا تلم الصب (العاشق) على طول سقمه (مرضه)، فهذا أمر ليس خاضعاً لحكمه
إِذَا مَا أَقَرَّ الْمَرْءُ يَوْمًا بِذَنْبِهِ فَمَاذَا الَّذِي تُغْنِي لِحَاجَةً خَصْمِهِ؟
لحاجة: جدال، ومماحكة

٧٢ أنا كمجلة الأحكام

أَنَا فِي الدَّهْرِ ضَائِعٌ بَيْنَ فَهْمٍ فَاتِيكَ حَدُّهُ، وَجَدَّ كَهَامٍ
أنا ضائع بين فهم حاد وذكاء، وبين جدّ (حظ) كهام (متلهم). يعني أنه فاهم وذكي لكن حظه سيء
حُزْتُ عِلْمًا، وَمَا رَزَقْتُ قَبُولًا فَكَأَنِّي مَجَلَّةُ الْأَحْكَامِ
أحزرت العلم، ولكنني لم أحرز القبول، تماماً كمجلة الأحكام الرسمية التي تنشر بنود القوانين:
فهي مملوءة بالمعلومات، لكنها جافة لا يقبل الناس عليها

٧٣ صديق صعب

أَلَا مَنْ مُعِينِي عَلَى صَاحِبٍ جَرَعْتُ بِصُحْبَتِهِ الْعَلَقَمَا؟
من يعينني على صديق تجرعت في صحبته العلقم؟
يَلُومُ عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ جَرَى وَيَغْضَبُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْهَمَا
سريع اللوم سريع الغضب
فَإِنْ قُلْتُ مَهْلًا لَوَى شِدْقَهُ وَإِنْ لَمْ أُجِبْ قَوْلَهُ بَرْطَمًا
برطم: زعل

٧٤ ارغب عن الدنيا

الْمَرْءُ طَوُّعٌ يَدِ الزَّمَانِ، يَقْوَدُهُ قَوْدَ الْجَنِيْبِ لِغَايَةِ لَمْ تُعْلَمِ
المرء بيد الزمان يقوده مثلما يقود المرء الجنيب (الحصان) ويأخذه إلى غاية مجهولة
إِنْ الْحَيَاةَ شَهِيَّةٌ مَا لَمْ تَكُنْ عَرَضًا لِأَمْرَةٍ ظَالِمٍ لَمْ يَرْحَمِ
ما لم تكن أنت مستهدفاً من ظالم
لَا أَرْضِي عَيْشَ الْجَبَانِ، وَلَا أَرَى فَضْلًا لِذِي حَسَبٍ إِذَا لَمْ يُقَدِّمِ
لا فضل للشريف ذي الحسب إذا لم يكن شجاعاً مقداماً

لو كان للإنسان علمٌ بالذي في الغيبِ لم يفرَح ولم يتندَّم
فدَعِ الأمورَ إلى مدبِّرِ شأنِها وارْعَبْ عن الدنيا بنفسِكَ تَسْلَمِ

٧٥ سيف وقيد

سُكُوتِي إِذَا دَامَ الْحَدِيثُ كَلَامُ وَتَقْلِبِي عَيْنِي فِي الْوُجُوهِ مَلَامُ
سكوتي وهم يتكلمون له معنى فهو كالكلام، ونظراتي في وجوه المتحدثين تحمل اللوم لهم
وَصَبْرِي عَلَى الْأَيَّامِ لَا مِنْ مَذَلَّةٍ وَلَكِنْ يَدٌ مَغْلُولَةٌ وَخُسَامُ
صابر على الأيام ليس لأنني ذليل، لكن لأن يدي مغلولة (مقيدة) وإن كانت تحمل سيفاً
أَلَامُ عَلَى أَنِّي صَبَرْتُ، وَهَلْ فَتَى عَلَى الصَّبْرِ، إِنْ قَلَّ الْمُعِينُ، يُلَامُ؟

٧٦ المال الضعيف

لَا تَعْذِلْنِي عَلَى وَفْرِ سَمَحَتُ بِهِ لِلْمُعْتَفِينَ فَإِنِّي مَا جَدُ الشَّيْمِ
لا تلمني على مال سمحت به (تفضلت به) للمعتفين (الفقراء) فأنا ماجد الشيم (شريف الطباع)
فَإِنْ يَكُنْ قَلٌّ مَالِي بَعْدَ وَفَرْتِهِ فَإِنَّ مَالِي لَا يَقْوَى عَلَى كَرَمِي
فإن كان مالي قد أصبح قليلاً بعد ثراء، فذلك لأن مالي لا يتحمل سخاوي

٧٧ الذم بالمدح

أَيُّهَا الشَّاعِرُ الْمُجِيدُ تَدَبَّرْ وَاجْعَلِ الْقَوْلَ مِنْكَ ذَا تَحْكِيمِ
لَا تَذُمَّ اللَّئِيمَ، وَامْدَحْ كَرِيمًا إِنَّ مَدْحَ الْكَرِيمِ ذَمُّ اللَّئِيمِ

٧٨ القامة المقوسة

حَتَّى الشَّيْبُ عُودِي، فَاسْتَقَامَتْ رَوِيَّتِي وَلَوْلَا انْحِنَاءُ الْقَوْسِ مَا صَرَدَ السَّهْمُ
حتى العمر قامتي، فاستقامت رويتي (حكمتي)، وكذا القوس فإنها منحنية ولذا فالسهم الذي ينطلق
عنها يصرد (يصيب)

٧٩ رب السيف والقلم

وَلَوْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عِلْمٌ يَدُّهُ عَلَى خَافِيَاتِ الْغَيْبِ مَا كَانَ يَنْدَمُ
لو علم الإنسان الغيب لما ندم على شيء، إذ سيعرف أن كل شيء مقدر محتوم

كَتَمْتُ الْهَوَى خَوْفَ الْوُشَاةِ، فَلَمْ يَزَلْ بَيِّ الدَّمْعِ حَتَّى بَانَ مَا كُنْتُ أَكْتُمُ

كتمت حبي خوفاً من الوشاة، وظل دمعي يسيل حتى ظهر ما أكتُم

وَيَضْحَبُنِي فِي كُلِّ رَوْعٍ ثَلَاثَةٌ: حَسَامٌ، وَطَرْفٌ أَعْوَجِي، وَلَهْذَمٌ

يصحبني في الروع (الحرب) سيف، وطرف أعوجي (حصان أصيل) ولهزم (رمح)

وَيَنْصُرُنِي فِي كُلِّ جَمْعٍ ثَلَاثَةٌ: لِسَانٌ، وَبُرْهَانٌ، وَرَأْيٌ مُحْكَمٌ

ينصرني في المجالس لساني، وما عندي من براهين على ما أقول، ورأيي الصائب

فَلَا تَحْتَقِرْ فَضْلَ الْكَلَامِ، فَإِنَّهُ مِنْ الْقَوْلِ مَا يَبْنِي الْمَعَالِي وَيَهْدِمُ

لا تحتقر أهمية الكلام، فمنه ما يصنع للمرء المعالي (الأمجاد)، ومنه ما يسقط صاحبه ويفضحه

فَمَا كُلُّ مَنْ حَاكَ الْقِصَائِدَ شَاعِرٌ وَلَا كُلُّ مَنْ قَالَ النَّسِيبَ مُتِمِّمٌ

فإن يك عصر القول ولي، فإنني بفضلي، وإن كنت الأخير، مُقدِّمٌ

لئن ولي عصر الفصاحة فإنني مقدم متميز وإن جئت في هذا الزمن المتأخر

٨٠ بين يوسف وكافور

وَمَا مِصْرُ، عُمَرُ الدَّهْرِ، إِلَّا غَنِيْمَةٌ لِمَنْ حَلَّ مَغْنَاهَا، وَنَهَبُ مُقَسَّمٌ

مصر، طول عمرها، غنيمة لمن ينزل في مغناها (جنانها) ومنهوبة مقسمة بين الفاتحين

تَدَاوَلَهَا الْمُلُوكُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ وَنَالَ بِهَا حَظًّا فَصِيحٌ وَأَعْجَمٌ

تداولها الملوك، ونال بها الغنى الفصيح والعجمي. فالعرب الفصحاء نالوا بها حظوة عندما فتحوها، وفي زمن البارودي كان للإيطاليين واليونانيين والفرنسيين ثم الإنجليز مكانة، واغتنوا بمصر

فَمَا أَهْلُهَا إِلَّا عَبِيدٌ لِمَنْ سَطَا وَلَا رَيْعُهَا إِلَّا لِمَنْ شَاءَ مَغْنَمٌ

سطا: استبد

عَدَاؤُكَ فِي سِلْكِ الْبَرِيَّةِ خِزْيَةٌ وَدَعَاؤُكَ حَقَّ الْمُلْكِ أَذْهَى وَأَعْظَمُ

أن نعدك في سلك البشر شيء مخز، وادعائك الملك أذهى، وينطبق هذا القول على الخديوي توفيق الذي شاع الإنجليز

لَقَدْ هَانَتِ الدُّنْيَا عَلَى النَّاسِ عِنْدَمَا رَأَوْكَ بِهَا فِي مُلْكِ «يُوسُفَ» تَحْكُمُ

الدنيا هان شأنها على الناس عندما رأوك تحكم مصر التي حكمها ذات يوم النبي يوسف

فَإِنْ تَكْ أَوْلَتْكَ الْمَقَادِيرُ حُكْمَهَا فَقَدْ حَازَهَا مِنْ قَبْلُ عَبْدٌ مُزَنَّمٌ
إِنْ كُنْتَ تَوَلَّيْتَ أَمْرَ مِصْرَ، فَقَدْ تَوَلَّاهَا قَبْلَكَ عَبْدٌ مُزَنَّمٌ (دعي منسوب إلى غير أبيه)، يقصد كافوراً
الإخشيدي الذي هجاه المتنبي

٨١ الداء القديم

أَعِذْ عَلَى السَّمْعِ ذِكْرَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ وَاعِذِرْ شَابِيبَ دَمْعِي إِنْ جَرَتْ يَدِي
كرر على مسامعي ذكر البان والعلم (مكانين في الحجاز)، واعذرنني على شابييب (زخات) دمعي إِنْ
جَرَى مَعَهَا الدَّمُ لَشِدَّةِ الْبِكَاءِ

وَكَيْفَ أُنْسَى دِيَاراً قَدْ نَشَأْتُ بِهَا فِي مَنِيَةِ الْعِزِّ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْحَشَمِ؟
يتذكر الآن مكان نشأته بمصر في بيئة العز وحوله الأهل والحشم (الخدم)

وَدَعْتُ شَطَرَ حَيَاتِي يَوْمَ فُرْقَتِهِمْ وَصَافَحْتَنِي يَدُ الْأَحْزَانِ وَالْهَرَمِ
ودعت شطر حياتي عندما فارقتهم، وجاءني الحزن وهجمت علي الشيخوخة

تَغَيَّرَ النَّاسُ عَمَّا كُنْتُ أَسْمَعُهُ وَاسْتَحْكَمَ الْعَدْرُ فِي السَّادَاتِ وَالْحَشَمِ
وَوَظَلَ أَعْدَلُ مَنْ تَلَقَّاهُ مِنْ رَجُلٍ أَغْدَى عَلَى الْخَلْقِ مِنْ ذَنْبٍ عَلَى غَنَمٍ
أعدل الناس صار أكثر اعتداءً من الذئب على الغنم

لَمْ أَذِرْ هَلْ نَبَعْتُ فِي الْأَرْضِ نَابِغَةً أَمْ هَذِهِ شَيْمَةُ الدُّنْيَا مِنَ الْقِدَمِ؟
هل انبثقت طفرة من الطفرات فصار الأمر كذلك، أم أن هذه شيمة الدنيا منذ القدم؟

٨٢ تفرَّد

كَلَّمَا قُلْتُ قَدْ أَصَبْتُ خَلِيلاً أَضْحَكْتَنِي مِنْ غَدْرِهِ الْأَيَّامِ
أصبت خليلاً: عثر على صديق

فَتَفَرَّدَ تَعِشْ بِنَفْسِكَ حُرّاً رُبَّ فَرْدٍ يَخْشَاهُ جَيْشٌ لِهَامٍ
عش وحيداً حراً، فرب فرد يخشاه الجيش اللهام (الكبير)

٨٣ وداع الوطن

وقال يذكر وداعه للوطن، (كان ذلك في ديسمبر/ كانون الأول ١٨٨٢)، إذ احتل الإنجليز
مصر، ونفوا البارودي وعرابي وخمسة آخرين من قادة الثورة إلى جزيرة سيلان التي كانت
مستعمرة بريطانية):

مَحَا الْبَيْنُ مَا أَبَقَتْ عَيُونُ الْمَهَا مَنِّي فَشَيْتُ، وَلَمْ أَقْضِ اللَّبَانَةَ مِنْ سِنِّي
محا الفراق ذلك القليل الذي أبقت عيون المها مني، فداهمني الشيب قبل أن أقضي اللبانة (الحاجة) من شبابي

فَإِنْ أَكُ فَارَقْتُ الدِّيارَ فَلِيْ بِها فِؤادٌ أَضَلَّتهُ عِيونُ المَها مِنِّي

لئن فارقت البلاد فلي بها قلب ضيعته مني عيون المها

فهل مِنْ فِتْى في الدَهرِ يَجمَعُ بَينَنا؟ فليس كِلانا عَن أَخيهِ بِمُسْتَعْنِ

فهل أجد من يجمعني بقلبي؟ فلا غنى لي عنه، ولا غنى له عني

ولَمّا وَقَفْنا لِلوَداعِ، وَأَسبَلْتُ مدامعُنا فوَقَ التَّرائِبِ كالمُزْنِ..

لما وقفنا لتوداع، وأسبلت دموعنا (نزلت) فوق الترائب (أعلى الصدر) كالمزن (السحاب)

أَهِبْتُ بِصَبْرِي أَنْ يَعودَ فَعَزَّنِي وَنَادَيْتُ حِلْمِي أَنْ يَثوبَ فَلَمْ يُعِنْ

طلبت من صبري أن يعود فعزني (قوي علي وأبي)، وناديت حلمي (عقلي) أن يثوب (يعود) فلم يغن ندائي شيئاً

ولم تَمُضْ إِلَّا خَظَرَةٌ ثُمَّ أَقْلَعْتُ بِنّا عَن شُطُوطِ الحَيِّ أَجْنَحَةِ السُّفْنِ

وما هي إلا خطرة (برهة) حتى أقلعت بنا السفن ناشرة أجنحتها (أشرعتها)

ولولا بُنَيَّاتٌ وَشَيْبٌ عَواطِلٌ لَمّا قَرَعَتْ نَفْسِي عَلى قَائِيتِ سِنِّي

لولا بناتي الصغيرات، والنساء الكبيرات العواطل (غير المتزينات) من الأهل لما قرعت نفسي السن (لما ندمت) على ما فات من أمر

وَمَنْ شَاغَبَ الأَيامَ لَانَ مَريْرُهُ وَأَسْلَمَهُ طوْلُ المِراسِ إلى الوَهْنِ

من عاند الأيام لان مريره (قوته)، وأسلمه (أدى به) طول المراس (المعافرة ومزاولة المخاطر) إلى الضعف

٨٤ واطول شوقي

وقال وهو بسرنديب:

وَاطوْلُ شَوْقي إِلَيْكَ يَا وَطَنُ! وَإِنْ عَرَّتْنِي بِحَبِّكَ المِحَنُ

عرتني: اعترتني

لَسْتُ أَبالي، وَقَدْ سَلِمْتَ عَلى الدَّهْرِ، إِذا ما أَصابَنِي الحَزَنُ

إن سلم الوطن فلست أبالي ما أصابني من حزن

٨٥ المكتفي بعقله

رَضِيتُ مِنَ الهوى بِنُحُولِ جِسمي وَمِنَ صِلَةِ البَخِيلَةِ بِالأمانِي

ولست بطالِبٍ في الناسِ خلّاً يُنَاصِحُنِي، فعَقَلِي قد كَفَانِي

٨٦ ليلة أنس

لَاعَبَ الشُّكْرُ قَدَّهُ فَتَثْنَى ودعاهُ فَرَطُ الشُّرُورِ فَغَنَى

سكر المحبوب فأخذ يميل بقده ويتثنى، ومن فرط سروره أخذ يغني

رَشَاءُ تَعْبُدُ النَّوَاطِرُ مِنْهُ وَاحِداً في الجَمَالِ لَيْسَ يُثْنَى

رشأ (غزال) تعبد النواظر (العيون) إذ تنظر إليه الواحد الذي لا ثاني له، يقول الناس سبحان الله الخالق عندما يرون مثل هذا الجمال

أُنَبِّتَ الحُسْنَ فوقَ حَدِيثِهِ وَرَدّاً لَيْسَ إِلَّا بِغَمَزَةِ اللَّحْظِ يُجَنَى

الحسن جعل في خديه ورداً هو الاحمرار، ونقطف هذا الورد بنظراتنا

لَمْ يَزَلْ يَرْضَعُ السُّلَافَةَ حَتَّى غَابَ عَنَّا كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَّا

شرب المحبوب كثيراً من السلافة (الخمير) حتى غاب عن الوعي

٨٧ حبيب افتراضي

يَا ذُكْرَةً أَبْصَرْتُ فِي مِرَاتِيهَا صُورَ التَّمَنِّي

يا ذكورة (خاطرة) رأيت فيها صورة من صور التمني

خَطَرْتُ عَلَيَّ فَنَقَّرْتُ طَيْرَ الْكُرَى مِنْ وَكْرِ جَفْنِي

خطرت لي، فنقرت طير الكرى (أبعدت النوم) من وكر جفني

عَلِقْتُ حِبَالَهُ خَاطِرِي مِنْهَا بِمَكْحُولٍ أَعْنُ

حباله خاطري (مصيدة ذهن) أمسكت هذا الغزال المكحول الأغن (الأكحل العينين ذا الصوت الذي فيه غنة)

كَانَتْ مِثْلَ خَطَّةٍ بِمَخِيلَتِي نَقَّاشُ ذَهْنِي

كانت هذه الخاطرة كالمثال (الصورة) التي رسمها ذهني فكانه نقاش يرسم بإزميله على الحجر رسماً

هِيَ لُفْيَةٌ وَهْمِيَّةٌ سَمَحَتْ بِهَا خَطَرَاتُ ظَنِّي

هذا لقاء وهمي، من بنات الظنون

٨٨ نصحت قومي

نصحتُ قومي وقلتُ الحربُ مَفْجَعَةٌ وربما تَاحَ أمرٌ غيرُ مَظنونِ
قلتُ لقومي: الحرب تأتي بالفواجع، وقد يأتي أمر لم يخطر بالبال
فخَالَفوني، وشَبَّوها مُكَابِرَةً وكان أولى بِقومي لو أَطَاعوني
خالفوني وأشعلوا نار الحرب مكابرة وعناداً، وكان أولى بهم لو أطاعوني
تأتي الأمورُ على ما ليس في خَلْدٍ ويُخَطِئُ الظنُّ في بعضِ الأحيانِ
الأمور تأتي بما ليس في خلد (عقل) والظن يخطئ أحياناً

٨٩ علّمت الحمام الأغانيا

وما لي ذنبٌ عندهم، غيرَ أنني شَدَوْتُ فَعَلَّمْتُ الحمامَ الأغانيا
وهل يَكْتُمُ المرءُ الهوى وهو شاعِرٌ ويُنْثني على أعقابِهِنَّ القَوافيا
الشاعر لا يكتم الهوى، ولا يرد القوافي على أعقابها ولا يرفضها

فيا نَسَمَاتِ الفَجْرِ مَا لَكَ كَلَمًا تَنَسَّمْتَ أَضْرَمْتَ الهوى في فؤاديا
ويا رَوْضَةَ المِقْيَاسِ جَادَكَ سَلْسَلٌ مِنَ النِيلِ يَدْعُو لِلْحَنِينِ السَّوَاقيا
أيتها الروضة جادك سلسل من مياه النيل يجعل السواقي تدور وتصدر صوتاً كحنين الإبل. وفي جزيرة الروضة هذه مقياس يقيس ارتفاع النيل

هِيَ الوطنُ المألوفُ والنفْسُ صَبَّةٌ بِمَنْزِلِهَا الأَذْنَى، وإن كان نَائِثيا
هذا وطني الذي ألفته، والنفس صبة (مغمومة) بمنزلها القريب إلى القلب حتى وإن كان بعيد المسافة
فلا حَبَّذَا الدنيا إذا هِيَ أَذْبَرَتْ وإن أَقْبَلَتْ يَوْمًا فيا حَبَّذَا هِيا
الدنيا رديئة عندما تدبر عن المرء وتولي ظهرها، وما أجملها عندما تقبل

فهرس القوافي (القافية فرقم القصيدة)

١٧	مُدْلَج	١	سَوَاء
٢٠	فَسَحِ	٥	عِيَاء
١٩	نَصَح	٣	سَمَاء
١٨	رَجَحَتْ	٤	سَمَاء
٣١	الْعِدَا	٢	أَثْنَائِهِ
٢٤	الْأَسْدُ	١٣	وَانْتَصَبَا
٣٢	دُدُ	١٢	الْحَرْبُ
٢٦	الْأَجَوَادِ	١١	عَرَبُ
٣٣	الْحَسَدِ	٦	وَيُعْجَبُ
٣٤	الْعِبَادِ	١٥	أَبِي
٢٧	بِفَوَادِي	٧	التَّجْرِبِ
٢٨	يَيْدِي	١٤	الْحُبِّ
٣٠	سُهْدِي	٩	الشَّبَابِ
٢٣	عَهْدِ	١٠	بِذَاهِبِ
٢٢	عَدِ	٨	مَا بِي
٢٩	وَأَيْعَادِ	١٦	بَيَّتِ

٦٠	أَخْلَقُ	٢٥	بَرِيئُهُ
٥٨	الْأَصَادِقُ	٢١	زَنْدُهُ
٦١	لَأَحْمَقِ	٣٨	صَابِرُ
٥٧	الْبَاقِي	٣٧	يَسِيرُ
٦٢	الْعَلَايِقِ	٤١	أَصْبِرِ
٥٦	لَقِي	٣٦	صَخْرِ
٥٩	وَضِيقِ	٤٤	عَمْرُو
٦٧	صَغْلُ	٤٦	وَتَغْيِيرِ
٦٤	فَلَائِلُ	٣٩	وَطَرِ
٦٣	الْقُلَلِ	٤٣	وَعَرِ
٦٥	وَتَخْيِيلِ	٣٥	وَحَرِ
٦٦	شَمَائِلُهُ	٤٥	الْآخِرَةُ
٧٣	الْعَلَقَمَا	٤٠	مُنْتَظَرَةُ
٨٢	الْأَيَّامُ	٤٢	وَسُمْرَةُ
٧٨	السَّهْمُ	٤٧	مُخْلِصًا
٦٨	سَلَامُ	٤٨	لَعَطُ
٨٠	مُقَسَّمُ	٥٠	مَوْضِعُ
٧٥	مَلَامُ	٤٩	وَالْفَجَائِعُ
٧٩	يَنْدَمُ	٥١	وَمَسْمُوعُ
٦٩	السَّوَائِمِ	٥٢	بَاعِي
٧٦	الشَّيْمِ	٥٤	التَّرَفُ
٨١	يَلِمُ	٥٥	تَجِفُّ
٧٧	تَحْكِيمِ	٥٣	وَأَكْتَفِي

٨٤	المِحْنُ	٧٤	تُعَلِّمِ
٨٥	يَا أَمَانِي	٧٢	كَهَامِ
٨٣	سِنِّي	٧٠	الْأَنَامِ
٨٨	مَظْنُونِ	٧١	لِحُكْمِهِ
٨٩	الْأَغَانِيَا	٨٦	فَقَعْنِي
		٨٧	الْتَمَنِّي

جميل صدقي الزهاوي

(١٨٦٣م - ١٩٣٦م)

يذهب الرجل للتعزية. وما يكاد يسخن تحته الكرسي حتى يتنحنح ويسأل ابن الفقيد أو أخاه هامساً: كيف مات؟ أبجلطة على قلبه، أم ببلطة شقت رأسه؟

وما لك ولهذا السؤال البارد يا ثقیل!

وهبك تريث بعد أن تنحنحت، ولم تشعر بعد أنك استجمعت ما يكفي من الشجاعة كي تسأل سؤالك. لا بأس عليك! لا تستجمع شجاعتك يا أخي، لا لزوم لذلك. فذوو الفقيد سيصدعون رأسك بوصف الميتة كيف ميتت، وبالميت كيف لفظ آخر أنفاسه. ولن تجدهم يذرفون دموعاً وهم يقصون القصة بأدق التفاصيل، لا بل سيتدفقون في الحديث بحماسة وشهوة حكي عجيبتين.

وكيف مات جميل صدقي الزهاوي؟ وقع وهو يمشي داخل بيته وتفتت عظم في قدمه، فلزم سريره. ومات.

فكيف إذن عاش؟

كل الكتب والمقالات تعدد لك وظائفه ومناصبه كأنها تكتب سيرة وظيفية لإرفاقها بطلب عمل. الزهاوي أكبر من وظائفه ومناصبه.

لا أكتفك أنني أذكر وظائفه ومناصبه في بعض ما أكتب وبعض ما أقول. وقد تراني أفعل ما يفعله صغار النفوس من دسّ عبارة في أثناء كلامي تُشعر بأني توليت ذات يوم الوظيفة الفلانية أو الفلانية. هذا بعض ما في طباعي من لؤم. وإنما أفعل ذلك كي أدرأ عن نفسي تهمة كان ينبغي أن أشرف بها: تهمة أنني فاشل في المناصب.

لا، لا، لست فاشلاً فقد كنت ذات يوم كذا أو كذا. سبحان من خلقتني!
لا شيء أجلب للشرف على الكاتب من أن يكون فاشلاً في سباق
الجرذان، هذا السباق على المناصب.

على أنني، ككل الناس، أريد أن أبدو نجاحاً اجتماعياً ووظيفياً. لكنني ما
سمعت بكاتب أو أديب ذي مناصب إلا وهو مخفق في أدبه بقدر نجاحه في
مناصبه. وعندما تدبرت حياة الشاعر ابن المعتز، الذي تولى الخلافة يوماً وليلة
ثم قتل، قلت في نفسي: هكذا ينبغي للأمر أن يكون.

لن أذكر لك مناصب الزهاوي. لكنني سأقول لك إنه كان يعيش في بيت
مريح بناه هو بماله في بغداد مع زوجته «زكية» التي تصغره كثيراً. ولم ينجبا،
غير أنه كان عنده كلب أسود وحمارة بيضاء يتنقل بها بين مقاهي بغداد.

وقد تعجّب بعض الأدباء من رفائيل بُطي كيف يعتني في كتابه عن تاريخ
الأدب المعاصر في العراق بذكر كلب الزهاوي وبذكر اسمه، واسمه بالمناسبة
«ولك»، وأما اسم الحمارة فهو من غوامض الأمور التي تحتاج إلى دفتر من
هذه الدفاتر التي يسمونها رسائل دكتوراه لتحقيقها.

أحذرك من أن ما ستقرأه من شعر الزهاوي مزعج. فالزهاوي متمرّد على
المعتقدات حد الجحد. وهو علماني، وإن لم يكن ملحداً ولا عديمياً.. قد كان
صاحبنا يؤمن بالإنسان. لكنه سيزعج كثيرين الآن مثلما أزعج كثيرين في حياته.
يكفي أن ابن أخيه الفقيه الدّين رفض أن يشيع جنازته.

عاش الزهاوي مع زوجة أحبته وخدمته، وكان لها محبباً مخلصاً. وكان
على بعض اليسار، (ربما بسبب الوظائف والمناصب، لا حول ولا قوة إلا
بالله.. وهل تريده أن يعيش سائلاً أمام باب المسجد؟)

هذا رجل عتيق.. ولد والعراق عثمانية جداً. ولد عام ١٨٦٣، بحسب
المتواتر، أو قبلها بعشرة أعوام إن صدّقنا إبراهيم عبد القادر المازني وأحمد
حسن الزيات. وانتزعه أبوه، وحده من بين إخوته، وأعاشه في بيته. يبدو أن
أمه كانت تعيش وأولادها في بيت آخر. لعل والده رأى فيه نبوغاً باكراً. وأبوه
رجل فقه وعلم وفنياً، ورجل شعر أيضاً، وكان يتقن الفارسية وينظم بها علاوة
على نظمه بالعربية.

كان أبوه يعطيه درهماً على كل بيت يستقيم له نظمه بغض النظر عن معناه.

ذلك بالعربية. ونشأ الزهاوي على اللغة العربية. لكنه تعلم الفارسية والتركية حدثاً، وأجادهما إجادة بلغت أن كان ينظم بالفارسية، وينشد بها شعره، وأن كان يكتب في الصحف التركية ويترجم القوانين من التركية إلى العربية، ويتولى التدريس في معاهد إستانبول العليا. وقيل إنه عرف الكردية، وبعض الفرنسية.

آن أن نقول لك إنه كردي. قال إبراهيم الدروي صاحب كتاب «البغداديون في أخبارهم ومجالسهم» إن أصل العشيرة من مخزوم القرشية، غير أن العائلة أخذت اسمها من «زهاو» التي عاش بها الأجداد، وهي اليوم في إيران. وقيل إنه من أصل كردي.

لا تلمس في كل شعر الزهاوي وحياته شيئاً من كرديته. فهو قد نشأ في حضن أبيه الفقيه المفتي على حب اللغة العربية، ونشأ عربياً.

الزهاوي فحل من فحول البيان العربي. انظر في الصفحات السبع التي كتبها تقديماً لديوانه المطبوع بمصر، عام ١٩٢٤، وسترى قلماً بديعاً. وأنظر في شعره وسترى الرجل يعرف العربية معرفة عميقة. ولا تغتر بهذه البساطة في شعره، ولا بأسلوبه المعاصر والمباشر، هذا كله وليد فكره المعاصر والمتمرد على القديم.

أشبه الزهاوي بابن الرومي في هذه، وأشبهه به في كثير غيرها. فهو بغدادى جداً، وابن الرومي لم يكد يبرح بغداد طول عمره. والزهاوي يبلغ به تطلّب المعنى أن يسترسل في «نثرية» يتملّل منها الشعر ويكاد يأبأها، والزهاوي يطيل جداً ويكرر المعنى نفسه باللفظ نفسه في القصيدة بعد القصيدة، والزهاوي كان مضطرب الأعصاب مصاباً في نخاعه الشوكي منذ سن الخامسة والعشرين، وكان نحيلاً شديد النحول. وهذه كلها كانت في ابن الرومي. وكان الشاعران كلاهما متمردين، وكانا على معرفة عميقة بالعربية يسترها الأسلوب السهل. على أن ابن الرومي، المعتزلي المتمرد الرافض، كان يثوب إلى الإيمان بين الحين والحين فيقول أشياء تشعرنا بإيمانه الديني العميق، ولكن الزهاوي كان في هذه شبيهاً بالمعري.

يقول الزهاوي الأبيات الكثيرة في الجحد ثم يدس بيتاً يتقي به تهمة الإلحاد. وقد يلقي قصيدة في احتفال المولد النبوي فتأتي باردة.

عاش الزهاوي في بغداد، وقضى فترات تطول وتقصّر في إستانبول،

وأزعج عن بغداد، أي هجَّ منها وطفش، فرحل إلى الشام فيبيروت وزار مصر وتعرف على أدبائها وعلمائها. وقابل يعقوب صروف.

كانت صحيفة «المقتطف»، التي أسسها يعقوب صروف ثم حررها خمسين سنة، معلماً درس الزهاوي على يديه العلم والفكر. كان والده يحتفظ بمجلدات من هذه المجلة، والتهمها الزهاوي يافعاً. وكانت المقتطف مدرسة تقدم العلم والأدب. وعلى هذه الصحيفة - التي بدأت في بيروت ثم انتقلت إلى مصر - نشأ خلق من كبار الأدباء والعلماء. منها ومن الكتب التركية المترجمة عن اللغات الأوروبية استقى الزهاوي العلم.

طريف أن ترى الزهاوي والعقاد يتناقشان عبر الصحف في نظرية آينشتاين عن الضوء والكون المحدث وطبيعة الجاذبية. ولعل العقاد كان أحسن اطلاعاً على الكتب الأوروبية لأنه كان يقرأها مباشرة بالإنجليزية، غير أن الزهاوي كان أثقب ذهنًا.

كان الزهاوي من الأدباء الذين اشتھوا أن يكونوا علماء طبيعيين. مثله في ذلك مثل غوته الألماني الذي حبر مئات الصفحات في العلم المحض، وأصاب وأخطأ، وظل مجرد أديب يرفض تحويل أمور العلم إلى «الجهات المختصة». مثل غوته كتب الزهاوي في العلم كتباً، ونشرها. وما بقي لها من القيمة هو أنها تنبئ عن ذهن منفتح وتوق شديد إلى العلم.

غير أن ما تعلمه الزهاوي من المقتطف، ومن الكتب التركية المترجمة عن أصول أوروبية، كان ثميناً. كان الأساس في فلسفة الرجل. وللزهاوي فلسفة حقيقية: هو مادي يرى الحياة مجرد تعبير عن التركيب المعقد للمادة، فالجماد مادة دنيئة بسيطة التركيب، والحي معقد التركيب بدرجات بين حيوان وحيد الخلية وإنسان فيه ما بين ٣٧ تريليون خلية (دراسة من الدراسات لشخص وزنه ٧٠ كغم)، و٧٢٤ تريليون خلية (دراسة أخرى). والروح هي الحياة، هي تعبير عن هذا التعقيد في التركيب. وعليه فإذا فني الجسم، أي تفكك التركيب، فالروح تفتنى.

ولأن الروح من أمر ربي فلا نمعنُ في مناقشة الزهاوي، ونظل نطالب العلماء بتخليق خلية حية في المختبر - وهو أمر حاولوه مراراً منذ خمسينات القرن العشرين، ومنتهى ما توصلوا إليه أن اشتقوا حياة من حياة عن طريق الاستنساخ - قبل أن نحملهم على محمل الجد. الاستنساخ شيء وتخليق الحياة شيء آخر.

وقد عالج الزهاوي المقولة الإلهية معالجة عابثة جرّت عليه كثيراً من العنت، وألجأته مرةً إلى التزام بيته أياماً خوفاً على نفسه من «الاغتيال» على يد العامة ببغداد. والعامة اليوم تغتال الزهاوي على صفحات الإنترنت. لا تراهم يصفونه إلا بالكلب، أو لعل أحدهم وصفه بهذه الكلمة ثم بيّنها الناس من بعده، فالإنترنت حديقة حيوان يكثر فيها على وجه الخصوص طائر البيغاء.

عرف الزهاوي أنه كان في القديم آلهة، وعرف أنهم في القديم وحّدوها في إله. ولو كان حسن الإيمان بالدين لما أتعّب نفسه وأزعج القوم بعشرات الأبيات التي يرواح فيها بين الجد والهزل متناولاً قضية أصل الكون وخالق الكون.

ونحن لسنا ممن أزعجهم الزهاوي، بل نقول: ليقبل ما شاء كيفما شاء. إيماننا بحرية الفكر وحرية الجهر به فوق أن ننزعج من أي رأي.

كان يجلس في مقاهي بغداد، وكان يجلس إليه بعض مريديه. ولا يندر أن يتلاسن بأبيات الهجاء مع رضا الطالбاني، وبأبيات المديح مع معروف الرصافي. ومن عجب أنه كان للطالباني صديقاً، وللرصافي خصماً. فكان بين شاعري العراق الكبيرين منافسة شديدة ثور فتصبح خصومة، فتعقبها مصالحة ينشد فيها كل منهما أبياتاً في تقيظ صاحبه.

في إستانبول مدح الزهاوي السلطان عبد الحميد ثم هجا الاستبداد، ثم سجن سجنَةً صغيرة، ثم رحّلوه إلى بغداد. كانت الأمور في تلك الحقبة، في أواخر القرن التاسع عشر، مختلفة عما عهدناه بعدها، حتى إنه ليصعب عليّ تخيّل أن العراق وسوريا ولبنان.. الخ، لم تكن سوى قطعة من الدولة العثمانية.

وعندما انقلب ضباط الاتحاد والترقي على السلطان ثم خلعه رحب الزهاوي بالخطوة وبالدستور الجديد. ثم بدأ يشعر بتوجه الحكام الجدد إلى مزيد من التتريك. ولئن كان شاعرنا يحسن من الثقافة التركية ما يحسنه أهلها فإنه كان عربياً منزوعاً في تراب اللغة العربية. وهبه كان تركي الهوى، أفلا يعني التتريك أن حكام إستانبول قد جعلوا هذا المشترك في درجة ثانية بعد درجة التركي الأصيل؟

مع تفكك الدولة العثمانية في أخريات الحرب العالمية الأولى انقلب

الزهاوي عليها، فأصبح أكثر عروبية، ومالاً للإنجليز الذين احتلوا العراق بعد الحرب، وتقرب من فيصل بن الحسين الذي عينوه ملكاً.

لكنه ظل يشكو من أنه لم يعين في وظيفة كبيرة.

وظل الزهاوي ينظم. برغم قلمه الثري الجميل فإن الزهاوي عاش للشعر، وأدمن النظم. عندما أصدر ديواناً له في مصر باسم «ديوان الزهاوي»، عام ١٩٢٤ في ٤٤٣ صفحة، قال إن الديوان يضم أقل من الثلث وأكثر من الربع من شعره. وقد ترجم ما صح له من رباعيات الخيام نثراً وشعراً، مثبِتاً الأصل الفارسي فوق الترجمتين لكل رباعية. وطبع دواوين أخرى وكتباً في العلم، قد لا تريد أن تعد كتابه عن لعبة «الدامة» أحدها.

في الزهاوي خفة تجدها في شعره مختلطة بغير قليل من التذمر. يصطاد قوافيه بمهارة، وقد تتحكم فيه الفكرة فيلقي بالقوافي على عواهنها، ولكنه في كل ذلك محافظ على العربية القويمة السليمة المتينة، لا غرو فقد حفظ جزء عم من القرآن طفلاً لم يتعلم النطق سوى أول أمس.

نقلوا عنه كثيراً قوله إنه كان يسمى «المجنون» في طفولته لحركاته غير المألوفة، و«الطائش» في شبابه لنزوعه إلى الطرب، و«الجريء» في كهولته لمقاومته الاستبداد، و«الزنديق» في شيخوخته لمجاهرته بآرائه الفلسفية. كان كذلك.

إن كنت ممن يقرأون الشعر بآذانهم، ويحسون بوزنه - وهذا ما ينبغي للشعر، وإلا كان الشعر كطبخة صاحبنا الذي وجد امرأته تلف أوراق العنب ورقة بعد ورقة على حشوة من الأرز واللحم وتقضي في ذلك بياض يومها، فجاءها باختراع جديد: فتت أوراق العنب تفتيتاً وجعلها في القدر مع الأرز واللحم وصب على ذلك الخليط ماء وطبخه، فكانت طبخته بدعة منكرة، ونال من زوجته المثل المعروف: العين هي اللي تأكل، وهنا نقول: الأذن هي التي تأكل الشعر. فعندما تقرأه بعينك وحدها غير حاسٍ بما فيه من إيقاع يفوتك شيء هو الفارق بين الشعر والنثر - إن كنت ممن يحسون بالوزن فسوف تجد في الزهاوي ما يزعجك، بخلاف آرائه الخارجة عن المألوف إن كنت من أهل المألوف.

الزهاوي يحب البحر الخفيف. وكأنه لم يكتف بما في هذا البحر من علة

وقوع الكلمة بين الشطرين، وهي علة ظاهرة في الخفيف ظهوراً لا تراه في أي بحر آخر، فصاحبنا يُجلس كلماته فيما بين التفعيلات في داخل الشطر على هيئة غير مألوفة. وقد ظن العقاد - بعد إذ سمع الزهاوي ينشد - أن شاعرنا إنما تأثر بالطريقة الفارسية في الإنشاد. وليس لنا على قول العقاد تعليق، فلا نحن نعرف الفارسية ولا طريقة إنشادها، ولا ندري إن كان العقاد يعرف. وزاد العقاد فقال أشياء عن مستفعلن ومتفعلن، ونرى أن الأمر أهون من ذلك، فكل شعراء العربية ركبوا هذا الزحاف المستساغ كل الاستساغة، على أن شاعرنا كان لا يبالي أن يقطع الكلمة بين التفعيلة وجارتها في مكان غريب (فأنت إن قطعت بعد آل التعريف ساغ ذلك ولم يجلب تلك الضعضة التي تحدث عند تحطيم الكلمة من منتصفها).

لن أحدثك عن معارك الزهاوي الأدبية الكثيرة، فتفاصيلها موجودة في الكتب، ولكنني أطللت من خلالها على خصلة في شخصية الزهاوي، فهو كثير الامتداح لشعره عميق الإيمان بشاعريته، ينافح عن نفسه وعن آرائه وشعره ويمقت النقد مقتاً - كلنا ذلك الرجل - ويزيد صاحبنا فيجأ بالشكوى من النقد، وكثيرون منا يكرهون النقد لكنهم يسكتون تعالياً أو دهاء، فإهمال الناقد أسكت له من الرد عليه، ولا كذلك الزهاوي، فهو يرد على كل ناقد.

الزهاوي على نور أبيض

ذكرني بالزهاوي الليلة مصباحي الأثير ذو الضوء الأبيض، وهو مصباح لا يكاد ينفق شيئاً من الكهرباء، وإذا انقطعت الكهرباء فهو يبقى مشتعلًا ساعات، فإذا شئت وصلته بالحاسوب فيستمد قليل ما يحتاجه من طاقة من جوف الحاسوب، غير أنني أركبته قائم سريري ليلقي عليّ أشعته البيضاء من خلف كتفي فينير صفحة كتابي. أخذت في ساعات المساء أقرأ عن الزهاوي على نور مصباحي الأبيض - الواقع أن المصباح نفسه أبيض، لكنني أقصد أن نوره أبيض، وأنا عاشق للنور الأبيض من مصابيح النيون، ولا أرى ما يرى كثيرون من أن النور البرتقالي يعطيهم إحساساً بالدفء؛ ويتفوق مصباحي على مصابيح النيون، وهي اقتصادية، في أنه اقتصادي جداً حتى إنني لأخجل منه وهو يدوي بنوره ساعة بعد ساعة لا يكل ولا يمل فأكاد أخرج من جيبتي بعض الدراهم لأعوضه بها عما يبذله في خدمتي - ومرت ساعات المساء ودخلت في عمق الليل، وأشحت بوجهي عن كتبي، وعادت بي الذاكرة عقوداً.

قبل أربعين سنة، قد تنقص سنة لا أكثر، وقد تزيد سنة لا أكثر، اشترى لي أبي مصباح نيون للمنضدة. كان في متجر ورأى المصباح، وقال في نفسه: ما أجدر أن يكون هذا ذا نفع لولدي الذي يقرأ كثيراً. لم يكن والدي ﷺ يعرف ما سأصنع بالمصباح فور استقبالي الهدية الثمينة. كنت آنذاك في نحو العشرين من العمر، أصغر من ذلك بسنة لا أكثر، أو أكبر من ذلك بسنة لا أكثر.

نصبت المصباح على منضدة عالية سوداء بجانب سريري، واتفق أن كانت والدتي رحمها الله وسائر إخوتي مد الله في أعمارهم. . هل سأمضي هكذا في الحديث عن أفراد العائلة الكريمة؟ الحاصل. . أنهم كانوا جميعاً مسافرين. . ربما كانوا يحضرون مناسبة ما في بلد قريب. . لا أدري. كنت وحيداً في البيت مع أبي. مثلما كان الزهاوي ملازماً لأبيه الذي انتزعه من بين إخوته واختص نفسه بالطفل النابغ. على أن أبي لم يكن يقرأ عليّ ديوان المتنبي مثلما فعل والد الزهاوي بطفله، كان أبي صاحب مخيطة يروح إلى عمله صباحاً ويغدو إلى البيت عند العصر فيؤلف من بطن الثلاجة طبقاً نتغدى به. لكنه في تلك المدة رأى مني عجباً. . كان يصحو ومصباحي مشتعل وأنا تحته أقرأ، ويعود من عمله ومصباحي مطفاً لكنني أقرأ، ويهبط الظلام فيشتعل المصباح وأنا أقرأ، فإذا أيقظت أبي حاجة في قلب الليل رأى المصباح مشتعلاً ورآني أقرأ. مضت علي ست وثمانون ساعة وأنا أقرأ. كنت أنام ساعتني الثماني على الكتاب وأصحو عليه. وهذه الساعات تعد ثلاثة أيام ونصف يوم وساعتين، وبانقضائها عاد أهل البيت إلى البيت واعتدلت حياتي. وقعدت فور عودتهم أحسب كم مضى علي وأنا منشغل بقراءاتي، فمن هنا جاء الرقم الدقيق ٨٦. والشاهد في الموضوع أنني في تلك الأيام المضاءة بالأبيض كنت أقرأ الزهاوي وعن الزهاوي في كتب كانت تحفل بها المكتبة العامة في بلدنا نابلس بفلسطين.

تركت كتبني في ليلتي هذه التي أكتب لك فيها، وقلت في نفسي: أما اكتفيت من الزهاوي؟ أما أعدت قراءة شعره كله كي أنتخب منه أبياتاً، ثم شرحتها؟ لا، لم أكتف. قد عدت إلى الزهاوي وقرأت عنه في كتب أخرى يسرّها الإنترنت في صورة بي دي إف، ونبشت مواقع النت - وأنا أفعل ذلك عادة حتى أتجنب تردد ما في النت من أشياء، فقد أصابتنني مواقع النت بعقدة لكثرة ما فيها من القص والوصف - ورأيت أننا بحاجة إلى كتاب سيرة حقيقي عن الزهاوي. وهذا يحيلني إلى استطراد جديد.

أولعت، بعد ذلك المصباح القديم بنحو عشر سنين، بكاتب إنجليزي هو سومرست موم، وقرأت معظم ما كتب في سنوات حياته الاثنتين والتسعين. إدمان. ولما صار الرجل شغلي الشاغل مضيت إلى الكتب التي كتبت عنه فقرأت منها اثنين، وقرأت له هو نفسه ثلاثة كتب تحدث فيها عن مهنته ككاتب. ثم؟ طبعاً نسيت كل شيء قرأته.

وبقي عالقاً في نفسي أن القوم يكتبون السيرة بحرفية عالية. وقرأت بعد ذلك حمل بعير من كتبهم التي تروي سير المشاهير. ثمة حرفة ههنا. أذكر كتاباً من ثلاثة أجزاء عن برنارد شو، بلغ فيه كاتبه مايكل هولرويد أن اندس في أدق تفاصيل حياة وفكر وإنتاج الرجل. كان برنارد شو يحب أن تصنع له شطيرته أمه لا الخادم، لأن أمه كانت تضع زبدة ومربى أكثر في الشطيرة. تلك طرفة أتت في سياقها، ومثلها مئات، لكن الكتاب ليس كتاب طرائف، هو كتاب منسوج نسجاً محكماً ومبحوث بحثاً لا أصفه إلا بأنه ذلك النوع من البحث الذي لم نعرفه نحن العرب حتى الآن.

وأسارع بالإقرار بأنني لست كاتب سيرة ولا باحثاً. أنا هنا، وهناك أيضاً وفي كل ما أكتب، امرؤ يسجل انطباعاته. فاعلم أنني لا أنتقد الآخرين لأنني صنعت ما لم يصنعوا، بل أنتقدهم لأنني أريد أن يصنعوا ما عجزت أنا عن صنعه، وما رأيت قوماً آخرين يصنعونه.

كتاب السير الأدبية الكبير الذي انحدر إلينا عبر العصور هو الأغاني للأصفهاني. وسيرة كل أديب داخل الأغاني هي مجموعة من الطرائف والخرافات، والروايات المتضاربة. قد كنا في ذلك العصر، قبل أكثر من ألف سنة مرت على تأليف الأغاني، متفوقين على غيرنا.

واليوم تغيرت الدنيا، وتوفرت المعلومات، وتيسرت أدوات البحث. ولكننا لم نقطع شوطاً بعيداً، وما زالت الكتب التي تترجم لأديب أو لسياسي بعيدة عن التجرد، قريبة من الخرافة. نحن في دائرة السيرة التمجيدية، فإن خرجنا منها فإلى دائرة سيرة اللعنات. فالمشهور عندنا إما قديس أو شيطان. وهناك شيء أسوأ: أن نكتب عن المشهور كتاباً مثل الماء لا لون ولا طعم له ولا رائحة، ولكنه لا يروي كالماء بل يهوم تهوياً في ثرثرة باردة. عند أهل الثقافة السكسونية من بريطانيا وأمريكا كثير من السير التمجيدية، ووجدت عندهم في القديم، قبل مئة سنة مثلاً، سيراً فيها الثرثرة والتهويم، لكن أدب

السيرة عندهم ظل في صعود، وأحسبهم فيه الآن رواداً في العالم.

فماذا يصنع الأكاديميون في جامعاتنا؟ هؤلاء قاعدون - أقعدوا - ينتظرون مستشرقاً يأتي ويكتب لهم كتاباً يسرقون مادته ويشوهونها ثم ينشرونها مشوهة، ثم.. يشتمون المستشرقين. رأيتهم بعيني يمشون في ممرات الأبنية الجامعية فيلتقي الواحد منهم بزميله الدكتور الآخر - وبالمناسبة فدكاتيرنا ينادون بعضهم بعضاً بيا دكتور - يقول له: يا دكتور. ويتلمظ ويتمطق. هو لا يريد أن يقول له شيئاً سوى يا دكتور، فيجيب الآخر: يا دكتور.

لست أتهمهم بالغباء، ولا والله لن تجدني في أي شيء أقوله أو أكتبه أتهم أحداً بالغباء، فكل إنسان لديه عقل، ولكن بعض خلق الله يملك من القحة أن يأخذ ثمن عقله ثم لا يستعمله، ويمد يده - شلّت - لأخذ مرتبه وهو لا يصنع شيئاً سوى تشغيل الطلبة في كتابة أبحاث ليست بالأبحاث، ويحسبها لجهله أبحاثاً فيسرقها ويضمنها كتاباً له يضيفه إلى قائمة الكتب التي يتخي بها نيل ترقية جامعية. يؤذيني الدكاتير التقليديون الذين يلوذون بالماضي ليأذ خائف من أسد مزير. ويؤذيني من بين هؤلاء التقليديين أكثر من هو نشط متبحر في علوم الأوائل. تراه يمشي كالطاووس، مستشهداً بألفية ابن مالك، أو متكثراً - مالت عليه - على نص لابن جني، أو كاتباً كتاباً ثقيلاً، في وزن نكبتنا بوجوده، عن خزعبلة تافهة أساسها رمل رجراج، لكنها - والله غالب - قد وردت في نص قديم.

وقد رأيت في الأشهر الأخيرة كتاباً من أربعة أجزاء لكاتب عباسي، قامت على نشره وزارة الثقافة في دولة نفطية. ذهبت الوزارة إلى بلد عربي آخر فيه رمل، ولكن لا يوجد تحت رمله سوى مزيد من الرمل، ووظفت لتحقيق الكتاب خمسة من الرجال. وطبعوا الكتاب مرة ثم صدرت بعد تسع عشرة سنة طبعة ثانية، وهذه الطبعة الثانية وقعت، ووقع محققوها، في يدي.

خمس من الدكاتير أصروا على وضع كلمة «الدكتور» كاملة قبل اسم كل منهم، غير قانعين بحرف الدال. ثم إذا التحقيق - وفي طبعته الثانية، وبعد طول المهلة - مشحون بالأخطاء، وبالحواشي القلقة، وبالفهارس غير النافعة. أحسبُ هذه الدراهم التي أهدرتها في ذلك الكتاب. ليس أنه يخلو من كل فائدة، فالمرء يستطيع أن يعثر في صفحاته على معلومة مفيدة هنا وهناك، لكن ثمة فرقاً بين أن تمشي واثقاً في ردهات كتاب حققه محقق أمين، وأن تمشي خائفاً متحسباً في ممرات مظلمة داخل كتاب مملوء بالأغلاط وبإساءة الفهم.

بعد هذه الوصلة المعتادة في قدح الأكاديميين لا بد من عودة إلى جميل
صدقي الزهاوي.

هذا رجل داعية: يدعو إلى السفور، ويدعو إلى العلم، ويدعو إلى نظرية
داروين. وهو ابن عصر بدأت تنفتح فيه لنا طاقة صغيرة على الغرب فملأت
الدهشة نفوسنا.

ما زلنا في هذا العصر.

١ أبيات فرائد

وما زلتُ في جَوْ مِنْ الفكرِ طائراً ومن عادتِي ألا أَطِيرَ مَعَ السَّرْبِ

* * *

إنني إن حَمِدْتُ رَبِّي على ما أَتَشَكَّى مِنْهُ أَكْذَبُ نَفْسِي

* * *

يحيا الجمادُ إذا الشروطُ تَوَقَّرتُ والحيُّ إن فَقَدَ الشروطَ جَمادُ
الحياة لا تكون بوجود روح، بل بتوفر «الشروط»

* * *

ذهبَ الشبابُ وأنتَ بعدَ ذهابِهِ مُتَمَسِّكٌ بِالْعِيشِ مِنْ أَذْنَابِهِ

* * *

وليسَ بِعَقْلِ المرءِ يَكْبُرُ شِعْرُهُ ولكنَ بما في روحِهِ مِنْ تَكْهَرُبِ

٢ نتف

من كان في سَعَةِ تَسِيرٍ وراءَهُ أتباعُهُ، فكأنَّهُمْ أَفْيَاءُ
كانهم أفياء: أي يتبعونه كظله

وإذا الليالي غَيَّرَتْ سَعْدَ امرئٍ يخفَى الصديقُ وتظهرُ الأعداءُ

* * *

يا سماءَ العراقِ إنني مريضٌ يا سماءَ العراقِ أنتِ شِفائي
وانظُريني بِعَيْنِكَ شِقْأاً وانظُريني بِعَيْنِكَ الزرقاءُ

* * *

مَنْ لَمْ يَجِئْ بِحُجَّةٍ فَلَا يَفِيضُهُ الصَّخْبُ
لَا تَسْتَقِلُّ أُمَّةٌ فِي الْأَرْضِ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ

* * *

لَا خَيْرَ فِي نَاسٍ إِذَا أَفْحَمْتَهُمْ وَلَّوْا غَضَابَا
عَزَوْا الْحِجَابَ إِلَى الْكِتَا بٍ، فَلَيْتَهُمْ قَرَأُوا الْكِتَابَا

* * *

أَنَا لَا يَسْأَلُ عَنِّي أَحَدٌ حِينَ أَغِيِبُ
أَنَا كَالرَّحْمَةِ مَنْبُوءُ ذٌ، وَكَالْحَقِّ غَرِيبُ

* * *

أَهْوَى الصَّبَاحَ فَلِإِنِّي فِي ظِلِّهِ أَنْسَى اكْتِنَابِي
وَكَأَنَّمَا هُوَ قِطْعَةٌ رَجَعْتُ إِلَيَّ مِنَ الشَّبَابِ

* * *

يَا جَهْلُ أَنْتَ بَرَعِمِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ مَمْتَعٌ بِعُلُوءِ الْجَاهِ وَالرُّتَبِ
يَا جَهْلُ يَأْتِيكَ عَفْوًا مَا تَحَاوَلُهُ يَا جَهْلُ مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ مِنْكَ أَوْ تَعَبِ

* * *

لَكَ فِي الْحَيَاةِ، فَلَا تَخَفْ مِنْ أَنْ تُفَارِقَهَا، تُبَوِّتْ
وَمِنَ الطَّبِيعَةِ أَنْتَ جُزْءٌ ءٌ، وَالطَّبِيعَةُ لَا تَمُوتُ

* * *

فِي حَيَاتِي أَنَا لَأَقْبُ نْتُ صُنُوفِ الْمُشْكَلَاتِ
غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مُنْذُ كِلَّةً مِثْلَ حَيَاتِي

* * *

إِنَّ الَّذِينَ عَنِ الْأَقْرَادِ قَدْ بَعُدُوا لَمْ يَجْحَدُوا أَنَّهُمْ مِنْهُمْ قَدْ وُلِدُوا
النَّاسَ الَّذِينَ تَطَوَّرُوا كَثِيرًا وَابْتَعَدُوا عَنِ جِنْسِ الْقَرَدَةِ، وَآمَنُوا بِنَظَرِيَةِ التَّطَوُّرِ، لَا يَنْكُرُونَ أَنَّ أَصْلَ الْإِنْسَانِ قَرْدٌ

أَمَّا الْأَلَى لَمْ يَزَالُوا فِي مَدَارِكِهِمْ أَدْنَى إِلَى أَصْلِهِمْ مِنْهَا فَقَدْ جَحَدُوا
وَمِنْ ظَلُّوا فِي مَدَارِكِهِمْ، فَهَمُّهُمْ، قَرِيبِينَ مِنْ أَصْلِهِمُ الْقَرْدِي فَهَمَّ يَنْكُرُونَ نَظَرِيَةَ التَّطَوُّرِ

* * *

أَقُولُ لِبَاكِ صُنْ مِنَ الدَّمْعِ بَعْضَهُ لِآتِي الرِّزَايَا، إِنَّهَا تَنْجِدُ
وَمَا بِي عَلَى عَيْنِكَ خَوْفٌ مِنَ الْعَمَى إِذَا بَكْتَا، لَكِنْ دُمُوعُكَ تَنْفَدُ
وَقَرَّ دُمُوعُكَ لِلرِّزَايَا، الْمَصَائِبُ، الْمُقْبَلَةُ . . . وَلَسْتَ خَائِفاً عَلَى عَيْنِكَ وَلَكِنْ دُمُوعُكَ تَنْفَدُ . . . لَا
يُقْنِكُ مَا فِي الْبَيْتَيْنِ مِنْ سَخَرِيَّةٍ

* * *

أَيُّهَا الرُّوحُ الَّذِي اسْتَقَرَّ أُنْثَى بِأَذِلَّةٍ فِي الْبَحْثِ عَنْهُ جَلَدِي
إِنَّكَ الْمُخْتُ الَّذِي قَدْ ذَهَبَتْ شُعْباً أَعْصَابُهُ فِي جَسَدِي
الرُّوحُ، الَّذِي ظَلَّتْ أُبْحَثُ عَنْهُ، هُوَ فِي الْوَاقِعِ الْمَخُ وَالْأَعْصَابُ الَّتِي انْتَشَرَتْ فِي الْجَسْمِ

* * *

مَنْعَ الَّذِينَ تَسَيِّطُرُوا أَنْ يُحْسِنُوا ثَخُنُ الْوُجُوهِ وَغِلْظَةُ الْأَكْبَادِ
مَهْمَا تَقْدَمَ فِي حَضَارَتِهِ الْفَتَى لَمْ يَخُلْ مِنْ هَمَجِيَّةِ الْأَجْدَادِ

* * *

عَجِبِي مِنَ الْإِنْسَانِ يَهْجَعُ آمَنًا وَالْمَوْتُ لِلْإِنْسَانِ بِالْمَرْصَادِ
لَا تَطْمَئِنَّ بِكَوْنِ لَيْلِكَ هَادِئًا فَلَسَوْفَ يَأْتِي السَّبِيلُ مِلْءَ الْوَادِي

* * *

لَا تَخُونُ الْعُقُولُ أَصْحَابَهَا فَيَ مَا تَرَاهُ، وَقَدْ يَخُونُ الضَّمِيرُ
قِيلَ لِي قِفْ فَقُلْتُ غَيْرَ مُلَبٍّ: أَنَا إِنْ لَمْ أُسِرْ فَمَنْ ذَا يَسِيرُ

غَيْرِ مُلَبٍّ: غَيْرِ مُسْتَجِيبٍ، وَلَا أَلِيَّ الدَّعْوَةَ لِلْوُقُوفِ

* * *

فَتَنُ عَمَّتِ الْبِلَادَ فَمَا أَغْفَ نَى عَنِ الْمَرْءِ أَهْلُهُ وَالْعَشِيرُ
وَإِذَا ثَارَتِ الْجَمَاعَةُ يَوْمًا فَهِيَ قَدْ لَا تَدْرِي لِمَاذَا تَثُورُ

* * *

يَا عَلِّمُ يَا كُلَّ الْهِدَايَةِ لِلْوَرَى صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ وَالْأَبْرَارُ
الْحَرْبُ بَعْدَ الْيَوْمِ حَرْبُ سِيَاسَةٍ وَالْغَالِبُونَ بِهَا هُمُ الْأَحْرَارُ

* * *

لِسَانِي عَلَى الصَّمْتِ الطَوِيلِ مُوَاطِبٌ وَفِي الصَّدْرِ آرَاءٌ يَضِيقُ بِهَا صَدْرِي

وقد كنت لا أدري حقيقة ما أرى زماناً، ولا أدري بأنّي لا أدري

* * *

أقول لشعري أيها الشعرِ صلّ وجُلْ فأنتَ بميدانِ الفصاحةِ فارسُ
يُمارسُ شعري اليومَ إصلاحَ أمةٍ فليلهُ شعري اليومَ ماذا يُمارسُ

* * *

قلتُ للشاعرِ والشا عرُّ ذو سهمٍ يطيشُ
أنتَ إن عشتَ تُمُتْ جو عاً وإن مُتَّ تَعيشُ

المبدعون يكرمون بعد موتهم

* * *

إذا ما قضى ربُّ السماواتِ حاجنا حميدناه حمداً المخلصينَ على الأرضِ
وإنْ يَأْبَ مِنْ بعدِ الدعاءِ قضاءها نكنُ نحنُ أرباباً لحاجتنا نَقْضي
أرباباً: أصحاباً

* * *

رثاء عبد الله، والد الشاعر اللبناني بشارة الخوري:

جزعتُ لِعبدِ اللّهِ إذ ماتَ إنني على كلِّ ذي فضلٍ يموتُ جزوعُ
فتى مثلاً ترجوه: أمّا لِسائِه قَرطَبٌ، وأمّا كُفُه قَرَبيعُ

* * *

ما في السُّفورِ مَعْرَةٌ تُخشى على امرأةٍ عفيفةٍ
إن النّظيفةَ في قِرا رةٍ نَفْسِها تبقى نظيفةٌ

* * *

أنا يا شمسُ ذرّةٌ فوقَ أرضٍ هي في سيرها عليك تَطُوفُ
لا تكوني مغرورةً، إنّما مث لُك في أجوازِ الفضاءِ أُلُوفُ

* * *

لا يخافُ الرّاعي ذئباً تَعَاوى مِنْ بَعِيدٍ مُلِحَّةً في الطّوافِ
إنّما خوفُه إذا الليلُ أَدجى مِنْ ذئابٍ تَنَدَسُّ بَيْنَ الخِرافِ

* * *

وَإِنَّ الَّذِي يَسْعَى لَتَحْرِيرِ أُمَّةٍ يَهُونُ عَلَيْهِ النَّفْيُ وَالسَّجُنُ وَالشَّنْقُ
إِذَا رُمَتْ عَنْ دَارِ الْمَذَلَّةِ رِحْلَةً فَيَسِرُّ قَبْلَ أَنْ تَنْسَدَ فِي وَجْهِكَ الطُّرُقُ

* * *

أَخْبَبْتُ النَّاسَ صَدِيقُ عَنْ نِفَاقٍ يَتَحَرَّكُ
فَمَعَ الْمَظْلُومُ يَبْكِي وَمَعَ الظَّالِمِ يَضْحَكُ

* * *

أَحْبَلَ اللَّيْلَ نَهَارُ قَدْ نَزَا ثُمَّ تَوَلَّى
أَحْبَلُ: جَعَلَهُ يَحِلُّ وَيَحْمِلُ جِنَاءً، نَزَا: اعْتَلَى

فَانْتَظَرُوا مَا تَلِدُ اللَّيْلُ لَيْلَةً، فَالْـلَّيْلَةُ حُبْلَى

* * *

أَمَّا النِّجَاحُ فَلَا نِجَاحَ لِأُمَّةٍ مَا أَيَّدَتْ أَقْوَالَهَا أَفْعَالُهَا
غُلَّتْ فَمَا أَبَدَتْ أَقْلًا تَذْمُرُ فَكَأَنَّمَا طَابَتْ لَهَا أَغْلَالُهَا
غُلَّتْ: قَيِّدَتْ

* * *

إِنِّي إِذَا حَادِثَةٌ غَيَّرْتُ حَقِيقَةً، غَيَّرْتُ أَقْوَالِي
لَوْ نَبَتَتْ لِحَاكَتِي لِحِيَةً سَمَّيْتُهَا عِنْدِي خَالِي
كَانَ الْعَقَادُ يَفَاخِرُ بِأَنَّهُ لَمْ يَغْيِرْ قَطُّ آرَاءَهُ، الزَّهَاوِيُّ يَفَاخِرُ بِأَنَّهُ مُسْتَعِدٌّ لِتَغْيِيرِ آرَائِهِ بِحَسَبِ مَا يَجِدُ مِنْ حَقَائِقَ

* * *

يَا حَامِلَ الصَّنْصَامِ لَا يَحْمِي بِهِ حَقًّا، لِمَاذَا تَحِيلُ الصَّنْصَامَا؟
الصَّنْصَامُ: السِّيفُ

جَهْلَ الَّذِينَ عَلَى قَدِيمٍ عَوَّلُوا أَنَّ الزَّمَانَ يُغَيِّرُ الْأَحْكَامَا

* * *

النَّاسُ إِمَّا أَذُوبُ فَتَّاسِكَةٌ أَوْ غَنَمُ
الذُّوبُ لَا يَرُوي غَلِيًّا لَ جَوْفِهِ إِلَّا السَّدَمُ
غَلِيْلٌ: عَطَشٌ

* * *

لم نكنْ بالأرْزَاءِ نَعْباً حَتَّى أَخَذَ المَوْتُ قَاهِراً إِدْسُونَا

الأرزاء: المصائب، توماس إديسون: المخترع الأمريكي المشهور

أَيُّ شَيْءٍ تَرَكْتَ لِأَخْرَجِنَا أَيُّهَا المَبْدَعُ الكَثِيرُ المَنَاحِي

* * *

وَوَاعِظِ غَارِقٍ فِي لِحْيَةٍ كَبُرَتْ يَأْتِي بِكُلِّ قَبِيحٍ ثُمَّ يَنْهَانَا
لَا وَاللَّحَى، وَالَّذِي فِي الْوَجْهِ أَتْنَبَهَا مَا إِنْ تَكُونُ اللَّحَى لِلْفَضْلِ مِيزَانَا

* * *

يَقُولُونَ إِنَّ الشَّعْرَ نَحْنُ عِمَادُهُ فَمَنْ أَنْتُمْ حَتَّى يَكُونَ لَكُمْ «نَحْنُ»
وَمَنْ لَمْ يَزِنْ عِنْدَ التَّكَلُّمِ نَفْسَهُ فَمِنْ حَقِّهِ أَنْ لَا يُقَامَ لَهُ وَزْنُ

* * *

لَقَدْ جَاءَ شَيْطَانٌ مِنَ الْجِنَّ دَاعِياً إِلَى جَنَّةٍ فِيهَا عَذَارَى وَغِلْمَانُ
فَقُلْتُ لَهُ: اغْرُبْ أَنْتَ لَسْتُ بِخَادِعِي فَإِنِّي شَيْطَانٌ كَمَا أَنْتَ شَيْطَانُ

* * *

بأعماله الإنسان يُعرفُ عقله فليس سِوَاهَا لِلنُّهَى مِنْ مَوَازِينِ

النهى: العقول

سَلِيمَا يَظَلُّ الْحَيْظُ بَيْنَ أُولِي النُّهَى وَيَنْقَطِعُ الْجَنْزِيرُ بَيْنَ المَجَانِينِ

الجنزير: السلسلة الحديدية. وتسمى البنت المخطوبة السوار الذهبي الذي هو عبارة عن حلقات من ذهب يمسك بعضها ببعض، وتمسك كلها بخناق الخطيب المسكين، جنزيراً

* * *

فُهِتْ بِالْحَقِّ فَجَارَوْ نِي بِسَبِّ وَامْتِهَانِ

فهت: تفوّهت

إِنِّي يَا لَشَقَائِي جِئْتُ فِي غَيْرِ زَمَانِي

* * *

أَنْتَ فِي صُورَةِ الْأَطْيَافِ لَيْلَى بَلِيلٍ فِيهِ قَدْ هَاجَتْ شُجُونِي

جَعَلْتُ لِنَوْمِهَا صَدْرِي فِرَاشاً فَعَاقَتْهُ، وَنَامَتْ فِي عُيُونِي
تعلیق صدیقی الشاعر عمران القفینی: (هذا نفسه: بذلت لها المطارف والحشایا - فعافتها ونامت
في عظامي)، وتعلیقي أن بیت المتنبي أشهر من أن يسرق، ولكن كان الزهاوي «استعان» بالكبير
العظيم

* * *

لَقَدْ جُنِنْتُ بِلَيْلِي فطابَ فيها جنوني
سَـيـروا.. ارجِعُوا، عند ليلى لا تَذْكُرُونِي، اذْكُرُونِي

* * *

فِي حَبَّةِ الرَّمْلِ فَوْقَ الْأَرْضِ سَاكِنَةٌ مِنَ الْقُوَى مَا بِهِ الْأَطْوَادُ تَنْفَطِرُ
ليس القوى غير بعض الجسم قد لطفًا والجسم إلا قوى مجموعة كثفا
هذان البيتان يختصران النظرية الذرية الحديثة: الذرات مادة تتحول إلى طاقة تنفطر بها الأطواد،
تتحطم الجبال. فالقوى، أي الطاقة، هي مادة في الأصل. والمادة ليست سوى طاقة مجموعة
كثفاً، أي جماعات

* * *

إِنْ طِبْتُ طِبْتُ وَإِنْ هُنْتُ تَ، يَا عِرَاقُ، أَهْوَنُ
إِنِّي عَلَى كُلِّ حَالٍ كَمَا تَكُونُ أَكُونُ

* * *

أَنَا يَا شِعْرُ كَيْبُ مَثَلَمَا أَنْتَ كَيْبُ
وَكِلَانَا أَيُّهَا الشُّغْفُ رُبِّبْغَدَادَ غَرِيبُ

* * *

أَوْ مِنْ هَمٍّ تَظْلُ النَّـ نَفْسُ فِيهِ وَتَبِيبُ
لَا تَمُوتِ النَّفْسُ بِالْهَمِّ- وَلَا الْهَمُّ يَمُوتُ

* * *

لَا تُطِلْ شِعْرَكَ وَابْذُلْ كُلَّ جَهْدٍ أَنْ تُجِيدَهُ
رَبِّ بَيْتٍ هُوَ إِنْ أَحـ سَنَنْتَ خَيْرٌ مِنْ قَصِيدَةٍ

* * *

إِنَّمَا الْمَرْأَةُ وَالْمَرْ ءُ سَوَاءٌ فِي السَّجْدَةِ

عَلِّمُوا الْمَرَأَةَ فَالْمَرْءُ أَقْ عَنَوَانُ الْحَضَارَةِ

* * *

يَرْفَعُ الشَّعْبَ قَرِيبًا ن: إِنَّاكَ وَذُكُورُ
وَقَلِ الطَّائِرُ إِلَّا بِجَنَاحَيْهِ يَطِيرُ

* * *

أَصْحَبُ النَّاسِ وَمِنْهُمْ حَذَرِي مِثْلُ وَثُوقِي
كُلُّ إِنْسَانٍ عَدُوِّي، كُلُّ إِنْسَانٍ صَدِيقِي

* * *

لَا تَقِفْ فِي وَجْهِ لَدَا نِكَ مَكْتُوفِ الْبِدِينِ
أَنْتَ لَا تَأْتِي إِلَي دَنَّا مِيَاكَ هَذَا مَرَّتَيْنِ

كان عباس العقاد يحب هذين البيتين للزهاوي

* * *

إِنَّ جِسْمَ الْمَرْءِ لِلرُّوْحِ حِ التِّي فِيهِ يَمُوتُ
فَإِذَا مَا مَاتَ جِسْمُ الْـ مَرءٍ فَالرُّوْحُ تَمُوتُ
سيظل الزهاوي يكرر هذه المقولة، ومن مجمل شعره فالرجل «مادي» فلسفياً

* * *

الْغَرْبُ يَلْقَاكَ مِنْ مَكُّ رِهِ بِوَجْهِ طَلِيقِ
يَا شَرْقُ لَا تَأْتِمِنُهُ فَالْغَرْبُ غَيْرُ صَدِيقِ

* * *

سَأَمْتُ كُلَّ قَدِيمٍ عَرَفْتُهُ فِي حَيَاتِي
إِنْ كَانَ عِنْدَكَ شَيْءٌ مِنْ الْجَدِيدِ فَهَاتِ

* * *

إِنَّ الْحَقِيقَةَ تَأْبَى لِنَاظِرِي أَنْ تَبِينَا
تبيين: تظهر

إِذَا جَمَعْتُ شُكُوكِي فَلَا تُسَاوِي يَبْقِينَا
مجرد شكّي في أمور كثيرة لا يعني أنني وصلت إلى معرفة يقينية.. صفر + صفر = صفراً

* * *

قَالُوا لِشَاعِرٍ مِصْرِيٍّ قَصْرُ الْإِمَارَةِ يُبْنَى

فَقُلْتُ: يَا أَهْلَ مِصْرٍ، مِنْكُمْ أَمِيرٌ وَمِنَّا..

قال الزهاوي البيتين عندما نصب الناس أحمد شوقي أميراً للشعراء، في حفل كبير عام ١٩٢٧، ويرد الزهاوي قول الأنصار للمهاجرين بعد وفاة الرسول: «منكم أمير ومنا أمير». وحذف الأمير الأخيرة اكفاء.. وظرف في هذين البيتين ما شاء له.. واته القافية أي موانة

* * *

قَدْ مَدَحْتُ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِبُوا مَدَائِحِي

إِحْسِبُوهَا عَلَى ضَرُو رَتَّهَا مِنْ قَبَائِحِي

على ضرورتها: أي رغم أنها جاءت لضرورة. والمدح لا يأتي إلا لضرورة نفاقية. قد حسبتها من قبائحك، ولم نقتطف منها شيئاً في مختاراتنا

* * *

إِرْتَحِلْ عَنْ بَلَدٍ أَنْتَ فِيهِ مُهْمَلٌ

إِنَّمَا الْخُرُ إِذَا سِيمَ خَسَفًا يَرْحَلُ

سيم خسفاً: عُرِضَ للذل

* * *

لَيْسَ تَرَقَى الْأَبْنَاءُ فِي أُمَّةٍ مَا لَمْ تَكُنْ قَدْ تَرَقَّتِ الْأُمَمَاتُ

أَخَّرَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ أُمَمِ الْأَرَضِ حِجَابٌ تَشْقَى بِهِ الْمَسْلَمَاتُ

* * *

إِنَّ الْخِيَالَ نِهَائِيَّةٌ فِي أُمَّةٍ لِسُكُونِهَا، وَبِدَاءَةُ الْحَرَكَاتِ

كُنَّا نَذُمُ مِنَ الشُّعُوبِ خَيَالَهَا وَإِذَا الْخَيَالُ مُوَلَّدُ الرِّغَابِ

مشكلة المدارس أنها تقتل في الطفل الخيال، لصالح الواقع، المدرسة تسعى لتحويلك إلى خروف اجتماعي يساهم في تثبيت الأحوال، والخيال يجعلك تسعى لتغيير الأحوال

* * *

لَقَدْ عَلِمْتُ، لَوْ أَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُنِي، مِنْ طَوْلٍ مَا جِئْتُ قَبْلًا أَدْرُسُ النَّاسَ..

أَنَّ الْجَمَاعَةَ دُونَ الْفَرْدِ مَعْرِفَةٌ وَفَوْقَهُ بِصُرُوفِ الدَّهْرِ إِحْسَاسَا

* * *

ما زالَ لِلْمَرْءِ مِنْ لَذَاتِ عَيْشَتِهِ رِضًى، وَلِلْمَرْءِ مِنْ آلاَمِهِ بَرَمٌ

برم: صجر

لم يعرفِ المرءُ في كُلِّ الحَيَاةِ سِوَى حَقِيقَتَيْنِ هُمَا اللَّذَاتُ وَالْأَلَمُ

* * *

مَنْ اِطْمَأَنَّ بِدِينٍ كَانَ يَرْضَعُهُ فَلَيْسَ يَسْمَعُ تَأْنِيْبَ الْبَرَاهِينِ
وَلَيْسَ يَقْبَلُ فِي دِينٍ مُعَارَضَةً إِلَّا الَّذِي هُوَ فِي شَكٍّ مِنَ الدِّينِ

في نظر الزهاوي فالدين فكرة مهيمنة تستولي على الإنسان استيلاء، وتصنع سدا يمنع دخول فكرة أخرى. والمرء يصادف في حياته المتدين الذي يقبل أن يناقش في العقائد، والمتدين الذي يقبل أن يناقش في «المسح على الخفين» ثم يقف عندها. قلت: «المرء»، ولم أقل أنا، فأنا فرغت من مثل هذا النقاش منذ أن كنت في المرحلة الإعدادية، وأعددت نفسي لاستقبال المعلومات عن هذه الدنيا تاركاً الأخرى لصاحب الكون الجليل

* * *

إِنَّهَا الْعَادَاتُ لَا يَخْلَعُهَا غَيْرُ ذَاكَ الْمَارِقِ الْمُتَنَظِّلِ
قَدْ تَلَقَّاهَا ثَرَاءً سَيِّئاً أَحَمَقُّ عَنْ أَحَمَقٍ عَنِ أَحَمَقٍ

* * *

قَدْ اسْتَطَابَ فَوْقَ صَدِّ رَهَا الْهَوَى رُقَادَهُ
مُتَّخِذاً لِنَفْسِهِ مِنْ ثَدِيهَا وَسَادَهُ

* * *

جَمَلاً أَبْصَرْتُ فِي حَوْ مَائَةِ الدَّرَاجِ أُمَسٍ

حومانة الدراج: موضع تغنى به قدامى الشعراء

يَتَرَاءَى كَالْكَثِيبِ الْفَرْدُ، فَاسْتَضَعَرْتُ نَفْسِي

* * *

لَيْسَ يَسْتَطِيعُ وَإِنْ جَدَّ ابْنُ آوَى أَنْ يَطِيرَا
قَبْلَ أَنْ يَمْلِكَ رِيشاً كَافِياً أَوْ يَسْتَعِيرَا

ولماذا اخترت هذين البيتين؟ لا أدري. ربما لأنهما يعبران عن هذا الشاعر المهذار الذي لا يقدر يقعد دون أن ينظم شيئاً. لا يستطيع ابن آوى أن يطير.. لكن، لا تعجلوا.. بإمكانه الطيران إن امتلك الريش.. أو إن استعار ريشاً. بالله عليك يا جميل صدقي ما هذا؟ أرجوك! أرايتم كيف يمكن لعبث صراح أن يكون شعراً؟

* * *

رَأَيْتُ بِالْأَمْسِ شَيْخاً قَدْ انْحَنَى بِاضْطِرَابٍ
فَقُلْتُ: يَا شَيْخُ، مَاذَا أَضَعْتُ؟ قَالَ: شِبَابِي
يَا سَلام!

٣ الجماعة الخشب

لَيْسَ تَسْتَحِقُّ حَيَا ةَ جَمَاعَةٍ خَشَبُ
مَعَشَرٍ إِذَا وَعَدُوا فِي كَلَامِهِمْ كَذَبُوا
أَوْ إِذَا بَدَأَ وَهْنٌ مِنْ أَخٍ لَهُمْ وَتَبُّوا

٤ ذهبت السعادة

سَكُنْنَا حِينَ ذَمُّنَا وَعَابُوا وَإِنْ سَكَوْنَا عَنْهُمْ جَوَابُ
سَأْرَحَلُ جَاعِلًا بَغْدَادَ خَلْفِي فَمَا عَيْشِي بِهَا إِلَّا عَذَابُ
وَلَا أَرْجُو السَّعَادَةَ بَعْدَ شَيْبِي فَقَدْ ذَهَبَتْ كَمَا ذَهَبَ الشَّبَابُ

٥ الزهاوي يتمشى في دروب بغداد

لَقَدْ كُنْتُ فِي دَرْبٍ بِبَغْدَادَ مَاشِياً وَبَغْدَادُ فِيهَا لِلْمُشَاةِ دُرُوبُ
فَصَادَفْتُ شَيْخاً قَدْ حَنَى الدَّهْرُ ظَهْرَهُ لَهُ فَوْقَ مُسْتَنِّ الطَّرِيقِ دَبِيبُ
مستن الطريق: أي الطريق المستن، أي الممهّد

عَلَيْهِ ثِيَابٌ رَثَّةٌ غَيْرَ أَنَّهَا نِظَافٌ فَلَمْ تَدْنَسْ لَهُنَّ جُيُوبُ
تدنس: تتسخ، جيب الثوب: فتحة العنق فيه

تَدُلُّ عُضُودٌ فِي وَسِيعِ جَبِينِهِ عَلَى أَنَّهُ بَيْنَ الشَّبَوِخِ كَثِيبُ
يَسِيرُ الْهُوَيْنَا وَالْجَمَاهِيرُ خَلْفَهُ يَسْبُوتُهُ، وَالشَّيْخُ لَيْسَ يُجِيبُ
لَهُ وَقْفَةٌ يَقْوَى بِهَا ثَمَّ شَهَقَةٌ تَكَادُ لَهَا نَفْسُ الشَّفِيقِ تَذُوبُ
نَسَاءَلْتُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ مُجَابِبُ هُوَ «الْحَقُّ» جَاءَ الْيَوْمَ فَهُوَ غَرِيبُ
فَقُلْتُ لَهُ: «إِنَّا غَرِيبَانِ هَهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ»

تضمين لبيت امرئ القيس المشهور

٦ رسالة إلى الدمة

أَنْتِ مَا إِنَّ تُخَفِّفِينَ مُصَابِي دَمَعَتِي؛ فَارْجِعِي عَلَى الْأَعْقَابِ
أَنْتِ لَا تَدْفَعِينَ وَظَاةَ شَيْبِي أَنْتِ لَا تُرْجِعِينَ عَهْدَ شَبَابِي
إِنَّمَا أَنْتِ قَطْرَةٌ سَتَبُلِّي نَ إِذَا سَلَّتْ بُقْعَةً مِنْ ثِيَابِي
يَا ابْنَةَ الْهَمِّ إِنَّ عُرْفَتِكَ الْقُلْدُ ب، فَلَا تَخْرُجِي إِلَى الْأَبْوَابِ
أَنَا لَمْ أَسْأَلِ الْعَيُونَ بُكَاءَ لَتَكُونِي عَنِ السُّؤَالِ جَوَابِي

٧ غروبها وشرقها

مَاذَا تُحَسُّ الشَّمْسُ عِنْدَ غُرُوبِهَا فَيَكُونُ ذَلِكَ بَاعِثًا لَشُحُوبِهَا؟
مَا إِنَّ رَأَتْ عَيْنِي وَقَدْ رَاقَبْتُهَا كَالْفَرْقِ بَيْنَ طُلُوعِهَا وَغُرُوبِهَا
إِنِّي لَيُخْزِنُنِي الْغُرُوبُ، فَإِنَّهُ لَمَذْكَرٌ نَفْسِي بِكُلِّ كُرُوبِهَا

٨ ميت ابن موتي

تَنَاسَيْتَ يَا إِنْسَانُ أَنْكَ مَيِّتٌ وَأَنْتَ مِنَ الْأَمْوَاتِ تَرْفَعُ أَبْيَاتَا
الْإِنْسَانِ بَيْنِي بَيوتًا ويرفعها، والتراب الذي يستخدمه فيه شيء من رفات البشر الذين ماتوا قبل
أزمان

وَتَمْشِي عَلَى الْأَمْوَاتِ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ وَتَأْكُلُ أَمْوَاتًا وَتَلْبَسُ أَمْوَاتَا
تَنَاسَلْتُ مِنْ أَمْوَاتِهَا ثُمَّ رُمْتُ أَنْ تَعِيشَ بِهَا عِيشَ الْخُلُودِ وَهَيْهَاتَا
وَأَنَّكَ فِي أَعْمَاقِ قَبْرِكَ لَا تَرَى وَجُوهًا، وَلَا فِي الْقَبْرِ تَسْمَعُ أَصْوَاتَا
وَلَسْتُ بِمَسْؤُولٍ إِذَا مَا سَكَنْتَهُ أَكُنْتُ عَبْدَتُ اللَّهَ قَبْلًا أَمْ اللَّاتَا
اللات: اسم صنم

٩ نهاية الحركات

تَبْكِي الشَّبَابَ عَلَى شَيْءٍ بِ فِي الْحَفَائِرِ بَاتُوا
الشيب: الشيوخ الشائبون، الحفائر: القبور
وَالشَّيْبُ تَبْكِي شَبَابًا عَاشُوا قَلِيلًا وَمَاتُوا
إِلَى سَكُونٍ طَوِيلٍ سَتَنْتَهِي الْحَرَكَاتُ

يَرْدَى الصَّدِيقُ وَتَبْقَى مِنْ بَعْدِهِ الذِّكْرِيَّاتُ

يردى: يموت

١٠ ورقة الأسئلة

هَاتُوا اذْكُرُوا لِي هَاتُوا مَا هَذِهِ الْكَائِنَاتُ
مَا أَنْتَ، مَا أَنَا، مَاذَا وَجُودُنَا وَالْحَيَاةُ؟
وَمَا الْمَكَانَ، وَمَاذَا مِنَ الْمَكَانِ الْجِهَاتُ؟
مَا الْجِسْمُ، مَا الْجَذْبُ، مَاذَا السُّ كَوْنُ وَالْحَرَكَاتُ؟
وَمَا لِشَيْءٍ زَوَالٌ وَمَا لِشَيْءٍ ثَبَاتٌ
لا شيء يزول، بل يتحول إلى صورة أخرى، ولا شيء ثابت فالحركة أساس الكون

وَرَبِّمَا سَوْفَ تَنْحَلُّ- هَذِهِ الْمُشْكِلَاتُ
إِذَا تَفَكَّرْتُ كَيْفَ أَنْتَ لَلشَّكِّ بِي وَخَرَاتُ
دَعِ الْمُتَرَوِّعَ فَمَا فَبِ- لَكَ وَحَدِّكَ الْمَلَكَاتُ
يخاطب الإنسان: لست وحدك صاحب الملكات، أي المواهب والمهارات

إِنْ كُنْتَ طِيرْتَ فَقَدْ طَا رَتْ قَبْلَكَ الْحَشَرَاتُ
أَوْ كُنْتَ غُضَّتْ فَقَدْ غَا صَتْ مِثْلَكَ السُّلْحَفَاتُ
الأكثر في اللغة السُّلْحَفَةُ بفتح اللام، وأورد تاج العروس السُّلْحَفَةُ كما أجاء الوزن الزهاوي إليها. يومئ عمران القفيني إلى أن هذه القصيدة تناظر قصيدة «الطلاس» لإيليا أبو ماضي، فهذه طلاس الزهاوي

١١ النهايات المتشابهة

سَتَجِدُّ الْأَبْنَاءَ سَيْرًا لِدارِ نَزَلَتْهَا الْأَبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ
رُبَّ قَوْمٍ عَاشُوا بِأَمْنٍ زَمَانًا ثُمَّ دَارَتْ عَلَيْهِمُ الدَّائِرَاتُ
وَقَبِيلٍ بَاتُوا جَمِيعًا بِلَيْلٍ فَإِذَا هُمْ فِي صُبْحِهِ أَشْتَاتُ
قبيل: قوم، جميعاً: مجتمعين

١٢ لن أسكت

إِنَّ هَذَا الْحِجَابَ قَبْرٌ كَثِيفٌ حَالٌ بَيْنَ الْفَتَاةِ وَالنِّسَمَاتِ

إن هذا إثمٌ أَقْبَحُهُ، ما جاءَ حَضُّ عَلَيْهِ فِي الْآيَاتِ
أَيُّهَا الْمُسْكِتِي عَنِ الْقَوْلِ مَا أُنَدِ بِذِي قُدْرَةٍ عَلَى إِسْكَاتِي

١٣ أسفل الدرجات

جَنَّةٌ عِنْدَ جَنَّةٍ عِنْدَ أُخْرَى هَكَذَا يَمْتَدِدْنَ مُتَّصِلَاتٍ
غَادَرَتْهَا أَيْدِي الْجَهَالَةِ قَفْرًا بَعْدَ تِلْكَ الرِّيَاضِ وَالْجَنَاتِ
قفراً: قاحلة غير مزروعة

مَنْ رَأَى الْأَرْضَ فِي الْعِرَاقِ مَوَاتًا ذَهَبَتْ مِنْهُ نَفْسُهُ حَسَرَاتٍ
وَانْتَهَتْ سُلْطَةُ الْبِلَادِ لِقَوْمٍ خُلِقُوا لِلرُّشَى وَلِلسَّرِقَاتِ
إِزْتَقَتْ سُلَّمُ التَّقَدُّمِ نَاسٌ وَوَقَفْنَا فِي أَسْفَلِ الدَّرَجَاتِ
فَخَرُّوا بِالْعِلْمِ إِذْ رَفَعْتُهُمْ وَقَحَرْنَا بِالْأَعْظَمِ النَّخِرَاتِ

١٤ سوف تاتي!

يَرْجُو وَصَالَ الْخُورِ بَعْدَ هَذِهِ الْمَوْتِ قَوْمٌ بِالصَّلَاةِ
هَيَّاهُ، لَيْسَ لِمَنْ بِهِ تُودِي الْمَنِيَّةُ مِنْ حَيَاةٍ
إِلَّا إِذَا أَتَتِ الْقَبْرَ مَهْ، وَهِيَ يَوْمًا سَوْفَ تَأْتِي

١٥ الموت ميراثاً

أَحْدَثْنِي الْأَيَّامَ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ فَهِيَ مَدْفُوعَةٌ إِلَى إِحْدَاثِي
أَحْدَثْنِي، وَبَعْدَمَا أَحْدَثْنِي أَلْبَثْتَنِي فَلَمْ تُطِلْ إِلْبَاثِي
أحدثني: أوجدتني، إلبائي: إبقائي

إِنَّمَا الْمَوْتُ خَيْرٌ مَا خَلَفْتُهُ لِبَنِيهَا الْآبَاءُ مِنْ مِيرَاثٍ

١٦ الامتزاج

نَظَرْتُ إِلَيْهَا، وَهِيَ بِيضَاءُ تَبْهَجُ بِحَدِّ بِهَاءِ الصَّبَا يَتَمَوَّجُ
تبهج: تتألق. قال بيرم التونسي: ليه يا بنفسج بتبهج/ وانت زهر حزين

عَلَى صَدْرِهَا نَهْدَانِ قَامَا أَمَامَهَا وَمِنْ خَلْفِهَا أَرْدَافُهَا تَتَرَجَّرُجُ
بل «قاما» وقعدا بك يا جميل صدقي

وَقَدْ خَرَجْتُ مِنْ دَارِهَا لِلْبَانَةِ فَأَحَسَسْتُ مِنْهَا أَنَّ رُوحِي تَخْرُجُ

لبانة : حاجة

مَشَتْ وَمَشَى قَلْبِي الْمَتِيمُ خَلْفَهَا يُقْبِلُ آثَارَ الْخُطَى حَيْثُ تَنْهَجُ

تنهج : تسير في النهج أي الطريق

أُرِيدُ إِذَا قَابَلْتُهَا أَنْ أَبْثُهَا غَرَامِي بِهَا، لِكِنِّي أَتَلَجَلَجُ

أتلجلج : أتلعثم

تَمَنَيْتُ يَا لَيْلَى، وَهَلْ تَنْفَعُ الْمَنَى لَوْ أَنَّ حَيَاتِي فِي حَيَاتِكَ تُمَزَّجُ

كان ابن الرومي، على صراحته، أعف إذ جعل الروحين يمتزجان

١٧ الفرار

يُبْثِّطُنِي حُبُّ بَغْدَادَ لَا زَمَّ وَيَدْفَعُنِي شَوْقٌ إِلَى مِصْرَ مُشْتَدُّ

يُثبطني : يفل عزمي ويحبطني

وَلَمْ تَكْ بَغْدَادُ سِوَى دَارِ كُرْبَةٍ نَهَارِي فِيهَا مِثْلُ لَيْلِي مُسَوِّدُ

مَشَيْتُ إِلَى مِصْرٍ أَسَارِعُ قَبْلَمَا طَرِيقِي إِلَى مِصْرَ الْجَمِيلَةِ يَنْسَدُّ

شهد الزهاوي الدولة العثمانية شاباً فرجلاً وكانت إستانبول قبلته وورثته الثقافية، يهرب إليها من العراق ويتمتع بالاقتراب من مركز الكون (بالنسبة إلى عربي يعيش في ظل الدولة العثمانية)؛ وفجأة تبخرت إستانبول من عالم الزهاوي. فأصبحت مصر بالنسبة إليه هي الجنة، وهي المهرب: فيها نشر شعره، وفيها لقي التكريم، وهي الملاذ... بعيداً عن بغداد وما يلقى فيها من عنت المتشددین في الدين، وما يعاني فيها من ضيق الأفق الثقافي

١٨ فرار الشيخ

جَعَلْتُ عَلَى سَيَارَةِ ذَاتِ سُرْعَةٍ إِلَى الشَّامِ أَطْوِي قَدْ قَدَّأْتُ ثُمَّ قَدْ قَدَّأْتُ

جعلت : بدأت، القددأ : الأرض الخلاء

فَأَدْرَكْتُهَا مِنْ بَعْدِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمِنْهَا إِلَى بَيْرُوتَ قَدْ جِئْتُ مُوقَدًا

وَكُنْتُ بِبَغْدَادٍ أَكْبَادُ جَفْوَةٍ وَكَانَ يُسَمِّيَنِي بِهَا الْقَوْمُ مُلْحِدًا

وَقَالُوا لِي أَحْمَدُ فِي الْبِلَادِ هُمَامًا فَقُلْتُ لَهُمْ هَاتُوا هُمَاماً لِأَحْمَدَ

الهمام، بالمعنى القديم: الزعيم

إذا المرء رامَّ البُعدَ عن أرضٍ ذلَّةٍ فلا ينبغي للمرء أن يترددا
ولا خيرَ في غمٍّ خلا من حُسامِهِ ولا في حسامٍ ظلَّ يصدأ مُغمدا
وإنِّي على شيخوختي وزمانتي أريدُ بشعري في الحياة التَّجددا
زمانتي: مرضي المزمَن

ولا خيرَ في شعرٍ مضى اليومَ عهدُهُ وفي شاعرٍ إن قالَ قالَ مُقلدا
وما شاعرُ العصرِ الجديدِ سوى الذي على دولة الشعرِ القديمِ تَمَرَّدا
هذا الزهاوي شيخاً. وكان شهد العز وارتقاء الحال أيام الدولة العثمانية، ثم جاء الإنجليز وجاء فيصل ملكاً على العراق فتعلق الزهاوي بالعصر الجديد متأملاً أن يزداد رفعة، وتقرب من الحكم الجديد، ومات فيصل وأحس الزهاوي بوطاة الشيخوخة، ووطاة الناس الذي ضجوا لأفكاره، فهو الآن شيخ برم بالحياة.. يفر من بغداد إلى الشام وإلى مصر كأنه يفر من زمن لم يعد زمنه

١٩ الفيلسوف المؤمن!

ملأوا صُدُورَ الصُّخفِ حَقداً والحقُّ قد سَمَّوهُ نَقداً
قالوا دَخِيلٌ في القَرَبِ ضٍ فَمَا أَجَادَ ولا أَجَدًا
قالوا صَغِيرٌ لا يُعَدُّ مِنَ الفُحُولِ ولن يُعَدَّ
ولهُ جَرَاءَةٌ فيلِلسو في يُوسُفَ الأديانِ جَحداً
كَذَبُوا فلِإِنِّي شَاعِرٌ وأدِينُ بِالإِسلامِ جِدًّا
إِنَّ الخُطوبَ نَزَلْنَ بي فترَكْنِي عَظْماً وجِلداً

٢٠ اللامتناهي

لقد ضَحَكْتُ فكان الضُّحْكُ مِلءَ فَمِي مِنَ الذي قالَ إِنَّ الكونَ محدودٌ
ما الأرضُ بين شُموِسٍ لا عِدَادَ لها إِلَّا حِصَاةَ حَوَالِيهَا جَلَامِيدُ
جلاميد: صخور

وكم بِهَا سُدُماً تَمَتَّدُ وإِسْعَةً فيها النجومُ عناقيدٌ عناقيدُ
السُدُم، وواحدها سديم: الغيوم الكونية، مجموعات من الشمس تبدو كأنها غيوم

٢١ القيامة؟

ما لِلحَيَاةِ وراءَ الموتِ تَجْدِيدُ فلا يَقُومُ مِنَ الأَجْدَاثِ مَلْحُودُ

فيها النهارُ كَلِيلٌ لا صباحَ له أما الليالي فَتَلْكُمُ كُلُّها سُودُ
القبرُ آخرُ بيتٍ لِلألى هَلَكُوا والحسُّ في الهالكِ المَلْحودِ مَفقودُ

٢٢ معاهدات

تُلغى معاهدةٌ وأخرى تُعَقَّدُ والشعبُ يُستفتى لها، ويُهدَّدُ
والشعبُ يُطري لِلجهالةِ خِنَجراً في صدره عمّا قريبٍ يُغَمَدُ
أما الزعيمُ فما تحرَّك، ذايداً عن حقِّهم، منه اللسانُ ولا اليدُ

٢٣ قصيدة عتيقة

يُحوَّلُ عنها العَيْنُ ثم يُعيدُها حِذارَ عدِي تَغْلِي عليه حُقودُها
ويُنْضِي خِلالَ النُّظَرَتَيْنِ محاذِراً رقيباً لها، إن لم يَكْذِبْ بِكَيْدِها
بداية غزلية ثم دخول في معنى آخر

تُنازِعُهُ حَوْضَ المَنبِيَةِ نَفْسُهُ فَتَطْلُبُ وَرْداً عِنْدَهُ وَيَذودُها
نفس الشاعر تنازعه حوض الموت طالبة وروده، ولكنه يذود نفسه ويصدها عن حوض الموت
إذا هِيَ ماتتْ ماتَ كُلُّ هُمومِها وأقْلَعَ عنها نَحْسُها وسُعودُها
إذا النفس ماتت انتهى كل شيء

سِوَاةٍ على مَنْ باتَ في بطنِ حُفْرَةٍ رَهينَ البلى بِيضُ الليالي وسُودُها
يَعِزُّ على عَيْنِي أَنْ تَنْظُرَا إلى بلادِ تَسوسُ الناسَ فيها قُروُدُها

٢٤ شوق إلى المجد

وَهُوَ العِراقُ يَسوؤُنِي أَلَّا يَريَ مَتَقَدِّماً ولِأَهْلِهِ اسْتِعْدادُ
لا ريبَ في أن العِراقَ بِأَهْلِهِ يَسْمُو إذا أَهْلُ العِراقِ أرادوا
يَغْلِي سُروري كُلِّما فَكرْتُ في مجدٍ إلى بَغدادَ سوف يُعادُ
شعور متوقع من ابن مدينة كانت عاصمة الدنيا ذات يوم. على أن المجد الزائل لا يعود، بل يخلق مجد جديد... إذا أراد الناس

٢٥ قيود الشعر

بِسادتْ شُعوبٌ لا تَريدُ وإذا أرادَتْ لا تَبِيدُ
لا تريد: ليس عندها إرادة

لا النار تُوقِفُ ما أرا دَنُّهُ الشُّعُوبُ ولا الحَدِيدُ
العِزُّ في صِدْقِ العَزيزِ مَهِ، والشُّعُوبُ كما تُريدُ
والنَّاسُ إِمَّا سَادَةٌ لَهُمُ الإرَادَةُ أو عَبِيدُ
كُلُّ الفَنونِ تَجَدَّدَتْ والشُّعُرُ يُعَوِّزُهُ الجَدِيدُ
ما قامَ حَتَّى أَثَقَلْتُ هُ مِنْ قَوافِيهِ القُيُودُ
وَضَعَ الِوَرى حَدًّا لِه والشُّعُرُ لَيسَ لِه حَدودُ
ما ضَرَّ سامِعَها لو اِخ تَلَقَّتْ قَوافِيها القَصِيدُ
مَنْ كانَ يَنْظِمُ عَن شُعو رِ صادِقٍ فَهُوَ المُجِيدُ
وفي أُخرياتِ حَياتِه كُتبَ الزَّهاوي قِصائِدَ مرسَلَةِ القَوافي، لَكنه ظَلَّ حَيسَ الأَشطَرِ المُتساوِيةِ،
وسَيَظُنُّ الشُّعُرَ في العِراقِ بَعدَ الزَّهاوي عَشرينَ سَنَةً حَتَّى يَكسِرَ شُعراؤُه قَالبَ الشُّطَرينَ المُتساوِينَ

٢٦ فلسفتي

حَيَّرَتَكَ الحَياةُ وَهِيَ لَعَمري لَيسَ إِلَّا تَطوُّراً في الجَمادِ
فِكرَةٌ فلسفِيَّةٌ عَميقةٌ في نَفْسِ الزَّهاوي: الكائِنُ الحَيُّ لَيسَ شَيْئاً مُختَلِفاً نَوعياً، بَلْ هُوَ مادَةٌ تَعَدَّتْ
في تَركِيبِها فَنشأتَ فيها «الحَياةُ»

تَخِذْ النَوعَ في الِوَرى لِلتَّعالِي سُلَّماً مِنْ جَماعِمِ الأَفرادِ
تَخذُ: اتَّخِذْ، أَيَّ أنْ أَجِالاً مَوتَ وتَأْتِي أَجِالٌ وَتَتَاقِبُها يَتَطورُ الكائِنُ

لَيسَ مَنْ يَدْرُسُ الطَّبِيعَةَ بَحًّا ثأً بِناجٍ مِنْ تُهْمَةِ الإِلحادِ
أَنْتَ يا عَقلُ، في جَمِيعِ حَياتِي، سَنَدٌ يَنْتَهِيَ إِلَيهِ اعْتِمادِي
قَد تَعَوَّدْتُ أنْ أَكونَ صَريحاً فاقُولَ الَّذي عَلَيهِ اعْتِقادِي
إِنْ تَكنُ مِنِّي الصَّراحَةُ إِثْماً فَهُوَ جِزءٌ مَتَمِّمٌ لِجِهادِي
فَقَد اِخْتَرْتُ لِي جَهَنَّمَ مَثوًى وَتَرَكْتُ الجَنانَ لِلزُّهادِ
أَنا هَذا، وَلَسْتُ أَقوًى عَلى نَفي يَيبِرُ نَفْسي يَوماً أو اسْتِعدادِي

٢٧ كُفَر وإيمان

سَبَقَتْنِي إلى المَقابِرِ مَوتِي أَنَا في الرَاحِلينَ غَيرُ وَحيدِ
مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَنامَ بِقَبْرِ لا يُبالي طُولَ اللَّيالي السُّودِ

لَسْتُ أَدْرِي أَلِإِلْفَنَاءِ سَنَمْضِي
حَبْنًا لَوْ حَظِيتُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِي
إِنِّي فِي شَكِّ وَإِنْ مَلَأُوا سَمْفَ
لَا تَثْقُ بِالْجُمْهُورِ يَا عَقْلُ يَوْمًا
يَمُمِّي يَا نَفْسِي السَّمَاءَ فَإِنِّي
أَنْتِ إِنْ تَعَزِمِي يَهْنُ كُلُّ صَغْبٍ
أَحْمَدُ الْبَارِي الَّذِي يَتَسَاوَى
قِيلَ إِنَّ الشَّهِيدَ يَحْيَا لَدَى الرَّبِّ
كُلُّنَا مُؤْمِنٌ يَسْبُحُ لِلرَّحْمَنِ
إِنِّي مَا سَجَدْتُ يَوْمًا لِغَيْرِ اللَّهِ

بَعْدَ أَنَا نَمُوتُ أَمْ لِلْخُلُودِ
بِحَيَاتِي الَّتِي انْتَهَتْ مِنْ جَدِيدٍ
عَيِّ بِوَعْدِ يَرُوءُنَهُ وَوَعِيدٍ
إِنَّ رَأْيَ الْجُمْهُورِ غَيْرُ سَدِيدٍ
لَا أَرَى فِي الثَّرَى طَرِيقَ الْخُلُودِ
لَا يَنَالُ الْمَرَادَ غَيْرُ الْمُرِيدِ
عِنْدَهُ إِيمَانِي بِهِ وَجُحُودِي
فَمَنْ ذَا فِي الْأَرْضِ غَيْرُ شَهِيدٍ
مَنْ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ الْمَمْدُودِ
هـ، فَالْلَّهُ وَحْدَهُ مَعْبُودِي

٢٨ العربة والحصان

لَيْسَ مِنَّا الْأَجْسَادُ بِالرُّوحِ تَحْيَا
أَنَا بِالشَّعْرِ وَحْدَهُ أَتَسَلَّى
وَإِذَا وَاقَتْهُ الْمَنِيَّةُ قَبْلِي

إِنَّمَا يَحْيَا الرُّوحُ بِالْأَجْسَادِ
إِنَّهُ كُلُّ طَارِفِي وَتِلَادِي
فَاحْفَرُوا حَفْرَةً لَهُ فِي فُؤَادِي

٢٩ زجاج المعري

بَعْدَ أَنِّي أَمُوتُ فَلَنُ
لَا تُؤْمَلُ تَسْجُدُ
أَتَرَى الرُّوحَ بَاقِيًا

يَدْفَعُوا بِي إِلَى سَقَرِ
لِزَجَاجٍ قَدْ انْكَسَرَ
بَعْدَ جِسْمٍ لَهُ ذَكْرُ

قال المعري: يحطنا رب الزمان كأننا/ زجاج ولكن لا يعاد له سبك

٣٠ درجات الهيام

أَوَّلُ الْحَبِّ فِي الْقُلُوبِ شَرَارَةٌ
ثُمَّ يَرْقَى حَتَّى يَكُونَ حَرِيقًا
ثُمَّ يَرْقَى حَتَّى يُمَثَّلَ بُرْكَاءُ
ثُمَّ يَرْقَى حَتَّى يَكُونَ جَحِيمًا

تَخْتَفِي تَارَةً وَتُظْهِرُ تَارَةً
فِيهِ هُلُكٌ لِأَهْلِهِ وَخَسَارَةٌ
نَا يَرَى النَّاسُ مِنْ بَعِيدِ نَارَةٍ
عَنْ تَفَاصِيلِهَا تَضِيقُ الْعِبَارَةَ

٣١ سياسة وشعر

عَامِلَ النَّاسِ بِالْعَدَالَةِ وَالظُّلْمَ سَمِ فَكَانُوا يَلْقَوْنَ نُوراً وَنَاراً
يتحدث عن الوالي العثماني المنصرف

جَرَّ عِزّاً إِلَى الْعِرَاقِ وَذُلّاً وَحَيَاةً لِأَهْلِيلِهِ وَبَوَاراً
وَأَصَارَ النَّهَارَ لَيْلاً بَهِيماً وَأَصَارَ اللَّيْلَ الْبَهِيمَ نَهَاراً
جعل النهار ليلاً بظلمه، ولكنه اهتم بالمرافق العامة فأثار الشوارع ليلاً

أَفْقَرَ الْقَوْمَ بِالْعِرَاقِ، وَأَغْنَى وَسَّعَ الطَّرِيقَ، ضَبَّقَ الْأَنْكَارَ
إِخْتَفَى عَنْ قَوْمٍ وَخَالَطَ قَوْمًا فَأَرَى النَّاسَ خَفَّةً وَوَقَاراً
أَخْضَعَ النَّاسَ، نَقَّذَ الْحُكْمَ فِيهِمْ، وَطَدَّ الْأَمْنَ، أَرْخَصَ الْأَسْعَارَ
غَرَّبَ الْأَبْرِيَاءَ، بَثَّ الْجَوَاسِيَّ سَسَّ عَلَى النَّاسِ، أَسَعَفَ الْفُجَّارَ
مَقَّتَ الْعِلْمَ سَاخِراً مِنْ ذَوِيهِ بَدَّرَ الْمَالَ، جَرَّ الْأَشْرَارَ
قَالَ لِلنَّاسِ إِنَّمَا الْأَمْرُ شُورَى بَيْنَنَا، ثُمَّ إِنَّهُ مَا اسْتَشَارَا
أَيُّهَا الْمُسْتَبِيدُ بِالْأَمْرِ إِيهَا لَا تَحَارِبْ بِظُلْمِكَ الْأَحْرَارَا
إيه: كلمة لا معنى لها

إِنْ شَمَسَ الدِّسْتُورُ لِلْقَوْمِ لَاحَتْ فَأَضَاءَتْ بِنُورِهَا الْأَبْصَارَا
أيها الوالي العثماني.. لقد جاء دستور ١٩٠٨، فأضاء الطريق

قَدْ مَشَاهَا خُطًىي تَعَثَّرَ فِيهَا لَا أَقَالَ الرَّحْمَنُ مِنْهُ الْعِثَارَا
لَمْ يَكُنْ مَجْلِسُ الْإِدَارَةِ إِلَّا آلَةً فِي يَدَيْهِ تُمَضِّي الْقَرَارَا
إِنْ فِي مَجْلِسِ الْإِدَارَةِ عُضْوًا حَيْثَمَا دَارَتْ الزَّجَاجَةُ دَارَا
رَبِّ إِنَّ الْمَنَافِقِينَ بِبَغْدَا دَ كَثِيرٌ، وَقَدْ أَتَوْا أَضْرَارَا
رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ فَتَمَادَوْا وَأَصْرُؤَا، وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارَا
لَأَنِّي وَالْهَزَارَ قَرَعَانِ مِنْ أَصْـ لِي كِلَانَا قَدْ مَارَسَ الْأَشْعَارَا
الهزار: عصفور مفرد

وَكِلَانَا بَثَّ الصَّبَابَةَ إِلَّا أَنَّنِي قَدْ صَرَّحْتُ وَهَوَ أَشَارَا
وَكِلَانَا أَجَادَ نَظْمَ الْقَوَافِي غَيْرَ أَنَّنِي قَدْ فُقْتُ فِيهَا الْهَزَارَا

أنا قد طرُتُ في سماءِ المعاني وَهُوَ فِي جَوِّ رَوْضَةٍ قَدْ طَارَا
وَجَنَاحُ الْهَزَارِ رِيثُنْ قَلِيلٌ وَجَنَاحِي فِكْرِي الَّذِي لَا يُجَارَى
أَعَشَقُ الزَّهْرَ فِي السَّمَاءِ فَأَشْدُو وَهُوَ فِي الْأَرْضِ يَعَشَقُ الْأَزْهَارَا

الزهر: النجوم اللامعة

هُوَ فِي نَظْمِهِ يَقْلُدُ طَيْراً سَبَقْنَاهُ وَإِنِّي ابْتِكَارَا
يَصِفُ الْحُبَّ وَحْدَهُ، ثُمَّ إِنِّي أَصِفُ النَّاسَ وَالْهَوَى وَالْديَارَا
وَقُصَارَى أَنْغَامِهِ الْوَجْدُ، أَمَّا نَعْمَاتِي فَمَا لَهُنَّ قُصَارَى
إِنَّهُ شَاعِرٌ يَكْرُرُ مَا قَا لَ، وَإِنِّي لَا أَحْمَدُ التَّكْرَارَا
شِعْرُهُ فِي الْحَيَاةِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَهُوَ إِنْ عَاشَ عَاشَ أَوْ بَارَ بَارَا

بار: هلك

وَقَرِيزِي يَعْيشُنْ بَعْدِي طَوِيلاً وَيَجُوبُ الْبِلَادَ وَالْأَمْصَارَا
إيه، يا جميل صدقي - وإيه كلمة لا معنى لها، هي تسليك حنجرة - إيه، قد والله عاش شعرك
بعدك. هذا كلام فصيح غاية الفصاحة، جار على سنن العربية اللطيف جري، دونما إغراب. ما
أجهل من تفتته سهولة الزهاوي عن فصاحته!

٣٢ ثورة في الجحيم

هذه القصيدة تعد ٤٣٣ بيتاً وفيها يقص الزهاوي كيف مات وكيف حوسب، واثقتفنا
منها أبياتاً تحكي القصة وبقدر من التفاصيل. نشرها الزهاوي عام ١٩٣١، وقيل إن
الملك فيصل ملك العراق أنبه عليها، فرد الزهاوي: عجزت عن إشعال ثورة في
الأرض فأشعلتها في السماء:

بعد أن مُتُّ واحتواني الحَفِيرُ جَاءَنِي يَبْلُؤُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرُ
يلو: يمتحن

مَلَكَانِ اسْطَاعَا الظُّهُورَ، وَلَا أَد رِي لِمَاذَا وَكَيْفَ كَانَ الظُّهُورُ
وَلِكُلِّ أَنْفٍ غَلِيظٌ طَوِيلٌ هُوَ كَالْقَرْنِ بِالنُّطَاحِ جَدِيرُ
كَنْتُ فِي رَقْدَةٍ بِقَبْرِي إِلَى أَنْ أَبْقِظَانِي مِنْهَا، وَعَادَ الشُّعُورُ
أَتَيَا لِلسُّؤَالِ فَظَّنَّ، حَيْثُ الـ مَمِيتُ بَعْدَ اسْتِيقَاطِهِ مَذْعُورُ .
عن أمورٍ كَثِيرَةٍ قَدْ أَتَاهَا يَوْمَ، فِي الْأَرْضِ، كَانَ حَيًّا يَسِيرُ

صِيْحَةً نَحْتَ الْأَرْضِ ثُمَّ حَوَّارُ
وَاقِفاً لِي كَأَنَّمَا هُوَ نَسْرُ
قَالَ مَنْ أَنْتَ، وَهُوَ يَنْظُرُ شَرْراً
قَالَ مَاذَا أَتَيْتَ إِذْ كُنْتَ حَيًّا
قَالَ مَا دِينُكَ الَّذِي كُنْتَ فِي الدِّنِ
قُلْتُ كَانَ الْإِسْلَامُ دِينِي فِيهَا
قَالَ مَنْ ذَا الَّذِي عِبَدْتَ فَقُلْتُ اللَّهُ
قَالَ هَلَّا كَسَبْتَ غَيْرَ الْمَعَاصِي
كَانَ إِثْمِي أَنِّي إِذَا سَأَلُونِي
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَالِكَ رَأَيْتُ
رُبَّ أَمْرٍ يَقُولُ فِي شَأْنِهِ الْعَقْدُ
قَالَ هَلْ صَدَّقْتَ النَّبِيِّينَ فِيمَا
وَالْكِتَابَ الَّذِي مِنَ اللَّهِ قَدْ جَاءَ
قُلْتُ فِي خَشْيَةٍ: بَلَى، وَفُؤَادِي
شُعَاع: دَمٌ مُتَشَرِّبٌ. لَعَلَّهُ يَقْصِدُ إِنْ قَلْبُهُ أَرَادَ أَنْ يَطِيرَ مَفَارِقاً دَمَهُ؟

بَيْنَ أَقْسَاهُمَا وَبَيْنِي يَدُورُ
وَكَأَنِّي أَمَامَهُ عُصْفُورُ
قُلْتُ: شَيْخٌ فِي لَحْدِيهِ مَقْبُورُ
قُلْتُ: كُلُّ الَّذِي أَتَيْتُ حَقِيرُ
يَا عَلَيْهِ وَأَنْتَ شَيْخٌ كَبِيرُ
وَهُوَ دِينَ بِالْاحْتِرَامِ جَدِيرُ
لَهُ رَبِّي، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
قُلْتُ إِنْ لَمْ أَكْسِبْ فَرَبِّي غَفُورُ
لَمْ أَقُلْ مَا يَقُولُهُ الْجُمْهُورُ
لِي أَقْضِي بِهِ فَلَا أَسْتَعِيرُ
لَمْ نَقْبِضْ الَّذِي يَقُولُ الضَّمِيرُ
بَلَّغُوهُ وَلَمْ يَعْقُكِ الْغُرُورُ
ءَ، فَأَذَلَّنِي بِهِ الْبَشِيرُ النَّذِيرُ
مِنْ شُعَاعٍ بِهِ يَكَادُ يَطِيرُ
شُعَاع: دَمٌ مُتَشَرِّبٌ. لَعَلَّهُ يَقْصِدُ إِنْ قَلْبُهُ أَرَادَ أَنْ يَطِيرَ مَفَارِقاً دَمَهُ؟

إِنَّهُ مُنْزَلٌ مِنَ اللَّهِ يَهْدِي النَّاسَ
قَالَ: هَلْ كُنْتَ لِلصَّلَاةِ مُقِيمًا؟
إِنَّمَا فِي أَقْتِنَاءِ خُورٍ حَسَانِ
قَالَ هَلْ كُنْتَ قَائِلًا بِنُشُورِ؟
فَإِذَا شَاءَ لِلْعِبَادِ نُشُورًا
قَالَ مَاذَا تَقُولُ فِي الْحَشْرِ وَالْمِيبِ
وَالسُّؤَالِ الدَّقِيقِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ
قُلْتُ مَهْلًا يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُلُ

سَ طَرًّا فَهُوَ السَّرَاجُ الْمُنِيرُ
قُلْتُ: عَنْهَا مَا إِنْ عَرَانِي فُتُورُ
بِصَّلَاةٍ، تَجَارَةُ لَا تَبُورُ
قُلْتُ رَبِّي عَلَى النُّشُورِ قَدِيرُ
فَمِنْ السَّهْلِ أَنْ يَكُونَ نُشُورُ
حَزَانٍ، ثُمَّ الْحَسَابِ، وَهُوَ عَسِيرُ
وَالصَّرَاطِ الَّذِي عَلَيْهِ الْعُبُورُ
حِجْفٌ مَهْلًا، فَإِنَّ هَذَا كَثِيرُ

الملحف: الملح

كَانَ إِيمَانِي فِي شَبَابِي جَمًّا
مَا بِهِ نَزْرَةٌ وَلَا تَقْصِيرُ
نَزْرَةٌ: قَلَّةٌ

غَيْرَ أَنْ الشُّكُوكَ هَبَّتْ تُلَاحِيهِ نِي، فَلَمْ يَسْتَقِرَّ مِنِّي الشُّعُورُ
تلاحيني: تتجاذبني

ثُمَّ عَادَ الْإِيمَانُ يَقْوَى إِلَى أَنْ سَلَّهُ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ الْعُرُورُ
ثُمَّ آمَنْتُ ثُمَّ أَلْحَذْتُ حَتَّى قِيلَ هَذَا مُذْبَذَبٌ مَمْرُورُ
ممرور: ملثا، به شيء من اكتئاب جنوني

ثُمَّ إِنِّي فِي الْوَقْتِ هَذَا لِيَخُوفِي لَسْتُ أَدْرِي مَاذَا اعْتَقَادِي الْآخِيرُ؟
لَمْ يَرِنِّي أَمْرُ الصُّرَاطِ مُقَاماً فَوْقَ وَادٍ مِنَ الْجَحِيمِ يَفُورُ
غَيْرَ أَنِّي أَجِلُّ رَبِّي مِنْ إِنْ-يَانِ مَا يَأْبَاهُ الْحِجَا وَالضَّمِيرُ
فَإِذَا صَحَّ أَنَّهُ كَغَرَارِ السَّ-يْفِ أَوْ شَعْرَةٍ، فَكَيْفَ الْعُبُورُ؟
غرار السيف: حده

وَلَعَلَّ الَّذِينَ صَحَّحُوا بِأَكْبَا شِ، عَلَيْهِمْ بِهَا يَهُونُ الْمُرُورُ
بها: أي بسبب تلك الأكباش التي ضحوا بها في دنياهم سيهون عليهم المرور على الصراط
أَنَا لَوْ كُنْتُ بِالْبَعِيرِ أَضْحَى سَارَ بِي مُرْقِلاً عَلَيْهِ الْبَعِيرُ
مرقلاً: مسرعاً. عليه: أي على الصراط

قَالَ مَاذَا رَأَيْتَ فِي الْجِنِّ قَبْلًا وَمِنْ الْجِنِّ صَالِحٌ وَشَرِيرٌ
ثُمَّ فِي جِبْرِيلَ الَّذِي هُوَ بَيْنَ اللَّ-ذَيْنِ
قُلْتُ لِلَّهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُنَّ خَلَقْتُ كَثِيرٌ
غَيْرَ أَنِّي أُرَتَابُ فِي كُلِّ مَا قَدْ عَجَزَ الْعَقْلُ عَنْهُ وَالتَّفَكُّيرُ
لَمْ يَكُنْ فِي الْكِتَابِ مِنْ خَطَأٍ كَلَّا- وَلَكِنْ قَدْ أَخْطَأَ التَّفْسِيرُ
قَالَ هَلْ فِي السُّفُورِ نَفْعٌ يُرْجَى قُلْتُ خَيْرٌ مِنَ الْحِجَابِ السُّفُورُ
إِنَّمَا فِي الْحِجَابِ شُلٌّ لَشَعْبٍ وَخَفَاءٌ، وَفِي السُّفُورِ ظُهُورٌ
كَيْفَ يَسْمُو إِلَى الْحَضَارَةِ شَعْبٌ مِنْهُ نِصْفٌ عَنْ نِصْفِهِ مَسْتُورٌ؟
لَيْسَ يَأْتِي شَعْبٌ جَلَائِلٌ مَا لَمْ تَسْتَقْدَمَ إِنَائُهُ وَالذِّكُورُ
جلال: أعمال جليلة

قَالَ هَلْ فِي الْإِلَهِ عِنْدَكَ شَكٌّ؟ قُلْتُ لَا، وَالَّذِي إِلَيْهِ الْمَصِيرُ

إِنَّمَا هَذِهِ الطَّبِيعَةُ ذَاتُ الْإِلَهِ لَا تَنَاهِي كِتَابُهُ الْمَسْطُورُ
 إِنْ هَذَا مَا قَدْ تَلَقَّنْتُهُ وَالْإِلَهَ قَلْبُ مَنْ شَكَّوْهُ يَكَادُ يَخُورُ
 يخور: يضعف

وَأَرَى فِي الصُّفَاتِ مَا هُوَ لَدِّي هِ، تَعَالَتْ شُؤُونُهُ، تَصْغِيرُ
 من التصغير لأمر الله أن نصفه بصفات نستمدّها من بيتنا
 مَا عِقَابِي مِنْ بَعْدِمَا صَحَّ نَقْلًا أَنْ مَا قَدْ أَتَيْتُهُ مَقْدُورُ؟
 ما وجه معاقبتي بعد أن صح ما نقل عن السلف من أن كل أفعالي مقدرة سلفاً، وليس لي فيها
 اختيار؟

وَإِذَا كَانَ مِنْهُ كُفْرِي وَإِيْمَا نِي فَلِإِنَّ الْجَزَاءَ شَيْءٌ نَكِيرُ
 أَمِنْ الْحَقِّ خَلَقُ إِبْلِيسَ وَهُوَ الْإِلَهَ مُسْتَبِيدُ الْمُضَلَّلِ الشَّرِيرُ
 قَالَ إِنِّي أَرَى بِخَدِّكَ تَضَعِي رَأْ فَهَلْ أَنْتَ بَزْدَهِيكَ الْغُرُورُ؟
 التصغير: إمالة الخد، كناية عن التكبر

قُلْتُ مَنْ مَاتَ لَا يُصْعَرُ خَدًّا لَيْسَ بِالْمَوْتِ يَخْلُقُ التَّضْعِيرُ
 يخلق: يجدر

إِنِّي أَخْشَى الظَّالِمِينَ فَلَا أَفْ ضِي إِلَيْهِمْ بِمَا بِرَأْسِي يَدُورُ
 لَا تَكُونَا عَلَيَّ فَظًّا بِي فِي قَبْ رِي فَلِإِنِّي شَيْخٌ، بِعَظْفٍ جَدِيرُ
 إِنْ قَوْلَ الْحَقِّ الصُّرَاحِ عَلَى الْإِلَهِ رَارٍ حَتَّى فِي قَبْرِهِمْ مَحْظُورُ
 الصراح: الخالص الصافي

فَدَعَانِي فِي حُفْرَتِي مُسْتَرِيحًا أَنَا مِنْ ضَوْضَاءِ الْحَيَاةِ نَفُورُ
 إِنَّمَا قَدْ سَأَلْتُمَا عَنْ أُمُورٍ هِيَ لَيْسَتْ تُغْنِي وَلَيْسَتْ تَضِيرُ
 وَلِمَاذَا لَمْ تَسْأَلَا عَنْ ضَمِيرِي وَالْفَتَى مَنْ يَعْفُ مِنْهُ الضَّمِيرُ
 وَلِمَاذَا لَمْ تَسْأَلَا عَنْ جِهَادِي فِي سَبِيلِ الْحَقِّ وَهُوَ شَهِيرُ
 وَلِمَاذَا لَمْ تَسْأَلَا عَنْ وَفَائِي وَوَفَائِي لِمَنْ صَحَبْتُ كَثِيرُ
 وَسَلَانِي عَمَّا نَظَّمْتُ مِنَ الشَّعْرِ رِ، فَبِالشَّعْرِ يَرْتَقِي الْجُمْهُورُ
 وَسَلَانِي عَنْ جَعْلِي الصَّدَقَ كَالصَّخْرِ رِ أَسَاسًا تُبْنَى عَلَيْهِ الْأُمُورُ
 أَسْكُوتُ عَنْ كُلِّ مَا هُوَ حَقٌّ وَسُؤَالٌ عَنْ كُلِّ مَا هُوَ زُورُ؟

قَالَ كُلُّ الذِي عَرَضَتْ عَلَيْنَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الْهِمُّ شَيْءٌ حَقِيرٌ

الشيخ الهم: الممن الضعيف

نَحْنُ لَسْنَا بِسَائِلِينَ سِوَى مَا قُلْتُ مَا لِي بِكُلِّ ذَلِكَ عِلْمٌ كُنْتُ حَيًّا فَمُتُّ، وَالْمَوْتُ حَقٌّ كُنْتُ فَوْقَ الثَّرَابِ بِالْأَمْسِ أَمْشِي قَالَ مَا أَنْتَ أَيُّهَا الرَّجْسُ إِلَّا ثُمَّ تَلَانِي لِلْجَبِينِ وَقَالَا

تلاني للجين: ألقاني أرضاً

قُلْتُ صَفْحًا فَكُلُّ فِلَسْفَتِي قَدْ لَمْ تَكُنْ أَقْوَالِي الْجَرِيئَةُ إِلَّا أَقْوَالِي الْجَرِيئَةُ كَانَتْ نَفَثَاتٍ، بِصَقَاتٍ بَلْغَمٍ، يَرْمِي بِهَا الْمَصْدُورَ، الْمَصَابِ بَدَاءٍ فِي صَدْرِهِ، فَهُوَ يَرْمِي بِالْبَلْغَمِ فَيَسْتَرِيحُ قَلِيلًا

فَأَجَابَانِي قَائِلَيْنِ بِصَوْتٍ لَا يَسُرُّ الْأَسْمَاعَ مِنْهُ الْهَدِيرُ ثُمَّ صَبَّأَ بِقَسْوَةٍ فَوْقَ رَأْسِي قَطْرَانًا لِسَوْءِ حَظِّي بِفُورٍ

القطران: الزيت، مستخرجاً من نَفْطٍ أَوْ مِنْ فَحْمٍ

فَنَسَوَى رَأْسِي ثُمَّ وَجَّهَنِي حَتَّى ثَمَ طَارَا بِي فِي الْفَضَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَسْرَا فِي أُذُنٍ «رِضْوَانٍ» شَيْثًا

رضوان: حارس الجنة

لَمَسْتُ، إِذْ دَخَلْتُهَا، الْوَجْهَ مِنْنِي جَنَّةً عَرَضَتْهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ فَطَعَامٌ لِلْآكِلِينَ لَذِيذٌ سَمَكٌ مَقْلِيٌّ وَطَيْرٌ شَوِيٌّ وَعَلَى أَرْضِهَا زَرَائِي قَدْ بُشْتُ

زراي: سجاجيد

وعليها أَسِرَّةٌ وفراشٌ، مثلما يَهْوَى المؤمنونَ، وثَبَرُ
وعلى نَلْكُكُمْ الأَسِرَّةُ حُورٌ في حُلِيِّ لها، ونِعَمَ الحُورُ
ليسَ يَخْشَيْنَ في المَجَانَّةِ عَاراً وإنِ اهْتَزَّ تَحْتَهُنَّ السَّرِيرُ
وكأنَّ الولدانَ حينَ يَظوفو نَ على القومِ لُؤْلُؤُ مَنْشُورُ
إِثِّ ما شِئْتَهُ ولا تَخْشَ بَأْساً لا حَرَامَ فيها ولا مَحْظُورُ
فإذا ما اشْتَهَيْتَ طَيِّراً هَوَى مِنْ غُضْنِهِ مَشُوراً وجاءَ يَزُورُ
وإذا رُمْتَ أن يَحُولَ لَكَ التَّيْبُ نَ دَجَاجاً أَنَّى إِلَيْكَ يَطِيرُ
لو قال حماماً أو إوزاً لكان الطيران معقولاً، فأما الدجاج الذي يطير فهو... لا علينا، ربما كان
دجاج الجنة كذلك

أو إذا شئتَ أن يصيرَ لَكَ الحَصْرُ جاءَ دُرّاً فإنه لَيَصِيرُ
ولقد رُمْتُ شَرْبَةً مِنْ نَمِيرٍ فَتَيَمَّمْتُهُ فَقَرَّ النَّمِيرُ
النمير: الماء العذب

وَتَذَكَّرْتُ أَنَّنِي رَجُلٌ جِي عِ بِهِ كَي يُرَاعَ مِنْهُ الشُّعُورُ
قُلْتُ عُوداً مِنْ حَيْثُ قَدْ جِئْتُما بِي إِنَّمَا هَذِهِ لِهَمِّي تُشِيرُ
أَخْرَجَانِي مِنْهَا وَشَدًّا وَثَاقِي بِنُسُوعٍ كَمَا يُشَدُّ البَعِيرُ
نسوع: أحزمة من جلد

ثم قَامَا قَدْلَيَانِي ثَلَاثاً فِي صَمِيمِ الجَحِيمِ وَهِيَ تَفُورُ
ثلاثاً: ثلاث مرات، أو ربما ثلاث قامات... أي بقدر طول الرجل ثلاث مرات

وأخيراً في جوفِها قَذَا بِي مثلما يُقَذَّفُ المَتَاعُ الحَقِيرُ
رَبِّي اصْرِفْ عَنِّي العَذَابَ فَإِنِّي إِنْ أَكُنْ خَاطِئاً، فَأَنْتَ الغَفُورُ
وأشدُّ العَذَابِ ما كانَ في الها وَبِةِ السُّفْلَى، حَيْثُ يَطْفَى السَّعِيرُ
حَيْثُ لا يَنْصُرُ الهَضِيمُ أَخُوهُ حَيْثُ لا يُنَجِّدُ العَشِيرَ العَشِيرُ
الهضم: الضعيف المهزول، العشير: الصاحب

الطَّعَامُ الزَّقُومُ في كُلِّ يَوْمٍ والشَّرَابُ اليَخْمُومُ واليَخْمُورُ
اليخوم: الأسود، اليخمر: الأحمر

ولقد يُسْقَى الظَّالِمُونَ عَصِيراً هُوَ مِنْ حَنْظَلٍ وسَاءَ العَصِيرُ

يَضْرَعُ الْمُجْرِمُونَ فِيهَا عِطَاشاً وَالضَّرَاعَاتُ مَا لَهَا تَأْيِيراً
وَلَهُمْ مِنْ غَيْظِ تَأَجَّجٍ فِيهِمْ نَظَرَاتٌ شَرَارُهَا مُسْتَطِيرٌ
وَلَقَدْ أَبْصَرْتُ الْقِرْزَدَقَ يَضُوءاً يَتَلَوَّى وَوَجْهُهُ مَغْضُورٌ
نضوا: مهزولاً

وَالِى جَنْبِهِ، يَقَاسِي اللَّظَى الْأَخْرَ ظَلٌ مُسْتَعِيرٌ، وَيَشْكُو جَرِيرٌ
مستعيراً: باكياً

قُلْتُ مَا شَأْنُكُمْ؟ فَقَالُوا دَهَانَا مِنْ وَرَاءِ الْهَجَاءِ ضُرٌّ كَثِيرٌ
وَلَقَدْ كَانَ آخَرُونَ حَوَالَيْنَا هُمْ جُثُومًا وَكُلُّهُمْ مَوْتُورٌ
كانوا جثوماً: كانوا جائعين، موتور: شاعر بظلم وطالب للثأر

مِنْهُمْ الْعَالِمُ الْكَبِيرُ وَرَبُّ الْفَنِّ وَالْفِيلَسُوفُ وَالنُّخْرِيرُ
التخريج: المتبحر في علمه

لَمْ أَشَاهِدْ، بَعْدَ التَّلَقُّتِ، فِيهَا ثُمَّ حَيَّانِي أَحْمَدُ الْمَتَنَّبِيُّ
وَلَقَدْ كَادَ يَخْنُقُ الْغَيْظَ بَشًّا وَيَلِيهِمْ أَبُو نُوَّاسٍ كَثِيبًا
مِثْلُهُ الْخِيَّامُ الْعَظِيمُ، وَدَنْتِي وَلَقَدْ كَانَ لَامِرِي الْقَيْسِ بَيْنَ الْـ
قُلْتُ مَاذَا يَكُمُ؟ فَقَالُوا لَقِينَا ثَيْر: جبل في بلاد العرب كبير
جَاهِلًا لَيْسَ عِنْدَهُ تَفْكِيرُ وَالْمَعْرِيّ الشَّيْخُ، وَهُوَ ضَرِيرٌ
رَأَى، وَفِي وَجْهِهِ الدَّمِيمُ بُشُورٌ وَهُوَ ذَاكَ الْمِمْرَاحَةُ السَّكِيرُ
وَأِمَامُ الْقَرِيضِ شَاكِسْبِيرُ قَوْمِ صَدْرٍ، وَلِلْمُلُوكِ الصُّدُورُ
مِنْ جَزَاءِ مَا لَا يُطِيقُ ثَبِيرُ

إِنَّا كُنَّا نَسْتَخِفُّ بِأَمْرِ الدَّـ ثُمَّ إِنِّي سَمِعْتُ سُقْرَاطَ يُلْقِي
وَالِى جَنْبِهِ، عَلَى النَّارِ، أَقْلًا وَأَرِسْطَالِيْسُ الْكَبِيرُ وَقَدْ أَغْدُ
ثُمَّ كُوبَرْنِيكَ الَّذِي كَانَ قَدْ أَقْدُ تَتَبَعَ الشَّمْسَ أَيْنَمَا هِيَ سَارَتْ
يَنْ فِي شَعْرِنَا، فَسَاءَ الْمَصِيرُ خُطْبَةٌ فِي الْجَحِيمِ، وَهِيَ تَفُورُ
طُونُ يُصْغِي كَأَنَّهُ مَسْرُورُ رَقٍّ مِنْهُ الْمَشَاعِرُ التَّفَكِيرُ
هَمَمْنَا أَنَّ الْأَرْضَ جِزْمٌ يَدُورُ وَعَلَيْهَا مِثْلُ الْقَرَاشِ تَطُورُ

تطور: تحوم

ثُمَّ دَرَوَيْنَ وَهُوَ مَنْ قَالَ إِنَّآ
وَنُيُوتُونَ الْحَبْرُ ثُمَّ رِنَانُ
وَزَرَادَشْتُ ثُمَّ مَزْدَكُ يَأْتِي
وَالْحَكِيمُ الْكِندِيُّ ثُمَّ ابْنُ سِينَا
نَسْلُ قِرْدٍ قَضَتْ عَلَيْهِ الدُّهُورُ
ثُمَّ رُوشُو وَمِثْلُهُ فُؤْلَتِيرُ
وَجُمُوعُ إِمَامُهُمْ أَبِقُورُ
وَابْنُ رُشْدٍ، وَهُوَ الْحَفِيّ الْجَسُورُ

الحفي: العالم المستقصي

كَانَ سُفْرَاطُ أَثَبَّتَ الْقَوْمَ جَاشَأً
قَالَ، مِنْ بَعْدِ شَرْحِهِ مَنَشَأُ النَّآ
فَهُوَ ذُو عَزْمٍ فَائِقٍ لَا يَخُورُ
رِ، وَفِي قَوْلِهِ إِلَيْهَا يُشِيرُ

كان يشرح منشأ النار، وهو يشير بيده نحوها

سَوْفَ يَقْضِي فِينَا التَّطَوُّرُ أَنْ نَقْدَ
إِنْ فِي ذَا الْوَادِي السَّحِيقِ عُيُونَا
وَلَقَدْ تَنْضِبُ الْعَيُونُ، فَلَا نَا
مَكْنُوتَا حَتَّى جَاءَ مِنْهُمْ حَكِيمُ
آلَةٍ تُطْفِئُ السَّعِيرَ إِذَا شَا
وَلَقَدْ قَامَ فِي الْأَخِيرِ فَتَى يَخِ
قَالَ يَا قَوْمَنَا جَهَنَّمَ غَصَّتْ
قَالَ يَا قَوْمَنَا أَرَى الْأَمْرَ مِنْ سُو
أَنْتُمْ الْيَوْمَ فِي جَهَنَّمَ أَسْرَى
أَنْتُمْ الْيَوْمَ الْأَكْثَرُونَ وَأَمَّا
فَعَلَا مِنْ أَهْلِ الْجَحِيمِ ضَجِيجُ
وَأَنْ تَهُونَ الْأُمُورُ
ثَرَّةً لِلْبِشْرُولِ، مِنْهَا يَفُورُ
رٌ وَلَا سَاعِرٌ وَلَا مَسْعُورُ
بَاخِرَاعٍ لَمْ تَنْتَظِرْهُ الدُّهُورُ
ءَ فَلَا تُحْرِقِ الْجِسْمَ السَّعِيرُ
طُبُ فِيهِمْ، وَالصَّوْتُ مِنْهُ جَهُورُ
بِالْأَلَى يُظْلَمُونَ مِنْكُمْ، فَثُورُوا
ءَ إِلَى الْأَسْوَأِ الْأَمْضِ يَسِيرُ
وَلْيَكُنْ مِنْكُمْ لَكُمْ تَحْرِيرُ
عَدَدُ الْحَارِسِينَ فَهُوَ صَغِيرُ
رَجَفَ الْوَادِي مِنْهُ وَالسَّاعُورُ

الساعور: التنور

أَطْفَأُوا جَمْرَةَ الْجَحِيمِ فَكَانَتْ
ثُورَةٌ فِي الْجَحِيمِ أَرْجَفَتِ الْعَرْ
فَنَنَّا مَا جَرَى بِهَا التَّقْدِيرُ
شَ، وَكَادَتْ مِنْهَا السَّمَاءُ تَمُورُ

تمور: تموج

زَحَفُوا ثَائِرِينَ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ
لَكُمْ الْأَكْوَاخُ الْمَشِيدَةُ بِالنَّآ
إِنْ خَضَعْتُمْ فَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيبٍ
فِي صُفُوفٍ كَأَنَّهِنَّ سَطُورُ
ر وَلِلْبُلْبُلِ فِي الْجَنَانِ الْقُصُورُ!
فِي طَوَالِ الدُّهُورِ إِلَّا السَّعِيرُ

ولقد أَسْرَعَتْ زَبَانِيَةُ النِّسَاءِ
 ثُمَّ جَاءَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ أَنْصَابًا
 كَانَ إِبْلِيسُ قَائِدًا لِلشَّيَاطِينِ
 وَلَقَدْ جَاءَ مِنْ مَلَائِكَةِ الْعَزَّةِ
 وَتَلَقَّى فَوْقَ الْجَحِيمِ الْفَرِيقَا
 يَتَرَامُونَ بِالصُّوَاعِقِ صَفْقًا
 حَارَبُوا بِالْجَبَالِ تُقَذَّفُ بِالْأَيْدِ
 بِالْبَرَائِكِ نَائِرَاتٍ، جَرَتْ مِنْ
 وَقَدْ اهْتَزَّ عَرْشُ رَبِّكَ مِنْ بَعْدِ
 كَانَتْ الْحَرْبُ فِي الْبِدَاءِ سَجَالًا
 ثُمَّ لِلنَّاطِرِينَ بَانَ جَلِيًّا
 وَلِأَهْلِ الْجَحِيمِ تَمَّ، بِإِنْجَا
 فَاسْتَرَاخُوا مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي كَانُوا
 ثُمَّ طَارُوا عَلَى ظُهُورِ الشَّيَاطِينِ
 يَطْلُبُونَ الْجَنَانَ حَتَّى إِذَا مَا
 طَرَدُوا مَنْ بَهَا مِنَ الْبُلْهِ وَاحْتَلُّوا
 غَيْرَ مَنْ كَانُوا مُصْلِحِينَ، فَهَذَا الـ
 فَرَّ رِضْوَانٌ لِلنَّجَاةِ وَمِنْ أَتَى
 وَأَقَامُوا لِفَتْحِهِمْ حَفْلَةً أَعَدَّ
 إِنَّهُ أَكْبَرُ انْقِلَابٍ بِهِ جَاءَ
 وَتَنَبَّهْتُ مِنْ مَنَامِي صُبْحًا
 وَإِذَا الْأَمْرُ لَيْسَ فِي الْحَقِّ إِلَّا

رِإِيسِهِمْ وَكُلُّهُمْ مَذْعُورُ
 رَأَى، وَمَا جِيئَ الْمَارِدِينَ حَقِيرُ
 مِنْ إِبْلِيسَ، حَيْثُ كَانَ، قَدِيرُ
 شَيْءٍ لِإِرْجَاعِ الْأَمْنِ جَمٌّ غَفِيرُ
 نِ، وَهَذَا نَارٌ وَهَذَا نَوْرُ
 مِنْ، فَيَسْتَدُّ الْقَتْلُ وَالتَّدْمِيرُ
 لَدَيْ تَبَاعًا كَأَنَّهُنَّ قُشُورُ
 حُمَمٍ فِيهَا أَبْحُرُ وَنُهِورُ
 لِدُسْكَوْنِ، وَالذَّائِرَاتُ تَدُورُ
 مَا لِيَصْبَحَ النَّصْرُ الْمُبِينُ سُفُورُ
 أَنَّ جِيئَ الْمَلَائِكِ الْمَذْهُورُ
 فِي الشَّيَاطِينِ، فِي الْقِتَالِ الظُّهُورُ
 نُوا يُقَاسُوْنَهُ وَجَاءَ السُّرُورُ
 مِنْ خِفَافًا كَمَا تَطِيرُ النَّسُورُ
 بَلَّغُوا جَرَى نِضَالٍ قَصِيرُ
 الْقُصُورَ الْعُلْيَا، وَنَعَمَ الْقُصُورُ
 قِسْمُ مِنْهُمْ، بِالْاحْتِرَامِ جَدِيرُ
 بَاعِ رِضْوَانٍ، مُسْرِعًا، جُمُهورُ
 قَبْهَا مِنْهُمْ الْهَتَافُ الْكَثِيرُ
 دَثَّ عَلَى كَرِّهَا الطَّوِيلِ، الدَّهْورُ
 وَإِذَا الشَّمْسُ فِي السَّمَاءِ تُنِيرُ
 حُلْمًا قَدْ أَثَارَهُ الْجَرْجِيرُ

سودنا ما سودنا من الأبيات التي اخترناها من هذه القصيدة الطويلة كي تنسق القصة، وهي قصيدة تلبس ثوب الملحمة، لكنه ثوب مرقع بألوان كثيرة من السخرية ومن التندر بالمعتقدات الشائعة، ومن آراء الزهاوي المعروفة عن الحجاب والسفور وحرية الرأي، إلخ. ويغفر للزهاوي هذه النثرية العالية روحه الفكاهة، وتمرده، وأنه مختلف عن غيره؛ وأما تناوله عرش رب الكون الجليل فلا يغفره إلا رب الكون الجليل

٣٣ الهامس والجاهر

وليس بِحُرٍّ مَنْ تَكَلَّمَ هَامِساً وَلَكِنْ مَنْ نَادَى جَهَاراً هُوَ الْحُرُّ
يقولون في الإيمانِ كُلُّ نَجَاتِنَا وَيَا رَبِّ إِيْمَانٍ قَوِيٍّ هُوَ الْكَفَرُ
وينتظرون الفجرَ في ليلِ قَبْرِهِمْ وَلَكِنْ لِيَالِي الْقَبْرِ لَيْسَ لَهَا فَجْرُ

٣٤ سفر سفر

أَحْيِيكَ يَا مِصْرُ الْجَمِيلَةَ يَا مِصْرُ بِشَعْرِ يُزَكِّيهِ شَعُورِي وَالْفِكْرُ
إِذَا الشَّعْرُ لَمْ يَهْزُزْكَ عِنْدَ سَمَاعِهِ فَلَيْسَ خَلِيقاً أَنْ يُقَالَ لَهُ شَعْرُ
التسويد من عمران القفني

إِلَى بَلَدٍ يَلْقَى بِهِ الْحَقُّ دَادَةً وَيَنْعُمُ فِي أَكْنَافِهِ الشَّاعِرُ الْحُرُّ
أَسِيرُ إِلَى بَلَدٍ يَلْقَى بِهِ الْحَقُّ مِنْ يَذُودٍ وَيَدَافِعُ عَنْهُ

قَصِدْتُ بِسِيرِي مِصْرَ حَتَّى وَصَلْتُهَا وَلَا بُدَّ مِنْ مِصْرٍ وَإِنْ بَعُدَتْ مِصْرُ
صَبْرْتُ عَلَى ضَيْمِي بِبَغْدَادَ حِقْبَةً فَمَا سِرْتُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ نَفَدَ الصَّبْرُ
وَقَدْ ذُقْتُ حُلُوَّ الْعَيْشِ دَهْرًا وَمُرَّةً إِلَى أَنْ تَسَاوَى فِي فَمِي الْحُلُوُّ وَالْمُرَّةُ

٣٥ الطفل الضرب

أُمَّاہُ إِنِّي ضَرِيرُ وَالْقَلْبُ مِنِّي كَسِيرُ
يَا أُمُّ إِنْ شَقَائِي لَوْ تَعْلَمِينَ كَبِيرُ
يَوْمِي وَلَيْلِي سَوَاءُ كِلَاهُمَا لَا يُنْبِرُ
يَا أُمُّ إِنْ لَمْ يَضُرَّنِي الْـ عَمَى فَمَاذَا يَضِيرُ؟
هَلِ الضُّبَاءُ جَمِيلُ كَمَا يَقُولُ الْبَصِيرُ
وَهَلْ هُنَاكَ خَفَاءُ وَهَلْ هُنَاكَ ظُهُورُ
وَهَلْ هُنَاكَ سَمَاءُ فِيهَا النُّجُومُ تَدُورُ
وَهَلْ إِذَا جَاءَ فَصْلُ الرَّـ بَيْعِ تَزْهُوِ الزَّهْوُرُ
وَهَلْ جَمِيلٌ عَلَيْهَا الْـ فَرَّاشُ حَيْنِ يَطِيرُ
مَا لِي غَنَى عَنْ جَوَابِ يَا أُمُّ إِنِّي ضَرِيرُ

هذه القصيدة تشبه قصيدة أخرى عذبة جداً مطلعها: (يا أم ما شكل النسماء وما الضياء وما القمر)، وهي منسوبة إلى ولي الدين يكن، ولم أجدها في ديوانه، وإن وجدت له قصيدة رقيقة عن فتاة ضريبة

٣٦ مهتي كشاعر

إِنِّي أَمْرُؤٌ لَا أَجْهَرُ إِلَّا بِمَا أَنَا أَشْعُرُ
 إِنْ نَابَنِي شَرٌّ فَإِنِّي بِي مِنْهُ لَا أَتَذَمَّرُ
 أَوْ جَاءَنِي خَيْرٌ فَلَا أَغْتَرُّ مِنْهُ وَأُبْطَرُ
 وَلَقَدْ قَنِغْتُ مِنَ الطَّعَا مِ بَبُلْعَةٍ تَتَيَسَّرُ
 لَا كَالَّذِينَ عَلَى طَعَا مِ وَاحِدٍ لَمْ يَصْبِرُوا

قال العباس بن الأحنف «لكنني جريتكم فوجدتكم/ لا تصبرون على طعام واحد» يتهم محبوبته بأنها تواصل سواه

أَوْ كَالَّذِينَ إِذَا تَغَيَّـ رَتِ الظُّرُوفُ تَغَيَّرُوا
 لَيْسَ الْقَرِيبُ بِطَوْلِهِ بَلْ قَدْ يَفُوقُ الْأَقْصَرُ
 وَإِذَا شَرَعْتُ بِنَظْمِهِ لِلذَّمِّ فِيهِ أَحْضَرُ
 فَإِذَا نَظَّمْتُ الْبَيْتَ مِنْـ هُ أَعْيِيذُهُ وَأَكْرُرُ
 وَإِذَا رَأَيْتُ اللفظَ لِيـ سَ كَمَا أَرُومُ أَغْيُرُ
 وَأَظِلُّ أَصْفُلَهُ إِلَى أَنْ تَسْتَقِيمَ الْأَشْطُرُ
 مَا إِلَّا دَيْبٌ بِسُقْطَرِهِ فِي الشَّرْقِ قَدْ يُذَكَّرُ
 وَلَقَدْ يُصَادِفُ عِرَّةً مِنْ بَعْدِمَا هُوَ يُقْبَرُ
 مِنْ بَعْدِمَا فِي قَبْرِهِ أَوْصَالُهُ تَتْبَعُهُ
 مَاذَا مِنَ التَّكْرِيمِ يَرُ جُومَيْتٌ لَا يَشْعُرُ؟

٣٧ في المغني عبد الوهاب

وَصَبَوْنَا إِلَى اللَّقَاءِ، وَلَكِنْ حَالَ دُونَ اللَّقَاءِ شَحْطُ الْمَزَارِ
 شحط المزار: بُعد المكان

ولقد كان صوتك العذب قبلاً فِي الْفُنُغْرَافِ مَالِئاً كُلَّ دَارٍ

الفونوغراف: البك أب، جهاز له إبرة تسلط على قرص مخدد بأخدود لولبي دقيق في جوفه مضاب ووديان، ويدور القرص وتسير الإبرة صاعدة هابطة، وتنقل ذبذباتها إلى سماعة مكبرة مكهربة فتتحول الذبذبات إلى صوت. بهذه الطريقة الميكانيكية تمكن الإنسان لأول مرة في التاريخ من حفظ الصوت (يسمى القرص أسطوانة لأن المخترع إديسون أدار إبرته الأولى على أسطوانة، ١٨٧٧). ودخل الفونوغراف العالم العربي عام ١٩٠٤

فَإِذَا مَا رَفَعْتَ فِي مِصْرَ صَوْتًا رَدَّدَتْهُ بَقِيَّةُ الْأَمْصَارِ
إِنَّ مَنْ لَا يَهْزُهُ مِنْكَ لَحْنٌ حَجَرٌ جَامِدٌ مِنَ الْأَحْجَارِ

٣٨ أنا والمتعصبين

يَا قَوْمَ مَهَلًا مُسَلِّمٌ أَنَا مِثْلُكُمْ اللَّهُ ثُمَّ اللَّهُ فِي تَكْفِيرِي
الله: اتقوا الله

أَسْفِي عَلَى مُتَعَصِّبِينَ تَأَلَّبُوا يَحْمُونَ حَوْضَ الْجَهْلِ بِالسَّاطُورِ
الساطور: سكين القصاب الكبير

مَاذَا عَلَيَّ مِنَ الَّذِي قَدْ قَلْبُهُ أَوْلَسْتُ حُرَّ الرَّأْيِ وَالتَّفْكِيرِ
يَا ظَلَمُ إِنْ طَالَتْ يَدُكَ بُرْهَةً فَالْعَدْلُ لَيْسَ ذِرَاعُهُ بِقَصِيرِ

٣٩ رثاء

قال في رثاء صديقه عبد الرحمن عميد آل جميل:

الْقَلْبُ مِنِّي مُضْغَةٌ وَالْهَمُّ أَكْبَرُ مِنْ ثَبِيرِ
ثبير: جبل كبير... يقع في قصائد القدماء

إِنَّ اعْتِمَادَ الْأَكْثَرِ نَ عَلَى الْحَيَاةِ مِنَ الْغُرُورِ
وَلَقَدْ رَأَيْتُ مَصِيرَهُمْ فَعَرَفْتُ حِينَئِذٍ مَصِيرِي
أُمَّا النِّسَاءُ فَقَدْ أَقْمَ نَ مَنَاحَةً حَوْلَ السَّرِيرِ
يَلْدِمَنَّ بِالْأَيْدِي هُنَا لَكَ عَلَى التَّرَائِبِ وَالنُّحُورِ
يلدمن: يلطمن

يَنْدُبُنَ فَقَدْ وَلِيَّهِنَّ- وَضَيْعَةَ الْحَامِيِ الْكَبِيرِ
لَمْ يَبْقَ فِي بَغْدَادَ، غِب- رَ الْحَزْنَ، بَعْدَكَ مِنْ كَبِيرِ

٤٠ منتهى العجز

وَأَرَى بَيْنَ الْمَوْتِ وَهُوَ أَمَامِي وَحَيَاتِي فِي كُلِّ يَوْمٍ صِرَاعَا
أَمَهَلْتَنِي الصُّرُوفَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ رَ فَلَمَّا أَتَيْنَ جِئْنَ سِرَاعَا
وَكَأَنِّي أَرَى حَفِيرِي بِعَيْنِي فَاغِرًا قَاهُ يَبْتَغِي لِي ابْتِلَاعَا

وَأَرَى أَيْدِيَّ تُحَاوِلُ دَفْنِي نَمِ إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ دِفَاعًا

٤١ الروح

وَإِذَا تَصَدَّعَ مِنْكَ جِسْمُكَ لِلرَّدَى يَوْمًا قَرُوحُكَ مِثْلَهُ تَتَصَدَّعُ
وَالرُّوحُ لَيْسَ سِوَى الْحَيَاةِ تَشَارَكَتْ زُمْرًا خِلَايَا الْجِسْمِ فِيهَا أَجْمَعُ
هِيَ فِي الْجَمَادِ خَفِيَّةٌ لِبَسَاطَةٍ فِيهَا، فَلَا تَبْدُو وَلَا تَتَفَرَّغُ
الروح لا تظهر في الجماد، ولا تنفرغ أي لا تتكاثر الجمادات

أَمَّا النَّبَاتُ فَإِنَّهَا مُنْحَطَّةٌ فِيهِ فَلَا يَرْنُو وَلَا يَتَسَمَّعُ
فلسفة الزهاوي ببساطة: الروح هي الحياة لا غير

٤٢ العقل والخلق

قَدْ مَيَّرْتُكَ رَجَاحَةً فِي الْعَقْلِ، وَالْخُلُقِ الْوَسِيعُ
وَصَنَعْتُ مَا بَلَغَتْ يَدَا لَكَ وَحَبَّذَا مِنْكَ الصَّنِيعُ
وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِفَاعِلٍ إِلَّا لِمَا هُوَ يَسْتَطِيعُ

٤٣ يَا رَب

قَرَأْتُ اسْمَكَ الْمَحْمُودَ فِي اللَّيْلِ وَالضُّحَى إِذِ الشَّمْسُ تَسْتَخْفِي إِذِ الشَّمْسُ تَطْلُعُ
فَأَبْقَنْتُ أَنَّ الْكَوْنَ بِاللَّهِ قَائِمٌ وَأَمَنْتُ أَنَّ اللَّهَ لِلْكَوْنِ مُبْدِعُ
وَأَنَّكَ مَعْنَى وَالْخَلِيقَةَ لَفْظَةً وَأَنَّكَ حُسْنُ وَالطَّبِيعَةَ بُرْقَةً
أَبْذَكَرُكَ الْإِنْسَانُ فِي الْعُسْرِ جَائِعًا وَيَنْسَاكَ عِنْدَ الْبُسْرِ إِذْ هُوَ يَشْبَعُ
تَعَالَيْتَ أَنْتَ اللَّهُ مُقْتَدِرًا فَمَا بَضُرُّكَ نِسْيَانٌ وَلَا الذُّكْرُ يَنْفَعُ

٤٤ خَرَجَ وَلَمْ يَعُدْ

قَدْ طَلَعَتْ فِي خَيْلَعٍ فَيَا لِحُسْنِ الْمَظْلَعِ
الخيلع: البلوز الحفر، الذي بلا أكمام، وهو الخيلع أيضاً، وهو الإثْبُ والشُّوْذَرُ
والقَرَقَرُ والصُّدَارُ والمِجُولُ والشَّامَالُ. وقال قوم السامال، وهو العِلْقَةُ. وهو عندنا
اليوم الكَطْ، مسمًى بالكلمة الأجنبية. وهو الحفر، بتسمية الشيء بالمصدر كقولك
حديد سَكَبَ، وهذه أفصح من كل ما سبق، وقد ترى المرأة نزعت الكمين ولم
تكتف بهذا فحفرت في قماش قميصها حفرتين أخريين كي تعرض علينا المزيد من
لحم ترائبها، فالحفر على هذا كلمة مناسبة جداً

دَعْنِي بِحَسَنِ وَجْهِهَا لِنَظَائِرِي أَمْتَّع
فَإِنَّ عَيْنِي بَعْدُ مِنْ رُؤْيَيْهَا لَمْ تَشْبَعِ
وَدِدْتُ لَوْ أَنَّ نَفْسِي أَرَا مَا بِمُعْبُودِي أَرْبَعِ
دَهَبْتُ فِي حُبِّي لِلْمُ بَاءً، وَلَمَّا أَرْجَعِ

٤٥ المُزْبِثُ

اِفْتَحُوا لِلْفَتَى الْهَاضِمِ الطَّرِيقَا فَلَقَدْ جَاءَ يَزْبِثُ حَنْبِقَا

الهضم: النحل، يزبث: يتفش ويتها للصرع

رَافِعاً رَايَةَ التَّمَرْدِ تَهْفُو حَامِلاً مِنْ يَرَاعِهِ مَنْجَنِقَا
لَا يُبَالِي مِنْ بَعْدِ إِدْرَاكِهِ الشَّا رَ أَلَا قَى سَلَامَةً أَمْ زُفُوقَا
ذَاكَ خُرٌّ يَأْبَى الْقَبُولَ لِضَيْمِ وَائْتِقاً فِي صِرَاعِهِ أَنْ يَفُوقَا
جَاءَ يَمْعِدُو لِيَسْتَرِدَّ بِمَا أَوْ تَيَ مِنْ قُوَّةِ الْجَنَانِ الْحُقُوقَا

الجنان: القلب

رُبَّ غِرٍّ إِذَا عَلَا أَكْمَةً ظَنَّ- غُروراً أَنْ صَافَحَ الْعَيُوقَا

أكمة: الأكمة التلة، العيوق: نجم بعيد. ويزعم صديقي عمران القفيني أن ناسا تبحث عنه منذ أن سمعت به من الشعراء العرب. . دون جدوى

سَبُلَاتِي الْبُغَاةَ يَوْمًا ثَقِيلًا فِيهِ لَا يَنْفَعُ الصَّدِيقُ الصَّدِيقَا
مَا يَزَالُ الْهَاضِمُ يَشْهَقُ يَأْسًا ثُمَّ لَا يُشْبِهُ الشَّهِيقُ الشَّهِيقَا
أَيُّهَا الدَّائِسُونَ بِالرَّجْلِ حَقِّي لَيْسَ حَقِّي بِأَنْ يُدَاسَ حَقِيقَا
حَقِيقًا: مستحقًا

يَحْزَنُ الْعَنْدَلِيبُ أَنْ يَحِدَ الْجَوْ- جَمِيلًا وَلَا يَكُونُ طَلِيقَا
قُلْ لِمَنْ أَحْفَظْتُهُ زَنْدَقَةٌ لِي سَبْدِي أَنْتَ لَا تَكُنْ زَنْدِيقَا

أحفظته: أغضبته

ذَاكَ أَمْرٌ لَهُ مَسَاسٌ بِنَفْسِي فَمِنْ الْحُمَقِ أَنْ تَكُونَ حَنِيقَا
وَهُوَ الْعِلْمُ لَا يَقُولُ بِمَا لَمْ تَأْتِ فِيهِ الْعَيُونُ فَحَصًّا دَقِيقَا
وَهُوَ الْعِلْمُ شَكٌّ فِي حِسِّ مَيِّتِ مَرْقَتْهُ أَيْدِي الْبَلَى تَمْزِيقَا

البلى: اهترأنا بعد إذ نموت

إِنِّي مُؤْمِنٌ، عَلَى الشَّكِّ مِنِّي وَمِنَ اللَّهِ أَطْلُبُ التَّوْفِيقَا
 حَيْثُمَا أَلْتَفِتْ أَشَاهِدْ بِعَيْنِي سَاحِقًا فِي الْحَيَاةِ أَوْ مَسْحُوقَا
 وَإِذَا نِمْتُ فِي قَرَارَةٍ رَمْسِي فَمِنَ الْخَيْرِ الْجَمُّ إِلَّا أَفِيقَا
 حَبِّذَا جَنَّةً سَتَشْرَبُ فِيهَا لَبْنًا طَابَ طَعْمُهُ وَرَحِيقَا
 وَهَنَاكَ الْحُورُ الْجِسَانُ يُقَعِّقُف نَ حَوَالِيكَ الْكَأْسَ وَالْإِبْرِيقَا
 إِنْسِي لَا أَلْتَدُّ إِلَّا بِدَنْيَا يَ، وَإِنْ لَمْ أَكُنْ بِهَا مَرْزُوقَا
 وَإِذَا الْبَاسُ كَظَّ نَفْسِي فُضَاثُ مِنْهُ فَرَجْتُ بِالْخَبَالِ الضُّبُوقَا

كظ: ملا

٤٦ المملوكة

لَقَدْ أَضَاعَتْ عِنْدَهُ مِّنَ الْحَيَاةِ حَقَّهَا
 فَهَلْ تَزَوَّجْتُ بِهِ أَمْ مَلَّكَتْهُ رَقَّهَا
 يَسُومُهَا الْخَسْفُ، فَإِنْ تَذَمَّرْتُ طَلَّقَهَا

يسومها الخسف: يظلمها

٤٧ الحياة حريق

يُودِي الْفَتَى مِّنْ حَيْثُ يَسْلُمُ غَيْرُهُ مَا لِلسَّلَامَةِ مِنْهُجٍ مَطْرُوقُ
 يودي: يموت

الْكُونُ بَحْرٌ مِّنْ لَهَبٍ لَاهِبٍ وَالنَّاسُ فِيهِ سَابِغٌ وَغَرِيقُ
 فِي كُلِّ حَيٍّ شُعْلَةٌ مِّنْ نَّارِهِ فَكَأَنَّمَا هَذِي الْحَيَاةُ حَرِيقُ

٤٨ في السياق

إِنَّ أَعْدَائِي فِي الْعِرَاقِ كَثِيرُ كُلُّهُمْ فِيهِ آخِذٌ بِخِنَاقِي
 سَأُولِي رُبُوعَ بَغْدَادَ ظَهْرِي تَارِكًا خَيْرَهَا لِأَهْلِ النِّفَاقِي
 أَصْلَحَ اللَّهُ ثُلَّةً شَتَمُونِي وَأَطَالُوا فِي مَوْطِنِي إِرْهَاقِي
 لَيْسَ قَصْدِي مِمَّا ذَكَرْتُ عِتَابًا غَيْرَ أَنِّي أُرْدُتُهُ فِي السَّبَاقِي

هذا البيت الأخير تحفة في الخفة واقتناص النكتة

٤٩ الجامعة البائدة

قد أَمَنَّا المُسْتَنْصِرِيَّةَ صُبْحاً فوجدناها أَرُسْماً وطُلولا
وَكِلَانَا يَا مَعَهْدَ الْعِلْمِ مُبْدٍ جسداً ناحلاً وجسماً عليلاً
قد لَعَمْرِي أَمَسْتُ عَلَيْكَ اللَّيَالِي وَعَلَيَّ الْحَيَاةُ عِبْثاً ثَقِيلاً
أَيُّهَا الْمَعَهْدُ الْجَلِيلُ سَلامٌ ليس ما قد قاسيتَ شيئاً قليلاً

٥٠ تأمل

ينسب كتاب إبراهيم الدروبي «البغداديون وأخبارهم ومجالسهم» هذه الأبيات إلى والد الزهاوي . ويقول إبراهيم المازني في مقال له عن شاعرنا إن الزهاوي نفسه أسمع هذه الأبيات - وفيها ما يشير إلى بلوغ صاحبها التسعين - وهو ببغداد، ويزعم المازني أن الزهاوي أسن بكثير مما هو مرقوم في كتاب رفائيل بطي من أنه مولود عام ١٨٦٣ . ونظرة إلى ما توفر لنا من صور الزهاوي تجعلنا نرى في افتراض المازني بعض الوجهة، ويقول الزيات عن أول لقاء له بالزهاوي إنه وجد أمامه شيخاً في حوالي الثمانين، وكان عمر الزهاوي عندما التقاه الزيات في عام ١٩٣٠ سبعة وستين عاماً بحسب رفائيل بطي . وليس يعني ورود «التسعين» في القصيدة أن الزهاوي يتحدث عن نفسه :

بأن لي في المرأة شيخٌ كبيرٌ عاشَ حتَّى تَعَرَّفَ الأحوالُ
قلْتُ كم عِشْتُ قالَ تَسعينَ عاماً قلْتُ ماذا فعلتُ فيها فقَلا :
أَكَلاتُ دَفْعَتُهَا فَضَلاتِ وشُرُوباً أَرَقْتُهَا أَبْوالاً
وثياباً لبسْتُها فَاخِرَاتِ جُدداً وانتَزَعْتُها أسْمالاً
كلُّ شيءٍ معَ الجَدِيدَيْنِ يَفْنَى ثم يَبْقَى جِلالُ رَبِّي تَعَالَى
الجديدان : الليل والنهار، فهما يتجددان دوماً ويبليان كل شيء

٥١ مقالة

في الغربِ حيثُ كِلَا الجنسينِ يَشْتَغِلُ لا يَفْضُلُ المرأةُ المِقْدَامَةَ الرَّجُلُ
كِلاَ القَرينَينِ مَعْتَرِضاً بِصاحِبِهِ عليه إن نالَ منه العَجْزُ يَتَّكِلُ
وقد يُطَلِّقُها أو قد تَطَلَّقَهُ إذا قَضَى بِالطَّلَاقِ الكُرْهُ والمَلَلُ
أَمَّا العِراقُ ففيه الأمرُ مُخْتَلِفٌ فقد أَلَمَ بِنِصْفِ الأُمَّةِ النِّشَلُ
وقد يُطَلِّقُها في حانَةِ نَمِلٍ وليس تَدْرِي لِمَذا طَلَّقَ الثَّمِلُ
كم قد تزوجَ ذو السَتينِ يافِعَةً والشَّيْبُ في رَأْسِهِ كالنَّارِ يَشْتَعِلُ

يقضي لُبَانَتَهُ مِنْهَا إِلَى أَجَلٍ وَقَدْ يَكُونُ قَصِيرًا ذَلِكَ الْأَجَلُ
وَلَمْ تَكُنْ أَرْبَعُ بُشْبَعَيْنِ نَهَمَتُهُ وَالذَّنْبُ يُشْبِعُهُ مِنْ جُوعِهِ حَمَلُ

٥٢ المصير

تَتَوَلَّى حَيَاتِي بَعْدَ الرَّدَى وَلَكِنْ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ تَتَوَلَّى؟
أَسِيرٌ بَلِيلٌ مِنَ الشُّكِّ دَاجٍ عَلَى ضَوْءِ عَقْلِي، وَهُوَ ضَائِلٌ
دَاجٍ : مظلم

سَيَبْقَى شَقَائِي بَقَاءَ حَيَاتِي فَإِنْ هِيَ زَالَتْ فَهَذَا يَزُولُ
وَأَنَا عَلَى كِبَرَتِي هَذِهِ أَوَدُّ لَوْ أَنَّ حَيَاتِي تَطُولُ

٥٣ بيروت الأمل

لَوْلَا تَفَاقُؤُكُمْ شَرٌّ لَيْسَ يُحْتَمَلُ مَا كُنْتُ عَنْ وَطَنِي بَغْدَادَ أَرْتَحِلُ
قَدْ كَفَرُونِي لِأَنِّي فِي مَجَالِسِهِمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِمَّا قُلْتُ أَتَكِلُ
إِمَّا قُلْتُ : كلما تكلمت

الْيَأْسُ بِالْأَمْسِ مِنْ بَغْدَادَ أَخْرَجَنِي وَالْيَوْمَ جَاءَ إِلَى بَيْرُوتَ بِي الْأَمَلُ

٥٤ المستبدّ

فِيَا وَيْحَ قَوْمٍ فَوَّضُوا أَمْرَ نَفْسِهِمْ إِلَى مَلِكٍ عَنْ فِعْلِهِ لَيْسَ يُسْأَلُ
وَذِي سُلْطَةٍ لَا يَرْضِي رَأْيَ غَيْرِهِ إِذَا قَالَ قَوْلًا فَهُوَ لَا يَتَبَدَّلُ
أَيَّامُ ظِلِّ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ بِمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَالْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ
فَيُفْقِرُ ذَا مَالٍ وَيَنْفِي مُبْرَأً وَيَسْجُنُ مَظْلُومًا وَيَسْبِي وَيَقْتُلُ
تَمَهَّلْ قَلِيلًا لَا تُغْظِ أُمَّةً إِذَا تَأَجَّجَ فِيهَا الْغَيْظُ لَا تَتَمَهَّلُ
وَأَيْدِيكَ إِنْ طَالَتْ فَلَا تَغْتَرَّرْ بِهَا فَإِنْ يَدُ الْأَيَّامِ مِنْهُنَّ أَطْوَلُ

٥٥ التعايش مع المرض

سَاكِتٌ أَنْتَ وَالْأَعَادِي تَقُولُ وَمُضِرٌّ بِكَ السَّكُوتُ الطَوِيلُ
أَيْنَ ذَاكَ الشَّعْرُ الرَّقِيقُ الْمُنْقَى أَيْنَ ذَاكَ النَّثْرُ النَّفِيسُ الْجَمِيلُ

لَكَ فِي الذَّبِّ مِنْ لِسَانِكَ سَيْفٌ شَهِدَ اللَّهُ إِنَّهُ مَصْقُولٌ

الذَّبُّ: الدفاع

القَوَافِي، يَا شَاعِرَ الْعَصْرِ فَاَنْظِمْ، بَيْنَ أَيْدِيكَ وَأَقْفَاتِ مُثُولٍ
إِنْ تُسَالِمَ بِهَا فَتِلْكَ أَغَانٍ أَوْ تَحَارِبَ بِهَا فَتِلْكَ نُصُولُ
أَيُّهَا اللَّائِمِي عَلَى الصَّمْتِ إِيهَا أَوْ مَا قَدْ دَرَيْتَ أَنَّي عَلِيلُ
قَبْلَ عِشْرِينَ حِجَّةً جَاءَ دَاءٌ نَازِلًا بِي، وَذَاكَ ضَيْفٌ ثَقِيلُ
هُوَ دَاءٌ مَبِيتُهُ فِي نُخَاعِي إِنْ دَاءَ النُّخَاعِ دَاءٌ وَبِئَلُ

كان الزهاوي مضطرب الأعصاب شديد التحول، وألم به مرض في النخاع الشوكي وهو في الخامسة والعشرين

فَتَهَاوَيْتُ فِي الْبِدَايَاتِ فِيهِ رَاجِيًا أَنْ وَطْأَهُ سَبَزُولُ
فَمَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ وَدَائِي ذَلِكَ الدَّاءُ نَفْسُهُ لَا يَحُولُ
وَتَدَاوَيْتُ عِنْدَ كُلِّ طَبِيبٍ وَنَصِيبِي مِنَ التَّدَاوِي نَحُولُ
كُنْتُ فِي أَوَّلِي أَقَاوِيهِ حَتَّى خَارَ جِسْمِي فَقُلْتُ صَبْرًا «جَمِيلُ»

الصبر الجميل: الصبر الكبير، و«جميل» هو اسم الشاعر

ثُمَّ صَافَحْتُهُ أَدَارِيهِ بِالْأَلْبِ نِي كَمَا صَافَحَ الْخَلِيلَ الْخَلِيلُ

٥٦ رثاء العربيين

قال الزهاوي في رثاء نحو أربعين رجلاً شفقهم جمال باشا في بيروت ودمشق بين ١٩١٥ و ١٩١٧ لتخليبهم عن الدولة العثمانية وسعيهم للاستقلال في سنوات الحرب العالمية الأولى:

عَلَى كُلِّ عَوْدٍ صَاحِبٌ وَخَلِيلُ وَفِي كُلِّ بَيْتٍ رَنَّةٌ وَعَوِيلُ
رنة: نواح

وَفِي كُلِّ عَيْنٍ عَبْرَةٌ مُهَرَّاقَةٌ وَفِي كُلِّ قَلْبٍ حَسْرَةٌ وَغَلِيلُ
غليل: غيظ

كَأَنَّ وَجْهَ الْقَوْمِ فَوْقَ جُذُوعِهِمْ نَجُومُ سَمَاءٍ فِي الصَّبَاحِ أَفُولُ
دَنُوا فَرَّقُوها وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَقَالُوا وَجِيزًا لَيْسَ فِيهِ فُضُولُ
اقتربوا ورفقوا، أي صعدوا، سُدَّةُ المشتقة وكانت لكل منهم عبارة قصيرة

وَلَلَّهِ مَا كَانُوا يُجْسُونَ مِنْ أَدَى إِذِ الْأَرْضِ تَنَأَى تَحْتَهُمْ وَتَزُولُ
سَرَتْ رَوْحُهُمْ تَطْوِي السَّمَاءَ لِرَبِّهَا وَمَا غَيْرَ ضَوْءِ الْفَرْقَدَيْنِ دَلِيلُ
وَلَلَّهِ عِيدَانٌ مِنَ اللَّيْلِ أَثْمَرَتْ رَجَالاً عَلَيْهِمْ هَيْبَةٌ وَقَبُولُ
لله أمر هذه الأعواد الخشبية التي كأنها أغصان لها ثمر هو أولئك الرجال الذين شفقوا عليها
وَيَا لَكَ مِنْ رُزْءٍ حَمِدْتُ لَهُ الْبُكَاءَ وَقَبَّحْتُ فِيهِ الصَّبْرَ وَهُوَ جَمِيلُ
هذا رزء، مصيبة، يحسن فيه البكاء ويقبح الصبر

فَمَا رَدَّ عَنْهُمْ بِالشَّفَاعَةِ غَضَبُهُ وَلَا ذَبَّ عَنْهُمْ بِالسَّلَاحِ قَبِيلُ
ذب عنهم: دافع

لَعَمْرُكَ لَيْسَ الْأَمْرُ ذَنْباً أَصَابَهُ قِصَاصٌ، وَلَكِنْ بَعْرُبٌ وَمَقُولُ
المسألة ليست عقاباً على ذنب ارتكبه، بل هو الصراع بين العرب والمغول، أي الأتراك ذوي
الأصول الآسيوية

وَإِنِّي عَلَى مَا بِي مِنَ الْحَرِّ وَالصَّدَى لَا أَنْظُرُ مَاءً مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
الصدى: العطش

أَفَكَّرُ فِي الْمَاضِي فَيَأْتِي خَيَالُهُ جَمِيلًا أَمَامَ الْعَيْنِ ثُمَّ يَزُولُ
كان الزهاوي متعمماً في ظل الدولة العثمانية، ولكنه يرى الآن تفككها، ويرى قومه العرب يريدون
الاستقلال. . . وكان الزهاوي سريع الانصراف عن ولائه العثماني، بخلاف زميله معروف الرصافي
الذي ظل على هذا الولاء زمناً وانتقده الناس لأنه لم يتحرك لشنق الوطنيين، لقد رأى أنهم خانوا
الدولة في وقت محتها

أَبْعَدَ بَنِي قَوْمِي أَنَّهُنَّ عَبَّرَتِي وَأَمْنَعُهَا؟ إِنِّي إِذَنْ لَبَخِيلُ
أنهنة عبرتي: أحبس دمعتي

قَدْ اسْوَدَّ لَيْلُ الظُّلَمِ حَتَّى كَأَنَّهُ سِتَارٌ عَلَى الْأَرْضِ الْفَضَاءِ سَدِيلُ
وَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ يَرْوُغُ كَأَنَّمَا بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُ يَرْقُبُ غُولُ

٥٧ حيرة

لَسْتُ أَدْرِي مَا غَايَتِي مِنْ حَيَاتِي مَا وَجُودِي، مَا مَبْدَئِي مَا مَالِي
وَإِذَا مَا قَلْبِي عَصَى حُكْمَ عَقْلِي لَمْ يُفِدْ مَنْطِقِي وَلَا اسْتَدْلَالِي
خَطَلِي بَعْدَ أَنْ ضَلَلْتُ سَبِيلِي هُوَ أَنِّي أَرَى الْهُدَى فِي ضَلَالِي
خطلي: حمقي

٥٨ انهيار الشعر

قد أنهارَ صَرَحُ الشَّعْرِ إِلَّا أَقْلُهُ وقد كَانَ مِلءَ العَيْنِ كَالجَبَلِ العَالِي
لقد ظَلَّ هذا الشَّعْرُ خَمْسِينَ حِجَّةً يُهَذَّبُ أَقْوَالِي وَيُصْلَحُ أَعْمَالِي
نشأتُ على استِقْلَالِ نَفْسِي تَمَرَّدَتْ فلا أَرْضِي نَسْجاً على غَيْرِ مَنَوَالِي

٥٩ مؤمن نصف إيمان

أنا في حَيَاتِي ما كَذَبْتُ تَ لِنَيْلِ شَيْءٍ لَيْسَ لِي
أنا ما كَفَرْتُ بِكُلِّ عُمَمٍ رِيَّ بِالْكِتَابِ الْمُنْزَلِ
أنا لَمْ أَزَلْ أَشْدُو بِنَعَمٍ تَ لِلنَّبِيِّ الْمُرْسَلِ
أنا لَسْتُ بِالْمَسْؤُولِ عَنْ نَزَوَاتِ عَقْلِ مُبْطِلِ
ما زَالَ يُبِيدِي رَأْيَهُ سَأَلُوهُ أَمْ لَمْ يُسْأَلِ
قد شَاءَ عَقْلِي بِعَدْتِهِ كَبِيرٍ وَطُولِ نَأْثِلِ
بِاللَّهِ حَلَّ الْمَشْكِلا تَ، فَكَانَ أَكْبَرَ مُشْكِلا

أراد عقلي أن يحل مشكلة الوجود بإرجاع كل أمر إلى الله، فكانت فكرة الله أكبر مشكلة

ما ضَرَرْنَا لَوْ ظَلَّ هـ هذا الكونُ غَيْرَ مُعَقَّلٍ؟

بالله نعلل هذا الكون فهو السبب والمسبب، ولكن ماذا يضيرنا إن ظل الكون بلا تعليل؟

الكونُ ماضِيهِ يَعُودُ دُ بِنَا إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ
وتَعُودُ هَذِي الْأَرْضُ بَعْدَ لَدَ خَرَابِهَا كَالأَوَّلِ
ونَعُودُ نَحْيَا مِثْلَمَا كُنَّا بِغَيْرِ تَبَدُّلِ
ونَمُوتُ ثُمَّ نَعُودُ فِي أَدْوَارِهَا بِتَسْلُسُلِ
كَذَبَ الَّذِي قَدْ قَالَ إِنَّ- الْقَبِيرَ آخِرُ مَنْزِلِ
هَذَا لَعَمْرِي ما يَرَى عَقْلِي بِوَجْهِ مُجْمَلِ

عقله يقول له إن المرء يموت ثم تنتشر مكوناته ثم يخلق منها خلق جديد، فليس ثمة فناء

أَمَّا الضَّمِيرُ فَقَائِلٌ لِي بِالْحِجَا لَا تَحْفَلِ

يقول له ضميره، أي قلبه، لا تحفل بالعقل ولا تهتم بما استتجه

الدِّينُ مَعْقِلُ أَهْلِهِ والدِّينُ أَمْنَعُ مَعْقِلِ

وأخافُ ناراً في الجحيمِ هم بها الأئيمُ سيصطلي
أما الصُّرَّاطُ فإنَّه فوق الجحيمِ كمنْضَلِ
المنصل: السيف

لا يَأْمَنُ الماشي بأر جُلِّه سُقُوطاً مِنْ عَلِ
إِلَّا إِذَا عَبَرَ الصُّرَّاطَ طَ عَلَى أَغَرِّ مُحَجَّلِ
أغر محجل: فرس له غرة وبياض في أسفل قوائمه

أو فَوْقَ كَبْشٍ قَرْنُهُ فِي رَأْسِهِ كَالْمِغْوَلِ
يَا رَبِّ، حِينَ أَجْوِزُهُ مَشِياً، عَلَيْكَ تَوَكُّلِي
صَفْبٌ عَلَيَّ عِبْوَرُهُ يَا رَبِّ ثَبَّتْ أَرْجُلِي

٦٠ الحمار والجزرة

وَلَسْتُ مِنَ الْمَوْتِ ذَا خَشْيَةٍ وَإِنْ كَانَ حِينَ يُلِمُّ زَوْامَا
الموت الزوام: السريع

وَلَكِنْ حَشَوُ الْحَيَاةِ مُنَى تُحَبِّبُهَا لِي عَاماً فَعَامَا
لَقَدْ عَشْتُ عُمراً أَوْمِلُ أَنْ تُمِيطَ الْحَقِيقَةُ عَنْهَا اللَّثَامَا
وَلَمَّا أَبْتُ أَنْ تُمِيطَ اللَّثَامَا مَ بَاتَتْ شُكُوكِي رُكَاماً رُكَامَا

٦١ الاستقلال

عِشْ هَكَذَا فِي عُلُوِّ أَبِيهَا الْعَلَمُ فَإِنَّا بِكَ بَعْدَ اللَّهِ نَعْتَصِمُ
عِشْ لِلْعُرُوبَةِ، عِشْ لِلْهَاتِفِينَ لَهَا عِشْ لِلْأَلَى فِي الْعِرَاقِ الْيَوْمَ قَدْ حَكَمُوا
عِشْ خَافِقاً فِي الْأَعَالِي لِلْبَقَاءِ، وَثِقْ بِأَنْ تُؤَيِّدَكَ الْأَحْزَابُ كُلُّهُمْ
كَأَنَّمَا النَّاسُ فِي بَغْدَادَ إِذْ هَتَفُوا بَحَرٍ خَضَمَ بِهِ الْأَمْوَاجُ تَلَتَطُمُ
إِنَّ الْعَيُونَ قَرِيرَاتٌ بِمَا شَهِدَتْ وَالْقَلْبُ يَفْرَحُ وَالْأَمَالُ تَبْتَسِمُ
هَذَا الْهَتَافُ الَّذِي يعلُو فَتَسْمَعُهُ جَمِيعُهُ لَكَ فَاسَلِمَ أَبِيهَا الْعَلَمُ

٦٢ شاك ظان

يُسَائِلُنِي عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي فَرِيقٌ مِنَ الْأَشْيَاخِ مَا أَنَا مِنْهُمْ

فقلتُ لَهُمْ أَمَّا السَّوَالُ فَبَارِدٌ وَأَمَّا جَوَابِي فَهُوَ أَنِّي مُسْلِمٌ
ولكنني ما كنتُ يوماً مقلداً يرى أن حُكَمَ العقلِ في الدينِ مَأْتُمٌ
فما القلبُ مِنِّي بِالسَّخَافَاتِ مُوَلِّعٌ ولا الرأسُ مِنِّي بِالْخَرَافَاتِ مُفْعَمٌ
ولم أَكْ يوماً بِالإِصَابَةِ وَائِقاً فَإِنِّي فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ أَرْجُمُ
أرجم: ألقى بالظنون

٦٣ أصابني ما أصابك

قد قلتُ «حقاً» فلم تقبلهُ أَذْهَانُ وحرابَتُكَ سياساتٌ وأديانُ
فأنتَ مِن بعدِ إنكارِ الجميعِ «له» شهرتهُ فَهُوَ مِثْلَ السِّيفِ عُريانُ
بعد إنكار الجميع للحق شهرته وأبرزته
وكنْتَ أنتَ البصيرَ الفردَ يومئذٍ وحوْلَكَ الناسُ كُلُّ الناسِ عُميانُ
تَخِذْتُ بِبَيْتِكَ سِجْناً ثانياً فَقَدْ أ وأنتَ فيه سجينٌ ثُمَّ سَجَانُ
وألجأ عوامُ بغداد الزهاوي مرة إلى بيته لا يجرؤ يخرج منه لما سمعوه من بعض المتشددين عن
انحراف شاعرنا عن الدين

الشرقُ ما زالَ يَحْبُو وَهُوَ مُغْتَمِضٌ والغربُ يركضُ وَثَباً وَهُوَ يَقْظَانُ
الغربُ يَشْعَلُهُ مَالٌ وَمَثْرَبَةٌ والشرقُ يَشْعَلُهُ كُفْرٌ وَإِيْمَانُ
الغرب منشغل بالمال وبالمثربة، بقضايا الفقر

أصابني في زَمَانِي ما أصابَكَ مِن حَبِيفٍ فما رَدَّ هذا الحَبِيفُ إِنْسَانُ

٦٤ يا ضيعة الشعر

مَسْرُوقَةٌ كُلُّهَا تِلْكَ المَضَامِينُ وليس منها لهم إِلَّا العَنََاوِينُ
لقد أَهانَكَ مِنْهُمْ غيرُ ذِي أَدَبٍ يا شِعْرُ إِنِّي عَلَيْكَ اليومَ محزُونُ
قد يَفْضُلُ البَيْتُ دِيواناً بِرُمَّتِهِ وقد تُقْصِرُ عن بَيْتِ دِواوِينُ

٦٥ في مدح النبي

قالوا امتدِّحْ فخرَ البَرِيَّةِ أَحْمَدَا بقصيدة تشدو بِرِفْعَةِ شَأْنِهِ
فأَجَبْتُهُمْ ماذا أقولُ بِمدحِ مَنْ أُنْئى عَلَيْهِ اللّهُ في فُرْقَانِهِ

مَنْ ذَا أَنَا حَتَّى أَقَوْمَ بِمَدْحِهِ بَلْ أَيْنَ شِعْرِي مِنْ عُلُوِّ مَكَانِهِ
كَمْ قَدْ رَدَدْتُ الشَّعْرَ عَنْهُ قَائِلًا هَذَا مَجَالٌ لَسْتُ مِنْ فُرْسَانِهِ

٦٦ المسببة والبرهان

إِلَيْكَ يَا نَفْسُ عَنِّي لَا تَلُومِينِي إِنَّ الْمَلَامَ عَلَى مَا جِئْتُ يُؤْذِنِي
يَا نَفْسُ لَوْ مَكَ هَذَا مُكَثِّرٌ شَجَنِي أَلَيْسَ مَا بِي مِنَ الْأَشْجَانِ يَكْفِينِي
نَشَرْتُ لِلْقَوْمِ آرَاءَ أُرِيدُ بِهَا إِصْلَاحَ دُنْيَاهُمْ لَا الطَّغْنَ فِي الدِّينِ
فَإِنْ أَصَبْتُ فَهَذَا نَافِعٌ حَسَنٌ أَوْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فِيهَا فَلْيَبْرُدُونِي
رَدُّوا بِسَبِّي عَلَى مَا خَطَّهَ قَلَمِي كَأَنَّمَا السَّبُّ مِنْ بَعْضِ الْبَرَاهِينِ
إِنَّ الْأَكْفَفَ الَّتِي قَدْ كُنْتُ أَمْلُهَا لِلذُّودِ صَارَتْ مَعَ الْأَيَّامِ تَرْمِينِي

للذود: للدفاع

أَمَسْتُ رِمَاحُ بَنِي عَمِّي وَقَدْ غَضِبُوا تَنَوَّشُ جِسْمِي وَكَانَتْ شُرْعًا دُونِي
صَارَتْ رِمَاحُ قَوْمِي تَنَوَّشُ جِسْمِي، تَصِيْبُهُ وَتُؤْذِيهِ، وَكَانَتْ مَرْفُوعَةٌ مَشْرَعَةً دُونِي، لِلدِّفَاعِ عَنِّي
لِلْجَهْلِ حَقٌّ رُعَاةُ الْجَهْلِ تَضَمَّنُهُ لَهُ، وَلِلْعَلَمِ حَقٌّ غَيْرُ مَضْمُونٍ
قُمْ مِنْ ضَرِيحِكَ يَا مَأْمُونُ وَاشْكُ إِلَى أَبْيَكِ حَامِي ذِمَارِ الشَّعْرِ هَارُونِ
قُمْ أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ الْمَأْمُونُ يَا نَاصِرَ الْعُلُومِ، وَارْفَعِ الشُّكُوكَ إِلَى أَبِيكَ هَارُونَ الرَّشِيدِ الَّذِي كَانَ يَحْمِي
ذِمَارَ الشَّعْرِ، وَالذِّمَارَ هِيَ الْأَعْرَاضُ وَالْأَمْلَاكُ، وَذِمَارُ الشَّعْرِ... حِمَاة

وَقُلْ عَنَادِلُ بَغْدَادٍ قَدْ اكْتَأَبَتْ عَلَى الْمَعَالِي قِمَاتٌ فِي الْبَسَاتِينِ
إِلَّا شَقِيَّيْنِ: هَذَا طَارَ مُرْتَحِلًا وَذَا أَقَامَ طَرِيدًا لِلشَّوَاهِينِ

ارتحل الشاعر معروف الرصافي، وكانت في دينه رقة كتلك التي في دين الزهاوي،
عن بغداد في العشرينات فأراً بأرائه السياسية والفكرية فمكث في بيروت قليلاً ثم
توجه إلى القدس فعمل في التدريس. وأقام الزهاوي ببغداد والشواهين، الطيور
الكاكرة، تطارده.. وسيفر الزهاوي إلى بيروت فمصر وسيعود.. وسيعود الرصافي
أيضاً. الحال لم تتغير بالمناسبة. ولن تجد في العالم العربي اليوم - وأكتب في يناير
٢٠١٧ - أحداً يقول نصف ما قاله شاعراً العراق. فأما في المهجر فتجد كثيرين

لَهُ بِبَغْدَادَ عُسٌّ لَا يُفَارِقُهُ بَنَاهُ فِي دَوْحِهَا بَيْنَ الْأَفَانِينِ

الدوح: الشجرة، الأفانين: الأغصان

وَقَدْ يُغَرِّدُ فِي الْوَادِي عَلَى وَجَلٍ مُرْقِرِفًا فَوْقَ أَوْرَاقِ الرِّيَّاحِينِ

٦٧ رثاء أحمد شوقي

خَرَّتْ لِعِرَّةِ شِعْرِكَ الشُّعْرَاءُ فَكَأَنَّهُمْ أَرْضٌ وَأَنْتَ سَمَاءُ
يَا رَاحِلِينَ لِعَيْرِ عَزُودِ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ فِرَاقَكُمْ فَخَذُونَا
سِيرُوا خِفَافاً إِنْ أَرَدْتُمْ أَوْ قِفُوا إِنَّا عَلَى أَثَارِكُمْ أَتُونَا

* * *

مِنْ بَعْدِ دُرٍّ كُنْتَ تَنْظِمُ عِقْدَهُ بَرَزْتَ تُرِيدُ لِتَلْمَعَ الْحَضْبَاءُ
عَجَلْتَ فِي التَّرْحَالِ يَا شَوْقِي وَقَدْ بَقَيْتَ هَنَالِكَ، لَمْ تُقَلْ أَشْيَاءُ

القصيدة ملونة القوافي

الأبيات فيما سيلي من شعر الزهاوي منتخبة من ديوان له لم ينشره في حياته، بل تركه كي ينشر بعد موته، لما فيه من أبيات فلسفية قاسية لا يحتملها الناس. وقد نشر هذا الديوان، واسمه «التزغات» أي وساوس الشيطان، الأديب العراقي هلال ناجي، وأبدل كلمات معينة بنقاط بقدر عدد حروف الكلمة المبدلة.. ونحن نصنع صنيعه حتى لا نؤذي مشاعر من مشاعره رقيقة. وقد أشار الزهاوي نفسه إلى ديوان التزغات المخطوط في مقدمة ديوانه المطبوع بمصر عام ١٩٢٤

٦٨ دع المحال

دَعِ الْمُحَالَ وَكَلِّمْ بِلَهْجَةِ الْمُسْتَدِلِّ
دع المحال، المستحيل قبوله عقلاً، وكلمني بلهجة المستدل، أي الذي يقدم دليلاً على كلامه
مَا كُنْتُ أَقْبَلُ إِلَّا مَا لَيْسَ بِأَبَاهُ عَقْلِي

٦٩ الخفاء والظهور

هَذِهِ الدُّنْيَا دَارُ كُلِّ جَزَاءٍ فَهِيَ لِلنَّاسِ جَنَّةٌ وَسَعِيرٌ
وَلَقَدْ يُعْقِبُ الظُّهُورَ خَفَاءً ثُمَّ لَا يُعْقِبُ الْخَفَاءَ ظُهُورٌ

٧٠ الترهيب

لَا تَخَفْ بَعْدَ الْمَنَايَا مِنْ عَذَابٍ وَشَقَاءٍ
إِنَّ مَا قَالُوهُ تَرْهِيْبٌ بِبَنَاسٍ بِسَطَاءٍ

٧١ الصلاة

الْخُمْسُ مِنْ صَلَّوَاتِي عَبْدٌ عَلَيَّ ثَقِيلُ
أَمَّا لِإَرْضَاءِ رَبِّي غَيْرَ الصَّلَاةِ سَبِيلُ؟

٧٢ الدليل

قَالُوا سَنَحْيَا جَمِيعاً بَعْدَ الرَّدَى خَالِدِينَ
فَقُلْتُ: هَآؤُوا دَلِيلًا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

٧٣ أين الدليل؟

فَكَرْتُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ حَادِثٍ وَقَدِيمٍ
فَلَمْ أَشَاهِدْ دَلِيلًا عَلَى (...) حَكِيمٍ

٧٤ المسير

أَنَا لَوْ كُنْتُ مُخْتَارًا لَمَّا جِئْتُ إِلَى الدُّنْيَا
وَأَكْبَرُ سَلَوَاتِي أَنَا بَعْدَ الْمَوْتِ لَا أَحْيَا

٧٥ التجديد

إِنَّ دِينَ الْخَلْفِ مِنْ ثَرَاثِ السَّلَفِ
وَهُوَ الْيَوْمَ بِحَا جَاتِهِمْ لَيْسَ يَفِي

٧٦ قد بُحِتَ الآن

مَا عَلَى كُفْرِي عَنْ دَخْصُومِي سَنَدُ
أَنَا مَا بُحِتُ لَهُمْ بِالَّذِي أَعْتَقِدُ

٧٧ قد تزندق لكن غير متعمد

وَلَا تَحْسَبْنِي قَدْ تَزَنَدْتُ عَمْدًا لِأُخْرِزَ مُكْثًا فِي جَهَنَّمَ خَالِدًا
وَلَكِنِّي لَمْ أَقْتَنِعْ بِكَلَامِهِمْ فَأَصْبَحْتُ مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ جَا حِدَا

٧٨ مشكلة أكبر

لما جهلتِ مِنَ الحَقِيقَةِ أَمْرَهَا وَأَقَمْتَ نَفْسَكَ فِي مَقَامِ مُعَلَّلٍ
أَثَبْتُ (...) تَبْتَغِي حَلًّا بِهِ لِلْمُشْكَلاتِ، فَكَانَ أَكْبَرَ مُشْكِـلٍ

٧٩ الجنة والسعير

يَرْجُو أَناسٌ أَنْ يَنَالُوا بَعْدَ مَا يَعْثُو الرَّدَى فِيهِمْ وَصَالَ الحُورِ
يعثو: يفسد

أَوْ يُبْصِرُوا فِي العَالَمِ المَسْتَوْرِ مَا لَمْ يُبْصِرُوا فِي العَالَمِ المنظورِ
أَمَّا أَنَا فإِخَالَنِي فِي هَذِهِ الدُّ- نِيَا مُلَاقِي جَنَّتِي وَسَعِيرِي

٨٠ غير واثق

تَوَقَّفْتُ لَا أَدْرِي تَجَاهَ الحَقَائِقِ أَأَنِّي خَلَقْتُ (...) أَمْ هُوَ خَالِقِي
لِئِنْ وَثِقَ الجَمْهُورُ (...) خَالِقًا فَرُبَّ حَكِيمٍ بَيْنَهُمْ غَيْرُ وَاثِقٍ
أَكْفُرُ لَمَّا شَاءَ لِي الكُفْرَ سَاعَةً وَأَخْلُدُ فِي النِّيرَانِ غَيْرَ مُفَارِقِ

٨١ المستريب

إِلَى (...) أَشْكُو أَنَّنِي مِنْهُ فِي رَيْبٍ تَمَكَّنَ مِنِّي فِي شَبَابِي وَفِي شَيْبِي
إِذَا كَانَ هَذَا فِيَّ عَيْبًا يَشِينُنِي فَلِئَنِّي بِإِقْرَارِي أَذُلُّ عَلَى عَيْنِي
وَمَا رَابَنِي (...) الشَّهَادَةُ وَحْدَهَا وَلَكِنَّمَا (...) الشَّهَادَةُ وَالْعَيْبُ

هذا البيت الأخير فيه فوق الزندقة مجون

٨٢ اقتناص فرصة

قَالُوا بَلَّأَنَّ (...) حَيٍّ لَهُ عَلَى عَرْشِهِ ثُبُوتٌ
فَقُلْتُ مَا (...) غَيْرَ وَهْمٍ أَكْبَرُهُ الوَصْفُ وَالنُّعُوتُ
إِنَّ حَيِّي العِلْمُ فِي أَنَاسٍ (...) مِنْ ذَاتِهِ يَمُوتُ
أَوْسَعَنِي المَؤْمِنُونَ سَبًّا فَكَانَ بِي يَحْسُنُ السَّكُوتُ
لَكِنَّنِّي قُلْتُهَا لِأَنَّنِي حَسِبْتُهَا فُرْصَةً تَفُوتُ

٨٣ أهل الديانات السماوية

إِنَّ الْيَهُودَ أَصَابُوا مِنْ التَّجَارَةِ مَا لَا
وَلِلنَّصَارَى مَكَانٌ مِنْ الرُّقِيِّ تَعَالَى
وَالْمُسْلِمُونَ تَرَاهُمْ بِكُلِّ أَرْضٍ كَسَالَى

٨٤ خالق الناس والطاعون

مَا ذَكَرْتُ (....) ذَا إِلَّا - تَذَكَّرْتُ جَحِيمًا
لَيْسَ (..) النَّاسُ لِنَا سِ كَمَا قَالُوا رَحِيمًا
خَلَقَ الطَّاعُونَ وَالْهَيْبُ ضَةً وَالسُّلَّ الْأَلِيمَا
الهضة: الكوليرا

٨٥ محنة الإنسان

جَاءَ وَلَمْ يَذْرِ السَّبَبَ وَهُوَ كَمَا جَاءَ ذَهَبَ
جِيءَ بِهِ إِلَى الْوُجُو دَ، وَهُوَ قَطُّ مَا طَلَبَ
وَقَيَّدُوهُ بِالْحَلَا لٍ وَالْحَرَامِ وَالْأَدَبِ

٨٦ عتاب

النَّاسُ إِمَّا غَنَمٌ سَارِحٌ لَيْسَ لَهُ حَوْلٌ، وَإِمَّا ذُنَابَ
لَيْسَ عَلَى الذَّنْبِ إِذَا مَا جَنَى يُزِيلُ جُوعَ بَطْنِهِ مِنْ عِقَابِ
بَلْ إِنَّمَا الْعَثْبُ عَلَى بَارِيٍّ قَدْ سَلَحَ الذَّنْبُ بِظُفْرِ وَنَابِ

٨٧ النعيم الديني

مَا النَّاسُ إِلَّا نَبَاتٌ يَحُورُ بَعْدُ هَشِيمًا
فَلَا تَخَافَنَّ يَوْمًا قِيَامَةً وَجَحِيمًا
وَلَا صِرَاطًا كَمَا يَذُ كُروْنُهُ مُسْتَقِيمًا
وَفِي حَيَاتِكَ فَاَنْعَمْ إِذَا أُرِدْتَ نَسِيمًا

٨٨ استغفار

أَتَى غَيْرَ مُخْتَارٍ وَقَارَقَ مُضْطَرًّا وَلَمْ يَكْ لَمَّا عَاشَ فِي نَفْسِهِ حُرًّا
تَرَأَّفَ وَلَا تَقْذِفَ بِنَارِ جَهَنَّمَ فَتَى غَيْرَ مُسْطَبِعٍ عَلَى حَرِّهَا صَبْرًا
إِذَا لَمْ تَكُنْ دَارٌ يُجَازَى بِهَا الْفَتَى تَسَاوَى إِذَنْ مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ وَالشَّرًّا
لَقَدْ قُلْتُ قَوْلًا بَاطِلًا بِجَهَالَةٍ وَأَلْحَدْتُ قَالِ اللَّهُمَّ يَا خَالِقِي غُفْرًا

٨٩ الدين والحجاب

لَقَدْ جَهِلُوا الْإِسْلَامَ كُلَّ جَهَالَةٍ فَأَذَوْهُ ذَمًّا شَأْنٌ مَنِ لَيْسَ يَفْهَمُ
وَقَالُوا بَنَى الْإِسْلَامَ عُمَرَانُ أَهْلِهِ زَمَانًا، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَهُوَ يُهْدَمُ
وَعَدُّوا مِنَ الْأَسْبَابِ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ لَدَيْهِمْ، حِجَابَ الْمُسْلِمَاتِ وَأَغْطَمُوا
وَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ الْحِجَابُ لَوْ أَنَا رَجَعْنَا إِلَى أَحْكَامِهِ نَتَفَهَّمُ

٩٠ أنا وعقلي

مَا قُلْتُ شَيْئًا بِقَمِي إِلَّا وَعَقْلِي مُلْهِمِي
أَنَا ابْنُ عَقْلِي وَحَدُّهُ تُنْبِئُ عَنِّي كَلِمِي
بِهِ اهْتَدَيْتُ فِي شَبَا بِي مِثْلَمَا فِي هَرَمِي
وَرَبِّمَا كَانَتْ أُمُو رُ أَنَا عَنْهُنَّ عَمِي
أَوْ قَدْ رَمَيْتُ أَسْهُمَا فَمَا أَصَابَتْ أَسْهُمِي

فهرس القوافي (القافية فرقم القصيدة)

٧	لِشُحُوبِهَا	٢	أَفْيَاءُ
٨	أَيَّاتَا	٦٧	سَمَاءُ
٢	الْأَمْهَاتُ	٢	شِفَائِي
١٠	الكَائِنَاتُ	٧٠	وَشَقَاءُ
٩	بَاتُوا	٢	غِضَابَا
٢	ثُبُوتُ	٢	أَغْيَبُ
٨٢	ثُبُوتُ	٤	جَوَابُ
١١	وَالْأَمْهَاتُ	٣	خَشْبُ
٢	وَتَبَيْتُ	٥	دُرُوبُ
٢	يَقُوتُ	٢	كَتِيبُ
٢	الْحَرَكَاتِ	٢	اكتنابي
٢	المُشْكَلَاتِ	٦	الْأَعْقَابِ
١٤	بِالصَّلَاةِ	١	السَّرْبِ
٢	حياتي	١	تَكَهْرُبِ
١٣	مُتَّصِلَاتِ	٨١	شَيْبِي
١٢	وَالنَّسَمَاتِ	٢	وَالرُّتَبِ
١٥	إِخْدَائِي	٢	الصَّخْبِ
١٦	يَتَمَوَّجُ	٨٥	دَهَبُ
٢	مَدَائِحِي	٨٦	ذِثَابُ
٧٧	خَالِدَا	١	أَذْنَابِهِ

٢	والأبرارُ	١٨	فَدَفَدَا
٢	والعشِيرُ	١٩	نَقَدَا
٣٤	والفِكْرُ	٢٤	استَعَدَّادُ
٢	وذُكُورُ	٢٥	تَبَيَّدُ
٣٢	ونَكِيرُ	٢	تَتَجَدَّدُ
٧٩	الحُورِ	١	جَمَادُ
٣٧	المَزَارِ	٧٦	سَنَدُ
٣٨	تَكْفِيرِي	٢٠	مَحْدُودُ
٣٩	ثَبِيرُ	١٧	مُشْتَدُّ
٢	صدري	٢١	مَلْحُودُ
٦٩	وسَعِيرُ	٢	وُلِدُوا
٢٩	سَقَرُ	٢٢	وَيُهَدَّدُ
٢	الْجِدَارَةُ	٢	الْأَكْبَادُ
٣٠	تَارَةُ	٢٦	الْجَمَادِ
٢	النَّاسَا	٢٨	بِالْأَجْسَادِ
٢	فَارَسُ	٢	بِالْمَرْصَادِ
٢	أَمْسِ	٢	جَلَدِي
١	نَفْسِي	٢٧	وَحِيدِ
٢	يَطِيشُ	٢	تُجِيدُهُ
٢	الأَرْضِ	٢	رُقَادَهُ
٤٠	صِرَاعَا	٢٣	حُقُودُهَا
٤٢	الْوَسِيعُ	٨٨	حُرًّا
٤١	تَتَصَدَّعُ	٣١	وَنَارَا
٤٣	تَطْلُعُ	٢	يَطِيرَا
٢	جَزْرُوعُ	٣٦	أَشْعُرُ
٤٤	الْمَطْلَعِ	٣٣	الْحُرُّ
٢	تَطْوُفُ	٢	الضَّمِيرُ
٧٥	السَّلَفِ	٢	تَنْقَطِرُ
٢	الطَّوَافِ	٣٥	كَسِيرُ

٢	الصَّنَمَاصَا	٢	عَفِيفَةٌ
٨٤	جَحِيمَا	٤٥	حَنِيقَا
٦٠	زُؤَامَا	٤٧	مَطْرُوقُ
٨٧	هَشِيمَا	٢	وَالشَّنُقُ
٢	بَرْمُ	٢	الْمُنْطَلِقِ
٢	عَنَمُ	٤٨	يَخْنَاقِي
٦٢	مِنْهُمْ	٨٠	خَالِقِي
٦١	نَعْتَصِمُ	٢	طَلِيقِ
٨٩	يَقْفَهُمُ	٢	وُثُوقِي
٩٠	مُلْهِمِي	٤٦	حَقَّهَا
٧٣	وَقَدِيمِ	٢	يَتَحَرَّكُ
٢	إِدْسُونَا	٥٠	الْأَحْوَالَا
٢	تَبِينَا	٢	تَوَلَّى
٧٢	خَالِدِينَا	٨٣	مَالَا
٢	يُبْنَى	٤٩	وُطُلُولَا
٢	يَنْهَانَا	٥٣	أَرْتَجِلُ
٦٤	الْعَنَاوِينُ	٥١	الرَّجْلُ
٢	أَهْوُنُ	٥٥	الطَّوِيلُ
٢	نَحْنُ	٥٢	تَوَوُّ
٦٣	وَأَدْيَانُ	٧١	ثَقِيلُ
٢	وَعِلْمَانُ	٢	مُهْمَلُ
٢	الْبَرَاهِينِ	٥٦	وَعَوِيلُ
٢	الْيَدِينِ	٥٤	يُسْأَلُ
٢	جَنُونِي	٢	أَقْوَالِي
٢	شُجُونِي	٥٨	الْعَالِي
٢	مَوَازِينِ	٦٨	الْمُسْتَدِلُّ
٢	وَامْتِهَانِ	٥٩	لِي
٦٦	يُؤْذِنِي	٥٧	مَالِي
٦٥	شَانِهِ	٧٨	مُعَلِّلُ
٧٤	الدُّنْيَا	٢	أَفْعَالُهَا

أحمد شوقي (١٨٦٨م - ١٩٣٢م)

قرأتُ شعر شوقي، هذه المرة، ويدي قلم. فكلما وقعت على بيت جميل جعلت بإزائه علامة. ولما أنهيت المجلدات العشرة، وعدد صفحاتها أكثر من أربعة آلاف، انتهت المتعة وبدأ الشغل.

رحتُ أنظر في الأبيات التي أخذتها من كل قصيدة، فأزيد بيتاً هنا أو هناك، حتى تقف القصيدة.

ثم دفقت ذلك كله بيدي على الحاسوب، وشكلته. ثم عرضته على المصدر الذي منه أخذت، وهو «الموسوعة الشوقية» لإبراهيم الأبياري، وعارضته بـ «الشوقيات».

وبعد ذلك سميت كل قصيدة باسم من عندي، وأخذت أكتب تحت كل بيت شرحه، وصنعت فهرساً للأشعار على القوافي.

أما معيار الاختيار فهو ذوقي. وأما طريقة الشرح فامش بضع صفحات حتى تراها.

ولا أزعج أنني فتحت فتحاً، فقبلي اختار الناس من أشعار الناس، وقبلي شرحوا. لكنني أرى شرحي متميزاً بثلاث: الاجتهاد، والأمانة، والتفاعل.

فأما الاجتهاد فأنني كنت أقلّب البيت المشكل على أوجهه، وأنظر في المعاجم، وفي شروح الشوقيات والموسوعة الشوقية، وفي كتب التاريخ؛ وأنني قرأت مرات وظللت أصحح حتى اطمأن القلب.

وأما الأمانة فأنني لم أترك معنى بقي غامضاً علي إلا أشرت إلى ذلك؛ ولم أكن أعرض للكلمة السهلة فأشرحها تاركاً الكلمة الصعبة دون شرح. ذلك

عمل لم أعمله. ولم أذكر حادثة أو مناسبة قصيدة إلا وأنا مطمئن إلى صحتها، فإن داخلني شك فيها فإما أن أضرب عن ذكرها، أو أن أذكرها، لطرافتها، مع التنبيه على الشك في صحتها.

وأما التفاعل فأنني تعمدت أن أنقل إليك ما أشعر به حيال بعض الأبيات. فالبيت الذي يحسن اقتباسه وحفظه للمذاكرة جعلته بالحرف المشدد، فإذا كانت فيه تورية لطيفة أو علة خفيفة أشرت إليهما. وإذا رأيت القصيدة معبرة عن حادثة ذكرت ذلك في صدرها أو في ذيلها. ومسعاي في كل ذلك أن يحس القارئ أنني أقرأ معه وأشاركه. فإن أحس القارئ في خلال ذلك، ما لا بد أن يحس، من ميل إلى التعالم والتفاحص، فهذه نقيصة ابن آدم، وستزول عني عندما أزل.

شرحت مختاراتي هذه من أبيات شوقي للكبير والصغير والمقمط في السريـر. كنت أحياناً أحس أنني أفرط في التبسيط وأنني أشرح كل كلمة، فأرفع القلم عن الكلمات التي يفهمها عامة المثقفين؛ ثم أعود وأكرر عليها كرة أخرى فيبدو لي فيها، فأشرحها، رفقا بشاب في مقتبل ثقافته العربية. وألزم نفسي بشرح الكلمة في كل موضع ترد فيه، فلعل من قرأ شرحها أول ورودها يكون قد نسي معناها عندما ترد مرة أخرى بعد صفحات، ولست افترض أنك تقرأ الباب من أوله إلى آخره، فهذا ليس رواية.

عليّ في هذا الكتاب دين لصاحب الموسوعة الشوقية، إبراهيم الأبياري، فقد أفدت من شرحه الوافي؛ ولئن خالفته في فهم المعنى في أبيات كثيرة، ووجدته لم يعط البيت حقه من الشرح في أبيات أكثر، فذلك لأنه شرح الثلاثين ألف بيت كلها ملزماً نفسه ألا يهرب من بيت مغلق؛ فأما أنا فاخترت ما راقني وما سهل عليّ، وكنت إذا اعترضني بيت عسير تجاوزته مُريحاً نفسي من تمحل وجه له، وجارياً على معتقد لي في الأبيات الصعبة: وهذا المعتقد هو أن البيت المغلق الصعب هو نتاج مخاض صناعي تكبده الشاعر، ويكون بعيداً عن القريحة الحرة، وصفاء الروح. وليس من المصادفات أن البيت الجميل يكون سهلاً قريب المأخذ.

وعليّ دين لشارحي الشوقيات على اختلافهم، فلئن كانت شروحهم قليلة الغناء في معظم الأحيان، فقد اجتهدوا في ضبط الشعر ضبطاً طيباً.

ولا أذكر الكتب الكثيرة التي تحدثت عن شعر شوقي وحياته حتى لا

أغمس لساني فيما لا ينفع . وما استفدت منه ذكرته في محله .

أما أن أصنع صنيع الأكاديميين فألملم أسماء الكتب ومؤلفيها في جريدة بآخر الكتاب، فقد كُفيت، وأنا أكل لقمتي من مائدة أخرى غير تلك المعابد التي يسمونها جامعات .

أردت في هذا الكتاب بأبوابه أن أثبت لنفسي طريقة في اختيار الشعر وشرحه، واستندت إلى تراث عربي غني في مضمار الاختيار والشرح . وقد بسطت رؤيتي العامة للشعر العربي في مكان آخر من هذه المقدمة .

سميت أحمد شوقي «شاعرَ الألف سنة» لأنني لم أجد بين المعري وبينه شاعراً أهم ولا أعظم منه . وكنت أطلقت هذا الاسم على البرنامج التلفزيوني الذي أعدته وأخرجته لقناة «الجزيرة» الزميلة هويدا طه في الذكرى الخامسة والسبعين لوفاة شوقي، ثم اكتشفت أنني لست أول من فكر بهذه الفكرة . فقد كتب الشاعر شفيق جبري بعد أيام من وفاة شوقي مقالاً بعنوان «أحمد شوقي: شاعر لم يظهر مثله من ألف سنة» في جريدة الأيام الدمشقية .

وقد انغمست في شعر شوقي أكثر وأنا أقدم برنامجاً آخر قصيراً في قناة «الجزيرة» كان اسمه «قال الشاعر» أنتجته الزميلة نغم عيتاني . وقد خصصت شوقي باثنتين وعشرين حلقة من أصل نحو مئتين وعشرين حلقة تم إنتاجها قبل توقف البرنامج، ولو قبض له أن يستمر لأربت الحلقات المخصصة لشوقي على الخمسين .

سميت كل قصيدة أو قطعة في هذه المختارات باسم من عندي . واستندت إلى الطبعة البيروتية الثانية من «الموسوعة الشوقية» . فأما الطبعة الأولى - التي ازدانت مجلداتها جميعاً بصورة خليل مطران - فكنزتها على أحفادي حتى يبيعوها بالمال الكثير بيع النوادر . وأذكر للناسر البيروتية، سوى جودة أحرفه وورقه، أنه ضبط الأبيات بالشكل ضبطاً جيداً، فلم يقصر في هذا عن الطبعة المصرية .

وأما الشوقيات فهي ديوان شوقي الذي نشره بنفسه في مارس عام ١٩٠٠ (وإن كان مؤرخاً في عام ١٨٩٨)، وسماه «الشوقيات» على حياء، لا نذاً بأن شكيب أرسلان هو من اقترح التسمية، وهذه حقيقة يؤكدتها أرسلان في كتابه عن شوقي . ثم صدرت طبعة أخرى وشوقي في السابعة والخمسين من عمره

فأضاف إليها الكثير، لكنه - أيضاً - حذف كثيراً من المدح في أولياء نِعَم لم يعودوا أولياء نعم. وكانت طبعة الشوقيات الأولى محلاة بمقدمة ثمينة وطويلة من قلم شوقي، فأسقطها في الطبعة الثانية وأبدل بها مقدمة من قلم محمد حسين هيكل. وأضيف إلى الشوقيات الكثير بعدئذ، فطبع منها جزء ثانٍ في حياة شوقي، وجزء ثالث بعد وفاته بأربع سنوات، ثم رابع بعد وفاته بعشر سنوات. وعبثت السياسة بطبعات الشوقيات بعد ثورة ١٩٥٢ في مصر. وجاءت بعدئذ طبعات لبنانية رديئة كثيرة. على أن طبعة إميل كبا محققة تحقيقاً حسناً، ومخدومة بقطع نثرية قد تعين الطلبة. وفيها «مداخلات» تذوقية طيبة. وسعت إلى الالتزام بالطبعات الأصلية، بدلاً من التسكع في تيه الطبعات «المهذبة». وفهرسها ممتاز، بخلاف فهرس الموسوعة الشوقية الذي جعل له مجلد برأسه ولكنه قليل النفع.

وفي الستينات نشر محمد صبري السوربوني كتاب «الشوقيات المجهولة»، فكان جهداً علمياً طيباً. لكن بعض شعر شوقي ظل دفين الجرائد. فكان نشر الموسوعة الشوقية في مطلع الثمانينات خدمة جليلة للأدب، ولئن سبقتها ولحققتها كتب حاولت جمع شعر شوقي الغنائي ومسرحياته ونثره، فإن الموسوعة الشوقية هي التي جمعت فاستوعبت.

قد بذلتُ جهداً في ترتيب هذه الأشعار التي اخترتها ترتيباً زمنياً صارماً يجعلك تقرأ الكتاب وتتابع فيه حياة الرجل وتطور فنه ومواقفه السياسية والاجتماعية. ولكن التناقض في التأريخ بين كتاب وكتاب حال دون الترتيب الصارم، وحال دونه أيضاً إهمال المؤلفين، وكثرة أغلاطهم. وأكبر المهملين أحمد شوقي. فهذا الرجل الذي عاش لشعره، كان مهملاً في جمعه. كان أحياناً ينشر القصيدة في جريدة أو مجلة باسم مستعار ثم يعود إليها فيحكيكها ويزيد في أبياتها وينقص، ثم ينشرها في طبعة من ديوانه. أو تنشرها له بعلمه أو بدون علمه جريدة أخرى.

وحاد بي عن الترتيب الصارم قليلاً أنني جمعت قصائده التي على لسان الحيوان في مكان واحد. فهو، وإن يكن نظمها كلها تقريباً في سن الشباب الباكر، غير أنه أضاف إليها قصائد قليلة كهلاً. فضممت الشبيه إلى الشبيه.

قد صدعتك بمزايا مختاراتي هذه، وأزيدك في الختام واحدة: اخترت ما اخترته لك بمزاج.

حياة أحمد شوقي

إذا آمنت، مثلما أومن، بأن الشاعر بجيده لا برديته، وبأن أكثر ما يعنينا من سيرة الشاعر شعره، فخير سيرة لأحمد شوقي هي ما يتضمنه هذا الباب من شعر. فقد عرضت لك مختاراتي من شعر الرجل: ما كتب في صباه فشابه فرجولته فكهولته، مرتباً ترتيباً زمنياً، مشروحاً، مع ذكر المناسبات والمواقف والمعلومات التي تُعينك على فهم الجو السياسي والاجتماعي الذي أحاط بالقصائد.

ولكنك قد تحب أن تعرف عن نشأة الرجل.

نشأته

اسم جده «أحمد شوقي» أيضاً، وهو كردي - عربي، «سمعت أبي، رحمته، يرُدُّ أصلنا إلى الأكراد فالعرب».

قدم الجد إلى مصر حاملاً رقعة توصية من أحمد باشا الجزار والي عكا إلى محمد علي باشا والي مصر. وكان الجدُّ يتقن العربية والتركية ويكتب بهما، فالتحق بالمعينة؛ وما زال يتقدم حتى صار أميناً للجمارك المصرية في منتصف القرن التاسع عشر. وجمع ثروة طيبة بددها ابنه «علي» سريعاً.

عاش «علي»، أبو شاعرنا، من عمله. وتزوج فتاة أبوها مصري من أصل تركي وأمها يونانية أسرت في الحرب وجيء بها لتكون وصيفة أو شبه ذلك عند إبراهيم باشا ابن محمد علي. وأنجبا ابناً في عام ١٨٦٨ سمي به باسم جده. فهذا «أحمد شوقي» الشاعر. وقيل، استناداً إلى شهادة الليسانس الفرنسية، بل ولد عام ١٨٧٠.

يذكر شوقي جدته أم أمه، واسمها تمزار، كثيراً. فهي بنت القصر، جاءت سبيةً وعمرها عشر سنين، واعتنقت الإسلام بالطبع؛ ولعلها نسيت كل ما تعرف من لغتها اليونانية، فكانت تتكلم - فيما أحسب - العربية والتركية. وكبرت، وزوجها القائد الذي أسرها إبراهيم بن محمد علي من رجل عالي المكانة، واحتفظت بصلتها بالقصر. واحتفظت بمعاش زوجها بعد وفاته. وقد أخذت شاعرنا من المهد وكفلته. «حدثني أنها دخلت بي على الخديوي إسماعيل وأنا في الثالثة من عمري، وكان بصري لا ينزل عن السماء من اختلال أعصابه. فطلب الخديوي بكرة من الذهب، ثم نثرها على البساط عند قدميه، فوقعتُ

على الذهب أشتغل بجمعه واللعب به، فقال لجديتي: اصنعي معه مثل هذا، فإنه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض. قالت: هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاي. قال: جيئي به إليّ متى شئت، إني آخر من ينثر الذهب في مصر». انتهى كلام شوقي في مقدمة الشوقيات.

أدخله أهله في مكتب الشيخ صالح وهو في الرابعة من العمر، «وهي من أهلي جناية على وجداني أغفرها لهم». ثم انتقل للمبتديان فالتجهازية، فكان ترتيبه الثاني في المدرسة وهو في الخامسة عشرة فحصل على المجانية لتفوقه.

نبوغ شاعر

كان دخوله الكُتّاب في هذه السن الطرية الشرارة الأولى التي لن تخبو. لقد عرف اللغة العربية الفصحى وهو طفل صغير، وعرف أن هذا هو المضممار الذي يجب أن يركض فيه. وفي المدرستين اللاحقتين التصق بلغة القرآن ولغة الأدب ولغة المثقفين. هنا التقط شوقي فيروس العربية الذي لن يفارقه. ووضع في جيبه المسطرة التي سيقس بها كل أدب. عرف المتنبي والبهاء زهيراً، وقرأ على الشيخ حسين المرصفي صاحب كتاب «الوسيلة الأدبية» «كشكول» العاملي ثم «الوسيلة»، وكان آنذاك في الرابعة عشرة من عمره. وعثر على قلبه في شعر محمود سامي البارودي الذي قرأ منه عدة قصائد في «الوسيلة». ولمصطفى صادق الرافعي تحليل طيب لسبب التأثر الشديد بالبارودي: السبب هو المعاصرة، «فالمعاصرة اقتداء، ومتابعة على الصواب إن كان الصواب، وعلى خطأ إن كان الخطأ». ويعلل الرافعي خروج البارودي عن غثاثة الشعر في زمنه تعليلاً طيباً: «كان البارودي جاهلاً بفنون العربية وعلوم البلاغة، لا يحسن منها شيئاً، وجهله هذا هو كل العلم الذي حوّل الشعر من بعده، فإياها عجيبة من الحكمة. أكبّ البارودي على ما أطاقه وهو الحفظ من شعر الفحول، إذ لا يحتاج الحفظ إلى غير القراءة ثم المعاناة والمزاولة، وكانت فيه سليقة، فخرج مخرج مثلها في شعراء الجاهلية والصدر الأول. وجاءت بذلك الشعر الجزل الذي نقله المرصفي بإلهام من الله تعالى ليخرج به للعربية حافظاً وشوقي». اهـ.

نظم شوقي وهو في الرابعة عشرة. وجليّ في أول قصيدة وصلتنا، وهي وصف للخريطة، واقتبسنا معظمها هنا، أن هذا التلميذ ذو خيال عجيب، وأنه يمتلك ناصية اللغة، ويتصرف بها باقتدار.

درس شوقي على حسين المرصفي مدة غير قصيرة. قال في مقابلة نشرتها الأهرام عام ١٩٢٧: «أستاذي الوحيد الذي أعد نفسي مديناً له هو الشيخ حسين المرصفي صاحب الوسيلة الأدبية، وتعلمت سنتين لحفني بك ناصف، وهما أستاذاي حقيقة اللذان استفدت منهما».

ثم دخل شوقي مدرسة الحقوق وهو دون السن القانونية، فدرس بها سنتين، وعندما أنشئ بها قسم للترجمة دخله وأقام به سنتين أخريين. ونال إجازة في الترجمة.

كان وهو تلميذ يمدح الخديوي توفيقاً، وكان هذا يصل إلى الخديوي، فتوفيق يتقن العربية ويبدو أنه كان يتذوق أدبها، إذ إنه درس بمصر ولم يتسن له السفر إلى أوروبا للدراسة.

ثم ألحق الخديوي توفيق شوقي في معيته. وعين أباه مفتشاً بعد أن كان فقد وظيفته.

بقي شوقي سنة في معية الخديوي توفيق، ثم أرسله إلى فرنسا للدراسة وخيَّره، فاختر شوقي الحقوق، فنصح له الخديوي توفيق أن يجمع بين «الحقوق وبين الآداب الفرنسية بقدر الإمكان».

الدراسة في فرنسا

ركب شوقي البحر إلى مرسيليا في يناير عام ١٨٩١، وأنفق عامين في موندلبيه، وعاماً في باريس، ورجع إلى مصر في نوفمبر عام ١٨٩٣. ومنعه الخديوي من القدوم إلى مصر في العطلة الدراسية، وطلب منه أن يقيم «أربع سنوات كاملة في أوروبا»، وألا يضيع منها دقيقة واحدة، «ثم أرسل إليّ خمسين جنيهاً لأنفقها في رحلة أزمعها إلى أي بلد أشاء، إلا مصر».

في السنة الثالثة نال شوقي شهادة الحقوق الفرنسية، ولكن الخديوي توفيقاً طلب إليه أن يبقى في باريس ستة أشهر ليتمكن من «معرفة أشياء باريس وأهلها». الخلاصة أن شوقي مكث في فرنسا ثلاث سنوات تنقص شهراً.

موظفاً في القصر

رجع شوقي إلى مصر ليجد توفيقاً قد مات، وابنه الشاب عباس حلمي قد

تولى الحكم. عمل شوقي في القصر. ولا شك أنه أحس بغصة، فالخديوي توفيق كان يحب الآداب، وهو رجل تربي على اللغة العربية. أما عباس حلمي فشباب يصغر شوقي بست سنوات، ودرس في مصر ثم في فيينا مدة قصيرة وقطع دراسته بموت والده ليتولى الحكم بعده.

لكن شوقي نال ثقة عباس حلمي، وتولى له رئاسة القلم الإفرنجي. وبعد سنتين مثل مصر في مؤتمر المستشرقين في جنيف بسويسرا عام ١٨٩٤. وعاد فكتب تقريراً «إلى سيدنا ومولانا، وليّ النعم الأكبر، الخديوي المعظم».

في المؤتمر عرض شوقي قصيدة من ٢٩٠ بيتاً قص فيها تاريخ مصر الفرعوني والإسلامي. وقال كلمة بالفرنسية، ترجمها بنفسه لاحقاً إلى العربية، حث فيها المستشرقين على الاهتمام بالحاضر الأدبي للعرب الذي «دخل في الحركة العصرية من نحو نصف قرن»، ودعاهم إلى ألا يقصروا اهتمامهم على ماضي العرب وتراثهم القديم، وعرض عليهم روايته الشعرية علي بك الكبير، و«مجموعة حكايات منظومة على ألسنة الحيوانات، بإنشاء عربي محض، وفكر مصري خالص». وستظل هذه الحكايات من درر أدبنا العربي زمناً طويلاً. وقد اخترنا منها الكثير هنا، ليس لطرافة موضوعها فحسب، بل لأنها من أجمل الأدب.

غزل شوقي بالحسان في مصر وفي إستانبول التي كان يزورها كثيراً. ولم يكن في غزله سوى رجل يحب الجمال، و«الجمال البشري سيد الجمال كله» كما قال ناثراً.

وعرف مكائد الوظيفة، ودسائس القصور جيداً، وانطبع هذا في شعره بشكل جگم كان يقصد إليها قصداً، على أنه كان يغترفها من حياته. وتأثر ولا شك بالأدب الفرنسي، وهو يقول لنا إنه تأثر كثيراً بفكتور هوغو وألفريد دي موسيه ولامرتین، وأما لافونتين القديم فقد تأثر بقصصه وصنع قصصاً على طريقته. وعرف شكسبير باكراً من ترجمات صديقه خليل مطران لبعض مسرحيات شكسبير من الفرنسية إلى العربية. ولكن مثله الأعلى ظل المتنبي «صاحب اللواء، والسماء التي ما طاولتها في البيان سماء، ولو سلم من الغرور، وسلم الناس من لسانه لأجلته إجلال الأنبياء».

الزواج والأولاد

تزوج شوقي خديجة ابنة حسين باشا فهمي شاهين، وأنجبت له أمينة في

الليلة التي مات بها أبوه. ثم وُلد له علي، ثم بعد حين حسين. وأحب أولاده بشغف. وكتب فيهم قصائد فيها مرح وحب وفيها تعلق. وأخذنا معظم أبياتها هنا، ليس فقط لأن مثيلها نادر في شعر العربية، ولكن لأنها جميلة أيضاً. ولم يقل في زوجته شيئاً، ولعله كان في هذا الأمر الرجل الشرقي الذي يتفنن في إخفاء زوجته عن العيون والأذهان، تقرأ شعره في أولاده فلا تملك أن تسأل: وأين أمهم، ولا تملك أن تظن أنه كان يعثر عليهم تحت الشجرة في الحديقة. ويصرح ابنه حسين في كتابه عن أبيه بأن شاعرنا كان يسهر كثيراً ويهمل زوجته، وهي صابرة لا تؤاخذ في شيء.

شوقي شاعراً متميزاً

كان شوقي رجل سماع، يحب الموسيقى الشرقية، ويألف الموسيقى الكلاسيكية. ونحن نرى هذه الألفة من خلال أذن محمد عبد الوهاب الذي رافق شوقي في فرنسا لاحقاً واستمع بمعينه إلى الموسيقى في مسارح باريس.

ونعرف أنه كان يسهر في مجالس الغناء، ويحضر المسرحيات الغنائية في القاهرة. لكن ارتباطه بالقصر يمنعه من التماهي في علاقات نسائية. ولعل الرجل لم يكن شهوانياً. كان يحب الخمر، ويعاقرها باتشاد. وكان يحب الجمال. ولكنه كان قد أصبح منذ أوائل الصبا راهباً في معبد الشعر.

«كان شوقي يقيد الشوارد ولا يدعها تفوت، ولم يقل لنفسه في وقت من الأوقات: دعينا من هذا الآن لأن لنا ما يشغلنا عنه وسنعود إليه في ساعة أخرى، بل كان المعنى المبتكر هدفاً له كيفما عَنّ وأنى عرض.. لم يخلط شوقي الشعر بالسياسة ولا التجارة ولا الفقه ولا الإدارة ولا الزراعة ولا عمل من الأعمال الأخرى التي يتعاطاها الناس،» كما قال شكيب أرسلان في كتابه «شوقي: صداقة أربعين سنة».

و«كان شوقي يفكر في الشعر قاعداً وحاضراً وبادياً وسائراً وسارياً وفي المركبة وماشياً، إلى غير ذلك. فقد أعطى شوقي نفسه للشعر فأعطاه الشعر ما لم يعطه غيره في هذا العصر»، كما قال عنه صديقه خليل مطران.

ولم يكن موسراً. كان موظفاً نافذاً في معية الخديوي. لا بل يرى شكيب أرسلان أنه «في عام ١٩٠٠ كان شوقي ضعيف الحال، لم يحصل على الثروة التي جمعها فيما بعد، والتي كان السبب فيها شعره بدون نزاع». أما أنه كان

ينفق من سعة بسبب ثروة زوجته وأهلها، فأمر مشكوك فيه. لقد كان شوقي محجة لأصحاب الحاجات سنين طويلة. ولعله كان لا ينسى نفسه من عمولة هنا أو هناك على الطريقة التي كانت متبعة كثيراً في ذلك الزمن التركي. وهذه تهمة يؤكدّها محمد كرد علي في كتابه «المعاصرون»، من حيث نفاها ضمناً شكيب أرسلان. ولعل «بدون نزاع» هذه التي وردت في عبارة شكيب أجلب للتهمة منها لدفعها.

لا نعرف الكثير عن معتقد شوقي. لكن شعره يوحي بأنه كان مؤمناً دون تمسك بالعبادات. كان منتصباً إلى أمة الإسلام انتماء روحياً وسياسياً، فقد ناصب الإنجليز العداء مجازاة لأمره، وناصر الخليفة عبد الحميد في إستانبول مثلما ناصره أميره في مصر، وكان نصيراً للدولة الخلافة بمعنيها الزمني والديني. على أنه كان في شعره كثير الشك في الحياة الأخرى. ولكن، أليس هذا دأب كثيرين من الشعراء؟ قد لا يحل لنا التحويل على أبياته تلك في رسم خريطة لوجدانه الديني. على أننا نقول إن شوقي انتمى إلى الإسلام حضارياً وعاطفياً بعد إذ قدس اللغة العربية، وليس العكس.

وإذ رأى السفور في كثير من نساء إستانبول، واجتلى جمالهن ووصفه، أخذ يميل إلى السفور كفكرة، وحبه للمرأة العثمانية في قطعة نثرية طويلة كتبها عن زيارته لعاصمة الإسلام، قبل سنة من كتاب قاسم أمين «تحرير المرأة». ولم يسارع إلى تأييد قاسم أمين في مطلع القرن العشرين. فوقف متحفظاً من صاحب كتابي «تحرير المرأة» و«المرأة الجديدة»، ثم رصد في شعره تحول مواقف الأمة، ومال إلى السفور بالتدريج.

ناصر شوقي الحزب الوطني وزعيمه مصطفى كامل، الذي كان منسجماً مع قصر عابدين ومؤيداً لإستانبول والخلافة، لكن شوقي لم يكن سياسياً حزبياً.

دخل القرن العشرون وشوقي أكبر مثقف في مصر. ولئن فاقه أحمد لطفي السيد، الذي يصغره ببضع سنين، في ثقافته الفلسفية والقانونية، فإن شوقي كان يمسك بزمام العربية كما لم يتسنّ لأحد منذ مئات السنين. وكان العقاد وطه حسين، كلاهما، آنذاك مع بدء القرن في الحادية عشرة من العمر.

وسنرى طه حسين بعد ثلاثين سنة يشهد لثقافة خصمه شوقي: «كان شوقي يحسن التركية، وكان متقناً للفرنسية، فقد برع فيها نطقاً وفهماً. وكان في أول أمره كثير القراءة حريصاً على الفهم، فقد قرأ كثيراً وفهم كثيراً وتمثلت نفسه ما

قرأ وما فهم.. . العنصر الفرنسي عمل في عقله وخياله ومزاجه كله.. . عاشر شوقي العرب في شعرهم وأدبهم فعظم حظهم من العربية، وعاشر الترك في حياته اليومية، واتصل بهم أشد اتصال فعظم العنصر التركي فيه».

وإذا عرفت شح طه حسين في الشهادة لأي أحد - ولا سيما فيما يتعلق بالثقافة الفرنسية - عرفت قدر شهادته هذه في شوقي.

نرى شوقي مُنْقَلَبَ القرن شاباً تخطى الثلاثين، قصيراً، بدأت صباحة الصبا تنحسر عن وجهه سريعاً، ولم يشفع له من جسمه شافع. يحضر حفلات الرقص في قصر عابدين ويستمتع بالجمال وهو يرى الفتيات يرقصن على أنغام الفالس، وتسيل خصورهن من أكف الرجال، والخديوي، الذي درس في فيينا سنة أو سنتين، يعيش الدور بجانب زوجته النمساوية.

ذاق شوقي هجمة نقدية من المويلحي وأخرى من البازجي، في مطلع القرن، وكره النقد وسيظل يكرهه. وهاجم سعد زغلول المقرب من المعتمد البريطاني في مصر. وكان صديقاً لزعيم الحزب الوطني مصطفى كامل. فلما مات هذا عام ١٩٠٨، لم يكن شوقي ميالاً لخلفه محمد فريد.

عاد إلى المسرح الشعري وهو في أواخر الثلاثين بعد تلك الرواية الباكورة التي نظمها وهو في أواسط العشرين من عمره. فكتب مسرحيتين هما «الست هدى» و«البخيلة». وانصرف عن الأمر.

رحب بالانقلاب العثماني وبالدستور عام ١٩٠٨، ثم لم يذرف الدموع على عزل ممدوحه السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩، الذي كان أنعم عليه بالبكوية. وبكوية إستانبول كانت في ذلك الزمن تجعل صاحبها أهلاً لأن يلقب بصاحب السعادة، وكانت، كما زعم محبو شوقي، مساوية للباشوية المصرية.

وانغمس في السياسة المصرية مع اغتيال بطرس غالي رئيس مجلس النظار عام ١٩١٠، لاتهامه بعدم الوقوف بصلابة أمام تجديد ولاية الإنجليز على قناة السويس. وعاش جو مصر وجو الدولة العثمانية المحتضرة شاعراً بما يجري شعوراً دفيناً وقوياً. كان يرتفع عن الأحداث الصغيرة ويرى حاضر الأمة الإسلامية، ويراه في انهيار متسارع.

المنفى

عندما قامت الحرب العالمية الأولى كان شوقي في إستانبول، وفيها كان

عباس حلمي. وطلب الإنجليز من عباس عدم العودة إلى مصر. وأسرعوا فأعلنوا مصر سلطنة وعينوا حسين كامل ابن إسماعيل سلطاناً، ففصلوها بذلك عن الدولة العثمانية التي كانت في المعسكر المعادي.

ورجع شوقي إلى مصر وهنأ السلطان الجديد. ولكن سلطات الاحتلال الإنجليزي في مصر أبعدته، مع كثيرين من أصحاب الولاء للدولة العثمانية، إلى مكان يختاره. فاختار إسبانيا لبعدها - على الأرجح - عن الأطراف المتحاربة.

وعاش مع أسرته وأربعة من الخدم في برشلونة. وانقطع إلى كتب العرب ودواوينهم. وكتب شعراً ونثراً، وأرجوزة قص فيها تاريخ عظماء العرب. ولم يكن له نشاط اجتماعي يذكر في إسبانيا. ولم يتميز شعره هناك عن شعره قبل النفي، إلا في قليل. كتب قصيدتين عامرتين واحدة في الحنين إلى مصر، وأخرى في وصف آثار العرب في الأندلس.

كان أولاده قد شبوا، وكانوا له سلوى في منفاه. يقص علينا ابنه الأصغر حسين، في كتابه «أبي شوقي» الذي كتبه بعد موت والده، قصة طريفة عن أبيه في إسبانيا: «ركبنا الحافلة ذات يوم، هو وأنا، فصعد رجل عملاق بادي الترف والثراء، يعلق سلسلة ذهبية بصدرة وفي فمه سيجار ضخمة، ثم ما لبث أن استسلم للنوم في ركن من العرب، وراح يغط غطيلاً يرهق الأعصاب. وصعد نشال في مقتبل العمر جميل الصورة، وهم بأن يخطف السلسلة، لكنه أدرك أن أبي يلحظه، فأشار إليه إشارة برأسه مؤداها: هل آخذها؟ فأجابه أبي برأسه «خذها»، فنشلها الشاب ونزل، بعدما حيّا أبي برفع قبعته! ولم يكذب ينزل حتى التفت إلى أبي وقلت: هل يصح أن تترك النشال يأخذ سلسلة الرجل وهو نائم؟ فأجاب: شيء عجيب يا بني! لو كنت مقسماً الحظوظ فلمن كنت تعطي السلسلة الذهبية؟ أكنت تعطيها عملاقاً دميماً أم شاباً جميلاً؟ فقلت: كنت أعطيها الشاب الجميل، فأجاب ببساطة: ها هو ذا أخذها».

هذا شوقي وهو يقترب من الخمسين.. شاعر الأخلاق. لكن معياره الأخلاقي داخلي ذاتي. ويصرح ولده حسين بأن أباه كان ذا نزعة بوهيمية دفيئة.

العودة من المنفى

عاد شوقي إلى مصر بعد انتهاء الحرب بقليل، وكانت مصر تخرج من

عقابيل ثورة ١٩١٩، وسعد زغلول لم يعد مقرباً من الإنجليز، بل هو زعيم وطني نفاه الإنجليز، ثم عاد وراح يفاوضهم بعناد.

رجع شوقي إلى مصر وفيها حاكم جديد. السلطان أحمد فؤاد الذي تولى الحكم بعد وفاة السلطان حسين كامل. لم يقرب السلطان أحمد فؤاد أحمد شوقي. ولعل شوقي أحس براحة في البعد عن القصر. وهو الذي كتب قبل عشرين سنة «أو لم يكن من الغبن على الشعر والأمة العربية أن يحيا المتنبي مثلاً حياته العالية التي بلغ فيها أقصى الشباب، ثم يموت عن نحو مئتي صحيفة من الشعر تسعة أعشارها لممدوحه، والعُشر الباقي، وهو الحكمة والوصف، للناس؟ هنا يسأل سائل: وما بالك تنهى عن خلق وتأتي مثله؟ فأجيب: أني قرعت أبواب الشعر وأنا لا أعلم من حقيقته ما أعلمه اليوم، ولا أجد أمامي غير دواوين للموتى. والقوم في مصر لا يعرفون من الشعر إلا ما كان مدحاً في مقام عالٍ، ولا يرون غير شاعر الخديوي صاحب المقام الأسمى في البلاد، فما زلت أتمنى هذه المنزلة. حتى وفقت بفضل الله إليها، ثم طلبت العلم في أوروبا، فوجدت فيها نور السبيل، من أول يوم، وعلمت أني مسؤول عن تلك الهبة التي يؤتيها الله ولا يؤتيها سواه». انتهى كلامه في مقدمة الشوقيات (١٩٠٠).

لكن شوقي أحس بالمرارة التي يحسها كل امرئ كان قريباً من مركز السلطة ثم صار بعيداً. حقاً لم يتعد عن الملك فؤاد كل البعد، بل ظل يمدحه بين الفينة والأخرى مدحاً عارضاً في الأغلب، لكنه لم يعد شاعر القصر، ولا الموظف ذا النفوذ فيه.

انصرف شوقي إلى دنيا من الشعر والفن أوسع. فقال قصيدة في النيل فاخرة. وقال قصائد في رثاء الكبراء كان بها يحافظ على منابره الشعرية، وينفث مخاوفه التي لا تهدأ من الموت. كان يعيش مرتاحاً ثرياً. وأظن أن شوقي الصبي الذي رأى أباه يبدد الثروة ويعيش عيشة عادية عرف كيف يمسك يده على ما نال في زمن الخديوي عباس حلمي من ممتلكات.

بعد المنفى

رجع شوقي إلى تمجيد مصر، وهي نغمة باهى كثيراً بأنه أول من صدح بها. فقد كان وقف على آثار الفراعنة واستوقف وهو شاب في الخامسة والعشرين في قصيدته أمام مؤتمر المستشرقين عام ١٨٩٤.

وقبل الكشف الأثري الباهر عن مقبرة توت عنخ آمون بسنة وقف شوقي يخاطب أبا الهول، ثم جاء الكشف الشهير الذي اهتزت له الدنيا، فتفجر شوقي بشعر كثير في وصف آثار الفراعنة ومناجاتها. وألبس حجارته من فنون القول ما هز النفوس، وكان العصر عصر بحث عن هوية وطنية. لم يتمسح شوقي بمومياءات الفراعنة تمسحاً بليداً، ولا هو تنكر لماضي مصر العربي الإسلامي. لكنه قال شعراً مليئاً بالجمال، وكفى.

كأنما كان في نفس هذا الشاعر حسرة لأنه لن يستطيع أن يقف على الإطلال وقوف شعراء العرب القدماء، الذين كانوا، وظلُّوا، مثله الأعلى وقالبه الخالد، فوجد في قبور الفراعنة مناسبة للوقوف والاستيقاف دون أن يتهم بأنه صدى باهت للقدماء. كان أصيلاً في هذا الشعر ليس لدقة الوصف وحسب، ولكن - أكثر - لأنه رأى الموت حياً أمامه في آثار الأقدمين فتحدث عن شعوره تجاه الموت؛ وتحدث - وأسرف في الحديث - عن الخلود الدنيوي وبقاء الذكر.

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى انهارت الدولة العثمانية، فبكاه شوقي. ولكنه أثنى على أتاتورك وتحمس له في حربه مع اليونانيين، وفي مساعيه للحد من أطماع الدول المنتصرة في تركيا. ثم ألغى أتاتورك الخلافة فلامه شوقي ثم انقلب عليه. وأحس شاعرنا أن مصر هي الكيان الوحيد الذي يمكن أن يعده وطناً. ولم يعد إلى إيمانه بدولة الخلافة ولا بالخلافة. ولم يعر أذنً للدعوة التي كانت لها جلبة في العشرينات لتجديد الخلافة.

أصبح شوقي قريباً من سعد زغلول يحضر مجالسه، في بيت الأمة ومسجد وصيف، ويمدحه بالشعر. وقربه سعد، وجعله عضواً في مجلس الشيوخ عن محافظة سيناء سنة ١٩٢٤. وكانت هذه السنة بداية الحياة البرلمانية الحديثة في مصر وقد زالت عنها الحماية البريطانية ونالت استقلالاً إسمياً.

في مجلس سعد، وفي جلسات ضاحكة في بار اللوا ومحل صولت، كانت لشوقي جولات ساخرة مع الدكتور محجوب ثابت. واشتهرت قصائده العابثة في حصان الدكتور محجوب وسيارته وعيادته.

شوقي السميع

اتخذ شوقي لنفسه صديقاً شاباً، مطرباً صاعداً لم يبلغ العشرين، هو محمد

عبد الوهاب. آمن بموهبته، وأخذ يصقلها بالمعرفة. كان عبد الوهاب يحضر مجالسه ويلزمه كظله. وكانت له غرفة في قصر شوقي. وأخذ شوقي معه إلى باريس مراراً، وإلى لبنان أخذه، وإلى الشام. وعلى عهدة عبد الوهاب، فيما نقله لنا مجدي العمروسي، فإن شوقي أخذه إلى باريس لأول مرة وعمر عبد الوهاب خمس عشرة سنة. ويروي لنا عبد الوهاب كيف أن شوقي خالف نصيح طبيبه وشرب زجاجة ويسكي كاملة في الباخرة، وذلك عندما علم أن في الباخرة ثقباً وظن أنها غارقة.

وكان لشوقي في باريس معارفه من الناس العاديين في مطعمه وفندقه، تماماً مثلما كان له في القاهرة. وكان يقرأ بالفرنسية كثيراً. وفي إحدى الرحلات الأولى مع عبد الوهاب أحضر كتباً فرنسية كثيرة عن كليوباترا إذ كان يتهيأ لكتابة مسرحيته الشعرية «مصرع كليوباترا».

لقد عرف شوقي عبد الوهاب ولداً صغيراً يغني بين فصول مسرحية تقدمها فرقة عبد الرحمن رشدي، فكلم حكمدار بوليس القاهرة الإنجليزي لمنعه من الغناء لصغر سنه. كان ذلك فيما يروي عبد الوهاب (في كتاب عن سيرته نشر مرتين: مرة بقلم محمد رفعت المحامي ومرة بقلم لطفي رضوان!) سنة ١٩٢١. ثم في سنة ١٩٢٤ سمع شوقي عبد الوهاب في كازينو سان استفانو بالإسكندرية، واستقبله بحرارة ودعاه لزيارته في مكتبه بشارع جلال بالقاهرة. وبعد ثلاثة أشهر وانقضاء موسم التصنيف ذهب عبد الوهاب إلى مكتب شوقي، وكان لقاءً طيباً أعقبته دعوة عشاء، ثم ثماني سنوات من الالتصاق الشديد بين مغن ناشئ وبين أشهر شاعر في العالم العربي.

من عبد الوهاب عرفنا طرائف لا بأس بها عن شوقي. فهو يتناول إذ ينظم الشعر، ثلاث بيضات نيئة - يرفعها عبد الوهاب، عندما يحكي القصة لسعد الدين وهبة، إلى خمس بيضات - يشربها شرباً. وعندما سأله عبد الوهاب عن سر البيض النيء قال: «علشان بحرق فسفور كثير». وشوقي ينظم الشعر في قلبه ولا يدونه إلا بعد أن ينظم عدة أبيات منه. يمشي هائماً في الشوارع، يدخل صيدلية، ويخرج منها دون أن يطلب شيئاً، ويدخل محلاً ويخرج، ثم يكتب أبياتاً على علبة سجائر، وكان مدخناً شهماً، أو يملئها على أحد، ولا يزال كذلك حتى يفرغ من القصيدة. وبعد ذلك.. «ألاقيه بعدما يولد الولادة وشه أصفر، عرقان تعبان منهوك، ويقول لي حتعمل إيه ما مخمد، ها.. تتعشى فين يا مخمد؟» كان يناديه كذلك تحبباً.

ومن حديث عبد الوهاب، وغيره، عن شوقي نعرف أن شاعرنا كان يرجع إلى المعجم كثيراً. نجد ذكراً لرجوعه إلى المعجم وهو في بيته بالقاهرة «كرمة ابن هاني» وهو في السفينة مسافراً إلى فرنسا. وفي بيته كان له من يساعد في إعادة ترتيب كتبه على الرفوف. فبعد الخاطر «تيجي هنا عملية الصنعة».

وقد عرفنا عن طريقة شوقي في النظم من مصادر عدة أهمها وأوثقها رواية سكرتيره الشخصي أحمد عبد الوهاب أبو العز الذي حدثنا كيف نظم شوقي قصيدة «قفي يا أخت يوشع خبرينا»: «جاء من منزله في المطرية فوجدني في المكتب في الساعة الحادية عشرة والنصف فأملئ علي ثمانية وعشرين بيتاً، ثم قال لي لا تبعد عني حتى إذا جاءني شيء أملئته عليك. وخرج يمشي حول العمارة، فكان كل بضع دقائق يعود فيملئ علي خمسة أو ستة أو سبعة أبيات. وأخيراً دخل المكتب وجلس على مقعده وأخذ يمر براحته اليسرى على رأسه ففهمت أنه ينظم في سرّه قال: اكتب، فكتبت وكتبت، ونظرنا إلى الساعة فإذا هي الواحدة بعض الظهر فقال: كفى، أعطني ما كتبت لأنني على موعد في هذه الساعة مع داود [بركات] في جريدة الأهرام، فقدمتها له بعد أن عدت أبياتها ووجدتها أربعة وثمانين بيتاً».

وقد وجدنا القصيدة زادت عشرة أبيات فأصبحت أربعة وتسعين بيتاً اقتبسنا لك منها هنا نحو نصفها.

وعرفنا من عبد الوهاب كيف زار سعد زغلول بيت شوقي لتهنئته بعرس ابنه البكر. وكيف التقط لهما المصور صورة. وأثناء التحضير للصورة بمعدات ذلك الزمن قال أحدهم، هذه صورة تجمع الخلودين: خلود الوطنية، وخلود الشعر. فعلق سعد زغلول ويده على كتف شوقي: «هذا الرجل وحده هو الخلود، فبعد خمسين سنة لن تجدوا من يذكر اسم سعد، ولكن ستجدون للأبد من يذكر شوقي ويترنم بشعره».

كان شوقي عاشقاً للغناء، ولفت نظري وصف الناقد الموسيقي كمال النجمي لعبد الوهاب بأنه «آخر مطربي شوقي». فقد كان شوقي متابعاً لفن محمد عثمان وعبد الحامولي، ثم بعد موتهما منقلب القرن تعلق بيوسف المنيلوي وعبد الحي حلمي وسلامة حجازي ومنيرة المهدي وأم كلثوم. وعرف قيمة سيد درويش جيداً، وبرز تذوقه لما أتى به سيد درويش من جديد في القصيدة التي رثاه بها. وكتب الشعر بالعامية لعبد الحامولي وسلامة حجازي

ثم لمحمد عبد الوهاب. وقد أحصى إدوارد ميخائيل في كتابه المتميز بالدقة العلمية عن عبد الوهاب تسعاً وعشرين قصيدة غناها عبد الوهاب من شعر شوقي، عشر منها بالعامية. والعدد قابل للزيادة والنقصان، لأن الكلمات لم تكن تنسب لشوقي إلا بعد حين.

لقد بلغ من حب شوقي للطرب أنه كان يأتي بالأطباء لعلاج المغني الشيخ محمد المسلوب وهو في المئة من عمره. ويبدو أن هذا العلاج كان نافعاً حقاً فقد عاش الشيخ حتى تجاوز المئة والعشرين.

هجمة نقدية شرسة

في أوائل العشرينات تعرض شوقي لأقسى هجمة نقدية. فقد نشر العقاد والمازني كتاب الديوان (١٩٢١)، وفيه حمل العقاد على شوقي حملة قاسية: «كنا نسمع الضجة التي يقيمها شوقي حول اسمه في كل حين فنمر بها سكوتاً كما نمر بغيرها من الضجات في البلد، لا استضحاماً لشهرته ولا لمنعة في أدبه عن النقد، فإن أدب شوقي ورُصفائه من أتباع المذهب العتيق هدمه في اعتقادنا أهون الهينات، ولكن، تعقفاً عن شهرة يزحف إليها زحف الكسيح، ويضن عليها من قوله الحق ضمن الشحيح، وتطوى دفائن أسرارها طي الضريح. ونحن من ذلك الفريق من الناس الذين إذا ازدروا شيئاً لسبب يقنعهم، لم يبالوا أن يُطبق الملاء الأعلى والملاء الأسفل على تبجيله، والتنويه به. فلا يعنيانا من شوقي وضجته أن يكون لهما في كل يوم زفة، وعلى كل باب وقفة». وحمل العقاد حملته منوهاً إلى أن كثيرين يؤيدونه، ومشدداً النكير على شوقي وعلى آله الدعائية. وكان شوقي ممن يحسنون الذب عن أدبهم بتسخير الأقلام لمدحه، والصحف لنشره. كان إذا غضب غضب له ألف قلم مأجور. فمن هذه الناحية لم يتجن العقاد كثيراً. كان شاباً في الثلاثين يرى أن شوقي ينال اهتمام الصحف، فأراد أن ينال قسطاً من الشهرة بالتعرض لشوقي. وأجابه شوقي الإجابة المتوقعة من مشهور يتعرض له أديب ناشئ ليققطع جزءاً من شهرته لنفسه: سكت عنه سكوت قبر.

ثم انثنى العقاد إلى قضائد شوقي فتناول منها قصيدة متوسطة فلسفها بلسانه. ثم أخذ قصيدة رديئة حقاً فأنشأ يسخر من شوقي في نثر مليء بالحيوية والتدفق. وعرج على قصيدة من الجياد هي مرثيته في مصطفى كامل - واخترنا

في كتابنا ثلث أبياتها - فأوسعها تهكماً. وغرس في قلب شاعرية شوقي، بعد التهكم من قصيدته الجيدة، أربعة نصال: التفكك، والإحالة، والتقليد، والولع بالأعراض دون الجوهر. فأما التفكك فقد عالجه العقاد علاجاً عجباً. كتب قصيدة شوقي بأبياتها الأربعة والستين كاملة، ثم عاد وكتبها مرة أخرى بعد أن بدل وغير مواضع الأبيات فبدأ بالبيت الأول ثم الرابع عشر ثم الحادي والعشرين ثم الرابع والستين وهلم جرا. ورأى العقاد بعد أن صنع ذلك أن القصيدة صارت أحسن نسقاً وأقرب نظاماً. وأكد العقاد نظريته المشهورة بأن الشعر العربي العتيق يقوم على وحدة البيت لا وحدة القصيدة. وأن شعر شوقي مفكك.

وأما الإحالة فهي الإتيان بمعنى مستحيل الحدوث في الواقع كقول شوقي:
يزجون نعشك في السناء وفي السنى فكأنما في نعشك القمران
وعلق عليه العقاد قائلاً: «وزعيمنا الفقيد كان فرداً، والقمران اثنان، فمن كان الثاني في ذاك النعش؟»
وكقوله:

مصر الأسيفة، ريفها وصعيدها قبر أبر على عظامك حان

وعلق العقاد: «مصر، أيها القارئ، ولا تخطئ فتحسبها القاهرة المعزية - فإنها مصر بريفها وصعيدها - مصر كلها، ما هي إلا قبر واحد. فله در شاعرها يرثي رجلاً أحيا نهضة في بلاده فيجعلها قبراً. ولأي ضرورة؟ وليلد على ماذا؟ لا شيء».

وأما التقليد فعنى به العقاد ما عبر عنه نقاد الشعر منذ القدم بالسرقة. ولشوقي سرقات كثيرة، ولكنه إذا قيس بالمتنبي كان عفيف الوجه واليد واللسان.

وأما الولع بالأعراض دون الجوهر فضرب له العقاد مثلاً البديع الفرد من أبيات هذه القصيدة:

دقات قلب المرء قائمة له: إن الحياة دقائق وثوان

وعلق قائلاً: «إنه بيت القصيد في رأي عشاق شوقي، فعلى أي معنى تراه يشتمل؟ معناه أن السنة أو مئة السنة التي قد يعيشها الإنسان مؤلفة من دقائق

وثوانٍ. وهذا هو جوهر البيت.. بلاغتهم المزورة لا تتعلق بالحقائق الجوهرية والمعاني النفسية، بل بمشابهات الحس العارضة.

كان العقاد متحاملاً، وآية تحامله أنه لم يرض أن يسلم لشوقي بيت واحد جيد أو حتى متوسط. لقد حكم على الرجل حكماً جارفاً، ولم يعجبه من الثلاثين ألف بيت التي نظمها شوقي في حياته شيء.

كانت هجمة نقدية عاتية. وكانت فيها فائدة للأدب العربي. ولكن شوقي، وهو موضوعنا لم يزل، مضى في طريقه لم يغير شيئاً. ظل الحارس الأمين للطريقة الكلاسيكية في الشعر العربي. وظل شعره «مفككاً»، أو إن شئت قائماً على وحدة البيت. وظل يعارض الشعراء الأقدمين ويباريهم، و«يسرق» منهم.

وظل العقاد يهاجم شوقي، ولكن شوقي راح ينعم بالتكريم في مصر والشام ولبنان، إلى أن توجته تلك الحفلة الكبيرة، سنة ١٩٢٧ في دار الأوبرا بالقاهرة برعاية سعد زغلول، أميراً للشعراء.

لقد اضطر حافظ إبراهيم إلى مبايعة شوقي حتى لا يقال حسده فتخلف. لكن العقاد اعترض بصراخ وزئير. وفي العراق قال الزهاوي:

قالوا لشاعر مصر دار الإمارة تسببني
فقلت يا أهل مصر منكم أميرٌ ومنا

مستعيذاً قولة الأنصار للمهاجرين بعد وفاة الرسول: «منكم أمير ومنا أمير».

وكان الرصافي أكيس. فقال، وأشار إلى محنة طه حسين في كتابه «في الشعر الجاهلي»، ومحنة علي عبد الرازق في كتابه «الإسلام وأصول الحكم»:

إذا احتفلت مصر بشوقي فما لها تقيم على الأحرار في العلم حاجرا
فقد أسمعنا ضجة أمطرت بها علياً وطه حاصباً متطائرا
إذا لم تك الأفكار في مصر حرة فليس لمصر أن تكرم شاعرا

وفي لبنان كتب مارون عبود بعد ست سنوات من التتويج: «فهل كانت إمارة شوقي - وهو شاعر جيله - غير منهزلة سجلها الدهر؟» على أن الجملة المعترضة عند مارون «وهو شاعر جيله» لم تكن لمجرد المجاملة، فقد ردها بعد أكثر من عشر سنوات عندما جعل شوقي «خلاصة الرؤوس وخاتمة الشعر

الكلاسيكي»، «كان شوقي قويَّ المخيلة، وعَيْنُهُ أَحَدُ من قلبه، فوثب ووثبات استولى بها على الأمد فكان شاعر جيله.. فلولا وثبات رائعة فاق بها شوقي شعراء جيله ودنا بها من كبار القدماء لما كان هو ذلك «الرأس» الذي نختم به المدرسة القديمة. إن حظ الشعر القديم المصقول قد ختم بشوقي الذي أعاد عهد الديباجة البحترية». انتهى كلام مارون عبود في كتابه الرؤوس.

سافر شوقي في العقد الأخير من عمره كثيراً، إلى فرنسا حيث كان ولداً علي وحسين يدرسان، وإلى لبنان وسوريا حيث كان يلقي الترحيب الكثير. رأيناه يشكو لمحمد عبد الوهاب كثرة مجاملات أهل لبنان -، وكان يعجبه من أهل سوريا ولبنان أنهم يحفظون شعره. وكان يطرب لسماع شعره من أفواه الآخرين. وسنراه يسأل كامل الشناوي في أول لقاء بينهما عام ١٩٣١ إن كان يروي شيئاً من شعره، ويطلب إليه أن ينشده قصيدة «أبو الهول». حدث هذا اللقاء في مسرح الأزبكية عقب حضور شوقي لبروفة إحدى مسرحياته، وكان يقوم عليها زكي طليمات.

في السنوات الخمس الأخيرة من حياة أحمد شوقي عاد إلى المسرحيات الشعرية فكتب خمساً أو ستاً منها، وكان شوقي مولعاً بحضور بروفات مسرحياته. ولعل الممثلين كانوا يذوقون الأمرين من تلك النصوص. فماذا يفعلون بيت من الشعر مقسوم بين ثلاثة أو حتى أربعة ممثلين؟ عليهم أن يتقنوا الأداء وأن يلتزموا بالوزن الصارم! عجب ذلك الذي صنعه شوقي في مسرحياته، فقد التزم بأوزان الخليل، وحاول مع ذلك أن يُبقي على التدفق، وأن يراعي تطور القصة. وقد لاقت مسرحياته من اهتمام النقاد الكثير. ولقي من ثناء النقاد الكثير لأنه فتح هذا الباب في الأدب العربي. ولكن أي باب؟

لقد ولد المسرح الشعري على طريقة شوقي ميتاً. وهو الآن نصوص في الكتب، لا تنفع الممثل، وترهق المطالع. وهي قد لاقت المصيرين، ثناء النقاد والموت الزؤام، للسبب نفسه: فكرة طريقة لكنها فطيرة. استوردت على عجل قبل أن تجد في أوزان الشعر العربي ما يساعدها على النمو. ومن أراد أن يحيل الشعر العربي الغنائي بطبيعته وبتاريخه إلى شعر مسرحي عليه أن يجري الكثير من التغييرات ليس فقط على بنية الشعر واللغة، بل أيضاً على نفوس السامعين والمشاهدين. وعندما جاء الرحبانيان فصاعاً مسرحياتهما خالطين الشعر بالثر بالموسيقى نجحا عند الجمهور؛ ثم عاد الجمهور وسقط - الجمهور

هو الذي سقط - لأنه لم يواصل الاهتمام بهذه الأهرامات الفنية الخالدة، وساعد الجمهور في ذلك بلادته ورداءة المؤسسات الإعلامية في الدول العربية.

ارتاد شعراً شوقي في سنواته الأخيرة موضوعات جديدة، وسافر في بلاد العرب، ولا سيما في سوريا ولبنان، وظل هذا الشعر يؤبن الموتى كعادته.

لما مات حافظ إبراهيم رثاه شوقي متمنياً أن يكون حافظ هو الرائي:

قد كنت أؤثر أن تقول رثائي يا منصف الموتى من الأحياء

وبعد حافظ بشهرين وثلاثة أسابيع مات أحمد شوقي، في ١٤ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٣٢.

لم يكن ناسياً الموت. بل لم تطلع على أحمد شوقي شمس نهار إلا تذكر الموت. ولو اضطرني أحد عشاق التصنيف إلى أن أضع شوقي في زمرة لوضعت في زمرة شعراء «تقديس الحياة»، ولوضعت بجانبه أبا العتاهية وأبا العلاء. فهؤلاء الثلاثة كانوا يحبون الحياة حباً جماً، إلى درجة أنهم نغصوها على أنفسهم بتذكر الموت. فأبو العتاهية شغف بالمال مع شغفه بالحياة وكان زاهداً وبخيلاً في النصف الثاني من حياته؛ وأبو العلاء زهد زهده المشهور في النصف الثاني من حياته ولكنه ظل متعلقاً بالحياة، نعرف ذلك لكثرة ما قال عكسه. وشوقي كان يلهو في النصف الأول من حياته، وفي النصف الثاني أيضاً. ولكنه كان دائماً كالولد الذي أعطته أمه قطعة جاتوه كبيرة، فراح ينظر إليها متحسراً ويفكر في اللحظة التي سوف تنتهي فيها، وظل يكرّم من طرفها قليلاً ويتحسر قليلاً.

نظرة ذاتية في الشعر العربي

ليس مستحيلاً أن تمر بك أبيات للبارودي أو لبديوي الجبل ليس عليها اسم الشاعر فتحسبها لعنترة أو للأعشى. وقد تقرأ نصف ديوان البهاء زهير، الذي مات قبل أكثر من سبعمئة سنة، فتحسب أن هذا الشعر قيل قبل سبعين سنة أو سبع سنين.

تلك مشكلة في اللغة، وفي التقدم، وفي الشعر، وفي صدق الشعور والتعبير. وهي ظاهرة. فرغم أن التبدل في مجتمعات العرب كثير: لأن البداوة والارتحال المستمر طابع مسيطر عليهم في قديمهم، وموجود ملموس في

حديثهم، ولأن بلادهم تقع في وسط العالم، فكثرت في أرضهم الغزو والفتح، منهم وعليهم، ولأن بلادهم واسعة ومرقطة بالجماهر البشرية التي تفصل فيما بينها الفياضي والكثبان، رغم ذلك ثبتت لغتهم ثباتاً عجيباً.

القرآن الذي وحد العرب على لسان واحد قبل أربعة عشر قرناً، جعلهم يلفون لغتهم براية القداسة. والقرآن كتاب أحكام ودين لا كتاب لغة، وهو لا يضم من مفردات اللغة إلا ما شاء ربك أن يضم. لكن أثره كان أن قدّس العرب اللغة العربية. ثم دخل في الإسلام وفي اللغة العربية الأعاجم، فقدسوا العربية أكثر من العرب. ومن عرف لغتين كان في اللغة امرأً لعوباً. لقد وجد الأعاجم في العربية لعبة جميلة، وراحوا «يخدمونها» بتأسيس قاعدة ثابتة لها من النحو والصرف وتحقيق المفردات. وما انقضت مئتا سنة على نزول القرآن إلا والناطقون بالعربية قد اشتعلوا شغفاً بتأصيلها. فأخذوا كالمجانين يجمعون المفردات من ألسنة الأعراب، ويقدسون الشعر الجاهلي تقديساً، ويتخذونه مسطرة يقيسون بها كل شعر.

لغة كل عصر هي بصمته التي لا يمكن لعصر آخر أن يقلدها. وقد أنفق العرب ألف سنة وبضعة قرون يحاولون - سدى - تقليد بصمة العصر الجاهلي. يستعملون الكلمات نفسها والتراكيب نفسها، ثم يفلت منهم الوجدان الجاهلي. البصمة لا تقلد. ولكن الإسراف في محاولة تقليدها يسلب المرء أصالته ويسلكه في المقلّدين.

عربية الجرائد اليوم غير عربية الحجاج بن يوسف، وعربية الناس في بيوتهم وأسواقهم غير عربية الجرائد. والتمسك بالفصحى بوصفها جوهراً لم يتغير فيه شيء ألبتة منذ أوقفها الله على لسان آدم، تمسك شكلي بالطبع. فلا قواعد اللغة ظلت على حالها، ولا مفرداتها. فالنحو غير موجود على الألسنة اليوم ومراعاته في الكتابة تقتضي جهداً غير قليل؛ والألفاظ المأنوسة اليوم لا تتعدى عشرين بالمئة مما يضمه «لسان العرب»، فأما الثمانون بالمئة الباقية فمومياءات.

وحالنا في الشعر قريب من هذا في أشياء، بعيد في أشياء.

الشعر العمودي

وصف أبو علي المرزوقي المتوفى قبل ألف سنة (٤٢١هـ/أما ما ورد في

ترجمته في مقدمة شرحه لحماسة أبي تمام من أنه مات سنة ٢٤١، فهو بعض ما تفعله المطابع بالأرقام)، وصف «قواعد الشعر التي يجب الكلام فيها وعليها، حتى تصوير جوانبها محفوظة من الوهن، وأركانها محروسة من الوهي، إذ كان لا يُحكّم للشاعر أو عليه بالإساءة أو بالإحسان إلا بالفحص عنها وتأمل مأخذه منها...». واستقرأ صفة «عمود الشعر المعروف عند العرب» واستقر على سبع خصال، فالعرب «كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والثامها على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما، فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر». اهـ كلام المرزوقي.

هذا عمود الشعر أي أساسه، مثلما يكون العمود في وسط الخيمة أساسها. ومن هنا تسمية «الشعر العمودي»، فعندما ابتدع الناس في منتصف القرن العشرين طريقة أخرى في رصف التفاعيل وتوزيع القوافي ظنوا أنهم خرجوا على عمود المرزوقي (أو عمود البحري إن صح أنه أول من نطق بالمصطلح)، فسموا كل الشعر العربي القديم عمودياً، وسموا ما ابتدعوه الشعر الحديث. وما صنعوه في الواقع هو أنهم خرجوا خروجاً محدوداً عن البحور كما وصفها الخليل بن أحمد. فأما عمود المرزوقي الموصوف أعلاه بكلمات صاحبه فلم يخرج عليه - في جانب المعنى - إلا شعراء السريالية والرمزية المغرقة، أما في جانب المبنى فقد خرج عليه شعراء قصيدة النثر. وسوى ذلك من قصائد شعر التفعيلة فمعظمه يتبع عمود الشعر العربي كما وصفه المرزوقي بدرجة كبيرة.

لقد قام الشعر العربي وقعد كثيراً في القرن العشرين. ودخلنا القرن الحادي والعشرين وكثيرون من شعرائنا مصممون على ألا يكون شعرهم كشعر الألف والخمسمئة سنة المنصرمة. لا بد من الاعتراف بأن العرب يشتهون أن يكسروا كل قوالب الماضي في الشعر. لقد وجهوا ضربة لبحور الخليل أحسبها قاضية. وأوغل العديد من شعرائهم في الرمزية، وتحللوا من التفعيلة، ومن القافية. أفليست هذه مناسبة لتأبين الشعر القديم؟ أم لعلها مناسبة للوقوف على معالمه البارزة؟ أم هي من مفترقات الطرق تلك التي تمر بها الأمم فتتنظر في عظيمها وتتأمل ما مر بها، وما يوشك أن يرد عليها؟

حفل وداع للشعر العمودي

ما نصنعه في هذه السلسلة هو أن نقدم مجموعة كبيرة ومنتقاة من الشعر العربي بحسب تقاليدته التي ثبتها أهلها تثبيتاً لعدد من السنوات كبير يفترق العقل ويدهش إدهاشاً، وتتعجب منه الثقافات الأخرى. وكما قدمنا فليس هذا بالأمر الممدوح، فمن يمدح الجمود! ولا هو بالأمر المذموم، فمن ذا الذي يملك الفحة الكافية كي يذم حالة من الحالات دامت هذا الدوام! من يملك أن يذم الماء لأنه يتجمد على درجة الصفر المئوية. إنه أمر واقع، وحال وجدنا شعرنا عليها، ونحن نصفها. هذا وضعنا نحن العرب، وهذا شعرنا. وهو من أعظم الشعر الذي عرفته البشرية. سلسلتنا الحاضرة تستمد سبب وجودها من هذا الانقلاب الذي يشهده الشعر العربي.

إحياء الشعر القديم: حلاوة الروح

جاء البارودي خاتماً لشعراء القرن التاسع عشر، فكان ملححة الوداع. ثقب ثقباً صغيراً في السد الذي أقامه «علماء» الشعر العربي في وجه الإبداع. لكن رشح الماء، وأصيب الشعر العربي بالبلل الذي لا ينفع فيه سوى تغيير الملابس. وجاء شوقي ففتح ثغرة في السد في موضع المقتل. وسيجيء بعد شوقي شعراء يهدمون السد صخرة صخرة فيكون الري ويكون الفيضان، ويدخل إلى الشعر العربي ماء كثير، ويدخل معه طين وحشرات.

والشعر يحب الثورة ويحب التغيير، وهو بين المخلوقات الأدبية مخلوق بوهيمي. لكنه، ويا للغرابة، مخلوق منضبط بإيقاع هو نصف حلاوته.

بعد شوقي جاء عصر رومنسي حالم نام على وسادة الذاتية أعواماً ثم على وسادة العروبة ثم على وسادة الاشتراكية. وكان يتخلله شعراء يديرون الناعورة بالعكس فتسحبهم الناعورة. ثم جاء نزار قباني فكان جسراً عبر عليه الشعر العربي من الإيقاع الرتيب إلى الإيقاع الحر.

وانبهم الوضع العربي انبهماً بعد أن نفق الحصان القومي فلاشترافي. وبعد أن بعثنا رقعة دعوة إلى الاستعمار، أوصلناها إلى باب بيته، وفيها: تفضل بالعودة إلى بلادنا، لأننا لم نستطع أن نصنع شيئاً وحدنا، فنحن مثل الحمار الذي هرب من سيده يريد الصحراء ليتحرر، وفي منتصف الطريق تذكر أنه نسي رسنه، فرجع أدراجة.

والتقط نزار قباني الوضع العربي في لحظة انهيار الأمل فتفجر ينبوعاً من الشعر الفاخر في عام ١٩٦٧ وما بعدها.

والآن في عام ٢٠٠٨ يقف الشعر العربي مذهولاً. (معظم هذه المقدمة وما تلاها من شرح كتب عام ٢٠٠٨، وأنا أحرره وأهيئه للطباعة في آخر شهر من عام ٢٠١٦).

سمع الشعر العربي صرخات قوية من مظفر النواب في السبعينات والثمانينات، وترددت في جنبات الإنترنت نغمات على ربابة أحمد مطر الرتيبة الحانقة. لكننا لا نزال نجد أبناء يوسف الخال يحاولون دخول السينما بلا تذاكر. وهؤلاء قوم بدأوا سيرتهم بالنفور من اللغة العربية الفصحى، واشتدوا في البحث عن شيء يميزهم فقرروا أن يكون ما يسمونه قصيدة النثر.

وهذا موضع يحسن بي فيه أن أبين حد الشعر عندي. حده عندي الكلام الذي فيه إيقاع. وأما الخيال والصدق وأناقة التعبير والموسيقى الداخلية فتجدها جميعاً في الشعر وفي النثر وفي الرواية. ولست متكلماً عن قصيدة النثر بأكثر من ذلك.

لا، بل يطيب لي أن أتكلم.

جبراً لخواطر الحدائين

تلك الخواطر التي يتهمونها بأنها شعر أحبُّ لها أن تكتب كتابة النثر لسبب اقتصادي، فإن ما يصنعونه من وضع كلمة أو كلمتين في السطر، وبضعة أسطر في الصفحة، يكلفني شراء كتب كثيرة، ثم لا يكون الكتاب كله سوى بضع مئات من الكلمات أقرأها وأنا أنتظر الباص في طريقي إلى البيت، وأود لو أعود إلى بائع الكتب لكي أرد إليه ما اشتريت منه، فأخجل وأتكبد. ويُخرج عليّ هذا في كل شهر غمماً ثقيلاً. ولانبهام وضعنا العربي صارت هذه الخواطر التي يسمونها قصيدة النثر مغرقة في الرمزية أو في التعقيد، وأظن أن هذا فتح باباً واسعاً للمشعوذين.

ولست، بعد، من محبي اللغة العربية الفصحى على الطريقة القديمة. لست ممن يتمطق بعبارة «اللغة الشريفة». وفي قلبي للشعر المقول بالدارجة موقع جليل. أجلُّ بيرم وأحمد فؤاد نجم ونخلة وكل زجالي لبنان وفلسطين، ولا أضع شعرهم في مرتبة تنحط عن شعر الفصحى بحال، ويلمس وترأ في قلبي

مدى تعلق أهل العراق والخليج بأشعارهم المقولة بالدارجة وإن لم أستطع تذوقها بدون مساعدة. شعر الدارجة شعر ذو لغة معينة ويلمس قلوب من يفهمونها. إنه شعر وحسب، ولكنه مكتوب بلغة أخرى غير اللغة العربية الفصحى.

ولست من كارهي النافرين من الفصحى. وليوسف الخال في قلبي مكانة. أحب إنسانيته وغضبه القوية على التقليديين، وأرضى تعبيره عن مسيحيتته وعن لبنانيته، وأحب عذاباته التي تعذبها على ألسنة القوميين المفلسين، وأقدره تقديرًا. فهو ناثر ذو قلم جميل منفعل. ولكنه لم يصنع شعراء. وأزيد أنني عارف بما قيل عن ارتباطه بمؤسسات أجنبية. وعارف أيضاً أن هذا الوطن العربي كله يقف بأبواب الأجنبي سائلاً صدقة. ومن كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر. وفي زمنه كان شعراء القومية يحررون فلسطين كل يوم بما يتقاضونه من ميزانيات وزارات الثقافة والصحف التابعة لها. فلست ممن يصغي إلى الراجمين الناس بالتهم.

مشكلتي مع قصيدة النثر مشكلة تبويب، مشكلة صغيرة. لكنها كبيرة على من يصنف كتاباً يريد أن يقصره على الشعر.

الحد الذي أرسمه للشعر قائم على الشكل فحسب. وفي هذا كفاية. فالشكل في الشعر عماد.

لا أعرف أحداً يحسنُ يرقصُ على أنغام منشار كهربائي، فلماذا يريدونها على أن نظرب لشعر لا نحس بإيقاعه ولا نفهم معناه؟

ومثلما كان السدُّ يحجز وراءه ماءً آسناً مليئاً بالديدان فإن السيل الذي جاء بانفجاره جاء بكثيرين مهارتهم في فنون الشعر قليلة، ومعرفتهم باللغة قليلة، وقلوبهم ليس فيها شعر. دخلوا علينا من باب الشللية ومن باب العلاقات العامة. وكان أسلافُ لهم من الدخلاء في مرحلة الركود يدخلون عالم الشعر من باب أنهم يحسنون قول الكلام الموزون المقفى. في الماضي كان إتقان وزن الكلام الشهادة الوحيدة المطلوبة لنيل لقب شاعر. وقد عشنا مئات السنين ولا شعر عندنا إلا ما يقيئه أولئك الوزانون. ولعل بعض ثورتنا على الشعر العمودي ثورة على تلك الشهادة. ثم جاء يوسف الخال وعصبته فرفعوا الشرط فجاءنا دخلاء آخرون.

عودة لحلاوة الروح، ووصف للذهول الحاضر

حطم الشعر العربي سد البلادة في مصر. وكان لصوت شوقي وحافظ في مصر رجع في العراق. ولولا أن الزهاوي كان يشغل نفسه بالحمام المطوق والنظريات العلمية فوق ما يجب، والرصافي يبذل طاقته في نقد الدين والخوض في السياسة، لكان للعراق في الشعر ديباجة أحلى مما كان. على أن الرجلين قالوا شعراً بنكهة تاريخ العراق المضطرب. وجاء بعدهما الجواهري فكان من عبيد الشعر، وجاء السياب فركز راية الشعر العربي في العراق بضع سنين.

ومثلما كان للعباسيين مشرق ومغرب في الشعر، كان لعرب القرن العشرين موطن ومهجر. من المهجر جاءتنا روح إيليا أبو ماضي ورشيد سليم الخوري وإلياس فرحات. وفي لبنان كان بشارة الخوري قيامة لها صوت عذب، وكان بالشام بدوي الجبل وعمر أبو ريشة كهربي خضر ومنقرع، وكان نزار قباني خوفاً الشعر العربي ثلاثين سنة لا ينازعه أحد.

ولست أعرف عن المغارب سوى ما يعرفه كل الناس عن الشابي. ولا أعرف عن فلسطين سوى أن نكبتها أطلقت إبراهيم طوقان وعبد الكريم الكرمي، ثم تلاهما شعراء المقاومة الذين نكفأهم على وطنيتهم بلا حساب، ونحاسبهم في الشعر كما نحاسب الأعراب.

يصعب على المرء أن يرسم خريطة إبداع للشعر المعاصر. فهو كثير، وتجعله المعاصرة عصياً على القياس.

نحن العرب نقف على مفترق طرق. دخلنا عهد الافتقار والاستعمار الجديد منذ أربعين سنة، وجاء احتلال العراق مجرد تأكيد لحقيقة معروفة، ولكننا في هذه الأربعين سنة لم نتحرك، وبقينا نحدق في خيبتنا بذهول. وفي الشعر نقف على مفترق أرجو أن أوفق إلى وصفه.

كان المتعلمون في عصر شوقي والرصافي يحسنون الفصحى إلى درجة يطربون معها للشعر العمودي المألوف لأذانهم من ألف وخمسمئة سنة. وكان وزن الشعر يصنع في أجسامهم إيقاعاً.

ثم ازداد عدد المتعلمين ازدياداً كبيراً. وصار محصولهم من العلم موزعاً بين العلوم المختلفة، ولم يعد للفصحى ما كان لها من شأن. وسقطت أوزان الخليل من الأذن العربية. وصرت ترى أساتذة اللغة العربية يقرأون الشعر

العمودي كما يقرأون مقالاً في جريدة، ويكسرون ما طاب لهم. فجاء اتخاذ التفعيلة لبنة لبناء القصيدة «إجراء» منطقياً يستدعيه حال الأذن العربية، فقصيدة التفعيلة قائمة على لَبْنَةٍ واحدة تتكرر حتى النهاية، وليس فيها ذلك الخلط بين التفاعيل الذي تسمعه في البحور الستة عشر. ثم رأينا الناس لا يحسون حتى بالتفعيلة. ومعنى هذا نهاية الشعر، وبدء عصر الخواطر. وقد بدأ.

قد يترك الناس الفصحى تماماً، فعندئذ يصبح لكل قرية قوالها، يصدق بالمواويل في أعراسها، وكفى الله العرب القتال.

وأظن أن هذا لن يكون. بل ستشتد الفصحى كثيراً لأن فيها قدرة تعبيرية كبيرة، ولأنها تصل إلى مسافة أبعد، ولأن المشاعر الإسلامية نهضت كثيراً، وهي تعيد الفصحى إلى الأذهان بحضور القرآن والنصوص الدينية الكبير في أذان ووجدانات الناس، رغم رطانة كثير من الدعاة المتلفزين بالعامية.

لست واثقاً الثقة نفسها من أن الإعراب سيعيش. لا بل أعرف أنه سيضمحل. أقصد سيموت، فأما الاضمحلال فهو يحدث من زمن أبي عثمان الجاحظ المتوفى قبل ألف ومئة سنة شمسية.

ولن يعاني إيقاع الشعر كثيراً بغياب الإعراب. ولكن هذا الإيقاع يعاني أشد المعاناة بسبب الشعراء. والغريبة العجيبة أن أكثر من يذبحون الإيقاع الشعراء الحريصون عليه. ترى نزار قباني يكتب قصيدته بتفاعيلها وقوافيها الرنانة، ثم يقف يلقيها أمام الناس كأنه يلقي قصيدة عدو له. يجردها من كل ما أتعب نفسه في حقنه فيها من إيقاع. قصيدته على الورق رقصة وأغنية، وعلى لسانه مجرد خاطرة. شذمًا كان يهتم بإبراز المعنى فينسى الإنشاد. ورأيت محمود درويش يصنع صنعه. أما المذيعات اللائي يهمن بالشعر بعد منتصف الليل فهن أخبر بما يردن ويصنعن. ووالله لو قرأن بدل شعر السياب وقباني افتتاحية جريدة فنلندية لما قل تأثرنا ببحة أصواتهن، وبهمسهن البهيج. وأي حَجَر في ركن السور لا يهتز لهمس امرأة بعد منتصف الليل.

على أن إلقاءهن الهامس ذاك لم يعزز في أذن العرب ضربة الطبل، التي هي تكرار التفعيلة.

وأنا مدرك، من تجربة لي غير قصيرة، أن الذي يلقي الشعر جاهراً به يكون طول الوقت متحيراً بين أن يبرز ضربة الطبل وأن يجلو المعنى. وأنا

مدرك أن الأمر ممكن. وإذا لم يكن الجمع بين الإيقاع والمعنى ممكناً على لسان من الألسنة فخير لي أن أسمع الشعر منه موقعاً توقيعاً بلا معنى من أن أسمعه مجلّو المعاني بلا إيقاع، خلا ما كنت ذكرته عن مذيغات آخر الليل.

الاجتزاء من الشعر

يغضب أحدهم، أحد هؤلاء الحداثيين، إذا اقتبست بيتاً أو بيتين. ويجأ بالشكوى مما اقترفت من تشويه لهذا الخلق المكتمل الذي خلقه الشاعر. يقولون في ذلك نظريات يضحك لها المنكوب في البورصة ليومه، يقولون: القصيدة كائن حي، فكيف تقطع جزءاً منه ولا يتشوه!

تلك دعوى فارغة. ألم يسمعو العرب يستشهدون بالبيت ونصف البيت؟ وبالآية ونصف الآية؟ ألم يروا كتب الأقوال الماثورة عند أم الدنيا تقتبس نفعاً نتيقة من أشعار الأولين والآخرين. لا أقف عند هذه الدعوى كثيراً، ولكنني أورها مثلاً لصراعات ونظريات يطلع بها علينا الطالعون، ويريدون لنا أن ندين بها، اقتنعنا أم لم نقنع.

كتب الاختيارات كثيرة، وزادت كثيراً في الآونة الأخيرة. والموجود في السوق لا يعجبني أبداً. ولذا، مضيت في طبع مختاراتي.

رأيت بعض المؤلفين ينسخون بضع قصائد من هنا وهناك، ويجعلونها بين جلدتين، وتصب المطابع على الغلاف الألوان الفاقعة، وتجعل فيه نتوءات تغري الناس بشرائه لتزيين رف في صالة البيت. ورأيت بعضهم يهبر من كل قصيدة أبياتاً، أو يهبر قطعة من قطعة أخرى كان هبرها مؤلف قبله، ولا يُشعرني أنه تخير لي. ولا أرى عند الهابر ولا في المهور تحقيقاً ولا ضبطاً ولا شرحاً. وإذا شرح أحدهم بيتاً فسر لك الكلمات التي تعرفها، وترك الكلمات التي لا تعرفها ولا يعرفها.

تكفي ذبابة واحدة لتجعلني أشيح عن الطبق، فكيف بكتاب فيه عشرات الذبابات. وقد وجدت كتب المختارات عامرة بالأغلاط، وجدتها طروحاً ألقاها في وجه الجمهور ناشر مستعجل، ومؤلف عابث ومقصر. فعقدت العزم على أن أمضي في نشر مختاراتي. وقد تعمدت في هذا الباب عن أحمد شوقي أن أشرح وأستقصي، ليكون حجتي فيما أنتقد الناس فيه. ولكنني لا أضمن أن أشرح شرحاً مستفيضاً في كل باب آخر. على أنني لن أرتكب كبيرة «شرح

الكلمة السهلة وترك الصعبة»، فإن عجزت عن كلمة فلن أغادرها إلا وقد أخبرتك بعجزتي. وفي كل مرة مقبلة ستراني اخترت من المصدر الأصلي، وستراني اخترت ما أراه الزبدة. وسترى من التحقيق والضبط ما يرضيك. في هذا الباب عن أحمد شوقي شرحت كثيراً، إلى درجة ثقل الدم. وتصورت قارئ شاباً في مستقبل العمر محتاجاً إلى شرح كثير.

ليلتبس لي القارئ المتمكن من الفصحى العذر.

حياة مليئة بأنصاف المواهب

من حقاك علي وأنا أتصدى لاختيار شعر من أجلك أن أخبرك عن نفسي. عن حياة مليئة بأنصاف المواهب.

حب النكتة، وفهم النكتة، ولبرالية الذوق، والنملية مواهب وهبتها الذي خلقتني. وسأشرحها لك في فقرة مقبلة متأخرة.

على أنني أكشف لك عن مواطن قصور عندي كنت اكتشفتها واحداً بعد واحد، وكان لكل اكتشاف لسعة بقي لها في نفسي أثر.

زميل لي يصغرني بنحو عشر سنين، يتذوق الشعر كثيراً، ويقول بالفصحى وبالعامية وعلى كل الموازين. خلطت نفسي به زمناً. ففضح كماله من قصوري أنني أسمع في الغناء اللحن وحده، لا أبالي أن يكون عبد الوهاب يغني للجندول أو ينادي على البصل في سوق الخضار، فالكلمة في الأغنية تلبس أمامي طاقة الإخفاء، ولست أهتم إلا باللحن. رأيت صاحبي ذاك وثاباً إلى تذوق الكلمة. ثم سمعته يغني، فوجدته يحسن تصيد الطبقة، ويحتفظ بصحة اللحن، ووجدت له صوتاً. ووجدته يتذوق الألحان كما أتذوقها، وأحسن مما أتذوقها.

فتح في عقلي نافذة مقارنة وحسد. وعرفني بما حرمني الله.

وظللت أسمع الموسيقى والغناء. ومضيت فصنعت برنامجاً للإذاعة عن الموسيقى الكلاسيكية في أربع وخمسين حلقة، وبرامج عن الغناء العربي لا أحصيها. ومضيت فصنعت برامج في الشعر العربي رتل فيها آلاف الأبيات.

رأيت بعد صاحبي ذاك أشخاصاً أفضل مني في تذوق الكلمة. أو لعلهم وجهوا طاقتهم هذه الوجهة. ورأيت من يفضلني في الثقافة اللغوية والأدبية وفي قوة الذاكرة.

ضع فوق ذلك كله تلجلج لساني في المذاكرة، وافتقار حججي إلى الصقل في أتون المناظرة، وتشردم معارفي تشردماً جعلها في أحيان معلومات من نوع ما يحفل به طلبة المدارس.

ما أكثر ما أوبخ نفسي: ويحك! كأنك لم تبرح مقعد الدراسة، لك في المطالعة وفي التفكير، وحتى في التعبير عن نفسك، طريقة هي أشبه بطريقة المراهق الذي فتح عينيه على الدنيا لتوه فهو مندفع مندهش أبداً، مرتبك عندما يكتشف أنه مسبوق إلى كل فكرة من أفكاره، زائع في أحكامه، متمسك بالقديم كما يتمسك الرضيع بثدي أمه، خواف من الجديد، يغوص في الفكر قليلاً ثم يضع في اللجة.

أليس يحق لي أن أياس من نفسي؟ وأن أمضي في ترتيب تقاعد يضمن لي أن أعيش عيشة رجل لا يعرف الثقافة ولا تعرفه الثقافة؟

الآن عرفت لماذا أنفقت ثلاثين سنة متسكعاً بين الوظائف، هارباً فيها من مواهي الناقصة، متعللاً بها عن الخوض في استهلاك المعرفة وإنتاجها.

طالت علي «سن اليأس»، فلا أزال منذ خمس عشرة سنة أحاسب نفسي على ما لم أنجز.

أما المواهب التي وهبها الله فهي التلذذ بالنكتة وفهمها، لكن دون روايتها. والشعر نكت كثيرة. وكل بيت رائع فيه نكتة دفيئة أو غير دفيئة. تكون النكتة في المعنى، أو في استخدام اللفظة، أو في كلمة القافية، أو في تورية، أو في جلبة تحدثها ألفاظ البيت إماً يتلى أو يُرى بالعين. والنكتة في بيت الشعر ليست زخرفة الجصّ يضيفها البناء إلى سقف البيت بعد الفراغ من بنائه، بل هي بعض البناء، وشمعة يقوم عليها.

لن أضرب لك مثلاً، ثقةً من أنك عرفت ما أقصده بالنكتة، وحتى يبقى لهذه المقدمة عطلها من الأمثلة.

وليبرالية الذوق، وهذه ثانية المواهب، لها علاقة بفهم النكتة. فأنا أجد في كل شعر شيئاً حسناً، وأسعى في البحث عما في القصيدة من دواعي الدهشة. وليست ليبرالية الذوق بالموهبة النادرة، فانت تجددها عند الملايين، ولكنها في المثقفين أعز منها في عامة الناس. وكائن رأيت من مثقف يقسم الأشعار قسمين: قسماً نُفايةً، وقسماً هو شعر شاعره المفضل أو شعره هو، إن كان أخا شعر.

والنملية موهبة أخرى. فأنا أحب الجمع والتصنيف. وترى هذه الموهبة كثيراً عند صغار الموظفين، وعند قليلي الطموح ومحدودي الذكاء. وهل تشك في أن النملة محدودة الذكاء، وأن سلوكها صادر عن غريزة شبه ميكانيكية؟

بمواهيبي وغيوبي جمعت أبياتاً لشعراء كثر. كتبتها حيناً بالقلم في اثني عشر دفترًا، ثم جعلتها ملفات على الحاسوب الذي فرض نفسه على حياتي. وتوقت في ترتيبها وشكلها، ونويت أن أشرحها.

فإذا لم يعنَّ لي شيء أجدى على نفسي وعلى عيالي وعلى البشرية من هذا الذي أنتويه، فسوف يجد الناس بين أيديهم مجموعة كبيرة من المختارات الشعرية تراحم مئات الكتب المشابهة التي تختنق بها رفوف المكتبات.

لغز بيت الشعر العربي

كل كائن حي أو ميت يوضع في بيئة مدة من الزمن يتشكل بحسبها، ويصبح آية في الكمال النسبي. فمرور السنين يوائم الأشياء مع بيئاتها، ويجعلها الأصلح. تنظر إلى الشجرة الاستوائية فتري أوراقها وجذعها، وثمارها وجذورها ملائمة تماماً لبيئتها. ازرعها في بيئة أخرى ترها أقل نجاحاً.

البيئة قيد. والقيد خلّاق. والبيئة ليست الشيء السهل دائماً ولا هي الشيء الأمثل. فالبركان في مكان ما يخلق بيئة غريبة عما كان مألوفاً. ومع تراكم السنين تتشكل الأحجار والأشجار على نحو يوافق هذه البيئة، ويصنع معها انسجاماً.

اللبناني في أعراسه وفي سهراته الصيفية على الأسطح، وسهراته الشتوية في أكواخه الجبلية، كان يغني ويباري جاره في فنون القول، وقد قيّد نفسه بقوالب من الإيقاع اللفظي، وأخرى من النغم. وصار هذا القيد يفجر المعاني في نفوس شبانه. صاروا يكدون أذهانهم ليرزوا المعاني الغريبة والجميلة من قمقم الوزن، فتنتلق هذه المعاني موقعة توفيقاً ومحلاة بقافية فيها نكتة. فأنت تنتظر القافية لكي تشعر بسعادة شبيهة بسعادتك وأنت تسمع ختام النكتة فتنفجر ضاحكاً. يهتز جسمك مع إنشاد البيت لأنه موقع، وتهتز نفسك وخيالك مع القافية، والمعنى في أثناء ذلك يتسلل إلى مكانين في وقت واحد: يتسلل إلى عقلك، المكان الطبيعي للمعنى، ولكنه يحاول أن يتفلت ليتسلل إلى قلبك قبل عقلك.

أن المعاني مقيدة بقيد الوزن والقافية يجعلها تنطلق بقوة أكبر.

الوزن والقافية للزجال اللبناني بيئة، وهي قيد. وجدهما، بعد أن أوجدهما أجداده، مفروضين عليه. رأى أبناء قريته محتاجين إلى أن يهزوا أجسامهم على كلامه، قبل أن تهتز قلوبهم وتدرك عقولهم، فصنع لهم الشعر فطربوا وهزوا أجسامهم ما شاءوا، وما زالوا يهزونها، وما زالوا يابون أن يهزوها إلا على القُرَّادي والمعنَّى ومع قوافٍ رنانة. ولو قلت كلاماً عذباً باللهجة اللبنانية وسرحت بخيالك إلى الأعالي ثم لم تقيد نفسك بالقافية لما صنعت سوى ما يصنعه أي عجوز يجلس بباب الدكان ويحدث الشباب عن سنة الثلجة الكبيرة.

والعربي في صحرائه، وفي مدنه القديمة في الحيرة ودمشق والطائف، كان يرتجز على إيقاع رتيب، ثم صار يلون رجزه ألواناً. وقيد نفسه بقيود وجدها أحفاده حافزاً، وبيئة إبداع.

واليوم، في سنة ٢٠٠٨، ما مبرر التمسك بهذه القيود؟ لا الشعراء يعرفونها، ولا السامعون يهتزون لها. صار الشعر مقروءاً بالعين في معظم الأحيان. وصارت الأمسية الشعرية ترفاً يمارسه طالب الجامعة مرة في السنة. وصار شعراء هذه الأمسيات يترنمون بمعانيهم يوجهونها إلى العقول كاسرين أوزانها التي تعبوا في إقامتها، أو تكون من الأصل أوزاناً مكسورة لأنهم قليلو المعرفة بالوزن. والفصحى نفسها ضعفت في النفوس كما أسلفنا. فكان لا بدّ من الانصراف عن أوزان الخليل.

وجاء الشعر الحديث مبنياً على نظام التفعيلة لكي يواكب حالة فقدان التوازن وفقدان الوزن هذه، ولكن.. لا الشعراء ولا مستمعوهم يهزون أجسامهم على التفعيلة. ودخلنا عصر الخاطرة، أيضاً كما أسلفنا.

وبما أنني بدأت أكرر نفسي فقد آن الأوان للانتقال إلى عنوان جديد.

ما العمل؟

حتى لا تفاجأ في آخر هذه الفقرة، فإن السؤال الذي يطرحه العنوان قد يبقى بدون إجابة شافية.

لست أدعو إلى الرجوع إلى أوزان الشعر العمودي. وما سُميت الرجعية رجعية إلا لأنها رجوع.

ولكن ذخيرتنا من الشعر العربي مليئة بكل ما هو معجب وجميل. هي ذخيرة، هي تراث، وكفى. علينا أن نمشي إلى الأمام، بشعر أو بدون شعر. الخواطر تكفيننا في هذا الزمن. وليعلم العالم أن أبرع قوم في الشعر في الدنيا قرروا نبذه.

قصتي مع الشعر قصة تستحق سطرين. فقد قرأت منه الكثير، وصارت أحيائه تشكل الفواصل والنقط في كتاب عيشتي. صرت أستلهم الشعر العربي في موافقي من الأشياء. به ازددت انتماء إلى العروبة. وبه اهتديت أخلاقياً في كثير من أمري. ومنه صنعت هيكلاً تاريخياً للأحداث. وهو يطربني، ويسليني.

ولأنني قرأته قراءة جهرية في الإذاعات، وحتى في التلفزيون، وأكثر من ذلك، فقد استولى علي صوتياً، أي بصورته الأصلية. فالأصل في الشعر أن يقرع طبلة الأذن لا شبكية العين. وعندما أقرأ شعراً بعيني الآن، تراني أنقله فوراً إلى لساني لكي أسمعته فأتذوقه. ولهذا تراني، إذ لا أبالي أن أقرأ الجريدة على أنغام الموسيقى، لا أستطيع أن أقرأ بيتاً واحداً من الشعر إلا إذا خلا الجو من أي صوت موقّع.

الشعر العربي العمودي ديوان العرب، ليس في جاهليتهم فحسب، بل هو ديوان الناطقين بالعربية في كل العصور. وفيه اختزنوا تجربتهم الإنسانية والشعورية. لا، لن تستطيع صناعة سيارة استناداً إلى مخزونك من الشعر العربي، ولن تستطيع حتى أن تتخيل شكل الناقه من قراءتك لقصائد الأقدمين - وأنصح للراغبين في معرفة شيء عن النياق أن يتفرجوا على فلم وثائقي في ديسكفري، فذلك خير لهم -، لكن الشعر العربي خزان مشاعر ومواقف وأخلاقيات. بعضها منحرف عما نراه صحيحاً، فعندنا من شعر الغزل بالمذكر الكثير.

لن نستغني عن الشعر العمودي لبضع مئات من السنين. سيظل هو السجلات القديمة التي فيها وجدان العرب.

التمسك الزائد بالشعر العمودي ومحاولات إحيائه دليل رجعية. والطوفان الذي نشهده من كتب المختارات الشعرية القديمة ظاهرة رجعية. فالناس كفروا بالمد القومي والمد اليساري، وأدركوا مبكراً وبحساسية مدهشة أن الاتصال بأوروبا والتشبه بها في كل شيء ليس الطريق إلى النهضة. والآن يقف العرب مذهولين، يبتلعون أطناناً من الشطائر السريعة من مكدونالد، ويستهلكون الفلم

الأميركي بجنون. ويسيرون في ركب هذا العالم. وهم كالغريق الذي يبلع ماء البحر، لكن ليس بإرادته. وتنتابهم صحوات يثوبون فيها إلى الدين فيتمسكون بجوهره حيناً وتفسيرات متشعبة أحياناً، ويثوبون إلى التراث الشعري القديم فيمجدونه حيناً وينبذونه أحياناً.

العرب بحاجة إلى صحوة عاقلة. صحوة يابانية. محتاجون إلى كثير من المعرفة المادية، وإلى غذاء روحي متوازن، وإلى أن يخلقوا الثروة من كدهم، وأرضهم. ستنحسر عنهم مرحلة الذيلية الحاضرة بعد بضع سنوات أو بضعة عقود، وسينهضون. وسيكون لهم صوت شعري لا أقدر أنكهن بشكله. لكنهم سيجدون دائماً في شعرهم القديم جذوراً ثقافية مهمة.

من هنا يحتاجون إلى التعرف على تراثهم الشعري.

فضيلة هذه المجموعة التي أسعى في تقديمها أنها معاصرة.

أما ما العمل؟ فأرى أن نستمر في تدريس أبنائنا الصغار قصائد أجدادهم، في مختلف العصور، وأن نزيد جرعة الشعر ذي التفعيلة، وأن نضع ما يسمى بقصيدة النثر ضمن باب الخواطر، وألا نكثر منه، فلا الأولاد سيفهمونه، ولا هو ذو شأن كبير. أما لمن يريد أن يكون شاعراً فأقول: منذ متى يأخذ الشاعر نصائح النقاد؟ انصرف.

مقاييس الاختيار

كُتبت لك كل الكلام السابق وفي ضميري هدف خفي. أردتك أن تعرف من أنا وكيف أفكر وكيف أتكلّم، وكيف تتداعى أفكاري، وكيف أسكبها في اللغة، وذلك حتى تعرف مقاييسي في اختيار الشعر. فالمقياس هو أنا، إنه مقياس ذاتي محض. إذا أرسلت ابنك إلى السوق فسوف يشتري من المكسرات ما لا يلائم أسنانك المخلخلة، ومن الحلوى ما لا يلائم السكريّ الذي معك. سيشتري على هواه. وإذا كان بارأ، مثلي، فسوف يحضر لك علبة مياه غازية دايت.

صنعت صنع ذلك الصبي. اخترت أساساً ما يطربني، ثم إنني كنت أمر بالبيت الذي أعرف أنه يستهوي اللاهين فأختاره لهم، ولست باللاهي؛ وقد أمر بالبيت الذي يعجب المتزمتين الجادين كل الجد، فأخذه في طريقي، وما أنا بالمتزمت ولا الكثير الجد.

اخترت الأبيات التي سلمت فيها اللغة، وسلم فيها الخيال، والتي فيها معنى غريب، والتي لها وقع على الأذن جميل، والتي فيها صدق، والتي كانت الصناعة فيها أقرب إلى الفن وأبعد عن التعمل. واضطرنني الربط بين الأبيات الجميلة إلى أبيات ليس فيها رواء. ولا بد بين الروض والروض من ممر مفروش بالحصباء.

كنت أختار الأبيات الرائقة، ويزدهيني عملي. وأتلذذ بحصول هذا الكنز الثمين في قبضتي. ثم أقرأها فأجد في المعنى قفزة هنا أو هناك، فأجد بيتاً يصلح جسراً فأختاره. وأدق القصيدة على الحاسوب بيدي وأراها بدأت تتخلق خلقاً جديداً، وتصنع لنفسها موقعاً في قلبي. وقد أعود إلى القصيدة الأمّ باحثاً عن جسر.

وقد أقرأ قصيدة في ديوان الشاعر تكون مغسولة من أولها إلى آخرها، ليس فيها بيت يهزني. فأهملها الإهمال كله. وقد أقرأ قصيدة ليس فيها سوى بيت واحد فيه بريق، فأختاره ولا أختار غيره، وقد أشد أزره بأخ يسبقه لغبرما علة سوى أن يسمع القارئ رنين القافية تتكرر على أذنه.

قد أجد بيتاً قامت عليه ضجة نقدية، ليعيب فيه. فإذا كان سخيلاً مردولاً، كقلاقل المتنبي، تركته دفين ديوانه، فإن بعثه ناقد لغرض فذلك من شغل الناقد. وإن أراد قارئ أن يقرأ رديء المتنبي أو رديء شوقي فالديوانان موجودان، ولم أزعم قط أن مختاراتي تلغيهما. وإن كان البيت المعيب في لفظه يضم فكرة لها بريق اخترته لفكرته، وتشجعتني الضجة النقدية على اختياره. وقد يكون للبيت قصة طريفة، فأتحمس له حتى لا تفوت القارئ هذه القصة. وقد يكون البيت حزيناً باعثاً على الكآبة، فأريد أن أشرك القارئ معي في اكتتابي به. أو باعثاً على الانشراح والسرور، أو مستنهضاً للهمة، أو مادحاً لفضيلة أو لرديلة بأسلوب فيه فن وفيه جمال، فهذا كله مما أريد إشراك القارئ فيه. وما اختياري الخمریات إلا من هذا الباب. وإلا فأني خير في الخمر؟ لكن الشعراء عبروا في وصفها وفي وصف مجالسها عن كثير من تمردهم ومن بوهيميتهم، واستثمروا في ذلك فناً كثيراً.

كنت أقرأ الشعر في وسيلة إعلام قبل أشهر فقط. فاخترت أبياتاً في مدح جمال عبد الناصر لنزار قباني، واخترت في مرة أخرى أبياتاً في هجائه لبدوي الجبل. وكنت في كلتا الحالتين سعيداً بما اخترت، وقرأت هذه وتلك

بالحماسة نفسها. وأما موقفي من عبد الناصر فلا أظنه يعينك.

أحب من الشعر الجزل. والجزالة هي الصلابة في الخطب. والخطبة الصلبة تشتعل طويلاً وتدفع كثيراً. والشعر الجزل موجز مكتنز لا ترى به كلمات زائدة. والكلمة فيه مشحونة بالمعنى شحناً.

وأحب من الشعر المهلهل الذي رق نسجه وانساب انسياباً، فأنت تفهمه بالسرعة التي بها تسمعه. فلا تكذ ذهك في ألفاظه ولا في معانيه.

وأحب الشعر الصادق. يقف أبو الطيب أمام سيف الدولة شاكياً باكياً صارخاً يقول: أنت لا تحبني كما أحبك، وتحب الآخرين وهم لا يحبونك، ظلمتني، وأنا أحسن واحد في الدنيا! فما هذه المعاني؟ أليست كأحط ما تسمعه من موظف يزعم أن مديره تخطاه في الترقيات؟ ثم تجد نفسك تترنم بقصيدة أبي الطيب تلك، ثم تلقى العرب قد ترنموا بها ألف سنة. هذا لما فيها من صدق. ولما فيها من فن أيضاً.

أنا لا أحاكم معاني الشعر محاكمة عقلية محضة، وإلا لكنت خسفت الأرض بكل شعر العرب وغير العرب.

أحب، ككل عاقل متزن، شعر الهجاء. فهو أصدق من غيره. وفيه فكاهة غالباً. وقد تجر الفكاهة والحدق الشاعر فيكذب في هجائه ويجعل المهجو إبليساً. هذا كذب في الوقائع فقط، أما في وصف نفسية الشاعر فالمبالغة في الهجاء هي الصدق كله. وشيطنة المهجو ونزع كل صفة حميدة عنه ضرب من الشعر. ولعل الهجاء المقتصد أشد إيلاًماً. ووالله للقول إن فلاناً «سخي اليد واسع العلم لكنه جبان»، أوجع له من القول إنه «خسيس بخيل جبان».

أحب من شعر الرثاء والمديح ما كان صادقاً، وهذا نادر. وأحب منه ما كان عامراً بالفن، وهذا كثير. وقد رأيت نفسي - عندما اخترت من شعر المتنبي - أخذ من مدحه لسيف الدولة أضعاف ما أخذ من مدحه لكافور، وذلك لفضل ما بين الصادق الجميل، والكاذب الجميل.

أبحث عن الأبيات التي تنطلق من لاوعي الشاعر انطلاقاً يتعجب هو نفسه منه. هذه الأبيات التي يعصرها الشاعر من أعماق وجدانه دون جهد الاعتصار. هذه وثبات نادرة. وأنا قاعد لها، متحفز، محدق بأذني تحديقاً متواصلاً حتى أتصيداها لك.

وتعجبني أبيات الحكمة، ما كان منها أصيلاً وجديداً، وما كان مصنوعاً.
ويعجبني الشعر في المشيب، وشعر النواح على الشباب؛ صار يعجبني
الآن أكثر. والصادق منه، كالصادق من كل شعر، أحلى.

ويعجبني وصف الخمر؛ ويعجبني أكثر، وصف مجلسها.
أحب الشاعر يباهي بشعره، وأحبه أكثر وهو يصف صنعة ويحدثنا كيف
أدرك النعاس ربة الشعر وهو قد توسط لجة القصيدة، وكيف راح يوقظها،
ويرقق لها الهمس حيناً، ويغلظ لها الشكوى حيناً، وهي تغط في سباتها.
أحب الشاعر يعترف بدناءة اقترفها، ويعجبني المفتخر بسموه من غير
تنفج. والمفتخر بقومه يعجبني إن كان صادقاً. والهاجي عشيرته يعجبني.
الصدق هو المحك.

ويكذب الشاعر، فإن كذب ظريفاً فهذا شعر، وإن كذب ثقيلاً دم تركت
كذبه في ديوانه وسترته عليه.

وقد أتعني الشعراء وأنا أتعقبهم بالستر. أستر رديتهم فلا أشير إليه؛ وأستر
أغلاطهم فيما أخذت منهم من شعر حلوا لكنَّ به خللاً، وأتمحل لهم وجهاً في
غوامضهم. وهدفي على الجملة هو أن أجلو لك الشاعر وأقدم خير ما قال.

وأحسن بالشاعر إن كان ينظم مرتاحاً أو كان يتجشم. وتقاليد الشعر العربي
الصارمة - التي زادها كره الدهور شدة - تقاليد فضيحة، تخبرك عن الشاعر بأكثر
مما يقول من كلمات، وتنبئك إن كان ينحت من صخر أو يغرف من بحر.

يعجبني البيت تقعد في آخره كلمة القافية مرتاحة، كأنها جاءت لموقعها
عبر صندوق الاقتراع، ولا تجد كلمة أخرى تصلح لتحتل مكانها.

يعجبني بعض الشعر الذي لغته صعبة، وأشترط فيه كي يعجبني فأختاره صدقاً
كثيراً وجمالاً كثيراً. فأنا، بعد، أنتقي بذوقي المعاصر لقارئ معاصر. فإذا أسرف
الشاعر في الوقوف والاستيقاف تراني اكتفي بأبيات قليلة. وأنا أفضل البيت السهل
على البيت المغلق. فإن انفتح لي المغلق بجهدٍ ويقاموسي وبما تيسر من شروح
القدماء، فلي فيه طريقان: إن وجدت وراء كلماته الكالحة وأسلوبه الملتوي معنى
بديعاً أخذته وتوكلت على الله في شرحه شرحاً وافياً، وإن وجدته بعد كل ما بذلت
في فهمه عادياً أطرحته أطراحاً واحتسبت عنائي في فهمه. وقد وجدت الصدق
لصيقاً بالبيت السهل، والتصنع لصيقاً بالبيت المغلق المعقد، فهذه من نعم الله.

يعجبني شاعر يجترئ على اللغة، وشاعر يحترم اللغة. وقلّ شاعر اجتراً عليها إلا وهو يحترمها.

ولا أخوض في النحو والصرف في شرحي. وحسبي أن أضبط الأبيات بالشكل، وألا أدخر جهداً في ضبطها الضبط الصحيح. ولا أكثر أن تكون لغتي وأنا أشرح البيت فصيحة كل الفصاحة. لا بل أضطر إلى كثير من الركافة حتى أظل سائراً مع البيت بنفس ترتيب كلماته وأفكاره. وأسعى أن أضع في مكان الكلمة الصعبة كلمة تطابقها في المعنى وفي الاشتقاق، وفي هذا مشقة غير قليلة. وأرى الشاعر يسهل الهمزة ويصرف الممنوع ويمنع المنصرف، فلا أجاريه، فهو معذور، وأنا غير.

وألفت القارئ بين الفينة والفينة إلى بيت مشهور، أو بديع، أو إلى بيت أحبه كثيراً، فأجعله بالحرف السميك.

الشاعر بجيده لا برديئه. وقد اخترت أجود الشعر. فمن أراد دراسة حياة شاعر من شعره دراسة أكاديمية فليرجع إلى ديوانه. أما من أراد أن يقرأ خير ما قال هذا الشاعر فأنا له، على المقاييس التي بسطتها فيما مضى.

الشاعر الشاب

في هذا الفصل ما اخترته من شعر شوقي في القرن التاسع عشر، والرجل عاش اثنتين وثلاثين سنة في القرن التاسع عشر، ومثلها في القرن العشرين. والقصائد مرتبة تاريخياً. على أنني جعلت القصائد القصصية، ومعظمها على لسان الحيوان، معاً في آخر هذا القسم، وهي على كل حال تتبع هذه الفترة من حياة شوقي. وقد اعتمدت في الترتيب على ما ذكرته «الموسوعة الشوقية» و«الشوقيات المجهولة». ولكنني لم أذكر التاريخ عندما شعرت بوجود تناقض. وشعر شوقي كله محتاج إلى تحقيق تواريخ نظمه بالاستعانة بصحف ذلك الزمان. وهذه مهمة لم أنصّد لها.

١ عنقود في ماء ملح

قال شوقي (وهو تلميذ في الثانوية):

إفريقيّا قِسْمٌ مِنَ الْوُجُودِ فِي شَكْلِهِ أَشْبَهُ بِالْعُنْقُودِ

إفريقيا جزء من الكون، وهذا الجزء أشبه ما يكون في شكله بعنقود العنب. في هذا البيت سذاجة شوقي الفنى، لكن فيه أيضاً طريقة القدماء في أراجيزهم التعليمية. وكان شوقي في أيام التلمذة يقرأ كشكول بهاء الدين العاملي المليء بأمثال هذه الأراجيز

وَذَلِكَ الْعُنْقُودُ فِي الْمَاءِ أَنْغَمَرُ مَا أَمْلَحَ الْمَاءُ، وَمَا أَحْلَى الشَّمْرُ
العنقود منغمر في ماء البحار والمحيطات التي تكتفه، فما أملح الماء وما أحلى الشمر! فكرة
حلوة، تنبئ عن أن عقل الصبي فيه شعر وفيه غوص على المعاني. وهل ترى جاءت المطابقة بين
كلمتي «أملح» و«أحلى» عفواً؟ وهل التورية في كلمة «أملح» وحدها جاءت عفواً (فمعناها المقصود
أشد ملوحة، والمعنى الذي تستدعيه عبارة «أحلى الشمر» أشد ملاحظة)؟ لعل كثيراً من اللاعبين
شوقي اللفظية يأتيه عفواً، أي يتداعى لاواع. لكنه في الجانب الأعظم صانع صانع

مَدَّتْ إِلَيْهِ يَدَهَا أَوْرُبَا مِنْ فَوْقِهِ، كَمَنْ يَرِيدُ الْحَبَّ
مدت أوروبا يدها إلى العنقود من الأعلى كأنها تريد أن تأخذ الحب. أهو يصف شكل الخريطة
فقط، أم أنه واعٍ نهب الإنجليز والفرنسيين لمصر، وكان النهب متصلاً من نيف وعشرين سنة؟

وَأَسِيَا بِالْجَنْبِ كَالْمَحْتَالِ تَنْقُضُهُ مِنْ شَرْقِهِ الشَّمَالِي
آسيا من الجانب تقضم جزءاً من إفريقيا من شمالها الشرقي. دقة في وصف الخريطة، فسيناء التي
هي جزء من آسيا تبدو وكأنها مقضومة من جسم إفريقيا

وَبَيْنَ هَذَيْنِ تَرَى الْقَنَا لَا يَتَّصِلُ الْمَاءُ بِهِ اتِّصَالَا
بين أوروبا شمالاً، وآسيا في الشمال الشرقي يقع قنال السويس

أَنْشَأَهُ إِسْمَاعِيلُ عُنْوَانَ الظَّفَرِ فَوَقَعَ الْحَافِرُ فِيمَا قَدْ حَفَرَ
أنجز القنال في عهد إسماعيل الذي احتفل بتمام حفره احتفالاً عظيماً، لكنه وقع في شر تبذيره.
في استخدام كلمتي «حافر» و«حفر» دقة في اللغة وخفة روح، فالقنال حفر حفراً، ومن حفر حفرةً
وقع فيها، والحافر أيضاً هو حافر الفرس، ولست على يقين من أن شوقي قصد هذه. قد قال
صاحب «الموسوعة الشوقية» إن القصيدة فيها خلل في الوزن في بيتين هما:
بثت شكواي فذاب الجليد/وأشفق الصخر ولان الحديد - وقلبك القاسي على حاله/هيئات بل
قسوته تزيد

وقال إن القصيدة ارتجال. فأما أنها ارتجال فمحال، فهي مصنوعة صناعة متقنة. وأما الغلط فغلط
في النسخ، والبيان بعد التصحيح يؤولان إلى:
بثت شكواي فذاب لي الجليد/وأشفق الصخر ولان لي الحديد - وقلبك القاسي على حالته/
هيئات بل قسوته تزيد

الصبي الذي قال هذه القصيدة بلغ في «صناعة» الشعر مبلغ من لا يغلط في الوزن هذا النوع من الغلط،
لا بل هو يلعب بالكلمات لعباً يبعث على الدهشة. وليس شوقي، بعد، بالمعصوم عن الغلط في
الوزن، وقد نهه إبراهيم اليازجي سنة ١٨٩٧ إلى أنه خلط بين السريع والمنسرح مرتين في قصيدة

٢ الجدة الحنون

لِي جَدَّةٌ تَرَأْفُ بِي أَحْنَى عَلَيَّ مِنْ أَبِي
لي جدة تعطف علي، وهي أشد حنوً علي من أبي

وَكُلُّ شَيْءٍ سَرَرْنِي تَذَهَبُ فِيهِ مَذْهَبِي

وكل شيء يسعدني توافقي عليه

مَشَى أَبِي يَوْمًا إِلَيَّ مَشْيَئَةَ الْمَوْدِّ

مشى أبي يوماً نحوي يريد تأديبي

غَضَبَانِ قَدْ هَدَّدَ بِالضَّرِّ رَبِّ، وَإِنْ لَسِمَ يَضْرِبُ

وكان غضبان يهدد بضربي، وإن لم يفعل

فَلَمْ أَجْذَلِي مِنْهُ غَيْدَ رَجْدَتِي مِنْ مَهْرَبِ

فَجَعَلْتَنِي خَلْقَهَا أَنْجُو بِهَا، وَأَخْتَبِي

وَهِيَ تَقُولُ لِأَبِي بِلَهْجَةِ الْمُؤَنَّبِ

لم أجد مهرباً سوى جدتي، فوضعتني خلف ظهرها، وأخذت تقول لأبي بلهجة تأنيب:

وَيُخِّ لَهْ، وَيُخِّ لَهْ ذَا الْوَلَدِ الْمَعْدَبِ

مسكين هذا الولد الذي يلاقي منك التعذيب،

أَلَمْ تَكُنْ تَصْنَعُ مَا يَصْنَعُ إِذْ أَنْتَ صَبِي

ألم تكن تصنع مثله وأنت صبي؟ القصيدة ناضجة في مغزاها على سهولتها وخفتها، ولم نتحقق من

تاريخ نظمها، لكنها ليست مما يقوله صبي

٣ كوثر الدنيا

النَّيْلُ الْعَذْبُ هُوَ الْكَوْثَرُ وَالْجَنَّةُ شَاطِئُهَا الْأَخْضَرُ

النيل العذب (وكأن هناك نبلاً ملحاً) هو نهر الكوثر (نهر الجنة)، وشاطئه الأخضر هي الجنة

رِيَّانُ الصَّفْحَةِ وَالْمَنْظَرُ مَا أَبْهَى الْخُلْدَ وَمَا أَنْضَرُ

النيل ريان (جميل) الصفحة (السطح) والمنظر، فما أجمل الخلد (الجنة)، فهو نهر الجنة لا راح ولا جاء. هذا البحر المتدارك ينساب بإيقاع يشغل الأذن عما في البيت من حاجة إلى ربط عجزه بصدرة

* * *

الْبَحْرُ الْفَيَاضُ الْقُدْسُ السَّاقِي النَّاسَ وَمَا غَرَسُوا

البحر (نهر النيل) الفياض (المتلئ) القدس (المبارك) هو الساقى الناس والساقى ما زرعوا

وَهُوَ الْمِنْوَالُ لِمَا لَبَسُوا وَالْمُنْعِمُ بِالْقَطَنِ الْأَنْوَرُ

والنيل كأنه المنوال (آلة النسج) لملابسهم، إذ ينعم عليهم بالقطن الأنور (ذي التوار الأبيض)

* * *

جَعَلَ الْإِحْسَانَ لَهُ شَرْعاً لَمْ يُخْلِ الْوَادِي مِنْ مَرْعَى
 جَعَلَ النَّيْلَ الْإِحْسَانَ شَرْعاً (أُسْلُوباً) لَهُ . وَلَمْ يُخْلِ الْوَادِي (لَمْ يَتْرَكِ الْوَادِي يَخْلُو) مِنْ مَرْعَى
 فَتَرَى زَرْعاً يَتَلَوَّزُ زَرْعاً وَهَنَا يُجْنَى، وَهَنَا يُبْدَزُ
 الحقول متراصة، فهنا يجني الفلاحون الثمار وهناك يذرون

* * *

جَارٍ وَيُرَى لَيْسَ بِجَارٍ لَأَنَاءٌ فِيهِ وَوَقَارٍ
 النيل يجري، ولا نلاحظ أنه يجري لما فيه من الأناة (التأني) والوقار

يَنْصَبُ كَتَلٌ مُنْهَارٍ وَيَضِجُ فَتَحَسُّهُ يَزَارُ
 ثم إذا به يصب ماءه صباً كالتل المنهار، ويهدر (يضج) فتحسه يزأر كالأسد. ويترك لنا شوقي أن
 نفهم وحدنا أن الحالة الثانية هي نقيض الأولى، فالنيل الآن غادر وقاره وتأنيه، ولم يمهّد الشاعر
 للانتقال من الحالة إلى نقيضها

* * *

حَبَشِيٌّ اللَّوْنُ كَجِيرَتِهِ مِنْ مَنبَعِهِ وَبَحِيرَتِهِ
 النيل معكّر المياه لما حمله من طين، فلو أنه دأب أهل الحبشة الذين هم جيرانه في المنبع من
 جبالهم، وكذا جيرانه الآخرون في بحيرته فكتوريا. سيكتب شوقي في أخريات حياته أغنية
 لعبد الوهاب تبدأ بـ «النيل نجاشي حلوبة أصر»

صَبَغَ الشَّطَطَيْنِ بِسُمْرَتِهِ لَوْنًا كَالْمَسْكِ وَكَالْعَنْبَرِ
 وهو يلقي طينه على شاطئيه فيسمر لونهما، ويصبح كلون المسك البني الداكن، أو العنبر (وهو
 داكن اللون في الغالب)

٤ العبث

قال شوقي ضمن رثاء الأميرة نفيلة هانم (١٨٨٩):

النَفْسُ تَرْغَبُ فِي الدُّنْيَا، وَمَا حَصَلَتْ مِنْ الْحَيَاةِ عَلَى صَفْوٍ بِلا كَدَرٍ
 النفس ترغب في الدنيا وهي ما حصلت من الحياة على صفو (سعادة) خالص من التكدير

وِلِلْحَيَاةِ مَدًى، وَاللَّهُ يَعْلَمُهُ مَا أَشْبَهَ الطَّوْلَ فِي الْأَعْمَارِ بِالْقَصْرِ

للحياة مدى علمه عند الله. ولكن، بما أن كل الحياة عبارة عن صفو مختلط
 بالتكدير، فالطول والقصر في العمر سيان. كأني بالعقاد يقف لشوقي قائلاً: «بربك
 هل الحياة لها مدى؟ كذا والله نظنها أبدية! وهل يعلم الله حقاً هذا المدى؟ ما أعجب

ما أتيت به!« ولكن الشعر لا يقوم على المعنى وحده. ومع ذلك فالتصنيف الثاني من البيت له رنة جميلة، ومعناه يفضي إلى تفكير في العمر وطوله. حقاً إذا كانت سنوات العمر أشبه بالخبز البلدي المخلوط بالرمل فلا فرق بين أن تأكل رغيفاً أو خمسة. وقد سخر العقاد في كتابه الديوان من طريقة شوقي في الرثاء سخريه بلغ بها في الإضحاح منك الخواصر. تعليق عمران القفيني: «إعجابنا أنت وأنا بشوقي عجيب، حتى إذا أردنا نقده بحثنا عن لسان آخر واستأجرناه للتعليق»

٥ عبدك وابن عبدك

قال يهنئ الخديوي محمد توفيق بعيد الجلوس (١٨٨٩):

شرفاً أبا العباس، هذا مُلْكُ مصر رَ وذي خزائِنُهُ، وذلك دَسْتُهُ
ازدد شرفاً يا أبا العباس، فهذا ملك مصر، وهذي خزائنه (قال يوسف لملك مصر: «اجعني على خزائن الأرض» يوسف ٥٥)، وهذا الدست (مجلس الحكم) كلها لك. قال البحري «شرفاً بني العباس إن أباكم/عم النبي وعيصه المتفرع»

مُلْكٌ كَبِيرٌ جَاءَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ قَدْماً نَعْتُهُ
ملك كبير ورد في التوراة والإنجيل والقرآن قَدْماً (في الزمن القديم) نعته (وصفه)

مولاي! عُذْراً إِنَّ لِي فِكْراً أَبْتُ إِلَّا الزُّفَافَ إِلَى عَفَافِكَ بِنْتُهُ
مولاي! اعذرنني على السكوت حتى الآن فإن لي فكراً أَبْتُ بنته إلا أن تُزَفَّ إلى مقامك العفيف (جعل «بنات الأفكار» بنتاً وزفها إلى الخديوي)

فَاسْمَعْ لِعَبْدِكَ وَابْنِ عَبْدِكَ مَنَظِقاً مُنْطَاطِيراً بِكَ فِي الْقَوَافِي صَبْتُهُ
فاسمع لعبدك وابن عبدك (وأبو شوقي كان في حاشية الخديوي) منظقاً (كلاماً) صيته يتطاير بذكرك على هيئة قوافٍ. رنين وقعقة. وتكثيف لغوي مفعم بالإيحاء، وإن كان فيه كثير من لِي أعناق التعابير. هذا، إلى سيناد ردف أجازته شوقي لنفسه وركبه في أكثر من موضع

٦ الوفاء وعدمه

قال شوقي (١٨٩٠):

إِنَّ الْوَفَاءَ سَبَاحُ أَخْلَاقِ الْفَتَى مَنْ حَازَهُ حَازَ الْمُحَامِدَ أَجْمَعَا

الوفاء صباح يحمي أخلاق الإنسان، فمن حازه (مَلَكَهُ) حاز المحامد (الفضائل) كلها

كَمْ مِنْ لَبِيبٍ كَانَ يُرْجَى نَفْعُهُ لَكِنْ أْبَى عَدَمُ الْوَفَا أَنْ يَنْفَعَا
كثيراً ما لقينا عاقلاً رجونا منه النفع، لكنَّ عدم وفائه منع حصول هذا النفع

٧ لا مثيل لها

قال شوقي يمدح الخديوي محمد توفيق (١٨٩٠):

يا مُكْرَمَ الشُّعراءِ كَمْ مِنْ آيَةٍ لي فيكَ ليسَ لِشاعرٍ تَبديلُها
يا مكرم الشعراء كم من آية (قصيدة كأنها في بلاغتها آية) قلتها فيك، ليس لشاعر تبديلها. فهي
كأي الكتاب الحكيم الذي لا تبديل له

وَيَزِيدُها مَرَّ الزَّمانِ حلاوةً حتى يَلدُّ لأهلِهِ تَرتيلُها
يزيد مرّ (مرور) الزمن «آياتي» حلاوة، حتى يلدّ (يطيب) لأهل الزمن ترتيلها، وليس قراءتها فقط

أَلْبَسْتَنِي حُلَّ القَبولِ، فَنَلْتُ شأ وأ في القوافي لَمْ يَنلْهُ فُحولُها
ألبستني حلل (أثواب) القبول، فملت شأواً (مدى) في القوافي (القصائد) لم ينله فحول القصائد

فإِلَيْكَها عِذراءُ لا يُرجى لها وَضَلَّ، ولا باعُ الشُّيوخِ يَطولُها

إليكما (خذها) قصيدة عذراء (مبتكرة) لا رجاء في وصلها (علاقة معها)، كالحال مع
الفتاة العذراء؛ ولا يطولها باع الشيوخ (فحول الشعر). قال «الشيوخ»، ولم يقل
الفحول، لأنه شبه القصيدة بالعذراء فجعل الشعراء شيوخاً كباراً في السن، فزادهم
بعداً عن عذرائه. وهذا من التكتيف اللفظي والمعنوي عند شوقي. وفي الشعر شبه
من الدعاية التلفزيونية، تكون الدعاية مكتظة بالصور وملينة باللفئات الكثيرة فتشاهدها
المرّة تلو المرّة وتكتشف في كل مرّة شيئاً جديداً

تَهتَزُّ أَعْطافُ الملوِكِ لِمِثْلِها لو كانَ يَوجدُ في القَريضِ مِثْلُها
تهتز أعطاف (خصور) الملوك طرباً لمثل هذه القصيدة، هذا لو كان يوجد في القريض (الشعر)
مثيل لها

٨ خدعوها

قال شوقي (١٨٩١):

خَدَعوها بِقَولِهِم: حِساناً وَالغَواني يَغُرُّهُنَّ الثَّناءُ
خدعوها بقولهم إنها حسان. والغواني (الجميلات) يغرهن الثناء

أَثَرها تَناسَتِ اسمي لَمّا كَثُرَتْ في غَرامِها الأَسْماءُ
هل تناست اسمي عندما كثر المغرمون بها كثرة صاروا معها مجرد أسماء؟

إِنْ رَأَيتُني تَميلُ عَنِّي، كَأَنَّ لَمْ تَكْ بَينِي وَبَينَها أَشياءُ
إن رأيتني تنحرف عني كأنه لم يكن بيني وبينها أشياء. «أشياء» هذه ملينة بالظرف والشعر، وفيها
فخر الرجل وكذبه وتشدقه

نظرة، فابتسامة، فسلام فكلام، فموعد، فلقاء

بيت كهذا لا يتاح إلا في الفلنات

ففراق يكون فيه دواء أو فراق يكون منه الداء

ثم الفراق الذي إما أن يشفي الصدر من العلاقة، أو يكون داء (مرضاً) للقلب

يوم كُنّا، ولا تسَلْ كيف كُنّا نتهادى من الهوى ما نشاء

أندكر كيف كنا، ولا تسَلْ (تسأل) كيف كنا! كنا نتهادى (نتبادل كالهدايا) ما نشاء من لوازم الغرام كالقبل والهمسات

وعلينا من العفاف رقيب تعبت في مِراسيه الأهواء

وكان علينا رقيب هو عفافنا (والعفاف هو الامتناع الجنسي بانتظار الفرصة الأفضل)، وهو رقيب تعبت في مراسه (مغالبته) أهوائنا (رغباتنا)

جاذبني ثوبي العصي، وقالت: أنتم الناس أيها الشعراء

جاذبني (كانت تشد وأنا أشد) ثوبي العصي (الممتنع)، - كما فعلت امرأة العزيز بيوسف عندما جاذبته قميصه طلباً للفعل الجنسي -، وقالت لي: أنتم فقط الناس أيها الشعراء، فلا أحد غيركم جدير بالاهتمام

فاتقوا الله في قلوب العذارى فالعذارى قلوبهن هواء

وقالت: اتقوا الله في قلوب العذارى، فقلوبهن رقيقة كالهواء. كتب أحمد شوقي في مقدمة الشوقيات (١٩٠٠): «رفعت إلى الخديوي السابق [محمد توفيق] قصيدتي التي مطلعها: خدعوها بقولهم حسناء/ والغواني يغرهن الشناء، والتي غزلها في أول الديوان، وكانت المدايح الخديوية تنشر يومئذ في الجريدة الرسمية وكان يحررها يومئذ أستاذي الشيخ عبد الكريم سلمان فدُفعت القصيدة إليه، وطلب منه أن يسقط الغزل وينشر المدح فود الشيخ لو أسقط المدح ونشر الغزل. ثم كانت النتيجة أن القصيدة برمتها لم تنشر»

٩ نومة القلم موت

قال شوقي يمدح عباس حلمي الثاني (١٨٩٣):

قُلْ لِرَاجٍ أَنْ يَسْتَرْقِ يراعي أنا لا أَشْتَرِي بِذَا التَّاجِ قَيْدًا

قل لمن يرجو أن يسترق يراعي (يستعبد قلبي) إنني لا أرضى قيداً سوى ارتباطي بتاج مصر

نَوْمَةُ السَّيْفِ قَدْ تَكُونُ حَيَاةً وَرَأَيْتُ الْيَرَاعَ إِنْ نَامَ أَرْدَى

نوم السيف في غمده قد يسبب بقاء الحياة للناس وإبعاد شبح القتل عنهم، وأما القلم فإذا نام عن الكتابة أوردى (قتل) المجتمع بنومه

خَلَقَ اللَّهُ ذَاكَ صَاحِبَ غَمْدٍ وَبَرَا ذَا لَا يَعْرِفُ الدَّهْرَ غَمْدًا
وقد خلق الله السيف وخلق له غمدا (غلافاً)، وبرأ (خلق) القلم لا يُغْمَدُ أبد الدهر

١٠ كبار الحوادث في وادي النيل

ألقاها في مؤتمر المستشرقين المنعقد في جنيف بسويسرا في سبتمبر (١٨٩٤)، وكان
مندوباً عن مصر:

هَمَّتِ الْفُلُكُ، واحتواها الماء وَحَدَّاهَا بِمَنْ تُقِلُّ الرِّجَاءُ

همت الفلك (السفينة) بالرحيل، ثم احتواها الماء، وحداها (سيرها) بمن تقل (تحمل) رجاء الوصول بسلام. فكان السفينة ناقة يحدوها (بغني لها) الحادي؛ وما الحادي سوى الرجاء. ما أخلق مؤلفي كتب البلاغة المدرسية أن يجدوا في مثل هذا البيت مادة لتعذيب التلامذة!

قل لباني بنى فشادَ فعالي: لم يَجُزْ مِصرَ في الزَّمانِ بِناء
قل لمن يبني الصروح ويبلغ في رفعها: لم يَجُزْ (يتفوق على) مباني مصر في كل الزمن أي بناء

زعموا أنها دعائمُ شِيدَتْ بِيَدِ الْبَغْيِ، مِلُّوْهَا ظُلْمَاءُ
زعموا أن مباني مصر، كالأهرام، دعائم للملك العظيم شيدت (بُنيت) بيد البغي (الظلم)، وأن
المباني مليئة بالظلام - ظلام تسخير الناس -

فاعذِرِ الحاسدينَ فيها إذا لا موا، فصعبُ على الحسودِ الشَّاءُ
اعذر الحاسدين في شأنها إذا لاموا، فصعب على الحسود أن يمدح

لا رعاكَ التاريخُ يا يومَ قَمْبِي زَرَّ، ولا طَنَطَنْتْ بِكَ الْأَنْبَاءُ
لا رحمك التاريخ يا يوم (غزو/ وأيام العرب غزواتها) قمبيز (ملك الفرس)، ولا طنطننت (رددت)
الأنباء بذلك

بنتُ فِرْعَوْنَ في السَّلاسلِ تمشي أزعَجَ الدَّهْرَ عُريُّها والحَفَاءُ
هذه بنت فرعون تمشي في قيودها، وعريها وحفاؤها يزعجان الدهر (أحرار الناس على مر الدهر)

فكَأَنَّ لَمْ يَنْهَضْ بِهَوْدَجِهَا الدَّهْرُ رُءُ، ولا سَارَ خَلْفَها الْأَمْرَاءُ
كأنما لم يحمل الدهر نفسه في أيام العز هودجها (والهودج إنما يحمله الجمل أو الفيل لا الدهر)،
وكانما لم يكن يسير خلفها الأمراء

وأبوها العَظِيمُ يَنْظُرُ لَمَّا رُدِّيتْ مِثْلُما تُرَدِّي الْإِمَاءُ
وأبوها فرعون كان ناظراً عندما رُدِّيتْ (أُلْبست) كما تُلبس الإماء (الجواري)

أَعْطَيْتُ جَرَّةً، وَقِيلَ إِلَيْكَ النَّهْرُ هَرَّ، قَوْمِي كَمَا تَقُومُ النِّسَاءُ

أعطيت بنت فرعون جرة، وقيل: إليك (ها هو) النهر، قومي كغيرك من النساء!

فَمَشَتْ تُظْهِرُ الْإِبَاءَ، وَتَحْمِي الدَّ - مَعَ أَنْ تَسْتَرْقُّهُ الضَّرَاءُ

مشت وفي مشيتها الإباء (العزة)، وهي تحمي دمعتها من أن تسترقه (تستعبده) الضراء (المصيبة)

وَالْأَعَادِي شَوَاحِصٌ، وَأَبُوهَا بِيَدِ الْحَطَبِ صَخْرَةٌ صَمَاءُ

والأعداء شاحصون (رافعو الرؤوس)، وأبوها واقع في قبضة الحطب (المصيبة) وكأنه صخرة صماء (مصمتة) لا تعابير على وجهه

فَأَرَادُوا لِيَنْظُرُوا دِمَعَ فِرْعَوْنَ نَ، وَفِرْعَوْنُ دِمْعُهُ الْعَنْقَاءُ

فأراد الأعداء أن يروا دمع فرعون، وفرعون دمه العنقاء (الطائر الخرافي غير الموجود)، فلا وجود لشيء اسمه «دمع فرعون»

فَأَرَوْهُ الصَّدِيقَ فِي ثَوْبٍ فَقِيرٍ يَسْأَلُ الْجَمْعَ. وَالسُّؤَالُ بِلَاءُ

فأروه صديقه في ثوب يدل على الفقر وهو يسأل الناس إحساناً. والسؤال بلاء

فَبَكَى رَحْمَةً، وَمَا كَانَ مَنْ يَبِ - كَبِي، وَلَكِنَّمَا أَرَادَ الْوَفَاءُ

عندئذ بكى فرعون رحمة له، وما كان فرعون ممن يبكي، إنما أراد منه وفاؤه أن يبكي

وَابْنُكَ عَمْرَأُ إِنْ كُنْتَ مُنْصِيفَ عَمْرٍو - إِنَّ عَمْرُوًّا لَنَيْيِّرٌ وَضَاءُ

وابنك، أيها السامع، عمرو بن العاص إن كنت منصفاً إياه - وما أكثر أعداء عمرو -، فعمرو نير وضاء (مشرق)

جَادَ لِلْمُسْلِمِينَ بِالنَّيْلِ، وَالنَّيْ - لُ لِمَنْ يَقْتَنِيهِ إِفْرِيقِيَاءُ

فقد جاد للمسلمين (تفضل عليهم) بالنيل بفتح مصر، والنيل لمن يقتنيه (يملكه)، مفتاح إفريقية

وَإِذْكَرِ الْعُرَّ آلَ أَيُّوبَ وَامْدُحْ - فَمِنْ الْمَدْحِ لِلرِّجَالِ جَزَاءُ

واذكر الغر (المشرقين إشراقاً) آل أيوب (الأيوبيين)، وامدحهم، - فلئن كان كثير من المدح تزلفاً - فإن من المدح أيضاً جزاء (مكافأة) للرجال

هَكَذَا الْمُسْلِمُونَ وَالْعَرَبُ الْخَا - لُونَ، لَا مَا يَقُولُهُ الْأَعْدَاءُ

هذه حقيقة المسلمين والعرب الخالين (الماضين)، لا ما يقوله الأعداء

ليسَ للذَّلْ حِيلَةٌ في نُفوسٍ يستوي الموتُ عندها والبَقَاءُ

لا حيلة للذل في الوصول إلى نفوس - كنفوس أولئك العرب الفاتحين - يستوي (يتساوى) بالنسبة لها الموت والحياة. لغة شوقي الشاب (نحو ٢٦ سنة) غنية، مفعمة بالإشارات التاريخية، وتنبع عن ثقافة عربية متينة، وهو يستعمل اللغة باقتدار ويقبلها بين يديه كيف شاء، متعسفاً حيناً، آتياً بالطريف حيناً. وهو مع ذلك يقول ما يريد، ولا تجره الألفاظ إلى أن يقول ما لا يريد. وهو يعبر عن موقف. وهذه القصيدة فيها نَفَسٌ خطابي هو نَفَسُ الشعر العربي في عصره الزاهية. هذه القصيدة تعود إلى سنة ١٨٩٤ ففيها انعقد مؤتمر المستشرقين العاشر في جنيف. وفي مقدمة شوقي لديوانه الصادر للمرة الأولى عام ١٩٠٠ قال إن المؤتمر عقد سنة ١٨٩٦، ولعل هذا منه نسيان أو إهمال. وقد تكرر هذا الغلط في إعادة طبع مقدمة الديوان في عدة كتب. لكن مؤتمرات المستشرقين مرصودة في عدة وثائق. أول مؤتمر لهم عقد قبل ذلك بمئة وعشرين سنة في باريس، وآخر مؤتمر - فيما وصل إلى علمنا - كان مؤتمر موسكو ٢٠٠٤، وهو السابع والثلاثون. والمؤتمر الذي حضره شوقي عقد في جنيف سنة ١٨٩٤ خلافاً لما تكاد تجمع عليه الكتب ومواقع الإنترنت. لا بد أن المستشرقين هزوا رؤوسهم دهشة وهم يسمعون مندوب مصر يلقي قصيدة، بدل أن يساهم ببحث علمي. ولكننا نعرف أن شوقي صنع علاقات طيبة مع عدد من المستشرقين، ولعل حماسة هذا الشاب الشرقي لمست ركناً في نفوسهم

١١ العاقبة الأكيدة

أرى الموتَ على العَبْرَا هُوَ الجامعةُ الكُبْرَى

أرى الموت على العبرا (الأرض) هو الجامعة الكبرى (هو العنصر الجامع بين الناس كلهم)، فهو القاسم المشترك بين الناس كلهم

هو الدربُ إلى الدنيا هو الدربُ إلى الأخرى

الموت هو الدرب إلى الدنيا، فلولا أن هناك ناساً يموتون لما كان ثمة موضع لناس يولدون، وهو الدرب إلى الأخرى (الحياة الأخرى)

فإنْ لَمْ يَكْ غَيْرُ المَو تِ مِنْ عاقبةٍ تُدْرَى

فإذا لم يكن بعد الموت حياة تُدرى (تُعرف) ..

فإنْ شئتَ فمُتَّ عبداً وإنْ شئتَ فمُتَّ حُرّاً

فإن شئت فمت وأنت عبد، وإن شئت فمت وأنت حر، فما أقل الفرق بين عبد وحر في حياة زائلة لا يترتب عليها شيء

١٢ الدنيا بستان

وروض، كما شاء المُحِبُّونَ، ظِلُّهُ لهُم ولأَسْرَارِ الْغَرَامِ مَدِيدُ
رب روض (بستان) هو كما يريده المحبون، فظله ممتد يضمهم ويضم أسرار غرامهم

تُظَلِّلُنَا، وَالطَّيْرَ، فِي جَنَابَاتِهِ غَصُونٌ قِيَامٌ لِلنَّسِيمِ سَجُودٌ
تظللنا، نحن والطيور في جنباته (نواحيه)، غصون ترتفع وتهبط مع النسيم (كما يقوم ثم يسجد المصلي)
وقامتُ لديها الطيرُ شَتَّى فَاِنْسُ بأهلي، ومفقودُ الأليفِ وحيدُ
ووقفت عند هذه الغصون أنواع الطير، فمنها الأنس (المنشراح) بأهل (بزوج)، ومنها الوحيد الذي
لا أليف له

وَبَاكِ وَلَا دَمْعٌ، وَشَاكِ وَلَا جَوَى وَجَدْلَانُ يَشْدُو فِي الرُّبَى وَيُشِيدُ
ومنها من يبكي لكن بلا دمع، ومنها الشاكي لكن بلا جوى (حزن)، ومنها الجدلان (الفرح) الذي
يشدو (يغرد) في الهضاب ويشيد (يتغنى راضياً)

غَشِينَاهُ وَالْأَيَّامُ تَنْدَى شَبِيبَةٌ وَيَقْطُرُ مِنْهَا الْعَيْشُ وَهُوَ رَغِيدُ
غشينا الروض (أثناه) والأيام تندى (يغلفها الندى) لما نحن فيه من حلاوة الشباب، ويقطر العيش
كالعسل من أيامنا رغيداً (هانئاً)

وَنَحْكُمُ حَتَّى يَقْبَلَ الدَّهْرُ حُكْمَنَا وَنَحْنُ لِسُلْطَانِ الْغَرَامِ عَبِيدُ
ونحكم (نصر على رغباتنا) والزمن يقبل حكمنا وينفذ إرادتنا، لكننا عبيد لسلطان الغرام

أَقُولُ لِأَيَّامِ الصَّبَا كُلَّمَا نَأَتْ: أَمَا لَكَ يَا عَهْدَ الشَّبَابِ مُعِيدُ
أقول لأيام الصبا كلما نأت (ابتعدت): أليس هناك من يعيدك يا عهد الشباب؟

وَمِنْ عِبْتِ الدُّنْيَا، وَمَا عِثْتُ سُدًى شَبَبْنَا وَشِبْنَا وَالزَّمَانُ وَلِيدُ

ومن عبت الدنيا، وليس عيشها سدى (جزافاً)، أننا كنا شباباً ثم شينا والزمان ما زال
وليداً. الإنسان الطبيعي كلما تقدمت به السن يظن أن «الدنيا آخر وقت» لأن الزمن تغير
كثيراً إلى حد الظن بأن أشراف الساعة أخذت تظهر؛ ولكنه عندما يرى كيف يستقبل
أولاده وأحفاده من الدنيا ما استبدر يوقن أن الزمان يبقى طفلاً، وأنه هو فقط الذي شاخ

١٣ دهاء

قَدْ أَتَعَبَ الْأَعْدَاءَ مَنْ دَارَاهُمْ فَأَوْقَمَ عَدُوَّكَ بِاللَّيَانِ وَأَقْعَدَ

قد أتعب أعداءه فعلاً من داراهم. فاجعل عدوك يقوم ويقعد ويضطرب بما تبديه له من الليان
(الملاطفة)

إِنَّ الْأَرَاقِمَ لَا يُطَاقُ لِقَاؤُهَا وَتُنَالُ مِنْ خَلْفِ بِأَطْرَافِ الْيَدِ

إن الأفاعي لا يطاق لقاءها من الأمام، لكنها تُنال (تُمسك) من الخلف بأطراف اليد (بالأصابع). اتخذ طه حسين، في مقال له من خمسين صفحة صغيرة سماه «حافظ وشوقي»، من هذين البيتين تكملةً لكي يتحدث عن شخصية شوقي وعن نظرته إلى التجديد: «.. هو لا يستقبل التجديد ولكن يستدبره. وهو لا يدخل البيوت من أبوابها، ولكن يأتيها من ظهورها. وهو لا يجتدد في صراحة وشجاعة وثبات للخصوص، ولكنه يجدد في لباقة ومداورة والتواء على المناهضين. وكان هذه القاعدة صيغت من طبع شوقي فسيطرت على حياته الأدبية، وسيطرت على حياته الشخصية أيضاً. فهو لم يواجه الناس بتجديد عنيف في الأدب قط. وهو لم ينهض لخصوصية ناقد من نقاده، بل لم يجرؤ على أن يلقي نقاده بالعتب. إنما كان يعاملهم معاملة الأراقم، لا يلقاهاهم ولكن يأخذهم من خلف بأطراف اليد. يغري بهم ويؤلب عليهم، ثم يلقاهاهم باسماءً مراوغةً. ولا يتخرج من زيارتهم واستزارتهم كأنهم من أحب الناس إليه.. يُظهر لهم صفحة واضحة نقية، ومن وراء هذه الصفحة صفحات بيض، وصفحات سود». انتهى كلام طه حسين

١٤ صوني جمالك عنا

قال شوقي (١٨٩٤):

اللَّهَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صَبٍّ وَمِنْ عَانٍ تَفْنَى الْقُلُوبُ وَيَبْقَى قَلْبُكَ الْجَانِي
الله (أي اتقي الله) في الخلق: الصَّبُّ (المحب) منهم والعاني (الأسير بحبك). القلوب تفنى عشقاً
ويبقى قلبك الجاني (المجرم)

صُونِي جَمَالِكَ عَنَّا، إِنَّا بَشَرٌ مِنْ التُّرَابِ، وَهَذَا الْحَسَنُ رُوحَانِي

احفظي جمالك بعيداً عن نظرنا، فنحن بشر من تراب وحسبك (جمالك) روحاني

١٥ نَبَتْ بَيْنَ جَوَانِحِي

قال شوقي (١٨٩٤):

مُضْنَى وَلَيْسَ بِهِ حَرَاكٌ لَكِنْ يَخْفُ إِذَا يَرَاكَ

عاشقك مضنى (مريض) وليس به حراك، لكن يخف (يشفى/وينشط) إذا رآك

وَيَمِيلُ مِنَ الطَّرَبِ إِذَا مَا مِلْتَ يَا غُصْنَ الْأَرَاكِ

ويميل من الطرب إذا ملت يا غصن الأراك (شجر له ساق طويلة)

إِنَّ الْجَمَالَ كَسَاكَ مِنْ وَرَقِ الْمَحَاسِنِ مَا كَسَاكَ

إن الجمال كساك أيها الغصن ورقاً ليس كورق الشجر بل هو المحاسن نفسها

وَنَبَيْتٌ بَيْنَ جَوَانِحِي وَالْقَلْبُ مِنْ دِمِهِ سَقَاكَ

وقد نبئت أيها الغصن داخل جوانحي (أعضائي)، وسقاك قلبي من دمه

حَلَوَ الْوَعُودُ! مَتَى وَفَاكَ أَتُرَاكَ مُنْجِزَهَا تُرَاكَ

يا حلو الوعود متى وفائك بها، هل أنت منجزها يا ترى؟

مِنْ كُلِّ لَفْظٍ لَوْ أَذْنْتُ لَأَجْلِلِهِ قَبَّلْتُ فَاكَ

ووعودك مكونة من كل لفظ عذب لو أذنت (سمحت) لي لقبلت فمك لأجله

يُرَوِّي الْحَلَاوَةَ عَنْ ثَنَا يَاكَ الْعِذَابِ وَعَنْ لَمَّاكَ

وهذا اللفظ يروي (ينقل شفاهاً) الحلاوة عن ثناياك (أسنانك) العذبة، وعن لَمَّاكَ (ريقك)

ظُلْمًا أَقُولُ: جَنَى الْهَوَى، لَمْ تَجْنِ إِلَّا مُقْلَتَاكَ

أنا أظلم الحق إذ أقول الجاني هو الهوى، ما جنى علي إلا مقتلتك (عيناك)

مَنْ عَلَّمَ الْأَجْفَانَ فِي أَهْدَابِهَا مَدَّ الشُّبَاكَ

من الذي علّم الأجفان القابعة خلف أهدابها (رموشها) أن تمد الشُّبَاكَ لنَقَعٍ فيها؟

وَتَصَيَّدَ الْأَسَادَ بِالْأَجَامِ تَسْلُبُهَا الْحَرَكَ

ومن علمها تصيّد الأسود في الآجام (الأدغال) فتسلبها الحراك؟

١٦ المخاطرة

قال شوقي (١٨٩٥):

عَرَضُوا الْأَمَانَ عَلَى الْخَوَاطِرِ وَاسْتَعَرَضُوا السُّمُرَ الْخَوَاطِرُ

لقد عرضوا الأمان على الخواطر (النفوس) إذ استعرضوا قاماتهم الرشيقة الشبيهة بالسمر (الرماح) الخواطر (المهتزة). يتحدث عن الأغصان ويقصد النساء فمن هنا التذكير وخطاب العاقل

فَوَقَفْتُ فِي حَذَرٍ، وَيَا بِي الْقَلْبُ إِلَّا أَنْ يُخَاطِرُ

فوقفتُ حذراً، والقلب يأبى إلا المخاطرة

يَا قَلْبُ! شَأْنُكَ وَالْهَوَى هَذَا الْغُصُونُ وَأَنْتَ طَائِرُ

يا قلبي الزم شأنك مع الهوى (أنت حر بشأن الهوى)، هذه النساء غصون، وأنت كالطائر

إِنَّ السَّيِّئَ صَادَتْكَ تَسْـُٔةٌ عَى بِالْقُلُوبِ لَهَا النَّوَاطِرُ

أمر الحسنة التي صادتك هو: أن نواظر الناس (عيونهم) تسوق قلوب أصحابها إليها

١٧ وإنما الأمم الأخلاق

قال شوقي (١٨٩٥):

الصدق أرفع ما اهتزَّ الرجالُ له وخيرُ ما عوَّدَ ابنُنا في الحياة بُ
الصدق أرفع (أعلى) شيء اهتزَّ له الرجال (حركتهم الشهامة)، وخير ما يعوّد الأب ابنه في الحياة
وإنما الأمم الأخلاق، ما بقيت، فإن هم ذهبَتْ أخلاقهم ذهبوا
والأمم بأخلاقها، طالما بقيت لها أخلاق. فإن لم تبق أخلاق لم تبق الأمم

١٨ الغبيّ والدنيّ

قال شوقي (١٨٩٥):

أخا الحلم مهلاً في المكارم والندى وفي رحمة الحُسادِ والرفقِ بالعدى
يا ذا الحلم (يا صاحب الحلم) تمهل ولا تبالغ في العفو والكرم، وفي الرفق بالحساد والأعداء
فلنْ تُدنيَ النفسَ التي قد قصدتها بحلمِكَ أقصى من هواها وأبعدا
فلن تدني (تقرّب) النفس التي طوقتها بحلمك بأكثر من رغبتها في الاقتراب
وَمِنْ حُرْمَةِ النِّعْمَاءِ أَلَّا تُنِيلَهَا غيباً فَيَنْسَى أَوْ دُنْيَاً فَيَجْحَدُهَا
ومن واجب النعماء (النعمة) عليك ألا تنيلها (تمنحها) شخصاً غيباً فإنه ينسى المعروف، ولا دنياً
(دنياً حقيراً) فإنه ينكر المعروف

١٩ مماطلة

قال شوقي (١٨٩٦):

أذعنَ لِلْحُسْنِ عَصِيَّ الْعِانِ وحاولتْ عيناكُ أمراً فكان
أذعن (خضع) للجمال هذا الرجل العصي العيان (المتنع)، وكأنه الحصان الصعب الإمساك
بعنانه، وحاولت عيناكُ أمراً (إيقاعه في الحب) فكان لك ذلك
يا مُسْرِفاً في التَّيِّهِ ما ينتهي أخافُ أَنْ يَفْنَى عَلَيْنَا الزَّمانُ
أيها المِسرفُ في التَّيِّهِ (المبالغ في التكبر) الذي لا ينتهي (يقلع) عن إسرافه، أخاف أن ينتهي
الزَّمان نفسه وأنت ما تزال في تكبرك
ويا كَثِيرَ الدَّلِّ فِي عِزِّهِ لا تَنْسَ لِي عِزِّي قُبَيْلَ الْهَوَانِ
ويا كثير الدلّ (التدلل)، يا مفتخراً بعزه، لا تنس أنني كنت عزيزاً قبل الهوان (الذل) في حبك

٢٠ خير الأمور الوسط

قال في ذكرى الأمير محمد عبد المنعم (١٨٩٦):

وما الدنيا بمثوى للعبيد فكُنْ ضيفَ الرِّعايةِ والودادِ
الدنيا ليست مثوى (مقرراً دائماً) للناس، فكُنْ ضيفاً محاطاً بالرعاية والحب

ولا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الْأَعَادِي فَشَرُّ النَّاسِ أَكْثَرُهُمْ خُصُوما
ولا تجعل أعداءك كثيراً، فأسوأ الناس أكثرهم خصوماً

ولا نجعلُ نودَكَ ابتذالاً ولا نسمعُ بحلمِكَ أن يُذالا
ولا تبذل ودك بمنحه لمن هب ودب، ولا تتسامح بحلمك أن يذال (يهان)

وَكُنْ ما بينَ ذاكَ وذالكَ حالا فلنُ ترضي العدو ولا الحميما
كن وسطاً، فالمبالغة في التودد أو في التشدد غير مفيدة. وأنت - بعد - لن ترضي العدو والصديق
الحميم معاً

٢١ رب الشعر

قال شوقي (١٨٩٧):

قوافٍ لربِّ الشعرِ، لا النَّظْمُ طائلٌ إذا هَيَّ سارَتْ في البلادِ ولا النقدُ

هذه قصائد لرب الشعر (صاحب الشعر)، لا النظم الآخر طائل (نافع) في التفوق عليها إذا هي
سارت (انتشرت) في البلاد، ولا النقد نافع في الحد من أثرها. كان داود عمون انتقد قصيدة
سابقة لشوقي، فشوقي هنا يشير إليه. وقد عاد عمون فرد على شوقي قائلاً:

أَكُلُّ الذي خَطَّتْ يَمِينُكَ مُنْزَلٌ/وَكُلُّ الذي يَلْقِيهِ فَوْكَ لَنَا شَهِدٌ - على أَنَّهُ لو كان خَصَمِي مُنْصَفِي/
لَكَانَ جِزَائِي عِنْدَهُ الشُّكْرُ وَالْحَمْدُ - فَإِنِّي قد دَاوَيْتُهُ من غُرُورِهِ/ولَوْلَايَ كان الداءُ يَنْمو وَيَشْتَدُ

أوانسُ أحياناً، شواردُ تارة لها لَعِبٌ آناً، وآناً لها جِدُّ

القصائد أوانس (اليفة) أحياناً، وشوارد (غريبة كالناقة الشاردة) أحياناً، وهي لاهية أحياناً، وجادة أحياناً

وتُؤوي يَتِيماتِ الدُّهورِ بيوْتُها فتُسمي مِن مَبْنَى الجَلالِ لها مَهْدُ

وأبيات قصائدي تُؤوي المعاني اليتيمة (النادرة) التي لا تأتي إلا نادراً في الدهور،
وتسمي هذه المعاني وقد جعل مبنى الجلال (البناء اللفظي الفخم) مهداً لها. إن حل
كلام شوقي (تفسيره بالنثر) يلجئنا إلى الكثير من التحايل. تراه يسمي أبيات الشعر
بيوتاً، ثم ترى ما وراء ذلك، فالبيت «يؤوي» المعاني، فهي أبيات لأنها من شعر،
وهي بيوت لأنها تُؤوي. لغة شوقي مركب، ويسير فيها أكثر من تيار في آن معاً. ومن
هنا تكتسب رنيناً أقوى، وتشحن المعنى وتكثفه

٢٢ جمدت عيني وعينك

قال شوقي يرثي والده (١٨٩٧):

انْظُرِ الْكَوْنَ وَقُلْ فِي وَصْفِهِ كُلُّ هَذَا أَصْلُهُ مِنْ أَبَوَيْنِ
انظر إلى الكون (يعني أهل الكون) وقل في وصفه: كل هذا أصله من رجل وامرأة

فَقَدْ الْجَنَّةَ فِي إِجَادِنَا وَنَعَمْنَا مِنْهُمَا فِي جَنَّتَيْنِ
فقد آدم وحواء الجنة في سياق عملية إنجابنا، ونعمنا بهما بجنتين: الأب جنة، والأم جنة

يَا أَبِي! وَالْمَوْتُ كَأْسٌ مُرَّةٌ لَا تَذُوقُ النَّفْسُ مِنْهَا مَرَّتَيْنِ..
يا أبي! بما أن الموت كأس مرة تذوقها النفس مرة واحدة..

لَا تَخَفْ بَعْدَكَ حُزْناً أَوْ بُكَاءَ جَمَدَتْ مِنِّي وَمِنْكَ الْيَوْمَ عَيْنُ
فلا تخف علي بعدك حزناً أو بكاء، فموتك جمدت عيني فلن أبكي غيرك، وجمدت عينك لأنك مت

أَنْتَ قَدْ عَلَّمْتَنِي تَرْكَ الْأَسَى كُلُّ زَيْنٍ مُنْتَهَاهُ الْمَوْتُ شَيْنُ
علمتني ترك الأسى (الحزن)، فكل أمر جميل منتهاه (مصيروه) الموت هو على الحقيقة قبيح

لَيْتَ شِعْرِي! هَلْ لَنَا أَنْ نَلْتَقِيَ مَرَّةً، أَمْ ذَا افْتِرَاقُ الْمَلَوَيْنِ
ليت شعري (يا ترى) هل لنا أن نلتقي مرة أخرى، أم هذا الفراق بيننا كفراق المَلَوَيْنِ (الليل والنهار) فهما دائماً مفترقان لا يأتي أحدهما إلا بذهاب الآخر

٢٣ ليلة عجيبة

قال شوقي في مولد ابنته أمانة ووفاته والده (١٨٩٧):

يَا لَيْلَةً! سَمَّيْتُهَا لَيْلَتِي لِأَنَّهَا بِالْإِنْسَانِ مَا مَرَّتْ
يا لها من ليلة، وقد سميتها ليلتي أنا دون غيري لأن مثلها لم يمر بأحد قلبي

نَبَّهَنِي الْمَقْدُورُ فِي جُنْحِهَا وَكُنْتُ بَيْنَ النَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ
أيقظني المقدور (القدر المحترم) في وسطها، وكنت نصف نائم

الْمَوْتُ عَجْلاً إِلَى وَالِدِي وَالْوَضْعُ مُسْتَعَصٍ عَلَى زَوْجَتِي
كان أبي يحتضر والموت يعاجله، والولادة مستعصية على زوجتي

حَتَّى بَدَا الصَّبْحُ فَوَلَّى أَبِي وَأَقْبَلْتُ بَعْدَ الْعَنَاءِ ابْنَتِي
وبمجيء الصباح ذهب أبي، وجاءت بعد طول التعب ابنتي

فَقُلْتُ: أَحْكَامُكَ جَزْنَا لَهَا يَا مُخْرَجَ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ

فقلت: استبدت بنا الحيرة لأحكامك يا رب، يا من يخرج الحي من الميت

٢٤ الحكم للقوي

قال في الحرب بين تركيا واليونان سنة (١٨٩٧) ويخاطب السلطان عبد الحميد:

بِسَيْفِكَ يَمْلُو الْحَقُّ، وَالْحَقُّ أَغْلَبُ وَيُنْصَرُّ دِينُ اللَّهِ إِيَّانَ تَضْرِبُ

الحق يملو بسيفك، والحق ذو غلبة، ودين الله يُنصر إيان (أيضا) تضرب وتحارب

وَمَا السَّيْفُ إِلَّا آيَةُ الْمَلِكِ فِي الْوَرَى وَلَا الْأَمْرُ إِلَّا لِلَّذِي يَتَغَلَّبُ

وما السيف إلا آية (دليل) الملك عند الناس، وما الأمر (الحكم) إلا لمن يغلب في الحرب

سَهَرَتْ وَنَامَ الْمُسْلِمُونَ بِغَيْطَةٍ وَمَا يُزَعِّجُ النَّوَامُ وَالسَّاهِرُ الْأَبُ

سهرت ترعى شؤون المسلمين فناموا هائنين، ولا يتزعج النائمون أثناء نومهم إذا كان من يسهر عليهم هو أباهم

وَلَمْ يَتَكَلَّفْ قَوْمُكَ الْأَسَدُ أَهْبَةً وَلَكِنَّ خُلُقًا فِي السَّبَاعِ التَّأَهُبُ

لم يتكلف قومك الأسود الاستعداد تكلفاً، فالاستعداد خلق (طبع أصيل) في السباع

أَسَأْتُمْ، وَكَانَ السُّوءُ مِنْكُمْ إِلَيْكُمْ، إِلَى خَيْرٍ جَارٍ عِنْدَهُ الْخَيْرُ يُطَلَّبُ

أسأتم أيها اليونانيون، وارتد السوء إليكم؛ أسأتم إلى أفضل جار، جار يرتجى منه الخير

فَلَوْلَا سَيْوُفُ التُّرْكِ جَرَّبَ غَيْرُكُمْ وَلَكِنْ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَا يُجَرَّبُ

ولولا أن للترك قوة لجرب غيركم المصيان، ولكن هناك أشياء لا تجرب لخطورتها

لَقَدْ فَنَيْتَ أَرْزَاقَهُمْ وَرَجَالَهُمْ وَلَيْسَ بِفَانٍ طِيشُهُمْ وَالتَّقَلُّبُ

هؤلاء اليونانيون نفدت مؤنتهم وقتل رجالهم، ولكن طيشهم وتقلبهم لا ينفدان

فَإِنْ يَجِدُوا لِلنَّفْسِ بِالْعَوْدِ رَاحَةً فَقَدْ يَشْتَهِي الْمَوْتَ الْمَرِيضُ الْمَعْدَبُ

إذا وجدوا في العودة للعصيان راحة، فهم كالمرضى المتألم الذي يشتهي الموت

وَإِنْ هُمْ بِالْعَفْوِ الْكَرِيمِ رَجَاؤُهُمْ فَمِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ أَلَّا يُخَيَّبُوا

وأما إن هم بالعتف الكريم رجاءهم، فمن حسن الأخلاق ألا يُردَّ طلبهم

٢٥ أَكُفَّ تَسِيلَ بِالْخُصُورِ

قال شوقي يصف حفل رقص في قصر عابدين (١٨٩٧):

حَفَّ كَأَسْهَى الْحَبِّبِ فَهِيَ فِضَّةٌ ذَهَبُ

أحاط بكأس الخمر الحب (الفقايع)، فالفقايع مثل الفضة والخمر كالذهب

الْلُّيُوثُ مَائِلَةٌ وَالطُّبَاءُ تَنْسَرِبُ

الليوث (الأسود/الرجال) واقفون متأهبون، والطباء (الغزلان/النساء) تنسرب (تنساب) أثناء الرقص

فَالْقُدُودُ بَأَنَّ رُبَى بَيْدَ أَنَّهَا تَثْبُ

وقدودهن مثل أغصان البان، بيد أنها (غير أنها) تقفز في الرقص

وَالْخُصُورُ وَاهِيَةٌ بِالْبَنَانِ تَنْجَذِبُ

وخصورهن واهية (نحيلة ضعيفة)، ويجذبها الرجال بالبنان (أطراف الأصابع)

سَالَتِ الْأَكُفُّ بِهَا فَهِيَ أَغْصُنُ نُهْبُ

أكف الرجال سالت بالخصور، فهي غصون مليئة بالثمر وهي منهوبة على أيدي الرجال

وَالْمُدَامُ أَكْوُسُهَا مَا تَغِيضُ وَالْعُلْبُ

لا كؤوس الخمر تغيض (تنضب)، ولا العلب (الأوعية الأكبر/والعلبة هي الوعاء الذي يحلبون فيه الناقة، ولم تكن البيرة في زمن شوقي تُعَبَّأُ في العلب)

وَهِيَ بَيْنَنَا سَلْبٌ وَالنُّهَى لَهَا سَلْبُ

والخمر بين الحاضرين سَلْب (غنيمة)، والنهى (العقول) غنيمة للخمر تأخذها وتذهب بها

لَيْلَةٌ عَالَتْ وَغَلَّتْ لَيْتَ فَجَرَهَا كَذِبُ

ليلة عالية القدر وغالية علينا، ليت الفجر الذي جاء بعدها كان فجراً كاذباً (الفجر الكاذب يسبق الفجر الحقيقي بمدة)

٢٥ لَا أَحَدَ بَعْدَكَ

قال شوقي يرثي سليمان أباظة الذي كان وزير المعارف عقب الثورة العربية (١٨٩٧):

مَنْ ظَنَّ بَعْدَكَ أَنْ يَقُولَ رِثَاءَ فَلْيَرِثْ مِنْ هَذَا الْوَرَى مَنْ شَاءَ

من أراد بعدك رثاء أحد فليرث من الورى (الناس) من يشاء فالناس متشابهون، وأنت فقط كنت المميز

فَجَعَ المَكَارِمَ فَاجِعٌ فِي رَبِّهَا والمَجْدَ فِي بَانِيهِ والعُلِيَاءَ
فجع الموتُ المَكَارِمَ وكانت الفَجِيعَةُ فِي ربِّ المَكَارِمِ (صاحبها/ أي المرنئي)، وفجع الموتُ المَجْدَ
بأخذه باني المَجْدِ، وفجع العُلِيَاءَ أيضاً

٢٧ أمينة في مصيدة البصر

قال شوقي في ابنته عندما بلغت سنة من عمرها (١٨٩٨):

أَمِينَتِي فِي عَامِهَا الـ أَوَّلِ مِثْلِ الْمَلِكِ
ابنتي أمينة في عامها الأول مثل الملك

صَالِحَةٌ لِلْحُبِّ مِنْ كُلِّ وَلِلتَّبَرُّكِ
جديرة بالحب من الجميع، ويتبركون بها

فَإِنْ مَشَتْ فَخَاطِرِي يَسْبِقُهَا كَالْمُؤَمِّسِكِ
إن مشت ففكري يسبقها حتى ليكاد يسبها خوفاً عليها وشغفاً بها

أَلَحَظْتُهَا كَأَنَّهَا مِنْ بَصْرِي فِي شَرَكِ
ألحظها (أتابعها بصري) كأن بصري لها المصيدة فلا تفلت منه

إِنَّ اللَّيَالِي، وَهِيَ لَا تَنْفُكُ حَرْبَ أَهْلِكَ
إن الليالي (مشكلات الدنيا) وهي لا تنفك حرباً (معادية) لأهلك..

لَوْ أَنْصَفْتُكَ طِفْلَةً لَكُنْتَ بِنْتُ الْمَلِكِ
لو أن هذه المشكلات كانت منصفة، يا طفلة، لكنت بنت الملك

٢٨ أنانية الطفل

قال شوقي في ابنته أمينة وكلبها:

يَا حَبْذا أَمِينَةً وَكَلْبُهَا تَحِبُّهُ جِداً كَمَا يَحِبُّهَا
يا حبذا (ما أبدع!) أمينة وكلبها! وهي تحبه وهو يحبها

جَاءَتْ بِهِ إِلَيَّ ذَاتَ مَرَّةٍ تَحْمِلُهُ، وَهِيَ بِهٍ كَالْبَرَّةِ
أحضرتُه إليّ مرة تحمله وهي كأنها برّة (بارّة) به

فَقُلْتُ: أَهْلًا بِالْعُرُوسِ وَابْنِهَا مَاذَا يَكُونُ يَا تُرَى مِنْ شَأْنِهَا
فقلت: أهلاً بالعروس وابنها، فماذا شأنك؟

قالت: غلامي يا أبي جوعانٌ وما له كما لنا لسانٌ

قالت: غلامي جوعان، وليس له لسان ناطق مثلنا ليطلب الطعام

فَمُرْهُمْ يَأْتُوا بِخَبِيزٍ وَلَبَنٌ وَيُحْضِرُوا آنِيَةً ذَاتَ ثَمَنٍ

فلتأمرهم حتى يحضروا له الخبز واللبن الحليب في وعاء ثمين

فَقِمْتُ كَالْعَادَةِ بِالْمَطْلُوبِ وَجِئْتُهَا أَنْظَرُ مِنْ قَرِيبٍ

فقمتم بما طلبت كالعادة، ووقفت أنظر إليها من كثب

فَعَجَنْتُ فِي اللَّبَنِ اللَّبَابَا كَمَا تَرَانَا نَطْعِمُ الْكِلَابَا

فعمجت لب الخبز في اللبن الحليب، كما كانت ترانا نطعم الكلاب

ثُمَّ أَرَادَتْ أَنْ تَذُوقَ قَبْلَهُ فَاسْتَطَعَمَتْ بِنْتُ الْكِرَامِ أَكْلَهُ

وأرادت أن تذوق قبله، فاستطعمت (ذاقت) أكله

هَنَّاكَ أَلْقَتْ بِالصَّغِيرِ لِلرَّوَا وَانْدَفَعَتْ تَبْكِي بَكَاءَ مُفْتَرَى

عندئذ رمت الكلب الصغير خلفها، وأخذت تبكي بكاء مفترى (كاذباً)

تَقُولُ: بَابَا أَنَا دَحَّا وَهُوَ كُخَّ مَعْنَاهُ بَابَا لِي وَحْدِي مَا طُبِخَ

وتقول: أنا دحَّا وهو كخ، ومعزى كلامها هو أن هذا الذي «طبخته» لها وحدها

فَقُلْ لِمَنْ يَجْهَلُ خَطَبَ الْآنِيَةِ قَدْ فُطِرَ الطِّفْلُ عَلَى الْإِنَانِيَةِ

المعنى الملموح: نعم، «كل إناء بما فيه ينضح» والإناء في هذا القول القديم هو نفوس البشر.

فقل لمن يجهل خطب (موضوع) الآنية (النفوس)، إن الطفل أناني بفطرته

٢٩ بتي الغالية

قال شوقي وقد أتمت ابنته أمينة السنة الثانية:

أَمِينَةُ يَا بِنْتِي الْغَالِيَةِ أَهْنِيكَ بِالسَّنَةِ الثَّانِيَةِ

وَأَسْأَلُ أَنْ تَسْلِمِي لِي السَّنِينَ وَأَنْ تُرْزَقِي الْعَقْلَ وَالْعَافِيَةَ

أسأل الله أن تسلمي لي طول السنين، وأن ترزقي العقل الراجح والصحة

وَأَنْ تُقَسِّمِي لِأَبَرِّ الرِّجَالِ وَأَنْ تَلِدِي الْأَنْفُسَ الْغَالِيَةَ

وأن تقسمي (تكونيني في قسمة ونصيب) لأبَرِّ رجل (رجل كثير البرِّ والفضل)، وأن تنجي أبناء

نفوسهم متطلعة للأعلى

ولكن، سألتك بالوالدين وناشدتك اللعَب الغالية
ولكن، أسألك بالوالدين، وأحلفك بلبعك الغالية عليك (وعلينا أيضاً؟)

أُنذرينَ ما مرَّ منَ حادثٍ وما كانَ في السَّنةِ الماضيةِ
أتعرفينَ ما مرَّ منَ أحداثٍ، وما وقعَ في السَّنةِ الماضيةِ؟

وَكَمْ بُلِّتِ فِي حُلَلٍ مِنْ حَرِيرٍ وَكَمْ قَدْ كَسَرْتَ مِنْ الْآنِيَةِ
وكم قد بُلِّتِ فِي حُلَلٍ (أثواب) مِنْ حَرِيرٍ، وَكَمْ كَسَرْتَ مِنْ الْآوَانِي؟

وَكَمْ سَهَرْتَ فِي رِضَاكِ الْجَفُونِ وَأَنْتِ عَلَى غَضَبٍ غَافِيَةٍ
وكم سهرتُ جفوننا لترضيكِ، وَأَنْتِ تَتَامِنُ غَاضِبَةً؟

وَكَمْ قَدْ خَلَّتْ مِنْ أَبْيَكِ الْجِيُوبُ وَلَيْسَتْ جِيُوبُكِ بِالْخَالِيَةِ
وكم مرةً خَلا جِيبُ أَبْيَكِ مِنَ الْمَالِ، وَجِيُوبُكِ مَلَأَى (بالحلوى)؟

وَكَمْ قَدْ شَكَا الْمُرُّ مِنْ عَيْشِهِ وَأَنْتِ وَحَلَوَاكِ فِي نَاحِيَةٍ
وكم شكا أبوك عيشته المرَّ، وَأَنْتِ مُتَبَذَّةٌ مَكَاناً قَصِياً وَلَا هُمْ لَكَ إِلَّا الْحَلْوَى؟

وَكَمْ قَدْ مَرَضْتَ فَأَسْقَمْتِهِ وَقَمْتَ فَكُنْتَ لَهُ شَافِيَةٍ
وكم قد مرضتَ فمرضَ أبوك لمرضك، وَقَمْتَ مِنَ الْمَرَضِ فَشَفَيْتَهُ بِقِيَامِكَ؟

وَيَضْحَكُ إِنْ جِئْتَهُ تَضْحَكِينَ وَيَبْكِي إِذَا جِئْتَهُ بَاكِئَةً
ويضحكُ إِنْ ضَحَكَتِ، وَيَبْكِي إِنْ بَكَتِ

وَمِنْ عَجَبِ مَرَّتِ الْحَادِثَاتُ وَأَنْتِ لِأَحْدَاثِهَا نَاسِيَةٌ
كلُّ هَذَا مَرَّ، وَأَنْتِ نَاسِيَةٌ كُلِّ شَيْءٍ

فَلَوْ حَسَدْتَ مَهْجَةً وَلُدَّهَا حَسَدْتُكَ مِنْ طِفْلَةٍ لَاهِيَةٍ
لو كَانَ يُمْكِنُ أَنْ تَحْسَدَ الْمَهْجَةَ (الْقَلْبَ) وَلُدَّهَا، لَحَسَدْتُكَ أَيُّهَا الطِّفْلَةُ الَّتِي تَلْهُو دَائِماً

٣٠ وقد جنيت على علي

قال شوقي في مولد ابنة علي، حوالي سنة (١٨٩٨):

صار شوقي أباً علي فِي الزَّمانِ التَّوَلَّى
صار شوقي «أبا علي» فِي هَذَا الزَّمانِ التَّوَلَّى (المتقلب/ كلمة تركية الأصل)

وَجَنَاهَا جَنَائِيَّةٌ لَيْسَ فِيهَا بِأَوَّلٍ
وَجَنَى شَوْقِي جَنَائِيَّةٌ عَلَى وَلَدِهِ بِأَن أَتَى بِهِ لِلدُّنْيَا، وَهُوَ لَيْسَ أَوَّلُ جَانٍ، فَأَبُو شَوْقِي جَنَى عَلَى شَوْقِي

٣١ العبقريّة لا تورث

قال شوقي في مولد ابنه علي، حوالي سنة (١٨٩٨):

رَزَقْتُ صَاحِبَ عَهْدِي وَتَمَّ لِي النِّسْلُ بَعْدِي
رَزَقْتَ وَلِيَّ عَهْدِي، وَضَمَنْتَ أَنَّ يَتِمَّ نَسْلِي

هُمْ يَحْسُدُونِي عَلَيْهِ وَيَغْبِطُونِي بِسَعْدِي
يَحْسُدُونِي عَلَيْهِ، وَيَغْبِطُونِي (يَتَمَنُّونَ لَأَنْفُسِهِمْ مِثْلِي بِلَا حَسَدٍ) بِسَعْدِي (حَظِّي)

وَلَا أَرَانِي وَنَجْلِي سَنَلْتَقِي عِنْدَ مَجْدٍ
وَلَا أَرَى أَنَّ ابْنِي سَيَسَاوِينِي فِي الْمَجْدِ وَالْمَكَانَةِ

وَسَوْفَ يَعْلَمُ بَيْتِي أَنِّي أَنَا النِّسْلُ وَحْدِي
سَوْفَ يَعْلَمُ أَهْلُ بَيْتِي أَنَّ النِّسْلَ الْحَقِيقِي الَّذِي سَيَخْلُدُ هُوَ أَنَا فَقَطْ

فِيَا عَلِيَّ لَا تَلُمْنِي فَمَا احْتِقَارُكَ قُضِي
فَلَا تَلْمَنِي عَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَا عَلِيَّ، فَلَسْتُ أَقْصِدُ احْتِقَارَكَ (تَصْغِيرَ شَأْنِكَ)

وَأَنْتَ مَنِّي كَرُوحِي وَأَنْتَ مَنْ أَنْتَ عِنْدِي
فَأَنْتَ بِالنِّسْبَةِ لِي مِثْلُ رُوحِي، وَأَنْتَ هُوَ أَنْتَ عِنْدِي وَكَفَى

فَلِإِنْ أَسَاءَكَ قَوْلِي كَذَّبَ أَبَاكَ بِوَعْدِي
فَإِنْ سَاءَكَ قَوْلِي، فَتَفْضَلْ كَذِّبْنِي بِوَعْدِ بَأَن تَكُونَ نَابِغاً

٣٢ ظالم

قال شوقي (١٨٩٨):

عَلِّمُوهُ كَيْفَ يَجْفُو فَجْفاً ظَالِمٌ لَا قِيْتُ مِنْهُ مَا كَفَى
عَلِّمُوهُ كَيْفَ يَجْفُو (يَهْجُر) فَجْفاً، هَذَا الظَّالِمُ لَا قِيْتُ مِنْهُ مَا يَكْفِي

مَسْرَفٌ فِي هَجْرِهِ، مَا يَنْتَهِي أَتُرَاهُمْ عَلِّمُوهُ السَّرْفَا
يَبَالِغُ فِي الْهَجْرِ، وَلَا يَنْتَهِي (لَا يَكْفُ)، فَهَلْ تُرَاهُمْ عَلِّمُوهُ أَيْضاً السَّرْفَ (الْإِسْرَافَ)

٣٣ رثاء الجدة

قال شوقي يرثي جدته لأمه واسمها تمزار، وهي من معتوقات إبراهيم باشا وأصلها من بلاد المورة «اليونان»، جلبت منها أسيرة حرب، قالها عام (١٨٩٨):

خُلِقْنَا لِلْحَيَاةِ وَلِلْمَمَاتِ وَمِنْ هَذَيْنِ كُلِّ الْحَادَثَاتِ
خَلَقْنَا لِنَحْيَا ثُمَّ لِنَمُوتَ، وَمِنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ تَشْكَلُ كُلُّ أَحْدَاثِ الدُّنْيَا

صَلَاةُ اللَّهِ يَا تَمَزَارُ تُجْزِي ثَرَاكَ عَنِ التَّلَاوَةِ وَالصَّلَاةِ
صَلَاةُ اللَّهِ (ثناؤه) يَا جَدَّتِي تَمَزَارُ تُجْزِي (تُغْنِي) تَرَبَّتْكَ عَنِ التَّلَاوَةِ وَالصَّلَاةِ

تَبَنَّاكَ الْمَلُوكُ، وَكَنتِ مِنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْبَنَيْنِ أَوْ الْبَنَاتِ
تَبَنَّاكَ الْمَلُوكُ، وَكَنتِ مِنْهُمْ (أَيَّ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ) بِمَنْزِلَةِ ابْنِ أَوْ بِنْتِ حَقِيقَتَيْنِ

وَمَا مَلَكُوكُ فِي سَوْقٍ، وَلَكِنْ لَدَى ظِلِّ الْقَنَا وَالْمُرْهَفَاتِ
وَلَمْ يَشْرُوكُ فِي سَوْقِ الْعَبِيدِ، وَلَكِنْهُمْ أَخَذُوكَ سَبِيَّةً تَحْتَ ظِلِّ الْقَنَا (الرَّمَاحِ) وَالْمُرْهَفَاتِ (السُّيُوفِ)

عَنَنْتِ لَهُمْ بِمُورَةٍ بَنَتْ عَشْرَ وَسَيْفُ الْمَوْتِ فِي هَامِ الْكُمَاةِ
عَنَنْتِ (بَرَزَتْ) لَهُمْ فِي الْمُورَةِ (بِلَادِ الْيُونَانِ) وَعَمَرَكِ عَشْرَ سَنِينَ، وَكَانَ الْمَوْتُ وَقْتُهَا يَنْزِلُ فِي هَامِ (رُؤُوسِ) الْكُمَاةِ (الْمُسْلِحِينَ)

تَبِعْتَ مُحَمَّدًا مِنْ بَعْدِ عِيسَى لِخَيْرِكَ فِي سِنِيكِ الْأَوَّلِيَّاتِ
أَسْلَمْتَ بَعْدَ أَنْ كُنْتَ مِنْ أَتْبَاعِ عِيسَى، وَهَذَا كَانَ خَيْرًا جَاءَكَ فِي سَنَوَاتِ عَمَرِكَ الْأَوَّلَى

وَلَوْ لَمْ تَظْهَرِي فِي الْعُرْبِ إِلَّا بِأَحْمَدَ كُنْتَ فَخْرَ الْوَالِدَاتِ
وَلَوْ لَمْ تَظْهَرِي (يَبْرُزُ اسْمُكَ) عِنْدَ الْعَرَبِ إِلَّا بِأَحْمَدَ (أَيَّ هُوَ/حَفِيدُهَا أَحْمَدُ شَوْقِي) لَكُنْتَ فَخْرَ الْوَالِدَاتِ (فُضْلَاهُنَّ)

وَأَنْظُرِي فِي تَرَابِكِ ثُمَّ أَغْضِي كَمَا يُغْضِي الْأَبْيُّ عَلَى الْقَدَاةِ
أَنْظُرِي إِلَى قَبْرِكَ ثُمَّ أَغْضِي (أَخْفِضُ بَصْرِي)، مِثْلَمَا يَخْفِضُ الْأَبْيُّ (الْعَزِيزُ النَّفْسُ) بَصْرَهُ عَلَى الْقَدَاةِ (الْوَسْخِ فِي الْعَيْنِ/وَالْبَقْصُودِ الْإِهَانَةِ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُ رَدُّهَا)

وَأَذْكُرُ مِنْ حَيَاتِكَ مَا تَقْضَى فَكَانَ مِنَ الْعَدَاةِ إِلَى الْعَدَاةِ

عندما أتذكر ماضي حياتك الذي انقضى أراه كأنما كان من الغداة (الصباح) إلى الصباح التالي، فعمر المرء يمر بلمحة بصر. تعليق عمران القفيني: «شوقي هنا المتنبي لا راح ولا جاء»، يشير إلى قصيدة المتنبي في رثاء جدته. . . وعندما رثي شوقي أمه اتخذ قافية المتنبي وبحره، وفي قصيدته «ضخما» أيضاً لكن الضخم عند شوقي كان موكباً لا شخصاً. . . انظر القطعة ١٧٢

٣٤ السلام وفطرة السباع

قال شوقي في ديسمبر (١٨٩٩):

صِغَارٌ بِحُلُوانَ تَسْتَبِشِرُ ورؤيتها الفرخ الأكبر
الصغار في «حُلُوان» الضاحية التي كان شوقي يسكن بها آنذاك) مستبشرون (فرحون) بقدوم العيد،
والفرخ الأكبر هو رؤيتنا لهم

تَهْزُ اللِّوَاءَ بِعِيدِ الْمَسِيحِ وَتُخِيهِ مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُ
يلوّحون بأعلام صغيرة في عيد السيد المسيح، ويحيون العيد غير عارفين بمغزاه

وَمِنْ عَجَبٍ مِنْهُمْ الْمَسْلُومُونَ، أَوِ الْمَسْلُومُونَ هُمْ الْأَكْثَرُ
والعجيب أن منهم مسلمين، بل أكثرهم مسلمون

فَلِاسْفَةً كُلُّهُمْ فِي اتِّفَاقٍ كَمَا اتَّفَقَ الْأَلُّ وَالْمَعْشَرُ
هؤلاء الأطفال فلاسفة في التسامح، ومتفقون على هذا العيد كاتفاق أهاليهم

دِسْمَبْرُ شَعْبَانٍ عِنْدَ الْجَمِيعِ وَشَعْبَانٌ لِلْكَلِّ دِسْمَبْرُ
فشهر ديسمبر (وفيه عيد الميلاد عند الغربيين، أما الأقباط فيحتفلون به في أوائل يناير، ولعل
شوقي يصف هنا احتفال أجانب مصر بعيد الميلاد) هو بالنسبة للجميع كشعبان (الذي يحتفل
المسلمون في منتصفه)، والعكس بالعكس

فِيَا لَيْتَ شِعْرِي! أَضَلَّ الصِّغَارُ أَمِ الْعَقْلُ مَا عَنْهُمْ يُؤَثِّرُ
فهل يا ترى أخطأ الصغار، أم ما يؤثر (يؤخذ) عنهم هو العقل بعينه؟

سَوَّالٌ أَقْدَمُهُ لِلْكَبَارِ لَعَلَّ الْكِبَارَ بِهِ أَخْبَرَ
ولي طفلة جازت السنّتين كـبعض الملائك أو أظهر
ولي طفلة جازت (تخطت) السنتين، وهي كملاك من الملائكة أو أظهر من ملاك

بِعَيْنَيْنِ فِي مِثْلِ لَوْنِ السَّمَاءِ وَسَيْنَيْنِ يَا حَبَّذَا الْجَوْهَرِ
عيناها زرقاوان، ولها سنان كجوهرتين

أَتَنَنِي تُسَائِلُنِي لُغْبَةً لَتَكْسِرَهَا ضَمَنَ مَا تَكْسِرُ
جاءت تطلب مني لعبة، لتكسرها ضمن ما تكسر من أشياء

فَقُلْتُ لَهَا: أَيُّهَذَا الْمَلَاكُ تُحِبُّ السَّلَامَ، وَلَا أُنَكِّرُ
فقلت لها: يا أيها الملاك، أنت تحب السلام، ولا أنكر عليك ذلك

وَلَكِنْ قَبْلَكَ خَابَ الْمَسِيحُ وِبَاءَ بِمَنْشُورِهِ الْقَيْصَرُ

ولكن المسيح من قبلك خاب مسعاه السلمي، والقيصر باء (خاب) بمنشوره الداعي لتوحيد المسيحيين. (أصدر القيصر قسطنطين الأول عقب عقده المجمع المسكوني الأول عام ٣٢٥م، منشوراً بتوحيد عيد الفصح بين المسيحيين في الإسكندرية وروما والقدس وغيرها من أعمال روما. وقد التزم الشرقيون بهذا، ولكن الغربيين نقضوه بعد مئات السنين في عهد البابا غريغوري)

فَلَا تَرْجُ سِلْمًا مِنَ الْعَالَمِينَ فَإِنَّ السَّبَاعَ كَمَا تُفْطَرُ

فلا ترج (تأمل) سلماً من الناس، فالسباع تبقى كما تُفطر (تخلق)

وَمَنْ يَعْدَمُ الظُّفْرَ بَيْنَ الذَّنَابِ فَإِنَّ الذَّنَابَ بِهِ نَظْفَرُ

ومن يعدم (يفقد) الظفر (يقصد التوحش) بين البشر، الذين هم كالذئاب، ظفرت به الذئاب

٣٥ ثَارَ الْقُدْسِ

قال شوقي في «آيا صوفيا» الكنيسة التي شيدت عام ٥٣٢م، وَحَوَّلَتْ إِلَى مَسْجِدٍ عام ١٤٥٣م، ثُمَّ حَوَّلَتْ إِلَى مَتَحَفٍ عام ١٩٣٥م، بعد وفاة شوقي بثلاث سنوات، ولا تزال متحفاً. قال القصيدة سنة (١٨٩٩):

كَنِيسَةٌ صَارَتْ إِلَى مَسْجِدٍ هَدِيَّةُ السَّيِّدِ لِلْسَّيِّدِ

كنيسة تحولت إلى مسجد، فهي هدية السيد المسيح لسيد الإسلام محمد

كَانَتْ بِهَا الْعِذْرَاءُ مِنْ فِضَّةٍ وَكَانَ رُوحُ اللَّهِ مِنْ عَسْجَدٍ

كان بها تمثال للعدراء من الفضة، وكان تمثال روح الله (المسيح) من عسجد (ذهب)

جَلَّاهُمَا فِيهَا وَحَلَّاهُمَا مُصَوِّرُ الرُّومِ الْقَدِيرُ الْيَدِ

جلاهما (أبرزهما) في الكنيسة، وحلاهما (زينهما بالخلي) مصور (نحات) الروم ذو اليد الماهرة

فَقُلْ لِمَنْ شَادَ فَهَذَا الْقَوَى قَوَى الْأَجِيرِ الْمُتَعَبِ الْمُجْهَدِ ..

فقل لمن بنى هذا البناء المهيب وهد قوى العمال المتعبين ..

كَأَنَّهُ فِرْعَوْنٌ لِمَا بَنَى لِرَبِّهِ بَيْتًا فَلَمْ يَقْصِدِ ..

إنه مثل فرعون عندما بنى لربه بيتاً (الأهرام) فلم يقصد (لم يقصد، بل بالغ)

أُيْعِبِدُ اللَّهَ بِسَوْمِ الْوَرَى مَا لَا يُسَامُ الْعَيْرُ فِي الْمَقْوَدِ

قل له: هل يُعبدُ الله بسوم (بتكليف) الوري (الناس) ما لا يسام (يكلّف) العير (الحمار) وهو مقيد بمقوده

كنيسة كالفَدَنِ الْمُعْتَلِي وَمَسْجِدُ كَالْقَصْرِ مِنْ أَضْيَدِ
هذه كنيسة كأنها الفَدَن (القصر) العالي، وصارت مسجداً كانه قصر من الأَصْيَد (الحجر اللامع)
وَاللَّهُ عَنْ هَذَا وَذَا فِي غِنَى لَوْ يَعْقِلُ الْإِنْسَانُ أَوْ يَهْتَدِي
والله في غنى عن المعابد لو يعقل الإنسان ويهتدي للحق

قَدْ جَاءَهَا الْفَاتِحُ فِي عُضْبَةٍ مِنْ الْأَسْوَدِ الرُّكْعِ السُّجْدِ
محمد الفاتح جاء إلى الكنيسة ومعه عصبة (جماعة) من الأسود (الرجال الأشداء) الرُّكْعِ السُّجْدِ
فكَبَرُوا فِيهَا، وَصَلَّى الْعِدَى وَاخْتَلَطَ الْمَشْهُدُ بِالْمَشْهِدِ
فكبروا في الكنيسة، وصلى الأعداء أيضاً صلاتهم، فاختلط المشهدان

فَخَانَهَا مِنْ قِيَصِرٍ سَعْدُهُ وَأُيِّدَتْ بِالْقَيْصَرِ الْأَسْعَدِ
وفيها خان قيصِرُ الروم البيزنطيين سَعْدُهُ (حظه)، ووجدت تأييداً من القيصِرِ الأسعد (ذي الحظ
الأوفر/محمد الفاتح)

وَنَابَ عَمَّا كَانَ مِنْ زُخْرَفٍ جَلَالَةُ الْمَعْبُودِ فِي الْمَعْبَدِ
وناب عما كان فيها من زخارف جلالة الله الذي يُعبد في هذا المعبد

فِيَا لَثَارٍ بَيْنَنَا بَعْدَهُ أَقَامَ لَمْ يَقْرُبْ وَلَمْ يَبْعُدْ
فيا له من ثار بيننا بعد هذا الفتح، وقد أقام (استمر) الثَّارُ، لم يقترب من التحقق ولم يبتعد بل ظل
في النفوس كامناً

بَاقٍ كَثَارُ الْقُدْسِ مِنْ قَبْلِهِ لَا نَنْتَهِي مِنْهُ وَلَا يَنْتَدِي
وهو باق كثار القدس قبله (التي احتلها الصليبيون ثم أخرجوا منها)، ولا تنتهي من أمر هذا الثَّارِ،
ولا هو يتدئ في التحول إلى حرب دموية
قال شوقي هذا قبل أن يجهز الأوروبيون على الدولة العثمانية، وكانوا في زمنه يقضون سيادتها
بشتى الوسائل ويحتلون بعض أطرافها كمصر

فَلَا يَغُرَّنْكَ سَكُونُ الْمَلَا فَالْشَّرُّ حَوْلَ الصَّارِمِ الْمُغْمَدِ
فلا تغترَّ بسكون الملأ (القوم)، فالشر يحوم حول الصارم (السيف) المغمد (الكامن في غمده)

لَنْ يَتْرَكَ الرُّومُ عِبَادَاتِهِمْ أَوْ يَنْزِلَ التَّرْكُ عَنِ السُّوْدَدِ
لن يترك الروم تعبدتهم في هذه التي كانت كنيسة إلا إن ينزل (يتنازل) الترك لهم عن
السيادة عليها. في القصيدة قراءة للتاريخ تشبه كثيراً ما نجده في هذا الزمن (٢٠٠٨م)
عند الإسلاميين من متشددين ومعتدلين، وعند كثيرين من بسطاء الناس. ولعل هذه
القراءة تحتوي على قدر من الصحة أكبر بكثير مما يظن المثقفون، ولا سيما أولئك

الذين صاغ الغرب ثقافتهم أو أثر في وجدانهم. قد قرأ ماركس التاريخ من جهة الاقتصاد، أما توينبي فنظر إليه من جهة الدين. ولا أشك أن هناك طريقة ثالثة أو رابعة تجمع العوامل في توليفة أقرب إلى الصحة. شوقي هنا شاعر الإسلام الذي يحس بالموجة الأوروبية المقبلة، ولكنه يفسرها من ثقب باب الدولة العثمانية دون التفات كبير للمصالح الاستعمارية

٣٦ المستحيل

قال شوقي (١٨٩٩):

لا والقوام الذي، والأعين اللاتي ما خنث ربّ القنا والمَشْرِفَيَاتِ
لا وحق القوام الذي - سباني -، والأعين اللاتي - ذبحني -، ما خنث صاحب القنا (الرماح)
والمشرفيات (السيف). واضح أن قوامها معتدل كالرمح، وعينها ذبّاحتان كالسيف
ولا أردتُ لِسهمِ اللحظِ في كِبدي رَدّاً، ولا رأيَ لي في المُستحيلاتِ
ولا أردت أن أردّ سهم لحظها (نظرتها) الذي وقع في كبدي، وليس لي حتى رأي (تفكير) في ذلك
فهو من المستحيلات

وأنتَ تَظَرَّبَ للواشي وتُظْمِعُهُ كالطفل ألقى بِسَمْعٍ للخرافاتِ
وأنت أيها المحبوب تطرب لكلام الواشي (ناقل الكلام)، وتُظْمِعُهُ (تشجعه)، كأنك الطفل الذي يلقي سمعه (يصدق) للخرافات

إن السهامَ إذا ما واصلتْ عَرَضاً كانت خواطِئُها مثلُ المُصِيباتِ
إن كلام الواشي كالسهام التي إن ظلت تُرمى نحو المرء تزعجه الخواطئ منها (التي تخطئ الهدف)
كما تزعجه المصيبات (التي تصيب الهدف)
هذا بيت يفهمه من تعرض لحملات تشنيع، ومن اشتغل مديراً

٣٧ زاحم

قال شوقي في دخول ابنه علي السنة الثانية (١٩٠٠):

هـذِهِ أَوَّلُ خُطْوَةٍ هـذِهِ أَوَّلُ كَسْبُوءَةٍ
هذه أول خطوة لك، وأول كبوة (سَفْطَة)

يا علي! إن أنْتَ أوفيتُ بَ عَلَى سِنِّ الفُتُوَةِ
يا علي! إن أوفيت (قاربت) على سن الفتوة، وصرت فتى يافعاً

دافعِ النَّاسَ وزاحِمِمْ وخذِ العَيشَ بِقُوَّةٍ
فزاحم الناس، وخذ حَقَّك ورزقك بقوة

لَا تَقُلْ: كَانَ أَبِي، إِيَّاهُ أَنْ تَحْذُو حَذْوَهُ

لا تقل: كان أبي يفعل كذا، إياك أن تحذو حذوي

أَنَا لَمْ أَغْنَمْ مِنَ النَّاسِ سِوَى فَنَجَانِ قَهْوَةٍ

فأنا لم أغنم من الناس شيئاً، ربما فنجان قهوة فقط

أَنَا لَمْ أُجْزَ عَنِ الْمَدْحِ مِنْ الْأَمْلاَكِ فَسُرُورَةٍ

ولم أُجْزَ (أكافأ) عن المدح من الأملاك (الملوك) فروة (كسوة فرو) وكانت الملوك تعطي الشعراء الملابس جوائز لهم

أَنَا لَمْ أُجْزَ عَنِ الْكُتُبِ مِنْ الْقُرَاءِ حُظْوَةٍ

ولم أجز (أكافأ) عن كتي بحظوة (مكانة) من القراء

ضَيَّعَ الْكُلَّ حَيَاتِي وَعَفَافِي وَالْمُرُورَةَ

كلهم ضيَّع لي حياتي وعفافي والمروءة (كرم النفس)

٣٨ أنا الغريق ..

قُلْ لِلزَّمَانِ يَصُبُّ مِنْ أَحْدَائِهِ أَوْ لَا يَصُبُّ فَمَا بِنَا إِشْفَاقُ

ليصبَّ الزمان أحداثه (مصائبه) إن شاء أو لا يصب فليس بنا إشفاق (خوف)

غَمَرْتُ مَصَائِبُهُ فَأَغْرَقْنَا بِهَا وَالْغَمْرُ فِيهِ نَسْتَوِي الْأَعْمَاقُ

غمرتنا مصائبه، وفي الغمر تستوي (تساوي) الأعماق، فإن غَمَرْنَا من الماء شبر أو متر فالحال واحدة

٣٩ طعين القدود

لَا تَأْخُذَنَّ مِنَ الْأُمُورِ بِظَاهِرٍ إِنَّ الظَّوَاهِرَ تَخْدَعُ الرَّائِيْنَ

لا تأخذ بظواهر الأمور، فهي تخدع الناظرين

فَلَكُمْ رَجَعْتُ مِنَ الْأَسِنَّةِ سَالِمًا وَصَدَرْتُ عَنْ هَيْفِ الْقُدُودِ طَعِينًا

فكثيراً ما عدت سالماً بعد مطاعنة بالأسنة (أطراف الرماح)، وصدرت (رجعت) بعد تعرضي للقدود الهيف (بوزن البيض/القدود الهيفاء الرشيقه) طعيناً (مطعوناً)

٤٠ الشكر

هل ترى أنْتَ، فلإنِّي لم أَجِدْ كجميلِ الصُّنْعِ بالشُّكرِ اقْتِرَانَا
هل ترى رأيي، فأنا لم أَجد كالاقتِرانِ بين المعروف والشكر عليه

وَإِذَا الدُّنْيَا خَلَّتْ مِنْ خَيْرٍ وَخَلَّتْ مِنْ شَاكِرٍ هَانَتْ هَوَانَا
فإذا خلت الدنيا من خيرٍ ومن يشكره هانت هواناً (أصبحت تافهة)

٤١ عشق العلياء

هِيَ الْجَزِيرَةُ فَاحْذَرُ فِتْنَةَ النَّظَرِ وَكَيْفَ، وَالْحُبُّ يَأْتِي غَيْرَ مُنْتَظَرٍ
إنها الجزيرة (الجزيرة وسط النيل في القاهرة) فاحذر أن يفتنك نظرك، وكيف لك أن تتجح في
حذرك والحب يأتي فجأة

أَرْضٌ تَرَى الْأَسَدَ تَرَعَى فِي مَلَاعِبِهَا فَكُلُّ مَا شِ عَلَيْهِمَا رَاكِبُ الْخَطَرِ
هذه أرض ترى الأسود ترعى في ملاعبها (رياضها)، فكل من يمشي فيها يركب الخطر

أَلَيْتُ لَا دَارَتْ الْأَشْوَاقُ فِي خَلْدِي وَلَا قَطَعْتُ اللَّيَالِي وَاصِلَ الْفِكْرِ
أليت (حلفت) ألا تدور الأشواق في خلدي (بالي)، وألا أمضي الليالي مفتكراً..

وَلَا أَجَابْتُ سِوَى دَاعِيِ التَّقَى مُقْلِي وَلَا وَقَفْتُ عَلَى غَيْرِ الْعُلَى سَهْرِي
وَألا تجيب مقلي (عيوني) سوى ما يدعوني إلى التقوى، وألا أقف (أكرس) سهري على غير العلى
(الطموحات الكبيرة) ..

وَلَا عَشَقْتُ سِوَى الْعَلِيَاءِ غَانِيَةً وَلَا كَلِفْتُ بَغِيرِ الْمَجْدِ وَالْخَطَرِ
وحلفت ألا أعشق غانية (حسنة) سوى العلياء (المجد)، وألا أكلفت (أهيم) إلا بالمجد والخطر ..

وَلَا اسْتَعْنْتُ عَلَى دَهْرِي سِوَى قَلَمِي وَلَا صَحَبْتُ سِوَى الصَّمْصَامَةِ الذَّكْرِ
وحلفت ألا أستعين على زمني بغير قلمي، وألا أصحب سوى الصمصامة (السيف) الذكور (ذي
الحديد الصلب)

٤٢ الفجر الضائع

قَلْبٌ يَذُوبُ وَمَذْمَعٌ يَجْرِي بِأَلِيلٍ هَلْ خَبِرَ عَنِ الْفَجْرِ
مثلاً يسأل المرء عن غائب طال أمد غيابه يسأل شوقي الليل: هل جاءك خبر عن الفجر؟

٤٣ العمر ليلة

يا ناعماً رَقَدَتْ جُفُونُهُ مُضْنَاكَ لَا تَهْدَا شُجُونُهُ
يا ناعماً (متنعماً في عيشته) رقد وأغمض جفونه، مضناك (عاشقك الذي أضنيته وأمرضته) لا تهدأ
شجونه (أحزانه)

حَمَلَ الْهَوَى لَكَ كُلَّهُ إِنْ لَمْ تُعِْنُهُ فَمَنْ يُعِينُهُ
عاشقك حمل وحده ثقل الهوى كله، فإن لم تعنه (تساعده) فمن يعينه؟

مَا الْعَمْرُ إِلَّا لَيْلَةٌ كَانَ الصَّبَاحُ لَهَا جَبِينُهُ
ما العمر إلا ليلة صباحها يطلع من جبين المحبوب

بَيْنَ الرَّقِيبِ وَبَيْنِنَا وَإِذْ تُبَاعِدُهُ حُزُونُهُ
بيننا وبين الرقيب (العذول) وإذ، ويُبعدُ الوادي عنا حزنونه (جباله)

نَغْتَابُهُ، وَنَقُولُ: لَا بَقِيَ الرَّقِيبُ، وَلَا عِيُونُهُ
نغتاب العذول، وندعو عليه: «عَدِمْنَاهُ وَعَدِمْنَا عِيُونَهُ». ومن حلاوات الغرام، لمن لم يجربه،
اغتيال العذول

٤٤ أحوال العشق

يُرومونَ سُلُوَاناً لِقَلْبِي يُرِيحُهُ وَمِنْ لِيِ السُّلُوَانِ أَشْرِيهِ غَالِبَا
يرومون (يريدون) سلواناً (نسياناً) يحل بقلبي ليرiche، ومن أين السلوان حتى اشتره ولو غالباً
وما العشقُ إِلَّا لَذَّةٌ ثُمَّ شِفْوَةٌ كَمَا شَقِيَ الْمَخْمُورُ بِالسُّكْرِ صَاحِبَا
وما العشق إلا لذة تليها شقوة (عذاب)، كالخمور (السكران) يلتذ بالشرب ثم يصحو من سكرته
فيشقى بالصداع

٤٥ الهمشري

يَحْكُونُ أَنَّ رَجُلًا كُرْدِيًّا كَانَ عَظِيمَ الْجِسْمِ هَمْشَرِيًّا
همشري: صائغ لامبال، واقع بين البوهيمية والفتك

وَكُلَّمَا مَرَّ هُنَاكَ أَوْ هُنَا يَصِيحُ بِالنَّاسِ: أَنَا أَنَا أَنَا
نَمَى حَدِيثُهُ إِلَى صَبِيٍّ صَغِيرِ جِسْمٍ بَطْلٍ قَوِيٍّ
نمى: بلغ

فَقَالَ لِلْقَوْمِ: سَأُدْرِيكُمْ بِهِ فَتَعْلَمُونَ صِدْقَهُ مِنْ كِذْبِهِ
سَأُدْرِيكُمْ بِهِ: سَأُرِيكُمْوهُ، سَأَعْرِفُكُمْ بِحَقِيقَتِهِ

وَمَدَّ نَحْوَهُ يَمِيناً قَاسِيَةً بِضَرْبَةٍ كَادَتْ تَكُونُ الْقَاضِيَةَ
فَلَمْ يُحَرِّكْ سَاكِناً وَلَا ارْتَبَكَ وَلَا انْتَهَى عَنْ زَعْمِهِ وَلَا تَرَكَ
وَقَفَ الِهْمَشْرِي وَمَا ارْتَبَكَ، وَلَكِنَّهُ ظَلَّ عَلَى زَعْمِهِ وَلَمْ يَتْرَكْهُ

بَلْ قَالَ لِلْغَالِبِ قَوْلًا لَيِّنًا: الْآنَ صَرْنَا اثْنَيْنِ أَنْتَ وَأَنَا
وَهَكَذَا الدَّهَاءُ، لَا يَخُوضُونَ مَعْرَكَةً فَاصِلَةً، مَعْرَكَةٌ إِمَّا قَاتِلًا وَإِمَّا مَقْتُولًا، بَلْ يَمَارِسُونَ الْخُصْمَ
مِرَاسًا، فَإِذَا أَخَذَ لِنَفْسِهِ حِيزًا أَعْطَوْهُ حِيزَهُ وَنَاصَفُوهُ وَتَعَايَشُوا مَعَهُ. قَدْ أَعْجَبَنِي الِهْمَشْرِي أَكْثَرَ مِمَّا
أَعْجَبَنِي الصَّبِي

٤٦ نديم الباذنجان

كَانَ لِسُلْطَانٍ نَدِيمٌ وَافٍ يُعِيدُ مَا قَالَ بِلاَ اخْتِلَافٍ
نَدِيمُ السُّلْطَانِ الْوَفِيُّ يَسِيرُ السُّلْطَانُ فِي كُلِّ مَا يَقُولُ

فَجَلَسَا يَوْمًا عَلَى الْخَوَانِ وَجِيءَ فِي الْأَكْلِ بِبَاذَنْجَانٍ
الْخَوَانُ: الْمَائِدَةُ

فَأَكَلَ السُّلْطَانُ مِنْهُ مَا أَكَلَ وَقَالَ هَذَا فِي الْمَذَاقِ كَالْعَسَلِ
قَالَ النَّدِيمُ: صَدَقَ السُّلْطَانُ لَا يَسْتَوِي شَهْدُ وَبَاذَنْجَانٍ
لَا مَقَارَنَةُ بَيْنَ الشَّهْدِ (العسل) وَالبَاذَنْجَانِ، فَالبَاذَنْجَانُ بِالطَّعْمِ أَطْيَبُ وَالذُّ، أَلَيْسَ هَكَذَا يُرِيدُ
السُّلْطَانُ؟

قَالَ: وَلَكِنْ عِنْدَهُ مَرَارَةٌ وَمَا حَمِدْتُ مَرَّةً آثَارَةَ
السُّلْطَانُ يَتَمَّ كَلَامُهُ: البَاذَنْجَانُ مَرٌّ. وَأَثَرُهُ فِي الْمَعْدَةِ سَيِّئٌ

قَالَ: نَعَمْ مُرٌّ، وَهَذَا عَيْبُهُ مُذْ كُنْتُ يَا مُوَلَايَ لَا أَحِبُّهُ
النَّدِيمُ مُوَافِقٌ. وَيُعْلَنُ أَنَّهُ لَمْ يَحِبَّ البَاذَنْجَانَ قَطْ

هَذَا الَّذِي مَاتَ بِهِ بُقْرَاطٌ وَسُمِّ فِي الْكَأْسِ بِهِ سُقْرَاطٌ
بَلْ يَزِيدُ النَّدِيمُ أَنَّ البَاذَنْجَانَ قَتَلَ بِقَرَاطٍ طَبِيبِ الْيُونَانِ، وَكَانَ هُوَ السَّمُ الَّذِي شَرِبَهُ سَقْرَاطُ

فَالْتَفَتَ السُّلْطَانُ فِيمَنْ حَوْلَهُ وَقَالَ: كَيْفَ تَجِدُونَ قَوْلَهُ
يَسْتَغْرِبُ السُّلْطَانُ مِنْ هَذَا التَّنَاقُضِ

قال النديمُ: يا مليكَ الناسِ عُدْراً فما في فِعْلي مِن باسٍ
جُعِلْتُ كَيَّ أُنَادِمُ السُّلْطَانَا ولم أُنَادِمُ قَطُّ بِإِذْنِجَانَا
أنا أنادِمك فأمدحك وأسأرك، ولم أكن نديماً للباذِجان فأمدحه

٤٧ ما دام في العالم أم تلد

كَانَ بِرَوْضٍ غُصْنٌ نَاعِمٌ يَقُولُ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُنْفَرِدُ
كان في البستان غصن ناعم يقول: سبحان الله الواحد المنفرد

فقامتِي في ظَرْفِهَا قامتِي ومِثْلُ حُسْنِي في الوري ما عَهْدُ
ويقول الغصن: أما قامتي فهي في ظرفها (جمالها) قامتي - وأنتم أعلم بما هي عليه من جمال -،
ومثل حسني (جمالي) ما عهد (وجد) في الدنيا

فأقبلتْ حُنْفُسَةً تَنشِي ونجلُها يمشي بجَنبِ الكَيْدِ
فجاءت خنفساء تشي جسمها (فهكذا مشيها، يتحدث ظهرها ثم ينبط) وابنها يمشي قريباً من كبدها
تقول: يا زينَ رياضِ البَها إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُهُ قَدْ وَجِدَ
وهي تقول للغصن المعجب بقامته: إن الحسن الشبيه بحسك، والذي تفتش عنه، موجود

فانظُرْ لِقَدْ ابْنِي وَلَا تَفْتَحِرْ ما دامَ في العالمِ أُمُّ تَلِدُ
فانظر لقد ابني - وقد ابنتها متحدث مثل قدها بالطبع -، ولا تفتخر علينا ما دام هناك في العالم أم
تلد، فكل أم ترى ابنتها في منتهى الجمال

٤٨ من رأيكم في الحمار

الَلَيْثُ مَلِكُ الْقِفَارِ وما تَضُمُّ الصَّحَّارِ
الليث: الأسد، القفار: البراري الجرداء

سَعَتْ إِلَيْهِ الرِّعَايَا يَوْمًا بِكُلِّ انْكَسَارِ
الرعايا: أفراد رعيته من مختلف الحيوانات

قالت: تعيشُ وتبقى يا دامِي الأظْفَارِ
ماتَ الوزيرُ فَمَنْ ذا يَسُوسُ أَمْرَ الصُّواري
يسوس: يدبر، الصواري: الحيوانات المفترسة

قال: الحمارُ وزيري قضى بهذا اختياري

فَاسْتَضَحَّكَتْ ثُمَّ قَالَتْ: ماذا رأى في الحمار؟
استضحكت: ضحكت، ثم قالت الرعايا لنفسها: ماذا رأى في الحمار من مزايأ حتى يجعله وزيراً؟

وخلَّفَتْهُ وَطَارَتْ بِمُضْجِحِكَ الْأَخْبَارِ
خلفته (تركته) وطارَتْ (انطلقت بسرعة) بالأخبار المضحكة

حَتَّى إِذَا الشَّهْرُ وَلَّى كَلِيلَةً أَوْ نَهَارِ
ومضى شهر بسرعة كأنه ليلة أو نهار

لَمْ يَشْعِرِ اللَّيْثُ إِلَّا وَمَلَّكُهُ فِي دِمَارِ
القرْدُ عِنْدَ الْيَمِينِ وَالْكَلْبُ عِنْدَ الْيَسَارِ
وَالْقِطُّ بَيْنَ يَدَيْهِ يَلْهُو بِعَظْمَةٍ فَارِ
فَقَالَ: مَنْ فِي جُدُودِي مِثْلِي عَدِيمُ الْوَقَارِ
أَيَّنَ اقْتِدَارِي وَيَطْشِي وَهَيْبَتِي وَاعْتِبَارِي
فَجَاءَهُ الْقَرْدُ سِرّاً وَقَالَ بَعْدَ اعْتِذَارِ
يَا عَالِي الْجَاؤِ فَبَيْنَا كُنْ عَالِي الْأَنْظَارِ
يا صاحب الجاه (المكانة) بين الحيوانات، كن صاحب نظر وتدبر

رَأَى الرَّعِيَّةَ فِيكُمْ مِنْ رَأْيِكُمْ فِي الْحِمَارِ
رأى الرعية فيكم مشتق من رأيكم في الحمار

٤٩ فوق التفاصيل

كَانَ لِلْغُرَبَانِ فِي الْعَصْرِ مَلِيكَ وَلَهُ فِي النَّخْلَةِ الْكُبْرَى أَرِيكَ
ملك: ملك، أريك: سرير، أريكة

فِيهِ كُرْسِيٌّ وَخِذْرٌ وَمُهَوِّدٌ لَصِغَارِ الْمَلِكِ أَصْحَابِ الْعُهْدِ
فيه كرسي (عرش) وخذر (ستر تقيع وراءه النساء) ومهويد للصغار أولياء العهد

جَاءَهُ يَوْمًا «نُدُورٌ» السَّخَادِمُ وَهُوَ فِي الْبَابِ الْأَمِينُ الْحَازِمُ
ندور: اسم الغراب الخادم الواقف بباب ملك الغرابان

قَالَ يَا قَرَعَ الْمَلُوكِ الصَّالِحِينَ أَنْتَ مَا زِلْتَ تَحِبُّ النَّاصِحِينَ
قال للملك: يا سليل الملوك الصالحين، أنت دوماً كنت تحب الناصحين

سُوسَةً كَانَتْ عَلَى الْقَصْرِ تَدُورُ جَازَتْ الْقَصْرَ وَدَبَّتْ فِي الْجُدُورِ

وهناك سوسة (حشرة قارضة) كانت تدور قرب قصركم ثم دبت في الجذور تقرضها

فَابْعَثِ الْغُرَبَانَ فِي إِهْلَاكِهَا قَبْلَ أَنْ نَهْلِكَ فِي أَشْرَاكِهَا

فابعث الغربان لقتلها قبل أن توقعنا في أشراكها (مصايدها) ونهلك

ضَحَكَ السُّلْطَانُ مِنْ هَذَا الْمَقَالَ ثُمَّ أَذْنَى خَادِمَ الْخَيْرِ وَقَالَ

المقال: القول، أذننى: قرَّب

أَنَا رَبُّ الشَّوْكَةِ الضَّافِي الْجَنَاحِ أَنَا ذُو الْمِنْقَارِ، غَلَّابُ الرِّيحِ

أنا ربُّ (صاحب) الشوكة (القوة) الضافي (الواسع) الجناح، أنا ذو المنقار، وأنا الذي يغلب الرياح

أَنَا لَا أَنْظُرُ فِي هَذِي الْأُمُورِ أَنَا لَا أَبْصُرُ تَحْتِي يَا نُدُورُ

أنا أعالج الأمور الخطيرة فقط

ثُمَّ لَمَّا كَانَ عَامٌ بَعْدَ عَامٍ قَامَ بَيْنَ الرِّيحِ وَالنَّخْلِ خِصَامٌ

اشتدت الرياح وأخذت تهز النخل

وَإِذَا النَّخْلَةُ أَقْوَى جِذْعُهَا فَبَدَأَ لِلرِّيحِ سَهْلًا قَلْعُهَا

أقوى: صار فارغاً منخوراً

فَهَوَّتْ لِلْأَرْضِ كَالْتِّلِ الْكَبِيرِ وَهَوَى الدِّيَّوَانُ وَانْقَضَّ السَّرِيرُ

فسقطت النخلة أرضاً كأنها «التل الكبير» (كسقوط جيش عرابي السريع أمام الإنجليز في معركة التل الكبير، ولا أرى شوقي يعني شيئاً آخر، وهو الذي أسرف في تبكيت عرابي على هذه الهزيمة)،

وهوى ديوان الملك وانقضَّ (سقط) السرير (سرير الملك: العرش)

فَدَهَا السُّلْطَانُ ذَا الْخَطْبِ الْمَهُولِ وَدَعَا خَادِمَهُ الْغَالِي يَقُولُ

فدها (فاعترى) السلطان ذا (هذا) الخطب (الشان) المهول، ونادى خادمه يقول له: ..

يَا نُدُورَ الْخَيْرِ أَسْعِفْ بِالصَّبَاحِ مَا تُرَى فَعَلْتُ فِينَا الرِّيحَ!

أسعف: ساعد

قَالَ: يَا مَوْلَايَ لَا تَسْأَلُ نُدُورُ أَنَا لَا أَنْظُرُ فِي هَذِي الْأُمُورِ

فالأمر الآن خطير و«ندور» لا ينظر في هذه الكارثة الخطيرة بل ينظر في التفاصيل

٥٠ دودتان

لِدُودَةِ الْقَرِّ عِنْدِي وَدُودَةُ الْأَضْواءِ

دودة القز: دودة الحرير، دودة الأضواء: الدودة المضئية

حكايةً تَشْتَهِيهَا مَسَامِيعُ الْأَذْكيَاءِ

لَمَّا رَأَتْ تِلْكَ هَذي تُنْصِرُ فِي الظُّلْمَاءِ

سَعَتْ إِلَيْهَا وَقَالَتْ: تَعْيِشُ ذَاتُ الضُّيَاءِ

أَنَا الْمُؤَمِّلُ نَفْعِي أَنَا الشَّهِيرُ وَفَائِي

حَلَا لِي النِّفْعُ حَتَّى رَضِيتُ فِيهِ فَنَائِي

فدودة القز تموت أثناء عملية استخراج الحرير، فعندما تنسج حول جسمها شرنقة من الخيوط الحريرية يضعونها في الماء المغلي لتموت ول يأخذوا الشرنقة الحريرية

وَقَدْ أَتَيْتُ لِأَحْظَى بِوَجْهِكَ الْوَضَاءِ

فَهَلْ لِنُورِ الثَّرَى فِي مَوَدَّتِي وَإِخْصَائِي

فهل لك يا نور الأرض أن تقبلي مودتي وإخائي (صداقتي)

قَالَتْ: عَرَضْتِ عَلَيْنَا وَجْهًا بِغَيْرِ حَيَاءِ

مَنْ أَنْتِ حَتَّى تُدَانِي ذَاتَ السَّنَا وَالسَّنَاءِ

السنا: الضوء، السناء: الرفعة

فَامْضِي، فَلَا وَدَّ عِنْدِي إِذْ لَسْتَ مِنْ أَكْفَائِي

وَعِنْدَ ذَلِكَ مَرَّتْ حَسَنَاءُ مَعَ حَسَنَاءِ

تَقُولُ: اللَّهُ ثَوْبِي فِي حُسْنِهِ وَالْبَهَاءِ

كَمْ عِنْدَنَا مِنْ أَيَادٍ لِسِلْدُودَةِ الْغَفَرَاءِ

هناك أياد (أفضال) لدودة القز الغراء (المشرقة)

ثُمَّ انْتَبَهْتُ فَأَتَيْتُ ذِي تَقُولُ لِلْحَمَقَاءِ

ثم انتت (التفتت) فأنت دودة القز تقول للحمقاء دودة الضياء

هَلْ عِنْدَكَ الْآنَ شَكٌّ فِي رُتْبَتِي الْقَعْسَاءِ

هل عندك الآن شك في رتبتي (مرتبتي) القعساء (العظيمة)

وقد رأيت صنيعةً وقد سمعت ثنائياً
إن كان فيك ضياءً إن الثناء ضياءاً

٥١ الغزال والكلب

كَانَ فِيمَا مَضَى مِنَ الدَّهْرِ بَيْتٌ مِنْ بَيُوتِ الْكِرَامِ فِيهِ غَزَالٌ
بَيْتٌ لِأَحَدِ كِرَامِ النَّاسِ فِيهِ غَزَالٌ

يُطْعَمُ اللُّوزَ وَالْفَطِيرَ، وَيُسْقَى عَسلاً لَمْ يَشُبْهُ إِلَّا الزُّلَالُ
يَقْدَمُ لِلْغَزَالِ اللُّوزَ وَالْفَطِيرَ (المخبوز المكلف بالسكر أو الدسم)، ويسقى عسلاً لم يشبْه (يخالطه)
إلا الماء الزلال (العذب)

فَأَتَى الْكَلْبَ ذَاتَ يَوْمٍ يُنَاجِي هـ، فِي النَّفْسِ تَرْحَةً وَمَلَالٌ
جاء إلى الكلب يوماً يناجيه (يهامسه) وفي نفس الغزال ترحة (حزن) وملال (ملل)

قَالَ: يَا صَاحِبَ الْأَمَانَةِ قُلْ لِي كَيْفَ حَالُ الْوَرَى وَكَيْفَ الرُّجَالُ
قال الغزال: يا صاحب الأمانة (فالكلب مشهور بها) كيف حال الدنيا والرجال

فَأَجَابَ الْأَمِينُ وَهُوَ الْقَوْلُ الصَّدِّ سَادِقُ الْكَامِلِ النَّهْيِ الْمِفْضَالُ
قال الأمين (الكلب) وهو القول للصدق، الكامل النهي (العقل) المفضال (صاحب الفضل)

لَا يَغُرُّنَكَ يَا أَخَا الْبَيْدِ مِنْ مَوْ لَكَ ذَاكَ الْقَبُولُ وَالْإِقْبَالُ
لا تغترّ يا أخا البيد (صاحب الصحارى) من مولاك (سيدك) بقوله لك، وإقباله عليك

أَنْتَ فِي الْأَسْرِ مَا سَلِمْتَ فَإِنْ تَمَّ رَضٌ تُقَطَّعُ مِنْ جَسَمِكَ الْأَوْصَالُ
فأنت مجرد أسير لديه وستظل أسيراً ما بقيت سالماً، فإذا مرضت ذبحوك وقطعوا أوصالك
(أعضاءك)

فَاطْلُبِ الْبَيْدَ، وَارْضَ بِالْعُشْبِ قُوتاً فَهَنَّاكَ الْعَيْشُ الْهَنِيُّ الْحَلَالُ
فاطلب البيد (اذهب للصحارى)، وارض بالعشب قوتاً (طعاماً)، فهناك العيش الهنيء الحلال

أَنَا لَوْلَا الْعِظَامُ، وَهِيَ حَيَاتِي لَمْ تَطْبُ لِي مَعَ ابْنِ آدَمَ حَالُ
أنا لولا العظام وهي أصل حياتي، لم تكن لتطيب لي مع ابن البشر الحال

٥٢ سليمان والهدهد

وَقَفَ الْهُذُودُ فِي بَا بِ سُلَيْمَانَ بِذِلَّةٍ

قَالَ يَا مَوْلَايَ كُنْ لِي عَيْشَتِي صَارَتْ مُمْلَةً

قال الهدهد لسليمان: يا مولاي كن لي معيناً، فعيشتي صارت مملة

مُتُّ مِنْ حَبَّةٍ بُرٍّ أَحْدَثْتُ فِي الصَّدْرِ غُلَّةً

كدت أموت من حبة بُرٍّ (قمح) أحدثت في صدري غُلة (عطشاً)

لَا مِيَاهُ النَّيْلِ تَرْوِيهِ هَا، وَلَا أَمْوَاهُ دَجَلَةٌ

وهذه الغلة (العطش) لا ترويهها مياه النيل ولا أمواه (مياه) دجلة

وَإِذَا دَامَتْ قَلِيلًا قَتَلْتَنِي شَرِّ قِتْلَةٍ

فَأَشَارَ السَّيِّدُ الْعَا لِي إِلَى مَنْ كَانَ حَوْلَهُ:

قَدْ جَنَى الْهُدْهُدُ ذَنْبًا وَأَتَى فِي اللَّوْمِ فِعْلَةً

قال سليمان لمن في مجلسه: قد ارتكب الهدهد ذنباً، وجاء بفعلته لثيمة

تِلْكَ نَارُ الْإِثْمِ فِي الصَّدْرِ، وَذِي الشَّكْوَى تَعْلَةٌ

وما في صدره إنما هي نار الإثم، وأما شكواه فهي تعله (حجة باطلة)

مَا أَرَى الْحَبَّةَ إِلَّا سُرِقْتُ مِنْ بَيْتِ نَمْلَةٍ

إِنْ لِلظَّالِمِ صَدْرًا يَشْنُكِي مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ

كان من فضل المدرسة عليّ أن جعلتني أحفظ هذه القصيدة، فلما حاق بالحافظة المحاق، واكتفى الذهن بما ضمه وضاق، ظلت هذه القصيدة من المحفوظ القديم الذي أؤدي به صلاة الأدب. وقد عجبت كثيراً لهذا الشاب الذي لم يتجاوز الخامسة والعشرين ينظم، وهو يطلب العلم في فرنسا، أشعاراً عن الحيوان فيها أصالة وظرف وذكاء، وتنم عن تجربة واسعة ومعرفة بأغوار النفس الإنسانية. وقرأت أشعار لافونتين، وبه اقتدى شوقي في قصائده عن الحيوان، وأنا أتمنى ألا يكون شوقي سرق منه شيئاً. قرأت لافونتين بترجمة الأب نقولا أبو هنا، وسعدت به، بخفته وظرفه وجمال حكاياته. وسعدت أكثر لأن قصائد شوقي أحلى منها. وبلغت سعادتي منتهاها عندما وجدت شاعراً مبدعاً في كل قصصه. فهو لم يسرق من الفرنسي شيئاً، بل استوحى الفكرة لا غير. وأما لافونتين فقد تأثر بإيسوب ونقل عنه، وتأثر بكليلة ودمنة ونقل عنها. وشوقي في قصائده التي على لسان الحيوان صنع قصصه وصنع لكل منها حكمتها، وبعضها ليس فيه حكمة ذات بال، بل فيه نكتة أو كشف لتفاق الإنسان. شوقي في هذا الشعر شاعر خطير، وفنان كبير، وظريف من ظرفاء الأدب العربي النادرين، وعبقري نضج في روحه ونفسه مبكراً. وهذه القصائد تصلح للأطفال، وتصلح للكبار أكثر. وكثير منها يحتاج تذوقه إلى نضج ومعرفة بدقائق النفس البشرية لا يتأتى لطفل. على أن شوقي كتب في المقدمة التي جعلها في صدر الشوقيات عندما صدرت أول مرة عام ١٩٠٠: «أتمنى لو وفقتي الله لأجعل لأطفال المصريين مثل ما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المتقدمة: منظومات قريبة المتناول، يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم».

٥٣ النملة والمقطم

كَانَتْ النَّمْلَةُ تَمْشِي مَرَّةً تَحْتَ الْمُقَطَّمِ
المقطم: جبل في القاهرة

فَارْتَخَى مَفْصِلَهَا مِنْ هَيْبَةِ الطَّوْدِ الْمُعْظَمِ
الطود: الجبل

قَالَتْ الْيَوْمَ هَلَاكِي حَلَّ يَوْمِي وَتَحَتَّمِ
لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَنْجُو، إِنَّ هَوَى هَذَا، وَأَسَلَّمِ
هوى: سقط

فَسَعَتْ تَجْرِي وَعَيْنَا هَا تَرَى الطَّوْدَ فَتَنْدَمِ
تندم؟ ربما على مجيئها لهذا المكان. ولا أراها إلا ولدت فيه

سَقَطَتْ فِي شُبْرِ مَاءٍ هُوَ عِنْدَ النَّمْلِ كَالْيَمِ
ثم إنها وهي تجري سقطت في شبر ماء، وهو بالنسبة للنمل كاليم (البحر)

فَبَكَتْ يَأْساً وَ ٢١٥ قَبْلَ تَجْرِي الْمَاءِ فِي الْفَمِ
ثم قالت، وهي أدرى بالذي قالت وأعلم:
البيت كله حشوة طريفة

لَيْتَنِي لَمْ أَتَأَخَّرْ لَيْتَنِي لَمْ أَتَقَدِّمْ
لَيْتَنِي سَلَّمْتُ، فَالْعَا قُلْ مَنْ خَافَ فَسَلَّمِ
صاح! لا تخش عظيمأ فالذي في الغيب أعظم
صاح: يا صاحبي

٥٤ الثعلب الزاهد

بَرَزَ الثَّعْلَبُ يَوْمًا فِي شِعَارِ الْوَاعِظِينَا
ظهر الثعلب يوماً في شعار (لباس) الواعظين

فَمَشَى فِي الْأَرْضِ يَهْدِي وَيُسَبُّ الْمَاكِرِينَا
ويقول الحمد للـ إله العالمينَا

كهف: ملاذ

وازهّدوا في الطّير إنّ الـ عيشَ عيشُ الزّاهدينَا
واطلبوا الديك يؤدّنُ لصلاة الصّبح فينا
فأتى الديك رسولٌ مِن إمام النّاسكينا
فجاء للديك رسول من الثعلب الذي ادعى أنّه إمام النّاسكين

عرَضَ الأمرَ عليهِ وهو يرجو أن يَلينَا
فأجابَ الديك: عُذراً يا أضلّ المُهتدينَا
أنت أيها الرسول مهتدٍ وصالح، ولكنك ضال لعدم فهمك لنوايا الثعلب

بلّغ الثعلب عني عن جدودي الصّالحينا
أنهم قالوا، وخيرُ الـ قول قول العارفينَا:
مُخطئٌ من ظنّ يوماً أن للثعلب دينَا

٥٥ وجه الشؤم

مرّ الغرابُ بِشاةٍ قد غابَ عنها الفطيمُ
الفطيم: المفطوم، ابنها

تقولُ والدمعُ جارٍ والقلبُ مِنها كليمُ
كليم: مجروح

يا ليت شِعري يا ابني وواحدي، هل تدومُ
هل تدوم: هل تعيش لي

فقالَ يا أمّ سَعْدٍ هذا عذابُ أليمُ
أم سعد: الشاة، وقال الأبياري إن العوام يلقبون الخروف سعداً

لكلّ يومٍ خُطوبٌ تكفي، وشغلٌ عظيمُ
خطوب: مصائب

وبينما هو يهذي أتى النّعيّ الذّميمُ
بينما الغراب يهذي (يثرثر) جاء النعي (الناعي) الذميم (المذموم)

يَقُولُ خَلَّفْتُ سَعْدًا وَالْعَظْمُ مِنْهُ هَشِيمٌ

هشيم: مهشم

رَأَى مِنَ السَّدْثِ مَا قَدْ رَأَى أَبَوْهُ الْكَرِيمُ

فَقَالَ «ذُو الْبَيْنِ» لِلأَمِّ حِينَ وَلَّيْتُ تَهِيمُ

ذو البين: الغراب الذي ينذر بالبين (الفراق)

أَلَمْ أَقُلْ لَكَ تَوًّا لِكُلِّ يَوْمٍ هُمُومُ

قَالَتْ صَدَقْتَ، وَلَكِنْ هَذَا الْكَلَامُ قَدِيمُ

فَإِنْ قَوْمِي قَالُوا: وَجْهُ الْغُرَابِ مَشُومُ

مشوم: مشوم

٥٦ خيانة صغيرة

كَانَ ابْنُ دَاوُدَ يُقَرَّرُ بِي فِي مَجَالِسِهِ حَمَامَةٌ

ابن داود: النبي سليمان، يقرب: يفضل. والحاكم إذا قرب شخصاً يقربه فعلاً في المجلس فيجلسه قريباً منه

خَدَمَتْهُ عُمَرَاءُ مَثَلَمَا قَدْ شَاءَ، صِدْقًا وَاسْتِقَامَةً

فَمَضَتْ إِلَى عُمَّالِهِ يَوْمًا تُبَلِّغُهُمْ سَلَامَةً

وَالْكُتُبُ تَحْتَ جَنَاحِهَا كُتِبَتْ لَهَا فِيهَا الْكِرَامَةُ

فقد حملها سليمان كتباً (رسائل) وفيها تكريم لها

فَأَرَادَتْ الْحَمَقَاءُ تَعْرِفَ مِنْ رَسَائِلِهِ كَلَامَةً

عَمَدَتْ لِأَوَّلِهَا، وَكَانَ إِلَى خَلِيفَتِهِ بِرَامَةً

«رامة»: مكان يعرفه سليمان والحمامة وأحمد شوقي

فَرَأَتْهُ بِأَمْرٍ فِيهِ عَامِلَةٌ بِتَاجٍ لِلْحَمَامَةِ

عاملة: واليه

وَيُشِيرُ فِي الثَّانِي بِأَنْ تُعْطَى رِياضاً فِي تَهَامَةٍ

تهامة: منطقة في الحجاز

وَأَتَتْ لثَالِثِهَا وَلَمْ تَسْتَخِيْ أَنْ فَضَّتْ خِتَامَةً

فضت ختامه: فكت الختم

فَرَأَيْتُهُ يَأْمُرُ أَنْ تَكُونَ نَ لَهَا عَلَى الطَّيْرِ الزَّعَامَةُ
فَبَكَتْ لَذَاكَ تَنَدُّمًا هِيَهَاتَ لَا تُجْدِي النَّدَامَةُ
وَأَتَتْ نَبِيَّ اللَّهِ وَهِيَ يَ تَقُولُ: يَا رَبَّ السَّلَامَةِ
قَالَتْ: فَقَدْتُ الْكُتُبَ يَا مَوْلَايَ فِي أَرْضِ الْيَمَامَةِ
لَتَسْرُعَنِي لَمَّا أَتَا نَبِيَّ الْبَارِزِ يَدْفَعُنِي أَمَامَهُ
البارز: طائر من الكواسر

فَأَجَابَ بَلْ جُنَّتِ الَّذِي كَادَتْ تَقُومُ لَهُ الْقِيَامَةُ
لَكُنْ كِفَاكَ عَقُوبَةً مَنْ خَانَ خَانَتُهُ الْكِرَامَةُ
من خان الأمانة خانتته (خذلته) الكرامة (التكريم)

٥٧ الثعلب الساذج

قَدْ سَمِعَ الثَّعْلَبُ أَهْلَ الْقُرَى يَدْعُونَ مُخْتَلًا بِـ «يَا ثَعْلَبُ»
فَقَالَ: حَقًّا هَذِهِ غَايَةٌ فِي الْفَخْرِ لَا تُؤْتَى وَلَا تُطْلَبُ
سُرَّ الثَّعْلَبُ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوهُ مَثَالًا فِي الْإِحْتِيَالِ. وَهَكَذَا الطُّفْلُ، وَمَعْظَمُ الْكِبَارِ، إِنْ
تَعَجَّبْتَ مِنْ شَيْءٍ يَصْنَعُونَهُ أَسْرَفُوا فِي صَنْعِهِ. قُلْ عَنْ طِفْلِ إِنْهُ يُوَسِّخُ ثِيَابَهُ كَثِيرًا، يَأْتِيكَ
بَعْدَ قَلِيلٍ وَثِيَابُهُ مَلَطُخَةٌ بِالطِّينِ. وَقُلْ عَنْ رَجُلٍ إِنْهُ سَكِيرٌ، تَرَاهُ أَخَذَ يِبَالِغَ فِي السُّكْرِ
حَتَّى يَعْزِزَ هَذِهِ الْمَزِيَّةَ. وَكُلُّ وَاحِدٍ مَنَا يَبْحَثُ عَنْ مَزِيَّةٍ تَجْعَلُهُ مَنفَرَدًا لَا يَشْبَهُ غَيْرَهُ.
فَإِنْ كَانَتْ مِمَّا يَسْتَحْسِنُ فِيهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَهِيَ أَكْثَرُ تَمَيِّزًا لَهُ

مَنْ فِي النَّهْيِ مِثْلِي، حَتَّى الْوَرَى أَصْبَحْتُ فِيهِمْ مَثَلًا يُضْرَبُ
من مثلي في النهي (العقل)، فحتى الأدميون أصبحوا يضربونني مثلاً

مَا ضَرَّ لَوْ وَاقَبْتُهُمْ زَائِرًا أَرِيَهُمْ فَوْقَ الَّذِي اسْتَغْرَبُوا
ها هو يريد تعزيز سمعته بأنه داهية

لَعَلَّهُمْ يُخَيُّونَ لِي زِينَةً يَخْضُرُهَا الدِّيكُ أَوْ الْأَرْنَبُ
زينة: مهرجاناً

وَقَصَّدَ الْقَوْمَ، وَحَيَّاهُمْ وَقَامَ فِيمَا بَيْنَهُمْ يَخْطُبُ
فَأَخَذَ الزَّائِرُ مِنْ أُذُنِهِ وَأَعْطَى الْكَلْبَ بِهِ يَلْعَبُ
فَلَا تَشُقُّ يَوْمًا بِذِي حِيلَةٍ إِذْ رُبَّمَا يَنْخَلِيعُ الثَّعْلَبُ

٥٨ الْمَنْصِبُ الْفَصِيحُ

مِنْ أَعْجَبِ الْأَخْبَارِ أَنَّ الْأَرْنَبا لما رأى الديك يسبُّ الثعلبا
وهو على الجدار في أمانٍ يغلبُ بالمكان لا الإمكان
رأى الأرنب (ويبدو أنه أرنب ذكر) الديك واقفاً على الجدار العالي متحصناً بمكانه لا بإمكانه
(بقدرته) يسب الثعلب

دَاخَلَهُ الظَّنُّ بِأَنَّ الْمَاكِرا أمسى مِنَ الضَّعْفِ يُطَبِّقُ السَّاخِرَا
داخله (خالجه) الظن بأن الثعلب صار ضعيفاً ولذلك فهو يطبق (يصبر على) الديك الساخر منه
فجاءه يَلْعَنُ مِثْلَ الْأَوَّلِ عِدَادَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مُغْفَلٍ
فجاء الأرنب وبدأ يسب الثعلب مثل الأول (يعني الديك) يسبه عداد (بعدد) ما في الأرض من
مغفلين (ومن المغفل سوى الأرنب؟)

فَعَصَفَ الثَّعْلُبُ بِالضَّعِيفِ عَصَفَ أَخِيهِ الذِّيبِ بِالْخُرُوفِ
ففتك الثعلب بالأرنب مثلما فتك أخوه الذئب بالخروف
وَقَالَ لِي فِي دِمِكَ الْمَسْفُوكِ تَسْلِيَةٌ عَنْ خَيْبَتِي فِي الدِّيكِ
لي تسلية: لي عزاء

فَالْتَفَتَ الدِّيكُ إِلَى الذَّبِيحِ وَقَالَ قَوْلَ عَارِفٍ فَصِيحٍ
فقال الديك من فوق جداره للأرنب الذبيح (المذبوح)

مَا كُنَّا يَنْفَعُهُ لِسَانُهُ فِي النَّاسِ مَنْ يُنْطِقُهُ مَكَانُهُ
ليس المهم الفصاحة، المهم الموقع الذي تتكلم منه. كان ليون تروتسكي أفصح من جوزيف
ستالين، ولكن ستالين صنع لنفسه موقعاً داخل الحزب، وكوّن قاعدة ولاء غلب بها تروتسكي

٥٩ النملة العابدة

كَانَتْ بِأَرْضٍ نَمْلَةٌ تَنْبَالَةٌ لَمْ تَسْلُ يَوْمًا لَذَّةَ الْبِطَالَةِ
كان هناك نملة تنبالة (كسولة)، لم تسل (لم تنس) يوماً لذة البطالة (القعود عن العمل)

وَاشْتَهَرَتْ فِي النَّمْلِ بِالتَّقَشُّفِ وَاتَّصَفَتْ بِالزُّهْدِ وَالتَّصَوُّفِ
لكن، يقوم الليل من يقات فالبطن لا تملأه الصلاة

لكن - يقول شوقي - يستطيع قيام الليل وإحياء بالعبادة من يقات (يأكل)، فالبطن لا تملأه الصلاة

وَالنَّمْلُ لَا يَسْعَى إِلَيْهِ الْحَبُّ وَنَمَلْتَنِي شَقٌّ عَلَيْهَا الدَّابُّ
وَالنَّمْلُ يَسْعَى لِلْحَبِّ وَلَيْسَ الْعَكْسُ، وَأَمَّا نَمَلْتَنِي فَقَدْ شَقَّ عَلَيْهَا (صَعِبَ عَلَيْهَا) الدَّابُّ (الاجتهاد)

فَخَرَجْتُ إِلَى التَّمَّاسِ الْقَوْتِ وَجَعَلْتُ تَطُوفُ بِالْبُيُوتِ
فَخَرَجْتُ تَلْتَمِسُ (تَطْلُبُ) الْقَوْتَ (الطَّعَامَ) وَتَطُوفُ بِبُيُوتِ النَّمَلَاتِ الْأُخْرَيَاتِ

تَقُولُ: هَلْ مِنْ نَمْلَةٍ تَقِيَّةٍ تُنْعِمُ بِالْقَوْتِ لِذِي الْوَلِيَّةِ
تَقُولُ: هَلْ مِنْ نَمْلَةٍ تَقِيَّةٍ تَنْعَمُ بِالْقَوْتِ (تَمْنَحُ الطَّعَامَ) لِذِي الْوَلِيَّةِ (لهذه الولية). وَلَوْ كَسَرْتُ الْوَاقِ فِي
الْوَلِيَّةِ لَمَا أَخْطَأْتُ فَشَوْقِي بِعَيْنِهَا أَيْضاً، وَكَدْتُ أَضْعُ كَسْرَةً عَلَى الْوَاقِ فَرَأَيْتُ شَوْقِي رَافِعاً حَاجِيهِ

لَقَدْ عَيِيتُ بِالطَّوَى الْمَبْرُوحِ وَمَنْذُ لَيْلَتَيْنِ لَمْ أُسَبِّحْ
لَقَدْ عَيِيتُ (تَعَبْتُ) بِالطَّوَى (الْجُوعَ) الْمَبْرُوحِ (الشَّدِيدَ) وَمَنْذُ لَيْلَتَيْنِ لَمْ أُسَبِّحْ لِلَّهِ

فَصَاحَتِ الْجَارَاتُ: يَا لِلْعَارِ لَمْ تَتْرُكْ النَّمْلَةَ لِلضَّرْصَارِ
صَاحَتِ الْجَارَاتُ: يَا لِلْعَارِ، لَمْ تَتْرُكْ النَّمْلَةَ شَيْئاً لِلضَّرْصَارِ الْكَسُولِ

مَتَى رَضِينَا مِثْلَ هَذِهِ الْحَالِ مَتَى مَدَدْنَا الْكَفَّ لِلسُّؤَالِ
مَنْذُ مَتَى نَرْضَى، مَعْشَرَ النَّمْلِ، هَذِهِ الْحَالُ، وَمَتَى مَدَدْنَا أَيْدِيَنَا لِلسُّؤَالِ (لِلشُّحْذَةِ)؟

وَنَحْنُ فِي عَيْنِ الْوُجُودِ أُمَّةٌ ذَاتُ اشْتِهَارٍ بَعْلُو الْهِمَّةِ
وَنَحْنُ فِي نَظَرِ النَّاسِ أُمَّةٌ مُشْتَهَرَةٌ بَعْلُو الْهِمَّةِ (الطُّمُوحَ وَالْجَدَّ)

نَحْمِلُ مَا لَا يَضِيرُ الْجَمَالَ عَنْ بَعْضِهِ لَوْ أَنَّهَا نِمَالٌ
نَحْمِلُ مِنَ الْأَثْقَالِ مَا لَا تَطْبِقُ الْجَمَالَ حَمْلَ جُزْءٍ مِنْهُ لَوْ أَنَّهَا مِثْلَانِ (فِيالنِّسْبَةِ وَالتَّنَاسُبِ) نَحْمِلُ النَّمْلَةَ
أَضْعَافَ وَزْنِهَا وَالْجَمْلُ لَا يَحْمِلُ هَذَا

أَلَمْ يَقُلْ مَنْ قَوْلُهُ الصَّوَابُ: مَا عِنْدَنَا لِسَائِلِ جَوَابٍ
السَّائِلُ: الشَّحَازُ

فَامْضِي، فَلِنَّا يَا عَجُوزَ الشُّومِ نَرَى كِمَالَ الزُّهْدِ أَنْ تَصُومِي
الشُّومُ: الشُّومُ

٦٠ نَقْرَةُ الْمَهْمَازِ

بَعْلُ أَتَى الْجَوَادَ ذَاتَ مَرَّةٍ وَقَلْبُهُ مُمْتَلِئٌ مَسْرَةً
بَعْلُ أَتَى إِلَى الْحِصَانِ مَسْرُوراً

فَقَالَ: فَضْلِي قَدْ بَدَا يَا خِلِّي وَأَنْ أَنْ تَعْرِفَ لِي مَحَلِّي

فَقَالَ الْبَغْلُ: فَضْلِي قَدْ ظَهَرَ يَا خِلِّي (صديقي)، وَأَنْ أَنْ تَعْرِفَ لِي مَكَانِي

إِذْ كُنْتُ أَمْسٍ مَا شِئاً بِجَانِبِي تَعَجَّبُ مِنْ رُقْصِي تَحْتَ صَاحِبِي

فَأَمْسَ كُنْتُ أَنْتَ تَمْشِي بِجَانِبِي، وَتَتَعَجَّبُ مِنْ مَشْيِي الرَّاقِصِ وَصَاحِبِي يَرْكَبُنِي

فَضَحَكَ الْحَصَانُ مِنْ مَقَالِهِ وَقَالَ بِالْمَعْهُودِ مِنْ دَلَالِهِ

فَضَحَكَ الْحَصَانُ مِنْ مَقَالِهِ (قوله)، وَقَالَ لَهُ بِدَلَالَةِ الْمَعْهُودِ: ..

لَمْ أَرْ رُقْصَ الْبَغْلِ تَحْتَ الْغَازِي لَكِنْ سَمِعْتُ نَقْرَةَ الْمَهْمَازِ

لَمْ أَرْ رُقْصَكَ تَحْتَ صَاحِبِكَ الْغَازِي (الْفَاتِحِ)، لَكِنِّي سَمِعْتُ نَقْرَةَ مَهْمَازِهِ يَنْخَسِكُ بِهِ بِكَعْبِهِ، فَأَنْتَ كُنْتَ تَعَانِي الْإِهَانَةَ وَلَا تَرْقِصُ بِإِرَادَتِكَ

٦١ المستعجل

رَأَيْتُ فِي بَعْضِ الرِّيَاضِ قُبْرَةً تُظَيِّرُ ابْنَهَا بِأَعْلَى الشَّجَرَةِ

القبرة: طائر يستحسن الناس صوته

وَهِيَ تَقُولُ: يَا جَمَالَ الْعُشِّ لَا تَعْتَمِدْ عَلَى الْجَنَاحِ الْهَشِّ

وَقِفْ عَلَى عَوْدٍ بِجَنْبِ عَوْدٍ وَافْعَلْ كَمَا أَفْعَلُ فِي الصُّعُودِ

لَكِنَّهُ قَدْ خَالَفَ الْإِشَارَةَ لَمَّا أَرَادَ يُظْهِرُ الشَّطْرَةَ

وَطَارَ فِي الْفَضَاءِ حَتَّى ارْتَفَعَ فَخَانَهُ جَنَاحُهُ فَوْقَ مَا

فَانْكَسَرَتْ فِي الْحَالِ رُكْبَتَاهُ وَلَمْ يَنْلُ مِنَ الْعُلَى مُنَاهُ

وَلَوْ تَأَنَّى نَالَ مَا تَمْنَى وَعَاشَ طَوْلَ عُمْرِهِ مُهَنَّا

لِكُلِّ شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ وَقْتُهِ وَغَايَةُ الْمُسْتَعْجِلِينَ فَوْتُهُ

فوته: تضييعه

٦٢ فأر الوليمة

فَأَرَّ رَأَى الْقَطَّ عَلَى الْجِدَارِ مَعْدَباً فِي أَضْيَقِ الْحِصَارِ

وَالْكَلْبُ فِي حَالَتِهِ الْمَعْهُودَةِ مُسْتَجِمِعاً لِلْوُثْبَةِ الْمُوعُودَةِ

رَأَى الْفَأَرَ الْقَطَّ فَوْقَ الْجِدَارِ، وَالْكَلْبُ مِنَ الْأَسْفَلِ يَحَاصِرُهُ وَيَسْتَجْمِعُ قُوَّتَهُ لِلْوُثْبِ عَلَيْهِ

فحاولَ الفأرُ اغتنامَ الفرصةَ وقالَ أَكْفِي القَطْ هَـذِي العُصَّةُ

حاولَ الفأرُ اغتنامَ الفرصةَ وقالَ لنفسه: سأَكْفِي القَطْ (سأَجْبِيَه) هذه العُصَّةُ (المشكلة)

لعله يَكْتُبُ بالأمانِ لي ولأَصْحَابِي مِنَ الجيرانِ

لعله يعطيني أنا وأَصْحَابِي الفُتْرانَ الأمانَ

فسارَ للكلبِ على يَدَيْهِ وَمَكَّنَ الترابَ مِنْ عَيْنَيْهِ

فسارَ الفأرُ نحوَ الكلبِ، ونَعَفَ الترابَ ومَكَّنَه من إصَابَةِ عَيْنَيْهِ

فاشْتَغَلَ «الرَّاعِي» عَنِ الجِدَارِ وَنَزَلَ القَطْ على بَدَارِ

فاشْتَغَلَ الرَّاعِي (لَقِبَ الكلبِ) بَتَنْظِيفِ عَيْنَيْهِ وَسَهَا عَنِ الجِدَارِ، فنَزَلَ القَطْ على بَدَارِ (بسرعة)

مَبْتَهْجاً يُفَكِّرُ في وليمَةَ وفي فَرِيسَةٍ لَهَا كَرِيمَةٌ

كَانَ القَطْ مَبْتَهْجاً (مَسْروراً) وَأَخَذَ يُفَكِّرُ في وليمَةَ، وفي فَرِيسَةٍ كَرِيمَةٍ (كَبِيرَةٍ)

يَجْعَلُهَا لَخَطْبِهِ عَلامَةً يَذْكُرُهَا فيذْكُرُ السَّلامَةَ

يَريدُ جَعْلَ الوَليمَةِ عَلامَةً على سَلامَتِهِ، فَكَلِمًا تَذْكُرُهَا تَذْكُرُ أَنَّهُ سَلِمَ مِنَ الخَطَرِ

فجاءَ ذاكَ الفأرُ في الأَثْناءِ وَقَالَ: عاشَ القَطْ في هَـنَاءِ

فجاءَ الفأرُ في هَـذِهِ الأَثْناءِ (في هَـذَا الوَقْتُ) ودعا لَهُ بِالْعِيشِ بِهَـنَاءِ

رَأَيْتَ في الشَّدَّةِ مِنْ إِيْخْلاصِي ما كانَ فِيهِ سَبَبُ الخَلاصِ

وقالَ: قَدْ رَأَيْتَ في الشَّدَّةِ (المُصِيبَةِ) مِنْ إِيْخْلاصِي ما كانَ سَبَبُ خَلاصِكَ

وقد أَتَيْتُ أَطْلُبُ الأمانا فامْنُنْ بِهْ لِمَعْشَرِي إِحْسانا

امْنُنْ: تَفْضُلْ عَلَيْنَا

فقالَ: حَقًّا هَـذِهِ كَرَامَةٌ غَنِيمَةٌ وَقَبْلَها سَلامَةٌ

يَكْفِيكَ فَخْراً يا كَرِيمَ الشِّيمَةِ أَنْكَ فَأَرُ الخَطْبِ والوَلِيمَةِ

يَكْفِيكَ فَخْراً يا كَرِيمَ الشِّيمَةِ (الخَلْقِ)، أَنْكَ فَأَرُ الخَطْبِ (المُصِيبَةِ) والوَلِيمَةِ أَيْضاً

وانقَضَ في الحالِ على الضَّعِيفِ يَأْكُلُهُ بِالْمِلْحِ والرَّغِيفِ

ثم انقَضَ على الفأرِ الضَّعِيفِ وأَكَلَهُ بِالْمِلْحِ والرَّغِيفِ. فلمْ كَرْتونْ لَتومْ وجيري قبلَ نَحْوِ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ ظَهْرِهِما

فقلْتُ في المَقامِ قولاً شاعاً مَنْ حَفِظَ الأَعْداءَ يَوماً ضاعاً

٦٣ حصائد الألسنة

يَمَامَةٌ كَانَتْ بِأَعْلَى الشَّجَرَةِ أَمْنَةً فِي عُشِّهَا مُسْتَتِرَةٌ
يَمَامَةٌ: حَمَامَةٌ بَرِيَّةٌ

فَأَقْبَلَ الصَّيَادُ ذَاتَ يَوْمٍ وَحَامَ حَوْلَ الرُّوْضِ أَيَّ حَوْمٍ
فَلَمْ يَجِدْ لِلطَّيْرِ فِيهِ ظِلًّا وَهَمَّ بِالرَّحِيلِ حِينَ مَلَأَ
فَبَرَزَتْ مِنْ عُشِّهَا الْحَمَقَاءُ وَالْحُمْقُ دَاءٌ مَا لَهُ دَوَاءُ
تَقُولُ جَهْلًا بِالَّذِي سَيَحْدُثُ: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَمَّ تَبْحَثُ
فَالْتَفَتَ الصَّيَادُ صَوْبَ الصَّوْتِ وَنَحْوَهُ سَدَّدَ سَهْمَ الْمَوْتِ
فَسَقَطَتْ مِنْ عَرْشِهَا الْمَكِينِ وَوَقَعَتْ فِي قَبْضَةِ السَّكِينِ
المكين: المنيع

تَقُولُ قَوْلَ عَارِفٍ مُحَقِّقٍ مَلَكَتْ نَفْسِي لَوْ مَلَكَتْ مَنْطِقِي
منطقي: نُطْقِي

٦٤ الأسد والضفدع

قَالُوا اسْتَوَى اللَّيْثُ عَلَى عَرْشِهِ فَجِيءَ فِي الْمَجْلِسِ بِالضَّفْدَعِ
وَقِيلَ لِلسُّلْطَانِ هَذَا الَّذِي بِالْأَمْسِ آذَتْ عَالِي الْمِسْمَعِ
قِيلَ لِلْأَسَدِ هَذِهِ الَّتِي آذَتْ الْمَسْمَعِ الْعَالِي (أَزَعَجَتْ أُذُنَكَ الْمَجْلَةَ)
تُنْفِقُ الدَّهْرَ بِلا عِلَّةٍ وَتَدَّعِي فِي الْمَاءِ مَا تَدَّعِي
تَنْفِقُ الضَّفْدَعُ الدَّهْرَ (طَوَّلَ الدَّهْرَ) بِلا عِلَّةٍ (سَبَبٍ)، وَتَدَّعِي أَنَّهَا سُلْطَانَةُ الْمَاءِ

فَانْظُرْ - إِلَيْكَ الْأَمْرُ - فِي ذَنْبِهَا وَنُرْ نَعْلُوقُهَا مِنْ الْأَرْبَعِ
مُرْ: فَلْتَأْمُرْ

فَنَهَضَ الْفَيْلُ وَزِيرُ الْعُلَى وَقَالَ: يَا ذَا الشَّرَفِ الْأَرْفَعِ
لَا خَيْرَ فِي الْمَلِكِ وَفِي عِرْزِهِ إِنْ ضَاقَ جَاءُ اللَّيْثِ بِالضَّفْدَعِ
جاء: مَكَانَةً

فَكَتَبَ اللَّيْثُ أَمَانًا لَهَا وَزَادَ أَنْ جَادَ بِمُسْتَنْقَعِ

كل مؤسسة لا بد أنها تضم بعض الحمقى، ويجب على مدير كل قسم، ورئيس كل شعبة ألا يضيِّق بهم - وإلا فمَنْ أَيْنَ يَرْتَقُونَ؟

٦٥ الضيف المقيم

بَيْنَا ضِعَافٌ مِنْ دَجَاجِ الرَّيْفِ تَخْطُرُ فِي بَيْتِ لَهَا ظَرِيفِ
بيننا (بينما) دجاجات ضعاف تخطر (تتمشى) في بيتها

إِذْ جَاءَهَا هِنْدِيٌّ كَبِيرُ الْعُرْفِ فَقَامَ فِي الْبَابِ قِيَامَ الضَّيْفِ
جاءها ديك هندي (ديك رومي/ ديك الحبش) ذو عرف كبير ووقف منها موقف الضيف الزائر
يقول: حَيَّا اللَّهَ ذِي الْوُجُوها وَلَا أَرَاهَا أَبَدًا مَكْرُوها
يقول حيا الله ذي (هذه) الوجوه، وَلَا أَرَاهَا اللَّهُ مَكْرُوها

أَتَيْتُكُمْ أَنْشُرُ فِيكُمْ فَضْلِي يَوْمًا وَأَقْضِي بَيْنَكُمْ بِالْعَدْلِ
وَكُلُّ مَا عِنْدَكُمْ حَرَامٌ عَلَيَّ إِلَّا الْمَاءُ وَالْمَنَامُ
فَعَاوَدَ الدَّجَاجُ دَاءَ الطَّيْشِ وَفَتَحَتْ لِلْعَلَجِ بَابَ الْعُشِ
عاد إلى الدجاج داء الطيش، وفتحت للعلاج (الأجنبي) باب العش

فَجَالَ فِيهِ جَوْلَةَ الْمَلِكِ يَدْعُو لِكُلِّ فَرْخَةٍ وَدِيكِ
وَبَاتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ السَّعِيدَةَ مَمْتَعًا بِدَارِهِ الْجَدِيدَةَ
مَمْتَعًا: مَمْتَعًا

حَتَّى إِذَا تَهَلَّلَ الصَّبَاحُ وَاقْتَبَسَتْ مِنْ نَوْرِهِ الْأَشْبَاحُ
تهلل: أطل، الأشباح: المخلوقات التي تبدو في الليل كالأشباح

صَاحَ بِهَا صَاحِبُهَا الْفَصِيحُ يَقُولُ: دَامَ مَنْزِلِي الْمَلِيحُ
فَانْتَبَهْتُ مِنْ نَوْمِهَا الْمَشْؤُومِ مَذْعُورَةً مِنْ صِيحَةِ الْعَشُومِ
الغشوم: الظالم

تَقُولُ: مَا تِلْكَ الشَّرُوطُ بَيْنَنَا غَدَرْتَنَا وَاللَّهِ غَدْرًا بَيْنَنَا
يُن: واضح

فَضَحَكَ الْهِنْدِيُّ حَتَّى اسْتَلْقَى وَقَالَ: مَا هَذَا الْعَمَى يَا حَمْقَى
استلقى: استلقى على ظهره من الضحك. في الزمن القديم كان الناس فيما يبدو هائنين أكثر، فكان الواحد منهم إذا استبد به الضحك استلقى على قفاه؛ أو لعلهم كانوا يفعلون ذلك لأنهم كانوا يجلسون على الأرض فيسهل عليهم الاستلقاء على القفا

مَتَى مَلَكَتُمْ السَّنَ الْأَرْبَابَ؟ قَدْ كَانَ هَذَا قَبْلَ فَتْحِ الْبَابِ
متى تملكون ألسن أرباب البيت (أصحابه)! نعم كان ذلك صحيحاً قبل أن تفتحوا لي الباب

٦٦ عصفورتان

عُصْفُورَتَانِ فِي الْحِجَا زَحَلَّتَا عَلَى فَنَنْ
فنن: غصن

فِي خَامِلٍ مِنَ الرِّيَا ضِي، لَا نَدِي وَلَا حَسَنُ
في روض من الرياض الخاملة (غير المعروفة)، وهو روض جاف غير ندي

بَيْنَاهُمَا تَنْتَجِيَا نِ سَحَرًا عَلَى الْغُصْنِ
بينما (بينما) هما تتجيان (تتهامسان) وقت السحر على الغصن

مَرَّ عَلَى أَيْكِهِمَا رِيحٌ سَرَى مِنَ الْيَمَنِ
مر على الأيك (الأشجار) ريح سرى (سافر ليلاً) قادماً من اليمن

حَيًّا وَقَالَ: دُرَّتَا نِ فِي وَعَاءٍ مُمْتَهَنُ
حيهما وقال: أنتما جوهرتان في وعاء ممتن (مهمّل)؛ أي: أنكما في موضع رديء

لَقَدْ رَأَيْتُ حَوْلَ صَنْدِ عَاءٍ وَفِي ظِلِّ عَدْنُ
خمائلاً كأنها بقيةً مِنْ ذِي يَزْنُ
رأيت هناك خمائل (بساتين معشوبة) من حذاق الملك القديم ذي يزن

الْحَبُّ فِيهَا سُكَّرُ وَالْمَاءُ شَهْدُ وَلَبَنُ
لَمْ يَرَهَا الطَّيْرُ وَلَمْ يَسْمَعْ بِهَا إِلَّا افْتَتَنُ
هَذَا جَنَاحِي أَرْقِيَا هُ سَاعَةً مِنَ الزَّمَنِ
قَالَتْ لَهُ إِحْدَاهُمَا وَالطَّيْرُ مِنْهُنَّ الْفَطْنُ
الْفطن: الذكي

يَا رِيحُ أَنْتَ ابْنُ السَّبِيحِ لِي مَا عَرَفْتَ مَا السَّكْنُ
ابن السيل: المسافر

هَبْ جَنَّةَ الْخُلْدِ الْيَمَنِ لَا شَيْءَ يَمْدِلُ الْوُطْنُ
افرض أن اليمن هي جنة الخلد، لا شيء يعدل (يساوي) الوطن

٦٧ من يبكيه؟

سَمِعْتُ أَنَّ فَارَةً أَتَاهَا شَقِيقُهَا يَنْعَى لَهَا فَتَاهَا
أخو الفأرة جاء ينعى لها ابنها

يَصِيحُ: يَا لِي مِنْ نُحُوسٍ بَخْتِي مَنْ سَلَطَ الْقِطَّ عَلَى ابْنِ أُخْتِي
ويصيح: يا لنحوس (نحس) حظي، لقد افترس القط ابن أختي!

فَوَلَّوْكَتْ وَعَضَّتِ التُّرَابَا وَجَمَعْتُ لِلْمَأْتَمِ الْأَتْرَابَا
ولوّكت الفأرة وعضت التراب، وجمعت للمأتم الأتراب (الصدقات)

وَقَالَتْ: الْيَوْمَ انْقَضَتْ لَذَاتِي لَا خَيْرَ لِي بَعْدَكَ فِي الْحَيَاةِ
انقضت: انتهت

مَنْ لِي بِهَرٍّ مِثْلِ ذَاكَ الْهَرِّ يُرِيحُنِي مِنْ ذَا الْعَذَابِ الْمُرِّ
من لي بهر (ليت هناك هراً) مثل الهر الذي أكل ولدي ليرحني من ذا (هذا) العذاب المر
وكان بالقرب الذي تريدُ يَسْمَعُ مَا تُبْدي وما تُعِيدُ
وكان بالقرب منها ما تريد (أي الهر) وهو يسمع ما تبدي وتعيد (تكرر) من قول

فَجَاءَهَا يَقُولُ: يَا بُشْرَاكِ إِنَّ الَّذِي دَعَوْتُ قَدْ لَبَّاكَ
فجاءها يقول: أبشري، فالذي دعوتِه قد لى نداءك

فَفَزِعَتْ لَمَّا رَأَتْهُ الْفَارَةَ وَاعْتَصَمَتْ مِنْهُ بَبَيْتِ الْجَارَةِ
اعتصمت: تحصنت

وَأَشْرَفْتُ تَقُولُ لِلْسَّفِيهِ: إِنَّ مُتَّ بَعْدَ ابْنِي فَمَنْ يَبْكِيهِ
أشرفت (أطلت) تقول للقط السفیه: إن مت أنا فمن سيكي ولدي؟ لا أحب أن أختار هذه القصيدة
للتلاميذ في كتاب مدرسي، فالنكتة التي فيها تحتاج إلى أن يمارس المرء الحياة حتى يعرف
يضحك عليها ملء شذقيه

٦٨ المستر السعيد

أَلَمْ عَصْفُورٌ بِمَجْرَى صَافٍ قَدْ غَابَ تَحْتَ الْغَابِ فِي الْأَلْفَافِ
ألم (زار) عصفور مجرى مياه صافياً، ولكنه مستور تحت الغاب (القصب) في الألفاف (الأدغال)

يَسْقِي الثَّرَى مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي الثَّرَى خَشْيَةً أَنْ يُسْمَعَ عَنْهُ أَوْ يُرَى
يسقي الثرى (التراب الندي) وهو مستتر، لا يريد أن يعرف أحد مكانه

فاغترف العُصفورُ مِنْ إحسانِهِ وحَرَكَ الصنِيعُ مِنْ لسانِهِ
الصنِيعُ : المعروف

فَقَالَ: يا نورَ عيونِ الأرضِ ومُخْجِلَ الكوثرِ يومَ العَرَضِ
قال العصفور للجدول: يا نور عيون (بنايع) الأرض، ويا مخجل الكوثر (نهر الجنة) يوم العرض
(القيامة). قد خلع شوقي على جدولهِ كل صفات البشر وجعله يقول ويسمع، ثم أبى إلا أن يبعثه
يوم القيامة ليعرض على الخالق ويحاسب

هل لك في أن أرشدَ الإنسانا ليعرفَ المكانَ والإمكانا
قال له العصفور هل لك في أن أدل الإنسان على مكانك وإمكانك (قدراتك)

لعلَّ أن تُشهرَ بالجميلِ وتُنسيَ الناسَ حديثَ النيلِ
فستشتهر بالمعروف وتفوق على النيل

فالتفتَ الغديرُ للعُصفورِ وقالَ يَهْدِي مهجَةَ المغرورِ
فقال الغدير للعصفور هادياً مهجته المغرورة (قلبه المغتر بالناس)

يا أيُّها الشاكِرُ دونَ العالمِ أَمَنَّكَ اللّهُ يَدَ ابنِ آدمِ
يا من تشكري دون كل العالم، وراك الله من يد ابن آدم

النيلُ، فاسمِعْ وافهمَ الحديثَ يُعْطِي ولكنْ يأخذُ الخبيثا
فالنيل يعطي الخير ويأخذ من الناس كل خيث. يأخذون منه ماء عذباً ويلقون فيه النفايات
والمخلفات البشرية والصناعية

من طُولِ ما أبصرَهُ الناسُ نُسيَ وصارَ كُلُّ الفضلِ للمهندسِ
ولطول عهد الناس بالنيل يبصرونه أمامهم نسوا فضله، وصار الفضل لمهندس المياه

وقد عرفتَ حالتي وضدّها فقلْ لمنْ يسألُ عني بعدّها
فها قد عرفت يا عصفور حالتي المسترة وضدها (عكسها)؛ أي: حالة النيل المشهور

إنْ خَفِيَ النافعُ فالنفعُ ظَهَرَ يا سَعْدَ مَنْ صافي وصوفي واستترَ
ليكتب المشاهير هذا البيت الأخير بماء الذهب. كلهم يتمنون لو أن الله ألقى في قلوبهم حب «السترة»
وكراهية الشهرة. لكن للشهرة بريقاً عجبياً، ولا يطيقون عنها ابتعاداً. ومن يقع في أسرها تستعبده

٦٩ أحمال الظهر وأحمال الصدر

كان على بعضِ الدُّروبِ جَمَلٌ حَمَلَهُ المَالِكُ ما لا يُحْمَلُ

فَقَالَ: يَا لِلنَّحْسِ وَالشَّقَاءِ إِنَّ طَالَ هَذَا لَمْ يَطُلْ بَقَائِي
فَجَاءَهُ الثَّعْلَبُ مِنْ أَمَامِهِ وَكَانَ نَالَ الْقَصْدَ مِنْ كَلَامِهِ
جاء الثعلب إلى الجمل الشاكي من ثقل حملة، وقال له وقد نال (فهم) القصد من كلامه

فَقَالَ: مَهْلًا يَا أَخَا الْأَحْمَالِ وَيَا طَوِيلَ الْبَاعِ فِي الْجِمَالِ
قال: مهلاً يا أخا الأحمال (يا ذا الأحمال)، ويا طويل الباع (أيها المتفوق) في الجمال (بين
الجمال)

فَأَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَخِيكَ حَالًا لَأَنْنِي أَتَعَبُ مِنْكَ بِالَا
فأنت أفضل مني حالاً، وأنا أتعب منك بالاً

كَأَنَّ قُدَّامِي أَلْفَ دِيكٍ تَسْأَلُنِي عَنْ دِمِهَا الْمَسْفُوكِ
يقول الثعلب: أتخيل قدامي (أمامي) ألف ديك عادوا إلى الحياة ليسألوني عن دمهم الذي سفكته

كَأَنَّ خَلْفِي أَلْفَ أَلْفِ أَرْنَبٍ إِذَا نَهَضْتُ جَاذِبْتَنِي ذَنْبِي
وأخيل كأن خلفي ألف ألف أرنب كلما قمت أخذت تجذبني من ذنبي مطالبة بحقها بعد أن أكلتها
وجنيت عليها

وَرَبُّ أُمِّ جَثْتُ فِي مُنَاخِهَا فَجَعْتُهَا بِالْفَتْكِ فِي أَفْرَاخِهَا
وثمة أم من أمات الطير كنت جثت إلى مناخها (مكانها) وفجعتها (دهيتها بداحية) بأن فتكت
بأفراخها

يَبْعَثُنِي مِنْ مَرْقَدِي بُكَاهَا وَأَفْتَحُ الْعَيْنَ عَلَى شَكْوَاهَا
يعني (يوقظني) من مرقدتي بكائها، وأفتح عيني على شكواها

وَقَدْ عَرَفْتَ خَافِي الْأَحْمَالِ فَاصْبِرْ، وَقُلْ لَأُمَّةِ الْجِمَالِ
الآن أيها الجمل، وقد عرفت الأحمال الخفية، عليك بالصبر، وقل لأمة الجمال..

لَيْسَ بِحِمْلٍ مَا يَمَلُّ الظَّهْرُ مَا الْحِمْلُ إِلَّا مَا يِعَانِي الصَّدْرُ
.. ليس حملاً ذلك الذي يملأ الظهر، ما الحمل الحقيقي إلا ما يعانیه الصدر من وخز الضمير

٧٠ أخو الوتد

كَانَ لِبَعْضِهِمْ حِمَارٌ وَجَمَلٌ نَالَهُمَا يَوْمًا مِنَ الرِّقِّ مَلَلٌ
كان لأحدهم حمار وجمل نالهما (لحق بهما) ملل من الرق (العبودية)

فانتظرا بشائر الظُّلَماءِ وانطلقا معاً إلى البیداءِ

فانتظرا بشائر (أوائل) الظلام، وانطلقا إلى البیداء (الصحراء)

يَجْتَلِيَانِ طَلْعَةَ الْحَرِيَّةِ وَيَنْشَقَانِ رِيحَهَا الذَّكِيَّةُ

يجتليان (يتفرجان على) طلعة (شكل) الحرية، ويتشقان ريحها (رائحتها) الذكية

فاتفقا أَنْ يَقْضِيَا الْعَمْرَ بِهَا وَارْتَضِيَا بِمَائِهَا وَعَشْبِهَا

واتفقا أن يقضيا عمرهما معاً، وارتضيا (قبلاً) بما في الصحراء من ماء وعشب

وَبَعْدَ لَيْلَةٍ مِنَ الْمَسِيرِ انْتَفَتَحَ الْحِمَارُ لِلْبَعِيرِ

وبعد أن سارا ليلتهما، انتفتح الحمار للبعير (الجمال)

وَقَالَ: كَرْبٌ يَا أَخِي عَظِيمٌ فَقِفْ، فَمَشِيي كُلُّهُ عَقِيمٌ

قال له: كرب (مصيبة) عظيم، فقف لأن كل مشي عقيم (سدى)

فَقَالَ: سَلْ فِدَاكَ أُمِّي وَأَبِي عَسَى تَنَالُ بِي جَلِيلَ الْمَطْلَبِ

قال الجمل: سل (اسأل) فديتك بأبي وأبي، لعلك تنال بواسطتي المطلب الجليل (العظيم)

قَالَ: انْطَلِقْ مَعِيَ لِإِدْرَاكِ الْمَنَى أَوْ انْتَظِرْ صَاحِبَكَ الْحُرَّ هُنَا

قال الحمار: اذهب معي لإدراك (لتحصيل) المنى، أو انتظرنى هنا. الحمار يسمي نفسه حراً..

لَا بُدَّ لِي مِنْ عَوْدَةٍ لِلْبَلَدِ لِأَنِّي تَرَكْتُ فِيهِ مَقُودِي

فلا بد أن أعود للبلد، لأنني تركت هناك مقودي (رَسَنِي)

فَقَالَ: سِرْ وَالزَّمْ أَخَاكَ الْوَتْدَ فَإِنَّمَا خُلِقْتَ كِي تُقَبِّدَا

قال له الجمل: سر والزم (وصاحب) أخاك الوتد الذي يربطونك به، فأنت قد خلقت عبداً يقيد

بالقيود ولا تليق بك الحرية

٧١ أدب النعجة

كَانَ لِبَعْضِ النَّاسِ نَعَجَتَانِ وَكَانَتَا فِي الْغَيْطِ تَرْعِيَانِ

الغيط: الحقل

إِحْدَاهُمَا سَمِينَةٌ، وَالثَّانِيَةُ عِظَامُهَا مِنَ الْهُزَالِ بَادِيَةٌ

الهزال: النحافة، بادية: ظاهرة

فَكَانَتْ الْأُولَى تُبَاهِي بِالسَّمَنِ وَقَوْلُهُمْ بِأَنَّهَا ذَاتُ الثَّمَنِ

نعجة تباهي بالأخرى بأنها سمينة وغالية الثمن

فتصبرُ الأخرى على الإذلالِ حامِلَةً مرارةَ الإذلالِ
الإذلال: الترفع

حتى أتى الجزَّارُ ذاتَ يومٍ وَقَلَّبَ النعجةَ دونَ القَومِ
جاء الجزار، وَقَلَّبَ النعجة (تفحصها) دون (أمام) القوم

فقالَ للمالِكِ: أَشْتَرِيها، وَنَقَدَ الكيسَ النفيسَ فيها،
وانطلقتُ مِنْ فورِها لأختِها وَهِيَ تُشْكُ في صلاحِ بَختِها
تقولُ: يا أختاهُ خَبِّرِني هل تعرفينَ حاملَ السُّكِّينِ
قالتُ: دعيني وَهْزالي والزمنُ وَكَلَّمَنِي الجَزَّارَ يا ذاتَ الثَّمنِ
لِكُلِّ حالٍ حلَّوها ومُرَّها ما أدَبَ النعجةَ إلَّا صبرُها
حسن الأدب للنعجة هو صبرها

٧٢ الذي أضحك الحمار الصغير

غزالةٌ مرَّت على أتانٍ تُقَبِّلُ الفَطِيمَ في الأَسنانِ
غزالة مرت على أتان (حمارة) تقبل ولدها الفطيم (المفطوم) في فمه ومن أسنانه

وكان خلفَ الظبيةِ ابنُها الرِّشا يُوَدِّها لو حَمَلَتْهُ في الحشا
وخلف الظبية (الغزالة) كان يمشي الرشا (ولد الغزال)، وهي من جها له تود لو حملته في الحشا
(داخل جسمها)

ففعَلْتُ بِسَيِّدِ الصَّغارِ فِعْلَ الأتانِ بابِئِها الحمارِ
فعلته مثلما فعلت الحمارة بابنها الحمار

فأسرَعَ الحمارُ نحوَ أمِّهِ وجاءها يضحكُ ملءَ فَمِهِ
فركض الحمار نحو أمه ضاحكاً

يصيحُ: يا أمَّاهُ! ماذا قَدَّ دَها حتى الغزالةُ اسْتَحَفَّتْ ابنَها
يقول: يا أمي! ماذا قد دها (حصل)، فحتى الغزالة استخفت ابنها (وجدته خفيف الدم)

٧٣ مصرع الغراب

وَمَمَّهَدٍ في الوَكْرِ مِنْ وَلَدِ الغرابِ مُزَقَّقٍ
رب م مهد (جالس في المهد) من أولاد الغراب، مزقق (يُرَقُّ له الحَب في فمه)

كَرُوَيْهَبٍ مُتَقَلِّسٍ مُتَأَزَّرٍ مُتَمَنِّطٍ
كرويهب (راهب صغير)، متقلّس (يلبس قلنسوة أي طاقية)، متأزّر (يلبس إزاراً)، متمنطق (يضع نطاقاً؛ أي: حزاماً)

لَيْسَ الرَّمَادُ عَلَى سِوَا دِجَنَاحِهِ وَالْمَفْرِقِ
اتخذ لوناً رمادياً يوشح سواد جناحه ومفرقه (رأسه)

كَالْفَحْمِ غَادَرَ فِي الرَّمَا دِ بَقِيَّةَ لَمْ تُحْرِقِ
فكانه الفحم الذي تركّ بقايا منه لم تحترق وسط الرماد

ثُلُثَاهُ مِنْقَارٌ وَرَأْسٌ وَالْأُظَافِرُ مَا بَقِيَ
مقاراه ورأسه ثلثا جسمه، والبقية الأظافر

ضَخَمُ الدِّمَاغِ عَلَى الْخُلُودِ مِنْ الْحِجَا وَالْمَنْطِقِ
رأسه ضخّم وإن لم يكن فيه حجى (عقل) أو منطق

مِنْ أُمِّهِ لَقِيَ الصَّغِيرَ رُ مِنْ الْبَلِيَّةِ مَا لَقِيَ
لقي هذا الصغير من أمه من البلية (المصيبة) ما لقي

جَلَبَتْ عَلَيْهِ مَا تَذُو ذُ الْأُمّهَاتِ وَتَثْقِي
جلبت عليه أمه الأمر الذي تذوده (تبعده) الأمهات عن أولادهن ويتقين شره

فَتِنَتْ بِهِ، فَتَوَهَّمَتْ فِيهِ قُوَى لَمْ تُخْلَقِ
أعجبت به فتوهمت أن فيه قوى غير موجودة

قَالَتْ: كَبُرَتْ، فَثَبَّ كَمَا وَثَبَّ الْكِبَارُ، وَحَلَّقِ
فقال له: كبرت فثب (فاقفز) كالكبار وحلّق (طرز)

وَرَمَتْ بِهِ فِي الْجَوِّ، لَمْ تَحْرِصْ وَلَمْ تَسْتَوْثِقِ
ورمت به في الجو دون أن تحرص عليه أو تستوثق (تتأكد)

فَهَوَى، فَمُرَّقَ فِي فِنَا الدَّارِ شَرًّا مُمَرَّقِ
فسقط فتمزق شر تمزّق

وَسَمِعَتْ قَاقَاتٍ تَرَدَّدَ دُ فِي الْفَضَاءِ وَتَرْتَقِي
وقد سمعت قاقات (نعبات غرابية) تردد في الفضاء وتصعد فيه

ورأيتُ غريبانِ تَفَرَّ - قُ في السماءِ وتلتقي
ورأيت الغريان مضطربة في الجو تفرق وتلتقي
وعرفتُ رنةَ أُمِّهِ في الصارخاتِ النُّعَي
وعرفت رنة (صوت) أمه بين إناث الغريان الناعقات
فأشَرْتُ، فالتفتتُ، فقل - ت لها مَقالةٌ مُشْفِي:
فأومات إليها وقلت لها قول مشفق عطوف لما حدث لابنها:
أطلقته، ولو امتحن - ت جناحه لم تُطلقني
لقد أطلقته دون أن تمتحنه، ولو امتحنته لما أطلقته
وكما ترفق والد - لك عليك لم تترفقي
ولم تترفقي به كما ترفق بك والداك

٧٤ إياك أن تغتر بالزهاد

ألقي غلامٌ شَرَكاً يَصْطَاذُ وكلُّ مَنْ فوقَ الثَّرى صيَّادٌ
وضع غلام شركاً (مصيده)، وكل من على ظهر الأرض صياد يسعى لرزقه
فانحدرتُ عصفورةٌ مِنَ الشَّجَرِ لم يَنْهَها النَّهْيُ، ولا الحزمُ زَجَرُ
فنزلت عصفورة من الشجر لم ينهها (يمنعها) النهي الطبيعي لمثلها عن مثل ذلك الفعل، ولم
يزجرها (يمنعها) الحزم (التعقل)
قالت: سلامٌ أيها الغلامُ قال: على العصفورة السلامُ
قالت: صبيٌّ منحني القناة! قال: حَنَتْها كَثْرَةُ الصَّلَاةِ
القناة: القامة

قالت: أراك بادي العظامُ قال: بَرَتْها كَثْرَةُ الصَّيَامِ
عظامه مبرية لكثرة الصيام
قالت: أرى فوقَ الترابِ حَبًّا مِمَّا اشتهى الطيرُ وما أَحَبًّا
قال: تشبَّهْتُ بأهلِ الخيرِ. وقلتُ أَقْرِي بَائِساتِ الطَّيْرِ
أقري بائسات الطير: أطعم الطيور البائسة
قالت: فجدُ لي يا أخوا التَّنَسُّكِ قال: القُطِيهِ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ
قالت: جد لي (اسمح لي) يا صاحب التنسك (العبادة)، فقال: القطي الحب

فَصَلَّيْتُ فِي الْفَحِّ نَارَ الْقَارِي وَمَصَّرَعُ الْعُصْفُورِ فِي الْمِنْقَارِ
فصليت (اصطلت) في الفخ بنار هذا القاري (المطعم)، ومقار العصفور الذي يريد التقاط الحب
هو سبب مصرعه

وَهَتَفْتُ تَقُولُ لِلْأَغْرَارِ مَقَالَةَ الْعَارِفِ بِالْأَسْرَارِ
صاحت تقول للأغرار (للمغفلين) قول العارف بالأسرار

إِيَّاكَ أَنْ تَفْتَرَّ بِالزُّهَادِ كَمْ تَحْتَ ثَوْبِ الزُّهْدِ مِنْ صَيَادٍ

٧٥ الحالة القديمة

لَمَّا أَتَمَّ نُوْحُ السَّفِينَةَ وَحَرَّكَتْهَا الْقُدْرَةُ الْمُعِينَةُ
لما صنع نوح سفينته وحركتها قدرة الله المعينة (المساعدة)

جَرَى بِهَا مَا لَا جَرَى بِبَالٍ فَمَا تَعَالَى الْمَوْجُ كَالْجِبَالِ
جرى لها ما لا يخطر ببال، فما إن علا الموج وصار كالجبال..

حَتَّى مَشَى اللَّيْثُ مَعَ الْحَمَارِ وَأَخَذَ الْقِطُّ بِأَيْدِي الْفَارِ
.. حتى ترافق من الحيوان ما لم يكن يترافق

وَاسْتَمَعَ الْفِيلُ إِلَى الْخِنْزِيرِ مُؤْتَنِسًا بِصَوْتِهِ النَّكِيرِ
مؤتنساً: منشرحاً

وَجَلَسَ الْهَرُّ بِجَنْبِ الْكَلْبِ وَقَبَّلَ الْخُرُوفُ نَابَ الذَّنْبِ
حتى إذا حَطُّوا بسفح الجودي (اسم الجبل الذي رست عليه سفينة نوح بعد أن غيض الماء) وأيقن
ثم رست السفينة على الجودي (اسم الجبل الذي رست عليه سفينة نوح بعد أن غيض الماء) وأيقن
الجميع بعودة الحياة الطبيعية

عَادُوا إِلَى مَا تَقْتَضِيهِ الشَّيْمَةُ وَرَجَعُوا لِلْحَالَةِ الْقَدِيمَةِ
فعادوا إلى ما تقتضيه (تطلبه) الشيمة (الطبيعة)

فَقَسَّ عَلَى ذَلِكَ أَحْوَالَ الْبَشَرِ إِنَّ شَمْلَ الْمَحْذُورِ أَوْ عَمَّ الْخَطَرِ
وكذلك يصنع البشر إن شملهم المحذور (الشر الذي منه يحذرون) أو عمهم الخطر

٧٦ النملة فارس الميدان

قَدْ وَدَّ نُوحٌ أَنْ يُبَاسِطَ قَوْمَهُ فِدَعَا إِلَيْهِ مَعَاشَرَ الْحَيَّوَانِ
يباسط: يرفع الكلفة

وَأَشَارَ أَنْ يَلِيَّ السَّفِينَةَ قَائِدٌ مِنْهُمْ يَكُونُ مِنَ النَّهْيِ بِمَكَانٍ
دعا نوح إلى أن يلي (يتولى) السفينة قائد من الحيوانات يكون معروفاً بالنهى (العقل)

فَتَقَدَّمَ اللَّيْثُ الرَّفِيعُ جَلَالُهُ وَتَعَرَّضَ الْفِيلُ الْفَخِيمُ الشَّانِ
وتلاهما باقي السباع، وكلُّهم خَرُّوا لِهُيْبَتِهِ إِلَى الْأَذْقَانِ
اجتمعت حوله الحيوانات، وخروا (سجدوا) لهيبته حتى مست أذقانهم الأرض

حَتَّى إِذَا حَيُّوا الْمُؤَيَّدَ بِالْهُدَى وَدَعَوْا بِطَوْلِ الْعِزِّ وَالْإِمْكَانِ
فلما أدوا التحية للنبي المؤيد (المدعوم) بالهدى الرباني، ودعوا له بطول العز والإمكان (القدرة)

سَبَقَتْهُمْ لَخَطَابِ نُوْحٍ نَمْلَةٌ كَانَتْ هُنَاكَ بِجَانِبِ الْأَرْدَانِ
سبقتهم في التحدث إلى نوح نملة كانت تقف قريباً من أردانه (أكمامه)

قَالَتْ: نَبِيَّ اللَّهِ، أَرْضِي فَارِسٌ وَأَنَا يَقِينَا فَارِسُ الْمِيدَانِ
قالت: يا نبي الله أرضي بلاد فارس، وأنا خير من يتولى الأمر

سَأَدِيرُ دَقَّتْهَا وَأَحْمِي أَهْلَهَا وَأَقْوُدُهَا فِي عِصْمَةٍ وَأَمَانٍ
وسأدير دفة السفينة في عصمة (حماية) وأمان

ضَحَكَ النَّبِيُّ وَقَالَ: إِنَّ سَفِينَتِي لَهِيَ الْحَيَاءُ وَأَنْتِ كَالْإِنْسَانِ
قال نوح: سفيتي هذه مثال مصغر للحياة، وأنت أيتها النملة مثل الإنسان

كُلُّ الْفَضَائِلِ وَالْعِظَائِمِ عِنْدَهُ هُوَ أَوَّلُ وَالْغَيْرُ فِيهَا الثَّانِي
فهو الأول في كل الفضائل والعظائم (الأمور المهمة)

وَيَوُدُّ لَوْ سَاسَ الزَّمَانَ، وَمَا لَهُ بِأَقْلٍ أَشْغَالِ الزَّمَانِ يَدَانِ
ويود الإنسان لو ساس (أدار) الزمان، في حين ليس له بأقل أشغال (شؤون) الزمان يدان (ليس له
يدان بالشيء: عاجز عن الشيء)

٧٧ غير مهضوم

سَقَطَ الْحِمَارُ مِنَ السَّفِينَةِ فِي الدُّجَى فَبَكَى الرِّفَاقُ لِفَقْدِهِ وَتَرَحَّمُوا
سقط الحمار من سفينة نوح في الدجى (الظلام)، فبكت الحيوانات وترحمت عليه

حَتَّى إِذَا طَلَعَ النَّهَارُ أَتَتْ بِهِ نَحْوَ السَّفِينَةِ مَوْجَةٌ تَتَقَدَّمُ
ومع النهار جاءت به موجة تتقدم باتجاه السفينة

قالت: خُذوه كما أتاني سالماً لم أبتليعه لأنه لا يُهضمُ
قالت: خذوه كما جاءني، فهو لا يهضم (ثقل الظل، غير مهضوم!)

٧٨ تكفيك منه صحبة السفينة

أبو الحُصَيْنِ جالَ في السفينةَ فعرفَ السمينَ والسمينةَ
أبو الحصين (الثعلب) تجول في سفينة نوح، وعرف السمين من الفراخ والسمينة

يقولُ إنَّ حالَهُ استَحالاً وإنَّ ما كان قديماً زالاً
وهو يقول إن حاله استحال (تبدل)، وإن ما كان يفعله في الماضي من اقتراس الطيور قد انتهى

لكونِ ما حلَّ مِنَ المصائبِ مِنْ غضبِ اللَّهِ على الثعالِبِ
وقد أدرك أن مصيبة الطوفان كانت لغضب الله على الثعالب

وَيُغْلِظُ الأَيْمَانَ لِلدُّيُوكِ لِمَا عَسَى يَبْقَى مِنَ الشُّكُوكِ
وأقسم الأيمان الغليظة للدبوك حتى يزيل شكوكها

قيلَ فلمَّا تَرَكُوا السفينةَ مشى مَعَ السمينِ والسمينةِ
وعندما انتهى الطوفان، وغادروا السفينة مشى الثعلب بجانب الفراخ السمينة

حتى إذا ما نَصَفُوا الطريقاً لم يبقَ مِنْهُمُ حَوْلُهُ رَفيقاً
وفي منتصف الطريق، هربوا منه، ويبدو أنه بادروهم بمحاولة اعتداء

وقال، إذ قالوا عديمُ الدينِ، لا عَجَبُ أنْ حَنِثْتُ يميني
وقالوا له: أنت عديم الدين، فقال: لا عجب أن يميني حثت (بطلت)

فإنما نحنُ بني الدهاءِ نعملُ في الشَّدَّةِ للرِّخاءِ
فنحن أهل الدهاء (الحيلة) نخطط في أيام الشدة (الآزمة) لكي نتفج بتخطيطنا في أيام الرخاء

وَمَنْ خَشِيتَ أنْ يَبِيعَ دينَهُ تكفيك منه صُحْبَةُ السفينةِ
والحكمة: الذي ليس ثابتاً على مبدأه، تكفيك صحبته في وقت الضرورة كما في سفينة نوح

٧٩ ضع رأسك بين الرؤوس

الدُّبُّ معروفٌ بسوءِ الظَّنِّ فاسمِعْ حديثَهُ العجيبَ عني

لَمَّا اسْتَطَالَ الْمُكْتُ فِي السَّفِينَةِ مَلَّ دَوَامَ الْعَيْشَةِ الظَّنِينَةِ
عندما طال المكث (المكوث) في سفينة نوح، مل الدب العيشة الظنينة (المشكوك في مصيرها)

وَقَالَ إِنَّ الْمَوْتَ فِي انتِظَارِي وَالْمَاءَ لَا شَكَّ بِهِ قَرَارِي
وقال لنفسه: الموت في انتظاري، وسيكون قراري (مستقري) في قاع الماء

ثُمَّ رَأَى مَوْجاً عَلَى بُعْدِ عَلا فَظَنَّ أَنَّ فِي الْفَضَاءِ جَبَلا
ورأى موجاً يعلو كأنه جبل في الفضاء

فَقَالَ: لَا بُدَّ مِنَ النُّزُولِ وَصَلْتُ أَوْ لَمْ أَحْظَ بِالْوُصُولِ
فقرر النزول سواء حظي بالوصول إلى الشاطئ أم لم يحظ

فَدَقَالَ مَنْ أَدَّبَهُ اخْتِبَارُهُ السَّعْيُ لِلْمَوْتِ وَلَا انتِظَارُهُ
فقد قال من أدبه (علمه) اختباره للحياة إن السعي للموت أهون من انتظاره

فَأَسْلَمَ النَّفْسَ إِلَى الْأَمْوَاجِ وَهِيَ مَعَ الرِّيحِ فِي هَيَاجٍ
فسلم الدب نفسه للأمواج وهي في هياج (صخب) مع الرياح

فَشَرَبَ التَّعْيِسُ مِنْهَا فَانْتَفَخَ ثُمَّ رَسَا عَلَى الْقَرَارِ وَرَسَخَ
وشرب من الأمواج ماء حتى انتفخ، ورسا في قرار (قعر) البحر

وَبَعْدَ سَاعَتَيْنِ غِيَضَ الْمَاءُ وَأَقْلَعَتْ بِأَمْرِهِ السَّمَاءُ
وسريعاً غيض (أنغىب) الماء، وأقلعت (صحت) السماء بأمر الله

وَكَانَ فِي صَاحِبِنَا بَعْضُ الرَّمَقِ إِذْ جَاءَهُ الْمَوْتُ بَطِيئاً فِي الْعَرَقِ
وكان في الدب رمق (بقية حياة)، حيث إن الموت جاءه بطيئاً بعد غرقه

فَلَمَحَ الْمَرْكَبُ فَوْقَ الْجُودِي وَالرَّكْبُ فِي خَيْرٍ وَفِي سُعُودٍ
فرأى المركب قد رسا على الجودي (اسم الجبل الذي رست عليه سفينة نوح)، والركب (الركاب) بخير وسعود (حظ طيب)

فَقَالَ: يَا لِحَجْدِي التَّعْيِسِ أَسَأْتُ ظَنِّي بِالنَّبِيِّ الرَّئِيسِ
فقال يا لحجدي (حظي) التعس إذ أسأت الظن بنوح

مَا كَانَ ضَرَّنِي لَوْ امْتَثَلْتُ وَمَثَلَمَا قَدْ فَعَلُوا فَعَلْتُ
هلا كنت امتثلت (أطعت) وفعلت مثل كل الحيوانات!

شوقي شاعر البلاط

في هذا الفصل ما اخترته من شعر شوقي منذ بداية القرن العشرين وحتى إبعاده إلى إسبانيا. كان شوقي شاعر بلاط منذ أن كان في المدرسة، فقد كان ينشر مدائحه في الخديوي وهو تلميذ، ثم دخل المعية الخديوية في السنوات العشر الأخيرة من القرن التاسع عشر. وظل حتى وفاته يمدح الخديوي، ثم السلطان، ثم الملك. فتقسيم الفصول، كما ترى، تقسيم لغرض التقسيم؛ وكيلا يبدو الباب قطعة كبيرة في عينك. ولعل فيه تشيظاً على القراءة، أو معونة للقارئ في الاهتداء إلى طريقه.

٨٠ كرمة المسلمين

قال شوقي في ثورة البوكسر على المستعمرين في الصين (١٩٠٠):

لَمَنْ الْمَسَاكِنُ كَالْمَقَابِرُ يَاوِي لَهَا حَيٌّ كَغَابِرُ
لمن هذه المساكن التي كأنها مقابر، ويأوي لها حي كأنه غابر (ميت)

مُتَجَنِّبُ الدُّنْيَا عَدُوٌّ لِلْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ
من يتجنب المشاركة في أمور الدنيا يصبه الانحطاط، ويصبح عدواً للأوائل (لأجداده) وللأواخر (لنفسه ولمن سيأتي بعده)

وَلُغَاتُهُ لَا لِمَنَا بَرٍ قَدْ خُلِقْنَ وَلَا الْمَحَابِرُ
ولغات هؤلاء الذين يتجنبون الدنيا لا تصلح للخطابة من على المنابر ولا للكتابة باستخدام المحابر (آية الحبر)

وَعِلْمُهُ دَرَسَتْ وَعُقَا هَا مِنْ الْأَزْمَانِ دَائِرُ
ومتجنب الدنيا علومه قديمة دَرَسَتْ (اتحت)، وعُقَاها (مسحها) الزمان الدائر

وَالْأَمْرُ فِيهِ لِكَاهِنٍ وَالنَّهْيُ مَرْجِعُهُ لِسَاحِرِ
وصاحب الأمر فيه كاهن، وصاحب النهي ساحر مشعوذ، وهذه هي حال المتخلفين

وَمِنْ الْعَجَائِبِ مَا لَوَى ذَنْباً وَلَا رَفَعَ الْعَقَائِرُ
وعجيب أن الأمم المتخلفة لا تلوي ذنباً (لا تعترض) ولا ترفع عقائرها (أصواتها بالاحتجاج)

بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَيْنَهُ غَوْرٌ مِنَ الْأَحْقَادِ غَائِرُ
وبين المتخلف وبين بقية العباد غور (وادٍ) غائر (عميق) من الأحقاد

أُمٌّ يُكَاثِرُهَا الْحَصَى عَدَاً، وَلَيْسَ لَهَا بِكَائِرُ
في الصين أمم يكثرها الحصى (ينافسها في الكثرة) وليس كاثراً لها (متغلباً في الكثرة)

هيهاتَ قَدْ نَفَذَ الْقَضَا ءٌ وَصِرْتُمْ فِي حَكْمٍ قَادِرٍ
 انتهى الأمرُ أيها الصينيون فقد نفذ القضاء وصرتُم محكومين لحاكم قادر (للامم الأوروبية)
 مَتْلَهَّبِ الطَّغْوَى إِذَا أَخَذَ الْفَرِيْسَةَ لَمْ يُغَادِرْ
 هذا الحاكم متلهب الطغوى (شديد الطغيان)، إذا أخذ فريسة لم يتركها
 يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ تَدُو رُ عَلَيْهِ بَعْدَكُمْ الدَّوَائِرُ
 يا ترى من تدور عليه الدوائر (المصائب) بعدكم؟
 الْوَقْتُ أَضْيَقُ أَنْ نُغَا لَطَ فِي الْحَقَائِقِ أَوْ نَكَابِرْ
 أماننا وقت قصير ولا مجال للمغالطة والمكابرة
 لَمْ يَبْقَ إِلَّا كَرَمَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ نَازِرٍ
 بقي للمسلمين كرامة (بستان) وليس لها ناظر (ناطور/ حارس)
 إِنْ نَامَ عَنْهَا الْحَافِظُو نَ فَإِنَّ جَفْنَ الشَّرِّ سَاهِرٌ
 إن نام حافظو البستان عنه فإن عين الشر ساهرة متربصة به
 مَنْ كَانَ يَرْقُبُ فَرْصَةً فَلْيَغْنِمِ الْفُرَصَ الْحَوَاضِرُ
 إن كنا نريد انتهاز الفرصة، فلنغنم الفرصة الحاضرة
 لَا يَمْشِيَنَّ السُّلْحَفَا ءٌ وَغَيْرُهُ لِّلْمَجْدِ طَائِرُ
 ولا نمشِ السُلْحَفَاءُ (مَشِي السُّلْحَفَاءُ) بينما غيرنا يطير طيراناً في تقدمه العلمي

٨١ حكمة

أَتَغْلِبُنِي ذَاتُ الدَّلَالِ عَلَى صَبْرِي إِذْنُ أَنَا أَوْلَى بِالْقِنَاعِ وَبِالْخَذْرِ
 هل تغلبني الفتاة ذات الدلال وتجعلني أفقد صبري؟ إذن فأنا أولى بالقناع (الخمار) وبالخدر
 (الستار الذي «كان» يفصل الحريم عن الرجال)
 تَتِيهٌ، وَلِي جِلْمٌ إِذَا مَا رَكِبْتُهُ رَدَدْتُ بِهِ أَمْرَ الْغَرَامِ إِلَى أَمْرِي
 تتيه (تتكبر) ولي جِلْم (طول بال) إذا ما ركبته (استعملته) أرجعت الأمر لكون في يدي أنا
 وَمَا دَفَعِي اللَّوَامَ فِيهَا سَامَةً وَلَكِنَّ نَفْسَ الْحُرِّ أَزْجَرَ لِلْحُرِّ
 ولست أرد كلام اللاتمين بشأنها ملأ منهم، ولكن لأن نفس الحر هي الأزجر (الأكثر ردعاً) له
 إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ مِنْ عَيْشَةٍ غِنًى فَلَا بُدَّ مِنْ يُسْرِ وَلَا بُدَّ مِنْ عُسْرِ
 وبما أن المرء لا غنى له عن العيشة فلا بد أن يأخذها بيسرها وبعسرها

وَمَنْ يَخْبِرِ الدُّنْيَا وَيَشْرَبْ بِكَاسِهَا يَجِدُ مُرَّهَا فِي الْحُلُوِّ، وَالْحُلُوِّ فِي الْمُرِّ
والذي يعرف الدنيا حقاً ويشرب من كأسها يجد حلوها ممزوجاً بالمر، ومرها ممزوجاً بالحلو
وَمَنْ كَانَ يَغْزُو بِالتَّعَلَّاتِ فَقْرَهُ فَإِنِّي وَجَدْتُ الْكَدَّ أَقْتَلَ لِلْفَقْرِ
ومن يحارب فقره بالتعلات (بالحجج)، فإنني وجدت الكد (الاجتهاد والتعب) أحسن لقتل الفقر
وَمَنْ يَسْتَعِينُ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ يَخُنُّهُ الرَّفِيقُ الْعَوْنُ فِي الْمَسْلَكِ الْوَعْرِ
والذي يستعين في شؤونه بالآخرين يخونه الرفيق العون (المعين) في لحظة الضيق وفي المسلك
(الممر) الوعر

وَمَنْ لَمْ يُقِمَّ سِتْرًا عَلَى عَيْبٍ غَيْرِهِ يَعِشْ مُسْتَبَاحَ الْعَرَضِ مِنْهَتِكَ السِّتْرِ
والذي لا يستر عيوب الآخرين يعيش مستباح العرض ومنهتك (ممزق) الستر
وَمَنْ لَمْ يُجْمَلْ بِالتَّوَاضِعِ فَضْلُهُ يَبْنُ فَضْلُهُ عَنْهُ، وَيَعْطَلُ عَنِ الْفَخْرِ
والذي لا يزين معروفه بالتواضع يبين (يَعُدُّ) فضله عنه، ويَعْطَلُ (يتجرد) عن الفخر

٨٢ شاعر لا يجارى

قال شوقي (١٩٠٠):

بَدَأَ الطَّيْفُ بِالْجَمِيلِ وَزَارَا يَا رَسُولَ الرُّضَا وَقِيَتَ الْعِثَارَا
بدأني طيف (خيال) المحبوب بالجميل (بالمعروف) فزارني وأنا غاف. فيا أيها الطيف، يا أيها
الرسول الذي يحمل رضا المحبوب، وفاك الله العثار (التعثر)

حَسَنٌ يَا خِيَالُ صَنَعُكَ عِنْدِي أَجْمَلُ الصَّنْعِ مَا يُصِيبُ افْتِقَارَا
حسن يا خيال صنعك (معروفك) عندي، وأجمل المعروف ما يصيب (يصادف) افتقاراً (حاجة
ماسة)

أَيُّهَا الْعَاذِلُونَ نِمْتُمْ وَرَامَ السُّدَّ هَدُّ مِنْ مُقْلَتِي أَمْرًا فَصَارَا
أيها العاذلون نمتم أنتم، ورام (طلب) السهد (النوم الخفيف) من مقْلَتِي (عيني) أمراً فحدث الأمر

آفَةُ النَّصْحِ أَنْ يَكُونَ جِدَالًا وَأَذَى النَّصْحِ أَنْ يَكُونَ جِهَارًا
آفة (مشكلة) النصح أن يكون جدالاً، ويتحول النصح إلى أذى عندما يكون جهاراً (علانية)

سَأَلْتَنِي عَنِ النَّهَارِ جُفُونِي رَجِمَ اللَّهْ يَا جَفُونِي النَّهَارَا
سألتني جفوني متى يطلع النهار، ألا رحمة الله على النهار (يبدو أن النهار مات ولم يعد يطلع
لطول ليلي)

قُلْنَ: نَبِيهِ، قُلْتُ: هَاتِي دُمُوعاً قُلْنَ: صَبِراً، فَقُلْتُ: هَاتِي اصْطَبَاراً
فَقَالَتِ الْجَفُونَ: هَلُم نَبِيكِ النَّهَارَ، قُلْتُ هَاتِي دُمُوعاً فَقَدْ تَفَدَّتْ دُمُوعِي؛ فَقُلْنَ اصْبِرْ، فَقُلْتُ: هَاتِي
اصْطَبَاراً (صَبِراً)

لَمْ نُفِقْ مِنْكَ يَا زَمَانُ فَنَشْكُو مَدْمَنُ الْخَمْرِ لَيْسَ يَشْكُو الْخُمَارُ
أَيُّهَا الزَّمَانُ لَمْ نَفِقْ (نَضَحْ) بَعْدَ مِنْ مَصَائِبِكَ حَتَّى تَتَفَرَّغَ لِلشَّكْوَى، وَمَدْمَنُ الْخَمْرِ يَتَوَدَّ عَلَى الْخَمَارِ
(صَدَاعُ الْسُكْرِ) فَلَيْسَ يَشْكُوهُ

فَاصْرِفِ الْكَأْسَ مُشْفِقاً، أَوْ فَوَاصِلْ خَرَجَ الرُّشْدُ مِنْ أَكْفِ السُّكَارَى
فَاصْرِفْ (أَبْعِدْ) الْكَأْسَ رَفَقاً بِي، أَوْ فَوَاصِلْ سَقِي، فَقَدْ خَرَجَ الْأَمْرُ مِنْ أَيْدِي السُّكَارَى وَلَمْ يَعُودُوا
يَهْتَمُونَ بِشَيْءٍ

شُعْرَاءُ الزَّمَانِ مَهْلَأَ رُؤْيَدَا إِنَّ فِي مِصْرَ شَاعِراً لَا يُجَارَى
يَا شُعْرَاءَ الزَّمَانِ مَهْلَأَ، وَتَرِيثُوا، إِنَّ فِي مِصْرَ شَاعِراً لَا يُجَارَى (يَنَافَسُ)

حَامِلاً فِي الصَّبَا لَوَاءِ الْقَوَانِي مُسْتَرْقِاً لِمُلْكِهِ الْأَشْعَارِ
حَامِلاً مِنْذُ صَبَاهُ لَوَاءِ (رَايَةِ) الْقَوَانِي (الشَّعْرِ)، مُسْتَرْقِاً (مُسْتَعْبِداً) لِمُلْكِهِ الْأَشْعَارِ

٨٣ الغواني السوافر

قال شوقي بصف (كوك صو) وهو موضع في الآستانة (١٩٠٠):

تَحِيَّةُ شَاعِرٍ يَا مَاءَ جُكْسُو فَلَيْسَ سِوَاكَ لِلْأَرْوَاحِ أَنْسُ
تَحِيَّةٌ مِنْ شَاعِرٍ لَكَ يَا مَاءَ (مَوْضِع) جُكْسُو فَأَنْتَ وَحْدَكَ أَنْسُ الْأَرْوَاحِ

وَرَدْنَكَ كَوَثِراً وَسَفَرْنَ حُوراً وَهَلْ بِالْحُورِ إِنْ أَسْفَرْنَ بِأَسْ؟
وَرَدْنَكَ الْحَسَانَ فَكَأَنَّكَ نَهْرُ الْجَنَّةِ «الْكُوثر» إِذْ يَتَرَقَّقُ، وَسَفَرْنَ عَنْ وَجُوهُنَّ فَإِذَا بِهِنَّ كَحُورِ الْجَنَّةِ،
وَهَلْ هُنَاكَ بِأَسْ إِذَا أَسْفَرَتِ الْحُورُ؟

فَقُلْ لِلْجَانِحِينَ إِلَى حِجَابٍ أَتَحَجَّبُ عَنْ صَنِيعِ اللَّهِ نَفْسُ
فَقُلْ لِلْجَانِحِينَ (الْمَالِينَ) إِلَى حِجَابِ الْمَرْأَةِ: هَلْ تَحَجَّبُ النَّفْسُ عَنْ رُؤْيَا خَلْقِ اللَّهِ الْبَدِيعِ؟

إِذَا لَمْ يَسْتَرْ الْأَدَبُ الْغَوَانِي فَلَا يُغْنِي الْحَرِيرُ وَلَا الدَّمَقْسُ
إِذَا الْأَدَبُ لَمْ يَسْتَرْ الْغَوَانِي (الْحَسَانَ) فَلَا يُغْنِي الْحَرِيرُ وَلَا الدَّمَقْسُ (نَوْعٌ مِنَ الْحَرِيرِ)

تَأْمَلْ هَلْ تَرَى إِلَّا جَلالاً تُحِسُّ النَّفْسُ مِنْهُ مَا تُحِسُّ
تَأْمَلْ هَذِهِ الْوُجُوهُ الْحَسَانَ تَرَى جَلالاً تُحِسُّ النَّفْسُ مِنْهُ بِأَحَاسِيسٍ حُلُوةٍ

عَشِيَّتُكَ وَالْأَصِيلُ يَفِيضُ تَبْرًا وَيَنْسُجُ لِلرَّبِيِّ حُلَلًا وَيَكْسُو
غَشِيَّتَكَ (أَتَيْتَكَ) وَالْأَصِيلُ (الغروب) يَفِيضُ تَبْرًا (ذهباً)، وَيَنْسُجُ مِنْ أَشْعَتِهِ حُلَلًا (أثواباً) وَيَكْسُو
الرَّبِّي

عَلَى فُلُكٍ تَسِيرُ بِنَا الْهُوَيْنَى وَمِنْ شِعْرِي نَدِيمٌ لِي وَجِلْسُ
أَتَيْتَكَ عَلَى فُلِكَ (سفينة) تَسِيرُ الْهُوَيْنَى (ببطء)، وَشِعْرِي هُوَ نَدِيمِي وَجِلْسِي (جليسي)

٨٤ نهاية المسرحية

قال شوقي يرثي بشارة تقلا أحد مؤسسي جريدة الأهرام (١٩٠١):

حَلَّ بِالْأُمْتَيْنِ خَطْبٌ ثَقِيلٌ رَجُلٌ مَاتَ، وَالرَّجَالُ قَلِيلُ
الْأَمْتَانِ: الشَّوَامِ وَالْمَصْرِيَّونَ

زَالَ عَنْ سُورِيَا فَتَاهَا الْمُرَجَّى وَعَنِ النَّبْلِ جَارُهُ الْمَأْمُولُ
وكانت بلاد الشام كلها تسمى آنذاك سوريا

هَذِهِ الْأَرْضُ وَالْأَنَامُ عَلَيْهَا مَلْعَبٌ، ثُمَّ يَنْقُضِي التَّمْثِيلُ
ملعب: مسرح

٨٥ الهوى قدر

قال شوقي (١٩٠١):

لَكَ أَنْ تَلُومَ، وَلِي مِنَ الْأَعْدَارِ أَنَّ الْهَوَى قَدَرٌ مِنَ الْأَقْدَارِ
لك يا عاذلي أن تلومني، ولكن أحد أعداري أن الهوى قدر محتم

يَا قَلْبُ شَأْنِكَ، لَا أُمِدُّكَ فِي الْهَوَى أَبَدًا، وَلَا أَدْعُوكَ لِلْإِقْصَارِ
أنت وما تريد يا قلبي، لا أملك بمساعدة في الحب، ولا أدعوك للإقصار (الكفت عنه)

أَمْرِي وَأَمْرُكَ فِي الْهَوَى بَيِّدَ الْهَوَى لَوْ أَنَّهُ بِيَدِي فَكُكْتُ إِسَارِي

٨٦ ضد عرابي

قال شوقي متشفياً بأحمد عرابي بعد عودته إلى مصر (١٩٠١):

صَغَارَ فِي الذَّهَابِ وَفِي الْإِيَابِ أَهَذَا كُلُّ شَأْنِكَ يَا عُرَابِي؟

صغار: حقارة

عفا عنكَ الأبعدُ والأداني فَمَنْ يعفو عنِ الوطنِ المُصابِ
الأبعد: الإنجليز، والأداني: الخديوي (وبعض هذين الطرفين عاد عرابي إلى مصر من منفاه)

٨٧ شكوى العظام إلى عرابي

قال شوقي متشفياً بأحمد عرابي بعد عودته من منفاه (١٩٠٢):

عُرابي كيف أوفيك المَلاما جمعتَ على ملامتِكَ الأناما
فَقِفْ «بالتلِّ» واستمعِ العظاما فإنَّ لها، كما لَهُمُ، كلاما

التل: هو التل الكبير الذي وقعت عليه معركة مع الإنجليز احتلوا بعدها مصر، ويطلب شوقي من عرابي أن يستمع إلى عظام الذين استشهدوا في معركة التل الكبير، فإن للعظام مثلاً للأنام (للناس) كلاماً تقوله

* * *

تقولُ لكَّ العظامُ مقالَ صدقٍ ورُبُّ مقالَةٍ مِنْ غيرِ نُطقٍ:
قتلتَ المسلمينَ بغيرِ حقٍّ وضيَّعتَ الأمانةَ والذماما

* * *

نَجِيثُكَ يومَ يحضُرُكَ الجِمامُ يَسْأَلُ حُسَامَهُ، ولنا حِسامُ
وتسبِقُ سَهْمَهُ مَنَّا سِهامُ لها بالحقِّ رامٍ لا يُرامى

لا يُرامى: لا يناقَس في رمي السهام. يريد شوقي لعظام الشهداء أن تلاحق عرابي حتى سرير الموت فتسابق عزرائيل عليه. لقد خجل الوطنيون كثيراً من بضع قصائد لشوقي ضد عرابي، ومن عشرات القصائد الأخرى في مدح توفيق وعباس حلمي، وعُثِمَت ثورة ٥٢ ما استطاعت على هذه القصائد. ولعل سبب عداوة شوقي لعرابي ولاء شوقي للخديوي توفيق، أما قال له في قصيدة: «فاسمع لعبدك وابن عبدك؟» فتوفيق هو الذي أرسله إلى فرنسا ليتعلم، وكان براعيه، فعندما أتم شوقي تعليمه أمره توفيق بالمكوث في باريس بعض الوقت لتوسيع آفاقه. يقول شوقي في مقدمة الشوقيات: «فرأى لي الجنب العالِي أيده الله أن أقضي في العاصمة ستة شهور أتمكن فيها من معرفة أشياء باريز وأهلها». وما صنعه عرابي هو أنه تحدى توفيقاً ووقف يدافع عن مصر في وجه الغزاة الإنجليز. وكان تحدى توفيقاً قبلها في ملاسنة مشهورة لها روايات عديدة. ومعركة التل الكبير موقعة حامية قتل فيها نحو ٥٥٠ من الإنجليز، و١٤٠٠ من المصريين. وكان الإنجليز أكثر عددَ جنودٍ وعددَ مدافع. وبعد انتصارهم نفى الإنجليز عرابي إلى سيلان مع عدد من قادة حركته، وظل منفياً نحو عشرين سنة

٨٨ لؤلؤة على خد المويلحي

عندما نشر شوقي ديوانه في نحو عام ١٩٠٠ تعرض له بالنقد محمد المويلحي الذي انتقد تصدير شوقي الديوان بمقدمة يروي فيها سيرته. وسخر المويلحي من شوقي لأنه روى حادثة جرت له في صباه مع الشيخ علي الليثي. ودافع عن شوقي صديقه شكيب أرسلان، فكتب إليه شوقي يشكره: «دفعت عني اليازجي بيد هدمت كيانه وألفت بيانه؛ وتحامل علي المويلحي فرددت عني الرد الذي قطع حجتة. فسبحان من جعلك جلاداً لأعدائي وروبرتساً لحسادِي» يشير إلى روبرتس قائد الإنجليز الذي غلب الأفريقان البيض في جنوب أفريقيا. ثم حدث بعد حين أن صفع شاب محمداً المويلحي لأنه مازحه، فكانت فرصة لشوقي كي يتقم. فاتخذ الحادثة مادة للتفكه والشماتة في قطع كثيرة كان ينشرها باسم مستعار. هذه واحدة منها. (١٩٠٢)

لَقَدْ صَفَعُوهُ صَفْعَةً جَلَّ شَأْنُهَا وَأَعْيَا عَلَى حَذَقِ الطَّبِيبِ عِلَاجُهَا
أَعْيَا: أَتَعَبَ، حَذَقِ الطَّبِيبِ: مَهَارَتِهِ

وَلَوْ أَتَّبَعُوا صَفْعاً بَصَفَعٍ لَأَحْسَنُوا وَزَانَ اللَّالِي فِي النُّحُورِ اازِدَوُاجُهَا
فالعقد مكون من صفين من اللالئ، والصف الأيمن يناظر الأيسر، وهذا الازدواج يجعل العقد جميلاً. المصراع الأخير من البحري: فَإِنْ تُلْحِقِ النُّعْمَى بِنُعْمَى فَإِنَّهُ/ يَزِينُ اللَّالِي فِي النِّظَامِ اازِدَوُاجُهَا

٨٩ الحال كما صورتها

في ذكرى مئة سنة على مولد فكتور هوغو (١٩٠٢)

الْحَالُ بَاقِيَةٌ كَمَا صَوَّرَتْهَا مِنْ عَهْدِ آدَمَ، مَا بَهَا تَغْيِيرُ
البؤس والنُّعْمَى عَلَى حَالَيْهِمَا وَالْحِطُّ يَعْدِلُ تَارَةً وَيَجُورُ
وَمِنْ الْقَوِيَّ عَلَى الضَّعِيفِ مَسِيطِرُ وَمِنْ الْغَنِيِّ عَلَى الْفَقِيرِ أَمِيرُ
وَالنَّفْسُ عَاكِفَةٌ عَلَى شَهَوَاتِهَا تَأْوِي إِلَى أَحْقَادِهَا وَتَشُورُ
النفس منكبة على الشهوات، وأحياناً تلجأ إلى الحقد وإخفاء البغض، وأحياناً تنور وتظهر البغض
وَالْعَيْشُ أَمَالٌ تَجِدُّ وَتَنْقُضِي وَالْمَوْتُ أَصْدَقُ، وَالْحَيَاةُ غُرُورُ
العيش آمال تتجدد ثم تنتهي، والموت أصدق من العيش فهو وحده الدائم

٩٠ حريق ميت غمر

قال شوقي في حريق ميت غمر (١٩٠٢):

اللَّهُ يَحْكُمُ فِي الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى يَا مَيِّتَ غَمْرٍ خَذِي الْقَضَاءُ كَمَا جَرَى

ما جَلَّ خَطْبُ ثَم قيسٍ بِغيرِهِ إِلَّا وَهَوْتُهُ القِيَّاسُ وَصَغَّرَا

قد جَنَتْ أَبْكِيهَا، وَأَخَذَ عِبْرَةً فَوَقَفْتُ مُعْتَبِرًا بِهَا مُسْتَعْبِرَا

مستعبراً: باكياً. نشرت القصيدة في مايو/أيار ١٩٠٢ وقالت المجلة التي نشرتها: «إن شوقي اهتم بحادثة ميت غمر اهتماماً زائداً فسافر لمحل الحادثة ونظم قصيدته»

وَالْأُمّهَاتُ بِغيرِ صَبْرٍ: هذه تبكي الصغيرَ، وتلك تبكي الأصغرا

مِنْ كُلِّ مُودَعَةٍ الطُّلُولِ دُمُوعَهَا مِنْ أَجْلِ طِفْلِ فِي الطُّلُولِ اسْتَأْخَرَا

استأخر: تأخر

كَانَتْ تُؤَمِّلُ أَنْ تَطُولَ حَيَاتُهُ وَالْيَوْمَ تَسْأَلُ أَنْ يَعُودَ فَيُقْبِرَا

مُدُّوا الْأَكْفَ سَخِيَةً، وَاسْتَغْفِرِي يَا أُمّةٌ قَدْ آَنَّ أَنْ تَسْتَغْفِرَا

أَوَّلَى بِعَطْفِ الْمُوسِرِينَ وَبِرِّهِمْ مَنْ كَانَ مِثْلَهُمْ فَاصْبَحَ مُعْسِرَا

يَا أَيُّهَا السُّجَنَاءُ فِي أُمُوالِهِمْ أَلَيْسَ الْإِيَّامُ أَنْ تَنْفَعِيَرَا

لَا يَمْلِكُ الْإِنْسَانُ مِنْ أَحْوَالِهِ مَا تَمْلِكُ الْأَقْدَارُ، مَهْمَا قَدَّرَا

٩١ الوئش

قال شوقي يرثي عبده الحمولي (١٩٠٢):

لَا يَجَارِيهِ فِي تَفَنُّنِهِ الْعَوْدُ دُ، وَلَا يَشْتَكِي إِذَا لَمْ يَجَارِهِ

لشدة تفننه يعجز العود أن يلحق بصوت عبده الحمولي، وهو لا يحتاج إلى العود حتى يُظهر له تفرعات المقامات. كنت سألت الملحن المرحوم سيد إسماعيل: ترى هل كان عبده صالح يفتح أبواب النغم لأم كلثوم بقانونه، ويقود خطواتها، فقاطعتني صارخاً: «أم كلثوم كانت زي الوئش»، والوئش هي الشاحنة التي تسحب السيارات المعطلة، ولا شيء يسحبها

يُسْمِعُ اللَّيْلَ فِي الْفَجْرِ «يَا لَيْلِ لُ»، فَيُصْغِي مُسْتَمَهلاً فِي فِرَارِهِ

الليل يولي هارباً بقدوم الفجر، فيقول عبده الحمولي «يا ليل»، فيقف الليل ويتمهل حتى يسمعها قبل أن ينصرف. الله! على هذا البيت. ليقول شوقي آلاف الأبيات المغسولة بعد هذا وقبله، الشاعر بجيده لا برديته. وقد أحب سعد الدين وهبة هذا البيت وأفرده من القصيدة في مقابلته المطولة مع عبد الوهاب. وقال السوربوني عن البيت: «هذا بيت واحد لشوقي من شعر الوجدان تتضاءل بجانبه قصائد ودواوين بعض المجددين»

٩٢ صليبيّة

قال شوقي من قصيدة يهنئ بها عبد الحميد بعيد الجلوس. وانتعشت في ذلك الوقت حركات في البلاد التي يحكمها الأتراك في أوروبا تطالب بالانفصال، وتتلقى الدعم من الروس والإنجليز والفرنسيين والنمساويين. وفي سنة ١٩٠٣ قمعت إستانبول بقسوة المدن البلغارية والمقدونية في سياق ثورة مقدونيا على الحكم العثماني (١٩٠٣)

عِشْ للخلافة ترضاهَا وتُرضيها وتنشئ السكّة الكبرى وتحميها
وقعت الدولة العثمانية معاهدة مع ألمانيا، في مارس ١٩٠٣، لإنشاء سكة حديد إستانبول - بغداد

وتحمِلُ الملك والإسلامَ عن أُممٍ شلّاء لا تحمِلُ الأشياءَ أيديها
فالأمم الإسلامية من عرب وغيرهم يحتاجون لعبد الحميد لكي يحمل عنهم الملك والدين، فهم مشلولون وأيديهم لا تقدر على حمل الأشياء. وكلمة «الاشياء» هنا أحلى من الأعباء أو الأثقال، ليس لأنها ترجع صدى شلاء - أو ما يحب النقاد أن يسموه الموسيقى الداخلية - ولكن لمعناها

إن أضْحَكَ المملأ المفتونَ حاضرُها أبكى الأجنّة في الأرحام آتيها
وحاضر هذه الأمم جيد ويضحك له مستبشراً المملأ المفتون (القوم المخدوعون)، ولكن الآتي (المستقبل) سيكون مظلماً إلى درجة أن تبكي له الأجنة في الأرحام

توهّموا العِزَّ في ذلٍّ يُرادُ بِهِمُ وشُبّهَتْ لَهُمُ النِّعماءُ تشبيها
توهم المسلمون الذل الذي يريده الغرب لهم عزاً واستقلالاً. ورأوا في وعود الغرب ما يشبه النعيم وليس بنعيم

لا عِيشَ في الذلِّ إلّا للذليل، ولا حياة للنفسِ إن ماتت أمانِها
ما هذه الحرب، في زِيّ السلام، لكم إلّا صليبيّة والكُلُّ صالِها
أمم الغرب منذ ذلك الوقت يكثر في كلامها الحديث عن السلام؛ وهي كانت تساعد ثورات الأمم الكارهة للحكم العثماني ومنها أمم مسلمة، باسم السلام، ولكن القصد الدفين للغرب كما يرى شوقي صليبي ومتصل بحروب قامت قبل مئات السنين ولما تهدأ ثاراتها

يا أُمَّة المصطفى جَلَّتْ حوائِجُكُمْ فقدّموا الخيرَ علّ اللّهُ يَقْضِيها
لا تَسمَعوا لِمُريبٍ في خلافتِكُم كفى الخلافة ما يأتي أعاديها

٩٣ .. ناحيةً في الهرم

قال شوقي يصف حفلاً راقصاً في قصر عابدين (١٩٠٣):

طالَ عَلَيْها القِدَمُ فَهِيَ وُجودٌ عَدَمُ
الخمرة القديمة انعدمت فيها كل خواص العنب واكتسبت كل خواص الخمر. معنى قديم لا يمل الشعراء من تكراره

خَبَّأَهَا كَاهِنٌ نَاحِيَةً فِي الْهَرَمِ

قال عشرات الشعراء هذا المعنى، وجعلوا الخمر كسروية، وجعلوها من عهد نوح ومن عهد آدم. ولكن بيت شوقي هذا ظريف كل الظرف. فقد خبأها كاهن من كهنة الفراعنة في ناحية من الهرم ونسيها

نَمَّ بِهَا دُثْنُهَا وَهِيَ عَلَيْهِ أَنْمَ

الذن وعاء الخمر الكبير، وقد نم عن الخمر (وشى بوجودها)، ولكنها برائحتها نمت على الدن أكثر مما نم عليها بحجمه

بِي رَشَاءٍ نَاعِمٍ مَا عَرَفَ الْعُمَرَاءُ هَمَّ

بي (أي موكلٌ بي لا يفارق ذهني) رشا (غزال) ناعم (منعم في عيشه)، لم يعرف هذا

أَخْرَجَهَا اللَّهُ كَالزَّرِّ هَرَّةً، وَالْحَسَنُ كِمَ

هذه الفتاة كالزهرة، وكِمْها (أكمامها التي تكون مضمومة عليها) هو الجمال بعينه

تَخْطِرُ عَنْ عَادِلٍ لِمَ يُرَى إِلَّا ظَلَمٌ

قدما الذي تخطر به عادل (مستو)، وهو ظالم لكل من يراه لما يترك من حسرة في النفوس. وهذا المعنى القديم ظل الشعراء يعالجونه ألفي سنة حتى جاء إبراهيم ناجي وقال (فيما تغني أم كلثوم): «ظالم الحسن شهى الكبرياء»

تَسْأَلُ أَتْرَابَهَا مُؤَمِّئَةً بِالْعَنَمِ

تسأل صديقاتها، وهي تشير بأطراف أصابعها الشبيهة بالعنم (ثمر أحمر)

أَيُّ فَتًى ذَلِكُنَّ- الْعَرَبِيُّ الْعَلَمُ

يَشْرِبُهَا سَاهِرًا لَيْلَتُهُ لِمَ يَنَمُ

قُلْنَ: تَجَاهَلْنَ؟ ذَلِكَ رَبُّ الْقَلَمِ

شَاعِرُ مِصْرَ الَّذِي لَوْ خَفِيَ النَّجْمُ لَمَ..

أي لو خفي النجم لم يخف شاعرنا لشهرته

قُلْتُ لَهَا: لَيْتَ لِمَ نُرِمَ وَلِمَ نُتَّهِمُ

قلت لها: ليت لم نُرَمَ (ليتك لا ترميني بالتهمة لشرب الخمر)

عَاذِلْتِي فِي الظُّلَا لَوْ أَنْصَفْتَ لِمَ أَلَمُ

التي تعذلني في الظلا (الخمر) ليست منصفة

إِنْ عَبَسَ الْعَيْشُ لِي عَذْتُ بِهَا فَايْتَسَمُ

فأنا إن عبس الدهر لي عذت (لجأت) بالخمير فابتسم الدهر لي

يَشْرِبُهَا كَابِرٌ بَيْنَ ضُلُوعِي أَشْمٍ

يشرب الخمر كابر (سيد) أشم (معتز بنفسه) وهو يقيم بين ضلوعي، أي أنا

يُكْسِبُهَا خُلُقَهُ يَمْزِجُهَا بِالشَّيْمِ

وهذا الذي يشرب الخمر يضيفي عليها من خلقه الحميد، ويمزجها بشيمه (بصفاته النبيلة)

تِلْكَ شَمُوسُ الدُّجَى أَمْ ظَلَبَاتُ الْخَيْمِ

أهذه الفتيات شمس طلعت ليلاً؟ أم هي في رشاقتها كفتيات البدو التي تكون كالغزلان في الخيام؟

اجْتَمَعَتْ فَالْتَقَتْ حَوْلَ خَوَانٍ نُظْمِ

وقد اجتمعن الآن حول خوان (مائدة) منصوب

مَائِدَةٌ مَدَّهَا بَحْرُ نَوَالٍ خِضَمِ

هذه المائدة مدّها الخديوي، بحر النوال (العطايا) الخضم (العظيم)

تَحَسَّبُهَا صُورَتْ مِنْ شَهَوَاتِ النَّهْمِ

والمائدة كأنها تحقيق لحلم شخص نهم، فمهما تخيل هذا النهم فهو موجود عليها. قرأها الأبياري «النهم» بفتح الهاء (وأرادها أحمد محفوظ وعلي شوقي اللذان أعدا ذلك الجزء من الشوقيات في حياة شوقي نهماً أيضاً)، ونرى فيها تجريداً لا مسوغ له، ونريدك أن تقرأها النهم بكسر الهاء

٩٤ الجد واللعب

قال شوقي يرثي علي رفاعة باشا، ابن رفاعة الطهطاوي (١٩٠٣):

كُلُّ الْحَقَائِقِ فِيهَا الشُّكُّ مُحْتَمَلٌ إِلَّا الْمَنِيَّةُ تَأْبَى الشُّكَّ وَالرَّيْبَا

وما رأيتُ، على علمي وتَجَرِبَتِي، كَالْمَوْتِ جِدًّا، وَلَا مَا قَبْلَهُ لَعِبَا

٩٥ النشور المبكر

رآه ولده علي وحسين خارجاً من البيت في زورة (زيارة) فبكيا

بَكَيَا لِأَجْلِ خُرُوجِهِ فِي زَوْرَةٍ يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ يَوْمَ فِرَاقِهِ

لَوْ كَانَ يَسْمَعُ يَوْمَئِذٍ بُكَاهُمَا رُدَّتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ إِشْفَاقِهِ

٩٦ آدم العنب

قال شوقي يصف حفل رقص في عابدين (١٩٠٤):

مَالٌ وَاحْتَجَبُ وَادَّعَى الْغَضَبُ

مال بوجهه عني وابتعد مدعي الغضب

لَيْتَ هَاجِرِي يَشْرَحُ السَّبَبَ
مَاءٌ خَذَهُ شَفَّ عَنْ لَهَبِ
ماء خذه (وماء الوجه نضارته) يشف عن لهب لحمرة الخد وتورده

سَاقِي الطَّلَا شُرْبُهَا وَجَبَ
يا ساقِي الطلا (الخمرة) وجب شربها الآن

هَاتِيهَا مَشَتْ فَوْقَهَا الْحَقَبُ
هاتها خمرة مشت فوقها الحقب (الأزمان) . . أي أنها معتقة

بَابِلِيَّةٌ تَنْقُتُ الْحَبَّ
خمرة من بابل المشهورة بالخمور، تُخرِجُ الحب (الفقايع)

إِنَّ كَرْمَهَا أَدُمُ الْعِزْبِ
وكرمها (بستان العنب الذي منه أخذت) هو أول كرم خلقه الله، فهو، في الكروم، كآدم في البشر

هُذِّبْتُ فَفِي ذَنْبِهَا الْأَدَبُ
لقد صفت هذه الخمر وراقت فكانها هُذِّبَتْ، وأما هذا التهذيب والتأديب فقد تم في الدن (خاية
الخمرة)

إِسْقِهَا فَتَى خَيْرَ مَنْ شَرِبَ
كُلَّمَا طَلَعَتْ رَاضَهَا الْحَسَبُ

كلما طغت الخمرة ولعبت برأسه فإن حسيه النبيل يروضها ويجعلها لا تفضي به إلى
العريضة. الأبياري يريد في شرحه «حسب الخمرة»، فهي ذات حسب عريق وهو الذي
يمنعها من الطغيان. وهذا تفسير جميل، وإن كنت أرى البيت الذي قبل هذا البيت
يستدعي المعنى الذي شرحته أعلاه، وبي ميل شديد إلى تفسير الأبياري فالبيت عليه
أحلى: الخمرة تطنى وتعصف بشاربها، والذي يروضها هو حسيها، فهي مهذبة ومن
أصل كريم وعريق

رَبِّ مَصْرَ عِشْنِ وَأَبْلُغِ الْأَرْبَ
رب مصر: صاحب مصر عباس حلمي الثاني

هَآكَ مِذْحَةَ الثَّـاعِـرِ الْأَرْبِ
الأرب: الماهر

لَمْ يَجِئْ بِهَا شَاعِرٌ ذَهَبَ

ولم يجئ بمثل هذه القصيدة شاعر قبل شوقي لأن وزنها مبتدع، وأما بعد شوقي فقد ارتجل حافظ إبراهيم وعبد العزيز البشري وهما يتمشيان على الكوبري أبياتاً فكاهية على هذا الوزن منها: شال وانخط/وادعى العبط، ليت هاجري/يلع الزلط. وينهني صديقي الشاعر عمران القفيني إلى أن شوقي ليس أول من نظم على هذا الوزن: «أعرف أبياتاً للبارودي (المتوفى آخر ١٩٠٤)، سبقت أبيات شوقي (التي قالها في ١٩٠٤)، إلا أن يكون البارودي قالها في آخر عام في حياته بُعيد قصيدة شوقي، وهذا صعب. أول القصيدة: املاً القدح - واعص من نصح// وارو غلتي - بابتة الفرح»

٩٧ أسلمتهم لعيون الله

وقال وهو في الآستانة في عيد جلوس عبد الحميد (١٩٠٤):

بِاللَّهِ يَا نَسَمَاتِ النِّيلِ فِي السَّحْرِ هَلْ عِنْدَكُنَّ عَنِ الْأَحْبَابِ مِنْ خَيْرِ
مِصْرَ الْعَزِيزَةِ، مَالِي لَا أُوَدِّعُهَا وَدَاعَ مُحْتَفِظٍ بِالْعَهْدِ مُذَكِّرِ
مَذَكَّر: متذكّر للعهد

خَلَّفْتُ فِيهَا الْقَطَا مَا بَيْنَ ذِي زَعَبٍ وَذِي تَمَائِمَ لَمْ يَنْهَضْ وَلَمْ يَطِيرِ
القطا (من الطيور): يعني أبناءه، بعضهم له زغب (ريش نابت)، وبعضهم عليه التمايم (الخَرَازَاتِ توضع على الطفل لرد العين)

أَسْلَمْتُهُمْ لَعْيُونِ اللَّهِ تَحَرُّسُهُمْ وَأَسْلَمُونِي لَظْلِ اللَّهِ فِي الْبَشْرِ
سلمت أبنائي لعيون الله، وهم سلموني لظل الله بين البشر وهو السلطان عبد الحميد
وَدِيعَةٌ لَهُمْ عِنْدَ الْإِمَامِ، وَمَنْ يَسْتَوْدِعُ الرُّوْضَ يَسْتَثْمِرُ وَيَذْخِرُ
وأنا ودیعة أودعها أبنائي عند إمام المسلمين، ومن يضع ودیعة عند الروض (يذر بذوراً) فهو يستثمر ويذخر للمستقبل

يَا ابْنَ الْخَلَائِفِ مِنْ عِثْمَانَ! فَضْلُكُمْ كَوَاضِحِ الصَّبْحِ عِنْدَ الْبَيْتِ وَالْحَجَرِ
فضل بني عثمان كالصبح الذي يشرق في بيت الله بمكة عند الحجر الأسود المبارك

حَفِظْتُمْ الدِّينَ دَهْرًا فِي كِرَامَتِهِ مَجْمَلًا بِحُجُولِ الْفَتْحِ وَالْغُرَرِ
جملتكم الدين بفتحكم التي هي كالحجول والغرر (الحجول: هي البياضات في قوائم الفرس، والغرر البياضات في جبهته)

خِلَافَةُ اللَّهِ كَالْعِنَقَاءِ فِي يَدِكُمْ فَوْقَ الْحَبَائِلِ وَالْأَرْزَاءِ وَالْغِيَرِ
الخلافة بيدكم كالعنقاء (طائر قيل إنه لا يمكن أن يصاد)، فهي فوق الجبال (المصائد) والأرزاء (المصائب)، والغير (النكبات)

تَظَلُّ فِي فَلَكِ الْعِلْيَاءِ هَالَتْهَا يَزُفُّهَا قَمَرٌ مِنْكُمْ إِلَى قَمَرٍ
 فالخلافة هالة (دائرة الضوء التي حول القمر) وخلفاء بني عثمان هم الأقمار يتوارثون هذه الهالة
 لَمَّا اضْطَلَعْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا مَلَكَتْ نَاصِيَتَيْهَا مِلْكٌ مُقْتَدِرٍ
 لما اضطلعت بالخلافة (توليتها) ملكتها من ناصيتها (جانبيها) بقدرة
 حَمَلَتْهَا وَاثِقًا بِاللَّهِ مُصْطَبِرًا يَنْوُشُكَ الدَّهْرُ فِيهَا غَيْرَ مُصْطَبِرٍ
 ينوشك: يتناولك بالمكروه

٩٨ شاعر النيل!

قال شوقي (١٩٠٤):

أَيْهَا النَّفْسُ تَجِدِّينَ سُدًى هَلْ رَأَيْتِ الْعَيْشَ إِلَّا لَعِبًا
 جَرَّبِي الدُّنْيَا تَهْنُ عِنْدِكَ؛ مَا أَهْوَى الدُّنْيَا عَلَى مَنْ جَرَّبَهَا
 نَلَيْتَ فِيمَا نَلَيْتَ مِنْ مَظْهَرِهَا وَمُنِحْتَ الْخُلْدَ ذِكْرًا وَنَبَا
 نلت يا نفسي ضمن ما نلت من الأشياء مظاهر الدنيا، ونلت أيضاً الخلود فيها بالذكر والنبا (الخير
 الطيب)

أنا في دنياي أو آخرتي شاعر النيل، وحسبي لقباً
 هكذا لقب شوقي نفسه بشاعر النيل في سنة ١٩٠٤، وهو صريح في أن هذا خير لقب يرجوه،
 وبعد ذلك بعدة سنوات نال حافظ إبراهيم «نشان النيل» - بعد سنة ١٩١٢ - ولقب إثر ذلك بشاعر
 النيل، وانتظر شوقي حتى سنة ١٩٢٧ لينال لقباً آخر هو أمير الشعراء

٩٩ رمضان ولّي

قال شوقي (١٩٠٤):

رَمَضَانُ وَلِي، هَاتِهَا يَا سَاقِي مُشْتَاقَةٌ تَسْعَى إِلَى مُشْتَاقِي
 جعل الخمرة مشتاقة أيضاً لشاربها

مَا كَانَ أَكْثَرُهُ عَلَى الْأَفْهَا وَأَقْلَهُ فِي طَاعَةِ الْخَلَاقِ
 كم كان رمضان طويلاً على ألاف (مجي) الخمرة، وكم كان قصيراً في طاعة الله

اللَّهُ غَفَارُ الذُّنُوبِ جَمِيعِهَا إِنْ كَانَ ثَمَّ مِنَ الذُّنُوبِ بَوَاقٍ
 الله يغفر الذنوب، هذا إن كان ثَمَّ (هناك) ذنوب ليغفرها بعد صيام رمضان. أرايت إلى هذه الروح
 التي تشب خفة؟ شوقي يتصيد النكتة الخفية ببراعة، وهو رغم خوفه من الله، شديد التوق إلى العتب

بِالْأَمْسِ قَدْ كُنَّا سَجِينِي طَاعَةِ وَالْيَوْمَ مَنَّ الْعَيْدُ بِالْإِطْلَاقِ
هو والخمر كانا حتى يوم أمس سجين طاعة الله، واليوم مَنَّ (تفضل) عليهما العيد بإطلاق
سراحهما

ضَحِكْتُ إِلَيَّ مِنَ السُّرُورِ، وَلَمْ تَزُلْ بِنْتُ الْكُرُومِ كَرِيمَةَ الْأَعْرَاقِ
الأعراق: الأصول

حَمَرَاءُ أَوْ صَفَرَاءُ، إِنَّ كَرِيمَهَا كَالْغَيْدِ، كُلُّ مَلِيحَةٍ بِمِذَاقِ
الخمر تكون حمراء أو صفراء؛ والخمر الكريمة (الجيدة) مثل الغيد (الحسان) فكل امرأة حسنة
فريدة في حسنها ولا تماثل امرأة أخرى. في يومنا هذا يقولون: نبذ أحمر ونبذ «أبيض»، مراعاة
للغة الأجنبية التي عنها ينقلون، ومراعاة للأجنبي الذي منه يستوردون النبيذ، ولكن النبيذ «الأبيض»
هو أصفر على التحقيق

لَا تَسْقِنِي إِلَّا دِهَاقًا، إِنَّنِي أَسْقَى بِكَأْسٍ فِي الْهَمُومِ دِهَاقِ
دهاقاً: ممتلئة

فَلَعَلَّ سُلْطَانَ الْمُدَامَةِ مُخْرَجِي مِنْ عَالَمٍ لَمْ يَحْوَ غَيْرَ نِفَاقِ

١٠٠ الميراث

قال شوقي في مدح عباس حلمي (١٩٠٤):

النَّيْلُ يَا ابْنَ عَلِيٍّ، وَهُوَ مِنْ دَهَبٍ، مَصَّبُهُ لَكَ مِيرَاثٌ وَمَنْبَعُهُ
النيل يا ابن علي (عباس حلمي وهو حفيد محمد علي) كأنه الذهب لما يعطي من خيرات؛ ومنبعه
ومنبعه (أي كله) ميراث لك

جَرَى يُحَاكِيكَ إِحْسَانًا وَعَارِفَةً فَقَصَّرْتُ عَنْ نَدَى كَفِّيكَ أَذْرُعُهُ
يحاكيك النيل (يقلدك) في الإحسان والعارفة (الإحسان)؛ ولكن، قصرت أذرعك بكاملها عن ندى
(كرم) كفئك وحدهما

أَهْدَى لَكَ الْحَمْدَ وَادِيَهُ وَشَاطِئُهُ وَأُمَّةٌ فِي ظِلَالِ الْأَمْنِ تَزْرَعُهُ

١٠١ الترامي

قال شوقي ينعي على مصطفى رياض، وولي رئاسة الوزارة ثلاث مرات، تملقه المعتمد
البريطاني كرومر. وكان الخديوي عباس قد انتقد شيئاً على القائد البريطاني كتشنر فغضب
كرومر وطلب من القصر اعتذاراً فأبى الخديوي عباس، فقدم رياض الاعتذار (١٩٠٤):

كَبِيرَ السَّابِقِينَ مِنَ الْكِرَامِ بِرُغْمِي أَنْ أَنَالَكَ بِالْمَلَامِ

إذا ما لم تكنْ للقولِ أهلاً فما لك في المواقفِ والكلامِ
خطبتَ فكُنتَ خطباً لا خطيباً أضيفَ إلى مصائبنا الجسامِ
الخطب: النكبة، الجسام: الكبيرة. قال محمد صبري السوريوني: (الشرط الأول «خطبت
فكنت خطباً لا خطيباً» كنتُ أسمعُ الكبار يهتفون به في كل مناسبة في السنوات التي أعقبت
القصيدة)

وهل تركتْ لك السبعونَ عقلاً لعِرفانِ الحلالِ مِن الحرامِ
كان المهجو في السبعين، فهو قد ولد عام ١٨٣٤. وعندما مات عام ١٩١١ نال مريئة من شوقي،
ولم نختر منها شيئاً

لهجتَ بالاختلالِ وما أتاهُ وجرحُك مِنهُ، لو أحسستَ، دامِ
لهجتَ: أغرمت

وما أغناهُ عَمَّنْ قالَ فيه وما أغناكَ عَن هذا التَّرامِي

١٠٢ تأليب

قال شوقي يستصرخ السلطان عبد الحميد من عسف شريف مكة «عون الرفيق»
بالحجاج (١٩٠٤):

ضجَّ الحِجازُ وضجَّ البيتُ والحرمُ واستصْرَخَتْ رِيَّها في مكةَ الأممُ
استصرخت: استنجدت

قد مَسَّها في حِمَاكَ الضُّرُّ فاقضِ لها خليفةَ اللَّهِ، أنتَ السيِّدُ الحَكَمُ
لكَ الربوعُ التي ريعَ الحَجيجُ بها، أَلِلشَّريفَ عليها أم لَكَ العَلَمُ؟
ريع: أخيف

أهينَ فيها ضيوفُ اللَّهِ واضطهدوا إن أنتَ لم تنتقمَ فاللَّهُ منتقمُ
يدُ الشريفِ على أيديِ الولاءِ علَّتْ ونعلُهُ دونَ رُكنِ البيتِ تُستَلَمُ
سلطة شريف مكة صارت أعلى من ولائه للخليفة، وصارت نعله تستلم (تُقَبَّل) بدلاً من ركن البيت
الحرام

عزَّ السبيلُ إلى طَه وتُرَبَّتِه فَمَنْ أرادَ سبيلاً فالطريقُ دَمُ
صار صعباً الوصول إلى طه (أي الرسول)، وتربته (قبره) في المدينة المنورة

١٠٣ تفسير آية

قال شوقي ينمي محمد عبده (١٩٠٥):

مُفَسِّرَ آيِ اللَّهِ بِالْأَمْسِ بَيْنَنَا قَمِ الْيَوْمَ فَسَّرَ لِلوَرَى آيَةَ الْمَوْتِ
لم يكن محمد عبده على وفاق مع الخديوي، فاكتفى شوقي شاعر الخديوي بثلاثة أبيات في رثائه

١٠٤ أحمد الوقت

قال يهنئ السلطان عبد الحميد بنجاته من قبلة قذف بها سنة (١٩٠٥):

بَلَوْنَاكَ يَقْظَانَ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا إِذَا ضَبَّعَ الصَّيْدَ الْمَلُوكَ سُبَاتُ
بلوناك (خبرناك) يقظان الصوارم (السيف) والقنا (الرمح)، في حين يضجع السبات (النوم) الملوك
الصيد (الشامخين)

فَلَوْلَاكَ مُلْكُ الْمُسْلِمِينَ مُضَيِّعٌ وَلَوْلَاكَ شَمْلُ الْمُسْلِمِينَ شَتَاتُ
أَكَانَ لِهَذَا الْأَمْرِ غَيْرُكَ صَالِحاً وَقَدْ هَوَّنَتْهُ عِنْدَكَ السَّنَوَاتُ؟
أكان يصلح غيرك للخلافة، وقد ملأتك السنوات خبرة وهونت عليك الحكم؟

وَمَنْ يَسُسِ الدُّنْيَا ثَلَاثِينَ حِجَّةً تُعْنِيهَا عَلَيْهَا حِكْمَةٌ وَأَنَاةُ
من ظل يسوس الدنيا ثلاثين سنة، فإن ما اكتسبه من الحكمة والأناة (التأني) يكون له مُعِيناً

وَمَا زِلْتُ حَسَانَ الْمَقَامِ، وَلَمْ تَزَلْ تَلِينِي، وَتَسْرِي مِنْكَ لِي النَّفَحَاتُ
وأنا مثل حسان بن ثابت شاعر الرسول، وأنت ظللت تليني (توليني الرعاية)، وتأتيني النفحات
(النسائم) منك (الإيماءات والبوادر كالأستضافة في إستانبول والثناء)

زَهْدْتُ الَّذِي فِي رَاحَتِكَ، وَشَاقَنِي جَوَائِزُ عِنْدَ اللَّهِ مُبْتَغِيَاتُ
لست طامعاً في المال الذي في كفيك، وأنا مشتاق إلى ثواب الله لقاء تأييدي لك، فتأييدك واجب
ديني

وَمَنْ كَانَ مِثْلِي أَحْمَدَ الْوَقْتِ لَمْ تَجْزُ عَلَيْهِ، وَلَوْ مِنْ مِثْلِكَ، الصَّدَقَاتُ
ومن كان مثلي أحمد الوقت (أحمد الوقت هو الرسول الذي جاء في ميعاد مضروب، أي أن
شوقي هو نبي الشعر الذي ساقه القدر في وقته)، لم يجوز له أن يأخذ الصدقة (ولم تجز الصدقة
للنبي)

وَلِي دُرُّ الْأَخْلَاقِ فِي الْمَدْحِ وَالْهَوَى وَلِلْمُتَنَبِّ دُرَّةٌ وَحَصَاةُ
وعندما جعل نفسه «أحمد الوقت» تداعى إلى ذهن شوقي أحمد بن الحسين المتنبّي، فجعل شوقي
لنفسه الدرر في المدح والغزل، وأما المتنبّي فله أبيات عظيمة وأخرى رديئة أخذها النقاد عليه

محمد علي علم الشرق ١٠٥

قال في ذكرى مرور مئة عام على تولي محمد علي مصر (١٩٠٥):

عَلِمْتُ أَنْتَ فِي الْمَشَارِقِ مُفَرِّدٌ لَكَ فِي الْعَالَمِينَ ذِكْرٌ مُخَلَّدٌ
حَبِذَا دَوْلَةً وَمُلْكٌ كَبِيرٌ أَنْتَ بَانِي رُكْنَيْهِمَا يَا مُحَمَّدُ
تَمَلَّأُ الْأَرْضَ صَافِنَاتٍ، وَيُجْرَى لَكَ فِي الْبَحْرِ كُلُّ بُرْجٍ مُشَيَّدٌ
يا محمد علي باشا كنت تملأ الأرض بالصافنات (الخيول)، وكان قوادك يسيرون لك في البحر
السفن التي هي كالبروج المشيدة (الحصون العالية)

هَكَذَا فَلْيَنْلِ سَمَاءَ الْمَعَالِي مَنْ سَعَى فِي الْوَرَى لِمَجْدٍ وَسُودَدُ
هِمَّةٌ تَبْتَنِي الْمَمَالِكَ شَمًّا ءَ، وَرَأْيِي يَسُوسُهُنَّ مُسَدَّدُ
وَثَبَاتٌ فِي الْحَادِثَاتِ، وَعِزٌّ مِثْلُ رَبِّ الزَّمَانِ لَا يَتَرَدَّدُ
عِزٌّ مِثْلُ رَبِّ الزَّمَانِ (مصائبه) لَا يَتَرَدَّدُ

لَا تَبَالِي بِحَاسِدٍ وَعَدُوٍّ آيَةُ الْفَضْلِ أَنْ تُعَادَى وَتُخَسَدُ
كنت لا تهتم بالحاسد وبالعدو، وآية (علامة) الفضل العداوة والجسد

هِمَّةُ الْفَاتِحِينَ حُكْمٌ وَقَهْرٌ وَلَكَ الْهِمَّةُ الَّتِي هِيَ أَبْعَدُ
همة الفاتحين (طموحهم) السلطان وقهر البشر، وهمتك أبعد من ذلك فأنت باني دولة
يَا مُدِيمَ الرُّقَادِ فِي خَيْرٍ مَرَقَدُ قُمْ فَمَا حَلَّ قَبْلَكَ الْأَرْضُ فَرَقَدُ
يا مديم (مواصل) الرقاد في قبرك، قم من قبرك فما سكن الأرض قبلك فرقد (الفرقد نجم معين)
وَانْظُرِ الشَّرْقَ كَيْفَ أَصْبَحَ يَهْوِي وَانْظُرِ الْغَرْبَ كَيْفَ أَصْبَحَ يَصْعَدُ

١٠٦ منك يا هاجر دائي

قال شوقي (١٩٠٥):

مَنْكَ يَا هَاجِرُ دَائِي وَبِكَفِّئِكَ دَوَائِي
يَا مُنَى رُوحِي، وَدُنْيَا يَ وَسُؤْلِي وَرَجَائِي
سؤلي: مطلبي

أَنْتَ، إِنْ شِئْتَ، نَعِيمِي وَإِذَا شِئْتَ شَقَائِي
كُلُّ مَا تَرْضَاهُ، يَا مُو لَايَ، يَرْضَاهُ وَلَائِي

١٠٧ حسبنا الله ونعم الوكيل

نقل عن فلهم الثاني إمبراطور ألمانيا قوله إنه يريد للإمبراطورية الألمانية أن تكون مثل الإمبراطورية الرومانية قوة وسعة. وأنه يريد لابن إمبراطوريته أن يقول في أي مكان حل به: «أنا مواطن ألماني»، تماماً مثلما كان الروماني يقول «سيفيك رومانوس سوم»، وهذه باللاتينية، ومعناها «أنا مواطن روماني». ويبدو أن صحف ذلك الزمان نقلت العبارة موحية أن فلهم الثاني يريد أن يقسم العالم بين الرومان والألمان. وفي هذا الإيحاء قدر من الصحة، ففي هذا العام ١٩٠٦، وقعت «الأزمة المغربية الأولى» التي تنافس فيها الفرنسيون والإنجليز والإسبان والألمان على المغرب، وكان فلهم، أو غليوم بالتهجئة الفرنسية، ماضياً في تكوين إمبراطورية ألمانية. فقال أحمد شوقي (١٩٠٦):

يا ربّ ما حكمك؟ ماذا ترى	في ذلك الحُلم العريض الطويل
قد قام غليوم خطيباً فما	أعطاك من مُلكك إلا القليل
فالتَّصَّف للجِرماني في رَعِمِهِ	والنصف للرومان فيما يقول
يا ربّ قل: سيفك أم سيفه؟	أيُّهما، يا ربّ، ماضٍ صقيل
إن صدقت يا ربّ أحلامه	فإنَّ خطبَ المسلمين الجليل
لا نحنُ جرّمانُ لنا حصّة	ولا برومانٍ فنُعطى فتيل

فتيل: الشيء الصغير الحقيق

يا ربّ، لا تنسَ رعاياك في	يوم رعاياك الفريق الذليل
جناية الجهل على أهله	قديمة والجهل بثسّ الدليل
يا ليت لم نمدد لشريداً	وليت ظلّ السُّلم باقي ظليل
جنى علينا عُصبة جازفوا	فحسبنا الله ونعم الوكيل

١٠٨ زائر لندرة

قال شوقي لسعد زغلول عند سفره إلى لُنْدَرَة (لندن) للتفاوض (١٩٠٦):

يا سعدُ إنَّ أنتَ دَخَلْتَ لُنْدَرَة مُنْصِراً مُظْفَراً كَعَنْتَرَة

يسخر شوقي من سعد زغلول، هذا في زمن كان فيه شوقي صديقاً لمصطفى كامل زعيم الحزب الوطني وخصماً لسعد زغلول. وكان سعد قريباً من المعتمد البريطاني كرومر

وسِرَّتْ محمولاً على الأكتاف بينَ قِيامِ الناسِ والهتافِ
وقيلَ تلميذُ الإمامِ مَرّاً يا مَرحباً به وألفَ هُوراً

كان سعد زغلول تلميذ الإمام محمد عبده، هوراً: مرحى بالإنجليزية

فَقَمَّ خَطِيباً فِي بَنِي التَّامِيزِ وَامْدَحَ مُذِلَّ الْوَطَنِ الْعَزِيزِ
بَنُو التَّامِيزِ: الْإِنْجَلِيزِ، نَسَبَةً إِلَى نَهْرِ لَنْدَنِ الْيَمَزِ، مُذِلُّ الْوَطَنِ: الْلُورْدُ كُرومر

١٠٩ جسر البسفور

قال شوقي في جسر البسفور (١٩٠٦):

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! رَأَيْتُ جِسْراً أُمِرُّ عَلَى الصَّرَاطِ، وَلَا عَلَيْهِ
الصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمَ مَرْعَبٍ، وَالسَّقُوطُ مِنْ عَلَيْهِ سَقُوطٌ فِي الْجَحِيمِ

وَأَسْمَجُ مِنْهُ فِي عَيْنِي جُبَاةً تَرَاهُمْ وَسَطَهُ وَبِجَانِبَيْهِ
يُفِيدُ حُكُومَةَ السُّلْطَانِ مَالاً وَيُعْطِيهَا الْغِنَى مِنْ مَعْدِنَيْهِ
الجسر يجلب للحكومة المال، ويعطيها المعدنين (الذهب والفضة)

وَعَايَةُ أَمْرِهِ أَنَا سَمِعْنَا لِسَانَ الْحَالِ يُنْشِدُنَا لَدَيْهِ:
أَلَيْسَ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ مِثْلِي يُرَى مَا قَلَّ مِمَّنْزَعاً عَلَيْهِ
يقول الجسر: أليس عجباً أن مثلي يكون الشيء القليل ممتنعاً عليه (محزماً عليه)

وَتَوَخَّذْ بِاسْمِهِ الدُّنْيَا جَمِيعاً وَمَا مِنْ ذَاكَ شَيْءٍ فِي يَدَيْهِ
تجبي الأموال الطائلة باسم الجسر، ولا ينال شيئاً. البيتان الأخيران قالهما الخليفة المعتمد على الله
العباسي (خلافته من ٢٥٦هـ - ٢٧٩هـ) الذي حُجِرَ عليه أخوه الموفق طلحة، وفرض عليه ما يشبه
الإقامة الجبرية

١١٠ فدا ديني الثلاثون

من مسرحية «الست هدى»، (١٩٠٦):

يَقُولُونَ فِي أَمْرِي الْكَثِيرَ، وَشَغْلُهُمْ حَدِيثُ زَوَاجِي أَوْ حَدِيثُ طَلَاقِي
يَقُولُونَ إِنِّي قَدْ تَزَوَّجْتُ تِسْعَةً وَإِنِّي وَارِثُ الثَّرَابِ رِفَاقِي
وَمَا أَنَا «عَزِيزِلْ»، وَلَيْسَ بِمَالِهِمْ تَزَوَّجْتُ، لَكِنْ كَانَ ذَاكَ بِمَالِي
وَتِلْكَ فِدَا دِينِي الثَّلَاثُونَ، كُلُّهَا تَوَلَّى رَجَالٌ جِئْتَنِي بِرَجَالِ

١١١ لَا حُرْمُوا خَيْرَكَ

قال شوقي من مسرحية «البخيلة» على لسان الجدة الغنية، وقد ادَّعى حفيدها - كما
يفعل كل مرة - أن نقوده نُشِلَتْ، (١٩٠٧):

لَمْ تَلْقَنِي وَتَنْصَرِفَ بِمَالِي إِلَّا وَعَادَتْ قِصَّةُ النَّشَالِ
 لَا حَرَمَ اللَّهُ اللَّصُوصَ خَيْرَكَا مَا بِالْهَمِّ لَا يَسْرِقُونَ غَيْرَكَا
 هذا بيت في غاية غايات الظرف، فيه تهكم مر في شطره الأول، وتخوين مبطن وماكر في شطره الثاني

١١٢ والله لا

قال شوقي يعرض بفارس نمر صاحب جريدة المقطم، الذي أراد الالتفاف على حكم قضائي (١٩٠٧):

يَا فَارِسًا نَرَجُّا وَلَا وَانْحَطَّ بِعَدَمِهَا عَلَا
 هَلِ الْقَضَاءُ لِمَبَّةٍ تَلْهُو بِهَا، وَاللَّوْ لَا

١١٣ الهوى

وقال شوقي (١٩٠٧):

وَمَا الْحُبُّ إِلَّا طَاعَةٌ وَتَجَاوُزٌ وَإِنْ أَكْثَرُوا أَوْصَافَهُ وَالْمَعَانِيَا
 الحب طاعة المحبوب والتجاوز (التغاضي) عن سيئاته

وَلَا هُوَ إِلَّا الْعَيْنُ بِالْعَيْنِ تَلْتَقِي وَإِنْ نَوَّعُوا أَسْبَابَهُ وَالذَّوَاعِيَا
 ولا تفسير له سوى أن العين تلتقي بالعين

وعندي الهوى، موصوفه لا صفاته إذا سألوني: ما الهوى، قلت: ما بي
 عندي الموصوف بالهوى (أي الهوى نفسه)، ولا أعرف صفاته، فإذا سئلت ما الهوى قلت: هو ما بي

١١٤ دنشواي

قال شوقي بعد مرور عام على فظيعة دنشواي (١٩٠٧):

يَا دِنْشَوَايَ! عَلَى رُبَاكِ سَلَامٌ ذَهَبَتْ بِأَنْسِ رِبْوَعِكَ الْإِيَامُ
 كَيْفَ الْأَرَامِلُ فِيكَ بَعْدَ رَجَالِهَا وَيَأْيُ حَالِ أَصْبَحِ الْإَيْتَامُ
 عِشْرُونَ بَيْتًا أَقْفَرْتُ وَانْتَابَهَا، بَعْدَ الْبَشَاشَةِ، وَخَشَّةٌ وَظِلَامُ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي فِي الْبُرُوجِ حَمَائِمُ أَمْ فِي الْبُرُوجِ مَنِيَّةٌ وَجِمَامُ
 نِيْرُونَ! لَوْ أَدْرَكْتَ عَهْدَ كُرُومِي لَعَرَفْتَ كَيْفَ تُنْفَقُ الْأَحْكَامُ

نُوحِي حَمَائِمَ دِنْشَوَايَ، وَرَوِّعِي شَعْباً بُوَادِي النِيلِ لَيْسَ يَنَامُ
وَالْمُسْتَشَارُ إِلَى الْفَطَائِحِ نَاطِرٌ تَذْمَى جُلُودَ حَوْكُهُ وَعِظَامُ

في ١٣/٧/١٩٠٦ توفي جندي إنجليزي في قرية دنشواي بالمنوفية عندما كان يصطاد الحمام مع أربعة من زملائه. مات بضربة شمس بعد وقوع صدام بين الجنود وأهل دنشواي. إثر وفاة الجندي اعتقل الإنجليز اثنين وخمسين من أهالي القرية، وأقيمت محكمة صورية قضت بشنق أربعة رجال، وسجن وجلد ستة وعشرين رجلاً. والجندي المصري الذي كان يرافقه الإنجليز أفاد في شهادته بغير ما يرضي المحكمة فرفضت شهادته وحكم عليه بالحبس سنتين. كان رئيس المحكمة المستشار أحمد فتحي زغلول (أخا سعد زغلول). وكان المعتمد الإنجليزي في مصر اللورد كرومر. من بين من شنق حسن محفوظ، وشنق عند باب بيته وعلى مرأى من أولاده وأحفاده.

كتب جورج برناردشو في مقدمة مسرحيته «جزيرة جون بول الأخرى» وصفاً بعنوان «فضيحة دنشواي»: «كانت مشقة واحدة، وكانوا يتركون المشنوق عليها نصف ساعة ليتأكدوا من موته، ولينحوا أسرته ما يكفي من الوقت لمشاهدته متدلياً. لذا استمرت العملية ساعتين لقتل الرجال الأربعة. وللترويح عن أنفسهم في هذا الوقت كانوا يجلدون ثمانية رجال، خمسين جلدة لكل منهم».

١١٥ وداع كرومر

استقال اللورد كرومر على إثر فضيحة دنشواي، بعد أربع وعشرين سنة في منصبه معتمداً بريطانياً بمصر. وأقيم حفل لوداعه، فخطب خطبة كان فيها قليل الأدب مع مصر ومع الإسلام. وتكهن أن تظل مصر بلداً متخلفاً. فقال شوقي يذكره أن مصر شهدت ازدهاراً.. لكن قبل الاحتلال البريطاني (١٩٠٧):

أَيَاكُمْ أُمَ عَهْدُ إِسْمَاعِيلَا أُمَ أَنْتَ فِرْعَوْنُ يَسُوسُ النِيلَا
أُمَ حَاكِمٌ فِي أَرْضٍ مُضَرَّ بِأَمْرِهِ لَا سَائِلًا أَبَدًا وَلَا مَسْؤُولًا؟
أُمَ أَنْتَ كَالْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ الْفَاطِمِي الْمُسْتَبَدِّ الْأَمْوَجِ

يَا مَالِكَا رِقِّ الرِّقَابِ بِبَاسِهِ هَلَّا اتَّخَذْتَ إِلَى الْقُلُوبِ سَبِيلَا
لَمَا رَحَلْتَ عَنِ الْبِلَادِ تَشْهَدْتُ فَكَأَنَّكَ الدَّاءُ الْعِيَاءُ رَحِيلَا
الدَّاءُ الْعِيَاءُ: الَّذِي لَا بَرَّ مِنْهُ

أَوْسَعَتْنَا يَوْمَ الْوَدَاعِ إِهَانَةً أَدَبٌ لَعَمْرُكَ لَا يُصِيبُ مَثِيلَا!
أَوْسَعَتْنَا (ملأتنا) يوم توديعك إهانة، وهذا أدب لا يصيب (يلاقي) مثيلاً له!

هَلَّا بَدَا لَكَ أَنْ تُجَامِلَ بَعْدَمَا صَاعَ الرَّئِيسُ لَكَ الشَّنَا إِكْلِيلَا
الرئيس: رئيس الوزراء مصطفى فهمي، الذي أثنى في الحفل على كرومر

أَنْذَرْتَنَا رِقًّا يَدُومٌ وَذِلَّةً تبقى، وحالاً لا ترى تحويلاً
أَحْسِبْتَ أَنَّ اللَّهَ دُونَكَ قَدْرَةً لا يملك التغيير والتبديلاً
قالوا: جلبت لنا الرفاهة والغنى جحدوا الإله وصنعه والنيل
وحياة مصر على زمانٍ محمدٍ ونهوضها من عهد إسماعيل
ومن قال ذلك جحد ما كان من نهضة على زمان محمد (محمد علي) والخديوي إسماعيل
ومدارساً تبني البلادَ حوافلاً حظَّ الفقيرِ بهنَّ كان جزيلاً
حوافل: حافلة، ممتلئة، ولم تكن لأبناء الأغنياء فقط

وَمَعَاقِلًا لَا تَمُحِي آثَارُهَا وجيوش إبراهيم والأسطولا
وجداولاً بين الضياع جوارياً تذرُ اليبابَ مزارِعاً وحُقولا
الجدول الجواري: الجدول الجارية، بين الضياع: المزارع، اليباب: الأرض الخراب غير المزروعة

والقطنَ مَزْرُوعاً بِفَضْلِ مُحَمَّدٍ في مصرَ محلوجاً بها مغزولا
لم يزرع القطن بها فقط، بل أدخل تصنيع القطن أيضاً. للبيت رنة جميلة، ومعنى جميل
قد مدَّ إسماعيلُ قَبْلَكَ لِلوَرَى ظلَّ الحضارة في البلادِ ظليلاً
إِنْ قِيسَ، فِي جُودٍ وَفِي سَرَفٍ، إِلَى ما تُنْفِقُونَ اليَوْمَ عُدَّ بخيلاً
أَوْ كَانَ قَدْ صَرَعَ الْمَفْتَشُ مَرَّةً فَلَكُمْ صَرَعَتْ بِدِنْشَوَايَ قتيلاً
كان الخديوي إسماعيل قد قتل إسماعيل باشا مفتش الأقاليم في حادثة شنيعة

فِي كُلِّ تَقْرِيرٍ تَقُولُ خَلَقْتُكُمْ أفهل ترى تقريرك التَّنْزِيلَ؟
هَلْ مِنْ نَدَاكَ عَلَى الْمَدَارِسِ أَنَّهَا تذرُ العلومَ وتأخذُ الفُتُوبلا
نذاك: كرمك، الفتبول: كرة القدم

أَمْ مِنْ صِبَايَتِكَ الْقَضَاءُ بِمُضَرٍّ أَنْ تأتي بقاضي دِنْشَوَايَ وَكيلاً
المستشار أحمد فتحي زغلول كان رئيس المحكمة التي قضت بإعدام وجلد وسجن الناس في قطيعة دنشواي، وكافاه كرومر بأن جعله وكيل وزارة الحقانية «العدل»

فَارْحَلْ بِحَفِظِ اللَّهِ جَلَّ صَنِيعُهُ مُسْتَعْفِياً إِنْ شِئْتَ أَوْ مَعْزولاً
إِنَّا تَمَنَّيْنَا عَلَى اللَّهِ الْمُنَى وَاللَّهُ كَانَ بِنَيْلِهَا كَفِيلاً
مَنْ سَبَّ دِينَ مُحَمَّدٍ، فَمُحَمَّدٌ مُتَمَكِّنٌ عِنْدَ الْإِلَهِ رَسولاً

١١٦ باض وفرخ

قال شوقي، ونشر هذين البيتين باسم مستعار، وما أكثر ما صنع ذلك، ولكن محمد صبري السوربوني في كتابه الكبير «الشوقيات المجهولة» رصد لنا الكثير مما نشره شوقي باسم مستعار ثم لم يضمه في ديوانه (١٩٠٧):

أَيْهَا الْبَحْرُ! أَلْقِي فِي مَصْرٍ أَمْلًا حَكَ حَتَّى تُرَابُهَا يَنْسَبِّخَ
يتسخ: يصبح سبخة (مستقعا) غير صالح للزراعة

كُلُّ مَنْ ضَاقَتْ الْحَيَاةُ عَلَيْهِ جَاءَ مَصْرًا، وَبَاضَ فِيهَا وَفَرَّخَ
يعرض شوقي بالأجانب ذوي الامتيازات من الطليان واليونانيين والإنجليز، وأستبعد أن يكون قصد أيضاً اللبانيين الذين كان لهم في المجتمع الثقافي المصري شأن. فمن هؤلاء كان له أصدقاء خلص كثير، وكانوا - مثله - متمصرين لا متطفلين

١١٧ أرجوزة الحكم

قال شوقي يخاطب النشء (١٩٠٧):

اطْلُبِ الْعِلْمَ لِدَاتِ الْعِلْمِ، لَا لظهورٍ باطلٍ بينَ الملا
عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ لِلْعِلْمِ مَذَاقٌ فإِذَا فَاتَكَ هَذَا فَافْتَرِاقُ
طَلَبُ الْمَحْرُومِ لِلْعِلْمِ سُدى لَيْسَ لِلْأَعْمَى عَلَى النُّورِ هُدًى
المحروم من تذوق لذة العلم لا فائدة من طلبه للعلم

فإِذَا فَاتَكَ تَوْفِيقُ الْعِلْمِ فامتنع عن كلِّ تحصيلٍ عقيمٍ
وَاطْلُبِ الرِّزْقَ هُنَا أَوْ هُنَا كَمْ مَعَ الْجَهْلِ يَسَارٌ وَغْنَى
فليطلب الإنسان رزقه من غير طريق العلم، وكمن من جاهل أصاب يساراً (غنى)

إِنَّ لِلْعِلْمِ جَمِيعاً فِلَسْفَةً مِنْ تَغَبَّ عَنْهُ تَفْتَهُ الْمَعْرِفَةُ
قُلْ إِذَا خَاطَبْتَ غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ لَكُمْ دِينٌ رَضِيتُمْ وَلِي دِينٌ
خَلَّ لِلدِّيَانِ فِيهِمْ شَأْنُهُ إِنَّهُ أَوْلَى بِهِمْ سَبْحَانَهُ
كُلُّ حَالٍ صَائِرٌ يَوْمًا لِضِدِّ فَدَعِ الْأَقْدَارَ تَجْرِي وَاسْتَعِذْ
فَلَنْكَ بِالسَّعْدِ وَالنَّحْسِ يَدُورُ لَا تُعَارِضْ أَبَدًا مَجْرَى الْأُمُورِ
كُلُّ حَيٍّ، مَا خَلَا اللَّهَ، يَمُوتُ فَاتُرِكَ الْكِبَرُ لَهُ وَالْجَبَرُوتُ
اطْلُبِ الْحَقَّ بَرَفَقٍ تُحْمَدِ طَالِبُ الْحَقِّ بِعَنْفٍ مُعْتَدِ

أَحِبِّ الطِفْلَ، وَإِنْ لَمْ يَكْ لَكَ إِنَّمَا الطِفْلُ عَلَى الْأَرْضِ مَلَكٌ
عَظْفَةً مِنْهُ عَلَى لُعْبَتِهِ تُخْرِجُ الْمَحْزُونُ مِنْ كُرْبَتِهِ
وَاجْعَلِ الْحَجَّ إِلَى أُمِّ الْقُرَى غِبَّ حَجَّ لِبُيُوتِ الْفُقَرَا

غب: بعد

لَيْسَ لِي فِي طَبِّ جَالِينُوسَ بَاغٌ بَيِّنْدَ أَنَّ الْعَيْشَ دَرْسٌ وَأُطْلَاغٌ
أَحْذَرِ التُّخْمَةَ إِنْ كُنْتَ فَهَمٌ إِنْ عِزْرَائِيلَ فِي خَلْقِ النَّهَمِ
وَأَتَّقِ الْبَرْدَ فَكَمْ خَلَقَ قَتْلُ مَنْ تَوَقَّاهُ أَتَقَى نَصْفَ الْعِلَلِ
وَاتْرِكِ الْخَمْرَ لِمَشْغُوفٍ بِهَا لَا يَرَى مَنْدُوحَةً عَنْ شُرْبِهَا
وَتَعَشِّقُ وَتَعَقِّفُ وَأَتَّقِ مَا دَرَى اللَّذَّةَ مَنْ لَمْ يَعْشَقِ

سخر العقاد من هذه الأرجوزة كثيراً. ولعل المرء لا يملك إلا أن يكتب ابتسامة وهو يقرأ نصائح شوقي في اجتناب التخممة والبرد. على أن شاعرنا ربما كان يريد فقط مبارأة أبي العتاهية في أرجوزته المعروفة بذات الأمثال، التي امتدح الجاحظ بيتها: (يا للشباب المرح التصابي/روائح الجنة في الشباب). وأنا أمتدح، مجيزاً لنفسى القعود بجانب أبي عثمان، البيت: (إن الشباب والفراغ والجدة/مفسدة للمرء أي مفسدة)، أو لعله كان يقلد ابن الوردي في لاميته النصحية (اعتزل ذكر الأغاني والغزل/وقل الفصل وجانب من هزل) وهي على بحر الرمل كقصيدة شوقي

١١٨ النفوس حرائر

قال شوقي (١٩٠٨):

إِنَّ النُّفُوسَ، كَمَا عَلِمْتُ، حَرَائِرٌ كَذَبَ الْأَلَى قَالُوا: النُّفُوسُ إِمَاءُ
النُّفُوسُ حُرَّةٌ، وَقَدْ كَذَبَ الْأَلَى (الَّذِينَ) قَالُوا إِنَّهَا إِمَاءُ (جَوَارٍ مُسْتَعْبِدَةٍ)

وَالشَّعْبُ إِنْ مَلَّ الْحَيَاةَ ذَلِيلَةً هَانَ الرِّجَالُ عَلَيْهِ وَالْأَشْيَاءُ
إِذَا مَلَ شَعْبُ الْحَيَاةَ مَلَّ الذَّلَّةُ هَانَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ وَالْأَشْيَاءُ (الْمَمْلُوكَاتُ)

١١٩ الصعب والسهل

قال شوقي (١٩٠٨):

مَا أَصْعَبَ الْفِعْلَ عَلَى مَنْ رَأَاهُ وَأَسْهَلَ الْقَوْلَ عَلَى مَنْ أَرَادَهُ

١٢٠ سبحانهم

قال شوقي ينتقد الحزب الوطني، ويؤيد أحمد زكي باشا شيخ العروبة في خصوصته مع الحزب بعد وفاة زعيمه مصطفى كامل وتزعم محمد فريد للحزب (١٩٠٨):

شَرُّ الْبَلِيَّةِ أَنْ يَكُونَ زَعِيمَا مَنْ لَا يُسَالِمُ فِي الرِّجَالِ كَرِيمَا
عَابُوكَ إِذْ وَجَدُوا صَنِيعَكَ بَارِعَا وَرَأَوْا سَبِيلَكَ فِي الْحَيَاةِ قَوِيمَا
فَتَحُوا لِحِزْبِهِمُ الْجَنَانَ، وَأَعْتَدُوا سُبْحَانَهُمُ لِلْكَافِرِينَ جَحِيمَا

كان شوقي صديقاً لزعيم الحزب الوطني مصطفى كامل، وعندما مات انصرف عن الحزب ولم يكن شديد التحمس لمحمد فريد. وكان شوقي يناصر سعد زغلول العداء لقربه من الإنجليز الذين يقطعون قطعة كبيرة من نفوذ الخديوي عباس حلمي ولي نعمة شوقي. ورأينا شوقي يسخر من سعد زغلول عندما زار لندن سنة ١٩٠٦، ويسخر من أخيه الذي كان رئيس محكمة دنشواي، وسنرى شوقي يقترب من الأحرار الدستوريين بعض الاقتراب، وهو رجل غير حزبي، حزبه الخديوي فحسب. وسنراه يقترب من سعد زغلول بعد سنوات، بل ويصبح كثير التردد على مجالسه، ثم ينال مقعداً في مجلس الشيوخ عن الوفد، حزب سعد، سنة ١٩٢٤

١٢١ النفس الكريمة

قال شوقي (١٩٠٨):

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا نَفْسِي بِجَاهِلِيَّةٍ مَنْ أَهْلُ خُلَّتِهَا مِمَّنْ يُعَادِيهَا
علم الله أنني لا أجهل أهل خلتي (صداقتي) من أعدائي
والنفسُ إنْ كَبُرَتْ رَقَّتْ لِحَاسِدِهَا واستغفرتُ، كَرَمًا مِنْهَا، لِشَانِيهَا
شانيها: كارها

١٢٢ إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقُ وَثَوَانٍ

قال شوقي يرثي مصطفى كامل (١٩٠٨):

الْمَشْرِقَانِ عَلَيْكَ يَنْتَحِبَانِ قَاصِيَهُمَا فِي مَأْتَمٍ وَالْذَّانِي
الشرق الأقصى والشرق الأدنى يتحبان عليك
يتساءلون: أَبِالسَّلَالِ قَضِيَتْ، أَمْ بِالْقَلْبِ، أَمْ هَلْ مُتَّ بِالسَّرَطَانِ
السلال: مرض السل

اللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ مَوْتَكَ بِالْحِجَا وَالْجِدِّ وَالْإِقْدَامِ وَالْعِرْفَانِ
سبب موتك توقد الحجي (العقل)، والنشاط المفرط

إِنْ كَانَ لِلْأَخْلَاقِ رُكْنٌ قَائِمٌ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَأَنْتَ الْبَانِي
وَالْخُلْدُ فِي الدُّنْيَا، وَلَيْسَ بِهَيِّينَ، عَلِيَا الْمَرَاتِبِ لَمْ تُتَخَ لِحَبَانِ
وَأَحَبُّ مِنْ طَوْلِ الْحَيَاةِ بِذِلَّةٍ قَصَرُ يُرِيكَ تَقَاصِرَ الْأَقْرَانِ
مات مصطفى كامل عن ٣٤ سنة، وقصر حياته يبرز تفوقه على أقرانه

دَقَاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ: إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقُ وَثَوَانِ

أنفق العقاد صفحة من كتاب «الديوان» في نقد هذا البيت. ولكن العقاد، في كل كتابه الذي سخره
لنقد وشم شوقي، كان يغفل أن مما يحبه المرء في الشعر إيقاعاً تفهمه الأذن دون الدماغ. هذا
بيت بديع في معناه، بديع في إيقاعه، وأحب أن أقرأه جهراً مشدداً على قافاته الخمسة

فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا فَالذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عُمْرٌ ثَانِ
لَوْ كَانَ لِلذِّكْرِ الْحَكِيمِ بَقِيَّةٌ لَمْ تَأْتِ بَعْدُ، رُئِيتَ فِي الْقُرْآنِ
وَلَقَدْ نَظَرْتُكَ وَالرَّدَى بِكَ مُحْدِقٌ وَالدَّاءُ مَلَأَ مَعَالِمَ الْجِثْمَانِ
محدق بك: محيط بك

يَبْغِي وَيَطْعَى وَالطَّبِيبُ مُضَلَّلٌ قَنِطٌ، وَسَاعَاتُ الرَّحِيلِ دَوَانِ
قنط: قانط يائس، دوان: دانية قرية

وَنَوَاطِرُ الْعُودِ عَنْكَ أَمَالَهَا دَمْعُ تُعَالِجُ كَثْمَهُ وَتُعَانِي
العواد (الزوار الذين يعودونك في مرضك) مالت نواظرهم (عيونهم) بعيداً عنك وهم يعالجون
(يعالون) الدمع لمنعه من الهمول

تُمْلِي وَتُكْتَبُ وَالْمَشَاغِلُ جَمَّةٌ وَيَدَاكَ فِي الْقُرْطَاسِ تَرْتَجِفَانِ
أما أنت فتشتغل رغم مرضك

فَهَشَّشْتَ لِي حَتَّى كَأَنَّكَ عَائِدِي وَأَنَا الَّذِي هَذَا السَّقَامُ كِبَانِي
رجبت بي منشراً كأنك أنت الذي تعودني، وكأنني أنا الذي هذ السقام (المرض) كباني
وَرَأَيْتُ كَيْفَ تَمُوتُ آسَاءُ الشَّرَى وَعَرَفْتُ كَيْفَ مِصَارِعُ الشُّجْعَانِ
رأيت فيك كيف تموت أسود الشرى (الشرى مأسدة كانت عند الفرات)

وَجَعَلْتَ تَسْأَلُنِي الرِّثَاءَ فَهَاكُهُ مِنْ أَدْمُعِي وَسَرَايِرِي وَجَنَانِي
طلبت مني أن أرتبك فهاك (خذ) الرثاء من دموعي وسرايري (ضميري) وجناني (قلبي)

لَوْلَا مِغَالِبَةُ الشُّجُونِ لَخَاطَرِي لَنَظَّمْتُ فِيكَ يَتِيمَةَ الْأَزْمَانِ
لولا مغالبة (منازعة) الشجون (الأحزان) لخاطري (لقريحتي) لنظمت فيك قصيدة هي الدرة اليتيمة

وأنا الذي أرثي الشموسَ إذا هَوَتْ فتعودُ سِيرَتَهَا إلى الدَّوَرَانِ
قد كنتَ تهتِفُ في الورى بِقِصَائِدِي وتُجِلُّ فوقَ النِّيرَاتِ مَكَانِي
النيرات: النجوم

ماذا دهاني يومَ بِنْتَ فَعَقْنِي فيكَ القريضُ، وخانني إمكاني
بنت: فارقت، عني القريض: خاني الشعر، وخاني إمكاني (قدرتي)
يا صَبَّ مصرَ وبا شهيدَ غرامِها هذا ثرى مِضرٍ فنم بأمانِ
صب: محب

أقسمتُ أنَّكَ في التُّرابِ طهارةٌ مَلَكٌ يَهَابُ سؤاله الملكانِ

١٢٣ العدل بين الأولاد

قال شوقي في أولاده الثلاثة (١٩٠٩):

يقولون: لِمَ تُظَرِّي عَلِيًّا وأختَهُ وتنسى حُسَيْنًا، والحسينُ كريمُ
يقولون لِمَ (لماذا) تطري (تنتي على) عليًّا وأخته أمينة، وتنسى حسينًا، وإنه لعزيز علي

فقلتُ: فؤادي للثلاثةِ منزلٌ هُما طُنُباءُ، والحسينُ صَمِيمُ
فقلت قلبي منزل (المزول في العربية القديمة هو الخيمة) الأولان طنبان فيه (حبلان يشدان الخيمة)
والحسين صميم (الأصل)

إذا ما بدا لي أنْ أفاضِلَ بينهم أبى لي قلبٌ عادِلٌ ورحيمُ
أُحِبُّ صغارَ العالمينَ لأجلِهِم ويعطفُ قلبي ذو أبٍ، ويتيمُ
أحب الصغار جميعاً لأجل أولادي، ويعطف قلبي (بتميله) الطفل ذو الأب والطفل اليتيم

١٢٤ ريم على القاع

قال شوقي (١٩٠٩):

ريمٌ على القاعِ بينَ البانِ والعَلَمِ أحلَّ سفكَ دمي في الأشهرِ الحُرُمِ
ريم (غزال) على القاع (السهل) بين موضعي «البان» و«العلم» أحل لنفسه أن يسفك دمي في
الأشهر الحرم (ذي القعدة وذي الحجة والمحرم ورجب التي لم تكن العرب تحترب فيها)

رمى القضاء بِعَيْنَيَّ جُوْذِرَ أَسَدًا يا ساكنَ القاعِ أدركِ ساكنَ الأَجَمِ
رمى قضاء الله عن طريق عيني جوْذِرَ (صغير البقر الوحشي) أسدًا (أي رمانِي، وأنا الأسد، بسهام
العشق التي انطلقت من عيني هذه الفتاة الجميلة)، فيا ساكن السهل أدرك (ارحم) ساكن الأَجَمِ
(الغابة)، أي يا أينها الفتاة ارحمي هذا العاشق

لَمَّا رَنَا حَدَّثْتَنِي النَّفْسُ قَائِلَةً يا وَنَحْ جَنِيكَ بِالسَّهْمِ الْمُصِيبِ رُمِي
عندما رنا (نظر) قالت لي نفسي: يا وِيحْ جنبك فقد رماه هذا الحبيب بسهم صائب

جَحَدْتُهَا، وَكَتَمْتُ السَّهْمَ فِي كَبْدِي جَرَحُ الْأَحَبَّةِ عِنْدِي غَيْرُ ذِي أَلَمٍ
جحدت (نجاهلت) نفسي وقولها، وكتمت السهم في كبدي، فضرب الحبيب مثل أكل الزبيب.
يقول عمران القفيني: «لو كنا سننوه بكل بيت، ونكشف من أين أخذه شوقي لاحتاج الكتاب
عشرين صفحة إضافية على الأقل. على أنها «وَلَعْتُ معي» عند هذا البيت! أليس هذا من قول
المتنبي «وما لجرح إذا أرضاكم ألم؟»

رُزِقْتَ أَسْمَحَ مَا فِي النَّاسِ مِنْ خُلُقٍ إِذَا رُزِقْتَ «التَّمَّاسَ الْعُذْرَ» فِي الشَّيْمِ
أيها الإنسان تكون قد رزقت أسمح خلق إذا رزقت التماس العذر للناس ضمن الشيم (الخصال)
التي في نفسك

يا لَائِمِي فِي هَوَاهُ، وَالْهَوَى قَدَرٌ لو شَقَّكَ الْوَجْدُ لَمْ تَعْدِلْ وَلَمْ تَلَمْ
يا لائمي في حبه، والعشق قدر، لو شَقَّكَ (أوجعك) الوجد (الغرام) لم تعدل (لم تلم)

لَقَدْ أَنْلَتْكَ أَذْنًا غَيْرَ وَاَعِيَةٍ وَرُبَّ مُنْتَصِبٍ وَالْقَلْبُ فِي صَمَمٍ
لقد أعطيتك أذنًا ولكنها غير مصغية، وكثيراً ما يظهر على المرء أنه منتصب (منصب)، ولكن قلبه أصم
يا ناعسَ الطَّرْفِ! لَا ذَقْتَ الْهَوَى أَبَدًا أَسْهَرْتَ مُضْنَاكَ فِي حِفْظِ الْهَوَى فَنَمَ
ويا أيها المحبوب، يا من طرفه (عيناه) ناعس، أدعو لك ألا تذوق الهوى رحمة بك. لقد أسهرت
مضناك (المريض بحبك) فَنَمَ

يا نَفْسُ! دُنْيَاكَ تُخْفِي كُلَّ مُبْكِيَةٍ وَإِنْ بَدَا لَكَ مِنْهَا حَسَنٌ مُبْتَسِمٍ
يا نفسي! دنياك تخفي لك كل ما يبكي، وإن بدا لك منها مبسم (ابتسام) حسن

صَلَّاحُ أَمْرِكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرْجِعُهُ فَقَوِّمِ النَّفْسَ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِمِ
إِنْ جَلَّ ذَنْبِي عَنِ الْغُفْرَانِ لِي أَمَلٌ فِي اللَّهِ يَجْعَلُنِي فِي خَيْرٍ مُعْتَصِمٍ
المعتصم: الحصن المنيع

وَإِنْ تَقَدَّمَ ذُو تَقْوَى بِصَالِحَةٍ قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَبْرَةَ النَّدَمِ
إن قدم ذو التقوى عملاً صالحاً قدمت عبرة (دمعة) الندم على معاصي

يا أفصح الناطقين الضَّادَ قاطبةً حديثك الشَّهْدُ عندَ الذَّائقِ الفَهِمِ
يا محمد! حديثك النبوي هو الشهد عند الذائق (المتذوق) الفَهِمِ (الذكي)

أَتَيْتِ والنَّاسُ فَوْضَى، لَا تَمُرُّ بِهِمْ إِلَّا عَلَى صَنِمٍ قَدْ هَامَ فِي صَنِمٍ
أتيت برسالتك والناس فوضى لا ترى فيهم إلا رجلاً جاهلاً كالصنم هائماً بصنم يعبده

أَسْرَى بِكَ اللَّهُ لَيْلًا إِذْ مَلَائِكُهُ وَالرُّسُلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمٍ
أسرى بك الله ليلاً إذ الملائكة (الملائكة) والرسول قد قاموا واقفين في المسجد الأقصى لتصلي بهم

حَتَّى بَلَغَتْ سَمَاءً لَا يُطَارُّ لَهَا عَلَى جَنَاحٍ، وَلَا يُسَعَى عَلَى قَدَمٍ
ثم عرج بك إلى السماء التي لا يصلها واصل، طائراً بجناح أم سائراً بقدم

وَقِيلَ: كُلُّ نَبِيٍّ عِنْدَ رَبِّتِهِ وَيَا مُحَمَّدُ هَذَا الْعَرْشُ فَاسْتَلِمِ
وقيل فليزِم كل نبي رتبته، ويا محمد هذا عرش الله فاستلمه (قبَّله)

يَا أَحْمَدَ الْخَيْرِ لِي جَاءَ بِتَسْمِيَّتِي وَكَيْفَ لَا يَتَسَامَى بِالرَّسُولِ سَمِي
يا أحمد (من أسماء الرسول) لي شرف بتسميتي فأنا أحمد، وكيف لا يتسامى (يعلو) بالرسول
سمي (المسمَّى بنفس الاسم)

الْمَادِحُونَ وَأَرْبَابُ الْهَوَى تَبَعُ لِصَاحِبِ الْبُرْدَةِ الْفِيحَاءِ ذِي الْقَدَمِ
كل من مدح الرسول وأرباب الهوى (ذوو الحب للرسول) تبع (تابعون) لصاحب البردة الفيحاء
(العطرة) ذي القدم (السابق/المقدم زماناً)

وصاحب البردة هو البوصيري الذي عارضه شوقي في قصيدته هذه

اللَّهُ يَشْهَدُ أَنِّي لَا أُعَارِضُهُ مَنْ ذَا يُعَارِضُ صَوْبَ الْعَارِضِ الْعَرِمِ
إذن فشوقي لا يعارضه (ينافسه)، ومن ذا الذي ينافس صوب (انهمار) العارض (السحاب) العرم
(المتدفق)

قَالُوا: غَزَوْتَ، وَرُسُلُ اللَّهِ مَا بُعِثُوا لِقَتْلِ نَفْسٍ، وَلَا جَاءُوا لِسَفْكِ دَمٍ
قالوا إنك يا رسول الله غزوت، والرسول ما بعثوا للقتل

جَهْلٌ وَتَضْلِيلٌ أَحْلَامٌ وَسَفْسَظَةٌ، غَزَوْتَ بِالسَّيْفِ بَعْدَ الْغَزْوِ بِالْقَلَمِ
وما قالوه جهل وسفسطة (حجج ملفقة)

وَالشَّرُّ إِنْ تَلَّقَهُ بِالْخَيْرِ ضَمَّتْ بِهِ ذَرْعًا وَإِنْ تَلَّقَهُ بِالشَّرِّ يَنْحَسِمِ
إن واجهت الشر بالخير ضقت به ذرعاً، وإن واجهته بشر مثله حسمته (قطعت دابره)

دَعَوْتُهُمْ لِحِجَاهٍ فِيهِ سَوْدَدُهُمْ وَالْحَرْبُ أَسُّ نِظَامِ الْكَوْنِ وَالْأَمَمِ
دَعَوْتُ يَا مُحَمَّدُ الْعَرَبَ لِحِجَاهٍ فِيهِ سَوْدٌ (سِيَادَةٌ) لَهُمْ، وَالْحَرْبُ هِيَ أَسَاسُ نِظَامِ الْكَوْنِ وَالْأَمَمِ

يَا رَبِّ هَبَّتْ شُعُوبٌ مِنْ مَنِيَّتِهَا وَاسْتَيْقَظَتْ أَمَمٌ مِنْ رَقْدَةِ الْعَدَمِ
يَا رَبِّ قَدْ هَبَتْ (اسْتَيْقَظَتْ) شُعُوبٌ أُخْرَى مِنْ مَنِيَّتِهَا (مِنْ مَوْتِهَا)، وَاسْتَيْقَظَتْ مِنْ رَقْدَةِ
الْفَنَاءِ. وَكَانَتْ الْيَابَانُ قَبْلَ سِنَوَاتٍ قَلِيلٍ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ قَدْ أَكَدَتْ نَهْضَتَهَا الْبَاهِرَةَ
بِنَصْرِ مُؤَزَّرٍ عَلَى رُوسِيَا، وَاسْتَيْقَظَ الْوَعْيُ الْقَوْمِيَّ عِنْدَ الْيُونَانِ وَالْبُلْغَارِ وَالصَّرْبِ الَّذِينَ
يُحَكِّمُهُمُ التُّرْكُ، وَبَدَأَ جَلِيًّا أَنْ دَوْلَةَ التُّرْكِ الَّتِي يَنَاصِرُهَا شَوْقِي آيَلَةٌ لِلتَّفَكُّكِ

فَالْطُّفُّ لِأَجْلِ رَسُولِ الْعَالَمِينَ بِنَا وَلَا تَزِدْ قَوْمَهُ خَسْفًا وَلَا تَسْمِ
لَا تَزِدْنَا خَسْفًا وَلَا تُسْمِنَا (لَا تُذِلَّنَا)

يَا رَبِّ أَحْسَنْتَ بَدْءَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ فَتَمِّمِ الْفَضْلَ وَامْنَحْ حُسْنَ مُحْتَمِّمِ

١٢٥ الرقيب

قال شوقي في الرقيب على الصحف في تركيا، وذلك بعد أن ألغى رجال العهد الجديد
منصبه (١٩٠٩):

لَنَا «رَقِيبٌ» كَانَ مَا أَثْقَلَهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَحَّلَهُ
لَوْ ابْتَلَى اللَّهُ بِهِ عَاشِقًا مَاتَ بِهِ لَا بِالْجَوَى وَالْوَلَكَةِ
الرَّقِيبُ رَقِيبُ الصَّحَفِ، وَالرَّقِيبُ أَيْضًا الشَّخْصُ الْمَكْلَفُ بِمُرَاقَبَةِ الْعَاشِقِينَ، فَلَوْ ابْتَلَى اللَّهُ بِرَقِيبِ
الصَّحَفِ التُّرْكِيِّ هَذَا عَاشِقًا لَمَاتَ الْعَاشِقُ مِنْهُ لَا مِنَ الْجَوَى (أَلَمَ الْعَشَقُ) وَلَا مِنَ الْوَلَكَةِ (شَدَةُ الْعَشَقِ)
لَوْ دَامَ لِلصُّحُفِ وَدَامَتْ لَهُ لَمْ تَنْجُ مِنْهُ الصُّحُفُ الْمُنْزَلَةُ
لَوْ دَامَ هَذَا رَقِيبًا عَلَى الصَّحَفِ لَامْتَدَّ أَذَاهُ فَأَصَابَ «الصَّحَفُ» الْمُنْزَلَةُ (الْكَتَبُ السَّمَوِيَّةُ/صَحَفُ
إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى)

لَوْ خَالَ «بِسْمِ اللَّهِ» فِي مُصْحَفٍ تُغْضِبُ تَحْسِينًا مَحَا الْبَسْمَلَةَ
لَوْ ظَنَّ أَنَّ الْبَسْمَلَةَ فِي الْمَصْحَفِ تُغْضِبُ تَحْسِينًا (حَسَنَ تَحْسِينِ بَاشَا الْقَائِدِ الْبَحْرِيِّ التُّرْكِيِّ) لَمَحَاهَا

جَرَائِدُ التُّرْكِ عَلَى عَهْدِهِ كَانَتْ بِلا شَأْنٍ وَلَا مَنْزِلَةٍ
الشَّرُّ بِالشَّرِّ، فَيَا قَوْمُ لَا إِثْمَ إِذَا رَاقِبْتُمْ مَنْزِلَةَ
فَقَابَلُوا شَرَّهُ بِشَرِّ، وَرَاقَبُوا مَنْزِلَهُ جَزَاءَ مَا كَانَ يَرَاقِبُ الصَّحَفُ

فَحَاصِرُوا الْأَبْوَابَ وَاسْتَوْقَفُوا مَنْ أَخْرَجَ الرِّيَّادَ وَمَنْ أَدْخَلَ
وَأَوْقَفُوا لِلتَّفْتِيشِ مَنْ يَحْمِلُ إِلَيْهِ الطَّعَامَ

إِنْ كَانَ فِي السَّلَّةِ تَفَاحَةٌ ضَعُوهَا لَهُ مَوْضِعَهَا حَنْظَلَةٌ

فإن وجدتم في الطعام تفاحة فأبدلوا بها حنظلة (الثمرة المرة)

ذَلِكَ يَا قَوْمُ جَزَاءُ امْرِئٍ كَمْ غَيَّرَ الْحَقَّ، وَكَمْ بَدَّلَهُ

تبدیل بتبدیل

١٢٦ انقلاب شوقي على عبد الحميد

قال شوقي في الانقلاب العثماني (١٩٠٩):

عَبْدَ الْحَمِيدِ! حَسَابُ مِنْهُ لِيكَ فِي يَدِ الْمَلِكِ الْغَفُورِ

سُدَّتِ الثَّلَاثِينَ الطُّوَا لَ وَلَسَنَ بِالْحُكْمِ الْقَصِيرِ

حكم عبد الحميد الثاني تركيا ٣٣ سنة (١٨٧٦ - ١٩٠٩). إذا قرأ هذا الشرح معلم مدرسة، ورأى أن يدرّس القصيدة لتلاميذه، فليعلم أنني ما وضعت التواريخ حتى يفرضها على ذاكرتهم. وضعتها زيادة في الشرح، وحتى أريحك من عناء البحث

تَنْهَى وَتَأْمُرُ مَا بَدَا لَكَ فِي الْكَبِيرِ وَفِي الصَّغِيرِ

لَا تَسْتَشِيرُ، وَفِي الْحِمَى عَدَدُ الْكَوَاكِبِ مِنْ مُشِيرِ

لا تستشير أحداً رغم أن في البلد عدد الكواكب من العقلاء المشيرين بالصواب

أَيِّنَ الرُّوِيَّةُ وَالْأَنَا ةُ وَحِكْمَةُ الشَّيْخِ الْخَبِيرِ

إِنَّ الْقَضَاءَ إِذَا رَمَى ذَلِكَ الْقَوَاعِدَ مِنْ نُبِيرِ

القضاء حين يرمي بسهمه يدك قواعد جبل ثبير

دَخَلُوا السَّرِيرَ عَلَيْكَ يَخُ تَكْمُونَ فِي رَبِّ السَّرِيرِ

دخل الانقلابيون السرير (قاعة الحكم) وتحكموا في رب (صاحب) الديوان، فأسروه ونفوه إلى سالونيك (ومات هناك بعد تسع سنين/ ليست للحفظ)

أَعْظَمَ بِهِمْ مِنْ أَسِيرِ بَيْنَ وَبِالْخَلِيفَةِ مِنْ أَسِيرِ

فما أعظمهم، وما أعظم الخليفة الأسير!

١٢٧ الصابرين على معتقداته

قال في أربعين قاسم أمين، الذي مات في ١٩٠٨، ونشرت القصيدة في (١٩٠٩):

يَا غَائِبِينَ وَفِي الْجَوَانِحِ طَيْفُهُمْ أَبْكِيكُمْ مِنْ غُيِّبِ حُضَارِ

يا غائبين وفي الجوانح (الصدور) صورتهم، أبكيكم وأنتم غائبون عن العين حاضرون في الذهن

بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى سَفَرٌ سَأُزِمُّعُهُ مِنَ الْأَسْفَارِ
والذي يفصلني عنكم سَفَرٌ سوف أزمعه (أقوم به)

إِنِّي أَكَادُ أَرَى مَحَلِّي بَيْنَكُمْ هَذَا قَرَارُكُمْ وَذَاكَ قَرَارِي
هذا قراركم (مكان استقراركم/ قبركم) وذاك بقره قراري الذي سأُنزل به

أَوْفَى الرِّجَالِ لِعَهْدِهِ وَلِرَأْيِهِ وَأَبْرَهُمْ بِصَدِيقِهِ وَالْجَارِ
قاسم أمين كان أوفى الرجال وأبرهم

وَأَشَدُّهُمْ صَبْرًا لِمَعْتَقِدَاتِهِ وَتَأْدُبًا لِمَجَادِلِ وَمُمارِ
المماري (المجادل المكابر)

١٢٨ شعوبك يا محمد في سبات

قال شوقي يهنئ الخديوي عباس حلمي بالحج. يقول حسين أحمد شوقي في كتابه «أبي شوقي» إن الخديوي عباس حلمي عزم على شوقي أن يحج معه، ولكن شوقي نفلت من الموكب ولم يذهب للحج، وكانت هذه الاعتذارية (١٩١٠):

إِلَى عَرَافَاتِ اللَّهِ يَا خَيْرَ زَائِرٍ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ فِي عَرَافَاتِ
لَكَ الدِّينُ يَا رَبَّ الْحَجِيجِ، جَمَعَتْهُمْ لَبَيْتِ ظَهْوِرِ السَّاحِ وَالْعَرَصَاتِ
السَّاحِ: الساحات، العرصات: الساحات

أَرَى النَّاسَ أَصْنَافًا، وَمِنْ كُلِّ بَقْعَةٍ إِلَيْكَ انْتَهَوْا مِنْ غُرْبَةٍ وَشَتَاتٍ
تَسَاوَوْا، فَلَا الْأَنْسَابُ فِيهَا تَفَاوُتٌ لَدَيْكَ، وَلَا الْأَقْدَارُ مُخْتَلِفَاتٍ
دَعَانِي إِلَيْكَ الصَّالِحُ ابْنُ مُحَمَّدٍ فَكَانَ جَوَابِي صَالِحَ الدَّعَاوَاتِ
دعاني الخديوي «عباس بن محمد توفيق» إلى بيتك الحرام يا رب، فدعوت له بالخير

وَخَيْرَنِي فِي سَابِحٍ أَوْ نَجِيبَةٍ إِلَيْكَ، فَلَمْ أَخْتَرْ سِوَى الْعَبْرَاتِ
وخيرني في ركوب سابح (فرس) أو نجيبة (ناقة)، فاخترت عبرات الاعتذار (دموع الاعتذار)
وَقَدَّمْتُ أَعْذَارِي وَذُلِّي وَخَشْيَتِي وَجِئْتُ بِضَعْفِي شَافِعًا وَشَكَاتِي
اعتذرت وقدمت خضوعي، وجعلت الشافع لي ضعفي وشكاتي (مرضي)

رَكَائِبُ عَبَّاسِ الْعُلَا كِسْرَوِيَّةٌ وَلَكِنْ لِي سَيْفٌ وَرَبٌّ قَنَاقَةٌ
ركائب عباس (دوابه) كسروية (فاخرة التجهيز كدواب كسرى)، ولكنها تصلح لذي السيف، ورب (صاحب) الرمح

وفي راجتي ماضٍ إذا ما هزَّزْتُهُ تركتُ عدوَّ اللَّهِ في السَّكراتِ
وأما أنا ففي يدي قلم ماضٍ، إذا حركته تركت أعداء الله في سكرات الموت

أُتِيتَ بِهِ يَا رَبُّ نُوراً وَحِكْمَةً وَنَزَّهْتَهُ عَنْ رِيبَةٍ وَأَذَاةٍ
أنت جئتني يا رب بهذا القلم لتفيض منه الحكمة، ونزهته عن الريبة (العيب) والأذى

وَيَا رَبَّ لَوْ سَخَّرْتَ نَاقَةَ صَالِحٍ لَعَبَدَكَ مَا كَانَتْ مِنَ السَّلَاسَاتِ
وحظي سيء، فلو سخر لي الله ناقة النبي صالح المعطاء السلسة، لما كانت سلسة معي

وَيَا رَبَّ هَلْ تُغْنِي عَنِ الْعَبْدِ حَجَّةٌ وَفِي الْعَمْرِ مَا فِيهِ مِنَ الْهَفَوَاتِ
وماذا ينفعني الحج وقد ارتكبت هفوات كثيرة

إِذَا زُرْتِ يَا مَوْلَايَ قَبْرَ مُحَمَّدٍ وَقَبِلْتَ مَثْوَى الْأَعْظَمِ الْعَطِرَاتِ
مولاي الخديوي عندما تزور قبر محمد، وتقبل مثنوى (موضع) عظامه الطاهرة

فَقُلْ لِرَسُولِ اللَّهِ: يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ أَبْثُكَ مَا تَدْرِي مِنَ الْحَسَرَاتِ
قل له: أبثك (أخبرك بـ) حشرات قلبي

شُعُوبُكَ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرِبِهَا كَأَصْحَابِ كَهْفٍ فِي عَمِيْقِ سُبَاتِ

١٢٩ مَضْنَاكَ جَفَاهُ مَرْقَدُهُ

قال شوقي يهنئ الخديوي عباس حلمي (١٩١٠):

مَضْنَاكَ جَفَاهُ مَرْقَدُهُ وَيَكَاهُ وَرَحَّمَ عُودُهُ
مضناك (المريض بحبك) جفاه (نبَّهه) مرقده (سريره) فهو ساهر، وبكاه عُودُهُ (زائرُهُ) وترحموا عليه

حَيْرَانُ الْقَلْبِ مُعَذِّبُهُ مَقْرُوحُ الْجَفْنِ مُسَهِّدُهُ
جفنه مقروح (مجرَّح) من بكائه ومسَّهَّد (ساهر)

أَوْدَى حُرْقاً إِلَّا رَمَقاً يُبْقِيهِ عَلَيْكَ وَتُنْفِذُهُ
أودى (مات) من الحُرْق (حُرقة في إثر حُرقة)، ولم يبق فيه سوى رمق (بقية حياة)، وهو يحافظ على هذه البقية من أجلك وأنت تُنفِذ هذه البقية (تفنيها)

يَسْتَهْوِي الْوُرُقَ تَأْوُهُ وَيُذِيبُ الصَّخَرَ تَنْهَدُهُ
يستهوِي الورق (الحمام) تأوُّهه، ويذيب الصخر تنهده

وَيَنَاجِي النَّجْمَ وَيُتَعَبُّهُ وَيَقِيْمُ اللَّيْلَ وَيُقْعِدُهُ
لكثرة سهره يتعب النجم وهو يناجيه (يحدثه)، ويتعب الليل أيضاً

الْحَسَنُ حَلَفْتُ بِيُوسُفِهِ وَالسُّورَةَ أَنَّكَ مُقَرَّدُهُ
حلفت بأحسن الحسن (بيوسف النبي مضرب المثل في الحسن)، وحلفت بسورة يوسف أيضاً،
أنتك أنت المتفرد بالحسن

قَدْ وَدَّ جَمَالَكَ أَوْ قَبَسًا حَوْرَاءُ الْخُلْدِ وَأَمْرَدُهُ
وقد تمنى جمالك أو قبساً منه (بعضاً منه) حوراء الجنة (ذات العينين الجميلتين) وأمرد الجنة
(الغلام ولما ينبت شعر وجهه)

وَتَمَنَّيْتُ كُلَّ مُقَطَّعَةٍ يَدَهَا لَوْ تُبَعْتُ تَشْهَدُهُ
وتمنت كل واحدة من تلك النسوة اللاتي قطعن أيديهن لما أذهلهن جمال يوسف، لو بعثها الله
لتشهد جمالك أنت

جَحَدْتُ عَيْنَاكَ زَكِيَّ دَمِي أَكْذَلِكَ خَدُّكَ يَجْحَدُهُ
أنكرت عيناك دمي الزكي الذي سأل في حيك، فهل خدك ينكر دمي؟ (وخدك محمر من دمي
النازف فكيف له أن ينكر؟)

قَدْ عَزَّ شُهُودِي إِذْ رَمَتَا فَأَشْرْتُ لِحَدِّكَ أَشْهَدُهُ
عز علي الثور على شهود يشهدون لي عندما رمت عيناك بهميما قلبي، فأشرت لخدك المحمر
حتى يكون شاهداً على هذه الجريمة

بَيْنِي فِي الْحَبِّ وَبَيْنَكَ مَا لَا يَقْدِرُ وَاشِ يُفْسِدُهُ
ما بال العاذل يفتح لي باب السُّلُوَانِ وَأَوْصِدُهُ
العاذل (اللائم) يسهل علي السلوان (النِّيان)، لكنني أوصد (أسد) هذا الباب

وَيَقُولُ: تَكَادُ تُجَنُّ بِهِ فَأَقُولُ: وَأَوْشِكُ أَعْبُدُهُ
مُؤَلَايَ، وَرُوحِي فِي يَدِهِ، قَدْ ضَيَّعَهَا سَلِمَتْ يَدُهُ
ناقوس القلب يدقُّ له وحنايا الأضلع معبده
يا سيف الدولة عِشْ أَبَدًا لِلْعَصْرِ يَهْزُكُ أَحْمَدُهُ

سيف الدولة عباس حلمي الثاني، والذي يهز السيف في هذا العصر ويشير نخوته هو أحمد شوقي.
وكان الذي يهز سيف الدولة الحمداني في العصر المنصرم أحمد آخر هو أحمد بن الحسين المتني

كُرْسِيُّكَ أَثْبَتُ مِنْ أَحَدٍ مَمْدُودُ الْعِزِّ مُؤَبَّدُهُ
كرسي حكمك ثابت كجبل أحد، وعزك مستمر للأبد

١٣٠ لو لم يقتل لمات

اغتيال بطرس غالي رئيس مجلس النظار (ما يعادل رئيس الوزراء)، على يد الصيدلي إبراهيم الورداني بست رصاصات أصابته اثنان منها، لأنه كان - فيما قيل - يدبر لتمديد امتياز قناة السويس. وكان غالي يسائر الإنجليز، مثله في ذلك مثل معظم كبار الموظفين، ويسمى للتوفيق بينهم وبين الوطنيين (أنصار الحزب الوطني، وكان الورداني منهم) والعربيين قبل ذلك. وأدى اغتيال بطرس غالي إلى استياء كبير في نفوس القبط (١٩١٠):

بني القبط! إخوانَ الدهور! رُؤَيْدُكُمْ هَبْوَهَ يَسُوعاً فِي الْبَرِيَّةِ ثَانِياً
أَيُّهَا الْقَبْطُ! يَا إِخْوَانَنَا عَلَى مَدَى الدَّهْوَرِ، وَرَيْدُكُمْ (تَمَهَّلُوا)، وَهَبْوَهَ يَسُوعاً ثَانِياً (أَيُّ افْرَضُوا أَنَّهُ
يَسُوعُ) فِي الْبَرِيَّةِ (الْعَالَمِ)

حَمَلْتُمْ لِحُكْمِ اللَّهِ صَلَبَ ابْنِ مَرْيَمَ وَهَذَا قَضَاءُ اللَّهِ قَدْ غَالَ غَالِيَا
احْتَمَلْتُمْ صَلْبَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ لِأَنَّهُ قَضَاءُ اللَّهِ، وَاغْتِيَالُ بَطْرُسَ غَالِي كَانَ بِقَضَاءِ اللَّهِ

سَدِيدُ الْمَرَامِي قَدْ رَمَاهُ مَسَدُّ وَدَاهِيَةُ السُّوَّاسِ لَاقَى الدَّوَاهِيَا
كَانَ غَالِي سَدِيدُ الْمَرَامِي (الْغَايَاتِ)، وَرَمَاهُ بِالرَّصَاصِ رَجُلُ مَسَدٍ (بِحَسَنِ التَّسْدِيدِ)، وَغَالِي دَاهِيَا
السُّوَّاسِ (السِّيَاسِيِّينَ) لَاقَى الدَّوَاهِيَا

وَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُطْلَقِ النَّارَ مُطْلِقٌ عَلَيْهِ لَأَوْدَى فَجْأَةً أَوْ تَدَاوِيَا
وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تُطْلَقْ عَلَيْهِ النَّارُ لَأَوْدَى (مَاتَ) فَجْأَةً أَوْ بَعْدَ التَّدَاوِيِ مِنَ الْمَرَضِ. أَهْناكَ فِي الرِّثَاءِ أَوْ قَدْ
مِنْ هَذَا الْبَيْتِ؟

قَضَاءٌ وَمِقْدَارٌ وَأَجَالٌ أَنْفُسٍ إِذَا هِيَ حَانَتْ لَمْ تُؤَخَّرْ ثَوَانِيَا
أَلَمْ تَكُ مَصْرٌ مَهْدَنَا ثُمَّ لَحَدْنَا وَبَيْنَهُمَا كَانَتْ لِكُلِّ مَغَانِيَا
المَغَانِيَا: الرَّبْعُ

أَلَمْ تَكُ مِنْ قَبْلِ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَمُوسَى وَطَةَ نَعْبُدُ النَّيْلَ جَارِيَا
فَهَلَّا تَسَاقَيْنَا عَلَى حُبِّهِ الْهَوَى وَهَلَّا قَدَيْنَاهُ ضِفَافاً وَوَادِيَا
فَهَلَّا سَقَى بَعْضُنَا بَعْضاً مِنْ كَأْسِ مَحَبَّتِنَا لِلنَّيْلِ

وَمَا زَالَ مِنْكُمْ أَهْلٌ وَدٌّ وَرَحْمَةٌ وَفِي الْمُسْلِمِينَ الْخَيْرُ مَا زَالَ بَاقِيَا
فَلَا يَنْتَنِيكُمْ عَنْ ذِمَّةٍ قَتْلُ بَطْرُسٍ فَقَدْ مَأْ عَرَفْنَا الْقَتْلَ فِي النَّاسِ فَاشِيَا
فَلَا يَجْعَلُكُمْ قَتْلُ بَطْرُسَ غَالِي تَرْجِعُونَ عَنِ الْعَهْدِ، فَقَدْ مَأْ (مِنْذُ الْقَدِيمِ) عَرَفْنَا الْقَتْلَ فَاشِيَا (مُتَشَرِّاً)
فِي النَّاسِ

١٣١ صداح

قال شوقي يتوجع عندما حكم على إبراهيم الورداني بالإعدام، لاغتياله بطرس غالي
رئيس مجلس النظار/ الوزراء، والقصيدة مشحونة بالتقية (١٩١٠):

صَدَّاحُ يَا مَلِكَ الْكِنَا رِ يَا أَمِيرَ الْبُلْبُلِ
أيها الصداح يا ملك الكنارات وأمير البلبل

يَا لَيْتَ شِعْرِي يَا أَسِيرَ رُ شَجِجْ فَوَإْذُكَ أَمْ خَلِي
ليت شعري أيها الطائر الأسير هل فؤادك شج (حزين) أم خلتي من الهم؟

وَحَلِيفُ سُهَيْدٍ أَمْ تَنَا مُمُ اللَّيْلِ حَتَّى يَنْجَلِي
هل أنت حليف سهد (سهر)، أم تنام الليل بطوله؟

يَا ظَيْرُ وَالْأَمْثَالُ تُضْ رُبُّ لَلْبَيْبِ الْإَمْثَلِ
يا أيها الطائر إنما نحن نضرب مثلاً للبيب

دُنْيَاكَ مِنْ عَادَاتِهَا أَلَّا تَكُونَ لَأَعْزَلِ
الدنيا عاداتها أن لا تكون للأعزل

جُعِلَتْ لِحُرٍّ يُبْتَلَى فِي ذِي الْحَيَاةِ، وَيَبْتَلَى
الدنيا للحر الذي يتلى ويتلى أعداءه بنضاله

يَرْمِي وَيُرْمَى فِي جِهَا دِ الْعَيْشِ غَيْرَ مُغْفَلِ
أَسِمِفَتْ بِالْحَكَمَيْنِ فِي الْإِسْلَامِ يَوْمَ الْجَنْدَلِ
هل سمعت بقصة الحكّمين في دومة الجندل (عندما خدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري)

رَضِيَ الصَّحَابَةُ أَنْذَ لَكَ بِالْكِتَابِ الْمُنْزَلِ
فالصحابة رضوا بالمصحف حكماً

وَهُمُ الْمَصَابِيحُ الرُّوَا ةُ عَنِ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ
حَتَّى إِذَا وَسِعَتْ مُعَا وَبَةً، وَضَاقَ بِهَا عَلِي
حتى إذا جاءت نتيجة التحكيم لصالح معاوية بعد الخدعة، فوسّعت الأمور معاوية وضاق علي بها...

رَجَعُوا لِظُلْمٍ كَالطَّبَا ئِعِ فِي النَفُوسِ مُؤَصَّلِ
لم يرض الناس، فالظلم من طابعهم

نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ الْقَوِيِّ - وَعِنْدَ رَأْيِ الْأَخْيَلِ
وكان الأمر للقوي والأحيل (الأكثر حيلة)

صَدَّاحُ حَقٍّ مَا أَقْوُو لُ حَقَلَتْ أَمْ لَمْ تَحْفَلِ
فيا صداح ما أقوله هو الحق، فالدنيا للقوي ولصاحب الحيلة، وأنت قمت بفعل وأخذت طريق
القوة ولا يعني أكان الحق معك أم لم يكن، فالشريعة في هذه الغاية هي أن الدنيا «تؤخذ غلاباً»

صَبَحَ بِالصَّبَاحِ وَبَشَّرَ الْ - أَبْنَاءَ بِالْمُسْتَقْبَلِ
وَاسْأَلْ لِمَصْرَ عَنَّا يَةً تَأْتِي وَتَهْبِطُ مِنْ عَلِ
نشرت القصيدة في الشوقيات المطبوعة سنة ١٩٢٦ بعنوان «بين الحجاب والسفور» إمعاناً في
التمويه على موضوعها الأصلي. وشوقي لم يضطر إلى كل هذا التمويه خوفاً من الإنجليز فحسب،
بل مراعاة للأقباط أيضاً

١٣٢ بساط الريح

قال شوقي يحيي الطيارين الفرنسيين (١٩١٠):

قَمِ سَلِيمَانُ، بِسَاطُ الرِّيحِ قَامَا مَلَكَ الْقَوْمُ مِنَ الْجَوِّ الزَّمَامَا
قَمِ يَا سَلِيمَانُ يَا مَنْ سَخَّرَ لَكَ اللَّهُ الرِّيحَ، فَقَدْ قَامَ بِسَاطُ الرِّيحِ، وَقَدْ اِمْتَلَكَ الْقَوْمُ زَمَامَ الْأُمُورِ مِنَ
الْجَوِّ. هَذَا وَلَمَّا تَقَمُّ بَعْدَ حُرُوبِ الْجَوِّ، فَلَوْ عَرَفَ شَوْقِي مَا حَدَثَ عَامَ ٦٧ عِنْدَمَا انْتَصَرَتْ إِسْرَائِيلُ
فِي سَاعَةِ لَأَنَّهَا «مَلَكْتَ مِنَ الْجَوِّ الزَّمَامَا» لَظَنَّ نَفْسَهُ نَبِيًّا

حِينَ ضَاقَ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ بِهِمْ أَشْرَجُوا الرِّيحَ وَسَامُوها اللَّجْمَا
وَضَعُوا سِرْجاً عَلَى الرِّيحِ كَأَنَّهَا فَرَسٌ، وَسَامُوها (أَذَلُّوها بِ) اللَّجْمَا

صَارَ مَا كَانَ لَكُمْ مَعْجَزَةً آيَةً لِّلْعَلَمِ آتَاهَا الْأَنَامَا
مَا كَانَ عِنْدَكُمْ يَا سَلِيمَانُ مَعْجَزَةً، صَارَ آيَةً (بِرَهَانًا) أَعْطَاهَا الْعَلَمُ لِلْأَنَامِ (لِلبَشَرِ)

قُدْرَةٌ كُنْتَ بِهَا مِنْفَرِداً أَصْبَحْتَ حِصَّةً مَنْ جَدَّ اعْتِزَامَا
طُلِبَتْ قَدْ رَامَهَا أَبَاؤُنَا وَابْتَغَاهَا مَنْ رَأَى الدَّهْرَ غُلَامَا
الطيران طلبة (هدف) طلبها آبائنا، وابتغاهم الأقدمون الذين شهدوا الزمن وهو يافع

أَسْقَطَتْ إِيكَارُ فِي تَجَرِبَةٍ وَابْنَ فِرْنَانِسٍ فَمَا اسْطَاعَا قِيَامَا
هذه الأمنية أسقطت اليوناني إيكاروس، والعربي العباس بن فرناس، من الأعالي فماتا في شهوة الطيران

فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ أَوْدَى نَفَرٌ شُهَدَاءُ الْعِلْمِ أَغْلَاهُمْ مَقَامَا
فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ أَوْدَى (مات) نفر (أناس)، وشهداء العلم هم أغلاهم مقاماً

خلفاء الرسل في الأرض هُمْ يَبْعَثُ اللَّهُ بِهِمْ عَاماً فَعَاماً

شهداء العلم هم خلفاء الأنبياء في الأرض، والله يبعث بهم حيناً بعد حين

قَطْرَةٌ مِنْ دِمِهِمْ فِي مُلْكِهِ تَمَلُّ الْمَلِكُ جَمَالاً وَنِظَاماً

والقطرة الواحدة من دمهم تنير الدولة وتزين الملك

أَيُّهَا الشَّرْقُ انْتَبِهْ مِنْ غَفْلَةٍ مَاتَ مَنْ فِي طُرُقَاتِ السَّيْلِ نَامَا

الشرق غافل، وهو مثل النائم في طريق السيل، يأتيه السيل ليلاً فيجره

١٣٣ قصر أنس الوجود

قيلت هذه القصيدة في قصر أنس الوجود، معبد إيزيس على جزيرة فيلة، وبعد بناء السد العالي نقلت أحجاره وشيد من جديد على مبعده نصف كيلومتر من موقعه الأصلي. وكان الرئيس الأميركي المنصرف لتوّه من المنصب تيودور روزفلت (١٩٠١ - ١٩٠٩) زار مصر وقصد أسوان ضمن جولة صيد إفريقية قتل فيها مع رفاقه ١١ ألف حيوان أرسلوا كثيراً منها مملّحة إلى واشنطن لتُغَمَّر المتاحف. وقبل أسوان كان روزفلت في الخرطوم، وفيها قال كلاماً مؤيداً للاحتلال الإنجليزي، وغاضباً من الثقافة الشرقية والإسلامية. (١٩١٠):

أَيُّهَا الْمُنْتَحِي بِأَسْوَانِ دَاراً كَالثَّرِيَّا تُرِيدُ أَنْ تَنْقُضَا

يا روزفلت! أيها المنتحي (القاصد) داراً (قصر أنس الوجود) في أسوان كأنها نجوم الثريا توشك أن تنقض على الأرض

اخْلَعْ النُّعْلَ وَاخْفِضِ الطَّرْفَ وَاخْشَعْ لَا تُحَاوِلْ مِنْ آيَةِ الدَّهْرِ غَضًّا

اخلع نعلك احتراماً (كما فعل موسى إذ كلم ربه) واخفض بصرك، ولا تحاول الغض (الانتقاص من) آية الدهر (معجزته)

قِفْ بِتِلْكَ الْقُصُورِ فِي الْيَمِّ عَرَقِي مُنْسِكَا بَعْضُهَا مِنَ الدُّعْرِ بَعْضَا

هذا الأثر مكون من عدة مبان بعضها فرعوني وبعضها بطلمي، وهي متشابكة متجاورة

كَعَذَارَى أَخْفَيْنَ فِي الْمَاءِ بَضًّا سَابِحَاتٍ بِهِ، وَأَبْدَيْنَ بَضًّا

كأن تلك القصور والمياه تغمر أسافلها فتيات سابحات أخفين بضاً (طرياً) من أجسامهن في الماء يسبحن به، وأظهرن بضاً فوق سطح الماء

مُشْرِفَاتٍ عَلَى الزَّوَالِ وَكَانَتْ مُشْرِفَاتٍ عَلَى الْكَوَاكِبِ نَهَضَا

الآن تشرف (توشك) هذه القصور على الزوال، وكانت في الماضي تشرف (تطل) على الكواكب ناهضة شامخة برؤوسها

شَابَ مِنْ حَوْلِهَا الزَّمَانُ وَشَابَتْ وَشَبَابُ الْفَنُونِ مَا زَالَ غَضًّا
 الزمان شاب والقصور شابت، ولكنها ثبت أن الفن ما زال متعشاً شاباً غضاً (طري العود)
 رَبِّ نَفْسٍ كَأَنَّمَا نَفَضَ الصَّاءُ نَعُ مِنْهُ الْيَدَيْنِ بِالْأَمْسِ نَفْضًا
 وضحايا تكادُ تمشي وترعى لو أصابت مِنْ قَدْرَةِ اللَّهِ نَبْضًا
 النقوش تصور الحيوانات المذبوحة على المعبد وهي تكاد تمشي لبراعة النحت، وكل ما ينقصها
 النبض

وَمَحَارِيبَ كَالْبُرُوجِ بَنَتْهَا عَزَمَاتٌ مِنْ عَزَمَةِ الْجَنِّ أَمْضَى
 ورب محارب عالية في المعبد بنتها هم أَمْضَى من همة الجن (الذين سخرهم سليمان فنوا له
 الصروح ومات وهم في كد وتعَب)

سَقَتِ الْعَالَمِينَ بِالسَّعْدِ وَالنَّحْدِ سِرٌّ إِلَى أَنْ تَعَاظَتِ النُّحْسَ مَحْضًا
 هذه المحارب كان بيدها، ويبد كهنتها، حظوظ الناس من سعد ونحس، ثم حل بها النحس
 وزالت قدسيتها

صَنَعَةٌ تُدْهِشُ الْعُقُولَ، وَفَنٌّ كَانَ إِتْقَانُهُ عَلَى الْقَوْمِ فَرَضًا
 وأنا الْمُحْتَفِي بِتَارِيخِ مِصْرٍ، مَنْ يَصُنُّ مَجْدَ قَوْمِهِ صَانٌ عِرْضًا

١٣٤ تولستوي يلتقي بالمعري

قال شوقي يرثي ليف نيكولايفيتش تولستوي الذي مات في سنة ١٩١٠. ونشرت
 القصيدة (١٩١١):

تُولِستوي! تُجْرِي آيَةُ الْعِلْمِ دَمْعَهَا عَلِيكَ، وَيَبْكِي بَائِسٌ وَفَقِيرُ
 تبكيك يا تولستوي آية العلم (برهانه) والفقراء الذين تخلت لهم عن أملاكك. لا أدري لماذا بكى
 العلم تولستوي، إلا إن كان شوقي يعني المعرفة الإنسانية بأوسع مفهوم

إِذَا أَنْتَ جَاوَزْتَ الْمَعْرِيَّ فِي الثَّرَى وَجَاوَرَ رَضْوَى فِي التَّرَابِ ثَبِيرُ
 إذا جاورت المعري في التراب، كما تجاورَ جبلا رضى وثبير، فأنتما جبلان كبيران من جبال
 الحكمة، ..

فَقُلْ: يَا حَكِيمَ الدَّهْرِ حَدِّثْ عَنِ الْبَلَى فَأَنْتَ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ خَبِيرُ
 قل للمعري: حدثنا عن البلى (تحلل الجسم بعد الدفن) فأنت عليم بالأمور

أَرَى رَاحَةً بَيْنَ الْجَنَادِلِ وَالْحَصَى وَكُلُّ فِرَاشٍ قَدْ أَرَاخَ وَثِيرُ
 يقول تولستوي: أرى راحة بين الجنادل (الصخور) والحصى

نَظَرْنَا بِنُورِ الْمَوْتِ كُلَّ حَقِيقَةٍ وَكُنَّا كِلَانَا فِي الْحَيَاةِ ضَرِيرُ
الموت لكلينا كان نوراً رأينا فيه الحقائق، وفي الحياة كنا كلانا، وليس أبو العلاء وحده، ضريبن
إِلَيْكَ اعْتِرَافِي لَا لِقَسٍّ وَكَاهِنٍ وَنَجْوَائِي بَعْدَ اللَّهِ وَهُوَ غَفُورُ
أعترف لك يا أبا العلاء، وليس للقس كما يعترف المسيحيون، وأناجيك أنت بعد مناجاتي لله
فَرُهِدُكَ لَمْ يَنْكَرْهُ فِي الْأَرْضِ عَارِفٌ وَلَا مَتَعَالٍ فِي السَّمَاءِ كَبِيرُ
وزهدك أقر به العارفون في الأرض، وأقر به رب السماء المتعالي
بَيَانٌ يُشَمُّ الْوَحْيِ مِنْ نَفْحَاتِهِ وَعِلْمٌ كَعِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ غَزِيرُ
وبيانك يشم المرء منه عطر الوحي، فكأنه من التنزيل، وعلمك غزير كعلم الأنبياء
تُسَائِلُنِي هَلْ غَيَّرَ النَّاسُ مَا بِهِمْ وَهَلْ حَدَّثْتَ، غَيْرَ الْأُمُورِ، أُمُورُ
وإنك لتسألني، أنا القادم عليك بعد ألف سنة من موتك، هل تغير الناس؟
وَهَلْ آنَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ تَسَامُحٌ خَلِيقٌ بِأَدَابِ الْكِتَابِ جَدِيرُ
وهل آن بين أهل الكتاب (أصحاب الأديان السماوية) وقت التسامح الذي هو خليق (جدير)
بِالْكِتَابِ (الكتب المتزلة)
أُنَاسٌ كَمَا تَدْرِي، وَدُنْيَا بِحَالِهَا وَدَهْرٌ رَخِيٌّ تَارَةٌ، وَعَسِيرُ
الناس كما تعرفهم، والدنيا كما هي، والزمن رخي (فيه رخاء) تارة، وعسير أخرى
وَأَحْوَالُ خُلِقِ غَابِرٍ مُتَجَدِّدٍ تَشَابَهَ فِيهَا أَوَّلٌ وَأَخِيرُ
وأحوال الخلق العاصي والمتجدد متشابهة، الأول يشبه الأخير
وَقَامَ مَقَامَ الْفَرْدِ فِي كُلِّ أُمَّةٍ عَلَى الْحُكْمِ جَمٌّ يَسْتَبِدُّ غَفِيرُ
وبدل حكم الفرد، قام في كل أمة على شؤون الحكم جم (جمع) غفير يستبد بالأمم
وَحُورٌ قَوْلِ النَّاسِ مَوْلَى وَعَبْدُهُ إِلَى قَوْلِهِمْ: مُسْتَأْجِرٌ وَأَجِيرُ
وَحُورٌ (بُذِلَ) قول الناس مولى وعبد (سيد وعبد) إلى قولهم: مستأجر وأجير
وَأُضْحَى نَفُوذُ الْمَالِ لَا أَمْرَ فِي الْوَرَى وَلَا نَهْيَ إِلَّا مَا يَرَى وَيُشِيرُ
وصار لا يوجد أمر أو نهْي بين الناس إلا بحسب ما يرى نفوذ المال وما يشير به

١٣٥ أمم الهلال

قال شوقي في مولد هلال العام الهجري الجديد (١٩١١):

أُمَّمُ الْهَيْلَالِ! مَقَالَةٌ مِنْ صَادِقٍ وَالصَّدْقُ أَلِيقٌ بِالرِّجَالِ مَقَالَا
يا أمم الهلال (والهلال رمز الدولة العثمانية ورمز الإسلام) هذا قول رجل صادق، والصدق أليق بالرجال

مِنْ عَادَةِ الْإِسْلَامِ يَرْفَعُ عَامِلًا وَيُسَوِّدُ الْمَقْدَامَ وَالْفَعْلَا

الإسلام من عادته أن يرفع شأن من يعمل، وأن يسود (يعطي السيادة) الجريء الفعال

ظَلَمَتْهُ أَلْسِنَةُ تَوَاخِذِهِ بِكُمْ وَظَلَمْتُمُوهُ مُقَرَّرَ طِينِ كُسَالَى

ظلمت الإسلام الألسنة التي تواخذه بسببكم، وأنتم ظلمتموه بتفريطكم في الحقوق وكسلكم

هَذَا هَلَالُكُمْ تَكْفَّلَ بِالْهُدَى هَلْ تَعْلَمُونَ مَعَ الْهَلَالِ ضَلَالَا

هلالكم، رمز دينكم، يكفل لكم الهداية، ولا ضلال مع وجود الهلال (فالسائر ليلاً يهتدي بهلال السماء، وهلال الإسلام يهدي المسلمين)

سَرَّتِ الْحَضَارَةُ حِقْبَةً فِي ضَوْئِهِ وَمَشَى الزَّمَانُ بِنُورِهِ مُخْتَالَا

الحضارة مشّت في ضوء الهلال (دولة الإسلام) حقبة، وكان الزمان يمشي بنور هذا الهلال مختالاً (فخوراً)

وَبَنَى لَهُ الْعَرَبُ الْأَجَاوِدُ دَوْلَةً كَالشَّمْسِ عَرْشًا وَالنَّجُومِ رَجَالَا

وبنى العرب الأجاود (الكرام) للهلال دولة عرشها (حكومتها) كالشمس، ورجالها (قوادها) كالنجوم

حَتَّى إِذَا انْقَسَمُوا تَقَوَّضَ مُلْكُهُمْ وَالْمَلِكُ إِنْ بَطَلَ التَّعَاوُنُ زَالَا

١٣٦ نعالج الأيام

قال شوقي في ذكرى وفاة بطرس غالي الذي اغتيل عام ١٩١٠، (١٩١١):

الَّذِينَ لِلدِّيَانِ جَلٌّ جَلَالُهُ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ وَحَّدَ الْأَقْوَامَا

يا قومُ بَانَ الرُّشْدُ فَاقْضُوا مَا جَرَى وَخُذُوا الْحَقِيقَةَ وَانْبُذُوا الْأَوْهَامَا

ظهر الحق فاقضوا (أبعدوا) ما جرى من خلاف بين المسلمين والقبط بعد اغتيال بطرس غالي، وافهموا حقائق الوضع وانبذوا التوهيل

هَذَا رِبُوعُكُمْ وَتِلْكَ رِبُوعُنَا مَتَقَابِلَيْنِ نَعَالِجُ الْأَيَّامَا

هذه أمانتكم أيها القبط وهذه أمانتنا، فنحن نعالج الأيام (نسى في الدنيا) متقابلين متجاورين

هَذَا قَبُورُكُمْ وَتِلْكَ قَبُورُنَا مَتَجَاوِرَيْنِ جَمَاجِمًا وَعِظَامَا

فَبِحَرَمَةِ الْمَوْتِ وَوَجِبِ حَقِّهِمْ عِشُوا كَمَا يَقْضِي الْجَوَارُ كَرَامَا

١٣٧ حشرات الناس

قال شوقي يؤين عمر لطفي، وهو من رواد النهضة التعاونية في مصر، وله كتب في حق المرأة وحرية المساكن وإنشاء شركات التعاون. (١٩١١):

نَمَ ما بَدَا لَكَ أَمِناً في مَنْزِلٍ أَلَدَهُرُ أَقْصَرَ فِيهِ مِنْ سِنَةِ الْكَرَى

نم كما شئت في منزل (يقصد القبر)، الدهر الطويل فيه أقصر من سنة (غفوة) الكرى (النوم)

لَا تَشْكُوكَنَّ الضَّرَّ مِنْ حَشَرَاتِهِ، حَشَرَاتُ هَذَا النَّاسِ أَقْبَحُ مَنْظَرًا

لا تشكوكي الضّر (الأذى) من حشرات القبر، فحشرات البشر أقبح

لَمْ تَذَرِ نَفْسُكَ ما الغُرُورُ، وطالما دَخَلَ الْغُرُورُ عَلَى الْكِبَارِ فَصَغُرَا

كنت متواضعا، وكثيراً ما دخل الغرور نفوس الكبار فصغروهم

فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ تَخُطُّ نِقَابَةً فِيهَا حَيَاةُ أَخِي الزَّرَاعَةِ لَوْ دَرَى

في كل ناحية رحت تؤسس نقابات، فيها الحياة لأخي (الصاحب) الزراعة

هِيَ كِيمِياؤُكَ لَا خِرَافَةً جَابِرٍ تَذَرُ الْمُقِلَّ مِنَ الْجَمَاعَةِ مُكْثِرًا

كيمياؤك (سرّك) وكانت الكيمياء علماً سرياً هدفه تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب) وليس خرافة

جابر بن حيان (الذي مارس الكيمياء) هي التي ترك المقلّ (الفقير) من الجماعة مكثراً (موسراً).

وكيمياء عمر لطفي كانت النقابات والعمل الجماعي

وَالْمَالُ لَا تُجَبَى ثِمَارُ رُؤُوسِهِ حَتَّى يُصِيبَ مِنَ الرُّؤُوسِ مُدَبِّرًا

رؤوس الأموال لا تؤتي ثمارها حتى يصيب (يجد) المال مدبراً له هو عبارة عن رؤوس الناس المبدعين

وَالْمَلِكُ بِالْأَمْوَالِ أَمْنَعُ جَانِبًا وَأَعَزُّ سُلْطَانًا وَأَصْدَقُ مَظْهَرًا

الملك بوجود الأموال يصبح أحسن تحصيناً وأعز (أقوى) سلطاناً، وأصدق تعبيراً عن حقيقته

إِنَّا لَفِي زَمَنِ سَفَاهِ شَعُوبِهِ فِي مُلْكِهِمْ كَالْمَرْءِ فِي بَيْتِ الْكِرَاءِ

نحن في زمنٍ سفاه شعوبه (الشعوب السفهية الحمقاء) تعيش في بلدانها كالمرء في بيت الكراء

(الأجرة)، فهي منقوصة السيادة كالمستأجر

١٣٨ حيلة المصلوب في المسمار

قال شوقي في مؤتمر المستشرقين في أثينا (١٩١٢):

وَثَلَاثَةُ شَبِّ الزَّمَانِ حِيَالَهَا شُمُّ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ كِبَارِ

رُبَّ ثلاثة (الأهرامات الكبرى) شب الزمان (صار شاباً) حيالها (بجانبتها) فقد كانت - لقدمها -

موجودة والزمان صغير في السن، وهي شُم (شاهقة) وكبيرة على مدى الدهر

مِنْ كُلِّ مَرْكُوزٍ كَرَضَوْى فِي الثَّرَى مُتَطَاوِلٍ فِي الْجَوْ كَالْإِعْصَارِ
والواحد منها مركوز (ثابت) كجبل «رضوى» في التراب، وذهب في السماء صاعد في الأعالي كالإعصار
الجنُّ فِي جَنَابَاتِهَا مَطْرُوفَةٌ بِبَدَائِعِ الْبَنَاءِ وَالْحَفَّارِ
الجن (التي كانت بارعة في البناء إذ سخرها سليمان لبناء قصوره) تقف مطروقة (مبهورة) في جنبات
الأهرامات لما أبدع البناء والحفار

وَالْأَرْضُ أَضْيَعُ حِيلَةً فِي نَزْعِهَا مِنْ حِيلَةِ الْمَصْلُوبِ فِي الْمِسْمَارِ
والأرض حيلتها ضائعة (أي أنها عاجزة) في نزع الأهرامات، كحيلة المصلوب في نزع المسمار
المدقوق في جسمه

تِلْكَ الْقُبُورُ أَضْنُ مِنْ غَيْبٍ بِمَا أَخْفَتْ مِنَ الْأَغْلَاقِ وَالْأَذْخَارِ
الأهرامات قبور، وهي أضن (أحفظ) من الغيب (والغيب حافظ كتوم فلا أحد يعرف ما يخبي) بما
أخفته من الأغلاق (الكنوز) والأذخار (الكنوز)

١٣٩ فرحانُ بالحب

قال شوقي (١٩١٢):

بِي مِثْلُ مَا بِكَ يَا قُمْرِيَّةَ الْوَادِي نَادَيْتُ لَيْلِي، فَقُومِي فِي الدُّجَى نَادِي
بي مثل ما بك من الحزن يا قمرية (حمامة) الوادي، ناديتُ ليلي (قلت «يا ليل» كالمطربين)،
فقومي في الدجى (الليل) نادي

تَذَكَّرِي قُبْلَةً فِي الشَّعْرِ حَائِرَةً أَضَلَّهَا، فَمَشَتْ فِي فَرْقِكَ الْهَادِي
يخاطب حبيبته: تذكري قبلة حائرة طبعتها على شعرك فأضلَّها شعرك (أضاع لها طريقها)، ثم مشت
في فَرْقِ الشعر مهتدية بخطه المستقيم

تَذَكَّرِي مَنَظَرَ الْوَادِي وَمَجْلِسَنَا عَلَى الْغَدِيرِ كَعُضْفُورَيْنِ فِي الْوَادِي
والغصنُ يَحْنُو عَلَيْنَا رِقَّةً وَجَوَى وَالْمَاءُ فِي قَدَمَيْنَا رَائِحٌ غَادٍ
الجوى: العشق. «الماء في قدمينا رائح غاد»، هذا من نحاس شوقي المطلي بالذهب. فالعبارة
ذات رنة حلوة. لكن تخيل كيف يروح الماء ويجيء في اتجاهين تر الصورة اهتزت، فكان شوقي
وحبيبته كانا يغمسان أقدامهما في حوض غسالة نصف أوتوماتيك لا في جدول يسير باتجاه واحد
ككل جداول رب العالمين. على أن المطلي بالذهب يسر العين، وكذا بيت شوقي فهو يسر الأذن

تَذَكَّرِي مَوْعِدًا جَادَ الزَّمَانُ بِهِ هَلْ طَرُتْ شَوْقًا، وَهَلْ سَابَقَتْ مِيعَادِي
فَنَلْتُ مَا نَلْتُ مِنْ سُؤْلِ وَمِنْ أَمَلٍ وَرَحْتُ لَمْ أَحْصِ أَفْرَاحِي وَأَعْيَادِي
سؤل: مطلب

١٤٠ متقماً البحري

قال شوقي في مهرجان جمعية الهلال الأحمر (١٩١٢):

جَبْرِيلُ هَلَّلَ فِي السَّمَاءِ وَكَبَّرَ وَاکْتُبْ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ وَسَطَّرِ
يا جبريل هلل (قل لا إله إلا الله) في السماء وكبر (قل الله أكبر)، وسجل الثواب للمحسنين
وَادْعُ الَّذِي جَعَلَ الْهَلَالَ شِعَارَهُ يَفْتَحْ عَلَى أُمَمِ الْهَلَالِ وَيَنْصُرِ
وادع الله الذي جعل الهلال شعاراً له (للإسلام) أن يفتح على أمة الإسلام بالنصر

يَا مَهْرَجَانَ الْبِرِّ أَنْتَ تَحِيَّةٌ لِّلَّهِ مِنْ مَلَأِ كَرِيمٍ خَيْرِ
يا مهرجان البر (الخير) أنت تحية للخلاق من ملأ (جمع) كريم خير

يَا بِنْتَ الْهَامِي دُعَاءُ مُعْظَمِ لِسَمَاءٍ عَزَلَتْ فِي الْبَرِيَّةِ مُكْبِرِ
يا بنت إلهامي (أم الخديوي عباس حلمي) هذا الدعاء الذي يدعو به المهرجان هو دعاء من يعظم
سماء عزك في البرية (بين الناس) ودعاء من يُكَبِّرُكَ

أَحْيَيْتِ، فِي فَضْلِ الْمُلُوكِ وَعِزِّهِمْ، مَا مَاتَ مِنْ أُمِّ الْخَلِيفَةِ جَعْفَرِ
أحييت في جانب فضل الملوك وكرمهم وعزهم ما ذهب زمنه من أعمال الخير التي قامت بها أم
الخليفة جعفر (المتوكل)

إِنَّ الَّذِي قَدْ رَدَّهَا وَأَعَادَهَا فِي بُرْدَتَيْكَ أَعَادَ فِي الْبُحْتَرِي
الله الذي أحيا ذكرها في بُردتِكَ (في ثوبيك، أي ممثلاً فيكَ) أعاد في شخصي ذكر الشاعر
البحري

فَنَظَّمْتُ مَا نَثَرْتُ يَمِينُكَ شَاكِراً لَا يَخْسُنُ الْإِحْسَانُ مَا لَمْ يُشْكَرْ
فأنا نظمت شعراً ما نثرته يمينك من مال وأنا لك شاكر، والإحسان لا يكون جليلاً إن لم يرافقه
الشكر

١٤١ ولد الهدى

في ذكرى المولد النبوي (١٩١٢):

وُلِدَ الْهَدْيُ، فَالكَائِنَاتُ ضِيَاءٌ وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَنِجَاءٌ
زَانَتْكَ فِي الْخُلُقِ الْعَظِيمِ شَمَائِلُ يُغْرِى بِهِنَ وَيُولَعُ الْكُرَمَاءُ
يا رسول الله زانتك (زينتك) في خلقك العظيم شمائل (خصال) يُغْرِى (يُحْسِنُ بِالْإِغْرَاءِ) الْكُرَمَاءُ
باتباعها، ويولعون بها

وَإِذَا رَجِمَتْ فَأَنْتَ أُمٌّ أَوْ أَبٌ هَذَا فِي الدُّنْيَا هُمَا الرَّحْمَاءُ

وَإِذَا حَمَيْتَ الْمَاءَ لَمْ يُورَدْ، وَلَوْ أَنَّ الْقِيَاصَرَ وَالْمَلُوكَ ظَمَاءُ
 إِذَا حَمَيْتَ الْمَاءَ (مَنْعْتَهُ) لَمْ يَرِدْ أَحَدٌ، وَلَوْ أَنَّ الْقِيَاصِرَةَ وَالْمَلُوكَ ظَمَاءَ (عِطَاشُ)
 فِي كُلِّ نَفْسٍ مِنْ سَطَاكَ مَهَابَةٌ وَلِكُلِّ نَفْسٍ فِي نَدَاكَ رَجَاءُ
 سَطَاكَ (سَطَوْتِكَ)، نَدَاكَ (كَرَمِكَ)

١٤٢ ردت الروح

قال شوقي يحيي المطربة ليلي لزمي (١٩١٢):

رُدَّتِ الرُّوحُ عَلَى الْمُضْنَى مَعَكَ أَحْسَنُ الْأَيَّامِ يَوْمٌ أَرْجَعَكَ
 بَعْدَتِكَ يَا حَبِيبِي رَدَّتِ الرُّوحُ عَلَى الْمُضْنَى (الْمَتْعَبِ) مَعَكَ، وَأَجْمَلُ يَوْمٍ هُوَ الَّذِي رَجَعْتَ فِيهِ
 مَوْقِعِي عِنْدَكَ لَا أَعْلَمُهُ أَوْ لَوْ تَعْلَمُ عِنْدِي مَوْقِعَكَ

١٤٣ عشوائية النبوغ

قال شوقي في جماعة رعاية الطفل (١٩١٢):

خَلَقَ اللَّهُ جُمَانًا وَحَصَى خَالِقُ الْإِنْسَانِ مِنْ مَاءٍ وَطِينٍ
 خَلَقَ اللَّهُ النَّاسَ جَمَانًا (لَوْلَوْأ) وَحَصَى فَمِنْهُمْ النَّابِغِ وَالْخَامِلِ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ مَاءٍ
 وَطِينٍ

وَلَأَمْرٍ مَا، وَسِرٌّ غَامِضٍ تَسْعَدُ النُّظْفَةُ أَوْ يَشْقَى الْجَنِينُ
 لِأَمْرٍ مَا تَسْعَدُ (تَنَالُ الْحِظَّ السَّعِيدَ) النَّظْفَةُ (أَصْلُ الْجَنِينِ) أَوْ يَشْقَى الْجَنِينُ، يَقُولُ إِنْ الْمُسْتَقْبَلُ
 الْمَكْتُوبُ سَعْدًا أَوْ شَقَاءً لِلْإِنْسَانِ قَبْلَ وَلَادَتِهِ سِرٌّ غَامِضٌ

رُبَّ مَهْدٍ أَرْزَتْ الْبُؤْسَى بِهِ فِيهِ كَنْزٌ خَبَأَ الْغَيْبُ ثَمِينٌ
 فَهَنَّاكَ مَهْدٍ أَرْزَتْ الْبُؤْسَى بِهِ (عَابَهُ الْبُؤْسُ) فِيهِ طِفْلٌ هُوَ كَنْزٌ ثَمِينٌ خَبَأَهُ الْغَيْبُ

مُرْضَعٌ يَقْطُرُ بُؤْسًا يَوْمُهُ مُغْدِقُ النُّعْمَى غَدًا فِي الْعَالَمِينَ
 هَذَا الطِّفْلُ الْمُرْضَعُ (الرَّضِيعُ) يَوْمُهُ مَلِيءٌ بِالْبُؤْسِ، وَهُوَ نَفْسُهُ سَيَصْبِحُ مُغْدِقًا النُّعْمِ فِي الْغَدِ عَلَى
 الْعَالَمِ

أَوْ طَوِيلُ الصَّمْتِ أَعْمَى فِي الصُّبَا بَيْنَ بُرْدَيْهِ الْمَعْرِيُّ الْمُبِينُ
 أَوْ يَكُونُ صَبِيًّا طَوِيلُ الصَّمْتِ وَأَعْمَى، وَلَكِنْ بَيْنَ بَرْدِيهِ (فِي ثَوْبِهِ/ أَيْ هُوَ نَفْسُهُ) مَعْرِيُّ الْمُسْتَقْبَلِ
 الْمُبِينِ (الْبَلِيعِ)

١٤٤ لا وجدان للبخیل

قال شوقي (١٩١٢):

إِنَّ الْحَيَاةَ نَهَارٌ أَوْ سَحَابَةٌ فَعِشْ نَهَارَكَ مِنْ دُنْيَاكَ إِنْسَانَا
الحياة كالنهار (سريعة الزوال) أو كسحابة النهار (وسحاب النهار سريع الانقشاع)، فعش هذا النهار
من دنياك إنساناً

أرى الكريمَ بِوَجْدَانٍ وعاطفةٍ ولا أرى لبخیلٍ القومِ وَجْدَانَا
لم أجد شعراً قسا على البخیل قسوة هذا البيت: البخیل لا وجدان له. والبخلاء عندي نوعان:
بخیل كمریض الفصام، الذي يعرف أنه مریض، فیداري مرضه ويتكأرم متكلفاً؛ وبخیل كمریض
الذهان (البارانویا) الذي تتحطم دفاعاته النفسية ولا يعود یعترف بمرضه؛ فهو یرى كل الناس
مسررفین مجانین ولا یقدر يفهم کیف ینفق الواحد من ماله دريهماً، وأنا مشفق عليهما كليهما

١٤٥ أخت الأندلس

قال شوقي في استيلاء البلغار على أدرنة من الدولة العثمانية (١٩١٢):

يا أختَ أُنْدُلُس! عليكِ سَلامٌ هَوَتْ الخِلافةُ عنكِ والإسلامُ
يا أدرنة، يا أخت الأندلس (التي سقطت وزال عنها حكم الإسلام) عليك سلام، قد هوت
(سقطت) الخلافة والإسلام عنك. ما أكثر ما في عبارة «أخت أندلس» هذه من إيجاز. ففيها موقف
إسلامي، وفيها تفجع وفيها إبلاغ بسقوط المنطقة

نَزَلَ الهَلالُ عَنِ السَّمَاءِ، فَلَيْتَهَا طَوَيْتُ وَعَمَّ الْعَالَمِينَ ظِلَامٌ
الهلال (وهو الشعار على علم الدولة العثمانية) نزل عن سماءك يا أدرنة بعد أن كان يرفرف فيها،
فليت السماء طويت (كما ستطوى يوم القيامة) وعم الظلام العالم

وَالْيَوْمَ حُكْمُ اللَّهِ فِي مَقْدُونِيَا لَا نَقْضَ فِيهِ لَنَا وَلَا إِيرَامُ
واليوم حكم الله في مقدونيا غير موجود، ولا نقض ولا إبرام (لا حل ولا عقد) لنا هناك

وَمُسْطَرِينَ عَلَى الْمَمَالِكِ سُخَّرَتْ لَهُمُ الشُّعُوبُ كَأَنَّهَا أَنْعَامُ
رب مسطرين على الممالك (ملوك أوروبا) سُخِّرَتْ لهم الشعوب كأنها الأنعام (المواشي)

مِنْ كُلِّ جَزَارٍ يَرُومُ الصَّدْرَ فِي نَادِي الْمُلُوكِ، وَجَدُّهُ غَنَامُ
كل واحد منهم جزار في جلافته، ويروم (يطلب) الصدر في نادي (مؤتمر) الملوك، بينما كان جده
غَنَاماً (راعياً)

سَيَكُونُهُ وَيَمِينُهُ وَجِزَامَةٌ وَالصَّوْلُجَانُ جَمِيعُهَا آثَامُ
هذا الملك الأوروبي سكينته ويده وحزامه وصولجانه (عصا الملك) كلها ملطخة بالآثام

عيسى! سبيلك رحمة ومحبة في العالمين وعصمة وسلام

يا عيسى! نهجك رحمة ومحبة في الدنيا وأهلها وعصمة من الخطأ وسلام

ما كنت سقاك الدماء، ولا امرأ هان الضعاف عليه والأيتام

يا حامل الآلام عن هذا الوري كثرت عليه باسمك الآلام

يا حامل آلام الوري (الناس)، كثرت الآلام على الوري باسمك (باسم الدين ناصر الأوروبيون رعايا الدولة العثمانية المسيحيين في ثوراتهم على إستانبول)

أنت الذي جعل العباد جميعهم رحماً، وباسمك تقطع الأرحام

أنت يا عيسى جعلت الناس جميعاً رحماً (أقارب)، والآن باسمك تقطع الأرحام ويتم تهجير الناس وتبديد شملهم. التسويد من عمران القفيني

واليوم يهتف بالصليب عصائب هم لئله وروحه ظلام

اليوم تنادي عصائب (جماعات) باسم الصليب، وهم ظالمون لله ولروح الله (عيسى)

خلطوا صليبك والخناجر والمدى كل أداة للأذى وجمام

جعلوا صليبك أداة حرب وسياسة. مع الخناجر والمدى (السكاكين)، وبها جميعاً أوقعوا الأذى والحمام (الموت)

أوما ترائهم دبّحوا جيرانهم بين البيوت كأنهم أغنام

كم مريض في حجر نعمته غدا وله على حد السيوف فطام

كم طفل مريض (رضيع) في حجر (حضانة) النعمة والرزق أصبح مفطوماً بحد السيف

وصبيّة هتكت خميلة طهرها وتناثرت عن نوار هذا الطهر البتلات

وكم صبية هتكت خميلة (روضة) طهرها، وتناثرت عن نوار هذا الطهر البتلات (كما تناثر ورق الورد)، هذا التشبيه المزدوج، الذي أعجب شكيب أرسلان، كتابة عن تعرض الفتيات للاغتصاب. يقول شكيب أرسلان: «تقضي أمانة التاريخ أن نذكر كون الجيش الصربي تجنب الآثام في معاملة المسلمين أكثر من الجيشين البلغاري واليوناني». وتقضي أمانة التاريخ علينا أن نذكر أن الصرب في تسعينات القرن العشرين ارتكبوا ضد مسلمي البوسنة أفظع المذابح، واغتصبوا النساء
بوخشية

وأخي ثمانين استبيح وقاره لم يُغن عنه الضعف والأعوام

ورب شيخ ثمانيني انتُهِك وقاره، ولم يشفع له ضعفه وعمره

ومهاجِرِينَ تَنَكَّرَتْ أوطَانُهُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ مِنَ الذُّهُولِ وهاموا
 ورب مهاجرين تنكرت أوطانهم (تغيرت معالمها) ضلوا سبيلهم وهاموا. يقول شكيب أرسلان،
 وكان عضواً في لجنة الإعانات المصرية لمكويي الأزمة: «بلغ عدد الذين هاجروا من مسلمي
 البلقان مئة وخمسين ألف نسمة دخلوا الآستانة حتى غصت بهم الجوامع والمدارس، وكان ذلك
 في قلب الشتاء، وفشت فيهم الكوليرة».

السَيْفُ إِنْ رَكِبُوا الْفِرَارَ سَبِيلُهُمْ وَالنَّطْعُ إِنْ طَلَبُوا الْقَرَارَ مُقَامُ
 فإذا فروا فالسيف سيبلهم، وإذا اختاروا الإقامة فلهم النطع (البساط الجلدي يفرش تحت السيف
 وضعيته)

يَتَلَفَّتُونَ لِلْفَاءِ نَظْرَةً وَدَاعَ عَلَى دِيَارِهِمْ، وَاللَّحْظَ (العين) دُمُوعَ، وَالدِّيَارَ ضِرَامَ (نار) لَأَنَّ الْمُحْتَئِلِينَ
 أحرقوها

يَا أُمَّةً بِفُرُوقٍ فَرَّقَ بَيْنَهُمْ قَدَّرَ تَطْيِيشُ - إِذَا أَتَى - الْأَحْلَامُ
 يا أمة بفروق (إستانبول) فرق بينهم قدر تطيش الأحلام (العقول) إذا أتى، (فروق هي إستانبول،
 وكأنها لم يكفها أن سميت ببزنطة، والقسطنطينية، والآستانة، وإستانبول، فها اسم خامس،
 وأطرف أسمائها «تخت الروم»)

فِيمَ التَّخَاذُلِ بَيْنَكُمْ، وَوَرَاءَكُمْ أُمَمٌ تُضَاعُ حَقُوقُهَا وَتُضَامُ
 لماذا التخاذل بينكم (تقاعس بعضكم عن نجدة بعض)، ووراءكم أمم تضاع حقوقها وتضام (تُظَلَّمُ)

هَذَا جَنَاهُ عَلَيْكُمْ أَبَاؤُكُمْ، صَبْرًا وَصَفْحًا فَالْجُنَاةُ كِرَامُ
 هذا سببه لكم بناء الدولة الأوائل، فصبراً وغفراً لهم فهؤلاء الجناة كرام

رَفَعُوا عَلَى السَّيْفِ الْبِنَاءَ فَلَمْ يَدُمْ؛ مَا لِلْبِنَاءِ عَلَى السَّيْفِ دَوَامُ
 بنوا الدولة على القوة العسكرية فليس لها دوام

أَبْقَى الْمَمَالِكُ مَا الْمَعَارِفُ أَشُّهُ وَالْعَدْلُ فِيهِ حَائِطٌ وَدِعَامُ
 أكثر الممالك بقاء وصموداً ما أساسه العلم، وما يدعمه العدل

فَإِذَا جَرَى رُشْدًا وَيُمْنًا أَمْرُكُمْ فَاْمَشُوا بِنُورِ الْعِلْمِ فَهُوَ زِمَامُ
 فإذا وفقتم بعد هذه الأزمة فاستتيروا بالعلم فهو الزمام (المقود) الذي يقودكم إلى الأمان

وَدَعَوْا التَّفَاخُرَ بِالتُّرَاثِ وَإِنْ عَلَا فَاَلْمَجْدُ كَسْبُ، وَالزَّمَانُ عِصَامُ
 وارتكوا التفاخر بالتراث (ما ورثتموه عن الأجداد)، فالمجد الحق مكتسب لا موروث، والزمان
 عصامي (أي هو لمن يصنع نفسه بنفسه)

صَبْرًا أَدْرَنَةً! كُلُّ مُلْكٍ زَائِلٌ يَوْمًا، وَيَبْقَى الْمَالِكُ الْعَلَامُ
فَصَبْرًا يَا أَدْرَنَةُ، فَكُلْ مُلْكَ زَائِلٍ يَوْمًا، وَالْبَقَاءُ لِلَّهِ

١٤٦ الحب كل صباية بمذاق

قال شوقي (١٩١٢):

ولقد يقولُ ابنائِي في نَجَواهُمَا ماذا يُكَايِدُ في النُّوى وَيُلَاقِي
يتعجب ولداي في نجاوهما (تهامسهما) لما أكابده (أعانيه) في النوى (الفراق)

ولدي! مصرُّ لها، كما لَكُما، هَوَىَّ والحُبُّ كُلُّ صبايَةٍ بِمَذاقٍ
فيا ولدي، مصر لها حب في قلبي كحبي لكما، والحب هكذا: لكل صباية (شغف) مذاق مختلف

١٤٧ نكبة بيروت

قال شوقي يرثي بيروت بعدما أنزله بها الأسطول الإيطالي. وبعد هذا القصف صار أهل
بيروت يرجعون سبب كل مشكلة إلى القصف الإيطالي، ومن هنا المثل اللبناني
«كل الحق ع الطليان» (١٩١٢):

بيروتُ ماتَ الأسدُ حتفَ أنوفِهِمْ لم يَشْهَرُوا سِيفًا، ولم يَحْمُوكِ
مات أبناؤك الأسود حتف أنوفهم (بلا قتال)، إذ لم يتح لهم أن يقاتلوا عنك

كُلُّ يَصِيدُ اللَّيْلِ وَهُوَ مُقَيَّدٌ وَيَعِزُّ صَيْدُ الضَّيْفِ الْمَفْكُوكِ
بإمكان كل واحد أن يصيد الأسد المقيد، ويعز (يصعب) صيد الضيف (الأسد) الطليق

سالتُ دماءَ فيكِ حَولَ مَساجِدٍ وَكِنائِسٍ وَمَدارسٍ وَبُنُوكِ
تعلق عمران القفني: «جاءت بنوك ههنا كأنها مخلوق فضائي نزل من المريخ، وهبط
بجانب مسجد بعد صلاة الجمعة وتحلق الناس حوله ينظرون إليه مندهشين». وتعليقي:
«أحياناً أختار أبياتاً لا لون لها ولا طعم ولا رائحة. وعندما أمر بها شارحاً
أو مشكلاً - وأنا قد قلت لك مراراً إنني أشكل كل كلمة بيدي حتى تعرف مقدار ما
أنفقه من نور عيني عليك يا قارئ - أقول في نفسي: ما أسخف هذا البيت! ثم لا
تواتيني الشجاعة كي أحذفه. أعود وأقول: لا أريد تشويه الحالة الشعورية التي كنت
فيها عندما اخترته أول مرة. وأمر بالبيت السخيف ثلثة، وربما رابعة، ويصبح - وبيا
للعجب - كأنه طفل مشوه رزقته، فأنا أحمد الله عليه، وأدعوه أن يرزقني به رزقاً
وفيراً. فكيف إذا كان في هذا البيت «بنوك» حشو خزائنها مال وفير؟»

لَكَ في رُبَا النِّيلِ الْمَبَارَكِ جِيرَةٌ لو يَقْدِرُونَ بِدَمْعِهِمْ غَسَلُوكِ
أبناء مصر لو تمكنوا لغسلوك بدموعهم لشدة حزنهم عليك

١٤٨ ميثاق الغواني

قال شوقي (١٩١٣):

دُقْتُ مِنْهَا حُلُوءاً وَمُرَّاً وَكَانَتْ لَذَّةُ الْعِشْقِ فِي اخْتِلَافِ الْمَذَاقِ
ضَرَبْتُ مَوْعِداً فَلَمَّا التَقِينَا جَانَبْتَنِي، تَقُولُ: فِيمَ التَّلَاقِ
قُلْتُ: مَا هَذَا الْمَوَاقِيقُ، قَالَتْ: لَيْسَ لِلْغَانِيَاتِ مِنْ مِيثَاقِ

١٤٩ إن السيوف قليل

قال شوقي، ويذكر عزيز المصري واعتقال الحكومة التركية له، (١٩١٤):

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ فِي خُلَفَائِهِ عدلاً يُقِيمُ الْمُلْكَ حِينَ يَمِيلُ
وَالْعَدْلُ يَرْفَعُ لِلْمَمَالِكِ حَائِطاً لا الْجَيْشُ يَرْفَعُهُ وَلَا الْأَسْطُولُ
بِاللَّهِ، بِالْإِسْلَامِ، بِالْجَرْحِ الَّذِي مَا انْفَكَّ فِي جَنْبِ الْهَلَالِ يَسِيلُ
أَسْتَحْلِفُ بِاللَّهِ، بِالْإِسْلَامِ، بِالْجَرْحِ فِي جَنْبِ (خاصرة) الْهَلَالِ (شعار الدولة العثمانية) الَّذِي مَا
انْفَكَّ يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ

هَلَّا حَلَلْتَ عَنِ السَّجِينِ وَثَاقَهُ إِنَّ الْوِثَاقَ عَلَى الْأَسْوَدِ ثَقِيلُ
أَيَقُولُ وَاشِ أَوْ يَرُدُّ شَامَتُ صَنْدِيدُ بُرْقَةٍ مُوْتَقٌ مَكْبُولُ
أترك الواشي والشامت يقولان إن صنديد (بطل) برقة (وكان عزيز المصري قد حارب الإيطاليين
الغزاة في برقة بليبيا قبل القصيدة بنحو ثلاث سنين ثم حكم عليه في إستانبول بالإعدام لدوره في
الحركة العربية، وألغى الحكم) موثق (مقيد) مكبول (مقيد)

فَاذْكُرْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِلَاءَهُ وَاسْتَبْقِهِ، إِنَّ السِّيُوفَ قَلِيلُ
فاذكر جهاده، واستبقه (دعه يبقى ليخدمك) يا أمير المؤمنين (السلطان محمد رشاد) فالرجال الذين
هم سيوف قلة

١٥٠ صناديق بأقفال

قال شوقي يرثي جرجي زيدان (١٩١٤):

لا تَجْعَلُوا الدِّينَ بَابَ الشَّرِّ بَيْنَكُمْ وَلَا مَحَلَّ مُبَاهَاةٍ وَإِذْلالِ
إدلال: زهو

مَا الدِّينُ إِلَّا تَرَاثُ النَّاسِ قَبْلَكُمْ كُلُّ امْرِئٍ لِأَبِيهِ تَابِعٌ نَالِ

لِي دَوْلَةُ الشَّعْرِ دُونَ الْعَصْرِ وَائِلَةً مَفَاخِرِي حِكْمِي فِيهَا وَأَمْثَالِي
 المعنى الذي ألمحه: لي دولة الشعر وائلة (راجعة/ فأننا مؤثِّلها) دون عصري كله، ومفاخري فيها
 الحكم والأمثال الموجودة في شعري

وَأَشْكُرُ الصَّنْعَ فِي سِرِّي وَفِي عَلَنِي إِنَّ الصَّنَائِعَ تَزُكُّو عِنْدَ أَمْثَالِي
 أشكر الصنع (المعروف) سراً وعلانية، والمعروف يزكو (يطيب) عند أمثالي

وَأَتْرُكُ الْغَيْبَ لِلَّهِ الْعَلِيمِ بِهِ إِنَّ الْغَيْبَ صِنَادِيْقُ بِأَقْفَالِ
 بيت فيه من قعقة اللفظ ما جعلني أسوِّده لك. فأما معناه فلا أكثر من وصف الناس عندنا
 للمستقبل بأنه: «بطيخة مسكرة» أي مقفلة

١٥١ أمة واحدة

قال شوقي في تكريم واصف بن بطرس غالي (١٩١٤):

رَبِّ مَدْحٍ أَذَاعَ فِي النَّاسِ فَضْلًا وَأَتَاهُمْ بِقُدْوَةٍ وَمِثَالِ
 رب مدح نشر في الناس ذكر الفضل، وأعطاهم قدوة حسنة

وثنَاءٍ عَلَى فَتَى عَمِّ قَوْمًا قِيَمَةُ الْعَقْدِ حُسْنُ بَعْضِ اللَّأَلِي
 ورب ثناء على رجل كان ثناء على قومه، فالعقد ثمين ببعض لآله، فهي تجمل غيرها

إِنَّمَا نَحْنُ، مُسْلِمِينَ وَقَبْطًا، أُمَّةٌ وَحَدَّثَ عَلَى الْأَجْيَالِ
 سَبَقَ النَّيْلُ بِالْأَبُوَّةِ فَبِنَا فَهَوَ أَصْلٌ وَأَدَمُ الْجَدُّ نَالِ
 النيل سبق غيره في الأبوة لنا، وتلاه جدنا آدم أباً لاحقاً

نَحْنُ مِنْ طِينِهِ الْكَرِيمِ عَلَى الدِّهْنِ، وَمِنْ مَائِهِ الْقَرَّاحِ الزُّلَالِ
 نحن من طين النيل المكرم لدى الله، وحياتنا هي بسبب مائه القراح (الصابي) الزلال (العذب)
 مَرَّ مَا مَرَّ مِنْ قُرُونٍ عَلَيْنَا رُسْفًا فِي الْقِيُودِ وَالْأَغْلَالِ
 رُسْفٌ: ماشون مقيدون

وَانْقَضَى الدَّهْرُ بَيْنَ زَغَرْدَةِ الْعُرِّ سِ وَحَثُوِ التَّرَابِ وَالْإِغْوَالِ
 طول الزمن ونحن بين زغردة عرس وبين حثو (تثر) التراب على الرؤوس والإغوال (النوح)

مَا تَحَلَّى بِكُمْ يَسُوعُ، وَلَا كُنْتُ لِمَا لَطَّهَ وَدِينَهُ بِجَمَالِ
 لا يسوع ازدان بكم، ولا نحن ازدان بنا. الرسول ودينه

وَتَضَاعُ الْبِلَادُ بِالنُّومِ عَنْهَا وَتَضَاعُ الْأُمُورُ بِالْإِهْمَالِ

١٥٢ سلوا قلبي

قال شوقي في ذكرى المولد (١٩١٤):

سلوا قلبي، غداةً سلا وتاباً لعلَّ على الجَمالِ لَهُ عِتَاباً
أيها العاذلون اسألوا قلبي بعد أن سلا (نسي) وتاب عن الحب، فلعن لقلبي عتياً على جمال
المحبوب لكثرة ما عذب هذا الجمال قلبي

وَيُسْأَلُ فِي الْحَوَادِثِ ذُو صَوَابٍ فَهَلْ تَرَكَ الْجَمَالَ لَهُ صَوَاباً
والذي يُسأل في الشؤون المهمة هو الذي لديه صواب (عقل)، فهل ترك الجمال لقلبي صواباً (عقلاً)؟

وَكُنْتُ إِذَا سَأَلْتُ الْقَلْبَ يَوْمًا تَوَلَّى الدَّمْعُ عَنْ قَلْبِي الْجَوَابَ
وكنْتُ كلِّمًا سَأَلْتُ قَلْبِي عَنِ السُّلُو وَنَسِيَانِ الْمَحْبُوبِ، بَكَيْتُ وَتَوَلَّى (تَكْفَلَ) دَمْعِي الْجَوَابَ بَدَلًا مِنْ قَلْبِي

وَلِي بَيْنَ الضُّلُوعِ دَمٌّ وَلَحْمٌ هُمَا الْوَاهِي الَّذِي تَكِلُ الشَّبَابُ
ولي بين ضلوعي دم ولحم هما عبارة عن قلبي الواهي (الضعيف) لأنه تكل (عديم) الشباب

تَسَرَّبَ فِي الدَّمْعِ فَقُلْتُ وَلَّى وَصَفَّقَ فِي الضُّلُوعِ فَقُلْتُ ثَاباً
تسرب قلبي من خلال دموعي، فحسبته ولى (ذهب)، ثم صفق (خفق) في ضلوعي فقلت: قد تاب
(رجع)

وَلَوْ خُلِقَتْ قُلُوبٌ مِنْ حَدِيدٍ لَمَا حَمَلَتْ كَمَا حَمَلَ الْعَذَابُ
وَكُلُّ بِسَاطٍ عَيْشٍ سَوْفَ يُطْوَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وَطَابُ
وَلَا يُنْبِيكَ عَنْ خُلُقِي اللَّيَالِي كَمَنْ فَقَدَ الْأَحِبَّةَ وَالصَّحَابَ
لا يخبرك عن خلق (طبع) الليالي (الزمن)، مثل الذي فقد أحبابه وأصحابه

أَخَا الدُّنْيَا! أَرَى دُنْيَاكَ أَفْعَى تُبَدِّلُ كُلَّ آوَنَةٍ إِهَاباً
يا أخا الدنيا (صاحبها) أرى دنياك أفعى تبدل كل آونة (حين) إهاباً (جلداً)

فَمَنْ يَغْتَرَّ بِالدُّنْيَا فَلِئَنِّي لَيْسَتْ بِهَا فَأَبْلَيْتُ الشِّبَابَ
فلمن يغتر بالدنيا أقول إنني جربت أحوالها كمن يلبس ثوباً بعد ثوب، وقد أبلت (هَرَأْتُ) الثياب

لَهَا ضَحْكُ الْقِيَانِ إِلَى غَيْبِي وَلِي ضَحْكُ اللَّيْلِ إِذَا تَغَابَى
تضحك الدنيا ضحكاً مصطنعاً كما تضحك القيان (مغنيات المجالس) للغبي، ولي أنا ضحك
الليلى (العاقل) عندما يتغابي (يدعي الغباء)

جَنَيْتُ بِرَوْضِهَا وَرَدًّا وَمَوْكَأً وَذَقْتُ بِكَاسِهَا شَهْدًا وَصَابَا
 جنت في بستان الدنيا الورد والشوك، وذقت بكأسها الشهد والصاب (عصير شجر الصاب المر)

فَلَمْ أَرْ غَيْرَ حُكْمِ اللَّهِ حُكْمًا وَلَمْ أَرْ دُونَ بَابِ اللَّهِ بَابَا
 وَلَمْ أَرْ مِثْلَ جَمْعِ الْمَالِ دَاءً وَلَا مِثْلَ الْبَخِيلِ بِهِ مُصَابَا
 وَسَوَّى اللَّهُ بَيْنَكُمْ الْمَنَایَا وَوَسَّدَكُمْ مَعَ الرُّسُلِ الثَّرَابَا
 سوى الله (وزع بالتساوي) بينكم المنايا (الموت)، ووسدكم (مددكم) مع الرسل في التراب.
 والموت نعمة نفسية لأنه يجعل القهر محدوداً بحد، وفي البيت حوم على هذا المعنى

وَأَرْسَلَ عَائِلًا مِنْكُمْ يَتِيمًا دَنَا مِنْ ذِي الْجَلَالِ فَكَانَ قَابَا
 وأرسل الله من البشر عائلاً (فقيراً) هو النبي كما وصفه القرآن) يتيماً، دنا من الله فكان قاب..
 (قريباً جداً: قاب قوسين)

وَكَانَ بَيَانُهُ لِلْحَقِّ سُبُلًا وَكَانَتْ خِيَلُهُ لِلْحَقِّ غَابَا
 وكان بيان (بلاغة) الرسول سُبُلًا (طُرُقًا) للحق، وكانت خيوله غابة يحتمي فيها الحق

وَعَلَّمَنَا بِنَاءَ الْمَجْدِ حَتَّى أَخَذْنَا إِمْرَةَ الْأَرْضِ اغْتِصَابَا
 وَمَا نَبِيلُ الْمَطَالِبِ بِالْتَمَنِّي وَلَكِنْ تُؤْخَذُ الدُّنْيَا غِلَابَا
 غلاباً: انتزاعاً

وَمَا اسْتَعَصَى عَلَى قَوْمٍ مَنَالٌ إِذَا الْإِقْدَامُ كَانَ لَهُمْ رِكَابَا
 ما استعصى على قوم منال (هدف) إذا كان الإقدام (الشجاعة) ركبهم (وسيلة ركبهم/ فالناقة ركاب)

أَبَا الزُّهْرَاءِ قَدْ جَاوَزْتُ قَدْرِي بِمَدْحِكَ بَيْدَ أَنْ لِيْ ائْتِسَابَا
 يا محمد، يا أبا فاطمة الزهراء، تجاوزت قدري بأن مدحتك، إلا أن لي ائتساباً (صلة) بك؛
 والصلة هي البلاغة التي لي منها نصيب

فَمَا عَرَفَ الْبَلَاغَةَ ذُو بَيَانٍ إِذَا لَمْ يَتَّخِذْكَ لَهُ كِتَابَا
 ولا يعرف البلاغة صاحب بيان إلا إذا جعلك له كتاباً يستمد منه

مَدَحْتُ الْمَالِكِينَ فَزِدْتُ قَدْرًا فَحِينَ مَدَحْتُكَ اقْتَدْتُ السَّحَابَا
 مدحت المالكيين (الملوك) فارتفع قدري، وحين مدحتك انتشيت حتى لقد اقتدت (وَجَّهْتُ)
 السحب

سَأَلْتُ اللَّهَ فِي أَبْنَاءِ دِينِي فَإِنْ تَكُنِ الْوَسِيلَةَ لِي أَجَابَا
 طلبت من الله الرفق بأبناء ديني، فإن تكن يا رسول الله وسيلتي لهذا الطلب فهو سيجبني. «كَلَّمْتُهُ
 فِي فَلَانٍ» فِي الْأَسَالِيبِ الْقَدِيمَةِ مَعْنَاهَا «تَوَسَّطْتَ لِفُلَانٍ»، وَمِثْلُهَا هُنَا «سَأَلْتُ اللَّهَ فِي أَبْنَاءِ دِينِي» وَقَدْ
 يَكُونُ شَوْقِي قَاسَ عَلَيْهَا قِيَاساً جَمِيعاً أَوْ يَكُونُ أَخْذُهَا عَنْ كَاتِبِ قَبْلِهِ؛ وَمَا أَكْثَرَ مَا عِنْدَ شَوْقِي مِنْ
 هَذِهِ الْأَسَالِيبِ، وَمَا أَحْسَنَ مَا يَسْتَعْمَلُهَا!

وَمَا لِلْمُسْلِمِينَ سِوَاكَ حِصْنٌ إِذَا مَا الضَّرُّ مَسَّهُمْ وَنَابَا
 وليس للمسلمين حصن سواك يا محمد إذا مسهم (حل بهم) الضر (الأذى) ونابهم (انتابهم)

١٥٣ الباكياتك حين ينقطع البكا

قال شوقي يرثي مصطفى فهمي باشا (١٩١٤):

أَبَا الْبَنَاتِ! رُزِقْتَهُنَّ كَرَاماً وَرُزِقْتَ فِي أَصْهَارِكَ الْكُرَمَاءِ
 يَا أَبَا الْبَنَاتِ قَدْ رَزَقْتَهُنَّ كَرِيمَاتٍ، وَرَزَقْتَ رِزْقاً آخِرَ يَتِمُّلُ فِي أَزْوَاجِهِنَّ الْكِرَمَاءُ
 إِنْ الْبَنَاتِ ذَخَائِرٌ مِنْ رَحْمَةٍ وَكَنُوزٌ حَبٌّ صَادِقٍ وَوَفَاءٍ
 الْبَنَاتِ ذَخَائِرُ (كُنُوزُ) مِنَ الرَّحْمَةِ..

وَالسَاهِرَاتُ لِعِلَّةٍ أَوْ كَبْرَةٍ وَالصَّابِرَاتُ لَشِدَّةٍ وَبَلَاءٍ
 وَهِنَّ السَاهِرَاتُ عَلَيْكَ لَعْلَةَ (لِلْمَرَضِ) تَحْيِيقُ بِكَ أَوْ كِبْرَةَ (شَيْخُوخَةٍ)..

وَالْبَاكِيَاتُكَ حِينَ يَنْقَطِعُ الْبُكَاءُ وَالزَّائِرَاتُكَ فِي الْعَرَاءِ النَّائِي
 وَهِنَّ الْبَاكِيَاتُ يَاكَ حِينَ تَجْفُ دُمُوعُ الْآخَرِينَ، وَالزَّائِرَاتُ يَاكَ فِي الْعَرَاءِ النَّائِي (الْبَرِيَةِ الْبَعِيدَةِ)..
 (فِي مَكَانٍ دَفْنِكَ)

عُذْراً لَهُنَّ إِذَا ذَهَبْنَ مَعَ الْأَسَى وَطَلِبْنَ عِنْدَ الدَّمْعِ بَعْضَ عَزَائٍ
 اطْلُبْ لِهِنَّ الْعِذْرَ إِذَا ذَهَبْنَ مَعَ الْأَسَى (الْحُزْنَ)، وَطَلِبْنَ الْعَزَاءَ بِذَرْفِ الدَّمْعِ
 مَا كُلُّ ذِي وَلَدٍ يَسْمَى وَالِداً كَمْ مِنْ أَبٍ كَالصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ
 لَكِنْ الْأَبُ نَفْسُهُ قَدْ لَا يَكُونُ جَدِيراً بِالْأَبُوءِ، فَمِنْ الْآبَاءِ مَنْ هُوَ كَالصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ (الصَّلْبَةِ)

١٥٤ أسخطوا الله ولم يرضوا البشر

قال شوقي ينمي على الطلبة جنوحهم للانتحار (١٩١٥):

رَوَّحُوا الْقُلُوبَ بِلَذَّاتِ الصَّبَا فَكَفَى الشَّيْبُ مَجَالاً لِلْكَدَرِ
 رَوَّحُوا الْقُلُوبَ (رَفَّوْهُوا عَنْهُ) بِمَتَعِ الشَّبَابِ، فَفِي الْمَشْيِبِ الَّذِي سَيَحِلُّ بِكُمْ مَا يَكْفِي مِنَ الْكَدَرِ (الْكَاثَةِ)

واطلبوا العلمَ لِذَاتِ العلمِ، لا لِشَهَادَاتٍ وَآرَابٍ أُخْرٍ
اطلبوا العلم لذاته، لا للشهادات وللآراب (الأهداف) الأخرى

كَمْ غلامٍ خاملٍ في درسيهِ صارَ بحرَ العلمِ أستاذَ العُصُرِ
كثيراً ما نجد صبيّاً خاملاً في دروس المدرسة، ثم إذا به يصير بحر العلم وأستاذ العُصُر (الزمن)
وَمُجِدِّ فيه أَمسى خاملاً ليس فيمن غابَ أو فيمن حَضَرَ
وكثيراً ما نجد مجتهداً في الدرس صار خاملاً.. لا هو معدود في الغائبين ولا في الحاضرين
قَاتِلُ النفسِ، ولو كانتْ لَهُ، أَسْحَطَ اللّهُ ولم يُرْضِ البَشَرُ
والمتحر - وإن تكن نفسه ملكه - يسخط الله، ولا يرضي البشر

١٥٥ أخت الحوت

قال شوقي في إغراق غواصة ألمانية الباخرة لوزيتانيا (أغرقت ١٩١٥):

وَدَبَابَةٌ تَحْتَ الْعُبَابِ بِمَكْمَنِ آمِينَ، تَرَى السَّارِي وَلَيْسَ يَرَاهَا
رَبٌّ دَبَابَةٌ (بهيمة تدب).. لكنها تدب تحت العباب (الموج) في مكن (مخبأ) أمين، ترى الساري
(السائر) ولا يراها

وكانت الدبابة، ذلك السلاح، اختراعاً جديداً في عام ١٩١٥، ورآها العرب في بلادهم مع قدوم
جيوش الاستعمار بعد سنة ١٩١٨، ووصفها شوقي في رثائه عمر المختار ١٩٣١ وسماها بالاسم
الإنجليزي «التنك»، واستخدم اللفظ نفسه «التنك» الشاعر القروي عام ١٩٢٥ في وصف هجوم
سلطان باشا الأطرش على التنك الفرنسي. فدَبَابَةٌ شوقي في هذا البيت ليست ذلك «السلاح
المعروف» كما قال بعض الشارحين

هِيَ الْحَوْتُ، أَوْ فِي الْحَوْتِ مِنْهَا مَشَابَهُ فَلَوْ كَانَ فُولاذاً لَكَانَ أَخَاهَا
هي الحوت، أو لنقل: في الحوت منها مشابه (مواضع شبه)، فلو كان جسم الحوت من الفولاذ
لكان أخاها

خَوْوُنٌ إِذَا غَاصَتْ، غَدُورٌ إِذَا طَفَّتْ مُلْعَنَةٌ فِي سَبْحِهَا وَسُراها
الفواصة خؤون (خائنة) إذا غاصت وغدور (غادرة) إذا طفت فوق الماء، وملعنة (ملعونة) في
سباحتها وفي سراها (سيرها)

فَلَا كَانَ بَانِيهَا، وَلَا كَانَ رَكْبُهَا وَلَا كَانَ بَحْرٌ ضَمَّهَا وَحَوَاهَا
فليت انعدم من الوجود بانيها وركبها (راكبوها) والبحر الذي يضمها

وَأُفَّ عَلَى الْعِلْمِ الَّذِي تَدْعُوهُ إِذَا كَانَ فِي عِلْمِ النُّفُوسِ رَدَاها
وأُفَّ على العلم الذي يدّعيه الغرب إذا كان علم الناس سبباً في ردهم (هلاكهم)

١٥٦ ولقد ولدت بباب إسماعيل

قال شوقي يهنئ حسين كامل بتولية الحكم سلطاناً، ويقول زكي مبارك إن هذه القصيدة هي التي سببت نفي شوقي إلى إسبانيا بعد نشرها بأسبوعين، (١٩١٥):

الْمُلْكُ فَيْكُمْ آلَ إِسْمَاعِيلَا لَا زَالَ بَيْتُكُمْ يُظَلُّ النَّيْلَا
الملك باق فيكم يا آل الخديوي إسماعيل (والسلطان الجديد ابن إسماعيل)، وأدعو أن يبقى بيتكم
المالك يظل مصر

هذي أصولُكُمْ وتلكَ فروعُكُمْ جاء الصَّمِيمُ مِنَ الصَّمِيمِ بَدِيلَا
إسماعيل أصل والسلطان الجديد ابنه، والخديوي المعزول عباس حلمي فرع منه (حفيدة)، فأنت يا
حسين كامل وعباس حلمي كلاكما صميم (أصيل)

النيلُ إنْ أحصى لَكُمْ حَسَنَاتِكُمْ ملأَ الزمانَ محاسِنًا والجِيلَا
أحيا أبوكُمْ شاطِئِيهِ، وابتنى مجدداً لمصرَ على الزمانِ أثيلَا
أبوكم: الخديوي إسماعيل، أثيل: أصيل

نَشَرَ الحضارةَ فوقَ مِصرَ وَسُورِيَا وامتدَّ ظِلًّا لِلْحِجَازِ ظَلِيلَا
حفظَ الإلهُ على الكنانةِ عرشَهَا وأدامَ مِنْكُمْ لِلهلالِ كَفِيلَا
حفظ الله للكنانة (مصر) عرش أسرتكم، وأدامكم كفلاء للهلال (الهلال كان يتوسط علم مصر آنذاك)

أَخُونُ إِسْمَاعِيلَ فِي أَبْنَائِهِ وَلَقَدْ وُلِدْتُ بِبَابِ إِسْمَاعِيلَا
كان والد شوقي يعمل في حاشية الخديوي إسماعيل عند مولد شوقي؛ وكان شوقي في شبابه مقرباً
من الخديوي توفيق ثم من الخديوي عباس حلمي؛ والآن بعد عزل عباس حلمي يقول شوقي لخلفه
إنه سيواصل الولاء للأسرة المالكة لأنه ولد بباب إسماعيل والسلطان الجديد هو ابن إسماعيل بينما
المعزول حفيدة

وَلَيْسَتْ نِعْمَتُهُ وَنِعْمَةٌ بَيْتِهِ فَلَيْسَتْ جَزْلاً وَارْتَدَيْتُ جَمِيلَا
الجزل: الكثير

يَا أَكْرَمَ الْأَعْمَامِ حَسْبُكَ أَنْ نَرَى لِلْعَبْرَتَيْنِ بِوَجْهَتَيْكَ مَسِيلَا
أيها السلطان الجديد، وهو عمُّ الخديوي المخلوع، يكفي أن نرى للعبرتين (الدعيتين) بوجتيك
(بخديك) مسيلاً

مِنْ عَثْرَةِ ابْنِ أَخِيكَ تَبْكِي رَحْمَةً وَمِنْ الْخُشُوعِ لِمَنْ حَبَاكَ جَزِيلَا
تبكي من عثرة (نكبة) ابن أخيك راحماً إياه، وتبكي أيضاً من الخشوع المفروض عليك للإنجليز
الذي حبوك (أعطوك) حباء جزيلاً وهو السلطنة

هَلْ كَانَ ذَلِكَ الْعَهْدُ إِلَّا مَوْقِفًا لِلسُّلْطَتَيْنِ وَلِلْبِلَادِ وَبِيلا

وهل كان العهد الماضي سوى موقف وبيل (ثقل مزعج) للسلطتين (الخدوي والإنجليز)؟

وَانْفَضَّ مَلْعَبُهُ وَشَاهِدُهُ، عَلَى أَنَّ الرِّوَايَةَ لَمْ تَتِمَّ فُصُولًا

وانفض ملعب (مسرح) العهد الماضي وشاهده (المتفرج)، على أن (ولكن) الرواية لم تتم فصولاً. لا نظن أن هذه القصيدة كانت سبباً في نفي أحمد شوقي إلى إسبانيا، رغم ما فيها من إشارات تقدح في الإنجليز، فشوقي قد نفي في عصبة من الرجال. تفتح وعي شوقي وهو في الرابعة عشرة على الإنجليز يحتلون مصر، مع بقائها إسمياً جزءاً من الدولة العثمانية. ولكن عاطفته اتجهت نحو الخديوي توفيق بتأثير جو بيته، فقد كان أبوه في المعية الخديوية كاتباً أو حاسباً أو نحو ذلك. وحقد شوقي، ولداً غراً، على عرابي ورفاقه الذين شاقوا الخديوي قبل الاحتلال، وتصدوا للاحتلال وفشلوا في درته، وظل شوقي على موقفه من عرابي، ربما عناداً. ومات الخديوي توفيق الذي كان يحاسن الإنجليز بعد عشر سنوات (١٨٩٢)، وتولى عباس حلمي الذي كان أصغر من شوقي بضع سنوات. وكان يتملص من نفوذ الإنجليز المتعاضم. وكان شوقي يتملص معه، فهو شاعره. وبعد اثنتين وعشرين سنة مليئة بالمناحع لعباس حلمي وبالغمز من الإنجليز قامت الحرب العالمية الأولى. وكان الخديوي آنئذ في إستانبول. وإستانبول في هذه الحرب في صف ألمانيا والنمسا، ضد إنجلترا وفرنسا. قررت إنجلترا أنه آن الأوان لفصل مصر عن جسم الدولة العثمانية. فعزلت الخديوي عباس حلمي فبقي في إستانبول، وعينت عمه حسين كامل ولقبته بالسلطان. وفي هذا اللقب إشارة واضحة إلى تغير في وضع مصر من ناحية ارتباطها بإستانبول. كان شوقي في هذه الأيام في إستانبول وكان يلتقي الخديوي المعزول باستمرار ولا سيما بعد تعرضه لاعتداء بالرصاص وإصابته بجراح. وقد حاول شوقي تدبير زيارة يقوم بها الخليفة العثماني السلطان محمد رشاد للخديوي، ولكنه لم يفلح في مسعاه. وعاد شوقي إلى مصر ونشر قصيدته هذه في تهئة سلطان مصر الجديد حسين كامل. ولكن الإنجليز كانوا قد قرروا إبعاد عدد كبير من المصريين البارزين من أعوان الخديوي المعزول. وبعبارة شكيب أرسلان: «دفع الإنجليز إلى مألطة جمّاً غفيراً وأزعجوا آخرين إلى أوروبا وكان فيمن أزعج عن بلاده إلى أوروبا أحمد شوقي فانتجع إسبانية، وناح على الأندلس، ولكنه خَفَضَ في عيشة راضية، وبينة هادية، ولم يعد إلى وطنه إلا بعد أن انطفأت نار الحرب». ويحدثنا حسين أحمد شوقي، ابن الشاعر، في كتابه «أبي شوقي» أن الأسرة ذهبت بأفرادها الستة ومعها أربعة من الخدم إلى المنفى

شاعر الأمة

في هذا الفصل شعر شوقي في منفاه، وبعد منفاه إلى حين وفاته عام ١٩٣٢. وكانت فترة خصبة في حياته الشعرية، تحلل فيها من الارتباط الوثيق بالحاكم، فعبّر عن الأمة: المصرية، والعربية (وهذا جديد هذه المرحلة)، والإسلامية

١٥٧ يا نائح الطلح

قال شوقي في مفاه في إسبانيا (١٩١٥):

يا نَائِحَ الطَّلَحِ أَشْبَاهُ عَوَادِينَا نَشْجَى لَوَادِيكَ أَوْ نَأْسَى لَوَادِينَا

يا ذَكَرَ الحمام، أيها النائح بوادي الطلح (وادي إشبيلية فيه شجر الطلح) أشباه (متشابهة) عوادينا (مصائبنا)؛ فهل نشجى (نحزن) لواديك، وادي الطلح، أم نأسى (نحزن) لوادينا، وادي النيل؟

مَاذَا تَقْصُّ عَلَيْنَا؟ غَيْرَ أَنَّ يَدَا قَصَّتْ جَنَاحَكَ جَالَتْ فِي حَوَاشِينَا

ماذا تخبرنا؟ سوى أن اليد التي قصت جناحك (فخرج العرب من الأندلس) هي التي عبثت بجوانب وطننا. والغرب عند شوقي أمة واحدة، وعداوتهم للشرق وللمسلمين متصلة منذ الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش في إسبانيا، إلى الحرب العالمية الأولى التي كانت مشتتة وقت هذه القصيدة وانجلى غبارها عن هدم دولة الخلافة العثمانية

كُلُّ رَمْتِهِ النَّوَى، رِيَشَ الْفِرَاقِ لَنَا سَهْمًا، وَسُلَّ عَلَيْكَ الْبَيْنُ سِكِّينَا

كل منا رمت (أصابته) النوى (الفراق)؛ فالفراق كان سهمًا ريش (ذيل بالريش) ليصبينا نحن، والبين (الفراق) سل سكينًا عليك أنت

فَإِنْ يَكُ الْجِنْسُ، يَا ابْنَ الطَّلَحِ، فَرَّقَنَا إِنَّ الْمَصَائِبَ يَجْمَعُنَ الْمُصَابِينَا

فإن كان الجنس يا ساكن وادي الطلح فرقنا (فأنت من جنس الحمام، ونحن من البشر) فالمصائب تجمع المصابين بها

لَمْ نَسْرِ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ كَالْخَمْرِ مِنْ بَابِلٍ سَارَتْ لِدَارِينَا

لم نسر (ما سرينا ومشينا) من حرم (مكان مقدس/ وادي النيل) إلا لنحل حرمًا في الأندلس؛ فنحن كالخمر نقلت من بابل بالعراق إلى دارين بالبحرين، وكلاهما موطن للخمر الجيدة

لَمَّا نَبَا الْخُلْدُ نَابَتْ عَنْهُ نَسَخَتُهُ تَمَاثِلَ الْوَرْدُ خَيْرِيًّا وَنَسْرِينَا

عندما نبا عنا (ابتعد) الخلد (الجنة)، أي مصر، نابت عنه نسخة منه في الأندلس؛ والخيري (المتور الأصفر) يماثل النسرين (الورد الأبيض)

نَسَقِي ثَرَاهُمْ ثَنَاءً، كُلَّمَا نُشِرَتْ دَمُوعُنَا نُظِمَتْ مِنْهَا مَرَاثِينَا

نسقي تراب أهل الأندلس القدمات بثنائنا، وكلما انتشرت الدموع من عيوننا ثرأ نظمناها نظمًا في قصائد رثاء

كَادَتْ عَيُونُ قَوَافِينَا تُحَرِّكُهُ وَكَذَنْ يَوْقُظَنَّ فِي الثُّرْبِ السَّلَاطِينَا

كادت عيون قوافينا (قصائدنا الجيدة) تحرك التراب، وكادت توقظ السلاطين المدفونين في هذا التراب

جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا في النائبات، فلم يأخذ بأيدينا

النائبات: المصائب

ونابغي كأن الحشر آخره ثميتنا فيه ذكراكم وتحيينا

ورب نابغي (أي ليل مخيف طويل كليل الشاعر النابغة) كأنه يفضي إلى الحشر (يوم القيامة)، كانت فيه ذكراكم أيها الأحبة بمصر تميتنا حزناً ثم تحيينا أملاً

نطوي دُجَاهَ بِجُرحٍ مِنْ فراقكم يكاد في غلس الأسحار يطوينا

نقضي الوقت في دجى هذا الليل وفينا جرح من فراقكم يكاد في غلس (ظلمة) الأسحار (أواخر الليل) يطوينا (يقتلنا)

نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا ولم يهن ييد التشتيت غالينا

نحن اليواقيت (أحجار الباقوت) التي خاض النار جوهرها (حجرها الأصلي)، والنار هي المنفى؛ ولم تهن (ترخص) اليواقيت الغالية بالتشتيت بل تجوهرت به

ولا يحول لنا صبغ ولا خلُق إذا تَلَوْنَ كالحرباء شائنا

ولا يحول (بتغير) لنا صبغ (لون) ولا خلق، في حين يتلون كالحرباء شائنا (كارهنا)

لم تنزل الشمس ميزاناً، ولا صعدت في ملكها الضخم عرشاً مثل وادينا

المعنى الملموح: لم تنزل الشمس برج الميزان (للتصف النهار)، ولا ارتقت عرشاً في ملكها الضخم، الذي هو العالم كله، يشبه وادي النيل

وهذه الأرض من سهل ومن جبل قبل القياصر دناها قرايعنا

والأرض بسهلها وجبلها، قبل عهد قياصرة الرومان دناها (أخضعناها) في عهد الفراعنة

ولم يصنع حجراً بانٍ على حجرٍ في الأرض إلا على آثارٍ بانينا

ولم يبن أحد في الأرض بناءً إلا على آثار (تالياً لـ) بانينا الفرعوني

كأن أهرام مصر حائط نهضت به يد الدهر، لا بُنيان فإيننا

فكان الأهرام جدار رفعته يد الزمن، وليس من بناء الإنسان الغائين

١٥٨ كل ميت أخوك

قال شوقي في مصرع اللورد كشنر (١٩١٦):

كلّ محمولٍ على النعشِ أخٌ لك، صافٍ وُدّه بعد الكدرِ

إنْ تَكُنْ سِلْماً له لم يَنْتَفِعْ أو تَكُنْ حرباً فقد فات الضّررُ

سِلْماً له: مسالماً إياه، حرباً عليه: محارباً إياه

وإذا الموتُ إلى النفسِ مشى وركبتِ النجمَ، بالموتِ عَثَرُ
إذا جاءك الموت وأردت الهروب منه فركبت النجم؛ فإن النجم، وهو الذي لا يتعرّش بشيء، يجد نفسه قد تعرّش بالموت

رُبَّ ثَاوٍ فِي الطُّبَى مُمْتَنِعٍ سَلَّهَ الْمِقْدَارُ مِنْ جَفْنِ الْحَذَرِ
رب ثاوٍ (قايح) داخل طوق من الطُّبَى (نصّال السيوف) ممتنع (محتم) استلّه المقدار (القدر)، وأخذَه الموت من جفن الحذر
و«جفن الحذر» هذه يعرف يقولها أبو تمام وشوقي والمتنبي. هي من شوقي بديعة، وإن يكن لها عند أبي الطيب أصل

١٥٩ زواج الزنى

قال شوقي في زواج الكبار بصغيرات (١٩١٦):

الْمَالُ حَلَّلَ كُلَّ غَيْرٍ مُحَلَّلٍ حَتَّى زَوَاجِ الشَّيْبِ بِالْأَبْكَارِ
الشَّيْبُ: الرجال الشائبون، الأَبْكَارُ: العذارى

سَحَرَ الْقُلُوبَ، قَرَّبَ أُمَّ قَلْبُهَا مِنْ سِحْرِهِ حَجَرٌ مِنَ الْأَحْجَارِ
المال سَحَر القلوب، قَرَّبَ أُمَّ حَوَّلَ هذا السحر قلبها إلى حجر

دَفَعَتْ بُنْيَتَهَا لِأَشَامٍ مَضْجَعٍ وَرَمَتْ بِهَا فِي غُرْبَةٍ وَإِسَارِ
دفعت هذه الأم بابنتها لمضجع (سرير) مشؤوم، ورمتها في غُرْبَةٍ وأسر مع هذا العجوز

وَتَعَلَّلْتُ بِالشَّرْعِ، قُلْتُ: كَذَبْتِهِ مَا كَانَ شَرْعُ اللَّهِ بِالْجَزَارِ
وتعللت (تججبت) الأم بالشرع، وأقول لها: كذبت على الشرع في تأويلاتك، فليس شرع الله جزاراً

مَا زُوِّجَتْ تِلْكَ الْفَتَاةُ وَإِنَّمَا بَيْعَ الصَّبَا وَالْحُسْنُ بِالذِّينَارِ
بَعْضُ الزَّوْجِ مُذْمَمٌ، مَا بِالزَّنَى وَالرَّقُّ، إِنْ قَبِيسَا بِهِ، مِنْ عَارِ
بعض الزواج مذموم (مذموم)، ولكثرة ما به من العار فلو قيس به الزنى والرق (العبودية) لما رأينا بهما عاراً

فَتَشْتُ، لَمْ أَرْ فِي الزَّوْجِ كِفَاءَةً كَكِفَاءَةِ الْأَزْوَاجِ فِي الْأَعْمَارِ
الكفاءة في الزواج: مفهوم فقهي يجعل النسب والمال المقياس الأهم لتكافؤ الزوجين، وشوقي يرى التقارب في العمر خير معيار للكفاءة. هذا لا يعني أن شوقي كان ضد الزواج المبكر للفتاة، فقد زوج ابنته أمينة وهي دون الخامسة عشرة من عمرها حسبما أخبرنا أخوها حسين في كتابه «أبي شوقي»

١٦٠ رثاء شكسبير

قال شوقي في ذكرى ٣٠٠ سنة على وفاة شكسبير، (١٩١٦):

أعلى الممالك ما كُرِّسِيَهُ الماءُ وما دِعَامَتُهُ بالحقِّ شَمَاءُ

أعلى الدول ما كان كرسيه (عرشه) على الماء، وما كانت دعامة عرشه شماء (عالية) بالحق. وإنجلترا كانت سيدة البحار (في عهد شوقي، وقبله بثلاثمئة سنة أيضاً في عهد شكسبير الذي شهد الأرمادا وسيطرة إنجلترا على البحار)

دستورُهُمْ عَجَبُ الدُّنْيَا، وشاعرُهُمْ يَدُّ عَلَى خَلْقِهِ لِلَّهِ بِيضَاءُ

دستور الإنجليز، وهو غير مدون في صورة دستور كقبة البلاد، من الأعاجيب، وشاعرهم يد بياض الله (نعمة منه) على خلقه

نالت به وحدَهُ إنجِلْتِرا شَرَفاً ما لم تنلْ بالنجومِ الكُثْرِ جوزاءُ

شَرَفَتْ إنجلترا بشكسبير أكثر مما شَرَفَ برج الجوزاء بنجومه

لَمْ تُكْشَفِ النَّفْسُ لَوْلَاهُ، ولا بُلِيَتْ لها سرائِرُ لا تُحْصَى وأهواءُ

لولا شكسبير لما كُشِفَتْ حقائق النفس البشرية، ولا بُلِيَتْ (اُخْتُبِرَتْ) سرائر (خفايا) النفس وأهواءها التي لا تحصى. قد طالبني الصديق الشاعر عمران القفيني أن أثبت ههنا شيئاً عن شكسبير وما أودع مسرحياته من تدسس في خبايا النفس البشرية. وقد صنعت بعض ذلك في شرحي لقصييدة حافظ إبراهيم في ذكرى شكسبير، القطعة رقم ٥٠ في باب حافظ إبراهيم، ولن أكرر نفسي هنا، بل أنقط طرف خيوط تركته هناك: مسرح شكسبير شعري، ويحس به أهل اللغة الإنجليزية، ويقطفون تسعين بالمئة من حلاوته، وأما نحن فنفهم القصة والمغزى فهذه عشرة بالمئة نستمتع بها. رأيتنا عندما لخص لنا المنفلوطي مسرحية يوليوس قيصر بلغته المنفلوطية ههنا بتلخيصه هيأماً، وطربنا لنثره العذب، وبيانه العربي. نعم، عزيزي عمران، شكسبير مشهور بأنه كان يتغلغل في عواطف ومصالح البشر، ويكشف عن دوافعهم، وخصوصاً ما كان منها دنيئاً شريئاً، وتميز بهذا عن كتاب مسرحيين كثر في زمنه وبعد زمنه انصرفوا إلى عناصر أخرى كالحبكة والمفاجأة والإثارة

شِعْرٌ مِنَ النَّسَقِ الْأَعْلَى يُؤَيِّدُهُ مِنْ جَانِبِ اللَّهِ إِلَهَامٌ وَإِيحَاءُ

شعر من النسق (النظم) الأعلى (الأرقى) يرفده إلهام إلهي

يَمَنْ أَمَاتَكَ قُلُّ لِي: كَيْفَ جُمُجُمَةٌ غِبْرَاءُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ جَوْفَاءُ

بحق الله الذي أَمَاتَكَ قل لي: جمجمتك هذه التي أصبحت مغبرة مجوفة مدفونة في التراب..

كانت سماء بيانٍ غيرَ مُقلِعةٍ شُؤبُوبُها عسلٌ صافٍ وصُهْبَاءُ
 كيف كانت هذه الجمجمة سماء بلاغة غير مقلعة (لا ينقطع مطرها)، وكان شُؤبُوبُها (مطرها) عسلاً
 وخمراً.. تعليق عمران القفيني: (في مارس/آذار ٢٠١٦، اكتشفوا بعد مسح بالرادار أن جمجمة شكسبير
 سرقت من قبره المكتوب عليه بيتان لأديب إنجلترا الأشهر أحدهما «ملعون من حرك عظامي»)

والناسُ صِنْفَانِ: موتى في حياتِهِمْ وآخرونَ ببطنِ الأرضِ أحياءُ
 لأموكَ في جعلِكَ الإنسانَ ذَنْبَ دَمٍ واليومَ تبدو لَهُمْ مِنْ ذاكَ أشياءُ
 كانوا يلومونك لأنك صورت الإنسان ذنباً متعطشاً للدم؛ واليوم - وكانت الحرب العالمية الأولى
 في أوجها - تبدو لهم أشياء مما كنتَ قلتَ

١٦١ دول العرب وعظماء الإسلام

قال شوقي من أرجوزة «دول العرب وعظماء الإسلام» وهي أرجوزة تاريخية طويلة من
 مزدوج الرجز، ونظمها في متفاه بإسبانيا (بلغت أبياتها ١٥٢٦ بيتاً):

الحمدُ لِلَّهِ القديمِ الباقي ذي العرشِ، والسَّبعِ العُلَى الطَّباقِ
 الطباق: طبقات السماوات

وأفضلُ الصَّلَاةِ والسَّلَامِ على أَجَلِ رُسُلِ السَّلَامِ
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ فِي سَمَائِهِ وَعَرْشِهِ السَّابِحِ فِي أَسْمَائِهِ
 صلى على النبي عرش الله الذي يسبح في أسمائه الحسنی

لما رمى الله بهذي الحربِ على بني الشَّرْقِ وأهلِ الغَرْبِ
 وكانت الحرب العالمية الأولى مستعرة وقت قلت الأرجوزة

تَحَرَّكَتْ سَوَاكِنُ الْأَقْدَارِ وَاطَّرَدَتْ عَوَامِلُ الْأَكْدَارِ
 تحرك من الأقدار ما كان ساكناً، واطردت (تتابعت) أسباب الأقدار (المنقصات)

وَحَكَّمَ اللَّهُ بِهَجْرَةِ الْوِطْنِ وَطالما ابْتَلَى بها أَهْلَ الْفِطَنِ
 حكم الله عليّ بأن أهاجر عن مصر، والهجرة كثيراً ما ابتلى الله بها أهل الفطن (النابهين)

فَكُنْتُ أَسْتَعْدِي عَلَى الْهُمُومِ بِنَاتِ فِكْرِ لَيْسَ بِالْمَلْمُومِ
 فكنت في مهجري أستعدي (أستعين) على الهموم بينات فكر ليس بالملوم (فكر مشتت)

أَسْتَدْفِعُ الْفِرَاغَ وَالْعَطَالَةَ، وَبَطْلٌ مَنْ يَقْتُلُ الْبِطَالََةَ
 أستدفع (أبعدُ شبح) الفراغ والعطالة (قلة العمل)، وإنه لبطل من يستطيع قتل البطالة

حَتَّى أَرَادَ اللَّهُ أَنْ نَظْمُتْ مِنْ سَيْرِ الرِّجَالِ مَا اسْتَعْظَمْتُ

نظمت سير (قصص حياة) الرجال الذين استعظمتهم (عددتهم عظماء)

وَاخْتَرْتُ بَحْرًا وَاسِعًا مِنَ الرَّجْزِ قَدْ زَعَمُوهُ مَرْكَبًا لِمَنْ عَجَزَ

اخترت بحر الرجز للنظم وفيه جوازات كثيرة وسعة، وزعموا أنه مركب سهل للعاجز. أما سماه الأقدمون حمار الشعراء؟

يَرَوْنَ رَأْيًا وَأَرَى خِلَافَةً الْكَأْسُ لَا تُقَوِّمُ السَّلَافَةَ

ورأيي غير رأيهم، فالكأس لا تقوم (تحدد قيمة) السلافة (الخمر)، وكذا فالبحر الشعري لا يحدد قيمة معنى الشعر

وَقِيَمَةُ اللَّوْلُوِّ فِي النُّحُورِ بِنَفْسِهِ وَلَيْسَ بِالْبُحُورِ

واللؤلؤ وهو في نحور (أعناق) الحسان يقوّم بنفسه وليس بالبحور التي منها أتى. و«البحور» هذه عذبة - إن جازت على البحور العذوبة - فهي «البحور» التي أتى منها اللؤلؤ، لكنها أيضاً «بحور» الشعر

شِعْرٌ لَزِمْتُ فِيهِ مَا لَا يَلْزَمُ وَتَرَكْتُهُ أَلِيقُ بِي وَأَحْزَمُ

ولزمت في شعري ما لا يلزم، وكان أحزم لي (أكثر حصافة) ألا أفعل ذلك. وشوقي التزم بحرفي روي بدل حرف واحد كما ترى

وَمَا أَيْسْتُ مِنْ كَرِيمٍ يُغْضِي وَلَا أَمِنْتُ حَاسِدًا ذَا بُغْضٍ

وما أيست (يسّست) من وجود كريم يغضي (يتجاهل) على أغلاطي، كما أنني لم آمن حاسداً مبغضاً

رُبَّ لِسَانٍ جَمَعَ الْأَقْوَامَ وَكَانَ كَالْجَنَسِ لَهُمْ قِوَامًا

رب لسان (لغة) جمع شمل الأقوام وكان لهم قواماً كالعرق، وهذا اللسان هو اللغة العربية

وَقَدْ حَبَاهُ اللَّهُ بِالْجَزِيلِ وَاخْتَارَهُ لِلْوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ

هذا اللسان حباه الله بالجزيل (الكثير)، واختاره للوحي والتنزيل (القرآن)

لِسَانُكَ الْأَوَّلُ فِي الْكُتَابِ وَلِغَةُ الصَّبُورَةِ وَالْعِتَابِ

لسانك (لغتك) الأول في الكتاب (المدرسة)، ولغة الصبورة (الشوق) والعتاب..

لَا تَرْضَ مِنْهُ مَبْلَغَ الرُّعَاعِ وَحِصَّةَ الْأَعْمَى مِنَ الشُّعَاعِ

.. هذا اللسان لا ترض أن تقف في إقنانه عند مبلغ (مستوى) الرعاع (الجهلة)، ولا تكتف منه بحصة تشبه حصة الأعمى من النور

النَّفْسُ تَرْجُو هِمَّةَ الْخُلُودِ فِي الْعِلْمِ وَالْبُنْيَانِ وَالْمَوْلُودِ

النفس تطمح إلى الخلود: بالعلم الذي تورثه للأجيال، وبالبنيان الشامخ الذي يخلد الذكر، وبالأولاد الذين يحيون ذكر آبائهم

تَوَهَّمُ الْحَيَاةَ بَعْدَ مَوْتٍ وَتَزْعُمُ الْوُجْدَانَ بَعْدَ فَوْتٍ
وتوهم النفس وجود حياة بعد الموت، وتزعم أن هناك وجداناً (وجوداً) بعد الفوت (فوات)
الأوان)

ضَاقَتْ عَلَى النَّوَائِغِ الْأَجَالَ فَكَانَ فِي الذِّكْرِ لَهُمْ مَجَالٌ
ضاقَت على النوايغ آجالهم (أعمارهم)، فكان خلود الذكر مجالاً لإطالة العمر

انْظُرْ إِلَى الْآبَاءِ كَيْفَ هَامُوا بِالْخُلْدِ، وَاحْتَالَتْ لَهُ الْأَفْهَامُ
انظر كيف هام القدماء بالخلود، وكيف احتالت أفهامهم (عقولهم) لتخليد ذكروهم

مَنْ دَرَسَ التَّارِيخَ أَوْ مَنْ دَرَسَهُ يَمْضِي الزَّمَانُ وَهُمَا فِي الْمَدْرَسَةِ
لَا يَبْلُغَانِ فِي الْكِتَابِ غَايَةً وَلَا الْكِتَابُ بَالِغُ النَّهَائَةِ
إِيَّاكَ وَالْمُؤَرِّخُ الْمِقْصَصُ مَا كُلُّ مَنْ قَصَّ فَقَدْ تَقَصَّى

احذر المؤرخ الذي يقتطع الأحداث كالمقص بلا تثبُّت، وما كل من قص (روى) قد
تقصى (تحقق). وفي زمننا هذا صار للمقص معنى آخر مع دخول ثقافة القص
واللزق. ولعل شوقي كان سيقول في الأكاديمي الذي يللم بحوثة من أردأ مواقع
الإنترنت: (ذاك الذي يقصُّ ثم يلزق/مُقَوِّلُ المنتديات الزرق/ آكلُ ما قد حَرَّتُوا
وَعَرَقُوا/ أَوْ لَاحِصُ الَّذِي بِهَا قَدْ بَرَقُوا/ بَوْمٌ بِغَيْرِ صَوْتِهِ يَزِقُّ)

مَضَى أَبُو بَكْرٍ، وَوَلَّاهَا عُمَرُ الشَّمْسُ لَا تُخْلَفُ إِلَّا بِالْقَمَرِ
ذهب أبو بكر الصديق وولَّى الخلافة عمر، والشمس لا يخلفها إلا القمر

وُلَاتُهُ فِي مُلْكِهِمْ رُهْبَانٌ وَالْفُلُكُ حَيْثُ سَاقَهَا الرُّبَّانُ
الولاية الذين ولَّاهم عمر فقراء عفيفون كالرهبان، والفلوك (السفينة) تذهب إلى حيث يسوقها
الربان، فهم كالسفينة وعمر كالربان

أَمَّا الْإِمَامُ فَالْأَغَرُّ الْهَادِي حَامِي عَرِيْنِ الْحَقِّ وَالْجِهَادِ
الإمام علي بن أبي طالب هو الأغر (المشرق) الهادي، حامي عرين (بيت الأسد) الحق والجهاد

لَوْ صَانَعَ الْإِمَامُ أَوْ تَأَنَّى مَا بَلَغَ الشَّامِيُّ مَا تَمْنَى
لو كان علي صانع (داري) أو تمهل، لما بلغ الشامي (معاوية والي الشام) ما تمنى

وَقِيلَ عِلْمٌ مَا لَهُ انْتِهَاءٌ لَمْ يَجِرْ فِيهِ الرَّأْيُ وَالذَّهَاءُ
وقيل إن علم علي غزير لا نهاية له، ولكن هذا العلم لم يجر معه في تياره رأي ودهاء

١٦٢ حال الغريب

قال شوقي في منفاه :

قالت: تَغَرَّبَتِ الرِّجَالُ، فَقُلْتُ: فِي ضَيْمٍ أُرِيدُ بِجَانِبِي فَأُبَيِّتُهُ
قالت: تغربت الرجال فقلت: ذلك في (بسبب) ضيم (ظلم) أريد إلحاقه بجانب (بي) فأبيته
(فرفضته)

قالت: أَخِفَّتِ الْمَوْتَ، قُلْتُ: أَمُفِلْتُ أَنَا مِنْ حَبَائِلِهِ إِذَا مَا خَفَّتُهُ؟

حبائله: مصائده

قالت: لَقَدْ شِمَّتِ الْحَسُودُ، فَقُلْتُ: لَوْ دَامَ الزَّمَانُ لِشَامَتِ لَحَفِلْتُهُ

لحفلت: لحفلت به

قالت: كَأَنِّي بِالْهَجَاءِ قَلَائِدًا سَارَتْ، فَقُلْتُ: هَمُمْتُ، ثُمَّ تَرَكْتُهُ

قلائد: عقود (وكانوا يشبهون القصائد بالعقود التي يرتديها الممدوح أو المهجو فتظل معلقة بعنقه)

١٦٣ المال

قال أحمد شوقي في كتابه الثري «أسواق الذهب» الذي كتبه وهو في منفاه بإسبانيا
على شكل فقرات مسجوعة فيها الوصف والحكمة:

«يَا مَالُ! الدُّنْيَا أَنْتَ، وَالنَّاسُ حَيْثُ كُنْتُ. حَالُكَ وَحَالُ النَّاسِ عَجَبٌ، تَمْلِكُهُمْ مِنْ
الْمَهْدِ، وَيَقُولُونَ أَصَبْنَا وَمَلَكْنَا وَتَرَكْنَا عِنْدَ اللَّحْدِ، وَيَقُولُونَ وَرَكْنَا وَتَرَكْنَا؛ مَنْ عَاشَ
قَوْمُوهُ بِمَا مَلَكَ، وَمَنْ هَلَكَ تَسَاءَلُوا كَمْ تَرَكَ؟ الْمَحْرُومُ مَنْ أَوْفَقَكَ، وَالضَّائِعُ مَنْ
أُظْلِقَكَ، وَهُمَا فَقِيرَانِ: مَنْ جَمَعَكَ وَمَنْ فَرَّقَكَ. كَثِيرُكَ هَمٌّ، وَقَلِيلُكَ غَمٌّ، وَمَعَ
التَّوَسُّطِ الْخَوْفُ وَالطَّمَعُ، وَالْحَرَصُ وَالْجَشْعُ، حَذَرُ النَّفَادِ، وَرَغْبَةُ فِي الْإِزْدِيَادِ.
الْمَلِكُ سُوقَةٌ إِذَا نَزَلَ إِلَيْكَ، وَالسُّوقَةُ مَلِكٌ إِذَا عَلَا عَلَيْكَ. فَسَبْحَانَ مَنْ قَهَرَ بِكَ
الْخُلُقُ، وَقَهَرَكَ بِرِجَالِ الْخُلُقِ».

١٦٤ الجمال

قال أحمد شوقي في كتابه الثري «أسواق الذهب» الذي كتبه وهو في منفاه بإسبانيا
على شكل فقرات مسجوعة فيها الوصف والحكمة، وهذه القطعة كانت تغلي في رأس
شوقي غلياناً، لأنه يعشق «الجمال» فجاءت من بين أخواتها في الكتاب.. غير مسجوعة،
وقد سودناها لك كي تتمتع بهذا النثر الذي جل عن السجع فصار كأنه الشعر (بين
١٩١٥ و ١٩١٩):

«جمعت الطبيعة عبقريتها فكانت الجمال. وكان أحسنه وأشرفه ما حلّ في الهيكل الأديمي، وجاور العقل الشريف والنفس اللطيفة والحياة الشاعرة. فالجمال البشري سيد الجمال كله، لا المثال البارغ استطاع أن يخلعه على الدمي الجسان، ولا للتيارات الزهر في ليالي الصحراء ما له من لمحة وبهاء، ولا لبديع الزهر وغريبه في شباب الربيع ما له من بشاشة وطيب. وليس الجمال بلمحة العيون، ولا بريق الثغور، ولا هيف القدود، ولا أسالة الخدود، ولا لؤلؤ الثنايا وراء عقيق الشفاء، ولكن.. شعاع علوي يبسطه الجميل البديع على بعض الهياكل البشرية، يكسوها روعة ويجعلها سحراً وفتنة للناس».

١٦٥ الأمس واليوم والغد

قال أحمد شوقي في كتابه النثري «أسواق الذهب» الذي كتبه وهو في منفاه بإسبانيا على شكل فقرات مسجوعة فيها الوصف والحكمة (بين ١٩١٥ و ١٩١٩):

الأمس: «أمس ما أمس، خطوة إلى الرّمس. جزء من عمرك حَضَرَتْ وفاته، وقَبُرَتْ بِيدِكَ رُفَاتَهُ. وَهُوَ أَبُو يَوْمِكَ، والولد سرّ أبيه، وجدّ عَدِكَ، فاجعله النبيل في الجدود النّبية».

اليوم: «طلعت الشمس، ونفضت الخمس من تراب أمس. فسبحان الذي ألهى بالأمل، وشغل بالعمل، واستنهض الإنسان لأعباء اليوم فحمل».

الغد: «بريد الملك القهار، مؤعده حواشي الأسحار، أو غرة النهار، حملت الفجاءات نجائبة، واشتملت على المستجدات حقايبه. هو الشخص الثالث في رواية الأيام والحوادث، والخلف من صاحبيه والوارث».

١٦٦ مقتطفات

قال أحمد شوقي في كتابه النثري «أسواق الذهب» الذي كتبه وهو في منفاه بإسبانيا على شكل فقرات مسجوعة فيها الوصف والحكمة (بين ١٩١٥ و ١٩١٩):

المسجد الحرام: «حرم الله المظهر، وبيتة العتيق المُستَرّ، الذي وجّه إليه الوجوه، وفرص على عباده أن يحجّوه؛ نظرت إليه المساجد في كلّ خمس، وقامت إليه قيام الحرياء للشمس».

الطلاق: «حلال.. عليه بشاعة الحرام، وحق.. يشره إليه اللثام، ويكره عليه الكرام».

الأسد: «طاغية الصَّحراء، وجبارُ العراء، وأجرأُ مَنْ وَطِئَ الغبراء. عرشُهُ غابته، وَجِجَابُهُ مهابته، والوَحدةُ مجلسُهُ وصحابته».

الكاتب العمومي: «يُمَثِّلُ مِنَ الجَهْلِ العامِّ، صنعتهُ القرونُ والأجيالُ. حفَّارُهُ عَبَثُ الحاكم، وطِيبَتُهُ غَفْلَةُ المحكوم، وَهُوَ الأُمِيَّةُ على قارعةِ الطريق، لا يجمَعُهُ والحضارةُ مكانٌ».

السجع: «السَّجْعُ شعرُ العربيةِ الثاني؛ وكلُّ موضعٍ للشعرِ الرَّصينِ محلٌّ للسَّجْعِ».

الشيخ المهندم: «أَيُّهَا الشَّيْخُ الْمُهَنْدَمُ، مَا عَرَّكَ بِالسِّنِّ حَتَّى لَبَسْتَ لِلصُّبَا ثِيَابَهُ، وَنَارَغْتَ حَفِيدَكَ شَبَابَهُ؟ إِنَّمَا مَثَلُكَ كَمَثَلِ الضَّرْسِ المحشُوِّ المَكْسُوِّ: نُزِعَ مِنْهُ العَصَبُ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ الدَّهَبُ».

١٦٧ خواطر

قال أحمد شوقي في كتابه الثري «أسواق الذهب» الذي كتبه وهو في منفاه بإسبانيا على شكل فقرات مسجوعة فيها الوصف والحكمة (بين ١٩١٥ و١٩١٩):

ما نَبَّهَ عَلَى الفضْلِ الكاذِبِ مِثْلُ الثَّنَاءِ الكاذِبِ.

هَلَكْتُ أُمَّةً تَحْيَا بِفِرْدٍ وَتَمُوتُ بِفِرْدٍ.

الصَّالِحُونَ يَبْنُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَالْمُضِلِّحُونَ يَبْنُونَ الْجَمَاعَاتِ.

الْمُتَحَيِّرُ لَا يُمَيِّزُ.

لَا سُلْطَانَ عَلَى الذُّوقِ فِيمَا يُحِبُّ وَيَكْرَهُ.

الْغَنِيُّ مَعَ الْفَقِيرِ فِي كِبْدٍ: إِذَا مَنَعَهُ حَسَدٌ، وَإِذَا أَعْطَاهُ حَقْدٌ.

قَدْ يُدَاوِيكَ مِنَ الْمَرَضِ اتِّقَاؤُهُ، وَلَا يُنْجِيكَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَّا لِقَاؤُهُ.

فَلَمَّا طَارَ اسْمُ الشَّاعِرِ فِي حَيَاتِهِ، فَوَقَعَ بَعْدَ مَمَاتِهِ.

عِنْدَ الْكَمَالِ، يَتَدَيُّ الْجَمَالُ.

لِلْجَمَالِ حِينَ يَزُولُ، جَلَالَةُ الْمَلِكِ الْمَعزُولِ.

رُبَّ اسْتِخْيَاءٍ تَحْتَهُ رِيَاءٌ.

كَادَ صَفْحُ الْوَالِدِ يَسْبِقُ ذَنْبَ الْوَلَدِ.

لو حَطَمَتِ السَّنُ الْمَرْأَةُ مَا حَطَمَتْ مِرَاتَهَا .
 مِنْ عَاشَرَ وَعَاشَرَ أَمَلٌ مُحِبًّا أَوْ مَلٌّ مَحْبُوبًا .
 كَبُرَ الصَّغِيرِ قَبِيحٌ كَتَوَاضِعُهُ، كَلَاهُمَا فِي غَيْرِ مَوْضِعَةٍ .
 شُورَى مِنَ الْحَجَّاجِ وَزِيَادٍ، خَيْرٌ مِنَ الْفَرْدِ وَلَوْ كَانَ عَمْرٌ .
 اللَّهُ أَغْيَنُ، وَالنَّاسُ أَلْسُنُ، فَأَيْنَ الْمَفَرُّ؟
 تَكَثَّرَ مِنَ الْحُسَادِ بِفَضْلِكَ، وَلَا تَتَكَثَّرُ مِنَ الْأَعْدَاءِ بِجَهْلِكَ .

١٦٨ ما أبعد النيل !

بعث شوقي، من منفاه بإسبانيا، إلى حافظ إبراهيم بواسطة داود بركات رئيس تحرير
 الأهرام ثلاثة أبيات (١٩١٧):

يا ساكني مِصْرَ إِنَّا لَا نَزَالُ عَلَى عَهْدِ الْوَفَاءِ، وَإِنْ غُبْنَا، مُقِيمِينَ
 يا أهل مصر! نحن مقيمون على العهد رغم غيابنا

هَلَّا بَعَثْتُمْ لَنَا مِنْ مَاءِ نَهْرِكُمْ شَيْئاً نُبَلُّ بِهِ أَحْشَاءَ صَادِينَا
 هلا بعثتم لنا من ماء النيل حتى نبل أحشاء صاديننا (القلب العطشان فينا)

كُلُّ الْمَنَاهِلِ، بَعْدَ النَّيْلِ، آسِنَةٌ مَا أَبْعَدَ النَّيْلَ إِلَّا عَنْ أَمَانِينَا
 كل المناهل (موارد الماء) بعد النيل آسنة (فاسدة)، والنيل بعيد إلا أننا نتمنى قربه كثيراً فهو قريب
 في أمانينا

رد حافظ إبراهيم يقول:

«عَجِبْتُ لِلْنَّيْلِ يَدْرِي أَنَّ بُلْبُلَهُ/ صَادٍ، وَيَسْقِي رُبِّي مِصْرَ وَيَسْقِينَا
 وَاللَّهِ مَا طَابَ لِلْأَصْحَابِ مَوْرِدُهُ/ وَلَا ارْتَضَوْا بَعْدَهُ مِنْ عَيْشِهِمْ لَنَا
 لَمْ تَنْأَ عَنْهُ وَإِنْ فَارَقَتْ شَاطِئُهُ/ وَقَدْ نَأَيْنَا وَإِنْ كُنَّا مُقِيمِينَ»

١٦٩ أردتُ أعرفّها من أنا

كان شوقي يردد هذه الأبيات كثيراً (١٩١٧):

رَأَيْتُ عَلَى صَخْرَةٍ عَقْرَباً وَقَدْ جَعَلَتْ ضَرْبَهَا دَيْدَنًا
 رأيت عقرباً على صخرة وقد جعلت العقرب ضرب الصخرة ديدناً (عادةً لها

فقلتُ لها: إِنَّهَا صَخْرَةٌ وَطَبْعُكَ مِنْ طَبْعِهَا أَلَيْنَا

فقلتُ لها: يا مجنونة! هذه صخرة، وهي أفسى من جسمك، وطبعك (خلقتك) وألين منها، فلا فائدة من لسعها. وجد عمران القفني مشكلة في نصب «ألينا» ودعاني إلى التأول لها. وأشار إلى أنه رأى الأبيات في حياة الحيوان الكبرى للدميري. فهي إذن ليست لشوقي. حسناً، فلنضمّر قبلها «ما انفكّ» ولنصبها خبراً لها، أو لنضمّر - وهذا اقترح عمران - «وجدتُ»

فقالت: صدقت، ولكنني أردتُ أعرّفُها مَنْ أنا

١٧٠ رثاء أمه

وقال يرثي والدته، ومات وهو في غربته بالأندلس، (١٩١٨):

إلى الله أشكو من عوادي النوى سهماً أصاب سُوَيْدَاءَ الْفَوَادِ وما أَضْمَى
إلى الله أشكو سهماً من عوادي (مصائب) النوى (الفراق) أصاب سويداء (حبة) القلب، ولكنه لم يُضم (يقتل)

ولم أرَ حُكْماً كالمقاديرِ نافِذاً ولا كِلْفَاءِ الموتِ مِنْ بَيْنِهَا حَتْماً

١٧١ وطني لو شغلت بالخلد عنه..

قال شوقي (١٩١٩):

إختلاف النهار والليل يُنسي اذْكُرْ لي الصِّبا وأيامَ أنسي
اختلاف النهار والليل على الإنسان (سير الزمن) يُنسي الأيام الحلوة، فاذكُرْ لي يا صاحبي أيام الصبا والأنس

وسلا مصرَ هل سلا القلبُ عنها أو أسا جرحَهُ الزمانُ المؤسِّسِي
وسلا (أسألاً) مصر هل سلا (انصرف) القلب عنها، أو هل أسا (شفى) جرح القلب الزمان المؤسّي (الشافعي)

كلّما مرّت الليالي عليه رَقَّ، والعهدُ بالليالي تُقَسِّي
كلما مرت الليالي (الزمن) على قلبي صار أرقَّ، والمعهود بمرور الزمن أن يُقَسِّي لا أن يرقَّ

أحرامٌ على بلايلهِ التَّوْ حُ، حلالٌ للطَّيرِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ
هل الدوح (الشجر) حرامٌ (محرمٌ) على بلايله، وحلالٌ (محلل) للطير من الأجناس الأخرى؟
فشوقي منفي عن مصر، وبها من الأجانب أشكال وألوان

كلُّ دارٍ أحقُّ بالأهلِ إلّا في خبيثٍ مِنَ المذاهبِ رجسٍ
البلد أحق بأهله إلا في مذهب (سلوك) المستعمرين الخيث الملوّث بالرجس (الدنس)

وطني، لو شُغِلْتُ بالخلدِ عنه نازَعْتَنِي إليه في الخلدِ نَفْسِي

وطني! لو انشغلت عنه بالخلد (الجنة) لنازعني نفسي وأنا في الجنة تريد الوطن

وهَفا بالفؤادِ في «سَلْسَبِيلِ» ظمأً للسَّوادِ في عينِ شمسٍ

وفي عين السلسيل في الجنة سارى فؤادي قد هفا به (حرَّكه) الظمأ للسواد (الأرض المخضرة) في عين شمس (الضاحية القاهرية). البيت فيه عبث بالكلمات غير قليل، فعين شمس اسم مكان وسوادها أرضها المخضرة، وعين الإنسان لها سواد في وسطها، وعين الشمس ليس بها سواد بل هي مشرقة كل الإشراق؛ والسلسيل في البيت عين ماء في الجنة، وكلمة «سلسيل» هي التي جلبت كل هذا التداعي وإن لم يصفها الشاعر بكلمة عين. وشعر شوقي مراد للتداعي الحر. تراه يقول كلمة ثم تتدفق كلمات وأفكار منبثقة من هذه الكلمة، ويشحن هذه الأفكار التي جاءت بطريق التداعي الباطني بمشاعره وآرائه

شَهِدَ اللّهُ لَمْ يَغِبْ عَنْ جُفُونِي شَخْصُهُ سَاعَةً، وَلَمْ يَخْلُ جَسِي

لم يغيب عن جفوني سواد (خضرة) «عين شمس» بشخصه (بشكله المادي)، كما لم يخل إحساسي من أثره

يا فؤادي لكلِّ أمرٍ قرارٌ فيه يبدو وينجلي بَعْدَ لُبْسٍ

لكل أمر قرار (نهاية)، ولا بد للنفي من أن ينتهي

أَيْنَ مَرْوَانَ، فِي الْمَشَارِقِ عَرْشٌ أُمَوِيٌّ وَفِي الْمَغَارِبِ كُرْسِي

أين عهد مروان (يقصد بني مروان، وفي عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان فتحت الأندلس؟) كان له عرش في دمشق شرقاً، وكُرسي (عرش) في المغرب، في الأندلس

وَعَظَّ الْبَحْتَرِيُّ إِيوَانُ كِسْرَى وَشَفَّتْنِي الْقُصُورُ مِنْ عِبْدِ شَمْسٍ

وعظ إيوان كسرى الشاعر البحتري، عندما ذهب إليه في خلوة روحية بعد مقتل الخليفة المتوكل؛ وأنا شفت نفسي قصور عبد شمس (بني أمية) في الأندلس

لَمْ يَرْعُنِي سَوَى ثَرَى قُرْطُيِّي لَمَسْتُ فِيهِ عِبْرَةَ الدَّهْرِ خَمْسِي

لم يُدْخِلِ الروح (الرَّهبة) إلى قلبي سوى تراب قرطبة الذي لمسْتُ فيه عبرة الزمن بأصابعي الخمس كلها

قَرِيبَةٌ لَا تُعَدُّ فِي الْأَرْضِ، كَانَتْ تُمَسِّكُ الْأَرْضَ أَنْ تَمِيدَ، وَتُرْسِي

قرطبة الآن قرية لا قيمة لها في العالم، ولكنها كانت تمسك الأرض حتى لا تميد (تهتز) وترسيها على قواعدها، هذا في أيام عزها

سِنَّةٌ مِنْ كَرَى وَطِيفُ أَمَانٍ وَصَحَا الْقَلْبُ مِنْ ضَلَالٍ وَهَجَسِ

ذلك العز سِنَّةٌ من كرى (غفوة)، وطيف جاء في الأحلام بالأمان الجميلة، ثم صحا القلب من الضلال والهواجس

وَإِذَا الدَّارُ مَا بِهَا مِنْ أَنْيْسٍ وَإِذَا الْقَوْمُ مَا لَهُمْ مِنْ مُجَسٍّ

فإذا الدار ما بها إنسان، وإذا القوم ليس لهم من يُجسُّ بهم، فقد رحلوا

مَشَتْ الْحَادِثَاتُ فِي غُرَفِ الْحَمْرِ رَاءَ مَشْيِي النَّعِيِّ فِي دَارِ عُرْسٍ

مشت الحادثات (المصائب) في غرف قصر الحمراء، كمشي النعي (خبر الموت) في دار بها عرس

لَا تَرَى غَيْرَ وَافِدِينَ عَلَى النَّارِ رِيحَ سَاعِيَيْنَ فِي خُشُوعٍ وَنَكْسٍ

والآن ليس بقصر الحمراء سوى السياح الوافدين لمشاهدة قطعة من التاريخ، تراهم يمشون خاشعين منكبين رؤوسهم

خَرَجَ الْقَوْمُ فِي كِتَابِ صُمْ عَنْ حِفَافٍ، كَمَوْكِبِ الدَّفْنِ خُرْسٍ

خرج العرب في كتاب صمّت أذانها عن حفاظ (غيرة على الشرف)، وكانت كتابهم خرساء (صامتة) كموكب الدفن

رَكِبُوا بِالْبَحَارِ نَعْشًا، وَكَانَتْ تَحْتَ آبَائِهِمْ هِيَ الْعَرْشُ أَمْسٍ

ركبوا البحر منهزمين إلى المغرب كأنما ركبوا النعش، والبحر نفسه ركب آباؤهم عرشاً عندما فتحوا الأندلس

رُبَّ بَانٍ لِهَادِمٍ، وَجَمُوعٍ لِمُثِثٍ، وَمُحْسِنٍ لِمُخْسٍ

رب بانٍ يني الملك لحفيده الذي يهدمه، ورب جموع (كثير الجمع) يجمع المال لمن يشتهه، ومحسن يُحوز الفضائل لمخس (لمن يجعلها خسيّة)

إِمْرَةُ النَّاسِ هِمَّةٌ لَا تَأْتِي لَجْبَانٍ، وَلَا تَسْنَى لِجَبْسٍ

إمرة (قيادة) الناس همة (طموح) لا تأتئ لجبان، ولا تسنى لجبس (ضعيف). قصيدة عامرة بأبيات الحكمة. عرف شوقي أن أبيات الحكمة تجلب لشعره السيورة، فتعمدها وصار يرصدها، وأقر بذلك. والقصد إلى الحكمة قصداً أضعف شعر شوقي. فهو إذ يعمل فكره في استخراج أبيات الحكمة يستهلك جزءاً من طاقته الشعورية فتبرد قصيدته، ولا تندفق. وفي هذه القصيدة يعارض شوقي البحري في سنيته (صنت نفسي عما يندس نفسي وترفعت عن جدا كل جبس)

١٧٢ ثورة ١٩١٩

قال شوقي في ثورة مصر (١٩١٩):

عَظَفَ الدَّهْرُ عَلَى ثَوَرَتِكُمْ وَلَوَى النَّاسَ عَلَيْهَا مُعْجَبِينَ

عطف (أَمَالَ) الزمن على ثورتكم قلوب الناس، ولوى (أمال) الناس عليها وهم متعجبون منها، لأنها ..

هَزَّتِ اللَّيْثَ وَلَمَّا يَضُحُ مِنْ دَمٍ غَلِيَوْمٍ وَصِيدِ آخِرِينَ
هزت الأسد (أي إنجلترا، وشعارها الأسد)، ولما يَضُحُ من نشوة البطش بغليوم قيصر ألمانيا
وبالصَّيد (الأسياء) الآخرين الذين هُزموا في الحرب العالمية الأولى

قَامَ رَهْطٌ مِنْكُمْ فَاقْتَحَمُوا كِبْرِيَاءَ الْفَاتِحِينَ الظَّافِرِينَ
قام رهط (جماعة) منكم فاقتحموا كبرياء المتصرين. حلَّو تعبير «اقتحموا كبرياء الفاتحين»

اسْتَحَفَّ اللَّيْثُ إِجْمَاعَكُمْ وَهُوَ نَابُ الْعَجَمِ الدَّاهِي الرَّزِينَ
واستخفت إنجلترا بإجماعكم، وهي رأس الحربة في الأجانب، والداهية الرزينة

مُسْتَعِيدًا مِنْكُمْ بِاللَّهِ أَنْ تُصْبِحُوا الْهِنْدَ وَتُمْسُوا الصِّينَ فَيَنْ
استعاذ الأسد الإنجليزي بالله منكم لثلاث صباحوا (في بدء أمركم) كالهند (وآنذاك كانت المقاومة
السلمية قد بدأت هناك)، وتُمسوا (بعد ذلك) مثل الصين - فين (منظمة «الشين فين» الإيرلندية التي
استخدمت العنف ضد الحكم البريطاني)

١٧٣ .. إذا أخلاقهم كانت خرابا

قال شوقي في اجتماع لجنة التموين، بُعيدَ عودته من منفاه بإسبانيا، (١٩٢٠):

وَدَاعَا أَرْضَ أَنْدَلُسٍ، وَهَذَا ثَنَائِي إِنْ رَضِيَتْ بِهِ ثَوَابَا
وَيَا وَطَنِي لَقِيْنَتُكَ بَعْدَ يَأْسٍ كَأَنِّي قَدْ لَقِيْتُ بِكَ الشَّبَابَا
وَكُلُّ مُسَافِرٍ سَيُؤَوِّبُ يَوْمًا إِذَا رُزِقَ السَّلَامَةَ وَالْإِيَابَا
أُدِيرُ إِلَيْكَ قَبْلَ الْبَيْتِ وَجْهِي إِذَا فَهْتُ الشَّهَادَةَ وَالْمَتَابَا
أدير إليك يا وطني وجهي إذا تفوهت بالشهادة والمتاب (دعاء التوبة)

فَصَفْحًا لِلزَّمَانِ لَصَبْحِ يَوْمٍ بِهِ أَضْحَى الزَّمَانُ إِلَيَّ ثَابَا
صفحت عن الزمان ومصائبه لأنه ساق إليّ هذا الصباح الذي ثاب (عاد) الزمان إليّ به وصافاني

وَحَيَّا اللَّهَ فَتِيَانًا سِمَاحًا كَسَوْا عِظْفَيَّ مِنْ فَخْرِ ثِيَابَا
حيا الله الفتیان السِّمَاح (السمحين الكرام) الذين كسوا عِظْفَيَّ (جانيّ) ثياباً من الفخر

عِبَادُكَ رَبِّ قَدْ جَاعُوا بِمَصْرِ أَنْيَلًا سُقَّتْ فِيهِمْ أَمْ سَرَابَا؟
أَمِنْ أَكَلِ الْيَتِيمِ لَهُ عِقَابٌ وَمَنْ أَكَلَ الْفَقِيرَ فَلَا عِقَابَا؟
وليس بعامرٍ بُنْيَانُ قَوْمٍ إِذَا أَخْلَقَهُمْ كَانَتْ خَرَابَا

١٧٤ مطية لا تستريح

قال شوقي يرثي محمد فريد (١٩٢٠):

كُلُّ أَعْوَادٍ مِنْبِرٍ وَسَرِيرٍ باطلٌ غيرَ هذهِ الأعْوَادِ
كل أعواد (أخشاب) منبر أو سرير (عرش) هي باطل سوى أعواد التابوت

تَسْتَرِيحُ الْمَاطِيَّ يَوْمًا، وَهَذِي تَنْقُلُ الْعَالَمِينَ مِنْ عَهْدٍ عَادٍ
كل الماطي (الدواب) تستريح يوماً، وأما هذه الماطية (التابوت) فهي تنقل الناس إلى القبر من عهد
قبيلة «عاد» البائدة

لَا وَرَاءَ الْجِيَادِ زِيدَتْ جَلَالًا مِنْذُ كَانَتْ، وَلَا عَلَى الْأَجْيَادِ
والتابوت منذ الأزل لا يزداد هبة إن مشى وراء الجياد (الخيول) في جنازة فخمة، ولا إن رُفِعَ فوق
الأجیاد (الأعناق)، فهبة الجنازة هي هبة الموت لا هبة الموكب

هَلْ تَرَى كَالْتَرَابِ أَحْسَنَ عَدْلًا وَقِيَامًا عَلَى حُقُوقِ الْعِبَادِ
ما أعدل التراب وأحسن قيامه على حقوق الناس! أليس هو الذي يسوي بينهم؟
نَزَلَ الْأَقْوِيَاءُ فِيهِ عَلَى الضَّغْفِ فَحَلَّ الْمُلُوكُ بِالزُّهَّادِ

١٧٥ المهد جسر المقبرة

قال شوقي يرثي الأميرة فاطمة إسماعيل (١٩٢٠):

لَا يَنْفَعُ الْمَيِّتَ سَوَى صَالِحَةٍ مُدْخَرَةٍ
لا ينفع الميت سوى صالحة (عمل صالح) يدخرها لآخرته

فَاطِمُ! مَنْ يَوْلَدُ يَمُتُ الْمَهْدُ جَسْرُ الْمَقْبَرَةِ
يا فاطمة! كل من يولد يموت، فالمهد ما هو إلا جسر يوصل للمقبرة

وَكُلُّ نَفْسٍ فِي غَدٍ مَيِّتَةٌ فَمُنْشَرَةٌ
كل نفس ستموت غداً، ثم يأتي النشور (البعث)

وَأِنَّهُ مَنْ يَعْمَلِ الْـ خَيْرًا أَوْ الشَّرَّ يَرَهُ
وَأِنَّمَا يُنَبِّئُهُ الْـ غَافِلُ عِنْدَ الْفَرْغَةِ
الغافل الأحق لا يتنبه للخير والشر إلا عند الفرغة (لفظ النفس الأخير)

يَلْفِظُهَا حَنْظَلَةً كَانَتْ بِفِيهِ سُكْرَةً
يلفظ روحه مرة كالحنظلة؛ وقد كانت من قبل حلوة في فمه كالسكر

وَلَنْ تَزَالَ مِنْ يَدٍ إِلَى يَدِ هَذِي الْكُرَةِ

الحياة كالكرة، وستظل تنتقل من يد إلى يد

١٧٦ الشجاعة الحقّة

قال شوقي (١٩٢٠):

إِنَّ الشَّجَاعَ هُوَ الْجَبَانُ عَنِ الْأَذَى وَأَرَى الْجَرِيءَ عَلَى الشَّرِّ جَبَانًا

١٧٧ ليس بالقطن وحده

قال شوقي (١٩٢٠):

العَصْرُ حُرٌّ وَالشُّعُوبُ طَلِيْقَةٌ مَا لَمْ يَحْزُهَا الْجَهْلُ فِي أَرْسَانِهِ
العصر عصر حرية، والشعوب طليقة ما لم يحزها (يضمها) الجهل في أرسانه (الرسن: مقود الفرس)

أَيْنَ الزَّرَاعَةُ فِي جِنَانٍ تَحْتَكُمُ كَخِمَائِلِ الْفِرْدُوسِ أَوْ كَجِنَانِهِ
أين الزراعة في الجنان التي تعيشون فوقها والتي تشبه خمائل (بساتين) الفردوس

أَئِذَا أَصَابَ الْقَطْنَ كَاسِدُ سَوْقِهِ قُمْنَا عَلَى سَاقٍ إِلَى أُنْمَانِهِ
أئذا أصابت القطن السوق الكاسدة، قمنا على سيقاننا فزعاً نراقب بورصة القطن وأسعاره

يَا مَنْ لِسَعْبٍ رَزُوهُ فِي مَالِهِ أَنْسَاهُ ذِكْرَ مُصَابِهِ بِكِيَانِهِ
يا من ينقذ هذا الشعب الذي أنساه رزؤه (مصيبته) في ماله مصابه (مصيبته) في كيانه

الْمُلْكُ كَانَ وَلَمْ يَكُنْ قُطْنٌ، فَلَمْ يُغْلَبْ أَبَوْتُنَا عَلَى عُمرَانِهِ
كان لنا ملك ولم يكن القطن، فلم يفشل أبوتنا (آباؤنا) في تعمير الملك

الْفَاطِمِيَّةُ شَيَّدَتْ مِنْ عِرْزِهِ وَبَنَى بَنُو أَيُوبَ مِنْ سُلْطَانِهِ
الحكم الفاطمي شيد جزءاً من عز هذا الملك، وبنى الأيوبيون جانباً من سلطانه

بِالْقُطْنِ لَمْ يَرْفَعْ قَوَاعِدَ مُلْكِهِ فِرْعَوْنٌ، وَالْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ

وفرعون لم يرفع قواعد ملكه بالقطن، ومع ذلك فالهرمان من تشييده. يتابع شوقي المتنبي في الاكتفاء بهرمين، وهكذا صنع علي محمود طه في «الجدول». ورأيت مؤرخين عرباً فعلوا ذلك، «قال الحقولي في صفة مصر: وبها الهرمان اللذان ليس على وجه الأرض لهما نظير». على أن بمصر من الأهرام عدداً يزيد عن ٨١، ويوصله بعضهم إلى ١١٢. وقد زرت الأهرام مرة؛ جرتني صديقي إليها جراً لأنه «لا يجوز لإنسان أن يزور القاهرة ولا يزور أهرام الجيزة». كانت الحادية عشرة ليلاً، ونظرت إلى هرم خوفو فرأيت منبسطاً فاستصغرت، ربما لأنني متعود على البنايات الواقعة عمودياً. على أن كتابي يقول إن هرم خوفو أكبر بناء شيد الإنسان على وجه الدهر

١٧٨ القريض الأصيل

قال شوقي (١٩٢١):

الشَّعْرُ صِنْفَانِ: فَبَاقٍ عَلَى قَائِلِهِ، أَوْ ذَاهِبٌ يَوْمَ قِيلَ
الشعر صنفان: شعر يبقى أبد الدهر مفخرة لقائله، وشعر يتبخر يوم نظمه

مَا فِيهِ عَصْرِيٌّ وَلَا دَارِسٌ الدهرُ عُمُرٌ لِلْقَرِيضِ الْأَصِيلِ
ليس في الشعر عصري ودارس (قديم)، فالقريض (الشعر) الأصيل عمره طويل بطول الزمن، أي أنه خالد

١٧٩ النيل

قال شوقي (١٩٢١):

مِنْ أَيِّ عَهْدٍ فِي الْقَرْيَ تَتَدَقَّقُ وَيَأْيُ كَفَّ فِي الْمَدَائِنِ تُغْدِقُ
من أي عهد وأنت تتدقق في القرى أيها النيل؟ وبأي كف تغدق (تمنح) على المدن الخيرات
وَمِنْ السَّمَاءِ نَزَلَتْ، أَمْ فُجِّرَتْ مِنْ غُلْيَا الْجِنَانِ جَدَاوِلًا تَتَرَفَّرُقُ
وهل نزلت من السماء، أم تفجرت من الجنة على هيئة جداول تترقق

وَبِأَيِّ نَوَلٍ أَنْتَ نَاسِجٌ بُرْدَةً لِلضَّفَّتَيْنِ جَدِيدُهَا لَا يَخْلُقُ
وبأي نول (آلة النسج) تنسج بردة (ثوباً/ من النبات) لضفتيك، وهي جديدة دوماً لا تخلق (تهترئ)
دَيْنُ الْأَوَائِلِ فِيكَ دَيْنٌ مُرَوِّعٌ لِمَ لَا يُؤْلَهُ مَنْ يَقُوتُ وَيَرْزُقُ
دين القدماء الذين عبدوك دين مروءة وعرفان، فلم لا يؤله من يقوت (يطعم) ويرزق الناس!
مُتَقَيِّدٌ بِعَهْدِهِ وَوَعْدِهِ يَجْرِي عَلَى سَنَنِ الْوَفَاءِ وَيَضْدُقُ
النيل متقيد بوعوده فيفيض في مواسمه جارياً على سَنَنِ (طريقة) الوفاء

وَلِمَنْ هِيَ أَكَلُ قَدْ عَلَا الْبَانِي بِهَا بَيْنَ الثَّرِيَّا وَالْثَرَى تَتَنَسَّقُ
ولمن هذه الهياكل التي شيدها بُنائها؟ وهي منسقة واحداً بعد الآخر وتبدو، لارتفاعها، كالمعلقة
بين التراب ونجوم الثريا

مِنْهَا الْمَشِيدُ كَالْبُرُوجِ، وَبَعْضُهَا كَالطَّوْدِ مُضْطَجِعٌ أَشْمٌ مُنْطَقٌ
منها ما هو كالبروج العالية، ومنها ما هو منبطح مفلطح كالجبل الأشم (العالي) المنطق (المحلّى)
بنطاق أي حزام/ربما من السحب أو الشجر
أهو يشير إلى هرم منقرع وحوله حزام من ثلاثة أهرام صغيرة، أم إلى كل هرم تبدو حجارتها
كالنطاق الملتف عليه؟

جُدُّ كَأَوَّلِ عَهْدِهَا، وَحَيَالُهَا تَتَقَادِمُ الْأَرْضُ الْفُضَاءُ وَتَعْتَقُ

هذه الهياكل تبدو جديدة، وحيالها (بجانبيها) الأرض الفضاء (الفسحة) تتقدم وتصبح عتيقة

مِنْ كُلِّ ثِقَلٍ كَاهِلُ الدُّنْيَا بِهِ تَعِيبُ، وَوَجْهُ الْأَرْضِ عَنْهُ ضَيِّقُ

هذه الهياكل مكونة من كل ثقل يتعب منه كاهل (ظهر) الأرض، ويضيق به وجهها

مَتَمَكَّنٌ كَالطُّودِ أَصْلًا فِي الثَّرَى، وَالْفَرْعُ فِي حَرَمِ السَّمَاءِ مُحَلَّقُ

هذا الثقل أصله (قاعدته) متمكن في الثرى (التراب) كالطود (الجبل)، وأما فرعه (رأسه) فمحلق في حرم السماء (والسماء محرمة على الإنسان لعدم الجناح، فهي إذن حرم)

هِيَ مِنْ بِنَاءِ الظُّلَمِ، إِلَّا أَنَّهُ يَبْيَضُّ وَجْهُ الظُّلَمِ مِنْهُ وَيُشْرِقُ

هذه الهياكل بناء مؤسس على الظلم والسخرة، لكنها مفخرة تُحَسِّنُ وجه الظلم لعظمتها

وَنَجِيَّةٌ بَيْنَ الطُّفُولَةِ وَالصَّبَا عِذْرَاءُ تَشْرَبُهَا الْقُلُوبُ وَتَعْلَقُ

وربَّ فتاة نجية بين سن الطفولة والصبا، أنيسة حتى لتشربها القلوب وتعلقها (تعشقها)

كَانَ الزَّفَافُ إِلَيْكَ غَايَةً حَظًّا وَالْحِظُّ إِنْ بَلَغَ النِّهَايَةَ مُوَبِّقُ

هذه الفتاة كانت نهاية حظها أن رُفَّتْ إليك، والحظ إن بلغ بالإنسان النهاية موبق (ميت)

فِي كُلِّ عَامٍ دُرَّةٌ تُلْقَى بِلا ثَمَنِ إِلَيْكَ، وَحُرَّةٌ لَا تُصَدَّقُ

في كل عام كان قدماء المصريين يلقون إليك أيها النيل بنتاً كالدرة بلا مقابل، ويعطونك امرأة حرة لا تُصدَّق (لا تأخذ مهرأ)

والحرة من النساء لها صداق، والأمة المسكينة صداقها عتقها في قول من قال ذلك

وَالْمَجْدُ عِنْدَ الْغَانِيَاتِ رَغِيْبَةٌ يُبْعَى كَمَا يُبْعَى الْجَمَالُ وَيُعَشَّقُ

والحسان يرغبن في المجد، وهن يسمعن إليه سعيهن إلى الجمال (التجمل) . . والتجمل

مَا أَجْمَلَ الْإِيمَانَ لَوْلَا ضِلَّةٌ فِي كُلِّ دِينٍ بِالْهَدَايَةِ تُلْصَقُ

الإيمان جميل لولا ضلة (خرافة) في كل دين تلتصق بالهداية

مَجْلُوءَةٌ بِالْفُلْكِ يَحْدُو فُلُكُهَا بِالشَّاطِئِينَ مُزْغَرِدٌ وَمُصَفَّقُ

وهذه الفتاة مجلوة (مزينة) في الفلك (السفينة) ويحدو (يغني) للسفينة على الشاطئ المزغردون والمصفقون

أَلَقْتُ إِلَيْكَ بِنَفْسِهَا وَنَفْسِهَا وَأَتَتْكَ شَيْقَةً حَوَاهَا شَيْقُ

ألقت إليك الفتاة بنفسها وبما عليها من نفيس الجواهر، وجاءتك مشتاقة للموت في سبيل المجد، وأنت تبتلعها مشتاقاً إليها

خَلَعْتَ عَلَيْكَ حَيَاءَهَا وَحَيَاتَهَا أَأَعَزُّ مِنْ هَذَيْنِ شَيْءٍ يُنْفَقُ
أعطتك حياءها وحياتها، فهل هناك أعز من هذين؟

قَوْمٌ وَقَارُ الدِّينِ فِي أَخْلَاقِهِمْ وَالشَّعْبُ مَا يَعْتَادُ أَوْ يَتَخَلَّقُ
المصريون تأصل في أخلاقهم وقار الدين، والشعب هو ما يعتاده ويتخلق به من أخلاق

أَصْلُ الْحَضَارَةِ فِي صَعِيدِكَ ثَابِتٌ وَنَبَاتُهَا حَسَنٌ عَلَيْكَ مُخَلَّقٌ
أيها النيل أصل الحضارة ثابت في صعيدك (ترايبك)، ونبات هذه الحضارة من هياكل وأهرام زين
لك مخلوق (مطيب بالخلق وهو من الزعفران)

وودائعُ الفاروقِ عندَكَ دِينُهُ وَلِوَاءُهُ وَبَيَانُهُ وَالْمَنْطِقُ
وقد أودع الفاروق عمر بن الخطاب عندك دينه (الإسلام) ولواءه (حُكْمَه) وبيانه ومنطقه (لغته/ اللغة
العربية)

بَعَثَ الصَّحَابَةَ يَحْمِلُونَ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ مَا يُحْيِي الْعُقُولَ وَيَفْتُقُ
بعث الفاروق الصحابة يفتحون مصر، وحملوا إليها الدين الذي أحيا العقل وفتح اللسان باللغة
العربية

يَبْنُونَ لِلَّهِ الْكِنَانَةَ بِالْقَنَا وَاللَّهُ مِنْ حَوْلِ الْبِنَاءِ مُوَفَّقٌ
ينون بالقنا (بالرماح) الكنانة (مصر) لله بعد أن كانت لألهة أخرى، والله يحوطهم ويوفقهم
وَالْفَتْحُ بَغْيٌ لَا يَهْوُنُ وَقَعَهُ إِلَّا الْعَفِيفُ حَسَامُهُ الْمَتَرَفُّ
الفتح ظلم، ولكن ما هوته عفة الحسام وترفق الفاتحين بأهل البلد

مَا كَانَتِ الْفُسْطَاطُ إِلَّا حَائِطًا يَاوِي الضَّعِيفُ لِرُكْنِهِ وَالْمُرْهَقُ
ولم تكن الفسطاط (وهي أول ما اختط عمرو بن العاص بمصر من مدائن) إلا جداراً يحتمي به كل
ضعيف أرهاقه ضرائب البطالسة

وَبِهِ تَلَوْدُ الطَّيْرِ فِي طَلَبِ الْكُرَى وَبَيْتٌ قَيْصَرُ وَهُوَ مِنْهُ مُؤَرَّقٌ
وحتى الطير تلود (تلجأ) بهذا الجدار طلباً للكرى (النوم)، وأما قيصر البطالسة فيبت بسبب بناء
الفسطاط مؤرقاً (سأهراً قلقاً)

لِي فِيكَ مَدْحٌ لَيْسَ فِيهِ تَكْلُفٌ أَمَلَاهُ حُبٌّ لَيْسَ فِيهِ تَمَلُّقٌ
أمدحك أيها النيل بلا تكلف، ويملي هذا المدح علي حب ليس فيه تملق

مِمَّا يُحْمَلُنَا الْهَوَى لَكَ أَفْرُخٌ سَنَطِيرُ عَنْهَا وَهِيَ عِنْدَكَ تُرَزَّقُ
والذي يحملنا بالحب لك أبنائنا الذين سنموت ونتركهم ورزقهم عليك

تهفو إليهم في الترابِ قلوبُنَا وتكادُ فيه بغيرِ عِرْقٍ تَحْفَقُ
تهفو (تتحرك) قلوبنا ونحن موتى في الترابِ إشفاقاً على أبنائنا، وتكاد قلوبنا الميتة تخفق بلا
عروق

تُرَجِّى لَهُمْ، وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ مَنَّا وَمِنْكَ بِهِمْ أَبْرٌ وَأَرْفَقُ
وأنت المرجو لهؤلاء الأبناء؛ والله أبرُّ وأرفق بهم منا ومنك

فَاحْفَظْ وَدَائِعَكَ الَّتِي اسْتَوْدَعْتَهَا أَنْتَ الْوَفِيُّ إِذَا أُؤْتِمِنْتَ الْأَصْدَقُ
فاحفظ يا نيل ما استودعناك من ودائع، أي أبنائنا، فأنت الوفي

١٨٠ نشيد مصر

قال شوقي:

بَنِي مِصْرٍ مَكَانُكُمْ تَهْيَا فَهَيَّا مَهْدُوا لِلْمَلِكِ هَيَّا
يا بني مصر! مكانكم تهيأ، فمهّدوا للملك

حُذُوا شَمْسَ النَّهَارِ لَهُ حُلِيًّا أَلَمْ تَكُ تَاجَ أَوْلِكُمْ مَلِيًّا
وخذوا الشمس حلية لملككم، فقد كان قرص الشمس تاج الفراعنة ملياً (طويلاً).
ويصر العقاد، ويتبعه مصطفى صادق الرافعي، على أن قرص الشمس لم يكن قط
حلية لتاج مصر بل معبود وحسب. وقد قص علينا العقاد في كتاب الديوان قصة
طويلة عن ظروف فوز هذا النشيد بجائزة اللجنة المشكلة لاختيار كلمات نشيد وطني.
وهو ينقد كل حرف فيه، وقال في نقده للبيت الأول: «فمن الذي يأمر المصريين هنا
ويناقدونهم هذه المناقشة؟ أأجنبي يخاطبهم؟»

١٨١ تحرك أبا الهول

قال شوقي (١٩٢١):

أَبَا الْهَوْلِ! طَالَ عَلَيْكَ الْعُصْرُ وَبُلُغْتَ فِي الْأَرْضِ أَقْصَى الْعُمُرِ
يا أبا الهول طال عليك العصر (الزمان)، وبُلُغْتَ الله عمراً طويلاً

فِيَا لِدَةَ الدَّهْرِ! لَا الدَّهْرُ شَبٌّ وَلَا أَنْتَ جَاوَزْتَ حَدَّ الصَّغَرِ
فيا لدة الدهر (رفيق الدهر/ الذي ولد معه)، لا الدهر بلغ شبابه، ولا أنت تجاوزت طفولتك

إِلَامَ رَكُوبِكَ مَتْنِ الرَّمَالِ لَطَيَّ الْأَصِيلِ وَجُوبِ السَّحَرِ
إلام (إلى متى) تظل راكباً متن (ظَهَرَ) الرمال لكي تطوي الأصيل (الغروب) وتجوب وقت السحر
(قبيل الفجر)

تُسَافِرُ مُنْتَظِلًا فِي الْقُرُونِ فَأَيَّانَ تُلْقِي غِبَارَ السَّفَرِ
وبهذا الطي والجوب تسافر في القرون وأنت ماكت مكانك؛ فأيان (فتى) تنفض عنك غبار السفر
وتصل إلى غايتك؟

أَبَيَّنَكَ عَهْدُ وَبَيْنَ الْجِبَالِ تَزُولَانِ فِي الْمَوْعِدِ الْمُنتَظَرِ
هل بينك وبين الجبال عهد ألا تزولا إلا معاً في الموعد المنتظر (يوم القيامة)

أَبَا الْهَوْلِ مَاذَا وَرَاءَ الْبَقَاءِ إِذَا مَا تَطَاوَلَ غَيْرُ الضَّجَرِ
يا أبا الهول! ماذا بعد طول البقاء سوى الضجر؟

عَجِبْتُ لِلْقِمَانِ فِي حَرْصِهِ عَلَى «لَبْدٍ» وَالنَّسُورِ الْآخِرِ
عجبت للقمان الحكيم في حرصه على البقاء، فقد أعطي عمراً بعمر سبعة نسور متعاقبة، وكان
آخرها النسر «لبد» وكان عليه حريصاً

وَشَكْوَى «لَبِيدٍ» لِطُولِ الْحَيَاةِ وَلَوْ لَمْ تَطُلْ لَتَشَكَّى الْقِصَرِ
وعجبت لشكوى «لبيد» الشاعر من طول الحياة، ولو لم تكن حياته طويلة لاشتكى قصرها

وَلَوْ وُجِدَتْ فِيكَ يَا ابْنَ الصَّفَاةِ لَحِقَتْ بِصَانِعِكَ الْمُفْتَدِرِ
ولو وجدت الحياة فيك يا أبا الهول يا ابن الصفاة (الصخرة)، لكنت لحقت بصانعك المقتدر الذي
نحتك ومات

فَإِنَّ الْحَيَاةَ تَفُلُّ الْحَدِيدَ إِذَا لَبَسْتُهُ، وَتُبْلِي الْحَجَرَ
فالحياة تفل الحديد إذا لبسته (لزمته)، وتبلي (تهراً) الحجر

كَأَنَّ الرَّمَالَ عَلَى جَانِبَيْكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ ذُنُوبُ الْبَشَرِ
كَأَنَّكَ فِيهَا لَوَاءُ الْقَضَاءِ عَلَى الْأَرْضِ أَوْ دِيدْبَانُ الْقَدَرِ
كَأَنَّكَ فِي الرمال لواء (علم) القضاء، أو ديدبان (حارس) القدر

فَحَدَّثَ فَقَدْ يُهْتَدَى بِالْحَدِيثِ وَخَبَّرَ فَقَدْ يُؤْتَسَى بِالْخَبَرِ
فحدثنا بما مر بك فقد يُهتدى بحديثك، وخبرنا فقد يؤتسى (يُتَعَطَّ) بما تخبر

أَلَمْ تَبْلُ فِرْعَوْنَ فِي عِزِّهِ إِلَى الشَّمْسِ مُعْتَزِيًّا وَالْقَمَرِ
ألم تبل (تختبر) فرعون في أيام عزه وهو يعتري (يتسبب) إلى الشمس والقمر، فهو ابن إلهي
الشمس والقمر

وراعَكَ ما راعَ مِنْ خيلٍ قَمْبِيهٍ زَرَّ تَرْمِي سَنابِكُها بالسَّـرَرِ
وقد راعك (أخافك) ما راعك من خيل قمييز ملك الفرس التي راحت سنابكها (أطراف حوافرها)
ترمي الشرر إذ ترتطم بالصخور

وأَبْصَرْتَ إِسْكَندَرًا فِي المَلا قَشِيبَ العُلا فِي الشَّبَابِ النَّضِرِ
وأبصرت الإسكندر في الملا (في الجمع من جنوده) وهو قشيب (جديد) العلا (المجدد)، وكان في
شبابه النضر

تَبَلَّجَ فِي مِصرَ إِكْلِيلُهُ فلم يَغْدُ فِي المُلْكِ عُمَرَ الزَّهَرِ
تبلج (أشرق) في مصر إكليله، ثم لم يَغْدُ (يتجاوز) في الملك عمر الأزهار
وشاهَدَتْ قَيْصَرَ كَيْفَ اسْتَبَدَّ وكيف أَذَلَّ بِمِصرَ القَصَرَ
القَصْرُ: (الرقاب)

وكيف تَجَبَّرَ أَعْوانُهُ وَساقُوا الخلائِقَ سَوَقَ الحُمُرِ
ورأيت كيف تجبر أعوان قيصر الرومان وساقوا الناس سوق الحمير

وكيف ابْتُلُوا بِقَلِيلِ العَدِيدِ مِنْ الفاتِحِينَ كَرِيمِ النَّفَرِ
وكيف ابتلي هؤلاء الأعوان من الرومان بالعدد القليل من الفاتحين، وهذا العديدُ كريمٌ نفراً
رَمَى تاجَ قَيْصَرَ رَمَيِ الزُّجَاجِ وَقَلَّ الجُمُوعَ وَثَلَّ السُّرُرِ
هذا العديد القليل من الفاتحين رمى تاج قيصر فانكسر كأنه الزجاج، وفوق الجموع وثلَّ (هدم)
السُّرُرَ (العروش/فسرير الحكم هو العرش)

فَدَعُ كُلَّ طاعِيَةٍ لِلزَّمانِ فَإِنَّ الزَّمانَ يُقِيمُ الصَّعَرَ
فاترك يا أبا الهول كل طاعية للزمان، فالزمان يقيم (يقوم) الصَّعَرَ (ميل الرؤوس/والمتكبر يُميل
رأسه ميلاً خفيفاً)

أَبا الهولِ لو لم تَكُنْ آيَةً لكانَ وفاؤُكَ إِحدى العِبرِ
ولو لم تكن أنت آية (برهاناً) لكان وفاؤك عبرة

أَظَلَّتْ عَلى الهَرَمَيْنِ الوُقُوفَ كَشاكِلَةٍ لا تَريمُ الحُفَرَ
فمن وفائك وقوفك طويلاً بجانب الهرمين كأنك المرأة الفاقد التي لا تريم (تبتعد) عن الحُفَرِ التي
دفن في إحداها ابنها

تُرَجِّي لِبانِيهِما عَوْدَةً وكيف يَعودُ الزَمِيمُ النَّخِرِ
وأنت قاعد بجانبهما كأنك تُرَجِّي (ترجو) لَمَنْ بناهما عودة للحياة، وكيف يعود الجثمان الرميم
(البالي) النخر (المنخور الأجوف)

فَهَلْ مَنْ يُبْلَغُ عَنَّا الْأُصُولُ بِأَنَّ الْفُرُوعَ اقْتَدَتْ بِالسَّيْرِ
 فهل ثمة من يبلغ الأصول (الأجداد) بأن الفروع (الأحفاد) اقتدوا بسيرة أجدادهم
 وَلَمْ تَفْتَخَرْ بِأَسَاطِيلِهَا وَلَكِنْ بِدُسُتُورِهَا تَفْتَخِرْ
 وأن الأحفاد لم يفتخروا بأساطيلهم بل بدستورهم

تَحَرَّكَ أبا الهول! هذا الزمان تَحَرَّكَ ما فيه حتَّى الحجر

١٨٢ الضاد سر الجمال

قال شوقي في حفل ترحيب بأمين الريحاني (١٩٢٢):

إِنَّ الَّذِي مَلَأَ اللُّغَاتِ مَحَاسِنًا جَعَلَ الْجَمَالَ وَسْرَهُ فِي الضَّادِ

١٨٣ سماح لضيق الوقت

قال شوقي (١٩٢٢):

اغْفِرْ لِحَاسِدِ نَعْمَةٍ بِالْأَمْسِ نَالَكَ، أَوْ وَقَعِ
 وقع: وقع فيك، أي ذمك ونال منك

ما في الحياةِ لَإَنَّ تُعَا تَبَّ أَوْ تُحَاسِبَ مُتَسَعِّفٌ

١٨٤ دستور وبرلمان

جاء نصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ لبلغي الحماية عن مصر، ويعترف بها مملكة مستقلة، ذات سيادة، مع احتفاظ بريطانيا بالدفاع عنها وعن السودان في حال التدخل الأجنبي. أما الاستقلال فقد أعلن رسمياً في ١٥/٣/١٩٢٣ وشكلت لجنة من ٣٠ مصرياً بارزاً لوضع الدستور. قال أحمد شوقي في نصريح إلغاء الحماية (١٩٢٢):

أَعِدَّتِ الرَّاحَةُ الْكَبِيرَى لِمَنْ تَعَبَا وَفَازَ بِالْحَقِّ مَنْ لَمْ يَأْلُهُ طَلَبَا
 لم يأله طلباً: لم يقصُر في طلبه

لَا تُثَبِّتِ الْعَيْنُ شَيْئًا أَوْ تَحَقُّقُهُ إِذَا تَحَيَّرَ فِيهَا الدَّمْعُ وَاضْطَرَبَا
 لا تبصر العين بوضوح إذا تفرق فيها الدمع، وكذلك فإن الإنسان المتفعل لا يكون ذهنه واضحاً
 وَالصَّبْحُ يُظْلِمُ فِي عَيْنِكَ نَاصِعُهُ إِذَا سَدَلْتَ عَلَيْكَ الشُّكَّ وَالرَّيْبَا
 والصبح الناصع يصبح ظلاماً في عينك إذا سدلّت (أنزلت) على نفسك الرّيب (الشكوك)

إذا طلبتَ عظيماً فاصْبِرَنَّ لَهُ أو فاحْشُدَنَّ رِمَاحَ «الْخَطِّ» وَالْقُضْبَا
إذا أردتَ تحقيقَ أمرٍ عظيمٍ فعليك بالصبر، أو بحشد رماح «الخط» (الرماح المنسوبة إلى مرفأ
«الخط» في البحرين) وَالْقُضْب (السيوف)

ولن تَرَى صُحْبَةً تُرْضَى عَوَاقِبُهَا كالحقِّ والصبرِ في أمرٍ، إذا اصطَحَبَا
ولن تجد صحبة ترضيك عواقبها (نتائجها) كاصطحابك الحق والصبر معاً

لا تَعْدُمُ الْهِمَّةُ الْكِبْرَى جَوَائِزَهَا سَيَّانٍ: مَنْ غَلَبَ الْأَيَّامُ أَوْ غُلِبَا
لا تعدم (لا تفتقد) الهمة الكبيرة جوائزها (ثمراتها)، ويستوي في ذلك من حقق النصر على مصائب
الأيام أو من هُزم

وكلُّ سَعْيٍ سَيَجْزِي اللَّهُ سَاعِيَهُ هيهات يذهب سَعْيُ الْمُحْسِنِينَ هَبَا
هبا: هباء

لم يُبْرَمِ الْأَمْرُ، حَتَّى يَسْتَبِينَ لَكُمْ أَسَاءَ عَاقِبَةً أَمْ سَرَّ مُنْقَلَبَا
لم يتم إبرام الأمر (نيل السيادة) بعد، ولذلك لم يستين (لم يظهر) لكم بعد هل عاقبته (نتيجته) سيئة
أم سارة

تَمَهَّدَتْ عَقَبَاتٌ غَيْرُ هَيِّنَةٍ تلقى ركابُ السُّرى مِنْ مِثْلِهَا نَصْبَا
تمهدت حتى الآن عقبات (طرق جبلية صعبة) غير سهلة، وهي عقبات تلاقي ركابُ السُّرى (الإبلُ
السائرة ليلاً) من أشباهها نصباً (نعباً)

وَأَقْبَلْتُ عَقَبَاتٌ لَا يُذَلِّلُهَا، فِي مَوْقِفِ الْفَصْلِ، إِلَّا الشَّعْبُ مُنْتَجِبَا
وأقبلت علينا عقبات أخرى لا يذللها (يسهلها) في موقف الفصل إلا الشعب عندما يتنخب مثليه

إِذَا رَأَيْتَ الْهَوَى فِي أَمَةٍ حَكَمًا فَاحْكُمْ هُنَالِكَ أَنَّ الْعَقْلَ قَدْ ذَهَبَا
إذا رأيت الهوى (المصلحة الشخصية) متحكماً في أمة فاحكم عندئذ بأن عقلها قد ذهب

قَالُوا: الْحِمَايَةُ زَالَتْ، قُلْتُ: لَا عَجَبٌ بَلْ كَانَ بَاطِلُهَا فَيْكُمْ هُوَ الْعَجْبَا
قالوا: الحماية البريطانية زالت، فقلت: لا عجب في ذلك، بل العجب كان وجود هذا الباطل

يَا ابْنَ السَّنَا عَالِيَا، وَالْعَزُّ مُمْتَنِعَا وَالبَّاسُ مُحْتَدِمَا، وَالْعُرْفُ مُنْسَكِبَا
يا ابن السنا (الشرف)، وابن العز المصون، وابن البأس المحتدم (المتقد)، والعرف (المعروف) المتدفق ..

بَاءَ الْمُلُوكَ بِهَذَا التَّاجِ، إِنَّ لَهُ فِي جَوْهِرِ الشَّمْسِ، لَا فِي النَّاسِ، مُتَّسِبَا
باء (قم بالمباهاة) الملوك بتاج مصر، فهو تاج يرجع في نسبه إلى جوهر (أصل) الشمس وليس إلى
الناس، والشمس معبود الفراعنة

وَتَهُ عَلَيْهِمْ بِعَرْشٍ غَيْرِ ذِي لِدَةٍ مِنْ عَهْدٍ «خَوْفُو» عَلَى الْمَاءِ اسْتَوَى عَجَبًا
وَتَهُ (لَكَ أَنْ تَتَبَّهَ وَتَفْخَرُ) عَلَى الْمُلُوكِ بِعَرْشٍ لَيْسَ لَهُ لِدَةٌ (مِثْلُ)، وَهُوَ عَرْشُ اسْتَوَى (اسْتَقَرَّ مُسْتَوِيًّا)
عَلَى الْمَاءِ (النَّيْلِ) مِنْ عَهْدٍ «خَوْفُو»

وَإِنْ لِلْمَجْدِ آفَاتٌ إِذَا جُمِعَتْ وَجَدْتَهُنَّ اثْنَتَيْنِ: الْحَقْدَ وَالْغَضْبَا
وَلِلْمَجْدِ آفَاتٌ (عُيُوبٌ) تَتَلَخَّصُ فِي عَيْنَيْنِ: الْحَقْدُ وَالْغَضَبُ

إِنْ سَرَّكَ الْمُلْكُ تَبْنِيهِ عَلَى أُسْوَاسٍ فَاسْتَنْهَضِ الْبَانِيَيْنِ: الْعِلْمَ وَالْأَدْبَا
اسْتَنْهَضَ (ادْفَعْ لِلنَّهْوَضِ) الْعَنْصَرَيْنِ اللَّذَيْنِ يَبْنِيَانِ الْمُلْكَ وَهُمَا الْعِلْمُ وَالْأَدَبُ

وَارْفَعْ لَهُ مِنْ بِنَاءِ الْحَقِّ قَاعِدَةً وَمُدًّا مِنْ سَبَبِ الشُّرَى لَهُ طُنْبًا
وَارْفَعْ لِلْمُلْكِ قَاعِدَةً هِيَ الْحَقُّ، وَمُدًّا لَهُ مِنْ سَبَبِ (حَبْلِ) الشُّرَى طُنْبًا (حَبَالُ الْخِيَمَةِ)، فَكَانَ الْمُلْكُ
خِيَمَةً أَرْضَهَا الْحَقُّ وَالْحَبَالُ الَّتِي تُشَدُّهَا هِيَ الشُّرَى

دَارُ النِّيَابَةِ قَدْ صُفِّتْ أَرَائِكُهَا لَا تُجْلِسُوا فَوْقَهَا الْأَحْبَارَ وَالْخَشَبَا

دَارُ مَجْلِسِ النُّوَابِ اكْتَمَلَتْ وَصُفِّتْ فِيهَا الْأَرَائِكُ (الْمَقَاعِدُ)، فَلَا تُجْلِسُوا فَوْقَهَا الْجَهْلَةَ
الَّذِينَ هُمْ كَالْحَجَارَةِ وَالْخَشَبِ. الْبِرْلَمَانُ الْمِصْرِيُّ الْأَوَّلُ افْتَتَحَ فِي ١٥/٣/١٩٢٤،
كَانَ النُّوَابُ ٢١٤، وَالشُّيُوخُ ١١٩، وَأَمَامَهُ حَلَفَ الْمُلْكُ الْمَمْدُوحُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ
أَحْمَدُ فُؤَادُ الْيَمِينِ: «أَحْلَفَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ أَنْ أَحْتَرِمَ الدِّسْتُورَ وَقَوَانِينِ الْأُمَّةِ الْمِصْرِيَّةِ،
وَأَحَافِظُ عَلَى اسْتِقْلَالِ الْوَطَنِ وَسَلَامَةِ أَرْضِيهِ». وَكَانَ رَئِيسُ الْوُزَرَاءِ آنَئِذٍ سَعْدُ زَغَلُولُ

١٨٥ رثاء كارنارفون

يُرِثُنِي شَوْقِي لِلْوَرْدِ كَارْنَارْفُونِ، الَّذِي مَوَّلَ كَشْفَ مَقْبَرَةِ تَوْتِ عَنخِ آمُونِ، بَيْنَمَا قَامَ بِالْحَفْرِ
وَالْبَحْثِ الْأَثَارِيِّ هُوَارْدُ كَارْتِرْ، وَحَدَّثَ الْكَشْفَ فِي ٤/١١/١٩٢٢. وَمَاتَ كَارْنَارْفُونُ
بَعْدَ الْكَشْفِ بِأَسَابِيعٍ مِنْ بَعْوِضَةِ لَسَعَتِهِ بِأَسْوَانٍ فِي الصَّعِيدِ. وَكَانَتْ بَرِيطَانِيَا الَّتِي تَحْتُلُ
مِصْرَ أَعْطَتْ كَارْنَارْفُونِ امْتِيَازَ التَّنْقِيبِ فِي وَادِي الْمُلُوكِ. (١٩٢٣):

فِي الْمَوْتِ مَا أَعْيَا وَفِي أَسْبَابِهِ كُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ بِطَبِّي كِتَابِهِ
فِي الْمَوْتِ مَا أَتَعَبَ (أَعْيَا) الْفِكْرَ، وَكَذَا فِي أَسْبَابِ حَدُوثِ الْمَوْتِ؛ وَالْمَرْءُ مَرْهُونٌ بِطَبِّي
(بِمَضْمُونِ) كِتَابِهِ (قَدَّرَهُ)

إِنْ نَامَ عَنْكَ فَكُلُّ طِبِّ نَافِعٌ أَوْ لَمْ يَنْمَ فَالطَّبُّ مِنْ أَذْنَابِهِ

إِنْ نَسِيتَ الْمَوْتَ ظَنَنْتَ الطَّبَّ نَافِعًا، وَإِنْ تَذَكَّرْتَ الْمَوْتَ فَكَانَ الطَّبُّ - وَأَخْطَاءُ الْأَطْبَاءِ - مِنْ أَذْنَابِهِ
(مِنْ أَعْوَانِ الْمَوْتِ)

داء النفوس، وكلُّ داءٍ قبلَهُ هُم نَسِيَنَ مَجِيئَهُ بِذَهَابِهِ
الموت هو مرض النفوس الحقيقي، وكل مرض يلم بالنفوس قبل الموت هو مجرد هم تنسى
النفوس مجيئه فور ذهابه

وشِفَاءُ هذِي الرُّوحِ مِنْ آلامِهَا ودَوَاءُ هَذَا الجِسْمِ مِنْ أَوْصَابِهِ
والموت أيضاً شفاء، فهو يخلص الروح من آلامها، ويخلص الجسم من أوصابه (أوجاعه)، إذ لا
مرض بعد الموت

مَنْ سَرَّهُ أَلَّا يَمُوتَ . . فَيَالْعُلَا خَلَدَ الرِّجَالُ، وَيَالْفَعَالِ النَّابِ
من أحب أن لا يموت، فإن الرجال يخلدون بالعلا (بالمجد) وبالفَعَالِ الناب (بالأفعال الحسنة
الذائعة الصيت)

مَا مَاتَ مَنْ حَازَ الثَّرَى آثَارَهُ وَاسْتَوْلَتِ الدُّنْيَا عَلَى آدَابِهِ
لم يمت من له في التراب آثار، ومن تخاطفت الدنيا آدابه، كتوت عنخ آمون

هَذَا فَتَى يَمْشِي عَلَيْهِ مُجَدِّدًا دِيْبَاجَتِيهِ، مَعْمَرًا بَحْرَابِهِ
ها هو فتى (اللورد كارنارفون) يمشي فوق تراب المدفن مجدداً ذكر توت عنخ آمون وكاشفاً وجهه
للعالم مجدداً ديباجتيه (خُدْيَه)، ومعمراً مدفته الذي كان مطموراً

صَادَتْ بِقَارَعَةِ الصَّعِيدِ بَعُوضَةٌ فِي الْجَوِّ صَائِدٌ بَازٍ وَعُقَابُهُ
صادت بعوضة في قارعة (وسط) الصعيد ذلك الرجل الذي صاد باز توت عنخ آمون
وعقابه (والباز والعقاب طيران من الجوارح)، والطير الجارح من شعارات ملوك مصر
القدماء

لَا تَسْمَعَنَّ لِعُصْبَةِ الْأَرْوَاحِ مَا قَالُوا بِبَاطِلٍ عِلْمِهِمْ وَكِبَادِهِ
لا تأبه لما قالت عصابة الأرواح (جماعة قالوا إن كارنارفون لحقته لعنة الفراعنة وطاردته
أرواحهم)، فما قالوه باطل وكذاب (كذب)

الرُّوحُ لِلرَّحْمَنِ جَلٌّ جَلَالُهُ هِيَ مِنْ صَنَائِنِ عِلْمِهِ وَغِيَابِهِ
فالروح لله، وهي من صنائن علمه (الفائس المخبأة). فالروح من أمر ربي

أَفْضَى إِلَى خَتْمِ الزَّمَانِ فَقَضَهُ وَحَبَا إِلَى التَّارِيخِ فِي مُحَرَابِهِ
أفضى (وصل) كارنارفون إلى ختم الزمان ففضه (كسره) فانفتح له الزمان، وحبا (زحف) إلى
التاريخ في محرابه (أهم موضع منه)

وطوى القرون القَهْقَرى حَتَّى أَتَى فِرْعَوْنَ بَيْنَ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ

وطوى القرون القَهْقَرى (إلى الخلف)، حتى أتى فرعون مسجى وعن جانبيه الطعام والشراب. وكان يوضع في مدافن ملوك مصر طعام وشراب، ومدفن توت عنخ آمون مدفن بكر لم يهتد إليه اللصوص القدماء، وعندما اكتشف كانت فيه كل محتوياته، وجاءت بعدئذ لصوصية المستعمر الجديدة. والبيتان الماضيان (أفضى.. وطوى) قال فيهما حافظ إبراهيم، على ذمة زكي مبارك، «قتلني شوقي بهذين البيتين»

أَخْرَجَتْ مِنْ قَبْرِ كِتَابِ حَضَارَةٍ الْفَنِّ وَالْإِعْجَازَ مِنْ أَبْوَابِهِ

يا كارنارفون أخرجت من قبر أشياء هي بمثابة كتاب حضارة؛ وإن الفن والإعجاز (كالتحنيط، ودقة الصنعة) من أبواب (فصول) هذا الكتاب

فَرَفَعْتَ رُكْنًا لِلْقَضِيَّةِ، لَمْ يَكُنْ سَحْبَانٌ يَرْفَعُهُ بِسِحْرِ خِطَابِهِ

فدعمت بذلك قضيتنا الوطنية بركن مكين، لم يكن خطيب العرب (سحبان) ليرفع هذا الركن ببلاغته. فبهذا الاكتشاف يتقن العالم أن مصر بلد مُعْرِق في الحضارة، ولا يجوز أن يستمر احتلاله

١٨٦ نبل أخلاق

قال شوقي يرثي سعيد زغلول ابن أخت سعد زغلول (١٩٢٣):

لَمْ يَكُنْ فِي غُلُوِّهِ ضَيْقُ الْفُصْدِ رِ، وَلَا كَانَ عَاجِزًا فِي اعْتِدَالِهِ
لَمْ يَكُنْ فِي غُلُوِّهِ (مبالفته) ضيق الصدر بمخالفه، ولم يكن في اعتداله عاجزًا

لَا يِعَادِي وَيَتَّقِي أَنْ يُعَادَى وَيُخَلِّي سَبِيلَ مَنْ لَمْ يُؤَالِهِ
لَا يِعَادِي النَّاسَ وَيَتَّقِي (يتجنب) أَنْ يِعَادِيهِ النَّاسَ، وَلَا يَشْغِبُ عَلَى مَنْ لَمْ يُؤَالِهِ (لم يناصره)

١٨٧ سرقة الآثار

قال شوقي في الكشف عن مقبرة توت عنخ آمون (١٩٢٣):

قَفِي يَا أُخْتَ «يُوشَعَ» خَبَرِينَا أَحَادِيثَ الْقُرُونِ الْغَابِرِينَ (الماضين).
وسمى الشمس «أخت يُوشَعَ» لأن نبي اليهود المحارب «يوشع بن نون» أراد القضاء على أعدائه قبل غروب الشمس والدخول في السبت المحرم فيه القتال، وعندما جنحت للغروب أمرها الرب.. «فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل» - يَشُوع/أصحاح ١٠، آية ١٣ -، وقضى عليهم

وَقُصِّيَ مِنْ مَصَارِعِهِمْ عَلَيْنَا وَمِنْ دَوْلَاتِهِمْ مَا تَعَلَّمِينَا
وَقُصِّيَ عَلَيْنَا قِصَصَ مَصَارِعَ (كيفية موت) الأجيال السابقة، وقصص دُولَاتِهِمْ (مصائبهم التي تداولت عليهم)

نرى لك في السماء خَضِيبَ قَرْنٍ ولا نُخْصِي على الأرضِ الطَّعِينَا

نرى لك أيتها الشمس قرناً (ظفر الشمس حين يبرز) خضيباً (مصبوغاً بالحمرة)، ولا نحصى الطعين (المطعنين) بهذا القرن على الأرض فالشمس في شروقها وغروبها تجعل الزمن يمر، وبمروره يموت الناس

مَشَيْتِ على الشَّبَابِ شُوطًا نَارٍ وَدُرْتَ على المَشِيبِ رَحَى طَحُونَا
مشيت أيتها الشمس على أيام الشباب شوطاً نار (لهباً)، ثم درت على أيام المشيب كالرحى (حجر الطاحون) الطَّحُون (الشديدة الطحن)

تُعِينِنَ المَوَالِدَ والمَنَايَا وَتَبْنِيَنَ الحَيَاةَ وَتَهْدِمِينَا
بدورانك تساعدين الموالد (الولادات) وتساعدين المنايا (الميتات)، فدورانك هو الزمن وهو سبب ولادة الحياة وحدث الموت

فِيَا لَكَ هِرَّةً أَكَلْتَ بَنِيهَا وَمَا وَلَدُوا، وَتَنْتَظِرُ الجَنِينَا
فيا لك من هرة أكلت أولادها، وأكلت أولاد أولادها، وتنتظر الجنين القادم

أُمُّ المَالِكِينَ بني آمُونٍ لِيَهْنِكَ أَنَّهُمْ نَزَعُوا آمُونَا
أيتها الشمس، يا أم الفراعين من أبناء الإله آمون، هنياً لك أنهم نزعوا آمون (أشبهوه)

وَلَدَتْ لَهُ المَآمِينَ الدَّوَاهِي وَلَمْ تَلِدِي لَهُ قَطُّ الأَمِينَا
ولدت لآمون المآمين (الأبناء الشبهين بالأمون الخليفة العباسي الحازم)، ولم تلدي قط (أبداً) الأمين (الخليفة العباسي العاث المهزوم)

مَشَتْ بِمَنَارِهِمْ فِي الأَرْضِ رُومَا وَمِنْ أَنوَارِهِمْ قَبَسَتْ أَثِينَا
هؤلاء الملوك من سلالة آمون مشت بنورهم حضارة روماً، ومنهم اقتبست أثينا

مُلُوكُ الدَّهْرِ بالوَادِي أَقَامُوا عَلَى وَادِي المُلُوكِ مُحَجَّجِينَا
ملوك الزمان في الوادي (وادي النيل/أي ملوك مصر)، أقاموا الآن في «وادي الملوك» (موضع عند الأقصر) مدفونين محججين عن الأنظار

قَرُبَ مُصَفَّدٍ مِنْهُمْ، وَكَانَتْ تُسَاقُ لَهُ المُلُوكُ مُصَفَّدِينَا
رب ملك هو الآن مصفد (مقيد) في قبره، وكان الملوك الآخرون المهزومون في المعارك يساقون إلى حضرته مقيدين

تَقَيَّدَ فِي التَّرَابِ بِغَيْرِ قَيْدٍ وَحَلَّ عَلَى جَوَانِبِهِ رَهِينَا
لقد تقيد في التراب بغير قيد، وحل التراب رهيناً (مرهوناً بمكانه لا يبرحه)

تعالى الله! كان السَّحَرُ فِيهِمْ أَلَيْسُوا لِلْحَجَارَةِ مُنْطَقِينَا

سبحان الله! كانوا بارعين في السحر، أو لم يجعلوا الحجارة تنطق في تمنيلهم؟

ولستُ بِقَائِلٍ ظَلَمُوا وَجَارُوا عَلَى الْأَجْرَاءِ أَوْ جَلَدُوا الْقَطِينَا

ولا أقول إن أولئك الملوك ظلموا الأجراء (العمال المأجورين)، أو أنهم جلدوا القطين (الخدم)

فإِنَّا لَمْ نُوقِّ النِّقْصَ حَتَّى نَطَالِبَ بِالْكَمَالِ الْأَوَّلِينَ

فنحن لم نوقِّ (لم نُجَنَّبْ) النقص لنطالب الأولين بالكمال

وَمَا «الْبَسْتِيلُ» إِلَّا بِنْتُ أَمْسٍ وَكَمْ أَكَلَ الْحَدِيدُ بِهَا سَجِينَا

وما سجن «الباستيل» سوى بنت الأمس، وكانت قيود الحديد في الباستيل تأكل أجسام السجناء

وَرُبَّةٌ بَيْعَةٌ عَزَّتْ وَطَالَتْ بَنَاهَا النَّاسُ أَمْسٍ مُسَخَّرِينَا

وربة (رُبٌّ) بيعة (كنيسة) عزيزة (منبعة) وعالية بناها الناس أمس مسخَّرينا

مُشَبَّدَةٌ لِشَافِي الْعُمِيِّ عَيْسَى وَكَمْ سَمَلَ الْقُسُوسُ بِهَا عُيُونَا

وقد شيدت تلك الكنيسة لعيسى شافي العمي (العميان)، ولكن كثيراً ما سمل (فَقَأَ) القسس فيها عيون الناس

أَخَا اللُّوردَاتِ مِثْلُكَ مَنْ تَحَلَّى بِحِلْيَةِ آلِهِ الْمُتَطَوِّلِينَ

يا أخا اللوردات (أيها اللورد كارنارفون)! يُنتظر من مثلك أن يتحلى بحلية (هبزينة) آله (قومه) المتطولين (القادرين)

أُبُونُنَا وَأَعْظَمُهُمْ ثَرَاتٌ نُحَاذِرُ أَنْ يُوُولَ لِأَخِيرِينَا

أبوتنا (آبائنا) وعظماهم تراث ورثاء ونحاذر (نمانع) أن يوُولَ (يؤول) للآخرين

وَنَأْبَى أَنْ يَحُلَّ عَلَيْهِ ضَيْمٌ وَيَذْهَبَ نُهْبَةً لِلنَّاهِبِينَ

ونرفض أن يقع على هذا التراث ضيم (ظلم)، وأن ينهبه الناهبون

سَكَّتْ فَحَامَ حَوْلَكَ كُلُّ ظَنٍّ وَلَوْ صَرَخَتْ لَمْ تُثِرِ الظُّنُونَا

لقد سكَّتْ عندما اكتشفت مدفن توت عنخ آمون ولم تفصح عن محتوياته، فحامت حول مقاصدك الظنون بسبب صمتك

يَقُولُ النَّاسُ فِي سِرٍّ وَجَهْرٍ وَمَا لَكَ حِيلَةٌ فِي الْمُرْجِفِينَا .

وقال الناس سراً وجهراً - ولا حيلة لك في المرجفين (المشككين) - قالوا .

أَمَنْ سَرَقَ الْخَلِيفَةَ وَهُوَ حَيٌّ يَبْعَثُ عَنِ الْمُلُوكِ مُكَفِّرِينَ
هل الذي سرق الخليفة حياً، سيعف (يترفع) عن الملوك وهم في أكفانهم. وكانت بارجة بريطانية حملت الخليفة العثماني وحيد الدين إلى منفاه عام ١٩٢٢، بعد أن ثار به الكماليون

خَلِيلِيْ أَهْبِطَا الْوَادِي، وَمِيْلَا إِلَى غُرَفِ الشَّمْسِ الْغَارِبِيْنَ
يا صاحبي (والشاعر العربي له دائماً صاحبان يكلمهما) اهبطا وادي الملوك، وميلا معي (عرجا معي) إلى غرف الفراغة المدفونين الذين هم كالشموس الغاربة

وُخْصَا بِالْعَمَارِ وَبِالْتَحَايَا رُفَاتِ الْمَجْدِ مِنْ تَوْتِنَحْمِينَا
وخصا بالعمار (الريحان) والتحية رفات (بقايا) المجد من توت عنخ آمون

وَقَبْرًا كَادَ مِنْ حُسْنٍ وَطِيْبٍ يُضِيءُ حِجَارَةً وَيَضْوَعُ طِينَا
وحياً قبراً كاد من جماله ورائحته الزكية يضيء بحجارته، ويتضوع العبير من طينه

وَكَانَ نَزِيلُهُ بِالْمَلِكِ يُدْعَى فَصَارَ يُلَقَّبُ الْكَنْزَ الثَّمِينَا
ونزيل القبر كان يدعى المَلِك (الملك)، وأما الآن وهو ميت فصار يدعى الكنز الثمين

فَنَمَّ جَلَالَةُ قَرَّتْ وَدَامَتْ عَلَى مَرِّ الْقُرُونِ الْأَرْبَعِينَا
فَنَمَّ (فهناك) جلالة استقرت واستمرت أربعين قرناً

وَقُولَا لِلنَّزِيلِ: قَدُومَ سَعْدٍ وَحَيَّا اللَّهَ مُقَدَّمَكَ الْيَمِينَا
وقولا يا صاحبي لنزيل القبر، جئت إلينا الآن فقدمك قدوم سعد علينا (وكانت مصر أيامئذ تستقبل عهداً دستورياً، وفكاكاً من الحماية البريطانية) فحيا الله قدموك اليمين (اليمينون)

سَلَامٌ يَوْمَ وَارْتِكَ الْمَنَايَا بِوَادِيهَا، وَيَوْمَ ظَهَرْتَ فِينَا
سلام عليك يوم وارتك (حجبتك) المنايا (الموت) في واديها (وادي الملوك الذي هو مقبرة كبيرة)، سلام عليك يوم ظهورك الآن بالكشف عن مدفنك

خَرَجْتَ مِنَ الْقُبُورِ خُرُوجَ عَيْسَى عَلَيْكَ جَلَالَةُ فِي الْعَالَمِينَا
خرجت كما خرج عيسى من قبره ورفع الله إليه

وَأَقْسِمُ كُنْتُ فِي لُوزَانَ شُغْلًا وَكُنْتُ عَجِيبَةَ الْمُتَفَاوِضِينَا
وأقسم أنك كنت شغلاً شاغلاً للمفاوضين في لوزان بسويسرا (المؤتمر دام نحو ثلاثة أشهر وعقد لاقسام تركة الدولة العثمانية)، وكلهم تعجبوا من هذا الكشف

أَتَعْلَمُ أَنَّهُمْ صَلَفُوا وَتَاهُوا وَصَدُّوا الْبَابَ عَنَّا مُوَصِّدِينَا
هل تعلم أنهم صلفوا (تغطرسوا) وتاهوا (تكبروا)، وأوصدوا الباب دون الوفد المصري الذي ذهب يطالب بجلاء الإنجليز

وَلَوْ كُنَّا نَجُرُّ هُنَاكَ سَيْفًا وَجَدْنَا عَنْدهُمْ عَظْفًا وَلِينَا
سَيَقْضِي كِرْزَنٌ بِالْأَمْرِ عَنَّا وَحَاجَاتُ الْكِنَانَةِ مَا قُضِينَا
سيفضي في شأننا اللورد جورج كيرزون (وزير خارجية بريطانيا)، وحاجات الكنانة (مصر) لم يتم
قضاؤها

زَمَانُ الْفَرْدِ يَا فِرْعَوْنُ وَلَّى وَدَالَتْ دَوْلَةُ الْمُتَجَبِّرِينَ
فيا فرعون الدفين اعلم أن زمان حكم الفرد ولَّى، وانتهت دولة المتجبرين بالناس
وَأَصْبَحَتِ الرَّعَاءُ بِكُلِّ أَرْضٍ عَلَى حُكْمِ الرَّعِيَةِ نَازِلِينَ
وأصبح الرعاة (الحكام) في كل بلد نازلين عند رأي الرعية (الشعوب)

فَوَادُ أَجَلٌ بِالْأُسْتُورِ دُنْيَا وَأَشْرَفُ مِنْكَ بِالْإِسْلَامِ دِينَا
الملك أحمد فؤاد بوجود الدستور أكثر جلالاً منك في دنياه يا فرعون، وهو بالإسلام أشرف منك
في دينه

وَأَهْدَى فِي بِنَاءِ الْمُلْكِ جَدًّا وَأَجْوَدُ وَالِدًا فِي الْمُخْسِنِينَ
وأحمد فؤاد جدُّه أكثر هداية (حكمة) في بناء الملك (وجهه هو إبراهيم باشا ابن محمد علي)،
ووالده أجود من فرعون إحساناً (ووالده الخديوي إسماعيل)

بَنَى الدَّارَ الَّتِي لَا عِزًّا إِلَّا عَلَى جَنَابَاتِهَا لِلْمَالِكِينَ
بنى أحمد فؤاد الدار التي لا عز للملوك إلا في جنباتها (نواحيها)، وهي دار البرلمان

فَعَجَّلْ يَا ابْنَ إِسْمَاعِيلَ عَجْلُ وَهَاتِ النُّورَ وَاهِدِ الْحَائِرِينَ
عجل يا أحمد فؤاد بالدستور ليهدي الحائرين

مَلَائِينَ تَجُرُّ الْجَهْلَ قَيْدًا وَتُسَحِّبُ بِالْقَلِيلِ الْمُطْلَقِينَ
الملايين تمشي ويقيدها الجهل، والذين يسحبون ملايين الجهال هم القلة من المطلقين (الذين نالوا
حرية عقولهم بالعلم)

فَدَاوِ بِهِ الْبَصَائِرَ، فَهَوَ عَيْسَى وَفَكَ بِرَاحَتِيهِ الْمُقْعَدِينَ
فداوِ بالدستور البصائر (العقول) فالدستور مثل عيسى شافي المرضى، وفك بيديّ الدستور
الكميحين

وَمَنْ يَرِ دَوْنَهُ حَقًّا فَإِنِّي أَرَاهُ وَخَذَهُ الْحَقُّ الْمُبِينَا
ولمن يرى الحق في أمر سوى الدستور، فإنني أرى الدستور وحده الحق الواضح.
نقد طه حسين هذه القصيدة بادئاً بأن شوقي «قد شبع ثناءً وتقريظاً، وأحسبه لم يشبع
نقداً بعد» وبالطبع فقد أحب طه النعمة الفرعونية في القصيدة. وأخذ شوقي في ألفاظ

كلمة «نزعوا» في البيت السابع مما اخترنا، فقد اضطر شوقي إلى أن يشرحها عندما نشر قصيدته في الأهرام، وما كان طه ليفهمها لولا الشرح، كما قال. وأثنى طه على اللطف وخفة الروح في البيت: (أمن سرق الخليفة وهو حي/ يعف عن المملوك مكفينا). وعن كلام شوقي عن الشأن المصري إزاء عفو المحتل الإنجليزي قال طه حسين: «الحكومة المصرية خليفة أن تقرأ وخليفة أن تتعظ وخليفة أن تعمل». وقال: «ثم ينتقل الشاعر أحسن انتقال، ويشب ويخيل إليك أنه يخطو. يشب من عصر الفراعنة إلى العصر الذي نعيش فيه. فتراه شاعراً مصرية يعيش في هذه السنة، يحس ما نحس، ويشفق مما نشفق منه. يحب الدستور ويكلف به، ويتمنى على صاحب الجلالة في اللفظ وأعذبه، وفي أمتن أسلوب وأصفاه، وفي أشد العبارات تمثيلاً لأصدق العواطف، يتمنى على صاحب الجلالة إصدار الدستور». انتهى كلام طه حسين

١٨٨ عصركم بطل

قال شوقي (١٩٢٣):

قُلْ لِلشَّابِّ بِمَصْرِ عَصْرُكُمْ بَطْلٌ بكلِّ غَايَةِ إِقْدَامٍ لَهُ وَلَعُ
عصركم بطل جريء، مولع بالتائج التي تجرّها الشجاعة

الْبَرُّ لَيْسَ لَكُمْ فِي طَوْلِهِ لُجْمٌ والبحرُ لَيْسَ لَكُمْ فِي غُرْضِهِ شُرْعُ
وليس لكم في طول البر لُجْم (خيل على كل منها لجام)، وليس لكم في غُرْض البحر (وسطه) شُرْع (سفن لها أشرعة)، يريد القول إنه ليس لمصر قوة برية أو بحرية

هَلْ تَنْهَضُونَ! عَسَاكُمْ تَلْحَقُونَ بِهِ فليس يَلْحَقُ أَهْلَ السَّيْرِ مُضْطَجِعُ
فهل تنهضون! لعلكم تلحقون بعصركم، لأن المضطجع (المستلقي) لا يلحق الماشين

لَا يُعْجِبَنَّكُمْ سَاعٌ يَنْفَرِقِي إِنَّ الْمِقْصَصَ خَفِيفٌ حِينَ يَفْتَنُطَعُ
لا تصبوا إعجابكم على من يسعى للفرقة، فالفرقة سهلة ولكنها تؤدي إلى تخریب دائم، كالمقصص الذي يسهل عليه أن يقطع القماش ولا إصلاح لما قطع

مَا لِلشَّابِّ وَلِلْمَاضِي! تَمُرُّ بِهِمْ فِيهِ عَلَى الْجَيْفِ الْأَحْزَابُ وَالشَّيْعُ
والشباب، ما لهم وللماضي! والأحزاب والشيع (المنظمات السياسية) تأخذ الشباب وتطوف بهم على الماضي وترتهم ما به من الجيف (الجثث) وتملاهم أحقاداً

لَا يَمْنَعَنَّكُمْ بِرُّ الْأَبْوَةِ أَنْ يَكُونَ صُنْعُكُمْ غَيْرَ الَّذِي صَنَعُوا
الوفاء للأبوة ليس معناه الامتناع عن صنع شيء لم يصنعه آباؤكم

وَكُلُّ بُنْيَانٍ قَوْمٌ لَا يَقُومُ عَلَى دَعَائِمِ الْعَصْرِ مِنْ رُكْنَيْهِ مُنْصَدِعُ
وكل بناء للامة لا يكون مدعماً بمفاهيم عصرية يتصدع من ركنيه (جانبيه)

كَمْ فِي الْحَيَاةِ مِنَ الصَّحَرَاءِ مِنْ شَبِّهِ يَكِلَتَاهُمَا فِي مُفَاجَاةِ الْفَتَى شَرْعُ

ما أشبه الحياة بالصحراء . كلتاها شرع (سواء) في مفاجأة الإنسان

وَلَسْتُ تَدْرِي، وَإِنْ كُنْتَ الْحَرِيصَ، مَتَى تَهْبُ رِيحَاهُمَا أَوْ يَظْلُعُ السَّبْعُ

مهما كنت حريصاً فأنت لا تعرف متى تهب ريح الصحراء وريح الحياة، أو متى يطلع عليك السبع

وَلَسْتُ تَأْمَنُ عِنْدَ الصَّخْرِ فَاجِئَةً مِنْ الْعَوَاصِفِ فِيهَا الْخَوْفُ وَالْهَلَعُ

ولا تأمن عاصفة مفاجئة فيها خوف لك وهلك

وَلَسْتُ تَدْرِي، وَإِنْ قَدَّرْتَ مُجْتَهِدًا، مَتَى تَحْطُ رِحَالًا أَوْ مَتَى تَضَعُ

وأنت لا تدري، مهما تحببت، متى ستخط (ستنزل) رحلك من على ظهر مطيتك، ومتى تضعه عليها . أنت تأتي للعالم وترحل عنها وتساوفاً فيها مُسِيرًا لا مَخِيرًا

وَلَسْتُ تَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ الدَّلِيلِ سِوَى أَنَّ الدَّلِيلَ وَإِنْ أَرَدَاكَ مُتَّبِعُ

وفي الصحراء - وأيضاً في الحياة - ليس في يدك من أمر المرشد إلا أنه يجب عليك اتباعه وإن أَرَدَاكَ (أهلكك)

وَمَا الْحَيَاةُ إِذَا أَظْمَتَ وَإِنْ خَدَعَتْ إِلَّا سَرَابٌ عَلَى صَحَرَاءٍ يَلْتَمِعُ

والحياة تظلمك (تخدعك)، مثل سراب يلتمع في الصحراء

١٨٩ يومٌ كبدر

قال شوقي بهن الأتراك بانتصارهم على اليونانيين سنة (١٩٢٣):

اللَّهُ أَكْبَرُ! كَمْ فِي الْفَتْحِ مِنْ عَجَبٍ يَا خَالِدَ التُّرْكِ جَدُّ خَالِدِ الْعَرَبِ

يا خالد الترك (مصطفى كمال) جدد ذكرى خالد العرب (خالد بن الوليد)

سُئِلْتُ سِلْمًا عَلَى نَصْرِ فَجُدْتَ بِهَا وَلَوْ سُئِلْتَ بِغَيْرِ النَّصْرِ لَمْ تُجِبْ

طلب منك السلم بعد انتصارك، فمَنَحْتَهُمُ السَّلامَ وَجَنَحْتَ لَهَا، ولو لم تكن قد انتصرت عليهم فلن ترضى بالسلم

قَذَفْتَهُمُ بِالرِّيَّاحِ الْهُوجِ مُسْرَجَةً يَحْمِلْنَ أَسَدَ الشَّرِّ فِي الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ

وفي الحرب كنت قد قذفت اليونانيين بالرياح الهوجاء المسرجة (التي عليها السروج/ يعني الخيل)، وهي تحمل أسود الشرى (والشرى مكان قرب الفرات كثير الأسود) التي تلبس البيض (الخود) واليَلْبِ (الدروع)

يَوْمَ كَبَدِرٍ، فَخَيْلُ الْحَقِّ رَاقِصَةٌ عَلَى الصَّعِيدِ، وَخَيْلُ اللَّوْ فِي السُّحْبِ

هذا اليوم (المعركة) مثل يوم بدر، فخيّل الترك التي معها الحق ترقص على التراب، وخيّل الله ترقص في السحب، يقول إن الله أيد مصطفى كمال في حربه مع اليونانيين بجند من عنده كما حدث يوم بدر. انتقد طه حسين هذه القصيدة في مقالين. فأبو تمام صاحب «السيف أصدق أنباء من الكتب» هو الذي «قدّم إلى شوقي قوافيه وشيئا غير قليل من ألفاظه ومعانيه». وللحق فإن قصيدة شوقي لا تصمد طويلاً لملمحة أبي تمام العظيمة. ويمضي طه حسين في لهجة تذكرنا بلهجة العقاد في الديوان: «هذه القصيدة أصدق دليل وأقواء على عجز القديم عن تصوير الحياة الحديثة، وفشل الشعر العربي المعصري فيما قصد إليه من إمتاع النفوس وإشعارها لذة الجمال الفني.. هذه القصيدة هي أشبه شيء بالتمرين المدرسي يذهب به الأطفال مذهب المحاكاة للنماذج الفنية التي تلقى إليهم فيوفقون في الصورة ويخطئون في الموضوع»، انتهى كلام طه. ولتذكر القارئ أن النقد موجه إلى قصيدة من ثمانية وثمانين بيتاً، أما ما اخترناه هنا فهو زبدتها

١٩٠ شمس الخلافة

قال شوقي بهنئ الثاثرين بأنقرة (١٩٢٣):

قُمْ نَادِ أَنْقَرَةً، وَقُلْ: يَهْنِيكَ مُلْكُ بَنِيَّتِ عَلَى سَيُوفِ بَنِيكَ
قُمْ أَيُّهَا المُنَادِي ونَادِ أَنْقَرَةً، وَقُلْ هِنِيئاً لَكَ هَذَا المُلْكُ الَّذِي بَنَيْتَهُ عَلَى سَيُوفِ أَبْنَائِكَ. وَأَنْقَرَةً كَانَتْ عَاصِمَةُ مُصْطَفَى كِمَالِ أَتَاتُورُوكَ فِي المَعَارِكِ الَّتِي خَاضَهَا بَعْدَ انْتِهَاءِ الحَرْبِ العَالَمِيَةِ الْأُولَى لِكِي يَنْشِئَ تَرْكِيَا الحَدِيثَةَ، ثُمَّ ظَلَّتْ عَاصِمَةً لِتَرْكِيَا

مِنِّي لِعَهْدِكَ يَا فَرُوقُ تَحِيَّةٌ كَعَيُونِ مَائِكَ أَوْ رُبَى وَادِيكَ
ولفروق (إستانبول) مني تحية جميلة كعيون مائها وربى واديها

إِنْ أَنْسَ لَا أَنْسَ الشَّبِيبَةَ وَالْهُوَى وَسَوَالِفَ اللَّذَاتِ فِي نَادِيكَ
مهما نسيت فلن أنسى عهد الشباب والحب، وسوالف اللذات (ما سلف من لذات) في مجالسك

وَلِيَالِيَا لَمْ نَذِرْ أَيْنَ عِشَاؤُهَا مِنْ فَجْرِهَا لَوْلَا صِيَاخُ الدِّيَكِ
ولن أنسى ليالي مرت سريعة فلم نعرف وقت العشاء من وقت الفجر فيها لولا صياح الديك

قُلْ لِلْخِلَافَةِ قَوْلَ بَاكِ شَمْسَهَا بِالْأَمْسِ لَمَّا آذَنْتَ بِدُلُوكِ
قل للخلافة قول من يبكي شمسها بالأمس لما آذنت بدلوك (أوشكت على الغروب)

إِنَّ الَّذِينَ تَوَارَثُوكَ عَلَى الْهُوَى بَعْدَ ابْنِ هِنْدٍ طَالَمَا كَذَّبُوكَ
إن الذين توارثوك أيتها الخلافة على الهوى (لمصالحهم) بعد ابن هند (معاوية أول خليفة ورث الحكم لمن بعده توريثاً) كثيراً ما كَذَّبُوكَ (تصرفوا بغير ما يتطلبه معنى الخلافة)

لَمْ يَلْبَسُوا بُرْدَ النَّبِيِّ، وَإِنَّمَا لَبَسُوا طَقُوسَ الرُّومِ إِذْ لَبَسُوا
لَمْ يَلْبَسُوا بُرْدَ النَّبِيِّ (عباءة النبي/ التي كان الخلفاء يتوارثونها)، أي أنهم لم يسلكوا مسلك النبي،
وإنما لبسوا (اتخذوا) طقوس الروم عندما آلت إليهم الخلافة

١٩١ أعلمت للقمرين من أسلاف؟

قال شوقي يرثي الشاعر إسماعيل صبري (١٩٢٣):

شَرَفَ الْعَصَائِيَّينَ صَنَعَ نَفُوسِهِمْ مَنْ ذَا يَقْبِسُ بِهِمْ بَنِي الْأَشْرَافِ
قُلْ لِلْمَشِيرِ إِلَى أَبِيهِ وَجْدَهُ: أَعْلِمْتُ لِلْقَمَرَيْنِ مِنْ أَسْلَافِ

القمران: الشمس والقمر، وهما عزيزا المنال ولا أسلاف (أجداد) يفتخران بهم

١٩٢ إتقان

قال شوقي (١٩٢٣):

أَيُّهَا الْعَمَالُ أَفْنُوا الْـ عُمَرَ كَدًّا وَاكْتِسَابَا
يخاطب العمال ويريد منهم إفاء العمر كدًّا (تعبًا). وهل يملكون سوى ذلك؟ هَلَّا خاطب أولاد
الباشوات في زمنه!

وَاعْمُرُوا الْأَرْضَ فَلَوْلَا سَفِيُّكُمْ أُمِسَتْ يَبَابَا
يبابًا: خرابًا

أَيْنَ أَنْتُمْ مِنْ جُدُودِ خَلَدُوا هَذَا التَّرَابَا
أَتَقَنُوا الصَّنْعَةَ حَتَّى أَخَذُوا الْخُلْدَ اغْتِصَابَا
قدماء المصريين أتقنوا الصنعة (الفن) حتى نالوا بمخلفاتهم الخلود غضبًا من الزمن

إِنْ لِلْمُتَقِينَ عِنْدَ اللَّـهِ وَالنَّاسِ ثَوَابَا
هذا بيت بسيط، وليس فيه لا معنى بديع، ولا... ولا شيء. لكنَّ إتقان العمل أمر نفتقده في
مجتمعاتنا كثيرًا، فأريت في هذا البيت صدى لمعنى يتردد في نفسي

١٩٣ كُفِّنَتْ فِي ثَوْبِ الزَّفَافِ

قال شوقي ينعي الخلافة (١٩٢٤):

عَادَتْ أَغَانِي الْعُرْسِ رَجَعَ نَوَاحِ وَنُعِيَتْ بَيْنَ مَعَالِمِ الْأَفْرَاحِ
عادت (أصبحت) أغاني العرس (الفرحة بانتصار الترك على اليونانيين وتأسيس تركيا الحديثة) رجع
(صدى) نواح، ونُعِيَتْ الخلافة وسط مظاهر الفرح

كُفِّنَتْ فِي لَيْلِ الزُّفَافِ بِثَوْبِهِ وَدُفِنَتْ عِنْدَ تَبْلُجِ الْإِصْبَاحِ
تبْلُجُ الْإِصْبَاحِ : ظهور الفجر

وَالشَّامُ تَسْأَلُ وَالْعِرَاقُ وَفَارِسُ أَمَحَا مِنَ الْأَرْضِ الْخِلَافَةُ مَاحٍ
تَسْأَلُ هَذِهِ الْبِلَادُ هَلْ مَعَ الْخِلَافَةِ أَحَدٌ مِنَ الْوُجُودِ مَحْرُورٌ

أَسْتَغْفِرُ الْأَخْلَاقَ ! لَسْتُ بِجَاحِدٍ مَنْ كُنْتُ أَدْفَعُ دُونَهُ بِسِلَاحِي
عِذْرًا أَيْتَهَا الْأَخْلَاقُ ، فَلَسْتُ جَاحِدًا ! لَا أَجِدُ فَضْلَ مُصْطَفَى كِمَالِ «أَتَاتُورِك» الَّذِي كُنْتُ أَدْفَعُ عَنْهُ
بِسِلَاحِي (وَسِلَاحُ شُوقِي قَلَمُهُ)

مَا لِي أَطَوَّقُهُ الْمَلَامَ ، وَطَالَمَا طَوَّقْتُهُ الْمَأْثُورَ مِنْ أَمْدَاحِي
مَا لِي أَطُوقُ عُنُقَهُ بِاللُّومِ ، وَكَثِيرًا مَا طَوَّقْتُهُ بِمَدَائِحِي الْمَأْثُورَةِ (الَّتِي يَبْقَى أَثَرُهَا بَيْنَ النَّاسِ)

أَذُوا إِلَى الْغَازِي النَّصِيحَةَ يَنْتَصِحُ إِنْ الْجَوَادَ يَثُوبُ بَعْدَ جِمَاحٍ
أَذُوا (أَعْطُوا) إِلَى الْغَازِي (أَتَاتُورِك) النَّصِيحَةَ ، وَالْحِصَانَ الْأَصِيلَ يَثُوبُ (يَعُودُ) إِلَى طَبِيعَتِهِ بَعْدَ
الْجِمَاحِ (الْجُمُوحِ)

١٩٤ يَا رَبِّ قُوِّ يَدَهَا وَشُدَّهَا

قَالَ شُوقِي فِي افْتِتَاحِ الْبِرْلَمَانِ الْمِصْرِيِّ (١٩٢٤):

مِصْرُ الْفِتْنَةِ بَلَّغَتْ أَشَدَّهَا

وَأَثَبَتِ الدَّمَ الزَّكِيَّ رُشْدَهَا

يَا رَبِّ ! قَوِّ يَدَهَا وَشُدَّهَا

وافتَحْ لَهَا السُّبُلَ وَلَا تَسُدَّهَا

بعد انهيار الحرب العالمية الأولى عن انهيار الدولة العثمانية التي كان شوقي يرى فيها ركناً تستند إليه مصر لحمايتها من أطماع أوروبا، وبعد نفيه وعودته إلى مصر وتولي السلطان (ثم الملك) أحمد فؤاد الحكم، ولم يكن متحمساً لشوقي، بدأ شوقي يرى أن مصر هي الأمل وهي ركن نفسها. آمن أكثر بالشعب، ولكنه رأى بعين ثاقبة ما ينقص مصر من وسائل النهوض. أجدهم الأشطر من أجمل الشعب، ثمة هنا دعاء وضراعة لله كي يقوي مصر وهي مقدمة على مرحلة الاستقلال، وألمس في الأشطر إحساس شوقي بعدم الأمان

١٩٥ اسْتَبْدَادُ بِاسْمِ الْجَمَاعَةِ

قَالَ شُوقِي (١٩٢٤):

الْفِرْدُ بِالشُّورَى وَبِاسْمِ نَدِيَّهَا لَفَظَ الْخَلِيفَةَ فِي الظَّلَامِ شَرِيدًا

هَذَا الْفِرْدُ (مُصْطَفَى كِمَال) بِالشُّورَى وَبِاسْمِ نَادِيهَا (الْجَمْعِيَّةِ الْعَامَةِ الَّتِي كَانَ يَرْجِعُ إِلَيْهَا) لَفَظَ (رَمَى) الْخَلِيفَةَ فِي ظُلَامِ النِّسْيَانِ وَشَرَدَهُ

خَلَعَتْهُ دُونَ الْمُسْلِمِينَ عِصَابَةً لَمْ يَجْعَلُوا لِلْمُسْلِمِينَ وَجُوداً

خلعته، دون أن يخلعه المسلمون كلهم، عصابة (جماعة) تجاهلت وجود المسلمين

إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الشُّعُوبِ فَلَمْ أَجِدْ كَالْجَهْلِ دَاءً لِلشُّعُوبِ مُبِيداً

وإذا سبى الفرد المسلط مَجْلِساً أَلْفَيْتُ أَحْرَارَ الرِّجَالِ عَبِيداً

الفرد المتسلط إذا سبى (استولى على) مجلساً، فإنك تجد الرجال الأحرار صاروا عبيداً

١٩٦ فَإِنَّكَ شَمْسٌ

قال شوقي في مكسويني حصان محبوب ثابت، ولقبوا الحصان، فيما نظن، باسم تيرنس

ماك سويني Terence MacSwiney المجاهد الإيرلندي الذي صام حتى الموت في سجن

الإنجليز عام ١٩٢٠، فقد كانت الشلة تزعم أن الدكتور محبوب ثابت لا يعلف حصانه،

وأن الحصان سيموت من الجوع. وقد يكون ورد معك في بعض الكتب أن مكسويني هذا

عداءٌ إيطالي. لعل أصحاب تلك الكتب رأوا الاسم ذا جرس إيطالي فصنعوا ذلك التأويل.

على أنني سألت وفداً إيطالياً مكوناً من نحو سبعة صحفيين عن مكسويني هذا فلم يعرفوه،

وراجعت سجلات الألعاب الأولمبية، وسجلات الرياضيين الطلاب فلم أجد له أثراً، فلا بدَّ

أن يكون ماك سويني الإيرلندي هو جالب اللقب على ذلك الحصان (١٩٢٤):

تُقَدِّيكُ يَا مَكْسُ الْجِيَادُ الصَّلَادُمُ وَتُقَدِّي الْأَسَاءَةَ النَّطْسُ مَنْ أَنْتَ خَادِمُ

تفديك يا مكسويني (لقب حصان الدكتور محبوب ثابت) الجياد (الخيول) الصلادم (صلاب

الحوافر)، وتفدي الأساءة (الأطباء) النطس (الماهرون) الشخص الذي أنت خادم إياه وهو الدكتور

كأنك إن حاربت فوقك عَنَتْرُ وَتَحَتَ ابْنِ سِينَا أَنْتَ حِينَ تُسَالِمُ

في الحرب يكون فوقك عترة (الدكتور ثابت)، وفي السلم تكون أنت تحت ابن سينا (د. أيضاً)،

فالدكتور في حالي الحرب والسلم بارع

فإنَّكَ شَمْسٌ، وَالْجِيَادُ كَوَاكِبُ وَإِنَّكَ دِينَارٌ، وَهُنَّ الدِّرَاهِمُ

فأنت يا مكسويني شمس والجياد (الخيول) الكواكب، وأنت دينار والجياد الأخرى دراهم

مِثَالٌ بِسَاحِ الْبِرْلَمَانِ مُنْصَبٌ وَآخَرُ فِي بَارِ اللَّوَا لَكَ قَائِمُ

ولك مثال (تمثال) في ساحة البرلمان، وآخر في بار اللوا (وكانت الشلة ترتاده). وكان

محبوب ثابت من شخصيات ذلك العصر التي تستدر فكاهة الشعراء. كانت له دعاوى

عريضة، وصوت عالٍ في المجالس، وصار نائباً في البرلمان، وكان يُعْتَى النفس بوزارة

الصحة. والقصيدة دعابة ثقيلة على البحر الطويل، وفيها إيحاء فكه إلى قصيدة جاهلية في

مدح النعمان. والشعر عند العرب ديوان لحياتهم، ويدخل فيه الظرف والسخرية والدعابة

والتهكم والحزن والفرح وكل شيء. كل ما يحسن بالمرء أن يقوله نثراً، وما لا يحسن،

داخل في حد الشعر. والمدار بعد ذلك على الإجادة والفن ووفرة ما في الشعر من شعور

١٩٧ الدنيا الغدارة

قال شوقي يداعب محجوب ثابت، وقد استبدل بحصانه مكسويني سيارة، (١٩٢٤):

لَكُمْ فِي الْخَطِّ سَيَّارَةٌ حَدِيثُ الْجَارِ وَالْجَارَةِ
وَقَدْ تَحَرُّنُ أَحْيَاناً وَتَمْشِي وَحْدَهَا تَارَةً
تَحْرَنُ: تعاند ولا تمشي

وَلَا تُشْبِعُهَا عَيْنٌ مِنَ الْبَنْزِينَ قَوَّارَةٌ
تَرَى الشَّارِعَ فِي دُغْرِ إِذَا لَاحَتْ مِنَ الْحَارَةِ
فَقَدْ تَمْشِي مَتَى شَاءَتْ وَقَدْ تَرْجِعُ مُخْتَارَةً
قَضَى اللَّهُ عَلَى السَّوَّا قِ أَنْ يَجْعَلَ لَهَا دَارَةً
يُقْضِي يَوْمَهُ فِيهَا وَيَلْقَى اللَّيْلَ مَنْ زَارَةً
اللَّيْلُ: أي في الليل

أَذْنِيَا الْخَيْلِ يَا مَكْسِي كَدْنِيَا النَّاسِ غَدَّارَةٌ؟
مكسي: مكسويني، حصان الدكتور محجوب ثابت

فَصَبِراً يَا فَتَى الْخَيْلِ فَنَفْسُ الْحُرِّ صَبَّارَةٌ
وَلَا وَاللَّهِ مَا كَلَّفَ تَ مُحْجُوباً وَلَا بَارَةً
الْبَارَةُ: قطعة عملة ضئيلة القيمة

فَلَا الْبَرْسِيْمُ تَدْرِيبُهُ وَلَا تَعْرِفُ نُوَّارَةً

١٩٨ انتحار الحصان

قال شوقي يعزي محجوب ثابت في نفوق حصانه (١٩٢٤):

يَا مَكْسُ دُنْيَاكَ عَارَةٌ وَالْمَوْتُ كَأْسُ مُدَارَةٍ
يا مكس (مكسويني: حصان الدكتور محجوب ثابت) دنياك عارة (شيء مستعار)، والموت كأس
تدور على الشاربين

إِذَا بَلَغْنَ التَّارَاقِي فَكُلُّ رِيحٍ خَسَارَةٌ
إذا بلغت الأرواح التراقي (الترقوة عظيمة في أعلى الصدر)، فكل ما ريحه المرء يتحول إلى خسارة

لَمَّا جَفَاكَ ابْنُ سِينَا وَهَامَ بِالسَّيَّارَةِ

عندما جفاك (هجرك) ابن سينا (أي الدكتور محبوب ثابت)، وهام هياماً بسيارته التي ..

تَفِرُّ مِنْهُ وَتَجْرِي كَالنَّحْلَةِ الدَّوَّارَةِ

فلا إلى البوق تُصغي ولا إلى الزَّمَارَةِ

وقد تَهَتَّتْ فِيهَا حَتَّى أَضَاعَ وَقَارَهُ

حَمَلَتْ مِنْ ذَاكَ غَمًّا أَذَابَ مِنْكَ الْمَرَارَةَ

حتى انتحرت جريئاً والانتحارُ جَسَارَةُ

١٩٩ .. ويكي البلشفي والاشتراقي

قال شوقي متفكهاً، والقصيدة على لسان الدكتور محبوب ثابت بعد أن نفق حصانه مكسويني:

يَمِينًا بِالطَّلَاقِ وَبِالْعِتَاقِ وَبِالدُّنْيَا الْمُعْلَقَمَةِ الْمَذَاقِ

أحلف بالطلاق وبالعناق (بعق عيدي)، وبهذه الدنيا المعلقة (المرّة) المذاق، والكلام على لسان الدكتور محبوب ثابت

وَكُلُّ فَقَارَةٍ فِي ظَهْرِ مَكْسِي بِصَحْرَاءِ الْإِمَامِ، وَعَظَمِ سَاقِ

وأحلف بكل فقرة في ظهر الحصان النافق مكسويني والمدفون في صحراء الإمام (الشافعي)، وأحلف بعظام ساقه

وُثْرَتِهِ، وَكُلُّ الْخَيْرِ فِيهَا، وَنَسَبَتُهُ الشَّرِيفَةُ لِلْبُرَاقِ

وأحلف بثرته، ونسبه الذي يعود للبراق (الدابة التي عرجت بالرسول إلى السماء). لا تُرضي هذه الفكاهة المتزمتين في أيامنا، ولكن عصر شوقي كان عصراً يضحك فيه الأزهريون، ويتسامرون مع الأدباء ويروون خمرياتهم، وينقدونها نقداً أدبياً لا دينياً، تماماً مثلما كان الفقهاء يفعلون في عصور الإسلام الزاهية

وَبِالْخُطْبِ الطَّوَالِ وَمَا حَوْتُهُ وَإِنْ لَمْ يَبْقَ فِي الْأُذْهَانِ بَاقِ

وأحلف بالخطب الطويلة وما فيها من معان، وإن نسيها الجميع

وَكَسْرِي الشُّعْرَ إِنْ أَنْشَدْتُ شِعْرًا وَنُطْقِي الْقَافَ وَاسِعَةَ النُّطَاقِ

وأحلف بكسري للشعر وأنا أرويه، ونطقي القاف الفخمة (وقد شبه حافظ إبراهيم قاف محبوب ثابت بطلقات المدفع)

أَيْشْتُمْنِي «سَلِيمَانُ بْنُ فُوزِي» وَيَبِي فِي يَدِي وَمَعِي طِبَاقِي
بعد هذا الحلف كله لا يقول لنا الدكتور ماذا سيفعل، بل يشكو من أن سليمان فوزي (صاحب
مجلة الكشكول المعادية للوفد) يشتمه وهو في كامل أُبْهَتِهِ يحمل بيته (غليونه) ومعه طباقه (تَبْعُهُ)

تُقَاقِي ذَقْنُهُ مِنْ غَيْرِ بَيْضٍ وَلِي ذَقْنٌ تَبِيضٌ وَلَا تُقَاقِي
ذقن سليمان فوزي تقاقي (تخرج كصوت الدجاج): يتكلم وذقته تتحرك ولكنها لا تبيض، وأما
ذقني أنا - والكلام على لسان محبوب - فهي تبيض دون أن تقاقي

أَنَا الطَّيَّارُ: رَجُلٌ فِي دِمَشْقٍ إِذَا اشْتَدَّتْ وَرَجُلٌ فِي الْعِرَاقِ
أنا أطير (أسافر مسرعاً) فِرْجَلٌ فِي دِمَشْقٍ وَرَجُلٌ فِي الْعِرَاقِ إِذَا اشْتَدَّتْ الْأَزْمَاتُ

أَلَا طُرٌّ عَلَى الْعَيْهَوْرِ طُرٌّ وَإِنْ أَبْدَى مَجَامِلَةَ الرَّفَاقِ
طرز على العيهور (الفاجر) رغم ما يبدي من مجاملة

بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ يَنَالُ مَنِّي وَيُوسِعُنِي عِنَاقاً فِي الرِّقَاقِ
بقارعة الطريق (وسط الطريق وأمام الناس) ينال مني (يؤذيني)، ويوسعني (يملأني) عناقاً في الرقاق
بعيداً عن الأنظار

وَلَيْسَ مِنَ الْغَرِيبِ سَوَادٌ حَظِّي وَبِالسُّودَانِ قَدْ طَالَ التَّصَاقِي
والدكتور محبوب أصل أبيه من دنقلة بالسودان، وظل يناصر قضية ارتباط مصر بالسودان

فَسَبْحَانَ الْمُفَرَّقِ! حَظٌّ قَوْمٍ قَنَاطِيرٌ وَأَقْوَامٌ أَوَاقٍ
فسبحان المفرق (الموزع للرزق)! فحظ البعض قناطير، وحظ آخرين أواق (الأوقية عيار وزن ضئيل
جداً بالقياس إلى القنطار)

أُمُورٌ يَضْحَكُ السُّعْدَاءُ مِنْهَا وَيَبْكِي الْبَلْشَفِيُّ وَالْإِشْتِرَاقِي
السعداء: الأغنياء السعدون. الاشتراقي هذه فيها ظرف كثير، رجوت ألا يكون فاتك

٢٠٠ سحر الدرهم

قال شوقي يداعب الدكتور محبوب ثابت:

قُلْ لَابِنْ سَيْنَا: لَا طَبِيْبَ بَ الْيَوْمَ إِلَّا الدَّرْهَمُ
قل لابن سينا (يسخر من الدكتور محبوب ثابت) إن الطبيب الحقيقي اليوم هو الدرهم

هُوَ قَبْلَ «بُقْرَاطٍ» وَقَبْلَ لَكَ لِلْجِرَاحَةِ مَرْهَمُ
فهو قبل بقراط (طبيب اليونان) وقبلك يا دكتور محبوب مرهم الجراح

والناسُ، مُذْ كانوا، عليهِ دائِرونَ وحُـوْمٌ

والناس، منذ كان ناس، يدورون ويحومون حول الدرهم

وَبِسِحْرِهِ تَعْلُو الْأَسَا فُلٌ فِي الْعَيُونِ وَتَعْظُمُ

بسحر الدرهم يعلو أسافل الناس ويعظمون في العيون

٢٠١ براغيث محجوب

قال شوقي يداعب الدكتور محجوب ثابت:

براغيثُ محجوبٍ لم أنسها ولم أنس ما طعمت من دمي

طعمت: أكلت

تَشُقُّ خراطيمُها جُورِي وتنفذ في اللحم والأعظم

تُرْحَبُ بالضيف فوق الطريق فباب العيادة فالسُّلَمِ

قد انتشرت جوقة جوقة كما رُشَّتِ الأرضُ بالسُّنُمِ

وترقصُ رقصَ المَواشي الحِدادِ على الجلدِ، والعَلَقِ الأَسْحَمِ

ترقص رقص المواشي (السكاكين) الحداد (الحادة)، على الجلد، وترقص مثل العلق (الحشرات الماصة للدم) الأسحم (الأسود)

إذا ما ابنُ سينا رَمَى بَلْعَمًا رأيتَ البراغيثَ في البَلغمِ

وتُبَصِّرُها حولَ بيبا الرئيس وفي شاربِيهِ وحولَ الفمِ

بيباً: غليون، والرئيس لقب ابن سينا

وبينَ حَفائِرِ أسنانِهِ مَعَ السُّوسِ في طَلَبِ المَطْعَمِ

حفائر: حُفَر، المطعم: الطعام

٢٠٢ رثاء المنفلوطي

قال شوقي يرثي المنفلوطي، ومات يوم أطلق الرصاص على سعد زغلول في محاولة

اغتيال. (يوليو/تموز ١٩٢٤):

اخترتَ يومَ الهولِ يومَ وداعٍ ونَعاكُ في عَصْفِ الرياحِ النَّاعي

اخترت، وكان المنفلوطي هو الذي اختار يوم موته!، يوم الهول (يوم إطلاق النار على سعد زغلول) لتودعنا، ونعاك الناعي والرياح عاصفة (قيل كان يوماً عاصفاً)

هَتَفَ النُّعَاةَ ضُحًى فَأَوْصَدَ دُونَهُمْ جُرْحُ الرَّئِيسِ مَنَافِذَ الْأَسْمَاعِ
جاء النعاة (ناقلو خبر وفاة المنفلوطي) بالخبر عند الضحى، ولكن إصابة سعد بجرح سدت أسماع
الناس، وشغلتهم عن وفاة المنفلوطي

مَنْ مَاتَ فِي فَرْعِ الْقِيَامَةِ لَمْ يَجِدْ قَدَمًا تُشَيِّعُ أَوْ حَفَاوَةً سَاعِ
من مات في يوم القيامة لم يجد قدماً تسير في تشييعه؛ وإصابة سعد جعلت مصر كيوم القيامة.
وشوقي في هذه الفترة من أصدقاء سعد، بعد أن كان عَرَضَ به في شعر سابق، وقد مكثه حزب
سعد «الوفد» في هذه الفترة من مقعد في مجلس الشيوخ

مَا ضَرَّ لَوْ صَبَرْتَ رَكَابُكَ سَاعَةً كَيْفَ الْوُقُوفُ إِذَا أَهَابَ الدَّاعِي
ماذا كان يضر لو صبرت ركابك (مطيتك) التي تأخذك إلى العالم الآخر ساعة (بعض الوقت) كي
يعطيك الناس ما تستحق من التوديع، ولكن هل يمكن الوقوف إذا أهاب (حث) داعي الآخرة؟

خَلَّ الْجَنَائِزَ عَنْكَ، لَا تَحْفَلْ بِهَا لَيْسَ الْغُرُورُ لِمَيِّتٍ بِمَتَاعِ
دع الجنائز والاهتمام بها، فالغرور الذي يجعل المرء حريصاً على جنازة فخمة لا يفيد الميت شيئاً

مَنْ ضَاقَ بِالدُّنْيَا فَلَيْسَ حَكِيمَهَا إِنْ الْحَكِيمَ بِهَا رَحِيبُ الْبَاعِ
حكيم الدنيا الحقيقي من كان رحيب الباع (واسع الصدر)

مَنْ سَوَّاهُ الدُّنْيَا إِلَيْكَ فَلَمْ تَجِدْ فِي الْمُلْكِ غَيْرَ مُعَذِّبِينَ جِياعٍ؟
يخاطب المنفلوطي: من ذا الذي شوه الدنيا في عينيك فلم تكن ترى في الملك (ملك الله/ أي
الدنيا) سوى المعذبين والجياع، وهذا كان حال المنفلوطي في نظراته وعبراته وما ترجم من
روايات جميعاً

لَا الْفَقْرُ بِالْعَبْرَاتِ حُصْ، وَلَا الْغِنَى غَيْرُ الْحَيَاةِ لَهُنَّ حَكْمُ مَشَاعِ
ليست العبرات (الدموع/ وهو اسم كتاب للمنفلوطي) خاصة بالفقر ولا بالغنى، وَغَيْرُ (مضائب)
الدنيا مشاع

مَا زَالَ فِي الْكُوخِ الْوَضِيعُ بَوَاعِثُ مِنْهَا، وَفِي الْقَصْرِ الرَّفِيعِ دَوَاعِ
يوجد في الكوخ دائماً بواعث تبعث على الدموع، وفي القصر الفخم ما يدعو للدموع أيضاً

فِي الْفَقْرِ حَيَاتٌ يَسِيْبُهَا بِهِ حَاوِي الْقَضَاءِ، وَفِي الرِّيَاضِ أَفَاعِ
كأن القضاء له حاوٍ ماهر من الحواة يسبب (يترك) الأفاعي تسرح في الفقر وحياة الفقراء؛ لكن
أيضاً في الرياض (البساتين) أفاعٍ

وَلَرُبَّ بُؤْسٍ فِي الْحَيَاةِ مُقَنَّنٍ أَرْبَى عَلَى بُؤْسٍ بِغَيْرِ قِنَاعِ
وثمة بُؤْسٌ مقننٌ أربى (زاد) على بُؤْسٍ صريح

سَكَنَ الْأَحْبَةَ وَالْعِدَى، وَفَرَّغَتْ مِنْ حِقْدِ الْخُصُومِ وَمِنْ هَوَى الْأَشْيَاعِ
الآن بموتك سكن (هدأ) الأحبة والأعداء، واسترحت من حقد الخصوم ومن ميل الأشياء
(الأنصار) على حد سواء

فَافْزَعْ إِلَى الزَّمَنِ الْحَكِيمِ، فَعِنْدَهُ نَقْدٌ تَنْزَرُهُ عَنْ هَوَى وَنَزَاعِ
فافزع (فالجأ) إلى الزمن الحكيم، فالنقد الذي يوفره كثر السنين نقد منزه عن الغرض وعن
الخصومة. وكان شوقي يكره النقاد كراهية شديدة، وفي هذه السنة كانت قد مرت ثلاث سنين على
الهجمة القوية التي شنّها العقاد على شوقي في كتاب الديوان. وقيل إن شوقي كان يدفع للصحف
لتمدح شعره، أو لتمتنع عن نقده

فَإِذَا قَضَى لَكَ أَتَيْتَ مِنْ شُمِّ الْعُلَى بَثْنِيَّةً بَعُدَتْ عَلَى الطُّلَاعِ
فإذا حكم لك الزمن بالتفوق أتيت (رجعت) من الجبال العالية سالكاً ثنية (طريقاً جبلياً) بعيدة على
الطلوع (الطالعين)، يقصد المنتقدين

وَأَجَلٌ مَا فَوْقَ التُّرَابِ وَتَحْتَهُ قَلَمٌ عَلَيْهِ جَلَالَةُ الْإِجْمَاعِ
وأجل ما فوق التراب وتحتَه قلم يجمع الناس على عبقريته

٢٠٣ نجاة سعد

قال شوقي عندما اعتدى على سعد زغلول شاب أطلق الرصاص فأصابه في ذراعه،
(١٩٢٤):

نَجَا وَتَمَائِلَ رُبَّانِهَا وَدَقَّ الْبَشَائِرَ رُكْبَانِهَا
نجا ثم تمايل للشفاء ربان السفينة، ودق ركبان السفينة (ركابها) الطبول بإعلان البشائر (الأخبار
الطيبة)

وَهَلَّلَ فِي الْجَوْ قَيْدُومُهَا وَكَبَّرَ فِي الْمَاءِ سُكَّانُهَا
وهلل (قال لا إله إلا الله) قيدوم السفينة (مقدمتها)، وكبر (قال الله أكبر) سكان السفينة (دفتها)؛
والقيدوم أول السفينة والسكان في آخرها

تَحَوَّلَ عَنْهَا الْأَذَى، وَأَنْشَنَى عُبَابُ الْخُطُوبِ وَطُوفَانُهَا
تحول الأذى عن السفينة التي هي مصر، وأنشئ بعيداً عباب (موج) الخطوب (المصائب)
وطوفانها

نَجَا نَوْحُهَا مِنْ يَدِ الْمُعْتَدِي وَضَلَّ الْمَقَاتِلَ عُذْوَانُهَا
نجا نوحها (قائد السفينة ويشبهه بنوح النبي) من يد المعتدي، وقد ضل (أخطأ) المقاتل (أجزاء
الجسم التي تسبب إصابتها في الموت قتلاً) عدوان هذه اليد

وَقَى الْأَرْضَ شَرَّ مَقَادِيرِهِ لَطِيفُ السَّمَاءِ وَرَحْمَانُهَا
وقى (حمى) الله الأرض شرَّ مقاديره (الشور التي كتبها علينا)

وَنَجَّى الْكِنَانَةَ مِنْ فِتْنَةٍ تَهْدَدَتِ النِّيلَ نِيرَانُهَا
ونجى الكنانة (مصر) من فتنة كانت ستحدث لو قتل سعد، وقد هددت نيران هذه الفتنة النيل (مصر)

يَسِيلُ عَلَى قَرْنٍ شَيْطَانِهَا عَقِيقُ الدَّمَاءِ وَعَقِيَانُهَا
وكانت تسيل على قرن شيطان هذه الفتنة (والشيطان، حسيما يتخيله الأوروبيون، ذو قرنين)
الدماء التي تشبه العقيق (الحجر الكريم الأحمر) وتشبه العقيان (الذهب الأحمر)، فالدماء ثمينة
كهذين الشيثين وحمراء مثلهما

فِيَا سَعْدُ! جُرْحُكَ سَاءَ الرِّجَالِ فَلَا جُرْحَتْ فِيكَ أَوْطَانُهَا
جرحك ساء الرجال، وأدعو أن لا تجرح بجرحك أوطان هؤلاء الرجال

وَقَتِكَ الْعِنَايَةَ بِالرَّاحَتَيْنِ وَطَوَّقَ جِيدَكَ إِحْسَانُهَا
وقتك (حمتك) العناية الإلهية براحتيها، وطوَّقَ جِيدَكَ (عقنك) إحسان الله

أَرَى مَصْرَ يَلْهُو بِحَدِّ السِّلَاحِ وَيَلْعَبُ بِالنَّارِ وَلُدَانُهَا
وراح بغير مجال العقول يُجِيلُ السِّيَاسَةَ غِلْمَانُهَا
وراح الغلمان بمصر يجيلون (يديرون) السياسة في مجال غير مجال العقل

وَأَيْنَ النُّبُوغُ وَأَيْنَ الْعُلُومُ وَأَيْنَ الْفَنُونَ وَإِتْقَانُهَا
فأين اعتبار النبوغ والعلم والفن والإتقان. وهذه الأربعة جميعاً مهمة عند شوقي الذي اطلع على ما
حققته فرنسا من كل ذلك. وهو يردد هذه التهمة كثيراً في قصائده

وَأَيْنَ مِنَ الْخُلُقِ حَظُّ الْبِلَادِ إِذَا قَتَلَ الشَّيْبَ شُبَّانُهَا
وما حظ بلدنا من الأخلاق عندما يقتل الشبان الشيب (الشائين/المسنين)

وَأَيْنَ الْمَعْلَمُ، مَا خَطْبُهُ؟ وَأَيْنَ الْمَدَارِسُ، مَا شَأْنُهَا؟
وما شأن المعلم، وشأن المدارس؟ وهل تربى النشء على الخلق السليم

لَقَدْ عِبَتْ بِالنِّيَاقِ الْحُدَاةُ وَنَامَ عَنِ الْإِبِلِ رُغْيَانُهَا
لقد عبث الحداة (الجمالون الذين يغنون لجمالهم وهي تسير) بالنياق (إناث الجمل)، ونام الرعاة
وأهملوا الإبل

وَيَا سَعْدُ! أَنْتَ أَمِيرُ الْبِلَادِ قَدْ امْتَلَأَتْ مِنْكَ أَيْمَانُهَا
أيمانها: أياديها اليمنى، فقد ملأت مصر يدها بسعد واكتفت بقيادته

ولَنْ تَرْضَى أَنْ تُقَدَّ الْقَنَاةُ وَيُبْتَرَّ مِنْ مِصْرَ سَوْدَانُهَا
لن ترضى أن تقد (تقطع) القناة منها، وفي ذلك الوقت كان الكلام كثيراً بشأن سيادة مصر على قناة
السويس، ولن ترضى أن يبتز السودان فلا تعود لمصر سيادة عليه

وَحُجَّتُنَا فِيهِمَا كَالصَّبَاحِ وَلَيْسَ بِمُعْجِيكَ تَبْيَانُهَا
وحجة مصر، في القناة والسودان كليهما، واضحة ولا يعيك (يعجزك) تبانها (توضيحها)

فَمِصْرُ الرِّيَاضِ، وَسَوْدَانُهَا عِيُونُ الرِّيَاضِ وَخُلْجَانُهَا
فمصر هي البساتين، والسودان هو عيون الماء والخلجان (الأنهار) لهذه البساتين. أليس من
السودان يأتي النيل لمصر؟

وَمَا هُوَ مَاءٌ، وَلَكِنَّهُ وَرِيدُ الْحَيَاةِ وَشَرِيَانُهَا
وليس النيل ماء فحسب بل شريان حياة

وَأَمَّا الشَّرِيكَ فَعِلَاتُهُ هِيَ الشَّرِكَاتُ وَأَقْطَانُهَا
وأما الشريك (إنجلترا، شريكة مصر في السيادة على السودان) فعلاته (حججه) في عدم إعطاء
السيادة لمصر وجود شركات تحتاج إلى القطن. وقد أصيب سعد بالرصاص في ساعده الأيمن وهو
في طريقه إلى إنجلترا للتفاوض على الاستقلال مع رئيس الوزراء البريطاني رمزي مكدونالد، وقد
سافر بعيد شفائه واجتمع مع مكدونالد في سبتمبر أيلول ١٩٢٤، وتمسك الإنجليز بالسيطرة شبه
المنفردة على السودان

وَحَرْبٌ مَضَّتْ نَحْنُ أَوْزَارُهَا وَخَيْلٌ خَلَّتْ نَحْنُ فَرَسَانُهَا
ومن حجج الإنجليز الحرب ضد المهدي في السودان لكننا كنا نحن أوزارها (أسلحتنا)، ومن
حججهم الخيل التي خلت (مضت)، ولكننا كنا نحن فرسان هذه الخيل

فَأَيْنَ مِنَ الْمَنْشِ بَحْرُ الْغَزَالِ وَفَيْضُ نِيَانْزَا وَتَهْتَانُهَا
فأين من بحر المنش (القتال الإنجليزي بين فرنسا وإنجلترا) بحر الغزال (منطقة نيلية في السودان)
ونيانزا (بحيرة من منابع النيل، واسمها الأشهر بحيرة فكتوريا) وفيضا وتهتانها (مطولها بالمطر)،
فقد نفهم مطالبة الإنجليز بحصة في بحر المنش أما بحر الغزال فما أبعد عنهم!

وَأَيْنَ التَّمَاثِيحُ مِنْ لُجَّةٍ يَمُوتُ مِنَ الْبَرْدِ حَيْثَانُهَا
وأين تماثيح النيل من لجة (بحر) يموت من البرد حيثانها، فالتمايح يعيش في جو إفريقيا الحار
فقط

وَلَكِنْ رُؤُوسٌ لَأَمْوَالِهِمْ يَحْرُكُ قَرْنِيَهُ شَيْطَانُهَا
ولكن الأمر هو أن رؤوس أموالهم كرؤوس الشياطين التي تحرك قرونها

ودعوى القوي كدعوى السَّباع مِنْ النَّابِ وَالظُّفْرِ بُرْهَانُهَا
ودعوى (قضية) القوي هي قضية السباع لا برهان عليها إلا الناب والظفر

٢٠٤ العلم والخلق

قال شوقي (١٩٢٤):

وَجَدْتُ الْعِلْمَ لَا يَبْنِي نَفْساً وَلَا يُغْنِي عَنِ الْأَخْلَاقِ شَيْئاً
ولم أرَ في السِّلَاحِ أَضْلَّ حَدّاً مِنْ الْأَخْلَاقِ إِنَّ صَحَبَتْ غَوِيّاً
كنت أحب لو كان شوقي قال غيباً بدل غويّاً

٢٠٥ الروح

قال شوقي (١٩٢٤):

ضُمِّي قِنَاعَكَ يَا سَعَادُ أَوْ ارْفَعِي هَذِي الْمَحَاسِنُ مَا خُلِقْنَ لِبُرْقِعِ
ضمي قناعك واستري به وجهك يا سعاد، أو ارفعيه، لكن.. محاسنك ما خلقها الله لكي تبرقي
وتحجبها

بَلْ مَا يَضُرُّكَ لَوْ سَمَحْتَ بِجَلْوَةٍ إِنَّ الْعُرُوسَ كَثِيرَةُ الْمُتَطَلِّعِ
ولماذا لا تسمحين بجلوة (انكشاف العروس في عرسها)، والعروس كثيرة المتطلِّع (المتطلعين إليها)
الناظرين إليها

لَيْسَ الْحِجَابُ لِمَنْ يَعِزُّ مَنَالُهُ إِنَّ الْحِجَابَ لِهُيَّيْنِ لَمْ يُمْنَعِ
الحجاب ليس لمن يكون عزيز المنال، بل للفتاة التي ليس هناك من يمنعها ويحميها، وأنت ممتنعة
محمية ولست بحاجة لقناع. شوقي هنا يتغزل، لكنه يتحدث أيضاً عن «الروح» التي هي محجوبة
عنا مع أنها في حفظ الله

أَنْتِ الَّتِي اتَّخَذْتَ الْجَمَالَ لِعِزِّهِ مِنْ مَظْهَرٍ، وَلِسِرِّهِ مِنْ مَوْضِعِ
أنت اتخذك الجمال (ذات الجميل/الله) مظهراً لعزه وموضِعاً لسره

لِمَسَّتْكَ رَاحَتُهُ، وَمَسَّكَ رَوْحُهُ فَأَتَى الْبَدِيعُ عَلَى مِثَالِ الْمَبْدِعِ
لمستك يد الله وروحه، فجئت بديعة لأنك مخلوقة المبدع

مَا بَالُ أَحْمَدَ عَيَّ عَنْكَ بَيَانُهُ بَلْ مَا لِعِيسَى لَمْ يَقُلْ أَوْ يَدَّعِ
كيف عَيَّ أحمد (عجز بيان الرسول محمد) عن شرحك، بل ما لعيسى لم يقل فيك شيئاً ولا
ادعى معرفة بك أيتها الروح

ولسانُ موسى انحلَّ إِلَّا عُقْدَةً مِنْ جَانِبِكِ علاجُها لم يَنْجِعِ
ولسان موسى النبي كان فيه لثغة ثقيلة فانحلت عقده (بأن رافقه أخوه الميين هارون) ولكن العقدة
التي به من جانبك لم ينجع (يفقد) فيها العلاج

٢٠٦ قم للمعلم

قال شوقي في حفل نادي المعلمين، وكان هذا الحفل قبل أسبوع من افتتاح البرلمان
(١٩٢٤):

قُمْ لِلْمَعْلَمِ، وَقِفْهُ التَّبْجِيلَا كَادَ الْمَعْلَمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولَا
قم للمعلم موفياً له التبجيل، فالمعلم كاد أن يكون رسولاً. ما أكثر ما يأمر شوقي قراء شعره
بالقيام، حتى لكأننا قاعدون على قلبه

أَعْلِمْتُ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ الَّذِي يَبْنِي وَيَنْشِئُ أَنْفُساً وَعَقُولَا
سَبْحَانَكَ اللَّهُمَّ! خَيْرَ مُعَلِّمٍ عَلَّمْتُ بِالْقَلَمِ الْقُرُونِ الْأُولَى
القرون: الأجيال، يشير إلى الآية: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾

أَخْرَجْتَ هَذَا الْعَقْلَ مِنْ ظُلُمَاتِهِ وَهَدَيْتَهُ النُّورَ الْمُبِينِ سَبِيلَا
عَلَّمْتُ يُونَانًا وَمِصْرَ، فَزَالَتَا عَنْ كُلِّ شَمْسٍ مَا تُرِيدُ أَفُولَا
علمت يا رب اليونان ومصر، فزالتا عن (خلفتا) شمساً من الحضارة لا تريد أفولاً (غياباً)،
بخلاف شمس السماء التي تأفل كل يوم

وَالْيَوْمَ أَصْبَحْتَ بِحَالِ طُفُولَةٍ فِي الْعِلْمِ تَلْتَمِسَانِهِ تَطْفِيلَا
ورجعت اليونان ومصر إلى حال الطفولة الحضارية، وهما الآن تلتتمان (تطلبان) العلم تطفيلاً
(تطفلاً)

ذَهَبَ الَّذِينَ حَمَوْا حَقِيقَةَ عِلْمِهِمْ وَاسْتَعَذَّبُوا فِيهَا الْعَذَابَ وَبِيلَا
ذهب الذين حموا حقيقة (شرف) علمهم واستعذبوا (استطابوا) في سبيلها العذاب الوبيل (الشديد)

سُقْرَاطُ أَعْطَى الْكَأْسَ، وَهِيَ مَنِيَّةٌ، شَفَتْنِي مُحِبٌّ يَشْتَهِي التَّقْبِيلَا
سقراط اليوناني أعطى كأسَ البسم - وهي منية (موت) - شفتني محب

عَرَضُوا الْحَيَاةَ عَلَيْهِ، وَهِيَ غَبَاوَةٌ، فَأَبَى، وَآثَرَ أَنْ يَمُوتَ نَبِيلَا
عرضوا عليه التراجع عن آرائه أو الهرب من سجنه، ولكنه وجد الحياة غباوة بغير مبادئ، فرفض
وآثر (فضل) أن يموت نبيلاً

إن الشجاعة في القلوب كثيرةٌ ووجدتُ شُجاعانَ العقولِ قليلا
شجاعة القلب (التحمس وخوض القتال مثلاً) شائعة، وشجاعة العقل (الصمود في سبيل المبدأ)
نادرة

أَوْكُلُ مَنْ حَامَى عَنِ الْحَقِّ اقْتَنَى عِنْدَ السَّوَادِ ضِغَانًا وَدُحُولًا
هل كل من حامى (دافع) عن الحق صار عليه أن يقتني (يجتلب) لنفسه عند السواد (عامّة الناس)
الضغائن (الأحقاد) والدحول (الثارات)

لَوْ كُنْتُ أَعْتَقِدُ الصَّلِيبَ وَخَطْبَهُ لَأَقِمْتُ مِنْ صَلْبِ الْمَسِيحِ دَلِيلًا
لو كنت مؤمناً بالصلب وخطبه (شأنه) أن المسيح صلب ومات على الصليب كما يعتقد المسيحيون
لجعلت من صلبه دليلاً على قولي

وَنَيْتُ خُطَى التَّعْلِيمِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَمَشَى الْهُوَيْنَى بَعْدَ إِسْمَاعِيلَا
ونيت (ضُعِفْتُ) خطى التعليم في مصر بعد محمد علي باشا، ومشى التعليم الهوينى (بطيئاً) بعد
الخدوي إسماعيل

حَتَّى رَأَيْنَا مِصْرَ تَخْطُو إِصْبَعَا فِي الْعِلْمِ إِنْ مَشَتْ الْمَمَالِكُ مِيلَا
تلك الكُفُورُ، وحشوها أُمِّيَّةً، مِنْ عَهْدِ خَوْفُو، لَمْ تَرَ الْقِنْدِيلَا
هذه الكفور (القرى) المحشوة بالأمية من عهد الفرعون خوفو، لم تعرف الكهرباء بعد

تَجَدُّ الَّذِينَ بَنَى الْمِسَلَّةَ جَدُّهُمْ لَا يُحْسِنُونَ لِإِبْرَةِ تَشْكِيلَا
هؤلاء الذين بنى جدهم الفرعوني المسلة (نصب على شكل إبرة ضخمة) لا يحسنون تشكيل
(صناعة) إبرة

رَبُّوْا عَلَى الْإِنْصَافِ فِتْيَانُ الْجِمَى تَجِدُوهُمْ كَهَفَ الْحَقُوقِ كُھُولَا
أيها المعلمون: ربوا الفتيان على العدل تجدوهم في كهولتهم (رجولتهم المتقدمة) كهفاً (ملاذاً)
لحفظ الحقوق

وَإِذَا أُصِيبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ مَأْتَمًا وَعَوِيلَا
إِنِّي لَأَعِذُّكُمْ، وَأُخَسِّبُ عِثَّكُمْ، مِنْ بَيْنِ أَعْبَاءِ الرِّجَالِ، ثَقِيلَا
لكم العذر فعبثكم، من بين كل الرجال، ثقیل

وَجَدَ الْمُسَاعِدَ غَيْرُكُمْ، وَحُرِّمْتُمْ، فِي مِصْرَ، عَوْنَ الْأَمْهَاتِ جَلِيلَا
غيركم وجد من يساعده في عمله، وأنتم حرمتهم المساعدة الجليلة المنتظرة من الأمهات في التربية
وإذا النساءُ نشأن في أُمِّيَّةٍ وَرِثَ الرِّجَالُ جَهَالَةً وَخُمُولَا

لَيْسَ الْيَتِيمُ مَنِ انْتَهَى أَبَوَاهُ مِنْ هَمِّ الْحَيَاةِ، وَخَلَّفَاهُ ذَلِيلًا
إِنَّ الْيَتِيمَ هُوَ الَّذِي تَلْقَى لَهُ أُمًّا تَخَلَّتْ، أَوْ أَبًا مَشْفُولًا

اليتيم الحقيقي هو الذي تجد له أمًا تخلت عن واجباتها، وأبًا شغلته المشاغل عن العناية بابنه

مَصْرُ إِذَا مَا رَاجَعْتَ أَيَّامَهَا لَمْ تَلَقَ لِلْسَبْتِ الْعَظِيمِ بَدِيلًا

السبت العظيم: ١٥/٣/١٩٢٤ اليوم الذي سيفتح فيه البرلمان بعد أسبوع من إلقاء القصيدة

الْبَرْلَمَانُ غَدًا يُمَدُّ رُواقُهُ ظِلًّا عَلَى الْوَادِي السَّعِيدِ ظَلِيلًا

غداً يُمَدُّ رواق (مظلة) البرلمان ليظلل وادي النيل

حَيُّوا مِنَ الشَّهَدَاءِ كُلِّ مُغَيَّبٍ وَضَعُوا عَلَى أَحْجَارِهِ إِكْلِيلًا

ناشدتكم تلك الدماء زكية لا تبعثوا للبرلمان جهولا

٢٠٧ عزة الموت

قال شوقي في أربعين عاطف بركات، وكيل وزارة التعليم، (١٩٢٤):

خَفَضْتُ لِعِزَّةِ الْمَوْتِ الْيَرَاعَا وَجَدَّ جَلَالُ مَنْطِقِهِ فَرَاعَا

خفضت اليراع (القلم) لعزة (سطوة) الموت، وكان منطق الموت (كلام الموت) جاداً وجليلاً
فراعي (أخافني)

فَإِنْ تَقُلَّ الرِّثَاءَ فَقُلْ دُمُوعاً يُصَاغُ بِهِنَّ، أَوْ حِكْمًا تُرَاعَى

فإن تقل الرثاء فليكن من الدموع يصاغ منها، أو من الحكم التي تراعى (تُتبع)

وَلَا تَكُ مِثْلَ نَادِيَةِ الْمُسَجَّى بَكَتْ كَسْبًا، وَلَمْ تَبْكُ التِّيَاعَا

ولا تكن مثل النادية التي تنوح على الجثمان النسجي (الممدد)، فهي تبكي لكسب المال وليس
لالتياعها (حرقها)

خَلَّتْ دُولُ الزَّمَانِ، وَزُلْنَ رُكْنَا وَرُكْنُ الْأَرْضِ بَاقٍ مَا تَدَاعَى

خلت (زالت) دول الزمان، وزالت أركانها، ولكن الأرض باقية لا تتداعى أركانها

وَلَوْ أَبَتْ ثَوَاكِلُ كُلِّ قَرْنٍ وَجَدَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَتَّكِلْ شُعَاعَا

ولو رجعت النساء الثواكل (الفاقدات للأبناء) من كل قرن (جيل) مضى لوجدن الشمس على حالها
لم تفقد شعاعاً واحداً من أشعتها

٢٠٨ من خانه الدهر

قال شوقي في المؤتمر الجغرافي (١٩٢٥):

يا لَيْلِيَّالِي لِإِسْمَاعِيلَ مِنْ سِنَّةٍ طَالَتْ، وَحَيْنَ مِنَ الْأَقْدَارِ قَدْ حَانَا
أَسْتَعِثْ بِاللَّيَالِي لِذِكْرِ الْخُدْيَوِيِّ إِسْمَاعِيلَ مِنْ هَذِهِ السِّنَةِ (الغفوة) التي طالت، وهذا الحين
(الهلاك) الذي جاءت به الأقدار وحان (اقترب) وقته

قَدْ خَطَّ شِعْرِي عَلَى الشَّعْرَى لَهُ جَدَثًا وَخَاطَ مِنْ لَمَحَاتِ الشَّمْسِ أَكْفَانَا
لقد خططت (بنيت) شعري على الشعري (النجم المعروف) جدثاً (قبراً) للخديوي إسماعيل، وخاط
(حاك حياكة) شعري له من لمحات (بريق) الشمس كفنًا، فقد مدحته ونوّهت بذكره

وَلَوْ مَشَتْ بِي اللَّيَالِي تَحْتَ كَوْكَبِهِ غَادَرْتُ أَحْمَدَ نِسِيًّا، وَابْنَ حَمْدَانَا
ولو قدّر لي أن تمشي الليالي (الزمن) بي تحت كوكبه (في ظل حكمه)، لكنني غادرت (تركت)
أحمد (أحمد بن الحسين المتنبّي) نسيًّا (منسيًّا) وكذلك ابن حمدان (سيف الدولة الحمداني، ونحن
نتذكره بسبب المتنبّي؛ فلو أفلح شوقي في شطب المتنبّي لشطب معه سيف الدولة تلقائيًّا)

مَدَّ الْكِنَانَةَ أَطْرَافًا، وَوَسَّعَهَا مُلْكًا، وَأَتْرَعَهَا خَيْلًا وَفُرْسَانًا
وسّع إسماعيل مصر، وأترعها (ملأها) خيلًا وفرسانًا

خَيَالُ مُلْكٍ تَلَمَّسْنَا حَقِيقَتَهُ فَأَخْطَأْنَا، وَكَانَتْ حَظُّ يَابَانَا

وكان ذلك التوسّع خيال (شبح) مُلْكٍ أردنا له أن يكون حقيقياً، ولكن حقيقته أخطأنا
(لم تصبنا) وكانت من حظ اليابان. يطرح هذا البيت سؤالاً يحتاج إلى كتاب كبير لتوفير
الإجابة. وليس عندي شيء من هذه الإجابة لذا أكتفي بتفسير السؤال: قد نهضت مصر
في عهد محمد علي، وكانت لها نهضة في عهد إسماعيل (ورأى إسماعيل في أواسط
سني حكمه الستة عشر اليابان تنهض بقوة)، وفي بدايات القرن العشرين ظللنا نحس أن
مصر ستخرج من قمقم الدول المتخلفة وستلحق باليابان، لكن نهضة مصر انتكست كما
يقول شوقي في هذا البيت (والبيت يسبق ثورة ١٩٥٢ وحكم العسكر بسبع وعشرين
سنة). فلماذا لا تنهض مصر كاليابان وماليزيا وكوريا الجنوبية؟ في البيت التالي سيكون
جواب شوقي أن الدهر خان مصر. وهو جواب شاعر. . وهو كلاجواب. على أن هذا
البيت، الحالي، يحمل إحساساً عميقاً بأن قطار النهضة فات مصر

مَنْ خَانَهُ الدَّهْرُ خَانَتْهُ صَنَائِعُهُ وَعَادَ ذَنْبًا لَهُ مَا كَانَ إِحْسَانًا
من خانه الدهر خاتته صنائعه (حسنته)، وعاد (صار) يُعَدُّ ذنباً من ذنوبه ما كان من إحسانه

٢٠٩ سباق في التنويه بالسباقين

قال شوقي متذكراً الكشف عن مقبرة توت عنخ آمون قبل ثلاث سنوات (١٩٢٥):

دَرَجَتْ عَلَى الْكَنْزِ الْقُرُونُ وَأَتَتْ عَلَى الدَّنِّ السَّنُونُ

درجت (مشت) على الكنز القرون (مئات السنين)، وأتت (مرت) على الدن (وعاء الخمر) السنوات

حتى أتى العلمُ الجَسو رُ، ففضَّ خاتِمَهُ المصونُ

حتى جاء العلم الجريء ففض (فتح) ختم هذا الكثر المصون (المحمي)

والعلمُ بِدريٍّ أَحلَّ- لأهلِهِ ما يصنعون

والعلم بدريٍّ (مثل مقاتلي بدر الذين غفرت لهم ذلاتهم السابقة واللاحقة، لذا فلهم أن يصنعوا ما يشاؤون)، وحلال لأهل العلم كل ما يصنعون

واندسَّ كالمصباحٍ في حُفَرٍ مِنَ الأجداتِ جُونُ

اندس العلم كأنه المصباح في حفر جُون (سود) هي حفر الأجدات (القبور)

خانتُ أمانةَ جارِها والقبرُ كالدنيا يخونُ

هذه القبور خانت أمانة جارها (ساكنها)، بأن سلمت جثمانه للأتاريين

يا ابنَ الثَّواقِبِ مِنْ رَعٍ وابنَ الزَّواهرِ مِنْ أُمونَ

يا توت عنخ آمون، يا ابن النجوم الثاقبة (المتقدة) من نسل رع (إله الشمس)، وابن النجوم الزاهرة من نسل آمون (إله الخصب)

هذا القيامُ، فقلْ لنا الـ يومُ الأخيرُ متى يكونُ

ظهورك بمثابة القيام (قيام المسيح من قبره، بحسب معتقد المسيحيين)، فمتى يا ترى يكون يوم القيامة؟

البعثُ غايةُ زائلٍ فانٍ، وأنثُمُ خالدونُ

البعث من القبور ودخول حياة الخلود غاية كل إنسان زائل فانٍ، وأما أنتم فخالدون أولردي بما تركتم من معالم

السُّبْقُ من عاداتِكُم أترى القيامةَ تسبقونُ؟

وعادتكم هي السبق، فهل بقيامك هذا تريد أن تسبق يوم القيامة؟

ذَهَبَ بِبَطْنِ الأرضِ لم تذهبْ بِلمَحَتِهِ القُرُونُ

عُثر على ذهب في جوف الأرض لم تذهب القرون بلمحته (بريقه)

مَلِكُ الملوِكِ! تحيةٌ وولاءٌ مُحْتَفِظُ أَمِينُ

يا ملك الملوك تحيةً مني أنا الذي حفظتُ لك حسناتك وكنْتُ أميناً على تراثك

هذا المَقامُ عرفتُهُ وسبقتُ فيه القائلينَ

فأنا عرفت مقام (مكانة) الفراغة، وسبقت كل الشعراء في التنويه بذكرهم وآثارهم

سالت عيون قصائدي وجرى من الحَجَرِ المَعِينِ

سالت عيون قصائدي (ينابيع قصائدي) بالآيات العذبة، وجرى المعين (الماء) من الحجر (الآثار الحجرية للفراغة). تلعب لفظي متداخل. فعيون القصائد جيادها، وعيون الوجه هي التي تسيل بالدموع، والعيون هي الينابيع؛ والمعين نبع وقد يخرج من الحجر بقدرة الله، والحجر أيضاً هو آثار الفراغة، وكلّ أولئك قصد شوقي

أَقَعَدْتُ جَيْلاً لِلْهَوَى وَأَقَمْتُ جَيْلاً آخَرِينَ

أنا أقعدت الجيل السابق بقصائد الغزل، وأقمت الجيل الحاضر بشعري الفرعوني، يقول إنه أقام الدنيا وأقعدتها بألوان شعره المختلفة. وفي حديث صحفي لأحمد شوقي، للأهرام عام ١٩٢٧، قال إن هذه القصيدة هي الأثرية عنده. كانت جديدة آنذاك وكان ممتازاً بها

٢١٠ تحرش

قال شوقي يذكر ربوع لبنان (١٩٢٥):

دَخَلَ الْكَنِيسَةَ، فَارْتَقَبْتُ فَلَمْ يُطْلُ فَأَتَيْتُ دُونَ طَرِيقِهِ فَرَزَحَمْتُهُ

دخل محبوبي الكنيسة فارتقبت (انتظرت) فلم يُطل المكوث، وعندما خرج تحرشت به وزاحمت في الطريق

فَارْزُورَ غَضْبَاناً وَأَعْرَضَ نَافِراً حَالاً مِنَ الْغَيْدِ الْمِلَاحِ عَرَفْتُهُ

فارزور (أشاح عني) غاضباً ونفر مني، وهذا الحال أعرفه من الغيد (الحسان) الملاح (الجميلات)

فَصَرَفْتُ تَلْعَابِي إِلَى أَتْرَابِي وَزَعَمْتُهُنَّ لُبَانَتِي، فَأَغَرْتُهُ

فصرفت تلعابي (لهوي وغزلي) عنه إلى الفتيات الأخريات، وزعمت أنهن لباني (غايي) فأغرته (أشعرته بالغيرة)

فَمَشَى إِلَيَّ، وَلَيْسَ أَوَّلَ جُوذِرٍ وَقَعْتُ عَلَيْهِ حَبَائِلِي فَقَنَضْتُهُ

فأتى المحبوب إلي عندئذ، وليس هو أول جوذر (ولد بقر الوحش) رميت عليه حبائلي (شباكي) فقنضته (صدته)

٢١١ قم ناج جلق

قال شوقي في حفل تكريمه بالمجمع العلمي العربي بدمشق (١٩٢٥):

قُمْ نَاجَ جِلْقَ، وَانْشُدْ رَسْمَ مَنْ بَانَا مَسَّتْ عَلَى الرَّسْمِ أَحْدَاثُ وَأَزْمَانُ

على طريقته التي لا يدعها يطلب شوقي من قارئه أن يقوم لبناجي (يحادث) جلق (دمشق) وليُنشد (يتعقب) رسم (أثر) من بانوا (رحلوا)، وقد مشت الأحداث والسنوات على هذا الأثر

بنو أميةً للأنبياء ما فَتَحُوا وللأحاديث ما سادوا وما دانوا
 بنو أمية فتوحاتهم صارت نبأ من الأنبياء، وما سادوا ودانوا (أخضعوا) من أقوام صار للأحاديث
 كانوا ملوكاً سريرُ الشرقِ تحتهُم فهل سألتَ سريرَ الغربِ ما كانوا
 كانوا ملوكاً تحتهُم سرير (عرش) الشرق، فهل سألتَ عرش الغرب أيضاً ماذا كان شأنهم؟ فهم
 أيضاً ملوكوا عرش الأندلس في الغرب

بالأمسِ قمتُ على الزَّهراءِ أُنذِبُهُم واليومَ دمعي على الفيحاءِ هَتَّانُ
 بالأمس (وأنا منفي في إسبانيا) نذبت بني أمية في «الزهراء» قرب قرطبة، واليوم دمعي هتان
 (هطال) على الفيحاء (دمشق)

لولا دمشقُ لما كانت طُلَيْطَلَةٌ ولا زَهَتْ ببني العباسِ بَغْدَانُ
 لولا دمشق لما فتح العرب طليطلة بالأندلس، ولا زمت (ازدانت) بغداد ببني العباس
 مررتُ بالمسجدِ المحزونِ أسأله هل في المِصْلَى أو المحرابِ مَرَوَانُ
 مررت بالمسجد الأموي الحزين أسأله عن مروان (مروان بن الحكم أبو الخلفاء الأمويين بعد
 معاوية الثاني)

تَغَيَّرَ المسجدُ المحزونُ، واختلَفَتْ على المنابرِ أحرارٌ وعُبدانُ
 تغير المسجد الأموي وتعاقبت على منابره السادة والعبيد يحكمون دمشق
 خَلَفْتُ لِبْنَانَ، جناتِ النعيمِ، وما تُبْتُ أَنْ طَرِيقَ الحُلْدِ لِبْنَانُ
 تركت لبنان وهو في عيني الجنة، ولم يخبرني أحد أنه هو الطريق إلى الجنة لا الجنة نفسها..
 حتَّى انحدرْتُ إلى فيحاءٍ وارفَةٍ فيها الندى، وبها طِيٌّ وشَيْبانُ
 حتَّى انحدرت (نزلت) إلى فيحاء (زكية الرائحة/ الفيحاء لقب دمشق) وارفة الظلال، وبها قوم
 أصولهم من عرب طيء وشيبان، فهنا الجنة

نزلْتُ فيها بِفَتِيانٍ جَحَاجِحَةٍ آباؤُهُمْ، في شبابِ الدهرِ، غَسَّانُ
 نزلت ضيفاً بفتيان جحاجحة (سادة)، آباؤهم الأقدمون - عندما كان الزمن في شبابه - قبيلة غسان.
 ما كان ضر شوقي لو أبعد هذه الجحاجحة عن شعره. إنها للكالذابة في طبق المهلبية

بِیضُ الأیسرَةِ، باقٍ فیهِمْ صَیدٌ مِنْ عَبدِ شَمسٍ، وإنْ لم تَبَقْ تِيجانُ
 بیض الأسرة (الوجوه) فيهم صَید (شموخ) باقٍ من زمن عبد شمس (جد بني أمية)، وإن لم تبق
 لهم التيجان

المُلْكُ أَنْ تَعْمَلُوا ما اسْتَطَعْتُمْ عَمَلًا وَأَنْ يَبِينَ على الأَعْمَالِ إِتْقَانُ
 الملك هو أن تعملوا ما استطعتم بجهد، ويأتقان

المُلْكُ أَنْ تَخْرُجَ الْأَمْوَالُ نَاشِطَةً لَمْ تَلْبِ فِيهِ إِصْلَاحٌ وَعُمْرَانُ

الملك هو أن تُفَقَّ الأموال في الإصلاح والعمران

المُلْكُ تَحْتَ لِسَانٍ حَوْلَهُ أَدَبٌ وَتَحْتَ عَقْلِ عَلَى جَنْبَيْهِ عِرْفَانُ

الملك يحتاج إلى لسان يدعمه الأدب، وإلى عقل مدعوم من جانبيه بالمعرفة

المُلْكُ أَنْ تَتَلَقَّوْا فِي هَوَى وَطَنِ تَفَرَّقَتْ فِيهِ أَجْنَسٌ وَأَبْدَانُ

الملك هو الالتقاء في حب الوطن، وإن تفرقت (اختلفت) أجناس وأشكال المواطنين

نَصِيحَةٌ مِلْؤُهَا الْإِخْلَاصُ صَادِقَةٌ وَالنَّصِيحُ خَالِصُهُ دِينٌ وَإِيمَانُ

والشُّعْرُ، مَا لَمْ يَكُنْ ذِكْرِي وَمَوْعِظَةٌ أَوْ حِكْمَةٌ، فَهُوَ تَقْطِيعٌ وَأَوْزَانُ

٢١٢ على قبر نابليون

قال شوقي بعد زيارة لقبر نابليون (١٩٢٥):

لَيْسَ فِي قَبْرِ وَإِنْ نَالَ الشُّهَاءُ مَا يَزِيدُ الْمَيِّتَ زِنًا وَيَزِينُ

ليس في أي قبر، حتى وإن رفعوا بنيانه ليلصل إلى نجمة «الشها»، ما يزيد من قيمة الميت أو يزيّنه (يُزَيِّنُهُ)

فَانْزِلِ التَّارِيخَ قَبْرًا، أَوْ قَنَمٌ فِي الثَّرَى غُفْلًا كَبَعْضِ الْهَامِدِينَ

فانزل التاريخ واتخذه قبراً (ليكن التاريخ هو موضع ذكراك فهذا هو الخلود في الدنيا)، وسوى ذلك فلتنم في الثرى (التراب) غفلاً (نكرة مجهولاً) كبعض الناس الهامدين (المنطفئين)

وَاخْذَعْ الْأَحْيَاءَ مَا شِئْتَ، فَلَنْ تَجِدَ التَّارِيخَ فِي الْمُنْخَدِعِينَ

اخضع الأحياء ما شئت، ولكن التاريخ لا ينخدع

لَا يَقُولَنَّ أَمْرُؤُ أَصْلِي، فَمَا أَصْلُهُ مِسْكٌ وَأَصْلُ النَّاسِ طِينٌ

لا يبيّأ امرؤ بأصله، فكلنا من طين وليس أحد مخلوقاً من المسك

قَدْ تَنَوَّجْتَ، فَقَالَتْ أُمٌّ: وَلَكِنَّ الشُّورَةَ عَقَى الشَّائِرِينَ

يا نابليون! عندما وضعت التاج على رأسك وأعلنت نفسك إمبراطوراً قالوا إن ابن الثورة عاق (خان) الشائرين

وَتَزَوَّجْتَ، فَقَالُوا: مَا لَهُ وَلِحُورٍ مِنْ بَنَاتِ الْمُلْكِ عَيْنٌ

وعندما تزوجت من بيت مالِك قالوا: ما لهذا الرجل ذي الأصل العادي ولبنات الملوك الحور (الجميلات العيون) العين (الجميلات العيون)

قَسَمًا لَوْ قَدَرُوا مَا احْتَشَمُوا، لَا يَعِفُّ النَّاسُ إِلَّا عَاجِزِينَ
وأقسم لو أن هؤلاء المعترضين قدروا على ما صنعت لما احتشموا (خجلوا) من الشيء نفسه،
والناس لا يعفون (يترفعون) إلا عندما يعجزون عن نيل الشيء

أَرَأَيْتَ الْخَيْرَ وَافَى أُمَّةً لَمْ يَنَالُوا حَظَّهُمْ فِي النَّابِغِينَ
هل وجدت أمة نالها الخير والازدهار دون أن تنال نصيبها من الأفراد النابغين؟

يَضْلُحُ الْمُلْكُ عَلَى طَائِفَةٍ هُمْ جَمَالُ الْأَرْضِ حِينَ بَعْدَ حِينٍ
الملك يصبح صالحاً على طائفة (بوجود جماعة) من المتميزين الذين هم جمال الأرض، والذين
يأتون حيناً بعد حين

قُمْ إِلَى الْأَهْرَامِ وَاخْشَعْ وَاطَّرِحْ خَيْلَةَ الصَّيْدِ وَزَهْوَ الْفَاتِحِينَ
قم يا نابليون من قبرك وتعال إلى الأهرام واخشع أمامها، واطرح (اخلع) خيلة (تكبر) الصيد
(الأسياء) وزهو (تكبر) الفاتحين

وَأَعِذْهَا كَلِمَاتٍ أَرْبَعًا قَدْ أَحَاطَتْ بِالْقُرُونِ الْأَرْبَعِينَ
وأعد كلماتك الأربع المشهورة التي قلتها لجنودك عند الأهرام (أربعون قرناً تطل عليكم) والتي
أحاطت بـ (لخصت) أربعين قرناً من الزمان

قَدْ عَرَضْتَ الدَّهْرَ وَالْجَيْشَ مَعًا، غَايَةً قَصَّرَ عَنْهَا الْفَاتِحُونَ
قد استعرضت جيشك والزمان معاً، وهذه غاية قصر عنها الفاتحون قبلك

عِظَةٌ قَوْمِي بِهَا أَوْلَى، وَإِنْ بَعْدَ الْعَهْدِ، فَهَلْ يَعْتَبِرُونَ
والأهرام عظة (عبرة)، وقومي من بني مصر أولى بها من غيرهم رغم بعد عهد الفراعنة، فهل
تراهم يعتبرون؟

هَذِهِ الْأَهْرَامُ تَارِيخُهُمْ، كَيْفَ مِنْ تَارِيخِهِمْ لَا يَسْتَحُونَ
الأهرام تاريخهم، فكيف لا يستحون منه، إذ هم مقصرون عن إنجازات أجدادهم

قُمْ تَرِ الدُّنْيَا كَمَا غَادَرَتْهَا مِنْزَلُ الْغَدْرِ وَمَاءُ الْخَادِعِينَ
قم يا نابليون، وسترى الدنيا كما غادرتها، سترها مكان الغدر، وماء الخادعين (موضع
الخادعين). وكانت العرب تنزل في المكان وتسميه ماء كذا أو كذا لوجود عين ماء فيه، فكلمة
«ماء» صارت تعني «موضعا»

وَتَرِ الْحَقَّ عَزِيزًا فِي الْقَنَا هَيْنًا فِي الْعُرْلِ الْمُسْتَضْعَفِينَ
وسترى الحق عزيزاً (قوياً) وسط القنا (الرماح)، وهيناً (مهاناً) في صحبة العرل المستضعفين
(الضعفاء)

وَتَرَ الْعِزَّ لِسَيْفِ نَزِقٍ فِي بِنَاءِ الْمُلِكِ، أَوْ رَأَى رَزِينَ
وسترى العز لل سيف التزق (الخفيف) في تشيد الملك، وللرأي الرزين (الحكيم)

سُنَنُ كَانَتْ، وَنَظْمٌ لَمْ يَزَلْ وَفَسَادٌ فَوْقَ بَاعِ الْمَصْلَحِينَ
هذه سنن (قوانين) كانت موجودة دائماً، ونظام لم يزل على حاله، نظام «الحق للقوي»، وهناك
فساد فوق باع (قدرة) المصلحين

٢١٣.. وهذي الضجة الكبرى علاماً؟

قال شوقي في الذكرى السابعة عشرة لوفاة مصطفى كامل (١٩٢٥):

إِلَامَ الْخُلْفِ بَيْنَكُمْ إِلَامَا وَهَذِي الضَّجَّةُ الْكُبْرَى عَلَامَا
إلى متى الخلف (الاختلاف) بينكم؟ وهذه الضجة الكبرى على ماذا؟

وَفِيمَ يَكِيدُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَتُبْدُونَ الْعِدَاوَةَ وَالْخِصَامَا
وفي ماذا يكيد بعضكم لبعض، وتظهرون العداوة والخصومة؟

وَأَيْنَ الْفَوْزُ؟ لَا مَصْرُ اسْتَقَرَّتْ عَلَى حَالٍ، وَلَا السُّودَانُ دَامَا
وأين الفوز (النجاح)؟ فلا مصر استقرت على حال، ولا السودان دام تحت السيادة المصرية
الحقيقية

وَأَيْنَ ذَهَبْتُمْ بِالْحَقِّ لَمَّا رَكِبْتُمْ فِي قَضِيَّتِهِ الظَّلَامَا
وأين ذهبتُم بالحق بعد أن انتهجتم في المطالبة به طريق التآمر والدسائس؟

شَبَبْتُمْ بَيْنَكُمْ فِي الْقُطْرِ نَاراً عَلَى مُحْتَلٍّ كَانَتْ سَلَامَا
شبيتم (أشعلتم) بينكم ناراً في مصر من الفتن، ولكنها كانت سلاماً على المحتلين

إِذَا كَانَ الرُّمَاءُ رُمَاءَ سُوءٍ أَحَلُّوا غَيْرَ مَرْمَاهَا السُّهَامَا
والرماة إذا كانوا ذوي نية سيئة لم يصوبوا سهامهم إلى المرمى (الهدف)

وَلَيْسَا الْأَمْرَ حِزْباً بَعْدَ حِزْبٍ فَلَمْ نَكُ مُصْلِحِينَ وَلَا كِرَامَا
ولينا الأمر (تولينا الحكم) حزباً بعد حزب، فلم نكن مصلحين ولا كراماً

وَسُنَّسْنَا الْأَمْرَ حِينَ خَلَا إِلَيْنَا بِأَهْوَاءِ النُّفُوسِ فَمَا اسْتَقَامَا
وسننا الأمر (سيرنا الحكم بالسياسة) حين خلا إلينا (آل إلينا بعد رفع الحماية البريطانية) بأهواء
النفس (حسب مصالحها) فما استقام الحكم

٢١٤ خير جليس

قال شوقي في الكتاب (١٩٢٥):

أَنَا مَنْ بَدَّلَ بِالْكُتُبِ الصُّحَابَا لَمْ أَجِدْ لِي وَافِياً إِلَّا الْكِتَابَا
تركت أصحابي واتخذت الكتب أصحاباً، فلم أجد وافياً سوى الكتاب

صُحْبَةً لَمْ أَشْكُ مِنْهَا رِيْبَةً وَوَدَادٌ لَمْ يُكَلِّفْنِي عِتَابَا
وصحبة الكتاب لست أشكو منها أي ريبة (شك)، ووداد الكتاب ليس فيه عتاب كوداد الأصحاب

٢١٥ تصفير المسألة

قال شوقي في تأبين عبد اللطيف الصوفاني، من رجال الحزب الوطني، (١٩٢٥):

شَأْنُكَ وَالْدمْعَ وَالْبَكَاءَ لَا تَدْخِرْ فِي الشُّؤُونِ مَاءَ
حرر الدمع وأطلق البكاء على هواك، ولا تدخر في الشؤون (مجاري الدمع في العيون) ماء (دمعاً)
مَا كَانَ قُصَّاً وَلَا زِيَاداً وَلَا بِسِحْرِ الْبَيَانِ جَاءَ
المرثي لم يكن فصيحاً كقص بن ساعدة الإيادي، ولا كزياد بن معاوية المعروف بالناطقة الذبياني،
ولم يأت بسحر البيان

لَكِنْ إِذَا قَامَ قَالَ صِدْقاً وَجَانِبَ الزُّورِ وَالرِّيَاءِ
لكنه كان صادق القول، ويجانب (يتجنب) الزور (الكذب) والرياء (الادعاء). يقول زكي مبارك ما
معناه: كنت مع شوقي وقد مات الصوفاني، وأخذ شوقي يردد متحيراً متبرماً: أكان الرجل
فيلسوفاً، أم خطيباً؟ أم أي شيء كان؟ ثم جاءت القصيدة فإذا بها «ما كان قساً ولا زياداً...».

سَبْحَانَ مَنْ قَاتَهُ غُدُوًّا وَكَفَّ عَنْ قُوْتِهِ عِشَاءَ
فسبحان الله الذي قاته (رزقه طعامه) غدوًّا (صباحاً)، ومنعه قوته عِشَاءَ، لأنه مات في يومه
يَا لَكَ دُنْيَا لَذْتُ نَعِيماً لِلْقَوْمِ، وَاسْتُعْذِبْتُ بِلَاءَ
يا لك من دنيا لذت للقوم (طابت لهم) وهي نعيم، واستُعْذِبْتُ (طابت) لهم أيضاً وهي بلاء، فنحن
نحب الحياة في كل أحوالها

إِذَا انْتَهَيْنَا مِنْهَا تَسَاوَى مَا سَرَّ مِنْ حَالِهَا وَسَاءَ

إذا انتهينا من الدنيا تساوى طرفا المعادلة وأصبح الجواب صفراً، وصار ما سرّاً وما
سائاً من الدنيا متساوين. روي القصيدة الهمزة المفتوحة، وأبياتها الثلاثة والأربعون
مفتوحة الهمزة، ولكن الموسوعة الشوقية قيدت القافية وأضاعت تعب الشاعر في
اجتناب الكسر والضم واصطيد الموضع الإعرابي الذي يأذن بالفتحة

٢١٦ قم في فم الدنيا وحي الأزهر

قال شوقي في حفل إصلاحات الأزهر (١٩٢٥):

قُمْ فِي فَمِ الدُّنْيَا وَحَيِّ الْأَزْهَرَ وَانثُرْ عَلَى سَمْعِ الزَّمَانِ الْجَوْهَرَ
قم يا هذا كأنك لسان يلعلع داخل فم الدنيا، وحي الأزهر، وانثر الجواهر من كلمات هذه التحية
على سمع الزمان

وَاخْشَعْ مَلِيًّا، وَاقْضِ حَقَّ أَثْمَةٍ طَلَعُوا بِهِ زُهْرًا وَمَاجُوا أَبْحُرًا
واخشع ملياً (طويلاً)، واقض حق الأثمة الذي طلعا في الأزهر كالنجوم الزهر (المضيئة) وماجوا
(تدفقوا) بالعلم كأنهم البحار

لَا تَحْذُ حَذْوَ عَصَابَةٍ مَفْتُونَةٍ يَجِدُونَ كُلَّ قَدِيمٍ شَيْءٍ مُنْكَرًا
ولا تحذ حذو عصابة (جماعة) مفتونة (غاوية) تستكر كل قديم

وَلَوْ اسْتَطَاعُوا فِي الْمَجَامِعِ أَنْكَرُوا مَنْ مَاتَ مِنْ آبَائِهِمْ أَوْ عُمرَا
وهؤلاء لو استطاعوا في المجالس (المجالس) لأنكروا آباءهم، من مات منهم ومن عُمر

مِنْ كُلِّ مَاضٍ فِي الْقَدِيمِ وَهَدَمِهِ وَإِذَا تَقَدَّمَ لِلْبَنَاءِ قَصْرًا
وهؤلاء يتألفون من كل شخص ماض في هدم القديم، وأما إذا جاء ليبنى فهو يقصر

وَأَتَى الْحَضَارَةَ بِالصَّنَاعَةِ رِثَةً وَالْعِلْمَ نِزْرًا، وَالْبَيَانَ مَثْرِيرًا
ويأتي الواحد منهم ليساهم في الحضارة الحديثة فيساهم بصناعة رثة (غير متقنة)، ويعلم نزر
(قليل)، وبيان مثرير (ضحل المعنى)

يَا مَعْهَدًا أَفْنَى الْقُرُونِ جِدَارُهُ وَطَوَى اللَّيَالِي رُكْنُهُ وَالْأَعْصُرَا
أيها الأزهر! يا معهداً عتيقاً أفنى جداره الزمن، وطوى ركنه الليالي والعصور

عَيْنٌ مِنَ الْفُرْقَانِ فَاضَ نَمِيرُهَا وَحَيًّا مِنَ الْفُصْحَى جَرَى وَتَحَدَّرَا
الأزهر نبع فاض نميره (ماؤه العذب) من القرآن، وهو حيّ (مطر) من الفصحى جرى وتحدرا
(انسكب)

اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ابْنَ إِسْمَاعِيلَ، لَمْ تَتْرُكْ لَصُنَّاعِ الْمَآثِرِ مَفْخَرًا
الله أكبر يا ابن إسماعيل (الملك أحمد فؤاد)، فأنت لم تترك لمن يصنعون المآثر (الإنجازات)
شيئاً يفخرون به إلا وسبقهم إليه

أَرْعَيْتَهُ عَيْنَ الْعِنَايَةِ مُضْلِحًا وَأَجَلْتَ فِيهِ يَدَ الْبِنَاءِ مُعَمِّرًا
لقد أرعيت الأزهر (منحته) عين العناية، وأصلحت بناءه، وأجلت فيه يد البناء مُعَمِّرًا

وبلغت بالمعروف غاية صفوه أَيْكونُ معروفُ الملوِك مُكَدِّراً

وكان معروفك صافياً بلا ثمن، وهل لمعروف الملوك مقابل؟

لم تبغِ بالضُّعفاءِ عُدواناً، ولم تقذِفِ على حَرَمِ الشَّرِيعَةِ عَسْكَراً

لم تبغِ (تُرد) عدواناً على الضعفاء من طلبة الأزهر، ولم تقذف بالعسكر على حرم الأزهر الذي هو حرم الشريعة، كما فعلت السلطات سابقاً عندما وجهت الجنود ضد المتظاهرين الأزهريين

نظراً وإحساناً إلى عُثمِيانِهِ وَكُنِ المَسِيحُ مُداوياً وَمُجَبِّراً

فلتنتظر نظراً ولتحسن إحساناً إلى من فيه من الكففين، وكن كالمسيح يداوي الجراح ويجبر الكسور

واللَّهِ ما تدري، لعلَّ كَفِيفَهُمْ يوماً يَكُونُ أبا العلاءِ المبصراً

ولست تدري لعل أحد الكففين يكون ذات يوم كأبي العلاء المعري الكفيف المبصر بذكائه. كان شوقي يعرف حينئذ عن طه حسين الذي كان في السادسة والثلاثين، وكان طه قاعداً في وقت إلقاء هذه القصيدة يكتب كتاباً يهاجم فيه طرق التدريس بالأزهر لينشره في العام المقبل، وليكون له صدى مدو. كان بين طه حسين وشوقي نفور، لا بل قد نقل على لسان طه حسين في هذه السنة ١٩٢٥ أنه وصف نفسه بالعدو اللدود لشوقي. قال طه حسين لزكي مبارك (على عهدة الأخير): «مجنون أنت! ترفض كتابة مقدمة للطبعة المقبلة من ديوان شوقي. هذا تشريف لا يناله أحد، ولو أن شوقي طلب إليّ ذلك، وأنا من ألد أعدائه، لأجبتة شاكراً. فشوقي أعظم شاعر عرفته العربية منذ المتنبي». ولعل طه كان في ذهن شوقي في القصيدة، لكن ضمن الهدامين، لا ضمن الكففين العابرة. على أننا سنرى طه حسين يلتقي بشوقي ويجالسه في بعض الصحف التي كان يزورها شاعرنا حفاظاً على علاقاته الطيبة مع رؤساء تحريرها، وسنراها يلتقيان في «عاليه» بلبنان في فندق شاهين بعد سنتين ومعهما محمد عبد الوهاب وفكري أباطة

لو تشتريه بنصفِ مُلْكِكَ لم تجدْ غَبْنًا، وَجَلَّ المشتري والمشتري

لو تشتري الأزهر أيها الملك بنصف ملكك لم تجد غبناً (خسارة)، وإنك لجليل والأزهر جليل

اليومَ صَرَّحَتْ الأمورُ فأظهرتْ ما كان مِنْ خِدَعِ السياسةِ مضمرًا

اليوم صرحت (توضحت) الأمور فأظهرت ما أضمرة (سترته) خدع السياسة

قد كان وجهُ الرأيِ أنْ نبقي يدًا ونرى وراءَ جنودها إنْجِلْتِرا

كان الرأي الحصيف أن نبقي يدًا واحدة ونحن نرى إنجلترا تأتينا قادمة وراء جنودها

فإذا أتنّا بالصُّفوفِ كثيرةً جئنا بصفٍّ واحدٍ لنُكْسَرا

فرغم صفوف الجنود الكثيرة لإنجلترا فصفنا صف واحد، ولذا لن يكسر

٢١٧ قدرة ابن آدم

قال شوقي في احتفال وضع حجر الأساس لمبنى بنك مصر، وأسس طلعت حرب البنك قبلها بخمس سنوات، (قيل القصيدة عام ١٩٢٥):

تَأْتِي حِينَ أَسَّسَكَ ابْنُ حَرْبٍ وَحِينَ بَنَى دَعَائِمَكَ الشُّدَادَا

تَأْتِي طَلَعَتْ حَرْبٌ حِينَ أَسَّسَكَ يَا مَبْنَى الْبَنْكِ، وَحِينَ بَنَى دَعَائِمَكَ الشَّدِيدَةَ

وَلَا تُرْجَى الْمَتَانَةُ فِي بِنَاءٍ إِذَا الْبِنَاءُ لَمْ يُغَطَّ أَثَادَا

وَلَا تُرْجَى الْمَتَانَةُ فِي بِنَاءٍ إِذَا لَمْ يُرْزَقِ الْبِنَاءُ أَتَادًا (تَأْنِيًا)

وَلَمْ يَبْعُدْ عَلَى نَفْسٍ مَرَامٌ إِذَا رَكِبَتْ لَهُ الْهِمَمَ الْبِعَادَا

وَلَا يَبْعُدُ عَلَى نَفْسٍ مَرَامٍ (مَطْلَبٌ) إِذَا اتَّخَذَتْ لَهُ الْهِمَمُ (الطُمُوحَاتِ) الْبَعِيدَةَ (الْكَبِيرَةَ)

وَلَمْ أَرْ بَعْدَ قُدْرَتِهِ تَعَالَى كَمَقْدِرَةِ ابْنِ آدَمَ إِنْ أَرَادَا

٢١٨ صاحب القضية الدؤوب

قال شوقي يمدح سعد زغلول (١٩٢٦):

سَلُّوْا عَنْهُ الْقَضِيَّةَ هَلْ حَمَاهَا وَكَانَ جِمَى الْقَضِيَّةِ مُسْتَبَاحَا

اسألوا قضية حرية مصر هل حمأها (سعد زغلول)، وكان جأها (وطنها) مستأأها

هُوَ الشَّيْخُ الْفَتَى، لَوْ اسْتَرَا حْتُ عَنِ الدَّأْبِ الْكُوكَابُ مَا اسْتَرَا حَا

إنه شيخ مسن ولكنه فتى في عزمه، ولو استأأحت عن الدأب (المأأبة) الكوأب فهو لا يستأأح

٢١٩ ناع من الإسكندرية

قال في رثاء أحمد لطفي، وكان نقيًا للمأأمين ووكيلًا للحزب الوطني (١٩٢٦):

لَا تَنْهَيَنَّ الشَّاكَلَاتِ عَنِ الْبُكَاءِ فَلْعَلَّ فِي ذَرْفِ الدَّمُوعِ شَفَاءُهَا

لا تنهين (تمنعن) يا صأأبي الشأكلات (الفاقدات) عن البكأء، فربما كان في ذرف الدموع شفاء لنفوسهن الحزينة

وَلِيَمِثْلِ نَارِ الثُّكُلِ، وَهِيَ شَدِيدَةٌ، خَلَقَ الرَّحِيمُ لَنَا الشُّؤُونََ وَمَاءُهَا

ولمثل نار الثكل (الفقد) - وهي شديدة -، خلق الله الرحيم لنا الشؤون (مأأري الدمع في العينين) وخلق ماءها (دموعها)

أَوْحَى إِلَى الْحُزْنِ اللَّجُوجِ شُبُوبَهَا وإلى الدموعِ سَوَاكِبَ إِطْفَاءِهَا
الله أوحى إلى الحزن اللجوج (الملح) أن يشعل النار في القلوب، وأوحى إلى الدموع وهي
سواكب (منهرة) إطفاء هذه النار

نَاعٍ مِنَ الْإِسْكَندَرِيَّةِ هَاتِفُ رَاعَ الْكِنَانَةَ: أَرْضَهَا وَسَمَاءَهَا
ثمة ناعٍ من الإسكندرية هتف بخير موت الراحل فراع (أخاف) الكنانة (مصر) أرضاً وسماً
وَإِذَا الْبِلَادُ تَذَكَّرَتْ خُدَامَهَا لَمْ تَنْسَ مَوْتَهَا وَلَا أَحْيَاءَهَا
والبلاد تتذكر من خدمها أكان ميتاً أم حياً

إِنْ الشُّعُوبَ كِيَانُهَا حَرِيَّةٌ تحيا عليها، أو تموت فداءها

٢٢٠ ودفنتها ودفنت خير قصائدي معها

قال شوقي ينمي الخلافة، وقد انعقد مؤتمر في مصر في هذه السنة للنظر في أمر
الخلافة، وكان الملك فؤاد يمني نفسه بالحصول على هذا اللقب (١٩٢٦):

بَعَثُوا الْخِلَافَةَ سِيرَةً فِي النَّادِي: أَيْنَ الْمُبَايَعُ بِالْإِمَامِ يُنَادِي؟
بعثوا (أثاروا) سيرة الخلافة في المحافل، وسألوا: أين من يبايع لكي يسمي لنا خليفة؟

وَمَنْ ابْتَغَاهَا صَاحِباً فَمَحَلُّهَا بَيْنَ الْقَوَاضِي وَالْقَنَا الْمَيَّادِ
ومن ابتغى الخلافة ليكون صاحبها فإن مكانها هو بين القواضب (السيوف) والقنا (الرماح) المياد
(المهتز)

لَمْ تَسْتَقِمْ لِلْقَوْمِ خَلْفَ عِمَادِهِمْ هل تستقيم وهم بغيرِ عِمَادِ
لم تستقم الخلافة للمسلمين وهم متراصون وراء عمادهم (سندهم) أي الخليفة الذي كان موجوداً،
فهل تستقيم وقد ذهب الخليفة؟

أَتَحَاوِلُونَ بِلَا جِهَادٍ خُطَّةً لَمْ يَسْتَطِعْهَا التُّرْكُ بَعْدَ جِهَادِ
هل تحاولون إنجاح خطتكم بلا جهاد، والأتراك لم يستطيعوا إنجاحها بعد جهادهم؟

جَعَلُوا الْهَوَى سُلْطَانَهَا، وَدَعَوْا لَهَا مَنْ لَا يُسَدُّ بِهِ مَكَانُ الْهَادِي
جعلوا سلطان (قوة) الخلافة - وهم يريدون تجديدها - قائماً على الهوى (المصالح)، ودعوا
لتسلمها من لا يسد مبد من يهدي إلى الرشد

وَأَنَا الَّذِي مَرَضْتُهَا فِي دَائِهَا وجمعتُ فِيهِ عَوَاطِفَ الْعَوَادِ
وأنا مريضها (اعتيت بها) وهي في أواخر أيامها، وجمعت في مرضها ذاك عواطف العواد
(زوار المريض)

ونصرْتُها نصرَ المجاهدِ في ذَرَا عبد الحميد وفي جناحِ رشادِ
ونصرتها كالمجاهد في ذَرَا (حماية) السلطان عبد الحميد، وفي جناح (كنف) السلطان محمد رشاد

ودفنتُها، ودفنتُ خيرَ قصائدي مَعَهَا، وطالَ بقبرِها إنشادي

وعندما أُلغيت الخلافة دفنتها ودفنت معها خير قصائدي في مدحها، ورثتها بعد موتها

حتى اتَّهَمْتُ، فقبِلَ تُركيُّ الهوى، صَدَقُوا؛ هوى الأبطالِ ملءُ فؤادي

حتى لقد اتهمني الناس بأنني تركي الهوى، وقد صدقوا فحب الأبطال يملأ قلبي

اللَّهُ يَعْلَمُ ما انفرذتُ وإنما صَوَّرْتُ شِعْري مِنْ شعورِ الوادي

ولم أكن، علم الله، وحدي في ذلك، وإنما صورت في شعري ذاك شعور وادي النيل كله

وفَدَّ الخلافة! لا أُنبِّهُكُمْ على بَلَدِ حَفِيٍّ بالنَّزِيلِ جَوادِ

فيا أيها الوفد الذي قدم مصر لمؤتمر الخلافة، لستم بحاجة لأن أنبهكم إلى بلدنا الحفي (المضيف) بالنزيل (بالضيف)، وبلدنا الجواد (الكريم)

٢٢١ وزدته حبتين

قال شوقي في حفيد له اسمه أحمد (١٩٢٦):

رُوحِي وَلِذَّةِ عَيْنِي عَوِذْتُهُ بِالْحَسَنِ

حفيدي هو روعي ومتعة عيني، عوذته (رَفَيْتُهُ) بالحسين (مشهد «الحسين» في مصر)

سَلَّاتِي مِنْ عَلِيٍّ وَلَذْتُهُ مَرَّتَيْنِ

هذا الطفل هو نسلي أنا من ابني علي، فكأنني أنجبت علياً مرتين

أَحَبُّهُ كَأَبِيهِ وَزِدْتُهُ حَبَّتَيْنِ

أحبته كحبي لأبيه وزيادة

طِفْلٌ عَلَيْنَا أَمِيرٌ مُقَبَّلُ الرُّكْبَتَيْنِ

كالأمير علينا هذا الطفل لما نحوطه به من اهتمام، وركبناه للتعجيل

رِضَاهُ غَيْرُ قَلِيلٍ وَسُخْطُهُ غَيْرُ هَيْنِ

رضاه ليس قليلاً، وسخطه (غضبه) ليس هيناً (هيناً)

٢٢٢ صَحْبَةُ الْمَكْتَبِ

قال شوقي (١٩٢٦):

أَلَا حَبَّذا صُحْبَةُ الْمَكْتَبِ وَأَخْبَبُ بِأَيَّامِهِ أَخْبَبُ
أَلَا حَبَّذا (ما أبدع!) صَحْبَةُ الْمَكْتَبِ (الْكُتَّابُ)، وما أَحَبُّ أَيَّامِهِ!

وَيَا حَبَّذا صِبْيَةٌ يَمْرُحُونَ عِنَانُ الْحَيَاةِ عَلَيْهِمْ صَبِي
وما أجمل أولئك الصبية الذين يمرحون، وعِنَانُ الْحَيَاةِ (أي مقودها، كأنه مقود الحصان) خفيف
عليهم فكأنه صبي مثلهم (هكذا فهمت المعنى)

وَيُغْدَى بِهِمْ، وَيُرَاحُ قَطِيعاً عَلَى مَشْرِقِ الشَّمْسِ وَالْمَغْرِبِ
يُؤْخَذُونَ فِي الْغَدُو (الصباح)، ثُمَّ فِي الرِّوَا حِ (عند الغروب) كَأَنَّهُمُ الْقَطِيعُ، عِنْدَ الشُّرُوقِ وَعِنْدَ
الْغُرُوبِ ..

إِلَى مَرْتَعٍ أَلْفُوا غَيْرَهُ وَرَاحَ غَرِيبِ الْعَصَا أَجْنَبِي
يُؤْخَذُونَ إِلَى مَرْتَعٍ (موضع الرعي/ وقد شبههم بالقطيع) لَمْ يَأْلَفُوهُ بَلْ أَلْفُوا غَيْرَهُ، لِيَجِدُوا رَاعِيًا
عَصَاهُ هِيَ عَصَا الْغَرِيبِ، وَهُوَ أَجْنَبِي (من غير أهلهم)

وَمُسْتَقْبَلٍ مِنْ قِيُودِ الْحَيَاةِ شَدِيدٍ عَلَى النَّفْسِ مُسْتَضْعَبٍ
يُؤْخَذُونَ إِلَى مُسْتَقْبَلٍ مَكُونٍ مِنْ قِيُودِ الْحَيَاةِ، وَهُوَ شَدِيدٌ تَسْتَضْعَبُهُ النَّفْسُ

فِرَاحٌ بِأَيْلِكَ، فَمِنْ نَاهِضٍ يَرُوضُ الْجَنَاحَ، وَمِنْ أَرْغَبِ
إِنَّهُمْ فِرَاحٌ فِي الْأَيْلِكَ (الشجر)، مِنْهُمْ مَنْ نَهَضَ يَرُوضُ (يدرب) جَنَاحَهُ، وَمِنْهُمْ الْأَرْغَبُ (الذي نبت
له ريش صغير)

عَصَافِيرُ عِنْدَ تَهْجِي الدُّرُوسِ مِهَارٌ عَرَابِيدُ فِي الْمَلْعَبِ
عِنْدَ تَهْجِي الدُّرُوسِ يَكُونُونَ كَالْعَصَافِيرِ فِعْلاً، وَفِي الْمَلْعَبِ مِهَارٌ عَرَابِيدُ (كُلٌّ مِنْهُمْ مِهْرٌ صَاحِبٌ)

خَلِیُّونَ مِنْ تَبِعَاتِ الْحَيَاةِ عَلَى الْأَمِّ يُلْقُونَهَا وَالْأَبِ
خَلِیُونَ (فارغون) مِنْ تَبِعَاتِ (مَسْئُولِيَّاتِ) الْحَيَاةِ، وَيُلْقُونَهَا عَلَى الْأَمِّ وَالْأَبِ

لَهُمْ جَرَسٌ مُطْرَبٌ فِي السَّرَاحِ وَلَيْسَ إِذَا جَدَّ بِالْمُطْرَبِ
جَرَسُ الْمَدْرَسَةِ مُطْرَبٌ لَهُمْ فِي السَّرَاحِ (وَقْتُ الْإِنْصِرَافِ)، وَعِنْدَ الْجَدِّ وَالْدَّرْسِ لَا يَطْرَبُهُمْ

وَتِلْكَ الْأَوَاعِي بِأَيْمَانِهِمْ حَقَائِبُ فِيهَا الْغَدُ الْمُخْتَبِي
وَتِلْكَ الْأَوَاعِي (الْحَقَائِبُ) الَّتِي بِأَيْمَانِهِمْ (أَيْدِيهِمُ الْيَمْنَى)، هِيَ حَقَائِبُ يَخْتَبِي فِيهَا الْمُسْتَقْبَلُ

وفيهما المؤخَّرُ خَلْفَ الزَّحَامِ وفيها المَقْدَّمُ في المؤكِّبِ
وفي الحَقَائِبِ (أي في المستقبل) بعضهم يتأخَّرُ ويتخلف في زحمة الناس، وبعضهم يتقدم المؤكِّبِ
جميلٌ عليهم قَشِيبُ الثَّيَابِ وما لم يَجْمَلْ ولم يَفْشُبِ
الثَّيَابِ القَشِيَّةِ (التنظيفة/الجديدة) جميلة عليهم، وكذا الثَّيَابِ التي هي لا جميلة ولا قَشِيَّة، فهي
جميلة عليهم أيضاً

كسَاهُم بَنَانُ الصَّبَا حُلَّةٌ أَعَزُّ مِنَ الْمُخْمَلِ المُذْهَبِ
كساهم بنان (أصابع) الصبا حلة (ثوباً) أعز (أندر وأغلى) من المخمل المذهب

فيا وَيَحَهُمُ هل أَحْسُوا الحَيَاةَ لَقَدْ لَعِبُوا وَهِيَ لَمْ تَلْعَبِ
فويل لهم هل يشعرون بالحياة؟ إنهم يلعبون وهي لا تلعب

تُجَرَّبُ فِيهِمْ، وما يَعْلَمُونَ، كَتَجَرِبَةِ الطَّبِّ في الأَرْنَبِ
الحياة تجرب أحداثها عليهم، وهم غافلون، كما يجرب العلماء عقاقرهم في أرناب المختبرات

وَدَارَ الزَّمَانِ فَدَالَ الصَّبَا وَشَبَّ الصَّغَارُ عَنِ الْمَكْتَبِ
ثم دار الزمان، فдал (انتهى) الصبا، وشب الصغار عن المكتب (الكُتَّاب)

وَعُذِّبَ بِالْعِلْمِ طُلَاؤُهُ وَعَصُومُوا بِمَنْهَلِهِ الْأَغْذِبِ
وأخذوا يدرسون في الثانويات والمعاهد ويتعذبون بطلب العلم، ويغصون (يشرقون) بمنهله (بنبهه)
العذب

رَمَتْهُمْ بِهِ شَهَوَاتُ الْحَيَاةِ وَحُبُّ النَّبَاهَةِ وَالْمَكْسَبِ
رمتهم (ورطتهم) بالعلم رغبات الحياة، وحب النباهة (الشهرة)، والسعي للمكسب

وَزَهُوُ الْأَبْوَةِ مِنْ مُنْجِبٍ يُفَاخِرُ مَنْ لَيْسَ بِالْمُنْجِبِ
وكذلك ورطتهم في العلم زهو (فخر) الأبوة، فالأب المنجب (ذو الابن النجيب) يفاخر من ليس
ابنه نجيباً

قَدْ انصَرَفُوا بَعْدَ عِلْمِ الْكِتَابِ لِبَابِ مِنَ الْعِلْمِ لَمْ يُكْتَبِ
وبعد انتهاء الطلبة من علم الكتب، يدخلون باباً من العلم ليس موجوداً في أي كتاب..

حَيَاةٌ يَغَامِرُ فِيهَا امْرُؤٌ تَسْلَخُ بِالنَّابِ وَالْمِخْلَبِ
إنها الحياة. والمرء يغامر فيها وقد تسلخ بناب ومخلب من العلم أو من غيره

وصارَ إلى الفاقة ابنُ الغنيِّ ولاقى الغنى وَلَدُ الْمُتْرَبِ

وقد يصيح ابن الغني فقيراً، وقد يحصل على الغنى ابن المترب (الفقير)

وقد ذهبَ الْمُمْتَلِي صَحَةً وصَحَّ السَّقِيمُ فلم يذهبِ

وقد يموت الذي كان ممتلئاً صحة، وقد يصح المريض ويعيش

وكم مُنْجِبٍ في تَلَقِّي الدروسِ تَلَقَّى الحِياةَ فلم يُنْجِبِ

وكثيراً ما ترى منجياً (نجياً) في الدروس، تلقى درس الحياة فلم يكن نجياً

وغابَ الرفاقُ كَأَن لم يَكُنْ بِهِمْ لَكَ عهدٌ ولم تَصْحَبِ

ثم إن رفاق الدراسة غابوا عنك، فكأنه لا عهد لك بهم، ولم تصحبهم

إلى أن فَتَوْنَا ثَلَّةً ثَلَّةً فَنَاءَ السَّرَابِ على السَّبَبِ

وأخيراً.. فنون ثلثة (جماعة) بعد جماعة، مثلما يفنى السراب على السبب (الصحراء). لا تفوت

شوقي فرصة يتعجب فيها من عبث الحياة إلا اقتصرها. قال محمد صبري السوربوني عن هذه

القصيدة: «كلها درر.. ولا أعرف لها نظيراً في الشعر قديمه وحديثه في بكاء الشباب وزمن

الدرس والمكتب»

٢٢٣ زلزال القيامة

قال شوقي في زلزال طوكيو ويوكاهاما (١٩٢٦):

قَف بِطُكْيُو وَطُفَ على يُكْهُامَةٍ وَسَلِ القَرِيتَيْنِ: كَيْفَ القِيَامَةُ

قف بإزاء طوكيو وطُفَ على (تَجَوَّنْ في) يوكوهاما، واسأل القريتين (البلدين) كيف تكون القيامة،

فقد شهدا شبيها في الزلزال

دَنَبِ السَّاعَةِ التي أُنْذِرَ النَّا سُ، وَحَلَّتْ أَشْرَاطُهَا وَالْعَلَامَةُ

عندئذ اقتربت الساعة التي أنذر الله الناس بقدمها، ووقعت أشراطها (دلائلها) والعلامة (العلامة

التي بها يعرف قيام الساعة)

حَازَهُمْ مِنْ مَرَاجِلِ الأَرْضِ قَبِرٌ في مَدَى الظَّنِّ عمَقُهُ أَلْفَ قَامَةٍ

حازهم (احتواهم) من المراحل (خزانات الغليان) قبر يظن المرء أن عمقه ألف قامة (ألف مرة

طول الإنسان)

تَحَسَّبُ المِيتَ في نَوَاحِيهِ يُعْيِي نَفْخَةُ الصُّورِ أَن تَلُمَّ عِظَامَهُ

تحسب أن الميت في هذا القبر الجماعي يعمي نفخة الصور (يجعل نفخة البوق التي تنفخ في يوم

القيامة عاجزة)، فلا تستطيع هذه النفخة أن تلم عظامه

دولة الشرق وهي في ذروة العزّ - تحارّ العيون فيها فخامة
اليابان دولة الشرق العظيمة وهي في ذروة (قمة) العزّ، والعيون تحار من فخامة نهضتها . . هذه
الدولة

لو تأملتّها عشيّة جاشت خلتّها في يد القضاء حمامة
لو رأيته في ذلك المساء عندما جاشت (اهتزت) لخلتها (ظنتها) حمامة صغيرة في يد القضاء

٢٢٤ شروط الملك

قال شوقي (١٩٢٦):

يا طالباً لمعالي المُلْكِ مجتهداً خُذْها مِنَ العلمِ أو خُذْها مِنَ المالِ
يا من يطلب أُمجاد الملك مجتهداً (مُثابراً في طلبها)، عليك بالعلم أو بالمال

بالعلمِ والمالِ يَبْنِي الناسُ مُلْكَهُمْ لم يُبْنَ مُلْكٌ على جهلٍ وإقلالٍ
بهما كليهما يَبْنِي الناسُ الملكَ، فلا ملك بجهل ولا بإقلال (فقر)

٢٢٥ سلام أرق من صبا بردى

قال شوقي يذكر قصف الفرنسيين دمشق جواً وبراً في أكتوبر تشرين الثاني ١٩٢٥،
قالها عام (١٩٢٦):

سَلامٌ مِنْ صَبا بَرْدَى أَرَقُّ وَدَمْعٌ لا يُكْفِكُفُ يا دَمَشقُ
سلام أرق من صبا (نسب) بردى (نهر دمشق)، ودمع لا يكفكف (يُمنع من الهمول) لك يا دمشق
ومعذرةُ اليراعةِ والقوافي! جلالُ الرُزءِ عَنْ وصفٍ يَدْفَعُ
ولك معذرة من اليراعة (القلم) والقوافي (القصاصد) فهما لا يفيانك حقك، فجلال (ضخامة) الرزء
(المصيبة) يدق (يصعب) عن الوصف

وبيِّمًا رَمَتْكَ بِهِ اللَّيالي جِراحاتٌ لها في القلبِ عُمُقُ
وقد حل بي مما رمتك به الليالي (أحداث الزمن) جراح عميقة الغور في القلب

دخلتُكَ والأصيلُ لَهُ اتِّلاقٌ ووجهُكَ ضاحِكُ القَسَماتِ طَلَّقُ
دخلتك قبل حين من الزمن وكان للأصيل (الغروب) اتلاق (بريق)، وكان وجهك - آنذاك -
ضاحك القسماط (التقاطيع) طلقاً (مستبشراً)

وتحتَ جِنايِكَ الأنهارُ تجري ومِلاءُ رُبّاكِ أوراقُ ووُزُقُ
وكانت الأنهار تجري تحت جناحك (بساتينك)، وملء رباك أوراق الشجر والوُزُق (الحمام)

وَحَوْلِي فِتْيَةٌ غُرٌّ صَبَاحٌ لَهُمْ فِي الْفَضْلِ غَايَاتٌ وَسَبْقُ
وحولي فتية غر (بيض الوجوه) صباح (مشرقون)، سباقون للفضل يصلون فيه إلى الغايات البعيدة

عَلَى لَهَوَاتِهِمْ شُعَرَاءُ لُسْنٌ وَفِي أَعْطَافِهِمْ خُطَبَاءُ شُدُقُ
على لهواتهم (الستهم/اللهاة لحمه الحلق المتدلية) شعراء لسن (فصحاء)، وفي أعطافهم (جنوبهم)
خطباء شدق (فصحاء). وهو إذ يقول في أعطافهم خطباء إنما يقصد هم خطباء، ومن بيان العربية
أنك إن قلت «بين جنبيك خير صديق» فالمعنى «أنت خير صديق»

رُؤَاةٌ قِصَائِدِي، فَاعْجَبْ لِشِعْرِ بِكُلِّ مَحَلَّةٍ يَرْوِيهِ خَلْقُ
هؤلاء رؤاة لقصائدي يحفظونها ويرددونها، فاعجب لهذا الشعر الذي يرويه خلق (ناس) في كل
محلة (بلدة)

عَمَزْتُ إِبَاءَهُمْ حَتَّى تَلَطَّتْ أَنْوْفُ الْأَسَدِ وَاضْطَّرَمَ الْمَدَقُ
غمزت إباءهم (أثرت نخوتهم) حتى تلطت (اشتعلت) أنوف الأسود غضباً، واضطرم
(التهب) المدق (أرنبه الأنف). عندما سأل شوقي محمد عبد الوهاب عن أجمل بيت
في القصيدة اختار هذا البيت، سأله شوقي: فهمته؟ قال لا. فقط لجرسه. وغنى
عبد الوهاب أبياتاً من القصيدة وتجنب هذا البيت

وَضَجَّ مِنَ الشَّكِيمَةِ كُلُّ حَرٍّ أَبِي، مِنْ أُمِّيَّةٍ فِيهِ عِتْقُ
وضج (سهم) من الشكيمة (حديدة اللجام بعضها الحصان) كل حر أبي (رافض)، فيه عتق (أصالة)
موروثة من عهد بني أمية

لَحَاها اللَّهُ أَنْبَاءَ تَوَالَتْ عَلَى سَمْعِ الْوَلِيِّ بِمَا يَشُقُّ
لحأها (لعنها) الله هذه الأنباء التي توالى على سمع الولي (الصديق) بما يشق (يؤذي)

تَكَادُ لِرُوعَةِ الْأَحْدَاثِ فِيهَا تُخَالُ مِنَ الْخُرَافَةِ وَهِيَ صِدْقُ
تكاد هذه الأنباء لما فيها من روعة الأحداث (الأحداث المريعة) تخال (تُظَلُّ) من الخرافات،
ولكنها للأسف صادقة

وَقِيلَ مَعَالِمُ التَّارِيخِ دُكَّتْ وَقِيلَ أَصَابَهَا تَلَفٌ وَحَرَقُ
قيل معالم دمشق التاريخية قد دكت، وأصابها الخراب والحرق

أَلْسَبِ، دِمَشْقُ، لِلإِسْلَامِ ظُفْرًا وَمُرْضَعَةُ الْأُبُوَّةِ لَا تُعَقُّ
ألسب يا دمشق ظفر (مرضعة) الإسلام؟ (ودمشق احتضنت الإسلام باكراً)، وإن مرضعة الأبوة
(الآباء) لا يجوز عقوقها

صَلاَحُ الدِّينِ، تَاجُكَ، لَمْ يُجَمَّلْ وَلَمْ يَوْسَمْ بِأَزْيَنْ مِنْهُ فَرَقُ
صَلاَحِ الدِّينِ (المدفون في دمشق) تَاجُ لَكَ، وَهُوَ تَاجٌ لَمْ يُجَمَّلْ وَلَمْ يَوْسَمْ (يَزَيْنُ) بِأَجْمَلٍ مِنْهُ فَرَقُ
(رَأْسُ)

وَكُلُّ حَضَارَةٍ فِي الْأَرْضِ طَالَتْ لَهَا مِنْ سَرَاحِ الْعُلُويِّ عِرْقُ
وَكُلِّ حَضَارَةٍ فِي الْأَرْضِ طَالَتْ عِزُّهَا أَخَذَتْ عِرْقًا (غَصَنًا) مِنْ سَرَاحِ (شَجَرِ) الْعُلُويِّ (الْمَجِيدِ)
بَنَيْتِ الدَّوْلَةَ الْكُبْرَى، وَمُلْكًا غِبَارُ حَضَارَتَيْهِ لَا يُشَقُّ
بَنِيَتْ يَا دِمَشْقُ دَوْلَةً كُبْرَى، وَمُلْكًا فِي الْمَشْرِقِ وَآخِرُ فِي الْأَنْدَلُسِ، فَلَيْكَ بِهَذَا حَضَارَتَانِ لَا يُشَقُّ
غِبَارُهُمَا (لَا يَلْحَقُ بِهِمَا أَحَدُ)

لَهُ بِالْشَّامِ أَعْلَامٌ وَعُورُسٌ بِشَائِرُهُ بِأَنْدَلُسٍ تُدَقُّ
هَذَا الْمَلِكُ لَهُ بِالْشَّامِ أَعْلَامُ الْفَرَجِ وَالزَّيْنَةِ وَالنَّصْرِ، وَهُوَ عُرْسُ نَسَمٍ فِي الْأَنْدَلُسِ بِشَائِرِهِ (أَخْبَارُهُ)
(السَّارَةُ) تَدُقُّ بِهَا الطَّبُولُ

رِبَاعُ الْخُلْدِ، وَيَحْكُ، مَا دَهَاها أَحَقُّ أَنَّهَا دَرَسَتْ، أَحَقُّ؟
يَخَاطَبُ دِمَشْقُ: رِبَاعُ (رَبُوعِ) الْخُلْدِ (الْجَنَّةِ) مَا الَّذِي دَهَاها؟ وَهَلْ صَحِيحٌ أَنَّهَا دَرَسَتْ (مُحِيَّتْ)؟
وَأَيْنَ دُمَى الْمَقَاصِرِ مِنْ حِجَالِ مُهَتَّكَةٍ وَأَسْتَارِ تُشَقُّ
وَأَيْنَ دُمَى (عَرَائِسُ/يَقْصِدُ نِسَاءَ) الْمَقَاصِرِ (الْبُيُوتِ)؟ أَيْنَ هِيَ مِنْ هَذِهِ الْحِجَالِ (السُّتُورِ) الْمُهَتَّكَةِ
(الْمَمْزُوقَةِ) الْمَشْقُوقَةِ؟

بَرَزْنَ وَفِي نَوَاحِي الْأَيْكِ نَارٌ وَخَلْفَ الْأَيْكِ أَفْرَاحٌ تُزَقُّ
بَرَزَتِ النِّسَاءُ (خَرَجْنَ) مِنْ بُيُوتِهِنَّ بَعْدَ حَرْقِ دِمَشْقٍ عَلَى أَيْدِي الْفَرَنْسِيِّينَ، وَكَانَ فِي نَوَاحِي الْأَيْكِ
(الْغَابِ) نَارٌ، وَخَلْفَ الْغَابِ أَطْفَالُهُنَّ كَالْأَفْرَاحِ الَّتِي تُزَقُّ بِالْحَبِّ زَقًّا

إِذَا رُمِنَ السَّلَامَةُ مِنْ طَرِيقٍ أَتَتْ مِنْ دُونِهِ لِلْمَوْتِ طَرَفٌ
إِذَا رَمِنَ (طَلَبَنَ) السَّلَامَةَ بِسُلُوكِ طَرِيقٍ، كَانَ لِلْمَوْتِ قَبْلَ هَذَا الطَّرِيقِ طَرَفٌ أُخْرَى يَأْتِي مِنْهَا لِلْهَوَلَاءِ
النِّسَاءِ

بَلِيلٌ لِلْقَذَائِفِ وَالْمَنَايَا وَرَاءَ سَمَائِهِ خَطَفٌ وَصَعَقٌ
حَدَّثَ لَهُنَّ هَذَا فِي لَيْلٍ لِلْقَنَابِلِ وَالْمَوْتِ فِي سَمَائِهِ خَطَفٌ لِلْأَرْوَاحِ وَصَعَقٌ لِلنَّاسِ

إِذَا عَصَفَ الْحَدِيدُ أَحْمَرَ أَفُقٍ عَلَى جَنَابَاتِهِ، وَأَسْوَدَ أَفُقٍ
إِذَا عَصَفَ حَدِيدُ الْمَدَافِعِ أَحْمَرَ الْأَفُقِ عَلَى جَنَابَاتِ اللَّيْلِ بِالنَّارِ، وَأَسْوَدَ الْأَفُقِ مَرَّةً أُخْرَى بِالدِّخَانِ

سَلِي مَنْ رَاعَ غَيْدَكَ بَعْدَ وَهْنٍ أَبَيْنَ فَوَادِيهِ وَالصَّخْرِ فَرْقُ
فاسألني يا دمشق من راع (أخاف) غيدك (جميلاتك) بعد وهن (بعد حلول الظلام): هل يوجد فرق
بين قلبه وبين الصخر؟

وَلِلْمُسْتَعْمَرِينَ، وَإِنْ أَلَانُوا، قُلُوبٌ كَالْحِجَارَةِ لَا تَرِقُ
وللمستعمرين - وإن ألانوا (أظهروا اللين) - قلوب مثل الحجارة لا ترق (تلين)

رِمَاكِ بَطِيْشِهِ، وَرَمَى فَرَنْسَا، أَخُو حَرْبٍ بِهِ صَلَفٌ وَحُمُقُ
رماك بطيشه - ورمى بلده فرنسا أيضاً - صاحب حرب (هذا الجنرال) به صلف (تكبر) وحمق

إِذَا مَا جَاءَهُ طَلَّابُ حَقٍّ يَقُولُ عَصَابَةٌ خَرَجُوا وَشَقُّوا
إذا جاءه أصحاب الحق يطلبونه يعدمهم عصابة (جماعة) خرجوا على السلطة وشقوا عصا الطاعة

دُمُ الثَّوَارِ تَعْرِفُهُ فَرَنْسَا وَتَعْلَمُ أَنَّهُ نَوْرٌ وَحَقُّ
فرنسا تعرف خير المعرفة دم الثوار وتضحياتهم، وهي تعلم أن هذا الدم مجيد وينير طريق الحرية،
فهي صاحبة ثورة مجيدة

جَرَى فِي أَرْضِهَا، فِيهِ حَيَاةٌ كَمُنْهَلِ السَّمَاءِ وَفِيهِ رِزْقُ
وقد جرى دم الثوار في أرض فرنسا، وكان فيه حياة، كان مثل منهل السماء (المطر) الذي يأتي
بالخير

بِلَادُ مَاتَ فَثَيَّتُهَا لِتَحْيَا وَزَالُوا دُونَ قَوْمِهِمْ لِيَبْقُوا
تلك بلاد مات شبابها لتحيها، وزالوا (ماتوا) دون قومهم (دفاعاً عن قومهم) ليبقى القوم
وَحُرَّرَتِ الشُّعُوبُ عَلَى قَنَاها فَكَيْفَ عَلَى قَنَاها تُسْتَرْقُ
وقد تحررت الشعوب على قنا (رماح) فرنسا عقب ثورتها ١٧٨٩، فكيف تسترق (تستعبد) الشعوب
على هذه الرماح نفسها؟

بَنِي سُوْرِيَّةَ، أَطْرَحُوا الْأَمَانِيَّ وَالْقُومَا عَنكُمُ الْأَحْلَامَ أَلْقُوا
يا بني سورية أطرحوا (اتركوا جانباً) الأمانى، وألقوا عنكم الأحلام

فَمِنْ خِدْعِ السِّيَاسَةِ أَنْ تُعْرُوا بِالْقَابِ الْإِمَارَةِ وَهِيَ رِقُ
فمن خدع السياسة أن يُعَرَّ المرء بالقاب الإمارة، بينما هي رق (عبودية). وكانت فرنسا تسعى في
تفتيت سوريا إلى لبنان الكبير، ودولة جبل الدروز، وحكومة العلوين. وسأيرها في هذا المسمى
عدد من الساسة

وَكَمْ صَيِّدٍ بَدَأَ لَكَ مِنْ ذَلِيلٍ كَمَا مَالَتْ مِنَ الْمَصْلُوبِ عُتُقُ
وكثيراً ما يظهر لعينيك صَيِّدٌ (فخر وإمالة عتق) من شخص ذليل، فهو يُميل عنقه لا فخرأ ولكن
كالمصلوب

فُتُوقَ الْمُلْكُ تَحَدُّثٌ ثُمَّ تَمْضِي وَلَا يَمْضِي لِمُخْتَلِفِينَ فَتُقُ
فتوق الملك (الشقوق في بنيانه) تحدث ثم يمكن إصلاحها، ولكن المختلفين من أبناء البلد لا
يسهل إصلاح الفتق بينهم

نَصَحْتُ وَنَحْنُ مُخْتَلِفُونَ دَاراً وَلَكِنْ، كُلُّنَا فِي الْهَمِّ شَرَقُ
نصحت لكم مع اختلافنا في القطر، ولكننا جميعاً نشترك في الهم، فالشرق كله مظلوم والغرب له
ظالم

وَيَجْمَعُنَا إِذَا اخْتَلَفَتْ بِلَادُ بَيَانٌ غَيْرُ مُخْتَلِفٍ وَنُطْقُ
ولئن اختلف بلدي عن بلدكم فإن ما يجمعنا هو البيان الذي لا يختلف فيه والنطق باللغة العربية
وقفُّتُمْ بَيْنَ مَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ فَإِنْ رُمْتُمْ نَعِيمَ الدَّهْرِ فَاشْقُوا
أنتم بين الموت والحياة، وإذا رمتم (أردتم) النعيم والعز طول الدهر فاشقوا (اتعبوا). وحق كلمة
«اشقوا» أن تكون بفتح القاف، ومثلها كانت قبل بضعة أبيات كلمة «يقوا». ولكن هذا إقواء لا
تقبله الأذن

وَلِلْأَوْطَانِ فِي دَمٍ كُلِّ حُرٍّ يَدٌ سَلَفَتْ وَدَيْنٌ مُسْتَحَقُّ
وللأوطان في دم كل حر من أبنائها يدٌ (معروف) سابق، ولها عليه دين مستحق الوفاء

وَمَنْ يَسْقِي وَيَشْرَبُ بِالْمَنَايَا إِذَا الْأَحْرَارُ لَمْ يُسْقَوْا وَيَسْقَوْا
ومن ذا الذي يسقي عدوه الموت ويشرب الموت إذا لم يفعل ذلك الأحرار

وَلَا يَبْنِي الْمَمَالِكَ كَالضَّحَايَا وَلَا يُدْنِي الْحَقُوقَ، وَلَا يُحِقُّ
ولا شيء يبني الدول مثل الضحايا من أبنائها، ولا شيء مثلهم يدني (يقرب) الحقوق لأصحابها
وينجزها

فَفِي الْقَتْلَى لِأَجْيَالِ حَيَاةٍ وَفِي الْأَسْرَى فَدَى لَهُمْ وَعِتْقُ
ففي قتلى الحرية حياة للأجيال اللاحقة، وفي الأسرى عتق (تحرر) وفداء

وَلِلْحُرِّيَّةِ الْحَمْرَاءِ بَابٌ بِكُلِّ يَدٍ مُضَرَّجَةٍ يُدَقُّ
وللحرية الحمراء المصبوغة بدم الفداء بابٌ يُدَقُّ عليه أبناء الوطن بأيديهم المضرجة (المصبوغة
بالدم)

جَزَاكُم ذُو الْجَلَالِ بَنِي دِمَشْقٍ وَعِزُّ الشَّرْقِ أَوَّلُهُ دِمَشْقُ
جَزَاكُم اللهُ ذُو الْجَلَالِ يَا أَبْنَاءَ دِمَشْقٍ، فَاتَمَّ كَتَمَ بَدَايَةَ عِزِّ الشَّرْقِ فِي عَصْرِ بَنِي أُمَيَّةَ

٢٢٦ كان شعري الغناء في فرح الشرق

قال شوقي في حفل مبايعته بإمارة الشعر (١٩٢٧):

مَرْحَباً بِالرَّبِيعِ فِي رَيَّعَانِهِ وَبِأَنْوَارِهِ وَطَيْبِ زَمَانِهِ
ريعانه: أوله، أنواره: نَوَارِ الشَّجَرِ وَزَهْرِهِ

أَيْنَ نَوُرِ الرَّبِيعِ مِنْ زَهْرِ الشَّعْرِ حِ إِذَا مَا اسْتَوَى عَلَى أَفْنَانِهِ
لا مقارنة بين نَوُرِ (نَوَّارِ) الربيع وزهر (نَوَّارِ) الشعر عندما يستوي على أفنانه (أغصانه)

سَرَمْدُ الْحَسَنِ وَالْبَشَاشَةِ، مَهْمَا تَلْتَمِسُهُ تَجِدُهُ فِي إِيَّانِهِ
فالشعر سرمد الحسن (أبدي الجمال)، ومهما (في أي وقت) تلتمس (تطلب) الشعر تجده يانعاً كأنه
في إيانته (في موسمه)

حَسَنٌ فِي أَوَانِهِ كُلُّ شَيْءٍ وَجَمَالُ الْقَرِيضِ بَعْدَ أَوَانِهِ
كل شيء جميل في أوانه، والقريض (الشعر) جماله يزيد بعد انقضاء زمن عليه

أَمَرَ اللَّهُ بِالْحَقِيقَةِ وَالْحُكْمِ حَمَةً فَالْتَقْنَا عَلَى صَوْلَجَانِهِ
أمر الله الحقيقة والحكمة فالتفتا على صولجان الشعر ترافقانه دوماً. أحقاً؟ الشعراء يتبعهم
المهتدون؟

لَمْ تَثُرْ أُمَةً إِلَى الْحَقِّ إِلَّا يَهْدِي الشُّعْرُ أَوْ خُطَى شَيْطَانِهِ
لم تثر أمة للمطالبة بحقها إلا والشعر يهديها ملاكاً أو يبئرها شيطاناً

وشيطان الشاعر هو الذي يوحى إليه بالشعر في الخرافة الأدبية المعروفة، وشوقي هنا يرمي إليها

لَيْسَ عَزْفُ النِّحَاسِ أَوْقَعَ مِنْهُ فِي شُجَاعِ الْفَوَادِ أَوْ فِي جَبَانِهِ
عزف الآلات النحاسية ليس أشد وقعاً من الشعر في قلوب الشجعان والجبنة

ظَلَّلْتُنِي عَنَايَةً مِنْ فَوَادٍ ظَلَّلَ اللَّهُ عَرْشَهُ بِأَمَانِهِ
ظللتنني عناية الملك أحمد فؤاد، وأدعو الله أن يظل عرشه بأمان منه

مَلِكُ النَّيْلِ مِنْ مَصْبِيهِ بِالشُّطِّ إِلَى مَنْبَعِيهِ مِنْ سُودَانِهِ

هو ملك النيل من مصبِّهِ (فرعي دمياط ورشيد اللذين يصبان ماء النيل في شاطئ المتوسط) وحتى
منبعيه في السودان (فالنيل الأبيض والأزرق بمثابة المنبعين اللذين يؤلفان النيل وكلاهما يمر
بالسودان قبل دخول مصر)

يا عكاظاً تألّف الشرقُ فيه مِنْ فِلِسْطِينِهِ إِلَى بَغْدَادِهِ

أيها الحفل الشبيه بعكاظ، وقد تألف (تجمّع) الشرق فيه من فلسطين إلى بغداد (بغداد)

قَلَّدْتَنِي الملوِكُ مِنْ لَوْلُو البحرِ رَيْنِ آلاءِها وَمِنْ مُرْجَانِهِ

لقد قلدني (طوق عتقي) الملوِكُ آلاءهم (نعمهم) من لؤلؤ ومرجان (لؤلؤ) البحرين، مشيراً إلى هدية حاكم البحرين له آنذاك

موكبُ الشعرِ حرَّكَ المتنبي في ثَرَاهُ، وهزَّ مِنْ حَسَانِهِ

هذا الحفل كان موكباً للشعر، وقد حرك المتنبي في ثراه (تربته)، وهز حسان الشعر (حسان بن ثابت)

رُبَّ ساميِ البيانِ نَبَّهَ شَأْنِي أنا أسمو إلى نباهةِ شائِهِ

رب رجل سامي البيان (عالي الفصاحة) يشير إلى محمود سامي البارودي الذي سبقه في الشعر زمناً وفتح له الطريق) وأنا أسمو (أتطلع) إلى نباهة شأنه (أهميته)

كان بالسَّبْقِ والميادينِ أُولَى لو جرى الحظُّ في سَوَاءِ عِنايَةِ

كان أولى مني بالسبق في الشعر وفي ميادينه لو أن الحظ جرى في سواء عنايته (واتاه). كان البارودي رجل ميادين، كان محارباً ووزيراً للحربية، وكان شاعراً مهماً

إنَّما أَظهروا يَدَ اللَّهِ عِنْدِي وأذاعوا الجميلَ مِنْ إِحسانِهِ

ما يصنعه هؤلاء المحترفون هو أنهم يبرزون يد (نعمة) الله علي، ويذيعون جميل إحسان الله علي

ما الرَّحِيقُ الذي يذوقونَ مِنْ كَرٍّ مِيٍّ، وإنْ عِشْتُ طائِفاً بِدِنايَةِ

ورحيق شعري الذي يذوقونه ليس من كرمي (بستاني)، وإن عشت وأنا أطوف بدنان الكرم (جزار الخمر). فشوقي يطوف حول أوعية الخمر الكبيرة يستقي منها خمرة الشعر ليقدمها للناس وليس له سوى فضل الاستقاء لغيره

وهَبُونِي الحَمَامَ لَذَّةَ سَجْعٍ أينَ فَضْلُ الحَمَامِ في تَحْنَانِهِ؟

وهبوني (افرضوا أني) كالحمام في لذة سجمه (لحنه)، أين فضل الحمام في تحنانه (غناته)؟ فالحمام من طبعه السجع وليس له فضل فيه

وَتَرَّ في اللَّهِاءِ ما لِلْمُغْنِي مِنْ يَدٍ في صَفائِهِ وَلِيايَةِ

الشعر كأنه وتر في اللهاة (اللحمة المتدلية في آخر الحلق بين اللوزتين)، وليس للمغني يد (فضل) في أن يكون للوتر صفاء أو ليانة (لين)

كان شعري الغناء في قَرَحِ الشرِّ قِ وكان العزاء في أَحزانِهِ

كان شعري غناء في أفراح الشرق، وعزاء للناس لينسوا أحزانه

قد قضى الله أن يؤلفنا الجُرح حُ، وأن نلتقي على أشجانِه
قضى الله أن يؤلفنا (بجمعنا) الجرح، وأن نلتقي على أشجانِه (أحزانه)

كلَّما أنَّ بالعراق جريحٌ لمسَ الشرقَ جنبه في عُمانِه
كلما أنَّ (تأوه) بالعراق جريح، لمس الشرق خاصرته في عُمان إذ يحس بالألم

وعليْنَا كما عليكم حديدٌ تَتَنَزَّى الليوثُ في قُضبانِه
وتحبسنا قضبان الحديد مثلما تحبسكم، وداخلها تنتزى (تتواهب) الليوث طلباً للحرية

٢٢٧ يحسدون الميت

قال شوقي يرثي إسماعيل أباطة، أحد الأعيان، وعضو الجمعية التشريعية، (١٩٢٧):

يقولون: يرثي الرَّاحِلِينَ، فَوَيْحَهُمْ أُمَلَّتْ عِنْدَ الرَّاحِلِينَ الْجَوَارِيَا
يلومني بعضهم لأنني أرثي الراحلين، فالويل لهم، هل أنا أو مل عند الراحلين الجوازي (المكافآت)

أبوا، حسداً، أن أجعلَ الحيَّ أسوَةً لَهُمْ، ومثالاً قد يُصادفُ حاذِياً
هؤلاء الحاسدون رفضوا أن أجعل الشخص الحي أسوة (قدوة) ومثالاً، وكان أمني إذ أمدح
الأحياء أن يصادف الممدوح بشعري حاذياً (شخصاً يحذو حذوه)

فلَمَّا رُثِيَ المِيتُ أَقْضِيَ حَقُّهُ وَجَدْتُ حَسُوداً لِلرُّفَاتِ وَشَانِيَا
فعندما رُثِيَ الميت لقضاء حقه وتكريمه، وجدت حسوداً للرفات وشانئاً (مبغضاً) للميت

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرَعْ العَهْدَ لِهَالِكٍ فَلَسْتَ لِحَيٍّ حَافِظَ العَهْدِ رَاعِيَا
إذا أنت لم ترعَ (تحفظ) العهد لهالك (ميت)، فأنت لن ترعى عهد الحي

فَلَا يَطْوِيَنَّ المَوْتُ عَهْدَكَ مِنْ أَخٍ وَهَبَهُ بِوَادٍ غَيْرِ وَادِيكَ نَائِيَا
فلا تدع الموت يطوي عهدك إزاء أخ لك، وهبه يا شوقي (افترض أنه) رحل ليعيش في واد بعيد
غير واديك ولم يمت موتاً

أَقَامَ بِأَرْضٍ أَنْتَ لَا قِيَمَ عِنْدَهَا وَإِنْ بَشْتُمَا تَسْتَبْعِدَانِ التَّلَاقِيَا
وافترض أن الميت سكن أرضاً ستلاقيه فيها، وإن كان اللقاء مستبعداً الآن، فالموت سيجعلنا كلنا
تتلاقى في التراب

وَلَيْسَ البَيَانُ الهَجَوُ إِنْ كُنْتَ سَاخِطاً وَلَا هُوَ زُورَ المَدْحِ إِنْ كُنْتَ رَاضِيَا
والبيان ليس الهجاء في وقت سخطك، ولا المدح الكاذب وقت رضاك

ولكن هُدى الله الكريم ووحىهُ حَمَلَتْ بِهِ الْمَصْبَاحَ فِي النَّاسِ هَازِياً
 ولكن البيان هدى الله وإلهامه، وأنت يا شوقي - يخاطب نفسه - حملت مصباح البيان تهدي الناس به
 تُفِيضُ عَلَى الْأَحْيَاءِ نُوراً، وَتَارَةً تُضِيءُ عَلَى الْمَوْتَى الرَّجَامَ الدَّوَّاجِياً
 تُفِيضُ عَلَى الْأَحْيَاءِ نُوراً، وأحياناً تنير على الموتى الرجام (حجارة القبر) الدواجي (المعتمة)
 هَيَاكِلُ تُفْنِي، وَالْبَيَانَ مُحَلَّدٌ أَلَا إِنَّ عِثْقَ الْحَمْرِ يُنْسِي الْأَوَانِياً
 أجسام الناس هياكل فانية، والبيان خالد، كالخمر العتيقة فإن عثقها يجعلها جيدة ونسى معه دنائها
 وخوابيها المسودة المطلية بالقار

٢٢٨ الشاعر والرواة

قال شوقي في الحفل الخمسيني لدار العلوم (١٩٢٧):

نَظَّمَ اللَّهُ مُلْكُهُ بَعْبَادٍ عَبَقْرِيَّيْنَ أَوْرَثُوا الْمَلِكَ حُسْنًا
 نظم الله ملكه (كما ينظم المرء العقد من اللآلئ) بالعابرة من خلقه الذين أورثوا الملك حسناً
 (تركوا له زينة)
 شَغَلَتْهُمْ عَنِ الْحَسُودِ الْمَعَالِي إِنَّمَا يُحَسِّدُ الْعَظِيمُ وَيُشْنَا
 شغلت هؤلاء العابرة عن الحسود الأمجاد، والعظيم دائماً يحسد ويُشْنَا (يُمَقِّت)
 كُلَّمَا صَارَ لِلْكُهُولَةِ شِعْرِي أَنْشَدُوهُ فَعَادَ أَمْرَدَ لَدُنَّا
 كلما صار شعري كهلاً (كبير السن) أنشده هؤلاء الشباب الذين يتعلمون ليصبحوا عابرة المستقبل،
 فعاد (فصار) أمرد (فتياً) لدنأ (طري العود)
 أَسْرَةُ الشَّاعِرِ الرُّوَاةُ، وَمَا عَنَّفَ وَهُوَ، وَالْمَرْءُ بِالْقَرِيبِ مُعَنَّى
 الرواة هم أسرة الشاعر، وهم لا يُعْتَوْنَهُ (لا يتعبونه)، بينما الإنسان يتعب من أقارب النسب
 هُمْ يَضِئُونَ فِي الْحَيَاةِ بِمَا قَا لَ، وَيُلْفَوْنَ فِي الْمَمَاتِ أَضْنًا
 في حياة الشاعر يضيئ الرواة بما قال (يحرصون على شعره)، وتلفيهم (تجدهم) بعد موته أضنً
 (أحرص) على شعره

وَإِذَا مَا انْقَضَى، وَأَهْلُوهُ، لَمْ يَعْ دَمَ شَقِيقاً مِنَ الرُّوَاةِ أَوْ ابْنَا
 وإذا ما انقضى (مات) وأهل، لم يعدم الشاعر من الرواة من يكون كالشقيق أو الابن
 نَحْنُ فِي صُورَةِ الْمَمَالِكِ مَا لَمْ يَصْبِحِ الْعِلْمُ وَالْمَعْلَمُ مِنَّا
 نحن لسنا مملكة حقيقية بل شبح مملكة إلا إذا أصبح العلم والمعلم نابعين من بلدنا

لَا تُنَادُوا الْحُصُونَ وَالسُّفُنَ وَادْعُوا الدَّ حِلْمٌ يُنْشِئُ لَكُمْ حِصُونًا وَسُفُنًا
 لَا تَنَادُوا مَنْ يَنْشِئُ لَكُمْ الْحُصُونَ وَالسُّفُنَ، بَلْ نَادُوا الْعِلْمَ لِكَيْ تَنْشِئُوا بِهِ حِصُونًا وَسُفُنًا بَأَنْفُسِكُمْ
 إِنَّ رَكِبَ الْحَضَارَةَ اخْتَرَقَ الْأَرْضَ ضَمَّ وَشَقَّ السَّمَاءَ رِيحًا وَمُزْنًا
 موكب الحضارة اخترق أعماق الأرض، وشق السماء بريحها ومزنها (غيمها)
 وَصَحْبِنَاهُ كَالْعُبَارِ فَلَا رَحَ لَا شَدَدْنَا وَلَا رِكَابًا زَمَمْنَا
 ونحن! لقد صحبنا موكب العلم كأننا الغبار الذي يصاحب الموكب، فلم تكن جزءاً من الموكب،
 فما شددنا رحلاً (خرج الدابة) ولا زممنا ركاباً (ربطنا ركاب الحصان)

٢٢٩ جارة الوادي

قال شوقي يذكر رحلة بلبنان، (١٩٢٧):

شَيَّعْتُ أَحْلَامِي بِقَلْبٍ بَاكِ وَلَمَمْتُ مِنْ طُرُقِ الْمِلَاحِ شِبَاكِ
 شيعت (ودعت) أحلامي بقلب باكِ، ولممت شبكي التي كنت أنصبها في طرق الملاح
 (الجميلات)

وَيْحَ ابْنِ جَنْبِي، كُلُّ غَايَةٍ لَذَّةٍ بَعْدَ الشَّبَابِ عَزِيزَةُ الْإِدْرَاكِ
 مسكين ابن جنبي (قلبي)، فكل لذة كبيرة تصل الغاية تصبح بعد انقضاء الشباب عزيزة الإدراك
 (صعبة التحقيق)

لَمْ تَبْقَ مِنَّا يَا فَوَادُ بَقِيَّةً لِفَتْوَةٍ، أَوْ فَضْلَةٍ لِعِرَاكِ
 لم تبق منا يا قلبي بقية لفتوة (لاعتزاز الشباب بقوته) ولا فضلة لعراك (مقارعة اللهو)

كُنَّا إِذَا صَفَّقْتَ نَسْتَبِقُ الْهَوَى وَنَشُدُّ شَدَّ الْعُصْبَةِ الْفُتَّاكِ
 كنّا وأصحابي يا قلبي إذا صفقت (خفقت) نسابق الهوى، ونشد إثْر الملاح في اشتداد عصبه
 (جماعة) من الفتاك (المنغمسين في اللهو)

وَالْيَوْمَ تَبَعْتُ فِي حِينٍ تَهْزُنِي مَا يَبْعَثُ النَّاقُوسُ فِي النُّسَاكِ
 واليوم! تبعث في نفسي يا فؤادي عندما تهزني مشاعر هادئة كالتي يبعثها الناقوس (جرس الكنيسة)
 في النساك (المترهين)

يَا جَارَةَ الْوَادِي طَرِبْتُ، وَعَادَنِي مَا يُشْبِهُ الْأَحْلَامَ مِنْ ذِكْرَاكِ
 يا جارة الوادي (بلدة رحلة بلبنان) طربتُ، وعادني (زارني) من ذكراك ما يشبه الأحلام

مَثَلْتُ فِي الذِّكْرَى هَوَاكَ وَفِي الْكَرَى وَالذِّكْرِيَّاتُ صَدَى السَّنِينِ الْحَاكِي
أكرر ذكراك في ذهني وفي نومي، والذكريات كأنها صدى السنين الحاكي (المقلد)، فهي تشبه
الحدث الأصلي وتحاكيه كما يشبه الصدى الصوت الأصلي

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى الرِّيَاضِ بِرَبْوَةٍ غَنَاءَ، كُنْتُ حَيَالَهَا أَلْقَاكَ
مررت الآن وأنا على الرياض (البساتين) بربرة غناء (نلة جميلة) كنت حياها (عندها) كأنني ألقاك

ضَحِكْتُ إِلَيْ وَجُوهِهَا وَعَيُونُهَا وَوَجَدْتُ فِي أَنْفَاسِهَا رَيَّاكَ
ضحكت إلي وجوه الربوة (أزهارها) وعيونها (السواد في وسط الأزهار)، ووجدت في أنفاس
(رائحة) الربوة رياك (عطرك)

لَمْ أَذِرْ مَا طِيبُ الْعِنَاقِ عَلَى الْهَوَى حَتَّى تَرَفَّقَ سَاعِدِي فَطَوَاكَ
لم أكن أدري ما طيب (لذة) العناق مع وجود الحب حتى ترفق (تأني) ساعدي فطواك في ضمة حب

وَتَأَوَّدْتُ أَعْطَافَ بَانِكَ فِي يَدِي وَاحْمَرَّ مِنْ خَفَرَيْنِهِمَا خَدَاكَ
وتأوددت (تمايلت) أعطاف (جنات) بانك (شجر البان) في يدي، واحمر خدأك من خفريهما
(خجلهما). احمر الخدان من «خفريهما» أي خجلهما، ولكن الوزن جعلها «خفريهما» فكان لكل
خد خجلاً خاصاً به

وَدَخَلْتُ فِي لَيْلَيْنِ: فَرَعِكَ وَالذَّجَى، وَلَثَمْتُ كَالصُّبْحِ الْمُنَوَّرِ فَالِكَ
ومع العناق دخلت في ليلتين: فرعك (شعرك)، والدجى (الليل)؛ ولثمت (قبّلت) فاك الذي كان
كالصبح المشرق

وَتَعَطَّلْتُ لُغَةَ الْكَلَامِ، وَخَاطَبْتُ عَيْنِي فِي لُغَةِ الْهَوَى عَيْنَاكَ
وتعطّلت لغة الكلام، وتخاطبت عيوننا بلغة الهوى

وَمَحَوْتُ كُلَّ لُبَانَةٍ مِنْ خَاطِرِي وَنَسِيتُ كُلَّ تَعَاتِبٍ وَتَشَاكِ
ومحوت كل لبانة (رغبة) أخرى من خاطري، ونسيت كل تبادل للعتاب والشكوى

لَا أَمْسٍ مِنْ عُمُرِ الزَّمَانِ وَلَا غَدٌ جُمِيعَ الزَّمَانِ فَكَانَ يَوْمَ رِضَاكَ
فلا الأمس ولا الغد محسوبان في عمر الزمن، فكل الزمن هو اللحظة الحاضرة، لحظة رضاك

إِنْ تُكْرِمِي، يَا زَحْلَ، شِعْرِي إِنْ نِي أَنْكَرْتُ كُلَّ قَصِيدَةٍ إِلَّاكَ
إن تكرمي شعري يا زحلة فإنني أنكرت كل القصائد إلا إياك أيتها القصيدة

أَنْتِ الْخِيَالُ، بِدِيعُهُ وَغَرِيبُهُ، اللَّهُ صَاغَعُكَ، وَالزَّمَانُ رَوَاكَ
فأنت قصيدة مكونة من الخيال البديع الغريب، وقد صاغك الله ورَدَدَكَ الزمان

٢٣٠ البناء بالحاسدين

قال شوقي في بناء الدار الجديدة لبنك مصر، ويخاطب طلعت حرب (١٩٢٧):

مَا زِلْتَ أَنْتَ وَصَاحِبَاكَ بِرُكْنَيْهِ حَتَّى اسْتَقَامَ عَلَى أَعَزِّ دَعَامٍ
مَا زِلْتَ أَنْتَ وَصَاحِبَاكَ (مدحت يكن، وفؤاد سلطان) بركن هذا المبنى حتى قام على أعز (أقوى)
دعامة

أَسَسْتُمْ بِالْحَاسِدِينَ جِدَارَهُ وَبَنَيْتُمْ بِمَعَاوِلِ الْهَدَامِ
وَأَنْتُمْ بَنَيْتُمْ جِدْرَانَهُ بِأَجْسَامِ الْحَسَادِ، وَبَنَيْتُمُوهُ بِمَعَاوِلِ الْهَادِمِينَ، فَكأنكم استخدمتم قوى الحسد
والهدم لتشحذوا بها هممكم فبنيتم ما بنيتم. معنى جديد، ها؟

شَرِكَاؤُكَ الدُّنْيَا الْعَرِيضَةُ، لَمْ تُنَلِّ إِلَّا بِطُولِ رِعَايَةٍ وَقِيَامِ
شركائك يا طلعت حرب ملء الدنيا، وقد حققها بطول الرعاية والقيام عليها

اللَّهُ سَخَّرَ لِلْكِنَانَةِ خَازِنًا أَخَذَ الْأَمَانَ لَهَا مِنَ الْأَعْوَامِ
الله سخر لمصر خازناً (أمين صندوق) أخذ أماناً لمصر من الزمن الغدار

وَكُنَّ عَهْدُكَ عَهْدُ يَوْسُفَ، كُلُّهُ ظِلٌّ وَسُنْبُلَةٌ وَقَطْرٌ غَمَامِ
فكان عهدك عهد يوسف الصديق (الذي كان خازناً لفرعون)، فعهدك كله ظل من الشجر وسنابل
وقطر (مطر) من الغمام

وَكُنَّ مَالُ الْمَوْدِعِينَ وَزَرْعُهُمْ فِي رَاحَتَيْكَ وَدَائِعُ الْأَيْتَامِ
وكان ودائع الناس وزرعهم (يودعون المال عندك، أو يقترضونه لتحسين مزارعهم) في يديك ودائع
الأيتام التي يحرم العيث بها كل التحريم

مَا زِلْتَ تَبْنِي رُكْنَ كُلِّ عَظِيمَةٍ حَتَّى أَتَيْتَ بِرَابِعِ الْأَهْرَامِ
لا تفتأ تبني كل مبنى عظيم، حتى جتتنا الآن بهذا المبنى وكأنه هرم رابع

٢٣١ قد يكون الغلو رأياً أصيلاً

قال شوقي يرثي أمين الرافعي، الكاتب السياسي وعضو الحزب الوطني، ثم نصير الوفد
إلى أن اختلف مع سعد، (١٩٢٧):

مَالِ أَحِبَّائِهِ خَلِيلاً خَلِيلاً وَتَوَلَّى اللَّذَاتُ إِلَّا قَلِيلاً
شوقي يتكلم عن نفسه: مال (ذهب) أحباب شوقي واحداً واحداً، وتولى (انصرف) اللذات
(الرفاق) إلا قليلاً منهم

نَصَلُّوا أَمْسٍ مِنْ غِبَارِ اللَّيَالِي وَمَضَى وَحْدَهُ يَحُثُّ الرَّحِيلَا
نصلوا (انسحبوا) أمس من غبار الليالي، فكان الزمن كوكبة خيل وفرسان مسرعة يصحبها الغبار،
ومن ينسحب يترك الغبار سائراً ويتخلف عنه، ومضى شوقي يحث (يتعجل) الرحيل كما رحلوا

سَكَنْتَ مِنْهُمْ الرِّكَابُ، كَأَنَّ لَمْ تَضْطَرِبْ سَاعَةً وَلَمْ تَمْضِ مِيلَا
سكنت الركاب (الخيول) التي كانوا يركبونها، وكأنها لم تكن تضطرب (تتحرك)، وكأنها لم تَمْضِ
(تمشي) بهم ميلاً واحداً

جُرِّدُوا مِنْ مَنَازِلِ الْأَرْضِ إِلَّا حَجَرًا دَارِسًا وَرَمَلًا مَهِيلًا
جُردوا من منازلهم في الأرض عدا الحجر الدارس (حجر القبر الممحو الأثر) والرمل المهيل
عليهم

فِي يَبَابٍ مِنَ الثَّرَى رَدَّةُ الْمَوْتِ نَقِيًّا مِنَ الْحُقُودِ غَسِيلَا
وهم في يباب (قفر) من التراب رده (جعله) الموت نقياً غسلاً (مغسولاً) من الحُقود (الأحقاد)

طَرَحُوا عِنْدَهُ الْهَمُومَ، وَقَالُوا إِنَّ عِبَاءَ الْحَيَاةِ كَانَ ثَقِيلَا
طرحوا همومهم عند شوقي وذهبوا، وقالوا إن عبء الحياة كان ثقيلاً

رُبَّ يَوْمٍ يُنَاحُ فِيهِ عَلَيْنَا لَوْ نُحِسُ النُّوَاحَ وَالتَّرْتِيلَا
رب يوم يُنَاحُ فيه علينا نحن أيضاً، هذا لو كنا سنحس بهذا النواح والترتيل وقد متنا

بِمَرَاثٍ كُتِبْنَ بِالْدمْعِ عَنَّا أَسْطُرًا مِنْ جَوَى وَأُخْرَى عَلِيلَا
سيناح علينا بمراث كتبت بالدموع، ففيها أسطر من الجوى (اللوعة) وأسطر من الغليل (اللوعة)

يَجِدُ الْقَائِلُونَ فِيهَا الْمَعَانِي يَوْمَ لَا يَأْذُنُ الْبَلَى أَنْ نَقُولَا
سيجد أصحاب المراثي معاني لراثنا في وقت لا يأذن لنا البلى (تحلل الجسم) أن نقول الشعر

أَخَذَ الْمَوْتُ مِنْ يَدِ الْحَقِّ سِيفًا خَالِدِي الْغَرَارِ عَضْبًا صَقِيلَا
بموت الرافعي أخذ الموت من يد الحق سيفاً خالدٍ الغرار (حده كحد سيف خالد بن الوليد)
عضباً (قاطعاً) مصقولاً

لَمْ يَخَفْ فِي حَيَاتِهِ شِبَحَ الْفَقْرِ إِذَا طَافَ بِالرِّجَالِ مَهُولَا
لم يكن الرجل يخاف شبح الفقر إذ يطوف هذا الشبح بالرجال مهولاً (مخوفاً)

جَاعَ حِينًا فَكَانَ كَاللَيْثِ، أَبِي مَا تُلَاقِيهِ يَوْمَ جَوْعٍ هَزِيلَا
جاع الرافعي حيناً فكان كالأسد أكثر ما يكون إباء وعزة يوم يجوع ويهزل جسمه

قِيلَ: غَالٍ فِي الرَّأْيِ، قُلْتُ: هَبُوهُ قَدْ يَكُونُ الْغُلُوُّ رَأْيًا أَصِيلًا
قِيلَ عَنْهُ إِنَّهُ كَانَ غَالِيًّا فِي رَأْيِهِ (مَغَالِيًّا مُتَشَدِّدًا)، فَقُلْتُ: هَبُوهُ (افْرَضُوا أَنَّهُ) كَذَلِكَ، قَدْ يَكُونُ الْغُلُوُّ
(الْتِشَادُ) رَأْيًا أَصِيلًا لِلْمَرْءِ وَلَيْسَ مُجَرَّدَ عِنَادٍ

وَقَدِيمًا بَنَى الْغُلُوُّ نَفُوسًا وَقَدِيمًا بَنَى الْغُلُوُّ عُقُولًا
وَالْتِشَادُ بَنَى فِي الْقَدِيمِ نَفُوسًا وَعُقُولًا، لِأَنَّهُ تَشَدَّدَ فِي الْحَقِّ

عَاشَ لَمْ يَغْتَبِ الرِّجَالَ، وَلَمْ يَجِدْ حِلًّا شُؤُونََ النَّفُوسِ قَالًا وَقِيلًا
عَاشَ الرَّافِعِي لَمْ يَغْتَبِ الرِّجَالَ، وَكَانَ يَجْتَبِ الْقَالَ وَالْقِيلَ

إِنَّ يُفْتِ فَيْكَ مِنْبَرَ الْأَمْسِ شِعْرِي إِنَّ لِي الْمَنْبَرَ الَّذِي لَنْ يَزُولَا
لَنْ أَفَاتَ (أَضَاعَ) شِعْرِي مَنْبَرَ الْأَمْسِ إِذْ لَمْ أَسَارِعْ فِي تَأْيِينِكَ، فَإِنَّ لِي مَنْبَرًا لَنْ يَزُولَ. وَالرَّجُلُ
مَاتَ سَنَةَ ٢٦ وَرَثَاهُ شَوْقِي سَنَةَ ٢٧ فِيمَا بَيْنَ يَدَيْنَا مِنْ تَوَارِيخٍ. وَ(يُفْتِ) قَرَأَهَا جَامِعُ الشُّوْقِيَّاتِ
وَصَاحِبُ الْمَوْسُوعَةِ الشُّوْقِيَّةِ كِلَاهُمَا (يُفْتِ) بَفَتْحٍ فَضَمٍّ، وَفَضَلَتْ الضَّمُّ فَالْفَتْحُ

جَلَّ عَنْ مُنْتَشِدِ سَوَى الدَّهْرِ يُلْقِيهِ عَلَى الْغَابِرِينَ جِيلًا فَجِيلًا
فَشِعْرِي جَلَّ عَنْ أَيِّ مُنْتَشِدِ سَوَى الدَّهْرِ، الَّذِي يَرْتَلِيهِ عَلَى الْغَابِرِينَ (الْفَانِينَ) جِيلًا يَفْنَى بَعْدَ جِيلٍ،
وَشِعْرِي بَاقٍ

٢٣٢ رثاء سعد

قال شوقي يرثي سعد زغلول (١٩٢٧):

شَيَّعُوا الشَّمْسَ وَمَالُوا بِضُحَاهَا وَانْحَنَى الشَّرْقُ عَلَيْهَا فَبَكَاهَا
شَيَّعُوا (وَدَّعُوا) الشَّمْسَ، وَمَالُوا (ذَهَبُوا) بِضُحَاهَا، وَانْحَنَى الشَّرْقُ، مُطْلِعُ الشَّمْسِ، عَلَيْهَا وَبَكََاهَا.
وَالشَّرْقُ أَيْضًا هُوَ بِلَادُ الشَّرْقِ

لَيْتَنِي فِي الرِّكْبِ لَمَّا أَقْلْتُ يُوشَعُ هَمَّتْ فَنَادَى فَتَنَاهَا
لَيْتَنِي وَأَنَا فِي رَكْبِ الْمَشِيعِينَ إِذْ أَقْلْتُ (غَابَتْ) هَذِهِ الشَّمْسُ، لَيْتَنِي كُنْتُ يَوْشَعَ (قَائِدَ الْيَهُودِ الَّذِي
أَرَادَتْ الشَّمْسُ الْمَغِيبَ فَطَلَبَ إِلَى رَبِّهِ مَنَعَهَا مِنَ الْغُرُوبِ كَيْ يَقْتُلَ أَعْدَاءَهُ قَبْلَ دُخُولِ السَّبْتِ) حِينَ
هَمَّتِ الشَّمْسُ بِالْمَغِيبِ فَنَادَى رَبُّهَا (أَعَادَهَا)

جَلَّلَ الصُّبْحَ سَوَادًا يَوْمُهَا فَكَأَنَّ الْأَرْضَ لَمْ تَخْلَعْ دُجَاهَا
يَوْمَ مَغِيبِ شَمْسِ سَعْدٍ جَلَّلَ الصُّبْحَ بِالسَّوَادِ، فَكَأَنَّ الْأَرْضَ لَمْ تَدْخُلْ فِي النَّهَارِ وَبَقِيَتْ لَا بَسَةَ ثَوْبِ
الدُّجَى (الظُّلْمَةِ)

مَا دَرَزْتُ مَصْرُ بَدْفِنٍ صُبِّحَتْ أَمْ عَلَى الْبَعْثِ أَفَاقَتْ مِنْ كَرَاهَا

لم تدر مصر هل ضُبحت بدفني، أم أنها أفأقت من كراها (نومها) على البعث (يوم القيامة) لاهتياج
المشاعر في يوم موت سعد

خَفَضُوا فِي يَوْمِ سَعْدٍ هَامَهُمْ وَيَسْعُدِ رَفَعُوا أَمْسِ الْجِبَاهَا
خَفَضَ النَّاسُ جِبَاهَهُمْ فِي يَوْمِ مَوْتِ سَعْدٍ، وَكَانُوا بِهَذَا الرَّجُلِ قَدْ رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ بِالْأَمْسِ
حَضَنْتُ نَعْشَكَ وَالتَقْتُ بِهِ رَايَةً كُنْتُ مِنَ الذُّلِّ فِداها
حضنت نعشك والتقت عليه راية مصر التي كنت تفديها من أن يصيبها الذل

ضَمَّتِ الصِّدْرَ الَّذِي قَدْ ضَمَّهَا وَتَلَقَّى السَّهْمَ عَنْهَا فَوَقَاها
ضمت الراية صدرًا كان يضمها ويتلقى سهم الأعادي عنها ويقيها

تَسْكَبُ الدَّمْعَ عَلَى سَعْدٍ دَمًا أُمَةً مِنْ صَخْرَةٍ الْحَقِّ بِنَاهَا
تسكب الدمع على سعد دمًا أمة بناها سعد من صخرة الحق

رَقَدَ الثَّائِرُ إِلَّا ثَوْرَةً فِي سَبِيلِ الْحَقِّ لَمْ تَخْمُدْ جُذاها
رقد الثائر إلا أن ثورته لم تخمد جذاها (جمراتها)

قَدْ تَوَلَّاهَا صَبِيًّا فَكَوَتْ رَاحَتِيهِ، وَفَتِيًّا فَرَعَاها
قد تولَّى سعد الثورة صبيًا، فكوّت راحتيه، وتولاهها فتياً (شاباً) فرعاها

جَالَ فِيهَا قَلَمًا مُسْتَنْهَضًا وَلِلسَانِ كُلَّمَا أَغَيْتَ حَداها
جال (تجول) سعد في الثورة صاحب قلم يستنهض العزائم، وصاحب لسانٍ كلما تعبت الثورة
حداها (أنشدّها حذاء لتسير قدماً)

وَرَمَى بِالنَّفْسِ فِي بُرْكَانِها فَتَلَقَّى أَوَّلَ النَّاسِ لَظَاها
ورمى نفسه في بركان الثورة فكان أول من تلقى لظاها (لهيبها) فتلقى

أَعْلِمْتُمْ بَعْدَ مُوسَى مِنْ يَدٍ قَذَفْتُ فِي وَجْهِ فِرْعَوْنَ عَصَاها
هل علمتم بعد موسى النبي يدأ رمى في وجه المستبد عصاها كما فعل موسى بفرعون؟ إنه سعد
زغلول الذي تحدى الإنجليز

أَيْنَ مِنْ عَيْنِي نَفْسٌ حُرَّةٌ كُنْتُ بِالْأَمْسِ بَعِينِي أَرَاها
أين من عيني الآن تلك النفس الحرة التي كنت بالأمس بعيني أراها

كَلِمَا أَقْبَلْتُ هَزَّتْ نَفْسَهَا وَتَوَاصَى بِشُرْها بِي وَنَداها
كنت كلما أقبلت اهتزت نفس سعد، وتوآصى بشرها بي ونداها (أوصت بشاشة نفسه، كرم تلك
النفس، بي خيراً)

أَلْمَحُ الْأَيَّامَ فِيهَا، وَأَرَى مِنْ وَرَاءِ السَّنِّ تَمَثَالُ صِبَاهَا
أَلْمَحُ الْأَيَّامَ (مرور السنين) في هذه النفس، وأرى وراء السن صورة الصبا، فنفس سعد في
شيخوخته احتفظت بحيوية الصبا

حَلَّتِ السَّبْعُونَ فِي هَيْكَلِهَا فَتَدَاعَى، وَهِيَ مَوْفُورٌ بِنَاهَا
حلت السبعون سنة في هيكل (جسم) هذه النفس، فتداعى الجسم (هَرَمَ) بينما النفس موفورة البنيان
عامرة بالحيوية

رَوْعَةُ النَّادِي إِذَا جَدَّتْ، فَإِنْ مَرَّحَتْ لَمْ يُذْهِبِ الْمَرْحُ بَهَا
هذه النفس هي روعة (مهابة) النادي (المحفل) في الجدِّ، فإن مزحت فالمزح لا يذهب ببها
ووقارها

وَلَهَا صَبْرٌ عَلَى حُسَادِهَا يُشْبِهُ الصَّفْحَ، وَجَلَمٌ عَنْ عِداها
ولها صبر على الحساد شبيه بالصفح (المسامحة)، ولها حلم (احتمال) لعداها (لأعاديها). والقول
إن «صبر سعد على الحساد يشبه الصفح» جديد وجميل، ودقيق. وكلمة «يشبه» في هذا البيت
مطربة لأنه ليس فيها مبالغة

أَيْنَ مَنِّي قَلَمٌ كُنْتُ إِذَا سُمْتُ أَنْ يَرْتِي الشَّمْسَ رِثَاها
أين قلمي الذي كنت إذا سمته (أجبرته) أن يفعل المستحيل، كأن يرتي الشمس، فعل؟

خَانَنِي فِي يَوْمٍ سَعْدٍ، وَجَرَى فِي الْمَرَاثِي فَكَبَا دُونَ مَدَاها
خانني قلمي في يوم موت سعد، وجرى في الرثاء فكبا (سقط أرضاً) دون الوصول إلى المدى
(الغاية القصوى)

فِي نَعِيمِ اللَّهِ نَفْسٌ أُوتِيَتْ أَنْعَمَ الدُّنْيَا فَلَمْ تَنْسَ ثَقَاها
فلتذهب إلى نعيم الله هذه النفس التي أُوتيت (مُنحت) نَعَمَ الدنيا ولكنها لم تنس ثقاها (تقواها)

لَا الْحِجَا، لَمَّا تَنَاهَى، غَرَّها بِالْمَقَادِيرِ، وَلَا الْعِلْمُ زَهَاها
لا هي اغترت عن الأقدار بالحجا (الحكمة) عندما نالت الحجا حتى أقصاه، ولا زهاها (غَرَّها)
العلم

ذَهَبَتْ أَوَابَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَالِصًا مِنْ خَيْرَةِ الشُّكِّ هُدَاها
ذهبت نفس سعد أوابة (تائبة) مؤمنة، وهُدَاها خالص لا تشوبه حيرة الشك في الخالق

آتَسَتْ خَلْقًا ضَعِيفًا، وَرَأَتْ مِنْ وَرَاءِ الْعَالَمِ الْفَانِي إِلَهَا
آتست (وجدت) هذه النفس خَلْقًا (جسمًا) ضعیفًا، ورأت فيما وراء العالم الفاني إلهاً خالداً

ما دَعَاها الحقُّ إِلَّا سَارَعَتْ لَيْتَهُ يَوْمَ «وَصَيْفٍ» ما دَعَاها
نَفْسٌ سَعِدَ ما كانَ يدَعُوها الحقُّ إِلَّا سَارَعَتْ بالقدومِ إليه، فليتَ هذا الحقُّ (هنا معناه الموت) في
يومٍ وصيفٍ («مسجد وصيف»، عزبة سعد التي بها مات) لم يدْعُها

٢٣٣ الله أعلم والقبور

قال شوقي (١٩٢٧):

اللَّهُ أَعْلَمُ وَالْقُبُورُ النَفْسُ تَخْلُدُ أَوْ تَبُورُ
الله والقبور يعلمان هل النفس تخلص أو تبور (تفنى)

سِرٌّ مَضَى المَوْتَى بِهِ وَمَضَتْ عَلَى المَوْتَى الدُّهُورُ
هذا السر ذهب الموتى به، ومضت عليهم دهور

مَنْ كَانَ يُحْيِي أَوْ يَمِيتُ تَ فَلَيْسَ يُعْجِزُهُ النُّشُورُ
من يحيي الناس ويميتهم فلن يعجز عن النشور (البعث). القصيدة بأبياتها التسعة والثلاثين على
الراء المضمومة، لا الساكنة كما أرادها بعضهم

٢٣٤ جبان

قال شوقي في مسرحية «عترة» على لسان علة، تصف الرجل الجميل الجبان،
(١٩٢٧ - ١٩٣٢):

جَمِيلٌ وَلَيْسَ بِحَامِي البُيُوتِ وَلَا مَانِعٌ مِنْ يَدِ مَالِهِ
إِذَا مَا عَوَى الكَلْبُ ضَلَّ السَّلَاحَ وَبَلَ مِنَ الخَوْفِ سِرْوَالَهُ
ضلَّ: نسي

يَجُودُ بِزَوْجَتِهِ لِلْمُغِيرِ وَيَرْمِي إِلَى الذَّنْبِ أَطْفَالَهُ

٢٣٥ شكوى التيوس

قال شوقي من مسرحية «قمباز»، (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

خَلُّنَا بِاللَّهِ مِنْ سَا مَن وَدَّعْنَا مِنْ يَسُوسُ
كُلَّ حِينَ حَاكَمَ يَمَ شَيْ عَلَيْنَا وَيَدُوسُ
هَكَذَا يَخْتَلِفُ الحِظُّ سُعُودٌ وَنُحُوسُ
إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ أَذْنَا بٌ لِبَعْضٍ هُمْ رُؤُوسُ

مَنْزِلُ الْأَشَدِّ الصَّحَارَى وَعَلَى الْمَرْعَى الثُّيُوسُ

٢٣٦ طريق النجاة

قال شوقي من مسرحية «مجنون ليلي»، (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

أَحَبُّ الْحَسِينِ، وَلَكِنَّمَا لَسَانِي عَلَيْهِ، وَقَلْبِي مَعَهُ
حَبَسْتُ لَسَانِي عَنْ مَدْحِهِ حِذَارَ أُمِّيَّةٍ أَنْ تَقْطَعَهُ
إِذَا الْفِتْنَةُ اضْطَرَمَّتْ فِي الْبِلَادِ وَرُمْتَ النِّجَاةَ فَكُنْ إِمَّعَهُ
اضْطَرَمْتُ: اشتعلت، إِمَّعَهُ: شخص لا رأي له

٢٣٧ حامل العشق

قال شوقي من مسرحية «مجنون ليلي»، على لسان قيس (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

سَجَا اللَّيْلُ حَتَّى هَاجَ لِي الشَّعْرُ وَالْهَوَى وَمَا الْبَيْدُ إِلَّا اللَّيْلُ وَالشَّعْرُ وَالْحُبُّ
سَجَا اللَّيْلُ: سَكَنَ، هَاجَ: أَهَاجَ

مَلَأَتْ سَمَاءَ الْبَيْدِ عِشْقًا وَأَرْضَهَا وَحُمَلْتُ وَحْدِي ذَلِكَ الْعِشْقُ يَا رَبِّ
يا رب! قد ملأت سماء الصحراء وأرضها عشقًا، وَحُمَلْتُ أَنَا كُلُّ هَذَا الْعِشْقِ وَحْدِي

٢٣٨ هَيَّيْتَهَا

قال شوقي من مسرحية «مجنون ليلي»، على لسان زوج ليلي «وَرْد» يصارح قيساً بأنه لم يمسها (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

اسْمَعْ حَسِيدِي إِنَّهُ مَا خَطَّ مِثْلَهُ الْقَلَمُ
وَسِرُّهُ لَا الْأَهْلُ يَدُ رُونَ بِهِ وَلَا الْخَدَمُ
أَنَا الَّذِي ظَلِمْتُ، قِيَدُ سُرُّ، مَا أَنَا الَّذِي ظَلِمْتُ
كَمْ مَرَّتِ اللَّيْلَةُ بِي وَاللَّيْلَتَانِ لَمْ أَنْمُ
مِنْذُ حَوْتُ دَارِي لِي لِمَا خَلَوْتُ مِنْ نَدَمُ
كَانَتْ إِطَافَتِي بِهَا كَالْوَثْنِيِّ بِالصَّنَمِ
وَرُبَّمَا جِئْتُ فِرَا شَهَا، فَخَانَتْنِي الْقَدَمُ
شِعْرُكَ يَا قَيْسُ جَنَى عَلَيَّ هَذَا وَاجْتَرَمُ

هَيَّيْتُهَا فَاَمْتَنَعَتْ كَأَنَّهَا صَيْدُ الْحَرَمِ
شعرك جعل ليلى مهية ومحرمه كالصيد في الحرم

٢٣٩ قد يهون العمر إلا ساعة

قال شوقي من مسرحية «مجنون ليلى»، على لسان قيس، (١٩٢٧ - ١٩٣٢):
جبلَ التُّوبَادِ! حَيَّاكَ الْحَيَا وَسَقَى اللَّهَ صِبَانَا، وَرَعَى
يا جبلَ التُّوبَادِ (جبل في نجد) حياك الحيا (المطر)، وسقى الله ورعى أيام الصبا
وعلى سَفْحِكَ عِشْنَا زَمَنًا وَرَعَيْنَا غَنَمَ الْأَهْلِ مَعَا
هذه الرِّبْوَةُ كَانَتْ مَلْعَبًا لِشَبَابَيْنَا وَكَانَتْ مَرْتَعَا
كَمْ بَنَيْنَا مِنْ حَصَاهَا أَرْبُعًا وَانْتَنَيْنَا فَمَحَوْنَا الْأَرْبُعَا
الأربع: البيوت

وَحَطَّظْنَا فِي نَقَا الرَّمْلِ، فَلَمْ تَحْفَظِ الرِّيحُ، وَلَا الرَّمْلُ وَعَى
نقا: كثيب

لَمْ تَزُلْ لَيْلَى بِعَيْنِي طِفْلَةً لَمْ تَزِدْ عَنْ أُمْسٍ إِلَّا إِضْبَعَا
كَلَّمَا جِئْتُكَ رَاجِعْتُ الصَّبَا فَأَبَتْ أَيَّامُهُ أَنْ تَرْجِعَا
قَدْ يَهُونُ الْعَمْرُ إِلَّا سَاعَةً وَتَهُونُ الْأَرْضُ إِلَّا مَوْضِعَا
بيت من خمرة شوقي المعتقة

٢٤٠ عد ظافراً أو لا تعد

كليوباترا تحت أنطونيوس على القتال، من مسرحية «مصرع كليوباترا» (١٩٢٧ - ١٩٣٢):
إِمْضِ إِلَى الْهَيْجَاءِ أَنَا طُنْثِيو كَمَا يَمْضِي الْأَسَدُ
الهيحاء: الحرب

إِمْضِ إِلَى الْمَجْدِ، وَلَا يُقْعِدُكَ شُغْلٌ فِي الْبَلَدِ
الْمَجْدُ لَا يَسْأَلُ عَنْ صَاحِبِهِ وَلَا وَلَدِ
يَا لَيْتُ سِرٌّ، يَا نَسْرُ طِرْ عُدْ ظَافِراً، أَوْ . . لَا تَعُدْ

٢٤١ الذابلتان

قال شوقي على لسان كليوباترا وقد رأت قبيل انتحارها زنبقة في إناء، من مسرحية «مصرع كليوباترا» (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

زَنْبَقَةٌ فِي الْإِنْيَةِ ضَحِيَّةُ الْأَنْزِيَةِ
جَنَّتْ عَلَيْهَا غُرْبَةٌ أَلْ أَسْرُ الْأَكْفُ الْجَانِيَةِ
جنت عليها (أجمرت بحقها) وكبدتها غربةً وأسرًا في المزهريّة تلك الأكف الجانية (القاطعة التي جنتها)
وَبُدِّلَتْ مِنْ سَعَةِ الرَّ- بُوَّةِ ضَيْقَ الْبَاطِيَةِ
الباطية: الإناء

يَسْقُوْنَهَا مِنْ جَرَّةٍ بَعْدَ الْعَيُونِ الْجَارِيَةِ
تسقى الزنبقة من الجرة بعد أن كانت تشرب من العيون الجارية

يَا جَارَتَا! شَأْنُكَ لَا يَشْبِيهِ إِلَّا شَانِيَةِ
لَمْ يَبْقَ مِنْ مُلْكِي الْعَرِي- ضٍ غَيْرُ دَارٍ خَاوِيَةٍ
وَكُلُّنَا ذَابِلَةٌ عَمَّا قَلِيلٍ ذَاوِيَةٍ

زَالَ النَّعِيمُ وَفَرَّغَ- نَا مِنْ حَيَاةٍ فَانِيَةٍ

٢٤٢ عبث في عبث

قال شوقي (١٩٢٨):

نَعِيشُ وَنَمْضِي فِي عَذَابٍ كَلْدَةٍ مِنْ الْعَيْشِ، أَوْ فِي لَذَّةٍ كَعَذَابِ
عيشتنا وموتنا عذاب مختلط باللذة

وَكُلُّ أَخِي عَيْشٍ، وَإِنْ طَالَ عَيْشُهُ، ثُرَابٌ لَعَمْرُ الْمَوْتِ وَابْنُ تَرَابٍ
وكل أخى عيش (كل حي) مهما طال عمره، فهو تراب (لأنه خلق من تراب ويؤول إلى التراب)
وابن تراب (قأبواه مثله)

٢٤٣ يدور حيث تدور المجد والحسد

قال شوقي يرثي عبد الخالق ثروت، وهو رئيس وزراء مرتين في العشرينات، ومات في باريس فجأة (١٩٢٨):

يَمُوتُ فِي الْغَابِ، أَوْ فِي غَيْرِهِ، الْأَسَدُ كُلُّ الْبِلَادِ وَسَادَ حِينَ تُتَسَدَ
يموت الأسد في الغاب أو بعيداً عنه، وكل بلد هي وساد (وسادة) لك حين تُتَسَدَ هذه البلد (تُتَخَذَ وسادة)

قد غَيَّبَ الغربُ شمساً لا سَقَامَ بِهَا كَانَتْ عَلَى جَنَابِ الشَّرْقِ تَتَّقِدُ
إذ مات الفقيد في باريس فقد غَيَّبَ الغرب هذه الشمس التي لم يكن بها من سقام (مرض)، وكانت متوقدة في جنبات بلادنا في الشرق

طوى حِمَايَتَهُ المحتلُّ وانبسطت حَمَايَةُ اللَّهِ فاستدْرِى بِهَا البلدُ
طوى المحتل حمايته عنا، وانبسطت فوق البلد حماية الله فاستدري (احتمي) بها

نم غيرَ بالِكَ على ما شِدَّتْ مِنْ كَرَمٍ ما شِيدَ لِلْحَقِّ فَهُوَ السَّرْمَدُ الْأَبْدُ
نم يا عبد الخالق ثروت غير آسف على الكرم (المعروف) الذي شدته (بنيته)، فما شيد للحق فهو سرمدي (أبدي)

لم يُطْلِعْكَ الحُكْمُ فِي شَتَّى مَظَاهِرِهِ ولا استخفَّكَ لِيْنُ العِيشِ والرَّغْدِ
لم يجعلك الحكم في شتى مظاهره طاغية مستبداً، ولا استخفك (أطربك) لين العيش والرغد (الغنى)

نَشَأَتْ فِي جَبْهَةِ الدُّنْيَا وَفِي فَمِهَا يَدُورُ حَيْثُ تَدُورُ المَجْدُ والحَسَدُ
نشأت وأنت في المقدمة وذكرك على ألسنة الناس، والمجد والحسد يلازمانك، مثل كل عظيم
لكلِّ يَوْمٍ غَدٌ يَمْضِي بِرُوعِيَّتِهِ وما لِيَوْمِكَ يا خَيْرَ اللَّذَاتِ غَدُ
لكل يوم حزين غد يذهب بالروعة (بالارتياح)، ولكن يومك الذي مت فيه يا خير اللذات (الرفاق)
ليس له غد ننسى فيه حزننا، فحزننا عليك دائم

٢٤٤ ما الناس إلا أول

قال شوقي في حفل نسائي في دار التمثيل العربي برئاسة هدى شعراوي (١٩٢٨):
إِنَّ السَّمَاءَ جَدِيرَةٌ بالطيرِ وَهُوَ بِهَا جَدِيرُ
السما جديرة بالطائر الذي ينشد حريته وهو جدير بها

هِيَ سَرَجُهُ المَشْدُودُ وَهُوَ وَ عَلَى أَعْنَئِهَا أَمِيرُ
السما للطير كالسرج للحصان، والطير إذ يمسك بأعنتها (بزمامها) مثل الأمير

حَرِيَّةٌ خُلِقَ الْإِنْسَانُ تُ لَهَا كَمَا خُلِقَ الذُّكُورُ
يا قاسم! انظر كيف سا ر الفكر وانتقل الشعور
يا قاسم أمين (وتوفي قبل القصيدة بعشرين سنة) انظر كيف سار (اكتسب سيرورة وانتشر) فكرك وانتقل شعورك لغيرك

جَابَتْ قَضِيَّتُكَ الْبَلَا دَكَأَتْهَا مَثَلُ يَسِيرُ

قضية المرأة، وهي قضيتك، طافت بالبلاد كالمثل السائر

مَا النَّاسُ إِلَّا أَوَّلُ يَمْضِي فَيُخْلِفُهُ الْأَخِيرُ

الناس المؤثرون في سير الأمور هم ذلك «الأول» الذي يبادر، ثم يَمْضِي، ثم يتبعه المتأخر زماناً

الْفِكْرُ بَيْنَهُمَا، عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ، هُوَ السَّفِيرُ

ويصل بين الأول والأخير الفكر، وهو على البعد الزماني والمكاني سفير بين الأجيال

مَا فِي كِتَابِكَ ظَفْرَةٌ تُنْعَى عَلَيْكَ وَلَا غُرُورُ

كتابك عن تحرير المرأة ليس فيه ظفرة (شذوذ) تُنْعَى (تُثَنَّد) عليك، ولا غرور

وَوَضَعْتَهُ، وَعَلِمْتَ أَنَّ حِسَابَ وَاضِعِهِ عَسِيرُ

وضعت كتابك وأنت تعلم أن واضع كتاب كهذا سيتعرض للصعاب

لَكَ فِي مَسَائِلِهِ الْكَلَامُ الْعَفْ وَالْجَدَلُ الْوَقُورُ

كنت في المسائل التي طرحتها عفيف اللسان وذا جدل رصين

عَضْرُ الْعَبَاقِرَةِ النُّجُومِ بِنُورِهِ تَمْشِي الْعَصُورُ

قصيدة من واحد وخمسين بيتاً كلها مضمومة القافية، فلماذا جعلتها الموسوعة الشوقية وجامعو الشوقيات المتأخرون موقوفة مقيدة؟ كأنما لم يسمعوها بمجزوء الكامل المرفل؟ ولم نعلم أن شوقي لازم في هذا الأمر ما لا يلزم. فأما ما صنعه المعجاج في «قد جبر الدين الإله فجير» حين أسكن رويّه، مع أن كل أشطره التي بلغت نحو المئتين كانت تكون منصوبة لو أنها أطلقت فأمر مختلف. فذلك رجز، وأبيات المعجاج رُويّت موقوفة، والوزن يقتضي ذلك

٢٤٥ مشى ومشت فيالق من فرنسا

قال شوقي في ذكرى استقلال سوريا (١٩٢٨):

حَيَاةٌ مَا نُرِيدُ لَهَا زِيَالَا وَدُنْيَا لَا نُودُ لَهَا انْتِقَالَا

نحن متعلقون بهذه الحياة لا نريد لها زوالاً، ولا نود عن الدنيا انتقالاً

وَلَوْ زَادَ الْحَيَاةَ النَّاسُ سَعْيَا وَإِخْلَاصَا لَزَادَتْهُمْ جَمَالَا

ولو زاد الناس دنياهم مثابة وإخلاصاً لازدادت جمالاً

كَأَنَّ اللَّهَ إِذْ قَسَمَ الْمَعَالِي لِأَهْلِ الْوَجَابِ ادَّخَرَ الْكَمَالَا

كأن الله عندما قسم المعالي (الأمجاد) ادَّخَرَ لمن يقومون بالواجب الكمال

ترى جِداً، ولستَ ترى عليهم ولوعاً بالصغائر واشتغالا
ترى من «أهل الواجب» جداً ومثابرة، ولا ترى بهم ولعاً (شغفاً) أو اشتغالاً بصغائر الأمور
وليسوا أرغد الأحياء عيشاً ولكن أنعم الأحياء بالا
وليسوا أغنى الناس، ولكنهم أنعم (أهدأ) الناس بالاً

وإن سألتهم الأوطان أعطوا دماً حُرّاً، وأبناءً، ومالا
سأذكر ما حيثُ جدارَ قَبْرِ بظاهرٍ جَلَّتِ رَكِبَ الرِّمالا
سأذكر ما حيث حجارة قبر بظاهر (خارج) جلق (دمشق)

تَغَيَّبَ عَظْمَةُ الْعَظَمَاتِ فِيهِ وأوَّلَ سَيِّدٍ لِقَى النَّبَا
تغيب في هذا القبر يوسف العظمة الذي كان أول سيد لقي بصدرة النبال (السهام)

مشى ومشت فيالِقُ مِنْ فرنسا تَجُرُّ مَطَارِفَ الظَّفَرِ اخْتِيالا
زحف لملاقاة فيالق الفرنسيين الذين كانوا يجرون مطارف (أردية) الظفر (النصر في الحرب الأولى)
اختيالاً (تكبراً)

أقامَ نهارَهُ يُلقِي وَيَلْقَى فلما زالَ قرصُ الشَّمْسِ زالا
مكث نهاره يقذفهم ويتلقى قذائفهم، فلما غربت الشمس غربت حياته

فَكُفِّنَ بِالصَّوَارِمِ وَالْعَوَالِي وَغُيِّبَ حَيْثُ جالَ وَحَيْثُ صالا
فكفن بالصوارم (بالسيوف) والعوالي (الرماح)، ودفن حيث جال وصال

٢٤٦ اللؤلؤة لمن نالها

قال شوقي في تمثال نهضة مصر (١٩٢٨):

وَرُبَّ امْرِئٍ لَمْ تَلِدْهُ الْبِلَادُ نَمَاهَا وَنَبَّهَ أَنْسَالُهَا
رب رجل لم يولد في البلاد، ولكنه نماها (أنماها) وجعل أنسالها (أبناءها الأصليين) نابيين
وليسَ اللَّائِي مِلْكُ الْبُحُورِ وَلَكِنَّهَا مِلْكُ مَنْ نالَهَا
واللآئي ليست ملكاً للبحر، بل يملكها من غاص ونالها، ومصر ملكها محمد علي وهو غريب عنها
وما كَعَلِيٍّ وَلَا جِيلِهِ إِذَا عَرَضَتْ مِصْرُ أَجْيَالِهَا
وليس يوجد كمحمد علي وجيله بين أجيال مصر المتعاقبة

بنوا دولةً مِنْ بناتِ الْأَسْنَةِ لَمْ يَشْهَدْ النِّيلُ أَمْثالَهَا
بنوا دولة من بنات الأسنة (ذوات الأسنة من سيوف ورماح) لم يشهد وادي النيل مثلها

٢٤٧ في الليل لما خلي

قال شوقي (١٩٢٩):

فِي اللَّيْلِ لَمَّا خَلِي إِلَّا مِنَ السَّيَّاسِي
وَالنُّوْحُ عَلَى الدُّوْحِ حَلِي لِلصَّارِخِ الشَّاكِي
مَا تَعْرِفُ الْمُبْتَلي فِي الرُّوْحِ مِنَ الْحَاكِي

عندما يخلو الليل من كل شيء إلا من عاشق يبكي، وعندما يحلو النوح على الدوح (الشجر) لمن يصرخ بشكواه، لا تعرف عندئذ المبتلي (المبتلى) من الحاكي (المردد للصوت تقليداً ومحاكاة)

سَكُونٌ وَوَحْشَةٌ وَظُلْمَةٌ وَلَيْلٌ مَا لَوْشٌ آخِرُ
وَنَجْمَةٌ مَالَتْ، وَنَجْمَةٌ حَلَفَتْ مَا تَتَّأخِرُ

دا النوم يا ليل نعمة يحلم بها الساهر

سكون الليل ووحشته، ونجمة مالت للمغيب، وأخرى حلفت ألا تتأخر (تتزعج)

الْفَجْرِ شَفَقَتْ وَفَاضَ عَلَى سَوَادِ الْخَمِيلَةِ
لَمَحَ كَلَمَحُ الْبَيَاضِ مِنَ الْعَيُونِ الْكَحِيلَةِ
وَاللَّيْلِ سَرَخَ فِي الرِّيَاضِ أَذْهَمَ بِغُرَّةٍ جَمِيلَةٍ

شقق الفجر على الخميطة (البستان) التي كانت سوداء، لمح الفجر (أبرق) مثل بريق بياض العين الكميطة (السوداء)، وأما الليل فسرّح (مضى) في البستان كأنه حصان أدهم (داكن) ولكن له غرة بياض جميلة

هِنَا نُوَاخُ عِ الْغُصُونِ وَهَنَّاكَ بُكَاءُ فِي الْمَضَاجِعِ
لِيَهْ تَشْتَهِي النَّوْمَ عُيُونُ وَغَيُونُ سَوَالِي هَوَاجِعِ
وَدُوخٌ غَرِقَ فِي الشُّجُونِ وَدُوخٌ مَا شَافَشِ الْمَوَاجِعِ

نواح على الغصون وبكاء في الأسرّة. ولماذا تسهر عيون حتى تشتهي النوم، بينما عيون أخرى سوالي (سالية وناسية للهم) وهواجع (هاجعة نائمة)؟ ولماذا يكون هناك دوح (شجر) غارق في الشجون (الأحزان)، ودوح لم ير ما يوجع؟

يَا لَيْلُ أَنْيْنِي سَمِعْتُهُ وَالشُّوقُ رَجَعَ لِي وَعَادَ
وَكُلُّ جَرْحٍ وَسَبَاعُتُهُ وَكُلُّ جَرْحٍ بِمِيعَادَ
كَمْ مِنْ مِفَارِقٍ وَجَفَّتُهُ وَنَضُّوْهُ هَجَرَ وَبِعَادَ

يا ليل قد سمعت أنيني، وها قد عاد لي الشوق، وكل جرح له ساعته وميعاده، وكم هناك من شخص مفارق لحبيبه قد أصبته بالوجع، وكم هناك من نضو هجر وبعاد (مهزول بسبب الهجر)

٢٤٨ قتيل السم

قال شوقي في تأبين فوزي الغزي الدمشقي المتوفى عام (١٩٢٩) وقيل دست له زوجته السم:

طَبِعَتْ مِنَ السَّمِّ الْحَيَاةُ، طَعَامُهَا وَشَرَابُهَا وَهَوَاؤُهَا الْمُتَنَشِّقُ
طبعت الحياة من السم فهذا هو طبعها، فطعامها وشراؤها وهواؤها الذي نستنشق سم

وَالنَّاسُ بَيْنَ بَطِيئِهِ وَزُعَافِهِ لَا يَعْلَمُونَ بِأَيِّ سُمِّيْهَا سُقُوا
والناس بين السم البطيء والمفعول والزعاف (السريع) لا يعلمون أي سم تناولوا

أَمَّا الْوَلِيُّ فَقَدْ سَقَاكَ بِسُمِّهِ مَا لَيْسَ يَسْقِيكَ الْعَدُوُّ الْأَزْرَقُ
لكن الولي (الصديق) سقاك يا فوزي الغزي بسمه كما لا يسقيك العدو الأزرق (الشديد العداوة)

٢٤٩ كالعلمي حول سفرة

قال شوقي (١٩٢٩):

لَسْتُ بِنَاسٍ لَيْلَةً مِنْ رَمَضَانَ مَرَّتْ
فَلَمْ يَرْعُنِي غَيْرُ صَوْتِ كُمُوءِ الْهَيْرَةِ
لم يرعني: لم يخفني

كُرْتُ، وَلَكِنْ كَالْجَبَا نِ قَاعِ عِدَا، وَقَرَّتْ
كُرْتُ (هجمت) لكن وهي قاعدة كما يفعل الجبان، ثم فرت

لَمْ أَجْزِهَا بِشِرَّةٍ عَنْ غَضَبٍ وَشِرَّةٍ
لم أجزها (أقابلها) بشرة (بشر) عما فعلته وهو الغضب والشر

وَلَا رَأَيْتُ غَيْرَ أُمٍّ بِالْبَنَيْنِ بَرَّةٍ
ولم أر فيها سوى أم بارة بأبنائها

رَأَيْتُ جِدَّ الْأُمَّهَاتِ فِي بِنَاءِ الْأُسْرَةِ
رأيت فيها مثابة الأمهات في بناء الأسرة

فَلَمْ أَزَلْ حَتَّى اِطْمَأَنَّ جَاشِئُهَا وَقَرَّتْ
فظللت معها حتى اطمأن جاشئها (قلها)، وقرت (هدأت)

أَتَيْتُهَا بِشَرِبَةٍ وَجِئْتُهَا بِكَسْرَةٍ
جئتها بشربة وكسرة خبز

فَاضْطَجَعَتْ تَحْتَ ظِلِّهِ لِ الْأَمْنِ وَاسْبَطَتْ
فاضطجعت (استلقت) في ظل الأمن واسبطرت (تمددت)

وَقَرَأَتْ أَوْرَادَهُمْ وَمَا دَرَتْ مَا قَرَّتْ
وهمرت تهميراً كأنها تقرأ أوراذاً (أدعية)، وهي لا تدري ما تقرأ

وَسَرَحَ الصُّغَارُ فِي نُؤْدِيِّهَا فَدَرَّتْ
وسرح (انساب) صغارها في نؤديها (أندائها) فدرت لهم اللبن

اخْتَلَطُوا وَعَيَّثُوا كَالْعُمَى حَوْلَ سُفْرَةٍ
فاختلط واحداهم بالآخر وعيثوا (كزكبوا وأفسدوا) كأنما هم قوم عريان حول سفرة (مائدة).
ليس طريفاً فقط هذا التشبيه، بل جميل

٢٥٠ تلك الحياة وهذه أنفاله

قال شوقي في حفل تكريم السيد نصير بطل رفع الأثقال، وقد فاز بميدالية ذهبية في أولمبياد ١٩٢٨ بأستردام في رفع الأثقال (١٩٣٠):

يا قاهرَ الغربِ العتيدِ ملأتهُ ببناءِ مصرَ على الشِّفاءِ جميلاً
يا قاهرَ الغربِ العتيدِ (المكين) ملأت هذا الغرب بالثناء (المديح) على مصر يتردد جميلاً على الشفاء

قَلْبَتْ فِيهِ يَدَا تَكَادُ لِشِدَّةِ فِي الْبَاسِ، تَرْفَعُ فِي الْفَضَاءِ الْفِيلَا
قلبت في الغرب يدك القوية التي تكاد لشدة البأس (القوة) ترفع الفيل في الهواء

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْحَدِيدَ وَبَاسَهُ جَعَلَ الْحَدِيدَ لِسَاعِدَيْكَ ذَلِيلًا
إن الله الذي خلق الحديد وبأسه (شدته) جعل الحديد يذل لقوة ساعديك. . . وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد. . . الآية ٢٥ الحديد، وسيد نصير كان يرفع حديدًا

قُلْ لِي نُصِيرُ، وَأَنْتَ بَرٌّ صَادِقٌ: أَحْمَلْتُ إِنْسَانًا عَلَيْكَ ثَقِيلًا
قل لي يا سيد نصير وأنت البار الصادق: هل حملت إنساناً من الثقلاء؟

أَحْمَلْتُ دَيْنًا فِي حَيَاتِكَ مَرَّةً أَحْمَلْتُ يَوْمًا فِي الضُّلُوعِ غَلِيلًا
هل حملت ديناً؟ هل حملت في ضلوعك غليلاً (حقدًا)؟

أَحْمَلْتُ ظُلْمًا مِنْ قَرِيبٍ غَادِرٍ أَوْ كَاشِحٍ بِالْأَمْسِ كَانَ خَلِيلًا
أحملت ظلماً من قريب غادر، أو من كاشح (عدو يطن العداوة) كان بالأمس لك من الأصدقاء؟

أَحْمَلْتُ مَنًّا، بِالنَّهَارِ مُكَّرَّرًا وَاللَّيْلِ، مِنْ مُسْنِدٍ إِلَيْكَ جَمِيلًا

هل حملت منّا (جميلاً في عتقك) يذكرك به بالنهار والليل رجل مُسْنِدٍ (معط) إليك جميلاً

أَحْمَلْتُ طُغْيَانَ اللَّثِيمِ إِذَا اغْتَنَى أَوْ نَالَ مِنْ جِأِ الْأُمُورِ قَلِيلًا

هل حملت طغيان (تجبر) اللثيم إذا اغتنى أو صار وجهاً بعض الشيء

أَحْمَلْتُ فِي النَّادِي الْعَبِيِّ إِذَا اتَّقَى مِنْ سَامِعِيهِ الْحَمْدَ وَالتَّبَجِيلَا

هل حملت في النادي (في جماعة الناس) العبي عندما يلاقي من السامعين الحمد والتبجيل؟

تِلْكَ الْحَيَاةُ، وَهَذِهِ أَثْقَالُهَا وَزَنَ الْحَدِيدُ بِهَا فِعَادَ ضَنْيَلَا

تلك هي الحياة وأثقالها، وزن (قورن) الحديد بها فعاد (ضئيل الوزن) . . أي تبين أنه خفيف
بالقياس إلى الحياة

٢٥١ سلوا كؤوس الطّلا

قيل كان شوقي يجالس أم كلثوم في حفل، فقدم لها كأس شراب، فرفعتها مجاملةً إلى شفتيها، لكن الكأس ما لامست فاهها. وفي اليوم التالي - هكذا قالوا، وهم في قصصهم يحبون أن يجعلوا الأمر يحدث في اليوم التالي مباشرة، على أنني أميل لتصديق سائر القصة، وقد رواها رياض السنباطي قبيل وفاته في مقابلة مع تلفزيون الكويت - قدم لها شوقي قصيدته. وختتها بعد موته بـ ١٤ سنة. ولشوقي غنت أم كلثوم تسع قصائد، غنتها كلها بعد وفاته:

سَلُّوا كُؤُوسَ الطَّلَا: هَلْ لَامَسَتْ فَاهَا وَاسْتَخْبِرُوا الرَّاحَ: هَلْ مَسَّتْ ثَنَائِيهَا

اسألوا كؤوس الطلا (الخمر) هل لامست فم المحبوبة، واستخبروا (اسألوا) الراح (الخمر) هل مسّت ثنأياها (أسنانها)

حَدِيثُهَا السَّحَرُ، إِلَّا أَنَّهُ نَعَمٌ جَرَتْ عَلَى فَمِ دَاوُدَ فَغَنَّاها

حديثها السحر، إلا أنه نعم (أنغام) جرت على فم داود النبي صاحب المزامير

حَمَامَةُ الْأَيْكَ مَنْ بِالشَّجْوِ طَارَحَهَا وَمَنْ وَرَاءَ الدُّجَى بِالشَّوْقِ نَاجَاهَا

من ذا الذي طارح (بادل) حمامة الأيك (الشجر) بالشجو (الحزن)، ومن ذا الذي في الدجى (الليل) ناجاها (هامسها) بالشوق

يَا جَارَةَ الْأَيْكَ، أَيَّامُ الْهُوَى ذَهَبَتْ كَالْحُلْمِ، آهًا لِأَيَّامِ الْهُوَى آهًا!

أيها الحمامة يا جارة الأيك (يا ساكنة الشجر) لقد ذهبّت أيام الهوى كأنها الحلم

٢٥٢ رثاء المويلحي

قال شوقي يرثي محمد المويلحي، وكان شوقي سخر منه في قطع عديدة لا تحمل توثيقاً قبل ثلاثين سنة - انظر إحداها في أشعار سنة ١٩٠٢ - ذلك أن المويلحي نشر نقداً لاذعاً لشوقي، ولكن شاعرنا عاد ووافاه بالهدايا واسترضاه، على عهدة العقاد في «الديوان»، (١٩٣٠):

رُبَّ سَجْعٍ كَمُرْقَصِ الشَّعْرِ لَمَّا يَخْتَلِفُ لَحْنُهُ وَلَا إِيقَاعُهُ
رب سجع (سَجْع: نثر مقفى) كالشعر المرقص (المطرب جداً) لما (لم) يختلف لحنه ولا إيقاعه
عن الشعر لجودة الأسجاع. في تقسيم الناقد القديم للشعر فإن «المرقص» منه في الطبقة العليا
هُوَ فِيهِ بَدِيعُ كُلِّ زَمَانٍ مَا بَدِيعُ الزَّمَانِ! مَا أَسْجَاعُهُ!
المويلحي في هذا السجع بديع الأزمنة كلها، فما قيمة بديع الزمان الهمداني، وما قيمة أسجاعه
بالمقارنة!

صَارَعَ الْعَيْشَ حِقْبَةً، لَبِثَ شِعْرِي سَاعَةَ الْمَوْتِ كَيْفَ كَانَ صِرَاعُهُ
والذي تَحْرِصُ النَفُوسُ عَلَيْهِ عَالَمٌ بَاطِلٌ قَلِيلٌ مَنَاعُهُ

٢٥٣ باكيات على الحسين الفواطم

قال شوقي في رثاء الشريف حسين الذي مات في عَمَّانَ ودفن في القدس (١٩٣١):
لَكَ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ مَاتَمٌ قَامَ فِيهَا أَبُو الْمَلَائِكِ هَاشِمٌ
لك مَاتَمٌ في الأرض والسما، قام فيها يقبل العزاء أبو الملوك هاشم جد النبي، وأصل السلالة
الهاشمية، وكان الشريف حسين كبير هذه السلالة في زمنه

قَعَدَ الْأَلَّ لِلْعَزَاءِ، وَقَامَتْ بَاكِياتٌ عَلَى الْحُسَيْنِ الْفَوَاطِمُ
قعد آل هاشم للعزاء، وقامت تبكي على الحسين نساء آل هاشم (فهن كلهن شقيقات فاطمة الزهراء
بنت رسول الله)

فَمَ تَحَدَّثْتُ أَبَا عَلِيٍّ إِلَيْنَا كَيْفَ غَامَرْتَ فِي جَوَارِ الْأَرَاقِمِ
قم يا أيها المتوفى، يا أبا علي، وتحدث إلينا كيف خاطرت وتعاملت مع الإنجليز الأراقم
(الأفاعي)

لَمْ تُبَالِ الثُّيُوبَ فِي الْهَامِ خُشْنًا وَتَعَلَّقَتْ بِالْحَوَاشِي النَّوَاعِمِ
ولم تُبالِ (لم تهتم) بالثيوب البارزة الخشنة في الهام (في رؤوسهم)، وتعلقت بالحواشي (الجوانب)
الناعمة. أي نظرت إلى رقة كلامهم لا إلى لؤم فعلهم، وتقول العرب «هو رقيق الحاشية» إذا كان
حلو الكلام ليناً

قَدْ رَجَوْنَا مِنَ الْمَغَانِمِ حِظًّا وَوَرَدْنَا الْوَعْيَ فَكُنَّا الْغَنَائِمَ

رجونا أن ننال شيئاً من الغنائم، ووردنا الوعي (الحرب) فكننا نحن الغنائم. يشير إلى حرب الحسين للدولة العثمانية في أواخر الحرب العالمية الأولى، وكيف وعدوه باستقلال العرب وخانوه، وفي كلام شوقي تشف خفي، فقد كان نصيراً للدولة العثمانية حتى سقوطها

٢٥٤ يا شراعاً وراء دجلة يجري

قال شوقي يشيد بالعراق والملك فيصل، وكتب هذه الأبيات ليغنيها محمد عبد الوهاب أمام فيصل في بغداد (١٩٣١):

يا شراعاً وراء دجلة يجري في دموعي، تجنبك العوادي

يا شراعاً (مركباً) يجري وراء نهر دجلة في نهر من دموعي، أدعو أن تتجنبك العوادي (المصائب). يقول كمال النجمي إن محمد عبد الوهاب كان عليلاً عندما أزمع السفر إلى بغداد مليباً دعوة الملك فيصل، فيقول له شوقي أيها الشراع الذي سيجري، لكن ليس في دجلة بل وراء دجلة بقليل في نهر آخر من دموعي، أدعو لك أن تتجنبك المصائب

سِرْ عَلَى الْمَاءِ كَالْمَسِيحِ رُويْدَاً واجر في اليمِّ كالشُّعاعِ الهادي
سر على الماء أيها المركب كال المسيح (وكان من معجزاته السير على الماء) رويداً (متمهلاً) واجر في البحر كشعاع يهدي الناس

وَأَتِ قَاعاً كَرَفَرَفِ الْخُلْدِ طَيْباً أَوْ كَفِرْدَوْسِهِ بِشَاشَةً وَاذِ
وات (جئ) قاعاً (سهلاً) كأنه في طيه رفرث الخلد (الأغصان المتدلية في الجنة)، وكأنه في بشاشة واديه فردوس الخلود

قِفْ تَمَهَّلْ وَخُذْ أَمَاناً لِقَلْبِي مِنْ عَيُونِ الْمَهَا وَرَاءَ السَّوَادِ
قف أيها المركب وتمهل، وخذ الأمان لقلبي من عيون المهّا (الجميلات الشبيهات ببقر الوحش) وراء السواد (بلاد العراق)

وَالنُّوَاسِيَّ وَالنَّدَامَى! أَمِنْهُمْ سَامِرٌ يَمْلَأُ الدُّجَى أَوْ نَادِ
وماذا عن النواسي (أبي نواس) والندامي؟ هل منهم سامر (مجلس سر) أو ناد (محفل) يملأ الليل

خَطَرَتْ فَوْقَهُ الْمِهَارَةُ تَعْدُو فِي غِبَارِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
خطرت (مشت) فوق هذا السهل المهارة (الخيال) تعدو في غبار الآباء والأجداد (أي مصاحبة لهم، وغير مقصورة عن إنجازاتهم)

أُمَّةٌ تُنْشِئُ الْحَيَاةَ، وَتَبْنِي كِبْنَاءَ الْأَبْوَةِ الْأَمْجَادِ
هذه أمة تنشئ حياة لنفسها، وتبني كما بنى الأبوة (الآباء) الأمجاد (الماجدون/ ذوو المجد)

تَحْتَ تَاجِ مِنَ الْقَرَابَةِ وَالْمُلْكِ عَلَى فَرْقِ أَرِيحِي جَوَادِ
تَبْنِي الْأُمَّةَ نَفْسَهَا تَحْتَ تَاجِ عِمَادِهِ الْقَرَابَةِ (قَرَابَةُ فَيْصَلٍ لِلنَّبِيِّ فَهُوَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ) وَالْمَلِكِ، وَالتَّاجِ
عَلَى فَرْقِ (رَأْسِ) أَرِيحِي (كَرِيمِ عَطُوفِ) جَوَادِ (كَرِيمِ)

مَلِكُ الشَّطِّ وَالْفُرَاتَيْنِ وَالْبَطِّ حَاءٍ، أَعْظَمُ بِفَيْصَلِ وَالْبِلَادِ
إِنَّهُ مَلِكُ الشَّطِّ (شَطِّ الْعَرَبِ) وَالْفُرَاتَيْنِ (دَجْلَةُ وَالْفُرَاتِ)، وَالْبَطْحَاءِ (مَكَانٌ فِي مَكَّةَ)، فَمَا أَعْظَمُ
فَيْصَلًا وَالْبِلَادَ!

٢٥٥ القدس

قَالَ شَوْفِي فِي تَأْيِينَ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ، أَحَدِ زُعَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْهِنْدِ، وَتَوَفَّى فِي الْقُدْسِ،
(١٩٣١):

بَيْتٌ عَلَى أَرْضِ الْهُدَى وَسَمَائِهِ الْحَقُّ حَائِطُهُ وَأُسُّ بِنَائِهِ
هَذَا الْبَيْتُ (الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى) قَائِمٌ عَلَى أَرْضِ الْهُدَى وَفِي سَمَاءِ الْهُدَى (الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ: أَقْرَبُ
بَقْعَةٍ فِي الْأَرْضِ مِنَ السَّمَاءِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ)، وَالْحَقُّ جِدَارُهُ وَأَسَاسُهُ

«الْفَتْحُ» مِنْ أَعْلَامِهِ، وَالظُّهْرُ مِنْ أَوْصَافِهِ، وَالْقُدْسُ مِنْ أَسْمَائِهِ
كَلِمَةُ «الْفَتْحُ» عِلْمٌ عَلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى (اسْمٌ مَقْصُورٌ عَلَيْهِ)، وَالظُّهْرُ مِنْ أَوْصَافِهِ، وَ«الْقُدْسُ» مِنْ
أَسْمَائِهِ

٢٥٦ بلبل لم يتح أمثاله للخلفاء

قَالَ فِي ذِكْرِ سَيِّدِ دُرُوشِ (١٩٣١):

بُلْبُلٌ إِسْكَنْدَرِيٌّ، أَيْكُهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ، وَلَكِنْ فِي السَّمَاءِ
سَيِّدُ دُرُوشِ بَلْبُلٌ مِنَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ أَيْكُهُ (شَجَرَةٌ) فِي السَّمَاءِ

رَبَّمَا اسْتَلَّهَمَ ظُلُمَاءُ الدُّجَى وَآتَى الْكُوكَبَ فَاسْتَوَحَى الضِّيَاءَ
تَرَاهُ يَسْتَلْهَمُ ظُلَامَ الدُّجَى (اللَّيْلِ) يَقْعُدُ يَلْحَنُ فِي اللَّيْلِ، وَيَأْتِي الْكُوكَبَ فَيَسْتَوَحِي مِنَ الضِّيَاءِ فَنَأً.
وَكَانَ لِسَيِّدِ دُرُوشِ الْهَانُ عَتِيقَةُ الطَّرَازِ كَالْأَدْوَارِ الْعَشْرَةِ الَّتِي مِنْهَا «أَنَا هُوَيْتُ» وَهِيَ مِنْ شُغْلِ
اللَّيْلِ، وَكَانَتْ لَهُ الْهَانُ تَعَجُّ بِحَيَاةِ النَّهَارِ وَمَشَاغِلِ النَّاسِ كَالْحُلُوةِ الَّتِي قَامَتْ تَعَجُّ

وَرَمَى أَدْنَاهُ فِي نَاحِيَةٍ يَخْلِسُ الْأَصْوَاتَ خَلَسَ الْبَيْغَاءُ
وَيَرْمِي أَدْنَاهُ بَعِيدًا يَخْتَلِسُ الْأَصْوَاتَ لِيَصُوِّغَ مِنْهَا فَتَهُ كَأَنَّهُ الْبَيْغَاءُ فِي جُودَةِ الْاِقْتِبَاسِ. وَسَيِّدُ دُرُوشِ
كَانَ يَخْتَلِسُ فَتَهُ مِنْ أَصْوَاتِ النَّاسِ وَنَدَاءِ الْبَاعَةِ، وَكَانَ رَائِدًا فِي التَّعْبِيرِ بِالْغَنَاءِ عَنْ نَبْضِ الشَّارِعِ؛
فَإِنْ يَكُنْ بَيْغَاءُ فَيَبْغَاءُ الشَّعْبُ

سَيِّدَ الْفَنِّ! اسْتَرِخْ مِنْ عَالَمٍ آخَرَ الْعَهْدِ بِتُعْمَاهُ الْبَلَاءِ
سيد درويش! يا سيد الفن! استرخ من هذا العالم الذي آخر ما عهدناه فيه من التعمى (النعيم) كان
بلاء، فحتى نعيم هذه الدنيا بلاء

لَقَدْ اسْتَخْلَفْتَ فَنًّا نَابِغًا دَفَعَ الْفَنُّ إِلَيْهِ بِاللَّوَاءِ
لقد استخلفت (نصبت خليفة) فنًّا نابغاً (لفنان نابغة/ ويعني عبد الوهاب) دفع إليه الفن بلواء القيادة
إِنَّ فِي مُلْكِ فُؤَادٍ بُلْبُلًا لَمْ يُنَحْ أَمْثَالُهُ لِلْخُلَفَاءِ
إن في ملك فؤاد (في مصر) بلبلًا (عبد الوهاب) لم يحظ بمثله الخلفاء. وكان للخلفاء العباسيين
خاصة مغنون مشهورون حدثنا عنهم كثيراً صاحب «الأغاني»

يَسْتَحْيِ أَنْ يَهْتَفَ الْفَنُّ بِهِ وَجَمَالَ الْعَبَقْرِياتِ الْحَيَاءِ
هذا البلبل (عبد الوهاب) يستحي أن يهتف فن الشعر بمدحه، وجمال العبقرية ذلك الحياء الملازم
لها

٢٥٧ عقيدة وجهاد

قال شوقي بيتاً ليكون شعاراً لجريدة الجهاد لتوفيق دياب ١٩٣١ :
قِفْ دُونَ رَأْيِكَ فِي الْحَيَاةِ مُجَاهِدًا إِنَّ الْحَيَاةَ عَقِيدَةٌ وَجِهَادُ
دون رأيك : وراء معتقدك

٢٥٨ شجرة نسيتهما الشعراء

وقال يصف النخيل بين المتزه وأبي قير، والمتزه حي بالإسكندرية، (١٩٣١):
أَرَى شَجَرًا فِي السَّمَاءِ احْتَجَبَ وَشَقَّ الْعَنَانَ بِمَرَأَى عَجَبَ
أرى شجراً عالياً كأن رؤوسه تختفي في السماء، وقد شق العنان (السحاب) في منظر عجب
مَاذَنْ قَامَتْ هُنَا أَوْ هُنَاكَ ظَوَاهِرُهَا دَرَجٌ مِنْ شَذَبَ
هي كالمآذن، وفي ظواهرها (خارجها) درج من شذب (قشور). والمآذن درجها من باطنها في
العادة

وَلَيْسَ يُؤْذَنُ فِيهَا الرِّجَالُ وَلَكِنْ تَصِيحُ عَلَيْهَا الْغُرُبُ
ومآذنتا هذه لا يؤذن فيها المؤذن، بل تصيح عليها الغروب (الغربان)

وَبِاسِقَةٍ مِنْ بَنَاتِ الرَّمَالِ نَمَتْ وَرَبَّتْ فِي ظِلَالِ الْكُثْبِ
ورب باسقة (عالية) من بنات الرمال (نخلة)، نمت وكبرت في ظلال الكثب (كثبان الرمل)

تَطُولُ وَتَقْصُرُ خَلْفَ الْكَثِيبِ إِذَا الرِّيحُ جَاءَ بِهِ أَوْ ذَهَبَ

أنت تراها طويلة ثم قصيرة خلف كتيب الرمل، بحسب الريح التي تحرك الكتيب. هذا معنى مصنوع. فلا نظن أن شوقي رأى كتيب الرمل يجيء ويذهب مع الريح فتطول النخلة وتقصر في عيني الراي. لكنه وثب بخياله وصنع الصورة. وأي بأس في ذلك! قال مارون عبود عن شوقي: «وفيه من أبي تمام تصيده المعاني وأخذها عنوة إذا اقتضى الأمر».

وَهَذَا هُوَ النَّخْلُ مَلِكُ الرِّيَاضِ أَمِيرُ الْحَقُولِ عَرُوسُ الْعِزْبِ

هذا النخل ملك البساتين، وأمير الحقول، وعروس العزب (البيارات/المزارع)

طَعَامُ الْفَقِيرِ، وَحَلْوَى الْعَنِيِّ وَزَادُ الْمَسَافِرِ، وَالْمُغْتَرِبِ

فِيَا نَخْلَةَ الرَّمْلِ لَمْ تَبْخَلِي وَلَا قَصَّرْتَ نَخْلَاتُ الثَّرْبِ

فنخلة الصحراء لم تبخل، ونخلة التراب كنخيل الإسكندرية ما قصرت في العطاء

وَأَعْجَبُ كَيْفَ طَوَى ذِكْرُكَ وَلَمْ يَخْتَفِلْ شِعْرَاءُ الْعَرَبِ

أنا أعجب كيف طوى شعراء العرب ذكركن (أغفلوا ذكركن) أيتها النخلات

أَلَيْسَ حَرَاماً خُلُوُ الْقَصَائِدِ مِنْ وَصْفِكَ وَعُظْلُ الْكُتُبِ

عُظْلُ الْكُتُبِ: خلوها

٢٥٩ ركزوا رفاتك لواء

قال شوقي في رثاء عمر المختار، (١٩٣١):

رَكَزُوا رُفَاتَكَ فِي الرَّمَالِ لِوَاءِ يَسْتَنْهَضُ الْوَادِي صَبَاحَ مَسَاءِ

ركز (غرس) الطليان رفاتك يا عمر المختار في الرمال لواء (راية)، يستنهض (يشير) الوادي (بلدك) صباح مساء. و«الوادي» عند شوقي مرادف لمصر، فإذا قال «الوادي» فهو يعني مصر، وصارت على لسانه كأنها تعني «البلد».. كل بلد

يَا وَيْحَهُمْ! نَصَبُوا مَنَاراً مِنْ دَمٍ يُوْحِي إِلَى جَبَلِ الْغَدِ الْبَغْضَاءِ

الويل لهم! نصبوا مناراً مضيئاً ولكنه من الدَّم، وهو يوحي إلى الجبل الجديد البغضاء (الكراهية للمستعمر)

خُيِّرْتُ، فَاخْتَرْتُ الْمَيِّتَ عَلَى الطَّوَى لَمْ تَبْنِ جَاهاً، أَوْ تَلَّمْ ثَرَاءَ

اخترت المييت على الطوى (الجوع)، ولم تصنع لنفسك جاهاً (رياسة)، ولا ثراء

إِنَّ الْبَطُولَةَ أَنْ تَمُوتَ مِنَ الظَّمَا لَيْسَ الْبَطُولَةُ أَنْ تَعْبَ الْمَاءِ

البطولة هي الموت عطشاً، وليس أن تَعْبَ (تكرع) الماء

والمسلمونَ، على اختلافِ ديارِهِمْ، لا يملكونَ مع المُصابِ عَزاءَ
كل المسلمين لا يجدون ما يعزيهم (ينسيهم) المصاب (البلاء) بفقدك

في دَمَةِ اللّهِ الكريمِ وحفظِهِ جسدٌ بِبُرْقَةٍ وُسْدُ الصحراءِ
ليكن في دمة (حفظ) الله هذا الجسد الذي وُسْد (سُجِّي/ومدد) في الصحراء ببرقة (في ليبيا)
بطلُ البداوةِ لم يكن يغزو على تَنكِ، ولم يك يركبُ الأجواء
لم يكن بطل البداوة يغزو على تنك (دبابة)، ولا في طائرة

لكن أخو خيل حمى صَهَوَاتِهَا وأدارَ مِنْ أَعْرَافِهَا الهِجَاءَ
لكنه كان أخا خيل (صاحب خيل) حمى صهواتها (ظهورها)، وأدار من أعرافها (شَرَّ رؤوسها)
الهِجَاء (الحرب). هنا صورة زعيم على صهوة جواده وبه تداعب شعر عنق الفرس، واليد
الأخرى توجه جنوده في الحرب، عَصَرَ شوقي هذا في أربع كلمات

لَبَّى قِضَاءَ الْأَرْضِ أَمْسٍ بِمُهْجَةٍ لَمْ تَخْشَ، إِلَّا لِلسَّمَاءِ، قِضَاءَ
لبي (أجاب) حكم القضاء الأرضي فجاد بمهجته (قلبه) التي لم تكن تخشى إلا من قضاء السماء.
أرأيت كيف يداعب شوقي كلمات اللغة! ترى قضاء الطليان الجائر بشق عمر المختار واقفاً موقف
مقارنة مع قضاء الله، وترى عمر المختار يلبي قضاء الطليان فيقدم مهجته شهيداً. وهو لا يخاف
القضاء الذي يلبي دعوته بل يخاف قضاء الله، كل هذا في كلمات قلائل، وهذا الإيجاز سر من
أسرار البيان، وقد تعددت أن أنثر لك البيت بكلام كثير حتى يقف كلامي، مظلوماً، وقفة مقارنة
مع بيت شوقي، ولتعرف ما في الإيجاز من جمال

وَأَتَى الْأَسِيرُ يُجَرُّ ثِقْلَ حَدِيدِهِ أَسَدٌ يَجَرُّ حَيَّةَ رُقْطَاءَ
جاء الأسير يجر ثقل قيوده، كأنما هو الأسد يجر أفعى رقطاء (مرقطة/مُبَقَّعة)

سَبْعُونَ لَوْ رَكِبْتُ مَنَاكِبَ شَاهِقٍ لَتَرَجَّلْتُ هَضْبَاتُهُ إِعْيَاءَ
سبعون عاماً، هي عمر الشهيد، لو اعتلت مناكب (أكتاف) شاهق (جبل) لترجلت (لهبطت) هضبات
الجبل تعباً من ثقل هذه السنوات

يَا أَيُّهَا الشَّعْبُ الْقَرِيبُ، أَسَامِعْ فَأَصْوَعْ فِي عُمَرِ الشَّهِيدِ رِثَاءَ
يا شعب ليبيا القريب منا، هل تسمعي حتى أرثي شهيدك

ذَهَبَ الزَّعِيمُ، وَأَنْتَ بَاقٍ خَالِدٌ فَانْقُدْ رَجَالَكَ، وَاخْتَرِ الزُّعَمَاءَ
الزعيم ذهب وأنت (الشعب) باق، فانقُد (تفحص) رجالك، واختر الزعماء

وَأَرْخِ شَيْوَحَكَ مِنْ تَكَالِيفِ الْوَعَى وَاحْمِلْ عَلَى فِتْيَانِكَ الْأَعْيَاءَ
واترك الشيوخ (المسنين) ليستريحوا من تكاليف (مشقات) الوعي (الحرب)، واحمل الأعباء
(المشكلات) على الفتيان

٢٦٠ يا منصف الموتى من الأحياء

قال في رثاء حافظ إبراهيم (١٩٣٢):

قَدْ كُنْتُ أَوْثَرُ أَنْ تَقُولَ رِثَائِي يَا مَنْصَفَ الْمَوْتَى مِنَ الْأَحْيَاءِ

كنت أوثر (أفضل) أن أموت قبلك فتقول أنت رثائي يا حافظ، يا من أنصف الموتى من ظلم الأحياء، لكثرة ما رثي حافظ الموتى

لَكِنْ سَبَقْتُ، وَكُلُّ طَوْلٍ سَلَامَةٍ قَدَرْتُ، وَكُلُّ مَنِيَّةٍ بِقَضَاءِ

لكنت سبقت، وكل سلامة تطول فهي بقدر من الله، وكل منية (موت) فبقضاء الله

بِالْأَمْسِ قَدْ حَلَيْتَنِي بِقَصِيدَةٍ غَرَاءَ تُحَفِّظُ كَالْيَدِ الْبَيْضَاءِ

بالأمس (قبل خمس سنوات عند تكريمي أميراً للشعراء) حلتي (زيتني) بقصيدة غراء (باهرة) حفظت لك فيها الجميل فهي يد بيضاء (إحسان منك)

غِيْظَ الْحَسُودِ لَهَا، وَقَمْتُ بِشُكْرِهَا وَكَمَا عَلِمْتَ مُودَّتِي وَوَفَائِي

غيظ (اغتاظ) الحسود منها، وقمت أنا بواجب الشكر، وأنت تعلم مودتي ووفائي

قَلَمٌ جَرَى الْحَقَبَ الطَّوَالَ، فَمَا جَرَى يَوْمًا بِفَاحِشَةٍ وَلَا بِهَجَاءِ

قلمك جرى الحقب (المُدد) الطويلة ولكنه لم يكتب فاحشة ولا هجاء

يَا حَافِظَ الْفَصْحَى، وَحَارَسَ مَجْدَهَا وَإِمَامَ مَنْ نَجَلَتْ مِنَ الْبُلْغَاءِ

أنت حفظت الفصحى وحرس مجدها، وأنت إمام (زعيم) من نجلت (أنجبت) من البلغاء

جَدَّدْتَ أَسْلُوبَ الْوَلِيدِ وَلَفْظَهُ وَأَتَيْتَ لِلدُّنْيَا بِسِحْرِ الطَّائِي

جددت أسلوب الوليد (البحري) ولفظه، وجئتنا ببيان ساحر كبيان الطائي (أبي تمام)

كَمْ ضِيقَتْ ذُرْعًا بِالْحَيَاةِ وَكِدْهَا وَهْتَفَتْ بِالشُّكْوَى مِنَ الضَّرَاءِ

كم كنت تعبر عن ضيقك بالدنيا ومكرها، وكم هتفت (جاهرت) بالشكوى من الضراء (البلوى)

فَهَلُمَّ فَارِقْ يَا سَ نَفْسِكَ سَاعَةً وَاطْلُعْ عَلَى الْوَادِي شِعَاعَ رَجَاءِ

فها أتراك اليأس ساعة، واطلع على مصر شعاعاً من رجاء في مستقبل زاهر

خَلَّفْتُ فِي الدُّنْيَا بَيَانًا خَالِدًا وَتَرَكْتُ أَجْيَالًا مِنَ الْأَبْنَاءِ

تركت في الدنيا بياناً خالداً، وأجبالاً ممن هم أبناؤك في البلاغة

٢٦١ نغمة المهد

قال شوقي (١٩٣٢):

أَلْحَانُ كُلِّ جَمَاعَةٍ وَغَنَائُهُمْ لُغَةٌ وَتَجَوَّى بَيْنَهُمْ وَجَوَارُ

الألحان والأغاني في كل شعب لغة أخرى ونجوى (حديث هامس) فيما بينهم وحوار

لا تَعَشِقُ الْأَذْنَ إِلَّا نَغْمَةً كَانَتْ عَلَيْهَا فِي الْمُهْودِ تُدَارُ

الأذن لا تعشق إلا النغمات التي كانت تدور عليها (تسمعها) في المهد (في الطفولة). وهذه فكرة عميقة لشوقي لا نظنه أخذها من كتاب. فهو رجل سميع عرف ألحان مصر في عهد الحامولي ومحمد عثمان وأم كلثوم، وصنع من ربيبه محمد عبد الوهاب طاقة موسيقية مثقفة أهدها لأجيال من العرب من بعده. ثم سافر شوقي إلى فرنسا وعاش سنوات وسمع موسيقاهم. وظل يسافر إليها - مصطحباً عبد الوهاب لاحقاً - وظل يعيش على زادين موسيقيين: زاد من الشرق وزاد من الغرب. كان يحب موسيقى الغرب، لكن العشق ظل للموسيقى التي سمعها في المهد. ألا ترى الصبي في بلدنا يأكل مخلل الخيار المالح من يد أمه، ثم يسافر إلى أوروبا ويتغرب نصف قرن يقضيه وهو يتفحص الرقعة الملصقة على مرطبانات المخلل في السوبرماركتات بحثاً عن مخلل مصنوع بالملح لا بالسكر؟ فكيف الحال بالموسيقى التي هي ألصق بالنفس. واليوم حالتنا أعجب وأعقد. فالموسيقى الغربية صارت تعطى لأطفالنا في المهد، أو في المدارس التي تحترق اللغة العربية والتي صار يذهب إليها أبناء الأغنياء. ودخلنا مرحلة متقدمة في بيع نفوسنا للغرب. ونشأ عندنا ناس يسخرون من مفردات موسيقانا الشرقية. منذ الخمسينات بدأوا بهذا، وحذروا من «ربع الصوت» كأنه الطاعون، وقالوا إنه سبب الرخاوة والميوعة في موسيقانا. وما لربع الصوت؟ على مقام الراست العامر بربع الصوت مجّد السناطبي مصر تمجيداً في «وقف الخلق»، وعليه أيضاً غنى عبد الوهاب «أخي جاوز الظالمون المدى» و«يا سماء الشرق»، وهما لحنان فيهما عظمة واستنهاض

٢٦٢ وجد الرعية والرعاة نياما

قال شوقي يندد بالاحتلال (١٩٣٢):

أَعْطَى الْعَهْدَ وَأَقْسَمَ الْأَقْسَامَا أَلَّا يَطْوِلَ مُقَامُهُ فَأَقَامَا

عاهد المستعمر الإنجليزي مصر وأقسم لها ألا يطول مقامه، ولكنه أقام (مكث)

خَمْسُونَ عَاماً فِي الْبِلَادِ يَسُوقُهَا بِالْعُنْفِ عَاماً وَالْهَوَادَةَ عَاماً

خمسون عاماً (١٨٨٢ - ١٩٣٢) قضاها الإنجليز في مصر يسوقونها بالعنف عاماً وبالهوادة (اللين) عاماً

مُسْتَعْمَرٌ جَعَلَ الْخِلَافَ ذَرِيعَةً لِيَهْزُرَ رُمْحاً أَوْ يَسْلُ حُسَامَا

مستعمر اتخذ من الخلافات الداخلية ذريعة (حجة) ليهز لنا الرمح ويسل علينا السيف

لَمَّا أَتَى الْوَادِيَّ وَعَبَّأَ جَيْشَهُ وَجَدَ الرَّعِيَّةَ وَالرُّعَاةَ نِيَامًا

لما جاء المستعمر وادينا وعبأ جيشه زاحفًا وجد الرعية والحكام نائمين. بل كان في مصر من أصرَّ على عدم النوم آنذاك: عدو شوقي اللدود أحمد عرابي

لقد هجا شوقي عرابي هجاء مرًا لمخالفته الخديوي توفيقًا وكان والد شوقي من حاشية الخديوي. وشمّت شوقي بعرابي لهزيمته أمام الإنجليز في معركة التل الكبير (وكان شوقي آنذاك في الرابعة عشرة من العمر). وظل شوقي على موقفه حتى بعد عودة عرابي من المنفى. والآن يقر شوقي بأن الراعي (توفيقًا) كان نائماً. أما عرابي، أقر شوقي أم لم يقر، فهو الذي قاد جيش مصر برغم أنف الخديوي ليقف وقفة عز ومجد وليقدم ١٤٠٠ شهيد، ويقتل ٥٥٠ من الغزاة، وليعلن للأجيال اللاحقة أن مصر لم تُستعج رخيصة، وليكون مناراً

يَا أَيُّهَا الْجَيْلُ الَّذِي يَبْنِي غَدًا كُنْ فِي بَنَائِكَ حَازِمًا مِقْدَامًا
مقدام: شجاع

وَإِذَا بَنَيْتَ الْمَلِكَ فَابْنِ حَقِيقَةً لَا تَبْنِ أَوْهَامًا وَلَا أَحْلَامًا

٢٦٣ اطلب القطن وزاول غيره

قال شوقي في مشروع القرش، وهو آخر شعر قاله، ومات أحمد شوقي في ١٤ أكتوبر (١٩٣٢):

اجْمَعْ الْقِرْشَ إِلَى الْقِرْشِ يَكُنْ لَكَ مِنْ جَمْعِهِمَا مَالٌ لَبَدٌ
لبد: كثير

اطلبِ الْقُطْنَ، وَزَاوِلْ غَيْرَهُ وَاتَّخِذْ سَوْقًا إِذَا سَوْقٌ كَسَدَ
اطلب القطن (اسع في إنتاجه)، وزاول (مارس) إنتاج محاصيل أخرى أيضاً، فهذا يفتح لك سوقاً بديلة إذا كسدت سوق القطن

نَحْنُ، قَبْلَ الْقُطْنِ، كُنَّا أُمَّةً تَهْبِطُ الْوَادِيَّ وَتَرَعَى وَتَرِدُ
كنا قبل أن يزرع بمصر القطن أمة تهبط وادي النيل وترعى الأنعام فيه وترد (تستقي الماء). لم يكن للقطن شأن كبير في مصر القديمة، وأصبح سلعة تجارية مهمة، تغني الفلاح أو تكسره بحسب السوق العالمية للقطن، منذ عهد محمد علي

فهرس القوافي (القافية فرقم القصيدة)

١٥٢	عِتابا	٢٦	شاء
٩٨	لَعِبَا	٢١٥	ماء
١٩٢	واكتسابا	٢٥٩	مساء
٩٤	والرَّيَا	٨	الْتَنَاءُ
١٧	أُبْ	١٠	الرجاء
٢٤	تَضَرَّبْ	١١٨	إماء
٥٧	ثعلبُ	١٦٠	شَمَاءُ
٢٥	ذَهَبُ	١٤١	وَتْنَاءُ
٢٣٧	والحبُ	٢٦٠	الأحياء
٢٢٢	أَحِبِّ	٥٠	الأضواء
١٨٩	العربِ	١٥٣	الْكُرماءِ
٨٦	عُرَابِي	١٠٦	دوائي
٢٤٢	كَعْدَابِ	٢٥٦	السماء
٩٦	الْعَضْبُ	٢١٩	شفاءها
٢٥٨	عَجَبُ	٢٥٥	بنائِه
٢٨	يَحِبُّهَا	٢	أبي
١٨٥	تَايِه	٥٨	الثعلبا
٢٠٨	حَانَا	٢١٤	الِكِتَابَا
١٠٤	سُبَاتُ	١٧٣	تَوَابَا
٣٣	الْحَادِثَاتِ	١٨٤	طَلَبَا

٢٠	والوداد	١٠٣	الموت
٢٢٠	يُنَادِي	١٢٨	عَرَافَات
١١٩	أَرَاذ	٢٣	مَرَّت
٢٤٠	الْأَسَدُ	٢٤٩	مَرَّت
٤٧	المنفرد	٣٦	والمشْرِقَات
٢٦٣	لَبْدُ	٥	دَسْتُهُ
١٠٥	مَخْلَدُ	١٦٢	فَأَيْبَتْهُ
١٩٤	أَشَدَّهَا	٢١٠	فَرَحَمَتْهُ
١٢٩	عُوْدُهُ	٨٨	عَلاَجُهَا
٢١٦	الجَوْهَرَا	٢١٨	مُسْتَبَاحَا
٨٢	العِثَارَا	١٩٣	الأَفْرَاحِ
١١	الكُبْرَى	١١٦	يَتَسَبَّحُ
١٣٧	الْكُرَى	٢١٧	الشَّدَادَا
٩٠	جَرَى	١٨	بِالْعَدَى
٣٤	الْأَكْبَرُ	١٩٥	شَرِيدَا
٢٣٣	تَبَوُّرُ	٩	قَيْدَا
٨٩	تَغْيِيرُ	٢١	النَقْدُ
٢٤٤	جَدِيرُ	٢٤٣	تُسَدُّ
٢٦١	وَجَوَارُ	٧٤	صَيَّادُ
١٣٤	وَفَقِيرُ	١٢	مَدِيدُ
٨٥	الْأَقْدَارِ	٢٥٧	وَجِهَادُ
٦٢	الْحَصَارِ	١٧٤	الْأَعْوَادِ
٤٨	الصُّحَارِي	١٨٢	الصَّادِ
١٢٦	الْغَفُورِ	٢٥٤	الْعَوَادِي
٤٢	الْفَجْرِ	١	بِالْعَنْقُودِ
١٥٩	بِالْأَبْكَارِ	٣١	بَعْدِي
١٢٧	حُضَارِ	٣٥	لِلسَّيِّدِ
٩٧	خَبِرِ	١٣٩	نَادِي
١٣٨	كِبَارِ	١٣	وَأَقْعِدِ

١٨٣	وَقَعَ	٤	كَدَرِ
١٤٢	أَرْجَعَكَ	٤١	مَتَّظِرِ
٢٣٦	مَعَهُ	٨١	وَبِالْجَذْرِ
٢٥٢	إِيقَاعُهُ	١٤٠	وَسَطِّرِ
١٠٠	وَمِنْبَعُهُ	٣	الْأَخْضَرِ
٣٢	كَفَى	١٦	الْخَوَاطِرِ
٤٦	اِخْتِلَافِ	١٨١	الْعُمُرِ
٩١	الْأَشْرَافِ	١٥٨	الْكَدَرِ
٦٨	الْأَلْفَافِ	٨٠	كَغَابِرِ
٦٥	ظَرِيفِ	١٥٤	لِلْكَدَرِ
٣٨	إِشْفَاقُ	٦١	الشَّجَرَةِ
٢٤٨	الْمُتَشَقُّقُ	١٠٨	كَعَثَرَةٍ
١٧٩	تُغْدِقُ	١٩٨	مُدَارَةٍ
٢٢٥	دَمَشْقُ	١٧٥	مُدْخَرَةٍ
١٦١	الطَّبَاقِ	٦٣	مَسْتِيرَةٍ
١٤٨	الْمَذَاقِ	٦٠	مَسَرَّةٍ
١٩٩	الْمَذَاقِ	١٩٧	وَالْجَارَةِ
١١٠	طَلَاقي	٩١	يَجَارِهِ
٧٣	مُزَقِّقِ	٨٣	أُنْسُ
٩٩	مُشْتَاقِ	٢٣٥	يَسُوسُ
١٤٦	وَيُلَاقِي	١٧١	أُنْسِي
٩٥	فِرَاقِهِ	١٣٣	تَنْقُضًا
٢٧	الْمَلِكِ	٦	أَجْمَعَا
١٩٠	بَيْنِكَ	٢٠٧	فَرَاعَا
٢٢٩	شِبَاكِي	٢٣٩	وَرَعَى
١٤٧	يَحْمُوكِ	١٨٨	وَلَعُ
٤٩	أَرِيكَ	٢٠٢	النَّاعِي
١٥	يَرَاكَ	٦٤	بِالضُّفْدَعِ
٢٣٢	فَبَكَاهَا	٢٠٥	لِيُرْقِعَ

١٨٦	اعتدَالُهُ	١١٧	الملا
١٧٠	أَصْمَى	١١٥	النَيْلَا
١٣٦	الْأَقْوَامَا	١٥٦	النَّيْلَا
٨٧	الْأَنَامَا	٢٤٥	انتَقَالَا
١٣٢	الرَّامَا	٢٥٠	جَمِيلَا
٢١٣	عَلَامَا	٢٠٦	رَسُولَا
٢٦٢	فَأَقَامَا	١١٢	عَلَا
١٢٠	كَرِيمَا	٢٣١	قَلِيلَا
١١٤	الْأَيَامُ	١٣٥	مَقَالَا
٢٠٠	الدَّرْهَمُ	٥١	غَزَالُ
٥٥	الْفَطِيمُ	٨٤	قَلِيلُ
١٩٦	خَادِمُ	٦٩	يُحْمَلُ
١٢٣	كَرِيمُ	١٤٩	يَمِيلُ
١٤٥	وَالْإِسْلَامُ	١٣١	الْبُئْبُلُ
٧٧	وَتَرَحَّمُوا	٣٠	التَّرَلُّلِي
١٠٢	الْأُمَمُ	٢٢٤	الْمَالِ
١٢٤	الْحُرْمُ	١١١	النَّشَالِ
١٠١	بِالْمَلَامِ	١٥٠	وِإِذْلَالِ
٢٣٠	دِعَامِ	١٥١	وِمِثَالِ
٢٠١	دَمِي	١٠٧	الطَّوِيلُ
٢٣٨	الْقَلَمُ	١٧٨	قِيلُ
٥٣	الْمُقَطَّنُ	٧٠	مَلَلُ
٩٣	عَدَمُ	٥٩	الْبَطَالَةُ
٢٥٣	هَاشِمُ	٢٤٦	أَنْسَالُهَا
٢٢٣	الْقِيَامَةُ	٢٤٧	الْبَاكِي
٥٦	حَمَامَةُ	٥٢	بِذَلَّةُ
٩٢	وَتَحْمِيهَا	١٢٥	رَحَلَةُ
٤٠	اِقْتِرَانَا	٢٣٤	مَالُهُ
٣٩	الرَّائِنَا	٧	تَبْدِيلُهَا

٢١٢	وَيَزِينُ	١٨٧	الغابرينا
٧٥	المُعِينَةُ	٥٤	الواعظينا
٧٨	والسَمِينَةُ	١٤٤	إنسانا
٢٠٣	رُكْبَانُهَا	١٧٦	جبانا
٤٣	شُجُونُهُ	٢٢٨	حُسْنًا
١٧٧	أَرْسَانِهِ	١٦٩	دَيِّدَنَا
٢٢٦	زَمَانِهِ	١٥٧	لِوَادِينَا
٦٧	فَتَاهَا	١٦٨	مُقِيمِينَا
١٥٥	يَرَاهَا	٢١١	وَأَزْمَانُ
٣٧	كَبُورُهُ	٧٢	الْأَسْنَانِ
٢٢٧	الْجَوَازِيَا	١٤	الْجَانِي
١٣٠	ثَانِيَا	٧٦	الْحَيَوَانِ
٢٠٤	شَيًّا	٢٢١	بِالْحُسَيْنِ
٤٤	غَالِيَا	٧١	تَرْعِيَانِ
٤٥	هَمَشَرِيَا	٧٩	عَنِّي
١٨٠	هَيَّا	١٢٢	وَالدَّانِي
١١٣	وَالْمَعَانِيَا	٢٢	أَبْوَيْنِ
٢٤١	الْأَنَانِيَّةُ	٢٠٩	السَّنُونُ
٢٩	الثَّانِيَّةُ	١٩	فَكَانَ
٢٥١	ثَنَايَاهَا	٦٦	فَنَنْ
١٢١	يُعَادِيهَا	١٧٢	مُعْجِبِينَ
١٠٩	عَلَيْهِ	١٤٣	وَطِينِ

حافظ إبراهيم (١٨٧١م - ١٩٣٢م)

هياتُ «عناصر الموضوع» . . أو قل رؤوس الأقلام، وضبطت التواريخ، وقلت: أكتب مقدمة لهذه الأشعار التي انتخبتها من ديوان حافظ إبراهيم. ثم رميت بورقة العناصر جانباً. وأغلقت الكتب التي قرأتها عن حافظ إبراهيم، وأعدت ديوانه إلى الرف. وقلت في نفسي: أحدثك عنه حديثاً، فهذا أروح لي ولك.

وها أنت تراني متعثراً أبحث عن طرف الخيط.

غازني حافظ، وقد عدت إليه الآن بعد سنوات كثيرة من قراءتي الأولى لديوانه. انتخبت له الأبيات المشهورة، والأبيات الجميلة، والأبيات التي تعبر عن حياته وشخصيته، ورجعت إلى ما انتخبت فازددت غيظاً.

غازني في الأولى كثرة ما في ديوانه من القصائد المغسولة التي ليس فيها بيت يلفتك، وغازني في الثانية أنني رأيت مختاراتي التي ضمت خير أبياته مملوءة بالحشَف، وكان عليَّ أن أعود فأنجي منها ما لم أعد أراه جيداً.

ثم إن حافظاً غازني مرة ثالثة لأنه خدعني بقعقة في شعره تحجب عن المرء ما في الشعر من سخف أو إحالة أو تكرار غير نافع، أو تكرار ضار بالمعنى.

وبدأت أشحذ أسناني. قلت في نفسي: أنا دائماً أقول إن الشاعر بجيده لا برديته، وها هو أخونا في الله حافظ إبراهيم قد دسَّ لي ضمن ما كنت حسبته «جيده» أبياتاً رديئة غير أن عليها طلاء خالِباً. فلأخرج عن سياستي مع شعرائي، ولأشهر على حافظ سكين التعريق. ثم عدل بي عن هذه الفعلة شيثان وشيء.

أول الشئين أنني قرأت كتاب المازني الذي وضع فيه حافظاً على السفود.
والسفود سيخُ شيءٌ للحم، وكان أخلق بنا أن نقول «وضع السفود في حافظ
واشتواه»، ولكن الرافي شاء أن يكون التعبير «على السفود»، فهو عليه!

وثانيهما أنني رأيت حشداً من الأساتيد قد سرقوا نقداً المازني ونسبوا
لأنفسهم الصغيرة، وسلخوا عبارات كاملة من المازني وزينوا بها صفحات
المسوخ التي أصدروها. لا، لم يستفرغ المازني كل سفاسف شاعرنا. ولكنني،
لو مضيت في عزمي السفودية، سأكون مضطراً إلى انتقاد بعض ما انتقده
الرجل، فهل أفعل ما فعله الأساتيد؟

والشيء الثاني.. الشيء الثاني في الواقع هو ذلك الذي صنعه الأساتيد.
لكن بقي شيء آخر.. ثالث، وهو الأهم.

الشيء الثالث الذي منعني من تعقّب ما وقع فيه حافظ من إحالات
وركاكات هو أن شاعرنا كان يكتب للأذن لا للعين.

قرأت وصفاً جميلاً كتبه عبد الرحمن صدقي لحفل ألقى فيه حافظ قصيدة
في تكريم يعقوب صروف ونبيه فارس. وصف صدقي إقبال حافظ على
الجمهور، بقامته الطويلة وكتفيه العريضتين وهامته الكبيرة. ووصف إيماءاته
«التمثيلية» وصوته الفخم وإلقاءه الأخاذ، وتكراره بعض الأبيات قبل أن يمضي
في سائر القصيدة، فرأيت مصداق ما قاله كثيرون من أن حافظاً كان يمتلك
مهارة كبيرة في الإلقاء. ثم قرأت ما كتبه طه حسين عن سؤاله حافظاً عن عبارة
«جثا قبره» التي وردت في مطلع قصيدة رثى فيها مصطفى كامل (أيا قبر! هذا
الضيف آمال أمة/ فكبر وهلل والنق ضيفك جاثيا)، فكيف للقبر أن يجثو على
ركبتيه؟ وردّ حافظ: «دعني من نقدك وتحليلك. ولكن، حدثني أليس يحسن
وقع هذا البيت في أذنك؟ أليس يثير في نفسك الحزن؟... قال طه: ولكن.
فقال حافظ: دعني من لكن، واكتف مثلي بهذا».

الرجل يستعمل اللغة القديمة، والأساليب العتيقة، ويتكلف في سبيل ذلك
ما يتكلف، ويخطئ، ويحيل، ولكنه ينظم ناصباً أذنيه يسمع ما ينظمه بأذان
جمهوره. والجمهور غفور للشاعر رحيم به إن هو أحسن سوق القضية بمجملها
ناثراً في أثناء الأبيات درراً قليلة وسط حشد من العبارات ذات الوقع الفخيم،
وليس مهماً بعد ذلك إن كانت فيها قبور جاثية.

قررت أن آخذ حافظ إبراهيم على بعضه. وفعلت. وشرحت ما اخترته من أبياته وأنا مغيط محقق، لكنني كفت لساني عن انتقاده إلا ما ندر. كان في نظمه بوهيمياً كما كان في سلوكه منذ أن ترك الدراسة يافعاً إلى أن مات.

كان حافظ شاعراً. وملاً بشعره الأندية. وعاشت له أبيات، وقصائد كاملة أيضاً، ظل الناس يرددونها. لم يكن رجل فكر، ولا رجل سياسة، وأزيد وأقول ولا وطنياً مناضلاً. كان يحب وطنه، وهذه ليست فضيلة، فكلنا يحب وطنه. وكان يفكر في رفعة وطنه كثيراً، ويتألم لأن نهضة بلده مصر لم تكتمل، بل لقد انتكست. ولعل في هذا بعض الرد على قوم يزعمون أن العهد الملكي بمصر قبيل ثورة ١٩٥٢ كان عهد نهضة مباركة وكبيرة، وأن حركة الضباط أجهضت هذه النهضة. في شعر حافظ، مأخوذاً في مجمله - ومضافاً إليه شعر شوقي - مجموعة كبيرة من القرائن على أن مشاعر أهم شاعرين في تلك الحقبة كانت مشاعر أسى على نهضة كانت في عصر محمد علي، وخفتت قليلاً ثم كانت تريد أن تستمر في عهد إسماعيل فأجهضتها الأمم الأوروبية، ثم بالاحتلال الإنجليزي ١٨٨٢ بدأ الانحسار، وظل متواصلاً.

من حق أي مؤرخ - مصرياً أو غير مصري - أن ينتقد حركة ضباط ٥٢، ومن حقه أن يفضل على مؤسسات حكم العسكر آنذلك المؤسسات الأشبه بالديمقراطية التي كانت في العهد الملكي، فأما تصوير العهد الملكي على أنه كان نهوضاً متصلاً، فهذا عكس الحقيقة.

رأى كثيرون حافظاً وطيب قلبه، ووفاء لأصدقائه ولمن أحسنوا إليه، واغتفاره إساءة من أساء، وتغمدته هجوم من هاجمه بالعفو السريع فعدوه رجلاً من كَمَلَة الرجال. ليكن. على أن الرجل الكامل يحتفظ في ركن من شخصيته بخزانة سوداء يودع فيها قمادات سلوكه، فإن لم ير الناس في شخصية حافظ المفتحة شيئاً عليه قفل ومفتاح، فربما كان ذلك لأنهم غضوا البصر.

كان حافظ حقاً طيب المعشر لطيفاً. لكن ليس مع كل الناس. فهو ابن بلد، يعامل من يضغره سناً أو قدراً بجلافة ابن البلد، ويعامل من يحسن إليه بالإجلال، وهو يحفظ المعروف، ويحسن إلى الناس كثيراً. وكان سخياً سخاء خرافياً، ونوادر سخائه تملأ الكتب، والسخاء ستر يحجب عن الأعين كثيراً من علل الشخصية. وكان صاحب نكتة، وذا محضر جميل وبديهة مساعفة، ويحسن السخرية المرة. يراه المرء أول معرفته به متجهماً، ثم سرعان ما يفيض بشراً،

حتى ليقبل ضيفه الجديد عليه يريد أن يقبله بين عينيه، وهذا شيء قاله أحد من عرفوه، ونسيت من هو.

درس حافظ الشعر العربي من «الوسيلة الأدبية» وفيها قرأ شعر البارودي، ولقي البارودي وسمعه وجالسه، فحافظ امتداد طبيعي لمدرسة إحياء الشعر العربي، التي جعلوا البارودي رأسها. وقرأ أغاني أبي الفرج مراراً، وصاحبه لزوميات المعري، وسمع أشعار شوقي وكان يقفو أثره في بعض الموضوعات.

لم يكن الشاعر المثقف. كان يحب رنين الشعر العربي القديم وقرأه كثيراً وحفظ منه كثيراً، وجعلوا حفظه آية من الآيات، إذ كان يستحضر من خزانة ذاكرته ما شاء أيان شاء.

وأعود إلى غيظي.

كل هذا الغيظ الذي حدثتك عنه.. ثم أختار لحافظ بضع مئات من الأبيات! لا، وإنني لأبرز الكثير منها بالتسويد!

لم يكن لحافظ دقة أبي تمام، ولا سلاسة البحتري، ولا صنعة ابن الرومي، ولا فخامة المتنبي، ولا فحولة المعري، ولا خيال شوقي.

ولكن، كان لحافظ شيء لم يكن لأي من هؤلاء. كانت له شخصيته، تماماً مثلما لك ولي ولكل إنسان شخصيته. وعبر حافظ عن شخصيته في شعره، وليس كل أحد قادراً على أن يعبر عن شخصيته، وعن.. إمعيته أيضاً.

عبر عن إمعيته الفكرية بوضوح: لا رأي له في كرومر، ويودعه بقصيدة يذكر فيها المحاسن والمساوي، ثم يتنصل ببيت يقول فيه إن هذا «ما يقوله الناس»؛ ولا رأي له في السفور والحجاب، ويريد في رثائه قاسم أمين أن ينتظر كي يكشف له المستقبل صحة أو خطأ آراء الفقيه. وهو ناظم على الأجانب المقيمين في مصر ثم يعود ويحييهم على نشاطهم التجاري.

وعبر حافظ عن أحداث زمنه. وكانت له قدرة الخطيب، الذي أدمن النظر في عيون جمهور السامعين، على تخير العبارة الطنانة. والعبارة الطنانة من بعض المكونات المفيدة للشعر. فإن شبهت مكونات الشعر بمكونات صلصة الطماطم فاعلم أن العبارة الطنانة ليست من المواد الحافظة، التي لا مهمة غذائية لها بل هي تحفظ الصلصة من التلف السريع. لا، العبارة الطنانة جزء من الشعر، لأن إنشاد الشعر جزء من الشعر، ولأن الإيقاع جزء من الشعر،

ولأن الشعر يصبح نثرأ إن عدم هذه المكونات. فهل المعنى جزء من الشعر؟ يقول لك القدماء: نعم، ولا. ويقولون إن المعاني ملقاة على قارعة الطريق، والمعمول إنما هو على حسن السبك، وعلى الالتزام بعمود الشعر العربي. ويقول لك قدماء ومحدثون كثر: بل المعنى مهم، شرط ألا تتحول القصيدة إلى مقالة.

حافظ غير المثقف أشعر من حافظ لو كان مثقفاً. وأكاد أجزم بنسبة ٩٩٪ كما يقول العوام - في أول مناسبة تسوق تعسَّ حظَّ عامياً ليقول لي هذه العبارة، سأجيبه ببرود وبكل جدية: وكيف قست هذه النسبة المئوية لطفاً؟ - أجزم بأنه لو كان حافظ قد تثقف وقرأ كثيراً لكان شعره في غاية الغثاثة. وكنت في مقدمة كتابي الأول في هذه السلسلة قد بحث لك بأنني حاولت الشعر وأخفقت فيه، وعبرت عن ذلك بالقول:

أتيت بقاموسي وألفيتي إلى الـ قصيدة أبغيها، وأخشى تعاليها
فألفيتها تهوى البريء ولو به جنون، بل المجنون أقصى أمانها
فيا شعرُ، يا ولأدُ، يا خَلْقُ، فُتْنِي لأنَّ علومِي شوهتني تشويها

وفي حافظ سذاجة تظهر جلياً كلما طرق موضوعاً ثقافياً، ولكنه قد يجيء بعد أن يستعرض عضلاته الثقافية، المنفوخة بمنفاخ الدراجات، بأبيات قليلة يشكو فيها بؤسه، صادقاً في شبابه كاذباً في كهولته: كاذباً لأنه لَطَى في السنوات العشرين الأخيرة من حياته في وظيفة دسمة (بلغ راتبه الأقصى ثمانين جنيهاً في الشهر.. هذا عام ١٩٣٢، عندما كان الجنيه يُغني «أنا أنطونيو وأنطونيو أنا»).

أبيات الشكوى عند حافظ فيها عذوبة، وفيها استمرار لنغمة مألوفة عند شعراء العرب أصبحت من أركان أركان القصيدة في عصور الانحطاط. وهي بالمناسبة عصور انحطاط وانحسار وسفه وسفاسف وأنوف بعض الأكاديميين في التراب. نعم رغم السفاسف فإن مما يجعل السامع يترنح ويتخدر أن يسمع شعراً فيه نغمات عتيقة. (مثال على ذلك من دنيا الألحان أغنية لنجاة الصغيرة تقول «أيظن أنني لعبة بيديه؟/ أنا لا أفكر في الرجوع إليه» وتصحب هذه الكلمات ألحان تعبيرية جديدة، ثم تمضي الأغنية بلا إيقاع وبلا تطريب.. «اليوم عاد كأن شيئاً لم يكن/ وبراءة الأطفال في عينيه»، وعندما يريد

عبد الوهاب أن يقيم الناس عن كراسيهم يلحن لهم البيت «حتى فساتيني التي أهملتها/ فرحت به رقصت على قدميه» تلحيناً آخر مختلفاً. . تلحيناً فيه طرب وإيقاع وجملة ميلودية متقنة من الطراز القديم). وألا ترانا نستمع إليك بأدب وأنت تلقي علينا قصيدة ألفرد دوفيني عن الذئب، فإذا أتبعناها بقصيدة البحري حيث يقول: «كلانا بها ذئب يحدث نفسه بصاحبه» استيقظت فينا روح الصحراء التي كلانا فيها ذئب حقاً، وصفقنا لقدمنا المضمخ بمسك السنين؟

شكا حافظ من الأجانب بمصر: من اليونانيين، ومن الشوام أيضاً. ولكن حافظاً رجل رقيق، وهو ابن بلد. كان يحب صديقه خليل مطران اللبناني ويمدحه شعراً ونثراً، وكان مطران بثقافته العميقة، وفرنسيته المتقنة يساعد حافظاً في الترجمة. وكان يغشى مجالس أهل الصحافة، وجلهم من الشوام، وكانوا يرفعون ذكره عالياً بنشر قصائده في صدور جرائدهم. وفي السوريين قال حافظ بعض أجمل شعره، وطوقهم بحبه وبإعجابه. ولكن تدمره كان من المصريين الذين كانوا - حسب تحليله الساذج - متوانين وكسالى. وكان اسم أكسل رجل في مصر. . لعلك حزرت. . فلا داعي للتشهير.

هذا سجل حياة شاعرنا:

ولد في عوامة راسية قرب ديروط في الصعيد، عند قناطر التقسيم. . قناطر تقسيم حصص المياه. كان محمود سليمان باشا أحد كبار ملاك الأراضي قد أسكن إبراهيم فهمي والد شاعرنا وأمه هانم البورصلي فيها. فإبراهيم فهمي مهندس مياه، والباشا بحاجة إلى «مساعدة صديق» كي يحصل على نصيب وافر ليروي فدادينه الـ ١٦٠٠. وأنجبت هانم - هذا اسمها - الطفل حافظاً في عام ١٨٧١، ربما قبله بعام، وربما بعده بعام. ثم أختاً له. ثم مات زوجها إبراهيم فهمي ولحافظ من العمر أربع سنين. فخر الباشا الصديق المساعد، وخسرت الأسرة العوامة.

رحلت الأم بولديها إلى القاهرة، إلى بيت أخيها، المهندس في مصلحة التنظيم، محمد نيازي البورصلي، وكان يسكن في حي المغربلين بين القلعة والتحرير. وأحوال حافظ قوم من قدامى أتراك مصر نسوا لسانهم التركي واستعربوا وتمصروا. لم يكن خال حافظ من ذوي اليسار، لكنه كان يعيش مع زوجته وحدهما ولم يرزقا بأبناء.

تربى حافظ في كنف خاله بلا أب، ولكن كان له في البيت أم، وكانت له

أم أخرى هي زوجة خاله، وكانت أخته. وقد تزوجت، من بعد، وأنجبت أربعة وماتت شابة.

درس في مدارس القاهرة حتى بداية المرحلة الثانوية، ثم كان أن رحلت العائلة كلها إلى طنطا، فانقطع حافظ عن الدراسة، إذ لم يكن بطنطا مدرسة ثانوية كما ذكر بعضهم، أو لأنه كان يكره المدرسة كما قال محمد إسماعيل كاني الذي يتنسب إلى أسرة أخت حافظ.

أخذ حافظ، وهو في السادسة عشرة يعاشر طلاب المعهد الأحمدى بطنطا، وحضر دروساً في النحو والصرف في الجامع الأحمدى. ويصف الشيخ عبد الوهاب النجار أول لقاء له بحافظ في طنطا عام ١٨٨٨، وحافظ في نحو السادسة عشرة، يقول: «فتى غض الإهاب، له ظرف ولطف محاضرة، ويديه وحضور... قضينا رمضان نصلي المغرب والعشاء والتراويح معاً، ثم نسمر حتى السحور، ونظل حتى يؤذن لصلاة الفجر، وبعدها نمضي في صحبتنا حتى طلوع الشمس، فيذهب كل منا إلى بيته» بتصرف عن الشيخ النجار.

مضت على حافظ سنة خصبة جداً من حيث امتلاكه لأدوات اللغة والبيان، وقاحلة بوهيمية في نظر خاله المهندس. وضاق حافظ ذرعاً بكلمات خاله التأنيبية، فقال بيته المشهورين: (ثقلت عليك مؤنثي/إني أراها واهية// فافرح فإني ذاهب/متوجه في داهية). وكانت الداهية استمراراً في معايشة طلاب المعهد، فقد سكن حافظ عند صديق كان مجاوراً للجامع الأحمدى.

ولعل هذا الصديق ضاق بحافظ.. على أن شاعرنا أصبح الآن يعرف قدر نفسه، فهو يحسن أن ينظم، واستقامت على لسانه اللغة العربية الفصحى. عاد إلى منزل خاله. لكنه بدأ يبحث عن عمل. ولم يجد خيراً من المحاماة، فهو فصيح اللسان، حسن الكتابة سريع الفهم وسريع البديهة.

عمل في مكتب المحامي الشيمي، ثم وجدته يدق عليه في الأجر، فانتقل إلى مكتب محمد أبي شادي، ثم إلى مكتب عبد الكريم الفهيم.

قد وضحت الصورة الآن، نحن بلائذ شخص قلق. فما الذي يلقي بهذا الشاب القلق، الذي بدا أنه مشروع شاعر، في أحضان الجيش؟ ربما طوله وكثفاه العريضتان.

إلى القاهرة، والمدرسة الحربية. ولحسن حظه كان المحتل الإنجليزي قد

ألقى من منهاج هذه المدرسة معظم ما كانت تدرسه من علوم، وبعد سنتين أو ثلاث تخرج حافظ ملازماً ثانياً. وقضى في الجيش ثم في الشرطة ثلاث سنوات، كان فيها مثال الضابط المهمل.

ونقل إلى السودان في حملة كتشنر.

فقد بعث الإنجليز الجنرال هيرت كتشنر إلى الخرطوم للقضاء على الحركة المهدية وقدر أطماع فرنسا في السودان. وفي الثاني من سبتمبر/أيلول عام ١٨٩٨ كانت المواجهة بين جيش الأنصار السوداني بقيادة عبد الله التعايشي خليفة المهدي، وبين القوة البريطانية. وكان مع الثمانية آلاف جندي بريطاني ١٣ ألفاً من المصريين والسودانيين. وكان جيش التعايشي يزيد عن الخمسين ألفاً.

فتح كتشنر على جموع جيش الأنصار المدافع. كانوا يزحفون بملابسهم البيضاء موجة إثر موجة، وكان الإنجليز يعالجون زخوفهم بالمدافع أولاً ثم بالبنادق الرشاشة لمن لم يسقط بالقذائف، ثم بالبنادق يتصيدون بطلقاتها من تبقى. وانجلت هذه المقتلة عن ١٢، ٠٠٠ قتيل سوداني، وأكثر منهم من الجرحى، ويخبرنا ونستون تشرشل الشاب، الذي شهد الواقعة، أن كتشنر نفسه كان يشجع جنوده على الإجهاز على الجرحى، طائفاً بينهم قائلاً «تذكروا غوردون»، الجنرال البريطاني الذي قتله جيش المهدي قبل خمس عشرة سنة. وخسر كتشنر ٤٧ جندياً فقط. ثم إنه نصف ضريح المهدي في أم درمان. ينقل لنا الوصف مع استنكار للفعلة تشرشل نفسه. وقد قيل إن الملكة فكتوريا العجوز بكت عندما علمت بتدنيس مقام المهدي.

حتى بعض الصحف البريطانية استنكرت وحشية كتشنر وجيشه، وصفه أحدهم قائلاً، كتشنر ليس إلا آلة للقتل، ولا بأس بعرضه في المعرض الدولي بباريس مع لافتة تقول آلة القتل في السودان.

فأين كان الضابط حافظ إبراهيم وقتها؟ كان في الخرطوم وعلى رأس عمله. فماذا صنع؟ لا تذكر لنا الكتب شيئاً عن ذلك، ولم أر أحداً اهتم بالأمر أصلاً، بله أن يبحث للشاعر عن مفلص (ألاباي/برهان بالكينونة في مكان آخر).

أنت لا تشهد يوم القيامة بالبيجامة.

وتكملة القصة أن لندن أبرقت لكثشنر بما معناه: ليس ما ابتغيناه الانتقام لمقتل غوردون، الغرض وقف مطامع باريس في السودان. فانطلق كثشنر إلى فاشودة بالسودان حيث دس الفرنسيون مشط قدمهم في الباب. وبعد رفع البنادق ثم التفاوض ورحلت فرنسا عن السودان. ثم نوذي بكثشنر أن اذهب إلى الترانسفال بجنوب إفريقيا.. لتصبح بطل حرب البوير. وفعل.

وذكر حافظ إبراهيم في كتابه «ليالي سطيح» بعض ما حدث في السودان. ذكر شيئاً على هامش الهامش، ولكن له دلالة.

لقد سحب البريطانيون من المصريين في الجيش الذخيرة. فغدت البنادق في أيديهم عصياً. فثار الضباط المصريون. واجتمعوا، وقال قائل منهم - والنقل الآن حرفي عن حافظ -: «أليس من الخطأ أن تبقى هكذا الجنود، ونحن في بلد غير آمن، وهذه دماء أعدائنا لا تزال غريضة، وتلك أجسادهم تغدو عليها وتروح عنها جيوش العقبان والرخم، وقد أكل الحقد صدور أهل البقعة، وتغلغل الضغن في نفوسهم».

ويحدثنا حافظ بتطويل ممل عن استدراج الإنجليز للسودانيين في الجيش لمعرفة خبر هذا التمرد، وعن إسكارهم، وعن خيانة ضابط مصري لزملائه، وكيف أن الإنجليز توصلوا إلى قائمة بنحو ثمانين اسماً، ثم لم يريدوا إحداث ضجة فاختاروا منهم بالقرعة ثمانية عشر أحالوهم على الاستيداع وأعادوهم إلى مصر، وكان بينهم شاعرنا.

لا يذكر لنا حافظ، لا شعراً ولا نثراً شيئاً عن مقتلة أم درمان وما تلاها من فظائع. ونحب أن نظن أنه لكسله الشديد لم يضغط على زناد. على أننا، من قليل ما وصلنا من أشعاره في السودان التي كان يبعث بها إلى أصدقائه في مصر، نعرف أن غاية همه كانت تذكر مجالس الخمر في مصر، والشكوى المتصلة من بقاءه في السودان، ورغبته الشديدة في العودة إلى مصر. لقد خدم حافظ في حلفا وطوكر وسواكن في السودان. ولكن نصه في «ليالي سطيح» الذي يعتبر الأنصار هم الأعداء صريح.

لقد كانت جموع السودانيين الذين ذبحهم كثشنر من المسلمين، وكان لسانهم عربياً، ولعل حافظ نسي ذلك وهو يكتب الأبيات الجميلة في نصرة الإسلام «سلام على الإسلام بعد محمد/ سلام على أيامه النضرات» وفي نصرة اللغة العربية «أنا البحر في أحشائه الدر كامن».

ثمة هيكل عظمي ههنا في خزانة سوداء أبقاها حافظ، وأبقاها الذين كتبوا عنه الكتب، مقفلة. وكلمة «أعدائنا» الواردة في المقتطف أعلاه من كلام حافظ بليغة في الإشارة إلى أنه وصحبه من الضباط كانوا يعتبرون جيش الأنصار السوداني «العدو».

لحافظ الضابط بضع قطع قصيرة في جندي مليح، إحداها صريحة «ومن عجب أن قلدوك مهنداً/ وفي كل لحظ منك سيف مهند». وهذا مألوف من رجل يحب الجمال وجد نفسه ضابطاً يقترب من الثلاثين وسط جنود، وانقطع عن الإناث زمناً. وفي قصص جيش إسبرطة، وجيوش العباسيين الثغرية حالات كهذه فشت حتى لقد صارت سمة من سمات ذينك المجتمعين.

أعيد حافظ أخيراً إلى مصر، محالاً على الاستيداع، ثم أحيل على المعاش بعد ثلاث سنوات ونصف السنة بناء على طلبه. كان ذلك في سنة ١٩٠٣.

تفرغ حافظ لأستاذه وإمامه محمد عبده مفتي الديار المصرية والقطب الفكري والعملي لحركة الإصلاح. ونهل من علم محمد عبده الغزير، وقيل إن الإمام كان يساعد حافظاً حتى في فهم اللغة الفرنسية التي أُلِم بها محمد عبده وهو في باريس. ومات الإمام عام ١٩٠٥ فترأه حافظ بدموع حرى وظل يذكره في شعره فيما بعد. وفي عام ١٩٠٦ نجحت السيدة هانم في تزويج ولدها. لكنه لم يلبث مع زوجته سوى أربعة أشهر، لم يعد بعدها لزواج ولا لغير زواج. يقول أحمد حسن الزيات «ذوى في قلبه حب المرأة» ولا يزيد.

ونحن أيضاً لا نزيد. ولم نر في سيرة الرجل ما يدعم أية تكهنات. غير أننا نريد التنويه بكتاب جيد عن حافظ إبراهيم بقلم السعيد محمود عبد الله، ولندخل إلى التنويه من هذا الباب الذي فتحناه والمتعلق بحقيقة ميول حافظ الجنسية. يعرض المؤلف لما أورده مؤرخ حافظ وصديقه الذي عايشه، أحمد محفوظ، من أن حافظاً انصرف عن تلك الزوجة لأنه لم يشاهدها قبل الزواج، فلم تقع في نفسه موقعاً حسناً، ويدير صفحتين على أن هذا لا يكفي لتبرير انصراف الشاعر عن المرأة كلياً بعد ذلك رغم أنه أصبح موسراً. وينتهي المؤلف إلى القول إن السبب هو ما «مني به من فتور في ميله الغريزي إلى الأنثى».

بعد سنتين من هذا الزواج الفاشل توفيت والدته حافظ، وكانت تعيش معه

في منزل مستقل. فانتقل مرة أخرى للعيش مع زوجة خاله التي رعاها حافظ في شيخوختها، وظلت تقيم معه عشرين سنة حتى ماتت.

ظل حافظ بعد وفاة الإمام، بل حتى في حياته، يغشى مجالس الوجهاء من أبناء الأسر الكبيرة وينال صلاتهم، وله مدائح في أبناء هذه الأسر. وظل ينشر شعره في المحافل، وأصبح ذا صيت. طرقت قصائده في الحرب الروسية اليابانية، وفي الإمام، وفي دنشواي، الآذان، وتندر الناس بأبياته في مجالسهم. ونشر كتاباً استحضر فيه روح الكاهن الجاهلي سطيح، وألقى على لسانه كلاماً عن السودان، كما أسلفنا، وعن دهاء الإنجليز وغطرسة ضباطهم. وهاجم أحمد شوقي في بضع صفحات.

كان في هذه الفترة ينظم الشعر محاولاً الوصول إلى السدة الخديوية، ولكن شوقي كان يسد عليه الطريق، وتقرب حافظ من شوقي، وأقر له في أبيات مفرقة على عدة قصائد بالسبق، ونشأت بين الرجلين علاقة طيبة. لكن شوقي ظل حتى النهاية ينزعج كلما قرن الناس اسمه باسم حافظ، فهو شاعر مصر الأوحد. قالها كذا مرة في شعره.

فرض حافظ وجوده بأشعاره الرنانة التي كانت تزداد رنيناً عندما يلقيها في حفلات التهنئة ومحافل التابئين الكثيرة التي كانت تلتقي فيها قصيدة حافظ مع قصيدة شوقي ملقاة على لسان آخر، فشوقي لا يحسن الإلقاء.

ظل حافظ يسترضي الإنجليز بأشعار «ماتت الملكة عاش الملك» ثم بقصيدة سيئة الصيت في وداع المعتمد البريطاني اللورد كرومر في أعقاب حادثة دنشواي. كان شوقي أيامئذ وطنياً، في تصنيف من يعشقون التصنيف، لكنه كان وطنياً من النافذة لا من الباب. فهو شاعر الخديوي عباس حلمي، في وقت كانت العلاقة فيه بين عابدين (قصر الخديوي) والدوبارة (قصر المعتمد البريطاني) متوترة. وكان حافظ أيامئذ حائراً بين مجالس العائلات ذوات الأطيان، وبين مصانعة الإنجليز، ومحاولة التقرب من السدة الخديوية، ومدح السلطان عبد الحميد، ثم الترحيب بعزله، وبين مدح الشوام الذين كان يسيطرون على الصحافة، وورثاء كبرائهم.

وفي أثناء هذا كله كان حافظ يقول شعراً يتوجع فيه للأيتام، ولضحايا الحريق في مصر والزلازل في إيطاليا، ويرى شوقي يرثي تولستوي فلا يقصر، فيرثي تولستوي. ومثلما كان يصانع الإنجليز كان يهاجم احتلالهم للبلاد.

وأخيراً انفتح له باب السماء. عينه وزير المعارف أحمد حشمت رئيساً للمقسم الأدبي بدار الكتب. فعرف حافظ نعمة المرتب الجيد. وعاش عشرين سنة ممسكاً بالمرتب بكلتا يديه. ليس أنه كان موظفاً حسن الدوام والانضباط.. بهذا لا يكون حافظ حافظاً. كان شاعرنا يقضي ساعات الدوام على مقهى الكتبخانة. ويطل بين الحين والآخر على دار الكتب ليتحدث مع زملائه، وكان جل حديثهم عن العلاوات والتعيينات وما إلى ذلك من أحاديث الموظفين. من سنة ١٩١١ حتى خروجه من الوظيفة (أو «إخراجه» منها على يد حكومة إسماعيل صدقي/والعهدة في «الإخراج» على أحمد حسن الزيات) عام ١٩٣٢ ظل حافظ شاعراً موظفاً. يمدح بحساب ويرثي بغير حساب، فإن قال شعراً وطنياً فهو مقيس بمقياس الاعتدال والعمومية «وبناة الأهرام في سالف الدهر كفوني الكلام عند التحدي». وقامت الحرب العالمية الأولى فأنب حافظ الألمان على إضرار نارها، وانتهت الحرب، فلم يجد حافظ من يستحق الرثاء أو الممدح فمدح عمر بن الخطاب في ملحمة طويلة. وقامت ثورة ١٩١٩ في مصر، فقال حافظ شعراً وطنياً لم ينشره، لكنه انتشر بين الناس. وعاد شوقي من منفاه فحياه حافظ، وتوطد الود بين الشاعرين على قاعدة قبول حافظ أن يكون ثاني اثنين، مع أن شوقي المجلي ظل يرى نفسه الأوحد ولا ثاني له.

جمع الشاعرين مجلس سعد زغلول الذي جمع الأمة حوله، وعندما أقام سعد لشوقي حفل مبايعة بلمارة الشعر جاء حافظ مبايعاً. وبعدها بقليل، وفي العام نفسه ١٩٢٧، مات سعد زغلول فرثاه كل شعراء مصر وغير مصر.

كان من محاسن حافظ في هذه الفترة، وفي كل حياته، أنه ظل يسأل: لماذا لا نتقدم مثلما تقدمت أوروبا؟ لماذا لا نتعلم، ولماذا لا نتقن صناعاتنا، ولماذا لا تكون لنا أخلاق كأخلاقهم؟ كانت هذه الأسئلة التي يطرحها حافظ - رغم أنه لم تتوفر لها إجابات لا على لسانه، ولا في سلوكه الشخصي البوهيمي - الأسئلة الوجودية الحقيقية.

كان جواب طه حسين على مثل هذه الأسئلة حث الأمة المصرية على أن تكون جزءاً من أوروبا. وكانت إجابات بعض أصحابه الدستوريين تتمثل في أطراح الفصحى، وفي التخفف من التدين - على الأقل كانت هذه نصيحة اللورد كرومر قبل انصرافه -.. ولكن الكل كان يجمع على ضرورة التعلم. واحتلفت

مصر بفتح جامعة، وظل حافظ متعجباً من ذلك النشاط عند الشوام، في مقابل ما ظنه خمولاً عند المصريين.

لقد كانت مصر وما زالت - ونكتب في ثاني يناير/كانون الثاني عام ٢٠١٧ - القاطرة في العالم العربي. لكنها قاطرة عتيقة تقطر عربات أعتق منها.

حملت مصر عن بغداد الراية بسقوط بغداد، وحتى قبل سقوطها، فالفاطميون كانت لهم خلافة بجانب الخليفة في بغداد، وكانوا يحكمون مصر وبعض الشام ولهم في المغرب وجود قوي وجذور. وحكم الأيوبيون مصر والشام، ومثلهم المماليك. ثم لما انضوى العرب تحت جناح الدولة العثمانية، خفت صوته وتبددت قيادتهم. لكن مصر كانت أول من رفع رأسه، فكان عهد محمد علي نهضة كبرى بلغ من قوتها أن جيشه هدد إستانبول، بعد أن سحق الجيش العثماني في قونية، ١٨٣٢، مما اضطر السلطان العثماني إلى الاستنجاد بقيصر روسيا لحماية عاصمته. وتدخلت القوى الأوروبية، وانكمش محمد علي، لكنه ظل يسيطر على مصر، وبعض الشام وبعض الحجاز، والسودان.

وكان الاحتلال الإنجليزي، ١٨٨٢، وقبله كان شق قناة السويس، وشهد عصر شاعرنا تمللاً مصرياً متصاعداً وسعيّاً إلى الاستقلال الحقيقي. ونالته مصر، وظلت تقود الأمة العربية في عهد عبد الناصر. وظلت نهضتها الاقتصادية اللاحقة - نسبة لشهوة اللاحق بأوروبا - أشواقاً.

ومصر اليوم ما تزال الكبرى عدد سكان، وهي رائدة الفن السينمائي وفنون الموسيقى وما زالت في الطليعة. إلا أنها ما تزال تبحث عن جواب السؤال: كيف نلحق بأوروبا؟ ومثلما كان لهذه المعضلة أثر في نفسية حافظ إبراهيم، فلها أثر في الشخصية المصرية اليوم.

ترى الممثل السوري أو التونسي لا يكاد ينزل مصر حتى يكتشف أن عليه أولاً أن يقدم فروض الولاء اللساني. فيقول للمذيع إن مصر أم الدنيا، وبقية هذا الموشح.

لقد تعمقت المعضلة المصرية باكتشاف النفط في دول الخليج، وبالتراجع في نمو الاقتصاد المصري. ظلت مصر القاطرة، ليس أنها قاطرة حديثة، ولكن لأن ما سواها لا يملك العمق الثقافي كي يقود. وكانت الحقبة السعودية (والتعبير لمحمد حسنين هيكل) حقبة سياسية فارغة من المحتوى النهضوي، والفكري.

نكتب هذا لما وجدناه من طرافة في التشابه بين مشاعر حافظ إبراهيم ومشاعر كثير من المصريين اليوم. فثمة أزمة نفسية عند مثقفي مصر، تلخصها عبارة «أم الدنيا». فكل نقد أو حتى تحليل يصدر عن عربي آخر محمول على الحسد. والبلوى أن بعض العرب الآخرين أصابتهم أزمة نفسية معاكسة فهم يضعون مسألة التصدر المصري موضع الشك، وموضع النفي. ثم تتدفق أنهار التلاسن فالتشاتم. هل أنت ممن يعاقر الإنترنت؟ إذن لا حاجة بي لسرد المزيد.

غير أنني أقول إن العمق التاريخي لمصر بوصفها القاطرة ذخر لا يملكه بنفس القدر أي بلد عربي آخر، والفرشة الاجتماعية الواسعة والخصبة في مصر منبع للفن والأدب، والتنوع الفكري في مصر - حتى عندما تمر في مخاض سياسي صعب - أمر لا يوجد في بلد عربي آخر.

هي رب الأسرة العربية، ورب الأسرة مريض نفسياً وجسدياً. شفاه الله. وما يستر عليه أن أهل البيت كلهم مرضى، فإن كان في جيوب بعضهم دراهم كثيرة فهي دراهم ملوثة بالزيت والزفت. ولم أجد دراهم الزيت والزفت قد عادت على أهلها بعلم ولا بحضارة، لا بل هي اجتذبت غفيراً من البلاد الفقيرة لكي يتشوهوا بالكاش. هذه حال دول الفقر العربية مع دول الخليج الغنية، يأتي الرجال والنساء من دول الفقر إلى دول الخليج، ويعيشون كما يعيش الناس في معسكر عمل. وفيها يفقد أولادهم وبناتهم الحس الحضاري ويستعيضون عنه حساً استهلاكياً سمسرياً، ويعودون إلى بلاد الفقر ليشكلوا طبقة وسطى غير منتجة.

هذا كلام لا يعيدنا إلى شاعرنا بأي قدر من السهولة. لكن ربما استطعنا العودة.. بصعوبة. هو كلام ككلام شاعرنا.. كلام شخص محبط من حالة عربية فظيعة. بين عشية وضحاها انتقلت دول عربية عديدة من حال الاستقرار الخامل إلى حال الحرب الأهلية، والآفاق مليدة بغيوم سود.

عاش حافظ إبراهيم حياته وبلاده تبحث عن نفسها، فقد رأى، وهو بعد طفل، الإنجليز يحتلون البلد ومات ولما تقلع مصر ذلك المسمار. وظل يحلم بأن تصبح مصر كاليابان. نحن الآن نحلم بأن تعود البلاد العربية عشر سنوات إلى الوراء.. إلى ذلك الاستقرار الخامل.

ها هي أشعار حافظ إبراهيم مرتبة القديم فالأحدث.

١ المعجز الثاني

تفريظ كتاب «فحول البلاغة» لمؤلفه السيد توفيق البكري، نشر البيتان في (١٨٩٥):

هَذَا كِتَابٌ مُذْ بَدَأَ سِرُّهُ لِلنَّاسِ قَالُوا: مُعْجِزٌ ثَانٍ
مَنْذُ أَنْ نَشْرَ كِتَابَكَ وَلَمْ يَعْذُ سِرّاً قَالَ النَّاسُ هَذَا مُعْجِزٌ ثَانٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ

أَتَابَكَ اللَّهُ عَلَى جَمْعِهِ ثَوَابَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ
جَزَاكَ اللَّهُ خَيْراً كَجَزَاءِ عُثْمَانَ الَّذِي جَمَعَ الْقُرْآنَ

٢ استعطاف

كتب يستعطف محمد سليمان أباطة:

طَالَ الْحَدِيثُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا السَّمَرُ وَلَاخَ لِلنُّومِ فِي أَجْفَانِكُمْ أَثَرُ
السمر: السامرون

وَذَلِكَ اللَّيْلُ قَدْ ضَاعَتْ رَوَاحِلُهُ فَلَيْسَ يُرْجَى لَهُ مِنْ بَعْدِهَا سَفَرُ
ضاعت رواحل، نياق، الليل فليس يرحل عنا فهو مقيم

هَذَا مِضَاجِعُكُمْ يَا قَوْمُ فَالْتَقِطُوا طَيْبَ الْكَرَى بِعُيُونِ شَابِهَا السَّهَرُ
التسويد من الشاعر عمران الفيني

أَبَيْتُ أَسْأَلُ نَفْسِي كَيْفَ قَاطَعَنِي هَذَا الصَّدِيقُ وَمَا لِي عَنْهُ مُضْطَبَّرُ
فَمَا مُطَوَّقَةٌ قَدْ نَالَهَا شَرُّكَ عِنْدَ الْغُرُوبِ إِلَيْهِ سَاقَهَا الْقَدَرُ..
ليست الحمامة المطوقة، التي كأن ريشها عند العنق طوق، وقعت في الشرك، الشبكة، عند الغروب..

بَاتَتْ تُجَاهِدُ هَمًّا وَهِيَ آيَسَةٌ مِنَ النَّجَاةِ وَجُنْحُ اللَّيْلِ مُعْتَكِرُ..
وَبَاتَ زُغْلُولُهَا فِي وَكْرِهَا فَرِعَا مُرَوَّعًا لِرَجْوَعِ الْأُمِّ يَنْتَظِرُ..
يُحَفِّزُ الْخَوْفُ أَحْسَاءَهُ وَتَزْعِجُهُ إِذَا سَرَتْ نَسْمَةٌ أَوْ وَسَّوَسَ الشَّجَرُ..
يحرك الخوف أحشاء الزغلول، أي صغير الحمام، ويزعجه أي صوت في غياب أمه

مِنْنِي بِأَسْوَأَ حَالاً حِينَ قَاطَعَنِي هَذَا الصَّدِيقُ، فَهَلَّا كَانَ يَذْكُرُ؟
صغير الحمام ليس أسوأ حالاً مني عندما قاطعني هذا الصديق، فهلا تذكر صديقي صحبتنا فعدل عما أتى به؟

يا ابنَ الكِرامِ أَتُنَسِي أَنَّنِي رَجُلٌ لِيُظِلَّ جَاهِكَ بَعْدَ اللَّهِ مُفْتَقِرُ
إِنِّي فَتَاكَ فَلَا تَقْطَعْ مُوَاصَلَتِي هَبْنِي جَنِيثٌ، فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ؟

٣ أدرك فتاك

تهتة الإمام الشيخ محمد عبده بمنصب الإفتاء ١٨٩٩، وبعث بالأبيات من السودان:
تَبَسَّمَ المِصْطَفَى فِي قَبْرِهِ جَدَلًا لَمَّا سَمَوْتَ إِلَيْهَا وَهِيَ مِعْطَالُ
تَبَسَّمَ النَّبِيُّ فَرَحًا فِي قَبْرِه لَمَّا سَمَوْتَ وَارْتَفَعْتَ إِلَى وَظِيفَةِ الْإِفْتَاءِ، وَكَانَتْ مِعْطَالًا، غَيْرَ مَتَزِينَةٍ
بِالْخُلُقِيِّ

يَا مَنْ تَبَسَّمتِ الْفُتْيَا بِطَلْعَتِهِ أَدْرِكَ فَتَاكَ فَقَدْ ضَاقَتْ بِهِ الْحَالُ
يَا مَنْ تَبَسَّمتِ، تَفَاءَلَتْ، وَظِيفَةُ الْفُتْيَا بِطَلْعَتِهِ، مَحْيَا، الْحَقُّ فَتَاكَ فَهُوَ فِي ضَبَقٍ، وَحَالَتِهِ، وَهُوَ
ضَابِطٌ بِالسُّودَانِ، صَبِيحَةٌ

٤ جيش الأقداح

وَفَتَيَانِ أَنْسٍ أَقْسَمُوا أَنْ يُبَدِّدُوا جِيوشَ الدَّجَى مَا بَيْنَ أَنْسٍ وَأَفْرَاحٍ
فَهَبُّوا إِلَى خَمَارَةٍ قِيلَ إِنَّهَا قَعِيدَةُ خَمَرٍ تَمْزُجُ الرُّوحَ بِالرَّاحِ
الْخَمَارَةُ: صَاحِبَةُ الْحَانَةِ

وَقَالُوا لَهَا: إِنَّا أَتَيْنَا عَلَى ظَمَا نَحْوَالُ وَرَدَّ الرَّاحَ رَغْمًا عَنِ اللَّاحِي
جِئْنَا عَطْشَانِينَ نَحْوَالُ وَرُودُ الْخَمْرِ رَغْمَ اللَّاحِي، الْمُرِئِخُ

فَقَامَتْ وَفِي أَجْفَانِهَا كَسَلُ الْكَرَى وَفِي رِدْفِهَا، وَاسْتَعْرَضَتْ جِيشَ أَقْدَاحٍ

٥ عكوف

ذكرى مجلس شراب، بعث بها من السودان لأصحابه بمصر:

رُبَّ لَيْلٍ قَدْ تَعَاهَدْنَا عَلَى مَا تَعَاهَدْنَا، وَكُنَّا فَاعِلِينَ
فَقَضَيْنَاهُ، وَلَمْ نَحْفِلْ بِمَا سَطَّرَتْ أَيْدِي الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ
الْكِرَامِ الْكَاتِبُونَ: مِلَانُكَةُ تَسْجَلُ كُلَّ مَا يَفْعَلُ الْإِنْسَانُ

وَتَوَائِبُنَا إِلَى مَشْمُولَةٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ تَسُرُّ النَّاظِرِينَ
عَمَدَ السَّاقِي لِأَنَّ يَقْتُلُهَا وَهِيَ بِكَرٍّ أَحْصَنْتْ مِنْذُ سَنِينَ
قَتَلَ الْخَمْرُ يَكُونُ بِمَزْجِهَا بِالْمَاءِ، وَهِيَ بِكَرٍّ أَحْصَنْتْ، وَكَانَتْ مَصُونَةً، لَمْ تَمْسُهَا يَدٌ، مِنْذُ عُصِرَتْ

ثُمَّ لَمَّا أَنْ رَأَى عِفَّتَهَا خَافَ فِيهَا اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ
وَأَجَلْنَا الْكَأْسَ فِيمَا بَيْنَنَا وَعَلَى الصُّهْبَاءِ بَثْنَا عَاكِفِينَ

٦ القطيعة

يعاتب محمد البابلي، نشرت (١٩٠٠):

أَخِي وَاللَّهِ قَدْ مُلِئَ الْوِطَابُ وَدَاخَلَنِي بِصُحْبَتِكَ ارْتِيَابُ
ملئ الوطاب، امتلأ الوعاء وفاض بي ومللت منك، وصرت مرتاباً بصدافتك

رَجَوْتُكَ مَرَّةً وَعَتَبْتُ أُخْرَى فَلَا أَجْدَى الرَّجَاءِ وَلَا الْعِتَابُ
نَبَذْتُ مَوَدَّتِي، فَاغْنَأُ بِبُعْدِي فَأَخِرُ عَهْدِنَا هَذَا الْكِتَابُ

٧ أضرحه الأولياء

أَحْيَاؤُنَا لَا يُرَزَّقُونَ بِدِرْهَمٍ وبِأَلْفِ أَلْفِ تُرَزَّقُ الْأَمْوَاتُ
عند قبور الأولياء صناديق يضع فيها الناس الدراهم

مَنْ لِي بِحِطِّ النَّائِمِينَ بِحُفْرَةٍ قَامَتْ عَلَى أَحْجَارِهَا الصَّلَوَاتُ
يَسْعَى الْأَنَامُ لَهَا، وَيَجْرِي حَوْلَهَا بَحْرُ النُّذُورِ، وَتُقْرَأُ الْآيَاتُ

٨ قَلَمًا لَوْ سَمَحْتَ!

مدح محمود سامي البارودي، أكتوبر/تشرين الأول (١٩٠٠):

أَعْرَضَنِي لِمَدْحِكَ الْبِرَاعَ الَّذِي بِهِ تَحُطُّ، وَأَقْرِضْنِي الْقَرِيضَ الْمُسَدَّدَا
البراع: القلم

سَلَبْتُ بِحَارَ الْأَرْضِ دُرَّ كَنُوزِهَا فَأَمَسْتُ بِحَارُ الشَّعْرِ لِلدُّرِّ مَوْرَدَا
الدر: اللؤلؤ. المعنى الملموح: كأنك - بإحياك الشعر وإعادته إلى رونقه القديم - جعلت كل
لآلئ البحار موجودة في الشعر، فصارت «بحور» الشعر مصدر اللؤلؤ

٩ البدلة القديمة.. والجديدة

يصف كساء له، نشرت (١٩٠٠):

لِي كِسَاءٌ أَنْعَمَ بِهِ مِنْ كِسَاءٍ أَنَا فِيهِ أَتَيْتُهُ مِثْلَ الْكِسَائِي
الكسائي: من نحاة الكوفة، ومشاهير القراء

صَحِبْتَنِي قَبْلَ اصْطِحَاكِ دَهْرًا بَذَلْتُ فِي تَلَوْنِ الْحِرْبَاءِ

كانت بدلته السابقة تتغير ألوانها فتبته لتعرضها للشمس والمطر فهي كالحرباء

نَسَبُوهَا لِطَيْلَسَانَ ابْنِ حَرْبٍ نِسْبَةً لَمْ تَكُنْ بِذَاتِ افْتِرَاءِ

طيلسان ابن حرب: كساء جباه ابن حرب للشاعر الحمدوي، وظل يعيره به حتى بعد أن اهترأ الكساء شر اهتراء، وكُتبت في هذه الكساء أشعار كثيرة

كَسَفَ الدَّهْرُ لَوْنَهَا وَاسْتَعَارَتْ لَوْنَ وَجْهِ الْكَذُوبِ عِنْدَ اللَّقَاءِ

يا رِدَائِي جَعَلْتَنِي عِنْدَ قَوْمِي فَوْقَ مَا أَشْتَهِي وَفَوْقَ الرَّجَاءِ

قِيَمَةُ الْمَرْءِ عِنْدَهُمْ بَيْنَ ثُوبٍ بَاهِرٍ لَوْنُهُ وَبَيْنَ حِذَاءِ

قَعَدَ الْفَضْلُ بِي، وَقُمْتُ بِعِزِّي بَيْنَ صَحْبِي، جُزِيتَ خَيْرَ الْجَزَاءِ

١٠ الذنب للقدمات

عام (١٩٠٠):

هَذَا الظَّلَامُ أَثَارَ كَامِنٍ دَائِي يَا سَاقِيَّ عَلَيَّ بِالصَّهْبَاءِ

مَشْمُولَةٌ لَوْلَا الثَّقَى لَعَجِبْتُ مِنْ تَحْرِيمِهَا، وَالذَّنْبُ لِلْقُدَمَاءِ ..

لولا أنني تقي لتعجبت كيف أن الله حرم الخمر، والذنب في تحريمها للقدمات ..

قَرَّبُوا الصَّلَاةَ وَهُمْ سُكَارَى بَعْدَمَا نَزَلَ الْكِتَابُ بِحُكْمَةٍ وَجَلَاءِ

فقد قربوا الصلاة سكارى بعد أن قال لهم القرآن «ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى» فحرم الله الخمر تحريماً كاملاً

يَا طِبَّ جَالِينُوسَ فِي أَنْوَاعِهِ مَا لِي أَرَاكَ كَثِيرَةَ الْأَعْدَاءِ

أيها الخمرة .. يا طب جالينوس، لماذا يجورون عليك كثيراً ..

عَصْرُوكَ مِنْ خَدْيٍ سُهَيْلٍ خُلْسَةً ثُمَّ اخْتَبَأَتْ بِمُهْجَةٍ الظُّلَمَاءِ

عصرك من خدي سهيل، وهو نجم لامع محمر، ثم عتقوك في قلب الظلام

فَلَبِثْتَ فِيهَا قَبْلَ نُوحٍ حِقْبَةً وَتَدَاوَلْتُكَ أَنْامِلُ الْأَنْاءِ

فبقيت في قلب الظلام زمناً سبق نوح، وتداولتك أصابع الأناء، العصور

حَتَّى أَنَاخَ اللَّهُ أَنْ تَتَجَمَّلَ بِي بِيَدِ الْكَرِيمِ وَرَاحَةِ الْأَدْبَاءِ

حتى أذن الله أن تظهرني بهيئة في يد الكريم وفي أكف الأدباء

١١ الكاس والطاس

بعث حافظ بهذه الأبيات إلى الكاتب محمد المويلحي (١٩٠٠):

أَوْشَكَ الدِيكَ أَنْ يَصِيحَ، وَنَفْسِي بَيْنَ هَمٍّ وَبَيْنَ ظَنٍّ وَحَدْسِ
يَا غُلَامُ. . المدام والكاس والطا سَ، وَهَيَّءْ لَنَا مَكَاناً كَأَمْسِ
أَطْلِقِ الشَّمْسَ مِنْ غَيَاهِبِ هَذَا الدَّ- نْ، وَأَمْلَأْ مِنْ ذَلِكَ الثُّورِ كَأْسِي
خُمْرَةً قَبْلَ إِنَّهُمْ عَصَرُوهَا مِنْ خُدُودِ الْمِلَاحِ فِي يَوْمِ عُرْسِ

١٢ اليأس

نشرت في ديسمبر/ كانون الأول (١٩٠٠):

سَعَيْتُ إِلَى أَنْ كِدْتُ أَنْتَعِلَ الدَّمَ وَعُدْتُ وَمَا أُعْجِبْتُ إِلَّا الشَّنْدُمَا
أنتعل الدم: ألبس الدم كأنه نعل

لَحَى اللَّهُ عَهْدَ الْقَاسِطِينَ الَّذِي بِهِ تَهَدَّمْ مِنْ بُنْيَانِنَا مَا تَهَدَّمَا
القاسطين: الظالمين

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى السَّعَادَةَ بَيْنَهُمْ فَلَا تَكْ مِصْرِيّاً وَلَا تَكْ مُسْلِمَا
سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا سَلَامٌ مُودَّعٍ رَأَى فِي ظِلَامِ الْقَبْرِ أَنْسَاءً وَمَغْنَمَا
أَضَرَّتْ بِهِ الْأُولَى فَهَامَ بِأَخْطِهَا فَإِنْ سَاءَتِ الْأُخْرَى فَوَيْلَاهُ مِنْهُمَا
الأولى: الدنيا، الأخرى: الآخرة

فَهُبِّي رِيَّاحَ الْمَوْتِ نُكْباً وَأُظْفِي سِرَاجَ حَيَاتِي قَبْلَ أَنْ يَتَحَطَّمَا
نُكْباً: آتية من كل الجهات

فَمَا عَصَمْتَنِي مِنْ زَمَانِي فَضَائِلِي وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ لِلْحُرِّ أَغْصَمَا
أعصم: أكثر حماية

فِيَا قَلْبُ لَا تَجْزَعُ إِذَا عَضَّكَ الْأَسَى فَإِنَّكَ بَعْدَ الْيَوْمِ لَنْ تَتَأَلَّمَا
وَيَا قَدَمِي مَا سِرْتُ بِي لِمَذَلَّةٍ وَلَمْ تَرْتَقِي إِلَّا إِلَى الْعِزِّ سُلَّمَا
فَلَا تُبْطِئِي سِيراً إِلَى الْمَوْتِ، وَاعْلَمِي بِأَنَّ كَرِيمَ الْقَوْمِ مَنْ مَاتَ مُكْرَمَا
وَيَا نَفْسُ كَمْ جَشَمْتِكِ الصَّبْرَ وَالرِّضَا وَجَشَمْتَنِي أَنْ أَلْبَسَ الْمَجْدَ مُعْلَمَا

معلماً: متخذاً شارة الحرب، وكان الفارس البطل يميز نفسه بعلامة

فَمَا اسْطَعْتُ أَنْ تَسْتَمِرَّنِي مَرَّ طَعْمِهِ وَمَا اسْطَعْتُ بَيْنَ الْقَوْمِ أَنْ أَتَقَدَّمَ
فَهَذَا فِرَاقٌ بَيْنَنَا فَتَجَمَّلِي فَإِنَّ الرَّدَى أَحْلَى مَذَاقًا وَمَطْعَمًا
وَيَا قَبْرُ لَا تَبْخُلْ بِرَدِّ تَحِيَّةِ عَلَى صَاحِبِ أَوْفَى عَلَيْنَا وَسَلَمًا
يريد أن يكون قبره كريماً فيرد التحية على من يزوره!

١٣ الإخفاق بعد الكدّ

نشرت (١٩٠٠):

كَمْ هُمْتُ فِي الْبَيْدِ وَالْأَرَامِ قَائِلَةٌ وَالشَّمْسُ تَرْمِي أَدِيمَ الْأَرْضِ بِاللَّهَبِ
همت على وجهي كثيراً في الصحارى والأرام، الظباء، قائلة، غافية في قيلولة، والشمس ملتبهة
وَكَمْ لَبِسْتُ الدُّجَى وَالتُّرْبُ نَاعِسَةٌ وَاللَّيْلُ أَهْدَأُ مِنْ جَاشِي لَدَى الثُّوبِ
كم قد لبست ثوب الظلام والتراب ناعس مرتب بالندى، والليل أهدأ من جاشي، قلبي، لدي
حلول المصائب

وَالنَّجْمُ يَعَجَبُ مِنْ أَمْرِي وَيَحْسَبُنِي لَدَى السُّرَى ثَامِنًا لِلسَّبْعَةِ الشُّهُبِ
لَكِنَّنِي غَيْرُ مَجْدُودٍ، وَمَا فَتَيْتُ يَدُ الْمَقَادِيرِ تُفْصِنُنِي عَنِ الْأَرْبِ
غير مجدود: غير محظوظ

فَقَدْ عَدْتُ مَصْرُ فِي حَالٍ إِذَا دُكِرْتُ جَادَتْ جُفُونِي لَهَا بِاللُّؤْلُؤِ الرَّطِبِ
إِذَا نَطَقْتُ فِقَاعُ السَّجَنِ مُتَكَأً وَإِنْ سَكَتُ فَإِنَّ النَّفْسَ لَمْ تَطِبِ
قاع السجن: كان السجن في الزمن القديم حفرة عميقة، كذلك التي سجن عمر بن الخطاب فيها
الحطينة، (ألقيت كاسهم في قعر مظلمة، فاغفر عليك سلام الله يا عمر)

أَبِشْتَكِي الْفَقْرَ غَادِينَا وَرَائِحُنَا وَنَحْنُ نَمْشِي عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ؟

١٤ الأيام دول

نشرت في يونيو/حزيران (١٩٠٢):

لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا بِأَيْدِينَا إِلَّا بَقِيَّةٌ دَمَعُ فِي مَآقِبِنَا
كُنَّا قِلَادَةً جِيدِ الدَّهْرِ فَانْفَرَطَتْ وَفِي يَمِينِ الْعُلَا كُنَّا رِيَاحِينَا
كَانَتْ مَنَازِلُنَا فِي الْعِزِّ شَامِحَةً لَا تَشْرُقُ الشَّمْسُ إِلَّا فِي مَغَانِينَا
كأنه يريد أن يقول إن الشمس لم تكن تشرق إلا على بلد تحكمه مصر الفرعونية، وفي هذا الكلام
نظر، ولكن بما أن الإنجليز كانوا في وقتها كذلك.. فلا أحد أحسن من أحد

حَتَّى غَدَوْنَا وَلَا جَاءَ وَلَا نَشَبُ وَلَا صَدِيقٌ وَلَا خِلٌّ يُوَاسِينَا

النشَب: المال

١٥ الملك الساهر

نهضة إدوارد السابع البريطاني بتوجيهه، أغسطس/ آب (١٩٠٢):

لَا تَعَجَبَنَّ لِمُلْكٍ عَزَّ جَانِبُهُ لَوْلَا التَّعَاوُنُ لَمْ تَنْظُرْ لَهُ أَثَرَا
مَا ثَلَّ رَبُّكَ عَرْشاً بَاتَ يَحْرُسُهُ عَدْلٌ، وَلَا مَدَدٌ فِي سُلْطَانٍ مَنَ عَدَرَا
ثَلَّ: هدم

خَبِرْتُهُمْ فَرَأَيْتُ الْقَوْمَ قَدْ سَهَرُوا عَلَى مِرَافِقِهِمْ، وَالْمَلِكُ قَدْ سَهَرَا
الإنجليز حرصوا على مصالحهم، وملكهم حرص أيضاً

تَشَاوَرُوا فِي أُمُورِ الْمُلْكِ مِنْ مَلِكٍ إِلَى وَزِيرٍ إِلَى مَنْ يَغْرِسُ الشَّجَرَا
وكلهم في الشورى مشتركون حتى البستاني، يشير بإعجاب إلى الديمقراطية في بريطانيا

١٦ أنا البحر

اللغة العربية تشكو حظها بين أهلها، نشرت (١٩٠٣):

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصَاتِي وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَاحْتَسَبْتُ حَيَاتِي

رجعت لنفسي - تقول اللغة العربية - فاتهمت حصاتي، أي عقلي، وناديت قومي لنصرتي فلم يتحركوا لي، فاحتسبت أجري عند الله في حياتي التي ستقضي.. إذ ها هم أهلي يتركونني أموت

رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ، وَلَيْتَنِي عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي

أنا شابة فهل ترمى الفتاة الشابة بالعقم.. وليتني كنت عقيماً حقاً فلا أكثرث لرمي بالعقم لأنه عندئذ حقيقة لا مجرد اتهام

وَلَدْتُ، وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعَرَائِسِي رَجَالاً وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بِنَاتِي

على أنني ولدت فعلاً.. فلست عقيماً، ولدت ألفاظاً حسناً وأدباً جليلاً.. ولما وجدت قومي غير أكفاء لبناتي العرائس وأدتهن

وَسِعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظاً وَغَايَةً وَمَا ضِيقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتٍ

كل ما في القرآن من لفظ ومن غرض في هداية الناس ومن عظات قد وسعته وعبرت عنه، أنا اللغة العربية

فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلِهِ وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتِ

وقد «نسق» حافظ إبراهيم وزميله خليل مطران أسماء كثيرة لمفاهيم في علم الاقتصاد عندما ترجما كتاب «الموجز في علم الاقتصاد» ونشر عام ١٩١٣، مثال ذلك تعريبهما للبورصة بـ «المَصْفَق».. أي حيث تتم الصفقات، ولعمري لو درج هذا الاسم للبورصة لكان حلواً، وكم من رجل صفقته البورصة صفقات مؤلمة على حر وجهه

أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْسَائِهِ الدُّرَّ كَامِنٌ فَهَلْ سَأَلُوا الْعَوَاصَ عَنْ صَدَفَاتِي

إن كنت سمعت البرنامج الإذاعي «لغتنا الجميلة» لفاروق شوشة، وفي مقدمة كل حلقة هذا البيت مقروءاً بـ «سألوها» بدل «سألوا»، فهذا جائز في العروض أيضاً، ونظن أن حافظاً كان سيأخذ بهذه القراءة لو سمعها، ففيها مدّ كان سيعجب حافظاً الخطيب المنشد. لكن «سألوا» أحسن للمعنى، فالعرب أهملوا لغتهم ولم يكفلوا أنفسهم عناء سؤال الغواص عن دررها ولو مرة واحدة، لا مساءلته مرة بعد مرة

فِيَا وَيَحْكُمُ أَبْلَى، وَتَبْلَى مَحَاسِنِي وَمِنْكُمْ، وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ، أُسَاتِي
أساتي: أطباتي

فَلَا تَكِلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنَّنِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحْبِنَ وَفَاتِي
تكلوني للزمان: تتركوني، وتوكلوا بي الزمان

أَرَى لِرِجَالِ الْغَرْبِ عِزًّا وَمَنْعَةً وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لُغَاتِ
أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِالْمَعْجَزَاتِ تَفْتُنًا فَيَا لَيْتَكُمْ نَاتُونَ بِالْكَلِمَاتِ
أَيُطْرِبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبٌ يُنَادِي بِوَادِي فِي رِبْعِ حَيَاتِي
في تلك السنين اشتدت الدعوة إلى العامية، وقال بها عدد من المستشرقين الذين رأوا لهجات البلدان العربية مختلفة جداً، ورأوها سائرة في طريق التبلور إلى لغات

أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجَرَائِدِ مَزْلَقًا مِنَ الْقَبْرِ يُدْنِينِي بِغَيْرِ أُنَاةٍ
وَأَسْمَعُ لِلْكِتَابِ فِي مِصْرَ ضَجَّةً فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّائِحِينَ نُغَاتِي
كان من بين الدعاة إلى العامية عدد من كتاب مصر أيضاً، وكان هناك من يدعون إلى تبسيط اللغة، ونبد الألفاظ المماتة

أَيَهْجُرُنِي قَوْمِي - عفا الله عنهم - إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُؤَاةٍ
سَرَتْ لُوثَةُ الْإِفْرَنْجِ فِيهَا كَمَا سَرَى لُعَابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فُرَاتٍ
سرت لوثة، جنون، الإفرنج الداعين إلى التجديد والعامية في هذه «اللغة» العربية المجددة التي لم تتصل برواة، لم ترد على ألسنة قدامى الرواة، مثلما يسري سم الأفاعي في مجرى ماء فورات، عذب

فجاءتْ كُثُوبٌ ضَمَّ سَبْعِينَ رُقْعَةً مُشْكَلَةً الْأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتِ
اللغة المجددة كالثوب المرقع.. فهي مشحونة بالكلمات الأجنبية، أو غير المقبولة معجباً

١٧ بشكل عام.. لا شيء

قال في زواج الشيخ علي يوسف صاحب «المؤيد» من صفية السادات ومحاولة والدها
التفريق بينهما لعدم الكفاءة، فالشيخ جورنالجي و«السادات» عائلة تزعم أنها من نسل
الحسين، وتكلمة القصة أن صفية عادت إلى زوجها ورضي أبوها بعد تحايل ووسائط،
ولم يقل حافظ رأياً صريحاً جريئاً بل حام حول الموضوع، نشرت القصيدة في سبتمبر/
أيلول (١٩٠٤):

فما أنتِ يا مصرُ دارَ الأديبِ	ولا أنتِ بالبلدِ الطَّيِّبِ
وكم فيكِ يا مصرُ من كاتبِ	أقالَ اليراعَ ولم يكُثِبِ
وكم غَضِبَ الناسُ من قبلنا	لِسَلْبِ الحقوقِ، ولم نَغْضِبِ
أنايئةَ العصرِ إنَّ الغريبَ	مُجِدِّ بِمِصْرَ، فلا تُلْعَبِي

نابذة العصر: النشء الجديد

يقولون: في النشء خيرٌ لنا	وللنشء شرٌّ من الأجنبي
وكم ذا بِمِصْرَ من المضحكاتِ	كما قال فيها أبو الطَّيِّبِ
أمورٌ تُمِرُّ وعيشٌ يُورُّ	ونحنُ من اللهُوِ في مَلْعَبِ

عيش يُور: يصبح مُراً

وشعبٌ يَفِرُّ من الصَّالِحَاتِ	فِرارَ السَّليمِ من الأَجْرَبِ
وَصُخْفٌ تَطِنُ طَنِينَ الذُّبابِ	وأخرى تَشُنُّ على الأقربِ
وهذا يلوذُ بقصرِ الأميرِ	وَيَدْعُو إلى ظِلِّهِ الأَرْحَبِ
وهذا يلوذُ بقصرِ السفيرِ	وَيُظَنِّبُ في وَرْدِهِ الأَعْذَبِ
أَلِفْنَا الخُمُولَ ويا لَيْتَنَا	أَلِفْنَا الخُمُولَ ولم نَكُذِبِ

١٨ أمنية

بهنئ الخديوي عباساً الثاني بالعام الهجري مارس/ آذار (١٩٠٤):
أَمْوَلَايَ إِنَّ الشَّرْقَ قد لَاحَ نَجْمُهُ وَأَنَّ له بعدَ المماتِ نُشُورُ
لاح نجمه: بدا في أفقه نجم السعد، والخط الطيب، والنشور: البعث بعد الموت

جَرَتْ أُمَّةُ الْيَابَانِ شَوْطاً إِلَى الْعُلَا وَمَصْرُ عَلَى آثَارِهَا سَتْسِيرُ

١٩ أنا يابانية

نشرت في أبريل/ نيسان (١٩٠٤):

لَا تَلُمُ كَفِّي إِذَا السَّيْفُ نَبَا صَحَّ مِنِّي الْعِزْمُ، وَالدَّهْرُ أَبِي
لَا تَلْمَنِي إِذَا نَبَا سَيْفِي وَلَمْ يَقْطَعْ، أَيْ فَشَلْتُ فِي الْحَيَاةِ .. فَلَقَدْ صَحَّحْتُ الْعِزْمَ، وَلَكِنْ الدَّهْرُ أَبِي
أَنْ يَسْعَفَنِي بِالْحَظِّ .. كَانَ حَافِظٌ قَدْ تَرَكَ الْجَيْشَ قَبْلَ سَنَةٍ مِنْ تَارِيخِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ، وَعَادَ إِلَى حَيَاةِ
لَا تَخْلُو مِنْ تَشْرُدَ

رُبَّ سَاعٍ مَبْصِرٍ فِي سَعْيِهِ أَخْطَأَ التَّوْفِيقَ فِيمَا طَلَبَا
مَرْحَباً بِالْخَطْبِ يَبْلُغُونِي إِذَا كَانَتِ الْعُلْيَاءُ فِيهِ السَّبَبَا
مَرْحَباً بِالشَّدَائِدِ إِذَا كَانَتِ الطَّرِيقُ إِلَى الْمَعَالِي

عَقَّنِي الدَّهْرُ وَلَوْلَا أَنَّنِي أُوتِرُ الْحُسْنَى عَقَفْتُ الْأَدْبَا
إِيهِ يَا دُنْيَا اعْبِسِي أَوْ فَايْسِمِي لَا أَرَى بَرَقَكَ إِلَّا خُلْبَا
يَا دُنْيَا أَنْتَ خِدَاعَةُ كَالْبَرْقِ الَّذِي يَبْشُرُ بِالْمَطَرِ وَلَكِنْ، لَا يَأْتِي بَعْدَهُ مَطَرٌ

أَنَا لَوْلَا أَنْ لِي مِنْ أُمْتِي خَاذِلًا مَا يَتُّ أَشْكُو النُّوبَا
أُمَّةٌ قَدَفَتْ فِي سَاعِدِهَا بُغْضُهَا الْأَهْلَ وَحُبُّ الْغُرْبَا
فَت فِي سَاعِدِهَا: أَضَعَفَهَا

تَعَشَّقُ الْأَلْقَابَ فِي غَيْرِ الْعُلَا وَتُقَدِّدِي بِالنَّفُوسِ الرُّتْبَا
وَكَانَ حَافِظٌ بَرْتَبَةً مَلَاظِمَ أَوَّلٍ، وَلَكِنَّهُ كَانَ لَا مَبَالِيَا وَضُرْفَ مِنَ الْخِدْمَةِ، وَقَالُوا إِنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الْمَخَالَفَةِ
لِلضَّبَاطِ الْإِنْجِلِيزِ أَيْضاً

وَهِيَ وَالْأَحْدَاثُ تَسْتَهْدِفُهَا تَعَشَّقُ اللَّهْوَ وَتَهْوَى الطَّرْبَا
لَا تُبَالِي لَعِبِ الْقَوْمِ بِهَا أَمْ بِهَا صَرْفُ اللَّيَالِي لَعِبَا
الْقَوْمِ: الْإِنْجِلِيزِ

لَيْتَهَا نَسْمَعُ مِنِّي قِصَّةً ذَاتَ شَجْوٍ وَخَدِيشٍ عَجَبَا:
كُنْتُ أَهْوَى فِي زَمَانِي عَادَةً وَهَبَ اللَّهُ لَهَا مَا وَهَبَا
ذَاتُ وَجْهِ مَرْجَ الْحَسَنِ بِهِ صُفْرَةٌ تُنْسِي الْيَهُودَ الذَّهْبَا
وَجْهَهَا فِيهِ صَفْرَةٌ لِأَنَّهَا يَابَانِيَّةٌ

حَمَلْتُ لِي ذَاتَ يَوْمٍ نَبَأً لَا رَعَاكَ اللَّهُ يَا ذَاكَ النَّبَأِ
وَأَنْتَ تَخْطِرُ وَاللَّيْلُ قَتَى وَهَلَالُ الْأَقْقِ فِي الْأَقْقِ حَبَا
ثُمَّ قَالَتْ لِي بِشْغَرٍ بِأَيْمٍ نَظَّمُ الدُّرَّ بِهِ وَالْحَبَبَا
ثَغْرَهَا بِاسْمٍ وَتَبْدُو أَسْنَانَهَا الَّتِي كَانَتْ فَمَهَا نَظْمُهَا مِنَ اللُّوْلُو أَوْ مِنَ الْحَبِّ، فَقَافِعِ الْكُؤُوسِ
نَبَأُونِي بِرَحِيلٍ عَاجِلٍ لَا أَرَى لِي بَعْدَهُ مُنْقَلَبَا
منقلب: رجوع

وَدَعَانِي مَوْطِنِي أَنْ أَغْتَدِي عَلَنِي أَقْضِي لَهُ مَا وَجَبَا
نَذْبَحُ الدُّبَّ وَنَفْرِي جِلْدُهُ أَبْظُنُّ الدُّبَّ إِلَّا يُغْلَبَا
الدب: روسيا

قُلْتُ وَالْآلَامُ تَفْرِي مُهْجَتِي: وَيُوكُ! مَا تَصْنَعُ فِي الْحَرْبِ الطَّبَّاءُ؟
ويك: ويحك، الطبا: الأطباء

مَا عَهْدَنَاهَا لِطَبْنِي مَسْرَحاً يَبْتَغِي مَلَهًى بِهِ أَوْ مَلْعَبَا
لَيْسَتْ الْحَرْبُ نَفُوساً تُشْتَرَى بِالْتَّمَنِي أَوْ عُقُولاً تُسْتَبَى
الحرب ليست مجالاً للنساء يشترين فيه نفوس الرجال بالأماني الكواذب، أو يسيبن عقولهم بالدلال

أَحْسِبْتُ الْقَدَّ مِنْ عُذَّتِهَا أَمْ ظَنَنْتِ اللَّحْظَ فِيهَا كَالشَّبَا؟
القَد المياس ليس من عتاد الحرب، واللحظ الفتان ليس كالشبا، سن الرمح

فَسَلِّينِي، إِنَّنِي مَارَسْتُهَا وَرَكِبْتُ الْهَوْلَ فِيهَا مَرْكَبَا
وَتَقَحَّحْتُ الرَّدَى فِي غَارَةٍ أَسْدَلُ النَّقْعُ عَلَيْهَا هَيْدَبَا
افتحمت الموت في غارة هبط فيها النقع، الغبار، فكانه الهيدب، الغيم

قَطَبْتُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا لَنَا فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ فِيهَا قَطْبَا
يصف الحرب بأنها قطبت جبينها فكانها الموت

جَالَ عِزْرَائِيلُ فِي أَنْحَائِهَا تَحْتَ ذَاكَ النَّقْعِ يَمْشِي الْهَيْدَبَى
وتحت غبار الحرب مشى عزرائيل يخترم الأنفس ويمشي الهيدبي، مشية سريعة للإبل

فَدَعِيهَا لِلَّذِي يَعْرِفُهَا وَالزَّمِي يَا ظَبِيَةَ الْبَانِ الْخَبَا
الزمي خباءك، خيمتك أيتها الظبية واتركي الحرب لأهلها

فَأَجَابَنِي بِصَوْتٍ رَاصِنِي وَأَرْتَنِي الظَّنِّي لَيْشاً أَغْلَبَا:
 إِنَّ قَوْمِي اسْتَعَذُّبُوا وَزِدَ الرَّدَى كَيْفَ تَدْعُونِي أَلَا أَشْرَبَا؟
 أَنَا يَابَانِيَّةٌ لَا أَنْتَنِي عَنْ مُرَادِي أَوْ أَذُوقِ الْعَطْبَا
 أَنَا إِنْ لَمْ أَحْسِنِ الرَّمْيَ، وَلَمْ تَسْتَطِيعَ كَفَّايَ تَقْلِيْبَ الظُّبَا

الظبا: جمع ظبة وهي حد السيف

أَخْذُمُ الْجَرَحَى وَأَقْضِي حَقَّهُمْ وَأَوَاسِي فِي الْوَعَى مَنْ نُكِبَا
 هَكَذَا الْمِيكَادُ قَدْ عَلَّمَنَا أَنْ نَرَى الْأَوْطَانَ أُمًّا وَأَبَا

الميكادو: كلمة يابانية كانت تستعمل في الإنجليزية لتعني «الحضرة الإمبراطورية اليابانية»، ولا يستعملها اليابانيون

مَلِكٌ يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ أَنْهَضَ الشَّرْقَ فَهَزَّ الْمَغْرِبَا
 وَإِذَا مَارَسْتَهُ أَلْفَيْتَهُ حَوْلًا فِي كُلِّ أَمْرٍ قُلْبَا

الحَوْلُ القُلْبُ: الداهية الأريب

كَانَ وَالتَّاجَ صَغِيرَيْنِ مَعَاً وَجَلَالَ الْمُلْكِ فِي مَهْدِ الصُّبَا

أيامئذ كان الإمبراطور الياباني هو «موتسوهيتو»، وهو أول أباطرة أسرة مييجي، بدأ الحكم وهو في الخامسة عشرة، كان صغيراً وكان تاج الأسرة جديداً، وفي عهده بدأ النهوض الكبير لليابان

فَقَدَا هَذَا سَمَاءً لِلْعُلَا وَغَدَا ذَلِكَ فِيهَا كَوَكْبَا
 بَعَثَ الْأَمَةَ مِنْ مَرْقِلِهَا وَدَعَاها لِلْعُلَا أَنْ تَذَابَا
 فَسَمَتْ لِلْمَجْدِ تَبْغِي شَأْوَهُ وَقَضَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَأْرَبَا

شأوه: غايته. ومع أسرة مييجي نهضت اليابان نهضة أدهشت العالم، وأكثر شخص في هذا العالم اندهش منها وهش لها حافظ إبراهيم، لأن قلبه كان يخفق بشوق لأن تنهض مصر مثل اليابان

٢٠ الصفرة والبيض

الحرب اليابانية الروسية، نشرت في نوفمبر/ تشرين الثاني (١٩٠٤):

أَسَاحَةٌ لِلْحَرْبِ أَمْ مَحْشَرُ وَمَوْرِدُ الْمَوْتِ أَمْ الْكَوْثَرُ؟

أهذه ساحة حرب أم يوم القيامة الذي تحشر فيه النفوس؟ وهذا مورد، منهل ويتنوع، للموت، أم هو نهر الكوثر في الجنة؟ وما الذي حشر نهر الكوثر هنا؟ سوى القافية، وسوى أن المحشر استدعاها، رغم أن المعنى ياباها

وهذِهِ جُنُودٌ أَطَاعُوا هَوَىٰ أَرْبَابِهِمْ، أَمْ نَعَمٌ تُنْحَرُونَ؟
أربابهم: أسيادهم، نَعَم: إيل

لِلَّهِ مَا أَقْسَىٰ قُلُوبَ الْأَلَىٰ قَامُوا بِأَمْرِ الْمُلْكِ وَاسْتَأْثَرُوا!
الآلى: الذين، استأثروا: استبدوا

وَعَرَّهْمُ فِي الدَّهْرِ سُلْطَانُهُمْ فَأَمَعْنُوا فِي الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرُوا
قَدْ أَقْسَمَ الْبَيْضُ بِصُلْبَانِهِمْ لَا يَهْجُرُونَ الْمَوْتَ أَوْ يُنْصَرُوا
البیض: الروس

وَأَقْسَمَ الصُّفْرُ بِأَوْثَانِهِمْ لَا يُغْمِدُونَ السَّيْفَ أَوْ يَظْفَرُوا
الصففر: اليابانيون

فَمَادَتِ الْأَرْضُ بِأَوْتَادِهَا حِينَ النِّقَى الْأَبْيَضِ وَالْأَصْفَرِ
وَأَمَلَتْهَا خَمْرَةً مِنْ دَمٍ يَلْهُو بِهَا الْمِكَاذُ وَالْقَيْصَرُ
الميكادو: لقب إمبراطور اليابان، والقيسر: لقب إمبراطور روسيا

وَأَشْبَهَتْ يَوْمَ الْوَعَىٰ أُخْتَهَا إِذْ لَاحَ فِيهَا الشَّقَقُ الْأَحْمَرُ
أخت الأرض: الشمس

وَأَصْبَحَتْ تَشْتَاقُ طُوقَانَهَا لَعَلَّهَا مِنْ رِجْسِهَا تَظْهَرُ
نبهنا المازني في كتابه الذي ندم عليه أن البيت مستوحى من أبي العلاء: (والأرض لِلطُّوقَانِ مُشْتَاقَةٌ/ لَعَلَّهَا
مِنْ دَرَنِ تَغْسَلُ)، وانظر كتابنا «تألق الشعر»، وفيه مئة وخمسون صفحة من مختاراتنا من شعر أبي العلاء،
مسبوقة بثلاثين صفحة عن قصة حياته. وكانت أبيات لزوميات أبي العلاء مما يستشهد به حافظ كثيراً

أَشْبَعَتْ يَا حَرْبُ ذَنَابَ الْفَلَا وَغَصَّتِ الْعِقْبَانُ وَالْأَنْسُرُ
هذا لما أكلته هذه الجوارح والكواسر من لحم القتلى

وَمِيرَتِ الْحَيَّتَانُ فِي بَحْرِهَا وَمَطَمَعُ الْإِنْسَانِ لَا يُقْدَرُ
ميرت: زُوِّدَتْ بالميرة أي الغذاء، لا يقدر: لا حد له

إِنْ كَانَ هَذَا الدَّبُّ لَا يَنْتَنِي وَذَلِكَ التَّنِينُ لَا يُقْهَرُ
وَالْبَيْضُ لَا تَرْضَىٰ بِخِذْلَانِهَا وَالصُّفْرُ بَعْدَ الْيَوْمِ لَا تُكْسَرُ
فَمَا لِتِلْكَ الْحَرْبِ قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا حَتَّى قَضَى الْعَسْكَرُ
إن كانت النتيجة مجرد قتل بغير حسم، فلماذا الحرب والقتيل؟ والواقع أن اليابان حسمت الحرب
لصالحها بنصر مؤزر

تَسُوْنَا الْحَرْبُ وَإِنْ أَصْبَحَتْ تَدْعُو رَجَالَ الشَّرْقِ أَنْ يَفْخَرُوا

يفخر الشرقيون بانتصار اليابان الشرقية على روسيا التي تعد من بلدان الغرب

أَتَى عَلَى الشَّرْقِيِّ حِينٌ إِذَا مَا ذُكِرَ الْأَحْيَاءُ لَا يُذْكَرُ

وَمَرَّ بِالشَّرْقِ زَمَانٌ وَمَا بَمُرٍّ بِالْبَالِ وَلَا يَخْطُرُ

حَتَّى أَعَادَ الصُّفْرُ أَيَّامَهُ فَانْتَصَفَ الْأَسْوَدُ وَالْأَسْمَرُ

٢١ رثاء محمود سامي البارودي

يناير/ كانون الثاني (١٩٠٥):

رُدُّوا عَلَيَّ بَيَانِي بَعْدَ مَحْمُودٍ إِنِّي عَيْيْتُ وَأَعْيَا الشَّعْرُ مَجْهُودِي

مَا لِلْبَلَاغَةِ غَضَبِي لَا تُطَاوِعَنِي وَمَا لِحَبْلِ الْقَوَافِي غَيْرَ مَمْدُودِي؟

لَقَدْ نَزَحْتَ عَنِ الدُّنْيَا كَمَا نَزَحْتُ عَنْهَا لَيَالِيكَ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سَوْدٍ

رحلت عن الدنيا بعد أن قعدت بك الحال، وفقدت البصر، فلم تبق لك تلك الليالي السود الكثية، ولا تلك البيض في أيام عزك بما فيها من لهر

أَغْمَضْتَ عَيْنِكَ عَنْهَا وَازْدَرَيْتَ بِهَا قَبْلَ الْمَمَاتِ، وَلَمْ تَحْفَلِ بِمَوْجُودٍ

تَجْرِي السَّلَاسَةُ فِي أَثْنَاءِ مَنْطِقِهِ تَحْتَ الْفَصَاحَةِ جَزْيِ الْمَاءِ فِي الْعُودِ

إِنْ هَذَا رُكْنُكَ مَنَكُوبًا فَقَدْ رَفَعْتُ لَكَ الْفَضِيلَةَ رُكْنًا غَيْرَ مَهْدُودٍ

بنكتك يا محمود سامي البارودي، وعزلك ونفك إلى سيلان هذ ركنك، ولكن فضلك رفع لك ذكراً عالياً

إِنَّ الْمَنَاصِبَ فِي عَزَلٍ وَتَوَلِيَةٍ غَيْرُ الْمَوَاقِبِ فِي ذِكْرِ وَتَخْلِيدِ

أَكْرِمُ بِهَا زَلَّةً فِي الْعَمْرِ وَاحِدَةً إِنْ صَحَّ أَنَّكَ فِيهَا غَيْرُ مَحْمُودٍ

الزلة: الخطأ في تقدير الموقف أثناء الثورة العربية، ولكن.. لعلها ليست زلة بل موقف وطني مشرف

كَمْ وَقْفَةً لَكَ وَالْأَبْطَالُ طَائِرَةٌ وَالْحَرْبُ تَضْرِبُ صِنْدِيدًا بِصِنْدِيدِ

نَسَخْتُ يَوْمَ كَرِيدٍ كُلَّ مَا نَقَلُوا فِي يَوْمِ ذِي قَارَ عَنْ هَانِي بْنِ مَسْعُودِ

يوم كريد: الحرب في جزيرة كريت تحت الراية العثمانية. وكان البارودي ضابطاً في تلك الحملة، وهاني بن مسعود بطل ذي قار

أَوْدَى الْمَعْرِي تَقِيَّ الشَّعْرِ مُؤْمِنُهُ فَكَادَ صَرَحَ الْمَعَالِي بَعْدَهُ يُودِي
مات المعري الذي كان تقياً ومؤمناً في شعره (وإن لم يكن كذلك في معتقده!) وكاد صرح الشعر
يموت بعد المعري، وقد ظل الشعر يتحدر بعد المعري ألف سنة حتى جاء البارودي فأحياه

وَأَصْبَحَ الشَّعْرُ وَالْأَسْمَاعُ تَنْبُذُهُ كَأَنَّهُ دَسَمَ فِي جُوفٍ مَمْعُودِ
المعمود: المصاب في معدته. وكان حافظ يشكو دائماً من أمعائه ويقول إنها نقطة الضعف التي
ستقتله.. ونال حافظ علفة ساخنة على هذا التشبيه من النقاد

أَلْوَى بِهِ الضَّعْفُ وَاسْتَرَحَّتْ أَعْيُنُهُ فَرَاخَ يَعْثُرُ فِي حَشْوٍ وَتَعْقِيدِ
ألوى بالشعر الضعف، أي أنهكه، واسترخت أعينه، كما يصبح مقود الفرس رخواً غير مشدود فهو
متعب قد كف عن الجري. وهذا من بيت الطرماح، يتخيل كيف سيصبح حال الشعر بعد موته:
(إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُ الطَّرِمَاحِ أَخْلَقَتْ/ غَرَى الْمَجِيدِ وَاسْتَرَخَى عِنَانُ الْقَصَائِدِ)

٢٢ سلام على الإسلام

رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، أغسطس/ آب (١٩٠٥):

سَلَامٌ عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ سَلَامٌ عَلَى أَيَّامِهِ النَّضِيرَاتِ
على الدين والدنيا، على العلم والحجاء على البرِّ والتقوى، على الحسنات
لقد كنتُ أخشى عَادِي المَوْتِ قَبْلَهُ فَأَصْبَحْتُ أَخْشَى أَنْ تَطُولَ حَيَاتِي
فَوَالْهَافِي - وَالْقَبْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ - عَلَى نَظَرَةٍ مَنِ تِلْكَمُ النَّظَرَاتِ
أتحسر لما الآن، إذ يقف القبر عائقاً بيني وبين الإمام، على نظرة من نظرائه

وَقَفْتُ عَلَيْهِ حَاسِرَ الرَّأْسِ خَاشِعاً كَأَنِّي - حِيَالُ الْقَبْرِ - فِي عَرَافَاتِ
وقفت حاسراً عن رأسي. وعندما كنت حيال قبر الإمام، أي بجانبه، كنت كأني واقف بعرفات
خشوعاً. التسويد من عمران القفيني

تَبَارَكْتَ؟ هَذَا الدِّينُ دِينُ مُحَمَّدٍ أَيْتَرُكَ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ حُمَاةٍ؟
تباركت يا رب، أترك الإسلام بدون حماة يحمونه؟

تَبَارَكْتَ؟ هَذَا عَالِمُ الشَّرْقِ قَدْ قَضَى وَلَانَتْ قَنَاةُ الدِّينِ لِلْعَمَزَاتِ
لانت قناة الدين للغمزات: أصبح مكشوفاً معرضاً للاعتداء

زَرَعْتَ لَنَا زَرْعاً فَأَخْرَجَ شَطْأَهُ وَبِنْتَ وَلَمَّا نَجَّجَتِ الثَّمَرَاتِ
أخرج شطأه: أنبت رؤوس سنابله، بنت: فارقت

مَشَى نَعْشُهُ يَخْتَالُ عُنْجَباً بِرَبِّهِ وَيَخْطُرُ بَيْنَ اللَّمْسِ وَالْقُبْلَاتِ
 مَشَى النَعشُ مَخْتَالاً فَخُوراً بِرَبِّهِ، بِصَاحِبِهِ، وَالنَّاسِ يَلْمُسُونَهُ وَيَقْبَلُونَهُ تَبْرَكَاً
 تَكَادُ الدَّمُوعُ الْجَارِيَاتُ تُقِلُّهُ وَتَدْفَعُهُ الْأَنْفَاسُ مُسْتَعِيرَاتِ
 نقله : تحمله

٢٣ آلة تسحق الكسل

إلى رجال الدنيا الجديدة، أنشدها في حفل كلية البنات الأمريكية بمصر لتوزيع
 الشهادات على خريجاتها، مايو/ أيار (١٩٠٦):

كَاشَفَ الْكَهْرِبَاءُ لَيْتَكَ تُعْنَى بِاخْتِرَاعِ يَرُوضُ مِنَّا الطَّبَاعَا
 آلَةٍ تَسْحَقُ التَّوَاكُلَ فِي الشَّرِّ قِ، وَتُلْقِي عَنِ الرِّبَاءِ الْقِنَاعَا
 يهيب بإديسون أن يخترع آلة تزيل الكسل والنفاق

٢٤ إلى ناظر المعارف

سعد زغلول، نشرت في ديسمبر/ كانون الأول (١٩٠٦):

يَا سَعْدُ أَنْتَ مَسِيحُهَا فَاجْعَلْ لِهَذَا الْمَوْتِ حَدًّا
 والمسيح أحي الموتى

يَا سَعْدُ إِنَّ بِمِصْرَ أَيْدٍ تَاماً تُؤْمَلُ فِيكَ سَعْدَا
 السعد: الحظ الحسن

قَدْ قَامَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ نَ الْعِلْمِ ضِيقُ الْحَالِ سَدًّا
 أَنَا لَا أَلُومُ الْمُسْتَشَا رَ إِذَا تَعَلَّلَ أَوْ تَصَدَّى

كان دنلوب هو «المستشار» الإنجليزي لشؤون التعليم، وسعد زغلول هو الوزير، وكان بينهما شد
 وجذب. سعد يريد تعليمًا وطنيًا واسعاً والمستشار الإنجليزي يريد تعليمًا ضيقاً يوفر طبقة موظفين
 لإدارة الروتين الحكومي

فَسَبِيلُهُ أَنْ يَسْتَبِيدَ وَشَأْنُنَا أَنْ نَسْتَعِيدَ
 هِيَ سُنَّةُ الْمُخْتَلِّ فِي كُلِّ الْعُصُورِ، وَمَا تَعْدَى
 وما تعدى: ما تجاوز المتوقع منه، ولكنه بالطبع معتد أثيم

٢٥ صيدوا العباد

حادثة دنشواي، وقُتل فيها جندي إنجليزي، ربما بضربة شمس وهو يصطاد ورفاقه الحمام، فشَقَّ الإنجليز أربعة رجال وجلدوا العشرات في قرية دنشواي، بعد محاكمة هزيلة ثار لها الإنجليز أنفسهم، وأدت إلى عزل المعتمد البريطاني كرومر بعد أشهر. فضلنا القول في الحادثة في الفصل المخصص لأحمد شوقي. نشرت القصيدة في يوليو/تموز (١٩٠٦):

أيها القائمون بالأمرِ فينا هل نَسِيتُمْ وَلاءَنَا وَالْوِدَادَا
القائمون بالأمر: الإنجليز

خَفِّضُوا جِبَشَكُمْ وَنَامُوا هَنِيئاً وَابْتَغُوا صَيْدَكُمْ وَجُوبُوا الْبِلَادَا
وَإِذَا أَعْوَزَتْكُمْ ذَاتُ طُوقٍ بَيْنَ تِلْكَ الرُّبَا فَصِيدُوا الْعِبَادَا
إِنَّمَا نَحْنُ وَالْحَمَامُ سَوَاءٌ لَمْ تُغَايِزْ أَطَوَائِنَا الْأَجْبَادَا
لبعض الحمام شبه أطواق من الريش عند الرقبة، ونحن مطوقون بقيود الاحتلال في أجيادنا، رقابنا

لَا تُقِيدُوا مِن أُمَّةٍ بِقَتِيلٍ صَادَتْ الشَّمْسُ نَفْسَهُ حِينَ صَادَا
تُقِيدُوا: تقتصوا قصاصاً

جَاءَ جُهَاًلُنَا بِأَمْرِ وَجِئْتُمْ ضِعِفَ ضِعْفَيْهِ فَسَوْءٌ وَاشْتِدَادَا
لَيْتَ شِعْرِي أَنَّكَ مَحْكَمَةُ التَّفْ تَبِشْ عَادَتْ أُمُّ عَهْدُ نِيرُونُ عَادَا؟
محاكم التفتيش: محاكم ظالمة عقدها الإسبان على مدى ٣٥٠ سنة للتخلص من آثار الحكم العربي في الأندلس، نيرون: إمبراطور روماني قيل إنه أحرق روما وقعد يتفرج عليها

كَيْفَ يَحْلُو مِنَ الْقَوِيِّ التَّشْفِيِّ مِنْ ضَعِيفِ الْقَى إِلَيْهِ الْقِيَادَا
إِنَّهَا مُثَلَّةٌ تَشِفُّ عَنِ الْعَيْ ظَ وَلَسْنَا لِعَيْظِكُمْ أُنْدَادَا
التشفي بالضعيف هو كالمثلة، أي التمثيل بالمقتول

أَيُّهَا الْمُدَّعِي الْعُمُومِيُّ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا فَقَدْ بَلَغَتْ الْمُرَادَا

المدعي العمومي في تلك المحكمة كان إبراهيم الهلباوي، وكان القاضي أحمد فتحي زغلول أخا سعد زغلول، وقد كان الهلباوي من أشهر المحامين، وندم على فعلته واعتذر من مواطنيه بعد أربع سنين، وكان له دور في الحركة الوطنية، وكان القاضي أحمد فتحي زغلول من كبار المثقفين والداعين للتحرر ومن الوطنيين في الحركة العربية. ولكن الرجلين عاشا بعد دنشواي وماتا خائنين، وظل الشعب يحتقرهما لأنهما احتقرا الشعب ورضيا أن يكونا أداة للمحتل. ألا إن الإنسان موقف

قَدْ ضَمِنَّا لَكَ الْقَضَاءَ بِمِصْرٍ وَضَمِنَّا لِنَجْلِكَ الْإِسْعَادَا
وترقى الهلباوي فعلاً بعد دوره الشنيع

لَا جَرَى النِّيلُ فِي نَوَاحِيكَ يَا مِصْرَ رُ، وَلَا جَادِكَ الْحَيَا حَيْثُ جَادَا
الحيا: المطر

أَنْتِ أَنْبَتِ ذَلِكَ النَّبْتُ يَا مِصْرَ رُ فَأُضْحَى عَلَيْكَ شَوْكاً قَتَادَا
القتاد: الشوك

إِيهِ يَا مِذْرَةَ الْقَضَاءِ وَيَا مَنْ سَادَ فِي غَفْلَةِ الزَّمَانِ وَشَادَا
المدرة: الزعيم

أَنْتِ جَلَّادُنَا فَلَا تَنْسِ أَنَا قَدْ لَيْسْنَا عَلَى يَدَيْكَ الْجِدَادَا
قيل: أنشد المصريون هذا البيت في جنازة الهلباوي عام ١٩٤٠

٢٦ الظلم المنظم

شكوى مصر من الاحتلال، نشرت في يناير/كانون الثاني (١٩٠٧):

لَقَدْ كَانَ فِينَا الظُّلْمُ فَوْضَى فَهَذَّبْتُ حَوَاشِيهِ حَتَّى بَاتَ ظُلْماً مَنْظُماً
عَمِلْتُمْ عَلَى عِزِّ الْجَمَادِ وَذُلُّنَا فَأَعْلَبْتُمْ طِينَا وَأَرْخَضْتُمْ دِمَا
إِذَا أَخَصَّبْتَ أَرْضَ وَأَجْدَبَ أَهْلَهَا فَلَا أَطْلَعْتَ نَبْتاً وَلَا جَادَهَا السَّمَاءَا
السما: المطر

نَهَشْتُ إِلَى الدِّينَارِ، حَتَّى إِذَا مَشَى بِهِ رُبُّهُ لِيَلْسُوقِ أَلْفَاهُ دِرْهَمَا
فَإِنَّ كَثِيرَ الْمَالِ - وَالْخَفْضُ وَارِفٌ - قَلِيلٌ إِذَا حَلَّ الْغَلَاءُ وَخَيَّمَا

٢٧ العهدة على الراوي

وداع اللورد كرومر، قالها عند استقالته، ونشرت في أبريل/نيسان (١٩٠٧):

سَلَامٌ، وَلَوْ أَنَا نُسِيءُ إِلَى الْأَلَى أَسَاءُوا إِلَيْنَا مَا مَدَدْنَا لَهُمْ يَدَا
سَنْطَرِي أَيَادِيكَ الَّتِي قَدْ أَقْضَتْهَا عَلَيْنَا فَلَسْنَا أُمَّةً تَجْحَدُ الْيَدَا
أياديك: أفضالك

أَمِنَّا فَلَمْ يَسْلُكْ بِنَا الْخَوْفُ مَسْلَكاً وَنَمِنَا فَلَمْ يَطْرُقْ لَنَا الدُّعْرُ مَرْقَدَا

وَكُنْتَ رَحِيمَ الْقَلْبِ تَحْمِي ضَعِيفَنَا وَتَدْفَعُ عَنَّا حَادِثَ الدَّهْرِ إِنْ عَدَا
تَشَعَّبَتِ الْأَرَاءُ فِيكَ: فَقَائِلٌ أَفَادَ الْغِنَى أَهْلَ الْبِلَادِ وَأَسْعَدَا
وَأَخْرُ لَمْ يَقْصِرْ عَلَى الْمَالِ هَمُّهُ يَرَى أَنَّ ذَاكَ الْمَالَ لَا يَكْفُلُ الْهُدَى
بعضهم نظر إلى فوائد حصلت عليها البلاد في عهد كرومر وبعضهم قال إن المال ليس كل شيء

قَضَيْتَ عَلَى أُمِّ اللُّغَاتِ، وَإِنَّهُ قَضَاءٌ عَلَيْنَا أَوْ سَبِيلٌ إِلَى الرَّدَى
كان كرومر قليل الاعتبار للغة العربية وللدين الإسلامي، ويرى أن طريق مصر هو التحرر من الماضي

وَوَافَيْتَ وَالْقُطْرَانِ فِي ظِلِّ رَايَةٍ فَمَا زِلْتَ بِالسُّودَانِ حَتَّى تَمَرَّدَا
وَحَاوَلْتَ إِعْطَاءَ الْعَرَبِ مَكَانَةً تَجُرُّ عَلَيْنَا الْوَيْلَ وَالذُّلَّ سَرْمَدَا
شجع كرومر الأجانب ونشاطهم التجاري، ومنحهم امتيازات غير متاحة للمصريين، وهذا جر على مصر الذل السرمدي، الأبدى

وَزَا حَمْنَا فِي الْعَيْشِ كُلِّ مُمَارِسٍ خَبِيرٌ، وَكُنَّا جَاهِلِينَ وَرُقْدَا
وَمَا الشَّرَكَاتُ السُّودُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ سِوَى شَرَكٍ يُلْقِي بِهِ مَنْ تَصَيَّدَا
المتصيد لخيرات البلاد الأخرى يلقي الشرك، أي الشبكة، في هذه البلاد على هيئة شركة. الدول الخائرة العزم، حتى يومنا هذا، تتغنى بالاستثمار وتشجيع الاستثمار وجلب الاستثمارات الأجنبية. ما لها لا تتغنى بالتصنيع والتعليم كي يفتح أهل البلد المصانع والشركات؟

فَهَذَا حَدِيثُ النَّاسِ وَالنَّاسُ أَلْسُنٌ إِذَا قَالَ هَذَا، صَاحَ ذَاكَ مُقْنَدَا
اكتفى حافظ من وداع كرومر بسرد ما يقوله الناس من مادح وقادح. ولم يفت هذا الموقف الخشّي متقدي حافظ

٢٨ رثاء قاسم أمين

يونيو/حزيران (١٩٠٨):

لَهْفِي عَلَيْكَ قَضَيْتَ مُرْتَجِلاً لَمْ تَشْكُ، لَمْ تَسْتَوْصِ، لَمْ تَقُلْ
مُتَّ مَوْتًا ارْتَجَالِيًّا بِلَا شَكْوَى مِنْ مَرَضٍ وَبِلَا وَصِيَّةٍ

إِنْ رَيْتَ رَأْيًا فِي الْحِجَابِ وَلَمْ تُعْصِمْ، فِتْلَكَ مَرَاتِبُ الرُّسُلِ
لئن كنت ريت، أي رأيت، رأياً ضد الحجاب، ولم تُعصم من الخطأ، فلا بأس فالعصمة للأنبياء

الْحَكْمُ لِلْأَيَّامِ مَرَجِعُهُ فِيمَا رَأَيْتَ، فَنَمْ وَلَا تَسَلِ
فلا تهتم، فالحكم بشأن الحجاب متروك للأيام المقبلة

وكذا طُهاهُ الرأْيِ تَتَرَكُهُ للدهرِ يُنْضِجُهُ عَلَى مَهَلٍ
فإذا أَصْبَتْ فَأَنْتَ خَيْرُ فَتَى وَضَعَ الدَّوَاءَ مَوَاضِعَ الْعِلَلِ
أو لا، فَحَسْبُكَ مَا شَرُفَتْ بِهِ وَتَرَكْتَ فِي دُنْيَاكَ مِنْ عَمَلٍ

٢٩ الدخول بين السلطان والوالي

تهنئة السلطان عبد الحميد بعيد جلوسه، سبتمبر/أيلول (١٩٠٨):

مِنِّي عَلَى دَارِ السَّلَامِ تَحِيَّةٌ وَعَلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ بَنِي عُثْمَانَ
دار السلام، هنا، إستانبول عاصمة الخلافة

وعلى رجالِ الجيشِ مِنْ مَا شِ بِهِ أَوْ رَاكِبٍ أَوْ نَازِحٍ أَوْ دَانٍ
يحي من الجيش المشاة والخيالة، والنازح البعيد في مهمة، والداني القريب المرابط في الديار
وعلى الأَلَى سَكَنُوا إِلَى الْحُسْنَى، سَوَى ذَاكَ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الْعُصْيَانِ
الألى: الذين

والي الحِجَازِ الْخَارِجِيَّ، وَمَا بِهِ إِلَّا اقْتِنَاصُ الْأَصْفَرِ الرَّنَّانِ
بخلاف والي الحجاز الخارجي العاصي الذي يقتنص الأصفر الرنان؛ الذهب، من أموال الحج
مَا لِلشَّرِيفِ الْمُتَنَمِّي حَسْبًا إِلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مِنْ بَنِي عَدْنَانَ..
ما لي أرى شريف مكة الذي ينتمي بنسبه إلى النبي..

أَمْسَى يُمَالِئُهُ وَيَنْصُرُ غِيَّهُ وَضَلَّالُهُ بِحُثَالَةِ الْعُرْبَانِ
ما لي أراه يمالئ الوالي، يطاوعه، ويؤيد ضلاله ببعض من أبناء القبائل من الحثالة، أردأ الناس
تَالُوْهُ لَوْ جَنَّدْتُمَا رَمَلَ النُّقَا وَنَزَلْتُمَا بِمَوَاطِنِ الْعُقْبَانِ..
فيا والي الحجاز ويا شريفها لو جندتما من الجنود بعدد حبات رمل النقا، الكتيب، ولو رابطتما
في أماكن العقبان، الصقور والنسور، في معاقلها الجبلية..

وَعَرَسْتُمَا أَرْضَ الْحِجَازِ أَسِنَّةً وَأَسَلْتُمَا بَحْرًا مِنَ النِّيرَانِ..
ولو غرستما الحجاز بأسنة الرماح، ولو سالت النيران من أسلحتكما..

وَأَقَمْتُمَا فِيهَا الْمَعَاقِلَ مَنَعَةً مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ إِلَى خَلِيجِ عُمانِ..
ولو أقمتما الحصون المنيعة من نجد إلى عمان..

لَدَهَاكُمَا وَرَمَاكُمَا وَذَرَاكُمَا مَاحِيِ الْحُصُونِ وَمَاسِيحُ الْبُلْدَانِ
لدهاكما السلطان العثماني، فاجأكما بالنكية، ولترككما كالغبار تذروه الريح. . فهي الذي يمحو
الحصون ويمسح البلاد مسحاً

٣٠ سورة ومصر

القاهما في فندق شبرد لتكريم جماعة من السوريين، ونشرت في مارس/ آذار (١٩٠٨):

لِمِصْرَ أَمْ لِرَبُوعِ الشَّامِ تَنْتَسِبُ هُنَا الْعُلَا وَهُنَاكَ الْمَجْدُ وَالْحَسَبُ
رُكْنَانِ لِلشَّرْقِ لَا زَالَتْ رُبُوعُهُمَا قَلْبُ الْهَلَالِ عَلَيْهَا خَافِقٌ يَجِبُ

لا زالت: أدعو الله أن تبقى، وخير لا زال الجملة الإسمية (قلب الهلال خافق) الهلال: رمز
الدولة العثمانية وكانت آنذاك تحكم مصر إسمياً وبلاد الشام فعلياً، يجب: يخفق

خِذْرَانِ لِلضَّادِ لَمْ تُهْتَكْ سِتُورُهُمَا وَلَا تَحَوَّلَ عَنْ مَغْنَاهُمَا الْأَدَبُ
خدران للضاد: بيتان للغة العربية، والخدر حجرة النساء في الخيمة أو البيت

أُمُّ اللِّغَاتِ عِدَاةُ الْفَخْرِ أُمُّهُمَا وَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ الْأَبَاءِ فَالْعَرَبُ
إِذَا أَلَمْتُ بِوَادِي النِّيلِ نَازِلَةٌ بَاتَتْ لَهَا رَاسِيَاتُ الشَّامِ تَضْطَرِبُ
نازلة: مصيبة، الراسيات: الجبال

وَإِنْ دَعَا فِي ثَرَى الْأَهْرَامِ دُوَ أَلَمِ أَجَابَهُ فِي ذُرَا لُبْنَانَ مُنْتَجِبُ
لَوْ أَخْلَصَ النِّيلُ وَالْأَرْدُنُّ وَدَّهُمَا تَصَافَحَتْ مِنْهُمَا الْأَمْوَاءُ وَالْعُشْبُ
نَسِيمَ لُبْنَانَ! كَمْ جَادَتْكَ عَاطِرَةٌ مِنْ الرِّيَاضِ وَكَمْ حَيَّاكَ مُنْسَكِبُ؟
فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ أَنْفَاسٌ مُسْعِرَةٌ تَهْفُو إِلَيْكَ وَأَكْبَادُهَا لَهَبُ
أنفاس المغترين في أصقاع الأرض تهفو، تهب حينئذ، إلى الوطن لبنان

لَوْلَا طِلَابُ الْعُلَا لَمْ يَبْتَغُوا بَدَلًا مِنْ طِيبِ رِيَّاكَ، لَكِنَّ الْعُلَا تَعَبُ
التسويد لعمران القفيني

كَمْ غَادَةً بِرُبُوعِ الشَّامِ بَاكِئَةٍ عَلَى أَلَيْفٍ لَهَا يَرْمِي بِهِ الطَّلَبُ
كم فتاة تبكي على زوج رمى به طلب المعاش إلى الهجرة

يَمْضِي وَلَا حِيلَةَ إِلَّا عَزِيمَتُهُ وَيَنْتَنِي وَحُلَاهُ الْمَجْدُ وَالذَّهَبُ
يذهب وليس معه إلا العزم، وينثني، أي يعود، ومعه مجد ومال

بَارِضٍ كُؤْمَبٍ أَبْطَالُ غَطَارِقَةٍ أَسَدٌ جِيَاعٌ إِذَا مَا وُؤِثِبُوا وَثَبُوا

أرض كولمب: أميركا، وفيها أسود بلاد الشام الذين يقفزون على الرزق قفزاً. جمعني جامع ذات سنة، لعلها ٢٠٠٧، بوزير الخارجية البرازيلي، وكانت تصحبه زوجته. وسألته ملياً عن أبناء بلده ذوي الأصل الشامي، ويسمونهم توركو، أي الأتراك لأنهم هاجروا في زمن كانت بلاد الشام فيه تحت الحكم التركي، وكنت مهتماً بسيرة الشاعرين القروي وفرحات اللذين عاشا في البرازيل، وتحدث طويلاً، وفي ختام حديثه أشار إلى زوجته الجالسة بجانبه: «هي أيضاً سورية الأصل»

أَسْطُولُهُمْ أَمَلٌ فِي الْبَحْرِ مُرْتَجِلٌ وَجِيشُهُمْ عَمَلٌ فِي الْبَرِّ مُفْتَرِبٌ
مَا عَابَهُمْ أَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ قَدْ نَثَرُوا فَالشُّهُبُ مَنُورَةٌ مَذْكَانَتِ الشُّهُبُ
رَادُوا الْمَنَاهِلَ فِي الدُّنْيَا، وَلَوْ وَجَدُوا إِلَى الْمَجَرَّةِ رَكْباً صَاعِداً رَكِبُوا

كانوا رواداً لمنايع الرزق

سَعَوْا إِلَى الْكَسْبِ مَحْمُوداً وَمَا قَبِلَتْ أُمُّ اللُّغَاتِ بِذَلِكَ السَّعْيِ تَكْتَسِبُ
أم اللغات، اللغة العربية، انتعشت على السنة، وفي صحف، المغترين زمناً. ثم ماتت في الأجيال
اللاحقة

فَأَيْنَ كَانَ الشَّامِيُّونَ كَانَ لَهَا عَيْشٌ جَدِيدٌ وَفَضْلٌ لَيْسَ يَحْتَاجِبُ
هَذَا يَدِي عَنْ بَنِي مِصْرٍ تُصَافِحُكُمْ فَصَافِحُوهَا تُصَافِعُ نَفْسَهَا الْعَرَبُ
لَوْ لَا رِجَالٌ تَغَالَوْا فِي سِيَاسَتِهِمْ مِنَّا وَمِنْهُمْ لَمَّا لُمْنَا وَلَا عَتَبُوا
وممن أبدى ضجراً لما ناله السوريون بمصر من نجاح حافظ إبراهيم نفسه في كتابه «ليالي سطحي»،
حيث شكاً من الوجود الاقتصادي السوري، ومن تقاعس المصريين عن دخول ميدان الاقتصاد
بقوة، هذا إلى ترحيب دائم من حافظ بالمتقنين السوريين

إِنْ يَكْتُبُوا لِي ذَنْباً فِي مَوَدَّتِهِمْ فَإِنَّمَا الْفَخْرُ فِي الذَّنْبِ الَّذِي كَتَبُوا

٣١ مدح مغنٍ

نشرت في نوفمبر/ تشرين الثاني (١٩٠٨):

يَا جَاكَ إِنَّكَ فِي زَمَانِكَ وَاحِدٌ وَلِكُلِّ عَصْرِ وَاحِدٌ لَا يُلْحَقُ
جَاكَ رومانو مغنٍ يهودي إسكندري

إِنَّ الْأَلَى قَدْ عَاصَرُوكَ وَقَاتَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوكَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا

التسويد لعمران القفيني

قَدْ جَاءَ مُوسَى بِالْعَصَا، وَأَتَيْتَنَا بِالْعُودِ يَشْدُو فِي يَدَيْكَ وَيَنْطِقُ

تَتَسَابَقُ الْأَسْمَاعُ صَوْبَكَ كُلَّمَا غَنَّتْهَا شَوْقاً إِلَيْكَ وَتُغْنِي

تعنى: تتطلع مسرعة وتمد العنق

خُلِقَ كَمَا شَاءَ الْجَلِيسُ وَشِيَمَةً يَذْكُوبُهَا صَدْرُ النَّدِيِّ وَيَعْبَقُ
وَمُرُوءَةً لَوْ أَنَّهَا قَدْ قُسِّمَتْ بَيْنَ الْيَهُودِ لِأَحْسَنُوا وَتَصَدَّقُوا

٣٢ تسونامي مسينا

(١٩٠٨/١٢/٢٨):

نَبِّئَانِي إِنْ كُنْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا دَهَى الْكَوْنِ أَيُّهَا الْفَرَقْدَانِ

الفرقدان: نجمان

غَضِبَ اللَّهُ أَمْ تَمَرَّدَتِ الْأَرْضُ ضُ، قَانَحَتْ عَلَى بَنِي الْإِنْسَانِ؟
أُنَحَتْ: أقبلت بالأذى أو باللوم

لَيْسَ هَذَا، سَبْحَانَ رَبِّي، وَلَا ذَا لَكْ، وَلَكِنْ طَبِيعَةُ الْأَكْوَانِ
عَلَيَانُ فِي الْأَرْضِ نَفَسَ عَنْهُ تَوْرَانُ فِي الْبَحْرِ وَالْبُرْكَانِ
رَبِّ، أَيْنَ الْمَقَرُّ وَالْبَحْرُ وَالْبَرُّ- عَلَى الْكِيدِ لِلْوَرَى عَامِلَانِ؟
كُنْتُ أَخْشَى الْبَحَارَ، وَالْمَوْتُ فِيهَا رَاصِدٌ غَفْلَةً مِنَ الرُّبَّانِ
سَابِحُ تَحْتَنَا، مُطْلٌ عَلَيْنَا حَائِمٌ حَوْلَنَا، مُنَاءٌ مُدَانِ
الموت في البحر يسبح تحت السفينة ويحوم حولها.. يبتعد ويقترب

فَإِذَا الْأَرْضُ وَالْبَحَارُ سَوَاءٌ فِي خَلْقٍ: كِلَاهُمَا عَادِرَانِ

خلاق: خلق وطبيعة

مَا لِمَسِّينَ عُوْجِلَتْ فِي صِبَاهَا وَدَعَاهَا مِنَ الرَّدَى دَاعِيَانِ

مسينا في صقلية بإيطاليا، وقد ضربها ما يسميه اليوم تسونامي في آخر ثلاثة أيام من عام (١٩٠٨)،
قتل بها مئة ألف نسمة

وَمَحَتْ تِلْكَ الْمَحَاسِنَ مِنْهَا حِينَ تَمَّتْ آيَاتُهَا آيَتَانِ

حين اكتملت آياتها العمرانية، معالمها، جاءت آيتان، برهاتان من براهين القدرة الإلهية وهما
الزلازل والفيضان، فمحتا المعالم

خُسِفَتْ، ثُمَّ أُغْرِقَتْ، ثُمَّ بَادَتْ قُضِيَ الْأَمْرُ كُلُّهُ فِي ثَوَانِ

وَأَتَى أَمْرُهَا فَاضْحَتْ كَأَن لَّمْ
لَيْتَهَا أُمِّهَلَتْ فَتَقْضِي حُقُوقاً
تَكُ بِالْأَمْسِ زِينَةَ الْبُلْدَانِ
مِنْ وَدَاعِ اللَّذَاتِ وَالْجِيرَانِ
اللذات: الأصحاب، المولودون في وقت واحد

بَقَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ عَلَيْهَا
تِلْكَ تَغْلِي حِقْداً عَلَيْهَا فَتَنْشَقُّ-
وَطَعَى الْبَحْرُ أَيُّمَا طُغْيَانٍ
انْشِقَاقاً مِنْ كَثْرَةِ الْغَلْيَانِ
فَتُجِيبُ الْجِبَالُ رَجْماً وَقَدْفَاً
بِشُؤَاطٍ مِنْ مَآرِجٍ وَدُخَانٍ
مارج: لهب

وَتَسُوقُ الْبَحَارُ رَدّاً عَلَيْهَا
جَيْشَ مَوْجٍ نَائِي الْجَنَاحَيْنِ ذَانِ
والجيش له جناحان ميمنة وميسرة

فَهُنَا الْمَوْتُ أَسْوَدُ اللَّوْنِ جَوْنٌ
وَهُنَا الْمَوْتُ أَحْمَرُ اللَّوْنِ قَانٍ
الجون: الأسود، الموت الأسود: خنقاً أو غرقاً، والأحمر: جرحاً

جَنَّدَ الْمَاءَ وَالشَّرَى لِهَلَاكِ الْ-
خَلْقِ ثُمَّ اسْتَعَانَ بِالنُّيِّرَانِ
الموت جند الماء واليابسة بالطوفان والزلازل.. ثم استعان بنيران البركان

وَدَعَا السُّخْبَ عَاتِيَا فَأَمَدَّتْ-
سُ وَخَارَتْ عِزَائِمُ الشَّجْعَانِ
وَشَفَى الْمَوْتُ غِلَّهُ مِنْ نَفُوسٍ
لَا تُبَالِيهِ فِي مَجَالِ الطَّعَانِ
شفى الموت غله، أي غيظه، من نفوس أهل المدينة التي ما كانت تبالي الموت في مجال الطعان،
الحرب والطعن بالرماح

رُبَّ طِفْلٍ قَدْ سَاحَ فِي بَاطِنِ الْأَرِ
ضٍ يُنَادِي: أُمِّي! أَبِي! أَدْرِكَانِي!

ساخ: غاص. يعلق المازني في كتابه المندوم عليه «شعر حافظ» على هذا البيت قائلاً: «على وفرة علامات النداء، لا يعقل أن السائح في باطن الأرض يستطيع شيئاً من ذلك».. وتعليقنا: يا مازني، ما أصدرته أنت من شعر، وهو كثير، غث غثاء لم نحتملها أنت نفسك، فتبرأت منه. ولا والله لم أجِدْ لك بيتاً واحداً يحسن بالمرء أن يقرأه بله أن يحفظه. وقد كان حافظ يستقبلك في دار الكتب أحسن استقبال غافراً لك كتابك المشحون بالغضب من شعره. ولعلك هاجمت الرجل لموقف قديم ناداك فيه بيا ولد، عندما انتقدت ترجمته للبؤساء. ولك يا مازني، بعد، حستان: أولهما أنك كتبت مقالاً أبديت فيه الندم على كتابك، وثانيتهما أنك برهان عظيم على أن الناثر الكبير قد يكون مفلساً إفلاساً إدقاعياً في الشعر، فأنت ممن كتبوا أجمل نثر العربية في القرن العشرين. والآن إلى بيت الشعر الذي نحن بصدده: هذا تصوير هائل لطفل

بدأ جسمه ينفوس في الوحل أو حتى في الحمم البركانية وبقيت في صدره قوة تعينه على أن يدفع إلى حنجرتة بثلاث كلمات: أمي! أبي! أدركاني! فأين المستحيل في هذا؟ وانظر إلى الأبيات التي تلي هذا البيت فهي ترسم صورة مخيفة لمعاناة أولئك الضحايا في ساعة الموت المحقق

وَفَتَاةٍ هَيَفَاءُ تُشَوِّى عَلَى الْجَمْفِ رِ، تُعَانِي مِنْ حَرِّهِ مَا تُعَانِي
وَأَبٍ ذَاهِلٍ، إِلَى النَّارِ يَمْشِي مُسْتَمِينًا تَمْتَدُّ مِنْهُ الْبِدَانِ
بَاحِثًا عَنْ بَنَاتِهِ وَبَنِيهِ مُسْرِعَ الْخَطْوِ مُسْتَطِيرَ الْجَنَانِ
مستطير الجنان: منخلع القلب

تَأْكُلُ النَّارُ مِنْهُ: لَا هَوَ نَاجٍ مِنْ لَظَاهَا وَلَا اللَّظَى عَنْهُ وَإِنْ
وان: متوانٍ، متأخر

عَصَبَتِ الْأَرْضُ أَتَخِمَ الْبَحْرُ مِمَّا طَوِيَاهُ مِنْ هَذِهِ الْأَبْدَانِ
وَشَكَا الْحُوتِ لِلنُّسُورِ شَكَاةً رَدَدَتْهَا النُّسُورُ لِلْحَيْتَانِ
أَسْرَفَا فِي الْجُسُومِ نَقْرًا وَنَهْشًا ثُمَّ بَاتَا مِنْ كِطْطَةِ يَشْكُوانِ
الكظة: التخمة، الحوت والنسر يشكون التخمة لكثرة ما أكلا من لحوم الموتى

لَا رَعَى اللَّهُ سَاكِنَ الْقِمَمِ الشُّمِّ- وَلَا حَاظَ سَاكِنَ الْقِيَعَانِ
يدعو على ساكن القمم السماء العالية، النسر، وساكن قاع البحر، الحوت

قَدْ أَغَارَا عَلَى أَكُفِّ بَرَاهَا بَارِئُ الْكَائِنَاتِ لِإِلْتِقَانِ
لَهْفَ نَفْسِي وَأَلْفَ لَهْفٍ عَلَيْهَا مِنْ أَكُفِّ كَانَتْ صَنَاعَ الزَّمَانِ
صناع: حاذقة، متقنة لعملها

مَوْلَعَاتٍ بِصَيْدِ كُلِّ جَمِيلٍ نَاصِبَاتٍ حَبَائِلَ الْأَلْوَانِ
فأبدي الإيطاليين تصب حبال، شباكاً، هي في الواقع الألوان لتصيد الفن الجميل

حَافِرَاتٍ فِي الصَّخْرِ أَوْ نَاقِشَاتٍ شَائِدَاتٍ رَوَائِعَ الْبُنْيَانِ
مُنْطِطَاتٍ لِسَانِ كُلِّ جَمَادٍ مُفْجِمَاتٍ سَوَاجِعَ الْأَفْنَانِ
سواجع الأفنان: الطيور المفردة على الأغصان

مُلْهَمَاتٍ مِنْ دِقَّةِ الصَّنْعِ مَا لَا يُلْهَمُ الشَّعْرُ مِنْ دَقِيقِ الْمَعَانِي
مِنْ تَمَائِيلَ كَالنُّجُومِ الدَّرَارِي يَهْرَمُ الدَّهْرُ وَهِيَ فِي عُنْفُوانِ
الدراري: المتلألئة

إِنَّ إِيطَالِيَا بَنُوهَا بُنَاةً فَاطْمَئِنِّي مَا دَامَ فِي الْحَيِّ بَانِ

إيطاليا بنوها، أي أبناؤها، بناءً، يحسنون البناء... فاطمئني يا مسينا فسوف يعاد بناؤك

فَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَوْمَ تَوَلَّيْتُ سِتٍ بِمَا فِيكَ مِنْ مَغَانٍ حِسَانٍ

المغاني الحسان: الربوع الجميلة

وَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَوْمَ تَعُودِي نَ كَمَا كُنْتَ جَنَّةَ الطُّلِيَانِ

وَسَلَامٌ عَلَى امْرِئٍ جَادٍ بِالْدَمِّ حِجٍّ، وَتَنَّى بِالْأَضْفَرِ الرُّثَانِ

ذَاكَ حَقُّ الْإِنْسَانِ عِنْدَ بَنِي الْإِنْدِ سَانٍ، لَمْ أَدْعُكُمْ إِلَى إِحْسَانٍ

التبرع لمسينا حق على الإنسان وليس إحساناً

٣٣ المتهم على الحاليين

ذكرى مصطفى كامل، أنشدها في ذكرى وفاته الأولى فبراير/شباط (١٩٠٩):

قَدْ أَتَهَمْنَا وَلَمَّا نَطْلُبْ جَلَلًا إِنَّ الضَّعِيفَ عَلَى الْحَالِيْنَ مُتَّهَمٌ

قالوا: لَقَدْ ظَلَمُوا بِالْحَقِّ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الظَّالِمِينَ هُمْ

إِذَا سَكَنَّا تَنَاجَوْا، تِلْكَ عَادَتُهُمْ وَإِنْ نَطَقْنَا تَنَادَوْا: فِتْنَةٌ عَمَمٌ

إن سكتنا نهامس الإنجليز يدبرون لنا تدبيراً، وإن نطقنا قالوا إننا ندعو لفتنة شاملة

٣٤ الانقلاب العثماني

نشرت في مايو/أيار (١٩٠٩)، بعد خلع عبد الحميد:

فَرِحَ الْمُسْلِمُونَ قَبْلَ النَّصَارَى فِيكَ قَبْلَ الدُّرُوزِ قَبْلَ الْيَهُودِ

شِمُّتُوا كُلُّهُمْ وَلَيْسَ مِنَ الْهَمِّ لَهْ أَنْ يَشِمَّتَ الْوَرَى فِي طَرِيدِ

نفى عبد الحميد إلى سلانيك بعد عزله

لَكَ فِي الدَّهْرِ - وَالْكَمَالُ مُحَالٌ - صَفَحَاتٌ مَا بَيْنَ بَيْضٍ وَسُودِ

كَانَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بِالْأَمْسِ فَرْدًا فَعَدَا الْيَوْمَ أَلْفَ عَبْدٍ الْحَمِيدِ

٣٥ سقوط الطاغية

أنشدها حافظ في حديقة الأزبكية في يوليو/تموز (١٩٠٩)، بعد سقوط عبد الحميد

وصدور الدستور:

وَمَنْ لَمْ يُشَاهِدْ يَلْدِزَا بَعْدَ رَبِّهِ وَقَدْ زَالَ عَنْهُ الْمُلْكُ وَأُنْذَكُ جَانِيَهُ .

يلدز: قصر عبد الحميد، ربه: صاحبه

وَأَسْلَمَهُ أَحِبَّائِهِ لِقُضَائِهِ وَقَرَّ - وَلَمْ يَخْشَ الْمَعَرَّةَ - كَاتِبُهُ .

وَقَلَّمَتِ الْأَقْدَارُ أَظْفَارَ بَطْشِهِ وَدَلَّ عَلَى مَا تَجْهَلُ الْجِنَّ حَاجِبُهُ .

حاجب عبد الحميد دلهم على مكانه الذي تجهله حتى الجن

فَمَا شَهِدَ الدُّنْيَا تَزُولُ وَلَا رَأَى بَلَاءَ قَضَاءِ اللَّهِ فِيْمَنْ يُحَارِبُهُ

من لم يشاهد تلك الأحداث فهو لم يشهد كيف تزول الدنيا، أي النعمة، وكيف يقع قضاء الله على رأس من يحارب الله بظلمه لعباده

وَلَمْ يُغْنِ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ دَهَاؤُهُ وَلَا عَصَصَتْ عَبْدَ الْحَمِيدِ تَجَارِبُهُ

وَلَمْ يُخْفِهِ عَنْ أَعْيُنِ الْحَقِّ مَخْدَعُ وَلَا نَفَقُ فِي الْأَرْضِ جَمِّ مَسَارِبُهُ

النفق الكثير المسارب لم يستطع مواراة عبد الحميد

وَأَسْرَفَ فِي حُبِّ الْحَيَاةِ فَحَاطَهَا بِسُورٍ مِنَ الْأَهْوَالِ لَمْ يَنْجُ رَاكِبُهُ

وَفِي كُلِّ رُكْنٍ صُورَةٌ لَوْ تَكَلَّمَتْ لَمَّا شَكَّ فِي عَبْدِ الْحَمِيدِ مُخَاطِبُهُ

تَمَائِيلُ إِيْهَامٍ أَنْيَمَتْ وَأَقْعَدَتْ تَرَاءَى بِهَا أَعْطَافُهُ وَمَنَاقِبُهُ

كان في القصر صور وتمائيل لعبد الحميد في شتى الأوضاع للتبويه، وتبدو فيها جوانب جسمه وكفاه، فهي صور وتمائيل كاملة للتبويه وليست لوحات بورتريه بغرض الفن

تُمَثِّلُهُ فِي نَوْمِهِ وَجُلُوسِهِ وَتَخْدَعُ فِيهِ الْمَوْتَ حِينَ يُقَارِبُهُ

أَقَامَ عَلَيْهِ أَلْفَ مَوْتٍ مُحَجَّبٍ لِيُغْلِبَ مَوْتاً وَاحِداً عَزَّ هَالِبُهُ

وَأَخْرَجَهُ مِنْ يَلْدِيزِ رَبِّ يَلْدِيزِ وَجَرَّدَهُ مِنْ سَيْفِ عُثْمَانَ وَاهِبُهُ

سيف عثمان: سيف توارثه سلاطين بني عثمان عن مؤسس دولتهم، وكان السلطان يتقلده بعد أسبوعين من توليه السلطنة

مَضَى عَهْدُ الْأَسْتَبْدَادِ وَانْدَكَ صَرْخُهُ وَوَلَّيْتُ أَفَاعِيهِ وَمَاتَتْ عَقَارِبُهُ

٣٦ سقى الله «أيام زمان»

إلى البرنس حسين كامل باشا، رئيس مجلس شورى القوانين الذي سيصبح سلطاناً بعد ست سنين، ونشرت في نوفمبر/ تشرين الثاني (١٩٠٩):

لَقَدْ نَصَلَ الدُّجَى فَمَتَى تَنَامُ أَهْمٌ ذَاذَ نَوْمِكَ أَمْ هُيَامُ

نصل الدجى: بدا في سواد الليل بياض الفجر مثلما ينصل الشعر المصبوغ فيبدو البياض في أصوله، ذاذ نومك: صدّه

لَعَمْرُكَ مَا أَرَقْتُ لِغَيْرِ مُضِرٍ وَمَا لِي دُونَهَا أَمَلٌ يُرَامُ
ذَكَرْتُ جَلَالَهَا أَيَّامَ كَانَتْ تَصُولُ بِهَا الْفَرَاغَةُ الْعِظَامُ
وَأَيَّامَ الرِّجَالِ بِهَا رِجَالٌ وَأَيَّامَ الزَّمَانِ لَهَا غُلَامُ
هَلَاكَ الْفَرْدِ مَنْشَوُهُ تَوَانٍ وَمَوْتُ الشَّعْبِ مَنْشَوُهُ انْقِسَامُ
وَلَنَا قَدْ وَنِينَا وَانْقَسَمْنَا فَلَا سَمْعِي هُنَاكَ وَلَا وِثَامُ

ونينا: توانينا وتكاسلنا

فساء مُقَامُنَا فِي أَرْضِ مِصْرٍ وَطَابَ لِغَيْرِنَا فِيهَا الْمُقَامُ
أسطوانة حافظ الأثير: الأجانب يرتعون في مصر وأوضاع المصريين سيئة

٣٧ تقييد الصحافة

من قصيدة في تحية العام الهجري، يناير/ كانون الثاني (١٩١٠):

إِن الْبَلِيَّةُ أَنْ تُبَاعَ وَتُشْتَرَى مِضْرٌ وَمَا فِيهَا وَأَلَّا تَنْطِقَا
كَانَتْ تُوَاسِينَا عَلَى آلَمِنَا صُحُفٌ إِذَا نَزَلَ الْبَلَاءُ وَأَطْبَقَا
كَانَتْ صِمَاماً لِلنَّفُوسِ إِذَا عَلَتْ فِيهَا الْهُمُومُ وَأَوْشَكْتَ أَنْ تُزْهَقَا
مَا لِي أَنْوُحَ عَلَى الصَّحَافَةِ جَارِعاً مَاذَا أَلَمَ بِهَا، وَمَاذَا أَخْدَقَا؟
قَصُّوا حَوَاشِيَهَا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أَمِنُوا صَوَاعِقَهَا فَكَانَتْ أَضْعَقَا

٣٨ الأم مدرسة

أنشدها في حفل بيورسعيد لإعانة مدرسة البنات، مايو/ أيار (١٩١٠):

كَمْ ذَا يُكَابِدُ عَاشِقٌ وَيُلَاقِي فِي حَبِّ مِصْرٍ كَثِيرَةُ الْعُشَاقِ
إِنِّي لِأَحْمِلُ فِي هَوَاكِ صَبَابَةً يَا مِضْرُ قَدْ خَرَجْتُ عَنِ الْأَطْوَاقِ
لعله يقصد: أحبك حباً خرج عن طوقِي وقدرتي

لَهْفِي عَلَيْكَ مَتَى أَرَاكِ ظَلِيْقَةً يَحْمِي كَرِيْمَ حِمَاكِ شَعْبٌ رَاقٍ
مَا الْبَابِلِيَّةُ فِي صَفَاءِ مِزَاجِهَا وَالشَّرْبُ بَيْنَ تَنَافُسٍ وَسَبَاقِ..
ليست الخمر البابلية الصافية والشرب، أي الشاربون، الذين يتنافسون على ارتشافها..

وَالشَّمْسُ تَبْدُو فِي الْكُؤُوسِ وَتَخْتَفِي وَالْبَدْرُ يُشْرِقُ مِنْ جَبِينِ السَّاقِي..
بينما الخمر لامعة كالشمس ترسل أشعتها من الكؤوس الملأى وتخفي في حلق الشاربين،
والساقى الذي يدور عليهم بالخمير وجهه كالبدر..

بِالَّذِ مِنْ خُلُقِي كَرِيمٍ طَاهِرٍ قَدْ مَارَجَحْتُهُ سَلَامَةً الْأَذْوَاقِ

.. ليست الذم من الخلق الكريم الممزوج بسلامة الذوق

مَنْ لِي بِتَرْبِيَةِ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا فِي الشَّرْقِ عِلَّةٌ ذَلِكَ الْإِخْفَاقِ

الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ؛ إِذَا أَعَدَدْتَهَا أَعَدَدْتَ شَعْباً طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ

حتى لو كان هذا أحد أشهر أبيات الشعر السائرة على الألسن فإن التربية الحسنة تنشئ شعباً طيب الخلق ومتقناً للعمل.. هذا شيء والأعراق.. أي النسب العالي شيء آخر. ولا أدري أين ذهبت كلمة «الأخلاق» عن شاعرنا كي يقعدها في مقعد القافية ويربحنا من أعراقه

الْأُمُّ رَوْضٌ إِنْ تَعَهَّدَهُ الْحَيَا بِالرِّيِّ أَوْرَقَ أَيُّمًا إِيْرَاقِ

الأم بستان إن تعهده الحيا، وافاه المطر، أصبح مورقاً بورق كثير

أَنَا لَا أَقُولُ دَعُوا النِّسَاءَ سَوَافِرًا بَيْنَ الرِّجَالِ يَجْلُنَ فِي الْأَسْوَاقِ

يَفْعَلْنَ أَفْعَالَ الرِّجَالِ لَوَاهِيًا عَنْ وَاجِبَاتِ نَوَاعِسِ الْأَحْدَاقِ

لواهياً: لاهيات عابثات، «نواعس الأحداق» تعبير بارد لكنه يظل أحسن من مرادفه «الجنس اللطيف»

فِي دُورِهِنَّ شُؤُونُهُنَّ كَثِيرَةٌ كَشُؤُونِ رَبِّ السَّيْفِ وَالْمِزْرَاقِ

المزراق: الحربة

كَلَّا، وَلَا أَدْعُوكُمْ أَنْ تُسْرِفُوا فِي الْحَجَبِ وَالتَّضْيِيقِ وَالْإِرْهَاقِ

لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمْ خُلَى وَجَوَاهِرًا خَوْفَ الضَّبَاعِ نُصَانٍ فِي الْأَحْقَاقِ

الأحقاق: العلب الصغار، والمفرد حَقٌّ

لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمْ أَثَانًا يُقْتَنَى فِي الدُّورِ بَيْنَ مَخَادِعِ وَطَبَاقِ

المخادع: الحجرات، الطباق: لعلها الأدوار أو الطوابق

تَتَشَكَّلُ الْأَزْمَانُ فِي أَدْوَارِهَا دُولًا، وَهَنَّ عَلَى الْجُمُودِ بَوَاقِ

الزمن يتغير دولاً، تتداوله الجوادث والأقوام، والنساء جامدات على وضعهن

فَتَوَسَّطُوا فِي الْحَالَتَيْنِ وَأَنْصِفُوا فَالْشَّرُّ فِي التَّقْيِيدِ وَالْإِطْلَاقِ

رَبُّوا الْبَنَاتِ عَلَى الْفَضِيلَةِ إِنَّهَا فِي الْمَوْقِفَيْنِ لَهُنَّ خَيْرٌ وَثَاقِ

الموقفان: التقيد والإطلاق لحرية المرأة، الوثاق: الحبل

وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَسْتَبِينَ بَنَاتُكُمْ نُورَ الْهُدَى، وَعَلَى الْحَيَاءِ الْبَاقِي

٣٩ رثاء تولستوي

نوفمبر/ تشرين الثاني (١٩١٠):

ولستُ أبالي حين أبكيك للورى حَوْتُكَ جِنَانٌ أَمْ حَوَاكَ سَعِيرُ
فإنني أحبُّ النَّابِغِينَ لِعِلْمِهِمْ وأعشَقُ رَوْضَ الْفِكْرِ وَهُوَ نَضِيرُ
دعوتُ إلى عيسى فضجَّتْ كَنَائِسُ وهُزَّ لها عرشٌ ومَادَ سَرِيرُ
وفي آخر حياته مال تولستوي إلى الدين ميل زهد

وقال أناسٌ إنَّه قولٌ ملحدٍ وقال أناسٌ إنَّه لبشِيرُ
إذا زُرْتَ رَهْنَ الْمُحِبِّينَ بِحُفْرَةٍ بها الزهدُ ثاوٍ والذكاءُ سَتِيرُ..
إن زرت حفرة رهين المحبين أبي العلاء المعري التي فيها الزهد ثاو، مقيم، والذكاء ستير،
مستور..

فَقِفْ ثم سَلِّمْ، واحتشِمْ إنَّ شَيْخَنَا مَهِيْبٌ على رَغَمِ الْفَنَاءِ وَقَوْرُ
وسَائِلُهُ عَمَّا غَابَ عَنْكَ، فإنه عليمٌ بأسرارِ الْحَيَاةِ بَصِيرُ
يُخَبِّرُكَ الْأَعْمَى وإن كنتَ مبصراً بما لم تُخَبِّرْ أَحْرَفُ وَسُطُورُ
يُنَادِيكَ: أهلاً بالذي عاش عَيْشَنَا وماتَ ولم يَذْرُجْ إِلَيْهِ غُرُورُ
وكان تولستوي من النبلاء ذوي المال والمزارع، وترك هذا كله في آخر عمره زهداً

قَضِيَتْ حَيَاةٌ مِلْؤُهَا الْبِرُّ وَالتَّقَى فأنتَ بِأَجْرِ الْمُتَّقِينَ جَدِيرُ
حَيَاةُ الْوَرَى حَرْبٌ وَأنتَ تَرِيدُهَا سلاماً، وأسبابُ الْكِفَاحِ كَثِيرُ
أَبَتْ سُنَّةُ الْعُمَرَانِ إِلَّا تَنَاحِراً وكدحاً. ولو أَنَّ الْبَقَاءَ يَسِيرُ
سنة العمران: طبيعة المجتمع الإنساني

ولولا امتزاجُ الشَّرِّ بِالْخَيْرِ لم يَقُمْ دَلِيلٌ على أَنَّ الْإِلَهَ قَدِيرُ
ولم يبعثِ اللَّهُ النَّبِيَّ لِلْهُدَى ولم يتطلَّعَ لِلْسَّرِيرِ أَمِيرُ
السريّر: العرش

ولم يَعشِقِ الْعَلِيَاءَ حُرٌّ ولم يَسُدْ كريمٌ ولم يَزُجْ الثَّرَاءُ فَقِيرُ
فكم في طريقِ الشَّرِّ خَيْرٌ وَنِعْمَةٌ وكم في طريقِ الطَّيِّبَاتِ شُرُورُ

٤٠ يا واور قل لي

إعانة ملجأ رعاية الأطفال، أنشدما في حفل بالأوبرا، فبراير/شباط (١٩١١):

صفحة البرق أَوْمَضَتْ في الغمام أم شهابٌ يَشْتُقُّ جوفَ الظلام؟
يصف القطار: أهو في سرعته كالبرق بين الغيوم، أم كالشهاب الساقط وسط الظلام؟

أَمْ سَلِيلُ الْبُخَارِ طَارَ إِلَى الْقَصْدِ بِدْفَاعِيَا سَوَابِقِ الْأَوْهَامِ؟
أم أن هذا هو سليل البخار، ابن البخار أي القطار، يطير نحو مقصده فيعجز سوابق الأوهام،
الخيال السابق عصره؟

مَرَّ كَاللَّمْجِ لَمْ تَكْدُ تَقِفُ الْعَيْدَ نُنْ عَلَى ظِلِّ جِزْمِهِ الْمُتْرَامِي
أَوْ كَشَرِخِ الشَّبَابِ لَمْ يَذَرْ كَاسِبَ هُوَ تَوَلَّى فِي يَقْظَةٍ أَوْ مَنَامِ
مر القطار سريعاً كعصر الشباب الباكر الذي يمر ويتقضي سريعاً فلا يدري كاسيه، أي صاحبه
المكتسي به، أذهب الشباب في اليقظة أم في الحلم

لَا يُبَالِي السُّرَى إِذَا اعْتَكَرَ اللَّيْلُ لَوْ وَخَانَتْ مَوَاقِعُ الْأَقْدَامِ
يَقْطَعُ الْبَيْدَ وَالْفَيَافِي وَحِيداً لَمْ تُضْعِضْهُ وَحْشَةُ الْإِظْلَامِ
البيد هي الفيافي هي الصحارى

لَيْسَ يَشْنِيهِ مَا يُذِيبُ دِمَاعَ الضُّدِّ بَّ يَوْمَ الْهَجِيرِ بَيْنَ الْمَوَامِي
ليس يشني القطار عن عزمه الحر الشديد، الذي تصورت العرب أنه يذيب دماغ الضب في الهجير،
القيظ، بين الموامي، أي الصحارى

لَا وَلَا يَعْتَرِيهِ مَا يُخْرِسُ النَّأْ بِحْ فِي الزَّمْهَرِيرِ بَيْنَ الْخِيَامِ
ولا يعتريه البرد الذي يجعل الكلب يخرس عن النباح بين خيام القوم في الزمهرير
هَائِمٌ كَالظَّلِيمِ أَزْعَجَهُ الصَّبُّ بَدُّ وَرَاعَتِهِ طَائِشَاتِ السَّهَامِ
الظليم: ذكر النعام

بَا حَدِيداً يَنْسَابُ فَوْقَ حَدِيدِ كَانَسِيَابِ الرَّقْطَاءِ فَوْقَ الرَّغَامِ
الرقطاء: الحبة المرقطة أي المنقطة، والرغام: التراب

قَدْ مَسَحَتْ الْبِلَادَ شَرْقاً وَغَرْباً: بِذِرَاعِي مُشَمَّرٍ مِقْدَامِ
بَيْنَ جَنْبَيْكَ مَا بِجَنْبِي لَكِنْ مَا بِجَنْبِي مُسْتَدِيمُ الضَّرَامِ
بين جنبيك أيها القطار حرارة من الرجل المشتعل كي ينتج البخار، وفي جنبي أنا لهيب. لكن
ضرام لهيب، اشتعاله، دائم

أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْفَرَامَ، وَإِنْ كُنْتُ سَتَ تُرِينَا زَفِيرَ أَهْلِ الْفَرَامِ
أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْحَنِينَ إِلَى الْإِلَهِ فَمَا هَذِهِ الدُّمُوعُ الْهَوَامِي
الهوامي: الهائلة.. يتحدث عن قطار يسير بالبخار

لَا تُبَالِي أَرْعَتَ بِالْبَيْنِ أَحَبَا بَأْ وَأَسْرَفْتَ فِي أَدَى الْمُسْتَهَامِ..
لَا تُبَالِي أَرْعَتَ، أَخَفْتُ، بالفراق أحباباً وأسرفت في إلحاق الأذى بالمستهام، العاشق الهائم..
أَمْ جَمَعْتَ الْأَعْدَاءَ فَوْقَ صَعِيدٍ وَخَلَطْتَ الْأَسْوَدَ بِالْآرَامِ
أم جمعت الأعداء داخلك على صعيد واحد، وخلطت الأسود، الرجال، بالآرام، بالنساء. سيقول
أحمد رامي بعد ثلاثين سنة من هذه القصيدة «يا وابور لُلي رايح على فين.. قربت غريب
وبعدت قريب/وجمعت حبيب على شمل حبيب» والوابور هو القطار، من كلمة «فيبر» ومعناها بخار

قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الزَّكَاةَ سَبِيلُ اللَّهِ هِ قَبْلَ الصَّلَاةِ قَبْلَ الصَّيَامِ
لَمْ أَقِفْ مَوْفِي لِأَنْشِدَ شِعْرًا صَبَّ فِي قَالِبٍ بَدِيعِ النَّظَامِ
إِنَّمَا قُمْتُ فِيهِ وَالنَّفْسُ نَشْوَى مِنْ كُؤُوسِ الْهُمُومِ، وَالْقَلْبُ دَامِ
ذُقْتُ طَعْمَ الْأَسَى وَكَابَدْتُ عِشَاءً دُونَ شُرْبِي قَذَاهُ شُرْبِ الْجِمَامِ
ذقت عيشة أخف من قذاها، شوائبها ووسخها، الموت نفسه

فَتَقَلَّبْتُ فِي الشَّقَاءِ زَمَانًا وَتَنَقَّلْتُ فِي الْخُطُوبِ الْجِسَامِ
وَمَشَى الْهَمُّ ثَاقِبًا فِي فُؤَادِي وَمَشَى الْحُزْنُ نَاحِرًا فِي عِظَامِي
ثَاقِبًا: مشتعلًا

فَلِهَذَا وَقَفْتُ أَسْتَعِطِفُ النَّأَا سَ عَلَى الْبَائِسِينَ فِي كُلِّ عَامِ

٤١ رثاء المرتاب

رثاء الدكتور شبلي شميل، أنشأها في فبراير/شباط (١٩١١):

سَكَنَ الْفِيلَسُوفُ بَعْدَ اضْطِرَابِ إِنَّ ذَاكَ السَّكُونُ فَضْلُ الْخُطَابِ
حُزْنَ الْعِلْمِ يَوْمَ مُتَّ، وَلَكِنْ أَمِنْ الدِّينِ صَبِيحَةَ الْمُرْتَابِ
بموتك حزن العلم، واطمأن الدين من صبيحة رجل مرتاب في الدين هو أنت

كَنْتُ تَبْغِي بَرْدَ الْيَقِينِ عَلَى الْأَرِّ ضِي وَتَسْعَى وَرَاءَ لُبِّ اللَّبَابِ
حاولت معرفة حقيقة الإنسان وخلقه وأنت بعد على الأرض حياً.. وهذا شيء قد يعرفه المرء بعد
موته

فاسترخ أبها المجاهدُ واهداً قد بلغت المرادَ تحتَ الترابِ

هذا عزاؤنا كلنا . . فبعد الموت سنعرف حقيقة الحكاية

وعرفت اليقينَ وانبلجَ الحقُّ - لعينيك ساطعاً كالشهابِ
ليت شعري وقد قضيتَ حياةَ - بين شكٍّ وحيرةٍ وارتبابِ . .
هل أذاك اليقينُ من طُرقِ الشكِّ - فشكُّ الحكيمِ بذءِ الصوابِ؟
لم يكنْ ملجداً ولكنْ تصدَّى - لشؤونِ المهيمينِ الوهابِ
رامَ إدراكِ كُنهٍ ما أعجزَ النا - من قديماً، فلم يَفزْ بالطلابِ
إيه شيلي! قد أكثرَ الناسُ فيكَ الد - قولَ حتى تفجئوا في عتابي
قيل: ترثي ذاك الذي ينكرُ النُو - رَ ولا يهتدي بهذي الكتابِ؟
قلت: كُفوا فإنما قمْتُ أرثي - منه خللاً أُمسى طويلَ الغيابِ
أنا واللّه لا أحابيه في القو - لي فقد كانَ صاحبي لا يُحابي
أنا أرثي شمائلًا منه عندي - كُنَّ أحلى من الشهادِ المذابِ
أرثي شمائلًا منه، أي أخلاقاً، عندي كُنَّ، أي كُنَّ بالنسبة لي، أحلى من الشهاد، جمع شهد
كان حُرَّ الآراءِ لا يعرفُ الحثَّ - لَ ولا يستبيعُ غيبَ الصُحابِ
الختل: الخداع

مُفضلاً محسناً على العسرِ واليسر - ر، جميعَ الفؤادِ رَحَبَ الجَنابِ
كان جميعَ الفؤاد: شجاعاً، كان رَحَبَ الجَناب: واسع الصدر كريماً

كان في الوُدِّ موضعَ الثقةِ الكب - رى، وفي العلمِ موضعَ الإعجابِ
نُكِبَ الطبُّ فيه يومَ تَوَلَّى - وأصيبتْ رَوَائِعُ الآدابِ

٤٢ فراش العاشق

من قصيدة مدح في الخديوي عباس حلمي (١٩١١):

أشكو لذاتِ الخالِ ما صَنَعْتَ بِنَا - تلكَ العيونُ وما جَنَاهُ المِعْصَمُ
لو تَنظُرِينَ إليه في جوفِ الدُّجَى - مَتَمَلِّمًا مِن هَوولِ ما يَتَجَسَّمُ
يَمشي إلى كَنَفِ الفراشِ مُحاذِراً - وَجِلاً يُؤَخِّرُ رِجلَهُ وَيُقَدِّمُ
يَرمي الفراشَ بِناظِرِيهِ وَيَنشَنِي - جَزَعًا وَيُقَدِّمُ بَعْدَ ذاكُ وَيُحْجِمُ

يخشى العاشق دخول فراشه لأنه لن يستطيع النوم، وسيتقلب متألماً من عشقه

رُشِقَتْ بِهِ فِي كُلِّ جَنْبٍ مُذْبِيَّةٌ وَاَنْسَابَ فِيهِ بِكُلِّ رُكْنٍ أَرْقَمُ
فَكَانَ فِي كُلِّ جَنْبٍ فَرَاثُهُ مَدَى، سَكَكَيْنِ، وَقَدْ اَنْسَابَ فِي كُلِّ رُكْنٍ مِنْ أَرْقَمٍ، نَعْبَانِ

فَكَأَنَّهُ فِي هَوْلِهِ وَسَعِيرِهِ وَإِذَا قَدْ أَطْلَعَتْ عَلَيْهِ جَهَنَّمُ
هَذَا وَحَقِّكَ بَعْضُ مَا كَابَدْتُهُ مِنْ نَاطِرِيكَ، وَمَا كَتَمْتُكَ أَعْظَمُ
أَضَعْتُ إِلَى قَوْلِ الْوُشَاةِ فَأَسْرَفْتُ فِي هَجْرِهَا وَجَنْتُ عَلَيَّ وَأَجْرُمُوا
حَتَّى إِذَا يُؤَسَّسَ الطَّبِيبُ وَجَاءَهَا أَنِّي تَلِيفْتُ تَنَدَّمْتُ وَتَنَدَّمُوا

٤٣ المتصدي للخديوي

رثاء مصطفى رياض، رئيس وزراء مصر في ثلاث حكومات، وأنشدها في حفل الأربعين
يوليو/تموز (١٩١١):

وَقَفْتُ لِإِسْمَاعِيلَ وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ وَفِي كَفِّهِ سَيْفٌ مِنَ الْبَطْنِ يَلْمَعُ
كَانَ رِيَاضُ بَاشَا نَائِبَ رَئِيسِ لَجْنَةِ التَّحْقِيقِ فِي الْوَضْعِ الْمَالِي لِمِصْرَ فِي أَوَاخِرِ عَهْدِ الْخَدِيوِيِّ
إِسْمَاعِيلَ، وَرَغْمَ أَنَّهُ صَنِيعَةُ إِسْمَاعِيلَ فَقَدْ أَدَّى دَوْرَهُ بِأَمَانَةٍ مِمَّا أَرَعَجَ الْخَدِيوِيُّ، لَكِنْ الْإِنْجِلِيزِ
وَالْفَرَنْسِيِّينَ دَعَمُوا رِيَاضًا. وَبَعْدَ ذَلِكَ بَسَنَةِ وَبَعْضِ السَّنَةِ تَوَلَّى رِيَاضُ رِثَاةَ أَوَّلِ حُكُومَةٍ فِي عَهْدِ
الْخَدِيوِيِّ تَوَفَّقَ بَعْدَ عَزْلِ إِسْمَاعِيلَ

إِذَا صَاحَ لَبَّاءُ الْقَضَاءِ وَأَسْرَعْتُ إِلَى بَابِهِ الْأَيَّامُ، وَالنَّاسُ خُشَّعُ
كَأَنَّ الْقَضَاءَ وَالْقَدْرَ كَانَا فِي خِدْمَةِ إِسْمَاعِيلَ

فَمَا أَغْلَبَ شَاكِي الْعَزِيمَةِ أَرْوَعُ يُصَارِعُهُ فِي الْغَابِ أَغْلَبُ أَرْوَعُ..
فَلَيْسَ الْأَغْلَبُ، أَيُّ الْأَسَدِ، الشَّاكِي الْعَزِيمَةِ، الْمُسْلِحَ بِجَوَارِثِهِ وَعِزْمِهِ، الْأَرْوَعُ، الشَّجَاعُ، الَّذِي
يُصَارِعُ مِثْلَهُ فِي الْغَابَةِ..

بِأَجْرٍ مِنْ ذَاكَ الْوَزِيرِ مَصَادِمًا إِرَادَةُ إِسْمَاعِيلَ وَالْمَوْتُ يَسْمَعُ
لَيْسَ بِأَجْرٍ مِنْ هَذَا الْوَزِيرِ وَهُوَ يَصَادِمُ الْخَدِيوِيَّ إِسْمَاعِيلَ، وَهُوَ يَسْمَعُ صَوْتَ الْمَوْتِ يَتَهَدَّدُ

وَأَرْهَبْتُ حُكَّامَ الْأَقَالِيمِ فَارْعَوْا وَكَانُوا أَنْاسًا فِي الْجَهَالَةِ أَوْضَعُوا
أَرْهَبْتُ حُكَّامَ الْأَقَالِيمِ فَارْعَوْا، كَفُّوا عَنْ غِيهِمْ، وَكَانُوا قَدْ أَوْضَعُوا، أَسْرَعُوا، فِي طَرِيقِ الْجَهَالَةِ،
الضَّلَالِ

فَخَافُوكَ حَتَّى لَوْ تَنَاجَوْا بِنَجْوَةٍ لَخَالُوا رِيَاضًا فَوْقَهُمْ يَتَسَمَّعُ
تَنَاجَوْا: تَهَامَسُوا

أَقَمْتُ عَلَيْهِمْ زَاجِرًا مِنْ نَفْسِهِمْ إِذَا سَوَّلَتْ أَمْرًا لَهُمْ قَامَ بَرْدَعُ

٤٤ اعتذار عن التخلف

اعتذار إلى أحمد شوقي، عن عدم حضور زواج ابنته، نشرت في يناير/كانون الثاني (١٩١٣):

قد عاقَنِي سَوْءُ حَظِّي عن حَفَلَةِ الْمِهْرَجَانِ
وقد كَفَانِي عِقَاباً ما كَانَ مِنْ حِرْمَانِي
إِنْ قَاتَنِي أَنْ أَوْفِي بِالْأَمْسِ حَقَّ التَّهَانِي
فَأَقْبَلُهُ مِنِّي قَضَاءً وَكُنْ كَرِيمَ الْجَنَانِ

الجنان: القلب

وَاللَّهُ يَقْبَلُ مِنَّا الصَّـ لَاءَ بِمَعْدِ الْأَوَانِ

٤٥ القُعود

من محاوره بين حافظ و خليل مطران في حفل أقامته جمعية رعاية الطفل بالأوبرا:
نشرت في مارس/آذار (١٩١٣):

قَعَدْتُ شُعُوبَ الشَّرْقِ عَنْ كَسْبِ الْمَحَامِدِ وَالْمَفَاخِرِ
فَوَلَّتْ وَفِي شَرِّعِ التَّنَا حُرْمَنْ وَنَى لَا شَكَّ خَاسِرِ
ونت: نوانت وكسكت

تَمْشِي الشُّعُوبُ لِقَصْدِهَا قُدُماً وَشُعْبُ النَّيْلِ آخِرِ

٤٦ رثاء متأخر

(١٩١٤):

مَلِلْتُ وَقُوفِي بَيْنَكُمْ مُتَلَهِّفَاً عَلَى رَاحِلِ فَارَقْتُهُ فَشَجَانِي
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْضَعُ الْحُزْنَ بَضْعَةً مِنَ الْقَلْبِ؟ إِنِّي قَدْ فَقَدْتُ جَنَانِي
يبضع بضعة: يقطع قطعة، والجنان هو القلب

كَفَانِي مَا لُقِّيتُ مِنْ لَوْعَةِ الْأَسَى، وَمَا نَابَنِي يَوْمَ الْإِمَامِ كَفَانِي
كفاني ذلك الحزن على الإمام محمد عبده

تَفَرَّقَ أَحِبَابِي وَأَهْلِي، وَأَخَّرْتُ يَدُ اللَّهِ يَوْمِي فَاَنْتَظَرْتُ أَوَانِي

وفي ذمّتي ليليازجيّ وديعةً وأخرى ليزيدان وقد سبّقاني
في ذمّتي وديعة، أمانة، برّاء إبراهيم اليازجي وتوفي قبل القصيدة بثمانين سنين، وأخرى برّاء
جرجي زيدان، وقد سبقاني للقبر. . . وهل ترانا يا حافظ سنظن أنك سبقتهما؟

فيا ليت شعري ما يقولان في الثرى إذا التّقيا يوماً وقد ذكّراني
وقد رمّيا بالطّرف بين جموعكم ولم يشهدا في المشهدين مكاني
أيجملُ بي هذا العقوق، وإنّما على غير هذا العهد قد عرّفاني
دعائي وفائي يوم ذاك فلم أكن ضنيناً ولكنّ القريض عَصاني

٤٧ شعرنا وشعرهم

تحية إلى واصف غالي، وقد نشر ترجمة لقصائد من الشعر العربي القديم إلى
الفرنسية، يونيو/حزيران (١٩١٤):

غرست من زهراي الشرق طائفةً في أرض هيجو فجاءت طرفة الجاني
غرست من زهراي الشعر العربي مجموعة في أرض هيجو، فرنسا، فكانت شيئاً طريفاً، غريباً،
لمن يجني هذه الزهراي أي لمن يقرأ هذه الأشعار

أسمعتهم من نسيب القوم فانطلقت شؤون كل شجي القلب ولهان
انطلقت شؤون كل شجي القلب: اندفعت الدموع من عينه، «فالشؤون» مجاري الدمع في العيون

وزدّتهم من كلام البحري قطعاً مثل الرياض كسّتها كف نيسان
سلّ ألفريد ولامرتين هل جربا مع الوليد أو الطائي بميدان
ألفريد دي موسيه، ولامرتين من شعراء فرنسا، والوليد هو البحري، والطائي هو أبو تمام

ما لي أفاخرُ بالموثى وبين يدي من شعر أحيائنا ما ليس بالفاني
في شعر شوقي وصبري ما نتيه به على نوابغهم، دغ شعر مظران
أي ناهيك بشعر مظران

٤٨ فلهم القصاب

إلى فلهم الثاني إمبراطور ألمانيا وقد بدأت الحرب العالمية الأولى، نشرت في يناير/
كانون الثاني (١٩١٥):

لا تحسبن الفخر ما أحرزته الفخر بالذكر الجميل رهين
هل شدت في برلين غير معسكر قامت عليه معاقل وحصون

وَجَمَعْتَ شَعْبَكَ كُلَّهُ فِي قَبْضَةٍ إِنَّ لَمْ تَكُنْ لَأَنْتَ فَسُوفَ تَلِينُ
نَظَّمْتَ تِجَارَتُكَ الْمَدَائِنَ وَالْقُرَى فَالْنَيْلُ نَاءٌ بِهَا وَنَاءُ السَّيْنِ
النشاط التجاري الألماني انتشر في كل مكان، وناء به، تضرر من ثقله، الناس في مصر وفي
فرنسا . . والسين نهر باريس

فِي كُلِّ أَرْضٍ مِنْ رِجَالِكَ غُضْبَةٌ وَبِكُلِّ بَحْرٍ مِنْ لَدُنْكَ سَفِينُ
فَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالْمُهَنْدُ مُغَمَّدُ وَالنَّهْيُ نَهْيُكَ وَالسَّرَى مَأْمُونُ
كان الأمر والنهي لك قبل الحرب، وكانت الطرق آمنة والسرى، سير الليل، آمناً. وكان للألمان
مع الدولة العثمانية عهود وتجارات وإنشاءات

فَعَلَامَ أَرَهَفْتَ الْوَرَى وَأَثَرَتَهَا شَعْوَاءَ فِيهَا لِلْهَلَاكِ فَنُونُ؟
تَاللَّهِ لَوْ نُصِرْتَ جِيوشُكَ لَانْطَوَى أَجَلَ السَّلَامِ وَأَقْفَرَ الْمَسْكُونُ
سَبْعُونَ مِليوناً إِذَا وَزَعَتْهَا بَيْنَ الْحَوَاضِرِ نَالِنَا مِليونُ
لو انتصرت فسوف يقفر المسكون، أي العالم، وستوزع السبعون مليون ألماني على الدنيا،
وسيكون نصيب مصر منهم مليوناً. مع بدء الحرب العالمية الأولى كان عدد سكان ألمانيا ٦٨
مليوناً، وسكان مصر عشرة ملايين. اليوم في مطلع ٢٠١٧: ألمانيا: ٨٠، ومصر ٩٢ مليوناً

أَكْثَرْتَ مِنْ ذِكْرِ الْإِلَهِ تَوَرَّعاً وَزَعَمْتَ أَنَّكَ مُرْسَلٌ وَأَمِينُ
عَجَباً أَتَذْكُرُهُ وَتَمَلُّ كَوْنَهُ وَيَلَا، لِيَنْعَمَ شَعْبُكَ الْمَغْبُونُ
وَكَذَلِكَ الْقَصَابُ يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالنَّصْلُ فِي عُتْقِ الذَّبِيحِ دَفِينُ

٤٩ لا مثيل للإنجليز!

تهنئة السلطان حسين كامل بالسلطنة، يناير/ كانون الثاني (١٩١٥):

هَنِيئاً أَيُّهَا الْمَلِكُ الْأَجَلُ لَكَ الْعَرْشُ الْجَدِيدُ وَمَا يُظِلُّ
العرش الجديد: عرش مصر الذي أصبح صاحبه الآن سلطاناً لا مجرد خديوي، فدخل تركيا
الحرب العالمية الأولى مع المحور ضد بريطانيا جعل بريطانيا تلغي تبعية مصر لإستانبول، وتعزل
الخديوي عباساً وتولي حسين كامل العرش باسم «السلطان»، مضاهاة للقب «السلطان» العثماني.
فله العرش وله ما يظله هذا العرش، وهو يظل أرض مصر

وَجَدُّ سِيرَةِ الْعُمَرَيْنِ فِينَا فَإِنَّكَ بَيْنَنَا لِلْهُ ظِلُّ
العرمان: أبو بكر وعمر

فِعِشْ لِلْنَيْلِ سُلْطَاناً أَبِيّاً لَهُ فِي مُلْكِهِ عَقْدٌ وَحَلُّ

وَوَالِ الْقَوْمَ إِنَّهُمْ كِرَامٌ مَيَامِينُ النَّقِيبَةِ أَيْنَ حَلُّوا
 ينصحه بموالاة الإنجليز فهم ميامين النقية، كرام الطباع، ولهم في كل بلد يحلون مآثر. السلطان
 لم يكن بحاجة للتصيحة فالإنجليز هم الذين ولوه العرش، وأما أنهم كرام ففي هذا نظر
 لَهُمْ مُلْكٌ عَلَى التَّامِيزِ أَضَحَتْ ذُرَاهُ عَلَى الْمَعَالِي تَسْتَهْلُ
 ملكهم على نهر التمز، نهر لندن، ذراه، قمم تستهل، وتظهر، على المعالي
 فَإِنْ صَادَقْتَهُمْ صَدَقُوكَ وَدَا وَلَيْسَ لَهُمْ، إِذَا فَتَشْتَ، مِثْلُ
 وَإِنْ نَادَيْتَهُمْ لَبَّاكَ مِنْهُمْ أَسَاطِيلُ وَأَسِيفٌ تُسَلُّ

٥٠ شكسبير

في ذكرى ثلاثمئة عام على وفاة شكسبير، نشرت في مارس/ آذار (١٩١٦):

يُحْيِيكَ مِنْ أَرْضِ الْكِنَانَةِ شَاعِرٌ شَغُوفٌ يَقُولُ الْعَبْقَرِيِّينَ مُغْرَمٌ
 نظرت بعين الغيب في كل أمة وفي كل عصر ثم أنشأت تحكّم
 فلم تخطئ المرمى، ولا غرّو أن دنت لك الغاية القُصوى، فإنك مُلهمٌ
 أفتق ساعةً وانظر إلى الخلق نظرةً تجدهم وإن راقِ الطلاء هم هم
 فلبتكَ تحيا يا أبا الشعر ساعةً لينتظر ما يُضمي ويُدْمي ويؤلم

بصبي: يصب إصابة قاتلة

وقائع حربٍ أجاجٍ العلم نازها فكادَ بها عهدُ الحضارة يُختم

الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨

وَتَعْلَمَ أَنَّ الطَّبَعَ مَا زَالَ غَالِبًا سِوَاءَ جَهْوِ الْقَوْمِ وَالْمَتَعْلَمِ
 ولوعٌ بتصويرِ الطَّبَاعِ فلم يجزُ بعاطفةٍ إلا حَسْبُنَاهُ يَرْسُمُ
 لشكسبير ولع بتصوير طباع البشر فلم يجز، يمر، بعاطفة إلا وصفها كأنه يرسمها رسماً

وَقَالُوا تَحَدَّانَا بِمَا يُعْجِزُ النِّهَى فَلَسْنَا إِذْ أَنْارَهُ نَتَرَسَّمُ

قال بعضهم: لن نرسم آثار شكسبير، ولن نحاكبه، لأنه تحدانا بما يعجز النهى، العقول

وَلَمْ يَتَحَدَّ النَّاسَ لَكِنَّهُ أَمْرُو بِمَا كَانَ فِي مَقْدُورِهِ يَتَكَلَّمُ

لئن كان في ضخم الأساطيل فخركم لفخركم بالشاعر الفرد أعظم

أيها الإنجليز فخركم بشكسبير أعظم من فخركم بأساطيلكم الضخمة. لو عاش حافظ
 حتى عام ١٩٤٥ لراى بريطانيا تسلم قوتها البحرية للولايات المتحدة بكل هدوء ضمن
 خطة «الإعارة والإيجار» الأميركية. في هذا العام ٢٠١٦ - وأنا أكتب في اليوم قبل

الأخير من أيامه - احتفل العالم بالذكرى الأربعمئة على وفاة شكسبير . يبدو أن الرجل خالد فعلاً رغم ما رماه به تولستوي من نقد جارف ماحق، وأديب روسيا الكبير قرأ شكسبير بالإنجليزية وبالروسية ولم يجد فيه عظمة، ونال من الإنجليزي جورج أورويل ما يستحق من رد. وحافظ إبراهيم لم يقرأ شكسبير لا بالروسية ولا بالإنجليزية، ولكنه اطلع على بعض مسرحياته من ترجمات صديقه مطران عن الفرنسية. وللأمانة أقول إنني قرأت عدداً من مسرحيات شكسبير في بداية سن الشباب في ترجمات مطران، وعندما قرأت بعضها بلغتها لم أجد فيها شيئاً مختلفاً، ولا ألوم نفسي، بل أتذكر آدم متز. فهذا المستشرق الألماني كتب كتاباً كبيراً عن الحضارة العربية استند فيه إلى عشرات المخطوطات والكتب القديمة التي حرثها حراثته وأظهر في كتابه معرفة عميقة باللغة العربية في شتى عصورها، آدم متز هذا عندما بدأ يتكلم عن الشعر العربي منح المتنبي فقرة صغيرة ونبذه ظهرياً واستخف بأبي فراس الحمداني استخفافاً، ثم رأته منح الصنوبري صفحات عدة ومدحه كثيراً! وجدته لا يحس بما في الشعر من تيار خفي يتجاوز المعنى الظاهر. ولو عاش متز لسمع نصيح الفرنسي بلاشير في الصفحات الأخيرة من كتابه عن المتنبي لشاب إلى الرشد: لقد أقر بلاشير، وهو من خير من يفهم العربية بين كل المستشرقين، بأن الإحساس بالشعر هو شغل أبناء اللغة الأصليين، خيراً قال

٥١ بين شوقي وحافظ

نشرت القطعتان عام (١٩١٧) كتب شوقي من منفاه بإسبانيا:

يا سَاكِنِي مِصرَ إِنَّا لَا نَزَالُ عَلَى عهدِ الوفاءِ - وَإِنْ غَبْنَا - مُقِيمِينَا
هَلَّا بَعَثْتُمْ لَنَا مِنْ مَاءٍ نَهْرِكُمْ شيئاً نُبَلُّ بِهِ أَحْشَاءَ صَادِينَا

صادينا: عطشاننا

كُلُّ الْمَنَاهِلِ بَعْدَ النِّيلِ آسِنَةٌ مَا أَبْعَدَ النِّيلَ إِلَّا عَنْ أَمَانِينَا

آسنة: راكدة فاسدة

فأجابه حافظ:

عَجِبْتُ لِلنِّيلِ يَدْرِي أَنْ بُلْبُلُهُ صَادٍ وَيَسْقِي رُبَا مِصرٍ وَيَسْقِينَا
وَاللَّهُ مَا طَابَ لِلْأَصْحَابِ مَوْرَدُهُ وَلَا ارْتَضَوْا بَعْدَكُمْ مِنْ عَيْشِهِمْ لِينَا
لَمْ تَنَأَ عَنْهُ وَإِنْ فَارَقْتُ شَاطِئَهُ وَقَدْ نَأَيْنَا وَإِنْ كُنَّا مُقِيمِينَا

٥٢ أيا صوفيا

قالها في أعقاب الحرب العالمية الأولى وقد خيف أن تحتل دول الغرب إستانبول، وتعود آيا صوفيا كنيسة، ونشرت في (١٩٣٢):

أَيَا صُوفِيَا حَانَ التَّفَرُّقُ فَادْكُرِي عهدَ كرامٍ فَيْكِ صَلَّوْا وَسَلَّمُوا

نفذ حافظ يديه من إستانبول وظن دول الغرب ستمتلئها وتحول المعلم المشهور إلى كنيسة مثلما كان

فلا تُنْكِرِيْ عَهْدَ الْمَادِنِ إِنَّهُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عَهْدِ النَّوَاقِسِ أَكْرَمُ
 وَكَيْفَ يَذُلُّ الْمَسْلُومُونَ وَبَيْنَهُمْ كِتَابُكَ يُتْلَى كُلَّ يَوْمٍ وَيُكْرَمُ؟
 نَبِيُّكَ مَحْزُونٌ وَبَيْتُكَ مُطْرِقٌ حَيَاءٌ وَأَنْصَارُ الْحَقِيقَةِ نُومٌ
 عَصَيْنَا وَخَالَفْنَا فَعَاقَبْتَ عَادِلًا وَحَكَّمْتَ فِينَا الْيَوْمَ مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُ

في كل العصور، عند المسلمين والمسيحيين وعند كل الناس في كل الأزمان، تتردد بعد الهزيمة عبارة: «عصينا الله فهذا عقاب منه»، وهي عبارة المغلوبين المتواكلين المهملين اللاعقلانيين الكسالى الذين يلقون باللوم في هزيمتهم على الآلهة بينما المسؤول عنها حضراتهم

٥٣ حياء السلطان المعطاء

رثاء السلطان حسين كامل، نشرت في نوفمبر/ تشرين الثاني (١٩١٧):

دُكَّ مَا بَيْنَ صَخَوَةٍ وَعَشِيٍّ شَامِخٌ مِنْ صُرُوحِ آلِ عَلِيٍّ
 انهدم صرح شامخ من صروح آل «محمد علي» مؤسس الدولة، وهذا الصرح هو السلطان حسين كامل

حَسَنَ الْخُطْبُ فَيْكَ أَلْسِنَةُ الْقَوَى لِي، وَأَعْيَا قَرِيبَةَ الْعَبَقَرِيِّ
 وَإِذَا جَلَّتِ الْخُطُوبُ وَطَمَّتْ أَعْجَزْتُ فِي الْقَرِيضِ طَوْقَ الرَّوِيِّ
 لَهْفَ نَفْسِي عَلَى انْبِسَاطِكَ لِلضَّيْبِ فِيفَ وَذِبَالِكَ الْحَدِيثِ الشَّهِيِّ
 وكان السلطان يقرب حافظاً قبل تولي السلطنة وبعده

يَحْسَبُ الدَّارَ دَارَهُ وَهُوَ يَمْشِي فَوْقَ زَاهِيٍّ بِسَاطِكَ الْأَحْمَدِيِّ
 الضيف يحسب دارك داره، وأنت تبسط له البساط الأحمدي، أي تعامله بأريحية (وأصل العبارة بساط كان للسيد أحمد البدوي وكان كلما قعد ناس عليه اتسع)

خُلِقْتُ مِثْلَمَا نَشَقَّتْ أَرِيحَ الزَّيْ- هَرِ جَادَتْهُ زُورَةُ الْوَسْمِيِّ
 أخلاقك كانت كرائحة الزهر وقد جادته، أمطرته، مطرة الوسمي، وهي أول مطر الربيع
 وَاهْتِزَّازُ لِلْعُرْفِ مِثْلُ اهْتِزَّازِ السَّ- يِفِ فِي قَبْضَةِ الشَّجَاعِ الْكَمِيِّ
 الكمي: المسلح

وَحَيَاءٌ عِنْدَ الْعَطِيَّةِ يَنْفِي خَجَلَ السَّائِلِ الْكَرِيمِ الْأَبِيِّ
 رَحِمَ اللَّهُ يَا حُسَيْنُ خِلَالًا فَيْكَ لَمْ يَجْتَمِعْنَ فِي نَفْسٍ حَيٍّ

٥٤ العُمَرِيَّة

أَلْقَيْتَ فِي مَدْرَجِ وَزَارَةِ الْمَعَارِفِ مَسَاءَ الْجُمُعَةِ ٨ فَبْرَايِر/شِبَاط (١٩١٨):

حَسَبُ الْقَوَافِي وَحَسْبِي حِينَ أَلْقَيْهَا أَتَنِي إِلَى سَاحَةِ الْفَارُوقِ أَهْدِيهَا
حَسَبُ الْقَوَافِي، يَكْفِيهَا، شَرَفًا أَنَّهَا فِي الْفَارُوقِ

مَوْلَى الْمُغِيرَةِ، لَا جَادَتُكَ عَادِيَّةً مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مَا جَادَتْ غَوَادِيهَا
يَا مَوْلَى الْمُغِيرَةِ، يَا أَبَا لَوْلُؤَةَ قَاتِلَ عَمْرٍ، لَا جَادَتُكَ غَادِيَّةً، لَا أَمْطَرَتُكَ سَحَابَةً، مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مَا
ظَلَّتْ رَحْمَةُ اللَّهِ تَجُودُ بِالسَّحَابِ عَلَى الْبَشَرِ

طَعَنْتَ خَاصِرَةَ الْفَارُوقِ مُنْتَقِمًا مِنْ الْحَنِيفَةِ فِي أَعْلَى مَجَالِيهَا
الْحَنِيفَةُ: الدِّينُ الْحَنِيفُ، مَجَالِيهَا: تَجْلِيَاتُهَا، فَالْخَلِيفَةُ هُوَ مِثْلُ الدِّينِ الْحَنِيفِ وَرَأْسُهُ

فَأَصْبَحْتُ دَوْلَةَ الْإِسْلَامِ حَائِرَةً تَشْكُو الْوَجِيعَةَ لَمَّا مَاتَ أَسِيهَا
الْوَجِيعَةُ: الْمَصِيبَةُ، أَسِيهَا: طَبِيبُهَا

وَاللَّهُ مَا غَالَهَا قَدْماً وَكَادَ لَهَا وَاجْتَتْ دَوْحَتَهَا إِلَّا مَوَالِيهَا
مَا اغْتَالَ الدِّينَ مِنْذُ الْقَدَمِ وَاجْتَتْ دَوْحَتَهُ، قَطَعَ شَجَرَتَهُ، إِلَّا الْمَوَالِي مِنْ غَيْرِ الْعَرَبِ

لَوْ أَنَّهَا فِي صَمِيمِ الْعُرْبِ قَدْ بَقِيَتْ لَمَّا نَعَاهَا عَلَى الْأَيَّامِ نَاعِيهَا
يَا لَيْتَهُمْ سَمِعُوا مَا قَالَهُ عُمَرُ وَالرُّوحُ قَدْ بَلَغَتْ مِنْهُ تَرَاقِيهَا
التَّرَاقِي: عِظَامُ أَعْلَى الصَّدْرِ

لَا تُكْثِرُوا مِنْ مَوَالِيكُمْ فَإِنَّ لَهُمْ مَطَامِعاً بِسَمَاتِ الضَّعْفِ تُخْفِيهَا
رَأَيْتُ فِي الدِّينِ آراءَ مُوَفَّقَةً فَأَنْزَلَ اللَّهُ قُرْآنًا يُزَكِّيهَا
كَانَتْ لِعَمْرِ آراءُ عِدَّةٍ وَافَقَهَا الْقُرْآنُ مِنْ بَعْدِ وَزَكَاهَا، أَفْرَمَهَا

سَمِعْتُ سُورَةَ طهَ مِنْ مُرْتَلِّهَا فَرُلُزِلَتْ نِيَّةٌ قَدْ كُنْتَ تَنْوِيهَا
سَمِعْتُ عَمْرَ سُورَةَ طهَ فَعَدَلَ عَنْ نِيَّتِهِ إِيقَاعَ الْأَذَى بِالْمُسْلِمِينَ، وَأَسْلَمَ

وَيَوْمَ أَسْلَمْتَ عَزَّ الْحَقُّ وَارْتَفَعْتُ عَنْ كَاهِلِ الدِّينِ أَثْقَالَ يُعَانِيهَا
وَمَوْقِفٍ لَكَ بَعْدَ الْمَصْطَفَى افْتَرَقْتُ فِيهِ الصَّحَابَةُ لَمَّا غَابَ هَادِيهَا
لَمَّا غَابَ الْهَادِي، الرَّسُولُ، افْتَرَقَ الصَّحَابَةُ بَيْنَ أَنْصَارٍ وَمُهَاجِرِينَ، وَكَانَ لِعَمْرِ مَوْقِفُ الْفَيْصَلِ

بَابِيعَتَ فِيهِ أَبَا بَكْرٍ فَبَايَعَهُ عَلَى الْخِلَافَةِ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا

وأُطْفِئَتْ فَتْنَةٌ لَوْلَاكَ لاسْتَعَرْتُ بين القبائل، وانسابت أفاعيها
فَلَيْلَسَّقِيفَةً يَوْمَ أَنْتَ صَاحِبُهُ فيه الخلافةُ قد شِيدَتْ أوَاسِيها
في سقيفة بني ساعدة كان ثمة يوم، يوم مشهود بطله عمر، وفيه شيدت وبنيت أواسي الخلافة،
دعائهما، جمع آسية

وقَوْلُهُ لِعَلِيِّ قَالَهَا عَمْرٌ أَكْرِمَ بِسَامِعِهَا أَعْظَمَ بِمُلْقِيهَا!
«حَرَقْتُ دَارَكَ لَا أَبْقِي عَلَيْكَ بِهَا إن لم تبايع»، وبنّت المصطفى فيها
ما كان غيرَ أَبِي حَفْصٍ يَفْؤُهُ بِهَا أَمَامَ فَارَسِ عَدْنَانَ وَحَامِيها
أبو حفص: عمر، فارس عدنان: علي بن أبي طالب

سَلْ قَاهِرَ الْفَرَسِ وَالرُّومَانِ هَلْ شَقَعْتُ له الفتوحُ وهل أَغْنَى تَوَالِيها
قاهر الفرس والروم: خالد بن الوليد

مَا وَقَعَ الرُّومَ إِلَّا فَرَّ قَارِحُهَا ولا رمى الفُرسَ إِلَّا طَائِشَ رَامِيها
قارحها: كبيرها المجرب

وَلَمْ يَجْزُ بِلَدَّةٍ إِلَّا سَمِعَتْ بِهَا «اللَّهُ أَكْبَرُ» تَذْوِي فِي نَوَاحِيها
لم يجز بلدة: لم يمر بها

أَنَاءُ أَمْرٍ أَبِي حَفْصٍ فَقَبْلَهُ كَمَا يُقْبَلُ آيَ اللَّهِ تَالِيها
أتى أمر أبي حفص، عمر، لخالد بالعزل، فقبل الكتاب وعزل نفسه

وَاسْتَقْبَلَ الْعَزْلَ فِي إِبَّانٍ سَطَوْتِهِ ومجْدِهِ مُسْتَرِيحَ النَّفْسِ هَادِيها
إِنَّ الَّذِي بَرَأَ الْفَارُوقَ نَزَّهَهُ عَنِ النَّقَائِصِ وَالْأَغْرَاضِ تَنْزِيها
قبل إن لعمر غرضاً من عزل خالد، هو الحد لمكانته أو الحقد عليه لخصومة قديمة، ولكن
شاعرنا ينزه عمر عن النقائص والأغراض

وَرَاغَ صَاحِبَ كَسْرَى أَنْ رَأَى عُمَرَاً بَيْنَ الرَّعِيَّةِ عُطْلاً وَهُوَ رَاعِيها
رسول كسرى ريع، تعجب ودهش، لما رأى عمر عطلاً، معطلاً من الحراسة، يمشي بين الرعية

وَعَهْدُهُ بِمَلُوكِ الْفَرَسِ أَنَّ لَهَا سُوراً مِنَ الْجُنْدِ وَالْأَحْرَاسِ يَحْمِيها
رَأَةً مُسْتَفْرِقاً فِي نَوْمِهِ فَرَأَى فِيهِ الْجَلَالََةَ فِي أَسْمَى مَعَانِيها
فَهَانَ فِي عَيْنِهِ مَا كَانَ يُكْبِرُهُ مِنَ الْأَكَاسِرِ وَالْدُنْيَا بِأَيْدِيها
هان في عيني رسول كسرى ما كان يعظمه، ويبجله، من أكاسرة الفرس وهي الملوك التي تملك الدنيا

وَقَالَ قَوْلَهُ حَقٌّ أَصْبَحْتُ مَثَلًا
أَمِنْتُ لَمَّا أَقَمْتُ الْعَدَلَ بَيْنَهُمْ
وَمَا اسْتَبَدَّ بِرَأْيِي فِي حُكُومَتِهِ
إِنْ جَاعَ فِي شِدَّةِ قَوْمٍ شَرَكْتَهُمْ
وَأَصْبَحَ الْجَبِيلُ بَعْدَ الْجَبِيلِ يَرُوبِهَا
فَنِمْتُ نَوْمَ قَرِيرِ الْعَيْنِ هَانِيهَا
إِنَّ الْحَكُومَةَ تُغْرِي مُسْتَبِدِّيَهَا
فِي الْجُوعِ أَوْ تَنْجَلِي عَنْهُمْ غَوَاشِيهَا
غَوَاشِيهَا: جمع غاشية، مصائبها

فَمَنْ يُبَارِي أَبَا حَفْصٍ وَسِيرَتَهُ
يَوْمَ اسْتَهَتْ زَوْجَهُ الْحَلْوَى فَقَالَ لَهَا:
أَغْنَتْ عَنِ الصَّارِمِ الْمَصْقُولِ دِرَّتُهُ
فَكَمْ أَخَافْتُ غَوِيَّ النَّفْسِ عَاتِيهَا
أَوْ مَنْ يَحَاوِلُ لِلْفَارُوقِ تَشْبِيهَا
مِنْ أَيْنَ لِي ثَمَنُ الْحَلْوَى فَأَشْرِيهَا
دِرَّتُهُ: سوطه، وكان لعمر سوط يؤدب به المخالفين والعتاة، المتجربين بالناس

أَخَافَ حَتَّى الذَّرَارِي فِي مَلَاعِبِهَا
وَرَاعَ حَتَّى الْعَوَانِي فِي مَلَاهِيهَا .
الذراري: الأولاد من ذرية الرجل، فقد فر منه الأولاد في لعبهم عندما ظهر، ولم يثبت له سوى
ولد واحد في قصة معروفة، وكذا الغواني، أي النساء، في لهوهم .

أَرَيْتَ تِلْكَ الَّتِي لِلَّهِ قَدْ نَذَرْتُ
أُنْشُودَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ تُهْدِيهَا
أَرَيْتَ، هل رأيت، تلك المرأة التي نذرت أن تهدي للرسول أغنية .

قَالَتْ: نَذَرْتُ لَشَيْءٍ عَادَ النَّبِيُّ لَنَا
وَيَمَّمَتْ حَضْرَةَ الْهَادِي وَقَدْ مَلَأَتْ
وَاسْتَأْذَنْتْ وَمَشَتْ بِالْذُّفِّ وَانْدَفَعَتْ
مِنْ غَزْوَةٍ لَعَلَّى دُفِّي أَعْنِيهَا
أَنْوَارُ طَلَعَتْهُ أَرْجَاءُ نَادِيهَا
تُشْجِي بِالْحَانِيهَا مَا شَاءَ مُشْجِيهَا
مشت بالدف تغني وتطرب بالحانها ما شاء الله الذي يشجي القلوب

وَالْمُصْطَفَى وَأَبُو بَكْرٍ بِجَانِبِهِ
حَتَّى إِذَا لَاحَ مِنْ بُعْدِ لَهَا عَمْرٌ
لَاحَ عَمْرٌ فَكَفَتْ عَنِ الْغَنَاءِ وَارْتَبَكَتْ حَتَّى كَادَ الْخَوْفُ يَرْدِيهَا، يَقْتُلُهَا .

وَخَبَّأَتْ دُفَّهَا فِي ثَوْبِهَا فَرَقَا
مِنْهُ، وَوَدَّتْ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ تَطْوِيهَا
فَرَقَا: خَوْفًا

قَدْ كَانَ جِلْمُ رَسُولِ اللَّهِ يُؤْنِسُهَا
فَجَاءَ بَطْشُ أَبِي حَفْصٍ يُخَشِّئُهَا
فَقَالَ مَهْطٌ وَخِيَّ اللَّهُ مَبْتَسِمًا
وَفِي ابْتِسَامَتِهِ مَعْنَى يُوَاسِيهَا
مهبط الوحي: موضع هبوطه، وهو النبي

قد فَرَّ شَيْطَانُهَا، لَمَّا رَأَى عُمَرَاً إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَخْشَى بَأْسَ مُخْزِيهَا
وَفِتْنِيَةً وَلِعُمُوا بِالرَّاحِ فَانْتَبَذُوا لَهُمْ مَكَانًا وَجَدُوا فِي نَعَاطِيهَا
ظَهَرَتْ حَائِطُهُمْ لَمَّا عَلِمَتْ بِهِمْ وَاللَّيْلَ مُعْتَكِرُ الْأَرْجَاءِ سَاجِيهَا
ظَهَرَتْ حَائِطُهُمْ وَتَسَوَّرَتْ عَلَيْهِمُ وَاللَّيْلَ مُعْتَكِرُ الْأَرْجَاءِ، مَظْلَمُ النَّوَاحِي، سَاجِيهَا، سَاكِنُهَا

سَفَّهَتْ آرَاءَهُمْ فِيهَا فَمَا لَبِسُوا أَنْ أَوْسَعُوكَ عَلَى مَا جِثَّتْ تَسْفِيهَا
سَفَّهَتْ آرَاءَهُمْ، أَلْصَقَتْ السُّفْهَ بِعُقُولِهِمْ فِيهَا، فِي الْخَمْرِ، فَسَفَّهُوا فَعَلَكَ فِي التَّجَسُّسِ عَلَيْهِمْ
قَالُوا: مَكَانَكَ! قَدْ جِئْنَا بِوَاحِدَةٍ وَجِئْنَا بِثَلَاثٍ لَا تُبَالِيهَا
قَالُوا لَكَ مَكَانَكَ، قَفْ، فَأَنْتَ أَخْطَأْتَ فِي ثَلَاثٍ وَنَحْنُ فِي وَاحِدَةٍ

فَأَتِ الْبُيُوتَ مِنَ الْأَبْوَابِ يَا عُمَرُ فَقَدْ يُزَنُّ مِنَ الْحَيِّطَانِ آتِيهَا
يُزَنُّ: يُثَمُّ

وَأَسْتَأْذِنِ النَّاسَ أَنْ تَغْشَى بُيُوتَهُمْ وَلَا تُلِمَّ بِدَارٍ أَوْ تُحَيِّبِهَا
وَلَا تَجَسَّسْ فَهَذِي الْآيَةُ قَدْ نَزَلَتْ بِالنَّهْيِ عَنْهُ فَلَمْ تَذْكُرْ نَوَاهِيهَا
فَعُدَّتْ عَنْهُمْ وَقَدْ أَكْبَرَتْ حُجَّتُهُمْ لَمَّا رَأَيْتَ كِتَابَ اللَّوِّ يُمْلِيهَا
وَمَا أَنْفَتَ وَإِنْ كَانُوا عَلَى حَرَجٍ مِنْ أَنْ يَحْجَجَكَ بِالْآيَاتِ عَاصِيهَا
لَمْ تَأْنَفْ حَتَّى وَهَمَّ عَلَى حَرَجٍ، عَلَى إِثْمٍ، مِنْ أَنْ تَنْصَاعَ لِحُجَّتِهِمُ الْمَقْرُونَةَ بِالْآيَاتِ رَغْمَ أَنَّهُمْ
عَصَاةٌ

وَسَرَّحَ فِي سَمَاءِ السَّرْحِ قَدْ رَفَعَتْ بِبَيْعَةِ الْمِصْطَفَى مِنْ رَأْسِهَا تِيهَا
وَرَبَّ سَرْحَةٍ، شَجَرَةٍ، رَفَعَتْ رَأْسَهَا بَيْنَ الشَّجَرِ فِي السَّمَاءِ تِيهَا، وَافْتِخَارًا، لِأَنَّهَا الشَّجَرَةُ الَّتِي
جَرَتْ تَحْتَهَا بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ

أَزَلَّتْهَا حِينَ غَالُوا فِي الطَّوَافِ بِهَا وَكَانَ تَطَوُّفُهُمْ لِلدِّينِ تَشْوِيهَا
أَنْتَ قَطَعْتَهَا عِنْدَمَا بِالْفَوَا فِي الطَّوَافِ بِهَا وَتَقْدِيسُهَا

أَهْدِي مَنَاقِبِهِ فِي عَهْدِ دَوْلَتِهِ لِلشَّاهِدِينَ وَلِلْأَعْقَابِ أَحْكِيهَا
لَعَلَّ فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ نَابِيَّةٌ تَجْلُو لِحَاضِرِهَا مِرَاةَ مَاضِيهَا
لَعَلَّ النَّابِئَةَ، أَيَّ الشَّبَابِ، يَجْلُونَ وَيَلْمَعُونَ مِرَاةَ الْمَاضِي لَخِدْمَةِ حَاضِرِهِمْ

٥٥ رثاء باحثة البادية

نشرت في سنة (١٩١٨):

مَلَكَ النُّهَى لَا تَبْعَدِي فَالْحَلْقُ فِي الدُّنْيَا سَيْرُ
ملك ابنة حفني ناصف كانت أدبية واشتهرت بلقب باحثة البادية، وجعلها ملاكاً للنهى، أي للعقل.
لا تبعدي: كلمة تقال للميتة. لتبقى ذكراك حاضرة فالتاس في هذه الدنيا ما هم إلا سير، ذكرى
وسيرة

إِنِّي أَرَى لَكَ سِيرَةً كَالرَّوْضِ أَرْجَهُ الزَّهْرُ
أَرْجَهُ: عطّره

وَتَرَكْتَ شَيْخَكَ لَا يَعِي هَلْ غَابَ زَيْدٌ أَوْ حَضَرَ
تركت أبوك، وكان حفني ناصف معلماً ونحوياً، ذاهلاً لا يدري أغاب «زيد»، الاسم المستخدم
في أمثلة النحاة، أم حضر

ثِمْلًا تُرْتَحُّهُ الْهَمُومُ إِذَا تَحَامَلَ أَوْ خَطَرَ
كَالْفَرْعِ هَزَّتْهُ الْعَوَا صِفٌ فَالْتَوَى ثُمَّ انْكَسَرَ
ومات أبوها في السنة التالية

يَا بَرَّةً بِالْوَالِدَيْنِ مِنْ أَبُوكَ بَعْدَكَ لَا يَقْرَ
فَسَلِّي إِلَهَكَ سَلْوَةً لِأَبِيكَ فَهُوَ بِهِ أَبَرُّ
الله أبرُّ منك بأبيك

٥٦ العود «أحمد»

أعد حافظ هذه القصيدة لاستقبال شوقي عائداً من منفاه، ونشرها قبيل وصوله، نشرها
في أغسطس/ آب (١٩١٩):

وَرَدَ الْكِنَانَةَ عِبْقَرِيَّ زَمَانِهِ فَتَنْظُرِي يَا مِصْرُ سَحَرَ بَيَانِهِ
وَالْقُطْرُ فِي شَوْقٍ لِأَنْدَلُسِيَّةٍ شَوْقِيَّةٍ تَشْفِيهِ مِنْ أَشْجَانِهِ
مصر مشتاقة إلى قصيدة أندلسية من قلم شوقي تشفيها من أشجانها، أحزانها، الناتجة عن ثورة
(١٩١٩)

يُصْغِي لِأَحْمَدَ إِنْ شَدَا مُتَرَنِّمًا إِصْغَاءَ أُمَةٍ أَحْمَدٍ لِأَذَانِهِ
القطر، أي مصر، يصغي لأحمد شوقي وهو يترنم بشعره كإصغاء أمة أحمد، النبي، للأذان

وَأَذْكُرُ لَنَا الْحَمْرَاءَ، كَيْفَ رَأَيْتَهَا وَالْقَصْرَ، مَاذَا كَانَ مِنْ بُنْيَانِهِ؟

حدثنا عن آثار العرب في إسبانيا التي أتيت منها

مَاذَا تَحَطَّمَتْ مِنْ دُرَاهُ، وَمَا الَّذِي أَبَقَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ أَرْكَانِهِ

قل لنا ماذا تحطم من ذرا، أعالي، قصر الحمراء، وما الذي أبقي الزمن من أركانه

إِذْ مُلِّكَ أُنْدَلُسُ عَرِيضُ جَاهُهُ وَشَبَابُهُ الْمَبْكِيُّ فِي رِيْعَانِهِ

وكان ملك العرب هناك ذا جاه، ومنزلة، وكان في شبابه الذي أصبحنا نبكي على زواله وهو في ريعانه، في نضارته

زَالَتْ بِشَاشَتُهُ، وَزَالَ وَأَقْفَرَتْ مِنْ أَنْسِهِ الدُّنْيَا وَمِنْ إِنْسَانِهِ

ذهب أنس وبهجة ذلك الملك وذهب إنسانه أيضاً بجلاء العرب

أَشْكُو إِلَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَزُمَرَةٍ جَرَحَتْ فَوَادَ الشَّعْرِ فِي أَعْيَانِهِ

يشكو من زمرة المدعين الذين جرحوا قلب الشعر بانتقاصهم أعيانه، كبار أصحابه

كَمْ خَارِجٍ عَنْ أَفْقِهِ حَصَبَ الْوَرَى بِقَرِيضِهِ وَالْعُجْبُ مِلْءُ جَنَانِهِ

كم من شخص خارج عن أفق الشعر لا علاقة له به، قد حصب الناس بقريضه، رماهم بحجارة هي عبارة عن قصائده، والعجب، التيه والفخر، يملأ جنانه، قلبه

يَخْتَالُ بَيْنَ النَّاسِ مُتَّخِذَ الْخُطَا رِيحُ الْغُرُورِ تَهْبُ مِنْ أَرْدَانِهِ

يمشي هذا الشاعر المدعي بطيئ الخطا، تهب ريح الغرور من أردانه، أكماء ثوبه

كَمْ صَكٌّ مِسْمَعْنَا بِجَنْدَلٍ لَفِظِهِ وَأَطَالَ مِحْنَتَنَا بِطُولِ لِسَانِهِ

جندل: صخر

قُلْ لِلَّذِي قَدْ قَامَ يَشَاوُ أَحْمَدًا خُلُّ الْقَرِيضِ فَلَسَتْ مِنْ فُرْسَانِهِ

يشاو: يباري

مَا كَانَ يَأْمَنُ عَثْرَةً لَوْ لَمْ يَكُنْ رَوْحُ الْحَقِيقَةِ مُمَسِّكًا بِعِنَانِهِ

ما كان شوقي ليأمن الزلل لو لم تكن الحقيقة هي الممسكة بلجام فرسه

فَأَتَى بِمَا لَمْ يَأْتِهِ مُتَقَدِّمٌ أَوْ تَظْمَعِ الْأَذْهَانَ فِي إِتْيَانِهِ

فالحمد لله الذي قد رده من بعد غريبته إلى أوطانه

٥٧ مظاهر السيدات

قالها في (١٩١٩)، وتأخر نشرها حتى مارس/ آذار (١٩٢٩):

خَرَجَ الْغَوَانِي يَحْتَجِجُ نَ، وَرُحْتُ أَرْقُبُ جَمْعَهُنَّ
فَإِذَا بِهِنَّ تَخِذْنَ مِنْ سُودِ الثِّيَابِ شِعَارُهُنَّ
فَطَلَعْنَ مِثْلَ كَوَاكِبِ يَسْطَعْنَ فِي وَسْطِ الدُّجْنَةِ
وَأَخَذْنَ يَجْتَزْنَ الطَّرِيقَ مَقْدَارُ سَفِيدِ قَضْدُهُنَّ
يَمْشِينَ فِي كَنْفِ الْوَقَا رِ، وَقَدْ أَبَنَّ شُعُورُهُنَّ

يمشين وقورات مع أنهن أبرزن شعورهن وسفرن

وَإِذَا بِجَيْشٍ مُقْبِلِ وَالْخَيْلُ مُطْلَقَةُ الْأَعِنَّةِ
وَإِذَا الْجَنُودُ سَيُوفُهَا قَدْ صُوبَتْ لِنُحُورِهِنَّ
وَإِذَا الْمَدَافِعُ وَالْبُنَا دَقُّ وَالصَّوَارِمُ وَالْأَسِنَّةُ..
وَالْخَيْلُ وَالْفِرْسَانُ قَدْ ضَرَبَتْ نِطَاقاً حَوْلَهُنَّ
وَالْوَرْدُ وَالرَّيْحَانُ فِي ذَاكَ النَّهَارِ سِلَاحُهُنَّ
فَتَطَاخَنَ الْجَيْشَانِ سَا عَاتٍ تَشِيبُ لَهَا الْأَجِنَّةُ
فَتَضَعُضَعُ النَّسْوَانُ وَالنَّدَا سَوَانُ لَيْسَ لَهُنَّ مُنَّةُ

منة: قوة

ثُمَّ انْهَزَمْنَ مُشَتَّتَا تِ الشَّمْلِ نَحْوَ قُصُورِهِنَّ
فَلَيْهِنَا الْجَيْشُ الْفُخُو رُ بِنَصْرِهِ وَبِكَسْرِهِنَّ
فَكَأَنَّمَا الْأَلْمَانُ قَدْ لَيْسُوا الْبَرَاقِعَ بَيْنَهُنَّ
وَأَتَوْا بِهِنَّ دُنُجَ مُخَا تَفِيأُ بِمُضَرٍ يَقُودُهُنَّ

باول فون هندنبرغ جنرال ألماني سيصبح رئيساً للجمهورية (١٩٢٥)، وسيعين هتلر مستشاراً، أي رئيس وزراء، عام (١٩٣٣)

فَلِذَاكَ خَافُوا بِأَسْهَنَ- وَأَشْفَقُوا مِنْ كَيْدِهِنَّ

٥٨ أبق شيئاً

قيلت عام (١٩١٩)، وانتشرت بين الناس ولم تنشر في صحيفة:

يَا مَلِكًا بِرَغْمِهِ يَلْبَسُ الثَّآجَ، وَيَرْقَى لِعَرْشِهِ مَمْلُوكًا

المليك : السلطان فؤاد ابن الخديوي إسماعيل ، وتولى السلطنة عام (١٩١٧) ، وتسمى ملكاً عام (١٩٢٢)

إِنْ أَتَمَّمْتَ يَدَاكَ تَخْرِيبَ مِصْرٍ فَلَقَدْ مَهَّدَ الْخَرَابَ أَبُوكَا

وكان الخديوي إسماعيل ، الذي عزل عام (١٨٧٩) ، قد أسرف وأضر بمالية البلاد رغم إنشاءاته الكثيرة

أَبْنَى شَيْئًا - إِذَا مَضَيْتَ دَمِيمًا عَنْ قَرِيبٍ - يَأْتِي عَلَيْهِ بَنُوكَا

٥٩ الأب التاكل

رثاء عبد الحميد رمزي، قالها على لسان والد الشاب المتوفى، ونشرت في مارس/ آذار (١٩٢٠):

وَلَدِي، قَدْ طَالَ سُهْدِي وَنَحْبِي جُنْتُ أَدْعُوكَ فَهَلْ أَنْتَ مُجِيبِي؟

جُنْتُ أَرْوِي بِدُمُوعِي مَضْجَعًا فِيهِ أُوَدِّعُ مِنَ الدُّنْيَا نَصْبِي

لَا تَخَفْ مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ، وَلَا تَبْتَئِنْ إِنِّي مُوَافٍ عَنْ قَرِيبٍ

أَنَا لَا أَتْرُكُ شَيْئًا وَاحِدًا فِي جَدِيدٍ مُوجِشٍ غَيْرِ رَحِيبٍ

أَوْحِينَ ابْتَرَّ دَهْرِي قُوَّتِي وَذَوَى عُودِي وَوَفَانِي مَشِيبِي

ابتر: سلب

وَاكْتَسَى غَصْنُكَ مِنْ أَوْرَاقِهِ تَحْتَ شَمْسِ الْعِزِّ وَالْجَاوِ الْخَصِيبِ

يَنْتَوِيكَ الْمَوْتُ فِي شَرْخِ الصَّبَا وَالشَّبَابُ الْعُضُّ فِي الْبُرْدِ الْقَشِيبِ

لَمْ يَدَّغْ أَسِيكَ جُهْدًا إِنَّمَا غَابَ عِلْمُ اللَّهِ عَنْ عِلْمِ الطَّبِيبِ

آسيك: طيبك

إِيهِ يَا عَبْدَ الْحَمِيدِ انْظُرْ إِلَى وَالِدِ جَمِّ الْأَسَى بَادِي الشُّحُوبِ

ذَاهِلٍ مِنْ قَرْطِ مَا حَلَّ بِهِ بَيْنَ أَتْرَابِكَ يَمْشِي كَالْغَرِيبِ

كَلَّمَا أَبْصَرَ مِنْهُمْ وَاحِدًا هَزَّ الشُّوقُ إِلَى وَجهِ الْحَبِيبِ

٦٠ البابا والباب

كتب بها إلى السيد محمد البيلوي لما أصبح نقيب الأشراف (١٩٢٠):

قُلْ لِلنَّقِيبِ لَقَدْ زُرْنَا فَضِيلَتَهُ فَذَاذَنَا عَنْهُ حِرَاسٌ وَحُجَابٌ

ذاذنا عنه: حال بيننا وبينه

لو أَنَّنِي جِئْتُ لِلْبَابَا لِأَكْرِمَنِي وَكَانَ يُكْرِمُنِي لَوْ جِئْتُهُ الْبَابُ

الباب: إمام العقيدة البابية التي ورثها البهائية، والباب أيضاً هو الباب، يقول حافظ، على المعنى الظاهر: لو جئت إلى الباب الخشبي لأكرمني من حيث ردني الحجاب

لَا تَخْشَ جَائِزَةً قَدْ جِئْتُ أَطْلُبُهَا إِنِّي شَرِيفٌ وَلِلْأَشْرَافِ أَحْسَابُ
فَاهُنَّا بِمَا نَلْتَمِسُ مِنْ فَضْلٍ وَإِنْ قُطِعَتْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَسْبَابُ

٦١ مصر تتحدث عن نفسها

أُنْشَدَهَا فِي حِفْلٍ بِفَنْدُقِ الْإِتْرُكُونْتِنْتَالِ لِتَكْرِيمِ عَدْلِي بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ أَوْرُوبَا قَاطِعاً
الْمُفَاوِضَاتِ مَعَ الْإِنْجِلِيزِ، وَمُسْتَقِيلاً مِنَ الْوِزَارَةِ. نَشَرَتْ فِي دَيْسَمْبَرٍ/كَانُونِ الْأَوَّلِ
(١٩٢١):

وَقَفَّ الْخَلْقُ يَنْظُرُونَ جَمِيعاً كَيْفَ أَبْنِي قَوَاعِدَ الْمَجْدِ وَحَدِي
وَبُنَاةَ الْأَهْرَامِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ مِرْكَفُونِي الْكَلَامَ عِنْدَ التَّحْدِي
أَنَا تَاجُ الْعَلَاءِ فِي مَفْرِقِ الشَّرِّ قِي وَدُرَّائُهُ فَرَايِدُ عَقْدِي
أَنَا إِنْ قَدَّرَ الْإِلَهِ مَمَاتِي لَا تَرَى الشَّرْقَ يَرْفَعُ الرَّأْسَ بَعْدِي
مَا رَمَانِي رَامَ وَرَاحَ سَلِيماً، مِنْ قَدِيمِ عَنَابَةِ اللَّهِ جُنْدِي
كَمْ بَغَتْ دَوْلَةٌ عَلَيَّ وَجَارَتْ ثُمَّ زَالَتْ وَتِلْكَ عُقْبَى التَّعْدِي
هَلْ فَهِمْتُمْ أَسْرَارَ مَا كَانَ عِنْدِي مِنْ عُلُومٍ مَخْبُوءَةٍ طَيِّبَرْدِي؟

البردي: ورق شجر كتب فيه الفراعنة علومهم

إِنَّ مَجْدِي فِي الْأَوَّلِيَّاتِ عَرِيقٌ مَنْ لَهُ مِثْلُ أَوْلِيَّاتِي وَمَجْدِي؟

الأوليات: المجد القديم

أَنَا أُمُّ التَّشْرِيعِ قَدْ أَخَذَ الرُّو مَا نَ عَنِّي الْأَصُولَ فِي كُلِّ حَدٍّ

الحد: الحكم القانوني، والقانون الروماني مشهور

وَرَصَدْتُ النُّجُومَ مِنْذُ أَضَاءَتْ فِي سَمَاءِ الدُّجَى فَأَحْكَمْتُ رَصْدِي
وَقَدِيماً بَنَى الْأَسَاطِيلَ قَوْمِي فَفَرَّقَنَ الْبِحَارَ يَحْمِلُنَ بَنْدِي

سفني فرقت، شقت، طريقها في البحار حاملة بندي، رايتي، والكلام لمصر

أَيُّ شَعْبٍ أَحَقُّ مِنِّي بِعَيْشٍ وَارِفِ الظِّلِّ أَخْضَرَ اللَّوْنِ رَغْدٍ؟
أَمِنْ الْعَدْلِ أَنَّهُمْ يَرِدُونَ الـ مَاءَ ضَفُوءاً وَأَنْ يُكَدَّرَ وَرْدِي؟

يُصَفُّ قَرْنٍ إِلَّا قَلِيلًا أَعَانِي مَا يُعَانِي هَوَانُهُ كُلُّ عَبْدٍ

منذ أن احتل الإنجليز مصر عام ١٨٨٢

نَظَرَ اللَّهَ لِي فَأَرْشَدَ أَبْنَا
إِنَّمَا الْحَقُّ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الدَّيْبِ
ثِي فَشَدُّوا إِلَى الْعُلَا أَيَّ شَدٍّ
بَانٍ أَمْضَى مِنْ كُلِّ أَبِيضٍ هِنْدِي
قَدْ وَعَدْتُ الْعُلَا بِكُلِّ أَبِيٍّ
وَارَقَعُوا دَوْلَتِي عَلَى الْعِلْمِ وَالْأَخِ
لَاقٍ، فَالْعِلْمُ وَحْدَهُ لَيْسَ يُجْدِي
كَحَلَّتْهَا الْأَطْمَاعُ فَيَكُنْ بِسُهِدٍ
إِنَّ فِي الْغَرْبِ أَغْنَيْنَا رَاصِدَاتٍ

في الغرب أعين ساهدة ساهرة طامعة تترقب الانقراض على ثروات مصر

فَوْقَهَا مَجْهَرٌ يُرِيهَا خَفَايَا
وَهَذِهِ الْأَعْيُنُ تَنْظُرُ بِمَجْهَرٍ مُكْبَرٍ لَتَرَى الْخَفَايَا، وَشِعَاعَ الْمَجْهَرِ يَقْرُبُ الْبَعِيدَ (أَصْبَحَ تَلْسُكِيًّا)

فَاتَّقَوْهَا بِجُنَّةٍ مِنْ وَثَامٍ
غَيْرِ رَثِّ الْعُرَا وَسَعْيٍ وَكَدٍّ

اتقوا مطامع الغرب بجنة، وقاية، هي الوثام الشديد غير رث العرا، غير مهترئ العرا، جمع عروة

وَاضْفَحُوا عَنْ هَنَاتٍ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ
رُبَّ هَافٍ هَفَا عَلَى غَيْرِ عَمْدٍ

الهتات: الذنوب الصغيرة

نَحْنُ نَجْتَارُ مَوْقِفًا تَعَثَّرُ الْآ
رَاءُ فِيهِ، وَعَثْرَةُ الرَّأْيِ تُرْدِي

تردي: تبت

وَيَظُنُّ الْعَوِيُّ أَنَّ لَا نِظَامَ
وَيَقُولُ الْقَوِيُّ قَدْ جَدَّ جِدِّي

فَقِفُوا فِيهِ وَقِفَةَ الْحَزْمِ وَارْمُوا
جَانِبِيهِ بِعَزْمَةِ الْمُسْتَعِدِّ

إن كنت لم تسمع بأن أم كلثوم غنت أبياتاً من هذه القصيدة في لحن رياض السنباطي فاسمع، وادّهب واسمع الأغنية. مقدمتها وحدها تحفة

٦٢ سيرا إلى إنجلترا

وداع محمد بدر وأحمد بدر عند سفرهما إلى بلاد الإنجليز للتعلم:

سِيرَا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْبَتَتْ
عِزًّا وَأَضَحَّتْ لِلْمَلَا مَوْئِلَا

أصبحت بلاد الإنجليز للملا، للملا أي الناس، مويلاً، ملتجأً

يَمْشِي عَلَيْهَا الدَّهْرُ مُسْتَحْذِيًّا
وَتَجْزَعُ الْأَحْدَاثُ أَنْ تَنْزِلَا

مستخذياً: خاضعاً

شِعَارُ أَهْلِهَا وَأَبْنَائِهَا أَنْ يَعْلَمَ الْمَرْءُ وَأَنْ يَعْمَلَ
لَكُنْ غَدَا الدَّهْرُ بِنَا مُدِيرًا لَا بَدْءَ لِلْمُدِيرِ أَنْ يُقْبِلَا
التسويد لعمران القفني، ويقول: لعل الدهر يقبل علينا، فمتد زمن بعيد لم يقبل! وعدد المازني
لحافظ الدول التي أدبرت ثم استمر بها الإديار حتى الاندثار

٦٣ رائحة الاستقلال

نصريح ٢٨ فبراير/شباط، نشرت في أبريل/نيسان (١٩٢٢):

أَلْمَحْ لِاسْتِقْلَالِنَا لَمَعَةً فِي حَالِكِ الشُّكِّ فَاسْتَرْوَحْ
أستروح: أشعر بالراحة، لأن هذا الإعلان في ٢٨ فبراير/١٩٢٢ جاء فيه من طرف بريطانيا أن
الحماية رفعت عن مصر، وأن مصر دولة مستقلة ذات سيادة وأن لبريطانيا الحق في حماية طرق
مواصلاتها وحمايتها ضد أي اعتداء خارجي، ويبقى الوضع في السودان على حاله

وَتَظْمِسُ الظُّلْمَةُ آثَارَهَا فَأَنْتَنِي أَنْكِرُ مَا أَلْمَحْ
فقائل: لا تعجلوا إنَّكُمْ مَكَانُكُمْ بِالْأَمْسِ لَمْ تَبْرَحُوا
بعضهم رفض الإعلان البريطاني لأنه لا يغير من الحال شيئاً فالיום مثل الأمس. مكانكم لم
تبرحوا، أي لم تبرحوا مكانكم

وَقَائِلٍ أَوْسَعِ بِهَا خُطْوَةً وَرَاءَهَا الْغَايَةُ وَالْمَظْمَحْ
وبعضهم قال إنها خطوة واسعة، وبعدها تتحقق الغاية التي نطمح إليها

وَقَائِلٍ أَسْرَفَ فِي قَوْلِهِ: هَذَا هُوَ اسْتِقْلَالُكُمْ فَافْرَحُوا
وبعضهم قال وبالغ: هذا هو الاستقلال الحق

إِنْ تَسَأَلُوا الْعَقْلَ يَقُلْ عَاهِدُوا وَاسْتَوْثِقُوا فِي عَهْدِكُمْ تَرَبَّحُوا
العقل يقول، عقل شاعرنا طبعاً، اقبلوا المعاهدة، وأكدوها بالمواثيق

وَأَسُسُوا دَاراً لِنُؤَايِكُمْ لِلرَّأْيِ فِيهَا وَالْحِجَا أَفْسَحُوا
وأسسوا دار نواب واجعلوا للحجاء، للعقل، المكان الفسيح فيها

أَوْ تَسَأَلُوا الْقَلْبَ يَقُلْ حَاذِرُوا وَصَابِرُوا أَعْدَاءَكُمْ تُفْلِحُوا
والقلب يقول، وهو قلب شاعرنا، احذروا دهاء الإنجليز وصابروهم في نضال مستمر

إِنِّي أَرَى قَيْدًا فَلَا تُسْلِمُوا أَيْدِيَكُمْ فَالْقَيْدُ لَا يَسْجَحْ
المعاهدة تتضمن قيداً فلماذا نسلم أيدينا لمن يريد تقييدها، والقيد لا يسجح، لا يلين... وكانت
ذكريات ثورة ١٩١٩ طرية بعد في الأذهان

إِنْ هَيَّأُوهُ مِنْ حَرِيرٍ لَكُمْ فَهَوَّ عَلَى لَيْنٍ بِهِ أَفْدَحُ
 القيد الحريري أفدح، وأقسى، من القيد الحديدي

٦٤ جاء دوري

ذكرى الشيخ محمد عبده، أنشدها في حفل بالجامعة المصرية في يوليو/تموز (١٩٢٢):

راعني فَقَدْ شَبَابِي وَأَنَا لَا أَرَاكَ الْيَوْمَ مِنْ فَقْدِ مَشِيبِي
 حَنَّ جَنْبَايَ إِلَى بَرْدِ الثَّرَى حَيْثُ أَنْتَ مِنْ عَدُوٍّ وَحَبِيبٍ
 أحن إلى التراب حيث ينساني العدو والحبيب

مَضَجُّ لَا يَسْتَكِي صَاحِبُهُ شِدَّةُ الدَّهْرِ وَلَا شِدَّةُ الْخَطُوبِ
 لَا وَلَا يُسْنِمُهُ ذَاكَ الَّذِي يُسْنِمُ الْأَحْيَاءَ مِنْ عَيْشٍ رَتِيبِ
 قَدْ وَقَفْنَا سِتَّةً نَبْكِي عَلَى عَالِمِ الْمَشْرِقِ فِي يَوْمٍ عَصِيبِ
 وَقَفَ الْخَمْسَةُ قَبْلِي فَمَضَوْا هَكَذَا قَبْلِي، وَإِنِّي عَنْ قَرِيبِ
 وقف ستة على قبر الإمام يؤبونه، وهم على ترتيب التآبين: أحمد أبو خطوة، حسن عاصم،
 حسن عبد الرازق، قاسم أمين، حفني ناصف، حافظ إبراهيم. وماتوا واحداً بعد الآخر وبنفس
 الترتيب.. وعندما مات الرابع ١٩٠٨، كتب خامسهم، حفني ناصف، لشارعنا حافظ:

أَتَذَكَّرُ إِذْ كُنَّا عَلَى الْقَبْرِ سِتَّةَ نَعْدُّذُ آثَارَ الْإِمَامِ وَنَسْتَدُبُ
 وَقَفْنَا بِتَرْتِيبٍ وَقَدْ دَبَّ بَيْنَنَا مِمَاتٌ عَلَى وَفْقِ الرِّثَاءِ مَرْتَبُ
 أَبُو خَطْوَةٍ وَلِي وَقَفَّاءَ عَاصِمُ وَجَاءَ لَعَبْدِ الرَّازِقِ الْمَوْتُ يَطْلُبُ
 فَلَبِي وَغَابَتْ بَعْدَهُ شَمْسُ قَاسِمٍ وَعَمَّا قَلِيلٍ شَمْسُ مَحْيَايَ تَغْرُبُ
 فَلَا تَخْشَ هُلُكاً مَا حَيِّتُ فَإِنْ أَمْتُ فَمَا أَنْتَ إِلَّا خَائِفٌ تَتَرَقَّبُ
 فَخَاطِرُ وَقَعَ تَحْتَ الثَّرَمَايَ لَا تَخَفُ وَنَمَ تَحْتَ بَيْتِ الْوَقْفِ وَهُوَ مَخْرَبُ
 وَخُضَّ لُجَجُ الْهَيْجَاءِ أَعَزَلَ أَمْنًا فَإِنَّ الْمَنَايَا عَنْكَ تَنَآيَ وَتَهَرَّبُ

.. وفي تكريم حفني ناصف (١٩١٢)، وقف حافظ وقال قصيدة:

أَخْشَى عَلَيْكَ الْمَنَايَا حَتَّى كَأَنَّكَ مِنِّي
 إِذَا شَكُوتَ صَدَاعاً أَطْلُتُ تَسْهِيْدَ جَفْنِي
 وَإِنْ عَمَرَكَ هَزَاؤُ هَيَّأْتُ لِحْدِي وَقُطْنِي

وإن دعوتُ لـحَيٍّ يوماً فلـيَاكَ أعني
عُمري بـعُمركَ رهنٌ فـعشْ أـعشْ ألفَ قرنٍ

٦٥ رثاء إسماعيل صبري

أنشدها في حفل التأبين في مايو/ أيار (١٩٢٣):

نـعَاكَ النُّعَاةُ وَحُمَ القَدَرُ ولم يُغْنِ عَنَّا وعنكَ الحَذَرُ
حم القدر: وافى وحلّ

أهْنِي الثَّرَى أُمُّ أَعَزِّي الْوَرَى لقد فَازَ هَذَا وَهَذَا خَسِرَ
رُحِمْتُ، فَقَدْ كُنْتُ حُلُوَ اللِّسَانِ جَلِيَّ الْبَيَانِ صَدُوقَ الْخَبَرِ
قَلِيلَ التَّعْجِبِ، جَمَّ الْأَنَاءِ حَكِيمَ الْوُرُودِ حَكِيمَ الصَّدَرِ
لقد كُنْتُ أَغْشَاةً فِي دَارِهِ وَنَادِيهِ فِيهَا زَهَا وَازْدَهَرَ
أغشاء: أزوره، ناديه: مجلسه

وَأَعْرِضْ شِعْرِي عَلَى مِسْمَعٍ لَطِيفٍ يُحْسُ ثُبُوءَ الْوَتَرِ
عَلَى سَمْعٍ بَاقِعَةٍ حَاضِرٍ يَمِيزُ الْقَدِيمَ مِنَ الْمُتَنَكَّرِ
رجل باقة: شديد الذكاء والحيلة

فِيضْقُلْ لَفْظِي صَفْلَ الْجُمَانِ وَيَكْسُوهُ رِقَّةُ أَهْلِ الْحَضَرِ
الجمان: اللولو

كَذَلِكَ كَانَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِمَاماً لِكُلِّ أَدِيبٍ شَعَرَ
شعر: قال شعراً. وكان إسماعيل صبري يتقح شعر شوقي أيضاً

٦٦ رحلة إلى إيطاليا

نشرت في نوفمبر/ تشرين الثاني (١٩٢٣):

أَرْضُهُمْ جَنَّةٌ وَحُورٌ وَوَلَدَا نٌ كَمَا تَشْتَهِي، وَمُلْكٌ كَبِيرُ
تَحْتَهَا - وَالْعِبَادُ بِاللَّهِ - نَارُ وَعَذَابٌ وَمُنْكَرٌ وَنَكِيرُ
إِنَّ يَوْمًا كَيَوْمِ رَدْجُو وَمَسِي - نَا وَكَالْبُرْيَا لَيَوْمٍ عَسِيرُ

مسينا في صقلية، وكالبريا منطقة مشط القدم في إيطاليا وضربتها زلازل كثيرة في ذلك الزمن وقبله،
وردجو من مدنها الصغيرة، وضربها زلزال في سنة ١٩٠٨، وآخر سنة ١٩٢٣ عند نشر القصيدة

سَاعَةً مِنْهُ تُهْلِكُ الْحَرْتَ وَالنَّسْ
ذَاكَ فَيَزُوفُ قَائِماً يَتَلَطَّى
لَ وَتَمَحُّو مَا سَطَّرَتْهُ الدُّهُورُ
قَدْ تَعَالَى شَهِيقُهُ وَالزَّفِيرُ
بركان فيزوف عند مدينة نابولي بإيطاليا

يُنْذِرُ الْقَوْمَ بِالرَّحِيلِ، وَلَكِنْ
وَكِذَاكَ الْأَوْطَانُ مَهْمَا تَجَنَّتْ
وَلِغَ الْقَوْمِ بِالنِّظَافَةِ حَتَّى
فَلِذَا سِرْتُ فِي الطَّرِيقِ نَهَاراً
أَفَرَطَ الْقَوْمُ فِي النِّظَامِ، وَعِنْدِي
وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ مَا كَانَ قَوْضَى
فَلِذَا مَا سَأَلْتَنِي قُلْتُ عَنْهُمْ:
قَدْ بَلَوْتُ الْحَيَاةَ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْ
مِنْ نَوَاءٍ فِيهِ الْمَلَالُ لِزَامٍ
لَيْسَ يُغْنِي مَعَ الْقَضَاءِ النَّذِيرُ
لَيْسَ لِلْحَرْ عَنْ حِمَاها مَسِيرُ
جُنَّ فِيهَا غَنِيَّتُهُمْ وَالْفَقِيرُ
خِلْتُ أَنِّي عَلَى الْمَرَابَا أُسِيرُ
أَنْ فَرَطَ النِّظَامِ أَسْرَ وَنِيرُ
لَيْسَ فِيهَا مُسَيِّطِرٌ أَوْ أَمِيرُ
أُمَّةٌ حُرَّةٌ وَفَرْدٌ أُسِيرُ
بِ قَمَا فِي الْحَيَاةِ أَمْرٌ يَسِيرُ
أَوْ رَحِيلٍ فِيهِ الْعَنَاءُ كَثِيرُ
النَّوَاءِ: الإقامة والمكث

٦٧ هجاء للشعر

ضِغْتَ بَيْنَ النُّهَى وَبَيْنَ الْخِيَالِ
يَا حَكِيمَ النُّفُوسِ يَا ابْنَ الْمَعَالِي
النُّهَى: العقول

ضِغْتَ فِي الشَّرْقِ بَيْنَ قَوْمٍ مُجُودِ
قَدْ أَذَالُوكَ بَيْنَ أَنْسٍ وَكَأْسِ
وَنَسِيْبٍ وَمَذْحَةٍ وَهَجَاءِ
وَحِمَاسٍ أَرَاهُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ
عِشْتُ مَا بَيْنَهُمْ مُذَالاً مُضَاعاً
حَمَلُوكَ الْعَنَاءَ مِنْ حُبِّ لَيْلَى
وَبُكَاءٍ عَلَى عَزِيْزٍ تَوَلَّى
وَإِذَا مَا سَمَوْا بِقَدْرِكَ يَوْماً
أَنْ يَا شِعْرُ أَنْ نَفُكَّ قُبُوداً
لَمْ يُفِيْقُوا، وَأُمَّةٌ مَكْسَالِ
وَعَرَامٍ بِظُبْيَةٍ أَوْ غَزَالِ
وَرَثَاءٍ وَفِثْنَةٍ وَضَلَالِ
وَصَغَارٍ يَجْرُ ذَيْلَ اخْتِيَالِ
وَكَذَا كُنْتُ فِي الْعَصُورِ الْخَوَالِي
وَسُلَيْمَى، وَوَقْفَةٍ الْأَطْلَالِ
وَرِسُومٍ رَاخَتْ بِهِنَّ اللَّيَالِي
أَسْكَنُوكَ الرُّحَالَ فَوْقَ الْجِمَالِ
قَيَّدْتَنَا بِهَا دُعَاءُ الْمُحَالِ

فَارْفَعُوا هَذِهِ الْكَمَائِمَ عَنَّا وَدَعُونَا نَشْتُم رِيحَ الشَّمَالِ

٦٨ إِيَّاكَ وَالْإِنْجِلِيز

تهتة سعد زغلول بالنجاة من إطلاق الرصاص عليه في محطة القطار. نشرت في ١٣ يوليو/تموز (١٩٢٤):

لَا تَقْرَبِ التَّامِيزَ وَاحْذَرْ وَرَدَهُ مَهْمَا بَدَا لَكَ أَنَّهُ مَعْسُورٌ

لا تقرب التاميز، نهر التمز. . يعني الإنجليز الذين كان سعد يشايعهم من قبل، واحذر ورده، ماء، مهما بدا لك أنه ماء معسول، حلوا

الْكَيْدُ مَمْرُوجٌ بِأَصْفَى مَائِهِ وَالْخَتْلُ فِيهِ مُذَوَّبٌ مَصْقُولٌ

الختل: الخداع

فَاحْذَرْ سِيَاسَتَهُمْ وَكُنْ فِي يَقْظَةٍ سَعْدِيَّةٍ إِنَّ السِّيَاسَةَ عُورٌ

نَصَلْتُ سِيَاسَتَهُمْ وَحَالَ صِبَاغُهَا وَلِكُلِّ كَاذِبَةٍ الْخَضَابُ نُصُولٌ

نصلت سياستهم مثلما ينمو الشعر فينصل الخضاب، الصبغ، ويظهر لون الشعر الحقيقي

جَمَعُوا عَقَاقِيرَ الدَّهَاءِ وَرَكَّبُوا مَا رَكَّبُوهُ، وَعِنْدَكَ التَّحْلِيلُ

ركبوا سياستهم على نحو معقد، وعندك يا سعد القدرة على تحليل هذه السياسة إلى مكوناتها لترى ما فيها من سموم

فَادْفَعْ وَنَاضِلٌ عَنِ مَطَالِبِ أُمَّةٍ يَا سَعْدُ أَنْتَ أَمَامَهَا مَسْؤُولٌ

الإنجليز يعرفون الحق - يقول هذا صاحب الشرح الذي عايشهم سنوات طويلة - ولكنهم إذا ضويقوا كانوا متعالين متعجرفين عنصريين مخادعين. . بشراً عاديين. لكن، بصراحة. . برودهم الذي ضربت به الأمثال يضفي عليهم سمة الرُّوقَان. . الله أنتم أيها الإنجليز، تعلمت منكم الكثير، ورأيت رجالاً كثيراً ونساء، من عرب ومن هنود يعشقون أن يتنجلزوا، وقد رأيت في حانوت كتب بمطار مؤخراً كتاباً عنوانه «كيف تصبح بريطانياً». وقد حماني من مثل هذا الشعور، وأنا أعايش أولئك القوم، أنني كنت مُكبّاً على مطالعة تراث قومي، وأنتي كنت أقول في نفسي كل يوم وكل ليلة: أنا عربي

٦٩ بَانِي الْهَرَمِ

سَخَّرَ الْعِلْمَ لِیَبْنِيَ آيَةً فَوْقَ شَطِّ النِّيلِ تَبْدُو كَالْعَلَمِ

آية: علامة، العلم: الجبل

هِيَ ذَكَرٌ خَالِدٌ، لَكِنَّهُ عَابِسُ الْوَجْهِ إِذَا الذُّكْرُ ابْتَسَمَ
كُلُّ مَا فِيهَا، عَلَى إِعْجَازِهَا، أَنَّهَا قَبْرٌ لِجَبَّارٍ حُطِمَ
حُطْمٌ: عَنِيفٌ مَسِطَرٌ

لَيْتَهُ سَخَّرَ مَا فِي عَهْدِهِ مِنْ قُوَى فِي غَيْرِ تَقْدِيسِ الرَّمَمِ
الرَّمَمُ: الرِّفَاتُ

٧٠ رثاء المنفلوطي

نشرت في سبتمبر/أيلول (١٩٢٤):

رَحِمَ اللَّهُ صَاحِبَ النَّظَرَاتِ غَابَ عَنَّا فِي أَخْرَجِ الْأَوْقَاتِ
مَاتَ الْمَنْفَلُوطِي يَوْمَ إِصَابَةِ سَعْدِ زَغُولٍ بِرِصَاصٍ مَعْتَدٍ، فَانْشَغَلَ النَّاسُ عَنْ تَشْيِيعِ الْمَنْفَلُوطِي بِحَادِثِ سَعْدِ
كَيْفَ غَادَرْتَنَا سَرِيعاً، وَعَهْدِي بِكَ يَا مُصْطَفَى كَثِيرَ الْأَنَاءِ
التسويد لعمران القفيني

كُنْتُ فِي مِضْرَ شَاعِراً يَبْهَرُ اللَّبَّ- بِآيَاتِ شِعْرِهِ الْبَيِّنَاتِ
فَهَجَرْتُ الشَّعْرَ السَّرِيَّ إِلَى النَّثْ- رٍ فَجِئْتُ الْكُتَّابَ بِالْمُعْجِزَاتِ
السري: العالي الرافي. وللمنفلوطي بضع قصائد أشهرها قصيدة هجاء في الخديوي عباس حلمي
وهو عائد من إستانبول، مطلعها: (قدوم ولكن لا أقول سعيد/وملك وإن طال المدى سييئد).
وقيل اشترك في نظم القصيدة عدة أدباء فسميت قصيدة السفهاء، وانتشرت وطبع منها بشتى الطرق
آلاف النسخ، وجرّت على المنفلوطي سجنًا لأشهر ستة

مُتَّ عَنْ يَافِعٍ وَخَمْسِ بَنَاتٍ لَمْ تُخَلَّفْ لَهَا سِوَى الذِّكْرِيَّاتِ
وُثِرَاتُ الْأَدِيبِ فِي الشَّرْقِ حُزْنٌ لِبَنِيهِ، وَثُرْوَةٌ لِلرُّوَاةِ

٧١ دين طه حسين

عن طه حسين بعد نشر كتابه في الشعر الجاهلي (١٩٢٦)، وفي البيتين ذكر للدكتور
عبد الحميد سعيد عضو مجلس النواب الذي كان من المطالبين بإهداء دم طه حسين:
إِنْ صَحَّ مَا قَالُوا، وَمَا أَرْجَفُوا وَأَلْصَقُوا زُوراً بِدِينِ الْحَمِيدِ
أرجفوا: أشاعوا بغرض الفتنة

فَكُفِّرْ «طَه» عِنْدَ دِيَّانِهِ أَحَبُّ مِنْ إِسْلَامِ عَبْدِ الْحَمِيدِ
الديان: الله

٧٢ رثاء أحمد حشمت

وكان وزيراً للمعارف، وهو من توسط لحافظ في وظيفة بدار الكتب وكان له إفضال كثير على الشاعر (١٩٢٦):

لَكَ مِنَّةٌ قَدْ طَوَّقَتْ غُنْفِي مَا إِن أُرِيدُ لَطَوِّقَهَا نَزْعَا
مَاتَ الإِمَامُ وَكَانَ لِي كَنَفَا وَقَضَيْتَ أَنْتَ وَكُنْتَ لِي دِرْعَا
سَلَّنِي فَإِنِّي مِنْ صَنَائِعِهِ وَسَلِّ «المَعَارِفَ» كَمْ جَنَّتْ نَفْعَا
اسألني أيها المستمع، واسأل وزارة المعارف كم جنت من المنافع في عهد وزيرها

وَعَدَوْتُ فِي بَلَدٍ تَكْنُفُنِي فِيهِ الشُّرُورُ وَلَا أَرَى دَفْعَا
تكنفني: تحيط بي

كَمْ مِنْ صَدِيقٍ لِي يُحَاسِبُنِي وَكَأَنَّ تَحْتَ ثِيَابِهِ أَفْعَى
كَمْ حَاوَلْتُ هَدْمِي مَعَاوِلُهُمْ وَأَبَى إِلَهُ فِرَازَنِي رَفْعَا
وَلَرُبَّ حُرٍّ عَابَهُ نَفَرٌ لَا يَضْلُحُونَ لِنَعْلِهِ شِئْعَا
الشع للنعل: السير الجلدي بين الأصابع

٧٣ مبايعة شوقي

ألقيت في مهرجان تنصيب شوقي أميراً للشعراء، في ٢٩ أبريل/ نيسان (١٩٢٧):
يَعْبِيُونَ شَوْقِي أَنْ يُرَى غَيْرَ مُنْشِدٍ وَمَا ذَاكَ عَنْ عِيٍّ بِهِ أَوْ تَرْفُعٍ
لا عيب في أن يدع شوقي إنشاد شعره لغيره، فليس هذا عن عي، قلة فصاحة، ولا عن ترفع
فَهَذَا كَلِيمُ اللَّهِ قَدْ جَاءَ قَبْلَهُ بِهَارُونَ مَا يَأْمُرُهُ بِالْوَحْيِ يَضْدَعُ
فهذا موسى الذي كلم الله جاء بأخيه هارون ليصدع، ليجهز، بما يأمر الوحي به موسى

تَمَلَّكَتْ مِنْ مُلْكِ الْقَرِيضِ قَسِيحَهُ فَلَمْ تُبْقِ يَا شَوْقِي لَنَا قَبْدَ إِصْبَعٍ
فِيَاللَّهِ دَعٌ لِلنَّائِثِرِينَ وَسَيْلَةً تُفِيءُ عَلَيْهِمْ، وَاتَّقِ اللَّهَ وَاقْنَعِ
ولعمري لشوقي ناثر مبدع، بدا هذا في مقدمته للشوقيات في طبعة قديمة، وفي كتابه أسواق الذهب، واقطفنا منه عبارات في فصلنا الذي عن شوقي في الكتاب

أَمِيرَ الْقَوَافِي قَدْ أَتَيْتُ مَبَايِعَا وَهَذِي وَفُودُ الشَّرْقِ قَدْ بَايَعَتْ مَعِي

٧٤ صاحب القاف

قال حافظ في الدكتور محبوب ثابت، وهو طبيب كان يحلم بالوزارة، ويهتم بكل شأن سياسي في كل بلد، وكان يتكلم بالعامية محققاً القاف، وله حضور فكه في مجالس سعد زغلول، ولشوقي فيه أكثر من قصيدة (١٩٢٧):

يُرْعِي وَيُزِيدُ بِالْقَافَاتِ تَحْسَبُهَا قَصَفَ الْمَدَافِعِ فِي أَفْقِ الْبَسَاتِينِ
مِنْ كُلِّ قَافٍ كَأَنَّ اللَّهَ صَوَّرَهَا مِنْ مَآرِجِ النَّارِ تَصَوِيرَ الشَّيَاطِينِ
المارج: اللهب

قَدْ خَصَّهُ اللَّهُ بِالْقَافَاتِ يَعْلُكُهَا وَاخْتَصَّ سَبْحَانَهُ بِالْكَافِ وَالتَّوْنِ
لَا يَأْمَنُ السَّامِعُ الْمَسْكِينُ وَثَبَّتَهُ مِنْ كُرْدُفَانٍ إِلَى أَعْلَى فِلَسْطِينِ
يقفز في حديثه من موضوع إلى آخر بعيد عنه

ولم يكنْ ذاكْ عن طيشٍ ولا خَبَلٍ لَكِنَّهَا عِبْقَرِيَّاتُ الْأَسَاطِينِ

٧٥ رثاء سعد زغلول

أنشدها في حفل تأبينه في أكتوبر/ تشرين الأول (١٩٢٧):

إِيَّاهُ يَا لَيْلُ هَلْ شَهِدْتَ الْمُصَابَا كَيْفَ يَنْصَبُ فِي النُّفُوسِ انْصِبَابَا؟
قَدْ يَا لَيْلُ مِنْ سَوَادِكَ ثُوباً لِلدَّرَارِي وَلِلضُّحَى جُلْبَابَا
اقطع أبها الليل قطعة من سوادك لتكون ثوباً يستر النجوم اللامعة والضحى.. حداداً على سعد
أَنْسُجِ الْحَالِكَاتِ مِنْكَ نِقَاباً وَاحْبُ شَمْسَ النَّهَارِ ذَاكَ النُّقَابَا
قُلْ لَهَا: غَابَ كَوْكَبُ الْأَرْضِ فِي الْأَرِ ضِ فَغَيْبِي عَنِ السَّمَاءِ احْتِجَابَا
أَيْنَ سَعْدُ؟ فَذَاكَ أَوَّلُ حَفْلٍ غَابَ عَنْ صَدْرِهِ وَعَافَ الْخِطَابَا
وكان سعد في كل حفل خطيباً فصيحاً

لَمْ يُعَوِّذْ جَنُودَهُ يَوْمَ خَطْبٍ أَنْ يُنَادَى فَلَا يَرُدُّ الْجَوَابَا
قُلْ لِمَنْ بَاتَ فِي فِلَسْطِينَ يَبْكِي إِنْ زِلْزَالُنَا أَجَلُ مُصَابَا

وكان ألمٌ بفلسطين ستنشذ زلزال مشهور ما زال الناس يؤرخون به. قالت لي. عمتي رحمها الله - وكانت تخفي حقيقة عمرها - إنها تتذكر يوم الزلزال بمدينة نابلس فقد أخذها الأهل إلى الجبل وكان عمرها ثلاث سنوات.. هزرت رأسي وقلت في نفسي: ٢٧ ناقص ٣ يساوي ٢٤، وعرفت تاريخ ميلادها

يا كبيرَ الفؤادِ والنفسِ والآما لَ أَيْنَ اعْتَزَمْتَ عَنَّا الذَّهَابَا؟
 كيف نَنسى مواقفَ لَكَ فِينَا كُنْتَ فِيهَا الْمَهِيْبَ لَا الْهَيَّابَا؟
 جَزَعُ الشَّرْقِ كُلُّهُ لِعَظِيمِ مَلَأَ الشَّرْقَ كُلُّهُ إِعْجَابَا
 تَقْتُلُ الدَّسَّ بِالصَّرَاحَةِ قِتْلًا وَتُسْقِي مُنَافِقَ الْقَوْمِ صَابَا
 الصاب: نبات مر

قد جَمَعْتَ الأحزابَ حَوْلَكَ صَفًّا وَنَظَّمْتَ الشُّيُوخَ وَالنُّوَابَا
 أي مجلسي الشيوخ والنواب
 قد بَلَّوْنَاكَ قَاضِيَا وَوَزِيرًا وَرَئِيسًا وَمِذْرَهًا خَلَّابَا
 ملره: زعيم

فَوَجَدْنَاكَ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِي لَكَ عَظِيمًا مُوَفَّقًا غَلَّابَا

٧٦ رثاء يعقوب صروف

أنشدها في حفل تأبينه بدار الأوبرا في مارس/ آذار (١٩٢٨):

أَبْكِي وَعَيْنُ الشَّرْقِ تَبْكِي مَعِي عَلَى الْأَرِيبِ الْكَاتِبِ الْأَلَمِي
 كَرَّمْ بِالْأَمْسِ وَأَكْفَأُهُ تَنَسُّجُهَا الْأَقْدَارُ لِلْمَصْرَعِ
 كان تكريمه قريباً وسرعان ما مات، فكانه وهو في حفل التكريم كان غافلاً عن أن القدر جاذ في نسج أكفائه

يا صَائِغَ الثَّرِّ لِتَكَرِيمِهِ صُفِّهِ لِمَنْعَاهُ مِنَ الْأَذْمَعِ
 قد زَيَّنَ الْعِلْمَ بِأَخْلَاقِهِ فَعَاشَ مِلْءَ الْعَيْنِ وَالْمِسْمَعِ
 تَوَاضَعُ الْعِلْمُ لَهُ رَوْعَةً يَنْهَارُ مِنْهَا صَلَفُ الْمُدَّعِي
 وَحُلَّةُ الْفَضْلِ لَهَا شَارَةٌ أَزْهَى مِنَ السَّيْفَيْنِ وَالْمِذْعِ
 يُشْبِعُ مَنْ حَصَلَ مِنْ عِلْمِهِ وَهُوَ مِنَ التَّحْصِيلِ لَمْ يَشْبَعِ

يشبع الناس الذين يحصلون علومه التي ينشرها في المقتطف (فتحى الشاعر العراقي الزهاوي، وهو أسن من حافظ تسع سنين، تربى معرفياً على يد مجلدات المقتطف في بيت والده)، لكن صروف نفسه لم يشبع من العلم. وكان من حسن طالع جيلنا أن أصدرت دولة الكويت مجلة «العربي» عام (١٩٥٨)، وكانت علمية أدبية كالمقتطف، وزادت عن المقتطف الصور الملونة الخلاية، وترأس تحريرها عالم جليل وصاحب لغة وأدب هو أحمد زكي الكيمياء المصري فجعلها مدرسة تعلم فيها جيل من الناس، وفي «العربي» قرأت أول الأسطر ومنها تعلمت، ومنها صرت لا أرى الآداب تقوم بغير العلوم المادية، وأحسب أن الزهاوي تعلم من المقتطف أن يكون أدبياً وطالب علم مادي في آن معاً

قَدْ غَالَتِ الْأَسْقَامُ أَضْلَاعَهُ وَالرَّأْسُ فِي شُغْلٍ عَنِ الْأَضْلَعِ

ظل تفكيره حيواً رغم المرض

يَفْتَتِطِفُ الزَّهْرَ وَيَخْتَارُهُ كَالنَّحْلِ لَا يَعْفُو عَنِ الْأَيْبِ

كان يقتطف في مجلته «المقتطف» الأزهار من رياض العلم والأدب، كالنحل الذي لا يعفو عن الزهرة ويتركها لأنها يانعة بل يغشاها

فَتَحَسَّبُ الْقُرَاءَ فِي جَنَّةٍ عُقُولُهُمْ فِي رَوْضِهَا تَرْتَعِي

صُرُوفٌ لَا تَبْعُدُ، فَلَسْتُ الَّذِي يَطْوِيهِ طَاوِي ذَلِكَ الْمَضْجِعِ

لا تبعد: كلمة تقال للميت، أي لا بُعد ذكرك

أَسْكَنَكَ الْمَوْتَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُسْكِنِ الْآثَارَ فِي الْمَجْمَعِ

لم تبتد آثارك في المجمع، المجلس، ولم يكن أنشئ مجمع اللغة العربية في مصر بعد

٧٧ نضال النساء

نحية لجمعية المرأة الجديدة، نشرت في أبريل/ نيسان (١٩٢٨):

يَقُولُونَ: نَصَفَ النَّاسِ فِي الشَّرْقِ عَاطِلٌ نِسَاءً قَضَيْنَ الْعُمَرَ فِي الْحُجَرَاتِ

وَهَذِي بَنَاتُ النَّيْلِ يَعْمَلْنَ لِلنَّهْيِ وَيَغْرِسْنَ غَرْساً دَانِي الثَّمَرَاتِ

النهي: العقل

وَفِي السَّنَةِ السُّودَاءِ كُنْتُ قُدُوةً لَنَا حِينَ سَالَ الْمَوْتُ بِالْمُهَجَاتِ

في السنة السوداء، أثناء ثورة (١٩١٩)، بادرت النساء بالاحتجاج حين أودى الموت بمهج وقلوب الناس

وَقَفْتُ فِي وَجْهِ الْخَمِيسِ مُدَجَّجاً وَكُنْتُ بِالْإِيمَانِ مُعْتَصِمَاتِ

وقفت النسوة في وجه الخميس، الجيش، وسلاحهن الإيمان بمطالب الشعب

تَعَلَّمْ مِنْكُنَّ الرِّجَالُ فَأَصْبَحُوا عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ أَهْلَ ثَبَاتِ

٧٨ رثاء محمود سليمان

كان محمود سليمان من كبار ملاك الأراضي، وقد وظف والد شاعرنا مهندساً للري في

ديروط، وأسكنه عوامة فيها ولد شاعرنا. نشرت في فبراير/ شباط (١٩٢٩):

قَسَمْتُ مَا جَمَعْتُ كَفَّأكَ مِنْ نَشَبٍ عَلَى بَنِيكَ فَكُنْتَ الْوَالِدَ الْحَانِي

وأصبح «محمد محمود» ابن الباشا رئيساً للوزراء وكان ينعم على حافظ إبراهيم كما كان ينعم أبوه على أبيه

مَا لَ حَلَالٍ مُرَكِّئِي مَا خَلَطْتَ بِهِ مِلِّيمَ سُحْبٍ وَلَا حَقًّا لِإِنْسَانٍ

السحت: الحرام

٧٩ الواقف على الستين

تحية الشام، أنشدها في الجامعة الأميركية ببيروت، ونشرت في ٢ يونيو/حزيران (١٩٢٩):

أَهْلَ الشَّامِ لَقَدْ طَوَّقْتُمْ عُنُقِي بِمِنَّةٍ خَرَجْتُ عَنْ طَوِّقِ نَيْبَانِي
منة: نعمة

لِي مَوْطِنٌ فِي رُبُوعِ النِّيلِ أَعْظَمُهُ وَلِي هُنَا فِي حِمَاكُم مَوْطِنٌ ثَانٍ
سَكَنْتُمْ جَنَّةً فَبَحَاءَ لَيْسَ بِهَا عَيْبٌ سِوَى أَنَّهَا فِي الْعَالَمِ الْفَانِي
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِنْ دُنْيَايَ فِي دَعَا قَلْبِي جَمِيعٌ، وَأَمْرِي طَوَّعٌ وَجْدَانِي
بل كان حافظ في دعة مرفهاً يقبض معاشاً محترماً من «دار الكتب»، ولكنه كان مقيداً في الوظيفة وأمره ليس طوع وجدانه، فالوظيفة المغربية حبست لسانه

أَفْضِي الْمَصِيفَ بِلُبْنَانٍ عَلَى شَرْفٍ وَلَا أَحُولُ عَنِ الْمَشْتَى بِحُلُوانٍ
ليتني وادع أفضي الصيف في لبنان على شرف، في مكان عالٍ، ولا أغير مشتاي في حلوان بمصر

تَاهَتْ بِقَبْرِ صَلَاحِ الدِّينِ تُرْبَتُهَا وَتَاهَ أَحِبَاؤُهَا نِيهَا بِمُطْرَانٍ
تفتخر الشام بأن فيها قبر صلاح الدين، هذا عن الأموات، أما الأحياء فيفتخرون بمطران، وخليل مطران ابن زحلة ببلبان، وكانت لبنان في ذلك الزمن، ١٩٢٩، قد انفصلت سياسياً عن سوريا، ولكنها بقيت في وجدان الناس جزءاً من سوريا الكبرى

يَبْنِي وَيَهْدِمُ فِي الشَّعْرِ الْقَدِيمِ وَفِي الشَّدِّ - حَرِّ الْحَدِيثِ فَنَعَمَ الْهَادِمُ الْبَانِي
إِذَا لَمَحْتُمْ بِشِعْرِي وَمَضَ بَارِقَةٌ فبَعْضُ إِحْسَانِهِ فِي الْقَوْلِ إِحْسَانِي
شَقَقْتُ أَسْوَاقَ بَيْرُوتٍ فَمَا أَخَذْتُ عَيْنَايَ فِي سَاحِهَا حَانُوتَ بُونَانِي
.. وليس كأسواق الإسكندرية. العامرة بحوانيت اليونانيين.. وحوانيت الشام أيضاً

فَقُلْتُ فِي غِبْطَةٍ: لَلَّهِ دَرَهُمُ لَيْسَ الْفَلَاحُ لِيَوَانٍ غَيْرِ يَقْظَانٍ
ليس الفلاح، والنجاح، ليوانٍ، لكسول متوانٍ

مَتَى أَرَى الشَّرْقَ أَدْنَاهُ وَأَبْعَدُهُ عَنْ مَظْمَعِ الْغَرْبِ فِيهِ غَيْرَ وَسْنَانٍ
وسنان: نعلان

لا فَرْقَ ما بَيْنَ بُودَيِّ يَعِيشُ به ومسلمٍ وَيَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِي
 إن دَامَ ما نَحْنُ فِيهِ مِنْ مُدَابَرَةٍ وفتنةٍ بَيْنَ أَجْناسٍ وَأَذْيَانٍ
 المدابرة: أن يعطي كل واحد صاحبه دبره أي ظهره فيخاصمه

رَأَيْتُ رَأْيَ الْمَعْرِيِّ حِينَ أَرْهَقَهُ ما حَلَّ بِالنَّاسِ مِنْ بَغْيٍ وَعُدْوَانٍ
 لا تَظْهَرُ الْأَرْضُ مِنْ رَجْسٍ وَمِنْ ذَرَنِ حتَّى يُعَاوِدَهَا نُوحٌ بِطُوفَانٍ
 تمنى المعري، وكانت لزومياته تلازم حافظاً، طوفاناً يغسل الأرض من وسخها

وَلَّى الشَّبَابُ وَجَارَتْني فُتُوته وَهَدَّمَ السُّقْمُ بَعْدَ السُّقْمِ أُرْكَانِي
 وَقَفْتُ قَبِيلَ بُلُوغِ السِّتِينَ أَسْأَلُها هَلْ سَوَفَتْ أَكْفَانِي أَسَوَفْتُ أَمْ أَعَدَّتْ حُرَّ أَكْفَانِي
 وقفت قبيل بلوغ الستين أسألها هل سوف أكفاني، وأجلتها، أم أعدتها وهبأتها. الحر: من الوجه ومن المال ومن كل شيء هو حقيقته ووسطه. قد قلتُ وأنا في التاسعة والأربعين، ونشرتها في جريدة «الحال»، في شباط/فبراير (٢٠٠٥):

«وقفت على الخمسين» حيران في أمري كَانِي نَاسٍ مَوْعِداً غَابَ عَن فِكْرِي
 أَمَسْتُ جَبِينِي بِالْبَنَانِ، وَإِنِّي لَأَشُوقُ لِلنِّسْيَانِ مِنِّي إِلَى الذُّكْرِ
 بَعِينِي أَرْنُو لِلْفَرَاغِ، وَلَا أَرَى، وَلَوْ مَرَّ جَمْعٌ مِنْ أَمَامِي لَمْ أَدِرْ
 وَأَطْبَقْتُ أَجْفَانِي، زَفَرْتُ تَقْلَقَلْتُ بِحَلْقِي حُصَيَّاتٍ، وَفَاجَأَنِي عُمَرِي

كنت أعرف أنني سرت هذه الـ «وقفت على» من أحد، ونسيت من يكون، والآن عرفت أنني سرقتها من حافظ. وقد وقفت الآن على الستين وتجاوزتها بسنة، فأنا في العمر الذي مات عليه حافظ.. وتراني كلما قال لي أحدهم «أحسن الله ختامك» أتعجب، فلم أعد أحس بمر السنين، وتركت الأمر لصاحب الأمر.. ربما سأشعر بشيء من الفراغ بعد أن أكمل هذا الكتاب ذا المجلدات الخمسة، هذا إن بقي من الوقت وقت للشعور بالفراغ

كَمْ مِنْ قَرِيبٍ نَأَى عَنِّي فَأَوْجَعَنِي وَكَمْ عَزِيزٍ مَضَى قَبْلِي فَأَبْكَانِي
 مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَن قَوْمِي فَلْيُنْهَمْ وَلَوْ سِرَاعاً وَخَلَّوْا ذَلِكَ الْوَانِي
 الواني: الضعيف

إِنِّي مَلِلْتُ وَقُوفِي كُلَّ آوِنَةٍ أَبْكِي وَأَنْظِمُ أَحْزَاناً بِأَحْزَانٍ
 إِذَا نَصَفَحْتَ دِيوَانِي لِتَقْرَأَنِي وَجَدْتُ شِعْرَ الْمَرَاثِي نِصْفَ دِيوَانِي
 أَنَيْتُ مُسْتَشْفِئاً وَالشُّوقُ يَدْفَعُ بِي إِلَى رُبَاكُم وَعُودِي غَيْرُ قَيْنَانٍ
 العود الفينان: الساق الناضر ذو الأغصان

فَأَنْزِلُونِي مَكَاناً أَسْتَجِمْ بِهِ وَيَنْجَلِي عَنْ فَوَادِي بَرْحٍ أَحْزَانِي
البرح: الأذى

وَجَنَّبُونِي، عَلَى شُكْرِ، مَوَائِدُكُمْ بِمَا حَوَتْ مِنْ أَفَاوِيهِ وَالْوَائِ
الأفاويه: التوابل

حَسْبِي وَحَسْبُ الثَّهَى مَا نِلْتُ مِنْ كَرَمٍ قَدْ كِدْتُ أَنْسَى بِهِ أَهْلِي وَخُلَّانِي

٨٠ تأبين محمد المويلحي

نشرت في أبريل/ نيسان (١٩٣٠):

دَمْعَةً مِنْ دَمْعِ عَهْدِ الشَّبَابِ كُنْتُ خَبَّائِهَا لِيَوْمِ الْمَصَابِ
لَبَّتِ الْيَوْمَ يَا مُحَمَّدٌ لَمَّا رَاعَنِي نَفْيُ أَكْتَابِ الْكُتَّابِ
وكان محمد المويلحي ناثراً مشهوراً وله «حديث عيسى بن هشام» على طريقة المقامات

هَذَا تُ لَوْعَتِي وَسَرَّتْ قَلِيلًا عَنْ فَوَادِي وَلَطَفْتُ بَعْضَ مَا بِي
سَرَّتْ عَنْ فَوَادِي تَسْرِيةً: خَفَّتْ عَنْهُ

لَوْ شَهِدْتُمْ مُحَمَّدًا وَهُوَ يُمْلِي آيَ «عِيسَى» وَمُعْجَزَاتِ الْكِتَابِ
كتاب «حديث عيسى بن هشام».. والتورية في آي عيسى أي معجزاته، ومعجزات القرآن التي
تكمن في بلاغته

وَقَفْتُ حَوْلَهُ صُفُوفُ الْمَعَانِي وَصُفُوفُ الْأَلْفَاظِ مِنْ كُلِّ بَابٍ
لَعَلِمْتُمْ بَأَنَّ عَهْدَ ابْنِ بَاحِرٍ عَاوَدَ الشَّرْقَ بَعْدَ طَوْلِ احْتِجَابٍ
ابن بحر: عمرو بن بحر الجاحظ

٨١ حنين للدموع

نشرت في فبراير/ شباط (١٩٣٢):

كَمْ رَوَّحَ الدَّمْعُ عَنْ قَلْبِي وَكَمْ غَسَلَتْ مِنْهُ السَّوَابِقُ حُزْناً فِي حَنَائِيَاهُ
كان الدمع يروح عني ويخفف حزن قلبي وكانت سوابق الدمع، الدمعات التي تنزل فوراً، تغسل
الحزن في حنايا قلبي، أنحائه

لَمْ أَدْرِ مَا يَدُهُ حَتَّى تَرَشَّقَهُ فَمُ الْمَشِيبِ عَلَى رُغْمِي فَأَفْنَاهُ
لم أعرف يد الدمع، نعمته، إلا بعد أن ارتشفه فم المشيب وأفناه فجفت دموعي

قالوا تَحَرَّزْتُ مِنْ قَيْدِ الْمِلَاحِ فِعِشْ حُرّاً فِي الْأَسْرِ ذَلَّ كُنْتُ تَأْبَاهُ
عَلَّلُونِي بِأَنِّي تَخَلَّصْتُ مِنْ أَسْرِ الْمِيلِ لِلْحَسَنِ وَتَخَلَّصْتُ مِنْ ذَلِّ هَذَا الْقَيْدِ

فَقُلْتُ يَا لَيْتَهُ دَامَتْ صَرَامَتُهُ مَا كَانَ أَرْفَقَهُ عِنْدِي وَأَخْنَاهُ
لَكِنِّي أَتَحَسَّرُ عَلَى ذَلِكَ الْمِيلِ لِلنِّسَاءِ، فِيهِ رَفَقٌ وَحَنٌّ. لَعَلَهُ نَادِمٌ أَنْ طَلَّقَ زَوْجَتَهُ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ
مِنَ الزَّوْجِاقِ وَيَبْقَى عَزْباً رُبْعَ قَرْنٍ فَدَهَمَتْهُ الشَّيْخُوخَةُ فَشَعَرَ بِالْوَحْدَةِ

بُذِّلْتُ مِنْهُ بِقَيْدٍ لَسْتُ أَقْلِيثُهُ وَكَيْفَ أَقْلِيْتُ قَيْدَ صَاغَةِ اللَّهِ
الْقَيْدِ الثَّانِي فِيهِ نَظَرٌ. لَعَلَهُ الْمِيلُ الْمُتَأَصِّلُ فِي نَفْسِ حَافِظِ الشُّبَّانِ! أَوْ لَعَلَهُ الْمَشِيبُ كَمَا يَصْرَحُ
الْبَيْتُ الْمُقْبِلُ

أَسْرَى الصَّبَابَةِ أَحْيَاءً وَإِنْ جَهَدُوا أَمَّا الْمَشِيبُ فِيهِ الْأَمْوَاتِ أَسْرَاهُ

٨٢ فاض الكيل

نشرت (١٩٣٢):

أَخَذْتُمْ كُلَّ مَا تَبْغُونُ مِنَّا فَمَا هَذَا التَّحَكُّمُ فِي الْعِبَادِ؟
فَلَيْسَ وَرَاءَكُمْ غَيْرُ التَّجَنِّي وَلَيْسَ أَمَامَنَا غَيْرُ الْجِهَادِ

٨٣ تعميم الخصب

أنشدتهما في حفل أقامه لطفه حسين طلبته بعد فصله من الجامعة، نشر البيتان في ٧
أبريل/ نيسان (١٩٣٢):

قَدْ أَجْدَبَتْ دَارَ الْحِجَا وَالنُّهَى بَعْدَكَ مِنْ آرائِكَ النَّافِعَةَ
أَجْدَبْتَ، وَأَقْفَرْتَ، الْجَامِعَةُ الَّتِي هِيَ دَارُ الْحِجَا، الْعَقْلُ، وَالنُّهَى، الْعَقْلُ أَيْضاً، مِنْ آرائِكَ النَّافِعَةِ
وَأَخْصَبْتَ أَرْجَاءَ مِصْرَ بِمَنْ صَيَّرَ مِصْرَ كُلِّهَا جَامِعَةً

٨٤ حكومة صدقي

من قصيدة في شؤون مصر السياسية، قالها في عهد وزارة إسماعيل صدقي، بعد إحالته
إلى التقاعد (١٩٣٢)، وقيل إنها بلغت مئتي بيت، وعثر من هذه الأبيات على قليل، منه
هذا الأقل:

قَدْ مَرَّ عَامٌ يَا سَعَادُ وَعَامٌ وَابْنُ الْكِتَانَةِ فِي حِمَاهُ يُضَامُ
لَمْ يَبْقَ فِينَا مَنْ يُمَنِّي نَفْسَهُ بِوِدَادِكُمْ فَوَدَادُكُمْ أَحْلَامُ

أَمِنَ السِّيَاسَةَ وَالْمَرْوَةَ أَنَّنَا نَشْقَى بِكُمْ فِي أَرْضِنَا وَنُضَامُ؟
إِنَّا جَمَعْنَا لِلْجِهَادِ صَفُوفَنَا سَنَمُوتُ، أَوْ نَحْيَا وَنَحْنُ كِرَامُ
أَشْكُو إِلَى قَضَرِ الدُّبَارَةِ مَا جَنَى صِدْقِي الْوَزِيرُ وَمَا جَبَى عَلاَمُ
قصر الدوبارة: مقر المعتمد البريطاني، وصدقي: رئيس الوزراء إسماعيل صدقي، وعلام: محمد
علام وزير الزراعة

وَدَعَا عَلَيْكَ اللَّهُ فِي مُحَرَابِهِ الشَّيْخُ وَالْقَسَّيْسُ وَالْحَاخَامُ
هذه لإسماعيل صدقي

فهرس القوافي (القافية فرقم القصيدة)

٤	وأفراح	٩	الكِسائي
٨	المُسَدَّدَا	١٠	بالصُّهْبَاءِ
٢٤	حَدًّا	١٩	أبى
٢٥	والوَدَادَا	٧٥	انصِبَابَا
٢٧	يَدَا	٦	ارتِيَابُ
٨٢	العبَادِ	٣٠	والْحَسْبُ
٣٤	اليهودِ	٦٠	وَحُجَابُ
٢١	مَجْهُودِي	٤١	الخطابِ
٦١	وَحَدِي	١٧	الطَّيِّبِ
٧١	الْعَمِيذُ	٨٠	المُصَابِ
١٥	أَثْرَا	١٣	بِاللَّهَبِ
٢	أَثْرُ	٥٩	مُجِيبِي
٢٠	الْكُوْنُرُ	٦٤	مَشِيبِي
٣٩	سَعِيرُ	٣٥	جَائِئُهُ
٦٦	كَبِيرُ	٧	الأمواتُ
١٨	نُشُورُ	٧٠	الأوقاتِ
٦٥	الْحَذَرُ	٧٧	الحُجْرَاتِ
٥٥	سَيَرُ	٢٢	النَّضِرَاتِ
٤٥	والمَفَاخِرِ	١٦	حياتي
١١	وَحَدْسِ	٦٣	فَأَسْتَرْوُحُ

٥٢	وَسَلَّمُوا	٢٣	الطُّبَاعَا
٨٤	يُضَامُ	٧٢	نَزَعَا
٤٠	الظَّلَام	٤٣	يَلْمَعُ
٦٩	كَالْعَلَمِ	٧٦	الْأَلْمَعِي
١٤	مَا قَيْنَا	٧٣	تَرْقُعُ
٥١	وَيَسْقِينَا	٨٣	التَّافِعَةُ
٤٨	رَهِينُ	٣٧	تَنْطِقَا
٧٤	الْبَسَاتِينِ	٣١	يُلْحَقُ
٤٧	الْجَانِي	٣٨	الْعُشَّاقِ
٧٨	الْحَانِي	٥٨	مَمْلُوكَا
٣٢	الْفَرَقْدَانِ	٦٢	مَوْثِلَا
٤٤	المِهْرَجَانِ	٦٨	مَعْسُولُ
٧٩	تَبْيَانِي	٣	مِعْطَا
١	ثَانِ	٤٩	يُظَلُّ
٢٩	عُثْمَانِ	٦٧	الْمَعَالِي
٤٦	فَشَجَانِي	٢٨	تَقُلُّ
٥	فَاعِلَيْنِ	١٢	التَّنْدَمَا
٥٧	جَمْعُهُنَّ	٢٦	مَنْظَمَا
٥٦	بَيَانِهِ	٤٢	الْمِعْصَمُ
٥٣	عَلَيَّ	٣٣	مُتَّهَمُ
٥٤	أَهْدِيهَا	٥٠	مُغْرَمُ
٨١	حَنَائِيَاهُ	٣٦	هَيَامُ

معروف الرصافي

(١٨٧٥م - ١٩٤٥م)

نامت جارتني الهندية، فهذا حين أقعد إلى حاسوبي لأكتب شيئاً.
أنصت وأصيح السمع.
نامت.

فجارتني - ولا أعرف لها وجهاً، ولا صادف أن التقينا في الردهة أو في
المصعد - لا تسكت ساعة من ساعات النهار أو المساء، فإذا ساد الصمت فلا
بد أنها نامت.

بقي أن أدعو الله ألا يُهيب بي ذلك الدافع الخفي فأهب من جلستي، غير
هائب ولا وجل، لكي أصقل الغرفة. ولا بأس أن أقول لمن يقرأ هذا إنني
أسكن منذ سنة وشهر في غرفة ملساء. أكثر ما أعجبنى فيها وقت اكتريتها أنها
ذات بلاط أملس، بخلاف شقة قديمة كنت أسكنها وكان بلاطها خشناً. وفي
غرفتي الصغيرة تحتل معدات التنظيف مساحة يمكن تقديرها بنسبة مئوية لا بأس
بها. ويطيب لي أن أمسح الغرفة بالممسحة مرتين أو ثلاثاً في اليوم، ليس لكي
أرى مقدار ما تساقط من شعر جسمي في الزمن الذي انقضى بين المسحة
والمسحة، ولكن كي أحس أنني أعيش في بانيو.

يا إلهي! عادت إلى الكلام. بيني وجارتني جدار صفيق، جدار أسمتي
حقيقي، ولكن صوت جارتني الهندية يخترق جدار الصوت. أسمعها دائماً
وحدها، يبدو أن زوجها مخلوق أنيس لا يلاسنها، أو أنه يكتفي بهمهمة
خفيفة.

يحسن بي أن أقوم ببعض التلميع عساها تنام.

نامت جارتني لا شك. وأنا الآن أجلس وتحتي شبه بحيرة، فالبلاط الأملس لا يجف بسرعة. ولا قومة لي لساعة أو ساعتين حتى يجف. الآن أشعر حقاً أنني أعيش في بانيو. وهذا جد ملائم للكتابة عن شاعر. فأنا إذ أكتب عن شاعر أحب ألا أعيش في بيئتي بل في بيئته. أحب أن أخرج من زماني ومكاني، وأنتقل إلى زمانه ومكانه.

لم يكن معروف الرصافي يعيش في المكان. فقد اهتزت الأرض من تحته طفلاً، وظلت تهتز. فإن ثبتت هزها.

كان سومرست موم الأديب البريطاني كذلك. كان مكانه الذي فيه يعيش ثروته الطائلة. في الأربعينات من القرن العشرين، كانت له سفرة في شرق آسيا، وحمل في حقيته مئة ألف دولار أميركي. استهوطني الفكرة، فقلت لنفسي يجب أن أجمع مالا كثيراً كي أقضي سنوات الشيخوخة عائشاً في ثروتي. وسألني صحفي يوماً عن أمنيته، فقلت له: أن أجمع مليون دولار. وتردد صدى هذا التصريح، وظل الأصدقاء يسألونني: هل اكتمل لك المليون؟ الجواب: لا. بل ها قد دخلت في الشيخوخة، وإنني لأرى أحياناً بجانبني ورقة، فأنظر ذات اليمين وذات الشمال، فإذا وجدت نفسي وحيداً استللت قلمي وبدأت أحسب القروش التي وفرتها. كذا يفعل كل من أوشك على التقاعد. وخير رزق للشيخ بعد أن تصد عنه الوظائف التوفير والتدنيق.

سنة، وأكون قد تخلصت من هذه السلسلة التي أحدثك فيها عن الشعراء وأسمعك شعرهم. سنة، ويأتي الزمن الشيخوخي الذي يحس فيه الإنسان بأنه يملك الكثير من الوقت، وهو في الحقيقة لا يملك منه سوى القليل. سنة، وتبدأ مرحلة جديدة تصبح فيها أحلام اليقظة صعبة. ربما لهذا السبب يقبل المسنون على الدين إقبالاً ملحوظاً، فعندما تنتهي أحلام يقظتهم ينتهبون إلى أن هناك حلماً خالداً ويركزون اهتمامهم فيه.

على أنني الآن قاعد في البانيو، وتحتي ما زال البلاط يلعب، ولمّا تجفّ البحيرة. ولا حيلة لي في القيام. إن جاءني فكرة حسنة فها أنذا أكتبها، وإن لم تجئ فعلى القارئ أن يحتمل كل ثرثرتي، فلا قومة لي حتى تجف بحيرتي.

جف الماء.. ليس ماء بحيرتي بل ماء حلقي. فقد عادت جارتني إلى

الكلام، ليس صراخاً هذه المرة بل كلام هادئ. ومع ذلك أقسم لو أنني أعرف لغتها لفهمت كل كلمة من كلامها، ففي صوتها خاصية غريبة هي الاستواء. إنه لا يصعد ويهبط مثل أصوات البشر، بل يظل على وتيرة واحدة، هادئاً كان أم صارخاً. وهو الآن ليس بصارخ، لكنه عالٍ، ومتواصل.

وعلى صوتها الهادئ، وكلامها الذي لا أفهمه، يمكنني أن أركز ذهني في حياة معروف الرصافي المضطربة. فإن لم أحسن التركيز فلا بأس.. فحياته كانت مضطربة.

هذا رجل بغدادي. والواقع أنه طفل بغدادي لا رجل. فعلى غير ما عودتك سوف أبدأ من شاعرنا منذ الولادة وأصعد درجة درجة حتى أوسده حفرة.

معروف الرصافي

ولدت أم عربية، في بيت أبيها جاسم، وربته عربياً. فقد كان أبوه الكردي عبد الغني محمود، العريف في الجيش العثماني، ثم شرطي الجندرية، غائباً معظم الوقت، ثم مات ومعروف في نحو السابعة من العمر، فإن رأيت يذرف الدموع في أكثر من قصيدة على اليتيم فاعلم أنه يستقي من بئر حقيقته.

كانت فاطمة بنت جاسم تعتني بولدها وترسله مع شطيرته إلى الكتاب كل يوم. ثم أخذ معروف يتردد على «المدارس الدينية»، لا أدري طبيعة هذه المدارس، ولا الجهة التي كانت تنفق عليها، وأنا أنقل لك بعض المعلومات من نجدة فتحي صفوة في كتابه عن الشاعر ضمن سلسلة «الأعمال المجهولة»، والكتاب طيب وذو أسلوب قوي، رغم أنه المؤلف فيما بدا لي لم يدقق النص بعد أن دفعه إلى المطبعة.

بعد ذلك التصق الرصافي بأستاذ كبير هو الشيخ محمود شكري الآلوسي اثنتي عشرة سنة لا يفارقه. والآلوسي بحر زاخر في علوم اللغة والأدب القديم وعلوم الدين على مذهب أهل السنة. فمن نظر في كتابه «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» عرف أن الرصافي عب من البحر.

لقب الآلوسي تلميذه النابه «الرصافي» مستذكراً معروف الكرخي الصوفي الزاهد، والرصافة جانب بغداد الشرقي المقابل للكرخ، وكان التلميذ يتدرب على الشعر بمدح أستاذه.

عمل الرصافي في التدريس، وظل ينظم، وأخذ ينشر أشعاره في مجلات مصر وسورية وهو بعد فتى، فظن الناس أن «الرصافي» اسم يستخفي وراءه شاعر كبير لا يريد أن يتأذى بما في قصائده من صراحة. ومع إعلان الدستور العثماني ١٩٠٨، ثم خلع السلطان عبد الحميد في السنة التالية، كان الرصافي في الثالثة والثلاثين من العمر، معلماً واعياً لما تحدثه التغيرات في إستانبول على أحوال العراق. وقد نشط في تأييد ضباط جماعة «الاتحاد والترقي» الذين أرغموا السلطان على الدستور، فانقلب عليهم، فعزلوه. وكان لجماعة الاتحاد والترقي في بغداد حضور، وأصدروا صحيفة بالعربية والتركية، وتولى الرصافي تحرير نسختها العربية.

برزت في ذلك الحين الأفكار العلمانية للرصافي. كأن صاحبنا بعد أن أخذ عن أستاذه الكبير علمه الغزير باللغة والأدب خالفه في تمسكه القوي بالدين على المنهج السلفي القريب من الوهابية.

استدعى القطب الصحافي في إستانبول «أحمد جودت» الرصافي ليحرر جريدة في عاصمة الدولة، فذهب الرصافي، ليجد أن المشروع قد ولد ميتاً.

توجه الرصافي إلى بيروت حيث احتفت به الأوساط الأدبية، وطبع له هناك، عام ١٩١٠، ديوان بوبه وقدم له اثنان من كبار أهل الأدب (محيي الدين الخياط، ومصطفى الغلاييني)، وفي هذا ما يدل على أن أهل الأدب واللغة في ذلك الزمن عرفوا قيمة الرصافي الأدبية وعمق معرفته باللغة وأساليبها، وهو بعد في الخامسة والثلاثين من العمر. ثم عاد الرصافي إلى بغداد.

واستدعي الرصافي ثانية إلى إستانبول لتحرير صحيفة «سبيل الرشاد»، فذهب. وخلع في إستانبول الجبة والعمامة وتزوج امرأة تركية. وأخذ يدرس الواعظين، وكان طلعت باشا أحد كبار رجال الاتحاد والترقي يدرس العربية على يديه، ويقول «شيخي معروف الرصافي».

وعلى يدي طلعت دخل الرصافي مجلس المبعوثان نائباً في عام ١٩١٢، و«زامل في ذلك المجلس نائباً شاباً من الحجاز اسمه الشريف فيصل ولم يكن يخطر لأي منهما في ذلك الوقت ببال أن هذا الشاب الحجازي سيتوج بعد أقل من عشر سنوات ملكاً على العراق، وأن الرصافي سيصبح من أشد مناوئيه»، اهـ عن نجدة فتحي صفوة.

بقي الرصافي في النيابة أزيد من أربع سنين مؤيداً للدولة العثمانية في حربها ضد نصف العالم، الحرب العالمية الأولى. كان على بعض اتصال مع الجمعيات العربية التي تتطلع إلى نيل العرب حقوقهم، ثم صارت تتطلع - بعد أن بدا واضحاً أن الدولة العثمانية آيلة للتفكك - إلى نيل بلاد العرب الاستقلال، وكان الرصافي ينتقد هذا التحرك. قد ظل الرصافي عثمانياً الهوى.

وعندما قام شريف مكة، الشريف حسين، بالتحرك ضد الدولة العثمانية بدعم بريطاني رماه الرصافي بخيانة الدولة العثمانية الإسلامية وممالأة أعدائها. وبدأت أعراض الهزيمة تظهر بوضوح متسارع على الدولة العثمانية وحليفاتها ألمانيا والنمسا في الحرب العالمية الأولى، وظل الرصافي عثمانياً.

توجع الرصافي عندما سقطت بغداد بيد الإنجليز عام ١٩١٧، وظل في إستانبول حتى انتهت الحرب في عام ١٩١٨. ودخلت تركيا نفسها مع انتهاء الحرب في أتون حروب داخلية ستنتهي بقيام الدولة التركية الحديثة على يد مصطفى كمال أتاتورك.

غادر الرصافي إستانبول إلى دمشق، حيث كان الأمير فيصل يهيء نفسه لتسلم العرش بدعم بريطاني، ولأن موقف الرصافي من الإنجليز معروف فقد تعذر عليه أن يمكث في دمشق، فتوسط له محمد كرد علي في وظيفة بالقدس.

مكث الرصافي في القدس عامين سعيدين احتفى فيهما به أدباء فلسطين. كان معلماً في مدرسة المطران. لا ندري إن كان الرصافي قد عرف قبل مقدمه أن هذه المدرسة إنما أنشأها المبشرون الأنجليكان الإنجليز قبل عشرين سنة من مقدمه، وظلوا يديرونها حتى يومنا هذا. على أن الأنجليكان، بخلاف كل الطوائف، يتسمون بسماحة لم يتسم بها الحكم الإنجليزي الذي كان قد وطد لنفسه في فلسطين قبل قدوم شاعرنا. لقد دخل الجنرال إدmond ألني القدس في أواخر عام ١٩١٧ راجلاً احتراماً للمدينة المقدسة، ولكن وزير خارجيته في لندن آرثر بلفور، صاحب الاعتقاد بالشعوذة والرئيس السابق لجمعية غيبية لا تؤمن بأن الإنسان يموت، كان قد أصدر الوعد المعروف باسمه لليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين قبل شهر وتسعة أيام من احتلال الإنجليز للقدس.

عاش الرصافي في القدس مع إخوته من الفلسطينيين وجلهم كان غافلاً عما يدبر للبلد رغم الإشارات الواضحة.

وبعد هذين العامين السعيدين استدعت بغداد ابنها. لقد بدأ زعماء العراق يحشدون قواهم تحت شعار «العراق للعراقيين». ذلك أن فيصلاً طرد من دمشق شر طردة بعد أن أخلاها الإنجليز للفرنسيين ودخلها الجنرال غورو دخولاً وقحاً وهو يبشر نفسه بأنه قد بلغ بالحروب الصليبية نهايتها بانتصار الغرب. وبدأ الإنجليز يرتبون لفیصل كي يتسمن عرش العراق.

استدعى زعماء بغداد الرصافي المعادي للإنجليز كي يحرر جريدة لهم تدعّم مطلبهم.

لكن الإنجليز شقوا صف الزعماء العراقيين وتوجوا فیصل ملكاً على العراق. وصل فیصل في صيف ١٩٢١، واستقبله الرصافي بقصيدة قدح ثم بقصيدة مدح. لكن فيصلاً زوى وجهه عن زميله القديم في المبعوثان. واستعطفه الرصافي برسالة بعد سنة. ولم يقبل عليه فیصل بوجهه. فأخذ شاعرنا يث في الناس أهاجيه في فیصل.

سافر الرصافي إلى إستانبول، وكان قد طلق زوجته التركية قبل رحيله في نهاية الحرب، ورأى أن ما كانت عليه إستانبول وهي عاصمة الإمبراطورية تغير كثيراً. فلم تعد عاصمة دولة نصف أهلها عرب، بل كبرى مدن تركيا وحسب. وبسرعة مضى الرصافي إلى بيروت يريد أن يقيم بها. لكنه عدم في بيروت مورداً للرزق مع أنه اختير عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، فعاد إلى العراق وشارك في انتخابات المجلس التأسيسي ١٩٢٤، ولم ينجح. لا، ولم يقربه فیصل الذي بلغته أبيات الرصافي في هجائه.

عمل الرصافي في تدريس اللغة العربية موظفاً في المعارف. وأخذ يمدح الملك ورجال الحكم ويهجوهم طامعاً في منصب كبير. كان فیصل رجلاً حكيماً عاقلاً، وكان الرصافي شاعراً قلقاً. فعاش الملك مغضياً ومحتملاً ما تجود به قريحة الشاعر، وعاش الشاعر آمناً ومقصى عن رفیع المناصب.

لكن الله أرسل للرصافي رجلاً رقيق القلب وصاحب سياسة هو رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون. أقنع السعدون الملك بأن يسمح للرصافي بالترشح لمجلس النواب. وانتخب الرصافي نائباً في عام ١٩٢٨. ومرت سنة وانتحر رئيس الوزراء السعدون، في الأغلب لأنه شعر أن المطلوب منه أن يكون لعبة ثانية بيد الإنجليز، حيث اللعبة الأولى فیصل نفسه.

بقي الرصافي في مجلس النواب أربع سنين، ثم ضاق رزقه فارتحل إلى الفلوجة على بعد ثمانين كيلومتراً من بغداد، وعاش في بيت أفرد له بعض من يقدر أدبه. ومات فيصل عام ١٩٣٣، ورثاه الرصافي. وعاد الرصافي إلى مجلس النواب عام ١٩٣٥ وظل فيه أربع سنين أخرى.

في الفلوجة، حيث مكث الرصافي سبع سنين، كتب كثيراً من النثر. فيها كتب «الشخصية المحمدية» الذي سنتحدث عنه بعد أن نوصل الرصافي بأمان إلى حفرة قبره.

عاد الرصافي إلى بغداد مع قيام انقلاب رشيد عالي الكيلاني ١٩٤١. كان حكام البلد الإنجليز يخوضون حربهم العالمية الثانية، ولم يكونوا في مزاج يسمح لهم بقبول انقلاب مدعوم من هتلر. فقمعوا الانقلاب الذي أيده الرصافي بكل قوة.

كان الرصافي يعيش في بغداد في دار مستأجرة مع خادمه عبد بن صالح وأولاد الخادم الكثر. فتح الرصافي دكاناً لبيع السجائر، وتوسط له أهل الخير لكي يأخذ حصة من سجائر «غازي» من الشركة لبيعها. ونظم شاعرنا بيتاً، ربما رشحناه ليكون أسخف بيت شعر عربي، في الدعاية لسجائره: دُخِّنْ سيجارة غازي/ واشعُرْ بفخر اعتزاز. ونشر البيت في دعايات السيجارة المذكورة في صحف بغداد. ولكن هذا لم يشفع للدكان المنحوس فسرعان ما أغلق أبوابه. . إن كان له أكثر من باب. وقال شاعرنا: «والله لو حاولت بيع الأكفان لما استأثرت يد الرحمن بنفس من الأنفس».

خصص مظهر الشاوي، أحد شيوخ القبائل، مرتباً للرصافي. وشاعرنا صاحب مزاج، وهو سخي متلاف. يصف لنا أحمد حسن الزيات زيارته للرصافي في بيته ببغداد. . وسأقول لكم وصفه.

العودة عصر اليوم التالي

قد مضى ذلك المساء الذي كتبت فيه الصفحات السابقة. . والآن أكتب في عصر اليوم التالي. . فاسمعوا الآن معي ما أسمع من خلال الجدار الأسمنتي في غرفتي! كاكّا آآع. . ددي نيكاب أوز دوب. هل فهمتم شيئاً؟ لحظة. . سوررات! ماذا؟ هنا بدأت الأحرف تتوالى على نحو يصعب معه تدوينها. إن كنت تفهم لغة هذه الآدمية فأنت بحول الله قد عرفت عن جيراننا ما لا أعرف. همنا هاما دي! ما معنى هذا لو سمحت؟

وأسمع بوضوح شديد: تيكا ماسالا، كاري كاري. والصوت غير الصوت. هذا في الواقع صوت بطني. فقد أخذ يتجاوب مع جارتني الهندية تحت وقع الجوع بكلمات حببية إلى قلبي. وكيف لا تكون حببية وهذه الخلطة من البهارات الهندية كافية للقضاء على كل نكهة. أطيخ بها نعل جذك العتيق على نار هادئة وستجد له مذاقاً رائعاً. . مذاق المسالا طبعاً. لا أدري ماذا يقدمون لنا في المطاعم الهندية الرخيصة. . تأكل وتملاً بطنك وتدفع أقل مما تدفعه في شطيرة جبن.

سأقوم إلى إعداد غدائي الآن، فمنذ الصباح لم أتناول شيئاً. وعندي سمكة. ليست كالسمكة التي نصحني بها صديقي في لندن.

جلد السمك

كان الشاعر العراقي صلاح نيازي يقف أمامي في طابور مطعم الإذاعة البريطانية يسوق صينيته على السكة وأسوق صينيته خلفه، والتفت إليّ ووجهه مشرق بالفرح: «عيني شوف. سمك، سمك، وبجلده. عيني! لا تطرح جلد السمكة جانباً. أرجوك، أرجوك». وتغضن وجهه وكأنه يلقي قصيدة حزينة. «لا، لا. كل الفائدة في جلد السمكة. يود! مليء باليود. يصعد إلى قشرة الدماغ فوراً، وكُلُّش مفيد للذاكرة».

لا أذكر إن كنت عملت بنصيحته أم لم أعمل. لكنني من يومها وأنا أغمض عيني كلما قدمت إلي سمكة بجلدها، وأبلع قطعة من هذا الجلد بلعاً، وها هي ذاكرتي تسبح بحمد ربها. سلني عن أي شاعر أكتب الآن؟

غدائي سمكة منزوعة القشر والشوك معاً. لا أريد يوداً، ولا أريد أن أخوض لعبة البحث عن الشوك. عندي نصف سمكة منزوعة الفائدة، وسأشحنها شحنًا بالكاري والمسالا، وأعود إلى شاعرنا. كائنًا من كان شاعرنا. وليكن في علمك أنني عندما أملاً بطني أكتب كتابة مملة مشحونة بالثرثرة. تماماً مثلما أفعل الآن وأنا أتضور جوعاً.

العودة إلى الرصافي

اللهم أدم النعمة، واحفظها من الزوال.

كنا نقول إن الرصافي قعد في سنيته الأخيرة في بغداد تحت حكم الإنجليز

الذين كرههم وكرهوه. ولكنه عرف دهاءهم. ورأى كيف تتحرك السياسة العراقية في زمنهم، فكان كمن يشهد مسرح العرائس.. يرى العرائس ولا يرى الأصابع الخفية التي تحركها.

استطراد عن الإنجليز

الإنجليزي مخلوق من مخلوقات الله، يمكن أن يكون ذكياً ويمكن أن يكون بغلاً. ولكن ستين مليون بغل يسرون في اتجاه واحد يحركون الجبال، وثلاثمئة مليون عربي - كل واحد منهم، زعيم، أو فقيه، أو ولي من أولياء الله، له قول في خالق الكون وفي فوائد جلد السمك - يسير كل منهم في اتجاه مختلف يتحركون فقط حركة موضعية، كان يسميها معلم التربية البدنية «مكانك سر».

قبل أزيد من ربع قرن خاطبني زميل إنجليزي يشتغل في الراديو القومي الثالث، المتخصص في الموسيقى، وقال لي: قد نصحوني بك لهذا البرنامج الذي نريد إنتاجه في لبنان. اسم البرنامج «نجوم فوق لبنان» وهذه ترجمة حرفية لـ «ستارز أوفر لبنان». هل رأيت كلمة لبنان وهي مكتوبة باللفظ الإنجليزي؟ في الواقع أهل ذلك البلد الشقيق ينطقونها لبنين. ولكنهم إذا استمروا في إهمال اللغة العربية قد يقولونها ليون، أو أي شيء آخر.

المهم، مضينا إلى لبنان. وذهبنا إلى الحازمية ورأينا وديع الصافي. قال لي: من وين حضرتك؟ قلت له: فلسطيني. قال لي كلمة واحدة: معلش. وكان لقاء طريفاً. أطرف ما فيه أن وديع الصافي لا يتحدث كلمة إنجليزية واحدة. فترك لي صاحبي الإنجليزي، وهو مخرج البرنامج وأنا المقدم، المجال لكي أسرح مع وديع الصافي في ذكريات أيام زمان مع صباح وفيروز، وبعلمك.

ثم ذهبنا إلى عجلتون لنرى فادية الحاج، وبعد السؤال الأول بدأت توجه كلامها للإنجليزي لا لي. ومثلها فعل وليد غلمية الذي قابلناه في معهد الموسيقى في سن الفيل. ما الذي يميز هذا الإنجليزي عني؟ أهو فهمه للموسيقى والغناء في لبنان؟ بالطبع لا. ولا هو عمره، فربما كان يصغرني ببضع سنوات. ولا حتى لغته الإنجليزية، فقد كنت أتكلم مع النجوم بالعربية أو بإنجليزية مبسطة كي أستل منهم بعض العبارات الإنجليزية، لأن البرنامج سيكون لجمهور إنجليزي.

عند الرحابنة في أنطلياس

ذهبنا إلى أنطلياس والتقىنا منصور الرحباني . كان قد دخل في مرحلة العزوف الشيخوخي ، وبدأ يحدثني - ويحمد الله أنه لم يكن يحسن شيئاً من الإنجليزية - عن العلاقات المميزة بين المسلمين والمسيحيين . ولم يكن هذا الأمر مما يعنيني ، لا في ذلك اللقاء ولا في أي لقاء آخر في حياتي كلها . فهؤلاء القوم في لبنان يتبادلون القبلات اليوم ويسحبون خناجرهم غداً ، وكلهم يقتتلون : طائفاً يقتتلون ، وعشائرياً يقتتلون . فإذا لم يكن ثمة تهديد من طائفة أخرى فإن أبناء الطائفة الواحدة يتسلون فيما بينهم بحرب أهلية صغيرة .

وخرجنا من عند منصور الرحباني . وفي الشارع أمام البيت وقفت كي ألقى في آلة التسجيل كلاماً يكون بمثابة المقدمة للقاء . لاحظت لون الشبايبك ، إنه أحمر أحمر . . في حمرة الدم . وأعادني هذا ، ليس إلى الدم الذي سفحه أشقاؤنا في حربهم الأهلية الأخيرة ، بل إلى هذا الوضوح الطفولي في أغاني الرحابنة . كانت الدنيا في العالم الرحباني بسيطة وملونة بألوان أساسية . كان أغرب لون عندهم اسم مغنيتهم «فيروز» ، وبخلافه فليس عندهم تلك الألوان المختلطة : الخمري والبطيخي والتركواز ، بل اكتفوا بالأحمر والأصفر والأخضر والأزرق بأبسط صورة . قلت أشياء من هذا القبيل .

وسقط في يد صاحبي الإنجليزي . وبدأ يحاججني في إشارتي إلى اللون الأحمر . قلت له : أحاجيك أن تجد لي في بيروت كلها شبايبك بهذا اللون . هذا لون اختاره ناس صنعوا عالماً في الهواء ، صنعوا دنيا أحلامية . هؤلاء ارتفعوا عن واقع بلدهم بما يكفي ليقولوا في كلامهم وموسيقاهم أشياء تصلح لكل زمان ومكان . لقد صنع الرحابنة في نحو سبع عشرة مسرحية عالماً من الخيال ، فيه الحب والسياسة ، وفيه المرح والنكتة ، وفيه أجمل الشعر وأجمل الموسيقى . وحرى بالمتقف العربي أن يربأ بنفسه عما تفعله إذاعات الإف إم من أعمال السكين في هذه المسرحيات ، واستخراج الأغاني منها ، وإلقاء الحوار في سلة المهملات . حرى بالمتقف العربي أن يعود إلى هذه المسرحيات فيسمعها كاملة لكي يدخل في هذا العالم الرحباني ، ويتذوق الفن على درجة تذوقه أرفع من درجة التذوق البسيطة بالأغنية وحدها منزوعة من المسرحية .

مكثت على حالي تلك مع مخرجي الإنجليزي أسبوعاً ذقت فيه مرارة عقدة الخواجا عند كبار أهل الفن، ومرارة ضيق الأفق عند هذا الرجل. وعدنا إلى لندن، وسجلت المزيد من الوصلات والمقدمات. وكان من محاسن شخصية صاحبي أنه منظم غاية التنظيم فجمع البرنامج من القصاصات الصوتية الكثيرة، وصاغه في أحسن صورة في ثلاث حلقات.

عودة ثانية إلى الرصافي

لا تنتظر من الرصافي أن يكون خائفاً للإنجليز، فهو حر، وفي شخصيته خليط من القسوة والرقّة والجلافة وطيبة القلب. ولا تنتظر منه أن يكون مفكراً رصيناً لما في شخصيته من تقلب وحدة مزاج. وربما أيضاً لأنه شاعر، وربما أيضاً لأنه كف عن المطالعة في سن مبكرة مكتفياً بما تعلمه من أستاذه الألوسي. وشر ما تعلمه الرصافي التعصب الطائفي. وهو في كتبه «السياسة في العراق»، و«الشخصية المحمدية» متحامل على الشيعة تحامل من هو واثق من أنه على حق. لكنك تراه يتعامل مع أبناء بلده من الشيعة بأريحية وطيب نفس. كان في حياته وفي أفكاره التي سترها واضحة كل الوضوح في شعره علمانياً بعيداً عن الدين. وترك لنا مصداق ذلك في كتابه الكبير «الشخصية المحمدية».

سمعت عن الكتاب من زكي مبارك.

فقد زار الأديب المصري الشاعر الرصافي وهو في الفلوجة، وقد أنهى لتوه كتاب «الشخصية المحمدية». وجاء الرصافي لزكي مبارك بمخطوط الكتاب، اسمع زكي مبارك: «ألح عليّ الشاعر في أن ألقى نظرة على ذلك الكتاب، وهو مخطوط في عشرة كراريس، وكنت قضيت ساعة في هدوء. فلما وقع بصري على بعض فقرات الكتاب ثرت ثورة عنيفة، وانطلقت أجادله بلا ترفق ولا تلطف. وقابل الشاعر ثورتي بأدب رائع دلني على أنه من أقطاب العقل [...] والرصافي، مؤلفاً، غير معروف، لكن كتابه عن النبي محمد كتاب هائل جداً، وترجع أهميته إلى ما فيه من نقد الأخبار والأحاديث، وقد لا تتسع الصدور لظهور هذا الكتاب، وهذا هو الشاهد على أن أسلافنا كانوا أوسع صدرأ وأعلى مقاماً»، اهـ عن «وحي بغداد» لزكي مبارك.

قرأت هذه الفقرة عند زكي مبارك، وقلت في نفسي لعل كتاب الرصافي ضاع. وقرأت في مكان آخر ما يدل على أن نسخة منه محفوظة في بغداد. ثم

فجأة جاءني من يقول إن الكتاب قد طبع في ألمانيا. كنت أوشك على سفر إلى هناك، بل إلى المدينة نفسها التي زعم الزاعم أن الكتاب طبع بها.

لم أعثر على الناشر في مكتبه. ولكن صديقاً أهدي إليّ نسخته. فإذا هو كتاب كبير حقاً، يتجاوز السبعمئة صفحة. وقد عهدت الرصافي الناشر يكتب الفقر القصيرة والكتب الصغيرة ككتابه عن السياسة في العراق.

جعلت كتاب «الشخصية المحمدية» زادي في أسبوع قضيته في لندن وآخر في أمستردام. ويا له من كتاب! ولكثرة ما فيه من جحد الغيبيات، والتشكيك في أحداث ظل الناس يروونها وكأنهم رأوها بأعينهم، ولكثرة ما فيه من نقد للدين بسن الرمح لا بسن القلم، لم يعد أحد قادراً على حجبته عن النت. فنسخته المصورة موجودة في كل مكان. والممنوع مرغوب. ولا أجادل الرجل في كلامه، وحتى عندما أورد له من الشعر بعض ما يشبه ما جاء في نثره فإنني إن ناقشته في مسألة لغوية فلا أناقشه في أفكاره.

لم يتزوج الرصافي بعد امرأته التركية. وعاش الثلاثين سنة الأخيرة من حياته عيشة بوهيمية، حتى وهو نائب في مجلس النواب. زاره الأديب المصري أحمد حسن الزيات، صاحب «الرسالة»، في بيته في بغداد بعد عودته من الفلوجة. وكتب عن هذه الزيارة عقب وفاة الرصافي: «... ودخلنا البيت فإذا هو بيت الشاعر الأعزب المتلاف، لا أثاث ولا نظام ولا حرمة... وليس في البيت مكتب ولا مكتبة، فقد كان لا يقرأ، وإنما يتكئ على شدة ذكائه وحدة فهمه، ويكتفي بما حصل في شبابه من أدبه وعلمه. وكان في الردهة قوم يأكلون ويشربون، وفي حجرة النوم آخرون يسمرون ويلعبون، وكان الرصافي يتصدر هؤلاء وفي يمينه كأس وفي يسراه ورق [اللعب]، فلما رأيته فض اللعب وأقبل بأنسه علي، ثم أخذ يشرب ويتحدث عن الحقائق العارية في غير اكتراث ولا تحفظ، ويظلم الرصافي من يقيد عليه في مثل هذه الحال... هذه صورة مصغرة لحياة الفقيد الكريم، أما عقيدته فالأمر فيها لله لا للناس».

يوصف الشاعر محمد مهدي الجواهري الرصافي وهو في آخر أيامه: «... في تلك الغرفة الجرداء التي لا أنساها أبداً، وكأنما أنا فيها الآن، كان الرصافي على سرير من السرر الرخيصة... وقد أحس بي وأنا أدب على أطراف أصابعي لثلا أوقفه... وكانت الحيرة في أين أجلس إذ ليس في الغرفة

كرسي أو خشبة أو حتى حجر للجلوس، ويتحامل الرصافي على نفسه فألح عليه ملتمساً ألا يفعل، فيأبى وأطيع، فأتحدث إليه آخر حديث وأوجهه قبل أن يموت بأيام».

وكتب الرصافي وصيته وأودعها لدى محام صديق، وعند وفاته قرأها على الحاضرين صديقه وراويته مصطفى علي. أوصى الرصافي بكل ما يملك، وبحقوق مؤلفاته لأسرة خادمه عبد بن صالح. وأوصى أن يدفن في أي مقبرة كانت، «على أن يكون قبري في طرف منها، وأن يكون في أرض مظلومة وهي التي لم تحفر قبلاً». والتوقيع: «المؤمن بالله وحده لا شريك له معروف الرصافي».

أحسن إلى الرصافي كل الإحسان راويته مصطفى علي، وهو لغوي مدقق وأديب، بنشر ديوان الشاعر نشرأ محترماً في خمسة أجزاء. وعلى هذه الطبعة اعتمدنا. ومصطفى علي في هذه المجلدات الخمسة يروي وينقب لك عن المعنى القاموسي مع ضبط طيب للكلمة في الهامش ببيان بابها الصرفي، لكنه لا يشرح معنى دقيقاً ولا يشفي غليل من أراد أن يعرف مناسبة القصيدة أو تاريخ نظمها. فهو يورد من ذلك الشيء بعد الشيء. وقد أخذنا عنه تواريخ بعض القصائد، ولم نبحث كثيراً عند غيره.

الرصافي شاعر مهمل، يكتب قصيدته على ظهر مغلف أو علبة سجائر. أو هكذا أتخيله. يكتبها قبل الحفل الذي سيلقيها فيه بيوم أو بساعتين. وقد تأتي قافيته قلقة، أو قد يحشو البيت بحشوة منكرة. وقد نقبَس له في القطعة بعد القطعة بيتاً من هذه الأبيات المتعبة لأنه يقيم لنا السياق. لا عليك من ذلك. الرصافي كان لسان زمنه وبلده، وكان جريئاً، وكان صاحب موقف، وكان يحسن أن يقول بين الحين والحين بيتاً رناناً يردده الناس في العراق. وخير لك أن تتحرى مزاج العراق عصرئذ في شعره من أن تقرأ كتب التاريخ. وقالوا: خياله ضيق. وأقر هو بذلك في أكثر من قصيدة، وافتخر بواقعيته.

كنا ونحن نقرأ ديوانه نشعر كأن الرصافي واقف أمامنا يلقي هذه القصائد، وهذا شيء جميل. لكنك قد لا تريد أن تقرأ الألف والسبعمئة صفحة التي هي الديوان. حسناً فهذه خمسون صفحة فقط هي أجمل ما قال معروف الرصافي.

١ الضمير لثاماً

(١٩٢٢):

وَلَرَبَّ خَافِيَةٍ يُكَتِّمُهَا الْفَتَى والوجه منه بِسِرِّهَا يَنْكَلِمُ
كُلُّ يُشِيرُ إِلَى السَّرِيرَةِ وَجْهَهُ فكأنه بِضَمِيرِهِ مُتَلَثِّمُ

السريرة: الضمير وما يخفيه المرء، والمرء لا يستطيع أن يخفي مكنونه فكأنه يضعه على وجهه كما يضع الكوفية

إِنَّ الْوُجُوهَ صَحَائِفَ مَطْمُوسَةً يَمْحُو كِتَابَتَهَا وَيُثَبِّتُهَا الدَّمُ

الدم الذي يتدفق إلى الوجه كأنه الحبر الذي يكتب في الوجه ما يخفيه الضمير... فالوجه يحمر أو يصفر بما يتدفق أو لا يتدفق من دم

إِنِّي أَرَى هَذِي الْوُجُوهَ نَوَاطِقًا بِالسَّرِّ لَكِنْ نُظْقُهُنَّ مُجْمَعِمًا

مجمم: ممغم، غير واضح، مثل نطق الإنجليز عندما يتحدثون باليابانية، أو العكس

٢ المرأة بين الأب والزوج

مَا أَمُورَ الْأُنْثَى عَلَى ذُكُرَانِنَا فَلَقَدْ شَجَانِي ذُلُّهَا وَخُضُوعُهَا

ضَعُفَتْ فَحُجَّتْهَا الْبِكَاءُ لِخَصْمِهَا فسلَّاحُهَا عِنْدَ الدِّفَاعِ دُمُوعُهَا

هِيَ مُتَعَةً الْمُسْتَمْتَعِينَ، وَلَبَّتْهَا كَانَتْ لِرَامًا لَا يَجُوزُ مَبِيعُهَا

بيع اللزوم في الفقه: الذي لا يجوز للمشتري فيه رد السلعة

فَوَلَّيْتُهَا عِنْدَ الزَّوْاجِ بِبَيْعِهَا وَحَلَّلْتُهَا عِنْدَ الطَّلَاقِ بِضَيْعِهَا

ولي المرأة: أبوها أو من يقوم بتزويجها، حليلها: زوجها

وَكَلَامُهُمَا مُتَحَكِّمٌ فِي أَمْرِهَا هَذَا يُعَرِّبُهَا وَذَاكَ يُجَبِّعُهَا

٣ كون عجيب

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْكَوْنَ فِي الْأَصْلِ وَاحِدًا عَجِبْتُ لِأَنَّ الْخَلْقَ فِيهِ ضُرُوبٌ

ضروب: أنواع

وَأَنَّ اخْتِلَافَ الْأَدْمِيِّينَ سِيرَةً وَهُمْ قَدْ تَسَاوَوْا صُورَةً لِعَجِيبٍ

وَأَعْجَبُ مَا فِي الْكَائِنَاتِ ابْنُ آدَمَ فَمَا غَيْرُهُ فِي الْكَائِنَاتِ مُرِيبٌ

يُذَمُّ فَعَلَ السُّوءَ وَهُوَ حَلِيفُهُ وَيُحْمَدُ قَوْلَ الصِّدْقِ وَهُوَ كَذُوبٌ

تسويد البيت من عمران القفيني

ولو بَاحَ كُلِّ بِالَّذِي هُوَ كَاتِمٌ لَمَّا عُدَّ فِي هَذَا الْأَنَامِ أَدِيبٌ
المتأدبون هم كذلك لأنهم يكتُمون ما بأنفسهم من خساسة، ولو أظهر كل إنسان ما يكتُمه لما كان
في البشر أي شخص على خلق

وقد يفتري المال الفضائل لِلوَرَى وليس لَهُمْ مِمَّا افْتَرَاهُ نَصِيبٌ
المال يفتري الفضائل للورى: ينسب إلى الناس محاسن ليست لهم

٤ المصير

وما المرءُ إِلَّا بَيْتٌ شِعْرٍ عَرَوْضُهُ مَصَائِبُ، لَكِنْ ضَرْبُهُ حُفْرَةُ الْقَبْرِ
العروض: الجزء الأخير من الشطر الأول من بيت الشعر، الضرب: الجزء الأخير من الشطر الثاني
من البيت

وَتَنْظِمُنَا الْأَيَّامَ شِعْرًا، وَإِنَّمَا تَرُدُّ الْمَنَايَا مَا نَظَّمْنَ إِلَى النَّشْرِ
وَرُبَّ نِيَامٍ فِي الْمَقَابِرِ زَرْتُهُمْ يَمْنَهْلُ دَمْعٍ لَا يُنْهِنُهُ بِالزَّجْرِ
زرتهم ودعني منهل، مسكوب، لا ينهته، لا يُرَدِّعُ، بالزجر، بالنهر وبالتعنيف

أَسْكَانَ بَطْنِ الْأَرْضِ! هَلَّا ذَكَّرْتُمْ عُهُودًا مَضَتْ مِنْكُمْ، وَأَنْتُمْ عَلَى الظَّهِيرِ
على الظهر: على ظهر الأرض

رَضِيتُمْ بِأَكْفَانٍ الْيَلَى حُلَلًا لَكُمْ، وَكُنْتُمْ أُولِي الدِّيَابِجِ وَالْحُلَلِ الْحُمْرِ
رضيتُم بالأكفان حللاً، أي ملابس، وكُنْتُمْ أُولِي الدِّيَابِجِ، أصحاب الحرير، والملابس الحمراء..
وكانت الملابس الحمراء ملابس عليّة القوم، وحتى النساء فقد كن «حمر الجلابيب» كما وصفهن
المتنبي دلالة على العز

فَقُلْتُ، وَلِلْأَجْدَاثِ كَفِّي مُشِيرَةٌ: أَلَا إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ مِنْ أَفْجَعِ الشَّعْرِ

٥ الفوق والتحت

نَحْنُ عَلَى رَغَمٍ مَا عَلِمْنَا نَعِيشُ فِي غَيْهَبِ الْعَمَاءِ
غيب: ظلام، العماء: العمى.. وأصل العماء الغيم لكن شاعرنا في الأغلب قصد العمى وهمزها
كمن همز الرضا فجعلها الرضاء

نَشْرَبُ مَاءَ الظُّنُونِ عَبًّا، فَلَمْ نَعُدْ مِنْهُ بِأَرْتِوَاءٍ
فليس فوق وليس تحت ولا اعتلاء لذي اعتلاء
هذا من العلوم المعاصرة التي فهمنا منها أنه لا يوجد فوق ولا تحت، وإلا كان سكان أستراليا
وكنغارها سقطوا في الفراغ.. وعلى هذا فلا صعود لمن يريد الصعود

وَأَتَمَّا نَحْنُ فَوْقَ نَجْمٍ نَحْيَا مُحَاطِينَ بِالْهَوَاءِ
على الأصح نحن فوق كوكب

فَلَيْتَ شِعْرِي أَيُّ ارْتِقَاءٍ لِلرُّوحِ يَبْقَى، أَيُّ ارْتِقَاءٍ!
بانتهاء الفوق والتحت لم يعد للروح صعود بعد الموت!

٦ الماء المهدر

يَا مِيَاهَا جَرَتْ بِدَجْلَةٍ تَجَنَّا زُ مُرُوراً بِجَانِبَيْ بَغْدَادِ
أَيُّهَا الْمَاءُ أَيْنَ تَجْرِي ضَيَاعاً وَحَوَالِيكَ قَاحِلَاتُ الْبَوَادِي
لَوْ زَرَعْنَا بِكَ الْبِقَاعَ حُبُوباً لَحَصَدْنَا النُّضَارَ يَوْمَ الْحَصَادِ
النضار: الذهب.. قد أخذ الترك والإيرانيون كل ماء دجلة تقريباً فلم يعد ثمة ماء مُهدَر

٧ شذوق الضراغم

سَعَى النَّاسُ وَالْأَقْدَارُ مَحْبُوءَةٌ لَهُمْ وَنَامُوا وَمَا لَيْلُ الْخُطُوبِ بِنَائِمِ
جَرَتْ سُفُنُ الْأَيَّامِ مَشْحُونَةٌ بِنَا عَلَى بَحْرِ عَيْشٍ بِالرَّدَى مُتَلَاظِمِ
دَأْبْتُ لِنَفْسِي فِي الْحَيَاةِ كَأَنَّنِي مِنْ الْعَيْشِ مُلْقَى فِي شُدُوقِ الضَّرَاغِمِ
دأبت وثابرت في كسب الرزق كأن العيش، الرزق، تنهشه شذوق الضراغم، أفواه الأسود، وأنا
بينها. تعليق عمران القفيني: «حقوق الطبع للمتنبي القاتل: (فما لي وللدنيا طلابي نجومها/
ومسعاي منها في شذوق الأراقم)»

يُخَاصِمُنِي فِيهَا عَلَى غَيْرِ طَائِلٍ أَنَا نَسٌّ فَأَبْدِي الصَّفَحَ غَيْرَ مُخَاصِمِ
وَأَقْنَعُ بِالْقَوْتِ الزَّهِيدِ لَطِيبِهِ حِذَارَ وَقُوعِي فِي خَبِيثِ الْمَطَاعِمِ
حيث المطاعم: الرزق الحرام

٨ الانعتاق الفكري

مَتَى تُطْلِقَ الْأَيَّامُ حُرِّيَّةَ الْفِكْرِ فَيَنْشَطُ فِيهَا الْعَقْلُ مِنْ عُقْلَةِ الْأَسْرِ
ينشط: يفتك من الربط، العقلة: العقدة

وَيَصْدَعُ كُلٌّ بِالْحَقِيقَةِ نَاطِقاً وَيَتْرَكَ مَا لَمْ يَذَرِ مِنْهَا لِمَنْ يَذَرِي
يصدع: يجهر

أَرَانَا إِذَا رُمْنَا بَيَانَ حَقِيقَةِ غُرِينَا، مَعَاذَ اللَّهِ، فِيهَا إِلَى الْكُفْرِ
رَمْنَا: أَرَدْنَا، غُرِينَا: نُسَبْنَا

٩ بصراحة

أَحِبُّ صِرَاحَتِي قَوْلًا وَفِعْلًا وَأَكْرَهُ أَنْ أَمِيلَ إِلَى الرِّبَاءِ
وَلَسْتُ مِنَ الَّذِينَ يَرَوْنَ خَيْرًا بِإِيقَاءِ الْحَقِيقَةِ فِي الْخَفَاءِ
وَلَا مِمَّنْ يَرَى الْأَدْبَانَ قَامَتْ بِوَحْيٍ مُنْزَلٍ لِلْأَنْبِيَاءِ
وَلَكِنْ هُنَّ وَضَعٌ وَابْتِدَاعٌ مِنَ الْعُقَلَاءِ أَرْبَابِ الدَّهَاءِ
وَلَسْتُ مِنَ الْأَلَى وَهَبُوا وَقَالُوا بَأَنَّ الرُّوحَ تَعْرُجُ لِلسَّمَاءِ
الْأَلَى: الَّذِينَ

لَأَنَّ الْأَرْضَ تَسْبُحُ فِي فِضَاءٍ وَمَا تِلْكَ السَّمَاءُ سِوَى الْفِضَاءِ
وَلَسْتُ مِنَ الَّذِينَ يَرَوْنَ فَخْرًا لِمُفْتَخِرٍ بِإِهْرَاقِ الدِّمَاءِ
وَلَا مِمَّنْ قَدْ ارْتَبَطُوا بِمَاضِي فِعَاشُوا يَنْظُرُونَ إِلَى الْوَرَاءِ
وَلَا مِمَّنْ تَوَدَّدَ فِي حُضُورٍ وَعِنْدَ الْغَيْبِ جَاهَرَ بِالْعَدَاءِ
وَلَا مِمَّنْ يَرَى الْأَنْسَابَ مِمَّا يَمُتُّ بِهِ الْأَنَامُ إِلَى الْعَلَاءِ
وَلَا مِمَّنْ إِذَا وُيِّثُوا اسْتَعَادُوا بِتَمَتُّمَةِ الدُّعَاءِ مِنَ الْوَبَاءِ
وَلَا مِنْ مَعْشَرٍ صَلَّوْا وَصَامُوا لِمَا وَعِدُوهُ مِنْ حُسْنِ الْجَزَاءِ
وَلَا مِمَّنْ يَرَوْنَ اللَّهَ يَجْزِي عَلَى الصَّلَوَاتِ بِالْحُورِ الْوُضَاءِ
الْحُور: النِّسَاء ذَوَاتِ الْأَعْيُنِ الْخَالِصَةِ السَّوَادِ وَسَطِ بَيَاضِ نَاصِعٍ، الْوُضَاء: الْبَيَاضُ

وَلَسْتُ مِنَ الَّذِينَ يَرَوْنَ فَضْلًا كَبِيرًا لِلرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ
وَلَكِنْ دَالَتْ الْأَيَّامُ حَتَّى تَهَاوَنَ هَؤُلَاءِ بِهَؤُلَاءِ
دَالَتْ: مِثْلُ دَارَتْ

١٠ حديث الروح

(١٩٢٩):

أَرَى لِلرُّوحِ بِالْبَدَنِ اتِّصَالًا خَفِيًّا لَا تَبِينُ لَهُ رِسُومُ
رِسُوم: أَثَارُ

هما مُتلازمانِ فما لِكُلِّ بِغَيْرِ قَرِينِهِ أَبَدًا لُزُومٌ
ولستُ أَظُنُّ أَنَّ الرُّوحَ تَبْقَى إِذَا مُحِيتْ مِنَ الجَسَدِ الرُّسُومُ

١١ الأديان

لو قاسَ كُلُّ فتًى سِوَاهُ بِنَفْسِهِ فيما أَرَادَ لَمَّا تَعَادَى اثْنَانِ
لو أَنْصَفَ الْخَصَمَانِ مَا اضْطَادَّ الرُّشَا أَهْلُ الْقَضَاءِ بِمَا ادَّعَى الْخَصَمَانِ
لو أَخْلَصَ الْإِنْسَانُ فِي إِحْسَانِهِ لَمْ يَزُجْ أَنْ يُجْزَى عَلَى الْإِحْسَانِ
لو لَمْ يَشُكْ بِرَبِّهِ مُتَفَلِسِفٌ فِي الدِّينِ لَمْ يُخْتَجَّ بِالْبُرْهَانِ
لو أَنَّ عَقْلَ الْمَرْءِ يَغْلِبُ حُبَّهُ لِنَفْسٍ لَمْ يَلْجَأْ إِلَى الْأَدْيَانِ

حب النفس يجعل المرء يلجأ للدين لأنه يعده بالخلود

لولا جمودٌ في الشرائع مُهِلِّكٌ لَتَغَيَّرَتْ بِتَغْيِيرِ الْأَزْمَانِ
لو كَانَ أَمْرُ الْحَجِّ مَعْقُولًا لَمَّا كَانَ اسْتِلاَمُ الْقَوْمِ لِلْأَرْكَانِ

استلام: لمس، وفي الكلمة معنى التقييل

لو حَكَّمِ الْعَقْلَ الْحَجِيجُ بِحُجَّتِهِمْ أَبَوْا الطَّوَافَ بِتِلْكَ الْجُدْرَانِ

١٢ الأظافر الدامية

لقد قَدَّمَ الْمَوْتَ الْحَيَاةَ أَمَامَهُ نَذِيرًا وَمَنْ يُنْذِرُ فَلَيْسَ بِغَاوِرٍ
فلا عَجَبٌ أَنَا نَرَى كُلَّ سَاعَةٍ أَكُفَّ الْمَنَابِيا دَامِيَاتِ الْأَظْفَارِ

١٣ مساعدة الموت

في ذكرى الكاتب الفلسطيني رُوحِي الْخَالِدِي، وَقَالَهَا فِي الْقُدْسِ:

وماذا عسى يُجْدِي التَّوَجُّعُ وَالْأَسَى مِنَ الْمَوْتِ إِذْ كُلُّ عَلَى الْمَوْتِ وَارِدُ
نُعِينُ مَنَابِيانا عَلَيْنَا بِحُزْنِنَا فَيَقْرُبُ مِنَّا أَجَالِنَا الْمُتَبَاعِدُ

١٤ بلاد الداميين

في رثاء أستاذه محمود شكري الألوسي (١٩٢٤):

أَزْمَعْتُ عَنَّا إِلَى مَوَلَاكَ تَرَحُّالًا لَمَّا رَأَيْتُ مَنَاخَ الْقَوْمِ أَوْحَالَ

أزمنت: نويت، مولاك: ربك، مناخ: مكان

كَبِهَتْ طَوْلَ مُقَامٍ بَيْنَ أَظْهَرِنَا بَحِيثٌ تُبْصِرُنَا لِلْحَقِّ خُذَالَا

خذال: متقاسون ومقصرون عن النجدة

وَلَمْ تَرْقُ نَفْسَكَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ بِهَا لَسْنَا نُوَكِّدُ بِالْأَفْعَالِ أَقْوَالَا

وَمَا رَكَنْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا وَلَا أَرَدْتَ بِهَا جَاهًا وَلَا مَالَا

أَمَّا الْعِرَاقُ فَأَمْسَى الرَّافِدَانِ بِهِ سَطَرَيْنِ لِلدَّمْعِ مِنْ خَذْيِهِ قَدْ سَالَا

أصبح دجلة والفرات سطرين من الدموع حزناً عليك

مَا ضَرَّ مِنْ بَعْدِمَا خَلَّدْتَ مِنْ كِتَابٍ أَلَّا نَرَى لَكَ بَيْنَ النَّاسِ أَنْجَالَا

لا ضرر من أنك لم تترك عقباً من الأولاد ففي كتبك ما يكفي، وخلف الألوسي نحو خمسين كتاباً

١٥ الدنيا المسببة

في أربعين الألوسي (١٩٢٤):

لَقَدْ تَرَحَّلْتَ فِي يَوْمٍ بِنَا انْقَلَبْتَ حَوَادِثُ الدَّهْرِ فِيهِ شَرٌّ مُنْقَلَبِ

وَبَاتَ يَحْسُو الظَّلَا بِالْكَأْسِ مِنْ ذَهَبٍ مَنْ كَانَ يَشْرَبُ رَنْقَ الْمَاءِ بِالْعَلْبِ

صار يشرب الطلا، الخمر، بكؤوس الذهب من كان يشرب رنق الماء، الكدر منه، بالعلب، بآنية من خشب

وَالْخَيْرُ قَدْ ضَاعَ حَتَّى إِنَّ طَالِبَهُ لَمْ يَلَقَ مِنْهُ سِوَى الْمَسْطُورِ فِي الْكِتَابِ

أَمَّا الرِّجَالُ فَنَارُ الشَّرِّ مُوقَدَةٌ فِيهِمْ، وَهُمْ بَيْنَ نَفَاخٍ وَمُحْتَطِبِ

الناس فيهم نار شر بعضهم ينفخ في هذه النار لتزداد اتقاداً، وبعضهم يجمع لها الحطب

أَفْعَالُهُمْ لَمْ تَكُنْ جِدًّا وَلَا لَعِبًا لَكِنْ تُرَاوِغُ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

هذه الميوعة.. لعل فحص مفهوم الميوعة مدخل طيب للدرس المجتمعات العربية اليوم

وَلَيْسَ تَنْدَى مِنَ النَّكْرَاءِ أَوْجُهُهُمْ كَأَنَّمَا الْقَوْمُ مَنَجُورُونَ مِنْ خَشَبِ

لا تندى وجوههم، أي لا يخلطون، من النكراء، الفعل المخزي، فكأنهم من خشب

بَيْنَ الدَّوَاءِ وَبَيْنَ الدَّاءِ مُعْتَرِكٌ فِيهِ قَضَى رُبُّنَا لِلدَّاءِ بِالْعَلْبِ

لَا يَخْلُقُ اللَّهُ مَخْلُوقًا يَجُولُ بِهِ دَمُ الْحَيَاةِ بِلَا أُمٍّ لَهُ وَأَبِ

وَلَا يُمِيتُ بِلَا دَاءٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا يُعِيشُ بِلَا كَدٍّ وَلَا تَعَبِ

كل شيء له سبب.. سبب وجود المرء أمه وأبوه، وسبب الموت الداء وسبب العيش الكد

وليس ذلك مِنْ عَجَزٍ بِخَالِقِنَا عن أَيِّ رَجٍّ بِنَا فِي قَبْضَةِ الشَّجَبِ ..
لا يعجز الله عن زجنا، وإدخالنا في قبضة الشجب، الموت ..

لكنَّه جعلَ الدنيا مُسَبَّبَةً لكلِّ أمرٍ بها لا بُدَّ مِنْ سَبَبٍ
لكنه جعل لكل شيء سبباً

١٦ أرثيك رغم السياسة

في ذكرى الشيخ الخالصي:

أنا أبكي عليه مِنْ جِهَةِ الْعَدْلِ لم وأَعْضِي عَنْ خَوْضِهِ فِي السِّيَاسَةِ
لا لِأَنِّي أَرَاهُ فِيهَا مَلُومًا بل لِأَنِّي أَعِيبُ فِعْلَ السَّاسَةِ
ليس في هذه الْهَنَاتِ السِّيَاسِيَّةِ ماتَ إِلَّا مَا يَنْجَلِي عَنْ خَسَاسَةِ
الهتات: الأمور، ينجلي: يتكشف

١٧ المعقول والمنقول

قد قتلْتُ الحَيَاةَ خُبْرًا، ولكنَّ أنا مِنْهَا بِحَيْرَتِي مَقْتُولُ
كُلُّ مَا قِيلَ فِي الْحَيَاةِ ظُنُونٌ جَرَّهَا فِي افْتِكَارِنَا التَّخْيِيلُ
وَيْكَ! إِنَّ الْمَعْقُولَ مَا صَحَّ عِنْدِي فَمَتَى صَحَّ عِنْدَكَ الْمَنْقُولُ
ويحك! فالأمر الذي يقر به العقل لا أكاد أجده صحيحاً فكيف بالمنقول، ما ذكره الأقدمون
وتناقلوه

إِنَّ حُبَّ الْحَيَاةِ أَوْهَمَ أَنَّ الـ مَوْتَ نَوْمٍ تَحْتَ الثَّرَى لَا يَطُولُ
لحبنا للحياة نتوهم أن الموت مجرد نوم وتأتي بعده حياة أخرى

١٨ حافظ وشوقي

الشعرُ بَعْدَ مُصَابِهِ بِكَبِيرِهِ فِي مَصْرَ جَلٍّ مُصَابُهُ بِأَمِيرِهِ
كبير الشعر: حافظ، وأميره: شوقي

بَيْنَاهُ يَبْكِي حَافِظًا بِشَهِيقِهِ إِذْ قَامَ يَبْكِي أَحْمَدًا بِزَفِيرِهِ
أَخَذْتُ فَرَزْدَقَهُ الْمَنُونُ وَضَاعَفْتُ جُلَى مُصِيبَتِهِ بِأَخْذِ جَرِيرِهِ
يشبه حافظاً بالفردق وشوقي بجريز، وقد رحل شاعرا مصر متلاحقين بينهما أشهر، ورثي اللاحق
السابق، ورحل جريز والفردق متلاحقين بينهما أشهر، ورثي اللاحق السابق

١٩ أسنان الحمار

كُلُّ مَنْ يَخْبُرُ الْأُنَاسِيَّ خُبْرِي لَا يُبَالِي أَلْأَخْسَنُوا أَمْ أَسَاءُوا
أَنَا جَرَّبْتُهُمْ إِلَى أَنْ تَسَاوَى الـ يَوْمَ عِنْدِي سَبَابُهُمْ وَالثَّنَاءُ

٢٠ تقدم أيها العربي

أَجَلْ إِنَّ الْقَبَائِلَ مِنْ مَعَدٍّ عَلَوْا فَتَسَنَّمُوا الْمَجْدَ الْمَجِيدَا

معد: جد عرب الشمال، تسنموا: قعدوا فوق سنام الجمل، أي علوا وارتفعوا

وَلَكِنْ أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ إِنِّي أَرَاكَ لِغَيْرِ مَا يُجْدِي مُرِيدَا
أراك أيها العربي مُريدًا، طالبًا، ما لا يجدي ولا ينفع

وَمَا يُجْدِي افْتِخَارُكَ بِالْأَوَالِي إِذَا لَمْ تَفْتَخِرْ فَخْرًا جَدِيدَا
الأوالي: الأوائل

أَرَى مُسْتَقْبَلَ الْأَيَّامِ أَوَّلَى بِمَظْمَحٍ مَنْ يُحَاوِلُ أَنْ يَسُودَا
فَوَجْهُ وَجْهَ عَزْمِكَ نَحْوَاتٍ وَلَا تَلْفِتْ إِلَى الْمَاضِيْنَ جِيدَا
وهل إن كان حاضرنَا شقياً نَسُودُ بِكَوْنِ مَاضِيْنَا سَعِيدَا؟
تَقْدِمُ أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ شَوْطاً فَإِنَّ أَمَامَكَ الْعَيْشَ الرَّغِيدَا
وَأَسْنُ فِي بِنَائِكَ كُلِّ مَجْدٍ طَرِيفٍ، وَاتْرُكِ الْمَجْدَ الثَّلِيدَا

الطريف: الجديد، التليد: الموروث

فَشَرُّ الْعَالَمِينَ ذُو وَخْمُولٍ إِذَا فَاخَرْتَهُمْ ذَكَرُوا الْجُدُودَا
وَخَيْرُ النَّاسِ ذُو حَسَبٍ قَدِيمٍ أَقَامَ لِنَفْسِهِ حَسَباً جَدِيدَا
تَرَاهُ إِذَا ادَّعَى فِي النَّاسِ فَخْرًا تُقِيمُ لَهُ مَكَارِمُهُ الشُّهُودَا
قَدْغَنِي وَالْفَخَارَ بِمَجْدِ قَوْمٍ مَضَى الزَّمَنُ الْقَدِيمُ بِهِمْ حَمِيدَا
قَدْ ابْتَسَمَتْ وَجْوهُ الدَّهْرِ بِيضاً لَهُمْ وَرَأَيْنَا فَعَبَسْنَ سُودَا
وَقَدْ عَاهَدُوا لَنَا بِثَرَاتٍ مُلْكٍ أَضَعْنَا فِي رِعَايَتِهِ الْعُهُودَا
وَعَاشُوا سَادَةً فِي كُلِّ أَرْضٍ وَعِشْنَا فِي مَوَاطِنِنَا عَبِيدَا
إِذَا مَا الْجَهْلُ خَيَّمَ فِي بِلَادٍ رَأَيْتَ أَسُودَهَا مُسِيحَتْ قُرُودَا

٢١ الغاية الكبرى

كَتَبْتُ لِنَفْسِي عَهْدَ تَحْرِيرِهَا شِعْرًا وَأَشْهَدْتُ فِيهَا قَدْ كَتَبْتُ لَهَا الدَّهْرًا
لِذَاكَ جَعَلْتُ الْحَقَّ نُصْبَ مَقَاصِدِي وَصَيَّرْتُ سِرَّ الرَّأْيِ فِي أَمْرِهِ جَهْرًا
جَهَرْتُ بِمَا أَرَاهُ حَقًّا، وَلَمْ أَبْقِهِ سِرًّا

وَجَرَدْتُ شِعْرِي مِنْ ثِيَابِ رِيَائِهِ فَلَمْ أَكُتِبْهُ إِلَّا مَعَانِيَهُ الْغَرًّا
الغراء: الغراء، أي الناصعة

وَأَرْسَلْتُهُ نَظْمًا يَرُوقُ انْسِجَامُهُ فَيَحْسَبُهُ الْمُضْغِي لِإِنْشَادِهِ نَشْرًا
فَجَاءَ مُضِيئًا، لَيْلُهُ كُنْهَارُهُ وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْقَوْمِ يَزْعُمُهُ كُفْرًا
أَضْمَنُ مَعْنَى الْحَقِيقَةِ عَارِيًّا فَيَحْسَبُهُ جُهَالُهَا مَنْطِقًا هُجْرًا
جهاؤها: يعني الجاهلين بالحقيقة، الهُجْر: الفُحْش

وَيَحْمِلُهُ الْغَاوِي عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ فَيُوسِعُنِي شَتْمًا وَيَنْظُرُنِي شَزْرًا
رُؤْيَاكَ إِنَّ الْكُفْرَ مَا أَنْتَ قَائِلٌ وَإِنَّ صَرِيحَ الْعُرْفِ مَا خِلْتَهُ نُكْرًا
هَلِ الْكُفْرُ إِلَّا أَنْ تَرَى الْحَقَّ ظَاهِرًا فَتَضْرِبَ لِلْأَنْظَارِ مِنْ دُونِهِ سِتْرًا
الكفر هو أن ترى الحق باديًا فتضرب، أي تنصب، ستارًا يواريه عن الأنظار

إِذَا كَانَ فِي عُرْيِ الْجُسُومِ قَبَاحَةٌ فَأَحْسَنُ شَيْءٍ فِي الْحَقِيقَةِ أَنْ تَعْرِى
إِنْ كَانَ الْعَرِي قَبِيحًا بِالْجَسَمِ، فَالْحَقِيقَةُ تَزْدَادُ حَسَنًا عِنْدَمَا تَكُونُ عَارِيَةً، مَكْشُوفَةً وَاضِحَةً
أَحْبَبُّ الْفَتَى أَنْ يَسْتَقِلَّ بِنَفْسِهِ فَيَصْبِحَ فِي أَفْكَارِهِ مُظْلَقًا حُرًّا
وَأَكْرَهُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ مُقْلَدًا فَيُحْشَرَ فِي الدُّنْيَا أَسِيرًا مَعَ الْأَسْرَى
يحشر: يُعَدَّ

إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ لِلنَّاسِ غَايَةٌ فَحُرِيَّةُ الْأَفْكَارِ غَايَتُهَا الْكُبْرَى
فَأَوْطَانُكُمْ لَنْ تَسْتَقِلَّ سِيَاسَةً إِذَا أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِلُّوا بِهَا فِكْرًا
إِذَا السِّيفُ لَمْ يَغْضُدْهُ رَأْيٌ مُحَرَّرٌ فَلَا تَأْمَلُنْ مِنْ حَدِّهِ ضَرْبَةً بَكْرًا
يعضده: يدعمه، الضربة البكر: الضربة الأولى التي تصيب مقتلًا

إِذَا لَمْ يَعْشُ حُرًّا بِمَوْطِنِهِ الْفَتَى فَسَمَّ الْفَتَى مَيْتًا، وَمَوْطِنُهُ قَبْرًا
أَحْرَيْتَنِي إِنْنِي اتَّخَذْتُكَ قَبْلَةً، أَوْجَهُ وَجْهِي كُلَّ يَوْمٍ لَهَا عَشْرًا

وَأَمْسِكْ مِنْهَا الرُّكْنَ مُسْتَلِمًا لَهُ وَفِي رُكْنِهَا اسْتَبْدَلْتُ بِالْحَجَرِ الْحِجْرَا
الْمَسْرُوكِ الحَرِيَّةَ وَأَسْتَلِمَهُ، أَيَّ أَقْبَلَهُ، وَقَدْ اسْتَبْدَلْتُ بِالْحَجَرِ الْحِجْرَا، أَيَّ الْعَقْلِ. أَجْعَلُ الْحَرِيَّةَ
كَعْبَةٍ يَقْدَسُهَا (وَالرُّكْنَ وَالْإِسْلَامَ وَالْحَجَرَ الْأَسْوَدَ مِنْ لَوَازِمِ الْحَجِّ)

وَإِنْ لَا مَنِي قَوْمٌ عَلَيْكَ فَلِئَنِّي لَمُلْتِمَسٌ لِلْقَوْمِ مِنْ جَهْلِهِمْ عُذْرَا

٢٢ نَحْيَةٌ لِلْعَبْقَرِيَّةِ

وَضَحَّ الْحَقُّ، وَاسْتَقَامَ السَّبِيلُ بِعَظِيمٍ هُوَ النَّبِيُّ الرَّسُولُ
قَامَ يَدْعُو إِلَى الْهُدَى بِكِتَابٍ عَرَبِيٍّ قُرْآنُهُ تَرْتِيلُ
طَالِبًا غَايَةً مِنَ الْمَجْدِ قُضْوَى صَدُّهُ عَنْ بُلُوغِهَا مُسْتَحِيلُ
وَوُصُولًا إِلَى مَقَامٍ رَفِيعٍ عَزَّ مِنْ قَبْلِهِ إِلَيْهِ الْوُصُولُ
وَدَهَاءٌ لَوْ مَا كَرَّتُهُ دَوَاهِي الدَّ هَرِطْرًا لَا غَتَالَهَا مِنْهُ غُولُ
دهاء لو اتخذت معه دواهي الدهر، مصائب الزمن، طرأ، جميعاً، سبيل المكر لاغتيالها منه غول،
لقضى دهاؤه عليها

تَذَلَّهِمُ الْخَطُوبُ، وَالرَّأْيُ مِنْهُ فِي دُجَاهَا كَأَنَّهُ قِنْدِيلُ
تدلهم: تسود

كُلُّ أَوْصَافِهِ الْجَلِيلَةِ يَدْعُ فَهُوَ مِنْ عَبَقَرِيَّةٍ مَجْبُودُ
بدع: جديد غير مسبوق

أَطْلَقَ النَّاسَ مِنْ تَقَالِيدِ جَهْلِ كُلُّ فَرْدٍ مِنْهُمْ بِهَا مَغْلُودُ
مغلول: مقيد

نَهْضَةٌ عَالَمِيَّةٌ فِي وَغَاهَا مَنْ أَمَامَ الْبَعِيرِ قَرَّ الْفِيلُ
أحدث النبي نهضة عالمية، وفي وغاها، في حربها، يفر الفيل من البعير... يشير إلى غزو العرب
فارس وتغلب جمالهم على فيلة الفرس

يَعْرِفُ النَّيْلُ فَضْلَهَا وَغَلَاها مِنْ قَدِيمٍ وَيَشْهَدُ الدَّرْدَنِيْلُ
النيل، حيث السودان ومصر، والدردنيل، حيث تركيا، يعرفان فضل هذه النهضة

غَيْرَ أَنَّا عَنْ نَهْجِهَا الْيَوْمَ جِدْنَا وَاسْتَحْلَنَّا، وَكُلُّ حَالٍ تَحْوُلُ
استحلنا: تغيرنا، تحول: تتغير

وَاخْتَلَفْنَا فِي الدِّينِ حَتَّى افْتَرَقْنَا فِرْقًا لَا يُسِيغُهَا الْمَعْقُولُ
المعقول: العقل

لو رَأَى الشَّرُّ فِينَا كَثِيرٌ مُسْتَفِيزٌ، وَالْخَيْرُ نَزَرَ قَلِيلٌ

نزر: شحج قليل

وَالدَّعَاوَى فِي الْحَقِّ مِنَّا كِبَارٌ طَالَ فِيهَا التَّزْمِيرُ وَالتَّطْبِيلُ

دعأوانا في الحق: ادعأونا أننا على حق

قَالَ مُسْتَنْكَرًا لِمَا نَحْنُ فِيهِ: مَا بِهِذَا قَدْ جَاءَنِي جَبْرِيلُ

٢٣ دفاعاً عن الإسلام

يَقُولُونَ فِي الْإِسْلَامِ ظُلْمًا بَأَنَّهُ يَصُدُّ ذَوِيهِ عَنْ طَرِيقِ التَّقَدُّمِ

وإن كان ذنبُ المسلمِ اليومَ جهلُهُ فماذا على الإسلامِ من جهلِ مُسلمٍ

هلِ العلمُ في الإسلامِ إِلَّا فَرِيضَةٌ وهلِ أُمَّةٌ سَادَتْ بِغَيْرِ التَّعَلُّمِ

أَلَا قُلْ لِمَنْ جَارُوا عَلَيْنَا بِحُكْمِهِمْ رُويَدَا فَقَدْ قَارَفْتُمْ كُلَّ مَائِمٍ

قارفتهم: ارتكبتم

عَلَّوْنَا وَكُنْتُمْ سَافِلِينَ، فَلَمْ نَكُنْ لِنُبْدِي إِلَيْكُمْ جَفْوَةَ الْمُتَهَكِّمِ

كنا في ازدهار بينما الغرب في انحطاط، ولم تكن نظهر له الجفاء والخشونة والازدراء

وَلَمْ نَتْرِكِ الْحَسَنَى أَوْانَ جِدَالِكُمْ وَتِلْكَ لَعَمْرِي شِمَّةُ الْمُتَحَلِّمِ

المتحلم: الرزين الحليم

٢٤ نحن والغرب

هِمَّمُ الرِّجَالِ مَقِيسَةٌ بِزَمَانِهَا وَسَعَادَةُ الْأَوْطَانِ فِي عُمرَانِهَا

إِنَّ التَّجَارِبَ لِلشُّيُوخِ، وَإِنَّمَا أَمَلُ الْبِلَادِ يَكُونُ فِي شُبَّانِهَا

هَذَا لَدَى الْعَرَبِ الْكَرَامِ مَبَادِيٌّ نَزَلَتْ بِهَا الْآيَاتُ فِي قُرْآنِهَا

وَالْعَرَبُ أَكْبَرُ أُمَّةٍ مَشْهُورَةٍ يَفْتُوحُهَا، وَعِلْمُهَا، وَبَيَانِهَا

يَا أُمَّةَ عَاشَ الْبَرِيَّةُ أَعْصُرًا فِي عَدْلِهَا رَغَدًا وَفِي إِحْسَانِهَا

البرية: الناس

ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ الْعَصُورُ فَجَاءَهَا زَمَنٌ بِهِ انْقَادَتْ إِلَى عُبدَانِهَا

فَنَضَّتْ مَلَابِسَ عِزِّهَا وَتَشَاقَلَتْ فِي الذِّلِّ رَاسِفَةً بِقَيْدِ هَوَانِهَا
نضت أمة العرب، أي خلعت، ملابس العز، وأصبحت تسير متاثلة بطيئة راسفة، أي ماشية ببطء،
في قيود هي الهوان والذل

٢٥ مريم وابنها

رَمَتْ مِسْمَعِي لَيْلًا بِأَنَّةِ مُؤَلِّمٍ قَالَقَتْ فَوَادِي بَيْنَ أَنْيَابِ ضَيْغَمٍ
رمت هذه المرأة في مسمعي، أي أذني، برنة مؤلم، بأنين شخص متالم، فكأنها رمت قلبي بين
أنياب ضيغم، أسد

تُقَطِّعُ فِي اللَّيْلِ الْأَنِينَ كَأَنَّهَا تُقَطِّعُ أَحْشَائِي بِسَيْفٍ مُثْلِمٍ
مثلم: غير حاد

يَهْزُ نِيَاظَ الْقَلْبِ بِالْحَزَنِ صَوْتُهَا إِذَا اهْتَزَّ فِي جَوْفِ الظَّلَامِ الْمُخِيمِ
فَمَا خَفَقَانُ النَّجْمِ إِلَّا لِأَجْلِهَا وَمَا الشُّهُبُ إِلَّا أَدْمُعُ النَّجْمِ تَرْتَمِي
خفقان النجم: اهتزازه، وكانت العرب ترى في النجوم اهتزازاً. يتخيل الشاعر النجم يبكي وجسمه
يرتجف ودموعه تسيل وهي الشهب الساقطة

أَرَى فَحْمَةَ الظُّلَمَاءِ عِنْدَ أَنْبِيهَا فَأَعْجَبُ مِنْهَا كَيْفَ لَمْ تَنْضَرِّمْ
كان الليل فحم لسواده، وأعجب لما لا يتوهج جمرًا لحرارة أنبيها

وَبَيَّتْ بَكَّتْ فِيهِ الْحَيَاءُ نُحُوسَةً وَلَا حَتَّ بِوَجْهِ الْعَايِسِ الْمُتَجَهِّمِ
الحياة باكية ومنحوسة وعابسة ومتجهمة، مكشرة، في هذا البيت

دَخَلْتُ بِهِ عِنْدَ الصَّبَاحِ عَلَى الَّتِي سَقَانِي بُكَاهَا فِي الدُّجَى كَأَنَّ عُلْقَمِ
فَأَلْفَيْتُ وَجْهًا خَدَّدَ الدَّمْعُ خَدَّهُ وَمُحَمَّرًا جَفْنِي بِالْبُكَاءِ مُتَوَرِّمِ
خدَّد: شقق

لَقَدْ جَثَمْتُ فَوْقَ التُّرَابِ وَحَوْلَهَا صَغِيرٌ لَهَا يَرْنُو بِعَيْنِي مُبَيِّمٍ
جثمت، قعدت، في بيتها على التراب، وعندها طفل يرنو، أي ينظر، بعين اليتيم، أي أنه يتيم

تَرَاهُ وَمَا إِنَّ جَاوَزَ الْخَمْسَ عُمْرُهُ يُدِيرُ لِحَاظَ الْيَافِعِ الْمُتَفَهِّمِ
بَكَى حَوْلَهَا جُوعًا فَقَدَّتُهُ بِالْبُكَاءِ وَلَيْسَ الْبُكَاءُ إِلَّا تَعَلَّةٌ مُعْدِمِ
ليس عندها ما تغذيه به إلا البكاء، والبكاء تعلقة المعدم، تصبيرة الفقير

وَقَفْتُ لَدَيْهَا وَالْأَسَى فِي عَيُونِهَا يَكْلُمُنِي عَنْهَا، وَلَمْ تَتَكَلَّمِ

ومذَّ عَرَضْتُ لِلإِبنِ مِنْهَا التِّفَاةَ أشارت إليه بِالمِدامِ أن قَمِ
أَبُوكَ تَرَامَتَ فِيهِ سَفَرَةُ رَاحِلِ إلى المَوْتِ لا يُرَجَى له يَوْمَ مَقْدَمِ
مَشَى أَرْمَنِياً فِي المَعَاهِدِ فَارْتَمَتْ به فِي مَهاوِي المَوْتِ ضَرْبَةً مُسْلِمِ
مَشَى أَبُوكَ وَهُوَ مِنَ الأَرَمَنِ فِي المَعَاهِدِ، فَرَمَتْهُ فِي مَهاوِي المَوْتِ، وَدِيانَهُ، ضَرْبَةً مِنْ
مَقَاتِلِ مُسْلِمِ

وَلَوْلَاكَ لَاخْتَرْتُ الحِمَامَ تَخْلُصاً بِنَفْسِي مِنْ أَتْعَابِ عَيْشِ مُذَمَّمِ
فَأَنْتَ الَّذِي أَحْرَتَ أَمَّكَ مَرِيماً عَنِ المَوْتِ أَنْ يُودِيَ بِأَمِّكَ مَرِيماً
أَمَرِيماً مَهْلاً بَعْضَ مَا تَذَكَّرْنَاهُ فَأَنْتَكَ تَرْمِيَنَّ الفُؤَادَ بِأَسْنَاهُ
لِيُنْ مَلَأُوا الأَرْضَ الفَضَاءَ جَرَائِمَا فَهُمْ أَجْرُمُوا وَالَّذِينَ لَيْسَ بِمَجْرِمِ
الَّذِينَ أَجْرَمُوا بِحَقِّ الأَرَمَنِ مَجْرُمُونَ وَلَكِنْ لَيْسَ دِينُ الإِسْلَامِ هُوَ المَجْرِمِ. وَكَانَ الأَرَمَنِ تَعْرَضُوا
لِمَقْتَلَةٍ كَبِيرَةٍ فِي زَمَنِ الخَرْبِ العَالَمِيَةِ الأُولَى عَلَى يَدِ الأَتْرَاكِ

وَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّوْمَ لَوْماً تِجَاهَهَا سَكْتُ فَلَمْ أَنْسَ وَلَمْ أَتَبَرِّمِ
وَأَظَرَقْتُ نَحْوَ الأَرْضِ أَطْلُبُ عَفْوَها وَمَا أَنَا بِالجَانِي، وَلَا بِالمُتَمِّمِ
طَلَبْتُ العَفْوَ مِنْهَا مَعَ أَنِّي لَسْتُ جَانِياً فِي تِلْكَ المَقْتَلَةِ، وَلَسْتُ مُتَمِّماً بِهَا، بَلْ مُشْفِقٌ عَلَيْهَا
بَكَيْتُ، وَمَا أَدرِي أَأَبْكِي تَضْجُراً مِنَ القَوْمِ أَمْ أَأَبْكِي لِشِقْوَةِ مَرِيْمِ؟
لَا أَدرِي هَلْ كَانَ بِكَائِي لِأَنِّي مَلَلْتُ مِنْ أَفْعَالِ التَّرَكِّ أَمْ لِشَقَاءِ مَرِيْمِ. وَكَانَ الرِّصَافِيُّ عِثْمَانِي الهَوِي

٢٦ الروائع

هِيَ السَّاحَةُ النَّكْرَاءُ فِيهَا تَلَاعَبَتْ مَخَارِيقُ ضَيْمٍ تَخْلِطُ الجِدَّ بِالدُّدِ
فِي سَاحَةِ السَّجَنِ النَّكْرَاءِ، القَبِيحَةِ، تَرَى السَّجْنَاءُ يَتَلَاعَبُونَ فِيهَا بَيْنَهُمْ كَأَنَّهُمْ مَخَارِيقُ، كَرَاتِ
قِمَاشٍ، لَكِنَّهَا تَعَانِي الظُّلْمِ... وَلَعَبُهُمْ هُوَ بَيْنَ الجِدِّ وَالدُّدِ، أَيِ اللَّعْبِ

تَصَعَّدَ مِنْ جَوْفِ المَرَاخِضِ فَوْقَهَا بُخَارٌ إِذَا تَمَرَّرَ بِهِ الرِّيحُ تَفْسُدِ
وَفَوْقَ السَّاحَةِ رَوَائِحُ المَرَاخِضِ

هَنَّاكَ يَوْدُ المَرءِ لَوْ قَاءَ نَفْسَهُ وَأَطْلَقَهَا مِنْ أَسْرِ عَيْشِ مُنْكَدِ
مَقَابِرُ بِالأَحْيَاءِ عَصَتْ لِحُودُهَا بِخَمْسِ مِئَتِينَ أَنْفُسٍ أَوْ بِأَزِيدِ
يَخْضُونَ فِي مُسْتَنْقَعٍ مِنْ رَوَائِحِ خَبَائِثَ مَهْمَا يَزِدُّ الحَرَّ تَزْدَدِ
تَدُورُ رُؤُوسُ القَوْمِ مِنْ شَمِّ نَتِجِهَا فَمَنْ يَكُ مِنْهُمْ عَادِمَ الشَّمِّ يُحْسَدِ

٢٧ الشمس الخجلى

خَرَجْتُ بِعِيدِ النَّخْرِ صُبْحاً فَلَاخَ لِي مَسَارِخُ لِأَضْدَادٍ فِيهِنَّ مَرَتُعُ
خرجت بعد ذبح الخراف في عيد الأضحي فرأيت مسارح ترتع فيها الأضداد، مشاهد فيها أبناء
الأغنياء وأبناء الفقراء

صَبَاحٌ بِهِ يَكْسُو الْغَنِيَّ وَلِيَدَهُ ثِيَاباً لَهَا يَبْكِي الْيَتِيمُ الْمُضَيِّعُ
خَرَجْتُ وَقُرْصُ الشَّمْسِ قَدْ ذَرَّ شَارِقاً تَرَى النُّورَ سَيْالاً بِهِ يَتَذَقُّعُ
عندما خرجت كان قرص الشمس قد ذر شارقاً، برز عند الشروق، والنور يسيل منه

وَلَمَّا بَدَتْ حَمْرَاءُ أَيْقَنْتُ أَنَّهَا بِهَا خَجَلٌ مِمَّا تَرَاهُ وَتَسْمَعُ
لما بدت الشمس وعليها احمرار أيقنت أنها خجلى مما تراه من تفاوت طبقي

٢٨ كلامي غير معقد

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْحُرَّ لَا يَتَقَيَّدُ أَلَا فَلْيَقُلْ مَا شَاءَ فِي الْمَفْنَدُ
المفند: المتقيد المؤتب

إِذَا أَنَا قَصَدْتُ الْقَصِيدَ فَلَيْسَ لِي بِهِ غَيْرُ تَبْيَانِ الْحَقِيقَةِ مَقْصِدُ
وَلَا عَجَبٌ أَنْ عَابَنِي الشَّاعِرُ الَّذِي يَقُولُ سَخِيفَ الشَّعْرِ، وَهُوَ مُقْلِدُ
فَلِإِنَّ ابْنَ بُرْدٍ، وَهُوَ أَكْبَرُ شَاعِرٍ، تَنْقِصُهُ فِي الشَّعْرِ حَمَادُ عَجْرَدُ
ابن برد: بشار، وحمام عجرد: غريمه وكان بينهما هجاء متصل

إِذَا رُمْتُ نَصْحاً جِئْتُ بِالنُّصْحِ وَاضِحاً وَمَا كَانَ مِنْ شَأْنِي الْكَلَامُ الْمُعَقَّدُ
ييدي الرصافي عذره لعدم وجود وثبات خيال جامع في شعره

٢٩ بلبل وذباب

إِذَا دُفِعَ الشَّرُّ الْقَبِيحُ بِمِثْلِهِ نَحَصَلَ شَرٌّ ثَالِثٌ وَتَوَلَّدَا
وَلِي خُلُقٌ يَأْبَى عَلَيَّ انْطِبَاعُهُ عَلَى الْخَيْرِ تَسْلِيمِي إِلَى الشَّرِّ مَقُودَا
وَتَكَرَّرَهُ نَفْسِي كُلَّ عَبْدٍ مُذَلَّلٍ فَقَدْ كَرِهْتُ حَتَّى الطَّرِيقَ الْمُعْبَدَا
لكرمي للعبودية كرهت حتى الطريق المعبد

إِذَا مَا أَتَقَتْ نَفْسٌ رَدَاهَا بِذِلَّةٍ فَعِنْدِي نَفْسٌ تَتَّقِي الذَّلَّ بِالرَّدَى
إِذَا تَجَنَّبَتْ نَفْسٌ مِنَ النَّفُوسِ رَدَاهَا، مَوْتَهَا، بَانَ تَذَلُّلٌ، فَأَنَا أَحْمِي نَفْسِي مِنَ الذَّلِّ بِأَنْ أَعْرِضَهَا
لِلْمَوْتِ. التَّسْوِيدُ لِعِمْرَانَ الْقَفِينِي

وَكَمْ رَامَ إِسْكَاتِي أَنَا مَنْ أَبِي لَهُمْ خَنَا الطَّبْعِ إِلَّا أَنْ يُرَوْا لِي حُسْدَا
الخنا: العار

وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ يَعشَقَ الرُّوضُ بِلْبُلٍ وَيَمْنَعَهُ ذِبَّانُهُ أَنْ يُفَرِّدَا

٣٠ ليس لمصر!

أَمَارِسُ دَهْرًا مِنْ جَدِيدَيِّ دَاهِرَا وَمَا زَالَ لِبْلِي بِالْعِرَاقَيْنِ سَاهِرَا
مِنْ جَدِيدَيِّ: أَيُّ مِنْ زَمَنِي، وَالْجَدِيدَانِ هُمَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، الدَّهْرُ الدَّاهِرُ: الطَّوِيلُ الثَّقِيلُ،
وَالْعِرَاقَانِ: تَعْبِيرٌ قَدِيمٌ يُشِيرُ إِلَى عِرَاقِ الْعَرَبِ وَعِرَاقِ الْعَجَمِ

أَبَى الْحَقُّ إِلَّا أَنْ أَقُومَ لِأَجَلِهِ عَلَى الدَّهْرِ فِي كُلِّ الْمَوَاطِنِ ثَائِرَا
وَأَنْ أَتَمَادَى فِي جِدَالِ خُصُومِهِ وَأَقْرَعَ مِنْهُمْ بِالْبَيَانِ الْمُكَابِرَا
وَتَكَرَّهُ نَفْسِي أَنْ أَكُونَ مُخَادِعًا لِأَدْرِكَ نَفْعًا أَوْ لِأَدْفَعَ ضَائِرَا
وَمِنْ أَجْلِ مَقْتِي لِلْمَخَانِبِ أَنْكَرْتُ يَدِي أَنْ تُحَلَّى فِي الْجِنَانِ أَسَاوِرَا
فَقِي الْجَنَّةِ تَحَلَّى مَعَاصِمِ الْفَائِزِينَ بِالْأَسَاوِرِ

يَقُولُونَ لِي فِي مِصْرَ لِلْعَلَمِ نَهْضَةٌ تُفَتِّقُ أَذْهَانًا، وَتَجْلُو بِصَائِرَا
وَأَنَّ بِهَا لِلْعَلَمِ قَدْرًا وَحُرْمَةً وَإِنَّ بِهَا لِلْحَقِّ عَوْنًا وَنَاصِرَا
وَقَدْ ضَرَبُوا وَغَدَا لِنَتَكْرِيمِ شَاعِرٍ تَمَلَّكَ صَيْتًا فِي الْأَقَالِيمِ طَائِرَا
هُوَ الشَّاعِرُ الْفَخْلُ الَّذِي رَاحَ شَعْرُهُ بِإِنْشَادِهِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ سَائِرَا
فَلَوْ قُلْتُ بَعْضَ الشَّعْرِ فِي يَوْمِ حَفْلِهِمْ تَشُدُّ بِهِ مِنَّا لِمِصْرَ الْأَوَاصِرَا
يَقُولُونَ لِلرَّصَافِي: أَلَا قُلْتَ بَعْضَ الشَّعْرِ فِي هَذَا الْحَفْلِ لِنَتَكْرِيمِ أَحْمَدَ شَوْقِي أَمِيرًا لِلشُّعْرَاءِ فَتَشْدُ
أَوَاصِرَنَا بِمِصْرَ، أَيُّ رَوَابِطُنَا؟

فَقُلْتُ: أَجَلُ. وَالشَّعْرُ لَيْسَ بِمُعْجِزِي وَلَنْ تَعْدِمُوا مِنِّي عَلَى الشَّعْرِ قَادِرَا
أَلَا إِنَّ شَوْقِي شَاعِرٌ جَدُّ شَاعِرٍ يَفُوقُ الْأَوَالِي، بَلْ يَبْزُرُ الْأَوَاخِرَا
يَبْزُرُ: يَفُوقُ، الْأَوَالِي: الْأَوَّلُ

تَمَلَّكَ حُرُّ الشَّعْرِ فَهَوَ رَقِيقُهُ وَقَامَ عَلَيْهِ بِالَّذِي شَاءَ أَمِيرَا

الشعر رقيقه: الشعر عبده

إِذَا رَامَ جَزْلاً مِنْهُ أَنْشَدَ زَاخِراً وَإِنْ رَامَ سَهْلاً مِنْهُ أَنْشَدَ سَاحِراً

رام: أراد، زاخراً: متدفق

فَلَا عَجَبٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ وَغَيْرِهِمْ إِذَا عَقَدُوا مِنْهُمْ عَلَيْهِ الْخَنَاصِرَا

عقدوا الخناصر: استحسنوا. والخنصر الإصبع الصغير.. ألا ترى أنك عندما تعد واحد اثنان ثلاثة على أصابعك فإنك تبدأ بالخنصر!

وَلَكِنِّي قَدْ أَنْظَرُ الْحَفْلَةَ الَّتِي نَقَامُ لَهَا ذَا الْيَوْمِ فِي مِصْرَ سَاحِرَا

إِذَا احْتَفَلْتُ مِصْرَ بِشَوْقِي فَمَا لَهَا تُقِيمُ عَلَى الْأَحْرَارِ فِي الْعِلْمِ حَاجِرَا

كيف تحتفل مصر بشوقي وتحجر على الأحرار وتسكتهم؟

فَقَدْ أَسْمَعْتُنَا ضَجَّةً أَمْطَرَتْ بِهَا عَلِيّاً وَطَهَ حَاصِباً مُتَطَايِرَا

أسمعتنا مصر ضجة حين أمطرت علي عبد الرازق وطه حسين حاصباً، ريعاً فيها حصى وتراب. وقد عاقبوا الأول على كتابه «أصول الحكم في الإسلام»، وحاكموا الثاني على كتابه «في الشعر الجاهلي»

فَمَا بِالْ هَذَا عُذٌّ فِي مِصْرَ مَارِقاً وَمَا بِالْ هَذَا عُذٌّ فِي مِصْرَ كَافِرَا

علي عبد الرازق عدوه مارقاً، خارجاً عن الشرع، وطه حسين كفروه

إِذَا لَمْ تَكِ الْأَفْكَارُ فِي مِصْرَ حُرَّةً فَلَيْسَ لِمِصْرَ أَنْ تُكْرِمَ شَاعِرَا

أَلَا إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ لَيْسَ بِطَائِلٍ إِذَا كَانَ عَمَّا يَبْلُغُ الْعِلْمَ قَاصِرَا

ليس بطائل: لا فائدة منه

كَمَا أَنَّ هَذَا الْعِلْمَ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ النُّفُوسُ حَرَّارَا

وَأَلَّا فَعَصْرُ الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلُنَا لَهُ السُّبُؤُ فِي تَكْرِيمِ مَنْ كَانَ شَاعِرَا

٣١ الغربال

خَلْبِلِي إِنَّ الْأَرْضَ غِرْبَالٌ قُدْرَةٌ تَجَمَّعَتِ الْأَحْيَاءُ ضِمْنَ إِطَارِهِ

الأرض كغربال كبير يفحص القدرة، قدرة كل فرد على الصمود في المعترك، وكل الأحياء ضمن إطاره.. والبقاء للأصلح

فَلَا عِيشَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ بِهَا قَدِيراً عَلَى دَفْعِ الْأَذَى وَالْمَكَارِهِ

فمن لم يكن ذا قدرة على دفع الأذى والمكروه عنه سقط من خروم الغربال ومات

وَمَنْ لَمْ يُهِنْ صَرَفَ الزَّمَانِ بِرَحْلَةٍ تُهِنُهُ صُرُوفُ الدَّهْرِ فِي عُقْرِ دَارِهِ
 من لم يوجه إهانة إلى مصائب الدهر بأن يرحل لبحث عن تحقيق ذاته فإن المصائب تأتبه لتنهيه في
 عقر داره، في وسطها

وَمَا شَرُفَ الدَّرُّ الثَّمِينُ قَرِيدُهُ إِذَا هُوَ لَمْ يَبْرَحْ بُطُونُ مَحَارِهِ
 لا يصبح اللؤلؤ الذي فريده ثمين، أي حياته الكيرة ثمينة، لا يصبح شريفاً إلا إذا غادر داره وهي
 بطن المحار، أي الصدف

أَرَى كُلَّ ذِي فَقْرٍ لَدَى كُلِّ ذِي غِنَى أَجِيرًا لَهُ مُسْتَحْدَمًا فِي عَقَارِهِ
 وَلَمْ يُعْطِهِ إِلَّا الْيَسِيرَ وَإِنَّمَا عَلَى كَدِّهِ قَامَتْ صُرُوحُ يَسَارِهِ
 ينال الفقير يسيراً من المال مع أن صروح الغنى واليسار، قصوره، قامت على تعب الفقير

لَعَمْرُكَ إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي لِغَايَةٍ فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيداً فَجَارِهِ
 وليست حياة الناسم إلا الجاهل في إيباسه واخضراره

وَمَا النَّاسُ إِلَّا الْمَاءُ يُحْيِيهِ جَرِيُهُ وَيُزِدِّيهِ مُكْتٌ دَائِمٌ فِي قَرَارِهِ
 الماء الجاري يكون نظيفاً حياً صالحاً للشرب والراكد يرديه، أي يمته، ركوده. والقاعدة العلمية
 هي العكس، فالماء الجاري يموت فيها الطحلب، أما الماء الراكد فتعيش به مخلوقات كثيرة

٣٢ الملاحق

وَكَمْ مُدَّعٍ فَضْلَ التَّمَدُّنِ مَا لَهُ مِنْ الْفَضْلِ إِلَّا أَكَلُهُ بِالْمَلَاهِقِ
 وَقَدْ تُعْرِضُ الْأَسْمَاعُ عَنْ ذِي فَصَاحَةٍ وَتُضْفِي إِلَى ذِي اللَّكْنَةِ الْمُتَشَادِقِ
 ذو اللكنة، العيب السيء النطق، المتشادق: الذي يحرك شذقيه أي جانبي فمه متفاصحاً

وَالطَّفُ جَوْرِ الدَّهْرِ جَوْرٌ نَرَى بِهِ تَدَلُّلَ مَعْشُوقٍ وَذُلَّةَ عَاشِقِ
 جور: ظلم

نَفَضْتُ مِنَ الدُّنْيَا يَدَيَّ لِأَتْنِي تَعَرَّفْتُ مِنْهَا مَا بَهَا مِنْ خَلَائِقِ
 الخلائق: الصفات

وَلِيَّ عِنْدَ إِخْوَانِ الصِّفَا أَرْجِيَّةٌ إِلَى كُلِّ خِلٍّ فِي الزَّمَانِ مُوَافِقِ
 إِذَا مَا عَقَدْنَا مَجْلِسَ الْأُنْسِ بِالطَّلَا قَبَّيْنِي وَبَيْنَ الشُّكْرِ خَمْسُ دَقَائِقِ
 فَأَقْرَعُ بِالْكَأْسِ الرَّوِّيَّةِ جِبْهَتِي بِشُرْبٍ كَمَا عَبَّ الْقَطَا مُتَلَاحِقِ

الروية: الملائة، وطير القطا، وهو كحمامة سمينة، يشرب ويرفع رأسه مرة بعد مرة بشكل متلاحق

أَسَابِقُ نُدْمَانِي إِلَى السُّكْرِ طَائِرًا بِجَنَاحٍ مِنَ الْأَنْسِ الْمُضَاعَفِ خَافِقٍ
يسابق الندماء إلى الشرب مسرعاً كأنه يطير بجناح خافق، وما هذا الجناح سوى الأنس والفرح
فَمَا هِيَ إِلَّا بَعْدَ شُرْبِي سَوِيْعَةً وَقَدْ دَبَّ مِنْ رَأْسِي الطَّلَا فِي الْمَفَارِقِ
فَنَادَمْتُ أَصْحَابِي عَلَى غَيْرِ حِشْمَةٍ وَقُلْتُ لَهُمْ مَا قُلْتُ غَيْرَ مُنَافِقِ
على السكر تزيد صراحته ويقول ما في قلبه

تَعَوَّدْتُ سَبْقِي فِي الْفَخَارِ فَلَمْ أَرِدْ مِنَ السُّكْرِ أَنْ أَحْطَى بِهِ غَيْرَ سَابِقِ
لكثرة ما تعودت أن أكون سباقاً إلى المكارم صرت لا أستطيع أن أحظى بالشرب إلا سابقاً غيري
كَمَا اعْتَادَ سَبْقًا فِي الْمَكَارِمِ خَزَعْلُ بَلَا سَابِقٍ فِيهَا عَلَيْهِ، وَلَا حِقِ
إِذَا سَارَ سَارَ الْمَجْدُ فِي طَيِّ بُرْدِهِ يُرَافِقُهُ، أَكْرِمُ بِهِ مِنْ مُرَافِقِي
الشيخ خزعل والمجد يسيران معاً. وكان الشيخ خزعل محسناً لشاعرنا

فَيَرْحَلُ مِنْ أَنْسَابِهِ فِي مَوَاقِبِ وَيَنْزِلُ مِنْ أَحْسَابِهِ فِي سُرَادِقِ
يسير ويسير نسبه العريق معه كأنه في موكب لعظمة نسبه، وينزل فينزل معه حسبه، شرفه، فلا يكاد
يسعه السرداق، الخيمة الكبيرة

وَإِنْ جَاءَ أَغْضَى مَنْ رَأَى تَهَيَّبًا سَوَى نَظَرٍ مِنْهُمْ بِعَيْنَيَّ مُسَارِقِ
إن جاء خزعل غض الناس أبصارهم لهيبته، فلا ينظر الناظر إليه إلا باستراق النظر
جَوَادُ إِذَا اسْتَمْطَرَتْهُ جَادَ كَفُّهُ بِأَغْزَرَ مِنْ وَبْلِ الْغُيُومِ الدَّوَافِقِ
إذا طلبت منه العطاء كان سخياً وكفه أغزر من وبل، مطر، الغيوم المتدفقة

٣٣ الضرب بالنعل

سَبَرْتُ زِمَانِي بِالنُّهَى وَمَخَضَّتُهُ بِتَجَرِبَتِي حَتَّى تَجَلَّتْ عَوَاقِبُهُ
سبرت زماني: قست عمقه واختبرته، بالنهى: بالعقل، ومخضته: فحسته فحماً دقيقاً
وَلَمْ أَسْتَشِيرْ فِي النَّاسِ إِلَّا تَجَارِبِي وَهَلْ يَضْلُقُ الْإِنْسَانَ إِلَّا تَجَارِبُهُ
أَلَا رَبُّ شَيْطَانٍ مِنَ الْإِنْسِ قَدْ غَدَا يُخَايِلُنِي خَلْسًا وَعَيْنِي تُرَاقِبُهُ
يخايلني: يخدعني

فَقُلْتُ لَهُ اخْسَأْ إِنَّمَا أَنْتَ خَائِبٌ وَقَبْلَكَ أَغْيَا الْجِنَّ مَا أَنْتَ طَالِبُهُ
فولّى على الأعقاب يخجّو وقد درى، ولله دري، أنني أنا غالبه

فَأَتَّبَعْتُهُ مِنِّي شِهَابَ تَسَامُحٍ يَشْقُ ظِلَامَ الْجَهْلِ بِالْحِلْمِ ثَائِبُهُ
يشبه جلمه وتسامحه بالشهاب الثاقب، أي المتوقد

وَلَوْ شِئْتُ أَرْسَلْتُ الْحَدِيدَةَ خَلْفَهُ تُطَارِدُهُ حَتَّى تَضِيقَ مَذَاهِبُهُ
ولكن أبي مني الخداع مهذب تعود فعل الخير مذ طر شاربه
رفض الخداع مني، أي شخصاً أنا هو، مهذب تعود فعل الخير مذ طر، نبت، شاربه

وَذِي سَفِهِ أَغْضَيْتُ عَنْهُ تَكْرُماً فَدَبَّتْ عَلَى رِجْلَيَّ غَدْرًا عَقَارِيهُ
فَقَمْتُ لَهُ بِالنَّعْلِ ضَرْباً، فَلَمْ تَزَلْ بَدَايَ بِهِ حَتَّى أَطْمَأْنَنْتُ غَوَارِيَهُ
اطمأنت غواريه: هبطت أمواجه، أي سكن وهذا

٣٤ طريد بغداد

لَقَدْ طَوَّحْتَنِي فِي الْبِلَادِ مُضَاعَا طَوَائِحُ جَاءَتْ بِالْخُطُوبِ تَبَاعَا
طوحنتي: رمتني بعيداً

فَبَارَحْتُ أَرْضاً مَا مَلَأْتُ حَقَائِبِي سَوَى حُبِّهَا عِنْدَ الْبِرَاحِ مَتَاعَا
البراح: المغادرة والفراق

عَتَبْتُ عَلَى بَغْدَادَ عَتَبَ مُودِّعٍ أَمْضَتْهُ فِيهَا الْحَادِثَاتُ قِرَاعَا
أمضته الحادثات قراعاً: أَلَمَتْهُ المصائب وهو يقارعها ويحاربها

أَضَاعَتْنِي الْأَيَّامُ فِيهَا، وَلَوْ دَرْتُ لَعَزَّ عَلَيْهَا أَنْ أَكُونَ مُضَاعَا
فيها: أي في بغداد

وَلَوْ شِئْتُ كَأَيْلْتُ الَّذِينَ انْطَوَوْا بِهَا عَلَى الْحِقْدِ صَاعاً بِالْعَدَاءِ فَصَاعَا
كابلتهم صاعاً فصاعاً: رددت عليهم بالمثل، والصاع كيل قديم

عَلَى أَنَّنِي ذَارَيْتُ مَا شَاءَ حِقْدَهُمْ فَلَمْ يُجِدْ نَفْعاً مَا أَتَيْتُ وَضَاعَا
داريت كيدهم ما شاء الله لي.. لكن سدى

وَأَشَقَى الْوَرَى نَفْساً وَأَضْيَعَهُمْ نَهْيَ لَبِيبٍ يُدَارِي فِي نُهَاهُ رَعَاعَا
النهي: العقل

تَرَكْتُ مِنَ الشَّعْرِ الْمَدِيحَ لِأَهْلِهِ وَنَزَّهْتُ شِعْرِي أَنْ يَكُونَ قَذَاعَا
القذاع: الشتم والتعير

وَأَرْسَلْتُهُ عَفْوَاً فَجَاءَ كَمَا تَرَى قَوَافِي تَجْتَأِبُ الْبِلَادَ سِرَاعاً
كَأَنِّي وَقَدْ جَدَّ الْفِرَاقُ سَفِينَةً أَشَالَتْ عَلَى الرِّيحِ الْهَجُومِ سِرَاعاً
كأنى سفينة أشالت، رفعت، شرعها لتستقبل الريح الهاجمة

فَمَالَتْ بِهَا الْأَرْوَاحُ وَالْبَحْرُ مَائِجٌ وَقَدْ أَوْشَكْتَ أَلْوَا حُهَا تَتَدَاعَى
الأرواح: الرياح

فَتَحَسَّبُنِي مِنْ هَزَّةٍ فِيَّ أَفْدَعَا تَرَقَّى هِضَاباً زُلْزِلَتْ وَتَلَاعَا
تحسبني وأنا في غربي، وكأني راكب سفينة تتقاذفها الأمواج، أفدع، ملتوي الأقدام، يتضعض
كانه يترقى ويصعد هضاباً وتلاعاً، تلالاً، ضربها الزلزال

فَمَا أَنَا إِلَّا قَوْمَةٌ وَأُنْجِنَاءُ وَسِرٌّ أَذَاعَتْهُ الدَّمُوعُ فَذَاعَا
فأنا بعد التضعض أقوم ثم أنحني.. ومشاعري سر لكن دموعي تفضحه

٣٥ الحكم العسكري

نَفَضْتُ يَدَيَّ مِنْ أَبْنَاءِ دَهْرٍ أَهَانُوا الشُّهْمَ وَاحْتَرَمُوا الزُّرِّيَا
الزري: المستحق للاحتقار والازدراء

وَقُلْ حَيَاؤُهُمْ حَتَّى رَأَيْنَا ظَنِينَ الْقَوْمِ يَتَّبِعُهُمُ الْبَرِيَا
الظنين: أخو الشبهات، المطعون في سلوكه

تَقَلَّدَتِ السِّيُوفُ رُعَاةَ مَعَزٍ وَكَانَتْ قَبْلُ تَحْتَمِلُ الْهُرْيَا
تحتمل الهري: تحمل العصي

وَكَيْفَ تُسَاسُ مَمْلَكَةٌ بِعَدِلٍ إِذَا مَا الْحُكْمُ أَصْبَحَ عَسْكَرِيَا؟

٣٦ العلم المفيد

إِبْنُوا الْمَدَارِسَ وَاسْتَقْصُوا بِهَا الْأَمَلَا حَتَّى نَطَاوَلَ فِي بُنْيَانِهَا زُحَلَا
سيرُوا إِلَى الْعِلْمِ فِيهَا سَيْرٌ مُعْتَزِمٌ ثُمَّ ارْكَبُوا اللَّيْلَ فِي تَحْصِيلِهِ جَمَلَا
اركبوا في تحصيل العلم الليل، تقطعونه بالدرس، اركبوه كأنه جمل

لَا تَجْعَلُوا الْعِلْمَ فِيهَا كُلَّ غَايَتِكُمْ بَلْ عَلِّمُوا النَّشْءَ عِلْماً يُنْتِجُ الْعَمَلَا
وَجَنَّبُوهُمْ عَلَى فَعْلٍ مُعَاقَبَةٍ إِنَّ الْعِقَابَ إِذَا كَرَّرْتَهُ فَتَلَا

فَجَيْشُوا جَيْشَ عِلْمٍ مِنْ شَبِيبَتِنَا عَرْمَرَمًا تَضْرِبُ الدُّنْيَا بِهِ الْمَثَلَا
العرمرم: الجيش الكبير

وإِنْ عَزَا مُسْتَظِلًّا ظِلَّ رَايَتِهِ هَزَّ الْبِلَادَ وَأَحْيَا الْأَغْصَرَ الْأَوَّلَا
إِنَّا لِمِنْ أُمَّةٍ فِي عَهْدٍ نَهَضَتْهَا بِالْعِلْمِ وَالسِّيفِ قَبْلًا أَنْشَأَتْ دَوْلَا
ماذا تقولون في نقدي مناهجكم وقد كَفَيْتُكُمْ التَّفْصِيلَ وَالْجُمْلَا؟
نقدت المناهج حتى كفيتمك التفاصيل والإجمال

وَأَيُّ نَفْعٍ لِمَنْ يَأْتِي مَدَارِسُكُمْ إِنْ كَانَ يَخْرُجُ مِنْهَا مِثْلَمَا دَخَلَا؟

٣٧ الدور قبوراً

إِذَا مَا عَقَّ مَوْطِنَهُمْ أَنْاسٌ وَلَمْ يَبْنُوا بِهِ لِلْعِلْمِ دُورَا
فَبِإِنَّ ثِيَابَهُمْ أَكْفَانُ مَوْتَى وَلَيْسَ بُيُوتُهُمْ إِلَّا قُبُورَا

٣٨ كذبة الدهر

كَمْ كَذَبَ الدَّهْرُ فِي فَعَائِلِهِ وَسُودَدَ الْجَاهِلِينَ مِنْ كَذِبِهِ
الدهر يكذب، ومن بعض أكاذيبه نيل الجاهلين مواقع السيادة

٣٩ التخصص

أَطْعِمِ الْعَقْلَ مَا اشْتَهَاهُ مِنَ الْعِلْمِ حِمٍ وَإِلَّا اسْتَقَاتَ مِنْ سُوءٍ هَضْمِ
استقأت: تقيأت

لَيْسَ فِي أَرْؤُسِ الرِّجَالِ دِمَاعٌ هَاضِمٌ فِي ذَكَائِهِ كُلِّ عِلْمِ
فَمِنْ النِّقْصِ أَنْ تُحَاوَلَ أَنْ تُضَفَّ رُبِّ فِي كُلِّ ذِي الْعُلُومِ بِسَهْمِ
أَوَّلَيْسَ الْبِدْرُ التَّمَامُ، وَإِنْ كَا ن وَحِيداً، يَرْبُو عَلَى أَلْفِ نَجْمِ

٤٠ نشيد لعبد الحميد

سَكَّنَا مِنْ جَهَالَتِنَا بِقَاعَا يَجُورُ بِهَا الْمُؤَمَّرُ مَا اسْتَطَاعَا
المؤمر: المجهول أميراً

فَكِدْنَا أَنْ نَمُوتَ بِهَا ارْتِيَاعَا فَهَبْنَا أُمَّةً هَلَكَتْ ضِيَاعَا

تَوَلَّى أَمْرَهَا عَبْدُ الْحَمِيدِ

* * *

أَيَا حُرِّيَّةَ الصُّحُفِ ازْحَمِينَا فَإِنَّا لَمْ نَزَلْ لِكَ عَاشِقِينَا
مَتَى تَصِلِينَ كَيْمَا تُظَلِّقِينَا عِدِينَا فِي وَصَالِكَ وَامْطَلِينَا
مَتَى تَصِلِينَ إِلَيْنَا حَتَّى نَنْطَلِقَ . . قَدَمِي لَنَا وَعْدًا بِالْوَصَالِ أَيْتَهَا الْمَعشُوقَةُ، ثُمَّ امْطَلِينَا، كُونِي مِمَّا طَلَّة

فَإِنَّا مِنْكَ نَقْنَعُ بِالْوُعودِ

* * *

تَنْعَمُ فِي قُصورِكَ غَيْرَ دَارٍ أَعَاشَ النَّاسُ أَمْ هُمْ فِي بَوَارِ
بِوَارٍ: هَلَاك

فَإِنَّكَ لَمْ تُطَالِبْ بِاعْتِدَارٍ وَهَبْ أَنَّ الْمَمَالِكَ فِي دِمَارِ
أَلَيْسَ بِنَاءٍ يَلْدِرُ بِالْمَشِيدِ
يَلْدِرُ: قَصْرُ السُّلْطَانِ عَبْدِ الْحَمِيدِ فِي إِسْتَنْبُولِ

٤١ دخان ولهيب

إِنْ كَلَّفْتَنِي السُّكَارَى شَرْبَ خَمْرَتِهِمْ شَرِبْتُ لَكِنْ دَخَانًا مِنْ سِكَارَاتِي
سِكَارَاتِي: سِجَارَاتِي، وَفِي الْعِرَاقِ يَكْتُبُونَ الْقَافَ الْبَدْوِيَّةَ كَافًا، وَفِي مِصْرَ جِيمًا، وَفِي بِلَادِ الشَّامِ
يَتَحَبَّرُونَ، وَفِي الْخَلِيجِ يَكْتُبُونَهَا قَافًا فَيَقُولُونَ عَنِ اللَّفَافَةِ زَقَارَةٌ
إِنِّي لَأَمْتَصُّ جَمْرًا لَفَّ فِي وَرْقٍ إِذْ تَشْرَبُونَ لَهِيْبًا مِلءَ كَاسَاتِ

٤٢ تحريم الغناء

رَطَّبْ حَيَاتَكَ بِالْغِنَاءِ إِذَا عَرَا هُمْ يُجَفِّفُ فِي الْحُلُوقِ الرُّيْقَا
عَرَا: اعْتَرَى، وَجَاءَ مَفَاجَأً

وَاتْرُكْ مُجَادَلَةَ الَّذِينَ تَوَهَّمُوا هَزَجَ الْغِنَاءِ خَلَاعَةً وَفُسُوقَا
أَفَأَنْتَ أَغْلَظَ مُهْجَةً مِنْ نُوقِهِمْ فَقَدْ اسْتَحْثُوا بِالْحُدَاءِ النُّوْقَا
الْحُدَاءُ: الْغِنَاءُ لِلْإِبِلِ

أَرْقَى الشُّعُوبِ تَمْدُنًا وَحَضَارَةً مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي الْفُنُونِ عَرِيقَا

٤٣ الاستهلاك

أَوْ مَا تَرَى أَهْلَ الْبِلَادِ تَقَيَّدُوا لِلْغَرْبِ مِنْ حَاجَاتِهِمْ بِقِيُودِ
الْغَرْبِ يَكْسُوهُمْ مَلَابِسَ هُمْ بِهَا يَسْلَخُونَهُمْ بِمَصْنُوعَاتِهِ
هَذِي سَفَائِنُهُمْ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي فَكَأَنَّمَا هِيَ لَامْتِصَاصٍ دِمَائِنَا
نَمْتَصُ بَضَائِعَهُمْ دِمْنَا كَمَا نَمْتَصُهُ الْمَحَاجِمَ، الْمُحْجَمُ أَدَاةُ فَصْدِ الدَّمِ فِي الْحِجَامَةِ، أَوِ الدُّودُ، الْعَلَقُ
الَّذِي يَسْتَخْدِمُهُ الْمَعَالِجُونَ فِي امْتِصَاصِ الدَّمِ

مَنْ كَانَ مَحْلُولَ الْعُرَا فِي مَالِهِ وَجَبَ أَنْجِلَالُ لَوَائِهِ الْمَعْقُودِ
من لم يحسن القيام على الميزانية وجب أن يتخلى عن حمل اللواء وقيادة البلد

٤٤ التمويه

دَعِ الْإِنْسَانِيَّ وَانْسُبْنِي لِغَيْرِهِمْ إِنْ شِئْتَ لِلشَّاءِ، أَوْ إِنْ شِئْتَ لِلْبَقَرِ
فَإِنَّ فِي الْبَشَرِ الرَّاقِيِ بِخَلْقَتِهِ مَنْ قَدْ أَنْفَتَ بِهِ أَنِّي مِنَ الْبَشَرِ
وَأَشْنَعُ الْكِذْبِ عِنْدِي مَا يُمَارِجُهُ شَيْءٌ مِنَ الصِّدْقِ تَمْوِيهاً عَلَى الْفِكْرِ
فَإِنَّ إِبْطَالَ هَذَا فِي النُّهْيِ عَسِرٌ وَلَيْسَ إِبْطَالُ مَحْضِ الْكِذْبِ بِالْعَسِيرِ

٤٥ تلخيص «رأس المال»

كُلُّ مَا فِي الْبِلَادِ مِنْ أَمْوَالٍ لَيْسَ إِلَّا نَتِيجَةُ الْأَعْمَالِ
تلخيص حسن للنظرية الماركسية في القيمة المضافة: قيمة كل سلعة هي مقدار ما وُضع فيها من
عمل. وسيبدو في الآيات المقبلة أن الرصافي كان يصدر عن إلزام بالنظرية الماركسية

عِنْدَنَا الْيَوْمَ لِلْحَيَاةِ نِظَامٌ قَدْ حَوَى كُلَّ بَاطِلٍ وَمُحَالٍ
حَيْثُ يَسْعَى الْفَقِيرُ سَعْيَ أَجِيرٍ لِعَبْنِي مُسْتَأْثِرٍ بِالْغِلَالِ
وَتَرَى الْغَائِصِينَ فِي الْبَحْرِ أَمْسَى لِسَوَاهُمْ مَا أَخْرَجُوا مِنْ لَالٍ
لَال: لَالِي

أَكْثَرُ النَّاسِ يَكْدَحُونَ لِقَوْمٍ قَعَدُوا فِي قُصُورِهِمْ وَالْعَلَالِي
إِنَّمَا الْحَقُّ مَذْهَبُ الْإِشْتِرَاكِيِّينَ فِيهِمَا يَخْتَصُّ بِالْأَمْوَالِ

مَذْهَبٌ قَدْ نَحَا إِلَيْهِ أَبُو ذَرٍّ - قَدِيمًا فِي غَايِرِ الْأَجْيَالِ

أبو ذر الغفاري: من الصحابة، وزهد ودعا إلى التسوية بين الناس في العطاء

لَيْسَ قَرَضُ الزَّكَاةِ فِي الشَّرْعِ إِلَّا خُطْوَةٌ نَحْوَ مَبْتَغَاةِ الْعَالِي

الزكاة خطوة أولى نحو هذا المذهب: الاشتراكية

مَا رُؤُوسُ الْأَمْوَالِ إِلَّا أَدَاةٌ لِلْمَسَاعِي كَالْحَبْلِ لِلْأَحْمَالِ

رؤوس الأموال أداة لتشغيل الناس ودوران عجلة الاقتصاد وليست للتخزين والكثرة

إِنَّهَا الْعَامِلُونَ إِنَّ اتِّحَادًا بَيْنَكُمْ مُرْخِصٌ لَكُمْ كُلِّ غَالٍ

وقال البيان الشيوعي: «يا عمال العالم اتحدوا»

فَلْيَكُنْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَصِيرًا وَمُعِينًا لَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ

٤٦ الازدراء

أَكْبَّ عَلَى الْخَوَانِ وَكَانَ خِفَاءً فَلَمَّا قَامَ أَثْقَلَهُ الْقِيَامُ

ووالى بينها لُقْمًا ضَخَامًا فَمَا مَرِئَتْ لَهُ اللَّقْمُ الضَّخَامُ

وَعَاجَلَ بَلْعَهُنَّ بِغَيْرِ مَضْغٍ فَهُنَّ بِفِيهِ وَضَعُ فَاَلْتِهَامُ

فَضَاقَتْ بَطْنُهُ شَبْعًا وَشَالَتْ إِلَى أَنْ كَادَ يَنْقَطِعُ الْحِزَامُ

فَأَرْسَلْتُ اللَّحَاطَ إِلَيْهِ شُرْرًا وَقُلْتُ لَهُ: رُؤَيْدَكَ يَا غُلَامُ

أَرَى اللَّقْمَاتِ تَأْخُذُهَا حَلَالًا فَتَدْخُلُ فَاكَ وَهِيَ بِهِ حَرَامُ

فَلَا تَأْكُلْ طَعَامَكَ بِازْدِرَادٍ مُعَاجَلَةً فَيَأْكُلَكَ الطَّعَامُ

طَعَامُ النَّاسِ أَغْجَبُ مَا أَحْبَبُوا فَمَنْه حَيَاتُهُمْ وَبِهِ الْجِمَامُ

أعجب الأشياء التي يحبها الناس الطعام، فمنه يحيون وبه يموتون

وَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ صِيَامَ دَهْرِي لَصُمْتُ فَكَانَ دَيْدَنِي الصِّيَامُ

ديدني: عادتي

وَلَكِنْ لَا أَصُومُ صِيَامَ قَوْمٍ تَكَاثَّرَ فِي فُطُورِهِمُ الطَّعَامُ

وَنَامُوا مُتَخَمِّينَ عَلَى امْتِلَاءٍ وَقَدْ يَتَجَشَّأُونَ وَهُمْ نِيَامُ

يتجشأ: يخرج فقاعة هواء من بطنه... يخرجها من فمه بصوت

فَقُلْ لِلصَّائِمِينَ أَدَاءَ قَرَضٍ أَلَا مَا هَكَذَا فَرَضَ الصِّيَامُ

٤٧ إلى الصديق اللدود

أرى بغداداً من بعد اغبرارٍ زَهَتْ بِقُدُومِ شاعرِها الزَّهاوي
وما الآدابُ في بغدادَ لولا يَراعُ جَميلِها إِلَّا دَعَاوِ
يراع: قلم، دعاوٍ: ادعاءات

إذا ما قالَ في بغدادَ شعراً رَوَاهُ لَهُ بِأَقْصَى الأَرْضِ راوٍ

٤٨ أبناء إماء

لقد غَمَطُوا حَقَّ النِّسَاءِ فَشَدَّدُوا عَلَيْهِنَ فِي حَبْسٍ وَطَوَّلَ ثَوَاءِ
غمطوا الحق: لم يقرأوا به، طول ثواء: طول إقامة

وقد الزَّمُوهُنَّ الحِجَابَ وَأَنكَرُوا عَلَيْهِنَّ إِلَّا خَرَجَةً بِغِطَاءِ
أهَانُوا بِهِنَّ الأَمَّهَاتِ فَأَصْبَحُوا بِمَا فَعَلُوا مِنَ الأَمِّ اللُّؤْمَاءِ
ولو أَنَّهُمْ أَبْقَوْا لَهُنَّ كَرَامَةً لَكَانُوا بِمَا أَبْقَوْا مِنَ الكُرَمَاءِ
ألم تَرَهُمْ أَمْسَوْا عبيداً لِأَنَّهُمْ عَلَى الذُّلِّ شَبُّوا فِي حُجُورِ إِمَاءِ
صار رجالنا عبيداً للأجنبي لأنهم تربوا في حجور، أحضان، نساء هن كالإماء، الجواري

وَهَانَ عَلَيْهِمْ حِينَ هَانَتْ نِسَاؤُهُمْ تَحْمُلُ جَوْرِ السَّاسَةِ الغُربَاءِ
أَيَسَعِدُ مَحْيَاكُمْ بِغَيْرِ نِسَائِكُمْ وَهَلْ سَعِدَتْ أَرْضٌ بِغَيْرِ سَمَاءِ
المحيا: الحياة

وما العارُ أَنْ تَبْدُو الفتاةَ بِمَسْرَحٍ تُمَثِّلُ حَالِي عِرَّةً وَإِبَاءِ
ولكنَّ عاراً أَنْ تَزَيَّا رِجَالُكُمْ عَلَى مَسْرَحِ التَّمثِيلِ زِيَّ نِسَاءِ

٤٩ النعجة والذئب

قُلْ لِلأُلَى ضَرَبُوا الحِجَابَ عَلَى النِّسَاءِ أَفَتَعْلَمُونَ بِمَا جَرَى تَحْتَ العَبَاءِ؟
شَرَفُ المَلِيحَةِ أَنْ تَكُونَ أَدِيبَةً وَحِجَابُهَا فِي النَّاسِ أَنْ تَتَهَذَّبَا
وَالوَجْهُ إِنْ كَانَ الحَيَاءُ نِقَابَهُ أَغْنَى فِتَاةَ الحَيِّ أَنْ تَتَنَقَّبَا
وَاللُّؤْمُ أَجْمَعُ أَنْ تَكُونَ نِسَاؤُنَا مَثَلُ النُّعَاجِ، وَأَنْ نَكُونَ الأَذْؤَا

٥٠ الذين واللواتي

هِيَ الْأَخْلَاقُ تَنْبُتُ كَالْبَنَاتِ إِذَا سُقِيَتْ بِمَاءِ الْمَكْرُمَاتِ
وَلَمْ أَرِ لِلْخَلَائِقِ مِنْ مَحَلٍّ يُهَذَّبُهَا كَحِضْنِ الْأُمّهَاتِ
فَحِضْنُ الْأُمِّ مَدْرَسَةٌ تَسَامَتْ بِتَرْبِيَةِ الْبَنِينَ أَوِ الْبَنَاتِ
وَقَالُوا شِرْعَةُ الْإِسْلَامِ تَقْضِي بِتَفْضِيلِ الَّذِينَ عَلَى اللَّوَاتِي
وَقَالُوا إِنَّ مَعْنَى الْعِلْمِ شَيْءٌ تَضِيقُ بِهِ صَدُورُ الْغَانِيَاتِ
أَلَيْسَ الْعِلْمُ فِي الْإِسْلَامِ فَرَضاً عَلَى أَبْنَائِهِ، وَعَلَى الْبَنَاتِ؟
وَكَانَتْ أُمْنًا فِي الْعِلْمِ بَحْرًا تَحُلُّ لِسَائِلِهَا الْمَشْكَلاتِ
أَمَّا: أُمُ الْمُؤْمِنِينَ عَاشَتْ

أَلَمْ نَرِ فِي الْحِسَانِ الْغَيْدَ قَبْلًا أَوَانَسَ كَاتِبَاتِ شَاعِرَاتٍ؟
وَقَدْ كَانَتْ نِسَاءُ الْقَوْمِ قَدْماً يَرْحُنَ إِلَى الْحُرُوبِ مَعَ الْغُرَاةِ
يَرْحَنُ: أَرَادَ يَذْهَبُ

لَئِنْ وَأَدَّوَا الْبَنَاتِ فَقَدْ قَبَرْنَا جَمِيعَ نِسَائِنَا قَبْلَ الْمَمَاتِ
الْجَاهِلُونَ وَأَدَّوَا الْبَنَاتِ وَنَحْنُ قَبَرْنَا النِّسَاءَ بِإِبْقَائِهِنَّ فِي الْبُيُوتِ أَوْ بِالْحِجَابِ
حَجَبْنَاهُنَّ عَنْ طَلَبِ الْمَعَالِي فَعِشْنَ بِجَهْلِهِنَّ مُهْتَكَاتِ
وَلَوْ عَدِمَتْ طِبَاعُ الْقَوْمِ لُؤْمًا لَمَّا عَدَّتِ النِّسَاءُ مُحَجَّجَاتِ
فِدَى لَخَلَائِقِ الْأَعْرَابِ نَفْسِي وَإِنْ وُصِفُوا لَدِينَا بِالْجُفَاءِ
فَكَمْ بَرَزَتْ بِحَيِّهِمُ الْعَوَانِي حَوَاسِرَ غَيْرِمَا مُتَرَيِّبَاتِ
حَوَاسِرَ: كَاشَفَاتِ الشَّعْرِ، غَيْرِمَا: مَتْرِيَّاتِ: غَيْرِ وَاقِعَاتِ فِي شَبْهَةِ أَوْ رِيَّةِ

٥١ أمة ومحبوسة

لَمْ أَرِ بَيْنَ النَّاسِ ذَا مَظْلَمَةٍ أَحَقَّ بِالرَّحْمَةِ مِنْ مُسْلِمَةٍ
مَنْقُوصَةٍ حَتَّى بِمِيرَاثِهَا مُحَجَّوَةٌ حَتَّى عَنِ الْمَكْرُمَةِ
قَدْ جَعَلُوا الْجَهْلَ صِنَوَانًا لَهَا مِنْ كُلِّ مَا يَدْعُو إِلَى الْمَأْثَمَةِ
صَوَانًا: حَافِظًا صَانًا

وَالْعِلْمُ أَعْلَى رُتْبَةٍ عِنْدَهُمْ مِنْ أَنْ تُلْقَاهُ وَأَنْ تَعْلَمَهُ

ما تَصْنَعُ المرأةَ مَحْبُوسَةً في بيتِها إنْ أَصْبَحَتْ مُغْدِمَةً
كم في بيوتِ القومِ مِنْ حُرَّةٍ تَبْكِي مِنَ البُؤْسِ بِعَيْنَي أُمَّةٍ

٥٢ نحن السفوريين

نحنُ السُّفُورِيُّينَ أَعْلَمُ بالذي شَرَعَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ مِنْ دِينِ
أَيَكُونُ ما شَرَعَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ شيئاً يَخَالِفُ شِرْعَةَ التَّمْدِينِ؟

٥٣ يا شعبي الضائع

قالها والعراق تحت الحكم العثماني:

أَمَا آَنَ أَنْ يَغْشَى الْبِلَادَ سُعُودُهَا وَيَذْهَبَ عَنْ هَذِي النِّبَامِ هُجُودُهَا
يغشى: يغطي، سعودها: حظها الحسن، هجودها: نومها

بَرِئْتُ إِلَى الْأَحْرَارِ مِنْ شَرِّ أُمَّةٍ أَسِيرَةٌ حُكَّامِ ثِقَالِ قُبُودُهَا
جَرَى الْجَوْرُ مِنْهَا فِي بِلَادٍ وَسِيعَةٍ فَضَاقَتْ عَلَى الْأَحْرَارِ ذُرْعَا حُدُودُهَا
عَجِبْتُ لِقَوْمٍ يَخْضَعُونَ لِلدَّوْلَةِ يَسُوسُهُمُ بِالْمُؤَيَّقَاتِ عَمِيدُهَا
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنَّهُمْ يَرْهَبُونَهَا وَأَمْوَالُهَا مِنْهُمْ، وَمِنْهُمْ جُنُودُهَا
وَصَارَتْ لِثَامِ النَّاسِ يَعلُو كِرَامُهَا وَعَابَ لِبَيْدٍ فِي النَّشِيدِ بَلِيدُهَا
صار الثام يرتفعون فوق الكرام، و صار البليد يعيب في الشعر لبليد الشاعر المشهور

وَمَا ثُلَّةٌ قَدْ أَهَمَّلَتْهَا رُعَاتُهَا بِمَأْسَدَةٍ جَاعَتْ لِعَشْرِ أُسُودُهَا..
الثلة: قطع الغنم، المأسدة: أرض كثرت أسودها، جاعت لعشر: مضت عليها عشرة أيام بلا طعام..

فَبَاتَتْ وَلَا رَاعٍ يُحَامِي مَرَاخِهَا فَرَائِسَ بَيْنِ الصَّارِيَاتِ تُبِيدُهَا..
بات القطيع بلا راع يحمي مراحه، أرضه، فأصبح فرائس تفترسها الأسود الضارية، المفترسة
بِأَضْيَعٍ مِنْكُمْ حَيْثُ لَا ذُو شَهَامَةٍ يَذِثُ الرِّزَايَا عَنْكُمْ وَيَذُودُهَا
ليست هذه الأغنام أشد ضياعاً منكم إذ لا شهم يذب الرزايا، يدفع المصائب ويذودها، يبعدها عنكم

٥٤ الإسلام ذنباً

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ لَسْتُمْ مِنَ الْغَرِ بِ إِحَالٍ تَسْتَوْجِبُونَ احْتِرَامَا

وَإِذَا مَا فَعَلْتُمْ الْخَيْرَ يَوْمًا حَسِبُوهُ جُنَايَةً وَأَنَامَا
وَإِذَا مَا افْتَرَىٰ عَلَيْكُمْ عَدُوٌّ أَيَّدُوهُ وَصَدَّقُوا الْأَوْهَامَا
وَإِذَا مَا جَنَىٰ عَلَيْكُمْ أَنَاسٌ سَكَنُوا عَنْهُمْ وَمَرُّوا كِرَامَا
مرور الكرام: أي المرور بلا اهتمام. المعنى مأخوذ من صفة الكريم النفس الذي يرى الخطأ فيمر به بلا تأنيب لصاحبه

كَمْ بِأَرْضِ الْبَلْقَانِ مِنْكُمْ قَتِيلٌ . وَأَيَّامِي مُضَاعَةٌ وَيَنَامِي
أيامى: أرامل. . وفي نهاية الحرب العالمية الأولى تفككت الدولة العثمانية وخلفت في مناطق البلقان حيث كانت تحكم كثيرين من المسلمين يتعرضون للأذى

رَجِمَ اللَّهُ أُمَّةً أَصْبَحَ الْغَر بُ يَرَىٰ كُلَّ ذَنْبِهَا الْإِسْلَامَا

٥٥ وعود العروبيين

عَجِبْتُ لِقَوْمٍ أَصْبَحُوا يُنْكِرُونَنَا وَقَدْ عَرَفُونَا فِي الزَّمَانِ الَّذِي مَرَّا
هُمْ أَسْمَعُونَا نُغَرَّةَ عَرَبِيَّةً قَدَوَىٰ صَدَاها فِي الْمَسَامِعِ مُضْطَرَّا
نغرة: عصبية وحماسة للنسب، مصطر: مصطنع. ينتقد العروبيين

فَكَمْ مِنْ خَطِيبٍ قَامَ فِيهَا مُثَرَّرًا فَطَرَىٰ لَنَا مِنْ يَابِسِ الْقَوْلِ مَا طَرَىٰ
وكم شاعرٍ قد أَرَخَصَ الشَّعَرَ دُونَهَا وَكَمْ قَلَمٍ فَوْقَ الطُّرُوسِ بِهَا صَرَّا
كم من شاعر بذل شعره رخيصاً في سبيل الدعوة للعروبة، وكم قلم قد سُمع له صرير فوق الطروس، الأوراق، وهو يشيد بها، بالنغرة العروبية

وَكُنَّا أَجَبْنَاهُمْ إِلَيْهَا إِجَابَةً بِهَا قَدْ تَرَكْنَا جَانِبَ الدِّينِ مُزَوَّرًا
وقد تفاعلت - يقول الرصافي - مع تلك الدعوات، مخالفاً بذلك الرابط الديني الذي يربطني بالدولة العثمانية

رَجَاءَ اتِّحَادٍ فِي طَرِيقِ سِيَاسَةٍ تَعُمُّ مَرَامِيهَا بَنِي يَغْرُبِ طَرَّا
جارتهم رجاء التوحد في سياسة تعم مراميها، أغراضها، العرب طراً، جميعاً
فَمُدَّ حَانَ أَنْ يَخْضَلَ غُصْنُ اعْتِزَانَا وَبَرَّتْ بَعْدَ الْيَبْسِ رَطْبًا وَيَخْضَرَّا . .
منذ أن حان الوقت ليخضل، لينثل بالندى، غصن اعتزازنا ويخضر. .

نَصَبْنَا خَيَاشِيمَ الرَّجَاءِ لِرِيحِهِمْ فَهَبَّتْ لَنَا نَكَبَاءَ عَاتِيَةٍ صِرَّا
نصبنا أنوفنا راجين أن نشم رائحة طيبة، فهبت علينا ريح نكباء، مخربة، صير، باردة

٥٦ رويدك غورو!

رَوَيْدَكَ، غُورُو، اِبْهَذَا الْجَنْيِرَالُ فَقَدْ اَلَمْتَنَا مِنْ خِطَابِكَ اقْوَالُ

دخل الجنرال غورو دمشق وألم بقبر صلاح الدين ورفسه وقال: «قم فقد عدنا يا صلاح الدين، ووجودي هنا إيذان بانتصار الصليب على الهلال» العبارة في ص ٣٥٩ من كتاب «غزو الشرق الأوسط الحديث» لماير وبرايواك

ذَكَرْتَ لَنَا الْحَرْبَ الصَّلِيبِيَّةَ الَّتِي بِهَا الْيَوْمَ قَدْ تَمَّتْ لِقَوْمِكَ آمَالُ
وَلَوْ أَنَّنَا قُلْنَا كَمَا أَنْتَ قَائِلٌ لَأَنْحَى عَلَيْنَا بِالتَّعَصُّبِ عُدَالُ

أنحى بالتعصب: اتهم بالتعصب

وَقَالُوا لَنَا أَنْتُمْ أَوْلُو جَاهِلِيَّةٍ وَإِنْ خَالَفُوا وَجْهَ الصَّوَابِ بِمَا قَالُوا
فَقَدْ قَادَتِ الْأَعْرَابُ نَحْوَ عَدُوِّكُمْ خُبُولًا لَهَا فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ تَجْوَالُ

الأعراب في الحجاز والأردن بقيادة الشريف حسين شريف مكة حاربوا عدوكم، يا غورو، وهو الدولة العثمانية

وَقَامَتِ لَكُمْ مِنْهُمْ بِمَكَّةَ رَايَةٌ لَكُمْ فُتِحَتْ فِيهَا مِنَ الْقُدْسِ أَقْفَالُ

ورفع الهاشميون في مكة راية قتال ساعدت الغرب في فتح القدس مع نهاية الحرب العالمية الأولى

٥٧ عندما يحبض الزمن

لَمَّا تَكْرَهْنِي الْأَرَاذِلُ سَرَّنِي أَنِّي إِلَيْهِمْ، يَا أَمِيمَ، بَغِيضُ
وَجَزَيْتُ كُلَّ صَنِيعَةٍ بِمِثَالِهَا إِنْ الصَّنَائِعُ فِي الرِّجَالِ قُرُوضُ

صنعة: معروف

لَا تَطْلُبَنَّ مِنَ الزَّمَانِ حَقِيقَةً مَا لِلْحَقِيقَةِ فِي الزَّمَانِ وَمِيزُ

تسويد عمران القفيني

وَحَوَادِثُ الْأَيَّامِ مِثْلُ نِسَائِهَا فِي الْحُكْمِ، تَطْهَرُ تَارَةً وَتَحِيضُ

أحداث الزمن تشبه في حكمنا عليها النساء تطهر وتحيض.. أي فيها ما يسر وما يسوء

وَإِذَا الْفَتَى قَعَدَتْ بِهِ أَعْمَالُهُ أَعْيَاهُ بِالنَّسَبِ الرَّفِيعِ نُهَوْضُ

تسويد عمران القفيني

٥٨ يا قوم لا تتكلموا

يا قوم لا تتكلموا إن الكلام مُحَرَّمٌ
ناموا ولا تستيقظوا ما فازَ إلا النُّومُ
أما السياسةُ فاتركوا أبداً وإلا تَنُذُّموا
إن السياسةَ سِرُّها لو تعلمونَ مُطْلَسَمٌ

مطلسم: غامض

مَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يعبِ شَنِ الْيَوْمِ وَفَوْ مُكَرَّمٌ
فَلْيُمْسِ لَا سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ لَدَيْهِ وَلَا قَمٌ
وَإِذَا ظَلِمْتُمْ فَاضْحَكُوا طَرِباً وَلَا تَتَظَلَّمُوا
إِنْ قِيلَ هَذَا شَهْدُكُمْ مُرَّ فَقُولُوا عَلَقُمْ
أَوْ قِيلَ إِنَّ نَهَارَكُمْ لَيْلٌ فَقُولُوا مُظْلِمٌ
أَوْ قِيلَ إِنَّ بِلَادَكُمْ يَا قَوْمُ سَوْفَ تُقَسَّمُ
فَتَحَمِّدُوا وَتَشْكُرُوا وَتَرْتَحُوا وَتَرْتَمُوا

٥٩ حكم الدخيل

في حفل تكريم أمين الريحاني:

أَأْمِينُ لَا تَغْضَبْ عَلَيَّ فَإِنِّي لَا أَدْعِي شَيْئاً بغيرِ دَلِيلِهِ
مِنْ ابْنِ بُرْجَى لِلْعِرَاقِ تَقَدُّمٌ وَسَبِيلُ مُمْتَلِكِيهِ غَيْرُ سَبِيلِهِ

ممتلكوه: حكامه

لا خَيْرَ فِي وَطَنِ يَكُونُ السَيْفُ عِنْدَ دَ جَبَانِهِ، وَالْمَالُ عِنْدَ بَخِيلِهِ
وَالرَّأْيُ عِنْدَ طَرِيدِهِ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ دَ غَرِيبِهِ، وَالْحُكْمُ عِنْدَ دَخِيلِهِ

استاء الملك فيصل مما رآه تعريضاً به في كلمة «دخيله»، فقالوا له: لعل الرصافي يقصد الإنجليز

وَقَدْ اسْتَبَدَّ قَلِيلُهُ بِكَثِيرِهِ ظُلُمًا، وَذَلَّ كَثِيرُهُ لِقَلِيلِهِ
وَإِذَا الْمَخَاطَبُ كَانَ مِثْلَكَ وَاعِيًا أَغْنَى اخْتِصَارُ الْقَوْلِ عَنِ تَطْوِيلِهِ

يخاطب أمين الريحاني

يَا مَنْ يُكْتَمُ فَضْلُهُ مُتَوَاضِعًا وَالنَّاسُ مُجْمِعَةٌ عَلَى تَفْضِيلِهِ

شكواي بُحْتُ بها إليك وليس في
إنَّ المريضَ لَيْسْتَرِيحُ إذا اشْتَكَى
شكوى الزميلِ غَضاضَةً لِرَمِيلِهِ
مِمَّا به لِطَبِيبِهِ، وَخَلِيلِهِ

٦٠ ويل لبغداد

وَيْلٌ لِبَغْدَادَ مِمَّا سَوْفَ تَذْكُرُهُ
لَقَدْ سَقَيْتُ بِفَيْضِ الدَّمْعِ أَرْبُعَهَا
عَنِّي وَعنها اللَّيَالِي فِي الدَّوَاوِينِ
عَلَى جَوَانِبِ وَادٍ لَيْسَ بِسَقِينِي
وَلَوْ نَأَذَمْتُ زُقُوماً بِغَسَلِينَ
وَلَسْتُ أَبْذُلُ عِرْضِي كَيْ أَعِيشَ بِهِ

تأدمت: اتخذت غموساً لخبزتي، الزقوم والغسلين: من طعام أهل النار

عَاهَدْتُ نَفْسِي وَالْأَيَّامُ شَاهِدَةٌ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ بَغْدَاداً تُحَلِّثُنِي
أَلَّا أَقَرَّ عَلَى جَوْرِ السَّلَاطِينِ
عَنْ مَاءٍ دَجَلَتْهَا يَوْماً وَتُظْمِئُنِي

تحلثني: تمنعني ورود الحوض

حَتَّى نَقَلَّدَ فِيهَا الْأَمْرَ زِعْفَةً
مِنْ الْأَنَاسِ بِأَخْلَاقِ السَّرَاحِينِ

زعفة: شُرْذمة، حثالة، السراحين: الذئاب

لَأَجْعَلَكَ إِلَى بَيْرُوتَ مُنْتَسَبِي
قَدْ كَانَ فِي الشَّامِ لِلْأَيَّامِ مَذْزَمِي
لَعَلَّ بَيْرُوتَ بَعْدَ الْيَوْمِ تُؤْوِينِي
ذَنْبَ مَحْتَهُ اللَّيَالِي فِي فِلَسْطِينِ

أذنب الشام بحقي عندما جتها ويفصل فيها فلم أحظ باستقبال حسن، فذهبت إلى القدس فعملت هناك واحفئ الناس بي

إِنْ كَانَ فِي الْقُدْسِ لِي صَحْبٌ غَطَارِفَةٌ
فَكَمْ بِبَيْرُوتَ مِنْ غُرِّ مَيَّامِينِ

الغطارفة والميامين: السادة من أشراف الناس

٦١ ملك ينتظر آخر الشهر

لَهُمْ مَلِكٌ تَأَبَّى عُصَابَةً رَأْسِهِ
لَهَا غَيْرَ سَيْفِ التَّيْمُسِيِّينَ عَاصِبَا

تأبى عصابة رأسه، عمامته، أن يعصها ويلفها له إلا سيف الإنجليز، أي أن عرشه قائم بفضل وجودهم العسكري في العراق (التيمسين نسبة إلى نهر لندن التمز)

وَلَيْسَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ غَيْرَ أَنَّهُ
يُعَلِّدُ أَيَّاماً وَيَأْخُذُ رَاتِبَا

قيل عندما التقى الملك فيصل الرصافي بعد حين عاتبه قائلاً: أما زلت تقول إنني أعدد أياماً وأخذ راتباً؟ فقال الرصافي: أمل ألا يكون الأمر كذلك يا صاحب الجلالة

٦٢ الكراسي الخجلى

أنا بالحكومة والسياسة أعرُف ألام في تفنيدها وأعنف

تفنيدها : انتقادها

سأقول فيها ما أقول ولم أخف من أن يقولوا شاعرٌ مُتَطَرِّفٌ
هذي حكومتنا وكلُّ شُمُوخِها كَذِبٌ، وكلُّ صنيعِها مُتَكَلِّفٌ
عَلِمَ ودُستورٌ ومجلسٌ أُمِّي كلٌّ عن المعنى الصحيح مُحَرَّفٌ
أسماء ليس لنا سوى ألفاظِها أمّا معانيها فليست تُعرَفُ

تعليق عمران القفيني: (منع أسماء للوزن، ومنع المصروف قبيح حتى في الضرورات... الشعراء الكبار يصرفون الممنوع لا العكس)

مَنْ يَقرَأ الدُّستورَ يَعْلَمُ أَنه وَفَقاً لِمَصْكَ الانْتِدَابِ مُصَنَّفٌ
تَشْكُو البلادُ سياسةً مَالِيَةً تَجْتَاحُ أُمُوالَ البلادِ وتُتَلِفُ
تُجَبِّى ضَرَائِبُهَا الثُّقَالَ وإنَّمَا في غيرِ مَصْلَحَةِ الرِّعْيَةِ تُضَرَفُ
يا قومُ خَلُّوا الفَاشِيَّةَ إِنَّها في السَّائِسِينَ قَظَاظَةٌ وَتَعَجَّرُفُ

الفاشيسية: الفاشستية، وكان بدأ يتشكل حزب يأخذ بنهج الفاشستية الإيطالية

لِلإنْجِلِيزِ مَطامِعٌ بِبلادِكُمْ لا تَنْتَهِي إِلَّا بِأَنْ تَتَبَلَّشَفُوا

تتبلشفوا: تصبحوا بلشفيين، والحزب البلشفي هو حزب لينين الشيوعي في روسيا/الاتحاد السوفيتي

بِاللَّهِ يا وُزَرَائِنا ما بَالُكُمْ إن نحن جادلناكم لم تُنْصِفُوا
هذي كراسيُّ الوِزارَةِ تَحْتَكُمُ كادَتْ لِفَرَطِ حَيائِها تَتَقَصَّفُ
أنتم عليها والأجانبُ فوقكم كلُّ بِسُلْطَنِهِ عَلَيْكُمْ مُشْرِفٌ
أَبْعَدُ فخرًا لِلوزيرِ جُلُوسُهُ فَرِحاً على الكُرْسِيِّ وَهُوَ مُكْتَفٌ

مكتف: مقيد بالحيال

كم مِنْ نَواصٍ لِلعِدَى سَنَجُزُّها وَلِحَى بِأَيْدِي الشَّائِرِينَ سَتُنْتَفُ

نواصٍ: الناصية شعر مقدم الرأس، نجزها: نقصها. وكان من عادة العربي إذا أسر خصمه أن يحلق له شعره

٦٣ أم الدنيا

في زيارة مع وفد برلماني عراقي للقاهرة لحضور المعرض الصناعي (١٩٣٦):
إذا العروبة حَلَّتْ عرشَ دولتيها فمِصْرُ تاجٍ لها قد صيغَ من ذهبٍ
من أُنْفٍ فُسطاطها في الشرقِ قد طَلَعَتْ شمسٌ إذا غابَ قُرْصُ الشمسِ لم تَغِبْ
الفسطاط: القاهرة القديمة

٦٤ من العجائب

وَمِنْ العجائبِ في الزمانِ وأهليه بَلَّهَ الفَقِيهِ وَفُظِنَةُ الزُّنْدِيقِ

٦٥ الجمهورية

قالها في عهد السلطان عبد الحميد:

سوقُ تُباعُ بها المَرَاتِبُ سُمِّيَتْ دارَ الخِلافةِ عندَ مَنْ لم يَعْقِلِ
دار الخلافة: إستانبول

أَبَتْ السِّياسَةُ أنْ تدومَ حُكومةٌ خُصَّصَتْ بِرَأْيٍ مُقَدَّسٍ لم يُسْأَلِ
المقدس الذي لا يُسأل: السلطان، فهو ليس موضع مساءلة. التسويد لعمران الفقيني

إنَّ الحُكومةَ، وَهِيَ جُمهُوريَّةٌ كَشَفَتْ عَمَايَةَ قَلْبٍ كُلِّ مُضِلِّلِ
الحكومة، إذ تكون جمهورية، تكشف العماية، السحابة، التي تغطي قلب المضللين المغرر بهم

٦٦ الأمير المأمور

قالها عند قدوم فيصل إلى بغداد (١٩٢١):

خَرَجَ النَّاسُ يُهْرَعُونَ احْتِفَاءً بِقُدُومِ الأميرِ غَيْرِ الأميرِ
مَلاؤُوا الشارعَ الكبيرَ لِأَميرٍ في كبيرِ العقولِ غيرِ كبيرِ
كيف جاءَ الأميرُ قَبْلَ اتِّمارِ الـ قُومِ فيما يَخْتَصُّ بِالتَّأْميرِ
اتِّمار: تشاور

ثم سَمَّوْهُ بِالْأَميرِ، وهذا مِنْ ضُرُوبِ الخِدَاعِ في التَّعبيرِ
أَأَميراً وَالْأَمِرونَ سِوَاهُ لم يَكُنْ عِنْدَهُمْ سِوَى مَأْمُورِ
الأمرون هم الإنجليز الذين عينوا فيصلاً ملكاً على العراق

٦٧ العهد قيوداً

لَنَا مَلِكٌ وَلَيْسَ لَهُ رَعَايَا وَأَوْطَانٌ وَلَيْسَ لَهَا حُدُودٌ
وَأَجْنَادٌ وَلَيْسَ لَهُمْ سِلَاحٌ وَمَمْلَكَةٌ وَلَيْسَ بِهَا نُقُودٌ
وَكَمْ عِنْدَ الْحُكُومَةِ مِنْ رِجَالٍ تَرَاهُمْ سَادَةً وَهُمْ الْعَبِيدُ
كَلَابٌ لِلْأَجَانِبِ هُمْ، وَلَكِنْ عَلَى أَبْنَاءِ جِلْدَتِهِمْ أَسْوَدُ
وَلَيْسَ الْإِنْجِيلُزُ بِمُنْقِذِينَا وَإِنْ كُتِبَتْ لَنَا مِنْهُمْ عُهْدٌ
مَتَى شَفَقَ الْقَوِيُّ عَلَى ضَعِيفٍ وَكَيْفَ يُعَاهِدُ الْخِرْفَانُ سَيِّدُ

شفق: أشفق، سيد: ذئب

وَلَكِنْ نَحْنُ فِي يَدِهِمْ أَسَارَى وَمَا كَتَبُوهُ مِنْ عَهْدٍ قِيُودُ

٦٨ الوعد الكاذب

فَعَلَ الْإِنْجِيلُزُ فَيْكُمُ فِعَالاً قَدْ رَضُوهَا لَكُمُ وَلَمْ تَرْضُوهَا
تَتَشَكَّوْنَ فِي السِّيَاسَةِ مِنْهَا ثُمَّ أَنْتُمْ تَأْبُونَ أَنْ تَرْضُوهَا
وَعَدُوكُمْ مِنْ قَبْلُ مَمْلَكَةُ الْعُرُ بِ اجْتَلَوْهَا بِالْمَيْنِ وَاغْتَرَضُوهَا
اجتلوها: رأوها، بالمين: بالكذب. وكان الإنجليز وعدوا الشريف حسين في سنوات الحرب
العالمية الأولى مملكة للعرب يكون على رأسها، ونكثوا

قُبَّةٌ زُخْرِفَتْ لَكُمُ بِالْأَمَانِيِّ هُمْ بَنَوْهَا لَكُمُ وَهُمْ قَوَّضُوهَا

٦٩ المخارة

قَالَهَا فِي وَاقِعَةٍ (توشيمَا) الْبَحْرِيَّةِ بَيْنَ الرُّوسِ وَالْيَابَانِ (١٩٠٤):

سَعَرُوهَا فِي الْبَحْرِ حَرْباً ضَرُوساً تَأْكُلُ الْمَالَ نَارُهَا وَالنَّفُوسَا
قُرْبُ تَوْشِيمٍ قَدْ تَصَادَمَ أُسْطُو لَانِ أَرْدَى الْيَابَانُ فِيهِ الرُّوسَا
أردى: أَمَات

كُلُّ مَخَّارَةٍ إِذَا حَرَكْتَ دُفَّ سَاعَهَا خَضَخَضَتْ بِهِ الْقَامُوسَا
مخارة: سفينة تَمُخَرُ عِبَابَ الْمَاءِ، الدَّفَاعُ: السِّلْعُ الْعَظِيمُ، الْقَامُوسُ: الْبَحْرُ... الْمَعْنَى الْمَلُوحُ أَنَّ
السَّفِينَةَ عِنْدَمَا تَتَحَرَّكُ بِمَنْ عَلَيْهَا مِنَ الْجُنْدِ تَضَعُضُ سَطْحَ الْبَحْرِ

أَلْبَسُوهَا مِنَ الْحَدِيدِ وَشَاحاً فَتَهَادَثَ عَلَى الْعُبَابِ عَرُوسَا

٧٠ لو أن سيفي في يدي

تعرضت برقة (في ليبيا اليوم) لغزو الإيطاليين عام (١٩١١)، وتصدى لها جنود الدولة العثمانية التي كانت تحكم بلاد العرب آنذاك، وكان مصطفى كمال أتاتورك على رأس القوة العثمانية التي أبلت بلاء حسناً، ولكن إيطاليا بمئة وخمسين ألف جندي مقابل عشرة آلاف سيطرت على كل ليبيا في خريف (١٩١٢):

يَعِزُّ عَلَيْنَا أَهْلَ بُرْقَةٍ أَنْكُمْ تَدُورُ عَلَيْكُمْ بِالْدمارِ رَحَى الحربِ
وَأَنَا إِذَا مَا تَسْتَغِيثُونَ لَمْ نَجِدْ إِلَيْكُمْ عَلَى بُعْدِ الْمَسَافَةِ مِنْ دَرْبِ
وَقَدْ عَلِمَ الْأَعْدَاءُ أَنَّ سَيُوفَنَا تَمَلَّمُ فِي الْأَغْمَادِ شَوْقاً إِلَى الضَّرْبِ
وَمَا نَحْنُ إِلَّا اللَّيْثُ شُدَّتْ قِيودُهُ وَأُلْقِيَ حَيًّا شِبْلُهُ فِي فَمِ الذَّنْبِ

٧١ عذر المدبرين

في الحرب العثمانية الإيطالية في ما سيعرف بـ «ليبيا» (١٩١١):

لَكُنْ أَدَبَرَ الطُّلْبَانَ عِنْدَ كِفَاحِنَا فَإِنَّ لَهُمْ فِي بَطْشِ شَجَعَانِنَا عَذْرَا
أدبر: فر، لشدة بطش جنودنا فالإيطاليون معذورون أنهم فروا من القتال

فإِنَّا لَقَوْمٌ إِنْ نَهَضْنَا لِحَادِثٍ مِنَ الدَّهْرِ أَفْزَعَنَا بِنَهَضَتِنَا الدَّهْرَا
وَنَأْكُلُ مَرَّ الْمَوْتِ حَتَّى كَأَنَّا نَلُوكُ بِهِ مَا بَيْنَ أَضْرَاسِنَا تَمْرَا
وَكَمْ قَدْ نَثَرْنَا بِالسَّيُوفِ جَمَاجِمَا نَظْمُنَا بِهَا فَوْقَ الثَّرَى لِلْعِدَى شِعْرَا
وَهَلْ حَسِبُوا قَتَلَ النِّسَاءِ شِجَاعَةً وَقَدْ تَرَكُوا عِنْدَ الرِّجَالِ لَهُمْ ثَارَا
يَعِزُّ عَلَى أَسْيَافِنَا الْيَوْمَ أَنَّهَا تُقَارِعُ قَوْمًا قَرَعَهُمْ بِالْعَصَا أُخْرَى

الواقع أن الدولة العثمانية سلمت ليبيا بعد كفاح طويل للمملكة الإيطالية في معاهدة لوزان الأولى في أكتوبر/تشرين الأول ١٩١٢

وَمِنْ مُبَكِّياتِ الدَّهْرِ أَوْ مُضْجِكَاتِهِ لَدَى النَّاسِ: حُرٌّ لَمْ يَكُنْ خَصْمُهُ حُرًّا
سَنَشَارُ حَتَّى تَسَامَ الْحَرْبُ ثَارَنَا وَنَقْتُلُ عَنْ كُلِّ امْرِئٍ أَنْفُسًا عَشْرَا

وعلى ذكر العشرة فإن المحتلين الإيطاليين طبقوا في ليبيا أثناء ثورات الشعب عليهم ممارسة رومانية قديمة - حسب التافهون أنهم حقاً ورثة الإمبراطورية الرومانية - هي التعشير البشري، فكانوا يصنفون رجال المقاومة صفوفاً ويعدونهم واحداً واحداً ويقتلون كل عاشر نادياً

٧٢ الشعر الواضح

أَلَا لَا اهْتَدَتْ لِلشَّعْرِ يَوْمًا هَوَاجِسِي إِذَا هِيَ لَمْ تَنْزِعْ إِلَى مُسْتَبِينِهِ
ليجعل الله هواجسي، وأفكاري، لا تهتدي إلى الشعر إن هي لم تنزع، وتول، نحو الشعر الواضح
المستبين

وَلَا غُضُّتْ فِي بَحْرِ الْقَرِيضِ مَخَاطِرًا إِذَا لَمْ أَقْزُ مِنْ دُرِّهِ بِشَمِينِهِ
إِذَا انْتَضَمَتْ أُبْيَانُهُ فِي قِصَائِدِي تَرَى كُلَّ بَيْتٍ مُمَسِّكًا بِقَرِينِهِ
وَمَا كَانَ دَوْحُ الشَّعْرِ يَوْمًا لِيُجْتَنَى بِغَيْرِ الْيَدِ الطُّوَلَى ثِمَارُ غُصُونِهِ
دوح الشعر، شجرته، لا تقطف ثماره إلا بيد طويلة. . أي من جانب شاعر قدير

وَلِلشَّعْرِ عَيْنٌ لَوْ نَظَرْتَ بِنُورِهَا إِلَى الْقَيْبِ لاسْتَشْفَقَتْ مَا فِي بُطُونِهِ
فَكَمْ بَتْ فِي نَهْرِ الْمَجْرَةِ فِي الدُّجَى مِنْ الشَّعْرِ أُجْرِي مُنْشَاتِ سَفِينِهِ
كنت أبات ليلًا في نهر المجرة، محلقًا بخيالي بين النجوم، وأنا أسير في هذا النهر منشآت سفن
الشعر، أي سفنه العالية الأشعة

هُوَ الشَّعْرُ لَا أَعْتَاضُ عَنْهُ بِغَيْرِهِ وَلَا عَنْ قَوَافِيهِ وَلَا عَنْ فُنُونِهِ

٧٣ الأرملة المرضعة

لَقِيْتُهَا لِبِتْنِي مَا كُنْتُ أَلْقَاهَا تَمْشِي وَقَدْ أَثْقَلَ الْإِمْلَاقُ مَمْشَاهَا
الإملاق: الفقر

أَثْوَابُهَا رَثَّةٌ وَالرَّجُلُ حَافِيَةٌ وَالدمْعُ نَذْرُهُ فِي الْخَدِّ عَيْنَاهَا
رغم تسويدي لهذا البيت الرقيق، فعمران القفني يقول: (شكرًا على هذه المعلومة، أول مرة نعرف
أن الدمع يذرف، لا بل من العينين، وفوق ذلك يسيل على الخد. . ما شاء الله)

بَكَتْ مِنَ الْفَقْرِ فَاحْمَرَّتْ مَدَامِعُهَا وَاصْفَرَّ كَالْوَرْسِ مِنْ جَوْعٍ مُحَيَّاهَا
الورس: الكرم، نبات أصفر يصبغون به الطعام. وفيه بعض مرارة. وصبغوا الأرز بالصففر،
وبالزعفران

مَاتَ الَّذِي كَانَ يَحْمِيهَا وَيُسَعِّدُهَا فَالدهْرُ مِنْ بَعْدِهِ بِالْفَقْرِ أَشْقَاهَا
الموتُ أَفْجَعَهَا، وَالْفَقْرُ أَوْجَعَهَا، وَالْهَمُّ أَنْحَلَهَا، وَالنَّعْمُ أَضْنَاهَا
أنحلها: جعلها نحيلة

تَمْشِي بِأَطْمَارِهَا وَالْبَرْدُ يَلْسَعُهَا كَأَنَّهُ عَقَرَبٌ شَالَتْ زُبَانَهَا
الْأَطْمَارُ: الأسماك... الملابس المَهترَنة، شالت: رفعت، زباناها: الزباني أداة اللسع في ذيل
العقرب

حَتَّى عَدَا جَسْمَهَا بِالْبَرْدِ مُرْتَجِفًا كَالْقُصْنِ فِي الرِّيحِ، وَاصْطَكَّتْ ثَنَائِيهَا
ثَنَائِيهَا: أَسْنَانُهَا

نَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَشْرُكْ بِلَا لَبْنٍ هَذِي الرُّضِيْعَةُ وَارْحَمْنِي وَإِيَّاهَا
يَا رَبِّ مَا حِيلَتِي فِيهَا وَقَدْ ذَبَلْتُ كَزَهْرَةِ الرُّوْضِ فَقَدْ الْغَيْثُ أَظْمَأَهَا
مَا بَالُهَا وَهِيَ طَوَّلَ اللَّيْلِ بَاكِئَةً وَالْأُمُّ سَاهِرَةً تَبْكِي لِمَبْنِكَاهَا
يَكَادُ يَنْقُذُ قَلْبِي حِينَ أَنْظَرُهَا تَبْكِي وَتَفْتَحُ لِي مِنْ جُوعِهَا فَاها
ينقذ: يَنْقُذُ

كَانَتْ مُصِيبَتُهَا بِالْفَقْرِ وَاحِدَةً وَمَوْتُهَا بِالدِّهَانِ بِالْيُسْرِ ثَنَاءَهَا
هَذِي حِكَايَةُ حَالِ جِئْتُ أَذْكُرُهَا وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَى الْأَحْرَارِ مَغْزَاهَا
أَوْلَى الْأَنَامِ بِعَظْفِ النَّاسِ أَرْمَلَةً وَأَشْرَفُ النَّاسِ مَنْ فِي الْمَالِ وَاسَاهَا

٧٤ أرذل العمر

وَاهَا عَلَى شَرِّخِ الشَّبَابِ الْمُشْتَهَى خَلَّفَ ذِكْرَاهُ بِقَلْبِي وَمَضَى
أَطْيَبُ عَيْشِ الْمَرْءِ فِي شَبَابِهِ، فَإِنْ تَوَلَّى فَهُوَ عَيْشٌ مُزْدَرَى
وَهَلْ يَطْيَبُ الْعَيْشُ لِلْهَمِّ الَّذِي إِنَّ هَمَّ بِالْنَهْضَةِ خَانَتْهُ الْقَوَى
الهم: الشَّيْخ، المَسْن

وَلِإِنَّ ظَهَرَ الْأَرْضِ يَسْتَنْقِلُ مَنْ قَامَ يَدِبُّ فَوْقَهَا عَلَى الْعَصَا

٧٥ يقيني يقيني

أَيَا بَغْدَادَ لَا جَارَ لَكَ سُحْبٌ وَلَا حَلَّتْ بِسَاحَتِكَ الْجُدُوبُ
يدعو الله ألا تتجاوز الغيوم بغداد بل تجودها بالمطر، وألا يحل بها الجذب، القحط
تَطَاوَلَ سَاكِنُوكَ عَلَيَّ ظُلْمًا فَضَاقَ عَلَيَّ مَغْنَاكَ الرَّحِيْبُ
مغناك: رِبْعَكَ، والمغاني هي الربوع

رَمَانِي الْقَوْمُ بِالْإِلْحَادِ جَهْلًا وَقَالُوا عِنْدَهُ شَكٌّ مُرِيْبٌ

فَمَنْ ذَا مِنْكُمْ قَدْ شَقَّ قَلْبِي وهل كُثِفَتْ لَكُمْ فِي الغُيُوبِ
فَعِنْدَ اللَّهِ لِي مَعَكُمْ وَقُوفٌ إذا بَلَغْتَ حَنَاجِرَهَا القُلُوبِ
تبلغ القلوب الحناجر في يوم القيامة

يَقِينِي شَرٌّ فِرْيَتِكُمْ يَقِينِي بِأَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ رَقِيبٌ
يحفظني من شر افتراءكم عليّ يقيني، إيماني، بأن الله يعلم كل شيء

٧٦ ذكرى المتنبي

ألقاها في الجامعة الأميركية ببيروت (١٩٣٥):

لو حازَ مُوسَى مَضَاءَ عَزَمَتِهِ ما تَأَه في التَّيِّهِ عندما دَخَلَهُ
لو امتلك موسى عزيمة المتنبي لما تاه في التيه، أي صحراء سيناء. وكان المتنبي قطع هذه
الصحراء فاراً من كافور، وافتخر بذلك

كَمْ شَاعِرٍ قَدْ قَفَا لَهُ أَثَرٌ وناقِدٍ رَاحَ يَبْتَغِي زَلَّةَ
اقضى الشعراء أثر المتنبي وقلدوه، وانتقده المتقدون طالين له زلاً، غلطاً

فَأَخْفَقُوا عَاجِزِينَ عَنْ دَرَكِ لِبَعْضٍ مَا كُتِلَ تَيْسَرُ لَهُ
عجزوا عن إدراك بعض المجد الذي حازه كله المتنبي

٧٧ أنشودة للمعري

في ذكرى أبي العلاء المعري (١٩٣٨):

حَيَّهْلُ يَا أَخَا مُضَرٍّ نَذَكِرُ خَيْرَ مُدَّكَرٍ
يا أخا مضر، أيها العربي، هيا نذكر خير من هو جدير بالذكر

نَذَكِرُ شَاعِرَ الْبَشَرِ خَيْرَ مَنْ قَالَ وَافْتَكَّرَ

* * *

نَفْسُهُ وَهِيَ ثَائِرَةٌ تَرَكَّتْ غَيْرَ خَاسِرَةٍ
كل دنيا وأخرة

نفس أبي العلاء تركت الدنيا والآخرة، ونفى عقله كل المعتقدات التي استقر عليها
الناس، (فأبو العلاء، وارجع إلى شرحنا لحياته ولشعره في كتابنا «تألق الشعر» ترك
الدنيا لأهلها، ولم يعلق كبير أمل على الآخرة. ولم نقل في مقدمتنا لشعر الرصافي قبل
صفيحات إنه كان كذلك، فهي نحن نقول: كان كذلك في عدم تعليقه أملاً على الآخرة،

فأما عن ملذات الدنيا فصاحبنا نهل وعلّ منها). استقرّ: هي استقرّ بتشديد الراء، وفي موضع كهذا، عند القافية، كان أبو العلاء يكره وضع الشدة، ونحن في العادة نضعها كي يدرك القارئ الكلمة بالنظر سريعاً، ولكننا هنا - إكراماً لأبي العلاء - رفعناها

* * *

جَعَلَ الْحَقَّ ذَوْقَهُ بَازِلًا فِيهِ طَوْقَهُ

طوقه: طاقته

شَاعِرٌ لَيْسَ فَوْقَهُ شَاعِرٌ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ

* * *

لَيْسَ لِلْمَوْتِ عِنْدَهُ مِنْ تَقَارِيَعِ بَعْدِهِ

تقاريع: عقاب وتأنيب

إِنْ عَرَا السَّحْيَ رَدَّهُ فَاقْدِ الْحَسَّ كَالْحَجَرِ

إن عرا الموت الحي، أي جاء الموت للإنسان، رده، أي جعله، فاقد الحس فكانه حجر

* * *

نَحْنُ أَسْرَى ذَوَاتِنَا خَشْيَةً مِنْ مَمَاتِنَا

نحن أسرى لذواتنا التي تعلق آمالاً على الخلود وذلك لشدة خشيتنا من الموت

كَمْ وَكَمْ فِي حَيَاتِنَا مُبْتَدَأَ مَا لَهُ خَبَرٌ

فنحن نقول كل شيء له أول وله آخر، لذا لا بد من وجود حياة أخرى، ولكن، يقول الرصافي، كثيرة هي الأمور التي لها أول وليس لها آخر

٧٨ الأرض مسجدنا

الْأَرْضُ مَسْجِدُنَا فَفِيمَ مَسَاجِدُ أَمْسَتْ تُعَدُّ الْيَوْمَ بِالْآلَافِ؟

كَانَ الصَّلَاةُ بِمَسْجِدٍ وَبِغَيْرِهِ فِي الْحُكْمِ وَاحِدَةً لَدَى الْأَسْلَافِ

هَلَّا جُعِلْنَ مَدَارِسًا فَيَاضَةً مِنْ كُلِّ عِلْمٍ بِالزُّلَالِ الصَّافِي

هلا بنيت المدارس بدل المساجد

يَنْتَابُهَا أَبْنَاؤُكُمْ كَيْ يَأْخُذُوا مِنْ كُلِّ فَنٍّ بِالنَّصِيبِ الْوَافِي

٧٩ أمة وحدها

أُمُّ كُلُّشُومٍ فِي فَنُونِ الْأَغَانِي أُمَّةٌ وَحْدَهَا بِهِذَا الزَّمَانِ
هِيَ فِي الشَّرْقِ وَحْدَهَا رَبَّةُ الْفَنِّ - فَمَا إِنْ لِّلْفَنِّ رَبٌّ ثَانِ

٨٠ الاحتشام العاري

زَهْرَةٌ قَدْ بَدَتْ مِنَ الْأَكْمَامِ فَتَجَلَّى مِنْهَا الْجَمَالُ السَّامِي
هذه الفتاة كزهرة بدت بين أكمامها، بتلاتها، فتجلى جمالها

إِنَّ تَجْرِيدَهَا مِنَ الثَّوبِ يَحْكِي أَنْفُساً جُرِّدَتْ مِنَ الْآثَامِ
إِنَّ قُدُسَ الْأَقْدَاسِ يَغْضَبُ مِنْ أَنْ تَنْوَارِي وَسَامَةَ الْأَجْسَامِ
خَلَعَتْ ثَوْبَهَا وَأَغْضَتْ حَيَاءَ فَأَرْنَا خِلَاعَةً فِي احْتِشَامِ
لِسُقُوطِ الرَّدَاءِ عَنْ مَنْكِبَيْهَا نَهَضَ الْفَنُّ قَائِماً بِاحْتِرَامِ
يبدو أنه يصف لوحة لعارية

٨١ المتربص

وَمَا عَرَّنِي ذُو ظَاهِرٍ مُتَوَدِّدٍ إِذَا كَانَ فِيهِ بَاطِنٌ مُتَلَصِّصٌ
وَيَا رَبُّ وَجْهِ لَمْ يَرْقُنِي بَيَاضُهُ فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ أَبْرَصٌ
رب وجه أراه من بعيد أبيض ولكنني لفراسني أحس أنه لا يعجني فلما دنا مني إذا الشخص
أبرص، فيياضه بياض علة لا بياض جمال

دَعُوا كَشَفَ مَكْنُونِ الصُّدُورِ لِفُطْطَنِي فَلِإِنِّي بِذَا مِنْ دُونِكُمْ مُتَخَصِّصٌ
ذِكَاؤُ لَوْ اجْتَزَتْ الْجِدَارُ بِسُورِهِ لَشَفَّ لِعَيْنِي الْجِدَارُ الْمُجَصِّصُ
المجصص: المطلي بالجصين

عَلَى أَنْ لِي فِي مَعْرِضِ الشُّكِّ رِبْصَةٌ وَرُبَّ يَقِينٍ نَالَهُ الْمُتَرَبِّصُ
إذا شككت في أمر فإن لي ربيعة، وقفة للتروي، والمتروي يحصل على اليقين

٨٢ تعصب في مصر

مِنْ جَوْرِ مِصْرَ عَلَى الْعُرُوبَةِ أَنَّهَا تَتَعَمَّدُ التَّمْصِيرَ فِي آدَابِهَا
فَتَرَى بِمِصْرَ تَعْصَباً لِأَدِيبِهَا مَتَحَكِّمَ النَّزَعَاتِ فِي أَعْصَابِهَا
النزعات: الوساس

فَاذْكُرْ أُولِي الْأَدَابِ مِنْ غَيْرِ الْأُلَى فِي مَصْرَ يَغْضَبُ مِنْكَ أَهْلُ جَنَابِهَا
جَنَابِهَا : منطقتها

فَالشَّاعِرُ الْمَصْرِيُّ فِيهَا فَاضِلٌ وَسِوَاهُ مَفْضُولٌ وَإِنْ يَكُ نَابِهَا

٨٣ المختصر

لِسَانُكَ يَسْحَرُ فِي ظَرْفِهِ وَجَفْنُكَ يَفْتِنُ فِي ضَعْفِهِ
وَقَدْ كُذِّبَ بِخَطَرُ فِي لُظْفِهِ فَيُظَنَّبُ رِدْفُكَ فِي وَضْفِهِ
وَيُوجِزُهُ خَضْرُكَ الْمُخْتَصَرُ

يظنب: يكثر القول

٨٤ النجوم الهاربة

وَاللَّيْلُ قَدْ طَالَ عَلَى مَنْ شَتَا وَصَارَ لَيْلًا بَارِدًا مُظْلَمًا
لَعَلَّ هَذَا الرِّعْدُ مُذْ صَوَّتَا هَرَبَ مِنْهُ تِلْكَ الْأَنْجُمَا

٨٥ أموت غراماً

إِسْمَعِي لِي قَبْلَ الرِّحِيلِ كَلَامَا وَدْعِيْنِي أَمُوتُ فِيكَ غَرَامَا
كَلَّمَا زَادَ عَاذِلِي فِيكَ عَذْلًا زِدْتُ فِي حُسْنِكَ الْبَدِيعِ هِيَامَا

٨٦ العصية على القياس

وَصَاحَ وَجَّهَ التُّدْمَاءُ كَأْسًا إِلَيْهِ فَقَالَ لَسْتُ لَهَا بِحَاسٍ
رَبُّ رَجُلٍ صَاحٍ غَيْرِ سَكَرَانَ، أَعْطَاهُ التُّدْمَاءُ كَأْسًا فَقَالَ لَسْتُ حَاسِيًا، شَارِبًا

وَعَالَى فِي الْإِبَاءِ فَمَارَسُوهُ فَلَانَ أَبْيُهُ بَعْدَ الْمِرَاسِ
بَالِغٍ فِي الرِّفْضِ لَكُنْهُمْ مَارَسُوهُ، الْحَوَا عَلَيْهِ، فَلَانَ أَبْيُهُ، مَا كَانَ رَافِضًا الْكَأْسَ فِي نَفْسِهِ

فَقَالَ، وَقَدْ مَشَتْ فِيهِ وَدَبَّتْ دَبِيبَ الْمَاءِ فِي وَرَقِ الْغِرَاسِ
مَشَتْ الْخَمْرُ فِي جَسْمِهِ كَمَا يَمْشِي الْمَاءُ فِي وَرَقِ الشَّجَرِ

لَعَمْرُكَ إِنَّ فِي الصَّهْبَاءِ مَعْنَى دَقِيقًا لَيْسَ يُعْرَفُ بِالْقِيَاسِ
فِي الْخَمْرِ شَيْءٌ لَا يَدْرِكُهُ الْمَرءُ بِأَنْ يَقَارَنَهُ بِمَفْعُولِ شَيْءٍ آخَرَ. . . فِيهَا شَيْءٌ فَرِيدٌ

٨٧ المتكهرب

قامت تَمِيسُ بِأَعطافٍ وَأُوراكِ رَقصاً على نغماتِ المِقُولِ الحاكي
أعطاف: حضور، المقول: اللسان في الأصل، وكل ما يصدر كلاماً، الحاكي: اليك أب،
الفونوغراف

قالت وقد شاهدتُ وَجدي المُبْرَحَ ما أغراك؟ قلتُ لها: عيناكِ عيناكِ
فاستضحكتُ وَهِيَ تَجْنِي الوردَ قائلَةً ما أحسنَ الوردَ! قلتُ: الوردُ خَدَاكِ؟
وقلتُ: أهوى، فقالتُ بالدلالِ: وَمَنْ تهوى؟ فقلتُ لها: إِيَّاكِ إِيَّاكِ
الحسنُ يَفْتِنُ والألحاطُ فاتِكَةٌ واحْصِرْتِي بينَ فَتْنانٍ وَفَتْنائِكِ
أَمسى غرامُكِ يَجْري في عُرُوقِ دَمِي كالْكَهْرَباءِ التي تَجْري بِأَسلاكِ
تعلق عمران القفيني: (هذا ملطوش من البارودي لطشاً ذريعاً: وسرت بجسمي كهرباء حسنة/فمن
العروق بها سلوكك تخبر)

٨٨ تحية الوفد المصري

رجالَ النيلِ حُبَيْثُكُمْ رِجالاً بِما لِلْعُرْبِ فيكُمْ مِنْ سِماثِ
بِكُمْ طَرِبَ الفِراثُ وَقَالَ جَهْراً لِوادي النيلِ إِنَّكَ مِنْ لِدائِي
لدائي: رفاقي المولدون في زمن معي، أترابي

كِلانا جَارِيانِ على سُهولِ بِأبناءِ العُرُوبَةِ أهْلاثِ
وَتَجَمَعُنا جَوايِعُ كُبرياتِ وَأَكْبَرُهُنَّ سَيِّدَةُ اللُّغاتِ

٨٩ بمتهى الدقة

مَثَلْتُ في دَلالِها عُرِبانَةً فَأَرْتَنِي مُحاسِناً فَتَّانَةً
حيثُ طارَحَتْها الفِرامُ بِبَيْتِ بِالمِرايا قد زَوَّقُوا جُذْرانَةَ
ما أرى البيت إلا حجرة في مبقى. وقال الزيات إن الرصافي كان يسكن في بغداد في حي البغايا
هِيَ عَمَّارَةُ اللَّحاظِ لَعوبُ ذاتُ دَلٍّ ظَريفَةٌ لَحَّانَةٌ
لحانة: تتكلم بدلال وتلوي الكلمات لئلا. لو كنت أشرح هذا لشخص سويدي لاضطرت لكثير من
الكلام، ولكنك فاهم ما أعني!

بِضَّةٌ، فَعَمَةٌ، لَمِيسٌ، رَدَاحٌ عَادَةٌ، أَخَوْرِيَّةٌ، بَهْنَانَةٌ
بضة: طرية، فعمة: ممتلئة، لميس: لينة، رداح: سمنية الأرداف، عادة: ناعمة، أخورية: بيضاء،
بهنانة: مرحة

نَاهِدُ النُّوْذَلَيْنِ مَحْطُوطَةٌ الْمَتِّ نَيْنٌ، حَوْدٌ، رَجْرَاجَةٌ، وَرَكَانَةٌ
النودلان: الثديان، محطوطة المتين: مصقولة الظهر على جانبي العمود الفقري، حود: ناعمة،
رجراجة: تمشي وتهزّ، وركانة: ممتلئة الوركين

خَذْلَةٌ سَاقُهَا، مُهْفَهْفَةُ الْخَصْرِ رِ، كَعَابٌ، بَرَّاقَةٌ، سَيْفَانَةٌ
خدلة ساقها: ساقها ممتلئة، مهفهفة الخصر: ضامرة البطن، كعاب: بارزة الصدر، براقّة: ذات
دلال تشير للرجال، سيفانة: طويلة

ذَاكَ وَجْهِ كَأَنَّهُ بُدْرٌ تِمٌّ وَقَوَامٌ كَأَنَّهُ خَوْطٌ بَانَةٌ
خوط بانة: غصن شجرة البان

لَوْ رَأَاهَا كِسْرَى الْمَلُوكِ لَخَلَّى مُلْكُهُ تَارَكَآ لَهَا إِيَوَانَهُ
وَتَدَلَّى قُرْطٌ بِسَالِفَتَيْهَا رُضِعَتْ فِيهِ مَاسَةٌ بِجَمَانَةٍ
الجمان: شذرات فضة على شكل اللؤلؤ

وَقَفْتُ لِي عُرْيَانَةً فَتَقَدَّمْتُ ثُ إِلَيْهَا بِذِلَّةٍ وَاسْتِكَانَةٍ
فَتَمَشَّتْ تَحْلُعًا، وَتَنَنَّتْ، وَتَلَوْتُ كَأَنَّهَُا خَيْرُ رَأَانَةٍ
ثَم صَدَّتْ فَأَدْبَرَتْ عَنْ دَلَالٍ ثَم عَادَتْ فَأَقْبَلَتْ عَنْ مَجَانَةٍ
المجانة: الفحش وترك الحياء

وَلَقَدْ رَاعَنِي، وَزَادَ فَوَادِي وَلَهَا مَا رَأَيْتُ تَحْتَ الْمَثَانَةِ
رَكْبًا، كَغُغْبَاءٍ، عَضُوضًا، مَضُوضًا، نَاشِزًا، ذَا بَضَاضَةٍ وَرَزَانَةٍ
يصف ما لا يصفه المتحرج من المرأة، وكل تلك أسماء لذلك العضو

مُشْرِفَ السَّطْحِ، رَابِثًا، ذَا انْتِصَابٍ، حَامِي الْجَوْفِ، ضَنْكُهُ، رِيَانَةٌ
رابطاً: بارزاً، ضنك: ضيق، ريان: ممتلئ

قَدْ حَكَى كَوْمَةً مِنَ اللَّوْلُؤِ الرَّطِّ بِ وَإِنْ كَانَ فَائِقًا أَثْمَانَةً
حكى: أشبه

نِعْمَةُ الْعَيْشِ أَتَرَفَّتُهُ، وَأَخْلَتْ أَسْكِنِيهِ مِنَ الْأَذَى، وَعِجَانَةٌ
الأسكتان: الشفران، خاليان من الأذى: أي من البرص، والعجان: ما بين السيلين

عَطِرُ الرِّيحِ، قَدْ تَشَمَّمْتُ مِنْهُ إِذْ تَشَمَّمْتُهُ شَذَا أَفْخَوَانَةٍ
الريح: الرائحة

وَشَرِبْتُ الرَّحِيقَ وَهُوَ تَجَاهِي جَائِمٌ فَاتَّخَذْتُهُ فِنْجَانَهُ
لَوْ رَأَى الْعَيْنَيْنِ يَوْمًا لِأَمْسَى مُبْرَأً مِنْ رَخَاوَةٍ وَعَنَانَةٍ
سَلِسْتُ فِي انْقِيَادِهَا بَعْدَ أَنْ قَدْ أَظْهَرْتُ لِي تَمَنُّعًا وَحَصَانَةً
فَدَعَيْتَنِي إِلَى الْكَفَاحِ بِغَمَزٍ كَرَّرْتُهُ مِنْ عَيْنِهَا الْوَسْنَانَةَ
فَتَعَرَّيْتُ مِثْلَهَا ثُمَّ أَشْرَعْتُ إِلَى الطَّغْنِ صَفْدَةً مُرَّانَةً
الصعدة: الريح، المرانة: الريح

فَرَمْتُ كَفَّهَا عَلَى ذَلِكَ الدَّوْ سِرِّ كَيْمَا تَشُوصُهُ بِالْبَنَانَةِ
الدوسر: المسمار، يشوص: يدلك، البنانة: الأصابع
وَعَدْتُ فِي تَجَضُّمٍ وَامْتِلَاجٍ بِشِفَاءٍ وَزِدْيَةٍ، غَيْسَانَةٍ
التجضم: الأخذ بالقم، الامتلاج للصبي: مص ندي الأم
ثُمَّ أَضْجَعْتُهَا عَلَى الْأَرْضِ وَاعْرَوْ رَيْتُ مِنْهَا مَطِيَّةً خَيْفَانَةً
اعرورى فرسه: ركبها بلا سرج، خيفانة: الفرس الخفيفة

فَتَبَطَّنْتُهَا وَقَدْ أَخَذَ الشَّأ قَوْلٌ مِنْ ذَلِكَ الْمَحَلِّ مَكَانَهُ
الشافول: من اسم عضو الذكر
وَاضِعًا قَائِيً فَوْقَ فِيهَا وَكُلٌّ قَدْ أَمَصَّ الضَّجِيعَ مِنْهُ لِسَانَهُ
فَالْتَصَفْنَا صَدْرًا بِصَدْرٍ، وَبَطْنًا فَوْقَ بَطْنٍ، وَعَانَةً فَوْقَ عَانَةٍ
فَعَدْتُ فِي ارْتِهَازِهَا تَلَكًُّا بِكَلَامٍ لَا تَسْتَتِمُ بَيَانَهُ
رهز: هرز

ثُمَّ قَالَتْ وَقَدْ ذَوْتُ مُقَلَّتَاهَا وَشَكْتُ مِنْ فُؤَادِهَا خَفَقَانَهُ
أَطْعَنُ الطَّاعِنِينَ لِلضَّادِ مَنْ بِالضَّ إِذْ قَدْ أَنْطَقَ إِلَاهُ لِسَانَهُ
الضاد: عضو التأنث

٩٠ المهندس يتأمل

كُلُّ الْقُصُورِ عَبِيدٌ وَهُوَ سَيِّدُهَا إِذْ كَانَ أَكْرَمُهَا صُنْعًا وَبُنْيَانًا
هذا قصر شيراغان على البفور

يَمْشِي الْمَهْنَدُسُ فِيهِ وَهُوَ يَنْظُرُهُ مَشْيَ الْمُقَيَّدِ يَسْتَقْصِيهِ إِمَاعَانَا

ومهندس القصر، الأرمني باليان، يمشي ببطء كأنه مقيد ويتأمل بديع ما صنعت يده

يَضُمُّ كَفَّيْهِ لِلْإِبْطَيْنِ مُنْبَهراً مُقَلِّباً فِي الْأَعَالِي مِنْهُ أَجْفَانَا

لو كان عرشاً لِيلْقِيْسِي لَمَا خَضَعَتْ لِلْأَمْرِ حِينَ أَتَاهَا مِنْ سَلِيمَانَا

فلو رأيتَ وقد شَبَّ الْحَرِيقُ بِهِ وَالرَّيْحُ تَضْفِقُ لِلنَّيْرَانِ أَرَدَانَا

أردان: أكام، كأن الريح إذ تلعب بالنيران شخص يحرك أكامه الواسعة

رَأَيْتَ مُلْكاً كَبِيراً ثُمَّ مُحْتَرَقاً يُذِيبُ مِنْهُ لَهَيْبُ النَّارِ عَفِيَانَا

العقيان الذهب. وقد حدث الحريق بعيد الدستور وخلع السلطان عبد الحميد. وهذا القصر أصبح

اليوم فندقاً، وأجرة الليلة الواحدة للجناح السلطاني فيه ٣٥ ألف دولار (من ويكيبيديا. حتى لا

يحسب أحد أنني فعلتها)

٩١ الصادق الوحيد.. الخورنق

لَقَدْ خَامَرْتَنِي فِي الزَّمَانِ وَأَهْلِيهِ شَكُوكٌ عَلَيْهَا يُغْدَرُ الْمُتَزَنِّدُ

الشكوك التي خامرتني، انتابتنني، في الزمن والناس كبيرة إلى درجة أن الزنديق بالمقارنة بها يصبح معذوراً، فشكوكه أقل من شكوكي

أَرَى الدَّهْرَ فِي أَمْرَيْنِ يَعْمَلُ دَائِباً صَنَاعَ الْيَدَيْنِ فِيهِمَا يَتَأَنَّقُ..

الزمن يعمل عملين وهو فيهما صناع اليدين، ماهر، ومتأنق..

يَجِدُّهُ لِلْمَوْتِ مَنَاقِبَ لَمْ تَكُنْ لِدَيْهِمْ، وَلِلْأَحْيَاءِ يُبْلِي وَيُخْلِقُ

مرور الزمن يكسب الموتى مناقب، محامد، لم تكن أصلاً موجودة فيهم، ويبلي ويخلق، يتلف، الأحياء لأنهم يكبرون ويمرضون

فَكَمْ مِنْ قُبُورٍ عَظَّمَ النَّاسُ أَهْلَهَا بِمَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَ النُّهَى يَنْحَقُّ

قبور كثيرة يبجل الناس أصحابها، ولكن لأمر غير حقيقة في النهى، العقول

وَرُبَّ امْرِئٍ قَدْ عَاشَ يَسْتَقْطِرُ الثَّنَا فَلَمَّا قَضَى سَالَ الثَّنَا يَتَدَفَّقُ

رب شخص عاش يستجلب الثناء من الناس قطرة بعد قطرة، فعندما مات تدفق عليه الثناء والمديح

سَقَى الدَّهْرُ لِلْأَمْوَاتِ غَرْسَ مَنَاقِبٍ بِمَيِّنٍ فَظَلَّ الْغَرْسُ يَنْمُو فَيَبْسُقُ

الزمن يسقي للأموات أشجاراً من الحسنات ببين، بكدب، وتظل هذه الأشجار تنمو وتبسق، تعلقو

إِذَا شَطَّ جَيْلٌ خَطَّ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ أَكَاذِيبَ عَنْهُ بِالثَّنَاءِ تُزَوِّقُ

شط: يحد

فَمَا كُتِبَ التَّارِيخُ فِي كُلِّ مَا رَوَتْ لِقُرَائِهَا إِلَّا حَدِيثٌ مُنْلَقٌ
نَظَرْنَا لِأَمْرِ الْحَاضِرِينَ قَرَابَنَا فَكَيْفَ بِأَمْرِ الْغَائِبِينَ نُصَدِّقُ
نظرنا في سيرة الموجودين قرابنا ما رأينا، شككتنا فيه، فكيف سنصدق ما يروى عن الغائبين،
الذاهبين

وَهَلْ قَدْ خُصِمْنَا دُونَ مَنْ مَاتَ قَبْلَنَا بِحُبِّ السَّجَايَا؟ شَدْمًا نَتَحَقَّقُ!
فهل السجايا الخبيثة، الصفات السيئة، لنا نحن، ولم يكن للميتين مثلها؟ ما أشد حمقنا!
خَلِيلِي هَلْ مَنْ بِالرُّصَافَةِ عَالِمٌ بِأَنِّي إِلَى مَنْ بِالرُّصَافَةِ شَيْقُ
يا صاحبي هل يعلم أحد في الرصافة، الشاطئ الشرقي لدجلة في بغداد، أنني مشتاق إلى من
بالرصافة

إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ الْعَجُوزَ بِكَيْتُهَا بِدَمْعٍ بِهِ الْأَهْدَابُ تَطْفُو وَتَغْرَقُ
أتذكر أُمي فأبكي بدموع تطفو فوقها أهداب، رموش، العين، ثم لكثرة الدموع تغرق هذه الأهداب
فيها

لَحَى اللَّهُ قَوْمًا لَا يَعِيشُ بِأَرْضِهِمْ سَوَى مَنْ يُدَاجِيهِمْ، وَمَنْ يَتَمَلَّقُ
لحى الله، لعن، قوماً لا يعيش بأرضهم إلا من ينافقهم ويتملق لهم
وَلَمْ يَخْطُ إِلَّا اثْنَانِ مِنْهُمْ بِحُظْوَةٍ مِنَ الْمَالِ مُثَرٍّ، أَوْ مِنَ الْعَرْضِ مُمْلِقُ
الذي يحظى بالقبول عند الناس واحد من اثنين: ثري، أو فقير في العرض والشرف

قَتَلْتُ الْوَرَى خُبْرًا فَلَيْسَ بِخَادِعِي حَدِيثٌ مُطَرَّى أَوْ كَلَامٌ مُنَمَّقُ
هَذَاذِيكَ! لَا تَحْفَلْ مَقَالَ مُؤَرِّخٍ وَلَا يَسْتَفِزُّنَكَ الْكَلَامُ الْمُشَقَّقُ
هذاذيك: قفا! قفا! واسمعي، لا تحفل بكلام المؤرخين، ولا تشعر بحماسة واستفزاز من
الكلام المشقق: المنمق

كِذَابٌ عَلَى وَجْهِ الطُّرُوسِ مُسَطَّرٌ يَغْصُ بِهِ الْعَقْلُ السَّلِيمُ وَيَشْرِقُ
هذا كله كذاب، كذب، مسطر على الطروس، الأوراق، ولا يقبله العقل السليم بل يغص به
ويشرق، أي يلفظه ويرفضه

فَدَعْ عَنْكَ لَغْوَ النَّاطِقِينَ وَخُذْ بِمَا رَوَاهُ مِنَ الْأَثَارِ مَا لَيْسَ يَنْطِقُ
فَإِنْ ذَكَرُوا النُّعْمَانَ يَوْمًا فَلَا تَثِقُ بِأَكْثَرِ مِمَّا قَالَ عَنْهُ الْخَوَزَنْقُ
لا تصدق الروايات التي يوردونها عن الملك النعمان، إلا ما بقي من أثر ملموس من قصره
المعروف «الخوزنق»

فَأَصْدَقُ مِنْهُمْ فِي الْمَسَامِعِ لَهْجَةً ضَفَادِعُ فِي الْمُسْتَنْقَعَاتِ تُنْقِنُقُ
مَلَكَتُ مِنَ الدُّنْيَا حَقِيقَةً أَهْلِهَا وَإِنِّي عَلَى الدُّنْيَا بِهَا أَتَصَدَّقُ

٩٢ السكران بمجد زائل

أَلَا فَادْجُرُوا يَا قَوْمَ أَرْبُعَ مَجْدِكُمْ فَقَدْ دَرَسَتْ إِلَّا بَقِيَّةَ أَطْلَالِ
أربع: ربوع، درست: بليت

وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا كَسَكْرَانٍ طَافِحٍ تَحَسَّى مِنَ الصُّهْبَاءِ عَشْرَةَ أَرْطَالِ
كانوا يقيسون الشراب بالرطل ولعله كأس كبيرة

مَشَى بِأَرْتَعَاشٍ فِي الطَّرِيقِ فَتَارَةً يَقُومُ، وَأُخْرَى يَنْهَوِي فَوْقَ أَوْحَالِ
يَمُدُّ إِلَى الْجُدْرَانِ كَفَّ اسْتِنَادِهِ فَتَقْذِفُهُ الْجُدْرَانُ قَذْفَةً إِذْلالِ
وَيَفْتَحُ لِلطَّرَاقِ مُقْلَةً جَانِبِي فَيَغْمِضُهَا خَزْيَانٌ عَنْ شَتْمِ عُذَّالِ
هذا السكران يفتح عينه بحق و غضب للطراق، المشاة في الطريق، ثم يغمضها بخزي وذل إذ
يسمع شتم من يلومونه. القصيدة طويلة جداً ويروي فيها الرصافي سيرة الطبيب القديم أبي بكر
الرازي

٩٣ سقوط عبد الحميد

لَقَدْ جَمَعُوا الْجُمُوعَ فَمِنْ نَصَارَى وَمِنْ هُودٍ هُنَاكَ وَمُسْلِمِينَا
جمع قادة المعارضة في سلانيك باليونان، وكانت تحت الحكم العثماني، جمع الجند لكي
يردعوا السلطان الذي تراجع عن الدستور

فَكَانُوا الْجَيْشَ أَلْفَ مِنْ جُنُودٍ مُجَنَّدَةً وَمِنْ مُتَطَوِّعِينَا
تَرَاهُمْ فِيهِ مُتَّحِدِينَ عَزْمًا وَمَا هُمْ فِيهِ مُتَّحِدِينَ دِينَا
وَلَمَّا جَدَّ جِدُّهُمْ اسْتَقَلُّوا عَلَى ظَهْرِ الْقِطَارِ مُسَافِرِينَا
فَلَمْ يَتَصَرَّمِ الْأُسْبُوعُ إِلَّا وَهُمْ بِرُبَا فُرُوقٍ مُخَيَّمُونَا
لم يمض أسبوع حتى نصبوا خيامهم في ربا فروق، من أسماء إستانبول

هَنَالِكَ قَمْتُ مُرْتَجِلًا إِلَيْهِمْ لِأُبْصِرَ مَا أَوْمَلُ أَنْ يَكُونَا
وَبَاخِرَةً عَلَتْ فِي الْبَحْرِ حَتَّى حَكَّتْ بِعُجَابِهِ الْحِصْنَ الْحَصِينَا
وفي الميناء رست باخرة ذات مداخن عالية كأنه الحصن المنيع في عباب البحر

يُؤَثِّرُ جَرُّهَا فِي الْبَحْرِ أَثَرًا تَكَادُ بِهِ تَظُنُّ الْمَاءَ طِينًا
ترك سير الباخرة أثراً في الماء يدوم بعض الوقت فكان الماء طين

رَكِبْتُ بِهَا عَلَى اسْمِ اللَّهِ بَحْرًا غَدَا بِسُكُونٍ لُجَّتِهِ رَهِينًا
أَتَيْنَا دَارَ قُسْطَنْطِينٍ صُبْحًا وَقَدْ فُتِحَتْ لَهُمْ فَتْحًا مُبِينًا
دار قسطنطين: القسطنطينية، إستانبول

وَزَلَّ الْجَيْشُ جَيْشُ اللَّهِ يَشْفِي بِحَدِّ سَيْوْفِهِ الدَّاءَ الدَّفِينَا
وَحَطُّوا قَصْرَ يَلْدَرٍ عَنْ سَمَاءٍ لَهُ فَاَنْحَطَّ أَسْفَلَ سَافِلِينَا
هوى عبد الحميد به هويًا إِلَى دَرَكِ الْمُلُوكِ الظَّالِمِينَا
أسقطوا السلطان عبد الحميد فهوى ليكون مع الظالمين

وَأُنْزِلَ عَنْ سَرِيرِ الْمُلِكِ خَلْعًا وَأَفْرِدَ لَا نَدِيمَ، وَلَا قَرِينَا
فَسِيقَ إِلَى سَلَانِيكَ احْتِبَاسًا لَهُ كَيْ يَسْتَرِيحَ بِهَا مَضُونَا
أخذه المعارضون من الجيش إلى سلانيك باليونان، وحبسوه في قصر هناك

وَمَوْتُ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ مُقَامٍ لَهُ بَيْنَ الَّذِينَ سَقَوْهُ هُونَا
لَقَدْ نَقَضَ الْيَمِينَ وَخَانَ فِيهَا فَذَاقَ جِزَاءَ مَنْ نَقَضَ الْيَمِينَ
فَقَرَّتْ أَعْيُنُ الدُّسْتُورِ أَمْنًا وَشَاهَتْ أَوْجُهُ الْمُتَمَرِّدِينَ

٩٤ المقيدون بأوجالهم

لِمَنِ الْقَصْرُ لَا يُجِيبُ سُؤَالِي أَهْلَاتُ رِبْوَعِهِ أَمْ خَوَالِي؟
لمن هذا القصر؟ وما له لا يجيب سؤالي؟ هل ربوعه مسكونة أهلة أم خالية مهجورة؟

مَا تَدَاعَى مِنْكَ الْبِنَاءُ، وَلَكِنْ قَدْ تَدَاعَى بِنَاءُ تِلْكَ الْمَعَالِي
ما تداعى، تهدم، بناؤك، ولكن ذلك المجد قد انهدم

كَنتَ مَأْوَى الْعُلَا مَثَارَ الدُّنَايَا مَهْبِطُ الْعِزِّ، مَصْدَرُ الْإِذْلَالِ
كان فيك العلا، المجد، وكنت مثار الدنيا، سبب الرذائل، وكنت مهبط، موضع، العز، ومصدر
الإذلال للناس.. كنت كل هذا يا قصر يلدز

أَيْنَ خَاقَانُكَ الَّذِي كَانَ يُدْعَى قَاسِمَ الرِّزْقِ، بَاعَثَ الْأَجَالَ
خاقان: أمير تركي.. وكان يقال عن عبد الحميد إنه يقسم الرزق للناس ويحدد آجالهم بقتلهم أو
العفو عنهم

وَعَزَاءٌ .. فَلَسْتُ أَوْلَ قَصْرِ نَكَسَ الدهرُ مِنْ ذُرَاهُ الْعَوَالِي
ذراه العوالي : قممه الشامخة

قد تَدَاعَى مِنْ قَبْلُ إِيوَانُ كَسْرَى بَعْدَ أَنْ طَالَ شَاهِقَاتِ الْجِبَالِ
إِنَّمَا نَحْنُ أُمَّةٌ تَذُرُّ الصَّبِيَّ سَمَ وَتَأْبَى أَنْ تَسْتَكِينَ لِوَالِ
نحن، رعايا الدولة العثمانية، ندرأ الضيم، ندفع الظلم ولا نستكين لولاة الأمر

يَا مُلُوكَ الْأَنَامِ مَلَأَ اعْتَبَرْتُمْ بِمُلُوكِ تَجَوَّرُ فِي الْأَفْعَالِ !
ليس عبدُ الحميدِ فرداً ولكن كَمَ لِعَبْدِ الْحَمِيدِ مِنْ أَمْثَالِ
فانركوا الناسِ مُطْلَقِينَ وَإِلَّا عِشْتُمْ مُوثَقِينَ بِالْأَوْجَالِ
أعطوا الناس حريتهم، وإلا فإنكم أنتم ستكونون مقيدين أيضاً لكن بالأوجال .. بمخاوفكم

٩٥ الخطيب الساكت

يَا سَاكِتاً وَهُوَ مَشْنُوقٌ عَلَى عَمَدٍ لَأَنْتَ أَبْلَغُ مَنْ نَادَى وَمَنْ خَطَبَا
رغم سكوتك فأنت خطيب بليغ أيها المشنوق على عمود خشبي

طالبتِ بِالشَّرْعِ حَتَّى قَدْ قُتِلَتْ بِهِ كَذَاكَ مَنْ جَهَلَ الشَّيْءَ الَّذِي طَلَبَا
يَا ظَالِمَ الشَّعْبِ مَظْلُوماً بِفِعْلَيْتِهِ عَلَيْكَ أَمْ مِنْكَ يَبْكِي الشَّعْبُ مُنْتَجِبا
يَا مُفْسِداً قَامَ تَحْتَ الدِّينِ مُسْتَتِراً لِيَجْعَلَ الْأَمْرَ فِي الْبُلْدَانِ مُضْطَرِبا
انظرْ إِلَى ذَلِكَ الْمَصْلُوبِ مُتَعِظاً فَإِنَّمَا قُتِلَ فِي الشَّرْعِ قَدْ وَجَبَا
انظر أيها السامع إلى هذا المشنوق واتعظ به .. جعل المشنوق مصلوباً كي يأتي بشاهد قرآني في البيت التالي ..

وَأَيُّهُ اللَّوْهُ فِي التَّنْزِيلِ قَائِلَةٌ مَنْ كَانَ يُفْسِدُ فِي أَوْطَانِهِ ضَلَبَا
الآية : «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض»

٩٦ رجال الدين

لَا دَرَ دَرُ رِجَالِ الدِّينِ إِنَّهُمْ قَدْ أَظْهَرُوا فِيهِ مِنْهُمْ غَيْرَ مَا كَتَمُوا
لا در درهم: عكس الله درهم

وَاسْتَعْمَلُوهُ كَمَا تَهْوَى مَارِبُهُمْ كَأَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا آلَةٌ لَهُمْ

وإن تصادمت بالمعادت تنكرها فانت في زعيمهم بالدين تضطد
وإن أتيت ببرهان فاعجزهم لم يحسنوا الرد، بل من عجزهم شتموا
وإن تقل لهم قولاً لتقنعهم شدوا عليك وردوا قبلما فهموا
خلائق كظلام الليل من يرها يقل بأمثال هذي تمسخ الأمم

٩٧ سأرحل عنهم

يخاطب الشاعر محمد مهدي الجواهري:

أقول لرب الشعر مهدي الجواهري إلى كم تناغي بالقوافي السواجر!
تناغي: تترنم

ركبت بحور الشعر قبلك خائضاً لعمرك منها كل طام وزاخر
وسيرت من غر القوافي بلجها قصائد سارت كالسفين المواخر
سيرت في لج بحور الشعر، في عمقا، قصائد كأنها السفن التي تمخر، تشق الماء

فلم ألف إلا منكبرين مكانتي يحيدون عني كالوحوش النوافر
فقابلتهم بالصّفح عنهم ترعّفاً وأعرضت عن شتم السفه المهاتر
أنا اليوم من هذي الحياة على شفاً أشارف منه مرقدي في المقابر
أنا على شفا، على طرف، الحياة أشرف على مرقدي الأخير

سأرحل عنهم عائداً من شروهم برّب كريم، قابل الثوب، غافر
عائد: ملتجئ

٩٨ وداع بمرارة شديدة

قال الرصافي في أواخر أيامه (١٩٤٣):

يا موطناً لست منه في موادعة عش بعد موتي عيش الوداع الهاني
يا وطني الذي لا موادة منه لي، لم يكن وديعاً معي، عش وادعاً هانئاً

فكل من فيك تعني سعادتهم وكل أبنائك الأعداء إخواني
أعدائي من أبناء الوطن هم في الواقع إخواني

إن سرّك الدهر يوماً سرّني، وإذا أذاك بالمزعجات الدهر آذاني

ما ضَرَّنِي أَنْ كُلَّ النَّاسِ تَحْقِرُنِي إِنْ كُنْتَ أَنْتَ جَلِيلَ الْقَدْرِ وَالشَّانِ
وليس يَنْفَعُنِي عِزٌّ وَلَا شَرَفٌ إِنْ لَمْ تَكُنْ أَنْتَ ذَا عِزٍّ وَسُلْطَانِ
يَا قَوْمُ إِنِّي مِنَ الدُّنْيَا ضَحِيَّتُكُمْ فَقَرَّبُوا مِنِّي حَيَاتِي كُلَّ قُرْبَانِ
أنا ضحية من ضحاياكم فلاكن قريانا تتالون به الرضا

لَا تَحْسَبُونِي مِنْكُمْ جَازِعًا ضَجِرًا وَإِنْ يَكُنْ شَقَطِي فِي الْعَيْشِ أَضْوَائِي
أضوائي: أنحلني وأهزلي

إِنِّي أَلْفْتُ عَلَى الْأَيَّامِ مَخْمَصَتِي فَالْتُّمُ وَالْبُؤْسُ عِنْدِي الْيَوْمَ سَيَّانِ
مخمصتي: جوعي

تَخْتَارُ نَفْسِي الطَّوَى بِالْعِزِّ قَانِعَةً وَتَتْرُكُ الْقَصْفَ فِي دُلِّ لِمِبْطَانِ
الطوى: الجوع، القصف: اللهوء، المبطان: كبير البطن

يَا لَاهِجِينَ بِشَتْمِي فِي مَجَالِسِهِمْ نَامُوا عَلَى الْأَمْنِ فِي أَخْضَانِ غُفْرَانِي
جَادَلْتُمُونِي فَمَا أَحْسَنْتُمْ جَدَلِي حَتَّى بَدَيْتُمْ بِذَاءِ الْمَاجِنِ الْخَانِي
بديتم: قلت البذاءات، الخاني: المفحش

وَمِنْ عَنَاءِ اللَّيَالِي أَنْ يُجَادِلَنِي مَنْ لَيْسَ يَقْرَعُ بِالْبُرْهَانِ بُرْهَانِي
كَمْ تُظْهِرُونَ عِفَافًا فِي تَدْيِينِكُمْ وَتُضْمِرُونَ ضَمِيرَ الْفَاجِرِ الزَّانِي

٩٩ ليل متحجر

وَلَيْلٍ بِهِ قَدْ بَتَّ أَخْتَلِسُ الْكُرَى وَأَرْقُبُ فِيهِ النُّجْمَ أَنْ يَتَغَوَّرَا
يتغور: يغيب

تَمَطَّى عَلَى الْأَكَامِ مِنْهُ بِغَيْهَبٍ تَكَاثَفَتْ حَتَّى خِلْتُهُ قَدْ تَحَجَّرَا
تمطى الليل، تمدد، على الأكام، التلال، بغيب، بسواد، كان كثيفاً حتى خلت هذا السواد قد
تحجر

وَكَادَ دُجَاهُ يُمَكِّنُ الْكَفَّ لَمَسَهُ فَلَوْ سَارَ سَارٍ فِي دُجَاهُ تَعَثَّرَا
ولكن كثافة الظلمة كانت كأن بإمكان المرء لمسها بكفه، ولو سار فيها لتعثر بها.. أليست قد
تحجرت؟

١٠٠ استسلام الفصحى

الشعرُ ما قلت يا عبودُ فأنحُ به مدحُ الصناديدِ لا هَجَوُ الرُعاديـ
يخاطب الملا عبود الكرخي الشاعر الشعبي : انح بالشعر، توجه به، إلى مدح الصناديد،
الشجعان، لا هجاء الرُعاديـ، الجبناء

دَعْ هذه اللُّغَةَ الفُصْحى فنحن بها ظَلَنَّا نُخاطِبُ جيلًا غيرَ مَوْجودِ
فالناسُ غَيَّرَتِ الأيامُ لَهَجَتَهُمْ بِكُلِّ لحنٍ على الأفواهِ مَعْقُودِ
فانظُمْ لنا زَجَلًا في الشعرِ يفهمُه مَنْ في الرَّسائِقِ مِنْ تلكَ العباديدِ
انظم زجلاً يفهمه أهل الرساتيق، القرى، من العباديد، جماعات الناس

١٠١ الالتفات

لَقِيتُها في الطريقِ عابِرةً يَهْصِرُ مِنْ قَلْبِها تَبَخُّثُرها
يهصر: يُمِل. كانت المرأة مقبلة عليه وهو ماش والتقيا وجهاً لوجه.. ومضى كل في طريقه..
أعجَبَها منظري وأعجَبَنِي بالحسنِ عند اللقاءِ منظرُها
فصارَ قلبي بِالحُبِّ يَأْمُرُنِي وقلْبُها بالغرامِ يَأْمُرُها
وحينَ مَرَّتْ والشَّوقُ يُسْكِرُنِي بِخَمْرِهِ تارَةً وَيُسْكِرُها
لَفْتُ جِدي أرى أَتَنظُرُنِي والتَفَتْتُ لي ترى أَأَنظُرُها
بعد أن اجتازتني التفت لأرى هل ستلتفت هي إلي، والتفتت هي للغرض نفسه

فقلتُ والشَّوقُ فيَّ مُلْتَهَبٌ إِنَّ عَذْرَتُنِي فسوف أَعْزِرُها
إن عذرتني على عدم التعرض لها فسوف أعزرها على ما فعلت بقلبي.. والمرأة - لمن يقرأ هذا
ولا يعرف النساء - تغفر لك أن تغتنى بجمالها، ولا تغفر لك أن تتجاهله. هذه قطعة عذبة عذوبة
أخاذه.. هذا موقف سجله قلم شاعر فصيح

١٠٢ بكل بساطة

أرى الحياةَ بسيطاً أَمْرُ صَاحِبِها فكيفَ يَشْكُونُ منها كَثْرَةُ الحَاجِ
إِنَّ الحياةَ لَعَمَرُ اللّهِ قائِمةٌ بِحُكْمِ شَيْئَيْنِ إِدخالٍ وإِخراجِ
الحياة هي أكل وتخلص من الفضلات ليس غير، ولا حاجة حقيقية للإنسان سوى هذا

١٠٣ شيخ وفتية

أنا شيخٌ وذِي عَصَايَ فَتِيَّةٌ قد أَتَّشَنِي مِن مَّظْهَرٍ لِي هَدِيَّةٌ

جاءته عصا مفضضة من مظهر الشاوي الذي كان يحسن إليه في أخريات حياته

صَاغَةُ الصَّابِئِينَ قد أَلْبَسُوها حَلِيَّةٌ ذاتُ صَنْعَةٍ عِبْقَرِيَّةٍ

الصابئة في العراق اشتهروا بالصياغة. الصنعة العبقرية: المتقنة جداً، كان من صاغها من الجن الذين يسكنون وادي عفر

فَسَأْمَشِي بِها قَوْيَاً سَوِيًّا بعدما كُنْتُ ماشِياً كالحَنِبَّةِ

الحنية: القوس

١٠٤ معلومات وهمية

لَقَنْتُ فِي عَصْرِ الشَّبَابِ حَقَائِقاً فِي الدِّينِ تَقْصُرُ دُونَهَا الْأَفْهَامُ

تلقت شاباً معلومات دينية كثيرة ومعقدة لا تكاد تستوعبها أفهام، عقول، الناس

ثُمَّ انْقَضَى عَصْرُ الشَّبَابِ وَطَبِئُهُ فإِذَا الْحَقَائِقُ كُلُّها أَوْهَامُ

١٠٥ التجارة بالوطن

لَا يَخْدَعَنَّكَ هُنَاكَ الْقَوْمُ بِالْوَطَنِ فَالْقَوْمُ فِي السَّرِّ غَيْرُ الْقَوْمِ فِي الْعَلَنِ

أُحْبِوْهُ الدِّينَ رَكَّتْ مِنْ تَقَادُيْها فاعتاضَ عنها الْوَرَى أُحْبُولَةُ الْوَطَنِ

أحبولة: مصيدة، ركت: أصبحت ركيكة ضعيفة

١٠٦ ملك بلا شعب!

قُلْ لِمَنْ صَيَّرَ الْمَلِيكَ عِماداً لِأُمُورٍ فِي الْمُلْكِ تَأْبَى الشَّرِيكا..

قل لمن جعل الملك صاحب أمر لا يشاركه فيه أحد ولا يشاور أحداً..

قَدْ رَأَيْنَا شَعْباً بِغَيْرِ مَلِيكَ هَلْ رَأَيْتُمْ بِغَيْرِ شَعْبٍ مَلِيكا؟

١٠٧ كان آدمياً

إِنَّ نُورِي السَّعِيدِ قَدْ كَانَ قَبْلاً آدَمِيًّا قَرْدُ بِالْمَسِيخِ قِرْدا

قَدْ أَبَى أَنْ يَعِيشَ حُرّاً مَعَ الشُّرِّ كِ وَأَمْسَى لِلتَّيْمُسِيِّنَ عَبْدَا

التيمسين: الإنجليز، نسبة لنهر التمز الذي يقطع لندن

مَثَلُ إِبْلِيسَ مَا أَطَاعَ سُجُوداً وَأَطَاعَ الْهَوَانَ لَغْنَاءً وَطَرْدَا

١٠٨ المعاهدة القيد

قَدْ أَبْلَعُونَا حَبَّةَ اسْتِعْبَادِنَا لَكِنْ مُمَوَّهَةً بِالاستِنْقَالِ

جعلونا نبلع حبة دواء هي الاستعباد لكنها مموهة بمعاهدة تعد بالاستقلال، وحة الدواء المرة تكون مغلفة بالسكر

مَنْ ذَا رَأَى ذَنْبَ الذَّنَابِ مُصَافِحاً يَتَوَدَّدُ حَمَلاً مِنَ الْأَحْمَالِ

لَكِنَّهُمْ خَافُوا أَنْفِكَافَ قُبُودِنَا فَاسْتَوْتَقُوا مِنْهُمْ بِالْأَفْئَالِ

١٠٩ الحثالة

قَدْ كَانَ لِي وَطَنٌ أَبْكِي لِتَنَكُّبِهِ وَالْيَوْمَ لَا وَطَنَ عِنْدِي وَلَا سَكَنَ

وَلَا أَرَى فِي بِلَادٍ كُنْتُ أَسْكُنُهَا إِلَّا حُثَالَةً نَاسٍ قَاءَهَا الزَّمَنُ

١١٠ جربوني

يَا مُبْعِدِي بِظُلْمٍ عَنِ مَنَاصِبِهِمْ وَقَاطِعِينَ إِلَى مَا أَبْتَغِي طُرْقِي

عَلِمْتُ كُلَّ خَفِيٍّ مِنْ ضَمَائِرِكُمْ وَمَا عَلِمْتُ الَّذِي تَرْضَوْنَ مِنْ خُلُقِي

لا أعرف ما الذي تريدونه من صفات تتوفر فيّ لكي تولوني منصباً

مَاذَا يُوَافِقُكُمْ مِنْ شَأْنِ صَاحِبِكُمْ حَتَّى يَكُونَ لَدَيْكُمْ حَازِرُ السَّبَقِ

إِنْ كَانَ عَقْلٌ فَلِإِنِّي عَاقِلٌ قَطِنٌ أَوْ كَانَ حُمُقٌ فَعِنْدِي أَحْمَقُ الْحُمُقِ

فَجَرَّبُونِي تَفَوَّزُوا عِنْدَ تَجَرِّبَتِي بَمَا تُرِيدُونَ مِنْ طَيْشٍ وَمِنْ نَزَقِ

النزق: الخفة والطيش. لابن الرومي - قبل ألف سنة من الرصافي - قصيدة تشبه هذه شهماً كبيراً يشبه الشبه بين هذين الشاعرين البغداديين. انظرها في كتابنا «تألق الشعر» ضمن الفصل الضافي عن ابن الرومي

وإِنْ أَبَيْتُمْ سِوَى مَنْ عَرَضَهُ دَنَسٌ فَلَسْتُ مَعَكُمْ عَلَى شَيْءٍ بِمُتَّفِقِ

لَا أَبْعَدُ اللَّهَ غَيْرِي عَنْ مَنَاصِبِكُمْ إِنِّي بَتَدْنِيسٍ عَرْضِي غَيْرُ مُرْتَزِقِ

فليكن غيري قريباً من مناصبكم فأنا لا أرتزق بتدنيس شرفي

١١١ لا يبالون لأنهم موتى

قَالَ ذُو الْجَرْبِ إِذْ أَتَاهُ مَقَالِي نحن لَسْنَا بِمَا يُقَالُ نُبَالِي
صَادِقٌ فِي الَّذِي ادَّعَاهُ، وَأَتَى يَأْلُمُ الْمَيِّتُ مِنْ جُروحِ النَّصَالِ
هو لا يلتفت لقولي.. فأتى، كيف، يتألم الميت من الجرح بنصل السيف؟

إِنَّمَا تَجَزَعُ الْكِرَامُ مِنَ الدَّمِّ- وَتَخْشَى الْأَمْجَادُ لَذْعَ الْمَقَالِ
الأمجاد: أهل المجد

١١٢ سنلتقي

قُلْ لِلَّذِي أَنْحَى عَلَيَّ بَظْلُمِهِ سَفْهًا وَجَارَ بِقَوْلِهِ وَبِفِعْلِهِ
الْمَوْتُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَسَنَلْتَقِي عِنْدَ الَّذِي تَثِقُ الْخُصُومُ بِعَدْلِهِ

١١٣ أثواب الرياء

سَوَدَ اللَّهْ مِنْكَ يَا شَيْخَ وَجْهًا عَشَّرَ حَتَّى بِاللَّحْبَةِ السُّودَاءِ
لِحْيَةً طَالَ ذَقْنُهَا فَهَوَ فِيهَا أَلِفٌ خُطَّ بَيْنَ عَيْنٍ وَرَاءِ
لحيته مقسومة نصفين وذقنه في الوسط مثل الألف.. وحرف الألف هذا واقع بين العين والراء..
ففي وجهه كلمة «عار»

لَوْ نَتَفَنَّا مِنْ شَعْرِهَا وَغَزَلْنَا لَنَسْجُنَا خَمْسِينَ ثَوْبَ رِيَاءِ
وَصَفُوهُ بِالمُسْتَقِيمِ فَقُلْنَا إِنَّهُ الْمُسْتَقِيمُ فِي الْأَمْعَاءِ
المستقيم في علم الأحياء: الجزء الأخير من الأمعاء

١١٤ استطراد

وَشَامِخِ الْأَنْفِ مَا يَنْفِكُ مُكْتَسِبًا ثَوْبَ التَّكْبُرِ فِي بُحْبُوحَةِ النَّادِي
قَدْ لَازَمَ الصَّمْتَ عِيًّا فِي مَجَالِسِهِ كَأَنَّمَا هُوَ مِنْ نُوَابِ بَغْدَادِ
هذا في الشعر أسلوب الاستطراد الذي يرع فيه أبو تمام والبحري. أن يتناول الشاعر موضوعاً ثم يفتتل عنه ليجري مقارنة كقولك: «رئيس الدولة قلبه مفتوح لا يخفي شيئاً، فكان ملفات مخابراته في أيدي العدو»، فأتت قد مدحته توصلأ إلى الإساءة إليه

١١٥ أكل الثوم

ما أقبح الجهل يُبدي عيبَ صاحبه لِلنَّاظِرِينَ، وعن عَيْنَيْهِ يُخْفِيهِ
كَذَلِكَ الثُّومُ لَمْ يَشْمَمْهُ أَكِلُهُ وَالنَّاسُ تَشْتَمُ نَتْنَ الرِّيحِ مِنْ فِيهِ

فهرس القوافي (القافية فرقم القصيدة)

٢٠	المجيدا	١٩	أساءوا
١٠٧	قردا	٩	الرَّيَاءِ
٢٩	وتولدا	١١٣	السوداءِ
٢٨	المُفَنِّدُ	٥	العماءِ
٦٧	حدودُ	٤٨	نَوَاءِ
١٣	واردُ	٤٩	العبا
١٠٠	الرَّعَادِيْدِ	٩٥	خَطْبَا
١١٤	النادي	٦١	عاصبا
٢٦	بالدِّدِ	٧٥	الجُذُوبُ
٦	بَغْدَادِ	٣	ضُرُوبُ
٤٣	بِقِيُودِ	٧٠	الحربِ
٥٣	هُجُودُهَا	٦٣	ذَهَبِ
٢١	الدهرا	١٥	مُنْقَلَبِ
٣٧	دُورا	٣٣	عَوَاقِبُهُ
٣٠	سَاهرا	٨٢	آدَابِهَا
٧١	عُذرا	٣٨	كُذِبُهُ
٥٥	مَرَّأ	٥٠	الْمَكْرُمَاتِ
٩٩	يَتَغَوَّرَا	٤١	سِيَّكَارَاتِي
٨	الْأَسْرِ	٨٨	سِمَاتِ
٦٦	الأميرِ	١٠٢	الْحَاجِ

١٤	أَوْحَالًا	٩٧	السَّوَاجِرِ
٣٦	زُحَلًا	٤	القَبْرِ
٥٦	أَقْوَانُ	١٢	بِغَادِرِ
٢٢	الرَّسُولُ	٤٤	لِلْبَقْرِ
١٧	مَقْتُولُ	٧٧	مُدَّكَّرُ
٩٢	أَطْلَالِ	١٠١	تَبَخَّرُهَا
٤٥	الْأَعْمَالِ	٣١	إِطَارِهِ
١٠٨	بِالْإِسْتِقْلَالِ	١٨	بِأَمِيرِهِ
٩٤	خَوَالِ	٦٩	وَالنُّفُوسَا
١١١	نُبَالِي	٨٦	بِحَاسِ
٦٥	يَعْقِلِ	١٦	السِّيَاسَةِ
٧٦	دَخَلَهُ	٨١	مُتَلَصِّصُ
٥٩	دَلِيلِهِ	٧٤	وَمَضَى
١١٢	وَبِفِعْلِهِ	٥٧	بَغِيضُ
٥٤	احْتِرَامَا	٦٨	تَرْتَضُّوْهَا
٨٥	عَرَامَا	٤٠	اسْتَطَاعَا
٨٤	مُظْلَمَا	٣٤	تِيَاعَا
١٠٤	الْأَفْهَامُ	٢٧	مَرَّعُ
٤٦	الْقِيَامُ	٢	وُخْضُوعُهَا
١٠	رِسُومُ	٦٢	وَأُعْتَفُ
٩٦	كَتَمُوا	٧٨	بِالْآلَافِ
٥٨	مُحَرَّمُ	٨٣	صَعْفِهِ
١	يَتَكَلَّمُ	٤٢	الرَّيْقَا
٢٣	التَّقْدِمُ	٩١	الْمُتَزَنِّدِقُ
٨٠	السَّامِي	٦٤	الزَّنْدِيقِ
٧	بِنَائِمِ	٣٢	بِالْمَلَاعِقِ
٢٥	صَيِّعِمِ	١١٠	طُرْقِي
٣٩	مَهْضَمِ	١٠٦	الشَّرِيكَا
٥١	مُسْلِمَةً	٨٧	الْحَاكِي

٨٩	فَتَانَةٌ	٩٠	وَبُنَيَانَا
٢٤	عُمْرَانِهَا	٩٣	وَمُسْلِمِينَا
٧٢	مُسْتَبِينِهِ	١٠٩	سَكَنُ
٧٣	مَمَشَاهَا	١١	اِثْنَانِ
٤٧	الرَّهَآوِي	٦٠	الدَّوَائِينِ
٣٥	الرَّزِيئَا	٧٩	الزَّمَانِ
١٠٣	هَدِيَّةٌ	١٠٥	الْعَلَنِ
١١٥	يُخْفِيهِ	٩٨	الْهَانِي
		٥٢	دِينِ

محمد مهدي الجواهري

(١٩٠٢م - ١٩٩٧م)

عاش الجواهري عُمرين.

عاش خمساً وتسعين سنة ميلادية.

ومن يعيش عمرين يكمل الدائرة مرتين: رثى الجواهري زوجتين، وسقط سقطتين، وخلف لنا مذكراته في جزأين اعترف فيهما بالسقطتين، وسماههما الهاويتين. وخاض في الجزأين - وأتم ثانيهما في عام ١٩٩١ - مبارزات دونكشوتية مع ناس ماتوا.

ولما كنت أدخلت نفسي في دوامة ضمير المثني المزعج، فلأخاطب اثنين: القارئ والقارئة، في موضوع مختلف، ثم ستكون لي عودة إلى «شاعر العرب الأكبر» كما سماه الناس. طبعاً «الأكبر»! فمن قهر عزرائيل كل هذه السنين، فقد ألمات المنافسين، وألمات الشعر العمودي، وبقي متربعا على خرائبه.

أيتها القارئة،

القارئ يكون رجلاً أو امرأة، فإن قلنا «شخصاً» كي نريح أنفسنا من توجيه الكلام دائماً إلى مذكر «الشخص» مذكر، ويصبح علينا عندئذ أن نقول «شخصة»! لم تحلّ المشكلة.

ليس عند الإنجليز هذه المشكلة، فهم يقولون قارئ، ريدر، وهي تنصرف إلى مذكر ومؤنث. قد ارتاحوا من هذه. فأما إن جاءوا للضمائر فيلحق بهم ما يلحق بنا.

انتفضت نساء الغرب في مطلع القرن العشرين انتفاضة كبيرة، ولنَ في

معظم دول العالم حق التصويت. ولآن لم يهدأن: يُرَدَّن تخليص البشرية من تراث عمره آلاف السنين جعلَ الذكر ذا حقوق أكثر من الأنثى. أولئك هن «النسويات»، وفي هذه الفئة رجال كثر هم «النسويون». وفي أواخر القرن العشرين ثارت النسويات والنسويون على الضمائر. فأصبح الكاتب في البلاد الناطقة بالإنجليزية يقول عبارة «هو أو هي» في كل مرة ورد فيها ضمير الغائب المفرد. بعضهم تفنن فصار يقول «هي أو هو»، مقدما الهي على الهو. وبعضهم صار يقول «هو» مرة، و«هي» مرة. ولحقنا من هذا العنت شيء، ولكن ضمائرنا مفصلة تفصيلاً يعود علينا بإزعاج لا تعرفه الإنجليزية، فضمير الجمع عندنا «هم وهن» فيه تذكير وتأنيث، وعند أولئك القوم للجنسين ضمير واحد في الجمع.

أنا فيما أكتب أقول «هو» ولا أبالي، تاركاً للأجيال المقبلة أن تتخلص من عبء الإرث القديم.

وقد تحمس شعراء مصر والعراق للمرأة ولتحررها. وفي كتابنا الذي بين يديك ثلاثة شعراء من مصر وثلاثة من العراق، فأما شعراء مصر فقد وقفوا وقفة الهائب من دعوة نصير المرأة ورائد الفكر النسوي قاسم أمين (ت ١٩٠٨) المصري. وتلجلجوا في شأن المرأة ومكانتها، ولم يخرج من شعرهم ولا من حياتهم فكر نسوي واضح. وأما ثلاثة شعراء العراق فقد كان لهم شأن آخر.

وقبل أن نمضي في هذا الشأن نقف وقفة قصيرة بإزاء سلسلتنا هذه: «الزبدة»، التي استعرضنا فيها أشعار نحو أربعين شاعراً منذ الجاهلية حتى خبا الشعر العمودي في أواسط القرن العشرين. ونسجل على أنفسنا أننا لم نأخذ شاعرة واحدة. فلماذا؟ لم نسلك في هذا الأمر سبيل النسويين الذين يريدون حشر المرأة في كل مجال لمجرد إعطائها فرصة. التاريخ العربي ذكوري والشعر العربي ذكوري. وعندما ثارت في العراق نازك الملائكة على الشعر العمودي، وسارت في درب شعر التفعيلة، ونظرت له تنظيراً باسماً في كتاب هو أحد أهم كتب التقييد لصناعة الشعر منذ مئات السنين، وعندما تبعتها شاعرة فلسطين فدوى طوقان، وانحرفت بسرعة عن العمودي إلى التفعيلي، كان الشعر العمودي يزوي. وهكذا فمع دخول شاعرتين كبيرتين إلى ساحة الشعر العربي كان هذا الشعر قد شق طريقاً جديداً، وإحداهما كانت من أوائل من شق الطريق، والثانية تحولت مسرعة وسارت فيه. وسلسلتنا تتناول الشعر العمودي فقط.

فلماذا لم آخذ الخنساء ضمن شعرائي؟

دبوانها صغير ومحوره ضيق. فأخذت لها قصيدة في موضوعها الوحيد:
الرناء.

ونعود إلى شعراء العراق. كان هؤلاء من أشد أنصار المرأة في كل العالم العربي، كانوا على يسار قاسم أمين. وقد اقتطفنا من أشعارهم النسوية الكثير لأنهم قالوا ذلك الشعر بحماسة، وكانوا رواد فكر في العالم العربي كله. وهنا يتدخل توجهي الشخصي، فأنا نسوي مؤيد لنيل المرأة كل ما للرجل من الحقوق. ولكن بعد ذلك في أعماق نفسيتي ذلك الإرث الذكوري المتغلغل فينا الذي لا نملك له صداً. تربية النفس على شيء جديد أبطأ من الاقتناع به فكراً.

كان الجواهري شاعراً عمودياً. بدأ باكراً، وله أشعار كثيرة معاصرة لشوقي وحافظ والزهاوي والرصافي. وخاض عالم الشعر مع هؤلاء الذين أنهضوا الشعر العمودي نهضته الأخيرة. لكنه عاش طويلاً، فحضر في اليوتوب، وراه شباب زمننا هذا.. فنال بطول العمر تقديساً. وسنعود إلى الجواهري، فهذه السطور هي في التقديم لما اخترناه من شعره.

فهل مات الشعر العمودي؟

لم يمت الشكل. فما زال بعض الشباب ممن قرأ الشعر القديم وأكبَّ عليه إكباب درس وتمحيص يقول شعراً على البحور المعروفة.. أو على الأصح على بعضها. ولكن مصطلح «الشعر العمودي» يعني شيئين لا شيئاً واحداً. فهو الشعر الموزون المقفى على الطريقة القديمة، وهو أيضاً الشعر الذي يتناول المعاني بانضباط كلاسيكي. وكثير من العمودي الذي يكتبه شباب العرب اليوم رومنسي، مفرط في المجاز المزدوج، فهو عمودي وزناً، رومنسي محتوىً.

لن نحكم على الشعر العمودي بالموت. لكنه - حتى عند شوقي والبارودي والرصافي وكل شعراء كتابنا هذا «إحياء الشعر» - شعر «يحاول» أن يكون قديماً.. يحاول أن يضاهي البحري.. يحتفل بالمفردة المهجورة.. هو شعر لاهت. لم ينجح شوقي في الوصول إلى البحري ولا إلى المتنبي. ولن أنجح أنا إن كتبت لك بلغة عتيقة في أن أبلغ الجاحظ، سأبقى مغموط الحظ مضئوز النصيب، واقفاً أمام صوان ملابس عتيق أتخير منه أبرداً وطيلالسة وقلانس أرتديها كي تظنني عتيقاً، ثم يضحك مني الزمن. نثرُ الجاحظ لزمن الجاحظ

وشعر المتنبي لزمن المتنبي. واللغة تتغير حتى لو صك المنفلوطي رأسه بالجدار.

كان الجواهري من ساقه شعراء الإحياء، غير أنه فعل فعل صاحب لوائهم البارودي في أنه كان يلتمس الأسلوب العتيق.

أيها القارئ،

بالله عليك إلا ما ذهبت عني الآن، ومضيت إلى شعر الجواهري تقرأه! هذه الأسطر التي أكتبها لك في هذه المقدمة، بعد فراغي من الاختيار فالتشكيل فالشرح، فضلة قلم، وبقية مداد أنشره فوق الصفحة، فكأنها قطرات العرق تتساقط من جبين الراكض الذي وصل شريط النهاية في جري المسافات الطويلة. قد أنصبت نفسي وأنا أتخير لك الشعر وأشرحه، ثم أراك بعد ذلك تمر به مر الكرام. حرام عليك أن تتسلى بقراءة مقدمتي هذه - على ما فيها من استطراد، يشي بضعف الاستعداد، وعلى ما يلوح عليها من غثاثة، تمشي في كتابتي كأنما بوراثه - وتترك شعر الجواهري وذلك الجهد الكبير الذي وضعته في انتخاله وشرحه.

خذ قصيدة الجواهري المشهورة «أم البساتين». ها هي مجلوة لك هنا كالعروس في ثلاثين بيتاً، قصيدة من بذيع الشعر. صعبة قاسية حليتها بشرح يفتح لك مغاليقها. فأما أصلها فمئة وخمسة وستون بيتاً. قرأها لك صاحب هذه الأسطر في طبعة ديوان الجواهري ذات الأجزاء السبعة الصادرة في بغداد، ١٩٧٣، في حياة الشاعر، وعارضها على الطبعة التي أصدرها ذووه لديوانه الكامل بعد وفاته. قرأتها وانتخلت لك منها الأبيات الثلاثين، وأنعتب القاموس والصحاح وأسهرت المصباح.

قد فعلت مثل هذا بكل ما سيأتيك من أشعار الجواهري. ثم أراك تقرأ بيتاً أو بيتين، وتقول لنفسك: لا أريد المختارات، أريد القصيدة الأصلية كاملة. فاذهب عني، ورح اقرأ الدواوين؛ ما الذي أتى بك أصلاً.

قد اشتغلت بهذه الأشعار زمناً طويلاً، وإلا أكن مللت منها فإنني مللت من القراء الكرام، وإن كان عندي أمل في أن يأتي زمن يجد فيه الناس في هذا الجهد ما ينفع. أنا، والحال هذه، كالشيخ الذي رآه كسرى ملك الفرس يزرع شتلة زيتون، فقال له: أنت شيخ هرم، ولن تعيش لتأكل من ثمر هذه الشتلة!

فقال الشيخ: غرسوا فأكلنا، ونغرس فيأكلون. فقال كسرى: زه. وأعطاه ألف شيء.. ماذا كان اسم العملة الفارسية العتيقة؟ لا أدري. لكنني أدري أن الناشرين في عالمنا لا يقولون زه.

بعض أصحابي، ولهم في القلب موضع، يرددون عليّ أبياتاً من قصيدة للجواهري، يقولون إنها رائعة وعظيمة.. يصدعون رأسي بها. عظيمة فقط لأنهم سمعوها منه في اليوتيوب. ولم يسمعوها من شعره غيرها. فهم مثل رجل دخل كهف علاء الدين - بعد أن فتح له سمسم - فوجد في فم الكهف قفة دراهم فملأ منها كيسه وخرج. ليتة تعمق ليجد الذهب والألماس. أنا تعمقت يا بعض أصحابي. وأخرجت لكم ألماس الجواهري، فلا تصدعوا رأسي برنين نحاسكم.

للأسف، الجواهري صعب، وأشعاره تتعطش للشرح: صعب في مفرداته، التي يلوي أعناقها لتؤدي معاني منحرفة بعض انحراف عما وضعت له؛ وصعب في معانيه التي تختفي وراء ستار من لفظ رنان.

هو معاصر لأنه عاش السياسة في زمنه، وذاق كثيراً من النفي وقليلاً من السجن والأذى، وأصدر الجرائد، ومدح الرؤساء والملوك، ودخل في الفكر الاشتراكي من باب الشيوعية بعض دخول؛ وهو قديم لأنه عاش في شعر المتنبي والبحتري وشب على الجبة والعمامة في النجف؛ وهو مثقف قرأ الكتب، لكنه لم يغرق فيها فلم تغرق شاعريته؛ وهو شاعر لأن الله خلقه شاعراً.

لا أخفي عليك أنني دخلت عالم الجواهري متأخراً. قد صرفني عنه أولئك الأصحاب الذين جعلوني أظن أن الرجل إنما نال عندهم من المكانة ما نال لأنه عاش خمساً وتسعين سنة، فسجل حضوراً في دفاترهم. لكنني، في هذه على الأقل، كنت متواضعاً. قلت في نفسي: ليكن! يقولون إن الجواهري شاعر كبير، فلأفحص عن الأمر. وفحصت. ورأيت الجواهري شاعراً كبيراً فعلاً. ورأيت تلك الشلالات الغزيرة التي هي قصائده الطويلة تحجب عن العين المعاصرة ما عنده من شاعرية.

هو في قصيدته خطيب، وكان يلقي القصائد في شتى المحافل، وكان يطرب لما يراه من إعجاب الجمهور بأبياته الرنانة. وهو في قصيدته مطيل يروي أحداثاً. وهو في قصيدته صائغ يتعب في تركيب البيت، فيتعب معه البيت ويأتي معوجاً.

ما أحوج شاعراً كهذا إلى منخلي.

استندت في اختياراتاتي إلى المجموعتين اللتين أشرت إليهما سابقاً، وقد خلّتا، كِلتاهما، من الشرح، إلا من سطر في الصفحة بعد الصفحة فيه المعنى القاموسي لمفردة.

محمد مهدي الجواهري

الجواهري من النجف بالعراق، واسم الأسرة منسوب إلى كتاب «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام» الذي كتبه أحد قدامى الأجداد واسمه محمد حسن. وكانت لأسرته أواصر نسب مع أسر عريقة كثيرة في النجف والحلة. كان أبوه عبد الحسين فقيهاً وشاعراً. وأراد لولده الثاني «مهدي» أن يكون فقيهاً، وأراد الله غير ذلك.

نشأ الطفل مهدي مدلاً من أم تحنو عليه - هل تلاحظ أنني بدأت أكتب كما يكتب رقعاء منتديات النت. - لا ينقصني الآن إلا أن أقول «منذ نعومة أظفاره» حتى يكتمل الانحدار، وهل هناك أم لا تحنو على طفلها؟ - الجواهري نشأ مدلاً. أمه تحنو عليه، وأبوه يحنو عليه، والأمة التي في بيتهم، واسمها تفاحة، تحنو عليه وتقص عليه القصص. وجدته لأبيه تحنو عليه. وهذه الجدة اسمها صيته. وماتت والجواهري طفل في الخامسة، وأقيم للجدة «صيته» عزاء مهيب لم يقم من قبل لامرأة، كما يخبرنا الجواهري.

في هذا المحفل، وفي محافل تشبهه، سمع الجواهري شعر الشعراء. وكانت النجف مدينة شعر وأدب، وكانت مدينة علم. نقصد ما كان يقصده القدماء بكلمة «علم»: علوم الدين واللغة والأدب.

لم يكمل محمد مهدي - قد أضيف اسم محمد لاسمه فيما بعد - علومه الشرعية واللغوية في حوزات النجف كي يصبح فقيهاً. بل أخذ منها ما تحتاج إليه روحه الشاعرة. كان يتعلم في بيته على أبيه وأقاربه، وليس في ذهنه سوى أنه يريد أن يصبح شاعراً. ونظم باكراً، لا ندري درجة نعومة أظفاره عندما بدأ ينظم، لكنه قرزم مثلما يقرزم الشعراء ثم استوى له الشعر وهو في نحو الثامنة عشرة. وفي هذه السن الطرية شهد الجواهري ثورة العشرين في العراق ضد الحكام الجدد: الإنجليز.

كان كثيرون من أبناء النجف لا يحملون «الجنسية» العراقية. ففي العهد

العثماني حمل الكثيرون منهم الجنسية الإيرانية فراراً من الجندية. وكان الزلزال الكبير الذي حدث بانحسار الظل العثماني عن العراق والوطن العربي، وزلزال ثورة العشرين على المحتل الإنجليزي، لم يكونا كافيين للخروج من حالة انعدام الجنسية العراقية لدى الكثيرين.

ثم بدأ العهد الفيصلي مع تتويج الإنجليز فيصل بن الحسين ملكاً على العراق سنة ١٩٢١. ونالت الجواهري الشاب، وكثيرين من الشيعة في العراق، بقية باقية غير قليلة من أذى الطائفية، التي كانت لذلك الزمن في العراق مثل ألم الضرس الذي يتقح عليك نقحاً خفيفاً: لا يخفت فتستطيع له نسياناً، ولا يشتد فيجعلك تهرع إلى طيب الأسنان.

ولو صدقنا الجواهري في أن عشرة بالمئة فقط من أعضاء مجلس النواب المستحدث كانوا من الشيعة، وحتى لو كذبناه وجعلنا النسبة عشرين بالمئة، فإن مجرد هذه المعلومة تدل دلالة محملة بالمغازي على أن مئات السنين التي انصرمت على حكم العثمانيين السُّنة للعراق، بما وقع فيها من تحاكٍ وتنافس مع إيران الشيعية، تركت العراق محكوماً برجال السُّنة.

عُيِّن الجواهري مدرساً، ثم قيل له أنت لست عراقياً، فأين الجنسية؟ وفصل من التعليم، وعاد إلى التعليم. وزار إيران، حيث كان يعمل أخوه الأكبر، مرتين. وقال شيئاً في قصيدة طهرانية جعل ساطع الحصري، المسؤول عن شؤون التعليم في حكومة فيصل والكاتب القومي المشهور، يفصله، ثم تدخل وزير شيعي فأعاده. ثم استقال الجواهري.

ولما كان صاحبنا قد أصبح شاعراً له كلمة مسموعة بين الناس فقد تلافي البلاط الأمر بتعيينه في التشريفات. وفي هذه الوظيفة كان الشاب الشاعر لصيقاً بالملك فيصل يتمرغ في رعايته ويميل على جوانبه ميل الطفل على أبيه. ووصف لنا ذلك في صفحات كثيرة مدهشة: يندهش القارئ لهذا الأدب الملوكي الجرم عند ذلك الملك العربي. كان لفیصل بعض ما لأخيه الأصغر عبد الله بن الحسين ملك الأردن من دهاء، وكان له أضعاف ما لأخيه من رقة وحلم. وكان الرصافي موظف التشريفات يتمرد في شعره وينتقد، وكان الملك يتغمد كل ذلك بالنسيان، أو بعتب ناعم. كان فیصل يتذوق الشعر كأخيه عبد الله، وكان يبشر الجواهري بأنه سيكون شاعر العراق الأكبر.

واستقال الجواهري من القصر بعد ثلاث سنين، متمرداً على التشريفات

وعلى الملك فيصل، ولم يفت الملك أن يقرص أذن الشاعر الذي انصرف عن ملكه. ولم يفت الجواهري أن يمدح الملك السعودي الذي سلب الهاشميين ملكهم الحجازي نكاية بفيصل.

أصدر الجواهري بعد إذ تمرد وتحرر صحيفة «الفرات». ثم عاد إلى الوظيفة في التعليم ثم في ديوان وزارة المعارف. ومات الملك فيصل عام ١٩٣٣، وتولى الحكم ابنه غازي، فلم تكن للجواهري حظوة.

ومع انقلاب بكر صدقي، تموز/يوليو ١٩٣٦، أحس الجواهري بقرب الفرج، فأيد الانقلاب، وأصدر صحيفة باسم «الانقلاب». لا غرو، كان هذا أول الانقلابات التي زركشت سياسة العالم العربي في القرن العشرين فلم تكن كلمة «انقلاب» قد اكتسبت معناها السلبي، وكانت الحركة الدستورية العثمانية قبل نحو ثلاثين سنة قد سميت انقلاباً، وكان العرب يعدونها حركة حميدة. ثم بعد سنة وشهر اغتيل بكر صدقي فانقضى بذلك أول تموز يمر على رأس الجواهري. فجعل اسم جريدته «الرأي العام».

ومات الملك غازي في عام ١٩٣٩ بحادث سيارة، يزعم الجواهري أن السياسي الداهية نوري السعيد قد دبره، وبعد موته بأشهر قامت الحرب العالمية الثانية وعلى عرش العراق الطفل فيصل بن غازي وهو ابن خمس سنوات، وتولى الوصاية عليه خاله الأمير عبد الإله.

وفي عام ١٩٤١ انقلب على الحكومة - وكان قطباها الوصي عبد الإله، والسياسي نوري السعيد المدعوم إنجليزياً - رشيد عالي الكيلاني، فهرب «الوصي» و«السياسي» كلاهما من العراق، ولم يسع الإنجليز أن يسكتوا على الأمر لميول الانقلابي الألمانية، ففضوا على الحركة الانقلابية بعد أشهر، وعاد عبد الإله ونوري السعيد إلى بغداد. لم يؤيد الجواهري الانقلاب فسافر إلى إيران ومكث بها زمناً قصيراً.

نجدته في سنة ١٩٤٤ في سورية يشارك في إحياء الذكرى الألفية لأبي العلاء المعري. ونراه - وهو الآن رجل في أوائل الأربعين من العمر - شاعراً له صوت عالٍ في أحداث البلاد، وله صيت ذائع. قد كانت له علاقة طيبة بالشاعر الزهاوي الذي توفي قبل سنوات، وله الآن علاقة طيبة بالشاعر الرصافي الذي سيموت عام ١٩٤٥ قبيل انتهاء الحرب. ويموت الرصافي صار الجواهري «شاعر العراق الأكبر» فعلاً.

أصبح الجواهري نائباً عن كربلاء في برلمان ١٩٤٧، ووالى نشر قصائده، في العراق وخارجه. وفي العام التالي هب العراقيون في انتفاضة ضد معاهدة بورتسموث التي أراد الإنجليز بها التمسك بأكبر قدر ممكن من النفوذ في العراق، بعد أن انتصروا في الحرب العالمية الثانية انتصاراً هو أشبه شيء بالهزيمة. فبعد انتصارهم الباهظ طلب التاريخ - وأميركا - من الإنجليز أن يفككوا إمبراطوريتهم.

في هذه الانتفاضة على المعاهدة قتل الأخ الأصغر للجواهري، جعفر. فتدفق الجواهري بشعر كأنه النار. وبعد سنة أعدم الحكم عدداً من الشيوعيين، من بينهم يوسف سليمان يوسف، المعروف بفهد. ولم نجد للجواهري رثاء في الرجل. كان الجواهري يعطف على الشيوعيين، لكنه لم ينتظم حزبياً في حياته.

نجده في عام ١٩٥٠ في مصر بدعوة من طه حسين، ثم عام ١٩٥١ في لبنان يؤين عبد الحميد كرامي. وعقب انتفاضة تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٢ سجن الجواهري في معتقل أبو غريب ثم رحل إلى سورية حيث وجد الملجأ الآمن. وعاد إلى العراق عام ١٩٥٧، وفي العام التالي كان انقلاب عبد الكريم قاسم، تموز/يوليو ١٩٥٨. هذا التموز الثاني للجواهري كان الضربة القاضية للملكية في العراق. فقد اغتال الانقلابيون العائلة المالكة، وجروا جثة الوصي عبد الإله في الشوارع. وقتل، أو انتحر، نوري السعيد.

قربت حكومة قاسم الشيوعيين، وتقربت من الاتحاد السوفيتي. لكن حكم العسكر يظل حكم عسكر، وقد تحير الجواهري في قاسم فقد كان يقرب هذا الاتجاه ثم ذاك لغيرما غرض سوى أن يتخلص من خصومه.

تغنى الجواهري بعبد الكريم قاسم وحكمه. ولكنه لم يتخل عن وجدانه العروبي. كان عبد الكريم قاسم لا يرد طلباً للجواهري. ولكن شاعرنا أحس بعد قليل أنه عالق في شبكة تأييد الحكم. هذا الحكم الذي دخل في مهزلة المحاكمات الصورية حتى قبل انقلاب عبد الوهاب الشواف الفاشل. فقد عين قاسم ابن خالته «عباس المهداوي» رئيساً لمحكمة «ثورية» أخذت تهين المتهمين على شاشة التلفزيون، الذي كان دخل العراق حديثاً، قبل أن ترسل العديد منهم إلى حتفهم. واصطدم الجواهري بقاسم في أكثر من مناسبة.

انسلاً الجواهري سنة ١٩٦١ إلى بيروت ليشارك في تكريم الأخطل

الصغير، بشارة الخوري، ومضى بعدها إلى تشيكوسلوفاكيا البلد الاشتراكي ضمن «المعسكر السوفيتي».

أطبح بعبد الكريم قاسم، أوائل ١٩٦٣، وقتل قتلة شنيعة في ستوديو الإذاعة بعد محاكمة مضحكة مدتها نصف ساعة.

لكن الجواهري بقي في تشيكوسلوفاكيا سبع سنين، حتى جاء تموزه الثالث.

في ١٧ تموز/يوليو ١٩٦٨ انقلب البعثيون على الرئيس عبد الرحمن عارف الذي كان خلف أخاه عبد السلام عارف. كان انقلاباً أبيض بقيادة أحمد حسن البكر وصدام حسين، وعاد الجواهري إلى العراق ليجد التكريم والراتب التقاعدي. وهو الآن أهم شاعر عربي عمودي. فالجواهري بحكم السن والعادة لم يتمكن من السباحة في تيار شعر التفعيلة، وحافظ على طريقته.

لم تطب الإقامة للجواهري في العراق، فرحل إلى سورية عام ١٩٧٣، وعاش في كنف الرئيس حافظ الأسد بضع سنين. وظل يتنقل بين دمشق وبغداد وبراغ في تشيكوسلوفاكيا حتى سنة ١٩٨٠ عندما غادر العراق للمرة الأخيرة، وأخذ يعيش في دمشق حتى وفاته عام ١٩٩٧. وظل محتفظاً ببيته في براغ معظم هذه الفترة الأخيرة.

يصدع رأسك «أبو فرات»، وهذه كنيته وفرات هو ابنه الشيعي، على مدى ألف صفحة وهو يقص قصة السبعين ديناراً الفلانية، والمئة دينار العلانية. وهو مدرك أن طفولته الفقيرة - رغم رجحان شأن والده وأسرته في ميزان النسب - ظلت تعيش في أعماقه.

لا ألوم الأب الذي يغدق على أطفاله، ويهين نفسه في سبيل أن يجنبهم أي شعور بالعوز. فمن جاع صغيراً ظل جائعاً طول عمره حتى لو اغتنى كبيراً. وأدركها الجواهري وسجلها على نفسه وعلى عبد الكريم قاسم الذي نشأ في أحضان الحرمان.

في نفوسنا حجرات مغلقة، مفاتيحها في يد الطفولة.

عندما كنت في نحو الخامسة من العمر رماني أبواي في القسم الداخلي بمدرسة راهبات مار يوسف أسبوعين ليقتضيا شهر غسل متأخراً في مصر. قالت لنا المعلمة جانيت: انسخوا الدرس. ولم يكن عندي ورقة. فنسخت الكلمات

على نصف الصفحة في ذيل الدرس. ولم يكن نصف الصفحة فارغاً، بل كانت عليه كلمات مكتوبة بخط دقيق، هي أسئلة وتوجيهات للمعلم، إلخ. نسخت بقلم الرصاص فوق الكلمات الصغيرة المطبوعة. ووبختني المعلمة وتراقصت شامة كبيرة مخيفة في خدها أمام وجهي. والآن وبعد أكثر من نصف قرن تراني أبخل خلق الله في الورق. اطلب مني رقم هاتف، وستراني أقص لك من طرف الورقة قطعة صغيرة لا تكاد تكفي للرقم.

سقط الجواهري عندما تصالح مع الرجعية فأنشد قصيدة في تنويع فيصل الثاني، وسقط عندما التصق بعبد الكريم قاسم. لكنه عاش حياته نابذاً للطائفية باذلاً في سبيل ذلك جهده، متعاطفاً مع الفقراء كارهاً التفاوت في الرزق بين الناس، ووجد هذان الاتجاهان صدى طيباً في شعره.

كانت حياته الطويلة بكاملها المرحلة الأولى من طفولة العالم العربي. فبعد أن رمتنا الدولة العثمانية من رحمها إلى حضن الاستعمار أخذنا نتبؤل لإرادياً. وما زلنا.

إذ انغمست في تاريخ العراق في القرن العشرين كي أتمكن من فهم الجواهري وعصره عشت كوابيس الإعدامات والسحل وحكم الفرد. وصادف أن تعثرت بكتاب عن تاريخ بريطانيا، فقلت أروح عن نفسي قليلاً. وأي ترويح! قرأت كيف أعدم هنري الثامن اثنتين من زوجاته الست، وكيف ترك ثالثة تموت في سجنها. وكيف أعدمت ابنته إليزابيث الأولى «ماري ملكة الاسكوتلنديين» على الوضم.

الوضم

الوضم خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم.

جئي بالملكة ماري وصعدت إلى المنصة وهي في أتم زينتها. خلعت طيلسانها بابتسامة وهي تقول: ما تعودت أن أخلع طيلساني على مشهد من الناس. وأقعى قصابها ومساعدته على الركبتين وطلبا المغفرة، فغفرت لهما. ثم أقعت هي بركبتيها على وسادة وثيرة، ووضعت رأسها على الوضم بعد أن قالت: بين يديك أيها الرب أضع روحي. وبضربتين من البلطة قطع رأسها، وعندما رفعه الجلاد صائحاً «عاشت الملكة»، يقصد إليزابيث، سقط الرأس لأن الشعر كان مستعاراً.

وكانت حرب أهلية، وأعلنت بريطانيا الجمهورية، وأقعى تشارلز الأول على ركبتيه أمام الوجود، وكانت ضربة واحدة. ثم أعيدت الملكية بعد بضعة عقود، وعاقب تشارلز الثاني أنصار الجمهورية قديماً استطاع. وجاء جيمس الثاني وحاول أن يكون الحاكم الفرد، ولكن بريطانيا كانت قد شبت وتحول برلمانها إلى مؤسسة تعرف كيف ترعى مصالح الطبقة التي تمثلها. لا أصبحت بريطانيا ديمقراطية ولا غدت حريضة على حقوق الإنسان، لكنها تبينت الطريق إلى «حكم الطبقة» لا حكم الفرد. تخلصت من نزوات الفرد يوم عزلت جيمس الثاني عن الحكم فيما عرف بـ «الثورة المجيدة»، ١٦٨٨.

التاريخ ليس فيزياء، والمستقي العبر منه كالأعمى يدخل بيته الجديد. أدري أن الشعوب العربية تعيش طفولتها، ولا أدري كم جيلاً سيعيش ويموت قبل أن تشب.

ها هو الجواهري يمدح قاسماً ويجعله البطل و«الزعيم الأوحده» ثم بعد سنة يفر من وجهه، ثم بعد سنة يصله خبر قتله فيحمد الله ويوقد الشموع. وها هو يمدح عبد الناصر قبيل الهزيمة ويرثيه بعدها. لا نضع الشعراء على درجات، ولا نصنفهم، ولا نحكم عليهم بحصافة فكرهم الاجتماعي أو السياسي، بل بجودة شعرهم: بحرارة، وبصدق، وبما فيه من صنعة متقنة.

١ الأمنيات

النصف (١٩٢١):

جَلَبْتُ لِي الهمَّ، والهمُّ عَنَّا أَوْ مَا أَرْوَحَنِي لَوْلَا المُنَى
الأمنيات وأحلام اليقظة جلبت لي الهم، وهو عناء، وما كان أروحي، أي ما كان أكثر ارتياحي،
لولا هذه الأمنيات

إِنَّمَا أَشْكُو حَيَاةَ كُلِّهَا تَبِعَاتُ كُنْتُ عَنْهَا فِي غِنَى
عَرَّدَ الطَّيْرُ فَقَالُوا: مُسْعَدٌ رَبِّ نَوْحٍ خَالَهُ الْفِرُّ غِنَا
يظنون الطير عندما يغرد سعيداً، لكن ربَّ نوح، أنين، ظنه الفر، الغشيم الجاهل، غناء.. وكذا
الشاعر يتغنى بالشعر ولكنه متألم

وَأَنْتَنِي الغُصْنُ، وَلَوْلَا أَنَّهُ حَامِلٌ مَا لَمْ يُطَقِّهُ مَا أَنْتَنِي
ويتني الغصن فيظنونه يتمايل غنجاً.. لكنه ما انتنى إلا من ثقل الثمر الذي يحمله

٢ القنوط

النجف (١٩٢٣):

قد كنتُ أقربَ للرجَا ءِ فصِرْتُ أقربَ للقنوطِ
القنوط: اليأس

كلُّ البلادِ إلى صعو دِ والعراقُ إلى هبوطِ
يا نائماً ما نبهتُ هُ الحادثاتُ مِنَ الغَطِيطِ
الغنيط: الشخير

لم يبقَ مِن نَسَجِ الأَكْفِ - المُحَكِّماتِ سوى الخيوطِ
لم يبقَ من أمجاد الماضي، التي هي كاللبساط الذي أحكم نسجه، سوى خيوط

٣ هَذَبَه الحب

النجف (١٩٢٤):

عاطفاتُ الحبِّ ما أبدعَها مَذَبْتُ طَبْعِي وَصَفْتُ خُلُقِي
حُرَّقَ تَمَلُّاً رُوحِي رِقَّةً انا لا أنكرُ فضلَ الحُرْقِ
ثِقُ بأنَّ القلبَ لا تَشْفَلُهُ ذكرياتٌ غيرُ ذِكرَاكِ ثِقِي
لستَ تَدْرِي بالذي قاسيئُهُ كيفَ تَدْرِي طَعَمَ ما لم تَذُقِي
لم تَدْعُ مِنِّي إِلَّا رَمَقاً، وفداءً لكَ حتى رَمَقِي
رمق: بقية من حياة

أنا، ما عشتُ، على دينِ الهوى فَهَوَاكُم بَيْعَةٌ فِي عُنُقِي
بيعة: عهد ومبايعة. سودت هذه القطعة كلها لأنني كنت قرأتها في برنامج تلفزي اسمه «قال الشاعر»، ثم سمعت نفسي أقرأها من اليوتيوب بضع مرات فأخذت مكانها في أذني، كذا هو الشعر... نسجم القصيدة مراراً فنخلع عليها ما قد لا يكون لها من حلل الجمال

٤ فارس الشعر

النجف (١٩٢٤):

أنا في الشعرِ فارسٌ إنْ أَغَالَبتُ يَكُنِ الطَّبْعُ لِي مِجَنًّا وَتُرْسًا
أغالب: أبارى، الطبع: القريحة الطبيعية، والشاعر المطبوع هو الذي يقول الشعر منطلقاً من طبع، وليس بعد طول فكر وصناعة، المجن: الترس

وَإِذَا مَا ارْتَمَتْ عَلَيَّ الْقَوَافِي نِلْتُ مُخْتَارَهَا وَعِفْتُ الْأَخْسَا

إذا رمت القوافي نفسها علي اخترت أحسنها وعفت وكهرت الخسيس منها

إِنْ أَكُنْ أَصْغَرَ الْمُجِيدِينَ سِنًا فَأَنَا أَكْبَرُ الْمُجِيدِينَ نَفْسًا

النفس الكبيرة: الشخصية الواثقة الشامخة

طَبَّقْتُ شُهْرَتِي الْبِلَادَ وَمَا جَا وَزَّ عُمْرِي عَشْرًا وَسَبْعًا وَخَمْسًا

الجواهري من مواليد ١٩٠٢، وفي الأمر خلاف شديد اقتضى من علي جواد الطاهر صفحات كثيرة .. ضاعت سدى

٥ عَزَّ الْمُرْتَقَى

النجف (١٩٢٤):

وَطَنِي، وَمَنْ لَكَ أَنْ تَعُودَ فَتَرْتَقِي؟ مِنْ بَعْدِ مَا أَعْيَا وَعَزَّ الْمُرْتَقَى

كيف لك يا وطني أن تعود للصعود، بعد أن أعيا، صُعبَ، المرتقى، طريق الصعود، وصار عزيزاً، صعباً

لَوْ يَعْلَمُ الشَّجَرُ الَّذِي أَنْبَتْهُ مَا حَلَّ فَيْكَ مِنَ الْأَذَى مَا أَوْزَقَا

٦ السهر اللذيذ

إيران (١٩٢٦):

كَمْ أَرَى مُنْتَظِرًا وَغَدُكُمُ ثَقُلَ الْوَعْدُ عَلَى الْمُنْتَظِرِ

قَدْ سَهَرْنَا فَوَجَدْنَا أَنَّهُ فَوْقَ طَعْمِ النَّوْمِ طَعْمُ السَّهْرِ

وجدنا السهر في حبكم لذ من النوم

٧ نظرية

(١٩٢٦):

سَحَرْتُنَا ظَوَاهِرُ الْأَمْرِ حَتَّى أَوْهَمْتُنَا أَنَّ الْبِلَادَ قَوِيَّةٌ

نَتَعَنَّى، وَعَصَرْنَا مِنْ نُحَاسٍ، بِأَغَانِي عُصُورِنَا الذَّهَبِيَّةِ

كُلُّنَا بِالَّذِي تَمَنَّى سَعِيدٌ لَا نُبَالِي أَنَّ الْبِلَادَ شَقِيَّةٌ

كَثُرَ الْمُدَّعَوْنَ، لَمَّا اخْتَلَفْنَا فِي الْبَدِيهِيِّ، فِكْرَةَ فَلَسْفِيَّةِ

عندما نختلف في موضوع بديهي يأتي الأدباء والنقاد بفكرة يدعون أنها فلسفية

لو يقول الأديب في الشرق «إن الـ أرضَ تحتي»، لَسُمِّيتَ نظريَّة

٨ القصائد الشاربة الأكلة

بغداد (١٩٢٧):

أَيَدْرِي مَنْ يُرَدِّدُهَا حِسَاناً خَلَاءَ مِنْ زِحَافٍ أَوْ سِنَادٍ ..

هل علم من يردد أشعاري الخالية من المشكلات العروضية كالزحاف والسناد ..

بِأَنَّ الشَّعَرَ تَشْرَبُ مِنْ عُيُونِي قَوَافِيهِ، وَتَأْكُلُ مِنْ فَوَادِي؟

هل يعلم أن قوافي الشعر ترهقني كأنها تشرب الماء من عيوني، وتأكل من قلبي؟ فالشعر ينطلق من أعماق وجداني

٩ حبس الغيث

بغداد (١٩٢٨):

سَكْتُ حَتَّى شَكَنْتَنِي غُرُّ أَشْعَارِي وَالْيَوْمَ أَنْطِقُ حُرّاً غَيْرَ مِهْذَارٍ

ثُرِّيَا شَعُورٌ عَلَى ضَمِيمٍ تُكَابِدُهُ أَوْ لَا، فَلَسْتُ عَلَى شَيْءٍ بِثَوَارٍ

ثر يا شعور على ظلم تعانيه، وإن لم تفعل فلست ثائراً على شيء

لَوْ فِي يَدَيَّ، لَحَبَسْتُ الْغَيْثَ عَنْ وَطْنٍ مُسْتَسْلِمٍ، وَقَطَعْتُ السَّلْسَلَ الْجَارِي

السلسل الجاري: الماء المتفرق كأنه، وهو يجري، سلسلة من حلقات. وفي العراق سلسلان جاريان: دجلة والفرات

الْعَذْرُ يَا وَطْناً أَغْلَيْتُ قَيْمَتَهُ عَنْ أَنْ يُرَى سِلْعَةً لِلْبَائِعِ الشَّارِي

العذرة: أطلب المعذرة

وَكَيْفَ يُسْمَعُ صَوْتُ الْحَقِّ فِي بَلَدٍ لِلْإِفْكِ وَالزُّورِ فِيهِ أَلْفُ مِزْمَارٍ؟

الإفك والزور: الكذب والافتراء.. ففي البلد كثيرون ممن يزمرون للكاذبين ويمجدونهم. تسويد عمران القفيني

مَاذَا السُّكُونُ؟ أَلَا تَهْتَاجُ نَحْوَتُكُمْ أَنَّ الْعُرُوبَةَ قَدْ حُقَّتْ بِأَخْطَارٍ؟

ما ذا: أي ما هذا

١٠ الإنجليز يقتلون شابين

بغداد (١٩٢٨):

مَشَى نَعَشٌ يَجْرُ وَرَأَهُ نَعَشاً سَحَابٌ مُقْلِعٌ قَفَى سَحَاباً

النعر ياتي بعده نعرن والمشيرون كالسحاب المقلع، المنكشف الزائل، الذي يقني سحاباً زال قبله . يصور جمهورين كبيرين يشيعان نعرين واحداً بعد الآخر

سِيعِلْمُ مَنْ يَخَالُ الْجَوَّ صَفْواً بِأَنَّ الْجَوَّ مَمْلُوءٌ ضَبَاباً
وَمَنْ ظَنَّ الْمَجَالِسَ عَامِرَاتٍ بِمَدْحٍ، أَنَّهَا شُجِنَتْ سَبَاباً
وَلَوْ عَرَفْتُ بِلَادِي مَا أَرَادْتُ بِهَا النُّوَابُ لَمْ تُرِدْ انْتِخَاباً
وَقَدْ تَخِذُوا لُحُومَ بَنِيهِ زَاداً وَقَدْ لَبِسُوا جُلُودَهُمْ ثِيَاباً
فِيَا وَطَنِي مِنَ النُّكَبَاتِ فَأَمِنْ فَقَدْ وَقَّتَكَ حَظُّكَ وَالنُّصَاباً
بهذا: أنت يا وطني آمن من حلول المصائب بك لأنك أخذت منها النصاب، أي النصيب، الوافي

١١ أزماة وصدمات

بغداد (١٩٢٩):

سَتَبْقَى طَوِيلاً هَذِهِ الْأَزْمَاتُ إِذَا لَمْ تُقْصِرْ عُمَرَهَا الصَّدَمَاتُ
مَشَتْ كُلُّ جَارَاتِ الْعِرَاقِ طَمُوحَةً سِرَاعاً، وَقَامَتْ دُونَهُ الْعَقَبَاتُ

الدول المجاورة تقدمت، والعراق بينه وبين التقدم عقبات، صعاب

وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّ الَّذِينَ تَكَفَّلُوا بِإِنْقَاذِ أَهْلِيهِ هُمُ الْعَثَرَاتُ
مَنْ تَكَفَّلُوا بِإِنْقَاذِ أَهْلِ الْعِرَاقِ هُمْ أَنْفُسُهُمُ الْعَثَرَاتُ، الْعَقَبَاتُ الْمَعِيقَاتُ

غَدًا يُمْنَعُ الْفَتِيَانُ أَنْ يَتَعَلَّمُوا كَمَا الْيَوْمَ، ظُلُمًا، تُمْنَعُ الْفَتِيَاثُ
أَقُولُ لِقَوْمٍ يَحْمَدُونَ أَنَاثَهُمْ وَمَا حُمِدَتْ فِي الْوَاجِبَاتِ أَنَاةُ
الأناة: التروي والبطء

بِأَسْرَعٍ مِنْ هَذِي الْخُطَى تُدْرِكُ الْمُنَى، بِطَاءٍ لَعَمْرِي مِنْكُمْ الْخُطَوَاتُ
تحقيق الأمانني إنما يتم بخطى أسرع من خطاكم البطيئة

١٢ الأمم تتعثر وتقوم.. وتندثر أيضاً

بغداد (١٩٢٩):

هَلْ أَنْقَذَ الشَّامَ كُتَّابٌ بِمَا كَتَبُوا أَوْ شَاعِرٌ صَانٌ بِبَغْدَادٍ بِمَا نَظَّمَا؟
يَا أُمَّةَ غَرَّهَا الْإِقْبَالُ نَاسِيَةً أَنَّ الزَّمَانَ طَوَى مِنْ قَبْلِهَا أُمَمًا
غرّ الأمة الإقبال، الازدهار، ونسيت أن الزمن طوى، أبداً، أمماً في السابق

سُئِلَ حَقُّونَ فِلَسْطِينَا بِأَنْدَلُسٍ وَيَعْطِفُونَ عَلَيْهَا الْبَيْتَ وَالْحَرَمَا
وَيَسْأَلُونَكَ بِغَدَادٍ وَجَلَقَةً وَيَتْرَكُونَكَ لَا لَحْمًا وَلَا وَضْمًا
سيسلبونك أيتها الأمة بغداد وجلقة، دمشق، ويتركونك وليس بك لحم ولا وضم، والوضم هو
الخشبنة التي يقطع عليها القصاب اللحم. . ولم ترض القافية هنا بكلمة عظم فجاء الشاعر بكلمة
رضيت عنها القافية ولم يرض المعنى

يَا أُمَّةً لِنُحْصُومِ ضِدِّهَا اخْتَكَمْتُ كَيْفَ ارْتَضَيْتِ خَصِيمًا ظَالِمًا حَكَمًا
سَلِّيِ الْحَوَادِثُ وَالتَّارِيخُ هَلْ عَرَفَا حَقًّا وَرَأْيًا بِغَيْرِ الْقُوَّةِ احْتَرِمَا

١٣ ضد الغالبية

أَنَا ضِدُّ الْجُمْهُورِ فِي الْعَبَثِ وَالتَّف كَبِيرٌ طُرًّا وَضِدُّهُ فِي الدِّينِ
الجمهور: الغالبية

كُلُّ مَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ مُتَعٍ الْعَيْشِ شِ وَمِنْ لَذَّةٍ بِهَا يَزْدَهِيَنِي
يزدهيني: يفرحني

ابْنِمِي لِي تَبَسُّمَ حَيَاتِي، وَإِنْ كَا نَتَّ حَيَاةً مَلِيئَةً بِالشُّجُونِ
أيتها الحبيبة ابسمي لي فحياتي مملوءة بالشجون، الهموم
أَنْصِفْنِي تَكْفِيرِي عَنْ ذُنُوبِ النَّاسِ طُرًّا، فَإِنَّهُمْ ظَلَمُونِي
طُرًّا: جميعاً

مَتَّعْنِي قَبْلَ الْمَمَاتِ، فَمَا يُدُّ رِيكَ مَا بَعْدَهُ وَمَا يُذَرِّبُنِي
فَسَتُغْرِينَ بِالمَحَاسِنِ رِضْوَا نَأً قَبْلَقِيكَ بَيْنَ حُورٍ وَعَيْنِ
بعد الموت ستذهين ليوم الحساب وستقومين بإغراء رضوان حارس الجنة فيجعلك ضمن الحور العين

وَأَنَا فِي جَهَنَّمَ مَعَ أَشْيَا خَ غَوَاةٍ بِغَيْبِهِمْ غَمَرُونِي
عَنْ بَسَارِي أَعْمَى الْمَعْرَةِ وَالشَّيْءِ خُ الزَّهَاوِيُّ مُقْعَدًا عَنْ يَمِينِي
يحشر الجواهري نفسه، محقاً، مع اثنين من كبار الشاكرين في تاريخ شعرنا العربي: الزهراوي،
والمعري. . وزاد فجعل الزهراوي مقعداً حتى لا يكون المعري الوحيد صاحب العاهة

١٤ الشريف حسين

بغداد (١٩٢٩):

سَلَامٌ عَلَى شَيْخِ الْجَزِيرَةِ كُلِّهَا سَلَامٌ عَلَى تَارِيخِهِ الْمُتَأَلَّقِ

الشریف حسین کان شریف مکة، وجعله شیخ الجزيرة العربية كلها . . وفي هذا تعريض بحكام نجد
السعودیین الذین أخذوا الحجاز من الحسین

أبا فیصل بعض التَّعَزِّي فَكَمْ رَمَتْ شَهَامَةٌ قَوْمٍ شَمَلَهُمْ بِالتَّفَرُّقِ
كثیراً ما شتت الشهامة شمل القوم وفرقتهم . . والحسین تفرق بنوه فمنهم من ملَّك الأردن ومنهم
من ملَّك العراق، وهو نفسه ذهب إلى قبرص منفياً عن الحجاز سنة ١٩٢٥

ولي فيك قبل اليومِ غُرٌّ قَصَائِدٍ كفاها سُمُوًّا أَنَّهَا بَعْضُ مَنْطِقِي
يكفي قصائدي فيك علواً أنها من شعري أنا

مِنْ اللَّاءِ غَذَاهَا جَرِيرٌ بِرُوحِهِ وَلَا يَمَّ شَطْرُهَا نَسِيجُ الْفَرَزْدَقِ
ومن قبل كانوا إن أرادوا انتِقَاصَةً مِنَ الشَّعْرِ قالوا عنه لم يَتَعَرَّقِ

كانوا ينتقصون من شعر الشاعر إذا لم يكن زار العراق وأقام بها «فتعرق» شعره

فإن لا تَبْذُ الْمُفْلِقِينَ فَإِنَّهَا يُقْصَرُ عَنْهَا شَاعِرٌ غَيْرُ مُفْلِقٍ
إن لم تَبْذُ، أي تَفُقْ، هذه القصيدة الشعراء المفلقين، الفحول، فإنها لا تصدر عن شاعر غير فحل

سَهَرْتُ لَهَا اللَّيْلَ التَّمَامَ أَجِيدُهَا أَغْوَصُ عَلَى غُرِّ الْمَعَانِي، وَأَنْتَقِي
الليل التمام: أطول ليلة في السنة

فَمَنْ يَتَنَكَّرُ مِنْ هُمومٍ فَإِنِّي لَا تُنْكِرُ أَنْ أَعْتَادَ غَيْرَ التَّحَرُّقِ
من يتنكر من الهموم، يعتبر حضورها في نفسه شيئاً منكراً رديئاً، فانا أستغرب أن أعود شيئاً سوى
التحرق والتوهج

وَأُنْكِرُ نَفْسِي أَنْ تُرَى فِي انْبِسَاطَةٍ وَأُنْكِرُ صَدْرِي أَنْ يُرَى غَيْرَ ضَيْقٍ
أَخِيفُ إِلَى الْمَرَاةِ كُلَّ صَبِيحَةٍ أَرَى هَلْ أَشَابَ الْهَمُّ بِالْأَمْسِ مَفْرِقِي
أخف، أسرع، إلى المرأة، صباحاً لأرى هل جعل الهم مفروق رأسي يشيب مما عانته ليلاً من هموم

١٥ جنس الشعراء

بغداد (١٩٣١):

غريبٌ عَالَمُ الشعراءِ تَقْسُو ظُرُوفُهُمْ، وَأَلْسُنُهُمْ تَرِقُ
كبعضِ الناسِ هُمْ، فإذا اسْتَشِيرُوا فَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّاسِ فَرْقٌ

١٦ علي وعمر

قال الجواهري محياً بعثة الجامعة المصرية إلى العراق، بغداد (١٩٣١):

إِنَّ السِّيَاسَةَ لَمْ تُبَقِّ- عَلَى الْبِلَادِ وَلَمْ تَذَرِ
وَبِرْغَمِ مَا فِي الرَّافِدَيْنِ- مِنْ الْمَصَائِبِ وَالْغَيْرِ
الغیر: المصائب

وَبِرْغَمِ أَنَا قَدْ تَزَعَّ- سَمَ عِنْدَنَا حَتَّى الْبَقَرِ
فَهُنَا شَبَابٌ نَاهِضُو- نَ عُقُوقَهُمْ إِحْدَى الْكُبَرِ
عقوقنا نحن للشباب وتخلينا عنهم إحدى الكبر، الآثام

تَمْشِي عَلَى نُورِ الثَّقَا- قَةِ مَشْيِي مُوْتَوِي الظَّفَرِ
تمشي الشباب على نور الثقافة بثقة بالظفر، الفوز. لم تقعد كلمة «واثق» في صندوق الوزن فأقعد
الشاعر موثقاً... وصلت الفكرة

فِيهَا الشَّجَاعَةُ مِنْ عَلَيٍّ- وَالسِّيَاسَةُ مِنْ عُمَرَ
شَوْقِي يَعِيشُ كَمَا يَلِي- قُ بِمَنْ تَفَكَّرَ أَوْ شَعَرَ
يعيش أحمد شوقي عيشة منعمة تليق بالمفكر وبالشاعر

وَتَحُوطُ إِبْرَاهِيمَ عَا- طِفَّةُ الْأَمِيرِ مِنَ الصُّغَرِ
وحافظ إبراهيم تحوطه رعاية أمير الشعراء شوقي من وقت أن كانا صغيرين... ليس كذلك
بالضبط... فقد كان بينهما دائماً تنافس، وانتقد حافظ شوقي في كتابه «اليالي سطيح»، ثم صار
صديقين ودودين في آخر عشرين سنة من حياتهما، وسيموتان كلاهما بعد سنة واحدة من قصيدة
الجواهري هذه

أَمَّا هُنَا فَالشَّعْرُ شِيءٌ- لِّلْتَمَلُّحِ يُدْخِرُ
أما في العراق فالشعر يدخر ويخبأ للتملح، للتسليّة

١٧ الطموح

بغداد (١٩٣١):

مَضَتْ حِجَجٌ عَشْرٌ وَنَفْسِي كَأَنَّهَا- مِنْ الْغَيْظِ سَيْلٌ سُدَّ فِي وَجْهِهِ الْمَجْرَى
حجج: سنوات

خَبِرْتُ بِهَا مَا لَوْ تَحَلَّلْتُ بَعْدَهُ- لَمَا اَزْدَدْتُ عِلْماً بِالْحَيَاةِ وَلَا خُبْرًا

وَأَبْصَرْتُ مَا أَهْوَى عَلَى مِثْلِهِ الْعَمَى وَأَسْمِعْتُ مَا أَهْوَى عَلَى سَمْعِهِ الْوَقْرَا
أَبْصَرْتُ أَشْيَاءَ كُنْتُ أَحِبُّ لَوْ عَمِيتَ فَلَمْ أَرَهَا، وَأَسْمَعُنِي النَّاسُ أَشْيَاءَ كَانَ الْوَقْرُ، ضَعْفُ السَّمْعِ،
أَحِبُّ إِلَيَّ مِنْ سَمَاعِهَا

وَلَيْسَ بِحُرٍّ مَنْ إِذَا رَامَ غَايَةً تَخَوَّفَ أَنْ تَزِمَنِي بِهِ مَسْلَكَاً وَغَرَا
رام غاية: سعى نحو هدف

وَمَا أَنْتَ بِالْمُعْطِيِ التَّمَرُّدَ حَقَّهُ إِذَا كُنْتَ تَخْشَى أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَغْرَى
مَشَى الدَّهْرُ نَحْوِي مُسْتَتِيراً خُطُوبُهُ كَأَنِّي بِعَيْنِ الدَّهْرِ قَبِصْرُ أَوْ كِسْرَى
وَقَدْ كَانَ يَكْفِي وَاحِدٌ مِنْ صُرُوفِهِ لَقَدْ أَسْرَقْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ زُمْراً تَتْرَى
من صروفه: من مصائب الدهر، تترى: متواترة متتابعة

وَمَا كَانَ ذَنْبِي عِنْدَهُ غَيْرَ أَتْنِي إِذَا مَسَّنِي بِالْخَيْرِ لَمْ أَطْلِ الشُّكْرَا
طُمُوحٌ يُرِينِي كُلَّ شَيْءٍ أَنَالُهُ وَإِنْ جَلَّ قَدْرًا، دُونَ مَا أَبْتَغِي قَدْرَا
حُبِيتُ بِنُدْمَانٍ وَخَمَرٍ فَمَا ظَنَنِي بِأَنِّي لَا مُلْكَاً حُبِيتُ وَلَا قَصْرَا
حُيت: أُعْطِيتُ

وَلَوْ بِهِمَا مُتَّمْتُ مَا زِلْتُ سَاخِطاً عَلَى الدَّهْرِ، إِذْ لَمْ يَخْبُنِي حَاجَةً أُخْرَى
وَجُوزِيْتُ شَرّاً عَنْ طُمُوحِي، فَهَا أَنَا بِرَغَمِي لَا خَلّاً تَخَذْتُ وَلَا خَمْرَا
لَا حَصَلَتْ عَلَى خَمْرٍ وَلَا عَلَى خَلٍ. وَصَانَعُ النِّيْدِ إِذَا لَمْ يَحْسَنْ عَمَلَهُ تَحُولُ عَصِيرُ عَنَبِهِ إِلَى خَلٍ لَا
خَمْرَ.. وَالْخَلُّ أَقْلُ سَعِراً بكَثِيرٍ

وَإِنْ تُلْهِبِ الشُّكُوى قَوَائِي حُرْقَةً وَغِيظاً فَلِئَنِّي قَادِحٌ كَبِداً حَرَى
وَلَوْ حُمَّ لِي أَنْ أَحْكُمَ النَّاسَ سَاعَةً وَأَنْ أَتَوَلَّى فِيهِمُ النَّهْيَ وَالْأَمْرَا..
حم: قُضِيَ. كُلُّ وَاحِدٍ فِينَا يَحْلُمُ أَنْ يَتَحَكَّمَ فِي رِقَابِ النَّاسِ وَلَوْ سَاعَةً مِنَ الزَّمَنِ لِيرْفَعَ رَايَةُ
الْعَدْلِ.. هَكَذَا نَظُنُّ كُلَّنَا. وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ غَشُومٌ. فَلَوْ جَاءَتْهُ سَاعَةٌ كَهَذِهِ السَّاعَةِ لَمَا صَنَعَ إِلَّا مَا
يَصْنَعُهُ كُلُّ طَاغِيَةٍ. مُحَمَّدٌ مَهْدِي الْجَوَاهِرِي يُرِيدُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ أَنْ يَعَاقِبَ الْمُنَافِقِينَ الطَّعَانِينَ فِي
الظَّهْرِ

لَمَزَقْتُ وَجْهًا بِالْخَدِيعَةِ بِاسِماً وَلَا شَيْئَ تُغَرِّأُ بِالضَّغِينَةِ مُفْتَرَاً
لاشيت: أفيت، مفترأ: مبتسماً

وَقَطَّعْتُ كَفِّي مَنْ يَمُدُّ يَمِينَهُ يُصَافِحُنِي فِي حِينَ تَطْعُنُنِي الْيُسْرَى

١٨ النواميس المفسرة

بغداد (١٩٣١):

حُرْيَةُ الْفِكْرِ مَا زَالَتْ مُهَدَّدَةٌ فِي الرَّافِدِينَ بِهَمَّازٍ وَمَشَاءٍ
هَمَازٍ: مُغْتَابٌ، مَشَاءٌ: يَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ نَاقِلًا أَقْوَالَ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ إِفْسَادًا، وَتَمَامُ الْعِبَارَةِ الْقِرَائِيَّةُ:
مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ

وَبِالنَّوَامِيسِ مَا كَانَتْ مُفَسَّرَةً إِلَّا لِصَالِحِ هَيْئَاتٍ وَأَسْمَاءٍ
النَّوَامِيسُ: الْقَوَانِينُ، مَا كَانَتْ: لَمْ تَكُنْ. بَعْدَ سَنَيْنِ سِجَّدَ الْجَوَاهِرِيُّ نَفْسَهُ مَقْرَبًا مِنْ وَزِيرِ مَعَارِفٍ،
وَسِيطَلَبَ مِنْهُ طَلَبًا وَاحِدًا: أَنْ يَجْعَلَ وَلَدَهُ يَنْجَحُ فِي إِحْدَى السَّنَوَاتِ بِالْمَدْرَسَةِ الثَّانَوِيَّةِ بَعْدَ أَنْ
أَسْقَطَتْهُ دَرَجَاتُهُ الْمَدْرَسِيَّةُ، وَكَانَ لِلْجَوَاهِرِيِّ مَا أَرَادَ. الْمَصْدَرُ: مَذَكَرَاتُ الْجَوَاهِرِيِّ

١٩ عذبيني لو سمحت

بغداد (١٩٣٢):

لَا تَشْخِي وَلَا تَجُودِي، وَلَكِنْ أَتْرُكِيْنِي مَا بَيْنَ جَزْرِ وَمَدٍّ
ثُمَّ قُولِي هَاكَ الَّذِي تَبْتَغِيهِ ثُمَّ لَمَّا أَقُولُ: هَاتِيهِ، رُدِّي
لَوْحَةً مَا لَهَا النَّظِيرُ وَقُوفُ الْعَاشِقِ الصَّبِّ بَيْنَ أَخْذٍ وَرَدٍّ
هَذِهِ لَوْحَةٌ نَفْسِيَّةٌ لَا نَظِيرَ لَهَا: وَقُوفُ الصَّبِّ، أَيِ الْعَاشِقِ، مُحْتَارًا فِي أَمْرِ الْمَعشُوقِ

لَا لِأَجْلِي لَكِنْ لِأَجْلِ التَّلَهِّيِ بِقَوَافِي حَرَكَاتٍ بَعْضُهَا وَجَدِي
يُرِيدُهَا أَنْ تَحْرُكَ وَجَدَهُ، أَيِ غَرَامِهِ، لَيْسَ لِأَجْلِهِ بَلْ كَيْ يَتَلَهَّى، وَيَتَلَهَّى، بِالقَوَافِي أَيِ يَقُولُ شِعْرًا

٢٠ أسود وئعالب

بغداد (١٩٣٢):

وَفَاتَتْ أَنْسَاءً قُدْرَةً فَتَمَسَكْنُوا وَلَمْ يُخْلَقُوا أَسْدًا، فَعَاشُوا ثُعَالِبًا
إِلَى رُوحِ مَكْيَافِيلٍ نَفْحُ تَحِيَّةٍ وَصُوبُ غَمَامٍ يَتْرُكُ الْقَبْرَ عَاشِبًا
أَهْدِي نَفْحَ تَحِيَّةٍ، أَيِ تَحِيَّةٍ مَتَفُوحَةٍ مَعْنُوحَةٍ، إِلَى رُوحِ مَكْيَافِيلِ الْإِيطَالِيِّ صَاحِبِ كِتَابِ «الْأَمِيرِ»
الَّذِي وَصَفَ غَشَمَ الْقَوِي وَصَلَفَهُ وَدَهَاءَ الضَّعِيفِ وَمَكْرَهُ، وَأَهْدِيهِ دَعَاءَ بَصُوبِ غَمَامٍ، أَيِ بِمَطَرٍ،
يَجْعَلُ الْعُشْبَ يَنْبِتُ عَلَى جَنْبَاتِ الْقَبْرِ

أَبَانَ لَنَا وَجْهَ الْحَقِيقَةِ بَعْدَمَا أَقَامَ الْوَرَى سِتْرًا عَلَيْهَا وَحَاجِبًا
وَلَوْ رُمْتُ لِلْمَعْرُورَاتِ كَشْفًا أَرَيْتُكُمْ مِنْ النَّاسِ حَتَّى الْأَنْبِيَاءِ عَجَائِبًا

٢١ إقرار بالتفوق لشوقي

قال الجواهري ضمن رثاء أحمد شوقي، وكان رثى حافظاً قبله، بغداد (١٩٣٢):

لَقَدْ فَاتَ بِالسَّبْقِ كُلِّ الْجَيَا فِي الشَّعْرِ هَذَا الْجَوَادُ الْأَعْرَى

الجواد الأغر: الفرس الذي في جبهته غرة بيضاء

كَأَنَّ عُيُونَ الْقَوَافِي الْحَسَا مِنْ قَبْلِ كَانَتْ لَهُ تُدَخَّرُ

٢٢ تغير حُسن الجعفري

قال الجواهري وزار في سامراء أطلال «الجعفري»، قصر الخليفة المتوكل على الله:

وَالْجَعْفَرِيُّ فَلَمْ يُقَصِّرْ رَسْمُهُ الْـ بَاقِي بِرَغَمِ الدَّهْرِ عَنْ تَمَثُّلِهِ

الجعفري، قصر الخليفة العباسي جعفر المتوكل، قبل نحو ١٢٠٠ سنة، لم تقصر رسومه، أي أطلاله، في تمثيل القصر، أي إعطاء صورة عما كان عليه. . رغم مرور كل هذه السنين

بَادِي الشُّحُوبِ، تَكَادُ تَقْرَأُ لَوَعَةً لِإِنْعِيمِهِ الْمَسْلُوبِ فَوْقَ طُلُولِهِ

وَكَأَنَّمَا هُوَ لَمْ يَجِدْ عَنْ جَعْفَرٍ بَدَلًا يُسَرُّ بِهِ، وَلَا عَنْ جِيلِهِ

جعفر المتوكل الخليفة الذي بناه

وَلَقَدْ شَجَّنِي عَبْرَةٌ رَقْرَاقَةٌ حَيْرَانَةً فِي الْعَيْنِ عِنْدَ دُخُولِهِ

إِنِّي سَأَلْتُ الدَّهْرَ عَنْ تَخْطِيطِهِ عَنْ سَطْحِهِ، عَنْ عَرْضِهِ، عَنْ طُولِهِ

فَأَجَابَنِي: هَذِي الْخُرْبَةُ صَدْرُهُ وَالْبَلَقُ الْخَالِي مَجَرُّ ذُبُولِهِ

صدر القصر، واجهته، هي هذه الأطلال الخربة، ومجر ذبوله، أي بقية مرافقه، بلقع خال، أرض قاحلة

وَسَلَّ الرِّيحَ السَّافِيَاتِ فِإِنَّهَا أَذْرَى بِكُلِّ فُرُوعِهِ وَأَصُولِهِ

السافيات: التي تأتي بالتراب

وَتَعْلَمَنَّ أَنَّ الزَّمَانَ إِذَا انْتَحَى شُهِبَ السَّمَاءِ كَانَتْ مَدَاسَ خُبُولِهِ

انتحى: قصد

مَدَّتْ بَنُو الْعَبَّاسِ كَفَّ مُطَاوِلٍ فَمَشَى الزَّمَانُ لَهُمْ بِكَفِّ مَغُولِهِ

استطال بنو العباس ومدوا سلطانهم فوق الناس، فنكبهم الزمن بالمغول الذين أنهوا خلافتهم في العراق

٢٣ تقصير اللغة

بغداد (١٩٣٢):

كَمْ فِي الطَّبِيعَةِ مِنْ مَعْنَى يُضَيِّعُهُ عَلَى الْقَرَّاطِيسِ نَقْصٌ فِي التَّعَابِيرِ
القراطيس: الأوراق

حَتَّى كَأَنَّ عَيُونََ الشَّعْرِ يُعَوِّزُهَا وَصَفُ الدَّقَائِقِ مِنْ هَذِي التَّصَاوِيرِ
فَمَا تُلِمُّ بِهَا إِلَّا مُقَارَبَةً وَلَا تُحِيطُ بِهَا إِلَّا بِتَقْدِيرِ
يتألم الشاعر، وحق له، لأن الشعر واللغة عاجزان عن أداء المعاني.. هذه أبيات يقولها رجل كان
يمد يده عميقاً داخل روحه وهو يقول الشعر، ويحاول أن يمسك بأبداع سمكة ملونة.. ثم قد
تخرج يده وبها سمكة شبوط

٢٤ إذا لم تكن ذنباً..

بغداد (١٩٣٣):

دَعِ النَّبْلَ لِلْعَاجِزِ الْقُعْدُودِ وَمَا اسْتَطَعْتَ مِنْ مَغْنَمٍ فَارْزُدِ
القعدود: القاعد عن القتال، الجبان

وَلَا تُخْدَعَنَّ بِقَوْلِ الضُّعَافِ مِنَ النَّاسِ إِنَّكَ عَفَى الْيَدِ
الضعاف يمدحونك لأنك نظيف اليد.. فلا تنخدع بذلك، أنت فقط جبان لا يجرؤ على الوصول
إلى الثمار المحرمة

سَفَاسِيفُ تَضَحَكُ مِنْ أَمْرِهَا صَرَامَةٌ ذِي الْقُوَّةِ الْأَيْدِ
أقوال الناس هذه سفاسف، أي سخافات، يضحك منها الأيّد، أي القوي

فَلَا تَغْدُ طَوْعاً لَأَمْثَالِهَا مَتَى مَا تُغَرَّرُ بِهَا تَنْقَدِ
فلا تنخدع بأقوالهم، فإنك إن تغرر بها وتنخدع أصبحت مقوداً لا حراً

إِلَيْكَ النَّصِيحَةُ مِنْ مُضْطَلِّ بِنَارِ التَّجَارِبِ مُسْتَخْصِدِ
مستخصد: مجرب ناضج

رِدِّ الْعَيْشَ مُزْدَحِمَ الضَّفَقَتَيْنِ مِنَ الْغِشِّ مُلْتَحِمَ الْمَوْرِدِ
رد العيش، عليك ورود العيش، وهو كالنهر المزدحمة ضفتاه بالغش وقد التحم الناس وتكاثفوا
وتقاتلوا على الخيرات

وَكُنْ رَجُلَ السَّاعَةِ الْمُجْتَلِيِ مِنَ الْيَوْمِ مَا يُرْتَجَى فِي غَدِ
كن رجل الساعة الواقعي الذي يجتلي، أي يرى، اليوم ما يرجى حدوثه غداً.. أي أنه ذو بصيرة

إِذَا مَا مَحَضَّتْ نَفُوسَ الرِّجَالِ: مِنَ الْأَقْرَبِينَ إِلَى الْأَبْعَدِ..

محضت: محضت وفحصت بدقة

تَيَقَّنْتُ أَنَّ الَّذِي يَدْعُونُ مِنَ الْمَجْدِ لِأَنَّ لَمْ يُوَلَّدِ

المجد كما يصفونه شيء خرافي لم يوجد بعد

هُمُ النَّاسُ لَا يَفْضُلُونَ الْوُحُوشَ بِغَيْرِ التَّحِيلِ لِلْمَقْصِدِ

الناس يتميزون عن الوحوش فقط بأنهم ذوو حيلة في الوصول إلى مقاصدهم

فَلَا تَأْتِ سَاحَةٌ هَذِي الذُّنَابِ تُنَازِلُهَا بِفَمٍ أَدْرِدْ

فم أدرد: فم سقطت أسنانه

وَمَا اسْطَعْتَ فَاقْطَعْ يَدَ الْمُعْتَدِي عَلَيْهِ، وَقَبْلُ يَدِ الْمُعْتَدِي

كن ظالماً - ذلك أحسن من أن تكون مظلوماً - وشارك الظالمين في قطع يد الضعيف الذي اعتدي عليه، وقبل يد المعتدي.. يا لها من نصيحة.. لكننا رأينا كثيراً من الرجال «الناجحين» يرمون كل المبادئ في سلة المهملات حرصاً على أن يكونوا مع القوي، وعلى من يخدم مصالحهم. قال البريطاني بول ميسون، في كتاب له صدر عام ٢٠١٥: «في أغسطس ٢٠١٤، قضيت عشرة أيام في غزة، في مجتمع يتم تدميره تدميراً منتظماً بقصف طائرات بلا طيار، وبالقصف المدفعي، وبالقتل. قتل ١٥٠٠ مدني، ثلثهم أطفال. وفي فبراير ٢٠١٥ رأيت الكونغرس الأمريكي يصفق واقفاً خمساً وعشرين مرة للرجل الذي أعطى الأوامر بتلك الهجمات» اه بول ميسون

أَقُولُ لِنَفْسِي وَقَدْ عَرَبِدْتُ رِجَالًا لِغَايَاتِهَا: عَرَبِدِي

وإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُتَوَاتِي الْحَيَاةَ بِنَفْسِ الْمُخَاطِرِ تُسْتَعْبِدِي

يا نفسي إذا لم تواتي الحياة، تُقبلي عليها، بنفسية المجازف فسيكون نصيبك الاستعباد

٢٥ التجارب المؤذية

بغداد (١٩٣٤):

لَمْ يَبْقَ مَنْ يَسْتَشِيرُ الشَّعْرُ نَحْوَتَهُ وَمَنْ يُحَرِّكُهُ لُطْفُ التَّرَاكِيِبِ

تعليق عمران القفيني: (يبدو أن الشعر سيخيب ظننا - ونرجو ذلك - ويقي صامداً. في زمن الجواهري «لم يبق من يستشير الشعر نحوته»، وفي زمن المتنبي قبله بأكثر من ألف سنة كذلك تعب «بيع الشعر في سوق الكساد»، وإن قصد المتنبي شيئاً في ذلك السياق، إلا أنه كان يشكو كساد بضاعته في المحصلة)

أَعْلَى مِنَ الشَّعْرِ عِنْدَ الْقَوْمِ مَنْزِلَةٌ نَفْخُ الْبُطُونِ وَتَطْرِيزُ الْجَلَابِيبِ

أهم من الشعر عند الناس أن يأكلوا حتى الانتفاخ، وأن يلبسوا الجلابيب المطرزة

قالوا: استفدت من الأيام تجرّيةً. والموت أروح من بعض التجاربِ
قالوا لي إنك استفدت من مصائب الأيام تجارب، وأقول إن الموت أروح، أخف وقعاً، من بعض
التجارب التي يمر بها الإنسان

تُعْفِي الشَّدَائِدُ أَقْوَاماً بِلا أدبٍ وَتَبْتَلِي غَيْرَ مُحْتَاجٍ لِتَأْدِيبٍ

٢٦ الْجَلْب

بغداد (١٩٣٤):

أَلَا إِنَّ وَضَعَ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ عِنْدَنَا غَرِيبٌ، وَأَهْلُ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ أَغْرَبُ
الأمر والنهي: يقصد الحكم

تَدَاوَلَ هَذَا الْحَكَمَ نَاسٌ لَوْ أَنَّهُمْ أَرَادُوهُ طَيْفَافاً فِي مَنَامٍ لَخَيَّبُوا
تداول الحكم، وتبادله فيما بينهم، ناس غير لائقين للحكم حتى لو أنهم - في أوضاع طبيعية -
أرادوا أن يحملوا به حُلماً لما استطاعوا

وإِنَّ مِنَ الْمُسْتَحْدَثِ الْحَكَمِ عَادَةً يَرَى فُرْصَةً مِنْهُ اقْتِدَاراً فَيَضْرِبُ
إنها لعادة عند المستحدث الحكم، الجديد عليه، أن يقتصر الفرصة فيضرب بقسوة. وفي هذا
تعريض بالملك فيصل وبمن جاء معه من سورية وأصبح يتحكم في الناس بالعراق، ومن هؤلاء
ساطع الحصري المسؤول عن التعليم، وكان الجواهري ناقماً عليه

وَمَا جِئْتُ أَهْجُوهُ فَلَمْ يَبْقَ مَوْضِعٌ نَزِيَّةٌ لَهُ بِالْهَجْوِ يُؤْتَى فَيُثْلَبُ
يثلب: يذم

أَنِّي كُلُّ يَوْمٍ بِالْعِرَاقِ مُؤَمَّرٌ غَرِيبٌ بِهِ، لَا الْأُمُّ مِنْهُ وَلَا الْأَبُ
مؤمّر: صاحب أمر ونهي

أَكُلُ بَغِيضٍ يُثْقَلُ الْأَرْضَ ظِلُّهُ وَتَنَابَهُ، يُجَبِّي لِلْعِرَاقِ وَيُجَلِّبُ؟
أكل شخص بغیض، كرهه، ثقیل.. وحتى ظله على الأرض ثقیل، وترفضه الأرض يجبي، يؤتى
به، للعراق؟

٢٧ أَحَبَّ نَفْسَكَ

بغداد (١٩٣٤):

لِأُمِّ الْقَوَافِي الْوَيْلُ إِنَّ لَمْ يَقُمْ لَهَا ضَجِيجٌ، وَلَمْ تَرْتَجَّ مِنْهَا الْمَحَافِلُ
الويل للشعر إن لم يكن مؤثراً

أَرَى الْقَوْمَ مَنْ يَفْذَعُ يُقَرَّبَ إِلَيْهِمْ وَمَنْ يَجْتَنِبُ يَكْثُرُ عَلَيْهِ التَّحَامُلُ

الشاعر المقذع، الشَّام، يصبح مقرباً لتفادي ضرره، ومن يجتنب الشتم يتحاملون عليه

وَأَعْلَمُ عِلْماً يَقْطَعُ الظَّنَّ أَنَّهُ لِكُلِّ امْرِئٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ عَوَازِلُ

أعرف يقيناً أن الإنسان يجد من يعذله، يلومه، على كل شيء يأتي به. تسويد عمران القفيني

فَمَا اسْطَغَتْ فَاجِعِلْ دَابَّ نَفْسِكَ خَيْرَهَا وَلَا تُدْخِلَنَّ النَّاسَ فِيمَا تُحَاوِلُ

فَمَا الْحُرُّ إِلَّا مَنْ يُشَاوِرُ عَقْلَهُ وَأَمُّ الَّذِي يَسْتَنْصِحُ الْغَيْرَ شَاكِلُ

نَصِيحُكَ إِمَّا خَائِفٌ أَوْ مُعَرَّرٌ كَلَا الرَّجُلَيْنِ فِي الْمِلَمَاتِ خَاذِلُ

الذي تطلب نصيحته إما خائف فلا يمحضك النصح، أو مغرر، مضلل، وكلاهما يخذلك في الملمات، الصعاب الطارئة

٢٨ الحكم بالترقيع

بغداد (١٩٣٤):

هُوَ الْحُكْمُ، إِنْ حَقَّقْتَ، لُعْبَةً لَا عِبَ يُسَمُّونَ تَرْقِيعَاتِهِ بِالتَّجَارِبِ

الحكم مجرد ترقيع وإرضاء فلان على حساب فلان، ويسمون هذا الترقيع «التجارب». «هو» في أول البيت ضمير شأن كـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وقد أُولع به شعراء العراق

فَتَجْرِبَةٌ لِلْحُكْمِ خَلَقَ مُوَظَّفٍ وَتَجْرِبَةٌ لِلشَّعْبِ تَخْرِيجُ نَائِبٍ

فمن هذه «التجارب» خلق وظيفة لموظف، ومنها انتخاب الشعب نائب

وإِنَّ بِلَاداً بِالتَّجَارِبِ هُدِمَتْ وَضُيِّعَ أَهْلُهَا لِأَحَدٍ الْعَجَائِبِ

تُعْطَلُ أَرْبَابُ الْمَوَاهِبِ رَيْثَمَا يُتَمَّمُ تَخْرِيجُ الضُّعَافِ الْمَوَاهِبِ

يتم تعطيل أصحاب المواهب بحجة منح فرصة للصف الثاني... والنتيجة تخريج، وتعيين، غير الموهوبين. ومن ذلك تعيين الجواهري، وهو الشاعر الفصيح، مدرساً في مدرسة ابتدائية، وحجب المناصب اللاتقة به عنه

مِنَ الظُّلَمِ أَنْ تَأْتِيَ قَصِيدَةُ شَاعِرٍ لِتُصْلِحَ حَالاً، أَوْ مَقَالَةُ كَاتِبٍ

فَمَا دَامَ حُكْمُ لِلتَّجَارِبِ رَاهِناً فَلَيْسَ لَنَا غَيْرُ انْتِظَارِ الْعَوَاقِبِ

ما دام الحكم في بلادنا مرهوناً للتجارب فلن تنفع فيه القصائد والمقالات، بل نجلس وننتظر العواقب، النتائج

وَمَا خَيْرُ شَعْبٍ لَسْتُ تَعْتَرُّ بَيْنَهُ عَلَى قَارِيٍّ مِنْ كُلِّ أَلِفٍ وَكَاتِبٍ

وما خيرُ شعب: أي لا خير في شعب، أسلوب قديم

تَمْشَى يَجُرُّ الْفَقْرَ رِذْأً وَرَاءَهُ؛ وَأَتَعَسَ بِمَصْحُوبٍ وَأَتَعَسَ بِصَاحِبِ
مشى هذا الشعب يجر الفقر وراءه كأنه أردفه خلفه على حصان؛ وما أتعس المصحوب، هذا
الراكب، وما أتعس صاحبه الفقر

٢٩ فيضان الفرات

(١٩٣٥):

طَفَى نَضُوعٌ مِنْهُ الْحَسَنُ وَالْخَطَرُ وَفَاضَ فَالْأَرْضُ وَالْأَشْجَارُ تَنْغِمِرُ
طفى الفرات بفيضانه فتضاعف جماله وخطره معاً

وَرَاعَتِ الطَّائِرَ الظَّمْآنَ هَيْبَتُهُ فَمَرَّ وَهُوَ جَبَانٌ فَوْقَهُ حَذِرُ
الطيور خافت هيبة النهر إذ فاض

هُوَ الْفَرَاتُ وَكَمْ فِي أَمْرِهِ عَجَبٌ فِي حَالَتَيْهِ، وَكَمْ فِي آيِهِ عِبَرُ
بَيْنَا هُوَ الْبَحْرُ لَا تُسْطَاعُ غَضَبَتُهُ إِذَا اسْتَشَاطَ فَلَا يُبْقِي وَلَا يَذَرُ..
بينما الفرات كالبحر لا يطيق الناس غضبه..

إِذَا بِهِ وَاهِنُ الْمَجْرَى يُعَارِضُهُ عُودٌ، وَيَمْنَعُهُ مِنْ سَيْرِهِ حَجَرُ
إذا به بعد حين واهن المجرى، ضعيف الجريان، يعترض مجراه عود فيؤثر فيه، ويعترضه حجر
فيمنع جريانه

٣٠ الكراسي الشواغر

بغداد (١٩٣٥):

تَصَفَّحْتُ أَعْمَالَ الْوَرَى فَوَجَدْتُهَا مَخَازِي غَطَّوْهَا بِشَتَّى السَّنَائِرِ
وَحُبِّبَ تَدْلِيْسٌ، وَدُمَّتْ صَرَاخَةٌ
وَلَمْ يَبْقَ مَعْنَى لِلْمَنَاصِبِ عِنْدَنَا
نُسَنُّ ذُبُولَ لِلْقَوَانِينِ يُبْتَغَى
وَكَانَتْ طِبَاعُ الْعِشَائِرِ تُرْتَجَى
وَكَانَ لَنَا مِنْهُمْ سِلَاحٌ فَأَصْبَحُوا
وَلَا تَحْسَبَنَّ الشَّعْرَ سَهْلًا مَهْبُهُ
لا تحسب الشعر سهل الهبوب وسط هذه المساوي..

فإنَّ عَظِيماً أَن يَخْلَدَ شَاعِرٌ مَخَازِي جِيلٍ بِالقَوَافِي السَّوَائِرِ
فإن عَظِيماً، فظيماً، أن يخلد الشاعر مخازي جيله بقصائد سائرة مشهورة

سَنُضَحِكُ قُرَاءَ التَّوَارِيخِ بَعْدَنَا وَنَبْدُو لَهُمْ فِيهِنَّ إِحْدَى النُّوَادِرِ
فلو قصرنا شعرنا على التنديد بالماوئ سيزحك منا قراء التاريخ مستقبلاً، وسيتندرون بنا

٣١ دموع يزيد

بغداد (١٩٣٥):

تَوَلَّى يَزِيدُ دَفَّةَ الحُكْمِ فَانطَوَى عَلَى الجَمْرِ مَنْ قَدْ كَانَ بِالحُكْمِ أَجْدَرَا
تولى يزيد الحكم بعد أبيه معاوية فأحس الجديرون بالحكم، من نسل علي، بجمر في أحشائهم

بَنُو هَاشِمٍ رَهْطُ النَّبِيِّ وَفِيهِمْ تَرَعَرَعَ هَذَا الدِّينُ غَرَساً وَأَثْمَرَا
هؤلاء هم بنو هاشم قوم النبي الذين ترعرع فيهم الدين مغروساً وحين أثمر وانتشر

تَرَدَّى عَلَى كُرْسِيِّ رِدَاءِ خِلَافَةٍ وَلَمْ يُلْقِ عَنْهُ بَعْدُ لِلْخَمْرِ مِثْرَا
تردى، لبس، يزيد ثوب الخلافة كارهاً له.. ذلك أنه لم يخلع عنه مئزر، أي ثوب، الخمر. وكان
يزيد صاحب شعر وخمر وسماع وصيد

وَشَقَّ عَلَيْهِ أَن يُصَوِّرَ نَفْسَهُ عَلَى غَيْرِ مَا قَدْ عُوِّدَتْ أَن تُصَوِّرَا
وشق عليه، صعب عليه، أن يصور نفسه بغير صورتها، فلم يغير عاداته

وَأَن يُبْتَلَى بِالأَمْرِ وَالنَّهْيِ مُكْرَهاً وَأَن يَجْمَعَ الضُّدَّيْنِ سُكْراً وَمِنْبرَا
وصعب عليه أن يتلى بالأمر والنهي، أي بالحكم، وأن يجمع بين السكر واعتلاء المنبر لخطبة
الجمعة

عَلَى أَنَّهُ بِالرَّغْمِ مِنْ سَقَطَاتِهِ وَقَدْ جَاءَهُ نَعْيُ الحُسَيْنِ تَأْثُرَا
لكنه رغم سقطاته، عيوبه، تأثر عندما ورده خبر مقتل الحسين بن علي

أَقُولُ لِأَقْوَامٍ مَضَوْا فِي مُصَابِهِ يَسُومُونَهُ التَّحْرِيفَ حَتَّى تَغْيِرَا
أقول للشيعه الذي أخذوا يعرضون مصاب الحسين، نكبة كربلاء ومقتل الحسين، للتحريف حتى
تغيرت الرواية

دَعُوا رَوْعَةَ التَّارِيخِ تَأْخُذُ مَحَلَّهَا وَلَا تُجْهِدُوا آيَاتِهِ أَن تُحَوِّرَا
اتركوا روعة التاريخ، ذلك الفرع الذي حدث في التاريخ، تأخذ محلها التاريخي الحقيقي، ولا
تلوا أعناق الحقائق لكي تبدلوا آيات، علامات، التاريخ

٣٢ على قبر الزهاوي

بغداد (١٩٣٦):

على رَغْمِ أَنْفِ الْمَوْتِ ذِكْرَكَ خَالِدُ تَرْنُ بِسَمْعِ الدَّهْرِ مِنْكَ الْقَصَائِدُ
لَقَدْ كُنْتُ فَخْرًا لِلْعِرَاقِ وَزِينَةً تُزَانُ نَوَادِيهِ بِهَا وَالْمَعَاهِدُ
وَكُنْتُ عَلَى خِصْبِ الْعِرَاقِيِّ شَاهِدًا إِذَا أَعْوَزْتَنَا فِي التَّبَاهِي شَوَاهِدُ
ثَوَى الْيَوْمَ فِي هَذِي الْحُفَيْرَةِ عَالِمٌ بِأَسْرَارِهَا، لِلَّهِ بِالْعَقْلِ نَاشِدُ
ثوى، أقام، بهذه الحفيرة، القبر، عالم بأسرار القبر والموت، وناشد، أي ساع، لمعرفة الله بالعقل

أَقَامَ عَلَى الْعِلْمِ الصَّحِيحِ اعْتِقَادُهُ عَدُوٌّ لِأَشْبَاحِ الْخُرَافَاتِ طَارِدُ
وَكَانَ نَقِيًّا فِكْرَةً وَعَقِيدَةً عَزِيزًا عَلَيْهِ أَنْ تُسِفَّ الْعَقَائِدُ

تسف: تنحط

يُؤَكِّدُ أَنَّ الدِّينَ حُبٌّ وَرَحْمَةٌ وَعَدْلٌ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا شَكَّ وَاحِدُ
وَأَنَّ الَّذِي قَدْ سَحَّرَ الدِّينَ طَامِعًا يُتَاجَرُ بِاسْمِ اللَّهِ لِلَّهِ جَا حِدُ
جَمِيلٌ أَعَانَ الرَّافِدِينَ بِثَالِثٍ مِنَ الشُّعْرِ تَنْمِيهِ بُحُورَ رَوَافِدُ
أعان بلاد الرافدين، نهري دجلة والفرات، رافد ثالث هو الشعر... وشعره كانت ترفده بخور من الفكر والفصاحة

٣٣ التكريم الموعود

بغداد (١٩٣٦):

حِبَانِي الْعِرَاقُ السَّمُحُ أَحْسَنَ مَا حَبَا بِهِ شَاعِرًا لِلْحَقِّ وَالْخَيْرِ دَاعِيَا
رَجَاءٌ كَمَا اسْتَمْطَرْتُ فِي الصَّيْفِ مُزْنَةً وَرِزْقًا كَمَا أَسَارَتْ فِي الْكَأْسِ بَاقِيَا
منحني العراق أملاً ضعيفاً، كضعف أمل من يطلب المطر من مزنة، أي غيمة، في الصيف،
ومنحني رزقاً قليلاً كأنه ما أسارت، أي أبقيت في قعر الكأس

وَعَيْشًا إِذَا اسْتَعْرَضْتُهُ قُلْتُ عَنْده «كَفَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا»
عندما أنظر في عيشتي في العراق أردد مع المتنبي قوله... يكفيك مما بك من الضيق الذي يشبه
الداء أن تعتبر الموت جيداً لأنه يشفيك

وَوَاعَدَنِي بَعْدَ الْمَمَاتِ احْتِفَاءً يُجَوِّدُ فِيهَا الْمُنْشِدُونَ الْمَرَاثِيَا
ووعدني العراق بعد مماتي باحتفاء ينشد فيه الشعراء المراثي، فالمرء يكرم بعد موته لا في حياته

٣٤ الخرافات

بغداد (١٩٣٧):

وَرَبُّ رُؤُوسِ بَرْزَةِ عَشَّشَتْ بِهَا خُرَافَاتُ جَهْلِ فَاشْتَكَيْنَ صُدَاعَا

برزة: مشهورة

وساوسُ لو حَقَّقَتْهَا لَوَجَدَتْهَا مِنْ الْمَهْدِ كَانَتْ أَذْؤِيًّا وَضِبَاعَا
أصل هذه الوساس والخرافات التي يؤمنون بها تخويف الطفل بالذئب والضيع وهو صغير

بِهَا نَوَمْنَا الْأُمَّهَاتُ تَخَوْفَا وَمَا أَيْقَظَنَا الْحَادِثَاتُ تِبَاعَا
وَلِإِنَّ شَبَاباً يَرْقُبُ الْمَوْتَ جَائِعَا مَتَى اسْتَطَاعَ عَنْ حَوْضِ الْبِلَادِ دِفَاعَا؟
الجائع لن يستطيع الدفاع عن الوطن

يَرَى فِي الصَّنَاعَاتِ احْتِقَاراً، وَيَزْدَهِي إِذَا طَمَّأَنَ التَّوْظِيفُ مِنْهُ طَمَاعَا
يحقر الشباب المهنة، ويزدهون، يفرحون، إذا طمأن التوظيف طمعهم في نيل الرزق

وَجَدْتُ جَبَاناً مَنْ وَجَدْتُ مَهْذَباً وَجَدْتُ جَهُولاً مَنْ وَجَدْتُ شَجَاعَا
المهذب أجده جباناً، والشجاع.. اكتشفت أنه جاهل

٣٥ نِعمَ الخصم

في ذكرى ياسين الهاشمي رئيس الوزراء، بغداد (١٩٣٨):

سَايَرْتُ حُكْمَكَ نَاقِمَا لَمْ أَدْرُعْ حِزْبَا، وَلَمْ أَزَحَفْ بِظِلِّ زَعِيمِ
عشت أثناء حكمك ناقماً معارضاً، ولكنني لم أتخذ حزباً دعاً لي، ولم أناصر زعيماً أتفياً ظله

حَاشَا! وَلَمْ أَهْتِفْ لِغَيْرِكَ دَاعِيَا أَوْ أَنْ أَخْصَّ سِوَاكَ بِالتَّقْدِيمِ
لم أكن داعية لغيرك، ولم أفضل غيرك عليك.. رغم معارضي لك

لَكِنْ طُمُوحٌ لَيْسَ يُرْضِي أَهْلَهُ أَنْ تَسْتَمِرَّ سِيَاسَةُ التَّرْمِيمِ
لكن، كان عندي طموح. ولا يرضى أصحاب مثل هذا الطموح بسياسة الترميم والترقيع والترميم غير الجذرية

سَايَرْتُ حُكْمَكَ نَاقِمَا، وَوَجَدْتُنِي بِإِزَاءِ شَهْمٍ فِي الْخِصَامِ حَلِيمِ
وجدت نفسي أمام رجل حلیم وشهم مع خصومه

رَحِبٌ بِنَقْدِ خُصُومِهِ مُتَفَتِّحٌ بِالْبِشْرِ آوَنَةٌ وَبِالتَّفْهِيمِ
رحب، واسع الصدر، لنقد يوجهه الخصوم إليه، ويستميل الناس بالبشر، والبشاشة، ويفهمهم مقاصده

يُعْطِيهِمْ نِصْفًا، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ رَجُلٌ يَسُوسُ وَلَيْسَ بِالْمَعْصُومِ
يعطيهم نصفاً، يعرفهم، وهو يدرك أنه رجل سياسة وليس نبياً معصوماً

٣٦ بكاء زوجة

في رثاء زوجته أم فرات، بغداد (١٩٣٩):

خَلَعْتُ ثَوْبَ اضْطِبَارٍ كَانَ يَسْتُرُنِي وَبَانَ كِذْبُ ادَّعَائِي أَنَّنِي جَلِيدُ
تركت التظاهر بالصبر، وتبين للناس أن ادعائي بأنني جلد، صبور، ادعاء كاذب
بَكَيْتُ حَتَّى بَكَى مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُنِي وَنُحْتُ حَتَّى حَكَانِي طَائِرٌ عَرِدُ

٣٧ الطبيعة ترقص

القها في مهرجان بلبنان (١٩٣٩):

زَهْوُ حُمْرِ الْقَبَابِ فِي الْجَبَلِ الْأَخْضَرِ ضَرِي سَبِي كَزَهْوِ أَهْلِ الْقَبَابِ
إشراق القباب، الخيام، الحمر في هذه الجبال الخضراء بلبنان يسبي العقل مثل إشراق الناس هناك
وَالْكُرُومُ الْمُعَرَّشَاتُ حَبَالِي مُرْضِعَاتٍ كَرَائِمَ الْأَعْنَابِ
الكروم المعرشة، المرفوعة أغصانها فوق العرائش، حبل بالثمر.. وهي تُرضع من مائها عناقيد
العنب الكريمة، أي التي من النوع الأصيل الذي - كما سيأتيك - يصلح للخمر
حَانِيَاتٍ عَلَى الدَّوَالِي تَحْلِي - نَ عَنَاقِيدَ زِينَةٍ لِلْكَعَابِ
تحنو الكروم بأوراقها على الفصوص الدوالي، المتدلية، والمتحلية بالعناقيد التي تصلح زينة
لللكاب، للفتاة الشابة

رَافِعَاتِ الرُّؤُوسِ شُكْرًا، وَأُخْرَى سَاجِدَاتِ شُكْرًا عَلَى الْأَعْتَابِ
بعض غصون العنب رافع الرأس كأنما تشكر الله، وبعضها منبطح على الأرض ساجد شكرًا.
و«الأعتاب» تذكر المراء «بالعبات المقدسة» في النصف بلد الشاعر، وفيها سجد كثير وعبادة
سِيلَنَ فِي الْحَقْلِ مِثْلَ رُوحٍ لِحِجْسٍ وَتَمَدَّدَنَ فِيهِ كَالْأَعْصَابِ
وتصايحن: أين، أين الندامي؟ وتغامزن ثم للأكواب
تصايحت الكروم: أين الندامي ليشربوا خمري؟ وتغامزن ثم، أي هناك، للأكواب المهيأة

وَتَخَازَرْنَ وَالْمَعَاصِرَ أَبْصَا رَأً حِدَاداً مَلِيَّةً بِالسَّبَابِ
تخازرت الكروم ومعاصر الخمر، أي نظر بعضها إلى بعض بأطراف العيون.. وهي نظرات غصبي
لأن المعاصر أبطأت في استقبال العنب لعصره

نظراتٍ كانتِ خطاباً بليغاً ولدى العاصرينَ فحوى الخطابِ
أصحاب المعاصر عندهم الجواب فسرعان ما سيأشرون القطف فالمصر
كيف لا ترقص الطبيعة في أر ضي ثراها مُحَضَّبٌ بالشَّرَابِ

٣٨ المهادنة

بغداد (١٩٤٠):

أنا اليوم إذ صانعتُ أحسنَ حالةً وأحدوثاً مِنِّي كغيرِ مُصانِعِ
اليوم إذ صانعت، داريتُ وتنازلتُ، أحسنَ حالاً وأحدوثاً، سيرة، مما كنت عليه قبلك وأنا عنيد
حَبَبْتُ جُذُوءَ لا أَلْهَبَ اللَّهُ نارَها إذا كان حتماً أن تَقْضَ مَضاجِعِي
فلتنتفي وتخبُ جذوة، جمرة، عنادي، ولا أعاد الله اتقادها، إن كانت ستقضى مضاجعي،
ستقلني.. ومؤكد أنها ستقلني

بلى، وشكرتُ العُمَرَ أن مَدَّ حَبْلَهُ إلى أن حَباني مُهَلَّةُ المُتراجِعِ
وشكرت عمري لأنه طال، فمنحني بذلك مهلة للتراجع عما كنت عليه

تَمَنَيْتُ مَنْ قَاسَتْ عِناءَ مَطامِحِي تَعوِذُ لِيَتَها في رِحاءِ تَواضُعِي
تمنيت لو تعود زوجتي المتوفاة أم فرات، التي عانت من طموحاتي، حتى تجد الهناء والراحة في
ظل تواضع هذه الطموحات والتخفف منها

٣٩ شكر

إلى نوري الأورفه لي، بغداد (١٩٤١):

كَم مِن يَدٍ بِيضاءَ ضَيَّقتُ بِشُكرِها دَزَعاً، وعاشَتْ - لا تَضيقُ - يَدَاكا!
ما أكثر الأبادي البيض، المعاريف.. جمع معروف، التي لم أعرف كيف أشكرك عليها فضقت بها
دزعا؛ أدعو الله أن تعيش يداك وألا تضيق هاتان البدان

حاشاي لم أَذِلِفَ إِلَيْكَ تَزَلُّفاً كلاً، ولست تُريدُهُ حاشاكَا
حاشاي أن أكون دلفت إليك، دخلت خلصة، دخول متزلف متملق.. وحاشاك أن تريد من المرء
مثل هذا التذلل

لِلشعرِ مَنْزِلَةٌ لَدَيَّ أَجِلُّها وَأَجِلُّها - لو أَقْدِرُ - الأَفْلاكا
لكن وجدتُ الشعرَ مِهنةً عاجِزٍ إن لم يَقُمْ عَنِّي بِشُكرِ نَدَاكا
نذاك: سخاوك

٤٠ المتشاغل

لبنان (١٩٤٢):

عَجَّ الرصيفُ بأسرابِ المَها وهفا قلبي بِزُفَرَةٍ قَنَاصٍ، ولم يَصِدْ
عج، ازدحم، الرصيف بأسراب الحسان، وهفا وتطلع قلبي إليهن وزفرت زفرة صياد.. لكن لم يصد
فَمِنْ مُوَافِيَةٍ وَغَدَاً، وَرَاقِبَةٍ وعداً، وأينَ التي وَفَّتْ ولم تَعِدْ؟
فواحدة منهن تعطي وعداً، وأخرى تترقب وعداً، ولكن أين التي وفّت حتى دون أن يكون هناك وعد؟
قَالُوا تَشَاغَلَ عَنْ أَهْلِ وَعَنْ وَلَدٍ فقال نَهْدَاك: لم يَشْغَلْهُ مِنْ أَحَدٍ
سِوَى رَضِيْعِي لِبَانِ تَوَامِ حُبِّسَا رَهْنِ الْغِلَالَةِ إِشْفَاقاً مِنَ الْحَسَدِ
لم يشغلني سوى النهدين، اللذين كأنهما طفلان رضيعان محبوسان في غلالة، ثوب رقيق، كأنما
للاستار من عيون الحساد

٤١ السوفيت

قال الجواهري في معركة ستالينغراد التي صدَّ فيها السوفييت الألمان، بغداد (١٩٤٣):
أُمُّ غُورَكِي لَيْتَ عِنْدِي وَخِيَهُ لِأَوْفِي بِنْتِكَ الْيَوْمَ النَّئَاءَ
يخاطب الأم بطلّة رواية «الأم» لمكسيم غوركي الروائي الروسي، ثم السوفيتي: ليت عندي إلهام
غوركي لكي أوفي بتك، المرأة الروسية المحاربة ضد الغزو الألماني، ما تستحقه من ثناء
لَوْ يَعُودُ الْيَوْمَ حَيًّا لَرَأَى مِثْلَهَا أَلْفًا تَهْزُ الْبُلْغَاءُ
لو عاد غوركي للحياة لراى ألف امرأة مثلك تهز مشاعر البلغاء
بَلْ وَلَوْ أَنَّ غُورَكِي أُمُّهُ مِثْلُ هَٰذِي لَمْ يَبْزُ النَّبْغَاءُ
ولولا أن أم غوركي نفسه كانت مثل الأم التي كتب عنها لما بَزَّ البلغاء، تفوق عليهم
يَا تُؤْلُسْتُوِي، وَلَمْ تَذْهَبِ سُدَى ثَوْرَةُ الْفِكْرِ، وَلَا طَارَتْ هَبَاءُ
يخاطب روح الأديب الروسي تولستوي، الذي مات سنة ١٩١٠: لم تذهب سدى الثورة الفكرية
التي انبثقت عنك

يَا ثَرِيًّا وَهَبَ النَّاسَ الثَّرَاءَ قُمْ تَرَ النَّاسَ جَمِيعاً أَثْرِيَاءَ
يا تولستوي، أيها الثري الذي وهب ثروته للفلاحين، قم من قبرك لترى كيف أصبح الناس كلهم
أثرياء في ظل الحكم الشيوعي. (قد خاطب تولستوي وهو في قبره الشاعر حافظ إبراهيم في قصيدة
له «رقم ٣٩» في هذا الكتاب ضمن الفصل عن حافظ، وخاطبه في قبره أحمد شوقي في القصيدة
«رقم ١٣٤» هنا أيضاً)

فَمَ تَجِدُهُمْ مَالِكِي غَلَّتِيهِمْ مِنْ عَلَى عَهْدِكَ كَانُوا أَجْرَاءَ
هَكَذَا الْفِكْرَةُ تَزْكُو ثَمَرًا إِنَّ زَكَّتْ غَرْسًا وَإِنْ طَابَتْ نَمَاءَ

٤٢ الطحالب

بغداد (١٩٤٤):

أُمِّمْ تَجِدُهُ، وَنَلْعَبُ وَيُعَمِّدُونَ وَنَطْرَبُ

الأم الأخرى تلقى العذاب بالجهد والعمل وخوض الحروب.. ونحن نظرب، والقصيدة من بنات الحرب العالمية الثانية

وَنَعِيشُ نَحْنُ كَمَا يَمِيبُ شُ عَلَى الضَّفَافِ الطُّحْلُبُ
مَنْطَفُؤَيْنَ عَلَى الْوَجُو دِ نَعْمُومُ فِيهِ وَنَرُسُوبُ
نُوحِي التَّطْبِيرَ كَالْفُورَا بِ إِلَى النَفُوسِ وَنَنْعَبُ

التطير: التشاؤم، النعيب: صوت الغراب

وَنَبُتُ رُعباً فِي الصَّفُو فِي بِمَا نَدُسُّ وَنَكْذِبُ
نَدْعُو إِلَى الْمُسْتَعْمِرِ نَ، لِسَوْطِهِمْ نَتَجَنَّبُ

ندعو لمهادنة المستعمرين كي نتجنب سياطهم. وكان رشيد عالي الكيلاني في العراق انقلب على الحكم في أوائل الأربعينات، ولكن الإنجليز خلال الحرب العالمية الثانية قمعوا انقلابه، وتعاون عدد من الساسة في العراق مع الإنجليز لتجنب بطشهم وللانقاع بالتقرب منهم

نَهْوَى تَقَرُّبَهُمْ وَفِيهِ هِ حَتَفْنَا يَتَقَرَّبُ
إِنَّ الْعِرَاقَ بِمَا نُحَشُّ دُ ضِدَّهُ وَنُؤَلِّبُ

نؤلب: نحشد الرأي المعادي

بَيْتٌ عَلَى يَدِ أَهْلِهِ مِمَّا جَنَوْا يَتَخَرَّبُ
إِنَّ الْحَيَاةَ سَرِيعَةً وَجَرِيئَةً لَا تُغْلَبُ
وَتَدُوسُ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ عِ لِحَاقِهَا وَتُؤَدِّبُ

٤٣ المغامر المجاهر

قالها للرصافي وأجاب عنها الرصافي بقصيدة مطلعها: بَكَ الْيَوْمَ لَا بِي أَصْبَحَ الشَّعْرُ
زَاهراً/وقد كنتُ قَبْلَ الْيَوْمِ مِثْلَكَ شَاعِراً بِغَدَاد (١٩٤٤):

تَمَرَّسْتُ بِالْأُولَى فَكُنْتُ الْمَغَامِرَا وَفَكَرْتُ بِالْأُخْرَى فَكُنْتُ الْمَجَاهِرَا

الأولى: الدنيا، الأخرى: الآخرة

وَفَضَّلْتَ عَيْشاً بَيْنَ تِلْكَ وَهَذِهِ بِهَ كُنْتُ - بَلْ لَوْلَا - مَا كُنْتُ شَاعِراً

فضلت أن تعيش بين المغامرة في الحياة وبين المجاهرة برأيك في شأن الآخرة.. وبهذا كنت شاعراً ولولا تمسكك بالأمرين: المغامرة والمجاهرة لما كنت شاعراً

وَكُنْتُ جَرِيئاً حِينَ يَدْعُوكَ خَاطِرٌ مِنَ الْفِكْرِ أَنْ تَدْعُو إِلَيْكَ الْمَخَاطِرُ

كنت جريئاً حين يدعوك خاطر من خواطر الفكر لذا كأنك كنت تدعو المخاطر لتلم بك

عَلَى ثِقَةٍ أَنْ لَسْتُ فِي النَّاسِ وَاجِداً عَلَى مِثْلِهِ - إِلَّا الْقَلِيلَ - مُنَاصِراً

وكنث واثقاً أنك لن تجد مناصراً على مثله، على مثل ذلك الخاطر الفكري، إلا قليلين

وَكُنْتُ صَرِيحاً فِي حَيَاتِكَ كُلِّهَا وَكَانَ - وَمَا زَالَ - الْمُصَارِحُ نَادِراً

فإن شأبها ما لم تجد عنه ندحة شَفَعَتْ بِهِ حُكْمَ الظُّرُوفِ مُسَايِراً

إن شاب الحياة ضرورة لم تجد ندحة عنها، مخرجاً منها، فإنك تسير الناس بحكم الظروف، وليس لأنك تخلت عن فكرك. وهكذا كان الرصافي.. يهادن قليلاً ثم يعود ويطلق أفكاره الجريئة

فَقَدْ كُنْتُ عَنْ وَحْيِ الضَّرُورَةِ نَاطِقاً وَقَدْ كُنْتُ عَنْ مُحَضِّ الطَّبِيعَةِ صَادِراً

وإنني إذ ألهدي إليك تحييتي أَهْزُ بِكَ الْجِيلَ الْعَقُوقَ الْمُعَاصِرَا

أَهْزُ بِكَ الْجِيلَ الَّذِي لَا تَهْزُهُ نَوَائِغُهُ، حَتَّى تَزُورَ الْمَقَابِرَا

هذا الجيل العاق لا تهز وجدانه أفكار ومعاناة النوايع إلا بعد موتهم. ومات الرصافي بعد القصيدة بسنة على سرير معدني من الذي لا يكلف سوى دينار، بحسب تقدير الجواهري الذي زاره في آخر أيامه، وبعد موته نصبوا له تمثالاً معدنياً أيضاً ولكنه كلف آلاف الدنانير

٤٤ قف بالمعرة

ألقاها في دمشق في الاحتفالات بألفية أبي العلاء المعري (١٩٤٤):

قَفْ بِالْمَعْرَةِ وَامْسَحْ خَدَّهَا التُّرْبَا وَاسْتَوْحِ مَنْ طَوَّقَ الدُّنْيَا بِمَا وَهَبَا

قف بالمعرة، بلد أبي العلاء، وامسح بكفك خدّها المغبر، واستوح، استنزل الوحي والإلهام، من شاعرها الذي طوق عنق الدنيا بطوق متمثل في فكره وأدبه

وَاسْتَوْحِ مَنْ طَبَّبَ الدُّنْيَا بِحُكْمَتِهِ وَمَنْ عَلَى جُرْجِهَا مِنْ رُوحِهِ سَكَبَا

أَبَا الْعَلَاءِ، وَحَتَّى الْيَوْمِ مَا بَرَحَتْ صَنَاجِدُ الشَّعْرِ تُهْدِي الْمُتَرَفَ الطَّرْبَا

يا أبا العلاء ما زالت صناجة الشعر، صاجاته الإيقاعية الرنانة، كمهدّها تطرب المترف، الغني. أي أن الشعر ما زال مجرد تسلية للأغنياء الممدوحين

يَسْتَنْزِلُ الْفِكْرَ مِنْ عُليا مَنَازِلِهِ رَأْسٌ لِيَمْسَحَ مِنْ ذِي نِعْمَةٍ ذَنْبًا
ترى رأس الشاعر، أي ذهنه، ينزل بالفكر من مراتبه العليا لكي يمسح ذيل ذي النعمة، الغني،
فيمدحه تملقاً

وَزُمْرَةُ الْأَدبِ الْكَابِي بِزُمَرَتِهِ تَفَرَّقَتْ فِي ضَلَالَاتِ الْهَوَى عَصَبًا
وزمرة الأدب الكابي بزمرته، الخامد بسبب هذه الزمرة، تفرقوا عصباً، جماعات شتى، وكلهم
منشغلون بضلالات أهوائهم، مصالحهم

تَصَيِّدُ الْجَاهِ وَالْأَلْقَابَ نَاسِيَةً بِأَنَّ فِي فِكْرَةٍ قُدْسِيَّةٍ لَقْبًا
هذه الزمرة تصيد، أي تصيد، الجاه والألقاب ناسية أن الفكر بما فيه من قدسية هو خير لقب

وَأَنَّ لِلْعَبْقَرِيِّ الْفَذُّ وَاحِدَةٌ إِمَّا الْخُلُودَ وَإِمَّا الْمَالَ وَالنَّشْبَا
وناسية أن العبقرى الفذ، المتفرد، له احتمال واحد من اثنين: الخلود أو نيل النشب، المال

على الحصير، وكوز الماء يرفده وذهنه، ورفوف تحمل الكتب..
وهو جالس على حصير وليس لديه سوى كوز ماء وذهن وقاد، وحوله رفوف عليها الكتب..

أَقَامَ بِالضُّجَّةِ الدُّنْيَا وَأَقْعَدَهَا شَيْخٌ أَظَلَّ عَلَيْهَا مُشْفِقًا حَذِيبًا
.. بهذه الصفة أقام الدنيا وأقعدا هذا الشيخ، المعري، الذي نظر إلى الدنيا نظرة إشفاق
وحذب، حنان، لما يلاقيه أهلها من عناء

لَمْ يَنْسَ أَنْ تَشْمَلَ الْأَنْعَامَ رَحْمَتُهُ وَلَا الطُّيُورَ وَلَا أَفْرَاحَهَا الرُّغْبَا
لم ينس المعري أن تشمل رحمته المواشي والطيور وأفراحها الزغب، التي ما نبت من ريشها إلا
الضعيف.. وكان المعري نباتياً جارفاً

حَنَا عَلَى كُلِّ مَغْصُوبٍ فَضَمَدَهُ وَشَجَّ مَنْ كَانَ، أَيًّا كَانَ، مُغْتَصِبًا
كان يحنو على كل مظلوم فيضمد جرحه، وكان يشج، يجرح، المغتصبين أيًا كانوا بنقده لهم

سَلِّ الْمَقَادِيرَ، هَلْ مَا زَلَّتْ سَادِرَةٌ أَمْ أَنْتِ حَاجِلِي لِمَا أَرَهَقْتِهِ نَصْبًا؟
اسأل الأقدار هل ما زلت سادرة، لامبالية، أم أنت تشعرين بالخل لكثرة ما أرهقت المعري
نصباً، ما حملته من العناء؟

تَعَوَّا عَلَيْكَ، وَأَنْتِ النَّوْرُ، فَلَسَفَةٌ سَوْدَاءٌ لَا لَذَّةَ تَبْغِي وَلَا طَرِبَا
نددوا بفلسفتك لأنها سوداء لا فيها لذة ولا طرب.. لكنك كنت مستتيراً

لَا أَكْذِبَنَّكَ إِنَّ الْحُبَّ مُتَّهِمٌ بِالْجَوْرِ يَأْخُذُ مِنَّا فَوْقَ مَا وَهَبَا
الحب والعشق متهم بالجور، بالظلم، فهو يعطينا قليلاً من المتعة، ويأخذ منا الكثير من راحة البال

عَانَى لَظَى الْحُبِّ بَشَارٌ وَعُضِبَتْهُ فهل سِوَى أَنَّهُمْ كَانُوا لَهُ حَظَبَا

فبشار بن برد وصحبه ذاقوا عذاب الحب، وكانوا حظباً لئاره

هل كُنْتَ تَحُلِدُ إِذْ ذَابُوا وَإِذْ غَبَرُوا لو لم تُرَضْ مِنْ جِمَاحِ النَّفْسِ مَا صَعُبَا

فبينما أولئك الشعراء قد ذابوا وغبروا، مضوا وانتهت سيرتهم، لكنك باقي خالد لأنك رضت جماح النفس، روضت نفسك المنفلتة وضبطت شهواتك

تَأْبَى انْجِلَالاً رِسَالَاتٍ مُقَدَّسَةً جَاءَتْ تُقَوِّمُ هَذَا الْعَالَمَ الْخَرِبَا

أَجَلَلْتُ فَبِكَ مِنَ الْمِيزَاتِ خَالِدَةً: حُرِيَّةَ الْفِكْرِ، وَالْجِرْمَانَ، وَالْعُضْبَا

لِثَوْرَةِ الْفِكْرِ تَارِيخٌ يُحَدِّثُنَا بِأَنَّ أَلْفَ مَسِيحٍ دُونَهَا صُلْبَا

تاريخ ثورة الفكر يقول إن ألف مفكر صلب كالمسيح دونها، أي حماية لثورة الفكر

٤٥ ترحيب بطه حسين

وعد طه حسين بزيارة العراق، دمشق (١٩٤٤):

أُنْبِيكَ أَنَّ الرَّافِدِيَّيْنَ تَطَلَّعَتْ ضِفَافُهُمَا وَاسْتَنْهَضَ الشَّجَرُ الزَّرْعَا

تطلعت ضفاف النهرين اللذين يرفدان العراق إلى مقدمك وأخذ الشجر يطلب من الزرع أن ينهض لاستقبالك

نَمَى خَبْرٌ أَنْ سَوْفَ تَسْمَى إِلَيْهِمَا فَكَادَ إِلَيْكَ النُّخْلُ مِنْ طَرَبٍ يَسْعَى

وصل خبر أنك ستأتي فكاد النخل يمشي لاستقبالك. مجنون طه حسين! سمع بيتين كهذين في الترحيب به ثم لا يزور العراق. من يُقَلْ فيه بيتان كهذين يأت إلى العراق زحفاً على ركبتيه وراحته. قد ألقى الجواهري القصيدة في دمشق، في خضم احتفال بذكرى المعري، وردّ طه ردّاً جميلاً قائلاً إنه ينتظر أن تنهيا الأسباب. وطه حسين الذي كان في ذلك المهرجان مثل أم العروس متصدراً الندوات ويلقي خطباً كأنها مكتوبة لرئيس دولة - نقل ذلك كله لنا كتاب صدر عن مجمع دمشق - كان «اليطأ»، والأليط في لغة أهل مصر: المتكبر تكبراً أنيقاً، العارف قدر نفسه، التارك بينه وبين الآخرين مسافة محسوبة بالسنتيمتر. لكن طه أحب الجواهري وساعده ورفده، وكان طه حسين يعرف أقدار الناس؛ ويذل للأدباء من جابه، ومن مال الدولة

٤٦ يافا

(١٩٤٥):

يَافَا يَوْمَ حُطَّ بِهَا الرُّكَّابُ تَمَطَّرَ عَارِضٌ وَدَجَا سَحَابُ

يوم أنزل ركابنا في يافا، أي وصلناها، أمطر عارض، غيم، ودجا سحاب، أي عقد ظلمة في الجو

وَقَفْتُ مُوزَّعَ النِّظَرَاتِ فِيهَا لِيَطْرَفِي فِي مَغَانِيهَا انْسِيَابُ
وَمَوْجُ الْبَحْرِ يَغْسِلُ أَخْمَصِيهَا وَيَالْأَنْوَاءُ تَغْتَسِلُ الْقِيَابُ

الأنواء: الأمطار

وَبَيَّارَاتُهَا ضَرَبَتْ نِطَاقاً يُحَطِّطُهَا، كَمَا رُسِمَ الْكِتَابُ
اليارات: بساتين البرتقال، وكانت تحيط بيافا وتخطط لها حدودها، كما تكون الكتابة في صفحة الكتاب، أي المصحف، محاطة بإطار

أَقْلَنْتَنِي مِنَ الزَّوْرَاءِ رِيحٌ إِلَى يَافَا وَحَلَّقَ بِي عُقَابُ
حملتني من الزوراء، لقب بغداد، ريح، وحلق بي عقاب، العقاب من الكواسر. سافر الجواهري إلى فلسطين بالطائرة (أول مرة يفعلها، ثم إن شاعرنا وقع في حب السفر جواً) . . . وحط في مطار اللد القريب من يافا

رَكِبْنَاهُ لِيُبَلِّغَنَا سَحَاباً فَجَاوَزَهُ لِيَبْلُغَنَا السَّحَابُ
ركبنا هذا العقاب، الطائرة، ليلعب بنا السحاب، فتجاوز السحاب علواً فصار السحاب هو الذي يريد أن يصعد إلينا

أَحَقّاً بَيْنَنَا اخْتَلَفَتْ حُدُودُ؟ وَمَا اخْتَلَفَ الطَّرِيقُ وَلَا الثَّرَابُ
وَلَا افْتَرَقَتْ وُجُوهٌ عَنْ وُجُوهٍ وَلَا الضَّادُ الْفَصِيحُ وَلَا الْكِتَابُ
لَئِنْ حُمَّ الْوَدَاعُ فَضِيقْتُ ذُرْعاً بِهِ، وَاشْتَفَّ مُهْجَنِي الذَّهَابُ
حم: أزعج وحان وقضي، اشتف مهجتي: برى قلبي برياً

فَمِنْ أَهْلِي إِلَى أَهْلِي رُجُوعٌ وَعَنْ وَطَنِي إِلَى وَطَنِي إِيَابُ
وقال الجواهري من بعد: ليتني ما كنت رأيت فلسطين كي لا أتحسر على ضياعها

٤٧ تقحمت صدري

في ذكرى الحسين، بغداد (١٩٤٧):

تَقَحَّمْتُ صَدْرِي وَرَيْبُ الشُّكُوكِ بِضِجِّ جُدْرَانِهِ الْأَرْبَعِ
يخاطب الحسين: دخلت في قلبي بقوة رغم أن قلبي مملوء بالشكوك في أمر الدين

وَقَدَسْتُ ذِكْرَكَ لَمْ أَنْتَحِلْ ثِيَابَ الثَّقَاةِ وَلَمْ أَدْعِ
وقدست ذكرك، لكن دون أن ألبس لبوس الأتقياء ودون ادعاء بأنني متدين

٤٨ جراح الشهيد

ألقاما في حفل بعد سبعة أيام من مقتل أخيه الأصغر جعفر، بغداد (١٩٤٨):

أَتَفَلَّمُ أَمْ أَنْتَ لَا تَعَلَّمُ بِأَنَّ جِرَاحَ الضَّحَايَا قَمُ؟
يَصْبِيحُ عَلَى الْمُذْقِعِينَ الْجِيَاع أَرِيْقُوا دِمَاءَكُمْ تُطْعَمُوا

هذا الفم يصيح على المدقعين، الفقراء، طالباً منهم أن يثوروا لكي ينالوا رزقهم وحقهم

وَيَهْتِفُ بِالنَّفَرِ الْمُهْطِعِينَ أَهَيُّنَا لِئَامَكُمْ تُكْرَمُوا
المهطعين: الخانعين

أَتَفَلَّمُ أَنَّ جِرَاحَ الشَّهِيدِ تَظَلُّ عَنِ النَّارِ تَسْتَفْهِمُ
تَمُصُّ دَمًا لَمْ تَبْغِي دَمًا وَتَبْقَى تُلِحُّ وَتَسْتَظْعِمُ
تستظعم: تطلب الطعام.. من دم العدو

فَقُلْ لِلْمُقِيمِ عَلَى ذِلَّةٍ هَجِينًا يُسَخَّرُ أَوْ يُلْجَمُ
الهجين: غير الأصيل، يلجم: يوضع له لجام لكي يروض ويذل

تَقَحَّمْ، لُعِنْتَ، أَزِيرَ الرِّصَاصِ وَجَرَّبَ مِنَ الْحَظِّ مَا يُفْسَمُ
اقتحم الرصاص وجرب الحصول على ما قسمه الله لك من حظ

وَحُضِّهَا كَمَا خَاضَهَا الْأَسْبَقُونَ وَتَنْنِ بِمَا افْتَتَحَ الْأَقْدَمُ
تَنْ: كن ثانياً بعد آباءك الأمجاد.. أي أكمل مسيرتهم

يَقُولُونَ مَنْ هُمْ أَوْلَاءُ الرَّعَا؟ فَأَفْهِمُهُمْ بِدَمٍ مَنْ هُمْ
وَأَفْهِمُهُمْ بِدَمٍ أَنَّهُمْ عَبِيدُكَ إِنْ تَدْعُهُمْ يَخْدُمُوا
أفهم المستعمرين بأنهم، بأن المستعمرين، عبيدك

وَأَنَّكَ أَشْرَفُ مِنْ خَيْرِهِمْ وَكُغْبُكَ مِنْ خَدِّهِ أَكْرَمُ
أنت أشرف من أحسنهم، وكعبك أكرم من خد هذا الذي هو أحسنهم

أَرَى أَفْقًا يَنْجِيحُ الدَّمَاءِ تَنْوَرُ، وَاخْتَفَّتِ الْأَنْجُمُ
أرى الأفق محمراً لكن احمراره هذا من النجيع، الدم

سَتَبْقَى طَوِيلًا تُجَرُّ الدَّمَاءَ وَلَنْ يُبْرِدَ الدَّمَ إِلَّا الدَّمَ
ستواصل الدماء جر مزيد من الدماء، ولن يبرد دم شهدائنا إلا سكب دم الأعداء

وَأُخْتُ تُنَاشِدُ عَنْكَ النُّجُومَ لَعَلَّكَ مِنْ بَيْنِهَا تَنْجُمُ

تنجم: تظهر

وَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَأْتِي الصَّبَاحَ وَقَدْ كَذَّبَ الْقَبْرُ مَا تَزْعُمُ

تزعّم أختك أنك ستأتي في الصباح، ولكن قبرك يكذب زعمها

يَمِيناً لَتَنْهَشُنِي الذِّكْرِيَّاتُ عَلَيْكَ كَمَا يَنْهَشُ الْأَرْقَمُ

الأرقم: الثعبان

٤٩ ضياع فلسطين

بغداد (١٩٤٨):

فَمَا ذَهَبَتْ فِلَسْطِينَ بِسِحْرِ وَلَا كُتِبَ الْقَنَاءُ بِلا مِدَادٍ

فلسطين لم تذهب بقدرة سحرية بل بسبب عدو قوي، والقناء للشعوب والبلاد لا يكون من الطلاس بل من أسباب واضحة كأنها كتبت بالمداد، الحبر

وَلَا طَاحَ الْبِنَاءُ بِلا انْجِرَافٍ وَلَا بَنَتِ الْيَهُودُ بِلا عِمَادٍ

طاح: سقط، عماد: قوة واستعداد، وهو في الأصل عمود الخيمة

٥٠ الذوق، وقلة الذوق

بغداد (١٩٤٩):

تَعَالَيْ أَذُقْكَ فُكْلُ الثُّمَارِ تَرِفٌ، وَنُورُهَا يُقْطَفُ

يريد أن يذوق المحبوبة! فالثمار تمايل على غصونها ومصيرها أن تقطف لأكلها لا أن تبقى لتتفرج عليها

صِرَاعٌ يَطُولُ فَكَمْ تَهْدُفِينَ إِلَى الرُّوحِ مِنِّي وَكَمْ أَهْدُفُ..

صراع يطول بين الفتى والفتاة.. هو صراع الغزل والدلال.. والفتاة تهدف إلى امتلاك روح فتاها.. وهو يهدف إلى..

إِلَى الْجِسْمِ مِنِّي، وَكَمْ تَعْرِفِي مَنْ أَيْنَ الْمَحَزُّ وَكَمْ أَغْرِفُ

يهدف إلى جسمها.. وهي تعرف أين المحز، المفصل، وهو يعرف.. والبارع هو الذي «يطبق المفصل» مثلما يعرف القصاب جيداً أين مكان التقاء العظمتين فيدس سكينه في المكان الصحيح.

يقول إن العاشقين كليهما يعرفان طقوس هذه اللعبة جيداً

وَمَا بَيْنَ هَذَيْنِ يَمَشِي الزَّمَانُ وَيُقْنِي مُلُوكاً وَيَسْتَخْلِفُ

وبين هدف المرأة إلى امتلاك روح الرجل وتكوين أسرة، وهدف الرجل إلى المغامرة تنشأ الأجيال ويمشي الزمن ويخلد الجنس البشري

٥١ صبية الاستعمار

ألقاها في لبنان، في تأبين عبد الحميد كرامي (١٩٥٠):

بَاقٍ، وَأَعْمَارُ الطُّغَاةِ قِصَارُ، مِنْ سِفْرِ مَجْدِكَ، عَاطِرُ مَوَارٍ
سَيَقِي ذِكْرُ عَاطِرِ مَوَارٍ، مَتَرَقِّقٍ، مِنْ كِتَابِ مَجْدِكَ.. بَيْنَمَا أَعْمَارُ الطُّغَاةِ قَصِيرَةٌ، إِذْ لَا يَدُومُ لَهُمْ ذِكْرُ

فَإِذَا ذَكَرْتُ بِكَ الْبِلَادَ فَعَاذِرُ فَهِيَ الْحَبِيبُ لِنَفْسِكَ الْمُخْتَارُ
فَإِنْ ذَكَرْتُ فِي تَابِينِكَ أَوْضَاعَ الْبِلَادِ فَأَنْتَ تَعْذِرُنِي لِأَنَّهَا الْحَبِيبَةُ إِلَى نَفْسِكَ

عَبْدَ الْحَمِيدِ وَمَا تَزَالُ كَعَهْدِهَا شَعْبٌ يُذَلُّ، وَأُمَّةٌ تَنْهَارُ
البلاد يا عبد الحميد على حالها

تَنْهَى وَتَأْمُرُ مَا تَشَاءُ عِصَابَةٌ يَنْهَى وَيَأْمُرُ فَوْقَهَا اسْتِعْمَارُ

وقيل إن القصيدة سببت للشاعر مشكلة مع السلطات اللبنانية، فمنع من دخول لبنان مدة من الزمن، وأزال المنع ابن المؤيد «رشيد كرامي» عندما صار رئيس وزراء

٥٢ نامي

(١٩٥٠):

نَامِي جِياعِ الشَّعْبِ نَامِي حَرَسَتْكَ آلِهَةُ الطَّعَامِ

نَامِي فَإِنْ لَمْ تَشَبَّعِي مِنْ يَقْظَةٍ فَمِنْ الْمَنَامِ

نَامِي عَلَى زَبَدِ الْوَعُودِ دُيُودٌ فِي عَسَلِ الْكَلَامِ

نامي يا جموع الشعب على زبد الوعود، والزيد الرغبة، يداف، يخلط، بالكلام المعسول من الحاكمين بقرب تحقق الرخاء

نَامِي تَزُرُّكَ عَرَائِسُ الْـ أَحْلَامِ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ

تَتَنَوَّرِي قُرُصَ الرِّغْبِ فِي كَدُورَةِ الْبَدْرِ التَّمَامِ

نامي حتى تتنوري، تشاهدي، الرغيف كأنه البدر

وَتَرَيَ زَرَائِبِكَ الْفِسا حَ مُبَلَّطَاتٍ بِالرُّخَامِ

في الأحلام ترى الشعوب بيوتها - التي هي كالزرائب، بيوت الماشية - قصوراً مبلطة بالرخام

نَامِي تَصِحِّي، نِعَمَ نَوِ مُ الْمَرْءِ فِي الْكُرْبِ الْجِسَامِ

نَامِي إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ رِ وَيَوْمَ يُؤَدَّنُ بِالْقِيَامِ

النشور: البعث من القبور

نامي وسيبري في منا بك ما استطعت إلى الأمام
نامي على تلك العظا ت الغر من ذاك الإمام
نامي يساقط رزقك الـ مؤعود فوقك بانتظام
نامي فما الدنيا سوى جسر على نكد مقام
نامي على المجد القديم م وفوق كرم من عظام
النائم على كرم هو المفتخر بعظام أجداده، هو «العظامي» في مقابل «العصامي» المفتخر بما أنجز بنفسه

٥٣ العواء

بغداد (١٩٥٣):

عدا علي كما يستكلب الذئب خلق ببغداد أنماطاً أعاجيب

عدا علي: ظلمي، استكلب: توحش

يسمعون كلباً عوى خلفي وفوقهم ضوء من القمر المنبجح مسكوب

يشير إلى المثل: كلب ينبج القمر، لمن يشتمك ولا يستطيع أن يؤذيك

وقبل ألف عوى ألف فما انتقصت أبا محسد بالشتم الأعاريب

قبل ألف عام عوى ألف كلب على أبي محسد، المتنبي، ولم يتقص ذلك شيئاً من مجده

٥٤ انتظار الفرج

بغداد (١٩٥٥):

كُنَّا نقول إذا ما فاتنا سحر لا بُدَّ من سحر ثانٍ يواتينا

السحر: قيل الشروق، يواتينا: يتاح لنا

لا بُدَّ من مطلعٍ للشمس يُفرحنا ومن أصيلٍ على مهلٍ يُحيينا

واليوم نرقب في أسحارنا أجلاً تقوم من بعده عجلي نواعينا

٥٥ صنائع الاستعمار

ألقيت بدمشق في ذكرى عدنان المالكي، الضابط الذي اغتيل بتدبير نوري السعيد كما قيل، وأراد الشاعر إغاية حكام العراق بقصيدته، ومنح بعد القصيدة اللجوء السياسي في الشام (١٩٥٦):

واهزأة الأحلاف بين مسخرٍ ومسخرين، وسيدٍ وإماء

يا للسخرية لحلف يقوم بين السيد والعبد، وبين المستعير والقوم الذين تحت استعمار

يَا مَنْ رَأَى حِلْفًا عَجِيبًا أَمْرُهُ بَيْنَ الثَّرَى وَكَوَاكِبِ الْجَوَازِ
دَوَّى عَلَى الْمُسْتَعْمِرِينَ صَوَاعِقًا وَغَيَّ الشُّعُوبَ وَيَقْطَعُ الدَّهْمَاءَ
الدَّهْمَاءُ: عامة الناس.. ويستعملها الجواهري بالمعنى الإيجابي خلافاً للمألوف

وَتَكْشَفُوا غُرِيًّا عَلَى أَضْوَائِهَا مِثْلَ اللَّصُوصِ بِلَيْلَةِ قَمَرَاءِ
وَتَقَيَّحَتْ مِنْ زِمْنَةٍ فَتَعَفَّنَتْ بِصَدِيدِهَا ضَمَائِرُ الْأَجْرَاءِ
ضمائر المأجورين الذين يعملون لصالح المستعمر تقيحت من الزمنة، المرض المزمن، وتعفنت بما فيها من صديد، مِلَّةٌ وقيح

فَهُمْ كَفَاجِرَةٍ تُغْطِي جَهْدَهَا صِدْقُ الْفُجُورِ بِكَاذِبِ الْخُبْلَاءِ
السَّائِرُونَ الْقَهْقَرَى، لم يعرفوا بَيْنَ الْجِهَاتِ السَّتِّ غَيْرَ وَرَاءِ
وَهُمْ يَزُمُونَ الْحَقَائِبَ خَشِيَّةً مِنْ فَجَاءِ الْأَقْدَارِ كَالنُّزْلَاءِ
يجعلون متاعهم وأموالهم في حقائب لكي يفروا من البلد إن فاجأتهم الثورة. وكان الرصي
عبد الإله ونوري السعيد قد فرا فراراً من العراق في خضم حركة رشيد عالي الكيلاني قبل القصيدة
بخمسة عشرة سنة

٥٦ البساتيل

دمشق (١٩٥٦):

جَزَائِرُ! دَارَتْ بِمُسْتَعْمِرٍ رَحَى مَنْ يُضَرَّسُ بِهَا يَهْلَعُ
أيتها الجزائر لقد دارت على المستعمر الرحى، الطاحون، التي تجعل من يضرس بها، يطحن،
يشعر بالهلع

مَشَتْ لَكَ بَارِيسُ أُمُّ الْحَقْوِ قِ وَخَشَاءٌ يَدِبُ عَلَى أَرْبَعِ
تَهْدَمُ بَسَاتِيلَ فِي مَوْضِعٍ وَتَبْنِي بَسَاتِيلَ فِي مَوْضِعٍ
هدمت فرنسا البساتيل، رمز سطوة الملكية، بباريس؛ وبنيت بساتيل في مستعمراتها لاضطهاد
الشعوب

٥٧ بردى والنيل

في ذكرى عدنان المالكي، دمشق (١٩٥٧):

هُنَا بِجَلَقٍ عَمَلَاقٌ عَلَى بَرْدَى وَثُمَّ فِي مِصْرَ يَحْمِي النَّيْلَ جَبَّارُ
هنا في الشام وعلى ضفاف بردى يقف عملاق هو الجيش السوري الذي كان من بناته عدنان
المالكي صاحب الذكرى وثم، أي هناك، جبار يحمي النيل

اسْلَمَ جَمَالٌ لَنَا نَسْلَمَ، فَقَدْ عَرَفَتْ بِكَ الْكَرَامَةَ فِي الشَّرَّائِنِ أَمْصَارُ
جمال عبد الناصر، وكان يتم آنذاك الإعداد لوحدة مصر وسورية التي تمت وشيكاً
وانصاعَ يَبْرِي سِيوفَ الْهِنْدِ لَاهِبَةً مُهَنَّدٌ يَغْرِبِي الْحَدَّ بَتَّارُ
انصاع: انشغل

تَغْشَى الْمَشَاكِلُ مَتْنِيهِ فَيَحْسِمُهَا لَا حَيْثُ تَطْفَى وَلَكِنْ حَيْثُ يَخْتَارُ
هذا السيف العربي الذي هو عبد الناصر تغشى المشاكل متنيه، تحل المشاكل بجانيه، فيحسم
أمرها ليس بالضرورة في مكان وقوعها بل في المكان الذي يختاره هو

لَمْ يَعْرِفِ الدَّهْرُ مِثْلَ الْعَرَبِ مِنْ صُبْرٍ بِهِمْ عَلَى الضَّرِّ الْحَاحِ وَإِصْرَارُ
صبر: صابرون، وفيهم على الضر، أي رغم الضيق، إصرار

نَحْنُ الَّذِينَ أَعْرَنَّا الْكَوْنَ بِهَجَّتِهِ لَكِنَّمَا الدَّهْرُ إِقْبَالٌ وَإِذْبَارُ
شِدْنَا الْحَيَاةَ وَكُوفِئْنَا الصَّمَاتَ كَمَا شَادَ الْخَوْرَنَقَ كَيْ يَرْدَى سِيَمَارُ
شاد العرب حياة وحضارة عنت الآخرين وكوفئوا بهبوط وانحطاط دولتهم، فهم مثل «سمنار»
المهندس الذي بنى للنعمان قصر الخورنق ثم قتله النعمان

٥٨ الرتوع

إلى شكري القوّلي، رئيس سورية، دمشق (١٩٥٧):

أَنَا وَاللَّهِ رَاتِعٌ فِي ذَرَا لُظْ فَحِكَ مَا بِي إِلَى سِوَاكَ احْتِيَاجُ
يخاطب رئيس سورية شكري القوتلي، وكان الجواهري في ضيافة سورية. في ذرا: في كنف
غَيْرَ أَنِّي بِالْمَالِ أَضْوَى، وَإِنْ أَشَدَّ مَنَ غَيْرِي، إِنَّ النُّفُوسَ مِزَاجُ
بالمال أضوى، أصبح مهزولاً، وإن كان المال يجعل غيري سميناً. وكان الجواهري يتلقى المال
من الحكومة السورية والعراقية والشييكوسلوفاكية والمصرية ومن بعض أثرياء العراق.. كل هذا في
أوقات مختلفة تلقي وتفترق.. وتألفته الحكومة العراقية بعد انتفاضة تشرين بمزرعة من ثلاثة آلاف
دونم معظمها غامر، بور غير صالح للزراعة، واعتبر المنحة حقاً، لكنه سكت زمناً بعدها

٥٩ الذئب

بغداد (١٩٥٩):

مَنْ مِنْكُمْ، رَغَمَ الْحَيَاةَ وَعَبَّيْهَا لَمْ يَحْتَسِبْ لِلْمَوْتِ أَلْفَ حِسَابِ
ذُئْبٌ تَرَصَّدَنِي وَفَوْقَ نُيُوبِهِ دَمٌ إِخْوَتِي وَأَقَارِبِي وَصِحَابِي
الموت ذئب يقف لي بالمرصاد، وأنا أرى على أنيابه دم من مات من أهلي وأصحابي

٦٠ في تمجيد الحاكم

في افتتاح المستنصرية متحفاً ومزاراً (١٩٦٠):

أَعِذْ مَجْدَ بَغْدَادٍ وَمَجْدُكَ أَغْلَبُ وَجَدِّدْ لَهَا عَهْداً وَعَهْدُكَ أَطْيَبُ
تَسْرَبَ هَمْسٌ أَنْ فَقْعاً بِقَرْقَرٍ يُعِدُّ شِرَاكاً لِلْهَزَنِيرِ وَيَنْصِبُ
الفقع الفطر، والقرقر المكان المنخفض (وقع بقرقر: أي شخص نافه)، وقد بلغني أن هذا
الشخص ينصب شباكاً للأسد، والأسد هو عبد الكريم قاسم. وكان الجواهري ذا منزلة عنده.. ثم
تغير الوضع في أواخر عهده

وَأَنْ الَّذِي خَلَفَ الْحُدُودَ يَمُدُّهُ كَلِصَّ يَجُوسُ الْبَيْتَ لَيْلاً وَيَهْرُبُ
المتآمرون على حكمك تمُدُّهم بالمال جهة خارجية

أَبَا الشَّعْبِ لَا يَتَعَبُ خَوْوُنٌ مُغَايِرٌ فَخَلَقَكَ شَعْبٌ لِلْخَوْوَنِينَ مُتَعِبٌ
أبو الشعب: عبد الكريم قاسم، حاكم العراق

سَلِ الشَّعْبَ رَحْفاً تَذِرْ كَيْفَ رُحُوفُهُ وَبِذْلاً تَجِدْ أَرْوَاحَهُ كَيْفَ تُوهَبُ
سَتْهَوِي رُؤُوسٌ مَا اسْتَكَى مِنْكَ إِصْبَعٌ وَتُلَوَّى رِقَابٌ مَا التَوَى مِنْكَ مِنْكَ
وكان قاسم تعرّض لمحاولة اغتيال أصيب فيها في كتفه برصاصة

٦١ فاوست

في مهرجان الأخطل الصغير، بيروت (١٩٦١)، وقد اتخذ الجواهري المناسبة حجة
ليفر من بطش عبد الكريم قاسم

يَا مَنْ يُقَايِضُنِي صَدَى الْـ هَمَسَاتِ وَالسَّمَرِ الْمُرِيبِ
يريد أن يعقد مقايضة.. فمن ذا يمنحني السمر المريب؛ هذا سمر مريب غير بريء بل به خمر
ونساء..

وَتَسْنَابُزَ الْقُبُلَاتِ فِي نَجْوَى كَمُسْتَرْقِ الدَّبِيبِ
من ذا يعطيني تنابز، تبادل، القبلات مع نجوى، همس، كأنها ديب على أطراف الأصابع مسترق
استراقاً:..

وَيْدَا تَخَبَّطُ فِي الْهَوَى وَيَدَا تُعَايِثُ فِي الْجُيُوبِ
ومن يعطيني يد محبوب تتخبط أثناء العناق، ويد حبيب تعبت في الجيوب.. والجيب هو فتحة
العنق في القميص

يَا مَنْ يُقَايِضُنِي رَبِي عَ الْعُمَرِ ذَا الْمَرَجِ الْعَشِيبِ

من ذا يعطيني الشباب الذي هو كالربيع المعشب

بِالْمَبْقَرِيَّةِ كُلِّهَا بِخُرَافَةِ الذَّهْنِ الْخَصِيبِ

وله مقابل ذلك العبقرية الشعرية وخرافة الذهن الخصيب

شَيْطَانٌ غَوْتَةٌ! يَا رَبِي بَبَ الْمَذْرِ وَالْدَّمِ وَالْخُرُوبِ

يا شيطان غوته، يا يفستوفيليس الذي جعله غوته في ملحمة يخوض مقايضة شبيهة مع البطل فاوست (شيطان غوته عرض العلم اللامتناهي والملذات مقابل أن يملك روح البطل)

وَمُقَايِضَ السَّبْعِينَ بِالْ عَشْرِينَ عَنْ ثَمَنِ رَهِيْبِ

يا من يقايض فيعطيني سن العشرين بدل سن السبعين مقابل الثمن الرهيب

لَوْ جِئْتَنِي لَوَجَدْتَنِي مَحْضَ السَّمِيعِ الْمُسْتَجِيبِ

لَبْنَانُ يَا وَطَنِي إِذَا حُلْتُ عَنْ وَطَنِي الْحَبِيبِ

حلْتُ: أبعدْتُ عن الماء

أَبَشَارَةٌ! وَإِيَّامَا شَكَايَ أَمْرُكَ يَا حَبِيبِي

هَلْ صَاكَ سَمِعَكَ أَتَنِي مِنْ رَافِدَتِي بِلَا نَصِيبِ؟

هل وصل إلى سمعك يا بشارة الخوري أنه لا نصيب لي من الرافدين، العراق؟

٦٢ المنفي

براغ (١٩٦١):

أَنَا مِنْ تِلْكَمُ الضَّحَايَا، رَمَتْ بِي فِكْرَةٌ خُرَّةٌ وَرَاءَ الْحُدُودِ

لَمْ أَطِقْ كَثْمَهَا، وَأَعْلَمُ كُلَّ الـ عِلْمِ أَنِّي بِهَا أَحْزُ وَرِيدِي

أَنَا فِي عِزَّةٍ هُنَا، غَيْرَ أَنِّي فِي قُودَايَ بِنَزْ جُرْحِ الشَّرِيدِ

لِي عِتَابٌ عَلَى بِلَادِي شَدِيدٌ وَعَلَى الْأَقْرَبِينَ جِدُّ شَدِيدِ

يَا لِبَغْدَادَ حِينَ يَنْتَصِفُ الثَّاءُ رِيحٌ مِنْ كُلِّ نَاكِيرٍ وَجُحُودِ

٦٣ أم البساتين

قال الجواهري عام (١٩٦١) وهو لاجئ سياسي في براغ:

حَيِّتُ سَفْحَكَ عَنْ بُعْدٍ فَحَيَّيْنِي يَا دَجَلَةَ الْخَيْرِ يَا أُمَّ الْبَسَاتِينِ

يا دجلة.. يا ساقية البساتين فكانك أمها.. حيثُ سفحك، شاطئك، وأنا بعيد عنه

حَبِيتُ سَفْحَكَ ظَمَانًا أَلُوذُ بِهِ لَوَذَ الْحَمَائِمِ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ
 يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ يَا نَبْعًا أَفَارِقُهُ عَلَى الْكَرَاهَةِ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ
 إِنِّي وَرَدْتُ عَيُونَ الْمَاءِ صَافِيَةً نَبْعًا فَنَبْعًا فَمَا كَانَتْ لِتَرْوِينِي
 وَأَنْتَ يَا قَارِبًا تَلْوِي الرِّيحَ بِهِ لَيَّ النَّسَائِمِ أَطْرَافَ الْأَقَانِينِ
 تلوي الرياح القارب يميناً ويساراً كما تلوي النسائم أطراف الأفانين، الأغصان، لَبَّأُ

وَدِدْتُ ذَاكَ الشَّرَاعَ الرَّخْصَ لَوْ كَفَّنِي يُحَاكُ مِنْهُ عَدَاةَ الْبَيْنِ يَطْوِينِي
 وددت أن الشراع الرخص، الناعم، يخاط لي منه كفني عندما يغيني البين، الفراق. فالمرت أسهل
 من فراق الوطن

يَا أُمَّ بَغْدَادَ مِنْ ظَرْفٍ وَمِنْ غَنْجٍ مَشَى التَّبَعْدُ حَتَّى فِي الدَّهَاقِينِ
 من ظرفك يا أم بغداد، التي لولاها لما كانت بغداد، ومن رقتك وغنجك انتشر التبغدد،
 التمدين والركة والدلال والنعمة، حتى في الدهاقين، ملاك الأرض من العجم. وظلت كلمة البغدة
 حتى يومنا تعني الدلال والنعمة

يَا أُمَّ تِلْكَ الَّتِي مِنْ أَلْفٍ لَيْلَتَهَا لِأَنَّ يَغْبَقَ عِظْرٌ فِي التَّلَاحِينِ
 يخاطب دجلة: يا أم تلك المدينة (بغداد) التي ظل أثر قصصها المسماة «ألف ليلة وليلة» عابقاً في
 التلاحين، الغناء

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ مَا يُغْلِيكَ مِنْ حَنْقٍ يُغْلِي فُؤَادِي، وَمَا يَشْجِيكَ يَشْجِينِي
 ما يجعلك تغلين من الحنق والغضب يجعل فؤادي يغلي أيضاً

أَدْرِي بِأَنَّكَ مِنْ أَلْفٍ مَضَتْ هَدْرًا لِأَنَّ تَهْزِينَ مِنْ حُكْمِ السَّلَاطِينِ
 من ألف سنة مضت هدرًا، مهدورة لم تشهد فيها ازدهاراً، وحتى اليوم أنت تهزين من حكم
 السلاطين

تَهْزِينَ أَنْ لَمْ تَزَلْ فِي الشَّرْقِ شَارِدَةً مِنَ النَّوَائِسِ أَرْوَاحُ الْفَرَاعِينِ
 تهزين لأن الشرق يعاني من المستبدين، فكان أرواح الفراعنة ظلت شاردة من النوايس، القبور،
 ونحل في أجساد الحكام الحاليين. . وفرعون العراق وقتذاك عبد الكريم قاسم

تَهْزِينَ مِنْ خِصْبِ جَنَاتٍ مُنْتَرَةً عَلَى الصُّفَافِ وَمِنْ بُؤْسِ الْمَلَائِينِ
 تهزين من هذا التضاد بين الخصب والجنان على شاطئك وبين وجود الملايين من الفقراء

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ كَمْ مِنْ كَنْزٍ مَوْهَبَةٍ لَدَيْكَ فِي الْقُمْمِ الْمَسْحُورِ مَخْزُونِ
 ما أكثر المواهب التي كبت في العراق كأنها مخزونة في قمم مسحور، جرة النحاس التي يحبس
 فيها المارد

لَعَلَّ يَوْمًا عَصُوفًا جَارِفًا عَرِمًا آتٍ فَتَرْضِيكَ عُقْبَاهُ وَتَرْضِيَنِي

لعل هناك ثورة عارمة ستأتي ونرضى بعقبها، بتيجتها

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ إِنَّ الشَّعْرَ هَذَهْدَةٌ لِّلسَّمْعِ مَا بَيْنَ تَرْخِيمٍ وَتَنْوِينِ

هذهدة للسمع: تحريك هادئ له، كما تحرك الأم وليدها كي ينام، التوين: الغنة، الصوت الأنفي الحنون

حَتَّى الضَّفَادِعُ فِي سَفْحَيْكَ سَارِيَةٌ عَاطِيَتُهَا فَاتِنَاتِ حُبِّ مَفْتُونِ

حتى الضفادع في شاطئك أحبتها وتبادلت معها وهي سارية، ماشية ليلاً، وفاتنة، حب المفتون بها. وسبقت للجواهري أبيات جعل فيها تقيق الضفادع رسولاً بين المحبين

عَازَلْتُهِنَّ خَلِيعَاتٍ وَإِنْ لَبِسَتْ مِنَ الطَّحَالِبِ مَزْهُوُ الْفَسَاتِينِ

خليعات: عاريات.. رغم أن الضفادع تلبس لباساً معجباً من الطحالب

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ مِنْ كُلِّ الْأَلَى خَبِرُوا بَلَوَايَ لَمْ أَلْفَ حَتَّى مَنْ يُوَاسِينِي

من بين كل من عرفوا بمصيبي لم أجد من يواسيني

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ يَا مَنْ ظَلَّ طَائِفُهَا عَنْ كُلِّ مَا جَلَّتِ الْأَحْلَامُ يُلْهِينِي

طائف دجلة، طيفها الذي يتابني في صحرو أو منام، يلهني عن كل طيف تجلوه، وتبديه، الأحلام

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ خَلِّينِي وَمَا قَسَمْتُ لِيِ الْمَقَادِيرُ مِنْ لَذْغِ الثَّعَابِينِ

وَأَزْكَبُ الْهَوَلَ فِي رِيْعَانٍ مَأْمَنَةٍ حُبِّ الْحَيَاةِ يَحُبُّ الْمَوْتَ يُغْرِينِي

أركب المخاطر في ريعان مأمنة، في عز زمن الأمان، وحيي للحياة الكريمة يغريني بأن أستهين بالموت.. بل بأن أحبه

وَمَا الْبُطُولَاتُ إِعْجَازٌ وَإِنْ قَنِمَتْ نَفْسُ الْجَبَانِ عَنِ الْعَلْيَاءِ بِالْهُونِ

البطولات ليست معجزات بل هي سهلة على الشجاع، فأما نفس الجبان فترضى بالهون، الذل، بدلاً من العلياء، المجد

لَا يُوَلِّدُ الْمَرْءَ لَا هِرَاءً وَلَا سَبْعًا لَكِنْ عَصَاةَ تَجْرِيْبٍ وَتَلْقِينِ

إِنَّ الْمَصَائِبَ طَوْعًا أَوْ كَرَاهِيَةً أَهْدَنُ نَحْتِي، كَمَا أَبْدَعُنْ تَلْوِينِ

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ كَمْ مَعْنَى مَزَجْتُ لَهُ دَمِي بِلَحْمِي فِي أَحْلَى الْمَوَاعِينِ

ما أكثر المعاني التي وضعت فيها دمي ولحمي، أي الأشعار التي كانت قطعة من روحي، ثم جعلت ذلك في أحلى المواعين، الآنية.. وأواني المعنى في الشعر هي الأبيات والقوافي

سَهَرْتُ لَيْلَ أَخِي ذُبْيَانَ أَحْضَيْتُهُ حَضَنَ الرَّوَاضِعِ بَيْنَ الْعَتِّ وَاللَّيْنِ

سهرت ليل بليل خليل النابغة الذبياني الموصوف بالطول والكآبة، وأنا أحضن الشعر كما تحضن المرضع رضيعها وهي تعالجه بين جذب ولين (تلقمه نديها بقوة ليأخذه ويبدأ يمص، ثم تترفق به حتى ينسجم ويرضع).. خوش تشيه

أَعْبَدُ مِنْ خَلْقِهِ نَحْتًا وَخَضْخَضَةً وَالنَّجْمُ يَعْجَبُ مِنْ تِلْكَ التَّمَارِينِ

أكتب شعري وأغير فيه وأبدل والمعاني والألفاظ والأوزان تتفاعل وتعتلج اعتلاجاً.. أنحت الألفاظ نحتاً ثم أخضخضها لتستقر.. ولا أحد معي سوى النجم يراقبني ويعجب لهذه التمارين الغريبة

حَتَّى إِذَا أَضَ رَيَّانَ الصُّبَا غَضِرَا مَهْوَى قُلُوبِ الْحَسَانِ الْخُرْدِ الْعَيْنِ..

حتى إذا أض، أي صار، الشعر مكتملاً كأنه الفتى الشاب الممتلئ حيوية، وصار مهوى، موضع، قلوب الفتيات الحسان الخرد، الناعمات، العين ذوات الأعين الواسعة

أَتَاحَ لِي سُمَّ حَيَاتٍ مُرَقَّطَةٍ تَذِبُ فِي حَمَأٍ بِالْحَقْفِ مَسْنُونِ

عندئذ.. جلب علي الشعر هجمات الأعداء التي هي مثل سم حيات مرقطه، منقطه، تزحف في حمأ مسنون، في طين نتن، هو الحقد

فَهَلْ بِحَسَبِ اللَّيَالِي مِنْ صَدَى أَلْمِي أَنِّي مَضِيعَةٌ أَنْيَابِ السَّرَاحِينِ؟

ألا يكفي الليالي، المصائب، من صدى ألمي، من بعض آلامي، أنني صرت مضغة بين أنياب السراحين، الذئاب؟

٦٤ غريب الدار

براغ (١٩٦٢):

يَا غَرِيبَ الدَّارِ، وَالْأَيِّ — أُمُّ كَالنَّاسِ تُدَارِي

وَبَنَاتُ الدَّهْرِ يَغْلِبُنَّ — نَ بَنِي الدَّهْرِ ابْتِكَارَا

بنات الدهر، أي المصائب، تغلب أبناء الدهر، أي الناس، بما يتكره من أفانين العذاب

يَا غَرِيبَ الدَّارِ لَمْ تَكْ — قُلْ لَهُ الْأَيَّامُ دَارَا

يَا لِبَغْدَادَ مِنَ النَّارِ — رِيحُ هُرْءَا وَاحْتِقَارَا

حَلَّائِكُهُ وَمَسَرَّتْ لِي — وَغَدِ أَخْلَافَا غَزَارَا

حلات بغداد المغترب، صدته عن الماء، ومرت للوغد، أي حلبت له، أخلاقاً غزارا، أي ضروعا مليئة بالحليب

واضْطَفَّتْ بُوماً وَأَجَلَّتْ عَنْ ضِفَافِهَا كَنَارَا

بغداد اصطفت، اختارت، البوم، وطردت عن ضفافها، ضفتها على دجلة، الكنار

لَيْسَ عَارَاً أَنْ تُؤَلِّيَ مِنْ مُسِفِّينَ فِرَارَا

يقول لنفسه: ليس عاراً أن تفر من وجه المسفين، الهابطين أهل الإسفاف

جَافِهِمْ كَالنَّسْرِ إِذْ يَأْ نَفْ دِيدَانَا صِفَارَا

جافهم: عالجهم بالجفاء والبعد

خِلْقَةً صُبَّتْ عَلَى الْفَجْرِ رَرَةً دَعَاها وَالْفَجَارَا

الخلقة التي جبلت على الفجر دعها وفجورها

أَنْتَ لَا تَقْدِيرُ أَنْ تَزُرَ رَعَ فِي السُّورِ اخْوَرَارَا

الاحورار: شدة سواد يؤبؤ العين مع شدة بياض حوله.. وهذه صفة حميدة وهيئات أن تزرعها فيمن هو أعور

يَا غَرِيبَ الدَّارِ فِي قَا فَلَمَّ سَارَتْ وَسَارَا

لِمَصِيرٍ وَاحِدٍ نَمَّ تَنَاسَتْ أَيْسَنَ صَارَا

سَامِحِ الْقَوْمَ انْتِصَافاً وَاخْتَلَقْ مِنْكَ اعْتِذَارَا

اختلق أعذاراً لمن أساءوا إليك

عَلَّهْمُ مِثْلَكَ فِي مُفٍّ خَرَقِي الدَّرْبَ حَيَازَى

فَلِذَا مَا عَاصِصُ الدَّهْرِ بِكُمْ أَلْوَى وَجَارَا

ألوى بكم الدهر: رماكم

فَكُنِ الْأَوْثَقَ هَدَاً وَكُنِ الْأَوْفَى ذِمَارَا

الذمار: الشرف

أَوْ، فَلَا لَوْمْ، وَلَا عُذْرٌ وَلَا قَوْلٌ يُمَارَى

يمارى فيه: يجادل بشأنه

٦٥ كردستان

ميونخ (١٩٦٣):

قَلْبِي لِكُردِستَانِ يُهْدَى وَالْفَمُ وَلَقَدْ يَجُودُ بِأَصْفَرِيهِ الْمُعْدِمُ

المعدم، أي الفقير، ليس له ما يقدمه سوى أصغريه: قلبه ولسانه

شَعَبٌ دَعَائِمُهُ الْجَمَاجِمُ وَالْدَّمُ تَتَحَطَّمُ الدُّنْيَا وَلَا يَتَحَطَّمُ

٦٦ حلم النصر

قالها قبيل نكسة (١٩٦٧)، وكنا وقتها نحلم بنصر وشيك ومؤكد، براغ:

يَا نَاصِرَ الْأُمَّةِ الْكُبْرَى وَحَاضِنَهَا لَا الْعُجْبُ يَمْلَأُ بُرْدِيهِ وَلَا الْبَرَمُ..
يا عبد الناصر الذي نصر الأمة الكبرى، كل الأمة العربية وليس مصر فقط، ولا يملأ نوبك
العُجب، التكبر، ولا البرم، الملل..

أَنْقِذْ فَلَسْطِينَ مَرْدُوداً بِهَا حَرَمٌ عَلَى ذَوِيهِ، وَمَرْكُوزاً بِهَا عَلَمٌ
التركيب للمنتبي: (مخلوق له المرج، منصوباً بصارخة/ له المنابر، مشهوداً بها الجمع). وكان
المنتبي يسلي بقصيدته سيف الدولة عن هزيمة ألت بجيشه، والجواهري هنا يحث عبد الناصر
على حرب ستفضي إلى هزيمة نكراء

وَلَبَّ فِي جَنَابِ الْقُدْسِ صَارِخَةً مِنْ قَبْلُ أَدْرَكَهَا فِي الرُّومِ مُغْتَصِمٌ
قم بتلبية امرأة تصرخ في نواحي القدس، وكان المعتصم قد أدرك وأنقذ مثل هذه المرأة عندما
اعتدى عليها الروم

جَمَعَتْ تِسْعِينَ مِليوناً كَمَا جَمَعَتْ لُبْدَ اللَّيْثِ عَلَى أَشْبَالِهَا أَجَمٌ
جمعت التسعين مليون عربي مثلاً جمعت الأجم، الغابات، الأسود اللبد، التي لها لبدة من شعر
الرأس، ومعها أشبالها

وَصُغْتُ مِنْ أَنْهَرِ شَيْءٍ وَأَخْلَجِي بَحْراً بِمُضْطَخِبِ الْأَمْوَاجِ يَلْتَظِمُ
وَصُنْتُ بِالْقُوَّةِ الْحَقِّ الَّذِي دَلَّكَ تَسْعُونَ عَاماً عَلَيْهِ وَهُوَ يَهْتَظِمُ
دلكت: مثت، يهتضم: يظلم

٦٧ اشتياق

براغ (١٩٦٧):

سَهَرْتُ وَطَالَ شَوْقِي لِلْعِرَاقِ وَهَلْ يَدْنُو بَعِيدٌ بِاشْتِيَاقِ

٦٨ الصفو والكدر

من قصيدة في حفل تكريم أقامته له وزارة الإعلام العراقية، بعد انقلاب البعث، بغداد
(١٩٦٩):

يَا سَائِرَ الْحَيِّ إِنَّ الدَّهْرَ ذُو عَجَبٍ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ الْجُلَى عَلَى الْفِكَرِ
مذاهبه الجلى: أفعاله العظيمة التي يذهب بها كل مذهب

كَأَنَّ نَعْمَاءَهُ حُبْلَى بِأَبْوَسِهِ مِنْ سَاعَةِ الصَّفْوِ تَأْتِي سَاعَةُ الْكَدْرِ

كَأَنَّ النعمة حبلَى وستلد قريباً البؤس والشقاء

يُنْقَضُ الْعَيْشُ أَنَّ الْمَوْتَ يُدْرِكُهُ فَنَحْنُ مِنْ ذَيْنِ بَيْنِ النَّابِ وَالظُّفْرِ

ينقص علينا حياتنا أن الموت سيدرك هذه الحياة ويفنيها .. فنحن بين ذين، أي هذين، بين ناب السبع وظفره

٦٩ ضد الشعر الحديث

بغداد (١٩٦٩):

فِي الشَّعْرِ مِنْ فَرَطٍ مَا اخْتَكُّوا بِهِ دَبْرٌ كَمَا تَأْكُلُ عَظْمَ النَّاقَةِ الْقَتْدُ

في الشعر دبر، أي قروح وجروح كالتي في قفا البعير، أو مثلما يحفر خشب القتد، الرجل، عظم الناقة

تَشَكَّتِ الضَّادُ مِمَّا يُنْزِلُونَ بِهَا كَمَا اسْتَكَى الْجِسْمُ مِمَّا تُفْرِزُ الْعُدْدُ

نَجَّوْا بِزَعْمِهِمْ مِنْ أَسْرِ قَافِيَةٍ وَالشَّعْرُ لَوْلَا إِسَارُ نُشْرَةٍ قَدَدُ

يزعمون أنهم استراحوا من أسر القافية، ولولا هذا الأمر لصار الشعر مثثوراً وصار قدداً، قطعاً

يَا شَاتِمِيَّ وَفِي كَفِّي غَلَاصِمُهُمْ كَمُوسِعِ اللَّيْثِ شَتْمًا وَهُوَ يَزْدَرِدُ

يا من يشتموني وفي يدي غلاصمهم، غضاريف حناجرهم، أنتم مثل من يشتم الليث وهو يفتسه يا من يزدرده، يبلعه

أَتَلْطَمُونَ جَبِينَ الشَّمْسِ أَنْ قَذَيْتَ عُيُونَكُمْ قَبِهَا مِنْ ضَوئِهَا رَمَدٌ

إذا أصبح في عيونكم قذى وأصابها الرمد لشدة ضوء الشمس فلا ينفعكم أن تلمطوا الشمس

٧٠ النساء

بغداد (١٩٦٩):

إِنِّي وَرَبِّ صَاعَغُهُنَّ كَمَا اسْتَهَى هِيفًا لَطَافًا

يحلف بالله الذي صاغ وخلق الفتيات هيفاً، هيفات ممشوقات، ولطيفات

لَأَرَى الْجِنَّانَ إِذَا خَلَّتْ مِنْهُنَّ أَوْلَى أَنْ تُعَافَا

تُعاَفُ الجنة بدونهن. لا يخش الجواهري شيئاً فالجنة طافحة بهن، فأما أنه سيدخل الجنة ففي الأمر نظر

٧١ النصف الأفضل

براغ (١٩٧٠):

لَجَاجُكَ فِي الْحَبِّ لَا يَجْمَلُ وَأَنْتَ ابْنُ سَبْعِينَ لَوْ تَعْقِلُ
اللجاج: كثرة الأخذ والعطاء

تَقْضَى الشَّبَابُ وَوَدَّعْتَهُ وَرُحْتَ عَلَى إِثْرِهِ تُرْقِلُ
انقضى وزال الشباب، وأنت الآن ترقل، تسرع، وراء الشباب الذاهب متجهاً صوب الموت
مَضَى مِنْكَ فِيهِ رَبِيعُ الْحَيَاةِ وَمَاتَ بِهِ نِصْفُكَ الْأَفْضَلُ
ما كان ضرره لو قال: نصفك «الأسفل»

٧٢ هَلْمِي

براغ (١٩٧٠):

وَقَالَ مُحَمَّدُ الْمِصْبَاحُ يَوْمًا لِفَاتِنَةٍ مِنَ الْغِيَدِ الْحَسَانِ
مِنَ الْجِيكِ السَّوَاجِرِ لَسْتُ تَدْرِي بِهِنَّ الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الزَّوَانِي:
الجيكي: التشيك

هَلْمِي أَرْضَمْنِي غَدًا، فَقَالَتْ: غَدَاةٌ غَدٍ، وَفِي الْمَقْهَى الْفُلَانِي
فَقَالَ: بِمَرَسَمِي حَيْثُ اسْتَتَمْتُ مِنَ الرَّسْمِ الْمَعَانِي وَالْمَبَانِي
فَقَالَتْ: لَا، وَمَنْ أَعْطَاكَ ذَهْنًا وَعَلَّمَكَ التَّفَنُّنَ فِي الْبَيَانِ!
قالت له: لا، وحق من منحك المخ، وعلمك التفنن في الكلام مع النساء!

أَدَاةُ الرَّسْمِ تَحْمِلُهَا سِلَاحًا عَلَى فَخِذَيْكَ مَشْحُودَ السَّنَانِ
وَلَكِنْ، كُلُّ مَا تَبْغِيهِ مِنِّي خُفُوتُ الضَّوْءِ فِي ضَنْكِ الْمَكَانِ
ضنك: ضيق

٧٣ رثاء عبد الناصر

براغ (١٩٧١):

أَكْبَرْتُ يَوْمَكَ أَنْ يَكُونَ رِثَاءُ الْخَالِدُونَ عَهْدُتُهُمْ أَحْيَاءُ
قَدْ كُنْتَ شَاخِصَ أُمَّةٍ، نَسَمَاتِهَا وَهَجِيرَهَا، وَالصُّبْحَ وَالْإِمْسَاءَ
شاخص أمة: نصبها ورمزها، هجيرها: ظهرتها

قَدْ كَانَ حَوْلَكَ أَلْفٌ جَارٍ يَبْتَغِي هَذَا، وَوَحْدَكَ مَنْ يُرِيدُ بِنَاءَ
أُنْثَى عَلَيْكَ، عَلَى الْجُمُوعِ يَصُوغُهَا الرَّؤُومَاءُ، إِذْ هِيَ تَخْلُقُ الرُّعَمَاءَ
أمدح الجموع التي جمعها أنت حولك فصارت جماهير موحدة، وغيرك من الزعماء تخلقه
الجماهير لا يخلقها

وَنُكِسَتْ، فَأَنْتَكِسَتْ، وَكُنْتَ لَوَاءَهَا يَهْوِي، فَمَا رَضِيتَ سِوَاكَ لَوَاءَ
الجموع انتكست بنكستك في عام ٦٧، وهوى لواءها وهو أنت، ولكنها ظلت تريدك. فبعد هزيمة
٦٧ تنحى عبد الناصر، فخرجت الجماهير، في مصر وغير مصر، تطالبه بالبقاء رئيساً

٧٤ النفط

براق (١٩٧٢):

خَمْسُونَ عَاماً وَالْعَرَا قُ عَلَى الْبَلَاءِ مُصَفَّدُ
مصفد: مقيد

ذَهَباً يَسِيلُ وَفِي مَصَا رِفٍ لَنَدَنِ يَتَجَمَّدُ
يسيل البترول ذهباً ويرسله مصاصو الدم إلى بنوك لندن ليتجمد هناك بأسمائهم

صُهْبُ السَّبَالِ يَهْزُهَا طِفْلٌ جَمِيلٌ أَسْوَدُ
صهب السبال، شُقر اللحى أي الإنجليز، يهز عواطفهم الطفل الجميل الأسود، يعني الذهب
الأسود.. النفط

يَتَخَطَّفُونَ نَظِيرَهُ مِنْ أَيِّ حِضْنٍ يُوَلَّدُ
فهم يتخطفونه من أي بلد يكتشف فيه

٧٥ ثورة على الموت

فارنا، بلغاريا (١٩٧٣):

فِي دَمِي ثَوْرَةٌ عَلَى الْمَوْتِ تَكْفِي أَنْ تُعْقِيَّ عَلَيْهِ، لَوْ كَانَ يُكْفَى
في دمي عفوان يكفي أن يعفي على الموت، يمحوه محواً.. هذا لو كان الموت يكفي، يُكْفَى
شُرُّهُ

يَنْقَدُ الْعَمْرُ شَدْمًا كَانَ حَوْجًا كَسِرَاجٍ فِي فَحْمَةِ اللَّيْلِ يُظْفَأُ
ينفد العمر وينتهي والمرء في أمس الحاجة إليه، كالسراج الذي ينطفئ والليل حالك السواد

لَيْتَ أَنَّ الْجِمَامَ، إِذْ لَمْ يَكُنْ بُدًّا مِنْ الْمَوْتِ، عِلَّةٌ ثُمَّ تُشْفَى
يَجِدُ الْمَرْءَ بَعْدَهَا الْعَيْشَ أَحْلَى وَهَبَاتِ الدُّنْيَا أَلَدًّا وَأُضْفَى
لَيْتَ شِعْرِي وَالْمَوْتُ مِثْلُ عُقَابِ الدِّ جَوًّا يُدْمِي بِنَا مَخَالِبَ عُقْفَا .
الموت مثل العقاب، الطائر الكاسر، يدمي مخالبه المعقوفة بقبضه علينا . . فليت شعري . .
أَقْرَابِينَ نَحْنُ شَوْهَاءُ تُزْجَى لِلْإِلَهِ الْغَضْبَانِ قُرْبَى وَزُلْفَى؟
أنحن قرايين شوهاء، مشوهة لأننا نموت في سن الشيخوخة عادة، تقدم للإله زلفى، تقرباً منه؟

٧٦ المتصابي

براغ (١٩٧٣):

لَا تَلُمْ أَمْسَكَ فِيمَا صَنَعَا أَمْسِ قَدْ فَاتَ، وَلَنْ يُسْتَرْجَعَا
أَمْسِ قَدْ مَاتَ، وَلَنْ يَبْعَثَهُ حَمْلُكَ الْهَمَّ لَهُ، وَالْهَلْعَا
إِطْرَحْهُ وَاسْتَرِخْ مِنْ ثِقَلِهِ لَا تُضِغْ أَمْسَكَ وَالْيَوْمَ مَعَا
مَا أَحْسَنَ الْمَرْءُ يَشْكُو يَوْمَهُ فَلِذَا وَلَّى بَكَاهُ جَزَعَا
نظل نشكو في يومنا . . فإذا ذهب بكيناه

يَا بَقَايَا ذِكْرِيَاتٍ كُلَّمَا جُسَّ عُوْدٌ مِنْ صَدَاهَا رَجَعَا
الذكرى مثل عود بأوتار كلما لمسناه رجّع صداها، كررها وذكرنا بها
حَدَّثَنِي مَا شِئْتَ عَنْ أَبْدُوعَةٍ وَلَقَدْ يَأْتِي الزَّمَانُ الْبِدْعَا
أيتها الذكريات قُصِّي على الناس أبدوعة، عجيبة من العجائب

عَنْ فَتَى أَخْصَبَ فِي شَتَوَتِهِ لَا عِنَّا فِيهَا الرَّبِيعَ الْبَلْقَعَا
قصي قصة فتى جاءه الخصب والإلهام الشعري في شتاء العمر، وهو عجوز . . والجواهري الآن قد
تخطى السبعين، وراح يلحن الربيع الذي لا يكون فيه إلهام

عَاشَ فِي الْعِشْرِينَ شَيْخًا، وَرَعَى بَعْدَ سِتِّينَ شَبَابًا مُمَرَّعَا
عندما كان في العشرين كان وقوراً كشيخ مسن، وبعد الستين صار صاحب شباب ممرع، خصب
قَفَّ عَلَى بُرَاهَا وَجُبَّ أَرْبَاضَهَا وَسَلَ الْمُصْطَافَ وَالْمُرْتَبَعَا
براها: الاسم التشيكي لبراغ. يريد أن يجوب أرباض براغ، هضباتها، وأن يسائل أماكن
الاصطياف والارتباع، الأماكن التي ينزلها القوم صيفاً وربيعةً

وَسَلِ الْخَلَاقَ هَلْ فِي وُسْعِهِ فَوْقَ مَا أَبْدَعَهُ أَنْ يُبْدِعَا
مَرَّتِ الْأَسْرَابُ تَثْرَى.. مَقْطَعٌ مِنْ نَشِيدِ الصَّيْفِ يَثْلُو مَقْطَعَا
مرت أسراب الحسان تثرى، متلاحقة متواترة، فكأنها مقطع من نشيد الصيف

وَتَخَفُّفْنَ فَمَا زِدْنَ عَلَى مَا ارْتَدَّتْ حَوَاءُ إِلَّا إِضْبَعَا
حواء ارتدت ورقة توت.. وهن ارتدتين تنانير تزيد عن ورقة التوت بإصبع

رَحْمَنَا لِابْنِ زُرَيْقٍ لَوْ رَأَى فَلَكَ الْأَزْزَارِ مَاذَا أَطْلَعَا
وكان ابن زريق البغدادي قال «أستودع الله في بغداد لي قمراً/ بالكرخ من فلك الأزرار مطلعاً متخيلاً
زوجته المحبوبة قمراً ولكن هذا القمر يطلع - ليس من فلك من أفلاك السماء، بل - من فلك أزرار قميصها
كُلُّ مَضْمُونٍ إِلَى صَاحِبِهِ مُشْتَرِئُ بَيْنَ إِلَى النُّورِ مَعَا
ومن وراء أزرار قميص التشبيكية الجميلة لمح الجواهري نهداً مضموماً إلى صاحبه وقد اشرأباً معاً،
أي رفعاً رأسيهما، نحو النور. سيأتي مظفر النواب ويشبه النهدي برأس الفط

٧٧ إلى أمونة

براع (١٩٧٣):

مَا لَذَّةُ الْوَصْلِ لَمْ يَلَوْ الصُّدُودُ بِهِ وَالْحُبُّ لَمْ يَخْتَلِسْ مِنْ أَمْنِهِ الْفَرْقُ؟
ما لذة الوصل الذي لم يلو به، لم يذهب به، الصدود.. وما لذة الحب الذي لم يسرق منه الأمان
الفرق، الخوف؟ يقول إن لذة وصل الحبيبة يكون في وجود احتمال صدودها، ولذة الحب في تلك
المخاوف من الوشاة

تِلْكَ الثَّلَاثُونَ وَالتَّسْعُ الَّتِي دَلَفْتُ تَسْتَاقُنَا عَنَّا طَوْرًا وَتَرْتَفِقُ
دلفت، أي مضت، على زواجنا ٣٩ سنة، وكانت تسوقنا أمامها سوقاً عنيفاً تارة وترتفق، تتلطف
بنا تارة أخرى

سِرْنَا عَلَى الشَّوْكِ يُدْمِينَا وَنَأْلُفُهُ وَفِي مَفَاوِزِ تَرْمِينَا وَنَلْتَصِقُ
مفاوز: صحارى

كُنَّا نَرَى الْجَمْرَ مَشْبُوبًا وَنَخْتَرِقُ وَمَغْرَسَ الرَّجْلِ مَلْغُومًا وَنَخْتَرِقُ
مغرس الرجل: موضع غرس القدم

إِنِّي وَعَيْنِيكَ لَا أُمْنَى بِدَاجِيَةٍ إِلَّا وَأَنْتَ لِي الْإِصْبَاحُ وَالْفَلَقُ
لا أمنى، أصاب، بداجية، بمشكلة مظلمة، إلا وأنت لي صبح وقلق، إشراق الشمس. وسيفقد
الجواهري زوجته أمنة بعد عشر سنين وسيقول: (ها نحن أمونة نأى ونفترق)/ والليل يمكث
والتشهيد والحرق

٧٨ محكُّ الرجال

المغرب (١٩٧٤):

تَقَحَّمْتُ الْوَعَى وَتَقَحَّمْتَنِي وَخُضْتُ عَجَاجَهَا حَرْباً سِجَالاً
الوعى: الحرب، عجاجها: غبارها. وما عرف الجواهري حرباً ولا عرف ضرباً، إن كانت إلا
مماحكات وخصومات

وَلَمْ أَرَ كَالْخُصُومَةِ مِنْ مِحْكٍ يُبَيِّنُ لَكَ الرُّجُولَةَ وَالرَّجَالَ
عندما تخاصم رجلاً تكتشف فيه الرجولة والشهامة، أو العكس

٧٩ فرح ومرح

طنجة (١٩٧٤):

لَلَّهِ ذُرْكُ طَنْجٍ مِنْ وَطْنٍ وَقَفَ الدَّلَالُ عَلَيْهِ وَالْعَنْجُ
طنجة وقف عليها الدلال، صار وقفاً عليها ثابتاً صفة لها

صَفَتِ النُّفُوسُ فَلَقَّهَا مَرَحٌ يَهْفُو بِهَا، وَتَلَاقَتِ الْمُهَجُ
النفوس صافية ويهفو بها، يحركها المرح، والقلوب تتلاقى

فَيَدُّ عَلَى خَضِرٍ وَلَا رَصْدٌ وَقَمَّ عَلَى ثَغْرِ وَلَا حَرْجُ
يتراقصون ويده على خصرها ولا رصد، دون رقيب.. والبقية عندك

٨٠ ابتسام في الطرقات

براغ (١٩٨٠):

كَعَهْدِكَ مَا تَزَالُ بِرَاغٍ تُزْهِى كَأَنَّ ثُلُجَ شَتَوَتِهَا اغْتِلَامُ
ما زالت براغ كعهدك بها زاهية، والثلج الخفيف في شتوتها كأنه اغتلام، شيق..

أَعْنَهَا قَلْتُ أَمْ عَنِّي؟ سِوَاءُ كِلَانَا عِنْدَهُ كَلَفٌ عَرَامُ
فهل تراني شبهت هذا التشبيه وفي ذهني براغ، أم في ذهني نفسي؟ كلا الأمرين سواء، فكلانا لديه
كلف، أي رغبة، عارمة. نعم يا محمد مهدي.. تشبيه الثلج بالاغتلَام يصرف الذهن إلى هذا
الرجل الثمانييني وقد صحا من نومه وأحس بعارض أبيض يعرض له..

تَحَدَّبَتِ الثَّلُوجُ عَلَى زُرُوعٍ تَغْشَاهَا لِیْدِفْنَهَا رُكَامُ
أحاطت الثلوج بالزروع، وهذا الركام تغشاها، وضمها، ليدفنها

وَبَيَّضَتِ الْفَجَاجُ فِكُلْ دَرْبِ عَلَى شَفَتَيْهِ يَضْطَرُّ ابْتِسَامُ
وساد البياض الفجاج، الطرق الضيقة، فكل طريق كأنه قم مفتوح تظهر فيه الأسنان. . كأنه قم
يتبسم

٨١ الدخول في الثمانين

براغ (١٩٨٢):

حَسْبُ الثَّمَانِينَ مِنْ فَخْرٍ وَمِنْ جَدَلٍ غَشْبَانُهَا بِجَنَانٍ يَافِعٍ خَضِلٍ
يكفي الثمانين فخراً وفرحاً أنني أغشاها، آتيا، بقلب يافع، فتى، خضل، ريان مبتل بماء الشوق
كَمْ هَزَّ دَوْحَكَ مِنْ قِرْمٍ يُطَاوِلُهُ فَلَمْ يَنْلُهُ وَلَمْ تَقْصُرْ، وَلَمْ يَطْلُ
كثيراً ما هز دوحك، شجرتك الكبيرة، قزم يريد أن يطاول هذا الدوح. . فلا هو ناله ولا الدوح
قصر

وَكَمْ سَعَتْ إِمَاعَاتٌ أَنْ يَكُونَ لَهَا مَا ثَارَ حَوْلَكَ مِنْ لَغْوٍ وَمِنْ جَدَلٍ
كثيرون من الإماعات، الناس الذين لا شخصية مستقلة لهم، سعوا أن يثور حولهم ما ثار حولك من
جدل، ومن لغو، كلام فارغ أيضاً

ثَبَّتْ جَنَانُكَ لِلْبَلَوَى فَقَدْ نَصِبَتْ لَكَ الْكِمَائِنُ مِنْ غَدْرِ وَمِنْ خَتَلٍ
ثبت قلبك للمصيبة، فقد نصبت لك الكمائن من الغدر والختل، الخداع

لَا تَنْسَ أَنَّكَ مِنْ أَشْلَاءِ مُجْتَمَعٍ يَدِينُ بِالْحَقْدِ وَالثَّارَاتِ وَالذَّجَلِ
كنت الغريب به: لا أنت تألفه فتستريح، ولا عنه بمنعزل
أنت من مجتمع مريض بالحقْد والثار والدجل، وكنت غريباً فيه لكنك لم تكن عنه بمعزل

فَكَيْفَ تَظْمَعُ أَنْ تُعْفِيكَ ثَاكِلَةً أَنْتَ النَّذِيرُ لَهَا بِالْوَيْلِ وَالثُّكُلِ؟
فكيف تطمع أن تترك ثاكلة أنت الذي جتها بالثكل وفقدان الولد. يعني كيف يعفيك المجتمع
الفاقد وأنت الذي شنت عليه حرب الإصلاح لتقتل فساداً؟

٨٢ إلى عدن

(١٩٨٢):

مِنْ مَوْطِنِ الثَّلَجِ رَحَّافاً إِلَى عَدَنٍ حَبَّتْ بِي الرِّيحُ فِي مُهْرٍ يَلَا رَسَنِ
ذاهباً من براغ حيث الثلج إلى عدن. . حبت، أسرع، بي الريح وأنا في مهر لكن ليس له رسن،
أي مقود، وهذا المهر هو الطائفة

حَسِبْتُني، وَعُقَابُ الْجَوِّ يَصْعَدُ بي إلى السَّمَاوَاتِ، مَحْمُولاً إلى وطني
وأنا راكب الطائرة ظننتني ذاهباً إلى العراق

ما أَقْرَبَ الشَّمْسِ مِنِّي، غَيْرَ أَنَّ دَمِي . ما إِنَّ يُصَلِّي لِغَيْرِ الشَّعْرِ مِنْ وَثْنٍ
يرى نفسه في الطائرة قريباً من الشمس معبودة القدماء، لكنه لا يصلي إلا للشعر

٨٣ الانسلاال

دمشق (١٩٩٣):

خَطَرُ أَنْ يُصْبِحَ المرءُ خَطِيراً يَمْلِكُ الدُّنْيَا، وَيَنْسَلُ حَسِيراً
خطير: مهم. ما أصعب أن ينال المرء في دنياه كل المجد... ثم ينسل منها حسيراً، متحسراً على
فقدان كل شيء

وَاجِماً وَالرَّوْضُ مِنْ صَنَعَتِهِ وَظَمِئاً وَهُوَ يَنْسَابُ غَدِيراً
صعب أن يقف المرء واجماً، ساكناً حزيناً، بينما هو الذي زرع الروض. وصعب أن يكون عطشان
وهو ينساب غديراً متدفقاً بالشعر العذب. الشاعر يخلق الجمال ولا يستمتع به

فهرس القوافي (القافية فرقم القصيدة)

٦٩	الْقَتْدُ	٧٣	أَحْيَاءُ
٣٢	الْقَصَائِدُ	٤١	الْثَنَاءُ
٣٦	جَلْدُ	٥٥	وِإِمَاءُ
٧٤	مُصَفَّدُ	١٨	وَمَشَاءُ
٦٢	الْحُدُودُ	٢٠	ثَعَالِيَا
٨	سِنَادِ	١٠	سَحَابَا
٢٤	فَارَزْدِ	٤٤	وَهَبَا
٤٩	مِدَادِ	٦٠	أَطْيَبُ
١٩	وَمَدَّ	٥٣	أَعَاجِبُ
٤٠	يَصِدِ	٢٦	أَعْرَبُ
٣١	أَجْدَرَا	٤٦	سَحَابُ
٤٣	المَجَاهِرَا	٤٢	وَنَظَرَبُ
١٧	الْمَجْرَى	٢٥	الْتَرَاكِبِ
٦٤	تُدَارَى	٣٧	الْقِيَابِ
٨٣	حَسِيرَا	٦١	الْمُرِبِ
٢٩	تَنْغِيرُ	٢٨	بِالْتَّجَارِبِ
٥٧	جَبَّارُ	٥٩	حِسَابِ
٥١	مَوَّارُ	١١	الصَّدَمَاتُ
٢٣	التَّعَابِيرِ	٥٨	اِحْتِيَاجُ
٣٠	السَّتَائِرِ	٧٩	وَالْعَنْجُ

٣٩	يَدَاكَ	٦٨	الْفِكْرِ
٧٨	سِجَالًا	٦	الْمُسْتَظَرِّ
٢٧	الْمَحَافِلُ	٩	مِهْدَارِ
٧١	تَعْقِلُ	٢١	الْأَغَرَّ
٨١	خَضِلِ	١٦	تَذَرُ
٢٢	تَمْثِيلِهِ	٤	وَتُرْسَا
١٢	نَظْمًا	٢	لِلْمَقْنُوطِ
٨٠	اِغْتِلَامُ	٤٥	الزَّرْعَا
٦٦	الْبَرَمُ	٣٤	صُدَاعَا
٦٥	الْمُعْلِمُ	٧٦	يُسْتَرْجَعَا
٤٨	قَمِّ	٤٧	الْأَرْبَعِ
٥٢	الطَّعَامِ	٣٨	مُصَانِعِ
٣٥	رَّعِيمِ	٥٦	يَهْلَعِ
١	الْمُنَى	٧٠	إِطَافَا
٥٤	يُؤَاتِينَا	٧٥	يُكْفَى
٦٣	الْبَسَاتِينِ	٥٠	يُقْطَفُ
٧٢	الْحِسَانِ	٥	الْمُرْتَقَى
١٣	الدِّينِ	٧٧	الْفَرْقُ
٨٢	رَسَنِ	١٥	تَرْقُ
٣٣	دَاعِيَا	١٤	الْمُتَأَلَّقِ
٧	قَوِيَّةُ	٦٧	بِاشْتِيَاقِ
		٣	خُلْفِي

فهرس القوافي العام

(القافية، فرقم القطعة، فاسم الشاعر)

أبواب الكتاب

١ البارودي ٢ الزهاوي ٣ شوقي ٤ حافظ ٥ الرصافي ٦ الجواهري	
أحياء ٧٣ الجواهري	بالصَّهْبَاءِ ١٠ حافظ
الثَّناء ٤١ الجواهري	دوائِي ١٠٦ شوقي
شاء ٢٦ شوقي	وإِماءٍ ٥٥ الجواهري
ماء ٢١٥ شوقي	ومَشَاءٍ ١٨ الجواهري
مساء ٢٥٩ شوقي	السَّماء ٢٥٦ شوقي
الثَّناء ٨ شوقي	شفاءها ٢١٩ شوقي
الرجاء ١٠ شوقي	بنائِهِ ٢٥٥ شوقي
إِماء ١١٨ شوقي	سَوَاء ١ البارودي
شَمَاء ١٦٠ شوقي	أَساءوا ١٩ الرصافي
وَنَشاء ١٤١ شوقي	أَفياءُ ٢ الزهاوي
الأحياء ٢٦٠ شوقي	سَماء ٦٧ الزهاوي
الأضواء ٥٠ شوقي	عِياء ٥ البارودي
الكَرماء ١٥٣ شوقي	الرِّياء ٩ الرصافي
الِكِسائي ٩ حافظ	السوداء ١١٣ الرصافي

والرِّيَّا ٩٤ شوقي	العماء ٥ الرصافي
وانتصبا ١٣ البارودي	ثواء ٤٨ الرصافي
وهبا ٤٤ الجواهري	سماء ٣ البارودي
أب ١٧ شوقي	سماء ٤ البارودي
ارتباب ٦ حافظ	شيفائي ٢ الزهاوي
أطيب ٦٠ الجواهري	وشقاء ٧٠ الزهاوي
أعاجيب ٥٣ الجواهري	أثنائه ٢ البارودي
أغرب ٢٦ الجواهري	أبي ١٩ حافظ
أغيب ٢ الزهاوي	الثعلبا ٥٨ شوقي
الجُذوب ٧٥ الرصافي	العبا ٤٩ الرصافي
الحرب ١٢ البارودي	الكتابا ٢١٤ شوقي
تَضَرُّب ٢٤ شوقي	انصبابا ٧٥ حافظ
ثعلب ٥٧ شوقي	ثعالبا ٢٠ الجواهري
جواب ٤ الزهاوي	ثوابا ١٧٣ شوقي
خَسَب ٣ الزهاوي	خَطبا ٩٥ الرصافي
دُروب ٥ الزهاوي	سَحابا ١٠ الجواهري
دَهَب ٢٥ شوقي	طَلبا ١٨٤ شوقي
سَحاب ٤٦ الجواهري	عاصبا ٦١ الرصافي
ضُروب ٣ الرصافي	عتابا ١٥٢ شوقي
عَرَب ١١ البارودي	غَضابا ٢ الزهاوي
كثيب ٢ الزهاوي	لعبا ٩٨ شوقي
والحب ٢٣٧ شوقي	واكتسابا ١٩٢ شوقي

بِاللَّهَبِ ١٣ حافظ	وَالْحَسَبِ ٣٠ حافظ
بِذَاهِبِ ١٠ البارودي	وَحُجَابِ ٦٠ حافظ
تَكَهْرُبِ ١ الزهاوي	وَنَظَرَبُ ٤٢ الجواهري
حِسَابِ ٥٩ الجواهري	وَيُعَجَبُ ٦ البارودي
دَهَبِ ٦٣ الرصافي	أَبِي ١٥ البارودي
شَيْبِ ٨١ الزهاوي	أَبِي ٢ شوقي
غُرَابِي ٨٦ شوقي	أَحِبِ ٢٢٢ شوقي
كَعَذَابِ ٢٤٢ شوقي	اِكْتَنَابِي ٢ الزهاوي
مَا بِي ٨ البارودي	الْأَعْقَابِ ٦ الزهاوي
مُجِيبِي ٥٩ حافظ	التَّجْرِيبِ ٧ البارودي
مَشِيبِي ٦٤ حافظ	التَّرَاكِيِبِ ٢٥ الجواهري
مُتَقَلَّبِ ١٥ الرصافي	الْحُبِّ ١٤ البارودي
وَالرُّتَبِ ٢ الزهاوي	الْحَرْبِ ٧٠ الرصافي
الصَّخْبِ ٢ الزهاوي	الْخَطَابِ ٤١ حافظ
الْعَضْبِ ٩٦ شوقي	السَّرْبِ ١ الزهاوي
دَهَبِ ٨٥ الزهاوي	الشَّبَابِ ٩ البارودي
ذِنَابِ ٨٦ الزهاوي	الطَّيِّبِ ١٧ حافظ
عَجَبِ ٢٥٨ شوقي	العَرَبِ ١٨٩ شوقي
جَائِيَةُ ٣٥ حافظ	الْقِيَابِ ٣٧ الجواهري
عَوَاقِبُهُ ٣٣ الرصافي	الْمُرِيبِ ٦١ الجواهري
يَحِبُّهَا ٢٨ شوقي	الْمُصَابِ ٨٠ حافظ
آدَابِهَا ٨٢ الرصافي	بِالتَّجَارِبِ ٢٨ الجواهري

أَذْنَابِهِ ١ الزهاوي	الْمَكْرُمَاتِ ٥٠ الرصافي
كِتَابِهِ ١٨٥ شوقي	الموتِ ١٠٣ شوقي
كُذِّبَهُ ٣٨ الرصافي	النَّصْرَاتِ ٢٢ حافظ
لِشُحُوبِهَا ٧ الزهاوي	بِالصَّلَاةِ ١٤ الزهاوي
أَبْيَاتَا ٨ الزهاوي	بَيَّتِ ١٦ البارودي
حَانَا ٢٠٨ شوقي	حَيَاتِي ١٦ حافظ
الْأَمْهَاتُ ٢ الزهاوي	حَيَاتِي ٢ الزهاوي
الْأَمْوَاتُ ٧ حافظ	سِكَارَاتِي ٤١ الرصافي
الصَّدَمَاتُ ١١ الجواهري	سِمَاتِ ٨٨ الرصافي
الكَائِنَاتُ ١٠ الزهاوي	عَرَافَاتِ ١٢٨ شوقي
بَاثُوا ٩ الزهاوي	مُتَّصِلَاتِ ١٣ الزهاوي
ثُبُوتُ ٢ الزهاوي	مَرَّتِ ٢٣ شوقي
ثُبُوتُ ٨٢ الزهاوي	مَرَّتِ ٢٤٩ شوقي
سُبَاتُ ١٠٤ شوقي	وَالْمَشْرِفِيَّاتِ ٣٦ شوقي
وَالْأَمْهَاتُ ١١ الزهاوي	وَالنَّسَمَاتِ ١٢ الزهاوي
وَتَبَيَّتُ ٢ الزهاوي	دَسْتُهُ ٥ شوقي
يَقُوتُ ٢ الزهاوي	فَأَيَّبَتْهُ ١٦٢ شوقي
الْأَوْقَاتِ ٧٠ حافظ	فَزَحَمَتْهُ ٢١٠ شوقي
الْحَادِثَاتِ ٣٣ شوقي	إِحْدَاثِي ١٥ الزهاوي
الْحُبْرَاتِ ٧٧ حافظ	احْتِيَاجُ ٥٨ الجواهري
الْحَرَكَاتِ ٢ الزهاوي	وَالْغَنَجُ ٧٩ الجواهري
الْمُشْكَلَاتِ ٢ الزهاوي	يَتَمَوَّجُ ١٦ الزهاوي

قَيِّدًا ٩ شوقي	الحَاج ١٠٢ الرصافي
نَقْدًا ١٩ الزهاوي	مُدْلِج ١٧ البارودي
وَالْوِدَادًا ٢٥ حافظ	عَلَّاجُهَا ٨٨ شوقي
وَتَوَلَّدًا ٢٩ الرصافي	مُسْتَبَاحًا ٢١٨ شوقي
يَدًا ٢٧ حافظ	فَأَسْتَرْوُحُ ٦٣ حافظ
اِسْتَعْدَّادُ ٢٤ الزهاوي	الْأَفْرَاحِ ١٩٣ شوقي
الْأُسْدُ ٢٤ البارودي	فَسِيحُ ٢٠ البارودي
الْقَتْدُ ٦٩ الجواهري	مَدَائِحِي ٢ الزهاوي
الْقَصَائِدُ ٣٢ الجواهري	وَأَفْرَاحٍ ٤ حافظ
الْمُقَنَّدُ ٢٨ الرصافي	نَصَحُ ١٩ البارودي
النَقْدُ ٢١ شوقي	رَجَحَتْ ١٨ البارودي
نَبِيْدُ ٢٥ الزهاوي	يَتَسَبَّخُ ١١٦ شوقي
تَتَجَدَّدُ ٢ الزهاوي	الشَّدَادَا ٢١٧ شوقي
تُسَدُّ ٢٤٣ شوقي	الْعِدَا ٣١ البارودي
جَلِيْدُ ٣٦ الجواهري	المجيدا ٢٠ الرصافي
جَمَادُ ١ الزهاوي	المُسَدَّدَا ٨ حافظ
حُدُودُ ٦٧ الرصافي	بِالْعِدَى ١٨ شوقي
دَدُ ٣٢ البارودي	حَدًّا ٢٤ حافظ
سَنَدُ ٧٦ الزهاوي	خَالِدًا ٧٧ الزهاوي
صَيَّادُ ٧٤ شوقي	شَرِيْدًا ١٩٥ شوقي
مَحْدُودُ ٢٠ الزهاوي	قَدْ قَدْ ١٨ الزهاوي
مَدِيْدُ ١٢ شوقي	قِرْدًا ١٠٧ الرصافي

مُسْتَدُّ ١٧ الزهاوي	بِالْعُقُودِ ١ شوقي
مُصَفَّدُ ٧٤ الجواهري	بِالْمِرْصَادِ ٢ الزهاوي
مَلْحُودُ ٢١ الزهاوي	بِعَدِي ٣١ شوقي
وَارِدُ ١٣ الرصافي	بِعَدَادِ ٦ الرصافي
وَجِهَاذُ ٢٥٧ شوقي	بِفَوَادِي ٢٧ البارودي
وُلِدُوا ٢ الزهاوي	بِقِيُودِ ٤٣ الرصافي
وَيُهَدَّدُ ٢٢ الزهاوي	بِيَدِي ٢٨ البارودي
الْأَجْوَادِ ٢٦ البارودي	جَلَدِي ٢ الزهاوي
الْأَعْوَادِ ١٧٤ شوقي	سِنَادِ ٨ الجواهري
الْأَكْبَادِ ٢ الزهاوي	سُهْدِي ٣٠ البارودي
الْجَمَادِ ٢٦ الزهاوي	عَهْدِ ٢٣ البارودي
الْحُدُودِ ٦٢ الجواهري	عَدِ ٢٢ البارودي
الْحَسَدِ ٣٣ البارودي	فَارَزْدِ ٢٤ الجواهري
الرَّعَادِيْدِ ١٠٠ الرصافي	لِلْسَيِّدِ ٣٥ شوقي
الضَّادِ ١٨٢ شوقي	مَجْهُودِي ٢١ حافظ
الْعِبَادِ ٣٤ البارودي	مِدَادِ ٤٩ الجواهري
الْعِبَادِ ٨٢ حافظ	نَادِي ١٣٩ شوقي
الْعَوَادِي ٢٥٤ شوقي	وَأُقْعِدِ ١٣ شوقي
النَّادِي ١١٤ الرصافي	وَالْوِدَادِ ٢٠ شوقي
اليَهُودِ ٣٤ حافظ	وِإِعَادِ ٢٩ البارودي
بِالْأَجْسَادِ ٢٨ الزهاوي	وَحْدِي ٦١ حافظ
بِالدِّ ٢٦ الرصافي	وَحِيدِ ٢٧ الزهاوي

وَمَدُّ ١٩ الجواهري	الكُبْرَى ١١ شوقي
يَصِيدُ ٤٠ الجواهري	الْكُرَى ١٣٧ شوقي
يُنَادِي ٢٢٠ شوقي	المجَاهِرَا ٤٣ الجواهري
أَرَاذُ ١١٩ شوقي	الْمَجْرَى ١٧ الجواهري
الْأَسَدُ ٢٤٠ شوقي	تُدَارَى ٦٤ الجواهري
الْعَمِيدُ ٧١ حافظ	جَرَى ٩٠ شوقي
الْمَنْفِرْدُ ٤٧ شوقي	حُرًّا ٨٨ الزهاوي
لُبْدُ ٢٦٣ شوقي	حَسِيرَا ٨٣ الجواهري
مَخْلَدُ ١٠٥ شوقي	دُورَا ٣٧ الرصافي
أَشْدُّهَا ١٩٤ شوقي	سَاهِرَا ٣٠ الرصافي
تُجِيدُهُ ٢ الزهاوي	عُدْرَا ٧١ الرصافي
رُقَادَةُ ٢ الزهاوي	مَرًّا ٥٥ الرصافي
بَرِيدُهُ ٢٥ البارودي	وَنَارَا ٣١ الزهاوي
حُقُودُهَا ٢٣ الزهاوي	يَتَعَوَّرَا ٩٩ الرصافي
زَنْدُهُ ٢١ البارودي	يَطِيرَا ٢ الزهاوي
عُودُهُ ١٢٩ شوقي	أَنْزُرُ ٢ حافظ
هُجُودُهَا ٥٣ الرصافي	أَشْعُرُ ٣٦ الزهاوي
أَنْزَا ١٥ حافظ	الْأَكْبَرُ ٣٤ شوقي
أَجْدَرَا ٣١ الجواهري	الْحُرُّ ٣٣ الزهاوي
الْجَوْهَرَا ٢١٦ شوقي	الضَّمِيرُ ٢ الزهاوي
الدَّهْرَا ٢١ الرصافي	الْكَوْثَرُ ٢٠ حافظ
الْعِثَارَا ٨٢ شوقي	تَبَوَّرُ ٢٣٣ شوقي

تَغْيِيرُ ٨٩ شوقي	الأمير ٦٦ الرصافي
تَنْغِمِرُ ٢٩ الجواهري	التعابير ٢٣ الجواهري
تَنْفِطُرُ ٢ الزهاوي	الحصار ٦٢ شوقي
جَبَّارُ ٥٧ الجواهري	الحور ٧٩ الزهاوي
جَدِيرُ ٢٤٤ شوقي	السَّائِرِ ٣٠ الجواهري
سَعِيرُ ٣٩ حافظ	السَّوَاغِرِ ٩٧ الرصافي
صَابِرُ ٣٨ البارودي	الصَّحَارِ ٤٨ شوقي
كَبِيرُ ٦٦ حافظ	الغفور ١٢٦ شوقي
كَسِيرُ ٣٥ الزهاوي	الفَجْرِ ٤٢ شوقي
مَوَازُ ٥١ الجواهري	الفِكْرِ ٦٨ الجواهري
نُشُورُ ١٨ حافظ	القبر ٤ الرصافي
والأبرارُ ٢ الزهاوي	المزار ٣٧ الزهاوي
والعشِيرُ ٢ الزهاوي	المُتَنَظِّرِ ٦ الجواهري
والفِكْرُ ٣٤ الزهاوي	بالأبكار ١٥٩ شوقي
وجوارُ ٢٦١ شوقي	بغادر ١٢ الرصافي
وذُكُورُ ٢ الزهاوي	تكفيري ٣٨ الزهاوي
وفقيْرُ ١٣٤ شوقي	ثَبِيرُ ٣٩ الزهاوي
ونَكِيرُ ٣٢ الزهاوي	حُصَّارِ ١٢٧ شوقي
يَسِيرُ ٣٧ البارودي	خبر ٩٧ شوقي
أضِيرُ ٤١ البارودي	صَخْرِ ٣٦ البارودي
الأسْرِ ٨ الرصافي	صدري ٢ الزهاوي
الأقدار ٨٥ شوقي	عَمْرُو ٤٤ البارودي

للكَذْر ١٥٤ شوقي	كِبَارِ ١٣٨ شوقي
مُدَّكَّر ٧٧ الرصافي	كَدَرِ ٤ شوقي
والمَفَاخِرُ ٤٥ حافظ	لِلبَقَرِ ٤٤ الرصافي
الْآخِرَةُ ٤٥ البارودي	مُسْتَظَرِ ٤١ شوقي
الجِدَارَةُ ٢ الزهاوي	مِهْذَارِ ٩ الجواهري
الشَّجَرَةُ ٦١ شوقي	وَبِالْخِذْرِ ٨١ شوقي
تَارَةُ ٣٠ الزهاوي	وَتَغْيِيرِ ٤٦ البارودي
كَعْتَرَةُ ١٠٨ شوقي	وَسَطَرِ ١٤٠ شوقي
مُدَارَةُ ١٩٨ شوقي	وَسَعِيرُ ٦٩ الزهاوي
مُدْخَرَةُ ١٧٥ شوقي	وَطَرِ ٣٩ البارودي
مُسْتِيرَةُ ٦٣ شوقي	وَعَرِ ٤٣ البارودي
مَسْرَةُ ٦٠ شوقي	وَكُرِ ٣٥ البارودي
مُسْتَظَرَةُ ٤٠ البارودي	الْأَخْضَرُ ٣ شوقي
وَالْجَارَةُ ١٩٧ شوقي	الْأَغَرَ ٢١ الجواهري
وَسُمْرَةُ ٤٢ البارودي	الْحَذَرُ ٦٥ حافظ
تَبَخُّرُهَا ١٠١ الرصافي	الْخَوَاطِرُ ١٦ شوقي
إِطَارِهِ ٣١ الرصافي	الْعُمُرُ ١٨١ شوقي
بِأَمِيرِهِ ١٨ الرصافي	الْكَدْرُ ١٥٨ شوقي
يَجَارُهُ ٩١ شوقي	تَذَرُ ١٦ الجواهري
النَّاسَا ٢ الزهاوي	سَقَرُ ٢٩ الزهاوي
وَالنَّفُوسَا ٦٩ الرصافي	سَيَّرَ ٥٥ حافظ
وَتُرْسَا ٤ الجواهري	كَغَايِرَ ٨٠ شوقي

الطُّبَاعَا ٢٣ حافظ	أُنْسُ ٨٣ شوقي
تِبَاعَا ٣٤ الرصافي	فَارِسُ ٢ الزهاوي
صُدَاعَا ٣٤ الجواهري	يَسُوسُ ٢٣٥ شوقي
صِرَاعَا ٤٠ الزهاوي	أُنْسِ ٢ الزهاوي
فَرَا عَا ٢٠٧ شوقي	أُنْسِي ١٧١ شوقي
نَزْعَا ٧٢ حافظ	يَحَاسِ ٨٦ الرصافي
وَرَعَى ٢٣٩ شوقي	نَفْسِي ١ الزهاوي
يُسْتَرْجَعَا ٧٦ الجواهري	وَحْدَسِ ١١ حافظ
الْوَسِيعُ ٤٢ الزهاوي	السِّيَاسَةُ ١٦ الرصافي
تَتَصَدَّعُ ٤١ الزهاوي	يَطِيشُ ٢ الزهاوي
تَظْلُعُ ٤٣ الزهاوي	مُخْلِصَا ٤٧ البارودي
جَزَوْعُ ٢ الزهاوي	مُتَلَصِّصُ ٨١ الرصافي
مَرَتَعُ ٢٧ الرصافي	تَنْقَضَا ١٣٣ شوقي
مَوْضِعُ ٥٠ البارودي	وَمَضَى ٧٤ الرصافي
وَالْفَجَائِعُ ٤٩ البارودي	بَغِيضُ ٥٧ الرصافي
وَلَعُ ١٨٨ شوقي	الأَرْضِ ٢ الزهاوي
وَمَسْمُوعُ ٥١ البارودي	تُرْتَضُّوْهَا ٦٨ الرصافي
يَلْمَعُ ٤٣ حافظ	لَغَطُ ٤٨ البارودي
الأَرْبَعِ ٤٧ الجواهري	لِلْقَنُوطِ ٢ الجواهري
الأَلْمَعِي ٧٦ حافظ	أَجْمَعَا ٦ شوقي
المَطْلَعِ ٤٤ الزهاوي	اسْتَطَاعَا ٤٠ الرصافي
النَّاعِي ٢٠٢ شوقي	الرَّزْعَا ٤٥ الجواهري

الأشرف ١٩١ شوقي	بأعي ٥٢ البارودي
الألف ٦٨ شوقي	بالضفدع ٦٤ شوقي
السلف ٧٥ الزهاوي	ترفع ٧٣ حافظ
الطواف ٢ الزهاوي	لبرقع ٢٠٥ شوقي
بالآلاف ٧٨ الرصافي	مصانع ٣٨ الجواهري
ظريف ٦٥ شوقي	يهلل ٥٦ الجواهري
وأكتفي ٥٣ البارودي	وقع ١٨٣ شوقي
عفيفة ٢ الزهاوي	أرجعك ١٤٢ شوقي
ضعفه ٨٣ الرصافي	النأفة ٨٣ حافظ
الريقا ٤٢ الرصافي	معه ٢٣٦ شوقي
المرتقى ٥ الجواهري	إيقاعه ٢٥٢ شوقي
تنطقا ٣٧ حافظ	وخضوعها ٢ الرصافي
حنيقا ٤٥ الزهاوي	ومنبه ١٠٠ شوقي
أخلق ٦٠ البارودي	كفى ٣٢ شوقي
إشفاق ٣٨ شوقي	لطافا ٧٠ الجواهري
الأصادق ٥٨ البارودي	يُكفى ٧٥ الجواهري
الفرق ٧٧ الجواهري	الترف ٥٤ البارودي
المترنق ٩١ الرصافي	تجف ٥٥ البارودي
المتشقق ٢٤٨ شوقي	تطوف ٢ الزهاوي
ترق ١٥ الجواهري	وأعنت ٦٢ الرصافي
تغدق ١٧٩ شوقي	يقطف ٥٠ الجواهري
دمشق ٢٢٥ شوقي	اختلاف ٤٦ شوقي

مَزَقَّ ٧٣ شوقي	لأَحْمَقِ ٦١ البارودي
مُشتاقٍ ٩٩ شوقي	مَطْرُوقُ ٤٧ الزهاوي
وُثُوقِي ٢ الزهاوي	والسَّنُّ ٢ الزهاوي
وضيقٍ ٥٩ البارودي	يُلَحَقُ ٣١ حافظ
ويُلاقِي ١٤٦ شوقي	الباقي ٥٧ البارودي
حَقَّهَا ٤٦ الزهاوي	الرُّنْدِيَّ ٦٤ الرصافي
فراقِهِ ٩٥ شوقي	الطُّبَاقِ ١٦١ شوقي
الشَّرِيكَ ١٠٦ الرصافي	العُشَّاقِ ٣٨ حافظ
مَمْلُوكًا ٥٨ حافظ	العَلاقِي ٦٢ البارودي
يَدَاكَ ٣٩ الجواهري	المُتَأَلِّقِ ١٤ الجواهري
الحاكي ٨٧ الرصافي	المَذَاقِ ١٤٨ شوقي
المَلِكِ ٢٧ شوقي	المَذَاقِ ١٩٩ شوقي
بَنِيكَ ١٩٠ شوقي	المُنْطَلِقِ ٢ الزهاوي
شِباكِ ٢٢٩ شوقي	بِاشْتِياقِ ٦٧ الجواهري
يَحْمُوكِ ١٤٧ شوقي	بِالْمَلَاعِقِ ٣٢ الرصافي
أَرِيكَ ٤٩ شوقي	بِخِناقِي ٤٨ الزهاوي
يَتَحَرَّكَ ٢ الزهاوي	خَالِقِي ٨٠ الزهاوي
يَرَاكَ ١٥ شوقي	خُلُقِي ٣ الجواهري
فَبَكَهَا ٢٣٢ شوقي	طُرُقِي ١١٠ الرصافي
الأحوال ٥٠ الزهاوي	طَلاقِي ١١٠ شوقي
الملا ١١٧ شوقي	طَلِيقِ ٢ الزهاوي
النِيل ١١٥ شوقي	لَقِي ٥٦ البارودي

النَّيْلَا ١٥٦ شوقي	تَقِيلُ ٧١ الزهاوي
انتقالا ٢٤٥ شوقي	صَعْلُ ٦٧ البارودي
أَوْحَالًا ١٤ الرصافي	غَزَالُ ٥١ شوقي
تَوَلَّى ٢ الزهاوي	قَلَائِلُ ٦٤ البارودي
جميلًا ٢٥٠ شوقي	قَلِيلُ ٨٤ شوقي
رسولًا ٢٠٦ شوقي	مَعْسُومٌ ٦٨ حافظ
رُحَلًا ٣٦ الرصافي	مَقْتُولُ ١٧ الرصافي
سِجَالًا ٧٨ الجواهري	مُهْمَلُ ٢ الزهاوي
علا ١١٢ شوقي	وعويلُ ٥٦ الزهاوي
قليلا ٢٣١ شوقي	يُحْمَلُ ٦٩ شوقي
مالا ٨٣ الزهاوي	يُسْأَلُ ٥٤ الزهاوي
مَقَالًا ١٣٥ شوقي	يُظَلُّ ٤٩ حافظ
مَوْئِلًا ٦٢ حافظ	يَمِيلُ ١٤٩ شوقي
وَطُلُولًا ٤٩ الزهاوي	أَطْلَالُ ٩٢ الرصافي
أَرْتَجَلُ ٥٣ الزهاوي	أَقْوَالِي ٢ الزهاوي
أَقْوَالُ ٥٦ الرصافي	الْأَعْمَالُ ٤٥ الرصافي
الرجلُ ٥١ الزهاوي	الْبُئْبُئُ ١٣١ شوقي
الرسولُ ٢٢ الرصافي	الْتَرْلِي ٣٠ شوقي
الطويلُ ٥٥ الزهاوي	الْعَالِي ٥٨ الزهاوي
الْمَحَافِلُ ٢٧ الجواهري	الْقَلَلُ ٦٣ البارودي
تَعْقِلُ ٧١ الجواهري	الْمَالُ ٢٢٤ شوقي
تَوُّوُ ٥٢ الزهاوي	الْمُسْتَدِلُّ ٦٨ الزهاوي

رَحَلَهُ ١٢٥ شوقي	المَعَالِي ٦٧ حافظ
مَالَهُ ٢٣٤ شوقي	النَّشَائِلِ ١١١ شوقي
أَفْعَالُهَا ٢ الزهاوي	بِالِاسْتِقْلَالِ ١٠٨ الرصافي
تَبْدِيلُهَا ٧ شوقي	تَقْلٍ ٢٨ حافظ
شَمَائِلُهُ ٦٦ البارودي	خَضِيلِ ٨١ الجواهري
اعتدَالُهُ ١٨٦ شوقي	خَوَالٍ ٩٤ الرصافي
تَمَثِيلُهُ ٢٢ الجواهري	لِي ٥٩ الزهاوي
دَلِيلُهُ ٥٩ الرصافي	مَالِي ٥٧ الزهاوي
وَبِفِعْلِهِ ١١٢ الرصافي	مُعَلَّلِ ٧٨ الزهاوي
احتراما ٥٤ الرصافي	نُبَالِي ١١١ الرصافي
أَضْمَى ١٧٠ شوقي	وإِذْلالٍ ١٥٠ شوقي
الأَقْوَامَا ١٣٦ شوقي	وَتَخْيِيلِ ٦٥ البارودي
الأَنَامَا ٨٧ شوقي	وَمِثَالِ ١٥١ شوقي
التَّنَدُّمَا ١٢ حافظ	يَعْقِلِ ٦٥ الرصافي
الرُّمَامَا ١٣٢ شوقي	الطَوِيلِ ١٠٧ شوقي
الصَّنْمَامَا ٢ الزهاوي	قِيلُ ١٧٨ شوقي
العَلَقَمَا ٧٣ البارودي	مَلَلُ ٧٠ شوقي
جَحِيمَا ٨٤ الزهاوي	البِطَالَةُ ٥٩ شوقي
رُؤَامَا ٦٠ الزهاوي	أَنسَالُهَا ٢٤٦ شوقي
عَلَامَا ٢١٣ شوقي	البَاكِي ٢٤٧ شوقي
عَرَامَا ٨٥ الرصافي	بِذَلَّةٍ ٥٢ شوقي
فَأَقَامَا ٢٦٢ شوقي	دَحَلَهُ ٧٦ الرصافي

كَتَمُوا ٩٦ الرصافي	كَرِيمَا ١٢٠ شوقي
كَرِيمُ ١٢٣ شوقي	مُظَلَّمَا ٨٤ الرصافي
مَتَّهَمُ ٣٣ حافظ	مَنْظَمَا ٢٦ حافظ
مُحَرَّمُ ٥٨ الرصافي	نَظْمَا ١٢ الجواهري
مُغَرَّمُ ٥٠ حافظ	هَشِيمَا ٨٧ الزهاوي
مُقَسَّمُ ٨٠ البارودي	اغْتِلَامُ ٨٠ الجواهري
مَلَامُ ٧٥ البارودي	الأفهامُ ١٠٤ الرصافي
مِنْهُمْ ٦٢ الزهاوي	الأيامُ ١١٤ شوقي
نَعْتَصِمُ ٦١ الزهاوي	الأيامُ ٨٢ البارودي
هَيَامُ ٣٦ حافظ	الْبَرَمُ ٦٦ الجواهري
والإسلامُ ١٤٥ شوقي	الدرهمُ ٢٠٠ شوقي
وَتَرَحَّمُوا ٧٧ شوقي	السهمُ ٧٨ البارودي
وَسَلَّمُوا ٥٢ حافظ	الْفَطِيمُ ٥٥ شوقي
يَتَكَلَّمُ ١ الرصافي	القيَامُ ٤٦ الرصافي
يُضَامُ ٨٤ حافظ	المُعْدِمُ ٦٥ الجواهري
يَقْهَمُ ٨٩ الزهاوي	المِعْصَمُ ٤٢ حافظ
يَنْدَمُ ٧٩ البارودي	بَرَمُ ٢ الزهاوي
الأَمَمُ ١٠٢ شوقي	خَادِمُ ١٩٦ شوقي
التَقَدُّمُ ٢٣ الرصافي	رِسْوَمُ ١٠ الرصافي
الحُرْمُ ١٢٤ شوقي	سَلَامُ ٦٨ البارودي
السامي ٨٠ الرصافي	غَنَمُ ٢ الزهاوي
السَّوَائِمُ ٦٩ البارودي	قَمُ ٤٨ الجواهري

هاشِم ٢٥٣ شوقي	الشِّيم ٧٦ البارودي
القيامة ٢٢٣ شوقي	الطَّعام ٥٢ الجواهري
حمامة ٥٦ شوقي	الظلام ٤٠ حافظ
مُسْلِمَة ٥١ الرصافي	بالَمَلام ١٠١ شوقي
لِحْكِمِه ٧١ البارودي	بِدَم ٨١ البارودي
وتَحْمِيها ٩٢ شوقي	بِنائِم ٧ الرصافي
إِدْسُونَا ٢ الزهاوي	تَحْكِم ٧٧ البارودي
اِقْتِرَانَا ٤٠ شوقي	تُعَلِّم ٧٤ البارودي
الرَّائِنَا ٣٩ شوقي	دِعَام ٢٣٠ شوقي
الغَابِرِينَا ١٨٧ شوقي	دَمِي ٢٠١ شوقي
المُنَى ١ الجواهري	زَعِيم ٣٥ الجواهري
الوَاعِظِينَا ٥٤ شوقي	ضَبْعِم ٢٥ الرصافي
إِنْسَانَا ١٤٤ شوقي	كَهَام ٧٢ البارودي
تَبِينَا ٢ الزهاوي	مِعْطَال ٣ حافظ
جَبَانَا ١٧٦ شوقي	مُلْهِمِي ٩٠ الزهاوي
حُسْنَا ٢٢٨ شوقي	هَضَم ٣٩ الرصافي
خَالِدِينَا ٧٢ الزهاوي	وقْدِيم ٧٣ الزهاوي
دَيَّدْنَا ١٦٩ شوقي	الْأَنَام ٧٠ البارودي
فَعَنَى ٨٦ البارودي	القَلَم ٢٣٨ شوقي
لِوَادِينَا ١٥٧ شوقي	المُقَطَّم ٥٣ شوقي
مَأْقِينَا ١٤ حافظ	عَدَم ٩٣ شوقي
مُقِيمِينَا ١٦٨ شوقي	كَالْعَلَم ٦٩ حافظ

الحاني ٧٨ حافظ	وَبُنَيَانَا ٩٠ الرصافي
الحِسانِ ٧٢ الجواهري	وَمُسْلِمِينَا ٩٣ الرصافي
الْحَيَوَانِ ٧٦ شوقي	وَسَقِينَا ٥١ حافظ
الدواوينِ ٦٠ الرصافي	يُبْنَى ٢ الزهاوي
الدينِ ١٣ الجواهري	يَنْهَانَا ٢ الزهاوي
الزمانِ ٧٩ الرصافي	يُواتِنَا ٥٤ الجواهري
الْعَلَنِ ١٠٥ الرصافي	الْعَنَاوِينُ ٦٤ الزهاوي
الْفَرْقَدَانِ ٣٢ حافظ	أَهْوَنُ ٢ الزهاوي
المِحْنُ ٨٤ البارودي	رَهِيْنُ ٤٨ حافظ
المِهْرَجَانِ ٤٤ حافظ	سَكَنُ ١٠٩ الرصافي
الهاني ٩٨ الرصافي	نَحْنُ ٢ الزهاوي
اليدينِ ٢ الزهاوي	وأديانُ ٦٣ الزهاوي
بِالْأَمَانِي ٨٥ البارودي	وَأَزْمَانُ ٢١١ شوقي
بِالْحُسَيْنِ ٢٢١ شوقي	وَعِلْمَانُ ٢ الزهاوي
تَبْيَانِي ٧٩ حافظ	اِثْنَانِ ١١ الرصافي
ترعيانِ ٧١ شوقي	الْأُسْنَانِ ٧٢ شوقي
ثَانِ ١ حافظ	الْبَرَاهِينِ ٢ الزهاوي
جنوني ٢ الزهاوي	الْبَسَاتِينِ ٦٣ الجواهري
دِينِ ٥٢ الرصافي	الْبَسَاتِينِ ٧٤ حافظ
رَسَنِ ٨٢ الجواهري	الْتَمَنِّي ٨٧ البارودي
سِنِّي ٨٣ البارودي	الجاني ١٤ شوقي
شُجُونِي ٢ الزهاوي	الجاني ٤٧ حافظ

عثمان ٢٩ حافظ	أرسانيه ١٧٧ شوقي
عني ٧٩ شوقي	بيانه ٥٦ حافظ
فَسْجَانِي ٤٦ حافظ	زمانه ٢٢٦ شوقي
مَظُون ٨٨ البارودي	شانه ٦٥ الزهاوي
مَوازِين ٢ الزهاوي	عُمرانها ٢٤ الرصافي
والدَّاني ١٢٢ شوقي	مُسْتَبِينه ٧٢ الرصافي
وامْتِهان ٢ الزهاوي	فتاها ٦٧ شوقي
يُؤذِنِي ٦٦ الزهاوي	مَمشاهها ٧٣ الرصافي
أَبْوَيْن ٢٢ شوقي	يَراها ١٥٥ شوقي
السُّنُونُ ٢٠٩ شوقي	الرَّهَّاهِي ٤٧ الرصافي
فاعلين ٥ حافظ	كَبُوءَ ٣٧ شوقي
فَكَانَ ١٩ شوقي	الأغانيا ٨٩ البارودي
فَنَنْ ٦٦ شوقي	الجوازي ٢٢٧ شوقي
مُعْجَبِينَ ١٧٢ شوقي	الدنيا ٧٤ الزهاوي
وطِين ١٤٣ شوقي	الرَّزِيَّ ٣٥ الرصافي
وَيَزِين ٢١٢ شوقي	ثانيا ١٣٠ شوقي
المُعِينَةُ ٧٥ شوقي	داعيا ٣٣ الجواهري
جَمْعُهُنَّ ٥٧ حافظ	شَيَّا ٢٠٤ شوقي
فَتَّانَةٌ ٨٩ الرصافي	غاليا ٤٤ شوقي
والسَمِينَةُ ٧٨ شوقي	هَمَسَرِيَّا ٤٥ شوقي
رُكْبَانُهَا ٢٠٣ شوقي	هَيَّا ١٨٠ شوقي
سُجُونُهُ ٤٣ شوقي	والمعانيا ١١٣ شوقي

قَوِيَّةُ ٧ الجواهري	عَلِيٍّ ٥٣ حافظ
هَدِيَّةُ ١٠٣ الرصافي	الْأَنَانِيَّةُ ٢٤١ شوقي
يُعَادِيهَا ١٢١ شوقي	الثَّانِيَّةُ ٢٩ شوقي
عَلَيْهِ ١٠٩ شوقي	أُهْدِيهَا ٥٤ حافظ
يُخْفِيهِ ١١٥ الرصافي	ثَنَائِيهَا ٢٥١ شوقي
	حَنَائِيَاهُ ٨١ حافظ

إحياء الشعر

البارودي والزهاوي وشوقي وحافظ والرصافي والجواهري

عندما بايعوا أحمد شوقي بإمارة الشعر، قال الزهاوي: «منكم أمير ومنا أمير»، فكانه همس في أذن عقلي الباطن همسة تجلّت في هذا الكتاب، فإ إن فرغت من وضع خطته حتى رأيته قد أخذت ثلاثة شعراء من مصر، وثلاثة من العراق زاعماً أن هؤلاء قد أحيوا الشعر العربي بعد قرون من الموت السريري. في البدء كان البارودي، لا خلاف، قد لبث زمناً يحاول أن يلبس عباءة المتنبي، ويراه فصفاضة عليه، حتى تقاذفته رياح السياسة فرفعته إلى رئاسة الوزراء، ثم رمت بعد أشهر في سبيلان مفتياً، فلبس عباءة نفسه، فكان بشير عصر جديد في الشعر العربي. ثم مضيت أرتب الشعراء بحسب سنة الميلاد. أفهمنا الزهاوي أن الشعر يمكن أن يقال بلغة عصرية، وزاد فشنح شعره بالفكر والفلسفة. وفي مصر اعتل شوقي كتفي البارودي، وظل مثله يقلد القدماء؛ ولكنه، بثقافته العريضة وبحياة مصر السياسية النشطة في زمنه حلّق فوق النور. والقلب كان شاعريته. وواكب حافظ إبراهيم شوقي وناقسه في محافل التهاني والتأبين شعر فيه رنين يصلح للمناير، وعاش شعر حافظ بما فيه من سهولة وفصاحة ولقطة ما فيه من إيهامات تاريخية اكتظ بها شعر شوقي. وأسهل من شعر حافظ كان شعر الرصافي، فشاعر العراق، على فصاحة لسانه، كان يشبه حافظاً في بوهيميته وفي قلة احتفاله بالإشارات التاريخية. وخاتمة شعراء هذا الكتاب الجواهري، هذا شاعر عاش القرن العشرين كله، تنقص سنتان من أوله وثلاث من آخره. كان منبرّي الأسلوب كحافظ، وكانت حياته ترجمة شعرية لحياة العراق السياسية في القرن العشرين. قال الشعر في زمن بني عثمان، وزمن الإنجليز، وزمن فيصل. وكان مقرباً لعبد الكريم قاسم ثم هجره، وناوش العهد البعثي قريباً وبعداً. أصدق التاريخ ما تجده في قصائد الشعراء، فإن زعم زاعم أن هذا الكتاب كتاب تاريخ فليزعم.

مرفق مع الكتاب تسجيلات صوتية من قصائد «إحياء الشعر» بصوت المؤلف عارف حجاوي، وهي مرقمة بحسب ترقيمها في الكتاب.

تم التسجيل في استديوهات مركز الجزيرة للتدريب الإعلامي.



القاهرة - المعادي - شارع المعراج

almashreq.books@gmail.com



9 781214 596188

إحياء الشعر
البارودي والزهاوي
وشوقي وحافظ
والرصافي والجواهري

8.1.2020

عَافٍ بِحَاوِي



آخِرُ الشَّعْرِ

رَحَلَتِ النَّهْيَةُ لِلشَّعْرِ الْعَبْدِيَّةِ
فِي الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ

المشرق

آخِرُ الشَّعْرِ

رحلة النهاية للشعر العمودي في القرن العشرين

عارف حجاوي



آخِرُ الشَّعْرِ

الفهرسة أثناء النشر - إعداد دار المشرق

حجاوي، عارف
آخر الشعر: رحلة النهاية للشعر العمودي في القرن العشرين/
عارف حجاوي.
٥٥٩ ص.
١. شعر. أ. العنوان.
892

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر
بالضرورة عن وجهة نظر دار المشرق»

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار المشرق
الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٨

دار المشرق

القاهرة - المعادي - شارع المعراج

almashriq.books@gmail.com

أبواب الكتاب

٧	مقدمة
١٧	بشارة الخوري (الأخطل الصغير)
٤١	رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي)
١٣٩	إيليا أبو ماضي
٢٤٥	إلياس فرحات
٢٩٩	مصطفى وهبي التل (عرار)
٣٢٧	إبراهيم طوقان
٣٦١	عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)
٣٨٣	محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)
٤١٧	عمر أبو ريشة
٤٤٥	إبراهيم ناجي
٤٧١	أبو القاسم الشابي
٤٩٥	فهد العسكر
٥١٥	عبد الله البردوني
٥٤٣	فهرس القوافي العام

مقدمة

أشعر بارتعاش وأنا أشرع للمرة العاشرة بتعريش هذا الكتاب بمقدمة، فلعلي في هذه المرة أفلح في المضي بها حتى نهايتها لتُظَلَّل ثمانمئة (٨٠٠) قطعة وقصيدة تضمها صفحات هذا الكتاب. وهو خامس خمسة كتب عرضتُ فيها للشعر العربي العمودي.

أحس بالإحساس الذي أحست به سيارة لي عتيقة، كان يسقط منها الجناح بعد الجناح، والغماز بعد الغماز، والطاسة بعد الطاسة. حرنت بي مرة في طريق فجئت لها بمن أصلحها، وسارت قليلاً. ثم سقط منها عضو، فمشيت غير عابئ به. كل ما كنت أريده منها أن توصلني إلى مأمني، ولتذهب بعد ذلك إلى مدفن السيارات.

ووصلتُ، وذهبتُ.

وعاملت نفسي وأنا أكتب هذا الكتاب بالطريقة نفسها. كل ما كان يهمني أن أنتهي منه. وما قد أوشكت. كنت أفقد مع كل جزء من الأجزاء الخمسة ضرساً، و٢٣٠٩٧٨ شعرة؛ وكنت أكسب مع كل جزء خمسة كيلوغرامات، وخمس ملاعق من السكر في الدم.

قبل عامين قلت لسيدة مهذبة، وتلقائية، إنني أكتب كتاباً من ثلاثة آلاف صفحة، فسألتنني: ألم تتأخر؟ قلت لها معابثاً: أنا بعدُ شاب. فقالت ما يجب أن يقوله كل عاقل، وكاذب: بل شيخ الشباب.

يصلح هذا الكتاب بأجزائه الخمسة أن يكون تاريخاً للنفس العربية مروحياً بلسان الشعراء. وأكثر هذه الأجزاء التصاقاً بالأحداث هذا الجزء الذي بين يديك. أقبلت على «آخر الشعر» متذمراً مما لحق اللغة من ارتباك. فالشعراء ما فتئوا يطمحون إلى أن تكون لهم فصاحة المتنبي، ولكن زمنهم يجبرهم على أن

يقولوا أشياء كثيرة لا تسعها لغة المتنبي، وأن يعبروا عن مشاعر لم يكن يشعر بها أحد في زمن المتنبي.

تعودت أن أكتب المقدمات الطوال لكل فصل، ولكل كتاب من كتب الشعر هذه. والسبب الخفي، ولا أظنني صرحت به في أي مقدمة سابقة، هو أن الكتاب يضم إبداعات ليس لي فيها من نصيب سوى الانتقاء والشرح، وإنني لأدق كل شيء على الحاسوب ثم أضع علامات التشكيل، ثم أصنع الفهارس. فأين أنا من كل هذا؟ أين ذاتي؟ صحيح أنني موجود في الاختيارات نفسها، فأنا من يختار. لكن أنايتي تأبى عليّ إلا أن أطل برأسي في هذه المقدمات، كي أقول للناس: اسمعوا، هذا صوتي أنا. أنا الآن أحكي. هذا ما سماه الناس في زمننا «شهوة الحكي». هي شهوة موجودة عند كل من لم يضر بهم الفصام وإخوته ضربات موجعة.

وبمناسبة الفصام، أي الشيزوفرنيا، فبين يدي الآن كتاب لرجل ضربت ألوان من الفصام ثلاثة أرباع أعمامه وأولاد أعمامه في مراحل مختلفة من أعمارهم، وهو ينتظر. الطبيب البرفسور سيدهارتا موخيرجي البنغالي الهندي بلغ السابعة والأربعين الآن. ونرجو له السلامة.

يعرف من يعرفني أنني مثل المراهقين لا أمضي في قراءة كتاب إلا وأزعج كل من حولي بالحديث عنه، وأبالغ في امتداحه كأنني لم أقرأ سواه. وهذا ما سأفعله الآن.

اسم الكتاب «الجين». وهو يتحدث عما تفعله جيناتنا، التي ورثناها عن آبائنا، في جسامنا وعقولنا. صدر الكتاب في العام الماضي، أي عام ٢٠١٦، عن دار سكرابنر.

اهتمامي في الوقت الحاضر بالجينات ليس كاهتمامي بها وأنا في السادسة عشرة من عمري عندما كتبت للأستاذ محمد سليم اشتية، أبهج الله أيامه فقد كان أستاذاً وعالماً جليلاً، بحثاً في علم الوراثة. أيامئذ لم أكن سمعت بالجينات.

اختار صديقي نزار أن يكتب عن التطور، واخترت الوراثة. لا أدري إن كان أستاذنا الجليل، لم يكن جليلاً في السن أيامها بل شاباً حديث تخرج، أدرك القدر العظيم من الفائدة التي نلناها بسبب هذه البدعة التي ابتدعها. قد

أرادنا أن نكتب بحثاً فكتبنا . لم أترك كتاباً في الموضوع أو فيما يقاربه في مكتبة نابلس العامة، العامرة بثلاثين ألف مجلد على أرففها، إلا نظرت فيه . ونالني ما ينال التلميذ من إطراء . وطويت الصفحة .

ستفتح لي الآن محضراً كي تحاكمني على قول كثيراً ما ردّدته بأن المدارس لا تعلم المرء شيئاً . لكنني أدافع عن نفسي: المدرسة لم تعلمني شيئاً . الذي علمني هو فقط أن أستاذاً امتلك سعة العلم والقدرة على الخروج عن المنهاج، فطلب مني أن أذهب وأبحث بنفسي . هذا هو التعلّم لا التعليم .

فهل أنا قلق لحال العرب؟

ولماذا هذا الاستطراء البعيد؟

هذا لأن الهند تسير، وأميركا تسير، والصين ونصف الدنيا تسير، ونحن أيضاً نسير . . لا ليس للخلف . . لكننا نسير ببطء شديد .

هل أنا قلق لحال العرب؟ ومن هم العرب؟ أيقض مضجعي أن أربعمئة مليون خامل يتعرضون للتجويع والتعطيش؟ وتسبق ذلك عملية تبدو عشوائية، وهي ككل عملية عشوائية تملك في أحشائها نظاماً خفياً، عملية عشوائية للتطهير . . يريد العالم قبل أن يأكلنا لقمة سائغة أن يسحب من عالمنا العربي النوايغ والعلماء، ثم لا بأس بتطهير ديني، فالكنائس العالمية تسحب، بطريقة غير مقصودة أبداً، ولكن لها نظامها الخفي، العرب المسيحيين لكي يلتحقوا بدول أخرى .

فلماذا لا نصنع شيئاً؟ الحكومة العربية في بلد من البلدان تمسك بزمامها عصابة من النهابين، الذين يرتعون في المال القادم عن طريق الاتجار بموجودات الوطن . إنهم مثل ذلك الشاب الذي تبدو عليه النعمة لأنه يبيع أساور أمه .

دول الغرب ليست شديدة التوق إلى نوابغنا فعندها من النوايغ ما يكفي، فقط هو شيء من الطمع . فإذا نبغ غندنا شاب بعد أن علمناه وكبرناه، وحرمان إخوته من ثياب العيد لكي يدرس في الجامعة، فلا بأس من سرقة لكي يعمل في مختبرات لندن وباريس ونيويورك، ويتجّ علماً .

وبعد عقود من سرقة العقول دخل الغرب في مرحلة صناعة النبوغ . والوسيلة «الجينوم» . ذلك المخطط العجيب للتركيب الجينية للإنسان .

ما زال هذا العلم جنيئاً، يرقد عليه العلماء في مختبراتهم، وهم أعلم الناس بأنهم يرقدون على بيضة سيخرج منها فرخ تمساح. لكن العلم شيق.

بدأ العلماء يعيشون بالجينات. والنتائج تظهر بالتدريج. في كل يوم هناك أخبار عن فتوح جديدة. والهندسة الوراثية لا سقف لها. سيكون في مقدورهم أن يجهزوا على عديد من الأمراض الوراثية في مهدها، مثلما أجهزوا على كثير من الأمراض الجرثومية بالمضادات الحيوية، وشتى الأدوية. هذه ليست خرافات.. قبل مئة سنة كان متوسط عمر الفرد خمسين سنة، وهو الآن ثمانون. وبعد مئة سنة سيكون في البلدان المتقدمة أفراد كثر في عمر يقرب من مئة وخمسين سنة. وسيكون لديهم، بسبب الهندسة الجينية، ذاكرة جيدة وجسم صحيح. فتخيل ما سيكون عليه هؤلاء من الخبرة وسعة العلم. مثل هؤلاء الأفراد سيحكمون العالم. وبهم ستحكم دولهم العالم وتستعبده. هذه المرة الاستعباد سيكون بيولوجياً علمياً.

هذا الفرع من فروع العلم خطر بحق. ألم يكن علم الذرة في بداياته بريئاً؟ الويل للشعوب المتخلفة من الغد المظلم. ولا نركنن على الأخلاق. فبلدان أوروبا حرمت الرقيق قبل مئتي سنة، وبدا للنظر السطحي أنها تندفع في هذا الاتجاه بقوة أخلاقية عظيمة. ثم في أواخر القرن العشرين رأينا الشركات الأوروبية توجع نار الفتن في الكونغو لكي تحصل على المعادن النادرة بثمن بخس. والنتيجة.. مقتل خمسة ملايين إنسان. فاين أخلاق الأسلاف الذين «حرروا» العبيد؟

وانظر إلى أبراهام لنكولن «محرر العبيد»، واعلم أن مطلبه كان تحرير الأفراد ليشغلوا عبيداً في مصانع الشمال، بدل أن يكونوا عبيداً في مزارع الجنوب. هذا تحليل قرأته، وليس عندي اقتباس. ولكنني أقتبس لك من كتاب بين يدي عن الحرب الأهلية الأميركية: «دخل لنكولن الحرب بادئاً للحفاظ على تماسك الاتحاد، وليس لتحرير العبيد، ولكن معارضي العبودية في الشمال، وانخرط العبيد الهاريين في جيش (الاتحاد) جعلاه يغير رأيه».

لا اختيار لنا في مسقط الرأس، ولو اخترنا لولّدنا كلنا في سويسرا وكفي الله المؤمنين القتال. على أننا نحاول الفرار، ونرضى أن نعيش في البلدان المتقدمة ونظرات الكراهية تسلق وجوهنا السمرء. هذا لو لم يغرق المركب.

في الزمن القديم كان يأتي على الإمبراطورية وقت تشعر فيه أنها خالدة، ثم إذا هي تنهار وتسلم الراية إلى إمبراطورية أخرى. واليوم ثمة تغيير أساسي يطرأ على قواعد اللعبة. فالإمبراطوريات الغلبة ستؤسس قاعدة قوتها على نوعية الفرد. هذا المستوى البيولوجي من الهيمنة غير مسبوق في التاريخ. وهنا لا تصدق مقولة «التاريخ يعيد نفسه».

العالم العربي يتلقى المياه النهرية من تركيا، وقليلاً من إيران، ومن إثيوبيا. وقد بدأ يعاني النقص. وهو يتلقى المياه السماوية من الغيوم. والذي حبس مياه الأنهار عنا قادر بعد حين أن يسوق الغيوم بعيداً عنا. وإذا كانوا يرسلون إلينا شحنات القمح اليوم فهذا لأنهم يأخذون مقابلها ولاء ومكاسب سياسية بعضها ظاهر وبعضها سيظهر. ولا قمح لمن لا يعود يملك ما يقايض به.

سأعود إلى مقولة كتاب «لماذا تفشل الدول»، وأظن أنني تطرقت إليه سابقاً، وكنت هجوته لما فيه من تكرار وتطويل بغير داع. لكن نظريته الأساسية مفيدة، وفيها قدر كبير من الصحة. يقول المؤلفان إن هناك طرازين من الحكومات: طراز تشاركي وطراز امتصاصي.

في الطراز التشاركي يشترك عدد كبير من الناس في تسيير البلد. ويتاح لمجموع الناس أن يختاروا مجموعة تدير البلد مدة من الزمن. فإذا لم تعجبهم طريقة إدارتها للبلد اختاروا غيرها. وتحدث أخطاء وربما كوارث، ويكون هناك مجال لتجاوزها.

في الطراز الامتصاصي تتولى أمر البلد عصابة يهتمها امتصاص المال، والاحتفاظ بالسلطة. ومن مصلحة هذه العصابة ألا يحدث تطور كبير بعيداً عنها. هي تشجع فتح المصانع وتشجع التجارة والزراعة، لكن في حدود ضيقة. فلو أنها شجعت جموع الشعب على المشاركة فهذا سيجعل الشعب يملك القوة وسيجعله يغير الحكام. قد تكون العصابة مجموعة جنرالات، تقوم برشوة الجيش ببعض الامتيازات، فيكون الجيش قاعدة قوتها. وقد تكون العصابة زعماء العشائر، وقد تكون طائفة مذهبية. ولكنها في جميع أشكالها محتاجة إلى قوة قمع مسلحة، تكون في الغالب جيش البلاد الذي تقول العصابة إنه لحماية الوطن من أعداء الخارج، ويكون المطلوب منه في الغالب أن يحمي العصابة من الشعب.

في النمط الامتصاصي لا يسهل امتصاص الثروات من البلد مع وجود قوى روحية وأدبية وعلمية كثيرة. تفضل العصابة أن يتلهى الناس بتسلية رخيصة وتهريج إعلامي لا يرقّي العقل. وتحرص على أن يكون العلم محصوراً في العصابة نفسها، وهو خطر أيضاً، إذ يمكن أن يتسرب إلى الجموع، الأفضل قليل جداً من العلم. يكفي أن يكون في البلد بضعة أطباء حقيقيين ماهرين لاستئصال الزائدة، وإجراء العمليات السريعة الضرورية، فأما إذا احتاج أحد أفراد العصابة إلى علاج معقد فهو يحمل علته إلى مستشفى كرومويل في لندن، أو مايو كلينيك في أميركا. العلم الواسع المنتشر بين أفراد الشعب ستنج عنه بقاء مضيئة لا يمكن للعصابة أن تتحكم بها.

ويمكن للنمط التشاركي أن يكون رأسمالياً منفلاً كأمركا، أو رأسمالياً تكافلياً كالألمانيا، أو قريباً من الاشتراكية كالسويد. وهذا النمط لا يحل، ولا يسعى لحل، التفاوت في الدخل بين الناس.

سهل على المرء أن يحدد بناء على هذه النظرية الهلامية طبيعة الحكم في بلده. وبلدان العرب متفاوتة، ولكنها في العموم لم تسر سيرة تشاركية بما يؤهلها لبدء إنتاج المعرفة.

ليس للشعر في هذا المقام الدور الريادي. لكنه يصرخ - وأحياناً يهمس - بالشكوى. ولأن الشاعر الجيد صادق وحر فهو يحفز. انظر إلى التونسيين: كم شتم الشابي الشعب، وكم عبر عن فكرة عميقة هي أن المهم ليس فقط التخلص من الاستعمار الفرنسي بل أن ننال الجدارة بهذا الاستقلال، وأن نكف عن العيش في الماضي. صرخة عزيزة وبديعة من شاب تخرج من الزيتونة، وكان مؤهلاً لمنصب القضاء الشرعي. (انظر باب الشابي في هذا الكتاب).

ومن الشعراء من يرقص ويغني، ويتغنى بالعروبة، وبجمال المرأة. لم لا. ومنهم من يمدح المناضلين، ومنهم من يمدح الوزير مدحاً جميلاً (إبراهيم ناجي). ومنهم من يرى زهرة في البستان فينظم لها قصيدة، فإذا القصيدة تغلغل في عمق مشكلة المرأة في بلادنا، ذاك إلياس فرحات (القصيدة رقم ٢٢). وهذا شاعر يقول للعساكر إن ما قمتم بها ليس ثورات بل انقلابات تافهة (أبو سلمى ٢٧). وهذا شاعر يتغنى بالخمير، ويسأل نفسه عن علة الوجود (فهد العسكر، وعرار في كثير من قصائدهما). وهذا شاعر يحب المرأة حباً جماً، ويتألم للجدران التي أقامها في وجهه فقد البصر (البرثوني)، وآخر يصب لعناته على

رجال الدين الأثرياء الذين لم يتصدقوا في زمن المجاعة (إلياس فرحات مرة أخرى).

لا يجتمع الشعراء الثلاثة عشر في هذا الكتاب على موضوع بعينه، ولا على أسلوب. لكن في مقدوري أن أقول لك: الـ ٨٠٠ قصيدة في هذا الكتاب تؤرخ أجمل تأريخ لمشاعر العرب في القرن العشرين. لكنها اختيرت لسبب آخر كل الآخرية؛ اختيرت لأنها من أجمل الشعر. لم أختَر بيتاً واحداً كي يؤرخ لحقبة أو يفسر حالة نفسية، لم أرد من هذه المختارات أن تكون تأريخاً لشيء، لكنها كانت رغم أنفي. واختياراتي هذه واقعة تحت شرط قاسٍ هو أنها من الشعر العمودي فحسب. فأما الشعر التفعيلي فتركته حتى يحكم عليه الزمن. وفيه من الروائع ما فيه.

لو كنت أختار الشعر كي يروي قصة البلدان العربية لجعلت لكل بلد نصيباً. ولست أنكر أن في كل بلد عربي شعراً جميلاً. لكن الكتاب كتاب شعراء. فإذا كان لشاعر وسط قصيدة بديعة فهي لا ترد لأن صاحبها لم يرد. والشعراء الوسط بضعة آلاف، وما كان يمكنني أن أتعبهم جميعاً. فاخترت كبارهم، ثم اخترت من شعر كبارهم. ولو كنت أنتمي إلى بلد غير بلدي لاختلف عملي. فأنا أسير بيتي، أسير متحرراً من قيودي حيناً، وأرسف أحياناً. لماذا لم أختَر شاعراً أندلسياً؟ لم أر أحداً من شعراء الأندلس تخلص من تقليد المشاركة.

جعلنا سلسلة «الزبد» هذه أنطولوجيا للشعر العربي من بداياته إلى أن غيّر طريقه وفكك البيت الخالد ذا الشطرين. وقد قرأت لإسماعيل أدهم، وللمستشرق الروسي كراتشكوفسكي كلاماً طيباً في عشرينيات القرن العشرين فحواه أنه آن لبيت الشعر العربي أن ينصرف عن هذا القلب الجامد.

وقد تفتح وعبي على رنة شعر التفعيلة، فقرأت نزاراً وفدوى طوقان وسميح القاسم ومحمود درويش ونازك الملائكة والسياب يافعاً. وأنا متحمس لشعر التفعيلة. لكن قلبي لا يطاوعني على الجزم بأن الشعر العمودي مات. أرجح، ترجيحاً فقط، أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة. لقد ماتت بعض أوزانه كمخلع البسيط والمنسرح والمديد (هذا الأخير كان ميتاً منذ ألف سنة)، وخرج الوزن من الأذن العربية.

عموماً، هل للشعر مستقبل؟ لا أدري. الرواية هي الأدب الآن. حتى

الأغاني بدأت تتخلص من الشعر وصارت عبارة عن خواطر ملحنة.

فهل تشغلني «قضية الشعر»؟ لا، ولا أحب تسمية هذا الشيء «قضية». إذا غرد البلبيل فهذا شأنه، وإذا سكوت فلن آتي له بلبلة تثير أشجانه لكي يغرد. صحيح أنني لن أخرج من قفصه لكي أطبخه وأتعشى به. لكنني لست منشغلاً بتغريده. فإذا سكوت فعندي اليوتوب وعليه من الأغاني والموسيقى ما يمتعني.

ألا تشغلني «قضية اللغة» إذن؟ بلى، تشغلني جداً. ولكن ليس على طريقة من يشغلهم الشعر ويترنمون بجمال اللغة وأصالتها. تشغلني اللغة لأنه يشغلني العلم الذي أسلفت كلاماً كثيراً عنه. واللغة هي الحنفية التي سنشرب منها العلم.

ولو كنت رأيت أمة كبيرة تنهض علمياً بتبديل جلد لها اللغوي، لرأيت في دعوات التخلي عن اللغة العربية في الجامعة وفي المدرسة ما يمكن أن يكون موضع نظر.

وضعت كتب هذه السلسلة منجمة على بضع سنين، فإن رأيتني أكرر بعض الآراء والمواقف فيها قد بسطت عذري، ثم إن الذاكرة تتراجع، وكل شيء يتراجع.

عرفان

رافقني في نشر هذا الكتاب، وفي الكتب الأربعة التي سبقتها من سلسلة «الزبدة» الصديق الأديب محمد عبد العزيز الهجين، تبرع أن يكون الوسيط بيني وبين الناشر. كأنه أدرك بحدس صائب، عندما قابلني أول مرة، أنني من أولئك القوم الذين يفرشون ملاءة الحديث في المجالس عن أمور يصنعونها، ثم لا يكونون «قادرين على التمام». كأنه عرف أنني أكتب الكتب لفقط أتحدث عنها أمام أصحابي، فإذا ما تمت تأليفاً فمكانها ملف أصفر في دهليز من دهاليز الحاسوب. فمد محمد يداً قوية وانتشل الكتاب من بين يدي جزءاً فجزءاً، ودفع به إلى الناشر. فله الشكر.

ورافقني في هذا الكتاب، وفي معظم ما سبقه من السلسلة، الصديق الشاعر عمران القفيني مصححاً أخطائي في الإملاء والنحو، ومعلقاً على اختياراتي، ومناقشاً شرحي. ولعله تنبه إلى أن أخطائي كانت تقل في الباب بعد الباب من أبواب هذا الجزء! هذا بسبب موالاته التدقيق والتقريع، وكثيراً

أيضاً.. التشجيع. على أنه لم يفلت باب من الأبواب من جريدة تصحيحات تأتيني من عمران على جناح الإيميل فأفزع إلى نسختي أنزهها عن الخطأ. فما بقي من أخطاء فهو رائحة الطين البشري التي ليس منها بد. قالوا: قد شاء ربك ألا يكون كاملاً إلا كتابه العزيز. وقالوا: من أَلَفَ فقد استهدف، أي نصب نفسه هدفاً. وكنت أَرْضَى أن أنصب نفسي هدفاً للنقد وللقدح، لو وجدت القارئ، لكنني أتيت في ذيل الزمن.

كل الذي يمكن أن آخذه أخذته، وكل ما يمكن أن أعطيه أعطيته، لقد وصلت قمة العمر وما كرهته، ولست خلفي ناظراً أرى الذي خلفته، من صاد ظبية كفته غيرها ظبيته، غرست رمحي فوق قمتي وما تركته، لا ريح لا شمس بل البرد المخيف صمته، نزعتم رمحي ثم إني كالعصا اتخذته، أريده يندق في صدري لو استطعته، ما يصنع الشيخ إذا الهبوط حان وقته؟ عمّا قليل سوف يخذل السراج زيت، وحينها يستبطئ الشيخ ابنه وبنته، يضيق ثوبه به يمل منه. بيته، لم أر ذاك إنما كأني رأيت، دعاؤهم «حسن الختام» لي وقد سمعته، يا سعد من في قمة العمر أتاه موته.

الدوحة ٢٨ نيسان/ أبريل ٢٠١٧

غرة شعبان ١٤٣٨

بشارة الخوري (الأخطل الصغير) (١٨٨٥ - ١٩٦٨).

كدت أفتح النار على أديب ميت. كنت مشحوناً عليه، غاضباً، وفتحت صفحة جديدة على الحاسوب، ولم أنقر حرفاً. تيبست أصابعي.
ما أشد فرحي أنني ارعويت.

ذهبت إلى كتاب من كتب ذلك الأديب. فتحتة وقرأت فيه قليلاً، وقلت لنفسني جملة ظلت تتردد بين حيطان كتبي هذه التي أسميها «الزبدة»، والتي يختتمها الكتاب الذي بين يديك، وهذه الجملة هي: الشاعر بجيده لا برديته.

لعلك تظن أنني بدأت أفكر في الاعتذار عما سلف مني في حق الأكاديميين؟ لا، وما، وليس، وكلاً. وقد ينالهم مني بعد حين ما كان نالهم في مقدمات سابقة. على أنني أخبئ مديحاً لسيدة أكاديمية في ذيل هذه المقدمة.

تذكرت أنني قرأت لسعيد عقل نثراً حلواً، وشعراً حلواً. تذكرت قصائده العامية اللطيفة، وبعض شعره الفصيح، وكثيراً من نشره الرائق، ورجعت إلى بعض ذلك متصفحاً، فأمسكت عن الوقوع فيه. أمسكت وفي نفسي بعض من ذلك الغضب الأول.

لقد كتب سعيد عقل مقدمة لديوان الأخطل الصغير تصلح أن تُفرض فرضاً على كل متأدب وصحفي وبذيلها عبارة (لا تكتب هكذا). كان يجامل، ويتلوى في عباراته تلويحاً تأباه كل لغة، ويأباه كل منطق. ولا نبخس الناس أشياءهم، فللرجل كتابة جميلة، بعضها يحلق عالياً في سماء الفن. ولا نؤاخذه في مواقفه

السياسية ولا في حملاته الساذجة، كحملته على الحرف العربي، فقد أخذنا أنفسنا بالأنا نقرع الحجة إلا بالحجة. فأما الشتم المحض فنقدمه إلى الدجالين.

في مكتبي بضعة كتب تتناول الأدب الحديث، فهل هي المصادفة وحدها التي جعلت هذه الكتب جميعاً تتفق على أن تكون فارغة؟ كنت أريد أن أشبهها بأرانب الشوكولاتة التي يشترونها للأطفال في عيد الميلاد، يفرح بها الطفل، ويزيل عنها ورقة السلوفان ويحطمها، فإذا هي فارغة من الداخل، وليس بها من الشوكولاتة إلا هيكلها الخارجي الرقيق. ثم قلت في نفسي: لا والله، تلك الكتب ليس فيها أي نفع لا رقيق ولا سميك.

قدم الخوري ميخائيل إلى بيروت وسكن في ضاحية من ضواحيها، كان طبيباً عربياً. وعلم ابنه عبد الله الطب العربي، ففاق الابن أباه، وأخذ يجتهد ويطلع الكتب العربية والسريانية، وأخذ يطبب الناس، وأخذ الله يشفيهم. فكان الناس يحمدون الله ويشكرون الطبيب. وتملك عبد الله أملاكاً، وصار له من عقبة ستة: ثلاث بنات وثلاثة صبيان. وجاء السابع عام ١٨٨٥ فكان شاعرنا: بشارة ابن الطبيب عبد الله ابن الخوري ميخائيل. وعاش الطبيب العربي حتى الخامسة والتسعين، وتوفي قبل الحرب العالمية الأولى ببضع سنين، فلم يشهد ويلات المجاعة. بل ترك أولاده في حال حسنة في ظل الدولة العثمانية التي كانت لها في بيروت الكلمة العليا، بخلاف جبل لبنان الذي نال بعض استقلال تحت حماية الدول الأوروبية.

دخل بشارة الخوري الكتاب عند المعلم ضومط، وما كان هذا الكتاب سوى دكان على قارعة الطريق. لكنه كان يعلم الصبية العربية، ويحبهم في هذه اللغة العنيدة التي لم ينفع فيها تترك ولا فرنسة في العهد العثماني ثم الانتدابي، فلما جاء الاستقلال الناجز نفع فيها كل شيء.

تربى بشارة على العربية. أصيب بفيروسها في سن طرية. ثم دخل المدرسة الأرثوذكسية الإكليريكية، ثم مدرسة الحكمة، وفيهما درس العربية من كتب قادة النهضة اللغوية العربية في لبنان: ناصيف اليازجي وعبد الله البستاني، وغيرهما. قال إنه التقى في مدرسة الحكمة جبران خليل جبران «بشعره الخنفي وقمبازه البلدي». ولك أن تتخيل جبران باللباس العربي.. ليس أمراً سهلاً. ودرس بشارة الخوري في مدرسة المزار في غزير، وكان ينال الجوائز في موضوعات اللغة العربية ولم ينل جوائز في موضوعات اللغة الفرنسية.

ثم درس في الفرير، فتعلم الفرنسية وبلغ بها مبلغ من يقرأ ويفهم. وغادر المدارس وهو في سن العشرين، فيمكننا القول إن بشاره الخوري، من بين الشعراء، نال دراسة شبه جامعية.

بعد المدارس بثلاث سنوات فتح جريدة «البرق». كان الدستور العثماني قد أُقِرَّ وتحررت الصحف وزال العهد الحميدي. لكن بيروت ابتليت بوالٍ عثماني صعب، قارعه بشاره فضيق الوالي عليه بعض التضييق ومنع جريدته من دخول المتصرفية. وعزل الوالي، وتنفس بشاره الصعداء. وكان يكتب الافتتاحية لكل عدد، وكان ينشر أشعاره في جريدته. أدخله أخوه الأكبر يوسف في الماسونية، ثم خرج منها سريعاً. ومع بداية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ حل بلبنان زمن الجوع والخوف. الجوع لأن الدولة العثمانية أخذت المحاصيل لإطعام جيوشها، والخوف لأن السلطات التركية صبت على كثيرين في بلاد العرب سوط عذاب لأنهم تعاطفوا مع حركة التمرد على الدولة العثمانية بقيادة شريف مكة. وفي لبنان كان شُنق أحرار العرب على يد جمال باشا السفاح.

أغلق بشاره «البرق» مع بدايات الحرب، وتوارى في قرية بعيدة خوف الاعتقال، وما قد يكون أسوأ من الاعتقال، وغير اسمه وسمته. ولم يعد إلى بيته إلا بعد عامين. وباع في سني الحرب أملاكاً كي يعيل أهله. في هذه الفترة لقب نفسه الأخطل الصغير، وظل يكتب الشعر، بل كتب شعراً كثيراً. وعمل سنة موظفاً في شركة قمح.

وما انتهت الحرب عام ١٩١٨ حتى أعاد إصدار «البرق»، وراح ينشر فيها ما تجمع لديه من شعر. رحب بشاره بالانتداب الفرنسي، ١٩٢٠، ولبنان الكبير الذي ضم إليه الفرنسيون البقاع. وتزوج في هذه السنة. ونال في السنة التي تلتها وسام المعارف من الفرنسيين. وكتب في السياسة وفي الاجتماع، وترشح للنيابة عام ١٩٢٥ مفرداً فسقط سقوطاً مدوياً لم يمنعه بعد بضع سنين من أن يصبح رئيس بلدية في برج حمود ببيروت. وتصاعدت انتقاداته للانتداب الفرنسي فأغلقت البرق سنة ١٩٣٢. وجاء الاستقلال عام ١٩٤٣، ولم تساعده الحكومة حتى يعيد فتح جريدته. فاعتزل السياسة واكتفى بتلبية الدعوات لتكريم الأحياء وتأيين الأموات والمشاركة في المهرجانات الألفية. زار سوريا ومصر وفلسطين والعراق والسعودية. وفي عام ١٩٥٤ كرموه مرة في بيروت وأخرى في مصر، ثم كرموه تكريماً أكبر في بيروت عام ١٩٦١، وفي العام نفسه اشترك ابنه

عبد الله مع الشاعر سعيد عقل في تشذيب أشعاره ونشرها في ديوان لقبوه على غلافه أمير الشعراء. لكن اللقب لم يقنع أحداً، فبشارة الخوري لم يقل شعراً مهماً منذ أكثر من ثلاثين سنة. وفي هذه السنين العجاف واجه بشارة الخوري حملة نقدية من مارون عبود وأمين الريحاني وشبلي الملاط وإلياس أبو شبكة وحتى من سعيد عقل الذي عاد وصالحه.

كان من سوء حظّه أنه عاش طويلاً بعد أن خمدت جذوة الشعر في قلبه. وكان من حسن حظّه أن فيروز ومحمد عبد الوهاب وفريد الأطرش غنوا عدة قصائد له. فظل في البال، مشهوراً يعيش على قديمه، ولعل هذا بعض ما أثار حسد من لم ينالوا مثل شهرته.

عاش سنه الأخيرة معزلاً في بيته مع أولاده وأحفاده، فإن خرج فإلى مقهى بساحة الشهداء يجالس فيه المتأدبين والكأس. ومات عن ثلاث وثمانين سنة في عام ١٩٦٨.

كثير من هذه المعلومات أخذتها عن رسالة ماجستير جامعية للسيدة سهام أبو جودة قدمتها للجامعة الأميركية في بيروت عام ١٩٧٠ بعد وفاة الشاعر بسنتين. وقد استندت الباحثة إلى أسرته ومعارفه وأوراقه. وكانت قد زارته مراراً، منذ ما قبل وفاته بثلاث سنين، زيارات تضمنت البحث في سيرته. ومما تذكره أنه قال لها، عندما سألتها عن الطبعة الأخيرة «المعتمدة» لديوانه التي نسقها ابنه عبد الله وسعيد عقل: الله يسامحك يا عبد الله، الله يسامحك يا سعيد. غير أن الباحثة أشارت في موضع آخر من رسالتها، التي بلغت أربعمئة صفحة، إلى أن الشاعر لم يكن غير راضٍ عن هذه الطبعة.

وهذه الطبعة هي التي اعتمدناها.

باحث يريد أن «يصنع» ديوان بشارة الخوري صنعة علمية دون تشذيب فإن رسالة سهام أبو جودة تتضمن رسداً للقصائد ومظانها، هذا إن لم تكن قد صنعت مثل هذا الديوان ولم ندر به.

لا عذر لي في محافل العلم والنشر الأكاديمي الرصين في أنني اقتصرت على طبعة «مشذبة» في اختياراتي من شعر بشارة الخوري. لكنني لا أجد القاعدة البحثية المتينة التي تعينني، ولم أطالب نفسي بأن أرتحل في طلب العلم. وكان من حسن حظي أن وجدت رسالة جامعية محترمة توفر لي معلومات طيبة ومدققة عن حياة الشاعر.

بشارة الخوري شاعر حقيقي، توهج سنوات قلائل، ثم خبا.. وظل عائشاً. فإن قرأت مقالات مارون عبود الكثيرة، الموزعة في أكثر من كتاب من كتبه، التي ينقد فيها بلسانه الساخر المعروف شاعرنا المجبل فاعلم أنها نقد لشعر شاعر أجبل أي أنزف أي انقطع ماؤه. ولكننا اليوم نسمع «جفنه علم الغزل» ومنتظر الشطر الثاني «ومن العلم ما قتل» ونقول الله!

١ سنو وايت

نَمَّ إِنَّ قَلْبِي فَوْقَ مَهْدِكَ، كُلَّمَا ذَكَرَ الْهَوَى صَلَّى عَلَيْكَ وَسَلَّمَا
لَوْ أَنَّ بَعْضَ هَوَاكَ كَانَ تَعَبُداً وَحَيَاةَ عَيْنِكَ مَا دَخَلْتُ جَهَنَّمَا

٢ الموت الشهي

شَعْرُهَا قِطْعَةً مِنَ اللَّيْلِ؛ وَالْحَدَّ قَبَّلَتْهُ شَمْسُ الضُّحَى فَتَوَرَّدَ
وَعَلَى صَدْرِهَا، مَتَى تَتَنَهَّدُ مَوْجَةٌ هَزَّتِ الصَّغِيرَيْنِ فِي الْمَهْدِ
فَاشْرَافَا كَمَنْ تَخَوَّفَ شَيْئاً
إِنَّ مَشَتْ، فَالْقُلُوبُ تَحْتَ خُطَاها لَا تُبَالِي نَعِيمَهَا مِنْ شَقَاها
إِنَّ قَلْباً تَدُوسُهُ قَدَمَاها وَدِمَاءُ تَبُلُّ ذَيْلَ رِذَاها
ذَلِكَ الْقَلْبُ مَاتَ مَوْتاً شَهِيّاً

٣ التلثم

وَرَشَفْنَا كَأْسَ الْحُمَيَّا فَبَاخَتْ بِالَّذِي فِي الصَّدُورِ مِنَّا الْوُجُوهُ
رَشَفْنَا كَأْسَ الْحُمَيَّا، الْخَمْرُ، فَبَدَا عَلَى وَجُوهِنَا مَا نَكْتُمُهُ فِي صُدُورِنَا مِنْ عَشَقٍ
قُلْتُ: أَهْوَاكَ يَا مَلَائِكِي قَرَدْتُ مُقَلَّتَاهُ، لَكِنْ تَلَعْنَمَ قُوهُ

٤ بعض القلوب

إِنَّ بَعْضَ الْقُلُوبِ لَا يُنْبِتُ الشُّكَّ رَانَ، مَهْمَا زَرَعَتْهُ إِحْسَانَا

٥ المسلول

عَبْنَاهُ عَالِقَتَانِ فِي نَفَقِ كِسْرَاجِ كُوخٍ نَصِفِ مَنَقِدِ

وَيَمُحُّ أَحْيَاناً دَمًا، فَعَلَى مَسَدٍ قَطَعَ مِنَ الْكَبِدِ

٦ اسأل فمك

أَتَحَلَّتَنِي بِالْهَجْرِ مَا أَظْلَمَكَ ! فَارْحَمْ عَسَى الرَّحْمَنُ أَنْ يَرْحَمَكَ
مَا كَانَ أَحْلَى قُبَلَاتِ الْهَوَى إِنْ كُنْتَ لَا تَذْكُرُ فَاسْأَلْ فَمَكَ
مَوْلَايَ إِنْ وَاصَلْتَنِي بِالْجَفَا فَمَتُّ فِي شَرْخِ الصَّبَا مُفْرَمَكَ
قُلْ لِلدُّجَى مَاتَ شَهِيدَ الْهَوَى فَانْزُرْ عَلَى أَكْفَانِهِ أَنْجُمَكَ
يريدها الديوان المطبوع، وفريد الأطرش «شهير» بالضم، لكن الشاعر قالها شهيد فيما نحسب

٧ الفقير

وَبَحَّ الْفَقِيرُ فَمَا تَرَاهُ يُلَاقِي سُدَّتْ عَلَيْهِ مَنَافِذُ الْأَرْزَاقِ
عَلَّقُ الْمَجَاعَةِ مَصَّ بَعْضِ دِمَائِهِ وَتَعَسَّفُ الْحُكَّامُ مَصَّ الْبَاقِي
العلق: دود يمص الدم

٨ الغواصة

لَبِثْنَا فِي الْكَهْفِ، حَتَّى يَنْقَضِيَ، لَا شِفَاءَ لِلَّهِ، جَهْلُ الدُّوَلِ
سَعَرُوهَا، لَوْ أَصَابَتْ جَبَلًا رَاسِخًا، لَانْهَدَّ رُكْنُ الْجَبَلِ
يَا لِعَيْنَيْكَ تَرَى غَوَاصَةً نَزَلَتْ مِنْ لُجَّةٍ فِي الْأَسْفَلِ
اللجة: البحر العميق

وَلَقَدْ تُلَمَّحُ فِي الْمَاءِ، كَمَا يُلَمَّحُ الْمَعْنَى خِلَالَ الْجُمَلِ
عَجَبًا لِلْحُوتِ فِي أَحْسَائِهِ بَشَرٌ مَا يَأْمُرُوا يَمْتَثِلِ
حُوتٌ يُونَانَ حَوَاهُ رَجُلًا وَيَخُوتِ الْيَوْمِ كَمِ مِنْ رَجُلٍ
حوت يونان: حوت النبي يونس، فقد احتوى رجلاً واحداً، فأما الغواصة ففيها رجال كثير

وُجِدَتْ كَيْ تَصِلَ السُّبُلَ، وَقَدْ صَارَتْ الْيَوْمَ لِقَطْعِ السُّبُلِ
السفينة صنعت لتصل الطرق ما بين البلاد، والغواصة التي تغرق السفن تقطع الطرق. وهذا الكلام
قليل وقد شهدت الحرب العالمية الأولى استعمال الغواصات في إغراق السفن

٩ ذات الموجتين

أَلَمَهَا أَهَدَتْ إِلَيْهَا الْمُقْلَتَيْنِ وَالظُّبَا أَهَدَتْ إِلَيْهَا الْعُنُقَا
المها: بقر الوحش ذو العيون الواسعة، الظبا: الظباء، الغزلان

فَهُمَا فِي الْحَسَنِ أَسْنَى جَلِيَّتَيْنِ لِلْعَذَارَى، جَلٌّ مَنْ قَدْ خَلَقَا
وَدَرَى الرُّوضُ بِتَيْنِ الْمُنْحَتَيْنِ وَقَدِيمًا يَعَشَقُ الرُّوضُ الْجِسَانُ
بتين: بهاتين

فَكَسَا بِالْوَرْدِ مِنْهَا الْوَجْنَتَيْنِ وَكَسَا مَبْسِمَهَا بِالْأَفْحْوَانِ
وَرَمَى فِي صَدْرِهَا رُمَانَتَيْنِ مَنْ رَأَى الرُّمَانَ فَوْقَ الْخَيْرَانِ
يشبه قدها التحيل بالخيزران

فَهُمَا فِي صَدْرِهَا كَالْمَوْجَتَيْنِ أَيُّ صَبٍّ مَا تَمَنَّى الْفَرْقَا؟
أَوْ هُمَا - وَلَيْسَلَمَا - كَالْتَّوَامَيْنِ كُلَّمَا هَمَّتْ بِأَمْرِ قَلْبَا
وَرَأَاهَا اللَّيْلُ فَاخْتَارَ الْمُقَامَ - وَلَقَدْ طَابَ لَهُ - فِي شَعْرِهَا
أي أن شعرها أسود كالليل

وَصَبَا الْفَجْرُ فَأَضْحَى حِينَ هَامَ بِهَوَاهَا دُرَّةً فِي نَعْرِهَا
صبا: عثيق

فَإِذَا مَيُّ كَمَا شَاءَ الْغَرَامَ مَا نَجَا ذُو صَبُوءَةٍ مِنْ أَسْرِهَا

١٠ المعتذر

قَدْ أَتَاكَ يَمَعَزْدُرُ لَا تَسَلُهُ مَا الْخَبَرُ
كُلَّمَا أَطْلَلْتَ لَهُ فِي الْحَدِيثِ يَخْتَصِرُ
فِي عُيُونِهِ خَبَرُ لَيْسَ يَكْذِبُ النَّظَرُ
قَدْ وَهَبْتُهُ عُمُرِي ضَاعَ عِنْدَهُ الْعُمُرُ
حُبُّنَا الَّذِي نَشَرُوا مِنْ شَذَاهُ مَا نَشَرُوا
صُوِّحَتْ أَزَاهِرُهُ قَبْلَ يَغْقَدُ الثَّمَرُ

صوحت: جفت، يَغْقَدُ الثمر: يتحول من براعم إلى ثمار.. ونحن نقول الثمر يَغْقَدُ، لا يُعْقَدُ..
لكن فيروز أرادت تفصيحها فجعلتها من باب ما لم يُسَمَّ فاعله

عُدْ، فَعَنَّاكَ يُؤْنِسُنِي فِي سَمَائِهِ الْقَمَرُ
يؤنسي عنك، بدلاً منك، القمر

قَدْ وَقَى بِمَوْعِدِهِ حِينَ خَانَتِ الْبَشَرُ

١١ جفنه علم الغزل

جَفْنُهُ عِلْمَ الْقَزَلِ وَمِنْ الْعِلْمِ مَا قَتَلَ
فَحَرَقْنَا نَفُوسَنَا فِي جَحِيمٍ مِنَ الْقُبُلِ
وَنَشَدْنَا، وَلَمْ نَزَلْ حُلْمَ الْحُبِّ وَالشَّبَابِ
حُلْمَ الزَّهْرِ وَالنَّدَى حُلْمَ اللَّهْوِ وَالشَّرَابِ
هَاتِيهَا مِنْ يَدِ الرِّضَا جُرْعَةً تَبْعَثُ الْجُنُونَ
اسمع عبد الوهاب يغنيها، وفي الإعادة يقول «هاهاهاتها» وهذه خفة روح حلوة كالعسل من
عبد الوهاب

كَيْفَ يَشْكُو مِنَ الظُّلَمِ مَنْ لَهُ هَذِهِ الْعُيُونُ
يَا حَبِيبِي، أَكُلَّمَا ضَمَّنَا لِلْهَوَى مَكَانَ
أَشْعَلُوا النَّارَ حَوْلَنَا فَعَدَوْنَا لَهَا دُخَانَ
قُلْ لِمَنْ لَمْ فِي الْهَوَى هَكَذَا الْحَسَنُ قَدْ أَمَرَ
إِنْ عَشِقْنَا، فَعُدْنَا أَنْ فِي وَجْهِهَا نَظَرُ

١٢ عش أنت

عِشْ أَنْتَ، إِنِّي مُتٌ بَعْدَكَ وَأُطِلُّ إِلَى مَا شِئْتَ صَدَّكَ
كَانَتْ بَقَايَا لِلْغُرَا مِ بِمُهْجَتِي فَحَتَمْتُ بَعْدَكَ
مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ عَدَلْتُ تَ أَمَا رَأَتْ عَيْنَاكَ قَدَّكَ
كان حرياً بك أن تعدل لأن قلدك معتدل رشيق

وَجَعَلْتَ مِنْ جَفْنِي مُتًّا كَأَنَّ مِنْ عَيْنِي مَهْدَكَ
وَحَيَاةَ عَيْنِكَ وَهِيَ عِنْدِي مِثْلَمَا الْقِرَانُ عِنْدَكَ
يغنيها فريد الأطرش «مثلما الإيمان»، وهي هكذا في الطبعة الثانية من الديوان، غير أن الطبعة
الأولى كانت في زمن أكثر استرخاءً فجاءت بها كما الشاعر قالها

مَا قَلْبُ أُمِّكَ إِنْ تُفَا رِقْهَا وَلَمْ تَبْلُغْ أَشَدَّكَ ..
فَهَوْتُ عَلَيْكَ بِصَدْرِهَا يَوْمَ الْفِرَاقِ لِتَسْتَرِدَّكَ ..
بِأَشَدِّ مِنْ خَفَقَانِ قَلْبٍ بِي يَوْمَ قِيلِ خَفَرْتُ عَنْكَ

١٣ تبعات الهوى

يَا حَبِيبِي لِأَجْلِ عَيْنَيْكَ مَا أَل مَقَى وَمَا أَوَّلَ الْوُشَاةِ عَلَبًا
أَوَّلُ: فَسَّرَ وتجاوز الحقيقة

أَنَا الْعَاشِقُ الْوَحِيدُ لِتُلْقَى تَبَعَاتُ الْهَوَى عَلَى كَتِفَيَا

١٤ يا نسيم الدجى

يَا نَسِيمَ الدُّجَى اللَّطِيفَ احْتَمِلْنِي لِيْ عَهْدٌ عِنْدَ النَّسِيمِ لِرَآمٍ
احتملني: احملني واذهب بي إلى الحبيب، اللزام: الملازم دوماً
كُلْنَا نَاجِلٌ: فَأَنْتَ بَرَاكَ اللَّـ هُ، لَكُنْ أَنَا بَرَانِي السَّقَامُ
براك الله: برأك وخلقك، براني السقام: أهزلني وأهزلني

١٥ احتضار الشعر

حَفِظَ اللَّهُ مُهَجَةَ الشَّعْرِ فِي الشَّرِّ قِي وَوَقَّاهُ عَادِيَاتِ زَمَانِهِ
عاديات: مصائب

كَانَ رِيحَانَةَ الْمَنَاذِرَةِ الْغُرِّ - وَرَاحَ الْأَرْوَاحِ فِي غَسَّانِهِ
كان الشعر ريحانة يشمها المناذرة الغر، السادة الكرام، في الحيرة؟ وكان راح الأرواح، أي خمر الأرواح، عند الغساسة في الشام

مَا زَهَا مَفْرُقٌ بِتَاجٍ إِذَا لَمْ يَزُهُ بِالْخَالِدَاتِ مِنْ تِجَاجَانِهِ
لم يكن مفرق رأس ملك ليزهو، ويفتخر، بالتاج ما لم يكن مفتخراً بالأشعار الخالدة التي قبلت في الملك

يَتَمَنَّى الْمَلُوكُ لَوْ أَنْعَمَ اللَّـ هُ عَلَيْهِمْ بِسَكْرَةٍ فِي حَايَةِ
لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا أَسَاءَ إِلَى الْآيِّ - سَامٍ حَتَّى أَمْعَنَ فِي عُدْوَانِهِ؟
ماذا أساء الشعر إلى الزمن حتى أسرف الزمن في التعدي عليه؟

فَهَوَى مِنْ سَمَائِهِ كَاسِفَ اللَّوْ نِ إِلَى هُوَّةِ الشَّقَا وَهَوَايَهْ
كُلَّمَا هَمَّ أَنْ يُطَاطِيئَ لِلدَّمَ رِ رَنَاهُ الْعَرِيقُ مِنْ عُنْفَوَانِهْ
كلما نوى الشعر أن يخفض رأسه أبى له عنفوانه العريق ذلك

مُؤَثِّرٌ أَنْ يَمُوتَ فِي كُوجِهِ الْفَا نِي عَلَى الْبَاقِيَاتِ مِنْ دِيَوَانِهْ
يَحْمِلُ الْإِبْتِسَامَ فِي شَفَتَيْهِ وَالْمَنَايَا تَسِيلُ مِنْ أَرْدَانِهْ
أردانه : أكمامه

كَسِرَاجٍ فِي جَوْفِ دَيْرٍ قَدِيمٍ هُرِقَتْ رُوحُهُ عَلَى جُذْرَانِهْ
يشبه اضمحلل الشعر بسراج في دير وقد بدأ يخبو نوره فكانه يهرق روحه ويسكبها على جذران
الدير . .

يَشْهَقُ الشَّهَقَةَ الْخَفِيفَةَ فِي الْقَجْ رِ وَيُفْنِي أَنْفَاسَهُ بِدُخَانِهْ
كَعَلِيلٍ عَلَى فِرَاشٍ مِنَ السَّلِّ - بَعِيدِ الْمَزَارِ عَنْ إِخْوَانِهْ
كُلَّمَا أَلْحَفَ السُّعَالُ عَلَيْهِ أَطْعَمَ الْمَوْتَ قِطْعَةً مِنْ جَنَانِهْ

١٦ رسائل فموية

فَرُخَانٍ فِي وَكْرِ تَلَاقَى جَانِحُ وَجَانِحُ، وَمِنْقَرُ وَمِنْقَرُ
يَخْتَلِسُ الْقُبْلَةَ مِنْ مَبْسِمِهَا هَلْ تَعْرِفُ الْعُصْفُورُ كَيْفَ يَنْقَرُ؟
'وَهُوَ إِذَا أَمْعَنَ فِي ارْتِشَافِهَا عَلَّمْنَا كَيْفَ يَذُوبُ السُّكَّرُ
رِسَالَةً مِنْ قَمِيهِ لِقَمِهَا كَذَا رِسَالَاتُ الْهَوَى تُخْتَصِرُ
مَا الْحَسَنُ لَوْلَا الشَّعْرُ إِلَّا زَهْرَةٌ يَلْهُو بِهَا فِي لِحْظَتَيْنِ النَّظَرُ
لَكِنَّهَا إِنْ أَذْرَكَثَهَا رِقَّةٌ مِنْ شَاعِرٍ أَوْ دَمْعَةٍ تَنْحَدِرُ
لكنها : أي لكن الزهرة

سَالَتْ دِمَاءُ الْخُلْدِ مِنْ أَوْرَاقِهَا وَنَامَ تَحْتَ قَدَمَيْهَا الْقَدَرُ

١٧ العمر لحظة

فَانْهَبِ الْعَيْشَ لَا أَبَالَكَ نَهْبًا وَاطَّرِحْ عَنْكَ وَجْهَكَ الْمُسْتَعَارَا
لَسْتَ مَهْمَا عُمِرْتَ غَيْرَ جَنَاحٍ حَطَّ فِي الدَّوْحِ لِحْظَةً ثُمَّ طَارَا
جناح : طائر، الدوح : الشجرة الوارفة

١٨ يا عاقد الحاجبين

يا عاقدَ الحاجِبَيْنِ على الجَبِينِ اللَّجِينِ
اللجين: الفضة. اللجين اللجين: اللجين الذي من فضة، كقولك «الخاتم الذهب» و«السكة الحديد»

إِنْ كُنْتَ تَقْصِدُ قَتْلِي قَتَلْتَنِي مَرَّتَيْنِ
ولماذا مرتين؟ هي القافية.. أو لعل كل حاجب يقتله مرة

تَبْدُو كَأَنْ لَا تَرَانِي وَمِلْءُ عَيْنِكَ عَيْنِي
وَمِثْلُ فِعْلِكَ فِعْلِي وَيْلِي مِنَ الْأَحْمَقَيْنِ
أنا وأنت أحقان في هذا التجاهل المتبادل

مَوْلَايَ لَمْ تُبْقِ مِنِّي حَيًّا سِوَى رَمَقَيْنِ
سَتَخَرِمُ الشُّعْرَ مِنِّي وَلَيْسَ هَذَا بِهَيْنِ
أَخَافُ تَدْعُو الْقَوَافِي عَلَيْكَ فِي الْمَشْرِقَيْنِ
المشرقين: الشرق والغرب

١٩ رثاء شوقي

شوقي! أَتَذْكُرُ إِذْ عَلِيَهُ مُوْعِدُنَا نِمْنَا وَمَا نَهْمٌ عَنْ مَقَادِرِهِ
عاليه: بلدة في لبنان كان ينزلها شوقي مصطافاً

وَأَنْتَ تَحْتَ يَدِ الْأَسَى وَرَأْفَتِهِ وَبَيْنَ كُلِّ ضَعِيفِ الْقَلْبِ خَائِرِهِ
كنت تحت يد الأسى، أي الطبيب، وبين أصحابك ذوي القلوب الضعيفة الخائفة عليك

وَلَا بَتَسَامَتِكَ الصُّفْرَاءُ رَجَفَتْهَا كَالنَّجْمِ خَلْفَ رَقِيقٍ مِنْ سَتَائِرِهِ
كانت ابتسامتك الصفراء الراجفة ووجهك المخطوف اللون كالنجم خلف ستار من الغيوم

وَنَحْنُ حَوْلَكَ عُكَّافٌ عَلَى صَنْمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا ضِيَ الْبَطْشُ قَاهِرِهِ
سَأَلْتَنِيهِ رِثَاءً.. خُذْهُ مِنْ كَيْدِي لَا يُؤْخَذُ الشَّيْءُ إِلَّا مِنْ مَصَادِرِهِ

٢٠ شقيقة النجوم

تَعَجَّبَ اللَّيْلُ مِنْهَا عِنْدَمَا بَرَزَتْ تُسَلِّسُ النُّورَ فِي عَيْنَيْهِ عَيْنَاهَا
كانت عيناها ترسل نوراً يضيء ظلام الليل

وَتَمَتَّتْ نَجْمَةً فِي أُذُنِ جَارَتِهَا لَمَّا رَأَتْهَا، وَجُنَّتْ عِنْدَ مَرَاها
أُنْظُرْنَ، يَا إِخْوَتَا، هَذِي شَقِيقَتُنَا فَمَنْ تُرَاهُ عَلَى الْعَبْرَاءِ أَلْفَاها؟
وَكُنَ بِالقُرْبِ مِنْهَا كَوَكَبٌ غَزِلٌ يُضْغِي فَلَمَّا رَأَاهَا، سَبَّحَ اللّٰهَ
وَرَاحَ يُفَسِّمُ أَنْ لَا بَاتَ لَيْلَتُهُ إِلَّا عَلَى شَفَتَيْهَا لَاثِمًا فَأَاهَا

٢١ ثمن الهداية

لَوْ لَمْ يُخَضَّبْ بِالدِّمَاءِ صَلَيبُهُ عِيسَى لَمَّا كَانَ الْمَسِيحَ الْفَادِي
وَمُحَمَّدٌ لَوْلَا اضْطِهَادُ مَعَاشِرِهِ خُشِنَ لَمَّا كَانَ الرَّسُولَ الْهَادِي
أَلَى الْهُدَى أَلَّا يُطْلَّ عَلَى الْوَرَى إِلَّا عَلَى جَبَلٍ مِنَ الْأَجْسَادِ
أَلَى: حَلْف

٢٢ إسقنيها

إِسْقِنِيهَا، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَا لِنَجْلُو الْهَمَّ عَنِّي، أَنْتَ هَمِّي

٢٣ رثاء حافظ إبراهيم

شَاعَرَ النَّيْلَ خُذْ بِنَاصِيَةِ النَّجْدِ مِمَّ، وَدَاعِبْ جَبِينَهُ الْبَرَّاقَا
أَوْ فَعُدْ لِلْحُقُولِ دَعْدُغٌ بِهَا الرَّهْدُ رَ، وَنَبْهٌ فِي صَدْرِهَا الْأَشْوَاقَا
أَنْتَ وَالنَّيْلُ صَفَّتَانِ لِمَضِرٍ تُنْبِتَانِ الْأَذْوَاقَ وَالْأَرْزَاقَا

٢٤ الصبا والجمال

هنا بها غيتا كفوري حين فازت بلقب ملكة جمال عام ١٩٣٤، واسمها من عبد الوهاب

الْصَّبَا وَالْجَمَالُ مِلْكُ يَدَيْكَ أَيُّ تَاجٍ أَعَزُّ مِنْ تَاجِيكَ
نَصَبَ الْحُسْنُ عَرْشَهُ فَسَأَلْنَا مَنْ تُرَاهَا لَهُ؟ قَدَلٌ عَلَيْكَ
فَاسْكُبِي رُوحَكَ الْحَنُونَ عَلَيْهِ كَأَنِّي كَابِ السَّمَاءِ فِي عَيْنَيْكَ
سَكِرَ الرُّوضُ سَكْرَةً صَرَعَتْهُ عِنْدَ مَجْرَى الْعَبِيرِ مِنْ نَهْدَيْكَ
قَتَلَ الْوَرْدُ نَفْسَهُ حَسَدًا مِنْ كِ، وَالْقَى دِمَاهُ فِي وَجْنَتَيْكَ

التسويد للشاعر عمران القفيني

وَالْفَرَاشَاتُ مَلَّتِ الرَّهْرَ لَمَّا حَدَّثَتْهَا الْأَنْسَامُ عَنْ شَفْتَيْكِ

٢٥ لبنان في سنة ١٩٣٤

لُبْنَانُ يَا جَنَّةَ الْأَرْوَاحِ، مَا فَعَلْتُ بِكَ اللَّيَالِي؟ فَعَادَ الْغُرْسُ مَاسَاتَا
قَدْ كَبَّرُوكَ، لِأَمْرِ صَعْرُوكَ بِهِ، قَدْ فَحَّمُوا الْأَسْمَ، لَكِنْ حَقَّرُوا الذَّاتَا
فِي كُلِّ طَرْفَةٍ عَيْنٍ: أَنْظِمْ جُدُّ مِنْ سَوْءِ حَقِّكَ قَدْ ظَنُّوكَ مَلْهَاتَا
أَنْظِم: أَنْظِمَةٌ وَقَوَانِينُ، ذَلِكَ فِي عَهْدِ الْإِتْدَابِ الْفَرَنْسِيِّ

كَأَنَّمَا كُنْتَ لَوْحًا فِي مَكَاتِبِهِمْ تَمْضِي الْأَكْفُفُ بِهِ مَخَوًّا وَإِثْبَاتَا
اللَّوْحُ فِي الْمَكَاتِبِ، أَيِ الْكَتَاتِبِ، يَكُونُ صَغِيرًا بِيَدِ التَّلْمِيزِ يَكْتُبُ فِيهِ الدَّرْسَ، وَعِنْدَمَا يَحْفَظُهُ
يَمْحُوهُ

فَتِيَانُ لُبْنَانُ! هُبُّوا مِنْ رُقَادِكُمْ سَيَّانٍ مَنْ نَامَ عَنْ حَقٍّ وَمَنْ مَاتَا

٢٦ مولد المتنبي

تَكَشَّفَ الصُّبْحُ عَنْ طِفْلِ وَمَارِدَةٍ لَهُ عَلَى صَدْرِهَا زَأْرٌ إِذَا غَضِبَا
الَّتِي وَلَدَتْ الْمَتْنَبِيَّ لَيْسَتْ امْرَأَةً عَادِيَةً بَلْ مَارِدَةٌ مِنَ الْمَرَدَةِ، وَهُوَ لَا يَبْكِي عَلَى صَدْرِهَا بَلْ يَزَارُ
كَأَنَّهُ الرُّبُوبُ الرَّجْرَاجُ فِي يَدِهَا أَوْ خَفَقَةُ الْبَرَقِ إِمَّا اهْتَزَّ وَاضْطَرَبَا
نَادَى أَبُوهُ - عَظِيمُ الْجِنِّ - عَثَرَتْهُ فَأَقْبَلُوا يَنْظُرُونَ الْبِدْعَةَ الْعَجَبَا
عَثَرَتْهُ: قَوْمُهُ

مَاذَا نُسَمِّيهِ؟ قَالَ الْبَعْضُ صَاعِقَةً فَقَالَ كَلَّا، فَقَالُوا: عَاصِفًا، فَأَبَى
فَقَامَ كَالطَّوْدِ مِنْهُمْ مَارِدٌ لَيْسَ وَقَالَ: لَمْ تُنْصِفُوهُ اسْمًا وَلَا لَقَبًا
الطَّوْدُ: الْجَبَلُ

سَنَبَعْتُ الْفِتْنَةَ الْكُبْرَى عَلَى يَدِهِ فَشَغَلَ النَّاسَ وَالْأَقْلَامَ وَالْكَتُبَا
وَنَجَعَلُ الشَّعْرَ رَبًّا يَسْجُدُونَ لَهُ، فَإِنْ غَوَوْا فَلَقَدْ نِلْنَا بِهِ الْأَرْبَا
وَإِخْتَالَ غَيْرَ قَلِيلٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: سَمِيَّتُهُ الْمَتْنَبِيُّ، فَاثْتَشَّوْا طَرَبَا
هَلِ النَّبُوءَةُ إِلَّا ثَوْرَةٌ عَصَفَتْ عَلَى التَّقَالِيدِ حَتَّى تَسْتَحِيلُ هَبَا؟
هَبَا: هَبَاءٌ

مَا ضَرَّ مُوقِدَهَا، وَالْخُلْدُ مَنْزِلُهُ، إِذَا رَمَى نَفْسَهُ فِي نَارِهَا حَطْبَا؟

طَلَبْتَ بِالشُّعْرِ دُونَ الشُّعْرِ مَرْتَبَةً فِشَاءِ رَبِّكَ أَلَّا تُدْرِكَ الطَّلَبَا

يخاطب شاعرنا المتني: لقد طلبت مرتبة أدنى من الشعر، هي الإمارة، فشاء الله ألا تنال طلبك

لَوْلَا طِمَاحُكَ مَا عَثَّيْتُ قَافِيَةً بَوَّأَتَهَا الشَّمْسُ، أَوْ قَلَّدَتَهَا الْحَقْبَا

لكن طموحك هو الذي جعلك تغني بالقصائد التي وضعتها في عين الشمس، وجعلتها عقوداً وقلائد في أعناق الدرر

أَضْرَمْتَ ثَوْرَتَكَ الْهُوجَاءَ فَالْتَهَمَتْ مِنْ الْقَرِيضِ الْهَشِيمِ الْغَتَّ وَالْحَشْبَا

وَعَالَ شِعْرُكَ شِعْرَ الْكَائِدِينَ لَهُ لِنَفْسِهِمْ حَفَرَتْ أَيْدِيهِمُ الثُّرْبَا

الذين حسدوك ونصبوا لك المكائد قتلهم شعرك، فقد حفروا حفرة لأنفسهم بأيديهم

مَنَعَتْ عَنْهُمْ ضِيَاءَ الشَّمْسِ فَانْحَجَبُوا فَهَلْ تَلَوْمُهُمْ إِنْ مَرَّقُوا الْحُجْبَا

لَمْ أَلَقْ كَالشُّعْرِ مَظْلُومًا، فَقَدْ حَشَدُوا لِحَرْبِهِ حَسَدَ الْحُسَّادِ وَالْثُوبَا

عَفَوُا نَيْبِي الْقَوَافِي، أَيُّ نَابِغَةٍ لَمْ يَزْرَعُوا حَوْلَهُ الْبُهْتَانَ وَالْكَذِبَا؟

يُرْمَى بِكُلِّ قَبِيحٍ مِنْ مَثَالِبِهِمْ وَيَرْفَعُونَ لَهُ الْأَنْصَابَ إِنْ ذَهَبَا

يرمى النابغة في حياته بالمثالب، المعايير، فإذا مات رفعوا له الأنصاب، التماثيل، لتخليده

مِثْلَ الْمَسِيحِ تَعَالَوْا فِي أَذْيَتِهِ، وَالْأُهْوَى، وَلَكِنْ بَعْدَمَا صُلِبَا

٢٧ الفردوسي

في حفل جامعة الحكمة ببلقان في ذكرى شاعر الفرس الفردوسي، ١٩٣٥

هَلْ لِلْأَزَاهِرِ عَنْ أَمَاتِهَا خَبَرٌ عَنْ شَاعِرِ سَكَبِ الْأَطْيَابِ فِي فِيهَا؟

هل جاء الأزهار خبرٌ منقول عن أمهاتها يحدث عن شاعر منح الأزهار عبيرها؟

فِي جَنْبِ إِيوَانَ كِسْرَى مِنْ مَوَاهِبِهِ إِيوَانُ شِعْرِ بِهِ كِسْرَى زَهَا تَيْهَا

شعر الفردوسي، الذي جاء بعد كسرى بمئات السنين، كان مفخرة للفرس فكانه إيوان ثان بعد إيوان كسرى، وإيوان كسرى يفتخر بشعر الفردوسي

كَأَنَّ فِي كُلِّ بَيْتٍ مِنْ قِصَائِدِهِ رَوْحًا تَغْلَغُلُ فِي الْمَوْتَى فَتُحْيِيهَا

أَشْرَقَ أَبَا قَاسِمٍ كَالشَّمْسِ مُرْتَجِلًا أَنْشُودَةَ النُّورِ، إِنَّ اللَّهَ مُوَحِّيَهَا

مَا أَلْفُ عَامٍ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهَا مِنْ سَاعَةٍ عَشَّتْهَا إِلَّا ثَوَانِيهَا

الأعوام الألف التي مرت على ميلادك ليست سوى بضع ثوان بالقياس إلى ساعة واحدة مملوءة بالإبداع من عمرك

أَهْدَيْتَ مِيرَاثَ كِسْرَى كُلَّ قَافِيَةٍ إِنَّ مَاتَ قَائِلُهَا مَا مَاتَ رَاوِيَهَا
فَرُحْتَ تَبَعْتُهَا مِنْ عَبَقَرٍ شَرَّارٍ مَوْضُوعَةً بِأَوَالِيهَا تَوَالِيَهَا
عَبَقَرُ: المكان الذي تعيش فيه شياطين الشعر الوهمية في تراث العرب، أواليها: أوائلها، تواليها: لواحقتها

يَا لِلْعُقُوقِ، أَيَبْنِي مَجْدَ أُمَّتِي حَتَّى إِذَا سَاوَرْتَ نَفْسًا أَمَانِيهَا .
ثمة حكايات عن تعرض الفردوسي للعقوق من السلطان بعد أن كتب ملحمة الشاهنامه

حَتَّى إِذَا مَدَّ لِلْأَلَاءِ رَاحَتَهُ نَحْوَ الْأَرِيكَةِ عَصْنَتُهُ أَقَاعِيهَا
الآلاء: النعم، الجوائز، نحو الأريكة: نحو السلطان الجالس على سرير الملك

إِنْ وَقَتَ أُمَّةٌ يَوْمًا لِشَاعِرِهَا رَمَاهُ سَافِلُهَا عَنْ قَوْسٍ وَاشِيهَا
إِذَا أَسَاءَتْ إِلَى الْأَدَابِ مَمْلَكَةٌ فَاصْبِرْ عَلَيْهَا، فَقَدْ قَامَتْ نَوَاصِيهَا

٢٨ رثاء الكاظمي، ١٩٣٥

هَلْ أَذْنَبَ الشَّيْخُ حَيًّا حَتَّى إِذَا مَاتَ تَابَا
كنتم تهملون الشيخ الشاعر عبد المحسن الكاظمي في حياته، فهل كان مذنباً؟ وصرتم تمجدونه بعد موته، فهل تراه تاب ميتاً؟

وَحِينَ أَمْسَى غَنِيًّا عَنْكُمْ عَدَوْتُمْ صَحَابَا
عندما استغنى عنكم، بالموت، صرتم أصحاباً له

لَوْ رُدَّتِ الرُّوحُ فِيهِ لَأَزُورَ عَنْكُمْ عِتَابَا
لازور: لأشاح بوجهه عنكم

أَهْمَلْتُمُوهُ حُسَامًا وَضُنْتُموهُ قِرَابَا
الحسام السيف، والقرباب غمده

٢٩ العنف والعنفوان

في ثورة ١٩٣٦ بفلسطين

سَائِلِ الْعَلِيَاءِ عَنَّا وَالزَّمَانَا هَلْ خَفَرْنَا ذِمَّةً مُذْ عَرَفَانَا
اسأل العلياء، المجد، وأسأل الزمان: هل خفرتنا ذمة، تحنناً عهداً، منذ أن عرفنا المجد والزمنا؟

الْمُرُوءَاتُ الَّتِي عَاشَتْ بِنَا لَمْ تَزَلْ تَجْرِي سَعِيرًا فِي دِمَانَا

يَا جِهَاداً صَفَّقَ الْمَجْدُ لَهُ لَيْسَ الْغَارُ عَلَيْهِ الْأَرْجُونََا
أيها الجهاد الذي انتشى له المجد، لقد اكتسى الغار، إكليل المجد، بسبب هذا الجهاد بالدم
الأرجواني، الأحمر

شَرَفَ بَاهَتْ فَلَسْطِينُ بِهِ وَبِنَاءٍ لِلْمَعَالِي لَا يُدَانِي
شَرَفَ لِلْمَوْتِ أَنْ نُظْعِمَهُ أَنْفْساً جَبَّارَةً تَأْبَى الْهَوَانَا
وَرَدَّةٌ مِنْ دَمِنَا فِي يَدِهِ لَوْ أَتَى النَّارَ بِهَا حَالَتْ جِنَانَا
أنفسنا الجبارة هي وردة من دمنا في يد الموت، ولو أتى بها إلى الجحيم لتحولت إلى جنة
أنشروا الهولَ وضُوبوا نارَكُم كيفما شئْتُم فلنَ تَلْقُوا جَبَانَا
يخاطب المحتلين الإنجليز

عَذَّتِ الْأَحْدَاثُ مِنَّا أَنْفُساً لَمْ يَزِدْهَا الْعُنْفُ إِلَّا عُنْفُونَا

٣٠ ضامن الخلود

نَجِيُّ الْعُلَى حَرْبٌ عَلَى الشَّهَوَاتِ حَيِّي كَمَنْدِيلٍ بِصَدْرِ فَنَاءِ

الشاب الشامخ الذي يناجي العلى، ويكلم المجد، معاد لشهواته مترفع عنها، وهو يمتلك الحياة
فكأنه مندبل في صدر فتاة لا يكاد يبرز. هذا المندبل مجاز بعيد وحلو، ويفتح لك باباً للخيال أيها
الشهواني، وينسبك الشطر الأول

وَلَكِنْ إِذَا الْأَوْطَانُ نَادَتْ، أَجَابَهَا وَقَاحُ كَنَابِ اللَّيْثِ عَضَّ بِشَاةٍ

وقاح: صلب

مِنَ الْجَهْلِ أَنْ تَلْقَى الْمُهَنْدَ بِالْمَصَا وَأَنْ تَدْفَعَ الْأَعْدَاءَ بِالصَّلَوَاتِ

أَبَى لَكَ طَبْعُ الصَّاعِقَاتِ إِذَا هَوَتْ عَلَى قُضْبِ الْمَادِي مُنْجَذِبَاتِ

أبى لك الاكتفاء بالصَّلوات طبعك الذي يشبه طبع الصواعق عندما تنزل في المعركة رابكة قُضْب
المادي، قُضبان الحديد أي السيوف، ومنجذبة إليها

وَخِفَّتْ فُجَاءَاتِ الرَّدَى، فَسَبَقَتْهَا بِوُثْبَةٍ جَبَارٍ إِلَى الدُّرُوتِ

خفت أن يفاجئك موت على فراشك فسبقته إلى المعركة لتقفز إلى ذرى المجد وتموت في المعركة

إِذَا ضَمِنَ الْمَرْءُ الْخُلُودَ عَلَى الصَّبَا، فَمَا عَمْرُهُ الْبَاقِي سِوَى فَضْلَاتِ

٣١ بغداد

قولي لِشَمْسِكِ لَا تَغْيِبِي وَتَكْبِدِي فَلَكَ الْقُلُوبِ
يا بغداد قولي لشمسك: لا تغبي وتكدي، توسطي، فلأنا ليس من أفلاك السماء بل هو فلک
قلوبنا المحبة لك

بغداد، يا وَطَنَ الجَها دِ مُرْضِعِ الأدبِ الحَصِيبِ
عَنَّاكِ دِجْلَةُ والفُرا تُ قِصائِدَ الزَمَنِ العَجِيبِ
حتى إذا طَلَعَ الرَشِيدِ دُ وماجَ في الأفقِ الرَّحِيبِ
صَهَرَ القُرُونِ وصاعَها تاجاً لِمَفْرِقِكِ الحَبِيبِ
بِغداد، ما حَمَلَ السُّرَى مِنِّي، سَوَى شَبَحِ مُرِيبِ
السرى: سير الليل... وقد حملني إليك وأنا التحيل ذو اللباس المريب

جَفَلْتُ لَه الصَّحراءِ والـ تَفَتَ الكَثِيبُ إلى الكَثِيبِ
وَتَنَصَّتْ زُمَرُ الجَنا دِ مِنْ فُويَهاتِ الثُّقُوبِ
فويهات: تصغير فَوَاهات

يَتَسَاءَلُونَ، وَقَدْ رَأَوْا قَيْسَ المُلُوحِ في شُحُوبِي
والتَّمَتَّماتُ على الشُّفا هِ مُضَرَّجاتِ بِالنَّسِيبِ
يَتَسَاءَلُونَ: مَنِ الفتى الـ عَرَبِيٌّ في الرِّزِّيِّ العَرِيبِ؟
أَلَيْتُ أَفْتَحِمُ الجَحِيبِ مَ على جَواذِ مِنْ دُنُوبِي
حلفت أن أخاطر بالتفكير في المحرمات مما سيفضي بي إلى جهنم

فَأَغْوصُ في الأَبَدِيَّةِ الـ خَرَساءِ والأَزَلِ القَطُوبِ
الأبدية: منتهى المستقبل، والأزل: منتهى الماضي، القطوب: المتجهم المكسر
أَلَيْتُ: لَكِنِّي ارْعَوَيْتُ تَ وقلْتُ: يا نَفْسِي اهُدِئِي بي
ارعويت: تراجعت

مهما سَما عَقْلُ الحَكيـ مَ يَزِلُّ عن حُجُبِ المُبُوبِ

٣٢ سكرة الحزن

سَكْرَةُ الحَزنِ سَكْرَةٌ لَيسَ يَضْحَوِ الـ مَرَّةً مِنْها ما دَامَ فَوْقَ الثَّرابِ

تَتَغَذَّى بِالذِّكْرِيَّاتِ، وَتَنُمُو بِمَآسِي الْأَوْطَانِ وَالْأَخْبَابِ

٣٣ زمن الغوغاء

يَا أُمَّةً عَدَتِ الذَّنَابُ تَسُوسُهَا
تَعْساً لَهَا مِنْ أُمَّةٍ، فَرَعِيمُهَا
رُشِيَّتْ مَا ذِنُّهَا، فَلَمْ تَغْضَبْ لَهَا
إِلَّا شَبَاباً كَالرَّبِيعِ، تَهْزُهُمْ
لَيْسَتْ مِنَ الْأَشْبَالِ فِتْيَةُ أُمَّةٍ
أَيَحْكُمُ الْغُوغَاءُ فِي أَذْبَانِهَا
وَمَنْ تُوَيِّدُ بِالرَّعَاعِ حُكُومَةً:
هَبَطُوا الْجَحِيمَ، فَرَدَّاهُمْ بَوَائِبُهَا
غَرِقَتْ سَفِينَتُهَا، فَأَيْنَ رَئِيسُهَا؟
جَلَادُهَا، وَأَمِينُهَا جَاوُوسُهَا
غَضَبَ الْكِرَامِ، وَبَاعَهَا نَافُوسُهَا
نَسَمَاتُهَا، وَيَصُدُّهُمْ كَابُوسُهَا
إِنْ سَادَ أَحَمَقُهَا وَعَزَّ خَسِيسُهَا
وَيَذُودُ عَنْ سُفَهَايِهَا بُولِيسُهَا
كَانَتْ أَحَطَّ مِنَ الرَّعَاعِ نُفُوسُهَا
إِذَا خَافَ مِنْ إِبْلِيسِهِمْ إِبْلِيسُهَا

٣٤ أنا الثريا

وَرُبُّ أَخٍ رَأَى فَرَجاً بِدَمِّي
أَنْظَمْعُ أَنْ تُحَلِّقَ لِلثَّرِيَا
فَقُلْتُ رَضِيْتُ ذَمَّكَ لَوْ شَفَاكَ
فَتُظْفِفُهَا، عَدِمْتُ إِذَنْ حِجَاكَ

حجلك: عقلك

٣٥ أبو العلاء المعري

يَا لَهَا ثَوْرَةٌ تَأَجَّجُ فِي صَدِّ
بَسْمَةُ الْهُزْءِ، أَيْنَ مِنْهَا أَبُو بَحْرٍ
رِكَ، تُرْدِي الظُّنُونُ فِيهَا الظُّنُونَا
رِ وَقُولْتِيرُ سَيِّدَا الْهَازِرِينَا
أَبُو بَحْرٍ: لَعَلَّهُ يَقْصِدُ أَبَا عَثْمَانَ عَمْرُو بْنَ بَحْرِ الْجَاظِ، وَمَنْ كَانَ أَبُوهُ بَحْراً فَلَا بَأْسَ بِتَكْنِيئِهِ بِأَبِيهِ
فَأَحَايِينَ لَا أَرَى لَكَ دُنْيَا
لَسْتُ أَدْرِي أَأَنْتَ فِي وَضْفِكَ النَّفْ
وَأَحَايِينَ لَا أَرَى لَكَ دُنْيَا
سَ مُصِيبٌ، أُمَ الْحَكِيمِ ابْنِ سِينَا
بِدْ، وَتَبَقَى لَدَيْكَ مَاءٌ وَطِينَا؟

شبه ابن سينا الروح بورقاء، أي بحمامة، جاءت من رفرف جنة الخلد، أي رياضها. قال ابن سينا: هَبَطْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ/ورقاء ذات تعزُّز وتمتع. وأبو العلاء ينقل في بعض شعره أن الروح قد تنفى بفناء الجسد: وَالرُّوحُ أَرْضِيَّةٌ فِي رَأْيِ طَائِفَةٍ/وعند قوم ترقى في السماوات

سِرُّ ذِي النَّفْسِ، لَا مَدَارَهُ رُومَا أَدْرَكْتَهُ، وَلَا شَيْوُخُ أَثِينَا
مداره: جمع مِذْرَه وهو الحكيم الشريف

رُبَّ شَاكٍ فَقَدَ الْعَيُونَ، وَلَا يَنْدُ فَكَّ يَهْدِي الْعُيُونَ لِلْمُبْصِرِينَ
أبو العلاء يشكو فقد البصر، لكنه يهدي إلى المبصرين عيوناً

٣٦ أدب الشراب

وُلِدَ الْهَوَى وَالْخَمْرُ لَبِلَةً مَوْلِدِي وَسَبَّخْمَلَانٍ مَعِي عَلَى أَلْوَاحِي
أَدَبُ الشَّرَابِ إِذَا الْمُدَامَةُ عَرَبَدَتْ فِي كَأْسِهَا أَلَّا تَكُونَ الصَّاحِي

٣٧ عيد الجهاد

في ذكرى اعتقال المفوض الفرنسي رئيس الجمهورية وصحبه
في قلعة راشيا عام ١٩٤٣

قُمْ نَقْبِلْ نَغَرَ الْجِهَادِ وَجِيدَهُ أَشْرِقَ الْكَوْنُ يَوْمَ جَدَّدَ عِيدَهُ
والقصيدة قيلت في ذكرى حبس الرئيس وهو الحدث الذي أرهص باستقلال لبنان عن فرنسا
نحنُ والموتُ صَاحِبَانِ عَلَى الدَّهْرِ مَرَحَشْدُنَا أَرْوَاحَنَا وَبُنُودَهُ
بنوده: راياته

نَحْنُ لَا نَحْسَبُ الْحَيَاةَ حَيَاةً أَوْ نُقَدِّيْ أَوْطَانَنَا الْمَغْبُودَةَ
قُلْ لِمَنْ حَدَّدَ الْقُيُودَ: رُؤِيداً يَعْرِفُ الْحَقُّ أَنْ يَفُكَّ قُيُودَهُ
حدد القيود: جعلها من حديد

لَنْ نَرَاهَا، إِنْ لَمْ نَمُتْ فِي هَوَاهَا، أُمَّةٌ حُرَّةٌ وَدُنْيَا جَدِيدَةٌ

٣٨ ظلم في التشارين الماضية

في ذكرى الاستقلال في تشرين الثاني ١٩٤٣

نَصَحْتُهُ بَعْدَ طُولِ الْغَيِّ فَانْتَصَحَا وَنَهْنَهَ الْعَدْلُ مِنْ سُكْرِ الْهَوَى فَصَحَا
نهنه: خَفَّفَ

قَلْبٌ تَمَرَّسَ بِاللَّذَاتِ وَهُوَ فَتَى كَبُرْغُمَ لَمَسْنَهُ الرِّيحُ فَانْفَتَحَا
يَبْكِي وَيَضْحَكُ لَا حُزناً وَلَا فَرْحاً كَعَاثِقٍ خَطَّ سَطْراً فِي الْهَوَى وَمَحَا

مَا لِلْأَفَاجِيَةِ السَّمَرَاءِ قَدْ صَرَفَتْ عَنَّا هَوَاهَا، أَرَقُّ الْحُسْنِ مَا سَمَحَا

أفحوانة شاعرنا سمراء.. على عكس الطبيعة، ولتكن من أي لون ما دامت قد صرفت عنه نظرها.. عموماً: أرق الحسن ما سمح، على عكس ما قال الشعراء في طول تاريخ الشعر العربي وعرضه. لا بأس، هي مقدمة غزلية لقصيدة وطنية

تَشْرِينُ، قُلْ لِلتَّشَارِينِ الَّتِي سَلَفَتْ لَنَا عِتَابٌ، وَلَا نَرْضَاهُ إِنْ جَرَحَا..

يا شهر تشرين الثاني، شهر المناسبة الوطنية، قل للتشارين التي مضت في سالف الدهر إن لنا عتاباً ولا نرضى أن يكون جارحاً..

أَسْمَى وَأَكْرَمُ عَفْوٍ أَنْتَ مَا نَحُهُ عَفْوُ الذَّبِيحِ عَنِ السَّيْفِ الَّذِي ذَبَحَا..

يطلب العفو من شهر المناسبة، وخير العفو عفو الذبيح عن سيف ذبحه..

مَا ضَرَّنِي، وَلِسَانُ الشَّعْرِ يَهْتَفُ بِي إِذَا تَبَسَّسَ وَجْهُ الدَّهْرِ أَوْ كَلَحَا

ولا يهمني، وقد هتف بي هاتف الشعر ونزل علي وجهه، أكان الدهر ابتسم أم كلع، أي كشر.. لا شيء يهمني وأريد أن أقول الحق..

لَكِنَّهُ وَطَنٌ قَدْ دَيْتُ مَهْجَتَهُ بِمَهْجَتِي، نَبَذَ الْأَحْرَارَ وَأَطْرَحَا

الوطن قد طرح الأحرار جانباً ونبذهم

سَلَى الْبَحَارَ، وَقَدْ ضَاقَتْ بِفَيْتِيَّتِهِ مِنْ كُلِّ مَنْ لَمْ يُطِقْ كَذْحًا وَمَنْ كَذَحَا

اللبنانيون هاجروا وملأوا البحار سواء منهم من كان يطيق العمل الشاق أم من لا يطيقه

شَطْرَانِ قَلْبِي، شَطْرُ لِلْمُقِيمِ بِهِ عَلَى الْوَفَاءِ، وَشَطْرُ لِلَّذِي نَزَحَا

٣٩ مدح الملك عبد العزيز آل سعود

عَبْدَ الْعَزِيزِ! أَصَابَ الْعَرَبُ بُغْيَتَهُمْ لَمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ أَنْتَ وَالْأَمَلُ

عَبْدَ الْعَزِيزِ! وَمَا أَوْمَتْ أَكْفُهُمْ إِلَّا إِلَيْكَ، إِذَا قَالُوا: مَنِ الرَّجُلُ؟

٤٠ المصير

لَسْتَ تَدْرِي، وَلَا أَنَا مِنْكَ أَذْرَى فَعَلَامَ الْخِصَامُ؟ فَالَسَّلُمُ أُخْرَى

يخاطب صاحباً: كلانا لا يدري سر هذا الكون، فعلام الاختلاف والخصام

أَجْهَلُ النَّاسِ مُدَّعٍ يَحْسَبُ الْعُدَّ سَمَ كِتَابًا، وَيَحْسَبُ الْفَنَّ سَطْرًا

وَيَحْ هَذَا الْعُقُولِ لَمْ تُصِبِ الرَّمْدَ يَمَةً يَوْمًا إِلَّا لِتُخْطِئَ عَشْرًا

دُونَ مَا تَبْتَغِيهِ، مِنْ كُنْهِ هَذَا الـ كَوْنٍ سِرٌّ فِيهِ الْجَوَابُ اسْتَقَرَّ

الجواب بشأن كنه الكون، حقيقته، موجود داخل سر

سَمِّهِ الضَّفَّةَ الَّتِي يَغْبُرُ الْأَخـ بِيَاءٌ مِنْهَا، أَوْ سَمِّ ذَلِكَ جِسْرًا

ليكن هذا العالم ضفة نعب منها إلى ضفة الآخرة، أو ليكن جسراً

سَمِّهِ الْمَصْنَعُ الَّذِي يَفْعَلُ التَّحـ لَيْلٌ فِي جَوْفِهِ عَجَائِبُ كُبْرَى

يَتَلَقَّى الْأَجْسَامَ وَهِيَ جَمَادٌ ثُمَّ يُعْطِيْكَهَا حَيَاةً وَفَكْرًا

سَمِّهِ الْهَازِئَ الْعَظِيمَ إِذَا رَا فَكٌ، أَوْ سَمِّهِ، إِذَا شِئْتَ، قَبْرًا

أو ليكن اسم الكون الهازئ العظيم الذي يهزأ بالبشر، أو ليكن اسمه قبرا... فهو بهذا الاسم النهاية التي ليس بعدها بعث

٤١ منتهى الذل

إِذَا مَا ضَرَبْتَ الْكَلْبَ يَعْوِي، وَرُبَّمَا تَقَحَّمْ مُؤَذِّبِهِ وَعَضَّ بِنَابِهِ

تقحم: هاجم

وَفِي الشَّرْقِ نَاسٌ لَوْ سَحَقْتَ رُؤُوسَهُمْ لَمَّا نَبَسُوا فَلْيُخَجِّلُوا مِنْ كِلَابِهِ

بشارة الخوري (الأخطل الصغير) فهرس القوافي

١٦	وَمِنْقَرُ	٢٨	تابا
١٩	مَقَادِرِهِ	٢٦	عَضِبَا
٣٣	رَئِيسُهَا	٣٢	الثَّرَابِ
٢٣	الْبِرَّاقَا	٣١	الْقُلُوبِ
٩	العُنُقَا	٤١	بِنَايِهِ
٧	الأَرْزَاقِ	٢٥	مَآسَاتَا
٣٤	شَفَاكََا	٣٠	فَتَاةٍ
٢٤	تَاجِيكَ	٣٨	فَصَحَا
٣٩	والْأَمَلُ	٣٦	أَلْوَاحِي
٨	الدُّوَلِ	٢١	الفَادِي
١١	قَتْلُ	٥	الكَبِيدِ
١	وَسَلْمَا	٢	فَتَوَرَّدَ
١٤	لِزَامُ	١٢	صَدِّكَ
٢٢	هَمِّي	٣٧	عِيْدَه
٦	يَرْحَمُكَ	٤٠	أَحْرَى
٤	إِحْسَانَا	١٧	المُسْتَعَارَا
٣٥	الطُّنُونَا	١٠	الخَبْرُ

عَرَفَانَا	٢٩	الْوُجُوهُ	٣
اللُّجَيْنِ	١٨	عَلَيَّا	١٣
زَمَانِهِ	١٥	فِيهَا	٢٧
عَيْنَاهَا	٢٠		

رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) (١٨٨٧ - ١٩٨٤)

قرأت أشعار رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) واخترت لك أطايبها.
وشرحت بعض الألفاظ والمعاني.

القروي أكثر المهجريين محافظة على سلامة اللغة وروح الشعر العربي العمودي. وفي هذه المقدمة المفككة بعض ما قد تَطَلَّبُ معرفته من معلومات عن هذا الشاعر، وعن طريقة ترتيبه لهذه الباقة من شعره. وباقتي ليست أزهاراً منتقاة كيفما اتفق: هي أجمل ما في الحقل من أزهار. نعم، نخلت الديوان نخلاً، ومخضته مخضاً، ولم أغادر فيه بيتاً رائعاً إلا ضممته إلى هذه الباقة التي أقدمها إليك.

وصف طبعة الديوان التي منها أخذت

جمع الديوان وبوبه وقَدِّمَ له «مكتب التدقيق اللغوي»، منشورات جروس برس/طرابلس لبنان، ١٩٩٢.

الديوان في هذه الطبعة ينقل عن الطبعة السادسة من ديوان القروي التي صدرت بإشرافه قبل وفاته بعام. ثم زيد في هذه الطبعة الكثير من أوراقه الخاصة.

الطبعة مضبوطة ضبطاً ممتازاً. وفيها مقدمات بقلم الشاعر والمحقق تستغرق خمسين صفحة. وهي مرتبة على أحرف الهجاء خلافاً للطبعة السادسة المرتبة على أبواب ثمانية.

وفهرسها قليل الفائدة لأنه مرتب على الروي أيضاً. ولا ندري لم لا يظن الناشرون إلى أن فهرسهم هو مجرد تكرار لمتن الكتاب. نفتح ديوان الشعر فنراه مرتباً على القوافي: الهمزيات ثم البائيات ثم التائيات إلى آخر قصائد الديوان. ثم يأتي الفهرس علة على القلب: يأتي وهو يفهرس لك القصائد بحسب ترتيبها في صفحات الديوان. فما نفع فهرس كهذا؟ هلا فهرستم على المعاني والأغراض؟ هلا صنعتهم فهرساً تاريخياً يرتب القصائد بحسب تسلسلها الزمني؟ هلا استغنيتهم عن الفهرس ووفرتم بضع صفحات؟

على أن ديوان القروي الذي اعتمدناه يتميز بأن مناسبات القصائد وملاساتها مكتوبة بقلم القروي، حتى وإن ساقها أحياناً بضمير الغائب. وهذا ثمين. والرجل ناثر ذو قلم جميل.

توفي الشاعر القروي في ٢٧ آب/أغسطس ١٩٨٤.

معلومات من مقدمة القروي لديوان من دواوينه، وكتبها عام ١٩٥٢

ولد في ١٨٨٧/٤/٥. أمه تقلا بنت أسعد بشارة الرحباني. وأبوه سليم بن طنوس الخوري. نزح جده من الشوير إلى البربارة، واشتغلت العائلة بالحدادة. أبوه درس في الكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأميركية اليوم) ومارس التعليم، ثم تجارة التبغ والحرير فأصاب ثروة معتدلة. وخلف جده على مشيخة القرية، وكان له بعض النظم والنثر.

قيصر (الشاعر المدني) أخوه، ويصغره بأربع سنوات ونصف. وهاجر إلى صنبول (وهكذا يسمي القروي ساو باولو في البرازيل) وفتح محلاً. فكتوريا، هاجرت إلى الولايات المتحدة. فيليب: تغرب أيضاً. فؤاد: خطاط، مات إبان الحرب العالمية الأولى. أديب: هاجر إلى البرازيل. ونديم، ودعد.

رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) بكر أبويه.

تعلم في مدارس القرية. كان ذا صوت جهير جميل. أنهى «الاستعدادية» في الكلية السورية الإنجيلية ببيروت. وعلم سبع سنوات. وتنقل في التعليم كثيراً سعياً وراء «أفضل الشروط».

طوله ١٧٨. ووزنه ٦٧ كيلو. لم يدخن قط. وكان قليل احتساء الخمر. شره إلى البرتقال، وسائر الفاكهة. أنيق؛ لبس الجوخة الإنجليزية حتى وعد

بلفور، ثم قاطعها. يغني ويعزف على العود، ويلحن. يطالع الأخبار العلمية. وقرأ كثيراً من القصص الروسية مترجمة إلى العربية.

عرف كلمات إنجليزية قليلة، وكلمات برتغالية أقل (رغم العقود التي عاشها في البرازيل الناطقة بالبرتغالية). ولم يكمل قط مطالعة كتاب غير عربي. ويغترف من العربية اغترافاً.

أحب وبكى كثيراً، وأحب وأبكى أكثر، هكذا يزعم. ولم يكن مستهتراً. وكثيراً ما انتقل من مكان إقامته في سبيل خنق حب في مهده، إشفاقاً على صاحبه وعلى نفسه. كذا زعم.

وكان عشقه يتجدد في كل سنة دراسية، ومع كل انتقال. وابتلي بالمعاصي كسائر الشباب. واستتر ما وسعه الاستتار. ولم يُخلّ في غرامياته بالآداب العامة. لم يتزوج قط.

توفي أبوه سنة ١٩١٠. وهاجر هو في سنة ١٩١٣ إلى البرازيل، إلى مدينة مريانا. ولبث عند عمه سنة، ثم حمل الكشة (صندوق من الزنك يملأونه بمختلف السلع، أو بسطات من الأقمشة يشدونها رزماً ويلقونها بأكتافهم بسيور جلدية ويجولون بها في القرى) وانطلق. ثم ذهب إلى ريو دي جانيرو. وصار يعلم العزف على العود ارتفاقاً. وعلم سنة في مدرسة جمعية «زهرة الإحسان» في الريو، ثم انتقل إلى صنبول (ساو باولو) عام ١٩١٥، وعلم في مدارس عربية وأجنبية، وفي البيوت. وتجول في الولايات البرازيلية معتمداً لبعض المحلات التجارية.

أصبح شاعر صنبول. وتولى رئاسة تحرير جريدة «الرابطة» ثلاث سنوات عقب وفاة الرئيس الأول خليل سعادة سنة ١٩٣٤.

هاجرت أمه وإخوته إلى البرازيل في سنة ١٩٢٤، مما قلب موازينه المالية.

فتح مصنعاً لربطات العنق، ثم باعه بعد ثلاث سنوات.

عرف معلومات أكثر عن الإسلام عام ١٩٢٧ من كتاب نظيرة زين الدين «الحجاب والسفور»، وكان شاكراً لها.

لقب نفسه الشاعر القروي عقب مقال لصحفي في المهجر قال فيه مستخفاً: (من هو هذا القروي؟ شاعر جرن الكبة؟)

معلومات أخرى عن الشاعر

ولد في الثقافة العربية، وعرف عن قرب الأجانب الذين فتحوا المدارس في بلاد الشرق، فقد كان معلماً بضع سنوات. وكره سعيهم لصبغ ثقافة البلاد بصبغة غربية، وكانت له معهم مناوشات. وظل، إلى النهاية، عروبياً يكره الغرب.

قال القروي - فيما نقله جورج طراد في كتابه (الشاعر القروي: آخر الأوراق) -: «يكهرني الجمال، وأضحك للنكتة البكر ضحكة ذات جلاجل وأجراس». هذه روح شاعر يحب القفشة البلاغية.

هاجمه ميخائيل نعيمة في كتابه النقدي «الغربال» في العشرينات، واستمرت العداوة بينهما حتى النهاية. وانتهيا معاً، فهما لدتان تقريباً والقروي أسنُّ بستين. القروي عاش سبعاً وتسعين، ونعيمة عاش تسعاً وتسعين.

يصف جورج طراد في كتابه الممتاز عن الشاعر القروي قصصاً عن محاولات جرت لإصلاح ما بين الشيخين نعيمة والقروي، وكيف أخفقت كلها، ومات كل منهما عن عمر يقارب القرن ولما تُمّت العداوة القديمة. وقد التقيت المؤلف في بيروت واستضافته في برنامج سأكحي لكم عنه بعد فقرات قلائل، وميزة كتابه أن المؤلف التقى بالقروي كثيراً وكان زائراً دائماً في بيته بقريته البربارة أو في بيت ابنة خالته ببيروت، واطلع على كثير من أوراقه ونشر بعضها مصوراً في كتابه.

رجع القروي إلى بلاده في عام ١٩٥٨. وأيد جمال عبد الناصر بقوة، ذلك أيام الوحدة بين مصر وسورية. وظل يقبض مرتباً من الحكومة السورية زمناً. ثم عاش في قريته البربارة بלבnan حتى مات. وككل من هاجروا قبل تقسيم البلاد على يد المستعمر الأوروبي، لم يستطع القروي أن يفهم أبداً أن لبنان بلد وسورية بلد آخر. ظل يرى البلدين بلداً واحداً مثلما كان الأمر قبل هجرته.

كلام عن شعره

القروي فحل، وشعره جزل. لغته سليمة، وساعده اشتغاله بالتعليم. هو ذو بصر باللغة، وذو اطلاع على شعر القدماء. يبرز القروي في هذا كله رفيقه فرحات. ولكنه يشبه زميل مهجره فرحات في شغفه بالمعاني الغربية، وفي أنه نشأ على حب الزجل، الشعر العامي اللبناني، القريب من شعر الفصحى في

عهوده المتأخرة من حيث وفرة ما فيه من نكت بلاغية ومعان مصنوعة.

يحب القروي أن يقص قصة في قصيدته، مثل إيليا أبو ماضي.

والقروي متأنق يشذب شعره، ولا كذلك فرحات. والقروي يمعن في اقتناص المعاني، يعرض له المعنى فيُريغه إلى أن يتفق له وضعه في صورة حسنة.

قد فرقت كلامي عن شعر القروي في أثناء شرحي للأبيات. وهو شعر سهل على جزالته، ولا يحتاج إلى كثير شرح. وأخاف إن أنا وضعت مقالاً ضافياً في المقدمة عن صفات شعر القروي أن يقرأ كلامي شاب ناشئ من محبي الأدب فيأخذ منه عبارات يضمنها بحثاً مدرسياً. وهذا سخف. أنصح أن يقرأ شعر الرجل ويحس به.

لم أشرح كثيراً. ربما لأنني مللت شرح الشعر.

طبعَت بعض الأبيات بخط مشدد حتى يجدها القارئ بسهولة، وحتى يتلمظ بها. هذه الأبيات المسوَّدة تسويداً تصلح للمذاكرة. وفيها إيجاز، أو طرافة، أو قوة، أو كل ذلك معاً. إنها فرائد الأبيات. وقد تجد قصيدة عامرة رائعة وليس بها بيت مشدد، ذلك لأن القصيدة جميلة بمجموعها، وفيها تماسك يمنع نزع بيت منها.

أكتب لك عن القروي بعد أن أضجرتني التدقيق الكثير.

قد رتبت أبياته ترتيباً زمنياً بقدر ما أسعفتني المصادر. ولكنني لا أزعم الدقة في هذا الأمر. وعلى الدارس المحقق، إن أراد ترتيب ديوان القروي، أن يرجع إلى الدواوين في طبعاتها المختلفة، ولا سيما الأصلية، وإلى الجرائد.

وبالله عليكم! لماذا تشغلون أنفسكم في الجامعات بأشعار القدماء، وتلفقون رسائل دكتوراة لا ترقى في قيمتها العلمية إلى أخمص ما صنعه المستشرقون، عجزاً منكم وجهلاً وقلة فهم، وكسلاً، وتركون أشعاراً أنتم أقدر على فهمها. أنتظرون أن تصبح عتيقة، وأن تضع مصادرها حتى تنهضوا لتحقيقها؟ الآن، اذهبوا واجمعوا شعر القروي من مصادره الأصلية في البرازيل وسورية ولبنان. وحققوه كاملاً وفهرسوه فهرسة علمية منظمة. وادرسوه إن شئتم، وإن كنت لا أثق بأي درس أو تعمق منكم أيها المتنطِّحون إلى حرف الدال. هذا بعيد عنكم. لتفهرسوا الأشياء ولتطبعوا الشعر طباعة سليمة،

ولتدققوا في تشكيكه ومعانيه. وهذا شيء غير قليل. ولا أقول إن هذا قصاراكم، بل هذا ما لن تبلغوه إلا أن تُسأطوا، إنه قصارى قصاراكم.

مجموعتي هذه من أشعار رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) هي مختارات وحسب. وقد سميتُ كل قصيدة أو قطعة باسم من عندي. ولم أعدد رقيباً على الرجل. قد أُحِبُّ بعض آرائه وأكره بعضها. لكنني اخترت ما أعجبنى بما هو شعر.

كنت أكتشفُ في التدقيق بعد التدقيق على نسختي هذه أغلاطاً وأوهاماً فأصلحها. ولا أزعم أنني نزهت المجموعة عن كل غلط ووهم. لكنني بذلت وسعي. وبذل وسعه معي الشاعر عمران القفيني، فقد أصلح لي أغلاط هذا الفصل، وكل فصل من فصول هذا الكتاب، متفضلاً عليّ مطوقاً عنقي بجميله.

كلمة أخيرة

مضت على الأسطر السابقة في هذه المقدمة ثماني سنوات. فقد كنت فرغت من اختيار وشرح الشاعر القروي باكراً. وفي هذه السنوات الثماني حدثت في بلاد العرب ثورات وحروب أهلية، ولما كان «القروي» شاعر «القومية العربية» فإنني سأعيد قراءة ما قلته عنه وعن شعره في ديول الأبيات، وقد يكون لي تعليق من وحي الأحداث، وقد لا يكون. وحدث في هذه السنوات، وقبل أن تنفجر المنطقة العربية بقليل، أن قصدتُ لبنان كي أصنع فلماً وثائقياً عن حال اللغة العربية في ذلك البلد. وصنعت. وسميته «عظام العربية في لبنان»، وهو ككل شيء في هذه الدنيا موجود على اليوتيوب، إلا أن ينفجر اليوتيوب فيما بين يومي هذا الذي أكتب فيه هذا الذيل على المقدمة، وهو تاسع أبريل/نيسان ٢٠١٧، وبين خروج الكتاب من بين تروس المطبعة إن كان سيقبض له أن يخرج.

سقت فريق التصوير إلى البربارة قرية الشاعر القروي، وبحثنا سويعة عن بيته. فوجدناه خالياً عليه سيماء الهجر. فجسنا في الحديقة المهجورة بين الأعشاب والأشواك. وهناك بين أشجار السرو وجدنا قبر القروي. فصورناه. ولكن، أين الصليب والهِلال اللذين أوصى شاعرنا أن يوضعاً على القبر؟ بعد طول البحث وجدنا قائماً من حديد صدئ في رأسه صليب يحتضنه هلال، وجدناه مخفياً وراء جدار، فصورناه.

وكان القروي أوصى أن تتلى على قبره الفاتحة والصلاة الربانية. فصاحبنا قال إنه عاش مسيحياً أرثوذكسياً ويموت مسيحياً أرثوذكسياً، لكن الإسلام كان متغلغلاً في ضميره من باب العروبة. وكنت قرأت أن الخوري رفض يوم الدفن أن يقرأ الصلاة الربانية على جثمان القروي. فتصدت للأمر، وقرأت منها على قبره ما أحفظ: أبانا الذي في السموات، ليتقدس اسمك، أعطنا خبزنا كفاف يومنا، لأن لك الملك والقدرة والمجد إلى أبد الدهور، آمين. وأردفت بالفاتحة.. مجرد احتياط، فقد يكون الشيخ رفض قراءتها أيضاً.

شاعرنا القروي شاعر غضوب. يحب الغزل ويسيل رقة، ثم يغضب غضبة مضرية في مسائل السياسة.

١ الدستور

كفى! يكفي! لقد طَفَحَ الإناءُ وضجَّ لهذه الفوضى الفضاءُ
أتى في عصره الدستورُ، لكنْ كما طَلَعَتْ على الأعمى دُكَاءُ
دُكَاءُ: الشمس (الدستور العثماني صدر عام ١٩٠٨، وقَّع السلطان عبد الحميد)

فسادٌ في الدَّوائرِ، واختلالٌ وظلم في المحاكمِ، والتَّواءُ

٢ بلاد فوق الماء

قال الشاعر القروي بمناسبة غرق التينانك (وغرقت سنة ١٩١٢):

جالا بمُعْتَرِكِ الصَّدَامِ، فلم يُطَقْ جَبَلُ الحَديدِ مَعَ الجَلِيدِ جِلَادًا
جلاداً: عراقاً

فَهَوَى إلى الأعماقِ يَلْبَسُ لُجْهًا كَفَنًا، وَيَفْتَرِشُ القَرَارَ وَسَادًا
ضَاكَّتْ بلادُ الإنجليزِ بأهلِها فَبَنَوْا لَهُمْ فَوْقَ البَحَارِ بِلَادًا

٣ شبيبة

قال الشاعر القروي، وكان يقيم في بلدة «سوق الغرب» سنة ١٩١٣:

تَبَدَّثْ، وميعادُ المشيبِ بَعِيدُ وجيشُ أمانِي الشَّبابِ عَدِيدُ
ظهرت الشعرة البيضاء مبكرة، وما زال الشباب في عفوانه وأماني الشباب جيش كبير

وَلَا عَجَبُ أَنْ وَلَدَ الْفَحْمُ مَاسَةً بِرَأْسِي، وَضَغَطَ الْحَادِثَاتِ شَدِيدُ

تشبيه مبتكر، ومصنوع بجذق

يَلُوحُ خِلَالِ الشَّعْرِ نُورٌ بَيَاضُهَا كَمَا لَاحَ فِي لَيْلِ الْخُطُوبِ رَشِيدُ
وهذه الشعرة البيضاء تبدو بين أخواتها السود كما يبدو متبراً الشخص الرشيد (العاقل) وسط ليل
الخطوب (سواد المصائب)، ورشيد اسم الشاعر

تَجَلَّثْتُ عَلَى عَرْشِ الشَّبَابِ كَسَيِّدٍ حَوَالِيهِ مِنْ سُودِ الشُّعُورِ عَبِيدُ

الشعور: الشرعات

يَخَاطِبُنَا مِنْ قِمَةِ الرَّأْسِ قَائِلًا: أَلَا فَاعْلَمُوا أَنَّ الرَّشَادَ يَسْوُدُ

الشعرة البيضاء التي هي كالسيد تقول: الشيب وما يرمز إليه من رصانة سوف يسود

هِيَ الشَّعَرَاتُ الْبَيْضُ مِنْ دَوْلَةِ الْهُدَى مَنَادِيْبٌ، تَدْعُو لِلْهُدَى، وَوُفُودُ

مناديب: جمع مندوب، فالشرعات البيض موفدة من دولة الهدى (العقل) لتدعو الشاب إلى ترك
الحماقات

لَهُنَّ اشْتِعَالٌ فِي النَّوَاصِي كَأَلْسِنٍ مِنَ النَّارِ، لَكِنْ مَا لَهُنَّ خُمُودُ

النواصي: جوانب الرأس

سَائِرُكُهَا تُعْغِي بِهِ أَخَوَاتِهَا عَلَى مَهَلٍ، فَالَنَزْعُ لَيْسَ يُفِيدُ

وَفِي نَزْعِهَا أَغْدُو كَقَاضِبِ كَرْمَةٍ يُشَذَّبُ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَتَزِيدُ

قاضب الكرم: الشخص الذي يشذب أغصان شجرة العنب لتنمو وتشتد

٤ دُمِّلَ الرُّوحُ

قال الشاعر القروي على ضريح والد صديقه شكري زيدان الدمشقي:

أَيُّهَا اللَّابِسُ الْجَدِيدَ هَنِيئًا مَا تُلَاقِي مِنْ رَاحَةٍ وَحُبُورٍ

قَدْ يُمَلِّ الْمَلْبُوسُ عَامًا فَعَامًا وَلَشْنُ كَانَ مِنْ نَفِيسِ الْحَرِيرِ

إِنَّمَا الْجِسْمُ دُمِّلَ الرُّوحُ، يَسْتَأْ صِلُهُ الْمَوْتُ عِنْدَ بَابِ الْحَفِيرِ

٥ غَزْوَةُ فَرَزْدَقِيَّةٍ

لَيْسْتُ إِلَى الْعِذْرَاءِ جُبَّةً رَاهِبٍ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ تَعْلَقْ بِهَا كَفْتُ نَاسِجٍ

جعل الليل ستاره، فالليل جبة لم ينسجها ناسج

وَبِثَّ حَيَالَ الْقَصْرِ أَرْغَى إِشَارَةً بِأَبْيَضَ: يَعْنِي جِيءَ، وَأَحْمَرَ: لَا تَحْجِي
حيال: قرب، أرعى: أراقب

تَطَوَّقْنِي أَغْصَانُ دَوْحٍ، كَأَنَّهَا مَعَاصِمُ مِنْ نُوَارِهَا فِي دَمَالِجٍ
دَوْح: شَجَرٌ مُلْتَفٌ، الْأَغْصَانُ كَأَنَّهَا الْأَيْدِي، وَنَوَارُهَا (زَهْرُهَا) كَالدَّمَالِجِ (الْأَسَاوِرِ)

إِذَا دَاعَبَتْهَا الرِّيحُ مَادَتْ، فَخَلَّتْنِي أُطِلُّ عَلَى عُمْدَانَ بَيْنَ الْهَوَادِجِ
تَمَائِلُ الْغُصُونِ فَأَحْسَبُ نَفْسِي أُطِلُّ عَلَى قَصْرِ عُمْدَانَ (قَصْرِ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزْنَ) مِنْ بَيْنِ الْهَوَادِجِ
المتمايلة فوق الجمال

وَمَا زِلْتُ، حَتَّى اخْدَعَشَرَ اللَّيْلُ، أَتَّقِي بِأَفْيَائِهَا رَيْبَ الْعَيُونِ الْحَوَادِجِ
اخْدَعَشَرَ اللَّيْلُ: صَارَتْ السَّاعَةُ ١١؛ ظَلَلْتُ حَتَّى الْحَادِيَةِ عَشْرَةٍ أَسْتَرُ بِأَفْيَاءِ (ظِلَالِ) الْغُصُونِ مِنْ
خَطَرِ الْعَيُونِ الْحَوَادِجِ (الْمَحْدَقَةِ)

فَلَمَّا أَزْيَحَ السَّجْفُ أَوْرَقَ طَالِعِي وَأَزْهَرَ فِي مِنْدِيلِهَا الْمَتَمَاجِ
السَّجْفُ: السِّتْرُ، أَوْرَقَ طَالِعِي: ابْتَسَمَ لِي الْحَظُّ

وَرَاخَ فُؤَادِي وَائِبًا فِي أَضَالِعِي كَوْتُبِي فِي أَعْطَافِ تِلْكَ الْمَدَارِجِ
فُؤَادِي يَثْبُتُ بَيْنَ ضُلُوعِي، مِثْلُ وَثِيي أَنَا فَوْقَ دَرَجَاتِ الْقَصْرِ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْحَبِيبَةِ

وَقَعْتُ عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي رِعْدَةِ الْهَوَى فَلَاذَتْ بِصَدْرِي، تَضْطَلِّي بِلَوَاعِجِي
وَقَعْتُ عَلَيْهَا (لَقِيْتُهَا) وَهِيَ فِي رِعْدَةِ الْهَوَى (ارْتِجَافَةِ اللَّقَاءِ الْغَرَامِيِّ). فَلَاذَتْ بِصَدْرِي (التَّجَاعَتِ
لِصَدْرِي)، تَتَدَفَّأُ بِلَوَاعِجِي (خُرْفِي)

وَرُخْتُ بِرَوْضِ التَّهْدِ وَالْخَدِّ عَابِثًا أَنْقَلُّ كَفِّي بَيْنَ فِجٍّ وَنَاضِجِ
وَعَيْنُ الْهَوَى، تَحْتَ الظَّلَامِ، بَصِيرَةٌ بِمَا عَنْهُ تَغْمَى تَحْتَ نَوْرِ الْمَسَارِجِ
المسارج: المنصايح

وَكَمْ فَازَ فِي دُنْيَا الْهَوَى عُذْمُ شَاعِرٍ بِمَا عَجَزَتْ عَنْهُ كُنُوزُ الْمَهَارِجِ
عَدِمَ الشَّاعِرُ (فَقَرَهُ) كَثِيرًا مَا فَازَ فِي الْحُبِّ بِأُمُورٍ تَعْجِزُ عَنْ تَحْقِيقِهَا كُنُوزُ الْمَهَارِجِ (جَمْعُ مَهْرَاجٍ):
وَهُوَ الْأَمِيرُ عِنْدَ الْهِنُودِ

فَقَالَتْ، وَقَدْ أَحْرَجْتُهَا بِدُعَابَتِي: لَكَ اللَّهُ، فَانْهَجْ غَيْرَ هَذِي الْمَنَاهِجِ
فَقُلْتُ: دَرِّبْنِي، أَنْتَهَبُ فُرْصَةَ الْهَوَى وَأَقْضِي مِنَ الْعَمْرِ الْقَصِيرِ حَوَائِجِي
بِصَدْرِي كُنُوزَ لِلْغَرَامِ حَبِيبَتُهُ وَهَذَا الَّذِي شَاهَدْتُ بَعْضَ نَمَازِجِي

فَتَنَّتُ الغواني قبلما طرَّ شاربِي قَدَائِي داءُ مزمنٌ، لا تُعالِجي
طرَّ شاربِي: طلع

فما أنا مِنَّ يعيشُ الحبَّ ساذجاً وإن كنتُ مُعْرِىً بالعَذارى السَّواذِجِ
مُعْرِى: مولع، السواذج: الساذجات. هذه القصيدة جواب لمن قال إن الشعر المهجري ليس فيه مجون. واختار القروي الجيم، والجزالة ترافق قافية الجيم كظلمها، عندما يصبح لها ظل؛ ويبيجاز وقوة عبارة وتحليق خيال جاء بقصيدة بدعية. ومن كان قرأ رائية الفرزدق الذي تدلَّى فيها ليزني سيعرف أن القروي ضارعه وعارضه أحلى معارضة بقصيدة بُرهانٍ على أن بعض الشعر العربي الذي انبعث في النصف الأول من القرن العشرين وقف جزلاً شامخاً مكاتفاً الشعر القديم (تجد قصيدة الفرزدق في كتابنا «أول الشعر» في فصل الفرزدق، القصيدة رقم ٣٤)

٦ ممالك ظمأى للدماء

قال الشاعر القروي ونظمها سنة ١٩١٣ وكان يعلم في مدرسة سوق الغرب الأميركية. وامتنعت بعض الصحف عن نشرها، فنشرها في البرازيل عندما هاجر إليها في السنة نفسها:

تَفِرُّ مِنَ الموتِ النفوسُ جَوَازِعاً مَحَيَّرَةً، فالنَّفْسُ بالنَّفْسِ تَعُثِّرُ
فَمِنْ مُلْتَقَى الأجسادِ في الأرضِ مَحْشَرٌ وَمِنْ مُلْتَقَى الأرواحِ في الجَوِّ مَحْشَرٌ
مَمَالِكُ ظَمَأَى لِلدَّمَاءِ، ودَوْلَةٌ لها مِنْ شكاوى العَجْزِ سَيْفٌ ومَغْفَرٌ

المغفر: زرد من حديد لحماية ربة المحارب.. والدولة الضعيفة: الدولة العثمانية

بَكَتْ واشتكتْ، كالطِّفْلِ يُولِمُ نَفْسَهُ فَكانَ البَلاءُ مِنْها، وَمِنْها التَّدْمُرُ
ولو ذَكَرْتَ عبدَ الحميدِ لأذَرَكْتَ مَنارَ الشَّقَا، لو يُسْتَطاعُ التَّدْكَرُ

منار الشقا: أصل الشقاء. وكان عبد الحميد قد عزل عن السلطنة في عام ١٩٠٩. وكان عهده شديداً ومخابراته مخيفة. ولكن العهد الذي تلاه كان يكره العرب ويكرهونه

يَكَادُ يَفِرُّ الطُّرسُ دُغْراً لِذِكْرِهِ وَيُخْجِمُ في الكَفِّ اليراعُ المُسْطَرُّ
اليراع: القلم، الطرس: الورقة

إذا لَاحَ، لَاحَ الموتُ فيه مُجَسِّماً وإنْ غابَ يَسْتَدِنِي أذاهُ التَّصَوُّرُ
يستدني: يُلْدِي

فَيَبْلُغُ مِنْ أجسامِنَا، وهو ظَاهِرٌ وَيَبْلُغُ مِنْ أرواحِنَا، وهو مُضْمَرٌ
زَمَانٌ مُنَاجاةُ الضَّمِيرِ شِجَاعَةٌ بِهِ، وَمُنَاجاةُ السَّمِيرِ تَهَوُّرٌ

لَدُنْ كَانَ مَوْتُ النَّاسِ حَتَفَ أَنْوْفُهُمْ يُعَدُّ عَلَيْهِمْ نِعْمَةً لَيْسَ تُكْفَرُ

لَدُنْ (عندما) كَانَ مَوْتُ النَّاسِ حَتَفَ أَنْوْفُهُمْ (في أُنُوفِهِمْ) يُعَدُّ نِعْمَةً لَا تَجُودُ. قصيدة مبكرة للشاعر قبل أَنْ يَغْتَرِبَ، وفيها برهان على فصاحة رشيد سليم الخوري «الشاعر القروي». . . شاب في السادسة والعشرين ويملك هذه الجزالة!

٧ سفر نهايته سفر

قال القروي في مدينة مريانا بالبرازيل ١٩١٣ :

سَفَرُ نَهَائِيَّةُ سَفَرُ مِثْلُ النَّسِيمِ بِلا مَقَرِّ
ضَجِرَ الشَّرَى وَالسَّيْرُ مِنْـ فِي الْبَوَاحِرُ وَالْقُطْرُ
السرى: سير الليل، القطر: القطرات

حَتَّامَ أَبْقَى دَائِرًا حَوْلَ الْبَسِيطَةِ كَالْقَمَرِ
أَصْطَادُ أَطْيَارِ السَّعَا دَعَى وَهِيَ مِنْ وَجْهِي تَفَرِّ
عَبَثًا تَدُومُ سَعَادَةٌ إِنْ لَمْ يَسَاعِدْكَ الْقَدَرُ
أَيُّوبُ سَلَّمَ صَوْلَجَا نَكَ، لَسْتَ أَعْظَمَ مَنْ صَبَرَ
لَوْ دُفِّتَ يَوْمًا مَا أَدُو قُ، لَكُنْتَ أَوَّلَ مَنْ كَفَرَ

٨ الشاربان

قال في مدينة مريانا بالبرازيل سنة ١٩١٣ :

قَالُوا خَلَقْتَ الشَّارِبَيْنِ نِ، وَيَا ضِيَاعَ الشَّارِبَيْنِ
فَأَجَبْتُهُمْ: بَلْ بِئْسَ ذَا نِ، وَلَا رَأَتْ عَيْنَايَ ذَيْنِ
الشَّاغِلَيْنِ الْمُرْعَجَيْنِ نِ الْطَّالِعَيْنِ النَّازِلَيْنِ
وَيْلِي إِذَا مَا أَرْهَفَا دَنَبَيْهِمَا، كَالْعَقْرَبَيْنِ
إِنْ يَنْزِلَا لَجَمًا قَمِي، أَوْ يَضَعَدَا التَّطْمَا بَعَيْنِي
وَإِذَا هُمَا بِسِطِّ الْخَوَا نُ، تَرَاهُمَا بَسَطَا الْيَدَيْنِ

الخوان: المائدة

فَإِذَا أَرَدْتُ الشُّرْبَ يَمُ تَصَّانِ كَالِإِسْفَنْجَتَيْنِ
فَكَأَنَّيَ بِهِمَا وَقَدْ وَقَفَا بِبَابِ الْمُنْحَرَيْنِ

عَبْدَانِ مِنْ أَشَقَى الْعَبِيدِ دِ تَقَاضِيَا مَلِكًا بِدَيْنِ

٩ الكاسر والمكسور

قال في الربو دي جانيرو بالبرازيل ١٩١٤ :

العصفور:

يا باشقُ ازَحَمَنِي، وَرِقَّ لِحَالَتِي دَغَنِي لِأَفْرَاخِي الصَّغَارِ أَطِيرُ
الباشق: طير كاسر كالصقر

ما في حياتي لِلسَّوَى ضَرَرٌ، وَلَا ظُلَمٌ، وَيَكْفِي أَنَّنِي عُصْفُورُ
للسوى: للآخرين

فَامُنُّنْ عَلَيَّ بِعَفْوِكَ السَّامِي، وَلَا تَسْلُبْ حَيَاتِي، فَالْكَبِيرُ عَفُورُ

الباشق:

خَلَّ الْبُكَاءُ، فَلَيْسَ دَمْعُكَ مُرَوِيًّا جَوْفِي، وَنَارُ الْجُوعِ فِيهِ سَعِيرُ
أَنَا إِنْ رَتَيْتُ لَأَتَّةً، أَوْ زَفَرَةً أَيْسُدُّ جُوعِي أَنَّةً وَزَفِيرُ؟
لَوْ لَمْ يَكُنْ بَعْضُ الطُّيُورِ فَرَائِسًا أَنَّى تَعِيشُ بَوَاشِقُ وَنُسُورُ
أَنْتَ الْكَبِيرُ عَلَى الْبُعُوضِ لِضَعْفِهِ وَأَنَا عَلَى هَذَا الْكَبِيرِ كَبِيرُ
فَاصْبِرْ عَلَى حُكْمِ الْقَضَاءِ، فَإِنَّمَا كَأْسُ الْقَضَاءِ عَلَى الْجَمِيعِ تَدُورُ

الإنسان:

شَاءَ الْقَدِيرُ وَحَتَّمَ الْمَقْدُورُ يَا بَاشِقُ اخْكُم، وَارْضَ يَا عُصْفُورُ
تِلْكَ الطَّبِيعَةُ، مَنْ يُغَيِّرُ حُكْمَهَا؟ هِيَهَاتَ! لَيْسَ لِحُكْمِهَا تَغْيِيرُ
الشُّورُ يَقْنَعُ بِالْحَشِيشِ، وَإِنْ يَكُنْ طَوَّلَ النَّهَارِ عَلَيْهِ جَارَ النَّيْرِ
النير: الخشبة توضع على رقبة ثور الحراثة

وَالنَّحْلُ مِنْ أَرِي الْأَزَاهِرِ يَغْتَذِي وَيَقُوتُ أَنْوَاعَ الدَّوَابِ شَعِيرُ
الأري: العسل

وَالْوَحْشُ قَدْ عَافَ النَّبَاتَ، وَلَمْ يَكُنْ أَبَدًا عَلَى غَيْرِ اللَّحُومِ يُغَيِّرُ

فَلِكُلِّ مَخْلُوقٍ طَعَامٌ وَاحِدٌ يُرْضِيهِ، مَعَ أَنَّ الطَّعَامَ كَثِيرٌ
أَمَّا ابْنُ آدَمَ فَهُوَ أَشْرَهُ كَائِنٍ فَوْقَ الثَّرَى، وَعَلَى الْجَمِيعِ يَجُورُ
فَالْمَرْءُ مُلْتَحِفٌ رِذَاءَ رِيَائِهِ لَا يَخْدَعَنَّكَ شَكْلُهُ الْمَنْظُورُ
مَهْمَا بَدَأَ حَمَلًا وَدَيْعًا طَاهِرًا لَا شَكَّ يَكْمُنُ ضِمْنَهُ خِنْزِيرُ

١٠ يسيء ويغضب

قال في الربو دي جانيرو بالبرازيل ١٩١٤ :

تَعَجَّبْتُ مِنْ غَدَرَاتِ الصَّدِيقِ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَاكَ أَنْ أَتَعَجَّبُ
وَبَعْضُ الْقُلُوبِ كَطَقْسِ الْبِرَازِيلِ لِي، فِي كُلِّ ثَانِيَةٍ يَتَقَلَّبُ
يَسِيءُ إِلَيْكَ، وَيَغْضَبُ مِنْكَ وَكَمْ مِنْ صَدِيقٍ يَسِيءُ وَيَغْضَبُ

١١ في رعاية الله

قال في الربو دي جانيرو بالبرازيل ١٩١٤ :

أَنَا فِي غُرْبَةٍ عَنِ الْأَهْلِ، لَكِنْ عَنْكَ، يَا رَبِّ، يَسْتَحِيلُ اغْتِرَابُ
أَنَا طِفْلٌ، وَأَنْتَ تَحْرُسُ مَهْدِي فَلْتُكْثِرْ عَنِ الثُّيُوبِ الذَّنَابُ

١٢ اتعب تريح التعب

إِذَا اللَّصُوصُ أَضَاعُوا مِنْ مُرْوَعِيهِمْ ضِعْفَ الْغَنِيمَةِ، فَالْمَسْلُوبُ مِنْ سَلْبَا
المسلوب: خبر مقدم. الشرح: اللص يفقد شرفه، وهو أهم مما يغنمه في السرقة، لذا فالذي
يسلب هو في الواقع المسلوب

وَقَدْ تَعَوَّدَ لَكَ الْأَمْوَالُ إِنْ ذَهَبْتَ وَلَا يَعُودُ حَمِيدُ الصَّيْتِ إِنْ ذَهَبَا
حميد الصيت: الصيت الحميد، كقولك (جزيل الشكر) بمعنى (الشكر الجزيل)
فِي الْمَالِ هَمٌّ، وَفِي تَحْصِيلِهِ تَعَبٌ، فَالْمَرْءُ يَتْعَبُ حَتَّى يَرْبَحَ التَّعْبَا

١٣ جرأة الحلمتين

جُرْأَةُ الْحَلْمَتَيْنِ تَحْتَ الصُّدَارِ عَلِمْنَا فِي الْحَبِّ خَلَعَ الْعِذَارِ
الصدار: الصدرية، خلع العذار: التهور

خَبَّئِي هَذِهِ الْمَفَاتِنَ عَنَّا إِنَّمَا الصَّدْرُ مَخْبَأُ الْأَسْرَارِ

كَيْفَ لَا نَطْمَعُ الْأَكْثَفَ بِكَتْنِزٍ دَافِعٍ نَفْسَهُ إِلَى النُّظَارِ؟

١٤ عاد الرشيد

قال حين خرج الحسين بن علي وأبناؤه على الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى:

عَادَ الرَّشِيدُ وَعَادَ بَاهِرُ عَصْرِهِ سَبْحَانَ مَنْ بَعَثَ الْحُسَيْنَ لِنَشْرِهِ
نشره: بعثه من القبر

الليلُ خِيْطٌ مِنْ حِدَادِ مَغِيْبِهِ والصبحُ سَهْمٌ مِنْ أَشْعَةِ فَجْرِهِ
مَلِكٌ عَلَى الْإِسْلَامِ أَبْدَى غَيْرَةٍ قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ الرَّسُولِ بِقَبْرِهِ
نَصَرَ المَرْوَةَ، فَالْمَسِيحُ وَأَحْمَدُ يَتَبَادَلَانِ التَّهْنِئَاتِ بِنَصْرِهِ

١٥ طوباك

قال في جولة تجارية له في البرازيل، والقطار يشق السهول الواسعة، وقد رأى الشاعر البقر في الحقول:

طُوبَاكِ سَارِحَةً فِي الْقَفْرِ، طُوبَاكِ إِنْ كُنْتُ أَحْسَدُ مَخْلُوقاً فَلِيَاكِ
طوباك: طوبى لك، أدعو لك بالسعادة

الزُّهْرُ مِثْلُكَ، فِي الْآفَاقِ تَنْتَشِرُ تَغْشَى مَرْوَجَ الْعُلَى، وَاللَّيْلُ مَعْتَكِرُ
الزُّهْر: النجوم، مروج العلى: سهول السماء، يتخيل سهولاً في السماء، معتكر: مظلم.

تَالَلَهُ! كَمْ يَتَمَنَّى عَيْشَكَ الْبَشْرُ مَاذَا تَخَافِينَ فِي الْبِيدَاءِ يَا بَقْرُ؟
إِنْ كُنْتَ تَخْشِينَ مِنْ أَنْيَابِ فَتَاكِ طُوبَاكِ، فَالْجِلْدُ غَيْرُ الْعَرَضِ، طُوبَاكِ
تمزيق المفترس الفتاك جلْدك أهون من تمزُّق العَرَضِ

* * *

طُوبَاكِ فِي الصَّيْفِ، وَالرَّمْضَاءُ تَتَّقِدُ وَالْحَرُّ مِنْهُ يَذُوبُ الْجِلْدُ، وَالْجِلْدُ
الرمضاء: الحر الشديد، الجلد: الصبر

هَذَا اللَّهْيَبُ الَّذِي يُشَوِّى بِهِ الْجَسَدُ أَشَدُّ مِنْهُ عَلَى أَكْبَادِنَا الْحَسَدُ
إِنْ كَانَ مِنْهُ الَّذِي سَوَّاكَ نَجَّاكَ طُوبَاكِ فِي لَفْحَةِ الرَّمْضَاءِ، طُوبَاكِ

* * *

تشكينَ فصلَ الشتاءِ الباردِ القاسي ماذا أقولُ أنا في عشرةِ الناسِ
نامي على الثلجِ، نامي ليسَ مِنْ بَاسِ فالثلجُ غيرُ فؤادٍ دونَ إحساسِ
وإن تكنِ هاطلاتُ الغيثِ تغشاكِ طوباكِ فالقطرُ غيرُ الدمعِ، طوباكِ
تغشاكِ: تحلُّ بكِ

١٦ ذل الحفيد

قال إثر صدور وعد بلفور، وكان الناس بالبرازيل وقتئذ يحتفلون في أحد أعيادهم:
ذَرُوا الأفرَاحَ للشعبِ السعيدِ وخَلُّونا لَهُمُ مُستَزيدِ
وعن عيدِ المَساخِرِ أبعدُونا فنحنُ مَساخِرُ، مِنْ غيرِ عيدِ
عيد الماساخر: عيد جميع القديسين (الهالوين)، ومن لوازمه ارتداء الملابس التنكرية

نرومُ تَنَكُّراً فيه، كأنا عُرِفنا قَبْلَ ذلكَ في الوجودِ
وهلْ هذي الوجوهُ إذا انتَسَبنا تُزَكِّي أصلنا عندَ الجُودِ
هل الوجوه التنكرية تزكي (تؤيد) لدى أجدادنا انتسابنا إليهم؟

مضتْ شُمُ الأنوفِ، فليسَ فينا سوى بِيضٍ لَهُمُ شَيَمُ العبيدِ
شم الأنوف: الأنوف الشامخة المرتفعة، يقصد الأجداد الكرام

ألا رَحِمَ المَهِيمُنُ كُلَّ جَدٍّ سعيدِ الجَدِّ، في المَثوى السَّعيدِ
رحم الله كل جد من أجدادنا سعيد الجد (الحظ) في مثواه لأنه مات قبل أن يرى ما حل بنا
كَأَنَّ لَمْ يُغْمِضِ العَيْنينِ إلَّا كَراهَةً أَنْ يَريَ ذُلَّ الحَفيدي

١٧ برازيلية

قال في إحدى جولاته التجارية في ولاية بارانا بالبرازيل سنة ١٩١٩:

وفاتنة! كأَنَّ اللّهَ لَمَّا حَبَّأها الحُسْنَ ما راعَى الحِسابا
برازيلية وَطَنًا؛ ولكنْ، إلى الأعرابِ تَنَسَّبُ انتسابا
كَأَنَّ الوردَ خَضِبَ وَجَنَّتَيْها وَغَيْرَ الحُسَنِ لَمْ تَعْرِفْ خِضابا
ليالٍ أَرَبَعَ مَرَّتْ عَلَيْنَا نَهَبْنَاهَا مِنَ الدهرِ انتَهَابا

١٨ الحمار والعلف والغربة

قال وكتبها في البحر بين ريو غرندي دو سول وسنطس سنة ١٩٢٠ :

دَفَنْتَ رَبِيعَ عَمْرِكَ فِي بِلَادٍ بِهَا طَالَتْ لِيَالِيكَ الْقِصَارُ
يُبَارِكُهَا الَّذِي قَدْ حَازَ مَالاً وَقِيَمَةً مَالِهِ ذُلٌّ وَعَارُ
يَقُولُ لِي: الْمَعَزَّةُ فِي حِمَاها، وَبِئْسَ الْعِزُّ يَفْهَمُهُ التَّجَارُ
وَلَا يَنْسَى لَهَيْبِ السَّوْطِ إِلَّا، إِذَا مَا شَاهَدَ الْعَلْفَ، الْحِمَارُ
تَرَوْمُ بِمِهْنَةِ التَّجْوَالِ مَالاً وَحُظُّكَ وَالْغِنَى: مَاءٌ وَنَارُ
يخاطب نفسه الآن: تطلب بمهنة البائع المتجول أن تصبح غنياً؛ ولكن، أنت والغنى متافران
كالماء والنار

وَفِي أُذُنِكَ صَوْتُ مُسْتَمِرٍّ: رَشِيدُ أَفَقٍ لَقَدْ صَفَرَ الْقِطَارُ
أَرْوَمُ إِلَى رُبَى لَبْنَانَ عَوْدًا وَيُمَسِّكُنِي عَنِ الْعَوْدِ افْتِقَارُ
وَلَوْ خُيِّرْتُ لَمْ أَهْجُرْ بِلَادِي وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الْعَيْشِ اخْتِيَارُ

١٩ بطل ميسلون

إِنَّ بِالْعَظْمَةِ أَعْلَى مَثَلٍ لِفِدَى تَنْشُدُهُ النَّفْسُ الْأَبْيَّةُ
يوسف العظمة: وزير الحربية في حكومة فيصل بدمشق. خرج إلى ميسلون ليواجه الفرنسيين
المحتلين بقيادة هنري غورو، واستشهد ١٩٢٠

وَدَعَّ الْغُوطَةَ بِبَغْيٍ جَنَّةً غَيْرَهَا، تَحْتَ ظِلَالِ الْمَشْرِفَةِ
يَا مُعِيداً مَجْدَنَا الضَّائِعَ! نَمْ مُسْتَرِيحاً فِي ظِلَالِ الْأَبْدِيَّةِ

٢٠ نسي الصليبيون ما علمتهم

الْحَقُّ مِنْكَ، وَمِنْ وُعُودِكَ أَكْبَرُ فَاخْسُبْ حَسَابَ الْحَقِّ يَا مُتَجَبِّرُ
تَعِدُ الْوَعُودَ، وَتَقْتَضِي إِنْجَازَهَا مُهْجَ الْعِبَادِ، خَسِئَتْ يَا مُسْتَعْمِرُ
تقتضي (تطلب) لإنجاز وعودك الاستعمارية أرواح الناس

لَوْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْمَكَارِمِ لَمْ تَكُنْ مِنْ جَنِبِ غَيْرِكَ مُحْسِنًا، يَا بَلْفُورُ
يَدْعُوكَ شَعْبُكَ يَا صِلَاحَ الدِّينِ، فَمَنْ تَأَبَّى الْمَرْوَةَ أَنْ تَنَامَ، وَيَسْهَرُوا
نَسِيَ الصَّالِبِيُّونَ مَا عَلَّمَتْهُمْ قَبْلَ الرِّحِيلِ، فَعُدَّ إِلَيْهِمْ يَذْكُرُوا

أُمْنِيَّةُ الدُّنْيَا السَّلَامُ، وَإِنَّمَا تَحْقِيقُهَا فَرَضٌ عَلَى مَنْ يَقْدِرُ
هِيَهَاتَ! وَالتَّسْلِيحُ أَكْبَرُ هَمِّكُمْ وَالْوَحْشُ خَلْفَ جُلُودِكُمْ مُتَنَكِّرُ
مَا رَوَّضَ التَّمْسَاحَ صَقْلُ أَدِيمِهِ مَهْمَا تَمَدَّنْتُمْ فَأَنْتُمْ بَرَبَرُ
بربر: يقصد «برابرة»، وهم الأمم البدوية التي خربت المدن في أوروبا قبل النهضة

٢١ الموت شرط التكریم

قال في تأبين فرح أنطون، صبول ١٩٢٢:

يَا أَيُّهَا الْأَدَبَا! مُوتُوا لِتُكْرِمَ مَكُّمُ إِنَّ يَخْبُثَ الْعِيشُ، قَدْ تَحَلُّو الْمَيِّتَاتِ
الميتات: الميتات

مَنْ لَا يُكْرِمُنِي إِلَّا عَلَى جَدْنِي فَمَا تَكَارِيْمُهُ إِلَّا إِهَانَاتُ
جدني: قبري

لو بعض إكرامنا للتائبين بدا مِنَّا لَهُمْ قَبْلَ أَنْ مَاتُوا، لَمَا مَاتُوا
التسويد للشاعر عمران الففيني، شكر الله له بيض أياده، وسود وجوه أعاده، وأناله من الكرامة ما يرضينا ويرضيه

٢٢ فائدة الأعداء

قال سنة ١٩٢٢:

تَبَارَكَ مَنْ رَأَى شَرًّا فَأَغْضَى وَمَنْ فِي الْحُبِّ تُغْضِبُهُ فَيَرْضَى
أَحِبُّوا بَعْضُكُمْ يَا قَوْمُ بَعْضًا فَقَدْ مَلَأَ الْفَسَادُ الْأَرْضَ بُغْضًا
وكاد الحب بين الناس يخفى

* * *

عَدُوِّي! أَنْتَ عَوَسَجَةُ الْحَدِيقَةِ وَأَنْتَ الشَّوْكُ فِي وَرْدِ الْحَقِيقَةِ
العوسج: نبات شوكي

وَأَنْتَ مَرَارَةُ الْخَمْرِ الْعَتِيقَةِ وَأَنْتَ سَوَادُ سَوْدَاءِ الشَّقِيقَةِ
السواد الذي في زهرة شقائق النعمان

تَزِيدُ جَمَالَهَا لُطْفًا وَظَرْفًا

* * *

عَدُوِّي! لَيْتَ عَيْنُكَ فِي فُؤَادِي لِيُضْلِحَ فِيهِ مُسْتَتِرَ الْفَسَادِ
أَمَّا سَحَرْتُ مِنْ رَبِّ الْعِبَادِ رَقِيبًا لَا يَنَامُ عَنِ انْتِقَادِ
وَلَا يُغْضِي عَنِ الْهَفَوَاتِ طَرَفًا

٢٣ لا فضل للشعراء

لَا فَضْلَ لِلشَّعْرَاءِ فِي وَثَبَاتِهِمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَوْقَ الْمَجَرَّةِ سَاحُوا
فَالشَّعْرُ مِنْ نَفَحَاتِ وَادِي عَبْقَرٍ مِنَّا الْكُؤُوسُ، وَمِنْ هُنَاكَ الرَّاحُ
لَا نَسْتَحِجُّ ثَنَاءَكُمْ، إِلَّا إِذَا شُكِرْتُ عَلَى زُحَلِيَّةِ أَفْدَاحِ

زحلية: خمر مصنوعة في زحلة، البلدة اللبنانية المشهورة بالعرق. والعرق شراب قوي، قال فيه
الشارح: قالوا الأقاويل في البيرا وما اتفقوا/ وفضلوا الجن والويسكي وما صدقوا// وقال أبو أحمد
والسكر تمتعه/ للخمر مملكة سلطانها العرق

دَعَوَى الْمُدِلُّ عَلَى الْأَنَامِ بِشَعْرِهِ دَعَوَى الرُّجَاجَةِ أَنَّهَا الْمِصْبَاحُ
المدل: المفتخر

٢٤ نجمة من الشرق

طَلَعَتْ عَبْقَرِيَّةُ الْعِلْمِ وَالْفَنِّ - تَهَادَى بِبَنَدِهَا الْخَفَاقِ
تهادى: تهادى، البند: الراية

وَتُبَاهِي مَجْدَ الْمُلُوكِ بِمَجْدٍ مُتَرَامٍ، عَلَى الْمَمَالِكِ بَاقٍ
العبقريّة تباهي الملوك بمجدها المترامي (الواسع) الذي يبقى على تبدل الممالك وزوالها

وَإِذَا نَجْمَةٌ مِنَ الشَّرْقِ، لَاحَتْ تَبْهَرُ الْعَالَمِينَ بِالْإِشْرَاقِ
فَتَهَاوَى الْوَرَى عَلَى قَدَمَيْهَا سُجْدًا بِالْخُشُوعِ وَالْإِطْرَاقِ
وَتَوَارَتْ عِبَاقِرُ الْعِلْمِ وَالْفَنِّ وَرَاءَ السُّطُورِ وَالْأَوْرَاقِ
قِيلَ: مَنْ هَذِهِ الْمَلِكَةُ؟ قَالُوا: إِنَّهَا عَبْقَرِيَّةُ الْأَخْلَاقِ

٢٥ آمنت بالأخرى

قال عام ١٩٢٣:

آمَنْتُ بِالْأُخْرَى، فَلَيْسَ وَجُودُنَا عَبَثًا، وَلَيْسَ مَصِيرُنَا لِفَنَاءِ

ضَلَّ الَّذِي حَسِبَ الشَّتَاءَ نَهَايَةً إِنَّ الرَّبِيعَ مُوَكَّلٌ بِشَتَاءِ
موكل: مرهون، أي أن الربيع مشروط بأن يجيء قبله الشتاء

٢٦ رثاء المنفلوطي

قال في تأبين المنفلوطي، وألقاها في النادي الحمصي في صنبول ١٩٢٤:

يا مُضْطَفَى! نَحْكِي، وَمِثْلُكَ سَاكِتٌ؟ صَبْرًا عَلَى هَذَايُنَا، يَا مُضْطَفَى
إِنَّ الْجَهُولَ لَكَالْمَنِيَّةِ، إِنَّ يَقْلُ يُعْيِي الْفَصِيحَ، وَيُبْكِمُ الْمُتَفَلِّسَ
إِنْ لَمْ يَكُنْ خَلْفَ الرِّثَاءِ لِشَاعِرٍ عِظَةً، فَيَا شُعْرَاءَ خَلُّوا الْمَوْقِفَا
وَالْحُرَّ، إِنَّ قَطَعَ الْحِمَامَ خِطَابَهُ، فَعَلَى أَخِيهِ الْحُرَّ أَنْ يَسْتَأْنِفَا
وَالشَّعْرَ، إِنَّ فَسَدَ الزَّمَانُ، فَخَيْرُهُ مَا عَتَفَ الْأَسْمَاعَ، لَا مَا شَنَّفَا
حَتَامٌ، يَا ابْنَ الطِّينِ، تَرَكَبْ لِلْهَوَى طِرْفًا، وَتَسَحَّبْ لِلْفَوَايَةِ مُطْرَفَا
طرفًا: حصانًا، مطرفًا: رداء

وَعْدًا سَتَرَكَبُ مَرَكَبًا تَبْكِي إِذَا فَكَّرْتَ فِيهِ، وَتَشْتَهِي مَشْيَ الْحَفَا
أَنْفِقْ، إِذَا أَوْلَاكَ رَبُّكَ نِعْمَةً، وَانْعَمَ، فَمَا أُولِيَتْ كَيْ تَتَقَشَّفَا
أُولِيَتْ: مُنِحَتْ نِعْمَةً

وَإِذَا مَرَرْتَ عَلَى الْفَقِيرِ، فَلَا تُشِخْ مُتَأَفِّفًا، وَالْحَقُّ أَنْ يَتَأَفَّفَا
لَمْ تَشْكُ إِذْ أُسْرِفَتْ فِي إِزْهَاقِهِ وَشَكَوْتَ حِينَ اضْطُرَّ أَنْ يَتَبَلَّشَفَا
يتبلشف: يتبع الحزب البلشفي، الحزب الشيوعي

مَاتَ الْكِرَامُ، فَلَا تَرَى بَيْنَ الْوَرَى إِلَّا شَجِيحًا، فِي الْخَلَاعَةِ مُسْرِفَا
أَمَّا الْأَدِيبُ، فَإِنَّهُ كَخَبَالِهِ مَعْنَى مِنَ الْأَعْضَاءِ يَسْكُنُ أَحْرَفَا
الأديب مهزول الجسم فكأنه ليس جسمًا بل معنى من المعاني، وهذا المعنى لا يسكن جسمًا بل يسكن أحرفًا هي كلماته. والتسويد لعمران القفيني

عَبَسًا يُنَزِّلُ كُلَّ يَوْمٍ لِلْوَرَى سِفْرًا، وَيُلْهِمُ كُلَّ يَوْمٍ مُضْخَفَا
نَبَتْ الرُّبَى وَنَدَى السَّمَاءِ كِفَافُهُ وَعَفِيفُهُمْ هَضَمَ الْبِلَادَ، وَمَا اكْتَفَى
إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ، غَيْرَ طَعَامِهِمْ، عَرَضٌ، فَقَدْ سَاوَى الْخَوَانَ الْمِعْلَفَا
الخوان: منضدة الأكل، المelf: المذود تأكل منه البهائم

٢٧ منتهى اليأس

هَلْ بَيْنَكُمْ مِنْ رَاحِمٍ قَاتِلٍ يُزْحِزِحُ الْأَيَّامَ عَنْ كَاهِلِي
يريد قاتلاً يزيع الأيام (العمر) عن كاهله (ظهره)

يَقْذِفُ بِي فِي دَرَكِ اللَّجِّ، لَا يَلْفُظُنِي مَوْجٌ إِلَى سَاحِلٍ
يريد أن يقذفه هذا القاتل في درك (قاع) اللج (البحر)

يَا لِأَشْتَهَائِي جَنَّةً مِنْ لَظَى آكُلُ مِنْ يَانِعِهَا الْآكِلُ
يريد جنة ولكن من اللظى (الجمر)، لكي يأكل من يانعها (ثمرها الطري) الآكل للبر

فِي شَجَرٍ مِنْ لَهَبٍ ثَائِرٍ عَلَى ضِفَافِ اللَّهَبِ السَّائِلِ
مَأْدِبَةٌ تَنْحَرُ ضَيْفَانَهَا آمِنَةً الْوَارِثِ وَالْوَاغِلِ
يريد مأدبة تذبح ضيفانها (ضيوفها)، وهي تأمن من الوارث (المتطفل على مائدة قوم) والواغل (المتطفل على مجلس الشراب)

وَأَبْرَدَهَا عِنْدِي إِذَا اجْحَوْحَمَتْ كَأُخْتِهَا فِي قَفْصِي النَّاحِلِ
ما أبردها على قلبي إذا اشتد جحيمها، فهذا جحيم يشبه الجحيم الذي في قفصي الصدري الناحل (الهزيل)

لَا قِفَّةَ فُلْكَ هُمُومِي مَعِي ذَاهِبَةً بِالْحِمْلِ وَالْحَامِلِ
يريد من هذه الجهنم أن تتلف فلك (سفينة) همومه، فتذهب بها وبراكبها

يَا مَنْ يُذَرِّبُنِي طَحِيناً عَلَى وَجْهِ يَبَابٍ مُخْرِقٍ قَاجِلٍ
مَا رَشَحْتُ مِنْ جَوْهٍ قَطْرَةً يَوْمًا عَلَى نَضْرٍ وَلَا ذَابِلٍ
لَا شَيْءَ حَيَاتِي يَا إِلَهِي، وَلَوْ حَقَّقْتُ رَغَمَ الْمَلْحِدِ الْجَاهِلِ
يدعو ربه إلى أن يجعل حياته تلاشي، حتى وإن كان بذلك يوافق ما يزعمه الملحد من تلاشي الروح

جِسْمِي وَرُوحِي وَأَغَانِي. لَا تُبْقِ عَلَى بَاقٍ، وَلَا زَائِلٍ
إِنِّي أَبْغِي عَدَمًا مُظْلَقًا يُعْيِي عَلَى النَّافِخِ وَالْجَابِلِ
يريد عدما يعي (يعجز) النافخ في الصور يوم القيامة، ويعجز الجابل الذي جبل النفوس من طين

أَقْسَى مِنَ الْمَوْتِ عَلَى النَّفْسِ أَنْ تَسْعَى إِلَى الْمَوْتِ بِلا طَائِلٍ
مُتَّ يَا أَخِي الْعَامِلَ، مُتَّ جَائِعًا وَلَا تَسَلْ عَنْ لُقْمَةِ الْعَامِلِ

إِنْ فَاتَكَ الْخُبْرُ، فَلُكَ آيَةٌ وَانْعَمَ بِمَوْتِ الْمُؤْمِنِ الْآمِلِ
 إنْ عَدِمْتَ الْخَبْرَ أَيُّهَا الْعَامِلُ فَعَلَيْكَ أَنْ تَلُوكَ الْآيَاتِ الْمَقْدَسَةَ، وَأَنْ تَمُوتَ مِيتَةَ مُؤْمِنٍ يَمْلُؤُهُ الْأَمَلُ
 بحياة أخرى

غَدَاً لَكَ الْخُلْدُ، فَمَا ضَرَّ أَنْ لَمْ تَأْكُلِ الْيَوْمَ مَعَ الْآكِلِ
 قَبْلَ يَدِ الظَّالِمِ قَسْرًا، وَلَا تَعْتَبَ عَلَى خَالِقِهِ الْعَادِلِ
 هَلْ كَانَتْ الْآلَامُ مُذْ قُدِّرَتْ إِلَّا نَصِيبَ الرَّجُلِ الْفَاضِلِ
 فَلْنَحْمَدِ الْمَوْلَى عَلَى نِعْمَةٍ خُصَّتْ بِنَا مِنْ فَضْلِهِ الشَّامِلِ
 يَا سَائِلِي عَنْ سِرِّ هَذَا الْوَرَى أَقْصِرْ، وَقَاكَ اللَّهُ يَا سَائِلِي
 أقصر: كُفْ

مَا أَبْعَدَ الشُّكُوى، عَلَى هَوْلِهَا، عَنْ بَعْضِ مَا يَنْهَشُ فِي دَاخِلِي

٢٨ الجنة الموعودة

قال في صنبول ١٩٢٤:

قَدْ كُنْتُ مِنْ لُبْنَانَ فِي جَنَّةٍ نَاضِرَةٍ، لَمْ أَلْفِهَا نَاضِرَةً
 وَلَمْ أَرْلُ أَصْبُو إِلَى غَيْرِهَا حَتَّى رَكِبْتُ اللَّجَّةَ الرَّاحِرَةَ
 اللجة الزاخرة: البحر المرتفع الموج

فَلَمْ أَشَاهِدْ بَلَدًا عَامِرًا أَطِيبَ مِنْ مَرْزَعَةٍ عَامِرَةٍ
 مَهْمَا كَانَ الْبَلَدُ عَامِرًا وَكَبِيرًا فَحَاجَنِي مِنْهُ لَا تَتَعَدَّى حَاجَتِي إِلَى مَرْزَعَةٍ، هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي لِمَحْتِهِ
 لَكِنْ هِيَ الْأَمَالُ طَوَّاحَةٌ بِكُلِّ نَفْسٍ حُرَّةٍ نَائِرَةٍ
 تَسْتَظْلِعُ الْأَسْرَارَ مَفْتُونَةً بِكُلِّ مَا يَغْدُو مَدَى الْبَاصِرَةِ
 يعدو مدى الباصرة (العين): يتجاوز مدى الرؤية

يَا نَفْسُ! خَفْضًا مِنْ جَنَاحِ الْمَنَى لِأَيِّ رَبِّعٍ أَنْتِ بِي طَائِرَةٍ
 دُنْيَاكِ هَذِي لَنْ تَرِي غَيْرَهَا كُونِي مَلَاكَا تَكُنِ الْآخِرَةِ

٢٩ سمو عن الشكوى

قال في صنبول ١٩٢٤:

أَنْتِ حُرٌّ فَاسْتَوْطِنِ الْبَلَدَ الْحُرَّ وَصَاحِبٌ مِنْ أَهْلِهِ إِخْوَانَا

وَأَسْمُ عَنْ أَنْ تَشْكُو إِلَى النَّاسِ فَقْرًا وَلَئِنْ بِتَّ جَائِعًا ظَمْآنًا
بَسْمَةً تُظْهِرُ الْفَقِيرَ غَنِيًّا، دَمْعَةً تَمْسَحُ الشُّجَاعَ جَبَانًا
كُنْ إِلَهَ النُّضَارِ، إِنَّكَ عِنْدِي لَسْتَ شَيْئًا مَا لَمْ تَكُنْ إِنْسَانًا
النضار: الذهب

٣٠ فيض من حنان

تَحَيَّرَ بِي عَدُوِّي إِذْ تَجَنَّى عَلَيَّ، فَمَا سَأَلْتُ عَنِ التَّجَنِّي
وَقَابَلَ بَيْنَ مَا أَلْقَاهُ مِنْهُ وَمَا يَلْقَى مِنَ الْإِحْسَانِ مِنِّي
إِلَى أَنْ ضَاقَ بِالْبَغْضَاءِ دَرْعًا وَحَسَّنَ ظَنَّهُ بِي حُسْنُ ظَنِّي
عَدُوِّي! لَيْسَ هَذَا الشَّهْدُ شَهْدِي وَلَا الْمَنُْ الَّذِي اسْتَحْلَيْتَ مِنِّي
المن: طعام حلو، وهو أخو السلوى

فَلِي أُمُّ حَنُونٌ، أَرْضَعْتَنِي لِبَانَ الْحُبِّ مِنْ صَدْرِ أَحْنٍ
لبان: حليب

عَلَى بَسَمَاتِهَا فَتَحْتُ عَيْنِي وَمِنْ لَثَمَاتِهَا رَوَيْتُ سِنِّي
لثمات: قلات

كَمَا كَانَتْ تُنَاغِينِي أَنَاغِي وَمَا كَانَتْ تُغْنِينِي أَعْنِي
سَقَانِي حُبُّهَا فَوْقَ احْتِيَاجِي فَفَاضَ عَلَى الْوَرَى مَا فَاضَ عَنِّي

٣١ يا أم... يا حنونة

قال ونظمها بين ١٩٢٤ و ١٩٢٥. وكانت أمه وصلت حديثاً إلى صنبول:

أَتَذْكُرُ كَيْفَ كَانَ إِلَهُ مُوسَى إِلَهًا قَاسِيًا يَلْتَذُّ بِالدَّمِ
إِذْ قَالَ لِيكَ كَيْفَ غَدَا إِلَهًا رَحِيماً، إِنْ تَأَلَّمْنَا تَأَلَّمْ
رَوَى الرَّاوُونَ أَنْ عَثَرُوا بِمُضِرٍ عَلَى دَرَجٍ غَرِيبٍ الْخَطِّ مُبْهِمٍ
درج: رقعة

فَقَالُوا إِنَّهُ، مِنْ قَبْلِ عَيْسَى، ثَوْقِي شَاعِرٌ فِي الشَّرْقِ مُلْهِمٍ
أَضَاعَ الْعُمْرَ فِي طَلَبِ الْمَعَاصِي يُحْلَلُ مَا كِتَابُ اللَّهِ حَرَمٌ

ولكن، برُّهُ الأبوينِ غَطَّى مَسَاوِيَهُ، فَخُلِّصَ مِنْ جَهَنَّمَ
فَنَامَ بِحُضْنِ إِبْرَاهِيمَ، لَكِنْ قُبِيلَ الْفَجْرِ شَاعِرُنَا تَبَرَّمَ
في إنجيل لوقا قصة نوم لِعَاذِرِ الْفَقِيرِ بعد موته في حضن إبراهيم النبي

وَقَامَ لِربِّهِ يَشْكُو وَيَبْكِي بُكَاءَ صَيَّرَ الْفِرْدَوْسَ مَأْتَمَ
فَهَذَا رَوْعُهُ، وَحَنَا عَلَيْهِ وَطَيَّبَ قَلْبَهُ بِحَنَانِهِ الْجَمِّ
وَوَسَّدَهُ يَدَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَمَالَ عَلَيْهِ بِالتَّقْبِيلِ وَالضَّمِّ
وَقَالَ لِعَبْدِهِ دَاوُدَ رَنَّمْ لِهَذَا الْبُلْبُلِ الْبَاكِي، فَرَنَّمْ
ونبي الله داود هو صاحب الصوت الجميل والأغاني المشهورة

فَنَامَ بِحُضْنِهِ الْأَبَوِيَّ حِينًا وَعَادَ يُسَاقِطُ الْعَبْرَاتِ عِنْدَمَ
العندم: نبت أحمر

إِلَى أَنْ صَجَّ أَهْلُ الْخُلْدِ غَيْظًا وَصَاحَ اللَّهُ مِنْ غَضَبٍ: إِلَى كَمْ..
أَطِيقُ تَذْمُرًا مِنْ عَبْدٍ سَوْءٍ يُجَرِّعُ كَوْثَرًا، فَيَقُولُ: عَلَقَمُ؟
حتى متى أحتمل التذمر من هذا الذي يشرب ماء نهر الجنة الكوثر ويقول إنه مرء؟

أَرَى الشُّعْرَاءَ جَارُوا الْحَدَّ، إِنِّي أَكَادُ لِخُلُقِي الشُّعْرَاءَ أَنْدَمَ
عَلَامَ بُكَاءِكَ يَا هَذَا؟ وَمَاذَا دَهَاكَ، فَلَا بُنْيَ تَشْكُو؟ تَكَلَّمْ
لا تاتي تشكو: لا تنقطع عن الشكوى

فَصَاحَ: الْعَفُو يَا مَوْلَايَ، مَنْ لِي سِوَاكَ، وَمَنْ سِوَى الرَّحْمَنِ يَرْحَمُ
أَتَيْتُكَ رَاجِيًا نَقْلِي لِحُضْنِ أَحَبِّ إِلَيَّ مِنْ هَذَا وَأَكْرَمِ
لِحُضْنِ طَالَمَا قَدْ نِمْتُ فِيهِ قَرِيرَ الْعَيْنِ، بَيْنَ الضَّمِّ وَالشَّمِّ
أَمَّا أَلْقَيْتَ رَأْسَكَ فَوْقَ صَدْرِي حَنُونٍ خَافِقٍ بِمَحَبَّةِ الْأُمِّ؟
فَأَضَعَى سَيْدُ الْأَكْوَانِ لُطْفًا لَشُكْوَى شَاعِرِ الْعَبْرَاءِ وَاهْتَمَّ
وَقَالَ لِنَفْسِهِ: هَذَا مُحَالٌ أَيْعَلِمُ شَاعِرٌ مَا لَسْتُ أَغْلَمُ
أَيْنَعُمُ خَاطِئِي فِي الْأَرْضِ قَبْلِي بِمَا أَنَا لَسْتُ فِي الْفِرْدَوْسِ أَنْعَمُ
لَأَكْتَشِفَنَّ هَذَا السَّرَّ يَوْمًا وَلَوْ كُُلِّفْتُ أَنْ أَشْقَى وَأُعْدَمُ

وكانت لَيْلَةً؛ وإِذا صَبِيٌّ صَغِيرٌ نَائِمٌ فِي حِضْنِ مَرِيَمَ

هذه ترجمة شعرية للمفهوم المسيحي بالوهية المسيح، وقد لمعت فكرة القصيدة للقروي وهو ينظر في وجه أمه، يقول: «قلت لها بريك يا أمي، لا تحولي نظرك عني، لكنني أرى رؤيا شعرية غريبة لا عهد لي بمثلها قط. قالت: اسم الله حورك يا بني. يا أولاد لا «تعبطوا» - أي لا تصخبوا - عكم ينظم. روحوا من هنا. وليث في ذهولي وموكب الإلهام يدنو مني وثيلاً، أو أدنو منه، لا أدري، حتى شرعت أتبين معالمه وأستجلي شخصوه، فصحت وقد ملكتني نشوة الفن، وبدني يقشعر، والعرق يتصبب من جبیني: أماء بشارك، لقد جئتكم بما لم يجي به شاعر لأم».

٣٢ زهرة الحق

قال في تأبين سليمان البستاني في صنبول ١٩٢٥:

لا مِنْ تُغُورِ الْغَيْدِ فِي لَبْنانِ أو مِنْ تُحْدُودِ الحُورِ وَالوِلْدانِ
بل مِنْ ضُلُوعِ المَجْدِ، مِنْ قَلْبِ الْهُدَى مِنْ مُهْجَةِ التَّقْوَى، مِنْ الْإِيْمانِ
قد صاعَها الرَّحْمَنُ أَكْمَلَ زَهْرَةً رَقَصَتْ لَهَا الأرواحُ فِي الأَبْدانِ
فإذا قَضَى بَطْلٌ مَجِيدٌ، أو مَضَى حرٌّ، شَهِيدَ مَحَبَّةِ الأوطانِ
تَكْشُو النَّصارَةُ عودَها، فَيَجِيسُ فِي أَبْهَى العُقُودِ، وَأَبْهَجِ الأَلوانِ
وإذا خلا وَجْهُ الشَّرَى مِنْ نائِرِ لِحَقِّ مُشْتَعِلٍ بِهِ مُتَفانِ
يَعْرِو البُتَيْلاتِ الذُّبُولُ كائِها أَهْدابَ طَرْفِ العَادةِ الوَسْنانِ

البتلات: أوراق الزهرة، الوسنان: النعسان

وتَظَلُّ مُطَبَّقَةً الجُفُونِ عَلِيلَةً حَتَّى يُتَاحَ لَهَا شَهِيدٌ ثانٍ

يحدثنا عن زهرة تذبل، ولا تعود لها النضارة إلا إذا نزل دم شهيد جديد

وَلَرُبَّ عَهْدٍ طالَ فِيهِ ذُبُولُها واشتَدَّ خَوْفُ الواحِدِ الدِّيانِ
دَرَسَتْ رِبوْعُ الحَقِّ مِنْ أَهْلِ الْهُدَى وَظَمَتْ سِيوْلُ الظُّلَمِ والطُّغْيانِ
وَتَظَلَّعَ الرَّحْمَنُ مُلْتَمِساً لَهَا بَطْلاً يَقيها طارِقَ الحَدَثانِ

طارق الحدثنان: مصائب الزمن

ما زالَ رَبُّ الخَلْقِ فِي تَجْوايِهِ فِي الأَرْضِ، يَعمِدُ قاصِياً بِالْأَداني
حَتَّى أَفاءَ عَلى الشَّامِ بِساطُهُ فَطَواهُ فِي إِحْدَى قُرى لَبْنانِ

أفاء: أنعم

ورأى هناك فتى تَوَقَّدَ ذَهْنُهُ فَسَرَى تَوَقُّدُهُ إِلَى الْأَذْهَانِ
خَلَعَ الزَّمَانُ عَلَيْهِ طَوْلَ أَنَاتِهِ فَالْدَهْرُ فِي عَيْنَيْهِ بَضْعُ ثَوَانٍ
خَدَمَ السِّيَاسَةَ مُلْبِسًا أَغْرَاضَهَا تَاجَ النِّزَاهَةِ، أَشْرَفَ التَّيْجَانِ
مَا بَاعَ مِنْ أَجْلِ الْوَسَامِ بِلَادَهُ لِالْأَجْنَبِيِّ بِأَبْخَسِ الْأَثْمَانِ
أَهْدَى إِلَى الشُّعْرَاءِ فِي أَوْطَانِهِ نَفَثَاتِ أَشْعَرِ شَاعِرِ يُونَانِي
وكان المراثي قد ترجم إليّاده هوميروس شعراً إلى العربية

مَا زَالَ يَمْنَحُ مِنْ أَشْعَةِ فَضْلِهِ لِلنَّاسِ حَتَّى صَارَ فِي الْعُمَيَّانِ
ظَلْ يَكْتُبُ وَيَقْرَأُ حَتَّى ضَعُفَ بَصَرُهُ

وَإِذَا عُرِيسُ الْخُلْدِ فِي بُرْدِ الصَّبَا تَسْبِي النُّهَى بِجَمَالِهَا الْفَتَّانِ
هذه الزهرة عادت للانتعاش لوشك سقوط شهيد

فَتَهَلَّلَ الرَّحْمَنُ مِنْ فَرَحٍ، وَقَدْ فَاضَتْ أَشْعَةُ وَجْهِهِ النُّورَانِي
وَحَنَّا عَلَيْهِ، وَقَالَ: إِنَّكَ خَيْرُ مَنْ يَتَعَهَّدُ الْأَزْهَارَ يَا بُسْتَانِي
تعليق عمران القفيني: (طريف شطره الأخير أيتما طرافة.. البستاني هو الذي يهتم بالحدائق وهو.. سليمان البستاني معاً)

فِإِلَيْكَ فِرْدَوْسِي، تَوَلَّ وَرُودَهُ وَاعْمَلْ مَدَى الْأَذْهَارِ فِي بُسْتَانِي

٣٣ ذَنْبُ الْأَجْنَبِي

قال وقد أهبني صحفي قضى عمره في خدمة الاستعمار من جانب موظف فرنسي في حفلة عامة، وقالها في صنبول (ساو باولو بحسب تعريب القروي) ١٩٢٥:

جَادَ الْعَزِيزُ عَلَى الدَّلِيلِ بِصَفْعَةٍ تَرَكْتُ بِصَحْنِ الْخَدِّ طَائِعَ خَمْسِهِ
وَمَضَى الْعَزِيزُ يَحْكُ رَاحَةَ كَفِّهِ وَمَضَى الدَّلِيلُ يَحْكُ جِلْدَةَ رَأْسِهِ
فَظَنَنْتُهُ احْتَمَلَ الْهَوَانَ لِحِكْمَةٍ حَتَّى يَعُودَ بِسَيْفِهِ وَبِثُرْبِهِ
حَتَّى عَثَرْتُ بِهِ الْعَدَاةَ، كَأَنَّهُ نَسِيَ الَّذِي قَدْ ذَاقَهُ فِي أُمْسِهِ
فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ: هَذَا مَنْ سَعَى لِيُحَكِّمَ الْجِنْسَ الْغَرِيبَ بِجِنْسِهِ
مَنْ كَانَ يَرْضَى بِالْهَوَانِ لِشَعْبِهِ لَا يَدْعُ أَنْ يَرْضَى الْهَوَانَ لِنَفْسِهِ
لا يَدْعُ: لَا عَجَبَ

٣٤ وثباً إلى سنام التنك

قال وقد وصفت الصحف الغربية سنة ١٩٢٥ بإعجاب عظيم زحف سلطان الأطرش برجاله على السويداء لإنقاذ الأسير الذي قبضت عليه السلطات الفرنسية في بيت سلطان متهكة حرمه الضيافة العربية، والتقاء سلطان والدبابة (التنك) وهجومه عليها تحت وابل من النيران، وتعطيلها بعد هير قبطانها ومعاونته بحد السيف هيراً:

خَفَفْتَ لِنَجْدَةِ الْعَانِي سَرِيعاً غَضُوباً، لَوْ رَأَى الْبَيْتُ رِبْعاً
الْعَانِي: الأسير، رِبْع: أخيف

وَحَوْلَكَ مِنْ بَنِي مَعْرُوفَ جَمْعٌ بِهِمْ، وَيُدُونِهِمْ، تُفْنِي الْجُمُوعَا
بنو معروف: الدروز

كَأَنَّكَ قَائِدٌ مِنْهُمْ هِضَاباً تَبِغْنَ إِلَى الْوَعَى جَبلاً مَنِيعَا
كأنك تقودهم وهم الهضاب، وأنت أمامهم كالجبل

تَخَذْتَهُمْ لَدَى الْجَلَى سُيُوفاً لَهَا لَعَنَ الْفَرَنْسِيُّ الدُّرُوعَا
اتخذتهم في الجلى (الخطب العظيم) سيوفاً لم تفلح في صدها دروع الفرنسي فلعن دروعه
وَأَيُّ دَرِيَّةٍ تَغْصِي حُسَاماً تَعَوَّدَ، فِي يَمِينِكَ، أَنْ يُطِيعَا
دريئة: الترس

أَلَمْ يَلْبَسْ عِدَاكَ التَّنْكَ دِرْعاً فَسَلَّهُمْ: هَلْ وَقَى لَهُمْ ضُلُوعَا
التنك: الدبابة

أَغْرَتْ عَلَيْهِ تَلْقَى النَّارَ بَرْدَاً وَيَرْمِيهَا الَّذِي يَرْمِي هَلُوعَا
شنتت عليه الغارة وأنت تلقى (تواجه) نيرانه وكأنها برد وسلام عليك، ولكنه يطلق هذه النيران من يطلقها هَلُوعَا (خائفاً)

وَلَمَّا صِرْتَ مِنْ مُهَجِ الْأَعَادِي بِحَيْثُ تُذِيقُهَا السُّمَّ النَّقِيعَا
وَوَثَبْتَ إِلَى سَنَامِ التَّنْكِ وَثَباً عَجِيباً، عَلَّمَ التَّنْسَرُ الْوُقُوعَا
وَكَهَرَنْتَ الْبِطَاحَ بِحَدِّ عَضْبٍ بَهَرْتَ بِهِ الْعِدَى، فَهَوَّوْا رُكُوعَا
عضب: سيف

كَأَنَّ بِهِ إِلَى الْإِفْرَنْكِ جُنُوعَا وَسَيْفُكَ، مِثْلُ ضَيْفِكَ، لَنْ يَجُوعَا
فَحَرَ الْجَنْدُ فَوْقَ التَّنْكِ صَرْعَى وَخَرَّ التَّنْكَ تَحْتَهُمْ صَرِيعَا

فِيَا لَكَ غَارَةً، لَوْلَمْ تُذْغِعْهَا أَعَادِينَا لَكَدْ بَنَّا الْمُذِيعَا
وَيَا لَكَ أَطْرَشاً، لَمَا دُعِينَا لِئَارٍ، كَانَ أَسْمَعَنَا جَمِيعَا
إِذَا حَاولَتْ رَفَعَ الضَّيِّمُ، فَاضْرِبْ بِسِيفِ مُحَمَّدٍ، وَاهْجُرْ يَسُوعَا
«أَحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً» وَعَظْنَا بِهَا ذَنْباً، فَمَا نَجَّثَ قَطِيعَا
أَلَا أَنْزَلْتَ إِنْجِيلاً جَدِيداً يُعَلِّمُنَا إِبَاءً، لَا خُنُوعَا
شَفَعْتَ بِنَا أَمَامَ أَبِي رَحِيمٍ وَمَا نَحْتَاجُ عِنْدَ أَبِي شَفِيعَا
شَفَعْتَ بِنَا أَيْهَا الْمَسِيحِ لَدَى الْآبِ (الله، فِي تَعْبِيرِ مَسِيحِي)، وَالْآبِ لَا يَحْتَاجُ شَفِيعَا

أَجْرُنَا مِنْ عَذَابِ النَّيِّرِ، لَا مِنْ عَذَابِ النَّارِ، إِنَّ تَكُ مُسْتَطِيعَا
النَّيِّرِ: الْقَهْرُ، وَأَصْلُهُ الْخَشْبَةُ تَوْضِعُ عَلَى رَقِيعَةٍ نَوْرَ الْحَرَاةِ

وَيَا لِبَنَانٍ! مَاتَ بَنُوكَ مَوْتَاً وَكُنْتُ أَظُنُّهُمْ هَجَعُوا هُجُوعَا
الهَجُوعُ: النُومُ

بَدَتْ لَكَ فُرْصَةٌ لِتَعْمِشَ حُرّاً فَحَافِزٍ أَنْ تَكُونَ لَهَا مُضْهِيعَا
وَمَا لَكَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ يَوْمٌ فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعْ.. لَنْ تَسْتَطِيعَا

٣٥ أم الضباع في حوران

قال ونظمها أثناء احتدام الثورة الدرزية وقد راجت إشاعة تدليل فرنسا على سورية وتخليها عنها لإيطاليا:

بَدَتْ وَلَهَى، مُمَزَّقَةً الْقِنَاعِ فَقُلْتُ لَهَا: فَدَيْتُكَ! لَا تُرَاعِي
فَدُونِ حِمَاكِ أَبْطَالُ الْعَوَالِي مُؤَزَّرَةً بِأَبْطَالِ الْبِرَاعِ
العوالي: الرماح، مؤزرة: مؤيدة، البراع: القلم

رِمَاخٌ كَالْأَفَاعِي مُشْرَعَاتٍ وَأَقْلَامٌ كَالنَّيَابِ الْأَفَاعِي
أَطْلِي وَاشْهَدِي مِنْهُمْ هُجُوماً تَرَيِ وَثْبَ الْقِلَاعِ عَلَى الْقِلَاعِ
وَهَلْ عَرَبِيَّةٌ هَذَا أَخُوهَا تُرَاعُ إِذَا دَعَا لِلْحَرْبِ دَاعٍ
فَرَنْسَةُ! لَيْسَ فِي حُورَانَ لَحْمٌ يَسُرُّ بَنِيكَ، يَا أُمُّ الضَّبَاعِ
وَهَلْ لَأَقْبِتِ فِي حُورَانَ إِلَّا مَايَسِدُ، خَلَّتْهَا جَهْلًا مُرَاعِي

المأسد: مرائب الأسود (مفردتها مأسدة)

فَيَا بَارِيْسُ! عُودِي عَنْ جِمَانَا وَجُودِي جُودَ رُومَةَ بِالْوَدَاعِ

فقد حكمت روما سورية قبل الفتح الإسلامي

لَقَدْ لَاقَتْ قَدِيْمًا مَا كَفَّاهَا عَنَاءَ الْبَحْثِ عَنْ مُلْكٍ مُضَاعِ

٣٦ الحق الثاني

إِنْ ضَاعَ حَقُّكَ لَمْ يَضِعْ حَقَّانِ لَكَ فِي نِجَادِ السَّيْفِ حَقٌّ ثَانِ

نجاد السيف: حمائله التي بها يشد في وسط الرجل وكتفه

مَا مَاتَ حَقٌّ فَتَى لَهُ زَنْدٌ، لَهُ كَفٌّ، لَهَا سَيْفٌ، لَهُ حَدَّانِ

فَابْعَثْ سَيْوْفَ الْهِنْدِ مِنْ أَعْمَادِهَا تَبْعَثْ بِهَا الْمَوْتَى مِنَ الْأَكْفَانِ

بِعَجَائِبِ الْهِنْدِيِّ حَارَ الثُّرْكُ مَا حَارُوهُ، لَا بِعَجَائِبِ الْعِبْرَانِي

الهندي: السيف، العبراني: المسيح

وَالسَّيْفُ، لَا عَيْسَى وَلَا أَضْرَابُهُ، خُلِقَ «الْكَمَالُ» لَهُمْ مِنَ الثَّقْصَانِ

الكمال: في الكلمة معناها، وفيها إيماء إلى مصطفى كمال أتاتورك

لَمَّا شَكُونَا جُوفَنِيْلَ إِلَى الطَّبْيِ فَشَكَا إِلَى جَمْعِيَّةِ الْقُرْصَانِ..

شكونا دي جوفنيل القائد الفرنسي إلى الطبي (شفرات السيوف) ودعوناها أن تؤدبه، فراح يشكونا إلى جمعية القرصان (عصبة الأمم)، وهي التي منحت الدول الأوروبية الوصاية على بلاد العرب

صَاحَ: الْمَرْوَةُ يَا فِرْنَجُ! فَلَيْسَ لِي فِي صَدِّ غَارَاتِ الدَّرُوزِ يَدَانِ

ليس لي يدان: لا قدرة لي

عَهْدِي بِهِمْ فِي السَّلْمِ حُمْلَانًا، قَوَا رُغْبَاهُ بَعْدَهُمْ مِنَ الْحُمْلَانِ

كنت أظن الدروز حملاناً، خرافاً، وادعة.. فمن الآن فصاعداً الويل لي من الحملان إن كانوا كهؤلاء الأشاوس

لَلَّهِ مَنَظَرُهُمْ إِذَا هَزَجُوا، وَقَدْ هَزَّوْا الرِّمَاحَ لِغَارَةِ وَطْعَانِ

هزجوا: غنوا أهازيج الحرب

وَنِسَاؤُهُمْ! لَوْ تَشْهَدُونَ نِسَاءَهُمْ فِي الْحَرْبِ حَامِلَةً عَلَى الشُّجْعَانِ

يَنْفُخْنَ فِي أَشْبَالِهِنَّ حِمَاسَةً تَثْبُ الصُّدُورُ لَهَا مِنَ الْعَلْيَانِ

فَكَأَنَّهُمْ لَبَسُوا بِهِنَّ جَوَانِحًا طَارَوْا بِهَا لِلْحَرْبِ كَالْعِقْبَانِ

وَلَيْنَ نَسِيتُ، فَلَسْتُ أَنْسَى بَيْنَهُمْ رَجُلَ الرَّجَالِ، وفارسَ الفرسانِ
يُفْنِي الرَّجَالَ بِأَحَدٍ وَمُقَوِّمٌ ضِدِّيْنِ فِي اللَّبَّاتِ يَلْتَقِيَانِ
الأحدب: السيف، المقوم: الرمح، اللبات: أعالي الصدور

وَيَكَاذُ يَفْتَرِسُ الْعَدُوَّ جَوَادُهُ فَكَأَنَّهُ أَسَدٌ عَلَى سِرْحَانِ
سرحان: ذئب

فَدُكِّفِيَتْ بِهِ سُؤَالَ النَّاسِ: مَنْ تَغْنِي؟ وَهَلْ أَعْنِي سِوَى سُلْطَانِ
لِبْنَانُ، يَا لِبْنَانُ! بَلْ مَا ضَرَّنِي لَوْ قُلْتُ: يَا بَلَدًا بِلا سُكَّانِ
إِنْ كَانَ لِلدِّينِ الدُّرُورُ تَعَصَّبُوا أَرْنَا التَّعَصَّبَ أَنْتَ لِلْأَوْطَانِ
لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ فِي الْوَرَى مُسْتَعْبَدًا لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ أَيُّهَا اللَّبْنَانِي
أَوَلَيْسَ فِي لِبْنَانَ عِرْقٌ نَابِضٌ أَوَلَيْسَ فِي لِبْنَانَ مِنْ مُتَفَانِ
أَيْنَ الثَّرَاثُ، ثَرَاثُ أَبْطَالِ الْحِمَى أَيْنَ الْبَقِيَّةُ مِنْ بَنِي عَسَّانِ
لَا تُنْكِرُوهَا، قَالَدُمُ الْعَرَبِيُّ قَدْ جَلَّتْ أَصَالَتُهُ عَنِ النُّكْرَانِ

٣٧ الدوران والمدارة

لَا تَخْذَعَنَّكَ مِنْ ضِدِّ مُسَايَرَةٍ فَاَلْمَاءُ، وَهُوَ حَمِيمٌ، يُظْفِئُ النَّارَ
الماء حتى وهو حميم (ساخن) يطفئ النار، فهو لا يغير طبعه، وكذا العدو

وَدُرُّ، وَدَارِ الْوَرَى تَأْمَنُ غَوَائِلَهُمْ مَا أَخْطَأَ الْحَزْمَ مَنْ دَارَى، وَمَنْ دَارَا
الورى: الناس، غوائلهم: دواهيهم، دارى: فهو يداري ويكاتم الخصوم، ودار: فهو يدور مع
الأمور كما تدور

٣٨ رأيي من رأيك، ولكن..

يَا مَنْ إِذَا مَدَحَ امِرُّؤُ شِغْرِي، تَوَلَّاهُ الْكَمَدُ
الكمد: الغم

عُذْرًا، أَخِي، فَلَيْسَ لِي فِيمَا يَقُولُ النَّاسُ يَدُ
ليس لي فيما يقولون يد: لا دخل لي فيما يقولون

رَأْيِي كَرَأْيِكَ، إِنَّنِي فِي الشَّعْرِ أَجْهَلُ مِنْ وَلَدُ
لَكِنْ، أَقُولُ كَمَا تَقُولُ لَنْ، فَلَا يَصْدُقُنِي أَحَدُ

٣٩ عيد السادة

قال في عيد استقلال البرازيل، بينما جرح النكبة السورية، ١٩٢٥، ما زال دامياً:
 دغني، فقرعُ طبولهم صرَبَ على أضلاعِ هذا اليائس المنكودِ
 دغني فهذا يومهم، لا شأنَ لي فيه، وعيدي غيرُ هذا العيدِ
 أنا لا أشاركُ سادةً في عيدهم ما دمتُ عبداً ينتمي لِعبيدِ

٤٠ ليسقط المتفرنس

قال، وألقاها في ١٩٢٦ بحضور شاعر برازيلي كان زار سورية أثناء الثورة الدرزية:
 ما في أوروبة دولة مأمونة الكل أعداء الشأم، فكُنسُوا
 وابكُوا معي لبنان؛ إنَّ بكاءه فرض على أهل الوفاء مقدس
 وطن تحيرت العبيد لذلّه وأذل منه رئيسه والمجلس
 في كل كُرسيّ تسند نائب مُتكتف أعمى أصم آخرس
 فكأن ذاك البرلمان خريبة منبوشة، وهم الرؤوم الدرس
 وليخي كل مدافع عن قومه وبلادِهِ، وليسقط المتفرنسُ

٤١ الدمة المحرقة المفرقة

قال، وقد غرست أمه في فناء الدار حبة سمنها حبة رشيد. وكانت تتفأل إن
 اخضرت، وتتشاءم إن ذبلت. وأبصرها يوماً مخضرة نضرة، فقال:

قد كنتُ مثلك أيها الحبُّ لي منظرٌ خلوّ، ولي عبقُ
 الحق: نبات عطري يبت بكثرة في أغاني فيروز. و«المنجد» يقول: هو الريحان

تَهْفُو إِلَيَّ عِيونُ مَنْ نَظَرُوا وَتَهَيَّمُ بِي أرواحُ مَنْ نَشَقُّوا
 بَلْ كُنْتُ كَالْحَسُونِ مَسْرُوحُهُ بَيْنَ النَجُومِ، وَعُشَّةُ الْأَنْقُ

الحسون: عصفور مغرد، دون الكناري سعراً لأن الكناري أشقر أصفر، والحسون بني موج، وقد
 تجلّل رأسه حمرةً تزيد في سعره

واليوم زَفَقَتَنِي الْأَنِينُ، وَأَجْمَ خِحتي الحنين، ومهدي الأرقُ
 مَلَّ الْأَحِبَّةُ رُؤَيْتِي، وَنَبَتْ عَنِّي الْعُيُونُ، وَمَالَتِ الْعُنُقُ
 نبّت: أشاحت

لَمْ يَبْقَ عِنْدِي مَا يُشْفَعُنِي فِي الْحُبِّ إِلَّا الدَّمْعُ وَالْحُرْقُ
أَطْلَقْتُهَا فِي إِثْرِ مَنْ هَجَرُوا وَاللَّهُ أَعْلَمُ كَيْفَ تَنْظَلِقُ
فَلَوْ أَنَّهُمْ خَلَفَ السَّهَى غَرِقُوا وَلَوْ أَنَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ اخْتَرَقُوا

السهي: مجموعة نجوم. يقول: حتى لو كان الذين هجروني بعيدين خلف السهي فسيغرقون في سيل دموعي؛ ولو كانوا في الجنة، وهي برد وسلام، لاحترقوا من حرارة دموعي. وهذا من قول صاحب الموشح: لو صادف نوح دمع عيني غرقا/ أو جرب لوعتي الخليل احترقا// أو حُمِلَتِ الجبال ما أحمله/ صارت دُكًا وخرَّ موسى ضِعْفًا. والقروي عازف عود من شبابه الباكر، أتقن العود ولما يكن هناك عبد وهاب ولا أم كلثوم، وكانت بضاعة العازف في ذلك الزمن الغابر أغاني الناس والموشحات. ومطلع هذا الموشح «يا غصن نفا مكللاً بالذهب» وهو من الدوبيت، وعلى بحر مبتدع. وللشعر العربي المتأخر على هذا البحر أبيات كثيرة جُلِّها في الغزل. ولابن الفارض دوبيت (أي رباعية) يقول فيها: أهوى رَشًا رَشِيًّا لِقَدْ حُلِّي/ قد حَكَّمَهُ الْغَرَامُ وَالْوَجْدُ عَلَيَّ// إِنْ قُلْتُ: خُذِ الرُّوحَ يَقُلْ لِي: عَجَبًا/ الرُّوحُ لَنَا، فَهَاتِ مِنْ عِنْدِكَ شَيْءً. وقد تحير القدماء في «تفعيل» هذا البحر. وأدنى ما أراه إلى الأبيات المغناة «فَعِلْنِ مَتَاعِلْنِ فَعُولْنِ فَعِلْنِ». وابتعث عن زحاف تلصقه بالتفعيلة الثالثة في الشطر الثالث. وقد دَوَّنَ سليم الحلواني «يا غصن نفا» على ميزان الأقسام الخماسي بلا لازمة (شيء يحوج المغني إلى رثتين كمنفاخ البشرجي)، وغنته فيروز على السربند، وغناه صباح فخري على السماعي الدارج، وغناه الشيخ إمام وإيقاع «الوحدة السائرة» في ذهنه (ولم يصاحبه رق). وكل هذه الإيقاعات يقيس موازير النغم قياساً طبياً مع مراعاة موطن النبر في اللحن. ولا أكاد أجد موشحاً تحير الإيقاع فيه هذه الحيرة.

أتكئى على هذا الكلام المملوكي عن ثقافتنا العربية كي أخوض قليلاً في ثقافتنا الجديدة. في مواقع الإنترنت المتخصصة في الموسيقى، وفي تلك المتخصصة في الشعر - وقد شاء ربك أن يكون ذائقو الشعر العربي على جهل كثيف بالموسيقى، والعكس بالعكس - كلام كثير عن إيقاع «يا غصن نفا» وعن الدوبيت، ونقاش طيب الطيب كله في التفاصيل. وهو كلام هواة ولا شك. لكنهم ذواقون محبوبون لهذه المفردات الثقافية حدَّ الهوس. وهم قلة قليلة. هذه الثقافة كلها يرعاها أولئك الهواة ويحفظونها للمستقبل. ولكن الشباب في مجتمعاتنا العربية ذهب بعيداً. قل لي: من يسمع محمد عبد الوهاب اليوم؟ قمنا بعملية استبدال. ألغينا الشعر العمودي، ثم شعر التفعيلة، واكتفينا بأسطر نثرية يسميها أهلها «قصيدة النثر»، وألغينا مقاماتنا وإيقاعاتنا، وطهرنا آذاننا من طريقة الغناء القديمة، حتى عبد الحليم حافظ صار عتيقاً. وصار غناؤنا اليوم أقل تعقيداً من ناحية اللحن في اللحن، ومستنداً إلى توزيع بدائي. ليس لأن البساطة أفضل، ولا لأن الألحان البسيطة تعبر عن النفس الجديدة «للإنسان العربي الجديد» أحسن، ولكن لأن قديمنا المادي المحسوس انهزم - قديمنا في السياسة وفي خَلْقِ الثروة وفي الحرب - فكان لا بد من أن ينهزم قديمنا المعنوي غير المحسوس.. أي قديمنا في الثقافة. عدنا إلى حال طفولة ثقافية. حتى في كلمات

اللغة، صار معجم المتعلم العربي المتخرج لتوه من كلية الإعلام أو كلية علم الاجتماع محدوداً كمعجم الطفل. فإن شاء أن يتعلم علماً حقيقياً بالطريقة الوحيدة أن يذهب إلى جامعة خارج الوطن العربي، وأن يستبدل بلغته الأم لغة حية.. «أحيى» من العربية. ولست أدعو إلى العودة إلى مفردات الثقافة المملوكية في أدب أو في موسيقى، ولا أدعو إلى أي رجوع أو «إحياء». بل لا أدعو إلى شيء؛ لأنني لا أرى أفق المستقبل، فلو رأيته لبدأت أحن كيف سيكون شكل ثقافته. على أنني - مثل كل الجماعين المدّخرين، المشبهين موظفي الأرشيف في امتلاك غريزة الفهرسة - أحب لو احتفظنا بتراثنا. ومثل موظفي الأرشيف أيضاً لا أنظر كثيراً في فائدة المادة التي أفهرسها، أكتفي بأن أحفظها. لعلها تلزم

٤٢ ويل للذي لا يستعد

قال للمفوض الفرنسي، وقد أثار طغيانه كثيرين من اللبنانيين ممن أيدوا الانتداب في البداية:

أَلَا قُلْ لِلْمَفْوضِ قَدْ هَزَلْنَا وَإِنَّ الْهَزْلَ قَدْ يَتْلُوهُ جِدُّ
إِذَا مَا الظُّلَمِ جَاوَزَ كُلَّ حَدٍّ فَلِلصَّبْرِ الْجَمِيلِ عَلَيْهِ حَدُّ
فَلَا تَلَمْ الْمَحِبَّ عَلَى جَفَاءٍ لَقَدْ أَخْرَجَتْهُ يَا مُسْتَبِدُّ
لا تلم من كانوا يحبونك في لبنان، فاستبدادك أخرجهم

سَنُسْمِعُكَ الزَّمَا زَمَ عَنْ قَرِيبٍ فَمَا مِنْ ثَوْرَةِ الْأَحْرَارِ بُدُّ
الزمازم: مهمات وصخب الجيش

تُخَوِّفُنَا الْمُنُونَ، وَأَنْتَ أَذْهَى لَقَدْ خَوَّفَتْنَا مِمَّا نَوَدُّ
المنون: الموت. أنت أدهى من أن يغيب عنك أننا نود لقاء الموت.. المعنى الذي لمحتة
وَمَنْ أَنْبَاكَ أَنَّ الْمَجْدَ سَهْلٌ وَأَنَّ طَرِيقَ الْإِسْتِقْلَالِ وَرَدُّ
أنباك: أنباك، أي أخبرك

أَيُظْمَعُ بِالسِّيَادَةِ كُلُّ قُطْرٍ وَلِبْنَانُ، أَبُو الْأَحْرَارِ، عَبْدُ؟
شعوب الأرض لِلنُّوبِ اسْتَعَدَّتْ فَنُوِّلُ لِلَّذِي لَا يَسْتَعِدُّ

٤٣ أدين بدين الحب

قال في صنبول ١٩٢٧:

لَطَمْتَ جِدَارَ الْأَفْقِ حَتَّى تَصَدَّعَا وَعَادَرْتَ بَابَ اللَّانِيَهَايَةِ مُشْرَعَا

وَأُظْلِفَتْ وَرَقَاءُ ابْنِ سَيْنَا، فَحَلَّقَتْ تَرُودُ مَحَلًّا فِي السَّمَاوَاتِ أَرْفَعَا

ورقاء: حمامة. وكان ابن سينا في قصيدة عينية شبه الروح بالحمامة، ترود: تبحث عن

ولم تَرِ مِنْ خُلْدٍ وَلَا مِنْ مُحَلَّدٍ وَلَمْ تَرِ لَا عَرْشًا، وَلَا مُتْرَبَعًا

متربع: مكان

* * *

تَزَعَزَعَ إِيْمَانِي، وَحَاقَ بِي الْأَسَى وَوَدَّعْتُ عَهْدًا لِلصَّلَاةِ تَكْرَسَا

وَصِرْتُ، إِذَا لِلدِّينِ يُعْقَدُ مَجْلِسٌ، عَقَدْتُ، وَأَهْلَ الْكُفْرِ، لِلْكَفْرِ مَجْلِسًا

وَإِذْ نَالَ مِنِّي الْعُجْبُ يَوْمًا مَنَالُهُ وَفَارَتْ دِمَائِي فِي عُرُوقِي تَحْمَسَا

العجب: التكبر

تَذَكَّرْتُ تَهْدِيدَ الْوَلِيدِ لِرَبِّهِ وَأَلْقَيْتُ فِي النَّارِ الْكِتَابَ الْمَقْدَسَا

الوليد بن يزيد خليفة أموي قيل إنه مزق المصحف، ونسب إليه أنه خاطب ربه قائلاً: أتوعد كل

جبار عنيد// فهذا أنا ذاك جبار عنيد

* * *

أَلَا كُلُّ دِينٍ، مَا خَلَا الْحُبَّ، بِدْعَةٌ أَلَا كُلُّ عِلْمٍ، مَا عَدَاهُ، تَوْهُمٌ

وَلَا عَجَبٌ أَنْ يُنْكِرَ اللَّهُ كَافِرٌ فَمَاذَا تَرَى مَنْ يَجْهَلُ الْحُبَّ يَغْلُمُ!

* * *

كَشَفْتُ ضَمِيرَ الدِّينِ يَوْمَ كَشَفْتُهُ وَلَمْ أَعْرِفْ بِاللَّهِ حَتَّى عَرَفْتُهُ

كشفت ضمير الدين يوم كشفت الحب

فَمَا أَنَا فِي الْأَكْوَانِ بَعْدُ بِبَاحِثٍ وَفِي كِبْدِي أَلْفَيْتُهُ، وَأَلْفَيْتُهُ

عَسَلْتُ مِنَ الْبَغْضَاءِ وَالْحَقْدِ أَضْلُعِي بَبْغَضِ الَّذِي مِنْ كَأْسِهِ قَدْ رَشَفْتُهُ

من كأس الحب

* * *

أَرَى اللَّهَ لَفْظًا بِالْمَكَارِمِ يَنْطِقُ وَدِينًا بِمَحْمُودِ الْفَعَالِ يُصَدِّقُ

كَفَاكُمُ كَلَامًا أَنْ تَلَوْثُمْ كَلَامَهُ، وَمَا زَادَ عَنْهُ فَالَّذِي زَادَ أَحْمَقُ

وَلَمْ يُوصِكُمْ رَبِّي بِأَنْ تَتَشَدَّقُوا وَلَكِنَّهُ أَوْصَى بِأَنْ تَتَصَدَّقُوا

* * *

فَبَا مَن تَمَنَّى أَنَّهُ كَانَ رَإِييَا كَرُؤِيَايَ؛ نَقَّ الْقَلْبَ، وَامْشِ وَرَائِيَا
فَقَدْ شِمْتُ وَجْهَ اللَّهِ فِي قَلْبٍ مُّخْلِصٍ صَرِيحٍ، وَلَوْ فِي الْكُفْرِ، لَيْسَ مُرَائِيَا
شمت: رأيت بعد تفحص

مَضَى كُلُّ مَا أَبْقَى الْغَنِيُّ لآلِهِ وَظَلَّ الَّذِي أَفْنَى عَلَى الْفَضْلِ بَاقِيَا
ضاع كل ما خلفه الغني من المال لآله (لأهله)، وظل ما أنفق على الخير باقياً

٤٤ الجيل الفاسد

خَيْرُ الْمَطَالِعِ تَسْلِيمٌ عَلَى الشَّهَدَا أَزَكَّى الصَّلَاةِ عَلَى أُرْوَاحِهِمْ أَبَدَا
ما في حياتك يا لبنان من أملٍ حتى يغادرَكَ الجيلُ الَّذِي فَسَدَا
يا مَنْ يَرُومُ كُؤُوسَ الْعَرْزِ صَافِيَةً جَفَّتْ يَنَابِيعُ لِبْنَانٍ، قَرْدٌ بَرَدَى
رد بردى: عليك أن تَرَدَّ نهر بردى بدمشق

لَا سِلْمَ إِنْ لَمْ نَعُدْ لِلْأَرْزِ نَضْرَتَهُ وَلَا انتِصَارَ بِغَيْرِ الشَّعْبِ مُتَّحِدَا

٤٥ قل للمحنط

قال عام ١٩٣٠ في حفل تأبين أقيم لجبر دُومَط في صنبول:

يَا صَوْلَةَ الْجُوعِ! كَمْ ذَلَّلَتْ مِنْ أَسَدٍ يَا دَوْلَةَ الْجَهْلِ! كَمْ رَأَسَتْ مِنْ ذَنْبٍ
صولة: هجمة

كَمْ فَازَ بِالْمَالِ دُونِي عَاجِزٌ وَكِلٌ وَكَمْ تَعَبْتُ، فَلَمْ أَرْبِخْ سِوَى التَّعَبِ
وكل: متواكل كسول

كَمْ عَيَّبَ الْقَبْرُ ذَا مَالٍ، فَمَا اكْتَرَثَ لَهُ الْمَحَافِلُ فِي بُعْدٍ وَلَا قُرْبٍ
لَا يَكْسِبُ الْعِلْمُ إِلَّا كُلُّ مُجْتَهِدٍ وَكَمْ ثَرَاءٍ بِغَيْرِ الْجِدِّ مَكْتَسَبٍ
قُلْ لِلْمَحْنَطِ: مَاذَا قَدْ حَفِظْتَ لَنَا مِنْ نَاضِرِ الْعُودِ، إِلَّا يَابَسَ الْحَطَبُ
لَيْسَ الْمُلُوكُ إِلَّا أَلْيَ خَلَقَتْ غَيْرَ دُمَى أَبَقَتْ عَلَيْهَا بَنَاتُ الدَّهْرِ لِلْعِبِ
الألى: الذين، بنات الدهر: المصائب

دَافَعَتْ دُودَ الْبِلَى عَنْهَا، وَلَوْ نَطَقَتْ تِلْكَ الْعِظَامُ لِصَاحَتِ صِيحَةِ الْغَضَبِ:
دود البلى: الدود الذي يساعد في تحليل الأجسام

ذَرْنِي لِأُمِّي تَبْلَى فِي عَنَاصِرِهَا عَنَاصِرِي، وَتُصَفِّي نَارَهَا ذَهَبِي
عظام الموتى تريد من خبير التحنيط أن يتركها لأمها الأرض لتحلل فيها، ولكي يذهب الجسم
وتبقى الروح، كما تصفي النار الذهب الخالص من خامه

إِنَّ الْمُلُوكَ لَمَنْ تَلَقَى مَوَامِبَهُمْ مخبوءةً فِي بَطُونِ الْكُتُبِ لَا التُّرَبِ

يقول: إن الملوك الحقيقيون لهم الذين يتركون أثراً في التاريخ، فمومياءاتهم هي آثارهم في
الكتب، لا من تحفظ أجسادهم تحنيطاً. التراب: جمع تربة = مقبرة. التسويد لعمران القفني

٤٦ نقاء الضمير

قال عندما تعرف إلى الشاعر عقل الجبر:

سِرْ عَلَى الْإِنْضِلِ الْجَدَادِ، وَحَافِزْ شَوْكَةً تَنْخَسُ الضَّمِيرَ الْحَيَّا

فَلَوْ الْأَرْضُ فَحْمَةً، لَمْ تُلَوِّثْ لَكَ يَوْمَ الْحِسَابِ طَرَسًا نَقِيًّا

الطرس: الورقة

٤٧ ترحيب بشاعر

قال ترحيباً بالشاعر عقل الجبر في صنبول سنة ١٩٣٠:

لَا تَلْمَنِي يَا عَقْلُ إِنَّ أَنَا قَصَّرُ تَ، فَهَذَا يَا عَقْلُ شِفْعَرُ بَدِيهِي

إِنَّهُ لَمَحَّةٌ مِنَ الْحُبِّ فِي الْقَلْبِ بَ، وَجُزْءٌ مِنْ بَعْضِ مَا لَكَ فِيهِ

إِنَّهُ كَالسَّمَاءِ تُبْدِي لَكَ الزُّهُرَ رَ، وَتُخْفِي أَضْعَافَ مَا تُبْدِيهِ

الزهر: النجوم، وما نراه من نجوم السماء قليل من كثير

٤٨ رثاء فوزي المعلوف

قال في تأبين فوزي المعلوف بصنبول ١٩٣٠:

يَخْلُعُ الشَّاعِرُ الْعَظِيمُ عَلَى الدُّنْ يَا بُرُوداً كَانَتْ لَهَا أَكْفَانَا

فَيُرِيكَ الْأَشْيَاءَ مَا شَاءَ: أَشْحَا صَا تُحَاكِيه حَاطِرَا، وَلِسَانَا

تحاكيه: تشبهه

فَيَنَاقِي الْأَطْيَارَ حِينَا، وَأَخِيَا نَا يُنَاجِي الرِّيَاضَ وَالْغُدْرَانَا

وَيَفِيضُ الْحَنَانَ مِنْ قَلْبِهِ حَتَّى - سَى يَظُنُّ الْوُجُودَ فَاضَ حَنَانَا

وَكأنَّ الْحَيَاةَ تَرْتِي لِمَا يَلْ قَاءُ مِنْهَا طُولَ الْحَيَاةِ هَوَانَا

فَقَرِيهِ فِي الْوَحْشِ إِنْسَاءً، وَفِي الْأَشْدِّ بَاحِ أَهْلًا، وَفِي السُّهَى أَوْطَانًا

السهى: نجم في السماء

أَجْنَبِيٍّ عَنْ أَهْلِهِ وَذَوِيهِ وَغَرِيبٌ بَيْنَ الْوَرَى أَيْنَ كَانَا

٤٩ أدباء مغربون

قال في ماتم جرجس إسكندر المملوك سنة ١٩٣٠:

كَمْ خَامِلٍ، لَوْلَا التُّجَا رُهُ كَانَ أَنْبَةَ مَنْ كَتَبَ

خامل: غير مشهور، أنه: أشهر

وَمُضَيِّعٍ بَيْنَ الْبِضَا عَةٍ، وَهَوَّ نَابِغَةُ الْأَدَبِ

وَارْحَمَنَا لِلنَّازِحِينَ نَ عَنْ الشَّامِ بِلا سَبَبِ

دَهَبَ الزَّمَانُ بِهِمْ، وَهُمْ يَتَهَافَتُونَ عَلَى الذَّهَبِ

وَلَوْ أَنَّهُمْ فِي أَرْضِهِمْ كَدَّحُوا، لَفَارُوا بِالْأَرْبِ

وَلَاخِرَزُوا أَضْعَافَ هـَذَا الْوَفْرِ، مَعَ نِصْفِ التَّعَبِ

٥٠ المريض

قال عام ١٩٣١:

سَاهِرٌ، لَا نَمُتُّعًا، بَلْ عَذَابًا نَائِمٌ، لَا اسْتِرَاحَةً، بَلْ عِيَاءٌ

فِي مَكَانٍ، هَبُّهُ السَّمَاءُ جَمَالًا، أَيْرَى الْمُذْنَفُ السَّمَاءَ سَمَاءً؟

المذنف: المريض، السماء: الاسم المفضل للجنة عند المسيحيين

يَسْمَعُ النَّاسُ يَسْرَحُونَ إِلَى الْأَعْدَاءِ

وَهُوَ عَنْهُمْ فِي قَبْضَةِ الدَّاءِ، لَا يَمُوتُ

إِنْ يَشَاهِدُ مِنْهُمْ، فَوْجَةً طَبِيبٍ

أَوْ نَسِيبٍ، إِنْ زَارَهُ، فَكَمَا زَا

يَسْتَحِي حِينَ يَسْأَلُ الشَّيْءَ مُضْطَرًّا -

وَإِذَا حَاوَلَ الْكَلَامَ، فَهَمْسًا

في هذا البيت الأخير تصوير دقيق وموجز إيجازاً حلولاً للمريض الذي يطلب حاجته هامساً، لشدة المرض؛ وحتى همسته فهي تتلاشى على هيئة إيماءة من يده

٥١ بلغوه سلامي

عِيدُ الْبَرِيَّةِ عِيدُ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ فِي الْمَشْرِقَيْنِ لَهُ، وَالْمَغْرِبَيْنِ دَوِي
بَدَا مِنَ الْقَفْرِ نُورًا لِلْوَرَى وَهُدًى يَا لِلتَّمَذُنِ! عَمَّ الْكَوْنُ مِنْ بَدَوِي
يَا صَاحِبَ السَّيْفِ لَمْ تُفَلِّ مَضَارِبُهُ الْيَوْمَ يَقْطُرُ ذُلًّا سَيْفُكَ الدَّمَوِي
يا صاحب السيف - الذي - لم تفلل (تثلم) مضاربه (شفراته)

يَا فَاتِحَ الْأَرْضِ مَيْدَانًا لِقَوَّيهِ صَارَتْ بِلَادُكَ مَيْدَانًا لِكُلِّ قَوِي
يَا قَوْمُ! هَذَا مَسِيحِي يُذَكِّرُكُمْ: لَا يُنْهَضُ الشَّرْقُ إِلَّا حُبَّنَا الْأَخَوِي
فَإِنْ ذَكَرْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ تَكْرِمَةً فَبَلِّغُوهُ سَلَامَ الشَّاعِرِ الْقَرَوِي

٥٢ جبل نحو المجد

أَلَيْسَ فِي الْعَمْرِ يَوْمٌ أَسْتَرِيحُ بِهِ مِنْ شَرِّ مُنْتَقِمٍ، أَوْ لَوْمٍ مُنْتَقِدٍ
مَنْ كَانَ يَطْمَعُ فِيمَا نِلْتُ مِنْ شَرَفٍ فَلْيَشُدْ، وَلْيَعْتَقِدْ شُدُوِي وَمُعْتَقِدِي
لَوْ كَانَ بِذُرِّي حَسُودِي مَا أَكْابِدُهُ فِي الْحَقِّ، مَا أَكَلْتُهُ جَمْرَةُ الْحَسَدِ
إِنِّي صَعِدْتُ إِلَى مَجْدِي عَلَى جَبَلٍ مِمَّا تَهْدَمُ مِنْ رُوحِي وَمِنْ جَسَدِي

٥٣ فرحان بلا سبب

قال في إيتاكيرا ١٩٣٢:

قُمْتُ قَبْلَ الطَّيُورِ أَشَدُّ حُبُورًا لَا أَرَى عِلَّةَ لِفَرْطِ حُبُورِي
مُؤْنَسًا وَخَشَّةَ الْفَضَاءِ، كَأَنِّي نَبَأٌ طَيِّبٌ سَرَى فِي الْأَثِيرِ
وَعَلَى وَجَنَّتِي لِلْوَرْدِ ظِلٌّ عَائِمٌ فَوْقَ مَوْجَةٍ مِنْ نُورِ
أَتَهَادَى بَيْنَ الْغُصُونِ كَغُضْنِ وَأَنَاغِي الْغُضْفُورَ كَالْغُضْفُورِ
قُلْتُ: رَبِّي! أَزَالَ عَهْدُ شَقَائِي؟ أَمْ أَرَانِي فِي عَالَمٍ مَسْحُورِ؟
وَإِذَا زَهْرَةٌ كَوَجَنَةِ طِفْلِ جَنَّبَهَا شَوْكَةً كَنَابِ هَظُورِ

ناب حضور: ناب أسد

فَتَذَكَّرْتُ لَيْلَةَ الْأَمْسِ حُلْمًا مِنْهُ أَدْرَكْتُ سِرَّ هَذَا السُّرُورِ
أَنَّ كَفَّ الرَّحْمَنِ، تَحْتَ سُكُونِ اللَّـ يَلِ، بِالْعَفْوِ غَلَّغَلْتُ فِي سَرِيرِي

غلغلت: أي تغلغلت (هكذا يقولها اللبانيون)

فَرَمَتْ نَفْحَةً مِنَ الْعِطْرِ فِي قَلْبِي جِي، وَعَادَتْ بِشَوْكَةٍ مِنْ ضَمِيرِي
 أَيَّ أَنْ كَفَّ الرَّحْمَنُ أَوْدَعَتْ قَلْبِي نَفْحَةً عَطَّرَ وَعَادَتْ مِنْ قَلْبِي مَنْصَرَفَةً آخِذَةً شَوْكَةً خَلَّصَتْ مِنْ أَذَاهَا
 ضَمِيرِي

٥٤ نضحية البخيل

يَا مَنْ يَلُومُ بِخِيلًا، قَدْ حَكَمْتُ لَهُ عَلَيْكَ: أَنَّكَ تَسْتَجِدِّي، وَيَمْتَنِعُ
 إِنَّ الْأَشِحَّاءَ أَسْحَى النَّاسِ تَضْحِيَةً إِذْ طَالَمَا نَفَعُوا الدُّنْيَا، وَمَا انْتَفَعُوا
 لَمْ يَمْنَعُوا النَّاسَ يَوْمًا بَعْضُ مَا جَمَعُوا إِلَّا لِكَيْ يَمْنَحُوهُمْ كُلَّ مَا جَمَعُوا
 قَالُوا: النَّوَائِبُ لِلْأَضْدَادِ جَامِعَةٌ حَلَّتْ بِهِمْ نَوْبُ الدُّنْيَا، وَمَا اجْتَمَعُوا

يتحدث الآن عن قومه المتفرقين المتنازعين

قَوْمٌ إِذَا قَعَدُوا فِي مَنْصِبٍ شَمَخُوا نَاسِينَ كَمْ قَرَعُوا بَابًا، وَكَمْ رَكَعُوا
 مَنْ لَا يُحَرِّكُهُمْ ظُلْمٌ يُجَوِّعُهُمْ أَنَّى يُحَرِّكُهُمْ ظُلْمٌ إِذَا شَبِعُوا

٥٥ تحية للعصامي

قال، وأنشدت بالنبابة عنه في تكريم موسى كريم بصنول لمرور خمسين عاماً على
 احترافه الصحافة:

أَدِيبٌ عَصَامِيٌّ مَضَى فِي سَبِيلِهِ إِلَى النَّصْرِ، لَمْ يُلْتَقِ السَّلَاحَ وَيَسْتَلْقِ
 طَوَى الْعُمُرُ يَغْدُو الضَّادَ مِنْ دَوْبٍ قَلْبِهِ وَلَا يَبْتَغِي غَيْرَ الْحَلَالِ مِنَ الرُّزْقِ

٥٦ يا حبذا وطني على حالته

قال، وكان عدد من اللبنانيين يحتفلون في أيلول من كل سنة باستقلال لبنان مع بقاء
 الانتداب الفرنسي:

أُرْوِي بِدَجَلَةٍ مَذْمُومَةٍ وَفُرَاتِهِ وَطَنًا، وَلَمَّا يَبْقَ غَيْرُ رُفَاتِهِ
 خَلَّتِ الْمَحَافِلُ مِنْ بِلَابِلِهِ، فَلَا تَقَعُ الْعِيُونُ عَلَى سِوَى حَشَرَاتِهِ
 حَسِبُ الْحَزِينِ عَلَيْكَ أَنَّكَ مَائْتُ قَدْ عَيَّدْتَ أَحِبَّائَهُ لِمَمَاتِهِ
 يكفي الذي يحزن عليك أيها الوطن أنك ميت يعيد أحبابه لموته، فهذه مصيبة بحد ذاتها

شَقُّوا لَهُ الْأَعْلَامَ مِنْ أَكْفَانِهِ وَتَبَادَلُوا الْأَنْخَابَ مِنْ عَبَرَاتِهِ
 أَعْلَامٌ إِذْلال، كَأَنَّ خُفُوفَهَا فِي جَوِّهِ لَطَمٌ عَلَى وَجَنَاتِهِ

أَمْدُونِ التَّارِيخَ! مَرْحَمَةً، وَلَا
لَا تُخَيِّرِ الْأَحْفَادَ أَنْ جُدُّوهُمْ
قَالُوا: أَتَغْشَقُهُ، وَهَذِي حَالُهُ؟
الْعَبِثُ حُلُوٌّ فِي سَبِيلِ رُقِيِّهِ
تَذَكَّرْ لَهُمْ لَبْنَانَ فِي صَفْحَاتِهِ
لَمْ يَشْهَرُوا سِيفاً بِوَجْهِ عُدَاتِهِ
يَا حَبَّذَا وَطَنِي عَلَى حَالَتِهِ
وَالْمَوْتُ أَحْلَى فِي سَبِيلِ حَيَاتِهِ

٥٧ سلام على كفر يوحد بيننا

قال، سنة ١٩٣٣ في صنبول، في حفل الجمعية الخيرية الإسلامية بعيد الفطر:
صَيَّاماً إِلَى أَنْ يُفْطَرَ السَّيْفُ بِالدَّمِ
لَقَدْ صَامَ هِنْدِيٌّ فَجُوعَ ذَوْلَةً
وَصُمْتُ إِلَى أَنْ يَضْدَحَ الْحَقُّ يَا فَمِي
فَهَلْ ضَارَ عَلَجاً صَوْمٌ مَلِيُونِ مُسْلِمٍ
الهندي الذي أضرب عن الطعام فأربك بريطانيا هو غاندي

أَكْرَمُ هَذَا الْعِيدَ تَكْرِيمَ شَاعِرٍ
وَلَكِنِّي أَضْبُو إِلَى عِيدِ أُمَّةٍ
يَتِيهِ بِآيَاتِ النَّبِيِّ الْمَعْظَمِ
مُحَرَّرَةِ الْأَعْنَاقِ مِنْ رِقِّ أَعْجَمِي
هَبُونِي عِيداً يَجْعَلُ الْعُرْبَ أُمَّةً
وَسِيرُوا بِجُثْمَانِي عَلَى دِينِ بَرَاهِمِ
هبوني: المنحوني، برهم: البراهما وهو إله الخلق عند الهندوس

فَقَدْ مَرَّقَتْ هَذِي الْمَذَاهِبُ شَمْلَنَا
وَقَدْ حَطَّمْتَنَا بَيْنَ نَابٍ وَمَنْسِمِ
المنسم: ظفر الجمل

سَلَامٌ عَلَى كُفْرٍ يُوَحِّدُ بَيْنَنَا
وَأَمَلًا وَسَهْلًا بَعْدَهُ بِجَهَنَّمِ

٥٨ ظهور وصدور

الْعَبْقَرِيُّ يَعَافُ شُهْرَتَهُ
وَالْمَدْعَى يُنْسِي وَيَصْبِحُ مِنْ
فَتَجِيثُهُ عَفْوَاً بِلا تَعَبٍ
دَعَوَاهُ فِي هَمٍّ وَفِي نَصَبٍ
نصب: تعب

يَعْشَى الْمَحَافِلَ لِلظُّهُورِ، وَلَوْ
لَا يَفْتُكُ أَنْ (الظهور) و(الصدور) فيهما لعبة لفظية: إيهام بالطباق
قَرَأَ الصُّدُورَ لَجَدَّ فِي الْهَرَبِ

٥٩ الشهرة والافتضاح

حَلَمْتُمْ أَنْكُمْ أَمْرَاءَ شِعْرِ
فَمَا دَنْبِي إِذَا طَلَعَ الصَّبَاحُ

خَمُولُ الذِّكْرِ لِلجُّهَالِ سِتْرٌ وشُهْرَةُ مُدَّعِيِ الأَدبِ افْتِضَاحُ
وَكَمْ فِي الشَّعْرِ مِنْ كُثْبَانٍ رَمِلٍ نُكَّوْمُهَا، وَتَسْفِيهَا الرِّيحُ

٦٠ فرار مع المحبوبة

قال، ونظمها في إيتاكيرا على بعد ٢٠ كم من صنبول. وعاش هناك سبعة أشهر مع أمه وشقيقته في بيت وسط بستان جميل. وأنشدها في حفل بصنبول أقيم لرفيقه إلياس فرحات سنة ١٩٣٢:

لمياء! هذا جَبِينُ الفَجْرِ قد سَفَرَا وموسمُ الحَبِّ عَنَّا مُزْمِعٌ سَفَرَا
وأَضْيَعُ النَّاسِ مَنْ يَمْضِي الشَّبَابُ، ولا يَقْضِي مِنَ الحَبِّ فِي أَيَّامِهِ وَطَرَا
يَقْضِي وَطَرًا: يَلْبِي رَغْبَتِهِ

طِيرِي تُنْقَرُ مَعَ الأَسْرَابِ فِي فُرْصِ إِنَّ طَرْنَ لَنْ تَجِدِي حَبًّا وَلَا ثَمَرَا
غَدَاً نَذُوبٌ إِلَى الأَعْنَابِ مِنْ ظَمَاً وَنَهِيْطُ الكَرَمِ لَا نَلْقَى لَهَا أَثَرَا
عَيْبٌ عَلَيْنَا نَكُونُ البُلْبُلَيْنِ، ولا نَشَارِكُ الطَّيْرَ فِي أَعْيَادِهَا سَحَرَا
أَمَّا تَرَيْنَ الدُّجَى لُمْتُ غَدَائِرُهُ سُودَاً، فَتَنَشَّرَهَا رَأْدُ الضُّحَى شُقَرَا
غدايره: خصلات شعره، رآد الضحى: عز الضحى واكتمال شمس

والغَابُ أَلْفَ جَوْقًا مِنْ عَشِيرَتِهِ: الرِّيحَ والنَّهْرَ والأَطْيَارَ والشَّجَرَا
والْبَدْرُ كَالنَّاشِئِ العَصْرِيِّ، عَادَ ضَحَى مِنْ مَرْقَصِ النِّجْمِ يَشْكُو الضَّعْفَ والخَوْرَا
الناشئ العصري: الشاب في أيامنا هذه؛ يشبه البدر مع زوال الليل بالشاب العائد من المرقص بعد سهرة امتدت حتى الصباح، فهو خائر القوى

يَمْشِي إِلَى السَّاحِلِ الغَرْبِيِّ مُتَّيِّدًا كَالشَّيْخِ فِي سَفْحِ تَلِّ الأفُقِ مُنْهَدِرَا
يعود فيشبه القمر وهو يسير متتداً (متمهلاً) بالشيخ الذي يهبط سفح جبل

وَالْأَرْضُ حَارَتْ: أَتَلَقَّى الفَجَرَ ضَاحِكَةً لَأُمِّهَا الشَّمْسِ، أَمْ تَبْكِي ابْنَتَهَا القَمَرَا
وَالصَّبْحُ أَرْخَى نِقَاباً مِنْ أَشْعَتِهِ أَخْفَى بِهِ الزُّهْرَ لَمَّا أَعْلَنَ الزُّهْرَا
الزُّهْر: النجوم، الزُّهْر: الورود

سَبْحَانِ مَنْ أَبْدَعَ الأَنْوَارَ مُعْجِزَةً إِنَّ شَاءَ أَبَدَى بِهَا الأَشْيَاءَ، أَوْ سَرَا
وَلِلْجَدَاوِلِ أَنْاتٌ مُرَجَّعَةٌ كَأَنَّهَا فُجِّرَتْ مِنْ أَكْبَدِ الشُّعْرَا

وَلِلَّسَّحَابِ ثَنِيَّاتٍ مُصَفِّفَةٌ بَيْضٌ، كَأَنَّ عَجُوزًا جَعَدَتْ شَعْرًا

ثنيات: يقصد بها خصلات شعر

تُذَهِّبُ الشَّمْسُ أَطْرَافَ اللَّجَيْنِ بِهَا كَمَا تُوشِي يَدُ الرُّوقِيَّةِ الْجَبْرَا

اللجين: الفضة، الروقية: بنت «الزوق»، القرية اللبانية المشتهرة بالتطريز، الجبر: الأثواب

هَيَّا إِلَى الْغَابِ، إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَنَا مِنَ الرِّيَاحِينَ عُشًّا لَيْنًا عَطِرَا

تَحْنُو عَلَيْنَا ظِلَالُ الْأَيْكِ، رَقَطَهَا مِنَ الْأَشْعَةِ كَفَّ تَرْسُ النَّمِرَا

نحنو علينا ظلال الأيك (الشجر)، وترقط أشعة الشمس الأماكن المظلمة ببقع ضوء، تجعلها تشبه جلد النمر

إِذَا سَمِعْنَا ذُرَى أَفْنَانِهَا سُرْرًا مَدَّتْ لَنَا الْأَرْضُ مِنْ أَعْشَابِهَا حُصْرَا

ذرى أفنانها: قمم غصونها، سرراً: تخوئاً، الحصر: بسط القش

فِرِّي إِلَيْهِ مَعِيَ عِنْدَ الْمَسَاءِ، وَلَا تَرَوْيَ إِلَى بَشَرٍ مِنْ أَمْرِنَا خَبْرَا

إِنِّي كَرِيمٌ، أَحِبُّ الْمَالَ مُشْتَرَكًا لَكِنْ غَيُورٌ: أُرِيدُ الْحَسَنَ مُحْتَكِرَا

خَلَّ الْهَيَامَ بِجَنَّاتٍ مُزْخَرَفَةٍ لِشَاعِرٍ يَعَشُقُ الْأَوْهَامَ وَالصُّورَا

اترك يا هذا الشغف بالجنت المزدانة للشعراء

نَحْنُ، الْفَلَاسِفَةُ الْحَمَقَى، لَنَا وَلَعَّ بِالْغَابِ، حَتَّى عَدَدْنَا نَكْرَهُ الْبَشْرَا

لَا يُنَبِّتُ الدِّينُ بُغْضًا فِي مَزَارِعِنَا مَهْمَا أَخُو الْجَهْلِ مِنْ أَشْوَكِهِ بَدْرَا

الكلُّ فِينَا جُنُودٌ لِلْإِخَاءِ، فَمَا فِي دَوْلَةِ الشَّعْرِ نَوَابٌ، وَلَا وَرْرَا

نَسْتَعْذِبُ الْمَوْتَ مِنْ أَجْلِ الْحَيَاةِ، فَمَا يَجْنِي الْوَرَى الشَّهْدَ حَتَّى نَجْنِي الْإِبْرَا

يشدد الشاعر عمران القفيني النكير على القروي قائلاً: «يا قروي هذا من: ولا بد دون الشهد من إبر النحل»، ونقول: هذه سرقة ليست بسرقة، فلهجرة بيت المتنبي نعلها من التضمين

عَفْنَا الْقَشُورَ، وَهَمْنَا بِاللُّبَابِ، فَلَا يُزْرِي الْجَهْلُ عَلَيْنَا أَنَّنا فُقْرَا

يزري علينا: يعيب علينا

لَا نَقْدُرُ النَّاسَ إِلَّا بِالْعُقُولِ، وَلَا نُقِيمُ لِلْمَالِ وَزْنَ، قَلَّ أَوْ كَثُرَا

نقدر: نُقِيمُ (ألا دع عنك الصرفيين المتجمدين الذين يقولون إنها «نقوم»، وكأنهم لم يسمعو بتقويم الاعوجاج وتقويم الأسنان. «نقيم» معناها نحدد القيمة، ومنها التقييم، وهذه حيلة صرفية بارعة للعربية المعاصرة لتفريع اللفظ حتى يغطي معاني جديدة مع أمن اللبس. وأحسن مجمع القاهرة إذ أجازها)

نُورُ الْمَسِيحِ تَجَلَّى مِنْ مَدَاوِينَا وَسَيْفُ أَحْمَدَ مِنْ صَحْرَائِنَا شَهْرًا
المداود: المعالف، وقد وُضع عيسى الوليد في مذود

وَهَلْ سَمِعْتَ بِغَنَدِي؟ إِنَّهُ حَمَلٌ فِي الْهِنْدِ ثَارَ عَلَى الضَّرْعَامِ وَانْتَصَرَ
غندي: غاندي

إِنْ كَانَ عَابَ عَلَيْهِ الْعُرْيُ مُسْتَتِرٌ فَإِنَّ آدَمَ لَوْلَا الْإِثْمُ مَا اسْتَتَرَ
ذاع أن البابا اعتذر عن لقاء غاندي لأن ثوبه لا يغطي ساقه

هَزُّوا الْحَسَامَ فَلَمْ يَخْفَلْ، وَهَزَّ لَهُمْ عُصْنُ السَّلَامِ، فَهَزَّ الْبَحْرَ وَالْجُزُرَا
الجزر: يعني الجزر البريطانية التي هزها غاندي بدعوته اللاعنفية

وَعَادَرَ السَّيْفَ يَحْكِي غِمْدَهُ فَلَلَا فَاعْجَبَ لِعُصْنٍ يَقُلُّ الصَّارِمَ الذَّكَرَا
غادر(جعل) غاندي السيف يحكي غمده فللاً (يشبه) غمده فللاً (تثلاً)، فما أعجب غصن السلام وهو يثلم
الصارم (السيف) الذكر (القاسي)

٦١ ومن نحن عند العد كي نتعددا

قال عام ١٩٣٣ في بيونس آيرس ويذكر الملك فيصل ملك العراق وهو في أوروبا
بمفاوض، هذا قبيل وفاته في سويسرا. وألقيت في حفل كبير، حضره رئيس الأرجنتين:

يَمْدُونُ، لِلتَّسْلِيمِ، فِي لَنْدَنِ يَدًا وَيُخْفُونَ لِلتَّسْلِيمِ فِي نَيْنَوَى يَدَا
وقالوا: عليك العرب في الغرب مُكْرَمٌ فقلت: إذن بات المليك مُهْدَدًا
نَصَحْتُكَ، لَا تَمْدُدْ إِلَى أَبْرَصٍ يَدًا وَلَوْ مَطَّرَتْ كَفَّاهُ دُرًّا مُنْضَدًا
الأبرص: الذي به بياض من بهاق أو نحوه، ويعني البيض الأوروبيين، الدر المنضد: اللؤلؤ
المنظوم في عقد

لَأَمْرٍ يُلَاقِيكَ الْفِرَنْجِيُّ بِاسِمَا فَزِدْ حَدَرًا مَا زَادَ ذَنْبٌ تَوُدَّدَا
تراه صحيح الود، وهو سقيمه كما تُكْسِبُ الْحَمَى الْخُدُودَ تَوْرُدَا
وإن الذي أخنى على عاد قبلكم لِيُخْنِي عَلَى أَوْرَبَةِ الْيَوْمِ أَوْ عَدَا
أخنى على عاد: أهلك قوم عاد

وَأَنْكَى الْعِدَى كَلْبٌ طَلِيقٌ مُسَلَّحٌ يَهْدُدُ فِي الْأَقْفَاصِ لَيْثًا مَقِيدًا
ومرّقنا الإرشاد عشرين دولة ومن نحن، عند العد، كي نتعددا
الإرشاد: الوصاية الأوروبية

لَنَنْ وَعَدُونَا بِالْجَلَاءِ عَنْ الْجَمَى فَقَدْ ضَرَبُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَوْعِدًا

٦٢ رثاء فيصل بن الحسين

قال، وألقاها في الحفلة التأيينية للملك فيصل بن الحسين، ملك العراق، سنة ١٩٣٣ :

لَنْ يَفِيكَ الرَّثَاءُ يَا سَيِّدَ الْعُرَى يَا سَبْطَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ

سبط: حفيد

وَلَوْ أَنَّ السَّحَابَ كَانَ دُمُوعًا وَلَوْ أَنَّ الشُّجُومَ كُنَّ عُيُونًا

يَا حَاجِبًا يَطْوِي إِلَى الْكَفَّةِ الْبَطْ حَاءَ طَيًّا، وَيَسْتَحِثُّ الظُّعُونَا

البطحاء: مكان في مكة، يستحث الظعون: يحث الإبل على السير

كُنْ جَلِيدًا عَلَى الشَّدَائِدِ، وَاسْمَعْ نَبَأَ رَنٍّ فِي الْحِجَارِ رَيْنًا

وَطَا الرَّمْلَ عِنْدَ مَكَّةَ وَطَيًّا كَانُطَبَائِي الْجُفُونِ رِفْقًا وَلِينًا

لَيْسَ هَذَا رَمْلُ الْحِجَارِ، وَلَكِنْ هُوَ قَلْبُ الْحِجَارِ أَمْسَى طَحِينًا

طحين: مطحون

٦٣ أفاعيل ذات الأساطيل

قال في رثاء الملك فيصل بن الحسين ١٩٣٣ :

يَهَيْئُكَ! لَمْ تَرَ عَيْنَاكَ الَّذِي فَعَلْتُ ذَاتُ الْأَسَاطِيلِ مِنْ أَهْوَالِهَا فِينَا

ذات الأساطيل: بريطانيا

أَجَرْتُ مَرَاكِبَهَا مَشْحُونَةً قَذْرًا وَأَفْرَعْتُهَا يَهُودًا فِي فِلَسْطِينَا

قَدْ أَنْزَلْتُهُمْ بِوَادِينَا عَلَى سَعَةٍ وَشَرَّدْتَنَا حَيَارَى فِي بَوَادِينَا

وَأَكْبَرُ النَّائِبَاتِ السُّودِ نَائِبَةٌ أَخْبَابُنَا شَارَكُوا فِيهَا أَعَادِينَا

وقد أفنى البطريق عريضة في ذلك الوقت بوجوب معاملة اليهود بشريعة المسيح وإيوائهم والانتفاع

برساميلهم

لَمْ يَكْفِ لُبْنَانَ مَا كَادُوا لَهُ فَعَدَا، وَهُوَ اللَّبْنَانُ، مَقْسُومًا لَبَانِينَا

يَا سَيِّدَ الدِّينِ! هَلْ يُدْعَى مُعَلِّمُكُمْ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ، أَمْ مُوسَى وَهَارُونَا

لَقَدْ رَجِمْتَ ثَعَابِينَ الْيَهُودِ، أَلَا فَارَحِمْ خِرَافَكَ، وَاحْسَبْهُمْ ثَعَابِينَا

شبه المسيح رعاياه بالخراف: «أنا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح يذلل نفسه عن الخراف»

يوحنا أصحاب ١٠ - ١١

قَالَ الْمَسِيحُ لَنَا: حَبُّوا أَعَادِيَكُمْ لِكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ: حَبُّوا الشَّيَاطِينَ

تسويد عمران القفيني

الدِّينُ قَبْلَتُنَا، لَكِنْ تَجَارَتْكُمْ بِالدِّينِ تُكْرِهُنَا أَنْ نَكْرَهُ الدِّينَا

متاجرتكم بالدين تجبرنا على أن نكرهه

أَمَلْتُمْ الرِّزْقَ مِنْ أَرْزَى الْأَنَامِ يَدَا يَا لِلْمَصِيبَةِ! هَلْ صِرْتُمْ مَجَانِينَا

هَبِكُمْ أَصَبْتُمْ، فَإِنَّا لَا نُرِيدُ غِنَى مِنَ اللُّصُوصِ الْمَرَابِيعِ الْمَرَائِينَا

وَاللَّهِ لَوْ دَاسَ فِي بَيْرُوتَ أَطَهَرُهُمْ لَسَمَّمْتُ قَدَمَاهُ نَبَعَ صَنِينَا

٦٤ وطن يحتاج إلى صفة

قال سنة ١٩٣٤ :

لَكُمْ تَحْمِيكَ يَا وَطَنِي لُصُوصُ! وَكَمْ، يَا قَوْمَ، تَرْعَاكُم ذُنَابُ

سَنَقْتُلُكُمْ، وَنُحْيِيكُمْ، إِلَى أَنْ يُمَرِّقَ عَنْ غُيُونِكُمُ الْحِجَابُ

وَكَمْ كَفَّ يَطِيرُ بِهَا صَوَابُ وَأُخْرَى يُسْتَعَادُ بِهَا الصَّوَابُ

كف: صفة

٦٥ لِمَنِ الْمَادِبُ

قال وقد أَدَبَتِ الجالية العربية في بيونس آيرس سنة ١٩٣٤ مآدبة سخية له ولرفيقه

إلباس فرحات:

لِمَنِ الْمَادِبُ حَوْلَهَا الْأَضْيَافُ وَعَلَامَ هَذَا الْبَذْلُ وَالْإِسْرَافُ

حَسْبُ الْبَلَابِلِ حَبَّتَانِ وَقَطْرَةٌ وَتَعُودُ لِلتَّغْرِيدِ، وَهِيَ خِفَافُ

وَاللَّهِ مَا ظَفِرَتْ يَدَايَ بِلُفْمَةٍ إِلَّا عَرَانِي خَاطِرٌ رَجَّافُ

وَتَمَثَّلْتُ لِي فِي الْمَضَارِبِ صَبِيَّةٌ خُمُصُ الْبُطُونِ، كَأَنَّهُمْ أَطْيَافُ

خمص البطون: ضامرو البطون جوعاً

لَهُمُ الصَّحَارَى وَالْمَجَاعَةُ وَالصَّدَى وَلَنَا التَّنْدَى، وَالْحَمَرُ، وَالْأَرْيَافُ

الصدى: العطش

أَشْبَالُ مَنْ نَشَرَ الْكَتَائِبَ سَيْفُهُ وَسَقَى السَّبَاسِبَ رُمْحُهُ الرَّعَافُ

السباسب: الصحارى، الرعاف: الذي يسيل منه الدم

أُنَجَّالٌ مَنْ كَانَتْ تَرْوُحٌ وَتَغْتَدِي كَالنَّمْلِ، حَوْلَ جَوَانِهِ، الْأَضْيَافُ
أَطْفَالُ سُلْطَانٍ تَجُوعٌ، وَطَالَمَا شَبِعَتْ، بِفَضْلِ قَطُورِهِ، الْآلَافُ
أَتَى تَطِيبُ لِدِي الشُّعُورِ لُمَاطَةً وَتَسُوعٌ فِي حَلَقِ الْأَبِيِّ سُلَافُ
لماطة: لقمة، سلاف: خمر

وَالشَّهْدُ، إِنَّ ذِكْرَ الْمُقِيمِ عَلَى الطَّوَى، سُمٌّ بِأَحْشَاءِ الْكَرِيمِ زُعَافُ
الطوى: الجوع، سم زعاف: سم سريع القتل. تسويد عمران القفني

٦٦ كلا أحمديها

قال سنة ١٩٣٥ في المهرجان التذكاري الذي أحيتة العصبة الأندلسية لمرور ألف سنة
على وفاة المتنبي:

نَبِيٌّ وَلَوْ ضَجَّتْ شُبُوحُ وَرُهْبَانُ وَهَلْ بَعْدَ إِعْجَازِ ابْنِ كِنْدَةَ بُرْهَانُ
ابن كندة: المتنبي أحمد بن الحسين الكِنْدِي

وَكُلُّ كَلَامٍ يَرْفَعُ النَّفْسَ مُنْزَلٌ وَكُلُّ مَقَالٍ يُفْسِدُ الْعَقْلَ بُهْتَانُ
وَإِذَا افْتَحَرَتْ أُمُّ اللُّغَاتِ عَلَى اللُّغَى وَأَذَلَّتْ بِفُرْقَانٍ، تَعَرَّضَ دِيْوَانُ
إذا افتخرت العربية على اللغات بالقرآن، فديوان المتنبي يزيدها فخراً

كَلَا أَحْمَدِيهَا جَاءَ فِيهَا بِمُعْجَزٍ فَلِلشَّرْعِ قُرْآنٌ، وَلِلشَّعْرِ قُرْآنُ

ظل النقاد يقولون «الأحمدين» يعنون المتنبي وأحمد شوقي، حتى جاء القروي فقرن
المتنبي بالرسول، وجعل ديوان المتنبي قرآن الشعر. لافَتْ ما في الشعر من الصنعة:
هذه المزاجية بين برهان ورهبان في البيت الأول، وأختها هنا بين «الشرع»
و«الشعر». ومن محاسن شعر القروي أنه استعمل المحسنات البديعية بدون إفراط
فجاءت حلوة سائغة، وكان المسلمون يحتملون منه جرأته لاستمساكه بالثقافة العربية
الإسلامية، ولو كان بيتنا اليوم في عام ٢٠٠٩، لكفروه تكفيراً

فِيَا لَكَ مِنْ نَسْرِ لَهُ زَارٌ ضَيِّعٌ زَمَازِمُهُ فِي مِسْمَعِ الدَّهْرِ أَلْحَانُ
الزمازم: الأصوات المختلفة، وصاحب الكلمة المتنبي إذ يقول عن الجيش «وفي أذن الجوزاء منه
زمازم»

تَحَطَّى سَمَاءَ الْعَبَقَرِيِّينَ، وَانْجَلَّتْ لَهُ خَلْفَ أَكْوَانِ الْأَنَاسِيِّ أَكْوَانُ
وَنَزَلَتْهَا لِلنَّاسِ آيَاتٌ حِكْمَةٌ جُواهرُهَا فِي مَفْرِقِ الشُّعْرِ تَبِيجَانُ
الآن يخاطب المتنبي. المفرق: الرأس

بِكَ اشْتَهَرَ الْعَصْرُ الَّذِي أَنْتَ فَخْرُهُ وَأَنْتَ لَهُ التَّارِيخُ وَالْمَجْدُ وَالشَّانُ
عِيَالٌ عَلَى ذِكْرِكَ ذِكْرَى مُلُوكِهِ وَأَسْمَاؤُهُمْ فِيهِ عَلَى اسْمِكَ ضَيْفَانُ
الملوك الذين نذكرهم اليوم إنما يذكرون بسبك، فشهرتهم متطفلة على شهرتك أنت، وأسماءهم
بمثابة الضيفان، الضيوف، على اسمك

خَلَدْتَ، فَخَلَّدْتَ الزَّمَانَ، وَهَكَذَا تَمُوتُ وَتَحْيَا بِالنَّوَابِغِ أَرْمَانَ
بِشَاعِرِهَا فَلْتَفْتَحْ كُلُّ أُمَةٍ يُهَدِّدُهَا بِالْمَوْتِ وَالْعَارِ طُغْيَانُ
إِذَا طُوِيَتْ أَعْلَامُهَا فَهَوَ بَيْرَقُ وَإِنْ أُخْمِدَتْ أَنْفَاسُهَا فَهَوَ بُرْكَانُ
أَبَا الشُّعْرِ! هَذَا مَحْفِلٌ مِنْ مَحَافِلِ تَهْزُ بِهَا الدُّنْيَا، بِذِكْرِكَ، فَحُطَّانُ
والمتني كندي قحطاني يمانى

صَحَا الدَّهْرُ فَاسْتَسْقَاكَ كَأْسًا جَدِيدَةً طَوَى أَلْفَ عَامٍ قَبْلَهَا وَهُوَ سَكْرَانُ
الآن بعد ألف عام على موت المتني يصحو العالم فيستقي المتني (يطلب منه أن يسقيه) كأساً
جديدة، وكان العالم قد ظل سكران ألف عام بخمرة المتني الشعرية

خَلَا الْعَرْشُ بَعْدَ ابْنِ الْحُسَيْنِ عَلَى الْمَدَى وَعُطِّلَ مِنْ كِسْرَى الْبَلَاغَةِ إِيوَانُ

٦٧ الأم الحنون والإسلام

قال في الذكرى السنوية الأولى لوفاة الدكتور خليل سعادة ١٩٣٥ :

لِبْنَانُ! يَا وَطَنَ الْجَمَالِ، وَمُنْجِبَ الْـ أَبْطَالِ، وَالصُّيَّابَةِ الْأَعْلَامِ
الصيابة: السادة

أُسْلِمْتَ لِلْأُمِّ الْحَنُونِ، فَقُلْ لَنَا: أَوْجَدْتَهَا خَيْرًا مِنَ الْإِسْلَامِ؟
الأم الحنون: ساخراً... يعني فرنسا

٦٨ أمة مستريحة

قال وتليت في صنبول في سنة ١٩٣٥ في حفلة جمعية الشبيبة العربية الفلسطينية
لمرور خمسة أعوام على إعدام الشهداء فؤاد حجازي، وعطا الزير، ومحمد جمجوم في
فلسطين:

أَنْجَبْتُنَا أُمَّةً، مَا بَرِحَتْ تُنْجِبُ الْأَبْطَالَ مِنْ عَهْدِ ثُمُودٍ

رَقَّصُوا الْخَيْلَ عَلَى الطَّعْنِ، كَمَا رَقَّصُوا الطَّيْرَ عَلَى خَفَقِ الْبُنُودِ
 رَقَّصُوا الْخَيْلَ تَحْتَهُمْ وَهُمْ يَطْعَنُونَ أَعْدَاءَهُمْ، وَرَقَّصُوا الطَّيْرَ الْجَارِحَةَ عَلَى خَفَقِ الْبُنُودِ (الرايات)؛
 بينما هذه الجوارح تنتظر سقوط الأعداء لتنهش جثثهم، وهذا معنى قديم، ولكن ترقص الخيل
 والطير جديد كل الجدة

لَمْ تَضِرْنَا رَاحَةً بَعْدَ الْعَنَا فَالْكَرْى يُغْمِضُ أَجْفَانُ الْأَسْوَدِ

٦٩ والأفاعي بنات عم العقارب

قال زمن الاعتداء الإيطالي على الحبشة ١٩٣٥:

مَا لِعَيْنِيكَ تَرَعِيَانِ الْكَوَاكِبُ! أَيَّ خَطْبٍ وَرَاءَهُنَّ تُرَاقِبُ

خطب: مصيبة، تراقب: تخذر (هذا هو المعنى القديم لكلمة تراقب، وبه نفهم قول
 الشاعر: من راقب الناس مات هماً/ وفاز باللذة الجسور، ومعناه: من كان يحذر
 منهم أصابه الهم، ويفور باللذة الجسور الجريء. وسترى عند القروي كثيراً من
 الكلمات السهلة البريئة التي تشي - رغم بساطتها - بثقافته العربية الراسخة)

أَنْتَ، وَاللَّهِ، شَاعِرٌ عَرَبِيٌّ ضَائِعٌ بَيْنَ قَوْمِهِ وَالْأَجَانِبِ
 حَامِلٌ فَوْقَ هَمِّهِ هَمٌّ شَعْبٍ سَاوَرْتَهُ الْخُطُوبُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

ساورته: هاجمته، الخطوب: المصائب

بَلَبَلْتُ عَقْلَهُ الْمَذَاهِبُ وَالْأَحْزَابُ، حَتَّى سُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَذَاهِبُ

المذاهب: العقائد، المذاهب الثانية: الطرق

كُلُّ مَنْ يَدَّعِي الْكِرَامَةَ مِنَّا فَيْكَ يَا غَرْبُ كَاذِبٌ ثُمَّ كَاذِبٌ
 رَبَّمَا كَانَ مَنْ تُوَالِي مِنَ الْإِفْدِ رَنْجٍ أَذْهَى عَلَيْكَ مِمَّنْ تُحَارِبُ
 لَنْ يُعَادِيَ مِنْ أَجْلِكَ الْعِلْجُ عِلْجاً وَالْأَفَاعِي بَنَاتُ عَمِّ الْعُقَارِبِ
 عَبَثاً، وَالْعَنَادُ سَيْفٌ وَرَمَحٌ، تَنَادَوْنَ لِلْوَعَى يَا أَعَارِبُ

تنادون: ينادي بعضهم بعضاً، للوعى: للحرب

ذَهَبَتْ دَوْلَةُ الْجَحَافِلِ وَالرَّايَاتِ وَالْخَيْلِ، وَالْقَنَا وَالْقَوَاضِبِ

القنا: الرماح، القواضب: السيوف

وَأَتَتْ دَوْلَةُ الْقَنَابِلِ، وَالْغَاوَاتِ وَالسُّمِّ، وَالشُّهَابِ الثَّاقِبِ

الثاقب: المشتعل

لَمْ يَعُدْ يَنْفَعُ الْأَسْوَدُ وَثُوبٌ بَعْدَ أَنْ طَارَ بِالْجَنَاحِ الثَّعَالِبُ
لَا تَنْفَعُنَا الْأَسْلِحَةُ، وَكُلُّ الْوَسَائِلِ، الْعَتِيقَةُ بَعْدَ أَنْ اخْتَرَعَ الْغَرْبُ الْمَاكِرَ الطَّائِرَاتِ وَصَارَ يَحَارِبُ بِهَا

وَثَبَاتُ الْأَقْدَامِ فِي الثَّرْبِ، لَكِنْ وَثَبَاتُ الْعُقُولِ فَوْقَ الْكَوَاكِبِ

وثة قدم الإنسان بقيه على التراب، ولكن وثة العقل ترفع المرء فوق الكواكب. يرى
عمران القفيني في البيت جناساً لم نره، فهذا شرحه للبيت: (وثبات الأولى من
الثبات والاستقرار والرسوخ، وهو يسخر من شعارات عربية مثل: لنا قدم راسخة
ثابتة في هذه الأرض. أما الثانية فهي القفزة العلمية. . يسخر من ثبات قدم العربي
وعقول الغرب وصلت الفضاء. واستغل - على ما أظن - الجنس بين وثبات
ووثبات. هذا ما لمحتة)

فَاضْرِبِ الْبَازَ بِالْعُقَابِ، وَحَارِبِ بِسِلَاحِ الْعُقُولِ، أَوْ لَا تُحَارِبِ

الباز والعقاب: من الطيور الجارحة

٧٠ سؤال خبيث

قال، ونشرت في مجلة «العصبة» سنة ١٩٣٥:

يَا رَبِّ عَفْوِكَ إِنْ جَسَرْتُ فَقُمْتُ مُعَدَّ تَرَضَّأَ عَلَى الْحُكْمِ الَّذِي أَبْرَمْتُهُ
أَغْرَيْتَ قَائِمِينَ بِهَابِيلَ: إِذَا قَائِمِينَ لَمْ يَذْبَحْهُ، أَنْتَ ذَبَحْتَهُ
قائمين: قابيل

هَبْ كَانَ قَائِمِينَ بِشَرْعِكَ ظَالِمًا أَفَكُنْتُ أَرْحَمَ مِنْهُ حِينَ لَعَنْتُهُ؟

٧١ عش للمروبة

قال سنة ١٩٣٦ في صنبول:

عِشْ لِلْمَرْوَبَةِ هَاتِفًا بِحَيَاتِهَا، وَدَوَامِهَا
وَأَمْدُ يَمِينِ الْحُبِّ يَا لُبْنَانِهَا لِشَامِهَا
أَنْظُرْ إِلَى أَثَارِهَا تُنْبِئُكَ عَنْ أَيَّامِهَا
هَذَا الثَّرَاتُ يَمُتُّ مُعَدَّ ظَمُّهُ إِلَى إِسْلَامِهَا
مَا لِي أَرَاكَ بَرِئْتَ مِنْ دَمِهَا، وَمِنْ أَوْطَانِهَا
أَنْسَيْتَ أَنَّكَ لَيْتُ نَهْ ضَمَّتْهَا، وَنَسْرُ بَيَانِهَا

اللبناني كان في طليعة من أنهضوا اللغة العربية بعد عصور مظلمة من الجهل

أَتَقُولُ: لَسْتُ مِنَ الشَّأْمِ، وَأَنْتَ فِي أَخْضَانِهَا
أَتَهْدُ نَاطِحَةَ النُّجُومِ، وَأَنْتَ مِنْ أَرْكَانِهَا

٧٢ «الأم الحنون»

قال احتفالاً برفع العلم السوري بجانب العلم البرازيلي فوق بناية جمعية الاتحاد السوري في «برتس» عام ١٩٣٦:

إِنْ كُنْتُ لِلْحَقِّ، فَلَتَخْضَعْ لَكَ الْأُمُّ أَوْ كُنْتُ لِلظُّلْمِ، لَا حُيِّيَتْ يَا عِلْمُ
حَدَّثَ أَخَاكَ عَنِ الْأُمِّ الْحَنُونِ، وَعَنْ نَاسٍ عَلَى نَاسِهِمْ، فِي حُبِّهَا، انْقَسَمُوا
الأم الحنون: لقب فرنسا عند محبيها في لبنان، ويستعمله كارهوها ساخرين

عَدُّوا وَصَايَتَهَا مِنْ رَبِّهِمْ هَبَّةً حَتَّى مَحَا الْفَجْرُ مَا قَدْ زَخَرَفَ الْحُلْمُ
كَمْ يَنْسُبُونَ إِلَيْهَا الْفَضْلَ مِنْ قَدَمِ وَالْفَضْلُ، لَوْ فَهَّقُوا تَارِيخَهُمْ، لَهُمْ
أَيْنَ الْعُلُوجُ الْأَلَى أَقْسَامُهُمْ خِدَعٌ مِنْ مَاجِدِ عَرَبِيٍّ وَعَدُّهُ قَسَمٌ؟
أين الأجانب، الذين أيمانهم حين يحلفون مجرد خداع، من العربي الماجد الذي يعدُّ وعداً فيكون
وعده بمنزلة القسم؟

٧٣ حسب الورود تعطر بالماء

أَحَبُّتُ فِيكَ بَسَاطَةً شَرْقِيَّةً فِيهَا الْجَمَالُ الْأَنْثَوِيُّ مُجَسِّمٌ
لَيْسَ التَّمَدُّنُ، يَا لُمِيَّةً، غَيْرَ مَا حُكَمَاءُ شَعْبِكَ مِنْ قَدِيمٍ عُلِمُوا
وَحَضَارَةُ الْعَرَبِيِّ بُرْجُ حَمَاقَةٍ كَفَّ تُعَمَّرُهُ، وَكَفَّ تَهْدِمُ

* * *

فِي بُرْدَتَيْكَ مَحَاسِنٌ خَلَّابَةٌ لَمْ يَذَرِ قِيَمَتَهَا سِوَى الشَّعْرَاءِ
قَرَوِيَّةٌ وَحَبِيَّةٌ وَنَدِيَّةٌ وَنَقِيَّةٌ كَالْوَرْدَةِ الْبَيْضَاءِ
لَا تَعْرِفِينَ مِنَ الطُّيُوبِ سِوَى النَّدَى حَسْبُ الْوُرُودِ تَعَطَّرُ بِالماءِ

٧٤ غيرة

بِعَيْنَيْكَ آيَاتُ الْكَأَبَةِ وَالْحُزَنِ أَمِنْ صَاحِبِي هَذَا الَّذِي بِكَ، أَمْ مِنْي؟
تَقُولِينَ: مَنْ تَعْنِي؟ وَوَاللَّهِ، إِنَّمَا لَكِنِّي تَسْتَعِيدِي ذِكْرَهُ، قَلْتِ: مَنْ تَعْنِي
إِذَا حَدَّثُوا عَنْهُ تَوَلَّيْتُكَ سَكْرَةً كَحَوَاءَ عَادَتْ بِالْخَيَالِ إِلَى عَدْنِ

وَأَغْمَضْتُ لِلتَّذْكَارِ عَيْنِيكَ لَذَّةً وَأَصْفَيْتِ إِصْفَاءَ الضَّرِيرِ إِلَى لَحْنِ

تعلق عمران القفيني: (ألا لا يفوتنا التسويد... يا سلام!)

وَأَيُّ دَلِيلٍ تَقْتَضِيَنَّ عَلَى الْهَوَى
فَلَا تَسْأَلِيْنِي: مَا رَأَيْتَ؟ فَإِنَّ لِي
وَلَا تَحْلِفِي لِي بِالَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
لُمِيَّةً! مَا فِي حُبِّ مِثْلِي رَاحَةً
تَجَاوَزْتُ عَنْ جَهْلِ الصَّبَا وَغُرُورِهِ
وَلِي خَمْرَةٌ غَيْرُ الَّتِي تَعْهَدِينَهَا
وَمَاذَا تَبَقَّى لِي إِذَا حَدَّثُوا عَنِّي
مِنْ الْقَلْبِ مَا يُغْنِي عَنِ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ
عَشِيَّةً مِنْ سَطْحٍ نَفَرُ إِلَى غُصْنٍ
وَيَغْدُو كَثِيرَ الظَّنِّ مَنْ كَانَ فِي سِنِّي
وَفِي الْعَقْلِ مَا يُغْنِي الرَّشِيدَ عَنِ الْحُسْنِ
إِلَى أَدْبِي مَنْسُوبَةٌ، وَإِلَى فَنِّي

٧٥ الحبيبة الغيور

كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى رِضَا حَسُونَتِي إِلَّا بِكُمْ فَمِي، وَقَصُّ جَنَاحِي

الحسون: طائر مفرد

لَمْ تَهَوِّنِي إِلَّا لِأَنِّي بُلْبُلٌ، وَتَمُوتُ إِنْ سَمِعَ الطَّيُورُ صُدَاحِي

* * *

هَلَا سَمِعْتَ، إِذَا اسْتَكَنَّ الطَّيْرُ فِي
أَعَصَرْتُ إِلَّا فِيكَ مِنْدِيلِي، وَهَلْ
أَغْشَاشِهِنَّ، تَنْهَدِي وَنَجِيبِي
حَايَرْتُ إِلَّا فِي هَوَاكِ طَبِيبِي

عصره منديله في محبوبته كناية طريفة يفهم البريء منها أن صاحبنا بلبل منديله بالدمع ثم عصره. وكان القروي عاشقاً عرف نساء كثيرات، وإن خص لمياء بالذكر. ومات أعزب، ولكنه صرح بأنه عرف العشق في كل صورة

* * *

يَا مَنْ يُحَوِّلُنِي غُرَاباً نَاعِباً
هِيَ لَا تُطِيقُ الصَّبْرَ إِنْ فَتَنَ الْوَرَى
كُنِي لَا تَمُوتُ لَمِيَّتِي وَأُمُوتَا
شَدُوِي، وَلَا أَنَا أَسْتَطِيعُ سُكُوتَا

٧٦ ولكنها تسلي العيون

أَنْتَ قُرَّةُ الْعَيْنِ فِي الزَّمْهَرِيرِ تَصُبُّ الْجَحِيمَ عَلَى صَبَّهَا

صبها: عاشقها

تَسُبُّ، فَأَسْمَعُ شَكْوَى الْغَرَامِ يُذِيبُ الْجَلَامِيدَ فِي سَبِّهَا
الجلاميد: الصخور. يقول: في سبابها أسمع رنة شكوى الغرام الذي يذيب الصخور

* * *

: إِلَى كَمْ تَحُونُ وَأَضْفَحُ عَنْكَ لَقَدْ طَفَحَ الْكِيلُ يَا غَادِرُ
هذا ما تقوله هي له

خِدَاعُكَ لَيْسَ لَهُ آخِرُ وَلَكِنَّ صَبْرِي لَهُ آخِرُ
لَعَمْرِي لَقَدْ صَدَّقَ النَّاصِحُونَ فَأَكْذَبُ أَهْلَ الْهَوَى شَاعِرُ

* * *

: لُمِيَّةٌ لَمْ يَسْلُكِ الْقَلْبُ قُطْ وَلَا حَالَتِ الرُّوحُ عَنْ عَهْدِهَا
لم يسلك: لم يعرف السلوان، والسيان، عنك

وَلَكِنَّهَا تَتَسَلَّى الْعُيُونُ وَتَبْقَى الْقُلُوبُ عَلَى وَدَّهَا

* * *

فَسَكَّنَ إِعْصَارَهَا نَفْحَةً مِنْ السَّحْرِ نَمَتْ بِهَا شَفَتَايَا
وَأَخْمَدَ بُرْكَانَهَا قَطْرَةً مِنْ الشَّعْرِ هَمَّتْ بِهَا مُقْلَتَايَا
وَرُحْتُ مِنَ الْوَجْدِ أَلْتِمُ قَاهَا فَكَادَتْ مِنَ الْوَجْدِ تَأْكُلُ قَايَا
التم: أقتل. قايَا قبيحة، وأكل الفم قبيح

وَأَخْلِفْتُ لَسْتُ أَجِبُ سِوَاهَا فَتَحَلِفْتُ: لَيْسَتْ تُطِيقُ سِوَايَا
فَلَمْ أَرْ فِي الْحُبِّ مِثْلِي كَهَلَا سَعِيدَا، تَمُوتُ عَلَيْهِ الصَّبَايَا
تعليق عمران القفيني: (جاء بكل القوافي أعلاه كي يقول لنا «الصبايا».. يخرب بيتك يا قروي يا
شيطان!)

٧٧ ضجر من الحبيبة

لُمِيَّةُ! هَذَا الْحُبُّ طَالَ عَنَاوُهُ وَنَاءَ كِلَانَا بِالَّذِي هُوَ حَامِلُهُ
نَاء: تَعَبَ

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي! أَنْتِ بَعْدُ حَبِيبَةٌ أَغَارِلُهَا، أَمْ أَنْتِ خَضَمٌ أَجَادِلُهُ
أَلَا أَيْنَ عَهْدُ الْأَنْسِ، أَيْنَ رِيَاضُهُ وَأَيْنَ أَغَانِيهِ، وَأَيْنَ بِلَابِلُهُ

وَأَيْنَ تَنَاعَيْنَا عَلَى الْمَرْجِ، كُلَّمَا مَشَيْنَا عَلَيْهِ اخْضَرَّ، وَاهْتَزَّ ذَابِلُهُ
 وَقَدْ نَصَبَ الصَّفْصَافُ خَيْمَةً شَاعِرٍ عَلَيْنَا، وَعَظَّتْ مُنْكَبِّينَا جَدَائِلُهُ
 تُشَيِّعُنَا عِنْدَ الْوَدَاعِ طَيُورُهُ وَتُبْكِي لِجِرْمَانِ الْجَنَاحِ جَدَائِلُهُ
 خريز الجداول بكاؤها، تبكي لأنه ليس لها أجنحة تطير بها مثل الطيور

تَبَخَّرَ حُلْمٌ رَاوَدَ الْجَفْنَ لَيْلَةً وَطَارَ، مَعَ الرِّيحِ، الَّذِي كُنْتُ أَمْلُهُ
 تَوَهَّمْتُ أَنِّي نَاعِمٌ بِرَفِيقَةٍ لِشَيْبِي، وَقَدْ غَالَتْ شَبَابِي غَوَائِلُهُ
 ناعم برفيقة: مستمتع برفيقة، غالته غوائله: قتلته قواتله

إِلَى أَنْ تَبْدَى لِي الَّذِي كُنْتُ جَاهِلًا وَيَا لَيْتَ أَنِّي آخِرَ الدَّهْرِ جَاهِلُهُ
 آخِر الدهر: حتى آخر الدهر

وَكُلُّ أَبِي النَّفْسِ يَهْدِيهِ طَبْعُهُ إِلَى أَيِّ حَدٍّ يُسْتَحَبُّ تَسَاهُلُهُ
 وَبِئْسَ قِرَانٌ بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لَذَائِلُهُ تَمْضِي، وَتَبْقَى سَلَاسِلُهُ
 قران: زواج

سَأَبْقَى وَحِيدًا فِي سَمَائِي مُشَرَّدًا كَأَنِّي بَدْرٌ أَنْكَرْتُهُ مَنَازِلُهُ
 منازل القمر: بروج، وأماكن نزوله في بحر السماء

وَلَمْ تَخْسِرْنِي لَوْ تَكُونِي حَكِيمَةً وَلَكِنَّنِي طَيْرٌ عَزِيزٌ مُشَاكِلُهُ
 عزيز مشاكله: نادر نظيره

وَصَالِكٌ حُلُوٌّ، بَيْدَ أَنِّي أَعَاَفُهُ وَهَجْرُكَ صَعْبٌ، غَيْرَ أَنِّي أَحَاوِلُهُ

٧٨ فردوسنا نحن

دَعَيْنِي مِنْ فِرْدَوْسِ عِيسَى وَأَحْمَدٍ وَقُومِي إِلَى فِرْدَوْسِنَا نَتَنَعَّمُ
 فَجَنَّتْهُمْ رُؤْيَا رَأَوْهَا؛ وَجَنَّتِي، بِحُبِّكَ، مِلْءُ الْعَيْنِ وَالْكَفِّ وَالْقَمِّ

٧٩ ندم على جرح الحبيب

أَلْقَيْتُ فِي سَمْعِ الْحَبِيبِ كُلِّيمَةً جَرَحَتْ عَوَاطِفُهُ، فَمَا أَقْسَانِي
 قَطَعَ الْحَدِيثَ، وَرَاحَ يَمْسَحُ جَفْنَهُ فَوَدِدْتُ لَوْ أُجْزَى بِقَطْعِ لِسَانِي
 وَمَضَى، وَلِي قَلْبٌ عَلَى آثَارِهِ وَيَدَانِ بِالْأَذْيَالِ عَالِقَتَانِ

فَطَفِئْتُ مِنَ الْمَيِّ أَكْفَكِفْ أَذْمُعِي وَرَجَعْتُ مِنْ نَدْمِي أَعْصُ بَنَانِي
وَأَقُولُ: وَاحْجَلِي إِذَا لَاقَيْتُهُ، قَبَائِي وَجْهِ عَابِسٍ يَلْقَانِي
حَتَّى ظَفِرْتُ بِهِ، فَمَدَّ يَمِينَهُ وَرَنَا إِلَى بِرْقَةٍ وَحَنَانِ
وَبَكَى وَعَانَقَنِي، وَقَالَ: عَدِمْتُنِي إِنْ كَانَ لِي جَلْدٌ عَلَى الْهَجْرَانِ
قَالَ لِي الْحَبِيبُ: عَدِمْتَ نَفْسِي إِنْ كُنْتَ أَقْوَى عَلَى الْهَجْرَانِ

قُلْ مَا تَشَاءُ، وَلَا تَغِبْ عَن نَّازِرِي وَفِدَاكَ ذُلِّي فِي الْهَوَى وَهَوَانِي

٨٠ تجديد العشق

قال في لقاء بعد فراق مع حبيته لمياء:

أَنَا نِي رَسُولٌ مِنْ لَمِيَّةٍ، بَعْدَمَا حَسِبْتُ طَوَالَ الْعُمْرِ لَنْ نَتَحَاكَي
فَوَلَّيْتُ وَجْهِي شَطْرَ صَرْحٍ مُّمَرَّدٍ يُطَاوِلُ بِالْبُرْجِ الرَفِيعِ سَمَاكَا
صرح ممرد: قصر عالٍ، السماك: اسم نجم

تَقُولُ: أَمَا مِنْ سَالِفِ الْعَهْدِ لَمَحَةٌ تَرَانَا بِهَا قَبْلَ الرَّدَى، وَنَرَاكَ
وَقَالَتْ، وَبِي مِنْ حُبِّهَا كَالَّذِي بِهَا: لِيَهْنُثُكَ مَا ذُقْنَاهُ بَعْدَ نَوَاكَ
هنيئاً لك عذابنا الذي ذقناه بعد فراقك

وَرَعِيًّا لِمَنْ أَغْرَتَكَ بِالْهَجْرِ بَعْدَنَا فَقَدْ عَلَّمْتُنَا كَمْ يَدُومُ هَوَاكَ
رعاها الله تلك التي أغرتك، فقد عرفتني كيف أن هواك قصير العمر

فَأَكْنَنْتُ وَجْهِي فَرَعَهَا كُمُرُوعٍ مِنْ الطَّيْرِ، لَأَقَى فِي الصَّعِيدِ أَرَاكَ
أكنت: خبأت، فرعها: شعرها، الصعيد: التراب، الأراك: نوع من الشجر

وَرُحْتُ، كَطْفَلٍ يَلْتَقِي الْأُمَّ، بَاكِئاً وَعِنْدَ لَمِيٍّ أَتْسِي أَتْسَاكِي
فَأَجْفَلَهَا دَمْعِي كَوَرْدٍ بِصَدْرِهَا تَنْشُرُ أَثْنَاءَ الْعِنَاقِ، وَشَاكَا
شاك: صار شائكاً

وَقَالَتْ: فِدَى عَيْنِكَ أَلْفَ لَمِيَّةٍ لِيَتَبَكَّ عَيُونُ الْعَالَمِينَ، عَدَاكَ
أَمْثَلُكَ يَبْكِي؟ قُلْتُ: لَوْ يُسْعِدُ الْبُكََا فَقَالَتْ: حَبِيبِي، مُرْ، جُعِلْتُ فِدَاكَ
يسعد: يساعد

عِيُونِي تَبْغِي أَمْ خَدُودِي أَمْ فَمِي؟ فَقُلْتُ لَهَا: هَذِي، وَتِلْكَ، وَذَاكَ

على ما في البيت من صوغ طريف في شطره الثاني، فإن شطره الأول ناتئ عن الموقف. الحبيبة قد تقول «أتبغي عيوني»، هذا وارد؛ ولكنها لا تخير حبيبها بين خدودها وفمها إلا لسبب واحد.. أن يصنع الشاعر نكتة في الشطر الثاني.. نكتة سمجة، صبت على الموقف الغرامي ماء بارداً

وَكَبَّلْتُهَا بِالسَّاعِدَيْنِ، فَأَسْلَمْتُ أَسِيرَةً وَجَدٍ، مَا تُطِيقُ حَرَكَاتَا
وَبِتُّ أَعْلَى الْخَمَرِ وَالشَّهْدِ وَالنَّدَى أَقُولُ لَهَا: هَاتِي، فَتُرْدِفُ: هَاكَ
أعل: أشرب

إِلَى أَنْ تَوَلَّانَا الَّذِي يَسْلُبُ الْحِجَا وَيَنْصِبُ لِلْخُلُقِ الْمَتِينِ شِبَاكَ
فَلَمَّا هَضَرْتُ الْقَدَّ، صَاحَتْ: قَتَلْتَنِي لِأَشْبَهُ شَيْءٍ بِالْعَدَاءِ هَوَاكَ
هضرت: جذبت

أَتَلَبَّثُ لَا نَدْعُوكَ، إِلَّا زَرَيْتَنَا وَلَا نَخْتَلِي، إِلَّا أَضَعْتَ هَذَاكَ
زريتنا: استهنت بنا، ازدرتنا

إِذَا غَبْتَ تَسْلُونَا، وَتَلْهُو بِغَيْرِنَا وَإِنْ أَبَتْ تُغْرِينَا بِطُولِ بُكََاكَ
إِلَيْكَ، وَإِلَّا لَنْ تَرَانِي بَعْدَهَا وَإِنْ كُنْتُ لَا أَهْوَى الْحَيَاةَ بِلَاكَ
إليك: ابتعد، بلاكا: بدونك

فَنَبِّهَنِي الْإِنْدَارُ مِنْ سَكْرَةِ الْهَوَى وَعُدْتُ، كَمَا شَاءَ الْمَلَاكُ، مَلَاكَ

٨١ المن والسلوى

وَلِي كَيْدٌ تَهْوَى، وَنَفْسٌ كَبِيرَةٌ فَلَا تَعْجَبُوا مِنِّي إِذَا بِتُّ لَا أَهْوَى
قلي يحب، ولكن بسبب كبريائي ونفسي الكبيرة فلا تعجبوا إن كنت لا أظهر هذا الحب

أَضَلَّ حَبِيبِي «التَّيَّةُ» لَمَّا لَشِمْتُهُ وَأَشْبَعْنِي «مَنَا»، فَأَشْبَعْتُهُ «سَلْوَى»

التية: التكبر، والتية أيضاً الصحراء التي ضل فيها بنو إسرائيل، و«المن»: التذكير بالجميل، وهو كذلك الطعام الذي أنزله الله على بني إسرائيل، والسلوى: الهجران، وهو أيضاً طعام أنزله الله على بني إسرائيل. فالمعنى الظاهر: ضاع حبيبي في صحراء بني إسرائيل فأطعمني بعض طعامهم، وأطعمته بعضه. والمعنى المقصود: الكبرياء جعلت حبيبي يضل، فكان يتيه علي ويذكرني بجماثله، فصرت أهجره. هذه طريقة في الشعر أسرف فيها شعراء العصور النائمة، والقروي يستطرفها في الحين بعد الحين، وهنا صاغ منها عقداً براقاً

٨٢ الشيخ العباس

ألقاها في ١٩٣٧ في «غواشوبه» في حفل خيرى نسائي، وكان الإنجليز في فلسطين قد أعدموا الشيخ فرحان السعدي عامئذ:

ماذا هناك؟ هناك شعبٌ كاملٌ للموتِ رهَنَ أوامرُ الجلاذِ
ماذا هناك؟ هناك شيخٌ عابسٌ كالليلِ مِنْ مَهْدِ الضَّيَاءِ يُنادي
تَبًّا لكلِّ صَليِبٍ عُوِدٍ لم يَفِرْ دُمُهُ لإِعْدَامِي ولاسْتِشْهَادِي
صليب عود: رجل قوي عوده صُلب

الشيخ فرحانُ ينادُكُم: أَمَا مِنْ مُحْسِنٍ؟ إِنْ لم يَكُنْ مِنْ فادِ

٨٣ جهاد فلسطين

قال في صنبول (تعريب ساو باولو على طريقة القروي) ١٩٣٨، وثورة فلسطين لَمَّا نهَّدَا:

لنا كلَّ يومٍ غَضَبَةٌ مُضَرِّبَةٌ تُبْرِهِنُ أَنَّ الحَقَّ كَاللَّهِ أَكْبَرُ
قال بشار: إذا ما غَضَبْنَا غضبةً مضربةً // هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما؛ فمن هنا جاءت الغضبة المضربة، ومضر هي «الشعب» الذي تنتسب إليه قبائل كثيرة منها قريش، ومنها عُقيل التي كان ولاء بشار فيها

وَمَنْ كَانَ فِي أَجْدَادِهِ مِثْلُ خَالِدٍ فَمِنْ آيِهِ مَا تُبْصِرُونَ وَأَكْثَرُ
آيه: آياته أي علاماته وبراهينه

فَكُلُّ فتَاةٍ فِي فَلَسْطِينَ خَوْلَةٌ وكلُّ غُلامٍ فِي فَلَسْطِينَ عَنَتَرُ

٨٤ وعد بلفور

قال ونظمت عام ١٩٣٩ في أواخر أيام ثورة فلسطين:

وَعْدُ بَلْفُورٍ حُجَّةٌ لِلْمَمَارِيِّ المَمَادِقِ
المماري: المجادل، المماذق: المخادع

أَوْتَنَفِي وَثِيقَةٌ عَشْرَاتِ الوَثَائِقِ؟
كَرَّةِ العَدْلِ أَنْ يَرَى صَاهِلًا خَلْفَ نَاهِي
هَامِيَامِينُ خَالِدٍ هَامَغَاوِيرُ طَارِقِ

ها هم ميامين خالد (جنود خالد بن الوليد المباركون)، ومغاوير (الذين يشنون الغارات) طارق بن زياد

هَاهِرَقْلُ مُشَرَّدَا لَاِحِقَاً بِالْبَطَارِقِ

هرقل قائد الروم الذي انسحب من بلاد الشام أمام جيش خالد، والبطارق قادة الروم

إِنهَا شَمْسُ مَجْدِكُمْ غَرَبَتْ فِي الْمَشَارِقِ

أيها المحتلون الإنجليز، ها هي شمس عزتكم تغرب... ولكن في المشرق عندنا

كَمْ خَنَقْتُمْ بَرِيئَةً فَاثْلِيئْتُمْ بِخَائِنِي

دُخِرِجَتْ كَبْرِيَاؤُكُمْ تَحْتَ أَقْدَامِ سَاحِقِي

وَعِدَا اللَّيْثِ هُزَاةٌ لِجَمِيعِ الْخَلَائِقِ

الليث: يعني بريطانيا، فشعارها الأسد

٨٥ جاهر بين الهامسين

وَكَمْ لِي بِمَيِّدَانِ الْحَوَادِثِ جَوْلَةً مُقَلَّلَةً الْأَصْحَابِ، مُكَثَّرَةً الْعِدَى

جَهْرُثٌ، غَدَاةَ الْهَمْسِ بِالْحَقِّ لَعْنَةً يَجْرُ عَلَى مَنْ قَالَهُ الْفَقْرَ وَالرَّدَى

جهرت بالقول يوم كان الهمس بكلمة الحق لعنة على صاحبه

سَيُعْرِفُ يَوْمًا مَنْ دَعَا مِمَّنْ ادَّعَى وَمَنْ سَلَخَ الرُّثْبَالَ مِمَّنْ تَصَبَّدَا

الرثبال: الأسد. هذا أبين من بيت المتنبي: (إذا اشتبهت دموع في خدود/ تبين من بكى ممن نباكى)، وإن اتكأ عليه. هذه هي السرقة الحلال، فبيت القروي أدل على المعنى وأكثر انسجاماً مع السياق. ونقول لأبي الطيب: إذا اشتبهت دموع الباكى والمتباكي فكيف ستبين هذا من هذا؟ لم تقل لنا، بل قلت إن الاشتباه وقع، وحتى رواية «اشتكت» الضعيفة فهي لا تقيم البيت بأحسن مما أقامته «اشتبهت»

٨٦ صاحين نفرك عيوننا

قال في عيد المولد النبوي في صنبول ١٩٤٠:

نَحْنُ الْأَلَى سُدْنَا الشُّعُو بَ، وَنَحْنُ مَدَّنَا الْأُمَمَ

أَعْطَاهُمُ اللَّهُ اللَّسَا نَ، وَنَحْنُ أَعْطَيْنَا الْقَلَمَ

هذا القلم قلم «ن والقلم وما يسطرون»، فسياق المولد النبوي يطلبها، ولم يكن غاب عن القروي أن الفينيقين علموا الناس الكتابة، وفي البيت التالي إيماءة إلى أن هذا المعنى كان في باله

خُضْنَا الْبَحَارَ زَمَانَ لَمْ يَكْ ظِلُّ سَابِحَةٍ بِيَمَ

حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ شَطَطٌ لَمْ تَطَأْهُ لَنَا قَدَمُ

نامت عيونُ المَشْعَبِ نَ؛ وأَيُّ عَيْنٍ لَمْ تَنَمْ؟
 واستيقظتْ مَشْحُورَةٌ تستقبلُ العهدَ الأَهمَّ
 نورُ النبوءَةِ فاضَ مِنْ مهدِ المروءَةِ والكَرَمِ
 وإذا العروبةُ في أَقَا صبي الأرضِ خافقَةُ العَلَمِ

٨٧ نقول المسلمون المسلمونا

رَأَيْتُكَ قَدْ وَقَفْتَ عَلَى الْحَيَادِ أَأَنْتَ مِنَ الصَّحَابِ أَمْ الْأَعَادِي؟
 يخاطب اللبناني الواقف على الحياد إذ فرنسا المحتلة تضطهد الشعب في سوريا ولبنان
 وَكُنْتَ إِذَا عَدْتُ أَذْنَى الْعَوَادِي عَلَى لُبْنَانَ أَقْلَفْتَ النَّوَادِي
 وَأَزْعَجْتَ الْحَوَاضِرَ وَالْبَوَادِي

* * *

رَضِينَا لِلتَّعَصُّبِ أَنْ تَهُونَا فَأَغْمَضْنَا عَلَى الضَّيْمِ الْعُيُونَا
 نقول: المسلمون المسلمونا فَتَرْمِيهِمْ، وَنَحْنُ الْخَائِنُونَ
 نَبِيعُ بِلَدِهِمْ مَجْدَ الْبِلَادِ

* * *

بِرَبِّكَ قُلْ: مَتَى لِبْنَانُ ثَارَا لِيُذْرِكَ مِنْ عُلُوجِ الْعَرَبِ ثَارَا
 مَتَى نَفَرَتْ إِلَى السَّيْفِ النَّصَارَى لِيَتَغَيَّلَ بِالدِّمِّ الْمَسْفُوكِ عَارَا
 وَتُخَرِّزَ مَرَّةً شَرَفَ الْجِهَادِ

٨٨ الناخلة

هذه القصيدة تسمى الناخلة. في سنة ١٩٣٤ سمع الشاعر أن أنطون سعادة، ابن صديقه الراحل الدكتور خليل سعادة، أنشأ حزباً في لبنان. واضطهده الفرنسيون. وجاء سعادة إلى صنبول راجياً ضم القروي لحزبه القومي السوري الذي ينادي بقومية سورية لا عربية شاملة. وتناقشا ثماني عشرة ساعة، من التاسعة صباحاً حتى الثالثة فجراً. وبقي القروي عربياً. وأخذ سعادة يعمل ضده في المهجر الأميركي الجنوبي من خلال جريدة «سورية الجديدة» التي أنشأها في صنبول، وجريدة «الزوبعة» في بيونس آيرس. وخاب أمل القروي في شاب ذكي يضيّع ذكاءه في محاربته كأنه دولة استعمارية. وضاعت أحوال «سورية الجديدة» فأخذت إعلانات تجارية من تجار ميولهم استعمارية. وألقيت هذه القصيدة «الناخلة» في بيونس آيرس عام ١٩٤١:

مِنْ كُلِّ قَاصٍ فِي الْبِلَادِ وَدَانِ يَتَرَاوُ التَّجْوَى بَنُو عَدْنَانِ
أَيُّخُونُ عَهْدَ الْعُرْبِ لِبْنَانُ، وَمِنْ شُعْرَائِهِ قَرَحَاتُ وَالرَّيْحَانِي
إِنِّي أُعِيدُكَ أَنْ تَكُونَ مُهْدَمًا وَأَبُو «الْمَحِيْطِ»، أَبُوكَ، أَوَّلُ بَانِ

يوجه خطاباً خفياً إلى رجل من أسرة البستاني - ومنها بطرس البستاني مؤلف قاموس
«محيط المحيط» الصادر عام ١٨٧٠، وصاحب الفضل في تنشيط اللغة العربية - وكان
ذلك الرجل المقصود بالبيت عدوً سياسياً للشاعر وفكرة العروبة، لكن القصيدة
الناخلة هذه جعلته يعتذر للشاعر (كما قال الشاعر في الحاشية)

لِبْنَانُ أَكْبَرُ أَنْ يُعَابَ بِزُمُرَةٍ نَشَأْتُ عَلَى التَّضْلِيلِ وَالْبُهْتَانِ
زَعَمُوا بَلَاءَ الشَّرْقِ مِنْ أَدْيَانِهِ وَمُرَادُهُمْ دِينَ مِنَ الْأَدْيَانِ
يشير إلى حلفاء فرنسا بلبنان الذين غمز بعضهم في الدين الإسلامي

حَتَّى إِذَا طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ حُجَّتِي وَانْشَقَّ لِلْمُرْتَابِ فَجْرُ بَيَانِي
فَزِعُوا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ عَهْدَتْهُمْ لِكِرَامَتِي فَوَجَدْتُهُمْ لِهَوَانِي
حِزْبَانِ، حِينَ قَضَى عَلَى رَعْمَيْهِمَا فَصَلَّ الْخِطَابِ، تَحَالَفَ الْحِزْبَانِ
يَسْتَنْصِرَانِ عَلَى أَدِيبِ شَاعِرٍ مَا يَعْبُدَانِ مِنَ الْحُطَامِ الْفَانِي
وَإِذَا شَهَرَتْ عَلَى النَّعِيبِ عَدَاوَةٌ أَلْفَتْ بَيْنَ الْبُومِ وَالْغُرْبَانِ
قُلْ لِلْيَهُودِ، وَعَابِدِي أَصْنَامِهِمْ مِنْ كُلِّ هَضَامِ الْحَقُوقِ أَنَانِي
وَلَمَنْ يُتَاجِرْ بِالْعِلَا مَعْقُودَةٌ بِسَلْسَلِ كَتَمَائِمِ الصُّبْيَانِ..
قل لمن يعتبر المعالي مجرد أوسمة معلقة في الصدور بسلاسل كأنها التماثيل التي توضع على
الأطفال لرد عين الحسود..

مِنْ طَالِبِ النِّيشَانِ، حَتَّى صَاحِبِ النَّدَى - يَشَانِ، حَتَّى وَاهِبِ النِّيشَانِ..
أَمْوَالُكُمْ وَضِيَاعُكُمْ وَقُصُورُكُمْ عِنْدِي، وَحَبَّةُ خَرْدَلٍ، سَيَّانِ
الزُّهْرُ تَعْرِفُنِي، وَأَعْرِفُهَا، فَمَا هَمِّي إِذَا جَهَلَ الصُّفَادُ شَانِي
الزهر: النجوم

وَالشَّمْسُ يُخْفِيهَا الْقَتَامُ عَنِ الثَّرَى لَا عَنْ عَيُونِ «النَّسْرِ» وَ«الدَّبْرَانِ»
القتام: الغبار، النسر: اسم نجم، والدبران: من منازل القمر
قالوا: سَكَتْ، فَقُلْتُ: أَيُّ عَجِيبَةٍ فِي فُحْشِ فَاجِرَةٍ، وَصَمْتِ حَصَانِ
حصان: امرأة طاهرة

أُبْرِجُ قَاطِرَةَ الْحَدِيدِ مُدَلَّلٌ عَذَّبَ الْهَرِيرُ يَعْيشُ فِي الْأَحْضَانِ
الهريز: صوت القطة سوى المواء

وَتُخِيفُ قُبْعَةَ الْحَرِيرِ سَمِيدَعَا صَالَتْ يَرَاعَتْهُ عَلَى التَّيْجَانِ
السميدع: السيد الشريف

الْحَقُّ سُلْطَانِي، وَلَسْتُ بِحَاذِرٍ فِي الْحَقِّ سُلْطَانًا سَوَى سُلْطَانِي
أَنَا مَا عَنَيْتُ الْأَبْرِيَاءَ، فَمَا تُرَى ذَنْبِي إِذَا صَاَحَ الْمَرِيبُ: عَنَانِي
أَأَلَامُ فِي مُتَطَفِّلِينَ تَعَرَّضُوا فَأَصْبَتْهُمْ، عَرَضًا، بِكَغَبِ سِنَانِي
مَا طَابَ لِي وَاللَّهِ جَرَحُ أَعْرَءَ طَابَ النُّزُولُ لَهُمْ إِلَى الْمِيدَانِ
وَالْوَرْدُ يَذْمِي الْكَفَّ، لَا يَغْنِيهِ إِنْ كَانَ الصَّدِيقَ، أَمْ الْعَدُوَّ، الْجَانِي
أَنَا ذَلِكَ الْإِعْصَارُ، نَسَّافُ الدَّرَى وَأَنَا النَّسِيمُ، مُدَاعِبُ الْأَفْتَانِ
أُظْهِرُ سَمَاوَاتِ الْخِيَالِ، وَأَنْثَنِي عِظْرُ الْجِنَانِ يَقُوحُ مِنْ أَرْدَانِي
أرداني: أكمامي

وَلَقَدْ تَحَرَّكُنِي أَغَارِيدُ الْهَوَى مِنْ بُلْبُلٍ، فَأَعِفَّ عَنْ ثُعْبَانِ
كَمْتُ فَمِي ذِكْرَى الْجَبِيلِ، وَزَحَزَحْتُ جَبَلَ الْإِسَاءَةِ ذُرَّةَ الْإِحْسَانِ
فَلَيْتَنِي نَقَدْتُ، فَمَا فَقَدْتُ مَرْوَتِي عِنْدَ الْجِدَالِ، وَلَا جَهَلْتُ مَكَانِي
أَدَبُ يَرْوَعُكَ، رَاضِيًا أَوْ سَاخِطًا وَلَقَى الْهَزَارَ جَمِيعُهُنَّ أَهَانِ
يروع: يكون رائعاً، الهزار: العنديل

لَا يُخْزِنُكَ إِنْ وَجَدْتَ مِنَ الْعِدَى مَنْ كُنْتَ تَحْسِبُهُمْ مِنَ الْإِخْوَانِ
أَرَفَ الدَّرَاسُ، وَأَيُّ بَيْدَرٍ حِنْطَةٍ لَمْ يُلَفَّ مَخْتَلِطًا بِكُلِّ زَوَانِ
الدراس: فصل حبات القمح عن سنابلها، الزوان: حبوب تثبت بين القمح

أَغْيَنَكَ تَنْقِيَةُ الدَّقِيقِ، فَسَخَّرْتَ الطَّافَ رِيكَ مُنْخَلِ الْخَوَانِ
الخوان: الخائن

لَمْ يَعْزِ هَذَا الشَّعْبَ أَنِّي شَاعِرٌ حَرٌّ، بِحَبِّ بِلَادِهِ مُتَفَانِ
بَلْ كُلُّ مَا يَغْنِيهِ: هَلْ أَنَا مُسْلَمٌ لِلَّهِ، أَمْ أَنَا لَمْ أَزَلْ نَضْرَانِي
مَنْ يُنْبِئُ الْمَلَأَ الَّذِينَ أُجِبُّهُمْ فَيُكَافِتُونَ الْحَبَّ بِالْعُدْوَانِ:

أَنْتِي عَلَى دِينِ الْعَرُوبِيَّةِ، وَاقِفْتُ قَلْبِي عَلَى سُبُحَاتِهَا، وَلِسَانِي
سبحاتها : أنوارها

إِنْجِيلِي الْحُبِّ الْمَقِيمُ لِأَهْلِهَا، وَالذُّودُ عَنْ حُرْمَاتِهَا فُرْقَانِي
أَرْضَيْتُ أَحْمَدَ وَالْمَسِيحَ بِثُورَتِي وَحَمَاسَتِي وَتَسَامُحِي وَحَنَانِي
يَا مُسْلِمُونَ، وَيَا نَصَارَى، دِينُكُمْ دِينُ الْعَرُوبِيَّةِ، وَاحِدٌ، لَا اِثْنَانِ
سَتَجِدُّونَ الْمَلِكَ مِنْ يَمَنِ إِلَى مِصْرٍ إِلَى شَامٍ إِلَى بَعْدَانٍ
لَا تَكْفُرُوا، أَقْمَا بُعِثْتُمْ مَرَّةً؟ لَمْ لَا يَكُونُ لِمُؤْمِنٍ بَعْثَانٍ
بُعِثَ مِنَ الْخُمُولِ بِالْإِسْلَامِ، وَلَا بَدَ مِنْ بَعَثَ آخَرَ يَعِدُ إِلَيْكُمْ الْعِزَّةَ

إِنْ كَانَ قَدْ سَكَتَ الْعِرَاقُ، فَمَوْفُتٌ مُتَبَدِّلٌ بِتَبَدُّلِ الْأَزْمَانِ
وَلَسَوْفَ يَعْلَمُ كُلُّ غِرٍّ جَاهِلٍ مَاذَا تَخْبِي هِدَاةُ الْبُرْكَانِ
الْعُرْبُ شَاخِصَةً إِلَى أَهْدَافِهَا مَرْصُوعَةُ الْعَزَمَاتِ كَالْبُنْيَانِ
لَسْنَا، وَإِنْ زَعَمَ الْأَذَلَّةُ، نَخْلَعُ النَّـ جِرَ الْقَدِيمَ، لِأَجْلِ نِيرٍ ثَانٍ
النير: الظلم. خلعنا ظلم العثمانيين ولا نريد ظلم الفرنسيين

تُرْنَا لِبَغْيِ الْإِنْجِيلِيزِ، فَإِنْ بَغَى الْـ جِرْمَانُ، قُلْ: تُرْنَا عَلَى الْجِرْمَانِ
وَنَظْلُ نَخْلُقُ كُلَّ يَوْمٍ «طَارِقًا» حَتَّى تَكْفَ طَوَارِقُ الْحَدَثَانِ
طارق: طارق بن زياد، طوارق الحدثنان: مصائب الزمن

٨٩ وقفة في الميناء

قال في سَنَطُسْ إِبَانِ الْاِحْتِلَالِ الْفَرَنْسِيِّ لِسُورِيَّةِ وَلِبْنَانِ:

جَمَالُكَ يَا مِينَاءَ سَنَطُسْ أَشْجَانِي وَحَرَكَ بِالذُّكْرِى سَوَاكِىنَ أَشْجَانِي
أَتَيْتُكَ أَبْغِي فِيكَ تَفْرِيجَ كُرْبَتِي فَعُدْتُ، وَقَدْ أَرَبْتُ عَلَى الرَّمْلِ أَحْزَانِي
أَرَبْتُ عَلَى الرَّمْلِ: زَادَتْ، فَصَارَتْ أَكْثَرَ مِنْ حَبَاتِ الرَّمْلِ

فَمَا أَبْصَرْتُ عَيْنَايَ فِيكَ سَفِينَةً عَلَى سَفَرٍ، إِلَّا تَذَكَّرْتُ أَوْطَانِي

٩٠ يا برازيل

قال وقالها على شاطئ باراناغوا منشوقاً إلى ساحل لبنان:

يا نسيمَ البحرِ البَلِيلِ سَلامٌ زَارَكَ اليَومَ صَبُكَ المِستَهَامُ
البَلِيلُ: الهَوَاءُ المَبْتَلِ بالندى، صَبَكَ المِستَهَامُ: مَحَبَّكَ العَاشِقُ

إِنْ تَكُنْ مَا عَرَفْتَنِي، فَلَكَ العُذُّ رُ، فَقَدْ غَيَّرَ المَحَبَّ السَّقَامُ
أَوَلَا تَذْكُرُ الغَلَامَ رَشِيدًا؟ إِنَّنِي يَا نَسِيمُ ذَاكَ الغَلَامُ
طالما زُرْتَنِي إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ لُ بِلُبنانَ، والأَنَامُ نِيَامُ
ورَفَعْتُ الغِطَاءَ عَنِّي قَلِيلًا فَأَحَسْتُ بِمَزْجِكَ الأَقْدَامُ
وتَنَبَّهْتُ فَاتِحًا لَكَ صَدْرًا شَبَّ فِيهِ إِلَى لِقَاكَ ضِرَامُ
ضِرَامُ: جَمْرٌ، كَنَايَةٌ عَنِ شِدَّةِ الشَّوْقِ

فَتَغْلَغَلْتُ فِي الأَضَالِيعِ أَنفَا سَاءَ لِيظَافًا تَهْفُو إِلَيْهَا العِظَامُ
يَا نَسِيمَ المُحِيطِ! مَا هَكَذَا فِي سَاحِلِ البَحْرِ عِنْدَنَا الأَنَسَامُ
يَقَارَنُ بَيْنَ نَسِيمِ البَحْرِ فِي لُبْنانَ وَنَسِيمِ المَحِيطِ الأَطْلَسِيِّ عَلَى شَاطِئِ البرازيلِ

أَنْتَ إِنْ زُرْتَ فِي المَنَامِ صَاحِبًا غَلَّغَلْتُ فِي عِظَامِهِ الأَسْقَامُ
غَلَّغَلْتُ: تَغْلَغَلْتُ

ذَاكَ أَزْكَى شَمًّا، وَأَلْطَفَ ضَمًّا ذَاكَ تَشْفَى بِلَمِيهِ الأَجْسَامُ
أَسْبَقُ الفَجَرَ فِي الهُبُوطِ إِلَى البَحْرِ رِ، وَكَمْ طَابَ لِي بِهِ اسْتِحْمَامُ
ظَاهِرَ القَلْبِ، لَسْتُ أَوْجِسُ شَرًّا جَاهِلًا مَا تُحَبِّئُ الأَيَّامُ
شَادِيًا فِي النِّهَارِ وَاللَّيْلِ، حَتَّى أَذْهَشَ النَّاسَ بُلْبُلًا لَا يَنَامُ
عُرْفَتِي السَّطْحُ، زَيْنَتْهَا سَمَاءُ تَتَدَلَّى مِنْ سَفْفِهَا الأَجْرَامُ

الأَجْرَامُ: النُّجُومُ، وَجَعَلَهَا تَتَدَلَّى مِنَ السَّمَاءِ بَعْدَ أَنْ جَعَلَ السَّمَاءَ سَقْفًا وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى سَطْحِ البَيْتِ

وَكأنَّ النُّجُومَ شِغَرٌ بَدِيعٌ لَا غُمُوضٌ فِيهِ، وَلَا إِنْهَامُ
رَسَمَتْهُ كَفَّ العَلِيِّ عُقُودًا إِنَّمَا اللّهُ شَاعِرٌ رَسَّامُ
يَا بَرَاذِيلُ! لَوْ أَفْضَتِ عَلَيَّ الـ حَالُ فَيَضًا مَا طَابَ فِيكَ المُقَامُ
أَجْمِيعُ الشُّهُورِ فِيكَ شَبَاطُ أَوْ مَا لِلشِّتَاءِ عَنكَ انْصِرَامُ؟

شباط: فبراير، انصرام: انصراف

مِثْلَمَا تَنْقُضِي اللَّيَالِي سِرَاعًا هَكَذَا فَيَكُ تَنْقُضِي الْأَعْوَامَ
وَإِذَا بِالْفَتَى مِنَ الْهَمِّ شَيْخٌ نَعْتَرِيهِ الْأَوْصَابُ وَالْآلَامُ
الأوصاب: الأوجاع

وَكَأَنَّ الْوَرَى وَحُوشٌ بِآجَا م، وَتِلْكَ الشَّوَارِعَ الْآجَامُ
الورى: الناس، آجام: غابات

مَنْكِبُ حَكِّ مَنْكِبًا، وَجَبِينُ شَجَّ رَأْسًا، عَلَامَ هَذَا الزَّحَامُ؟
بَا لَشَوْقِي إِلَى مَحَاسِنِ قُطْرِ هَبَطَ الْوَحْيُ فِيهِ وَالْإِلَهَامُ
وَكُرُومُ إِنْ مَرَّ فِيهَا غَرِيبٌ يَتَوَارَى مِنْ وَجْهِهِ الْكَرَامُ
يتذكر بلوعة كروم بلاده التي يمر فيها الرجل الغريب ويأكل منها، فيتوارى صاحب الكرم منه حتى
يتيح له حرية القطف والأكل بلا حرج

كُلُّ حَيٍّ إِلَى الشَّامِ سَيَمُضِي حِينَ يَقْضِي، إِنَّ السَّمَاءَ الشَّامُ
يقضي: يموت، السماء: الجنة

٩١ زغاليل تعيش على سبي

قال في صنبول (كذا يعرّب القروي ساو باولو) ١٩٤١:

وَكَمْ نَشْرَاتٍ دَأْبُهَا أَنْ تُهَيِّنَنِي وَأَنْ أَتَغَاضَى عَنْ إِهَانَاتِهَا دَأْبِي
نشرات: مجلات وجرائد

صَبِرْتُ عَلَيْهَا رِبْعَ قَرْنٍ، فَلَمْ أَجِبْ بِسُوءٍ، وَلَمْ أَشْهَرْ عَلَى شَاتِمِ حَزْبِي
وَهَوْنٌ عِنْدِي السَّبُّ أَنَّ لِبَعْضِهِمْ زَغَالِيلَ أَطْفَالًا تَعِيشُ عَلَى سَبِّي
الزغاليل: أفراخ الحمام، ويذكرها الناس مثلاً على المخلوق الضعيف المحتاج للحماية؛ وهم
يذكرونها دون غيرها لأنهم يرونها كثيراً. . على موائدهم

٩٢ وداعة

لَطَفَ حَدِيثُكَ، فَالْتَفُوسُ مَرِيضَةٌ وَمِنْ الْكَلَامِ مُحَنَّنٌ وَمُجَنَّنٌ
كَمْ هَادئٍ بِالْعُنْفِ نَارَ، وَآبِدٍ كَالْوَحْشِ رَوْضَهُ الدُّعَاءِ اللَّيِّنُ
الدعاء: المخاطبة

وَإِذَا ابْتُلِيتَ بِجَاهِلٍ كُنْ عَاقِلًا حَتَّى يَقُولَ الْعَقْلُ : وَيَحَكَ تَجِبُنْ؟

٩٣ حتى تكف رياءها الشعراء

واهاً على الأدب الرفيع وأهله! ضاع القياس، وضاعت الأدباء
سكت الطيور عن الغناء، فقام في ذهن الدجى أن النقيق غناء
في غياب الأدب الرفيع ظن الدجى (الليل) أن نقيق الضفادع، التي تبدأ النقيق عادة في الليل، غناء
(المعنى: ظن العامة أن النظامين شعراء)

والله! لست أكف عن قرع العصا حتى تكف رياءها الشعراء

قرع العصا: تعبير عتيق معناه «تنبيه الغافلين»، وليس معناه الضرب بالعصا. خَرَفَ أحد السادة من
قدامى العرب فأوصى بأن يقرعوا له العصا، لتنبيهه، كلما خرج في كلامه عن العقل

شكوى ولا ألم، وتشبيب ولا حب، وتأليه ولا عظماء

يتبجحون بكل مجد غابر والظلم يشهد أنهم جبناء

للعادل قسطاً بكفي قائم؛ العرب والإفرنج فيه سواء

قسطاس: ميزان

٩٤ لست شيئاً..

قال في عرس ابنة أخيه في صنبول ١٩٤٣:

عللاني بالكأس إثر الكاس واستقياني حتى تطير حواسي

لست شيئاً إن لم أدع عمر الخب - م خلفي، في شربها، والنواصي

٩٥ التعنيف

قال في تأبين ميشال المعلوف في العصابة الأندلسية ١٩٤٣:

قالوا تَمَادَيْتَ فِي تَغْيِيفِهِ؛ صَدَقُوا لَمْتُ الْحَبِيبَ عَلَى مِقْدَارِ حُبِّهِ

مقدار حبه: مقدار حيي إياه

سَيُذْرِكُ الطِّفْلُ أَنَّ الْحُبَّ أَنْفَعُهُ لَا مِنْ مُدْلِلِهِ بَلْ مِنْ مُرَبِّهِ

هُمْ يَغْضَبُونَ إِذَا نَبَهْتُهُمْ؛ وَأَنَا مَا لِي سِلَاحٌ يَقِيهِمْ غَيْرُ تَنْبِيهِ

٩٦ محاسن الموت

قال في تأبين مؤسس العصبة الأندلسية ميشال معلوف في صنبول ١٩٤٣ :

يا حَبَّذا مَنَعَ الشَّبَابِ، وَحَبَّذا يَوْمَ يُطْلَى عَلَى النَّفُوسِ حِمَامُهَا
أَهْوَى المِيتَةَ والحِياةَ؛ جَمالُ ذِي عِنْدِي لَدَائِذُهَا، وَتِلْكَ سَلامُهَا
لَمْ يُغْنِ حُبَّ العَيْشِ عَنِ حُبِّ الرَّدَى والعَيْنُ، ما سَهَرَتْ، يَطِيبُ مَنامُهَا
فَاخْتَرَ لِنَفْسِكَ مِيتَةً مَحْمُودَةً حُسْنُ القَصِيدَةِ بِذُؤِهَا وَخِتامُهَا

٩٧ هَبُوا كالأنعام

القاهيا في ١٩٤٤ في حفل وضع حجر الأساس للمصحح السوري في هضاب جردون بالبرازيل :

لِلَّهِ دَمْعٌ سُرُورِي يَوْمَ هَبَّتِهِمْ مِنْ ضَجَعَةِ الذَّلِّ كالأَنْعَامِ تَنْفَجِرُ
والْحَمْدُ لِلظُّلَمِ، إِنْ الظُّلَمِ عَلَّمَهُمْ أَنَّ العُرُوبَةَ فِيهَا العِزُّ وَالظَّفَرُ
تَجَهَّمِي، واكْفَهْرِي يا سماءَ لَنَا؛ لا يُسْتَقَى مِنْ سَحَابٍ أبيضٍ مَطَرُ

٩٨ المرضع والوليد

قال سنة ١٩٤٥، وعاتب فئة كانت تهكمت به لقصيدة سابقة :

شَمْسَ العُرُوبَةِ! عَيْلَ صَبْرُ الْمُجْتَلِي شُقِّي حِجابَكَ قَبْلَ شَقِّ الرُّمَسِ لِي
نفد صبر المجتلي (المرتقب) المنتظر بزوغ شمس العروبة، فشقِّي حجاب الغيوم واظهري قبل أن
يُشَقَّ لِي الرَّمْسُ (القبر)

وَتَذَارَكِي مُسْتَعِجِلاً، لو لَمْ يَخَفْ سَبَقَ الحِمَامِ إِلَيْهِ، لَمْ يَسْتَعِجِلْ
أدركيني فأنا مستعجل، ولولا خوفي أن يسبق الموت ويأخذني لما استعجلت

أَرَى نَهَارَكَ قَبْلَ إِغْماضِ الرَّدَى جَفْنِيَّ فِي لَيْلِ الحَفِيرِ الأَلِيلِ
الحفير: القبر، الأليل: الشديد الظلمة، يقولون «هذا ليل أليل»

فَلَقَدْ يَرَى بِالرُّوحِ شاعِرُ أُمَّةٍ ما لا يَرَى غَيْرُ النَّبِيِّ المرْسَلِ
مَنْ هَامَ فِي حُبِّ العَرِيبِ، فَلَسْتُ عَنْ حُبِّ الأَخِ العَرَبِيِّ بِالمُتَحَوِّلِ
من هام بحب الغرباء فهو وشأنه، أما أنا فلا أتحوّل عن حب الأخ العربي

يا مَنْ يَعُدُّونَ الدِّفاعَ تَهْجُماً وَيؤُولُونَ النِّقْدَ شَرًّا مُؤَوَّلِ

وحياة لبنان وأرزته، وما أقسمت إلا بالحبيب الأول
لولا أذراعي بالمحبة لا عتدت كيدي لوقع نبالكُم كالمنخل
لولا ادراعي المحبة (لبي المحبة درعا) لرميتوني بنالكُم (بسهامكم) حتى يصير كيدي مخرقاً
مثل المنخل

أبكى وأضحك للعذاب كمرضع شد الوليد يشغرها المسترسل
أما الألى شمتوا بمنكوب الحمى والبائعون بلادهم من دغل
الشامتون بالوطن المنكوب، والذين باعوا بلادهم لديغول (زعيم الفرنسيين) ..

والطالبون حماية الباغي، وهما دهمهم على قدميه، لما يغسل
فهم الألى بين الإباء وبينهم ما بين أعلى الكائنات، وأسفل
لم يهتف الحر الكريم بمخفل إلا تلاه طنينهم في المخفل

٩٩ لم يطق صحبة الليوث

قال عن شخص عاشره في صنبول وحاول تقليد القروي في الشعر القومي، ثم يش.
فراح يدعو للمحبة والسلام مع إبداء نقمة هستيرية على صديقه ومعلمه القديم:
حلّم الدُّب بالسيادة يوماً واشتهى أن يكون ليثاً أغلب
أغلب: غليظ العنق

غير أن الزئير أعياه، فارتدّ - مغيظاً، يُبرّد الغيظ بالسب
أعياه: أعجزه، مغيظاً: مغتاضاً

ومضى يستشير دُباً حكيماً طالما جرب الذي هو جرب
قال: إنّ الخمول يا صاح صعب، بيد أن الذي أحاول أصعب
الخمول: عدم الشهرة

فأفدني كيف السبيل إلى الشّهرة
هكذا يدرك الحكيم الأماني
والذي لا يكون ليثاً خطيراً
ومضى دُبنا التقى مُذيعاً
زاعماً أنه نبيّ جديد
رة قال: «السبيل أن تترهب
راكباً للخلود أنعم مركب
فليكن في الأقل دُباً مهذباً»
نبأ كاذباً بِبوق أكذب
يا له مُرسلاً ينادي ومخلّب!

لَمْ يُطَقْ صَحْبَةُ اللَّيْثِ، فَأَمْسَى ذَاهِباً فِي زِفَاقِهِ أَلْفَ مَذْهَبٍ
فَهُوَ حِيناً ذَلْبٌ، وَحِيناً خَرُوفٌ وَهُوَ، فِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ، ثَعْلَبٌ

يرى الطلبة في كلياتهم وجامعاتهم واتحادات الطلبة التي ينتمون إليها الكثير من مثل هذه المواقف. كل طالب نشط نقابياً أو سياسياً يريد أن يكون له طابع مميز. يريد أن يكون مناضلاً شرساً يجتمع حوله الآخرون، فإذا عجز عن ذلك سعى إلى أن يكون داعية سلام ووافق، أو فيلسوفاً. كل طالب نشط يريد أن يكون صاحب دور محدد. والطالب الذي يختار دوراً ينسجم مع وضعه الطبقي، ومع طريقة تفكيره يصيب نجاحاً أكثر. والطالب الذي يركب الموجة ويتبع الحزب المناسب في الوقت المناسب يجد وظيفة بعد التخرج. ولعبة اتحادات الطلبة هي مجسم مصغر للحياة السياسية في البلد. وهي من أهم ما تمنحه الجامعة للطالب. . . بالتأكيد أهم من الشهادة. في الجامعة ينفرد الطلبة ويعرف القيادي نفسه، ويعرف الآخرون. والطالب المتذبذب بين الفرق والأحزاب نموذج معروف، ووصف القروي أعلاه ينطبق على أكثر من مستوى في المجتمع

١٠٠ الانشطار في عهد الاستقلال

قال في مرور ٢٥ سنة على وفاة المعلم نعمة يافث. قبلت سنة ١٩٤٥ :

عُدْ يَا مَعْلَمُ، أَوْ فَابِعْثْ لَنَا أَحَدًا طَالَ السَّرَى، وَأَضْعُنَا بَعْدَكَ الرَّشْدَا
السرى: سير الليل

هَا رُبُعُ قَرْنٍ تَقْضَى مُذْ رَحَلْتَ، وَمَا زَالَتْ سَفِينَتُنَا تَجْرِي بِغَيْرِ هُدَى
قَبَاتٍ فِي عَهْدِ الْاِسْتِقْلَالِ مُنْشَطَرًا مَنْ كَانَ فِي عَهْدِ الْاِسْتِعْمَارِ مُتَّحِدًا
كان السوريون في المهجر متحدين، ومع الاستقلال أصبحت لبنان وسورية كيانين فانشطر الناس في المهجر فريقين

رُوحُ الْمَعْلَمِ تَأْبَى أَنْ تُطَلَّ إِذَا حَيَّاهُ فِي عَيْدِهِ لِبْنَانُ مُنْفَرِدًا
وَلَيْسَ يُسَعِدُهَا شَيْءٌ كَحَيِّينَ تَرَى يُمْنَى فِتَى الْأَرْضِ فِي يُسْرَى فِتَى بَرْدَى

١٠١ في ذم السياسة

قال في مجلس طرب بين البساتين ١٩٤٥ :

لَعَنَ اللَّهُ السِّيَاسَةَ إِنَّهَا أَصْلُ التَّعَاسَةِ
خُلِقَ الْجَاهِلُ مَعْنِيًّا - بَأِ بِمَا يُوجِعُ رَأْسَهُ
مَفْعَدٌ بَيْنَ الْبَسَاتِي - نِ، وَلَا دَسْتُ الرِّيَاسَةَ

دست الرياسة: مجلسها

فَدَعَوْهَا لِذَوِيهَا واجلسوا: كُلاً وكأسه
كُلُّ مَالِ الْأَرْضِ، لَوْ لَا الـ كَيْفُ، لَا يَسْوَى نُحَاسَةً
وَالْحَيَاةُ الْحُبُّ وَالْمَتـ مةً، وَالْبَاقِي كُنَاسَةً

١٠٢ رقصة الموت حول الرحي

مِنْ حَبَّةِ الْقَمْحِ اتَّخِذْ مَثَلَ النَّدَى يَا مَنْ قَبِضْتَ عَنِ النَّدَى يُمْنَاكَ
هِيَ حَبَّةٌ أَعْطَيْتُكَ عَشْرَ سَنَابِلٍ لِتَجُودَ أَنْتَ بِحَبَّةٍ لِسِوَاكَ
حَلَمْتُ بِأَنْ سَتَعِيشُ فِي خُبْرِ الْقَرَى فَتَرَاقَصْتَ لِلْمَوْتِ حَوْلَ رَحَاكَ
القرى: طعام الضيف، رحاك: حجر طاحونك

وَكُنَّا نَمَا الشَّقُّ الَّذِي فِي وَسْطِهَا لَكَ قَائِلٌ: نِصْفِي يَخْصُرُ أَخَاكَ

١٠٣ الباقي بعد الطرح

أُيْهِهَا الْجَازِعُ مِمَّا فِي ظِلَامِ الرَّمْسِ يَلْقَى
الرمس: القبر

أَنْتَ، لَا بِالْمَوْتِ، بَلْ بِالـ عَيْشٍ، يَا مَغْرُورُ، تَشْقَى
اطْرَحِ الْخَوْفَ مِنَ الْمـ مَوْتٍ، فَمَاذَا مِنْهُ يَبْقَى؟
إذا قتت بعملية طرح، فطرحت الخوف من الموت لم يبق منه شيء

١٠٤ غرقوا به ولم تنبلل

قال في ١٩٤٦:

إِنِّي لَصَدَّاحُ الْعَرُوبَةِ، طَابَ لِي شَدْوِي عَلَى سَرَوَاتِيهَا، وَتَنَقَّلِي
سروات: شجرات السرو

سَنُعِيدُ صَرْحَ الْعِزِّ طَوْدًا شَامِخًا مَا أَحْقَرَ الْمَاضِي لَدَى الْمُسْتَقْبَلِ
صرح: بناء فخم، طود: جبل

مَا بَالُ مَنْ زَعَمَ الْجَلَاءَ تَقَلَّقَ الـ هَرَمُ الْكَبِيرِ بِهِ، وَلَمْ يَتَقَلَّقَلِ
ما لي أرى هؤلاء يقولون إن اتفاقية الجلاء، وجلا الفرنسيون عن سورية في هذا العام، أمر خطير
اهتز له الهرم الكبير؟ لا، لم يهتز، فاتفاقية الجلاء خدعة (كذا فهمت المعنى)

لَا تُخَدَعُوا بِرَحِيلِهِ عَنْ جِلْقٍ وَأَخُوهُ عَنْ بَغْدَادَ لَمَّا يَرْحَلِ
لَا فَرْقَ إِنْ نَزَفَ الْعَدُوُّ دِمَاءَكُمْ مِنْ إِشْجَعٍ أَوْ أَخْدَعَ أَوْ أَكْهَلَ
الإشجع: عرق من عروق الكف، الأخدع: عرق في العنق، الأكل: عرق في الذراع

يَا لِلْبِزَاةِ! عَلَيْهِ تَحْمِيلُ حَمَلَةٍ، يَوْمَ «الْمَصَانِعِ» مِثْلُهَا لَمْ يُحْمَلِ
ألا يا أيها البيزة (النسور)! شنوا حملة على المحتل لم يشن مثلاً في يوم (معركة) المصانع (التي
خاضها عنترة بن شداد)

لَوْ كَانَ يُمَكِّنُهُ رَمَى أَعْضَاءُهُ عِنْدَ الْهَزِيمَةِ، وَاكْتَفَى بِالْأَرْجُلِ
العدو من شدة بأسكم كان يتمنى لو يستطيع أن يتخلص من كل أعضاء جسمه، ويقتفي على الأرجل
لكي يهرب منكم بسرعة. خيال طيب من شاعرنا

طَارَتْ شَوَاهِينُ الْعُقُولِ، وَحَلَقَتْ وَالصَّفَرُ، صَقْرُ قَرِيشَ، لَمْ يَتَمَلَّلِ
في الغرب طارت شواهين (جوارح) العقول وحلقت في الجو، وأما صقر قريش لم يتملل (كناية عن العرب)
فهو لم يتملل بعد من نومه

كَمْ سَبَبٍ مُتَفَجِّرٍ عَنْ ثَرْوَةٍ غَرِقَ الْعُلُوجُ بِهَا، وَلَمْ نَتَبَلَّلِ
كم يوجد من سبب (صحراء) يتفجر بثروة النفط، ويفرق العلوج (الأجانب) في نطفنا، ونحن لا
نكاد نتبلل به، لا يصيبنا شيء من خيره

لَوْ لَا جَمُودُ الشَّرْقِ مَا نَعِمُوا بِهَا وَالطَّيِّبَاتُ نَصِيبُ مَنْ لَمْ يَكْسَلِ

١٠٥ شعراء رمل الشاطئي

قال في حفل تكريم الشاعر شكر الله الجري:

أَيَّنَ الْبَلَابِلُ فِي إِنْشَادِهَا سَحَرًا مِنْ شَاعِرٍ عَرَبِيٍّ، إِنْ شَدَا سَحَرًا
كَمْ يَدَّعِي الشَّعْرَ مَنْ لَا يَشْعُرُونَ بِهِ وَلَا يُعَادُونَ إِلَّا كُلُّ مَنْ شَعَرَا
يَلْهُونَ مِنْهُ بِأَوْزَانِ مُسَجَّعَةٍ وَالشَّعْرُ مِنْهُمْ وَمِنْ أَوْزَانِهِمْ سَخَرَا
دَعَاهُمْ عَلَى الشَّاطِئِ الرَّمْلِيِّ فِي لَعِبٍ إِذَا طَفَى الْمَوْجُ لَمْ يَتْرُكْ لَهُمْ أَثَرَا
يَا نَافِثًا دُرَرًا، يَا بَاعِثًا شَرَرًا يَا جَالِيًا غُرَرًا، يَا مُلْهِمًا سُورَا
كَمْ خَامِلٍ يَبْتَغِي ذِكْرًا، فَيُعْجِزُهُ يَوَدُّ لَوْ أَنَّهُ بِالسُّوءِ قَدْ ذُكِرَا

١٠٦ يا قريتي

وَاهَا عَلَى عَهْدِكَ يَا قَرِيَّتِي أَيَّامٌ إِلَّا فِيكَ لَمْ أُعْرِفِ

فِي ضَعَةِ الْمَرْءِ وَقَاءٍ مِنَ الْهَمِّ، وَمِنْ يَسْتَعْلِي يَسْتَهْدِفُ
 يستعلي: يطلب العلو، يستهدف: ينصب نفسه هدفاً. وقد قال القديم: «من أَلَفَ،
 فقد استَهْدَفَ»، ونحن أَلَفْنَا بضعة كتب، بعضها كهذا الكتاب لا يخرج عن كونه
 اجتراراً لإبداع ناسٍ آخرين، وبعضها غايته نقل الخبرة إلى الناشئة، ولم نر أحداً
 استهدفنا. لا بل قد كتبت كتاباً في سنة ٢٠٠٣ في السياسة، ونشرته في بلدٍ نقدت فيه
 رئيسه نقداً حاداً، فبعت ثمانين نسخة، ولم يَأْبِهِ بي أحد. وبعد ذلك كتبت شيئاً يسيراً
 مما كنت قلته في ذلك الكتاب في مقال بجريدة مغمورة فقامت علي القيامة. ساء ظني
 بالكتاب، كل كتاب، ولكنه ظل الهدف الأسمى. فقد نشأت، ونشأ جيلي على أن
 غاية الإنجاز أن يكون لك كتب في السوق. وصار هذا خلقاً من أخلاقي، وهاجساً
 من هواجسي. فمهما انهارت سمعة الكتاب وخبا أثره لا يفقد هالة أظل أراها تطوقه

١٠٧ مدارس دوارس

قال وألقاها في صنبول (ساو باولو كما يعربها القروي) في زيارة فيليب جيتي:
 أَصْبَحَ الشَّرْقُ مَعْرِضاً لِلْمَدَارِسِ وَصَرُوحُ الْعُمَرَانِ فِيهِ دَوَارِسُ
 دوارس: مهذمة

كُلُّهَا تُنْشِئُ الرِّجَالَ، وَلَكِنْ لَا لِقَرْعِ الْخُطُوبِ، بَلْ لِلْمَجَالِسِ
 قِرْعُ الْخُطُوبِ: مواجهة المصائب

نَصْرِفُ الْعَمَرَ بَيْنَ صَرْفٍ وَنَحْوٍ وَنُبَاهِي بِعِلْمِنَا، وَنُنَافِسُ
 كُلَّنَا مُقْعَدٌ إِذَا اسْتَصْرَخَ الْحَقُّ- وَلَكِنْ فِي حَلَبَةِ الْقَوْلِ فَارِسُ
 استصرخ الحق: نادى مستنجداً

كَلِمٌ كُلُّ قَلْبٍ لِبَنَانٍ مِنْهَا وَجَبِينُ الشَّامِ مِنْهَا عَابِسُ
 كلم: كلام، كل: تعب

إِنَّ عِلْماً لَا يَكْفُلُ الرِّزْقَ خَيْرٌ مِنْهُ، عِنْدَ الْعَرَبِيِّ، صُنْعُ الْمَكَانِسِ

ثمة حالة من الهوس لا بد أن تصيب كل عاقل في بلدان متخلفة كبلداننا العربية.
 وسأشرحها قليلاً: من يقرأ شعر القروي وصحبه من شعراء النصف الأول من القرن
 العشرين يفهم أن الشعور بأننا متخلفون وقاعدون عن مسيرة البلدان المتطورة كان
 عارماً. شوقي مثلاً يردد هذه اللازمة في كثير من أشعاره. ثم جاء عبد الناصر، وشعر
 العرب أنهم أمة لها وزن. مجرد شعور. وانقضى زمن عبد الناصر ورجعنا إلى
 شعورنا الأول، ولعله الأقرب إلى الواقع. وعلى هذا فكل ما في خلق المواطن
 العربي اليوم (وأنا أكتب في أبريل/نيسان عام ٢٠٠٩) من مرارة ليس جديداً. إن ما
 يجعل هذا الشعور جارفاً لدى العربي، وزائداً عما يعتدل في أذهان شعوب أخرى

متخلفة هو أننا ندرّس أولادنا في المدارس أن تاريخنا كان مجيداً وناصباً. والواقع أن تاريخنا، كتاريخ شعوب كثيرة، مزيج من النقاط المضيئة والمساحات المظلمة. نحن ناس عاديون، والمجد العربي شبيه بالمجد المكسيكي الذي عرف حضارة بائدة، وبالمجد الهندي، وبالمجد القديم لكل شعب. ولأننا في حالة نواح على الذات نمر بفترات كفر: نكفر بكل شيء لا يوصلنا إلى القنبلة الهيدروجينية، وتصنع السيارة والطيارة. نكفر بكل معرفة سوى المعرفة التي تجعلنا نصبح شعباً متطوراً مادياً. لعل هذا الكفر خير من الإيمان بماض مجيد، والنوم على هذا الإيمان

١٠٨ الجحود

تَبَيَّنْتُ أَسْبَابَ الضَّلَالَةِ وَالْهُدَى فَلَمْ أَرْ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْجَهْلِ قَارِقًا
أَلَمْ يُضْهِجِ الْمَخْلُوقُ بِالْعِلْمِ خَالِقًا وَمَا زَالَ يَنْفِي أَنَّ لِلْكَوْنِ خَالِقًا
هُمُ النَّاسُ، إِنْ لَمْ يَعْشَقُوا الْحَقَّ أَنْكُرُوا وَلَوْ لَمَسُوا بِالرَّاحَتَيْنِ الْحَقَائِقًا

الشرح من عمران القفني: (يتساوى العلم والجهل ولا يصبح بينهما أي فارق، عندما يبدع العالم خلقاً جديداً باختراعاته ومع ذلك يظل ينكر أن الكون مخلوق لخالق. والناس بطبيعتهم - يقول القروي - يجب أن يتوفر لديهم عشق الحقيقة وحبا كي لا يصلوا درجة الإنكار. ولو لم يتوفر ذلك العشق أنكروا، حتى وإن صارت الحقيقة في متناول أيديهم.. لا بدّ من توفر حب الحقيقة أولاً.. كذا فهمتُ المعنى)

١٠٩ قناعة

قال ونظمها في مدينة كلدس سنة ١٩٤٦:

بَلَّغْتُ مِنَ الرِّزْقِ الْحَلَالِ كِفَايَتِي فَيَا أَرْضَ جُودِي بِالْمَلَايِينِ، أَوْضِي
ضَنِي: ابخلي

وَرَبِّ قَلِيلٍ، فِي فَمِ الشُّكْرِ، مُشْبِعٌ وَرَبِّ كَثِيرٍ، فِي يَدِ الْكُفْرِ، لَا يُغْنِي
الكفر: جحود النعمة، وعدم الرضا بالرزق

وَأَتَيْ لَيْدَعُونِي الْغِنَى، فَأَجِيبُهُ وَيَغْمِرُنِي النُّجْمُ الْبَعِيدُ، فَأَسْتَعْنِي
الشاعر متحير بين التجارة وما فيها من مال وبين الشعر وأضواء الشهرة

١١٠ إلى غير رجعة

قال علي ضريح والدة صديقه إلياس عاصي ١٩٤٧:

نَضَبَ الْعُمُرُ دَمْعَةً إِثْرَ دَمْعَةٍ قُوتِلَ الدَّهْرُ! لَا يُغَيِّرُ طَبْعَةَ

نَشْتَكِي وَجْعَةً مِنَ الْمَوْتِ، لَكِنْ نَشْتَكِي مِنْ حَيَاتِنَا أَلْفَ وَجْعَةٍ
رَحْلَةُ الْقَبْرِ لَا قَوَافِلَ فِيهَا كُلُّنَا ذَاهِبٌ إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ
قوافل: إبل قافلة (راجعة) من السفر

١١١ رثاء حسني غراب

قال في تأبين الشاعر حسني غراب بصبول عام ١٩٥٠:

وَلِلَّهِ يَوْمَ بَدَدَ الشُّؤْمُ قَالَهُ وَلِلَّهِ قَلْبِي مَا أَشَدَّ اخْتِمَالَهُ
نَعَاكَ لِي النَّاعِي، فَحَدَقْتُ ذَاهِلًا إِلَيْهِ، كَأَنِّي مَا وَعَيْتُ مَقَالَهُ
وَأَثَبْتُ مَا عَلَّلْتُ نَفْسِي بِتَفْهِمِهِ فَلَمْ يُجِدْنِي أَنِّي أَعَدْتُ سَوَالَهُ
وَأَحْسَسْتُ أَنَّ الْقَبْرَ هَيْلٌ تُرَابُهُ عَلَيَّ، وَأَنَّ الْكَوْنَ أَلْقَى جِبَالَهُ

١١٢ دمنة الأيام

إِنَّ أَنْتَ لَمْ تَجْنِ مِنْ رَوْضِ الصَّبَا زَهْرًا فَلَيْسَ فِي دِمْنَةِ الْأَيَّامِ أَزْهَارُ
دمنة الأيام: مزيلة العمر، يقصد الشيخوخة

وَقِيَمَةُ الشَّيْءِ مِقْدَارُ الْهَيَامِ بِهِ، فَإِنْ زَهَدْتَ، فَمَا لِلْمَاسِ مِقْدَارُ
لَا تَعْقِدَنَّ عَلَى ذِي تَرْوَةٍ أَمَلًا فَمَا تَصَاحَبَ تُجَارٌ وَشُعَارُ
وَالْمَاءُ وَالنَّارُ شَيْءٌ إِنْ فَصَلْتَهُمَا، فَإِنْ وَصَلْتَ فَلَا مَاءَ وَلَا نَارُ

١١٣ وماذا يغني الحب؟

قال يرثي الشاعر حسني غراب ١٩٥٠:

فِيذَاكَ رَفِيقٌ يَنْزِفُ الْهَمَّ قَلْبَهُ وَيَأْخُذُ مِنْهُ الشُّغْرُ مَا تَرَكَ الْهَمُّ
وَلَوْ كَانَ يُغْنِي الْحُبُّ، أَوْ يَذْفَعُ الرَّدَى لَمَا نَامَ تَحْتَ الثَّرْبِ حَيٌّ لَهُ أُمُّ

١١٤ التطهير بالنار

قال في صنبول عام ١٩٥٠، في تأبين الأديب جميل صفدي:

إِهْتِفْ بِكُلِّ فَتَى حُرٍّ: هَلُمَّ أَخِي! وَلَنَمُحْ مَا سَطَّرَ الْأَنْدَالَ مِنْ عَارِ
عَلَيْكَ بِالْمَاءِ فَاغْسِلْ مَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنْ لَمْ يَنْفَعِ الْغَسْلُ، فَالْتَّطْهِيرُ بِالنَّارِ

١١٥ تاج الشعر وتاج الوزارة

قال القروي في حفل تكريم بصنول لعمر أبو ريشة الوزير المفوض لسورية في
البرازيل، وأبو ريشة شاعر مهم، ١٩٥٠:

طُفَّ يَا رَسُولَ الْفَنِّ فِي مِعْرَاجِهِ مَتَنَقَّلًا كَالشَّمْسِ فِي أَبْرَاجِهِ
يَا عَمْرُ أَبُو رِيشَةَ، يَا رَسُولَ الْفَنِّ، طُفَّ طَوَافًا فِي مِعْرَاجِ الْفَنِّ (سمائه)
لَكَ فِي سَمَاءِ الْعَبْقَرِيَّةِ مَنْزِلٌ يَتَهَاوَتْ الشُّعْرَاءُ دُونَ رِتَاجِهِ
رتاجه: بوابته

الْفَجْرُ مِنْ أَبْوَابِهِ، وَالْدَهْرُ مِنْ حُجَابِهِ، وَالزُّهْرُ مِنْ حُجَّاجِهِ
الزهر: النجوم
مَنْ ذَا يُهْنِي بِالْوِزَارَةِ شَاعِرًا التَّاجُ أَرْخَصُ دَرَّةً فِي تَاجِهِ!

١١٦ إنزاف

قال سنة ١٩٥٣ ترحيباً بصديقه الشاعر سليمان داود الذي قدم من هيوستن بالولايات
المتحدة:

مَا بَالُ شَيْطَانِي الثَّرَائِرِ أَنْكَرَنِي كَأَنَّهُ مُذْ عَلَانِي الشَّيْبُ لَمْ يَرْنِي
تَزَوَّرْ عَنِّي بَنَاتُ الْوَحْيِ عَابِسَةً كَأَنَّنِي مَا نَظَّمْتُ الشُّعْرَ فِي زَمَنِي
تزوّر عني: تنفر عني، بنات الوحي: أبيات الشعر

عَهْدِي بِهِ كُلَّمَا اسْتَوْحَيْتُ نَزَلَ لِي آيَ الْبَيَانِ كَصُوبِ الْعَارِضِ الْهَتَنِ
عهدي بشيطاني الملهم أنني كلما استوحيت (طلبت الوحي الشعري) نزل لي الآيات الشعرية
كصوب العارض الهتن (كانصاب السحاب الممطر)

قَرِيبَحْتِي، بَعْدَ ذَاكَ الْفَيْضِ، جَامِدَةٌ جُمُودَ عَقْلِيَّةِ الرَّجْعِيِّ فِي وَطَنِي
يَا دَهْرُ! لَمْ تُبْقِ لِي شَيْئًا أُسْرُ بِهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا رُوحِي وَلَا بَدَنِي
دَرَنِي مَعَ الشُّعْرِ فِي صَحْرَاءَ قَاجِلَةٍ وَلَا تَذَرَنِي جَدِيدَ الْفِكْرِ فِي عَدَنٍ
عَدَن: يقصد جنات عدن

١١٧ صمصام بكف علي

ألقاها في النادي الحمصي بصنول ١٩٥٦:

إِنْ لَمْ يَفِضْ مِنْ يَدَيْكَ الْقَوْلُ، لَا تَقُلْ لَا مِنْبَرُ الْيَوْمِ، إِلَّا مِنْبَرُ الْعَمَلِ

بُنْتُ الْحِمَى لَيْسَ يَحْمِيهَا الْقَرِيضُ، وَلَا تَرْضَى عَنِ السَّيْفِ، يَوْمَ الثَّأْرِ، مِنْ بَدَلٍ

القرىض: الشعر

عَارٌ إِذَا لَمْ نَسِرْ، وَالنَّاسُ قَدْ وَصَلُوا وَلَيْسَ عَاراً إِذَا سِرْنَا، وَلَمْ نَصِلْ

أَمَّا تَرَوْنَ جُنُودَ الْوَحْدَةِ انْتَضَمُوا فِي كُلِّ مُضْطَرَبٍ نَاءٍ وَمُفْتَتَلٍ

مضطرب: مكان، مقتل: ميدان

وَنَاصِرٌ يَتَجَلَّى بَيْنَهُمْ قَمَرًا لِلْهَذِي وَالْحُسْنِ؛ مَهْمَا شِئَتْ فِيهِ قُلْ

رَأَيْ أَصِيلٌ، وَعَزَمَ غَيْرُ ذِي قَلْبٍ كَأَنَّمَا هُوَ صَمَصَامٌ يَكْفُّ عَلَيَّ

صمصام: سيف، علي: ابن أبي طالب

١١٨ رثاء أبو ماضي

قال في حفل تأبين إيليا أبو ماضي بصنبول في آذار/مارس ١٩٥٨ وبعدها بشهرين غادر القروي إلى لبنان. ويقول القروي إن قنصل لبنان بصنبول (ساو باولو) أبرق للسلطات باعتقاله فور وصوله:

أَعِدِ الْبَشَاشَةَ لِلَّذِينَ تَرَكْتَهُمْ رَهْنَ الْكَأَبَةِ فِي ظِلَامٍ كَالْعَمَى

وَأَغِثْ جَدَاوِلَكَ الَّتِي تَرَوِي الظُّمَأَ وَيَكَادُ يَقْتُلُهَا، لِرُؤْيَيْكَ، الظُّمَأَ

«الجداول»: ديوان من دواوين إيليا أبو ماضي. يكاد يقتل الجداول العطش والشوق لرؤيتك

تَجْرِي زُلَالاً فِي الطُّرُوسِ، وَإِنْ جَرَتْ لِنَوَاكٍ مِنْ مُقَلِّ الْأَحِبَّةِ عِنْدَمَا

الطروس: الأوراق، نواك: فراقك، مقل: عيون، العندم: نبات أحمر كالدم، أما سموه أيضاً «دم الأخوين»؟

وَقَلَائِدًا يُعْجِزُنَ أَبْرَعَ نَاطِمٍ حَتَّى لَيَحْلِفَ أَنَّهُ لَنْ يَنْظِمَا

القلائد: العقود، يعني قصائد إيليا

وَحَمَائِلًا، كُلُّ الْخَمَائِلِ بَعْدَهَا عُشْبٌ عَلَى أَقْدَامِ جَنَّتِهَا نَمَا

«الخمائل»: من دواوين إيليا

تُنَمَّى إِلَى وَطَنِ الْجَمَالِ، وَهَلْ لِمَنْ عَبَدُوا الْجَمَالَ سِوَاكَ يَا وَطَنِي جَمَى

تنمى: تتسب

أَنْكَرْتُ نَفْسِي بَعْدَ طَوْلِ فِرَاقِهِ فَكَأَنَّنِي دِيوَانُ شِعْرِ تَرْجَمَا
 بارعة جداً هذه الديوان شعر ترجماء، فديوان الشعر المترجم بعيد كل البعد عن الأصل ويكاد
 لا يعرف نفسه. وأن يأتي القروي بتشبيه عن ديوان شعر في رثائه لشاعر يعني أنه منغمس في
 موضوعه انغماساً

يَا فِيلَسُوفَ الشُّعْرِ، يَا ابْنَ الشَّمْسِ يَا قَمَرًا رَمَاهُ الْأَرْزُ أَبْعَدَ مَنْ رَمَى
 سِرٌّ وَحِيدٌ فِي الْحَيَاةِ فَهَمَّتُهُ وَسِوَاهُ لَيْسَ يَهْمُنِي أَنْ أَفْهَمَا
 أَنَّ الْعُرُوبَةَ حَقَّقَتْ أَحْلَامَهَا مَاذَا يَشُوقُكَ بَعْدَهَا أَنْ تَحْلُمَا
 أَنْتَسِيرُ فِي رَكْبِ الْحُسَيْنِ وَفَيَصِلُ وَنَحْنُ نُنَاصِرُنَا الْأَبْرَّ الْأَكْرَمَا

تعريض بملكي الأردن والعراق، وتنويه برئيس مصر. كان فيصل الثاني في العراق وحسين بن
 طلال في الأردن قد عقدا وحدة بين البلدين قبل إلقاء القصيدة بشهر ناظرين إلى الخطوات
 التمهيدية للوحدة بين مصر وسورية

عَرَشَيْنِ: هَذَا لَا يُسَاوِي دِرْهَمًا وَعَلَيْهِ مَلِكٌ لَيْسَ يَمْلِكُ دِرْهَمًا
 كان الأردن فقيراً، وكان ملكه قليل الموارد

وَقِيَادُ ذَا فِي كَفِّ قَاتِلِ جَدِّهِ وَأَبِيهِ، يَا لِلْعَاجِزَيْنِ كِلَيْهِمَا
 فيصل الثاني ملك العراق كان واقعاً تحت سيطرة خاله عبد الإله الذي يتهمه الشاعر بتدبير قتل جده
 فيصل الأول (قيل بحقنة مسمومة)، وأبيه غازي في حادث سيارة (قيل بل ضرب على أم رأسه،
 ولا حادث في الأمر)

١١٩ عائد لأموت في وطني

قال وهو في البحر عائداً لوطنه:

بُنْتُ الْعُرُوبَةَ هَيْئِي كَفَنِي أَنَا عَائِدٌ لَأَمُوتَ فِي وَطَنِي
 أَجُودُ مِنْ خَلْفِ الْبَحَارِ لَهُ بِالرُّوحِ، ثُمَّ أَضِنُّ بِالْبَدَنِ؟

١٢٠ بطل الجزائر

قال وهو يحضر احتفال مكتب تحرير الجزائر بدمشق في سنة ١٩٥٨:

لَبَّيْكَ يَا بَطْلَ الْجَزَائِرِ عُقِدَتْ عَلَى الثَّارِ الْخَنَاصِرُ
 عُقِدَتْ الْخَنَاصِرُ: عُقِدَ الْعَزْمُ

نَضَرُّ عَلَى الْأَعْدَاءِ يَنْبُ لِمَا نَصَرَ، فَالْدُّنْيَا بِشَائِرُ

وَجَبَّابِرُ الطُّغْيَانِ كَالـ حَشَرَاتٍ تَحْتَ حِذَاءِ نَاصِرٍ

وكانت مصر في زمن عبد الناصر تساعد ثوار الجزائر

الشُعْبُ كَالْإِعْصَارِ يَسـ حَقُّ غَادِرًا، وَيَجُرُّ غَادِرُ

الحَرْبُ قَائِمَةٌ عَلَى سَاقٍ، فَمَا شَأْنُ الْمَنَابِرِ

وَالنَّصْرُ يُؤْتَاهُ الْمُجَا هِدُ بِالْخَنَاجِرِ، لَا الْحَنَاجِرِ

١٢١ سُبْحَ لِرَبِّكَ وَانْحَرِ أَنْتَ فِي الشَّامِ

ألقاها على مدرج الجامعة السورية في ١٩٥٩ في مهرجان أحبه دمشق تكريماً للشاعر.
وكان عائداً للوطن العربي بعد اغترابه ٤٥ عاماً. وقد حاول رجال الأمن اللبنانيون
اعتقاله فور وصوله، لكنه تخلص منهم وبلغ اللاذقية فدمشق:

حَتَّامٌ تَخَسَّبُهَا أَضْغَاثُ أَحْلَامِ سَبِّحْ لِرَبِّكَ وَانْحَرِ، أَنْتَ فِي الشَّامِ

لَمْ يَأْذِنْ اللَّهَ يَا بُوقَ الْعُرُوبَةِ أَنْ تَقْضِيَ الْحَيَاةَ غَرِيباً بَيْنَ أَغْجَامِ

الشام تخاطبه وتقول يا بوق العروبة (يا ناشر فضائلها) لم يشأ الله أن تقضي كل حياتك بين
الأعاجم في المهجر

وَكُنْتَ فِي أَبْعَدِ الْأَمْصَارِ أَقْرَبَ مِنْ أَهْلِي إِلَيَّ وَأَخْوَالِي وَأَعْمَامِي

وتقول له الشام: حتى وأنت بعيد كنت أقرب إلي من كل أهلي

أَضْنَاكَ طَوْلُ السَّرَى وَالسَّيْرِ يَا وَلَدِي فَاطْرَحْ رِدَاءَكَ، وَامْسَحْ جُرْحَكَ الدَّامِي

السرى: السير ليلاً

هَذَا غَيْبُونِي وَجَنَاتِي وَفَاكِهَتِي فَاثْلَأْ يَدَيْكَ، وَبَرِّدْ قَلْبَكَ الظَّامِي

يَا يَوْمَ جَدَّدَ فِي الْخَضِرِ آيَتَهُ لَمَّا أَطْلَتْ عَلَى بَيْرُوتِ أَغْلَامِي

الخضر: النبي المعروف بكثرة الأسفار

وَالْوَحْشُ مُنْفَعِرُ الشُّدْقَيْنِ يَرْصُدُنِي وَالْبَغْيُ، أَسْطَوْلُهُ خَلْفِي وَقُدَّامِي

الوحش الفرنسي كان فاعراً فاه يرصدني، وكان أسطول الظلم يحيط بي عند وصولي إلى بيروت

فَأَذْبَرَ الْبَغْيَ مَذْخُورًا، وَعُدْتُ إِلَى سِرْبِي، وَقُلْتُ لَهَا: يَا مُقْلَتِي نَامِي

وَبْتُ لَيْلِي، وَعَيْنُ اللَّهِ تَحْرُسُنِي حَتَّى وَصَعْتُ بِأَعْلَى التُّرْبِ أَقْدَامِي

أَنَا الْعُرُوبَةُ لِي فِي كُلِّ مَمْلَكَةٍ إِنْجِيلُ حُبٍّ، وَلِي قُرْآنُ إِنْعَامِ

وَابْنِي فَتَى النَّيْلِ حَلَّانِي بِجَوْهَرَةٍ عَزَّتْ عَلَى كُلِّ عَوَاصٍ وَعَوَامِ

مَنْ يَتْلِكَ عَهْدَ المَوَامِي وَالذَّمَى قَانَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَدْ حَطَّمْتُ أَصْنَامِي

الموامي: المومياءات، ويذكرها كثيراً دعاة الفرعونية بمصر

شَغَلْتُ قَلْبِي بِحُبِّ المِصْطَفَى، وَغَدْتُ عُرْوَتِي مِثْلِي الأَعْلَى وَإِسْلَامِي

بِنَاصِرِي وَبِأَسْوَانِي فَحَزْتُ، إِذَا بَاهَى الدَّعِي بِفِرْعَوْنَ، وَأَهْرَامِ

عبد الناصر كان قد شرع في بناء السد العالي قرب أسوان، الدعي: الفاسد النسب، والقروي هنا بغض ممن ذهبوا إلى أن مصر تنتسب إلى قدماء المصريين لا إلى العرب

عَاشَ الَّذِي أَدَّبَ الطَّاعِي وَكَبَّكَبَهُ عَنِ القَنَاةِ ذَلِيلًا، خَافِضَ الهَامِ

ليعيش عبد الناصر الذي أدب الظالم وكبكبه (شرده) عن قناة السويس ذليلاً خافض الهام (الرأس)

دَعِ ذِكْرَ كُلِّ عَظِيمٍ حِينَ تَذْكُرُهُ وَقِفْ دَقِيقَةً إِجْلَالٍ وَإِعْظَامِ

فَمَا رَمَى رَمِيَةً إِلَّا مُسَدَّدَةً وَلَا خَطَا خُطْوَةً إِلَّا بِإِلْهَامِ

كَمْ خُطْبَةٍ كَالنَّدَى وَالْجَمْرِ مِنْهُ شَفَتْ أَكْبَادَنَا، وَشَوَتْ أَكْبَادَ ظُلَامِ

لَا يَسْتَبِينُ المِصْلَى فِي كِنَائِسِهِمْ إِنْ كَانَ يُضْغِي لِقَسٍّ أَوْ لِحَاخَامِ

يتهم رجال الدين في الغرب بممالة اليهود، فكان موعظة القس خطبة يلقيها الحاخام

حَرِيَّةٌ لِمَلُوكِ المَالِ خَاضِعَةٌ تُسَاقُ فِيهَا الرِّعَايَا سَوَقَ أَنْعَامِ

الحرية التي يتغنى بها الغرب هي حرية ملوك المال، والشعب يقاد كالماشية

فَمَا الرِّئِيسُ، وَأَتْبَاعُ الرِّئِيسِ لَهُمْ إِلَّا الأَرْقَاءُ، فِي أَزْيَاءِ حُكَّامِ

والرؤساء والوزراء في الغرب أرقاء (عبيد) لكبار الأغنياء

قُلْ لِلأَلَى سِخْرُوا بِي، وَازْدَرَوْا أَدْبِي مِنْ خَائِنٍ وَشُعُوبِي وَنَظَامِ

وَكُلِّ هَشَامٍ أَعْرَاضٍ لَهُ قَلَمٌ وَغُدٌّ، وَلَيْسَ لَهُ عِرْضٌ لِهَشَامِ

قولوا لمن يهشم الأعراض بما يكتب، ولا يهشم شرفه أحد إذ ليس له شرف..

قُولُوا لَهُ «عَرَبًا» تَفْضُوا عَلَيْهِ، فَإِنْ يَسْلَمُ فَتَنُّوا بِقُرْآنٍ وَإِسْلَامِ

قولوا له كلمة «عرب» يمت، وإن بقي حياً فقولوا له «قرآن» أو «إسلام» فهذا يقضي عليه. يسخر من مقت بعضهم للعروبة وللإسلام

مَا أَقْرَبَ الوَحْدَةَ الكُبْرَى مُبْحَرَةً أَحْلَامَ كُلِّ شُعُوبِي وَقَسَامِ

قسام: مؤيد تقسيم بلاد العرب إلى دول

سَيَّانٍ بَعْدَ التَّلَاقِي يَا بِلَادِي لَوْ خَلَدْتُ، أَوْ حَكَمَ الطَّاعِي بِإِعْدَامِي

أما رَجَعْتُ؟ ألمْ أَنْشَقْ هَوَاكِ؟ ألمْ أَلِثِمَ نَرَاكِ؟ ألمْ أَسْمِعْكَ أَنْغَامِي
أَجِسْ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى، كَأَنِّي قَدْ طَرَحْتُ فِي الْبَحْرِ عَنِّي كُلَّ أَتَامِي

١٢٢ المصيبة هي القنوط

إِنْ شِئْتَ عِشْ، أَوْ شِئْتَ مِتْ إِنَّ الْحَيَاةَ لَهَا شُرُوطُ
نُوبٌ وَأَحْزَانٌ يُبَيِّـ ضُ هَوْلُهَا سَوْدُ الْخُبُوطِ
وَمَعَارِكُ الْأَطْمَاعِ نَا شَبَّةٌ عَلَى كُلِّ الْخُطُوطِ
عَمَّتْ بِنِي الدُّنْيَا، فَلَا جُزْرٌ هُنَاكَ وَلَا شُطُوطِ
وَالْفَوْزُ بِالنَّفْسِ الْقَوِيَّةِ لَمْ يَهَيِّجْهَا مَنُوطِ
فَلَطَالَمَا سَقَطَ الشَّجَا عَ، وَقَامَ مِنْ بَعْدِ السَّقُوطِ
لَيْسَتْ مُصِيبَتُكَ الْمَصِيبِ بَةً، بَلْ مُصِيبَتُكَ الْقُنُوطِ

١٢٣ التبرع بالتبرع

قال وأنشدها في نادي خريجي الجامعة الأميركية ١٩٥٩. وكان أمير الكويتي تبرع بمال
يدفع للقروي كل سنة، فتبرع القروي بالمال لخدمة العلم. واثارت في الصحف قصة
حول صديق للقروي أراد أن يتحكم في إنفاق هذا المال:

وَشَيْخٌ كَرِيمٌ أَطْرَبَتْهُ قِصَائِدِي وَهَزَّتْهُ هَزُّ الْعَضْبِ فِي كَفِّ فَارِسِ
العضب: السيف

فَأُسْنَهْنِي، مَا دُمْتُ حَيًّا، هَدِيَّةً تَلِيْقُ بِسُلْطَانٍ عَلَى الْعَرْشِ جَالِسِ
أسنهي: رتب لي مالا سنوياً

عَلَى عِبْقَرِيَّاتِ الْبِلَادِ حَبَسَتْهَا وَأَعْظَمَ بِمَحْبُوسٍ عَلَيْهِ وَحَابِسِ
فَلَا هِيَ عِنْدِي فِي الْبُنُوكِ تَجَمَّدَتْ وَلَا ذَابَ مِنْهَا دِرْهَمٌ فِي الْخَسَائِسِ

١٢٤ اللقاء الحلم

قال وكتبها على نسخة من ديوانه أهداها لعبد الناصر عندما التقاه في عام ١٩٥٩ بدمشق:

مِنْ قَبْلِ أَنْ صِيغَ هَذَا الشُّعْرُ كُنْتُ بِهِ فِي كُلِّ قَافِيَةٍ عَذْرَاءَ مُرْتَسِمَا
لُفْيَاكَ فَرَحَةً عُرْسٍ لَا انْتِهَاءَ لَهَا أَثِمْتُ إِنْ كُنْتُ أَشْكُو بَعْدَهَا أَلْمَا
حُلْمٌ تَجَسَّدَ فِي عَيْنِي، وَمَا بَرَحْتُ عَيْنِي تُحْمَنُهُ، مِنْ حُسْنِهِ، حُلْمَا

١٢٥ الوهم المعين

قال عام ١٩٦٠ يرثي قريه الشاب البير ويصف حزن أمه:

لا تَلُمَّ عَمَّكَ الْمَنكَدَ يَا أَلْ
بِيرُ وَاغْفِرْ لَهُ شِنَاعَةَ جُرْمِهِ
عَمَّكَ الشَّيْخُ حَامِلُ أَلْفِ هَمٍّ
وَهُوَ لَا يَمْلِكُ النَّهْوضَ بِهَمِّهِ
بُرْجُ مَجِيدِ أَحْبَابِهِ تَتَبَاهَى
أَنهَا تَسْبِقُ الْأَعَادِي لِهَذْمِهِ
كَمْ صَدِيقٍ يَحَارُ لُبُّكَ فِيهِ
لَسْتُ تَذَرِي تَرِياقَهُ مِنْ سُمِّهِ
الترياق: دواء السم

لَمْ أَفِدْ مِنْ مَدَارِسِ الْخُبْثِ إِلَّا
أَنْنِي أَعْجَزُ الْوَرَى عَنْ فَهْمِهِ
رَغَمَ عِلْمِي بِالنَّاسِ أَخْذَعُ، وَالْمَرْ
ءُ مَسْوُوقٌ بِطَبْعِهِ، لَا يَعْلَمُهُ
يَا لَتُكَلِّى تَخَاصِمُ الْقَدَرَ الْعَا
تِي، وَتَشْكُو لِرَبِّهَا مِنْ ظُلْمِهِ
غَابَ وَجْهُ الْحَبِيبِ، فَانْتَقَمَتْ مِنْ
وَجْهَهَا تُلْهِبُ الْقُلُوبَ بِلُظْمِهِ
تَتَسَلَّى بِوَهْمٍ لُقْيَاهُ، مَا لِيْلَ
مَرءٍ عَوْنٌ عَلَى الرَّدَى غَيْرُ وَهْمِهِ

١٢٦ الكهل المتلفت

رَعَى اللَّهُ عَهْدًا كُنْتُ لِلْغَيْدِ فِتْنَةً
إِذَا سِرْتُ، فِي الْفَتَيَانِ، سِرْنُ وَرَابِنَا
فَبِتُّ وَمَا لِي فِي هَوَائِنَ مَطْمَعُ
وَأِنْ كَانَ عِنْدِي لِلشَّبَابِ بَقَايَا
إِذَا عَطَفْتُ لَيْلَى عَلَيَّ بِبَسْمَةٍ
تَلَفْتُ خَوْفًا أَنَّهَا لِسِوَابِنَا

١٢٧ طيب النساء

سَمِمْتُ الْحَبَّ، حَتَّى لَا أَبَالِي
وَلَوْ هَبَطَ الْجَمَالُ مِنَ السَّمَاءِ
أَرَى الْجَسَدَ الشَّهْوِيَّ بِعَيْنِ آسٍ
قَدِيمِ الْعَهْدِ فِي طَبِّ النِّسَاءِ
آس: طيب. ها قد عرفنا أن طيب النساء لا يشتبه أجساد مريضاته

١٢٨ ميني جوب.. وفتوى

لِحَدِّ الرُّكْبَتَيْنِ تُشَمِّرِينَا
بِرَبِّكَ أَيَّ نَهْرٍ تَغْبُرِينَا
مَضَى الْخَلْخَالُ حِينَ السَّاقِ أَمْسَتْ
تُطَوِّقُهَا عُيُونُ النَّاطِرِينَا
لا حاجة للخلخال فعيون الناس هي التي تطوق ساق الفتاة بدل أن يطوقها الخلخال

تَظُنِّينَ الرَّجَالَ بِلا شُعُورٍ لَأَنْكَ رُبَّمَا لَا تَشْعُرِينَ
فَيَا لَيْتَ الْحِجَابَ هَوَى فَأَمْسَى يَرُدُّ السَّاقَ عَنَّا لَا الْجَبِينَ
فَإِنَّ السَّاقَ أَجْدَرُ أَنْ تُعْطَى وَإِنَّ الْوَجْهَ أَوْلَى أَنْ يَسِينَا

١٢٩ بدلة بقصيدة

قال وهي قصيدة وجدت ضمن مخطوطاته وأهداها لصديقه جبرائيل غرزوزي الخياط
عام ١٩٦١ :

خَبِطَ لِي مِنْ فَضْلِهِ بَذْلَةً صَنِيفِيَّةً، أَجْمَلَ مِنْ شِعْرِي
لَمْ يَرْضَ أَجْرًا غَيْرَ عَظْرِ الثَّنَا وَلَمْ يُكَلِّفْنِي سِوَى الشُّكْرِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ حُرًّا لِمَا هَامَ بِي مَا هَامَ بِالْحُرِّ سِوَى الْحُرِّ
يَا أَسَرَ الْقَلْبَ بِمَعْرُوفِهِ ظَلَمْتَنِي وَاللَّهِ فِي السُّفْرِ
أَيَّ أَنْكَ مَنَحْتَنِي بَدْلَةً وَأَخَذْتَ قَلْبِي

١٣٠ طبيب يخيف الموت

قال وكتبها على نسخة من ديوانه الأعاصير أهداها إلى الدكتور فضلو حيدر:

إِلَى مُنْقِذِي مِنْ قَبْضَةِ الْمَوْتِ، بَعْدَمَا تَنَاهَشْتَنِي أَنْيَابُهُ وَمَخَالِبُهُ
تَنَاهَشْنِي: وتَمَزَّقَ لَحْمِي (وتذكير الفعل في هذا الموضع فصيح، أما صيغة المضارع
فثقيلة)

وَلَمْ يَبْقَ مِنِّي غَيْرُ ظِلٍّ ابْتِسَامَةٍ عَلَى الثَّغْرِ تُنْبِي أَنَّنِي، بِكَ، غَالِبُهُ
تَنْبِي: تنبئ، تشير

وَمَنْ تَكُ، يَا أُعْجُوبَةَ الطَّبِّ، سَاهِرًا بِجَانِبِهِ، لَا يَرْهَبُ الدَّاءَ جَانِبُهُ
كَفَى بِكَ أَنَّ الْمَوْتَ لَمْ يَزَعْ صَاحِبًا، وَيَجْتَازُ مَنْ يَذَرِي بِأَنْكَ صَاحِبُهُ
بكفيك أن الموت، الذي لا يحايي صاحباً له بل يعصف بالجميع، يتجاوز عمن يعلم بأنك صديق له

١٣١ رثاء شاعر

قال في رثاء محمد علي الحوماني ١٩٦٤:

الشُّعْرُ يَشْكُو بَعْدَ بَيْنِكَ بَيْنَهُ يَا عَيْنَ عِزِّ الشُّعْرِ أَنْتَ، وَرَيْنَهُ
الشعر يشكو بعد بينك (رحيلك) بينه (رحيله) هو أيضاً فلم يبق شعر بعدك

والطيرُ نائحةٌ على الغرِدِ الذي نُعِيَّ الْبَيَانَ الْفَدَى يَوْمَ نَعَيْنَهُ
والضَّادُ وَالْهَاءُ تُشَيِّعُ سَاحِرًا مِنْ جَنِّ عَبْقَرٍ، فِي الصَّرِيحِ طَوِينُهُ
وَلَكُمْ أَخٌ مُتَعَصِّبٌ، مِنْ كُرْهِهِ عَيْنَ الْعَرُوبَةِ كَادَ يَفْقَأُ عَيْنَهُ
وَمُغْلِظٌ لَكَ بِالرَّسُولِ يَمِينُهُ، وَصَدَاقَةُ الْكُفَّارِ تَفْضَحُ مَيِّنُهُ
يحلف لك بالرسول أنه وطني ولكن صداقاته مع الكافرين بالعروبة تفضح منه، أي كذبه

بَاعَ الْأُخُوَّةَ لِلْغَرِيبِ بِدَرَاهِمٍ؛ الْمَوُومَسَاتُ مِنَ الْحَيَا يَا بَيِّنَهُ
مَنْ كَانَتْ الْأَرْقَامُ خَمْرَةً وَخِيهِ شَتَانٌ بَيْنَكَ فِي الْجِهَادِ وَبَيِّنَهُ
يهجر التجار

يَا شَاعِرًا غَنَى فَأَطْرَبَ رَبَّهُ وَنَبِيَّهُ، وَعَلِيَّهُ، وَحُسَيْنَهُ

١٣٢ الشهاب الساطع

قال في سبيل تجديد العهد للرئيس شهاب ١٩٦٤ :

أَمْنُقِذْ لُبْنَانَ! جِئْنَا نُبَايِعَ وَنَنْشُدُكَ اللَّهَ إِلَّا تُمَانِعَ
أَنْحِيَا عَبِيداً لِدُسْتُورِنَا أَسُنَّتْ لِقَتْلِ الْعِبَادِ الشَّرَائِعَ
مَحَرَّتْ بَزُورَقِنَا الْيَمَّ، وَهُوَ جِبَالٌ وَأَوْدِيَةٌ وَزَوَابِعُ
وَطَارَ الشَّرَاعُ، وَعَمَّ الظَّلَامُ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا شَهَابُكَ سَاطِعُ
تَفُحُّ الشَّعَابِينُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ عَلَيْنَا، وَتَعْوِي ذَنَابُ الْمَطَامِعِ
يَنَادِيكَ لِبْنَانُ مُسْتَنْجِداً فَإِنْ لَمْ تُلَبِّ، فَلِبْنَانُ ضَائِعُ
ولم يلب فؤاد شهاب، ولم يقبل التجديد

١٣٣ يوم السويس

قال، ووجدت بين أوراقه مؤرخة في سنة ١٩٦٥ :

حَلِيفُكَ رَبٌّ نَاصِرٌ أَنْتَ عَبْدُهُ وَجَنْدُكَ، إِنْ دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ، جَنْدُهُ
وَحَسْبُكَ مِنْ يَوْمِ السُّوَيْسِ شَهَادَةٌ بِأَنَّكَ عَضْبٌ يَفْلُقُ الطَّوْدَ حَدَّهُ
عضب: سيف، الطود: الجبل

ولا عارَ في إغمارِ سيفِ شهرتَه على «البذر» إنْ كانَ «ابنُ غريون» غمُّه
 يشير إلى عودة جيش عبد الناصر عن محاربة الإمام البدر في اليمن، فإغمار ذلك السيف
 لا بأس به خصوصاً أنه أغمَد، ليس في جرابه بل... في «بن غوريون» رئيس وزراء
 إسرائيل أيام العدوان الثلاثي البريطاني - الفرنسي الإسرائيلي على مصر عام ١٩٥٦

وهذا الرِّباطُ المالىُّ الجَوَّ رهبةً لِصُهيونَ لا لِلْمسلمينَ تُعدهُ
 الرباط: خيل المعركة، يعني التسلح

وأعظمُ مِنْ سَدِّ على النيلِ، شِدَّتَه بأسوانَ، سَدٌّ عِنْدَ يافا تَهْدُه

١٣٤ يا طويل العمر

وجدت القصيدة بين مخطوطات الشاعر بعنوان «الثورة الليبية»:

يا طويلَ العُمُر! نَحْنُ اليَوْمَ في عصرِ عِلْمٍ يُنْكِرُ الجَزِيَّ الوَثِيدَا
 الوئيد: البطيء

نَفَضَ الغربُ جناحِي قَشَعَمَ نَوَوِيٍّ، جاوزَ النجمَ صُعُودَا
 قشعَم: نسر

وَلَبِئْنَا بِالْأمانِي قُنْعَا حَسْبُنَا أَنْ نَذْكُرَ المجدَ التَّلِيدَا
 التليد: الموروث

أَنْتَ أَغْنَى مَلِكٍ فَوْقَ الثَّرَى قَدَرُ ما أَنْتَ غَنِيٍّ، كُنْ حَمِيدَا
 يخاطب أحد ملوك الدول النفطية

وخلودُ الذِّكْرِ نوعانِ لِمَنْ شاءَ، فانظُرْ كيفَ تختارُ الخلودَا
 إن في الظَّهرانِ شَمَشُونُ الأذى وعدوُّ الدينِ والدنيا اللدودَا
 الظهران: مدينة النفط السعودية، شمشون: بطل جبار هدم البناء على من فيه، وقال القولة
 المشهورة «عليّ وعلى أعدائي»، وشمشون الأذى: شركات النفط، فيما يبدو

أَمِنَ الإسلامُ أَنْ تَبْقَى لَهُ ذَلِكَ الصَّاحِبُ وَالخِلُّ الوُدُودَا؟
 وَتَظُنُّ اللَّهَ يَرْضَى عَنْكَ إِنْ كُنْتَ خَوْفَ النَقْدِ تُعْطِينَا النُّقُودَا
 إِنَّ لِلنَّصْرِ سَبِيلًا قاصِداً إِنْ سَلَكناهُ عَدَا النَّصْرِ أَكِيدَا
 سبيلاً قاصداً: طريقاً مستويّاً

أَمِّمِ النفطَ، وَأَسْقِطْهُ نَدَى يُضَيِّحِ الرَّمْلُ سِلَاحاً وَجُنُودَا

أَوْ فَمَوِّتُهُمْ إِلَيْهِ عَظْشًا آخِذًا عَنْ دِيْعُلِ الدَّرْسِ الْمَفِيدِ

ديغل : شارل ديغول، رئيس فرنسا، وكان يقاوم الهيمنة الأميركية، وظل مشغول البال باستقلال القرار الفرنسي سياسياً واقتصادياً (سياسته القائمة على تدخل الدولة في الاقتصاد لقيت، ولا تزال، مديحاً)

تُرْجِعِ الْقُدْسَ إِلَى أَبْنَائِهَا وَتُعِذْ شَعْبَ فَلَسْطِينَ الشَّرِيدِ
وَتَذُكِّ الدَّوْلَةَ الْمَسْخَ الَّتِي أَقْسَمْتُ، إِنَّ لَمْ تُبْذَهَا، أَنْ تُبِيدَا

الدولة المسخ: يقصد إسرائيل

حَرِّقُوا الْأَقْصَى، وَلَوْ أَمَكْنَهُمْ جَعَلُوا الْكَعْبَةَ لِلنَّارِ وَقُودًا
وَالْفِدَائِيُّونَ! هَلْ مِنْ أُمَّةٍ أَنْجَبَتْ أَطِيبَ أَوْ أَصْلَبَ عُودًا

١٣٥ فلسطين بكل مكان

قال على إثر تضحية طفلين فلسطينيين بنفسيهما وتفجيرهما الديناميت الذي تزنرا به
ففضى على عدد من ضباط العدو في ناد لهم عام ١٩٧٠ :

أَنَا لَوْ تَمَّانِيْنِي رَجَعْنَ تَمَّانِي لَحَزَمْتُ أُمْتِعَتِي إِلَى لِسْنَانِ
وَأَخَذْتُ عِنْدَ حُدُودِهِ دَرْسًا عَلَى الْ أَبْطَالِ أَطْفَالِ الْحِمَى إِخْوَانِي
وَجَعَلْتُ «تَلَّ أَبِيبَ» قِبْلَةً نِقْمَتِي وَذَكَّكْتُ قَلْعَتَهَا بِرُخْصِ بَنَانِي
هَذَا هُوَ الْمَجْدُ الَّذِي إِنَّ شَيْئًا أَنْ تُكْسَى بِهِ فَاَنْزِلْ إِلَى الْمِيدَانِ
مَجْدُ الْفِدَائِيِّ الَّذِي فَتَكَاتُهُ خَلَقَتْ فَلَسْطِينًا بِكُلِّ مَكَانِ
فَلْتَحِي تَرْبُتُهَا الْمَقْدَّسَةُ الَّتِي وَلَدَتْ لَنَا هَذَا الْمَسِيحَ الثَّانِي
بَطْلًا يَحُضُّ عَلَى الْجِهَادِ مُمَرِّقًا بِيَدِ الْعَدَالَةِ بَيْرَقَ الطُّغْيَانِ
بَهَرَتْ شَجَاعَتُهُ الْوَرَى بِخَوَارِقِ لَمْ تُرَوْ عَنْ إِنْسٍ وَلَا عَنْ جَانِ

خوارق: معجزات

وَدَّ الصَّهَّائِنُ كُلَّمَا سَمِعُوا بِهَا لَوْ أَنَّهُمْ خُلِقُوا بِلَا آذَانِ
هَذَا هُوَ الْحُبُّ الْمَحَرَّرُ، لَا الَّذِي يَسْتَعْبِدُ الْإِنْسَانَ لِلْإِنْسَانِ
هَذَا هُوَ الشَّرْفُ الْفِدَائِيُّ الَّذِي وَطَنِي يَتِيَهُ بِهِ عَلَى الْأُوطَانِ
شَرَفٌ أَنَاكَ عَلَى النُّجُومِ، وَجَاوَزَ السَّ - بَعَ الطَّبَاقَ، فَهَنْ مِنْهُ تَمَّانِي

أناف: جاوز

١٣٦ قبل أكتوبر

قال قبل حرب ٧٣ بأسبوعين، وهي مهداة إلى روح غسان كنفاني:

أَيُّهَا الْمَسْلُومُونَ! أَلَلَّهُ أَكْبَرُ أَوْ مَا حَانَ أَنْ نَشُورَ وَنَشْأُرَ
جُئْتُهُ السَّلَامُ أَنْتَنَتْ فَاقْبُرُوهَا قَبْلَمَا هَذِهِ الْمَلَائِكَةُ تُقْبِرُ
نَحْنُ أَضْعَافُ شَعْبٍ فِتْنَامَ عَدَا فَلِمَاذَا لَا نَدْفَعُ الشَّرَّ بِالشَّرِّ
دَمَّرَ الْبَغْيُ أَرْضَهُمْ، فَتَحَدَّا هُمُ مِنَ الْعِزِّمْ جَوْهَرٌ لَا يُدْمَرُ
كُلَّ يَوْمٍ يُلْقَى عَلَيْهَا جَحِيمٌ مِنْ لَظَى، وَهِيَ كُلَّ يَوْمٍ أَضْبَرُ
كل يوم يلقي على أرضهم جحيم من القنابل، وتزداد أرضهم صبراً

السَّلاحُ الْمَرْكُومُ مِنْ دُونِ حَرْبٍ لَيْتَهُ فِي يَدِ الْفِدَائِيِّ خُنْجَرٍ
لَوْ ضَمِنْتُمْ لَهُ الْكَفَاحَ طَلِيقاً حَرَّرَ الْأَرْضَ وَحْدَهُ وَتَحَرَّرَ

١٣٧ المنسي أعظم

قال في رثاء إلباس فرحات، وتوفي عام ١٩٧٦:

عَلَى قَدَرِ سِنِّي، لَا شُعُورِي، خُذْ مِنِّي قَضَى مَعَكَ الشَّعْرُ الْمَعْبَرُ عَنْ حُزْنِي
تَضَاعَفَ بَعْدَ الْفُرْقَةِ الْحُبُّ بَيْنَنَا وَفِي الْقُرْبِ مَا يَنْبِئِي، وَفِي الْبُعْدِ مَا يُذْنِي
حِمَاكُ أَطْفَالٍ صِغَارٍ نَسِيَتْهَا وَلَمْ يَنْطَبِعْ غَيْرُ الصَّدَاقَةِ فِي ذَهْنِي
وكانت بين القروي وفرحات خلاقات تظهر وتخفي، غير أنهما كانا متفقين كل الاتفاق على حب العروبة

لَنَا فِي مِيَادِينِ الْجِهَادِ مَلَا حِمٌّ سَيَنْقُلُهَا التَّارِيخُ، قَرْنَا إِلَى قَرْنٍ
وَأَقْوَى حِبَالِ الْوُدِّ حَبْلُ عُرُوبَةٍ رَیْطْنَا بِهِ بَيْنَ الْعَقِيدَةِ، وَالْفَنِّ

١٣٨ لم يبق منهم شاعر يرثيني

قال، وأهداها إلى روح الشاعر ميشيل مغربي، وفيها رثاء لأخيه قيصر الخوري الملقب بالشاعر المدني، ١٩٧٨:

ذَهَبَ الرَّفَاقُ جَمِيعُهُمْ مِنْ دُونِي لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ شَاعِرٌ يَرِثُنِي
وَعَدَتْ عَنَاوِينَ الْفُحُولِ قُبُورَهُمْ قَرَسَائِلِي قِطْعَ مِنَ التَّأْبِينِ
وَقَفُّوا عَلَى أَوْطَانِهِمْ أَعْمَارَهُمْ وَرَضُوا مِنَ الدُّنْيَا بِدُونِ الدُّوْنِ
مَا هَمَّهُمْ جُوعٌ إِذَا شَبِعَ الْجَمَى فَكَأَنَّهُمْ خُلِقُوا بِغَيْرِ بَطُونِ

مِنْ كُلِّ مَنْ شَهِدَتْ أَيْمَةً يَغْرِبُ لِبَيَانِهِ السُّحْرِيَّ، وَالتَّبْيِينَ
 حَفِظَ الْوَرَى أَشْعَارَهُ، حَتَّى عَدَا دِيَوَانُهُ بِغَنَى عَنِ التَّدْوِينَ
 وَالشَّاعِرُ الْمَدَنِيَّ آخِرُ دُرَّةَ فِي عِقْدِهِمْ، تُشْرَى بِكُلِّ ثَمِينِ
 قَلْبٌ كَقَلْبِ الطُّفْلِ أَوْ أَنْقَى، فَإِنْ مُسَّتْ كَرَامَتُهُ فَلَيْثُ عَرِينِ
 هَجَرَ النَّعِيمَ مَعِي، وَأَقْسَمَ أَنَّهُ لَيْسَتْ تَطِيبُ لَهُ الْحَيَاءُ بِدُونِي
 وَرَجَعْتُ، وَهُوَ هُنَاكَ تَضْلِيهِ النَّوَى نَارًا، فَيُظْفِئُهَا بِكَأْسِ مَنْوِنِ
 مَاذَا أَوْمَلُ بَعْدُ مِنْ عَيْشِي، وَهَذَا قَدَمَايَ غَارِقَتَانِ فِي التَّسْمِينِ
 لَوْلَا الْبُكَاءُ لَخَلْتُ أَنِّي مَيِّتٌ؛ حُصِرْتُ حَيَاتِي كُلُّهَا بِغُبُونِي
 بِدُمُوعِي الْحَرَّى أَبْلُ تُرَابَهُمْ لِبُعِيدِ رَبِّي خَلَقَهُمْ مِنْ طِينِ

١٣٩ يا ابن أُمي

قال في البرbare ١٩٨٢، وقد وُجدت القصيدة بين مخطوطاته وأوردها جورج طراد في كتابه عن القروي. والمعنى فيها شقيقه أديب:

رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ سِ، فَلَا تَظْلِمْنَهُمْ يَا رَبِّي
 قَالَ: بِغَنِي؛ فَبِغْتُهُ كُلَّ مَا أَمَرُ لِيكَ، لَمْ أَحْتَفِظْ بِحَبَّةِ تُرْبِ
 حَلَّ عِنْدِي، وَالْحَرْبُ نَارٌ وَعَارٌ نَاعِمًا آمِنًا مَعِي فِي سِرِّي
 آمِنٌ فِي سِرِّهِ: مطمئن بين أهله (تعبير قديم له أكثر من معنى، وفسرناه كما عناه الشاعر، ومرجعنا «لسان العرب»)

ثُمَّ أَشْرَكْتُهُ بِدَفْتَرٍ وَفَرِي سَاحِبًا مِنْهُ مَا يَشَاءُ، كَسَخْبِي
 مَا دَعَانِي لِحَاجَةٍ قَطُّ إِلَّا، كُنْتُ فِي سُرْعَةِ الْبُرَاقِ أَلْبِي
 البراق: الدابة التي صعد بها النبي إلى السماء، وهي سريعة كالبرق، وأسرع. ولئن كان الوزن اقتضاها، وأبى البرق، فهي أحلى

يَتَعَشَّى عَلَى هَوَاهُ، وَيَمْضِي سَالِكًا فِي الظَّلَامِ أَخْطَرَ دَرْبِ
 وَأَنَا أَسْهَرُ اللَّيَالِي وَحِيدًا لَيْسَ إِلَّا رَبِّي وَسَلَوَى بِقُرْبِي
 سلوى: بنت خالته، وكانت ترعاه في شيخوخته

ثُمَّ جَاءَ الْوَكِيلُ يَقْرَعُ بَابِي مِنْذَرًا يَطْلُبُ الشُّكُوكَ بِعُجْبِ
 العجب: الزهو والافتخار

يا ابن أمي! بأيّ ذنبٍ أجازي منك هذا الجزاء، قل: أيّ ذنبٍ
أين أمضي؟ وأيّ بيتٍ ألاقي غير بيتي لمُتَحَفِي، ولِكُتْبِي
ولنُشْرِ كَأَنَّهُ فَلَقَ الصُّب حِجَ ونظْمٍ يُرَقِّصُ المَتَنَبِّي
يا إلهي إليك وَكَلْتُ أمري حَسْبُ نفسي رِضاً بِأَنَّكَ حَسْبِي

١٤٠ سلوى

قال والقصيدة مؤرخة في ١٩٨٢ :

لم تَمُتْ أمي، فَسَلَوِي بقيت نسخة، عَنْ أصلها لم تَفِرُقِ
سلوى: بنت خالته، وقد رعته هي وأولادها في شيخوخته بالبرابرة

ضَمِنْتُ رَحْمَتُهَا عَافِيَتِي وَشَفْتُ رُوحِي بِالْحَبِّ النَّقِي
كَلِمَا جُنَّ وَرَيْدِي سَكَبْتُ دَمْعَهَا الْقَانِي دَمًا فِي عُنُقِي
يقول عمران القفني عن هذا البيت: يا إلهي! فهل هذا طلب بتسويده؟

رَبِّ! لِي أَمْنِيَّةٌ وَاحِدَةٌ أَنَّنَا عِنْدَكَ يَوْمًا نَلْتَقِي

١٤١ الغضب فضّاح

أَغْضِبْ صَدِيقَكَ تَسْتَطِيعُ سِرِيرَتَهُ لِلسُّرِّ نَافِذَتَانِ: السُّكْرُ وَالْغَضَبُ
سِرِيرَتُهُ: حقيقته الدفينة

مَا صَرَخَ الْحَوْضُ عَمَّا فِي قَرَارِيهِ مِنْ رَاسِبِ الطِّينِ، إِلَّا وَهُوَ مُضْطَرَبُ
صرح: يَبِينُ

١٤٢ اغفر لي ذنبك

مَنْ شَاءَ إِلَّا يَنْشَنِي صَحْبُهُ عَنْ حُبِّهِ، فَلْيَحْتَمِلْ صَحْبَهُ
كَمْ صَاحِبٍ، حِرْصًا عَلَى وَدِّهِ، طَلَبْتُ أَنْ يَغْفِرَ لِي ذَنْبَهُ

١٤٣ حسن الخلق

إِذَا فَرَطْتَ مِنْكَ الْإِسَاءَةَ، فَاعْتَرِفْ بِهَا، وَاعْتَذِرْ إِنْ كُنْتَ حُرًّا مُهَذَّبًا
فَإِنْ قَبِلَ الْمُسْتَاءُ عُذْرًا، شَكَرْتُهُ؛ وَإِنْ هُوَ لَمْ يَقْبَلْ، بَرِئْتَ وَأَذْنَبَا

١٤٤ الواجب

تَذَوَّقْتُ أَنْوَاعَ الشَّرَابِ، فَلَمْ يَسْغُ بِحَلْقِي أَشْهَى مِنْ حَلَالِ الْمَكَاسِبِ
وَنَمْتُ عَلَى رِيشِ النَّعَامِ، فَلَمْ أَجِدْ فِرَاشاً وَثِيراً مِثْلَ إِثْمَامٍ وَاجِبِي

١٤٥ وقوف شحيح

إِلَهِي مِنْكَ أَنْتَظِرُ الْجَوَابَ فَلَسْتُ بِقَارِعِ لِسَوَاكَ بَاباً
وَقَفْتُ بِذِلَّةٍ فِيهِ كَأَنِّي أَبِيعُ، بِبَابِ سُورِي، كِتَاباً

١٤٦ التعامي والعمى

طَلَّقْتُ دُنْيَايَ عَلَى حُبِّهَا كَأَنَّنِي حَيٌّ بِهَا مَيِّتٌ
على حبها: رغم حي لها (التعبير من الآية: «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً»
الإنسان ٨)

مَا عُدْتُ أَسْتَصِيبُ فِيهَا الْعَمَى لِطُولِ مَا عَنْهَا نَعَامِيثُ

١٤٧ الجناة والزناة

إِذَا قَتَلَ الْفَقْرُ الْيَتِيمَ، وَلَمْ يَجِدْ مُغِيثاً، فَلِأَنَّ الْمَوْسِرِينَ جُنَاهُ
وَلِأَنَّ وَقَرَ الْعِرْضَ الرَغِيفُ، وَلَمْ يُثَلِّ رَغِيفُ، فَلِأَنَّ الْبَاخِلِينَ زُنَاهُ

١٤٨ صاحب كالخاتم الجرج

كَمْ بَيْنَ صَخْبِكَ مِنْ غَالٍ تَضُنُّ بِهِ بِالرَّغْمِ مِنْ عَوَجٍ فِيهِ وَمِنْ هَوَجٍ
تَمْشِي وَتَصْبِحُ مَغْنِيّاً بِهِ، حَذِراً مِنْ أَنْ تُضَيِّعَهُ، كَالْخَاتِمِ الْجَرْجِ
الخاتم الجرج: الواسع على الإصبع

١٤٩ عندما تتدحرج الأسماء

قَالَتْ: نَسِيتَ اسْمِي؟ فَقُلْتُ لَهَا: اعْذِرِي ذَهَبَ الشَّبَابُ الْغَضُّ، وَانْقَطَعَ الرَّجَا
ذَهْنِي تَيَبَّسَ طِينُهُ، حَتَّى عَدْتُ تَتَدَحْرَجُ الْأَسْمَاءُ عَنْهُ تَدَحْرُجَا

١٥٠ فكان من شراحي

كَمْ شَاعِرٍ مَتَفَلْسِفٍ أَرَدَفْتُهُ خَلْفِي، فَطَارَ مُحَلِّقاً بِجَنَاحِي

وَمَضَى يُفْضِلُ بَعْضَ مَا أَجْمَلْتُهُ لذوي العقولِ، فكانَ مِنْ شَرَّاحِي

١٥١ لا تربية بالذل

لا تَرْضَ صَفْعاً، وَلَوْ مِنْ كَفِّ وَالِدَةٍ ما قَالَ رَيْثُكَ أَنْ يُسْتَعْبَدَ الْوَلَدُ
ما أَبْعَدَ الْعِزَّ عَنْ بَيْتٍ، وَعَنْ وَطَنِ بالذَّلِّ فِيهِ تُرَبِّي الْأُمَّ مَنْ تَلِدُ

١٥٢ أمنيات الدود

يا عاقِدَ الْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَمَلٍ كالخَيْطِ، آخِرُهُ بِاللَّحْدِ مَعْقُودُ
الدُّودُ فِيكَ يُمَنِّي نَفْسَهُ بِعَدٍ كَمَا تَعَلَّلَ بِالْمَوْجُودِ مَوْعُودُ
الدود الكامن (كموناً معنوياً) في جسم الإنسان يعلل نفسه (يصبر نفسه) بحالته الحاضرة، ولكنه موعود بوجبة شهية بعد موت الإنسان

١٥٣ ملتمسو الرحمة

وَلَوْ كَانَ عِنْدَ النَّاسِ لِلنَّاسِ رَحْمَةٌ لَمَا التَّمَسُّوْهَا رُكْعاً فِي الْمَعَابِدِ

١٥٤ بيت القصيد

قال في عرس جاره إميل يمين:

مَسَاؤُكَ عَرَسٌ، وَفَجْرُكَ عَيْدٌ فَأَنْتَ، بِرَغَمِ اللَّيَالِي، سَعِيدُ
مَسَرَّاتُ هَذِي الْحَيَاةِ قَصِيدُ وَوَضَلُ الْحَبِيبَةِ بَيْتُ الْقَصِيدِ

١٥٥ القصيدة الخالدة

لَشُنْ لَمْ أَكُنْ أَشْعَرَ الشَّاعِرِينَ وَلَمْ أَجْنِ مِنْ أَدَبِي فَائِدَةً
فَحَسْبِي أَنْ صُنْتُ مَاءَ الْجَبِينِ وَتِلْكَ قَصِيدَتِي الْخَالِدَةُ

١٥٦ جرأة الإقرار

رُبَّ ذَنْبٍ مَحْوُوتُهُ بِاعْتِزَالِي وَحَمَلْتُ الْوَرَى عَلَى إِكْبَارِي
وَإِذَا قِيسَتِ الْفَضَائِلُ، فَاثَتْ كَرَمَ الْعَفْوَ جُرْأَةَ الْإِقْرَارِ

تعليق عمران القيني: يريد التمسيد جداً، قد فعلنا

١٥٧ طالب الشهرة

قُلْ لِلَّذِي يُعْلِنُ عَنْ نَفْسِهِ جَاءَكَ مَا تَهْوَى بِمَا تَكْفُرُ
ثَلَاثَةٌ تَهْرُبُ مِنْ لَاحِقٍ: الظِّلُّ، والمرأة، والشُّهْرَةُ

١٥٨ حد اللؤم

إِذَا اسْطَغَتْ كُنْ إِمَّا مَسِيحًا مُسَامِحًا عِدَاكَ، وَإِمَّا فَارِسَ الْحَرْبِ عَنَتَرًا
فَمَا اللَّؤْمُ إِلَّا إِنْ حَقَّدْتَ، فَلَمْ تَكُنْ كَرِيمًا فَتَغْفُرْ، أَوْ شُجَاعًا فَتَثَارَا

١٥٩ الأعشاب والأزهار

يَا مَنْ يَلُومُ ابْنَ التُّرَابِ لِشُغْلِهِ بِالْفَلَسِ عَنْ شِغْرِ وَعَنْ شُعَارِ
ابن التراب: الإنسان، لشغله: لانشغاله

أَرَأَيْتَ فِي الْمَرْعَى حِمَارًا عَاقِلًا يَلْهُو عَنِ الْأَعْشَابِ بِالْأَزْهَارِ؟

١٦٠ الملبسة

حَدِيثُكَ أَشْهَى مِنْ حَيْنِيبِ الصَّبَا إِذَا أَجَادَتْ يَدُ الْعَوَادِ فِي الضَّرْبِ مَلْمَسَهُ
الصبا: مقام موسيقي حزين، وإذا كان العواد خائباً وزاد في «النوا يمول» أو نَقَصَ فَإِنَّ نَكْهَةَ الصَّبَا
تَضِيعُ لِاقْتِرَابِهِ مِنْ مَقَامٍ أَشْهَرَ مِنْهُ هُوَ الْبَيَاتِي، لِهَذَا قَالَ الشَّاعِرُ إِنَّ عَلَى الْعَوَادِ أَنْ يَجِدَ «فِي الضَّرْبِ
مَلْمَسَهُ»، وَكَانَ الْخُورِيُّ عَازِفَ عُودٍ وَمَلْحَنًا هَاوِيًا

وَتَغْرُوكُ مُبْبِضُ الشَّنَايَا، كَأَنَّمَا لِسَانُكَ فِيهِ لَوْزَةٌ فِي مُلْبَسَةٍ
انتشى شاعرنا بهذا التشبيه الذي وقع له، وكتب باليتين إلى أخيه، منبهاً إلى طرافة التشبيه.
والملبسة: حلوى من حبة لوز جافة ألبت جلباباً من السكر

١٦١ قم للمعلم

قال في رثاء العلامة داود قربان:

مَلَأَتْ صُدُورُنَا أَدْبَاءً وَعِلْمًا وَلَمْ يَمَلَأْ لَكَ التَّعْلِيمُ كَيْسًا
وَأَنَّ مُعَلِّمِي تَارِيخٍ قَوْمِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَيْسَى وَمُوسَى

١٦٢ محنة الأديب

كَأَنِّي سِرْتُ مِنْ أَدَبِي بِقَفْرِ وَمَا لِي مَلَجًا مِنْ حَرِّ شَمْسِهِ

خِيَالِي جَنَّةً، لَكِنْ لَغَيْرِي وَمَنْ ذَا يَسْتَظِلُّ بِظِلِّ نَفْسِهِ

١٦٣ رَق الصناديق

تَشْكُو خَزَائِنُكُمْ ضَيْقاً بِشُرُوتِكُمْ وَالنَّاسُ يَشْكُونَ مِنْ فَقْرٍ، وَمِنْ ضَيْقٍ
وَدَّتْ مَلَائِيْنُكُمْ لَوْ كُنْتُ سَيِّدَهَا، كَيْمَا تَحَرَّرَ مِنْ رِقِّ الصَّنَادِيْقِ
تود أموالكم لو أنني مالكتها كيما تحرر (لكي تتحرر) من رق (عبودية) الصناديق

١٦٤ مصدر الحكمة

اسْتَقِ الْحِكْمَةَ، لَا يَشْغَلُكَ مِنْ أَيِّ يَنْبُوعٍ جَرَتْ، يَا مُسْتَقِي
فَشِعَاغُ الشَّمْسِ يَمْتَصُّ النَّدَى مِنْ فَمِ الْوَرْدِ، وَوَحْلِ الطَّرْقِ

١٦٥ شكوى

عَلَيَّ حُقُوقٌ لَمْ أَنْمَ عَنْ أَدَائِهَا فَمَا بَالُ غَيْرِي يَسْتَبِيحُ حُقُوقِي
تَقَدَّمَنِي مَنْ كَانَ خَلْفِي، لِأَنَّنِي تَقُومُ عَلَى سَاقِ الْأَمَانَةِ سُوقِي

١٦٦ ثلاثة أسلحة

شَرُّ السِّلَاحِ ثَلَاثَةٌ يُخْشَى عَلَى أَصْحَابِهَا، وَعَلَى سِوَاهُمْ، فَاتَّقِ
مُوسَى بِكَفِّ الطِّفْلِ، أَوْ قَلَمَ بِكَفِّ - النَّذْلِ، أَوْ مَالَ بِكَفِّ الْأَحْمَقِ
موسى: شفرة

١٦٧ أسوأ مما تتصورون

لَا، لَسْتُ يَا نَفْسِي كَمَا وَصَفُوكَ فَلَقَدْ عَرَفْتُكَ قَبْلَمَا عَرَفُوكَ
أَلَلَّهُ أَعْلَمُ بِالَّذِي أَخْفَيْتُهُ تَحْتَ الْبَرَاقِعِ مِنْ قَبِيحِ سُلُوكِي

١٦٨ حمال وحمال

قُلْ لِلْغَنِيِّ الَّذِي بَاهَى بِشُرُوتِهِ وَلَمْ يُبَاهِ بِأَخْلَاقٍ وَأَفْعَالٍ
لَا تَضْحَكَنَّ عَلَى حَمَالٍ أَمْتِعَةٍ فَلَسْتَ أَنْتَ سِوَى حَمَالٍ أَمْوَالٍ

١٦٩ فضل الاستعطاء

تَلَقَّطْ شُذُورَ الْعِلْمِ حَيْثُ وَجَدْتَهَا وَسَلِّهَا، وَلَا يُخْجِلْكَ أَنَّكَ تَسْأَلُ
شُذُورَ: فتافيت الذهب

إِذَا كُنْتَ، فِي إِعْطَائِكَ الْمَالَ، فَاضِلًا فَإِنَّكَ، فِي اسْتِعْطَائِكَ الْعِلْمِ، أَفْضَلُ

١٧٠ المتسقط

يَا مَنْ يَعُدُّ عَلَيَّ كُلَّ صَغِيرَةٍ إِنْ لَمْ تَكُنْ مُتَسَاهِلًا، كُنْ عَادِلًا
إِنْ كُنْتَ مِثْلِي نَاقِصًا فَاغْذِرْ، وَإِنْ تَكُ كَامِلًا فَاغْذِرْ، لِيَتَبَقَى كَامِلًا
عمران القفيني يقول: يا أخي هذا بيت غير عادي!

١٧١ تبديل الأجسام

يَا حَاسِبَ الْأَعْمَارِ لَا تَعْجَبْ إِذَا هَذَا قَضَى شَيْخًا وَذَاكَ غُلَامًا
فَكَمَا تُبَدِّلُ غَادَةً أَثَوَابَهَا بَعْضُ النُّفُوسِ يُبَدِّلُ الْأَجْسَامَا
في البيتين إشارة إلى مذهب الحلول، فالذي يموت تذهب روحه إلى جسم آخر

١٧٢ لن تنالوا البر حتى

قُلْ لِمَنْ يُؤْتِي زَكَاةً لَيْسَ يَرْضَى اللَّهُ بِالْذُّونِ
«لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ، حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ»

١٧٣ نحن أعداء السلام

أَمَّا السَّلَامُ فَإِنَّا أَعْدَاؤُهُ حَتَّى يَدِينَ بِحُبِّهِ أَقْوَانَا
لَمْ يَغْتَرِفْ حُرًّا بِإِنْسَانِيَّةٍ إِلَّا إِذَا اغْتَرَفَتْ بِهِ إِنْسَانَا

١٧٤ ثمن الحسد

يَا حَاسِدِي! وَاللَّهِ يُخْزِنُنِي أَنِّي جَلَبْتُ لِقَلْبِكَ الْحُزْنَ
أَعْطَانِي الْمَغْطِي بِلَا ثَمَنِ فَأَبَيْتُ إِلَّا دَفَعَكَ الثَّمَنَا

١٧٥ الأسد حيث تكون كان عرينها

كُلُّ الْبِلَادِ لِكُلِّ نَفْسٍ حُرَّةٍ وَظَنُّ، وَلَكِنْ لِلْقُلُوبِ حَنِينُهَا
لَمْ تُكْسِبِ الْوُجُرُ الثَّعَالِبَ هَيْبَةً، وَالْأَسَدُ حَيْثُ تَكُونُ كَانَ عَرِينُهَا

الوجر: جمع «الوجار» وهو بيت الثعلب

١٧٦ دينها قانونها

لَا تَرْجُونَ مِنَ الطَّبِيعَةِ رَحْمَةً إِنَّ الطَّبِيعَةَ دِينُهَا قَانُونُهَا
سَقَطَ الرِّضِيعُ، فَمَا وَقْتُهُ سَمَاوُهَا تَلَفًا، وَلَا ذَرَقَتْ عَلَيْهِ عِيُونُهَا

١٧٧ للعداوة أصول

عَبَثًا تُحَاوِلُ، يَا فَلَانُ، إِنَارَتِي لِيَقُولَ عَنْكَ النَّاسُ: خَصْمُ فَلَانٍ
لَنْ يَسْتَحِجَّ عِدَاوَتِي إِلَّا الَّذِي عَادِيَّتُهُ أَنَا، لَا الَّذِي عَادَانِي

١٧٨ زر الكهرباء

لَمْ أُنَسَ حِينَ غَشَوْتُ خِذْرَ لَمِيَّةٍ وَاللَّيْلُ يَغْمُرُنَا بِجَلْبَابَيْنِ
غَشَوْتُ: أبيت، الخدر: مكان المرأة من البيت. يقصد أن شخصيهما مختفيان في جلبابين، فكل
منهما يلبس جلباباً من الظلمة

عَالَجْتُ زِرَّ الْكَهْرِبَاءِ بِصَدْرِهَا فَأَنْرْتُ فِي الْعَيْنَيْنِ مِضْبَاحَيْنِ

١٧٩ الباصق في مهب الرياح

أَيَا مَنْ تَعَوَّدَ سَبَّ الْأَكَارِ مِ نَزَّةٍ لِسَانَكَ عَنْ طَعْنِهِ
نزه لسانك عن طعنه (الطعن الذي يقوم به هذا اللسان)

وَبَضُقُ الْفَتَى فِي مَهَبِّ الرِّيحِ يُعِيدُ الْبُصَاقَ إِلَى ذَقْنِهِ

١٨٠ ليس بالخبز وحده يكون البرّ

تَذَكَّرْ حِينَ كُنْتَ عَلَى يَدَيْهَا تُقَطِّرُ فَيْكَ مُهَجَّتَهَا لِبَانَا
فَأَوْفِ جَزَاءَهَا، وَاعْطِفْ عَلَيْهَا وَلَقَّبَهَا مَعَ الْخُبْزِ الْحَنَانَا

١٨١ الأفكار المتجمدة

وَبَرْدِ تَجْمُدِ الْأَفْكَارِ مِنْهُ إِذَا هُنَّ انْفَصَلْنَ عَنِ الْجَنَانِ
تَكَادُ الْعَيْنُ تَقْرؤها حُرُوفاً مُعَلَّقةً عَلَى طَرَفِ اللِّسَانِ

١٨٢ صاعداً على أعدائه

وَلَا تَحْفِلُوا بِفَجِيعِ أَفَاعِي الْـ جُحُورِ، وَأَنْتُمْ نُسُورُ السُّمُورِ
فَإِنَّ الْعِدَى دَرَجَاتُ الْعُلَى صَعِدَتْ عَلَيْهَا عِدُوّاً عَدُوّاً

١٨٣ الصديق سيف في يدي

إِنَّ الصَّدِيقَ لَيُشْبِهُ السَّـ يِفَ الْمَجْرَدَ فِي يَدَيَا
أَلْقَى بِهِ نُوبَ الزَّمَانِ إِذَا عَدَتْ يَوْماً عَلَيَا
وَالْحَبِيرُ أَنْ أَعْنَى عَنِ اسْمِ تَعَمَّالِهِ، مَا دُمْتُ حَيّاً

١٨٤ اللذة والسعادة

اللَّذَةُ الْكُبْرَى مَشَا عُ لِّلْسَعِيدِ وَلِلشَّقِي
أَمَّا الْحُبُورُ فَإِنَّهُ وَقَفَ عَلَى الْقَلْبِ النَّقِي

١٨٥ يريد أن يعانق المارة في الشارع

مَنْ لِنَفْسٍ تَوَدُّ لَوْ تَغْمُرُ الْكَوْ نَ، هَيَّاماً بِحُسْنِهِ الْمَغْبُودِ
مَثَلُوا لِي هَذَا الْوُجُودَ بِشَيْءٍ أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ ضَمَّ الْوُجُودِ

هذان البيتان فيهما تصوير لمتنهي الفرح. بيتان كهذين لا يقولهما إلا من كان قلبه يغلي شعراً. رحمك الله يا قروي.. ما في شعرك من سياسة صرف الناس عما فيه من درر ثمينة. ولك في شعر السياسة شعر هو من أحلى الشعر. لبدوي الجبل هجاء رائع في عبد الناصر، ولك يا قروي مديح رائع في عبد الناصر. كأنني سمعت بعض الحمقى يقولون إن الشعر السياسي يموت بانقضاء المرحلة! المرحلة تنقضي والشعر المضمخ بالمعاطفة، حباً أو كرهاً، يبقى

١٨٦ غربة مضاعفة

مَا الْبَرَازِيلُ مَهْجَرِي لَيْسَ لُبْنَانُ لِي جَمَى

إِنَّ نَفْسِي غَرِيبَةٌ تَشْتَكِى الْبُعْدَ فِيهِمَا

١٨٧ الاختيار

بَنَاتُ حَوَاءَ أَعْشَابٌ وَأَزْهَارُ فَاسْتَلَمَ الْعَقْلُ، وَانْظُرْ كَيْفَ تَخْتَارُ
وَلَا يَغُرَّنَّكَ الْوَجْهُ الْجَمِيلُ، فَكَمْ فِي الزَّهْرِ سُمٌّ، وَكَمْ فِي الْعُشْبِ عَقَّارُ
«العقار» بمعنى الدواء مشددة، لذا فالجمع «عقاقير» بقاتين، و«العقار» بمعنى المباني، غير مشددة،
فجمعها «عقارات» بقات واحدة

١٨٨ سوى شهوة..

صَرَفْتُ عَنَانَ النَفْسِ عَنْ كُلِّ شَهْوَةٍ سَوَى شَهْوَةٍ قَدْ رُكِبَتْ فِي الطَّبَائِعِ
وَكَيْفَ بَغَضُ الظَّرْفِ عَنْ خَمْرَةٍ جَرَتْ دَمًا فِي عُرُوقِي، أَوْ لَظَى فِي أَصَالِعِي

رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) فهرس القوافي

٤٩	كَتَبَ	٥٠	عَيَاءَ
٧٦	صَبَّهَا	٩٣	الأُدْبَاءُ
١٤٢	صَخْبَةً	١	الْفَضَاءُ
١٣٠	وَمَخَالِيَهُ	١٢٧	السَّمَاءِ
٢١	الْمِيَّاتِ	٢٥	لِفَنَاءِ
١٤٧	جُنَاةُ	١٧	الْحِسَابِ
١٤٦	مَيْتُ	١٤٥	بَابَا
٧٠	أَبْرَمَتْهُ	١٢	سَلْبَا
٥٦	رُقَاتِيهِ	١٤٣	مُهَذَّبَا
١٤٩	الرَّجَا	١١	اغْتِرَابُ
٥	نَاسِجٍ	٦٤	ذِنَابُ
١٤٨	هَوَجٍ	١٤١	وَالْغَضَبُ
١١٥	أَبْرَاجِهِ	١٤٤	الْمَكَاسِبِ
٥٩	الصَّبَاحُ	٥٨	تَعَبِ
٢٣	سَاحُوا	٩١	دَأْبِي
١٥٠	بِجْنَاحِي	٤٥	ذَنْبِ
٧٥	جَنَاحِي	١٣٩	رَبِّي
٤٤	أَبْدَا	١٠	أَتَعَجَّبُ
١٠٠	الرَّشَدَا	٩٩	أَغْلَبُ
٨٥	الْعِدَى	٦٩	تُرَاقِبُ

٩٧	تَنْفَجِرُ	١٣٤	الْوَيْدَا
٢٠	مُنَجَّبِرُ	٢	جِلَادَا
١٥٦	إِكْبَارِي	٦١	يَدَا
١٣	الْعِدَارِ	١٥١	الْوَلْدُ
٥٣	حُبُورِي	٣	عَلِيدُ
١٥٩	شُعَارِ	١٥٢	مَعْقُودُ
١٢٩	شِعْرِي	٤٢	جِدُّ
١١٤	عَارِ	٨٧	الأَعَادِي؟
٤	وَحُبُورِ	٨٢	الْجِلَادِ
١٢٠	الْخَنَاصِرِ	١٥٣	المَعَابِدِ
٧	مَقَرَّ	١٨٥	المَغْبُودِ
١٣٦	وَنَنَازِ	٣٩	الْمَنْكُودِ
١٥٧	نَكْرَةَ	٦٨	ثَمُودِ
١٤	لِنَشْرِهْ	١٦	مُسْتَرِيدِ
٢٨	نَاضِرَةَ	٥٢	مَنْتَقِدِ
١٦١	كَيْسَا	١٥٤	سَعِيدُ
٤٠	فَكَنَسُوا	٣٨	يَا الْكَمَدُ
٩٤	حَوَاسِي	١٣٣	جَنَدُهُ
١٢٣	فَارِسِ	١٥٥	فَائِدَةُ
١٠٧	دَوَارِسِ	٣٧	النَّارَا
١٠١	التَّعَاسَةُ	١٠٥	سَحْرَا
٣٣	خَمْسِيهِ	٦٠	سَفْرَا
١٦٢	شَمْسِيهِ	١٥٨	عَتَرَا
١٦٠	مَلْمَسَةُ	١١٢	أَزْهَارُ
٢٢	فَيْرَضِي	٩	أَطِيرُ
١٢٢	شُرُوطِ	٨٣	أَكْبَرُ
٣٤	رَبِّعَا	١٨	الْقِصَارُ
٤٣	مُشْرَعَا	١٨٧	تَخْتَارُ
٥٤	وَيَمْتَنِعُ	٦	تَعَثُرُ

١١١	اِخْتِمَالَهُ	١٨٨	الطَّبَائِعِ
٧٧	حَامِلُهُ	٣٥	تُرَاعِي
١٨٦	حِمَى	١٣٢	تُمَانِغِ
١٧١	غُلَامًا	١١٠	طَبِيعَهُ
١١٨	كَالْعَمَى	٢٦	مُضْطَفَى
١٢٤	مُرْتَسِمًا	٦٥	وَالْإِسْرَافُ
٩٠	الْمُسْتَهَامُ	١٠٦	أُغْرِفَ
١١٣	الْهَمُّ	١٠٨	فَارِقًا
٧٢	عَلِمُ	١٠٣	يَلْقَى
٧٣	مُجَسِّمٌ	٤١	عَبَقُ
٧٨	نَتَنَعَمُ	٢٤	الْخَفَاقِي
٦٧	الْأَغْلَامِ	٨٤	الْمَمَازِقِ
١٢١	الشَّامِ	١٤٠	تَفْرُقِ
٥٧	فَمِي	١٦٥	حُقُوقِي
٨٦	الْأَمَمِ	١٦٣	ضَيْقِ
٣١	بِالدَّمِ	١٦٦	فَاتَّتِي
١٢٥	جُرْمُهُ	١٦٤	مُسْتَقِي
٩٦	حِمَامُهَا	٥٥	وَيَسْتَلْقِي
٧١	وَدَوَامِهَا	٨٠	نَتَحَاكِي
٢٩	إِخْوَانًا	١٠٢	يُمْنَاكَ
١٧٣	أَقْوَانًا	١٦٧	عَرَفُوكِ
٤٨	أَكْفَانًا	١٥	فِيَاكَ
١٧٤	الْحُرْنًا	١٧٠	عَادِلًا
٦٢	الْمَرْسَلِينَا	١٦٩	تَسْأَلُ
١٢٨	تَغْيِيرِنَا	٩٨	الرَّمْسِ لِي
٦٣	فِينَا	١١٧	الْعَمَلِ
١٨٠	لِيَانَا	٢٧	كَاهِلِي
٦٦	بُرْهَانُ	١٦٨	وَأَفْعَالِ
٩٢	وَمُجَنِّنُ	١٠٤	وَتَنَقُّلِي

١١٦	يَرَنِي	٨٩	أَشْجَانِي
١٧٢	بِالدُّونِ	٧٩	أَقْسَانِي
١٧٥	حَنِينُهَا	٣٠	التَّجَنِّي
١٧٩	طَلْعِهِ	١٨١	الْجَنَانِ
١٧٦	قَانُونُهَا	٨	الشَّارِبِينَ
١٣١	وَزَيْنُهُ	١٧٨	بِجَلْبَابَيْنِ
٤٧	بِيَدَيْهِ	٣٦	ثَانِ
٨١	أَهْوَى	١٣٧	حُزْنِي
٥١	دَوِي	١٠٩	ضِنِّي
١٨٢	السُّمُو	٨٨	عَدْنَانِ
٤٦	الْحَيَا	١٧٧	فُلَانِ
١٢٦	وَرَايَا	١٣٥	لِبْنَانِ
١٨٣	يَدَيَا	٧٤	مِنِّي؟
١٨٤	وَاللَّشَقِي	٣٢	وَالْوِلْدَانِ
١٩	الْأَبِيَّةُ	١١٩	وَطَنِي
٩٥	حُيَّهِ	١٣٨	يَرُثِينِي

إيليا أبو ماضي

(١٨٨٩ - ١٩٥٧)

عن دراسة لجورج جحا فإن مولد إيليا أبو ماضي محقق من عدة مصادر على أنه في سنة ١٨٨٩. والأديب الإسكندري عبد العليم القباني وضع كتيباً عن إيليا أبو ماضي في فترته الإسكندرية خص قطعة صالحة منه بتحقيق عام مولده، وهو يقول إن أبو ماضي ولد قبل عام ١٨٨٩ بوضع سنوات، وقرائنه وجبهة. وثمة من قال، وأكد، أنه ولد في عام ١٨٩٥.

وقد شغلتنا حكاية تاريخ مولده، لأنها غدت مع اضطراب المصادر - وسبب الاضطراب أساساً شغف الناس بتقديم الفتوى السريعة الجازمة بغير علم.. وأنت تعرف طبعاً أن مأواهم الآن جهنم الحمراء - أقول غدت الحكاية لغزاً مسلياً. مختار قرية المحيدثة أكد أن المولد كان في عام ١٨٨٩، ولكن السجلات المدنية في بكفياً قالت: ١٨٩٢، وأشار الباحث جرجي إبراهيم نصر في مقال عام ١٩٦٦ إلى أن هذه السجلات تقريبية ولا تعويل عليها. فأما الكنيسة في المحيدثة نفسها فلا سجلات لديها تخص تلك الحقبة.

نعود إلى شهادتين لهما من القيمة فوق ما لكل المستندات المكتوبة: ميخائيل نعيمة قال للباحث جحا إنه وإيليا ولدا في السنة نفسها ١٨٨٩. وميخائيل رفيق إيليا في نيويورك، وزميله في الرابطة القلمية، فهو يعرفه عن قرب، ومنذ سن الشباب. وأنا وأنت نقيس أصدقاءنا في سن الشباب بأنفسنا، فالذي يكبرنا بسنة نعرف أنه يكبرنا بسنة، والذي يصغرنا بسنة نعرف أنه يصغرنا بسنة. فهذه السنة تصنع فرقاً في الوعي في السن الباكرة. وثمة شهادة أقوى.

تلك شهادة مراد أبو ماضي أخي إيليا الذي يكبره بسنتين. فقد نُشر في ديوان تبر وتراب، الذي أصدرته دار العلم للملايين بعد وفاة الشاعر، أن ميلاده

كان عام ١٨٩٠، فصحيح مراد هذا الخطأ، في رسالة بعثها إلى سيدة من العائلة أرفق بها نسخة من الديوان، وجعله ١٨٨٩. ومن ذا يجهل عمر شقيقه المقارب له في السن؟ ثم إن مراداً صاحب إيليا في دروس تلقياها على شاعر القرية، وصحبه في الإسكندرية وفي نيويورك، وكان لمراد من الشعر نصيب، فهو حتى في هذه قريب من أخيه المشهور. ولو كان في نفس مراد أبو ماضي أخي الشاعر قليل من الشك فيما بين ١٨٩٠، و١٨٨٩.. لما بادر إلى التصحيح، فالفارق سنة واحدة، وتصحيحه يدل على أنه يعرف بثقة تاريخ ميلاد أخيه.

وننصح الباحثين الكرام أن يمضوا في استقاء الفتاوى بشأن ميلاد إيليا أبو ماضي كي تستمر هذه التسلية.

إيليا أبو ماضي شاعر المحبة والابتسام. وكنت أريد أن أبدأ الحديث عنه بفقرة عن التسامح، ولكنني الليلة منشغل بشيء آخر. ومن بعض مغارم من يقرأني أنه يجد نفسه كالجالس بجانبني، ويرى نفسه مضطراً إلى أن ينشغل بما يشغلني. لكنّ لقارئي غُماً أرجو ألا ينساه، وهو فرحته إذ يقع على خطأ مطبعي أو لغوي. بعض معارفي يهااتفونني ليقولوا بصوت ملؤه الجبور إنهم عثروا على الغلطة الفلانية في الصفحة الفلانية في السطر الفلاني. أحدهم يجلس القرفصاء في المكالمات الهاتفية ويأخذ بمناقشتي في كلمة، ويحتر ويتصب عرقه إذ يسمعني أقول له بين الدفقة والدفقة من كلامه: لا أدري، وربما، ولعلك على صواب، وسنصلحها في الطبعة المقبلة إن كانت ستكون طبعة مقبلة.

ولهؤلاء، أفرح الله قلوبهم، وملاً بالبهجة صدورهم، أقول: إنني أبحث بقدر ما لدي من وقت، وأكتب بقدر ما عندي من علم، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

نعم، فتحت باب الحديث عن إيليا أبو ماضي وفي نفسي أن أتكلم عن المحبة والابتسام، لكنّ ما يشغلني إنما هو الترتيب.

أنا وأنت نعرف لماذا مساحة المربع مربّع ضلعه. ونعرف أن نرسم داخل المربع مربعات صغراً تثبت النظرية. ولكنني، أنا، لا أعرف لماذا يُرَبَّعون السرعة في الطاقة الحركية. ولعلك درست أن الشخص الذي يجري بسرعة أربعة أمتار في الثانية، ووزنه مئة كيلو، يعطي إذا اصطدم فجأة بجدار طاقة مقدارها نصف وزنه مضروباً في مربع سرعته، فهذه ٥٠ كيلو لنصف وزنه + ١٦ لمربع سرعته = ٨٠٠ جول.

فلماذا يربعون السرعة؟ ولماذا يربعها آينشتاين في معادلته المشهورة؟
ولماذا لا ينصف آينشتاين الكتلة في معادلته مثلما هي منصفة في قانون الطاقة
الحركية؟

يقول لك المعلم: احفظ القانون وطبقه، ولا تسأل لماذا؟

ومن نكد طالعي أنني أسأل بين الحين والحين بلماذا. لكنني عدلت منذ
زمن عن الإغراق في التمهيص، لأنني اكتشفت أن عقلي لا يحب التجريد ولا
يستطيعه إلا قليلاً. فأنا قانع من العلم بقراءات في كتب «العلم للجمهور». وقد
رأيت، في بعض من عرفت، قدرة طيبة على التجريد، وعناداً في تحصيل الفهم
العميق، وإلحاحاً على السؤال بلماذا. وشهدت إجاباتهم لِمَا وجدوه من عدم
ترحيب السوق المحلية بمواهبهم. فمنهم من هاجر، ومنهم من ارتضى حفظ
القوانين العلمية والاكتفاء بتطبيقها، وتحفيظها لطلابيه، ومطالبتهم بالاكتماء
بتطبيقها.

العقول العبرية تكتشف قوانين الكون: ابن سينا والفارابي وغاليليو ونيوتن
وآينشتاين؛ والعقول القوية تفهم القوانين؛ والعقول الراضية تكتفي بالتطبيق.
هناك من يتتبع نظاماً حاسوبياً متكاملاً (نظام تمييز الوجوه مثلاً)، وهناك من
يبرمج، وهناك - في الدرجة الدنيا - محدثكم الذي ينقر على حاسوبه الهمزات
والحركات، فإذا أخطأ ملاً قلوب بعض الناس حبوراً وهم قاعدون يتسقطون.
أفرح الله قلوبهم.

لم يكن إيليا أبو ماضي عروبياً. فإن كنت متحمساً للعروبة فننصحك
بالتروي بدل أن تطلق في وجهه فحة شمسية من الكراهية. ولم يكن شديد
المجاملة للمسلمين، ككثير من الشعراء المسيحيين، فإن كنت مسلماً تطرب لما
يبيده بعض المسيحيين من هذا النوع من المجاملة، فحنانيك، لا تحكم على
الناس بخصلة واحدة؛ ولجهامة الصراحة أحب إلى قلب المؤمن من بشاشة
المجاملة. ولم يكن إيليا أبو ماضي موقناً بالنشور. ولم يكن واضحاً في معاداته
للاستعمار الغربي لبلادنا، ولم يكن متسامحاً مع أعدائه. لا بل كان له أعداء
وخاض الخصومات. ولم يكن رومانياً طول الوقت، كما قد تكون أوحث لك
القصائد التي اختارها مؤلفو كتب المدارس.

كان إيليا أبو ماضي يحسن استعمال المفردة القديمة والأسلوب القديم
عندما يريد، وكان فصيحاً في معظم الأحيان، غير أنه أسرف في التساهل في

النحو والصرف، كأنما كان يطرقه المعنى الفاتن فيذبح له مفردة؛ أو يستخفه ما يجد من تدفق قلمه على الورق فلا يريد أن يقف وقفة الباحث عن طريقة يؤدي بها المعنى ويرضي سيبويه في الوقت نفسه، فيستعجل، عارفاً أن ربة الشعر لا تمكث طويلاً على سن قلم يقضم الشاعر عقبه بين أسنانه.

لا حجة لمن يكثر التجوز وارتكاب أخطاء في النحو والصرف. هو يقول: أنا أعرف الوجه الصحيح، ولكنني مجتري على اللغة؛ ونقول له: ونحن نعرف أنك كنت تعرف وجه الصواب، فوجه الصواب يعرفه التلامذة، ونعرف أنك اجتأت على اللغة. اجتري اجتراء من يبدع من جوف اللغة قلباً يحتضن معنى جديداً، لا اجتراء عاجز. وكان عند إيليا الاجتراء.

فإن كنت تظن شاعرنا ذلك المتسامح الكبير في غير النحو والصرف، فإني أقول لك: بل أنت المطالب بأن تكون متسامحاً كبيراً وأنت تقرأه، حتى تستمتع بشعره. والذي انتقته لك من شعره باقة كبيرة فيها شيء من كل شيء. وسترى الشاعر فيها من جوانبه المختلفة. على أنها، بعد، باقة مختارة. فيها تلك القصص المدرسية الحلوة: قصة التينة التي رفضت أن تحمل ثماراً، وقصة الملك والشاعر، وقصة إيليا عندما فكر بهدايا العيد. ولم نكثر من التسويد في هذه القصص لأن قصيدة القصة تكون متماسكة. غير أننا، في الحين بعد الحين، كنا نجد البيت البديع فنسوده حتى نلفت نظرك إليه.

ولد إيليا أبو ماضي في قرية المحيدثة بלבنا في عام ١٨٨٩، فهو قد وعى العهد العثماني. وأمسك بذيل النهضة الكبيرة للغة العربية التي قادها الجيل الذي سبق جيله في لبنان. تعلم الحرف، وكان مقبلاً على التعلم منذ سن الخامسة. ثم التحق بمدرسة تابعة للكنيسة في قرية مجاورة.

لعل ما قد ذكره بعضهم من استراق إيليا أبو ماضي السمع وهو طفل إلى ما يلقى من دروس في مدرسة البستان، التي أسسها شاعر المحيدثة الشيخ إبراهيم ميخائيل المنذر، مجرد تلفيق أكاديمي من تلك التلفيقات الكثيرة. فقد رأى بعضهم أن في المحيدثة مدرسة فجعل شاعرنا يتلصص على دروسها وهو طفل. والواقع أن المدرسة تأسست وإيليا في أميركا، وقد جاوز العشرين.

لكن شاعرنا عرف شعر إبراهيم المنذر، وجلس إليه طفلاً، مع أخيه مراد وأطفال القرية، يستمعون إلى بعض الدروس. هذا مطلع قصيدة للمنذر:

من أنا واللّه أدري، ولا أحد في الكون يدري من أنا

وتسمع فيها أخت الـ«لست أدري» المشهورة في طلاس إيليا، وتكرر فيها عبارة «من أنا» لتختم فقرات متتابعة متنوعة القوافي، وهي على بحر الرمل أيضاً. وهذا يعيد إلى الذهن اقتباس إيليا فكرة قصيدته: (نسي الطين ساعة أنه طين حقير) من قصيدة شعبية، كما سيرد عليك في شرحنا لهذه القصيدة.

وثمة قصيدة أخرى للشيخ إبراهيم المنذر ظلت مشهورة حتى يومنا هذا لا يكاد يفلت من بين براثنها طفل، وفيها من الأسلوب القصصي وصوغ العبارة ما يشبه شعر إيليا، ولا نظن إيليا أفلت منها. ها هي قصيدة المنذر المشهورة، فلا نريد أن يخلو كتابنا منها:

أغرى امرؤ يوماً غلاماً جاهلاً ينقوده حتى ينال به الوطرُ
قال ائتني بفؤاد أمك يا فتى ولك الدراهم والجواهر والذررُ
فمضى وأغمد خنجراً في صدرها والقلب أخرجه وعاد على الأثر
لكنه من قرط سرعته هوى فتدخرج القلب المضرج إذ عثر
ناداه قلب الأم وهو معفرٌ: ولدي حبيبي، هل أصابك من ضرر؟

الولد يعرف شاعر قريته الذي يكبره بخمس عشرة سنة، ويسمع شعره. والمحيدة قرية من أصغر القرى، كانت وما زالت (كان عدد سكانها عند مولد إيليا ١٥٠ نسمة). وكل ولد في كل قرية يعرف شاعر قريته؛ فما بالك بولد يقول أبياتاً من الزجل، وما بالك بشاعر القرية يكون في مستوى المنذر؟

كان أولاد ضاهر إيليا طانيوس أبو ماضي ستة. وكان حائكاً فقيراً، وأخذ يبحث أبناءه على السفر لكسب الرزق. وأبناؤه خمسة ذكور وبنت هي جنى، وكانوا يدعونها «أوجيني» بمضاعفة عدد الحروف. أليس الفرنسيون قد بدأوا يفرضون ثقافتهم على لبنان؟ والإمبراطورة أوجيني زوجة نابليون الثالث اشتهرت في الشرق بحضورها حفل تدشين قناة السويس وبدورها الطاعني في القصر قبل الإذلال الكبير في الحرب مع بروسيا..

ما كاد إيليا يتجاوز العاشرة حتى بعثه أبوه إلى مصر ليقف في دكان السجائر الذي يملكه خاله قبالان إسكندر في الإسكندرية. وأخوه مراد هاجر قبله إلى الإسكندرية. وكان من نعمة الله على إيليا أبو ماضي أنه لم يتعلم في

المدارس بعد سن العاشرة. تعلم على نفسه، وقرأ دواوين القدماء وأشعار المعاصرين، وقرأ عن الدنيا في مجلة كانت أهم من كل جامعات العالم العربي على مدى عقود كثيرة. تلك هي المقتطف.

ولأنني، أنا، تعلمت على مجلة، فسوف أقف هنا وقفة، راجياً من القارئ أن يتذكر أننا وصلنا في قصتنا إلى أن الطفل إيليا أبو ماضي كان في نحو العاشرة وهو يقف في دكان السجائر بالإسكندرية.

مجلتي التي علمتني كانت «العربي» الكويتية. كانت مجلة علم وأدب، فريس تحريرها ومؤسسها أحمد زكي عالم كيمياء، وهو أديب ذو قلم بليغ. علمتني «العربي» أن أحب العلم. والآن أتذكر تلك المقالات المتلاحقة التي كان يكتبها رئيس التحرير عن «العقل الإلكتروني». . هكذا سمى الكمبيوتر بالعربية قبل أن يرى الناس أي كمبيوتر بسنين كثيرة، وقبل أن يخترعوا له كلمة الحاسوب. كان أحمد زكي في الستينات يكتب لنا عن التطور في تقنية الكمبيوتر خطوة خطوة، وهو، بعد، خريج بريطانيا أم الكمبيوتر. ومن مجلة العربي تعلمت الحرف نفسه. فقد أخفقت المدرسة في تعليمي حتى الألفباء، وتعلمتها من تلك الأسطر التي تحت الصور في مجلة العربي. وبعض كراهيتي للمدارس والجامعات أنها لم تعلمني بل حبستني عن التعلم قدر استطاعتها.

كانت مجلة المقتطف بستاناً للعلم والأدب، فصاحبها يعقوب صرّوف عالم وأديب وصحفي.

أعطيك مثلاً.

كنت في مصر ذات سنة، ووجدتني ذات صباح في ميدان طلعت حرب، وقد أنهيت جولتي على المكتبات، وشربت قهوتي في «جروبي». أوقفت سيارة كي تقلني إلى بيتي، وكان لي في تلك السنة بمصر بيت. ركب، وانطلقت السيارة بي. قلت في نفسي: أوبلغ بك كره السياحة يا رجل ألا تجد في مصر سوى المكتبات؟ ثم وجدتني أقول للسائق: أتعرف الفيوم؟ سؤال غير لائق لسائق في الثمانين من عمره. قال لي: طبعاً، فقلت له: هيّا.

ولرحلة كهذه أن تستغرق ساعة ذهاباً، وساعة إياباً، وساعة أتناول فيها مع صاحبي الشيخ غداء على بحيرة قارون. فلماذا، إذن، عدت إلى بيتي في الساعة الثالثة من فجر اليوم التالي؟

ما كدنا نهم بالخروج من القاهرة حتى بدأت السيارة تصدر أصواتاً .
ووقف السائق بجانب بيت، وطلب ماء . وسقى المحرك . وبعد كيلومتر أو أقل
وقف ثانية . هل سأقول وقف ثالثة ورابعة؟ وماذا سأفعل حين أتعدى العشرة؟
هل سأقول وقف حادية عشر وثانية عشر؟ قد، والله وقف عشرات المرات .

على أطراف الفيوم، وفي شارع تكتنفه أشجار المانجا، وقفنا أمام مشغل
ميكانيك خرج منه رجل ضخم الجثة . طلب منه سائقي الشيخ أن يلقي نظرة .
فقال الرجل: هذا لا ينفع، أبداً أبداً، المحرك سيقفش منك . لكن سائقي هز
رأسه واكتفى بطلب دلو ماء، وسقى المحرك . وفي كل مرة كان يسقي فيها
المحرك كان يصدر عنه صوت غليان وتتصاعد الأبخرة .

ووصلنا بحيرة قارون في شبه معجزة . أقول شبه معجزة لأن المعجزة
الحقيقية ستكون في طريق العودة .

تغدينا على شاطئ البحيرة، وسألت أسئلة كثيرة عن هذه البحيرة العجيبة .
ولم أحظ بجواب .

قلت لشيخى: هيا بنا . فعرض عليّ أن يلتمس لي سيارة تعيدني إلى
القاهرة، فلا أعاني مشقة الركوب معه في سيارته العجيبة . لكن هيهات! قد
انعددت بيننا الصلحة، وكان لا بد من أن أعود معه .

اختار الطريق الصحراوي . كانت السيارة قد استراحت سوية في الفيوم،
فمضت بنا . وبعد بضعة كيلومترات بدأنا نسقي المحرك من ماء كثير حملناه من
الفيوم في أوعية بلاستيك . في هذه المرحلة كنت قد أصبحت خبيراً في السقي .
أصب الماء في فوهة خزان التبريد فأراه يغلي، ويتدفق منه رشاش يكاد يلسع
وجهي، ويتصاعد البخار فأميل بوجهي يمنة أو يسرة . ثم أسقي .

بدأت الشمس تسقط ونحن في وسط الصحراء، وسقط معها محرك
السيارة . وقفنا بجانب سيارتنا، تمر بنا الشاحنات، ولا يقف لنا أحد . واعتراني
ما يعترني تائه الصحراء من مخاوف . ولكنني تقويت بصاحبي الشيخ الذي كان
هادئ الأعصاب، واثقاً بمحرك سيارته ثقة لم أجد لها مسوغاً، فهي سيارة
عتيقة من طراز رخيص، ونظام التبريد فيها قافش، والمحرك على وشك
القفوش .

ظلت حارئة . وظلت ثقة صاحبي بسيارته غالية . القلق يأكل قلبي، ولا

يصدده بعض صد سوى ثقة شيخي بسيارته. ثم تحركت السيارة. تحركت ببركة الله وبثقة صاحبي فيها. كانت الشمس قد غربت، فلاح لنا من وراء الأفق أضواء القاهرة. وكان ماؤنا قد نفذ، وبالذعوات الصالحات وصلنا إلى مكان يبعد مئة متر أو مئتين عن محطة وقود، ثم حرنت السيارة. فنزل شيخي ومعه وعاءان فارغان يستقي من المحطة. وبقيت في السيارة أحرسها، حرسها الله.. وكأنَّ الجنون بلغ بلبصوص السيارات أن يسرقوا هذه العروس!

كان في بطارية هاتفي شرطة واحدة، وأنهاها اتصال جاءني من زميلة تقوم بتصوير فلم وثائقي، قالت إن الأمن اعتقلها لعدم وجود إذن تصوير بحوزتها. فقلت لها إنني.. ولم تكتمل المكالمة. وعاد شيخي بالماء، وسقينا المحرك.

هذا ونحن قد تجاوزنا العشاء بقليل. فلماذا لم أصل إلى بيتي إلا في الثالثة فجراً؟ لن أطيل عليك.

عندما دخلنا مشارف القاهرة، وصار هناك بيوت، زيد في مهامي، بالإضافة إلى المساعدة في سقي المحرك، الزق. قضيت وقتاً لا يعلمه إلا الله وأنا وراء السيارة أدفعها بالكفين دفعاً. ثم قد يراني بعض الشبان فيهرعون إلى المساعدة، ويشغل المحرك، وأركب، وبعد أمتار أنزل وأزق، ونستقي من البيوت، ونسقي المحرك.. لم نتوقف عن السقي، ولا توقفت أنا عن الزق. وعلى مقربة من الأهرام، استقينا من كشك يبيع الشاي، وكلف الرجل نفسه فأعطانا ما عنده من ماء غسل الأكواب، وتكلف أن ذهب بعيداً لتزويدنا بماء أكثر. وجلست مع شيخي إلى مصطبة، وشربنا الشاي.

ومضينا.. يسوق وأزق. وهنا المعجزة: وصلت السيارة بعد بضع ساعات إلى ساحة تبعد عن بيتي أقل من خمسين متراً. وحرنت. ورغم أنني وصلت مأمني، فقد آليت لا أترك صاحبي إلا أن تتحرك سيارته. لكنها حرنت بطريقة جديدة، لقد أبى المحرك أن يعمل، وأبى حتى أن يصدر صوتاً. وكانت الساعة قد تجاوزت الثانية ليلاً. وجاء شباب لديهم في السيارات خبرة. وفحصوا. هذه المرة كان المحرك قد قفش فعلاً. ولا فائدة. على بعد خمسين متراً من بيتي قرر المحرك أن يقفش. ليس في وسط الصحراء، ولا على مشارف القاهرة، بل على باب بيتي.

لم يعمل المحرك لا بماء ولا بغير ماء. فكان لا بد من ونش. وعز الأمر على شيخي، حتى مع استعدادي لدفع أجرة الونش. ثقته بسيارته منعه من قبول

العرض . وقعدنا وشرينا كوب شاي آخر، من كشك قريب . لعلك تعلم أن الناس في القاهرة لا ينامون!

لكنه لم يكن من الونش بد . وأرضيت الشيخ شاكر بما يقوم بكسبه طول نهاره، وذهبت للونش، وذهبت إلى فراشي .

عندما عاد الشيخ بعد يومين ليوصلني إلى المطار كانت معه سيارة ابنه : شيء عمره نحو أربعين سنة، وله على الجوانب أجنحه مدببة . طمأنني الشيخ إلى أن سيارته العتيقة، سيارة الفيوم تلك، بخير، وستقوم من علتها قريباً . ويدعوات الوالدين أوصلتني السيارة ذات الأجنحة المدببة إلى المطار في الموعد .

والشاهد في هذه القصة : بحيرة قارون . فإني عندما عدت إلى مستقري أخذت أبحث عن أمر هذه البحيرة، فلم أجد في الإنترنت ما يشفي الغليل . ثم إنني وقعت على عدد من مجلة المقتطف صادر عام ١٩٠٦ . نعم، قبل أكثر من مئة سنة نشرت المقتطف صفحتين دسمتين عن البحيرة ومصادر مياهها وعن أملاحها، وحتى عما يسكب فيها من مياه الصرف .

عود إلى إيليا أبو ماضي

وهو يعمل في دكان بيع السجائر بالإسكندرية قرأ إيليا أبو ماضي كثيراً، قرأ شعر شوقي وحافظ الذي كان يملأ الجرائد . فمن زعم أن إيليا أبو ماضي كان قليل حظ من الثقافة فهو أكاديمي يقيس الناس بمسطرة جامعته التي أخذ منها شهادته؛ رأى شاعرنا لا يحمل إعدادية ولا ثانوية فحكم عليه . ولكن إيليا أبو ماضي عاش بين العاشرة والعشرين في بلد تنيره مجلة المقتطف، ويعيش فيه شوقي وحافظ .

ونشر إيليا أبو ماضي شعراً في مجلة الزهور بالإسكندرية، وطبع بواكيره في ديوان . وظل يبيع السجائر ويدخن بعضها حتى قطع العشرين بسنتين أو ثلاث، ثم هاجر إلى أميركا . أقام في سنسنتي بأوهايو نحو أربع سنين يكسب الرزق بالتجارة، ثم توجه إلى نيويورك، وفيها التقى بجبران وميخائيل نعيمة . وفيها فتح جريدة سماها السمر، وظل يحررها ربع قرن حتى مات .

عندما كان في نحو الستين من عمره زار الشام ولبنان وكرموه تكريماً، ثم عاد إلى الولايات المتحدة . مات إيليا أبو ماضي عام ١٩٥٧، وقد قارب

السبعين. يقول لك بعض الأفاقين من كتاب المقالات إن شاعرنا كان يتمنى العودة إلى لبنان ليموت فيها، لو كان هذا هكذا ما كان شاعرنا سمي أولاده ريتشارد وإدوارد وروبرت، وزوجته عربية تتحدث العربية. وقد نشأ أولاده لا يتكلمون العربية. لا نقول هذا في معرض انتقاد، بل في معرض وصف، ولكل إنسان أن يختار لأولاده ما يراه مناسباً في مسألة التربية والتعليم قبل بلوغهم، فهذا، لو فاتك، حق من حقوق الإنسان المنصوص عليها في شرعة حقوق الإنسان الأممية. وأنا بعد محب لشخصية إيليا أبو ماضي: كان دمث الخلق، فإن هجا فهو لا يسمي المهجو باسمه، وكان رقيقاً، وحسن المعشر، وكان صريحاً لا يداجي في آرائه الفكرية والسياسية.

لم أطل البحث في تفاصيل حياته في مهجره الأميركي، فلست أملك أدوات البحث، ولكن باحثاً جاداً يقضي بعض الوقت في مراجعة أعداد مجلة السمر، وفيها مقالات كثيرة لإيليا يحكي فيها عن نفسه، ويمعن في التنقيب على طريقة المستشرقين سيخرج ببحث حقيقي، لا كتلك الأوراق التافهة التي تعج بالعبارات المزعجة الخالية من المعنى من قبيل «روحه الإنسانية العميقة» و«قلبه النابض بحب الوطن».

كما أنني لم أكن كثير الاهتمام بحياة شاعرنا بعد أن تجاوز الطفولة.. انكبت فقط على سنوات طفولته، وسعدت أيما سعادة عندما عثرت، بعد يومين مضنيين من البحث، على شاعر المحيثة إبراهيم المنذر. فالمؤثر الأكبر في حياة الشاعر، وحياة كل إنسان، هو ما مر به في طفولته البكرة. في الطفولة تمتد يد القدر إلى الإنسان وتدفعه في اتجاه.. ويظل يسير فيه. فإن كنت وزير معارف وأعطوك ميزانية ألف درهم للتعليم فاجعل منها، رعاك الله، سبعة للتعليم الابتدائي، واسرق الباقي. فإن كنت لا تسرق فلا أدري كيف صرت وزيراً!

١ ويغيب عنك فتشتهيه

إِنَّ الْكَرِيمَ لَكَالرَّيْبَ حِ، تُحِبُّهُ لِلْحُسْنِ فِيهِ
وَتَهَشُّ عِنْدَ لِقَائِهِ، وَيَغِيبُ عَنْكَ فَتَشْتَهِيهِ
لَا يَرْضَى أَبَدًا لَصًا حِبِّهِ الَّذِي لَا يَرْضِيهِ

أي الذي لا يرضيه.. لنفسه

وَإِذَا اللَّيَالِي سَاعَفَتْهُ هُ لَا يَضِلُّ، وَلَا يَتِيَهُ
إِذَا اغْتَنَى لَا يَصْبِحُ ضَالًّا وَلَا تِيَاهَا مُتَكَبِّرًا

وَتَرَاهُ يَنْبِسُ هَازِنًا فِي غَمْرَةِ الْخَطْبِ الْكَرِيهِ
وَإِذَا تَحَرَّقَ حَاسِدُو هُ بَكَى، وَرَقَّ لِحَاسِدِيهِ
كَالْوَرْدِ يَنْفَحُ بِالشَّدَى حَتَّى أَتَوْفَ السَّارِقِيهِ

٢ مصر وسيام والدستور

كَأَنِّي قَارِيٌّ، وَاللَّيْلُ سِفْرٌ لَهُ بَدْءٌ، وَلَيْسَ لَهُ خَتَامٌ
يقول: إن الليل طويل

كَذَاكَ الْهَمُّ: أَغْسَرَ مَا تَرَاهُ إِذَا سَكَتَ الدُّجَى، وَغَفَا الْأَنَامُ
وَلَوْلَا أَنَّ فِي مِصْرٍ مُقَامِي لَعَمْرُ أَبِيكَ! مَا طَالَ الْمَقَامُ
مَضَى عَامٌ عَلَيَّ بِأَرْضٍ مُضِرٍّ، وَذَا عَامٌ، وَسَوْفَ يَجِيءُ عَامُ
وَمَا مِصْرُ الَّتِي مَلَكَتْ فُؤَادِي وَلَكِنْ، أَهْلُهَا قَوْمٌ كِرَامُ
وَذَاذُهُمْ عَلَى الْأَيَّامِ بَاقٍ وَجَارُهُمْ عَزِيزٌ لَا يُضَامُ
إِلَّا مَا تَمْنَعُ الدِّسْتُورَ مُضِرٌّ وَقَدْ كَادَتْ تَفُورُ بِهِ سِيَامُ؟

سيام: تايلاند

بَنِي مُضِرٍّ! عَلَى الْأَحْدَاثِ صَبْرًا فَقَبْلَ الصَّخْرِ، يَجْتَمِعُ الْغَمَامُ
الصحور: انقشاع الغيم وانقطاع المطر

وَلَا يَلْحَقُ بِكُمْ ضَجَرٌ، فَلْنِي رَأَيْتُ الظَّلَمَ لَيْسَ لَهُ دَوَامُ
فَإِنَّ اللَّيْلَ يُغْقِبُهُ صَبَاحٌ وَإِنَّ الْحَرْبَ آخِرُهَا سَلَامُ

٣ مختكر المصائب

فَلَا تَحْسَبَانِي أَذْرِفُ الدَّمْعَ عَادَةً وَلَا تَحْسَبَانِي أُنْشِدُ الشَّعْرَ لَا هِيَا
عادة: أي من قبيل العادة

وَلَكِنَّهَا نَفْسِي إِذَا جَاشَ جَاشُهَا وَفَاضَ عَلَيْهَا الْهَمُّ فَاصَتْ قَوَافِيَا
رُمِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا لَوْ قَلِيلُهُ رَمِيتَ بِهِ الْأَيَّامَ صَارَتْ لِبَالِيَا

فلا تشتكوا يا صَحْبُ بؤسًا، فَإِنِّي صَمِئْتُ الرِّزَايَا، واحتَكِرْتُ العَوَادِيَا
العَوَادِي: المصائب

تَبَدَّلَتِ الدُّنْيَا مِنَ السَّلَامِ بِالْوَعَى وَصَارَ بَنُوهَا الْعَاقِلُونَ ضَوَارِيَا
فَمَا تُنَبِّتُ الْغُبْرَاءَ غَيْرَ مَصَائِبٍ وَمَا تُمِطُّ الْأَفْلَاكَ إِلَّا دَوَاهِيَا
الغبراء: الأرض، الأفلاك: يقصد السماء

٤ اتركني بحالي

رَأَيْتُ اللَّيَالِي مَا تَزَالُ تَرُوعُنِي بِأَحْدَاثِهَا، مَا لِلَّيَالِي وَمَا لِيَا؟
إِذَا لَمْ تَكُنْ لِي آسِيَا أَوْ مُؤَاسِيَا فَلَا تَكْ لَوَامًا، وَذَرْنِي وَمَا بِيَا
آسِيَا: مداوياً

أَلَا حَبْدًا مِنْ سَالِفِ الْعِيشِ مَا مَضَى وَيَا حَبْدًا لَوْ كَانَ يَرْجِعُ ثَانِيَا
زَمَانٌ كَقَلْبِ الطِّفْلِ صَافٍ، وَكَالْمَنَى لَذِيذٌ، وَلَكِنْ كَانَ كَالْحُلْمِ فَانِيَا

٥ دعص ترجرج

بَيْضُ تَرَائِبُهَا، سُودٌ ذَوَائِبُهَا رُجٌّ حَوَاجِبُهَا، كُحْلٌ مَاتِبُهَا
الترايب: ما بين الصدر والعنق، الذوائب: خصلات الشعر، حواجب رُجٌّ: دقيقة، كُحْلٌ: مكحولة
نُهَوْدُهَا مِنْ ثَنَائِيَا الثَّوْبِ بَارِزَةً كَأَنَّهَا تَشْتَكِي مِمَّا يُوَارِيهَا
وَالثَّوْبُ قَدْ ضَاقَ عَنْ إِخْفَائِهَا، فَتَبَا عَنْهَا، فَيَا لَيْتَنِي بُرْدٌ لِأَحْمِيهَا
برد: ثوب

وَتَحْتَ ذَلِكَ خَضَرٌ يَسْتَقِيلُ بِهِ دِعْصٌ تَرْجَرَجُ، حَتَّى كَادَ يُلْقِيهَا
دعص: كتيب رمل؛ كذا كانوا يصفون مؤخرة المرأة. لكن قبل ألف سنة يا إيليا

٦ ليتها دامت

يَا أَشْهُرًا مَرَّتْ سِرَاعًا كَالْمُنَى لَوْ أَسْتَطِيعُ جَعَلْتُكَ سِينِيَا
وَأَمَرْتُ أَنْ يَقِفَ الزَّمَانُ عَنِ السُّرَى كَيْلَا نَمُرَّ بِسَاعَةٍ تُبْكِينَا

٧ إيليا الحزين على ترك الدين

قالوا: تَرَقَّى سَلِيلُ الطَّيْنِ، قَلَّتْ لَهُمْ: الْآنَ تَمَّ شَقَاءُ الْعَالَمِ الْآنَا

سَلِيلُ الطَّيْنِ: من سلالة أصلها طين، أي الإنسان

إِنَّ الْحَدِيدَ إِذَا مَا لَانَ صَارَ مُدًى فَكُنْ عَلَى حَدَرٍ مِنْهُ إِذَا لَانَا

مدى: سكاكين

وَالْمَرْءُ وَخَشْ، وَلَكِنْ حُسْنُ صَوْرَتِهِ أَنْسَى بَلَايَاهُ مَنْ سَمَّاهُ إِنْسَانَا

قَدْ حَارَبَ الدِّينَ خَوْفًا مِنْ زَوَاجِرِهِ كَأَنَّ بَيْنَ الْوَرَى وَالدِّينِ عُذْوَانَا

زواجره: نواهيه

إِنِّي لَيَأْخُذْنِي مِنْ أَمْرِهِ عَجَبٌ أَكَلَّمَا زَادَ عِلْمًا، زَادَ كُفْرَانَا؟

إِذَا ارْتَدَّى الْمَرْءُ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ بُرْدٍ وَعَاقَ لِلدِّينِ بُرْدًا عَادَ غُرْبَانَا

بُرد: أثواب

٨ لم تخلق لغير المحبة

رثى بها مصطفى كامل المتوفى عام ١٩٠٨:

تَنَادَيْكَ مِصْرُ الْآنَ يَا خَيْرَ رَاحِلٍ وَيَا خَيْرَ مَنْ يُرْجَى لِدَفْعِ الْمُلِمَةِ

رَفَعْتَ لِيَوَاءَ الْحَقِّ فَوْقَ رُبُوعِهَا فَضَمَّ إِلَيْهِ كُلَّ ذِي وَطَنِيَّةٍ

لَئِنْ تَكُ أَتْرَعْتَ الْقُلُوبَ مَحَبَّةً فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ لِغَيْرِ الْمَحَبَّةِ

أترعت: ملأت

فَنَمَّ آمِنًا، وَفَيْتَ قَوْمَكَ قِسْطَهُمْ فَيَا طَالَمَا نَامُوا، وَأَنْتَ بِبِقِظَةٍ

سَيُبْقِي لَكَ التَّارِيخُ ذِكْرًا مُحَلَّدًا فَقَدْ كُنْتَ خَيْرَ النَّاسِ فِي خَيْرِ أُمَّةٍ

عَلَيْكَ مِنَ الرَّحْمَنِ أَلْفُ تَحِيَّةٍ وَمِنْ أَرْضِ مِصْرِ أَلْفُ أَلْفِ تَحِيَّةٍ

٩ أهلاً بالدستور

إِلَى حَيْثُ أَلْقَتْ، يَا زَمَانَ الْمَظَالِمِ وَلَا عُذْتُ، يَا عَهْدَ الشَّقَا الْمُتَقَادِمِ

إلى حيث ألفت (إلى الجحيم) يا زمن الظلم والشقاء المتقادم (الموجود منذ زمن

طويل). وتعبير «لدى حيث ألفت رحلها أم قشعم» من معلقة زهير، وقد فسر لسان

العرب خمسة تفسيرات، وكلها لا ينطبق هنا. على أن جيلاً بعد جيل من العرب

استخدم التعبير بمعنى «إلى جهنم الحمراء» وشابهم إيليا

صَحْبُنَاكَ، لَا خَوْفًا، ثَلَاثِينَ حِجَّةً، وَلَكِنَّهَا الدُّنْيَا، وَضَعْتُ الْعَرَائِمِ
فَلَا الْعِلْمَ مَرْمُوقٌ، وَلَا الْحَقُّ نَافِذٌ وَلَا حُرْمَةٌ تُرْعَى لِغَيْرِ الدَّرَاهِمِ
وَيَا أَيُّهَا الدُّسْتُورُ! أَهْلًا وَمَرْحَبًا عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ، يَا خَيْرَ قَادِمٍ
أقر الدستور في إستانبول عام ١٩٠٨، فقيد يدي السلطان عبد الحميد. وكان إيليا بمصر، وكانت
تابعة بعض التبعية للدولة العثمانية

أَهَبْتَ فَفَرَّ الظُّلُمُ بِالْأَرْضِ هَارِبًا وَنَكَّسَ خِزْيًا رَأْسَهُ كُلُّ ظَالِمٍ
أَهَبْتَ: دَعَوْتُ صَارخًا

وفاضت على ثغر الحزين ابتسامة تُخَبِّرُ أَنَّ الْحَزْنَ لَيْسَ بِدَائِمٍ

١٠ عبد الحميد نم

ضَيْفَ سَالُونِيكَ! مَا لَكَ فِي سِجْنِهَا ضَيْفٌ سِوَى السَّأَمِ
ضيف سالونيك: السلطان المخلوع عبد الحميد الثاني؛ فقد عزل ١٩٠٩ بعد انقلابه على الدستور
الذي كان أقره في السنة الماضية، ونفي إلى سالونيك باليونان، وكانت تحت حكم العثمانيين

ذَاكَ ضَيْفٌ غَيْرُ مُحْتَشِمٍ إِنْ تُحَاوِلَ طَرْدُهُ يُقِمِ
جُرْتُ يَا عَبْدَ الْحَمِيدِ بِنَا غَيْرَ أَنَّ الْجَوْرَ لَمْ يَدُمِ
كُنْتَ كَالْأَيَّامِ، مَا قَصَدْتُ بِالرِّزَايَا غَيْرَ ذِي شَمِّمْ
كنت مثل الأيام (الزمن) لا توجه الرزايا (المصائب) إلا لصاحب الشم (العزة)

كُنْتَ مَسْلُوبَ الْكَرَى حَذَرًا وَلَقَدْ أَعْطَيْتَهُ، فَنِمِ
كان عبد الحميد موسوساً دائم الخوف من الاغتيال، ومسلوب الكري، أي النوم، فالآن أعطي ما
شاء من نوم

وَدَعَ الدُّنْيَا، وَبَهَجَتْهَا مَا أَرَى الْحَسَنَاءَ لِلْهَرَمِ

١١ الراطنون الجهلة

يَا أَيُّهَا الشُّرْقُ التَّعِيسُ! انْظُرْ إِلَى الدِّ
وَرَجَوْتُ مَا يَرْجُوهُ كُلُّ أَبٍ لَدَى
وَلَطَّالَمَا شِدَّتِ الْقُصُورَ مِنَ الْمَنَى
أَلْهَثَهُمُ الدُّنْيَا فَهَذَا بِالْطَّلَا
قوم الذين شددت أزرَكَ فِيهِمْ
أبنائِهِ، إِنَّ الْعُقُوقَ مُذَمَّمُ
خَابَ الرَّجَاءُ وَسَاءَ مَا تَتَوَهَّمُ
صَبُّ، وَهَذَا بِالْحِسَانِ مُتَيَّمُ

الطلا: الخمر، صب: محب

فَتَنَنْتَهُمْ لُغَةَ الْأَعَاجِمِ، إِنَّمَا لُغَةُ الْأَعَاجِمِ مِنْهُمْ تَتَبَرَّمُ
 أَمْسَى الَّذِي تُهْدَى إِلَيْهِ لِأَلِيٍّ وَكَأَنَّمَا هُوَ بِالْحِجَارَةِ يُرْجَمُ
 لَا تَعْزِلِ الشَّعْرَاءُ إِنْ بَخِلُوا بِهِ إِنَّ الْقَرِيضَ عَلَى الْغَبِيِّ مُحَرَّمُ
 بَيْتًا، وَبَاتَ الشَّرْقُ يَمْشِي الْقَهْقَرَى، مَعَ ذَاكَ نَحْسَبُ أَنَّ نَتَقَدَّمُ

١٢ العاشقة

جَنَحَتْ ذُكَاءً إِلَى الْغُرُوبِ، كَأَنَّمَا تَبْغِي رُقَادًا، أَوْ تُرِيدُ مَقِيلًا
 ذكاء: الشمس، الم قيل: نوم القيلولة ظهرًا

وَتَنَاثَرَتْ قَطْعُ السَّحَابِ كَأَنَّهَا أَلْ جَيْشُ اللَّهِامُ، إِذَا انْتَنَى مَفْلُولًا
 الجيش اللهم: الكبير الذي يلتهم كل شيء، مفلولاً: منهزماً

قَدْ بَاتَ كُلُّ مُسَهَّدٍ طَوَّعَ الرُّفَا دِ، وَكُلُّ جَفْنٍ بِالْكَرَى مَكْحُولًا
 إِلَّا مُهْفَهَفَةً بِهَا نَزَلَ الْهَوَى ضَيْفًا، وَلَكِنْ لَا يُرِيدُ رَحِيلًا
 مهفهفه: امرأة رشيقة

مَاءَ الْحَيَاءِ يَجُولُ فِي وَجَنَاتِهَا فَكَأَنَّ فِي تِلْكَ الْكُؤُوسِ شُمُولًا
 شمول: خمر

وَالْحَدُّ أَبْهَجُ مَا يَكُونُ مُورَّدًا وَالطَّرْفُ أَفْتَنُ مَا يَكُونُ كَحِيلًا
 الطرف: العين

نَظَرَتْ؛ وَرُبَّ مَنِيةٍ مِنْ نَظَرَةٍ قَدْ كَانَ عَنْهَا رَبُّهَا مَشْغُولًا
 نظرت تلك الفتاة، ورُبَّ منية (مينة) بالعشق كان رب النظرة (أي صاحبها) مشغولاً عما تحمله من
 عشق قاتل.

فَإِذَا عَشِيقَتَ فَلَا تَلُمُ أَحَدًا سِوَى عَيْنَيْكَ، إِنَّ مِنَ الْعَيُونِ قَتُولًا
 وَإِذَا تَمَلَّكَ الصَّبَابَةُ فِي امْرِئٍ لَمْ يُجِدْ عَذْلَ الْعَازِلِينَ فَتِيلًا

١٣ السرور يُختلق

أَمْسَتْ ثِيَابِي، وَكُلُّهَا خِرْقُ نُشْبِهِ رَوْضًا أَلْوَانُهُ فِرْقُ
 ألوانه فرق: ألوانه متفرقة متعددة

مِنْ أَرْزَقِ كَالسَّمَاءِ، جَاوَزَهُ أَحْمَرُ قَانٍ كَأَنَّهُ الشَّفَقُ
كَأَنَّ قَوْسَ السَّحَابِ بَاتَ عَلَى جِسْمِي رَدَاءً، وَمَا أَنَا إِلَّا أَفْقُ
قوس السحاب: قوس قزح

هَذَا هُوَ الْكَرْتَفَالُ، فَاسْتَبِقُوا إِلَيْهِ، فَهُوَ السُّرُورُ يُخْتَلَقُ
اخترت القصيدة لعبارة: «فهو السرور يختلق». خالجنى مثل هذا الشعور في كرتفال في ألمانيا.
انفجر الناس بالفرح انفجاراً.. راحوا يختلقونه اختلاقاً؛ وكانوا أمس جادّين عابسين، وسيكونون
في الغد كذلك. الفرّح عندهم له مواسم، وله حساب دقيق

١٤ الناس مع الواقع

تَأْمَلْ فِي أَمْسِهِ الدَّائِرِ فَكَادَ يُجَنُّ مِنَ الْحَاضِرِ
الدابر: المنصرم

أَضَاعَ الْغِنَى، وَأَضَاعَ الصُّحَابَ وَرَبُّ مَرِيضٍ بِلَا زَائِرِ
وَيَا طَالَمَا أَخَذَقُوا بِالْفَتَى كَمَا تُحْدِقُ الْجُنْدُ بِالْظَّافِرِ
أخذقوا: أحاطوا

فَلَمَّا انْقَضَى مَجْدُهُ، أَعْرَضُوا وَمَا النَّاسُ إِلَّا مَعَ الْقَادِرِ
أَشَدُّ مِنَ الدَّهْرِ مَكْرَاً بَنُوهُ فَوَيْلٌ لِمَنْ لَيْسَ بِالْمَاكِرِ
قَضَى لَيْلَهُ سَاهِباً سَاهِراً إِلَى كَوْكَبٍ مِثْلِهِ سَاهِرِ
بَكَى، ثُمَّ صَاحَ: أَحْتَى النُّجُومُ تَصُدُّ عَنِ الرَّجُلِ الْعَائِرِ
العائر: المتعرّ الفاشل

وَأَغْمَدَ فِي صَدْرِهِ مُذِيَةً أَشَدَّ مَضَاءً مِنَ الْبَاتِرِ
مذية: سكين، الباتر: السيف

١٥ الإرهاب الفكري

قَالَتْ: سَكَتَ، وَمَا سَكَتَ سُدَى أَعْيَا الْكَلَامُ عَلَيْكَ، أَمْ نَفِداً؟
سألته: أَسَكَتَ عَجْزاً عَنِ الْكَلَامِ؟

مَا خَانَنِي فِكْرِي، وَلَا قَلَمِي لَكِنْ، رَأَيْتُ الشُّعْرَ قَدْ كَسَدَا
يجيها

كَانَ الشَّبَابُ، وَكَانَ لِي أَمَلٌ كَالْبَحْرِ عُمُقًا، كَالزَّمَانِ مَدًى
وَصَحَابَةٌ مِثْلُ الرِّيَاضِ شَدًى وَصَوَاحِبٌ كَوُرُودِهَا عَدَدًا
لَكِنْنِي لَمَّا مَدَدْتُ يَدِي وَأَدْرْتُ ظَرْفِي.. لَمْ أَجِدْ أَحَدًا
وَقَعِ الْخُطُوبِ عَلَيَّ أَخْرَسَنِي وَكَذَا الْعَوَاصِفُ، تُسَكِّتُ الْغَرْدَا

الغرد: المغرد

قَوْمِي، وَقَدْ أَظَرَّتْهُمْ زَمَنًا، سَاقُوا إِلَيَّ الْخُزْنَ وَالْكَمَدَا
هُمْ هَدَّدُونِي حِينَ صِحْتُ بِهِمْ صَبِحَاتِي الشَّغْوَاءَ مُنْتَقِدَا
وَسَمِعْتُ صَائِحَهُمْ يَقُولُ لَهُمْ: هَيَّا اقْتُلُوهُ حَيْثُمَا وَجَدَا
أَزْنَاعُ إِنِّ أَبْصَرْتُ وَاجِدَهُمْ ذُغَرِ الشُّوَيْهَةِ أَبْصَرْتُ أَسَدَا
وَإِذَا رَقَدْتُ، رَقَدْتُ مُضْطَرِبًا وَإِذَا صَحَوْتُ، صَحَوْتُ مُرْتَبِعَا
لَكِنْنِي لَمَّا مَدَدْتُ يَدِي وَأَدْرْتُ ظَرْفِي.. لَمْ أَجِدْ أَحَدَا

١٦ خير علاج

لَمَّا سَكَّتْ حَسِبْتُ أَنَّكَ نَاجٍ هَيْهَاتَ! إِنِّي كَالْمَنُونِ أَفَاجِي
أَفَاجِي: أَفَاجِي

تَاللَّهِ تَطْمَعُ بِالسَّلَامَةِ بَعْدَمَا أَلْقَاكَ جَهْلُكَ فِي يَدِ الْأَمْوَاجِ
إِنِّي أَنَا الْأَسَدُ الْهَاضِمُ بَسَالَةً وَنِئْلُ لِقَومٍ حَاوَلُوا إِخْرَاجِي
حَاوَلْتَ أَنْ تَهْتَاجَنِي عَنْ مَرِيضِي لِيَتَنَالَ ذِكْرًا، خَبْتُ يَا ذَا الرَّاجِي
عَارًا إِذَا أَنْشَبْتُ فِيكَ مَخَالِبِي إِذْ لَيْسَ مِنْ خُلُقِي افْتِرَاسُ نِعَاجِ
وَالشَّغَرُ تَاجٌ لَوْ عَلِمْتَ، وَلَمْ تَكُنْ مِمَّنْ يَلْبِيقُ بِحَمَلِ هَذَا التَّجَاجِ
خُذْهَا مُثَقَّفَةً، إِذَا وَقَعْتَ عَلَى جَبَلٍ لِأَزْعِجَ أَيَّمَا إِزْعَاجِ

خذها مثقفة: خذها قصيدة مبرئة مقومة (مثل الرمح المثقف)

أَنَا خَيْرُ مَنْ قَالَ الْقَوَافِي مَادِحًا أَنَا خَيْرُ مَنْ قَالَ الْقَوَافِي هَاجِي
قَدْ كُنْتُ أَزْهَدَ فِي الْهَجَا لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ، يَا مَرِيضَ الْعُجْبِ، خَيْرَ عِلَاجِ

العجب: التكبر

١٧ أنا وصاحبي

إِنِّي إِذَا نَزَلَ الْبَلَاءُ بِصَاحِبِي دَافَعْتُ عَنْهُ بِنَاجِدِي وَبِمُخْلَبِي
الناجد: الضرس

وَشَدَدْتُ سَاعِدَهُ الضَّعِيفَ بِسَاعِدِي وَسَتَرْتُ مَنَكِبَهُ الْعَرِيَّ بِمَنَكِبِي
وَأَرَى مَسَاوِيَّهُ كَأَنِّي لَا أَرَى وَأَرَى مُحَاسِنَهُ، وَإِنْ لَمْ تُكْتَبْ

١٨ غصن وحطبة

نَظَمَهَا بِلِسَانِ فَتَاةٍ أَرْعَمَهَا ذُووَهَا عَلَى الْإِقْتِرَانِ بِرَجُلٍ طَاعَنٍ فِي السَّنِ:
لِي بَعْلٌ ظَنَّنُهُ النَّاسُ أَبِي صَدَّقُونِي إِنَّهُ... غَيْرُ أَبِي
أبي الأولى: أبي، أبي الثانية: من الإباء والعزة
وَأَنَا مَا زِلْتُ فِي شَرْخِ الصَّبَا فَلَمَّاذَا فَرَّطَ الْأَهْلُونَ بِي
شرح الصبا: أول الشباب

لَيْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوْمِ مِنْ فُرْقَةٍ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَشْيَبِ
يَخْضِبُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ عَبَثًا لَيْسَ تَخْفَى لُغَةُ الْمُسْتَعْرِبِ
قُلْ لِأَهْلِ الْأَرْضِ: لَا تَخْشَوْا الرَّدَى إِنَّهُ مُسْتَغِلٌّ فِي طَلْبِي
إِنَّمَا الْغُصْنُ إِذَا هَبَّ الْهَوَا مَالَ لِلْأَغْصَانِ، لَا لِلْحَطَبِ

١٩ كذابات.. غدارات

إِنِّي بَلَوْتُ الْغَانِيَاتِ، فَلَمْ أَجِدْ فِيهِنَّ، قَطُّ، مَلِيحَةً لَا تَكْذِبُ
بلوت: اختبرت
وَحَبِرْتُهُنَّ، فَمَا لِبِكْرِ حُرْمَةٍ تُرْعَى، وَأَعْدَرُ مَنْ رَأَيْتُ الثَّيْبَ
الثيب: التي سبق لها زواج

لَا يَخْدَعَنَّكَ ضَعْفُهُنَّ، فَإِنَّمَا بِالضَّعْفِ أَهْلَكْتَ الْهَزْبَرَ الْأَرْنبَ
فالأرنب جعلته يفرق في البركة عندما رأى فيها خياله في القصة المشهورة

٢٠ إني راحل

أَرِفَ الرَّحِيلُ، وَحَانَ أَنْ نَتَفَرَّقَا فَإِلَى اللَّقَا، يَا صَاحِبِي إِلَى اللَّقَا

ولقد ركبْتُ البحرَ يزَارُ هَانِجاً كالليثِ فَارَقَ شَيْبَلَهُ، بَلْ أَحْنَقَا
تتنازعُ الأمواجُ فيه بَغْضَهَا بَعْضاً، على جَهْلٍ تَنَارُعُنَا البَقَا

تنازع الأمواج مثلما يتنازع البشر في صراع البقاء

بَيْنَا بَرَاهَا الطَّرْفُ سُوراً قَائِماً فإذا بِهَا حَالَتْ فَصَارَتْ خُنْدَقَا
«نُؤِيرُكَ»! يَا بِنْتَ الْبُخَارِ، بِنَا أَقْصِدِي فَلَعَلَّنَا بِالْغَرْبِ نَنْسَى الْمَشْرِقَا

نويرك: نيويورك اسم السفينة التي أخذته إلى أميركا، والباخرة هي بنت البخار الذي تسير به، فإن شئت أن تجعلها بنت البحار بالحاء فلا بأس

وَطَنْ أَرَدْنَاهُ عَلَى حُبِّ الْعُلَى فَأَبَى سِوَى أَنْ يَسْتَكِينَ إِلَى الشَّقَا
كَالْعَبْدِ يَخْشَى، بَعْدَمَا أَفْنَى الصَّبَا يَلْهُو بِهِ سَادَاتُهُ، أَنْ يُغْتَقَا
أَوْكَلَّمَا جَاءَ الزَّمَانُ بِمُضْلِحٍ فِي أَمَلِهِ قَالُوا: طَعَى وَتَرُنْدَقَا؟
فكَأَنَّمَا لَمْ يَكْفِهِ مَا قَدْ جَنُوا وَكَأَنَّمَا لَمْ يَكْفِهِمْ أَنْ أَخْفَقَا
مَشَتْ الْجَهَالَةُ فِيهِ تَسَحَّبُ ذَيْلَهَا تَيْهَأُ، وَرَاحَ الْعِلْمُ يَمْشِي مُطْرِقَا
فيه: أي في الوطن، تيهأ: تكبرأ

شَعْبٌ، كَمَا شَاءَ التَّخَاذُلُ وَالْهَوَى، مُتَفَرِّقٌ، وَيَكَادُ أَنْ يَتَمَرَّقَا
لَمْ يَعْتَقِدْ بِالْعِلْمِ، وَهُوَ حَقَائِقٌ لَكِنَّهُ اعْتَقَدَ التَّمَايَمَ وَالرُّقَى
التمايم: الخرز الذي يوضع في العنق لدرء الحسد، والرقى الحُجُب التي يكتبونها للغرض نفسه

وَحُكُومَةٌ، مَا إِنَّ تُزْخِرْجُ أَحْمَقَا عَنْ رَأْسِهَا، حَتَّى تُؤَلِّيَ أَحْمَقَا
بَغْدَادُ فِي خَطَرٍ، وَمِضْرُ رَهِينَةٍ وَعَدَا تَنَالُ يَدُ الْمَطَامِعِ جِلْقَا
جلق: دمشق

قِيلَ، اعشَقُّوْهَا، قُلْتُ: لَمْ يَبْقَ لَنَا مَعَهَا قُلُوبٌ، كَيْ نُحِبَّ وَنَعْشَقَا
نقد طه حسين إيليا أبو ماضي على مثل هذه «اللم يبق» التي يقتضي الوزن قراءتها «لم يبق». ولو قال إيليا (قيل اعشَقُّوها، قلت: ما بقيت لنا) لوفر على نفسه نقدة من نقدات طه الكثيرات المؤلمات له؟

إِنْ لَمْ تَكُنْ ذَاتُ الْبَيْنِ شَفِيقَةً هَيْهَاتَ تَلْقَى، مِنْ بَيْنِهَا، مُشْفِقَا
شفيق ومشفق: حنون

٢١ سكرانة بشبابها

هُوَ الْبَخْلُ طَبَعَ فِي الرِّجَالِ مُذَمَّمٌ وَلَكِنَّهُ فِي الْغَيْدِ شَيْءٌ مُحَبَّبٌ
كَلِفْتُ بِهَا بِيضَاءَ سُكَّرَى مِنَ الصَّبَا وَمَا شَرِبْتُ خَمِراً، وَلَا هِيَ تَشْرَبُ
كَلِفْتُ بِهَا: أَغْرَمْتُ بِهَا

وَلَوْ أَنَّ زُهَبَانَ الصَّوَامِعِ أَبْصَرُوا مَلَاَحَتَهَا، وَاللَّهِ لَمْ يَتَرَهَّبُوا

٢٢ إِنِّي لِأُصْحِبُهُ عَلَى عِلَاتِهِ

لِي صَاحِبٌ دَخَلَ الْغُرُورُ فَوَادَهُ إِنْ الْغُرُورَ، أَخْيَى، مِنْ أَعْدَائِي
أَهْوَى الْلِقَاءَ بِهِ، وَيَهْوَى ضِدَّهُ فَكَأَنَّمَا الْمَوْتُ الزُّوَامُ لِقَائِي
الموت الزوَام: الموت السريع

إِنِّي لِأُصْحِبُهُ عَلَى عِلَاتِهِ وَالْبَدْرُ مِنْ قَدَمِ أَخِي الظُّلَمَاءِ
فَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْأَنَامِ تَقَرُّ بِهِمْ إِنْ التَّوَاضَعَ شِيْمَةُ الْحُكَمَاءِ
لَوْ أَعْجَبَ الْقَمَرُ الْمَنِيرُ بِنَفْسِهِ لَرَأَيْتَهُ يَهْوِي إِلَى الْغُبَرَاءِ

الغبراء: الأرض. ما أقبح أن يضطر المرء إلى مجاملة عشرات الناس لأنه لا يريد أن يكون له أعداء. لم يكن المتنبي كذلك أبداً، ولا ابن الرومي. وكثير جداً من الشعراء، ومن عامة الناس، يملكون جرأة خلق الأعداء واحتمالهم. كثير من السادة والزعماء جريثون على الأعداء، وكثير من السادة ومن الزعماء مهروا أيضاً في السير بين قطرات المطر وحرصوا على عدم خلق الأعداء، أو الاكتفاء بالحد الأدنى منهم. فلا يفتخرون أحد بقلة، أو بكثرة أعدائه. على أنني وجدت الغرور أمراً كريهاً، ومعبراً عن نقص يجده المرء في نفسه، كما قال القديم. وأكثر ما وجدت الغرور مضحكاً وكريهاً في مذييعي التلفزيون الذين قلت بضاعتهم من العقل والثقافة، فهم مجرد أبواق. ويشعرون بخسة في نفوسهم لقلة ما عندهم من الفهم والعلم والاطلاع فيزدادون تيهاً. وأما المذيع المتمكن فتراه يزداد تواضعاً كلما ازداد شهرة

٢٣ النجدة الروسية للأرمن

أَعِذْ حَدِيثَكَ عِنْدِي أَيُّهَا الرَّجُلُ وَقُلْ كَمَا قَالَتِ الْأَنْبَاءُ وَالرُّسُلُ
الرسول: المرسلون لجمع الأخبار أو لتبليغها

فاجمع رواياتهم، واملأ بها أذني حتى تراني كَأَنِّي شَارِبٌ نَمِلُ

يا ابنَ الملوكِ الألى قد شادَ واجدُهُم ما لم تُشَيِّدْهُ أَمَلاكُ، ولا دُولُ
أَمَلاك: ملوك، يخاطب القائد الروسي الدوق الأكبر تقولا الذي هزم الترك عن مدينة أرضروم شرق
تركيا في فبراير/شباط ١٩١٦

تَوَهَّمِ التُّرُكُ، لَمَّا حَانَ حَيْنُهُمْ، أَنَّ الألى وَتَرُوا آباءَهُمْ غَفَلُوا
توهم الأتراك لما حان حينهم (هلاكمهم) أن الذين وتر (ظلم) الأتراك آباءهم قد نسوا الوتر (الشار)

حَتَّى ظَلَعْتَ مِنَ المَقَوَّازِ فِي لَجِبٍ تَضِيقُ عَنْهُ فِجَاجُ الأَرْضِ، والسُّبُلُ
لجب: ذو ضجيج، يقصد الجيش الكبير، فجاج: وديان، السبل: الطرق

بِكُلِّ أَرْوَعٍ، ما فِي قَلْبِهِ خَوْرٌ عِنْدَ الصَّدَامِ، ولا فِي زَنْدِهِ شَلَلٌ
أروع: شجاع، خور: جبن

وَكُلُّ مُنْجَرِدٍ، فِي سَرَجِهِ أَسَدٌ فِي كَفِّهِ خَذِمٌ، فِي حَدِّهِ الأَجَلُ
منجرد: حصان، في سرجه أسد: يركبه فارس شجاع، خذم: سيف

وَكُلُّ راعِفَةٍ، بِالمَوْتِ هادِرَةٍ كَأَنَّها الشاعِرُ المَطْبُوعُ يَرْتَجِلُ
الراعية: الرمح يقطر دماً، وبما أنه سيجعلها في البيت التالي بندقية فقد صار الرعف بعيداً عنها

سِوَادُهُ تَقْذِفُ مِنْ فُؤَاهِهَا حُمَماً هِيَ الصَّوَاعِقُ، إِلَّا أَنها شُعَلٌ
فَأَسْلَمُوا أَرْضَهُمْ وَمَا، لا طَوَاعِيَّةَ لو كَانَ فِي وُسْعِهِمْ إِمْسَاكُهَا بِخُلُوعٍ
وَقَرَّ قَائِدُهُمْ، لَمَّا عَرَضَتْ لَهُ كَمَا يَفِرُّ، أَمَامَ القَشْعَمِ، الحَجَلُ
القشعم: النسر، الحجل: من الطيور

لَمْ يَقْصُرِ الرُّمْحُ عَنْ إِدْرَاكِ مُهْجَتِهِ لَكِنْ حَمَى صَدْرُهُ، وَقَعَ الطُّبَا، الكَفَلُ
لم يكن الرمح قصيراً عن الوصول إلى قلب قائدهم، ولكنه هرب فحمى كفله (مؤخرته) صدره من
وقع الطبا (السيف)، أي أنه تلقى الضربات بمؤخرته

تَعَلَّمَ الرِّكْضَ، حَتَّى لَيْسَ تَلَحُّفُهُ هُوجُ الرِّيَّاحِ، ولا خَيْلٌ، ولا إِبِلٌ
هوج الرياح: الريح الهوجاء الشديدة

وَبَاتَ أَنْوَرُ فِي يَلْدِيزَ مُخْتَبِئاً لَأُمِّهِ وَأَبِيهِ الشُّكْلُ وَالْهَبَلُ
أنور باشا: وزير الحرية العثماني، يلديز: قصر يلدز في إستانبول، الشكل والهبل: فقد الولد

فِي وَجْهِهِ صُفْرَةٌ حَارَ الطَّيِّبِ بِهَا ما يَصْنَعُ الطُّبُّ فِيمَنْ دَاوَّهُ الخَبَلُ؟
لَمْ يَبْقَ فِيهِ دَمٌ كَيْمًا يُجْمَعُ فِي وَجْهِهِ، عِنْدَ ذِكْرِ الخَبِيَّةِ، الخَجَلُ
مصكوك صكاً حلواً هذا البيت، والمعنى جديد

يَزِيدُ وَخَشَتُهُ إِعْرَاضُ عُوْدِهِ وَيَنْكَأُ الْجُرْحَ فِي أَحْشَائِهِ الْعَذْلُ

عوده: زائرؤه وهو مريض، ينكأ الجرح: يفتحه، العذل: اللوم

إِذَا تَمَثَّلَ جَيْشُ التُّرْكِ مُنْدَجِرًا ضَاقَتْ بِهِ، مِثْلَمَا ضَاقَتْ بِذَا، الْحَيْلُ

عندما يتذكر هزيمة جيش الترك تضيق حيلته، أي لا يدري ما يصنع، مثلما ضاقت حيلة الجيش

يَا كَاشِفَ الضُّرِّ عَمَّنْ طَالَ صَبْرُهُمْ عَلَى النَوَائِبِ، لَا مَرَّتْ بِكَ الْعِلَلُ

أيها الأمير الروسي، أدمر ألا تصيبك الأسقام

أَظْلَقْتَهُمْ مِنْ قُبُودِ الظُّلَمِ فَانْطَلَقُوا وَكُلُّهُمْ أَلْسُنٌ تَدْعُو وَتَبْتَهِلُ

لو كان يُنْشِرُ مَيْتًا غَيْرُ بَارِيهِ أَنْشَرَتْ، بَعْدَ الرَّدَى، أَرْوَاحَ مَنْ قُتِلُوا

قَدْ جَاءَ مَنْ يَمْنَعُ الضَّعْفَى وَيُرْغِمُكُمْ أَنْ تَحْمِلُوا عَنْهُمْ النَّيْرَ الَّذِي حَمَلُوا

يمنع: يحمي

أَمَنْتَ أَرْمِينِيَا مِمَّا تُحَاذِرُهُ فَلَنْ تَعِيثَ بِهَا الْأَوْغَادُ وَالسُّفُلُ

تعيث: تخرب، وكان للترك قتل ذريع في الأرمن في سنة ١٩١٥

مَزَقْتَ جَمْعَهُمْ تَمْزِيقَ مُقْتَدِرٍ عَلَى الْمَهْتَدِ، بَعْدَ اللَّهِ، يَتَكَلَّمُ

أي أنه يتوكل على السيف، بعد توكله على الله

الْبَسْتَهُمْ ثَوْبَ عَارٍ لَا تُطَهِّرُهُ نَارُ الْجَحِيمِ، وَلَوْ فِي حَرِّهَا اغْتَسَلُوا

جَاوَيْدُ فَوْقَ فِرَاشِ الذُّلِّ مُضْطَجِعٌ وَطَلَعَتْ بِرِدَاءِ الْخَوْفِ مُشْتَمِلٌ

جاويد باشا: وزير من جماعة الاتحاد والترقي، طلعت باشا: الصدر الأعظم، رئيس وزراء

لَا تَعْرِفُ الْأَمْنَ أَرْوَاحُ تُرُوعُهَا ثَلَاثَةٌ: أَنْتَ وَالنَّيْرَانُ وَالْأَسْلُ؟

الأسل: الرماح

أَجْرَيْتَ خَوْفَ الْمَنَايَا فِي غُرُوقِهِمْ فَلَنْ يَعِيشَ لَهُمْ نَسْلٌ إِذَا نَسَلُوا

قَدْ مَاتَ كَهْلُهُمْ مِنْ قَبْلِ مَيَّتِهِ وَشَاخَ نَاشِئُهُمْ مِنْ قَبْلِ يَكْتَهِلُ

قصيدة حلوة الرنين عتيقة الطراز، تطير بجناحي أبي الطيب وأبي تمام، ولكن أصالتها مستمدة من شعور أبو ماضي العميق بالحدث، فهو متالم للأرمن ومقتلتهم، وحاقد على الأتراك، ولا سيما بعد اتباع جماعة الاتحاد والترقي سياسة التتريك، وتشددهم في معاملة العرب أثناء الحرب العالمية الأولى

٢٤ كلنا قابيل

استحر القتل في سنة ١٩١٦ في أتون الحرب العالمية الأولى:

كَمْ، قَبْلَ هَذَا الْجِيلِ، وَلَيَّ جِيلٌ هِيَهَاتَ، لَيْسَ إِلَى الْبَقَاءِ سَبِيلُ
صَحِكَ الشَّبَابُ مِنَ الْكُهُولِ فَأَعْرَقُوا، وَاسْتَيْقَظُوا؛ فَإِذَا الشَّبَابُ كُهُولُ
نَأْتِي، وَنَمُضِي، وَالزَّمَانُ مَخْلَدٌ الصَّبْحُ صَبْحٌ، وَالْأَصِيلُ أَصِيلُ
يَا أَرْضَ أَوْرُبَّا! وَيَا أَبْنَاءَهَا! فِي عُنُقِ مَنْ هَذَا الدَّمُ الْمَظْلُولُ؟
المطلول: المسفوك هدرًا

مَرْقُتُمْ أَفْسَامَكُمْ وَعُهُودَكُمْ وَلَقَدْ تَكُونُ كَأَنَّهَا التَّنْزِيلُ
قَابِيلُ، يَا جَدَّ الْوَرَى، نَمَ هَانِيًا كُلُّ امْرِئٍ فِي ثَوْبِهِ قَابِيلُ

٢٥ ضد الحكم التركي

رَجَالَ الثُّرُكِ! مَا نَبْغِي انْتِقَاصًا لَعَمْرُكُمْ! وَلَا نَبْغِي انْتِقَامًا
وَلَكِنَّا نَطَالِبُكُمْ بِحَقٍّ وَنَكْرَهُ مَنْ يَرِيدُ لَنَا اهْتِضَامًا
اهتضام: ظلم

حَمَلْنَا نِيرَ ظُلْمِكُمْ قُرُونًا قَابِلَاهَا، وَأَبْلَانَا، وَدَامَا
ظلمكم أبلى قرونًا من الزمن، وأبلانا، واستمر

رَعَيْتُمْ أَرْضَنَا، فَتَرَكَتُمُوهَا إِذَا وَقَعَ الْجَرَادُ رَعَى الرُّغَامَا
الرغام: التراب

خَفِيَ الثُّرُكِيُّ يَخْلِفُ بِالْمَثَانِي وَخَفَهُ كُلُّمَا صَلَّى وَصَامَا
وقالوا: نَحْنُ لِلْإِسْلَامِ سُورٌ وَإِنَّ بِنَا الْخِلَافَةَ وَالْإِمَامَا
فَهَلْ فِي دِينِ أَحْمَدَ أَنْ يَجُوزُوا وَهَلْ فِي دِينِ أَحْمَدَ أَنْ نَضَامَا
سَنُوقِدُهَا تُعِيرُ الشَّمْسَ نَارًا وَيُعْيِي أَمْرُهَا الْجَيْشَ اللَّهُمَّا
الجيش اللهم: الجيش الكبير

وَعِلْمُ الْمَرءِ أَنَّ الْمَوْتَ آتٍ يُهَوِّنُ عِنْدَهُ الْمَوْتَ الرَّؤَامَا
الموت الزؤام: السريع

٢٦ عرب وأتراك

أَرْضَ آبَائِنَا! عَلَيْكَ سَلامٌ وَسَقَى اللّهُ أَنْفُسَ الْآبَاءِ
مَا هَجَرْنَاكَ إِذْ هَجَرْنَاكَ طَوْعاً لَا تَظْنِي الْعُقُوقَ فِي الْأَبْنَاءِ
وَاعْتَرَابُ الْقَوِيِّ عِزٌّ وَفَخْرٌ وَاعْتَرَابُ الضَّعِيفِ بَذْءُ الْفَنَاءِ
نَحْنُ، فِي دَوْلَةٍ تَلَاثَتْ قُوَاهَا، كَالنُّصَارِ الْمَدْفُونِ فِي الْقَبْرِاءِ
النصارى: الذهب، الغبراء: الأرض

أَوْ كَيْفَ الْجَنِينِ، مَاتَتْ بِهِ الْحَا مَلٌ حَيًّا، يَجُولُ فِي الْأَحْشَاءِ
عَجَباً كَيْفَ أَصْبَحَ الْأَصْلُ فَرَعاً وَالضُّحَى كَيْفَ حَلَّ فِي الظُّلُمَاءِ
الأصل: يعني العرب، فقد أصبحوا الآن فرعاً وصار الأتراك الحاكمون هم الأصل

مَا كَفَفْنَا مَظَالِمَ الثُّرُكِ حَتَّى زَحَفُوا كَالْجَرَادِ أَوْ كَالْوَبَاءِ
سَوْفَ يَذْرَوْنَ أَنَّمَا الْعُرْبُ قَوْمٌ لَا يُبَالُونَ غَيْرَ رَبِّ السَّمَاءِ
يَوْمَ لَا تُنْبِتُ السَّهْلُ سِوَى النَّا سِ، وَغَيْرَ الْأَسِنَّةِ السَّمَرَاءِ

أدب وتاريخ: الأدب أولاً: يرى إيليا أن العرب هم الأصل، وأن الدولة العثمانية ظلمتهم بجعلهم العنصر الثاني فيها. يرى العرب ذهباً مدفوناً في بطن الدولة العثمانية، أو - وهذا التشبيه الأجمل - جيناً يتحرك في بطن أم ميتة. ويتوعد الأتراك بحرب شعواء عليهم بينما هم منشغلون في الحرب العالمية الأولى وقد أفقروا بلاد الشام وأخذوا خيراتها ورجالها للمجهود الحربي، وحكموها بالحديد والنار. وسيأتي يوم تنبت الأرض فيه ناساً وسلاحاً يحرر بلاد العرب من نير الأتراك. هذا التشبيه جميل أيضاً. الواقع أن العرب ثاروا على الأتراك والأتراك منهزمون في الحرب الأولى، وثاروا بسلاح أوروبي وبقرار أوروبي، فظلوا تابعين للمستعمر.

التاريخ: في أواخر أيام الدولة العثمانية كان العرب مرتاحي البال؛ نعم، مرتاحي البال. رغم مظالم جمال باشا السفاح، ورغم التجديد الإجباري. كانوا مرتاحي البال لأنهم كانوا يملكون سبباً خارجياً كبيراً لتخلفهم وانحسار مجدهم السياسي والثقافي: ذلك السبب هو أن دولة الأتراك تحكمهم. مثلهم في ذلك مثل موظف قليل المهارات، كسول، له مدير حمار. فكلما ليم على تقصيره قال انظروا إلى مديري. فيرون المدير أحمر من الموظف فيسكتون، ويحس الموظف براحة بال. ولو أطيح بذلك المدير فالوظف سينكشف. نعم، كان العرب والدولة العثمانية كشهاب الدين وأخيه.

كان العرب المسيحيون في بلاد الشام يكرهون الحكم العثماني أكثر مما يكرهه العرب المسلمون، فلإستانبول تعطل عليهم الانتفاع بعلاقاتهم بدول أوروبا، هذه العلاقات التي فرضتها قناصل أوروبا فرضاً على الدولة العثمانية الهرمة. كان المسيحيون العرب بوابة لأوروبا لدخول المنطقة دخولاً استعماريّاً. في تلك الحقبة

كان المسيحيون عروبيين جداً، فهم عرب قبل كل شيء، وهذا الانتماء العروبي يصب في مساعهم لإزالة الكابوس العثماني. كان منهم من اندفع وراء الحلم، وأراد أن يبنّي دولة عربية، وكان منهم من أراد التخلص من الحكم العثماني بأي ثمن، ثم لا يبالي إن تحققت مصالحه عن طريق ارتباط قوي بأوروبا أو عن طريق الاستقلال الحقيقي. وأنا أضع إيليا أبو ماضي في الخانة الثانية. إن العلاقة بين مسيحيي بلاد الشام وأوروبا علاقة مشحونة بالتعقيد، وهي بحاجة إلى كثير من الدرس والفحص، ولا عذر لباحث يقدم على مثل هذه الدراسة وهو متفوخ بالغرض (بالإيديولوجيا) كالطلّ. قد كان للمسلمين مصالح مع إستانبول، وكان لهم مصالح مع أوروبا، المحتل الجديد. وكل ما يميز المسيحيين أنهم مالوا إلى أوروبا أكثر لأن الدولة العثمانية لم تكن تعطيهام امتيازات، بينما الوحش الأوروبي المقبل كان يعدمهم بكثير منها، وكان قد بدأ بمنحهم الامتيازات قبل عقود من الحرب العالمية الأولى، حتى يكونوا بوابته إلى الشرق الأوسط. إيليا أبو ماضي لم يكن مفكراً سياسياً ولا مؤرخاً. وكان في تلك الفترة الفاصلة شاباً في أواسط العشرين، ومن مهجره المصري ثم الأميركي رأى الدنيا بعين العربي الذي أزعجته إستانبول عن وطنه، وراح يرحب بالغازي الأوروبي ترحيماً ساذجاً، لكنه ترحيب نابع من القلب، واقرأ القصيدة المقبلة..

٢٧ منقذ المسيح

أَلُنْبِي! لَوْ طَبَعْنَا الشَّمْسَ يَوْمًا وَقَلَّدْنَاكَهَا سَيْفًا صَفِيحًا
يريد أن يذيب الشمس ويطيع (يصك) منها سيفاً للجنرال أنبي، الجنرال البريطاني الذي احتل القدس من العثمانيين

وَرَصَّعْنَاهُ بِالشُّهُبِ الدَّرَارِي لَمَّا زِدْنَاكَ فُخْرًا، أَوْ مَدِيحًا
غَضِبْتَ عَلَى الْهَلَالِ، فُخْرٌ دُعْرًا وَلُحْتُ لَهُ، فَحَادَرَ أَنْ يَلُوحًا
الهلال: شعار الدولة العثمانية

مَشَتْ بِكَ هِمَّةٌ فَوْقَ الثَّرِيَّا فَرَزَلْتَ الْمَعَاقِلَ وَالصُّرُوحَا
مِنَ الْوَادِي، إِلَى صَحْرَاءِ سِينَا إِلَى أَنْ زُرْتَ ذِيَاكَ الضَّرِيحَا
الوادي: مصر، ذياك الضريح: ذاك الضريح، أي (قبر المسيح) بكنيسة القيامة في القدس
فَكَانَ الْجُنْدُ كُلُّهُمْ يَشْنُوْعًا وَكَانَتْ كُلُّ سُورِيَا أَرِيحَا
يشوع بن نون: القائد الذي أرسله موسى لحرب الجبارين، وقد هَمَّ أسوار أريحا واحتلها
فَإِنْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدَى الْبَرَايَا فَإِنَّكَ أَنْتَ أَنْقَذْتَ الْمَسِيحَا

كان إيليا أبو ماضي قد انتقل في السنة الفاتنة إلى نيويورك، وفي قصيدته هذه تأثر - بالإضافة إلى ما يمكنه من مشاعر كراهية للترك - بما نشرته الصحف الأميركية، مثال ذلك مانشيت صحيفة «النيويورك هيرالد»: (البريطانيون ينقذون القدس بعد ٦٧٣ سنة

من الحكم الإسلامي). بل لقد كانت القدس تحت الحكم الإسلامي منذ عمر بن الخطاب، ولكن الصحيفة اعتبرت احتلال الصليبيين للقدس - وذبحهم سبعين ألفاً من المدنيين فيها - بدء التاريخ.

٢٨ الشاب المهموم وجارته

ما بال هذا الفتى في الدار مُعْتَزِلاً كما تَوَحَّدَ نُسَاكَ وَرُهْبَانُ
يمرُّ بالقربِ مِنَّا، لا يكلِّمُنَا وللحديثِ مَجَالٌ، وَهُوَ مِلْسَانُ
ملسان: أبو لسان

وإنْ نُكَلِّمُهُ لا يَفْقَهُ مَقَالَتَنَا إلَّا كما يَفْقَهُ التَّسْبِيحُ سَكَرَانُ
كأنما نِيْطَتِ الدُّنْيَا بِعَاتِقِهِ كأنما كُلُّ عُضْوٍ فِيهِ بُرْكَانُ
كأنه موَكَّل بشؤون الدنيا فهو يحملها على عاتقه (ظهره)

فلا ابتسَامُ ذَوَاتِ العُنُجِ يَطْرِبُهُ ولا ابْنَةُ الحَانَ تُصْبِيهِ ولا الحَانَ
ابنة الحان: الخمرة، تصبيه: تستميله

أما لَهُ جِيرةٌ في الأَرْضِ يَأْلِفُهُمْ؟ يا جَارَتِي، كَانَ لِي أَهْلٌ وَجِيرَانُ
فَبَتَّتِ الحَرْبُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، كما تَقَطَّعُ أُمْرَاسٌ وَخَيْطَانُ
بَتَّت: قطعت، تَقَطَّعُ: تنقطع، أمراس: حبال. ما كان أغناه عن هذه الخيطان، أَفَيَقَطُّعُ المراء
الخيطان بعد أن قَطَّعَ الحبال؟

فلا المِغَانِي التي أَشْتَأَقُ رُؤْيَها تلكَ المِغَانِي، ولا السَّكَّانُ سَكَّانُ
ولو يَبُثُّ بَنُو لُبْنَانَ لَوَعَتْهُمُ لا هَتَرَتِ الأَرْضُ لَمَّا اهْتَرَّتْ لُبْنَانُ
قالت: شَكُوتُ الذي بِالْخَلْقِ كُلِّهِمْ وما كَذَبْتُكَ إِنَّ الحَرْبَ طُوفَانُ
وإنَّ قَوْمِي طَيورٌ غَيْرُ كاسِرَةٍ سَطَّتْ عَلَيْها شَوَاهِينُ وَعِقْبَانُ
الشواهين والعقبان: من الطيور الكواسر

لا تضحكوا، وبِأَرْضِ الشَّامِ نَائِحَةٌ ولا تَنَامُوا، وفي لُبْنَانَ سَهْرَانُ

٢٩ تحية لمصر

أَشَقَى البَرِّيَّةِ نَفْسًا، صَاحِبُ الهِمَمِ وأَتَعَسُ الخَلْقِ حَظًّا، صَاحِبُ القَلَمِ
ويلَ اللَّيَالِي! لَقَدْ قَلَّدَنِي ذَرِبًا أدْنَى إلى مُهْجَتِي مِنْ مُهْجَةِ الخَصِمِ
ويل للزمن فقد قلدني (منحني) ذريباً (لساناً حاداً) ضرره أقرب إلى قلبي من قلب الخصم

ما حَدَّثْتَنِي نَفْسِي أَنْ أَحْطَمَهُ إِلَّا خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي مِنَ النَّدَمِ
يَأْبَى الشَّقَاءُ، الَّذِي يَدْعُونَهُ أَدَبًا، أَنْ يَضْحَكَ الطَّرْسُ إِلَّا إِنْ سَفَكْتُ دَمِي
الطرس: الورقة

أَصْبَحْتُ أَنْحَلَ مِنْ طَلْفٍ، وَأَخِيرَ مِنْ صَبٍّ، وَأَسْهَرَ مِنْ رَاعٍ عَلَى غَنَمٍ
قيل الصب (وهو من زواحف الصحراء) يفارق جحره ثم يحار ولا يهتدي إليه

ليس الوقوف على الأطلالِ مِنْ خُلُقِي ولا البكاء على ما فات مِنْ شَيْمِي
لَكِنَّ مِضْرًا، وَمَا نَفْسِي بِنَاسِيَةٍ، مَلِيكَةُ الشَّرْقِ ذَاتُ النَّيْلِ وَالْهَرَمِ
صَرَفْتُ شَطْرَ الصَّبَا فِيهَا، فَمَا خَشِيتُ نَفْسِي الْعِثَارَ، وَلَا نَفْسِي مِنَ الْوَصَمِ
الوصم: الإهانة

فِي فِتْيَةٍ كَالنَّجُومِ الزُّهْرِ أَوْجُهُهُمْ؛ مَا فِيهِمْ غَيْرُ مَطْبُوعٍ عَلَى الْكَرَمِ
جَادَ الْكِنَانَةَ عَنِّي وَابِلٌ غَدِيقٌ وَإِنْ يَكُ النَّيْلُ يُغْنِيهَا عَنِ الدَّيَمِ
وابل غديق: مطر كثير، الديم: السحب

الشَّرْقُ تَاجٌ، وَمِضْرٌ مِنْهُ دُرُّهُ والشَّرْقُ جَيْشٌ، وَمِضْرٌ حَامِلُ الْعَلَمِ
مَا زِلْتُ، وَالْدَّهْرُ تَنْبُو عَنْ يَدِي يَدُهُ، حَتَّى نَبَتْ ضِلَّةٌ عَنْ أَرْضِهَا قَدَمِي
ظَلَلْتُ والزمن تنبو (تنحرف) يده عن يدي (لا يواتيني السعد) حتى نبت ضلة (انحرفت)، ويا
للضلال (قدمي عن مصر ففارقتها)

أَصْبَحْتُ فِي مَعْشَرٍ تَقْدِى الْعِبُونَ بِهِمْ شَرٌّ مِنَ الدَّاءِ فِي الْأَحْشَاءِ وَالتَّخَمِ
مِنْ كُلِّ قَطْرٍ يُرِيكَ الْقَرْدُ، مُحْتَشِمًا وَيَضْحَكُ الْقَرْدُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَشِمِ
يهجو أهل زمنه، فالواحد منهم فظ تراه محتشمًا (متزنًا) فكانما يريك في شخصه صورة القرد،
وبراه القرد فيضحك منه غير محتشم (دون أن يخجل)

مِنَ الْأَعَارِبِ، لَكِنْ حِينَ أَنْشِدُهُ جَوَاهِرَ الشَّعْرِ أَلْقَاهُ مِنَ الْعَجَمِ
لَا عَيْبَ فِي مَنْطِقِي، لَكِنْ بِهِ صَمَمٌ إِنَّ الصَّوَادِحَ خُرْسٌ عِنْدَ ذِي الصَّمَمِ
الصوادح: البلابل

٣٠ الإنسان يغزو الجو

مَا أَظُنُّ النَّعِيمَ فِيهِ الَّذِي فِيهِ أَرْضٌ مِنْ بَهْجَةٍ، وَمِنْ لَأْلَاءِ
النَّعِيمِ: الجنة، اللآلئ: الفرح التام

كُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ لِلْمَرْءِ عَبْدٌ وَهُوَ عَبْدُ الشَّهَوَاتِ وَالْأَهْوَاءِ
 سَادَ فِي الْكَوْنِ مِثْلَمَا سَادَ فِيهِ خَالَقُ الْكَوْنِ مَبْدَعُ الْأَشْيَاءِ
 فَهُوَ فِي الْمَاءِ سَابِغٌ، وَعَلَى الْعَبْدِ رَاءِ مَا شِئَ، وَطَائِرٌ فِي الْفَضَاءِ
 وَهُوَ بَيْنَ النُّجُومِ يَسْتَرِقُّ السَّمْعَ، وَلَا يَتَّقِي رُجُومَ السَّمَاءِ
 رجوم السماء: الشهب الهاوية

مَشْهَدٌ رَوَّعَ الدَّرَارِي، فَبَاتَتْ حَائِرَاتٍ فِي الْقُبَّةِ الزَّرْقَاءِ
 الدَّرَارِي: النجوم، القبة الزرقاء: السماء
 نَافِرَاتٍ كَأَنَّهَا ظَبَايَاتُ رَأَتْ الْقَانِصِينَ فِي الْبِيدَاءِ

٣١ بطل الشام

حَيَّ الشَّامُ: مُهَنَّدًا وَكِتَابًا وَالْعُوطَةَ الْخَضْرَاءَ وَالْمُخْرَابَا
 المخرباب: لعله يقصد الجامع الأموي

لَيْسَتْ قِبَابًا مَا رَأَيْتُ، وَإِنَّمَا عَزُمَ تَمَرْدٌ، فَاسْتَطَالَ قِبَابَا
 بِأَبِي وَأُمِّي فِي الْعَرَاءِ مُوسَّدٌ بَعَثَ الْحَيَاةَ مَطَامِعًا وَرِعَابَا
 لَمَّا نَوَى فِي مَيْسَلُونِ تَرْتَنُّحٌ هَضْبَاتُهَا، وَتَنَفَّسَتْ أَطْيَابَا
 هذا يوسف العظمة شهيد ميسلون الذي وقف أمام الفرنسيين الغزاة

مَا كَانَ يُوسُفٌ وَاحِدًا، بَلْ مَوْكِبًا لِلنُّورِ، غُلْغُلَ فِي الشَّمُوسِ فَعَابَا
 تغلغل: تغلغل

هَذَا الَّذِي اشْتَقَّ الْكَرَى نَحْتَ الثَّرَى كَيْ لَا يَرَى فِي جِلْقِ الْأَغْرَابَا
 جلق: دمشق

٣٢ أرض زجاج وحذاء زئبق

جَاءَ الشِّتَاءُ حِيَّةَ الْمَفَاجِي الْمَفَاجِي: المفاجئ

وَأَمْسَكَ النَّاسُ عَنِ اللَّجَاجِ اللَّجَاج: الجدل

وانقَبَضَ النهرُ عن الهِياجِ
إذا أردتُ السَّيْرَ في مَنهاجِي
منهاجي: طريقي

طالَ عِثاري فيه، وانزِلَاجِي
كَأَنَّنِي أَمشي عَلَى زُجاجِ
مُخْتَذِيًا بِالزُّبُقِ الرَّجْراجِ
كَأَنَّنِي ألبسَ حذاءً من زُبُقِ
إن لَجَّ هذا القُرُ في إخراجِي
لج: ألح، القر: البرد

لأَزْفَعَنَّ لِسَمًا احتِجَاجِي

٣٣ عتب يؤول إلى انتقاد

وَرُبَّتْ سَاهِرٍ في بَغْلَبَكْ يُشَاظِرُ جَفْنُهُ النَّجَمَ السُّهَادَا
ربت: رب، يتألم الشاعر لآلام أهله، فمنهم ساهر في بعلبك يشارك النجم السهر
يزيدُ الليلُ كُربَتَهُ اشتداداً وَقَرُطُ الهَمِّ ليلَتَهُ سَوَادَا
إذا مَالَ النُّعَاسُ بِأَخْذَعِيهِ ثَنَى الذُّغْرُ الْكَرَى عَنْهُ، وَذَاذَا
الأخدعان: عرقان في جانبي العنق، ذاد: منع

بِهِ الدَّاءِ مِنْ سَعْبٍ وَخَوْفٍ فَمَا ذاقَ الطَّعَامَ، وَلَا الرُّقَادَا
سعب: جوع

أَتَفْتَرِشُ الْحَرِيرَ وَتَرْتَدِيهِ وَيَفْتَرِشُ الْجَنَادِلَ وَالْقَتَادَا
أيها الحاكم باسم المحتل الفرنسي إنك تفتش الحرير وترتديه ويفترش الجنادل (الصخور)،
والقتاد (الشوك)

أَتَدْفَعُ بِالْغَوِيِّ إِلَى التَّمَادِي وَتَعْجَبُ بَعْدَ ذَلِكَ إِنْ تَمَادَى
الغوي (الظالم) هو المحتل

سَكَّتْ فِقَامَ فِي الْأَذْهَانِ شُكٌّ وَقُلْتَ، فَأَصْبَحَ الشُّكُّ اعْتِقَادَا

تَجَهَّمَتِ الْقَرِيضَ فَفَاضَ عَتَبًا وَإِنْ أَخْرَجْتَهُ فَاضَ انْتِقَادًا

تجهمت القرية: تجاهلت الشعر. يقول: الحكام المحليون الذين أقامهم الفرنسي في سوريا ولبنان سكنوا عن أفاعيله فشك الناس في نواياهم، وعندما تكلموا مبررين هذه الأفاعيل زال الشك وتأكد الناس من أن الحكام أدوات بيد المحتل. وهؤلاء الحكام يتجاهلون تحذيرات الشعراء فينالهم من الشعراء العتب، وبعد العتب يأتي الانتقاد

٣٤ في اللاذقية ضجة

ما بال قومي ناثمين عن العلى ولقد تنبأ للعلى الثقلان

الثقلان: الإنس والجن، يقصد الجميع

تُبَاعُ أَحْمَدَ وَالْمَسِيحِ، هَوَادَةٌ! ما العهد أن يتنكر الأخوان

هوادة: تمهلوا

اللَّهُ رَبُّ الشَّرْعَيْنِ، وَرَبُّكُمْ فإلى متى في الدين تختصمان؟

مهما يكن من فارق؛ فكلاكما ينمى إلى قحطان أو عسان

ينمى: ينسب

فُخِّدُوا بِأَسْبَابِ الْوَفَاقِ، وَظَهَرُوا أَكْبَادَكُمْ مِنْ لَوْتَةِ الْأَضْغَانِ

لوتة الأضغان: جنون الأحقاد

فِيمَا يُحِيقُ بِأَرْضِكُمْ وَنُفُوسِكُمْ شُغْلٌ لِمُشْتَغِلٍ عَنِ الْأَدْبَانِ

يحيق: يحيط

لَا رَأْيَ يَجْمَعُكُمْ إِذَا اخْتَلَفَ الْقَنَا وَتَلَاقَتْ الْفُرْسَانُ بِالْفُرْسَانِ

اختلف القنا: تشابكت الرماح

لَا ذَنْبَ لِلْأَقْدَارِ فِي إِذْلَالِكُمْ هَذَا جِزَاءُ الْغَافِلِ الْمُتَوَانِي

٣٥ الحمى وتقويم الأضلاع

مَرَضْتُ، فَأَرْوَاخُ الصُّحَابِ كَثِيبَةٌ بِهَا مَا بِنَفْسِي، لَيْتَ نَفْسِي لَهَا فِدَى

تُرَفُّ حِيَالِي، كُلَّمَا أَعْمَضَ الْكَرَى جُفُونِي، جَمَاعَاتٌ وَمَشْنَى وَمَوْحَدَا

يتراءى له أن العواد يزورونه جماعات وأفراداً

تَرَأَى، فَأَنَا كَالْبُدُورِ سَوَافِرًا وَأَوْنَةً مِثْلَ الْجَمَانِ مُنْضَدًا

تراءى: تراءى، الجمال: اللؤلؤ

أَحِنُّ إِلَيْهَا رَائِحَاتٍ وَعُودًا سَلَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَاتٍ وَعُودًا

تَهَشُّ إِلَيْهَا مُقْبِلَاتٍ جَوَارِحِي كَمَا طَرِبَ السَّارِي رَأَى النُّورَ فَاهْتَدَى

وَأَلْقَى إِلَيْهَا السَّمْعَ، مَا طَالَ هَمُّهَا كَذَلِكَ يَسْتَرْعِي الْأَذَانُ الْمَوْحَدَا

وَيَغْلِبُ نَفْسِي الْحَزَنُ عِنْدَ رَحِيلِهَا كَمَا تَحْزَنُ الْأَزْهَارُ زَايِلَهَا النَّدَى

مَبِيتِي عَلَى مِثْلِ الْوَثِيرِ لِيَانَةً وَأَحْسَبُنِي فَوْقَ الْأَسِنَّةِ وَالْمُدَى

المدى: السكاكين. و(مثل الوثير) لا معنى لها فالفراس وثير أي موطناً مهبطاً، وهذه من إهمالات الشاعر وتجاوزاته

لَقَدْ تَوَشَّكَ الْحُمَى، إِذَا جَدَّ جِدُّهَا نَقَوْمٌ مِنْ أَضْلَاعِي الْمُنَاوِدَا

المناد: المعوج. المعنى قديم والصياغة حلوة موفقة

تُصَوِّرُ لِي طَبِيفَ الْخِيَالِ حَقِيقَةً وَأَحْسَبُ شَخْصاً وَاحِداً مُتَعَدِّداً

هذه هلوسات الحمى، يحسب أحلامه حقيقة ويرى الشخص شخصين

لَقَدْ ضَعُضَعْتَنِي، وَهِيَ سِرٌّ، وَلَمْ يَكُنْ يُضَعُضِعُنِي صَرَفُ الزَّمَانِ إِذَا عَدَا

إِذَا مَا أَنَا أَسْنَدْتُ رَأْسِي إِلَى يَدِي رَمْتَنِي مِنْهَا بِالَّذِي يُوهِنُ الْيَدَا

يوهن: يتعب

تَغْلُغَلْ فِي جِسْمِي النَّحِيلِ أَوَارِهَا فَلَوْ لَمْ أَقْدُ الثُّوبَ عَنْهُ تَوَقَّدَا

أوارها: حرها

رَأَيْتُ الَّذِي لَمْ يُبْصِرِ النَّاسُ نَائِماً وَطُفْتُ الدُّنَى، شَرْقاً وَغَرْباً، مُوسِداً

رأى في هلوسة الحمى الأعاجيب

فَمَا سَاءَنِي إِلَّا شَمَاتَةٌ مَعْشَرٍ رَجَوْتُ بِهِمْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ مُسْعِداً

وَوَدَّ أَنَاسٌ لَوْ يُعَاجِلُنِي الْرَدَى كَأَنِّي أَرْجُو فِيهِمْ أَنْ أُخْلَدَا

وَمَا ضَمِنُوا أَنْ لَا يَمُوتُوا، وَإِنَّمَا يَوْذُ زَوَالِ الشَّمْسِ مَنْ كَانَ أَرْمَدَا

وَلَكِنِّي أَعْفُو، وَلِلْغَيْظِ سَوْرَةٌ أَعْلَمُ أَعْدَائِي الْمَرْوَةَ وَالنَّدَى

سورة: شدّة

أَلَا رَبُّ غِرٍّ خَامَرَ الشُّكَّ نَفْسَهُ فلما رَأَيْتُ أَبْصَرَ الْبَحْرَ مُزِيدًا
رب غر (أحمق) خامر (داخل) الشك نفسه بأني ضعيف، فلم رَأَيْتُ رَأَى كَيْفَ يَكُونُ الْبَحْرَ هَانِجًا
يلعوه الزبد

فَأَصْبَحَ يَخْشَانِي، وَقَدْ بَثَّ سَاكِتًا كما كَانَ يَخْشَانِي وَقَدْ كُنْتُ مُنْشِدًا
وَمَنْ نَالَ مِنْهُ السَّيْفُ، وَهُوَ مُجَرَّدٌ، تَهَيَّبَ أَنْ يَرْتُو إِلَى السَّيْفِ مُغْمَدًا

٣٦ وجعد جبهتي تجعيدا

لَيْتَ الَّذِي خَلَقَ الْعَيُونَ السُّودَا خَلَقَ الْقُلُوبَ الْخَافِقَاتِ حَدِيدًا
عَوْدُ فُؤَادِكَ مِنْ نِبَالٍ لِحَاطِهَا أَوْ مُتْ، كَمَا شَاءَ الْغَرَامُ، شَهِيدًا
إِنْ أَنْتَ أَبْصَرْتَ الْجَمَالَ، وَلَمْ تَهْمُ كُنْتُ امْرَأَةً خَشِنَ الطَّبَاعِ، بَلِيدًا
وَإِذَا طَلَبْتَ مَعَ الصَّبَابَةِ لَذَّةً فَلَقَدْ طَلَبْتَ الضَّائِعَ الْمَوْجُودَا
هِيَ نَظْرَةٌ عَرَّضْتُ، فَصَارَتْ فِي الْحَشَا نَارًا، وَصَارَ لَهَا الْفُؤَادُ وَقُودَا
إِنْ كُنْتُ تَدْرِي مَا الْغَرَامُ، فَدَاوِنِي أَوْ لَا، فَخَلَّ الْعَدْلُ وَالتَّقْنِيدَا

التغيد: اللوم والتخطئة

يَا هِنْدُ! قَدْ أَفْنَى الْمِطَالُ تَصْبِرِي وَفَنَيْتُ، حَتَّى مَا أَخَافُ مَزِيدًا
مَا هَذِهِ الْبَيْضُ الَّتِي أَبْصَرْتَهَا فِي لِمْتِي إِلَّا اللَّيَالِي السُّودَا
لِمْتِي: شعري

هَذَا الَّذِي أَبْلَى الشَّبَابَ، وَرَدَّهُ خَلَقًا، وَجَعَدَ جَبْهَتِي تَجْعِيدًا
خَلَقًا: مهترئًا

٣٧ قصيدة الطين

نَسِيَ الطِّينُ سَاعَةً أَنَّهُ طِيبٌ مِنْ حَقِيرٍ، فَصَالَ تَيْهًا، وَعَرَبَدُ
الطين: الإنسان المخلوق من طين، التيه: التكبر

وَكَسَا الْخَرُّ جِسْمَهُ قَتْبَاهِي، وَحَوَى الْمَالُ كَيْسَهُ فَتَمَرَّدُ
الخر: الحرير

يَا أَخِي! لَا تَمِلْ بِوَجْهِكَ عَنِّي، مَا أَنَا فَحْمَةٌ، وَلَا أَنْتَ فَرْقَدُ
فرقد: اسم نجم في السماء

أَنْتَ لَمْ تَصْنَعْ الْحَرِيرَ الَّذِي تَلْدُ بَسْ، وَاللُّؤْلُؤَ الَّذِي تَتَقَلَّدُ
أَيُّهَا الْمَزْدَهِي، إِذَا مَسَّكَ السُّفْدُ مُمْ أَلَا تَشْتَكِي، أَلَا تَتَنَهَّدُ؟
إِنَّ طَيْرَ الْأَرَاكِ لَيْسَ يُبَالِي أَنْتَ أَضْغَيْتِ، أَمْ أَنَا، إِنْ غَرَّدُ
الأراك: نوع شجر

أَلَيْكَ الْحَقْلُ؟ هَذِهِ النَحْلُ تَجْبِي الشَّدَّ - هَهُدٍ مِنْ زَهْرِهِ، وَلَا تَتَرَدَّدُ
وَأَرَى لِلنِّمَالِ مُلْكًا كَبِيرًا قَدْ بَنَتْهُ بِالْكَذْحِ فِيهِ، وَبِالْكَدِّ
أَنْتَ فِي شَرْعِهَا دَخِلْتُ عَلَى الْحَقِّ لِي، وَلِصِّ جَنَى عَلَيْهَا، فَأَفْسَدُ
لَوْ مَلَكَتِ الْحَقُولَ فِي الْأَرْضِ طُرًّا لَمْ تَكُنْ مِنْ فَرَّاشَةِ الْحَقْلِ أَسْعَدُ
طراً: جميعاً

أَجْمِيلُ؟ مَا أَنْتَ أَبْهَى مِنَ الْوَرْدِ دَوَّ ذَاتِ الشَّدَى، وَلَا أَنْتَ أَجْوَدُ
أجود: أكثر جوداً وكرماً

أَمْ عَزِيزُ؟ وَلِلْبَعُوضَةِ مِنْ خَدِّ - يَكُ قُوْتُ، وَفِي يَدَيْكَ الْمَهْنَدُ
تمص البعوضة دمك حتى والسيف بيدك

أَمْ قَوِيٌّ؟ إِذْنُ: مُرِ النَّوْمُ إِذْ يَغْفُ - شَاكَ وَاللَّيْلَ، عَنْ جُفُونِكَ يَرْتَدُّ
فلتأمر النوم إذ يغشاك والليل (يأتيك مع الليل) أن يرتد عن جفونك

وَامْنِعِ الشَّيْبَ أَنْ يُلِمَّ بِقَوْدَيْهِ - كُ، وَمُرْ تَلَبَّثِ النَّضَارَةُ فِي الْخَدِّ
الفودان: السالفان، ولتأمر النضارة - أن - تلبث في خدك ولا تفارقه

أَيُّهَا الطِّينُ! لَسْتَ أَنْقَى وَأَسْمَى مِنْ تُرَابٍ تَدُوسُ، أَوْ تَتَوَسَّدُ
سُدْتُ أَوْ لَمْ تَسُدْ، فَمَا أَنْتَ إِلَّا حَيَوَانٌ مُسَيَّرٌ مُسْتَعْبَدُ
إِنَّ قَضْرًا سَمَكْتَهُ سَوْفَ يَنْدُكُ - وَثَوْبًا حَبَكْتَهُ سَوْفَ يَنْقُدُ
سمكته: رفعته، ينقد: يقطع

لَا يَكُنْ لِلْخِصَامِ قَلْبُكَ مَأْوَى إِنَّ قَلْبِي لِلْحُبِّ أَصْبَحَ مَعْبَدُ
سؤد الأديب الأردني روكس بن زائد العُزَيْرِي فصولاً في اتهام إيليا أبو ماضي بأنه نقل
فكرة هذه القصيدة وقسطاً من كلامها من قصيدة بدوية أردنية. وفي المعركة التي قامت
حول قصيدة الطين طرافة، ويورد روكس من البراهين ما هو جدير بالاستماع إليه

٣٨ بش المصير

كَانَتْ تُمَارِحُنِي وَتَضَحُّكَ، فَانْتَهَى دَوْرُ الْمُزَاحِ، فَضَحَّكُهَا تَفْكِيرُ
قَالَتْ، وَقَدْ سَلَخَ ابْتِسَامَتَهَا الْأَسَى: صَدَقَ الَّذِي قَالَ، الْحَيَاءُ غُرُورُ
أَكْذَا نَمُوتُ، وَتَنْقُضِي أَحْلَامُنَا فِي لَحْظَةٍ، وَإِلَى التَّرَابِ نَصِيرُ؟
وَتَمُوجُ دِيدَانُ الثَّرَى فِي أَكْبُدِ كَانَتْ تَمُوجُ بِهَا الْمُنَى، وَتَمُورُ

تمور: تموج

خَيْرٌ، إِذَنْ، مِنَّا الْأَلَى لَمْ يُولَدُوا وَمِنْ الْأَنَامِ جَلَامِدٌ وَضُخُورُ
أَفْضَلُ مِنَّا مَنْ لَمْ يُولَدْ، وَأَفْضَلُ مِنَ الْبَشَرِ الْجَلَامِدُ، أَيْ الصُّخُورُ

فَأَجَبْتُهَا: لَتَكُنْ لِدِيدَانِ الثَّرَى أَجْسَامُنَا، إِنْ الْجُسُومَ قُشُورُ
لَا تَجْزَعِي! فَالْمَوْتُ لَيْسَ يَضِيرُنَا فَلَنَا إِيَابٌ بَعْدَهُ، وَنُشُورُ
فَإِذَا طَوَّئْنَا الْأَرْضَ عَنْ أَزْهَارِهَا وَخَلَا الدُّجَى مِنَّا، وَفِيهِ بُدُورُ
فَسْتَرْجِعِينَ خَمِيلَةَ مِغْطَارَةٍ أَنَا فِي ذَرَاهَا بُلْبُلٌ مَسْحُورُ
أَوْ نَسَمَةٍ، أَنَا هَمْسُهَا وَخَفِيفُهَا أَبْدَأُ تُطَوِّفُ فِي الرُّبَى، وَتَدُورُ
تَعْشَى الْخَمَائِلُ فِي الصَّبَاحِ بَلِيلَةَ وَتَوُوبُ، حِينَ تَوُوبُ، وَهِيَ غَيْرُ
أَوْ نَلْتَقِي عِنْدَ الْكُثِيبِ، عَلَى رِضَا وَقِنَاعَةٍ، صَفْصَافَةٌ وَغَدِيرُ
تَمْتَدُّ فِيهِ، وَفِي ثَرَاهُ، عُرُوقُهَا وَيَسِيلُ تَحْتَ فُرُوعِهَا، وَيَسِيرُ

جدور الصفصافة تمتد في تراب الكتيب، والغدير ينساب تحت أغصانها

يَأْوِي إِذَا اشْتَدَّ الْهَجِيرُ إِلَيْهِمَا أَلِنَاسِكَانِ: الطَّبْيِيُّ وَالْعُضْفُورُ
الهجير: الحرّ

لَهُمَا سَكِينَتُهَا، وَوَارَفُ ظِلُّهَا وَالْمَاءُ، إِنْ عَطِشَا، لَدَيْهِ وَفِيرُ
فَتَبَسَّسَتْ، وَبَدَا الرُّضَى فِي وَجْهِهَا إِذْ رَاقَهَا التَّمَثِيلُ وَالتَّضْوِيرُ
عَالِجُهَا بِالْوَهْمِ، فَهِيَ قَرِيرَةٌ وَلَكُمْ أَفَادَ الْمَوْجَعِ التَّخْدِيرُ

قريرة: سعيدة

ثُمَّ افْتَرَقْنَا ضَا حِكَيْنِ إِلَى غَدٍ وَالشُّهْبُ تَهْمِسُ فَوْقَنَا، وَتُشِيرُ

هِيَ كَالْمَسَافِرِ، أَبَ بَعْدَ مَشَقَّةٍ وَأَنَا كَأَنِّي قَائِدٌ مَنصُورٌ

صديقه كمسافر رجع بعد تعب، وهو مثل قائد متصر بعد أن أقنعها بجدوى الحياة

لِكِنَّنِي، لَمَّا أَوْنَيْتُ لِمَضْجَعِي خَشَنَ الْفِرَاشُ عَلَيَّ، وَهُوَ وَثِيرٌ

حَامَتْ عَلَى رُوحِي الشُّكُوكُ، كَأَنهَا وَكَأَنَّهُنَّ: فَرِيَسَةٌ وَصُقُورٌ

كَانَ رُوحِي فَرِيَسَةً وَكَانَ الشُّكُوكُ صُقُورٌ

أَكْذَا نَمُوتُ، وَتَنْقُضِي أَحْلَامَنَا فِي لَحْظَةٍ، وَإِلَى التَّرَابِ نَصِيرُ؟

خَيْرٌ، إِذَنْ، مِنَّا الْأَلَى لَمْ يُوَلَّدُوا وَمِنْ الْأَنَامِ جَنَادِلٌ وَصُخُورٌ

٣٩ يا شهر أيار

أَيَّارُ يَا شَاعِرَ الشُّهُورِ وَبِسْمَةِ الْحَبِّ فِي الدُّهُورِ

وَخَالِقَ الزَّهْرِ فِي الرَّوَابِي وَخَالِقَ الْعِطْرِ فِي الزُّهُورِ

قَدْ كِدْتَ تُحْيِي الْمَوْتَى الْبَوَالِي وَتُنْبِتُ الْعُشْبَ فِي الصُّخُورِ

ألا قال: «قد كدت تحيي عظام موتى»، فسلم من زحاف غير مستحب في مخلع البسيط، ويفر من هذه البوالي التي تذكر المرء بالبول

وَتَجْعَلُ الشُّوكَ ذَا أَرِيحٍ وَتَجْعَلُ الصُّخْرَ ذَا شُعُورِ

تَشْكُو إِلَيْكَ الشُّتَاءَ نَفْسِي وَمَا جَنَاهُ مِنَ الشُّرُورِ

كَمْ لَذَعَ الزَّمْهَرِيرُ جِلْدِي وَدَبَّ حَتَّى إِلَى ضَمِيرِي

وَكَمْ لِبَالٍ جَلَسْتُ وَحْدِي مُنْقَبِضَ الصَّدْرِ كَالْأَسِيرِ

وَالشُّهْبُ مُرْتَاعَةٌ كَطَبِيرِ مُخْتَبِئَاتٍ مِنَ الصُّقُورِ

وَسَاعَةٍ وَجْهَهَا صَفْبِقُ كَأَنَّهُ وَجْهُ مُسْتَعِيرِ

صفيق: صلب، قليل الحياء، والتشبيه طريف، والمستعير هو من يأتي ليستعير منك حاجة

أَبْطَأَ فِي السَّيْرِ عَقْرِبَاهَا فَأَبْطَأَ الْوَقْتُ فِي الْمَسِيرِ

الوقت يمر بطيئاً بسبب بطة عقارب الساعة، طريف هذا

حَتَّى كَأَنَّ الزَّمَانَ أَعْمَى يَمْشِي عَلَى الشُّوكِ فِي الْوُغُورِ

لَقَدْ تَوَلَّى الشُّتَاءَ عَنَّا فَصَقَّقِي، يَا مُنَى، وَطَبِيرِي

لو عاش إيليا في العصر العباسي لمدح النقاد كثيراً شعره الباكر فهو شعر معانٍ، مليء بالتشبيهات الطريفة والمعاني المتقنة الصُّوغ كتشبيهات هذه القصيدة. ولكن شاعرا صار في شعره المتأخر رومنسياً أكثر، وإنسانياً تفاؤلياً أكثر، أحياناً بشيء من

السذاجة. على أن هذا المنحى ضمن لإيليا أبو ماضي شهرة عريضة لم تفقها في القرن العشرين سوى شهرة شوقي ونزار قباني. وأنه القارئ العزيز إلى أن الأكاديميين ألهبوا ظهر صاحبنا، بعضهم يريده أن يكتب الشعر الإنساني المحض ليس غير، ويعيب عليه تلك القصائد الباكرة التي كانت تتردد في جنباتها أساليب المتنبي. سلمى الخضراء الجيوسي جلدهت بقسوة في دراستها شعره، ولعل كونها كتبت الدراسة بالإنجليزية جعلها تقع أسيرة مفاهيم شعرية بعيدة عن أجواء الشعر العربي. لم ترضني طريقتها ألبتة فقد حاكت شعر إيليا محاكمة استشراقية. وأما جورج جحا، في أطروحته للجامعة الأميركية ١٩٦٠، فقد كان يقترب في بعض نقده من صورة المعلم الذي يحمل العصا ويشير بها. لم أرض عن تقريره لإيليا في أحد قصائده بـ: (عدم وضوح المفهوم الوطني عند أبي ماضي، فهو على الرغم من دعوته إلى الوحدة وإلى مقاومة الأتراك، عرباً لا طوائف، لم يخل من بعض الرواسب القديمة، رواسب الحنين إلى حماة الأقليات الدينية، ورواسب الخلط بين الشعور الوطني والإحساس الديني)، وأرى أن إيليا عبر أقوى وأجمل تعبير عن شعوره، ولا أطلب منه أكثر من ذلك

٤٠ فرعنوه فتفرعن

كان في ماضي الليالي أمةٌ خَلَعَ العزُّ عليها حَبْرَةَ
حبره: أثوابه

وَمَشَى الدهرُ إليها طائِعاً فَمَشَتْ تَائِهَةً مُفْتَخِرَةً
تائِهَة: فيها تيه وكبرياء

كان فيها مَلِكٌ ذو فِطْنَةٍ حازمٌ، يَصْفَحُ عِنْدَ المَقْدِرَةِ
ماتَ عنها. فأقامَتْ مَلِكاً طائشَ الرأْيِ، كثيرَ الثَّرَثَةِ
حوْلُهُ عُصْبَةٌ سُوءٍ، كلما جاءَ إِذَا، أَقْبَلَتْ مُغْتَذِرَةً
جاءَ إِذَا: ارتكب عملاً سيئاً

وتمادى القومُ في غَفَلَتِهِمْ فتمادى في الملاهي المنكَرَةِ
كان فيها شاعرٌ مُشْتَهَرٌ ذو قَوَافٍ بَيَّنَّها مُشْتَهَرَةٌ
كان في الأمة شاعر مشهور له قصائد مشهورة بين أبناء هذه الأمة

تَعِسُ الحِطُّ، وهلْ أتعسُ مِنْ شاعرٍ في أمةٍ مُحَبَّضَةٍ
مَرَّ يوماً، فَرَأَى أَشْيَخَةً جلسوا يَبْكُونُ عِنْدَ المَقْبَرَةِ
أشيخة: رجال عجائز

قال شيخُ منهم مُخَدَّوِدُبْ ودموعُ اليأسِ تَغْشَى بَصَرَهُ:
هُوَ مَلِكٌ كَانَ فِيْنَا وَمَضَى، فَمَضَتْ أَيَّامُنَا الْمَزْدَهَرَةُ
فَانْتَهَى التَّاجُ إِلَى مُعْتَسِفٍ لَمْ يَزَلْ بِالتَّاجِ حَتَّى نَشَرَهُ
معتسف: متجبر، ثره: نثر جواهر التاج وأتلفه

كَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهِ خَائِنٌ وَاشِيَاءَ قَرَبَهُ، وَاسْتَوَزَرَهُ
فَإِذَا جَاءَ إِلَيْهِ نَاصِحٌ شَكٌّ فِي نِيَّتِهِ، فَاَنْتَهَرَهُ
هَزَأَ الشَّاعِرُ مِنْهُمْ قَائِلًا: بَلَغَ السُّوسُ أَصُولَ الشَّجَرَةِ
لَوْ فَعَلْتُمْ فِعْلَ أَجْدَادِكُمْ مَا قَضَى الظَّالِمُ مِنْكُمْ وَطَرَهُ
مَا لَكُمْ تَشْكُونٌ مِنْ مُحْتَكِمٍ رُضْتُمْ أَلْسِنَكُمْ أَنْ تَشْكُرَهُ
محتكم: حاكم

كَيْفَ لَا يَبْغِي وَيَطْفَى أَمْرُ يَتَّقِي أَشْجَمُكُمْ أَنْ يَنْظُرَهُ؟
مَا اسْتَحَالَ الْهَرُّ لَيْثًا، إِنَّمَا أُسِدُّ الْأَجَامِ صَارَتْ هِرَّةً
الأجام: الأدغال

٤١ تقدیس الراحلین

مِنَ الْمَرْمَرِ الْمَسْنُونِ صَاغُوا مِثَالَهُ وَطَافُوا بِهِ، فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ، زُمِرَ
المسنون: الصقيل.. صنعوا له تمثالاً وطافوا حول التمثال جماعات.. وقوله «في كل ناحية»
يؤحي بأنه حملوا تمثال المرمَر وجالوا به، وهذا لا يكون مع تمثال مرمَر

وَقَالُوا: صَنَعْنَاهُ لِتَخْلِيدِ رَسْمِهِ، فَقُلْتُ: أَلَا يَفْنَى، كَمَا فَنِيَ الْأَثَرُ
وَقَالُوا: غَنِيٌّ كَانَ يَسْخُو بِمَالِهِ، فَقُلْتُ لَهُمْ: هَلْ كَانَ أَسْحَى مِنَ الْمَطَرِ؟
وَقَالُوا: قَوِيٌّ عَاشَ يَحْمِي ذِمَارَنَا، فَقُلْتُ لَهُمْ: هَلْ كَانَ أَقْوَى مِنَ الْقَدَرِ؟
يحمي ذمارنا: يحمي شرفنا ومالنا

أَكَانَ غَنِيًّا أَمْ قَوِيًّا، فَإِنَّهُ بِمَالِكُمْ اسْتَغْنَى، وَقَوَّيْتُكُمْ ظَفِيرُ
فَلَمْ يَتَعَشَّفْكُمْ، وَلَا هِمَّتُمْ بِهِ كَمَا خِلْتُمْ، لَكِنَّهُ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ
وَلَمْ تَرْفَعُوا التَّمثالَ لِلْبَاسِ وَالنَّدَى وَلَكِنْ لِيُضْعِفَ فِي نُفُوسِكُمْ اسْتَتَرُ
فَلَسْتُمْ تَحْبُونَ الْغَنِيَّ إِذَا افْتَقَرُ وَلَسْتُمْ تَحْبُونَ الْقَوِيَّ إِذَا انْدَحَرَ

رَأَيْتُكُمْ: لَا تَعْرِجُونَ بِرَوْضَةٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الرُّوضِ فَيْءٌ وَلَا ثَمَرٌ
تعرجون بروضة: أي تُعرجون على روضة وتقصدونها

وَلَا تَعْلِفُونَ الشَّاةَ إِلَّا لِتُسَمِّنُوا، وَلَا تَقْتَنُونَ الْخَيْلَ إِلَّا عَلَى سَفَرٍ
إِذَا كَانَ حُبُّ الْفَضْلِ لِلْفَضْلِ شَأْنَكُمْ وَلَمْ تُحِطُوا فِي الْحِسِّ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ .
فَمَا بِالْكُمْ لَمْ تُكْرِمُوا اللَّيْلَ وَالضُّحَى وَلَمْ تَنْصِبُوا التَّمَنَالَ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؟

٤٢ مسيحيون ومسلمون

مَا كَانَ أَحْوَجَ سَوْرِيًّا إِلَى بَطْلٍ يَرُدُّ بِالسِّيفِ عَنْهَا كُلَّ مُفْتَرِسٍ
وَيَجْعَلُ الْحُبَّ دِينَ الْقَاطِنِينَ بِهَا دِينَ يُقَرَّبُ بَيْنَ الْبَيْتِ وَالْقُدُسِ
البيت: الكعبة قبله المسلمين، والقدس مدينة مقدسة عند المسيحيين، وغير المسيحيين
حَتَّى أَرَى ضَارِبَ النَّاقُوسِ يُظَرِّبُهُ صَوْتُ الْأَذَانِ، وَهَذَا رَنَّةُ الْجَرَسِ

٤٣ مقام التفجع

رثاء المطران رفائيل هواويني:

هَذَا مَقَامٌ، لَا التَّفَجُّعُ سَبَّةٌ فِيهِ، وَلَا الصَّبْرُ الْجَمِيلُ جَمِيلٌ
مَا أَحْمَقَ الْإِنْسَانُ! يَسْكُنُ لِلْمُنَى وَالْمَوْتُ يَخْطُرُ حَوْلَهُ وَيَجُولُ
يسكن للمنى: يطمئن للأمانى

يَهْوَى الْحَيَاةَ، كَأَنَّمَا هُوَ خَالِدٌ أَبَدًا، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَزُولُ

٤٤ المرأة وقهر الرجال

أَيُّهَا الْقَلْبُ الَّذِي فِي أَضْلَعِي إِنَّمَا اللَّذَّةُ جَهْلٌ فَاجْهَلِ
تَجْمَلُ الرَّقَّةُ فِي الْعَضْبِ، فَإِنْ كُنْتَ تَهْوَاهَا، فَكُنْ كَالْمُنْصُلِ
العضب والمنصل: السيف

هِيَ فِي الْغَيْدِ الْغَوَانِي قُوَّةٌ وَهِيَ ضَعْفٌ فِي فَوَادِ الرَّجُلِ
تُقْتَلُ الشَّاةُ، وَلَا ذَنْبَ لَهَا هِيَ، لَوْلَا ضَعْفُهَا، لَمْ تُقْتَلِ
كَلَّمَا فَكَّرتُ فِي حَاضِرِنَا عَاقِنِي الْيَأْسُ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ
سَجَّلَ الْعَارَ عَلَيْنَا مَعْشَرُ سَجَّلُوا الْمَرَأَةَ بَيْنَ الْهَمَلِ

ولها في كلِّ بابٍ وقْفَةٌ كامريِّ القَيْسِ حِيَالِ الظَّلَلِ
تَتَّقِي قَوْلَ: اغْرُبِي، خَشِيَتْهَا قَوْلَةُ القَائِلِ: يا هذي ادْخُلِي
تتجنب أن يقول لها زوجها انصرفي، وتكره أيضاً أن يقول لها ادخلي البيت، لما تعاني معه من
هوان

فَهِيَ كَالْعُضْفُورِ وَاقَى، صَادِيًّا، فَرَأَى الصَّيَّادَ عِنْدَ الْمَنْهَلِ
وافى: أقبل، صادياً: عطشان، المنهل: مورد الماء

كَامِنًا، فَانْصَاعَ، يُذْنِبُهُ الظَّمَا ثُمَّ يُقْصِصُهُ اتِّقَاءُ الْأَجَلِ

٤٥ مديح النبي

لَلَّهِ مَا أَحْلَى الْبَشِيرَ وَقَوْلُهُ سَقَطَ الْهَلَالُ إِلَى الْحُضِيِّضِ، وَدَالَا
الهلal: شعار الدولة العثمانية، دال: انتهى زمنه

بِالْأَمْسِ قَطَعَتِ الْجَزِيرَةُ قَيْنَهَا وَرَمَتْ بِوَجْهِ الْغَاشِمِ الْأَغْلَا
الجزيرة: الجزيرة العربية التي ثارت بالعثمانيين في الحرب العالمية الأولى

أَبْنَاتِ أُورُشَلِيمَ! ضَمَّخْنَ الثَّرَى بِالطَّيِّبِ، وَأَمْلَأْنَ الدُّرُوبَ جَمَالَا
حتى يَمُرَّ الْفَاتِحُونَ، فَإِنَّهُمْ كَسُّوا الْأَذَى عَنكُنَّ، وَالْإِذْلَالَا
كسوا: نفضوا، الفاتحون: يقصد جيوش الحلفاء

يَا قَائِدَ الصَّيْدِ الْعَطَارِفَةِ الْأَلَى تُحَنِّي الرُّؤُوسَ، لِذِكْرِهِمْ، إِجْلَالَا
الصيد: الأسياد، العطارفة: الأسياد، وقائدهم الذي احتل القدس كان الإنجليزي إدmond النبي

ظَنَّ الْمَغُولُ جُنُودَهُمْ تَحْمِيَهُمْ وَالْقِرْدُ يَحْسَبُهُ أَبَوْهُ غَزَالَا
المغول: يقصد الأتراك

كَمْ جَحْفَلٍ بَعَثُوا إِلَيْكَ مَعَ الدَّجَى لِقَاءَهُ جَيْشُكَ، وَالصَّبَاحَ، فَرَالَا
والصباح: عند الصباح

طَارَدَتْهُمْ، فَوْقَ الْجِبَالِ وَتَحْتَهَا، كَاللَيْثِ يَطْرُدُ دُونَهُ الْأَوْعَالَا
فمَلَأَتْ هَاتِيكَ الْأَبَاطِخَ وَالرُّبَى بِجُسُومِهِمْ، وَمَلَأَتْهُمْ أَهْوَالَا
وَحَمَيْتِ، إِلَّا السُّهْدَ، عَنْ أَجْفَانِهِمْ وَمَنْعَتْ، إِلَّا عَنْهُمْ، الْأَوْجَالَا

وَصَنَعْتَ مِنْ أَشْيَافِهِمْ وَدُرُوعِهِمْ
 لو لم تُسَاقِظْهُمْ إِلَيْكَ جِبَالُهُمْ
 هُنْتُتْ بِالنَّضْرِ الْمَبِينِ، فَإِنَّهُ
 أَرْضَيْتَ مُوسَى وَالْمَسِيحَ وَأَحْمَدًا
 لِرِقَابِهِمْ وَزُنُودِهِمْ أَغْلَا
 عِنْدَ الضُّحَى زَلْزَلَتْهَا زِلْزَالَا
 نَضْرُ يَعِزُّ عَلَى سِوَاكَ مَنَالَا
 وَالنَّاسَ أَجْمَعَ، وَالْإِلَهَ تَعَالَى

٤٦ أيهذا الشاكي

أَيْهَذَا الشَّاكِي، وَمَا بِكَ دَاءٌ كَيْفَ تَغْدُو إِذَا غَدَوْتَ عَلِيلاً؟
 تشكو وليس بك مرض، فكيف لو مرضت؟

إِنْ شَرَّ الْجَنَافِ فِي الْأَرْضِ نَفْسٌ
 وَتَرَى الشُّوكَ فِي الْوَرُودِ، وَتَعْمَى
 هُوَ عِبْدٌ عَلَى الْحَيَاةِ ثَقِيلٌ
 وَالَّذِي نَفْسُهُ بِغَيْرِ جَمَالٍ
 لَيْسَ أَشَقَى مِمَّنْ يَرَى الْعَيْشَ مُرًّا
 أَحْكَمُ النَّاسِ فِي الْحَيَاةِ أَنَا
 فَتَمَنَّعَ بِالصَّبْحِ مَا دَمَتْ فِيهِ
 وَإِذَا مَا أَظْلَلُ رَأْسَكَ هَمٌّ
 أَدْرَكَتْ كُنْهَهَا طَيُورُ الرُّوَابِي
 مَا تَرَاهَا؟ وَالْحَقْلُ مِلْكُ سِوَاهَا،
 تَتَفَنَّى، وَالصَّقْرُ قَدْ مَلَكَ الْجَوَّ-
 تَتَفَنَّى، وَقَدْ رَأَتْ بَعْضَهَا يُؤْ
 تَتَفَنَّى، وَعُمُرُهَا بَعْضُ عَامٍ،
 فَهِيَ فَوْقَ الْغُصُونِ فِي الْفَجْرِ تَتَلَوُ
 وَهِيَ طَوْرًا عَلَى الشَّرَى وَإِقَاعَاتُ
 كُلَّمَا أَمْسَكَ الْغُصُونُ سُكُونٌ
 فَإِذَا ذَهَبَ الْأَصِيلُ الرُّوَابِي
 فَاطْلُبِ اللَّهْوَ، مِثْلَمَا تَطْلُبُ الْأَظْ
 تَتَوَقَّى، قَبْلَ الرَّحِيلِ، الرَّحِيلَا
 أَنْ تَرَى فَوْقَهَا النَّدَى إِكْلِيلَا
 مَنْ يَظُنُّ الْحَيَاةَ عِبْنًا ثَقِيلَا
 لَا يَرَى فِي الْوُجُودِ شَيْئًا جَمِيلَا
 وَيَظُنُّ اللَّذَاتِ فِيهِ فُضُولَا
 عَلَّلُوهَا، فَأَخْسَنُوا التَّعْلِيلَا
 لَا تَخَفُ أَنْ يَزُولَ، حَتَّى يَزُولَا
 قَصِّرِ الْبَحْثَ فِيهِ، كَيْلَا يَطُولَا
 فَمِنْ الْعَارِ أَنْ تَظْلَلَ جَهُولَا
 تَخَذْتُ فِيهِ مَسْرَحًا وَمَقِيلَا
 عَلَيْهَا، وَالصَّائِدُونَ السَّبِيلَا
 خَذُ حَيًّا، وَالْبَغَضُ يَقْضِي قَتِيلَا
 أَفْتَبِكِي، وَقَدْ تَعِيشُ طَوِيلَا؟
 سُورَ الْوُجْدِ وَالْهَوَى تَرْتِيلَا
 تَلْقُطُ الْحَبَّ، أَوْ تَجُرُّ الذُّيُولَا
 صَفَّقَتْ لِلْغُصُونِ حَتَّى تَمِيلَا
 وَقَفْتَ فَوْقَهَا تُنَاجِي الْأَصِيلَا
 يَارَ عِنْدَ الْهَجِيرِ ظِلًّا ظَلِيلَا

وَتَعَلَّمْ حُبَّ الطَّبِيعَةِ مِنْهَا وَاتْرُكِ الْقَالَ لِلْوَرَى، وَالْقِيَلَا
فَالَّذِي يَتَّقِي الْعَوَازِلَ يَلْقَى كُلَّ حَيْنٍ فِي كُلِّ شَخْصٍ عَذُولَا
أَنْتَ لِلْأَرْضِ أَوْلَا وَأَخِيرَا كُنْتَ مَلَكًا، أَوْ كُنْتَ عَبْدًا ذَلِيلَا
لَا خُلُودَ تَحْتَ السَّمَاءِ لِحَيٍّ فَلِمَ إِذَا تُرَاوِدُ الْمُسْتَحِيلَا؟
كُلُّ نَجْمٍ إِلَى الْأَفُولِ، وَلَكِنْ أَفَةُ النَّجْمِ أَنْ يَخَافَ الْأَفُولَا
غَايَةُ الْوَرْدِ فِي الرِّيَاضِ دُبُولٌ، كُنْ حَكِيمًا، وَاسْبِقْ إِلَيْهِ الذُّبُولَا
وَإِذَا مَا وَجَدْتَ فِي الْأَرْضِ ظِلًّا فَتَقَيَّأْ بِهِ، إِلَى أَنْ يَحُولَا

يحول: يتحول ويتقل

وَتَوَقَّعْ، إِذَا السَّمَاءُ اكْتَفَهَرَتْ مَطَرًا فِي السَّهُولِ، يُخَيِّ السَّهُولَا
قُلْ لِقَوْمٍ يَسْتَنْزِفُونَ الْمَاقِي: هَلْ شَفِيتُمْ، مَعَ الْبُكَاءِ، غَلِيلَا؟
مَا أَتَيْنَا إِلَى الْحَبَاةِ لِنَشْقَى فَأَرِيحُوا، أَهْلَ الْعُقُولِ، الْعُقُولَا
كُلُّ مَنْ يَجْمَعُ الْهَمُومَ عَلَيْهِ أَخَذَتْهُ الْهَمُومُ أَخَذًا وَبِيلَا
كُنْ هَزَارًا فِي عُشِّهِ يَتَعَنَّى وَمَعَ الْكَبَلِ، لَا يُبَالِي الْكُبُولَا
يَتَغْنَى طَلِقًا فِي عَشِهِ، فَإِذَا كَبَلَهُ النَّاسُ أَيَّ حِسْوَةٍ فِي قَفْصِ ظِلِّ يَتَغْنَى

لَا غُرَابًا يُطَارِدُ الدُّودَ فِي الْأَرْضِ ضِيءٌ، وَبُومًا فِي اللَّيْلِ يَبْكِي الظُّلُولَا
كُنْ غَدِيرًا يَسِيرُ فِي الْأَرْضِ رَقْرَا قَا، فَيَسْقِي، مِنْ جَانِبَيْهِ الْحَقُولَا
تَسْتَحِمُّ النُّجُومُ فِيهِ، وَيَلْقَى كُلُّ شَخْصٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ مَثِيلَا
أَيُّ يَرَى الْمَرْءَ صُورَتَهُ فِي الْغَدِيرِ الصَّافِي

لَا رِغَاءَ يُقَيِّدُ الْمَاءَ، حَتَّى تَسْتَحِيلَ الْمِيَاهُ فِيهِ وَحُولَا
كُنْ مَعَ الْفَجْرِ نَسْمَةً تُوسِعُ الْأَرْضَ هَارًا شَمًّا، وَنَارَةً تَقْبِلِيلَا
لَا سَمُومًا مَعَ السَّوَابِي اللَّوَاتِي تَمْلَأُ الْأَرْضَ فِي الظَّلَامِ عَوِيلَا
السُّوم: رِيحٌ حَارَةٌ، السَّوَابِي: الرِّيَّاحُ ذَاتُ الْغُبَارِ

وَمَعَ اللَّيْلِ كَوْكَبًا يُؤْنِسُ الْغَا بَاتِ وَالنَّهْرَ وَالرُّبَى وَالسَّهُولَا
لَا دُجَى يَكْرَهُ الْعَوَالِمَ وَالنَّاسَ سَ، فَيُلْقِي عَلَى الْجَمِيعِ سُدُولَا
سُدُولًا: سَتُورًا

أَيْهَذَا الشَّاكِي! وَمَا بِكَ دَاءٌ كُنْ جَمِيلاً، تَرِ الْوُجُودَ جَمِيلاً

٤٧ اسقني ما حرّموا

حَمَلَ الشَّمْسَ إِلَيْنَا قَمَرٌ فِي سَمَاءٍ، نَحْنُ فِيهَا أَنْجُمُ
الشَّمْسُ يَقْصِدُ بِهَا الْكَأْسَ، وَالْقَمَرُ الْفَتَاةَ، وَالسَّمَاءُ مَجْلِسُ الشَّرَابِ

شَادِنٌ حَكَمَهُ الْحُسْنُ بِنَا وَسَوَى الْحُسْنِ بِنَا لَا يَخْكُمُ
شادن: غزال

أَسْبَلَ الشَّعْرَ، فَيَا عَيْنِي اشْهَرِي إِنَّهُ لَيْلٌ طَوِيلٌ مُظْلِمٌ
صَنَمٌ فِي خَدِّهِ النَّارُ، وَفِي كَفِّهِ ضَرْئُهَا تَضْطَرِمُ
هذا المحبوب صنم (فاتق الجمال) في خده احمرار كالنار، وفي كفه الخمر وهي ضرة النار لأنها
محمرة كأنها تضطرم (تلتهب)

بِئْتُ كَرَمَ لَمْ يَهْمُ فِيهَا سَوَى كُلُّ صَبٍّ هَامٌ فِيهِ الْكَرَمُ
حَبِسْتُ فِي دَنِّهَا مِنْ قِدَمٍ مَا لَهَا ذَنْبٌ، وَلَكِنْ ظَلَمُوا
حَرَّمُوهَا حِينَما خَافُوا عَلَيَّ هَا سِوَاهُمْ، فَاسْقِنِي مَا حَرَّمُوا
إِنَّهَا سِرٌّ فَشَا بَيْنَ الْوَرَى وَإِذَا السِّرُّ فَشَا، لَا يُكْتَمُ
هذه خمرة يحسدك عليها النواصي يا إيليا

٤٨ خاطرتان

يَا سَيِّدَ الْمُتَشِدِّينَ طُرًّا وَصَاحِبَ الْمُنْطَقِ الْمُبِينِ
يخاطب الليل

لَوْ كُنْتُ بُومًا، أَوْ كُنْتُ نَسْرًا مَا بَتَّ فِي أَسْرِكَ الْمُهِينِ
خُلِفْتُ لَمَّا خُلِفْتُ، حُرًّا فَزَجَّكَ الْحُسْنُ فِي السَّجُونِ

* * *

أَعْجَبُ مَا فِي بَنِي الثُّرَابِ قَتَالُهُمْ فَوْقَهُ عَلَيْهِ
قَدْ صَيَّرُوا الْأَرْضَ كَالْكِتَابِ وَانْحَشَرُوا بَيْنَ دَفْنَيْهِ
وَاسْتَعْجَلُوا الْمَوْتَ بِالْعَذَابِ وَكُلُّهُمْ صَائِرٌ إِلَيْهِ

٤٩ الخامل

سَكَتَ خَوْفًا، وَقَلَّتِ الصَّفْحُ مِنْ خُلُقِي وَنَمَتَ جُبْنًا، وَقَلَّتِ الْحِلْمُ مِنْ شَيْمِي
وَإِنَّمَا أَنْتَ، وَالْأَقْوَامُ قَدْ عَلِمُوا، لَوْلَا خُمُولُكَ لَمْ تَسْكُتْ وَلَمْ تَنِمِ

٥٠ منع البوم أن يُصاد..

وَتَقْبِلِ، كَأَنَّهُ بَرْدُ كَانُوا نَ، قَلِيلِ الْحَبَاءِ، جَمَّ الْكَلَامِ
كانون الأول: ديسمبر، كانون الثاني: يناير

لَيْسَ يَدْرِي بِأَنَّهُ لَيْسَ يَدْرِي إِنَّ بَعْضَ الْأَنَامِ كَالْأَنَامِ
يَتَمَنَّيْ، يَا بُعْدَ مَا يَتَمَنَّيْ لَوْ جَرَى ذِكْرُهُ عَلَى الْأَقْلَامِ
مَنْعَ الْبُومِ أَنْ يُصَادَ وَيُرْمَى كَوْنُهُ غَيْرَ صَالِحٍ لِلطَّعَامِ
يُرْمَى: يُرْمَى بِالسَّهْمِ لَصِيدِهِ

٥١ حُجَّةُ الْمَغْتَرِبِينَ

رسالة من لبنان إلى أبنائه المهاجرين. قالها في حفلة:

لِبْنَانُ! لَا تَعْذِلْ بَنِيكَ إِذَا هُمْ رَكِبُوا إِلَى الْعِلْيَاءِ كُلِّ سَفِينِ
لَمْ يَهْجُرُواكَ مَلَالَةً، لَكِنَّهُمْ خَلِقُوا لِصَيْدِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ
فَأَجَابَنِي وَالِدُّمُوعُ مَلَأَ جُفُونِهِ: كَمْ ذَا تُسَلِّينِي، وَلَا تُسَلِّينِي
تُسَلِّينِي: تَسِينِي

الْأَرْمَنِيُّ عَلَى سُفُوحِي وَالرَّبِّي بَنِي الْحَصُونِ لِنَفْسِهِ بِحُصُونِي
وَبَنُو يَهُوذَا يَنْصَبُونَ خِيَامَهُمْ فِي ظِلِّ أَوْدِيَّتِي وَفَوْقَ حُزُونِي
حُزُونِي: هُضَابِي

وَبَنِي عَنِّي غَافِلُونَ كَأَنَّنِي قَدْ صَرْتُ فِي الْأَشْيَاءِ غَيْرَ نَمِينِ
أَنْتُمْ دُيُونٌ لِي عَلَى آمِيرِكَا وَمِنْ الْمُرُوءَةِ أَنْ تُرَدَّ دُيُونِي
آميركا: أميركا، ومدها ليستقيم الوزن

أَوَّلَيْسَ مِنْ سُخْرِ الْقَضَاءِ وَهَزْؤِهِ أَنْ يَأْخُذَ الْمُثْرَى مِنَ الْمُسْكِينِ

٥٢ الثري العالة

إذا بنى رجل قَصْرًا وَزَخَرَفَهُ سَقْنَا إِلَيْهِ التَّهَانِي وَامْتَدَّخْنَاهُ
وما بنى قصره إِلَّا لِيَخْجُبَ عَنْ أَبْصَارِنَا فِي زَوَايَاهُ خَطَايَاهُ
وَنَمْدَحُ الْمَرْءَ مِنْ خَزٍّ مَلَابِسُهُ وَذَلِكَ الْخَزُّ لَمْ تَنْسُجْهُ كَفَّاهُ

الخز: الحرير

٥٣ نجاج نيويورك

أَحْسَنُ الْأَيَّامِ فِي الْعَصْرِ انْقَضَتْ أَوْ لَوْ يَنْشُرُهَا مَنْ قَدْ طَوَّاهَا
صَرْتُ فِي نِيُوتْرَكْ طَيِّفًا شَارِدًا مَعَ طُيُوفِ حَائِرَاتٍ فِي سُرَاهَا
سراها: سيرها الليلي

طَرَحَتْ عَنْهَا رُؤَاهَا، وَمَضَتْ تَنْشُدُ الْمَجْدَ الَّذِي فِيهِ شَقَّاهَا
كَنِجَاجٍ عَمِيَتْ أَبْصَارُهَا وَوَهَتْ فِي طَلَبِ الْعُشْبِ قُوَاهَا
وهت: تعبت

كُلَّمَا جَدَّتْ لِكَيِّ تُدْرِكُهُ وَجَدْتُهُ صَارَ فِي الْأَرْضِ وَرَاهَا

٥٤ لبنان في حماية الله

إِنِّانٍ أَغْيَا الدَّهْرَ أَنْ يُبْلِيَهُمَا: لَبْنَانُ، وَالْأَمَلُ الَّذِي لِدَوِيهِ
نَشْتَاقُهُ وَالصِّيفُ فَوْقَ هِضَابِهِ وَنُجْبُهُ وَالشَّلُجُ فِي وَادِيهِ
وَطَنِي سَتَبَقَى الْأَرْضُ عِنْدِي كُلُّهَا، حَتَّى أَعُودَ إِلَيْهِ، أَرْضُ التِّيهِ
سَأَلُوا الْجَمَالَ، فَقَالَ: هَذَا هَيْكَلِي وَالشَّعْرَ، قَالَ: بَنَيْتُ عَرْشِي فِيهِ
غَيْرِي يَرَاهُ سِيَاسَةً وَطَوَائِفًا وَيَظَلُّ يَزْعُمُ أَنَّهَ رَائِيهِ
لَا يُسْفِرُ الْحُسْنُ النَّزِيهَ لِنَاطِرٍ مَا دَامَ مِنْهُ الطَّرْفُ غَيْرَ نَزِيهِ

الطرف: النظر

وَلِمَنْ يَقُولُونَ: الْفِرَنْجُ حُمَاتُهُ، أَلَلَّهُ قَبْلَ سُيُوفِهِمْ حَامِيهِ

٥٥ طباخو السم في أوروبا

وَارْحَمَتَاهُ لِأَوْرَبَّا! فَمَا فَتَكَتْ أَفْعَى بِأَفْعَى، كَأَهْلِهَا بِأَهْلِهَا

لم يبقَ غيرُ الصَّوَارِي فِي خَلَائِقِهَا وَمِنْ حَضَارَتِهَا إِلَّا مَحَارِبُهَا

الصواري: الوحوش، خلقتها: ناسها

كَانَتْ تُعِدُّ الدَّوَاهِي فِي مَصَانِعِهَا لِعَغِيرِهَا، فَأَصَابَتْهَا دَوَاهِيهَا

وَكُلُّ طَائِفٍ سُمِّ سَوْفَ يَأْكُلُهُ وَكُلُّ حَافِرٍ بَشَرٍ وَاقِعٌ فِيهَا

لَوْ دَامَ إِيْمَانُهَا لَمْ تَنْطَلِقْ سَقَرٌ بِدُورِهَا، وَالْأَفَاعِي فِي مَغَانِيهَا

لَكِنْ أَكْبَتْ عَلَى الْآلَاتِ تَعْبُدُهَا وَتَسْتَعِينُ بِهَا مِنْ دُونِ بَارِيهَا

باريها: خالقها

٥٦ حنين إلى عصر الرشيد

كَمْ بَيْنَ طَيِّبَاتِ الْعُصُورِ الْخَالِيَةِ عِظَّةٍ لِأَبْنَاءِ الدُّهُورِ الْآتِيَةِ

فَإِذَا مَشَى فِينَا الْفَنَاءُ قَرَأْنَا خَلَقَ الْخِيَالَ لَنَا الْحَيَاةَ الثَّانِيَةَ

كَمْ تَعَشَّقُ الدُّنْيَا وَتُنْكِرُ صَدَّهَا أَنْسَيْتَ أَنَّ الْخُلْفَ طَبْعُ الْغَايَةِ؟

عدم الوفاء بالوعد من طبع الفتاة الجميلة

خَلَّ الْغُرُورَ بِمَا لَدَيْكَ، فَإِنَّمَا دُنْيَاكَ زَائِلَةٌ، وَنَفْسُكَ فَانِيَةٌ

إِنَّ الْأَلَى وَطِئْتُ نِعَالَهُمُ السُّهَى وَطِئْتُ جِبَاهَهُمْ نِعَالَ الْمَاشِيَةِ

السهى: نجم بعيد، يقول: الذين بلغوا المجد ماتوا وداست قبورهم المواشي

لَوْ أَنَّ حَيًّا خَالِدٌ فَوْقَ الثَّرَى مَا مَاتَ هَارُونَ، وَزَالَ مُعَاوِيَةُ

أَوْ كَانَ عَزٌّ دَائِمًا، مَا أَصْبَحْتُ بَغْدَادُ فِي عَدَدِ الطُّلُولِ الْبَالِيَةِ

أُخِنْتُ عَلَيْهَا الْحَادِثَاتُ، فَدُورُهَا خِرْبٌ تَعَاوَرَهَا الرِّيحُ السَّافِيَةُ

أُخِنْتُ عَلَيْهَا (أَهْلَكْتُهَا) الْحَادِثَاتُ (المصائب) فَيُوتَهَا خِرْبٌ تَعَاوَرَهَا (تتناوبها) الرِّيحُ السَّافِيَةُ

(المحملة بالآتية)

وَاجْتِنَاحُ مُجْتَاحِ الْعُرُوشِ مُلُوكُهَا فَكَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ

مجتاح العروش: الزمن، أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ: أصول نخل خاوية ساقطة فارغة

أَبْنُ الْقُصُورِ الشَّاهِقَاتُ وَأَهْلُهَا بَادَ الْجَمِيعُ فَمَا لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ

دَرَسْتُ مَعَالِمَهَا وَغَيْرَهَا الْبَلَى وَلَقَدْ تُرَى حُلَلُ الْمَحَاسِنِ كَاسِيَةٍ

درست (امحت) معالِمها وغيرها البلى (التحلل)، وكانت ترى كاسية (مكسوة) بحلل (بثياب)

المحاسن

أَيَّامَ كَانَ لِكُلِّ حُسْنٍ شَاعِرٌ كَلِفَ بِهِ، وَلِكُلِّ شِعْرِ رَاوِيَةٌ

الراوية: الذي يحفظ ويروي أشعار غيره

أَيَّامَ دَجَلَةٌ مُظْمِنٌ هَادِيٌّ جَذْلَانُ يَهْزَأُ بِالْبُحُورِ الطَّامِيَةِ

دجلة كان مفتخرًا على كل البحور التي تفيض بمائها، والبحر تعني النهر أيضاً

النَّيْلُ خَادِمُهُ الْأَمِينُ؛ وَعَبْدُهُ نَهْرُ الْفَرَاتِ وَكُلُّ عَيْنٍ جَارِيَةٌ

في عصر هارون الرشيد كانت مصر تتبع دار الخلافة في بغداد

تَهْوَى الْكَوَاكِبُ أَنَّهَا حَضْبَاؤُهُ أَوْ أَنَّهَا شَجَرٌ عَلَيْهِ حَايِيَةٌ

حانية: منحنية

وَتَوَدُّ كُلُّ سَحَابَةٍ مَرَّتْ بِهِ لَوْ أَنَّهُ سُحْبٌ عَلَيْهَا هَامِيَةٌ

هامية: هاطلة بالمطر

وَتَرَى الْعَزَالََةَ طَيْفَهَا عِنْدَ الضُّحَى فِي سَطْحِهِ، فَتَبَيَّتْ عَظَشَى رَاوِيَةٌ

الغزالة: الشمس، وحققها ألا تحلى بأل فغزالة علم على الشمس

أَيَّامَ كَانَ الشَّرْقُ مَرْهُوبَ الْجَمَى يَكْسُو الْجَلَالَ سَهْوَهُ وَرَوَّابِيَهُ

أَيَّامَ هَارُونُ يُدِيرُ شُؤْوَئَهَا، يَا عَصْرَ هَارُونِ عَلَيْكَ سَلَامِيَهُ

فَتَحَضَّرَ الْبَادُونَ فِي أَيَّامِهِ وَاسْتَأْنَسَتْ حَتَّى الْوُحُوشُ الصَّارِيَهُ

إِيَّاهُ أَبَا الْمَأْمُونِ! ذَكَرُكَ أَبَدٌ فِي الْأَرْضِ مِثْلَ الشَّامِخَاتِ الرَّاسِيَةِ

أبو المأمون: هارون الرشيد، أبد: خالد للأبد، الشامخات الراسية: الجبال

يَا وَيْحَ هَذَا الشَّرِقِ بَعْدَكَ! إِنَّهُ لِلضَّعْفِ بَاتَ عَلَى شَفِيرِ الْهَاوِيَةِ

مَا كَانَ يَقْنَعُ بِالنَّجُومِ وَسَائِدًا وَالْيَوْمَ يَقْنَعُ أَهْلُهُ بِالْعَافِيَةِ

أَبْنِي الْغَطَارِفَةِ الْجَبَابِرَةِ الْأَلَى وَطِثُوا اللَّوَارَ، وَدَوَّخُوا إِسْبَانِيَةَ

يا أبناء الغطارفة (السادة) الألى (الذين) وطثوا (داسوا) اللوار (نهر يصب في الأطلسي، وبقره وقعت معركة بلاط الشهداء على بعد ٣٠٠ كم من باريس) ودوّخوا إسبانية

لَا أَسْتَفِرُّكُمْ لِمِثْلِ فُتُوحِهِمْ لَكِنْ إِلَى حِفْظِ الْبَقَايَا الْبَاقِيَةِ

يَا لِلرَّجَالِ! أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّكُمْ، إِنْ لَمْ تَتَّخِذُوا، أُمَّةٌ مُتَلَاثِيَةٌ؟

٥٧ بعد الموت

عَلِظَ الْقَائِلُ إِنَّا خَالِدُونَ كُتِلْنَا بَعْدَ الرَّدَى هَيُّ بُنُ بَيِّ
هي بن بي: واحد من الناس ليس له أي صفة

* * *

لَوْ عَرَفْنَا مَا الَّذِي قَبْلَ الْوُجُودِ لَعَرَفْنَا مَا الَّذِي بَعْدَ الْفَنَاءِ
نَحْنُ لَوْ كُنَّا، كَمَا قَالُوا، نَعُودُ لَمْ تَخَفْ أَنْفُسَنَا رَبِّبَ الْقَضَاءِ
إِنَّمَا الْقَوْلُ بَأَنَّا لِلْخُلُودِ فِكْرَةٌ أَوْجَدَهَا حُبُّ الْبَقَاءِ

* * *

نَعَشَقُ الْبُقْيَا لَأَنَّا زَائِلُونَ وَالْأَمَانِي حَيَّةٌ فِي كُلِّ حَيٍّ

* * *

زَعَمُوا الْأَرْوَاحَ تَبْقَى سَرْمَدًا خَدَعُونَا. نَحْنُ وَالشَّمْعُ سَوَاءُ
سرمداً: للأبد

يَلْبَثُ النُّورُ بِهَا مُتَّقِدًا فَلِذَا مَا احْتَرَقَتْ بَادَ الضِّيَاءُ
أَيْنَ كَانَ النُّورُ؟ أَتَى وَجِدًا؟ كَيْفَ وَلَّى عِنْدَمَا زَالَ الْبِنَاءُ؟
البناء جسم الشمعة، وبزواله زال النور. كذا جسم الإنسان. . يزول فتزول الروح

* * *

شَمَعَتِي فِيهَا لِطُلَّابِ الْيَقِينِ آيَةٌ تَدْفَعُ عَنْهُمْ كُلَّ غَيِّ
آية: برهان

* * *

لَيْسَتْ الرُّوحُ سِوَى هَذَا الْجَسَدِ مَعَهُ جَاءَتْ وَمَعَهُ تَرْجِعُ
لَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً قَبْلَ وُجْدِ وَلِهَذَا حِينَ يَمْضِي تَتَّبَعُ
فَمِنْ الزُّورِ الْمَوْشَى وَالْفَنَدِ قَوْلُنَا: الْأَرْوَاحُ لَيْسَتْ تُضْرَعُ

الفند: العجز

* * *

تَلَبَّثُ الْأَنْبِيَاءُ مَا دَامَ الْغُصُونُ فإِذَا مَا ذَهَبَتْ لَمْ يَبْقَ فَيَ

* * *

لو تَكُونُ الرُّوحُ مَا لَا يَضْمَجَلْ مَا جَزَعْنَا كُلَّمَا جِسْمٌ هَمَذْ
لو تَكُونُ الرُّوحُ جِسْمًا مُسْتَقِلَّ لَرَأَاهَا مَنْ يَرَى هَذَا الْجَسَدْ
كُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ عَيْنٍ وَظَلْ سَوْفَ يَنْحَلُّ كَمَا انْحَلَّ الزَّبَدْ

* * *

ولئن صَحَّ بَأْنَا مُنْشَرُونَ جَازَ أَنْ يُعْقِبَ ذَاكَ النَّشْرَ طَيَّ

* * *

لَيْتَ مَنْ قَالُوا بَأْنَا كَالرُّهُورْ خَبَّرُونَا أَيْنَ تَمْضِي الرَّائِحَةُ؟
أَتَرَى تَبْقَى كَالْحَانِ الدُّهُورْ؟ أَمْ تَلَاشِي مِثْلَ صَوْتِ النَّائِحَةِ؟

تلاشى: تتلاشى

لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ خُلْدٍ لِلْبُدُورْ بَعْدَ أَنْ تُلْقَى بِنَارٍ لَافِحَةٍ؟

* * *

قُلْ لِمَنْ يَخْبِطُ فِي لَيْلِ الظُّنُونْ لَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ لِلظَّالِمِي رِيْ

* * *

مِثْلَمَا يَذْهَبُ لَوْنُ الْوَرَقَةِ عِنْدَمَا تَبْيَسُ فِي الْأَرْضِ الْأُصُولْ
مِثْلَمَا يُفْقَدُ نُورُ الْحَدَقَةِ حِينَ أَقْضَى، هَكَذَا نَفْسِي تَزُولْ
كَتَلَاثِي الشَّمْعَةِ الْمُخْتَرِقَةِ تَلَاشِي بَيْنَ ضِخْكِ وَعَوِيلْ

* * *

أَنَا بَعْدَ الْمَوْتِ شَيْئًا لَا أَكُونُ حَيْثُ إِنِّي لَمْ أَكُنْ مِنْ قَبْلُ شَيْ

* * *

إِيَّاهُ أَبْنَاءُ الثَّرَى نَسَلُ الْقُرُودْ عَلِّلُوا أَنْفُسَكُمْ بِالثَّرَهَاتْ
إِلْبَسُوا فِي صَحُوكُمْ ثَوْبَ الْجُمُودْ وَاحْلُمُوا فِي نَوْمِكُمْ بِالْمُعْجَزَاتْ
فَسَيَاتِي زَمَنْ غَيْرُ بَعِيدْ تَتَهَادَى بَيْنَكُمْ فِيهِ إِيَّاهُ

إيَّاهُ: هالة الشمس. فالكرة الأرضية قد تعود لتلتحم بأهمها الشمس!

* * *

وَيَحِلُّ اللَّهَ فِي مَاءٍ وَطِينٍ فَيَرَاهُ الشَّيْخُ، وَالشَّابُّ الْأَحْيَ!

عندئذ، عندما نلتحم بأما الشمس سنرى نجوم الظهر ويحل فينا الله، فيراه الشيخ الكبير والشاب الأحي (تصغير الأحي أي المسمر الضارب إلى حمرة، والتعبير من بيت لابن الفارض في يائته المشهورة، و«الشاب» هنا مثلها هناك كاسرة البيت فلا بد لك من قراءتها بإسقاط الألف. وأخطأ في فهم «الأحي» صاحب المقدمة الطويلة لمجموع أشعار أبو ماضي زهير ميرزا، فجعلها «الأكثر حياة»، وتابعه في سوء فهمه من تابعه من الدارسين)

وإنما فسرنا الأبيات الأخيرة هذا التفسير المباشر لأن روح القصيدة روح دارويني مادي خالص. ولا نراه قال إن الله يحل في الماء والطين - وهذا تلوين سمفوني على كلمة جبران (أما أنت إذا أحببت فلا تقل «الله في قلبي» لكن قل «أنا في قلب الله») - قلنا لا نراه قالها إلا ساخرأ ناقضاً هذه الفكرة

٥٨ كل امرئ وجته

لا تَسْأَلْنِي عَنِ السَّمَاءِ، فَمَا عِنْدِي إِلَّا التُّعَوُّثُ وَالْأَسْمَاءُ
لا تسألني عن السماء (الجنة) فليس عندي سوى الأوصاف والأسماء (معلومات قليلة عنها)
فَسَمَاءُ الرَّاعِي، كَمَا يَتَمَنَّأُ هَا، مُرُوجٌ فَسِيحَةٌ خَضْرَاءُ
وَهِيَ عِنْدَ الْأُمِّ الَّتِي اخْتَرَمَ الْمَوْتُ بَنِيهَا، وَضَلَّ عَنْهَا الْعِزَاءُ..
اخترم: أهلك

مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُمْ فِيهِ ضَيْمٌ لا، وَلَا يُدْرِكُ الشَّبَابَ الْقَنَاءُ
وَكَذَا يُوَلَّدُ الرَّجَاءُ مِنَ الْيَأْسِ سِ إِذَا مَاتَ فِي الْقُلُوبِ الرَّجَاءُ
وَهِيَ عِنْدَ الْفَقِيرِ أَرْضٌ وَرَاءَ الْـ أَفْقٍ، فِيهَا مَا يَشْتَهِي الْفُقَرَاءُ
وَهِيَ عِنْدَ الْمَظْلُومِ أَرْضٌ كَهَذِي الْـ أَرْضٍ، لَكِنْ قَدْ شَاعَ فِيهَا الْإِحَاءُ
وَهِيَ عِنْدَ الْخَلِيعِ أَرْضٌ تَمِيسُ الْـ حُورٌ فِيهَا، وَتَدْفُقُ الصَّهْبَاءُ
الخليع: المتهتك اللامبالي، تيمس الحور: تتمايل الجميلات، تدفق الصهباء: تتدفق الخمر

لَيْسَ بَيْنَ الصَّلَاحِ وَالشَّرِّ حَدٌّ كَالَّذِي شَاءَ وَضَعَهُ الْأَنْبِيَاءُ
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ عَفَافٌ وَفَسَقٌ لَمْ تَكُنْ حِشْمَةً، وَلَا اسْتَحْيَاءُ
كُلُّ قَلْبٍ لَهُ السَّمَاءُ الَّتِي يَهْوَى سَوَى، وَإِنْ شِئْتَ كُلُّ قَلْبٍ سَمَاءُ

كل قلب له جته، لا بل كل قلب لكل إنسان هو جته

رُبَّ شَيْءٍ كَالْجَوْهَرِ الْفَرْدِ قَدْ عَدَدْتُهُ الْأَعْرَاضُ وَالْأَهْوَاءُ

ثمة شيء فذ (متفرد) كالجواهر الفرد (الأصل الواحد) ولكنه يتعدد بتعدد حاجتنا واهوائنا

كُلُّ مَا تَقْصُرُ الْمَدَارِكُ عَنْهُ كَائِنٌ مِثْلَمَا الظَّنُونُ تَشَاءُ

ما تقصر المدارك (العقول) عن فهمه كائن (صائر) بحسب ما تهوى الظنون. لا أدري إن كنت ستقول إنها من الشعر المدرسي! لكن فيها حكمة عامة. فكلنا يتصور السعادة في زمن سيأتي، ويتصورها بحسب شهوات قلبه. والجنة هي التصوير الأكبر للسعادة الشاملة، ولكن الشاعر يكتشف أن لكل إنسان جنته الخاصة. ويطلق بعض الأحكام التي تستوقف المرء: فلو لا وجود الفسق لما وُجد العفاف. وليس هناك حد قاطع واضح بين الخير والشر

٥٩ حجر متعطش للشهرة

سَمِعَ اللَّيْلُ ذُو النُّجُومِ أَنْيَنًا وَهُوَ يَغْشَى الْمَدِينَةَ الْبَيْضَاءَ

يغشى المدينة: يأتيها

فَانْحَنَى فَوْقَهَا كَمُسْتَرِقٍ الْهَمِّ سِ، يُطِيلُ السُّكُوتَ وَالْإِصْغَاءَ

انحنى الليل فوق المدينة مصغياً

فَرَأَى أَهْلَهَا نِيَامًا كَأَهْلِ الْكَهْفِ، لَا جَلْبَةَ وَلَا ضَوْضَاءَ

وَرَأَى السَّدَّ خَلْفَهَا مُحَكَّمِ الْبُنْدِ يَانِ، وَالْمَاءَ يُشْبِهُ الصَّحْرَاءَ

كَانَ ذَاكَ الْأَنِينُ مِنْ حَجَرٍ فِي السَّدِّ دَّ يَشْكُو الْمَقَادِرَ الْعَمِيَاءَ

أَيُّ شَأْنٍ، يَقُولُ، فِي الْكَوْنِ شَأْنِي؟ لَسْتُ شَيْئًا فِيهِ، وَلَسْتُ هَبَاءَ

لَا رُخَامٌ أَنَا فَأَنْحَحْتُ تِمَثَا لَ، وَلَا صَخْرَةٌ تَكُونُ بِنَاءَ

لَسْتُ ذُرًّا تُنَافِسُ الْغَادَةَ الْحَسَّ نَاءَ فِيهِ الْمَلِيحَةُ الْحَسَنَاءَ

فَلَأُغَادِرَ هَذَا الْوُجُودَ وَأَمْضِي بِسَلَامٍ، إِنِّي كَرِهْتُ الْبَقَاءَ

وَهَوَى مِنْ مَكَانِهِ، وَهُوَ يَشْكُو الْأَرْضَ وَالشُّهْبَ وَالْدَجَى وَالسَّمَاءَ

فَتَحَ الْفَجْرُ جَفَنَهُ، فَلِذَا الطُّو فَا نَ يَغْشَى الْمَدِينَةَ الْبَيْضَاءَ

٦٠ محاولة في الاعتزال

سَمِمْتُ نَفْسِي الْحَيَاةَ مَعَ النَّاسِ، وَمَلَّتْ حَتَّى مِنَ الْأَحْبَابِ

قَالَتْ: اخْرُجْ مِنَ الْمَدِينَةِ لِلْقَفِّ رِ، فَفِيهِ النَّجَاةُ مِنْ أَوْصَابِي

الفقر: الخلاء، أوصابي: آلامي

وَلَا أَكُنْ كَالْغُرَابِ رِزْقِي فِي الْحَقِّ لِي، وَفِي السَّفْحِ مَجْثَمِي وَاضْطِرَابِي
مجثم: موضع، اضطرابي: حركتي

يَا لِنَفْسِي! فَلِإِنِّهَا فَتَنَّتْنِي بِالْحَدِيثِ الْمَنَّمِ الْخِلَابِ
إِنَّمَا نَفْسِي الَّتِي مَلَّتِ الْعُمْدَ رَانَ، مَلَّتْ فِي الْغَابِ صَمْتُ الْغَابِ
عَلَّمْتَنِي الْحَيَاةَ فِي الْقَفْرِ أَنِّي، أَيْنَمَا كُنْتُ، سَاكِنٌ فِي التَّرَابِ
وَسَأَبْقَى، مَا دُمْتُ فِي قَفْصِ الصَّدِّ صَالٍ، عَبْدَ الْمُنَى أَسِيرَ الرِّغَابِ
الصلصال: الطين

خِلْتُ أَنِّي فِي الْقَفْرِ أَصْبَحْتُ وَخَدِي فإِذَا النَّاسُ كُلُّهُمْ فِي ثِيَابِي

٦١ أَنَا وَالْعَلِيقَةُ

ذَاثُ شَوْكِ كَالْجِرَابِ أَوْ كَأَظْفَارِ الْعُقَابِ
يصف العليقة، وهي نبتة شوكية لها ثمر كالتوت، ويستعملونها في التسييح، لكنها تعلق بملايس
الماشي وتعرقله، ولا يرى شاعرنا فيها نفعاً

رَبَضْتُ فِي الْغَابِ كَاللُّصِّ لِفَتْنِكَ وَاسْتِيلَابِ
قُلْتُ: يَا سَاكِنَةَ الْغَا بٍ، وَيَا بِنْتَ التَّرَابِ
لَا تَلْجِي فِي اجْتِدَابِي، أَوْ فَلِجِّي فِي اجْتِدَابِي
لَا تَلْجِي: لَا تُلْغِي

إِنَّ عُرُوداً فِيهِ مَاءٌ لَيْسَ عُرُوداً لِاخْتِطَابِ
يقصد بالعود ذي الماء نفسه، فهو ما زال معطاء

لَمْ أَهَبْ كُلَّ الَّذِي عِنْدِي، وَلَمْ يَفْرَغْ وَطْابِي
وطابي: وعائي

أَنَا نَهْرٌ، لَمْ أَتَمِّمْ بَعْدُ فِي الْأَرْضِ انْسِيَابِي
وَبِنَفْسِي أَلْفَ مَعْنَى لَمْ يُضْمَنَّ فِي كِتَابِ
وَإِذَا لَمْ يَبْقَ فِي غَيْبِ مَيِّ مَاءٍ لَانْسِيَاكِ
وَإِذَا مَا صِرْتُ كَالْعُغْلَى يُوقِ تَمَثُّالَ اكْتِسَابِ
فاجْذُبِينِي إِنْ يَكُنْ مِنْـ يِ نَفْعٍ لِلتَّرَابِ

جعل الموت عليقة تريد جذبه للتراب لكنه ما زال يملك قوة الحياة والعطاء

٦٢ الطلاس

جئتُ، لا أعلمُ مِنْ أَيْدٍ نَ، ولكنِّي أتيتُ
ولقد أبصرتُ قُداً مي طريقاً، فمشيتُ

قرر محمد عبد الوهاب أن يجعلها «أامي» بدل «قدامي» فكسر الوزن واستراح من كلمة ظنها عامية، وجعلها عبد الحليم (أبصرت للدنيا طريقاً) فأتزن له البيت وظلت «قدامي» خارج معبد الغناء العاطفي

وسأبقى ماشياً، إنْ شئتُ هذا أم أبيتُ
كيف جئتُ؟ كيف أبصرُ ثُ طريقي؟ لستُ أدري!

لو نظرت إلى البيت الأول واستكثنته لوجدته بسيطاً مثل الماء، لكنه على بساطته يحمل النصف الأول من السؤال الوجودي الثقيل: من أين جئنا؟ والجواب بالطبع: لست أدري. والنصف الآخر من السؤال الوجودي: وأين المقر؟ سطره الشاعر بعد بضعة أبيات. وسيطره بقوة. وفي مقدمتنا أشرنا إلى قصيدة لشاعر من قرية أبو ماضي نراها الموحى لشاعرنا بطلاسه

* * *

قد سألتُ البحرَ يوماً: هل أنا يا بحرُ منكأ؟
هل صحيحُ ما رواه بمضهُم عني وعنكأ؟
أم تُرى ما زعموا زُو رأ وبُهتَاناً وإفكأ؟
ضجكتُ أمواجهُ مِنْدٍ - هي وقالت: لست أدري!

ولماذا البحر؟ لأن إيليا قرأ في مصر المقالات الكثيرة، في المقتطف وغير المقتطف، التي عرضت نظريات نشوء الخلق السائدة في أوروبا آنذاك، وجعلها يقول إن أول ما ظهر من خلق ظهر في الماء. وهذه النظريات ما زالت الأشيع عند علماء الأحياء حتى يومنا

* * *

أنتَ يا بحرُ أسيرُ، آو ما أعظمَ أسركُ
أنتَ مثلي أيها الجبُّ - مارُ، لا تملكُ أمركُ
أشبهتُ حالكُ حالي، وحكى عُذري عُذركُ
حكى: شابة

فمتى أنجو من الأشد - حِ وتنجو؟ لست أدري!

* * *

قد سألتُ الشَّخَبَ في الآ
وسألتُ الشَّجَرَ المُو
وسألتُ الدُّرَّ في الأغـ
وكأنِّي خِلْتُها قـا
فاقِ، هل تذكُرُ رملَكَ
رِقْ، هل يَعْرِفُ فضلكَ
ناقِ، هل تذكُرُ أصلَكَ
لث جميعاً: لست أدري!

* * *

يَرْقُصُ الموجُ، وفي قـا
عِكَ حربٌ لن تزولا
أي في قاع البحر

تخلُقُ الأسماكَ لكنْ،
قد جمعتَ الموتَ في صد
ركَ، والعيشَ الجميلا
ليت شِعْري: أنتَ مَهْدُ
تخلُقُ الحوتَ الأَكْولا
ليت شِعْري: أنتَ مَهْدُ
أم ضَرِيحٌ؟ لست أدري!

* * *

فيكَ مثلي، أيها الجبَّـ
إنما أنتَ بلا ظـ
إنما أنتَ بلا عَقْـ
فلماذا، يا تُرى، أمـ
أزُ، أصـدافٌ ورمـلُ
لُ، ولي في الأرضِ ظـلُ
لِ ولي، يا بحرُ، عـقـلُ
ضـي وتُبْقـى؟ لست أدري!

* * *

إن في صدري، يا بحر
نَزَلَ السُّثْرُ عليها،
ولذا أزدادُ بُغْـداً،
وأزاني، كلما أو
رُ، لأسراراً عـجـابـا
وأنا كنتُ الحـجـابـا
كلما ازدَدْتُ اقـتـرابـا
شُكْتُ أدري، لست أدري!

* * *

قيلَ: أذرى الناسِ بالأسـ
قلتُ: إن صَحَّ الذي قـ
عَجَباً! كيف تـرى الشمـ
رارِ سُكَّانِ الصَّوامِغِ
الوا، فإن السُّرَّ شائِغِ
سَ عيونُ في البراقِعِ؟
كيف يرى الحقيقة ناس مستورون في صوامعهم كأنهم يضعون البراقع على وجوههم؟

والتّي لم تَتَبَرَّقِعْ لا تَرَاهَا؟ لست أدري!

* * *

قد دخلتُ الديرَ عندَ الـ
وتركتُ الديرَ عندَ اللـ
كانَ في نَفْسِي كَرْبٌ،
أَمِنَ الديرَ أم اللـ
فجرٍ، كالفجرِ الطروبِ
يلٍ، كالليلِ الغضوبِ
صارَ في نَفْسِي كُرُوبٌ
لِ اكْتئابِي؟ لست أدري!

* * *

أوراءَ القبرِ، بعدَ الـ
فَحَيَاةٌ فَخُلُودٌ،
أكلامُ الناسِ صدقٌ،
أصحيحٌ أنْ بعضُ النـ
موتِ، بعثٌ ونُشُورُ
أم فنناءٌ ودثُورُ
أم كلامُ الناسِ زورُ
ناسٍ يَدْرِي؟ لست أدري!

* * *

إنْ أَكُنْ أُبْعَثُ بعدَ الـ
أُتْرَى أُبْعَثُ بَغْضًا،
أُتْرَى أُبْعَثُ طِفْلاً،
ثمَّ هل أعْرِفُ بعدَ الـ
موتِ جُثْمَانًا وَعَقْلاً
أم تُرَى أُبْعَثُ كُلاً؟
أم تُرَى أُبْعَثُ كَهْلاً؟
موتِ ذاتِي؟ لست أدري!

* * *

لم أجذُ في القصرِ شيئاً
أنا، في هذا وهذا،
وسجينُ الخَالِدِينَ: اللـ
هل أنا في القصرِ أم في الـ
ليسَ في الكوخِ المَهِينِ
عبدُ شَكٍّ وَيَقِينِ
يلٍ والصبحِ المَبِينِ
ككوخِ أَرْقَى؟ لست أدري!

* * *

أين ضُحْكِي وَيُكَاثِي،
أين جَهْلِي وَمَرَاحِي،
أين أحلامِي، وكانتُ
كُلُّها ضاعَتْ، وليكنْ
وأنا طفلٌ صَغِيرُ
وأنا غَضٌّ غَرِيرُ
كيفَما سِرْتُ تَسِيرُ
كيفَ ضاعَتْ؟ لست أدري!

* * *

أَنَا أَفْصَحُ مِنْ عُضٍّ فَوْرَةَ الْوَادِي وَأَعْذِبُ
وَمِنْ الزَّهْرَةِ أَشْهَى، وَشَذَى الزَّهْرَةِ أَطْيَبُ
يقصد: أنا أطيب من شذى الزهرة؟ (وقد قللنا من علامات الاستفهام فيما سيأتي فكل القصيدة أسئلة)

وَمِنْ الْحَيَّةِ أَذْهَى، وَمِنْ النَّمْلَةِ أَغْرَبُ
أَمْ أَنَا أَوْضَعُ مِنْ هَـ لَذِي وَأَذْنَى؟ لَسْتُ أَدْرِي!
أوضح: أحقر

* * *

كُلُّهَا مِثْلِي تَحْيَا، كُلُّهَا مِثْلِي تَمُوتُ
وَلَهَا مِثْلِي شَرَابٌ، وَلَهَا مِثْلِي قُوتُ
وَانْتِبَاهٌ وَرُقَادٌ، وَحَدِيثٌ وَسُكُوتُ
فَبِمَا أَمْتَارُ عَنْهَا لَيْتَ شِعْرِي؟ لَسْتُ أَدْرِي!

* * *

أَنَا كَالصَّهْبَاءِ، لَكِنْ أَنَا صَهْبَائِي وَذَنِّي
أَضْلُهَا خَافٍ كَأَضْلِي، سَجْنُهَا طِينٌ كَسَجْنِي
الصهباء، أي الخمر، يضعونها في خاية فخارية ويدونها بطين ويختمون عليه، فهذا سجنها،
والإنسان مخلوق من طين وجسده سجن روحه

وَيُزَاحُ الْحَثْمُ عَنْهَا مِثْلَمَا يَنْثَقُ عَنِّي
وَهِيَ لَا تَفْقَهُ مَعْنَا هَا، وَإِنِّي.. لَسْتُ أَدْرِي!

* * *

غَلِظَ الْقَائِلُ: إِنَّ الْـ خَمْرَ يَنْثُ الْحَايَةَ
الخابية: الجرة الكبيرة

فَهْيَ، قَبْلَ الزَّقِّ، كَانَتْ فِي عُروِقِ الدَّالِيَةِ
الزق: قربة كبيرة من جلد لنقل الخمر

وَحَوَاهَا قَبْلَ رَحِمِ الْـ كَزَمِ رَحْمُ الْعَادِيَةِ
الغادية: السحابة

إِنَّمَا مِنْ قَبْلِ هَذَا، أَيْنَ كَانَتْ؟ لَسْتُ أَدْرِي!

* * *

أَنَا لَا أَذْكُرُ شَيْئاً مِنْ حَيَاتِي الْمَاضِيَةِ
أَنَا لَا أَعْرِفُ شَيْئاً مِنْ حَيَاتِي الْآتِيَةِ
لِي ذَاتٌ، غَيْرَ أَنَّنِي لَسْتُ أَدْرِي مَا هِيَ
فَمَتَى تَعْرِفُ ذَاتِي كُنْهَ ذَاتِي؟ لَسْتُ أَدْرِي!

* * *

إِنَّنِي جِئْتُ وَأَمْضِي، وَأَنَا لَا أَغْلَمُ
أَنَا لُغَزٌ، وَذَمَّابِي كَمَجِيئِي طَلَسَمُ
وَالَّذِي أَوْجَدَ هَذَا اللَّـهَ غَزَلُغَزُ مُبْنَهُمْ
لَا تُجَادِلْ. ذُو الْحِجَا مِنْ قَالَ إِنَّنِي.. لَسْتُ أَدْرِي!

٦٣ عجائز موسرات

عرج صاحب الديوان في إحدى سفراته على فندق فخم، فلم ير إلا عجائز، فقال:
لِمَنْ يَضُوعُ الْعَبِيرُ؟ لِمَنْ تُعْنِي الطيور؟
يضوع: يفوح

وَلَا جَمَالَ أَنِيْقٌ وَلَا شَبَابَ نَضِيرُ
بَلْ مُومِيَاتٌ، عَلَيْهَا أَطَالِسُ، وَخَرِيرُ
أطالس: ثياب حرير

رَاحَتْ تُقْفِقُ حَوْلِي فَكَادَ عَقْلِي يَطِيرُ
وَلَاذَ قَلْبِي بِصَدْرِي كَأَنَّهُ عُصْفُورُ
لَا حَتَّ لَهُ فِي الْأَعَالِي بَوَاشِقُ وَصَقُورُ
بواشق: جوارح

وَقَالَ: ضُوبِقَتْ، فَاهْرُبْ قَلْتُ: الْفِرَارُ عَسِيرُ
مَالِي جَنَاحٌ، وَلَا لِي سَيَّارَةٌ، أَوْ بَعِيرُ
هَذَا الْعَصُورُ الْخَوَالِي تَطُوفُ بِي، وَتَدُورُ
العصور الخوالي: الأزمان الماضية.. يقصد أولئك العجائز

مِنْ كُلِّ شَمْطَاءٍ وَلَّى شَبَابُهَا، وَالْقُرُورُ

شمطاء: اختلط بياض شعرها بسواده. أليس تكون المرأة غادرت صباها إذا ذهب غرورها النسوي! لكنني أقول لك شيئاً: التي كانت جميلة في صباها، تصبح عجوزاً ويغادرها الجمال ولا يغادرها الغرور. ما أصعب أن تتعامل مع امرأة كانت جميلة!

يَا طَالِبَ الشَّهْدِ أَقْصِرْ لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقَفِيرُ

أقصر: اكثف، القفير: الخلية، يقول: ذهب العسل وبقي هيكل الخلية

كَأَنَّمَا الْوَجْهَ مِنْهَا قَدْ عَصَّهُ الزَّمْهَرِيرُ

كَالْبَدْرِ حِينَ تَرَاهُ يُعِينُكَ النَّاطُورُ

يشبه وجوه العجوز بالقمر عندما تراه بالمنظار، فترى فيه رقشاً ونقشاً

تَبْدُو لِعَيْنَيْكَ فِيهِ بَرَازُخٌ وَيُحُورُ

البرازخ: الأرض الفاصلة بين ماءين (شيء في التضاريس)

وَأَنْجُذٌ وَوَهَادٌ لَكِنَّهُ مَهْجُورُ

أنجد: هضاب، وهاد: منخفضات

وَلِلْيَدَيْنِ ارْتِعَاشٌ، وَلِلْعِظَامِ صَرِيرُ

أَمَّا الْعَيُونُ فَغَارَتْ وَلَا تَرَا لَ تَقُورُ

مَعَاوِرٌ، بَلْ صَحَارَى، بَلْ أَكْهَفٌ، بَلْ قُبُورُ

وَالْخَضِرُ! عَفْواً وَصَفْحاً! كَانَتْ لَهُنَّ خُصُورُ

هُنَّ السَّعَالَى، وَلَكِنْ سَعَالُهُنَّ كَثِيرُ

السعالى: الغيلان

حَدِيثُهُنَّ انْتِفَاضٌ وَضِحْكُهُنَّ هَرِيرُ

هرير: صوت الكلب أو القط يخرج من جوفه

وَمَشْيُهُنَّ ارْتِبَاكٌ وَتَارَةً تَقْدِيرُ

وصف طيب لمشي العجائز، يقدرون تقديرأ موضع القدم لعجز النظر وارتعاش الجسم

فِي فُنْدُقٍ أُنَا، أَمْ فِي جَهَنَّمَ مَخْشُورُ؟

لو حشروا شارح هذه الآيات دهرأ مع جوزفين تيوسون الممثلة الإنجليزية التي بلغت السادسة والثمانين، والتي كانت في صباها جاذبة العينين، لعاش هائتأ ناعم البال. هي امرأة مبتسمة. نعم، حتى وهي تقترب من التسعين يتألق في وجهها الابتسام والرضا

٦٤ الأسوأ من العدو

ألقى صاحب الديوان هذه القصيدة في الحفلة التي أقامتها جمعية الشبان المسلمين في مسرح «أكاديمي أوف ميوزك» في بروكلين لتأبين موسى كاظم الحسيني:

كَمْ مَعْشَرٍ خَلَّنَاهُمْ أَنْصَارَنَا فَإِذَا هُمْ لِعُدَاتِنَا أَنْصَارُ
رَقَدَ الْعِدَى فَتَحَمَّسُوا، حَتَّى إِذَا جَدَّ الْوَعَى رَكِبُوا الْعُقَابَ وَطَارُوا
شَرٌّ مِنَ الْخَضَمِ اللَّدُودِ عَلَى الْفَتَى الصَّاحِبِ الْمُتَذَذِبِ الْخَوَّارِ

الخوار: الجبان، المتذبذب: أنت تعرفه جيداً لكثرة من رأيت منهم. ونحن في زمن رديء مليء بالذين ليست لهم كلمة، الذين يكثرون من الوعود ثم يرجعون عنها، وحقاً قال إيليا فهؤلاء شر من الخصرم الألداء

٦٥ مهتي كشاعر

قَالَتْ وَصَفْتُ لَنَا الرَّحِيقَ، وَكُوبَهَا وَصَرِيْعَهَا، وَمُدِيرَهَا، وَالْعَاصِرَا
الرَّحِيقُ: الخمر، صريعها: شاربها الذي ألقته أرضاً وهو سكران، مديرها: الذي يديرها على الجالسين ويسقي الناس

وَالْحَقْلَ وَالْفَلَاحَ فِيهِ سَائِرَا عِنْدَ الْمَسَا يَرْعَى الْقَطِيعَ السَّائِرَا
وَوَقَفَتْ عِنْدَ الْبَحْرِ يَهْلُدُّ مَوْجُهُ فَرَجَعَتْ بِالْأَلْفَاظِ بَحْرًا هَادِرَا
صَوَّرَتْ فِي الْقِرْطَاسِ حَتَّى الْخَاطِرَا فَخَلَبْتَنَا، وَسَحَرَتْ حَتَّى السَّاجِرَا

القرطاس: الورق، خلبتنا: خدعت حواسنا بسحرك

وَأَرَيْتَنَا، فِي كُلِّ قَفْرِ، رَوْضَةً وَأَرَيْتَنَا، فِي كُلِّ رَوْضٍ، طَائِرَا
لَكِنْ، إِذَا سَأَلَ امْرُؤٌ عَنْكَ امْرَأًا أَبْصَرْتَ مُحْتَارًا يُخَاطَبُ حَائِرَا
مَنْ أَنْتَ يَا هَذَا؟ فَقُلْتُ لَهَا: أَنَا كَالْكَهْرَبَاءِ، أَرَى خَفِيًّا ظَاهِرَا
قَالَتْ: لَعَمْرُكَ زِدْتُ نَفْسِي ضَلَّةً مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ وَصَفْتَ الشَّاعِرَا؟

ضلة: حيرة



فَأَجَبْتُهَا: هُوَ مَنْ يُسَائِلُ نَفْسَهُ عَنْ نَفْسِهِ، فِي صُبْحِهِ وَمَسَائِهِ
وَيَرَى فَنَاءَ الشَّيْءِ، قَبْلَ فَنَائِهِ وَيَرَى فَنَاءَ الشَّيْءِ، قَبْلَ فَنَائِهِ
إِنْ نَامَ، لَمْ تَرْقُدْ هُوَ اجْسُ رُوحِهِ وَإِذَا اسْتَفَاقَ، رَأَيْتَهُ كَالْتَّائِهِ

قالت: أتعرف من وصفت، فقلت: من
يا شاعر الدنيا، وفيك حصافة،
قالت: وصفت الفيلسوف الكافرا
ما كان ضررك لو وصفت الشاعر؟

* * *

فقلت: هو امرؤ يهوى العقاراً
ويحسب مهرجان الناس مائماً
كما يهوى مغازلة العذارى
بلا خمر، وجنتهم جهنم
ملول، لا يدوم على ولاء
ولكن، لا يدوم على عدا
ويوشك أن يقهقه في الجنازة

المفازة: الصحراء

يعتقه الصحاب، فلا ينيب
وينزجره المشيب، فلا يتوب
ينيب: يتراجع

فقلت: جئت بالكلم البديع
ولكن ما وصفت سوى الخليع

* * *

وخفت إعراضها عني، فقلت: إذن
كأنما ليس في الدنيا سواه فتى
هو الذي أبداً يبكى من الزمن
معرض لخطوب الدهر والمحن
يشكو السقام، وما في جسمه مرض
والشهد، وهو قريب العهد بالوسن
فقاطعتني، وقالت: قد بعدت بنا،
ما ذي الصفات صفات الشاعر الفطين

* * *

قلت: مهلاً، إذا ضللت وعذراً
هو... من ترسّم الجمال يده
ربما أخطأ الحكيم وضلاً
فترأه في الطرس أشهى وأحلى

الطرس: الورقة

أفما ذا من تبتغين، وأبغني
وصفه؟ قالت المليحة: كلا
أفليس هذا هو الذي تطلين، وأطلب أنا أيضاً وصفه؟

* * *

يا هذه! إنني عييت بوصفه
لا تستطيع الخمر سرد صفاتها
وعجزت عن إدراك مكنوناته
والروض وصف زهوره ونباته

هُوَ مَنْ نَرَاهُ سَائِرًا فَوْقَ الثَّرَى وَكَأَنَّ فَوْقَ فَوَادِهِ خُطُواتِهِ
هُوَ مَنْ يَعِيشُ لِغَيْرِهِ، وَيَظُنُّهُ مَنْ لَيْسَ يَفْهَمُهُ، يَعِيشُ لِدَواتِهِ

٦٦ إنما الغبطة فكرة

أَقْبَلَ الْعَبِيدُ؛ وَلَكِنْ، لَيْسَ فِي النَّاسِ الْمَسْرَّةُ
دَعَاءُ الْمَسِيحِينَ فِي الْعِيدِ: الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي، وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ، وَفِي النَّاسِ الْمَسْرَةُ
لَا أَرَى إِلَّا وَجْهَهُمَا كَالْحَبَاتِ مُكْفَهَرَةً
وَشِفَاهَا تَحْذَرُ الضُّحَى لَكَ كَأَنَّ الضُّحَى جَمْرَةً
لَيْسَ لِلْقَوْمِ حَدِيثٌ غَيْرُ شَكْوَى مُسْتَمِرَّةٍ
لَا تَسْأَلُ مَاذَا عَرَاهُمْ، كُلُّهُمْ يَجْهَلُ أَمْرَهُ
أَيُّهَا الشَّاكِي اللَّيَالِي! إِنَّمَا الْغِبْطَةُ فِكْرَةٌ
رَبِّمَا اسْتَوْطَنْتِ الْكَوْ خَ، وَمَا فِي الْكَوْخِ كِسْرَةٌ
وَحَلَّتْ مِنْهَا الْقُصُورُ الـ عَالِيَاتِ الْمُشْمَخِرَةِ
تَلَمَسُ الْغُضْنَ الْمُعَرَّى، فَإِذَا فِي الْغُضَنِ نَضْرَةٌ
وَإِذَا رَقَّتْ عَلَى الْقَفْ رٍ، اسْتَوَى مَاءٌ وَخُضْرَةٌ
وَإِذَا مَسَّتْ حَصَاةً، صَقَلَتْهَا فَهِيَ دُرَّةٌ
أَيُّهَا الْعَابِسُ! لَنْ تُعْ طَى عَلَى التَّفْطِيبِ أَجْرَةٌ
لَا تَكُنْ مُرًّا، وَلَا تَجْ حَلَّ حَيَاةِ الْغَيْرِ مُرَّةٌ

٦٧ قَلِ الرُّوحُ..

يعارض إيليا أبو ماضي ابن سينا في قصيدة له مشهورة عن الروح:

أَنَا لَسْتُ بِالْحَسَنَاءِ أَوَّلَ مُوَلِّعٍ هِيَ مَظْمَعُ الدُّنْيَا، كَمَا هِيَ مَظْمَعِي
وَلَكِنْ دَخَلْتُ إِلَى الْقُصُورِ مُفْتَشًّا عَنْهَا، وَعُجْتُ بِدَارِسَاتِ الْأَرْبَعِ

عجت بدارسات الأربع: مرت بالبيوت الخربة

إِنَّ لَاحَ طَيْفَ قَلْتُ: يَا عَيْنُ أَنْظِرِي، أَوْ رَنَّ صَوْتُ، قَلْتُ: يَا أُذُنُ اسْمَعِي
فَإِذَا الَّذِي فِي الْقَصْرِ مِثْلِي حَائِرٌ وَإِذَا الَّذِي فِي الْقَفْرِ مِثْلِي لَا يَعِي
قَالُوا: تَوَرَّعْ، إِنَّهَا مَحْجُوبَةٌ إِلَّا عَنِ الْمُتَزَهِّدِ الْمُتَوَرَّعِ

هذه الحسناء، وهي الروح، محجوبة ولا تظهر إلا للقي الورع

فَوَأَذْتُ أَفْرَاحِي، وَطَلَّقْتُ الْمَنَى وَنَسَخْتُ آيَاتِ الْهَوَى مِنْ أَضْلَعِي

نسخت: ألغيت

وَهَجَعْتُ، أَحْسَبُ أَنَّهَا بِنْتُ الرَّؤَى فَصَحَوْتُ أَشْخَرُ بِالنِّيَامِ الْهُجَعِ
نام يحسب أن الروح تأتي في الأحلام

لَمَّا حَلَمْتُ بِهَا حَلَمْتُ بِزَهْرَةٍ لَا تُجَنِّنِي، وَبِنَجْمَةٍ لَمْ تَظْلِعْ
ثم انتبهت، فلم أجد في مخدعي إلا ضلالِي، والفرَّاشَ، ومخدعي
مَنْ كَانَ يَشْرَبُ مِنْ جَدَاوِلٍ وَهَمِهِ قَطَعَ الْحَيَاةَ بِغُلَّةٍ لَمْ تُنْقَعِ
بغلة لم تُنقع: بعطش لم يُروَّ

ذَهَبَ الرَّبِيعُ فَلَمْ تَكُنْ فِي الْجَدْوَلِ الشَّدَا - سَادِي، وَلَا الرَّوْضِ الْأَعْنَ الْمُمْرِعِ
ذهب الربيع فلم تكن الروح موجودة في الجدول الشادي (الترنم)، ولا في الروض الأغن (الكثير
الشجر)، الممرع (الخصب)

وَأَتَى الشِّتَاءُ فَلَمْ تَكُنْ فِي عَيْنِهِ الْ - بَاكِي، وَلَا فِي رَعْدِهِ الْمَتَفَجِّعِ
وَلَمَحَتْ وَامِضَةُ الْبُرُوقِ، فَحَلَّتْهَا فِيهَا، فَلَمْ تَكُ فِي الْبُرُوقِ اللَّمَّعِ
حَتَّى إِذَا نَشَرَ الْقَنُوطُ ضَبَابَهُ قَوِي، فَعَيَّبَنِي، وَعَيَّبَ مَوْضِعِي
عَصَرَ الْأَسَى رُوحِي، فَسَأَلْتُ أَدْمُعًا فَلَمَحَتْهَا، وَلَمَسْتُهَا فِي أَدْمُعِي
وَعَلِمْتُ، حِينَ الْعِلْمِ لَا يُجَدِّي الْفَتَى، أَنَّ الَّتِي ضَيَّعْتُهَا كَانَتْ مَعِي

٦٨ عندما نصبح الروح ريحاً

سَأَلْتُ، وَقَدْ مَرَّتِ الشَّمَالُ نُنُوحٌ، وَأَوْنَةُ تُغْوِلُ
الشمال: ريح الشمال، تعول: تنوح

إِلَى أَيِّمَا غَايَةٍ تَرْكُضِينَ؟ أَلَا مُنْتَقَرٌ، أَلَا مَوْئِلٌ؟
موئل: ملاذ

لَقَدْ طَرَحَ الْغَصَنُ أَوْرَاقَهُ مِنْ الدَّغْرِ، وَاضْطَرَبَ الْجَدْوَلُ
وَضَلَّ الطَّرِيقَ إِلَى عُشِّهِ، فَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ، الْبُلْبُلُ
وَكَادَتْ تَخِرُّ لَدَيْكَ الْهَضَابُ وَتَرْكُضُ قُدَّامَكَ الْأَجْبُلُ
أَيَعْدُو وَرَاءَكَ جَيْشٌ كَثِيفٌ أَمِثْلُكَ يُرْهِبُهُ الْجَحْفَلُ؟

فجاءَ بَنِي هَاتِفٍ فِي الظَّلَامِ : غَلِظَتْ ، فَمَا هَذِهِ السُّمُأَلُ
 وَلَكِنَّهَا أَنْفُسُ الْعَايِرِينَ تَجُوسُ الدِّيَارَ ، وَلَا تَنْزِلُ
 الغابرون : الماضون ، تجوس : تطوف

مِنَ الْبَحْرِ تَضَعْدُ هَذِي الْغِيُوثُ وَتَهْطِلُ فِي الْبَحْرِ ، إِذْ تَهْطِلُ
 هُمْ فِي الشَّرَابِ الَّذِي نَحْتَسِي وَهُمْ فِي الطَّعَامِ الَّذِي نَأْكُلُ
 وَهُمْ فِي الْهَوَاءِ الَّذِي حَوْلَنَا وَفِي مَا نَقُولُ ، وَمَا نَفْعَلُ
 فَمَنْ حَسِبَ الْعَيْشَ دُنْيَا وَأُخْرَى فَذَا رَجُلٌ عَقْلُهُ أَحْوَلُ

٦٩ الثَّقِيلُ وَالتَّمْثِيلُ

نُبِئْتُ أَنَّكَ تَعَشُّقُ التَّمْثِيلَا عِشْقًا يُمَثِّلُ فِي حَشَاكَ فُضُولَا
 وَتَكَادُ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ وَالْجَوَى أَنْ تَهْجَرَ الْمَشْرُوبَ وَالْمَأْكُولَا
 عَلَلْتَ نَفْسَكَ بِالْمُحَالِ ، فَأَضْبَحْتَ فِي عَمْرَةٍ ، وَعَدَوْتَ أَنْتَ عَلِيْلَا
 تَأْبَى الْمَرَاسِحُ أَنْ تُنِيلَكَ وَدَهَا إِنَّ الْمَرَاسِحَ لَا تُحِبُّ ثَقِيلَا
 المراسح : الماسح

٧٠ هَاجِسُ الْفَنَاءِ

لَمْ أُنْسَ حِينَ مَشَتْ إِلَيَّ تِلْوَ مُنِي لَمَّا رَأَيْتَنِي بِاسِمًا مُتَهَلِّلَا
 قَالَتْ - أَتَطْرَبُ وَالْمَنِيَا حُوْمَ فِي الْأَرْضِ ، كَيْفَ رَمَتْ أَصَابَتَ مَقْتَلَا؟
 أَنْظُرْ ، فَقَدْ خَلَّتِ الْبُيُوتُ مِنَ الشَّبَا بٍ ، وَلَا جَمَالَ لِمَنْزِلٍ مِنْهُمْ خَلَا
 فَسَأَلْتُهَا : أَوَلَيْسَ مِنْ أَجْلِ الْعُلَى وَهَنَاتِنَا خَاضُوا الْوَعَى؟ قَالَتْ : بَلَى
 يَا هَذِهِ ، إِذَا بَكَيْتُ لِبُعْدِهِمْ يَتَبَسَّمُونَ؟ أَجَابَتِ الْحَسَنَاءُ : لَا
 كُفِّي الْمَلَامَ إِذْنُ ، فَمَا أَنَا جَاهِلٌ مَا تَعْلَمِينَ ، وَكَيْفَ لِي أَنْ أَجْهَلَا؟
 لَكِنْ ، بَعَثْتُ الْفِكْرَ فِي آثَارِهِمْ : فِي الْبَحْرِ ، فِي الْأَجْوَاءِ ، فِي غُرُصِ الْفَلَا
 فَرَأَيْتُ نَوْرَ الْمَجْدِ فَوْقَ بُنُودِهِمْ وَرَأَيْتُهُمْ يَمْشُونَ مِنْ نَصْرِ إِلَى ..
 بنودهم : راياتهم ، من نصر إلى : (من نصر إلى نصر)

سَدُّوا عَلَى الْبَاغِي الْمَسَالِكَ كُلَّهَا فَالْمَوْتُ إِنْ وَلَّى ، وَإِنْ هُوَ أَقْبَلَا

فَإِذَا شَمَمْتَ الْيَوْمَ رَائِحَةَ الدِّمَا ۚ، وَطَالَعَتْ عَيْنَاكِ آثَارَ الْبِلَى

البلى: تحلل الجسم

فَاسْتَبْشِرِي، فَعَدَا إِذَا النَّقْعُ انْجَلَى سَتَعُودُ دُنْيَانَا أَحَبَّ وَأَجْمَلَا

النقع: الغبار

٧١ مباحج الحياة

قالها في مهرجان بردجفيل:

كَمْ تَشْتَكِي، وَتَقُولُ إِنَّكَ مُعْدَمٌ وَالْأَرْضُ مِلْكُكَ، وَالسَّمَاءُ، وَالْأَنْجُمُ
وَلَكَ الْحَقُولُ وَزَهْرُهَا وَأَرِيحُهَا وَنَسِيمُهَا، وَالْبَلْبَلُ الْمُتَرَنَّمُ
وَالْمَاءُ حَوْلَكَ فِضَّةٌ رَقْرَاقَةٌ وَالشَّمْسُ فَوْقَكَ عَسَجْدٌ يَتَضَرَّمُ

عسجد: ذهب، يتضرم: يتوقد

وَالنُّورُ يَبْنِي فِي السُّفُوحِ وَفِي الذَّرَى فَكَأَنَّهُ الْفَنَانُ يَغْرِضُ، عَابِثًا،
وَكَأَنَّهُ، لِصَفَائِهِ وَسَنَائِهِ، هَشَّتْ لَكَ الدُّنْيَا، فَمَا لَكَ وَاجِمًا،
إِنْ كُنْتَ مُكْتَتِبًا لِعِزٍّ قَدْ مَضَى أَوْ كُنْتَ تُشْفِقُ مِنْ حُلُولِ مُصِيبَةٍ
أَوْ كُنْتَ جَاوَزْتَ الشَّبَابَ، فَلَا تَقُلْ أَنْظُرْ! فَمَا زَالَتْ تُطْلُ مِنْ الشَّرَى
مَا بَيْنَ أَشْجَارٍ كَأَنَّ عُصُونَهَا وَعِیُونَ مَاءٍ دَافِقَاتٍ فِي الشَّرَى
وَمَسَارِحَ فَتَنَ النَّسِيمِ جَمَالُهَا فَكَأَنَّهُ صَبٌّ بِبَابِ حَبِيبَةٍ
وَالْجَدُولُ الْجَذْلَانُ يَضْحَكُ لَاهِيًا

دُورًا مُزْخَرَفَةً، وَحِينًا يَهْدِمُ آيَاتِهِ قَدَامَ مَنْ يَتَعَلَّمُ
بَحْرٌ تَعُومُ بِهِ الطُّيُورُ الْحُومُ وَتَبَسَّمَتْ، فَعَلَامٌ لَا تَتَبَسَّمُ؟
هَيْهَاتَ يُرْجِعُهُ إِلَيْكَ تَنْدُمُ هَيْهَاتَ يَمْنَعُ أَنْ تَحُلَّ تَجَهُمُ
شَاخَ الزَّمَانِ، فَإِنَّهُ لَا يَهْرُمُ صُورٌ، نَكَادُ لِحُسْنِهَا تَتَكَلَّمُ
أَيْدٍ تُصَفِّقُ تَارَةً، وَتُسَلِّمُ تَشْفِي السَّقِيمَ، كَأَنَّمَا هِيَ زَمْزَمُ
فَسَرَى يُذْنِدُنُ تَارَةً، وَيُهْمُهُمْ مُتَوَسِّلٌ، مُسْتَعْطِفٌ، مُسْتَرْجِمُ
وَالنَّرْجِسُ الْوَلْهَانُ مُغْفٍ يَحْلُمُ

الجدلان: الفرحان

وَعَلَى الصَّعِيدِ مَلَاءَةٌ مِنْ سُنْدُسٍ وَعَلَى الْهَضَابِ لِكُلِّ حُسْنٍ مَيْسَمٌ

الصعيد: التراب، ملءة من سندس: بساط من حرير، الميسم: علامة الحسن

فَهُنَا مَكَانٌ بِالْأَرِيحِ مُعْطَرٌّ وَهُنَاكَ طَوْذٌ بِالشُّعَاعِ مُعَمَّمٌ
طود: جبل

صُورٌ وَآيَاتٌ تَفِيضُ بَشَاشَةً حَتَّى كَأَنَّ اللَّهَ فِيهَا يَنْبِسُ
أَتَزُورُ رُوحَكَ جَنَّةً فَتَقُوتُهَا كَيْمَا تَزُورُكَ بِالْظُّنُونِ جَهَنَّمَ؟
وَتَرَى الْحَقِيقَةَ هَيْكَلًا مُتَجَسِّدًا فَتَعَاْفُهَا، لِيُوسَّوِسَ تُتَوَهَّهْمُ؟
يَا مَنْ يَجِئُ إِلَى غَدٍ فِي يَوْمِهِ قَدْ بَغَتْ مَا تَذَرِي بِمَا لَا تَعْلَمُ
أَنْتَ الْغَنِيُّ إِذَا ظَفِرْتَ بِصَاحِبِ مِنْهُمْ، وَعِنْدَكَ لِلْعَوَاطِفِ مَنْجَمُ
رَفَعُوا لِدِينِهِمْ لِيَوَاءَ عَالِيَا وَلَهُمْ لِيَوَاءَ فِي الْعَرُوبَةِ مُعْلَمُ
معلم: ذو علامة مميزة

لَا فَضْلَ لِي إِنْ رُحْتُ أَعْلِنَ فَضْلَهُمْ بِقِصَائِدِي، إِنَّ الضُّحَى لَا يُكْتَمُ
لَكِنِّي أَخْشَى مَقَالَهَ قَائِلٍ: هَذَا الَّذِي يُثْنِي عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ
أَحِبَّائَنَا! مَا أَجْمَلَ الدُّنْيَا بِكُمْ لَا تَقْبُحِ الدُّنْيَا وَفِيهَا أَنْتُمْ

٧٢ نفسي تسألني

سَأَلْتَنِي، وَقَدْ رَجَعْتُ إِلَيْهَا وَعَلَى مَفْرِقِي غِبَارُ السُّنَيْنَا:
نَفْسُهُ تَسْأَلُهُ وَقَدْ اجْتَمَعَ غِبَارُ السُّنَنِ (الشَّيْبِ) عَلَى مَفْرَقِهِ (رَأْسِهِ)
أَيَّ شَيْءٍ وَجَدْتَ فِي الْأَرْضِ بَعْدِي؟ قُلْتُ: إِنِّي وَجَدْتُ مَاءً وَطِينًا
الماء والطين: الإنسان

جَمَعَ الْحُسْنَ وَالِدَّمَامَةَ وَالْإِفْءَ لَدَامَ وَالْخَوْفَ وَالنُّهَى وَالْجُنُونَا
النهي: العقل

وَشَبَابًا سَكْرَانًا مِنْ خَمْرَةِ الْوَهْ سَمِ يَحَالُ الْمُحَالُ أَمْرًا يَقِينَا
فَإِذَا شَاخَتِ الرُّؤْيَى، وَتَلَاشَتْ وَصَحَا، بَاتَ جَزْمُهُ تَخْمِينَا
لَا يَزَالُ الْإِيمَانُ نَوْعًا مِنَ الرَّهْ جَةً، وَالْحُسْنُ لِلْغُرُورِ حَدِينَا
خدينا: خليلاً مرافقاً

لَا يَزَالُ الْغَنِيُّ يَخْتَالُ فِي الْأَرِ ضٍ، وَإِنْ كَانَ جَاهِلًا مَافُونَا
مافون: أحمق

كُلُّ مَنْ قَدْ لَقِيتُ مِثْلَكَ، يَا نَفْسِي، فِيمَا تُبْدِينَ أَوْ تُخْفِينَا
فَانْظُرِي مَرَّةً إِلَيْكَ مَلِيًّا تُبْصِرِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ
مَلِيًّا: طويلاً

٧٣ قصيدة إيليا البلشفية

كُلُّوا وَاشْرَبُوا أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ وَإِنْ مَلَأَ السَّكَّكَ الْجَائِعُونَ
وَلَا تَلْبَسُوا الْحَزَّ إِلَّا جَدِيداً وَإِنْ لَيْسَ الْخِرَقَ الْبَائِسُونَ
الخز: الحرير

فَلَا تُبْصِرُونَ ضَحَايَا الطَّوَى وَلَا يُبْصِرُونَ الَّذِي تَضْنَعُونَ
الطوى: الجوع

وَإِنْ سَاءَ كُمْ أَنْتُمْ فِي الْوُجُودِ وَأَزْعَجَكُمُ أَنْتُمْ يُغْوِلُونَ
مُرُوا، فَتَصُولُ الْجُنُودُ عَلَيْهِمْ تُعَلِّمُهُمْ كَيْفَ فَتُكَ الْمُنُونَ
فلتأمروا الجنود أن يصولوا (يهجموا) عليهم

وَتِلْكَ الْعِصِيَّ لِتِلْكَ الرُّؤُوسِ وَتِلْكَ الْحَرَابُ لِتِلْكَ الْبُطُونِ
وَتِلْكَ السُّجُونُ لِمَنْ شِذْذُمُوهَا؟ إِذَا لَمْ تَرْجُوهُمْ فِي السُّجُونِ
وَقُولُوا: كَذَا قَدْ أَرَادَ الْإِلَهُ، وَإِنْ قَدَّرَ اللَّهُ شَيْئاً يَكُونُ
وَيَا فُقَرَاءَ! لِمَاذَا التَّشْكِي؟ أَلَا تَسْتَحُونُ، أَلَا تَخْجَلُونَ؟
دَعُوا الْأَغْنِيَاءَ وَلِذَاتِهِمْ فَهُمْ، مِثْلَ لِدَاتِهِمْ، زَائِلُونَ
سَيُمْسُونَ فِي سَقَرٍ خَالِدِينَ وَتُمْسُونَ فِي جَنَّةٍ تَنْعَمُونَ
فَلَا تَعْطَشُونَ، وَلَا تَسْغَبُونَ، وَلَا يَرْتَوُونَ، وَلَا يَشْبَعُونَ

تغيبون: تجوعون

لَكُمْ وَخَذَكُمْ مَلَكَوْتُ السَّمَاءِ فَمَا بِالْكُمُ لَسْتُمْ تَقْنَعُونَ؟
سَتَكُونُونَ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ تُظَلِّلُكُمْ وَارِفَاتُ الْعُصُوفِ
وَتَسْقِيكُمْ الْخَمْرَ حُورٌ حِسَانٌ كَمَا يَشْتَهِينَ، كَمَا تَشْتَهُونَ
كَذَا وَعَدَ اللَّهُ أَهْلَ الثَّقَى وَأَنْتُمْ هُمْ، أَيُّهَا الْمُتَعَبُونَ
أَلَا تُؤْمِنُونَ بِقَوْلِ الْكِتَابِ؟ فَوَيْلٌ لَكُمْ! إِنَّكُمْ كَافِرُونَ

٧٤ الدنيا والأخرى

زَعَمَ الْمَرءُ أَنَّما هُوَ رَبٌّ، كَمْ يَلُوكُ الْكَلَامَ هَذَا الْإِلَهَ!
 فِي الثَّرَابِ الَّذِي تَدُوسُ عَلَيْهِ أَلْفَ دُنْيَا وَعَالَمٍ لَا تَرَاهُ
 أَنْتَ جُزْءٌ مِنَ الْكِيَانِ وَفِيهِ كَثَرَاهُ، كَنَبْتِهِ، كَخَصَاهُ
 كَالْوُرُودِ الَّتِي تُحِبُّ شَذَاهَا وَالْبَعُوضِ الَّذِي تَخَافُ أَذَاهُ
 مَا لِحَيِّ بِالمَوْتِ عَنْهُ انْفِصَالٌ إِنَّ دُنْيَاهُ هَذِهِ أَخْرَاهُ

٧٥ الله والحب وجهنم

قَالَ قَوْمٌ: إِنَّ الْمَحَبَّةَ إِثْمٌ وَنَحَ بَعْضُ النَفُوسِ مَا أَغْبَاهَا
 إِنْ نَفْسًا لَمْ يُشْرِقِ الْحُبُّ فِيهَا هِيَ نَفْسٌ لَمْ تَذِرْ مَا مَغْنَاهَا
 خَوَّفُونِي جَهَنَّمَاءَ وَلَظَاهَا أَيُّ شَيْءٍ جَهَنَّمُ وَلَظَاهَا؟
 لَيْسَ عِنْدَ الْإِلَهِ نَارٌ لِذِي حُبٍّ وَنَارُ الْإِنْسَانِ لَا أَخْشَاهَا!
 أَنَا بِالْحُبِّ قَدْ وَصَلْتُ إِلَى نَفْسِي، وَبِالْحُبِّ قَدْ عَرَفْتُ اللَّهَ

٧٦ وارحمنا للبائسين

قَدْ عَضَّه الْيَأْسُ الشَّدِيدُ بِنَابِهِ فِي نَفْسِهِ، وَالْجُوعُ فِي الْأَحْشَاءِ
 فَأَقَامَ جِلْسَ الدَّارِ، وَهُوَ كَأَنَّهُ - لِخُلُوءِ تِلْكَ الدَّارِ - فِي بَيْدَاءِ
 حَلَسَ الدَّارَ: مَلَاظِمًا لِلدَّارِ مَلَاظِمَةُ الْحِلْسِ (الْبَرْدَةِ) لِلدَّابَّةِ

ظَرَدَ الْكُرَى، وَأَقَامَ يَشْكُو لَيْلَهُ: يَا لَيْلُ طُلْتَ، وَطَالَ فِيكَ عَنَائِي
 يَا لَيْلُ! حَسْبِي مَا لَقِيتُ مِنَ الشَّقَا رُحْمَاكَ؛ وَالْأَيَّامُ مِنْ أَعْدَائِي
 وَارْحَمْنَا لِلْبَائِسِينَ فَإِنَّهُمْ مَوْتَى، وَتَحَسَّبُهُمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ
 إِنِّي وَجَدْتُ حُظُوظَهُمْ مُسَوَّدَةً فَكأنما قُدَّتْ مِنَ الظُّلْمَاءِ
 قُدَّتْ: قُطِعَتْ

لَا تَسْأَلُونِي الْمَدْحَ، أَوْ وَصَفَ الدُّمَى إِنِّي تَبَدْتُ سَفَاسِيفَ الشُّعْرَاءِ
 الدُّمَى: النِّسَاءُ الْحَنَانِ، سَفَاسِفٌ: تَقَاهَاتُ

لَمْ يَفْهَمُوا مَا الشُّعْرُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ بَاتَ وَاسِطَةً إِلَى الْإِثْرَاءِ

إِنْ يَغْضَبُوا مِمَّا أَقُولُ، فَطَالَمَا
أَوْكَلَّمَا نَصَرَ الْحَقِيقَةَ فَاضِلُ
أَنَا مَا وَقَفْتُ الْيَوْمَ فِيكُمْ مَوْقِفِي
قُلْ لِلْغَنِيِّ الْمُسْتَعِزِّ بِمَا إِلَيْهِ:
كَرِهَ الْأَدِيبُ جَمَاعَةَ الْغَوْغَاءِ
قَامَتْ عَلَيْهِ قِيَامَةُ السَّفَهَاءِ
إِلَّا لِأَنْتُدَبَ حَالَةَ الثُّعَسَاءِ
مَهْلًا لَقَدْ أُسْرِفَتْ فِي الْخِيَلَاءِ

الخيلاء: الغرور

جُبَيْلَ الْفَقِيرِ أَخَوْكَ مِنْ طَبِينٍ وَمِنْ
أَتَضِنُّ بِالْدِينَارِ فِي إِسْعَافِهِ
أَنَا لَا أَذْكَرُ مِنْكُمْ أَهْلَ النَّدَى
إِنْ كَانَتْ الْفُقَرَاءُ لَا تَجْزِيكُمْ
مَاءٍ، وَمِنْ طَبِينٍ جُبَيْلَتْ وَمَاءٍ
وَتَجُودُ بِالْآلَافِ فِي الْفَحْشَاءِ؟
لَيْسَ الصَّحِيحُ بِحَاجَةٍ لِدَوَاءٍ
فَاللَّهُ يَجْزِيكُمْ عَنِ الْفُقَرَاءِ

٧٧ قصيدة تحيي الصخر والحطب

ألقيت في حفلة تكريم الشاعر مسعود سماحة:

يَا شَاعِرَ «الدير» كَمْ هَلَهَلْتُ قَافِيَةً
عَنَى الرِّوَاءُ بِهَا، وَاخْتَالَتْ الْكُتُبُ
الدير: دير القمر بلدة سماحة، هلهل القوافي: قال شعراً عذبا

مَرَّتْ عَلَى هَضْبَاتِ الدَّيْرِ هَائِمَةً
فَكَادَ يُورِقُ فِيهَا الصَّخْرُ وَالْحَطَبُ

٧٨ هدايا للناقصين

خَرَجَ النَّاسُ يَشْتَرُونَ هَدَايَا الـ
فَتَمَنَيْتُ لَوْ تُسَاعِفُنِي الدُّنَى
كَنْتُ أَهْدِي، إِذَنْ، مِنَ الصَّبْرِ أَرْطَا
وَالِي كُلِّ نَابِغٍ عَبْقَرِيٍّ:
وَالِي كُلِّ شَاعِرٍ عَرَبِيٍّ:
وَالِي مَعْشَرِ الْكُسَالَى: قُصُوراً
عِيدٍ لِلْأَضْدِقَاءِ وَالْأَحْبَابِ
يَا فَأَقْضِي فِي الْعِيدِ بَعْضَ رِغَابِي
لَا إِلَى الْمُنْشَيْنِ وَالْكِتَابِ
أُمَّةٌ أَهْلُهَا ذَوُو أَلْبَابِ
سَلَّةٌ مِنَ فَوَاكِهِ الْأَلْقَابِ
مِنْ لُجَيْنٍ وَعَسْجَدٍ، فِي السَّحَابِ

اللجين: الفضة، العسجد: الذهب

عَلَّنِي أَسْتَرِيحُ مِنْهُمْ، فَقَدْ صَا
وَالِي ذِي الْغِنَى الَّذِي يَرْهَبُ الْفَقْدَ
كُلَّمَا عَدَّ مَالَهُ مُظْمِئًا
رَوَا كَظْلِي فِي جَيْتِي وَدَهَابِي
رَ: ازدياد الذي به من عذاب
أَبْصَرَ الْفَقْرَ وَاقِفًا بِالْبَابِ

وإلى المؤمنين: شيئاً من الشك - وبعض الإيمان للمرتاب
 وإلى من يسبني في غيابي: شرفاً كي يصوته من سبابي
 أهدي من يسبني شرفاً كي يحافظ عليه، فلا يعطيني فرصة لأسب هذا الشرف

وإلى حاسدي: عمراً طويلاً - ليدوم الأسى بهم مما بي
 ولو أن الزمان صاحب عقل - كنت أهدي إلى الزمان عتابي
 لم يكن لي الذي أردت، فحسبي - أنني بالمنى ملأت وطابي
 الوطاب: القرية

٧٩ أجل، شيخ الشباب

قصيدة بحث بها إلى صديقه الشاعر مسعود سماحة:

«مسعود» أهون بالمشي - ب، فَمَا امَّحَى إِلَّا الْخَضَابُ
 أي أن سواد الشعر كان خضاباً (صبغة)

إن شاب منك المفارقا - ن، فَمَا أَظُنُّ الْقَلْبَ شَابَ
 إن قيل إنك صرت شي - حاً، قُلْ: أَجَلُ، شَيْخَ الشَّبَابِ
 لا يُدْرِكُ الْهَرَمُ النُّجُومَ - م، وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا شَهَابٌ
 وإذا يُعَابُ عَلَى الْمَشِيِّ - ب، فَتَى، فَمَنْ ذَا لَا يُعَابُ؟
 أو كَانَ يُمْدَحُ بِالسَّوَا - د، فَمَنْ تَرَى مَدَحَ الْغُرَابِ؟

٨٠ دهقان الفصحى

في عبد الله البستاني صاحب معجم «البيان»:

يا مَيِّتاً فِيهِ جَمَالُ الْحَيَاةِ - ما حَاَزَ مِنْكَ اللَّحْدُ إِلَّا الرُّفَاتُ
 أَنْتَ الْفَتَى الْبَاقِي بِأَثَارِهِ - ما أَنْتَ بِالْمَرَّةِ إِذَا مَاتَ مَاثُ
 يا حُجَّةَ الْفُضْحَى وَدِهْقَانَهَا - وَيَحْرَهَا الطَّامِي، وَشَيْخَ الثَّقَاتِ
 دهقانها: الخبير بها، الطامي: الفاتس، الثقات: الموثقون

سَلَخْتُهَا سَبْعِينَ مِنْ أَجْلِهَا - فِي عَالَمِ الطُّرْسِ، وَدُنْيَا الدَّوَاةِ
 سلختها سبعين: قضيت سبعين سنة من أجل الفصحى، الطرس: الورقة

النَّاسُ مِنْ حَوْلِكَ فِي قِيلِهِمْ وَأَنْتَ كَالْعَابِدِ وَقْتَ الصَّلَاةِ
غَنَيْتَ بِالصَّدَادِ وَأَسْرَارِهَا عَنِ الْغَوَانِي وَالطَّلَا وَالسُّفَاةِ
غنيت: صرت مستغنياً، الطلا: الخمر

أَنْتَ الَّذِي رَدَّ إِلَيْهَا الصَّبَا إِنَّ الْهَوَى يَجْتَرِحُ الْمُعْجَزَاتِ
فَاخْتَلَجَتْ أَوْضَاعُهَا بِالْمَنَى وَجَالَ مَاءُ الْحُسْنِ فِي الْمُفْرَدَاتِ
تصوير غريب لنهضة اللغة العربية فأوضاعها تختلج بأمانى التجديد وبالحياة، وماء الحسن يجري
في مفرداتها

٨١ في مدح جريدة

بحي مطبوعة مرآة الغرب في ستها التاسعة عشرة:

أَلَا إِنَّ حُسْنَ لَا يُرَافِقُهُ التَّهَى، وَإِنْ دَامَ يَوْمًا، لَا يَدُومُ لَهُ قَدْرُ
النهى: العقل

هِيَ الشَّمْسُ، تَبْدُو كُلَّ يَوْمٍ جَدِيدَةً يَرُوحُ بِهَا لَيْلٌ، وَيَأْتِي بِهَا فَجْرُ
هذه الجريدة مثل الشمس فهي في كل يوم جديدة

لِكُلِّ فِتْنَةٍ خِذْرُهَا وَسَوَارُهَا وَلَكِنَّ هَذِي، كُلُّ قَلْبٍ لَهَا خِذْرُ
خدر: مكان النساء خلف الستر

إِذَا رَضِيَتْ، فَالْتَوْرُ فِي كَلِمَاتِهَا وَإِنْ غَضِبَتْ، فَهِيَ الْأَسِنَّةُ وَالْجَمْرُ
وَلَا غَرَوْ أَنْ عَزَّتْ، وَهَانَ خُصُومُهَا فَلِلْحَقِّ، مَهْمَا جَفَعَ الْبَاطِلُ، النَّصْرُ
فَكَمْ مُرْجِفٍ أَغْرَاهُ فِيهَا سُكُوتُهَا فَلَمَّا أَهَابَتْ، كَادَ يَقْتُلُهُ الدُّغْرُ
أهابت: استعذت، مرجف: ناشر شائعات

وَلَا غَرَوْ أَنْ أَهْدَى لَهَا الشُّعْرُ وَحْيَهُ فَيَا طَالَمَا سَارَتْ، وَسَارَ بِهَا الشُّعْرُ
وَإِنْ يَكُنِ الْأَحْرَارُ مِنْ نَصْرَائِهَا فَكَمْ نَصَرَ الْأَحْرَارَ صَاحِبُهَا الْحُرُ
فِي الْعُسْرِ، لَمْ يَجْهَرْ بِشَكْوَى لِسَانَهُ وَفِي الْيُسْرِ، لَمْ يَلْعَبْ بِأَعْطَافِهِ الْكِبَرُ
لم يلعب بأعطافه الكبر: لم يتملّكه التكبر

٨٢ عندما أصغى البحر

قالها في حفلة تكريم سامي الشوا التي أقامتها له الجالية في مدينة نيويورك عندما زارها:

عندي لكم نبأ عجيبٌ شيقٌ سأقُصُّه، وعليكمُ تفسِيرُهُ
إني رأيتُ البحرَ أخرسَ ساهياً كالشيخ، طالَ بما مَضَى تفكيرُهُ
فسألتُ نفسي، حائِراً مُتَلَجِّجاً يا ليتَ شعري! أينَ ضاعَ هديرُهُ؟
متلجلج: متلعم

بالأمس؛ قالت موجةٌ ثرثارةً ومَضَتْ، فأكملتِ الحديثَ صخورهُ:
بالأمس، مرَّ بنا فتىٌ مِن قومِكُم رَقَّتْ شمائِلُهُ، ودَقَّ شعورهُ
يلهُو بأوتارِ الكَمَنجَةِ، والدُّجى مرَّخِيَّةٌ فوقَ العُبابِ ستورهُ
فَشَجَا الخِضَمَّ نشيدُهُ وهُتافُهُ فَسَهَا، فضاعَ هديرُهُ وزئيرُهُ
الخضم: البحر

يا ضيفنا! والأنسُ أنتَ رسولُهُ وبشيرُهُ، والفنُّ أنتَ أميرُهُ
لو شاعَ في الفردوسِ أنكَ بيننا لَمَشَّتْ إلينا سافِراتِ حورهُ
يا شاعرَ الألحانِ! إنِّي شاعرٌ أمسى ضيلاً، عندَ نورِكَ، نورهُ
أسمى الكلامِ الشعرِ، إلَّا أَنَّهُ أَسْمَاهُ ما أَعْيَا الفَتَى تصويرُهُ
أسمى الكلامِ الشعرِ، وأسمى نوعَ من الشعرِ ما عجزَ المرءُ عن تصويره في كلمات: وهذا هو الموسيقى

وأحَبُّ أزهارِ الحدائقِ وَرْدُهَا وأحَبُّ مِن وَرْدِ الرياضِ عبيرُهُ

٨٣ الولادة الثانية

رثاء سليمان البستاني (١٨٥٦ - ١٩٢٥) الذي مات في نيويورك، وهو مترجم الإلياذة شعراً إلى العربية:

شاعرٌ، كانَ يَرْفُضُ الدَّهْرُ أحياناً نأ، وَيَبْكِي حيناً على نَعَمَاتِهِ
مُنْشِئٌ رَقَّ لَفْظُهُ كَسَجَايَا هُ، وَرَقَّ الْجَمالُ في جَنَبَاتِهِ
تَوَجَّ الضَّادَ بِالْمَلَاخَةِ، حَتَّى خَالَهَا القومُ بَعْضُ مُخْتَرَعَاتِهِ
فَتَحَّ الموتُ، حينَ أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ هُ، عُيُونَ الوَرَى على حَسَنَاتِهِ

فَهُوَ مَاضٍ لَهُ جَلَالَةٌ آتٍ مِنْ فُتُوحَاتِهِ، وَمِنْ غَزَوَاتِهِ
وَالْفَتَى الْعَبْقَرِيُّ يُولَدُ إِذْ يُوْ لَدُ فِي مَهْدِهِ، وَيَوْمَ مَمَاتِهِ

٨٤ الناس هم الآحاد

في البيول الذهبي لمجلة المقتطف (وأنشئت عام ١٨٧٦):

تَشْقَى مَتَى تَشْقَى الشُّعُوبُ بِجَهْلِهَا وَتَعِزُّ، حِينَ تَعِزُّ، بِالْأَفْرَادِ
لَهُمُ الزَّمَانُ: قَدِيمُهُ وَحَدِيثُهُ مَا النَّاسُ فِي الدُّنْيَا سِوَى الْآحَادِ

٨٥ سبب اهتزاز نخيل مصر

أرسل الشاعر مسعود سماحة إلى صاحب الديوان القصيدة التالية مصحوبة ببعض
البن:

يَضُوعُ عْبِيرُهَا بِرِمَالٍ نَجْدٍ وَيَغْبَقُ عِظْرُهَا بِقُصُورٍ مِصْرٍ
يَضُوعُ: يَفُوحُ
وَيُزْرِي طَعْمُهَا، حُلُوءاً وَمُرّاً، بِمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حُلُوٍّ وَمُرٍّ
يُزْرِي: يَحْقُرُ

وَسُمُرَاءٍ، إِذَا زَارَتْ صَبَاحاً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ بَيْضٍ وَسُمْرٍ
يَحُوكُ لَهَا الْبَخَارُ رِدَاءً نَدَّ وَيَكْسُوها الْحَبَابُ وَشَاحَ دُرٌّ
النَّدَّ: نَوْعٌ مِنَ الْبَخُورِ، الْحَبَابُ: الْفَقَاقِعُ، الدَّرُّ: اللَّوْلُو

كَسَرْتُ الدَّنَّ مِنْ عَهْدٍ بَعِيدٍ فَأَمْسَتْ، بَعْدَ خَمْرِ الدَّنِّ، خَمْرِي
فَإِنْ حَلَّتْ قُؤَاكُ جُبُوشٍ ضَعْفٍ وَهَالِكَ عِبَاءُ هَمٍّ مُسْبِطٍ
مُسْبِطٌ: مَمْتَدٌ

عَلَيْكَ بِقَهْوَةٍ رَقَّتْ وَرَاقَتْ كَشِعْرِكَ، لَا يُجَارَى، أَوْ كَشِعْرِي
فَأَجَابَهُ إِيْلِيَا أَبُو مَاضِي:

إِذَا دَارَتْ عَلَى الْجُلَاسِ هَشُوءَا كَأَنَّ كُؤُوسَهَا أَخْبَارُ نَضْرٍ
فَلَوْ عَرَفْتَ مَزَايَاها الْعَوَانِي لَعُلِّقَ حَبُّهَا فِي كُلِّ نَحْرٍ
النَحْرُ: مَا بَيْنَ الرِّقَةِ وَالصَّدْرِ

كَأَنَّ حَبُوبَهَا، خُضْرًا وَصُفْرًا، فُصُوصُ زُمُرْدٍ، وَشُدُورُ تَبْرِ
شُدُورُ التَّبْرِ: حَبِيَّاتُ الذَّهَبِ الْخَامِ

أَلَسْتَ تَرَى إِلَيْهَا كَيْفَ تَظْطَعِي وَكَيْفَ تَتَوَرُّ، إِنَّ مُسَّتَ بِجَمْرِ
كَأَنَّ نَخِيلَ مِضْرٍ قَدْ حَسَاها وَالْأَ... مَا اهْتَزَّازُ نَخِيلٍ مِضْرٍ؟
وَمَا هِيَ قَهْوَةٌ تُظْهَى وَتُحْسَى وَلَكِنْ، نَفْحَةٌ مِنْ رُوحِ حُرٍّ
حَوَى فِي شَعْرِهِ عَبَثَ ابْنِ هَانِي وَزَادَ عَلَيْهِ فِلَسْفَةَ الْمَعْرِي
هذه ليست قهوة فحسب، إنها هدية شاعر حر جمع في شعره عبث الحسن بن هانئ (أبي نواس)،
وفلسفة المعري

٨٦ هجاء السياسة

لَمْ يَبْقَ مَا يُسْلِيكَ غَيْرُ الْكَاسِ فَاشْرَبْ، وَدَعْ لِلنَّاسِ مَا لِلنَّاسِ
يسليك: ينسبك

وَأَنْسَ الْهَمُومَ، فَلَيْسَ يَسْعُدُ ذَاكِرٌ وَاسْقِ النُّجُومَ، فَإِنَّهَا جُلَّاسِي
وَاهْجُرْ أَحَادِيثَ السِّيَاسَةِ، وَالْأَلَى يَتَعَلَّقُونَ بِحَبْلِ كُلِّ سِيَاسِي
إِنِّي نَبَذْتُ ثِمَارَهَا مُذْ دُقْتُهَا وَوَجَدْتُ طَعْمَ الْغَدْرِ فِي أَضْرَاسِي
وَعَسَلْتُ مِنْهَا رَاحَتِي، فَعَسَلْتُهَا مِنْ سَائِرِ الْأَوْضَارِ وَالْأَذْنَسِ
الأوضار: الأوساخ

وَتَرَكْتُهَا لِاثْنَيْنِ: غِرٌّ سَادَجٍ وَمُشْعَوِذٍ مُتَذَذِبٍ دَسَّاسٍ
نَرْجُو الْخَلَاصَ بِغَاشِمٍ مِنْ غَاشِمٍ لَا يُنْقِذُ النَّحَّاسُ مِنْ نَحَّاسٍ
النحاس: تاجر العبيد

وَنَقِيسُ مَا بَيْنَ الثَّرَيَّا وَالثَّرَى وَأَمُورُنَا تَجْرِي بِغَيْرِ قِيَاسٍ
وَنَكَادُ نَفْتَرِشُ الثَّرَى، وَيَأْزُفُنَا لِلْأَجْنَبِيِّ مَوَائِدُ وَكَرَاسِي
وَنَبِيتُ نَفَخَرُ بِالصَّوَارِمِ وَالْقَنَا وَرِقَابُنَا مَمْدُودَةٌ لِلْفَاسِ

٨٧ لماذا يشربونها

يَشْرَبُ بِنْتُ الْكَرَمِ بَعْضُ النَّاسِ لِكُرْبَةٍ فِي النَّفْسِ، أَوْ وُسْوَاسٍ
وَبَعْضُهُمْ، لِأَنَّهُ قَدْ ظَفِرَا وَبَعْضُهُمْ، لِأَنَّهُ قَدْ خَسِرَا
وَبَعْضُهُمْ، لِأَنَّهُ فِي فَرْحٍ وَبَعْضُهُمْ، لِأَنَّهُ فِي تَرْحٍ
وَبَعْضُهُمْ، كَيْ يَسْتَرِدَّ الْأَمْسَا وَبَعْضُهُمْ يَجْرَعُهَا كَيْ يَنْسَى

وَبَعْضُهُمْ، لَيْسَتْ فِئْدَ قُوَّةٍ وَبَعْضُهُمْ، لِسَوْرَةِ الْفُتُوَّةِ

السورة: القوة المنفعة

وَبَعْضُهُمْ، كَيْمَا يَحُلُّ مُشْكِلَةً وَبَعْضُهُمْ، لِأَنَّهُ لَا شُغْلَ لَهُ

وَبَعْضُهُمْ، يَشْرِبُهَا أَحْيَانًا وَبَعْضُهُمْ، فِي أَيِّ وَقْتٍ كَانَا

وَبَعْضُهُمْ، مَعَ زُمْرَةِ النَّذَمَانِ وَبَعْضُهُمْ، فِي وَحْدَةِ الرَّفِيقَانِ

وَسِرُّ هَذَا أَنَّهَا كَالدُّنْيَا تُؤْذِي، وَلَكِنْ مَعَ أَذَاهَا تُهْوَى

٨٨ الإبريق المزهو

أَلَا أَيُّهَا الْإِبْرِيقُ! مَا لَكَ وَالصَّلَفَ قَمَا أَنْتَ بِلُؤْزٍ، وَلَا أَنْتَ مِنْ صَدَفٍ

الصلف: التكبر

وَمَا أَنْتَ إِلَّا كَالْأَبَارِيقِ كُلِّهَا تُرَابٌ مَهِينٌ، قَدْ تَرَقَّى إِلَى خَزَفٍ

أَرَى لَكَ أَنْفًا شَامِخًا، غَيْرَ أَنَّهُ تَلَفَعَ أَثْوَابَ الْعُبَارِ، وَمَا أَنْفٌ

تلفع أثواب العبار: التف بالعبار. كانت الأباريق تصنع من الفخار، وللإبريق ثقب ينزل منه الماء للشارب فهذا أنفه

وَمَسْنَهُ أَيْدِي الْأَذْنِيَاءِ، قَمَا شَكَا وَمَصَّتْهُ أَفْوَاهُ الطَّلْعَامِ، قَمَا وَجَفَ

الطعام: السفلة، وجف: ارتعش

وَفِيكَ اعْتِزَارٌ، لَيْسَ لِلذِّكِّ مِثْلُهُ وَلَسْتَ بِذِي رِيَشٍ تَصَاعَفَ كَالرَّغَفِ

الرغف: أطراف الغصون الدقيقة

وَأَنْصَتُ أَسْتَوْجِبِهِ شَيْئًا يَقُولُهُ كَمَا يَسْكُتُ الزُّوَّارُ فِي مَعْرِضِ التَّحَفِ

معروض التحف: المتحف

وَبَعْدَ ثَوَانٍ خِلْتُ أَنِّي سَمِعْتُهُ يُشْرِئُ مِثْلَ الشَّيْخِ أَذْرَكَهُ الْخَرْفُ

فَقَالَ: سَقَيْتُ النَّاسَ، قُلْتُ لَهُ: أَجَلٌ سَقَيْتَهُمْ مَاءَ السَّحَابِ الَّذِي وَكَّفَ

وكف: مطلق

فَقَالَ: لِيَذْكُرْ فَضْلِي الْمَاءِ وَلِيُشِدَّ بِمَدْحِي، أَلَمْ أَحْمِلْهُ؟ قُلْتُ: لَكَ الشَّرَفُ!

فَقَالَ: أَلَمْ أَحْقِظْهُ؟ قُلْتُ: ظَلَمْتُهُ فَلَوْلَاهُ لَمْ تُنْقَلْ، وَلَوْلَاكَ مَا وَقَفَ

الشاعر يقصد بإبريق الفخار المتكبر الإنسان الذي صنعه الله من طين، وأحلى ما في القصيدة أنه لم يصرح بذلك

٨٩ ضياع صديق

عَجَبًا لِمَنْ أَمْسَى، وَكُلُّ فَخَّارِهِ بُنْصَارِهِ الْمَخْبُوءُ فِي الصُّنْدُوقِ
نضار: ذهب

مَاذَا يَقُولُ إِذَا اللَّصُوصُ مَضَوْا بِهِ وَأَقَامَ بَعْدَ نَضَارِهِ الْمُسْرُوقِ؟
أقام: بقي موجوداً

إِنْ يَرْفَعِ الْمَالُ الْكَرِيمَ، فَإِنَّهُ لِلنَّذْلِ مِثْلُ الْحَبْلِ لِلْمَشْنُوقِ
لَمَّا صَدِيقِي صَارَ مِنْ أَهْلِ الْغِنَى أَيْقَنْتُ أَنِّي قَدْ أَضَعْتُ صَدِيقِي

٩٠ متحير في الهدية

أَيَّ شَيْءٍ فِي الْعِيدِ أَهْدِي إِلَيْكَ يَا مَلَائِكِي؟ وَكُلُّ شَيْءٍ لَدَيْكَ
أَسْوَارًا؟ أَمْ دُمْلُجًا مِنْ نَضَارٍ؟ لَا أَحِبُّ الْقِيُودَ فِي مِعْصَمَيْكَ
دملج: سوار، نضار: ذهب

أَمْ خُمُورًا؟ وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ خَمْرٌ كَالَّتِي تَسْكُبِينَ مِنْ لَحْظَتِكَ
أَمْ وَرُودًا؟ وَالْوَرْدُ أَجْمَلُهُ عِنْدَ بَدِي الَّذِي قَدْ نَشَقْتُ مِنْ خَدِّكَ
أجمل ورد عندي الورد الذي أشبه من خديك، فخذاك كالورد

أَمْ عَقِيقًا كَمُهْجَتِي يَتَلَطَّى؟ وَالْعَقِيقُ الثَّمِينُ فِي شَفَتَيْكَ
والعقيق حجر كريم أحمر

لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أَعَزُّ مِنَ الرُّوحِ ح، وَرُوحِي مَرْهُونَةٌ فِي يَدَيْكَ
يغنيها ناظم الغزالي. وفي البيت الأخير يجعل عندي مفتوحة الباء فيكسر، ولو كسر الباء لفتح
لنفسه باباً أوسع للمد والتطريب

٩١ قصيدة في مدح شراب الحمير

كَانَ عَلَى خَوَانِ رَبِّ الْمَالِ كَأَسَانٍ: مِنْ خَمْرٍ، وَمِنْ زُلَالِ
خوان: مائدة، زلال: ماء

فَقَالَتِ السُّلَاقَةُ السَّرَّارَةُ: عِنْدِي حَدِيثٌ، فَاسْمَعِي يَا جَارَةَ
السُّلَاقَةُ: الخمر

أنا التي تَخَضَّعُ لِي الرَّؤُوسُ أنا التي يَغْبُذُنِي المَجُوسُ
وَزَوْجَةٌ عَلَّمْتُهَا الخِيَانَةَ ووالدٌ أَنْسَيْتُهُ الأَمَانَةَ
وَحَدَّثَ خَدَعَتُهُ، فَاثَخَدَعَا، حتى إذا ما شَبَّ عَضَّ الإِضْبَعَا
عَضَّ الإِصْبَعُ: أي نَدِمَ

فَسَمِعَ المَاءَ، فَهَاجَ غَضَبَا وَقَالَ: مَهْلًا، بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى
بلغ السيل الزبي: بلغت الأمور منتهى الخطورة، والزُّبَى حفرة يحفرونها فوق تلة حتى يقع فيها
الأسد فيصيدونه، فما يبلغها السيل إلا وقد عاث المطر في الأرض فساداً
حَيْثُ أَكُونُ جَارِيَاً، يَكُونُ الوَرْدُ والأَقَاحُ والنُّسْرِينُ
إِنَّ المُرُوجَ الحُضْرَ لَا يُحْيِيهَا غَيْرُ وُجُودِي حَوْلَهَا، وَفِيهَا
وَجَلَسَ العِشَاقُ حَوْلِي فِي السَّحَرِ على بِسَاطِ العُشْبِ فِي ضَوْءِ القَمَرِ
كَمْ اسْتَهْوَا، إِذْ سَمِعُوا خَرِيرِي لو أَنَّنِي أَسِيرُ فِي الصُّدُورِ
وَأُمِّكَ، الكَرَمَةُ، يَا صَهْبَاءُ! ما وَجِدْتُ فِي الأَرْضِ، لولا المَاءُ

٩٢ الطبيعة ديناً

وسَائِلَةٍ: أي المذاهبِ مَذْهَبِي وهل كَانَ قَرَعَاً فِي الدياناتِ أم أَصْلَا؟
وأي نَسِيٍّ مُرْسَلٍ أَقْتَدِي بِهِ وأي كِتَابٍ مُنْزَلٍ عِنْدِي الأَعْلَى؟
فَقُلْتُ لَهَا: لَا يَفْتَنِي المَرْءَ مَذْهَبَاً، وإنْ جَلَّ، إِلَّا كَانَ فِي عُنُقِهِ غُلَاً
غُلَاً: قيداً

فَمَا مَذْهَبُ الْإِنْسَانِ إِلَّا رُجَاجَةٌ تُقَيِّدُهُ خَمْرًا، وَتَضْبِطُهُ خَلَاً
المذهب كالزجاجة التي تحتوي الخمر، ولشدة التخمر يتحول الخمر إلى خل فيفسد
فإنْ كَانَ قُبْحًا، لَمْ يُبَدِّلْهُ لَوْثُهَا جَمَالًا؛ وَلَا نُبْلًا، إِذَا لَمْ يَكُنْ نُبْلًا
أَنَا آدَمِيٌّ كَانَ يَحْسَبُ أَنَّهُ هُوَ الكَائِنُ الأَسْمَى، وَشِرْعَتُهُ الفُضْلَى
وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا، الَّتِي هُوَ بَعْضُهَا، وَأَنَّ لَهُ الأُخْرَى إِذَا صَامَ أَوْ صَلَّى
أَمَّنْ عَلَى الصَّادِي إِذَا مَا سَقَيْتُهُ وَالزِّمَّةَ شُكْرِي، وَلَسْتُ أَنَا الْوَبْلَا
الصادي: العطشان، الوبل: المطر المنهمر

وَأَزْهَى إِذَا أَطْعَمْتُ جَوْعَانَ لُقْمَةً كَأَنِّي خَلَقْتُ الحَبَّ فِي الحَقْلِ، وَالحَقْلَا
أنا أَزْهَى: أنا أَفْتَحُ

تَتَلَمَذْتُ لِلإِنْسَانِ فِي الدَّهْرِ حِقْبَةً فَلَقَّنَنِي غَيًّا، وَعَلَّمَنِي جَهْلًا
نَهَانِي عَنْ قَتْلِ النَّفُوسِ، وَعِنْدَمَا رَأَى غِرَّةَ مِنِّي، تَعَلَّمَ بِي الْقَتْلَا
وَكَادَ يُرِينِي الْإِثْمَ فِي كُلِّ مَا أَرَى، وَكُلَّ نِظَامٍ، غَيْرَ مَا سَنَ، مُخْتَلًا
إِلَى أَنْ رَأَيْتُ النَجْمَ يَظْلُعُ فِي الدُّجَى لِذِي مُقْلَةٍ حَسْرَى، وَذِي مُقْلَةٍ جَذَلَى
مقلة حسرى: عين ضعيفة البصر، جذلى: سعيده

وَشَاهَدْتُ كَيْفَ النَّهْرُ يَنْذُلُ مَاءَهُ فَلَا يَبْتَغِي شُكْرًا، وَلَا يَدْعِي فَضْلًا
وَكَيْفَ تُغْذِّي الْأَرْضُ الْأَمَّ نَبْتَهَا وَأَقْبَحَهُ شُكْلًا، كَأَحْسَنِهِ شُكْلًا
وَصَارَ نَبِيِّي كُلُّ مَا يُظْلِقُ الْعَقْلَا وَصَارَ كِتَابِي الْكُونُ، لَا صُحُفٌ تُثَلَّى
وِدِينِي الَّذِي اخْتَارَ الْعَدِيرُ لِنَفْسِهِ وَيَا حُسْنَ مَا اخْتَارَ الْعَدِيرُ، وَمَا أَخْلَى
تَجِيءُ إِلَيْهِ الطَّيْرُ عَظْسَى فَتَرْتَوِي وَإِنْ وَرَدَتْهُ الْإِبِلُ، لَمْ يَزْجُرِ الْإِبِلَا
وَيَغْتَسِلُ الذُّئْبُ الْأَثِيمُ بِمَائِهِ فَلَا إِثْمَ ذَا يُمَحَى، وَلَا ظَهْرَ ذَا يُثَلَّى
وَأَنْ مَرَّ بِي طِفْلٌ رَأَيْتُ بِهِ الْوَرَى مِنْ الْمَثَلِ الْأَدْنَى، إِلَى الْمَثَلِ الْأَعْلَى
فِيَا لَكَ دُنْيَا حُسْنَهَا بَعْضُ قَبْحِهَا وَيَا لَكَ كَوْنًا قَدْ حَوَى بَعْضُهُ الْكُلَّا

٩٣ القلب والعقل

ألقاهما في حفلة تكريم الشاعر جورج صيدح عندما زار نيويورك:

سَيَّرْتُ فِي فَجْرِ الْحَيَاةِ سَفِينَتِي وَاخْتَرْتُ قَلْبِي أَنْ يَكُونَ إِمَامِي
إمامي: مرشدي

فَجَرَتْ عَلَى الْأَمْوَاجِ قَصْرًا مِنْ رُؤَى مِلءَ الْفَضَاءِ، مِلءَ الْمَدَى الْمَتْرَامِي
أَتَلَقَّفُ اللَّذَاتِ غَيْرَ مُحَازِرٍ وَأَعُوبُ فِي الرُّؤَايَا وَالْأَنَامِ
حَتَّى إِذَا هَتَفَ الْمَشِيبُ بِلَمَّتِي وَدَنَتْ يَدُ الْمَاحِي إِلَى أَخْلَامِي
لمني: شعر رأسي

صَرَخَ الْحِجَابُ بِي سَاطِطًا مُتَهَكِّمًا: هَذَا الْغِنَى شَرٌّ مِنَ الْإِعْدَامِ
الحجاء: العقل، الإعدام: الفقر

أَسْلَمْتَنِي لِلْقَلْبِ، وَهُوَ مُضَلَّلٌ فَأَصْرَنْتِي، وَأَصْرَكَ اسْتِسْلَامِي
وَأَرَادَ عَقْلِي أَنْ يَقُودَ سَفِينَتِي لِلْمَشْطِ فِي بَحْرِ الْحَيَاةِ الطَّامِي

فَطَوَيْتُ أَعْلَامَ الْهَوَى، وَهَجَرْتُهَا
وَحَسِبْتُ أَلَامِي انْتَهَتْ لَمَّا انْتَهَى،
أَبْغَيْ الثَّرَاءَ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ مَطْلَبِي،
فَإِذَا أَنَا، وَالْأَرْضُ مُلْكِي وَالسَّمَاءُ،
وَنَسِيتُ حَتَّى أَنَهَا أَعْلَامِي
فَإِذَا النِّهَايَةُ أَغْظَمُ الْأَلَامِ
وَأَرَى الْجَمَالَ بِنَظِيرِ مُتَعَامٍ
قَدْ صِرْتُ عَبْدَ النَّاسِ، عَبْدَ حُطَامِي
حطامي: ثروتي

فَضَائِقَ الْقَلْبِ السَّجِينُ، وَقَالَ لِي:
أَسَلَّمْتَنِي لِلْعَقْلِ، وَهُوَ مُضَلَّلُ
الْمَالِ! مَنْ ذَا يَشْتَرِيهِ كُلُّهُ
لَا تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ عَنْ قِيَارَتِي
يَا أَيُّهَا الْجَانِي! قَتَلْتَ هَيَامِي
فَأَضَرَّنِي، وَأَضَرَّكَ اسْتِسْلَامِي
مِنِّْي، بِلَيْلِ صَبَابَةٍ وَغَرَامِ
قِيَارَتِي خَشَبٌ بِلَا أَنْعَامِ

۹۴ ایتسم

قَالَ: السَّمَاءُ كَثِيبَةٌ! وَتَجَهَّهَمَا
قَالَ: الصُّبَا وَلَّى، فَقُلْتُ لَهُ: ابْتَسِمْ
قَالَ: الَّتِي كَانَتْ سَمَائِي فِي الْهَوَى
قُلْتُ: ابْتَسِمْ، يَكْفِي التَّجَهُّمُ فِي السَّمَاءِ
لَنْ يُرْجَعَ الْأَسْفُ الصُّبَا الْمُتَصَرِّمًا!
صَارَتْ لِنَفْسِي فِي الْغَرَامِ جَهَنَّمَا
سَمَائِي: جَتِي

خَانَتْ عُهُودِي، بَعْدَمَا مَلَكْتُهَا قَلْبِي، فَكَيْفَ أَطِيقُ أَنْ أَتَبَسِّمًا؟
 قُلْتُ: ابْتَسِمِ وَاطْرَبْ، فَلَوْ قَارَنْتَهَا قَضَيْتَ عَمْرَكَ كُلَّهُ مُتَالِمًا
 قَارَنْتَهَا: تَزَوَّجْتَهَا

قَالَ: التَّجَارَةُ فِي صِرَاعِ هَائِلٍ
 أَوْ عَادَةِ مَسْلُولَةٍ مُحْتَاجَةٍ
 قُلْتُ: ابْتِسِمَ، مَا أَنْتَ جَالِبُ دَائِهَا
 أَيَكُونُ غَيْرُكَ مُجْرِمًا، وَنَبِيْتُ فِي
 قَالَ: اللَّيَالِي جَرَّعَتْنِي عِلْقَمًا
 فَلَعَلَّ غَيْرَكَ إِنْ رَأَىكَ مُرْنَمًا
 فَاضْحَكَ، فَإِنَّ الشُّهْبَ تَضْحَكَ، وَالذُّجَى
 قَالَ: الْبَشَاشَةُ لَيْسَ تُسْعِدُ كَائِنًا

قلت: ابتسم ما دام بينك والردى شبر، فإنك بعد لن تتبسم

٩٥ ابتسم أكثر

القاما في المأدبة التي أقامتها الطائفة الأرثوذكسية على شرف المندوب البطريركي
المطران نيودوسيوس أبو رجيلي في بروكلين - نيويورك:

كن بلسماً إن صار دهرُكَ أرَقَماً وحلاوة إن صارَ غيرُكَ عَلفَماً
بلسم: صمغ يداوي الجراح، الأرقم: الأنفى

إن الحياةَ حبَّتكَ كُلَّ كنوزِها لا تبخلنَّ على الحياةِ ببغضٍ ما . .
يبغض ما: أي يبغض ما حبَّتكَ

مَنْ ذا يُكَافِئُ زَهْرَةَ قَوَاحَةٍ! أو مَنْ يُثِيبُ البلبَلِ المترنماً!
أيقظ شعورك بالمحبة إن غفا لولا الشعور، الناس كانوا كالدمى
ما الكأس، لولا الخمر، غير زجاجة كره الدجى فاسود، إلا شهبه
بقيت، لتضحك منه كيف تجهما الكراهية جعلت الليل أسود، لكن نجومه بقيت لامعة لتضحك من عبوسه

لو تعشقُ البیداءُ أصبحَ رملها زهراً، وصارَ سرايبها الخداعُ ما
ما: ماء

لو لم يكن في الأرض إلا مُبغضٌ لتبرمت بوجوده، وتبرما
لاح الجمال لذي نهى فأحبه وراه ذو جهل فظن، ورجما
نهى: عقل، رجم: تشكك

لا تطلبنَّ محبةً من جاهل المرء ليس يحب حتى يفهما
وازفئ بأبناء الغباء كأنهم مرضى، فإن الجهل شيء كالعَمى
يا من أتانا بالسلام مبشراً هش الحى لما دخلت إلى الحى
يمدح المطران أبو رجيلي

وصفوك بالتقوى، وقالوا: جهيد علامه، ولقد وجدتك مثلما
الجهيد: الحاذق، مثلما: أي مثلما وصفوك

وإذا كتبت ففي الطروسِ حداثق وشى حواشيها اليراع ونمنما
الطروس: الأوراق، اليراع: القلم، نمنم: زخرف

وَإِذَا وَقَفْتَ عَلَى الْمَنَابِرِ أَوْشَكْتَ أَحْشَابُهَا، لِلزَّهْوِ، أَنْ تَتَكَلَّمَ
 إِنْ كُنْتَ قَدْ أَخْطَاكَ سِرْبَالُ الْغِنَى عَاشَ ابْنُ مَرْيَمَ لَيْسَ يَمْلِكُ دِرْهَمًا
 سربال: لباس، ابن مريم: المسيح

نَامَ الرِّعَاءُ عَنِ الْخِرَافِ، وَلَمْ تَنْمَ فَلَيْلِكَ نَشْكُو الْهَاجِعِينَ النُّومًا
 الرعاة: يقصد كبار رجال الدين

كَمْ رَوَّعُوا بِجَهَنَّمَ أَرْوَاحَنَا فَتَأَلَّمْتُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَتَأَلَّمَ
 زَعَمُوا إِلَهًا أَعَدَّهَا لِعَذَابِنَا حَاشَا، وَرَبُّكَ رَحْمَةٌ، أَنْ يَظْلِمَنَا
 مَا كَانَ مَنْ أَمَرَ الْوَرَى أَنْ يَرْحَمُوا أَعْدَاءَهُمْ، إِلَّا أَرْقَ وَأَرْحَمَا
 لَيْسَتْ جَهَنَّمُ غَيْرَ فِكْرَةٍ تَاجِرٍ، اللَّهُ لَمْ يَخْلُقْ لَنَا إِلَّا السَّمَاءَ
 السما: الجنة

٩٦ فلسطين

بِلَادُهُمْ عُرْضَةٌ لِلضِّيَاعِ وَأَمَّتُهُمْ عُرْضَةٌ لِفَنَانَا
 يَرِيدُ الْيَهُودُ بَأْنَ يَضْلُبُوهَا وَتَأْبَى فِلَسْطِينَ أَنْ تُذْعِنَا
 أَلَا لَيْتَ بَلْفُورَ أَعْطَاكُمُ بِلَادًا لَهُ، لَا بِلَادًا لَنَا
 فَلَنْدُنْ أَرْحَبُ مِنْ قُدْسِنَا وَأَنْتُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا
 وَيَا عَجَبًا لَكُمْ! تُوَعِّرُونَ عَلَى الْعَرَبِ التَّمَرُ وَالْهَدْسَنَا
 توغرون: تشحنون حقداً، التمر: نهر لندن، الهدسن: نهر يصب في نيويورك، يقصد الإنجليز
 والأميركان

وَكُلُّ خَطِيئَاتِهِمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَا تَسْرِقُوا بَيْتَنَا
 فَلَيْسَتْ فِلَسْطِينَ أَرْضًا مَشَاعًا فَتُعْطَى لِمَنْ شَاءَ أَنْ يَسْكُنَا
 وَإِنَّمَا أَبَيْتُمْ فَأَوْصِيكُمْ بَأْنَ تَحْمِلُوا مَعَكُمْ الْأَكْفُنَا
 إما: إذا

فَإِنَّا سَنَجْعَلُ مِنْ أَرْضِهَا لَنَا وَطَنًا، وَلَكُمْ مَذْفَنًا

٩٧ لكم أكتب

يَا رَفِيقِي! أَنَا لَوْلَا أَنْتَ، مَا وَقَعْتُ لَحْنًا

كُنْتُ فِي سِرِّي لَمَّا كُنْتُ وَخْدِي أَتَعَنَّى
 إِنَّ بَعْضَ الْقَوْلِ قَرُّ فَاجْعَلِ الْإِصْغَاءَ قَنَّا
 رِيْمَا كُنْتُ غَنِيًّا غَيْرَ أَنِّي بِكَ أَغْنَى
 مَا لِصَوْتٍ، أَغْلِقْتُ مِنْ دُونِهِ الْأَسْمَاعُ، مَعْنَى
 لَسْتُ مِنِّي إِنْ حَسِبْتَ الشَّدَّ - غَرَّ الْأَفْظَاءُ وَوَزْنَا

هذه القصيدة نهدبها للشعراء الذين يقولون إنهم يكتبون لأنفسهم فقط

٩٨ الشاعر والملك ومعركة الخلود

أَمَرَ السُّلْطَانُ بِالشَّاءِ عَرِ يَوْمًا، فَأَتَاهُ
 فِي كِسَاءٍ حَائِلٍ الصَّبْبِ غَلَّةٍ وَإِ جَانِبَاهُ
 الكساء الحائل الصبغة: الثوب قد بهت لونه، وإِ جانباه: مهترئ من جنبه

وَجِذَاءٍ أَوْشَكْتُ تُفْ لِمْتُ مِنْهُ قَدَمَاهُ
 قَالَ: صِفْ جَاهِي، ففِي وَضْ فِكَ لِي لِلشَّعْرِ جَاهُ
 إِنَّ لِي الْقَضْرَ الَّذِي لَا تَبْلُغُ الطَّيْرُ ذُرَاهُ
 ذراه: أعاليه

وَلِي الرُّوْضُ الَّذِي يَعُ بَقُ بِالْمَشْكِ نَرَاهُ
 وَلِي الْجَيْشُ الَّذِي تَرُ شَحُ بِالْمَوْتِ ظَلَبَاهُ
 ظباه: شفرات سيوفه

وَلِي الْغَابَاتُ وَالشُّمُّ - الرُّوْاسِي وَالْمِيَاهُ
 الشم الرواسي: الجبال

وَلِي النَّاسُ، وَبُؤْسُ النَّدِّ - سِاسِ مِنِّي وَالرَّقَّاهُ
 إِنَّ هَذَا الْكَوْنَ مِلْكِي، أَنَا فِي الْكَوْنِ إِلَهُ
 ضَحَكَ الشَّاعِرُ مِمَّا سَمِعْتُهُ أَذْنَاهُ
 وَتَمَنَّى أَنْ يُدَاجِي، فَعَصْتُهُ شَقَّاهُ
 يداجي: ينافق

قَالَ: إِنِّي لَا أَرَى الْأَمَّ - رَكَمًا أَنْتَ تَرَاهُ

إِنَّ مُلْكِي قَدْ طَوَى مُلْد كَكَ عَنِّي وَمَحَاهُ

* * *

وَالجَيْشُ مَعْقُودٌ لِّوَاؤِكَ فَوْقَهُ مَا دُمْتَ تَكْسُوهُ وَتُظْعِمُهُ
لِلْخُبَزِ طَاعَتُهُ وَحُسْنُ وَلَائِهِ هُوَ لَا تُهَ الْكُبْرَى وَبِرْهَمُهُ

اللات: صنم جاهلي، البرهم: إله هندوسي

فَإِذَا يَجُوعُ يَظِلُّ عَرْشُكَ لَيْلَةً فَهُوَ الَّذِي بِيَدَيْهِ يَخْطُمُهُ

* * *

وَالْبَحْرُ، قَدْ ظَفِرَتْ يَدَاكَ بِدُرِّهِ وَحَصَاهُ، لَكِنْ هَلْ مَلَكَتْ هَدِيرُهُ؟
هُوَ لِلرِّيَّاحِ، تَهْزُهُ وَتُثِيرُهُ، وَالشُّهْبُ تَسْمَعُ فِي الظَّلَامِ زَثِيرُهُ
لِلشَّاعِرِ الْمَفْتُونِ يَخْلُقُ لَا هِيَاً مِنْ مَوْجِهِ حُوراً وَيَعْشَقُ حُورُهُ
يَا مَنْ يَصِيدُ الدَّرَّ مِنْ أَعْمَاقِهِ أَخَذَتْ يَدَاكَ مِنَ الْجَلِيلِ حَقِيرُهُ
لَا تَدْعِيهِ، فَلَيْسَ يُمْلِكُ، إِنَّهُ كَالرُّوْضِ جَهْدُكَ أَنْ تَشْمَ عَبِيرُهُ

* * *

فَاخْتَدَمَ السُّلْطَانُ أَيَّ احْتِدَامٍ وَلاَحَ حُبُّ الْبَطْشِ فِي مُقْلَتَيْنِ

احتدم: اغتاظ

وَصَاحَ بِالْجَلَادِ: هَاتِ الْحُسَامَ! فَاسْرِعِ الْجَلَادُ يَسْعَى إِلَيْهِ
فَقَالَ: دَخِّرْ رَأْسَ هَذَا الْغَلَامِ فَرَأْسُهُ عَبءٌ عَلَى كَتِفَيْهِ
سَمْعاً وَطَوْعاً، سَيِّدِي! وَانْتَضَى عَضْباً يَمْوُجُ الْمَوْتُ فِي شَفْرَتَيْنِ

عضب: سيف

وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا كَبَرِّقٍ أَضَا حَتَّى أَطَارَ الرَّأْسَ عَنْ مَنْكِبَيْنِ

أضأ: أضأ

* * *

أَجَلْ، هَكَذَا هَلَكَ الشَّاعِرُ كَمَا يَهْلِكُ الْآثِمُ الْمَذْنِبُ
فَمَا غُصَّ فِي رَوْضَةٍ طَائِرُ وَلَمْ يَنْظَفِ فِي السَّمَاءِ كَوْكَبُ
وَكُوفِي عَنْ قَتْلِهِ الْقَاتِلُ بِمَالٍ جَزِيلٍ، وَخَدُّ أَسِيلُ

نال جارية خدما أسيل أي طويل

فَقَالَ لَهُ خُلِقْهُ السَّافِلُ: أَلَا لَيْتَ لِي كُلَّ يَوْمٍ قَتِيلًا!

* * *

فِي لَيْلَةٍ طَامِسَةِ الْأَنْجَمِ تَسَلَّلَ الْمَوْتُ إِلَى الْقَصْرِ
بَيْنَ حِرَابِ الْجُنْدِ وَالْأَسْهُمِ وَالْأَسُوفِ الْهِنْدِيَّةِ الْحُمْرِ
إِلَى سَرِيرِ الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ إِلَى أَمِيرِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
فَفَارَقَ الدُّنْيَا وَلَمَّا تَزَلَّ فِيهَا خَمُورٌ وَأَغَارِيدُ
فَلَمْ يَمِدْ حُزْنًا عَلَيْهِ الْجَبَلُ وَلَا ذَوَى فِي الرُّوْضِ أُمْلُودُ

لم يمد: لم يمل، ذوى: ذبل، أملود: غصن

* * *

فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ، وَظِلُّ الْبِلَى قَدْ تَقَى السُّلْطَانَ وَالشَّاعِرُ
حَوْمَةُ الْمَوْتِ: سَاحَةُ الْمَوْتِ، الْبِلَى: تَحَلَّلَ الْجَسْمِ

هَذَا بِلَا مَجْدٍ، وَهَذَا بِلَا دُلٍّ، فَلَا بَاغٍ وَلَا نَائِرُ
بَاغٍ: ظَالِمٌ، نَائِرٌ: طَالِبُ نَارٍ

عَانَقَتْ الْأَسْمَالَ تِلْكَ الْحُلَى وَاضْطَحَبَ الْمَقْهُورُ وَالْقَاهِرُ
الْأَسْمَالُ: الْمَلَابِسُ الْمَمْرُقَةُ، الْحُلَى: الثِّيَابُ الْغَالِيَةُ

* * *

وَتَوَالَّتِ الْأَجْيَالُ تَطَرُّدُ جَيْلٌ يَغِيبُ، وَآخِرٌ يَفِيدُ
أَخْنْتُ عَلَى الْقَصْرِ الْمِينِفِ، فَلَا أَلْ جُذْرَانُ قَائِمَةٌ، وَلَا الْعَمْدُ
أَخْنْتُ: أَهْلَكْتُ، الْعَمْدُ: الْأَعْمَدَةُ

وَمَشَتْ عَلَى الْجَيْشِ الْكَثِيفِ، فَلَا خَيْلٌ مُسَوِّمَةٌ، وَلَا زَرْدُ
مَسُومَةٌ: عَلَيْهَا عَلَامَاتُ بِالْكِي أَوْ نَحْوِهِ، زَرْدُ: دُرُوعٌ

ذَهَبَتْ بِمَنْ صَلَحُوا وَمَنْ فَسَدُوا وَمَضَتْ بِمَنْ تَعِسُوا وَمَنْ سَعِدُوا
وَطَوَتْ مُلُوكًا مَا لَهُمْ عَدَدُ فَكَأَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا وَجَدُوا
وَالشَّاعِرُ الْمَقْتُولُ بِأَقْيَةِ أَقْوَالُهُ، فَكَأَنَّهَا الْأَبْدُ
الشَّيْخُ يَلْمَسُ فِي جَوَانِبِهَا صُورَ الْهَوَى، وَالْحِكْمَةَ الْوَلَدُ

٩٩ كن وردة طيبها حتى لسارقها

خُذْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا لَكِنْ تَعَلَّمْ قَلِيلاً كَيْفَ تُغَطِّيْهَا
كُنْ وَرْدَةً طَيِّبَةً حَتَّى لِسَارِقِهَا لَا دِمْنَةً خُبْنُهَا حَتَّى لِسَاقِبِهَا

دمنة: مزيلة

أَكَانَ فِي الْكَوْنِ نَوْرٌ تَسْتَضِيءُ بِهِ لَوْ السَّمَاءُ طَوْتُ عَنَّا دَرَارِيهَا؟
الدراري: النجوم

أَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ أَزْهَارٌ لَهَا أَرْجٌ لَوْ كَانَتْ الْأَرْضُ لَا تُبْدِي أَقَاحِيهَا؟
يَا عَبْدَ الْمَالِ قُلْ لِي: هَلْ وَجَدْتَ بِهِ رُوحاً تُوَاسِيكَ، أَوْ رُوحاً تُوَاسِيهَا
حَتَامَ، يَا صَاحِبَ، تُخْفِيهِ وَتَظْمُرُهُ كَأَنَّمَا هُوَ سَوَاءٌ تُوَارِيهَا؟
وَتَحْرِمُ النَّفْسَ لَذَاتِ لَهَا خُلِقَتْ وَلَمْ تُصَاحِبْكَ، يَا هَذَا، لِتُؤْذِيهَا
أَنْظِرْ إِلَى الْمَاءِ إِنَّ الْبَذْلَ شِيمَتُهُ يَأْتِي الْحَقُولَ فَيَرْوِيهَا وَيُحْيِيهَا
فَمَا تَعَكَّرَ إِلَّا وَهُوَ مُنْحَبِسٌ وَالنَّفْسُ كَالْمَاءِ، تَحْكِيهِ وَيَحْكِيهَا
السَّجْنُ لِلْمَاءِ يُؤْذِيهِ وَيُفْسِدُهُ وَالسَّجْنُ لِلنَّفْسِ يُؤْذِيهَا وَيُضْنِيهَا
وَانْظِرْ إِلَى النَّارِ! إِنَّ الْفَتَكَ عَادَتُهَا لَكِنَّ عَادَتَهَا الشَّنْعَاءَ تُرْدِيهَا
تُفْنِي الْقُرَى وَالْمَعَانِي وَهِيَ ضَاحِكَةٌ لِحَبْلِهَا أَنَّ مَا تُفْنِيهِ يُفْنِيهَا
لَا شَيْءَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا إِلَّا تَعَبٌ مَنْ اشْتَهَى الْخَمْرَ فَلْيُزَرْغْ دَوَالِيهَا

١٠٠ تعمير وتخریب

يَا لَهْفَةَ النَّفْسِ عَلَى غَابَةِ كُنْتُ وَهْنًا نَلْتَقِي فِيهَا
تَكَادُ مِنْ لُطْفِ مَعَانِيهَا يَشْرِبُهَا خَاطِرُ رَائِيهَا
لَلَّهِ فِي الْغَابَةِ أَيَّامُنَا مَا عَابَهَا إِلَّا تَلَاشِيهَا
تَسْكُتُ، إِذْ نَشْكُو، شَحَارِيرُهَا كَأَنَّمَا التَّغْرِيبُ يُؤْذِيهَا
وَفَوْقَنَا الْأَغْصَانُ مَعْقُودَةٌ ذَوَائِبُ طَالَ تَذَلُّيْهَا

ذوائب: خصلات شعر

إِذَا هَزَزْتَاهَا عَلَى غِرَّةٍ أَلَقْتُ مِنَ الذُّعْرِ لَآلِيهَا
نَسِيرٌ مِنْ كَهْفٍ إِلَى جَدُولٍ نَكْتَشِفُ الْأَرْضَ وَنَظْوِيهَا

وَتَخْتَبِيْ هِنْدُ، فَأَشْتَاقُهَا وَأَخْتَبِيْ عَنْهَا، فَأَغْرِبُهَا
كَمْ أَوْهَمْتَنِي الْخَوْفَ مِنْ طَارِيءٍ تُشْجِي بِنْدَا نَفْسِي، فَتُشْجِيهَا
كَأَنَّهُ يَرِيدُ الْقَوْلَ: تَرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ تُشْجِي نَفْسِي وَتَحْزِنَهَا، فَتُشْجِيهَا فَعَلًا

فَرُخْتُ أَعْدُو نَحْوَهَا مُشْفِقًا فَكَانَ مَا حَاذَرْتُ تَمْوِيَهَا!
اللَّهِ! لَوْ دَامَ زَمَانُ الْهَوَى تَغَبَّتْ مِنِّي وَأَجَارِيَهَا!
لَا غَابَتِي الْيَوْمَ كَعَهْدِي بِهَا وَلَا الَّتِي أَحْبَبْتُهَا فِيهَا
وَلَا نِلَالٌ كُنْهُودِ الدَّمَى وَلَا سَفُوحٌ كَتَرَاقِيَهَا
الدمى: الحسان، التراقي: عظام تحت الكتف

قَدْ بَدَّلَ الْإِنْسَانُ أَطْوَارَهَا وَاجْتَصَبَ الطَّيْرَ مَأْوِيَهَا
أَيُّ اجْتَصَبَ مِنَ الطَّيْرِ مَأْوِيَهَا (أَعَاشَهَا)
وَقَتَّ بِالْبَارُودِ جُلْمُودَهَا وَاجْتَثَّ بِالْفَأْسِ دَوَالِيَهَا
جلمود: صخر، الدوالي: شجيرات العنب

يَا لَهْفَةَ النَّفْسِ عَلَى غَابَةِ كُنْتُ وَهِنْدًا نَلْتَقِي فِيهَا
تَبْكِي مِنَ الْيَأْسِ عَلَى شَوْكِهَا وَكَأَنَّ يُذْمِنُنِي وَيُذْمِيهَا
كَأَنَّتْ تُغَطِّينَا بِأَوْرَاقِهَا فَصَارَتْ الدُّورُ تُغَطِّيَهَا!

١٠١ اليتيم

الْيَتِيمُ الَّذِي يَلُوحُ زَرِيًّا لَيْسَ شَيْئًا لَوْ تَعْلَمُونَ زَرِيًّا
إِنَّهُ غَرْسَةٌ سَتُظْلِعُ يَوْمًا ثَمَرًا طَيِّبًا، وَزَهْرًا جَنِيًّا
رَبِّمَا كَانَ أَوْدَعَ اللَّهَ فِيهِ فَيَلْسُوفًا، أَوْ شَاعِرًا، أَوْ نَبِيًّا
إِنَّ يَكُ الْمَوْتُ قَدْ مَضَى بِأَبِيهِ مَا مَضَى بِالشُّعُورِ فِيكَ وَفِيَّا
لَا تَقُولُوا مَنْ أُمُّهُ؟ مَنْ أَبُوهُ؟ فَأَبُوهُ وَأُمُّهُ سُورِيَّا

١٠٢ البشر والقناعة

كَانَ زَمَانٌ لَمْ يَزَلْ كَائِنًا، وَحَالَةً، مَا بَرِحَتْ بَاقِيَةً
مَلَّ بَنُو الْإِنْسَانِ أَطْوَارَهُمْ وَبَرِمُوا بِالسُّقْمِ وَالْعَافِيَةِ

فَاسْتَضَرَّخُوا خَالِقَهُمْ وَاسْتَهَوْا لَوْ أَنَّهُ كَوَّنَهُمْ ثَانِيَةً
وَبَلَغَتْ أَصْوَاتُهُمْ عَرْشَهُ فِي لَيْلَةٍ مُقَمَّرَةٍ صَافِيَةً
فَقَالَ، إِنِّي فَاعِلٌ مَا اسْتَهَوْا لَعَلَّ فِيهِ حِكْمَةٌ خَافِيَةٌ
وَشَاهَدُوهُ هَاطِطاً مِنْ عَلٍ فَاحْتَسِدُوا فِي السَّهْلِ وَالرَّابِيَةِ
فَقَالَ رَبُّ الْعَرْشِ: مَا خَطْبُكُمْ، مَا بِالْكُمْ، صَرَخَاتُكُمْ عَالِيَةٌ؟

الفتى:

قَالَ الْفَتَى: يَا رَبِّ إِنَّ الصَّبَا مَضَدَّرَ أَحْزَانِي وَآلَامِي
أَلْبَسْتَنِيهِ مُوْنِقًا، بَعْدَمَا أَبْلَاهُ أَخْوَالِي وَأَعْمَامِي
مُونَق: جميل

وَصَارَ فِي مَذْهَبِهِمْ عَصْرُهُ فَتَوَرَّ زَلَّاتٍ وَأَنَامِ
عصر الشباب بحسب الأهل هو عصر الأخطاء والذنوب

فَاخْتَلَفَتْ حَالِي وَحَالَاتُهُمْ كَأَنَّنِي فِي غَيْرِ أَقْوَامِي
عِنْدَهُمُ الرُّوضَةُ: أَشْجَارُهَا وَالرُّوضُ عِنْدِي: الزَّهْرُ النَّامِي
وَالطَّيْرُ لَحْمٌ وَدَمٌ عِنْدَهُمْ وَلَيْسَ عِنْدِي غَيْرَ أَنْفَامِ
عَبءٌ عَلَى نَفْسِي هَذَا الصَّبَا الْجَائِشُ الْمُسْتَوْفِرُ الطَّامِي
المستوفز: الثائر، الطامي: الجياش المتحس

خَذَهُ، وَخَذَ قَلْبِي وَأَحْلَامَهُ فَإِنَّنِي أَشَقَى بِأَحْلَامِي
وَمُرَّ يَمُرُّ الدَّهْرُ فِي لَحْظَةٍ كَالطَّيْفِ أَوْ كَالْبَرْقِ قُدَّامِي
وَأَزْرَعُ نَجُومَ الشَّيْبِ فِي لِمَّتِي فَيَنْجَلِي جُنْدِسُ أَوْهَامِي
لمتي: شعر رأسي، حنّس: ظلمة

فَأُبْصِرُ الْحِكْمَةَ فِي صَوْرِهِ إِنِّي إِلَيْهَا جَائِعٌ ظَامِي
الشيخ:

وَجَاءَ شَيْخٌ حَائِرٌ وَاجِفٌ مُسْتَعِلَ اللَّمَّةِ بِأَلِي الْإِهَابِ
واجف: مضطرب، اللمة: شعر الرأس، الإهاب: الجلد

كَأَنَّمَا زَلَزَلَتْ تَحْتَهُ لِمَا بِهِ مِنْ رَعَشَةٍ وَاضْطِرَابِ

فصاح: يا ربَّاهُ خُذْ حِكْمَتِي وارُدُّدْ على عَبْدِكَ عَصْرَ الشَّبَابِ
 إِنَّ أَمَانِي الرُّوحِ أَزْهَارُهَا وَإِنَّ رُوحِي الْيَوْمَ قَفَرٌ يَبَابُ
 قفر ويباب: خلاء أجرد

تِلْكَ الْأَمَانِي، على كِذْبِهَا، لَمْ تَكُنِ اللَّذَّةُ فِيهَا كِذَابُ
 زَالَتْ وَمَا زِلْتُ، وَإِنَّ الشَّقَا أَنْ تُظْمَسَ الْآيُ، وَيَبْقَى الْكِتَابُ
 وَتُسَلَبَ السَّرْحَةُ أَوْرَاقُهَا وَلَمْ تَزَلْ أَعْرَاقُهَا فِي الثُّرَابِ
 السرحة: الشجرة، أعراقها: جذورها

مُرْ تَقِفِ الْأَيَّامَ عَنْ سِيرِهَا فَإِنَّهَا تَرَكُضُ مِثْلَ السَّحَابِ
 وَضَعُ أَمَامِي، لَا وَرَائِي، الْمُنَى وَطَوَّلِ الدَّرَبَ، وَزِدْ فِي الصُّعَابِ
 مَا لَذَّتِي بِالْمَاءِ أَرَوَى بِهِ بَلْ لَذَّتِي بِالْعَدْوِ خَلْفَ السَّرَابِ
 الحسناء:

وَقَالَتِ الْحَسَنَاءُ: يَا خَالِقِي وَهَبْتَنِي الْحَسَنَ فَأَشْقَيْتَنِي
 وَجْهِي سَنِيٌّ مُشْرِقٌ، إِنَّمَا مَرَعَى عِيونِ الْخَلْقِ وَجْهِي السَّنِي
 سني: مضى

إِنَّ عَشِيقَتَ نَفْسِي فَوَيْلٌ لَهَا وَالْوَيْلُ لِي إِنْ رَجُلٌ حَبَّنِي
 لَمْ يَبْقَ فِي رُوحِي مِنْ مَوْضِعٍ يَا رَبِّ لَمْ يُخَدِّشْ، وَلَمْ يُظْعَنْ
 إِنَّ الْغِنَى فِي الْوَجْهِ لِي آفَةٌ فَلَيْتَ أَنِّي دُمِيَّةٌ لَيْتَنِي
 الجارية:

وَسَكَنْتُ، فَصَاحَتِ الْجَارِيَةُ بَاكِئَةً مِنْ بُؤْسِهَا شَاكِئَةً:
 دَنْبِي إِلَى هَذَا الْوَرَى خَلَقْتَنِي فَهَلْ أَنَا الْمَجْرُمَةُ الْجَانِيَةُ؟
 لَوْ كُنْتُ حَسَنَاءَ بَلَعْتُ الْعُلَى فَلِلْجَمَالِ الرُّثْبَةُ الْعَالِيَةُ
 فَبَاتَ مَنْ أَسْجُدُ قُدَّامَهُ صَاغِرَةً، يَسْجُدُ قُدَّامِيهِ
 الفقير:

وَأَقْبَلَ الصُّغْلُوكُ مُسْتَرْجِمًا فِي مَقْلَتَيْهِ شَبَحُ الْيَاسِ
 يَضْرُخُ: يَا رَبَّاهُ حَتَّى مَتَى تُحَكِّمُ الْمَوْسِرَ فِي نَفْسِي
 وَتَضَعُ التَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ وَتَضَعُ الشُّوكَ عَلَى رَأْسِي؟

يَا رَبِّ لَا تَنْقُلْهُ عَنْ أُنْسِهِ وَأِنَّمَا انْقُلْنِي إِلَى الْأُنْسِ
فَإِنْ تَشَاءُ أَنْ لَا يَذُوقَ الْهَنَا قَلْبِي، فَجَرِّدْنِي مِنَ الْحَسَنِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ غَيْرِي فِي غُبْطَةٍ مَا شَعَرْتُ رَوْحِي بِالْبُؤْسِ
الغني:

وقال ذو النُّرُوءَةِ: مَا أَشْتَهِي لَا أَشْتَهِي أَنِّي ذُو نُرُوءَةٍ
مهما اشتيت فلا أشتي الغنى

أَنْفَقْتُ أَيَّامِي عَلَى جَمْعِهَا وَخَلَّيْتُ أَدْرَكَتْ أُمْنِيَّتِي
فَاسْتَعْبَدْتَنِي فِي زَمَانِ الصَّبَا وَأَوْقَرْتُ بِالْهَمِّ شَيْخُوخَتِي
أوقرت: أثقلت

قَدْ مَلَكَتْنِي قَبْلَمَا حُزْنُهَا وَمَلَكَتْنِي وَهْيٌ فِي حَوَزَتِي
كَنَحْلَةٍ أَمْسَكَهَا شَهْدُهَا مِنَ الْجَنَاحِينَ فَلَمْ تُفْلِتْ
حَسِبْتُهَا تُكْسِبُنِي قُوَّةً فَاثْتَرَسْتُ قُوَّتُهَا قُوَّتِي
لَا تَنْظُرِ الْأَضْوَاءَ فِي حُجْرَتِي وَانْظُرْ إِلَى الظُّلُمَاءِ فِي مُهْجَتِي
وَلَا يَغُرَّتْكَ قَضْرِي فَمَا قَضْرِي سِوَى سَجْنِ لِحْزَتِي
إِنِّي فِي الصَّرْحِ الرَّفِيعِ الدُّرَى كَطَائِرٍ، فِي قَفْصٍ، مَبْتِ
كَمْ فِي عُبابِ الْبَحْرِ مِنْ سَابِحٍ قَدْ مَاتَ ظَمَانًا إِلَى قَطْرَةٍ
مَوْتُ الطَّوَى شَرٌّ وَلَكِنَّمَا أَفْطَعُ مِنْهُ الْمَوْتَ بِالثُّخْمَةِ
الطوى: الجوع

وَالْخَوْفُ مِنْ كَارِثَةٍ لَمْ تَقَعْ أَمْضُ مِنْ كَارِثَةٍ خَلَّتْ
أَمْضُ: أَوْجَعُ

كَمْ مِنْ فَقِيرٍ مَرَّ بِزَاجِحٍ كَأَنَّمَا يَسْخَرُ مِنْ غُصَّتِي كَأَنَّمَا يَسْخَرُ مِنْ غُصَّتِي
قَدْ اخْتَفَّتْ ذَاتِي فِي بُرْدَتِي فَمَا يَرَى الْخَلْقُ سِوَى بُرْدَتِي
بردتي: ثوبي

فَهُمْ إِذَا مَا سَلَّمُوا سَلَّمُوا عَلَى خُيُوطِ الْبُرْدِ وَالْحُلَّةِ
البرد: الثوب، الحلة: الثوب

رَبَّاهُ أَظْلِقُ مِنْ عِقَالِ الْغِنَى رُوحِي، فَإِنِّي مِنْهُ فِي مِحْنَةٍ
وَانزَعْ مَعَ الدِّينَارِ مِنْ قَبْضَتِي صِلَابَةَ الدِّينَارِ مِنْ سِخْنَتِي
سحنة: وجه

وَحَوِّلِ الْمَالَ إِلَى وَاحَةٍ وَحَوِّلِ الْقَصْرَ إِلَى حَيْمَةٍ
في الأصل (وحول المال إلى راحة) وجعلناها واحدة، وقلما غَيَّرْنَا لُشَاعِرَ شَيْئًا، فَإِنْ غَيَّرْنَا قُلْنَا إِنَّا غَيَّرْنَا
الأبله:

وَصَرَخَ الْأَبْلَهُ مُسْتَفْسِرًا مَا الْقَصْدُ مِنْ خَلْقِي كَذَا وَالْمُرَادُ؟
أَلَمْ يَكُنْ يَحْمِلُ هَذَا الْوَرَى إِلَّا إِذَا أَوْجَدْتَنِي فِي فَسَادٍ؟
فِي صُورَةِ النَّاسِ وَحَاجَاتِهِمْ: مِنْ مَطْعَمٍ أَوْ مَشْرَبٍ أَوْ رُقَادٍ..
أنا مثل الناس في هذه الأمور.. الطعام والشراب والنوم.. لكن..

لَكِنَّ لُبِّي غَيْرُ أَلْبَابِهِمْ فَإِنَّهُ مُكْتَنَفٌ بِالسَّوَادِ
إِنْ كُنْتُ إِنْسَانًا فَلَيْمَ يَا ثَرَى لَسْتُ بِإِذْرَاكِ كِبَاقِي الْعِبَادِ؟
أَوْ لِمَ أَكُنْ مِنْهُمْ، فَمُرْنِي أَكُنْ جَرَادَةً أَوْ أَرْزَبًا أَوْ جَوَادِ
فَالنُّدُّ لَا يَغْدَمُ مَعَ نَدِّهِ ذَرِيعَةً لِلسُّلَمِ أَوْ لِلْجِهَادِ
لَا تَسْخَرُ النَّمْلَةُ مِنْ نَمْلَةٍ وَلَيْسَ يُزْرِي بِالْقَرَادِ الْقَرَادِ
الفرد: من الحشرات الماصة دم الحيوان، تعلق بين شعر العنز أو وبر الجمل أو صوف الخروف

الأديب:

وَجَاءَ بَعْدَ الْأَبْلِهِ الْمُسْتَرْيَبُ الْأَلْمَعِيُّ الْعَبْقَرِيُّ اللَّبِيبُ
فَقَالَ: إِنِّي تَائِهٌ حَائِرٌ أَنَا غَرِيبٌ فِي مَكَانٍ غَرِيبٍ
أَبْحَثُ عَنْ نَفْسِي فَلَا أَهْتَدِي وَلَيْسَ يَهْدِينِي إِلَيْهَا أَرِيبُ
لَوْ أَنَّني كُنْتُ بِلا فِظْنَةٍ سِرْتُ وَلَمْ تَكْثُرْ أَمَامِي الدُّرُوبُ
مَا الْعَقْلُ، يَا رَبِّ، سِوَى مِحْنَةٍ لَوْلَاهُ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيَّ الدُّنُوبُ

الخاتمة:

لَمَّا وَعَى اللَّهُ شَكَايَا الْوَرَى قَالَ لَهُمْ: كُونُوا كَمَا تَشْتَهُونَ
فَاسْتَبَشَرَ الشَّيْخُ، وَسَرَّ الْفَتَى وَالْكَاعِبُ الْحَسَنَاءُ وَالْحَيَزَبُونَ
الكاعب: الفتاة، الحيزبون: العجوز الهرمة

لِكِنَّهُمْ لَمَّا اَضْمَحَلَّ الدُّجَى لَمْ يَجِدُوا غَيْرَ الَّذِي كَانَا
هَمْ حَدِّدُوا الْقُبْحَ فَكَانَ الْجَمَانُ وَعَرَّفُوا الْخَيْرَ فَكَانَ الطَّلَاحُ
الطلاح: الشر

وَلَيْسَ مِنْ نَقْصٍ وَلَا مِنْ كَمَالٍ فَالشُّوْكَ فِي التَّحْقِيقِ مِثْلُ الْأَقَاخِ
وَذَرَّةُ الرَّمْلِ كَكُلِّ الْجِبَالِ وَكَالَّذِي عَزَّ الَّذِي هَانَا

١٠٣ بلادي

إِنِّي مَرَرْتُ عَلَى الرِّيَاضِ الْحَالِيَةِ وَسَمِعْتُ أَنْغَامَ الطَّيُورِ الشَّادِيَةِ
فَطَرِبْتُ، لَكِنْ لَمْ يُحِبِّ فُؤَادِيَةَ كَطَّيُورِ أَرْضِي أَوْ زَهْوَرِ بِلَادِي

* * *

وَشَرِبْتُ مَاءَ النِّيلِ شَيْخِ الْأَنْهَرِ فَكَأَنَّنِي قَدْ ذُقْتُ مَاءَ الْكُوْثَرِ
نَهْرٌ تَبَارَكَ مِنْ قَدِيمِ الْأَعْصَرِ عَذْبٌ، وَلَكِنْ لَا كَمَاءِ بِلَادِي

* * *

قَالُوا: أَلَيْسَ الْحُسْنُ فِي كُلِّ الدُّنَى فَعَلَامَ لَمْ تَمْدَحْ سِوَاهَا مَوْطِنَا
فَأَجَبْتُهُمْ: إِنِّي أَحِبُّ الْأَخْسَنَا أَبَدًا، وَأَحْسَنُ مَا رَأَيْتُ بِلَادِي

* * *

الْكُوكَبُ الْوَضَّاحُ يَبْقَى كُوكَبَا وَلَكِنْ تَسْتَرِّ بِالدُّجَى، وَتَنْقَبَا
لَيْسَ الضَّبَابُ بِسَالِبٍ حُسْنِ الرُّبَى وَالْبُؤْسُ لَا يَمُحُو جَمَالَ بِلَادِي

١٠٤ حديث الأغصان

أَضْغِي إِلَى النَّسَمَاتِ تَرْوِي لِلرَّبَى مَا قَالَتِ الْأَشْجَارُ لِلْعُذْرَانِ
وَالِى الْأَزَاهِرِ كُلَّمَا مَرَّتْ بِهَا عِذْرَاءُ ذَاتُ مَلَاحَةٍ وَيَسَّانِ
مُتَهَامِسَاتٍ: مَا نَظَنُّ فُلَانَةً أَحَدًا بِهَا أَوْلَى مِنْ ابْنِ فُلَانِ
يَا لَيْتَ يَنْثُرُنَا الْغَرَامُ عَلَيْهِمَا مِنْ قَبْلِ يَنْثُرُنَا الْخَرِيفُ الْجَانِي
الأزهار تهامس وتتمنى أن يثرها الغرام على العروسين قبل أن يثرها الخريف ويجني عليها

١٠٥ وتركتهم يتعشرون ورائي

في حفلة البويل الفضي لجريدة «السمير»:

تلك السُّنُونُ الغارِبَاتُ ورائي سِفْرُ كَتَبْتُ حُرُوفَهُ بِدِمَائِي
جريدة السمير تتحدث عن نفسها

ما عَشْتُهَا لَأَعُدَّهَا بَلْ عَشْتُهَا لِيَتَبَيَّنَ فِي سِيَمَائِهَا سِيَمَائِي
سيماء: سحنة. تقول الجريدة: لم أعش تلك السنين الطويلة لأعدها وأفخر بطول العمر، لكنني أردت أن أترك بصمتي على تلك السنين

لاحَتْ لِي العَلِيَاءُ فِي آفَاقِهَا فَأَرَدْتُهَا ذَرْباً إِلَى العَلِيَاءِ
اتخذت من السنين طريقاً للمجد

وَعِبَادَةٌ لِلْحَقِّ أَيْنَ وَجَدْتُهُ وَالْحَسَنَ فِي الْأَحْيَاءِ وَالْأَشْيَاءِ
وملأت تلك السنين بعبادة الحق والجمال

تلك السُّنُونُ، بِبُؤْسِهَا وَنَعِيمِهَا، مَالَتْ بِعُودِي، وَانْطَوَتْ بِرُؤَائِي
يتحدث عن نفسه الآن: فالسنين التي أخرج خلالها جريدة السمير، قوست عوده (قامته)، وجعلت رُواءه (نضارته) ينطوي (يذوي)

أَيْنَ الشَّبَابُ أُلْفٌ أَحْلَامِي بِهِ لَيْسَ الشَّبَابُ الْآنَ لِي بِرِءٍ
نَفْسِي تُحِسُّ كَأَنَّمَا أُنْقَالَهَا قَدْ خُيِّرْتُ فَتَخَيَّرْتُ أَعْضَائِي
السنين اختارت أن تلقي بأثقالها على جسمه

شُكْرًا لِأَعْدَائِي! فَلَوْلَا عَيْشُهُمْ لَمْ أَذِرْ أَنَّهُمْ مِنَ الْعَوْغَاءِ
العيث: الإفساد

ذَنْبِي إِلَى الْحَسَادِ أَنِّي فُتُّهُمْ وَتَرَكْتُهُمْ يَتَعَشَّرُونَ وَرائي
شُكْرًا لِكُلِّ فَتًى مَزَجْتُ بِرُوحِهِ رُوحِي، فَطَابَ وَلَاؤُهُ وَوَلَائِي
مَنْ كَانَ يَحْلُمُ بِالسَّمَاءِ فَلِئَنِّي فِي قَلْبِ إِنْسَانٍ وَجَدْتُ سَمَائِي
السما: الجنة

لَيْسَ الْجَمَالُ هُوَ الْجَمَالُ بِذَاتِهِ الْحَسَنُ يَوْجَدُ حِينَ يَوْجَدُ رَاءِ
تلك السُّنُونُ، عَقِيمُهَا كَوُلُودُهَا حُلُولُ لَدَيَّ، كَذَا يَشَاءُ وَفَائِي
يا مَنْ يَقُولُ: ظَلَمْتُ نَفْسَكَ فَاتَّيِدْ؛ دَعْنِي، فَلَسْتُ بِحَامِلٍ أَعْبَائِي

اتتد: تمهل

ما العمر؟ إِنَّهُ هُوَ كَالْإِنَاءِ، وَإِنِّي بِالطَّيِّبِ الْغَالِيِ مَلَأْتُ إِنَائِي
إِنْ هُوَ كَالْإِنَاءِ: مَا هُوَ إِلَّا كَالْإِنَاءِ

فَإِذَا بَقِيْتُ، فَلِلْجَمَالِ بَقَائِي وَإِذَا فَنَيْتُ، فَفِي الْجَمَالِ فَنَائِي

١٠٦ أَبْلَتْ نِعَالِي أَلْسُنَ السُّفَهَاءِ

إِنِّي حَلَمْتُ كَأَنَّمَا أَنَا سَائِرٌ فِي رَوْضَةٍ خَلَّابَةٍ عَنَاءٍ
وَإِذَا بِصَوْتِ كَالْهَرِيرِ يَطْنُ فِي أَدْنِي، وَأَنْيَابُ تَصِرُ وَرَائِي
الهرير: صوت الكلب دون النباح، صرير الأنياب: صوتها يحتك بعضها ببعض

فَإِذَا وَرَائِي فِي الْحَدِيقَةِ نَابِحٌ ضَارِي الْمَحَاجِرِ، ضَامِرُ الْأَحْشَاءِ
هذا الكلب في محاجر عينه قسوة، وهو نحيل

كَادَتْ تُطِلُّ عَرُوقُهُ مِنْ جَلْدِهِ وَتُطِلُّ مَعَهَا شَهْوَةٌ لِإِدْمَائِي
أَشْفَقْتُ يَغْلُقُ نَابُهُ بِرِدَائِي فَرَفَسَتْهُ غَضَبًا، فَطَارَ حِذَائِي
وَمَضَى بِهِ لِرِفَاقِهِ، فَتَهَلَّلُوا وَتَقَاسَمُوهُ، فَكَانَ خَيْرَ عَشَاءٍ
لَا يَغْجَبُنْ أَحَدٌ رَأَى حَافِيًا أَبْلَتْ نِعَالِي أَلْسُنَ السُّفَهَاءِ

١٠٧ شَاهَدْتُهُ بَعِيُونَهُم

رسالة إلى الشاعر القروي ألقيت في الحفلة الوداعية التي أقيمت في ولاية تكساس
وقد تعذر على الشاعر حضورها:

وَإِذَا تَلَوُّحُ لِي الْجِبَالُ ذَكَرْتُهُ فَالشَّاعِرُ الْقُرَوِيُّ طَوْدُ إِبَاءٍ
طود: جبل

مَنْ كَانَ يَحْلُمُ بِالْغَدِيرِ، فَإِنَّهُ يَبْدُو لَهُ فِي كُلِّ قَطْرَةٍ مَاءٍ
إِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ فَقَدْ شَاهَدْتُهُ يَبْعِيُونَ أَصْحَابِي، وَذَاكَ عَزَائِي

١٠٨ إِلَى الشَّرْقِ انْتَسَابِي

ألقيت بمناسبة زيارة وزير خارجية سورية للولايات المتحدة عام ١٩٥٢:

لَيْسَ بِي دَاءٌ، وَلَكِنِّي أَمْرٌ لَسْتُ فِي أَرْضِي، وَلَا بَيْنَ صَحَابِي
مَرَّتِ الْأَعْوَامُ تَتَلَوُّ بِعَضَاهَا: لِلْوَرَى ضِحْكِي، وَلِي وَخْدِي أَكْتِيَابِي

كلما استَوْلَدْتُ نَفْسِي أَمَلًا مَدَّتِ الدُّنْيَا لَهُ كَفًّا اغْتِيصَابِ
استولدت نفسي: أخرجت منها

أَفَلَنْتُ مِنِّي حَلَاوَاتُ الرُّؤْيَى عِنْدَمَا أَفَلَتَ مِنِّي كَفِّي شَبَابِي
أيها السائل عني: مَنْ أَنَا؟ أَنَا كَالشَّمْسِ إِلَى الشَّرْقِ انْتِسَابِي
إنني المَخُ في أَوْجُهِكُمْ دَفَقَةَ الثُّورِ عَلَى تِلْكَ الرَّوَابِي
وأرى أَطْيَافَ عَصْرِ بَاهِرٍ طَالِعَ كَالشَّمْسِ مِنْ خَلْفِ الْحِجَابِ
لَيْتَهُ يُسْرِعُ كِي أَبْصِرَهُ قَبْلَ أَنْ أَغْدُو تُرَابًا فِي تَرَابِ

١٠٩ التينة الحمقاء

وَتِينَةٌ غَضَّةُ الْأَفْنَانِ بِاسِقَةٍ قَالَتْ لِأَثْرَابِهَا، وَالصَّيْفُ يُخْتَضِرُ
تينة: شجرة تين، باسقة: عالية، أثرابها: صاحباتها

بِشِّ الْقَضَاءِ الَّذِي فِي الْأَرْضِ أَوْجَدَنِي عِنْدِي الْجَمَالُ، وَغَيْرِي عِنْدَهُ النَّظَرُ
لَأُحِبِّسَنَّ عَلَى نَفْسِي عَوَارِفَهَا فَلَا يَبِينُ لَهَا فِي غَيْرِهَا أَثَرُ
عوارفها: معروفها

كَمْ ذَا أُكَلِّفُ نَفْسِي فَوْقَ طَاقَتِهَا! وَلَيْسَ لِي، بَلْ لِعَيْرِي، الْفَيْءُ وَالْثَمَرُ
إِنِّي مُفْضَلَةٌ ظِلِّي عَلَى جَسَدِي فَلَا يَكُونُ بِهِ طَوْلٌ، وَلَا قِصَرُ
وَلَسْتُ مُثْمِرَةً إِلَّا عَلَى ثِقَةٍ أَنْ لَيْسَ يَظْفَرُنِي طَيْرٌ، وَلَا بَشَرُ
يظرفني: يزدربي

عَادَ الرَّبِيعُ إِلَى الدُّنْيَا بِمُؤَكِّدِهِ، فَارْتَيْتُ، وَاکْتَسْتُ بِالسُّنْدُسِ الشَّجَرُ
السندس: الحرير الأخضر

وظَلَلْتُ التِّينَةَ الْحَمَقَاءَ عَارِيَةً كَأَنَّهَا وَتَدٌ فِي الْأَرْضِ، أَوْ حَجَرُ
وَلَمْ يُطَقْ صَاحِبُ الْبِسْتَانِ رَوِيَّتَهَا، فَاجْتَنَّتْهَا، فَهَوَتْ فِي النَّارِ تَسْتَعِرُ
اجتنها: قطعها من أساسها

مَنْ لَيْسَ يَسْخُو بِمَا تَسْخُو الْحَيَاةُ بِهِ فَلِإِنَّهُ أَحْمَقُ بِالْحَرَصِ يَنْتَحِرُ
الحرص: البخل

١١٠ موت الحسن بموت الشاعر

رثي بها رفيقه الشاعر نسيب عريضه :

لم يَبْرِحِ الرُّوضُ فِيهِ الْمَاءُ وَالزَّهْرُ ولم يَزَلْ فِي السَّمَاءِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
لم يبرح : ما زال

لكنها الآن في أذهاننا صور شَوْهَاءُ، لا القلبُ يهواها ولا النظرُ
لكن الروض والزهر والشمس والقمر الآن مجرد صور شوهاء (مشوهة) في عيوننا

قد انطوى حسنُها لَمَّا انطوى الشَّاعِرُ

* * *

لَسَوْفَ يَرْجِعُ عِظْرًا فِي الرِّيَاحِينِ أَوْ نَسَمَةً تَتَهَادَى فِي الْبَسَاتِينِ
أَوْ بَسَمَةً فِي تُغُورِ الْخُرْدِ الْعِينِ فالَمُوتُ مَا هَذَا إِلَّا هَيْكَلُ الطِّينِ
الخُرْدُ: الحسان، العين: ذوات العين الواسعة

لا تَحْزَنُوا، فَنَسِيبٌ غَائِبٌ حَاضِرٌ

١١١ أيلول مونتريال

من قصيدة يصف بها المناظر التي مر بها في طريقه إلى مونتريال :

الحسنُ حَوْلَكَ فِي الْوِهَادِ وَفِي الذَّرَى فانظُرْ: أَلَسْتَ تَرَى الْجَمَالَ كَمَا أَرَى؟
الوهاد: الوديان

أَيْلُولُ يَمْشِي فِي الْحَقُولِ وَفِي الرِّبَى والأَرْضُ فِي أَيْلُولٍ أَحْسَنُ مَنْظَرًا
لا تَحْسَبِ الْأَنْهَارَ مَاءً رَاقِصًا هَذَا أَغَانِيهِ اسْتَحَالَتْ أَنْهَارًا
أغاني أيلول/ سبتمبر تحولت إلى أنهار

وانظُرْ إِلَى الْأَشْجَارِ تَخْلَعُ أَخْضَرًا عَنْهَا، وَتَلْبَسُ أَحْمَرًا أَوْ أَصْفَرًا

١١٢ اخضيرار قلب يابس

ألقاها في «الحفلة التكريمية» التي أقيمت على شرفه في لوس انجلوس برعاية الجمعية
السورية - اللبنانية :

مَا لَوْسُ أَنْجِلِسٍ سِوَى أَنْشُودَةٍ أَلَلُّهُ غَنَّاها، فَجَنَّ لَهَا الْوَرَى

وَزَعْتُ نَفْسِي فِي الثُّفُوسِ مَحَبَّةً لَا شَاكِيَاَ الْمَاءَ، وَلَا مُتَضَجِّرَا
وَمَشَيْتُ فِي الدُّنْيَا بِقَلْبٍ يَابِسٍ حَتَّى لَقِيتُ أَجَبَّتِي، فَاحْضَوْصِرَا

١١٣ ليت الفراق ويومه لم يخلق

ألقاها في الحفلة التكريمية التي أقامتها له الجالية في مونتريال:

لَا تَقْلَقْنِي يَوْمَ النَّوَى، أَوْ فَاقْلَقْنِي يَا نَفْسُ! كُلُّ تَجَمُّعٍ لِيَتَفَرَّقُ
أَلَلَهُ قَدَّرَ أَنْ تَمَسَّ يَدُ الْأَسَى أَرْوَاحَنَا، كَيْمَا تَرِقَّ وَتَرْتَقِي
أَوْفَى عَلَى الشُّهْبِ الدُّجَى، فَتَأَلَّقَتْ لَوْلَا اعْتِكَارُ اللَّيْلِ لَمْ تَنَالْنِي
أوفى الدجى: أقبل الليل، اعتكار: اسوداد

وَالْفَحْمُ لَيْسَ يُضِيءُ إِنْ لَمْ يَضْطَرْم وَالنَّدُّ لَيْسَ يَضُوعُ إِنْ لَمْ يُحْرَقِ
يضطرم: يلتهب، الند: من البخور، يضوع: تفوح رائحته

لَا أَضْرِبُ الْأَمْثَالَ مَذْحًا لِلنَّوَى لَيْتَ الْفِرَاقَ وَيَوْمَهُ لَمْ يُخْلَقِ
عَنْفَتُ قَلْبِي حِينَ طَالَ خَفْوُهُ فَأَجَابَ: بَلْ لُمْنِي إِذَا لَمْ أَخْفُ
لِلَّهِ مُونْتِرِيَا لَكُمْ ذَاتُ الْحَلَى وَمَدِينَةُ الطُّودِ الْأَشْمُ الْأَبْلَقِ
الحلى: الزينة، الطود: الجبل، الأشم: المرتفع، الأبلق: الأبيض

كَمْ وَقْفَةٍ لِي عِنْدَ شَاطِئِ نَهْرِهَا لَا أَسْتَقِي مِنْهُ، وَرُوحِي تَسْتَقِي
مُتَعَلِّمًا مِنْهُ التَّوَاضَعُ وَالنَّدَى وَالصَّفَحُ عَنْ عَبَثِ الْجَهْلِ الْأَحْمَقِ
أَعْطَى الْحَقُولَ حَيَاتَهَا، وَمَضَى كَأَنْ لَمْ يُعْطِهَا شَيْئًا، وَلَمْ يَتَصَدَّقِ
ضَيَّعْتُ عِنْدَ الْوَاعِظِينَ سَعَادَتِي وَوَجَدْتُهَا فِي وَاعِظٍ لَمْ يَنْطِقِ
لِلَّهِ مُونْتِرِيَا لَكُمْ وَجَلَالُهَا هِيَ رُومَةُ الصُّغْرَى، وَضَرَّةُ جَلَنِي
رَقَّتْ عَلَيَّ نُجُومُهَا، وَتَوَاضَعَتْ حَتَّى لَكِذْتُ أَجْسَهَا فِي مَفْرِقِي
سَاطِيرُ عَنْهَا فِي غَدٍ بِحُشَاشَةٍ مَكْلُومَةٍ، وَبِنَاطِيرٍ مُغْرُورِقِ
حشاشة مكلومة: قلب مجروح، ناظر مغرورق: عين دامعة

وَتَظَلُّ صَوْرَتُهَا تَلُوحُ لِخَاطِرِي بَعْضُ الرُّؤَى سَلَوَى، وَإِنْ لَمْ تَضْدُقِ

١١٤ فتية دان الزمان لهم

ألقاها في الحفلة التكريمية التي أقامها له صديقه مالك الدوماني في كاليفورنيا:
يَا لَيْتَمَا رَجَعَ الزَّمَانُ الْأَوَّلُ زَمَنُ الشَّبَابِ الضَّاحِكِ الْمَتَهَلِّلِ

عهدَ تَرَحَّلَتِ الْبَشَاشَةُ إِذْ مَضَى وَآتَى الْأَسَى، فَأَقَامَ لَا يَتَرَحَّلُ
أقام: مكث

وَأَنَا وَصَحْبِي لَا نُفَكِّرُ فِي غَدٍ فَكَأَنَّ لَيْسَ عَدُوًّا وَلَا مُسْتَقْبَلُ
نَتَوَهَّمُ الدُّنْيَا، لِقَرِطِ غُرُورِنَا، كَمَلْتُ بِنَا، وَبَغَيْرِنَا لَا تَكْمُلُ
وَنُظَنُّ أَنَّ الرُّوضَ يَنْشُرُ عِظْرَهُ مِنْ أَجْلِنَا، وَلَنَا يُعْنِي الْبُلْبُلُ
لَا شَيْءَ يُزْعِجُ فِي الْحَيَاةِ نَفُوسَنَا لَا طَارِيءٌ، لَا عَارِضٌ، لَا مُشْكِلُ
فَكَأَنَّنا فِي عَالَمٍ غَيْرِ الَّذِي تَتَزَاحَمُ الْأَيْدِي بِهِ وَالْأَرْجُلُ
النَّاسُ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ، وَهَمُّنَا كَأَنَّ مُشْعَشَعَةً، وَطَرَفْتُ أَكْحَلُ
مشعشة: ممزوجة

إِنِّي تَأَمَّلْتُ الْأَنَامَ، فِرَاعَنِي كَيْفَ الْحَيَاةُ بِهِمْ تَجِدُ وَتَهْزِلُ
الذِّكْرُ أَثْمَنُ مَا افْتَنَّنِي وَتَفْتَنِي وَالْحُبُّ أَنْفُسُ مَا بَدَّلَتْ وَتَبْدُلُ
قِيلَ اغْتَنَى زَيْدٌ، فَلَيْتَكَ مِثْلُهُ؛ أَنَا مِثْلُهُ، إِنْ لَمْ أَقُلْ: أَنَا أَفْضَلُ
الشَّمْسُ لِي وَلَهُ، وَالْأَلَاءُ الضُّحَى وَالنَّيِّرَاتُ؛ وَمِثْلُنَا الْمُتَسَوِّلُ
أَمَّا النُّضَارُ فَإِنَّهُ، يَا صَاحِبِي عَرَضَ يَزُولُ، وَسِلْعَةٌ تَتَنَقَّلُ
النضار: الذهب، عرض: شيء عارض

١١٥ راحة البال المفقودة

لَيْتَ الَّذِي خَلَقَ الْحَيَاةَ جَمِيلَةً لَمْ يُسَدِّلِ الْأَسْتَارَ فَوْقَ جَمَالِهَا
ليت خالق الحياة لم يجعلها تنتهي ويسدل الستار على جمالها

بَلْ لَيْتَهُ سَلَبَ الْعُقُولَ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُعَلِّلُ نَفْسَهُ بِمَنَالِهَا
لَلَّهِ كَمْ تُغْفِرِي الْفَتَى بِوَصَالِهَا وَتُضِنُّ، حَتَّى فِي الْكَرَى، بِوَصَالِهَا
تَذْنِيهِ مِنْ أَبْوَابِهَا بِيَمِينِهَا وَتَرُدُّهُ عَنْ خِذْرِهَا بِشِمَالِهَا
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَمِنْتُ ضَلَالِهَا فَإِذَا الَّذِي خَمَنْتُ كُلَّ ضَلَالِهَا
إِنَّ النُّفُوسَ تُعْرِثُهَا آمَالِهَا وَتَظَلُّ عَاكِفَةً عَلَى آمَالِهَا
ذَهَبَ الصَّبَا وَأَنَا أَعَالِجُ سِرِّهَا مُتَحَيِّرًا فِي كُنْهِيهَا، وَمَالِهَا
حَتَّى رَأَيْتُ الشَّمْسَ تُلْقِي نَوْرَهَا فِي الْأَرْضِ، فَوْقَ سَهُولِهَا وَجِبَالِهَا

ورأيتُ أحقرَ ما بناه عنكبُ مُتَلَفِّفًا، ومُطَوِّقًا بِجِبَالِهَا
فَعَلِمْتُ أَنَّ النَّفْسَ، تَخْطُرُ فِي الْحُلَى والْوَشْيِ، مِثْلُ النَّفْسِ فِي أَسْمَالِهَا
الحلى: الحلَى، أسماؤها: ملابسها الممزقة

لَيْسَتْ حَيَاتُكَ غَيْرَ مَا صَوَّرْتَهَا، أَنْتَ الْحَيَاةُ: بِصَمَتِهَا وَمَقَالِهَا
ولقد نَظَرْتُ إِلَى الْحَمَائِمِ فِي الرَّبَى فَعَجِبْتُ مِنْ حَالِ الْأَنَامِ وَحَالِهَا
تَشْدُو، وَصَائِدُهَا يَمُدُّ لَهَا الرَّدَى، فَاغْجَبْ لِمُخْسِنَةٍ إِلَى مُغْتَالِهَا
فَعَبَّطْتُهَا فِي أَمْنِهَا وَسَلَامِهَا وَوَدِدْتُ لَوْ أُعْطِيتُ رَاحَةً بِأَلِهَا
وجعلتُ مَذْهَبَهَا لِنَفْسِي مَذْهَبًا وَنَسَجْتُ أَخْلَاقِي عَلَى مِثْوَالِهَا
نِسْيَانُكَ الْجَانِي الْمَسِيءَ قُضِيلَةٌ وَخُمُودُ نَارٍ، جَدٌّ فِي إِشْعَالِهَا
فَارِبًا بِنَفْسِكَ، وَالْحَيَاةُ قَصِيرَةٌ، أَنْ تَجْعَلَ الْأَضْغَانَ مِنْ أَحْمَالِهَا
أربأ بنفسك: ترفع، الأضغان: الأحقاد

زَمَنَ الشَّبَابِ! رَحَلْتَ غَيْرَ مُذَمَّمٍ وَتَرَكْتَ لِلْحَسَرَاتِ قَلْبِي الْوَالِهَا
دَبَّتْ عَقَارِبُهَا إِلَيْهِ تَنُوشُهُ وَرَمَتْ بِقَايَاهُ إِلَى أَضْلَالِهَا
عقارب الحشرات تنوش (تتخاطف) قلبي، وترمي بقاياها إلى أضلالها (أفاعيها)
يَا جَنَّةَ عُوجِلْتُ عَنْ أَثْمَارِهَا وَلِذَاذَةَ عُرِيْتُ مِنْ سِرْبِهَا
سربالها: لباسها

١١٦ الفناء النووي

إِذَا سَحَقْتُ أَرْضَنَا الْقُنْبُلَةَ كَمَا يَسْحَقُ الْحَجَرُ الْحَرْدَلَةَ
وَدَبَّ الْفَنَاءُ فِي ذَوَاتِ الْجَنَاحِ وَغَلْغَلَ فِي الثَّنْبِ، فَاسْتَأْصَلَهُ
غلفل: تغلفل

وَفِي الْمَاشِيَاتِ، وَفِي الزَّاحِفَاتِ عَلَيْهَا، إِلَى آخِرِ السَّلْسِلَةِ
وَضَاعَ الزَّمَانُ وَمُقْيَاسُهُ وَأَشْبَهَ آخِرُهُ أَوَّلَهُ
وَلَمْ يَبْقَ حَيٌّ عَلَى سَطْحِهَا وَأَصْبَحَ عِزْرِيْلٌ لَا شُغْلَ لَهُ
فَذَلِكَ خَطْبُ يَهُوْلُ النُّفُوسِ تَصَوُّرُهُ، قَبْلَ أَنْ تَحْمِلَهُ
وَلَكِنَّ أَمْرًا يُعْزِي الْجَمِيعَ إِذَا سَحَقْتُ أَرْضَنَا الْقُنْبُلَةَ

فَلَنْ يَدَعَ الْمَوْتُ حَيًّا يَلُومُ سِوَاهُ، عَلَى هَذِهِ الْمَقْتَلَةَ

١١٧ المغامرون المبادرون

ألقاها في المأدبة التي أقامها المجلس الجلي في مونتريال، كندا، لمناسبة مرور ٤٠ سنة على تأسيسه:

الْأَرْبَعُونَ لَوْ أَنَّهَا تَتَكَلَّمُ لَرَوْتُ لَنَا قِصَصَ الْعِظَائِمِ عَنْكُمْ
وَلَحَدَّثْنَا كَيْفَ عَنَ أَغْشَاشِكُمْ طِرْتُمْ، بِأَجْنَحَةِ الْمَنَى، إِذْ طِرْتُمْ
يَوْمَ الْفِرَاقِ كَظَمْتُمْ أَلَامَكُمْ وَأَخَفْتُمْ مِنَ أَلَمِ الْفِرَاقِ جَهَنَّمَ
وَبَكَى الْأَحِبَّةُ حَوْلَكُمْ، وَجُفُونُكُمْ تَعْصِي الْبُكَاءَ؛ حُزْنُ الْجَبَابِرِ أَبْكُمْ
وَعَزَّوْتُمْ الْأَفَاقَ، لَا زَادَ لَكُمْ إِلَّا الصَّبَا الْمَتَوْتُبُ الْمَتَضَرِّمُ

المتضرم: المتوقد

تَتَخَيَّلُونَ الْبَحْرَ شُقًّا لِيَتَغَبَّرُوا وَانْدَاحَ بَيْنَ الشَّاطِئَيْنِ لِيَتَسَلَّمُوا
انداح: انبسط

وَالدُّرُّ مَخْبُوءٌ لَكُمْ فِي قَاعِهِ كَيْ تُخْرِجُوهُ، وَتَغْنَمُوا مَا شِئْتُمْ
وَالْمَوْجُ إِذْ يَطْفَعُ، وَيَهْدُرُ حَوْلَكُمْ جَوْقًا لِيَطْرُدَ هُمُومَكُمْ يَتَرَّتُمْ
وَإِذَا النُّجُومُ تَأَلَّفَتْ تَحْتَ الدُّجَى خِلْتُمْ لِأَجْلِكُمْ نُضِيءُ الْأَنْجُمِ
وَحَسِبْتُمْ شَمَّ الْجِبَالِ سَلَالِمًا نُصِيبَتْ لَكُمْ كَيْ تَضَعُدُوا، فَصَعِدْتُمْ
وَلَكُمْ تَلْتَمَّتِ الْحَقَائِقُ بِالرُّؤَى كَالْأَرْضِ يَغْشَاهَا السَّرَابُ الْمُوهِمُ

كثيراً ما نغلف الحقائق الصعبة بأحلامنا فلا نراها صعبة، فهذه الحقائق كأرض مجذبة ولكننا نتخيل فوقها سراباً وهمياً

لِيُطِيلَ مِنْ أُرُوجِنَا أَشْوَاقُهَا فَتَطُوفَ حَوْلَ خُدُورِهَا وَنُحُومُ
خدورها: بيوتها

لَمْ تَفْنَعُوا كَالْخَامِلِينَ بِأَنْتُمْ لَكُمْ شَرَابٌ، فِي الْحَيَاةِ، وَمَطْعَمٌ
مطعم: طعام

أَوْ أَنْ يَكُونَ تُرَائِكُمْ كَتُرَائِهِمْ قَضَرٌ عَفَا، أَوْ هَيْكَلٌ مُتَرَدِّمٌ
عفا: انهدم

وَحَدِيثُ أَسْلَافٍ قَدْ التَّحَفُّوا الْفَنَّا فَهُمْ سَوَاءٌ، فِي الْقِيَاسِ، وَجُرْهُمُ
 مَنْ يَفْتَرِبُ مِنْ أَمْسٍ يَبْعُدُ عَنْ عَدِ وَيَعِشُ مَعَ الْمَوْتَى، وَيُضْبِحُ مِنْهُمْ
 الْمَجْدُ مَطْلَبُكُمْ، وَأَنْتُمْ سَهْدُ وَالْمَجْدُ حُلْمُكُمْ، وَأَنْتُمْ نَوْمُ
 سَهْدُ: سَاهِرُونَ

لَا شَيْءَ صَغَبٌ عِنْدَكُمْ، حَتَّى الرَّدَى، الصَّغْبُ عِنْدَ نَفْسِكُمْ أَنْ تُحْجِمُوا
 يَا بِضْعَةً مِنْ أُمَّةٍ، هِيَ أُمَّةٌ فِي ذَاتِهَا، وَلَهَا طِرَازٌ مُعْلَمٌ
 طِرَازُ مُعْلَمٍ: نَمَطٌ مُمِيزٌ

فِيكُمْ جَمِيعُ صِفَاتِهَا وَخِلَالِهَا وَالرَّوْضُ يَخْوِيهِ، عُطُورًا، قُمْمُ
 حَدَّثْتُ نَفْسِي، وَالْقَطَارُ يَحُبُّ بِي عَجَلَانِ يَخْتَرِقُ الدُّجَى وَيُدْمِدُ
 يَخُبُ: يَرْكُضُ، يَدْمِدُ: يَقُولُ دَمَ دَمَ دَمَ

فَسَأَلْتُهَا مُسْتَفْهِمًا، وَلَرَبَّمَا سَأَلَ الْعَلِيمُ سِوَاهُ عَمَّا يَغْلَمُ
 مَا أَحْسَنُ الْأَيَّامِ؟ قَالَتْ: يَوْمُكُمْ وَالنَّاسِ؟ فَايْتَدَرَتْ وَقَالَتْ: أَنْتُمْ
 وَالذُّورُ؟ قَالَتْ: دُورُكُمْ، وَالْمَالِ؟ قَا لَتْ: إِنَّ أَحْسَنَهُ الَّذِي أَنْفَقْتُمْ
 مَا كَانَ أَكْمَلَ يَوْمِكُمْ وَأَتَمَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي مَهْدِ عِيسَى مَاتُمْ
 مَهْدُ عِيسَى: فَلَسْطِينُ

وَكَذَا الْحَيَاةُ: قَدِيمُهَا وَحَدِيثُهَا، ذِكْرَى تُسَرُّ بِهَا، وَذِكْرَى تُؤْلِمُ

١١٨ جَهَنَّمُ الْحَقِيقِيَّةُ

بِالْأَمْسِ بِادْرَنِي صَدِيدِ قُ حَائِرٌ يَسْتَفْهِمُ
 : أَجْهَنُّ نَارًا، كَمَا زَعَمَ الْهُدَاةُ، وَعَلَّمُوا؟
 أَمْ زَمْهَرِيرٌ قَارِسٌ قَاسٍ، وَكَوْنٌ مُظْلِمٌ؟
 فَأَجَبْتُهُ: مَا الزَّمْهَرِيرُ رُ، وَمَا اللَّطَى الْمُتَضَرَّمُ..
 الْمُتَضَرَّمُ: الْمُتَوَقَّدُ

بِجَهَنَّمِ، لَكِنَّمَا: أَنْ لَا تُحِيبَ جَهَنَّمُ

١١٩ ثابر على تهديمها

ألقاها في حفل تكريم كمال جنبلاط، الزعيم اللبناني:

تلك المنازل، كيف حال مقيمها إنا قنعنا بعدها برسومها
نشأتها، في بؤسنا ونعيمنا ونحبها، في بؤسها ونعيمها
يا حاملاً، في نفسه وحديثه، أحلام أرزتها، ولطف نسيمها
حدث بينها: شيخهم وفتاهم عن لبث غابتها، وظني صريمها
الصريم: الأرض الرملية المنزلة

حدثهم عن ليلها ونجومها وعن الهوى في ليلها ونجومها
وعن الشطوط الحالمات بعودة للغائبين، ورجعة لنعيمها
وعن الروابي الشاخصات إلى السما العالقات رؤوسها بغيومها
فكانها سحب هوت من حالي ورست على وجه الثرى بهومها
حالق: جبل عالٍ

وعن الألى ملكوا، فلم يتورعوا عن سلب أغزلها، وظلم يتيمها
الجاهلية، أه من أصنامها بوركت، يا من جد في تحطيمها
والطائفية، أنت أول مغول في سورها. ثابر على تهديمها

١٢٠ خمر المعاني

في حفلة ميلاد ديوانه الخمائل:

ما هو الشعر، إنني ما رأيتك نين إلا وفيه يختصمان
قال قوم: وحي ينزل الله ه، وقوم: نفت من الشيطان
نحن، أهل الخيال، أسعد خلق الله ه حتى في حالة الحرمان
كم زهدنا بثروة من نصار وقنعنا بثروة من أماني
نصار: ذهب

إن ظمئنا، وعز أن نرد الما ء، رونا تصور الصدران
وإذا غابت النجوم اهتدينا بالرؤى، بالرجاء، بالإيمان

لَا يَعُدُّ الْوَرَى عَلَيْنَا اللَّيَالِي نَحْنُ قَوْمٌ نَعِيشُ فِي الْأَزْمَانِ
لَا يَعُدُّ: يَنْهَامُ عَنْ أَنْ يَعُدُّوا

رُدَّ عَنِّي الْكَؤُوسَ، يَا أَيُّهَا السَّاءِ قِي، فَرُوحِي نَشْوَى بِخَمْرِ الْمَعَانِي
أَيُّهَا اللَّيْلُ! أَنْتَ أَبْهَى مِنَ الْفَجْرِ رِ، وَإِنْ كُنْتَ أَسْوَدَ الطَّيْلِلسَانِ
الطَّلِسَانِ: الثَّوْب. قَالَ الْمَعْرِي: رَبِّ لَيْلٍ كَأَنَّهُ الصَّبْحُ فِي الْحَسَنِ وَإِنْ كَانَ أَسْوَدَ الطَّلِسَانِ

١٢١ نظرت إلى العُودِ تسألهم عني

أَبِي! خَانَنِي فِيكَ الرَّدَى فَتَقَوَّضَتْ مَقَاصِيرُ أَحْلَامِي كَبَيْتٍ مِنَ الثَّنَنِ
تَقَوَّضَتْ: تَهْدَمَتْ، مَقَاصِيرُ: غُرَف

وَمَا صُورُ الْأَشْيَاءِ بَعْدَكَ غَيْرَهَا، وَلَكِنَّمَا، قَدْ شَوَّهَتْهَا يَدُ الْحُزَنِ
فَوَاهَا لَوْ أَنِّي كُنْتُ فِي الْقَوْمِ عِنْدَمَا نَظَرْتُ إِلَى الْعُودِ، تَسْأَلُهُمْ عَنِّي
العُودِ: زَوَارِ الْمَرِيضِ

وَكُنْتُ إِذَا حَدَّثْتُ، حَدَّثَ شَاعِرٌ لَبِيبٌ، دَقِيقُ الْفَهْمِ وَالذَّوْقِ وَالْفَنِّ
يَعْنِي أَنَّكَ أَنْتَ شَاعِرٌ وَدَقِيقُ الْفَهْمِ الْخ.

فَمَا اسْتَشْعَرَ الْمَضْغِي إِلَيْكَ مَلَامَةً، وَلَا قَلْتُ، إِلَّا قَالَ مِنْ طَرَبٍ: زِدْنِي
نَظْرُنْ لَنَا الدُّنْيَا. وَمَا فِي رِحَابِهَا، وَلَيْسَتْ لَنَا، إِلَّا كَمَا الْبَحْرُ لِلسُّفْنِ
تَرَوْحُ وَتَغْدُو حُرَّةً فِي عُبَابِهِ كَمَا يَتَهَادَى سَاكِنُ السَّجْنِ فِي السَّجْنِ
وَزَنْتُ بِسِرِّ الْمَوْتِ فِلْسَفَةَ الْوَرَى فَشَالَتْ، وَكَانَتْ جَعَجَعَاتِ بِلَا طَحْنِ
شَالَتْ: ارْتَفَعَتْ كَفْتَهَا، أَيْ أَنَّ فِلْسَفَةَ النَّاسِ أَخْفَ مِنْ سِرِّ الْمَوْتِ، الْجَعْمَجَعَةُ بِلَا طَحْنٍ مِثْلُ، مَعْنَاهُ
صَوْتُ الْجَرَشِ وَلَكِنْ بِلَا طَحْنٍ (طَحْنِ)

فَأُضِدَّقُ أَهْلَ الْأَرْضِ مَعْرِفَةً بِهِ كَأَكْثَرِهِمْ جَهْلًا، يُرْجَمُ بِالظَّنِّ
يُرْجَمُ: يَتَشَكَّكُ

١٢٢ وطن النجوم

وَطَنَ النُّجُومِ! أَنَا هُنَا حَقَّقْ.. أَتَذْكُرُ مَنْ أَنَا؟
الْمَحْتِ فِي الْمَاضِي الْبَعِيدِ لِي فَنِي غَرِيرًا أَرْعَنَا؟
غَرِيرٌ: صَغِيرٌ بِلَا تَجَرِبَةٍ

جَذْلَانِ يَمْرُخُ فِي حُقُو لِكَ كَالنَّسِيمِ مُدْنَدِنَا

جذلان: فرحان

الْمُقْتَنَى الْمَمْلُوكُ مَلَّ عَبُهُ، وَعَيْرُ الْمُقْتَنَى

يعني يلعب في بيتهم وفي بيوت وحدائق الجيران، ولا فرق عنده

يَتَسَلَّقُ الْأَشْجَارَ، لَا ضَجْرًا يُحْسُ، وَلَا وَنَى

ونى: تعب

وَيَعْمُودُ بِالْأَغْصَانِ يَبُ رِبِهَا سُيُوفًا، أَوْ قَنَا

قنا: رماح

وَيَحُوضُ فِي وَحْلِ الشُّتَا ءِ مُهَلَّلًا مُتَيَّمَنَا

متيماً: مستشراً

لَا يَبْتَقِي شَرَّ الْعَمِيو نِ، وَلَا يَخَافُ الْأَلْسُنَا

وَلَكَمْ تَشْيِطَنَ، كَيْ يَقُو لَ النَّاسُ عَنْهُ: تَشْيِطُنَا

أَنَا ذَلِكَ الْوَلَدُ الَّذِي دَنْبَاهُ كَانَتْ هَهُنَا

عَاشَ الْجَمَالُ مُشَرِّدًا فِي الْأَرْضِ يَنْشُدُ مَسْكِنَا

ينشد: يبحث عن

حَتَّى انْكَشَفَتْ لَهُ، فَأَلَّ مَقَى رَحْلَهُ، وَتَوَطَّنَا

وَاسْتَعْرَضَ الْفَنُّ الْجَمَا لَ، فَكُنْتَ أَنْتَ الْأَخْسَنَا

لَلَّهِ سِرٌّ فَيْكَ، يَا لِبْنَانُ، لَمْ يُفْلَنَ لَنَا

زَعَمُوا سَلَوْنُكَ، لَيْتَهُمْ نَسَبُوا إِلَيَّ الْمُمَكِنَا

سلوتك: نيتك

فَالْمَرءُ قَدْ يَنْسَى الْمُسِي ءِ الْمُفْتَرِي، وَالْمُحْسِنَا

وَالْخَمَرَ، وَالْحَسَنَاءَ، وَالْـ وَتَرَ الْمَرْئِخَ، وَالْغِنَا

المرئخ: المهتر

وَمِرَارَةَ الْفَقْرِ الْمُذِلَّ بَلَى، وَلَذَاتِ الْغِنَى

لَكِنَّهُ مَهْمَا سَلَا هِيَهَاتَ يَسْلُو الْمَوْطِنَا

١٢٣ كيف خُلِقَتْ للناس عيون

إلى روح خليل مطران:

عندما أبْدَعَ هذا الـ	كُونَ رَبُّ الْعَالَمِينَ
ورأى كَلَّ الَّذِي فِيـ	جَمِيلاً وَثَمِيناً
خَلَقَ الشَّاعِرَ كَيْ يَخـ	لُقَ لِلنَّاسِ عُيُوناً
مَنْ سِوَاهُ ثَائِرٌ، فِيـ	وَقَارُ النَّاسِكِينَ
مَنْ سِوَاهُ عَابِدٌ، فِيـ	جُنُونُ الثَّائِرِينَ
مَنْ سِوَاهُ عَانَقَ اللَّـهـ	يَقِيناً، لَا ظُنُوناً

١٢٤ منتظراً الموت

ما لِلْقُبُورِ كَأَنَّمَا لَا سَاكِنَ	فيها، وقد حَوَّتِ العُصُورَ الْمَاضِيَةَ
طَوَتْ الْمَلَائِكِينَ الْكَثِيرَةَ قَبْلَنَا،	وَلَسَوْفَ تَطْوِينَا وَتَبْقَى خَالِيَةً
أَيْنَ الْمَهَا وَعْيُونُهَا وَفُتُونُهَا؟	أَيْنَ الْجَبَابِرُ وَالْمُلُوكُ الْعَاطِيَةُ؟
زَالُوا مِنَ الدُّنْيَا كَأَنْ لَمْ يُوَلَّدُوا،	سَحَقَتْهُمْ كَفُّ الْقَضَاءِ الْقَاسِيَةِ
إِنَّ الْحَيَاةَ قَصِيدَةٌ: أَعْمَارُنَا	أَبْيَاتُهَا، وَالْمَوْتُ فِيهَا الْقَافِيَةُ
مَتَّعَ لِحَاطَتِكَ فِي النُّجُومِ وَحُسْنِهَا	فَلَسَوْفَ تَمْضِي، وَالْكَوَاعِبُ بَاقِيَةُ

إيليا أبو ماضي فهرس القوافي

٦٢	أَتَيْتُ (الطلاسم)	٥٩	البيضاء
٨	المِلْمَة	٥٨	والأسماء
٨٠	الرُّفَات	١٠٧	إِيَاء
٨٣	نَعْمَاتِهِ	٢٢	أعدائي
١٦	أَفَاجِي	٢٦	الآباء
٣٢	المَفَاجِي	٧٦	الأحشاء
٢٧	صَفِيحًا	١٠٥	يَدِمَانِي
٣٣	السُّهَادَا	٣٠	لَآلَاء
١٥	أَم نَفِذَا؟	١٠٦	غَنَاء
٣٦	حَدِيدًا	٣١	والمخربا
٣٥	لَهَا فِدَى	٧٧	الكتب
٨٤	بالأفْرَادِ	١٩	تَكْذِيبُ
٣٧	وَعَرَبْدُ	٢١	مُحِبِّبُ
١١١	أَرَى؟	٦٠	الأحباب
١١٢	الْوَرَى	٦١	العُقَابِ
٦٥	وَالْعَاصِرَا	١٠٨	صِحَابِي
٦٣	الطُّيُورُ؟	١٨	غَيْرُ أَبِي
٦٤	أَنْصَارُ	٧٨	والأحبابِ
٣٨	تَفْكِيرُ	١٧	وَبِمِخْلَبِي
٨١	قَنْدَرُ	٧٩	الْخِضَابُ

٢٣	وَالرُّسُلُ	١١٠	وَالْقَمَرُ
٩١	زُلَالٍ	١٠٩	يُخْتَضَرُ
٤٤	فَاجْهَلٍ	١٤	الْحَاضِرِ
١١٦	الْمَحْرَدَلَّةُ	٣٩	الدُّهْورِ
١١٥	جَمَالِهَا	٨٥	مِضِرٍ
٩٤	السَّمَاءِ	٨٥	نَضِرٍ
٢٥	انْتِقَامًا	٤١	زُمَرٍ
٩٥	عَلَقَمًا	٦٦	الْمَسْرَّةُ
٤٧	أَنْجُمٍ	٨٢	تَقْسِيرُهُ
٢	خَتَامٍ	٤٠	جِبْرَةٍ
١١٧	عَنْكُمْ	٨٦	لِلنَّاسِ
١١	فِيهِمْ	٤٢	مُفْتَرِسٍ
٧١	وَالْأَنْجُمِ	٨٧	وُسُوَاسٍ
١١٨	يَسْتَفْهِمُ	٦٧	مَظْمَعِي
١٠	السَّامِ	٨٨	صَدَفٍ
٢٩	الْقَلَمِ	٢٠	اللُّقَا
٥٠	الْكَلَامِ	١٣	فِرْقٍ
٩	الْمَتَقَادِمِ	٨٩	الصُّنْدُوقِ
٩٣	إِمَامِي	١١٣	لَتَفْرِقِ
٤٩	شَيْمِي	٩٢	أَضْلَا
١١٩	بِرُسُومِهَا	٤٦	عَلَيْلَا؟
٧	الْأَنَا	٦٩	فُضُولَا
٧٢	السَّنِينَا	٧٠	مَتَهَلَّلَا
١٢٣	الْعَالَمِينَا	١٢	مَقِيلَا
١٢٢	أَنَا؟	٤٥	وَدَالَا
٦	سِنِينَا	١١٤	الْمَتَهَلَّلُ
٩٧	لَحْنَا	٦٨	تُعَوِّلُ
٩٦	لِلْفَنَّا	٤٣	جَمِيلُ
٢٨	وَرُهْبَانُ	٢٤	سَبِيلُ

٤	لَيَا؟	١٢١	التَّبَنِ
٥٧	بُنُ بَيِّ	٣٤	الثَّقَلَانِ
٥٦	الْآتِيَّةُ	٤٨	المَبِينِ
١٠٣	الشَّادِيَّةُ	٥١	سَفِينِ
١٢٤	الْمَاضِيَّةُ	١٠٤	لِلْعُذْرَانِ
١٠٢	بَاقِيَّةُ	١٢٠	يَخْتَصِمَانِ
٥٥	بِأَهْلِهَا	٧٣	الْجَائِعُونَ
٩٩	تُعْطِيهَا	٥٢	وَأَمْتَدَّحْنَاهُ
١	فِيهِ	٧٥	أَغْبَاهَا
١٠٠	فِيهَا	٥٣	طَوَاهَا
٩٠	لَدَيْكَ	٧٤	الْإِلَهَ
٥٤	لِذَوِيهِ	٩٨	فَأَتَاهُ
٥	مَآقِيهَا	١٠١	زَرِيًّا
		٣	لَاهِيَا

إلياس فرحات

(١٨٩٣ - ١٩٧٦)

إلياس فرحات شعلة فصاحة وشموخ وحماسة للعروبة. . وهو شعلة جرأة. وبسبب هذه الجرأة كان أصحاب المقالات يمرون به بهدوء مرورهم بجانب سور المقبرة؛ يذكرون الاسم ثم يُغذّون السير للحديث عن مهجري آخر. كان جريئاً مع الدين وعلى الدين، وكان جريئاً في معاداته للمتفرنسين في لبنان. وقد صنع خيراً إذ طبع دواوينه بالبرازيل في سنتي ١٩٣٢، و١٩٥٤. ومن هذه الدواوين الأربعة: الربيع، والصيف، والخريف، ورباعيات فرحات، استقينا مختاراتنا. فلو لم يطبع مختاراته لكاد يتلاشى اسمه فيمن تلاشت أسماؤهم من عشرات الشعراء في المهجر. ونقول «كاد يتلاشى» ولا نجزم لأن لشاعرنا قصيدة لم يستطع أحد أن يتجاهلها. تلك هي «حياة مشقات»، أو «حديث النفس» كما تسمّى كتب المدارس تلك القطعة منها، التي تبدأ بعبارة «أقول لنفسي».

لا، ليس فرحات من أصحاب الواحدة، أولئك الذين صنعت لهم ذكرهم قصيدة واحدة. فله واحداث كثيرات. على أن «حياة مشقات» قصيدة مكتوبة بالعرق والجوع. وستراها فيما سيأتيك مما اخترناه. لكنك ستري أيضاً صرخاته الجريئة وغزلياته الرائقة.

نشأ فرحات في تربة الزجل اللبناني كإيليا أبو ماضي، بل أكثر من إيليا بكثير. كان إلياس فرحات زجلاً مكتمل الأداة وهو بعد فتى مراهق. وكان يحضر الحفلات، ويقارع الزجالين الكبار. على أن القرية التي نشأ فيها كانت «عاصمة» مهمة من عواصم الفصحى، فمن كفر شйма انطلق اليازجي وأبناؤه، وشبلي الشميل، والأخوان تقلا صاحباً جريدة الأهرام، ليصنعوا للفصحى

نهضة. وأنعم الله على شاعرنا أن ألجأه إلى ترك المدرسة وهو في العاشرة من عمره بعد أن تعلم القراءة في مدرسة الدير.. فعرف كيف يدع.

اشتغل صبيّ نجارٍ في زحلة القرية، واشتغل في نقشيش الكراسي، ثم في تنضيد الحروف بمطبعة جريدة الوطن لشبلي ملاط، وجريدة الحقيقة للشيخ أحمد الأزهري في بيروت.. وكانت بيروت آنذاك على بعد بضعة كيلومترات من كفر شيما، وقد التصقت بها الآن. والتقى إلياس بأهل الأدب واللغة وسمعهم. وأتى دمشق للعمل وهو في السادسة عشرة من عمره، ولعله مشى إليها.. فقد تورمت رجلاه ومكث في السرير أشهراً، ثم عاد إلى قريته كفر شيما.

وعزم على الهجرة إلى البرازيل لينضم إلى نحو ستين ألف شامي سبقوه إلى هناك، وكان في السابعة عشرة. وقبل الرحيل أخذ خصلة من شعر محبوبته حتى يكون عهد بالوفاء. ظن أنه يمكث في البرازيل بضع سنين يلُم فيها المال من على الأرصفة في كيس ويعود ليتزوج الحبيبة. لكنه سرعان ما لاقى خيبتين: جاءه أن محبوبته تزوجت، ووجد أرصفة البرازيل كأرصفة لبنان. فكان لا بد من الكشة. و«الكشة» مصطلح مهم لمن شاء أن يتعرف على حياة أولئك المهجرين. هي حقيبة أو شبه حقيبة، أو صندوق أو شبه صندوق مع سيور تجعله يمتطي عاتق البائع. ويطوف به البائع في حواري القرى وفيه المناديل الملونة، وربطات العنق، وما إلى ذلك من الطرائف يبيعها فقير إلى فقراء.

قضى فرحات أكثر من عشر سنين يطوف بيضاوته. والتقى في البرازيل الأدباء والشعراء، تنقّل من مدينة إلى مدينة وتحسنت أحواله، ورافق شقيقين له في العمل بالمحلات التجارية، غير أنه لم يكن رجل تجارة. ظل يكتب الشعر، ولكنّ بعده عن موطن الزجل أمات الزجل على لسانه، وحلت الفصحى.

ماذا ننتظر من شاب لم يتجاوز السنة الرابعة الابتدائية في مدرسة الدير؟ فصحى مهشمة طبعاً. فأما الوزن فأطاعه سريعاً، فهو زجال، وأما النحو فظل عصياً عليه بضع سنين. كان رفيق مهجره الشاعر القروي يقول له: أنت تكتب الشعر ولا تقرأه، فكل كلامك لحن في لحن.

وتزوج فتاة لبنانية وأنجبا: ليلي وخالد وعصام وسعاد. وذكرنا أسماء أبناء فرحات لكي تقارنها بأسماء أبناء إيليا أبو ماضي: ريتشارد، وإدوارد، وروبرت. وهنا يكمن فارق مهم بين المهجر في أميركا الشمالية، والمهجر في أميركا

الجنوبية. كان جو المهجرين في أميركا الجنوبية أعرب وأقرب إلى التمسك
بقديم اللغة وفصيحتها وبالعروية. وكان لشاعرنا اتصال بالمراسلة بالحركة العربية
التي قادها الشريف حسين وأبناءؤه من مكة. وكان له في زميله الشاعر القروي
سند مهم في تعضيد الفكرة العربية، وكلاهما رفض فكرة القومية السورية، ونأى
عن زعيمها أنطون سعادة. ولم يكن القروي وفرحات كالسمن على العسل تماماً
في العلاقة الشخصية، ربما لاشتراكهما في شيء آخر: الترق وحده الطبع.

عاد إلياس فرحات إلى لبنان في زيارة، ولكنه توفي في البرازيل وعمره
ثلاث وثمانون.

أ يكون شعر فرحات انتفع بأن صاحبه لم يكن ذلق اللسان بالفصحى ذلاقته
بالعامية اللبنانية؟ أ يكون هذا وفر له بعض الحماية من «المنبرية» التي اتهم بها
صديقه القروي صاحب اللفظ السليم واللغة القويمة والصوت الجهوري
الجميل؟ ربما. على أن في شعر فرحات غضباً كثيراً، وحماسة وطنية. ولأن
فرحات لم يقرأ كثيراً ولم يدرس اللغة درساً منظماً فقد بقيت في شعره بساطة
جميلة، ثم إن شعره سلم من اللحن، وخصوصاً عندما قرر دفن أول مجموعة
شعرية له، بعد أن كاد يدفع بها إلى المطبعة.

كانت فصحاء بسيطة وسلسة، وخالية من التعمل. لقد نبتت في أرض بريئة
من الأعيب البديعيين والنحاة.

١ كيف تعلمت الشعر

يقولون: عَمَّنْ أَخَذْتُ الْقَرِيضَ؟ وَمِمَّنْ تَعَلَّمْتُ نَظْمَ الدَّرَزِ؟

القرىض: الشعر

وَأَيْنَ دَرَسْتَ الْعَرُوضَ، وَكَيْفَ تَلَقَّنْتَ هَذَا الْبَيَانَ الْأَعْرَى؟
وَمَا كُنْتَ يَوْمًا بِطَالِبِ عِلْمٍ فَلِنَّا عَرَفْنَاكَ مِنْذُ الصُّغَرِ
فَقُلْتُ: أَخَذْتُ الْقَرِيضَ صَبِيئًا عَنِ الطَّيْرِ، وَهِيَ تُغْنِي السَّحَرِ
وَعَنْ ضَحِكَاتِ مِيَاهِ الْجَدَاوِ لِ فَوْقَ الْجَلَامِيدِ تَحْتَ الشَّجَرِ

الجلاميد: الصخور

وَعَنْ زَفَرَاتِ الْمَحَبِّ الْأَدِيبِ يَزَاحُمُهُ الْمَوْسِرُ الْمُحْتَقَرُ
وَعَنْ نَظَرَاتِ الْحِسَانِ اللَّوَاتِي يَكْدُنَ يُغْلَغِلْنَهَا فِي الْحَجَرِ

لِئِنْ كُنْتُ لَمْ أَدْخُلِ الْمَدْرَسَاتِ صَغِيرًا، وَلَا بَعْدَهَا فِي الْكِبَرِ
فَذَا الْكُونُ جَامِعَةُ الْجَامَعَاتِ وَذَا الدَّهْرُ أَسْتَاذُهَا الْمَعْتَبَرُ
فَذَا الْكُونُ: فهذا الكون

فَمَنْ يَحْيِي يَوْمًا وَلَا يَسْتَفِيدُ هَذَا أَعْمَى الْبَصِيرَةِ أَعْمَى الْبَصَرِ
لَعَلَّه فَاتَهُ أَنْ يَجْعَلَهَا: «فَمَنْ يَحْيِي يَوْمًا وَلَا يَسْتَفِيدُ.. فَأَعْمَى الْبَصِيرَةِ أَعْمَى الْبَصَرِ». وفي القصيدة
نفسها بعض التفسير.. فلم يكن فرحات خريج مدارس، ولم يكن كصاحبه رشيد سليم الخوري
(الشاعر القروي) معلمًا في المدارس قبل اغترابه

٢ الطفولة

تُرْجِعُنِي الذِّكْرَى إِلَى (الْكَسَارَةِ) إِلَى مَقَرِّ الْحَبِّ وَالطَّهَارَةِ
إِلَى اجْتِمَاعِي بِنَاتِ الْحَارَةِ نَلْعَبُ طَوْرًا بِالْحَصَى، وَتَارَةً..
يُشْغِلُنَنِي مَعَهُنَّ بِالصَّنَارَةِ

* * *

نَقِيمُ فِيمَا بَيْنَنَا الْأَفْرَاحَا فَنَأْكُلُ الرُّمَانَ وَالتَّفَاحَا
وَنَمَلَأُ الْأَكْوَابَ وَالْأَقْدَاحَا مَاءَ ظَهْوَرًا سَائِعًا قَرَّاحَا
نَضْبِغُهُ حَتَّى يُحَاكِي الرَّاحَا
يحاكي الراح: يشبه الخمر. وفي قريته كفر شيما المسيحية كان فرحات الصبي ربما رأى الكبار
يشربون النبيذ الأحمر

* * *

وَطَالَمَا جَعَلُنَنِي عَرِيسَا وَاخْتَرَنَ إِحْدَاهُنَّ لِي عَرُوسَا
ثُمَّ يُزَيِّنُ لَهَا الْمَلْبُوسَا بِالرِّيشِ حَتَّى يُشَبِّهَ الطَّاوُوسَا
وَتُطَرَّبُ الْعَيُونَ وَالنَّفُوسَا

* * *

يَصْنَعْنَ لِي شَوَارِبًا مِنْ صُوفٍ يَجْزُرُزْنَهَا مِنْ أَلْيَةِ الْخُرُوفِ
وَيَبْتَدِئْنَ بِالْغِنَا اللَّطِيفِ وَالرَّقْصِ وَالتَّنْقِرِ عَلَى الدُّفُوفِ
وَكُلُّهَا مِنْ تَنَكِّكَ مَعْرُوفٍ

* * *

أما إذا اجتمعت بالصبيان فשאُننا إذ ذاك شأن ثانٍ
نقلد الفرسان في الميدان لكن على خيلٍ من القُضبانِ
ملجَمةٍ بالقُشِرِ والخِيطانِ
أي لها لجام من ألياف الشجر ومن الخيطان

٣ لولاك ما دار الفلك

حبيبي تعال تجد منزلك مُعداً كما كان من قبل لك
تعال! فما احتلّ قلبي سواك وغيرك في خاطري ما سلك
فلولاك لم تبدُ هذي النجوم ولولاك ما دار هذا الفلك

٤ استرحام

قف عند حدك يا زماني ودع الهجوم، فقد كفاني
جاوزت ويحك كل حد واعتديت على كياني
يا دهر ويحك، هُدنة! تبقي ولو بعض الثواني
يطلب من الزمن هدنة

كي أستعيد بها قواي وأستعيد لما أعاني
أنا أغزل، والفتك بي يا دهر من شيم الجبان

٥ الشاعر التمس

سعادة نفسي! متى نلتقي لعلك، إلان، لم تُخلقي
وتحسُدني أنني شاعرٌ جموع ترى الخير في المنطق
المنطق: الكلام، ومن ضمنه الشعر

وتزعم أنني سعيدٌ بشعري ولكن ذا الزعم لم يصدق
ذا الزعم: هذا الزعم

فهل من يعيش بقول «أجدت» و«يا لك من شاعرٍ مُفلق»؟
أهناك من يقتات بقول الناس له «أحسنت»؟

وما همّني إن يحني الزمان وإن يُرعد الدهر، أو يُبرق

خُلِقْتُ شَقِيًّا، وَعِشْتُ شَقِيًّا وَأَحْسَبُ أَنِّي أَمُوتُ شَقِيًّا

٦ أَضَعْتُ الْكَلَامَ

لَكُمْ قُلْتُ إِنِّي إِذَا مَا التَّقِينَا سَأْطِفِي، يَبْتُ هِيَامِي، الْأَوَامَا
الأوام: العطش

وَأُظْهِرُ مَا بِي، لَتَعْلَمَ أَنِّي غَدَوْتُ لِأَهْلِ الْغَرَامِ إِمَامَا
وَلَمَّا التَّقِينَا، وَقَالَتْ: سَلَامٌ، أَضَعْتُ النَّهْيَ، وَفَقَدْتُ الْكَلَامَا
النهي: العقل

٧ مَا لِلْفَقِيرِ صَدِيقٌ

سَأَلْتُ، وَلَهْفْتُهَا تَعَوُّقُ لِسَانِهَا، وَالْعَهْدُ فِي ذَاكَ اللِّسَانِ طَلِيقٌ
قَالَتْ: أَمَّا لَكَ مِنْ شَقِيقٍ فِي الْوَرَى؟ فَأَجَبْتُهَا: أَصْلُ الْبَلَاءِ شَقِيقٌ
قَالَتْ: أَمَّا لَكَ مِنْ صَدِيقٍ مُخْلِصٍ؟ فَأَجَبْتُهَا: مَا لِلْفَقِيرِ صَدِيقٌ

٨ رَغَمِ اخْتِلَافِ اللُّغَةِ

أَحِنُّ إِلَى الْغَابِ، حَيْثُ الشُّرُورُ هَنَالِكَ نِيرَانُهَا خَامِدَةٌ
أَحِنُّ إِلَى حَيْثُ لَا يَجْلِسُ الْعَدُوُّ رُقُوبَ الْوَفَاءِ إِلَى مَائِدَةٍ
فَهَلْ مِنْ فِتَاةٍ كَعَابٍ، تَكُونُ رِيَاخُ مَطَامِعِهَا رَاكِدَةٌ
الكعاب: الفتاة برز صدرها

تَجِرُنْ حَنِينِي، وَتُلْقِي عَلَى الْكُوِّ لِي نَظْرَةً عَاقِلَةً رَاشِدَةً
فَأَمْنَحُهَا مُهْجَتِي، وَنَعِيشُ بَعِيدَيْنِ عَنْ غُضْبَةٍ جَاحِدَةٍ
وَيَفْرَحُ قَلْبِي الْحَزِينُ بِهَا كَمَا يَفْرَحُ الطِّفْلُ بِالْوَالِدَةِ
وَلَسْتُ أَبَالِي، وَلَوْ كَلَّمْتَنِي بِإِحْدَى لُغَاتِ الْوَرَى الْبَائِدَةِ
إِذَا مَا لُغَاتُ الشُّفَاهِ اخْتَلَفْنَ فَمَا لِلْقُلُوبِ سِوَى وَاحِدَةٍ
خُفُوقٌ يَخِرُّ لَدَيْهِ الْبَيَانُ وَتَعْنُو الْمَعَانِي لَهُ سَاجِدَةً

تعنو: تخضع

٩ الخوف اللذيد

لَسْتُ بِنَاسٍ لَذِيذٌ قُبِّلَتْهَا وَمَا غَشَا الْقَلْبَ مِنْ حُمَيَّاهَا
حميَّاهَا : شدتها

وَدَعْوَةٌ لِلْوَصَالِ مُغْرِبَةٌ تَقْبَلُهَا تَارَةً وَتَأْبَاهَا
غَرَامُهَا بِالرِّضَاءِ بِأَمْرِهَا وَخَوْفُهَا مِنْهُ عَنْهُ يَنْهَاهَا
خوفها من الغرام ينهاها عن الرضا

وَلَذَّةُ الْحَبِّ لَا يُؤَلِّدُهَا فِي النَّفْسِ شَيْءٌ كَخَوْفِ عُقْبَاهَا
عقباها : نتيجتها

١٠ حسرة

أَرَى فِي الْحَشَا نَارَ الْفُتُوَّةِ تَنْظِفِي فَأَشْعُرُ أَنِّي ضَائِعٌ كَدُخَانِهَا
الحشا : جوف الإنسان، يقصد القلب

تَوَلَّى الصُّبَا إِلَّا قَلِيلاً، وَلَيْتَنِي تَمَتَّعْتُ مِنْ أَثْمَارِهِ فِي أَوَانِهَا

١١ عمامة فيصل

قال إلياس فرحات إثر عودة الأمير فيصل من فرساي بعد أنفاوض بشأن سورية،
١٩١٩ :

الْعَرْشُ عَرْشُكَ يَا فَتَى عَدْنَانٍ أَبْطَأْتُ أَمْ أَسْرَعْتُ فِي الْإِعْلَانِ
وَإِذَا الْعُرُوشُ عَلَى الْقُلُوبِ تَأَسَّسَتْ أَمِنْتُ بِهِنَّ طَوَارِقَ الْحَدَثَانِ
طوارق الحدثنان : مصائب الزمن

أَعْجَزْتُ فِي بَارِيَسَ كُلِّ مُحَنِّكَ جَمُّ الْبَلَاغَةِ، سَاحِرِ التُّبَيَّانِ
وَطَلَعْتُ بَيْنَ مَلُوكِهِمْ بِعِمَامَةٍ جَمَعْتُ جَمِيعَ مَفَاخِرِ الْأَزْمَانِ
بَصُرْتُ بِهَا تِيْجَانُهُمْ فَأَصَابَهَا حَسَدٌ أَذَابَ لِأَلْيِ التِّيْجَانِ
أَفْهَمْتُهُمْ أَنَّ الشَّامَ لِأَهْلِهَا أَهْلِ الْعُلَى وَالْمَجْدِ مِنْ غَسَّانِ

كان الغساسنة ملوكاً في الشام قبل الإسلام. تعليق عمران القفيني: (يا فرحات، قد جرتك القافية جراً للغساسنة. كان من فخرت بهم «من غسان» تبعاً للروم يخوضون بأمرهم حروباً بالوكالة مع العرب الآخرين)

لو كان عِنْدَ الضَّانِ بِأَسُ ضَرَاغِمٍ ما اسْتَمَرَّ الإنسانُ لَحْمَ الضَّانِ

التسويد: عمران القفيني

إِنِّي، وَإِنْ كُنْتُ الْقَصِيَّ، فَإِنْ لِي عَيْنًا تَرَى ما لا يَرَاهُ الدَّانِي
مولاي إِنَّ لَشَعْبِنَا بِسُمُوكُمْ أملاً يَكادُ يَكُونُ كالإيمانِ
طَبَّبَ بِحُكْمَتِكَ الشَّامَ، فَإِنَّهَا كادتْ تَمُوتُ بِعِلَّةِ الأديانِ

سبب التسويد ما تشهده بلاد الشام من طائفية هي بعض أسباب الحرب الأهلية، ونكتب في ربيع عام ٢٠١٧. ولئن كان الشاعر يخاطب فيصلاً الأول، وكان ملكاً عربياً متسامحاً رأيناه، بعد أن ترك الشام وحكم العراق نحو اثنتي عشرة سنة، يعامل الناس بخلق رقيق، ونقرأ ما كتبه عنه الشاعر الجواهري الذي عمل في مكتبه بضع سنين، فنجد أن فيصلاً كان متواضعاً شريفاً، ونجده يسمح بمرهم الكرم والأصالة على الفرقة الطائفية. . لكن الزمن كان أقوى منه. وستجد في كتابنا هذا وفي الكتاب الذي سبقه ضمن سلسلة «الزبدة» شعراً كثيراً في مدح فيصل، وشعراً أكثر في رثائه. وفي هذا البيت المسود يقول الشاعر لفیصل، الذي ملك في الشام قليلاً قبل العراق، «طبيب بحكمتك الشام». ومضت بعد هذا البيت ٩٧ سنة، فهل وقع العرب في الشام والعراق على حكيم يطيبهم من مرض الطائفية؟ معنا ثلاث سنوات فنحن نحب «القرون» بالمعنيين

١٢ العُقْبَى لَكَ

يا لَيْلُ خُذِ بِيَدِ الْعُزْرِ بَةِ، واهْدِهَا خَيْرَ السَّبِيلِ
لم يَبْقَ لِي فِيهَا وَفِي لَكَ مِنَ الرَّجَاءِ سِوَى الْقَلِيلِ

* * *

إِنِّي صَحْبْتُكُمْ زَمًا نَأْ كُنْتُمْ فِيهِ مَعِي
صحب الليل والعزوبة زمناً

ذُبِّبِنِ: يَنْهَشُ وَاحِدٌ قَلْبِي، وَآخِرُ أَضْلَعِي

* * *

ما هَذِهِ الطَّرِيقُ الْحَسَا نُبْثُ رِيْهَا وَنَبَاتِهَا
ماءُ الْمَحَبَّةِ وَالْحَيَا قَ يَفِيضُ مِنْ جَنْبَاتِهَا

* * *

ما هَذِهِ الْأَنْغَامُ؟ هَلْ هِيَ مِنْ مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ

أَمْ هَذِهِ نِعَمُ الزَّوَا جِ تَدَفَّقَتْ فِي ذَا الْمَسَاءِ؟

* * *

مَا هَذِهِ الصَّحَرَاءُ، لَا مَاءً يَفِيضُ وَلَا نَبَاتَ
مَا هَذِهِ الْحَيَّاتُ يُفْسِدُ سِدُّ سُمْهَا مَاءَ الْحَيَاةِ

* * *

مَا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ؟ هَلْ ضَوْضَاءُ سُكَّانِ اللُّحُودِ؟
أَمْ هَذِهِ نِقَمُ الزَّوَا جِ، وَتِلْكَ صَلَافَةُ الْقَيُودِ

* * *

وَعِدَا يَرَا فَنِي الْوُشَا هُ إِلَى الْكَنِيسَةِ بِاسْمَيْنِ
وَلِكُلِّهِمْ وَجْهُ الْمَسِيحِ حِ، وَقَلْبُ يُوْدَاسَ اللَّعِينِ

يوداس: يهوذا الذي أسلم المسيح للجنود

* * *

وَعِدَا نَمُرُّ بِكُلِّ آ نِسَةٍ تَقُولُ بِمَغْزِلٍ:
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ الْعَرُوسَ سَ، وَكَانَ هَذَا الْعَرَسُ لِي

١٣ الحب المغدور

قال إلياس فرحات في محبوبته الأولى:

خُصْلَةُ الشَّعْرِ الَّتِي أَعْطَيْتَنِيهَا عِنْدَمَا الْبَيْنُ دَعَانِي بِالنَّفِيرِ
أَعْطَتْهُ خَصْلَةٌ مِنْ شَعْرَاهَا عَرَبُونَ بَقَاءَ الْوَدِّ عِنْدَمَا دَعَاهُ الْبَيْنُ، أَيِ الْفِرَاقِ، بِالنَّفِيرِ، أَيِ بِنْدَاءِ الرَّحِيلِ

لَمْ أَزَلْ أَتْلُو سَطُورَ الْحُبِّ فِيهَا وَسَأْتَلُوهَا إِلَى الْيَوْمِ الْأَخِيرِ

* * *

هِيَ أَضْفَى مِنْكَ حُبًّا وَوِدَادًا هِيَ أَوْفَى مِنْكَ رَغِيًّا لِلدَّمَمِ
هِيَ فِي عَيِّ الصَّبَى لَمْ تَتِمَّادَى هِيَ لَمْ تَتَّبَعْ هَوَى جَرَّ نَدَمِ
أَنْتِ قَوَّضْتَ مِنَ الْحُبِّ الْعِمَادَا أَنْتِ خُنْتِ الْعَهْدَ عَمْدًا، وَهِيَ لَمْ

يبدو أن محبوبته سرعان ما تزوجت بعد رحيله. أثبتنا القصيدة لأنها من بواكيره، ولأن شباب النث
فرحون بها جداً

١٤ مندوب القردة

ساو باولو - البرازيل ١٩١٨ :

رَاعَ القُرودَ حديثَ الناسِ إذَ وَجَدُوا مِنْهُمْ قَرِيقاً يُرَاعِي قَوْلَ دَرَوِينِ
فَعَيَّنُوا نَائِباً عَنْهُمْ يَسِيرُ إِلَى مَوْلَى المَوَالِي وسلطانِ السلاطينِ

القردة بعثوا مندوباً إلى الخالق احتجاجاً على نظرية داروين

إلى الذي لم يَكَلِّفْ نَفْسَهُ تَعَباً فِي خَلْقِهِ الأرضَ إِلَّا قَوْلَهُ: كُونِي
فَسَارَ نَائِبُهُمْ يَحْتَجُّ بِأَسْمِهِمْ عَلَى ادِّعَاءِ المَجَازِيبِ المَجَانِينِ
مَوْلَايَ، قَالَ، وَقَدْ دَاسَتْ قَوَائِمُهُ سَجَادَةَ العَرْشِ بَعْدَ العُنْفِ واللَّيْنِ:
قَدْ قَامَ فِي الغَرْبِ مخلُوقٌ بِلا ذَنْبٍ مِنْ نَسْلِ آدَمَ أَشْبَاهُ الشَّيَاطِينِ
المخلوق الذي بلا ذنب هو تشارلز داروين

يقول: إِنَّا وَهُمْ فَرَعَانِ، بَيْنَهُمَا قُرْبَى يُؤَيِّدُهَا قُرْبُ التَّكَاوِينِ
التكاوين: الأشكال (ذلك الشبه غير المنكور بين خِلقة القرد وخِلقة الإنسان)

فَبِالأَصَالَةِ عَنْ نَفْسِي أَكْذِبُهُ وَبِالنِّيَابَةِ عَنْ كُلِّ السَّعَادِينِ
السعادين: القُرود، والكلمة بحسب بطرس البستاني ليست من كلام العرب، لكنها من كلام بلاد
الشام

قالوا: ارْتَقَى جَدُّهُمْ عَنْ جَدَّنَا، وَهُمْ أَحْطُ مَا صَنَعْتَ كَفَّاكَ مِنْ طِينٍ
يَكْفِي السَّعَادِينَ فَخَرّاً أَنَّهَا عَرَفَتْ مَعْنَى السَّعَادَةِ عَفْواً دُونَ تَلْقِينِ
وَأَنَّهَا تَجْهَلُ الكِذْبَ الَّذِي أَخَذَتْ مِنْهُ الحُكُومَاتُ أَرْكَانَ الدَّوَاوِينِ
لَا تَعْرِفُ الدِّينَ فِي غَيْرِ الإِخَاءِ، وَلَا تَجْنِي عَلَى الخَلْقِ بِاسْمِ اللَّهِ وَالدِّينِ
تسويد الأبيات الثلاثة للشاعر عمران القفيني

لَا لِلْبَطَارِكِ تَعَنُّو فِي سِيَاسَتِهَا وَلَا تَجُوعُ لِأَشْبَاعِ المَطَارِينِ
تعنو: تخضع، البطرك: رئيس الأساقفة، المطران: رتبة دون البطرك

وَلَا تُمَزِّقْ أوطَاناً مُقَدَّسَةً بُغْضاً لِأَحْمَدَ، أَوْ حُبّاً لِمَارُونِ
وَلَا تَبِيعْ مِنَ الأَغْرَابِ مَوْطِنَهَا كَلًّا! وَلَوْ غَمَرُوهَا بِالنِّيَاشِينِ
الغَابُ تَجْمَعُهَا مِنْ كُلِّ طَائِفَةٍ تَحْيَا الصَّعَالِيكَ فِيهَا كَالسَّلاطينِ
هُنَا أَسْرَ بِأَذْنِ القِرْدِ خَالِقُهُ: يَكْفِي! فَهَٰذَا أُمُورٌ لَيْسَ تَعْنِينِي

إِنِّي قَطَعْتُ عِلَاقَاتِي بِأَجْمَعِهَا مَعَ الْخَلَائِقِ طَرّاً دُونَ تَعْيِينِ
 إِنِّي قَطَعْتُ عِلَاقَاتِي بِأَجْمَعِهَا (كاملة) مع المخلوقات طراً (جميعاً)

١٥ خذوا بعثاتكم عنا

عَذْرُتُكَ لَوْ وَجَدْتُ لَدَيْكَ عُدْرًا وَلَكِنِّي أَرَاكَ أَتَيْتَ نُكْرًا
 عَرَسْتَ بِنَا التَّعَصُّبَ مِنْ قَدِيمٍ فَأَتَمَّرَ لَوْعَةً وَأَسَى وَضُرًّا
 يخاطب المحتل الأوروبي الذي قديماً (في زمن الحروب الصليبية) بدأ يفرس التعصب

بَعَثْتُ لَنَا الْوُفُودَ فَمَزَّقْتُنَا، كَمَا عَلَّمَتْهَا، سَطَرًا فَسَطَرًا
 خُذُوا بِعَثَاتِكُمْ عَنَّا، فَأَنْتُمْ بِهَا مِنْ كُلِّ أَهْلِ الْأَرْضِ أُخْرَى
 وَلَا تَدْعُوا إِلَى الْإِيمَانِ شَعْبًا يَرَى الْإِكْرَاءَ فِي الْإِيمَانِ كُفْرًا
 وَلَا تَثْلُوا لَنَا الْإِنْجِيلَ، إِنَّا كَتَبْنَاهُ لَكُمْ، سَطَرًا فَسَطَرًا
 وَإِنَّا نَرَفُضُ الْإِحْسَانَ مِنْكُمْ فَهَلْ تُعْطُونَنَا الْإِحْسَانَ جَبْرًا؟

١٦ وجدان الحبيبة الضائعة

قال إلياس فرحات ١٩٢٠:

سَكِرْتُ بِعَيْنِيكَ مِنْذُ الْأَزَلِ وَهَأُنَا فِي سَكْرَتِي لَمْ أَزَلْ
 أَلَا تَذْكُرِينَ الزَّمَانَ الْقَدِيمَ أَلَا تَذْكُرِينَ الْعَصُورَ الْأَوَّلَ
 أَلَا تَذْكُرِينَ بِأَنَّا وَجِدْنَا مُجَبِّينَ قَبْلَ وَجُودِ الْغَزَلِ
 فَصَيَّرْنَا اللَّهُ زَوْجَ حَمَامٍ نُغْنِي الضُّحَى، وَنُغْنِي الطُّفْلَ
 الطفل: الغروب

وَفِي لَيْلَةٍ مِنْ لِيَالِي الشِّتَاءِ وَقَدْ هَظَلَ الثَّلُجُ مَعَ مَا هَظَلَ
 أَضْعُوكَ بَيْنَ الْغُصُونِ، وَمَنْ أَضَاعَ الرَفِيقَ أَضَاعَ الْجَذَلَ
 الجذل: الفرح

فَنَادَيْتُكَ اللَّيْلَ حَتَّى انْجَلَى وَنَادَيْتُكَ الْعَمَرَ حَتَّى اضْمَحَلْ
 وَلَمَّا التَقَيْنَا بِذَاكَ الْمَسَاءِ وَكُنْتَ كَأَنَّكَ نَجْمٌ أَظَلْ
 سَأَلْتُكَ بِاللَّحْظِ: هَلْ تَذْكُرِينَ الرَّءْ- مَانَ الْقَدِيمَ فَقُلْتَ: أَجَلْ

يُسَائِلُنِي الصَّخْبُ عَنْ رَسْمِهَا وَمَا رَسْمُهَا صُورَةٌ تُبْتَذَلُ
 طلب الصخب رؤية رسمها، أي صورتها، ولكن الصورة لا تبذل وتعرض للأصحاب
 وَإِنَّ الْمُصَوِّرَ مَهْمَا أَجَادَ تَظَلُّ الْإِجَادَةُ دُونَ الْأَقْلِ
 فَكَمْ صَوَّرُوا الْمُقْلَ السَّاحِرَاتِ وَمَا صَوَّرُوا سِحَرَ تِلْكَ الْمُقْلِ
 المقل: العيون

وَكَمْ صَوَّرُوا قُبْلَ الْعَاشِقِينَ فَهَلْ صَوَّرُوا طَعْمَ تِلْكَ الْقُبْلِ
 التسويد للآيات الثلاثة: عمران القفني

١٧ التقي

أَنَا التَّقِيُّ الَّذِي مَا الْكُفْرُ مِنْ شَيْمِي أَهْوَى الْمَسِيحَ، وَأَحْسُو دَائِمًا دَمَهُ
 فكرة مسيحية أن احتساء نبيذ ضلّي عليه يجعل دم المسيح وبركته يتغلغلان في جسم المؤمن
 مَا مِنْ صَلِيبٍ بَدَأَ فِي نَحْرِ غَانِيَةٍ إِلَّا وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَدْنُو قَالِئِ شِمَةِ

١٨ رجال الدين

يَا رَاعِيًا ضَحَى لِأَجْدٍ لِي قَطِيعِهِ بِحَيَاتِهِ
 اخْفَظْ قَطِيعَكَ إِنَّهُ أَمْسَى قَتِيلَ رُعَاتِهِ
 يدعو السيد المسيح الذي ضحى بحياته لأجل الناس أن يحفظ هؤلاء الناس الآن، لأن رعاتهم من
 رجال الدين هم الذين يقتلونهم

الشَّعْبُ فِي زَمَنِ الْمَجَا عَاةٍ أَكَلَتْ جَزَمَاتِهِ
 حلت مجاعة بلبنان في أيام الحرب العالمية الأولى. جزماته: أحذيته
 وَالذَّيْرُ مَمْتَنِعٌ، وَرَبٌّ - الدَّيْرُ فِي عُرْفَاتِهِ
 رب الدير: كبير رجال الدين

وَالنَّاسُ حَوْلَ الدَّيْرِ نَا ظِرَّةٌ إِلَى شُرْفَاتِهِ
 يَتَلَمَّسُونَ جِدَارَهُ مُسْتَنْزِلِينَ هَبَاتِهِ
 يلمسون جدار الدير تبركاً مستنزلين هباته (متوسلين كي تنزل عطاياه)

لَوْ شَاءَ أَشْبَعَهُمْ بِمَا يُلْقِيهِ مِنْ فَضْلَاتِهِ
 لو شاء الدير لأشبع الناس بما يزيد عن حاجته من قوت. وكانت أملاك الكنائس في لبنان واسعة

أَوْ شَاءَ أَغْنَاهُمْ بِتَا ج كَبِيرِهِ وَعَصَاتِهِ
عصاته : عصاه

لَكِنَّهُمْ مَاتُوا لِمَوْ تِ الْفَضْلِ بَيْنَ ذَوَاتِهِ
يقصد ذويه

مَاتُوا، وَرَبُّ الدَّيْرِ لَمْ يَبْذُلْ، وَلَا عَبَرَاتِهِ
لم يعطهم حتى دموه

١٩ تردد العذراء

وَلَرُبَّ يَوْمٍ مَا ذَكَرْتُ جَمَالَهُ
مُتَمَاشِيَيْنِ عَلَى الرِّصِيفِ، وَسِرُّنَا
بَيْنَا نَحَاوُلُ كَثْمَهُ بِسُكُوتِنَا
بَيْنَا: بَيْنَا، الْإِغْضَاءُ: الْإِطْرَاقُ وَتَجَنُّبُ النَّظَرِ

نَفَحَ الْهَوَاءُ رِدَاءَهَا، وَكَأَنَّهُ
فَمَضَيْتُ أَجْتَنِبُ الطَّرِيقَ مُحَازِرًا
وَمَضَتْ تُرَافِقُنِي، وَفِي خُطُوبَاتِهَا
حَتَّى بَلَّغْنَا فِي الظَّهِيرَةِ رَوْضَةً
وَسَعَتْ وَضَاقَ مَمَرُهَا، فَكَأَنَّهَا
وَكَأَنَّمَا غَرَسَ الْهَوَى شَجَرَاتِهَا
فَدَخَلْتُ تَصْحَبُنِي الْفَتَاةَ بِحَالَةٍ
سَكْرَى وَلَمْ تَذِقِ الشَّرَابَ، وَإِنَّمَا
غَازَلْتُهَا، وَأَثَرْتُ كَامِنَ وَجْهِهَا
وَتَنَهَّدَتْ فَتَصَاعَدَتْ زَفَرَاتُهَا
تُغْضِي وَتَرْنُو عِفَّةً وَصَبَابَةً
وَتَرَوْحُ عَابِسَةً لِغَيْرِ تَمْنَعٍ
تَدْنُو إِلَيَّ بِلَوْعَةٍ لِأَضْمَمَهَا
وَأَشْدُّ حَالَاتِ الْغَرَامِ حُلَاوَةً

قَصَدَ الْمُرَاحَ فَحَكَّهُ بِرِدَائِي
أَهْلَ الطَّرِيقِ كَأَنَّهُمْ أَعْدَائِي
سِرُّ الْكِيسَاةِ مُغْلَنٌ لِلرَّائِي
يَا حُسْنَ تِلْكَ الرَّوْضَةِ الْعَنَاءِ
جُعِلَتْ بِشَكْلِ هَيَاكِلِ الْقُدَمَاءِ
لَتَكُونَ لِلْعُشَّاقِ خَيْرَ خِبَاءِ
كَادَتْ تَكُونُ كَحَالَةِ الْإِغْمَاءِ
بَغْضِ الْحَدِيثِ يَدُورُ كَالصَّهْبَاءِ
فَبَكَتْ بُكَاءَ تَوَلُّهِ وَحَيَاءِ
مَمْزُوجَةً بِصَدَى خَرِيرِ الْمَاءِ
فِيظَلُّ بِأَسِي عَالِقًا بِرَجَائِي
وَتَجِيءُ بِأَسْمَةٍ لِغَيْرِ رِضَاءِ
وَتَصُدُّنِي عَنْ ضَمِّهَا بِجَفَاءِ
حَالِ تُرِيكَ تَرَدَّدَ الْعَذْرَاءِ

ما زال يُقْعِدُهَا الهوى وَيُقِيمُهَا حَتَّى ارْتَمَتْ مَنُهَوَكَةَ الأَعْضَاءِ
فَأَقَمْتُهَا وَلِثِمْتُهَا بِحَرَارَةِ صَعِدَتْ إِلَى شَفَتَيَّ مِنْ أَحْشَائِي
لثمتها: قَبَلْتُهَا

والنهرُ أَنْصَتَ مُضْغِيًّا، مُتَعَلِّمًا سحرَ البَيَانِ، لِقُبْلَةِ خَرَسَاءِ

٢٠ متى ينتهي مسعاكم المتنافر

لقد حَالَتْ الأحوالُ فِي مَلْعَبِ الصَّبَا وراعتُ حماماتِ الغديرِ الكواسيرُ
حالت (تغيرت) الأحوالُ فِي مَلْعَبِ الصبا (لبنان)، والكواسر (الطيور الجارحة) راعت الأحوال
(أخافت) الحمامات

كَأَنَّ الأُلَى ظَلُّوا بِهِ مِنْ رَجَالِهِ نِسَاءً شِنَاعُ جَاهِلَاتٍ عَوَاقِرُ
إِذَا أَبْصَرُوا الدِّينَارَ خَفَّتْ قُلُوبُهُمْ إِلَيْهِ، وَلَوْ أَنَّ السَّبِيلَ مَعَايِرُ
معايير: أُمُورٌ مَعِيَّةٌ

وما فِي الفِنَى عَارٌ، وَلَكِنْ مُرِيدُهُ عَلَى آيَةِ الحَالَاتِ لِلْعَارِ صَائِرُ
الذي يريد الدينار على آية الحالات (بغض النظر عن الوسائل) سيقع في العار

دَعُونَا مِنَ الأَلْقَابِ تُلْهُونَنَا بِهَا فَمَا تَخْدَعُ الأَحْرَارَ هَذِي المَسَاخِرُ
فَبِيعُوا نِيشِينَ المَذَلَّةِ، وَاشْتَرُوا بِأَثْمَانِهَا بَعْضَ الحَيَا، ثُمَّ فَاخِرُوا
عَلَيْكُمْ سَلامُ اللّهِ يَا آلَ يَعْزُبُ مَتَى يَنْتَهِي مَسْعَاكُمُ المُتَنَافِرُ
لَقَدْ وَحَدَ العِلْمُ العَبِيدَ، وَأَنْتُمْ قِبَائِلُ تُفْنِي بَعْضَهَا، وَعَشَائِرُ
أَلَيْسَ لَكُمْ يَا قَوْمُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ نَبِيٌّ لِأَصْنَامِ السِّيَاسَةِ كَاسِرُ
أَمَا مِنْ فَتًى حَرٌّ إِذَا هَبَّ لِلوَعَى تَهُبُّ البَوَادِي خَلْفَهُ وَالْحَوَاضِرُ
أَكُلُّ مُنَاكُمُ أَنْ تَقُومُوا بِغَزْوَةٍ تُعَدُّ بِهَا الأَرْبَاحُ، وَهِيَ خَسَائِرُ

٢١ شكوى فقير

هَنِيئًا لَكُمْ حَوْلَ الخِوَانِ اجْتِمَاعُكُمْ وَصَاحِبُكُمْ يَطْوِي القِيَافِي بِلا زَادٍ
الخوان: المائدة، القيافي: الصحارى

وَعِنْدَكُمْ المَاءُ النَّمِيرُ مَسِيلُهُ جُزْأًا عَلَى وَجْهِ الثَّرَى، وَأَنَا صَادٍ
النمير: الكثير، صَادٍ: عطشان

وَأَوْلَادُكُمْ فِي الْجَوْحِ تَذْفًا جَسْمُهُمْ فَمَا مَمُّكُمْ أَنْ يَقْتُلَ الْبَرْدُ أَوْلَادِي

الجوخ: قماش من صوف كان مشهوراً جداً قبل عصر الجيز

تَمُرُّ عَلَى صَدْرِي الْخُطُوبُ، كَأَنَّمَا بَنَتْهُ لَهَا الْأَقْدَارُ جِسْراً عَلَى وَادٍ
سَأَبْعُدُ عَنْكُمْ مَا حَيَّيْتُ بِفَاقَتِي لِكُنِّي لَا يَهِيَجُ الْبُؤْسُ غِيْثَكُمْ الْهَادِي
سأبتعد عنكم طول حياتي

٢٢ الزهرة الراهبة

أَطَّلْتُ مِنَ الدَّيْرِ عِنْدَ الضُّحَى وَفِي نَاطِرَيْهَا بَرِيْقُ الْأَسَى
فَتَاةٌ كَأَنَّ الْإِلَهَ بَرَاها لِيَجْعَلَهَا فِثْنَةً لِلنُّهَى
براه: خلقها، النهى: العقل

تَجْمَعُ مِنْ حَوْلِهِ ضَمَّةٌ مِنَ الزَّهْرِ تُهْدَى لِفَادِي الْوَرَى
تجمع من حول الدير باقة أزهار، وفادي الوري: المسيح

فَبَيْنَا تَسِيرُ عَلَى مَهْلِكِهَا وَتَجْمَعُهَا مِنْ هُنَا وَهُنَا
رَأَتْ زَهْرَةً فِي أَعَالِي الْجِدَارِ تُدَاعِبُهَا نَسَمَاتُ الصَّبَا
وَقَدْ زَادَ فِي قَدْرِهَا أَنَّهَا تَعِزُّ عَلَى مَنْ يُرِيدُ الْجَنَى
الجنى: القطف

فَحَرَّكَ مِنْظَرُهَا نَفْسَهَا وَقَالَتْ بِمَلءِ الْحَنَانِ لَهَا:
أَحْيَا! يَهْنِيكَ هَذَا السُّمُوُّ وَهَذَا الْبَهَاءُ، وَهَذَا الرُّضَى
وَلَكِنْ، أَمَا كَانَ أَشْهَى لَدَيْكَ جِوَارُ الْأَزَاهِيرِ، بَيْنَ الرُّبَى
تَحُومُ عَلَيْكَ بَنَاتُ الْقَفِيرِ وَتَسْعَى إِلَيْكَ صَبَايَا الْقُرَى
بنات القفير: النحل (والقفير خلية النحل)

لَأَنْتِ تَعِيشِينَ فِي عُزْلَةٍ، فَلَا فِي السَّمَاءِ، وَلَا فِي الثَّرَى
لِمَنْ خَلَقَ اللَّهُ هَذَا الْجَمَالَ وَمَنْ يَتَنَشَّقُ هَذَا الشَّدَا؟
وَفِي اللَّيْلِ سَارَتْ إِلَى خَدْرِهَا وَفِي قَلْبِهَا مِثْلُ نَارِ الْغَضَى
الغضى: شجر صلب الحطب، يعطي ناراً حامية

وَلَمَّا نَضَتْ ثَوْبَهَا لِتَنَامَ تَبَيَّنَ مِنْ حُسْنِهَا مَا اخْتَفَى

فَمَدَّتْ إِلَى صَدْرِهَا كَفَّهَا وَقَدْ فَتَّحَ الْوَرْدُ تَحْتَ النَّدَى
وَقَالَ لَهَا قَائِلٌ صَامِتٌ وَكَانَ الَّذِي قِيلَ رَجَعَ الصَّدَى:
وَأَنْتِ تَعِيشِينَ فِي غُرْلَةٍ فَلَا فِي السَّمَاءِ، وَلَا فِي الثَّرَى
لِمَنْ خَلَقَ اللَّهُ هَذَا الْجَمَالَ وَمَنْ يَتَنَشَّقُ هَذَا الشَّدَا

٢٣ يحسدونني شعري

لِلنَّاسِ فِيمَا يَأْلَفُونَ رِضًا وَلَوْ أَنَّ فِيهِ الْجُوعَ وَالْمَرَضَا
وَلَقَدْ أَلْفَتُ الشَّعَرَ مِنْذُ أَضَا نَجْمُ الْحَيَاةِ، فَيَا عَذُولُ قَدْ
أَضَا: أَضَاءَ، قَدْ: اكْفَفَ، خَلَّصَ بَقِيَ

* * *

لَا تُضْغِ لِلْفِتْنَةِ الَّتِي هَرَفَتْ حَسَدًا بِمَا جَهِلْتُ وَمَا عَرَفْتُ
هَرَفَتْ: ثَرَثَتْ

فَالرِّيحُ فَوْقَ الْبَحْرِ كَمْ عَصَفَتْ وَالْبَحْرُ لَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَزِدْ
* * *

يَا حَاسِدِي شِعْرِي! طَلَاوْتُهُ سِخْرٌ، وَقَدْ تُحْيِي تِلَاوَتُهُ
يَا مَنْ حَسَدَنِي شِعْرِي! طَلَاوْتُهُ (رَقَّتْ) سَحَرٌ وَتِلَاوَتُهُ تُحْيِي النُّفُوسَ

وَأَرَاكَ، مَا اشْتَدَّتْ حَلَاوَتُهُ تَشْتَدُّ فِيكَ مَرَارَةُ الْحَسَدِ
* * *

الشَّعْرُ لِلْأَرْوَاحِ يَنْتَسِبُ فِي بَعْضِهَا أُمٌّ لَهُ وَأَبُ
لَكِنَّ أَرْوَاحَ الْأَلَى صَحَبُوا عَقَمَتْ فَلَمْ تَحْبِلْ، وَلَمْ تَلِدْ

٢٤ درس للإسبان

قال فرحات إثر دخول فرنسا الحرب في المغرب إلى جانب إسبانيا، وكان ذلك على
إثر موقعة انتصر فيها مغاربة الريف بقيادة عبد الكريم الخطابي على الإسبان:

لَكَ الصَّارِمُ الْقَاضِي عَلَى كُلِّ صَارِمٍ لِدَبْحِ الْعَدَى يُرْجَى، وَكَبْحِ الْمَظَالِمِ
يخاطب عبد الكريم الخطابي قائد ثورة الريف المغربي

فَقُلْتُ لِأَوْرُبَا، وَسَيْفُكَ مُضَلَّتْ: رَوَيْدِكِ! لَسْنَا بَعْضَ تِلْكَ السَّوَائِمِ

مضلت: مسلول، السوائم: المواشي

أَحَاوُلُ أَنْ أَثْنِي عَلَيْكَ، فَلَا أَرَى كَلَاماً جَدِيراً فِي بَطُونِ الْمَعَاجِمِ
سَرَتْ كَهْرِبَاءُ الْعَزَمِ مِنْ خَيْرِ مُهْجَةٍ إِلَى خَيْرِ كَفٍّ، صَافَحَتْ خَيْرَ قَائِمٍ

قائم: مقبض السيف

وَضَلَّتْ عَلَى الْإِسْبَانِ صَوْلَةَ مُؤَمِّنٍ بِقُوَّةِ حَقِّ الشَّعْبِ، لَا بِالتَّمَائِمِ
لَقَدْ عَلِمْتُ مَدْرِيدُ أَنَّكَ غَوَّلُهَا وَأَنْ بِلَادَ الرِّيفِ غِيْلُ الضَّرَاغِمِ

غولها: قاتلها ومغالها، غيل الضراغم: غابة الأسود

وَمَا عَلِمْتُ عَفْوَاً، وَلَكِنْ تَعَلَّمْتُ بِمَدْرَسَةِ أَسْتَاذُهَا غَيْرُ نَائِمٍ

٢٥ الحمار المذهب

قُلْ لِمَنْ يَخْسِبُ الثِّيَابَ عَلَى الْمَرْءِ تُعَلِّي الْمَقَامَ، أَنْ يَتَأَدَّبَ
فَجَوَادٌ مِنْ غَيْرِ سَرْجٍ لَخَيْرٍ مِنْ حِمَارٍ عَلَيْهِ سَرْجٌ مُذْهَبٌ

٢٦ أذنان فرنسا

خُلِقْنَا وَالشَّقَاءُ بِنَا مُحِيطٌ وَعَشْنَا، وَالرَّجَاءُ يَعْيشُ فِيْنَا
تُعَلِّلُنَا الَّتِي انْتَهَكْتَ حِمَانَا بِمُخْتَلِفِ الْوُعُودِ، وَمَا تَفِينَا

هذه فرنسا

أَطَابِحَةُ الْحَصَى! مَهْلًا فَإِنَّا لَغَيْرُ صِغَارِكِ الْمُتَضَوِّرِينَ
إشارة إلى قصة عمر بن الخطاب وقد رأى امرأة تطبخ الحصى لكي تلعل أطفالها المتضورين جوعاً

وَأَلْبَسَكَ انْتِصَارُكَ ثَوْبَ عَارٍ سَحَبْتَ ذِيْلَهُ فِي مَيْسَلُونَا

في ميسلون تصدى الغرب للفرنسيين المحتلين عام ١٩٢٠

عَرَفْتُ دِمَشْقَ يَوْمَ عَرَفْتُ نَفْسِي فَتَى يَسْتَرْخِصُ الْأَدَبَ الثَّمِينَا

يسترخص الأدب: يذل في سبيله كل شيء ولا يراه غالي الثمن

كَأَنَّ شَبَابَهَا أَسَدٌ غَضَابٌ وَلَكِنْ، لَا نُيُوبَ لِنَسْتَعِينَا

كَأَنَّ الْحَقَّ أَسْكَرَهُمْ، فَثَارُوا وَسَارُوا بِالْعِصِيِّ يُقَاتِلُونَا

رَأَوْا فِي مَيْسَلُونَ الْمَوْتَ مَجْدًا فَمَاتُوا، دُونَهَا، مُسْتَبْسِلِينَ
وَحَرَ الْحَقُّ لَمْ يَعْرِفْ نَصِيرًا يَلُودُ بِهِ مِنَ الْمُتَمَذِّنِينَ
وَرُبَّتْ أُمَّةٌ بِالْحَقِّ حُبْلَى لِقَرْطِ الضَّعْفِ اسْقَطَتِ الْجَنِينَ
ربت: أي رب

سَلُّوا عَبْدَ الْكَرِيمِ تَرَوْا عَجِيبًا غَرِيبًا يَدَهْشُ الرَّجُلَ الْفَطِينَا
عبد الكريم الخطابي المناضل في الريف المغربي
يَصُولُ عَلَى الْفِيَالِقِ فِي مَلِيلَا فَيَضْطَرُّ الْوَرَى فِي بَرْسَلُونَا
يحارب الإسبان في مليلية، فتَهْتَزُّ بَرْسَلُونَةُ بِإِسْبَانِيَا

أَلَا مَنْ مُبْلِغُ لَبْنَانَ عَنِّي كَلَامًا صَادِقًا حُرًّا رَصِينَا
يَعِيبُكَ أَنَّ بَعْضَ بَنِيكَ ضَمَّ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ، وَلَا يَعُونَا
فُصِّلَتْ مِنَ الشَّامِ، وَأَنْتَ مِنْهَا وَلَوْلَاهُمْ لَدُمْتَ لَهَا حَدِينَا
خدين: رفيق

وَلَيْسَ سِوَى التَّعَصُّبِ مِنْ حُدُودِ فَلَا حَيًّا الْحَيَا الْمُتَعَصِّبِينَ
التعصب وحده يصنع الحدود بين لبنان وسورية، فلا حيا الحيا (المطر) المتعصبين
وَيُخْجِلُنِي وَقُوفُكَ يَوْمَ رِيْعَتْ أَوَانِسُهَا وَقُوفُ الشَّامِيَيْنَا
ريعت: أخيفت. فقد قصفت فرنسا دمشق بالمدافع عام ١٩٢٥
أَلَمْ يَجْمَعْ غُلَاةُ بَنِيكَ مَالًا ثُمَّ دَبَّ بِهِ عِيَالُ الْمُغْتَدِينَا
غلاة بنيك: المتطرفون من أبنائك

أَلَمْ يَشْرُوا لِغَازِيِ الشَّامِ سَيْفًا فَوَاحَجَلِي بِمَنْ لَا يَخْجَلُونَا
وَمَا هُمْ، حَسْبَمَا يَخْجُونَ، مِنْهَا وَلَا عَرَبًا، وَلَا مُسْتَعَرِبِينَ
أولئك البعض يقولون إنهم ليسوا من الشام ولا من العرب

فَإِنْ كَانُوا كَذَلِكَ، لَسْتُ أَدْرِي بِمَنْ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَفْخَرُونَ
وَلَيْسَ لَهُمْ لِسَانٌ مُسْتَقِيلٌ وَلَا أَدَبٌ بِهِ يَتَمَيِّزُونَا
وَلَا مِنْهُمْ فَتَى التَّشْرِيعِ مُوسَى وَلَا عَيْسَى الَّذِي أَحْيَا الدَّفِينَا
وَلَا طَةَ الْكَرِيمِ، وَلَا عَلِيٌّ وَلَا عُمرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

وَلَمْ يَكْ قَطُّ فَخْرُ الدِّينِ مِنْهُمْ وَلَا الْمَتَمَرِدُونَ السَّابِقُونَ
وَأِنْ بَنِي شَهَابٍ كَالْ مَغْنِ إِلَى الْعَرَبِ الْأَمَاجِدِ يَنْتَمُونَ
الأسرة الشهاية والأسرة المعنية اللتان حكمتا في جبل لبنان تتسبان إلى العرب

وَهَبْ أَبْنَاءَكَ الْغَاوِينَ صَاغُوا مِنْ الْأَوْهَامِ أَجْدَاداً غُيُونَا
عيون: وجهاء، ويشير إلى تمسك بعض بني قومه بالانتساب إلى الفينيقيين
فَفِي الدَّعْوَى لَهُمْ عَارٌ جَدِيدٌ يُضَاعِفُ عَارَهُمْ، لَوْ يَعْقِلُونَا
إِذَا نَسَلَ الْأَبِيُّ الْحُرَّ عَبْدًا أَسَانَا فِي حَلِيلَتِهِ الظُّنُونَا
حليلته: زوجته

٢٧ وردة ذات جناحين

سَلِمَى! عَجِيبٌ كُلَّمَا لُحِثَ لِي أَسْمَعُ قَلْبِي سَائِلًا عَيْنِي
فَرَأَشَةُ ذَاتُ شَذَا وَرْدَةٍ أَمْ وَرْدَةٌ ذَاتُ جَنَاحَيْنِ

٢٨ قوة التفاحة

قال إلياس فرحات (لعروسين):

إِنَّ تَفَاحَةً حَوَاءَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ جَنَاهَا
جناها: قطفها

أَوْدَعَ اللَّهُ بِهَا مِنْ لُظْفِهِ قُوَّةً لَا يُدْرِكُ الْفَكْرُ مَدَاهَا
لَمْ تَكُنْ أُمُّ الْوَرَى أَثْمَةً عِنْدَمَا خَالَفَتِ الرَّبَّ الْإِلَهَا
قَدْ رَأَتْ تَفَاحَةً تَدْعُو، فَلَمْ يَكْفِهَا، مِمَّا اعْتَرَاهَا، أَنْ تَرَاهَا
إِنَّمَا الظَّمَانُ يَزْدَادُ ظَمًا حِينَمَا تُبْصِرُ عَيْنَاهُ الْمِيَاهَا
جَنَّةُ الْحَبِّ أَبْيَحَتْ لَكُمَا فَاتَرُكَا الدُّنْيَا وَسِيرَا فِي رُبَاهَا
وَاقْطِفَا تَفَاحَةَ الْحَبِّ، فَلَا طَعْمَ لِلْعَيْشِ إِذَا لَمْ تَقْطِفَاهَا

٢٩ لبنان بنبت فيه الأرز والجزر

مَاذَا تَحَاوَلُ مِنِّْي أَيُّهَا النَّفَرُ؟ وَالْأَرْضُ تَعْلَمُ أَنَّي الشَّاعِرُ الْخَطِرُ
الخطر: يقصد الخطير أي المهم

يَا نَافِخَ الْقَمَرِ الزَاهِي، لِيُطْفِئَهُ تَفَنَّى قُؤَاكُ، وَمَا يَدْرِي بِكَ الْقَمَرُ
قَوْمٌ! لَقَدْ أَنْكَرُوا جَهْلًا أَرْوَمَتَهُمْ مُسْتَمْسِكِينَ بِقَوْمٍ مَا لَهُمْ أَنْزُرُ

أرومة: أصل، بعض بني قومه أنكروا العروبة وتمسكوا بالهوية الفينيقية

لَوْلَا التَّعَصُّبُ كَانُوا كُلُّهُمْ عَرَبًا فَلْتَهْنَأِ الْعُرْبُ لَمْ يَغْلُثْ بِهَا الْوَضَرُ
الوضر: الوسخ

مَا كُلُّ مَنْ حَمَلَتْ أَرْضٌ ذَوِي رَحِمٍ لُبْنَانُ يَنْبُتُ فِيهِ الْأَرْزُ وَالْجَزَرُ
لَسْنَا نَصَدِّقُ دَعْوَى لَيْسَ يُثْبِتُهَا صِدْقُ الْفِعَالِ وَلَوْ جَاءَتْ بِهَا السُّورُ

٣٠ العقل والنقل

أَيُّهَا النَّاسُ! قَدْ مُنِحْتُمْ عَقُولًا لَيْسَ تَرْضَى بِمَا سِوَى الْبُرْهَانِ
حَكَّمُوهَا فِي كُلِّ بَادٍ وَخَافٍ فَهِيَ فَوْقَ الْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ
عَزَّزُوا الْحَبَّ فِي الْبِلَادِ إِذَا شُدَّ ثُمَّ تَرَوْهَا تَعِزُّ بِالْعُمُرَانِ
كَافِرٌ يَعْشَقُ الْمَكَارِمَ خَيْرٌ مِنْ لَشِيمٍ يَغُوصُ فِي الْإِيمَانِ

التسويد لعمران القفيني

٣١ السر عند القتيل

قال فرحات يرثي رشيد معلوف وقد قتل في ظروف غامضة بالبرازيل:

يَا أَخِي، يَا رَشِيدُ! لَيْتَكَ تَدْرِي كَيْفَ دَقَّتْ مَطَارِقُ الْبَيْنِ ظَهْرِي
كُنَّا لِلرَّدَى، وَقَدْ سَبَقَ الْيَوْمُ مَ إِلَيْهِ السَّبَّاقُ فِي كُلِّ أَمْرٍ
وَيْحَ عَيْنِي! وَقَدْ رَأَيْتَكَ مُسَجًى كَمْ بَكَتْ مِنْ شَمَائِلٍ فِيكَ غُرٌّ

الشمائل الغر: الخصال الناصعة

وَكَأَنِّي طُلِعْتُ بَيْنَ ضُلُوعِي طَعْنَةً قَوَّضَتْ دَعَائِمَ عُمْرِي
يَا قَتِيلًا مَضَى، وَخَلَّفَ سِرًّا خَلْفَ سِرٍّ، عَلَيْهِمَا أَلْفُ سِثْرٍ
حَبِّذَا لَوْ شَفَيْتَ حَرَّ عَلِيلِي بِجَوَابٍ فِيهِ صِرَاحَةٌ حُرٌّ
كَيْفَ أُرْدِيتَ؟ هَلْ بَعْدِلٍ كَمَا بَزَ عُمُ مُرْدِيكَ بِأَسْمَاءَ عَنْ مَكْرٍ
أَمْ قَضَى اللَّهُ أَنْ تَمُوتَ بَرِيئًا وَيَفُوزَ الْجَانِي بِأَكْذَبِ عُذْرٍ

أشهيدُ الإقدامِ أنت؟ فقدمَا قد عرفناكَ بِالمنيةِ تُزري
أم شهيدُ الهوى؟ ولستُ أبا لي أن يقولوا هذا الهوى غيرُ عُذري
أنت عندي في الحاليتين بريء وليقل ما يشاء صاحبُ هذري

٣٢ الضمير الحي

توالتْ هُمومُ الحياةِ عَلَيَّا ولولا ضميري لَعِشْتُ خَلِيًّا

* * *

وسابقتُ في الشعرِ فرسانه فقصرتُ عن فارسٍ مُفْلِحٍ
فقلتُ: أعزُّ قُلُ مبدائه، فقالَ ضميري: ألا تَسْتَحِ؟

* * *

فعدلتُ حُبَّ التَّفَوُّقِ فِيَّا ولولا ضميري تَرَكْتُ دَوِيَّا
شَكوتُ ضميري شَكوى الجَهُولِ ونُحْتُ على الحَظِّ نوحَ العُرَابِ
فأسمعني الله صوتاً يَقُوءُ: أَتَشْكُو ضميرَكَ يا ابنَ الثُّرَابِ

* * *

ولولا ضميرُكَ ما كنتَ شَيًّا ولو كنتَ مِنْ نَيِّراتِ الثُّرَيَّا

٣٣ ظالمون وجبناء

أَلَفَ الظَّالِمُونَ فِي الشَّامِ لِلظُّلْمِ سَمِ كِتَاباً مُقَسِّمًا أَبَوابَا

الظالمون هم الذين أيدوا فرنسا في احتلالها سورية ولبنان

يَحْسَبُونَ الأشجارَ مِنْ شِدَّةِ الذُّغْدِ بِرِ دُرُوزًا، وَظَلَّلَهَا أَغْرَابَا

ثار الدروز على الفرنسيين ثورة مشهورة في عام ١٩٢٥

يَسْأَلُونَ النِّجَاةَ مِنْ سَيْفِ سُلْطَا نَ، وَهِيَهَاتِ سُؤْلُهُمْ أَنْ يُجَابَا

سلطان الأطرش زعيم الثورة الدرزية

٣٤ لولا الجذر ما رفع الغصن رأسه

قال فرحات يرد على فوزي المعلوف الذي أنشد في النادي الفينيقي في الربو دي
جانيرو قصيدة مطلعها: خَلَّ البداةُ رَمَحَهَا وحسامها/ والجاهلية نوقها وخيامها:

حَيَّ البداةُ: نوقها وخيامها والجاهلية: رَمَحَهَا وحسامها

حَيْثُكَ أَشْبَاحُ الْقَدِيمِ، وَسَلَّمَتْ
أَأْرَاكَ تَنْسَى جَاهِلِيَّةً تَذْمُرُ
وَأَرَاكَ تَحْقِرُ بَعْلَبِكَ، وَقَدْ نَبَتْ
فَمِنْ الْعَدَالَةِ أَنْ تَرُدَّ سَلَامَهَا
وَأَرَاكَ تَنْسَى جِلْقًا: إِسْلَامَهَا
عنها العصورُ، وحاذرتُ أصنامها
نبت (ابتعدت) عنها مصائب الزمن، ولم تستطع أن تزيل تماثيلها

أَتَرُدُّ مِصْرَ غَوْلَهَا عَنْ نِيلِهَا
لَيْسَ افْتِتَانُكَ بِالْفِتَاةِ نَقِصَةً
لَوْلَا الْجَذُورُ الْمُطْمِئِنَّةُ فِي الثَّرَى
لَوْ سَايَرْتِكَ فَهَدَمْتَ أَهْرَامَهَا
مَا دَمَتْ تَعْرِفُ لِلْعَجُوزِ مَقَامَهَا
مَا كَانَتْ الْأَغْصَانُ تَرْفَعُ هَامَهَا
هامها: رؤوسها

هَذَا بِلَادُكَ مَسْرَحٌ لِحَوَادِثٍ
إِنْ تُلَوِّ هَامَتُهَا فَقَدْ عَسَلَتْ، بِمَا
أَرْضٌ تُوحِّدُهَا الْعُرُوبَةُ، فَلْيَصِلْ
جَهَلْتُ نُبُوءَاتِ الْكِتَابِ خَتَامَهَا
سَفَكْتُهُ مِنْ مُهْجِ الْعِدَى، أَقْدَامَهَا
لِبَنَانِهَا حُورَانِهَا وَشَامَهَا
إِلَّا وَقَدْ نَحَرَ الْفَسَادُ عِظَامَهَا
التخوم: الحدود. يقول: لا يجوز أن تُرسم الحدود على أسس دينية

٣٥ حياة مشقات

أَرَاقُبُ فِي الظُّلُمَاءِ مَا اللَّيْلُ يَحْجُبُ
وَأُسْتَعْرِضُ الْأَيَّامَ، يَوْمِي الَّذِي مَضَى
فَلَا تَسْأَلُوا عَنِّي، وَحَظِّي، فَإِنَّا
طَوَى الدَّهْرُ مِنْ عُمْرِي ثَلَاثِينَ حِجَّةً
أَغْرَبْتُ خَلْفَ الرُّزْقِ، وَهُوَ مُشْرِقُ
وَأُنْفِرُ مِنْ وَادٍ لَطَوْدٍ، كَأَنِّي،
وأقرأ في الأسحار ما الله يكتب
دليل على يومي الذي أترقب
لأمثال أهل الشرق والغرب مضرب
طويت بها الأصقاع أسمى وأذاب
وأقسم لو شرقت، كان يغرب
وقد بوق الداعون للصييد، ربرب
طود: جبل، بوق: نفخ بالوق، الربرب: سرب الغزلان

لَيْسَ غَرَدَتْ لِلشَّاعِرِينَ بِلَابِلُ
وَإِنْ كَانَ عِلْمًا ثَابِتًا قَوْلُ بَعْضِهِمْ:
لِكُلِّ امْرِئٍ نَجْمٌ، فَنَجْمِي الْمَذْنَبُ
المذنب: مذنب هالي، وظهوره مشووم

وَمَرْكَبَةٍ لِلنَّقْلِ رَاحَتْ يَجْرُهَا
حِصَانَانِ: محمَّرٌ هزِيلٌ، وَأَشْهَبُ

جَلَسْتُ إِلَى حُودِيَّتِهَا، وَوَرَاءَنَا صَنَادِيقُ فِيهَا مَا يَسْرُ وَيُعْجِبُ

الحوفي: سائق العربى

حَوَتْ سِلْعاً مِنْ كُلِّ نَوْعٍ، يَبِيئُهَا فَتَى مَا اسْتَحَلَّ الْبَيْعَ لَوْلَا التَّغَرُّبُ

البيع عارٌ في أخلاقيات الإقطاع والبدابة، والعرب تفتخر بالنهب والغزو، وتأنف من الجرف ومن التجارة. على أن شعراء المهجر كرهوا البيع وهجوه هجاء مُرّاً، لأن رفاقهم التجار أغنياء، وهم قليلو الحيلة في التجارة يحاولونها وقلماً يصيبون نجاحاً

وَرَا حَتْ كَأَنَّ الْبَرَّ بَحْرٌ، نِجَادُهُ وَأَغْوَارُهُ أُمُوجُهُ، وَهِيَ مَرْكَبٌ

كأن نجاد (مضاب) البر وأغواره (منخفضاته) أمواج بحر، وكأنما المركبة البرية، في سيرها هذا، مركب بحري

تَبِينُ وَتُخْفَى فِي الرُّبَى وَحِيَالِهَا فَيَحْسَبُهَا الرَّأُؤُنَ تَطْفُو وَتَرَسُبُ

حيالها: بقربها

وَتَدْخُلُ قَلْبَ الْغَابِ وَالصُّبْحُ مُسْفِرٌ فَنَحْسَبُ أَنَّ اللَّيْلَ لِلَّيْلِ مُعْقِبٌ

تدخل المركبة قلب الغابة فجراً، فكان الليل استمر؛ فظلام الغابة معقب (تال) ليل الحقيقي

تَمُرُّ عَلَى صُمِّ الصِّفَا عَجَلَانِهَا فَتَسْمَعُ قَلْبَ الصَّخْرِ يَشْكُو وَيَصْخَبُ

الصفا: الصخر

وَتَرْقُصُ فَوْقَ النَّائِثَاتِ مِنَ الْحَصَى قَنُوشِكُ، مِنْ تِلْكَ الْخَلَاعَةِ، نُقْلَبُ

نَبِيْتُ بِأَكْوَاخِ خَلَّتْ مِنْ أَنْاسِهَا وَقَامَ عَلَيْهَا الْبُومُ يَبْكِي وَيَنْدُبُ

مُفَكِّكَةُ جَدْرَانِهَا وَسَقُوفِهَا يُطَلُّ عَلَيْنَا النُّجُومُ مِنْهَا، وَيَغْرُبُ

عَلَيْهَا نَقُوشٌ لَمْ تُحْطَطْ بِرِيشَةٍ نَظُنُّ صِبَاغاً لَوْنَهَا، وَهُوَ طُحْلُبُ

يُعَنِّي لَنَا فِيهَا الْهَوَاءُ كَأَنَّهُ يُنَوِّمُنَا، وَالْبَرْدُ لِلنُّومِ مُذِيبُ

فُنُوسِي، وفي أجفاننا الشوق للكرى ونُضْحِي، وجمر الشهد فيهنَّ يُلْهَبُ

وَمَا كُلُّنَا مِمَّا نَصِيدُ، وَطَالَمَا طَوَيْنَا، لِأَنَّ الصَّيْدَ عَنَّا مُغَيَّبُ

طوينا: نمنا جياً

وَتَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُ الْخَيْلُ تَارَةً وَطَوْرًا تَعَاثُ الْخَيْلُ مَا نَحْنُ نَشْرَبُ

حَيَاةَ مَشَقَّاتٍ، وَلَكِنْ لِبُعْدِهَا عَنِ الذَّلِّ تَصْفُو لِلْأَيْمِي، وَتَعْذُبُ

وَقَدْ نَلْتَقِي بَعْضَ الْجَمِيلَاتِ صَدَفَةً فَيُظْهِرُنَا، وَالْمُبْدِعُ الْغَيْدَ مُطْرِبُ

وكلُّ مكانٍ فيه للحُسنِ مَرْتَعٌ ولِلطَّرْفِ مَلهى فيه للحبِّ مَلْعَبٌ
الطرف: البصر

وما تلتقي عينا فتاة حَيِّيةً وعينا فتى، إلا لِكُوييد مَأْرَبٌ
كوييد: كوييد إله الغرام عند الرومان، وهو ابن فينوس لمن يعنيه النسب

وهل أنا إلا شاعِرٌ لأنَّ قلبه فليس له مِنْ صَوْلَةِ الحسَنِ مَهْرَبٌ
صولة: هجمة

نَفَنِي مِنَ المُنْدِنِ العواصِمِ عَزَّتِي فَرَحْتُ بِأَطْرَافِ الوِلايَاتِ أَضْرِبُ
أعاشِرُ مَنْ لو عاشِرَ القردُ بعضَهُم لما رَدَّ عَنْ دَرَوَيْنَ قَبْرَ مُقَبَّبُ
أعاشر قوماً غادرين، لو أن القرد عاشرهم للذهب ينش قبر داروين، الذي زعم أن أصل الإنسان قرد، غضباً لأمة القروء. ولَمَّا كان ثناءه عن القبر كونه مقبياً (محمياً بقبة)

وَأُنْصِتُ مضطراً إلى كلِّ أَهْلِهِ كَأَنِّي بِأسرارِ البِلاهةِ معجَبٌ
وأكرهُ أَشياءَ رَفِيقِي يحِبُّها وأرغبُ في أَشياءَ عَنْهُنَّ يَرغبُ
وَأَرْهَبُ قِطاعَ الطَريقِ، وربما تعمَّدْتُ إظهارَ السِّلاحِ لِيرهبُوا
فَعِزُّ الفَتَى الطاوِيِّ الفِياضِ مُسَدَّسٌ كما أَنَّ عِزَّ اللَّيْلِ نَابٌ ومُخَلَّبٌ
وما صِينَ حَقٌّ لا سِلاحَ لِربِّهِ وأضعفُ أنواعَ السِّلاحِ التَّأدُّبُ
ولولا نبوبُ الأُسْدِ كانتْ ذَليلةٌ تُسَاطُ، وتَغْنُو لِلشُّكِيمِ، وتُرَكَّبُ
تساط: تضرب بالسوط، تغنو: تخضع، الشكيم: الحديدية في فم الحصان

وَكَمْ ظالِمٍ يَستعبدُ الناسَ عَنوَةً وَحُجَّتُهُ الكِبَرى الحِسامُ المُشْطَبُ
المشطب: المحرز بخطوط طولية، وكانوا يستجيدونه

أقولُ لِنَفْسي كُلِّما عَضَّها الأذى فَالَمَها: صَبِراً! ففِي الصَبْرِ مَكْسَبٌ
لئنْ كانَ صعباً حَمَلُكَ الهَمَّ والأذى فَحَمَلُكَ مِنَ الناسِ لا شَكَّ أَصعبُ
فلولا إِباءُ ما رَجَّحَ الطَّبَعُ لِم يَكُنْ لِمِثْلِي مَجِيءٌ فِي البَراري وَمَذْهَبٌ
ولولا رَجائي أَن تَظَلِّي بَعيدةً عَنِ الظُّلَمِ لِم يُوطَأُ بِرِجْلَي سَبَسَبُ
سبَسب: صحراء

فلا تَعْذُلِي صَحْباً دَرَوْا بي، وما عُنُوا بِأَمْرِي، فَهَمُّ مِنِّي إلى الفَقْرِ أَقربُ
ولا تَأْمُلِي مِن غَيْرِ صَحْبِي مَعونَةً فَمَا تُخْصِبُ الكَفَّانِ وَالقَلْبُ مُجْدِبُ

وَلَا تَرْتَجِي الْإِخْلَاصَ مِنْ كُلِّ بَاسِمٍ فِي الْبَاسِمِينَ الْمُبْغِضُ الْمُتَحَبِّبُ
 وَلَوْ كَانَ كُلُّ الْمُظْهِرِينَ لِي الْوَفَا وَفِيَّيْنِ، لَمْ يُعْجِزْكَ يَا نَفْسُ مَطْلَبُ
 عَتَبْتُ عَلَى نَاسٍ أَضَاعُوا مَوَدَّتِي وَكُلُّ كَرِيمٍ خَانَهُ الصَّحْبُ يَعْتَبُ
 فَقَدْ زَعَمُوا أَنِّي هَجَوْتُ حَبِيبَهُمْ وَأَنِّي سَاهَجُو غَيْرَهُ حِينَ أَخْطُبُ
 وَلَسْتُ بِهِجَاءٍ، وَلَكِنَّهُ الْهَوَى إِذَا قَادَ نَفْسَ الْمَرْءِ، فَالْثُورُ غِيَهَبُ
 أَنَا مَنْ يَرَى أَنَّ الرِّيَاءَ مَعْرَةٌ وَأَنْ خَبِثَ الْقَوْلُ فِي الصَّدَقِ طَيِّبُ
 وَمَا أَنَا إِلَّا كَالزَّمَانِ وَأَهْلِهِ أَعَافُ وَأَسْتَحْلِي وَأَرْضَى وَأَغْضِبُ
 فَأَيُّ هِجَاءٍ فِي مَقَالِي لِعَقْرَبٍ لَهَا وَلَعَّ بِالْشَّرِّ إِنَّكَ عَقْرَبُ
 أَذْنَبُ إِذَا سَمَى الْفَتَى الشَّيْءَ بِاسْمِهِ إِذَنْ رَيْكَ الْمُوَحِي لِأَدَمَ مُذْنِبُ
 إشارة إلى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]

فَيَا نَفْسُ إِلَّا أَنْتِ مَا لَكَ؛ وَاعْلَمِي بِأَنْ كُلُّ بَرْقٍ، غَيْرَ بَرْقِكَ، خُلْبُ
 خُلْبُ: كاذب، لا يأتي بمطر

تَعِيبُ إِذَا اسْتَنْظَرْتَ خَيْرًا مِنَ الْوَرَى وَمُسْتَقْطَرُّ السَّلَوَى مِنَ الصَّابِ يَتَعَبُ
 السَّلَوَى: طعام حلو، الصاب: شجر عصارته مُرَّة

٣٦ مدح المدح

لَا تَعْذُلَنَّ عَلَى الْمَدَائِحِ إِنْ تَكُنْ تَحْنِي ثِمَارَ الْخَيْرِ مِنْ كَلِمَاتِهَا
 إِنَّ الْمَدِيحَ عَلَى الْفَضَائِلِ مُكْثِرٌ مِنْهَا، مُقِلٌّ مِنْ عَدِيدِ عُذَاتِهَا
 مدح الفضائل يكثرها، ويقلل من أعدائها العديدين

وَإِذَا الْكَرِيمَ مَدَحْتَهُ بِقَصِيدَةٍ قَرَأَ اللَّشِيمُ الدَّمَ فِي أَبْيَانِهَا
 فَامْدَحْ كِرَامَ النَّاسِ مَغْتَبِطاً، وَدَعْ زُمَرَ اللَّثَامِ تَمُوتُ فِي حَسَرَاتِهَا

٣٧ ميسلون المنارة

قُولُوا لِعُفُورُوا، كُلَّمَا لَمَعَتْ أَزْزَارُهُ فَاخْتَالَ وَابْتَسَمَا:
 الأزرار المذهبة لبزته العسكرية تلمع

إِنَّ الَّذِينَ ذَبَحْتَهُمْ تَرَكُوا ذِكْرًا يُجَدِّدُ كُلَّمَا قَدِمَا

مَجْدُ الشَّامِ بِمَيْسَلُونَ عَدَا غَرْسًا سَقَوْهُ دِمَاءَهُمْ فَنَمَا
وَلَسَوْفَ تُبْصِرُ فِي الْقَرِيبِ لَهُ ظِلًّا يَغُمُّ الْعُرْبَ وَالْعَجَمَا

كانت لبطل ميسلون يوسف العظمة بصيرة، وكان مقداماً، ومستعداً للتضحية. أصر على أن يخرج للقاء الفرنسيين المدججين بدباباتهم، وهو في عسكر ضعيف. وكانت حجته بيت المتنبي: لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى/ حتى يراق على جوانبه الدم، قيل إنه تمثل بهذا البيت عند الملك فيصل المتردد في شأن مواجهة الفرنسيين. وأثنى الفرنسيون في جند العظمة في ميسلون، واستشهد. ولكن فكرة العروبة رسخت في أرض الشام رسوخاً، وغدت العروبة ديناً لأهل الشام، يعبر عنه الشعراء والمسرحيون والسياسيون، ولا يجروأ أحد على مخالفته. كان لوقفه يوسف العظمة أثر كبير في اعتزاز الناس بعروبتهم وبأصلهم وباستقلال بلدهم، وبرفض المحتل

٣٨ من أخص البحر حتى مفرق الجبل

دَارَ الْعُرُوبَةِ، دَارَ الْحُبِّ وَالْغَزْلِ! هَاجَرْتُ مِنْكَ، وَقَلْبِي فِيكَ لَمْ يَزَلْ
لَا تَخْذَعَنَّكَ أَصْوَاتُ يُكَبِّرُهَا بُوقُ الْغَرِيبِ لِيَغْدِرَ بِالْوَفَاءِ طُلِي
بوق الغريب: العرب الذين يروجون أفكار المحتل الفرنسي في لبنان وسورية

إِنَّ الْعُرُوبَةَ فِي لُبْنَانَ سَائِدَةٌ مِنْ أَخْمَصِ الْبَحْرِ حَتَّى مَفْرَقِ الْجَبَلِ
فَلْيَنْظُرِ النَّاسُ: هَلْ مِنْ أُمَّةٍ فَعَلَتْ لِلْمَجْدِ فِعْلَ رُعَاةِ الشَّاءِ وَالْإِبِلِ
فِي بَضْعَةٍ مِنْ عُقُودٍ غَيْرِ بِالْعَةِ قَرْنًا تَتَوَجَّعَتِ الْعَبْرَاءُ بِالْعُقْلِ
الغبراء: الأرض، العقل: جمع عقال وهو هالة الكوفة، ففي أقل من قرن حكم العرب المسلمون بلاداً شاسعة

سَلْ عَنْ مَعَارِفِهِمْ فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ أَمَا عَنِ الْأَدَبِ السَّامِيِّ، فَلَا تَسَلِ
هُمْ صَاحِبُوهُ، وَهُمْ أَرْبَابُ دَوْلَتِهِ فِي الْعَصْرِ هَذَا، وَمَا وَلَّى، وَسَوْفَ يَلِي
إِرْتُ، لَعَمْرُكَ مَا كِدْنَا نَعِزُّ بِهِ حَتَّى أَضْعَفْنَاهُ بِالْإِهْمَالِ وَالْكَسَلِ

٣٩ الحاكم والعمامة

إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَدْعِمِ الْعِلْمَ مُلْكُهُ فَلَيْسَ بِمُعْنٍ عَنْهُ أَنْ يَتَعَمَّمَا
تَوَهَّمْ أَنَّ الدِّينَ إِسْرَافُ لِحْيَةٍ فَأَضْحَكَ رَبَّ الدِّينِ مِمَّا تَوَهَّمَا
هَيْنِيئًا لِشُعْبٍ نَاهِضٍ أَغْضَبَ اللَّحَى عَلَى أَنَّهُ أَرْضَى النَّبِيَّ الْمَعْظَمَا
وَأَشْفَقَ أَنْ يَقْتَادَهُ مُتَعَصِّبٌ يُعَوِّجُ مِنْ أَخْلَاقِهِ مَا تَقْوَمَا

إذا الدينُ ماشى العلمُ كان قِلَادَةً فإن عاقه عن سيره كان أذمًا

الأدهم: القيد

إذا الشيخُ والقسيسُ لم يُكرِما الحجا وأحكامه فليبرأ الدينُ منهما

الحجا: العقل

إذا أنت أدبْتَ الفرائضَ كلها ولم تحوِ حُسنَ الخلقِ، لم تك مُسلِمًا

سلامٌ على الإسلامِ أيامَ مجده طويلٌ عريضٌ يغمُرُ الأرضَ والسَّما

نغارُ على الإسلامِ حتَّى كأننا بنوه، ونأبى أن نراه مُهشَّمًا

وهل هشم الإسلامُ إلا شيوخه وهل غيرُهُم يبغي له الجهلَ مرهَمًا

وهل غيرُ خُدامِ الدياناتِ زمرةً ترى في خسارِ الشعبِ كسبًا ومغنمًا

وسدُّوا طريقَ الفكرِ عن كلِّ مؤمنٍ وألقوا نسيجًا فوق عينيه أفتَمًا

يخافُ إذا مرَّ النعاسُ بِجفنيه يغيِّرُ رضاهُم أن ينامَ قِيَانَمًا

ويخشى إذا لم يرضِهِم شُكْلُ ثوبه ولونُ جذائيه عذابَ جهنَّمَا

يبالغ رجال الدين في التدخل في يوميات المؤمن، ويبالغ المؤمن في طلب فتاواهم في كل ما يعرض له من شؤون حياته

ومن نكباتِ الدهرِ أن نفوذَهُم يعمُ عديمَ العلمِ والمتعلِّمًا

وأكبرُ من كُبرى البليَّاتِ حاكمٌ إذا هلَّ شهرُ الصَّومِ صامَ وصومًا

فلم يبتِ في كلِّ المدينةِ حانةً ولم يبتِ في كلِّ المدينةِ مطعمًا

تغرَّبَ تجدُ في الغربِ في كلِّ محفلٍ أوانِسَ يفضَحُنَ الجَمانَ المنظَّمَا

الجمان المنظم: اللؤلؤ المنظوم عقدًا

وإن يكُ بينَ السافراتِ قَواجرٌ ففيهِنَّ من يحكيَنَّ بِالظُّهرِ مَرِيَمًا

يحكيَنَّ: يشبهن

وليسَ حجابُ الوجهِ إلا سخافةٌ تعلَّمها الإنسانُ، فيما تعلَّمَا

سَرَتْ سَريَانُ الداءِ، والداءُ مُغْضِلٌ إذا لم يُعاجَلْ بالدَّواءِ تحكَّمَا

فَذَنبُ (أَمَانِ اللَّهِ) لا في اقتلاعِها ولكنَّه في طيشه حينَ أقَدَمَا

أمان الله ملك الأفغان، سقط عن عرشه (في ١٩٢٩) لسياساته المتحررة في مسائل المرأة والمجتمع والدين

تَعَجَّلَ أَمْرًا شَاءَهُ، غَيْرَ آيِهِ لِعَادَاتِ شَعْبٍ بَعْضُهَا خَالَطَ الدَّمَآ
وَمَنْ سَدَّ مَجْرَى النِّهْرِ يَوْمًا، وَلَمْ يَكُنْ أَهْدَلْ لَهُ مَجْرَى جَدِيدًا، تَنْدَمَا
وَكُلُّ بِنَاءٍ لَمْ يُؤَسَّسْهُ رَبُّهُ عَلَى صَخْرَةِ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ تَهْدَمَا

ربه : صاحبه

٤٠ تأبين الحسين بن علي

قال فرحات في حفل أقيم، لتأبين الحسين بن علي شريف مكة، في ساو باولو ١٩٣١ :

أُمَّةُ الْعَرَبِ، أُمَّةُ الْقُدْسِ تَبْغِي نَوْرَ وَجْهِ الْحُسَيْنِ قَبْلَ غِيَابِهِ
فَالْتَقَتْ عِنْدَ نَعِيشِهِ، وَهِيَ كَانَتْ فِي الْمُلِمَّاتِ تَلْتَقِي عِنْدَ بَابِهِ

الملمات : المصائب

ذَلِكَ التَّاجُ كَانَ قِشْرَةَ مَجْدٍ لَا تُرِيدُ الْأَحْرَارُ غَيْرَ لُبَابِهِ

ذلك التاج كان مجرد رمز، والأحرار يريدون لبابه (جوهره)

إِنَّمَا يَغْضَبُ الْوَفِيِّ لِعَذْرِ قَدْ تَوَالَى عَلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ
عَاهِدُوهُ، وَلَمْ يَفُؤُوا وَهُوَ وَمَنْ نَزَّ الْعَهْدَ جَدُّهُمْ فِي كِتَابِهِ

الإنجليز عاهدوا الحسين على تأسيس دولة عربية يملكها، وهو رجل كان جده (الرسول) قد نزه العهد (جعله منزهاً عن النكث) في كتابه (القرآن)

٤١ يا رسول الله

قال فرحات في عيد المولد النبوي :

بَيْنَمَا الْكَوْنُ ظِلَامٌ دَامَسَ فُتِحَتْ فِي مَكَّةَ لِلنُّورِ كُوَّةُ
إِنَّ فِي الْإِسْلَامِ لِلْعَرَبِ عُلَى إِنَّ فِي الْإِسْلَامِ لِلنَّاسِ أُخُوَّةُ
فَادْرُسِ الْإِسْلَامَ يَا جَاهِلَهُ تَلَقَّ بِطَشَ اللَّهِ فِيهِ وَحُئُوَّةُ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّا أُمَّةُ رَجَّهَا التَّضْلِيلُ فِي أَعْمَقِ هُوَّةُ
ذَلِكَ الْجَهْلُ الَّذِي حَارَبْتَهُ لَمْ يَزَلْ يُظْهِرُ لِلشَّرِّ عُتُوَّةُ
قُلْ لِاتَّبَاعِكَ : صَلُّوا وَادْرُسُوا إِنَّمَا الدِّينُ هَدًى وَالْعِلْمُ قُوَّةُ

٤٢ قل هنّ، والتزم الأدب

قُلْ: هُنَّ، والتزمِ الأدبَ وابْعُدْ بِهِنَّ عَنِ الرَّيْبِ
وَهَبَاكَ رَبِّكَ لَا تُعَدُّ- وَهُنَّ أَحْسَنُ مَا وَهَبَ
لِلْغِيْدِ مَا احْتَمَلَ الرَّجَا لُ مِنْ الْمَتَاعِ وَالْكُرْبِ
وَلَهُنَّ مَا كَسَبَ ابْنُ آ دَمَ بِالْحَلَالِ، وَمَا نَهَبَ
وَلَأَجْلِيْهِنَّ تَسِيلُ أَنْ- هَارُ الدِّمَاءِ عَلَى الذَّهَبِ
لَوْلَمْ يَكُنَّ عَلَى الثَّرَى لَا الْفَنُّ كَانَ، وَلَا الْأَدَبُ
يَغْضِبُنَّ لِلْسَّبَبِ الطَّفِيْ- فِ، وَكَمْ غَضِبُنَّ بِلَا سَبَبِ
وَلَهُنَّ سُلْطَانُ الْجَمَا لِ، عَلَى الرَّضَى وَمَعَ الْغَضَبِ

٤٣ صور على الجدران

أَشَقَى النِّسَاءِ عَلَى الثَّرَى أَمْ قَضَتْ أَبَامَهَا فِي وَخْدَةِ النُّسَاكِ
أَبْنَاؤُهَا مَلَأُوا الْبُيُوتَ، وَبَيْتُهَا خَالٍ مِنَ الْحُدَاثِ وَالضُّحَاكِ

الحدّاث: المتحدثون، والحدّاث كلمة اخترعها المتنبي (فما يفهم الحدّاث إلا التراجم)، وقرأ القصيدة المقبلة فيها رأي فرحات في اختراع المتنبي للألفاظ

سُحِرُوا بِمَرْعُومِ الْغِنَى، فَتَحَوَّلُوا صُوراً عَلَى الْجُدْرَانِ دُونَ حَرَائِكِ

تحول أبناؤها إلى مجرد صور معلقة على جدران بيتها، فقد هاجروا جميعاً ولم تبق إلا صورهم.
هذا طيب الطيب كله.. بيت بديع

وَتَسَائِلُ الْأَقْمَارَ: أَيْنَ مَحَلُّهُمْ؟ وَمَتَى يَكُونُ مِنَ الْإِسَارِ فِكَاكَي
رَكِبُوا الْخِضَمَّ إِلَى النَّضَارِ فَلَيَّتْنِي أَلْقَيْتُ نَفْسِي فِيهِ لَلْأَسْمَاكِ

الخضم: النضار، البحر، الذهب

وَقَضَتْ مُلَوَّعَةَ الْفَوَادِ، وَعَيْنُهَا تَجْتَأَلُ بَيْنَ الْبَابِ وَالشُّبَّاكِ
أُمَاهُ! لَيْسَ عَلَى الْغَرِيبِ مَلَامَةٌ بَعْضُ الَّذِي يَذْهَى الْغَرِيبَ ذَهَاكِ
شِبْنَا، وَغَيَّرَتِ الْخَطُوبُ وَجُوهَنَا وَتَعَكَّرَ الصَّافِي، وَحَالَ الزَّاكِ

حال: تحول، الزاكي: الطيب

لَمْ يَبْقَ فِينَا مِنْ طِفُولَتِنَا سِوَى وَمَضَاتِ بَرَقٍ مِنْ شِعَاعِ هَذَاكِ

رَبَّيْتِنَا عَرَبًا، وَحَوْلَكَ نِسْوَةٌ أُولِغْنَ بِالْإِفْرَنْجِ وَالْأَتْرَاكِ

٤٤ سلطان الشعراء

قال فرحات، في الفية أبي الطيب المتني ١٩٣٥ :

أَبُو الطَّيِّبِ الْكَاسِي الْمَعَانِي بَلَفَظِهِ كَمَا كَسَتِ الْغَيْدَ الشُّفُوفُ النَّوَاعِمُ
الشفوف: الملابس الرقيقة

لَهُ السُّلْطَةُ الْعَلِيَا عَلَى كُلِّ شَاعِرٍ فَلَا يَدْعُ التَّجْدِيدَ فِي الشُّعْرِ نَاظِمٌ
لَقَدْ بَلَغَتْهُ السَّبَقُ فِي حَلَبَةِ النَّهْيِ جِبَادُ قَوَافٍ مَا لَهُنَّ شَكَايِمُ
أمكنته من سبق في حلبة النهى (العقل) خيول من القوافي ليس لها شكائم (حدائد فم الفرس)
مَتَى تَلَقَّ فِيهَا مَنْطِقًا غَيْرَ جَائِزٍ فَجَوَّزَهُ، وَلَتَلَقَّ اللَّهْيَبَ الْمَعَاجِمُ
منطقاً: نطقاً وكلاماً. إذا لقيت لفظة عند المتني لا يجيزها المعجم، فاعتبرها صحيحة وإلى النار
بكل المعاجم

هُوَ الْمَنْجَمُ الْمُعْيِي اللَّصُوصَ نَفَادُهُ وَكَمْ نَفِذَتْ مِنْ أَلْفِ عَامٍ مَنَاجِمُ
المعبي: المعجز، نفاذه: انتهاء مادته

يُجَدِّدُ، مَا كَرَّرَ الزَّمَانُ، شَبَابَهُ وَتُنْسَخُ أَقْوَالُ الْوَرَى، وَهُوَ دَائِمٌ
تُسخ: تُلغى

كَأَنَّكَ مِنْهُ فِي مَعَاوِرٍ جَنَّةٍ عَلَى كُلِّ بَابٍ لِلْمَعَانِي طَلَايِمُ
الجَنَّة: الجن

مَتَى مَا تَلِجُ بَاباً بَدَا لَكَ غَيْرُهُ وَبَانَ سَرَادِيبٌ، وَلاَحَتْ مَعَالِمُ
أَنْظَمَ أَنْ نَرُقَى إِلَيْكَ بِلَاغَةً وَجَوْكَ جَوًّا تَنْقِيهِ الْقَشَاعِمُ
القشاعم: النور

وَمَا وَخَذَهُ الْجَانِي عَلَيْنَا، وَإِنَّمَا خَوَافٍ لَنَا مَنَتَوَفَةٌ، وَقَوَادِمُ
الجانبي علينا، فلا نلحق، ليس عظمة المتني فحسب، بل لأن لنا خوافي (الريش المستور داخل
الجناح) وقوادم (الريش الظاهر) متتوفة.. أي أن حصيلتنا من اللغة والتألق ضعيفة

وَهَلْ يَسْتَقِيمُ النِّظْمُ وَالنُّثْرُ لَامَرِيٍّ يَبِيعُ وَيَشْرِي، مُرْعَمًا، وَيُسَاوِمُ
ممارسة التجارة سبب خمولنا في الشعر

٤٥ رفقا فديتك في ضمي وتقبلي

أفدي بروحي التي زارت، وما سألت
عما سيحدث، من قال ومن قيل
سدّ الهوى أذنيها، وهو يدفعها
إليّ عن كلّ تحرّيم وتحليل
ولهي تقول، وقد طوّفتها بيدي:
رفقا، فديتُك، في ضمي وتقبلي
أزلتّ تجميل وجهي، قلت: إنّ لفي
هذا الجمال غنى عن كلّ تجميل
وما اکتحالك! والألحاظ فاتكة
ترنو فترمي فتضمي دونّ تكحيل؟

ترنو: تنظر، ترمي: تطلق سهامها، تضمي: تصيب

ما كان أنضَبَ عَيْشِي قَبْلَ أَنْ رَتَعْتُ عَيْنَايَ مِنْكَ بِرِيفِ الْحُسْنِ وَالنَّيْلِ
وقد جمع المتنبي بين «الريف» و«النيل» في بيته: (من عيدي إن عشت لي ألف كافور، ولي من نذاك ريف ونيل)، فصارت الكلمتان بمثابة «تعبير» أدبي يشير إلى منتهى النعمة

إني لأنظّم شعراً فيك، تنقله
عني الخلائق من جيل إلى جيل
حُبِّيك ديني، وشعري فيك أنزله
ربُّ الجمال ليثلي كالأناجيل

٤٦ غريبات اللسان

بكيتُ فقال أصحابي: أتبكي؟ فقلتُ مضى الشباب، فهل أغني؟
بأيّ وسيلة أَرْضِي الْغَوَانِي وشعري عندهنّ عزيفُ جنّ
العزيف: صوت الريح، وصوت ما كانوا يتخيلون أنه الجن. يقول: هنّ لا يفهمن شعره لأنهن برازيليات

غريبات اللسان، يرين شكلي وليس يرين معرفتي وفني
يرفن على أديم الأرض خمري إذا لم يَرْضِهِنَّ جمالُ دني
ترين الحسان البرازيليات على أديم (وجه) الأرض خمري، عندما يرين دني فلا يرضيهن. يقول: هن لا يعرفن حقيقتي بل يرين شكلي فقط

٤٧ أشهى الثمار

قلت والغيد قد مرّزَنَ: ألا انظر
إنّ أشهى الثمار هذي النُهوْدُ
لو خلّت جنة الإله من الحو
ر لما مات في الجهاد شهيد

٤٨ تكافؤ الفرص

نريدُ، لِكَيْ نَمْشِيَ مَعَ النَّاسِ، دَوْلَةً
فَلَا مُؤْمِنٌ يَمْشِي عَلَى حَقِّ كَافِرٍ
وَلَا مَنْصِبٌ حِلٌّ لِأَبْنَاءِ مِلَّةٍ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِي مِنْ أَبِي مَا لِإِخْوَتِي
وَمَا بِي أَطْمَاعٌ أَثَارَتْ تَأَلُّمِي
يَقِينًا لَوْ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْهَ آدَمًا
مُؤَظَّدَةً، بِالْعَدْلِ تَنْمُو وَتَخْتَمِي
وَلَا مُسْلِمٌ يَعْلُو عَلَى غَيْرِ مُسْلِمٍ
وَمَنْ يَبْغُو مِنْ سَائِرِ النَّاسِ يَأْثِمُ
وَقَاسَى عَذَابَ الْمَوْتِ لَمْ أَتَرَ حَمٍ
وَلَكِنَّ جِرْمَانِي مُثِيرٌ تَأَلُّمِي
لَمَّا هَزَّ شَوْقٌ لِأَكْلِ الْمُحَرَّمِ

٤٩ الأسطُرلاب

لَهْفِي عَلَى عَهْدِ الصُّبَا، لَمْ يَبْقَ لِي
وَعَدَا الْحَسَانَ، إِذَا جَلَسَ إِلَى الْهُوَى
هُنَّ النُّجُومُ، وَرَضْدُهُنَّ لُبَانَتِي،
بَيْنَ الْخِمَائِلِ، مَا حَسَبَنَ حِسَابِي
أَنْتَى اتَّجَهْنَ أَذْرْتُ أَسْطُرْلَابِي
لِبَانَتِي: بَغْيِي

٥٠ لا شكر لمأمور

رَأَيْتُ النَّحْلَ مَا يَنْفِكُ - بِالْأَزْهَارِ مُهْتَمًّا
فَمَنْ عَلَّمَهُ التَّوْفِي - رَ، وَالْبَخْلَ بِمَا لَمَّا
لَمْ: جَنَعَ

وَمَنْ حَوَّلَ بَعْضَ الشُّهُ - إِدْفِي إِبْرَتِهِ سُمًّا
هُوَ ابْنُ الْفِطْرَةِ الْمَضْطَّرُ - أَنْ يَحْتَرِمَ الْأُمَّا
فَلَا تَمُدِّحْ إِذَا سَرَّ - وَلَا تَشْتُمْ إِذَا غَمَّا
فَمَا يَسْتَأْهِلُ الْمَأْمُورُ - رُ لَا مَذْحَا، وَلَا دَمَّا

٥١ الجود بالموجود

وَلَيْسَ فَقْرِي طِفْلاً عُمُرُهُ سَنَةٌ
لَكِنَّهُ تَوَامِي، لَمَّا نَمُوَتْ نَمَّا
وَإِنَّ رَبَّةَ بَيْتِي غَيْرُ مُذْنِبَةٍ
مَا ذَنْبُهَا، وَأَنَا عَوَّذْتُهَا الْكَرَمَا

لَا ذَنْبَ إِلَّا عَلَى كَفِّ بُلَيْثٍ بِهَا إِنَّ تَأْخُذَ النَّيْلِ تُعْطِ النَّيْلَ وَالْهَرَمَا
أَيُّ أَنْ كَفَّهُ سَخِيَّةً، إِنَّ نَالَتْ مِنَ الْمَالِ شَيْئاً أَعْطَتْ الْآخَرِينَ أَكْثَرَ مِنْهُ

٥٢ التظاهر بالتقى

قال فرحات، يداعب صديقه الخوري جورج قصاص، وكسرت رجله:

أَكْسَرْتُهَا! وَهِيَ الَّتِي حَمَلْتُكَ مِنْ عَهْدِ الْفِطَامِ
وَتَحَمَّلْتُ، قَبْلَ احْتِلَا مِنْكَ، شَيْطَنَةَ الْغَلَامِ
وَمَشَّتْ، وَأَنْتَ فَتَى، بِظُنِّ شَيْكَ فِي سَرَادِيْبِ الْغَرَامِ
تَقُلْتُ عَلَيْهَا جُبَّةً لَوْ جَلَلْتُ جَمَلاً لَنَامِ
نُشِرْتُ عَلَيْهَا لِحْيَةً شَمِطَاءُ تَضْحَكُ فِي الظَّلَامِ
الشمطاء: التي اختلط بياض شعرها بسواده، وعلى هذا فالعجوز الشمطاء ليست الطاعنة في السن
بل المرأة التي في سن الأربعين مثلاً، على كل حال الصبغة غيرت كل شيء

وَلَهَانَ حَمْلُ النُّكْبَتَيِّ مِنْ لَوْ أَنَّهُ مِسْكُ الْخِتَامِ
ولهان (كان يهون) حمل الحبة واللحية لو وقف الأمر عند هذا الحد

إِنَّ التَّظَاهَرَ بِالتَّقَى كَافٍ لِتَخْطِيمِ الْعِظَامِ

٥٣ جميلة والكهل

وَمَهْمَا يُحِظُ بِي مِنْ سُرُورٍ وَغَبْطَةٍ يَظَلُّ لَهَيْبُ الْوَجْدِ لِلْقَلْبِ كَاوِيَا
فَلَوْ جِئْتُ أَبْغِي حَاجَةً عِنْدَ غَادٍ لَقَالَتْ لِي: ارْجِعْ حَيْثُمَا كُنْتَ ثَاوِيَا
ثاوياً: مقيماً

أَضَعْتُ لَدَى غَيْرِي شَبَاباً أَطْنُهُ، لِمَا فِيكَ مِنْ آثَارِهِ، كَانَ بَاهِيَا
وَمَا جِئْتَنِي إِلَّا بِشَيْبٍ وَصَلَعَةٍ لِيَتَأْخُذَ مَا لَمْ تُعْطِ إِذْ كُنْتَ غَانِيَا
غانياً: متحلياً بالجمال

٥٤ كل شيء حلو في أوانه

وَإِنِّي لَيُزْعِجُنِي نَاشِئٌ يُفَكِّرُ كَالْهَرَمِ الْأَدْرَدِ
الأدرد: الفاقد الأسنان

وَأُخْسِبُ أَنَّ الْحِجَا فِي الصَّبَا رِدَاءَ كَبِيرٍ عَلَى الْمُرْتَدِي

الحجا: العقل

وَلَا بُدَّ لِلْمَرْءِ مِنْ ضَلَّةٍ مَتَى تَأَتَتْ فِي وَقْتِهَا تُحْمَدُ

ضلة: ضلال

٥٥ الشعر الواضح

إِنَّ شِعْرِي لَصُورَةٌ لِحَيَاتِي لَا غَمُوضٌ فِيهِ، وَلَا تَعْقِيدُ

لَا كَشْفٌ يُذِيبُ قَارِئُهُ الْمُخَّ - لِيَذْرِي مَنْ قَالَهُ مَا يُرِيدُ

إعادة تركيب كلمات البيت: لا كشعر يذيب قارئه المخ ليدري ما الذي يريده الذي قال الشعر

٥٦ لبنان والشام

مَا جَاعَ لَبْنَانٌ وَفِي سُوْرِيَةٍ خَبْرٌ، وَلَنْ يَغْرَى وَفِيهَا مَلْبَسُ

لَبْنَانٌ فِي دِينِ الْعَرُوبَةِ مَذْهَبٌ أَمَّا الْعَرُوبَةُ فَهِيَ دِينٌ أَقْدَسُ

لَبْنَانٌ فِي عَقْدِ الْعَرُوبَةِ دُرَّةٌ فَهَوَ النَّفِيسُ لَدَيَّ، وَهِيَ الْأَنْفَسُ

أَعْلَى الدَّمَشَقِيِّينَ فِي بِيْرُوتَ أَنْ يَتَحَمَّلُوا التَّغْيِيرَ، أَوْ يَتَجَنَّسُوا؟

هَذَا اخْتِرَاعُ الْآكِلِينَ إِلَهُهُمْ قَامَتْ تُؤَيِّدُهُ عَجُوزُ مُوسَى

هذه العجوز هي فرنسا المحتلة

نَفَخَتْ بِهِمْ رُوحَ الْعَدَاءِ لِيَغْرِبَ فَتَفْتِنُقُوا فِي ظُلْمِهَا، وَتَفَرَّسُوا

٥٧ نار في الرأس وإعصار

أَغَارَ الشَّنِيبُ وَالصَّلْعُ عَلَيَّ، فَهَدَّنِي الْجَزْعُ

هُمَا كَالنَّارِ وَالْإِعْصَا ر: لَا تُبْقِي، وَلَا يَدْعُ

فَتُخْرِقُ كَيْفَمَا انْدَلَعَتْ، وَحَيْثُ يَهْبُ يَفْتَلِعُ

أَضَاءَ الْجِلْدُ مَذْأَخَذَتْ دِيَاغِي الشَّعْرَ تَنْقَشِعُ

دياجي: ظلمات.. يعني الشعر الأسود

وَمَا زَالَتْ تَضِيقُ الْوَا حُ، وَالصَّخْرَاءُ تَنْسِغُ

الواح: الواحات، الصحراء: الصلعة التي تجلجل رأسه

٥٨ قلوبنا معك

قال فرحات، في وداع صديق:

يَا مَنْ يُفَارِقُنَا، وَيَأْخُذْ، فِي حَقِيبَتِهِ، الْقُلُوبَا
خُذْهَا، فَإِنْ بَقِيََتْ وَأَنْتَ مَضَيْتَ نَخْشَى أَنْ تَذُوبَا

٥٩ الثَّارِ نَضَالاً

قال فرحات، في نكبة فلسطين:

قُلْ لِلْمُغِيرِ عَلَى مَنَازِلِنَا كَالسَّيْلِ يَنْفُذُ، مِنْ هُنَا وَهُنَا
حَمَلَتْ نَفْسَكَ فَوْقَ طَاقَتِهَا وَرَكِبَتْ وَنَحَكَ مَرْكَباً خَشِينَا
إِنْ لَمْ يَكُنْ زَمَنْ يُوَافِقُنَا لِلثَّارِ مِنْكَ، سَنَخْلُقُ الزَّمَنَا
دُقُّوا وَغَنُّوا فِي مَا تَمِنَا لَكُمْ الْبِدَاءُ، وَالخِتَامُ لَنَا

٦٠ السُّيُوفُ الصَّدَنَةُ

وَمَاذَا نَرْجِي مِنْ سِيُوفٍ كَثِيرَةٍ يَمَانِيَّةٍ، لَكِنْ تَأْكُلُهَا الصَّدَا
مُلُوكٌ ظَنَّنَاهُمْ صُقُوراً، وَعِنْدَمَا غَزَيْنَا رَأَيْنَا صَاحِبَ التَّاجِ هُذُودَا
لَهُوَ عَنْ عِصَابَاتِ الْعَدَى بِاخْتِلَافِهِمْ فَكَانُوا عَلَى الْأُوطَانِ شَرّاً مِنَ الْعَدَى
وَرَاوَحُوا يَحْلُونَ الْقَضَايَا كَأَنَّهُمْ يَحْلُونَ فِي الظُّلُمَاءِ خَيْطاً مُعَقَّداً
وَأَنْتَى يَحُلُّ الْحَقْدَ وَالْجَهْلَ وَالْهَوَى جِدَالٌ عَقِيمٌ يَنْتَهِي مِثْلَمَا ابْتَدَا
مَطَامِعُ أَفْرَادٍ بِمِيرَاتِ أُمَّةٍ مَبْعُورَةٍ، يَخْشَوْنَ أَنْ تَتَوَحَّدَا

٦١ دهاء المصنفين

أَبْرُدُ عَزْمُكُمْ الْحَقُوقَ لِأَهْلِهَا فَتَرَى لَكُمْ فَوْقَ اللَّوَاءِ لِيَوَاءٍ؟
وَتَرَى فِلَسْطِينَ الْأَسِيرَةَ حُرَّةً تَمْشِي، وَتَرْفَعُ رَأْسَهَا خُبْلَاءَ
هَٰذِي وَذَاكَ لَنَا، وَلَمْ نَخْسَرْهُمْ لَوْ أَنَّ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ حَيَاءَ
لَمْ نَخْسَرْ الْحَقُوقَ وَلَا اللَّوَاءَ

أَرَأَيْتُمْ الزُّعَمَاءَ كَيْفَ تَخَاذَلُوا أَرَأَيْتُمْ الْأَقْيَالَ وَالْأُمَرَاءَ
الْأَقْيَالَ: الْمُلُوكُ

يَتَزَاءَرُونَ كَأَنَّهُمْ أُسْدٌ، فَإِنْ
كَثُرَ الْمُلُوكُ، فَكُلُّ مَنْطِقَةٍ لَهَا
وَالْكَائِدُونَ لَنَا يَرَوْنَ هَلَاكَنَا بِعِثَارِهِ، فَيُصَفِّقُونَ ذَهَاءَ
لَمْحُوا الْعَدَى انْقَلَبَ الزَّيْبُ مَوَاءَ
مَلِكٌ يُقِيمُ الْجَنْدَ وَالْوُزَرَءَ

٦٢ الاستخفاف بالخليع

لِبْنَانُ، يَا وَطَنِي! فَدَيْتُكَ مَوْطِنًا
إِنِّي أَرَى، يَا «مُصَدَّرَ الْإِشْعَاعِ»، فِي
أَكْثَرِ الدَّاعُونَ إِلَى اسْتِقْلَالِيَةِ لِبْنَانِ مِنْ وَصْفِهِ بِأَنَّهُ مُصَدَّرُ الْإِشْعَاعِ فِي الشَّرْقِ
مُضْنَى يَصُدُّ عَنِ الدَّوَاءِ الشَّافِي
دَعْوَاكَ أَلَوَانًا مِنَ الْإِسْرَافِ

لِبْنَانُ، إِنْ تُرَضِّ الْعَرُوبَةَ كَانَ لِي
يَا شَيْخُ! مَا لَكَ، وَالثَّلُوجُ كَثِيفَةٌ
الْقَلْبُ أَنْتَ، وَمَا شِعَافُكَ غَيْرَهَا
الشِّغَافُ: الغشاء المحيط بالقلب، ولبنان هو القلب وشغافه العروبة
فِي الْقَوْلِ فَيْكَ مِنَ النُّجُومِ قَوَافٍ
حِرْزُ سَوَى هَذَا الْفِرَاشِ الدَّافِي
أَرَأَى امْرُؤٌ قَلْبًا بِغَيْرِ شِعَافٍ

وَالْعُرْبُ أَهْلُكَ، لَنْ يُقَابَلَ مُعْرِضٌ
مَا أَنْتَ إِلَّا هُمْ، فَهُمْ لَكَ مَعْدِنٌ
هَذِي الرِّيَاضُ أَصُولُهُنَّ فَيَافٍ
فِيَا: صحارى

وَالثَّمَرُ فِي أَعْلَى النَّخِيلِ مُنَاحُهُ
وَحَيَاتُهُ بِالْجَذْرِ وَالْأَلْيَافِ
مُنَاحُهُ: موضعه

٦٣ ذات المسامير

دَعَوْتُهَا فِي ضَحَى «مَيْدِي» لِنَهْرَبَ مِنْ
ثُمَّ انْتَهَيْنَا إِلَى كُوخٍ، مَوَائِدُهُ
طَابَ الْجُلُوسُ، وَطَابَتْ ثَمَّ مَأْدُبَةٌ
أُمُّ الضَّجِيجِ إِلَى إِحْدَى ضَوَاحِيهَا
تَشْكُو الْفِرَاقَ، وَيَشْكُو الْجُوعَ آتِيهَا
مَا فِي الْمَادِبِ طُرًّا مَا يُحَاكِيهَا
ثَمَّ: هناك، طُرًّا: جميعاً، يحاكيها: يشبهها

شَطِيرَتَانِ، وَكَأَسَانِ ارْتَوَى بِهِمَا
عَلَى خَوَانٍ غَلِيظِ الْوَجْهِ مُتَسِيخٍ
خَوَانٌ: منضدة، ويبدو أن تلك المنضدة كانت ككل المناضد في كل متزهات الدنيا: فيها رجل
مشلولة يتعب المتزهون في مداواتها بقطع مطوية من الورق المقوى

إذا اتَّكَأَتْ عَلَيْهِ مَالٌ، فَانْقَلَبْتُ عَنْهُ الزُّجَاجَةُ، يَجْرِي الْمَاءُ مِنْ فِيهَا
تَبْدُو مَسَامِيرُهُ السُّودَاءُ بَارِزَةً فِي وَجْهِهِ، فَتَزِيدُ الْوَجْهَ تَشْوِيَهَا
وَنَحْنُ فِي نَشْوَةٍ، مِمَّا يُحِيطُ بِنَا مِنْ الْجَمَالِ، سَأَلْنَا الدَّهْرَ يُبْقِيَهَا

٦٤ «الويل للمنهزم»

لَمْ يَبْقَ فِي الْمِيدَانِ، بَعْدَ لَدَى زَوَالِ دَوْلَةٍ هَتَلَرٍ..
أَحَدٌ يُخِيفُ الْأَغْنِيَا سِوَى الْعَدُوِّ الْأَصْفَرِ

* * *

وَهِنَاكَ بِضَعَّةُ أَرْؤُسٍ قَدْ أَيْنَعَتْ لَمْ تُقْطَفِ
وَمِنَ الْمَعَابِدِ وَالْبِيوتِ بَقِيَّةٌ لَمْ تُنْسَفِ

* * *

وَيُرِيدُ يَهُوَّةُ أَنْ يُظَهَّرَ - رَ بِاللَّهِيبِ وَبِالْدَمِّ

يهوّة: يقصد اليهود

أَرْضاً تَكُونُ لِشَعْبِهِ الْ - مَخْتَارِ دَارَ تَنْعَمِ

* * *

وَيُرِيدُهَا لَهُمْ، فَلَا بَشَرٌ سِوَاهُمْ يَنْطُقُ..
فِيهَا وَلَا ثَوْرٌ يَخْوُ رُ، وَلَا حِمَارٌ يَنْهَقُ

* * *

وَطَوَى طُرُومُنْ، عِنْدَمَا ار تَفَعَ النَّهَارُ، كِتَابَهُ

ترومان: رئيس الولايات المتحدة عند انتهاء الحرب العالمية الثانية، وهو مجرم هيروشيما

وَأَعَدَّ، مُرْتَاحَ الضَّمِيمِ بَرٍّ، إِلَى الْوَزِيرِ جَوَابَهُ

* * *

كَذَفُوا هِيروشيما بِرَفٍّ شٍ مِنْ شُؤَاظِ جَهَنَّمِ

الرفش: مِجْرَقَةُ التَّرَابِ، الطَّوْرِيَّةُ، شَوَاظُ: لَهَبٌ

فَقَضَتْ تُكَفَّنُهَا الْجَرِيدَ مَةً بِالرَّمَادِ الْأَسْحَمِ

الأسحم: الأسود

* * *

ذَابَتْ بِحَرِّ قَذِيفَةِ الْـ مُتَهَوِّدِ الْمُتَعَبِّدِ
وتبخرت فكانما هي شحمة في موقِدِ
* * *

وتلقَّت الـيابانُ، بالصَّـ بر الجميل، جراحها
واستسلمت كحمامة كسر العقاب جناحها
* * *

أما الألى صَهَرُوا المديـ نة باللَّطَى المتأججِ
الآلى: الذين

فلقد مَضَوْا يَتَرَنَّمُو نَ بكلِّ صوتٍ مُزَعِجِ
* * *

وتألَّفت دارُ القضا ، وكانَ مِنْ مأساتها
أنَّ الألى ارتكبوا الجريـ مة مِنْ كبارِ قضايتها
المتصرون عقدوا المحاكمات لمجرمي الحرب المنهزمين، أما جرائمهم الذرية وغير الذرية فمضت
بلا عقاب

٦٥ التزيُّن بالتجديف

قال فرحات، مخاطباً الشاعر نصر سمعان:

قال نصرٌ، وقد رأى صورةَ الطَّفـ لي بحِضْنِ البَتُولِ فوقَ الحمارِ
ورأى يوسفًا يقوِّدُ إلى مصـ رَ الحمارِ الصَّبُورَ عبرَ القِفَارِ
هل رَوَى رحلةَ المسيحِ إلى الأهـ رامِ طفلًا في الكُتُبِ غيرَ الحَوَارِي؟
الحواري: أحد تلاميذ المسيح

أَحِمَارٌ يجتازُ صحراءَ سَيْنَا ءَ وَيَنْجُو مِنْ فَاتِكَاتِ الضَّوَارِي؟
ثم أينَ العَلِيقُ لِلجَحْشِ، أينَ الـ ماء، أينَ الغِذاءُ لِلسُّفَارِ
العليق: العلف الذي يعلق بمخللة في رقبة الدابة

إنَّ في دينِنَا غرائبَ، لا ير ضى بها عاقلٌ يلا استفسارِ
قلتُ: يا نصرُ ليس للعقلِ في الأد يانِ سُغْلٌ، فاتركَ عقيمَ الحَوَارِ

أَنْتَ تَدْرِي بَأَنَّ رَيْكَ، يَا نَصْرَ كَرِيمَ، وَأَنْتَهُ ذُو اقْتِدَارِ
فِي رِضَاهِ عَنِ الْحَمِيرِ بَرَاهِبِ مَنْ فِصَاحٍ عَنْ صِحَّةِ الْأَخْبَارِ
إِنَّ هَذَا الْحِمَارَ، يَا نَصْرُ، لَوْلَمْ يُنْجِ عَيْسَى مِنْ سَطْوَةِ الْأَشْرَارِ
مَا رَأَيْنَا التَّوْفِيقَ يُوشِكُ أَنْ يَجِدَ عَلَهُ اللَّهُ طَوْعَ كُلِّ حِمَارِ

٦٦ نموت رويداً

قال فرحات، عام ١٩٥٤ في رثاء صبري غراب:

نموتُ رويداً؛ كَلَّمَا مَاتَ صَاحِبٌ لَنَا مَاتَ فِي أَضْلَاعِنَا أَمَلٌ مُغْرِبِ
فَكُلُّ وَدَاعٍ مِنْ حَبِيبِ مُفَارِقِي أَحْسَرُ لَهُ شَيْئاً يُوَدِّعُ فِي صَدْرِي
لَقَدْ سَوَدَّتْ شِعْرِي اللَّيَالِي، بِجَعْلِهِ مَرَاتِي لِلْأَحْبَابِ مُذْ بَيَّضَتْ شِعْرِي

٦٧ وإنما.. عنة أخذناها

فِي مَيْسَلُونَ اهْتَدَتْ دِمَشْقُ وَقَدْ ضَلَّتْ فَرْنَسَا وَخَابَ مَسْعَاهَا
فَرَزْنَا بِحُرِّيَةِ الشَّامِ فَلَا يَفْتَحُ خَوْوُنٌ بِحُجَّةٍ فَاهَا
لَمْ تُغْطِنَاهَا لِجُودِهَا هَبَّةً وَإِنَّمَا عَنُوهُ أَخَذْنَاهَا

٦٨ هل نحن شعبان؟

قال فرحات، وأراد أن يشدها في استقبال رئيس لبنان كميل شمعون، وحيل بينه وبين ذلك، فأرسلها إليه:

لَمَّا رَأَيْتُ غِيَابِي طَالَ عَنْ وَطَنِي وَطَالَ شَوْقِي إِلَى أَهْلِي وَخُلَّانِي
وَلَمْ أَكُنْ بِغَيْبِي، يَسْتَطِيعُ إِذَا مَا شَاءَ، جَعَلَ قَصِي الْأَرْضِ كَالذَّانِي
خَشِيبُ أَنْ أَتَلَقَّى الْمَوْتَ مَغْتَرِباً فَلِإِنَّ مَوْتَ غَرِيبِ الدَّارِ مَوْتَانِ

التسويد للمغترب عمران القفيني

وَخِفْتُ أَلَا أَرَى الزَّهْرَ، الَّذِي ابْتَسَمَتْ عَيْوُنُهُ لِقِمَاطِي، فَوْقَ أَكْفَانِي
الزهر الذي تفتح فكأنه ابتسم لقماطي، والقماط لفاع يلف به الرضيع.. وهو الكوفلية، أخاف إلا
أرى الزهر فوق كفني.. يقول: أخاف أن أموت في الغربة

فَصِخْتُ يَا رَبِّ جَدِّدْ مِنْ رَجَائِي مَا أَبْلَى الزَّمَانُ، وَرَمَّمْ صِرْحَ إِيْمَانِي

رُدَّ الْغَرِيبَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي احْتَضَنْتَ أَحْلَامَهُ وَهِيَ أَطْفَالٌ بِتَحْنَانٍ

عندما كانت أحلامه في طفولتها

شَمْعُونُ! نَحْنُ هُنَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ فَانظُرْ، وَكُنْ حَكَمًا، هَلْ نَحْنُ شَعْبَانِ

قبل يومين من تصحيحنا الأول للنص (٢٠٠٩/٤/٢٠) تم رسمياً تعيين ميشال خوري أول سفير لبناني في دمشق، في خطوة رمزية إلى أنه ليس لسورية وضع خاص في لبنان. والآن ونحن نجري التصحيح الأخير - نرجو ذلك - تستقبل لبنان نصف مليون لاجئ سوري على أراضيها فروا من الحرب الأهلية. المسألة معقدة بين البلدين

هَذَا دِمَشْقُ وَذِي بَيْرُوتَ، إِنَهُمَا فِي طَلْعَةِ الْوَطَنِ الْمَحْبُوبِ عَيْنَانِ

طلعة: وجه

لَسْنَا نُفْضَلُ، مَهْمَا نَلَقَ مِنْ عَنَتٍ، عَيْنَانِ عَلَى أَخْتِهَا؛ لَسْنَا بِعُورَانِ

عوران: جمع أعور

٦٩ حينما يصبح الزواج شارعاً ذا اتجاهين

قال فرحات، في تموز ١٩٥٤:

لَيْسَتْ عَرُوبُتُنَا خُرَافَةً جِنَّةٍ تَرُوي الْعَجَائِزُ فِي الدُّجَى أَخْبَارَهَا

الجنة: الجن

لَيْسَتْ عَرُوبُتُنَا مَطِيَّةً حَالِمٍ بِأَرِيكَةٍ مُسْتَسْهِلٍ أَخْطَارَهَا

لَيْسَتْ عَرُوبُتُنَا طُقُوسَ دِيَانَةٍ تُذَكِّي الْجَهَالََةَ بِالتَّعَصُّبِ نَارَهَا

مَا هَمَّهَا مَنْ لَمْ يُصَلِّ وَلَمْ يَصُمْ، مَا دَامَ يَحْمِي فِي الْحُرُوبِ دِمَارَهَا

ذمارها: حماها وشرها

كُلُّ الْبِلَادِ لِكُلِّ مَنْ وُلِدُوا بِهَا، لَا شَيْءَ يَحْرِمُ بُقْعَةً زَوَارَهَا

كُلُّ الْمَنَاصِبِ لِلَّذِي هُوَ أَهْلُهَا، لَا شَرَعَ يَمْنَعُهُ إِذَا مَا اخْتَارَهَا

كُلُّ الْبَنَاتِ لِكُلِّ طَالِبٍ زَوْجَةٍ، لَا دِينَ يُبْعَدُ عَنْ بَثِينَةٍ جَارَهَا

٧٠ الشعر المجود تجويداً

قال فرحات، في يوبيل جريدة إيليا أبو ماضي «السمير»:

الصَّبْحُ يَدْعُو وَالْمَسَاءُ يُرَدِّدُ: لَيْتَ «السَّمِيرَ» عَلَى الزَّمَانِ تُحَلِّدُ

تِيهًا أَبَا مَاضِي فَإِنَّكَ سَيِّدٌ فِي قَنِّهِ، يَسْعَى إِلَيْهِ سَيِّدُ
تِيهًا: لك أن تفتخر

يَا صَاحِبَ الشُّعْرِ الَّذِي جَوَّدْتَهُ حَتَّى لَنَقْرَأُهُ وَنَحْنُ نُجَوِّدُ

٧١ فيم التقاطع

فِيمَ التَّقَاطُعِ، وَالْأَوْطَانُ تَجْمَعُنَا قُمْ نَغْسِلِ الْقَلْبَ مِمَّا فِيهِ مِنْ وَضَرٍ
وضر: وسخ

مَا دُمْتُ مُحْتَرِمًا حَقِّي فَأَنْتَ أَخِي أَمَنْتَ بِاللَّهِ، أَمْ أَمَنْتَ بِالْحَجَرِ

٧٢ المتفنن في الكذب

إِنَّا سَكَنْنَا عَنِ الْكَذَابِ فَاَنْفَتَحَتْ قُدَّامُهُ لِفَنُونِ الْكِذْبِ أَبْوَابُ
يُلْقِي عَلَيْنَا أَحَادِيثًا مَلْفَقَةً وَلَا نَقُولُ لَهُ اسْكُتْ، أَنْتَ كَذَّابُ

٧٣ الأهل والفضل في أزمة

مَا حِيلَتِي بِكِبَارٍ، فِي نُفُوسِهِمْ ذُلُّ الصَّغَارِ، وَفِي أَخْلَاقِهِمْ عَوَجُ
مُذْ بَشَّرَتْ بِهِمُ الدَّايَاتُ، أَهْلُهُمْ وَالْفُضْلُ فِي أَزْمَاتٍ لَيْسَ تَنْفَرُجُ
منذ ميلادهم حين بشرت القوالب بهؤلاء الناس، ظل أهلهم والمكارم واقعين جميعاً في أزمات

٧٤ ربوبية الموت

أَمِنْ بِمَا شَتَّتَ فِي بَطْنِ التُّرَابِ وَمَا فَوْقَ الْكَوَاكِبِ، وَاتَرَكْنِي وَإِيمَانِي
لَمْ أَذِرْ كَالْمَوْتِ رَبًّا صَادِقًا نَفَذَتْ أَحْكَامُ سُلْطَانِهِ فِي كُلِّ سُلْطَانٍ
لَا يَرْتَشِي بِنُذُورِ النَّاذِرِينَ، وَلَا يُبْغَى رِضَاهُ بِقُدَّاسٍ وَقُرْبَانٍ
وَكُلُّ رَبٍّ إِلَى الْبِرْهَانِ مُفْتَقِرٌ وَالْمَوْتُ لَمْ يَفْتَقِرْ يَوْمًا لِبُرْهَانٍ

٧٥ الدهر والبشر.. والأذى

تَشْكُو أَدَى الدَّهْرِ شَكْوَى لَا أَسَاسَ لَهَا فَالدَّهْرُ لَمْ يَرْتَكِبْ إِثْمًا، وَلَمْ يَجْرِ
لَا يُقْفِلُ الْبَشَرُ الْأَبْوَابَ إِنْ رَقَدُوا خَوْفًا مِنَ الدَّهْرِ، بَلْ خَوْفًا مِنَ الْبَشَرِ

٧٦ لا يؤكل الجوز..

كَمْ مِنْ غَنِيٍّ بِخَيْلٍ، كُلَّمَا لَمَحَتْ عَيْنَاهُ وَجَهَ فَقِيرٍ خَفَّ يَسْتَنْزِرُ
تَرْنُو إِلَى مَالِهِ الْوَرَاثُ قَائِلَةً: لَا يُؤْكَلُ الْجَوْزُ إِلَّا حِينَ يَنْكَسِرُ

٧٧ الشعر والتجارة

يَا شَاعِرَ الْعَرَبِ احْذَرُ أَنْ يُقَالَ عَدَا: كُحِّلُ التَّجَارَةَ أَعْمَى شَاعِرَ الْعَرَبِ
إِنْ ضَاقَ عَيْشُكَ كُنْ مَسَاحَ أَحْذِيهِ لَا نَاجِرًا يَغْتَنِي بِالْغَشِّ وَالْكَذِبِ

تسويد عمران الفيني

٧٨ الناذرة للدير

مَا كُنْتُ آسُوَ عَلِيلًا أُمُّهُ هُرِعَتْ لِلدَّيْرِ تَنْذُرُ أَمْوَالًا لِرُفْبَانٍ
آسُو: أدوي

إِنْ عَاشَ فَالْفَضْلُ لِلدَّيْرِ الَّذِي نَذَرْتُ لَهُ، وَإِنْ مَاتَ فَالْآسِي هُوَ الْجَانِي

٧٩ الدنيا مصالح

لَا يَخْذَعَنَّكَ مَحْتَاجُ إِلَيْكَ إِذَا فِيمَا يَسُرُّكَ مِنْ أَمْوَالِهِ بَذَلَا
إِنَّ ابْنَ آدَمَ لَا يُعْطِيكَ تَفْجَعُهُ إِلَّا لِيَأْخُذَ مِنْكَ الثَّوْرَ وَالْجَمَلَا
لَوْ يَعْرِفُ الْكَبْشُ أَنَّ الْقَائِمِينَ عَلَى تَسْمِينِهِ يُضْمِرُونَ الشَّرَّ مَا أَكَلَا

تسويد عمران الفيني للبيتين

٨٠ أبواب المواخير

لِلْغَرْبِ فِي الشَّرْقِ عَادَاتٌ مُقَدَّمَةٌ كَانَتْ، وَمَا بَرِحَتْ، أُولَى بِتَأْخِيرِ
لَا تَبْتَغُوهَا، فَكَمْ مِنْ زَهْرَةٍ حَسَنَتْ فِي النَّاطِرَيْنِ، وَسَاءَتْ فِي الْمَنَاجِيرِ

الناظرين: العينين، المناخير: الأنوف

قُولُوا لِكُلِّ أَبٍ فِي الشَّرْقِ مُحْتَرَمٍ إِنَّ الْمَرَاقِصَ أَبْوَابُ الْمَوَاجِيرِ

الماخور: بيت الجماع

٨١ فائدة الروح

قالوا هُوَ الْجَسَدُ الْجَمُّ الْفَوَائِدُ إِنَّ
لَكِنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا: أَيُّ فَائِدَةٍ تُرْجَى
يُضِيحُ بِلَا الرُّوحِ لَمْ يَنْفَعْ وَلَمْ يُفِدِ
مِنَ الرُّوحِ إِنَّ تُصْبِحَ بِلَا جَسَدٍ
هَذَا يَصِيرُ تُرَاباً رُبَّمَا صَنَعُوا
مِنْهُ وَعَاءً لِشُرْبِ الطَّائِرِ الْعَرِدِ
وَتِلْكَ كَانَتْ خَيَالاً تَائِهاً أَبَداً
وَسَوْفَ تَبْقَى كَمَا كَانَتْ إِلَى الْأَبَدِ

٨٢ الاحتكاك

شَرِّقْ وَغَرِّبْ فَقَدْ يَغْنَى أَخُو سَفَرٍ
عَنْ كُلِّ مَا تَجْمَعُ الْأَسْفَارُ مِنْ حِكَمٍ
الأسفار: الكتب
والمرء لا يَرْتَقِي مَهْمَا تَلَا كُتُباً
إِلَّا إِذَا اخْتَلَّكَ بِالْأَفْرَادِ وَالْأُمَمِ
ويقول الشارح: كثرة الأسفار تزيد العميق عمقاً، والسطحي سطحيةً

٨٣ ضد الرمزية

إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ آدَابِ رَابِطَةٍ
قَدْ أَوْجَدْتُ فِي نِظَامِ الشُّعْرِ تَشْوِيشاً
لَعَلَّه يَقْصِدُ الرَّابِطَةَ الْقَلَمِيَّةَ الَّتِي أَسْهَى فِي نِيُورُوكِ جَبْرَانُ وَنَعِيمَةُ وَأَصْحَابُهُمَا؟
سَنَّتْ عَلَى الْأَدَبِ الْمِيْمُونِ غَارَتَهَا
فَأَمَعَنْتُ فِيهِ تَشْوِيشَهَا وَتَخْدِيشَهَا
طَارَتْ فِخْلُنَا نُسُوراً فَوْقَنَا ارْتَفَعَتْ
ثُمَّ اسْتَقَرَّتْ فَكَانَتْ كُلُّهَا رِيشاً
أَشْعَارُهَا عَلَقَمٌ، مَعَ أَنَّهَا شَرِبَتْ
مِنْ مَاءِ صَنْيْنٍ وَالْعَاصِيِ وَقَادِيشَا

٨٤ شرير بالفطرة

المرء يُولَدُ شَرِيرًا، فَإِنْ غَفَلْتَ
عَيْنُ الْمَهْذَبِ عَنْهُ هَكَذَا لَبِثَا
إِنْ لَمْ تَكُنْ قُدُوةً لِلْوُلْدِ صَالِحَةً
أَنْفَقْتَ مَالَكَ فِي إِصْلَاحِهِمْ عَبَثًا

٨٥ قلة فهم المناذيل

لَوْ يُجْمَعُ الدَّمْعُ مِنْذُ اغْتِيلَ هَابِيلُ
لَمَا اسْتَطَالَ عَلَى أَقْرَانِهِ النَّيْلُ
لَنْ يَفْتَخِرَ النَّيْلُ عِنْدَئِذٍ بِأَنَّهُ نَهْرٌ عَظِيمٌ، فَهَرِ الدَّمْعُ سَيَكُونُ أَعْظَمَ مِنْهُ
وَالْحَدُّ يَعْلَمُ مَا فِي الدَّمْعِ مِنْ حُرْقٍ
وَلَيْسَ تَعْلَمُ مَا فِيهِ الْمَنَادِيلُ

٨٦ الأدياء والذهب

وليسَ لأَدِيَاءِ النَّفْسِ مَجْدٌ ولو رَصَفُوا المَنَازِلَ بِاللَّالِي
ولو صَاغُوا النُّضَارَ لَهُمْ نِعَالاً تَظَلُّ نَفُوسُهُمْ تَحْتَ النُّعَالِ

٨٧ الشاعر تاجراً

فلاسفَةُ الأَعَارِبِ مِنْ قُرُونٍ قَدْ احْتَقَرُوا التَّجَارَ، وَقَدْ أَصَابُوا
التَّجَارَ: الثُّجَارُ

فَمَا سَوَى التَّجَارَةِ غَيْرُ غَابٍ تَنَاهَشُ فِي جَوَانِبِهَا الذُّنَابُ
رُمِيتُ بِهَا، وَمَا فِي الكَفِّ ظُفْرٌ أَذُودُ بِهِ، وَمَا فِي الْفَكِّ نَابُ
فَلَمْ يَسْلَمْ مِنَ التَّمْرِيقِ جِلْدِي وَلَمْ تَسْلَمْ عَلَى جِلْدِي الثِّيَابُ

٨٨ حر لولا ثلاث

خُلِقْتُ مُسَيِّراً، وَأَمُوتُ قَسِراً وَلِيَّ امْرَأَةٍ، فَكَيْفَ أَكُونُ حُرّاً

٨٩ المهد والنعش

حَيَاةُ هَذِهِ الدُّنْيَا وَمَوْتُ فَلَا تُنْفِقْ ضِيَاءَ الْعَيْنِ سُهْداً
فَأَعْقِلْ مَنْ رَأَيْتُ فَتَى حَكِيمٌ يُشِيدُ مَنْزِلاً وَيَشُقُّ لَحْداً
وَنَجَّارٌ يَرَى دَفْناً وَزَقْفاً فَيَصْنَعُ مِنْ بَقَايَا النُّعْشِ مَهْداً

٩٠ استرزاق

كِتَابُ مَسِيحِكُمْ سَهْلٌ صَرِيحٌ فَمَا هَذِي الزَّوَائِدُ وَالْحَوَاشِي
وَمَا هَذِي الطُّقُوسُ إِذْنٌ إِذَا لَمْ تَكُنْ حَيْلاً لِتَحْصِيلِ الْمَعَاشِ

٩١ لا نريد أن نتذكره

وَحَقِّكَ! مَا لِنَنْعَشِ الْمَيِّتِ مَعْنَى وَلَا مَعْنَى لِنَغْمِيقِ الْقُبُورِ
فَلَيْسَ الْقَبْرُ أَفْضَلَ مِنْ عَرَاءٍ تَهْبُّ عَلَيْهِ نَاشِرَةُ الْعُطُورِ

ناشرة العطور: يقصد العطور الزكية

وَلَيْسَ الدَّوْدُ أَشْرَفَ مِنْ نُسُورٍ تُرْفَرِفُ بَيْنَ أَمْوَاجِ الْأَثِيرِ

ولكنَّ الأنَامَ تخافُ مَرَأَى يَلوُحُ لها بِهِ سوءُ المَصِيرِ

٩٢ قيمة المجد الغابر

أَذَلُّ شعوبِ هذِي الأرضِ شعبٌ تراه بِذكرِ سالفِهِ وَلُوعًا
إذا ماتَ الإباءُ بِصَدْرِ شعبٍ فقد مَاتَتْ مآثِرُهُ جَمِيعًا

٩٣ مديح جهنم

أَحِبُّ النَّارَ، لا كُفْرًا وَلَكِنْ لَأَنَّ النَّارَ مَصْدَرُ كُلِّ نورٍ
وَأَعشَقُهَا لَأَنَّ الدِّينَ فِيهَا يَزُجُّ الشَّائِرِينَ على الغُرُورِ
يعشق جهنم لأن الدين يدخل فيها الثائرين ضد الغرور

فإنَّ كَانَ الشُّمَيْلُ والمَعَرِّي وَرَهْطُهُمَا هُنَالِكَ فِي السَّعِيرِ
شبلي الشميل، وهو ابن قرية شاعرنا كفر شيما، كان داعية نظرية التطور في مطلع القرن العشرين

فقد فَضَّلْتُ سَكَنِي النَّارِ مَعَهُمْ على سَكَنِي السَّمَاءِ مَعَ الحَمِيرِ

٩٤ معيار الصلاح

تَعْوِيدُ كَفِّكَ الصَّلَاحَ أَبْرُ مِنْ تَعْوِيدِ رِجْلَيْكَ الوقوفَ بِمَسْجِدٍ
أَنَا لا أَصَدِّقُ أَنَّ لِصَّامًا مؤمناً أَذْنَى لِرَبِّكَ مِنْ شَرِيفٍ مُلْحِدٍ

٩٥ الأجنبية عندما تنتقب

تَتَبَرَّقُ الْمُتَفَرِّجَاتُ سَوافراً بِبَرَاقِعٍ مِنْ نَسْجِهِنَّ كِثَافٍ
يَضْبِغْنَ هَاتِيكَ الخُدُودُ تَبَرُّجاً فَالضَّبْغُ بَادٍ والخُدُودُ خَوَافٍ

٩٦ فن القناعة

ما لِلْأَنَامِ يُفْتَتَشُونَ عَنِ السَّنَى وَالشَّمْسُ تَغْمُرُ أَجْبَلًا وَسُهُولًا
السنى: الضوء

وَتَعَلَّمُوا كُلَّ الفنونِ، ولم يَزَلْ فَنُّ القَنَاعَةِ عِنْدَهُمْ مَجْهُولًا

٩٧ ثمن الحرية

لا تَظْمَعَنَّ بِوَضْلِهَا حُرِّيَّةً حَتَّى يَكُونَ لَدَيْكَ سَيْفٌ فَاصِلُ
لو كَانَ مَحْضُ الْوُدِّ يَكْفِيهَا لَمَّا فَازَ الْكَمَالُ بِهَا، وَخَابَ الْكَامِلُ
الكمال: مصطفى كمال أتاتورك، والكمال: مصطفى كامل. وقد أسس أتاتورك بقوة السلاح دولة
تركية حديثة، ولم ينجح حزب مصطفى كامل «الوطني» في تحقيق إنجاز ملموس في مصر

٩٨ في كل سلة بيضة

ازْفُتْ بِنَاتِكَ فِي الْمَذَاهِبِ كُلِّهَا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَعَايِدِي الْأَصْنَامِ
وَاقِرِنُ بِهِذَا الْحَبْلِ بَطْرَكَ تَابِعِي عَيْسَى، بِشَيْخِ مَشَايِخِ الْإِسْلَامِ
حَتَّى إِذَا نَفَتْ التَّعَصُّبُ سُمُّهُ مَنَعَتْ أَذَاهُ وَشَائِجُ الْأَرْحَامِ

٩٩ المتمسحون ذلاً

إِنَّ الْأَنَامَ، وَمَا إِخَالِكَ جَاهِلًا، عَبْدٌ يَذِلُّ، وَسَيِّدٌ يَتَحَكَّمُ
فَإِذَا رَأَيْتَ الظُّلْمَ يُنْشَبُ ظُفْرُهُ فَيَجِلْدُ شَعْبٍ قَلَمًا يَتَأَلَّمُ

١٠٠ إباء حتى النهاية

مَنْ الْعَبِيُّ عَلَيَّ، فَاَنْتَفَضَتْ لَهُ شَعَرَاتُ نَاصِيَتِي كَرِيشِ الْقُنْفُذِ
وَرَمَيْتُهُ بِسَهَامٍ نَفَذَ إِنْ تَقَعُ يَوْمًا عَلَى صُمِّ الْجَنَادِلِ تَنْفُذِ
الجنادل: الصخور

أَنَا لَا أُطِيقُ الْمَنَ مِنْ تِلْكَ الَّتِي رَدَّتْ صِبَايَ، فَكَيْفَ مِنْ هَذَا الَّذِي
لَوْ مَنْ رَبُّكَ بِالْحَيَاةِ عَلَى الْوَرَى لَبَصَقْتُ حَوْبَائِي، وَقُلْتُ لَهُ: خُذِ
حوبائي: نفسي

١٠١ الإيمان قيداً

كُلُّ امْرئٍ يَرْجُو، وَلَكِنْ بَعْضُهُمْ عَالَى فَعَلَّ الْعَقْلَ بِالْإِيمَانِ
غل: قيد

إِنَّ الرَّجَاءَ مِنَ الصَّوَابِ، فَإِنْ يَفُتْ حَدَّ الْحَيَاةِ عَدَا مِنَ الْهَدْيَانِ

١٠٢ شعراء الغموض

أصحابُنا المتمرّدون خيالُهم تَقْضِي قَرِيْشُ به، وَتَحْيَا جَمِيْرُ
تقضي قريش: تموت قريش (فلغة قريش هي لغة القرآن وهي الأفصح، وأما لغة حمير اليمانية فقد أصبحت بعد الإسلام مهملّة غير موسومة بالفصاحة)

لُغَةً مُشَوَّشَةً، وَمَعْنَى حَائِرُ خَلَفَ الْمَجَازِ، وَمَنْطِقُ مُتَعَثِّرُ
وَزَعِيمُهُمْ فِي زَعِيمِهِمْ مُتَفَنِّنُ عَجَبًا أَكَاَنَ الْقَرْنُ فِيمَا يُضْمَرُ
لَا الْأَرْضُ نَفَهُمْ مَا يُسْطَرُّهُ، وَلَا ذَاكَ الرَّعِيمُ، وَلَا السَّمَاءُ تُفْسَرُ

١٠٣ صفحة الوفيات

أَسْلَفْنَا كَانُوا إِذَا مَاتَ امْرُؤُ يَسْتَأْجِرُونَ لِنَذِيهِ نِسْوَانَا
يَنْسُبْنَ لِلْمَيِّتِ الْعَزِيزِ فَضِيلَةً صِدْقًا، وَأَلْفَ فَضِيلَةٍ بُهْتَانَا
أَمَّا الَّذِينَ عَرَفْتُهُمْ فِي عَصْرِنَا مِمَّنْ يَرِيدُونَ الْعُلُوَّ مَكَانَا
يَسْتَأْجِرُونَ لِيَمْدَحُوا أَمْوَاتَهُمْ صُحُفًا أَحَطَّ مِنَ النُّوَادِبِ شَانَا

النوادي: النائحات

١٠٤ مناعة ضد المديح

قَالُوا مُدِخْتُ، أَلَا تُجِنُّ مَسْرَةً فَضَحِكْتُ مِمَّنْ قَالَ بِاسْتِهْزَاءِ
أَنَا لَيْسَ يَرْفَعُنِي الْمَدِيحُ إِذَا هَمَى وَالشَّئْمُ لَيْسَ يَحْطُّ مِنْ عَلَيَّائِي
همي: هطل كالمنطر

أَنَا فِي الْفِعَالِ وَفِي الْمَقَالِ وَفِي الْحِجَا وَالرُّوحُ مَخْتَلِفٌ عَنِ الشُّعْرَاءِ
إِمْدَحْ، فَمَدْحُكَ لَا يَشُدُّ عِمَامَتِي وَاشْتَمْ، فَشَتْمُكَ لَا يَحُلُّ حِذَائِي

١٠٥ ما ذنبي إن كان هذا رأيي

رَبَّاهُ مَا ذَنْبِي! وَأَنْتَ مَنْحَنِي عَقْلًا يُمَيِّزُ لِلْكَلامِ مَعَانِي
وَيَوَدُّ لَوْ هَتَكَ السَّائِرَ كُلَّهَا لَيَرَى الَّذِي فِي الْغَيْبِ رَأْيَ عِيَانِ
كَمْ فَاتِحَ ذَبَحَ الرِّجَالَ وَمَا عَفَا لَوْلَا دَعَارَتُهُ عَنِ النَّسْوَانِ
مُتَسَلِّحًا بِكِتَابِهِ، وَكِتَابُهُ يُغْزَى إِلَيْكَ، فَمَنْ تُرَاهُ الْجَانِي

١٠٦ القبله المتوجهة

يَهْنِيكَ تَوْمُكَ يَا سَعَادُ، كَأَنَّهُ نَوْمُ الرَّضِيعِ عَلَى ذِرَاعِ الْمُرْضِعِ
 سعاد ابنة الشاعر. وللمهجري زكي فنصل قصيدة في ابنة له توفيت، واسمها أيضاً سعاد
 يَهْنِيكَ يَا وَلَدِي السُّكُونُ مُحَرَّكَاً بَجَلَالِ هَيْبَتِهِ سَوَاكِينَ أَدْمُعِي
 كَمْ قُبْلَةً تَهْفُو إِلَى شَفَتَيَّ مِنْ قَلْبِي الْحَزِينِ الْوَالِدِ الْمُتَفَجِّعِ
 حَتَّى إِذَا وَجَدْتُ سِرِيرَكَ خَالِياً رَجَعْتُ فَصَارَتْ جَمْرَةً فِي أَضْلُعِي

١٠٧ هدية تأتي أن تسيل

يَا دَمْعَةً نَشَفْتُ، وَلَا ذِعَ حَرَّهَا يَمْتَدُّ مِنْ قَلْبِي إِلَى أَجْفَانِي
 إِنِّي لَدَى قَبْرِ الْحَبِيبَةِ وَاقِفُ فِي عِيدِ مَوْلِدِهَا، فَمَا أَشْقَانِي
 لَمْ آتِهَا بِهَدِيَّةٍ، إِلَّا كَيْ رَمَزَ الْحَنَانِ وَصُورَةَ الْوُجْدَانِ
 الهدية الوحيدة: الدمعة

فِيضِي فَإِنَّكَ كُلُّ مَا فِي طَاقَتِي وَأَعَزُّ مَا فِي مُهْجَتِي وَجَنَانِي

١٠٨ الشاعر واللقمة

قَالُوا: أَتُشْرِكُ بِالْقَرِيبِ تِجَارَةً سَلَكْتُ مِنَ التَّمْوِيهِ كُلَّ طَرِيقِ
 وَالشَّاعِرُ الْمَطْبُوعُ، كَيْفَ تَقَلَّبَتْ دُنْيَاهُ، مَطْبُوعٌ عَلَى التَّخْلِيْقِ
 فَأَجَبْتُهُمْ: لَيْسَتْ مَوَاعِظُكُمْ سِوَى هَذَرٍ، وَعِقْتُكُمْ سِوَى تَلْفِيقِ
 أَعِيشُ مِنْ مَرَحَى الَّتِي هِيَ نَفْدُكُمْ؟ وَيَعِيشُ أَوْلَادِي عَلَى التَّضْفِيقِ؟

١٠٩ الإنسان والحذاء

نَعِيبُ عَلَى الْإِسْكَافِ أَنْ لَمْ يَجِدْ لَنَا حِذَاءً جَمِيلاً غَيْرَ وَاهٍ، وَلَا قَاسٍ
 وَنَحْمَدُ رَبًّا يَخْلُقُ الْمَرْءَ قَاسِيَا سَخِيفاً حَوَى الْعَبِيْنَ فِي الْقَلْبِ وَالرَّاسِ
 حَيَاءً مِنَ الْإِسْكَافِ يَا رَبِّ، وَلِيَكُنْ صَنِيعُكَ خِلَواً مِنْ غُيُوبٍ وَأَذْناسٍ
 إِذَا كَانَ صُنْعُ الْخُفِّ يُوجِبُ دِقَّةً فَكَيْفَ بِصُنْعِ النَّاسِ، يَا خَالِقَ النَّاسِ!

١١٠ صغار النفوس

نَصَحْتُكَ لَا تَأْمَنُ صَغِيرَا، وَلَا تَخَفُ كَبِيرَا، فَمَا فِي الْحَجْمِ هُمْ الْمُفَكِّرِ

أَشَدُّ الْعِدَى فَتْكَاً بِأَبْنَاءِ آدَمَ جَرَاثِيمُ يُعَيِّي فَخْصُهَا كُلَّ مِجْهَرٍ

١١١ الاختيار

حَقَرْتُ الْغِنَى سَعْيًا إِلَى الشُّعْرِ فَانْجَلَى لِعَيْنَيَّ جَامُ الْعُمْرِ بِالْحُبِّ مُتْرَعًا
الجام هو الجاط هو الوعاء

وَلَمَّا حَقَرْتُ الشُّعْرَ سَعْيًا إِلَى الْغِنَى أَضَعْتُ الْغِنَى وَالشُّعْرَ وَالْحَبَّ أَجْمَعًا

١١٢ فضل فرنسا

يَلُومُونَنَا جَهْلًا بِحُبِّ فَرَنْسَةٍ وَنَحْنُ، وَحَقُّ الْحَبِّ، بِالْعُذْرِ أَخْلَقُ
يسخر... نحن معذورون في حبنا فرنسا

فَإِنَّ لَهَا فَضْلًا عَلَيْنَا وَمِنَّةً وَبِيْضَ أَيْادٍ لَا تَكَادُ تُصَدِّقُ
أَمِنَا لُصُوصَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ بَعْدَهَا فَمَا تَرَكْتُ شَيْئًا بِلُبْنَانَ يُسْرِقُ

١١٣ الشاعر والقارئ

عَجِبْتُ لِمَنْ يَطْوِي لِيَالِيهِ سَاهِرًا يُفْتَشُّ عَنْ مَعْنَى غَرِيبٍ فَيَلْقَاهُ
فَيَنْظُمُهُ شِعْرًا، وَلَا فَرْقَ عِنْدَهُ إِذَا مَا اهْتَدَى قُرْأُوهُ فِيهِ أَوْ تَاهُوا
أَلَا إِنَّ خَيْرَ الشُّعْرِ مَا سَاعَ لَفْظُهُ وَمَا كَانَ مِمَّا يَسْبِقُ اللَّفْظَ مَعْنَاهُ
إِذَا جَاءَنِي الْمَعْنَى الْغَرِيبُ فَمَرْحَبًا وَإِنْ لَمْ يَجِئْ لَا رَدَّ غَرِيبَتَهُ اللَّهُ

١١٤ في هجاء البشر

هَذِي الْحَيَاةُ، وَأَنْتَ تَعْرِفُهَا، غَرَارَةٌ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ
غرارة: خداعة

وَالنَّاسُ أَقْدَارُ تُجَمِّعُهَا الـ أَقْدَارُ تَحْتَ أَظَافِرِ الدَّهْرِ

١١٥ دورة الفتك

إِنَّ الْخَلَائِقَ أَنْهَرُ تَجْرِي إِلَى الْبَحْرِ الْوَسْبِغِ
يَصِلُ الْبَطِيءُ إِلَيْهِ كُرُ هَأْ مِثْلَمَا يَصِلُ السَّرِيعُ
فَالشَّاءُ تَفْتِكُ بِالْكَلا وَالذُّئْبُ يَفْتِكُ بِالْقَطِيعِ

الكلأ: الكلأ، أي العشب

وَالصَّغَرُ يَفْتِكُ بِالْقَطَا وَالْمَوْتُ يَفْتِكُ بِالْجَمِيعِ

١١٦ أَتْبَاعِ الطُّقُوسِ

هَذِي كَنَائِسُكُمْ تَكَا دُنُضِيُّ الْكُونِ الْفَسِيحِ
غَصَّتْ بِأَتْبَاعِ الطُّقُو سِ، فَأَيْنَ أَتْبَاعُ الْمَسِيحِ؟

إلياس فرحات فهرس القوافي

٤٧	الشُّهُودُ	٦١	لَوَاءٌ
٧٠	تُحَلِّدُ	١٠٤	يَاسْتَهْزِءُ
٥٥	تَعْقِيْدُ	١٩	يَسْخَاءُ
٥٤	الْأَذْرَدُ	٣٣	أَبْوَابَا
٩٤	يَمَسْجِدِ	٥٨	الْقُلُوبَا
٢١	رَادِ	٨٧	أَصَابُوا
٨١	لَمْ يُفِدْ	٣٥	يَكْتُبُ
٨	خَامِدَةٌ	٧٢	أَبْوَابُ
١٠٠	الْقُنْفُذِ	٧٧	العَرَبِ
٨٨	حُرًّا	٤٩	الْمُتَصَابِي
١٥	نُكْرَا	٤٢	لَرَّيْبُ
٢٩	الْخَطِرُ	٢٥	يَتَأَدَّبُ
٢٠	الْكُوَايِرُ	٤٠	غِيَابُهُ
١٠٢	حَمِيرُ	١٨	بِحَيَاتِهِ
٧٦	يَسْتَرِيرُ	٣٦	كَلِمَاتِهَا
٦٥	الْحِمَارِ	٨٤	لَبِثَا
٩١	الْقُبُورِ	٧٣	عِوَجُ
١١٠	الْمُفَكِّرِ	١١٦	الْفَسِيخِ
٨٠	بِتَأْخِيرِ	٦٠	الصَّدَا
٣١	ظَهْرِي	٨٩	سُهِدَا

٧٩	بَذَلَا	٧٥	لَمْ يَجْرِ
٩٦	وَسُهُولَا	٦٦	مُغْرٍ
٨٥	النَّيْلُ	٩٣	نُورٍ
٩٧	فَاصِلُ	٦٤	هَتَلٍ
١٢	السَّيْلِ	١١٤	وَالْجَهْرِ
٨٦	بِاللَّالِي	٧١	وَضَرٍ
٤٥	قِيلِ	١	الدَّرَزُ؟
٣٨	يَزَلِ	١٣	بِالنَّفِيرِ
١٦	لَمْ أَزَلْ	٦٩	أَخْبَارَهَا
٦	الْأَوَامَا	٢	وَالطَّهَارَةَ
٥٠	مُهْتَمَّا	٢٢	الْأَسَى
٥١	نَمَا	٥٦	مَلْبَسُ
٣٧	وَابْتَسَمَا	١٠٩	قَاسٍ
٤٤	النَّوَاعِمُ	٨٣	تَشْوِيشَا
٩٩	يَتَحَكَّمُ	٩٠	وَالْحَوَاشِي
٣٩	يَتَعَمَّمَا	٢٣	وَالْمَرَضَا
٩٨	الْأَصْنَامِ	١١١	مُتَرَعَا
٢٤	المِظَالِمِ	٩٢	وَلُوعَا
٨٢	حِكَمِ	٥٧	الْجَزْعُ
٤٨	وَتَحْتَمِي	١٠٦	الْمُرْضِعِ
٥٢	الْفِطَامِ	١١٥	الْوَسِيعِ
١٧	دَمَهُ	٦٢	الشَّافِي
٣٤	وَحَسَامَهَا	٩٥	يَكْتَا فِ
٢٦	فِينَا	١١٢	أَخْلَقُ
١٠٣	نِسْوَانَا	٧	طَلِيقُ
٥٩	وَهَنَا	٥	تُخَلِّقِي
١٠٧	أَجْفَانِي	١٠٨	طَرِيقِ
٤٦	أُغْنِي	٤٣	النَّسَاكِ
١١	الإِعْلَانِ	٣	لَكَ

٢٨	جَنَاهَا	٣٠	الْبُرْهَانِ
١٠	كَدُّخَانِهَا	١٠١	بِالْإِيمَانِ
٦٧	مَسْعَاهَا	١٤	دُرُوبِ
١١٣	فَلَقَاهُ	٢٧	عَيْنِي
٤١	كُوَّةُ	٤	كَفَّانِي
٣٢	خَلِيًّا	٧٨	لِرُهْبَانِ
٥٣	كَأَوِيَا	١٠٥	مَعَانِي
٩	حُمَيَّاها	٧٤	وإِيمَانِي
٦٣	ضَمَوَاحِيهَا	٦٨	وُخْلَانِي

مصطفى وهبي التل (عرار)

(١٨٩٩ - ١٩٤٩)

هذا شاعر لم يسهر لقصيدة. فجاء شعره مفككاً، فإن رأيت له طويلة فهي مرقعةٌ الدروايش. وجاءت قوافيه قلقة، فإن رأيت له قافية صادحة فهذا توفيق.

ولأنه كان متمرداً جاءت بعض أبياته حارة، ولا يندر أن تجتمع له نتف من هنا ومن هناك قالها في شهر أو شهرين، وألصق بعضها ببعض فيكون من ذلك قصيدة حلوة. ولا يندر أن يقول قصيدة حلوة متماسكة. . لا، بل يندر.

وانظر ما يفعل التنخيل في شعر شاعر مهمل متصعلك كعرار. أنعم النظر في الصفحات التي تلي وانظر إلى هذا الشاعر كيف تعملق.

أتراني معجباً بما صنعت بعرار ولعرار؟ إي وربي.

يا لفرحي بما أنفقت من ليالٍ طوالٍ وأنا أعتني بالشعراء وأهذب لهم دواوينهم.

كنت أعلم طلبة الصحافة، في قسم الإذاعة. ذات يوم قلت لنفسي: أعطيتهم واجباً خفيفاً يناسبهم، فهم طلبة لم يتح لهم أن يعملوا في الميدان. طلبت منهم أن يصنعوا عرضاً للصحف. ليس لأخبارها، فأخبار الصحف عتيقة، وأجد منها أخبار الإذاعة، وأجد منها أخبار الإنترنت. إذن فليعرضوا المقالات التي نشرتها صحف اليوم. هيّا.

ما أكبر ما كانت دهشتي وأنا أراهم يقعون، في المقالة بعد المقالة، على العبارات المكرورة التي لا جدة فيها ولا فكرة ولا تحليل و.. لا شيء.

تعلمت أن استخلاص زبدة المقالة أمر لا يقوم به إلا من هو ناضج في المهنة والتجربة والحياة.

ولا أزعج أن اختيار الأشعار صعب الصعوبة نفسها، ولا أنه يقتضي الخبرة فحسب. فرب عامي يطرب لبيت لا يطرب له حتى الشاعر الذي قاله، وللعامي أن يطرب. ورب فقيه يختار أبياتاً يعدها من خير واردات وادي عبقر، ويأتي ناقد فيراها سمجة غثة. ورب شعور يصادف أبياتاً فيها كلمات من قبيل «البنفسج، والسنونو، وتلألؤات الغسق في نسغ الليمون» فيصيح - صيح عليه - صيحات استحسان.

غير أنه مما ثبت في أذهان أهل التراث الشعري العربي منذ حماسة أبي تمام أن اختيار الشعر يدل على ذوق صاحب الاختيار، وأن الاختيار أمر جليل.

أما أن الاختيار يدل على ذوق صاحبه فلا أشك في ذلك. وأنا أنه أمر جليل، فذلك محتاج إلى بعض نظر.

لكل امرئ أن يختار من الشعر ما يعجبه. وأنا واحد من الآلاف الذين يقرأون الشعر، ويعجبهم منه ما يريدون أن يعجبهم. وما يميزني ليس أكثر من أنني أنفق الوقت في الانتقاء والطباعة وتصحيح أغلاط الطباعة في نسختي وفي الديوان نفسه، ثم التشكيل ثم الشرح ثم الفهرسة. ما يميز مجموعتي هذه ليس أكثر من الجهد المبذول.

وأريد أن أتعرض لكلمة قالها القدماء عن حماسة أبي تمام وكررها المؤلفون مئات المرات في كتبهم: «أبو تمام في الحماسة أشعر منه في شعره». وأبدأ بالقول إنني لست موافقاً على هذا الحكم. فلو أعطيت قصيدة الطغرائي لأي متأدب وطلبت منه أن يختار عيونها، فلست أشك في أنه سيلتقط بسرعة البيت: (أعلل النفس بالآمال، أرقبها/ ما أضيّق العيش لولا فسحة الأمل). ولست أشك في أنه سيلتقط بضعة أبيات قبل هذا البيت وبضعة أبيات بعده. وقد أجريت تجربة: نظرت في بعض مواقع الإنترنت ورأيت كيف اختار بعضهم من هذه القصيدة. وقلت في نفسي: ولو اخترت أنا من هذه القصيدة بضعة أبيات، أو لو تأخر زمن أبي تمام وقبض له أن يختار منها، فلعله ولعلني لن نصنع أفضل مما صنع غيرنا.

ما الذي أدهش التبريزي حتى يقول عبارته البليدة: «أبو تمام في اختياره أشعر منه في شعره»؟ ومن هو التبريزي في ميزان النقد. ولماذا نكرر مثل هذه العبارة؟
بلادة!

لا، لم أعد شديد الفرح، أو الافتخار، بما صنعته لعرار وبعرار. قد صنعت ما يمكن أن يصنعه أي أحد. فشعر عرار سهل في لغته وفي معانيه. ولا يقتضي إلا أقل الجهد في الضبط والتشكيل، والشرح.

ومثلاً فعلت مع عرار، مصطفى وهبي التل، شاعر الأردن الأشهر، فعلت مع غيره. وبقي عليّ أن أعض بنان الندم على عشرين أو ثلاثين مرة تحدثت فيها عن اختياراتي حديث المعجب بما صنع.

عرار

ولد «مصطفى وهبي» بن صالح التل لأسرة معروفة في مدينة إربد بشمال الأردن. أبوه متعلم، وفتح مدرسة. واستقى الشاعر علومه في مكتب عنبر بدمشق في أواخر سني الدولة العثمانية، وكانت بعض الدروس بالتركية، وكان متمرداً غريب الطباع، ونُقل إلى مدرسة بيروت ثم عاد إلى مكتب عنبر، واجتاز فحص الحقوق في الأردن. وعمل في التعليم في إربد بشمال الأردن، والكرك في جنوبه. وعندما كان في الخامسة والعشرين بدأ الحكم العربي في الأردن بمقدم الأمير عبد الله بن الحسين. وتولى الشاعر مهام إدارية عليا في عدة مناطق.

وخير من عرف نفسية عرار وشاعريته أمير البلد. كان عبد الله بن الحسين شاعراً، ومتذوقاً للشعر، وذو روح سمحة. وكان كثير الإنعام على الشاعر «النّهَاب الوّهَاب» بحسب قول الأمير. وسيعيش عرار ربع قرن في ظل الأمير عبد الله، (ثم ثلاث سنين وعبد الله ملك على شرق الأردن بعد الاستقلال الاسمي عام ١٩٤٦). ولا فرق بين عهد الإمارة والمملكة إلا في الاسم، فالإنجليز هم أصحاب الأمر وقائد الجيش منهم.

كان الأمير ينعم على الشاعر بالهبات ويرسل به إلى السجن أو المنفى.. مرة هكذا ومرة هكذا. فالشاعر طويل اللسان، منحرف في سلوكه، متمرد، سكير.

كان عرار يعرف قواعد الفارسية ويحتفظ بمعجم، وبهذا ترجم عدداً من رباعيات الخيام. لكنه كان يعرف التركية معرفة معقولة مكنته من الاستعانة

باللوائح القانونية. وكان يعرف العربية مما قرأ من كتب قليلة وما حفظ من شعر، لكنه قرزم طويلاً وهو يسدد ويقارب في اللغة والعروض، واشتد عوده فيهما متأخراً، لكنه مات ولما يأخذ نفسه بإتقان أداته الإتقان الذي يوجهه عليه اتباع الإرث الشعري الفصيح. لئن خسر من هذا الإهمال أشياء فقد أفاد أخرى. لم يكن واسع الحفظ، فنجا من التقليد، ولم يكن يعبر مسائل اللغة كبير اهتمام فقال شعراً على السجية، فما خلص من شعره من العلل فهو من الشعر الأصيل العالي.

قضى حياته بين النُدمان، وهم بالعشرات: بعضهم من موظفي الدولة، وكان يلتقي بهم في كوخ أعده أحدهم للشراب، فهذا «كوخ الندامى»؛ وبعضهم من أصدقائه الغجر الذين كان يرتاد مضاربهم في وادي الشتاء، ووادي السير، وهما قرب عَمَّان، ووادي اليابس في الشمال قرب عجلون.

وقع أشعاره باسم عرار، لعل ذلك من البيت المنسوب للمجنون: (تمتع من شميم عرار نجد/ فما بعد العشية من عرار)، أو من بيت عمرو بن شأس: (أرادت عراراً بالهوان، ومن يرد/ لعمرى عراراً بالهوان فقد ظلم). وكان شاعرنا يعرف البيتين كما أخبرنا صاحبه ومترجمه يعقوب العودات في كتابه عن الشاعر.

وقد جمع عرار شعره في ديوان نوى أن يسميه «عشيات وادي اليابس»، ونُشر الديوان بعد موته بأربع سنين. لكن أكثر من نسخة صدرت بعد ذلك واحتوت على أبيات كثيرة لم ترد في النسخة الأولى. وأخذنا من نشرة زياد الزعبي. على أننا كنا قرأنا الطبعة الأولى في زمن غابر، ونسخنا منها أبياتاً، وانعقدت بيننا وبين هذه الأبيات صداقة عُمُر. فإذا ما رأيتني شديد الحماسة لبعض الأبيات التي تجدها أنت ضعيفة فاعلم أن المشكلة فيّ، فما أصعب أن يفتك المرء من سحر أبيات عرفها في مقتبل العمر.

١ شامة الدنيا

بالنفس يا شيخُ مِنْ تَقَوَاكُ أَشْيَاءُ ضَاقَتْ بِهَا مِنْ فَسِيحِ الصِّدْرِ أَرْجَاءُ
يخاطب الشيخ عبد النجار، وقد جاء إلى الأردن من الحجاز مع الملك عبد الله ابن شريف مكة الحسين

يا شيخُ ما الْعِلْمُ؟ حَسْبُ الْمَرْءِ مَعْرِفَةٌ أَنْ الشَّفَاةَ بِوَادِي السَّيْرِ لَمَيَاءُ
وادي السَّيْرِ، على وزن الريم: مكان كان خویرج عَمَّان وصار دويخلها، وكانت تسكنه جماعة من النّور، الفجر، وشفاه فتياهم لمياء، أي مسمرة

أَكْلَ يَوْمَيْنِ تَرْمِينِي بِمَوْعِظَةٍ قَضَافَصَةٍ نَسْجُهَا: فِقَهُ وَإِفْتَاءُ
موعظتك منسوجة طولاً بالفقهِ وعرضاً بالفتوى

دمشق! يا جَنَّةَ الدُّنْيَا وشَامَتَهَا إِنَّ لَمْ يَكُنْ فِيكَ عَنْ لَمَيَاءِ أَنْبَاءِ..
ويا دمشق! يا جنة الدنيا وشامتها، أي خال الحسن الأسود في وجنة الدنيا، إن لم يكن فيك أخبار
عن المحبوبة التي اسمها «المياء».. أليس كان أحلى لو قال: يا شام يا جنة الدنيا وشامتها؟ ربما
لم تخطر بباله، وربما رأى فيها تعقراً

فَالْقَلْبُ أَشْهَى إِلَيْهِ مِنْكَ بَلْقَعَةً مِنْ سَهْلٍ إِرْدِيدَ لَا عُشْبَ وَلَا مَاءَ
فأفضل منك بلقعة، أرض جرداء، في سهل إرد، بشمال الأردن، خلت من العشب والماء

٢ أهكذا!

قالها، ١٩٣١، وهو في «مادبا» منفياً:

أَهكَذَا! حَتَّى وَلَا مَرْحَبًا لِّلَّهِ أَشْكُو قَلْبِكَ الْقُلْبَا
الْقُلْبُ: المتقلب

أَهكَذَا! حَتَّى وَلَا نَظْرَةً أَلَمَحْ فِيهَا وَمَضَ شَوْقِي خَبَا
خبا: خمد

أَهكَذَا! حَتَّى وَلَا لَفْتَةً أَنْسِمُ مِنْهَا عَرَفِكَ الطَّبِيبَا
عَرَفَ: رائحة طيبة

نَاشِدْتُكَ اللَّهَ، وَإِيَّامَنَا وَنَشْوَةَ الْحُبِّ بِوَادِي الصَّبَا
حلقتك بالله وبأيامنا الماضيات ونشوة الحب في زمن الصبا والشباب

وَعُصَّةَ الذِّكْرِ وَالْأَمَهَا وَحُرْمَةَ الْمَاضِي وَمَا عَئِبَا
وحلقتك بما تركه الذكرى من مرارة في الحلق، وبحرمة الماضي وما غاب فيه من أمور كانت بيننا

لَا نَسْأَلِ بِنِي أَيَّ سِرٍّ لَقَدْ أَحَالَ عُمْرِي خَاطِرًا مُرْعِبَا
عَمَّا نَ ضَاقَتْ بِي، وَقَدْ جِثُّكُم. أَنْتَجِعُ الْأَمَالَ فِي مَادَبَا
ضافت بي عمان وجثت أنتجع الأمال، أسعى وراء الأمل المنشود، في مادبا، القرية الأردنية

كَمْ رَصَعَتْ أَفْقِي نُجُومُ الْمُنَى ثُمَّ تَهَاوَتْ كَوَكِبًا كَوَكِبَا
ما أحلى هذه القصيدة! بعض حلاوة شعر عرار أنه قلما قلد الأقدمين

٣ وطأة الأربعين

أَهْوَى؟ وَلَاتَ الْيَوْمَ حِينَ تَصَابِ وَجَوَى؟ وَقَدْ غَمَزَ الْمَشِيبُ شَبَابِي
أَيُزُونِي الْغَرَامُ؟ وَلَاتَ حِينَ تَصَابِ، أَي فَاتَ وَقْتُ اللَّهْرِ. أَيْعَتْرِينِي الْجَوَى، أَلَمْ الْفَرَاقُ؟ وَقَدْ غَمَزَ
الْمَشِيبُ شَبَابِي، لَكَزَهُ وَقَرَصَهُ قِرْصَةٌ تَأْنِيبُ

وَالْأَرْبَعُونَ بِقَضَائِهَا وَقَضَائِهَا جَسَمْتُ مُزْمَجِرَةً قُبَالَةَ بَابِي
سَنَ الْأَرْبَعِينَ بِقَضَائِهَا وَقَضَائِهَا، بِكُلِّ مَا فِيهَا، أَقَعْتُ تَزْمَجِرَ قُبَالَةَ بَابِ بَيْتِي تَهْدِدُنِي بِانْتِهَاءِ زَمَنِ
اللَّهْرِ

٤ مساورة الدهر

«أَشْرَبْتُ؟» إِي وَاللَّهِ إِنَّ- إِي قَدْ شَرِبْتُ، وَسَوْفَ أَشْرَبُ
أَشْرَبْتُ؟ سَوَالُ اسْتِكَارِي كَثِيرًا مَا سَمِعَهُ الشَّاعِرُ وَهُوَ يَأْتِي مَجْلِسَ الْقَوْمِ مَتَوَحَّحًا سَكَرَانَ
الدَّهْرُ يَلْعَبُ بِي وَسَوْفَ بِهِ، بِفَضْلِ الْكَأْسِ، أَلْعَبُ

٥ أخو حانات

إِنِّي أَخُو طَرَبٍ أَعِيشُ لِأَنْتَشِي عِلَّ الزَّمَانُ يَدُوخُ مِنْ نَشَوَاتِي
سَكَرَانُ؟ قَدْ صَدَّقُوا وَرَبَّ مُحَمَّدٍ إِنِّي أَخُو طَرَبٍ فَتَى حَانَاتِ

٦ الوطن؟ البقاء في حياتكم!

هَاتِيهَا وَاشْرَبْ فَإِنَّ الْعَبْدَ فَضُحُ وَقَبِيحُ بِالْفَتَى فِي الْعَبْدِ يَضْحُو
إِنَّ هَذَا الْعَمَرَ لَيْلٌ مَا لَهُ يَا أَخِي فِي غَيْرِ أَفْقِ الْكَأْسِ صُبْحُ
سَكِرَ الدَّهْرُ فَقُلْ لِي كَيْفَ أَصْحُو وَالنَّدَى يَنْحَلُّ وَالْجُودُ يَشِخُ
الزَّمَنُ سَكَرَانَ فَالنَّدَى، أَيِ السَّخَاءِ، يَقْلُ، وَالْجُودُ يَصْبِحُ نَادِرًا

وَأَنَا يَا سَيِّدِي الْمُفْتِي كَمَا قُلْتَ عَنِّي: حَيْثُ يَنْحُو الْحُبُّ أَنْحُو
يَنْحُو: يَتَجَهَّ

وَأَمَانِي شَبَابُ فَاتِهَا مَثَلَمَا فَاتَ بَنِي الْأُرْدُنِّ نَجَحُ
أَمْنِيَاتِي فِتْنَةٌ، وَقَدْ فَاتَهَا النِّجَاحُ وَلَمْ تَحَقِّقِ الْمَرَادَ، مَثَلَمَا فَاتَ أَهْلَ الْأُرْدُنِّ تَحْقِيقَ أَمْنِيَاتِهِمْ
أَبْهَا الْبَاكِي عَلَى أَوْطَانِهِ لَا يَرُدُّ الرُّوحَ لِلْمَبِيتِ نَوْحُ

٧ اليهود والغنيمة

نشرت سنة ١٩٣٣ :

عَبُودُ شَيْخٍ اسْمُهُ عَبُودُ
وَفَقْهُهُ مُخْتَصِرٌ مُفِيدُ
مَوْضُوعُهُ: فِي الْجَنَّةِ الْخُلُودُ
حِصَّةُ مَنْ فِي جَيْبِهِ نَقُودُ
فِي مَوْطِنٍ سَكَائِهِ عَبِيدُ
هِيَ هَاتِ مَنِّي كُلُّ مَا أَرِيدُ
إِنْ فَازَ بِالْغَنِيمَةِ الْيَهُودُ
فَحَوْضُهُمْ لَا حَوْضَكَ الْمَوْرُودُ
فَلْيَهْنِكِ الْقِيَامُ وَالْقُمُودُ
فليهنك: هنيئاً لك

وَيَهْنِكِ الرُّكُوعُ وَالسَّجُودُ

٨ رثاء الهبر

أشيع، سنة ١٩٣٤، أن «الهرب» شيخ النور مات:

مُتْ كَمَا شِئْتَ فَالْئَدَامَى بِلَهُوٍ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِمْ عَلَيْكَ الْجَدَادُ
أَيْهَذَا التَّرَابُ بُورِكْتَ مِنْ قَا ضٍ لِأَحْكَامِهِ اسْتِرَاحَ الْعِبَادُ

٩ بعناه فباعنا

عبودُ قَالَ، فَمَا لَنَا وَمَقَالِهِ: الشُّكْرُ فِي نَظَرِ الشَّرِيعَةِ مُنْكَرُ
عبود: هو عبود النجار، الشيخ المفتي

وَالْخَمْرُ رِجْسٌ، وَالْكُؤُوسُ بِرَأْسِ مَنْ شَرَبُوا بِهَا يَوْمَ الْحِسَابِ تُكْسَرُ
إِنَّ الْإِلَهَ الْحَقَّ جَلَّ جَلَالُهُ مِنْ أَنْ يَقُولَ بِقَوْلِ شَيْخِكَ أَكْبَرُ
فَهَلُمَّ نَشْرَبْهَا فَلَوْنَ حَبَابِهَا ذَهَبَ كَشَعْرِ الشَّرْكَسِيَّةِ أَشْقَرُ
هيا نشرب الخمر فلون حبابها، فقايعها ذهبي ك شعر الشركسية، الفتاة من الشركس، وهم بعض
أهل الأردن، وفيهم بياض بشرة وشقرة شعر

أَوَلَمْ تَرَ الْعُرَفَاءَ كَيْفَ تَهَوَّدُوا أَوَلَمْ تَرَ الْمُتَعَلِّمِينَ تَنْصَرُّوا

العرفاء: العارفون المثقفون

وَالْبَائِعِينَ بِبِلَادِهِمْ بِقُلَامَةٍ قَدْ أَقْدَمُوا، وَالْمُخْلِصِينَ تَقَهَّقُوا؟

ألا ترى الذين باعوا بلادهم بقلامة ظفر يتصدرون المجالس، والمخلصين لقضايا الوطن يتراجعون؟

فَالْحُرُّ فِينَا لِلْعُلُوجِ مَطِيَّةٌ وَالْعَفْ مِنْنا لِلْيَهُودِ يُسْمِسِرُ

أحرار الوطن ياتممون بأمر العلوج، الإنجليز الذين كانوا يديرون للملك عبد الله إمارة شرق الأردن جيشاً واقتصاداً، والعف منا، أي العفيف، يسمر لليهود ويتوسط للتسهيل لهم، ولم تكن لهم آنذاك دولة بفلسطين، وكان للأمير عبد الله لقاءات كثيرة مع زعمائهم

يُعْنَا الْعُرُوبَةَ بِالْوُظَيْفَةِ، وَانْبَرَى لِيَبِيعَ غَوْرَ أَبِي عُبَيْدَةَ أَزْعَرُ

تصدى لمنح امتيازات في غور «أبي عبيدة»، حيث قبر الصحابي أبي عبيدة عامر بن الجراح، قرب مدينة السلط، أزعر.. والأزعر في كلام أهل الأردن هو القصير، ولم يكن في البلاد أقصر من الأمير عبد الله بن الحسين

لَا تَعْجَبَنَّ لِفَعْلِنَا، فَنَفْسُنَا رَغَمَ الظَّوَاهِرِ بِالدَّنَاءَةِ تَزْخَرُ

يَا هَبْرُ يَا طَبَّالُ، يَا مَنْ قَوْمُهُ مِنْ كُلِّ سَفْسَظَةٍ تَغْلُ تَحَرَّرُوا..

يا هبر، والهبر زعيم الثَّور، يا من قومه قد تحرروا من كل حذقة تغل المرء وتقيد..

إِنَّا عَلَى مَا قَدَّرُوهُ لِشَأْنِنَا مِنْ قِيَمَةٍ مِنْ شَيْعِ نَعْلِكَ أَخْقَرُ

اعتبارنا عند الإنجليز أقل قيمة من شيع نعلك، أي من السير الجلدي الذي على وجه النعل

حَاكَ الصَّغَارُ لَنَا رِدَاءَ رِثَاسَةٍ يَلْهُو بِقَرْضِ خِيوطِهِ الْمُسْتَعْمِرُ

الصغار والذل قد نسج لنا ثوباً من الرثاسة، فزعم بعضنا أنهم يتصدرون للزعامة، ولكن المستعمر يتسلى بقرض خيوط هذا الثوب وإفراغ رئاستنا المزعومة من محتواها

يَا هَبْرُ! هَاتِ لِي الرِّبَابَةَ وَانْطَلِقْ بِي حَيْثُ قَوْمُكَ أَسْهَلُوا أَمْ أَصَحَرُوا

هيا لنذهب ومعنا الربابة إلى قومك.. أكانوا في السهل أم في الصحراء. وكان النور ينشدون أغانيهم على أنغام الربابة، واندمجوا بشكل حسن في المجتمع الأردني الذي منحهم المواطنة والاستقرار

أَنَا مِثْلُكُمْ أَصْبَحْتُ لَا أَرْضَ، وَلَا أَهْلَ، وَلَا دَارَ، وَلَا لِي مَفْشَرُ

١٠ نفسي خضراء

ظَبَبَاتٍ وَادِي السَّيْرِ هَلْ نَفَرْتُ مِنْ مِزْبِكَنَّ الظَّبَبَةِ السَّمْرَا؟

يا فتيات وادي السير، وكان هذا الوادي قرب عمان ودخل الآن فيها، هل شَرَدَت الفتاة السمراء من السرب؟

نَهَيْتِي الَّتِي خَطَطْتُ أَنْامِلُهَا فِي سِفْرِ حُبِّي آيَةً غَرًّا
وَتَلَّتْ عَلَيَّ مِنَ الْهَوَى سُوْرًا رَتَّلْتُهَا مُتَرَنِّمًا شِعْرًا
وَمَضَيْتُ أَسْأَلُ كُلَّ فَاتِنَةٍ كَرَمًا وَجُودًا نَظْرَةً شَزْرَى

أتسول من كل فاتنة نظرة، ولو شزرى، أي غاضبة

رِيَاءَةَ الْأَلْحَاطِ مِنْ حَوْرِ زِيْدِي رِسَالَةً حُبَّنَا مَطْرَا

يا من تلمع ألحاطها، عيناها، بمائهما وبما فيهما من حور، شدة سواد في شدة بياض واصلي معي درب الغرام

مَا زَالَ قَلْبُكَ مَا يَزَالُ بِوَ رَمَقٌ، وَنَفْسِي لَمْ تَزَلْ خَضْرَا

ما زال في قلبك رمق، بقية حياة، ونفسي ما زالت خضراء، والنفس الخضراء هي المقبلة على الغرام.. وقالوا أيضاً عن الكهل المتطلع إلى زواج أو غرام إن نفسه «طرية»

سَكْرَانَةَ الْأَلْحَاطِ مَرْحَمَةً حَنِيَّ عَلَيَّ بِنَظْرَةٍ سَكْرَى
وَإِذَا مَدَدْتُ إِلَى يَدَيْكَ يَدِي فَتَلَمَّسِي لِتَسْؤُلِي عُذْرًا
فَحْيَاةُ أَمْثَالِي إِذَا صَفِرَتْ مِنْ عَظْفٍ مِثْلِكَ أَصْبَحْتَ صِفْرًا

صفرت: خلت

هَلَا أَتَقَيَّتِ اللَّهَ فِي كَبِدٍ حَرَّى، وَعَيْشٍ لَمْ يَزَلْ مُرًّا
وَنَابَةَ النَّهْدَيْنِ حَاجَتُنَا لِزَكَاةِ حُسْنِكَ لَمْ تَعُدْ سِرًّا

يطالها أن تدفع له زكاة عن جمالها.. قبله مثلاً

حُبَّنَا وَحُبُّكَ مَا يَزَالُ فَتَى غَضَّ الْإِهَابِ يُغَازِلُ الدَّهْرَا

غض الإهاب: طري الجلد

١١ الحال الماشية

أَصْبَحْتُ أَشْرَبُ كُنْيَاكَ وَيَشْرُنِي وَلَسْتُ أَدْرِي لَعَمْرِي أَيْنَا سَكِرَا

الكنياك شراب يجلب الدفء للجسم والصداع للرأس

وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ حَالِي أَمَاشِيَّةٌ؟ فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّهَا تَمْشِي بِه لِوَرَا

١٢ بين الخرابيش

لَيْتَ الْوَقُوفَ بِوَادِي السَّيْرِ إِجْبَارِي وَلَيْتَ جَارَكَ يَا وَادِي الشَّنَا جَارِي

كان قوم من النُّور، عَجَر بلاد الشام، يسكنون وادي السير ووادي الشنا، وكانوا أهل طرب وغناء، وكان الشاعر لا يطباً بمضاربهم لا يكاد يفارقها

ظَلَنْتُنِي جُرْتُ عَنْ طَرْدِ الْهَوَى، فَإِذَا حِسَابُهُ لَمْ يَزَلْ فِي دَفْتَرِي جَارِ
طرد الهوى: صيد الحسان. والحساب الجاري في دفتر البقال حساب مفتوح يشتري صاحبه الأشياء ويدفع لاحقاً

وَمَا تَوَهَّمْتُهُ زُهْدًا وَرُحْتُ بِهِ أَعْلَلُ النَّفْسَ غَيْرُ الْوَاقِعِ الْجَارِي
زهدي الوهمي الذي خدعت به نفسي مختلف عن حقيقة مشاعري

يَا هَبْرُ، هَاتِ، فَإِنَّ اللَّهَ بِأَرْئِنَا وَخَالِقَ الْكَرَمِ، رَبِّ جِدُّ غَفَّارِ
هات شرابك يا هبر، يا زعيم النور، فالله، الذي خلق كروم العنب التي تؤول إلى خمر، غفور

وَصَاحِبِ مَنْ بَنَى النَّجَارِ عَمَّتُهُ كَأَنَّمَا هِيَ بَارَأْشَوْتُ طَيَّارِ
رب صاحب من بني النجار، وهو المفتي عبود النجار، له عمامة كبيرة كأنها مظلة

يَرَى مَوَاعِظُهُ وَقَفَا عَلَى أَدْنِي وَأَنَّ رَأْسَ الثَّقَى زَجْرِي وَإِنذَارِي
كَأَنَّ عَمَّانَ لَمْ تَعْرِفْ أَخَا طَرَبِ غَيْرِي يُحُجُّ إِلَى حَانَاتِ خَمَّارِ
الناسُ قَالُوا، وَهَبْهُمْ يَا أَخِي غَرِقُوا فِيمَا يُخَوِّضُونَ مِنْ شَتْمٍ وَإِهْجَارِ
إهجار: هُجِرَ القول وفُحِشَ

فَمَا لِأَهْوَائِهِمْ شَأْنٌ يَزِيدُ عَلَى شَأْنِ الْأَثَافِيِّ بَيْنَ الْقَدْرِ وَالنَّارِ
أهواء الناس وآراءهم لا قيمة لها سوى قيمة الأثافي، أي حجارة الموقد، وليس لحجارة الموقد من قيمة سوى الإسناد، فالقيمة الحقيقية هي للنار وللقدر

بَيْنَ الْخَرَابِيشِ لَا عَبْدٌ وَلَا أَمَةٌ وَلَا أَرْقَاءُ فِي أَزْيَاءِ أَخْرَارِ
الخرابيش: بيوت النور

وَلَا جُنَاةٌ وَلَا أَرْضٌ يُضَرَّجُهَا دَمٌ زَكِيٌّ، وَلَا أَخَذَ بِالنَّارِ
العلاقات بين النور سهلة، فلا قتل ولا جنایات لاكتشاف علاقة بين شاب وفاتة

وَلَا نُضَارُّ وَلَا دَخَلُ ضَرِيبَتُهُ تُجْبَى، وَلَا بَيْدَرُ يُمْنَى بِعَشَارِ

وليس عندهم نضار، أي ذهب، ولا ضريبة دخل، وليست لهم زراعة ويبدل حصاد يمني، أي يتلى، بعشار يفرض ضريبة مقدارها عُشر المحصول

الْكُلُّ رُطٌّ، مُسَاوَاةٌ مُحَقَّقَةٌ تَنْفِي الْفَوَارِقَ بَيْنَ الْجَارِ وَالْجَارِ

الزط: قوم عاشوا على الهامش الاقتصادي لمجتمعات عربية وغير عربية منذ القدم

بَيْنَ الْخَرَابِيشِ لَا كِذْبٌ وَلَا مَلَقٌ وَلَا وُشَاةٌ وَلَا رُؤَادُ أَخْبَارِ

ملق: تملق، رواد أخبار: ناس يتسقطون الأخبار ويتسلون أو يتاجرون بها

وَلَا جَوَاسِيسَ أَنَّى سِرْتُ لِحَقْنِي أَوْعَادُهُمْ خِلْسَةً يَفْقُونَ آثَارِي

بَيْنَ الْخَرَابِيشِ لَا حِبْرٌ وَلَا وَرَقٌ وَلَا يَرَاعُ وَلَا تَذْوِينُ أَسْفَارِ

يراع: قلم

يَا بِنْتُ! وَادِي الشُّتَا هَشَّتْ خِمَائِلُهُ لِعَارِضٍ هَلٍّ مِنْ وَسْمِي مَبْدَارِ

يا بنت، لقد انحت خمائل وادي الشتا، نباتاته، لعارض هل، لسحاب ظهر، من وسمي مبدار، من مطر ربيعي باكر

دَعِيَ الْمَدِينَةَ لَا يَخْدَعُكَ بِاطْلُهَا فَزَيَّفَهَا بَيْنَ مِنْ غَيْرِ مِنْظَارِ

خَدَاكَ يَا بِنْتُ مِنْ دَخْنُونٍ دِيرَتَنَا سُبْحَانَهُ بَارِي الْأُرْدُنِّ مِنْ بَارِي

الدخنون: زهر أحمر، وسماه بعضهم الصاقصلي، وبعضهم الحئون

١٣ صحبة الكاس

لِلشَيْخِ عَبُودَ - لَا رَثْتُ عِمَامَتُهُ - وَغَطَّ أَضْيَقُ بِهِ دَرْعاً وَجُلَاسِي

«لا رثت عمامته» أي لا اهترأت، دعاء طريف لشيخ

يَا شَيْخُ دَغْنِي مِنَ التَّقْوَى وَالْتِهَا إِنِّي اسْتَعَضْتُ عَنْ الْأَذْكَارِ بِالْكَاسِ

الأذكار: الابتهالات

١٤ رضعت هواها

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ مُضْنِي مُرَوِّعُ تَشَوُّفِكَ أَوْطَانُ وَتُضْبِيكَ أَرْبُعُ

مضنى: مريض بالحب، مروع: خائف من الفراق، تضيبك أربع: تشوقك مواضع وتجعلك تحن إليها

تَعَشَّفْتُهَا طِفْلاً صَغِيراً كَأَنَّمَا رَضِغْتُ هَوَاهَا قَبْلَمَا كُنْتُ تَرَضَعُ

١٥ أنا شاعر الأردن

رثاء فؤاد ابن عم الشاعر:

إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَا تَطْيِشُ سَهَامُهَا فابُنُ الْقَصُورِ يَمُوتُ كَابْنِ الشَّارِعِ
قَدْ قَارَعَتْني الْحَادِثَاتُ فَلَمْ تَنْلُ مِنِّي خَلا إِرْغَامَ أَنْفِ مُقَارِعِي
حَارِبَتِي الْمَصَائِبُ، وَلَمْ تَلْ مِنِّي، لَمْ تَضْعَعْنِي، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنهَا أَذَلَّتْ خَصْمِي عِنْدَمَا رَأَيْتِي صَامِداً

لَكِنْ فَقَدْكَ يَا فُؤَادُ، وَإِنْ يَكُنْ أَجْلاً دَنَا، سَيَظِلُّ شَرٌّ فَوَاجِعِي
حَتَّى الْقُبُورُ تَجُوعُ، تِلْكَ عَجِيبَةٌ وَنَحِ الْقَوِيَّ مِنَ الضَّعِيفِ الْجَائِعِ
أَفُؤَادُ جِثَّتْكَ لِلْسَّلَامِ فَحَيَّنِي وَاجْتَحَ حُدُودَ الرَّمْسِ إِنْ تَكُ سَامِعِي
يُرِيدُهُ أَنْ يَجْتَاحَ حُدُودَ الرَّمْسِ، أَيِ الْقَبْرِ

أَنَا مُصْطَفَى وَهْبِي، أَتَعْرِفُ مَنْ أَنَا؟ أَنَا شَاعِرُ الْأُرْدُنِّ غَيْرِ مُدَافِعٍ
غَيْرِ مُدَافِعٍ: غَيْرِ مُنَازَعٍ.. لَا يَنَازِعُهُ أَحَدٌ فِي دَعْوَاهِ

قَدْ جِثَّتْ أَسْتَجْدِيدُكَ رَدَّ تَحِيَّتِي رُدَّ التَّحِيَّةِ، عَلَّ رَدَّكَ نَافِعِي

١٦ حب الشركسية

خَلِيلِيَّ حُبُّ الشَّرْكَسِيَّةِ شَفَّنِي وَلَمْ يُبْقِ مِنِّي غَيْرَ حُبٍّ عَلَى وَرَقٍ
غَيْرِهَا نَاشِرُ الدِّيَوَانِ وَجَعَلَهَا «غَيْرِ حَبْرٍ عَلَى وَرَقٍ» قَائِلاً إِنَّهَا «خَطَأٌ وَاضِحٌ». رُبَّمَا كَانَ مُحَقِّقاً. لَكِنْ
يَعْقُوبُ الْعَوْدَاتُ فِي كِتَابِهِ يَجْعَلُهَا «حُبٌّ عَلَى وَرَقٍ»، وَأَحْبَبْنَا أَنْ نَكْسِرَ الْحَاءَ، فَالْحَبُّ هُوَ الْحَبِيبُ،
وَهِيَ بِكَسْرِ الْحَاءِ أَقْرَبُ إِلَى «حَبْرٍ»، وَبِذَلِكَ تَتِمُّ النُّكْتَةُ

وَلَمْ يُبْقِ مِنِّي غَيْرَ رَسْمٍ تَرَوْنَهُ وَقَلْبٍ لِغَيْرِ الشَّرْكَسِيَّةِ مَا خَفَقَ
رَسْمٌ: طَلَلْ، آثَارُ مَنَازِلَ

١٧ الحياة كؤوس

قَسَمًا بِوَادِي السَّيْرِ وَالْبَلَدِ الَّذِي فِيهِ الْحَسَانُ نَصَبَنَ لِي أَشْرَاكَ
وَادِي السَّيْرِ: مَوْضِعُ قَرَبِ عَمَّانَ كَانَتْ فِيهِ مُضَارِبُ لِلنُّورِ، أَشْرَاكَ: مَصَائِدُ

إِنَّ الْحَيَاةَ هِيَ الْكُؤُوسُ وَرُبَّمَا كَانَ الضَّلَالُ بِهِنَّ بَعْضَ هَذَاكَ

وَشَرِبْتُ كُنْيَاكَ وَقُلْتُ لِصَاحِبِي: لَا عَاشَ مَنْ لَا يَشْرَبُ الْكُنْيَاكَ

الكنياك: من المسكرات الردئة

١٨ من أنا لولاك؟

صَرَغَتْهُ بَعْدَ تَطَاحُنٍ وَعِرَاكِ لُغَةُ الْعَيُونِ وَجَرَعَةُ الْكُنْيَاكِ

الكنياك: مسكر رديء

يَا ظَبِيَّةَ الْوَادِي، وَمَا الْوَادِي إِذَا لَمْ تُؤْنِسِيهِ؟ وَمَنْ أَنَا لَوْلَاكِ؟

١٩ ما تحرك

يَا شَيْخُ اكْفِ الطَّبَّ شَرِّكَ فَالطَّبُّ لَيْسَ يُقِيمُ أَمْرَكَ

أصيب الشيخ فؤاد الخطيب بارتخاء! والتمس علاجاً يقيم ما ارتخى منه، وكلمة أمرك في البيت دخلها تصحيف فمن شاء صححه ومن شاء تجاهله. أردنا أن نتأدب ونتجاهل مثل هذا الشعر، ثم رأيناه أنشد في حضرة أمير البلاد.. فقلنا: لا والله لا نكون أتقى من ابن شريف مكة!

تَاللَّهِ لَوْ شَاءَ الْمَسِيحُ خُ لَه حَرَكَ مَا تَحَرَّكَ

ومما نقل أن المسيح أقام المقعدين وشفى المرضى

فَأَرَخَ أَطِبَّاءَ الْمَدِينَةِ، وَاكْفِهِمْ يَا شَيْخُ شَرِّكَ

٢٠ هَبَّ الْهَوَا

هَبَّ الْهَوَا وَشَجَاكَ أَنْ نَسِيَمَهُ فِي ضَفَّةِ الْأُرْدُنِّ رِيحَ سُمُومٍ

هب الهواء وأحزنك أنه في ضفة نهر الأردن الشرقية كان ريح سموم عاتية رملية

وَأَنَا وَأَنْتَ أَذَلُّ مِنْ وَتْدِي، وَمِنْ غَيْرِ بِإِسْطَبْلِ الْهَوَانِ مُقِيمٍ

يضربون المثل بذلة الوجد الذي يدق على رأسه دقاً في الأرض، والغير بإسطنبول الهوانٍ مُقيمٍ وهو هنا ماكت في إسطنبول مهاناً

وَالشَّعْبُ أَضْيَعُ عِنْدَهُمْ مِنْ سَائِلٍ قَلْبِي يَمُدُّ ذِرَاعَهُ لِلنَّيْمِ

سائل: متسول

يَا مُدَّعِي عَامِ اللُّوَاءِ بَلَاؤُنَا سَيَظَلُّ مَهْمَا خَصَّصُوهُ عُمُومِي

المدعي العام: النائب العام

خَلَّ الْجَرِيْمَةُ، إِنَّ سِرَّ وَقَوْعِهَا لَوْ رُخْتَ تَنْشُدُهُ تَجِدُهُ حُكُومِي

تنشده: تطلبه

لَا يَسْتَقِيمُ الظِّلُّ يَا ابْنَ أَخِي إِذَا مَا كَانَ أَصْلُ الْعُودِ غَيْرَ قَوِيمٍ
لَا يَسْتَقِيمُ النَّاسُ مَا دَامَ الْأَصْلُ، أَيِ الْحَكْمِ، مَنْحَرَفًا.. فكيف يستقيم الظل والعود غير مستقيم؟

زَيْتُونُ بُرْمَا رَغَمَ أَنْفِكَ دَاشِرٌ مَا زَالَ وَهُوَ كَذَاكَ مِنْذُ قَدِيمٍ
أشجار الزيتون في منطقة برما عند عجلون مفرقة في الجبال وداشرة، مشاع لمن يقطفها، وهذا شأنها من قديم. والمثل الأردني يقول: «زيتون برما داشر، وتعيشوا يا هَمَل». والمغزى أن الأمور في البلد سائبة كزيتون برما

هَبَّ الْهَوَا، وَأَنْتَ يَهْمُنَا قَبْضُ الْمَعَاشِ بِيَوْمِهِ الْمَعْلُومِ
مَا كَانَ فِي الْأُرْدُنِّ مِنْ رَجُلٍ لَهُ صِفَةُ الرَّجُولَةِ فِي ثِيَابِ زَعِيمٍ
ليس في الأردن زعيم يتصف بالرجولة

وَحُكُومَةُ السُّفَهَاءِ لَمْ نَعْرِفْ لَهَا وَجْهًا بِهَذَا الْمَوْطِنِ الْمَشْؤُومِ
حكومتنا لها ألف وجه فلا نعرف ماذا تريد

بَاعُوا الْبِلَادَ وَحَضَرْتِي وَجَنَابُكُمْ لَكِنْ بِلَا ثَمَنِ، إِلَى حَايِيمِ
حاييم اسم عبري، رمز لليهود فلسطين. وكان للحكم في إمارة شرق الأردن علاقات بالمستوطنين اليهود إبان الانتداب البريطاني على البلدين

٢١ زمن صعلوك

لَمَّا وَجَدْتُ مَكَارِمَ الْـ أَخْلَاقٍ فِي الدُّنْيَا كَلَامِ
وَرَأَيْتُ أَنَّ الْمَبِينَ وَالْـ ذُلَّيسَ أَوْفَى بِالْمَرَامِ
لما رأيت المين، الكذب، والتدليس، إخفاء الحق، أحسن تحقيقاً للغايات

حَرَّرْتُ نَفْسِي مِنْ قِيَوِ فِي الْفَضْلِ فِي عُرْفِ الْكِرَامِ
وَزَجَجْتُهَا فِي زُمْرَةِ الْـ مُتَصَعِّلِكِينَ مَعَ الطَّغَامِ
أدخلت نفسي في عصبة الصعاليك مع الطغام، الدهماء

وَأَهْبْتُ بِالسَّاقِي أَنْ أَسْـ رِغٌ بِالسَّلَافَةِ يَا غَلَامِ
السلافة: الخمر

إِنَّ الْقُدَّاسَةَ لَو تَقِيَّ يَا شَيْخُ مِنْ وَقَعَ السَّهَامُ ..
لو أن القداسة تقي وتحمي من السهام ..

مَا اسْتُهُدِفَ الْبَيْتُ الْحَرَامُ مُ لِمَا تَرَى، وَخَلَاكَ ذَامُ
لما استُهدف البيت الحرام بمكة، واستولى عليه الحكم السعودي من شريف مكة الحسين بن علي
عام ١٩٢٤، وخلَاكَ ذَامُ .. دعاء .. أي عَدَاكَ العيب

فَاقْصِرْ حَدِيثَ الْفِقْهِ يَا عَبُودُ لَا تَزِدِ الْمَلَامُ
فيا شيخ عبود، أيها المفتي الذي هجر الحجاز إلى الأردن مع الأمير عبد الله، كف عن التكلم
بالفقه ولا تكثر من اللوم

واذْهَبْ وَدَغْنِي اسْتَضِيَّ ءِ بِنُورِ رَاقِصَةِ الظَّلَامِ
وَتَمَايَلْتُ فَأَمَالَ عَفُ لِي فِي ثَنْنِيهِ الْقَوَامِ
يَا بِنْتُ يَا مَنْ أَمْرُهَا لِمَا تَعَاوَجَتْ اسْتَقَامِ
عندما تمايلت الراقصة استقام أمرها وكانت في أحسن حالاتها

لَوْ لَا الرَّغِيفُ وَفَقُرْ أَهْ لِكِ وَاحْتِیَاجُكِ لِلطَّعَامِ
هَلْ كُنْتَ تَرْضَيْنَ الْحَيَا ةَ كَذَا، وَفِي هَذَا الْمَقَامِ
يَا لُقْمَةَ الْخَبِزِ الَّتِي أَشَقَّتْ بِحَاجَتِهَا الْأَنَامِ

٢٢ الحور العين

هَبْلَتْكَ أُمُّكَ، وَالْحَدِيثُ شَجُونُ ظَبَيَاتُ وَادِي السَّيْرِ حُورُ عَيْنُ
تكلتك أمك .. انظر إلى الفجريات من فتيات «وادي السير» فهن كالحور العين

سَلَمَى! بِمَا حَصَّ قَدْ تَأَلَّقَ مَوْهِنَا بَرَقَ، وَبَلَّ تَرَى الْفُحْصِصَ هَتُونُ
يا سلمى! يا فتاة ماحص، وهي قرية قرب عمان، قد تألَّقَ ليلاً برق، وبل تراب الفحصص، قرية
أخرى، سحاب هتون، ماطر

هَلْ تَذْكُرِينَ تَذَلُّهِي وَتَوَلَّهِي بِكِ، وَالْحَيَاةُ كَمَا أُرِيدُ تَكُونُ
أتذكرين هيامي بك أيام كانت الحياة تجري على هواي

وَدَوَائِبِي لَمْ تَشْتَعِلْ شَيْبَاً، وَلَمْ تَزَحَفْ عَلَيَّ، وَقَدْ كَبِرْتُ، غُضُونُ
وخصلات شعري لم تكن قد شابت، ولم تزحف علي وجهي التجاعيد

٢٣ التوبة

كتب في منقاه بالعقبة:

أَمْوَلَانَا، أَمْوَلَانَا! هَجَرْنَا الدَّنَّ وَالْحَانَا
يا مولانا الشيخ! قد هجرنا الدن، جرّة الخمر، والحانة

وَبُدِّلْنَا مِنَ الْمَنْظُورِ مِ وَالْمَنْشُورِ قِرَآنَا
ولم نعد ننظم شعراً ولا نكتب نثراً، فكل كلامنا صار قرآناً

كَأَنَّا لَمْ نَكُنْ بِالْأَمِّ سِ مِنْ سُكَّانِ عَمَّانَا
طال مكنتنا في المنفى بالعقبة، فكاننا لم نكن نسكن العاصمة عمان

وَلَمْ نَسْحَبْ لِكُلِّ هَوًى بِوَادِي السَّيْرِ أَرْدَانَا
وكاننا لم نسحب أرداننا، أكماننا، لكل غرام يلوح لنا في «وادي السير» قرب عمان

وَلَا فِي جُرْعَةِ الْوِسْكِ - قَدْ أَغْرَقْتُ أَحْزَانَا
وكانني ما كنت أغرق أحزاني في كأس الوسكي

أَمْوَلَانَا، أَمْوَلَانَا بِأَيْلَةٍ طَالَ مَفْوَانَا
طال مثوأي، مكوثي، متفياً في أيلة، العقبة

وَكَمْ بِالْحِصْنِ فَايِنَةٍ تَذُوبُ أَسَى لِذِكْرَانَا
ما أكثر الفاتنات في قرية «الحصن» اللائي يذبن حزناً لذكرى وصالنا

نَظُنُّ وَقَدْ أَطْلَّ الصَّبُّ - فُ أَنْ لِقَاءَنَا حَانَا
الفاتنة منهن تظن أن اللقاء قد حان مع قدوم الصيف

تَسَائِلُ مَنْ تُصَاوِفُهُ: رُجُوعُ عَرَارٍ هَلْ آتَا
آن: أرف وحلّ وقته

فَقُلْ لِلشَّوْقِ أَهْلُ الدُّوِّ قِ مَا اهْتَمُّوا بِشُكْوَانَا
وَأُبْلِغْ شَيْخَنَا عُبُو دَعْنًا بَعْضَ مَا كَانَا

لِنَسْتَفْتِيهِ هَلْ صَحَّتْ بِهَذَا الشَّكْلِ تَقْوَانَا؟
فهل صحت تقوانا بهذه التوبة يا شيخ عبود؟

٢٤ توبة عن التوبة

وَهَمَّتْ فَلَيْسَ مَا سَمَّيْتُ تَبُّهُ الْإِيمَانَ إِيْمَانَا
أَنْتَ وَاهِمٌ يَا عَرَارٍ فَلَيْسَ إِيْمَانُكَ هَذَا صَحِيحاً

وَدُوَّ الشُّوقِ الْقَدِيمِ إِذَا تَذَكَّرَ عَادَ وَلَهَانَا
فَدَغَ عَنْكَ الْهُرَاءَ، وَقُمْ نُذِغْ لِلنَّاسِ إِعْلَانَا
أَلَا مَنْ يَشْتَرِي بِالْحَا نِ، وَالْأَلْحَانِ تَقْوَانَا
من يبادلنا فياخذ تقوانا ويمنحنا الحانة والغناء؟

بِسِفْرِ صَلَاةٍ أَسْبُوعٍ بِبَعْضِ الْكَاسِ مَلَانَا
نصلي أسبوعاً مقابل بعض الكأس

لَوْ أَنِّي أَرَأَسُ الْوُزَرَ أَوْ قَاضٍ كَمَوْلَانَا
لَأَلْعَيْتُ الْعِقَابَ، وَلَمْ أَدْعُ لِلنَّفْسِ إِمْكَانَا
أَمَّا وَأَنَا مَنْ اتَّخَذُو هُ لِلْإِرْهَاقِ مَيْدَانَا..
وبما أنني أصبحت مطية لأحكامهم التي ترهقني..

فَهَاتِ الْكَاسَ مُثْرَعَةً مِنَ الصُّهْبَاءِ أَلْوَانَا
فهات الكأس مملوءة من الصهباء، أي الخمر، بأنواعها

وَقُلْ إِنْ قِيلَ لَا عَفْوَ لَعَلَّ الْعَفْوَ لَا كَانَا
ولست بحاجة لعفوهم عني وردي من منفاي

فَعَيْنُ الْعَزْمِ تَرْمُقُنَا وَعَيْنُ الْحَزْمِ تَرَعَانَا
وَلُطْفُ الْكَاسِ إِثْرُ الْكَأ سِ نَشْرِبُهَا تَوَلَّانَا
فَحَسْبِي بِالنَّخِيلِ الْبَا سِقِ الْقَيْنَانِ جِيرَانَا
وأنا راض بنخيل العقبة الفينان، العالي الظليل

وَبِالنُّورِيَّةِ الْحَسَنَا وَالصَّحْرَاءِ نُذَمَّانَا

٢٥ الدارعة

قَدْ أُعْطِيَ النَّاسُ مَا شَاءُوا وَمَا رَغَبُوا أَمَّا الرِّزَايَا فَكَانَتْ مِنْ عَطَايَانَا
الرزايا: المصائب

مَنْ كَانَ يَحْسَبُ أَنَّ الْعُرْبَ يَخْذَعُهُمْ مَنْ كُنْتَ تَحْسَبُهُمْ لِلْعُرْبِ أَخْدَانَا؟
من ذا ظن أن العرب سيخدعهم من كانوا لهم أخداناً، أصدقاء؟ فالإنجليز خدعوا الشريف حسين
بعد الحرب العالمية الأولى ولم يمنحوه دولة عربية يحكمها

أَبَا طَلَالٍ، وَأَنْتَ الْيَوْمَ رَائِدُنَا نَعْدُو إِلَيْكَ إِذَا مَا الدَّهْرُ عَادَانَا
يا أبا طلال، الأمير عبد الله أمير شرق الأردن، نأتيك عندما يعادينا الزمن

فَخُذْ بِأَيْدِينَا يَا ابْنَ النَّبِيِّ وَثَبْ فَإِنَّكَ الْيَوْمَ بَعْدَ اللَّهِ مَلْجَانَا
فساعدنا، وأنت من سلالة النبي، واقفز لدفع الظلم

أَطْلَالُ يَا فَا وَحَيْفَا أَمْسِ بَرَقُفُهُمَا قَدْ رَفَّ وَهْنًا فَأَشْجَانَا وَأَبْكَانَا
قد رأينا أمس برقاً يلمع من جهة يافا وحيفا بفلسطين فأحزننا

يَا ابْنَ النَّبِيِّ أَلَمْ، عَنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ، تَأْتِيكَ دَارِعَةٌ تَرَوِي حَكَايَانَا؟
ألم تأت امرأة من الأندلس المغتصبة وهي لا تلبس إلا درعها، ثوبها الداخلي، لتروي ما يحدث؟
وكان يأتي رجال ونساء من الأندلس يروون قصصاً عن فظائع الغزاة أيام سقوط الأندلس. ويقولون
عن المرأة التي تخرج من بيتها مكشوفة الفرع، أي الشعر، ولباس البيت: خرجت فازعة دارعة

٢٦ بالماء والصابون

لَا تَذْهَبَنَّ إِلَى مَعَانَ فَمَا بِهَا مِنْ وَاضِحِ النَّشَوَاتِ غَيْرُ ظُنُونٍ
معان: بلدة بجنوب الأردن، النشوة: السكر

يَا فَائِدَ الدَّرَكِ الْمُلَمَّعِ سَيْفُهُ بِالماءِ وَالْإِسْفَنْجِ وَالصَّابُونِ
الدرك: شرطة الحدود

حَسْبِي مِنَ الْمَاضِي وَمِنْ أَحْلَامِهِ ذَكَرَى تَوَامُضُ بَرَقِهَا يُشْجِينِي
توامض: لمعان

وَأَقْصُرْ مَلَامَكَ، إِنَّنِي رَجُلٌ لَقَدْ بِالكَاسِ بَعَثُ خَوَابِيَّ مِنْ دِينِي
الخوابي: جرار الخمر الكبيرة... وهي الدنان

٢٧ باب العفو

إِنَّ الزَّمَانَ، وَلَا أَقُولُ زَمَانِي، بَيْنَ الطَّوَايِعِ وَالرُّسُومِ رَمَانِي
الطوايع: طوايع الواردات التي يلصقونها على المعاملات الرسمية، والرسوم: ضرائب المعاملات.
وكان شاعرنا موظفاً

وَأَحَالَ لَذَاتِي وَسَاوِسَ حَاسِبٍ يَهْذِي بِضَرْبِ ثَلَاثَةِ بِثْمَانٍ
فَانْظُرْ إِلَى الثُّدْمَانِ كَيْفَ تَفَرَّقُوا بَعْدِي، وَكَيْفَ عَلَا الْغِبَارُ دِنَانِي

الدنان: جرار الخمر

وَالِي قَرِيضِي كَيْفَ أَصْبَحَ تَافَهًا وَالِي بَلِيغِ الْقَوْلِ كَيْفَ عَصَانِي

قريضي: شعري

يَا أُخْتَ سَلَمَى فِي غِنَاكِ عُدُوبَةٌ تُبْكِي وَيُغْرِقُ دَمْعُهَا أَخْزَانِي
أَهْلُوكَ قَدْ جَعَلُوا جَمَالَكَ سِلْعَةً تُشْرَى، وَبَاعَ بَنُو أَبِي أَوْطَانِي
وَذُؤُوكَ قَدْ مَنَعُوكَ كُلَّ كَرَامَةٍ وَأَنَا كَذَلِكَ حَارِسِي سَجَانِي
يَا بِنْتُ! تَحْقِيقُ الْعَدَالَةِ رُكْنُهُ وَلَعُ الْقُضَاةِ بِرَاحَةِ الْوُجْدَانِ
وَلَعِي بِكَاسٍ فِي ارْتِشَافِ رَحِيقِهِ سُكَّرُ يُحِيلُ النَّائِبَاتِ أَمَانِي

ولع القضاة براحة الوجدان كولعي بالكأس التي في رشف خمرها سكر يجعل المصائب أمنيات جميلة

وَيُرِيكَ نَفَقَةَ الشَّيْخِ أَقْوَالًا بِهَا مَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ سُلْطَانٍ
فَإِذَا جَهَنَّمُ جَنَّةٌ، وَإِذَا الْأَسَى تُغْمَى، وَإِذَا نُوبُ الزَّمَانِ أَغَانِ

النوب: المصائب

وَإِذَا يَغْفِرُ اللَّهُ يَفْتَحُ مُغْلَقًا عَبُودُ أَوْصَدَهُ عَلَى الْغُفْرَانِ
يَا شَيْخُ، قَوْلُكَ «مَا أَشَدَّ عِقَابَهُ» غَمَزُ يَوْضَفِ الرَّاحِمِ الرَّحْمَنِ

حديثك أيها الشيخ عن عقاب الله تعريض برحمته

يَا رَبِّ إِنْ بَلَّغُورُ أَنْفَذَ وَعْدَهُ كَمْ مُسْلِمٍ يَبْقَى وَكَمْ نَضْرَانِي
وَكَيْانُ مَسْجِدِ قَرَيْتِي مَنْ ذَا الَّذِي يُبْقِي عَلَيْهِ إِذَا أُزِيلَ كَيْيَانِي
هَاتِ اسْقِنِي قَعْوَارًا، لَيْسَ يَهْمُنِي قَوْلُ الْوُشَاةِ: عَرَارُ سَكْرَانَانِ

قعووار: صاحب حانة في عمان.

فَالكَاسُ لَوْلَا الْيَأْسُ مَا هَشَّتْ لَهُ كَيْدٌ وَلَا حَدَبَتْ عَلَيْهِ يَدَانِ

حدبت: انحنت عطفًا

٢٨ القاضي والمرابون

قولوا لِعَبُودَ عَلِّ الْقَوْلِ يَشْفِينِي إِنَّ الْمُرَابِينَ إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ

قولوا للمفتي عبود إن المرابين إخوان الشياطين

أَسْجُنُ النَّاسَ إِرْضَاءَ لِخَاطِرِكُمْ وَخَشْيَةَ الْعَزْلِ مِنْ ذَا الْمَنْصِبِ الدُّونِ؟

وأنا بوصفي قاضياً لن أسجن الناس الذين تخلفوا عن سداد ديونهم للمرابين ولست أخشى العزل من هذا المنصب الدون، الدنيء

إِنَّ الصَّعَالِيكَ مِثْلِي مُفْلِسُونَ وَهُمْ لِمِثْلِ هَذَا الزَّمَانِ الرُّفْتِ خَبُونِي

الصعاليك ادخروني لأساعدهم في هذا الزمن الرديء

وَالْأَمْرُ لَوْ كَانَ لِي لَمْ تَفْرَحُوا أَبَدًا مِنْ أَجْلِ دَيْنٍ لَكُمْ يَوْمًا بِمَسْجُونٍ

فَبَلَطُوا الْبَحْرَ غَيْظًا مِنْ مُعَامَلَتِي وَيَالِ الْجَحِيمِ إِنْ اسْطَعْنْتُمْ فَرَجُونِي

بلطوا البحر: افعلوا ما تشاءون

٢٩ معلقة عرار

كتبها الشاعر بيتاً بيتاً وبيتين بيتين ولم يرتبها، وجمعها الناس من هنا وتم. ورتبنا أبياتها، وما غيرنا كلماتها. كتبت هذه القصيدة الفاخرة كما كتبت المعلقات. هي معلقة شاعرنا:

عَفَا الصَّفَا وَانْتَفَى مِنْ كُوحِ نُدْمَانِي وَأَوْشَكَ الشُّكُّ أَنْ يُودِيَ بِإِيمَانِي

عفا الصفا: انتهى، عهد الصفاء

لَقَدْ تَنَكَّرَ لِي أَهْلِي وَأَنْكَرَنِي صَحْبِي، وَأَقْرَبُ مَنْ أَدْنَيْتُ أَقْصَانِي

أَيْنَ النَّدَامَى؟ مَضَى كُلُّ لَطِيبَتِهِ وَخَلَّفُونِي بِهَذَا الْكُوحِ وَخَذَانِي

كل لطيبته: كل لشأنه. وكان للشاعر وصحبه كوخ يلتقون فيه، فانفض سامرهم

يَا رَاهِبَ الدَّيْرِ ثُبْنَا عَنْ مَحَبَّتِهِمْ وَقَدْ أَنْبَنَّا فَلَا كَانِي وَلَا مَانِي

أنبنا: رجعنا، لا كاني ولا ماني: لا تقل كان وحدث، وأقل الموضوع

شِبْنَا وَرَانَ عَلَى الْفَوْدَيْنِ مُتَزَرِّنَ مِنَ الْمَشِيبِ بَكَى حَظِّي وَأَبْكَانِي

ران: جثم وساد على الفودين، السالفين، شيب متزن يدعو للوقار، لكنه أحزنني فكانه بكى حظي العاثر

يَا رَاهِبَ الدَّيْرِ ثُبْنَا، وَالْحَيَاءُ، كَمَا تَرَى، تَلَوَّى لِمِثْلِي لَيَّ ثُعْبَانٍ

الحياة، كما ترى، تلوى لمن هم مساكين مثلي كما يتلوى الثعبان

قُلْ لِلْسَّوَادِينِ يَفْتَحْنَ الصَّوَامِعَ لِي فَالريحُ صِرٌّ وَبَرْدُ النُّورِ آذَانِي

قل للراهبات السوادن، خادعات الدير... جمع سادة، أن يفتحن لي الصوامع حيث ينام المتعبون، فالريح صر، باردة، والبرد في غور نهر الأردن آذاني

اِفْتَحْ لِي الْبَابَ وَاذْمِجْنِي بِزُمُرَتِكُمْ فبرْدُ جِلْعَادَ يَا بُونَا تَحْدَانِي

جلعاد: جبل قرب السلط، يا بونا: يا أبانا، خطاب العلماني، أي الذي ليس من رجال الدين، للكاهن

يَا بَنْتُ! وَاوْدِي الشُّتَا صَرَّتْ جَنَادِبُهُ وَشَنَّفَتْ سَمْعَهُ نَايَاتُ رُعْيَانٍ

يا بنت! «وادي الشتا» صوتت الجنادب فيه، وأطربت الأسماعُ أنغام الناي من الرعيان، فقد جاء الربيع

خَدَاكِ يَا بَنْتُ مِنْ دَحْنُونٍ دِيرَتَنَا رُوحِي فِدَاءُ الْخُدَيْدِ الْأَحْمَرِ الْقَانِي

خدأك يا بنت من دحنون قريتنا، والدحنون هو الزهر الأحمر المسمى الصاقصلي أو الحئون

قَالُوا يُحِبُّ، أَجَلْ، إِنِّي أَحِبُّ. مَتَى كَانَ الْهَوَى سُبَّةً يَا أَهْلَ عَمَّانٍ؟

يَا مَيُّ شِبْنَا وَمَا تُبْنَا، فَهَلْ نَزَلْتُ بِمَا انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ آيُ قُرْآنٍ؟

هل نزل في القرآن ما يحرم العشق بعد الشيب؟

قَالُوا تُعَاقِرُهَا؟ قُولُوا لَهُمْ: عَلْنَا، إِنِّي أَعَاقِرُهَا فِي كُلِّ دُكَّانٍ

دكان: حانة، وسمت العرب الحانة حانوتاً، فمن هنا سماها عرار دكاناً

قَالَ الْأَطْبَاءُ لَا تَشْرَبْ، فَقُلْتُ لَهُمْ: الشَّرْبُ لَا الطَّبُّ عَافَانِي وَأَبْرَانِي

أبراني: أبرأني وشفاني

مَاذَا عَلَى النَّاسِ مِنْ سُكْرِي وَعَرَبَدَتِي مَاذَا عَلَى النَّاسِ مِنْ كُفْرِي وَإِيمَانِي؟

مَاذَا عَلَى النَّاسِ مِنْ قَوْلِي لَهُمْ أَحَدٌ رَبِّي، وَقَوْلِي لَهُمْ: رَبِّي لَهُ ثَانٍ؟

مَاذَا عَلَى النَّاسِ مِنْ لَهْوِي وَمِنْ عَيْثِي مَاذَا عَلَى النَّاسِ مِنْ جَهْلِي وَعِرْفَانِي؟

مَاذَا عَلَى النَّاسِ مِنْ حُبِّي مُكْحَلَةٌ بَيْنَ الْخَرَابِيشِ أَهْوَاهَا وَتَهْوَانِي؟

الخرابيش: بيوت النور في الأردن

قَالُوا: تَدْمَشَقْ قُولُوا: مَا يَزَالُ عَلَى عِلَّالِهِ إِرْبِيدِي اللَّوْنِ حُورَانِي

زعموني تشبهت بأهل دمشق المترفين، لكنني ما زلت ابن مدينة إربد، بشمال الأردن، الواقعة في سهول حوران

فَهَاكُنِي كَبَتَامَى الزُّطُّ لَا أَحَدٌ يَرِثُنِي لِحَالِي وَلَا إِنْسَانٌ يَرَعَانِي
فهاكني، انظر إليّ، كالبتامى من أولاد الزط، قوم رحل فقراء

يَا أَرْدُنِيَّاتُ إِنَّ أَوْدَيْتُ مُغْتَرِباً فَأَنْسُجَنَّهَا بِأَبِي أَنْثَنٌ أَكْفَانِي
أوديت: مت

وَقُلْنَا لِلصَّحْبِ وَارُوا بَعْضَ أَعْظَمِهِ فِي تَلٍّ إِزِيدَ أَوْ فِي سَفْحِ شِيحَانٍ
وووري جثمان عرار في تل إربد عندما مات عام ١٩٤٩، لا في سفح جبل شيحان بالجانب

عَسَى وَعَلَّ بِهِ يَوْماً مُكْحَلَةً تَمُرُّ تَتَلَوُ عَلَيْهِ حَزْبٌ قُرْآنٍ
الحزب من القرآن: نحو من عشر صفحات، وهو نصف الجزء

وَلَيْبِكَ وَاوَدِي الشُّتَا بَعْدِي جَادِرُهُ وَلَيْبِكَ حَسْبُونُ بَعْدِي مَاءُ حُسْبَانٍ
ليبك «وادي الشتا» جميلاته اللاتي غادرتهن، وليبك حسبون، موضع قديم، ماء بلدة حسان

قَالُوا: لِشُعْرِكَ عُشَّاقٌ يُوَدِّهِمْ أَنْ يَجْمَعُوا بَعْضُهُ فِي شَبِّهِ دِيَوَانٍ
فَقُلْتُ شِعْرِي أَشْلَاءٌ مُبْعَثَرَةٌ، كَأَنَّهَا عُمُرِي، فِي كُلِّ مِيدَانٍ
أَمَّا أَنَا فَبِحَسْبِي مَا أَكَايِدُهُ مِنْ لَوْعَةٍ أَجْجَحْتُ يَا نَاسُ نِيرَانِي
يَا جِيرَةَ الْبَانِ هَذَا الْبَانُ بَانُكُمْ يَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ يَا جِيرَةَ الْبَانِ
يخاطب الساكنين بجوار شجر البان

تَلُومُنِي أَنَّنِي يَا ابْنِي أَعَاقَرُهَا يَا «وَصَفَّ» هَبْنِي جَلَالُ الدِّينِ دُوَانِي
يخاطب ولده وصفي، الذي سيصبح رئيس وزراء.. وكان الولد يلوم أباه على معاقرة الخمر،
وجلال الدين الدواني فارسي من قدامى المشايخ، ولعله كان يبيع الشراب!

تُرِيدُنِي وَيَبْكُ شَيْخاً كُلُّهُ وَرَعٌ ذَا مَرَكَبٍ خَشِيبٍ يَأْبَاهُ شَيْطَانِي
شيطاني: الشيطان الذي يلهمني الشعر، ذا: هذا

إِلَيْكَهَا مِنْ أَبِي وَصَفِي مُجَلَّجَلَةً أَبَا طَلَالٍ وَمَا قَوْلِي بِبُهْتَانٍ
خذها من أبي وصفي، من الشاعر عرار، رسالة مجلجلة، صاخبة، يا أبا طلال، أيها الأمير
عبد الله، وقولي ليس افتراء. ومما يعاب على المرء أن يكتفي في مخاطبة أمير، لكن شاعرنا
غاضب..

رَفَعْتَ كُلَّ وَضِيعٍ لَا يُقَامُ لَهُ إِلَّا بِسُوقِ الْخَنَا وَزَنُّ بِمِيزَانٍ
رفعت مقام كل وضع، حقير، لا وزن له إلا في سوق الخنا، والعيب

هَلَّا رَعَيْتَ رَعَاكَ اللَّهَ حُرْمَتَنَا هَلَّا جَزَيْتَ تَفَانِينَا بِإِحْسَانِ
مَوْلَايَ شَعْبُكَ مَكْلُومُ الْحَشَا وَبِهِ مِنْ عَضْ طَرْفِكَ وَالْإِهْمَالِ دَاءُ
شعبك مجروح القلب لأنك تغض طرفك، أي تتجاهل مشكلاته، وتهمل شؤونه

مَوْلَايَ إِنْ الْمَطَايَا لَا تَسِيرُ إِلَى غَايَاتِهَا إِنْ عَلَاهَا غَيْرُ فُرْسَانِ
لا تصل الخيل إلى مقصدها إن ركبها من لا يحسنون الركوب، ومن تعينهم من الرجال غير أكفاء
يَافَا عَرُوسُ فَلَسْطِينِ الَّتِي غَبَرَتْ مَا فِي يَدَيَّ خَلَا شَجْوِي وَأَشْجَانِي
غبرت: مضت

يَا أَهْلَ يَافَا لَقَدْ طَوَّقْتُمْ عُنُقِي شَتَّى الْعُقُودِ فَمِنْ بَرٍّ لِإِحْسَانِ

٣٠ رثاء صحفي

قال يرثي خليل نصر صاحب جريدة «الأردن»، ومات قبل عرار ستة أشهر:
شَيْخُ الصَّحَافَةِ! زَارَ الْمَوْتَ صَوْمَعَتِي وَسَوْفَ أَلْحَقُ يَا شَيْخِي بِإِخْوَانِي
وسوف أخبرهم عن سوء طالعيننا وعن رزايا بني قومي وجيرانِي
رزايا: مصائب

٣١ وادي الشتا

هَلْ تَذْكُرِينَ، وَأَنْتِ مِنْ غُرْلَانِهِ، وَادِي الشَّتَا، وَالْعَمْرُ فِي رُبْعَانِهِ
هل تذكرين «وادي الشتا» وأنت من فتياته الجميلات، وكان العمر في أوائله؟ في البيت تقديم
وتأخير ياباه النحوي ويرضاه من يذوق الشعر

يَا مَيِّ! جَلْعَادُ الْأَشْمُ كَعَهْدِهِ مَا زَالَ يَرِبِضُ جَائِئِمًا بِمَكَانِهِ
جبل جلعاد العالي على حاله رابض جائم ثاوٍ مقع في مكانه

وَالْعَوْرُ مَا انْفَكَّتْ عَدَائِرُ نَبْتِهِ وَزُهُورُهُ تَحْنُو عَلَى غُذْرَانِهِ
وفي الغور، المنطقة المنخفضة التي يجري بها نهر الأردن، ظلت غدائر النبات، خصلات
الشجيرات أي أغصانها الطرية، وظلت الزهور تحنو وتميل على الغدران، جداول الماء

وَسَمَاءُ إِرْبِيدَ مَا يَزَالُ سَحَابُهَا يَسْقِي سُهُولَ الْحِصْنِ مِنْ هَتَانِهِ
«الحصن» اسم موضع، هتانه: وابله

يَا مَيِّ! مَا بَرِحَتْ حَمَائِمُ سِدْرِنَا تَشْلُو مُصَفَّقَةً عَلَى أَغْصَانِهِ
السدر: من الشجر

فَتَمَهَّدِي قَلْبِي بِحُبِّكَ، وَاسْمَعِي مَا شِئْتُ مِنْ شَذْوِي وَمِنْ الْحَانِهِ
يَا مَيُّ! قَدْ عَادَ الرَّبِيعُ وَعَاوَدَتْ نَفْسِي وَسَاوِسَ قَصْفِهِ وَدِنَانِهِ
عاد الربيع وعاد إلى نفسي التفكير في القصف، اللهور، ودنان الخمر، خوابيها وجراها

فَاذْنِي شِفَاهَكَ مِنْ قَمِي وَتَوَسَّدِي صَدْرِي يَكْفُ الدَّهْرُ عَنْ عُدْوَانِهِ
هَاتِي شِفَاهَكَ، فَالْحَيَاةُ جَوَادُهَا شَرِسٌ، وَلَيْسَ فَتَاكِ مِنْ فُرْسَانِهِ
جواد الحياة، أي حصانها، شرس صعب.. وأنا لست من فرسان هذا الحصان.. أنا لا أصلح
للحياة الرصينة

وَادِي الشَّتَا هَذَا، وَتِلْكَ مَلَاعِبِي أَبَامَ كُنْتُ وَكُنْتُ مِنْ جِيرَانِهِ
وادي الشتا: موضع قرب ناعور غرب عمان عاصمة الأردن، ملاعي: ساحاتي.. والأصل
الساحات التي تلعب فيها الريح

فَاذْنِي شِفَاهَكَ مِنْ قَمِي إِنْ لَمْ يَكُنْ يَا مَيُّ قَلْبُكَ قَدْ مِنْ صَوَانِهِ
قُبَلِي إِنْ لَمْ يَكُنْ قَلْبُكَ قَاسِيًا كَأَنَّهُ مَقْدُودٌ مِنَ الصَّوَانِ فِي مَنَاطِقِ وَادِي الشَّتَا، وَكُلُّ وَادٍ لَا يَدُ أَنْ
يقابله جبل!

وَتَوَسَّدِي صَدْرِي وَحَسْبُكَ نِعْمَةً هَذَا الَّذِي تُوحِينِ مِنْ خَفَقَانِهِ
يكفيك فخراً أن خفقان قلبي هو بسبب ما توحين إليه من معاني الحب
وَرَأَيْتُ أَنَّ اللَّهَ أَوْسَعَ رَحْمَةً مِمَّا يَظُنُّ الْبَعْضُ مِنْ عُبْدَانِهِ

٣٢ منازل برلين

قال عرار، وكان صديقه محمد أبو غنيمه كتب له رسالة عن الحياة في برلين:
أَقُولُ لِرَبِّي حِينَ أَنْشَأَ جَنَّةً وَرَزَّيْنَهَا بِالْوُلْدِ وَالْحُورِ وَالْعَيْنِ
الحور: ذوات الأعين التي اشتد سوادها في اشتداد بياض، والعين: ذوات الأعين الواسعة
أَيَعْلَمُ أَنَا قَدْ حَظَيْنَا بِمِثْلِهَا وَأَحْسَنَ مِنْهَا فِي مَنَازِلِ بَرَلِينِ؟

٣٣ الفارس والمطية

كان أحمد الظاهر المدعي العام قد أساء استقبال الهر شيخ النور:
يَا مُدَّعِيَّ عَامِ اللُّوَا وَخَيْرَ مَنْ فَهَمَ الْقَضِيَّةَ
والعدْلُ يَقْضِي أَنْ تُعَا مِلَ زَائِرِيكَ عَلَى السَّوِيَّةِ

الْهَبْرُ جَاءَكَ لِلْسَلَا م فَكَيْفَ تَمْنَعُهُ التَّحِيَّةُ
أَلَا لَنْ كُنْ سَوْتَهُ مُمَزَّرَ - قَةً وَهَيْئَتَهُ زَرِيَّةً؟

هيئته زرية: شكله مشعث مُهْرَغَل

قَدْ صَدَّهُ جُنْدِيْكَ الـ فَظُّ الْغَلِيْظِ بِلا رَوِيَّةُ
وَأَبَى عَلَيْهِ أَنْ يَرَا لَكَ، فَجَاءَ مُتَعِضّاً إِلَيَّ
يَشْكُو الَّذِي لاقاهُ مِنْ شَطَطِ بَدَارِ الْعَادِلِيَّةِ
وَيَقُولُ إِنَّ زِيَارَةَ الـ حُكَّامِ، لَا كَانَتْ، بَلِيَّةُ

الحكام: القضاة، كذا استعملتها العرب قديماً، وكذا استعملها الناس في بعض بلاد الشام حديثاً

فَاسْرِعْ وَكَفِّرْ يَا هَذَا لَكَ اللَّهُ عَنْ تِلْكَ الْخَطِيئَةِ
فَالْهَبْرُ مِثْلِي ثُمَّ مِنْ لُكَ أَرْدُزِي الثَّابِعِيَّةِ

التابعة: الجنسية

وَأَدِرْ كُؤُوسَكَ يَا أَبَا نَاصِيفَ مُنْرَعَةَ رَوِيَّةُ
يدعو أبا ناصيف، صاحب الحانة، إلى أن يدير كؤوس الشراب مترعة مملوءة مرتوية بما فيها
إِنَّ الَّذِي تُسَبِّى مَوَا طِنُهُ تَجِلُّ لَهُ السَّيِّئَةُ

السيئة: السيئة، الخمر المشتراة

عَبُودُ يَا نَاعِي النَّهَا رِ عَلَى الْمَآذِنِ فِي الْعَشِيَّةِ
يخاطب الشيخ عبود الذي يؤذن للمغرب فكانه ينعي النهار

لَيْسَ الْهُدَى وَقَفْأً عَلَى فِقْهِ الشُّيُوخِ الْأَزْهَرِيَّةِ
إِنَّ الْحَبِيبَةَ لَهَا قَوَا عِدُّ غَيْرُ مَثْنِ الْخَزْرَجِيَّةِ
فَنَبِيذُ قَمُورِ اللَّذِيذِ ذُوْ أَائَةِ النَّايِ الشَّجِيَّةِ

قموار صاحب حانة بعْمان

وَهَيَامُنَا بِالْعَازِيَا تِ مِنَ الْأُمُورِ الْجَوْهَرِيَّةِ
أَوْ مَا تَرَانِي، وَالْمَشْيِي - بٌ كَمَا تَرَاهُ بِعَارِضِيَّةِ..
ألسن تراني وقد وخط الشيب عارضِي، أي جانبي رأسي..

مَا زِلْتُ خَفَّاقَ الْفَوَا دِ وَلَمْ تَزَلْ نَفْسِي طَرِيَّةُ
.. ألا تراني، وقد شبت، ما زلت عاشقاً، ونفسي طرية، أي مقبلة على الغرام

وَالْقَلْبُ مَا تَنَفَّكَ تَمَّ لَأْسَاحَهُ خَطَرَاتٍ مَيَّةُ

ساحه: ساحاته، خطرات: خطوات

دَنِفْتُ تُطَارِدُهُ الْعَجُوزُ زُ وَلَا تُهَادِنُهُ الصَّبِيَّةُ

دنف: مريض عشقاً

وَلَسَوْفَ تَبْقَى لِلصَّبَا بَةَ فِي ثَرَى رَمْسِي بَقِيَّةُ

الصبابة: الهوى، رمسي: قبري

كَمْ فَارِسٍ هُوَ فِي الْحَقِيبِ قَةً عِنْدَ رَاتِيهِ مَطِيَّةُ

الفارس: راكب الفرس، المطية: الفرس

وَمُدَجَّجٍ قَادَ السَّرِيَّةِ - - نَةً وَهُوَ قَوَّادُ السَّرِيَّةِ

مدجج: شاكى السلاح

هَاتِ اسْقِنِي؛ مَا لِلْحَيَاةِ بِنِيرٍ عَرَبْدَةً مَزِيَّةُ

وَاسْبَأْ لَنَا، إِنْ الرِّقَا قَ مَبَاءَةُ الْأُمَمِ السَّبِيَّةُ

اسبأ، اشتر خمرأ، فزقاق الخمر، وهي قَرْبُ جِلْدٌ تُتَّخَذُ لِلْخَمْرِ، هي المصير السيء للأمم السبية المعتصبة الحقوق

تَرُكُ التَّقَى خَيْرٌ بِعَمَلٍ - - مِ اللَّهِ مِنْ نُسُكِ التَّقِيَّةِ

ترك التقوى أحسن من النك الكاذب الذي يتخذ تقية، واجهة لاتقاء الشر

٣٤ استقلال كرتوني

يَا هَبْرُ اسْتِقْلَالُنَا الْكَرْتُونِي

أُخْرِجْنِي كَمَا تَرَى عَنِ دِينِي

فَدُرْتُ بَيْنَ النَّاسِ كَالْمَجْنُونِ

أَسْأَلُهُمْ عَنْهُ فَمَا دَلُّونِي

أَسْأَلُ النَّاسَ عَنْ اسْتِقْلَالِنَا . . .

إِلَّا عَلَى قَعُورٍ وَالْخَمَّارَةِ

قعور: صاحب حانة، والخمارة هي الحانة

٣٥ الأعين السود

يا أَهْلَ عَمَّانَ إِنَّ الْأَعْيُنَ السُّودَا فَتَنَّا وَفَتَنَ الشَّيْخَ عَبُودَا
الشيخ عبود النجار هو المفتي الذي جاء مع الأمير عبد الله من الحجاز في أوائل العشرينات من
القرن العشرين إلى الأردن

٣٦ المفاليس

اللَّهُ يَعْلَمُ وَالْأَيَّامُ شَاهِدَةٌ أَنَّا كِرَامٌ وَلَكِنَّا مَفَالِيسُ

مصطفى وهبي التل فهرس القوافي

١٧	أشراكا	١	أرجاء
١٨	الْكُنْيَاكُ	٢	الْقُلْبَا
١٩	أبرك	٣	شَبَابِي
٢٠	سَمُوم	٤	أَشْرَبْ
٢١	كَلَامْ	٥	نَشَوَاتِي
٢٤	إِيمَانَا	٦	يَضْحُو
٢٥	عَطَايَا	٣٥	عَبُودَا
٢٣	والحانا	٨	الْحِدَادُ
٢٢	عَيْنُ	٧	عَبُودُ
٢٨	الشیاطینِ	١٠	السَّمَرَا
٣٤	الْكِرْتُونِي	١١	سَكِرَا
٣٠	يَاخَوَانِي	٩	مُنْكَرُ
٢٩	بِإِيمَانِي	١٢	جَارِي
٢٧	رَمَانِي	٣٦	مَفَالِيسُ
٢٦	طُنُونِ	١٣	وَجُلَاسِي
٣٢	وَالْعَيْنِ	١٤	أَرْزُوعُ
٣١	رَيْعَانِي	١٥	الشارع
٣٣	القَضِيَّةُ	١٦	وَرَقُ

إبراهيم طوقان

(١٩٠٥ - ١٩٤١)

ها هو ذا شاعر درس في مدرسة المطران الإنجليزية بالقدس صبيّاً، وفي الجامعة الأميركية ببيروت شاباً، وها هو ذا شعره؛ فانظر فيه لا تر للإنجليزية ولا لثقافتها أثراً. لن ترى إلا فصاحة عربية نقية.

هي سنوات الطفولة، هي المدرسة العربية، وهو البيت الذي كان يتكلم العربية، فإن كانت فيه خادم فهي عربية أيضاً. وكان في بيت إبراهيم طوقان خادمة وربما أكثر، فهو من أسرة ذات حظ وافر من اليسار. نشأ طفلاً مدللاً، وزادته الأمراض التي بدأت تعتاده يافعاً دللاً. وكان بطبيعته عابثاً لاهياً، وقلّ في تلك الأسرة جاد رصين، والقائل أعرف الناس بهم فهم خؤولته.

منذ سنوات الدراسة في الجامعة الأميركية بدأ يتجلى ما في شخصية شاعرنا من عبث وخفة.

ونلتبس طريقاً إلى تصنيف أشعار إبراهيم طوقان - وهي على كل حال قليلة ولا تحتاج إلى كثير تصنيف - بأن نسلکہا في سلكين: قصائد الغزل، وقصائد التوبيخ.

فأما الغزل فهو ما عرفت؛ وأما التوبيخ فهو ما صبه الشاعر على رؤوس بني قومه، وخصوصاً كبار زعمائهم، من قوارع الكلم لتقاعسهم، ونومهم عن موجة عاتية ستبتلع وطنهم. فرغم أن طوقان مات قبل نكبة فلسطين بسبع سنين، فقد قال من الشعر ما يشهد له بأنه قرأ الوضع قراءة عميقة، وأحس في أعماقه بما هو مقدم على فلسطين من نكبة سيراها الآخرون فظيعة بعد فوات الأوان.

امتلك بصيرة سياسية. بضّره بحقيقة وضع البلاد وتهافت زعمائها أنه من

عائلة كانت لها في الماضي زعامة، وجراًه على أن يسلق الشعب وزعماءه بقصائد تسيل سخرية وتأنيباً أن عائلته ظلت تحتفظ بأملآك أعفته من الوقوف بالأبواب.

غير أن العائلة ذات الأطيان والعقار لا تبيع أطياناً وعقارات كي تيسر المال لأبنائها اللاهين، فلا بد لهم من عمل يقوتهم، ولا سيما في زمن أخذ الإقطاع فيه ينحسر بسرعة عن بلاد الشام. فعمل طوقان في التدريس أشهراً (كانت كافية ليخرج علينا بقصيدته: وأرى حماراً بعد ذلك كله/رفع المضاف إليه والمفعول)، وعمل مديراً للبرامج في الإذاعة الفلسطينية بضع سنين. ولم يوفق كثيراً في أعماله لكسل فيه وعث، ولأن المرض كان يأخذه من مستشفى إلى مستشفى.. في القدس والقاهرة وبيروت.

نقول إنه كسول مادحين، فالشاعر ممدوح بما يذم به غير الشاعر. مات إبراهيم طوقان عن ست وثلاثين سنة. وخلف لنا ديواناً، وأختاً شاعرة هي فدوى طوقان.

وعليّ للشاعرة اعتذاران، لا بد من إزجائهما حتى وإن كانت قد انتقلت إلى دار الحق.

كنت أقرأ أشعاراً كثيرة في الراديو وأنا أعمل في هيئة الإذاعة البريطانية، وكنت أكثر من الاستشهاد بشعر مظفر النواب. وكانت فدوى تسمعي، وتقول لي إنها تسمعي. ولم أكن أستشهد بشعرها. والسبب الوحيد أن ديوانها لم يكن عندي في لندن، كان ذلك قبل الإنترنت، وكان عندي ديوان مظفر النواب. وفاتني أن أوضح لها ذلك.. توفيت وهي لا تعرف أنني لم أقصد إلى تجاهلها. ما كان أعظم بلادتي.

وعدت إلى بلدي فلسطين، ولم أقل جملة اعتذارية كانت ضرورية: يا ست فدوى - وهكذا يناديها أهل نابلس - للأسف لم يكن ديوانك بحوزتي في عاصمة الضباب، وإلا فقد كان يسعدني أن أقتطف من أشعارك. لا، لم أقل شيئاً من ذلك. كنت بليد الإحساس. أينفني أن أعتذر الآن؟

وقصدها يوماً، وكانت في شيخوختها العالية، وسجلت معها لقاء طويلاً. وشغلتنني الشواغل عن بث اللقاء. وتوفيت فدوى طوقان. فرأيت أن من الدناءة أن أبثه. أأكون سابقت إليها عزرائيل؟ ثم فطن إلى الأشرطة زملاء لي في معهد

الإعلام بجامعة بيرزيت، فكان لا بد من إذاعة الحديث. أينفعني أن أعتذر الآن؟

كانت، وهي في شيخوختها تلك، حبية رقيقة كأنها فتاة في الثامنة عشرة. ولئن كنت لا أعتقد أن الشعر يورث، ولا أصدق ما قالوه من أن زهير بن أبي سلمى ورث ابنه الشعر، فإن ما لمست من رهافة ورقة فدوى طوقان يوشك أن يشنني عن اعتقادي.

واعتذار ثالث: يا ست فدوى، هذا الكتاب بأجزائه الخمسة مخصص للشعر العمودي فقط، وشعرك الجميل الرقيق كان في معظمه من شعر التفعيلة. فلا مكان لشعرك هنا. أيرضيك أن أكفي بشعر أخيك إبراهيم؟ لعله يرضيك. إلى ما اخترته من شعر إبراهيم طوقان.

١ تخاذل

عجباً لِقُومِي مُقْعَدَيْنِ وَنُوماً وَعَدُوهُمْ عَنْ سَخَقِهِمْ لَا يَنْشِينِي
عجباً لِقُومِي كُلُّهُمْ بُكْمٌ، وَمَنْ يَنْطِقُ يَقُلْ: يَا لَيْتَنِي وَلَعَلَّنِي

٢ الراعي الذئب

وَطَنِي مُرْهَقٌ وَأَهْلِي نِيَامٌ وَاسْتَحَالَ الرَّاعِي فَأَصْبَحَ ذَيْباً
لَهْفَ نَفْسِي، وَهُمْ سُكَارَى غُرُورٍ، كَيْفَ يُبْدِي مَخَالِباً وَنُيُوباً؟

٣ المتقاعس

أَفْنَيْتَ يَا مَسْكِينُ عُمَ رَكَ بِالتَّأَوُّهِ وَالْحَزَنُ
وَقَعَدْتَ مَكْتُوفَ الْيَدَيْنِ نِي، تَقُولُ: حَارَبَنِي الزَّمَنُ
مَا لَمْ تَقُمْ بِالْعَبَاءِ أَبَ تَ، فَمَنْ يَقُومُ بِهِ إِذْنُ؟

* * *

كَمْ قَلْتَ: «أَمْرَاضُ الْبِلَا دِ»، وَأَنْتَ مِنْ أَمْرَاضِهَا
وَالشُّؤْمُ عَلَّئُهَا، فَهَلْ فَتَّشْتَ عَنْ أَغْرَاضِهَا؟
أَقْعُدْ، فَمَا أَنْتَ الَّذِي يَسْعَى إِلَى أَنْهَاضِهَا

* * *

أَضْحَى التَّشَاؤُمُ فِي حديد
مِثْلَ الْغُرَابِ، نَعَى الدِّيا
أَمْلٌ يَلُوحُ بِرَيْقُهُ
ما ضاقَ عَيْشُكَ لو سَعِيَ

خُكِ بِالْغَرِيْزَةِ وَالسَّلِيْقَةَ
رَ، وَأَسْمَعَ الدِّنيا نَعِيْقَةَ
فاستَهْدِ يا هذا بِرَيْقَةَ
تَ له، ولو لم تَشْكُ ضَيْقَةَ

* * *

لَكِنْ تَوَهَّمتُ السَّقَا
وظننتُ أَنَّكَ قد وَهَّنتُ
والمرءُ يُرهِبُهُ الرَّدَى

مَ، فَأَسْقَمَ الوَهْمُ البَدَنَ
تَ، فَدَبَّ فِي العَظَمِ الوَهْنُ
ما دامَ يَنْظُرُ لِلْكَفَنِ

٤ بائعو الأرض

بَاعُوا البِلادَ إِلَى أَعْدائِهِمْ طَمَعاً
قد يُعَذَّرُونَ لو أَنَّ الجَوْعَ أَرْغَمَهُمْ
أَعْدَاؤُنَا، مِنْذُ أَنْ كَانُوا، صَبَارِقَةً

بِالْمَالِ لِكِنَّمَا أوطَانُهُمْ باعُوا
واللَّهِ ما عَطِشُوا يوماً ولا جاعوا
ونحن، مِنْذُ هَبَطْنَا الأَرْضَ زُرَّاعُ

اليهود كان صيارفة يتعاملون بالمال، والفلسطينيون أهل أرض وفلاحة

يا بائِعِ الأَرْضِ لِمَ تَحْفَلُ بِعَاقِبَةٍ
فَكَزَّ بِمَوْتِكَ فِي أَرْضٍ نَشَأَتْ بِهَا

ولا تَعْلَمَتِ أَنَّ الخَضَمَ خَدَّاعُ
واتركَ لِقبْرِكَ أرضاً طَوَّلَها باعُ

الباع: ما بين وُسطاويك فاتحاً ذراعيك على جنبيك

٥ فلسطين المنسية شعرياً

جَنَّتُكُمْ عَاتِباً بِلَالِ مِصرٍ؛
بُلْبُلُ الرُّوضِ عَثَبُهُ أَلحَانُ

يعاتب شعراء مصر

كَمْ بِلادٍ تَهْزُؤُكُمْ لَيْسَ فِيهَا
خَطْبُنَا لا يَهْزُ شَوْقِي وَلَكِنْ

لَكُمْ جِيرةٌ ولا إِخْوانُ
جاءَ رُوماً فَهَزَّ الرُّومانُ

يشير إلى قصيدة شوقي (قف بروما وشاهد الأمر واشهد/ أن للملك مالكا سبحانه) وفيها يقف معتبراً
بزوال إمبراطورية الرومان وبقاء آثارهم التي تدل على عظمة بائدة

خَطْبُنَا لا يَهْزُ حَافِظُ إِبْرا
هَيْمَ لَكِنْ تَهْزُهُ اليابانُ

يشير إلى تعاطف حافظ إبراهيم مع اليابان في حربها مع روسيا، وفيها يقول على لسان ممرضة
يابانية (أنا يابانية لا أنثي/ عن مرادي أو أذوق العطباً)

مَا لِمُطْرَانَ يَا فَلَسْطِينَ شَأْنُكَ، لَكِنْ لَهُ يَنْيِرُونَ شَأْنُ
 يشير إلى قصيدة مطران عن نيرون حارق روما، ومنها البيت: (أي شيء كان نيرون الذي/ عبده،
 كان فظ الطبع غرا)

سَيَقُولُونَ قَدْ سَتَ هَذِهِ الْأَرْضُ، فَمَا إِنَّ لَنَا بِهَا شَيْطَانُ
 الشعراء، منذ الأعشى، يزعمون أن لهم شياطين من الجن توحى لهم بالشعر. وقد يقول شعراء
 مصر المذكورون إنه ليس في فلسطين شياطين لقداستها، لذا لم يذكروها في شعرهم

بَلْ فَلَسْطِينَ بِالشَّيَاطِينِ مَلَأَى صَحَّجَتِ الْإِنْسُ مِنْهُمْ وَالْجَانُ
 إِنَّ بَلَوْتُمْ مِنْهُمْ فَرِيقًا فَإِنَّا قَدْ رَمَانَا بِأَنْثَيْنِ هَذَا الزَّمَانُ
 إن كنتم يا أهل مصر بلوتم، أي اختبرتم، فريقاً واحداً من الشياطين، وهؤلاء هم الإنجليز الذين
 كانوا يحتلون مصر، فنحن ابتلينا بفريقين: الإنجليز، واليهود

٦ الفدائي

عن فدائي وقف بباب دار الحكومة بالقدس وأصاب برصاصة النائب العام البريطاني
 الذي أmeen في النكاية بالفلسطينيين، أيام الانتداب البريطاني على فلسطين

لَا تَسْلُ عَنْ سَلَامَةٍ رَوْحُهُ فَوْقَ رَاحَتِهِ
 بَدَّلَتْهُ هُمُومُهُ كَفَنًا مِنْ وَسَادَتِهِ
 بَيْنَ جَنْبَيْهِ خَافِقٌ يَتَلَطَّى بِغَايَتِهِ
 خافق: قلب.. وقلب الفدائي يتلظى ملتهباً لا يشغله سوى غايته وهدفه الوطني

* * *

هُوَ بِالْبَابِ وَاقِفٌ وَالرَّدَى مِنْهُ خَائِفُ
 وقف الفدائي عند الباب وجرح بالرصاص النائب العام

فَاهْدَأْ يَا عَوَاصِفُ خَجَلًا مِنْ جَرَاءَتِهِ

* * *

صَامِتٌ لَوْ تَكَلَّمَا لَفِظَ النَّارَ وَالْدَّمَ
 قُلْ لِمَنْ عَابَ صَمْتَهُ خُلِقَ الْحَزْمُ أَبْكَمَا

عابوا على الفدائي أنه لجأ للسلاح ولم يسبق ذلك بتقديم شكوى من ظلم النائب العام

وَأَخُو الْحَزْمِ لَمْ تَزَلْ يَدُهُ تَسْبِقُ الْقَمَا

٧ موشح الشهداء

في خضم هبة البراق ١٩٢٩، حاكم المحتل البريطاني ثلاثة شبان هم: فؤاد حجازي، وعطا الزير ومحمد مجوم، وشنقهم يوم الثلاثاء ١٧ حزيران/يونيو ١٩٣٠

لَمَّا تَعَرَّضَ نَجْمُكَ الْمَنَحُوسُ وَتَرْتَحَتِ بِعُرَى الْجِبَالِ رُؤُوسُ
يخاطب يوم الثلاثاء، لقد اعترض نجم النحس لهذا اليوم في السماء، وترنحت رؤوس الشهداء
بجبال المشقة ذات العرى، جمع عروة

نَاحَ الْأَذَانُ وَأَعْوَلَ النَّاقُوسُ فَالْلَّيْلُ أَكْثَرُ، وَالنَّهَارُ عَبُوسُ
عندها صار صوت الأذان كأنه النواح وصوت النواقيس، الأجراس، كأنه العويل، وصار الليل
مكدرًا والنهار عابسًا

ظَفِقَتْ تَثُورُ عَوَاصِفُ وَعَوَاطِفُ
وَالْمَوْتُ حِينَآ طَائِفُ أَوْ خَاطِفُ
وَالْمِعْوَلُ الْأَبَدِيُّ يُمَعِّنُ فِي الشَّرَى لِيَرُدَّهُمْ فِي قَلْبِهَا الْمُتَحَجِّرِ
وأخذ المعول، الفأس الأبدي وهو الموت، يحفر الأرض كي يرد الشهداء إلى قلب الأرض وإلى
التراب الذي منه خلق البشر

* * *

يَوْمٌ أَظَلَّ عَلَى الْعُصُورِ الْخَالِيَةِ وَدَعَا: أَمَرَ عَلَى الْوَرَى أُمَثَالِيَّة؟
يوم الثلاثاء المشؤوم هذا يقول للعصور: هل مر على البشر مثلي؟

فَأَجَابَهُ يَوْمٌ: أَجَلٌ، أَنَا رَاوِيَةٌ لِمَحَاكِمِ التَّفْتِيشِ، تِلْكَ الْبَاغِيَّةُ
فأجابه أحد الأيام المنصرمة: أجل، فأنا أروي ما صنعت محاكم التفتيش بعد سقوط الأندلس

وَلَقَدْ شَهِدْتُ عَجَائِبَا وَغَرَائِبَا
لَكِنَّ فَيْكَ مَصَائِبَا وَنَوَائِبَا
لَمْ أَلَقْ أَشْبَاهًا لَهَا فِي جَوْرِهَا فَاسْأَلْ سِوَايَ، وَكَمْ بِهَا مِنْ مُنْكَرٍ
ولكن فيك يا يوم الثلاثاء مصائب ليس لها شبيه في الظلم، فاسأل غيري، وما أكثر المنكرات التي
ارتكبت فيك

* * *

وَإِذَا بِيَوْمٍ رَاسِفٍ بِقُيُودِهِ فَأَجَابَ، وَالتَّارِيخُ بَعْضُ شُهَدَائِهِ:
وجاء يوم آخر يرسف، أي يمشي متاثلاً والقيود في ساقيه، ذلك هو اليوم الذي شهد العبودية،
فقال.. والتاريخ يشهد على صدقه:

أَنْظُرْ إِلَى بَيْضِ الرَّقِيقِ وَسُودِهِ مَنْ شَاءَ كَانُوا مِلْكَهُ بِنُقُودِهِ

انظر إلى من بالتاريخ من العبيد، بيضاً وسوداً، ياعون بالمال

بَشَرٌ يُبَاعُ وَيُشْتَرَى فَتَحَرَّرَا

ومشى الزَّمانُ القَهْقَرَى فِيمَا أَرَى

كان للعبودية زمنها ثم تحرر البشر منها. لكن، ها هو الزمن يعود القهقري إلى سابق عهد العبودية..

فَسَمِعْتُ مَنْ مَنَعَ الرَّقِيقَ وَبَيْعَهُ نَادَى عَلَى الْأَحْرَارِ: يَا مَنْ يَشْتَرِي

فالذين منعوا العبودية، الإنجليز (رسمياً بقرار برلماني ١٨٠٧)، أخذوا يبيعون الأحرار لا العبيد باستعمارهم البلاد وأهلها. التسويد للشاعر عمران القفيني

* * *

وَإِذَا يَوْمَ حَالِكِ الْجِلْبَابِ مُتَرَنِّحٌ مِنْ نَشْوَةِ الْأَوْصَابِ

وجاء يوم آخر يلبس ثوباً أسود، ويترنح من نشوة، أي ذهول، الأوصاب، أي الأوجاع

فَأَجَابَ: كَلَّا، دُونَ مَا بِكَ مَا بِي أَنَا فِي رُبَى عَالِيهِ ضَاعَ شَبَابِي

فقال هذا اليوم: ما بي أقل مما حل بك، لقد ضاع شبابي في ربي مدينة «عالية» اللبنانية التي شق فيها جمال باشا السفاح الوطنيين في سني الحرب العالمية الأولى

وَشَهِدْتُ لِلسَّفَاحِ مَا أَبْكَى دَمَا

وَيَلُّ لَهُ مَا أَظْلَمَا لِكِنَّمَا..

لَمْ أَلْقَ مِثْلَكَ طَالِعاً فِي رَوْعَةٍ فَادْهَبْ لَعَلَّكَ أَنْتَ يَوْمَ الْمَحْشَرِ

لكن، لم أر يوماً مثلك تطلع شمس في روعة، والروعة هي الروع أي الخوف، فلعلك أنت يوم القيامة يا يوم الثلاثاء

* * *

الْيَوْمُ تُنْكِرُهُ اللَّيَالِي الْعَابِرَةُ وَتَظَلُّ تَرْمُقُهُ بَعِينِ حَائِرَةٍ

هذا اليوم، الثلاثاء الذي أعدم فيه الرجال الثلاثة، تجده الليالي العابرة منكراً شديداً

عَجَباً لِأَحْكَامِ الْقَضَاءِ الْجَائِرَةِ فَأَخْفُفْهَا أَمْثَالُ ظُلْمِ سَائِرَةِ

وَطَنٌ يَسِيرُ إِلَى الْفَنَاءِ بِإِلَّا رَجَاءِ

وَالدَّاءُ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ إِلَّا الْإِبْرَاءُ

إِنَّ الْإِبَاءَ مَنَاعَةٌ، إِنَّ تَشْتَمِلُ نَفْسٌ عَلَيْهِ تَمُتُ وَلَمَّا تُفْهَرِ

* * *

الْكُلُّ يَرْجُو أَنْ يُبَكَّرَ عَفْوُهُ نَدْعُو لَهُ أَلَّا يُكَدَّرَ صَفْوُهُ

الآمال تتجه إليه، إلى المندوب السامي البريطاني، ليحيى عفوهُ باكرًا

إِنْ كَانَ هَذَا عَظْفُهُ وَخُنُوهُ عَاشَتْ جَلَالَتُهُ وَعَاشَ سُمُوهُ

حَمَلَ الْبَرِيدُ مَقْضَا مَا أَجْمَلَا

هَلَّا اكْتَفَيْتَ تَوْشَلَا وَتَسَاوَلَا

البريد حمل لنا التفاصيل، فلا داعي للتوسل وتسول العطف البريطاني، وكانت الهيئات العربية قد أرسلت رسائل الاسترحام الكثيرة

وَالْمَوْتُ فِي أَخْذِ الْكَلَامِ وَرَدُّهُ فَخُذِ الْحَيَاةَ عَنِ الطَّرِيقِ الْأَقْصَرِ

الموت كامن في تلك الرسائل والردود عليها، فخذ أيها المحتل الحياة من الطريق الأقصر، وخلصنا!

* * *

ضَاقَ الْبَرِيدُ وَمَا تَغَيَّرَ حَالُ وَالذَّلُّ فِيهِ سَطُورُنَا أَشْكَالُ

خُسْرَانُنَا الْأَرْوَاحُ وَالْأَمْوَالُ وَكَرَامَةٌ - يَا حَسْرَتَا - أَسْمَالُ

البريد ضاق برسائل الاسترحام، وأسطر هذه الرسائل يتجلى فيها ذلنا، وذلنا عبارة عن خسارتنا للأرواح والأموال والكرامة التي غدت شبيهة بالأسمال، أي الثياب الممزقة

أَوْ تُبْصِرُونَ وَتَسْأَلُونَ مَاذَا يَكُونُ؟

إِنَّ الْخِدَاعَ لَهُ فُنُونُ مِثْلُ الْجُنُونِ

هِيَهَاتَ، فَالْنَفْسُ الدَّلِيلَةُ لَوْ عَدَتْ مَخْلُوقَةٌ مِنْ أَغْيُنٍ لَمْ تُبْصِرِ

* * *

أَتَى لِشَاكِ صَوْتُهُ أَنْ يُسْمَعَ؟ أَتَى لِبَاكِ دَمْعُهُ أَنْ يَنْفَعَا؟

صَخْرٌ أَحْسَرَّ رَجَاءً فَتَصَدَّعَا وَأَتَى الرَّجَاءُ قُلُوبَهُمْ فَتَقَطَّعَا

لَا تَعْجَبُوا، فَمِنْ الصُّخُورِ نَبْعٌ يَفُورُ

وَلَهُمْ قُلُوبٌ كَالْقُبُورِ بِلا شُعُورِ

لَا تَلْتَمِسْ يَوْمًا رَجَاءً عِنْدَ مَنْ جَرَّبَتْهُ فَوْجَدَتْهُ لَمْ يَشْعُرِ

* * *

الساعات الثلاث

قرروا تنفيذ الإعدام في ثلاث ساعات: ساعة لكل شهيد وها هي الساعات تتحدث عن نفسها وعن أصحابها

الساعة الأولى

أنا ساعة النفس الأبيّة	الفضل لي بالأسبقية
أنا بكر ساعات ثلا	ث، كلّها رمز الحمية
بنّت القضية إن لي	أثراً جليلاً في القضية
أثر السيوف المشرفيّة	ة، والرمّاح الرّاعيّة
أودعْتُ، في مَهج الشّيب	يّة، نفحة الرّوح الوفيّة
لا بُدّ من يوم لهم	يسقي العدى كأس المنيّة
قسماً بروح فؤاد تض	عدو من جوانحه زكيّة
تأتي السماء حفيّة	فتحلّ جنّتها العليّة

حفية: السماء تحتفي بها

ما نال مرّتبة الخلو	د بغير تضحية رضية
عاشت نفوس في سبي	ل بلا دها ذهبت ضحية

الساعة الثانية

أنا ساعة الرجل العتيّد	أنا ساعة البأس الشّديد
أنا ساعة الموت المُشرّ	ف كلّ ذي فعلٍ مجيد
بطلّي يُحطّم قيده	رمزاً لتخطيم القيود

قبل إن محمد مجعوم فك قيده وأسرع كي يسبق عطا الزير إلى الشهادة

راحمتُ من قبلي لأشد	يقه إلى شرف الخلود
وقدحْتُ، في مَهج الشّبا	ب، شرارة العزم الوطيد
هيهات يُخدعُ بالوعو	د، وأن يُخدّر بالعهود

الشباب لن يخدع بوعود المحتلين

قسماً بروح محمد	تلقى الردى حلو الورود
-----------------	-----------------------

استحلّى عمران الفيني موقع الورود هنا، فهي جمع وردة؛ وهي الورود أي القدم، وكلا المعنيين يقوم به اللفظ

قَسَمًا بِأَمِّكَ عِنْدَ مَوْ تَيْكَ، وَهِيَ تَهْتِفُ بِالنَّشِيدِ
وَتَرَى الْعَزَاءَ عَنِ ابْنِهَا فِي صَيْتِهِ الْحَسَنِ الْبَعِيدِ
مَا نَالَ مَنْ خَدَمَ الْبِلَا دَ أَجَلٌ مِنْ أَجْرِ الشَّهِيدِ

الساعة الثالثة

أَنَا سَاعَةُ الرَّجُلِ الصَّبُورِ أَنَا سَاعَةُ الْقَلْبِ الْكَبِيرِ
رَمَزُ الثَّبَاتِ إِلَى النِّهَا يَةِ، فِي الْخَطِيرِ مِنَ الْأُمُورِ
بَطْلِي أَشَدُّ عَلَى لِقَا ِ الْمَوْتِ مِنْ صُمِّ الصُّخُورِ
جَذْلَانُ يَرْتَقِبُ الرَّدَى فَاغْجَبْ لِمَوْتٍ فِي سُرُورِ
يَلْقَى الْإِلَهَ مُحْضَبَ الْـ كَفَّيْنِ فِي يَوْمِ النُّشُورِ
خضاب الكفين رمز للفرح، فهو جذلان فرح وهو يرتقب الموت

صَبْرُ الشَّبَابِ عَلَى الْمُصَا بٍ، وَدِيعَتِي مِلْءُ الصُّدُورِ
أَنْذَرْتُ أَعْدَاءَ الْبِلَا دِ بِشَرِّ يَوْمٍ مُسْتَطِيرِ
قَسَمًا بِرُوحِكَ يَا عَطَا ِ، وَجَنَّةِ الْمَلِكِ الْقَدِيرِ
وَصِغَارِكَ الْأَشْبَالِ تَبْـ كِي اللَّيْثِ بِالذَّمْعِ الْعَزِيرِ
مَا أَنْقَذَ الْوَطْنَ الْمُفْدًـ يَ غَيْرُ صَبَّارٍ جَسُورِ

الخاتمة

أَجْسَادُهُمْ فِي تُرْبَةِ الْأَوْطَانِ أَرْوَاحُهُمْ فِي جَنَّةِ الرِّضْوَانِ
وَهَنَّاكَ لَا شَكْوَى مِنَ الطُّغْيَانِ وَهَنَّاكَ فَيُضُّ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ
لَا تَرْجُ عَفْوَاً مِنْ سِوَاهُ هُوَ الْإِلَهُ
وَهُوَ الَّذِي مَلَكَتْ يَدَاهُ كُلُّ جَسَاةٍ
جَبَرُوتُهُ فَوْقَ الَّذِينَ يَغُرُّهُمْ جَبَرُوتُهُمْ فِي بَرِّهِمْ وَالْأَبْحُرِ

هذا موشح مبني بناءً محكمًا، ويشي - رغم بعض التجوز في النحو - بفحولة شاعر في الرابعة والعشرين من عمره. ولما بذل الشاعر من جهد وفكر وهو يبني موشحه، ويحشر فيه الإيماءات التاريخية، فقدَّ السهولة. ولعل أهل فلسطين في ذلك الزمن ردّدوا هذا الموشح معجبين بوقع ألفاظه الفخيمة، ومتأثرين ببعض الأبيات البهلة؛ لكن التغلغل إلى المعاني لا يأتي من القراءة الأولى، ويحتاج إلى معرفة لغوية غير هينة. هذا شاعر ركب الصعب ليبر عن مشاعر شعب حزين وقلق، وكان أليق به لو قال شعراً سهلاً في مثل هذا المقام. إذا حاكمنا طوقان بدستور البلاغة، فهو لم يبلغ

ولم يبلغ . وإذا نظرنا إليه شاعراً لم يجاوز القرزمة إلا قليلاً فهو فعل متين اللغة .
وسيمضي إبراهيم طوقان في الشعر والحياة اثنتي عشرة سنة أخرى ، وسيقول شعراً من
أرق وأعذب الشعر . الصفحات المقبلة ستخبرك بذلك

٨ لجان

لَجْنَةٌ إِثْرَ لَجْنَةٍ إِثْرَ لَجْنَةٍ كَلَّفُوا «الْخَاطِرَ الْكَرِيمَ» بِهَذْنَةٍ
تتوالى لجان تقصي الحقائق، فهلا كلفتم «خاطركم» أي أنفسكم بهذنة تكف فيها اللجان عن القدم
إليها؟

وَلِجَانٌ تَلِي، وَأُخْرَى تُؤَلِّي هَكَذَا يُبْدِعُ السِّيَاسِيُّ فَنَّهُ
تلي: أي تليها وتتبعها

مَرْحَباً بِالْوُفُودِ شُكْرًا لِقَوْمٍ جَمَعَتْهُمْ خَطُوبُنَا الْمُرْجَحَنَّةُ
مرحباً بالوفود العربية التي تزور فلسطين وتجمعهم خطوبنا المرجحة، أي مصائبنا المتمايلة إعياء
(وألقي الشاعر بالآيات في الترحيب ببعض هذه الوفود عام ١٩٣٠)

نَحْنُ لَوْلَا الْخُطُوبُ مَا جَمَعْنَا بَعْدَ طَوِيلِ الْأَعْمَارِ إِلَّا الْجَنَّةُ
عمران القفيني: «ما ألطف هذه السخرية!»

٩ نحية مصر

أَحِبُّ مِصْرَ، وَلَكِنْ مِصْرُ رَاغِبَةٌ عَنِّي فَتُعْرِضُ مِنْ حِينَ إِلَى حِينَ
وإن بكّت، لا بكّت همّاً، فقد عَلِمْتُ وَأَيَقَنْتُ أَنْ ذَاكَ الْهَمُّ يُبْكِيَنِي
إذا بكّت مصر، وأدعو الله ألا يبكيها من أي هموم، فهي تعلم أن بكاءها وهمومها تبكي

مَا لِي وَلِلْشَقَمِ أَخْشَاءُ وَأَسْأَلُ عَنْ طَبِيبِهِ وَعِمَادُ الدِّينِ يَشْفِينِي
كان الشاعر في مصر عام ١٩٢٢ طلباً للعلاج، وعلاجه الأملل شارع عماد الدين بما فيه من
مسارح وسينمات

هَذَا، وَمِصْرُ بَسَاتِينَ مَنْمَقَةٌ شَبَابُهَا بَعْضُ أَزْهَارِ الْبَسَاتِينَ
خَاضُوا مِيَادِينَ مِنْ جِدٍّ وَمِنْ لَعِبٍ فَأَحْرَزُوا السَّبْقَ فِي كُلِّ الْمِيَادِينَ

١٠ صوموا تصحوا

حَبِّذَا لَوْ يَصُومُ مِنَّا زَعِيمٌ مَثَلٌ عَنْدِي عَسَى يُفِيدُ صِيَامُهُ

لَا يَضُمُّ عَنْ طَعَامِهِ؛ فِي فَلَسْطِيطِ نَ يَمُوتُ الزَّعِيمُ لَوْلَا طَعَامُهُ
لِيَضُمُّ عَنْ مَبِيعِهِ الْأَرْضَ يَحْفَظُ بُقْعَةً تَسْتَرِيحُ فِيهَا عِظَامُهُ
وكان بعض أثرياء، وبعض زعماء، فلسطين ممن باع أرضاً لليهود

كُلَّ يَوْمٍ حَزْبٌ وَحُلْمٌ فَحَدَّثَ عَنْ ضَعِيفِ سِلَاحِهِ أَحْلَامُهُ
بَطْلٌ إِنْ عَلَا الْمَنَابِرَ، كَرًّا رُّ، سَرِيعٌ عِنْدَ الْفِعَالِ انْهِزَامُهُ
كرار: هاجم... ومن ذلك «الكرُّ والفرُّ»

١١ الزعماء

وطني مُبْتَلَى بِغُضَبَةٍ دَلًّا لِيَنْ لَا يَتَّقُونَ فِيهِ اللَّهَ
الدلال: المروج للبضاعة، يدل عليها المشتريين ويغريهم بها

فِي ثِيَابٍ ثَرِيكَ عِزًّا، وَلَكِنْ حَشَوُهَا الذُّلَّ وَالرِّيَاءَ سَدَاهَا
ثيابهم أنيقة تشعرك بأن القوم أعزة، فزعماء فلسطين كانوا أيامئذ أثرياءها التقليديين، لكن ما بداخل
الثياب نفوس ذليلة؛ والثياب سداها، أي نسيجها، من الرياء والنفاق

ووجوه صَفِيقَةٍ لَيْسَ تَنْدَى بِجُلُودٍ مَدْبُوعَةٍ تَغْشَاهَا
وجوههم صفيقة، صلبة لا يظهر عليها الخجل، ولا تندى، لا تَعْرِقُ خجلًا، وتغشاها وتغطيها
جلود كأنها الجلود المدبوغة الميتة

وَصُدُورٌ كَأَنَّهُنَّ قُبُورٌ مُظْلِمَاتٌ قُلُوبُهُنَّ مَوْتَاهَا
صدورهم كالقبور، وقلوبهم هي الموتى الذين في القبور

حُسِبُوا فِي الرِّجَالِ، هَلْ كَانَتْ الْأَنْدَ عَامٌ إِلَّا لِمِثْلِهِمْ أَشْبَاهَا؟
يا رجالَ البلادِ، يا قادة الأُمَمِ هَلْ، مَاذَا دَمَائِكُمْ وَدَمَاهَا؟
عَرَفَ النَّاسُ وَالْمَنَابِرُ وَالْأَقْدَامُ لَأَمْ أَفْضَالَكُمْ فَهَاتُوا سِوَاهَا
يسخر منهم: قد عرفنا فضائلكم الكلامية فهاتوا غيرها!

إِنْفِرُوا أَيُّهَا النَّيَامُ فَهَذَا يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ الْعَيُونَ كَرَاهَا
كراها: نومها

نَبِّئُونِي عَنِ الْقَوِيِّ مَتَى كَا نَ رَحِيمًا، هِيَهَاتَ! مَنْ عَزَّ تَاهَا
أعداؤنا أقوياء فلا عجب ألا تكون عندهم رحمة، فمن كان عزيزاً قوياً كان تياهاً متكبراً مبرزاً قوته

لَا يَلِينُ الْقَوِيُّ حَتَّى يُلَاقِيْ مِثْلَهُ عِزَّةً وَيَطْشَأَ وَجَاهَا
ولن يلين لنا أعداؤنا الأقوياء حتى نجابههم بعزة وقوة ويطش وجاه، مكانة عالية

١٢ الشهيد

عَبَسَ الْحَظْبُ فَاِبْتَسَمَ وَطَعَى الْهَوْلُ فَاِفْتَحَمَ
رَابِطُ الْجَاشِ وَالنُّهَى ثَابِتُ الْقَلْبِ وَالْقَدَمِ
رابط الجاش: صابر متماسك، النهى: العقل

سَارَ فِي مَنَهِجِ الْعُلَا يَطْرُقُ الْخُلْدَ مَنْزِلَا
لَا يُبَالِي، مُكَبَّلًا نَالَهُ أَمْ مُجَدَّلَا
مجدل: مصروع قتيل

فَهُوَ رَهْنٌ بِمَا عَزَمَ

* * *

لَا تَقُلْ أَيْنَ جِسْمُهُ وَاسْمُهُ فِي قِمِ الزَّمَنِ
إِنَّهُ كَوَكَبِ الْهُدَى لَاحَ فِي غَيْهَبِ الْمَحَنِ
الشهيد كوكب نهدي به ويظهر في ظلام المصائب

أَيُّ وَجْهِ تَهَلَّلَا يَرِدُ الْمَوْتَ مُقْبِلَا
يا لوجهه المتهلل المشرق الذي ورد الموت مقبلاً عليه

صَعَّدَ الرُّوحَ مُرْسِلَا لَحْنَهُ يُنْشِدُ الْمَلَا:
يرسل روحه للأعالي مرسلأ بذلك لحناً ينشده أمام الملأ الأعلى، الملائكة، واللحن هو أنه
منذور لله وللوطن

أَنَا لِلَّهِ وَالْوَطَنِ

١٣ أشباه الرجال

أَحْرَارَنَا! قَدْ كَشَفْتُمْ عَنْ بَطُولَيْكُمْ غِطَاءَهَا يَوْمَ تَوْقِيعِ الْكِفَالَاتِ
يسخر: يا أحرارنا ظهرت بطولاتكم يوم طلب منكم توقيع صكوك الكفالة للإفراج عنكم بعد
اعتقالكم بتهمة تنظيم المضاهرات، فوقعتوها

أَنْتُمْ رِجَالٌ خِطَابَاتٍ مَنْمَقَةٍ كَمَا عَلِمْنَا، وَأَبْطَالٌ احْتِجَاجَاتٍ

ولو أُصِيبَ بِجُرْحٍ بَعْضُكُمْ خَطَأً فيها، إِذْنٌ لَرَتَّعْتُمْ بِالْحَفَاوَاتِ
لو أُصِيبَ أَحَدُكُمْ بِجِرَاحٍ فِي مَظَاهِرَةِ احْتِجَاجٍ لَرَتَعَ فِي احْتِفَاءِ النَّاسِ بِهِ وَتَمَجِيدِهِمْ بِطَوْلِهِ
بَلْ حِكْمَةُ اللَّهِ كَانَتْ فِي سَلَامَتِكُمْ لِأَنَّكُمْ غَيْرُ أَهْلِ لِلشَّهَادَاتِ
أَضَحَّتْ فِلَسْطِينُ مِنْ غِيْظٍ تَصِيحُ بِكُمْ: خَلُّوا الطَّرِيقَ، فَلَسْتُ مِنْ رِجَالِنِي

١٤ استعدوا للرحيل

هَزَلْتُ قَضِيَّتُكُمْ فَلَا لَخَمٌ هُنَاكَ وَلَا دَمٌ
ضَمَرْتُ إِلَى بَلَدِيَّةٍ فِيهَا الْعِدَا تَنَحَّكُمُ
أَصْبَحَ كُلُّ هَمِّكُمْ الْإِخْتِصَامَ عَلَى نَتَائِجِ الْإِنتِخَابَاتِ الْبَلَدِيَّةِ، وَالْبَلَدِيَّاتِ يَتَحَكَّمُ فِيهَا أَصْلًا الْمُحْتَلُّ
البريطاني

يَا قَوْمُ لَيْسَ عَدُوُّكُمْ مِمَّنْ يَلِينُ وَيَرْحَمُ
يَا قَوْمُ لَيْسَ أَمَامَكُمْ إِلَّا الْجَلَاءُ فَحَزُّمُوا

١٥ سواد

لَا تَلْمَنِي إِنْ لَمْ أَجِدْ مِنْ وَمِيضٍ لِرَجَاءٍ مَا بَيْنَ هَذَا السَّوَادِ

١٦ السماسرة

أَمَّا سَمَاسِرَةُ الْبِلَادِ فَعُصْبَةٌ عَارٌّ عَلَى أَهْلِ الْبِلَادِ بَقَاؤُهَا
السماسرة: رجال كانوا يسعون بين عربي يملك الأرض ويهودي يريد شراءها
هُمْ أَهْلُ نَجْدَتِهَا، وَإِنْ أَنْكَرْتَهُمْ، وَهُمْ، وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ، زُعَمَاؤُهَا
وَحُمَاتُهَا، وَبِهِمْ يَتِمُّ خَرَابُهَا وَعَلَى يَدَيْهِمْ بَيْعُهَا وَشِرَاؤُهَا

١٧ أيها المحتلون

قَدْ شَهِدْنَا لِعَهْدِكُمْ بِالْعَدَالَةِ وَخَتَمْنَا لِجُنْدِكُمْ بِالْبَسَالَةِ
يسخر من البريطانيين المحتلين

وَعَرَفْنَا بِكُمْ صَدِيقًا وَفِيًّا كَيْفَ نَنْسَى انْتِدَابَهُ وَاحْتِلَالَهُ
وَحَجَلْنَا مِنْ لُطْفِكُمْ يَوْمَ قُلْتُمْ وَعَدُ بَلْفُورَ نَافِذًا لَا مَحَالَةَ
ونشرح هذا الشعر في مارس ٢٠١٧، وبعد أشهر يحتفل وعد بلفور بعيد مولده المئة، وهو وعد
بريطاني لليهود بوطن قومي لهم في فلسطين

كلُّ أَفْضَالِكُمْ عَلَى الرَّأْسِ وَالْعِيدِ نِ، وَلَيْسَتْ فِي حَاجَةٍ لِدَلَالَةٍ
وَلَيْتُنْ سَاءَ حَالُنَا فَكُفَانَا أَنْتُمْ عِنْدَنَا بِأَحْسَنِ حَالَةٍ
غَيْرَ أَنَّ الطَّرِيقَ طَالَتْ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ، فَمَا لَنَا وَالْإِطَالَةَ؟
أَجَلَاءُ عَنِ الْبِلَادِ تُرِيدُو نَ فَتَنْجَلُوا، أَمْ مَحَقْنَا وَالْإِزَالَةَ؟

١٨ عودة نوح

مَنْ كَانَ يُنْكِرُ نُوحًا أَوْ سَفِينَتَهُ فَإِنَّ نُوحًا بِأَمْرِ اللَّهِ قَدْ عَادَا
حَلَّ الْوَبَالِ بِعِيبَالٍ فَمَالَ بِهِ يَا هَيْبَةَ اللَّهِ إِفْرَاقًا وَإِزْعَادَا

عيال: الجبل الشمالي لمدينة نابلس، ويقصد عموم المدينة

مَنْدُ احْتَلَلْتُمْ وَشَوْمُ الْعَيْشِ يُرْهِقُنَا فَقْرًا وَجَوْرًا وَإِتْعَاسًا وَإِفْسَادَا
بِفَضْلِكُمْ قَدْ طَعَى طُوفَانُ هَجَرَتِهِمْ وَكَانَ وَعْدًا تَلَقَّيْنَاهُ إِعْبَادَا
كَالْفَيْضَانِ الَّذِي حَلَّ بِنَابِلُسَ ثَمَّةَ طُوفَانٍ هُوَ هَجْرَةُ الْيَهُودِ الَّتِي سَهَّلَ أَمْرَهَا الْمُحْتَطُونَ الْبَرِيطَانِيُونَ،
كَانَتْ وَعْدًا، هُوَ وَعْدُ بَلْفُورٍ، وَتَحَوَّلَتْ إِلَى إِعْبَادٍ، تَهْدِيدُ لَوْجُودِنَا

وَالْيَوْمَ، مِنْ شُؤْمِكُمْ، نُبَلَى بِكَارِثَةٍ هَذَا هُوَ الطَّيْنُ وَالْمَاءُ الَّذِي زَادَا
وَالْيَوْمَ لَشُؤْمِكُمْ عَلَيْنَا نَبْتَلَى بِكَارِثَةِ الْفَيْضَانِ. . . وَيَنْظُرُ الشَّاعِرُ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ الْفَيْضَانُ مِنْ طَيْنٍ
وَوَحْلٍ، وَيَخْطُرُ بِيَالِهِ الْمَثَلُ «زَادَ الطَّيْنُ بِلَّةً»

١٩ أيها الثقيل!

أَنْتَ كَالِاحْتِلَالِ زَهْوًا وَكِبْرًا أَنْتَ كَالِإِنْتِدَابِ عُجْبًا وَتَبْهًا
العجب والتب: التكبر

أَنْتَ كَالْهَجْرَةِ الَّتِي قَرَضُوهَا لَيْسَ مِنْ حِيلَةٍ لِقَوْمِكَ فِيهَا
أَنْتَ أَيُّهَا الثَّقِيلُ كَهَجْرَةِ الْيَهُودِ الْقَادِمِينَ إِلَى فَلَسْطِينَ أَفْوَاجًا وَلَا حِيلَةَ لَنَا فِيهَا، وَكَذَا لَا حِيلَةَ لَنَا
فِيكَ

أَنْتَ أَنْكَى مِنْ بَائِعِ الْأَرْضِ عِنْدِي أَنْتَ أَعْذَارُهُ الَّتِي يَدْعِيهَا
لَكَ وَجْهٌ كَأَنَّهُ وَجْهٌ سِمَسَا رٍ عَلَى شَرِّطٍ أَنْ يَكُونَ وَجْهِيهَا
وَجْهَكَ كَوَجْهِ السِّمَسَارِ بَائِعِ الْأَرْضِ لِلْعَدُوِّ، شَرِّطُ أَنْ يَكُونَ سِمَسَارًا مِنَ الْوُجْهَاءِ الْأَثْرِيَاءِ فَهَذَا أَقْبَحُ لَهُ
وَجَبِينُ مِثْلُ الْجَرِيدَةِ لَمَّا لَمْ تَجِدْ كَاتِبًا عَفِيفًا نَزِيهَا

وحديث فيه ابتذال «احتجاج» كُلُّمَا نَمَّقُوهُ عَادَ كَرِيهَا
حديثك فيه ابتذال كابتذال عرائض الاحتجاج التي كان الناس «يرفعونها» للسلطات المحتلة بدل أن
يقاوموا الاحتلال

جُمِعَتْ فِيكَ عُضْبَةٌ لِلْبَلَايَا وَأَرَى كُلَّ أُمَةٍ تَشْتَكِيهَا

هذا أسلوب «الاستطراد» في الشعر، وقد قَدَّ له أبو تمام؛ فعندما قال في امرأة (يا
نَكْبَةَ هَشَمَتْ أَنْتِ السُّرُورَ بِهَا/ وَمَيِّتَةً أَبْقَيْتِ الْعُرَابَ عُرَابًا) سأل تلميذه البحري: ما
هذا؟ فقال البحري: لا أدري. فقال أبو تمام: هذا الاستطراد.. أن تُوهَم السامع
بمعنى وأنت تقصد غيره. وفي البيت يترحم أبو تمام على المرأة المتوفاة لأن السرور
زال بموتها، وعاد العراب عزاباً بحق، وهو يقصد أنها كانت تلهو - على الأقل -
معهم. فهو يهجوها ويكشِّخ زوجها في الحقيقة. وطوقان فرش الاستطراد على قصيدة
يوهمنا فيها أنه يهجو ثقيلاً من الثقلاء ولكنه يرمي إلى هجاء السامسة والصحفين
المنافقين. راجع في «الاستطراد» الشعري أمثلة كثيرة سقناها في كتابنا «تجدد الشعر»
وهو الجزء الثاني من خماسية «الزبدة» التي يديك جزؤها الأخير

٢٠ لنا خصمان

أَمَامَكَ أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ يَوْمٌ تَشِيبُ لَهُوْلُهُ سَوْدُ النَّوَاصِي
وَأَنْتَ، كَمَا عَهْدُتُكَ، لَا تُبَالِي بِغَيْرِ مَظَاهِرِ الْعَبَثِ الرَّخَاصِ
لَنَا خَصْمَانِ: ذُو حَوْلٍ وَطَوَّلٍ وَآخِرُ ذُو احْتِيَالٍ وَأَقْتِنَاصِ
لنا خصمان، أحدهما له حول وطول: جبروت وقوة، وهو البريطانيون، والآخر محتال يقتنص
أرضنا اقتناصاً هو اليهود

تَوَاصَوْا بَيْنَهُمْ فَأَتَى وَبَالاً وَإِذْ لَنَا ذَاكَ التَّوَاصِي
تواصوا: اتفقوا وأوصى بعضهم بعضاً

مَنَاهِجٌ لِلْإِبَادَةِ وَاضِحَاتٌ وَبِالْحُسْنَى تُنْفَذُ وَالرَّصَاصِ

٢١ يا زعماءنا

أَنْتُمْ الْمُخْلِصُونَ لِلْوَطَنِيَّةِ أَنْتُمْ الْحَامِلُونَ عِبَاءَ الْقَضِيَّةِ
يسخر من زعماء فلسطين أيام الاحتلال البريطاني

أَنْتُمْ الْعَامِلُونَ مِنْ غَيْرِ قَوْلٍ بَارَكَ اللَّهُ فِي الزُّنُودِ الْقَوِيَّةِ
وَبَيَانٍ مِنْكُمْ يُعَادِلُ جِيشاً بِمُعَدَّاتٍ رَحِفَةٍ الْحَرْبِيَّةِ
وَاجْتِمَاعٍ مِنْكُمْ يَرُدُّ عَلَيْنَا غَايِرَ الْمَجْدِ مِنْ فُتُوحِ أُمِّيَّةِ

وَحَلَاصُ الْبِلَادِ صَارَ عَلَى الْبَا ب، وَجَاءَتْ أَهْبَادُهُ الْوَرْدِيَّةُ
مَا جَحَدْنَا أَفْضَالَكُمْ غَيْرَ أَنَّا لَمْ تَزَلْ فِي نَفْسِنَا أُمْنِيَّةُ
فِي يَدَيْنَا بَقِيَّةٌ مِنْ بِلَادٍ فَاسْتَرِيحُوا كَيْ لَا تَطِيرَ الْبَقِيَّةُ

٢٢ الرقم ألف

يُهَاجِرُ أَلْفٌ، ثُمَّ أَلْفٌ مُهَرَّبًا وَيَدْخُلُ أَلْفٌ سَائِحًا، غَيْرَ آيِبٍ
يدخل اليهود فلسطين بالهجرة المسموح بها من قبل المحتل البريطاني، وبالتهرب، ويدخلون سياحة
لكن بلا إياب

وَأَلْفٌ جَوَازٍ ثُمَّ أَلْفٌ وَسِيلَةٍ لِتَسْهِيلِ مَا يَلْقَوْنَهُ مِنْ مَصَاعِبٍ
وَفِي الْبَحْرِ آلَافٌ كَأَنَّ عُجَابَهُ وَأُمُوجَهُ مَشْحُونَةٌ فِي الْمَرَائِبِ
وفي البحر مراكب تقل آلاف اليهود، فكان عباب البحر وأمواجه هي الموجودة داخل السفن لكثرة
ما بها من البشر

بَنِي وَطَنِي، هَلْ يَفْقَظُهُ بَعْدَ رَقْدَةٍ؟ وَهَلْ مِنْ شُعَاعٍ بَيْنَ تِلْكَ الْغَيَاهِبِ؟
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي، وَلِلْيَاسِ هَبَّةٌ، أُنَادِي أُمِينًا أَمْ أَهْيَبُ بِرَاغِبٍ؟
هل أنادي أمين الحسيني أم راغب الناشيبي الزعيمين اللذين كانا يتنازعان على الزعامة؟

٢٣ لمن الربيع؟

أَرَأَيْتَ مَمْلَكَةَ الرَّبِيْعِ حِ، يُعِيدُ رَوْنَقَهَا الرَّبِيْعُ؟
وَيُنَوِّجُ الرَّاعِي بِهَا مَلِكًا، رَعِيَّتُهُ الْقَطِيعُ
الذُّبُ يَرْهَبُهُ، وَيَلُ ثُمَّ كَفَّهُ الْحَمْلُ الْوَدِيعُ
يلثم: يَقْبَلُ

فَرَحُ الرَّبِيْعِ لِمَنْ لَهُ أَرْضٌ، وَلَيْسَ لِمَنْ يَبِيعُ

٢٤ أوهام الظلام

عِلَامَ احْتِرَاسُكِ؟ لَا أَعْلَمُ وَفِيمَ احْتِشَادُكَ؟ لَا أَفْهَمُ
حشدت حكومة الاحتلال البريطاني في فلسطين قواتها تحسباً من مظاهرات في «موسم النبي
موسى»، وهو موسم شعبي شبه ديني يقام سنوياً قرب أريحا ويحضره المنشدون والفرق الصوفية
والباعة المتجولون

وهل في فلسطين ما ترهبين سوى أنه اجتمع «الموسم»؟
جوادٍ يراكيه عائر وأين له الفارس المعلم؟
فلسطين مثل حصان يعثر براكبه، ولا فارس معلماً له، أي الفارس الذي يضع شارة التميز والبطولة
وسيفٌ بحامليه ساخر وأين له الكف والمغصم؟
مظاهر، ليس بها ما يخيف ولكنما خاف من يظلم

٢٥ عزة الإسلام

يومٌ بداجية الزمان ضياء وبهاؤه للخافقين بهاء
مولد النبي كان يوماً مضياً في ظلام الزمن، وكان بهاء هذا اليوم وإشراقه بهاء للخافقين، الشرق والغرب

وإذا من الفوضى نظامٌ معجز وقيادة وسيادة ودهاء
الإسلام جاء بالنظام المعجز بعد الفوضى

وإذا الخيام قصور أملاك الورى وإذا القفار دمشق والزوراء
خيام العرب تحولت بالإسلام إلى قصور لملوك البشر، وقفار العرب وصحراؤهم صارت حواضر الدنيا كلدمشق والزوراء، بغداد

وعلى رُيُوع الصبين كبرَ قيلق ويأرض قسطنطين رفَّ لواء
أرض قسطنطين: بلاد الروم، تركيا الحالية

تلك الخوارق إن طلبت أدلة تبَّت البراق بهنَّ والإسراء
هذا التمدن السريع وتلك الانتصارات الباهرة المعجزة أدلة تثبت حدوث معجزات أخرى كالبراق الذي أسرى بالنبي ثم عرج به إلى السماء

نزل الكتاب على النبي محمد، ما يصنع الخطباء والشعراء!
القرآن جعل الخطباء والشعراء يدركون أن بلاغتهم ضئيلة القيمة بجانبه

ناديت قومي لا أخصص مسلماً أبناء يعرب في الخطوب سواء
أبناء يعرب: يعني العرب جميعاً. فإذا قال البحري «نحن، أبناء يعرب، أعرب الناس لساناً» فهو يعني اليمانيين ليس غير

إن الكتاب شريعة استقلالكم فتدبروه وأنتم الخلفاء
القرآن دستوركم إذ تسعون للاستقلال، فتدبروا معانيه فهو في مقام الدستور وأنتم في مقام الخلفاء

٢٦ الزلزال

أَدْمَوْعُ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ تَجْرُحُ الْقَلْبَ أَمْ دُمُوعُ الرِّجَالِ؟
بَلَدٌ كَانَ آمِنًا مَطْمَئِنًّا فَرَمَاهُ الْقَضَاءُ بِالزَّلْزَالِ
مَادَتِ الْأَرْضُ ثُمَّ شَبَّتْ وَأَلْقَتْ مَا عَلَى ظَهْرِهَا مِنَ الْأَثْقَالِ
مادت الأرض ومالت، ثم شبت، ارتفعت، ورمت ما عليها من أثينة

فإذا الدُّورُ وَهِيَ إِمَّا قَبُورٌ تَحْتَهَا أَهْلُهَا، وَإِمَّا أَحْوَالِ
خوال: خالية من الناس. وفي زلزال ١٩٢٧ بفلسطين، خرج أهالي نابلس من بيوتهم وتفرقوا في الجبال
رَبِّ إِنَّ الْكُرُوبَ تَتَرَى عَلَيْنَا حَسْبُنَا كَرْبُ هِجْرَةٍ وَاحْتِلَالِ
ترى: متوالية، والهجرة المقصودة: هجرة اليهود إلى فلسطين، فشاعرنا مات قبل أن يهجر
الفلسطينيون من بلدهم

٢٧ الطريق المعبد

لِي بِالْحَيَاةِ تَعَلَّقْ وَتَشَدَّدْ وَالْعُمُرُ مَا بَعْدَ الْمَدَى فَسَيَنْقَدُ
نَفْسٌ أُرِدَّتْهُ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لِلْمَوْتِ بَيْنَ جَوَانِحِي يَتَرَدَّدُ
يتردد نَفْسِي بين أضلاعي وكأنه خطوات المسير نحو الموت
وَيْلٌمُ بِي أَلَمْ أَخَاتِلْهُ بِمَا يَصِفُ الطَّبِيبُ فَيَسْتَكِينُ وَيَخْمَدُ
أخاتله: أخادعه

وَيَسْرُئُنِي أَنِّي نَجَوْتُ مِنَ الْأَدَى، وَيَلِي! كَأَنِّي إِنْ نَجَوْتُ مُخَلَّدُ
وَكَأَنَّنِي ضَلَلْتُ سَبْرَ مَنِيَّتِي إِنَّ الطَّرِيقَ إِلَى الْفَنَاءِ مُعَبَّدُ
كأنني بتناول الدواء قد جعلت موتي يضل الطريق إلي... لكن، هيهات، فطريق الموت معبد
هيهات لست بخادع عَيْنَ الرَّدَى عَيْنُ الرَّدَى يَقْطِي، وَعَيْنُكَ تَرْقُدُ

٢٨ رثاء شريف مكة

رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنَّهُ غَالَهُ الْيَأْسُ، وَكَانَ الْأَمَلُ
وَنَحَ قَوْمٌ خَذَلُوهُ بَعْدَمَا أَخَذُوا الْمِثْقَالَ أَلَّا يَخْذُلَا
وجع الإنجليز الذين غلدوا بشريف مكة وخذلوه بعد أن أخذوا تعهداً منه ألا يخذلهم هو في حربهم
ضد الدولة العثمانية

كَادَتْ الكَأْسُ التي في قُبْرُصٍ تُشْبِهُ الكَأْسَ التي في كَرْبَلَا
كاد موته منقياً في قبرص، ١٩٣١، يشبه مقتل الحسين بن علي في كربلاء

٢٩ رثاء فيصل العراق

شَيْعِي اللَّيْلِ وَقَوْمِي اسْتَقْبَلِي طَلْعَةَ الشَّمْسِ وِراءَ الْكَرْمَلِ
يا فلسطين ودعي ليلك وقومي استقبلي طلوع الشمس وراء جبل الكرمل بحيفا.. وكان جثمان
فيصل ملك العراق قد نقل من سويسرا حيث توفي، ١٩٣٣، إلى ميناء حيفا في طريقه إلى مشواه
الأخير في بغداد، وخرج الفلسطينيون يستقبلون الجثمان

واخْشَعِي! يُوشِكُ أَنْ يَغْشَى الْحِمَى يَا فِلَسْطِينَ سَنَى مِنْ فَيصَلِ
اخشعي يا فلسطين، اخفضي بصرك، إذ يكاد يغشى البلاد سنى، نور ساطع، من فيصل

ذَلِكَ الْفُلُكُ الَّذِي يَحْمِلُهُ مِثْلُهُ مِنْذُ جَرَى لَمْ يَحْمِلِ
الفلك، أي السفينة، الذي حمل فيصلاً لم يحمل شخصاً مثله منذ أن جرى في الماء، أي منذ أن
صنع البشر السفن

لَوْ تَعَدَّى لُجَّةَ الْبَحْرِ بِهِ خَاصَ فِي لُجَّةِ دَمْعِ مُسْبَلِ
لو أن السفينة خرجت من البحر إلى اليابسة فلا بأس.. ستخوض في بحر من الدموع المسبلة
الهاطلة حزناً على الفقيد

رَاقِدٌ يَنْعُمُ فِي ضَجْعَتِهِ خَلَّفَ الدُّنْيَا بِهِ فِي شُغْلِ
مات فيصل وترك الدنيا منشغلة بذكره والحزن عليه

أَبْقَظَ اللَّوْعَةَ فِيهَا وَالْأَسَى وَغفا بَيْنَهُمَا لَمْ يَخْفَلِ
ما الذي أعددت من طيب القرى يَا فِلَسْطِينَ لِضَيْفِ مُعْجَلٍ؟
القرى: طعام الضيف

لَا أَرَى أَرْضاً تُلَاقِيهِ بِهَا قَدْ أَضَاعَ الْأَرْضَ بَيْنُعَ السَّفَلِ
أضاع الأرض السفلة الذين باعوها لليهود

فَاسْتُرِي وَجْهَكَ لَا يَلْمَخْ عَلَى صَفَحَتَيْهِ الْخِزْيَ فَوْقَ الْحَجَلِ
مَنْ هَذَا لِلْمَثَلِ الْأَعْلَى يَجِدُ فِي بَنِي هَاشِمٍ أَعْلَى مَثَلِ
هفا: اشتاق

أَيُّكُمْ يَا آلَ بَيْتِ الْمُصْطَفَى مَا قَضَى مُسْتَشْهِداً مِنْذُ عَلِيٍّ؟

٣٠ حسرة على وطن يتسرب

وطني أخاف عليك قوماً أصبحوا يتساءلون: من الزعيم الأليق؟
لا تفتحوا باب الشقاق فإنه باب على سود العواقب مغلق
باب الشقاق، والاختلاف، مغلق فإن فتحتموه فوراءه عواقب وخيمة

أما الزعامة فالحوادث أمها تُعطى على قدر الفداء وتُرزق
الزعامة تنال بوقوف الزعيم في وجه الحوادث التي تحل بالبلد، ويقدر ما يقدم من تضحية

يا ابن البلاد، وأنت سيد أرضها وسماؤها، إنني عليك لمشفق
ماذا يرُدُّ الظلم عنك، أحسرة أم زفرة، أم عبرة تترقرق؟
لا تلجأ إذا ظلمت لمنطق فهناك أضيع ما يكون المنطق
لا ينفع المنطق، أي الكلام والخطابات والاحتجاجات، في مواجهة الظلم، فلا بد من مقاومة

٣١ رثاء الشيخ سعيد الكرمي

سلف صالح، بقيّة قوم بارك الله عهدكم في العهد
عرفوا الخير، أكرموا فاعليه جهلوا اللؤم جهلهم للجحود
وإذا ما تجردوا لعداء وقفوا بالعداء عند حدود
هذا معنى يدركه كرام الناس فقط

ما أشد افتقارنا لسمو الـ خلق في هذه الليالي السود
ما لكم! بغضكم يمزق بعضاً أفرغتم من العدو اللدود؟
إذهبوا في البلاد طولاً وعرضاً وانظروا ما ليخصمكم من جهود
انظروا جهود خصمكم اليهودي الذي يبني المستوطنات ويتسلح

والمسوا باليدين صرحاً منيعاً شاد أركانه بعزم وطيد

٣٢ المخدوعون

تمكّن الذل من قومي فلا عجب ألا يُبالوا بتفريع وتأنيب
ما أشرف العذر لو أن الوعي نثر أشلاءهم بين مطعون ومضروب
كان يكون لهم عذر لو أن الحرب نثرت أشلاءهم قتلى

لَكِنْ دَهَتْهُمْ أَسَالِيبُ الْعُدَاةِ وَهُمْ سَاهُونَ لَاهُونَ عَنْ تِلْكَ الْأَسَالِيبِ

لكنهم وقعوا في شرك أساليب الأعداء

وَيَقْنَعُونَ بِمَبْذُولٍ يُلَوِّحُهُ مُسْتَعْمِرُهُمْ بِتَبْعِيهِ وَتَقْرِيهِ

ويقنعون بما يمنحه لهم المحتل من فئات، وما يقدمه من وعود، ويتبعيه وتقريه،
و«التبعيد والتقريب» تعني الدهاء السياسي، واللفظ جاء عند البحري (أَحْكَمْتَ مَا دَبَّرْتَ بِالتَّبْعِيهِ،
وَالثَّ - قَرِيبٍ، وَالتَّضْعِيبِ، وَالتَّشْهِيلِ)

كَأَنَّهُمْ لَمْ يُشَيِّدْ مَجْدُ أَوْلَاهُمْ عَلَى السُّيُوفِ وَأَطْرَافِ الْأَنْابِيهِ

أطراف الأنابيب: أطراف الرماح

٣٣ رثاء أديب منصور

وقد اغتالته المصائب الصهيونية بقنبلة موقوتة وكان زميلاً للشاعر في الإذاعة
ال فلسطينية

تُفِيضُ أَكَالِيلَهُ طَيْبَهَا وَدُونَ شَمَائِلِهِ كُلُّ طَيْبٍ

الأكاليل على قبره تبعث عطر أزهارها، ولكن شمائله، خصاله وصفاته، أحسن من كل طيب

وَعُدْتُ عَنِ الْقَبْرِ فِي الْعَائِدِينَ أَمَامِي نَحِيبٌ وَخَلْفِي نَحِيبٌ

٣٤ يا طير!

قُلْتُ لِلطَّيْرِ حِينَ أَصْبَحَ يَشْدُو: أَيُّهَا الطَّيْرُ عِمَّ صَبَاحاً! فَرَدّاً

ثُمَّ عَنِّي أَنْشُودَةً عَنْ حَبِيبٍ لَمْ يَكُنْ ظَالِماً وَلَا خَانَ عَهْدًا

أَضْرَمَ الذِّكْرِيَّاتِ بِي ثُمَّ وَلَّى، لَا رِمَاكَ الصِّيَّادُ، أَسْرَفْتَ جِدّاً

أشعل هذا الطائر الذكريات بقلبي ثم طار، وأدعو لك أيها الطائر ألا يرميك صياد، لكنك أسرفت
في بعث ذكرياتي من مرقدتها

٣٥ في المكتبة

وَعَرَبِيَّةٌ فِي الْمَكْتَبَةِ بِجَمَالِهَا مُتَنَقِّبَةٌ

كانها تضع نقاباً على وجهها هو في الواقع جمالها

جَلَسْتُ لِتَقْرَأَ أَوْ لِتَكُفَّ حُبَّ مَا الْمَعْلَمُ رَتَّبَهُ

فَدَنَوْتُ أَسْتَرْقُ الْخُطْبَى حَتَّى جَلَسْتُ بِمَقْرُبَةٍ

وَحَبَسْتُ، حَتَّى لَا أَرَى، أَنْفَاسِي الْمُتَلَهِّبَةَ
وَنَهَيْتُ قَلْبِي عَنْ خَفْوِ قِي فَاضِحٍ، فَتَجَنَّبَهُ
رَاقِبُهَا، فَشَهِدْتُ أَنَّ- اللَّهَ أَجْزَلَ فِي الْهَبَةِ
حَمَلَ الثَّرَى مِنْهَا عَلَى نُورِ الْيَدَيْنِ وَقَلْبِهِ

عندما خلقها الله حمل ترابها على نور يديه وقلبه تقلياً، وهو يصنع منه طينها

وَسَقَاهُ فِي الْفِرْدَوْسِ مَخْ- نَوْمَ الرَّحِيقِ وَرَكَّبَهُ
وسقى ترابها من الرحيق الفردوسي المختوم، من خمر الجنة المختوم عليه في دنانها، وركب من
التراب والخمر طين هذه المخلوقة

فَإِذَا بِهَا مَلَكٌ تَنَزَّرَ- لَ لِلْقُلُوبِ الْمُتَعَبَةِ
فكانها من الملائكة

يَا لَيْتَ حَظَّ كِتَابِهَا لِضُلُوعِي الْمُتَمَذِّبَةِ
ليت ضلوعي يبيدها بدل كتابها

حَضَنْتُهُ نَقْرًا مَا حَوَى وَحَنْتُ عَلَيْهِ وَمَا انْتَبَهَ
حمار هذا الكتاب الذي لم ينتبه إلى أن أليس تحتضنه (لعل القصيدة قيلت في «أليس
تين» الشامية التي كانت تدرس في الجامعة الأميركية آنذاك وفنتت عقول عدة شعراء
منهم العراقي والشامي والفلسطيني، وهي الآن في الغالب قد رجعت إلى تراب الله،
إلا إن كانت عمرت إلى سن المئة وعشر سنين)

فَإِذَا انْتَهَى وَجْهُ نَا- لَ ذِكَاؤُهَا مَا اسْتَوْعَبَهُ
وجه: أي صفحة

سَمَحْتُ لِأَنْمُلِهَا الْجَمِيعَ- لِي بِرَيْقِهَا كِي تَقْلِبَهُ
وَسَمِعْتُ وَهِيَ تُغْمِغِمُ ال- كَلِمَاتِ نَجْوَى مُطَرِبَةٍ
يقول الشارح: كأنها كبعض زميلاتي عفا الله عنهن، ممن كن يدرسن بالتمتمة، لا تعرف عيونهن
القراءة بلا لسان

وَرَأَيْتُ فِي الْقَمِّ بِدَعَا خَلَابَةً مُسْتَعَذَّبَةً
إِحْدَى الثَّنَايَا النَّيِّرَا- تِ، بَدَتْ، وَلَيْسَ لَهَا شَبَهُ
الثنايا: الأسنان، النيرات: اللامعات

مَثْلُومَةً مِنْ طَرَفِهَا- لَا تَحْسَبَنَّهَا مَثْلَبَةً
سنتها مكسور من طرفه، لكن هذا ليس مثلبة، ليس عيباً

هِيَ، لَوْ عَلِمْتَ، مِنَ الْمَحَا سِنٍ عِنْدَ أَرْفَعِ مَرْتَبَةٍ
هِيَ مَصْدَرُ السَّيْنَاتِ تُكْ سَبُّهَا صَدَى، مَا أَعَذَبَهُ
كان ناحبنا يتمتع بكلامها، وللنات فيما يعشقون مذاهب

٣٦ القلب القافز

سَلَامٌ عَلَيْكَ وَلَوْ شَقَّنِي مِنْ الْوَجْدِ وَالْيَاسِ مَا شَقَّنِي
شفني: أهزني وأنحل جسمي

أَدَارِي غَرَامَكَ جَهْدَ الْحَلِيمِ فَمَا يَسْتَرِيحُ، وَمَا أَنْثِي
وَقَلْبِي كَمَا يَشْتَهِيهِ الْهَوَى لِغَيْرِ جَمَالِكَ لَمْ يُذْعِنِ
خَفُوقٌ، وَلَوْ شِئْتَ سَكَنْتِهِ وَلَوْ شَاءَ غَيْرُكَ لَمْ يَسْكُنِ
سَقِيمٌ، وَلَوْ شِئْتَ أَبْرَأْتِهِ بِعَظْفِكَ مِنْ دَائِهِ الْمُزْمِنِ
إِذَا كُنْتَ مِنْهُ تَجَاهَ الْيَمِينِ يَخْفُ إِلَى جَانِبِي الْأَيْمَنِ
يقفز قلبه إلى الجانب الأيمن إن كانت المحبوبة تجلس إلى يمينه

٣٧ طيفها

مَا أَشَدَّ الْهَوَى، وَمَا أَطْوَلَ اللَّيْلَ لَمْ، وَمَا أَبْعَدَ الْكُرَى عَنْ جَفَوْنِي
رُبَّ ذَكَرَى، وَمَا هَجَعْتُ، اسْتَحَالَتْ لَخَيَالٍ سَرَى فَأَذَكِي شَجَوْنِي
رب ذكرى استحالت، أي تحولت، قبل أن أنام إلى خيال، طيف، فأذكى، وأشعل، هذا الطيف
مشاعري

ضَمَّنِي، ثُمَّ رَدَّنِي وَتَلَاشَى فِي الدِّيَاجِي كَمَا تَلَاشَى أُنِينِي
رَاعَنِي أَمْرُهُ فَنَبَّهْتُ مَنْ حَوَى لِي دُعْرًا بِصَرْخَةٍ فِي السَّكُونِ
سَأَلُونِي فَلَمْ أُجِبْ، بَلْ تَنَاوَمْتُ سَتْ، فَنَامُوا، وَلِلْأَسَى خَلْفُونِي

٣٨ حبيبي أحلى

مَا رَوْنَقُ الْفَجْرِ وَالظُّلُمَاءِ عَاكِفَةٌ إِذَا تَنَقَّسَ نُورًا فِي حَنَائِيهَا..
يبدأ تشبيهاً طويلاً: ليس رونق الفجر، أي أوله، عندما يتنفس الفجر ويبدأ بالظهور في حنايا
الظلماء ووسطها..

فَهَبَّتِ الطَّيْرُ تَدْعُو الطَّيْرَ مَرِيْلَةً مِنْ الْأَغَارِيدِ أَحْلَاهَا وَأَشْجَاهَا

وتهب الطيور مستيقظة يدعو بعضها بعضاً بأحلى زقزقة وتغريد..

ولا الورودُ كأمثالِ الخُدودِ، وقد تَفَتَّحَتْ في الرياضِ الفِيحِ نَعَشَاهَا..

وليس الورود، التي تشبه خدود الحسان، عندما تفتتح هذه الورود وتغشى وتغطي الرياض الفيح، أي الفيحاء العطرة..

كَلَّا وَلَا قَطْرَاتُ الطَّلِّ كَامِنَةٌ فِي الْأَقْحُوَانِ وَأُمُّ الشَّهْدِ تَرَعَاهَا..

وليس قطرات الطل، أي الندى، المختبئة في الأقحوان، بينما أم الشهد، وهي النحلة، ترعى القطرات وتحنو عليها (أو إن شئت ترعى النحللات الأقحوانات مثلما يرعى الخروف العشب)..

يَوْمًا بِأَجْمَلَ مِنْ مَيِّ إِذَا ابْتَسَمَتْ تَحْتَ النُّقَابِ وَلا حَثَ لِي ثَنَائِيهَا

كل هذا ليس أجمل من ابتسامة مي تحت نقابها، وقد لمعت - برغم النقاب - أسنانها البيض

٣٩ وجع أسنان

رِسَالَةٌ وَاهَا لَهَا وَاهَا شَرِفْتُ بِالْدمْعِ لِفَحْوَاهَا

مِنْ غَادَةٍ عَذَّبَنِي نَأْيُهَا مَا ضَرَّ لَوْ كُنْتُ وَإِيَّاهَا

أَضْرَأُهَا تُؤْلِمُهَا لِيَتَنِي أَشْكُو الَّذِي سَبَّبَ شَكْوَاهَا

تِلْكَ ثَنَائِيهَا الَّتِي نُضِدْتُ عِقْدَيْنِ وَالْمَكْسُورُ إِخْدَاهَا

والسن المكسور أحد هذه الأسنان التي تشكل في عقدتين، وكلامه بلا شك عن فانتته وزميلته في الجامعة الأميركية ذات السن المكسور

أَثَارُهَا فِي شَفَتِي لَمْ تَزَلْ يَا ضُلٌّ مَنْ يَجْهَلُ مَعْنَاهَا

٤٠ في دير قديس

لَمْ أَلَقْ بَيْنَ لِيَالِيِ الَّتِي سَلَفَتْ كَلِيلَةً بِتُّهَا فِي «دَيْرِ قَدِيسٍ»

دير قديس قرية فلسطينية

ضَمَمْتُ حَسَنَاءَ لَمْ يُخْلَقْ لَهَا مَثَلٌ بَيْنَ الْحَسَانِ وَلَا حُورِ الْفَرَادِيسِ

مَا عَرْشُ بَلْقِيسَ فِي إِبَانِ دَوْلَتِهَا وَلَا سَلِيمَانُ مَرْفُوفاً لِبَلْقِيسِ

يَوْمًا بِأَعْظَمَ مِنَّا فِي السَّرِيرِ وَقَدْ دَامَ الْعِنَاقُ إِلَى قَرَعِ النَّوَاقِيسِ

٤١ كُفِّرَ كُنَّا

جُزْتُ بِالْحَيِّ فِي الْعَشِيِّ فَهَبْتُ نَفْحَةً أَنْعَشْتُ فَوَادِي الْمُعْنَى
جزت بالحي، أي مرتت به، عشاء فهبت نسمة أنعشت قلبي المتعب

قُلْتُ: مِنْهَا؛ وَدُرْتُ أَنْظُرُ حَوْلِي نَظَرَاتِ الْمَلْهُوفِ يُسْرَى وَيُمْنَى
قلت لنفسي: لا بد أنها نسمة من عطر الحبيبة

وَإِذَا طَيِّبٌ جَنِيٍّ مِنَ الرُّمَّةِ - إِنْ مِثْلُ النُّهُودِ لَوْ هِيَ تُجَنَّى
فإذا بها رائحة رمان جني، مقطوف لتوه، كأنه النهود لو جاز عليها أن تقطف

وَأَفَقْتُ نَظَرَتِي نِدَاءَ غُلَامٍ: (نَاصِرِي يَا رُمَّانُ . . مِنْ كُفْرِ كُنَّا)
رأيت غلاماً ينادي على الرمان، وينسبه إلى مدينة الناصرة وقرية كفر كنا

قُلْتُ أَسْرَعُ بِهِ فِدَى لَكَ مَالِي وَتَرَنْتُمْ بِذِكْرِهِ وَتَفَنُّ
يا رسول الحبيب من حيث لم تَدْر، لقد جئتنني بما أتمننى
ذكره الرمان بغراميات كانت له في كفر كنا

٤٢ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ يَذْكَرُ

أَسَائِلُ الْبَدْرِ حَيْرَا نَ عَنْكَ إِنْ هُوَ أَشْفَرُ
ذَكَرْتُ وَجْهَكَ فِيهِ وَالشَّيْءُ بِالشَّيْءِ يُذْكَرُ
كَوْنِي بِوُدِّكَ كَالْبَدْرِ فَهُوَ يَخْفَى وَيُظْهِرُ
ليكن ودك كالبدر يغيب ثم يظهر . . فأما ودك فهو غائب دائماً

٤٣ رَاكِضاً نَحْوَ الْحَبِيبَةِ

رُبَّ يَوْمٍ كَأَنَّمَا كَرَعَ الْبَحْرُ - رَ، فَغَطَّى السَّمَاءَ بِالْمُعْصِرَاتِ
كان هذا اليوم كرع، أي شرب، البحر، فتغطت السماء بالمعصرات، أي الغيوم

يَتَزَاخَمَنَّ فِي الْفُضَاءِ الْهُوَيْنَى مُسْبِلَاتِ الذُّيُولِ مِنْهُمِرَاتِ
تنزاحم الغيوم في السماء لكنها تسير الهوينى، بتبعية، وتسبل ذيولها على هيئة أمطار

عَصَفَ الشُّوقُ يَوْمَئِذٍ بِأَضْلَا عِي، فَأَزْرَى بِثَوْرَةِ الْعَاصِفَاتِ
الشوق هز صدري فأزرى بثورة العواصف أي صغرها بالنسبة إليه

لم يزل بي حتى تَجَشَّمْتُ هَوْلَ السَّـ . . . يِرْ عَدَوّاً إِلَى الْحَبِيبِ الْمُؤَاتِي
ظل الشوق يعصف بي حتى تجشمت هول السير وتحملت صعوبته ركضاً نحو الحبيب المؤاتي،
الموافق لي في شعوره

أَتَقَرَّى بَيْنَ الْهَضَابِ طَرِيقِي مُسْتَنِيراً مَقَادِحَ الزَّفَرَاتِ
أتقرى طريقى وأتحسه بين الهضاب لشدة ما بالجو من قتامة، وتهديني في الطريق البروق التي
كانها تنفذ من زفرات قلبي المشوق

أَتَرَعْتُ لِي كَأْسَ الْمُدَامِ وَقَالَتْ: هَاكَ، لَا تَرَفُضَنَّهَا بِحَيَاتِي!
ملأت لي الحبيبة كأس الخمر وقالت: بحياتي، لا ترفضها!

قُلْتُ: مِنْهَا اشْرَبِي قَلِيلاً، فَلَمَّا مَرَّجْنَاهَا بِرِيقِهَا، قُلْتُ: هَاتِي
طلب عمران القفني تسويد هذا البيت . . . أليس الريق هو البصاق يا صاحبي!

٤٤ حبيبة الأمس

كَمْ قَائِلٍ: لَوْ كُنْتَ تَلَقَّاهَا لَا نَكَّرْتَ عَيْنَاكَ مَرَّاهَا
ذَابِلَةٌ نَاحِلَةٌ، قَدْ مَحَتْ يَدُ الْأَسَى الْقَاسِي مُحَيَّاهَا
لَا تَلْقَاهَا، لَا تَرَهَا، إِنَّهَا مَرَّ بِهَا الْمَوْتُ فَأَخْطَاهَا
يقولون لي: لا تذهب للقاء حبيبتك القديمة، فهي نصف ميتة، كأن الموت قصدها لكنه أخطأ
الطريق إليها

وَسَائِلٍ: هَلْ بَقِيََتْ فَضْلَةٌ لَدَيْكَ مِنْ حُبِّهَا وَذِكْرَاهَا؟
قَدْ مَرَّ عَامَانٍ وَهَذَا ثَالِثٌ وَوَاحِدٌ كَافٍ لِتَنْسَاهَا
مر عامان، وها قد مر عام ثالث . . . وكان عام واحد - لا ثلاثة - كافياً لكي تنساها
وأنت كالنحلة من زهرة لزهرة تُسَلِّيكِ إِيَّاهَا
تسليك: تنسيك

أَخْطَأْتُمَا لَمْ نَعْرِفَا مَا الْهُوَى كِلَاكُمَا عَنْ كُنْهِهِ نَاهَا
كنهه: حقيقته

السُّقْمُ لَا يَصْرَفُ وَجَهَ امْرِئٍ عَنْ وَجْهِ مَحْبُوبٍ وَإِنْ شَاهَا
شاه: أصبح مشوهاً

مَظْلُومَةٌ سَيَقَتْ إِلَى ظَالِمٍ نَغْصَ مَغْدَاهَا وَمَسْرَاهَا
هذه امرأة مظلومة زوجها برجل ظالم، فنغص مغداها ومسراها، أي ذهابها وإيابها

كَانَ أَبُوهُمَا رَاعِيًا غَاشِمًا ، لِلذَّنْبِ لَا لِلْحُبِّ رَبَّاهَا

٤٥ أَعذارها

يَا حُلُوَّةَ الْعَيْنَيْنِ يَا قَاسِيَةَ سَرَعَانَ مَا أَصْبَحْتَ لِي نَاسِيَةَ
سَيِّدَتِي، ذَنْبُكَ، مَهْمَا يَكُنْ، تَغْفِرُهُ أَعْدَاؤُكَ الْوَاهِيَةَ

٤٦ الحمام البيض

بَيْضُ الْحَمَائِمِ حَسْبُهُنَّ أَنِّي أُرَدُّ سَجَمَهُنَّ

الحمامات البيض يكفين فخراً أني - أنا الشاعر - أردد غناءهن

رَمَزُ السَّلَامَةِ وَالْوَدَا عَةٍ مِنْذُ بَدَأَ الْخَلْقِ هُنَّ
فِي كُلِّ رَوْضٍ فَوْقَ دَا نَبَةِ الْقُطُوفِ لَهُنَّ أَنَّهُ

لهن أنين في كل بستان فوق القُطُوف الدانية المتدلية القريبة

وَيَمِلْنَ وَالْأَغْصَانُ مَا خَطَرَ النِّسِيمُ بِرَوْضِهِنَّ

يملن مع الأغصان كلما مر النسيم بالبستان

فَإِذَا صَلَّاهُنَّ الْهَجَبُ رُحَبَبْنِ نَحْوَ غَدِيرِهِنَّ

إذا لستعن حرارة الشمس ذهبن إلى الغدير

يَهِيْطُنَ بَعْدَ الْحَوْمِ مِثْلَ لَ الْوَحْيِ، لَا تَدْرِي بِهِنَّ

يحمّن حوماً حول الماء ثم يهيطن بهدوء كأنهن الوحي الذي ينزل على الشاعر . . فالشاعر يأتيه الوحي والإلهام فجأة لا يدري كيف أتى . . وقد جاءك يا شاعرنا وحي مملوء الجراب بكل جميل في هذه القصيدة التي امتدحها كثيراً أخوك الأكبر أحمد طوقان وترنم بها مع أصحابه في بيروت

فَإِذَا وَقَعْنَ عَلَى الْغَدِيدِ رِ، تَرْتَبَتْ أَسْرَابُهُنَّ

صَفَّيْنِ طُورَ الضَّفَّتَيْنِ نِ، تَعَرَّجَا بِوُقُوفِهِنَّ

تقف الحمامات صفين على الضفتين ورغم أن الأسراب مرتبة فهي تُبرز تعرج الغدير لأنها تحدد صفته بوضوح

كُلُّ نُقْبَلُ رَسَمِهَا فِي الْمَاءِ سَاعَةً شُرْبِهِنَّ

يُطْفِئْنَ حَرَّ جُسُومِهِنَّ بِقَمْسِهِنَّ صُدُورُهُنَّ

يَقْعُ الرَّشَاشُ إِذَا انْتَفَضَ نَ لَأَلِّئَا لِرُؤُوسِهِنَّ

تنتفض الحمامات فتقع نقاط من الماء فوق رؤوسهن فكانها اللآلي

وَيَطْرُقُ بَعْدَ الْإِبْتِرَاءِ إِلَى الْفُصُونِ مُهَوِّدِهِنَّ
تُنْبِيكَ أَجْنَحَةٌ تُصَفِّدُ قَى كَيْفَ كَانَ سُورُهُنَّ
تنبيك : تخبرك

وَيُقِرُّ عَيْنَكَ عَيْنُهُنَّ إِذَا جَثَمْنَ، بِرِيشِهِنَّ
يفرحك منظرهن وهن يعشن قليلاً بريشهن عندما يجثمن أي يقعدن
وَتَخَالُهُنَّ بِلا رُؤُوءٍ مِنْ حِينَ يُقْبِلُ لِبَلْهُنَّ
أَخْفَيْنَهَا تَحْتَ الْجَنَاءِ ح، وَنَمَنَّ مِلَّاءَ جُفُونِهِنَّ
كَمْ هَجَّنِي وَرَوَيْتُ عَنْهُ هُنَّ الْهَدِيلُ، قَدِيتُهُنَّ!
أنقل عنهن صوت الهديل الذي يصدرنه فكانني راوية يروي ما يقلن

الْمُحْسِنَاتُ إِلَى الْمَرِيضِ ضِر، عَدَوْنَ أَشْبَاهاً لَهُنَّ
الروضُ كَالْمُسْتَشْفَا ت، دَوَاؤُهَا إِنْسَاسُهُنَّ
الدواء الحقيقي الموجود في المستشفيات هو الأنس الذي تدخله الممرضات على نفوس المرضى
مَا الْكَهْرِبَاءُ وَطَبُّهَا بِأَجَلٍ مِنْ نَظَرَاتِهِنَّ
ليس الطب الحديث أجلاً، ولا أهم، من نظرات الممرضات الحانية
يَشْفِي الْعَلِيلَ عَنَاؤُهُنَّ - وَعَظْفُهُنَّ وَلُظْفُهُنَّ
مُرُّ الدَّوَاءِ بِفِيكَ حُلٌّ - وَ مِنْ عَذُوبَةٍ نُظْفِهِنَّ
مَهْلًا، فَعِنْدِي فَارَقٌ بَيْنَ الْحَمَامِ وَبَيْنَهُنَّ
فَلَرُبَّمَا انْقَطَعَ الْحَمَامُ ثُمَّ فِي الدُّجَى عَنْ شَذْوِهِنَّ
أَمَّا جَمِيلُ الْمُحْسِنَاتِ ت، ففِي النَّهَارِ وَفِي الدُّجَى
الدجّة: الليل

٤٧ لم نوفر عادة

رَبِّ أَطْعَمَنِي غُلَاماً شَاعِراً لِدَوَاعِي الْحُسْنِ مِثْلِي مُذْعِناً
أطعمني، ارزقني، يا رب ولداً شاعراً يذعن ويخضع مثلي للجمال
وَلَبَكُنْ مِثْلَ أَبِيهِ: إِنَّا لَمْ نُوقِّرْ عَادَةً فِي شِعْرِنَا
لم نوفر: لم نترك من معاكساتنا

٤٨ حلاوة الروح

بَرَقَتْ لَهُ مَسْنُونَةٌ تَتَلَهَّبُ أَمْضَى مِنَ الْقَدَرِ الْمُتَاجِ وَأَغْلَبُ

برقت السكين للديك الرومي، ديك الحبش، مسنونة حادة غلبة كأنها القدر المتاج، القريب

حَزَّتْ فَلَا حَدَّ الْحَدِيدِ مُخَضَّبٌ بِدَمٍ وَلَا نَحْرُ الدَّبِيحِ مُخَضَّبٌ

حزت السكين عنق الديك فلم يتخضب حديد السكين بالدم، ولا تخضب عنق الديك! فمن سرعة سير السكين لم يعلق بها دم

وَجَرَى بِصَبِيحٍ مُصَفَّقًا حِينًا، فَلَا بَصَرَ يَزُورُ وَلَا خُطَى تَتَنَكَّبُ

ركض الديك حيناً، بعض الوقت، يصفق بجناحيه في مشية عادية وخطاه غير متنبكة بل ثابتة وبصره سليم لا يزوغ

حَتَّى غَلَتْ بِي رَيْبَةٌ فَسَأَلْتُهُمْ: خَانَ السِّلَاحُ أَمْ الْمَنِيَّةُ تَكْذِبُ؟

تفاقت في نفسي ريبة: هل أخفق حد السكين؟ أم أن الموت كذب ولم يأت للمسكين؟

قَالُوا: حَلَاوَةُ رُوحِهِ رَقَصَتْ بِهِ فَأَجَبْتُهُمْ مَا كُلُّ رَقْصٍ يُطْرِبُ

حلاوة الروح: الصحو الأخيرة قبل الموت، وفيها ينشط الإنسان، وغير الإنسان، ويبدو كأنه شفي من مرضه

هَيْهَاتَ، دُونَكَ، قَضَى، فَإِذَا بِهِ صَمِيقٌ يُشْرِقُ تَارَةً وَيُغْرِبُ

لكن هيهات.. فدونك، أي انظر إليه! لقد جاءه الموت، وهو الآن صميق، مصعوق كأنما ضربته صاعقة، وأخذ يضطرب في مشيته

وَإِذَا بِهِ يَزُورُ مُخْتَلِفَ الْخُطَى وَزَكِيَّةً مَوْثُورَةً تَنْصَبُّ

أخذ يزور، أي يميل، وخطاه تختلف يضع اليمين مكان اليسار والعكس مشية المغمور، وأخذت الزكية، أي دماؤه الزكية الحارة، تنصب

يَعْدُو فَيَجْذِبُهُ الْعَبَاءُ فَيَرْتَمِي وَيَكَادُ يَظْفَرُ بِالْحَيَاةِ فَتَهْرُبُ

مُتَدَفِّقٌ بِدِمَائِهِ مُنْقَلَبٌ مُتَمَلِّقٌ بِدِمَائِهِ مَوْثُوبٌ

دمائه أخذت تتدفق، وهو يتقلب، ويتعلق بدماؤه، أي ببقية روحه، وجسمه ينتفض وثباً

أَعْدَابُهُ يُدْعَى حَلَاوَةَ رُوحِهِ؟ كَمْ مَنْطِقٍ فِيهِ الْحَقِيقَةُ تُقَلِّبُ!

إِنَّ الْحَلَاوَةَ فِي فَمٍ مُتَمَلِّظٍ شَرَّهَا لِيَشْرَبَ مَا الضَّحِيَّةُ تَسْكُبُ

الطعم الحلو إنما هو في فم متللمظ، متملق فيه حركة للسان على سقف الحلق، وهي ما يفعله الجائع المقبل على طعام شهوي

هِيَ فَرَحَةُ الْعِيدِ الَّتِي قَامَتْ عَلَى أَلَمِ الْحَيَاةِ. وَكُلُّ عِيدٍ طَيِّبٌ!

فرحة عيد الميلاد تقوم على ألم فقدان الحياة للديكة الرومية. وعلى كل حال: عيدكم مبارك! أراد بعض الناس أن يفسروا القصيدة تفسيراً سياسياً وطنياً، ولا أرى ذلك، كان شاعرنا مباشراً في وطنياته

٤٩ كثرة الشم

وَرْدَةٌ تَبْهَرُ الْمُعْبُونَ، وَلَكِنْ كَثْرَةُ الشَّمِّ قَدْ أَضَاعَتْ شَذَاهَا

هكذا يتخيل الرجل المرأة اللعوب ذات العلاقات الكثيرة، وهذا بالطبع من باب حصرم. جاء الثعلب كرماء وقفز إلى العقود فقصر عنه، فقال: هو حصرم

٥٠ الدم الخفيف

وَطَبِيبٌ رَأَى صَحِيفَةً وَجْهِي شَاحِباً لَوْنُهَا وَعُودِي نَحِيفاً
قَالَ لَا بُدَّ مِنْ دَمٍ، لَكَ نُعْطِيبُ هِ نَقِيّاً مِلْءُ الْعُرُوقِ عَنِيفاً
لَكَ مَا شِئْتَ يَا طَبِيبُ، وَلَكِنْ، أَعْطِنِي مِنْ دَمٍ يَكُونُ خَفِيفاً!

التسويد لعمران القفيني

٥١ اقعد للمعلم

شَوْقِي يَقُولُ، وَمَا دَرَى بِمَصِيبَتِي: قُمْ لِلْمَعْلَمِ وَفِي التَّبْجِيلِ

يحيل إلى قصيدة شوقي في المعلم: قم للمعلم وفه التبجيلا/ كاد المعلم أن يكون رسولا

أَقْعُدْ، فَدَيْتُكَ، هَلْ يَكُونُ مُبْجَلاً مَنْ كَانَ لِلنَّشْءِ الصِّغَارِ خَلِيلاً؟

يرد على قول شوقي «قم» بقوله «اقعد».. ثم يتلمذ الشاعر لقوله لأمير الشعراء «اقعد» فيردفها بـ «فديتك». والمعلم الذي يعاشر الصبية يصبح عقله صغيراً كعقولهم.. قالها الجاحظ، ونقولها، وقد قضينا في التعليم شطر العمر

وَيَكَادُ يَفْلُقُنِي الْأَمِيرُ بِقَوْلِهِ: كَادَ الْمَعْلَمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولا

يفلقتني: يغيطني حتى ليشقني شقاً

لَوْ جَرَّبَ التَّعْلِيمَ شَوْقِي سَاعَةً لَقَضَى الْحَيَاةَ شَقَاوَةً وَخُمُولا

الخمول: قلة الشهرة

حَسَبَ الْمَعْلَمِ غُمَّةً وَكَأَبَةً مَرَأَى الدَّفَاتِرِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً

مِثَّةٌ عَلَى مِثَّةٍ إِذَا هِيَ صُلِّحَتْ وَجَدَ الْعَمَى نَحْوَ الْعَمِيونِ سَبِيلًا
 وَلَوْ أَنَّ فِي التَّصْلِيحِ نَفْعًا يُرْتَجَى وَأَبَيْكَ، لَمْ أَكْ بِالْعَمِيونِ بَخِيلًا
 لَكِنْ، أَصْلَحُ غَلْطَةَ نَحْوِيَّةً مَثَلًا، وَأَتَّخِذُ الْكِتَابَ دَلِيلًا
 الكتاب: القرآن

مُسْتَشْهَدًا بِالْفُرِّ مِنْ آيَاتِهِ، أَوْ بِالْحَدِيثِ مُفَصَّلًا تَفْصِيلًا
 استشهد بآيات الكتاب الكريم الغراء، وبحديث الرسول

وَأُغْوِصُ فِي الشَّعْرِ الْقَدِيمِ فَأَنْتَقِي مَا لَيْسَ مُلْتَبَسًا وَلَا مَبْذُولًا
 يستشهد بآيات لا لبس في دلالتها، وليست من الآيات المبذولة التي كثر دورانها على الألسن
 وَآكَادُ أَبَعْتُ سَبَبَوِيَّهِ مِنَ الْبَلَى وَذَوِيهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرُونِ الْأُولَى
 البلى: تحليل الجسم بعد الموت

فَأَرَى حِمَارًا بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ رَفَعَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ وَالْمَفْعُولَا
 لَا تَعْجَبُوا إِنْ صَحْتُ يَوْمًا صَبِيحَةً وَوَقَعْتُ مَا بَيْنَ الْبُنُوكِ قَنَبِلًا
 البنوك: مقاعد التلاميذ ذوات المناضد الملتصقة بها

يَا مَنْ يُرِيدُ الْإِنْتِحَارَ! وَجَدْتُهُ إِنَّ الْمَعْلَمَ لَا يَعِيشُ طَوِيلًا
 لمن يريد انتحاراً! قد وجدت الانتحار يا هذا... كن معلماً. فالمعلم لا يعيش طويلاً

٥٢ نعمة العافية

إِلَيْكَ تَوَجَّهْتُ يَا خَالِقِي بِشُكْرِ عَلَى نِعْمَةِ الْعَافِيَةِ
 إِذَا هِيَ وَلَّتْ، فَمَنْ قَادِرُ سِوَاكَ عَلَى رَدِّهَا ثَانِيَةً؟
 وَمَا لِلطَّبِيبِ يَدٌ فِي الشِّفَاءِ وَلَكِنَّهَا يَذُكُ الشَّافِيَةُ
 تَبَارَكْتَ، أَنْتَ مُعِيدُ الْحَيَاةِ مَتَى شِئْتَ فِي الْأَعْظَمِ الْبَالِيَةُ
 وَأَنْتَ الْمُفَرِّجُ كَرْبِ الضَّعِيفِ وَأَنْتَ الْمُجِيرُ مِنَ الْعَادِيَةِ
 العادية: المصيبة

إبراهيم طوقان فهرس القوافي

٢٣	الربيع	١٦	بَقَاؤُهَا
٤	باعوا	٢٥	بِهَاء
٥٠	نَحِيفَا	٢	ذِيْبَا
٣٠	الْأَلَيْقُ	٤٨	وَأَغْلَبُ
٢٨	الْأَمَلَا	٢٢	آيِب
٥١	التَّبَجِيلَا	٣٢	وَتَأْنِيْب
٢٦	الرجالِ	٣٣	طِيْب
٢٩	الْكِرْمِلِ	٣٥	مُتَنَقِّبَةٌ
١٧	بِالْبَسَاةِ	١٣	الْكَفَالَاتِ
٢٤	أَفْهَمُ	٤٣	بِالْمُعْصِرَاتِ
١٤	دَمُ	٦	رَاحَتُهُ
١٢	فَاقْتَحَمُ	١٨	عَادَا
١٠	صِيَامُهُ	٣٤	فَرَدًّا
٤١	الْمُعْنَى	٢٧	فَسَيَنْقُذُ
٤٧	مُدْعِنَا	١٥	السَّوَادِ
٥	أَلْحَانُ	٣١	الْعُهُودِ
٣٧	جفوني	٤٢	أَسْفَرُ
٩	حِينِ	٧	رُؤُوسُ
٣٦	شَقْنِي	٤٠	قِدْيِسِ
١	يُثْنِي	٢٠	النَّوَاصِي

٤٤	مَرَّاهَا	٣	وَالْحَزَنُ
١٩	وَتِيهَا	٨	بِهْدَنَةٍ
٥٢	الْعَافِيَةُ	٤٦	سَجَّعَهُنَّ
٢١	الْقَضِيَّةُ	١١	اللَّهُ
٣٨	حَنَائِيهَا	٤٩	شَذَاهَا
٤٥	نَاسِيَةُ	٣٩	لِفَحْوَاهَا

عبد الكريم الكرمي

(أبو سلمى)

(١٩٨٠ - ١٩٠٩)

كان أبو سلمى قد سمع من بعض الطلبة المغاربة في فلسطين أن أهاليهم يحتفظون بمفاتيح بيوتهم في الأندلس، فعندما أُخرج على وجهه من فلسطين احتفظ بمفتاح مكتبه وبيته. ليس للذكرى فقط، بل كان ككل فلسطيني لاجئ في ذلك الزمن موقناً بعودة سريعة. لم يكن ساذجاً سذاجة خليل السكاكيني الأديب الفلسطيني المشهور، الذي كان من العلم والاطلاع على درجة لا تغفر له سذاجته التي بدت في مذكراته الضافية. والسكاكيني ترك بيتاً جميلاً بناه بحرّ ماله في القدس الغربية. غير أن أبو سلمى لم يكن في حصافة زميله، الأكبر منه بأربع سنين، إبراهيم طوقان. فرغم أن طوقان مات قبل النكبة بسنين سبع، فإنه تنبأ بها في شعره، ووصفها كأنه يراها.

كان أبو سلمى يوم ترك مكتب المحاماة الذي يملكه في حيفا يخطو نحو الأربعين. كان رجلاً واعياً، وكان قد بنى لنفسه حياة في بلده، ثم إذا هو يُقتلَع اقتلاعة سنرى لها في شعره كبير الأثر. أبو سلمى شاعر ما بعد النكبة، وطوقان شاعر ما قبل النكبة.

ولد عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) في طولكرم بفلسطين، وهي مدينة صغيرة. أو هي قرية كبيرة جعلها سعيد الكرمي وأولاده الكثيرون مدينة كبيرة بما أرسلوا من إشعاع ثقافي.

انظر أيها القارئ إلى كلمة «إشعاع ثقافي»، وأمعن النظر. أرايت كيف صرّت أكتب مثلهم، مثل الأكاديميين - جعلهم الله مثلة -، وكانوا طالما زكموا أنفي وهم يتحدثون عن «لغة الشاعر» و«صوته الشعري» و«تجربته الشعرية».

كيف يمكن لامرئ يستعمل عبارة «تجربته الشعرية» أن يأتيك بشيء يسر قلبك؟

حتى وأنا أحدثك عن النكبة وضياح فلسطين.. كنت أحس أنني دخلت في زمرة اللاطمين المتحسرين. ليس أن العالم طيب، فالعالم ملعون. وليس أنني لم أتأثر شخصياً بالنكبة فالتكسة. ولكنني لا أريد أن أنوب عن شاعرنا الغاضب النائح. سأترك ميدان الغضب والنواح لأبو سلمى.

فقط غضبت على نفسي عندما قلت عبارة «إشعاع ثقافي».

أمامي كومة كتب ومقالات عن أبو سلمى وكلها اجترار قبيح. سمعت الموسيقى الأندلسية النائحة في فاس، وقرأت قصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس. هذا فن. ولكنني لا أطيق أن أقرأ فقرة من النواح الأكاديمي على الأندلس أو على فلسطين. الأكاديميون ناس مجردون من الإحساس. يقرأون الشعر ويحلّونه، أي ينثرونه، حللاً قبيحاً. يحملون بنادق خشبية يناضلون بها، وينفخون في بوق نحاسي يقلدون به صوت الكمان. هم كالناثحة - نيح عليهم - المأجورة التي تنوح لتطعم أطفالها.

كنت أقول إن الشاعر ولد في طولكرم. وهذه المدينة زرتها مرتين، ومرة. زرتها طفلاً صغيراً مع جدي. ومشى بي في سوق عتيق مسقوف. كان منظر الدكاكين وأمامها مصاطب يجلس عليها الناس يشربون شايبهم، من المناظر التي انحفرت في ذاكرتي.

ومضت خمسون سنة وصورة ذلك السوق حية في ذهني. ولم أجرؤ على زيارة طولكرم - التي تبعد عن مدينتي ثلاثة وعشرين كيلومتراً - مرة أخرى. ليس للإبقاء على تلك الصورة المضمخة بطيب الطفولة، وليس خوفاً من رؤية هذا السوق وقد تغير أو باد. لست رومانياً إلى هذا الحد. لكنه الكسل والجبن. أنا رجل لا أغامر، ولا أسافر، ولا أفعل شيئاً إلا إذا دعا إليه داع. أسافر إلى أقصى الأرض مأموراً بالسفر من جانب مديري، أو ملتمساً الرزق، أو مضطراً لأن أطفالاً أمروني أن آخذهم إلى سيرك أو حديقة. السياحة شيء لا أفهمه، بله أن أرثكه.

مضت خمسون سنة، ثم أمرني صديقي الإعلامي عبد الرحمن عثمان أن آخذه إلى طولكرم لشراء بذار خيار بلدي لصديقنا المشترك الإعلامي المخضرم حكيم عبد الهادي، الذي انتهى أن يزرع في حديقة بيته الجديد في بون خياراً

بلدياً ذا رائحة تملأ البيت، وليس كالخيار الألماني الذي نجد له في أفواهنا الشرقية طعم الكرتون. فشددت الرحال. رأيت السوق على حاله. تبدد السحر؟ لا، بل صار لهذا السوق في ذهني صورتان.

المرة الثالثة التي زرت فيها طولكرم كانت في أعماق الطفولة كالزيارة الأولى. أخذني عم من أعمامي لزيارة رجل من أصدقاء العائلة في طولكرم. وفي بيته رأيت تمثالاً لحصان ذهبي، وحدثت في التمثال. ليس تحديق طفل بريء. بل تحديق طفل غير بريء. لمست بشعور ربّاني أن الرجل سيلتقط نظرتي، وقد يعطيني التمثال، وهذا ما حدث بالضبط. ولئن كنت طفلاً خيئاً، فإنني صرت فيما تلا من الأعوام أيباً مترفعاً عن حاجات الغير، ربّني الأيام. وهذا مخاض طويل. لكن التمثال لبث في بيتنا سنوات كثيرة حتى تقشف ذهبه وبان من تحته الجبس الرخيص. رب اهدي السيل إلى أن أكون مثل أبو خيرى الجلاد، الرجل الطيب الذي أعطاني الحصان، فأسمح بما عندي وأقرّ عين طفل يتخابث، وطفل لا يتخابث.

لن أحدثك طويلاً عما أكسبته الأيام من صفات حسنة، وأقسم بهذا الحرف العربي الذي أراه يتدفق على الشاشة أمامي أن عيوبي الباقيات كفيلاً بإدخال أمة من الناس في جهنم. بعضنا يزهو متكبراً وبعضنا يزهو متواضعاً، وكله زهو.

عرفت من عائلة الكرّمى أخا أبو سلمى، المعجمي المشهور حسن الكرّمى. التقيته مرة واحدة وهو في التسعين. كانت بقيت له في الحياة عشر سنوات، فهو ممن مات عن مئة. وعرفت ابنتين لحسن الكرّمى معرفة طيبة: سهام وغادة. أما شاعرنا الذي عاش حتى سنة ١٩٨٠ فما التقيته قط.

في طفولته الباكّة رأى أبو سلمى غساكر الترك يأخذون أباه مخفوراً من طولكرم إلى الشام. وعانت الأسرة الفاقة بعض الوقت. ولكن الشيخ سعيد الكرّمى سرعان ما التحق بركب العروبة في الشام. زال الحكم التركي بانتهاء الحرب العالمية الأولى، والتحقّت العائلة بعائلها في الشام. كان الشاعر في نحو العاشرة، ودرس في الشام. أبوه الشيخ سعيد رجل علم وشعر وفقه، وكانت له مكانة في بلده، وكانت له مكانة في الشام أيام الحكم العربي القصير، ولسعيد الكرّمى شعر فيه ظرف ويشي بأن الرجل فقيه ذو أدب ولغة.

درس أبو سلمى في مكتب عنبر. ومكتب عنبر مدرسة حملت مشعل اللغة

العربية بعد زوال التتريك عن المدرسة. وفي فترة قصيرة تخرج فيها عدد من كبار الأدباء والشعراء.

في الشام بدأ أبو سلمى يقول الشعر. شجعه أستاذه. وأستاذ اللغة العربية في ذلك الزمن هو كأستاذ اللغة الإنجليزية في بلاد اللغة الإنجليزية في زمننا. أستاذ الإنجليزية عند الإنجليز هو أستاذ الضمير الوطني. هو الشخص المكلف بشحن التلاميذ بثقافتهم الوطنية. هو من يدخل شكسبير وبايرون وشلي في خلاياهم العصبية لتكون هذه الشوامخ الأدبية الطين والصخر في أرض التلميذ، فكل ما اكتسب بعدئذ في يفاعته وشبابه ورجولته من علوم ومعارف فهو مغروس في طين وجدانه الوطني. وأستاذ اللغة العربية في زمننا شخص نال في الشهادة الثانوية درجات قليلة، فحاول جاهداً أن يتخصص في الهندسة أو الطب فأخفق، فإن كان والده ثرياً بعثه إلى دولة فقيرة ليدرس الطب أو الهندسة، وإن كان والده متوسط الحال، فلا مكان له إلا كلية اللغة العربية الرديئة في جامعة عربية رديئة. ثم التدريس في مدارس سينقل إليها رداءته.

صادفت أربعة من أساتذة اللغة العربية الرديئين، وأنفقت ما قد يصل إلى سبع سنوات تحت سلطتهم لم أستفد فيها منهم شيئاً. وصادفت أحمد حماد، وبشير مقبول، ويوسف الأشقر، وكانوا ثلاثتهم ممن يحب العربية ويتقنها، وبمحبته لها يوصلها إلى طلابه. للثلاثة في عنقي دين.

كأنني كنت أتحدث عن أبو سلمى؟

أستاذه شجعه على قول الشعر. وذات يوم سمع منه بيتاً تغزل فيه بسلمى. ولا سلمى. هو اسم. وفي حصة مقبلة قال له: ها، ما جديدك يا أبو سلمى؟ فكان اللقب الذي غلب على اسم عبد الكريم الكرمي.

بعد الشام، كانت الأسرة في الأردن، والحكم فيها هاشمي كالحكم الذي زال عن الشام بدخول الفرنسيين. ثم درس أبو سلمى الحقوق في مدرسة بالقدس. ثم أدى الامتحان تحت السلطة الانتدابية البريطانية. وعمل في القدس وفي حيفا محامياً. وتزوج فتاة من عكا. وعندما اشتدت النكبة رحل أبو سلمى وزوجته وولده سعيد إلى الشام. وسُمح له هناك بممارسة المحاماة.

رأى النكبة بعينه. رأى وطنه يغتصب. أبرى المرء أمه تغتصب ويظل الشخص نفسه؟ لم يبق لشاعرنا همٌّ في الحياة إلا أن يصرخ غاضباً يستنهض

همم العرب والمسلمين والسوفييت، ويشتم الزعماء المتقاعسين. لكنه لم يكن ملتاثاً. ظل يتسلل إلى القصيدة الغزلية، ويكتب قصائد للأطفال، وأخذ يحضر المؤتمرات. كان ذا مزاج شبه متمرّد. تمرّد محسوب في الغالب.

قال في فلسطين قبل النكبة قصائد أزعجت المحتل الإنجليزي، وأزعجت زعماء العرب. وقال بعد النكبة قصائد ليس فيها ما يؤدي إلى حبس، لكن فيها فضيلة أنها حارة حرارة الاغتصاب الذي رآه أبو سلمى بعينه.

ولأن أبو سلمى أصبح شاعر مؤتمرات ومحافل فإن شعره صار شعراً سهلاً مملوءاً بالشعارات. هو نوع من الشعر.

كان لأبو سلمى قضية. . لعله كان رصيناً رزيناً مثل مَنْ عرفت من أبناء عائلته. وأكاد أجزم أنه كان رصيناً. فكيف لرجل رصين أن يجوب قارات العالم حاضراً المؤتمرات ملقياً الأشعار؟ كانت قصيدته تغفر له هذا التسويق لشعره. وكانت قلوب العرب ومصالح حكومات المعسكر الشرقي مع القضية. فاسمع شاعرنا صوته، ونال من التصفيق ما أثلج فؤاده.

أرى أصعب شيء على الفنان تسويقه نفسه. الحمد لله أنني لست شاعراً، فلن أطيق أن أقف أمام جمع في أمسية شعرية ألقى عليهم شعري.

وقد كتبت خمسة كتب كبيرة، هذا آخرها وأصغرها، استعرضت فيها حياة وشعر عشرات الشعراء. بعضهم عظيم كالمتنبي وبعضهم رقيق كالعباس بن الأحنف. ولو خيروني أن أكون صورة عن واحد من شعرائي لما اخترت سوى ابن الرومي. والسبب أنه كان يقعد في السوق يقرأ أشعاره لأصحابه، فإذا مدح أميراً فهو يرسل إليه القصيدة مكتوبة، بعد أن يكون ملأها تبرماً من الزمن ومن الفقر. . ومن الأمير وبخله. ولو خيروني أن أكون صورة لأحد الرسامين لما اخترت سوى فان غوخ. فقد رسم مئات اللوحات، ولم يبع لوحة واحدة في حياته. ما أصعب أن يسوق المرء نفسه. وقد كتبت بوستات قليلة على الفيس بوك في الإعلان عن صدور كتب لي. وأقول لك إنني كنت أذوب خجلاً وأنا أصنع ذلك. هذا وأنا لست فناناً، فكيف بالفنان يضع ذوب قلبه في قصيدة أو لوحة ثم يرى نفسه مضطراً إلى تسويق عمله في أمسية شعرية أو معرض؟ ألسنت تحترم أولئك العمال والمهندسين الذين تراه في مصنع السيارات يحيلون الحديد إلى قطعة من الإعجاز التقني؟ فما قولك في البائع المتأق في معرض السيارات، وما رأيك في أكاذيبه؟ من حسن حظ أولئك العمال والمهندسين أنهم لا يشوقون السيارات بأنفسهم.

دفن عبد الكريم الكرمني في مخيم اليرموك بظاهر دمشق. أوصى بأن يدفن
في أقرب بقعة من فلسطين.

١ جبل النار

جبل النار يا أعزَّ الجبال أنت، لا زلت، معقداً الآمال

جبل النار: مدينة نابلس وما حولها

ما ذكرنا جمالك إلا انتسبنا وانتشت نخوة رؤوس الرجال

أي انتسبنا إليك مفتخرين بهذه النسبة

أيها الثائرون في جبل النار، سلاماً يا زينة الأبطال

تحملون الأرواح فوق أكفّ وتبيعونها، ولكن غوال

جبل النار! لم تخلّ ذلك إلا ثورة في سبيل الاستقلال

جبل النار! اقذف النار حتى تبصر النور، يا أعزَّ الجبال

٢ لهب القصيد

أنشُر على لهب القصيد شكوى العبيد إلى العبيد

إنها لشكوى أرددها، لكنها شكوى عبد إلى عبد: فالفلسطيني، المنشغل بأعقاب ثورة ١٩٣٦
والمنكوب بالإنجليز وبتعمد النفوذ الصهيوني، يشكو حاله إلى الحكام العرب المقيدين بقيود الدول
الغريبة المسيطرة على مقدراتهم. . . والقصيدة قيلت بعد ثورة ٣٦ بقليل

شكوى يرددها الزما ن غداً إلى الأبد الأبيد

قالوا: الملوكة! وإنهم لا يملكون سوى الهبيد

الهييد: الحنظل

سحقاً لمن لا يعرفون ن سوى التعلل بالوعود

إنني لأرسلها مجل مجلة إلى الملك السعودي

مجلجلة: عالية الصوت

أستار مكة كيف تُسد دلها على الخصم اللدود

تأبى الصحارى أن يدن س رملها فلبني ومودي

جون فليبي: موظف بالخارجية البريطانية كان يعمل في السعودية وتسمى بعبد الله، مودي: السكرتير
العام في حكومة فلسطين، ثم انتقل إلى السعودية

لَنْ تَطْهَرَ الدُّنْيَا وَفِيهَا الْإِنْجِلِيزُ عَلَى صَعِيدِ

الصعيد: التراب

لَوْ كَانَ رَبِّي إِنْجِلِي - زَيْناً دَعَوْتُ إِلَى الْجُحُودِ

وَأَبُو ظَلَالٍ فِي رُبَى عَمَّانَ يَحْلُمُ بِالْحُدُودِ

أبو ظلال: عبد الله الأول، أمير شرق الأردن آنذاك

أَقْعُدْ فَلَسْتَ أَخَا الْعُلَى وَالْمَجْدِ، وَانْعَمْ بِالْقُعُودِ

وَاحْكُمْ عَلَى الشُّطْرَنْجِ لِيَسْ عَلَى الْقَبَائِلِ وَالْجُنُودِ

كان عبد الله الأول بن الحسين مغرمًا بالشطرنج

يَا دَوْلَةَ الْأَصْنَامِ خِي - رُّ مِنْكَ مَمْلَكَةُ الْقُرُودِ

كانت المملكة الهاشمية في الأردن آنذاك إمارة غير مستقلة، وكانت تتقاضى المال والدعم السياسي والمسكري من الإنجليز المرابطين بضباطهم في شرق الأردن

عَرِّجْ عَلَى الْيَمَنِ السَّعِيدِ - لِي وَلَيْسَ بِالْيَمَنِ السَّعِيدِ

وَإِذْ كُرِّ إِمَاماً لَا يَزَا - لُ يَمِيشْ فِي دُنْيَا ثُمُودِ

الإمام يحيى حاكم اليمن آنذاك

وَسَيُوقِفُهُ أَثَرِيَّةٌ - يَا تَغَسَّ هَاتِيكَ الْغُمُودِ

لا يملك سلاحاً سوى سيوف عتيقة، فيا لتغس أغماذها

تَفَنَّى الْحَيَاءُ وَقَوْمُهُ - مَا بَيْنَ قَاتٍ أَوْ هُجُودِ

وَاعْطِيفَ عَلَى بَغْدَادَ وَأَنْ - دُبَّ عَرْشِ هَارُونَ الرَّشِيدِ

خَلَّاهُ فَيَصِلُ لِلذُّنَا - بِ مُغِيرَةٍ حَوْلَ الْوَلِيدِ

مات فيصل الأول ١٩٣٣، قبل القصيدة بأربع سنين، وترك على العرش ابنه غازي، وكان وقت القصيدة في الرابعة والعشرين

وَاهْبِظْ إِلَى مِضْرَ الْهَلُو - لِكَ وَقُلْ لَهَا يَا مِضْرُ مِيدِي

الهلوك: المرأة الساقطة، لعل الشاعر رأى فنون التمثيل والرقص تزدهر في مصر فلم يعجبه ذلك، ميدي: تمايلي وتحركي

يَا مُضَرُّ ضَيَّعْتَ الْمُنَى بَيْنَ الْقَرِيدَةِ وَالْقَرِيدِ

الفريدة: الملكة فريدة، وتزوج بها الملك فاروق عام ١٩٣٨

دَعُ سُبْحَةَ التَّضَلِيلِ وَاحِدًا لَمَعَ عَنْكَ كَاذِبَةُ الْبُرُودِ

البرود: الأثواب

إِيهِ مُلُوكُ الْمُزْبِ! لَا كُنْتُمْ مُلُوكًا فِي الْوُجُودِ

هَلْ تَشْهَدُونَ مَحَاكِمَ التَّدْ- فُتَيْشِ فِي الْعَصْرِ الْجَدِيدِ

هل ترون محاكمات الإنجليز للوطنيين الفلسطينيين، وما أدت إليه من شتى بعضهم، فهي تشبه محاكم الفتيش المتوحشة في إسبانيا بعد زوال الدولة العربية في الأندلس

قَوْمُوا اسْمَعُوا مِنْ كُلِّ نَا حَبِةٍ يَصْبِغُ دَمَ الشَّهِيدِ

قَوْمُوا انظُرُوا الْقَسَامَ يُشَدُّ رِقُّ نَوْرِهِ فَوْقَ الصُّرُودِ

الشيخ عز الدين القسام: استشهد في فلسطين ١٩٣٥، الصرود: القمم

يُوحِي إِلَى الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا بِأَسْرَارِ الْخُلُودِ

قَوْمُوا انظُرُوا فَرَحَانَ قَوْ قِ جَبِينِهِ أَثَرُ السُّجُودِ

الشيخ فرحان السعدي: شقته الإنجليز وعمره سبعون عاماً، في ١٩٣٧

يَمْشِي إِلَى حَبْلِ الشَّهَا دَةً صَائِماً مَشْيَ الْأَسْوَدِ

سَبْعُونَ عَاماً فِي سَبِيلِ لِ اللَّوِّ وَالْحَقِّ التَّلِيدِ

التلید: القديم الثابت

خَجَلَ الشَّبَابُ مِنَ الْمَشْيِ بٍ، بَلِ السَّنُونَ مِنَ الْعُقُودِ

قَوْمُوا انظُرُوا الْأَهْلِينَ بِي- نَ الْوَعْدِ ضَاعُوا وَالْوَعِيدِ

مَا بَيْنَ مُلْقَى فِي السُّجُ نِ وَبَيْنَ مَنْفِيٍّ شَرِيدِ

أَوْ بَيْنَ أَرْمَلَةٍ تُؤَلِّ حُولُ أَوْ يَتِيمٍ أَوْ فَقِيدِ

قَوْمُوا انظُرُوا الْوَطْنَ الذَّبِي- حَ مِنَ الْوَرِيدِ إِلَى الْوَرِيدِ

تَتَزَاخَمُ الْأَجْيَالُ دَا مِيَةَ الْخُطَى فَوْقَ اللَّحُودِ

إِيهِ شُعُوبَ الْعُرْبِ أَنْ- تُمْ مَبْعَثُ الْأَمَلِ الْوَحِيدِ

سِيرُوا عَلَى التُّرْبِ الْمُخَضَّ- بٍ، وَالْثُمُوا أَثَرُ الْجُدُودِ

الثموا: قَبَلُوا

حُرِّيَّةُ الْإِنْسَانِ بِالذِّمَّةِ - مِثْلُ تَشْتَرِي لَا بِالسُّعُودِ
إِيَّاهُ فَلَسْطِينُ! أَقْحَمِي لَجَجَ اللَّهْبِ وَلَا تَحِيدِي
لَا تَضْهَرُ الْأَغْلَالُ غِيَا - رُجْهَنِمِ الْهَوْلِ الشَّدِيدِ

٣ اليرموك حية

معركة اليرموك هذا نَقَعُهَا - يروح فوق هامنا ويغثدي
ها هو نَقَع، أي غبار، معركة اليرموك يروح ويجيء فوق هامنا، رؤوسنا
يُطِلُّ مِنْ بَيْنِ الْعَصُورِ عَاطِرًا - فِيهِ مِنَ الْمَاضِي عَبِيرُ السُّؤْدِ

٤ أرض الجهاد

دَرَجَ الْمَجْدُ عَلَى أَرْضِ الْجِهَادِ - فَالْتِمِ التُّرْبَ وَقُلْ: هَذِي بِلَادِي
المجد قد درج، أي تعلم المشي، على أرض فلسطين، أرض الجهاد، فالتم، أي قبل، التراب
وافتخر بأنها بلدك

خَفَقَتْ فِيهِ قُلُوبٌ حُرَّةٌ - كَيْفَ لَا أَجْعَلُهُ الدَّهْرَ وَسَادِي
وسادي: مخدتي.. أي أنه يريد أن يوسد ويدفن في تراب فلسطين. ودفن أبو سلمى في دمشق ١٩٨٠
وَطَنِي! أَنْتَ بَقَايَا أَمَلٍ - خَضَبَتْهُ عِبَرَاتٌ مِنْ فُؤَادِي
عبرات: دموع

مَا الَّذِي جَرَّحَ جَنْبَيْكَ؟ أَجِبْ - كَيْدُ أِبْنَائِكَ أَمْ كَيْدُ الْأَعَادِي
لَا تَقُلْ هَذَا تُرَابٌ جَامِدٌ - إِنَّمَا الْأَحْيَاءُ فِي هَذَا الْجَمَادِ
وَاحْفَظِ الْأَجْيَالَ فِي ذَاكَ الثَّرَى - فَالْدَّمُ الْحُرُّ مِنَ التُّرْبِ يُنَادِي

٥ كله استعمار

يَا حَادِبِينَ عَلَى الضَّعِيفِ رُونِدُكُمْ - تَارِيخُكُمْ فِي صَفْحَتَيْهِ الْعَارِ
أيها الإنجليز الذين تدعون الحذب، العطف، على الضعفاء! تاريخكم مليء بالعار. وكان الإنجليز
يحتجون على قسوة المستعمر الفرنسي في سورية

فَهُنَا تَجْرُونَ الْقِيُودَ دَوَامِيًا - وَهَنَّاكَ فِي أَيْدِيكُمْ الْأَزْهَارُ
وَهُنَا الشَّيَاطِينُ اسْتَجَارَتْ مِنْكُمْ - وَهَنَّاكَ أَنْتُمْ قُبَّةٌ وَمَزَارُ
لَا تَذْكُرُوا حَقَّ الضَّعِيفِ؛ فَكَلِّكُمْ - مُسْتَعْمِرُونَ، وَكُلُّهُ اسْتِعْمَارُ

التسويد من الشاعر عمران القفيني

٦ التقسيم

أَهْدُوا بِلَادِي لَجْنَةَ مَلَكِيَّةٍ حَتَّى تَحُلَّ مَشَاكِلَ الْمُسْتَقْبَلِ
دَرَسْتُ، فَمَا وَجَدْتُ سِوَى تَقْسِيمِهَا حَلًّا، فَكَانَ الْحَلُّ أَكْبَرَ مُشْكِـلِ

٧ إلى إبراهيم طوقان

أَيُّ أَبَا جَعْفَرٍ أَبَا الشَّعْرِ وَالْعِظِّ رِ! تَنْقُلْ عَلَى رَوَابِي الْخُلُودِ
أَي: يا. يخاطب إبراهيم طوقان المتوفى ١٩٤١، راثياً

قَدْ تَحَرَّرْتُ مِنْ قُبُودِ اللَّيَالِي كَيْفَ تَمْضِي وَلَمْ تَحُلْ قُبُودِي؟
قد تحررت من قبود الزمن بموتك، وتركتني مقيداً في الحياة

٨ قالوا يساريون

أَهْلًا بِعُمَّالِ الْبَلَا دِ يُحَارِبُونَ مَنْ اسْتَبَدَّ
قَالُوا: يَسَارِيُّونَ قُلُوبُ نْتُ: أَجِلُهُمْ عَمَلًا وَمَبْدَأُ
سيرفع توفيق زَيَّاد، الشاعر الفلسطيني، النخبة بعد سنين، يقول: قالوا شيوعيون قتل أجلهم/ حمراً
بعزمهم الشعوب تحرر

وَطَنٌ عَلَى أَيْدِيهِمْ يَجْنِي مَعَ الْأَيَّامِ سَعْدًا
بعد سنة من القصيدة، وألقيت عام ١٩٤٧، سقطت فلسطين وقامت دولة إسرائيل

لَمْ يَعْرِفُوا كَيْفَ الْمَبَا دِي تُشْتَرَى عَدَاً وَنَقْدًا
هَذِي الْمَطَارِقُ وَالْمَنَا جِلُّ تَحْصُدُ الظُّلَامَ حَصْدًا
المطرقة والمنجل: رمز الشيوعية السوفيتية

وَتَحَرَّرُ الْإِنْسَانُ حَتَّى سَى لَا تَرَى فِي الْكُونِ عَبْدًا

٩ الظلم المنظم

كُلُّ يَوْمِيْنَ لَجْنَةُ فِكْتَابٍ لَا نَرَى فِيهِ غَيْرَ ظُلْمٍ مَنْظَّمٍ
وأشهر هذه الكتب «الكتاب الأبيض» لعام ١٩٣٩ وفيه خطة بريطانية لجعل فلسطين دولة واحدة مع
زيادة الهجرة اليهودية إليها. المعنى لحافظ إبراهيم، وقال سنة ١٩٠٧: لقد كان فينا الظلم فوضى
فَهَذَّبْتُ/ حَوَاشِيهِ حَتَّى بَاتَ ظُلْمًا مَنْظَّمًا

يَهْدُرُ الْعَدْلُ حَامِيًا كُلَّ أَرْضِي فَلِذَا زَارَ أَرْضَنَا صَارَ أَبْكُمْ

لا تقولوا: «الحقوق»، ما دام حَقِّي في فَلَسْطِينَ خَلَفَ دَمْعِي يَجْثُمُ
لا تقولوا: هذي الشَّرَائِعُ مِنَّا، شِرْعَةُ الْغَابِ مِنْكُمْ الْيَوْمَ أَرْحَمُ
لا تقولوا إن شرائع حقوق الإنسان جاءت من عندهم، فشريعة الغاب أرحم منكم

نِعْمَةُ اللَّهِ أَنْتَ يَا وَطَنِي الْغَا لِي، وَفِي ظِلِّكَ الْمُقَدَّسِ نَنْعُمُ
كُلُّ بَيْتٍ نَرَاهُ حَبَّةَ عَيْنٍ كُلُّ عَيْنٍ فِي أَرْضِنَا عَيْنٌ زَمَزَمُ
دَرَّةٌ مِنْ ثُرَايِكَ الطُّهْرُ خَيْرُ مِنْ عُروِشِ خَلْفِ الْحُدُودِ وَأَعْظَمُ

١٠ لا أحد

شَخْصٌ يُسَمَّى «لَا أَحَدُ» كَانَ يَطُوفُ فِي الْبَلَدِ
وَيَخْتَفِي وَرَاءَهُ كُلُّ فَتَاةٍ وَوَلَدٍ
مَنْ كَسَرَ الرُّجُاجَا وَأَطْفَأَ السُّرَاجَا؟
هَلْ أَنْتَ يَا زِيَادُ أَمْ أَنْبِتَ يَا سُعَادُ؟
كُلُّ يَقُولُ: لَا أَحَدُ

وإن أتى يومُ الأَحَدِ فَأَنْتَ صَيِّفَتِ الرَّشَدِ
إِذْ تَخْتَفِي فَاكِهَةً مَا مَثَلُهَا عِنْدَ أَحَدِ
مَنْ أَخَذَ الْمِفْتَاحَا وَأَكَلَ الثُّقَا حَا
مَنْ خَطَفَ الْعُنُقُودَا وَأَنْكَرَ النُّعُودَا
كُلُّ يَقُولُ: لَا أَحَدُ

يَا مَنْ يُسَمَّى «لَا أَحَدُ» إِزْحَلْ وَغِبْ عَنِ الْبَلَدِ
حَتَّى يَرَى كُلُّ امْرِئٍ مَا ضَاعَ مِنْهُ وَافْتَقَدِ
«لَا أَحَدُ» مِسْكِينُ وَمَا لَهُ مُعِينُ
يَظْلِمُهُ الْإِنْسَانُ وَمَا لَهُ لِسَانُ

١١ هجاء الزعماء

زعماء دَنَسُوا تَارِيخَكُمْ وَمُلُوكُ شَرَّدَوْكُمْ دُونَ ذَنْبِ
وَجِيُوشُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا سَلَّمَتْ أَوْطَانَكُمْ مِنْ غَيْرِ حَرْبِ
دَوْلٌ نَحَسَبُهَا شَرِّ قِيَّةٍ وَإِذَا أَمَعَنْتَ فَالْحَاكِمُ غَرَبِي

يَوْمَ هَزَّتْ لِلْوَعَى رَايَاتِهَا حَكَمَتْ فِيهِ عَلَى تَشْرِيدِ شَعْبِ
أَيُّهَا الْبَاكِي وَهَل يُجِدِّي الْبُكَاءُ بعدما أَصْبَحَتْ فِي كُلِّ مَهَبٍّ
يَا أَخِي مَا ضَاعَ مِنَّا وَطَنُ خَالِدٌ نَحْمِلُهُ فِي كُلِّ قَلْبِ

١٢ سنعود

خَلَعْتُ عَلَى مَلَاعِبِهَا شَبَابِي وَأَحْلَامِي عَلَى خُضْرِ الرَّوَابِي
يخاطب دمشق: فقد قضى فيها عهد الشباب، انتقل إليها وهو في نحو العاشرة. والملاعب هي الساحات تلعب فيها الريح

وَلِي فِي كُلِّ مُنْعَطَفٍ لِقَاءُ مُوشَى بِالسَّلَامِ وَبِالْعِتَابِ
وَمَا رَوَتْ الْمُرُوجُ سِوَى غِنَائِي وَمَا رَوَى الْكُرُومُ سِوَى شَرَابِي
دَرَجْتُ عَلَى ثَرَاكِ وَمِلءُ نَفْسِي عَبِيرُ الْخَالِدِينَ مِنَ الثَّرَابِ
درج أول مشيه على تراب دمشق، وامتلأت نفسه بذكريات الخالدين من أبطال العروبة والإسلام

وَعَدْتُ إِلَى جِمَاكِ خَيَالِ شَعْبٍ يَطُوفُ عَلَى الطُّلُولِ وَفِي الشُّعَابِ
وعاد إلى دمشق لاجئاً بعد ضياع فلسطين «شبه شعب»، يسكن الطلول، الخرائب، والشعاب، الطرق الجبلية

أَتُنْكَرُنِي دِمَشْقُ، وَكَانَ عَهْدِي بِهَا أَلَّا تُلَوِّحَ بِالسَّرَابِ
فِلَسْطِينُ الْحَبِيبَةُ كَيْفَ أَغْفُو وَفِي عَيْنَيَّ أَطْيَافَ الْعَذَابِ
تَمُرُّ قَوَافِلُ الْأَيَّامِ تَرُوي مُؤَامِرَةَ الْأَعَادِي وَالصُّحَابِ
فِلَسْطِينُ الْحَبِيبَةُ كَيْفَ أَحْبَا بَعِيداً عَنْ سَهْلِكَ وَالْهَضَابِ؟
تُنَادِينِي الشَّوَاطِئُ بِأَكْيَابِ وَفِي سَمْعِ الزَّمَانِ صَدَى انْتِحَابِ
تُنَادِينِي الْجَدَاوِلُ شَارِدَاتِ تَسِيرُ غَرِيبَةً دُونَ اغْتِرَابِ
وَيَسْأَلُنِي الرَّفَاقُ أَلَا لِقَاءُ وَهَلْ مِنْ عَوْدَةٍ بَعْدَ الْغِيَابِ؟
غَدَاً سَنَعُودُ وَالْأَجْيَالُ تُصْنِي إِلَى وَقْعِ الْخُطَى عِنْدَ الْإِبَابِ
أَجَلْ، سَتَعُودُ آلَافُ الصُّحَايَا ضَحَايَا الظُّلَمِ تَفْتَحُ كُلَّ بَابِ

١٣ كيف لا أغني؟

يَا جَارَتِي كَيْفَ لَا أُغْنِي؟ وَأَنْتِ أَحْلَى مِنَ التَّمَنِّي

وَيَحْمِلُ الشَّوْقُ كُلَّ صُبْحٍ رسالة العاشقين مِنِّي

١٤ العدوان الثلاثي

طَلَعَ الصَّبَاحُ عَلَى الصَّعِيدِ الطَّاهِرِ لَمَّا أَطْلَ جَمَالُ عَبْدُ النَّاصِرِ

الصعيد الطاهر: التراب الطاهر

زَحَفَتْ قَرَاصِنُ الْبَحَارِ مَعَ الدُّجَى مَتَحَالِفِينَ مَعَ الذَّلِيلِ الْمَاكِرِ

القراصنة هم الإنجليز والفرنسيون، والذليل الماكر الإسرائيليون، والثلاثة قاموا بالعدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦

كَانُوا، وَمَا بَرَحُوا، خُنَالَةَ عَالَمٍ مُسْتَعْمِرِينَ مِنَ الطَّرَازِ الْفَاجِرِ
هُمْ شَرَّدُوا أَهْلِي وَهُمْ سَلَبُوهُمْ وَطَنًا تَفَرَّدَ بِالْجَمَالِ السَّاحِرِ

١٥ ليتهم صمتوا

أَجَلْ! هُوَ الشَّعْرُ يَعْلُو وَجْهَهُ الْخَجَلُ فَكَيْفَ لَا تَخَجَلُ الْأَحْرَارُ وَالْمُثُلُ
مَا الشَّعْرُ إِنْ لَمْ يَلْخُ فِيهِ سَنَا وَطَنِ وَلَمْ يُعْطَرْهُ مِنْهُ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ
أَهْلِي عَلَى الدَّهْرِ تُدْمِنِي جِرَاحُهُمْ فِي حُبِّهِمْ يَتَسَاوَى الْعُذْرُ وَالْعَذْلُ

لا فرق بين من يعذرنى ومن يلومني في حبي لأهلي، فحبهم ثابت في قلبي

أَطُوفُ أَحْمِلُ، أَنَّى سِرْتُ، نَكَبَتْهُمْ كَأَنَّنِي طَيْفُ نَارٍ وَالْحِمَى طَلَلُ
قَالَ الْمَلُوكُ: غَدًا نَحْمِي دِيَارَكُمْ لَيْتَ الْأَذْلَاءُ مَا قَالُوا وَمَا فَعَلُوا
وَعَلَّلُونَا بِسَاحِ الْمَجْدِ نَزَلُهَا إِذَا بِهِمْ سَاعَةُ الْجُلَى، هُمْ الْعِلَلُ

صبرونا تصبيراً بالقول إنا سوف ننزل ساحات المجد؛ وفي ساعة الجلى، ساعة الجد، تبين أنهم هم العلل، الأسقام

قَالُوا: الْكَرَامَةُ! قُلْنَا: أَيْنَ صَاحِبُهَا؟ قَالُوا: الرَّجُولَةُ! قُلْنَا: أَيُّهُمْ رَجُلٌ؟
وَكَيْفَ تُنْقِذُ أَرْضَ الْعَرَبِ جَامِعَةً يَسُودُهَا مَبْدَأُ التَّفْرِيقِ وَالْجَدَلِ

«الجامعة العربية» من يومها محفل فرقة وجدل

مَنْ يَشْتَرِي وَطَنًا أَوْ يَبْتَغِي بَدَلًا وَأَيْنَ فِي الْكُونِ أَوْ فِي الْجَنَّةِ الْبَدَلُ؟

١٦ تاجروا باسمنا

لا تَسَلَّنِي، فلن أُطِيقَ جَوَاباً كيف أبكي الديارَ والأحباباً
لا تسألني كيف أستطيع الاستمرار في بكاء الديار والأحباب، فلن أتمكن من الإجابة

كَلَّمَا لَاحَ مِنْ فِلَسْطِينَ بَرَقَ خَفَقَ الْقَلْبُ فِي الْقَصِيدِ وَذَا
ما بَعُدْنَا عَنْ طَيْبِ أَرْضِكَ إِلَّا زَادَنَا الْبُعْدُ مِنْ ثَرَاكَ أَقْتِرَاباً
وَزَرَعْنَا الْأَشْوَاقَ فِي كُلِّ أَرْضٍ لَيْتَهَا أَنْبَتَتْ قَنَأً وَحِرَاباً
القنا: الرماح، الحراب: الخناجر

إِنَّ قَوْمِي فِي الضَّقَّتَيْنِ اسْتَكَانُوا لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَرَاهُمْ غَضَاباً
الضفة الشرقية: شرق الأردن، والضفة الغربية: قطعة من فلسطين بقيت بيد العرب بعد نكبة ١٩٤٨
ودخلت تحت حكم الأردن

تَاجَرُوا بِاسْمِنَا وَبِاسْمِ فِلَسْطِينَ نَ، فَكَانُوا الْعُدَّةَ وَالْأَصْحَاباً
ثم قالوا خَانَ الْبِلَادَ بَنُوها كَذَبُوا إِنَّنَا أَعَزُّ جَنَاباً
العرب تفاهموا مع الإنجليز ومع اليهود، وبعد النكبة قالوا إن الفلسطينيين خانوا بلدهم، وهم
كاذبون فحن أعز من أن نخون بلدنا

هَتَفُوا لِلْوَعَى، وَلَمَّا التَقَيْنَا حَارَبُونَا وَحَالَفُوا الْإِنْتِدَابَ
هتف العرب هتاف الحرب، والتقينا بهم على أرض فلسطين فحاربونا وحالفوا الانتداب البريطاني
ثُمَّ رَاحُوا يُدَلِّلُونَ عَلَيْنَا يَوْمَ صِرْنَا بِفَضْلِهِمْ أَسْلَاباً
راحوا يدللون علينا، ينادون علينا نداء الباعة والدلالين، ويجمعون باسم نكبتنا الأموال، عندما
صرنا بسببهم أسلاباً، أي غنائم

١٧ في انتظار الفجر

كُلَّمَا قَلْتُ: أَطَلَّ الْفَجْرُ غَابَا أَتَرَى تَغْدُو فِلَسْطِينَ سَرَاباً؟
الصورة في الشطر الأول لا تستدعي صورة السراب في الشطر الثاني، وإن استدعى المعنى
المعنى. ولكن بعض أبيات الشعر مثل مذيغات التلفزيون: تكون المذبة قليلة الإلمام بمادتها،
ضعيفة في لغتها، ولكن الله يمنحها قبولاً لدى المشاهدين. هذا بيت راعني جماله

بَحَّتِ الْأَرْضُ تُنَادِي شَعْبَهَا ثَمَ لَمَّا تَسْمَعِ الْأَرْضُ جَوَاباً
بَحَّتْ: بُعَّ صوتها

جِثْمَ الأَعْدَاءِ مَا حَوْلَ الْجَمَى وعدا أهلي على أهلي ذئابا
هذا في أوائل الستينات، وشط انقلابات سورية والعراق، ثم انفصام الوحدة بين مصر وسورية،
والاضطراب في الأردن بين تنامي الحركة المعارضة للملك، وقمع السلطات لها، كل هذا كان
يسيطر على الدول المحيطة بفلسطين

صَرَخْتُ مِنَّا الْجِرَاحَاتُ عِتَاباً كيف لا يَسْمَعُ أَهْلُونَا الْعِتَابَا
نحن في النُّكْبَةِ أَضْفَى جَوْهراً كُلَّمَا اشْتَدَّ لَهَيْبُ النَّارِ طَابَا
يَا أَحِبَّايْ! أَمَا أَنْ لَكُمْ أَنْ تَقُولُوهَا صُرَاحاً وَصَوَابَا
تَاجِرَ الأَهْلِ بِالْأَمْكُم ثم يَرْجُونَ مِنَ الشَّعْبِ ثَوَابَا

١٨ أرضنا تنتظر

إلى متى، وأَرْضُنَا نَنْتَظِرُ طَالَ السَّرَى وما أَطْلَّ الْقَمَرُ
السرى: سير الليل

مَوَاكِبُ النَّصْرِ الَّتِي مَرَّتْ بِنَا ليس لها على الدُّرُوبِ أَثَرُ
مواكب النصر نراها في شوارع العواصم، ولا أثر لها في الدروب المؤدية للجبهات. وكلمة دروب
منذ العصر العباسي تعني الطرق المؤدية إلى بلاد الروم، وهي طرق الجهاد، (جاز الدروب إلى ما
خلف خَرَشَنَة/ وزال عنها وذاك الروع لم يُول) المتنبّي

أَسْأَلُ عَنْ أَهْلِي، وَمَنْ يَسْمَعُنِي؟ أين بَقَايَا الأَهْلِ؟ هل هُمْ بَشَرُ؟

١٩ من المحيط إلى الخليج!

لا تقولوا: موجُ الخليجِ تَلَاقَى مَعَ موجِ المحيطِ في أَفْرَاحِ
يومئذ إلى شعار «العرب أمة واحدة من المحيط إلى الخليج»

وَدُونِائُتُكُمْ! سَلُّوْهَا. فَمَا كَا نَتُّ دُونِائُتُكُمْ سِوَى أَشْبَاحِ
لا تقولوا: بِنَا الْكِرَامَةُ تَغْتَرُّ وَفَوْقَ الْجِبَاهِ عَارُ افْتِضَاحِ
تَتَغَنَّوْنَ بِالْبُطُولَةِ وَالْأَنَّهُ جُمْتُ تَبَكِّي عَلَى الْجَمَى الْمُسْتَبَاحِ
لا تقولوا: غُرُوبُهُ، وَفِلَسْطِينِ نُنْ تَنَادِي: مَتَى يُفَكُّ سَرَاخِي

٢٠ لا جديد

هُمْ جَحَدُوا نَضَالَ الشَّعْبِ حَتَّى كَأَنَّ الشَّعْبَ خَصَمُهُمُ اللَّدُّودُ

أَرَانِبُ إِنْ تَعَرَّضَ أَجَنِبِيْ وَمُمْ أَبَدًا عَلَى أَهْلِيْ أَسْوَدُ

تُلْعَلُ فِيْ جَوَانِبِ كُلِّ أَقْبِيْ بَيَانَاتُ، وَلَيْسَ بِهَا جَدِيدُ

طرافة البيت تكون أحياناً بوجود مبالغة تصل حد الاستحالة، وطرافة هذا البيت في انعدام المبالغة حد الانكفاء إلى التلطيف. . تلك البيانات «ليس بها جديد» فقط! بل بها عتريات فارغة وأكاذيب

٢١ إنه أسبوع!

عَزَلُوا الشَّعْبَ مِثْلَمَا شَاءَ الْإِسْتَعْدَ حَارُ. يَا لِلْعَبِيدِ! كَيْفَ تُطِيعُ

ثُمَّ قَالُوا: هَذِي الْجِيُوشُ دُرُوعُ لَيْتَهَا لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ دُرُوعُ

وَوَرَاءَ الْجِيُوشِ صَوْتُ يُدَوِّيْ لَا تُرَاعُوا فَإِنَّهُ أُسْبُوعُ

كان زعماء العرب يخفون عن الفلسطينيين بُعيد النكبة بالقول: لا تخافوا! هو أسبوع، ويعود اللاجئون إلى ديارهم

وَإِذَا بِالسَّنِينَ تَمْضِيْ ثِقَالًا أَثْقَلَتْهَا خِيَانَةٌ وَخُضُوعُ

وَفِلَسْطِينُ، وَهِيَ دُنْيَا الْبُطُولَا تِ، تُنَادِي، وَأَيْنَ أَيْنَ السَّمِيعُ

مَا لَنَا الْيَوْمَ لَا نَعُدُّ مِنَ الْعُرِّ بِ، وَغَابَ التَّأْهِيلُ وَالتَّوْدِيعُ

لم يكن لفلسطين آنذاك مقعد في الجامعة العربية، ودخلت فلسطين الجامعة عام ١٩٧٦، وبدأ اللاجئون الفلسطينيون في الدول العربية المحيطة بفلسطين يشعرون أنهم ضيوف نقال، وبدأت الدول تفرض عليهم قيوداً شتى في السكنى والعمل والسفر، ولم تمنحهم الجنسية سوى الأردن

٢٢ ألف هلا

مَا لِيْ أَرَى الْأَفْقَ حَالًا هَلْ عُذْتُ؟ يَا أَلْفَ هَلَا

مَرَّ النَّسِيمُ عَاطِرًا قَالًا: مَمَرَّتْ أَوَّلَا

يَا طَيِّبَهُ لَمَّا رَوَى عَنْكَ الشَّدَا وَأَقْبَلَا

وَالزَّهْرُ تَاءَ عِنْدَمَا شَمَّ وَذَاقَ الْقُبْلَا

عندما شمته وقبلته فالزهر هو الذي شم الحبيبة لا العكس! طريف

هِيَ هَاتِ أَنْ يَذْبُلَ بَعْدَ الْيَوْمِ، لَا لَنْ يَذْبُلَا

الشَّعْرُ لَمْ يَنْقُلْ سِوَى عَنْ شَفَتَيْكِ الْعَزَلَا

لَكِنَّ قَلْبِيْ وَحْدَهُ يَهْوَى النَّيْ نَقُولُ: لَا

عَيْنَاكِ يَا فَاتِنَتِيْ صَيَّرَتَانِيْ مَثَلَا

٢٣ شرف الحرف

رَأَيْتُ الشَّعْرَ رَفَرَقَتْ، نَسَجُهَا الشُّو قُ، وَشَرَحَ الشُّوقِ الْقَدِيمَ طَوِيلُ
 قَدْ زَهَا فِي ظِلَالِهَا الْحَرْفُ وَالْمَجْدُ يَمِيلَانِ حَيْثُ كَانَتْ تَمِيلُ
 إِنَّهُ الشَّعْرُ كَالْأَنَاسِيِّ فِي الْكُوْنِ نِ: فَحَرْفٌ حُرٌّ وَحَرْفٌ ذَلِيلُ
 من الشعر ما هو شامخ صادق، ومنه ما يطل للحاكم... كالشعر

أَبْهَاجُ الْحَامِلُونَ أَلْوِيَّةَ الشَّعْرِ حَرِّ تَهَاوَى السُّتَارُ وَالْتَمَشِيلُ
 فَاهْبِطُوا لَا تُرَابِطُوا فِي الْبُرُوجِ الْبَيْضِ فَالشَّعْرُ كُلُّهُ مَسْؤُولُ
 شَرَفُ الْحَرْفِ أَنْ يَنْوَدَ عَنِ الْحَقِّ- فَإِنْ رُمْتُمُ الْمَقَالَ فَقُولُوا
 لَا تَقُولُوا: قَلْبُ الْعَرَبِيَّةِ خَفَا قُ وَفِيهِ الدَّاءُ الْعُضَالُ الْوَيْلُ
 العضال: المستعصي، الويل: الشديد

٢٤ يا صباح الخير

كُلُّ يَوْمٍ تَقُولُ لِي: يَا صَبَاحَ الْخَيْرِ أَشْهَى مِنَ النَّبِيذِ الْمُعْتَقِّ

٢٥ الكثير القليل

كَثُرَتْ بَيْنَنَا الدُّوَيْلَاتُ زُورًا وَقَلِيلٌ وَاللَّهُ هَذَا الْكَثِيرُ

٢٦ بعد النكسة

أَبْهَاجُ الْحَامِلُونَ أَلْوِيَّةَ الْعَا رَا تَخَلَّوْا عَنْ حَوْمَةِ الْمَيْدَانِ
 هذا عام ١٩٦٨، وكانت النكسة في العام الماضي شديدة الوقع

سَلَّمُوا الشَّعْبَ أَمْرَهُ وَاسْتَرِيحُوا يَا حُمَاةَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ
 كُلُّ جَيْشٍ يَكُونُ حَرْبًا عَلَى الشَّعْرِ بِ ذَلِيلٌ إِذَا التَّقَى الْجَمْعَانِ
 عَاصِفٌ بَيْنَ أَهْلِهِ، وَنَسِيمٌ لِمُغِيرِينَ، شَأْنُ كُلِّ جَبَانِ
 يَأْتِفُ الثَّرْبُ أَنْ تَمُرُّوا عَلَيْهِ وَتُصَابُ الرَّمَالُ بِالْقَتْبَانِ
 كُلُّ يَوْمٍ تُجَدِّدُونَ الشُّعَارَا تِ فِرَارًا مِنْ أَرْزَمَةِ الْوُجْدَانِ
 بَعْدَ «حَرْبِ التَّحْرِيرِ» قَدْ أَصْبَحَ الْيَوْمُ مَ شِعَارًا «إِزَالَةُ الْعُدْوَانِ»

اتخذت الأنظمة العربية المهزومة شعار «إزالة آثار العدوان» بعد نكسة ٦٧، ولم تعد تطلق شعار «تحرير فلسطين»

ثُمَّ حُرِّيَّةٌ تَقُولُونَ لَنَا
وَتَقُولُونَ: نَحْنُ نَحْكُمُ بِاسْمِ اللَّهِ -
أَيُّهَا الْأَهْلُ فِي الْقِطَاعِ وَفِي الصَّفِّ -
نَحْنُ أَسْرَى وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ الْأَخْرَجَ
مِنْ، وَمَا فِيكُمْ سَوَى سَجَانِ
عَبٍ، أَسْتَغْفِرُ الْعَظِيمَ الشَّانِ
لَوْ تَنْطِقُ الدَّمُوعُ لِسَانِي
رَأَى خَلْفَ السُّجُونِ وَالْقُضْبَانِ

٢٧ العواصم

أَيُّهَا الْحَاكِمُونَ بِاسْمِ بِلَادِي
كُلُّ حُكْمٍ يَطْفَى عَلَى الشَّعْبِ بِاسْمِ اللَّهِ -
مَا الَّذِي تَغْزِلُونَ خَلْفَ السُّتَارِ
غَبٍ حُكْمٌ مَصِيرُهُ لِلْبَوَارِ

البوار: الخراب

أَصْبَحَتْ هَذِهِ الْعَوَاصِمُ بَعْدَ الْ-
قَرَّرُوا الزَّحْفَ لِلْجِهَادِ، إِذَا هُمْ
قُدْسٍ رُكْنًا فِي مُتَحَفِ الْأَثَارِ
أَخَذُوا يَزْحَفُونَ خَلْفَ قَرَارِ

بعد أن كانت الأنظمة العربية تتعهد بالزحف على العدو أخذت تستجدي قراراً أممياً، وصدر القرار
٢٤٢ من مجلس الأمن في أواخر عام ٦٧

أَيُّهَا الْحَاكِمُونَ، مَا يَنْفَعُ الْحُكْمَ
تَنْفَنُّونَ بِالشُّهُورِ وَبِالْأَيِّ -
مُ إِذَا مَا اخْتَفَى وَرَاءَ شِعَارٍ؟
يَا حَسْرَتَنَا عَلَى الْأَعْمَارِ
رَاتٍ: تَمْوَرِّهَا إِلَى آذَارِ
فَحَزِيرَانُ قَدْ مَحَا أَشْهُرَ الثُّو

وكثر تسمية الانقلابات العربية بأسماء الأشهر، وخصوصاً تموز وآذار في العراق وسورية. فأما
حزيران فهو شهر النكسة ١٩٦٧. قال بدوي الجبل: (مُجِثْ أَشْهُرَ الرَّبِيعِ، فَلَا أَيْهَ / أُرْ مِنْ دَهْرِنَا
وَلَا نِيْسَانُ) قالها قبل شاعرنا بنحو عشرين سنة

٢٨ دول وسلطات

أَنَا أَبْكِي الْأَحْيَاءَ! عَاشُوا وَهَانُوا
نَسَمَاتُ الْأَزْدُنْ أَنْفَاسُ أَهْلِي
وَتَسَاوَتْ حَيَاتُهُمْ وَالْمَمَاتُ
وَهِيَ فِي كُلِّ مُنْحَنَى عَطِرَاتُ

وكان الأردن وقت إلقاء القصيدة في مايو/ أيار ١٩٧٠ يشهد الحركة الفدائية، وسيشهد هزيمتها في
الصراع مع النظام بعد أربعة أشهر وانتقال المقاتلين الفلسطينيين إلى لبنان لكي يهزموا مرة أخرى
بعد اثني عشرة سنة

وَوَرَاءَ الْأَفْقِ الْمُضْمَخِ بِالنَّفِّ -
عَ أَنْاسُ أَعْمَتَهُمُ الشَّهَوَاتُ

وراء أفق الأردن المعطر بالنقع، ببغار المعارك في الأعمال الفدائية ضد إسرائيل، هناك أنظمة لا
تتبعها سوى المصالح الضيقة للزمر الحاكمة

وِدْفَاعاً عَنِ الْعُرْوَةِ نَجَاتَا حُ الْمَنَابِيَا، وَمِنْهُمْ الدَّعَاوُثُ

هؤلاء البعيدون عن النضال يرونا نجات الموت ويكفون بالدعاء لنا

وَدَمَوْعُ الْخَلِيجِ خَضَبَتِ الْبَحْ رَ، وَفِي مَكَّةَ بَكَى عَرَفَاتُ

عرفات: جبل عرفات

وَيَقُولُونَ: مَا لَنَا وَفِلَسْطِيَهْ نَا! لَدَيْنَا الْبِتْرُوُثُ وَالشَّرِكَاثُ

يَتَغَنُّونَ بِالْكُنُوزِ ضَلَالاً وَهُمْ، لَوْ سَأَلَتْ عَنْهُمْ، جُبَاهُ

هم فقط يجبون المال لكي يقدموه لشركات النفط التي كانت تنال حصة كبيرة من عوائده

وَبِلَادِي كَانَتْ مُوَحَّدَةً الْأَرْ جَاءَ، وَالْوَجْهُ وَاجِدٌ وَالسَّمَاءُ

وَإِذَا بِالْحِمَى مَوَاطِنُ شَتَّى وَإِذَا بِالْوُجُوهِ فِيهَا فِثَاثُ

أصبح الناس في المواطن الشتية في دنيا العرب فثات، فهذا مواطن، وهذا مقيم، وهذا لاجئ بعد

أن كانت الدول العربية كتلة واحدة قبل الاستعمار

دَوْلٌ أَبْنَمَا ذَهَبَتْ عَدِيدَا ثَ، وَفِي كُلِّ دَوْلَةٍ سُلْطَاثُ

وَحُدُودُ! لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا بَيْنَ أَهْلِي الْمُشَرَّدِينَ مِثَاثُ

شَرُّ مَا فِي دُنْيَا الْعُرُوبَةِ أَنْ يُفَ رَزَلُ شَعْبٌ، وَتَحْكَمَ التُّكْنَاثُ

٢٩ شعراء المديح

فِي كُلِّ عَامٍ نَلْتَقِي، وَعَلَى أَفْوَهِنَا خَلَقٌ مِنَ الرَّرْدِ

أفواهنا مكممة بالجنائز والسلاسل

كُلُّ الْحُرُوفِ تَظِلُّ شَارِدَةً إِنْ لَمْ تَقُلْ مَا دَارَ فِي الْخَلْدِ

شُعْرَاءُ قَدْ حَمَلُوا مَبَاخِرَهُمْ وَأَتَوْا إِلَى الْمِيدَانِ بِالْعَدَدِ

جَاءُوا وَقَدْ مَسَحَتْ شِفَاهَهُمْ أَعْتَابَ مُقْتَدِرٍ وَمُعْتَصِدِ

الشعراء يمسحون بشفاههم وأشعارهم أعتاب السلاطين، كما كان يفعل شعراء الماضي إذ يمدحون

الخلفاء والأمراء

٣٠ عشق فلقاء فاعتناق

قُولِي، بِمَنْ أَوْدَعَ فِي عَيْنَيْنِكَ سِرَّ الْأَلْقِي:

قولي، وأحلفك بالله الذي وضع في عينيك سر البريق:

هل تُجْمَلُ الحياةُ والـ مُنْمَرُ إذا لم نَفْشَقِ
وكيف يَحُلُو الشوقُ في الدُّـ نيا إذا لم نَلْتَقِ
وما الهوى إذا تَلا قَيْنَا، ولم نَعْتَنِقِ؟
لولا غزلياتك الطيبة يا أبو سلمى لوصفناك بالشاعر السياسي صاحب الشعارات الطنانة، فعلاً أبو سلمى... وسلمى هي حبيبته لا ابنته، لقبوه بها

٣١ تحت الدرج

هناكَ تحتَ الدَّرَجِ مَا لَكَ لم تُعَرِّجِ
يَلُفُّنا ليلُ الهوى معاً ولا مِن حَرَجِ
ويَهْتَدِي نَغْرِي إلى نَغْرِكَ رَغَمَ الدَّلَجِ
الدَّلَج: يقصد الظلام

على سَنَى أَعْيُنِنَا وما بِهَا مِن وَهَجِ
نغره يعثر على نغرها على السنى، النور، المنبعث من عينيها

٣٢ دمي روى

دَمِي رَوَى، فَلْتَضُمِّ الأَلْسُنُ أَرَوْعَ شِعْرِ القَلْبِ لا يُغْلَنُ
ما شَهْرُ تَشْرِينِ إذا لم يَمُدَّ لي بَيْدَرِي والكَرْمُ والمَسْكَنُ
القصيدة أُلْقِيَت عام ١٩٧٥، وكانت سورية ومصر قد حاربتا إسرائيل في تشرين الأول/أكتوبر عام ٧٣، وهملتا لانتصار كبير، غير أن هدف الحرب كان تحريك عملية مصالحة راکدة لا استرداد أرض سلبية، وتحقيق التحريك بالنسبة لمصر

وَأَيُّ نَضْرٍ! وَأَنَا لم أَزَلْ مُشَرِّداً وليس لي مَوْطِنُ
تَفَنَّى الزَّعَامَاتُ وَأَشْبَاهُهَا والخَالِدَانِ: الشعبُ والمَوْطِنُ

عبد الكريم الكرّمي

(أبو سلمى)

فهرس القوافي

١٨	القَمَرُ	١٧	سَرابا
٢٥	الكَثِيرُ	١٦	والأحبابا
٢٧	السُّتَارِ	١٢	الرَّوَابِي
١٤	الناصِرِ	١١	ذَنْبِ
٢١	تُطِيعُ	٢٨	والصَّمَاتُ
٣٠	الأَلْقِي	٣١	تُعَرِّجِي
٢٤	المُعَتَّقُ	١٩	أفراح
٢٢	هَلَا	٨	اسْتَبَدَّ
٢٣	طَوِيلُ	٢٠	اللَّدُودُ
١٥	والمُثَلُّ	٧	الخُلُودِ
١	الآمالِ	٢٩	الرَّزْدِ
٦	المستقبلِ	٢	العبيدِ
٩	منظَّم	٤	بِلادي
٣٢	يُعلنُ	٣	ويغتدي
١٣	التَّمَنِّي	١٠	البلدُ
٢٦	المَيَدَانِ	٥	العارُ

محمد سليمان الأحمد
(بدوي الجبل)
(١٩٨١ - ١٩٠٠)

أقدم لك أيها القارئ شاعراً مناضلاً، وفي تقديمي أحدثك عن نضالي أنا.
لست مناضلاً.

حقق معي الإسرائيليون ثلاث مرات. مرة لَمُوني من الشارع كما يَلْمُون الناس في ساعة هرج ومرج، ولموا معي عدداً من الطلبة، كان ذلك في رام الله بفلسطين. وقفت في مخفرهم ووجهي إلى الجدار مع من وقف. مر جندي وأنا لني من سلاحه ضربة على صفحة الوجه. . كأنني كنت مائل الرأس قليلاً ولم يعجبه أن يرى أحدنا غير ملتزم بالصاق وجهه بالجدار. . وألصقته. في التحقيق قال لي الضابط: تبدو أكبر سناً من هؤلاء الطلبة؟ قلت له: كنت مدة من الزمن في ألمانيا. سألني متحمساً عن البوندس ليغا. قلت له: لا علاقة لي بكرة القدم. قال لي: اذهب إلى بيتك. فذهبت. وسبق بعض من اعتقلوا معي إلى السجن فالمحاكمة. وحكم على بعضهم بسنة ونصف حبساً. فقط لأنهم كانوا في المكان الخطأ في الوقت الخطأ.

وحقق معي الإسرائيليون، بلا ضربة على صفحة وجهي، مرتين آخرين، وفيهما أيضاً ذهبت إلى البيت.

عندما كنت في ألمانيا أحببت أن أتعرف على النضال الفلسطيني، وكان هذا «النضال» موجوداً في تلك السنين في لبنان. كان هذا قبل غزو إسرائيل لبنان عام ١٩٨٢. ذهبت إلى لبنان «وناضلت» بضعة أسابيع. وتعرفت على النضال. صنعة شريفة. وفي أوقات محنة الوطن لا بد من نضال. لكن نضالنا

الفلسطيني كان مزوداً بمال عربي كثير، فكان الزعماء يدفعون للفقراء المال على هيئة ما كانوا يسمونه «مخصصات» لكي يقوموا بالنضال. شيء طبيعي. لن تطلب من الجنرال أن يقاتل بيديه، بل أن يقود. هي صنعة شريفة.

وقنعت بعد حين أن أناضل نضالاً من المرتبة الثالثة: مرتبة أضعف الإيمان. لم يستطع اليساريون أن يضموني إلى صفوفهم لأنني لم أكتف بقراءة ما قرأوا من الكتب الحمراء، بل تجاوزتها إلى كتب من كل لون، فاستقامت الأمور في ذهني على غير ما يهوى التحزب. ولم يُقبل الوطنيون الآخرون على مجرد الطلب إليّ أن أنضم إلى صفوفهم. كانت بصيرتهم حادة، فرأوا أنني لست، بالخلقة، مناضلاً فتركوني بحالي. حتى أولئك الذين استضافوني في فترة لبنان النضالية لم يعرضوا علي التحزب معهم. نَعَسَ الله قلوبهم.

كان المال العربي الذي تدفق على المقاومة الفلسطينية مالاً سياسياً، ولم أر فيه ما يشين. فيه أبقى أولئك المناضلون شمعة القضية متقدة.

وناضلت بالقلم مرة. فعندما بدأت السلطة الفلسطينية مسيرتها الغربية بعد معاهدة أوسلو ١٩٩٣، تحول النضال إلى سياسة، وظل المناضلون المستقيلون يتغنون بالنضال.

كنت آنذاك أعمل في إذاعة لندن. وأجاءني الظروف إلى الضفة الغربية وقطاع غزة. ذهبت إلى أريحا لزيارة الإذاعة الفلسطينية. سمعت مدير البرامج يصيح بالناس.. نجوى كرم وديانا حداد فقط، لا نريد أي أغان وطنية. مفهوم! كانت السلطة تأمل في تعاون وثيق مع الاحتلال لإنشاء دولة في الضفة وغزة. وكان المحتل أحبب مما تصوروا.

كنت وقتها ناضجاً نضج عنقود عنب يكاد يعصر نفسه بلا عاصر. كنت فاهماً المعادلة أحسن من إسحق رابين وزميله في الصفقة ياسر عرفات.

وبعد قليل عدت إلى بلدي وعملت في الجامعة وفي بعض الإذاعات المحلية التي أخذت تنشأ وتتكاثر بسرعة. ومثلما قرأ إدوارد سعيد اتفاقية أوسلو قرأتها، وقرأت أيضاً ما كتبه عنها. نعم، قرأت ذينك الكتابين الممنوعين اللذين كتبهما عنها.

وفي مارس آذار عام ٢٠٠٣ كتبت أول كتاب أكتبه، ونشرته على حسابي، ولم ترض المطبعة أن تضع اسمها على الكتاب. انتقدت في كتابي السلطة

ورئيسها. وكان من حسن طالعي أن الكتاب لم يجد سوى ثمانية مشترين، وفورت على نفسي أن أواجه محققي السلطة. ووزعت بقية النسخ في جامعتي، جامعة بيرزيت. وأذكر هنا، على سبيل التحية، أن رئيس الجامعة حنا ناصر ابتاع خمسين نسخة كي يهديها لزوار مكتبه، وهو الذي كان عضواً في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، والذي أصبح رئيساً للجنة الانتخابات. كانت منه جرأة، وشموخاً.

نضال فلسطين الرسمي حتى يومنا هذا صنعة شريفة. وثمة من الشباب المناضلين من يحمل روحه على راحته. هناك من يضحي، ولا أنكر على المضحي تضحيته. ولا أرى أن أي شكل من أشكال النضال يشبه أي شكل من أشكال التسليم بالأمر الواقع. وأضعف أشكال النضال نضالي.. النضال على طريقة أضعف الإيمان.

لكن نضال أبناء العائلات الغنية ليس أفضل من نضالي، فلئن كان نضالي مسالماً لا يؤذيني ولا يؤذي المحتل، فهو بريء من المال. لكن نضال العائلات الغنية ماكينة تعمل بالمال، وتتوقف عن الحركة في غيابه.

شاعرنا المناضل

شاعرنا المناضل بدوي الجبل ابن أسرة إقطاعية. كان وزيراً في عهد الاحتلال الفرنسي، وكان منسجماً مع مشروع الفرنسيين القاضي بتقسيم سورية إلى دويلات طائفية. ثم رأى أن المشروع متعثر، ومع ذلك لم يعد إلى الصف الوطني إلا بكثير من التلكؤ. وظل يناضل. وظل يرسل الأشعار الملتهبة، لكنه لم يكن جريئاً مثلما قد توحى بعض أبياته. كان ينتقد أولي الأمر بعد الاستقلال بكثير من الالتواء. لكنه صب جام غضبه على الوحدة بين سورية ومصر، وعلى عبد الناصر، ففي دولة الوحدة لم يجد له دوراً.

على أن شاعرنا قال قصيدة موجعة بعد هزيمة عام ١٩٦٧، وكان جريئاً، وتعرض للأذى.

بدوي الجبل عنتري غضوب رومنسي مجدف. وهو يحاول أن يجعل لغته قديمة، يتفاح. وله، على كل عيوبه، شعر حار. ولا نختار من الشعراء إلا صاحب الشعر الحار. فاخترناه، واخترنا من شعره. وأصابنا عنت ونحن نشرح شعره لما فيه من تعمل وتَقِيَّة سياسية والتواء لغوي. هذا عن شعره الجيد الذي اخترناه، وأما ما سترناه فهو مستور في ديوانه.

هذا ابن زعيم إقطاعي. أنيق ويفتخر بأناقته، وصاحب مناصب وزارية، وينفي نفسه إلى لبنان أو إلى إستانبول أو إلى جنيف عندما يكون خارج دائرة السلطة. وعندما أحكم أبناء طائفته، العلوية، قبضتهم على السلطة كان قد أسن، وكانوا من غير الإقطاعيين.. وإن أصبحوا فيما بعد من كبار الأغنياء. لذا ظل بدوي الجبل غاضباً.

لقد ناضل بدوي الجبل ضد الفرنسيين في بدء نزولهم إلى شاطئ سورية، وسجن وأوذي. وسجنه مرة أخرى في أواخر استعمارهم سورية، وبين المرتين تعاون معهم كثيراً، وانضم إلى الصف الوطني طويلاً.. لكن متأخراً.

ولد بدوي الجبل في مطلع القرن العشرين. وأراح بعض الدارسين أنفسهم من تقليب «دفاتر نفوس» غير موجودة أصلاً فجعلوا مولده عام ١٩٠٠. أبوه رجل أدب وفقه وسيادة. كان من كبار سادة جبل العلويين في شمال غرب سورية. وكان الأب صاحب شعر وأدب وعضواً في مجمع دمشق. وقرأ الطفل على أبيه دواوين كبار الشعراء القدامى ودرس في مدارس اللاذقية، وربما أيضاً في مكتب عنبر بدمشق، تلك المدرسة التي تخرج فيها عدد من كبار أدباء ذلك الزمن.

وقال محمد الشعر باكراً. ومحمد هو اسمه، وسليمان الأحمد هو اسم والده. فشاعرنا هو (محمد سليمان الأحمد). ولقبه صاحب مجلة ألف باء الدمشقية «بدوي الجبل» باكراً، وأكل اللقب الاسم.

خاض محمد سليمان الأحمد، بدوي الجبل، في السياسة في حياة والده. كان العلويون في منطقتهم الجبلية يعيشون ضمن اقتصاد إقطاعي لا يختلف كثيراً عما هو موجود في بقية الريف السوري. على أن المدن السورية شهدت تشكيلات برجوازية صاعدة، فنشأت الصناعات المتوسطة بجانب الحرف القديمة، وتقدمت المهن العالية كالطب والمحاماة وأصبح أربابها يصعدون السلم الاجتماعي. وتسارع نمو الطبقات الناشئة في المدن في العهد الفرنسي. ووقفت المدينة السورية في وجه المحتل الفرنسي مطالبة بالاستقلال، وتصدر هذا المطلب زعماء تقليديون، معظمهم من المدن، وانضم إليهم زعماء تقليديون من الريف مثل سلطان باشا الأطرش في جبل الدروز بالجنوب. وعندما كانت تشكل الحكومات كان الزعماء الإقطاعيون من الدروز والعلويين ينالون تمثيلاً.

وعندما أراد الفرنسيون تقسيم سورية طائفيًا رفض زعيم الدروز سلطان الأطرش، ولم يرفض عدد من زعماء العلويين، ومنهم شاعرنا.

ثم تبين أن الحركة الوطنية قوية. فانضم شاعرنا إلى الحركة، وكان نائباً ووزيراً عدة مرات.

وقبل أن يخرج الفرنسيون من سورية بمدة قصيرة سلطوا الطائرات والمدافع على دمشق، ١٩٤٥. كان فارس الخوري يومذاك في سان فرانسيسكو يوقع على اتفاق إنشاء هيئة الأمم المتحدة. قتل الفرنسيون ٤٠٠ دمشقي في هذا القصف الوقع.. ثم خرجوا من سورية.

حكم المدنيون سورية ثلاث سنين، ثم جاء الانقلاب الأول بالعسكري «حسني الزعيم»، والزعيم جزء من اسمه، وبعد أربعة أشهر وفي العام نفسه، ١٩٤٩، شرب من الكأس نفسها وأعدم. وجاء مدنيون، ثم جاء العسكري أديب الشيشكلي، ثم أقصي، ثم اغتيل في منفاه.

كان بدوي الجبل دائم التألق، لا يغادر ربطة عنقه ولا بذلته منتظراً القعود في دور سياسي. واتحدت سورية ومصر في ظروف معقدة، وفقد بدوي الجبل، ومعه النخبة السياسية السورية، الدور، فقال في عبد الناصر أهاجي مفعمة بالروح الإقليمية الضيقة، لكنها كانت أشعاراً بليغة لأنها انطلقت من قلب عامر بالعاطفة.. عاطفة الكراهية، والغضب لما لحق به من تهميش. قالها من منفاه.

وانقلب الجيش في سورية على الوحدة، وانفصمت عام ١٩٦١. وبالتدرج تبين أن حزب البعث الذي أمسك بالحكم بعد ذلك بقليل يوجهه ضباط علويون، وأن الطبيعة المدنية والعقائدية له مجرد قناع. كان صلاح جديد ومحمد عمران وحافظ الأسد ثلاثتهم من العلويين، وكان سليم حاطوم درزياً. ولتكملة القصة فإن جديد سجن ٢٣ سنة حتى مات، وعمران اغتيل، وحاطوم أعدم بالرصاص، وأما حافظ الأسد، فحكم سورية، ثم حكمها ابنه بشار بالاستناد إلى قاعدة علوية في الأساس.

على أن العلويين الذين حكموا سورية بعد عام ١٩٦٣ لم يكونوا من سادة الإقطاع، ولا من برجوازية المدن. كانوا ممن يريد القضاء على النخبة القديمة.. لقد محقوا سياسياً أثرياء حمص ودمشق، وعصفوا بالزعامات التقليدية للدروز والعلويين. وفقد شاعرنا للأبد دوره السياسي، فلم يستفد من علويته في الزمن العلوي شيئاً. اللهم إلا في أخريات حياته عندما كان حكم حافظ الأسد حنوياً على الشاعر الشيخ.

راينا بدوي الجبل ينفجر بقصيدة صاحبة عقب هزيمة ١٩٦٧، سخر فيها من الضباط وقرعهم تقرعاً. بعد هذه القصيدة اختطفت جماعة من الأشياء الشاعر وأوسعته ضرباً، وكانت إصابته بالغة، وعاش بعدها حتى عام ١٩٨١، لكن صامتاً عليلًا، ولقي من الحكم العلوي بعض العطف، ولعل صمته كان الثمن.

لم نقل شيئاً عن شعر بدوي الجبل. لكننا في سياق شرحنا أبياته سنعلق على أشياء. ولن ننسى تسويد فرائد أبياته، وله تحليقات جديدة بأن يحفظها المرء ويذاكر بها إخوانه.

التفتُ إلى شعر بدوي الجبل أول مرة عندما سمعت له بيتاً يفتخر فيه بشعره: (الخالدان - ولا أعد الشمس - شعري والزمان). فقلت في نفسي: قد فاتني أن أقرأ الرجل. وعندما قرأته وجدت له أبياتاً قوية غاية القوة. وبعض ما يطلبه المرء في الشعر العمودي: المذاكرة. يجلس المرء مع أصحابه ويتذكرون الأحداث والمواقف، ويرصع المرء كلامه بالمثل وبالنادرة وبيت الشعر. فإذا ما جاء بيت شعر قاعد في محله، معبر عن الموقف تعبيراً حلواً، فاح في المجلس عطر ذكي. فأما إذا استل كل جليس هاتفه وأخذ ينقل عنه فإن المجلس يصبح مجالس، ويغيب الأنس.

قبحاً لمجلس يتصدره الشيخ غوغل!

١ بعد المشيب

يُرْنَحْ شِعْرِي بِاللَّوَى كُلَّ بَانَةٍ وَيَنْدَى بِشِعْرِي فِيهِ كُلُّ كَثِيبٍ
يحرك شعري في موضع «اللوى» الصحراوي كل شجرة من أشجار البان ويجعلها تترنح، وترطب أشعاري كبان الرمل بالندى

ولولا الجراحُ الدامياتُ بِمَهْجَتِي لَأَسْكَرَ نَجْدًا وَالْحَجَارَ نَسِيبِي
النسيب: شعر الغزل في مطالع القضاة

وَعَرَّثَنِي الْأَيَّامُ مِمَّنْ أَحَبُّهُمْ كَأَيْكَ، تَحَامَاهُ الرِّبْعُ، سَلِيبٍ
حرمي الزمن من أحبائي فصرت مثل بستان سلب من البهجة وقد تحاماه، وتجنَّه، الربيع

وَرُبَّ بَعِيدٍ عَنْكَ أَحْلَى مِنَ الْمُنَى وَرُبَّ قَرِيبٍ الدَّارِ غَيْرُ قَرِيبٍ
يحلو البعيد بعينيك فكأنه أحلى من الأمنيات، وقد يكون قريب المكان منك بعيداً عن قلبك

وَوَيْحَ الْعَوَانِي: مَا أَمْنْتُ خُطُوبَهَا وَقَدْ أَمَنْتَ بَعْدَ الْمَشِيبِ خُطُوبِي
الويل للحسناوات فأنا لست آمنة من تأثيرهن في نفسي، وأما هنَّ فلا تأثير لي فيهن بعد مشيبي

٢ باب إلى الله

بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ، مِنْ ثِقْتِي بِلُطْفِ اللَّهِ، بَابُ
ثمة باب يوصلني إلى الله هو ثقتي بلطفه

أَبْدَأُ أَلْوَدُ بِهِ وَتَعُ رِفْنِي الْأَرَائِكُ وَالرَّحَابُ
ألود بالله وألتجئ إليه دوماً، وتعرفني الأرائك، أي مقاعد الجنة، ورحابها

يَا رَبِّ: بَابُكَ لَا يَرُدُّ اللَّائِذِينَ بِهِ حِجَابُ
يا رب: لا يرد أي حجاب أو ستر أولئك الملتجئين إليك

مِفْتَاحُهُ بِيَدِي يَقْبِي مَنْ لَا يُلِمُّ بِهِ أَرْثِيَابُ
مفتاح الباب الموصل لله بيدي، وهو عبارة عن يقين لا شك يُلم به أو يخالطه

وَعِبَادَةُ لَا الْحَشْرُ أَمْ لَاهَا عَلَيَّ وَلَا الْحِسَابُ
وهذا المفتاح هو أيضاً العبادة التي لا يملئها علي، ولا يدفعني إليها، خوف من الحشر والحساب

٣ شماتة بالمحتل ١٩٤١

يَا سَامِرَ الْحَيِّ هَلْ تَعْنِيكَ شَكْوَانَا رَقَّ الْحَدِيدُ وَمَا رَقُّوا لِبَلْوَانَا
أيها القوم في مجلس سمرهم هل تهكم شكوانا؟ لقد رقَّ الحديد ولان ولم ترق قلوب الناس
لبلوانا، أي مصيبتنا

وَيْلَ الشُّعُوبِ الَّتِي لَمْ تَسْقِ مِنْ دِمِّهَا ثَارَاتِهَا الْخُمْرُ أَحْقَاداً وَأَضْغَانَا
الويل للشعوب التي لا تضحي بدمها لأخذ الثأر من الظالمين، ولا تضمهر الحقد والبغض لهم

تَرْتَحُّ السَّوْطُ فِي يُمْنِي مُعَذِّبُهَا رَبَّانٍ مِنْ دِمِّهَا الْمَسْفُوحِ سَكَرَانَا
السوط يهتز في اليد اليمنى لمن يعذب هذه الشعوب، وهذا السوط يترنح كالسكران وقد ارتوى من
دم تلك الشعوب

تُعْضِي عَلَى الذُّلِّ غُفْرَاناً لِظَالِمِهَا تَأْتَقِ الذُّلَّ حَتَّى صَارَ غُفْرَانَا
الشعوب المظلومة تعضي، وتطأطئ الرأس، ذليلة، وتغفر للظالم. لقد صار الذل أنيقاً وتحول إلى
صورة غفران، فيا للمهزلة

أَلَمْ، والليلُ قد أَرْخَى ذَوَائِبَهُ، طَيْفٌ مِنَ الشَّامِ حَيَّانَا فَأَحْيَانَا
بينما الليل قد أرخى خصلات شعره الأسود.. أَلَمْ بنا، أي جاءنا، طيف من الشام وحيانا فأحيانا
وَنَعَشَنَا

فَمَنْ رَأَى بِنْتَ مَرْوَانَ انْحَنَتْ تَعَبًا مِنْ السَّلَاسِلِ يَرْحَمُ بِنْتَ مَرْوَانَ
فكل من رأى الشام، وهي بنت مروان بن الحكم والأمويين، وقد انحنت تعبى من سلاسل المحتل
الفرنسي، يرق لها ويشفق عليها

هل في الشَّامِ، وهل في القدسِ والدَّةُ لا تَشْتَكِي الثُّكُلَ إِعْوَالًا وَإِزْنَانَا؟
فالأمهات في الشام، تحت الاحتلال الفرنسي، وفي القدس، تحت الاحتلال البريطاني والتغلغل
الصهيوني، هذا عام ١٩٤١، كلهن يشتكين الثكل ويصدر عنهن العويل والإرنان، النواح

يُعْطِي الشَّهِيدُ؛ فلا واللَّهِ ما شَهِدْتُ عَيْنِي كِلِحْسانِهِ فِي القَوْمِ إِحْسانَا
الشهيد معطاء، ولا أحد يعطي عطاءه

وِغَايَةُ الجُودِ أَنْ يَسْقِيَ الثَّرَى دَمَهُ عِنْدَ الكِفَاحِ، وَيَلْقَى اللّهُ ظَمْآنَا
قُلْ لِلأَلَى اسْتَعْبِدُوا الدُّنْيَا لِيَسْفِيَهُمْ مَنْ قَسَمَ النَّاسَ أَحْرَارًا وَعُبْدَانَا؟
الألى: الذين

إِنِّي لَأَشْمَتُ بِالْجَبَّارِ بِضَرَعِهِ طَاغَ وَيُرْهِقُهُ ظُلْمًا وَطُغْيَانَا
يا لشماتي بالجبار الفرنسي وقد صرعه عدو طاغ وظلمه، وكانت ألمانيا قد احتلت فرنسا في
بدايات الحرب العالمية الثانية، وهذا زمن القصيدة

سَمِعْتُ بَارِيسَ تَشْكُو زَهْوً فَاتِحِهَا هَلَّا تَذَكَّرْتُ يَا بَارِيسُ شَكْوَانَا
الزهو: التكبر

والخَيْلُ فِي الْمَسْجِدِ الْمَحْزُونِ جَائِلَةٌ عَلَى الْمُصَلِّينَ أَشْيَاخًا وَفَتِيَانَا
كانت خيل العسكر الفرنسي قد دنست المسجد الأموي بدمشق قبل حين

إِذَا انْفَجَرَتْ مِنَ الْعُدْوَانِ بَاكِئَةً لَطَالَمَا سُمِّينَا بَغِيًّا وَعُذْوَانَا
إذا انفجرت بالبكاء يا فرنسا فطالما سمتنا، وعرضتنا، للظلم والعدوان

عَشْرِينَ عَامًا شَرِبْنَا الْكَأْسَ مُتَرَعَةً مِنَ الْأَذَى، فَتَمَلَّيْ صِرْفَهَا الْآنَا
مضت عليك عشرون سنة، منذ ١٩٢١، وأنت يا فرنسا تسقيننا الكأس مملوءة أذى، فتملئي،
جربي، الشراب نفسه صرْفًا خالصًا الْآنَ

مَا لِلطَّوَاعِيتِ فِي بَارِسَ قَدْ مَسَّحُوا عَلَى الْأَرَائِكِ خُدَّاماً وَأَعْوَاناً

ما لي أرى الطواغيت، الجابرة، الفرنسيين قد مسحوا وأخذوا يتصرفون بإزاء الغازي الألماني كالخدم والأعوان وهم جالسون على مقاعدهم لا يحاربون بل لقد شبعوا استسلاماً

تَمَلَّمَلِ الْفَاتِحُونَ الصَّيْدَ وَازْدَلَفُوا إِلَى السِّيُوفِ زَرَافَاتٍ وَوُخْدَانَا

يصف ثورة العرب أيام الحسين بن علي: لقد تحرك العرب الفاتحون الصيد، الكرام السادة، وازدلفوا إلى السيوف، هبوا نحوها، جماعات وأفراداً

وَلِلْجِيَادِ صَهِيلٌ فِي شَكَايِمِهَا تَكَادُ تَشْرِبُهُ الصَّخْرَاءُ أَلْحَانَا

وخيلهم تصهل والشكايم، تلك الحدائد، في أفواهها، وتكاد الصحراء تشرب هذا الصهيل مستمتعة به كأنه الألحان.. فقد قاد الشريف حسين العرب في هجمات ضد جنود الترك في نهايات الحرب العالمية الأولى

السَّابِقَاتِ وَمَا أَرْخَوْا أَعْنَتَهَا وَالْحَامِلَاتُ الْمَنَايَا الْحُمْرَ فُرْسَانَا

هذه الخيول العربية سابقة ولا ترعى لها المقاود، بل تظل مشدودة كناية عن المضي وعدم الاستراحة، وهي تحمل فرساناً هم كالموت الأحمر على عدوهم

شَدَّ الْحُسَيْنُ عَلَى الطُّغْيَانِ مُقْتَحِماً فزلزلَ اللَّهُ لِلطُّغْيَانِ بُنْيَانَا

اقتحم الشريف حسين بجنوده معاقل الظلم التركي فزلزل الله بنيان الظالمين

يَا صَاحِبَ النَّصْرِ فِي الْهَيْجَاءِ كَيْفَ غَدَا نَصْرُ الْمَعَارِكِ عِنْدَ السَّلْمِ خِذْلَانَا؟

أيها الشريف حسين! يا من انتصر في الحرب.. كيف تحول النصر إلى خذلان لك من جانب حلفائك الإنجليز؟

تَرَى السِّيَاسَةَ لَوْنًا وَاحِداً، وَيَرَى لَهَا حَلِيفُكَ أَشْكَالاً وَأَلْوَانَا

أنت ترى السياسة لوناً واحداً، هو الصدق المحض، ولكن حليفك الغادر يراها أشكالاً وألواناً

٤ رسالة إلى أبي

يَا رَاكِبَ الْوَجْنَاءِ، أَخْمَلَ عَهْدُهَا إِلَّا ظِمَاءً فِي الْقَلَاةِ طَلَاحَا

يخاطب راكب السيارة ويسمى باسم الناقة، والناقة الوجناء هي الغليظة ذات الوجنتين البارزتين، ويتحسر على الإبل فالسيارة أخملت، أي ذهبت بشهرة، الإبل الظائمة الطلاح، أي المتعبة في القلاة، أي الصحراء. يريد الشاعر أن يستعرض معجمله العتيق!

انْزِلْ عَلَى خَيْرِ الْأَبْوَةِ رَحْمَةً تَسْعُ الْحَيَاةَ وَعِقَّةً وَصَلَاحَا

انزل يا راكب السيارة على خير أب، على أبي الحنون الذي يتميز بالعفة والصلاح

يَسْكُو السَّقَامَ فَإِنْ هَتَفَتْ أَمَانَهُ بِاسْمِي تَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَارْتَاحَا

التسويد لعمران القفيني

وَأَطْلُ حَدِيثِكَ يَسْتَعِيدُهُ تَعَلُّلاً بِالذِّكْرِ لَا لِتَزِيدَهُ إِضَاحَا
حدثه عني واسترسل في حديثك وسيستعيده تعللاً بذكره وتلذذاً بحديثك عني، وليس لأنه يطلب توضيحاً

وَإِذَا أَلَحَّ فَلِلْحَنَانِ عُذُوبَةٌ فِي مُقْلَتَيْهِ تُحَبِّبُ الْإِلْحَا
وإذا ألح عليك فستجد في عينه حنان الأبوة الذي يجب لك إلحاحه

٥ عيد الجلاء

القصيدة من بنات عام ١٩٤٦، وفي ١٧ نيسان/أبريل منه انسحب آخر جندي فرنسي من سورية. ويوجد اليوم - ونحن نكتب هذا الشرح في مارس ٢٠١٧ - جنود من ثلاث دول في سورية، ومقاتلون من بضع عشرة دولة أخرى

الرَّغَارِيدُ فَقَدْ جُنَّ الْإِبَاءُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ هَذِي الْكِبْرِيَاءُ
لتطلق الزغاريد بمناسبة جلاء المستعمر فقد انتشينا بالفخر وبرفضنا الذلَّ حدَّ الجنون، وكبرياء
كهذه هي من صفات الله

بِنْتُ مَرَوَانَ اضْطَفَاها رَبُّهَا لَا يَشَاءُ اللَّهُ إِلَّا مَا تَشَاءُ
لقد اختار الله بنت مروان، أي الشام التي كان يحكمها الأمويون من بني مروان، والله يرضى ما ترضى

هِيَ فِي غَسَّانَ بَاسٌ وَنَدَى وَهِيَ فِي الْإِسْلَامِ فَتْحٌ وَبَلَاءُ
الشام أيام الغساسنة قوة وسخاء، ومع قدوم الإسلام أصبحت الشام عنوان فتح وبلاء حسن وشجاعة في المعارك

جَمْرَةُ الْحَقِّ، فَسُبْحَانَ الَّذِي صَاعَ هَذَا الْجَمْرَ مِنْ ظِلِّ وَمَاءِ
الْوُرُودِ الْحُمْرِ ذِكْرِي وَهَوِيَّ وَطُيُوفٍ مِنْ جِرَاحِ الشُّهَدَاءِ
الورود الحمر لها معاني شتى... منها أنها طيوف، أشباح، تذكرنا بجراح الشهداء

خِيَلَاءِ الْحَقِّ فِي عَدَنِ لَكُمْ يَغْفِرُ اللَّهُ لِقَوْمِي الْخِيَلَاءِ
أيها الشهداء لكم في الجنة أن تختالوا والله يغفر هذه الخيلاء، الزهو والافتخار

وَاعْذِرُوا عَدْنَاً عَلَى غَيْرَتِهَا إِنَّهَا وَالشَّامَ فِي الْحُسْنِ سَوَاءُ
والتمسوا العذر لجنات عدن لإحساسها بالغيرة، فهي جميلة مثل الشام، والجميلة غَيْرَى

كَيْفَ أَنْسَى يَا زَعِيمِي لَيْلَةً عَصَفَتْ نِيرَانُهَا بِالْأُبْرِيَاءِ

كيف أنسى أيها الزعيم، شكري القوتلي، الليلة التي قصفت فيها فرنسا المدنيين بالمدافع

غُوطَةُ الشَّامِ جَحِيمٌ فَأَيْسُرُ وَالْمِيَادِينُ طِعَانٌ وَرِمَاءُ

الطعان: الضرب بالرماح، والرماء: رمي السهام

مَا شَكَى الشَّاكُونَ فِيهَا ظَمَأً أَكْثَرُ الْحَقْدِ رَوِيَّاتٍ مِلَاءُ

في تلك الجحيم لم يشك المناضلون العطش، فقد كانت كؤوس الحقد على المحتل رويةً وممتلئة

مَلَكَ الطَّاعِي الثَّنَابَ عَنُوءٌ وَاسْتَحَرَّ الْقَتْلَ وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ

الثنابا: الطرق الجبلية، استحر: اشتد وصار حاراً، البلاء: القتال

وَتَجَارَى الْأُمُيُّوْنَ إِلَى عَمْرَةِ الْمَوْتِ، وَفَارَ السُّعْدَاءُ

تجارى الأمويون، تراخض أهل الشام نحو الموت، وفاز بالشهادة السعداء منهم

جُنَّتِ النَّخْوَةُ قَحْطَانِيَّةٌ وَهِيَ عَزْلَاءُ، وَجُنَّ الْأَقْوِيَاءُ

النخوة اشتعلت في النفوس وكانت قحطانية عزلاء غير مسلحة، وجن الفرنسيون من هذه الشجاعة (والأمويون عدنانيون قرشيون، ولكن الغساسنة الذين حكموا الشام في الجاهلية يمنيون قحطانيون)

عُنْفُ بَارِيسَ شَجَانِي أَمْرُهُ بِذَعَةِ الْأَقْدَارِ عُنْفُ الْجُبْنَاءِ

أحزنتي وأربكني عنف الفرنسيين، وإنها لإحدى غرائب القدر أن يكون الجبان عنيفاً

٦ بدعة الذل ١٩٥٠

في الذكرى الخامسة عشرة لوفاة المناضل إبراهيم هنانو

مُحِيتْ أَشْهُرُ الرَّبِيعِ، فَلَا أَيْ - سَارُ مِنْ دَهْرِنَا وَلَا نَيْسَانَ

أيار: مايو، نيسان: أبريل

لَا شَقِيقُ النُّعْمَانِ فِي غُوطَةِ الشَّامِ م، وَلَا عِظْرُهُ وَلَا النُّعْمَانُ

لم يعد ثم في غوطة الشام شقائق النعمان ولا عطرها ولا النعمان نفسه (وكان من ملوك الغساسنة في الشام النعمان بن المنذر، وكان عند المناذرة في العراق النعمان بن المنذر أيضاً... فتأمل) وبالمناسبة فشقائق النعمان لها رائحة بغيضة وزوالها من المستحبات، لكن الشاعر ظن أن قراءه ومستمعيه لم يشموا الشقائق في حياتهم

يَعْرِفُ الْفَجْرُ أَنَّ دَمْعِي أَصْفَى مِنْ نَدَاهُ، وَيَعْرِفُ الرِّيحَانُ

تَعْرِفُ الرَّاحُ أَنَّ دَمْعِي سُلَافٌ وَجُفُونِي كُؤُوسُهَا وَالِدَّنَانُ

السلاف: أجود الخمر، والدنان: خوابي الخمر الكبيرة

أَنَا أَبْكِي لِلَّيْلِ أَوْحَشَهُ الْبَدْرُ رُ، وَلِلْقَلْبِ هَذَهُ الْجِرْمَانُ
أبكي لليل وقد أوحشه غياب البدر، وللقلب وقد أثقله الحرمان

أَنَا أَبْكِي لِلْهَمِّ يَأْوِي إِلَى الْقَلْبِ ب، فَيَقْسُو عَلَى الْقَرِيبِ الْمَكَانُ
أَنَا أُرْثِي لِلْمُتَرْفِينَ فَمَا يُبْدِ دَعُ إِلَّا الشَّقَاءَ وَالْأَخْزَانَ
أرثي لحال الأغنياء السعداء! نعم، لأن الإبداع لا يأتي إلا ممن يعانون الشقاء والحزن. فـ/
مساكين الأغنياء

وَأَنَا الْمُتَرْفُ الْأَنِيقُ، وَلَكِنْ تَرْفِي صَاغَ فَتَنَّهُ الرَّحْمَنُ
لكنني مترف وغني - وكان شاعرنا كذلك فعلاً - لكن ترفي مختلف.. إنه من صنع الله

أَنَا أَبْكِي لِكُلِّ قَبْدٍ، فَأَبْكِي لِقَرِيبِي تَغْلُهُ الْأَوْزَانُ
أبكي لكل تقيد للحرية، حتى للشعر لأن الوزن يقيده

وَهُمُومِي مُعْطَرَاتٌ، عَلَيْهَا مِنْ شَبَابِي الطُّمُوحُ وَالرَّيْعَانُ
همومي هموم الشاعر المحلق فهي معطرة، وشبابي يضفي عليها طموحاً وريعاناً، والريعان أول
الشباب

لَمْ أَضِيقْ بِالْهُمُومِ قَلْباً، وَهَلْ ضَا قَ بِشَتَّى عُطُورِهِ الْبُسْتَانُ
وَالْهُمُومُ الْجِسَانُ تَفْعَلُ فِي الْأَنْدِ هُفْسِي مَا تَفْعَلُ الْغَوَانِي الْجِسَانُ
الهموم تبعث الشعر والفن، وتفعّل في النفس ما يفعله جمال الجميلات من توق وشوق وغبط
وحنين، ومن حسد لأزواج أولئك الجميلات

وَأَنَا الْوَالِدُ الرَّحِيمُ، وَأَبْنَا نِي هُمُومُ الْحَيَاةِ وَالْأَشْجَانُ
عَقَّنِي الْأَقْرَبُونَ فِي غَمْرَةِ الْخَطِّ ب، وَعَقَّتْ اللَّدَاتُ وَالْإِخْوَانُ
اللدات: الأقران والأصحاب

سَوْفَ يُمَلِّي التَّارِيخُ عَنِّي مَا يُمَدِّ لِي، فَتَخْزِي بِظُلْمِي الْأَوْطَانُ
سيسجل التاريخ قصتي وسيصيب الخزي وطني الذي ظلمني

ابْنَ حُرِّيَّتِي؟ فَلَمْ يَبْقَ حُرّاً مِنْ جَهْرِ النَّدَاءِ إِلَّا الْأَذَانُ

كانت سورية وقت إلقاء القصيدة، في نوفمبر تشرين الثاني ١٩٥٠، قد خرجت من انقلابي حسني
الزعيم فسامي الحناوي، وآل الحكم إلى الرئيس هاشم الأتاسي.. ويصف الشاعر تلك الفترة بأنها
فترة تقيد للحرريات، فلم يكن مسموحاً بأي نداء سوى الأذان

نَحْنُ تَارِيخُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْفَخْرُ مُمْ، وَنَحْنُ الْمَكَانُ وَالسُّكَّانُ
تَخْجَلُ الْخَيْلُ بِالذَّلِيلِ إِذَا صَا لَتْ، وَيَشْقَى سَرْجٌ وَيَشْكُو عِئَانُ
يَتَلَوَّى عَلَى الْجِبَالِ فُنُونًا أَوْزِيرٌ فِي الدَّسْتِ أَمْ بَهْلَوَانُ؟

الذليل يتلوى وهو يمسك بحبل الحصان ويتفنن في التيه، فهل هو وزير في دست الحكم، أي مجلسه، أم بهلوان؟ وكان حسني الزعيم صاحب أول انقلاب، ١٩٤٩، يفاخر بأنه ألغى حكم العائلات الإقطاعية. . وشاعرنا كان من قبل وزيراً، في أكثر من حكومة، عن عائلة إقطاعية في عهد الاحتلال الفرنسي

أَنْسُوا مِنْهُ بِالنُّعُومَةِ وَاللِّبِ نِ، وَلَا يَدْعُ، إِنَّهُ أَفْعُوَانُ
أنس الوزراء بنعومة ولين الرئيس المدني هاشم الأتاسي. . لا عجب فهو أفعوآن

لَيْسَ خَلْفَ الْبُرُودِ إِلَّا هَبَاءٌ فَاحْكُمِ النَّاسَ أَيُّهَا الطَّيْلَسَانُ
خلف برود، ثياب، الرئيس المدني هباء. . فهو مفرغ من القيمة السياسية - ذلك أن العسكر سلموه الحكم تسليمًا وحكموا من ورائه - حسنًا. . احكمي الناس أيها البذلة

لَا يُهَيِّنُ الشُّعُوبَ إِلَّا رِضَاهَا رَضِيَ النَّاسُ بِالْهَوَانِ فَهَانُوا
التسويد للشاعر الصديق عمران القفيني

يَدْعُهُ الذَّلُّ حِينَ لَا يَذْكُرُ الْإِنَ سَانُ فِي الشَّامِ أَنَّهُ إِنْسَانُ
أَنْتَ أَقْوَى مِنَ الْمَنَايَا وَأَقْوَى مِنْ أَذَى الدَّهْرِ فَاسْتَفِئْ يَا هَنَانُ
يهيب بالمناضل إبراهيم هنانو الذي مات قبل خمس عشرة سنة أن يصحو لبواجه الحكام الحاليين

٧ نم بقلبي

في ذكرى سعد الله الجابري

نَمْ بِقَلْبِي، وَلَوْ قَدَّرْتُ مَنَعْتُكَ قَلْبَ، حَتَّى نَقَرَّ فِيهِ، الْخُفُوقَا
نم في قلبي أيها المناضل، سعد الله الجابري، ولو استطعت لمنعت قلبي من الخفقان حتى تستقر فيه مرتاحاً

نَمْ بِعَيْنِي، فَقَدْ قَرَشْتُ لَكَ الْأَحْ لَامَ، مُخْضَلَّةَ الْوُرُودِ، طَرِيقَا
نم في عيني، وقد قرشت فيها لك طريقاً من الأحلام وعلى جانبيه الورد الممضلة، الندبة
إِنَّ قَلْبِي خَمِيلَةٌ تُنَبِّئُ الْأَحْ زَانَ: وَرَدًا وَتَرْجِسًا وَشَقِيقَا

خميلة: بستان

أَنَا وَالْهَمُّ، كُلَّمَا أَقْبَلَ الْهَمُّ - مَشُوقٌ يَلْقَى أَخَاهُ الْمَشُوقَا
 سَكِرَ الشَّعْرُ مِنْ سُلَافِي، وَعَبَّتْ - مِنْ دِنَانِي فَجُنَّتِ الْمُسَبِقَا
 لَا تَلُمْنَا إِذَا تَرَكْنَا الْمِيَادِي - نَ سُمُورًا بِحَقْنَا وَوُثُوقَا
 لا تلمنا، أيها المرحوم سعد الله الجابري، إذ ترانا تركنا ميدان السياسة مترفعين عارفين قدر أنفسنا

فَالْأَصِيلُ الْعَتِيقُ يَأْنَفُ شَوْطًا - لَمْ يُشَاهِدْ فِيهِ أَصِيلًا عَتِيقَا
 فَالْحِصَانُ الْعَتِيقُ، الْأَصِيلُ، يَأْنَفُ الشَّوْطُ، الْحَلْبَةُ، الَّذِي لَمْ يَشَاهِدْ فِيهِ حِصَانًا أَصِيلًا مِثْلَهُ
 ذَلَّ شَوْطٌ يَكُونُ بَيْنَ الْبَرَادِي - نِ، فَلَا سَابِقًا وَلَا مَسْبُوقَا
 وذليل هو ذلك المضمار، وتلك الحلبة، حيث البرادين، البغال، فلا سابق ولا مسبوق في مثل
 هذا المضمار بل هو مرتع للبغال

لَمْ تُحْمِجْ تَحْتَالُ بِالْحُسْنِ وَالْقُوْ - قَ، بَلْ حَمَحَمَتْ تُرِيدُ الْعَلِيْقَا
 والبغال لا تصدر صوت الحممة، الصهيل الخفيف، تيهًا بجمالها وقوتها، بل هي تطلب به
 العليق، العلف

مَا نَزَلْنَا عَنِ السُّرُوجِ عِيَاءَ - لَوْ رَكِبْنَا لَمَا أَطَاقُوا اللَّحُوقَا
 لم نزل عن السروج، ولم ترك العمل السياسي، إرهاقًا. . ولو مارسناه لما لحقنا أحد في ميادين
 سُدَّةُ الْحَكْمِ بَعْدَ آسَادٍ خَفَا - نَ تَضُمُّ الْأَحْلَافَ شَاءَ وَثُوقَا
 فعلى سدة الحكم الآن - بعد انقضاء زمن أسود منطقة خفان - أحلاف من الشياه والنياق

أَبْطَرَ الْحَاقِدِينَ جِلْمُ أَبِي حَسَّ - نَ، وَالْحِلْمُ أَنْ تُقْبَلَ الصَّدِيقَا
 والرئيس أبو حسان - شكري القوتلي - قد دلل الحاقدين حتى بطروا وأنكروا النعمة، وعلمنا أن
 نكون حليمين فنغض عن خطاه

إِنَّ غُنْفَ الْعِنَابِ يُؤْذِي أَحِبًّا - يَ، وَأَخْلَاهُ مَا يَكُونُ رَقِيقَا
 جَمْرَةُ الْحَقْدِ فِي السَّرَائِرِ لَوْلَا - دُلُّ أَصْحَابَهَا لَسَبَّتْ حَرِيقَا
 الحقد كالجمرة في سرائر الحاقدين، أي ضمائرهم، ولولا ذلتهم لشب حريق من هذه الجمرة

قَدْ أَرَقْنَا دِمَاءَنَا فَسَلُّوْهُ - أَيُّ دَمْعٍ مِنْ مُقْلَتَيْهِ أَرِيقَا
 حَمَلُوْهُ مَا لَا يُطِيقُ، وَكَانَتْ - بِدْعَةٍ تُخْجِلُ الْعُلَى أَنْ يُطِيقَا
 لقد حملوا الرئيس المضعوف أكثر من طاقته، ولو كان يطيق التصدي لكان ذلك بدعة لا ترضى بها
 المعالي، فهو ليس أهلاً

دَعَكَ مِنْ زَحْمَةِ الْعَوَاصِفِ وَاتْرَكَ لِلْعُقَابِ السَّمَاءَ وَالتَّخْلِيْقَ
خَلَقَ اللَّهُ لِلْعَظَائِمِ وَالْمَجْدِ قَرِيقاً، وَلِلصَّغَارِ قَرِيقاً
الصغار: الحقارة. أهذا هو العتاب «الريق» يا شاعرنا؟

٨ يا وحشة الثَّار

في تنويع فيصل الثاني على العراق ١٩٥٣

أَبْطَمَعَ الشَّعْرُ بِالْإِحْسَانِ يَغْمُرُهُ وَالشَّعْرُ يَغْمُرُ دُنْيَا اللَّهِ إِحْسَانًا
لا يطعم الشعر ولا الشاعر بإحسان الناس، فالشعر يغمر الدنيا إحساناً. يريد الشاعر أن يقول إنه
يصح في مناسبة تنويع فيصل الثاني، وقد بلغ الثامنة عشرة، لا لأجل المال بل لتعلقه بإرث
الهاشميين

لَوْ شَاءَ أَنْزَلَ بَدْرَ التَّمِّ فَاحْتَفَلْتُ بِهِ النَّدَامَى سِرَاجاً فِي زَوَايَانَا

لو شاء الشعر لأنزل البدر عند تمامه لكي يكون مجرد سراج في الزاوية يحتفي به
السمار. بيت جميل كالذي قبله.. ولكننا نقف وقفة نقلد فيها النقاد القدامى: ما
أوفحك أيها الشاعر، تقول شعراً في ملك لم يكده يعتدل التاج على رأسه، وتفجؤه
بصورة البدر نازلاً وقاعداً في زاوية؟ سبقت المتنبي في الوقاحة عندما كان أول بيت
قاله في مدح كافور: كفى بك داء أن ترى الموت شافياً، وسبقت جبراً في قوله
لعبد الملك: أتصحو؟ بل فؤادك غير صاح. وعذر الشاعرين القديمين مبسوط متاح:
فكلاهما تكلم عن أحزان قلبه. وأنت ذهبت بك الكبرياء كل مذهب.. ثم رحت
تجذف. انتظر التجديف في الأبيات اللاحقة

نُشَارِكُ اللَّهَ، جَلَّ اللَّهُ، قُدْرَتَهُ وَلَا نَضِيقُ بِهَا خَلْقاً وَإِتْقَانَا
وَأَيْنَ إِنْسَانُهُ الْمَصْنُوعُ مِنْ حَمَلٍ مِمَّنْ خَلَقْنَاهُ أَطْيَاباً وَالْحَنَانُ!
يقارن بين الإنسان الذي خلقه الله من حمأ، طين، وبين الشعر الذي يخلقه الشاعر من الطيب
والألحان

يَا خَالِقَ الْقَلْبِ! أَبْدَعْنَا صَبَابَتَهُ يَا خَالِقَ الْحُسْنِ! أَبْدَعْنَاهُ أَلْوَانَا

يخاطب الله ﷻ: يا من خلق القلب! نحن الشعراء أبدعنا للقلب الصبابة، العشق؛ ويا من خلق
الجمال! نحن جعلناه ألواناً شتى بخيالاتنا

نُشَارِكُ النَّاسَ بِلَوْاهِمُ وَإِنْ بَعْدُوا وَلَا نُشَارِكُ أَذْنَاهُمْ بِبَلَوَانَا

يفتخر الشاعر: نحن الشعراء نشارك الناس في أحزانهم ولو بعدوا، ولا نشاركهم في أحزاننا نحن
وإن قرَّبوا

صَمَّتْ مَحَبَّتُنَا الْأَشْتَاتَ وَاتَّسَعَتْ تَحْنُو عَلَى الْكُونِ أَجْنَاساً وَأَدْيَانَا

سَتَنْطَوِي الْجَنَّةُ النَّشْوَى فَلَا مَلَكًا وَلَا نَعِيمًا وَلَا حُورًا وَوَلَدَانَا

لن تبقى الجنة المتشوية بالفرح، فلا ملائكة ولا نعيم ولا حور ولا ولدان

يَفْنَى الْجَمِيعُ، وَيَبْقَى اللَّهُ مُنْفَرِدًا فَلَا أَنْيْسَ لِنُورِ اللَّهِ لَوْلَانَا

ويبقى الله .. والذي يعبر عن نور الله هم الشعراء

يَا صَاحِبَ النَّاجِ! دُنِيََا اللَّهُ مَا عَرَفْتُ إِلَّا عَمَائِمَكُمْ فِي الشَّرْقِ تَبِجَانَا

هذا مدح خالص: يا فيصل الثاني! التيجان الحقيقية في الشرق هي عمام آل هاشم

أَصْفَيْتُ آلَ رَسُولِ اللَّهِ عَاطِفَنِي وَكُنْتُ شَاعِرَكُمْ نُعْمَى وَأَحْزَانَا

وما رَضَيْتُ جَزَاءً فِي مَوَدَّتِكُمْ لَا يَعْدِمُ الْحُرَّ أَقْوَاتًا وَأَكْفَانَا

لم أقبل بمكافأة على حبي لكم، والحر لن يموت من جوع، وإن مات لم يعدم الكفن

وَأَكْرِمُ الْعَبْدَ عَنْ عَثَبٍ هَمَمْتُ بِهِ لَوْ شِئْتُ أَوْسَعْتُهُ جَهْرًا وَتَبِيبَانَا

وسأكرم بهذه المناسبة بعدم ذكر عتاب كنت نويت أن أبوح به، ولو شئت لجهرت

به.. وكانت الأسرة الهاشمية تحكم الأردن، وضاعت فلسطين ولم تنقذها جيوش

العراق والأردن وغيرها من الدول العربية، وكان عبد الله الأول بن الحسين ملك

الأردن وقت ضياع فلسطين القائد العام للجيش العربية، وعبد الله أخو جد فيصل

الثاني الممدوح

قَدْ اسْتَرَدَّ السَّبَايَا كُلَّ مِنْهَزِمٍ لَمْ تَبَقْ فِي رِقَّتِهَا إِلَّا سَبَايَانَا

وَمَا لَمَحْتُ سِبَاطَ الظُّلَمِ دَاسِيَةً إِلَّا عَرَفْتُ عَلَيْهَا لَحْمَ أَسْرَانَا

وَلَا نَمُوتُ عَلَى حَدِّ الظُّبَا أَنْفَاءً حَتَّى لَقَدْ خَجَلْتُ مِنَّا مَنَابِنَا

الظبا: شفرات السيوف

يَا وَخْشَةَ الثَّأْرِ! لَمْ يَنْهَدْ لَهُ أَحَدٌ فَاسْتَنْجَدَ الثَّأْرُ أَجْدَانًا وَأَكْفَانَا

الثأر لنكبة فلسطين يشعر بالوحشة لأنه لم ينهد، ينهض، أحد للأخذ به، فراح الثأر يستنجد التاريخ

القديم

٩ الحدود المصطنعة

يَا بُنَاةَ الْهَدُودِ لَا تَعْرِفُ الصَّحْءَ مَرَاءً فِي رَحْمَةِ الْأَعَاصِيرِ حَدًّا

وكانت الحدود، والقصيدة بنت عام ١٩٣٩، قد أصبحت راسخة بين الشام والعراق

١٠ ولا أعدُّ الشمس!

كَافُورٌ قَدْ جُنَّ الزَّمَانُ وَإِلَيْكَ أَلِ الصَّوْلُجَانُ

هذه القصيدة في هجاء جمال عبد الناصر، يشبهه الشاعر بكافور الإخشيدي. وكان بدوي الجبل من أشد معارضي الوحدة بين سورية ومصر عام ١٩٥٨

الهاشميُّون انْطَوَوْا وَأُمِّيَّةٌ كَانُوا قَبَانُوا

بانوا: ابتعدوا

كَافُورٌ جَمَعَ حَوْلَ عَرٍ شَيْكَ كُلٌّ مَنْ حَقَّدُوا وَهَانُوا

هانوا: ذلُّوا

حَرَّكَ دُمَاكَ فَمِنْ أَرَذٍ تَ قَسَّوْا، وَإِنْ آثَرْتَ لَأَنْوَا

حرك دماك، جمع دمية، فهم ينفذون أوامرك. وكان عبد الناصر قد جعل عبد الحميد السراج السوري يده اليمنى في سورية، وكان قاسياً، وحدث أن طلب إليه عبد الناصر مرة أن يخفف قبضته، ثم بعد ذلك جعل فوقه عبد الحكيم عامر. فكان في تعيينه الإسراع في خراب الوحدة

التَّاعِمُونَ عَلَى الْيَهُو دِ، عَلَى رَعِيَّتِكَ الْخِشَانُ

أَشْبَعْتَ بِالْخُطْبِ الْجِبَا عِ، فَكُلُّ هَادِرَةٍ خِيَانُ

أشعبت بخطبك الجائعين! يهزأ. فكل خطبة هادرة صاحبة بمثابة خيان، مائدة

إِلْحَنُ وَكَرَّرْ مَا تَشَا ءُ فَإِنَّهَا الْخُطْبُ الْحِسَانُ

وكان عبد الناصر يخطب بالعامية في مصر وبالفصحى في الشام وكان غير بعيد عن الخطأ النحوي

كَافُورٌ قَدْ عَنَتِ الْوُجُو هُ فَكَيْفَ لَا يَعْنُو الْبَيَانُ؟

عنت الوجوه، خضعت، وبالتالي خضع البيان، خضع الشعر والأدب والإعلام

هَمَدَتْ حَمِيَّتُنَا عَلَى الْـ جُلَى، وَمَاتَ الْعُنْفُوانُ

خمدت حماستنا للجلى، لعظائم الأمور، ولم يعد فينا عنفوان

وَالذُّلُّ أَطْيَابُ الْعَبِيدِ دِ، فَمَا الْبَحُورُ وَمَا اللَّبَانُ؟

العبيد يستحسن منهم سادتهم أن يكونوا أذلاء، فهذا هو عطرهم، لا البخور ولا اللبان العطري

وَالظُّلُمُ مِنْ طَبَعِ الْجِبَا نِ، وَكُلُّ طَاغِيَةٍ جِبَانُ

أُمَرِّقُ الْأَرْحَامَ! لَا يُبْـ نَى عَلَى الْحِقْدِ الْكِيانُ

وَالشُّثْمُ مِنْ آلَاتِ نَصْرِكَ، لَا الضَّرَابُ وَلَا الطَّعَانُ
كان الإعلام المصري يستخدم السخرية والألفاظ الرديئة لإسقاط بعض الزعماء العرب في أعين
شعوبهم.. مثال: «حسين بن زين» لملك الأردن، و«شخبوط بن لخبوط» لأمير أبو ظبي سلف
زايد بن سلطان

مَنْ أَنْتَ؟ عَاصِفَةٌ وَتَذْ هَبْ مِثْلَمَا انْقَشَعَ الدُّخَانُ
مَنْ أَنْتَ؟ لَوْلَا صَوْلَةُ الطُّ- غِيَانِ؛ أَنْتَ إِذْنُ فُلَانُ
كَافُورُ عَرْشِكَ لِفَنَّا ءِ، وَرُبَّمَا أَنَّ الْأَوَانُ
الْخَالِدَانِ، وَلَا أَعُدُّ- الشَّمْسَ، شِعْرِي وَالزَّمَانُ
فالشمس ليست خالدة.. فقط شعر بدوي الجبل والزمان

١١ فرعون عاد

فِرْعَوْنُ عَادَ فَكَيْفَ كَيْفَ، وَقَدْ عَصَفْتَ بِهِ يَمُودُ؟
فرعون القديم قد عاد لمصر في صورة جمال عبد الناصر، فكيف يا رب يعود بعد أن عصفت به
وأغرقت؟ القصيدة تعود لسنة ١٩٦٦

أَرْضُ الْكِنَانَةِ مَا بِهَا إِلَّا الْمُتَوَجُّعُ وَالْمَعْبِيدُ
يَا قَاتِلًا يَا خَا هُ، كَلَا قَتَيْلِكَ الشَّهِيدُ
كُذِّبَ لِلنَّبِيِّ وَدِينِهِ اللَّهُ فَوْقَكَ إِذْ تَكِيدُ
بَادَ الطُّغَاةُ جَمِيعُهُمْ أَمَا الشُّعُوبُ فَلَا تَبِيدُ

١٢ عاد الغريب

نظمها وقد عاد من غربة قسرية

تَحْنُو عَلَى الْيَأْسِ فِي قَلْبِي فَتَغْمُرُهُ نُورًا، وَتُبْدِعُ فِيهِ الصَّبْرَ وَالْجَلْدَا
يتغزل بامرأة فهي تحنو على قلبه وتزوده بالجلد، أي الصبر

حُورِيَّةٌ طَافَ جَبْرِيلُ بِجَنَّتِهِ يَرِيدُ نِدَاءَ لِرِيَّاهَا فَمَا وَجَدَا
طاف جبريل بالجنة يبحث عن حورية تكون مساوية في رياها، عطرها، لهذه المرأة فما وجد

يَسُومُنَا الصَّنَمُ الطَّاعِي عِبَادَتَهُ لَنْ تَعْبُدَ الشَّامُ إِلَّا الْوَاحِدَ الْأَحَدَا
يهجو عبد الناصر بعد فض الوحدة بين مصر وسورية

وَجْهَ الشَّامِ، الَّذِي رَقَّتْ بِشَاشَتُهُ مِنْ النِّعَمِ، لِغَيْرِ اللَّهِ مَا سَجَدَا
 جَهْدُ الْعَفَاةِ مِنَ الْعَمَالِ جَزِيَّتُهُ وَكُلُّ مَا قَطَفَ الْفَلَّاحُ أَوْ حَصَدَا
 جهد العفاة، الفقراء، من العمال يذهب كأنه الجزية، وكذا محصول الفلاح
 هَذَا الْمُدِلُّ عَلَى الدُّنْيَا بِصَوْلَتِهِ مَا صَالَ إِلَّا عَلَى قَوْمِي وَلَا حَشْدَا
 هذا المزهو بصولته، قوته، لا يصول ولا يحشد قوته إلا على قومي

١٣ الاختصار

جنيف ١٩٦٣

قَدْ اخْتُصِرَتْ دُنْيَا بِقَلْبِي وَعَالَمٌ كَمَا اخْتَصَرَ الْعِلْمَ الشَّتِيتَ رَقِيمٌ
 هذه الفاتنة اختصرت الدنيا ووضعتها في قلبي العاشق، مثلما يختصر الرقيم، الكتاب، العلم
 الشتيت، أي المفرق، بين صفحاته
 وَتَوَجَّزُ فِي قَارُورَةِ الْعِطْرِ رَوْضَةٌ وَتَوَجَّزُ فِي كَأْسِ الرَّحِيقِ كُرومٌ
 هذا مثلما تجتمع خلاصة البستان في قارورة عطر، ومثلما يجتمع في كأس الرحيق، أي الخمر،
 كروم العنب

وَأَعْرِضْ إِعْرَاضَ الْخَلِيٍّ مِنَ الْهَوَى وَبِي مِنْ هَوَاهَا مُقْعِدٌ وَمُقِيمٌ
 أعرض عنها كأنني خلي، خالي القلب من العشق، ولكن هواها يقيمني ويقعدني قلقاً وانشغالاً

١٤ النكسة ١٩٦٧

أَيْهَا الْمُسْتَعْبِرُ أَلْفَ عَنَادٍ لِأَعَادِيكَ كُلِّ مَا تَسْتَعْبِرُ
 الْقِلَاعُ الْمُحَصَّنَاتُ، إِذَا الْجُب بِنُ حَمَاهَا، خَوْرَنْقٌ وَسَدِيرٌ
 القلاع الحصينة تصبح مجرد قصور، مثل الخورنق والسدير قصري المناذرة في العراق، إذا كانت
 في حماية الجبان

لَمْ يُعَانَ الْوَعَى لِوَاءٍ وَلَا عَا نِي فَرِيقَ أَهْوَالِهَا وَمُشِيرُ
 لم يذق أصحاب الرتب العسكرية الكبيرة أهوال الحرب

رُتَبٌ صَنَعَةُ الدَّوَاوِينِ مَا شَا رَكَ فِيهَا قُرُّ الْوَعَى وَالْهَجِيرُ
 هذه الرتب لم تصنع في الميدان بل في مكاتب الحكم، ولم يشارك في صنعها القر، البرد،
 والهجير، الحر، في ميدان القتال

وَتَطِيرُ النُّسُورُ فِي رَحْمَةِ النَّجْمِ حم، وفي عُشِّهِ الْبُغَاثُ يَطِيرُ
النسور تطير عالياً حتى لتزاحم النجوم، وأما البغاث، الطيور الضعيفة، فتحوم حول أعشاشها
جَبُنَ الْقَادَةَ الْكِبَارَ وَقَرُّوا وبَكَى لِلْفِرَارِ جَيْشُ جَسُورِ
هُزِمَ الْحَاكِمُونَ وَالشَّعْبُ فِي الْأَصْدِ فإِد، فالحُكْمُ وحدهُ الْمَكْسُورُ
الأصفاذ: القيود

نحن أسرى، ولو شَمَسْنَا على الْقَيْدِ إِد لَمَّا نَالْنَا الْعَدُوَّ الْمُغِيرِ
شمسنا: تمردنا

لَا تُشَقُّ الْجُبُوبُ فِي مِحْنَةِ الْقُدِّ س، وَلَكِنَّهَا تُشَقُّ الصُّدُورُ
لن يَعِيشَ الْغَازِي فِي الْأَنْفُسِ الْحَقْدِ إِد عَلَيْهِ، وفي النُّفُوسِ السَّعِيرِ
أَشْتَرَاكِئَةً! وَكَنَزَ مِنَ الثَّرِّ وَزَهْوٍ وَمَنْبَرٍ وَسَرِيرٍ؟
أَتَدْعُونَ الاشتراكية، وعندكم الكنوز، وفيكم التكبر ومنابر الخطب الحماسية وسرير الحكم، أي
العرش؟

أَشْتَرَاكِئَةً! فَإِنْ مَرَّ طَاغٍ صُفِّ جُنْدٌ لَهُ وَدَوَى نَفِيرُ؟
أَتَدْعُونَ الاشتراكية، فإن مر حاكم ظالم اصطف له الجنود ودوى له النفير، البوق؟

لِصَنَارِ النُّفُوسِ كَانَتْ صَغِيرَا ثُ الْأَمَانِي، وَلِلْخَطِيرِ الْخَطِيرُ
يَنْدُرُ الْمَجْدُ، وَالْثَّرُوبُ إِلَى الْمَجْدِ إِد صِعَابٌ، وَيَكْثُرُ التَّزْوِيرُ
المجد عملة نادرة، وطريقه صعب، وما أكثر من يزور أفعالاً لم يفعلها لنيل مجد وهمي

كَيْفَ يَغْشَى الْوَعَى وَيَظْفَرُ فِيهَا حَاكِمٌ مُثَرَّفٌ وَشَعْبٌ فَقِيرُ
مِخْنَةُ الْعَرَبِ: أُمَّةٌ لَمْ تُهَادِنِ فَاتِحِيهَا، وَحَاكِمٌ مَأْجُورُ
العرب ثاروا على المحتلين، ولكن الحكام كانوا مأجورين للأجانب

لَا يَقُودُ الشُّعُوبَ ظُلْمٌ وَفَقْرٌ وَسَبَابٌ مُكَرَّرٌ مَسْعُورُ
الظلم والفقر والردح الإعلامي المسعور لا تقود الشعوب

كُلُّ حُكْمٍ لَهُ، وَإِنْ طَالَتْ الْآبِ-- هَامُ، يَوْمَانِ: أَوَّلُ وَأَخِيرُ
ما آتق هذا البيت

كُلُّ طَاغٍ مَهْمَا اسْتَبَدَّ ضَعِيفٌ كَلُّ شَعْبٍ مَهْمَا اسْتَكَانَ قَدِيرُ

وَهَبَ اللَّهُ بَعْضَ أَسْمَائِهِ لِلشَّـ. حب، فَهُوَ الْقَدِيرُ وَهُوَ الْعَفُورُ

١٥ قومية الأساطير

في رثاء رياض الصلح ١٩٥٢

مَا لِأَمْجَادِنَا وَمَا لِعَبِيدِ الْأَسَاطِيرِ مَجْدُهُمْ وَالطُّلُوتِ
ما أكبر الفرق بين أمجادنا وبين «أمجاد» الحكام التي هي مجرد أساطير وأطلال خربة، هي عبارة
عن الافتخار بالماضي

بِئْسَ قَوْمِيَّةٌ يُؤَزِّخُهَا الظَّنُّ - وَيَبْنِي أَحْسَابَهَا النَّأْوِيلُ

ما أسوأ القومية المستندة إلى الظنون، والتأويلات

غُوطَةَ الشَّامِ! هَلْ شَجَاكَ بَيَانٌ مِنْ قَرِيضِي كَأَنَّهُ التَّنْزِيلُ

هل أحزنتك أينما الشام يباي الشعرى الذي يشبه التنزيل، الرسالة الإلهية

وَعِتَابٌ كَالْجَمْرِ صُنْتُكَ عَنْهُ جَزَعاً أَنْ يَنَالَ مِنْكَ عَذُوتُ

وثمة عتاب حار كالجمر، وقد حميتك منه خشية أن يقدح فيك اللانموت

أَيْسَرُ الْجُهْدِ أَنْ تَضِجِّي وَتَشْكِي قَدْ يَرْجُ الطُّغْيَانُ قَالَ وَقِيلُ

أبسط ما يمكنك يا سورية أن تحتجي وترفعي الصوت، فلعل ضجيج الاحتجاج يرج الطغيان

وَاعْذِرِي الْهَامِسِينَ خَوْفاً فَمَا يَهْدُ مِدْرُ عِنْدَ الصِّيَالِ إِلَّا الْفُحُولُ

والتمس العذر لمن يهمسون همساً.. فهم ليسوا أهلاً للتصدي، ولا يهدر بصوت عال في
الصيال، الهجوم، إلا الفحول

١٦ غربة الروح

في رثاء فارس الخوري ١٩٦٢

جَلَّ شِعْرِي، أَقْبِيهِ بِالرُّوحِ مِنْ كُلِّ - هَوَانٍ، وَالشُّغْرُ كَالْعِرْضِ يُوقَى

لَمْ يَضُقْ بِالْعَدُوِّ حِلْمِي وَعُفْرَا نِي، وَأَفْدِي بِمُقْلَتَي الصَّدِيقَا

أغفر حتى للعدو، وأما الصديق فأفديه بعيني

يَا قُبُورَ اللَّدَاتِ: كُلُّ شَقِيقِي حَاضِنٌ فِي الثَّرَى أَخَاهُ الشَّقِيقَا

اللداات: الأقران، الأصحاب

وَسِعَتْ هَذِهِ الْقُبُورُ فُؤَادِي كَيْفَ تَشْكُو، وَهِيَ السَّمَاوَاتُ، ضَيْقَا

كَيْفَ لَا تُنَبِّئُ الرِّيَاحِينَ وَالشُّوْقَ ، وَقَلْبِي عَلَى ثَرَاهَا أَرِيقَا
 إِنْ عَتَبْنَا عَلَى الْكِثَانَةِ إِذْلاً لَا فَقَدْ يُعْتَبُ الصَّدِيقُ الصَّدِيقَا
 لئن عتبنا على الكثانة، أي مصر، إذلاً، محبة واجترأ، فقد يُعتب الصديق صديقه، أي يُرضيه
 وَهَبْنَا فِرْعَوْنَهَا وَوَهَبْنَا هَا، عَلَى الْعُسْرِ، يُوسُفَ الصَّدِيقَا
 وهبتنا مصر فرعونها، ووهبناها رغم فقرنا يوسف الصديق.. والقصيدة قلت بعد أشهر من انفصال
 الوحدة بين سورية ومصر، وكان رئيس دولة الوحدة عبد الناصر، الذي يصفه الشاعر بفرعون
 وكافور

كَيْفَ يَشْرِي الْعَبِيدَ كَافُورٌ بِالْمَا لِي، وَكَافُورٌ كَانَ عَبْدًا رَقِيقَا
 مَا لِقَوْمِي غَالِ الْجِمَامُ فَرِيقَا مِنْهُمْ، وَالْعُقُوقُ غَالٌ فَرِيقَا
 الموت غال، انتاب، بعض قومي، والعقوق انتاب بعضهم

نَحْنُ كُنَّا الرُّلْزَالَ نَعْصِفُ بِالشَّرِّ قِ، نَرْجُ الشُّعُوبَ حَتَّى تُفِيقَا
 فَابْتَدَعْنَا مِنَ الرُّؤْيِ وَقَعَ الْحَقُّ- وَمِنْ عَمْرَةٍ الظَّلَامِ الْبَرِيقَا
 هذا في زمن الفينيقيين، وفي زمن الرسالات السماوية

يَا رَئِيسِي مِنْ أَرْبَعِينَ زَحَمْنَا هَا إِبَاءَ مُرًّا وَيَأْسًا حَنِيقَا
 يا رئيسي فارس الخوري، وكان الشاعر وزيراً في أكثر من حكومة رئيسها فارس الخوري، لقد
 ملأنا الدنيا برفضنا الاحتلال وبالغضب والبأس، أي القوة، من أربعين عاماً

يَرِدُ الْخَطْبُ مِنْكَ قَلْبًا سَرِيًّا وَيَبَانًا عَفًّا وَوَجْهًا طَلِيقَا
 كانت تأتلك المصيبة فتجد قلبك سرياً، شريفاً، ولسانك عفيفاً، ووجهك طليقاً

مَنْ يَعْمَلُ النَّدِيَّ بَعْدَكَ بِالشَّهْهِ بِدِ الْمُصَفَّى وَمَنْ يَسُدُّ الْفُتُوقَا؟
 من سيسقي الندى، أهل المجلس، بعدك بالكلام الحلو الذي كأنه العمل، ومن سيد الفتوق،
 يحل المشاكل؟

١٧ الْمُجَاهِر

في حفلة ذكرى إبراهيم هنانو ١٩٤٥

وَمَا أَكْبَرَتْ نَفْسِي سِوَى الْحَقِّ قُوَّةً وَإِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَهَا النَّهْيُ وَالْأَمْرُ
 وَكُنْتُ إِذَا الطَّاعِي رِمَانِي رَمِيَتْهُ فَلَا تُصْرَتِي هَمْسٌ وَلَا غَضَبِي سِرٌّ
 وَأَحْمِلُ عَنْ إِخْوَانِي الْعُسْرَ هَانِئاً وَيُبْعِدُنِي عَنْهُمْ إِذَا أَيْسَرُوا الْيُسْرُ

تَلَفْتُ لَا شَمْلِي جَمِيعٌ، وَلَا الْهُوَى قَرِيبٌ، وَلَا قَرَعُ الصَّبَا عَبَقٌ نَضْرُ
شملي جميع: أي ملموم ومجتمع

١٨ بكاء

إلى ابنته جهينة التي ماتت في صباها ١٩٥٨

طَاخَ الزَّمَانُ بِإِخْوَانِي وَأَوْرَدَهُمْ عَلَى الْحُتُوفِ، فَلَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ
طوح الزمن بأصحابي، وجعلهم يردون حوض الموت، فلم يبق لا عين ولا أثر، لا شخص ولا
أثر من آثاره

أَصْبَحْتُ بَعْدَهُمْ حَيْرَانٌ مُنْفَرِداً وَالرَّيْحُ مُغْوِلَةٌ وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ
الريح مغولة: تصفر صغيراً كأنه العويل، الليل معتكر: مظلم

أَحْنُو عَلَى كُلِّ قَبْرِ مِّنْ قُبُورِهِمْ أَبْكِيهِ، حَتَّى يَبْكِيَ مِن لَّوَعْنِي الْحَجَرُ

١٩ أمنية صعبة

في رثاء كامل مروة صاحب جريدة الحياة

مَا لِلْمَنِيَّةِ أَدْعُوهَا وَتَبَعِدْ أَمْرٌ مِّنْ كُلِّ حَتْفٍ بَعْضُ مَا أَجِدُ
أطلب الموت ويتبعني؛ وبعض الذي أجده، أي أعانيه، أمر من كل موت

ظَمَانٌ أَشْهَدُ وَرَدَ الْمَوْتِ عَنْ كَثْبٍ وَالسَّوَادُونَ أَحِبَّائِي وَلَا أَرِدُ
أرى حوض الموت عن قرب، ويرده أجبائي ولا أرد

دَعَوْتُ خِدْنَتِي مِّنْ دَمْعٍ وَمِنْ جَلْدٍ فَأَسْعَفَ الدَّمْعُ، لَكِنْ خَانَنِي الْجَلْدُ
ناديت صاحبي، وهما الدمع والجلد، أي الصبر، فأسعفني الدمع فتزل، وخانني الصبر فلم أصبر
وربَّ شاكٍ فسادَ العصرِ، يَظْلِمُهُ، لم يفسدِ العصرُ، لكن أهله فسدوا

٢٠ البحث عن اليقين

جَنَّانٌ لُبْنَانٌ حَسْبِي مِنْكَ وَارِقَةٌ فِيهَا النَّدِيَّانِ مِّنْ رَّوْحٍ وَرِيحَانٍ
يا جنات لبنان يكفيني منك الأشجار الوارقة الممتدة الظل التي فيها الروح، النسيم، والريحان،
وكلاهما طري ندي

يُشِيرُ بِي كُلِّ حُسْنٍ فِتْنَةً وَهَوًى فَمَا أَمْرٌ بِمَاءٍ غَيْرِ صَدْيَانِ
كل حسن يشير في الفتنة والغرام، فلا أمر ينفع إلا وأجدني صديان، عطشان. هو لا يرتوي من
الجمال مهما تكاثف

قَدْ صَوَّرَ الْوَحْيُ أَلْوَانَ النِّعَمِ عَلَى مِثَالِ مَا فِيكَ مِنْ حُسْنٍ وَأَلْوَانِ
الوحي، الذي جاء بالقرآن، وصف الجنة بمثل ما فيك يا لبنان من أنواع الجمال

وَزَادَ فِيهَا خُلُوداً مَا عُنِيتَ بِهِ أَشْهَى اللَّبَانَاتِ، فِي حُكْمِ التَّهْيِ، الْفَانِي
وزاد القرآن فجعل الجنة خالدة، ولستُ معنيًا بالخلود لأن أشهى اللبانات، اللذائذ، في حكم
العقل هي اللذائذ المؤقتة

لَا يَعْذُوبُ الْوَصْلُ إِلَّا أَنْ يُخَايِرَهُ خَوْفُ الْمُحِبِّينَ مِنْ نَأْيٍ وَهَجْرَانِ
لا يكون الوصل عذاباً إلا إذا خالطه خوف المحبين من البعد والهجران

وَلَا هَنَاءٌ بِنُغْمَى لَا تَخَافُ لَهَا فَقْدًا، وَلَا تُبْتَلَى مِنْهَا بِحِرْمَانِ
لو يعلمون مخايب النفس الإنسانية لما ألبسوا النعيم والجحيم ثوب الخلود
لو يعلمون خبايا النفس الإنسانية لما ألبسوا النعيم والجحيم ثوب الخلود

مَا لِلْخُلُودِ وَمَا لِلْحُسْنِ يَزَعُمُهُ هِيَهَاتَ عُرِّيَ مِنْ حُسْنٍ وَإِتْقَانِ
الجمال الذي يزعم لنفسه الخلود يكون مسلوباً من روعته واكتماله

يُضْفِي الْجَمَالَ عَلَى الْأَيَّامِ مُقْتَدِرٌ مِنْ (التَّحَوُّلِ) ذُو عِزٍّ وَسُلْطَانِ
الذي يكسو الزمن جمالاً هو ذلك المقتدر الذي اسمه (التحول) فهو قوي عزيز

عَنَا لَهُ الْكُونُ مَأْخُوداً بِفِتْنَتِهِ مِنْ أَنْجُمٍ وَمَكَانَاتٍ وَأَزْمَانِ
خضع الكون للتحول.. النجوم والأمكنة والأزمنة كل شيء يتحول ويتغير

وَعَاطِفَاتٍ وَأَرْوَاحٍ وَأَخْيَلَةٍ تَغْزُو الْوُجُودَ وَآرَاءَ وَأَذْيَانِ
وكذا يخضع للتحول العواطف والأرواح وثمرات العقول من أخيلة وآراء، وكذا الأديان

وَرَبَّمَا فَقِهَتْ مِنْ أَمْرِهِ عَجَباً قَبْلَ الْهُدَاةِ عَصَا مُوسَى بْنِ عِمْرَانِ
عصا موسى عرفت التحول قبل الهداة، الأنبياء.. فقد تحولت تلك العصا إلى أفعى

لِيُؤْمِنَ النَّاسُ مَا شَاءُوا بِرَبِّهِمْ فَبِالتَّحَوُّلِ بَعْدَ اللَّهِ إِيْمَانِي
تَسْمُو إِلَى أَفْقِهِ الْقُدْسِيِّ، طَاهِرَةً طَهَّرَ الدَّمُوعَ، تَسَابِيحِي وَالْحَانِي
ترتفع إلى آفاق التحول المقدسة صلوات شاعرنا وألحانه

كَفَرْتُ بِالرُّوحِ بَعْدَ الرَّيْبِ آوَنَةً وَكَانَ زُلْفَى إِلَى نَجْوَاهُ كُفْرَانِي
بعد أن كنت شاكاً بعض الوقت أنكرت وجود الروح، وكان كفري بالروح من بعض الزلفى،
التقرب، إلى الله في مناجاتي له

وَقَرَّبَ النَّاسُ مَا شَاءُوا لِمَذْبَحِهِ وَمَا تَقَبَّلَ مِنْهُمْ غَيْرَ قُرْبَانِي
قرب الناس، قدموا القرابين، لله ولم يتقبل سوى قرباني أنا

أَعْلَنْتُ، حِينَ أَسْرَوْا أَمْرَهُمْ فَرَقًا يَا بَعْدَ مَا بَيْنَ إِسْرَارٍ وَإِعْلَانِ
فأنا كنت صريحاً بينما أخفى الناس أمرهم فرقاً، خوفاً، والفرق كبير بين من يجهر ومن يسر

إِنَّ الْخُلُودَ وَمَا تَرَوِي مَزَايِمَهُمْ عَنِ السَّعَادَةِ فِي الْآخِرَى نَقِيضَانِ
الخلود والسعادة في الآخرة، أي الآخرة، نقيضان

لَا يَخْدَعُ اللَّهُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِهِ فَتِلْكَ خُدْعَةُ إِنْسَانٍ لِإِنْسَانٍ
الله لا يخدع من يؤمن به، لكن مسألة الخلود خدعة من إنسان لإنسان

جَنَّاتُ رَبِّكَ فِي سِرِّ الْخُلُودِ عَدَّتْ وَكُلُّ أَوْ إِلَيْهَا رَازِحٌ وَإِنْ
من بعض أمر الخلود أن جنة الله تصبح وكل من يأوي إليها رازح، متعب، وإن، مثاقيل كسلان

مَلَّ الْمُقِيمُونَ فِيهَا مِنْ هَنَاءَتِهِمْ كَمَا يَمَلُّ السَّقَامَ الْمُدْنَفُ الْعَانِي
المقيم في الجنة يمل من السعادة مثلما يمل المدنف العاني، المريض الفقير

تَمْضِي الْعُصُورُ عَلَيْهِمْ وَهِيَ وَاحِدَةٌ الْيَوْمَ كَالْأَمْسِ فِيهَا ضَاحِكٌ هَانِي
الزمن واحد لا تغير فيه وكله سعادة وهناء.. يا للملل

وَلَا يُجِبُونَ، لَكِنْ تِلْكَ طَائِفَةٌ مِنْ مَا جَنَاتِ خَلِيعَاتٍ وَمُجَانٍ
ليس في الجنة حب.. بل تفرغ شهوات

وَلَا يُنَاجُونَ فِي أَخْلَامِهِمْ أَمَلًا مُحَبَّبًا بَيْنَ انْكَارٍ وَإِيقَانٍ
وأهل الجنة لا يحلمون بأمال يترقبونها بين إنكار لحدوثها وتأكد منه.. فليس في الجنة إلا اليقين المطلق

مِنْ كُلِّ مَنْ أَبْلَتْ الْأَذْهَارُ جِدَّتُهُ فَمَا يُحَرِّكُهُ تَدْلِيلُ رِضْوَانٍ
وكل من فيها صار عتيقاً مع مرور الدهور، ولم يعد يحركه تدليل رضوان، خازن الجنة، له

يُنَادِمُ الْحُورَ، لَكِنْ غَيْرَ مُغْتَبِطٍ وَيَشْرَبُ الرَّاحَ لَكِنْ غَيْرَ ظِمَآنٍ
لَوَدَّ فِي كُلِّ مَا يُجْرِيهِ مِنْ عَسَلٍ وَمِنْ خُمُورٍ وَمِنْ دُرٍّ وَعَقْيَانٍ

الدر: اللؤلؤ، العقيان: الذهب

هُنِيْهَةً مِّنْ شَقَاءٍ يَطْمَئِنُّ بِهَا إِلَى مُنَاجَاةِ آلَامٍ وَأَشْجَانٍ
يود نزيل الجنة لو حصل على لحظة شقاء

إِذَا تَذَكَّرَ دُنْيَاهُ هَفَا وَلَعَا إِلَى حَبِيبٍ وَصَهْبَاءٍ وَنُدْمَانٍ
يشاق إلى الدنيا

وَرَاخَ يَبْحَثُ فِي الْمَجْهُولِ عَنْ أَمَلٍ وَعَنْ شَقَاءٍ وَعَنْ أَهْلِ وَخُلَانٍ
أَمَّا الْعَوَانِي فَصَخَّرَ لَا يُحَرِّكُهَا نَجْوَى مُحِبٍّ وَلَا تَدْلِيلُ وَلَهَانٍ
نساء الجنة كالصخر الجامد

لَا تَعْرِفُ الْحُبَّ إِلَّا مَخْضَ تَلْبِيَةٍ لِعَابِرِينَ مِنَ الْأَبْرَارِ فِتْيَانٍ
فهن فقط يلين طلبات ولبانات فتيان الجنة

وَلَا تَحْنُ إِلَى رُوحٍ وَعَاطِفَةٍ فَالْحُبُّ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ جُثْمَانِي
حب هؤلاء الحور حب جسدي

مِنْ كُلِّ مُرْتَجَّةٍ الْأَزْدَافِ حَالِيَةٍ بِالْحُسْنِ أَخَاذَةً بِالسَّحْرِ مِفْتَاحٍ
وكل منهن حالية، متحلية، بالجمال، ولها الأرداف المرتجة

خَبَا لَهَيْبِ الْمُنَى فِي رُوحِهَا فَعَدَّتْ وَحُسْنُهَا فِي جُلَاهُ حُسْنُ أَوْثَانٍ
في جلاه: في حقيقته الظاهرة

جَنَى الْخُلُودِ عَلَيْهَا فَهِيَ شَاكِيَةٌ إِلَى الْأَنْثَوَةِ ذَاكَ الْخَائِنِ الْجَانِي
تشكو حورية الجنة الخلود الذي جنى عليها وسلها الروح

وَلِلْخُلُودِ عَلَى أَهْلِ الْجَحِيمِ يَدٌ تُجْزَى مَعَ الدَّهْرِ إِحْسَانًا بِإِحْسَانٍ
ولللخلود يد، أي نعمة ومعروف، على أهل النار..

الْكَافِرُونَ لِيَطُولَ الْعَهْدُ قَدْ أَلْفُوا بِقَاعِهَا نُضْجَ أَرْوَاحٍ وَأَبْدَانٍ
فهم لطول ما اعتادوا النار ألفوا في قاع الجحيم احترق جلودهم وأرواحهم ونضجها

وَقَدْ تَزَفُّ بِهَا وَالْحَقْلُ مُحْتَشِدٌ سَجِينَةٌ مِنْ ضَحَايَاهَا لِسَجَّانٍ
قد تزوج سجينة من سجينات الجحيم أحد السجنان

فَأُضْبَحَتْ وَهِيَ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ مَدَرٍ شَيْطَانَةٌ تَتَصَبَّى كُلُّ شَيْطَانٍ
فبعد أن كانت إنسانة أصلها ماء ومدّر، طين، صارت شيطانة تتصبى، وتغري، الشياطين

وَرَبَّمَا صَحِبُوا فِيهَا زَبَانِيَّةً بَعْدَ الْقَلَى إِلْفَ إِخْوَانٍ لِإِخْوَانٍ

وقد تتعقد الصحبة بين نزلاء جهنم وبين الزبانية، حراسها، بعد القلى، العداوة

لَا يَأْلُمُونَ وَلَا تَشْكُو جُسُومُهُمْ مِنَ اللَّطَى، فَهِيَ نِيرَانٌ بِنِيرَانٍ

يذهب الألم بعد طول معاشرة النار لأهل النار.. كلها نيران في نيران

مَلِيحَةَ الدَّلِّ مِنْ عَسَانَ! لَا بَلِيَّتْ شَمَائِلُ الصَّيْدِ مِنْ أَقْيَالِ عَسَانَ

يا مليحة الدلال، أيتها الشامية من بنات الفساسة! عاشت ولا بليت صفات الصيد، السادة، من
أقيال، أي ملوك، عسان

أَتَأَذْنِينَ بِإِنْشَادٍ، فَمَا جَلِيَّتْ إِلَّا لِحُسْنِكَ أَشْعَارِي وَأُوزَانِي

طَوَّفْتُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى مَهَلٍ طَوَّافٌ أَشَعَّتْ مَاضِي الْعَزْمِ يَقْظَانِ

تُظِلُّنِي مِصْرُ أَحْيَانًا وَأَوْنَةً أَعَاقِرُ الْخَمْرِ فِي جَنَاتِ بَغْدَانِ

وَقَدْ صَحِبْتُ شُعُوبَ الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ شَمُّ الْأَنْوَفِ إِلَى رُومٍ وَكِلْدَانِ

مُفْتَشًّا عَنْ عَزَاءِ النَّفْسِ، لَا لَعِبِي أَدَى إِلَيْهِ وَلَا حِلْمِي وَعِرْفَانِي

أطوف في الدنيا مفتشاً عن فرح لقلبي، فلم أحصل عليه لا من اللهو ولا من الجلم والرصانة ولا
من المعرفة

مُسَائِلًا عَنْهُ، حَتَّى قَدْ عَيِيْتُ بِهِ، إِزَتْ الْفَلَاسِيفُ مِنْ هِنْدٍ وَيُونَانِ

فَمَا رَأَيْتُ لَهُ عَيْنًا وَلَا أَتْرَأَ وَلَا أَفَادَ طَوَافِي غَيْرَ خِذْلَانِي

ثُمَّ انْتَنَيْتُ وَرَكْبِي جِدُّ مُتَّيِدٍ مِنَ الْوَنَى وَرَفِيقِي جِدُّ حَيْرَانِ

ثم رجعت من بحثي عن الفرح وركبي، موكي، متد بطيء من الونى، التعب، ورفيقي حيران

وَالْبَيْدُ أَوْسَعُ مِنْ صَدْرِ الْحَلِيمِ مَدَى وَلِلْسَّرَابِ بِهَا آلَافُ عُذْرَانِ

الصحراء أوسع من صدر الرجل الحليم، وبها آلاف الغدران، جمع غدير، لكنها كلها من سراب.
تشبيه معكوس سقيم: يشبهون صدر الحليم بالصحراء فهذه مبالغة لطيفة، فإن عكستها سمجت

ظَمَأَى حَيَارَى، وَخَلَفَ الرُّكْبِ طَائِفَةٌ حُمُرُ اللَّوَاخِظِ مِنْ أَسَدٍ وَذُؤْبَانِ

الغدران السراية عطشى، وخلف المسافرين أسود وذئاب حمر اللواخظ، أي العيون

فَأَيَّقَنَ الْقَوْمَ بِالْجُلَى وَقَدْ صَمَتُوا لِهَيْبَةِ الْمَوْتِ وَهُوَ الْمُقْبِلُ الدَّانِي

أيقن القوم أن الأمر عظيم جليل، وصمتوا لهيبة الموت المقرب

حَتَّى إِذَا الْيَأْسُ لَمْ تَتْرُكْ مَرَاتُهُ إِلَّا بِقِيَّةَ صَبْرٍ غَيْرِ خَرْبَانِ

لم يترك اليأس سوى قليل من الصبر المتحلي بالأنفة البعيد عن العار

لَا حَتَّ خِيَامِكَ بِالصَّحَرَاءِ مُوَنَقَّةً أَبْهَى وَأَزْيَنَ مِنْ عَرْشِ وَإِيَوَانِ

عندئذٍ لاحت خيامك يا بنت غسان موَنَقَّةً، جميلة، أبهى من العرش وإيوان كسرى

فَكَبَّرَ الرُّكْبُ مُرْتاحاً إِلَى أَمَلٍ عَذَبَ الْمُجَاجَةَ حَالِي الْوَشْيِ رِيَّانٍ
كبر المسافرون وركنت نفوسهم إلى هذا الأمل العذب المجاجة، الارتشاف، الذي كأنه حال،
متحل، بحليّ الوشي، وريان، مرتوٍ

فَمَا فَتَحَتْ جُفُونِي وَهِيَ دَائِمَةٌ مِنْ الرَّمَالِ، أَعَانَ اللَّهُ أَجْفَانِي
حَتَّى لَمْحَتِكَ خَلْفَ السُّتْرِ ضَاحِكَةٌ إِلَى جَوَارٍ وَحُجَّابٍ وَغِلْمَانٍ
فَقَرَّتِ النَّفْسُ لَا شَكْوَى وَلَا تَعَبٌ وَلَا لَجَاجَةً إِيمَانٍ وَكُفْرَانٍ

قرت نفسي ولم تعد تعاني من سقم أو تعب، ولا من المماحكة بين الإيمان والكفر.. فكان هذه
الفتاة الغسانية هي طمأنينة النفس التي يصل إليها المرء فلا يعود يخاف شيئاً في دنياه ولا في آخره

وَأَبْصَرْتُ بَعْدَ طُولِ الْبَحْثِ غَايَتَهَا فَأَذَعَنْتُ لِهَوَاهَا أَيَّ إِذْعَانٍ
وجدت النفس غايتها فخضعت لهواها.. وجدت يقينها المنبعث من أعماقها

رَأْتُ بِعَيْنَيْكَ يَا لَبْلَى وَقَدْ يَبْسُتُ عَزَاءُهَا لَا بِإِنْجِيلٍ وَتُزْقَانِ
عزاء النفس هو في لبلَى.. في هذا اليقين الذاتي وليس في الكتب السماوية

سِرُّ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ خَفِيَ تَجَلَّوْهُ مِنْكَ عَلَى الْأَكْوَانِ عَيْنَانِ
السعادة دنيوية

أَمَنْتُ بِالْحُبِّ مَا شَاءَتْ عُدُوبَتُهُ أَمَنْتُ بِالْحُبِّ فَهَوَ الْهَادِمُ الْبَانِي
اليقين هو الحب

٢١ احتضان الوجود

طَهَّرْتُ أَنَامِي الْبَرِيَّةَ فِي لَظَى قُبِّلَ كَأَحْلَامِ النَّعِيمِ عِذَابٍ
وَسَدْتُكَ الْيُمْنَى لَعَلِّي فِي غَدٍ أَرَدُ الْحِسَابَ وَوَجَنَتَاكِ كِتَابِي
وَنَعِمْتُ أَلْمَحُ فِي جُفُونِكَ رَغْبَةً خَجَلِي صَرِيعةَ نَشْوَةٍ وَدُعَابٍ
لَا تَغْفُ تَحْلُمُ بِالنُّجُومِ فَيَرْتَمِي مِنْهَا، لِرَشْفٍ لَمَّاكَ، أَلْفُ شِهَابٍ
إن بقيت صاحياً فستحلم بالنجوم فيرتمي عليك ألف شهاب لرشف لَمَّاكَ، لتقبيل فمك

لَا تَغْفُ وَأَنْتُمْ فِي هَوَاكَ وَلَا تَخَفُ نُسْكِي أَمَانُكَ فِي غَدٍ وَتَوَابِي
لا تغف ولا تخف الإثم في حبك، فنسكي أمان لك أيها المحب وهو ثواب لي..

هَيْهَاتَ وَزُرُّكَ لَا أَنْوُءُ بِحَمْلِهِ إِنَّ صَحَّ أَمْرُ قِيَامَةٍ وَحِسَابٍ
يتراجع: لكن ذنبك كبير ولا أستطيع حمله إن صح أمر يوم القيامة والحساب

يَا رَبِّ عَفْوِكَ قَدْ ثَمَلْتُ فَخَلَّنِي لِعَوَايَتِي وَتَهْتُكِي وَشَرَابِي
أَحْلَامُ جَبَّارِ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى نَزَلْتُ عَلَيَّ وَضَمَّهَا جِلْبَابِي
هذا من أفكار المتصوفة الذي يرون في جلايبهم جزءاً من ذات الإله

خُلِقْتُ بِبَيْدَائِي الظَّمِيَّةِ جَنَّةً ثَرَّارَةُ الْأَلْسَانِ وَالْأَطْيَابِ
فَإِذَا الْحَيَاءُ عَلَى جَلَالَةٍ قَدَّرَهَا دَارِي، وَهَذَا الْأَفْقُ بَعْضُ رِحَابِي
وَإِذَا الْكَوَاكِبُ مِنْ لِدَاتِ طُفُولَتِي وَالْكُونُ وَالْأَجْيَالُ مِنْ أَصْحَابِي
لدات: أصحاب. عندما يفرح الإنسان يرى الكون يرقص له. فتح الشاعر القروي فتحاً شعرياً
عندما قال: (مثلاً لي هذا الوجود بشيء/ أنا لا أستطيع ضم الوجود) معنى طلبته الشعراء كثيراً
وتركته للمهجري الفصيح. الشاعر القروي من شعراء هذا الكتاب

٢٢ عبادة الجمال

شَجَاهَا مِنْ عُهُودِكَ مَا شَجَاهَا وَجَنَّ اللَّيْلُ فَاذْكُرَتْ أَسَاهَا
أحزنت النفس عهود الشباب الزائل، وجن الليل، غطى الكون، فتذكرت النفس وجعها
هَفَّتْ لِشَبَابِهَا وَصَبَّتْ إِلَيْهِ وَرَقَّ لَهَا النَّصِيحُ فَمَا لَحَاهَا
اشتاقت النفس للشباب، ورق لها الناصح فما لحاها، ما وبخها

وَهَيْهَاتَ الثُّبَابُ! وَأَيْنَ مِنْهُ مُنَى لِلنَّفْسِ تَعَثَّرُ فِي وَجَاهَا
بعد الشباب وامتنع رده، وشتان ما بينه وبين الأمنيات الحالية التي تعثر في وجاها، حفاها..
فكانها تسير حافية وتتعثر

وَمَا عُدُّ الشَّبَابِ كَبُرَتْ فِيهِ وَلِي نَفْسٌ فَتِيَّاتٌ مُنَاهَا
لا عذر للشباب، ففي أيامه كنت كبيراً لا شاباً، وكانت لي نفس ذات طموحات فتية قوية
سَقَاهَا مِنْ سُلَاقَتِهِ كُؤُوساً وَحَنَّتْ لِلْمَزِيدِ فَمَا سَقَاهَا
الشباب سقى نفسي من خمره، وحتت نفسي للمزيد لكنه لم يسقها لأنها نفس تنوق للمعالي ولا
يمكن للمرء أن يتمتع ويلهو وأن يطلب المعالي في الوقت نفسه

يُرَاحِي بِالْعِنَانِ لَهَا رُؤَيْدًا فَإِنْ وَثَبَتْ لِغَايَتِهَا ثَنَاهَا
الشباب يراخي للنفس المقود قليلاً فإن وثبت تريد المزيد ثاها وشد المقود

وَتَدْعُوهَا الْفُتُونُ وَهِنَّ سِحْرٌ فَتُطْرَقُ لَا تَلْبِي مَن دَعَاها

الفتنة تغري النفس، والنفس تطرق مترددة ثم لا تلي الدعوة

مُعَذِّبَةً، إِذَا لَمَحَتْ جَمَالاً هَفَّتْ وَجَدّاً وَعَاوَدَهَا ضَنَاهَا

النفس معذبة تحس بقلق كلما رأت جمالاً ويعود إليها ما نسيته من عذابها

وَيَا نَفْسِي عَبْدُتُكَ عَنْ يَقِينٍ وَحَسْبِي قَدْ عَبْدْتُ بِكَ الْإِلَهَا

هذه عبادة الشعراء. يعبدون ما يتخيلون أنه ذات الإله حلت في نفوسهم

بَرِئْتُ إِلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ غُوَاةٍ تَفِرُّ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى دُجَاهَا

أنا بريء من الضالين الذين يتركون نور الحقيقة الصباحي ويتبعون دجاءها، أي ليلها

تُرِيدُ رِضَاكَ تَقْيِيداً وَأَسْراً وَأَيْنَ رِضَاكَ رَبِّي مِنْ رِضَاهَا

هذه الغواية تريد رضى الله بتقييد النفس، ورضى الله لا يكون كذلك

وَأَنْكَرَ قُدْرَةَ الْخَلْقِ رُوحٌ رَأَى صُورَ الْجَمَالِ وَمَا اشْتَهَاهَا

لِمَنْ جُلِيَتْ بِزِينَتِهَا عَرُوساً وَفِيمَ أَحَبَّهَا وَلِمَنْ بَرَاهَا؟

فلمن برزت صور الجمال كالعروس؟ ولمن خلق الله الجمال إن لم نتمتع به بلا قيود؟

عَبَدْتُكَ فِي الْجَمَالِ، وَلَا أَبَالِي ضَلَالِ النَّفْسِ ذَلِكَ أَمْ هُدَاهَا

٢٣ الحقيقة والأمنيات

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْحَقِيقَةَ عَلَقَماً خَلَقَ الْمُنَى لِلْوَارِدِينَ شَمُولاً

إذا كانت الحقيقة مرة كالعلقم، فالأمني عذبة كالشمول، الخمر

تَتَصَارَعَانِ وَلَا تَرَى إِحْدَاهُمَا ظَفَرًا لَتَبْسُطَ حُكْمَهَا وَتَطُولَا

الحقيقة والأمنيات في صراع لا غلبة فيه لأيهما

تَدْعُو الْمُنَى زُمَرَ الْقُلُوبِ وَأَخْتَهَا تَدْعُو بَصَائِرَ فِي الْوَعَى وَعُقُولَا

الأمني تنادي القلوب، وأختها، أي الحقيقة تخاطب البصائر والعقول

وَالْكُونُ بَيْنَ الضَّرَّتَيْنِ مُقَسَّمٌ فَاشْهَدْ قَبِيلاً يَسْتَبِيحُ قَبِيلاً

الكون مقسوم بين ناس حالمين وناس عقلاء

٢٤ لا يَمَحِين

أَحَبُّنُهَا سَاحِرَةٌ كَالرُّؤْيَى مُبْهَمَةٌ غَامِضَةٌ كَالظُّنُونِ

حييته ساحرة غامضة

مَجْنُونَةٌ، وَالْحُسْنُ لَمْ تَكْتَمَلْ فَتَنَّتُهُ إِلَّا بِبَعْضِ الْجُنُونِ

والجمال لا يكتمل إلا ببعض الجنون والنزق

أَرَى عَلَى خَدَّيْكَ فِيمَا أَرَى بِأَلْفِ لَوْنٍ قُبَلُ الْعَاشِقِينَ

يحبس بأن حييته مر بها عشاق كثر

مِنْ قُبَلَةٍ خَائِنَةٍ مَرَّةً وَقُبَلَةٍ وَادِعَةٍ فِي الْجَبِينِ

وَقُبَلَةٍ حَمْرَاءَ مِثْلِ اللَّطَى وَقُبَلَةٍ بَيْضَاءَ مِثْلِ الْيَقِينِ

هذه أصناف القبلات التي يتخيل محبوبته قد مرت بها

تَأْبِينِ إِلَّا مَخَوَ آيَاتِهَا وَهَنْ يَا لَيْلَايَ لَا يَمَحِينِ

لَا تُنْكِرِي حُبِّي لِي، إِنَّنِي أَسْتَشْهَدُ الرَّيْحَانَ وَالْبَاسْمِينَ

أستشهد: أطلب شهادة

٢٥ حديث الشقراء

يَا سَاكِبَ الشُّعْرِ خَمْرًا مِنْ شِعْرِ رَبِّكَ خَدِّي

الفتاة تقول للشاعر إن شعره خمر ولكن خدًا كأنه شعر قاله الله

وَمِنْ مَعَانِيهِ عِظْرِي وَمِنْ قَوَافِيهِ وَرْدِي

تَأْتِقُ اللَّهَ دَمْرًا يُعْمِدُ فِيَّ وَيُجِدِي

حَنَى جَلَانِي شِعْرًا يَا حَسْرَةَ الشُّعْرِ بَعْدِي

دُئِبَايَ أَخْلَى وَأَغْلَى مِنْ أَلْفِ جَنَّةٍ خُلْدِي

البيت الأخير جاء في ذيل القصيدة بعيداً عن إخوته، وهو على لسان الشاعر لا الفتاة

٢٦ حب واشتهاء

أُبْهَا الضَّاحِكُ الطَّرُوبُ أَلَا تَأْ سَى لِهَذِي الدُّمُوعِ فِي عَيْنَيَا

أَنَا أَبْكِي وَكَرَّمَ اللَّهُ وَالْحُسْنُ نُنْ عَنْ الدَّمْعِ خَدَّكَ الْوَرْدِيَا

يا حبيبي دَغْنِي أَقْبَلُ خَدَّيْكَ وَأَشْتَفُ ثَغْرَكَ اللُّؤْلُؤِيَّا
 أَلْهَوَى جَنَّةً بِقَلْبِي وَالشَّهْد وَهُ نَارَ حَمْرَاءَ فِي شَفَتَيَّا
 مِهْرَجَانٍ لِمُتَعَةِ الْجِسْمِ حَالٍ يَرْحَمُ اللَّهُ حُبَّنَا الْعُذْرِيَّا
 حال: متزين بالحلي. بعد حديثه عن نار الشهوة الحمراء يترحم، ولا عجب، على زمن حبه
 العذري البريء

٢٧ الورد المفتون

تَزَيَّنَ الْوَرْدُ أَلْوَاناً لِيَفْتِنَنَا أَبْخِلِفُ الْوَرْدُ أَنَا مَا فَتْنَاهُ
 يَا مَنْ سَقَانَا كُؤُوسَ الْهَجْرِ مُتْرَعَةً بَكَى بِسَاطِ الْهَوَى لَمَّا طَوِينَاهُ

٢٨ لبنان والشام

لُبْنَانُ وَالْعُوطَةُ الْخَضْرَاءُ ضَمَّهُمَا مَا شِئْتُ مِنْ أَدَبٍ عَالٍ وَمِنْ نَسَبٍ
 لبنان والشام يتحدان أدباً ونسباً

ما في اتّحادِهِمَا تَالِهٌ مِنْ عَجَبٍ هَذَا الْفِرَاقُ لَعَمْرِي مُنْتَهَى الْعَجَبِ
 الفراق الذي تم بين الشام ولبنان بإرادة فرنسية إنجليزية في سايكس بيكو هو العجيب

لِلْخُلْفِ فِي النَّاسِ أَنْوَاعٌ وَأَغْرَبُهَا خُلْفُ الشَّقِيقَيْنِ مِنْ قَوْمِي بِلَا سَبَبٍ
 لِلضَّادِ تَرَجُّعٌ أَنْسَابٌ مُفَرَّقَةٌ فَالضَّادُ أَفْضَلُ أَمْ بَرَّةٌ وَأَبٍ
 وَكَانَ لِي مِقْوَلٌ كَالسَّيْفِ مُنْصَلِتاً فَحَطَّمِ الظُّلْمُ حَدَّ الْمِقْوَلِ الذَّرِبِ
 مقول: لسان، منصلت: مسلول، الذرب: المنطلق الفصيح

لَأَرْحَلَنَّ قَلْبِي فِي الْأَرْضِ مُتَسَعِّجٌ إِنَّ ضَاقَ بِي صَدْرُ هَذَا الْمَوْطِنِ الرَّحِيبِ

محمد سليمان الأحمد
(بدوي الجبل)
فهرس القوافي

٧	الحُفُوقَا	٥	الكِبْرِيَاءُ
١٦	يُوقَى	٢	بَابُ
٢٣	شَمُولَا	٢١	عَذَابِ
١٥	وَالطُّلُولُ	١	كَثِيبِ
١٣	رَقِيمُ	٢٨	نَسْبِ
٨	إِحْسَانَا	٤	طِلَاحَا
٣	لِيلَوَانَا	٩	حَدَا
١٠	الصَّوْلَجَانُ	١٢	وَالجَلْدَا
٦	نَيْسَانُ	١٩	أَجْدُ
٢٠	وَرَيْحَانِ	١١	يَعُودُ
٢٤	كَالظُّنُونُ	٢٥	خَدِي
٢٧	فَتْنَاهُ	١٨	أَثَرُ
٢٢	أَسَاهَا	١٤	تَسْتَعِيرُ
٢٦	عَيْنِيَا	١٧	وَالْأَمْرُ

عمر أبو ريشة

(١٩١٠ - ١٩٩٠)

كانت نَعَم عيتاني تنتج لي برنامجاً تلفزيونياً عن الشعر، اسمه «قال الشاعر»، بثنا منه مئتين واثنين وخمسين حلقة من قناة الجزيرة. وكانت من بين عشرين أو ثلاثين شخصاً صححوا لي أغلاطي النحوية في رحلة عملي في الإذاعة والتلفزيون. قلت لها مرة، وأردتُ أن أورد عليها ما يشبه الأحجية: أتعلمين أن غزة قرية صغيرة؟ فهزت رأسها ببرودها المعهود. فأردفتُ: وليست غزة التي بفلسطين. فقالت: بل غزة التي في البقاع بلبنان. قلت لها: بالضبط. وانكمشتُ. انكمشتُ لأنني كنت أحاجيها في شأن قرية تقع في بلدها، فامتص برود ردها حرارة الأحجية، لا هي عجزت فأورثتني فخراً، ولا هي حزرت بحرارة تبعث في المجلس بعض صخب. وزادتنى انكماشاً إذ قالت: ولنا في غزة البقاع بيت، وعشنا فيه مدةً في أيام الحرب الأهلية.

ومضت بضع سنين، ودعتني نَعَم إلى حفل عرضت فيه فلمها التسجيلي الطويل (كان يا ما كان.. مرتين!) ويصور مأساة الحرب الأهلية في لبنان ومأساة الحرب الأهلية في سورية، وقد حضرت زميلتي المأساتين، وبينهما أكثر من ربع قرن، طفلةً فراشدة. وحضرتهما.. في غزة.

بعد العرض هنأت زميلتي لأنها أولاً قفزت من سفينة الوظيفة فلم تعد «زميلة» لي، وانطلقت تنتج وحدها سائرة في طريق الإبداع، وهنأتها ثانياً لأنها قطعت شوطاً بعيداً بين أول أفلامها (سوبر فُل) وبين هذا الفلم.

وذاب برنامجي التلفزيوني في بحر الظلمات، وبحر الظلمات هو المحيط الأطلسي كما سماه أجدادنا، وهو اليوم الاسم الثاني لليوتيوب. مضت زميلتي إلى عمل أكثر إبداعاً ودواماً. والخلود نسبي. وسيذهب كل شيء في النهاية.

ولكن، الانغماس في برامج الإذاعة والتلفزة سنوات طويلة لا يليق إلا بالكسلان أو قليل الموهبة. ولعلي أحدهما أو كلاهما. ما زلت أحرق السبخة، وأبذر فيها لآلئ عمري، وأنتظر أن تنبت عقوداً وأساور.

جاءتني اليوم رسالة إلكترونية من أحد تلك المواقع التي تعلق ببيدك كالقردة، وتنفحك بالمواعظ. كانت موعظة اليوم مكونة من كلمة واحدة: «تحرك».

بعد أسابيع قليلة سأنهي من عصر الشعراء وتجفيفهم، وسأودع المطبعة هذا الكتاب الخامس والأخير، وأتحرر، وأتحرك، ولا أتحرّز، ولا أتحرق حسرة على ما فات ولا شوقاً إلى ما سيأتي. مضى زمن الدهشة.

وهيئات التحرر! ما ذقت في عمري كله حلاوة الكسل. ما استطعت قط أن أقضي نهاراً لا أعمل فيه شيئاً.

قد تقبل بي نعم مساعداً يحمل لها مُعدّات التصوير ويجري وراءها من موقع إلى موقع! فتكون سياحةً ويكون عملٌ في آن معاً.

لا. لا أريد أن أرى العالم، فقد رأيت منه ما يكفي. وقد جاءتني كلمة قالها جان بول سارتر شحمةً على فطيرة، قال: كل ما عرفته عن الحياة إنما عرفته من الكتب.

حان أن ننصرف إلى شاعرنا الجوال الذي عاش عشرين سنة متنقلاً بين بلد وبلد سفيراً لسورية. وكان من قبل يتنقل بين حلب وقرية غزة في البقاع بلبنان. . تذكرونها! حيث كان يفر إذا اشتد عليه الطلب في أيام الحكم الفرنسي.

عمر أبو ريشة

عمر أبو ريشة من حلب. وحلب الآن مدينة مدمرة. ولأنها من ملاعب يفاعتي، قلت فيها قبل أسابيع، وأنا الآن أكتب في أبريل ٢٠١٧، أبياتاً:

قد كان في الوسع، لكن ما حميناها	ودمروها، ولا حتى بكيناها
قد صدّت الروم طول الدهر صامدةً	ونحن في ظهرها غدرًا طعنّاها
غَطُّوا القتيلة حتى لا نرى حلياً	ولا ترانا، كأنا ما عرفناها
غَطُّوا القتيلة حتى لا تُذكركم	أنّ القتيلة أعراض دفنّاها

عَظُّوا الْقَتِيلَةَ، لَيْسَ الرُّؤْسُ وَحْدَهُمْ بل نَحْنُ مِنْ قَبْلِهِمْ كُنَّا ذَبَحْنَاهَا

ولا أزيد القارئ من هذا، فبعد الحسرة يأتي كلام عن السائل والمسؤول عن نكبة حلب، وليس هذا مما يفتح له قلب كتاب عن الشعر، ولا مما يشرح له صدر الأيام المقبلة التي سيكتب فيها التاريخ في عدة نسخ.

ولد شاعر حلب المشهور في عكا بفلسطين عند أخواله في سنة ١٩١٠. وفي عكا درس المرحلة الابتدائية، ومع دخول الإنجليز فلسطين، وعمره في الثامنة من عمره، أخذت مؤدبة خاصة تأتي إلى البيت وتعلمه اللغة الإنجليزية. كان أخواله من عائلة مشهورة بالتصوف، وكان جو البيت في عكا جو أذكار وتسابيح ومجالس درس. وعاد الصبي مع أمه وأخته الكبيرة سارة إلى كنف أبي الأسرة في حلب وقد انتهت الحرب العالمية الأولى، وانتهى بانتهاؤها الحكم العثماني من بلاد العرب. كان الأب منفياً مغضوباً عليه من جانب إستانبول لمساعدته الأرمن وإيوائهم في المحنة التي تعرضوا لها على أيدي الأتراك في سنوات الحرب.

التحق عمر في حلب بمدرسة، ثم بأخرى، ثم توجه إلى بيروت وعمره أربع عشرة سنة ليدرس في الصفوف الثانوية بالجامعة الأميركية. وتخرج وهو في السابعة عشرة من العمر بعد أن درس العلوم والآداب. وكان ممن علمه العربية هناك أنيس الخوري المقدسي وجبرائيل جبور. وما بلغ الثامنة عشرة حتى توجه إلى إنجلترا ليتعلم صناعة الغزل. تمرن في المصانع ودرس في جامعة مانشستر كيمياء الغزل والنسيج أربع سنين. كان على وشك الزواج بفتاة إنجليزية، لكن الموت عاجلها فحزن، وكتب في ذلك شعراً.

عاد إلى حلب شاباً في الثانية والعشرين. ولم يوفق في فتح مصنع للغزل. ولم تنجح الأسرة الإقطاعية في الانتقال إلى عصر الصناعة. . ولا البلد نجح في مثل هذه النقلة. كانت فرنسا تحتل سورية آنذاك. وكان احتلالها مصحوباً بالقمع والتسلط الشديدين.

آل أبو ريشة عرب تمتد جذورهم القبلية بعيداً، ويفخرون بنسبهم، وكان أجداد شاعرنا ولاية وحكام أقاليم في العصر العثماني، وكانت عائلة أمه راسخة في الصوفية. وبعد انفصال البلاد العربية في الشام عن جسم الدولة العثمانية شاطر قادة المجتمعات الشريف حسين وأولاده حلم بناء دولة عربية مستقلة. وبدأت العائلات الإقطاعية تحلم بالاستمرار في قيادة المجتمع مع التحول إلى

التصنيع. وسرعان ما ذبح المنتصرون في الحرب الأولى الحلم العربي باتفاقية سايكس - بيكو، فكان تقسيم بلاد الشام إلى دول، وكان أن جاء المنتصرون ليحكموها باسم الانتداب.

واجتمعت القوى البرجوازية الصاعدة، ذات الجذور الإقطاعية، تقاوم الحكم الفرنسي وتسعى إلى استقلال تقود فيه المجتمع إلى نهوض صناعي وتعليمي. كان رجال الكتلة الوطنية: فارس الخوري، وشكري القوتلي، وهاشم الأتاسي، وإبراهيم هنانو، وسعد الله الجابري، وجميل مردم بك يمثلون هذا التوجه الذي أصبح القاطرة التي تقود النضال السياسي، وأحياناً العُنف، ضد الاستعمار الفرنسي. وكان في المحمل الآخر عبد الرحمن الشهبندر وسلطان الأطرش اللذان قادا ثورة الجنوب السوري، دمشق وجبل العرب، في أواسط العشرينات.

كان للكتلة الوطنية الأثر الأكبر في هذه الحقبة، وإلى جانب الكتلة نشأ تنظيم شبابي ينتهج خط الكتلة الوطنية ويأتمر بأمر كهولها. وكان عمر أبو ريشة من أقطاب هذا التنظيم الذي عرف باسم «الشباب الوطني». فلما وقع رجالات الكتلة معاهدة مع فرنسا عام ١٩٣٦، عارض «الشباب الوطني»، ومعه شاعرنا المعاهدة، مثلما عارضها خط الشهبندر - الأطرش. ولم تصادق فرنسا على المعاهدة، ونالت الكتلة الوطنية لطمه، لكنها ظلت القاطرة التي ستولى أمر سورية بعد الاستقلال عام ١٩٤٦.

مع انشقاقه عن الكتلة الوطنية، وسخريته شعراً من المعاهدة التي عقدتها، انصرف عمر أبو ريشة إلى تأسيس دار كتب في حلب، وأصبح مديراً لها نحو عشر سنين. وترشح مرتين للنّابة ولم يوفق.

في عام ١٩٤٩، وبعد بضع سنين من الحكم المدني غير المستقر، جاء انقلاب حسني الزعيم، وبعده بأشهر انقلاب سامي الحناوي، وعين عمر أبو ريشة مفوضاً لسورية في البرازيل، ثم رقي إلى سفير، وبقي في أميركا اللاتينية، تصحبه زوجته وابنته رفيف وولده شافع، نحو خمس سنين كان فيها يمثل سورية في البرازيل وتشيلي والأرجنتين.

ثم إلى الهند سفيراً خمس سنين حتى ما بعد قيام الوحدة بين مصر وسورية، ثم إلى النمسا سفيراً للجمهورية العربية المتحدة، دولة الوحدة، ثم سفيراً في واشنطن لسورية ثلاث سنين، ثم عودة إلى الهند سفيراً لسورية ست

سنتين. فذلك: عشرون عاماً قضاها الشاعر في السلك الدبلوماسي. وفي عام ١٩٧٠ تقاعد وسكن في بيروت. عاش في تقاعده عشرين سنة.

ينقح المداحون سيرة عمر أبو ريشة حتى لتشبه سيرة عمر بن الخطاب. لذا لا يذكرون له حباً عاصفاً وهو يقترب من السبعين أدى إلى ترك العشيقة المتزوجة زوجها. لقد تعرف عليها وهي مع زوجها، وكانت ترافقه زوجته.

وحاول أن يقنع زوجته بتقبل الوضع الجديد لكنها رفضت، ورفض أبناؤه، وخاصموه حتى النهاية.

الكاتب جهاد فاضل، الذي ساقه الله ليلون حياة أدبائنا بلون فضائحي جميل، يطلق على السيدة سعاد، صفة الزوجة «الثانية أو الأخيرة» لعمر أبو ريشة.. كأنه يعرض بأنه كان للشاعر زوجات أخريات في تاريخه الطويل وجغرافياه الواسعة.

في العشرين سنة الأخيرة من حياة الشاعر قال القليل، وكانت له علاقة قوية بالملكة العربية السعودية بدأت بلقاء مع الملك فيصل بن عبد العزيز. وله فيه بيتان جميلان:

يا ابنَ عبدِ العزيزِ! وانتفضَ العزُّ وأضغى وقالَ مَنْ ناداني
قلتُ: ذاكَ الجريحُ في القدسِ في سَيِّءِ ناءٍ في الضَّفَّتَيْنِ في الجَوْلانِ

توفي عمر أبو ريشة عن ثمانين سنة، عام ١٩٩٠، بعد أن مكث على سرير المرض في مستشفى بالرياض سبعة أشهر. ونقل جثمانه إلى حلب.

١ وامعتصماه في آذان صمَاء

بعد نكبة فلسطين ١٩٤٨:

أُنْتِي، هل لك بين الأمم مِنْبَرٌ لِلسيفِ أو لِلقلمِ؟
أَتَلَقَّاكِ وطَرَفِي مُطَرِّقٌ خَجَلًا مِنْ أَمْسِكَ الْمُنْصَرِمِ
ويكادُ الدمعُ يَهْمِي عابِثًا بِبَقايا كِبَرِياءِ الأَلَمِ

يكاد دمعي يسيل فكانما يعث بما تبقى من الكبرياء التي هي كبرياء المتألم لا كبرياء المنتصر السعيد

أَيْنَ دُنْيَاكِ التي أَوْحَتْ إلي وَتَرِي كُلَّ يَتِيمِ النَّعَمِ؟

يا أمتي أين أيامك الماضية المجيدة التي أوحى إلي بالأنعام الفريدة اليتيمة التي لا تشاكلها أنعام؟

كَمْ تَحْطِيطُ عَلَى أَصْدَائِهِ مَلْعَبَ الْعِزِّ وَمَغْنَى الشَّمَمِ
على أصداء ذلك النغم كنت أسير قاطعاً ملعب العز، والملعب الساحة في لغتنا القديمة، ومغنى
الشمم، أي مربع الشموخ

وتهاديتُ كأنِّي ساجِبٌ مِثْرَرِي فوقَ جِباهِ الأَنْجُمِ
كنت أسر متهادياً، متمهلاً مختالاً، وكأنني أسحب ذيل ثوبي فوق جبين النجم

أَمَتِي كَمْ عُصَّةٍ دَامِيَةٍ خَنَقَتْ نَجْوَى عُلَاكِ فِي قَمِي
ما أكثر الغصص الدامية التي خنقت في حلقي مناجاتي لأمجادك، فلم أعد أستطيع التغني بهذه
الأمجاد

أَيُّ جُرْحٍ فِي إِبَائِي رَاعِفٍ فَاتَهُ الْآسِي، فَلَمْ يَلْتَمِمْ!
ما هذا الجرح الراحف، النازف، الذي أصاب إبائي وشموخي وفاته الآسي، أي الطيب، فلم
يندمل!

إِسْرَائِيلَ تَعْلُو رَايَةً فِي حِمَى الْمَهْدِ وَظِلِّ الْحَرَمِ
رفعت إسرائيل رايتها في أرض مهد عيسى، وفي ظلال الحرم القدسي.. وبعد هذه القصيدة بتسعة
عشر عاماً ستحتل إسرائيل بيت لحم والقدس ولن تبقى رايتها على مقربة منهما فقط

كَيْفَ أَعْضَيْتِ عَلَى الذَّلِّ، وَلَمْ تَنْقُضِي عَنْكَ غُبَارَ الثُّهَمِ؟
يا أمتي كيف سكّ على الذل، ولم تنقضي عنك تهمة الجبن والاستخذاء؟

أَوَمَا كُنْتَ إِذَا الْبَغْيُ اعْتَدَى مَوْجَةً مِنْ لَهَبٍ أَوْ مِنْ دَمٍ؟
فِيمَ أَقْدَمْتِ، وَأَحْجَمْتِ؟ وَلَمْ تَنْتَقِمِي
وَانْظُرِي دَمْعَ الْبَنَامَى وَابْسِمِي
تَتَفَانِي فِي خَسِيسِ الْمَنَمِ
اتركي الزعماء يفنون كل طاقاتهم لنيل المغانم الخسيسة التافهة

رُبَّ «وَامْتَعَصِمَاهُ» انْطَلَقَتْ مِلءَ أَفْوَاهِ الْبَنَاتِ الْيُنُثَمِ..
ثمة صرخة «وامتعصماه» انطلقت من أفواه البنات اليتامى مستغنية..

لَا مَسَتْ أَسْمَاعُهُمْ لَكُنْهَا لَمْ تُلَامِسْ نَخْوَةَ الْخَلِيفَةِ الْمَعْتَصِمِ
هذه الصرخة لامست أسماع الزعماء، ولكنها لم تلامس فيهم نخوة كنخوة الخليفة المعتصم الذي
لبي نداء تلك المرأة العربية التي صرخت «وامتعصماه» وحارب الروم

أَمَتِي كَمْ صَنَمٍ مَجْدِيهِ لَمْ يَكُنْ يَحْمِلُ طُهْرَ الصَّنَمِ

لا يُبْلَامُ الذُّثْبُ فِي عُدَوَانِهِ إِنَّ يَكُ الرَّاعِي عَدُوَّ الْغَنَمِ
فَاحِيسِي الشُّكُوى، فَلَوْلَاكَ لَمَّا كَانَ فِي الْحَكَمِ عَبِيدُ الدُّرْهَمِ

٢ حيلة الذليل

رَبِّ طَوَّقْتَ مَغَانِيَّ نَا جَمَالاً وَجَلالاً

مغانينا: ربوعنا، بلادنا

وَنَثَرْتَ الْخَيْرَ فِيهِنَّ- يَمِيناً وَشِمَالاً
وَتَجَلَّيْتَ عَلَيْهِنَّ- صَلِيباً وَهَلالاً
رَبِّ هَذِي جَنَّةُ الدُّنَى يَا، عَبيراً وَظِلالاً
كَيْفَ نَمشي فِي رُبَاهَا الـ خُضْرٍ، نِيهاً وَاخْضِبالاً..
وَجِرَاحُ الذَّلِّ نُخْفِيهِ هَا عَنِ الْعِزِّ اخْضِبالاً؟
رُدَّهَا قَفْرَاءَ، إِنَّ شَيْئاً تَ، وَمَوْجُهَا رِمَالاً

يا رب اجعل أرضنا قفراء، جذباء، ولتتموج فيها رمال الصحراء..

نَحْنُ نَهْوَاهَا عَلَى الْجَدِّ بِ إِذَا أَعْطَلَتْ رِجَالاً

نحب الأرض مجدبة إن كانت تلد رجالاً شامخين

٣ الثري النفطي

بِدَوِيِّ، أَوْزَقَ الصَّخْرُ لَهُ وَجَرى بِالسَّلْسَبِيلِ الْبَلَقُ

سمع الشاعر عن ثري نفطي أنفق في ليلة ستين ألف دولار على عشيقة، فهذا الرجل الثري خرج له من الصخر نفط كأنه بستان مورق، وتفجر البلقع، الأرض المجدبة، ينبع سلسيل.. لكن من نفط. القصيدة مؤرخة بعام ١٩٥٤، قبل أن تكون للشاعر علاقة حسنة بمنطقة الخليج

فَإِذَا النَّخْوَةُ وَالْكِبْرُ عَلَى تَرَفِّ الْأَيَّامِ جُرْحُ مُوجِعُ

فتحولت النخوة والكبرياء إلى جرح بوجود هذا الترف

هَانَتْ الْخَيْلُ عَلَى فُرْسَانِهَا وَأَنْطَوَتْ تِلْكَ السِّیُوفُ الْقُطْعُ

وترك العرب خيلهم وانتهى زمن السيوف القاطعة

وَالْخِيَامُ الشُّمُّ مَالَتْ، وَهَوَتْ وَعَوَتْ فِيهَا الرِّیَاحُ الْأَرْبَعُ

الرياح عند قدمائنا: الصبا والقبول والديبور والنكباء.. وقيل غير ذلك

والبُطولاتُ، على غُرَبَتِهَا في مَغَانِينَا، جِياعٌ خُشَّعٌ
هكذا تُقَتَّحُمُ القدسُ على غاصِبِهَا، هكذا تُسْتَرْجَعُ!
يهزأ: أهكذا نسترجع القدس؟

٤ على أرائكهم

في تأبين الأخطل الصغير، وتوفي عام ١٩٦٨ :

كتائبٌ بالنضالِ الحقِّ مُؤمَّنةٌ إذا الطَّواغيتُ مِن إيمانِها سَخِرُوا
الجنود في كتائبهم يؤمنون بالنضال الحقيقي، في حين أن الزعماء المستبدين يسخرون من هذا
الإيمان

إن خُوطبوا كَذَبُوا أو طُولِبُوا غَضِبُوا أو حُورِبُوا هَرَبُوا أو صُوجِبُوا غَدَرُوا
خافُوا على العارِ، أنْ يُمَحَى، فكانَ لَهُمُ على الرِّباطِ، لِدعمِ العارِ، مُؤْتَمَرُ
هذا عن مؤتمر القمة العربي في الرباط، وجاء بعد النكسة وفشل الزعماء العرب في التوصل إلى
أي قرار فيه

على أرائِكِهِمْ، سَبَحَانَ خَالِقِهِمْ عاشُوا وما شَعَرُوا، مَاتُوا وما قُبِرُوا
عَفُواً، بِشَارَةٍ، بعضُ البوحِ ضُمَّتْ به فَسَالَ فوقَ فَمِي، حَرَّانَ، يَسْتَعِرُّ
بشارة الخوري الذي قُلت القصيدة في تأينه

خَنَقْتُ بِالدَّمَعةِ الخَرساءِ أَكثَرَهُ، وَأَقْتَلْتُ الدَّمَعَ ما لا يَلْمَحُ البَصْرُ
خنقت أكثر بؤحي بدمعة خرساء، دمعة داخلية لم تظهر للعيان، وأكثر الدمع إيذاء ما لا يظهر

٥ تجاهلت السؤال

ركب الشاعر الطائرة في أميركا الجنوبية، وجلست بجانبه حسناء إسبانية جذورها
عربية، ١٩٤٩ :

قُلْتُ: يا حسناء، مَن أَنْتِ؟ وَمِن أَيِّ دَوْحٍ أَفْرَعَ الغُصْنُ وطالاً؟
دوح: شجرة وارفة الظل كبيرة

وَأَجابَتْ: أَنَا مِن أُنْدَلُسٍ جنة الدنيا سهولاً وجبالاً
وجُدودي، أَلْمَحُ الدهرَ على ذَكَرِهِمْ يَطوي جَناحِيهِ جَلالاً
بُورِكَتْ صحراؤُهُمْ كَم زَخَرَتْ بِالمُروءاتِ رِياحاً ورمالاً

هؤلاء الصيْدُ قومي، فانتسبَ إن تجدَ أكرمَ من قومي رجالا

الصيد: الأسباد

أظرقَ القلبُ، وغامتَ أعيني برؤاها، وتجاهلتُ السؤال

٦ معبد وعرايا

زار معبدًا فيه تماثيل عارية تمثل الرجال والنساء في أوضاع جد «طبيعية»، ١٩٥٧:
مَن مِنكُمَا وَهَبَ الأمانَ لأخيه، أنتَ أم الزمانُ؟
أيها المعبد الهندي المهيب بسكونه وطمأننته، هل أنت أعطيت الأمان للزمان أم هو أعطاك الأمان؟

كَمْ دُمِيَّةٌ ذَلَّ الرُّخا مُ على انتفاضتها وهان
كان التماثيل انتفضت وخرجت من الرخام فأذلته وقهرته

طَلَبْتُ فَأَعْطَى، واشترأبـ ت فأنحنى، وقستَ فلان
طلبت التماثيل من الرخام أن ينصاع لأمرها حتى تتكون وقست عليه فلان لأمرها فتشكلت

وتكادُ تنقُلُ ظِلُّها وتسيرُ مُطْلَقَةَ العِنان
لشدة شبهها بالشخوص الحية فإن التماثيل تكاد تتحرك

هذانِ نِضُّوا صَبُوءَ مجنونة، يتعانقان
هذا تمثال لشخصين أنضاهما العشق المجنون، أي أنعبهما، وهما متعانقان

وتلوحُ إحداهُنَّ ذا هِلَّةٌ مُروَّعةُ الجِنان
وهذه امرأة مرتبكة خائفة

وكأنَّها شَعَرَتْ بِنَـ لذيتها أرادا يشردان
فلها على طوقيهما كَفَّانِ لا تترخزان
ومُراهِقِ مُستَسْلِمِ لِقِيادِ غانِيَةِ عَوان
وهذا تمثال شاب مع بائنة هوى عوان، نَصَفَ غير شابة

رَدَّ الرَبِيعُ لَهَا، فَرَّقَـ ت طُلُوعَةً وَزَهَتْ لِيان
قد استردت بعض فتنة شبابها فكانت طلعتها بهية وجسمها ليانًا فهي مزهوة مفتخرة

أهُوتَ عَلَيْهِ فَاكْتَسَى بِالْيَاسَمِينِ الحَيْزُران
يبدو أن المراهق خيزراني القوام نحيل، والعاشقة سمينة كشجرة ياسمين وارفة

وَتَمَهَّلْتُ، لَا وَهَجُهَا فَاِنْ، وَلَا الْيَنْبُوعُ فَاِنْ
وَجِيَالُهَا ثِنْتَانِ مِنْ أَتْرَابِهَا مَنْسِيَّتَانِ
زُمَّتْ شِفَاهُهُمَا عَلَى مَعْسُولِ مَا تَتَسَاقِيَانِ
وَسَهَتْ جُفُونُهُمَا عَلَى أَظْيَافِ مَا تَتَشْهَيَانِ
يبدو أن المرأتين متعانتان عشقاً

وَنَدِي كُفَّاهَانِ تَضَوَّ- عَ فِي مَجَامِرِهِ الدُّخَانِ
وهذا تمثال لمجلس كهان وقد فاح دخان عطري من مجامره

وَصُنُوجُهُ وَكُؤُوسُهُ طَافَتْ بِهَا زُمَرُ الْقِيَانِ
والقيان، أي الجواري، يطفن ساقيات بالكؤوس، مصونات بالصاجات في أكفهن

بِرُقُصْنٍ فِي إِغْرَائِيهِنَّ- وَكُلُّ قَدْ، أَفْمُوانِ
وَعَوِيَّةٍ ظَمَأَى تَفَنُّ- نَ فِي رِضَاهَا ظَامِئَانِ

وهذه امرأة غاوية ومعها رجلان ظامئان للعشق، وتمائيل الهند مشهورة بما تصور من أوضاع العشق

هَامَا بِمَا اقْتَسَمَا فَكُلُّ- عِنْدَ مَوْرِدِهِ اسْتَكَا
وكل رجل من هذين قانع بالموضع الذي أخذه من المرأة

هَذَا مَطَاوِيهَا اسْتَطَا بَ، وَذَا نَوَافِرُهَا اسْتَلَانِ

أحدهما أعجبه ما ضر من جسمها، والآخر منشغل بما كان من جسمها نافرأ، أعوذ بالله، لشعرك يا أبا ريشة أفصح من تلك التماثيل

وَصَبِيَّةٌ مَمَشُوقَةٌ هِيَ وَالْغَوَايَةُ تَوَآمَانِ
يَهْفُو الْقَمِيصُ لِمَسِّ خَض- رِيَّهَا، وَتَأْبَى الْحَلَمَتَانِ
يريد قميص الصبية الممشوقة أن يمس خصرها ولكن صدرها البارز يبعده عن بقية جسمها

«كَاجِرَاوُ»! هَلْ مِنْ خُرْمَةٍ لَكَ عِنْدَ رَائِيهَا نُصَانِ
يا معبد كاجراو، لم ترك شيئاً من الحرمات مصوناً مستوراً

كَمْ زَائِرٍ أَذْمَى قُؤَا ذَكَ مَا أَسَرَّ وَمَا أَبَانَ
كم من زائر أحزنك أيها المعبد بمشاعره التي أبداها وتلك التي أسرها في نفسه

أَخْفَى الرِّضَى وَتَظَاهَرَتْ بِالسُّخْطِ، عَيْنَاهُ اللَّتَانِ.

في ضمير الزائر رضى وانشراح لهذه التماثيل الإباحية، ولكنه يتظاهر بالاشمئزاز، والسخط باد في عينيه اللتين..

تَحَرَّيَانِ وَتَنَهَلَا نِ وَتُكْسِرَانِ وَتَحْلُمَانِ

.. تحديقان وتمتعان وتحلمان ..

مَزَّقْتَ أَقْنَعَةَ الْحَيَا قَ، وَمَا عَلَيْهَا مِنْ دِهَانِ

وَجَلَوْتُهَا فِي عُزْبِهَا فَتَرْفَعَتْ بَعْدَ امْتِنَانِ

جلوت حقيقة الشهوات البشرية أيها المعبد فأصبحت آيات فن بعد أن كانت ممتنة مردولة

لَا تَسْأَلَنَّ فُلْنَ أَجِيـ بَ، وَظَنَّ بِي مَا أَنْتَ ظَانِ

أنا مثلُ غيبري لا يُرى لِي مِنْ كُوى سِجْنِي كِيَانِ

لن أفصح عن مشاعري، فأنا مثل غيبري لا تبدو حقيقي من نوافذ سجنِي الضيقة .. سجن التقاليد
والمحرمات

أَنَا مُطْمَئِنٌّ بِالْقِنَا عِ، وَرَافِلُ الطَّلَسَانِ

وأنا مطمئن بهذا الوضع، وبما أستر به مشاعري من طيلسان، ثوب، ومن قناع

«كَأَجْرَاؤُ»! لَوْلَا الْمَجْزُ وَالـ حِرْمَانُ مَا كَانَ الْجَبَانُ

نحن نجبن عن اقرار المنوع، والسبب الحرمان والعجز

٧ كبرياء بلبل

(تعليقاً على قول الجاحظ: «البلبل لا ينسِلُ في قفص») ١٩٤٤:

لَوْ يَعْلَمُ الصَّبَّادُ مَا صَبَّاهُ لَمْ يَجْعَلِ الْبُلْبُلَ فِي صَبَّاهِ

أَلْفَيْتُهُ يَنْثُرُ أَلْحَانَهُ كَأَنَّمَا يَنْثُرُ مِنْ كَبَّاهِ

رأيت البلبل في القفص يغرد بحزن، كأنما ينثر كبده نثراً

أَسْقَمَهُ الْعَيْشُ عَلَى وَفَرِهِ لَمَّا رَأَى لَيْسَ مِنْ كَدِّهِ

أمرضه أن يعيش على طعام يقدم له في القفص ولم يتعب في تحصيله

فَعَافَ دُنْيَاهُ وَلَمْ يَتَّخِذْ عُشًّا، وَلَمْ يَحْمِلْ سَوَى زُهْدِهِ

كَأَنَّهُ مِنْ طُولِ مَا مَضَّاهُ مِنْ عَبَثِ الدَّهْرِ وَمِنْ كَيْدِهِ

مضه : آذاه

أَبَى عَلَيْهِ الْكِبَرُ أَنْ يُورِثَ الـ أَفْرَاحَ ذُلِّ الْقَيْدِ مِنْ بَعْدِهِ

لكبريائه لم ينجب أفراحاً حتى لا يرثوا القيد ويكونوا محبوسين مثله في القفص

أَصْبَحَ السَّفْحُ مَلْعَباً لِلنُّسُورِ فَاغْضَبِي يَا ذُرَى الْجِبَالِ وَثُورِي
بعد أن كانت النسر تحلق فوق القمم أصبح ملعبها، ساحتها، السفح، فلتغضب الذرى، القمم،
لهذا الوضع

إِنَّ لِلْجُرْحِ صَبِيحَةً فَاْبْعَثِيهَا فِي سَمَاعِ الدُّثْنِ فَحِيحَ سَعِيرِ
إِنَّهُ لَمْ يَعُدْ يُكْحَلْ جَفْنُ النَّدِّ جَمِ نِيهَاً بِرَيْشِهِ الْمَنْشُورِ
هَجَرَ الْوَكْرَ ذَاهِلاً وَعَلَى عِبِ نَبِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْوَدَاعِ الْأَخِيرِ
هجر وكره في القمة لأنه لم يعد يستطيع الوصول إلى القمة، وكان ذاهلاً وعلى عينيه «شيء» أي
دمع بسبب الوداع الأخير للقمة

تَارِكاً خَلْفَهُ مَوَاكِبَ سُحْبٍ تَتَهَاوَى مِنْ أَفْقِهَا الْمَسْحُورِ
هبط النسر العجوز تاركاً في الأعالي الغيوم تهوي في أفق السماء... لكن فوقه
هَبَطَ السَّفْحُ طَائِياً مِنْ جَنَاحَيْهِ عِلى كُلِّ مَطْمَحٍ مَقْبُورِ
فَتَبَارَتْ عَصَائِبُ الطَّيْرِ مَا بِيَدِ نَ شَرُودٍ مِنَ الْأَذَى وَنَفُورِ
جماعات الطيور هربت من أذى النسر الكاسر، وهي طيور ضعيفة تفر وتفر اتقاء أذى النسر
لَا تَطِيرِي جَوَابَةَ السَّفْحِ فَالنَّسْرُ رُ إِذَا مَا خَبِرْتَهُ لَمْ تَطِيرِي
لا تطيري أيتها الطيور الضعيفة التي تجوب السفح ولا تقوى على القمم، ولا تهربي، فلو عرفت
أن النسر فقد قوته لما طرت بعيداً عنه

نَسَلَ الْوَهْنُ مِخْلَبِيهِ، وَأَذَمَتْ مَنَكَبِيهِ عَوَاصِفُ الْمَقْدُورِ
النسر الآن ضعيف وقد نسل الضعف مخليه نسلأ واستلأها استللاً، وسال دم من كتفيه بسبب
القدر الغلاب

وَالْوَقَارُ الَّذِي يَشْبِعُ عَلَيْهِ فَضْلَةُ الْإِرْثِ مِنْ سَحْبِ الدُّهُورِ
وما عليه من وقار هو مجرد إرث من زمن سابق سحيق بعيد

وَقَفَ النَّسْرُ جَانِعاً يَتَلَوَّى فَوْقَ شِلْوٍ عَلَى الرَّمَالِ نَشِيرِ
وقف النسر جانعاً يتلوى ألماً فوق شلو، عضو من الأعضاء والجمع أشلاء، وقد نُثر على الرمل
وَعِجَافُ الْبُغَاثِ تَدْفَعُهُ بِأَلْبِ مِخْلَبِ الْعَضِّ وَالْجَنَاحِ الْقَصِيرِ
لكن البغاث، الطيور الضعيفة، العجفاء النحيلة اجترأت على النسر وصارت تدفعه بعيداً بمخالها
الطرية وأجنحتها القصيرة

فَسَرَتْ فِيهِ رَعِشَةً مِنْ جُنُونِ الْكَبِيرِ وَاهْتَزَّ هَزَّةَ الْمَقْرُورِ

سرت في جسم النسر رعشة كبرياء واهتز كما يهتز المقرور، المصاب بالقر أي البرد

وَمَضَى سَاحِباً عَلَى الْأَفْقِ الْأَعْفَى بَرٍّ أَنْقَاصٍ هَيْكَلٍ مَنْخُورٍ

وسحب نفسه على الأفق المغبر وطار.. كأن جسمه هيكلاً متهاوياً منخوراً، غير صلد

وَإِذَا مَا أَتَى الْغَيَاهِبَ وَاجْتَا زَمَدَى الظَّنِّ مِنْ ضَمِيرِ الْأَثِيرِ..

وعندما وصل إلى الغياهب، المكان المظلم بعيداً، وطار إلى أبعد مما تصل إليه الظنون في جوف الأثير، أي السماء..

جَلَجَلَتْ مِنْهُ رَعَقَةٌ نَشَتْ الْآفَاقُ حَرَى مِنْ وَهْجِهَا الْمُسْتَطِيرِ

صرخ بزعيق اهتزت له الآفاق لما به من غضب مستطير

وَهَوَى جُثَّةً عَلَى الذَّرْوَةِ الشَّمْسِ - - - هَاءٍ فِي حِضْنٍ وَكُرِّهِ الْمَهْجُورِ

وبطيرانه العالي هذا الذي أجبر نفسه عليه رغم ضعفه، وصل هذه المرة إلى الذروة، القمة، التي كان ضعفه قد حرمه منها.. ثم سقط جثة على القمة عند وكرة القديم الذي هجره طويلاً بسبب ضعفه

لَمْلِمِي يَا ذُرَى الْجِبَالِ بَقَايَا النَّدَى - - - سِرٍّ، وَارْزَمِي بِهَا صُدُورَ الْعُصُورِ

أَيُّهَا النَّسْرُ هَلْ أَعُودُ كَمَا عُدْتُ، أَمْ السَّفْحُ قَدْ أَمَاتَ شُعُورِي؟

الشاعر يشبه نفسه بالنسر الضعيف، فهل يغضب غضبة أخيرة فيعود إلى قمته ولو كلفه ذلك حياته، أم أن تَعُودَهُ الْبَقَاءُ عَلَى السَّفْحِ، في مرتبة نازلة عن مستواه، قد أَمَاتَ شُعُورَهُ؟

٩ تَغَيَّرْتُ

١٩٥٨

وَأَتَيْتُ مِرَاتِي وَعِظْرِي فِي يَدِي فَبَصُرْتُ مَا لَا كُنْتُ فِيهَا أَبْصُرُ

فَحَفَضْتُ طَرْفِي، ذَاهِلاً مَتَوَجِّعاً وَنَفَرْتُ مِنْهَا عَاتِباً أَسْتَنْكَرُ

خَانَتْ عُهُودَ مَوَدَّتِي، فَتَغَيَّرْتُ مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهَا تَتَغَيَّرُ

النكته: أن المرأة هي التي تغيرت، لا أنه فوجئ بأنه هو تغير وشاخ

١٠ القصيدة.. وكسب العيش

١٩٦٢

هِيَ وَالْدُنْيَا وَمَا بَيْنَهُمَا غُصَصِي الْحَرَى وَأَهْوَائِي الْعَنِيدَةَ

هي القصيدة التي أريد أن أبلغ بها ذروة المجد.. والدنيا التي أسعى في مناكبها متقلداً الوظائف والمناصب.. وبينهما أحس بغصص، وآلام، وأحس بضغظ من ميولي الأدبية العنيدة

رَحْلَةً لِلشَّوْقِ، لَمْ أَبْلُغْ بِهَا مَا أَرْتَنِي مِنْ فَرَادِيسَ بَعِيدَةٍ

لم أستطع بلوغ الفردوس البعيد، المرتبة العليا، في رحلتي هذه

طَالَ دَرْبِي، وَانْتَهَى زَادِي لَهُ وَمَضَى عُمْرِي عَلَى ظَهْرِ قَصِيدَةٍ

طال بي درب الشعر والإبداع، ولم أكن تزودت للدرب بما يكفيني.. وعمرى انقضى وأنا أركب
شيطان الشعر آملاً أن يوصلني إلى الخلود. كل شاعر يتوق إلى أن يكون متنبئ العصر!

١١ عُودِي

١٩٦٥

قَالَتْ مَلِئْتُكَ، إِذْهَبْ لَسْتُ نَادِمَةً عَلَى فِرَاقِكَ، إِنَّ الْحَبَّ لَيْسَ لَنَا

سَقِينُكَ الْمُرَّ مِنْ كَاسِي، شَفَيْتُ بِهَا حَقْدِي عَلَيْكَ، وَمَا لِي عَنْ شَقَاكَ غِنَى

الحيبة سعيدة بأنها عذبتك بحبها، وما كان ليهداً بالها إلا بعد أن ترى الحبيب شقياً معذباً

قَالَتْ، وَقَالَتْ، وَلَمْ أَهْمِسْ بِمِسْمَعِهَا مَا نَارَ مِنْ غُصَصِي الْحَرَّى وَمَا سَكْنَا

ظلت نفع بفحيح غضبها وهو ساكت لا يعبر عن آلامه الكبيرة، سواء ما نأر منها أم ما كبته في قلبه

تَرَكْتُ حُجْرَتَهَا، وَالذَّفَاءَ مُنْسَرِحاً وَالْعَطَرَ مَنْسَكِباً، وَالْعَمَرَ مُرْتَهَنًا

ترك غرفتها وترك ذفاء العشق، وهجر العطر، وتحرر من ارتهاان عمره في حبها

وَسِرْتُ فِي وَحْشَتِي، وَاللَّيْلُ مُلْتَحِفٌ بِالزَّمْهَرِيرِ، وَمَا فِي الْأَفْقِ وَمَضَ سَنَا

وسار في الليل تصاحبه وحشته، وكان الليل ملتقاً بالزهمير، ولم يكن في الأفق بصيص نور

وَلَمْ أَكْذُ أَجْتَلِي دَرْبِي عَلَى حَدْسٍ وَأَسْتَلِينَ عَلَيْهِ الْمَرْكَبَ الْحَشِينَا .

وما كاد يجتلي ويرى طريقه بالتلمس والتخمين في هذا الظلام، ويحس بأن سيره صار آمناً فكانه
وجد المركب المضطرب قد أصبح سلساً..

حَتَّى سَمِعْتُ وَرَائِي رَجَعَ زَفَرَتَهَا حَتَّى لَمَسْتُ حِيَالِي قَدْهَا اللَّدِينَا

حتى سمع وراءه صوت تنفسها.. وحتى لمس بجانبه قدها اللين

نَسِيتُ مَا بِي، هَزَّتْنِي فُجَاءَتُهَا وَفَجَّرَتْ مِنْ حَنَانِي كُلَّ مَا كَمْنَا

نسي ما به من ألم الإهانة والصد، وهزته هذه المفاجأة، وأعادت إليه الحنان الكامن في قلبه

وَصِحْتُ يَا فِتْنَتِي، مَا تَفْعَلِينَ هُنَا؟ الْبَرْدُ يُؤْذِيكَ، عُودِي، لَنْ أَعُودَ أَنَا

وقال لها: أيتها المرأة التي فتنتني، ماذا تفعلين؟ البرد يؤذيكَ فعودي إلى غرفتك. لكن، أنا.. لن أعود

١٢ وصية

١٩٦٥

إِنَّهَا حُجِّرَتِي لَقَدْ صَدَّئِ النَّسْـيَ بَيَانُ فِيهَا، وَشَاخَ فِيهَا السُّكُوتُ
أَدْخُلِي بِالشُّمُوعِ، فَهِيَ مِنَ الظُّلْمِ مَمَةً وَكَرَّرَ فِي صِدْرِهَا مَنَحُوتُ
يطلب للمحبة أن تدخل غرفته بشموع تبدد الظلمة. ففرقة كأنها وكر منحوت نحتاً... ليس من
صخر... بل منحوت من صدر الظلمة

وَأَنْقُلِي الْخَطُوءَ بِاتِّشَادٍ فَقَدْ يَجْـ فَلَ مِنْكَ الْغُبَارُ وَالْعَنَكُبُوتُ
سيرى بطيئة لئلاً «يخاف» الغبار فيثور، ويتحرك العنكبوت. و«يجفل» الغبار» جديدة وفيها شعر بديع
عند كأسِيِ الْمَكْسُورِ حُزْمَةٌ أَوْراً قِي، وَعُمُرٌ فِي دَقَّتِيهَا شَتِيَتْ
ستجدين حزمة أوراق فيها قصائدي، وفيها عمري مشتتاً في طواياها

إِحْمِلِيهَا، مَاضِي شَبَابِكَ فِيهَا وَالْفَتُونُ، الَّذِي عَلَيْهِ شَقِيَتْ
هذه القصائد الغزلية فيها عصارة مشاعري إزاءك في أيام شبابك، وفيها الفتنة التي عذبتني
اقْرَأِيهَا، لَا تَحْجُبِي الْخُلْدَ عَنِّي أَنْشُرِيهَا، لَا تَتْرُكِينِي أَمُوتُ
اقْرأي القصائد، فهذا سيخلدني، وأنشربها فهذا يحميني من موت اسمي بعد أن يموت جسي

١٣ بعد فوات الأوان

: ١٩٦٢

غَابَ، وَلَنْ يَرْجِعَ، يَا لَيْتَنِي أَعْطَيْتُهُ بَعْضَ أَمَانِي الْحَيَاةِ
بعد موته تمنى المرأة لو أنها كانت أعطته ما يتمنى من الوصل والرضا

يَا لَيْتَنِي أَطَبَّقْتُ أَجْفَانَهُ قَبْلَ الرَّدَى، بِالْقُبْلَةِ الْمُشْتَهَاةِ
تمنى لو أنها أطبقت أجفانه قبل أن يموت بالقُبلة التي طالما حلم بها

أَشْعُرُ بِالْوَحْشَةِ مِنْ بَعْدِهِ . وَلَمْ يَكُنْ لِي فِيهِ مِنْ أُمْنِيَّاتٍ
أشعر بوحشة بعد موته، مع أنني في حياته لم أكن أتمنى وصاله

كَمْ مَرَّ بِي وَالشَّوْقُ يُزْرِي بِي وَلَمْ يَجِدْ مِنِّي إِلَيْهِ التَّفَاتِ
كان يمر بي والشوق يعذبه، ولا ألتفت إليه

مَالِي إِذَا مَا زَارَنِي طَيْفُهُ أَمْسَحُ مِنْ أَجْفَانِي الدَّامِعَاتُ؟
والآن يزورني طيفه وأتذكره فتدمع عياني

لَيْسَ سِوَاهُ، بَيْنَ أَثْرَاهِ كَانَ يَرَى أَنَّنِي أَحْلَى فَتَاهُ
فقط هو، من بين كل أصحابه، كان يراني أجمل فتاة

١٤ لا تنتقي كلماتك

١٩٦٦

حَدَّثَنِي عَمَّا يَصُحُّ بِجَنَبِي لَكَ، وَعَمَّا يَشُورُ مِنْ رَعْبَاتِكَ
حَدَّثَنِي، قُصِّي جَنَاحَ ظُنُونِي حَدَّثَنِي، لَا تَنْتَقِي كَلِمَاتِكَ
تكلمي ولا تجعلني ظنوني وشكوكي تطير بعيداً بأجنحة. قُصِّي أجنحة ظنوني، وقولي كل شيء
كيفما خطر ببالك «ولا تنتقي كلماتك». ما أكثر ما في هذه العبارة الأخيرة من شعر

١٥ عالم من نساء

١٩٦٤

سَارَتْ إِلَى الْمَرْكَبِ مَشْدُوهُةً مَعْقُودَةً أَجْفَانُهَا بِالسَّمَاءِ
مشت نحو السفينة هائمة حيرى، وعيناها في السماء

وْغَابَ فِي الْيَمِّ، وَغَابَتْ بِهِ وَغَابَ عَنِّي عَالَمٌ مِنْ نِسَاءٍ
وْغَابَ الْمَرْكَبُ فِي الْبَحْرِ، وَغَابَتِ الْمَحْبُوبَةُ مَعَهُ، وَبَغِيَابِهَا غَابَ عَنِّي عَالَمُ النِّسَاءِ.. فَبُهِتَ كَانَتْ
عالمًا من نساء..

١٦ القيد الضروري

أترأه قال هذه القصيدة عن زوجته؟ هكذا فسرناها. ١٩٦٦

لَمْ أَزَلْ أَسْحَبُ قَيْدِي مُتَعَباً وَجِرَاحِي لَمْ تَزَلْ تَشْتُمُ قَيْدِي
قيد الزواج يتعبني، وآلامي تلعن هذا القيد الذي قيدت نفسي به

أَنَا أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ رَاضِياً بَعْدَمَا غَيَّبْتُ فِي عَيْنَيْكَ رُشْدِي
قد تزوجت راضياً بعد أن فقدت صوابي في عينيك

كَمْ تَغَاضَيْتُ حَيَاءً، كَلِّمًا أَوْمَأْتُ لِي مِنْ كُوى الإِشْفَاقِ أَيْدِ
كنت، كرجل متزوج، أخجل عندما تمتد إليَّ يد مشفقة على عذباتي تريد أن تأخذني إلى حب آخر
ووضع آخر

مَا تَبَقَّى غَيْرُ هَذَا الْقَيْدِ لِي فِي بَقَايَا اللَّيْلِ مِنْ هَمٍّ وَسُهْدِ
ما بقي من همومي سوى هذا القيد

إِنَّهُ عُمْرِي قَلْنُ أَرْمِي بِهِ لَا أَطِيقُ السَّيْرَ فِي الْوَحْشَةِ وَحْدِي
قيد الزواج هو عمري، ولن أنخلص منه.. فهو يؤنس وحشتي ولا أطيع السير بدونه

١٧ انتقي لي حكاية

بعد عودته من بابل وبنوى قال هذه القصيدة، ونرى أنه يقصد عودته من لقاء مع
المحوبة، أو هكذا شاء خيالنا، ١٩٥٣ :

عَذْتُ مِنْ عَالَمٍ، تَأَلَّقَ فِي عَيْنِ نَيْنٍ فَبَاضَتَيْنِ بِالْأَسْرَارِ
عاد من لقاء من المحبوبة.. عاد من عالم عينيها المليئين بالأسرار

فِيهِمَا يَفْرَقُ الْخَيَالُ، وَتَنْهَا رُ الْأَمَانِي، وَتَسْتَحِمُّ الدَّرَارِي
في عينيها لا يبقى مجال لخيال فهما أبعد من كل خيال، وتنهـا كل الأمنيات أمام أمنية الوصل
معها، وفي عينيها لو تعلمون.. تستحم النجوم. نعثاً للذكور.. يجدون امرأة فاتنة، فائقة
الجمال، وقوية، ومنبعة.. ولا يستريح بالهم إلا أن يطفثوا بريق عينيها.. تبأ لهم.. ولها!

كَثُرَتْ فِيهِمَا حِكَايَاتُ نَعْمَا نِي، وَعَزَّتْ، وَحَارَ فِيهَا اخْتِيَارِي
في عينيها حكايات كثيرة عن النعمة التي أنا فيها بسبب لقائي بهذه الفاتنة، وعزيزة هذه النعماء
وممتنعة.. فأنا معذب بهاتين العينين.. وقد احترت أي حكاية من الحكايات الوهمية هذه أختار

مَا تُرَانِي، يَا بَدْعَةَ الْحُسْنِ، أَرْوِي لِصِحَابِي، وَكُلُّهُمْ فِي انْتِظَارِي؟
ايتها الفاتنة الجمال! ماذا سأقول لأصحابي عن هذه العلاقة المتبورة.. كلهم ينتظرونني لأروي
لهم..

إِنْتَقِي لِي حِكَايَةً، رَبِّمَا شَكَّ - صِحَابِي فِي الصَّدْقِ مِنْ أَخْبَارِي
قولي لي حكاية عن علاقتنا الصعبة هذه كي أرويها للأصحاب، فقد يشكون في حكاية أبتدعها
بنفسي. كل تفسيري للقصيدة تفسير بحسب ما تخيلت.. أقرأها وأشعر بها وحدك.. هذه قصيدة
لا تفسر

١٨ نلعب معاً

١٩٥٠

أَحْبَبْتَنِي، أَحْبَبْتَ أَنْ تَلْعَبِي وَتَسْحَبِي الذَّيْلَ عَلَى الْكَوْكَبِ
أَحْبَبْتِي لِهَوَاً، وَافْتَخَاراً لَكِي تَفْتَخِرِي بِذَلِكَ وَكَأَنَّكَ تَسِيرِينَ فِي السَّمَاءِ وَتَسْحَبِينَ ذَلِكَ عَلَى
الْكَوَاكِبِ

وَتَسْمَعِي نَجْوَاكِ مُخْضَلَّةً عَلَى شِفَاءِ الزَّمَنِ الْأَشْيَبِ
أَحْبَبْتِي لَكِي تَسْمَعِي هَمْسَاتِنَا نَدِيَّةً مُخْضَلَّةً عَلَى شِفَتِي الزَّمَنِ الْعَتِيقِ .. تَرِيدِينَ أَنْ يُقَالَ دَائِماً ..
كَانَتْ حَبِيبَةً فَلَان .. حَسَناً ..

أُمْنِيَّةً، أَدْرَكْتَهَا فَاعْرِفِي مَا شِئْتَ مِنْ نَعْمَائِهَا وَاشْرَبِي
لَقَدْ أَدْرَكْتَ أُمْنِيَّتَكَ، فَاعْرِفِي مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ مَا شِئْتَ .. فَأَنَا أَيْضاً مُسْتَمِعٌ

١٩ أظهر من الخجل

١٩٤٦

الْفَيْئُهَا سَاهِمَةً شَارِدَةً تَأْمُلًا
نَادَيْئُهَا، فَالْتَفَتَتْ نَهْدًا، وَشَعْرًا مُرْسَلًا
فَمَا انْتُنْتُ حَائِرَةً وَلَا رَتْنْتُ تَدْلُلًا

فقط التفتت .. ليس بحيرة؛ ولا هي رنت، أي نظرت، بدلال وغنج

وَلَا دَرْتُ وَجَنَّتُهَا مِنْ خَجَلٍ تَبَدُّلاً
كَأَنَّهَا فِي طَهْرِهَا أَظْهَرُ مِنْ أَنْ تَخْجَلَ

هذه صغيرة يا أبا ريشة. وفروز تقول لك: «حلوة والخضر ييلوي .. ما بتعرف أنها حلوي// لا تفوقها ع حالا .. بلكي شغلت لها بالاً»، وبالفصحى: «حلوة وجسمها بدأ يأخذ شكله، ولا تعرف أنها حلوة/ لا تجعلها تعي ذلك، فسوف تغفل لها بالها»

٢٠ سر السراب

١٩٤٦

لَا تَحْسَبْنِي سَالِيَاً، إِنَّ تَلْمَحِي فِي نَاطِرِي، هَذَا الدُّهْوَلُ الْمُبْهَمَا
سَالِيَاً: نَاسِيَاً، وَمَهْمَلَاً الْحَبَّ

إِنْ تَهْنِكِي سِرَّ السَّرَابِ وَجَذْبِي حُلْمَ الرَّمَالِ الْهَاجِعَاتِ عَلَى الظَّمَا
الهاجعات: النائمات. هذا شعر لا يشرح.. بل يقرأ بخشوع

٢١ شرف الوثبة

أَلْقَيْتَ فِي حَفْلَةٍ، ١٩٤٧، ابتهاجاً بعيد جلاء الفرنسيين:

يَا عَرُوسَ الْمَجْدِ، تِيهِي وَاسْحَبِي فِي مَغَانِينَا ذُبُولَ الشُّهُبِ
يا ربة المجد تبختری واسحبي ذبول شهب السماء في أراضينا

لَنْ تَرَى حَفْنَةً رَمَلٍ فَوْقَهَا لَمْ تُعْطَرْ بِدِمَا حُرِّ أَبِي
لن تري فوق مغانينا حفة رمل إلا وقد عطرتها دماء شهيد حر

دَرَجَ الْبَغْيِ عَلَيْهَا حِقْبَةً وَهَوَى دُونَ بُلُوغِ الْأَرَبِ
مشى الظلم فوق أراضينا زمناً، ولم يحقق هدفه

لَا يَمُوتُ الْحَقُّ، مَهْمَا لَطَمْتَ عَارِضِيهِ قَبْضَةُ الْمُغْتَصِبِ
عارضيه: خديه

مِنْ هُنَا شَقَّ الْهُدَى أَكْمَامَهُ وَتَهَادَى مَوْكِباً فِي مَوْكِبِ
من بلادنا شق هدى الإسلام أكمامه، كما يشق الزهر أكمامه، وأخذ الإسلام ينتشر بعد أن وصل
الشام.. فمن الشام بدأ فتح الاندلس غرباً وكان الوصول إلى حدود الصين شرقاً

وَأَتَى الدُّنْيَا فَرَقَّتْ طَرِباً وَانْتَشَتْ مِنْ عَبْقِهِ الْمُنْسَكِبِ
وطار الإسلام شرقاً وغرباً وشعرت الدنيا بنشوة من عبيره وتسامحه

وَتَغَنَّتْ بِالمُرُوءَاتِ الَّتِي عَرَفَتْهَا فِي قَتَاهَا الْعَرَبِي
وتغنت الدنيا بشهامة النبي العربي

أَضْبَدٌ، ضَاقَتْ بِهِ صَحْرَاؤُهُ فَأَعْدَتْهُ لِأَنْسِقِ أَرْحَبِ
النبي أصيد، سيد ماجد، أعدته صحراؤه لبلوغ أفق أوسع

هَبَّ لِلْفَتْحِ، فَأَذْمَى تَحْتَهُ حَافِرُ الْمُهَرِّ جَبِينِ الْكَوْكِبِ
حوافر خيل المسلمين وصلت إلى أبعد مكان، فكانها داست جبين الكوكب فتزف دماً

سَكِرَتْ أَجْيَالُنَا فِي زَهْوِهَا وَهَفَّتْ عَنْ كَيْدِ دَهْرِ قُلُبِ
أجيالنا اللاحقة سكرت في زهو، وتكبر، للانتصار.. وأصابها الغرور غافلة عن مكائد الدهر المتقلب

وَصَحَرْنَا، فَإِذَا أَعْنَقْنَا مُثْقَلَاتِ بَقُيُودِ الْأَجْنَبِيِّ

ثم إذا نحن نرى الأجانب يطوقون أعناقنا بقيود الانتداب والاحتلال

نَحْنُ مِنْ ضَعْفِ بَنَيْنَا قُوَّةَ لَمْ تَلِنْ لِلْمَارِجِ الْمُلتَهَبِ
من ضعفنا في القديم صنعنا قوة لا تلين للمارج، اللهب، فهي أقوى من الحديد الذي يلين للنار

كَمْ لَنَا مِنْ مَيْسَلُونَ نَفَضَتْ عَنْ جَنَاحَيْهَا غُبَارَ التَّعَبِ
خضنا معركة ميسلون وأشباهها، فنفضنا بذلك غبار الإنهاك والتراخي

كَمْ نَبَتْ أَسْيَافُنَا فِي مَلْعَبٍ وَكَبَتْ أَفْرَاسُنَا فِي مَلْعَبٍ
كثيراً ما خابت سيوفنا في ملعب، أي ساحة قتال، وكثيراً ما عثرت خيولنا فلم نحقق الانتصار

مِنْ نِضَالٍ عَائِرٍ مُضْطَخِبٍ لِنِضَالٍ عَائِرٍ مُضْطَخِبٍ
سرنا من نضال فاشل لنضال فاشل

شَرَفَ الْوُثْبَةُ أَنْ تَرْضَى الْعُلَا غَلَبَ الْوَاثِبِ أَمْ لَمْ يَغْلِبِ
الشرف في الوثبة النضالية أن يكون فيها رضاً للمعالي والمجد بغض النظر عن الانتصار

فَالْتَفَتَ مِنْ كُوَّةِ الْفِرْدَوْسِ يَا فَيَصَلَ الْعَلْبَاءِ وَانْظُرْ وَاعْجَبِ
فيا فيصل الأول - وتوفي عام ١٩٣٣ قبل استقلال سورية بثلاث عشرة سنة، وفي زمنه وقعت ميسلون - التفت من نافذة الجنة التي حللتها، وانظر كيف تحقق الاستقلال

أَتَرَى كَيْفَ اشْتَفَى الثَّأْرَ مِنْ أَلِ فَاتِحِ الْمُسْتَرْقِ الْمُسْتَلَبِ
صَلَّتِ الْأُمَّةُ إِنْ أَرْحَتْ عَلَى جُرْحِ مَاضِيهَا كَثِيفِ الْحُجْبِ
أَيْنَ فِي الْقُدْسِ ضُلُوعُ غَضَّةُ لَمْ تَلَامِسْهَا ذُنَابَى عَقَرَبِ؟
ليس في القدس ضلوع إلا وقد لسعتها ذنابي، أي حمة أي إبرة - العقرب الصهيوني

وَقَفَ التَّارِيخُ فِي مَخْرَابِهَا وَفَقَّةَ الْمُرْتَجِفِ الْمُضْطَرِبِ
التاريخ ينتظر حدوث شيء في فلسطين... والتاريخ قلق. معه حق، فهذا قيل قبل النكبة بقليل..

يَا رَوَابِي الْقُدْسِ، يَا مَجْلَى السَّنَا يَا رُؤَى عَيْسَى عَلَى جَفْنِ النَّبِيِّ
تلال القدس هي مجلى السنا، مكان تجلي الضوء المتمثل في الرسالات السماوية، وهي رؤى عيسى ورسالاته التي تجلت أيضاً في جفن محمد فهي رؤى محمد أيضاً

دُونَ عَلَيَائِكَ فِي الرَّحْبِ الْمَدَى صَهْلَةُ الْحَيْلِ وَوَهْجُ الْقُنْضِبِ
دون مكانتك العلوية يا قدس، دونها أي يحميها ويقف دونها، في التاريخ الممتد ثمة خيول تصهل وقضب، أي سيوف، تتوهج. ما كان أرخص الكلام في ذلك الزمن! وما أكثر جعجعات عمر أبو ريشة وشموخياته، وعروبياته

٢٢ اعتذار أنيق للراحل

في تأبين الزعيم من الكتلة الوطنية سعد الله الجابري، ١٩٤٧ :

هَيْكَلُ الْخُلْدِ، جِئْتُ أَسْكُبُ نَجْوَا لَكَ رُؤْيَى فِي مَحَاجِرِ الْآبَادِ
يا قبر سعد الله الجابري، يا هَيْكَلُ الْخُلُودِ، أَتَيْتُ أَسْكُبُ مَنَاجَاتِي إِيَّاكَ، لَكِي تَصْبِحَ رُؤْيَا وَدَلِيلًا
فِي مَحَاجِرِ، عَيُونِ، الْمُسْتَقْبَلِ حَتَّى الْأَبَدِ الْأَبِيدِ

فِي مَحَارِبِكَ الْوَضِيعَةِ تَغْفُو كِبَرِيَاءُ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
فِي مَحَارِبِكَ، أَي وَسْطِكَ، أَيُّهَا الضَّرِيحُ كِبَرِيَاءُ أَسْلَافِنَا، فَالْجَابِرِيُّ يُمَثِّلُ مَجْدَ الْآبَاءِ

قَدْ تَسَاوَى لَدَيْكَ حَالِبُ شَاةٍ فِي مَجَالِ الْفِدَا وَسَيِّدُ نَادٍ
كَنتَ لَا تَفْرُقُ بَيْنَ رَاعِي شِيَاءٍ وَسَيِّدٍ مِنَ السَّادَةِ فِي مَجَالِ الْوَطَنِيَّةِ وَالنِّضَالِ

أَيُّ قَبْرِ وَقَفْتُ أَرْزُو إِلَيْهِ وَالْأَسَى مَالِكٌ عَلَيَّ قِيَادِي؟
الْأَسَى، الْحُزْنَ، يَمْلِكُ زِمَامِي وَلَا سَيْطَرَةَ لِي عَلَيْهِ

مَا تَبَقَّى مِنْ أَمْسِهِ غَيْرُ طَيِّفٍ رَائِحٌ فِي رُؤْيَى الْحَيَاةِ وَعَادٍ
بَقِيَ مِنْ تَارِيخِ سَعْدِ اللَّهِ مَجْرَدُ طَيِّفٍ يَرُوحُ وَيُجِيءُ أَمَامَ عَيُونِ النَّاسِ

وَعَدَاءُ تَهْدَأُ الشُّجُونُ، وَيَخْبُؤُ لَاعِجُ الشُّوقِ فِي الضُّلُوعِ الصَّوَادِي
غَدَا يَخْفُ الْحُزْنَ، وَيَنْطَفِئُ لَاعِجُ، لَهِيْبُ، الشُّوقِ فِي الضُّلُوعِ الصَّوَادِي، الْعَطْشَى

وَتَمُرُّ الْأَجْيَالُ سَائِلَةً: مَنْ كَانَ سَعْدٌ، وَمَا لَهُ مِنْ أَيَادٍ؟
وَسَتَاتِي أَجْيَالٌ تَسْأَلُ: مَنْ كَانَ سَعْدٌ، وَمَا كَانَتْ أَيَادِيهِ، أَي فُضَائِلُهُ؟

مَنْ تُرَاهُ بَيْنَ الْمُلُوكِ، وَبَيْنَ الْـ فَاتِحِينَ الْغُزَاةِ وَالْقَوَادِ؟
وَهَلْ كَانَ مُلْكًا أَمْ مِنَ الْفَاتِحِينَ أَمْ الْقَادَةِ؟ كَدَتْ تَهْجُوهُ يَا أَبَا رِيْشَةَ

أَيُّهَا السَّائِلُونَ، كَمْ زُيِّفَ الدُّرُّ - وَأَمْسَى فَلَانِدُ الْأَجْيَادِ
يَا مَنْ تَسْأَلُونَ هَذَا السُّؤَالَ! كَثِيرًا مَا رَأَيْنَا اللَّوْلُوَ الزَّائِفَ وَقَدْ أَمْسَى فَلَانِدُ الْأَجْيَادِ، أَي عَقُودًا فِي الْأَعْنَاقِ

كَمْ قُبُورٍ تَنْفَسُ الطَّيِّبُ مِنْهَا مَا حَذَا بِأَسْمِهَا عَلَى الدَّهْرِ حَادٍ
مَا أَكْثَرَ الْقُبُورِ الَّتِي حَوَتْ عِظَامَ النُّفُوسِ حَتَّى لِتُصْعَدَ مِنْهَا رَائِحَةُ الطَّيِّبِ، وَلَكِنْ لَا أَحَدٌ يَذْكُرُ أَصْحَابَهَا

رُبَّ نَاوٍ وَرَاءَهَا، كَانَ فِي قَا فَلَمَّا الْحَقُّ، خَيْرَ سَاعٍ وَقَادٍ
وَرَبُّ نَاوٍ، رَاقِدٌ، فِي هَذِهِ الْقُبُورِ كَانَ خَيْرَ فَادٍ لَزِمْلَانِهِ بِنَفْسِهِ ضَمَنَ قَافِلَةَ النِّضَالِ وَالْحَقِّ

حَمَلَ الْجُرْحَ صَامِتاً مُطْمَئِئِناً وَأَتَى رَبَّهُ عَلَى مِيعَادٍ

هذا الراقد حمل جرحه بصمت، ومات مطمئناً. وسعد الله الجابري مات ميتة عادية على فراشه
١٩٤٧

وَدَمُّ الْمُؤْمِنِينَ مَا ضَاعَ عِنْدَ اللَّهِ - إِنْ ضَاعَ عِنْدَ الْعِبَادِ

قَارَعَ الْبَغْيَ وَهُوَ أَغْرَزَ إِلَّا مِنْ سِلَاحَيْنِ، نَخْوَةٌ وَاعْتِدَادٍ

سلاحه كان الشهامة والاعتداد بالنفس وبالوطن

سَعْدُ، يَا سَعْدُ، إِنَّهُ لِنِدَاءٍ مِنْ حَنِينٍ، فَهَلْ عَرَفْتَ الْمُنَادِي

أَذْهَلْتَنِي عَنْكَ انْتِفَاضَةُ رُوحِي فِي سَمَاءِ عُلُويَّةِ الْأُمْدَادِ

أذهلني فابتعدت عنك في سنوات النضال انتفاضة الروح الشبابية في سماء الروح.. وكان الشاعر
من مجموعة «الشباب الوطني» التي رفضت المعاهدة التي عقدها مع المحتل الفرنسي «الكتلة
الوطنية»، ١٩٣٦، والجابري من أبرز زعمائها

فَتَرْتَحْتُ أَحْسَبُ الشَّخْبِ تَهْوِي تَحْتَ مَهْدِي وَالتَّجَمَّ فَوْقَ وِسَادِي

كنت شاباً متحمساً أترنح افتخاراً فكان الغيوم تنهاوى تحت سريري، وكان النجم فوق وسادتي

أَنَا يَا سَعْدُ، مَا طَوَيْتُ عَلَى اللُّؤْ مِ جَنَاحِي، وَلَا جَرَحْتُ اعْتِقَادِي

شَهِدَ اللَّهُ، مَا انْتَقَدْتُكَ إِلَّا طَمَعاً أَنْ أَرَاكَ فَوْقَ انْتِقَادِي

وَكَفَى الْمِرَّةَ رِفْعَةً أَنْ يُعَادِيَ فِي مِبَادِينِ مَجْدِيهِ، وَيُعَادِي

مِلْءُ سَمْعِ الْجِهَادِ صَيْحَةً ثَارَ تَنْفُضُ الْجَمْرَ مِنْ خِلَالِ الرَّمَادِ

في الوطن الآن صيحة ثار

عَمَزْتُ نَخْوَةَ الْبِلَادِ، فَهَبْتُ تَسْلُطِي حَوَاضِراً وَبَوَادِ

هذه الصيحة نخست البلاد في خاضعتها وأثارت نخوتها، فهبت البلاد مشتعلة مدناً وبوادي

وَتَنَادَتْ حُمَاتُهَا لِرَوَابِيهِ الْقُدْسِ مَحْمُولَةً عَلَى الْأَحْقَادِ

ونادى حماة الديار بعضهم بعضاً للذهاب للقدس يحدهم الغضب والحق على الظلم. كان هذا
سنة ١٩٤٧، وجاء فلسطين من سورية جيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي ولم يصنع شيئاً.. أو
على الأقل هذه كانت النتيجة.. حماسة و«حق» على رأي شاعرنا.. ولا تخطيط ولا تنظيم

أَيُّ فِلَسْطِينُ! مَا الْعُرُوبَةُ لَوْلَا قَبَسٌ مِنْ سَنَا النَّبُوءَةِ هَادٍ

٢٣ فلتكن إنساناً

في ألفية المعري ١٩٤٤ :

عَالَمُ الوهم نحن صُفْنَا رُؤَاةَ وَأَرَدْنَاهُ أَنْ يَكُونَ فَكَانَا

نحن نصوغ عالماً من الفكر، وهو وهم، أو أننا نخترع الدين ونريده أن يكون حقيقة فيكون؟
المعنى في بطن الشاعر، والشاعر في بطن قبره

لَسْتَ تَسْطِيعُ أَنْ تَكُونَ إِلَهًا فإِنْ اسْطَغْتِ، فَلْتَكُنْ إِنْسَانَا

لا يستطيع المرء أن يكون إلهاً كما كان يسر نيتشة وجماعة اليجينية في أوروبا، وخاصة إنجلترا التي أسس فيها غولتون هذا المذهب على أبواب القرن العشرين، وأبو ريشة قضى بضع سنين في إنجلترا في الربع الثاني من القرن العشرين

ما العزاء الذي نَحَزَتْ لَهُ الْعُمْرَ، وَقَدَّمْتَهُ لَهُ قُرْبَانَا؟

ما الشيء الذي عزاكَ وصَبَّرَكَ حتى ذبحت عمرك بزهك وصومك وقدمت هذا العمر قرباناً لهذا الشيء؟

أَتَصَبَّأَكَ مَوْرِدَ مِنْ وَرَاءِ الْـ غَيْبِ تَفْشَى نَعِيمَهُ جَذْلَانَا؟

هل تصباك، وأغراك، مورد، كما نبع الماء، في الغيب.. وكنت موقناً أنك ستأتي جَذْلَانِ فَرِحَا؟ وأبو ريشة متحير في شأن أبي العلاء الذي أسرف في الشك والتشكيك في الآخرة. ولأن أبا ريشة ذو خلفية صوفية ودينية متينة فهو غير متحمس حماساً شعراء معاصرين كثر لفكر أبي العلاء المتشكك.. هو فقط متحير بإزاء زاهد المعرة

٢٤ القلم والمبراة

قال الشاعر، عام ١٩٤٥، وقد تراجع الرئيس الأميركي فرانكلين روزفلت عن موافقة بشأن الحقوق والحريات:

أَتَرْقُصُ الطَيْرُ فِي أَشْرَاكِ صَائِدِهَا وَيَحْرُسُ الذَنْبُ فِي أَغْطَانِهَا الْعَنَمَا؟

هل ترقص الطيور في شبكة الصياد؟ وهل يحرس الذنب الغنم في مباركها ويحميها؟

وَمَا الْمَوَائِقُ إِنْ فَاءَ الْقَوِيُّ بِهَا وَنَصَبَ الْحَتْلُ فِي أَقْدَاسِهَا حَكَمَا؟

ما قيمة المواق التي يقدمها القوي جاعلاً الغدر حكماً يسيطر على هيبتها ويغيرها كيفما شاء؟

ما كَانَ أَغْنَاهُ عَنْ تَزْوِيرِ عَائِيَتِهِ مَنْ يَحْمِلُ السَيْفَ لَا يَبْرِي بِهِ قَلَمًا

لماذا يُتَعَبُ الْقَوِيُّ نَفْسَهُ فِي تَزْوِيقِ غَايَاتِهِ؟ غَايَاتِهِ وَاضِحَةٌ: حَامِلُ السَيْفِ لَا يَنْوِي أَنْ يَبْرِيَ بِهِ الْقَلَمَ

٢٥ سيد الأنبياء

١٩٤١

قد أتى طُودُهُ الْمُوشَّحَ بِالنُّو رٍ، وَأَغْفَى فِي ظِلِّ غَارٍ حِرَاءٍ
طوده: جبله

وَإِذَا هَاتِفٌ يَصِيحُ بِهِ اقْرَأْ قَيْدُويِ الْوُجُودُ بِالْأَضْدَاءِ
وَإِذَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ شِفَاهُ تَغْنَى بِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ

٢٦ شموخ

قال وقد خرج من سجن الفرنسيين، ١٩٤٥:

عَمَزَتْهُ عَرَائِسُ الْعَيْشِ إِغْرَاءً، فَلَمْ تَسْتَبِخْ حِمَى عُقُوفَانِهِ
غمزت، أي لكزت بمرفقها، عرائس العيش، مغريات الحياة، هذا الشاعر ولكنها لم تستطع
استباحة شموخه

شَاعِرٌ لَوْ شَكَ الْحَيَاةَ لَكَانَتْ سَرَواتُ الْمُلُوكِ مِنْ نُذْمَانِهِ
لو كان غرض الشاعر أن يشكو من شظف العيش وضيق الرزق لتمكن من بلوغ أمانيه ولأصبح
السراة، السادة، من الملوك من أصدقائه

عَادَ لِلدَّوْحِ عِنْدَلَيْبُكَ يَا شَعْرُ، وَمَاتَ النَّعِيبُ فِي غَرْبَانِهِ
قد خرجت من السجن، فها قد عاد عندليب الشعر للإنشاد، ومات نعيب غربان الدوح، أي
الشجرة الوارفة

أَيُّ فَلَسْطِينُ! يَا ابْتِسَامَةَ عَيْسَى لِجِرَاحِ الْأَذَى عَلَى جُثْمَانِهِ
قبل خمس سنوات من هذه القصيدة كان أبو ريشة قد ترشح للانتخابات ولكن أحد
كبار المشايخ حض الناس على عدم التصويت له لأنه كان قال بيتاً يشبه هذا البيت،
وَضَلَبَ فِيهِ الْمَسِيحَ، كَانَ قَالَ: (كصيرير المسمار في كف عيسى/ ليس تنسى صده
أذن الليالي)، واضطر الشاعر لسحب ترشحه. وها هو يجعل للمسيح جثماناً...
الشعراء مهما بلغ بهم التدين إسلامياً تظل تستهويهم صورة المسيح المخلص الذي
افتدى البشرية بنفسه

يَا تَثْنِي الْبُرَاقِ فِي لَيْلَةِ الْإِسَاءِ وَالْوُحْيِ مُمَسِّكٌ بِعِنَانِهِ
فلسطين شهدت البراق يتثنى والوحي، جبريل، يمسك بزمامه بينما البراق يصعد من القدس إلى
السماء بالرسول

لَمْ يَلُخْ قَبْلُ فِي كِنَانَةٍ مَحْزُورٍ مَ سِنَانٍ كَمِثْلِ هَذَا السَّنَانِ
لَمْ يَظْهَرْ فِي جَعْبَةٍ قَبِيلَةٍ مَخْزُومٍ سَنَانٍ رَمَحَ مِثْلَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ

صَدَقَ الْعَهْدُ، فَالْفُتُوحُ تَوَالَى وَصَدَى خَالِدٍ بِكُلِّ مَكَانٍ
لَمْ تُزْعِزْ مِنْ عَزْمِهِ إِمْرَةٌ الْفَا رَوْقٍ، بَلْ فَجَّرَتْهُ فَيُضَ تَفَانٍ
لَمْ يَضَعِفْ هِمَّتُهُ أَمْرَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بَعَزَلَهُ عَنِ الْجَيْشِ، بَلْ أَزْدَادُ تَفَانٍ

وَإِذَا رَاضَتْ الْعَقِيدَةُ قَلْبًا فَمِنْ الصَّعْبِ أَنْ يَكُونَ أَنَانِي
يَا مُسَجَّى فِي قُبَّةِ الْخُلْدِ يَا خَا لِدُ، هَلْ مِنْ تَلَقُّتِ لِبَيَانِي؟
لَا رَعَانِي الصُّبَا إِذَا عَصَفَ الْبَغْدُ حِي، وَالْفَى فَمِي ضَرِيحَ لِسَانِي
لَا تَمْتَعْتَ بِشَابِي ذَا عَرِيدِ الظُّلَمِ فُوجِدَ لِسَانِي قَابَعًا فِي فَمِي سَاكِتًا وَكَأَنَّ فِي قَبْرِ لِهَذَا اللِّسَانِ

أَنَا مِنْ أُمَّةٍ أَفَاقَتْ عَلَى الْعِزِّ - وَأَغْفَتَ مَغْمُوسَةً فِي الْهَوَانِ
عَرْشُهَا الرَّثُّ مِنْ حِرَابِ الْمُغِيرِ نَ وَأَعْلَامُهَا مِنَ الْأَكْفَانِ
عَرْشِ أُمِّي الْآنَ رِثٌ مَهْتَرٌ لِأَنَّهُ مَبْنِي عَلَى اتِّفَاقَاتٍ مَعَ الْمُسْتَعْمَرِينَ، وَرَايَاتُنَا أَكْفَانُ ضَحَايَاهُمْ

لَا تَقُلْ ذَلَّتِ الرَّجُولَةُ يَا خَا لِدُ، وَاسْتَسَلَمَتْ إِلَى الْأَحْزَانِ
قُمْ تَلَقُّتِ تَرَّ الْجَنُودُ، كَمَا كَا نُوا مَنَارَ الْإِبَاءِ وَالْعُنُقُوانِ
مَا تَخَلَّوْا عَنِ الْجِهَادِ، وَلَكِنْ قَادَهُمْ، كُلُّ خَائِنٍ وَجَبَانٍ

٢٨ العبقرية والأعداء

في حفل تكريم الشاعر أحمد الصافي النجفي، ١٩٣٣:

مُنْتَهَى الْفَخْرِ أَنْ تُعَادَى، فَلَوْلَا الـ عَبَقَرِيَّاتُ لَمْ تَكُ الْأَعْدَاءُ
أَرْسِلِ الشُّعْرَ مِثْلَمَا تَطْلُبُ النَّفْ سٌ، وَحَلِّقْ مَا شَاءَتِ الْعَلْيَاءُ

٢٩ شفاعة العشرين

أَفْدِي الْحِسَانَ وَأَيُّ صَبٍّ - لَا يَكُونُ فِدَاءُ هُنَّ

صب: عاشق

المُسْبِلَاتُ شُعُورُهُنَّ - السُّودَ فَوْقَ نُحُورِهِنَّ
 مَا سِرَزْنَ إِلَّا وَالْفَوَا - دُ سَرَى وَصَفَّقَ إِثْرَهُنَّ
 بَارِيسُ لَنْ أُنْسَى مَهَا - كَ، وَلَا الْكَوَاعِبَ مِنْ فِينَهُ
 مهاك نساؤك المشبهات المها، أي بقر الوحش. فيته: فيثاً

حَيْثُ الْهَوَى فَرَضَ عَلَيَّ - وَقُبَلَةُ الْوَجَنَاتِ سُنَّةُ
 أَغْوَيْنَنِي بَعْدَ الْمَتَا - بِ عَنْ الْهَوَى فَتَبِعْتُهِنَّ
 فِي الصُّبْحِ أَبْرَمْتُ الْعُهو - دَ، وَفِي الْمَسَاءِ نَقَضْتُهِنَّ
 هَـذِي دُنُوبِي إِنَّمَا الـ - عِشْرُونَ تَشْفَعُ لِي بِهِنَّ
 كونه في نحو العشرين من عمره يشفع له هذا اللهو. وكان مر بباريس وفيثا وهو عائد من إنجلترا
 بعد انتهاء دراسته

عمر أبو ريشة فهرس القوفي

٨	وُثُوري	٢٨	الأعداء
٣	البَلَقُع	١٥	بِالسَّماءِ
١٩	تَأْمُلًا	٢٥	جِراءِ
٢	وجِلالًا	٢١	الشُّهُبِ
٥	وطالًا	١٨	الْكُوكِبِ
١	لِلقَلَمِ	١٢	السُّكُوتِ
٢٤	الغَنَمَا	١٣	الحياةِ
٢٠	المُبْهَمَا	١٤	رَغَبَاتِكَ
٢٣	فَكَانَا	٢٢	الآبَادِ
١١	لَنَا	١٦	قَيْدِي
٢٧	السَّنَانِ	١٠	العَيْنِدَةُ
٦	الزَّمَانِ	٧	صَنْيدِهِ
٢٦	عُنُقَوَانِهِ	٩	أُبْصِرُ
٢٩	فِدَاءَهُنَّه	٤	سَخَرُوا
		١٧	بِالْأَسْرَارِ

إبراهيم ناجي

(١٨٩٨ - ١٩٥٣)

لَمَّا كانت مادتنا في هذا الكتاب مقصورة على الشعر العمودي فنحن واقعون تحت اتهام جاهز بأننا تقليديون رافضون كل ما جاء بعد الشعر العمودي من أشكال. وفي سياق دفاعنا عن أنفسنا سنتحدث عن «الإرهاق اللغوي»، وهذا مصطلح سككته لتوي، وسنتحدث عن الرومنسية، وعن الرمز، وعن التعبير بجرس اللفظة، والتعبير بمعناها، وعن التعبير بجرسها وبمعناها معاً. وإنما أحشر هذه العناوين هنا كي أذكّر نفسي بها.

أفهمُ قول من يقول: «كانت روعي كسطح البحيرة قبل أن يعمل فيه سرب النوارس تنقيراً، كانت كوجه الورقة قبل أن تغزوها غريبان الكلمات...». هذا تعبير عن هدوء الروح قبل حلول القلق جاء في تشبيهين متعاقبين. حسناً، كلام مفهوم من مبتدئ، نصفق له قليلاً. لكنني، لا أفهم قول من يقول: «تأجج الملح منبعثاً من بنفسج قلب البحيرة العذبة كي يشجي روعي الحافية إلا من سؤر قلب يحاول أن ينبض». فلا أعرف كيف يتأجج الملح، ولا أستطيع أن أصور لنفسي هذه الروح «الحافية» التي تنتعل «سؤر قلب»، وما هو بالله عليك سؤر القلب؟

(حاشية صغيرة: والله إنك لتحس في أعماقك بأنني أستمتع وأنا أصوغ مثل هذه العبارات التي لا معنى لها. ليتك تمنحني سطرين أو ثلاثة كي أمارس هذه الهواية! هيا؟ لا، كفى).

ثمة فارق بين عبارة ذات معنى، وعبارة فارغة فيها ألفاظ ذات قعقعة. والعبارة ذات المعنى قد تكون أدباً وقد لا تكون، فأما سؤر القلب فهو ليس كلاماً مفيداً أصلاً.

قد تشتبك المجازات في تشكيل يحس المرء بجماله قبل أن يتمكن من النفاذ إلى كل معانيه، وأجمل من هذا أن تتعاقب التشبيهات والمجازات في سلسلة تدخل القلب والعقل معاً دون أن يضطر المرء إلى بذل جهد.

جاء ناس إلى عالم الأدب الوجداني (أقصد بذلك الشعر والخاطرة) يعرضون علينا صناديق مقلدة قائلين: اشتروها قبل أن تفتحوها. فإذا ما فتحناها ورأيناها فارغة قالوا: ألم تكن صناديق جميلة؟ ألم تتمتعوا بأحاسيس الترقب والقلق والفرح وأنتم تعالجون أفعالها؟

ههنا ستراني تقليدياً بحق. لا أريد الفن التجريدي، ولا الأدب الرمزي الذي لا يرمز إلا إلى نفسه.

جاءت بعد شوقي جماعة رومسية اتخذت من شوقي ومن مطران أبوين غير شرعيين. اجتمع تحت عباءة شوقي، قبيل موته، شعراء اتخذوا لنفسهم اسم «جماعة أبوللو». وكانوا رومسيين.

ما أشد ما تشبه مسيرة الشعر العربي الفصيح في القرن العشرين النمط المعروف في دنيا الأدب والموسيقى والرسم (كلاسيك ثم رومنس). الكلاسيك: رصانة وعناية بالشكل وانضباط في العواطف وفي الأداة، والأداة تكون لغة عند الشعراء وقوالب نغمية عند الموسيقيين، وشكلاً ولوناً عند الرسامين. والرومنس: تخفُّف من الرصانة، وتحرر في الشكل، وتعبير حر عن العواطف، وتغيير على الأداة.

نرى هذا النمط «الخالد» وكأنه من طبائع الأشياء: الأب صارم منضبط وابنه متحرر متفلت. ثم يصبح الابن أباً فينضبط ويأتي الحفيد متحرراً ويتكرر النمط. ولا يندر أن ينعكس النمط مع بقاءه على نمطيته: فيكون الأب متحرراً متفلتاً، ثم إذا ابْنُه يقلد جده في الانضباط.

في القرن العشرين كان القدماء - شوقي وحافظ والرصافي والجواهري - كلاسيكيين، ثم تبعهم شعراء المهجر وشعراء أبوللو فكانوا رومسيين. وهذا حين أننا نناول الظاهرة التي دعوتها «الإرهاق اللغوي».

اسهوهلت اللغة على ألسنة الرومنسيين، ليس فقط لأنهم أرادوها سهلة، بل لأن طبع اللغة التغير. وجاء شاعرنا إبراهيم ناجي في هذا المفترق الذي يلتقي عنده الطريق القادم من الأزهر بالطريق المتجه نحو نزار قباني. فعند ناجي

من اللغة القديمة ألفاظ وتراكيب منثورة في شعره، وهو يصيب ويخطئ في وضع الألفاظ والأساليب القديمة في مواضعها، ولا أشك لحظة في أنه كان يدرك، كلما انحرف انحرافاً، أنه قد انحرف، ولكن المعنى يسوقه. ونال على تلك «الأخطاء» لسعات نقدية جعلته يكتب بعد صدور أول دواوينه، ويفكر في ترك الشعر.

عند هذا المفترق اللغوي بين العربية الصحيحة الفصيحة القديمة وبين عربية نزار قباني التي هي عربية صحيحة فصيحة جديدة، وقع الشعر في «الإرهاق اللغوي». وقع في هذه الحفرة كثيرون من شعراء المهجر، ولعل أبرز الناجين منهم الشاعر القروي. ربما لأنه اشتغل بالتدريس بضع سنين في مستقبل حياته، ولأنه لم يعرف لغة غير العربية ولم يشغل ذهنه بعلوم وفنون سوى الشعر ولغة العرب.

ورغم أننا سعيًا، فيما اخترناه من شعر ناجي، إلى انتقاء العيون فلن تعدم خطأ هنا وانحرافاً هناك في اللغة. وكان في الزمرة الأبوللية من هو أقوم من ناجي لغة، ولم نجعله من شعراء كتابنا، فمقياسنا يجلب عن اللغة.

شعر ناجي - برغم ما ذكرنا في الفقرات الثلاث السابقة - شعر بريء من حذلقه الرمزيين. يكون أحياناً حشرجة مخنوق يريد أن يعبر عن معنى فتقصّر أداته اللغوية فيخاطب بيديه ورجليه، فيقول له السامع: وصلت الفكرة. ويكون أحياناً جدولاً عذباً. وما أكثر ما يكون. فأما الرمزيون فترى الحذلق من حذالقتهم يريدك أن تؤلف بالنيابة عنه القصيدة. يعطيك مفردات لكل منها «جَرس» واصنع يا قارئ من هذه «الأجراس» سيمفونيتك. يقول لك: «طاف طير النشوة مخترقاً قلب ظلمة البنفسج، ففاح ليمون الشفة بحزن مغلف بفرحة الفراق». فتفضل وحس، إن كنت تُحس، بما في هذه الكلمات من رنين. فأما نزار قباني فينسج لك بساطاً من التشبيهات والمجازات في كلمات سهلة، ويتعانق اللفظ والمعنى في شعره عناق حبيبين. فإن سألت، ملتمساً مني أن أستطرد: فلماذا لا نراك أدخلت نزاراً حظيرتك؟ فالجواب أن نزاراً توهج في شعر التفعيلة، فهو خارج من صفة هذا الكتاب الذي أراد أن يؤبن الشعر العمودي.

ولد في حي شبرا بالقاهرة وكان ثاني سبعة من أبناء العائلة. وكان في بيت أهله كتب، وكان أبوه يشجعه على القراءة ويشتري له الدواوين. قرأ المتنبي والشريف الرضي وشوقي وحافظاً، وسمع أباه يروي لأمه قصة «أوليفر تويست» لديكنز. واشترى له أبوه قصة ديكنز الأخرى «ديفيد كويرفيلد» فحفرت في نفسه عميقاً. وأثارته قسوة معلم رياضيات سوري، في المدرسة التوفيقية الثانوية، ولكنه تبين خلف هذه القسوة اهتماماً به، وحثه هذا الاهتمام على أن يدرس ويتفوق، وأن يتخذ طريق الدراسة العلمية، ولتفوقه أدخل كلية الطب، وتخرج من القصر العيني وهو في نحو الرابعة والعشرين من عمره طبيباً باطنياً. كان يقرأ الإنجليزية، وتعلم الفرنسية.

اكتشف بعد تخرجه أنه مصاب بالسكري فاضطرب لذلك، ثم دهسته سيارة فكسرت ساقه، فعولج في لندن ثلاثة أشهر. تزوج سامية، وهي ابنة مسؤول كبير في القاهرة. وأنجب ثلاث بنات: أميرة وضوحية ومحاسن. هذا لتعرف أنه كان شخصاً عادياً.

كانت له عيادته الخاصة في حي شبرا، ولكنه ظل يشتغل في الوظائف الحكومية. عاش شبابه في زمن كان فيه شوقي وحافظ ومطران يملأون الدنيا شعراً. ولم يستطع أن، ولا سعى إلى أن، يقلد أحداً منهم. فكان نفسه. وكان رجل أسرة في بيته، لا يصنع شيئاً في يوم الجمعة إلا أن يجلس في كرسية الهزاز وحوله زوجته وبناته. وكان هائماً بجمال الجيلات في العيادة، وفي كل مكان. فأما «عفت» ملهمته الأولى فتاة في الحي أحبها حب مراهقين ومضت في سبيلها. وأما الممثلات فقد قال القصائد في زينب صدقي وسامية جمال وزوزو ماضي وزوزو حمدي الحكيم، وأعجب بأمنية رزق. وبعد موته بإحدى عشرة سنة غنت له أم كلثوم الأطلال التي لفقها لها - قيل صالح جودت - من قصيدتين لناجي، وأبدلت الكلمات الأولى (يا فؤادي «رحم الله» الهوى) فجعلت (يا فؤادي «أين أيام» الهوى) وبهذه الكلمات سجلت أم كلثوم الأسطوانة التي سمعتها في صباي. ثم كان أحمد رامي استقل الصيغة الجديدة فجعلها (يا فؤادي «لا تسلم» أين الهوى) وهذا ما درج في الحفلات. وكسبت أطلال الحفلات من الصيغة الجديدة هذه «اللا تسلم» فهي أحسن للغناء، وكسبت أن السنباطي مد «يدي» فجعلها «يدياً» في مقطع «أعطني حريتي»، وكان المقطع في التسجيل مقيد القافية على الأصل. وخسرت أطلال الحفلات إطلالة

قصيرة وجميلة لعود السنباطي في بداية المقدمة، فانفرد محمد عبده صالح على قانونه بالوصول.

وبعد أغنية «الأطلال» بشهرتها المدوية زعمت عدة ممثلات أنهن ملهمات الشاعر. وصارت مسألة الملهمة الحقيقية علكة في حلوق الصحف والتلافيز. ولولا الأطلال لما عرف الكثيرون إبراهيم ناجي.

لم يكن إبراهيم ناجي الوداع الباكي ولا الهائم الشاكي، كان يعشق المرأة، ويستلهم من عطور اللائي يمررن بعيادته من جميلات الشاشة والمسرح الشعر؛ أوليس الجائع الذي يرى ويشم لذيق الأطعمة أقدر على وصفها ممن ملأ بطنه منها؟ وأقدر على وصفها، أيضاً، ممن لم يرها أصلاً؟

كان ناجي أيضاً أسد مجالس. كان سريع البديهة مجلجل الضحكة، يملك حافظة قوية تعبته في تزيين كلامه بالأشعار. كان يحضر مجالس كبار الأباطين، وكانت له في العقد الأخير من حياته رابطة للأدباء هو رئيسها، وكان يحاضر في الطب وفي شكسبير. وقد كتب كتباً ومقالات في الأدب والاجتماع. فهذا جانب من شخصيته مختلف عما ييوح به معظم شعره.

أحيل ناجي إلى المعاش من وظيفته الحكومية في أعقاب ثورة الضباط الأحرار، ومات بعد أشهر في عيادته بشبرا بالقاهرة عام ١٩٥٣.

١ نظوف حولك

مَتَى يَرْقُ السُّخْطُ يَا قَاسِي وَيَلْتَقِي الْمَنْسِي وَالنَّاسِي
وَأَنْتَ مِثْلُ النَّجْمِ فِي الْمُنْتَأَى وَفِي السَّنَا الْخَاطِفِ كَالْمَاسِ
مِنْ حَيْثُ الْمُنْتَأَى، أَيْ الْبَعْدِ، فَأَنْتَ كَالنَّجْمِ، وَمِنْ حَيْثُ السَّنَا، أَيْ الْبَرِيقِ، فَأَنْتَ كَالْمَاسِ
يَرْتُو لَهُ النَّاسُ وَيَبْغُوهُ وَمَا يُبَالِي النَّجْمُ بِالنَّاسِ
وَأَنْتَ كَأَسُّ الْحُسْنِ، لَكِنَّا مِثْلُ حُبَابٍ حَامٍ بِالْكَاسِ
حباب: فقاقيع

٢ أسألي القبله

تُسَائِلُنِي عَيْنَاكَ عَنْ سَالِفِ الْهَوَى بِقَلْبِي، وَتَسْتَقْصِي قَدِيمَ دِيُونِ
عَيْنَاكَ تَبْحَثَانِ فِي عَيْنِي عَمَّا بَقِيَ مِنَ الْحُبِّ الْقَدِيمِ بِقَلْبِي، وَتَتَفَحَّصَانِ هَذِهِ الدِّيُونِ الْقَدِيمَةَ الَّتِي يَجِبُ عَلَيَّ تَسْدِيدُهَا الْآنَ، فَقَدْ كُنْتُ نَلْتُ مِنْكَ الْكَثِيرَ

إِذَا كُنْتَ فِي شَكِّ سَلِي الْقُبْلَةَ الَّتِي أَذَاعَتْ مِنَ الْأَسْرَارِ كُلَّ دَفِينٍ
مُنَاجَاةَ أَشْوَاقٍ، وَتَجْدِيدَ مَوْتِقٍ وَتَبْدِيدَ أَوْهَامٍ، وَفَضَّ ظُنُونٍ
القُبْلَةَ الَّتِي تَبَادَلْنَاهَا الْآنَ - قَبْلَ التَّحْصِصِ بِالْعَيُونِ - تَشْهَدُ بِتَجْدِيدِ الْمَوْتِ، أَيْ الْعَهْدِ وَالْجَمْعِ
مَوَاتِقٍ، وَتَبْدِدُ الْأَوْهَامَ وَتَفْضُ وَتَنْهِي الظُّنُونِ

وَشَكَوَى جَوَى قَاسٍ وَسُقْمٍ مُبْرِجٍ وَتَسْهِيدَ أَجْفَانٍ، وَصَبَرَ سِنِينَ
وَالْقُبْلَةَ تَحْمِلُ مِنَ الْمَعَانِي قَسْوَةَ الْبَعْدِ عَنْكَ، وَسَهْرَ عَيْنِي وَصَبْرِي كُلَّ هَذِهِ السِّنِينَ

٣ تأديب المغرورين

وَفِي سَبِيلِ الزَّادِ وَالْمَأْكَلِ نَمَلًا صَدَرَ الْأَرْضِ إِغْوَالًا
إِغْوَالًا: بَكَاءٌ وَعَوِيلًا

كَمْ يَسْخَرُ النَّجْمُ بِنَا مِنْ عَلٍ وَكَمْ يَرَانَا اللَّهُ أَطْفَالًا

* * *

يَا رَبِّ غُفْرَانِكَ إِنَّا صَغَارُ نَدَبٌ فِي الدُّنْيَا دَبِيبَ الْغُرُورِ
نَسَحَبُ فِي الْأَرْضِ دُيُولَ الصَّغَارِ وَالشَّيْبُ تَأْدِيبٌ لَنَا وَالْقُبُورُ
الصَّغَارُ: الْحَقَارَةُ

٤ إحساس النهاية

كَانَ عَلَى فَرَّاشِ الْمَرَضِ وَشَعَرَ أَنَّهُ «يَنْتَهِي» فَقَالَ:

وَاضْبَاعَ الْحُزْنِ وَالْدَّمْعِ حِجَّ عَلَى الْعُمَرِ الْمُضَاعِ
وَهْتَفَ الْقَلْبِ بِالشُّكِّ حَى عَلَى غَيْرِ انْتِفَاعِ
طَالَ بِي سُهْدِي وَإِعْيَا نِي، وَقَدْ حَانَ اضْطِجَاعِي
وَإِذَا الرَّاحَةُ حَانَتْ بَعْدَ لَأْيٍ وَنِزَاعِ

بَعْدَ لَأْيٍ: بَعْدَ إِطْأَاءٍ، نِزَاعٍ: احْتِضَارٍ

فَصُدُورُ الْغَيْدِ سَيًّا نِ وَأَنْيَابُ السُّبَاعِ

٥ صدر الظلام

قد صارَ حُبُّ الحِياةِ مِنَّا يُقْنَعُ بِالجِيفَةِ السَّبَاعِ
التعلق بالحياة يجعل الضواري والأسود تقنع بالميته. . حب الحياة يقنع المرء بالتزول عن مرتبه
إلى دركة مردولة

وَعَلَّمَ السَّمْحَ أَنْ يَضِنَّا وَتَبَّتْ الْجُبْنَ فِي الطَّبَاعِ
حب الحياة يجعل السخي ضيناً بخيلاً، ويجعل المرء جباناً

* * *

كَأَنَّ صَدْرَ الظَّلَامِ ضَاقَ مِنْ كَثْرَةِ الْبَثِّ كُلِّ حِينٍ
البت: الشكوى

يَا وَيْحَهُ كَيْفَ قَدْ أَطَاقَ شَكْوَى الْبَرَايَا عَلَى السَّنِينِ؟
كيف تحمّل صدر الليل شكوى البرايا، أي البشر، طول الدهر؟

٦ يوم من العشق الأفلاطوني

هل منك يومٌ رِضاً ضَنَّ الزمانُ بِهِ أَعْيَا خِيَالِي وَأَضْنَانِي تَوَقُّعُهُ
تعال، واذنُ بيومٍ لا نُحْسُ بِهِ أَجْسَادَنَا فِي صَفَاءٍ لَا نُضَيِّعُهُ
إِنِّي أَحْسُكَ تَجَرِّي فِي صَمِيمِ دَمِي أَنْتَ الْحَيَاةُ، وَأَنْتَ الْكَوْنُ أَجْمَعُ
هيهاتَ يَخْلُدُ حُسْنٌ لَا يُؤْلَهُهُ شَعْرٌ مِنَ النَّسَقِ الْأَعْلَى وَيَرْفَعُهُ
«يرفعه» هذه ضعيفة بعد «يؤلهه»

٧ الحمام الباكي

مَا بِالرِّيَاضِ؟ كَابَةٌ فِي أَرْضِهَا وَسَحَابَةٌ تَغْشَى أَدِيمَ سَمَاهَا
أديم سماها: وجه سماتها

جَمَدَتْ حَمَائِمُ أَيْكِهَا وَأَنَا الَّذِي شَاكَيْتُهَا فَاغْرُورَقَتْ عَيْنَاهَا
جمدت الحمام في الأيك، أي البستان، وأنا كنت أشاكي الحمام، أتبادل معها الشكوى، فتلعب
الدموع في عيونها

٨ العاشق الحالتي

عَبَرْتُ بِي نَشْوَةَ مِنْ فَرَحٍ فَرَقَضْنَا، أَنَا وَالْقَلْبُ، سُكَارَى
وَعَرَانَا طَائِفٌ مِنْ خَبَلٍ فاندَقَعْنَا فِي الْأَمَانِي نَتَبَارَى
عرانا، داخلنا واعترانا، خبل وجنون أطاف بنا، وأخذنا أنا وقلبي نتبارى في الأمنيات المستحيلة

* * *

رُبَّ قَوْلٍ كُنْتُ قَدْ أَعَدَدْتُهُ لَكَ إِذْ أَلْقَاكَ يَا أَبَى أَنْ يُطِيْعَا
وحبيسٍ مِنْ عِتَابٍ فِي فَمِي قَدْ عَصَانِي، فَتَفَجَّرْتُ دُمُوعَا

٩ أحمد شوقي

أَبْنِ الْأَمِينُ عَلَى الْإِمَا رة، والحريصُ عَلَى اللَّوَاءِ
قَبَسُ أَضَاءِ الْعَالَمِيَّةِ نَ كَمَا تُضِيءُ لَهُمْ ذُكَاةُ
ذكاء: الشمس

ثُمَّ اخْتَفَى خَلْفَ الْغُيُوبِ بِ مَخْلَفًا ظَلَمَ الْمَسَاءِ
فَكَأَنَّمَا هَبَّتْ السَّمَاءُ ِ قَدْ اسْتَرَدَّتْهَا السَّمَاءُ

١٠ لم يسهر سوانا

كَمْ تَجَرَّعْنَا هَوَانَا وَلَقِينَا فِي هَوَانَا
تجرعنا الهوان، أي الذل، ولقينا المر في الهوى

وَإِذَا حَلَّ الْهَوَى هَيْئًا هَاتِ تَدْرِي كَيْفَ كَانَا
يَا حَبِيبِي هَذَا اللَّيْلِ لَمْ وَلَمْ يَسْهَرْ سِوَانَا
لَا الدُّجَى ضَمَدَ جُرْحِي نَا، وَلَا الصُّبْحُ شَفَانَا
لَا الْهَوَى رَقَّ عَلَى الشَا كِي وَلَا قَاسِيَهُ لَانَا
لا عطف الحب على الشاكي، المريض عشقاً، ولا قسوة الحب لانت

١١ وجدتها

أَدْرَكْتُ عِنْدَكَ يَوْمِي الْمَوْعُودَا وَلَقِيتُ فِيكَ مِثَالِي الْمُنْشُودَا
وَأَفْرَحْتِي بِكَ! فَرَحَةَ الطِّفْلِ الَّذِي يَلْهُو وَيَخْلُقُ كُلَّ يَوْمٍ عَبْدَا

وَأَفْرَحْتَنِي بِكَ! فَرَحَةَ الطَّيْرِ الَّذِي مَلَأَ الرُّوَابِي المُضْغِيَّاتِ نَشِيداً

١٢ في الواقع أيها السادة..

أَبَكْتُ عَيُونُكُمْ الضَّعِيفَ يَصِيرُ فِي نَابِ القَوِيِّ فَرِيَسَةً اسْتِعْبَادٍ؟
فَتَبَيَّنُوا إِذْنِ الحَقِيقَةِ وَاغْلَمُوا أَن الطَّبِيعَةَ هَكَذَا مِنْ عَادٍ
عاد: أخت ثمود

الْجَوُّ مِلْكُ النَّسْرِ يَغْشَاهُ عَلَى مَا يَسْتَنْهِي، وَالْغَابُ لِلْأَسَادِ
يغشاه: يأتيه

١٣ تأبين شوقي

الْقِيَتَ عام ١٩٣٣، فِي ذِكْرَى عام عَلَى وفاته:

عَامٌ مَضَى وَكَأَنَّ أَمْسَ نَعِيَّةٍ يَا مَا أَقَلَّ الْعَامَ فِي الْأَعْمَارِ
هِيَ هَاتِ أَنْسَى قَبْلَ بَيْنِكَ سَاعَةً جَمَعْتُ صِحَابَكَ فِي غُرُوبِ نَهَارٍ
بينك: فراقك

وَالشَّمْسُ فِي سَقَمِ الْغُرُوبِ، وَأَنْتَ فِي لَوْنِ الشُّحُوبِ مُعْضَفَرٌ بِبَهَارِ
الشمس كانت محمرة مصفرة في الغروب كالمريض، وأنت شاحب كأن على وجهك العصفور،
البهار الأصفر

مَنْحَتْ وَقَدْ ذَهَبَتْ شُعَاعاً غَارِباً كَسْنَاكَ طَوَافاً عَلَى السُّمَارِ
سناك: ضوؤك

تَشْكُو لِي الضَّعْفَ الْمُلِمَّ لَعَلَّ فِي طَبِّي مُقْبِلاً مِنْ وَشِيكِ عِشَارِ
تشكو لي الضعف الذي ألم بك لعل في معرفتي الطبية ما يقبل عثرتك الوشكة

وَوَجَمْتُ! أَلَمَحْ فِي الْغُيُوبِ نِهَائَةً وَأَرَى بِعَيْنِي غَايَةَ الْمِضْمَارِ
لمحت في الغيب، فيما سيحدث لاحقاً، أن النهاية قريبة، وأن غاية المضمار، نهاية الشوط، وشيكة
وأرى النبوغ، وقد تهاوى نَجْمُهُ وَالْعَبَقْرِيَّةُ وَهْيَ فِي الإِذْبَارِ
الإذبار: التراجع والتكوص

أَوَلَمْ يَكُنْ لَكَ مِنْ جِمَامِكَ عَاصِماً ذَاكَ الْجَبِينُ مُكَلَّلًا بِالْغَارِ؟
ألم يكن لك من مجدك ومن جبينك المكلل بأوراق الغار ما يعصمك ويحييك من الموت؟

وَلَيْتَ فِي إِثْرِ الَّذِينَ رَثَيْتَهُمْ وَأَقَمْتَ فِيهِمْ مَاتَمَ الْأَشْعَارِ
وَالدهرُ يَقْذِفُ بِالمَنايا دُفْقاً فمَضَيْتَ فِي مُتَدَفِّقِ التِّيَّارِ

١٤ ويل لمن لم يجدها.. ويل لمن وجدها

هِيَ قِصَّةُ الدُّنْيَا، وَكَمْ مِنْ آدَمَ مِنَّا لَهُ دَمْعٌ عَلَى حَوَّاءِ
كُلُّ بِهِ قَبَسٍ؛ إِذَا جَنَّ الدُّجَى نَزَعَ الْإِبَاءَ وَبَاحَ بِالْبُرْحَاءِ
فِي ضَمِيرِ كُلِّ إِنْسَانٍ يَوْجَدُ عَاشِقُ كَقَيْسٍ، فَإِذَا جَنَّ الدُّجَى، أَي غَطَى اللَّيْلُ الدُّنْيَا، نَزَعَ الْإِنْسَانُ
قَنَاعَهُ وَتَرَكَ شَمُوحَهُ وَبَاحَ بِبِرْحَائِهِ وَعَذَابَاتِ قَلْبِهِ

فَإِذَا تَدَارَكَهُ النَّهَارُ طَوَى المَدَا مَعَ فِي الفُؤَادِ، وَظَنَّ فِي السَّعْدَاءِ
فَإِذَا جَاءَ النَّهَارُ أَخْفَى الْإِنْسَانُ الدَّمُوعَ فِي قَلْبِهِ، فَظَنَّهُ النَّاسُ مِنَ السَّعْدَاءِ

كُلُّ لَهُ لَبْلَى، وَمَنْ لَمْ يَلْقَهَا فحِبَّائُهُ عَبَثٌ وَمَحْضٌ مَبَاءِ

١٥ مخلوقون للحب

كَأَنَّ قُلُوبَنَا خُلِقَتْ لِأَمْرِ فَمُذْ أَبْصَرْنَا مَنْ نَهَوَى نَسِينَا
الْقُلُوبُ نَسِينَ مَا خَلَقْنَ لَهُ لَدُنْ رُؤْيَا المَحْبُوبِ

شُغِلْنَا عَنِ الحَيَاةِ وَنَمَنَّ عَنْهَا وَبِشْنِ بَمَنْ نُحِبُّ مُوَكَّلِينَا
فَإِنْ مُلِئَتْ عُروُقٌ مِنْ دِمَاءِ فَلِنَّا قَدْ مَلَأْنَاهَا حَنِينَا

١٦ الأطلال

هي الأغنية المشهورة، شرح الديوان القصيدة بالعارة: «التقيا وتحابا، ثم انتهت القصة
بأن صارت أطلال جسد، وصار هو أطلال روح»:

يَا فُؤَادِي رَجِمِ اللَّهَ الهَوَى كَانَ صَرْحاً مِنْ خِيَالِ فَهَوَى
إِسْقِنِي وَاشْرَبْ عَلَى أَطْلَالِهِ وَارَوْ عَنِّي طَالَمَا الدَّمْعُ رَوَى
إِسْقِنِي يَا قَلْبِي وَاشْرَبْ أَنْتَ عَلَى أَطْلَالِ ذَلِكَ الحُبِّ، وَارْتَوْ مِنْ شَرَابِكَ بِالنِّيَابَةِ عَنِّي، فَأَنَا كَثِيراً مَا
ارْتَوَيْتَ مِنْ دَمْعِي

كَيْفَ ذَاكَ الحُبُّ أَمْسَى خَبِراً وَحَدِيثاً مِنْ أَحَادِيثِ الجَوَى
الجوى: الفراق

* * *

لَسْتُ أَنْسَاكَ وَقَدْ أَغْرَيْتَنِي بِفَمِ عَذْبِ الْمُنَادَاةِ رَقِيقُ
وَبِدِّ تَمَتُّدُ نَحْوِي كَبِيدُ مِنْ خِلَالِ الْمَوْجِ مُدَّتْ لِغَرِيقُ
أَوْ يَا قَبْلَةَ أَقْدَامِي إِذَا شَكَّتِ الْأَقْدَامُ أَشْوَاكَ الطَّرِيقُ
وَبَرِيقاً يَظْمَأُ السَّارِي لَهُ أَيْنَ فِي عَيْنِكَ ذَيْكَ الْبَرِيقُ؟

يا من كنت بريقاً يحتاجه الساري، السائر ليلاً، أين ذاك البريق في عينك الآن؟

* * *

أَبْنِ مِنْ عَيْنِي حَبِيبٌ سَاحِرٌ فِيهِ نُبْلٌ وَجَلَالٌ وَحَبَاءُ؟
لم أعد أرى ذلك الحبيب الساحر.. بعد مرور السنين

وَائِثُّ الْخُطْوَةِ يَمْشِي مَلِكاً ظَالِمُ الْحُسْنِ شَهِيَّ الْكِبَرِيَاءِ
الحبيب يمشي بثقة كأنه ملك من الملوك، وهو يظلمني بجماله، وأشتهى كبريائه.. تغنيها أم كلثوم
ملكاً، أي ملاكاً.. ولا نرى للملاك أن يمشي على الأرض. غتها عام ١٩٦٤، وكان الحكم
الجمهوري في مصر يريد للناس أن ينسوا أن في اللغة العربية كلمة ملك

عَبِثُ السَّخْرِ كَأَنْفَاسِ الرَّبِّي سَاهِمُ الطَّرْفِ كَأَحْلَامِ الْمَاءِ

* * *

أَيْنَ مِنِّي مَجْلِسٌ أَنْتَ بِهِ فِتْنَةٌ تَمَّتْ سَنَاءٌ وَسَنَاءُ
يتذكر مجلساً ضمه مع الحبيب، وكان الحبيب فتنة تمت سناء، علوّاً، وسناء، ضياء

وَأَنَا حُبٌّ وَقَلْبٌ وَدَمٌ وَفَرَاشٌ حَائِرٌ مِنْكَ دَنَا
كان في ذلك المجلس يدنو من حبيبه بخيرة وحذر كما تدنو الفراشة من النار. ألسنت تدنو هكذا
من فتاة متألفة يضح المجلس بجمالها؟ وأنت أيتها المرأة! أرى عينك يترافق فيهما بريق
الإعجاب، وتميلين مبتعدة أو مقترية بحذر عن شاب وسيم واثق يشع فتنة

وَمِنْ الشُّوقِ رَسُولٌ بَيْنَنَا وَنَدِيمٌ قَدَّمَ الْكَأْسَ لَنَا
فَسَقَانَا فَانْتَفَضْنَا لِحِظَةً لِغُبَارِ آدَمِيٍّ مَسَّنَا

كأنهما انتفضا، ورفضاً أن يشوه تلك الفتنة ذلك الغبار الآدمي من الشهوة والشبق

* * *

يَا حَبِيباً زُرْتُ يَوْمَ أَيْكَهُ طَائِرَ الشُّوقِ أَغْنِيَّ أَلْمِي

أليك: بستان

لَكَ إِنْطَاءُ الْمُدِلِّ الْمُنْعِمِ وَتَجَنِّي الْقَادِرِ الْمُخْتَكِمِ
 يبطئ المحبوب في القدوم لقلبا محبوبه بدلال المنعم المتفضل، وهو يتجنى عليه معتزاً بقدرته
 وتحكمه في العلاقة ..

وَحَنِينِي لَكَ يَكْوِي أَضْلُعِي وَالثَّوَانِي جَمَرَاتٍ فِي دَمِي
 وَأَنَا مُرْتَقِبٌ فِي مَوْضِعِي مُرْهِفُ السَّمْعِ لَوَقْعِ الْقَدَمِ
 والعاشق الولهان واقف مرهفاً سمعه لوقع أقدام الحبيب منتظراً قدومه

* * *

أَعْطِنِي حُرِّيَّتِي أَطْلِقْ بَدَنِي إِنَّنِي أَعْطَيْتُ مَا اسْتَبَقَيْتُ شَيْ
 أَوْ مِنْ قَبْلِكَ أَدْمَى مِعَصَصِي لِمَ أَبْقِيهِ؟ وَمَا أَبْقَى عَلَيَّ
 مَا احْتِفَاطِي بِعُهُودٍ لَمْ تَصْنُهَا وَالِىَ مَ الْأَسْرُ وَالْدُنْيَا لَدَنِي
 هَا أَنَا جَفْتُ دُمُوعِي فَاغْفُ عَنْهَا إِنَّهَا قَبْلَكَ لَمْ تُبْدَلْ لِحَيِّ

* * *

هَاكَ مَا قَدْ صَبَّتِ الرِّبْ حُحْ بِأَذْنِ الشَّاعِرِ
 وَهِيَ تُغْرِى الْقَلْبَ إِغْرَا ءَ النَّصِيحِ الْفَاجِرِ
 الريح تغري الشاعر بالسوان وهجر الحبيب ذي الدلال

* * *

أَيُّهَا الشَّاعِرُ تَغْفُو تَذْكُرُ الْعَهْدَ وَتَضْحُو
 تقول الريح للشاعر: إنك تنام وتضحو على ذكر الحبيب
 وَإِذَا مَا التَّامَ جُرْحُ جَدَّ بِالتَّذْكَارِ جُرْحُ
 وإذا ما التام، أي التام وشفى، جرح جلبت لك الذكرى جرحاً غيره .. ما هذا؟
 فَتَعَلَّمْ كَيْفَ تَنْسَى وَتَعَلَّمْ كَيْفَ تَمُحُو

* * *

هَاكَ فَاَنْظُرْ عَدَدَ الرَّمَمِ لِي قُلُوباً وَنِسَاءً
 الريح توسوس للشاعر: ما أكثر النساء! رُحْ ابحث عن غيرها
 فَتَخَيَّرْ مَا تَشَاءُ ذَهَبَ الْعُمُرُ هَبَاءً
 ضَلَّ فِي الْأَرْضِ الَّذِي يَنْدُ شُدُّ أَبْنَاءِ السَّمَاءِ
 واهم من يبحث في الأرض عن مخلوقة كأنها من حوريات الجنة .. هذا غير موجود

أَيُّ رُوحَانِيَّةٍ تُغْفَرُ صَرُّ مِنْ طِينٍ وَمَاءٍ
فلا روحانية في أي مخلوق خلقه الله من طين وماء

* * *

أَيُّهَا الرِّيحُ أَجَلٌ، لَكِنَّمَا هِيَ حُبِّي وَتَعَلَّاتِي وَيَأْسِي
تعلاتي: ما يصبرني في هذه الدنيا

هِيَ فِي الْغَيْبِ لِقَلْبِي خُلِقَتْ أَشْرَقَتْ لِي قَبْلَ أَنْ تُشْرِقَ شَمْسِي
وعلى موعدها أطبقت عيني وعلى تذكاريها وسدت رأسي

* * *

يَا حَبِيبِي كُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءِ مَا بِأَيْدِينَا خُلِقْنَا نَعْسَاءِ
رُبَّمَا تَجَمُّعُنَا أَقْدَارُنَا ذَاتَ يَوْمٍ بَعْدَمَا عَزَّ اللَّقَاءُ
فَإِذَا أَنْكَرَ خِلٌّ خِلَّهُ وَتَلَاقَيْنَا لِقَاءَ الْغُرْبَاءِ
الخل: الحبيب

وَمَضَى كُلُّ إِلَى غَايَتِهِ لَا تَقُلْ شَيْئاً! وَقُلْ لِي الْحَظُّ شَاءَ
في الأغنية (لا تقل شئاً فإن الحظ شاء) وهذا تحسين جيد على الأصل. في الأغنية مقاطع من
قصيدة أخرى وضعناها تحت هذه

١٧ سبقنا ظلنا

لِمَ يَا هَاجِرُ أَصْبَحْتَ رَحِيماً وَالْحَنَانُ الْجَمُّ وَالرَّقَّةُ فِيمَا؟
لِمَ تَسْقِينِي مِنْ شَهْدِ رُضَاباً وَتُلَاقِينِي عَطُوفاً وَكَرِيماً؟
لماذا تسقيني ريقك الشبيه بالعمل

كُلُّ شَيْءٍ صَارَ مُرّاً فِي فَمِي بَعْدَمَا أَصْبَحْتُ بِالدُّنْيَا عَلِيماً
أَوْ مَنْ يَأْخُذُ عُمَرِي كُلَّهُ وَيُعِيدُ الطُّفْلَ وَالْجَهْلَ الْقَدِيمَا

* * *

هَلْ رَأَى الْحُبُّ سُكَارَى مِثْلُنَا؟ كَمْ بَنَيْنَا مِنْ خِيَالٍ حَوْلَنَا
وَمَشِينَا فِي طَرِيقِ مُقَمِّرٍ نَسِبُ الْفُرْحَةَ فِيهِ قَبْلَنَا
نشب: تقفز

وَتَطَلَّعْنَا إِلَى أَنْجُمِهِ فَتَهَاوَيْنَ وَأَصْبَحْنَ لَنَا

نظرنَا إلى النجوم التي ظهرت لنا في الطريق المقمر فترلن وأصبحن ملكاً لنا

وَضَحِكُنَا ضِحْكَ طِفْلَيْنِ مَعَا وَعَلَوْنَا فَسَبَقْنَا ظِلَّنَا

* * *

وَانْتَبَهْنَا بَعْدَمَا زَالَ الرَّحِيقُ وَأَفْقُنَا، لَيْتَ أَنَّا لَا نُفِيقُ

الرحيق: الخمر.. بعدما أفاقا من خمرة الحب قالَا: ليتنا لا نفيق

يَقْظَةُ طَاحَتْ بِأَحْلَامِ الْكَرَى وَتَوَلَّى اللَّيْلُ، وَاللَّيْلُ صَدِيقُ

الكرى: النوم، تولى: ذهب

وَإِذَا النُّورُ نَذِيرٌ طَالِعٌ وَإِذَا الْفَجْرُ مُطِلٌ كَالْحَرِيقِ

النور كان نذيراً، يندر بشرّ، والفجر المحمر رأياه كالحريق.. فبعد نشوة الحب يأتي القلق والخوف من مقبل الأيام

وَإِذَا الدُّنْيَا كَمَا نَعْرِفُهَا وَإِذَا الْأَحْبَابُ كُلُّ فِي طَرِيقِ

١٨ مفعول عكسي

كَانَتْ لَنَا كَأْسٌ وَكَانَتْ قِصَّةٌ هَذَا الْحُبَابُ أَعَادَهَا وَرَوَاهَا

الحباب: الفقايع

مَا زِلْتُ تَسْقِينِي لِتُنْسِيَنِي الْهَوَى حَتَّى نَسِيتُ، فَمَا ذَكَرْتُ سِوَاهَا

١٩ كبرياء

وَحَبِيبٌ كَانَ دُنْيَا أَمَلِي حُبُّهُ الْمِحْرَابُ، وَالْكَعْبَةُ بَيْتُهُ

كان الحبيب كل ما عندي من أمل في الدنيا، وكان حبه محراب صلواتي، وكان بيته كعبي التي أطوف بها

مَنْ مَشَى يَوْمًا عَلَى الْوَرْدِ لَهُ فَطَرِيقِي كَانَ شَوْكَاً وَمَشَيْتُهُ

مَنْ سَقَى يَوْمًا بِمَاءٍ ظَامِئاً فَأَنَا مِنْ قَدَحِ الْعُمَرِ سَقَيْتُهُ

خَفَقَ الْقَلْبُ لَهُ مَخْتَلِجاً خَفَقَةَ الْمِصْبَاحِ إِذْ يَنْضُبُ رَيْتُهُ

مختلجاً: مرتجفاً، ينضب: يجف

قد سَلَانِي فَتَنَنْگَرْتُ لَهُ وَطَوَى صَفْحَةً حُبِّي، فَطَوَيْتُهُ
 سَلَانِي: نَسِينِي. من تقاليد العشق في الشعر العربي أن يظل الرجل يتذلل للمحوبة حتى النهاية..
 لا يجيز ذلك التقليد الراسخ للشاعر أن يدخل كبرياءه في القصيدة.. لكن، هناك استثناءات، قال
 القديم لفاطمة: (كذلك أجتوي من يجتويني)

٢٠ رسائلها

عَادَتْ إِلَيَّ الذِّكْرِيَا ثُ بِحَشْدِهَا وَزِحَامِهَا
 فِي لَيْلَةٍ لَبْلَاءٍ أَرَى- قَنِي عَصِيبُ ظَلَامِهَا
 هَذَاكَ رَسَائِلُ حُبِّهَا كَالطِّفْلِ فِي أَحْلَامِهَا
 فَحَلَفْتُ لَا رَقَدْتُ وَلَا ذَاكْتُ شَهِيٍّ مَنَامِهَا
 أَشَعَلْتُ فِيهَا النَّارَ تَرَى عَى فِي عَزِيزِ حُطَامِهَا
 تَفَنَّنَا قِصَّةَ حُبِّنَا مِنْ بَدِئِهَا لِخِتَامِهَا

٢١ أحتاج إليك

مِلْءُ ضُلُوعِي لَطَى، وَأَعْجَبُهُ أَنِّي بِهَذَا اللَّهَبِ أَبْتَرِدُ
 يَا تَارِكِي حَيْثُ كَانَ مَجْلِسُنَا وَحَيْثُ غَنَّاكَ قَلْبِي الْغَرْدُ
 أَرْنُو إِلَى النَّاسِ فِي جُمُوعِهِمْ أَشَقْنَهُمُ الْحَادِثَاتُ أَمْ سَعِدُوا
 تَفَرَّقُوا أَمْ بِهَا قَدْ احْتَشَدُوا وَغَوَّرُوا هَابِطِينَ أَمْ صَعِدُوا
 غوروا: هبطوا وادياً

إِنِّي غَرِيبٌ، تَعَالَ يَا سَكْنِي فَلَيْسَ لِي فِي زِحَامِهِمْ أَحَدُ

٢٢ نمشي معاً

نَمْشِي وَقَدْ طَالَ الطَّرِيقُ بِنَا وَنَوْدُ لَوْ نَمْشِي إِلَى الْأَبَدِ
 وَنَوْدُ لَوْ خَلَّتِ الْحَيَاءُ لَنَا كَطَّرِيقِنَا، وَعَدْتُ بِلا أَحَدٍ

نود لو كانت حياتنا خالية من الناس كطريقنا هذا

٢٣ أين المقرّ؟

إِلْتَقَيْنَا كَمَا التَّقَى بَعْدَ تَطَوَا فِي عَلَى الْقَفْرِ فِي السَّرَى أَنْضَاءُ

التقينا، نحن البشر، كما التقى بعد طول السير في القفر، الصحراء، أنضاء، متعبون مهزولون من سير الليل

قَطَعُوا شَوْطَهُمْ عَلَى الدَّمِ وَالشَّوْ
مَا بَقَائِي؟ وَأَجْمَلُ الْعَمْرِ وَلَّى
لِكَ وَرَاحُوا عَلَى اللَّهِيْبِ وَجَاءُوا
وَانْتَظَارِي حَتَّى يَحِيْنَ الشَّنَاءُ؟
ما الفائدة من حياتي وقد ذهب أجمل العمر، ولماذا أنتظر شتاء العمر وأرذله؟

مَرَّ يَوْمِي كَأَمْسِيهِ: مَسْرَحاً تُغَدِّ
آدَمَ كَالْقَدِيمِ، قَلْباً وَتَفْكِيـ
رَضُ فِيهِ الْحَيَاءُ وَالْأَحْيَاءُ
رَأَى، وَلَكِنْ تُبَدِّلُ الْأَزْيَاءُ
أنا آدم، كآدم القديم أبي البشر، ولم يتغير سوى الأزياء

لَمْ يَحُلْ طَبْعُهُ، وَلَا ذَاتَ يَوْمٍ
لَمْ يَحُلْ، لَمْ يَتَغَيَّرْ طَبْعُ الرَّجُلِ، وَلَا طَبْعُ الْمَرْأَةِ
لَيْسَتْ غَيْرَ نَفْسِهَا حَوَاءُ
وَالنُّضَارُ الْمَعْبُودُ قُدْسٌ وَقُرْبَا
ن؟ وَرَبِّ، وَالشَّهْوَةُ الْجَوْفَاءُ
النضار: الذهب

وَالْحُطَامُ الْفَانِي عَلَيْهِ اقْتِتَالٌ
وَسَفِينٌ تَمُرُّ إِثْرَ سَفِينٍ
وَالْأَمَانِي بَرِيْقُهَا إِغْرَاءُ
وَالرِّيَّاحُ اللَّذَاتُ وَالْأَهْوَاءُ
الناس كسفينة تتلوها سفينة، والرياح التي تحرك السفن، أي الدوافع التي تحرك الناس، هي لذاتهم وأهواءهم

وَالْغُيُوبُ الْمُحَجَّجَاتُ رِحَابٌ
وَالْغُيُوبُ الْمَحْجُوبَةُ عَنَا رِحَابٍ، رَحْبَةٌ وَاسِعَةٌ، وَقَدْ تَعَبَ الْحُكَمَاءُ فِي فِكْرِ رُمُوزِهَا
تَعَبَتْ فِي رُمُوزِهَا الْحُكَمَاءُ

٢٤ لِيْلَاك

لَا الْقَوْمُ رَاحُوا بِأَخْبَارٍ وَلَا جَاءُوا
يَا لَيْلُ مَنْ عَلَّمَ الْأَطْيَارَ قِصَّتَنَا
وَلَا لِقَلْبِكَ عَنْ لَيْلَاكَ أَنْبَاءُ
وَكَيْفَ تُدْرِى الصَّبَا أَنَّا أَحِبَّاءُ
عَلَّمَ: أخبر، الصبا: ربيع الصبا

٢٥ الاعتصار

يَا سَجِيْنَ الْحَيَاةِ أَيْنَ الْفِرَارُ
قَلِمَنْ لَفْتَةً، وَفِيْمَ ارْتِقَابٍ؟
أَوْصَدَ اللَّيْلُ بَابَهُ وَالنَّهَارُ
لَيْسَ بَعْدَ الَّذِي انْتَهَرْتُ انْتِظَارُ
وَالْتَّعَلَّاتُ مِنْ هَوًى وَشَبَابٍ
قِصَّةٌ مُسَدَّلٌ عَلَيْهَا السُّتَارُ
التعلات، التصبيرات التي يتلهى بها الإنسان، كالحب والشباب هي مسألة وقتية سرعان ما تزول ويسدل عليها الستار

ما الذي يَبْتَغِي العليلُ المُسَجَّى ؟ قد تَوَلَّى العُوَادُ والسَّمَارُ
بعد أن ذهب العواد، زاثرو المريض، والسمار، الساهرون للمسامرة، ماذا بقي للمريض الممدد
المسجَّى؟

يا ديارَ الحبيبِ هل كان حُلماً مُلتَقَى دُونَ مَوْعِدٍ يا ديارُ؟
يخاطب دار الحبيب، ويتذكر ذلك اللقاء المفاجئ الذي كان كالحلم.. يتذكر عشقاً قديماً
يا عَزِيزَ الجَنَى عليك سلامٌ كَيْفَ جَادَتْ بِقَرِيبِكَ الأَقْدَارُ؟
أيها المحبوب الذي كان مثل فاكهة صعبة الجني، كيف حدث وكان القدر سخياً وسمح بلقائنا؟
بُورِكَ الكَرَمُ والقُطُوفُ، وأَوْفَا تَ كَانَ العِناقُ فيها اغْتِصَارُ
بورك كرم العنب ذاك، وبوركت قطفه، وبعيداً عن التشبيهات: بورك العناق بيننا الذي كان حاراً
كان أحدهنا يعصر الآخر.. ربما - وبعودة للتشبيه - مثلما يعتصر الناس قطف العنب لصنع الخمر

٢٦ ثقب في ظلمة الليل

قد بَلَوْتُ الويلَ ليلاً، لا بَلَوْنَا وأنا أَبْدَأُ يَوْمِي بِالمَسَاءِ
جربت العذاب في ليل، لا جعلك الله تجربه.. وأنا أبدأ يومي بالمساء لأنني ساهر طول الليل
وَعَرَفْتُ الضَّبِقَ، ضَبِقَ القلبِ، حتى لم أَجِدْ في الكونِ ثَقْباً مِنْ رَجَاءِ

٢٧ كلام لا ينتهي

يا شَطَرَ نَفْسِي وَغَرَامِي الوَحِيدُ ما شئتَ يا لَيْلَايَ لا ما أريدُ
يا شطر نفسي، يا نصف نفسي، الأمر أمرك

يا مَنْ رَأَتْ حُزْنِي العَمِيقَ البَعِيدُ ذَاوَيْتَ لِي جُرْحِي بِجُرْحٍ جَدِيدِ

* * *

هَيَّا، أَجَلْ هَيَّا. إلى أيننا؟ لِحَيْثُ نَحْكِي حُلْمَ رُوحِنَا
لِحَيْثُ نَرُوي سِرَّ قَلْبِنَا فَإِنْ فَرَعْنَا مِنْ حَدِيثِ نُعِيدُ

٢٨ رثاء الشاعر الهمشري

لا تَجْزَعُوا لِلشَّاعِرِ المُلْهِمِ ما ماتَ، لَكِنْ صَارَ فِي الأنْجُمِ
ما كان إلَّا زَائِراً عابِراً لَأَيِّ سِرٍّ جاءَ، لم نَعْلَمْ

في رثاء الدكتور عبد الواحد الوكيل وزير الصحة:

لَا صَحْوَ مِنْ سِنَّةِ الْمَنُونِ وَإِنَّمَا سَهَرَ الْخُلُودُ عَلَيْكَ حَيْثُ تَنَامُ
 لن تصحو من سنة، نوم، الموت.. غير أن الخلود ساهر عليك ضامن لك بقاء الذكر
 أَنْتَ الطَّبِيبُ، وَقَدْ بَلَوْتُ حَيَاتَهُ وَمَجَالُهَا الْأَوْجَاعُ وَالْأَسْقَامُ
 أنت طبيب، وأنا جربت حياة الطبيب، ومجالها مجال أوجاع وأمراض
 أَيُّ الْأَسَاةِ هُوَ الْمُدِيلُ بِنَفْسِهِ؟ سُبْحَانَ مَنْ تُحْنِي لَدَيْهِ الْهَامُ
 أي الأساة، أي الأطباء، يعتز بنفسه؟ سبحان الله الذي يحني الجميع رؤوسهم لمشيتته

٣٠ خلود الشعراء

وَأُولُو الشُّعْرِ الْمَصَابِيحُ الَّتِي حَظَّمْنَهُنَّ رِيَّاحُ الصَّحَرَاءِ
 أهل الشعر مصابيح تنظم برياح الصحراء، يموت الشعراء.. ولكن..
 خُلِدَتْ أَنْوَارُهُمْ رَغَمَ الْبِلَى وَبِهَا الْمُدْلِجُ فِي اللَّيْلِ اسْتِضَاءُ
 يموتون وتبقى أنوارهم رغم البلى، أي تحلل الأجساد، ويستضيء المدلج، السائر ليلاً، بهذه
 الأنوار

سَوْفَ يَفْنَى الْقَوْلُ إِلَّا قَوْلَهُمْ وَيَمُوتُ النَّاسُ إِلَّا الشُّعْرَاءُ

٣١ عمر النجم

في تكريم الدكتور علي إبراهيم؟

إِلَيْكَ أَزُفُ فِي الْيَوْمِ الْجَلِيلِ تَحِيَّاتِ الزَّمِيلِ إِلَى الزَّمِيلِ
 تُبَايِعُ مِنْكَ فَنَّا عَبَقَرِيًّا وَعَقْلًا فِي الْعَقُولِ بِلا مَثِيلِ
 وَلَوْ أَنَّ الْأَلَى أَنْقَذَتْ جَاءُوا يُؤَدُّونَ الْقَدِيمَ مِنَ الْجَمِيلِ..
 الألى: الذين، الجميل: المعروف

وَلَوْ أَنَّ الْأَلَى عَلَّمَتْ جَاءُوا يُؤَدُّونَ الْقَلِيلَ مِنَ الْقَلِيلِ..
 ولو منحوك عمرهم جميعاً وما هو بالكثير ولا الجزيل..
 لو منحك كل هؤلاء أعمارهم، وما هذا بالكثير بالقياس إلى معروفك..

٣٢ الرجل الكامل

قال في الوزير عبد الحميد عبد الحق:

أنت فوق التَّكريم فوق الثَّنَاءِ جَلَّ ما قد أَشَدَّيتَ عن إِطراءِ
أَسَدِيَت: قَدَّمْتَ من معروف، إِطراء: مدح

لَمْ نُكْرِمَكَ لِلوِزَارَةِ وَالْمَنِّ صَبَّ والمجدِ والسَّنا والرَّوَاءِ
السنا: النور، الرواء: الطلعة البهية

نَحْنُ قومٌ نَهيمُ بِالرَّجُلِ الكا مِلِ يَمْضِي لِلأَمْرِ دُونَ النِّوَاءِ
ما جَمالَ الرَّبيعِ فِي الرِّوَضِ إِنَّ لَمْ يَشْدُ طَيْرٌ فِي الرِّوَضَةِ الغَنَاءِ
ما جَمالَ السَّمَاءِ وَالبَدْرِ إِنَّ لَمْ يَشْدُ سَارٍ فِي اللَّيْلِ القَمَرَاءِ
واضْبِاعَ النُّبوغِ فِي مِصرَ إِنَّ لَمْ تَتَحَدَّثْ مَنابِرُ الخُطباءِ
واضْبِاعَ النُّبوغِ فِي مِصرَ إِنَّ لَمْ يَكُ تَخْلِيئُهُ عَلى الشُّعراءِ

٣٣ الأوجه الصِّفراء

أَجَلْ! إِنَّ ذَا يَوْمٍ لِمَنْ يَفْتَندي مِصرَا فَمِصرُ هِي المِحرَابُ والجَنَّةُ الكُبرى
مِصر هِي المِحرَاب الذي تَقدم إِلِهِ صلوات الولاء

نَبْتُ بِها رُوحَ الحِياةِ قَوِيَّةٌ وَنَقُتْلُ فِيها الضَّنْكَ والذَّلُّ والفَقْرا
نبت بِمِصر رُوح الحِياة، وَنَقُتْل الضَّنْكَ، الشقاء

سَلاماً شَبابِ النِّيلِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ عَلى الدَّهْرِ يَجني المِجدُ أَوْ يَجلبُ الفَقْرا
تَعالَوْا لِنَمحُو الجَهِلَ والعِلَلِ التي أَحاطَتْ بِنا كَالسَّيْلِ تَغْمُرُنا عَمَرا
تَعالَوْا نُشِيدُ مَلَجاً، رَبُّ مَلَجاً يَضُمُّ حُطامَ البُؤْسِ والأَوجَهِ الصِّفْرا
يَدعو لِتشِيد مَلَجاً لِلإِيتام الذين اصْفَرت وجوههم من سوء التَغذية

٣٤ عِينان

طَوَى السَّنِينَ وَشَقَّ الغِيبَ وَالظُّلْما بَرَقَ تَأَلَّقَ فِي عَينِكَ وَابْتَسَما

يا ساري البرق من نجمين يومض لي ماذا تُخبئ لي الأقدارُ خلفهما؟
أيها البرق الذي سرى ليلاً من عيني المحبوب اللتين تشبهان نجمين، ماذا يخبي لي القدر خلف
هاتين العينين؟

أَجِثَتْ بِي عَتَبَاتِ الخُلْدِ؟ أم شَرَكَا نَصَبْتَ لِي مِنْ خِدَاعِ الوهم، أم حُلَمَا؟
حَمَلْتَنِي لِسماءٍ قد سَرَيْتُ لها بِالرُّوحِ والفِكرِ، لم أَنْقُلْ لها قَدَمًا
شَفَّتْ سَدِيمًا وَرَقَّتْ فِي غَلَائِلِهَا فَكِدْتُ أَبْصِرُ فِيهَا اللُّوْحَ وَالْقَلَمَا
هذه السماء شف سديمها، نجومها المتجمعة، ورقَّت غلائلها، شغوفها، حتى إنني أكاد أبصر
اللوح المحفوظ والقلم الذي يسجل أعمال العباد.. كان سيسجد الفرزدق لهذا البيت لو سمعه!

يا لِلْغَدِيرَيْنِ فِي عَيْنِكَ إِذْ لَمَعَا بِالشَّوْقِ يَوْمِضُ خَلْفِ المَاءِ مُضْطَرِمَا
وَلِلنَّقِيبَيْنِ فِي كَأْسَيْنِ قَدْ جُمِعَا فَالرَّايَانِ هُمَا، وَالظَّامِثَانِ هُمَا
عيناك كأنهما كأسان اجتمع فيهما نقيضان، فهما يرويان المحبوب بالحب، وهما ظامتان يطلبان المزيد

بِأَيِّ قَوْسٍ وَسَهْمٍ صَائِبٍ وَيَدٍ هَوَاكُ يَا أَيُّهَا الطَّاغِي الجميلُ رَمَى

٣٥ عز اللقاء

قَدَرُ أَرَادَ شَقَاءَنَا لَا أَنْتِ شِئْتَ وَلَا أَنَا
عَزَّ التَّلَاقِي، وَالْحُظُوظُ ظُ السُّودُ حَالَتْ بَيْنَنَا
قَدْ كِدْتُ أَكْفُرُ بِالهَوَى لَوْلَمْ أَكُنْ بِكَ مُؤْمِنَا

٣٦ المدينة الظالمة

ضَجَّكَتْ لِعَيْنَيَّ المَصَابِيحُ التي تَعْلُو رُؤُوسَ اللَّيْلِ كَالثَّيْجَانِ
تلك أنوار المدينة تلمع من بعيد للثائه في صحرائه فيخالها تضحك له
ورأيتُ أنوارَ المَدِينَةِ بَعْدَمَا طَالَ المَسِيرُ وَكَلَّتِ القَدَمَانِ
فإذا المَدِينَةُ كَالضُّبَابِ تَبَخَّرَتْ وَتَكَشَّفَتْ لِي عَنْ كَذُوبِ أَمَانِي
كذوب أمانِي: أمانِي كاذبة

٣٧ اعتذار غريب

قال يهجو الشاعر عبد الحميد الديب وقد سخر منه في مجلس:
رُجُلًا أَرَى بِاللهِ أَمْ حَشَرَةً سَبَحَانَ مَنْ يَعْبُدُهُ حَشَرَةً

أَرَأَيْتَ قَرْدًا فِي الْحَدِيقَةِ قَدْ فَلْتُهُ أَنْشَاهُ عَلَى شَجَرَةٍ؟
يَا عَبْقَرِيًّا فِي شِنَاعَتِهِ وَلَدْتُكَ أُمُّكَ وَهِيَ مُغْتَذِرَةٌ

٣٨ أي سر فيك

أَنْتَ فَجْرٌ مِنْ جَمَالٍ وَصَبَا كُلُّ فَجْرِ طَالِعٍ ذَكَرَنِيهِ
ذَكَرَنِيهِ: ذَكَرَنِي إِيَّاهُ

كَيْفَ جَانَبْتُكَ أَبْغِي سَلْوَةً ثُمَّ نَاجَيْتُكَ فِي كُلِّ شَبِيهِ
تَجَنَّبْتُكَ حَتَّى أَنْسَاكَ، ثُمَّ صَرْتُ أَنَا جِيكَ كُلَّمَا رَأَيْتُ مِنْ يَشْبُهِكَ، لَشِدَّةِ شَوْفِي إِلَيْكَ
أَيُّهَا السَّاكِنُ عَيْنِي وَدَمِي أَيْنَ فِي الدُّنْيَا مَكَانٌ لَسْتُ فِيهِ؟

* * *

يَا لِبَالِي الْعُمُرِ مَا سِرُّ اللَّيَالِي الْبَطِيشَاتِ الْمُمِلَّاتِ الطَّوَالِ؟
مُسْرِعَاتِ مُبْطِئَاتِ وَلَهَا خِفَّةُ الْمَوْتِ وَأَثْقَالُ الْجِبَالِ
الليالي تمر بسرعة، لكنني أشعر أنها بطيئة.. فيها خفة الموت، وثقل الجبال

عَجَبًا لِلْعُمُرِ يَمْضِي مُسْرِعًا لِلْمَنَايَا بِسُلْخَفَةِ الْمَلَالِ
العمر يمضي بنا مسرعاً نحو الموت.. لكنه لشدة الملل يبدو بطيئاً كالسلحفاة.. لم أستطع شرح
سلحفاة الملل، أي الملل، التي تمضي بسرعة

* * *

طَالَمَا مَوَّهْتُ بِالضَّحْكِ فَمَا غَيَّرَ التَّمَوُّيَهُ رَأْيَا لَكَ فَيَّا
أخفي حقيقة مشاعري بضحكات مصطنعة، ولكنك لا تنخدع بها

كُلَّمَا تَنْظُرُ فِي عَيْنِي تَرَى سِرِّيَ الْغَافِي وَمَعْنَايَ الْخَفِيَّا
وَتَرَى فِي عُمُقِ رُوحِي زَهْرَةً قَدْ سَقَاها الْحَزَنُ دَمْعًا أَبَدِيَّا

* * *

أَيُّ سِرِّ فِيكَ إِنِّي لَسْتُ أَدْرِي كُلُّ مَا فِيكَ مِنَ الْأَسْرَارِ يُغْرِي
خَطَرٌ يَنْسَابُ مِنْ مُقْتَرِّ ثَغْرِ فِتْنَةٌ تَعَصِفُ مِنْ لَفْتَةِ نَحْرِ
ثمة خطر ينساب من مفتر ثغر، أي ثغر مفتر متفرج عن ابتسامة، وفتنة تعصف بي من لفنة جيدك

قَدَرْتُ يُنْسَجَ مِنْ خُضْلَةٍ شَعْرِ زَوْرَقٌ يَسْبَحُ فِي مَوْجَةِ عِطْرِ

فِي حُبَابٍ غَامِضٍ التَّيَّارِ يَجْرِي وَاصِلًا مَا بَيْنَ عَيْنَيْكَ وَعُمْرِي

العباب: اصطخاب البحر

* * *

مَا أَنَا عُدْتُ إِلَى حَبِثُ التَّقِينَا فِي مَكَانٍ رَفَرْتُ فِيهِ السَّعَادَةُ
وَبِهِ قَدْ رَفَرْتُ الصَّمْتُ عَلَيْنَا إِنَّ فِي صَمْتِ الْمُحِبِّينَ عِبَادَةَ

٣٩ أَبْقِهَا

كَلَّمَا خَلَى حَبِيبِي يَدَهُ لَحْظَةً قُلْتُ: وَحُبِّي! أَبْقِهَا
أَبْقِهَا أَوْ مِنْ إِذَا لَامَسْتُهَا أَنَّ حُبِّي لَيْسَ حُلْمًا وَانْتَهَى

٤٠ شَرَفِ الْأَلَمِ

مَنْ يَكُنْ عَضَّ بَنَانًا نَادِمًا فَأَنَا قَطَعْتُ إِيهَامَ النَّدَمِ
عض الإصبع: كناية عن الندم

وَإِذَا انْحَطَّ زَمَانٌ لَمْ تَجِدْ عَالِيًا ذَا رِفْعَةٍ إِلَّا الْأَلَمَ

٤١ الكهل والصبية

تَعَجَّ بَتْ زَا زَا، وَقَدْ حُقِّ لَهَا أَنْ تَعَجَّ بَا
لَمَّا رَأَتْ فِي شُحُو بَ الشَّمْسِ مَالَتْ مَغْرِبَا
وَهِيَ الَّتِي زَانَتْ مَشِي بِي بِأَكَالِيلِ الصُّبَا

زازا، وهي ممثلة كانت تحب الشاعر في كهولته، زينت مشيه بصباها. لن نعرف زازا على وجه التحقيق فقد عرف شاعرنا (زينب صدقي وزوزو ماضي وزوزو حمدي الحكيم، وأعجب بأمية رزق)... وكل واحدة منهن عندها زاة ترشحها للقب زازا

لَوْلَاكِ مَا قُلْتُ لِسْنِي فِي الْوُجُودِ مَرَحَبَا
عَلِمْتُ يَأْسِي وَجُنُو نِي وَجَهَلْتُ السَّبَبَا
يَا كَوَكَبًا مَهْمَا أَكُنْ مِنْ بُرْجِهِ مُقَرَّبَا
فَإِنَّهُ يَظَلُّ فِي السَّبَبَا مَتِ الْبَعِيدِ كَوَكَبَا

السمت: في الفلك هي النقطة العليا، ومنها كلمة زينيث الأجنبية، وعكسها نظير السم، وهي تدير بالأجنبية

٤٢ لا فائدة

وَأَعْلَمُ أَنَّ حُبِّي لَيْسَ يُشْفَى وَبُعْدِي لَيْسَ يُجْدِيَنِي وَفُرْجِي
وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِلْحُبِّ حَالًا هَتَفْتُ بِهِ: كَمَا يُرْضِيكَ سِرُّ بِي

٤٣ موقف

قَدْ هَدَّنِي جَزَعِي عَلَيْكَ وَأَدَّعِي أَنِّي عِدَاةَ الْبَيْنِ غَيْرُ جَزُوعِ
وَأُرِيدُ أَشْبِعُ نَاطِرِي فَأَنْشَنِي كَيْ أَسْتَبِينَكَ مِنْ خِلَالِ دُمُوعِي
ناظري: عيني

إبراهيم ناجي فهرس القوافي

٢٥	وَالنَّهَارُ	٢٤	أَنْبَاءُ
١٣	الْأَعْمَارِ	٢٣	أَنْضَاءُ
٣٧	حَشَرَهُ	٣٢	إِطْرَاءُ
١	وَالنَّاسِي	٢٦	بِالْمَسَاءِ
٤	المُضَاعِ	١٤	حَوَاءِ
٤٣	جَزُوعِ	٣٠	الصَّحْرَاءِ
٥	السَّبَاعِ	٩	اللَّوَاءِ
٦	تَوَقُّعُهُ	٤١	تَعَجُّبًا
٣٩	أَبْقَاهَا	٤٢	وَقُرْبِي
٣	إِغْوَالًا	١٩	بَيْتُهُ
٣١	الرِّمِيلِ	١١	الْمَنْشُودَا
١٧	فِيهَا	٢١	أَبْتَرِدُ
٣٤	وَابْتَسَمَا	١٢	اسْتِعْبَادِ
٢٩	تَنَامُ	٢٢	الْأَبَدِ
٢٨	الْأَنْجُمِ	٢٧	أُرِيدُ
٤٠	النَّدَمِ	٣٣	الْكُبْرَى
٢٠	وَزِحَامِهَا	٨	سُكَارَى

٧	سَمَاهَا	٣٥	أَنَا
١٨	وَرَوَاهَا	١٥	نَسِينَا
١٦	فَهْوَى الْأَطْلَالِ	١٠	هَوَانَا
٣٨	دَكَرْنِيهِ	٢	دُيُونِ
		٣٦	كَالتَّيْجَانِ

أبو القاسم الشابي

(١٩٠٩ - ١٩٣٤)

لعلك سمعت للشابي بيتاً واحداً من قصيدة واحدة؟ إن كنت تعرف «إذا الشعب يوماً» ولا تعرف شيئاً آخر من شعر أبي القاسم الشابي، فأنت مدعو إلى مآدبة عامرة، في فردوس بهيج من فراديس الروح والقلق والشعر الوجداني والسياسي.

هل امتعشت؟ المعذرة، فأنت سمعت أيضاً من كتاب المدرسة قصيدة رعوية من قصائد الغاب والبستان. فهل سمعت أبا القاسم الشابي وهو يشتم الشعب في قصيدتين كبيرتين؟ سستمع بعد قليل.

لا نقول عن حياة الشابي إلا القليل. . . بقدر سنوات عمره الخمس والعشرين. كان فيه نزق وغضب وإباء ورومنسية، واجتمع لديه ما اكتسبه من جامع الزيتونة ومن والده من لغة فصيحة، وما اكتسب به من ثوب الرومنسية الذي طبع شعر عصره. فقد كان أبو القاسم يقرأ شعر الأبوليين في مصر، وكان ينشر عندهم ويراسلهم. وبلغ من تقدير رئيسهم، الشاعر المصري أحمد زكي أبي شادي، للشابي أن طلب منه كتابة مقدمة لديوانه الينبوع؛ وفعل أبو القاسم، ومرّر في مقدمته الضافية، التي جعلها تتكلم عن الشعر عامة، نقداً لأبي شادي بأن شعره قليل الأناقة. فأما في رسائله الخاصة فكان يصرح بما في شعر أبي شادي من برود، وقلة اكتمال.

شكا الشابي تضخم القلب، وأنهكته العلة في أواخر سنه، لكنه قال ما يريد أن يقوله.

وقد أثبتنا تواريخ القصائد افتخاراً بهذا النابغة الذي امتلك كل هذا الشموخ والرقّة والفصاحة في يفاعته. كان، في يومياته التي وجدت طريقها إلى

النشر، صبيّاً كالصبيان وشاباً كالشبان: يتخلف عنه زميله فيحنق، ويذهب وحده للتنزه، ويشكو قصور فهم الناس، وقلة معرفتهم، وتعصبهم لآرائهم. ونجده في رسائله للناقد الحلوي يتمنى لو أنه عرف لغة أجنبية. ونحن - بالطبع - سعداء بأنه لم يعرف سوى العربية، حتى لا يتلوث شعره بتقليد شعر غريب عن وجدانه، وحتى لا يتعالم، وحتى لا يفقد براءته.

لكن الشابي كان مثقفاً. كان يقرأ كثيراً، ويتشهى المعرفة. يشارك في الندوات الأدبية، ويشغل نفسه بالمنشورات الأدبية، وبالأفكار الكثيرة في هذا العالم. سعى إلى معرفة فكر الفلاسفة الأوروبيين، وسمع عن آينشتاين وناق إلى أن يعرف أكثر. لكن ثقافته الأولى كانت اللغة العربية وأدبها.

ولد الشابي والاحتلال الفرنسي جاثم على تونس منذ ثمان وعشرين سنة، وسيموت ثم ستنقضي إحدى وعشرون سنة قبل أن تستقل تونس. رأى الشابي أن المشكلة ليست أساساً في الاحتلال.. بل في الشعب الذي لا يرفض الاحتلال بما يكفي، ولا يبذل جهداً لكي ينال الجدارة بالاستقلال. استنهض شاعرنا شعبه، وقرّعه، وأشبعه لوماً. ولكن قلبه المتضخم بالمرض وبعلة الرومنسية شاء لشعره أن يكون غناء. وفاز الشابي بالحسنين.

قيمة الشابي ليست أنه مات عن خمس وعشرين سنة.
هو شاعر كبير.

١ تونس الجميلة

٢ جوان/يونيو ١٩٢٥

لا أبالي، وإن أريقتم دماي، فدماء العشاق دوماً مُباحة
إنّ ذا عصرٌ ظلمة، غير أني من وراء الظلام شئتُ صباحة
ذا: هذا، شمت: رأيت بعين الحلس

ضيع الدهرُ مجدّ شعبي، ولكن سترّد الحياة يوماً وشاحة

٢ شعري

١٣ جوان/يونيو ١٩٢٥

لا أنظّم الشعرَ أرجو به رضاء الأمير

بِمِذْحَةٍ أَوْ رِثَاءٍ تُهْدَى لِرَبِّ السَّرِيرِ
حَسْبِي إِذَا قُلْتُ شِعْراً أَنْ يَرْتَضِيَهُ ضَمِيرِي

٣ إلى الطاغية

١٨ فيفري/فبراير ١٩٢٧

لَكَ الْوَيْلُ يَا صَرَحَ الْمَظَالِمِ مِنْ غَدٍ إِذَا نَهَضَ الْمُسْتَضْعَفُونَ وَصَمَّوْا
أَلَا إِنَّ أَحْلَامَ الْبِلَادِ دَفِينَةٌ تُجَنِّجُ فِي أَعْمَاقِهَا مَا تُجَنِّجُ
تجمجم: تهمهم

٤ الدموع

٢٠ جوان/يونيو ١٩٢٧

مُلِئَ الدَّهْرُ بِالْخِدَاعِ فَكَمْ قَدْ ضَلَّلَ النَّاسَ مِنْ إِمَامٍ وَقَسٍّ
كَلَّمَا أَسْأَلُ الْحَيَاةَ عَنِ الْحَقِّ - تَكُفُّ الْحَيَاةَ عَنْ كُلِّ هَمٍّ
لَمْ أَجِدْ فِي الْحَيَاةِ لَحْناً بَدِيعاً يَسْتَبِينِي، سِوَى سَكِينَةِ نَفْسِي
يستيني: يسي خيالي ويسحني

نَاوَلْتَنِي الْحَيَاةَ كَأْساً دِهَاقاً بِالْأَمَانِي، فَمَا تَنَاوَلْتُ كَأْسِي
كأس دهاق: مملوءة

وَسَقَتْنِي مِنَ التَّعَاسَةِ أَكْوَا بَأْ تَجَرَّعْتُهَا فَيَا شَدَّ تَغْسِي
إِنَّ فِي رَوْضَةِ الْحَيَاةِ لِأَشْوَا كَأْ، بِهَا مُزَقَّتْ زَنَايْتُ نَفْسِي

٥ أيها الليل

٢٤ جوان/يونيو ١٩٢٧

أَيُّهَا اللَّيْلُ يَا أَبَا الْبُؤْسِ وَالْهُو لِي، أَيَا هَيْكَلِ الْحَيَاةِ الرَّهِيْبِ
يَهْجَعُ الْكَوْنُ فِي طُمَأْنِينَةِ الْعُصْ فَوْرَ طِفْلاً بِصَدْرِكَ الْغَرِيبِ
يهجع: يرقد، الغريب: الأسود

٦ المجد

عُرَّة أوت/ أغسطس ١٩٢٧

يَوُدُّ الْفَتَى لَوْ خَاضَ عَاصِفَةَ الرَّدَى وَصَدَّ الْخَمِيسَ الْمَجْرَ وَالْأَسَدَ الْوَرْدَا
الخميس المجر: الجيش الكبير، الأسد الورد: ذو اللون الوردي، والورد من أسماء الأسد
لِيُذْرِكَ أَمْجَادَ الْحُرُوبِ، وَلَوْ دَرَى حَقِيقَتَهَا مَا رَامَ مِنْ بَيْنِهَا مَجْدًا

٧ المساء الحزين

٢٠ جانفي/ يناير ١٩٢٨

تَعُوذُ ادِّكَارَاتُ ذَاكَ الْهَوَى وَلَكِنَّ سِحْرَ الْهَوَى لَا يَعُوذُ
ادكارات: ذكريات

تَجَلَّدُ، وَلَا تَسْتَكِينُ لِلْبَالِيِ فَمَا فَازَ إِلَّا الصَّبُورُ الْجَلِيدُ
وَلَا تَأْسَ مِنْ حَادِثَاتِ الدُّمُورِ فَخَلَفَ الدِّيَابِجِيرُ فَجْرًا جَدِيدًا
الديابجير: الظلمات

وَلَوْلَا غَيُومُ الشَّتَاءِ الْغِضَابُ لَمَا نَضَّدَ الرَّوْضُ يَلَكَ الْوُرُودُ
نَضَّد: نَتَقَ

وَلَوْلَا ظِلَامُ الْحَيَاةِ الْعَبُوسُ لَمَا نَسَجَ الصَّبْحُ يَلَكَ الْبُرُودُ
البرود: الأنواب

٨ بقايا الخريف

٢٧ فيفري/ فبراير ١٩٢٨

وَقَفْتُ وَحَوْلِي غَدِيرٌ مَوَاتٌ تِمَادَتْ بِهِ غَفَوَاتُ الْكَهُوفِ
موات: مقفر، قاحل

قَضَّتْ فِي حَفَافِيهِ تِلْكَ الزُّهُورُ فَكَفَّنَهَا بِالصَّقِيعِ الْخَرِيفِ
في حفافيه: على جانبيه

سَوَى زَهْرَةً شَقِيقَتٍ بِالْحَيَاةِ وَمَلَبَّيْهَا بِالْمَقَامِ الْمُخِيفِ
ملبئها: مجثمها، جلوسها

وَتُرْهِبُهَا غَادِيَّاتُ الْعَمَامِ وَتَوَلِّمُهَا كُلُّ رِيحٍ عَصُوفَ

تخيفها الغيوم الغادية، المارة مساءً، وتولمها الريح إذ تعصف

وَتَرْنُو لَهَا حَوْلَهَا مِنْ زَهْوٍ وَمَا تَمَّ إِلَّا السَّحِيقُ الْجَفِيفُ

تنظر هذه الزهرة للزهو حولها، وليس ثم، أي ليس هناك، إلا ما هو مسحوق وجاف من الزهور

فَتَبْكِي بِكَاءِ الْغَرِيبِ الْوَحِيدِ بِشَجْوٍ كَظِيمٍ وَنُوحٍ ضَعِيفِ

كظيم: مكتوم

فَمَا تَمَّ إِلَّا الصَّخُورُ الْقَوَاسِي وَإِلَّا الصَّدَى الْمُسْتَطَارُ الْهَثُوفُ

القواسي: القاسية، المستطار: العالي الذاهب بعيداً

فَجَادَتْ بِرُوحٍ شَقِيٍّ شَجِيٍّ لَقَدْ عَذَّبَتْهُ اللَّيَالِي صُنُوفَ

أذاقت الليالي روح الزهرة الوحيدة صنوف العذاب فخرج الروح.. وماتت الزهرة

ذَكَرْتُ بِمَضْجَعِهَا الْمَطْمَنُ وَمَرَقَدِهَا فِي السَّفِيرِ الْجَفِيفِ..

السفير: أوراق الشجر الساقطة، الجفيف: الجاف

مِصَارَعُ آمَالِي الْغَايِرَاتِ وَخَيْبَتَهَا فِي الصَّرَاعِ الْعَنِيفِ

وَقَلْتُ: هُوَ الْكُونُ مَهْدُ الْجَمَالِ وَلَكِنْ، لِكُلِّ جَمَالٍ خَرِيفُ

وَأُطْرَقْتُ أَضْغِي لَهْمِسِ الْأَسَى وَقَدْ عَشِيَ النَّفْسَ هَمٌّ كَثِيفُ

وَعَاضَتْ ثَمَالَةً نَوْرَ النَّهَارِ وَأَزْحَى ظِلَامُ الْوُجُودِ السُّجُوفِ

عاضت: جفت، ثمالة: بقية، السجوف: السور

٩ يا رفيقي

١٦ جويليه/ يوليو ١٩٢٨

قَدْ تَفَكَّرْتُ فِي الْوُجُودِ فَأَعْيَا نِي وَأَدْبَرْتُ آيَساً لِظِلَامِي

أدبرت: رجعت، آيساً: يائساً

أَنْشُدُ الرَّاحَةَ الْبَعِيدَةَ لَكِنْ خَابَ ظَنِّي وَأَخْطَأْتُ أَحْلَامِي

فَمَعِيَ فِي جَوَانِحِي، أَبَدَ الدَّهْرِ فِرٌّ، فَوَازِدُ إِلَى الْحَقِيقَةِ ظَامِ

ظام: ظامئ عطشان

١٠ قلت للشعر

٢٨ أكتوبر ١٩٢٨

أَنْتَ يَا شِعْرُ فَلَذَّةٌ مِنْ فُؤَادِي تَتَعَنَّى، وقطعةٌ مِنْ وُجُودِي
فلذة: قطعة

فِيكَ مَا فِي جَوَانِحِي مِنْ حَنِينٍ أَبْدِي إِلَى صَمِيمِ الْوُجُودِ
أَنْتَ يَا شِعْرُ قِصَّةٌ عَنْ حَيَاتِي
فِيكَ مَا فِي الْوُجُودِ مِنْ نَغَمٍ حُلْدٍ
فِيكَ مَا فِي الْوُجُودِ مِنْ حَسَكٍ يُدْ
حسك: شك، غصيص الورود: الورود الغضة الطرية

فِيكَ مَا فِي الْوُجُودِ حَبٌّ بَنُو الْأَرَضِ ضِ قَصِيدِي، أَمْ لَمْ يُحِثُوا قَصِيدِي
فَسَوَاءٌ عَلَى الطَّيُورِ إِذَا عَنَّ- سَتَ هُتَافُ السَّؤُومِ وَالْمُسْتَعْبِدِ
السَّؤُومِ: الملول، المستعبد: من يطلب إعادة اللحن إعجاباً به

وَسَوَاءٌ عَلَى الْوُجُودِ: أَفْنِي الْغَيْدِ رَانَ فَاحَتْ، أَمْ بَيْنَ نَهْدٍ وَجِيدِ
الغيران: الوديان الغائرة المنخفضة

١١ يا ابن أُمي

٢٠ فيفري/فبراير ١٩٢٩

خُلِقْتَ طَلِيقاً كَطَيْفِ النِّسِيمِ وَحُرّاً كَنُورِ الضُّحَى فِي سَمَاءِ
تُغَرِّدُ كَالطَّيْرِ أَيْنَ انْدَفَعَتْ وَتَشْدُو بِمَا شَاءَ وَحْيِ الْإِلَهِ
كَذَا صَاغَكَ اللَّهُ يَا ابْنَ الْوُجُودِ وَأَلْقَيْتَكَ فِي الْكَوْنِ هَذِي الْحَيَاةِ
فَمَا لَكَ تَرْضَى بِذُلِّ الْقَيْدِ وَتَحْنِي لِمَنْ كَبَّلُوكَ الْجَبَاةِ
وَتُطَيِّقُ أَجْفَانَكَ النِّيَّاتِ عَنِ الْفَجْرِ، وَالْفَجْرُ عَذْبُ ضِيَاءِ
أَلَا انْهَضْ وَسِرْ فِي سَبِيلِ الْحَيَاةِ فَمَنْ نَامَ لَمْ تَنْتَظِرْهُ الْحَيَاةُ
في سبيل الحياة: في طريقها

وَلَا تَخْشَ مِمَّا وَرَاءَ التَّلَاعِ فَمَا تَمَّ إِلَّا الضُّحَى فِي صِبَاةِ
التَّلَاعِ: التلال، ثم: هناك

إلى النور! فالنور عذبٌ جميلٌ إلى النور! فالنورُ ظلُّ الإله

١٢ إلى الله

٢٩ أكتوبر ١٩٢٩

يا إله الوجود! هذي جراح هذه مهجة الشقاء تناجي
في فؤادي تشكو إليك الدواهي لك، فهل أنت سامعٌ، يا إلهي
يا رياح الوجود سيري بعنفٍ وتغنّي بصوتك الأواه
وانفحني من روحك الفخم ما يُبدلُخ صوتي أذآن هذا الإله
فهو يُصغي إلى القوي، ولا يُصدغي لصوت بين العواصف واه
واه: ضعيف

فالوجود الشقي غيرٌ جدير بالأغاني، وبالجمال الزاهي
خبروني هل للورى من إله راحم، مثل زعمهم؟ أواه
أواه: أتوجع

إنني لم أجدّه في هاتيه الدن يا، فهل خلف أفقها من إله
ما الذي قد أتيت يا قلبي البا كي، وماذا قد قلّته يا شفاهي؟
يا إلهي قد أنطق الهَم قلبي بالذي كان. فاعترف يا إلهي

١٣ النبي المجهول

٢١ جانفي/يناير ١٩٣٠

أيها الشعب ليتني كنت خطّا بآ قأهوي على الجذوع بفأسي
ليتني كنت كالسبيل إذا سا لث تهذ القبور رمسا برمسي
رمس: قبر

ليت لي قوّة العواصف يا شع جبي فألقني إليك ثورة نفسي
أنت روح غيبة تكره النور ر وتفضي الدهور في ليل ملّس
ملس: ظلام

في صباح الحياة ضمخت أكوا بي، وأترعتها بخمرة نفسي
أترعتها: ملأتها

ثُمَّ نَضَّدْتُ مِنْ أَزَاهِيرِ قَلْبِي بَاقَةً لَمْ يَمَسَّهَا أَيُّ إِنْسِي
ثُمَّ قَدَّمْتُهَا إِلَيْكَ فَمَزَّقَ سَتَ وَرُودِي، وَدُسَّتْهَا أَيُّ دَوْسِ
ثُمَّ أَلْبَسْتَنِي مِنَ الْحَزَنِ ثَوْباً وَبِشَوْكَ الْجِبَالِ تَوَجَّتْ رَأْسِي

ما زال يخاطب الشعب

إِنْنِي ذَاهِبٌ إِلَى الْغَابِ بِأَشْعَرِ جَبِي لِأَقْضِي الْحَيَاةَ وَخُدِي بِبِأَسِ
سَوْفَ أَتَلُو عَلَى الطُّيُورِ أَنَاشِيدَ لَدِي وَأَقْضِي لَهَا بِأَشْوَاقِ نَفْسِي
فَهِيَ تَذَرِي مَعْنَى الْحَيَاةِ وَتَذَرِي أَنْ مَجْدَ النُّفُوسِ بِقُطْعَةِ حُسْنِ
ثُمَّ تَحْتَ الصَّنُوبَرِ النَّاضِرِ الْحُلْدَ بِرِ تَحْطُ السَّيُولُ حُفْرَةَ رَمْسِي
وَتَظَلُّ الطُّيُورُ تَلْعُو عَلَى قَبْرِ رِي، وَيَشْدُو النَّسِيمُ فَوْقِي بِهَمْسِ
أَنْتَ فِي الْكَوْنِ قُوَّةٌ كَبَلَتْهَا ظُلُمَاتُ الْعَصُورِ مِنْ أَمْسِ أَمْسِ
وَالشَّقِيُّ الشَّقِيُّ مِنْ كَانَ مِثْلِي فِي حَسَائِيْنِي وَرَقَّةِ نَفْسِي

١٤ شجون

٢٨ أكتوبر ١٩٣٠

عَجَباً لِي أَوْدُ أَنْ أَفْهَمَ الْكَوْنَ نَ، وَنَفْسِي لَمْ تَسْتَطِعْ فَهَمَ نَفْسِي
لَمْ أُنْذِرْ مِنْ حَقَائِقِ الْكَوْنِ إِلَّا أَنَّنِي فِي الْوُجُودِ مُرْتَادُ رَمْسِي

رسم: قبر

١٥ أحلام شاعر

٤ أبريل ١٩٣١

لَيْتَ لِي أَنْ أَعِيشَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا يَا سَعِيداً بِوَحْدَتِي وَانْفِرَادِي
أَصْرِفُ الْعَمَرَ فِي الْجِبَالِ وَفِي الْغَا بَاتٍ بَيْنَ الصَّنُوبَرِ الْمَيَّادِ

المياد: المتمايل

وَأُعْنِي مَعَ الْبَلَابِلِ فِي الْغَا بِ وَأُصْغِي إِلَى خَرِيرِ الْوَادِي
عَيْشَةً لِلْجَمَالِ وَالْفَنِّ أَبْغِي هَا بَعِيداً عَنْ أُمَّتِي وَبِلَادِي
لَا أُعْنِي نَفْسِي بِأَحْزَانِ شَعْبِي فَهَوَ حَيٌّ يَعِيشُ عَيْشَ الْجَمَادِ

١٦ صلوات في هيكَل الحب

١٣ أكتوبر ١٩٣١

عَذْبَةٌ أَنْتِ كَالطُّفُولَةِ كَالأَخْ لَامٍ، كَاللَّحْنِ كَالصَّبَاحِ الْجَدِيدِ
كَالسَّمَاءِ الضَّحُوكِ، كَاللَّيْلَةِ الْقَمَدِ رَاءٍ، كَالوَرْدِ كَابْتِسَامِ الْوَلِيدِ
كُلُّ شَيْءٍ مُوقَّعٌ فَيْكِ، حَتَّى لَفْتَةُ الْجِيدِ وَاهْتِزَازُ النُّهُودِ
موقع: يتحرك على إيقاع موسيقي

١٧ أَرَاكِ

٢٤ أكتوبر ١٩٣١

أَرَاكِ فَتَحَلُّوْ لَدَيَّ الْحَيَاةُ وَيَمَلَأْ نَفْسِي صَبَاحُ الْأَمَلِ
وَتَنَمُّوْ بِصَدْرِي وَرُودٌ عَذَابٌ وَتَحْنُوْ عَلَى قَلْبِي الْمُشْتَغِلُ

١٨ حديث المقبرة

الشاعر يلقي نشيده أمام المقبرة في الليل، ٣ أبريل ١٩٣٢ :

أَتَفَنَّى ابْتِسَامَاتُ تِلْكَ الْجُفُونِ وَتَحْبُوْ تَوْهَجُ تِلْكَ الْخُدُودِ
وَيَنْهَدُ ذَاكَ الْقَوَامُ الرَّشِيقُ وَيَنْحَلُّ صَدْرٌ بَدِيعٌ وَجِيدُ
أُتْظَوِي سَمَاوَاتُ هَذَا الْوُجُودِ وَيَذْهَبُ هَذَا الْفَضَاءُ الْبَعِيدُ
وَتَهْلِكُ تِلْكَ النُّجُومُ الْقُدَامَى وَيَهْرَمُ هَذَا الزَّمَانُ الْعَهِيدُ
العهد: القديم الذي بعد عهده

أَيَسْطُوْ عَلَى الْكُلِّ لَيْلُ الْفَنَاءِ لِيَلْهُوْ بِهَا الْمَوْتُ خَلْفَ الْوُجُودِ
كَبِيرٌ عَلَى النَّفْسِ هَذَا الْعَفَاءُ وَصَعْبٌ عَلَى الْقَلْبِ هَذَا الْهُمُودُ
العفاء: التلاشي والزوال، الهمود: الخمود والخراب

تَأْمَلْ فَلِنَّ نِظَامَ الْحَيَاةِ نِظَامٌ دَقِيقٌ بَدِيعٌ فَرِيدُ
فَمَا حَبَّبَ الْعَيْشَ إِلَّا الْفَنَاءُ وَلَا زَانَهُ غَيْرُ خَوْفِ اللَّحُودِ
ما أحببنا الحياة إلا لأنها فانية ويزينها في عيوننا خوفا من اللحد، أي القبور

وَلَكِنْ إِذَا مَا لَبَسْنَا الْخُلُودَ وَنَلْنَا كَمَالَ النُّفُوسِ الْبَعِيدِ

فَهَلْ لَا نَمَلُ دَوَامَ الْبَقَاءِ وهل لَا نَوَدُّ كَمَالاً جَدِيداً؟

عبر عن هذه الفكرة بدوي الجبل في أبيات كثيرة (قصيدته النونية، رقم ٢٠، في هذا الكتاب)،
والفكرة موجودة في أذهانتنا جميعاً، ولكن الشابي أبدع في الشطر الثاني من هذا البيت وبسط
الفكرة بسلاسة

وإن جَمَالَ الْكَمَالِ الطُّمُوحُ وما دَامَ فِكْراً يُرى من بَعِيدِ

فَمَا سِحْرُهُ إنْ غَدَا وإِقْعَا يُحَسُّ، وَأَصْبَحَ شَيْئاً شَهِيداً؟

عندما يكتمل الكمال بالخلود يفقد سحره ويصبح مشهوداً حاضراً

١٩ في ظل وادي الموت

٥ أبريل ١٩٣٢

نحن نمشي وحولنا هاتِه الأكَ وإنْ تَمْشِي، لَكِنْ لَأَيَّةَ غَايَةٍ؟

نحنْ نَشْدُوْ مَعَ الْعَصَافِيرِ لِلشَّمْسِ وهذا الرِّبْعُ يَنْفُخُ نَايَةً

* * *

وَتَعَشَّى الضُّبَابُ نَفْسِي فَصَاحَتْ فِي مَلَالٍ مُرّاً إِلَى أَيْنَ أَمْشِي

قُلْتُ سِيرِي مَعَ الْحَيَاةِ، فَقَالَتْ: مَا جَنَيْنَا تُرَى مِنَ السَّيْرِ أَمْسِرْ؟

* * *

قَدْ رَقَضْنَا مَعَ الْحَيَاةِ طَوِيلَاً وَشَدَوْنَا مَعَ الشَّبَابِ سَنِينَا

وَعَدَوْنَا مَعَ اللَّيَالِي حُفَاةً فِي شِعَابِ الْحَيَاةِ حَتَّى دَمِينَا

شعاب: طرق

وَأَكَلْنَا التَّرَابَ حَتَّى مَلَلْنَا وَشَرَبْنَا الدَّمُوعَ حَتَّى رَوِينَا

وَنَشَرْنَا الْأَحْلَامَ وَالْحُبَّ وَالْآ لَامَ وَالْيَأْسَ وَالْأَسَى حَيْثُ شِينَا

شينا: شتينا

* * *

ثُمَّ مَاذَا؟ هَذَا أَنَا صِرْتُ فِي الدَّنْ يَا بَعِيداً عَنْ لَهْوِهَا وَغِنَاهَا

غناها: غناها

فِي ظِلَامِ الْفَنَاءِ أَذْفَنُ أَيَّا مِي وَلَا أَسْتَطِيعُ حَتَّى بُكَاهَا

* * *

وَزُهُورُ الْحَيَاةِ تَهْوِي بِصَمْتٍ مُحْزَنٍ مُضْجِرٍ عَلَى قَدَمَيَّا
جَفَّ سِحْرُ الْحَيَاةِ بِأَقْلَبِي الْبَا كَيْ فَهْيَا نُجَرَّبُ الْمَوْتَ هَبَا

هذا البيت يختم القصيدة في قفلة تبث الرهبة في النفس، فبعد كل ما قالته القصيدة عن الملل وانحسار اللهو، جاء بصيص أمل... هو الموت. فإذا جف سحر الحياة فلعل في الموت جديداً

٢٠ أيتها الحالمة بين العواصف

١١ فيفري/فبراير ١٩٣٣

أَنْتِ كَالزَّهْرَةِ الْجَمِيلَةِ فِي الْغَا بٍ، وَلَكِنْ مَا بَيْنَ شَوْكِ وَدُودِ
أَنْتِ تَحْتَ السَّمَاءِ رُوحٌ جَمِيلٌ صَاعَةُ اللَّهْ مِنْ عَبِيرِ الْوُرُودِ
وَبُنُو الْأَرْضِ كَالْقُرُودِ وَمَا أَضْ يَحَ عِطَرَ الْوُرُودِ بَيْنَ الْقُرُودِ
أَنْتِ مِنْ رِيْشَةِ الْإِلَهِ فَلَا تُلْ قِي بِقَنْ السَّمَاءِ لِجَهْلِ الْعَبِيدِ
أَنْتِ لَمْ تُخْلَقِي لِيقْرَبِكَ النَّا سٌ وَلَكِنْ لَتُعْبَدِي مِنْ بَعِيدِ

هكذا ينظر الرجل إلى الفاتنة المسكينة التي تنسج حول نفسها، من الأشعة المنبثقة من عيون الرجال، شرنقة تخنق إنسانيتها وتحيلها إلى تمثال

٢١ للتاريخ

١٦ فيفري/فبراير ١٩٣٣

الْبُؤْسُ لَا بَيْنَ الشَّعْبِ يَأْكُلُ قَلْبَهُ وَالْمَجْدُ وَالْإِثْرَاءُ لِلْأَغْرَابِ
وَالشَّعْبُ مَعْصُوبٌ الْجَفْوُونِ مَقْسَمٌ كَالشَّأِ بَيْنَ الذَّنْبِ وَالْقَصَابِ
وَالْحَقُّ مَقْطُوعُ اللِّسَانِ مُكَبَّلٌ وَالظُّلْمُ يَمْرَحُ مُذْهَبُ الْجِلْبَابِ

مذهب الجلباب: يلبس حبة مزركشة بخيوط ذهبية

هَذَا قَلِيلٌ مِنْ حَيَاةٍ مُرَّةٍ فِي دَوْلَةِ الْأَنْصَابِ وَالْأَلْقَابِ

الأنصاب: التماثيل المنصوبة

٢٢ الرواية الغريبة

١٧ مارس ١٩٣٣

صَحَّحْنَا عَلَى الْمَاضِي الْبَعِيدِ فِي غَدٍ سَتَجْعَلُنَا الْأَيَّامَ أَضْحُوكَةً الْآتِي
وَتَلْكَ هِيَ الدُّنْيَا رِوَايَةً سَاحِرٍ عَظِيمٍ غَرِيبِ الْفَنِّ مَبْدَعِ آيَاتِ

٢٣ إرادة الحياة

١٦ سبتمبر ١٩٣٣

إذا الشعب يوماً أرادَ الحياةَ فلا بدَّ أن يستجيبَ القدرُ
ولا بدَّ للَّيلِ أن ينجلي ولا بدَّ للقيدِ أن ينكسرَ
ومن لم يمانقهُ شوقُ الحياةِ تبخَّرَ في جوِّها واندثرَ
فويلٌ لمن لم تشقهُ الحيا ة مِنْ صَفْعَةِ العَدَمِ المنتصرِ
تشقه: تشير شوقه وتنقذه من العدم الذي يريد أن يتصر لنفسه من الحياة التي وجدت نقيضاً له

كذلك قالت لي الكائنات وحدثنني رُوحها المستنير
ودمدمت الريح بين الفجاج وفوق الجبالِ وتحت الشجر:
لقد دمدت الريح، وغممت وأصدرت صوتاً، بين الفجاج، طرق الجبل، وفوق الجبال وتحت الشجر:

إذا ما طمِحتُ إلى غايةٍ رَكِبْتُ المُنَى ونَسِيتُ الحَذَرُ
قالت الريح: عندما أطمح إلى هدف فأنا أسعى لتحقيق آمياتي وأجازف ولا أتركها تظل مجرد آميات

ولم أَتَجَنَّبْ وُجُورَ الشُّعَابِ ولا كَبَّةَ اللَّهَبِ المُسْتَعْرِ
والريح لا تتجنب المسالك الجبلية الوعرة، ولا كَبَّةَ اللهب (أي الجحيم الذي يُكَبُّ فيه الناس على وجوهم) المشتعل.. الريح لا يهتمها ما الذي تهب عليه، فهي تهب هبوباً ولا تحذر شيئاً

وَمَنْ لا يَحِبُّ صَعُودَ الجبالِ يَمِشُّ أَبَدَ الدهرِ بين الحُفَرِ
فَعَجَّتْ بقلبي دماءُ الشبابِ وَضَجَّتْ بِصدري رِياحُ أَخَرِ
عندما سمعت كلام الريح ازدحمت دماء الشباب وعزيمته بقلبي، وتحركت في صدري رياح آخر سوى الريح التي في الخارج

وأظَرَقْتُ أَضْغِي لِقَضْفِ الرُّعُودِ وعزفِ الرياحِ ووقعِ المطرِ
وقالت لي الأرضُ لَمَّا سَأَلْتُ: أَيَا أُمْ هل تَكْرهينَ البشرَ؟
أُبَارِكُ في الناسِ أَهْلَ الطُّمُوحِ وَمَنْ يَسْتَلِذُّ رُكُوبَ الخطرِ
الأرض تُجيب

وَأَلْعَنُ مَنْ لا يُمَاشِي الزَّمَانَ وَيَقْنَعُ بِالْعَيْشِ عَيْشِ الْحَجَرِ
هُوَ الْكُونُ حَتَّى يُحِبَّ الحِياةَ وَيَحْتَقِرُ المِيتَ مَهْمَا كَبُرَ

فَلَا الْأَفْقُ يَحْضُنُ مَيِّتَ الطَّيُورِ وَلَا النَّحْلُ يَلِثُ مَيِّتَ الزَّهَرِ

الطائر الميت لا يحتضنه الأفق بل هو يسقط، والزهرة الميتة لا تلتصقها، أي تقبلها، النحلة

ولولا أمومة قلبي الرؤوم لما ضممت الميت تلك الحفر

وتقول الأرض: لولا شعور الأمومة في قلبي الرؤوم، الحنون، فأنا بالطبع أم البشر ومن ترابي خلقوا... لولا هذا الشعور لما ضممت الأموات في بطني

وفي ليلة من ليالي الخريف

سَكِرْتُ بها من ضياء النجوم

سألت الدجى: هل تعيد الحياة

فلم تتكلم شفاه الظلام

وقال لي الغاب في رقة

يجيء الشتاء شتاء الضباب

فينطفئ السحر سحر الغصون

وسحر السماء الشجي الوديع

وتهوي الغصون وأوراقها

وتلهو بها الريح في كل واد

ويفنى الجميع كحلُم بديع

كل الغصون والأوراق تنفي في الشتاء مثلما يفنى الحلم بعد الصحو..

وتبقى البذور التي حُمِلَتْ

وذكرى فصول ورؤيا حياة

البذور تحمل في جوفها رؤيا الحياة التي تلاشت، كي تعيدها ثانية

معانقة، وهي تحت الضباب

لطيِّف الحياة الذي لا يُمل

تعاقت البذور وهي تحت المدر، الطين، وفي جو الشتاء القاسي.. تعاقت طيف الحياة وقلب الربيع

المرتقب

وحالمة بأغاني الطيور

وعطر الزهور وطعم الثمر

وتبقى البذور حالمة بأغاني الطيور التي ستأتي لتقف على أشجار تنمو من هذه البذور

وَيَمْشِي الزَّمَانُ فَتَنْمُو صُرُوفٌ وَتَذْوِي صُرُوفٌ وَتَحْيَا أُخَرُ

يمشي الزمان فتنشأ صرُوف، أحداث، وتذبل أحداث

وَتُضْبِحُ أَحْلَامُهَا يَفْقَظَةً مُوشَّحَةً بَغْمُوضِ السَّحَرِ

وتتحول أحلام البذور إلى يقظة.. فهي تبدأ بإطلاق أوائل النبات

تُسَائِلُ أَيْنَ ضَبَابُ الصَّبَاحِ وَسَحَرُ الْمَسَاءِ وَضَوْءُ الْقَمَرِ

وأَسْرَابُ ذَاكَ الْفَرَاشِ الْأَنِيْقِ وَنَحْلُ يُعْنِي وَغَيْمٌ يَمُرُّ

وَأَيْنَ الْأَشْعَةُ وَالْكَائِنَاتُ، وَأَيْنَ الْحَيَاةُ الَّتِي أَنْتَظِرُ

ظَمْتُ إِلَى النُّورِ فَوْقَ الْغُصُونِ ظَمْتُ إِلَى الظِّلِّ تَحْتَ الشَّجَرِ

ظَمْتُ إِلَى النَّبْعِ بَيْنَ الْمَرْوِجِ يُعْنِي وَيَرْقُصُ فَوْقَ الزَّهْرِ

ظَمْتُ إِلَى الْكَوْنِ، أَيْنَ الْوُجُودُ وَأَنْتَى أَرَى الْعَالَمَ الْمُنْتَظَرُ؟

هُوَ الْكَوْنُ خَلَفَ سُبَاتِ الْوُجُودِ وَفِي أَقْنِي الْبَقَاطِ الْكُبَرُ

خلف سبات الوجود ونومه في الشتاء يوجد كون سيزهر ويستيقظ

وَمَا هُوَ إِلَّا كَخَفَقِ الْجَنَاحِ حَتَّى نَمَا شَوْقُهَا وَانْتَصَرَ

وتنمو البذور بقوة شوقها إلى الربيع والحياة، وتنتصر على سباتها الشتوي

فَصَدَّعَتِ الْأَرْضَ مِنْ فَوْقِهَا وَأَبْصَرَتِ الْكَوْنَ عَذَبَ الصُّورِ

تصدع، أي تشق، النباتات الأرض منطلقاً من بذورها، فتبصر صور الكون الجميلة

وَجَاءَ الرَّبِيعُ بِأَنْغَامِهِ وَأَحْلَامِهِ وَصِبَاةِ الْعَطْرِ

وَقَبَّلَهَا قُبْلَةً فِي الشُّفَاهِ تُعِيدُ الشَّبَابَ الَّذِي قَدْ غَبَرَ

الربيع يقبل النبات قبلة تعيد الشباب الذي غبر ومضى في الشتاء

وَقَالَ لَهَا قَدْ مُنِحَتِ الْحَيَاةُ وَخُلِّدَتْ فِي نَسْلِكَ الْمُدَّخَرِ

وَبَارَكَكَ النُّورُ فَاسْتَقْبَلِي شَبَابَ الْحَيَاةِ وَخِضْبَ الْعُمُرِ

وَمَنْ تَعْبُدُ النُّورَ أَحْلَامُهُ يَبَارِكُهُ النُّورُ أَنْتَى ظَهَرُ

من يحلم بالنور فسوف يباركه النور ويشرق عليه

إِلَيْكَ الْفَضَاءُ إِلَيْكَ الضِّيَاءُ إِلَيْكَ الثَّرَى الْحَالِمَ الْمَزْدَهَرِ

أيُّهَا الْبَنَاتُ الَّتِي خَرَجْتَ مِنَ الْبُذُورِ! إِلَيْكَ، أي خذي، الفضاء والضياء إلخ..

إِلَيْكَ الْجَمَالَ الَّذِي لَا يَبِيدُ إِلَيْكَ الْوُجُودَ الرَّحِيبَ النَّضِيرُ
فَمِيدِي كَمَا شَتَّتِ فَوْقَ الْحَقُولِ بِحُلُوِّ الثَّمَارِ وَعَظْ الزَّهَرِ
مِيدِي: تمايلي بما صرت تحمِلين من أزهار وثمار

وَنَاجِي النِّسِيمِ وَنَاجِي الْغَيُومِ وَنَاجِي النُّجُومِ وَنَاجِي الْقَمَرِ
وَنَاجِي الْحَيَاةِ وَأَشْوَاقِهَا وَفَتْنَةَ هَذَا الْوُجُودِ الْأَعْرَ
وَشَفَّ الدُّجَى عَنْ جَمَالٍ عَمِيقٍ يُشِيبُ الْخَيَالَ وَيُذَكِّي الْفِكْرَ
وَمُدَّ عَلَى الْكَوْنِ سِحْرٌ غَرِيبٌ يُصَرِّفُهُ سَاحِرٌ مَقْتَدِرُ
وَضَاءَتْ شَمُوعُ النُّجُومِ الْوُضَاءِ وَضَاعَ الْبَحُورُ بِخُورِ الزَّهَرِ
ضَاع: تَضَوَّعَ وَفَاحَ

وَرَفَرَفَ رُوحٌ غَرِيبُ الْجَمَالِ بِأَجْنَحَةٍ مِنْ ضِيَاءِ الْقَمَرِ
وَرَنَ نَشِيدُ الْحَيَاةِ الْمَقْدُّ سُنَّ فِي هَيْكَلٍ حَالِمٍ قَدْ سَحَرَ
وَأَعْلَنَ فِي الْكَوْنِ أَنَّ الطُّمُوحَ لَهَيْبِ الْحَيَاةِ وَرُوحِ الظُّفَرِ
الطموح هو الحياة المتقدة النشطة وهو العزيمة التي تريد الانتصار

إِذَا ظَمِحَتْ لِلْحَيَاةِ النُّفُوسُ فَلَا بَدَأَ أَنْ يَسْتَجِيبَ الْقَدَرُ
هذه القصيدة اشتهرت بأول أبياتها، وظلمها أول أبياتها لقوته وجماله الأخاذ. هي صورة كاملة كبيرة جميلة بدأت بداية بديعة ورسمت لوحة معنوية للعزيمة المكنونة في صورة مادية للبدور التي تختزن الحياة في جوفها. القصيدة متماسكة فيما ترسمه من صور وما تعرضه من أفكار، وكلماتها عذبة الوقع على الأذن حتى لو لم يتابع السامع أفكارها، على أن فهم ما وراء الكلمات من معانٍ دقيقة يعزز النشوة

٢٤ تحت الفصون

٢١ سبتمبر ١٩٣٣

هَهُنَا فِي خَمَائِلِ الْعَابِ تَحْتَ الرَّ- اِنْ وَالسُّنْدِيَانِ وَالزَّرِّيْتُونِ
أَنْتِ أَشْهَى مِنَ الْحَيَاةِ وَأَبْنَى مِنْ جَمَالِ الطَّبِيعَةِ الْمَيِّمُونِ
قَدْ تَغْنَيْتِ مِنْذُ حِينٍ بِصَوْتِ نَاعِمٍ حَالِمٍ شَجِيٍّ حَنُونِ
فَلِمَنْ كُنْتَ تُنْشِدِينَ؟ فَقَالَتْ: لِلضِّيَاءِ الْبَنَفْسَاجِيِّ الْحَزِينِ
فَتَنَهَدْتُ ثُمَّ قُلْتُ: وَقَلْبِي، مَنْ يَغْنِيهِ، مَنْ يُبِيدُ شُجُونِي؟

قالت: الحبُّ، ثم غنَّت لِقلبي قُبلاً عبقريةَ التَّلحينِ

يرسم صورة مفرقة في الرومنسية لفنّاء لقيها تحت شجرة وقبَّلها

قُبلاً علَّمتْ فؤادي الأغاني وأنارتْ له ظلامَ السنينِ

وأفقتنا فقلتُ كالحالمِ المسحورِ: قولي تكلمي خبّرني

أي دنيا مسحورة أي رؤيا طالعني في ضوئه هذي العيونِ

زمرُّ من ملائِكَ المَلأِ الأعلى يُعنُّونَ في حُنُو حنونِ

وصبايا رواقصُ يتراشقنَ نَ بزهرِ التفاحِ والياسمينِ

في فضاءٍ موزَّجٍ حالمٍ ساوِ أطافتْ به عذاري الفنونِ

وجحيمِ تَوُجِّ تحتَ فرايدِ سنَ كأحلامِ شاعرٍ مجنونِ

عاش لحظات مسحورة مع محبوبته، ثم اعترت فؤاده فكرة: أن ما يصنعونه محرّم... وهنا تخيل تحت هذا الفردوس جحيماً تَوُجِّ، أي تتأجج وتشتعل، كأنها خيالات شاعر مجنون

أي إثمٍ مقدّسٍ قد لَبَسْنَا بُردُهُ في مسائنا الميمونِ

فبدا طيفُ نَسَمَةٍ ساحرٍ عذَّبْ على ثغرها قوئُ الفتونِ

وأجابتْ، وكلُّها فتنةٌ تُغفِ حوي وتُغري بالحبِّ بل بالجنونِ:

أبدأ أنتَ حالمٌ فاسألِ الليلَ، فعندَ الظلامِ علمُ اليقينِ

قالت له: لا جناح عليك! أنت فقط تحلم

وسكّتنا، وغرَّدَ الحبُّ في الغا بِ، فأصغى حتى حَفِيفُ القُصُونِ

وبنَى الليلُ والربيعُ حوالبَنا من السّحرِ والرّؤى والسكونِ

مَعْبِداً للجَمالِ والحبِّ شِعْريّـا ما مَشِيداً على فِجاجِ السنينِ

فجاج: طرق

تَحْتَهُ يَزْخَرُ الزمانُ ويجري صامتاً في مَسِيلِهِ المحزُونِ

وتَمُرُّ الأيامُ والحزنُ والموثُ بعيداً عن ظِلِّهِ المأمُونِ

ونجومُ السماءِ فيه شُموغُ أوقَدَتْها للحبِّ رُوحُ القُرونِ

إن نَارَ الحياةِ والكُوثرِ المُنْشودِ في ثَغْرِكَ الشَّهْيِ الحزينِ

فَهُوَ كأسٌ سِحْريّةٌ لِرَحيقِ الـ حُلْدِ قد صاعَها إِلَهُ الفنونِ

نار الحياة كأس لرحيق، أي خمر، الخلود وقد صاغ هذه الكأس إله الفنون

قَبْلِيْنِي وَأُسْكِرِي نَفْسِي الصَّاهِ
 دِي وَقَلْبِي وَفَتْنَتِي وَجَنُونِي
 آه مَا أَحْذَبَ الْفَرَامَ وَأَحْلَى
 رَنَّةَ اللَّثَمِ فِي خُشُوعِ السُّكُونِ
 رنة اللثم: صوت القبلات

وَتَوَارَى الْوُجُودُ عَنَّا بِمَا فِيهِ
 وَنَسِينَا الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ وَالْكَوْنِ
 وَغَبْنَا فِي عَالَمٍ مَفْتُونٍ
 نَ وَمَا فِيهِ مِنْ مُنَى وَمُنُونٍ

٢٥ هجاء الشعب

١٥ أكتوبر ١٩٣٣

أَيْنَ يَا شَعْبُ قَلْبُكَ الْخَافِقُ الْحَسَّاءُ -
 أَيْنَ يَا شَعْبُ رَوْحُكَ الشَّاعِرُ الْفَنَاءُ -
 إِنْ يَمُّ الْحَيَاةَ يَذْوِي حَوَالِي -
 أَيْنَ عَزْمُ الْحَيَاةِ؟ لَا شَيْءَ إِلَّا الْإِلَهَاءُ -
 أَمْسُ، أَيْنَ الطَّمُوحُ وَالْأَحْلَامُ؟
 أَيْنَ أَيْنَ الْخِيَالُ وَالْإِلَهَامُ؟
 لَكَ، فَأَيْنَ الْمَغَامِرُ الْمِقْدَامُ؟
 مَوْتُ وَالصَّمْتُ وَالْأَسَى وَالظَّلَامُ
 وَدَمٌّ لَا تُثْبِتُهُ إِلَّا الْآلَامُ
 عُمُرٌ مَيِّتٌ وَقَلْبٌ خَوَاءُ
 خواء: مفرغ

وَحَيَاةٌ تَنَامُ فِي ظِلْمَةِ الْوَاوِي
 دِي، وَتَنُمُو مِنْ فَوْقِهَا الْأَوْهَامُ
 * * *
 قَدْ مَشَتْ حَوْلَكَ الْفُصُولُ وَغَنَّتْ
 لَكَ، فَلَمْ تَبْتَهِجْ وَلَمْ تَتَرَنَّمْ
 يَخاطب الشعب

وَدَوَتْ فَوْقَكَ الْعَوَاصِفُ وَالْأَنْدَاءُ
 حَوَاءُ حَتَّى أَوْشَكْتَ أَنْ تَتَحَطَّمْ
 الْأَنْوَاءُ: الأمطار

وَأَطَافَتْ بِكَ الْوُحُوشُ وَنَاشَتْ
 لَكَ، فَلَمْ تَضْطَرِّبْ وَلَمْ تَتَأَلَّمْ
 نَاشَتْكَ: تناولتك بالمخالب

يَا إِلَهِي أَمَا تُحِسُّ أَمَا تُشَبِّهُ
 لَدُو أَمَا تَشْتَكِي أَمَا تَتَكَلَّمُ؟
 أَنْتَ لَا مَبِيتَ فَبِئَلَى وَلَا حَيٍّ -
 فِيمَشِي، بَلْ كَائِنٌ لَيْسَ يَفْهَمُ
 أَبَدًا يَرْمُقُ الْفَرَاغَ بِطَرْفٍ
 جَامِدٍ، لَا يَرَى الْعَوَالِمَ، مُظْلِمٍ
 * * *

أَوِ بَلْ أَنْتَ فِي الشُّعُوبِ عَجُوزٌ فِيلَسُوفٌ مَحَطَّمٌ فِي إِهَابِهِ

في إهابة: في جلده

مَاتَ شَوْقُ الشَّبَابِ فِي قَلْبِهِ الدَّاءُ وَيِ وَعِزُّمُ الْحَيَاةِ فِي أَعْصَابِهِ

الذَّائِبِ: الذَّائِلِ

فَمَضَى يَنْشُدُ السَّلَامَ بَعِيداً فِي قُبُورِ الزَّمَانِ خَلَفَ هَضَابَهُ

وَهُنَاكَ اضْطَفَى الْبَقَاءَ مَعَ الْأَمِّ وَاتَّ فِي قَبْرِ أُمِّسِهِ غَيْرَ آبِهِ

غير آبه: غير مهتم

وَارْتَضَى الْقَبْرَ مَسْكناً تَنَلَّاشِي فِيهِ أَيَّامُ عُمْرِهِ الْمُتَشَابِهِي

وَتَنَاسَى الْحَيَاةَ وَالزَّمْنَ الدَّاءُ وَيِ، وَمَا كَانَ مِنْ قَدِيمِ رِغَابِهِ

فَالزَّمَ الْقَبْرَ فَهُوَ بَيْتٌ شَبِيهُ بِكَ فِي صَمْتِ قَلْبِهِ وَخَرَابِهِ

وَاعْبُدِ الْأَمْسَ وَادَّكِرْ صُورَ الْمَا ضِي فُذُنْبَا الْعَجُوزِ ذُكْرَى شَبَابِهِ

ادَّكِرْ: تَذَكَّرْ

* * *

وَإِذَا مَرَّتِ الْحَيَاةُ حَوَالِيْ لَكَ جَمِيلاً كَالزَّهْرِ غَضّاً صَبَاها

إذا مرت الحياة بقربك وصباها جميل وغض، طري، كالزهر..

تَتَغَنَّى الْحَيَاةُ بِالشَّوْقِ وَالْعَزْ مَ فَيُخَيِّبِي قَلْبَ الْجَمَادِ غِنَاها

غناها: غناؤها

وَالرَّبِيعُ الْجَمِيلُ يَرْقُصُ فَوْقَ الْ وَرْدِ وَالْعُشْبِ مُنْشِداً تَبَاها

تباهاً: مختلاً فخراً

فَاخْذَرِ السَّخَرَ أَيُّهَا النَّاسُ الْقِدْ يَسُ إِنَّ الْحَيَاةَ يُغْوِي بِهَاها

يسخر من الشعب، ويسميه الناسك والقديس لأنه يعيش في الماضي

وَالرَّبِيعُ الْفَنَّانُ شَاعَرُهَا الْمَفْ تَوْنُ يُغْرِي بِحُبِّهَا وَهَوَاها

وَتَمَلُّ الْجَمَالَ فِي رِمَمِ الْمَوِ تَيَّ بَعِيداً عَنْ سِحْرِهَا وَصَدَاها

تمل الجمال، تأمله بتمعن، في بقايا الموتى بعيداً عن سحر الحياة وصداها، أي صوتها

وتغزّل بِسِخْرِ أَيامِكَ الْأَوَّلَى وَخَلَّ الْحَيَاةَ تَخُطُّ خُطَاهَا
وابقْ بين الأموات أيها الشعب العجوز وتغزل بالماضي واترك الحياة تسير سيرها بدونك... يسخر
من الشعب المستكين المتعلق بالأوهام وبالماضي

* * *

وَإِذَا هَبَّتِ الطَّيُورُ مَعَ الْفَجْرِ رِثْغَنِي بَيْنَ الْمَرْوِجِ الْجَمِيلَةِ
وَأَفَاقَ الْوُجُودِ لِلْعَمَلِ الْمَجْدِ لَدِي وَلِلْسَعْيِ وَالْمَعَانِي الْجَلِيلَةِ
وَمَشَى النَّاسُ فِي الشُّعَابِ وَفِي الْغَايَةِ فَوْقَ الْمَسَالِكِ الْمَجْهُولَةِ
يَنْشُدُونَ الْجَمَالَ وَالنُّورَ وَالْأَفْرَاحَ وَالْمَجْدَ وَالْحَيَاةَ النَّبِيلَةَ
فَاغْضُضِ الطَّرْفَ فِي الظَّلَامِ وَحَاذِرْ فِتْنَةَ النُّورِ فَهِيَ رُؤْيَا مَهُولَةٌ
وَصَبَّاحُ الْحَيَاةِ لَا يُوقِظُ الْمَوْتَ نَى وَلَا يَرْحَمُ الْجَفُونَ الْكَالِيلَةَ

* * *

كُلُّ شَيْءٍ يُسَايِرُ الزَّمَانَ الْمَا شَيْءٌ يَعْزِمُ حَتَّى التَّرَابِ وَدُودُهُ
كُلُّ شَيْءٍ إِلَّاكَ حَيٌّ عَطُوفٌ يُؤْنِسُ الْكَوْنَ شَوْقُهُ وَنَشِيدُهُ
فَلِمَاذَا تَعِيشُ فِي الْكَوْنِ يَا صَاحِبَ؟ وَمَا فَيْكَ مِنْ جَنَى يَسْتَفِيدُهُ
جنى: ثمار. لماذا تعيش أيها الشعب؟ وليس فيك ثمار يستفيدها الكون

لَسْتَ يَا شَيْخُ لِلْحَيَاةِ بِأَهْلٍ أَنْتَ دَاءٌ يُبِيدُهَا وَتُبِيدُهُ

* * *

أَنْتَ دُنْيَا يُظِلُّهَا أَفَقُ الْمَا ضِيٍّ وَلَيْلُ الْكَآبَةِ الْأَبَدِيِّ
مَاتَ فِيهَا الزَّمَانُ وَالْكَوْنُ إِلَّا أَمْسُهَا الْغَابِرُ الْقَدِيمُ الْقَصِيُّ
وَالشَّقِيُّ الشَّقِيُّ فِي الْأَرْضِ شَعْبٌ يَوْمُهُ مَبِيتٌ، وَمَاضِيهِ حَيٌّ

٢٦ الناس

٨ ديسمبر ١٩٣٣

مَا قَدَّسَ الْمَثَلَ الْأَعْلَى وَجَمَّلَهُ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ إِلَّا أَنَّهُ حُلُمٌ
وَلَوْ مَشَى فِيهِمْ حَيًّا لَحَطَمَهُ قَوْمٌ، وَقَالُوا بِخُبْرٍ إِنَّهُ صَنَمٌ

٢٧ متاعب العظمة

١١ ديسمبر ١٩٣٣

إِذَا صَغُرَتْ نَفْسُ الْفَتَى كَانَ شَوْقُهُ صَغِيرًا فَلَمْ يَتَعَبْ وَلَمْ يَتَجَشَّمِ
وَمَنْ كَانَ جَبَّارَ الْمَطَامِعِ لَمْ يَزَلْ يُلَاقِي مِنَ الدُّنْيَا ضَرَاوَةً قَشَعَمِ
قشعم: نسر

٢٨ نشيد الجبار

أو هكذا غنى بروميثيوس، ١٥ ديسمبر ١٩٣٣

سَاعِبِشْ رَغَمَ الدَّاءِ وَالْأَعْدَاءِ كَالنَّسْرِ فَوْقَ الْقِمَّةِ الشَّمَاءِ
أَرْزُو إِلَى الشَّمْسِ الْمَضِيئَةِ هَارِئًا بِالسُّحْبِ وَالْأَمْطَارِ وَالْأَنْوَاءِ
وَأَسِيرُ فِي دُنْيَا الْمَشَاعِرِ حَالِمًا غَرْدًا، وَتِلْكَ سَعَادَةُ الشُّعْرَاءِ
النُّورُ فِي قَلْبِي وَبَيْنَ جَوَانِحِي فَعَلَامٌ أَخْشَى السَّيْرِ فِي الظُّلُمَاءِ
وَأَقُولُ لِلْجَمْعِ الَّذِينَ تَجَشَّمُوا هَذْمِي وَوَدُّوا لَوْ يَخْرُ بِنَائِي
يخر: يسقط

وَعَدُوا يَشْبُونُ اللَّهِيبَ بِكُلِّ مَا وَجَدُوا لِيَشْوُوا فَوْقَهُ أَشْلَانِي
يَشْبُون: يشعلون، أشلاني: أطرافي
وَمَضَوْا يَمْدُونُ الْخَوَانَ لِيَأْكُلُوا لَحْمِي، وَبَرَتْشَفُوا عَلَيْهِ دِمَائِي:
الخوان: المائدة

إِنَّ الْمَعَاوِلَ لَا تَهْدُ مَنَاكِبِي وَالنَّارَ لَا تَأْتِي عَلَى أَعْضَائِي
وَإِذَا تَمَرَّدَتِ الْعَوَاصِفُ وَانْتَشَى بِالْهَوْلِ قَلْبُ الْقُبَّةِ الزَّرْقَاءِ
القبة الزرقاء: السماء

وَرَأَيْتُمُونِي طَائِرًا مُتَرَنِّمًا فَوْقَ الزَّوَابِعِ فِي الْفَضَاءِ النَّائِي
فَارْمُوا عَلَى ظِلِّي الْحِجَارَةَ وَاخْتَفُوا خَوْفَ الرِّيحِ الْهُوجِ وَالْأَنْوَاءِ
وَهَنَّاكَ فِي أَمْنِ الْبَيْوتِ تَطَارَحُوا غَثَّ الْحَدِيثِ وَمَيَّتَ الْآرَاءِ
وَتَرَنَّمُوا مَا شِئْتُمْ بِشَتَائِمِي وَتَجَاهَرُوا مَا شِئْتُمْ بِعَدَائِي

٢٩ الاعتراف

١٧ فيفري/ فبراير ١٩٣٤

ما كنتُ أَحْسَبُ بعدَ موتِكَ يا أباي وَمَشَاعِرِي عَمِيَاءُ بِالْأَحْزَانِ
أَنْتِي سَاطِئاً لِلْحَيَاةِ وَأَخْتَسِي مِنْ نَهْرِهَا الْمَتَوَهِّجِ النَّشْوَانِ
حَتَّى تَحَرَّكَتِ السُّنُونُ وَأَقْبَلْتَ فَتَنُ الْحَيَاةِ بِسِحْرِهَا الْفَتَّانِ
فإذا أنا ما زِلْتُ طفلاً مولعاً بِتَعَقُّبِ الْأَضْوَاءِ وَالْأَلْوَانِ
وَإِذَا التَّشَاؤُمُ بِالْحَيَاةِ وَرَفَضُهَا ضَرَبُ مِنَ الْبُهْتَانِ وَالْهَذْيَانِ
هذا من أجمل الرثاء.. ما كان يظن عند موت والده الحبيب أنه سيجب الحياة، ولكنه بعد حين
نسي.. لأنه متقاتل

٣٠ شكوى ضائعة

٥ أوت/ أغسطس ١٩٣٤

يا ليلُ ما تَصْنَعُ النفسُ التي سَكَنْتُ هَذَا الْوُجُودَ وَمِنْ أَعْدَائِهَا الْقَدْرُ؟
تَنْهَدُ اللَّيْلُ حَتَّى قَلْتُ قَدْ نُثِرْتُ تِلْكَ النُّجُومُ، وَمَاتَ الْجَنُّ وَالْبَشَرُ
وَعَادَ لِلصَّمْتِ يُضْغِي فِي كَآبِتِهِ كَالْفِيلَسُوفِ إِلَى الدُّنْيَا، وَيُفْتَكِرُ
وَقَهْقَهَ الْقَدْرُ الْجَبَّارُ سُخْرِيَةً بِالْكَائِنَاتِ. تَضَاحَكَ إِيَّهَا الْقَدْرُ
تَمْشِي إِلَى الْعَدَمِ الْمَحْتَوِمِ بَاكِئَةً طَوَائِفُ الْخَلْقِ وَالْأَشْكَالُ وَالصُّوَرُ
وَأَنْتِ فَوْقَ الْأَسَى وَالْمَوْتِ مَبْتَسِمٌ تَرْنُو إِلَى الْكَوْنِ يُبْنَى ثُمَّ يَنْدِيرُ

٣١ الحساس

١٠ أوت/ أغسطس ١٩٣٤

الشاعرُ الموهوبُ يُهْرَقُ فَنَّهُ هَذِرًا عَلَى الْأَقْدَامِ وَالْأَعْتَابِ
وَالْعَالِمُ النَّحْرِيرُ يَنْفِقُ عُمْرَهُ فِي فَهْمِ الْفَاطِ وَدَرْسِ كِتَابِ
النحير: العلامة

يَحْيَا عَلَى رِمَمِ الْقَدِيمِ الْمُجْتَوَى كَالدُّودِ فِي حُمَمِ الرَّمَادِ الْخَابِي
المجتوى: المهجور المكروه، حمم الرماد الخابي: سواد الرماد المنطفئ

والشعبُ بينهما قطيعٌ ضائعٌ دُنِيَاءُ دُنِيَا مَأكِلٍ وَشَرَابِ

الوَيْلُ لِلْحَسَّاسِ فِي دُنْيَاهُمْ ماذا يُلاقِي من أَسَى وَعَذَابِ

٣٢ فلسفة الثعبان المقدس

٢٠ أوت/ أغسطس ١٩٣٤

كان الربيعُ الحيُّ رُوحاً حالماً غَضَّ الشَّبَابُ معْطَرَ الجِلْبَابِ
والشاعرُ الشَّخْرُورُ يرقُصُ مُنْتَبِداً للشمسِ فوقَ الوَرْدِ والأعشابِ
الشحور: المفرد

شِعْرَ السَّعَادَةِ وَالسَّلَامِ، وَنَفْسُهُ سَكِرَى بِسِحْرِ الْعَالَمِ الْخَلَابِ
ورآه ثعبانُ الجبالِ فَعَمَّهُ ما فيه من مَرَحٍ وَفَيْضِ شَبَابِ
وانْقَضَ مُضْطَغِناً عَلَيْهِ كَأَنَّهُ سَوْطُ الْقَضَاءِ وَلَغْنَةُ الْأَرْيَابِ
مضطغناً: حاملاً الضَّنْ أي الحقد

بَغَتْ الشَّقِيئُ فَصَاحَ مِنْ هَوْلِ الْقَضَا مَتَلَفَتَا لِلصَّائِلِ الْمُنْتَابِ:
الصائل: الهاجم، الذي يصول، المتتاب: المقتم

لا شيءَ إِلَّا أَنَّنِي مُتَغَزَّلٌ بالكائناتِ مُغَرَّدٌ فِي غَابِي
وسَعَادَةُ الضُّعَفَاءِ جُزْمٌ مَا لَهُ عِنْدَ الْقَوِيِّ سَوَى أَشَدِّ عِقَابِ
لا عَدْلٌ إِلَّا إِنْ تَعَادَلَتِ الْقُوى وَتَصَادَمَ الْإِرْهَابُ بِالْإِرْهَابِ
فَتَبَسَّمَ الثَّعْبَانُ بِسَمَةِ هَازِيٍّ وَأَجَابَ فِي سَمْتٍ وَفَرَطٍ كِذَابِ
في سمت: في وقار

إِنِّي إِلَهُ طَالَمَا عَبَدَ الْوَرَى ظَلَمِي وَخَافُوا لَعْنَتِي وَعِقَابِي
وسَعَادَةُ النَفْسِ التَّقِيَّةِ أَنَّهَا يَوْمًا تَكُونُ ضَحِيَّةَ الْأَرْيَابِ
أَفَلَا يَسُرُّكَ أَنْ تَكُونَ ضَحِيَّتِي فَتَحِلَّ فِي لَحْمِي وَفِي أَعْصَابِي
وَتَكُونَ عَزْماً فِي دَمِي وَتَوْهْجاً فِي نَاطِرِي، وَحِدَّةً فِي نَابِي
يريد الثعبان أن يفترس الشاعر ليكسب من لحمه قوة وعزماً. وكذا الزعيم المتسلط الذي يرسل الآلاف إلى الحرب فالموت، فهو يزعم لهم أن دماءهم ستشد عزم الأمة وتقويها

وتذوَّبَ فِي رُوحِي الَّتِي لَا تَنْتَهِي وَتَصِيرَ بَعْضَ أُلُوهَتِي وَشَبَابِي
إِنِّي أَرَدْتُ لَكَ الْخُلُودَ مُؤَلَّهاً فِي رُوحِي الْبَاقِي عَلَى الْأَحْقَابِ

فَأَجَابَهُ الشُّخْرُورُ فِي غُصَصِ الرَّدَى وَالْمَوْتُ يَخْنُقُهُ إِلَيْكَ جَوَابِي:
 لَا رَأْيَ لِلْحَقِّ الضَّعِيفِ، وَلَا صَدَى وَالرَّأْيُ رَأْيُ الْقَاهِرِ الْعَلَّابِ
 فَا فَعَلَ مَشِيئَتَكَ الَّتِي قَدْ شِئْتَهَا وَارْحَمْ جَلَالَكَ مِنْ سَمَاعِ خِطَابِي
 وَكَذَاكَ تَتَّخِذُ الْمَظَالِمَ مَنَظِقًا عَذْبًا لِتُخْفِي سَوَاءَ الْآرَابِ

سواء الآراب: عورة الأهداف الشنيعة. وقف تشرشل - مثلاً - في البرلمان البريطاني،
 بعد أن ابتلع هتلر نصف أوروبا، وقال في خطبته المشهورة إن بريطانيا ستحارب في
 كل مكان إلخ إلخ. . و«إمبراطوريتنا وراء البحار، مسلحة ومحروسة بالأسطول
 البريطاني، ستواصل الكفاح» قالها وكان «إمبراطوريتهم» يجب أن تعاني ويموت
 أبناؤها من أجلهم

أبو القاسم الشاذلي فهرس القوفى

٢٣	الْقَدَرُ	٢٨	السَّمَاءُ
١٣	بِفَاسِي	٣٢	الْجِلْبَابُ
١٤	نَفْسِي	٥	الرَّهِيْبُ
٤	وَقَسُّ	٢١	لِلْأَغْرَابِ
٨	الكهوف	٣١	والأعتابِ
١٧	الْأَمَلُ	٢٢	الْآتِي
٢٦	حُلْمُ	١	مَبَاحَةُ
٢٥	والأحلامُ	٦	الْوَرْدَا
٣	وَصَمَّمُوا	١٦	الْجَدِيدِ
٩	لِظَلَامِي	١٥	وانفرادي
٢٧	يَتَجَسَّمُ	١٠	وُجُودِي
٢٩	بالأحزانِ	٢٠	وَدُودِ
٢٤	والزَّيْتُونِ	١٨	الْخُدُودِ
١٢	الدَّوَاهِي	٧	يَعُودُ
١١	سَمَاءُ	٣٠	الْقَدْرُ
١٩	غَايَةُ	٢	الْأَمِيرِ

فهد العسكر

(١٩١٥ - ١٩٥١)

خلق الله فهد العسكر إنساناً، وجلاه عبد الله الأنصاري شاعراً، وجَلّوته لك شاعراً كبيراً.

لولا صديقه هذا، عبد الله الأنصاري، الذي جمع أشعاره في طبعة أولى، ثم ثانية مزيدة، ثم ثالثة مزيدة، ثم رابعة مزيدة، ثم خامسة مزيدة.. ففي كل طبعة قصائد تضاف مما يكتشفه الصديق في أوراقٍ عند أصدقاء الشاعر وفي طوايا الجرائد، لانطوى فهد العسكر.

وجئتُ إلى هذا الشاعر الكويتي فأمطت عن أشعاره ركام الحشو.

اقرأ كتاب الأنصاري، الذي يحتوي على ديوان فهد العسكر، تجدك غائصاً في البحر تملأ كيسك بالمحارات، وينالك الإعياء وأنت تفتحها، ثم لا تخرج لك اللؤلؤة إلا بعد كثير من حبس الأنفاس، وقراع القواقع. وقرأ الصفحات المقبلة تجد اللؤلؤ.

تراني معجباً بعمله، وهو أهون عمل! بل أنا فخورٌ به.

لم أسعد بتنخيلي شاعراً من الشعراء مثلما سعدت وأنا أنخل لك فهد العسكر. كان يطيل، ويحشو، ويسمح للوزن أن يجره إلى حيث لا يجد قافية، فيضع في نهاية البيت كَبْنة تبدو ناتئة في بناء القصيدة.

روحه بارزة في كل شعره، غير أن روح كل شويعر ونويثر قد تبرز فيما يقولان. تبقى الصنعة وتبقى وثبات الخيال. فأما الصنعة فقد توفرت القدرة عليها لفهد العسكر، فهو صاحب وزن محكم ولغة طيبة، على ضيقٍ في معجمه، غير أنه لم يمتلك راحة البال ليصفي شعره، ولم يمتلك من العمر ما

يوصله إلى مرحلة التحكيك، ولا هو امتلك الثقافة العريضة. وأما وثبات الخيال فهي ما كنت ألهث وراءه وأنا أنتخب من شعر الرجل. ويضاف إلى محاسن شعر فهد العسكر أنه عبّر عن حرمان شديد، وعن تمزق بين مجتمع شبه بدائي وبين أفكار واردة تعاني من غربة في هذا المجتمع، وعبّر عن بوهيمية غير مألوفة في ذلك المكان والزمان. هذا شاعر خمريات في بلد لا تزال الخمر فيه ممنوعة بالقانون حتى يومنا هذا.

شيّع فهد العسكر إلى قبره خمسة غرباء لا نعرف منهم إلا إمام المسجد. فقد كان شاعرنا خلع نفسه من الأسرة قبل أن تخلعه أو بعد أن خلعه، وعاش عزباً فقيراً في غرفة في سوق واقف بالكويت. وفقد بصره في أخريات سنيه. ولم يشهد العسكر كويت النفط إلا قليلاً، إذ مات عام ١٩٥١، بعد خمس سنوات فقط من إقلاع أول ناقلة تحمل نفط الكويت.

عاش فهد على خمر النخل تأتيه من العراق. وعاش على شوق للتماس الجسدي مع «حواء»، فإن لم يتيسر، ولم يتيسر، فلا بأس بغلام، ولم يتيسر. وغلف أحلامه الجنسية بما استطاع التقاطه من ألفاظ حركة أبوللو الرومنسية.

ازدحمت حياته القصيرة، ٣٦ عاماً - بين ١٩١٥ و ١٩٥١ -، بضروب الحرمان، غير أنه أتيح له أصدقاء، ممن استنشق رياح الفكر اليساري أو الليبرالي، فحفظوا لنا ما وصلنا من شعره. وكان ينشر بعض أشعاره التي فيها قدر من التحرر والتمرد في جريدة «البحرين» في أوائل الأربعينات.

كان صديقه عبد الله الأنصاري في مصر وقت وفاته، فلم نعرف عن مرضه وموته سوى أن أياً من أهله أو صحبه لم يشيعه.

وقد رأيت في شعر فهد العسكر تخميسات. وهي ثلاثة أشطر يبينها الشاعر فوق بيت لشاعر مشهور. خمّس فهد أبياتاً من قصيدة للمنتبي، ونقلناها. كما خمّس أبياتاً من عدة قصائد لشوقي. والتخميس تمرين كان يقوم به الشاعر الناشئ. وكان يحدث أن يقوم به الشاعر الفحل في الزمن غير الفحل. ولم أجرب التخميس قط. فلما عزمت على اقتباس شيء منه لشاعرنا، قلت: فلأجربه بنفسه حتى أحس به. فخمست أبياتاً للمعري:

رَحَمُوا ظَهْرَهَا وَسَارُوا حَيَارَى وَتَوَارَى فِي بَطْنِهَا مَنْ تَوَارَى
وَقَضَى اللّهُ لِلْوَرَى اسْتِمْرَارَا «رَبِّ لَخِدٍ قَدْ صَارَ لَخِداً مِرَارَا»

«ضاحِكٌ مِنْ تَزَاخُمِ الْأَضْدَادِ»

يَعْتَرِينَا فِي الْحَيِّينَ بَعْدَ الْحَيِّينَ نَازِلًا بِالْكَعَابِ وَالْحَيِزُّونِ
فِي حَشَا الْأَرْضِ كَمْ حَشَا مِنْ خَدَيْنِ «وَدَفِينِ عَلَى بَقَايَا دَفِينِ»

«فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْأَبَادِ»

تَعَبَ السَّوْطُ مِنْ ظُهُورِ الرَّفَاقِ ثُمَّ أَوْدَى اخْتِرَائُهُمْ بِالْبَوَاقِي
مَا شَبِهَهُ الشَّامِيُّ إِلَّا الْعِرَاقِي «وَشَبِيهَ صَوْتِ النَّعِيِّ إِذَا قِي»
«سَ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادٍ»

الآن إلى ما اخترناه من شعر فهد العسكر. فإن شئت أن تسمع قصيدة -
قصة، تعصف بما كان يصنعه الرصافي من هذا اللون عصفاً، فأسرع في قلب
الصفحات لتصل إلى قصيدة طويلة نقلنا منها طويلاً، فوق الثلاثين بيتاً، فهي من
أرق الشعر وأحلاه، وسميناها «عروس البحر».

١ لغة القوة

يَا بَنِي الْعُرْبِ إِنَّمَا الضَّعْفُ عَارٌّ إِي وَرَبِّي، سَلُّوا الشُّعُوبَ الْقَوِيَّةَ
كَمْ ضَعِيفٌ بَكَى وَنَادَى فَرَاخَتْ لِبُكَاهِ تُقَهِّقُهُ الْمِدْفَعِيَّةَ
لُغَةُ النَّارِ وَالْحَدِيدِ هِيَ الْفُصْ حَى، وَحَظَّ الضَّعِيفُ مِنْهَا الْمَنِيَّةَ
هَا هِيَ الْحَرْبُ أَشْعَلُوهَا فَرُخْمَا لَكَ إِلَهِي بِالْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةَ
يَا بَنِي الْفَاتِحِينَ حَتَّى مَ نَبْقَى فِي رُكُودٍ؟ أَبْنِ النُّفُوسُ الْأَبِيَّةَ
العرب هم أبناء الفاتحين في الزمن القديم

٢ آمنيات

في الترحيب ببعثة تعليمية من فلسطين، ١٩٣٦:

بِاللَّهِ يَا رُسُلَ الشَّقَافَةِ خَبِّرُوا نَا، كَيْفَ حَالُ الْأُخْتِ يَا إِخْوَانِي
أَعْنِي فَلَسْطِينًا، وَكَيْفَ أَمِينُهَا وَجُنُودُهُ وَبَقِيَّةُ السُّكَّانِ
أَمِينُهَا: الحاج أمين الحسيني مفتي القدس والزعيم السياسي

مَا وَعَدُ بَلْفُورِ سِوَى أَمْنِيَّةٍ وَنِدَاؤُهُ صَرْبٍ مِنَ الْهَذْيَانِ
وَقَوْلِكَ يَا فهد أمنية. أعلّق على بيتك هذا في أبريل ٢٠١٧، وبعد أشهر ستحل الذكرى المئوية
لوعد بلفور، ورئيسة وزراء بريطانيا تيريزا ماي تصرح قبل أيام فقط بأن بلدها فخور بهذا الوعد

يَا نَشْءُ هَلْ مِنْ نَهْضَةٍ نُحْيِي بِهَا الْـ حَجْدَ الْأَثِيلَ كَنَهْضَةِ الْجَبَابِ

الْأَثِيلُ: القديم الثابت، الجبابان: اليابان

يَا نَشْءُ وَأَسْفَا عَلَى دِينَ عَدَا أَحْبُولَةً لِأَصْفَرِ الرِّئَانِ

أحبولة: شَرَكٌ لِلصِّيدِ، الأصفر الرنان: الذهب

كَيْفَ النُّهُوضُ بِأَمَّةٍ بِلَهَاءٍ، لَا تَنْفَكُ عَاكِفَةً عَلَى الْأَوْثَانِ
بِالَّذِينَ قَدْ نَالَ الْجُدُودُ مِنْهُمْ وَغَدُوا، وَرَبِّي، بِهَجَةِ الْأَزْمَانِ
فَتَحُوا الْفُتُوحَ وَمَهَّدُوا طُرُقَ الْعُلَا وَاسْتَسَلَمَ الْقَاصِي لَهُمُ وَالِدَانِي

٣ كُفِّي الْمَلَام

كُفِّي الْمَلَامَ وَعَلِّلْنِي وَتَنَاهَيْتُ كَيْدِي الشُّجُو
وَطَنِي! وَمَا أَقْسَى الْحَيَا وَطَنِي! وَأَذْتُ بِكَ الشُّبَا
وَطَنِي! وَمَا سَاءَتْ بِقَيِّ رَقَّضُوا عَلَى نُوحِي وَإِغَا
فَالشُّكُّ أَوْدَى بِالْبَقِيْنِ نْ، فَمَنْ مُجْبِرِي مِنْ شُجُونِي؟
ةٍ بِهٍ عَلَى الْحُرِّ الْأَمِينِ بَ وَكُلَّ مَا مَلَكَتْ بِمِينِي
رِ بَنِيكَ يَا وَطَنِي ظُنُونِي وَالِي وَأَظَرَبَهُمْ أَنِينِي

الإعوال: البكاء والويل

وَتَحَامَلُوا ظُلْمًا وَعُذْ فَعَرَفْتُهُمْ وَتَبَذْتُهُمْ
وَتَطَاوَلُ الْمُتَمَصِّبُو يَا قَوْمُ كُفُّوا؛ دِينُكُمْ
لَبَلَى تَعَالَى زُودِينِي وَدَعِي الْعِينَابَ إِذَا التَّقَبُّ
هَيْمَانَ كَالْمَجْنُونِ أَخْ حَفَّتْ بِي الْأَشْبَاحُ صَا
لَبَلَى إِذَا حُمَّ الرَّحِيْبِ وَاَنَا عَلَيَّ وَأَرْهَقُونِي
لَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُونِي نْ، وَمَا كَفَرْتُ، وَكَفَرُونِي
لَكُمْ، وَلِي يَا قَوْمُ دِينِي قَبْلَ الْمَمَاتِ وَودَّعِينِي
نَا، أَوْ فَفِي رَفْقِي وَلَيْنِ بَطُ فِي الظَّلَامِ فَأَخْرِجِينِي
رِخَةً، بِرَبِّكَ أَنْقِذِينِي لُ وَعَصْرَ قَيْسُكَ بِالْأَنِينِ

حم: اقترَب

وَلَفَظْتُ رُوحِي فَاطْبَعِي قُبِّلَ الْوَدَاعُ عَلَى جَبِينِي
وَإِذَا دُفِنْتُ قَبِّلْ لِي بِالنَّمْعِ قَبْرِي وَادْكُرْ بَنِي

٤ الصاهر المذيب

صَهَرْتُ فِي قَدَحِ الصَّهْبَاءِ أَحْزَانِي وَصُغْتُ فِي دَوْبِهَا شِعْرِي وَالْحَانِي
وَبْتُ فِي غَلَسِ الظُّلَمَاءِ أَرْسِلْهَا مِنْ غَوْرِ رُوحِي وَمِنْ أَعْمَاقِ وَجْدَانِي
الغلس: ظلام آخر الليل، والغسق ظلام أوله

يَا سَاقِي الْخَمْرِ لَا شَلَّتْ يَدَاكَ أَذِرْ بِنْتَ النَّخِيلِ فَإِنَّ الصَّخَوَ أَضْنَانِي
شَلَّتْ: أصيبت بالشلل، بنت النخيل: خمر التمر

٥ اترك العود

هَاتِ يَا سَاقِي، هَاتِ بِنْتَ النَّخِيلِ فَعَسَاهَا تَشْفِي عَسَاهَا غَلِيلِي
بنت النخيل: خمر التمر، وهو عَرَقٌ كَانَ يُجْلَبُ مِنَ الْعِرَاقِ

هَاتِهَا عَلَّنِي أَذُوبُ أَتْرَا حِي فِيهَا، وَدَعْ هُرَاءَ الْبَعْدُولِ
وَإِثْرُكَ الْعُودَ، وَاسْقِنِيهَا عَلَى نَوْ حِ فُوَادِي خِذْنِ الصُّنَى وَعَوِيلِي
أترك عزف العود واسقني الخمر على صوت نواح فوادي خدن الألم، أي رفيقه

جَاءَ تَحْرِيمُهَا، وَلَيْسَ عَلَيْنَا بَلْ عَلَى كُلِّ سَافِلٍ وَجْهُوْلٍ
فِيَصْدِرِ الْمَكْرُوبِ نَارٌ تَلْطِي أَوْقَدَتْهَا الْأَشْجَانُ عِنْدَ الرَّحِيلِ
لَمْ تَطِبْ لِي دُنْيَا الشَّقَاءِ فَوَالْهِ فِي شَوْقِي لِلْعَالَمِ الْمَجْهُولِ
أَيُّهَذَا الْخَلْبِجُ شَرَّدَتْ أَحْلَا مِي، فَدَعْ لِي عَوَاطِفِي وَمُيُولِي
إِنَّ لِي فِيكَ، وَالْمَحَبَّةَ قَيْدُ، أَغْبِداً ذَا خَلْقِي وَخُلُقِي نَبِيلِ
وَجَبِينِ زَاهٍ وَقَدْ رَشِيقِ وَعَيُونِ نَشْوَى وَخَدَّ أَسِيلِ
عيونه نشوى، سكرانة ذابلة، وخده أسيل، أي طويل

وَمُحَيًّا كَالْبَدْرِ شَعَّ سَنَاهُ أَوْ كَشَمْسِ الرَّبِيعِ عِنْدَ الْأَقُولِ
سناء: ضوءه

وَطِبَاعِ أَرْقٍ مِنْ بَسْمَةِ الْفَجْجِ مِرِّ وَرُوحِ أَنْقَى مِنَ السَّلْسَبِيلِ

وَانْطَوَتْ شِقَّةُ النَّوَى وَالتَّقِينَا بَعْدَ لَايٍ وَبَعْدَ قَالٍ وَقِيلِ

بعد لأي: بعد إبطاء

فَسَفَحْتُ الدَّمُوعَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ فِي شِبْهِ حَيْرَةٍ مَذْهُولِ

سفحت: سفكت

يَنْكُتُ الرَّمْلَ مُطَرِّقاً وَأَنَا أَشُدُّ كُؤُ إِلَيْهِ آلَامَ دَائِي الْوَيْبِلِ

ينكت: نقول بالعامية ينكش، والجالس أرضاً على الرمل في موقف حرج من شأنه أن ينكت الرمل
بعود أو ياصبع

أَوْ مَا أَعْطَشَ الْفُؤَادَ إِلَى دَمٍّ عَةِ عَطْفٍ مِنْ جَفْنِهِ الْمَكْحُولِ

يَا لِمَرَأَى الدَّمُوعِ وَهِيَ بَنَاتُ الشَّدِّ عَرٍ فِي مُقْلَةٍ الْحَيِّ الْحَجُولِ

فَحَرَجْنَا مِنْ صَمْتِنَا وَاعْتَنَقْنَا وَأَخَذْنَا بِالضَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ

وَشَرَبْنَا بِنْتِ النَّخِيلِ وَمَا أَعْدُ لَذَبَهَا فِي ظِلِّ الْوِصَالِ الظَّلِيلِ

فَسَكِرْنَا فَرُحْتُ أَنْشِدُ شِعْراً وَهُوَ يُضْغِي لِشِعْرِي الْمَغْسُولِ

المعسول: الحلو كأنه مخلوط بالحل

لَيْلَةٌ ذَكَرِيَا تُهَا مِلءٌ ذَهْنِي وَهِيَ فِي ظُلْمَةِ الْأَسَى قَنْدِيلِي

لَيْلَةٌ لَا كَلِيلَةَ الْقَدْرِ بَلْ خَيْدٌ رٌ وَخَيْرٌ، وَاللَّهُ، مِنْ أَلْفِ جِيلِ

رُبَّ صَمْتٍ يَا صَاحٍ أَوْقَعَ بَلْ أَبُ لَعُ فِي سِحْرِهِ مِنَ التَّنْزِيلِ

التنزيل: القرآن

وَدُمُوعُ الْعُشَّاقِ فَيَضُّ مِنَ الْخُلْدِ بِدِ شِعْرٍ يُزْرِي بِشِعْرِ الْفُحُولِ

وَحُفُوقُ الْقُلُوبِ ضَرْبٌ مِنَ التَّنْدِ بِيحٍ عِنْدَ الْلِقَاءِ وَالتَّهْلِيلِ

التسبيح: قوله «سبحان الله»، التهليل: قوله «لا إله إلا الله»، والاستغفار.. نستغفر الله من هذا
التجديف

٦ أَشْعِلْنِي

بِكَ بِالشَّوْقِ بِالصَّنَى يَا جَارَةَ أَسْعِفْنِي بِالْكَأْسِ وَالسَّيْجَارَةِ

بك: أي أَسْتَجِدْ بِكَ

أَخْرِجْنِي مِنَ الظَّلَامِ إِلَى النُّورِ، وَفَرَضُ أَنْ يُسَعِفَ الْجَارُ جَارَةَ

يا عروس الأحلام بالله هاتي وخذي. ولنفض هذي البكارة
أشعلي تليك وأترعي هذه من خمرة الرافدين هاتيك نارة
أشعلي السجارة، واملاي الكأس من خمرة العراق

ودعيني ما بين سيجارتي والـ كأس أبكي الصبا وأخذ نارة
خففي العتب، أوصدي الباب، قومي واظمئني، فالشيخ غادر داره
لست أخشى عليك من أمك الشو ء، فكم رحبت بهذي الزيارة
يا ابنة الشيخ يا منى النفس يا ريد حانة الحي! أوقد الشوق نارة
إنقعي غلتي فبين ضلوعي خافق شقه الصدى لا حجارة
انقي غلتي: اروي عطشي، خافق: قلب، الصدى: العطش

ذاب قلبي أو كاد يا ربة الحنن، خذيه واستطلمي أسراوه

٧ اذكريني

أذكريني كلما الصيف أتى يحمل البشري لأرباب الغرام
قال أحمد رامي، وغتها أم كلثوم في لحن السباطي عام ١٩٣٩: «اذكريني كلما الفجر بدا».
وشر رامي أخذه الرحبان كما هو وغته فيروز

فالتفت كل فتاة وفتي فإذا الدنيا سلامً وابتسام

* * *

أذكريني كلما جاء الخريف نائراً ما نظمت كف الربيع
الخريف يثر أوراق الشجر التي أنبتا الربيع فكانه نظمها بيده، وثمة تورية لا تخفى بين النثر
والنظم

ماجياً كل أنيتي ولطيف ماسخاً كل جميل وبديع

* * *

أنا إن مت أفيكم يا شباب شاعر يرثي شباب العسكر؟
بائس مثلي عضته الذئاب فعدا من هم في سقر

هل فيكم بائس مثلي عضته ذئاب هذه الحياة فاصح من الهم في جحيم؟

٨ يعترف بوجوده

قَبْلَ فِدَيْتِكَ بِسَمِي دَغٍ جِيْدِي وَإِلَى اللَّقَاءِ صَبَاحَ يَوْمِ الْعِيْدِ
فتاته تخاطبه

لَا تَقْتَرِبْ مِنْ دَارِنَا هُمْ أَقْسَمُوا أَنْ يَقْطَعُوا، إِنْ جِئْتَ، حَبْلَ وَرِيْدِي
يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَثَارَ شُكُوكَهُمْ حَوْلِي، قِيَامِي بِالْذُّجَى وَقُعودِي؟
تقول الفتاة: هل ثارت شكوك أهلي حولي لكثرة ما أصحو في الليل قلقاً؟

وَتَأْفُفِي وَتَلْهُفِي وَتَبْرُمِي بِهِمْ، وَهَذَا دَيْدَنُ الْمَفْؤُودِ
ديدن المفؤود: عادة المصاب في قلبه

أَكْثِرَةَ الشُّكُوى! حَنَانِيكَ، أَهْدَأِي وَتَرْقِي بِالشَّاعِرِ الْمَنْكُودِ
يرد عليها.. يا كثيرة الشكوى! حنانيك، أي رويدك، واهدأي، وارقي بالشاعر المعذب
الصُّبْحُ لَمْ يُسْفِرْ، وَأَهْلُكَ نَوْمٌ قُومِي مَعِي نَحْسُ الْمُدَامِ وَعُودِي
نحسو: نشرب

فَتَرَدَّدَتْ وَتَمَلَّمَتْ وَتَنَهَّدَتْ وَبَكَتْ، وَطَوَّقَ سَاعِدَاهَا جِيْدِي
قَالَتْ هَلُمَّ إِلَى الشُّوَيْطِي، قَلْتُ: لَا فَهُنَاكَ كُلُّ مُفْنَدٍ وَحَسُودِ
المفند: اللائم الذي يخطئ صاحبه

وَهُنَا الْأَمَانُ، وَهَهُنَا مَا شَتَّ مِنْ بِنْتِ النَّخِيلِ أَوْ ابْنَةِ الْعُنُقُودِ
بنت النخيل: عرق التمر، ابنة العنقود: خمر العنب

مَا إِنْ أَقُولُ لَهَا خُذِي مَعْبُودَتِي إِلَّا وَقَالَتْ: هَاتِ يَا مَعْبُودِي
هَاتِ اسْقِنِيهَا لَا تُعَكِّرْ صَفْوَهَا دَعْهَا بِلَا مَزْجٍ وَلَا تَبْرِيدِ
فَلَكُمْ أَثَارَتْ غَافِي الْإِحْسَاسِ بِي وَكَمْ اعْتَرَفْتُ أَمَامَهَا بِوُجُودِي

٩ إلى الكنيسة

قَالَتْ وَقَدْ مَسَحَتْ دُمُوعِي: لَا تَنْخُ وَمَعِي اغْتَبِقْ يَا عَنْدَلِيبُ وَغَرِّدْ
اغتبِق: اشرب الخمر مساءً، والغَبُوقُ شراب المساء وضده الصُّبُوح

قَدْ قِيلَ لِي بِالْأَمْسِ إِنَّكَ شَاعِرٌ فَاشْرَبْ عَلَى نَخْبِي. فَلَمْ أَتَرَدَّدْ

ما كان أَرْخَمَ صَوْنَهَا وَأَرْقَهُ حِينَ انْتَشَتْ، وَشَدَّتْ، وَقَالَتْ: أَنْشِدِ
انتشت: سكرت

فَشَرِبْتُ ثَانِيَةً وَثَالِثَةً إِلَى سَبْعٍ. فَقَالَتْ: خُذْ، وَزِدْ، وَبِيِ افْتِدِ
فَلِحُسْنِ حَظِّي أَنَّنِي لَمْ أَنْصَرِفْ حَتَّى ظَفَرْتُ بِقُبْلَةٍ وَبِمَوْعِدِ
كل هذا الشراب على قيلة!

يَا صَاحِبِي قَدْ كَانَ مَا شَاءَ الْهَوَى فإِلَى الْكَنِيسَةِ سِرُّنَا لَا الْمَسْجِدِ
إِنْ قَبِلَ جُنٌّ فَإِنَّ عُدْرِي وَاضِحٌ أَوْ قَبِلَ تَاهٌ فَفِي يَدَيْهَا مِقْوَدِي
أَوْ قَبِلَ ضَلٌّ فَلَسْتُ قَبْلَ زِيَارَتِي وَتَدْلُهُي بِالزَّاهِدِ الْمُتَعَبِّدِ
إِنْ قَلَمْتُ إِنِّي ضَلَلْتُ بِالذَّهَابِ إِلَى كَنِيسَتِهَا وَتَدْلُهُتْ وَتَوَلَّهْتُ بِحَبْهَا، فَأَنَا مِنْ قَبْلِ هَذَا لَمْ أَكُنْ مُتَعَبِّدًا

بِاللَّهِ هَلْ تُطَوِّى السَّمَاءَ إِذَا هَفَا وَصَبَا لِمُشْرِكَةٍ فَوَادُ مُوَحِّدٍ؟
هفا: مال، صبا: أحب.. . وهي مشربة بمعنى «صبأ» أي ارتدَّ عن الدين.. . ولا نظنه قصد إلى هذا المعنى

فَالْيَوْمَ قَادَتْ مَنْ تُحِبُّ لِدِينِهَا وَغَدًا يَمُودُ بِهَا لِدِينِ مُحَمَّدٍ

١٠. الظبي المتحكم

ظَبِيٌّ تَحَكَّمَ بِي وَلَا تَلُمِ الْعَزَالَ إِذَا تَحَكَّكُمُ
قَسَمًا بِرِدْفَيْهِ، وَكُمُ مِنْ مُدْنَفٍ بِالرَّدْفِ أَفْسَمُ
مدنف: مريض عشقاً

أَشْكُو الْقَوَامَ لِخَضْرَاهِ مُتَظَلِّمًا، وَالْخَضْرُ أَظْلَمُ
اللَّهُ فِيَّ، فَإِنَّ كَأْسِي مِلْؤُهَا بِهَوَاكَ عَلَقَمُ
اللَّهُ: أي اتقي الله

كَتَمْتُ حُبَّكَ مُرْغَمًا وَالْحَيُّ يُقْتَلُ حِينَ يَكْتُمُ
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى الشَّكَا ةً، وَكُلُّ مَنْ فِي الْحَيِّ لَوْمٌ

١١. المتيمم

قال عام ١٩٣٨:

وَتَقُولُ لِي وَالكَأْسُ خَضَبَ كَفِّهَا إِنِّي لَأَهْوَى الضَّمَّ وَالتَّقْبِيلَا
الكأس صبغت كفَّها بلون الخمر

فَتَخَالْنَا فَوْقَ الرَّمَالِ، وَنَحْنُ فِي سُكْرِ الْغَرَامِ، بُثْنَةً وَجَمِيلًا
 قَدَّمْتُ قُرْبَانًا لِمَذْبَحِ حُبِّهَا رُوحِي، مَتَى كَانَ الْمُحِبُّ بِخِيَلَا
 حَوَاءَ! وَالْهَفِي عَلَيْكَ، فَمَا سَلَا قَلْبِي؛ وَلَا أَرْضَى سِوَاكَ بِدِيلَا
 سلا: نسي حبيبه

١٢ بيع الفتاة

رَجُوكِ وَأَسْفَاهُ فِي سَجَنِ التَّقَالِيدِ الْقَدِيمَةِ
 لَا دَرَ دَرَكٍ مِـــــــنْ أَبِ قَطُّ وَوَالِدَةٍ لئِيْمَةٍ
 يَا قَاتِلَ اللَّهِ الثَّعْصُــــ بَ، كَمْ تَمَحَّضَ عَنْ جَرِيْمَةٍ
 * * *

قَدْ أَدْخِلْتُ لَيْلًا عَلَيَّ هـ، فَكَانَ لَيْلًا سَرْمَدَا
 زوجها ممن لا تحب فكان ليلها معه أبدياً

شَلَّتْ يَدَاهُ فَكَمْ بِهَا عَائَتْ، أَلَا شَلَّتْ يَدَا
 شَلَّتْ: أصابها الشلل، يدعو عليه؛ فكَمْ قد عاثت هذه اليد فساداً بمشاعر هذه الفتاة
 وَحَسَا عَلَى صَرَخَاتِهَا دَمَهَا الرِّكْبِيَّ وَعَرَبَدَا
 * * *

غَدَتِ الْعَذَارَى كَالْعَقَا يُدِ وَالْمَبَادِي وَالضَّمَائِرُ
 سَلَعًا تُبَاعُ وَتُشْتَرَى عَلْنَا بِأَسْوَاقِ الْحَوَاضِرِ
 الحواضر: المدن

وَالرَّابِحُونَ بِهَا لَهُمْ مِنَّا التَّهَانِي وَالْبَشَائِرُ

١٣ موشح الخمر والغرام

طَرَقْتَنِي فَجَرَ يَوْمِ الْمَوْلِدِ وَأَبُوهَا عَاكِفٌ فِي الْمَسْجِدِ
 فَالتَقَى الثَّغْرَانِ رَغَمَ الْحُسَدِ وَكِلَانَا مُتَعَبُ الْقَلْبِ صَدِي
 الصدي: العطشان

* * *

ثُمَّ قَالَتْ وَرَدَّاذُ الْمَطَرِ حَبَسَ الطَّيْرَ، وَلَمَّا يَطِيرِ
هَاتِ بِنْتَ النَّخْلِ يَا ابْنَ الْعَسْكَرِ لَا يُطَاقُ الصَّخْوُ فِي ذَا الْبَلَدِ
بنت النخل : خمر التمر

* * *

هَاتِهَا بَيْنَاءَ مِنْ خَمْرِ الْعِرَاقِ كَمْ بِهَا حَلَقَ بِالنُّدْمَانِ سَاقِ
وَلُنَعَاقِرْهَا مَعَا قَبْلَ الْفِرَاقِ ثُمَّ قَامَتْ، وَنَضَتْ مَا تَرْتَدِي
نضت ثوبها : خلعت

* * *

وَقَضَضْنَا خَثَمَهَا وَالسَّعْدُ بِاسْمِ وَسَكَبْنَاهَا عَلَى هَمْسِ النَّسَائِمِ
وَأَذْرَنَاهَا وَأَنْفُ الشَّيْخِ رَاغِمِ وَشَرِبْنَاهَا، وَلَمْ نَقْتَصِدِ
* * *

وَتَرَشَّفْنَا حُمَيَّا الْقُبَلِ وَتَرَكْنَا النَّوْمَ لِلْغُرِّ الْحَلِيِّ
وَتَحَدَّثْنَا عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ وَأَزَحْنَا السُّتْرَ عَنْ دُنْيَا الْغَدِ

١٤ هات العود

اعْرِزْ عَلَى الْعُودِ يَا مَعْبُودِي الثَّانِي وَعَنْ «يَا حُبُّ أَنْتَ الْهَادِمُ الْبَانِي»
يَا سَاجِي اللَّحْظِ وَالْأَحْلَامُ شَارِدَةٌ أَسْرَعُ بِرَبِّكَ وَأَمْلَأُ كَأْسِي الثَّانِي
ساجي اللحظ : هادئ النظرات

اعْرِزْ عَلَى الْعُودِ وَلُنُسْكِرْ، وَلَا حَرْجَ وَلُنُحْيِ مَبِتَّ الْأَمَانِي بِابْنَةِ الْحَانِ
هُنَا الْهَوَى وَأَغَانِيهِ الْعَذَابُ؛ هُنَا عَرَائِسُ الْوَحْيِ أَلْقَاهَا وَتَلْقَانِي

١٥ خلقت لأشقى

يَا حَبِيبِي تَمَرَّكَزَ الشَّجَنُ الصَّا رُحُ بِالْقَلْبِ عَنُوءَ وَاسْتَبَاحَا
استباح الحزن الشديد قلبي بالقوة. «تمركز» كلمة يأبأها الشعر. . يا أخي غابت عنك «تحكم»
و«تسلط» . . لا تنفع «تمركز» فهي في مركز دائرة السماجة، وهي من كلام العاملين في دائرة المساحة
إِنَّنِّي هَهُنَا عَلَى شَاطِئِ الرَّمْلِ لِي أَشَاكِي النَّوَى مَسَاءَ صَبَاحَا
أشأكي النوى: أتبادل الشكوى مع الفراق

فَأَنَا شَاعِرٌ خُلِقْتُ لِأَشْقَى لَا لِأَلْقَى سَعَادَةً وَفَلاحاً
الفلاح: الفوز بالنعيم بطريق التقوى

١٦ رقصة القلب

ارْقُصِي فالقلبُ ما بيب حن الحنايا قد رَقِصَ
الحنايا: أضلاع الصدر، أليست منحنية!

وَدَعَيْنَا نَنْتَهِرُ، يَا رَبِّةَ الْحُسْنِ، الْفُرْصِ

* * *

أَنَا قَيْسٌ فِي هَوَاهَا وَهِيَ فِي حُبِّي لَيْلَى
عاشقانِ اُمْتَزَجَا والـ تَقَيَا سِرّاً لِكَيْلَا ..
لكيلا .. أي لكيلا يكشفوا أمرنا ونَقْتَضَح

١٧ بلبل في الشتاء يتذكر الصيف

حَيْرَانٌ مَا أَنْفَكَ مَذْهولاً كَمَتَّهِمْ لَمْ يَجْنِ ذَنْباً، وَلَمْ يَنْجَحْ مُحَامِيهِ
الصورة أعجبت زكريا الأنصاري كثيراً ورأى جديده. صورة منهم بريء مذهب لأن محاميه لم
ينجح في بيان براءته ..

تُطِلُّ مِنْ كُوَّةِ الْمَاضِي عَلَيْهِ، وَقَدْ أَشْجَاهُ حَاضِرُهُ، أَطْيَافُ مَاضِيهِ
كوة: نافذة .. فأطياف الماضي تطل على البلبل، وقد أحزنه حاضره. وشعراء الرومنسية من جماعة
أبوللو، الذين تأثر بهم الشاعر، يكترون من كلمة «كوة» و«كوى» .. وهي عندهم دائماً كوة الماضي

يَرْنُو إِلَيْهَا كَمَا يَرْنُو الْمَرِيضُ، وَمَا أَبْلَّ بَعْدُ، إِلَى عَيْنِي مُدَاوِيهِ
ينظر إلى صور الماضي نظر المريض الذي لم يشف بعد إلى عيني طيبه

وإنْ غَفَا رَاحَتِ الْأَحْلَامُ عَابِثَةً بِهِ، فَتُذْنِيهِ أحياناً وتُقْصِيهِ
فَيَسْكُبُ اللَّحْنَ أَنَاتٍ يَعْصُ بِهَا وَيَنْحِ الشِّتَاءُ فَمَا أَقْسَى لَيَالِيهِ

١٨ شقاء الشاعر

إِنْ تَسَلَّنِي فَأَنَا ابْنُ الرَّـ يَبِ مُذْ كُنْتُ صَبِيًّا
مالك بن الريب شاعر أموي رثى نفسه وهو يجود بأنفاسه الأخيرة في قصيدة حزينة، تجدها في
كتابنا «أول الشعر»

أَوْ مَا أَشَقَّى الَّذِي يُو هَبْ حِسًّا شَاعِرِيًّا
الشَّجَى وَالْأَرْقُ امْتَصَّ - لَ السَّنَا مِنْ مُقْلَتِيَّا

السنا: الضوء

١٩ على الشاطئ

إِنَّ لِي عِنْدَكَ لَحْنًا هَاتِي يَا مَوْجُ هَاتِي
مِنْ لُحُونٍ هَتَفَ الصَّبِي فُ بِهَا فِي أُمْسِيَاتِي
فَهِيَ لِلْقَلْبِ، وَكَمْ رَتَّ - لَهَا فِي صَلَوَاتِي
أَنَا فِي مَعْبَدِهِ قَدْ صُغْتُهَا مِنْ عَبْرَاتِي

* * *

كُنْ ضَنِينًا أَثْبَاهَا اللَّيْلِ لُ بِسِرِّ قَدْ أَذَاعَهُ
ثَائِيَّةً يَبْحَثُ فِي جُنْدِ حِكْ عَنْ كَنْزِ أَضَاعَهُ
هُوَ كَالْمَلَّاحِ حِينَ الْ - تَهُمَ الْيَمِّ مَنَاعَهُ
وَانْتَبَرَى لِلرَّيْحِ وَالْمَو ج، فَلَمْ تُغْنِ الشَّجَاعَةُ

٢٠ بَيْعَة

يحكي أمير الكويت «عبد الله السالم الصباح» عند توليه الحكم، عام ١٩٥٠:

جَاءَ الرَّبِيعُ وَأَنْتَ رَاقِدٌ قُمْ وَاشْدُ، يَا رَبَّ الْقَصَائِدِ
مَا لِلْبَلَابِلِ حِينَ يَبُ - تَسِيمُ الصَّبَاحِ وَلِلْمَرَاقِدِ
البلابل ما لها وللنوم في المراقد عندما يطلع الصباح

قُمْ حَيِّو فِيهَا وَصُغْ بِبَهَائِهِ أَسْنَى الْفَرَايِدِ
أيها الراقد قم، وحيّ الصباح بالقصائد وصغ من بهاء الصباح عقوداً من أسنى، أغلى، الفرائد،
أي اللآئى

عَرَاءٌ يُغْضِي النَّيِّرَا نِ لِضَوْئِهَا قَبْلَ الْفَرَاقِدِ
هذه القصائد غراء، جميلة، يغضئ النيران، أي الشمس والقمر، الطرف لتوجهها، وكذا تغضئ
الفراقد بصورها، والفراقد نجوم معينة في السماء

وَالشُّعْرُ مَا اضْطَرَمَّ الشُّعْوُ رُبِّهِ، وَإِلَّا قَهْوٌ بَارِدٌ

اضطرم: توقد

وَالشُّعْرُ فِي الْأَشْرَافِ حَيٍّ خَالِدٌ وَالْمَالُ نَافِدٌ

نافد: منته

وَلَا لِيُ الْوِجْدَانِ ظُلْمٌ لَمْ أَنْ تُصَاغَ لِغَيْرِ نَاقِدٍ

ظلم أن تصوغ العقود الشعرية من لآلئ الوجدان لتهدبها لمن ليس بناقد. والناقذ هو الصيرفي الذي يتقد الدراهم الزيوف ويعزلها.. والناقذ الأدبي في المعنى القديم هو من يعرف قيمة الشعر

سِرَّ أَيْهَا الْفَقْدُ الْهُمَا مُمْ فَأَنْتَ فِينَا الْيَوْمَ وَاحِدٌ

الفقد: الفرد الأوحده، الهمام: الشخص ذو الهممة، والهمام كلمة تطلق منذ الجاهلية على الزعيم..
والنعمان كان «همام» النابغة

وَلَأَنْتَ أَعْرَفُ يَا ابْنَ سَا لِمَ بِالسِّيَاسَةِ وَالْأَسَاوِدِ

الأساود: الأفاعي

وَلَأَنْتَ أَخْبَرُ مِنْ سِوَاكَ بِمَنْ عَلَا بَعْضَ الْمَقَاعِدِ

وكان أهل المقاعد في مجلس النواب الكويتي - وما زالوا - يعرفون كيف يحافظون على كلمة الناس مقابل رأي الحاكم وسلطته

مَا كَانَ أَغْنَى الْمُقْلَةَ الْحَوْرَاءُ عَنْ تِلْكَ الْمَرَاوِدِ

العين الحوراء الجميلة في غنى عن المراود، حدائد المكاحل.. والحكم الأميري يستغني عن مجلس النواب.. في رأي الشاعر

كُلُّ يَطِيرُ وَلِلْبُرَاةِ سَمَاوُهَا وَكَذَا الْهَدَاهِدِ

البزاة، الصقور، لهم سماءهم، والهداهد، جمع هدهد، له سماءه المنخفضة.. فليعرف كل قيمته

مَوْلَايَ لَا أَشْكُو الزَّمَا نَ وَكَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ حَاقِدٌ

كَلَّا وَلَمْ آسَفْ عَلَى بَصْرِي، وَلَسْتُ بِكُمْ بِفَاقِدٌ

بوجودكم فكأنني لم أفقد بصري

لِي فَيَكُمُ عَيْنٌ بِهِ، وَيَكُمُ أَلُودٌ مِنَ الْحَوَاسِدِ

لي فيكم عين به، أي بدل منه أي بدل من بصري المفقود، ويكم ألجأ من الحاسدين

هَآكَ الْيَمِينُ عَلَى الْمَحَبِّ - مَةَ وَالْوَلَا، وَاللَّهُ شَاهِدُ
يُيَايَعُهُ عَلَى الْوَلَاءِ. فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ نَرَى فَهْدَ الْعُسْكَرِ، وَقَدْ نَفَّحَ، شَاعِرًا سِيَاسِيًّا مِنَ الطَّرَازِ
الْعَبَّاسِيِّ الرَّفِيعِ.. فِيهِ مَا فِي شِعْرِ ذَلِكَ الْعَصْرِ مِنْ تَفَاقٍ وَمِنْ صَنْعَةٍ

٢١ الشامخة

لَوْ لَمْ تَكُنْ تَدْرِي النَّخِيلُ بِمَا لَهَا مِنْ رَائِعِ الْآيَاتِ وَالْأَسْرَارِ..
الآيَاتِ: دَلَالَتِ الْكَرَامَةِ وَالشَّرَفِ..

أَوْ لَمْ تَكُنْ تَدْرِي بِطَيِّبِ نِتَاجِهَا لَمْ تَعْمَلْ شَامِخَةً عَلَى الْأَشْجَارِ..
لَوْلَا أَنَّ شَجَرَ النَّخِيلِ يَعْرِفُ قِيَمَتَهُ وَطَيِّبَ مَا يَنْتِجُهُ لَمَا عَلَا وَشَمَخَ عَلَى الْأَشْجَارِ جَمِيعًا

أَوَلَمْ تَرَوْا لِلْكَرْمِ كَيْفَ حَنَّا لَهَا وَجَثَا مِنْ الْإِجْلَالِ وَالْإِكْبَارِ
أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ انْحَنَتْ كُرُومُ الْعِنَبِ وَجَثَتْ عَلَى الْأَرْضِ إِكْبَارًا لِلنَّخِيلِ..

يَسْخُؤُ مُعَاقِرُهَا فَتَلْقَى عِنْدَهُ سَيَّانَ قَذْرُ الْفَلَسِ وَالذِّينَارِ
الَّذِي يَعَاقِرُ خَمْرَ التَّمْرِ يَصْبِحُ سَخِيًّا وَيَصْبِحُ الْفَلَسُ عِنْدَهُ كَالذِّينَارِ لَشِدَّةِ جُودِهِ

٢٢ تنفيذ الحكم

قَالَ فَهْدُ الْعُسْكَرِ عِنْدَمَا عَلِمَ بِانْتِحَارِ صَدِيقِهِ عَبْدِ اللَّهِ السَّعْدُونِ:

يَا أَخَا الرُّوحِ كَيْفَ أَضْدَرْتَ الْأَفْ - دَارُ حُكْمًا عَلَيْكَ بِالْإِعْدَامِ
كَيْفَ نَفَذْتَهُ بِنَفْسِكَ يَا ه - ذَا، بِلَا رَهْبَةٍ وَلَا إِحْجَامٍ؟
يَا صَدِيقِي الشَّهِيدَ نَمَّ نَاعِمَ الْبَا - لِ وَدَعْنَا نَعِيشُ كَالْأَنْعَامِ
نَمَّ، فَيَوْمِي الْأَخِيرُ لَيْسَ بِنَاءٍ - فَمَتَى يَا تُرَى يُصِيبُ الرَّامِي؟
يَوْمِي الْأَخِيرُ لَيْسَ نَائِيًا بَعِيدًا، فَمَتَى يَصِيبُنِي عِزْرَائِيلُ الَّذِي يَرْمِي النَّاسَ بِسَهَامِ الْمَوْتِ؟

٢٣ عروس البحر

هَذِهِ قَصِيدَةٌ - قِصَّةٌ مِنْ نَمَطِ قِصَائِدِ خَلِيلِ مَطْرَانَ وَالرَّصَافِيِّ الْقِصَصِيَّةِ:

غَادَةً حَطَّ مَ الْفُؤَادَ بُكَاهَا لَيْتَ شِعْرِي مَا بَالُهَا، مَا دَهَاهَا
قَدْ حَبَاهَا اللَّهُ الْجَمَالَ، وَلَكِنْ لَمْ يَصُنَّهُ، يَا لَيْتَهُ مَا حَبَاهَا
وَقَفْتُ عِنْدَ ذَلِكَ الشَّاطِئِ الرَّمِّ لِي لَيْلًا تَبُّثُهُ شَكْوَاهَا

فَحَثَّتُ الْخُطَى إِلَيْهَا بِجُنْحِ اللَّـهِ - سِيلِ وَالنَّاسُ نُومٌ لِأَرَاهَا
فَإِذَا بِي أَمَامَ عَذْرَاءَ تَحْكِي الـ - وَزَسْ، مِنْ قَرِطِ حُزْنِهَا، وَجَنَّتَاهَا
تحكي: تشبه، الورس: نبات أصفر يصغون به

فَشَكَّتْ ظُلْمَ أُمِّهَا وَأَبِيهَا - قَاتَلَ اللَّـهُ أُمَّهَا وَأَبَاهَا
أَرْغَمَاهَا عَلَى الزَّوْاجِ بِشَيْخٍ - ذِي ثَرَاءٍ؛ مِنْ أَجْلِ ذَا أَرْغَمَاهَا
أي لثرائه أرغماها على الزواج منه

أَمِنْ الْعَذْلِ أَنْ تُزَفَّ «ثُرَيَّا» - لِعَجُوزٍ، فَأَيَّنَ ابْنَ فَتَاهَا؟
ثريا: اسمها

هَلْ رَأَيْتُمْ وَرَقَاءَ هَامَتْ بِنَسْرِ - وَسَمِعْتُمْ بِوَكْرِهِ نَجَواها؟
الورقاء: الحمامة

أَوْ رَأَيْتُمْ غَزَالَةً عَشِيقَتْ، يَا - قَوْمُ، ذُنْبًا وَطَوَّقَتْهُ يَدَاهَا؟
هَيَّا الشَّيْخُ، يَا إِلَهِي، نَعْمًا - مِنْ حَنَابَا ضُلُوعِهِ لَصِبَاهَا
يحتضنها بين ضلوعه فكان ضلوعه نعشها

ثُمَّ رَاحَ الْعَجُوزُ يَنْسُجُ أَكْفًا - نَ «ثُرَيَّا» مِنْ لِحْيَةِ أَرْخَاهَا
وَمِنْ اخْضَانِهِ أَعَدَّ لَهَا قَبْ - رَأً، وَهَذَا مَا اخْتَارَهُ أَبُواها
رَبُّ رُحْمَاكَ بِالْفَتَاةِ وَرَفَقًا - فَكَفَاهَا مَا حَمَّلَاهَا كَفَاهَا
خَسِرَتْ «خَالِدًا» رَفِيقَ صِبَاهَا - وَعَلَى نَبَذِ خَالِدٍ أَكْرَاهَاها
عَاهَدَتْهُ عَلَى الزَّوْاجِ فَلَمْ تَهْ - مَوْ سِوَاهُ، وَمَا أَحَبَّ سِوَاهَا
هِيَ بِالْأَمْسِ دُمَيَّةٌ تَبْعَتْ الْإِيـ - حَانَ فِي الْقَلْبِ جَلٌّ مِّنْ سَوَاهَا
دمية: أي جميلة كاللعبه

وَهِيَ الْيَوْمَ هَيَّكَلٌ مِنْ عِظَامٍ - قَاتَلَ اللَّـهُ أُمَّهَا وَأَبَاهَا
طَلَعَ الْفَجْرُ وَافْتَرَقْنَا وَلَمْ أَذْ - رَ، أَتَسْطِيعُ حَمْلَهَا قَدَمَاهَا
أَرْغَمْتَنِي عَلَى التَّخَلُّفِ عَنْهَا - إِلَيَّ وَرَبِّي، وَخَلَّفْتَنِي وَرَاهَا
تَخَطَّى الصُّخُورَ حَتَّى إِذَا مَا - خَارَ عِزْمُ الْفَتَاةِ أَلْقَتْ عَصَاهَا

خار عزمها، أصابها الإنهاك، فألقت عصاها، أي كفت عن السير

ثُمَّ صَاخَتْ: لَبَّيْكَ، وَالْبَحْرُ سَاجٍ لَيْتَ شِعْرِي مَنِ الَّذِي نَادَاهَا
سَاجٍ: هادئ

رَفَعْتُ وَجْهَهَا وَنَادَتْ: إِلَهِي قَدْ دَعَيْتَكَ الْعِذْرَاءُ فاقْبَلْ دُعَاهَا
رَأَتْ الْعَيْشَ فِي جِوَارِكَ أَمْنًا فَاجْعَلِ الْخُلْدَ يَا إِلَهِي قِرَاهَا
قِرَاهَا.. الْقِرَى طَعَامُ الضَّيْفِ.. تَرِيدُ أَنْ يَكْرِهَهَا اللَّهُ بِالْجَنَّةِ

أَرْسَلْتُ نَظْرَةً إِلَى الْبَحْرِ لَمْ يَعْ رِفْ سَوَى الْبَحْرِ، وَيَنْحُهُ، مَفْزَاهَا
أَعْقَبَتْهَا بِصَرْخَةٍ رَدَّدَ الْأَفْ قَى، وَقَدْ خَبِمَ السُّكُونُ، صَدَاهَا
نَكَثَتْ شَمَرَهَا فَرَاخَ نَسِيمِ الْفَجْرِ يَلْهُو بِهِ، وَيَلْثُمُ فَاها
حَمَلْنَاهُ إِلَى رَفِيقِ صِبَاهَا قُبَلًا لَوْ سَمِعْتَ مُوسِقَاهَا
حَمَلْتُ النِّسِيمَ بِالْقِبْلَاتِ لِيُصَلِّهَا عَلَى رَفِيقِ صِبَاهَا خَالِدٌ

حَجَبْتُ وَجْهَهَا بِكِلْتَا يَدَيْهَا لَا عَيْنَ الْمَوْجِ حِينَمَا وَاثَاهَا..
بَلْ عَنِ الشَّمْسِ، أُخْتِهَا، إِذْ أَطْلَتْ لَوْ رَأَتْ وَجْهَهَا هَوَتْ مِنْ سَمَاهَا
حَجَبْتُ وَجْهَهَا قَبْلَ أَنْ تَقْفُزَ.. لَتَفَادَى ضَوْءُ الشَّمْسِ.. وَلَوْ رَأَتْ الشَّمْسَ وَجْهَهَا الْجَبِيلَ لَسَقَطَتْ
مِنْ سَمَائِهَا

فَنَحَ الْبَحْرُ، وَالشُّوَيْطِيُّ بِإِيكَ، لِشُرِّيَا أَحْضَانُهُ فَاخْتَوَاهَا
أَغْفُ يَا رَبِّ عَنْ ثُرِيَّا فَهَذَا مَا جَنَوُهُ لَا مَا جَنَنْتُهُ يَدَاهَا
فَتَلَّوْهَا: أَبُّ وَأُمُّ وَزَوْجٌ أَوْ لَوْ مَاتَ هَؤُلَاءِ فِدَاهَا
كَمْ فِتْنَةً يَا رَبِّ أَسْعَدَهَا الْحُسْنُ نُنْ! وَهَذَا جَمَالُهَا أَشْقَاهَا

٢٤ وحيد

يَا فِتْنَانِي حَمَلْنِي فَوْقَ مَا أَسُدُّ طَيْعُ، رُحَمَاكِ إِنَّنِي لَا أُطِيقُ
لَا حَبِيبٌ أَشْكُو إِلَيْهِ فَيَرْثِي لَشَكَاتِي، وَلَا صَدِيقٌ صَدُوقُ
لَا، وَلَا وَالِدٌ يَرْقُ وَلَا أُمٌّ- فَتَحْنُو، وَلَا شَقِيقٌ شَفُوقُ

٢٥ وصية

يَا رِفَاقَ الصَّبَا دَعُونِي، فَلَا يُجِدُ لِي فِتْنِيلاً لَوْ مَيَّ، كَفَانِي مَا بِي
لَا يَجِدِي فِتْنِيلاً: لَا يَنْفَعُ أَدْنَى نَفْعٍ

إحْفِرُوا لِي قَبْرًا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ رِ، لَعَلَّ الْأَمْوَاجَ تَبْكِي شَبَابِي
وَإَذْفُنُونِي بَيْنَ الصُّخُورِ عَسَى يَهْـ لِدَأْ رُوعِي وَتَوَرَّتِي وَاضْطِرَابِي
بِأَصْحُورِ الشَّاطِئِ بِرَبِّكَ إِنْ مَرَّ- عَلَى مَرَقْدِي هُنَا أَحْبَابِي
خَبَّرِيهِمْ عَمَّا لَقِيتُ مِنَ الْهَمِّ- وَشَنَّتِي الْأَلَامَ وَالْأَوْصَابِ

الأوصاب: الأوجاع

سَاءَ هُمْ أَنْ أَعِيشَ صَبًّا أَنْاعِي هُمْ بِأَشْعَارِي الرِّقَاقِ الْعِذَابِ
صَبًّا: عاشقاً

وَأَنَا شَاعِرٌ خُلِقْتُ لِأَشْدُو لَا لِأَتْلُو الْقُرْآنَ فِي الْمِحْرَابِ

٢٦ كأننا طفلان

كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ بُضَاحِكُ كَأْسُهُ طَرَبًا، وَكَأْسِي، وَيَحَهُ، أَبْكَانِي
وَشَرِبْتُمْ وَطَرِبْتُمْ مَا كَانَ أَسْـ عَدَكُمْ بِأَكْوَسِكُمْ وَمَا أَشْفَانِي
وَأَنَا فَدَيْتُكَ شَاعِرٌ حَسْبِي مِنَ الدُّ- نِيَا وَمَا فِيهَا فَتَى بِرَعَانِي
أَسْقِيهِ أَوْنَةً، وَيَسْقِينِي وَإِنْ نَاعَبْتُهُ بِقَصَائِدِي نَاغَانِي
وَيَبْتُلْنِي شَكْوَاهُ حِينَ أَبْتُهُ شَكْوَايَ وَالْكَأْسَانِ تَسْتَمِيعَانِ
الْعَبْدُ عَيْدِي يَوْمَ أَقْطِفُ مِنْ خُدُو دِكَ يَا مُنَايَ شَقَائِقَ النُّعْمَانِ
الْعَبْدُ يَوْمَ نَنَامُ مِلءَ جُفُونِنَا مُتَمَانِقِينَ كَأَنَّا طِفْلَانِ

٢٧ شوق إلى حواء

حَوَاءُ أَوَاهُ مِنْ دَاءٍ تَأَصَّلَ فِي قَلْبِي فَعَرَّ الدَّوَاءُ، وَاسْتَفْحَلَ الدَّاءُ
وَمِنْ لَوَاعِجِ شَوْقِي قَطَعْتَ كَيْدِي حَتَّى رَأَى لِي أَعْدَاءُ أَلْدَاءُ

لواعج: هموم

هَذِي هِيَ الْكَأْسُ فِي كَفِّي سَأَشْرِبُهَا فَهِيَ الدَّوَاءُ وَقَدْ كَلَّ الْأَطِبَّاءُ
كَلَّ: عجز

فَلَسْتُ أَوَّلَ مُشْتَاكِ تَجَرَّعَهَا وَمُعْجَرَمٍ أَوْدَعَتْهُ الْقَبْرِ حَسَنَاءُ

٢٨ تخميس على أبي الطيب

يا لِلتَّعَاسَةِ لا الأوتار تُطْرِبُنِي بِشَدْوِها، لا، ولا الأنعام تُؤْنِسُنِي
فيا نَدَامَى أَمِنْكُمْ مَنْ يُخَبِّرُنِي «أَصْحَرَّةُ أنا ما لي لا تُحَرِّكُنِي»
«هَذي المُدامُ ولا هَذي الأَغاريدُ»
بِالْأَمْسِ كَانَتْ قُطُوفُ الوَصلِ دَانِيَةً واليومَ أَضَحَّتْ لِتَغْسِ الحِطُّ قاصِيَةً
وضاعَ عُمْري وما حَقَّقْتُ أَمْنِيَةً «إذا أَرَدْتُ كُمَيْتَ الخمرِ صافِيَةً»
«وَجَدْتُها وَحَبِيبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ»

فهد العسكر فهرس القوافي

٢٢	بالإغدام	٢٧	الدَّاءُ
٧	الْعَرَامُ	٢٥	ما بي
١٠	تَحَكَّمْ	١٩	هَاتِهْ
١٢	الْقَدِيمَةُ	١٥	وَأَسْتَبَاحَا
٢٦	أَبْكَانِي	٨	العِيدِ
٢	إِخْوَانِي	١٣	المَسْجِدِ
١٤	الْبَانِي	٩	وَعَرْدُ
٣	بِالْيَقِينِ	٢٠	الْقَصَائِدُ
٨	تُوْنِسْنِي	٢١	وَالْأَسْرَارِ
٤	وَالْحَانِي	٦	وَالسَّيْجَارَةُ
٢٣	دَهَاها	١٦	رَقَصْ
١٨	صَبِيًّا	٢٤	أَطِيقُ
١	الْقَوِيَّةُ	١١	وَالْتَّقْيِيلَا
١٧	مُحَامِيهِ	٥	غَلِيلِي

عبد الله البردوني

(١٩٢٩ - ١٩٩٩)

لا علاقة لي بحبيب الزحلاوي

هاجم حبيب الزحلاوي قصيدة رمزية لبشر فارس، ونشر بياناً في مجلة الرسالة بمصر، وفي مجلة الأديب بالشام قال فيه إنه سيدفع خمسة جنيهات مصرية، أو مئة ليرة سورية، لمن يستطيع تفسير القصيدة. وانبرى الأدباء يكتبون المقالات في تفسير القصيدة: فسرّها «صلاح الأسير» و«زكي طليمات» و«عبد الله العلايلي» تفاسير عجيبة في اختلافها.

قرأت القصيدة، ولم أفهم منها شيئاً. هاك بضعة أبيات: (لو كنت ناصعة الجبين/ هيّات تنفضني الزيارة// ما روعةً اللفظ المبين؟/ السحر من وحي العبارة// ظلّ على وهج الحنين/ رسمته معجزة الإشارة// خطّ تساقط كالحزين/ أرخى على العزم انكساره)

كان حبيب الزحلاوي صعلوك أدب. شن حملة هوجاء، في أكثر من كتاب نشره، على كبار الأدباء في زمنه. وأنا أتهيب ذلك. ولا ألسع الرمزية والرمزيين إلا لسعات خفيفة. لا أريد أن أحشر في زمرة التقليديين.. هذا هو خوفي الحقيقي. فأما أن يشتمني الرمزيون فلست أعبا بذلك.

لقد هجم الرمزيون على الشعر العربي في النصف الثاني من القرن العشرين، وأخافوا الناس، فكتب الناس شعراً رمزياً. فرض الرمزيون أنفسهم على الساحة الأدبية، وعلى المجلات الأدبية والملاحق الأدبية، فتبعهم الناس. لكن، لعل هناك أسباباً أخرى للاكتساح الرمزي لاحقاً، ربما نكسة عام ١٩٦٧؟

تراني قاعداً مع أحد هؤلاء الرمزيين قعدة التلميذ المهذب، أسمع وأهمهم، ولا أعترض على شيء. لست صعلوكاً، ولا أنا «تقليدي».

وفي هذا السّفر الخامس والأخير من «الزبدة» لم يكن بد من الارتطام بالرمزية.

لا علاقة لي بحبيب الزحلاوي الذي كان يهاجم الناس «بالهراوة لا بالقلم»، كما قال أحد ناقديه. لكنني، وقد ارتطمت بي الرمزية، لا أملك إلا أن أقول إنها ظاهرة خارجة عما ألف الشعر العربي العمودي المرحوم في حياته الطويلة.

عبد الله البردوني

عند خط المنتصف من حياته الشعرية انعطف البردوني انعطافة حادة باتجاه القصيدة الرمزية. فما كان لنا بد من اقتطاف شيء من هذا، لأننا نأخذ الشاعر كله ونحاول تمثيله للقارئ. على أنني لم أقتبس من مجموع أشعار البردوني (١٧٥٠ صفحة) إلا الأبيات التي فهمتها: كنت أدرس قصائده الرمزية درساً فانتقي من الأبيات ما يمت إلى الشعر «المفهوم».

وقد صنع صنيع الانتقاء هذا شاعر شاب قصدي - وأنا بهذا مفتخر - في عصبه أدبية. فقد حل بي الصديق الموريتاني أحمد فال بصحبة مواطنه اللغوي الأديب إبراهيم الدويري والشاعر اليمني سلطان الكامل. وأسمعنا الكامل من شعره ما أمتع وأدهش، و«انتقى» من شعر ابن بلده عبد الله البردوني ما جعلني أعود إلى ذاكرتي المهشمة مفتشاً فيها عن أثر البردوني في نفسي.

قد كنت أُلِّمت بالبردوني إلمامة سريعة في سنوات خوالي كان الشباب فيها يدخلون في «دين» اليسار أفواجاً. وكان البردوني معدوداً في اليساريين، فكان موضوع حديث. لسعتني رمزية الرجل المغلقة، فلم أمعن في قراءته.

وجاءني زائري اليمني وأنا أصب أسمنت السقف على هذا الكتاب. فقلت في نفسي: لا بد من صنعا.

قرأت الطبعة اليمنية لشعر البردوني.. كل صفحاتها التي اقتربت من الألفين. وانتقيت.

لا، لن ترى ألغازاً فيما سيأتي، فقد اجتهدت في تنحية كل ما لم أفهم. رأيته أعالج شعر البردوني مثلما عالجت قبل أربعين سنة كيلو من العدس البلدي.

كنا طلاباً، وعزمنا على طبخة مجدرة، وهي عدس وأرز. حضر الأرز وغاب العدس. فأتينا دكان أبي أكرم فاشترينا كيلو عدس بلدي، هذا بعد أن شنف أبو أكرم أذاننا بموشح عن مفاتن وفصائل وفوائد العدس البلدي ذي الحبة الصغيرة المكورة. ومضينا به إلى «الكومونة»، وهكذا كنا نسمي دارنا في ذلك الزمن اليساري. لم تكن ندرى ونحن نحمل كيس العدس أنه يرافقنا إلى البيت مئات من المخلوقات الغريبة. وقعدنا لتفكية العدس. . وأخذت هذه المخلوقات تخرج من مكانها في حبات العدس وتتجول. فكان لا بد من فحص كل عدسة على حدة. وطبخنا، وأكلنا. الشباب الجائعون يأكلون الزلط.

وأبيات البردوني مختلفة بعض الاختلاف عن حبات عدسنا. فهي مصابة بأكثر من السوس. فيها تساهل في اللغة وفي الوزن، وفيها حشد من أسماء المدن والأشخاص حاشد، وفيها إيماءات كثيرة إلى التاريخ وإلى الأشعار القديمة، وفيها إيماءات إلى يوميات الحياة المحلية. وفيها تلك الرمزية التي كأن شاعرنا تذرع بها كي يفلت من ضيق النسيج الشعري مثلما يتذرع المجرم بالجنون كي يفلت من الإعدام.

فلماذا نصطحب البردوني؟ الأننا نريد لليمن تمثيلاً في هذه المجموعة. كلاً. ما كنا لنصنع ذلك ويسلم لنا صفاء القلب. قد صخبنا البردوني لنسمع أبياته المعجبة الجميلة. وكنا قلنا مراراً «الشاعر بجيده لا برديته». فماذا لو كان اقتناص جيده يحيل مختاراتنا منه إلى اجتزأت لا تشي بما اجتزئت منه. لا بأس. فنحن في كل مختاراتنا الشعرية نؤم مقصدين: القصيدة والبيت. وهذا بحاجة إلى بعض تفسير.

نختار القصيدة لشاعر جعل قصيدته لوحة فنية متكاملة بديعة، فإن نبا منها بيت أو بيتان أسقطنا القليل كي نرداد القصيدة بهاء، فنحن نعرف أن شاعرنا قد عز عليه تشذيب قصيدته، فنحن نشذبه لها. لكنها تبقى قصيدة. ونختار أيضاً البيت الفرد أو البيتين؛ نأتي إلى القصيدة فنراها باهتة، أو قُل عادية، ثم نلمح بين ركامها بيتاً يطل برأسه. ننعم النظر، فيزيدنا البيت جمالاً كلما زدناه تحديقاً. فنقول له: تعال. ثم قد يتضرع هذا البيت إلينا فيقول: أخي، أخي! فننظر فنجد له أخاً يصلح أن يكون معه، فنأخذه. لعل البيت إنما أراد أن يزداد تألقاً إذ يجلس بجانب أخ له أقل منه جمالاً. لن نقرأ ضمير بيت الشعر. ولكن هدفنا نحن من إلحاق أخيه به أن نتلذذ بالقافية تطرق السمع مرتين؛ وإنك لتنوء

بكيس تحمله بيدك، فإذا حملت كيساً آخر بيدك الأخرى توازنت، ومشيت في الطريق مثل البطة تميل ذات اليمين وذات الشمال.

ننزع من صدر القصيدة ضلعاً ونعرضه وحده، ولا تهمنا نظرية وحدة القصيدة. فما صَحَّ في شعر ورودزورث لا يصح في شعر أحمد شوقي، ولو كره العقاد.

ونحن العرب، نستهلك الشعر بطريقتين: نسمعه مهموساً ونحن في حالة استرخاء، فتلاعب بعواطفنا قصيدة إلياس فرحات البائية وهو يصف حياته الشاقة في البرازيل وصفاً بديعاً، أو نسمعه ينشد إنشاداً ونحن متهيأون متهيجون، فتثير فينا الحماسة قصيدة عمر أبو ريشة الميمية وهو ينمى على العرب الجبن والتهاون. هذه طريقة. والطريقة الثانية التي نستهلك بها الشعر: المحاضرة. نحن نحاضر بالأبيات القليلة. وهذا ما صنعه صاحبي الشاعر سلطان الكامل بشعر ابن بلده البردوني. كان يلقي في تلك الجلسة ما يحضره من أبيات لامعات. يلقي بيتاً من قصيدة وبيتين من قصيدة أخرى. وقد درج العربي على ترقيش كلامه بأبيات ينتقيها. ولئن كنت في كتابتي أكره إيراد الشعر وسط أسطر النثر، لأنني أراه يقطع السياق، فإنني أمتنع كثيراً بالأبيات التي يرصع بها المتكلم كلامه إن كان رزق سلامة الذوق وسعة الحافظة.

فهذا ما اخترته لك من شعر عبد الله البردوني. كلفني وقتاً وجهداً، وخلصته من آفات كثيرات، لا بد أنه بقيت منها بقية. هو شاعر تحضر أبياته المجالس فتزينها. وهو شاعر تحتشد في نفسه المشاعر فتخرج صرخات ملوثة بالآفات التي حدثناك عنها. ولا أجد لشعر البردوني شبيهاً أحسن من صوت مؤذنين لي معهما قصة يومية، بل تتكرر خمس مرات في كل يوم.

قرب بيتي، بضاحية السد في الدوحة، مسجدان. مؤذن أحدهما له صوت جميل، يسحرك. وهو يحمل في يده ساعة. ومؤذن المسجد الآخر له صوت كصفارة إنذار تالفة. وهو لا يحمل في يده ساعة. ولأن المؤذن الأول يحمل ساعة فهو الذي يبدأ برفع الأذان. أسارع فأسكِّت الأغنية، وأفتح النافذة، وأصغي. وما إن ينهي التكبيرة الأولى حتى يفتن المؤذن الثاني - الذي لا يحمل ساعة - إلى أن وقت الصلاة حان، فيرفع عقبرته، ويغطي على صوت المؤذن الأول. وأظل مصغيّاً، وأقترب من النافذة، أريد أن ألتقط فيما بين الحين والحين صوت المؤذن الأول قبل أن يغتاله الثاني. وفي المحصلة فلئن

لا أسمع من المؤذن ذي الصوت الساحر سوى ثوان معدودة، لكنها تفرحني جداً. لم يصل بي الأمر إلى أن أسجل على شريط أذان المؤذنين، ثم أقطع الثواني القليلة التي ينفرد فيها الصوت الجميل وأصنع منها تسجيلاً قصيراً ينفرد فيه صاحبي وأسمعه وحده.

لكنني فعلت هذا بالبردوني.

البردوني شاعر. وهو مختلف. و«المختلف» متضمنة في «الشاعر»، فليس شاعراً من لا يكون مختلفاً. ولئن قال لنا مخفر الشرطة إن بصمة كل شخص مختلفة عن بصمة الآخر، فإننا في استقراء النفوس نرى البشر متشابهين. . . عدا واحداً في الألف يملك الفردة، وأما الـ ٩٩٩ فهم ينظرون إلى ذلك المتفرد نظرة إعجاب أو تعجب. وقد يكون هذا الواحد من بين الألف مجنوناً أو عالماً أو كاتباً أو شاعراً. والبردوني كان واحداً من الألف، ولم يكن مجنوناً ولا عالماً. قالوا كان كاتباً، ولم أقرأ له من النشر إلا ما جاء في مقدمات قصائده المتأخرة. فأما أنه كان شاعراً، فقد كان. وقد تثقف بالمطالعة، وعرف الشعر العربي القديم وحوادث التاريخ العربي واليميني على وجه الخصوص، وتغلغل في روح القرية اليمنية المختبئة بين الجبال. . . نحن لا نراها على الخريطة بسبب الجبال، ولا نراها حاضرة في حياتنا العربية لأن الجبال صددتنا عنها. وصدع البردوني رؤوسنا بتفاصيل حياة القرية اليمنية وبأسماء الناس والأماكن. وعرف البردوني سارتر وغيفارا من مطالعته، وسمع إذاعة لندن وكان يتابع ما يجري في العالم، فأما ما يجري في بلده فكان منغمساً فيه. وعندما كان في الأربعين من عمره أخذ يرتاد المهرجانات الثقافية في بلاد العرب الأخرى، وأخذ يحثك بالمتقنين، وشاهد الأزياء الثقافية فتزياً بها، فصدع رؤوسنا مرة أخرى برمزيتة.

تسمع في شعر البردوني كلمة الجدران تتردد كاللازمة في كل قصيدة، هذه جدران العمى وجدران الجبال اليمنية التي منعت اليمن أن يتصل بالآخر وأن يتصل بعضه ببعضه، وإن لم تمنع الجدري والسل.

حياة البردوني

ولد في البرَدُون على ثلاثين كيلومتراً شمال دَمار باليمن الشمالي. وأصابه الجدري فيما بين الخامسة والسادسة من عمره فكف بصره، وبدأ يتعلم في البردون مع نهاية سنته السابعة. تعلم ستين، ثم انتقل إلى قرية «المحلة» لترعاه

أخته من أمه، المتزوجة هناك «ظبية»، وتعلم هناك بضعة أشهر. ثم انتقل إلى دمار حيث تعلم في مدرستين: ابتدائية وعلمية. وكانت مدة إقامته في دمار عشر سنين.

قال الشعر في نحو الثالثة عشرة، وهجا الناس فأوجعوه. كان متمرداً تمرّد أولاد القرى، وتمرد الفقراء من أولاد القرى، فكانت فيه صعلكة نجا منها طه حسين مثلاً، رغم أنه لم يكن أقل تمرداً.

وغمس البردوني لسانه في السياسة فأيد «الثورة الدستورية»، ١٩٤٨، التي قتل في أحداثها الإمام يحيى. وسرعان ما سقطت الثورة وأمسك الإمام أحمد بن يحيى بزمام الأمر، فكان أن سجن البردوني تسعة أشهر، انتهى بعدها حراً في صنعاء «بأعجوبة تاريخية»، كما قال، ولعل هذه الأعجوبة إنما كانت - كما روى غيره - أن قصيدة له وصلت يد الإمام أحمد فقرأها فأمر بنقل الشاعر إلى صنعاء سجيناً ثم طليقاً. وفي صنعاء «تبت» الشاب ذا العشرين دار العلوم، وكان مبرزاً، ونال شهادة «الغاية». وأصبح أستاذاً في الدار نفسها.

ظل شاعراً. قال في الإمام أحمد أشعاراً فيها بعض تمرده وفيها قدر من التقية السياسية، وكان الإمام أحمد صاحب شعر. ولكن البردوني كان جمهورياً في أعماقه. فتنفس بعد وفاة الإمام أحمد، ١٩٦٢. وظل يتنفس هواء قليل الأكسجين بضع سنين بينما كان الإمام البدر بن أحمد يخوض حرباً أهلية يدعمه فيها الإنجليز والسعودية مع الجمهوريين المدعومين مصرياً.

تحسنت أوضاع البردوني المعيشية بعد أن جاوز الثلاثين، فعمل في وظائف الحكومة. ولكنه لم يسكت عن الجمهوريين وما طبع حكوماتهم من فساد. ونال شاعرنا حصانة من شهرته، فقد راح يشارك في المهرجانات العربية، وانتشر شعره وذكّره عربياً بعض انتشار. وظل مثقفو اليمن يرددون أبياته القديمة الرنانة، وما تيسر من أبيات رنانة «مفهومة» تخللت قصائده في مرحلته السريالية المتأخرة.

الذي وصف شعره المتأخر بالسريالية صديقه الشاعر عبد العزيز المقالح الذي رأى شاعرنا ينتقل من الكلاسيكية إلى الرومنتيكية إلى الكلاسيكية الجديدة إلى السريالية. ولا تحاول أن تعترض على درجات المقالح ولا على مصطلحاته، فهو سيويحك لأنك «تقبل استيراد غلب الصلصة والفاصوليا وترفض قبول مصطلحات نقدية يستعملها كل الناس في العالم». لا نعترض.

لا، بل نوافق المقالـح على مصطلـح آخـر وسم به البردونى وهو أن شعره يصل إلى «اللامعقول» فى رمزيتـه .

توفى عبد الله البردونى فى سنة ١٩٩٩ .

سترانى فى الصفحات المقبلة قد سوّدت عشرات الأبيات، كأننى أهيب بك أن أضغ إلى هذه الروائع . وإنها لروائع . لا تأبه أيها القارئ بكل ما أسمعـتـك من نقد فى الفقرات الماضية . . الشاعر فى ديوانه غير الشاعر فى ديوانى . . بعد أن غربلته لك .

١ يا أمي اليمن

يا أُمِّي اليَمَنَ الخَضْرَا وفَاتِنَتِي مِنْكَ الْفُتُونُ، وَمِنِّي الْعِشْقُ وَالسَّهَرُ
ها أَنْتِ فى كُلِّ ذَرَاتِي وَمِلءَ دَمِي شِعْرٌ تُعَنِّقُهُ الذُّكْرَى وَتَعْتَصِرُ

تعنقه: تجعله عناقيد

وَأَنْتِ فى حِضْنِ هَذَا الشَّعْرِ فَاتِنَةٌ تُطِلُّ مِنْهُ، وَحِينَما فِيهِ تَسْتَتِرُ

٢ لا حظَّ لي فى جهنم

لَيْتَ شِعْرِي ما لِي إِذا رُمْتُ شَيْئاً حَالٌ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الْفَقْرُ وَالْيُثْمُ
لَمْ أَجِدْ ما أُرِيدُ حَتَّى الْخَطَايَا، أَحْرَامٌ عَلَيَّ حَتَّى جَهَنَّمَ

٣ كُلُّ ومشكلته

الْعَمْرُ مُشْكِلَةٌ وَنَحْنُ نَزِيدُها بِالْحَلِّ إِشْكَالاً إِلَى إِشْكَالٍ
لَا حُرَّ فى الدُّنْيَا؛ فَذُو السُّلْطَانِ فى دُنْيَاهُ عَبْدُ الْمَجْدِ وَالْأَشْغَالِ
وَالْكَادِحُ الْمَحْرُومُ عَبْدُ حَنْزِيهِ فِيها، وَرَبُّ الْمَالِ عَبْدُ الْمَالِ

حنيته: ربما يقصد شوقه إلى تحسن الحال

وَالْفَارِغُ الْمِكْسَالُ عَبْدٌ فَرَاغِهِ . وَالسَّفَرُ عَبْدُ الْحِلِّ وَالتَّرْحَالِ

السفر: المسافرين

وَاللَّصُّ عَبْدُ اللَّيْلِ، وَالذَّجَّالُ فى دُنْيَاهُ عَبْدٌ نِفَاقِهِ الدَّجَّالِ

الدجال عبد نفاقه الذي هو دجال مثله

لَا حُرَّ فِي الدُّنْيَا وَلَا حُرِّيَّةٌ إِنَّ التَّحَرُّرَ خُذَعَةُ الْأَقْوَالِ
النَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَبِيدُ حَيَاتِهِمْ أَبَدًا عَبِيدُ الْمَوْتِ وَالْآجَالِ

٤ العقد المِمرَّاح

كَيْفَ أَنْسَاهُ هَلْ تَنَاسَيْهِ يُجَدِّي وَهُوَ وَالذِّكْرِيَّاتُ وَالشُّوقُ عِنْدِي
الفتاة تناجي نفسها

وَهُوَ أَذْنَى مِنْ الْأَمَانِي إِلَى الْقَلْبِ بَ، وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ أَلْفُ بُغْدٍ
وَأَشْنِهَاءُ الْعِنَاقِ يَحْلُمُ فِي جِبِ مَدِي بِأَنْفَاسِهِ فَيَمْرَحُ عِقْدِي
التوق للعناق يحلم في عتقي بأنفاس الحبيب فيتحرك عقدي بمرح

عِنْدَمَا يَنْهِيْطُ الظَّلَامُ أَرَاهُ مَاثِلًا فِي تَصَوُّرَاتِي وَسُهْدِي
أَوْ إِنِّي إِخَالُ زَنْدِيهِ فِي قَدِّ ي تَشْدَانِي فَبِخْنَالٍ قَدِّي
ثُمَّ أَصْنِي إِلَى الْفِرَاشِ فَلَا أَسْ مَعُ إِلَّا حَدِيثَ نَهْدٍ لِنَهْدٍ

٥ فرعنوه ففرعن

لَا تَلُمُ قَادَتَنَا إِنْ ظَلَمُوا وَلَمْ الشَّعْبَ الَّذِي أَعْطَى الزُّمَامَا
كَيْفَ يَرَعَى الْعَنَمَ الذُّئْبُ الَّذِي يَنْهَشُ اللَّحْمَ، وَيَمْتَصُّ الْعِظَامَا
قَدْ يَعِفُّ الظَّالِمُ الْجَلَّادُ لَوْ لَمْ تُقْلِدُهُ ضَحَايَاهُ الْحُسَامَا
نَأْكُلُ الْجُوعَ وَنَسْتَسْقِي الظَّمَا وَنُنَادِي بِحَفَظِ اللَّهِ الْإِمَامَا
نأكل الجوع؟ إذن فالإغراق في الرمزية قديم عند البردوني، في زمن الإمامة

٦ بهجة الصباح

وَتَرَأَى الصَّبَاحُ يَخْتَضِنُ السُّحْرَ رَ كَمَا تَخْضُنُ الْكُؤُوسُ الْعُقَارَا
العُقَار: الخمر؛ العقار: المبنى؛ العُقَار: الدواء

وَبَنَاتُ الشَّدَى تُحَيِّي شُرُوقًا شَاعِرِيًّا يُعَنْقِدُ الْأَفْكَارَا
بنات الشدى: بنات العطر أي الأزهار، وهي تحيي الشروق الشعري الذي يعتقد الأفكار وينضجها
وَالصَّبَا تُرْعِشُ الزُّهُورَ فَتُومِي كَالْمَنَادِيلِ فِي أَكْفِ الْعَذَارَى

٧ الجريح

لا تَسْلُ عَنْ أُنَيْنِهِ وَسُهَادِهِ إِنَّ فِي جُرْحِهِ جِرَاحَاتٍ شَعْبٍ
 إِنَّ فِي جُرْحِهِ جِرَاحَاتٍ شَعْبٍ رَاكِدِ الْجِسِّ حَيْثُ كَجَمَادِهِ
 لا تَلُمُّهُ إِذَا شَكَا، إِنَّ شَكْوَا هُ وَأَنَاتُهُ دُخَانُ اتَّقَادِهِ
 كُلَّمَا قَالَ أَوْ صَعَّدَ الْأَنفَ فَاسَ شَاهَدَتْ قِطْعَةً مِنْ فُؤَادِهِ

٨ احتضار طفل

يرثي ولداً لعبد العزيز المقالح:

كَيْفَ انْتَهَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْتَدِيَ هَلْ تَنْطَفِي الرُّوحَ وَلَمْ تُوقِدِ
 حَبَا مِنْ الْمَهْدِ إِلَى لَحْدِهِ لَمْ يَشُقَّ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَسْعِدِ
 يَا مَنْ رَأَى الطِّفْلَ يُعَانِي الرَّدَى وَيَرْقُعُ الْكَفَّ كَمَنْ يَجْتَدِي
 يجتدي: يتوسل

يَهْوَى أَبَوْهُ لَوْ يَذُودُ الرَّدَى عَنْهُ، وَتَهْوَى الْأُمُّ لَوْ تَفْتَدِي
 يَا مَنْ شَهِدَتْ الطِّفْلَ فِي مَوْتِهِ أَلَمْ تَمُتْ مِنْ رَوْعَةِ الْمَشْهَدِ؟

٩ المتحدر

لَفْظَ الرُّوحِ فَاطْمَأَنَّتْ ضُلُوعُهُ وَانْطَفَأَ شَوْقُهُ، وَنَامَ وَلُوعُهُ
 أَوْمَاتٌ كَفُّهُ إِلَى خِنْجَرِ الْمَوْتِ، وَأَوْمَاتٌ إِلَى الْحَيَاةِ نُزُوعُهُ
 مد كفه إلى الخنجر ولكن نزوعه، ميله، أشار إلى الحياة. . هو متردد أبتحر أم يكمل حياته
 لَيْسَ يَدْرِي أَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَحْلَى سَعِيهِ نَحْوَ حَتْفِهِ أَمْ رُجُوعُهُ؟
 وَتَرَاحَتْ عَلَى الْفِرَاشِ يَدَاهُ ثُمَّ أَغْفَى وَفِي يَدَيْهِ نَجِيعُهُ
 نجيعه: دمه

حِينَ لَمْ يَسْتَطِيعَ بُلُوعُ مَنَاهُ مَاتَ، وَالْمَوْتُ كُلُّ مَا يَسْتَطِيعُهُ
 إِنَّمَا الْقَبْرُ مَضْجَعٌ يَسْتَوِي الْعَا لَمْ فِيهِ رَفِيعُهُ وَوَضِيعُهُ
 يَا لِظُلْمِ الْحَيَاةِ مَا أَغْدَلَ الْقَبْرِ رَ، تَسَاوَى فِيهِ الْوُجُودُ جَمِيعُهُ
 وَانْتَحَارَ الْمَضْيِجُ أَخْصَرُ لِلضُّيُ سَمٍ وَأَجْدَى مِنْ أَنْ يَطُولَ خُضُوعُهُ

مَزَّقَ الْعُمَرَ حِينَ ضَيَّعَهُ الْعُمُ - رُ، وَحُمُقَ حِفْظَ الْفَتَى مِنْ يُضْيِعُهُ

١٠ ذكرى أبي نواس

ينتقد حملة في عهد الإمام ضد باعة الخمر وشاربيها:

نحن نُبْدي عيوبنا حين نرْمِي بِالخَطَايَا فُلَانَةً وفُلَانَا
نحن لو لم نُكُنْ أَصُولَ الخَطَايَا مَا رَأَيْنَا ظِلَالَهَا فِي سِوَانَا
كَمْ سَأَلْنَا التَّفْتِيشَ عَنْ جِيفَةِ الإِنْسَانِ، وَسِرْنَا وَالْإِثْمُ يَخْدُو خُطَانَا
نطلب الكشف عن آثام البشر، وكلنا آثام

وَهَتَكُنَا مَخَابِيئَ الإِثْمِ فِي الْحَيِّ - وَعُذْنَا نَفْتِشُ الْأَكْفَانَا
لَا تَنَمَّ يَا أَبَا نُوَاسٍ، أَمَا كُنْتَ أَثِيمًا فِي لَهْوِهِ يَتَفَانِي؟
يتفانى: يفني نفسه

وَهَتَكُنَا عَنْكَ السُّتَارَ كَأَنَّ لَمْ يَخْطِرِ الإِثْمُ بَيْنَنَا عُرْيَانَا
إِنْ تُمْتُ هَيْكَلًا فَقَدْ عِشْتُ أَفْكَ رَأَى، وَأَوْرَقْتُ فِي الشَّفَاهِ بَيَانَا
أَيِّنْ مِنْكَ الرَّدَى؟ وَأَقْوَى مِنَ الْأَحْيَاءِ مَيِّتٌ يُسَهِّدُ الْأَذْهَانَا
لَوْ وَجَدْتَ الرَّحِيقَ مَا دُبَّتْ شَجْوَا وَتَحَرَّقْتُ فِي الْمُنَى أَشْجَانَا
لو وجدت الرحيق، أي الخمر، لما دبت حزناً وتمنيها

شاعرُ الحُبِّ حين يَهْجُرُهُ المحب - بوبُ يَفْتَنُ فِي الْحَنِينِ افْتِنَانَا
ففاقد الخمر يعشقها، مثل فاقد الحبيب الذي يتفنى في وصف غرامه

بِدَعَةِ الدُّلِّ أَنْ تَحِنَّ وَتَبْكِي وَتُغْنِي الرَّشِيدَ وَالْخَيْرِزَانَا
من التفتن في الدل أن تغني للرشيده.. وللخيرزان أمه أيضاً.. ولم يكن أبو نواس يشد
الخيزران شعره.. ولكنها وقعت في طريق القافية.. و«بدعة الدل» عبارة قالها قبل حين (عام
١٩٥٠) بدوي الجبل، وانظر القصيدة رقم ٦ في باب «بدوي الجبل» من هذا الكتاب

مَلِكٌ يَرْضَعُ الدُّنَانُ كَمَا يَهْوَى، وَأَنْتَ الَّذِي تُغْنِي الدُّنَانَا
وَالْأَمِينُ النَّدِيمُ يَمْنَعُكَ الْخَمْرَ رَ وَحُسُو، وَتَنْحَنِي ظَمَانَا

الأمين: ابن هارون الرشيد وخلفه. وكان الرشيد والأمين بعده قد منعوا أبا نواس شرب الخمر في
المجالس. وقال في ذلك القصائد، وذكرنا منها جانباً في باب عقدها لأبي نواس في كتابنا «تجدد
الشعر» من هذه السلسلة

وَهُوَ فِي الْقَصْرِ يَحْتَسِي عَرَقَ الشَّعْرِ ب، وَيُرَوِّي الْقِيَانَ وَالْغِلْمَانَا
يَدْعِي عِصْمَةَ الْمَلَائِكَةِ الطُّهْرِ ر، وَيَأْتِي مَا يُخْجِلُ الشَّيْطَانَا
الطهر: الطاهرون

١١ زيارة ذات غرض

وَقَالَتْ: مَنْ الْآتِي؟ فَأَرْعَدَ قَلْبُهُ وَأُخْجِلَ عَيْنِيهِ الْغَرَامُ الْمُفَاجِئُ
قَرَعَ بَابَ الْحَيِّيةِ، وَجَاءَهُ صَوْتُهَا فَارْتَجَفَ لَهَا سَيْلَاقِي مِنْ غَرَامٍ مُفَاجِئٍ.. وَمَا نَرَاهُ إِلَّا زَيْبُونَ مَبْنِي

وَرَقَّتْ لَهُ مِنْ كُلِّ مَرَأَى صَبَابَةٌ وَضَجَّ حَنِينٌ بَيْنَ جَنْبَيْهِ ظَامِيٌّ
وَقَالَ: فَتَى تَاهَتْ سَفِينَةُ عُمْرِهِ وَغَابَتْ وَرَاءَ الْبَاسِ عَنْهُ الْمَرَاثِيُّ
وَلَقَّهُمَا ظِلُّ السَّكِينَةِ، وَالْهَوَى يُعَانِدُ أَحْيَانًا وَحِينًا يُمَالِيُّ
الغرام يعانده حيناً وحيناً يمائله، أي يوافقه

فَحَدَقَ يَسْتَقْصِي مَفَاتِنَ جِسْمِهَا كَمَا يَتَقَصَّى أَحْرُفَ السَّطْرِ قَارِيٌّ
وَضَمَّتْهُمَا فِي زَحْمَةِ الْحَبِّ نَشْوَةٌ وَهَوَمٌ فِي حِضْنِ الْخَطِيبَةِ خَاطِيٌّ
فَتَاةٌ يَمُوجُ الْحُسْنُ فِيهَا، وَتَرْتَمِي عَلَيْهَا الصَّبَابَاتُ الْجِيَاعُ الظَّوَامِيُّ
جَمَالٌ وَإِغْرَاءٌ وَرُوحٌ نَدِيَّةٌ وَجِسْمٌ بِأَحْضَانِ الْغَوَايَةِ دَافِيٌّ

١٢ إنارة النجوم

فِي سَبِيلِ الْفَجْرِ مَا لَاقَيْتُ، فِي رِحْلَةِ السَّيِّهِ وَمَا سَوْفَ أَلَاقِي
سَوْفَ يَفْنَى كُلُّ قَيْدٍ وَقُوَى كُلُّ سَفَاحٍ، وَعِظْرُ الْجُرْحِ بَاقِي
سَوْفَ تَهْدِي نَارُ جُرْحِي إِخْوَتِي وَأَعِيرُ الْأَنْجَمَ الْوَسْنَى اخْتِرَاقِي
الأنجم الوسنى: الناعسة التي خَفَّتْ ضَوْؤُهَا

١٣ عبد الناصر

كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٢:

يَا لُصُوصَ الْعُرُوشِ عِيبُوا جَمَالَا وَاخْجَلُّوا أَنْكُمْ قَصْرْتُمْ وَطَالَا
جمال، هو عبد الناصر، ولصوص العروش الملوك الذين كانوا يناصرون عبد الناصر العداء في تلك الحقبة. وكان يعاديه الملك فيصل بن عبد العزيز الذي أخذ الملك عنوة

لَا تَضَيِّقُوا فَإِنَّ لِلشَّرَفِ الْعَا لِي رِجَالاً وَلِلدَّنَايَا رِجَالاً
 وقال بدوي الجبل قبل البردوني: خلق الله للعظام والمجد رجلاً وللصغار رجلاً
 لَا تَضَيِّقُوا إِنَّ الْعُرُوبَةَ تَدْرِي مَنْ جَمَالٌ وَتَعْرِفُ السَّلَالَ
 السلال: عبد الله السلال رئيس الجمهورية اليمنية بعد الإطاحة بحكم الإمام

١٤ رؤوس وعمائم

كانون الثاني/يناير ١٩٦٣، بعد أربعة أشهر من الثورة اليمنية، وألقاها في الإذاعة:
 كَيْفَ كُنَّا نَدْعُوهُ مَوْلَى مُطَاعاً وَهُوَ لِلْإِنْجِلِيزِ أَطْوَعُ خَادِمٌ
 يتحدث عن الإمام أحمد، وخلع عام ١٩٦٢

هَدَّنَا الضَّعْفُ فَادْعَى قُوَّةَ الْجِنِّ - وَبِأَسْرِ الرَّدَى وَفَنَكَ الضَّرَاغِمُ
 وَيُوَلِّي عَلَى الْوِزَارَاتِ وَالْحُكْمِ - سِمَ رِجَالاً كَالْعَانِسَاتِ النَّوَاقِمُ
 العانسات الناقمات ذوات النكد

وَلِصُوصاً، كَأَنَّهُمْ قَوْمٌ يَأْجُو جَ، صِغَارَ النَّهْيِ كِبَارَ الْعَمَائِمِ
 وفي القرآن: «قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض»، النهى: العقول
 يَحْكُمُونَ الْجُمُوعَ وَالْعَدْلُ يَبْكِي وَالْمَاسِي تُدْمِي سُقُوفَ الْمَحَاكِمِ
 فَاَنْطَلِقْ حَيْثُ شِئْتَ يَا فَجْرُ إِنَّا قَدْ فَرَشْنَا لَكَ الدُّرُوبَ جَمَاجِمِ

١٥ الوحل الآدمي

كُنْتُ أَمَشِي فَتَفَرِّشُونَ طَرِيقِي نَظَرَاتٍ مُسْتَجِدِّيَاتٍ كَسِيرَةً
 هكذا العناق للفناة وهي في نضارتها

تَتَنَاجُونَ بَيْنَكُمْ: أَتُرَاهَا بِنْتُ كِسْرَى أَمْ شَهْرَزَادَ الصَّغِيرَةِ
 لَيْتَنِي مُسْطَهَا فَأَشْتَمَ مِنْهَا شَعْرَهَا، أَوْ أَكُونَ فِيهِ صَفِيرَةٍ
 كذا يقول العاشق

هَكَذَا كُنْتُمْ أَمَامِي وَخَلْفِي غَزْلاً مُغْرِيّاً، وَكُنْتُ غَرِيرَةً
 غريرة: جاهلة غشيمة

وَلِأَنِّي أَنْشَى وَأُمِّي عَجُورٌ مَاتَ عَنْهَا أَبِي، سَقَطْتُ أَجِيرَةً

لَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ انْتَهَى؟ مَاتَ يَوْمًا وَرَمَى عِبْنَهُ عَلَيْنَا وَنِيرَهُ

نيره: حملة الثقل، والنير الخشبة توضع على رقبة الثور ليجر سكة المحراث

فَتَبَنَّى الصَّيَّاعُ طِفْلاً كَسِيحاً وَأَنَا، وَالْأَسَى وَأَمَّا فَقِيرَهُ

فَسَهَرْنَا نَشْقَى وَنَسْتَرْجِعُ الْأَمَّ سَ وَنَبْكِي أَبِي، وَنَرْوِيهِ سِيرَهُ

وَمَلَأْنُمُ يَدِي وَأَشَعَلْتُمُونِي شَمْعَةً فِي دُجَى الْخَطَايَا الضَّرِيرَهُ

أعطيتموني المال، وأحرقتموني في ظلام الخطيئة العمياء

وَلَهَوْنَا حِينًا، وَأَشْتَى رَبِيعِي فَتَعَرَّيْتُ أَرْتَدِي زَمْهَرِيرَهُ

ثم ذهب شبابي وصار ربيعي شتاء.. فما ارتديت على عربي سوى البرد القارس

وَزَعَمْتُمْ بِأَنَّنِي كُنْتُ وَخْلاً أَدَمِيًّا، أَمَا شَرِبْتُمْ عَصِيرَهُ؟

حَقَّرُونِي يَا دُودُ، لَوْ لَمْ تَكُونُوا حُقَرَاءَ مَا كُنْتُ يَوْمًا حَقِيرَهُ

صَدَّقُونِي إِنْ قُلْتُ فِي دُورِكُمْ مِثْ لِي، فَلَسْتُ الْأُولَى وَلَسْتُ الْأَخِيرَهُ

١٦ الوضع صعب

سَوْفَ أَبْكِي وَلَنْ يُغَيِّرَ دَمْعِي أَيَّ شَيْءٍ مِنْ وَضْعٍ غَيْرِي وَوَضْعِي

١٧ شقيقة زوجته

صَحِجْتُ لَهُ يَوْمَ الْخَمِي سِ وَصَحَّكَةُ الْأَنْثَى عِلَامَةً

وَأَحَسَّهَا لَمَحَتْ هَوَا هُ بِعَيْنِ زَرْقَاءِ الْيَمَامَةِ

أَيَّامَ وَغَكَّةِ أُخْهِهَا جَاءَتْ وَطَوَّلَتِ الْإِقَامَةَ

وَدَنْتُ كَأَجْنَى كَرَمَةٍ تَلْهُو بِنَهْدِيهَا أَمَامَهُ

دنت منه أخت زوجته، كدالية عنب فضجت عناقيدها واقترب جناها وقطافها، وكانت - والعياذ بالله - تلهو بذيئك اللذين ليس له مثلها

وَأَرَادَ، فَاسْتَحْيَا، عَلِي شَفَتَيْهِ مَشْرُوعُ ابْتِسَامَةٍ

١٨ شمس صنعاء

نموز/ يوليو ١٩٧٠:

صَنْعَاءُ يَا أُخْتَ الْقُبُورِ ثُورِي، فَإِنَّكَ لَمْ تَثُورِي

حَاوَلْتُ أَنْ تَتَقَيَّئَنِي فِي لَيْلَةٍ عَفَرَ الْعُصُورِ
فَتَسَاقَطَتْ شُرُفَاتُكَ النَّـ غَسَى كَأَغْشَاشِ الطَّيُورِ
تَتَنَهَّيْدِينَ بِلاَ أَسَى أَوْ تَضْحَكِينَ بِلاَ سُرُورِ
مَا زَالِ يَخْذُلُكَ الزَّمَا نُ فَتَبْزُغِينَ لِكَيِّ تَغُورِ
ظَلَّ الزَّمَانُ يَتَأَخَّرُ عَنْ نَجْدَتِكَ فَأَنْتِ كَتَمْتِ تَشْرِقُ وَسُرْعَانِ مَا تَغُورُ، أَيُّ تَغْرُبُ وَتَسْقُطُ وَرَاءَ الْأَفُقِ
يَا شَمْسَ صَنْعَاءَ الْكَسُورِ لَ أَمَا بَدَا لَكَ أَنْ تَدُورِي؟

١٩ رتابة

شباط/فبراير ١٩٧٣ :

مِثْلَمَا تَعَصِرُ نَهْدَيْهَا السَّحَابَةُ تُمَطِّرُ الْجُدْرَانُ صَمْنًا وَكَبَابَةً
يَسْقُطُ الظِّلُّ عَلَى الظِّلِّ كَمَا تَرْتَمِي فَوْقَ السَّمَاءِ الدُّبَابَةُ
تَسْأَلُ الْأَشْجَارُ تَحْسُو ظِلَّهَا تَجْمُدُ السَّاعَاتُ مِنْ بَرْدِ الرَّتَابَةِ

٢٠ بعيد ووحيد

: ١٩٧١

لَمَّا وَجِذْتُ الْقُرْبَ مِنْ لِكَ أَمَرٍّ مِنْ سَهَرِ الْفِرَاقِ
مِنْ غَيْرِ تَوَدِّيعِ ذَهَبِ تْ كَمَا أَتَيْتُ بِلاَ اتِّفَاقِ
كَانَ اللَّقَاءُ بِلاَ وُجُو هِ وَالْفِرَاقُ بِلاَ مَآقِ
لَكِنْ لِمَاذَا تَسْأَلِي نَ بِمَنْ أَهِيْمُ وَمَنْ أَلَاقِي
فَلَسْتُ رِيحِي، إِنَّنِي وَحْدِي، وَأَخْزَانِي رِفَاقِي

٢١ سَأَسْأَلُكَ

لَمْ أَكُنْ شَهْرِيَّارَ لَكِنْ تَمَادَتْ عِشْرَةٌ صَوَّرْتُكَ لِي شَهْرَ زَادَا
كَانَ حُبِّي لَكَ اغْتِيَادًا وَإِلْفًا وَسَأَسْأَلُكَ إِلْفَةً وَاغْتِيَادَا

٢٢ يا أَسْمَنْتِ !

: ١٩٧٢

هَذِي الْعِمَارَاتُ الْعَوَالِي ضَيَّعْنَ تَجْوَالِي .. مَجَالِي

هذه البنايات العالية جعلتني أضلَّ طريقِي وأفقد مجال الحركة الذي تعودت عليه

أَذْنُو وَلَا يَغْرِفَنِّي، أَبْكِي وَلَا يَسْأَلَن: مَالِي؟
كَأَنْتَ لِعَمِّي هَهُنَا دَارٌ تُحِيطُ بِهَا الدَّوَالِي
الدوالي: شجيرات العنب

فَعَدَّتْ عَمَارَةَ تَاجِرٍ هِنْدِي أَبْوُهُ بُرْتُغَالِي
مِنْ أَيْنَ يَا أَسْمَنْتُ أَمَ شَيْ ضَاعَتْ الدُّنْيَا حِيَالِي
أُمِّي! أَتَلْقَيْنَ الْغُزَاةَ بِوَجْهِهِ مِضْيَافٍ مِثَالِي؟
يدعو اليمن إلى عدم التعاون مع القوى المعادية

لَمْ لَا تُعَادِيَنَّ الْعِدَى؟ مَنْ لَا يُعَادِي لَا يُوَالِي

٢٣ بتنا معاً

قصيدة قديمة (١٩٤٧) نشرها بعد موت من قبلت فيه:

أَغْلَقْتُ بَابَ الْبَيْتِ وَالدَّرْسِ فِي وَجْهِ، سَأَلَقَى الدَّرْسَ وَالْمَوْضِعَا
طرده المعلم من المدرسة ومن بيت الطلبة لعلاقة غرامية، ويتحداه الشاعر بأنه سيجد مكاناً ودروساً
يَا (لُطْفُ) مَهْمَا لُمْتَنِي لَمْ أَدْعُ هَذَا السُّلُوكَ الشَّائِنَ الْمُمْتَعَا
يصف سلوكه بالشائن... لكن الممتع... ولا يريد التخلي عنه

وَلْتَمْنَعِ التَّعْلِيمَ عَنِّي كَمَا تَهْوَى، فَخِيرٌ مِنْكَ لَنْ يَمْنَعَا
أَبْصَرْتَنِي مِنْ بَيْتِهَا خَارِجاً كَالْكَلْبِ، أَمْشِي وَاجِفاً مُسْرِعَا
واجف: مضطرب

فَلَا غَتْرِفُ، لَا نَاوِيَا تَوْبَةً: إِنِّي وَمَنْ سَمَّيْتَ بِتَنَا مَعَا
أعترف، وأنا لا أنوي التوبة: لقد بت معها

٢٤ تعريف اليمني

تموز/ يوليو ١٩٧٠:

مُوَاطِنٌ بِلَا وَطَنَ لِأَنَّهُ مِنَ الْيَمَنِ
تُبَاعُ أَرْضُ شَعْبِهِ وَتُشْتَرَى بِلَا ثَمَنِ

٢٥ صنعاء والعاشقان

: ١٩٧١

ماذا أَحَدْتُ عَنْ صَنْعَاءَ يَا أَبْنِي، مَلِيحَةً عَائِقَهَا السُّلُّ وَالْجَرَبُ

مَا تَتْ بِصُنْدُوقِ «وَضَّاحٍ» بِلا سَبَبٍ وَلَمْ يَمُتْ فِي حَشَاها الْعَشْقُ وَالطَّرَبُ

يشير إلى قصة الشاعر «وضاح اليمن» الذي كان يُشدد أُمّ البنين زوجة الخليفة الوليد بن عبد الملك شعره في خيمة لها، وداهم الخليفة الخيمة فاخْتِباً وضاح في صندوق ثياب، فأمر الخليفة بالصندوق فدفن دون أي يفتح، وكان ذلك آخر العهد بوضاح اليمن

٢٦ بصراحة

هل تَغْفِرِينَ لَوِائِنِي أَبْدِي الَّذِي قَدْ كُنْتُ أَخْفِي؟

مَا كَانَ جَبَّاراً هَـوَ لِي، وَإِنَّمَا قَوَّاهُ ضَعْفِي

٢٧ أسود هنا نِعَاجُ هُناكَ

تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٣ :

غُرَاةُ الْيَوْمِ كَالطَّاعِوِ نِ يَخْفَى وَهُوَ يَسْتَشْرِي

فَطَبِيعُ جَهْلٍ مَا يَجْرِي وَأَنْظَعُ مِنْهُ أَنْ تَدْرِي

* * *

بِمَانِيُونَ فِي الْمَنْقَى وَمَنْفِيُونَ فِي الْبِمَنِ

وَمِنْ مُسْتَمِيرٍ غَايَ إِلَى مُسْتَمِيرٍ وَطَنِي

* * *

أَمِيرَ النَّفْطِ! نَحْنُ يَدَا لَكَ، نَحْنُ أَحَدُ أَنْبَايَكَ

وَمَسْؤُولُونَ فِي صَنْعَا وَفَرَّاشُونَ فِي بَابِكَ

٢٨ قلبي دواتي

يَا رِفَاقِي إِنْ أَحْزَنْتُ أَغْنِيَانِي فَالْمَاسِي حَيَاتُكُمْ وَحَيَاتِي

إِنْ هَمَّتْ أَحْرُفِي دَمًا فَلِأَنِّي يَمْنِي الْمِدَادُ، قَلْبِي دَوَاتِي

همت: نزلت كالدمع، المدار: الحبر، الدواة: المِحْبرَة

٢٩ المتلفت

أيلول/سبتمبر ١٩٧٤ :

عَرَفْتُهُ يَمَنِياً فِي تَلَفُّتِهِ خَوْفٌ، وَعَيْنَاهُ تَارِيخٌ مِنَ الرَّمْدِ

مِنْ خُضْرَةِ الْقَاتِ فِي عَيْنَيْهِ أَسِئَلَةٌ صُفْرُ تَبْوَحٍ كَعُودٍ نِصْفٍ مُتَّقِدٍ

هذه «النصف متقد» مأخوذة من بشارة الخوري في قصيدة المسلول، انظر القطعة ٥ في الباب الأول من هذا الكتاب

رَأَيْتُ فَبِكَ بِلَادِي كُلُّهَا اجْتَمَعَتْ كَيْفَ التَّقَى التَّسْعَةُ الْمَلِيونُ فِي جَسَدٍ

فَوُجٌّ يَمُوتُ وَنَنْسَاهُ بِأَرْبَعَةٍ فَلَمْ يَعْذُ أَحَدٌ يَبْكِي عَلَى أَحَدٍ

بأربعة: بعد أربعة ايام

وَفَوْقَ ذَلِكَ أَلْقَى أَلْفَ مُرْتَزِقٍ فِي الْيَوْمِ يَسْأَلُنِي: مَا لَوْنُ مُعْتَقَدِي؟

يقتل الناس أفواجا ثم يأتي المتفعون بالحروب الداخلية ويريدون التحقق من الهوية الطائفية لك فرد

٣٠ يأس

كانون الثاني/يناير ١٩٧٤ :

نَتَشَهَّى غَدًا... يَزِيدُ ابْتِعَادًا نُرْجِعُ الْأَمْسَ! لَا يُطِيقُ ارْتِجَاعًا

نَمْتَطِي مَوْجَةً إِلَى غَيْرِ مَرْسَى إِنَّ وَجَدْنَا رِيحًا فَقَدْنَا الشَّرَاعَا

٣١ عودة المحتل

تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٦ :

جَاءَنَا الْمُحْتَلُّ فِي غَيْرِ اسْمِهِ لَبِسَتْ وَجْهَ النَّبِيِّ الْقَرَصَنَةُ

أَيَّ نَفْعٍ يَحْجَتْنِي الشَّعْبُ إِذَا مَاتَ فِرْعَوْنُ لِتَبْقَى الْفِرْعَنَةُ

٣٢ زمان بلا نوعية

تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٧ :

طَلَبْتُ فَطُورَ اثْنَيْنِ، قَالُوا بِأَنْنِي وَحِيدٌ، فَقُلْتُ: اثْنَيْنِ، إِنَّ مَعِيَ صَنْعَا

ما أراه إلا كان جائعاً لم يتعش في ليلته

أَكَلْتُ وَإِيَّاهَا رَغِيفاً وَنَشْرَةً هُنَا أَكَلْتُنَا هَذِهِ النَّشْرَةُ الْأَفْعَى
زَمَانٌ بِلا نَوْعِيَّةٍ ساقٍ وَبِلَهُ مَتَاخِيمٌ يَقْتَاتُونَ أَفِيدَةَ الْجَوْعَى
متاخيم: مصابون بالتخمة

٣٣ دمار

: ١٩٧٨

أَقْبَلْتُ كُلُّهَا الدَّكَاكِينَ وَلَهَى كَبَغَايَا هَرَبِينَ مِنْ نَسْفٍ مَلْهَى

خرج الناس من الدكاكين هاربين مولهين، خائفين، كموسات هربن بعد نسف الملهى

لَمْ يَعُدْ مَنْ يَجِيءُ. جَاءَتْ سُقُوفٌ فَوْقَ أُخْرَى، وَاهٍ أَتَى فَوْقَ أُوْهِى

ثم لم يعد أحد يجيء فالبنائيات تهدمت ووقعت السقوف فوق السقوف، فهي واهية ضعيفة وقعت فوق ما هو أوهى منها

كَانَ يَسْتَفْسِرُ الْغَبَارُ الشَّظَايَا: أَلْمَرَايَا أَوْ الْجِرَاحَاتُ أَزْهَى؟

أَقْبَلْتُ كُلُّهَا الْعِمَارَاتُ عَجَلَى تَمْتَطِي مَخْبِزاً، وَتَجْتَرُّ مَقْهَى

هجوناً رمزية البردوني في المقدمة! ألا مرحباً برمزية تصور حال الدمار بلغة بهذه الكثافة والجمال

٣٤ بلغ السيل الزبى

: ١٩٧٧

حَدِّي سِگِّينَا حِدِّي عُنُقِي أَغْلَى مَا أَهْدِي

أَرْجُوكِ اخْتِزِّي، عُمْرِي أَضْحَى شَيْئاً لَا يُجْدِي

يَغْلُو مَشْنُوقاً؛ يَهْوِي كَرَمَادِ النَّعْشِ الْهِنْدِي

رماد النعش الهندي: الرماد المتخلف عن حرق الهندود الميت ونعشه

٣٥ نشور وانتقام

أيلول/سبتمبر ١٩٧٨:

لِأَنِّي دَخَلْتُ السَّجْنَ شَهْراً وَلِيلَةً خَرَجْتُ وَلَكِنْ أَصْبَحَ السَّجْنُ دَاخِلِي

لَقَدْ كُنْتُ مَحْمُولاً عَلَى نَارٍ قَعْرِهِ فَكَيْفَ تَحَمَّلْتُ الَّذِي كَانَ حَامِلِي

النار في قعر جهنم أشد استعاراً

أَتَذَرِينَ! أَنَسَانِي التَّمَرُّغُ هَهُنَا جَبِينِي، وَأَنْسَتَنِي الْمَنَافِي شِمَائِلِي
إِلَى شَهْوَةِ الْأَعْرَاسِ أَسْرَجْتُ مَذَنِّي وَمِنْ قَطْعِ شِرْيَانِي بَدَأْتُ تَوَاصُلِي
وضعت السرج فوق قبري فجعلته حصاناً أمضي به نحو شهوة العرس والمستقبل الأفضل، ومن
الألم المميت بدأت أتواصل مع الحياة

أَمَا كُنْتُ مَيِّتًا! إِنَّمَا كُنْتُ أَغْتَلِي وَأَغْلُو عَلَى قَتْلِي لِأَجْتِثَّ قَاتِلِي
تمردت على الموت كي أقتل قاتلي

٣٦ الأمر الواقع

مَنْ ذَا يُسَمِّي نَفْسَهُ سَبْدًا؟ هَذِي الْعَصَا، لَا غَيْرَهَا، السَّيِّدَةُ
النَّاسُ غَيْرُ النَّاسِ، قُلْ أَصْبَحُوا أَدْعَى مِنَ الصَّبَا وَالْمِصِيدَةُ
النَّاسُ فِي هَذِي الرَّبَى كَالرَّبَى نَوَارِثُوا الْإِخْصَابَ وَالْجَلْمَةَ

٣٧ ليل القمع

اللَّيْلُ أَبْرَدُ مَا يَكُونُ وَاللَّيْلُ أَشْهَدُ مَا يَكُونُ
وَكَأَنَّ كُلَّ دَقِيقَةٍ تَبْدُو مَلَائِيْنِ الْقُرُونِ
وَكَأَنَّ فَوْقَ مَنَاكِبِ اللَّـهِ حَفَظَاتِ جُذُرَانِ الشُّجُونِ

المناكب: الأكتاف

وَهَنَّاكَ تَرْتَجِفُ الْكُؤَى وَهَنَّا يَجُولُ الْمُخْبِرُونَ
الكؤى: النوافذ

وَاللَّيْلُ يَبْتَدِئُ الثَّهَاءَ وَيَلِ الْغَرِيبَاتِ الْفُنُونُ
وَالصَّوْتُ يَحْتَرِفُ الْخِيَا نَةً وَالشُّكُوتُ كَمَنْ يَحُونُ
حَتَّى الْجُذُورُ مُدَانَةٌ بِذُنُوبِ إِنْجَابِ الْغُصُونِ
وَاللَّيْلُ مُسْتَلْقٍ كَمَا حُورٍ يُنْقَرُّ عَنْ زُبُونِ
الْأَرْضِ نَفْسُ الْأَرْضِ لَمْ كِنَّ الْجَحِيمَ الْآخِرُونَ
السَّجْنُ لِيَضِقُ السَّجْنُ لِيَضِ قُ الْمَكْرُفُونَ الْمَكْرُفُونَ

للنظام سجنونه، وله آله الإعلامية الكاذبة

لَا تَكْتَرِثْ بِقَعِّ الَّذِي لَا يَدْعِي الْمُسْتَظْلِعُونَ

مِنْ أَيِّ نَبْعٍ أَنْتَ؟ مِنْ يَأْ وَمِنْ مِيَمٍ وَنُونٍ
أحرف يمن

لِلْقَلْبِ يَا دَيْجُورَ قَلْبٍ بٌ مِنْ أَسَاطِيرِ الْفُتُونِ
الديجور: الظلمة

لَنْ يَعْدَمَ الْأَرْقُ النُّجُو مَ وَلَنْ يَنَامَ الْعَاشِقُونَ

٣٨ البقاء للأذبح

أَلَا اقْتُلْ كُلَّ مَنْ تَلَقَّى إِذَا اسْتَبَقَيْتَ لَنْ تَبْقَى
لِأَنَّ الْقَتْلَ بَعْدَ الْقَتْلِ لِي طِبُّ الْأُمَّةِ الْحَمَقَى
طب: علاج

٣٩ الصعلوك

عن المتنبي ١٩٨٠:

مَنْ تَلَطَّيْ لُمُوعِهِ كَادَ يَغْمَى كَادَ مِنْ شُهْرَةٍ اسْمِهِ لَا يُسَمَّى
من تلطي وتوئد لمعانه كاد المتنبي يخفى عن العيون.. كالسيارة التي تشع مصابيحها في وجهك
فلا تتبينها.. كيف عرف البردوني هذا وهو ضرير؟ من شهرة المتنبي يستشهد الناس بشعره دون
تسمية الشاعر

إِنَّهُ أَخْطَرُ الصَّعَالِيكِ طُرّاً إِنَّهُ يَعْشَقُ الْخُطُورَاتِ جَمّاً
تحليل طبيب لشخصية المتنبي فهو شامخ أبي في رأي معظم الناس، وهو صعلوك يعشق الخطر عند
البردوني

٤٠ قزمية

هَذِي الْفِجَاجُ كَأَنْثَى مَا لَهَا رَحِمٌ هَذَا الزَّحَامُ رِجَالٌ مَا بِهِ رَجُلٌ
هذه الطرق الواسعة تشبه أنثى لكنها لا تلد، وهذا الزحام من الرجال ليس فيه رجل حقيقي. البلد
عقيم

غَاصَتْ وَجُوهُ الرُّوَابِي تَحْتَ أَرْجُلِهَا فِي جِلْدِ كُلِّ حَصَاةٍ يَنْطَوِي جَبَلٌ
ظلم الدولة بعساكرها ومخابراتها يقزم البشر تقزماً، ها هي الروابي تفقد وجوها فكانها تضع
وجوها تحت أرجلها، وكل حصاة هي عبارة عن جبل تقزم حتى صار حصاة في رابية

وَكَاْنَ يَهْمِسُ مِنْ خَلْفِ الْهَدِيرِ فَمَّ لَا يُورِقُ النَّاسُ حَتَّى تَذُبُلَ الدُّوْلُ
 من وراء هدير الدولة وصخبها ثمة فم يقول: الناس لا يصبحون ناساً ذوي إرادة حرة إلا مع ذبول
 الدولة. يتمثل البردوني الفكر اليساري في بعض تجلياته المتطرفة، وكان مثقفو العرب في هذه
 الحقبة يقرأون عن برودون ويعجبون بفلسفته «الفوضوية»

٤١ ميت في قبرين

: ١٩٨٣

مُتُّ يَوْمًا بِأَصَدِيقِي، وَأَنَا كُلَّ يَوْمٍ وَالرَّذَى شُرْبِي وَزَادِي
 أَنْتَ فِي قَبْرِ وَحِيدٍ هَادِي أَنَا فِي قَبْرَيْنِ: جِلْدِي وَبِلَادِي

٤٢ الحصى أخباراً

: ١٩٨٥

مَاذَا يُسِرُّ لِسْفَحِ الرَّبْوَةِ الْحَجَرُ كَأَنَّ كُلَّ حَصَاةٍ هَهُنَا خَبَرٌ
 يسر: يهمس. الناس في هذا المجتمع كالحصى في الربوة، وكل حصاة تهمس همساً كأن عندها
 خبراً، بل كأنها هي خبر

لِكُلِّ وَاحِدَةٍ شَكْلٌ وَتَمْتَمَةٌ لَكِنْ يُوحِذُهُنَّ الْعَجْزُ وَالضُّجْرُ
 كل حصاة لها شكل معين، وتمتمة معينة في همسها.. لكن القاسم المشترك بينها: العجز
 والضحجر. المجتمعات العربية يفسرها أحياناً الشعر بأحسن مما تفسرها الكتب الضخام

٤٣ هذا العدم

صَبَاحٌ وَيَزْحَفُ بَدَأُ الْمَسَاءِ مَسَاءٌ وَتَعْدُو جِبَالُ الْأَسَى
 تعدو: تركض

فَلَا اللَّيْلُ يَعْرِفُ شَوْقَ النُّجُومِ وَلَا الْيَوْمُ يَدْرِي مَتَى أَشْمَسَا
 تَنَامُ الصَّبِيحَاتُ عِنْدَ الْبُزُؤِغِ وَتَنْسَى الْعَشِيَّاتُ أَنْ تَنْعَسَا
 وصف غائم لشعوب تنام في النهار، وتفتح عيونها ليلاً

عَبَارٌ يُؤَلِّي، غُبَارٌ يَلِي دُخَانٌ جَرَى، وَدُخَانٌ رَسَا
 وَأَرْغَفَةٌ تَأْكُلُ الْآكِلِينَ وَأَشْرِبَةٌ تَحْتَسِي مَنْ حَسَا
 وَجِئْتُ قَذَائِفُهُمْ كُلَّ غَرْسٍ مِنَ الْجَذْرِ وَاحْتَلَّتِ الْمَغْرَسَا

وَتِلْكَ الْكُرَاتُ الَّتِي يَمْشُطُونَ لِمَاذَا يُسَمُّونَهَا أَرْؤُسًا؟
فَلِلرَّيْحِ أَنْ تَرْتَدِّي أَوْجَهَا وَلِلرَّمْلِ أَنْ يُحْسِنَ الْمَلَبَسَا
وَيَجْتَرَّ كُتْبَانَهُ خَلْفَهُ وَيَأْسِمُ الْحَصَى بِرَأْسِ الْمَجْلِسَا
لو كان البردوني مبصرًا لقلنا إنه تأثر في هذا الشعر بلوحات سلفادور دالي

٤٤ الرصيف

: ١٩٨٣

يَمْضِي لَفِيفٌ وَيَلِيهِ لَفِيفٌ وَأَنْتَ ثَاوٍ هَهُنَا يَا رَصِيفُ
تَسْتَفْرِئُ الْأَقْدَامَ، هَلْ أَنْتَ مِنْ قِرَاءَةِ الْأَوْجَاعِ مُضْنَى أَسِيفُ
كَيْفَ تَرَى الْأَحْزَانَ مِنْ تَحْتِهَا؟ كَمَا يَرَى بِالسَّمْعِ قَلْبُ الْكَفِيفِ؟

٤٥ التلميذ ابن أبيه

: ١٩٨٥

مَصْرُوفُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَفِيرُ أَبَوُهُ إِمَّا سَارِقٌ أَوْ أَمِيرُ
أَوْ عِنْدَهُ أُمٌّ كَمُرْجَانَةٍ فِي بَيْتِهَا كُلُّ مَسَاءٍ وَزِيرُ
مرجانة: الجارية الفضيحة ذات الحيلة التي ساعدت «علي بابا» ضد الحرامية وتزوجها

فِي كُلِّ يَوْمٍ يَكْتَسِي حُلَّةً أُخْرَى، فَيَبْدُو دُمِيَّةً مِنْ حَرِيرِ
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا اسْمُهُ؟ عَلُّهُ سَمِيرَةٌ، لَكِنْ يُنَادَى سَمِيرُ
تَحْدِيقُهُ مِثْلُ طَحِينِ الْحَصَى وَخَطْوُهُ يَحْكِي عَجِينَ الشَّعِيرِ
نظرات التلميذ بلهاء لا معنى لها كأنها دقيق مصنوع من طحن الحصى، ويخطو بدلال كأنه يسير على عجين... هذا ما فهمت من البيت

يُبَالِغُ الْأُسْتَاذُ رَشْوَانُ فِي تَذْلِيلِهِ، يَرَعَاهُ كَابِنِ الْمُدِيرِ
يَجْتَازُ صَفًّا بَعْدَ صَفٍّ، وَمَا عَانَى طَرِيقًا أَوْ أَرَادَ الْمَسِيرِ
هَذَا الَّذِي مِنْ صَفْنَا، كَمْ تَرَى لَهُ بِصْنَعًا أَوْ سِوَاهَا نَظِيرُ؟
مَنْ قَالَ إِنَّنِي أَبْتَغِي رِفْعَةً كَهَذِهِ؟ هَذَا طُمُوحُ الْحَقِيرِ

٤٦ أمنية

: ١٩٨٧

مَتَى تَعْرِفُ الْأَمْطَارُ أَعْطَشَ بُقْعَةٍ وَتَسْعَى إِلَى مَنْ يَشْتَهِيهَا الْمَوَائِدُ
تَجَدُّدُ كَقَلْبِ النِّهْرِ يَا سَيِّدَ الْأَسَى سَتَرْتَاذُ عَهْدًا غَيْرَ مَا أَنْتَ عَاهِدُ
أَيُّهَا الْمَوَاطِنُ الْحَزِينِ جَدِّ هَمَّتْكَ مِثْلَمَا يَجِدُّ النِّهْرُ مَاءَهُ بِجَرَيَانِهِ . . فسوف يأت عهـد أفضل

٤٧ جهاز المخابرات

لَا تَخَافِي مِنْهُمْ، وَلَكِنْ أَفِيقِي صَارَ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُدْعَى صَدِيقِي
حَبِّدِي بَعْضَ مَا يَرَوْنَ، تَغَابِي فَالْتَّعَابِي يُرْضِي الْعَبَاءَ الْحَقِيقِي
خَنَقُوا خَطَّ هَاتِفِي مِنْ حَشَاءِ وَتَقَصَّصُوا زَفِيرَهُ وَشَلْهِيقِي
مَنْ أَوْاخِي؟ لَوْ ذُبْتُ لَطَفًا لَقَالُوا إِنَّ سُمِّيَ مُحِبًّا فِي رَحِيقِي
لَوْ تَحَوَّلْتُ فَرَحَةً نَعْلَبُونِي لَوْ تَضَفَّدَعْتُ خَبَرُوا عَنْ نَفِيقِي
لَوْ رَأَوْنِي أُنْسِي حِمَارًا لَنَادَوْا خُبَرَاءُ يُتَرَجِّمُونَ نَهْيِي
رَغَمَ أَنْفِ الذِّي رَمَاهُمْ حِيَالِي مَا تَنْوَنِي، وَلَنْ يَسُدُّوا طَرِيقِي

٤٨ عيون الشعر

: ١٩٨٨

الصَّمْتُ أَخْوَنُ شَيْءٍ فِي الْفِتْرِ الْمُدْلِهِمَّةِ
هَبَالِكَ الشُّغْرُ أَهْدَى إِلَى صَمِيمِ الْمُلِمْةِ
مَادَامَ فِي الْقَلْبِ هَمٌّ فَلِلْقَوَافِي مُهِمَّةُ

٤٩ الزعماء

: ١٩٨٧

يَا دَوِي التَّيْجَانِ يَا أَهْلَ الرِّئَاسَةِ الْمَلَائِكَةُ لَكُمْ تَفَنَّى حِمَاسَةِ
وَجُمُوعُ الشَّعْبِ لَاقَتْ فِيكُمْ قَادَةَ النِّصْرِ وَأَبْطَالَ السِّيَاسَةِ
كَانَ هَذَا مَا رَوَى إِعْلَامُكُمْ هَلْ تَرَى هَذَا الْجَمَاهِيرَ الْمُدَاسَةِ؟
هل الجماهير التي تدوسونها، أيها الملوك والرؤساء، تراكم فعلاً قادة النصر مثلما تقول أبواقكم الإعلامية؟

جَرَّبُوا فِي الشَّعْبِ شَعْبِيَّتَكُمْ وَاخْرُجُوا يَوْمًا بِلاَ أَقْوَى حِرَاسَةٍ
أَنْ تُصَافُوا مَنْ يُعَادِي شَعْبَكُمْ مِثْلُ رَاجِي الطُّهْرِ مِنْ عَيْنِ النَّجَاسَةِ
كَيْفَ تَحْمِيكُمْ غُزَاةَ أَنْتُمْ عِنْدَهُمْ أَهْوَنُ مِنْ كَيْسِ الْكُنَاسَةِ؟

٥٠ أطفال الحجارة

: ١٩٨٨

قُلْتُمْ سَتَسْحَقُونَهُمْ كَيْفَ أَبَوْا أَنْ يُسْحَقُوا

قالت إسرائيل إنها ستحق الانتفاضة الفلسطينية الأولى ١٩٨٧، انتفاضة الحجارة

كُلُّ مُحَيِّمٍ عَلَى مَوْجِ اللَّهْيَبِ زَوْزُقُ
الْعُزْلُ الْعَاتُونَ مِنْ أَعْتَى الْغُزَاةِ أَخَذَقُ
لَقَدْ تَعَمَّلَقَ الْحَصَى لِأَنَّهُمْ تَعَمَّلَقُوا
أَحْجَارُهُمْ غَيْرُ التِّي إِذَا ارْتَمَتْ تُطْفِئُ طِفْطِقُ

أحجار أطفال فلسطين ليست كأحجار الدامة تطفئ مجرد طفقة ..

أَمَّا تَرَوْنَهَا عَلَى أَكْفِهِمْ تُحْمَلِقُ
تَكْرُ مِنْ بَنَائِهِمْ كَمَا يَكُرُّ الْفَيْلِقُ

يكر: هجم

أَهْدَى مِنَ الْقَطَا إِلَى أَهْدَافِهَا وَأَسْبَقُ

القطا طائر معروف بالاهتداء إلى مواضع الماء، والاهتداء إلى عشه مهما بعد عنه

الضُّقَّةُ الْآنَ عَدَتْ تَلْهُو بِمَنْ تَفَوَّقُوا
لِأَنَّهَا فَاقَتْ بِلاَ دَعْوَى، وَهُمْ تَشَدَّقُوا
يَا مَنْ سَرَفْتُمْ مَوْطِنَا لَقَدْ أَبَى أَنْ تَسْرِفُوا

٥١ عزرائيل .. لحظة لطفاً!

: ١٩٩١

سَاعَةً يَا رَدَى أُتِمَّ الْقَصِيدَةُ هَاكَ قَاتَا وَجَرَّةً وَجَرِيدَةً

خذ يا موت بعض القات وجرة ماء أو شراب وجريدة، واقعد وتسل بها حتى أتم قصيدي

كُلُّ غُضَنِ لَهُ مَذَاقٌ جَدِيدٌ كَالْمَلِيحَاتِ كُلِّ أُخْرَى جَدِيدَةٌ
أَنْتِ تُسَمَّى مَنِيَّةً أَوْ حِمَاماً؟ قِيلَ أَنْتِ الْحَدِيدُ تُدْعَى حَدِيدَةً
المنية مؤنث والحمام مذكر.. وكلتا الكلمتين تعني الموت.. ويسخر الشاعر من تعدد أسماء
الموت فأنتى الحديد حديدة، وكلاهما حديد، لا فرق

يَا صَدِيقِي فِي الْقَلْبِ تَسْعُونَ قَلْباً وَقَوَافِي الْوَدَاعِ، تَذْري! عَنِيدَةٌ
يحبس الشاعر والمبدع والزعيم الملهم أنه لا يمكن أن يموت إلا بعد أن يؤدي رسالته
كاملة.. شعور خادع.. شوبرت مات وترك سيمفونيته الثامنة ناقصة، وموتسارت مات.
وترك «القداس» ناقصاً، ومالر ترك سيمفونيته العاشرة ناقصة. وهتلر كان يخطط لجعل
شواطئ أوكرانيا على البحر الأسود منتجعات يرتادها الألمان، بعد أن يطرد
الأوكرانيين إلى مناطق بعيدة ليس فيها خبز كي يموتوا جوعاً.. وانتهت الحرب
العالمية بخسران ألمانيا مساحات واسعة من أرضها، ومما خسرتة بروسيا الشرقية
التي هي من تليد الأرض الألمانية - وفيها ولد وعاش كل عمره الفيلسوف عمانوئيل
كانط - فقد طرد منها الروس الألمان طرداً، وسموها كالينين غراد، وما زالت روسية

عبد الله البردوني فهرس القوافي

١٥	كَسِيرَةٌ	١١	المُفَاجِئُ
٤٣	الْأَسَى	٢٥	وَالْجَرْبُ
٤٩	حَمَاسَةٌ	١٩	وَكَاثِبَةٌ
٣٠	ارْتِجَاعًا	٢٨	وَحَيَاتِي
٣٢	صَنَعًا	٢١	شَهْرَزَادَا
٢٣	وَالْمَوْضِعَا	٤٦	الْمَوَائِدُ
١٦	وَوَضْعِي	٢٩	الرَّمْدُ
٩	وُلُوعَةٌ	٣٤	أَهْدِي
٢٦	أُخْفِي	٨	تُوقِدُ
٤٤	رَصِيفٌ	٤	عِنْدِي
٣٨	تَبَقَى	٤١	وَزَادِي
٥٠	يُسْحَقُوا	٣٦	السَّيِّدَةُ
١٢	أَلَا فَي	٧	بِلَادِهِ
٢٠	الْفِرَاقِ	٥١	وَجَرِيدَةٌ
٤٧	صَدِيقِي	٦	الْعُقَارَا
١٣	وَطَالَا	٤٢	خَبْرٌ
٤٠	رَجُلُ	١	وَالسَّهْرُ
٣	إِشْكَالٍ	١٨	تَثُورِي
٣٥	دَاخِلِي	٢٧	يَسْتَشِيرِي
٢٢	مَجَالِي	٤٥	أَمِيرُ

١٠	وَقُلَانَا	٥	الزَّمَامَا
٢٤	الْيَمَنُ	٣٩	يُسَمَّى
٣٧	يَكُونُ	١٤	خَادِمُ
٣١	الْقَرْصَنَةُ	٢	وَالْيَتَمُ
٣٣	مَلْهَى	٤٨	الْمُدْلِهِمَةُ
		١٧	عَلَامَةُ

فهرس القوافي العام

القافية، فرقم القطعة، فالباب الذي تنتمي إليه

أبواب الكتاب: ١ بشاره الخوري، ٢ الشاعر القروي، ٣ إيليا أبو ماضي، ٤ إلباس فرحات، ٥ عرار، ٦ إبراهيم طوقان، ٧ أبو سلمى، ٨ بدوي الجبل، ٩ عمر أبو ريشة، ١٠ إبراهيم ناجي، ١١ أبو القاسم الشابي، ١٢ فهد العسكر، ١٣ عبد الله البردوني

إطراء ٣٢ ناجي	البضاء ٥٩ إيليا
أعدائي ٢٢ إيليا	عباء ٥٠ القروي
الآباء ٢٦ إيليا	لواء ٦١ فرحات
الأحشاء ٧٦ إيليا	أرجاء ١ عرار
السماء ١٢٧ القروي	الأعداء ٢٨ أبو ريشة
السماء ٢٨ الشابي	الأدباء ٩٣ القروي
بإستهزاء ١٠٤ فرحات	الذاء ٢٧ العسكر
بالمساء ٢٦ ناجي	الفضاء ١ القروي
بدمائي ١٠٥ إيليا	أنباء ٢٤ ناجي
بسخاء ١٩ فرحات	أنضاء ٢٣ ناجي
حواء ١٤ ناجي	بقاؤها ١٦ طوقان
لألاء ٣٠ إيليا	بهاء ٢٥ طوقان
لِفناء ٢٥ القروي	والأسماء ٥٨ إيليا
غناء ١٠٦ إيليا	إباء ١٠٧ إيليا

ذَنَابُ ٦٤ القروي	الصَّخْرَاءُ ٣٠ ناجي
مُحَبَّبُ ٢١ إيليا	الكَبِيرَاءُ ٥ بدوي الجبل
وَأَغْلَبُ ٤٨ طوقان	اللَّوَاءُ ٩ ناجي
وَالْجَرَبُ ٢٥ البردوني	المُفَاجِئُ ١١ البردوني
وَالْغَضَبُ ١٤١ القروي	بِالسَّمَاءِ ١٥ أبو ريشة
يَكْتُبُ ٣٥ فرحات	جِرَاءُ ٢٥ أبو ريشة
أَبْوَابُ ٧٢ فرحات	أَبْوَابَا ٣٣ فرحات
الْأَحْبَابُ ٦٠ إيليا	الْحِسَابَا ١٧ القروي
الْثَّرَابُ ٣٢ بشارة الخوري	الْقُلْبَا ٢ عرار
الْجِلْبَابُ ٣٢ الشابي	الْقُلُوبَا ٥٨ فرحات
الرَّهِيْبُ ٥ الشابي	بَابَا ١٤٥ القروي
الرَّوَابِي ١٢ أبو سلمى	تَابَا ٢٨ بشارة الخوري
الشُّهُبُ ٢١ أبو ريشة	تَعَجَّبَا ٤١ ناجي
الْعَرَبُ ٧٧ فرحات	ذِيَا ٢ طوقان
الْعُقَابُ ٦١ إيليا	سَرَابَا ١٧ أبو سلمى
الْقُلُوبُ ٣١ بشارة الخوري	سَلَبَا ١٢ القروي
الْكُوكَبُ ١٨ أبو ريشة	عَظْبَا ٢٦ بشارة الخوري
الْمُتَصَابِي ٤٩ فرحات	مُهَذَّبَا ١٤٣ القروي
الْمَكَاسِبُ ١٤٤ القروي	وَالْأَحْبَابَا ١٦ أبو سلمى
آيِبُ ٢٢ طوقان	وَالْمُخْرَابَا ٣١ إيليا
تَعَبُ ٥٨ القروي	أَصَابُوا ٨٧ فرحات
دَائِي ٩١ القروي	اغْتَرَابُ ١١ القروي
ذَنَبُ ١١ أبو سلمى	الْكُتُبُ ٧٧ إيليا
ذَنَبُ ٤٥ القروي	بَابُ ٢ بدوي الجبل
رَيِّي ١٣٩ القروي	تَكْذِبُ ١٩ إيليا

غَيَابَةُ ٤٠ فرحات	شَبَابِي ٣ عرار
مُتَنَقِّبَةُ ٣٥ طوقان	صَحَابِي ١٠٨ إيليا
وَكَاةُ ١٩ البردوني	عَذَابُ ٢١ بدوي الجبل
وَمَخَالِيَةُ ١٣٠ القروي	غَيْرُ أَبِي ١٨ إيليا
مَاسَاتَا ٢٥ بشارة الخوري	كُتَيْبُ ١ بدوي الجبل
أَتَيْتُ (الطلاسّم) ٦٢ إيليا	لِلْأَغْرَابِ ٢١ الشابي
السُّكُوتُ ١٢ أبو ريشة	مَا بِي ٢٥ العسكر
الْمِنِيَّاتُ ٢١ القروي	نَسَبُ ٢٨ بدوي الجبل
جُنَّاهُ ١٤٧ القروي	وَالْأَحْبَابِ ٧٨ إيليا
مَيْتُ ١٤٦ القروي	وَالْأَعْتَابِ ٣١ الشابي
وَالْمَمَاتُ ٢٨ أبو سلمى	وَبِمِخْلَبِي ١٧ إيليا
الْآتِي ٢٢ الشابي	وَتَأْنِيبُ ٣٢ طوقان
الْكَفَالَاتِ ١٣ طوقان	وَقُرْبِي ٤٢ ناجي
الْمِلْمَةُ ٨ إيليا	أَنْتَعَجَبُ ١٠ القروي
بِالْمُعْصِرَاتِ ٤٣ طوقان	أَشْرَبُ ٤ عرار
فَتَاةُ ٣٠ بشارة الخوري	أَغْلَبُ ٩٩ القروي
نَسَوَاتِي ٥ عرار	الْخِضَابُ ٧٩ إيليا
وَحْيَاتِي ٢٨ البردوني	تُرَاقِبُ ٦٩ القروي
الْحَيَاةُ ١٣ أبو ريشة	طَيْبُ ٣٣ طوقان
الرُّفَاتُ ٨٠ إيليا	كُتُبُ ٤٩ القروي
أُبْرَمَتُهُ ٧٠ القروي	لَرَيْبُ ٤٢ فرحات
بِحَيَاتِهِ ١٨ فرحات	يَتَأَدَّبُ ٢٥ فرحات
بَيْتُهُ ١٩ ناجي	بِنَابِهِ ٤١ بشارة الخوري
رَاحَتُهُ ٦ طوقان	صَبَّهَا ٧٦ القروي
رَغَبَاتِكَ ١٤ أبو ريشة	صَحْبُهُ ١ القروي ٤٢

مباحة ١ الشابي	رُفَاتِهِ ٥٦ القروي
أبدا ٤٤ القروي	كَلِمَاتِهَا ٣٦ فرحات
استبدًا ٨ أبو سلمى	نَعَمَاتِهِ ٨٣ إيليا
الرَّشْدَا ١٠٠ القروي	هَاتِه ١٩ العسكر
السُّهَادَا ٣٣ إيليا	لَيْثًا ٨٤ فرحات
الصَّدَا ٦٠ فرحات	الرَّجَا ١٤٩ القروي
العِدَى ٨٥ القروي	عِرْجُ ٧٣ فرحات
المنشودا ١١ ناجي	أَفَاجِي ١٦ إيليا
الوَرْدَا ٦ الشابي	المَفَاجِي ٣٢ إيليا
الوَيْدَا ١٣٤ القروي	تُعَرِّجِي ٣١ أبو سلمى
أَمْ نَفِدَا؟ ١٥ إيليا	نَاسِج ٥ القروي
جِلَادَا ٢ القروي	هَوِّج ١٤٨ القروي
حدًا ٩ بدوي الجبل	أَبْرَاجِه ١١٥ القروي
حَدِيدَا ٣٦ إيليا	صَفِيحَا ٢٧ إيليا
سُهِدَا ٨٩ فرحات	طِلَاحَا ٤ بدوي الجبل
شَهْرَزَادَا ٢١ البردوني	فَصَحَا ٣٨ بشارة الخوري
عَادَا ١٨ طوقان	وَاسْتَبَاحَا ١٥ العسكر
عَبُودَا ٣٥ عرار	الصَّبَاحُ ٥٩ القروي
فَرَدَا ٣٤ طوقان	سَاحُوا ٢٣ القروي
لَهَا فِدَى ٣٥ إيليا	يَضْحُو ٦ عرار
وَالجِلْدَا ١٢ بدوي الجبل	أَفْرَاح ١٩ أبو سلمى
يَدَا ٦١ القروي	أَلْوَاحِي ٣٦ بشارة الخوري
أَبْتَرِدُ ٢١ ناجي	بِجْنَاحِي ١٥٠ القروي
أَجِدُ ١٩ بدوي الجبل	جَنْاحِي ٧٥ القروي
الْحِدَادُ ٨ عرار	الْفَسِيخ ١١٦ فرحات

الفادي ٢١ بشارة الخوري
 الكيد ٥ بشارة الخوري
 المسجد ١٣ العسكر
 المعابد ١٥٣ القروي
 المعبود ١٨٥ القروي
 المنكود ٣٩ القروي
 أهدي ٣٤ البردوني
 بالأفراد ٨٤ إيليا
 بلادي ٤ أبو سلمى
 بمسجد ٩٤ فرحات
 توفد ٨ البردوني
 نمود ٦٨ القروي
 خدي ٢٥ بدوي الجبل
 زاد ٢١ فرحات
 عندي ٤ البردوني
 قيدي ١٦ أبو ريشة
 لم يفد ٨١ فرحات
 مستزيد ١٦ القروي
 منتقد ٥٢ القروي
 وانفرادي ١٥ الشابي
 وجودي ١٠ الشابي
 ودود ٢٠ الشابي
 وزادي ٤١ البردوني
 وغرد ٩ العسكر
 ويعتدي ٣ أبو سلمى

اللدود ٢٠ أبو سلمى
 الموائد ٤٦ البردوني
 النهود ٤٧ فرحات
 الولد ١٥١ القروي
 تخلص ٧٠ فرحات
 تعقيد ٥٥ فرحات
 عبود ٧ عرار
 عديد ٣ القروي
 فسيفد ٢٧ طوقان
 معقود ١٥٢ القروي
 يعود ١١ بدوي الجبل
 د ٢٢ جد ٤٢ القروي
 استعباد ١٢ ناجي
 الآباد ٢٢ أبو ريشة
 الأبد ٢٢ ناجي
 الأذرد ٥٤ فرحات
 الأعادي؟ ٨٧ القروي
 الجديد ١٦ الشابي
 الجلاذ ٨٢ القروي
 الخلود ٧ أبو سلمى
 الرمد ٢٩ البردوني
 الرزد ٢٩ أبو سلمى
 السواد ١٥ طوقان
 العبيد ٢ أبو سلمى
 العيد ٨ العسكر

الكبرى ٣٣ ناجي	١٣المهود ٣١ طوقان
المستعارة ١٧ بشارة الخوري	أريد ٢٧ ناجي
النار ٣٧ القروي	البلد ١٠ أبو سلمى
الورى ١١٢ إيليا	الخدود ١٨ الشابي
حرًا ٨٨ فرحات	القصاصد ٢٠ العسكر
سحرًا ١٠٥ القروي	سعيد ١٥٤ القروي
سفرًا ٦٠ القروي	فتورّد ٢ بشارة الخوري
سكاري ٨ ناجي	يا الكمذ ٣٨ القروي
سكيرا ١١ عرار	يعوذ ٧ الشابي
عنترا ١٥٨ القروي	وعرّند ٣٧ إيليا
نكرا ١٥ فرحات	السيدة ٣٦ البردوني
والعاصرا ٦٥ إيليا	العنيدة ١٠ أبو ريشة
أبصر ٩ أبو ريشة	بلاد ٧ البردوني
أثر ١٨ بدوي الجبل	جند ١٣٣ القروي
أزهار ١١٢ القروي	خامدة ٨ فرحات
أطير ٩ القروي	صدك ١٢ بشارة الخوري
أكبر ٨٣ القروي	صبيد ٧ أبو ريشة
الخبز ١٠ بشارة الخوري	عيد ٣٧ بشارة الخوري
الخطر ٢٩ فرحات	فائدة ١٥٥ القروي
الطيور؟ ٦٣ إيليا	وجريدة ٥١ البردوني
العار ٥ أبو سلمى	القفذ ١٠٠ فرحات
القدر ٣٠ الشابي	أخرى ٤٠ بشارة الخوري
القصار ١٨ القروي	أرى؟ ١١١ إيليا
القمر ١٨ أبو سلمى	السمر ١٠ عرار
الكثير ٢٥ أبو سلمى	العقارا ٦ البردوني

الكواسيرُ ٢٠ فرحات	الدُّهورِ ٣٩ إيليا
أنصارُ ٦٤ إيليا	السَّتارِ ٢٧ أبو سلمى
تَحْتَارُ ١٨٧ القروي	العِدَارِ ١٣ القروي
تَسْتَعِيرُ ١٤ بدوي الجبل	القبورِ ٩١ فرحات
تَعْتُرُ ٦ القروي	المُفَكِّرِ ١١٠ فرحات
تَفَكِيرُ ٣٨ إيليا	الناصرِ ١٤ أبو سلمى
تَفْجَرُ ٩٧ القروي	بِالْأَسْرارِ ١٧ أبو ريشة
جَمِيرُ ١٠٢ فرحات	بِتَأْخِيرِ ٨٠ فرحات
خَبَرُ ٤٢ البردوني	تَثُورِ ١٨ البردوني
سَخِرُوا ٤ أبو ريشة	جاري ١٢ عرار
قَدَرُ ٨١ إيليا	حُبُورِ ٥٣ القروي
مُتَجَبِّرُ ٢٠ القروي	شُعَارِ ١٥٩ القروي
مُنَكَّرُ ٩ عرار	شِعْري ١٢٩ القروي
والأَمْرُ ١٧ بدوي الجبل	ظهري ٣١ فرحات
والسَّهْرُ ١ البردوني	عارِ ١١٤ القروي
والقَمَرُ ١١٠ إيليا	لم يَجُرِ ٧٥ فرحات
والنَّهَارُ ٢٥ ناجي	مِضِرِ ٨٥ إيليا
وَمِنْقَرُ ١٦ بشارة الخوري	مُغْرِ ٦٦ فرحات
يُخْتَضِرُ ١٠٩ إيليا	نَضِرِ ٨٥ إيليا
يَسْتِيرُ ٧٦ فرحات	نورِ ٩٣ فرحات
إِكْبَارِي ١٥٦ القروي	هتَلِرِ ٦٤ فرحات
الأَعْمَارِ ١٣ ناجي	والأَسْرارِ ٢١ العسكر
الأميرِ ٢ الشابي	والجَهْرِ ١١٤ فرحات
الحَاضِرِ ١٤ إيليا	وُثُورِ ٨ أبو ريشة
الحمارِ ٦٥ فرحات	وَحُبُورِ ٤ القروي

وَصَرِ ٧١ فرحات	كيسا ١٦١ القروي
يَسْتَشْرِي ٢٧ البردوني	رُؤُوسُ ٧ طوقان
أَسْفَرُ ٤٢ طوقان	فَكَتَسُوا ٤٠ القروي
الْخَنَاصِرُ ١٢٠ القروي	مَقَالِسُ ٣٦ عرار
الْدُرَرْ؟ ١ فرحات	مَلْبَسُ ٥٦ فرحات
الْقَلْدَرُ ٢٣ الشابي	بِفَاسِي ١٣ الشابي
أَمِيرُ ٤٥ البردوني	حَوَاسِي ٩٤ القروي
بِالنَّفِيرِ ١٣ فرحات	فَارِسِ ١٢٣ القروي
رُومَرُ ٤١ إيليا	قَاسِ ١٠٩ فرحات
مَقَرَّ ٧ القروي	قَدِيسِ ٤٠ طوقان
وَنَثَّازُ ١٣٦ القروي	لِلنَّاسِ ٨٦ إيليا
أَخْبَارَهَا ٦٩ فرحات	مُقْتَرِسِ ٤٢ إيليا
الْمَسْرَةُ ٦٦ إيليا	نَفْسِي ١٤ الشابي
تَفْسِيرُهُ ٨٢ إيليا	وَالنَّاسِي ١ ناجي
تَكْرَهُ ١٥٧ القروي	وَجَلَّاسِي ١٣ عرار
جَبْرَةُ ٤٠ إيليا	وُسُوَاسِ ٨٧ إيليا
حَشْرَةُ ٣٧ ناجي	وَقَسَّ ٤ الشابي
كَسِيرَةُ ١٥ البردوني	دَوَارِسُ ١٠٧ القروي
لِنَشْرِهِ ١٤ القروي	التَّعَاسَةُ ١٠١ القروي
مَقَادِيرِهِ ١٩ بشارة الخوري	حَمَاسَةُ ٤٩ البردوني
نَاضِرَةُ ٢٨ القروي	خَمْسِيهِ ٣٣ القروي
وَالسَّيْجَارَةُ ٦ العسكر	رَئِيسُهَا ٣٣ بشارة الخوري
وَالطَّهَارَةُ ٢ فرحات	شَمْسِيهِ ١٦٢ القروي
الْأَسَى ٢٢ فرحات	مَلْمَسَةُ ١٦٠ القروي
الْأَسَى ٤٣ البردوني	تَشْوِيشَا ٨٣ فرحات

والحواشي ٩٠ فرحات
النواصي ٢٠ طوقان
رَقَصُ ١٦ العسكر
فَيْرَضَى ٢٢ القروي
والمَرَضَا ٢٣ فرحات
شُرُوطُ ١٢٢ القروي
ارْتِجَاعَا ٣٠ البردوني
رَبِيعَا ٣٤ القروي
صَنَعَا ٣٢ البردوني
مُتَرَعَا ١١١ فرحات
مُشْرَعَا ٤٣ القروي
والمَوْضِعَا ٢٣ البردوني
وَلُوعَا ٩٢ فرحات
أَرْزُوعُ ١٤ عرار
الْبَلْقَعُ ٣ أبو ريشة
الْجَزْعُ ٥٧ فرحات
الرَبِيعُ ٢٣ طوقان
بَاغُوا ٤ طوقان
تَطِيعُ ٢١ أبو سلمى
وَيَمْتَنِعُ ٥٤ القروي
الشارع ١٥ عرار
الطبايع ١٨٨ القروي
المُرَضِعُ ١٠٦ فرحات
المُضَاعُ ٤ ناجي
تُرَاعِي ٣٥ القروي

جَزُوعُ ٤٣ ناجي
مَظْمَعِي ٦٧ إيليا
وَوَضْعِي ١٦ البردوني
السَّبَاغُ ٥ ناجي
الوسيع ١١٥ فرحات
تُمَانِيعُ ١٣٢ القروي
تَوَقُّعُهُ ٦ ناجي
طَبَعُهُ ١١٠ القروي
وُلُوعُهُ ٩ البردوني
مُضْطَفِّي ٢٦ القروي
نَحِيفَا ٥٠ طوقان
والإِسْرَافُ ٦٥ القروي
أُخْفِي ٢٦ البردوني
أُغْرِبُ ١٠٦ القروي
الشَّافِي ٦٢ فرحات
كِتَافُ ٩٥ فرحات
الكهوف ٨ الشابي
رَصِيفُ ٤٤ البردوني
صَدَفُ ٨٨ إيليا
الْبَرَّاقَا ٢٣ بشارة الخوري
الْخُفُوقَا ٧ بدوي الجبل
العُنُقَا ٩ بشارة الخوري
اللَّقَا ٢٠ إيليا
تَبَقَى ٣٨ البردوني
فَارِقَا ١٠٨ القروي

يَلْقَى ١٠٣ القروي	وَيَسْتَلْقَى ٥٥ القروي
يُوقَى ١٦ بدوي الجبل	المُعْتَق ٢٤ أبو سلمى
أَخْلَقُ ١١٢ فرحات	وَرَقَ ١٦ عرار
أُطِيقُ ٢٤ العسكر	أُبْقِهَا ٣٩ ناجي
الْأَلْيَقُ ٣٠ طوقان	أَشْرَاكَ ١٧ عرار
طَلِيقُ ٧ فرحات	شَفَاكَ ٣٤ بشارة الخوري
عَبَقُ ٤١ القروي	نَتَحَاكِي ٨٠ القروي
فِرْقُ ١٣ إيليا	يُمْنَاكَ ١٠٢ القروي
يُسَحِّقُوا ٥٠ البردوني	الْكُنْيَاكَ ١٨ عرار
الْأَرْزَاقِ ٧ بشارة الخوري	النُّسَاكَ ٤٣ فرحات
أَلَاقي ١٢ البردوني	تَاجِيكَ ٢٤ بشارة الخوري
الْأَلْقَى ٣٠ أبو سلمى	عَرَفُوكَ ١٦٧ القروي
الخَفَاقِ ٢٤ القروي	فَيَايَاكَ ١٥ القروي
الصُّنْدُوقِ ٨٩ إيليا	أَبْرُكَ ١٩ عرار
الفِرَاقِ ٢٠ البردوني	لَكَ ٣ فرحات
المَمَازِقِ ٨٤ القروي	أَضْلَا ٩٢ إيليا
تُخْلَقِي ٥ فرحات	إِغْوَالَا ٣ ناجي
تَفْرُقِ ١٤٠ القروي	الْأَمْلَا ٢٨ طوقان
حُقُوقِي ١٦٥ القروي	التَّبْجِيلَا ٥١ طوقان
صَدِيقِي ٤٧ البردوني	بَدَلَا ٧٩ فرحات
ضَبِيقِ ١٦٣ القروي	تَأْمُلَا ١٩ أبو ريشة
طَرِيقِ ١٠٨ فرحات	شَمُولَا ٢٣ بدوي الجبل
فَاتَّقِ ١٦٦ القروي	عَادِلَا ١٧٠ القروي
لِنَفْرُقِ ١١٣ إيليا	عَلِيلَا؟ ٤٦ إيليا
مُسْتَقِي ١٦٤ القروي	فُضُولَا ٦٩ إيليا

الرجال ٢٦ طوقان	مَتَهَلَّلَا ٧٠ إيليا
الرَّمَسِ لِي ٩٨ القروي	مَقِيلَا ١٢ إيليا
الرَّمِيلِ ٣١ ناجي	هَلَا ٢٢ أبو سلمى
السَّيْلِ ١٢ فرحات	والتَّقْبِيلَا ١١ العسكر
العَمَلِ ١١٧ القروي	وجلالا ٢ أبو ريشة
الكَرْمِلِ ٢٩ طوقان	ودالا ٤٥ إيليا
المستقبل ٦ أبو سلمى	وسُهولا ٩٦ فرحات
باللَّالِي ٨٦ فرحات	وطالا ١٣ البردوني
دَاخِلِي ٣٥ البردوني	الْمَتَهَلَّلُ ١١٤ إيليا
زُلَالِ ٩١ إيليا	النَّيْلُ ٨٥ فرحات
عَلِيلِي ٥ العسكر	تَسْأَلُ ١٦٩ القروي
فَاَجْهَلِ ٤٤ إيليا	تُعَوُّ ٦٨ إيليا
قِيلِ ٤٥ فرحات	جميلُ ٤٣ إيليا
كَاهِلِي ٢٧ القروي	رَجُلُ ٤٠ البردوني
لِلْقَلَمِ ١ أبو ريشة	سَبِيلُ ٢٤ إيليا
مَجَالِي ٢٢ البردوني	طويلُ ٢٣ أبو سلمى
وَأَفْعَالِ ١٦٨ القروي	فاصِلُ ٩٧ فرحات
وَتَنَقَّلِي ١٠٤ القروي	والأَمَلُ ٣٩ بشارة الخوري
يَزَلِ ٣٨ فرحات	والرُّسْلُ ٢٣ إيليا
الْأَمَلُ ١٧ الشابي	والظُّلُولُ ١٥ بدوي الجبل
قَتَلَ ١١ بشارة الخوري	والمُثْلُ ١٥ أبو سلمى
لَمْ أَزَلِ ١٦ فرحات	وظالا ٥ أبو ريشة
اِحْتِمَالَهُ ١١١ القروي	إِشْكَالِ ٣ البردوني
الْحَزْدَلَةُ ١١٦ إيليا	الْأَمَالِ ١ أبو سلمى
بِالْبَسَائِلِ ١٧ طوقان	الدُّوَلِ ٨ بشارة الخوري

تَنَامُ ٢٩ ناجي	جَمَالِهَا ١١٥ إيليا
حُلُمُ ٢٦ الشابي	حَامِلُهُ ٧٧ القروي
خَتَامُ ٢ إيليا	الأَوَامَا ٦ فرحات
دَمُ ١٤ طوقان	الرَّامَا ٥ البردوني
رَقِيمُ ١٣ بدوي الجبل	السَّما ٩٤ إيليا
عَلَمُ ٧٢ القروي	العَنَمَا ٢٤ أبو ريشة
عَنْكُمُ ١١٧ إيليا	المُبْهَمَا ٢٠ أبو ريشة
فِيهِمُ ١١ إيليا	انْتَقَامَا ٢٥ إيليا
لِزَامُ ١٤ بشارة الخوري	جَمَى ١٨٦ القروي
مُجَسِّمُ ٧٣ القروي	عَلَقَمَا ٩٥ إيليا
نَتَنَعُمُ ٧٨ القروي	عُلَامَا ١٧١ القروي
والأَحْلَامُ ٢٥ الشابي	فيما ١٧ ناجي
والأَنْجُمُ ٧١ إيليا	كَالْعَمَى ١١٨ القروي
وصَمَّمُوا ٣ الشابي	مُرْتَسِمَا ١٢٤ القروي
يَتَحَكَّمُ ٩٩ فرحات	مُهْتَمًا ٥٠ فرحات
يَتَعَمَّمَا ٣٩ فرحات	نَمَا ٥١ فرحات
يَسْتَفْهِمُ ١١٨ إيليا	وابْتَسَمَا ٣٤ ناجي
الأَصْنَامُ ٩٨ فرحات	وابْتَسَمَا: ٣٧ فرحات
الأَعْلَامُ ٦٧ القروي	وسَلَمَا ١ بشارة الخوري
الْأَنْجُمُ ٢٨ ناجي	يُسَمَّى ٣٩ البردوني
السَّامُ ١٠ إيليا	أَفْهَمُ ٢٤ طوقان
الشَامُ ١٢١ القروي	المُسْتَهَامُ ٩٠ القروي
القَلَمُ ٢٩ إيليا	النَّوَاعِمُ ٤٤ فرحات
الكَلَامُ ٥٠ إيليا	الْهَمُ ١١٣ القروي
الْمَتَقَادِمُ ٩ إيليا	أَنْجُمُ ٤٧ إيليا

جُزْمَةُ ١٢٥ القروي	المظالم ٢٤ فرحات
جَمَاهُهَا ٩٦ القروي	إِمَامِي ٩٣ إيليا
دَمُهُ ١٧ فرحات	بالإغدام ٢٢ العسكر
صِيَامُهُ ١٠ طوقان	جِحْمِ ٨٢ فرحات
عَلَامَةُ ١٧ البردوني	سُمُومِ ٢٠ عرار
وحسَامُهَا ٣٤ فرحات	شَيْمِي ٤٩ إيليا
ودَوَامِهَا ٧١ القروي	فَمِي ٥٧ القروي
وزِحَايِهَا ٢٠ ناجي	لِظَلَامِي ٩ الشابي
يَرْحَمُكَ ٦ بشارة الخوري	هَمِّي ٢٢ بشارة الخوري
إِحْسَانًا ٤ بشارة الخوري	وتَحْتَمِي ٤٨ فرحات
إِحْسَانًا ٨ بدوي الجبل	يَتَجَشَّمِ ٢٧ الشابي
إِخْوَانًا ٢٩ القروي	الْأَمَمِ ٨٦ القروي
أَقْوَانًا ١٧٣ القروي	الْفَرَامِ ٧ العسكر
أَكْفَانًا ٤٨ القروي	الْفِطَامِ ٥٢ فرحات
الْآنَا ٧ إيليا	النَّدَمِ ٤٠ ناجي
الْحُزْنًا ١٧٤ القروي	بِالْدَمِ ٣١ القروي
السَّنِينَا ٧٢ إيليا	تَحَكَّمِ ١٠ العسكر
الظُّنُونَا ٣٥ بشارة الخوري	خَادِمِ ١٤ البردوني
العَالَمِينَا ١٢٣ إيليا	فَاقْتَحَمِ ١٢ طوقان
الْمُرْسَلِينَا ٦٢ القروي	كَلَامِ ٢١ عرار
الْمُعْنَى ٤١ طوقان	مَنْظَمِ ٩ أبو سلمى
أَنَا ٣٥ ناجي	وَالْيَتَمِ ٢ البردوني
أَنَا؟ ١٢٢ إيليا	الْقَدِيمَةُ ١٢ العسكر
إِيمَانًا ٢٤ عرار	الْمُدْلِيهِمَةُ ٤٨ البردوني
تَعْبِيرِينَا ١٢٨ القروي	بِرُسُومِهَا ١١٩ إيليا

يُعْلَنُ ٣٢ أبو سلمى	سِينَتَا ٦ إيليا
أُبْكَانِي ٢٦ العسكر	عَرَفَانَا ٢٩ بشارة الخوري
أَجْفَانِي ١٠٧ فرحات	عَطَايَانَا ٢٥ عرار
إِخْوَانِي ٢ العسكر	فَكَانَا ٢٣ أبو ريشة
أَشْجَانِي ٨٩ القروي	فِينَا ٢٦ فرحات
أُغْنِي ٤٦ فرحات	فِينَا ٦٣ القروي
أُفْسَانِي ٧٩ القروي	لَبَانَا ١٨٠ القروي
الإِعْلَانِ ١١ فرحات	لِبَلُونَا ٣ بدوي الجبل
الْبَانِي ١٤ العسكر	لَحْنَا ٩٧ إيليا
الْبُرْهَانِ ٣٠ فرحات	لِلْفَنَّا ٩٦ إيليا
التَّبِينِ ١٢١ إيليا	لَنَا ١١ أبو ريشة
التَّجَنِّي ٣٠ القروي	مُذْعِنَا ٤٧ طوقان
التَّمَنِّي ١٣ أبو سلمى	نِسْوَانَا ١٠٣ فرحات
الثَّقَلَانِ ٣٤ إيليا	نَسِينَا ١٥ ناجي
الْجَنَانِ ١٨١ القروي	هَوَانَا ١٠ ناجي
السَّنَانِ ٢٧ أبو ريشة	والْحَانَا ٢٣ عرار
الشَّارِبِينَ ٨ القروي	وَفُلَانَا ١٠ البردوني
الشَّيَاطِينِ ٢٨ عرار	وَهُنَا ٥٩ فرحات
الْكَرْثُونِي ٣٤ عرار	أَلْحَانُ ٥ طوقان
اللُّجَيْنِ ١٨ بشارة الخوري	الصُّوْلَجَانُ ١٠ بدوي الجبل
المِيبِنِ ٤٨ إيليا	بُرْهَانُ ٦٦ القروي
المِيدَانِ ٢٦ أبو سلمى	عَيْنُ ٢٢ عرار
بِإِخْوَانِي ٣٠ عرار	نِيسَانُ ٦ بدوي الجبل
بِالْأَحْزَانِ ٢٩ الشابي	وَرُهْبَانُ ٢٨ إيليا
بِالْإِيمَانِ ١٠١ فرحات	وَمُجَنَّنُ ٩٢ القروي

وَأَلْحَانِي ٤ الْعَسْكَر	بِالْيَقِينِ ٣ الْعَسْكَر
وَالرَّيْتُونِ ٢٤ الشَّابِي	بِإِيمَانِي ٢٩ عَرَار
وَالْعَيْنِ ٣٢ عَرَار	بِجِلْبَائِي ١٧٨ الْقُرُوي
وَالْوَلْدَانِ ٣٢ الْقُرُوي	تُوْنُسِي ٨ الْعَسْكَر
وَأِيمَانِي ٧٤ فَرَحَات	ثَانِ ٣٦ الْقُرُوي
وَحُلَّانِي ٦٨ فَرَحَات	جَفُونِي ٣٧ طَوْقَان
وَرَيْحَانِ ٢٠ بَدُوي الْجَبَل	حُزْنِي ١٣٧ الْقُرُوي
وَطَنِي ١١٩ الْقُرُوي	حِينَ ٩ طَوْقَان
يَخْتَصِمَانِ ١٢٠ إِيْلِيَا	دَرْوِينِ ١٤ فَرَحَات
يَرْثِينِي ١٣٨ الْقُرُوي	دُيُونِ ٢ نَاجِي
يَرْنِي ١١٦ الْقُرُوي	رَمَانِي ٢٧ عَرَار
يَنْشِي ١ طَوْقَان	سَفِينِ ٥١ إِيْلِيَا
الْجَائِعُونَ ٧٣ إِيْلِيَا	شَقْنِي ٣٦ طَوْقَان
الزَّمَانِ ٦ أَبُو رِيْشَة	ضَيِّي ١٠٩ الْقُرُوي
الْبِمْنِ ٢٤ الْبِرْدُونِي	ظُنُونِ ٢٦ عَرَار
بِالدُّوْنِ ١٧٢ الْقُرُوي	عَدْنَانِ ٨٨ الْقُرُوي
كَالظُّنُونِ ٢٤ بَدُوي الْجَبَل	عَيْنِي ٢٧ فَرَحَات
وَالْحَزَنُ ٣ طَوْقَان	فُلَانِ ١٧٧ الْقُرُوي
يَكُونُ ٣٧ الْبِرْدُونِي	كَالتَّيْجَانِ ٣٦ نَاجِي
الْقَرَصَنَةُ ٣١ الْبِرْدُونِي	كَفَانِي ٤ فَرَحَات
بِهْدَنَةُ ٨ طَوْقَان	لَبْنَانِ ١٣٥ الْقُرُوي
جَنَاهَا ٢٨ فَرَحَات	لِرُهْبَانِ ٧٨ فَرَحَات
حَنِئُهَا ١٧٥ الْقُرُوي	لِلْعُدْرَانِ ١٠٤ إِيْلِيَا
رَبْعَانِي ٣١ عَرَار	مَعَانِي ١٠٥ فَرَحَات
زَمَانُهُ ١٥ بَشَارَةُ الْخُورِي	مِنِّي؟ ٧٤ الْقُرُوي

فَأَتَاهُ ٩٨ إيليا	سَجَّعَهُنَّهٗ ٤٦ طوقان
فَيَلْقَاهُ ١١٣ فرحات	طَعْنِهِ ١٧٩ القروي
الدَّوَاهِي ١٢ الشابي	عُقُوفَانِهِ ٢٦ أبو ريشة
بِدَيْهِ ٤٧ القروي	عَيْنَاهَا ٢٠ بشارة الخوري
سَمَاهُ ١١ الشابي	فَتَنَاهُ ٢٧ بدوي الجبل
أَهْوَى ٨١ القروي	فِدَاءَهُنَّهٗ ٢٩ أبو ريشة
فَهْوَى الأَطْلَالِ ١٦ ناجي	قَانُونُهَا ١٧٦ القروي
دَوِي ٥١ القروي	كَدْخَانِهَا ١٠ فرحات
السُّمُورُ ١٨٢ القروي	وَامْتَدَّخَانُهُ ٥٢ إيليا
كُوءُهُ ٤١ فرحات	وَزَيْنُهُ ١٣١ القروي
الْحَيَّ ٤٦ القروي	أَسَاهَا ٢٢ بدوي الجبل
خَلِيًّا ٣٢ فرحات	أَعْبَاهَا ٧٥ إيليا
زَرِيًّا ١٠١ إيليا	الله ١١ طوقان
صَبِيًّا ١٨ العسكر	ذَهَاها ٢٣ العسكر
عَلِيًّا ١٣ بشارة الخوري	سَمَاهَا ٧ ناجي
عَيْنِيًّا ٢٦ بدوي الجبل	شَذَاها ٤٩ طوقان
كَأَوِيًّا ٥٣ فرحات	طَوَّاهَا ٥٣ إيليا
لَاهِيَا ٣ إيليا	لِفَحْوَاهَا ٣٩ طوقان
لِيَا؟ ٤ إيليا	مَرَّاهَا ٤٤ طوقان
وَرَايَا ١٢٦ القروي	مَسَعَاهَا ٦٧ فرحات
يَدَيَّا ١٨٣ القروي	مَلَّهَى ٣٣ البردوني
بُنْ بَيَّ ٥٧ إيليا	وَتِيهَا ١٩ طوقان
وَلِلشَّقِيَّ ١٨٤ القروي	وَرَوَّاهَا ١٨ ناجي
الْأَيَّةُ ١٩ القروي	الْإِلَهُ ٧٤ إيليا
الْأَيَّةُ ٥٦ إيليا	الْوُجُوهُ ٣ بشارة الخوري

الشَّادِيَّةُ ١٠٣ إيليا
العَايَةُ ٥٢ طوقان
القَضِيَّةُ ٢١ طوقان
القَضِيَّةُ ٣٣ عرار
القَوِيَّةُ ١ العسكر
الْمَاضِيَّةُ ١٢٤ إيليا
بَاقِيَةُ ١٠٢ إيليا
بِأَهْلِهَا ٥٥ إيليا
تُعْطِيهَا ٩٩ إيليا
حُبِّيهِ ٩٥ القروي
حُمَيَّاها ٩ فرحات
حَنَايَاها ٣٨ طوقان

دَكَّرَنِي ٣٨ ناجي
صَوَاحِيهَا ٦٣ فرحات
عَايَةُ ١٩ الشابي
فِيهِ ١ إيليا
فِيهَا ١٠٠ إيليا
فِيهَا ٢٧ بشارة الخوري
لَدَيْكَ ٩٠ إيليا
لِدَوِيهِ ٥٤ إيليا
مَآفِيهَا ٥ إيليا
مُحَامِيهِ ١٧ العسكر
نَاسِيَّةُ ٤٥ طوقان

إني أتَنَفَسُ «فوق» الماء، أتَنَفَسُ الصعداء، فبعد ثلاث عشرة سنة ها إني أخطُ الصفحة الأخيرة، صفحة الغلاف الخلفي، من آخر أجزاء هذه السلسلة (الزبدة). وسبق آخر الشعر هذا أول الشعر وتجده وتألقه وإحياؤه. فهل أغتنم الفرصة فأغيّر اسم هذا الكتاب الأخير حتى لا يكون رقعة نعيٍ للشعر العمودي؟ الاسم حلو، وأبقيه لأنه حلو، فأما أن الشعر العمودي قد مات فمسألة سيظل فيها نظر.

ضمت سلسلة (الزبدة) خلاصة الشعر العربي على مدى ألف وخمسمئة سنة. والحلقة الأخيرة من السلسلة، وهي التي بين يديك، تضم آخر العمالق، بعضهم مشهور شهرة مدوية وبعضهم غير مشهور:

إيليا والقروي وفرحات من المهجر، والأخطل الصغير من بيروت، وعرار من الأردن، وطوقان وأبو سلمى من فلسطين، وعمر أبو ريشة من حلب، وبدوي الجبل من الجبل، وفهد العسكر من الكويت، وناجي من مصر، والشابي من تونس، والبردوني من اليمن.

خلاصة شعرهم هنا، وخلاصة حياتهم. ونذكر ما سرقه فلان عن فلان، ونشرح الشعر ونلقي الضوء على المناسبة التي قيل فيها. ولا نبالغ في ذلك، فهذا ليس كتاب تاريخ، لكننا لا ندع الطرفة نفوتنا، ونحتفل بالبيت الجميل وندعو القارئ إلى تذوقه.. إلحاح قد يراه قارئ سمجاً، يقول: اتركني أتذوق بنفسي. وقد يراه قارئ ممتعاً، يقول: نعم، أريد أن يشركني الكاتب في قراءة الشعر وتذوقه.

- الكتاب مرفق بتسجيلات صوتية لمعظم قصائده بصوت المؤلف.

- مهندس الصوت: محمد ماضي، والتسجيل في استوديو معهد الجزيرة للإعلام.



القاهرة - المعادي - شارع المعراج

almashreq.books@gmail.com